الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

من الهجرة الآمنة إلى الفتح المبين

د. على الخطيب

هى هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

وكانت هجرة لازمة بعد ان رفض المكيون الايمان ، واعتصموا بالشرك ، واجمعوا على قتل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واختاروا القتلة ، فخفوا الى بيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليقتلوه .

فكان البقاء بمكة يعنى أن تتوقف الرسالة .

تلك الرسالة التى لم تكن تخص المكيين ــ وحدهم ــ بل كانت للناس كافة لذا وجب الرحيل ، وتلقى « الأمين الكريم خاتم الرسل أجمعين » الا بالهجرة الى حيث تعمل الرسالة ، وينتشر الدين ، ويبلغ الناس أجمعين .

الجزء الأول
* السنة السادسة والخمسون *

* المحرم ١٤٠٤ هجرية
* أكتوبر ١٩٨٣ ميلادية

من الهجرة الآمنة إلى الفتح المبين

لقد صلب الشرك ، وأجمع أمره على صد الايمان بكل سبيل حتى باتت « الندرة » الضعفاء من المكيين الذين لم يستطيعوا الهجرة — يخفون ايمانهم ويكتمونه ، وكانوا نفرا يعدون على الأصابع .

فما البقاء ، ولن يؤمن الا من قد آمن .. ؟!

فكان الرحيل .

فلم تكن الهجرة — اذا — نتيجة أذى المشركين للمؤمنين . وهناك في مكة من يؤمن ، والا لبقي المصطفى — صلى الله عليه وسلم — حيث لازالت الرسالة تسير ، ولازالت قطرات الايمان تنزل من حين الى حين .

لكن ، لا ايمان بعد !

وأيضا :

فلا تعطيل للرسالة !

فمضى الرسول — صلى الله عليه وسلم —

**

مضى — صلى الله عليه وسلم — وصاحبه الصديق — رضوان الله عليه ، يشقان الطريق ، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — آمن ، فله من المولى — عز وجل :

« **عصمة** » تمنعه من الناس .

« **ولازمة** » من خصائصه ، تريه من خلف كما يرى من امام

« **وطمأنينة** » تشيع في فؤاده كله النصر والسلام .

فذهب — صلى الله عليه وسلم — يسري عن أبي بكر مالحقه من « الخشية » على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، كذا في الغار والطريق :

« **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** » .

حقا : « **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** » .

وهنا — في تلك الهجرة — قمة التقوى والاحسان .

**

وخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مستخفيا ، وهو الآمن على نفسه ، الواثق بوعد ربه ٠

وكان الخفاء لتتم رحلة الفتح ، وخطا الهجرة فى سلام :

سلام لايعكر صفوه مجابهة حانق مغيظ يرديه قدره قتيلا ، فيقال : فر محمد — صلى الله عليه وسلم — بدم أراقه فى أرض حرام ٠

ويعقب ذلك فتنة تثار على الرسول — صلى الله عليه وسلم ، فتنال من الرسالة وتنعكس على « **المدينة** » أرض المهجر حاملة فى ثناياها سلاحا للمنافقين ، وحرجا للمؤمنين ، ومواجهة عصبية لما جرت عليه تقاليد الجزيرة بين العرب أجمعين ٠

والاسلام فى حاجة الى طرح ذلك كله ٠

فكان لابد من الخفاء ٠

*** ***

وهاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان الفتح العظيم ٠

وخسرت قريش موازين القوة والمكانة التى توارثتها على مدى قرون :

زال عنهم ماكانوا يتمتعون به من أمن فى سفر أو تجارة ، وكان فيما نهبوه من المسلمين المستضعفين مايبرر لهؤلاء متابعتهم لاسترداد بعض حقهم ٠

ثم اختلف القرشيون فيما بينهم داخل مكة ، وتسلل منهم أفراد أووا الى المدينة فأسلموا وصار للمسلمين اكثر من (عين) لهم بمكة من المؤمنين المستضعفين ٠

واهتزت قيمة المكيين فى قلوب العرب فلم تعد مثلما كانت عليه من تقدير لايختلف فيه ؛ وتسليم لايرتد عنه ٠

ولم تجد قريشا مبادرتها الى «بدر» نفعا ولم تات بالنصر الذى تتوقعه ، بل نالت ضربة ساحقة أطاحت برءوس الزعماء ، فتبددت منهم الوحدة ، وضاع حلم النصر وجاء الفتح العظيم ٠

د ٠ على الخطيب

من الهجرة
حسن السلوك

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ قال :
قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه

أخرجه الخمسة الا الترمذي .

في هذا الحديث قاعدتان لسلوك المسلم ينبغي أن نتدبرهما فعليهما مدار بناء المجتمع الاسلامي ، بل والانساني .

القاعدة الاولى : مجملها : كف الأذى عن الناس ، وليس المراد من جملة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تحديد معنى المسلم تحديدا كاشفا لمقوماته ومكوناته ، أو تحديد أصل الاسلام ، لأنها لم تحو سوى شعبة واحدة من الشعاب العملية للاسلام . تلك هي : كف الاذى عن الناس ، لكنها مع هذا شعبة فرعية تصلح عنوانا ومعيارا يميز الخبيث من الطيب ويتعرف بها على المسلم الصادق الذي وصفه الحديث بصفة مطردة تقول : اذا رأيتم الرجل يمتنع عن الاضرار بالمسلمين بيده ولسانه كان هو المسلم ، واذا رأيتموه يسعى الى مضارة المسلمين من بين الناس جميعا ، اما بآفات اللسان كالغيبة والشتم والقذف والنميمة واللمز ، وأما بيده بضرب او اغتصاب حق ، أو قتل ، أو اطلاع على عورات واشاعتها ، والمشي في المضرات ، وأكل الطعام بغير اذن صاحبه وغير هذا وذاك من أنواع المضارة ، والاضرار فان كان الرجل أو المرأة متصفا أو محترفا لشيء من ذلك فليس من الاسلام في شيء ، وان انتسب الى الاسلام والمسلمين ، ذلك أن الذي يكف الأذى عن المسلم بوصف كونه مسلما انما هو المسلم . هكذا جاء الوصف في قول الله : **(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** . ولايؤذي المسلم الا من ليس مسلما



لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

فى واقعه (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً) (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) ٠

ومن هذه الآيات من القرآن الكريم يتضح لنا أن هذه الجملة من الحديث الشريف جاءت ترجمة لمعانى هذه الآيات وغيرها الداعية لحسن السلوك فى المجتمع.

هذا وليس التقيد بالمسلمين مقصودا به عدم المسالمة مع غيرهم مطلقا ، بل يجب كف الأذى عن كل من يسالم المسلمين ويعايشهم ، سواء من أهل الذمة أو المعاهدين أو المهادنين أو المستأمنين لكن الحديث الشريف جعل مسالمة المسلمين وكف الأذى عنهم واجبا أصليا على كل مسلم ، وكانت مسالمة غير المسلمين واجبة تبعا لهم ٠

أما المحاربون أعداء المسلمين ، فلا يجب كف الأذى عنهم ، بل الواجب رد عدوانهم والخوف من التورط فى علاقات معهم قد تضر بالمسلمين ، ولايظن أحد أن هذه القاعدة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) هى كل أمر الاسلام وانما هى — كما تقدم — واحدة من شعبه أو قواعده الواجبة ، وكأنها من باب مالا يتم الشىء الا به ، ومن ثم فلا يركن الى هذا الحديث بعض أولئك المفرطين فى جنب الله ، الذين اذا دعوا الى الصلاة وقيل لهم اركعوا لا يركعون ، أو الى الزكاة وقيل لهم انفقوا اذا هم يكنزون ، ثم يقولون مجاهرين : مادمنا لا نؤذى أحدا فنحن خير ممن يصلى ومن يزكى ، ومن يصوم ، وكأنهم يقولون أن

من الهجرة حسن السلوك

من أحسن المعاملة مع الناس لاضير عليه ان لم يحسن المعاملة مع اللـــه .

ان هذا ليس مقصـــودا من الحـــديث الشريف ولايؤدي اليه ، لا بالمنطوق ولا بالمفهوم الشرعي · والقاعدة الأخرى في هذا الحديث (والمهاجر من هجر مانهى الله عنه) ·

جاءت لتقرير معنى الهجرة المستمرة في الاسلام ، بعد أن كانت الهجــــرة المكانية من فروضه ، فقد كانت عناية الاسلام في بدء البعثة المحمدية بأن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام أمرا حتميا مما جعل لفظ الهجـــرة والمهاجر اذا أطلق لا ينصرف الا الى هذا المعنى ، حتى قد ظن ان فضل المهاجرة يحصـــــل لصاحبها بمجرد هذا الانتقال ، ولو لم يعمل بعدها شيئا من أمـــور الاســـلام ، فجاءت هذه القاعدة تنبيها على خطأ هذا الظن أو الفهم ، وعلى تخطئة من يعتنقه أو يدعو اليه ، مبينة أن الهجرة لايحرز فضلها الا من أعرض بجوارحه وقلبه عن كل مانهى الله عنه من الآثام الظاهرة ، والباطنة ، ومع هذا فلم تترك هذه القاعدة الهجرة المكانية اذا لزمت ، بل انها تصلح أمرا شاملا جامعا للهجرتين المعنـــوية والحسية لأن كلمة (مانهى الله عنه) تمتد وتتناول الاقامة في ديار الشرك غـــير المأمونة على الاســـلام ، كما تتناول الالتزام بفرائض الاسلام ، وســـننه وآدابه ، فليست قاصرة على امتناع المسلم عن مقارفة الذنوب ، بل شاملة لكل المعـــاصي ســـلبا أو ايجـــابا .

هذا : ولقد كانت الهجرة الى دار الاسلام واجبة على من أسلم لقلة المسلمين يومئذ بالمدينة وحاجتهم الى التجمع ، فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا سقط فرض الهجرة ، وكان الجهاد والنية والمثابرة ، وكانت هجـــرة مانهى اللـــه عنـــه .

ولعل من أخطر ما في عصرنا مما ينبغي هجره والدعوة الى نبذه والحذر منه ، هذه المشاكلة والمشابهة التي يقلد فيها أهل الاسلام غيرهم ، فانهـــا وان كانت ظاهرية لكنها توجب وتجر الى مشابهة ومشاكلة في أمور أخرى تصرف عن حقائق الاسلام الى أباطيل خصومه ، وتوجب تنسيقا وتآلفا ، وفي ذلك اضعاف لشخصية المسلم وازهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة الآن في الاسلام أن نهجر تقاليد غيرنا ، وان نتحفظ في تقليدهم في أمورهم الظاهرة حذرا من متابعتهم في أمورهم الباطنة ، ولعلي أوجـــه هذه الكلمة لمن فتنوا من المسلمين ، ولفتنتوا بمحاكاة الامم غير المسلمة في عاداتهم

وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافي المروءة والغيرة يحسبونه هينا وهو بباب خطر داهم ، ليس في أمر الاسلام عقيدته وشريعته فقط بل وفي أمر هذه الحياة اذ أن هذه المتابعة دون حذر وترو طريق انحلال الامم وفنائها ، وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها .

ومن هنا ونحن نحتفي بذكرى هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة ينبغي أن نعيد قراءة سيرتها متحرين أهدافها ومقاصدها ، وما كان لها من دوافع وما تم من تخطيط ، ودراسة أمر هؤلاء الذين شاركوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في رحلته أو امداده أثناء مسيرته بحاجاته ، أو باخفاء طريقه وصرف العيون عن متابعته أو ملاحقته حتى بلغ مأمنه ، اذ هؤلاء مدرسة أو مدارس نتلقى منها وعنها كل الخير في الدين والدنيا .

لقد جمع هذا الحديث الشريف قاعدتين أساسيتين في السلوك الاسلامي والانساني ، ينبغي أن نفيء اليهما ، وأن نتبعهما وهما بالهجرة ألصق ، هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه ، ومهاجرة الى الخير بكل طرقه ، هجرة الى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبالاحسان في معاملة خلقه كما أرشدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في كثير من أقواله ، بل وفي سلوكه ، ومودته ومحبته للناس وايثاره اياهم بكل خير والوقوف معهم في كل محنة ، والنزوع بهم الى كل سلوك حميد أو محمود .

فانعموا النظر أيها المسلمون في هاتين القاعدتين الجامعتين ، ففيهما دواء لعلل المجتمع الاسلامي ، بل والانساني وأسلموا لله تسلموا ، واهجروا الخيانة ، ماظهر منها وما بطن في الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا في دنياكم ويوم لقياكم بربكم ، وليصدق القول العمل ، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولا تكونوا من هؤلاء وأولئك الذين استمرأوا الجدل في كل شيء والانفلات من كل القيم والمبادىء القيمة التي جاء بها القرآن وجرت بها سنة رسول الله فانه لاصلاح لهذه الأمة الا بما صلح بها أو لها ، فانبذوا الشقاق فقد أنهك الأمة وجعلها نهبا لأعدائها ، وكونوا مع كتاب الله ففيه الهدى والرشاد ومع سنة رسول الله وسلوكه ففيهما الاستقامة والخير ، وخذوا بأسباب الصلاح والاصلاح ، فقد أضاعتنا الأمنيات والأماني والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وبعد : فليدرس هذه السيرة ــ سيرة الهجرة ــ أهل الاختصاص في العلوم المتنوعة ، فسيجد كل أولئك نبراسا يهدوننا به في حياتنا المعاصرة التي أسرعت

من الهجرة حسن السلوك

بها الخطا نحو التهور والتدمير ، وليدرس أهل الاسلام – الهجرة • درس استنباط يأخذون منها الهدى والحل لهذه الأزمات المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين وليأخذوا منها العزم والحزم فى مواجهة الصعاب بثبات المؤمنين ، مستعينين بالله محتسبين الاجر عند الله ، لا يقعدهم اليأس عن مواجهة البأس ، وليذكروا أن الكيد للاسلام والمسلمين يأخذ صنوفا من الالوان والشعارات ، فلا ينخدعوا ، ولا يستسلموا ، ولا يفرطوا فى حقوقهم فى أوطانهم ، وليتجمعوا فان يد الله مع الجماعة ، وقديما قال قائلهم : انما يأكل الذئب من الغنم القاصية •

لقد واجهت المسلمين فى ماضيهم أزمات أنذرت بالتفرق والشتات •

ولكن بالحكمة والروية والايثار وليس الأثرة واجه قادة المسلمين تلك الازمات بهذه الأسلحة •

فلننظر الى هذا التاريخ تاريخ أولئك الذين شاركوا رسول الله وحملوا معه ومن بعده عبء هذا الدين ونشره ، كيف لم تروعهم الخطوب ، وكيف كانت شجاعتهم فوق كل ماداهمهم ، فارتفعوا بها فوق النكبات ، فانقلبت الفرقة وحدة ، والتمزق تجمعا ، كان ذلك حين باعدوا بين أنفسهم وبين المآرب والنزوات الشخصية ، وتجردوا من الانانية رعاية لمصلحة الامة وصونا لوحدتها ، وتوحيدا لكلمتها •

انما يتذكر أولو الالباب ، فلنتذكر دروس هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى هذه المحن التى نعيشها ، ولنجتمع على قلب رجل واحد نرأب الصدع، ونجمع الشمل ، لاغالب ولا مغلوب وانما : احدى يدى أصابتنى ولم ترد •

اللهم نشهد انك الحق بيدك الملك واليك الأمر • اللهم اهدنا اليك واجمعنا حول كتابك وشرعك علما وعملا ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا الى أمرك ويستمعوا الى ندائك وقولك الحق (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) •

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الازهر

■ مع آيات الله
في كتاب الله

في
القرآن
والسنة
والتشريع

■ النقد الحديث
في صحيح البخاري

■ حقوق غير المسلمين
في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

مع آيات الله في كتاب الله

قال تعالى : « ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » آل عمران ٥٨

الاشارة في قوله : (ذلك) الى ماتقدم من خبر عيسى وزكريا عليهما السلام .

والتلاوة والقصص : مفهومهما يدل على أن يذكر بعضه اثر بعض ، وقد أضاف الله التلاوة الى نفسه في قوله : (نتلوه) في هذه الآية ، وفي قوله : (نتلو عليك أحسن القصص) في سورة يوسف والقاص والتالي : هو جبريل — عليه السلام — ، وذلك يدل على انه جعل تلاوة جبريل تلاوة له وقصص جبريل : قصصا له ، وفي هذا تشريف للملك ، ولما كانت تلاوة جبريل وقصصه بأمره أضاف ذلك الى نفسه .

والآيات : قد يراد بها آيات القرآن من حيث اشتمالها على أخبار الماضين . أو الآيات الدالة على صحة نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — .

والذكر الحكيم : قيل : يراد به : القرآن ، وحكيم : بمعنى : حاكم ، لأن الأحكام مستفادة منه أو حكيم : صاحب حكمة في نظمه .

أو حكيم : بمعنى : محكم لا يتطرق الى أسلوبه خلل ، لأنه أحكمت آياته .

وقيل : المراد بالذكر الحكيم : اللوح المحفوظ الذي نقلت منه جميع الكتب المنزلة على الأنبياء .

وقال تعالى : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ » آل عمران ٧٠ .

(لم تكفرون) بكسر اللام وفتح الميم وأصله (ما) دخلت عليها اللام الجارة ثم حذفت الألف ، (ولم) للاستفهام .

وقد بين الله في هذه الآية حالة طائفة من اليهود يعرفون ما في التوراة من دلائل نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وهم الأحبار ،

وقد اختلف في المراد بالآيات في قوله : « لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ »

١ — فقيل المراد بها : الآيات التي جاءت في التوراة والانجيل من حيث البشارة بمحمد — صلى الله عليه وسلم — ومن حيث ان ابراهيم كان حنيفا مسلما ، وأن الدين عند الله الاسلام ، وهم لم يكفروا بالتوراة وانما كفروا بما دل عليه التوراة ، أو أنهم كانوا كافرين بالتوراة ، لأنهم حرفوها وأنكروا وجود تلك الآيات فيها .

وكانوا عند حضور المسلمين وعوام الكتابيين ينكرون اشتمال التوراة والانجيل

للدكتور محمد محمد خليفة

على الآيات الدالة على نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — .

٢ — وقيل : المراد بالآيات هنا : القرآن فهم يشكون أمام العوام أن القرآن معجز ويشهدون بينهم وبين أنفسهم أنه معجز .

٣ — وقيل المراد بآيات الله : جملة المعجزات التى ظهرت على يد محمد — صلى الله عليه وسلم — .

« وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ » أى أنكم اعترفتم بالمعجزات التى ظهرت لتأييد الأنبياء ، فاذا كنتم تشهدون بها مع الأنبياء وأنتم تشهدونها مع محمد — صلى الله عليه وسلم — فكيف تصرون على انكارها ؟ ان ذلك يتناقض مع ما شهدتم به من معجزات الأنبياء .

وقال تعالى : « **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ** » آل عمران ٩٦ ، ٩٧ .

قيل المراد بقوله : « أول بيت وضع للناس : أنه أول بيت وضع لطاعات الناس وعباداتهم ويشاركه بيت المقدس ، وقد بنى بعد البيت الحرام بأربعين سنة كما حدث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد بناه سليمان عليه السلام بعد أن بنى ابراهيم البيت الحرام .

وقيل : هو أول بيت فى الوضع والبناء ، وقيل فى كونه هدى ومباركا .

وقد فسر الله الآيات فى قوله : « **فيه آيات بينات** » بقوله : مقام ابراهيم ، وهو الحجر الذى وضع عليه ابراهيم قدمه وهو يقوم بالبناء ، وبقاء هذا الحجر قائما على الرغم من مرور آلاف الأعوام يعد آية ومعجزة من آيات الله البينات .

وقيل : كان أثر قدم ابراهيم فى ذلك الحجر آية ، والانة بعضه دون بعض آية .

بكة : اسم لمكة ، وسميت بكة ، لأنهم يتباكون فيها أى يزدحمون عند الطواف أو سميت بكة : لأنها تبك أعناق الجبارين .

وأما مكة : فقد سمى به ذلك البلد ، لأنها تمك الذنوب وتزيلها .

وللكعبة أسماء : الكعبة ، البيت العتيق — المسجد الحرام .

وقال تعالى : « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ** » آل عمران ٩٨ .

بعد أن بين الله فضل الكعبة ووجوب الحج فى الآية السابقة على هذه أمر نبيه — صلى

مع آيات الله
في كتاب الله

الله عليه وسلم ـ أن ينادي أهل الكتاب ليسألهم : لم تكفرون بآيات الله ؟

واختلف في المراد بأهل الكتاب :
والجمهور على أن المراد بهم : علماء أهل الكتاب الذين يعلمون صحة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد خص أهل الكتاب بالذكر ، لأن فيما بين أيديهم من التوراة والانجيل ما يدل على صحة نبوته من حيث ذكر نعوته وصفاته .

والمراد بالآيات : تلك الآيات التي تدل على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
والمراد بكفرهم : الكفر بما تدل عليه تلك الآيات من حيث صحة نبوته ثم ذيل الآية ببيان أن الله شهيد على ما يعملونه ويجازيهم على عملهم وشهادته على ما يعملون يستدعي عدم الجرأة على الكفر بآيات الله .

وقال تعالى : « **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ** » آل عمران ١٠١ .

الاستفهام في الآية لانكار وقوع الكفر ، وفيه معنى التعجب الذي يراد به تغليظ هذه الحالة ، وذلك لأن تلاوة آيات الله عليهم مرة بعد مرة بالاضافة الى أن بينهم رسول الله ، هذا وذاك يمحو كل شبهة يثيرها اليهود .

فينبغي للمؤمنين عندما يسمعون تلك الشبهات أن يرجعوا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليرد على كل ما يثار من شبهات .

وان تلاوة آيات الله عليهم ووجود رسول الله فيهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويزيل الشبهات التي تعترض طريق ايمانهم كل ذلك من أقوى الزواجر عن الكفر فكيف يتأتى مع كل ذلك .

وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشير الى أن الواجب على المؤمنين أن يتدبروا في آيات الله وحدهم ، وأن يحاولوا الاستقلال في فهم الآيات وما تهدف اليه من المعاني المرادة .

وقال تعالى : « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** » آل عمران ١٠٣ .

المراد بحبل الله : الاسلام ، أو القرآن لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : القرآن

حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ .

صدق الله العظيم

رشد ، ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم .

والاعتصام بحبل الله : اما أن يكون تصويرا للحالة الحاصلة من وثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان عال بحبل وثيق .

واما أن يكون استعار الحبل للاسلام أو القرآن ، والاعتصام والتمسك ترشيح لهذه الاستعارة .

وقد نهى الله المؤمنين عن التفرق عن الحق بوقوع الاختلاف بينهم كحال أهل الكتاب أو كحال العرب في الجاهلية .

وقد أمر الله المؤمنين بتذكر انعامه عليهم بهذا الاستقرار بعد العداوة الحمقاء التي كانت تعبث بمصائرهم وقواهم في الجاهلية .

وكان للاسلام أثره في تأليف تلك القلوب فأصبحوا أخوة في الله متحابين متلاقين في الحق الذي اجتمعت عليه قلوبهم بعد نفرة طالت ، وقد كانوا في ماضيهم على شفا حفرة أي مشرفين على نار جهنم فهداهم الله للاسلام وانقذهم من هاوية كادت تبتلعهم ومثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته ودلائله لعلكم تهتدون ، وتثبتون على الهدى .

وقال تعالى : « **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ** » آل عمران ١٠٨ .

المراد بالآيات : الدلائل الدالة على الله التي تقدمت في هذه السورة وفي غيرها .

وقيل : لقد وعد الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن ينزل عليه القرآن مشتملا على مبادئ، وأصول فلما أنزل عليه هذه الآيات المشتملة على ذلك أشار اليها بقوله : « **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ** » أي الموعودة نتلوها عليك بالحق أي ملتبسة بالحق ، أو بالمعنى الحق « **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا** » فينقص من ثواب محسن أو

مع آيات الله
في كتاب الله

يعاقب بغير ذنب (للعالمين) أى لا يريد أن يقع الظلم على أحد من خلقه « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** »

وقال تعالى : « **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** » آل عمران ١١٢ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه أن اليهود اذا قاتلوا المؤمنين ولوا الأدبار وأنهم لا ينصرون فى معاركهم معهم ، ثم بين فى هذه الآية أنهم قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما وجدوا ، فصار الذل محيطا بهم مشتملا عليهم .

وقيل : المراد بالذلة المضروبة عليهم :

١ — أن يحاربوا ، ويقتلوا ، وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم .

٢ — أو المراد بالذلة : الجزية ، لأن فى ضرب الجزية عليهم ذلا عظيما .

وهذا وذاك واقع بهم الا اذا اعتصموا بحبل من الله ، (وحبل الله : هو الاسلام) واعتصموا كذلك بحبل من الناس (وهو العهد والذمة) .

وقيل : المراد بالحبلين : العهد والذمة ، وذكر الحبلين ، لأن الأمان المأخوذ من المؤمنين هو الأمان المأخوذ باذن الله .

« **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ** » أى مكثوا وداموا فى غضب الله حيث رجعوا به ، وقد ضربت عليهم المسكنة بسبب ذلك الغضب .

وحمل بعض المفسرين المسكنة على الجزية.

والمعنى : أن الله ألصق باليهود ثلاثة مكروهات : جعل الذلة لازمة لهم وغضب الله كذلك والمسكنة فكل ذلك لاصق بهم لا ينفك عنهم .

وأما علة الصاق هذه الأشياء بهم فهى أنهم : كفروا بآيات الله ودلائله وأنهم كانوا يقتلون أنبياء الله بغير حق ، فعلة الذلة والغضب والمسكنة : هى الكفر وقتل الانبياء ، وعلة الكفر وقتل الأنبياء : المعصية والعدوان.

وقال تعالى : « **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** » آل عمران ١١٣ ،١١٤ .

هذا بيان لقوله تعالى فى الآية السابقة : ليسوا سواء ، أى ليس أهل الكتاب سواء فى

قال تعالى

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾

موقفهم من الاسلام ، وهذا تقرير لما تقدم فى قوله : منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم بين صفات المؤمنين منهم فى قوله : من أهل الكتاب أمة قائمة ...

وقد ترك ذكر الأمة الفاسقة منهم ، لأن فى ذكر احدى صفات الضدين ما يغنى عن ذكر الأخرى .

والمراد بقوله : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ الخ ﴾ أى الذين آمنوا منهم بموسى وعيسى وقد روى أنه لما أسلم عبد الله بن سلام قال اليهود له ولأمثاله : لقد كفرتم وخسرتم فأنزل الله هذه الآية لبيان فضلهم .

وقيل : المراد بأهل الكتاب : كل من نزل على رسلهم الكتب من أهل الأديان ، ويدخل فيهم المسلمون .. والأمة الجماعة ، وقد وصفهم الله بصفات ثمانية مدحهم فيها :

الأولى : أنها قائمة فى الصلاة يتلون آيات الله ، وقد عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى الليل ، أو قائمة : بمعنى ثابتة على التمسك بالدين ، أو قائمة بمعنى مستقيمة عادلة .

الثانية : يتلون آيات الله آناء الليل : اما أن يراد بآيات الله : القرآن ، أو المخلوقات الدالة على قدرة الله وعلمه ، وتلاوتها بمعنى : تدبر مافيها وتذكرها .

الثالثة : وهم يسجدون : أى يقرأون القرآن فى السجود أو المراد بالسجود : الصلاة أى يقرأون القرآن فى صلاتهم ومعنى ذلك : تهجدهم بالليل .

الرابعة : انهم يؤمنون بالله واليوم الآخر .

الخامسة والسادسة : انهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

مع آيات الله
في كتاب الله



السابعة : أنهم يسارعون في الخيرات : أي يتبادرون اليها خيفة أن تفوتهم .

الثامنة: وأولئك من الصالحين ، أى أن الموصوفين بتلك الصفات من جملة الصالحين .

وهذا الوصف الأخير وصف الله بـه كبار الأنبياء كقوله بعد ذكر اسماعيل وادريس وغيرهما « وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ » فدخولهم في رحمة الله كان بسبب صلاحهم ، وذكر في دعاء سليمان : وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

د. محمد محمد خليفه

النقد الحديث

في صحيح البخاري (١)

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم

قال الامام مالك « لا يؤخذ العلم عن اربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب في احاديث الناس ، وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة ، اذا كان لا يعرف ما يحدث به » .

وهذا هو نهج المحدثين والبخاري ، وكان نهجا عمليا تطبيقيا ، فمايزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين ، كما يتضح ذلك في كتاب التاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء للبخاري ، ووضح الأمر وأشرق اليقين ، على انهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم (جولد تسيهر) ما ردده بعده المستشرق « غاستون ويت » كاتب مقال « الحديث في التاريخ العام للديانات » .

وقد قال : « لقد درس رجال الحديث السنة باتقان ، الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ، ومعرفة الرجال ، والتقائهم ، وسماع بعضهم من بعض ، الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة ، بقوله : لذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من غير أن يضيف اليه الرواة شيئا عن حسن نية في اثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا في أثناء روايتهم مشافهة ، ومهما كان هذا الرأى صحيحا ، فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح أ . هـ وهكذا يرمون القضايا جزافا غير مشيرين الى ما هناك من مصادر الصحيح معلومة ، وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين ، وأصبح الأمر معلوما ، والحق ان المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على انه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم ، وأفهم بمصطلحاتهم ، وأصدق جهدا بالعناية بتراثهم ، لا كما فهم المستشرق ، وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين ، فقد رددها الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) :

وقد وضع العلماء للجرح والتعديل ، قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال — عنوا بنقد الاسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبى أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا لم نظفر منهم في

---

(١) نعيد نشر هذا المقال لسقوط بعض صفحاته في العدد الماضي (ذى الحجة) ١٤٠٣ استدراكا للخطأ الطبعي واتماما للفائدة .

(٢) فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨

النقد الحديث في صحيح البخاري

هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم » ا . هـ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة ـ بما فيهم الشيخان وغيرهما .

بل انما تطرق هذا التطبيق ، وتعدى الى البخاري نفسه فيقول الاستاذ أحمد أمين ، حتى ان البخاري نفسه على جليل قدره ، ودقيق بحثه ، يثبت أحاديث ، دلت الحوادث الزمنية ، والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء ، ان العناية بالسند انما هي من أجل المتن كما أشرت من قبل ، ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد في المتن لا يعني عدم وجودها ، والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند ، الا أن هذا النقد لم تهتدوا الى مظان بحثه ، حيث بحثتم عليه في الأحاديث الصحيحة السند ، وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند ؟ لأن السند الذي فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المتسمين بالصحة من الصعب أن تجد فيه الموضوع ـ لا كما يدعي هؤلاء ، وكما يقول أبو رية وهو من اتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المغرورين من أن المحدثين لا يعنون بغلط المتن :

ونقل أبو رية الاتفاق (١) على أنه ليس كل ما صح سنده من الأحاديث المرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون في بعض الرواة من أخطأ في الرواية عمدا أو سهوا .

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا بل قالوا ان الموضوع من حيث الرواية يكون صحيحا في الواقع ، وأن الصحيح السند قد يكون موضوعا في الواقع ، وانما علينا أن نأخذ الظواهر ا . هـ وأقول : « قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتون الموضوعة ، وهي تظهر بوضوح في غير صحيح الاسناد .

قال الامام ابن قيم الجوزية (٢) .

« وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده ؟

وهذا سؤال عظيم القدر ، وانما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلط بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة وحالة . له اختصاص شديد لمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ، ويدعو اليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث كأنه مخالط لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) كواحد من أصحابه ، ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر عنه ومالا يجوز ، مالا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فالأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب اليه ومالا يصح أن ينسب له من الدراية ما ليس كمن يكون كذلك . وقال ابن دقيق العيد (٣) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .

« ومن القرائن التي تدل على الوضع في المتن على سبيل الاجمال ركالة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد

---

(١) أضواء على السنة ص ٣٠٤ لأبي رية

(٢) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨

(٣) توضيح الافكار ص ٩٤

وضعت أحاديث ركيكة ، تشـــهد ألفاظهـا ومعانيها لوضعها ، ، قال الحافظ ، المـدار في الركة على ركة المعنى ، فحينما وجـدت دلت على الوضع ، وان لم ينضـم اليهـا ركـاكة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركـة ترجع الى الرواية .

أما ركاكة اللفظ فقط ، فـلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير ألفـاظه لغير لفظ فصيح ، نعم ان صرح بأنه من لفظ النبى (صلى الله عليه وسلم) فكـاذب .

فساد المعنى ، كالأحاديث التـى يكذبهـا الحس ، نحو حديث (الباذنجان لما أكل له) ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشـواهد الصحيحة على بطلانه ، وكل ما يشتمل عـلى سخافات لا تصدر عن العقـلاء كحـديث « المجره » التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش .

وما يناقض نص الكتاب والسـنة المتواترة أو الاجماع القطعى (١) .

قال ابن قيم الجوزية : « ومنها مخـالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سـنة ، ويجـىء في الألف السابعة ، هذا من أبين الكذب ، فهو مخـالف لقوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْـرَاهَا ، إِلَىٰ رَبِّـكَ مُنتَهَاهَا) (٢) .

ولقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَـا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) (٣) .

(١) الباعث الحثيث ص ٩
والمنار لابن قيم الجوزيه ص ٣٠
(٢) سورة النازعات آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤
(٣) سورة الاعراف آية ١٨٧

وقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (٤) .

وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسة ملكات خاصة عند المحدثين .

وفي هذا يقول ابن الجوزى : « الحـديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وتنفر منه قلبه في الغالب » (٥) .

ويقول الربيع ابن خثيم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود .

« ان من الحديث حديثا له ظلمة كظـلمة الليل تعرفه بها » (٦) .

(وان من الحديث حديثا له ضوء كضـوء النهار تعرفه) .

ولم تكن هذه المقاييس بخافية على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجـد الموضوع عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمـع الأحاديث الموضوعة في قائمة ، والصحيحة في قائمة ، والتعاون من أعلام المحدثين في المجتمع الاسلامي تصح دعوى المستشرقين ، ومن نهج نهجهم في عـدم الاعتنـاء لنقد المتن الذى من أجله كان السند ومع كل اعتناء بالسـند، انما هو اعتناء بالمتن ، فوق ما تقدم من قواعد المتن الخاصة ، والواقع أن سبب عدم وجود نقد المتن في صحيح البخارى ، أنه ، انما لما صدق السند صدق المتن ، فلم توجد فيه متون مخالفة لقواعد نقد المتن — وان قواعد نقـد المتن تظهر في غير ما سنده يكون صحيحا ، وقد جهلتم ياهؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها في كتب الموضوعات ، فلو لم يكن الاهتمام بالمتن .

لما حصرت الموضوعات ، والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن ، لانه من

(٤) المنار لابن الجوزية ص ٣١
(٥) الباعث الحثيث ص ٩٠
(٦) معرفة علوم الحديث ص ٩٢

النقد الحديث في صحيح البخاري

المعلوم ان ضعف السند لايقتضي ضعف المتن ، بل يتوقف عن قبوله ، ولايحكم بوضعه ، ويقال فيه لم يثبت فاذا اتى من طريق صحيح صح المتن وقبل .

« في معرض عدم العناية بنقد المتون » .

قال ابو رية : فان الدار قطني وغيره من ائمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك في الاسناد وذلك لان النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا افراد من ائمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فانه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من : المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين .

وكأنه يعني بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا ، وكأن الدار قطني وهو من ائمة النقاد لم يصل الى مقاييس ابي رية واتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن ائمة الحديث انما يعنون بالسند رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من ائمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند ، وجاء بالمثال الذي جاء به ابن حجر في المقدمة ، ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو رية غيره .

قال ابو رية :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلي بعد أن أورد الحديث الذي رواه البخاري عن ابن ابي اويس عن أخيه عن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال : « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة ــ الحديث » .

هذا خبر في صحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد ، فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع اخباره أن الله قد وعده أن لا يخزيه يوم يبعثون ، وأعلمه أنه لا خلف لوعده ، وقد أعل الدار قطني هذا الحديث من جهة الاسناد فقال : هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وأجيب عن ذلك : بأن البخاري قد علق حديث ابراهيم بن طهمان في التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه .

وينبغي للناظر في الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية اهـ أبو رية .

وقد تبين أن البخاري كما ذكر، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه ، هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ما حكاه القرآن مع نبي آخر هو الاب الثاني للانبياء (نوح) عليه السلام حينما قال : « ان ابني من أهلي وان وعدك الحق » فبين الله أنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد « **إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** » .

وفي هذا الحديث عندما يقول ابراهيم : **« يا رب انك وعدتني الا تخزيني يوم يبعثون »** . فيقول الله تعالى : **« اني حرمت الجنة على الكافرين »** . والمعنى : ان ذلك ليس بخزي وليس باخلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ولو أطلقت العقول المغرورة في مثل هذه

الأمور المتشابهة لطعنت في القرآن بما لا يوافق هواها كما طعنت في السنة .

وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس ، قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلي ، ومرادهم : ان المتن قد يزاد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوي على سبيل الندرة ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث ، والا لما قبل أن ينقله ، على أنه في حالة نقله يبين عدم تمكنه أو تردده في هذه اللفظة ، ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا ، واستوعبوا مثل هذه الألفاظ النادرة وذلك أنها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ، ومثل ذلك في البخاري الاختلاف في ثمن جمل جابر رضي الله عنه .

وقد بين البخاري مع عدم تعلق ذلك بالحكم الأصلي الروايات ، ونص على الأصح منها ، مثل ذلك حديث ذي اليدين — رواه البخاري عن ابن عمر ، قال يوم الاحزاب : أن لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة ، ووقع في رواية أخرى : أن لا يصلين أحدكم الظهر ، وجمع بين الروايتين : بأن النبي قال ذلك لقوم ثم قال لفرقة أخرى يعدهم رواية العصر ، أو بجواز خطأ الراوي لعدم تعلق حكم هام باختلاف العصر أو الظهر .

وقد نص المحدثون على كل ذلك وما ماثله وأصبح الأمر وضحا لا لبس فيه .

« الاحاديث التي انتقدها أحمد أمين »

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال : ان البخاري يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، من ذلك مثلا حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل » قد أخرجه الامام البخاري في كتاب الطب (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢) .

وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الاحاديث المقيدة بذلك ، ومنهم من أطلقه ، والذي ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة ، قال ابن القيم في زاد المعاد : « . التمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به » ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التي لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الاطباء لتلقاها عنهم الاطباء بالقبول والاذعان والانقياد ، مع أن القائل انما معه الحدس والتخمين والظن .

فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحي أزلي بأن تتلقى أقوالهبالقبول وترك الاعتراض.
هذا خلاصة ما ذكروه في هذا المقال .

واذا كان السحر نوعا من الأمراض النفسية، وللايحاء بالنفس أثر كبير في شفاء المرضى ، أو أن أثر الصحة نافع في الحالة النفسية كما يقرر العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقي الجسم من الحالة النفسية ، ويكون له أثر طيب في حالة المسحور كما قال النبي — صلى الله عليه وسلم — :

قال الدكتور السباعي (٣) « انك لا تشك معي في أن اقدام مؤلف (فجر الاسلام) على القطع بتكذيب هذا الحديث ، جرأة بالغة منه ، لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمي بأي حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ، ومادام متنه

(١) صحيح البخاري بشرح السندي ص ٢٠ جـ ٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٨ ١٦ جـ ٢ .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٢٦٥ .

النقد الحديث في صحيح البخارى

صحيحا على وجه الاجمال ، ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ، ويقيني أنه لو كان في الحجاز معاهد طبية راقية ، أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبي الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة ان لم يكن اليوم ففي المستقبل ان شاء الله

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل مقاييس النقد الحديث فقد كتب الاهرام تحت عنوان (١) « البلح علاج لأمراض العيون والجلد والأنيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ، ويساعد على الولادة بسهولة » أثبتت الابحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومي للبحوث : أن البلح غذاء كامل ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعلاج الامراض الجلدية كالبلاجرة ، وأمراض الأنيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ، ويساعد الحامل بسهولة على الولادة ، صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومي للبحوث. وأضاف قائلا : ان الأبحاث أثبتت كذلك : أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية ، وذلك بالاضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ، ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة .

وبهذا قد ثبت ، أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ، ويثبت صحة الأحاديث التى لم ترق في نظرهم . وهكذا يخطىء النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم ومثال ما نقدوه أيضا في صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة في البحث ما نقده الأستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لا يبقى على ظهر الارض بعد مائة سنة نفس منفوسة » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ، وفهم منه مؤلف (فجر الاسلام) : أن مراد الرسول — صلى الله عليه وسلم — الاخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ، ومن هنا حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى في السمر في الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة ، وهو أن عبد الله ابن عمر قال : قام صلى الله عليه وسلم — في صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قال : أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ، فوهل الناس في مقالة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى ما يتحدثون من هذه الاحاديث عن مائة سنة ، وانما قال النبى : لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الارض . يريد بذلك : أنها تخرم ذلك القرن . فهذا معنى الحديث واضح في أن الرسول أخبر صحابته في آخر حياته ، وجاء في رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة « لا يعمر أكثر من مائة سنة » ولم يفطن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على اطلاقه ، وأن الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى القيد في لفظ الرسول وبين لهم المراد منه ، وكذلك فعل على بن أبى طالب في رواية الطبرانى .

وقد استقصى العلماء من كان آخر

---

(١) العدد ٣٧٦٠٥ ص ٤ .

الصحابة موتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن واثلة، وقد مات سنة عشر ومائة ، وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ حيث أخبر بأمر مغيب فوقع كما أخبر .

قال الدكتور السباعى : فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجـــزة من معجزات الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا اليه صاحب (فجر الاسلام) الى أن يكون مكذوبا

مفترى ، وان تعجب فعجبك من الأســـتاذ مؤلف (فجر الاسلام) ذكر فى آخر فصلــه اهم مراجع بحثه وفى مقدمتها (فتــح البارى على البخارى) والقسطلانى على البخارى ، وشرح النووى على مسلم ، وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحــديث ، وبينوا تقسيم البخارى له فى موضعين ، وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحــديث الكامل . فاذا كان الأستاذ أطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح فكيف حكم بعــد ذلك بكذبه ؟ . وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مراجع بحثه ، بل كيف استباح الخوض فى هـــذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقى

وحديث الذباب رواه البخارى فى باب اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمســه فان فى أحد جناحيه داء والأخرى شفاء ، عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ ، ويقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمســه ثم لينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الأخرى شــفاء » . أنكــره الدكتور محمد توفيق صـــدقى (١) وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف ، وثار علماء الأزهر فى وجهه لتوهينه حديثا فى صحيح البخارى .

ثار علماء الأزهر فى وجهه ووقف بجـانبه الأستاذ محمد رشيد رضا ونعى على الأزهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيـار المسلمين علما وعملا دفاعا عن الاسلام ، وقال : وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صـــحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على انه لم يكن أصـيلا فى الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضـع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته

ولا من شرائعه ولا الزم المسلمون العمــل به ! ما أسهل التكفير علـى مقـــلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ونقل هذه الآراء فى موضع الاستشهاد بها ابو رية ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمع الى انصاف صحة الحديث وتأكيد صـحته كمعجـزة للنبى الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل ، وهاهـــو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصـدق ما اخبر به النبى ــ صـلى الله عليــه وسلم ــ .

د .الحسينى هــاشم

---

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ .

حقوق غير المسلمين في ظل تقنين : الشريعة الاسلامية

كنا قد بدأنا فى بيان الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين فى بعض الأعداد التى صدرت فى العام الماضى من عمر تلك المجلة المبارك ، على امل الانتهاء من تقديمها خلال نفس العام ، لتكون كاملة بين يدى القارىء فى مجلة الأعداد التى صدرت فيه ، الا أن عارض « المرض » قد حال دون انجاز تلك الدراسة فى موعدها المشار اليه ، الأمر الذى جعلنا نستكمل بيانها فى العام الجديد . وحتى لا يضطر القارىء الى متابعة تجهده ، رأينا أن نقدم له خلاصة دقيقة لما مر تجعل ما فات بين يديه ، ففى البداية نعلم أن تلك الحقوق تقوم على ثبوت وصف عبودية الناس لله ، وهذا الوصف ، معنى قائم ، بجميع العباد ، ومن ثم كان لغير المسلمين ما للمسلمين وعليهم ما عليهم اذا احترموا حقوق المسلمين وكفوا عن قتالهم ، وامتنعوا عن معونة أعدائهم من كل وجه ، ولهذا خاطبهم الحق سبحانه بأصول الشريعة وفروعها (١).

كذلك فان شريعة الله لا تقضى على حقوق غير المسلمين بالضياع وانما تحافظ عليها وترعاها ، وهى ليست غريبة فى التطبيق عليهم ، كما أنها غير بعيدة عن حكم كثير من تصرفاتهم القانونية ، ومنها مسائل الأحوال الشخصية ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الدينية ، حيث تعتبر الشريعة الاسلامية صاحبة الاختصاص الأصيل فى حكم تلك المسائل بحكم تعدد طوائفهم فى مصر ، اذ يبلغون أربع عشرة طائفة ، ينتمون الى مذاهب المسيحية واليهودية ، وللمسيحية ثلاثة مذاهب هى الارثوذكسية ، وينتمى اليها أربع طوائف هى : الأقباط والروم والأرمن والسريان ، والكاثوليكية ، وينتمى اليها سبع طوائف هى: الأقباط والروم والأرمن والسريان والكلدان والموارنة واللاتين . والبروتستانت ، وهم طائفة واحدة ، ولليهودية طائفتان ، هما : الربانيون والقراءون ، فيكون مجموع الطوائف أربع عشرة طائفة ، ولما كان من شروط أعمال الشرائع الملية اتحاد الخصوم فى الملة والمذهب والطائفة والا طبقت عليهم الشريعة الاسلامية وفقا لنص القانون ، دل ذلك على أن الشريعة

---

١ ــ راجع مقالنا بمجلة الأزهر ــ عدد ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ ــ ص ٤٧٧ وما بعدها .

للدكتور عبدالله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

الاسلامية صاحبة اختصاص فى حكم الكثير من تصرفات غير المسلمين ، ولهذا كان التخوف الذى يبديه البعض من استكمال تطبيق تلك الشريعة على ما بقى من تلك التصرفات بحجة أن أبناء الأمة ليسوا كلهم من المسلمين لامعنى له ولا يوجد ما يبرره •

ويعرف الحق بأنه « حكم الله بتقرير **مصلحة تستحق شرعا** » ، وقد وردفى نصوص الشريعة ما يدل على استحقاق غير المسلمين لكثير من الحقوق التى أثبتها لهم الشارع سبحانه وتعالى • وتقوم هذه الحقوق على أساس ثابت من كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وعمل الصحابة ، ومن أعظم تلك الحقوق ، حرية العقيدة ، وحق الحياة ، وحرمة الأموال والأعراض •

اولا : حرية العقيدة (١) :

ومعناها عدم اكراه الناس على الدخول فى دين الله ، لأن الله لا يقبل الايمان من عبيده الا اذا جاء عن طواعية واختيار ، ولا يتفق مع جوهر الاسلام أن يحصل معه اكراه ، لأنه هو نعمة الله التامة وهدايته الكاملة ، والخير لا يحمل عليه انسان ، والنعمة لا يكره عليها أحد ، ولهذا كان الدخول فى دين الله منة الله على المسلم ، قال تعالى : « **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ** » ، وقد اقتضت حكمة الله ذلك فأمر جميع الرسل والأنبياء به على نحو ماورد فى القرآن الكريم • وعلى النحو الذى سنه لسيد الرسل وخاتم الأنبياء سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم —

ولم تأت مشروعية القتال فى الاسلام الا تأكيدا لهذا المبدأ وحماية له ، لتكفل للمسلمين كما تكفل لغيرهم حرية العقيدة ، دفاعا عن الدين ، وقطعا لدابر الشر ، ولم يشرع الجهاد لارغام الناس على الدخول فى دين الله ، كما يحلو لكثير من الناس أن يتقولوا على الاسلام بذلك ، اذ الدخول فى دين الله لا يحصل الا بهدى الله ، يهدى الله لنوره من يشاء ، وقد جعل الحق سبحانه غاية القتال دفع الجزية ، قال تعالى: « **حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** »

مصادر هذا الحق :

ويستند حق غير المسلمين فى حرية العقيدة الى الكتاب والسنة وآثار الصحابة :

١ — من الكتاب يقول الله تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** » (٢) ، ويقول تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ**

١ — راجع فى تفصيل هذا الموضوع مقالتنا بمجلة الأزهر — عدد شعبان ١٤٠٣ هـ ص ١٠٧٧ ومابعدها •

٢ — البقرة — آية ٢٥٦

جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (١) ، فهاتان الآيتان تدلان على عدم جواز اكراه الناس على الدخول فى الدين (٢) .

٢ ــ ومن السنة ما رواه أبو عبيد فى الأموال : « أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتب الى أهل اليمن أنه من كان على يهودية أو نصرانية ، فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية » (٣) ، حيث نهى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن فتنة غير المسلمين ، وفى هذا دلالة على عدم جواز اكراههم على الدخول فى الاسلام .

٣ ــ ومن آثار الصحابة ما روى عن عمر ابن الخطاب حين صالح أهل حمص ، فقد جاء فى العهد الذى أبرمه لأهل القدس : « أعطاهم الأمان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم » (٤) ، وكذلك ما جاء فى العهد الذى كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر ، حيث أمنهم على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم (٥) ، وفى هذين الأثرين دلالة على المطلوب .

لقد استبان لنا من الدراسة أن شريعة الله الخالدة قد أولت هذا الحق من العناية والاهتمام ما يليق به ، فلم يقتصر الأمر فيها على التقرير النظرى ، بل تعداه فى التطبيق العملى ليظل ذلك المبدأ علامة مشرقة فى جبين تلك الشريعة الغراء ، وليكون دليلا متجددا على سموها وسماحتها ، وقدرتها على مواكبة طموحات الفكر الانسانى والتفوق عليه ، ليجد فى كنف قواعدها منتهى أمله ، وأقصى أمانيه خاصة وأن فكرة ذلك الموضوع تعتبر واحدة من أمنيات الانسانية الراقية ، التى تستأثر بحظوة الدساتير ، وترعاها بنود المواثيق ، وأن شريعة الله حين نصت على مبدأ حرية العقيدة ، لم تكن لتنال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين ، أو تفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، بل شملت الجميع برحمة الله ورعايته على نحو ما رأينا (٦) ، وعلى نحو ما سيتأكد لنا من خلال دراسة بقية تلك الحقوق .

ثانيا ــ حماية حق الحياة :

وحق الحياة من الأمور التى استهدفتها الشريعة الاسلامية بالحفظ والرعاية للمسلمين وغيرهم ، ذلك أن حق الحياة يتصل بالنفس ، والنفس تدخل فى اطار المصالح الضرورية ، التى اعتبرها الحق سبحانه وتكفل لها من الأحكام ما يضمن قيامها ، وهذه المصالح الضرورية يسميها بعض الفقهاء « بالضرورات

١ ــ يونس ــ آية ٩٩
٢ ــ مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ٢ ص ٢٠٨
٣ ــ أبو عبيد ــ الأموال ــ ص ٣٥ .
٤ ــ الخراج ــ لأبى يوسف ــ ص ١٤٨ وما بعدها .
٥ ــ النجوم الزاهرة ــ جـ ١ ص ٢٤ ــ دار الكتب المصرية .
٦ ــ راجع : مجلة الأزهر ــ عدد شعبان سنة ١٤٠٢ هـ ــ ص ١٠٧٧ ــ ١٠٨٦ .

الخمس » أو ــ الكليات الخمس ــ ، وهي كما يقول الشاطبي :

الأمور التي يتوقف عليها حياة الناس في الدنيا والآخرة ، وبدونها لا تستقيم الحياة ، وتنحصر في خمسة أمور هي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، ولهذه المصالح الضرورية تكاليف يحفظ بها كل نوع منها »(١)

وحول بيان تلك المصالح ووسائل حفظها يقول الامام الغزالي :

« ومقصود الشارع من الخلق أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة ، وهذه الأصول حفظها واقع في مرتبة الضرورة ، فهي أقوى المراتب في المصالح التي اعتبرها الشارع .

ومثاله : قضاء الشارع بقتل المرتد وعقوبة المبتدع الداعي الى بدعته ، فان هذا يفوت على الخلق دينهم .

وقضاؤه بايجاب القصاص اذ به حفظ النفوس .

وايجاب حد الشرب اذ به حفظ العقول التي هي ملاك التكليف .

وايجاب حد الزنى اذ به حفظ الأنساب .

وايجاب زجر الغصاب والسراق اذ به حفظ الأموال التي بها معايش الناس وهم مضطرون اليها » (٢) .

ثم يقول : « وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها ، يستحيل الا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التي أريد بها اصلاح الخلق ، ولذا لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنى والسرقة وشرب الخمرة » (٣) .

وهذه المصالح الضرورية تختلف في أهميتها وخطرها عن المصالح الحاجية والتحسينية .

والأولى: هي التي لا تستهدف مصلحة ضرورية ، ولكنها تدفع الحرج عن الناس ، وتجرى هذه فيما يلزم الله به عباده من العبادات وما يقع لهم من عادات ومعاملات وجنايات ، حيث وقع التخفيف في العبادات فشرعت الرخص ، وفي المعاملات شرع القرض مع تحقق علة ربا النساء فيه . والسلم مع أنه بيع معدوم ، وفي الجنايات شرع التخفيف على الجاني ما أمكن بفرض الدية على العاقلة في القتل الخطأ ودرء الحدود بالشبهات .

والثانية: وهي المصالح التحسينية : تستهدف الأخذ بمحاسن العادات والوصول بالمجتمع الى الكمال الأخلاقي .

ومنها : ستر العورة وأخذ الزينة وغيرها (٤)

وسائل حماية تلك المصالح :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية في سبيل حماية تلك المصالح مسلكا يستهدف الفرد بالتوجيه الى الخير ومنعه من التفكير في الجريمة حتى لا يفسد تلك المصالح ، كما ينشد المجتمع بالاصلاح والتهذيب والتقويم ، ومن ثم فلم يكن العلاج بوضع العقوبة

١ ــ الموافقات للشاطبي ــ جـ ٢ ص ٥٥٤ .
٢ ــ المستصفى للغزالي ــ جـ ١ ص ٢٨٧ .
٣ ــ الغزالي ــ نفس المرجع والمكان السابقين
٤ ــ الشاطبي ــ الموافقات ــ جـ ٢ ص ٦ .

الدنيوية هو أول ما قرره الحق سبحانه في سبيل وقاية المجتمع وحماية تلك المصالح من آثار تعارض الرغبات وتنازع الأهواء ، بل عالج أسباب الجريمة بما يقلل من وقوعها ويمنع من استمرارها .

سد منافذ الجريمة :

في هذا الصدد أوجد الاسلام البدائل المشروعة ويسر طرق الوصول اليها حتى لا يستبد بريق الجريمة الأخاذ بما ركب في النفوس الضعيفة من غرائز تستحث على ارتكابها ، ولهذا لا يوجد أمر محرم في الاسلام الا وله ما يقابله في اشباع الحاجة من البديل الحلال .

يدرك هذا من يستقرىء أنواع الجرائم في الفقه الاسلامي .

وعلى سبيل المثال ، فالحق سبحانه قبل أن يحرم القتل ويعاقب عليه ، قرر مجموعة من المبادىء التي يؤدي احترام الأفراد لها الى تقليل الجريمة والحد من خطورتها .

فأمر بالعدل في أدق صوره .

وقرر أداء الحقوق الى أربابها الذين يستحقونها بالعمل والكفاية دون تحكيم لأي اعتبار آخر من حسب أو نسب .

ولا شك أنه متى ضمنت الحقوق على هذا الوجه ، ووصلت الى أصحابها وتمتعوا بها اطمأنت نفوسهم وانطفأت لديهم ثورة الغضب والانتقام التي كثيرا ما يبعثها الشعور بالظلم وغمط الحق في هذه الحياة .

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا » (١) .

وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٢) .

والحق سبحانه قبل أن يحرم الزنى أوجد النكاح ، وهو البديل الحلال الذي يشبع في النفس الحاجة التي تدفعها الى ارتكاب الجريمة ، وسهل طريق الوصول الى هذا البديل الحلال ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدان ، ويتم العقد وتتحقق أحكامه .

لم يجعل الشارع من سلطان المادة وقصر ذات اليد عائقا يمنع منه .

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خير الصداق أيسره » (٣) .

وقال لمن أراد الزواج ولم يكن له مال : « التمس ولو خاتما من حديد ، ولما لم يجد سأله : هل معك من القرآن شيء ؟ قال : نعم ، وسمى سورا يحفظها ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : زوجتكها بما معك من القرآن » (٤) .

---

١ ـ النساء ـ آية ٥٨ .
٢ ـ النحل ـ آية ٩٠ .
٣ ـ أخرجه ابوداود وصححه الحاكم ـ راجع سبل السلام ـ حـ ٣ ص ١٥٢ .
٤ ـ نيل الاوطار للشوكاني ـ حـ ٦ ـ ص ١٩٢

هكذا أوجد الاسلام البديل ، والغى العوائق ، وسهل طريق الحلال ، ولو أن المجتمع يفهم الاسلام فهما جيدا لحذف من نشاط حياته ما اختلقه الناس من مظاهر تسلط المادة فى الزواج والاسراف عند عقده ، فهى بعيدة عن روح الشريعة الغراء وفهمها الصحيح .

وفى مجال المنع من السرقة ، هيأ الاسلام فى المجتمع المناخ الصالح الذى يقتل فى النفس جرثومة الجريمة ، ويميت فيها النوازع الشاذة للمال الحرام ، فأوجد فرص العمل الشريف ، ودعا الى السعى فى مناكب الأرض بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى ، فسد بذلك أبواب البطالة والعوز .

وأكد حقوق الفقراء لدى الأغنياء ، لا تأكيد من واستجداء ، بل تأكيد حق يعضده الشرع وتؤازره الحرب ، وما غرب عن الذهن ما فعلته حكومة الصديق — رضى الله عنه — ضد مانعى الزكاة ، وبلغت فعالية مبادىء التكافل الاجتماعى فى الاسلام منتهاها ، ووصلت مداها الى الحد الذى جعل عمر بن عبد العزيز ينادى فى دولة الاسلام يوما :

« من أعوزه الدين ، فسداد دينه على بيت مال المسلمين » . فلما سددت ديون الناس جميعا ، نادى ثانية :

من ملك الرغبة فى الزواج ولم يعط القدرة ، فمهره فى بيت مال المسلمين ، فسددت الديون وتزوج الشباب فلا جوع ولا عرى ولا حقد ، وبمثل هذا التوجيه القويم سدت منافذ الجريمة .

مقومات حق الحياة :

وحق الحياة يتطلب أمرين :

أولهما : احترام النفس فى حد ذاتها ، وتحريم الاعتداء عليها بما ينال منها كلا أو بعضا .

ثانيهما : تقرير العقوبة التى تليق بدرء الاعتداء عنها وتمنع وقوعه .

والقتل هو أخطر جريمة تقع على النفس ، لأنه يستهدف فواتها كلية وتخريب بنيانها ، اذ القاتل انما يقصد سلب المقتول حق الحياة، ولهذا يعرف بعض الفقهاء القتل بأنه : ازهاق روح انسان متحقق الحياة بفعل من شأنه عادة أن يزهق الروح يقوم به انسان مؤاخذ بعمله » (١) .

ويظهر من خلال هذا التعريف ان حق الحياة حق عام ، لان الاعتداء عليه لايتسلط على انسان معين بذاته أو محدد بمعتقده ، ولكنه ينصب على النفس ، وهى صناعة الله وموضع حمايته ، وقد تضافرت نصوص السنة مع الكتاب فى الدلالة على هذا المعنى ، والنهى عن قتل النفس مطلقا .

١ — من الكتاب :

قال تعالى : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ

١ — الامام محمود شلتوت — الاسلام عقيدة وشريعة — ص ٢٦٨ — الطبعة الثانية — دار القلم .

مَنْصُورًا »(١) .

ووجه الدلالة في تلك الآية الكريمة ، أن الحق سبحانه قد حرم الاعتداء على النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق، ودلالة التحريم عامة تشمل نفس المسلم وغيره ، حيث لم يرد في الآية مايدل على تبعيض الحكم على النفس واقتصاره على بعضها ، وليس من الحق الذي علمه الاسلام للدنيا أن تقتل نفس غير المسلم دون حق ، يقول الامام ابن كثير : « في الآية دلالة على النهي عن قتل النفس مطلقا بغير حق شرعي »(٢) .

٢ ــ ومن السنة :

ماروا‌ه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وما هي؟ قال : الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٣) ، ووجه الدلالة في هذا الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر باجتناب قتل النفس التي حرم الله الا بالحق وقد قرن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الفعل بمجموعة أمور محرمة لما تنطوي عليه من خطر جسيم يرقى بها الى مصاف الكبائر . حيث ورد الأمر باجتنابه مع الشرك بالله وغيره مما جاء في الحديث ، وفي هذا دلالة على تحريم قتل النفس مطلقا دون حق .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « الآدمي بنيان الرب ملعون من هدمه » (٤) .

ويقول : « لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه » (٥) .

ومن الواضح ان تلك النصوص تستهدف النفس بالحماية ، وتدل على تحريم الاعتداء عليها بالقتل وغيره ، ويستوي في الدلالة على التحريم فيها قتل نفس المسلم وغير المسلم دون حق على النحو الذي ورد في كتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وقرره الفقهاء .

اساس حق غير المسلمين في الحياة :

وحق غير المسلمين في الحياة يقوم مستندا على عهد الذمة ، وراجعا اليه ، والعهد مطلقا مايتفق رجلان أو فريقان من الناس على التزامه والتمسك بما جاء فيه تحقيقا للمصلحة المشتركة التي ينشدها ذلك الاتفاق ، ويسمى

---

١ ــ الاسراء ــ آية ٣٣ .

٢ ــ مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ٢ ص ٣٧٦

٣ ــ راجع : نيل الاوطار للشوكاني ــ جـ ٥ ــ ص ٢٥٢ ، وشرح السنة للبغوي جـ ١ ص ٩١ ــ طبعة مجمع البحوث الاسلامية .

٤ ــ راجع : الاختيار لتعليل المختار ــ للموصلي الحنفي ــ جـ ٤ ص ٧٠ ــ طبعة المعاهد الازهرية .

٥ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ للامام محمود شلتوت ــ ص ٣٤٦ .

بالميثاق وبالمعاهدة .

وعهد الذمة عهد دائم مؤبد يتضمن اقرار غير المسلمين على دينهم وتمتعهم بحماية الدولة الاسلامية ، بشرط اداء الجزية ، ويترتب عليه لكلا الطرفين حقوق معينة تنشد العدالة والأمان .

وعهد الذمة يسمى بعقد الجزية كذلك .

مشروعية عقد الذمة :

وعقد الذمة ، عقد شرعي ، ثبتت شرعيته بالكتاب والسنة ، واجماع الأمة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ »(١) ، فالحق سبحانه قد امر بقتال غير المؤمنين بالله واليوم الآخر المعاندين الاسلام ، وذلك لغاية ذكرتها الآية ، وهى قبول الجزية ، فان قبلوها كف عن قتالهم ، وتم عقد الذمة معهم ، ذلك أنه اذا امتد الشيء الى غاية فوراؤها نقيضه (٢) ، وليس المراد باعطاء الجزية حقيقة الأداء بل المراد التزامها (٣) ، وفى هذا دليل على مشروعية عقد الجزية .

٢ ــ ومن السنة :

ماروى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يوصي قائد الجيش بقوله : « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث خصال : ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عن قتالهم ، فان هم أبوا فسلهم الجزية ... » (٤) ، فقد دل هذا الحديث على أنه فى حالة عدم قبول غير المسلمين للاسلام ، عليهم أن يعقدوا مع المسلمين عهدا يدل على قبول المعايشة معهم فى سلام ، ودخولهم فى طاعة امام المسلمين ، وذلك العقد هو عقد الجزية حيث يلتزمون بمقتضاه بدفع الجزية نظير الاقامة فى المجتمع الاسلامي والتمتع بالحماية التى ينشدونها ، ولايخفى مافى ذلك من الدلالة على مشروعية العقد .

٣ ــ والاجماع :

فقد أجمع العلماء من لدن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى يومنا هذا على مشروعية عقد الجزية ، وحكى هذا الاجماع ابن قدامة صاحب المغنى (٥) .

حقيقة عقد الجزية :

ويتحقق وجود عقد الجزية لوجود أركانه ، حيث ينعقد بالايجاب والقبول بين طرفى العقد

١ ــ التوبة ــ آية ٢٩ .
٢ ــ تفسير القرطبي ــ جـ ٢ ص ١١٠ .
٣ ــ الهداية ــ شرح بداية المبتدي ــ للمرغيناني الحنفي ــ جـ ٢ ص ١٦٣ ــ مطبعة الحلبي .

٤ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ جـ ٢ ص ٣٨ ، وراجع : نيل الأوطار للشوكاني ــ جـ ٨ ، ص ٥٦ .
٥ ــ ابن قدامة : هو الامام موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وراجع له المغنى ــ جـ ١٠ ــ ص ٥٦٧

كان يقول الامام أقررتكم على الاقامة بديارنا على أن تلتزموا بدفع جزية قدرها كذا ، فيقولون : قبلنا أو رضينا .

ويقوم مقام القبول بالصيغة كل فعل يدل على الرضا والالتزام .

وكل من الايجاب والقبول يستلزم وجود طرف العقد ، وقد ذهب الرأي الغالب في الفقه الى أن عاقد الذمة هو ولي أمر المسلمين أو نائبه ، لأنه هو الذي يستطيع ان يوازن بين المراكز الناشئة عن العقد بنظرة شاملة ودراسة مستفيضة قد لايقدر عليها سواه ، ومن ثم فلو عقده أحد غير الامام أو نائبه ، كان العقد باطلا ، والمعقود له هم غير المسلمين ويشترط في طرف العقد منهم أن يكون بالغا عاقلا ، فلا يصح عقد الجزية لصبي أو مجنون (٢) لما روى أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن :

« خذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر »(٣)

وعلى هذا فلا تؤخذ الجزية من الصبي ، لأنه لم يبلغ الحلم ومن باب أولى المجنون ، ولأن دماءهم محقونة لشرع الله الرحيم بدون جزية ، كما يشترط ان يكون ذكرا حيث تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء (٤) .

١ ــ تبيين الحقائق للزيلعي ــ حـ ٣ ــ ص ٢٧٦ ، وفتح القدير ــ حـ ٤ ص ٣٦٨ .

٢ ــ الخراج لابي يوسف ــ ص ١٢٢ .

٣ ــ المعافر نوع من الثياب ــ نسبة الى قبيلة معافر التي اشتهرت بنسجه .

٤ ــ الخراج ــ نفس المكان السابق ، والهداية ــ نفس المكان السابق .

آثار عقد الجزية :

اذا تم عقد الجزية بين المسلمين وغيرهم ، وتوافرت أركانه وشروطه على نحو ما قرر الفقهاء ، فانه يؤتي ثماره التي بمقتضاها يكون لغير المسلمين ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم (٦) ، ومن المؤكد أن عقد الذمة يترتب عليه لغير المسلمين حقوق تختص بحماية أرواحهم ، وأموالهم وأعراضهم ، ولهذا كانت هذه الحقوق راجعة الى هذا العقد ومترتبة عليه .

مصادر حق غير المسلمين في الحياة :

وقد استبان لنا ان الحق سبحانه قد حرم الاعتداء على النفس مطلقا . ولم يشأ أن يترك ذلك التحريم مجردا عما يكفل له الاحترام في الحياة ، فقرر له العقوبة التي تكفل حماية النفس وتدرأ الاعتداء عليها ، وهي القصاص ، حيث شرعه الحق سبحانه ليكون أداة تحقق هذا المعنى وتضمن وجوده.

قال تعالى : « **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** »(٧) .

ولكي تتحقق الغاية المرجوة من تقرير

٥ ــ الهداية ــ نفس المكان السابق .

٦ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ٣٥٠ ، وراجع في هذا المعنى بحثا للشيخ محمد ابو زهرة ــ نظرة الى العقوبة في الاسلام ــ منشور بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ــ ص ٢٧١ .

٧ ــ البقرة ــ اية ١٧٩ .

العقوبة على أكمل وجه فقد أقامها الحق سبحانه على التسوية والتكافؤ بين الناس جميعا فى الدماء ، حيث لم يجعل لدم أحد فضلا على دم آخر ، ولم ير فى المجموعة البشرية من هذه الناحية (شريفا) لاتمس حياته بجريمته ، (وغير شريف) يلقى بجريمته للحيوانات المفترسة (١) ، وانما اقام العقوبة على التكافؤ التام والعدل المطلق ، وجعل ذلك اصلا تقوم عليه وتختص به .

وبهذا الاصل العظيم الذى تتضاءل أمام روعته جميع التشريعات البشرية فى مجال « العدل الانسانى » ، أهدر الاسلام نظام الطبقات الذى أثقلت به التشريعات الوضعية كاهل الانسانية ، والذى لايزال الطغيان البشرى يحتفظ ببعض آثاره الى الآن . وجعل الجميع أمام الحق والواجب سواء .

هذا وقد يرد على هذا الاصل العام ما يقرره بعض الفقهاء لعدد من المسائل الفقهية التى تتصل به ، ومنها مايراه ذلك البعض من عدم قتل المسلم بالذمى ، ومن المؤكد أن مثل هذا المسلك فى الاستنباط والتقرير عند من يقول به من الفقهاء لايعبر عن أصل عام ، وانما هو فهم شخصى لاعتبارات خاصة بمحل الجريمة لاتبيحها ولاتمنع المسئولية عنها ، وانما ترفع عنها العقاب فقط ، تأسيسا على اعتبارات لاتنهض فى نظرنا دليلا على الاستثناء من الأصل العام وهو المساواة بين جميع الناس فى العقوبة .

١ ــ الامام محمود شلتوت ــ المرجع السابق ــ ص ٣٣٤ .

آراء الفقهاء فى القصاص بين المسلم والذمى :

من المسائل التى أوجبت اختلاف النظر بين الفقهاء ــ اذا ــ مسألة التسوية فى القصاص عند اختلاف العقيدة بين المسلم وغير المسلم من أهل الذمة ، حيث وقع الخلاف بين الفقهاء فى تلك المسألة ، وانقسم الرأى فيها الى قولين :

أولهما : لأبى حنيفة وأصحابه وسفيان الثورى من أئمة الحديث ، والشعبى والنخعى وابن أبى ليلى ، وحاصل قولهم : ان المسلم يقتل بالذمى اذا قتله .

ثانيهما : لجمهور الفقهاء ، وحاصل قولهم : ان المسلم لايقتل بالذمى ، وانما يقتل الذمى بالمسلم ، ولكل قول أدلته :

● ادلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول لما ذهبوا اليه بالكتاب والسنة والاثر والمعقول :

١ ــ من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) .

٢ ــ البقرة ــ آية ١٧٨ .

وجـــه الدلالة في هذه الآية الكريمة :

ان الله تعالى قد أوجب قتل القاتل بصدر الآية وهذا يعم كل قاتل سواء كان مسلما قتل ذميا أم غيره ، ولايغير من هذا المعنى ما جاء بعد ذلك : « **الحر بالحر والعبد بالعبد** » ، فهو بيان لما تقدم ذكره وتأكيد له ، حيث يوضح الحال التي نزل النص الكريم لها ، وهي ما كان يفعله بعض العرب في الجاهلية من عدم قبولهم في عبدهم المقتول الا حرا وفي امرأتهم القتيلة الا رجلا ، فجاءت الآية لتبطل ما كانوا عليه من الظلم ، وتؤكد مبدأ المساواة في القصاص وفرضه على القاتل دون غيره ، فمناط الاستدلال ، ان صدر الآية عام ، وما جاء بعده ليس تخصيصا له ، بل هو ابطال لما كانوا عليه من الظلم .

(ب) وقال تعالى : « **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ (١)** » حيث يظهر من خلال هذا النص الكريم أن الآية لم تفرق بين نفس ونفس ، وهي — وان كانت حكاية عن شرع من كانوا قبلنا — الا أنه كما يقرر الفقهاء شرع لنا مالم يرد دليل ناسخ ، ولم يرد ذلك بل الحكم عندنا على وفقها عند جميع الأئمة (٢) .

٢ — ومن السنة :

(أ) بما روى عن علي — رضي الله عنه — وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « الا لايقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد في عهده (٣) وجه الدلالة في هذا الحديث الشريف أن قوله عليه — الصلاة والسلام — : « ولا ذو عهد في عهده » معطوف على قوله : « مسلم » ، فيكون التقدير : « ولا ذو عهد في عهده بكافر » كما في المعطوف عليه ، والمراد بالكافر المذكور في المعطوف هو الحربي فقط بدليل جعله مقابلا للمعاهد ، لأن المعاهد يقتل بمن كان معاهدا مثله من الذميين اجماعا ، فيلزم أن يقيد المعطوف عليه بالحربي كما قيد في المعطوف ، لأن الصفة بعد متعدد ترجع الى الجميع اتفاقا ، فيكون التقدير : « لايقتل مسلم بكافر حربي ولاذو عهد في عهده بكافر حربي » ، وهو يدل بمفهومه على أن المسلم يقتل بغير المسلم اذا كان هذا القتيل ذميا (٤) .

(ب) وبما أخرجه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن البيلماني : « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قتل مسلما بمعاهد وقال : أنا أكرم من وفى بذمته (٥) » ، والحديث دليل على المطلوب ، وقد روى عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « الا من قتل نفسا

---

١ — المائدة — آية ٤٥ .

٢ — ابن كثير — المرجع السابق — ﺟ ١ ص ٥٢١ .

٣ — نيل الأوطار للشوكاني — ﺟ ٧ ص ١٠ ، وسبل السلام — ﺟ ٣ — ص ٢٣٥ .

٤ — نيل الأوطار للشوكاني — ﺟ ٧ ص ١٢ .

٥ — المرجع السابق — ص ١٢ .

معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله — صلى الله عليه وسلم — فقد أخفر ذمة الله ولايرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفا (١) » ، حيث يدل هذا الحديث على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد بتحريم الجنة عليه وخلوده في النار(٢) ، وقد ثبت مثل هذا التشديد والاثم لقاتل المسلم الامر الذي يدل على مساواته به .

٣ — ومن الاثــر :

استدلوا بما أخرجه الطبراني : « ان عليا أتى برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة ، فقامت عليه البينة فأمر بقتله ، وقال : من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا (٣) ووجه الدلالة في هذا الأثر ان عليا — رضي الله عنه — وكرم الله وجهه ، قد أمر بقتل المسلم بالذمي ، الامر الذي يدل على مساواته به ، والا لما فعل على ذلك اذا لم يترجح لديه.

وبما أثر أن عمر — رضى الله عنه — كان يقتص من المسلم اذا آذى ذميا ، والقصاص عام يشمل النفس والأطراف ، والتفرقة بلا موجب للتفريق لاتجوز (٤) .

٤ — ومن المعقــول :

استدل اصحاب القول الاول لما ذهبوا اليه بالمعقول من ثلاثة وجوه :

الأول : ان الذمي معصوم الدم لايباح دمه بالاتفاق ولو كان قاتله لايقتص منه لكان في ذلك نوع من اباحة دمه ، ولايكون ثمة فرق بين غير مسلم يعيش في كنف المسلمين ويحمى دمه وحريته ، وحربى يحارب المسلمين ويشن الغارات عليهم .

الثانى : أننا أمرنا بالعدل مع أهل الذمة ، لأن العدل مطلوب في ذاته ، ولأن عقد الذمة أساسه أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم ، وذلك يقتضى حماية دمائهم من المسلمين وغيرهم ، والاسلام دين العدالة ، لايمكن أن يحمى رذيلة أو يحابى قاتلا ظالما قد قتل بغير حق حتى ولو كان مسلما .

الثالث : ان المسلم اذا سرق من ذمى قطعت يده ، فأولى أن يقتل اذا قتله (٥) ، ومن المؤكد أن الوجوه الثلاثة تتوائم مع العقل .. وتتفق مع المنطق ، وتؤيد مع الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والاثر ما ذهب اليه أصحاب هذا القول .

ادلة القول الثاني :

وقد استدل أصحاب القول الثاني لما ذهبوا اليه بالكتاب والسنة والمعقول :

١ — من الكتــاب :

(أ) يقول الله تعالى : « **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**(٦) » ، ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة ، أن الحق سبحانه قد نفى أن يكون للكافر على المؤمنين سبيل

١ — المرجع السابق — ص ١٥ .
٢ — المرجع والمكان السابقين .
٣ — المرجع والمكان السابقين .
٤ — ابو زهرة — المرجع السابق — ص٢٧٢
٥ — ابو زهرة — المرجع والمكان السابقين .
٦ — النساء — آية ١٤١ .

نفيا مؤكدا ، ولو كان للكافر أن يقتص من المسلم لكان في ذلك أعظم سبيل عليه .

مناقشة الاستدلال بهذه الآية :

أقول : ليس في الآية مايدل على عدم القصاص من المسلم اذا قتل ذميا ، فالمراد بالسبيل الحجة ، وقد سئل الامام على عن ذلك فقال : « ان ذلك يوم القيامة » وكذلك قال السدى (١) . وليس في القصاص من المسلم اذا قتل ذميا مايجعل للكافر على المؤمن سبيلا ، بل العكس هو الصحيح لأن في القصاص من القاتل أيا كان اعزازا لأحكام دين الله ، واعمالا لشريعته ، ومن ثم تكون لها السيادة على الجميع ، وذلك أمر لاينال من المسلم ، لأن رصيده من التكريم سيرتفع باعزاز دين الله ، وتطبيق أحكام شريعته ، وعلى هذا فالآية لاتدل لأصحاب هذا القول على ماذهبوا اليه .

(ب) ويقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى (٢) »

قالوا : أوجب الله المساواة بنص الآية والكلام لاينقضي عند ذلك ، لأن الله قد أتى بالأصناف بعدها ليبين المساواة المعتبرة ، واذا كان الحر لايقتل بالعبد ، فالمسلم لايقتل بالذمى لأن نقص العبد برقه الذى هو من آثار الكفر فلأن ينقص الذمى بالكفر وهو أصل من باب أولى .

١ — ابن كثير — المرجع السابق جـ ١ ص٢٤٩

٢ — البقرة — آية ١٧٨ .

مناقشة الاستدلال بهذه الآية :

ومن المؤكد ان هذا الاستدلال منقوض بما تقرره أصحاب القول الأول في استدلالهم بهذه الآية الكريمة ، فصدر الآية عام لايخصصه ماجاء بعده ، بل يؤكده ، لأنه يبطل فهما خاطئا استقر في الأذهان ، وهذا الفهم الخاطىء ينال من قضية المساواة المطلقة في القصاص ، وقياس الذمي على العبد في عدم المساواة بالمسلم يفتقد أصله ، اذ هو منقوض بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من قتل عبده قتلناه » ، ومن ثم يكون الاستدلال بالآية غير موصل الى ما يريد أصحاب هذا القول .

٢ — ومن السنة :

استدلوا بما رواه البخارى عن على كرم الله وجهه أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا يقتل مسلم بكافر » ، وهذا نص في الموضوع ، وروى أيضا عن على أنه قال : « من السنة ألا يقتل مسلم بكافر » ، فعلى هذا يكون قتل المسلم بالكافر غير السنة .

مناقشة الاستدلال بهذا الحديث :

ويرد على أصحاب هذا القول في استدلالهم بالحديث الشريف ، أن المراد بالكافر هو الحربى ، وهو محل اتفاق ، يرجح هذا المعنى أن غير المسلم في دار الاسلام يعبر عنه بالذمى ولفظ الكافر في الحديث يحتمل أن يكون

قال الله سبحانه وتعالى

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

المراد منه هو الحربى أو الذمى أو هما معا ، وذلك الاحتمال لايقوى على مجابهة عموم النصوص التى توجب المساواة فى القصاص ، فيترجح العمل بهـا (١) .

٢ ــ ومن المعقــول :

قالوا : ان الذمى ليس معصوم الدم باطلاق وانما ذلك مقيد بحال وفائه بعهده ، ويحتمل الا يوف ، ومع هذا الاحتمال تكون الشبهة الدارئة ، والشبهات تدرأ القصاص كما تدرأ الحدود (٢) ، ومن المؤكد أن هذا القول محل نظر ، لان الذمى يتساوى مع المسلم فى حرمة الدم التى تكفى القصاص ، وهى حرمة ثابتة لهما على التأبيد حيث ان كلا منهما قد صار من أهل دار الاسلام ، ويعضد هذا أن مال الذمى قد ساوى مال المسلم فى الحرمة فوجب أن يكون لدمه حرمة دم المسلم ولو صح ماقالوه لجاز أن يكون المسلم كذلك ، اذ هو محقون الدم بفرض بقائه على الاسلام ، وبالتالى يكون هذا الحكم قد بنى على أساس غير سليم (٣) .

الراى الراجح ، ومبررات الترجيح وآثاره :

ومن خلال بيان رأى كل فريق وادلته يتبين لنا رجحان القول الأول ، ذلك أن ما استدل به أصحاب القول الثانى ، لم يسلم من المناقشة الامر الذى لم يحدث لما استدل به أصحاب القول الاول .

فضلا عن ذلك فان هذا الرأى أكثر اتفاقا مع عدالة الاسلام التى تظل المسلم وغيره على السواء ، كما أنه يتفق مع ظواهر النصوص ، ومع ماسنه الاسلام من نظم لتحقيق العدالة التى تقرب للتقوى ، وقد أمر الله بذلك فقال : « **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** (٤) » ، ولايقلل من قوة الأدلة التى استند اليها أصحاب القول الاول ، ماقيل فى حديث : «قتل مسلما بمعاهد» انه مرسل من حديث ابن البيلمانى وهو

١ ــ ابو زهرة ــ نفس المرجع ــ ص ٢٧٣ .
٢ ــ المرجع والمكان السابقين .

٣ ــ راجع فى هذا المعنى : تفسير آيات الاحكام للشيخ السايس ــ ص ٥١ ، وأبو زهرة ــ نفس المرجع السابق والامام محمود شلتوت ــ نفس المرجع ــ ص ٣٦٥ .
٤ ــ المائدة ــ اية ٨ .

حقوق غير المسلمين

في ظل تقنين الشريعة الإسلامية



ضعيف (١) ، فقد ذكر الشوكاني : «أن أبا داود قد أخرجه في المراسيل (٢)» ، وهو يتفق مع عموم الأدلة التي تسوي بين المسلم والذمي في القصاص ، ولهذه الاعتبارات أرجح هذا القول .

وإذا تقرر ذلك يكون حق غير المسلمين في الحياة قد قام على أساس من كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وآثار الصحابة والمعقول ، وتلك مفخرة لشريعة الله حيث تكفل حق الحياة لغير المسلم كما تكفله للمسلم ، على نحو ما رأينا ، ثم أنها تضمن الحماية والرعاية لأموال غير المسلمين وأعراضهم على نحو ما سنعرض له في مقالنا القادم بإذن الله ، والله المستعان .

عبد الله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

---

١ — سبل السلام — جـ ٣ ص ٢٣٥ .
٢ — الشوكاني — نيل الأوطار — جـ ٧ ص ١٢ .

الأسرة بين الحكمة والأسوة في الإسلام

للدكتور توفيق محمد شاهين

لا نجد كالاسلام دينا عنى بأمر بناء الأسرة على أسس قوية وقويمة ، لان الأسرة في الواقع لبنة في بناء المجتمع ، اذا صلحت صلح ، والعكس بالعكس ٠٠ فحين يكون واقع الأسرة اسلاميا يترجم المجتمع هذا الواقع طهارة ، وتماسكا وصلاحا في الحال والمآل ٠٠ وحين يختل واقع الأسرة ، وينشأ ويشب على واقع له من الاسلام الهامشية فقط ــ حينئذ يضطرب المجتمع ولا تستقيم موازينه ولا قيمه ٠

والنظام الكونى انما خلقت له الحياة الاجتماعية ، وبها كان تسلسله وبقاؤه ؛ فمن ثم كان لابد للحياة الاجتماعية من نظام عادل ، تشرعه السماء حتى يثمر الثمرة المرجوة من التآلف والمحبة والتعاون بين أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة ، على نحو يرضى الله ورسوله وجماعة المؤمنين الراشدين ٠

وقد أجمل الاسلام النظام في كلمة واحدة هي « الدين » ، فمتى روعيت هذه الكلمة عند بناء الاسرة كان النجاح والفوز ٠ ومعلوم أن كل ماعدا الدين ــ من جمال أو حسب أو مال ــ يفنى ويذهب عاجلا أو آجلا ، ويبقى الدين وحده حصنا للحياة وهاديا ومرشدا وقائدا للسعادة والهناءة في كل ضروب الحياة ٠

والاسلام لا يكره المال والحسب والجمال، مضموما كل ذلك الى « الدين » ، ولكنه يحذر من الوقوف عند هذه الأغراض وحدها ، بدون حسبان للعامل الدينى وأهميته ، فهو المطمح الذى يجب أن يكون محط الانظار ومطمح القلوب ، والغرض الاسمى عند اختيار شريك أو شريكة الحياة على السواء ٠

ومثل هذا الاختيار النبوى في الزواج يجب ألا يغيب عن الخاطر لطلاقا ، وعلى الجانب الآخر من حق المجتمع وأولياء الأمور أن يباركوه ، وأن يسهلوا أمره ، بما يعين على

الأسرة
بين الحكمة والأسوة في الإسلام

ابرامه واتمامه ، واحاطته بسياج الحفظ والوقاية والنجاح ، وبناء الأسرة على أسس ثابتة ومستقرة .

ويجب أن ندرك أن الحياة ليست رغدا ونعيما كلها ، وبالتالي ليست كلها نصب وشقاء وتعاسة .. والاسلام يجعل أمر المسلم كله خير ان أعطى شكر ، وان حرم صبر . وان عوفي حمد ، وان ابتلى تقبل الابتلاء بالرضى .

ولذا كانت حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — خير قدوة لنا في هذا الصدد .. حتى لانتأزم اذا أزعجنا مالا نرضاه أو لا نحبه في الحياة ، لأن الصبر يكتنفه يسر الله من كل جانب ، حتى تمر المحنة ، وتشرق الشمس من جديد .

واذا أدركت الاسرة الصغيرة — بالذات — هذه الحقيقة .. فان مركب الصبر سيرسو بهم دائما على شاطيء الرضا وجميل العاقبة، والاستعانة على لأواء الحياة .

ومن الأزواج من تبطره النعمة ، وتطغيه الأثرة وتعميه الأنانية ، وتبعده الجهالة عن الرحمة والمودة وحسن السكن والاستقرار .. ومن ثم تكون حياة الآخرين معه جحيما لايطاق وقلق لا يزول ، ونكد لايهدأ ، وطمع لا يشبع .. ولذا نجد القرآن والسنة النبوية قد عنيا أشد العناية بتبيان الحق والواجب حتى لا يطغى طاغ ، ولا يستعلى فرعون .. وقد أكد هذه الوصايا رسولنا الأكرم في حجة الوداع (١) حتى تكون تحذيرا دائما ، وأمرا قائما في وجوب الاحسان الى الضعيف والمرأة، لأنها رقيقة — في الواقع — ولا حافظ لها ولا مخلص الا وصايا الدين .

كما أن القرآن الكريم يجعل النساء الى قسمين أو فريقين : صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، وناشزات عاصيات بطرات . فالأوليات : خير متاع الدنيا وعدة الآخرة مع صالح الاعمال . والأخريات : فاسدات شكسات نكدات يكلح معهن وجه الحياة ، ولا يدخلن الجنة ولايجدن رائحتها وان ريحها ليوجد من مسيرة أعوام .. ومثل هؤلاء يعظهن الرسول الأكرم — صلى الله عليه وسلم — بأن يطامن من عبثهن وغيهن .. والا تعرضن لغضب الله وسخطه حتى يرجعن .. ثم يبلغ الرسول الاكرم الغاية في وعظهن حين يضعهن أمام حقيقة كبرى يرين منها عظم حق أزواجهن عليهن : (لو كنت آمرا احدا بالسجود لأحد من دون الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) (٢) .

ويجعل القرآن والسنة بعد ذلك دورا ايجابيا للزوجين ، عليهما أن يقوما به ، كي تستمر حياتهما بعيدة عن المنغصات وكل ما من شأنه الازعاج والقلق ، أو التبرم والسخط .

---

(١) انظر صحيح البخاري — حجة الوداع — كتاب الحج .

(٢) انظر سنة ابى داود — النكاح والترمذي — الرضاع . وسنن بن ماجه — النكاح .

وعاطفة الرجل أثبت من عاطفة المرأة ، وعقله أكمل ، وصبره أوفر ، وحلمه أجمل ، وبصره أتم عادة .

ومن هنا فالاسلام يوصيه بها خيرا : يصبر على أذاها ، ويتحمل أخطاءها ، ولا يمل من نصحها ، ويوفيها حقها المادى والأدبى ، ولا يغفل الجانب العاطفى منها ، وكذلك اللهو البرىء ، والمزاح الحسن والمقبول ، والتأديب الخفيف ، فينصحها برفق ، ويأخذ بيدها نحو الأليق ، ويعظها بالمعروف، ويتراوح أمره معها بين اللين المرفق ، والشدة الرحيمة .. كل ذلك فيما بينه وبينها ، لأن أمر الحياة الزوجية مبنى على الستر والصبر والتحمل . فاذا لم يجد ذلك .. فحكمان خبيران صالحان من أهله وأهلها ، لرأب الصدع ، واصلاح الخطب ، وعلى قدر صلاح النيات للحكمين والزوجين على قدر ما يكون الصلاح والصلح وتوفيق الله تعالى .

ويذكر القرآن الكريم الرجل — كصاحب قوامة ودرجته بما حباه الله به وحمله من مسئوليات — يذكره بالرفق والتريث ، والتروى فى الأمور والتبصر وعدم التهور والنظر السطحى الى ظواهر الأمور ، دون النفاذ الى بواطنها ، يقول سبحانه :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١) » ، ويقول تعالى : « وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ » (٢) .

وتواكب أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى هذا الجانب ، آيات القرآن الكريم ، فتذكر بأنها خلقت من ضلع أعوج (٣) — الى طبيعة تكوينها وطبيعتها — وأن أعوج شىء فى الضلع أعلاه — اشارة الى ميلها فى الرأى وعادة تفكيرها — فان رمت تقيمه كسرته — لأنه أعوج قابل للكسر قبل الاصلاح — وان استمتعت به استمتعت به على عوج : فجعل الانتفاع يشفع لقليل العوج والامتناع .

وتشير الأحاديث الى اجالة النظر فيما هو أنفع وأصلح مع تذكر عواقب الأمور ، التى من شأنها أن تعرى ، لكنها قد تخفى تحتها عواقب وخيمة : فقد تستشرف النفس للمال ومن ثم تمقت المرأة الفقيرة ، وقد تتطلع الى الجمال وفيه فتنة تردى ، وقد تتطلع الى الحسب والنسب والعصبية ، بغية النفع المادى أو الأدبى أو الجاه .. وفى هذا الصدد قد تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن ، فيكون اذلاله أو خسارته فى كل ذلك على أيديهم ، يروى ابن ماجه عن ابن عمر — رضى الله عنهما — مرفوعا : « **لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى اموالهن ان**

---

(١) النساء ١٩ .

(٢) البقرة ٢٢١ .

(٣) انظر صحيح البخارى — النكاح وصحيح مسلم — الرضاع ، وسنن أبى داوود — النكاح . ومسند أحمد ٢/٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ط الميمنة .

الأسرة
بين الحكمة والأسوة في الإسلام

تطقيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » ، « ومن تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا » « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » .

والنصائح والوصايا في هذا الباب مبثوثة في القرآن والسنة ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تغرى بالصبر ، وترشد الى الخير ، وتعين على تفهم بواطن الأمور ، مما من شأنه أن يخفى على الانسان حين يغطى هواه على بصره وبصيرته ، وحين تتعرض الحياة الزوجية لعواصف قد لا تبقى ولا تذر ، فتحل البغضاء محل المحبة ، والشقاء بدل السعادة ، والحقد بدلا من المودة ، والتدابر والتقاطع بدلا من اللقاء والتعاون » .

وهذه الوصايا كفيلة — لمن تدبرها — بتسكين الزوابع ، وتلطيف الأجواء المشحونة بالرعود ، والمنذرة بالشر المستطير والعواقب الوبيلة .

« فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى » .

الوصايا بالمحبة والمودة واحسان العشرة قبل الزواج ومن الوالدين أو أولياء الأمور ، لها دورها في الأدب والتوجيه السديد ، لأنها قبل الزواج تخرج من قلب مشوق وتتجاوز الآذان الى القلوب ، ومن أولى الأمر أدعى بالقبول والاحترام ، وأجدر بالابقاء عليها وممارستها عمليا بعد ذلك .

وقد كان للعرب — وهم أمة أمية — وصايا في هذا الجانب خلدت على الزمن ، لأنها وافقت فطرة الطبيعة ، وسنن الكمال ، والتجربة التي امتحنت عمليا وكانت نتائجها طيبة في مسيرة الحياة السعيدة للأسرة الناشئة ، يجدر بنا أن نسوق بعضها لتكون نبراسا يهدي ، وقدوة تتبع .. فمازالت على قدمها حديثة ، وعلى بداوتها مدنية ، وعلى بساطتها عميقة ، فحبذا لو حفظها أولياء الأمور ليلقنوها فلذات الأكباد ، وتشيعها وسائل الاعلام لعموم النفع ، وتدرسها للشبان والشابات لترسخ في الأذهان ، وتعيها القلوب ، وتنفعل بها حياتهم ، فتكون سننا سهلا للمران والدربة والسلوك بعد الانفعال ، على نحو ما يربى الغرب أبناءه على طاعة القانون ، والأمانة ، والسلوك القويم ، فأصبح مضرب المثل في ذلك ، والمسلمون أولى بذلك منهم في كل مكان يحلون فيه ، لأنها من وصايا الاسلام وشمائله وهديه وتعاليمه .

روى البيهقي في الشعب عن أسماء بن خارجة الفزاري — وكان من حكماء العرب — أنه قال لابنته عند زفافها : —

— (يابنية قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني أن لو كانت باقية .

أما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيري ،

فافهمي عني ما أقول : ـ

ـ انك خرجت من العش الذي فيه درجت ، وصرت الى فراش لا تعرفينه ، وقرين لا تألفيه .

ـ فكوني له أرضا مطيعة يكن لك سماء . (أي كوني منقادة له يظلل عليك برأفته واحسانه) .

وكوني له مهادا يكن لك عمادا . (أي كوني له فراشا مطيعة يكون معك عونا في كل أمر) .

ـ وكوني له أمة يكن لك عبدا . (أي تفاني في خدمته يتفاني في الاحسان اليك) .

ـ ولا تلحفي به فيقلاك . (أي لا تلحى عليه في أشياء لا يودها فيكرهك ويبغضك) .

ـ ولا تباعدي عنه فينساك . (أي كوني دائما قريبة منه ، مستعدة لتلبية حاجياته) .

ـ ان دنا منك فادن منه ، (أي ان كان منبسطا ومنشرحا ، فاقتربي منه كما اقترب منك) .

ـ وان نأى عنك فابعدي عنه ، (لعله يكون مهموما أو في شغل شاغل عنك فلا تشغليه بأمرك) .

ـ واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشم منك الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ، ولا ينظر الا جميلا .

ـ وكوني كما قلت لأمك ليلة ابتنائي بها :

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرة الدف مرة
فانك لا تدرين أين المغيب
ولا تكثري الشكوى فيذهب بالـ
ـهوى فيأباك قلبي والقلوب تقلب
فاني رأيت الحب في القلب والأذى
اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب) . اهـ

قام هذا الشيخ الحكيم مقام الأم ـ لموتها ـ والأم أقرب الى قلب البنت وأعرف .. فقدم وصايا وتجارب عاشها الشيخ ، وعاشتها الأجيال قبله ، فكانت العيشة راضية ، والرحلة هنيئة ، والمسيرة حكيمة .

فالطاعة والانقياد تفجر الاحسان في قلوب العظماء وتستدني مودة وحلم الانسان، بينما الشجار والعصيان يدفع الى مثله ، فتستعصي العقدة على الحل ، بل تزداد تعقيدا ، والمصير قد يكون الفصل .

والتضحية من الجانبين شأنها في استدامة الحياة الزوجية ، أما الأنانية والأثرة فلا تأتي بخير اطلاقا ، ولكن يحس كل من الزوجين بشعور الآخر ، حتى يقول له : « يا أنا » كما يقولون ، فيكون التفاني من كل جانب لاسعاد الآخر ، وينعكس ذلك بالتالي عليه غبطة وسرورا .

ولبعض الزوجات عادات في الالحاف والالحاح ، تنفر الزوج حتى من أداء الواجب ، وتدعوه الى العناد وعدم القيام به ، أو القيام به على كره .. فلو قل الالحاف لصدر كل شيء بدفع ذاتي وعن طواعية واحترام .

وتسرف بعض النسوة أحيانا في البعد عن الزوج والمنزل ، ولا تبالي بما يترتب على ذلك وتحسبه هينا ، ولكنه حين يتراكم يترك أسوأ الآثار .

وسبحان مقلب القلوب قبضا وبسطا ـ فالانسان يضيق بمن يطارده وهو في شغل

الأســرة
بين الحكمة والأسوة فى الإسلام

وهمّ ، ولا يتصف بذلك عادة الا الذين لا يدركون من الأطفال واشباههم ، وان كانت لهم جسوم الكبار — وقد نلبى أمر الصغير ونتشد ، وقد يدعونا ذلك الى الحرمان تأديبا له .

وغالبا ما تتألق النساء زينة وعناية بالمظهر واللفظ قبل الزواج ، أما بعده فكثيرات يهملن كل شيء ، فتذبل المحبة ، وتضعف المودة ، وكأنما الزينة وحسن الهندام والعناية للغرباء والأجانب أو من هم فى الشارع .. أما الزوج فلا عناية به ولا بشأنه ، والأمر بالعكس .. والا فتحنا له بابا للمقارنة ، وآخر للنظر ، وثالثا للتفكير المهلك والمردى .

ولئن سرنا ذلك من أب حكيم ناب مناب زوجه التى لحقت بربها ، فحمل رسالتها مع رسالته ، فانا نسوق مثلا آخر لا مرأة لا تقل حكمة عن الرجل السابق ، ان لم تزد ، لأنها نفذت الى بواطن الأمور ، ولها احاطة وشمول ، وتبث المرغة فى صورة العظة ممزوجة بالحكمة والتجربة .

يحدث التاريخ أن الحارث بن عمرو ملك كندة تزوج ابنة عوف بن محلم الشيبانى ، فأوصتها أمها ليلة زفافها اليه بقولها : —

(— أى بنية ، ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل .

— ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها ، وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عنه .

ولكن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال .

— أى بنية ، انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا .

❋ يابنية ، احملى عنى عشر خصال ، تكن لك ذخرا وذكرا :

— الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

— والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه : فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود .

— والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه عند منامه .

— والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير .

— ولا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره .

— ثم اتقى — مع ذلك — الفرح ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان

الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكبير .

ــ وكونى أشد ما تكرين له اعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما .

ــ وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة .

ــ واعلمى أنك لا تصلين الى ماتحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك)»

ويحدثنا التاريخ أنها حملت اليه ، فعظم موقعها منه ، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده .

فأى امرأة حكيمة وعظيمة هذه ، وأى ابنة سامية ومطيعة هذه !!

انها تشيد بابنتها فى أول الأمر لتعظم اليها نفسها وتكبر ، وأن مفارقتها تعز عليهم لا شك فى ذلك لمنزلتها فى الأسرة ، ولكن عمارة الكون تهم بامتزاج الذكر والأنثى ، وتكميلهما لبعضهما .

ولندرة الطيب ومشتقاته فى ذلك الوقت .. نلب الماء عنه ، فنسم الطهور هو .

ثم تتوالى النصائح ذكية خصيبة وضيئة ، سلكت فى سلك منظوم ، تعين على حسن العشرة ، ودوام الألفة ، وتمكين الروابط والمودة .. وتدفع كل ما من شأنه يكدر الصفو ، ويزعزع البناء ، وينمى المنغصات والمزعجات التى تقصر الأجل ، وتعجل بفصم عرى الحياة الزوجية .

فأين هذه الوصايا الحافلة ، مما شاع وذاع واستشرى فى دنيانا اليوم ، من موروث جاهل ، أو مألوف عابث ، أو معتاد باطل ، أدى الى فشل كثير من الزيجات أو جعل الملل يتخللها ، والمناكفات تعتريها وقد تصل الى المحاكم .. الخ .

فالمرأة ان نالت حظا من الثقافة اليوم ، لاتحاول اطلاقا تنميته ، والتزام العبرة منه ، أو التماس الحظة فيه . وتكون الثقافة حينئذ حجة عليها لا لها ، وعامل استنامة وتثبيط .

وبحض من نلن درجات علمية استكن الى ذلك ، وربحن يبحثن عن قضايا أملاها الوهم وسوء الفهم ، كالطلاق ، وتعدد الزوجات .. الخ ، ولو تدبرتها المرأة لعلمت أنها قضايا كانت قبل الاسلام فى منتهى القسوة والاستغلال السىء فهذبها الاسلام ، وأصبحت ــ لو تدبرتها المرأة ــ لحدتها من محاسن الاسلام واحسانه الى المرأة ، كما سنبين ذلك فيما بعد ان شاء الله .

ولكن أعداء المرأة ــ والمدعون بأصدقائها زورا وبهتانا ــ جسموا لها الأمر ، وشطحوا فى غير موضع ، كما يقول المثل : (أرى جعجعة ولا أرى طحنا) .

فأى كرامة لزوجة لا يريدها زوجها أو لا تريده ، فيربطهما القانون فى سلسلة ؟ وأى نفع فى ذلك ؟ .

وما نسبة تعدد الزوجات فى حياتنا من واقع الاحصائيات ؟ وما دوافع هذه الحصيلة الضئيلة ؟ ومن حقنا أن نسأل الزوجة الثانية لم أقدمت على الزواج على أختها ؟ .

وأيهما أولى بالملام ، المرأة التى تزوجت على

الأســـرة
بين الحكمة والأسوة فى الإســـلام

أخرى ؟ أم الرجل ؟ .. مسائل ليس هنا بحثها ، وبيان وجه الحقيقة فيها .

لقد كنا نؤمل أن يكون كل تكتلات النساء ، فى جمعيات الخير والبر والرحمة ، وكل ما من شأنه أن يخفف صعوبات الحياة فى المراحل الحرجة التى تحياها أمتنا الاسلامية .

لقد احترم الاسلام المرأة عاملة فى مجالها حين يلجئها الزمن ، أو تضطرها الظروف ، وعلى المجتمع حينئذ صيانتها ورعايتها وتمكينها فى عفة واحتشام واحترام من أداء مهمتها .

وقدرها الاسلام صاحبة تجارة وصناعة ومهارة تغنى النساء فى مجالها وخبرتها .. واحترمها الاسلام عالمة ومثقفة ونافعة ، فالكلب المعلم ــ لا الانسان فقط ــ نأكل صيده ، ويحترم أكثر من غيره .

خير للمرأة المعاصرة أن تنسى وصايا ظالمة وجاهلة ، مثل : ــ

(قصقصى طيرك حتى لا يلوف بغيرك) ، فتنهك نفسها وزوجها فى تكديس وشراء مالا لزوم له ، فتجنى على الاقتصاد العام قبل الخاص .

والا تسمع الى من ينصحها بان تغلبه بكثرة الخلفة حتى لا يهرب منها .. ففى هذا قد يكون هلاكها وفراره .

واذا أردنا أن تكون للمرأة حياة عزيزة كريمة ــ كما شاء الاسلام لها ــ فلنحاول أن نفهم وصايا الاسلام ، من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن أفعال وأقوال الراشدين والحكماء ، حتى ترتقى الى المستوى الفاضل فى الانسانية الرشيدة ، ويرتقى معها المجتمع .

ولا ننسى فى هذا المقام أن نحذر المرأة المسلمة مما يبهرها فى حياة أختها الغربية : فهى هنا تعيش فى ضوء ووضاءة ، ويحفظ لها الاسلام كرامتها واعتبارها كانسانة فى مكانة لائقة ومشرفة .

أما أختها فى الغرب فقد شقيت وأشقت بما زين لها شياطين الانس والجن ، من مزالق وقعت فيها فانسلخت عن أنوثتها ، ولم تعد أنثى بكل معانى هذه الكلمة ، وبالتالى لم تصبح جنسا آخر له كل المقومات والخصائص التى هى من شأنه «وبمعنى آخر أصبحت بهذا الانسلاخ مسخا مشوها .

ما ان يعود الى صوابه ، ويثوب الى رشده ، حتى تثور على نفسها ، وتندب حظها ، وتبكى مصيرها ، وتحسد الشرقية او المسلمة من بنات جنسها ، على ما تتمتع به من حفظ وكرامة وصيانة ومكانة وفرها لها الاسلام بتعاليمه والشرق بتقاليده ، والرجل بمهنته وشرفه ومروءته .

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

د . توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامى ــ أتوا ــ كندا

دراسات في الهجرة

- الهجرة المباركة
- يثرب عند الهجرة
- البدع والآثام التي استحدثت في شهر المحرم الحرام
- التاريخ الهجري
- هجرة القلوب

الهجرة المباركة

ارسل الله عز وجل نبيه - صلى الله عليه وسلم - للناس كافة كما قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سبا : ٢٨) ، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف : ١٥٨) .

وبالتالى فالنبى - صلى الله عليه وسلم - مأمور بتبليغ رسالته للخلق قاطبة بدءا من مكة والجزيرة العربية وانطلاقا الى كل العالمين .

وحتى يستطيع النبى - صلى الله عليه وسلم - نشر هذه الدعوة العالمية كان لابد له من قاعدة ينطلق منها بالدعوة التي تهدف الى خير الانسانية قاطبة وترمى الى رفاهية وسعادة البشرية جمعاء .

ومن ثم كان لابد للاسلام من أرض يقيم عليها دولة ، ودولة يستوعب فيها شعبا ، وشعب يحمل تعاليمه ويطبق منهجه ويتحول كله الى دعاة لمبادئه وحماة له يذبّون عنه غارات المعتدين عليه ويردعون الخارجين عليه والمتربصين به .

ولقد حاول النبى - صلى الله عليه وسلم - من أول يوم فى الدعوة أن يجعل من أم القرى هذه القاعدة لينطلق منها الى ما حولها ، لكنه لقى من أهلها أشد العنت ، فقد قاموا بايذائه وتعذيب أصحابه وسجنهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم . وتحمل المؤمنون فى سبيل دينهم ضروبا شتى وصنوفا عدة من الايذاء .

واذا كانت هذه هى حال مكة وموقفها من الدعوة ، فلا شك أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن ليستطيع الانطلاق منها الى ما حولها .

واشتدت وطأة التعذيب حتى سمح النبى - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه بالخروج الى الحبشة فهاجروا اليها .

وأخذ - صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس فى الأسواق ليلا ونهارا دون جدوى .

روى الامام أحمد عن ربيعة بن عباد قال :

للأستاذ عبدالرحمن عبدالحميد البر

« رأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببصر عيني بسوق ذي المجاز يقول **(يا أيها الناس : قولوا لا اله الا الله تفلحوا)** ويدخل فجاجها والناس متقصفون ـ يعني : مجتمعون مزدحمون ـ عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو ـ أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يسكت ، يقول : **(يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا)** ... » الحديث (١) .

وهكذا لم يؤمن أهل مكة بالدعوة فضلاً عن أن يقوموا بعبء نشرها .

حتمية الهجرة : ـ

لم يكن اذاً من الممكن أن تكون مكة بجوها الخانق قاعدة الانطلاق بهذه الدعوة العالمية المباركة ، وبالتالي فلا مناص من مغادرة مكة مؤقتاً للعودة اليها في ظروف مهيأة وبوسائل غلابة .

فيمّم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجهه شطر الطائف عساه يجد عند أهلها ما لم يجده عند أهل مكة ، ولكنه لقي منهم ما لم يخطر بباله ، فأغروا به السفهاء والصبيان فرموه بالحجارة وتشمتوا به ولقي منهم الشي ما عندهم .

روى الشيخان عن عروة عن عائشة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب ...) الحديث (٢) .

وعاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يائساً من نصرة ثقيف وازداد اختناق الدعوة .

وان خير تصوير لهذه الفترة من حياة الدعوة لهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دعائه ومناجاته ربه عند عودته من الطائف .

(اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ،

---

(١) أحمد : في المسند : ٤٩٢/٣ ـ ٣٤١/٤ . ط دار الفكر /بيروت .

(٢) البخاري في الصحيح : كتاب بدء الخلق باب اذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء .. ٢١٤/٤ ـ ٢١٥ ط حلبي .
ـ مسلم في الصحيح : كتاب الجهاد حديث رقم ١١١ . ١٤٢٠/٣ ط حلبي بتحقيق عبد الباقي .

الى من تكلنى ؟ . الى بعيد يتجهمنى !، أم الى عدو ملكته أمرى ...) .

وهكذا فالدعوة بين بعيد يتجهم وعدو يملك الأمر ، وازداد الأمر عسيرا ولم يعد المقام بمكة يطاق .

أمن الخير اذا أن تبقى الدعوة حبيسة فى مكة مقيدة الارادة مشلولة الحركة ؟! وأن يبقى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الضيم .

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان : عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فما يرثى له أحد

لابد اذا من البحث عن متنفس جديد للدعوة ، ولابد من البحث عن القاعدة الحصينة التى يمكن أن تنطلق منها الدعوة .

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن رام العلا متحول

فأخذ — صلى الله عليه وسلم — يعرض نفسه على القبائل طالبا الايواء والنصرة .

روى الثلاثة الا النسائى وروى الدارمى وأحمد عن جابر بن عبد الله قال :

كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعرض نفسه على الناس فى الموقف فقال « ألا رجل يحملنى الى قومه فان قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى » (٣) .

لكنه — صلى الله عليه وسلم — لقى من الكثيرين أقبح رد .

قال ابن اسحاق : « فكان النبى — صلى الله عليه وسلم — على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده » (٤) .

وفى كلام ابن اسحاق هذا ما يدل على شدة ما لاقاه النبى — صلى الله عليه وسلم — من قريش وعلى أنه رأى ضرورة التحول عن مكة حتى يستطيع الانطلاق بدعوته .

تباشير النصر : —

ثم لقى النبى — صلى الله عليه وسلم — نفرا من الخزرج فدعاهم للاسلام فآمنوا به وصدقوه ووعدوه أن يعرضوا على قومهم هذا الدين عسى الله أن يجمعهم عليه .

وعاد الوفد الى يثرب فذكروا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين أهلها

---

(٣) أبو داود فى السنن : كتاب السنة باب فى القرآن ٢/٥٣٦ ط حلبى .
— الترمذى فى السنن : كتاب فضائل القرآن باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ٤/٢٥٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . ط دار الفكر / بيروت .
— ابن ماجه فى السنن : المقدمة باب فيما انكرت الجهمية ١/٧٢ ط حلبى بتحقيق عبد الباقى .
— الدارمى فى السنن : كتاب فضائل القرآن باب القرآن كلام الله ٢/٤٤٠ ط دار الكتب العلمية/بيروت .
— أحمد فى المسند : ٣/٣٩٠ .

(٤) سيرة ابن هشام بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢/٢٨٩ .

فشاع ذكره فى كل دور أهل يثرب ، فلما كان العام المقبل أتى فى الموسم اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالعقبة فبايعوه بيعة العقبة الأولى . ونصوص هذه البيعة رواها عبادة بن الصامت ــ رضى الله عنه ــ وكان من الذين شهدوا هذه البيعة ، فعن أبى ادريس عائذ الله أن عبادة ابن الصامت من الذين شهدوا بدرا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن أصحابه ليلة العقبة أخبره أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال وحوله عصابة من أصحابه : (تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه) قال : فبايعناه على ذلك » .

رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى (٥) .

ويلاحظ أن هذه البيعة حث على الفضائل ونهى عن الرذائل وأنها خالية حتى عن مجرد الاشارة الى الجهاد أو الحرب .

وعاد الوفد المؤمن الى يثرب ومعهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين .

وفى العام التالى عاد مصعب بن عمير ومعه سبعون رجلا وامرأتان وواعدوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن يلقوه فى ثلث الليل من أواسط أيام التشريق ، ويحدثنا كعب بن مالك عن هذا اللقاء وهو الذى بايعوا فيه بيعة العقبة الثانية فيقول فيما يرويه الامام أحمد :

« ... فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج ــ قال : وكانت العرب مما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها ــ : ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده . قال: فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . قال : فتكلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتلا ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام

---

(٥) البخارى فى الصحيح :كتاب الايمان ١/١٢ وكتاب مناقب الأنصار باب وفود الانصار الى النبى صلى الله عليه وسلم وبيعة العقبة ٢/٣٢٩، وكتاب التفسير باب تفسير سورة الممتحنة ٣/٢٠١ وكتاب الديات باب قول الله تعالى«ومن أحياها» ٤/١٨٧ وكتاب الاحكام باب بيعة النساء ٤/٢٤٧ ــ مسلم فى الصحيح كتاب الحدود حديث رقم ٤٤ ، ٣/١٣٣٣ ــ ١٣٣٤
ــ الترمذى فى السنن : كتاب الحدود باب ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها ٢/٤٤٧
ــ النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب البيعة على الجهاد ٧/١٢٨ وباب البيعة على فراق الشرك ٧/١٣٣ ، وباب ثواب من وفى بما بايع عليه ٧/١٤٤ ، وكتاب الايمان باب البيعة على الاسلام ٨/٩٦ ط حلبى ــ أحمد فى المسند : ٥/ ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

الهجـرة المباركة

قال : (أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) ، قال : فأخذ البـراء ابن معرور بيده ثم قال : نعم والـذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (كنـاية عن النسـاء) فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحلقة ورثناها كـابرا عن كـابر . قـال : فاعترض القول ــ والبراء يكلم رسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ أبو الهيثم بن التيهان حليف بنى عبد الأشهل فقال : يارسول الله : ان بيننا وبين الرجـال حبـالا وانـا قاطعوها ــ يعنى اليهود ــ فهل عـسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الـى قومك وتدعنا ؟ . قال : فتبسم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قال : (بل الدم الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) ... الحـديث (٦) .

وقفزت الدعوة الاسـلامية من النصـيحة الفردية فى بيعة العقبة الأولى الى المحـالفة الحربية الدفاعية فى بيعة العقبة الثانية وبدت تباشير النصر آتية طلائعها من يثرب التـى تعلقت قلوب أهلها بصاحب الدعوة ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونقلـوا اليـه رغبتهم فى ذهابه اليهم .

واذا : ــ فقد أذن الله للدعوة أن تنطلـق وهيأ لها مكان الانطلاق كما هيأ لها من يقوم بالذود عنها والـذين أخـذوه على مصـيبة الأموال وقتل الأشراف حتى قـال أحـدهم للرسول الكريم : والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا . لكنه ــ صلى الله عليه وسلم . لم يؤمر بالحرب بعد، وعـاد القـوم الى المدينـة وقـد أخفقت محاولة قريش فى النيل منهم .

الهجـرة :

وطابت نفس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قد جعل الله له منعة وقوما أهل حرب وعدة ونجدة . ولما اشتد ايذاء المشركين لأصحابه أمرهم النبى ــ صـلى الله عليـه وسلم ــ أن يلحقـوا باخـوانهم فى يثرب ، فهاجروا مع شدة مالاقوا فى سبيل هجرتهم .

وقد كانت هذه الهجرة بتضحياتها العظيمة هى علامة الايمان الصادق ، وتتابع المهاجرون الى المدينة ولم يبق الا المستضعفون والمرضى ورسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ وأبو بكر وبعض نفر كانت لهم أعمال تتصـل بالهجرة كعلى بن أبى طالب وآل أبى بكر .

خروج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

ولم يبقــ اذا ــ الا أن يهاجر رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لينظم فى المدينة دولة الاسـلام التى سـتنطلق بالدعوة . ورغم صعوبة الهجرة بالنسـبة لرسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ ، ورغم محاولات قريش المستميتة لمنع هـذه الهجرة ، فان الله قد هيأ للهجرة أسـباب النجاح لأنها ستكون نقطة البدء فى الانطلاقة الكبرى نحو تثبيت الدعوة وتكـوين القـوة المادية للاسلام والمسلمين . وقد فكـر الله

(٦) احمد فى المسند : ٣/٤٦١ ــ ٤٦٢

المؤمنين بهذا فى قوله سبحانه (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الأنفال : ٢٦) .

انشاء الدولة الاسلامية :

وبوصول النبى — صلى الله عليه وسلم — المدينة أمكنه اقامة الدولة فقد تحققت مقوماتها الأساسية :

الشعب ، والأرض ، والسلطة .

أما الشعب فقد وجد بعد الهجرة مكونا من المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبى — صلى الله عليه وسلم — فى وحدة واحدة وسيطرت عليهم القوة الروحية ولمس حب الدين شغاف قلوبهم فأضحى كل منهم أمة فى شخص وجيشا فى فرد .

وأما الأرض : فهى يثرب التى سميت بالمدينة المنورة .

وأما السلطة : فقد كانت فى يد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، تشريعية وقضائية ، وتنفيذية ، خوله اياها المسلمون وبايعوه على السمع والطاعة .

وبذا تحقق أول مقاصد الهجرة ، وهو بناء الدولة التى ستنطلق بالدعوة ، وأصبح من المحتم الانطلاق ، وحتى يكون الانطلاق على بصيرة فلابد من ايجاد الجانب التشريعى الذى به تساس أمور الجماعة المسلمة التى ستحمل لواء الانطلاق بالدعوة .

ومن ثم كان أول عمل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة هو بناء المسجد الذى سيضم هذه الجماعة ويكون دار قيادتها ورمز وحدتها ومركز اشعاع الدعوة التى ستحملها .

ثم نزلت التشريعات التى تنظم علاقة الفرد بربه وباخوانه وبأسرته وبالجماعة ، ثم — ولكيلا تتعدد جبهات المعارضة للدعوة — علاقة الجماعة بغيرها فكانت المعاهدة بين المهاجرين والأنصار وبين اليهود .

ولم يعط المسلمون أنفسهم وقتا للراحة ، فما كانت الهجرة قط فى أنظارهم ركونا الى الدعة والاسترخاء ، أو ميلا الى الراحة والسكون ، وانما كانت محاولة مصممة على قيادة المعركة فى سبيل الله من جهة أخرى . ومن ثم أخذوا فى العمل الجاد لانشاء الجيش القوى الفتى الذى سيكون الدرع والواقية لهذه الدولة الناشئة التى تتهددها الأخطار داخليا وخارجيا واستطاع هذا الجيش المؤمن مع قلته أن ينطلق ليسترد اعتبار الجماعة المؤمنة وأن يدخل فى السنة الثانية أول معركة ضد قوة تبلغ أكثر من ثلاثة أمثاله ومع ذلك كان النصر حليف القلة المؤمنة كما قال عز وجل (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران : ١٢٣) .

ثم توالت المعارك والغزوات وأخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — يرسل رسله ليعرضوا الاسلام على كل ملوك العرب والعجم وأمرائهم تحقيقا لعالمية الدعوة ، فمنهم من آمن وأسلم ومنهم من رد الوفود ردا سيئا ومنهم من ردهم ردا جميلا .

الهجرة المباركة

وظل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه يتطلعون الى مكة أم القرى ويريدون العودة اليها ، والانطلاق منها الى ما حولها .

وحقق الله لهم ما أرادوا ففتحوا مكة في العام الثامن دون اراقة قطرة دم ، وعفا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أهلها ، وجاءت وفود العرب تترى معلنة اسلامها مؤمنة بالنبي وبرسالته متخذة من كتاب الله وسنة نبيه شرعة ومنهاجا .

وانطلق الاسلام انطلاقته الكبرى ، وفي أقل من ربع قرن دانت الجزيرة العربية كلها بالاسلام ، وفتح المسلمون الامبراطوريتين الكبيرتين فارس والرومان ، وأصبحت جميعا تنتظمها دولة واحدة هي دولة الاسلام .

وهكذا كانت الهجرة السبب الأول ونقطة البدء في اقامة الدولة الاسلامية التي انطلقت بالدعوة وقامت بها خير قيام .

هل انقطعت الهجرة :

روى الجماعة الا ابن ماجه عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم افتتح مكة (لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) (٧) .

وفي رواية النسائي عن صفوان بن أمية قال : قلت يارسول الله ؛ انهم يقولون ان الجنة لا يدخلها الا مهاجر . قال (لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) (٨) .

فظاهر هذا أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة ، ولكن الأمر يحتاج الى شيء من التدقيق ، فهل انقطعت الهجرة عامة ، أو أن المراد هجرة مخصوصة انقطعت دون غيرها .

يقول الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي :

« قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام باقية الى يوم القيامة وتأولوا هذا الحديث تأويلين: **أحدهما** : لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار اسلام فلا تتصور منها الهجرة . **والثاني** : وهو الأصح : أن معناه : ان الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة لأن الاسلام قوي وعز بعد فتح مكة عزا ظاهرا بخلاف قبله » (٩) .

---

(٧) البخاري في الصحيح : كتاب : الصيد باب : لايحل القتال بمكة ٢١٥/١ وكتاب الجهاد ١٣٥/٢ وباب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ١٤٢/٢ .

ــ مسلم في الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٥ . ١٤٨٧/٣ وحديث رقم ٨٦ : ١٤٨٨/٣

عن عائشة

ــ أبو داود في السنن : كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت ٤/٣

ــ الترمذي في السنن : كتاب السير باب ماجاء في الهجرة ٧٥/٣

ــ الدارمي في المسند : كتاب السير باب لاهجرة بعد الفتح ٢٢٩/٢

ــ أحمد في المسند : ٢٢٦/١ ، ٢٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٥٥ ، ٢٢/٣ ، ٤٠١ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٧١/٥ ، ١٧٨ ، ٤٦٦/٦

(٨) النسائي في السنن : كتاب البيعة باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ١٣٦/٧

(٩) انظر هامش مسلم بتحقيق عبد الباقي ١٤٨٧/٣

وقال العلامة الطيبي :

« كلمة ولكن » ــ (فى ولكن جهاد ونية) ــ تقتضى مخالفة ما بعدها لما قبلهـا ، أى : المفارقة عن الأوطان المسماة بالهجرة المطلقـة انقطعت ، لكن المفارقة بسبب الجهاد باقيـة مدى الدهر ، وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه ونحـو ذلك » (١٠) •

والذى نركن اليه هو ما صححه الأستـاذ عبد الباقى وهو أن الهجرة من دار الحـرب الى دار الاسـلام باقية وأن الهجـرة التى انقطعت هى تلك الهجرة الفاضلة التى فـاز بها المهاجرون من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل فتح مكة • ولذا لمـا جاء البعض يبايعون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الهجرة بعد الفتح أخبرهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بانقطـاع تلك الهجرة وذهاب السـابقين بفضلها •

روى الشيخان وأحمد عـن أبى عثمان النهدى قال : حدثنى مجاشـع بن مسـعود قال : أتيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأخى بعد الفتح • قلت : يارســول الله : جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة • قال (ذهب أهل الهجرة بما فيها) فقلت : على أى شئ تبايعه ؟ قال (أبايعه على الاسلام والايمـان والجهاد) وفى رواية (على الاسلام والجهاد والخير) (١١) •

وروى النسائى وأحمد عن يعلى بن أمية قال : جئت رسول الله ــ صـلى الله عليـه وسلم ــ بأبى أميـة يـوم الفتـح ، فقلت يارسول الله : بايع أبى على الهجرة • فقال رسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ : (أبايعـه على الجهـــاد وقـد انقطعت الهجـرة) (١٢) •

فالهجرة التى أخبر الرسول بانقطاعها ــ والتى أراد هؤلاء المبايعة عليها ــ هى التـى فاز بها السـابقون من أصحابه قبـل فتـح مكـة •

من معانى الهجرة الباقية :

وعلى هذا فالهجرة كمـا قلنـا باقيـة لم تنقطع ، بيد أن لها معان وصورا أخـرى غير مفارقة الأوطـان المطلقـة نذكر بعضـــها فيما يلى :

الجهـــاد : ــ

من معانى الهجـرة الباقيـة ومن أظهـر صورها : الجهاد فى سبيل الله فالخير الـذى انقطع بســبب الهجـرة يمكن تحصـيله عن طريق الجهاد ، ولذا فان الـذين طلبـوا من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ المبايعة على الهجرة بايعهم على الجهاد كما فى الحـديثين السابقين كما أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أعلن عن انقطاع الهجرة قال :

---

(١٠) انظر حاشية النسائى ٧/١٣١

(١١) البخارى فى الصحيح : كتاب المغـازى ٣/٦٥ وكتاب الجهاد باب البيعة فى الحـرب الايفروا ٢/١٦٣ ، وباب لاهجرة بعد الفتح٢/١٨٣

ــ مسلم فى الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٣ ، ١٤٧٨/٣٠٨٤ •

ــ أحمد فى المسند ، ٥/٧١

(١٢) النسائى فى السنن : كتاب البيعة بـاب البيعة على الجهاد ٧/١٢٧ وباب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/١٣٠

ــ احمد فى المسند : ٤/٢٢٣

« ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » يعنى اذا طلبكم الامام للخروج للجهاد فاخرجوا . بل أخبر أن الجهاد أفضل الهجرة .

روى أحمد أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل : أى الايمان أفضل ؟ قال (الهجرة) قال : فما الهجرة ؟ قال (تهجر السوء) قال فأى الهجرة أفضل ؟ قال الجهاد ... » الحديث (١٣) .

كما أخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن دوام الهجرة طالما كان الجهاد .

روى النسائي وأحمد عن عبد الله بن واقد السعدى أنه قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يارسول الله : انى تركت من خلفى وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت ـ وفى رواية : متى تنقطع الهجرة ـ قال (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) وعند أحمد (ما قوتل العدو) (١٤) .

وقد فهم الصحابة هذا المعنى من معانى الهجرة فهما جيدا .

روى البخارى عن مجاهد قال : قلت لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : انى أريد أن أهاجر الى الشام . قال « لا هجرة ولكن جهاد ، فانطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئا والا رجعت » (١٥) .

(١٣) أحمد فى المسند : ١٦٤/٤
(١٤) النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ١٣١/٧ ـ ١٣٢ ـ أحمد فى المسند : ٢٧٠/٥
(١٥) البخارى فى الصحيح : كتاب المغازى ٦٥/٣

وروى البخارى أيضا عن عطاء بن أبى رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم . كان المؤمن يفر أحدهم بدينه الى الله والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية » (١٦) .

ألا ، فليع المسلمون هذا المعنى الجليل من معانى الهجرة ، وليحصلوا الخير ان شاءوا من هذا الطريق ، فالعدو جاثم على أرضهم ورابض فى ديارهم . وان عويل الثكالى وأنين اليتامى ليستنفر الحجارة الصم . يستنصرون أخوة العقيدة وشركاء الملة فهل من سميع ؟ ! وهل من بصير ؟ ! وهل من مجيب ؟! ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

التوبة :

ومن معانى الهجرة الباقية الدائمة : التوبة . والتوبة مفتوح بابها حتى تطلع الشمس من مغربها .

روى ابو داود والدارمى عن معاوية قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ،

(١٦) البخارى فى الصحيح : كتاب المغازى ٦٥/٣ وكتاب الجهاد باب لاهجرة بعد الفتح ١٨٢/٢

ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها (١٧) .

فليتنبه كل مسلم وليبادر بالتوبة وليسارع بالانابة تائبا الى الله توبة نصوحا .

هجرة المحرمات والمناهي : ـ

ومن معاني الهجرة الباقية : هجرة ما حرم الله وما نهى عنه من كل الرذائل والمفاسد التي لا تعود على صاحبها الا بأوخم العواقب .

روى البخاري وأحمد وأصحاب السنن الا الترمذي عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه (١٨) .

وروى أبو داود والنسائي والدارمي وأحمد عن عبد الله بن حبشي الخثعمي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل ... فأي الهجرة أفضل ؟ قال من هجر ما حرم الله عليه ... » الحديث (١٩) .

وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن أعرابيا قال : يارسول الله : أخبرنا عن الهجرة : اليك أينما كنت أو لقوم خاصة أم الى أرض معلومة أم اذا مت انقطعت . قال : فسكت عنه يسيرا ثم قال أين السائل عن الهجرة ؟ قال : ها هو ذا يارسول الله . قال الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم أنت مهاجر وان مت بالحضر ... الحديث (٢٠) .

ايتاء الزكاة :

كما ان من المعاني الباقية للهجرة : هجرة الشح والبخل واخراج الصدقات وايتاء الزكوات ، كما في الحديث السابق وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة .

روى الشيخان وأبو داود والنسائي وأحمد عن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله عن الهجرة . فقال (ويحك ، ان الهجرة شأنها

---

(١٧) أبو داود في السنن : كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت ٣/٢

ـ الدارمي في المسند : كتاب السير باب أن الهجرة لاتنقطع ٢٣٩/٢ ـ ٢٤٠

(١٨) البخاري في الصحيح : كتاب الايمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١١/١ . وكتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ١٢٧/٤

ـ أبو داود في السنن : كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت ٤/٢

ـ النسائي في السنن : كتاب الايمان باب صفة المسلم ٩٣/٨

ـ ابن ماجة في السنن : كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله ١٢٩٨/٢

ـ أحمد في المسند ١٦٣/٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ١٥٤/٣ ، ٢٢/٦

(١٩) أبو داود في السنن : كتاب : الوتر باب طول القيام ٣٢٤/١

ـ النسائي في السنن : كتاب : الزكاة باب جهد المقل ٤٣/٥ ـ ٤٤

ـ الدارمي في المسند كتاب : الصلاة باب اى الصلاة افضل ١٣٢/١

ـ أحمد في المسند : ١٦٠/٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٨٥/٤ .

(٢٠) أحمد في المسند : ٢٠٢/٢ ، ٢٢٤ .

الهجـرة المباركة

شديد ، فهل لك من ابل ؟) قال : نعم . قال (فتعطى صدقتها ؟) قال : نعم . قال (فهل تمنح منها ؟) قال نعم . قال (فتحلبها يوم ورودها) قال : نعم . قال (فاعمل من وراء البحـار فـان اللـه لن يترك مـن عملك شيئا) (٢١) والمعنى « أن الانسـان يعمل بالخير فى وطنه وحيث كان فهـو ينفعـه ولا ينقصه الله منه شيئا » (٢٢) .

معان أخرى للهجرة :

وهنـاك معان أخرى للهجـرة يضيق بهـا الحصر ولا يحصيها العد منها :

الهجرة بالقلب من أوهام الشرك وظلماته الى صفاء التوحيد وأنواره .

الهجرة بالأمة من الاسـتكانة والخضوع والذلة الى الثقة بالنفس والقوة والعزة .

هجـرة الجاهليات الحديثة الى الاسـلام الأصيل والشريعة الربانية الالهية .

هجرة اللهو والترف الى الجد والعمل .

هجرة الفرقة والاختـلاف الى الوحـدة والائتلاف .

هجرة الى اللـه كهجرة ابراهيم اذ قـال (**إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**) (العنكبوت : ٢٦) .

ان هجرة اليوم هى فرار بالكلية الى الله وتكييف أحوالنا وأوضاعنا على حسب شريعة الله امتثالا لقول الحق سبحانه :

(فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . ولاتجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) (الذاريات : ٥٠ ــ ٥١) .

وبعـــد :

فذكرى الهجرة تطالعنا ونحن نواجه قوى الشر والعدوان التى تحاول أن تقضى من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب ديـارها وتذل أهلها . وان كل يوم تشرق شمسه ليكتشـف

---

(٢١) البخارى فى الصحيح : كتاب مناقـب الانصار باب هجرة النبى واصحابه الى المدينـة ٢٢٧/٢ ، وكتاب الزكاة باب زكاة الابل ٢٥٢/١ وكتاب الادب باب ما جاء فى قول الرجل ويلك ٧٦/٤

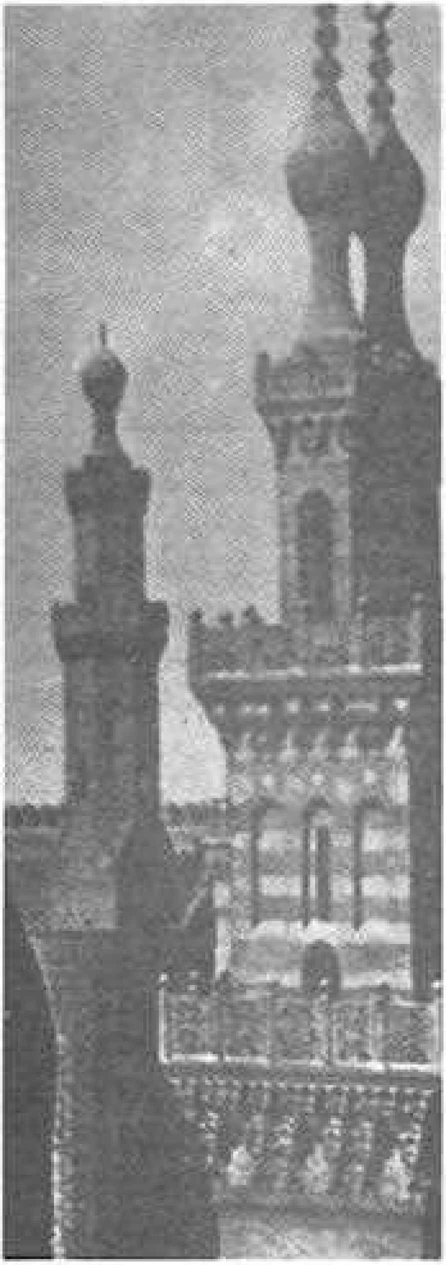
ـ مسلم فى الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٧ ، ١٤٨٨/٣ .
فى الهجرة وسكنى البدو ٣/٢

ـ أبو داود فى السنن : كتاب الجهاد باب ماجاء فى الهجرة وسكنى البدو ٣/٢ .

ـ النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب شأن الهجرة ١٢٩/٧

ـ أحمد فى المسند : ١٦٠/٢ ، ١٩٣

(٢٢) انظر هامش صحيح مسلم بتحقيق عبـد الباقى ١٤٨٨/٣



عن مزيد من النكبات ويتمخض عن كثير من الانهزامات التى تصيب أمة الاسلام وهى خاضعة مستكينة هزيلة غير نافرة حتى على الدفاع عن نفسها ٠

وان سبيل الانتصار على هذه العتبات والنكبات لهو الايمان بالله وبدين الاه عقيدة وعبادة وحكما وتشريعا ، والاستمساك بشرعه منهجا ومنقذا ، ورفض كافة النظم والقوانين الدخيلة على أمة الاسلام والتى لم تجن الأمة من ورائها سوى الهزيمة والانحسار والخذلان والانكسار ٠

ومع مطلع العام الهجرى الجديد نسأل الله عز وجل ان يجعله عام نصر وعزة وفلاح لأمة الاسلام ٠

والله ولى التوفيق
انه على مايشاء قدير
عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر

يثرب عند الهجرة

مدينة يثرب

عبارة عن مجموعة من القرى تقاربت فتكونت منها مدينة يثرب ــ وتقع يثرب على عدة وديان اشهرها وادى بطحان والعقيق ــ وهى منحدرة من الجنوب الى الشمال حيث تلتقى عند مجمع الاسيال من رونة ــ ويقع جبل عسير فى جنوبها الشرقى .

وتحيط بها الحرات من ثلاث جهات على هيئة حدوة الحصان (الحرة : عبارة عن منطقة سوداء من الحجارة النخرة المحترقة أو من السائل البركانى ــ يمتنع فيها المشى بالاقدام ــ كما يمتنع مشى الابل والخيل وما الى ذلك .

وحرة واقم التى تحد المدينة من الشرق كانت أكثر عمرانا من حرة الوبرة التى تطبق على المدينة من الناحية الغربية .

والمدينة محاطة بأشجار ونخيل وزروع كثيفة ــ وهى لذلك تمتاز بتحصن طبيعى حربى لا تزاحمها فى ذلك مدينة اخرى فى الجزيرة .

ترتفع يثرب عن سطح البحر باكثر من ستمائة متر ــ وجوها أقرب الى الاعتدال ــ وموقعها موقع واحة استراتيجية ــ وهى مدينة قوافل تتصلبيادية نجد من الشرق ومنها الى العراق وتتصل بالبحر الاحمر من الغرب وتقع على طريق القوافل من الشام واليمن ــ فهى بوابة الجزيرة العربية من ناحية الشام ــ كما تقع فى نهاية وادى القرى وبوابة وادى العقيق .

وقد منحت الطبيعة أرض يثرب ــ وهى بركانية التربة ــ خصبا زائدا ــ ثم هى ذات وديان تفيض بماء السيول التى تروى أرضها وتسقى النخيل والزروع ــ وقد اشتهر منها : وادى العقيق الذى كان متنزه يثرب ــ وكان يتدفق بالماء ويزهو بالبساتين وكانت الارض صالحة لحفر الآبار وقد كثرت فيها البساتين ــ ومن البساتين ما هو مسور ــ ويسميه أهل يثرب الحائط واشتهرت آبار كثيرة بعذوبة الماء ووفرته ــ وكانت لهم شراج ــ جمع شرجة ــ مسيل الما، ــ وكانوا يحولون الماء بالمساحى الى حدائقهم .

وكان لأهل يثرب ثروة من الابل والبقر

١

للأستاذ على القاضى

والغنم — وكانوا يستخدمون الابل فى ارواء الاراضى ويسمونها الابل النواضح » وكانت لهم مراع — لماشيتهم — وكانت لهم خيل يستخدمونها فى الحروب — وان كانت قليلة بالنسبة الى مكة » •

وكان بنو سليم مشهورين باقتناء الخيل يجلبونها من الخارج •

سكان يثرب :

حين هاجر النبى صلوات الله وسلامه عليه — الى يثرب — كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود — كما كان بها قبيلتان من العرب •

اليهــود :

متى جاء اليهود الى يثرب ؟

جاء اليهــود الى يثرب فى القرن الأول الميلادى — وذلك بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠ م تلك الحرب التى انتهت بخـراب فلسطين وتدمير هيكل وتشتت اليهود فى بلاد العالم فى هذه الفترة قصدت جموع من اليهود الى بلاد العرب فارين بدينهم من الاضطهاد المسيحى التى عمل على تنصيرهم أو افنائهم — ذاك لأن رأى اليهود فى عيسى وأمه — على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام — لا يرضى أحدا والنصارى يعتقدون أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح وأغروا بصلبه •

وقد اختار اليهود الجزيرة العربية لهجرتهم — بعد أن تحققوا من أنه سيبعث فيها نبى وأن فيها أرضا ستكون موضع مهاجرة — وأنهم بعد بحث طويل عرفوها بأوصافها — وهى يثرب فكان أكثر تجمع فيها وحولها — ومنهم تبع الحميرى — الذى حمل جماعة منهم الى جنوب الجزيرة فنشروا اليهودية فى اليمن وما جاورها — كما وصلت مجموعات أخرى فى زمن الامبراطور هادريان فيما بين عـامى ١٣٢ ، ١٣٥ م — وقد ذهبت ثلاث قبائل الى يثرب حيث أقاموا بها •

وقد كانوا يسكنون جميعا خارج يثرب فى بداية عهدهم — ولكن بنى قينقاع طردوا من مساكنهم — وكان الذين طردوهم هم بنو النضير وبنو قريظة — اخوانهم اليهــود — فسكنوا فى المدينة فى محلة خاصة بهم •

وكان بنو النضير يسكنون بالعالية بوادى « بطحان » على بعد ثلاثة أميال من يثرب — وكانت العالية عامرة بالنخيل والزروع وهى خير أرض فى الانتاج الزراعى — كما كان بنو قريظة يسكنون فى منطقة (مهزور) على بعد بضعة أميال جنوب يثرب •

ومن ذلك يتضح أن العلاقة بين القبـائل اليهودية كانت مضطربة — وكانوا أحيانا يحارب بعضهم بعضا — وكان هناك عداوة بين بنى قينقاع وبين بقية اليهود — وسبب هذه العداوة أن بنى قينقاع كانوا قد اشتركوا مع الخزرج فى يوم بعاث — وقد أثخن بنو النضير وبنو

يثرب
عند الهجرة

قريظة فى بنى قينقاع ومزقوهم كل ممزق — مع أنهم دفعوا الفدية عن كل من وقع فى أيديهم بعد يوم بعاث — حتى وقعت الحــــرب بين الانصار وبين بنى قينقاع فلم ينهض أحد من اليهود لمحاربة الانصار .

ولقد شخص القرآن الكريم حالة أهل الكتاب وملامحهم النفسية بأن بأسهم بينهم شـــديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى — ومعنى هذا أن عصبية بعضهم لبعض التى تظهر فى كثير من الاحيان انما هى مظهر خارجى خادع وسرعان ما ينكشف الستار ويظهر أن هـــذا النزاع انما هو قائم على اختلاف المصـــالح وتفرق الأهواء وتصادم الاتجاهات — فكــل يهودى لا يهمه الا نفسه والمال الذى يمتلكه بأى أســـلوب .

ولذلك فلم يستطع اليهود أن يكونوا لهم دولة فى يثرب يقومون بكل شىء فيها — بل كانوا يعيشون فى ظل حماية سادات القبائل التى تجاورهم — يؤدون لهم أتاوة كل عام مقابل هذه الحماية التى يقومون بها — فلا يستطيع أحد من الأعراب أن يعتدى عليهم — ولذلك فقد كان لكل زعيم يهودى حليف من الاعراب ومن رؤساء العـــرب .

وعلى عادة اليهود الذين لا يستطيعون أن يندمجوا اندماجا كاملا فى أى مجتمع — فقد كان لهم حصون وآطام وقرى يعيشون فيهـــا مستقلين — وقد نقلوا فكرة بناء الآطام مـــن الشام الى يثرب — ولذلك فقد كانت يثرب منقسمة الى عدة دوائر — كل دائرة تابعة لبطن من البطون وهذه الدوائر تنقسم الى قسمين — يشتمل القسم الأول على الأرض الزراعية بمنازلها وسكانها ويشتمل الثانى على الأطم — وقد بلغ عدد آطام اليهود عند الهجـــرة ٥٩ أطمـــا .

وهذه الآطام كانت لها أهمية عظيمة فى يثرب — فقد كان يفزع اليها أفراد البطن عند هجوم العدو — يأوى اليها النساء والاطفال والعجزة حين يذهب الرجال للقتال — وكانت الأطم تشتمل على مخازن للغلال والثمار — وكانت القوافل التى تحمل البضائع يمكنها أن تنزل بالقرب منها — كما أن الاسواق كانت عـــلى ابوابها — وهكذا يستغل اليهود كل فرصـــة ممكنة للحصول على الكسب المادى .

كان فى يثرب ثلاث قبائل من اليهود :

بنو قينقاع — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٧٠٠ مقاتل .

بنو النضير — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٧٠٠ مقاتل أيضا .

بنو قريظة — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٨٠٠ مقاتل تقريبا .

ومعنى هذا أن المحاربين من اليهود كانـــوا أكثر من ألفين .

وقد كان لهذه القبائل اليهودية توابع مثل يهود بنى عوف وبنى النجار وبنى ساعـــدة وبنى الحارث — وقد جاء فى العهد الذى عقد بينهم وبين رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« أن بطانة يهود كأنفسهم » .

كما أن عددا من العـــرب كانوا يدينون

باليهودية — اما رغبة فيها واما بحكم النشأة فى البيئة اليهودية — واما بتأثير المصاهــــرة والزواج — ومن هؤلاء كعب بن الاشرف — فهو عربى من قبيلة طىء — تزوج أبوه فى بنى النضير فنشأ بينهم كعب يهوديا متحمسا .

كما كان من عادة بعض العرب الذين لا يعيش لهم ولد — أنه اذا ولد له ولد هودوه رجاء أن يعيش — فى ظنهم — .

وكان لليهود مدارس يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم وأيامهم الماضية ينعتون أنفسهم بأنهم أهل العلم والشرائع والايمان — كما كان لهم أماكن خاصة يقيمون فيهـــا عباداتهم وشعائر دينهم — وكانت تســـمى المدراس — وكانت المكان الذى يتجمـــع فيه اليهود لتبادل المشورة فى سائر أحوالهم الدينية والدنيوية — ولهم تشريعاتهم التى يأخذون بعضها من التوراة وبعضها من وضع الاحبار .

وعلى عادة اليهود — قـــوى نفوذهم الاقتصادى وصاروا يتحكمون فى الاســواق تحكما فاحشــــا ويحتكرونها لمصلحتهم — فكرههم الناس بسبب أنانيتهم واشتطاطهم فى أخذ الربا الى جانب طرق يأنف العـــربى من التعامل معهم بها .

كما أنهم كانوا يأخذون رهونا — وصــلت الى أخذ الابناء والنساء — وقد أوجد هــذا الحقد والكراهية بين المراهنين والمرتهنين — ولا سيما وأن العرب قد اشتهروا بالغـــيرة الشديدة على نسائهم — كما أن اليهود وسعوا مناطقهم المزروعة حتى وصلت الى مـــراعى البدو .

وقد كان اليهود متفرقين ودخل بعضهم فى محالفات مع الأوس وبعضهم فى محالفات مع الخزرج وكانوا فى القتال أقسى على بنى جنسهم من العرب وقد استحر العداء بين بنى قينقاع من جهة وبنى النضير وبنى قريظة من جهـــة أخرى — الأمر الذى جعل بنى قينقاع يتركون أرضهم وزروعهم ويقتصرون على الصناعة — حتى صاروا صناعا — وكانت سوقهم مركـــز الحلى والمصوغات الذهبية — ولذلك كانوا أغنى طوائف اليهود فى يثرب .

وقد كان اليهـــود يقتنون مختلف أنواع السلاح وبكميات كبيرة — من سيوف ورماح وقسى ونبال ودروع — ولم يكونوا متحدين فى كيان سياسى وعسكرى ودينى — بل كانوا فرقا وأحزابا — وكان طابع الذلة والمسكنة والشعور بالغربة والفزع يطبعهم جميعـــا — فكانت تحالفاتهم مع العرب بالاضافة الى حصونهم وقلاعهم وسلاحهم — وسيلة الى البقاء — .

والايات القرانية وصفتهم بالجحود والكفر واللجاج والترفع عن الناس .

وعلاقة اليهود بالأوس والخـــزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية — وكان اليهود يعملون دائما على اثارة الحرب بين الفريقين متى وجدوا فى ذلك فائدة لهم .

وكانت لغة اليهود العربية — ولكن كانت تشوبها رطانة عبــــرية — ذلك لانهم كانوا يستعملون العبرية فى صلواتهم ودراساتهم .

وقد كان اليهود أسبق من العرب الى يثرب — ولذلك فقد تملكوا أخصب البقاع — وقــد حملوا معهم خبرتهم الزراعية والصناعية من الشام مما أثر فى ازدهار بساتين يثرب — وقد

يثرب
عند الهجرة

سكن الاوس منطقة العوالي بجوار بني النضير وبني قريظة ـ وسكن الخزرج سافلة المدينة حيث جاوروا بني قينقاع ـ وقد تأثر اليهود بالعرب فظهر فيهم طابع الحياة القبلية بما فيها من عصبية وكرم واهتمام بالشعر وتدريب على السلاح وما الى ذلك .

الأوس والخزرج :

الأوس والخزرج اخوان لأب وأم ـ أمهم قيلة بنت كاهل ـ امرأة من قضاعة لذا يقال لهم أبناء قيلة ـ وهما ينتميان الى القبائل الأزدية اليمنية الكبيرة ـ وكانت موجات هذه الهجرة من اليمن الى يثرب متفرقة في أوقات مختلفة ـ وكانت لعوامل متعددة منها اضطراب الأحوال في اليمن وغزو الأحباش واهمال الارواء بخراب سد مأرب سنة ٢٠٧ م ـ ولما هاجرت خزاعة الى مكة ـ سكنت الأوس في المنطقة الجنوبية والشرقية ـ وهي منطقة العوالي من يثرب ـ وهذه المنطقة زراعية وغنية ـ وجاورها أهم قبائل اليهود وجموعهم بني النضير وبني قريظة ـ كما سكنت الخزرج في المنطقة الوسطى والشمالية وهي سافلة المدينة ـ وليس وراءهم شيء في الغرب الى خلاء هذه الجزيرة وهي منطقة أقل خصبا وقد جاورهم بنو قينقاع .

وكان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة ـ وقعت بينهم العداوة بسبب قتيل ـ فقامت بينهم الحرب واستمرت ١٢٠ سنة ـ وقبل الهجرة بخمس سنوات وقعت بينهم معركة بعاث ـ التي كان النصر فيها للخزرج ثم عاد للاوس ـ وبلغ من حدة الخصام بين الفريقين أن فكر كلاهما في استئصال شأفة الاخر وابادة خضرائه ـ لولا أن تدخل أولو العقل بالنصح ان يبقوا على أنفسهم واخوانهم فجوارهم أفضل من جوار الثعالب ـ يعني اليهود ـ بل ان الجانبين اتفقا على ترشيح رجل من الخزرج هو عبد الله بن أبي بن سلول ـ الذي وقف هو وقومه يوم بعاث على الحياد ليكون ملكا على يثرب ـ مما يدل على تمكن العرب من المحافظة على قوتهم وتفوقهم على اليهود يوم بعاث .

وقد عمل اليهود على الدس والايقاع بين الاوس والخزرج وتشجيع عوامل الفرقة واذكاء روح التحاسد حتى يستغلوهم ويشغلوهم بأنفسهم عنهم ـ وقد أدرك العرب ذلك فلقبوهم بالثعالب وكان العرب تابعين لقريش في العقيدة ـ وكانوا ينظرون الى قريش نظرة اكبار لأنهم سدنة الكعبة ـ وكانوا يعبدون مناة ـ وكان كل انسان منهم يتخذ في بيته صنما من خشب أو غيره يسميه أيضا مناة ـ وكان لأهل المدينة يومان يلعبان فيهما ـ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ـ عرف ذلك منهم قال لهم : « قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر والأضحى » المصحيحان .

ومن الناحية المقابلة فقد كانت قريش تعترف بشرف الأوس والخزرج فهم بنو قحطان العرب العاربة ولذلك فقد كانوا يصاهرونهم ويتزوجون منهم .

ومع ذلك فقد كانت قريش تنظر الى الفلاحة التي كان يمارسها أهل يثرب بحكم طبيعة أرضهم — ولاعتمادهم عليها في معاشهم — نظرة فيها شيء من الاحتقار — وقد تجلت هذه النظرة في الكلمة التي قالها ابو جهل بعد ان أصيب يوم بدر « لقد قتلني ابنا عفراء — الزراعة والصناعة — لو غير أكار قتلني — يعني لو غيرهما قتله لم يكن عليه نقص » •

وأهم حاصلات يثرب التمر والعنب والقمح والشعير والبقول والخضراوات — وكان للنخيل اهمية خاصة عندهم — فهم يستخدمونه في الغذاء والبناء والصناعة والوقود وعلف الدواب وهذا ما يحدث حتى الآن في كثير من البلاد العربية الزراعية • وقد ساعد على خصوبة أرض يثرب أنها — الى جانب تربتها البركانية ذات وديان كثيرة تفيض بماء السيول فتروى أرضها وتسقى النخيل والزروع •

والمكاييل المستعملة في يثرب — كانت المد والصاق والوسق وما الى ذلك — ولذلك كثر الكلام عنها في كتب الفقه الاسلامي — والموازين المستعملة كانت الدرهم والدانق والقيراط والنواة والرطل والقنطار والاوقية •

ومع هذه الخصوبة في الارض وفي الانتاج — فقد كانت يثرب تستورد من الشام الدقيق والسمن والعسل — وكان للعرب في يثرب ثروة من الابل والبقر والاغنام •

وكانت هناك عدة أسواق للبزازين وسوق للعطارة وسوق للمصوغات وغير ذلك — وكانت سوق بني قينقاع للذهب والمصوغات والمنسوجات — وكانت في يد اليهود — فأشار عليه السلام على أصحابه فبنوا سوقا أخرى وأجروا التعامل فيها على أسس اسلامية بعيدا عن الغش والربا •

والبيوت كانت تبنى من طبقات — وكان لبعض البيوت حدائق — وكان لدى سكان يثرب اقداح من زجاج ومن أحجار أحيانا — وكانت النساء تلبس الأساور والخلاخل والأقرطة والخواتم — ويلبسن المنسوجات القطنية والحريرية ويتعطرن بأنواع العطور والمسك •

خاتمـــة :

هذه هي مدينة يثرب التي هاجر النبي عليه الصلاة والسلام اليها — وقد سماها بعد هجرته اليها المدينة — وقد احتضنت المدينة الدعوة الاسلامية الجديدة ووصلت معها الى النصر — ومنها خرج الاسلام الى العالم قوة سياسية وحربية وعقيدة ونظاما كاملا متكاملا — وتحت لوائها توحدت الجزيرة العربية — وبدأ بداخلها انشاء أول جماعة على أساس العقيدة — لا على أساس القبيلة — ومنها بعث العرب قوة محركة فعالة لأداء رسالتهم الاسلامية •

وقد ألحقت الدعوة الاسلامية الهزيمة بأعظم الامبراطوريات المسيطرة على العالم — الفرس والرومان — انضوت تحت لوائها مصر والشام والعراق وفارس في فترة لا تتجاوز أربعين عاما كانت المدينة فيها العاصمة والمركز والقلب لكل هذا المد التاريخي •

ويعود مجد المدينة كلها الى الدعوة الاسلامية •

يثرب

عند الهجرة

لقد عاش النبى صلوات الله وسلامه عليه بالمدينة عشر سنوات حاسمة ــ ومن الجدير بالذكر أن كل أحداثها مسجلة ــ ويذكر شبلى نعمانى ــ وهو من أبرز المفكرين المسلمين فى الهند (أنه الى يوم الدين ــ لا يستطيع أحد أن ينافس المسلمين فخرهم بحفظ أدق تفاصيل كل حادثة فى حياة الرسول بطريقة دقيقة واعية لا يصل الى مستواها تسجيل حياة أى انسان آخر من قبل ــ ولا يمكن أن ننتظرها من بعد ــ ومن أجل تسجيل هذه الحياة بأدق تفاصيلها سجل العلماء أسماء وأوصاف ثلاثة عشر الف صحابى فى وقت يعد فجر نظام التاليف) .

ومع أن دور المدينة السياسى قد تقلص ــ فان مكانتها السامية لدى المسلمين باقية على مر الايام كمثوى للرسول عليه الصلاة والسلام ــ تهوى اليها الافئدة من مشارق الارض ومغاربها ــ ويقصدها الكثيرون من الحجاج والكتاب والباحثين فى السيرة النبوية وعلوم الحديث ــ وقد تناولها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين يتابعون خطى البشرية .

ومع توالى السنين تفردت المدينة بتكوين سكانى خاص ــ وتراكم حول مسجد الرسول عليه السلام ــ الى جانب أهلها ــ أناس من جنسيات اسلامية من كل أرجاء العالم الاسلامى ــ ولم تغب هذه الملاحظة عن الرحالة السويسرى ــ بوراخت ــ الذى زارها عام ١٨١٤ م وقال (ان أهل المدينة أكثرهم من الغرباء الذين تجذبهم قدسية البلدة من جميع أنحاء العالم الاسلامى وليس فيها سوى أقلية محدودة من نسل الانصار ومن الاسر القديمة وأسر تنحدر الى نسل العباسيين وعدد من الشرفاء الذين يمتدون الى الحسينين .

ويبلغ عدد سكانها الآن مائة ألف .

والمدينة تقوم بوظيفتها الآن عندما يجتمع فى جامعتها الاسلامية المسلمون من كافة الجنسيات ــ يدرسون القرآن الكريم واصول الاسلام ــ أو عندما يقصد زوارها مكتبتها الزاخرة بالكتب والمخطوطات ــ ويبقى المسجد النبوى يدور حول فلكه كل سكان المدينة .

فمتى نرى عصرا يزدهر فيه الاسلام كما كان فى العصر النبوى فى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

على القاضى

البدع والآثام

التى استحدثت فى شهر المحرم الحرام ووجوب العمل على الإقلاع عنها

للدكتور محمد محمود شعبان

عن ابى بكر رضى الله عنه ان النبى — صلى الله عليه وسلم — خطب فى حجته فقال : « الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات ولارض· السنة اثنا عشر شهرا · منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » · رواه البخارى وغيره ·

لقد كان العرب قبل الاسلام فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، لا يعرفون من الحق رسما ، ولا يقيمون له فى مقام الحقوق وزنا ، وصار خلقهم ما وجدوا عليه آباءهم ، وما استحسنه اسلافهم من الآراء المنحرفة والمذاهب المبتدعة · فعبدوا غير الله · سجدوا للصنم وتقربوا للوثن وطافوا بالأشجار واستقسموا بالأزلام · ووأدوا البنات ، وأكلوا الميتة ، وشربوا الخمر ، وشنوا الحرب لأوهى الأسباب وكان شعارهم : هذا ما وجدنا عليه آباءنا » وزين لهم الشيطان سوء اعمالهم فغيروا شريعة ابراهيم عليه السلام من تحريم الأشهر الحرم فأحلوها وذلك أنهم كانوا يذهبون للحج فى شهر ذى القعدة وبعد انتهائهم يرجعون الى بلادهم فى شهر المحرم وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وكذلك فى شهر رجب يغدون الى مكة لأداء العمرة ثم يرجعون وهم آمنون أيضا ·

ولما كانوا أهل كر وفر وقتل وقتال ، وطعن وطعان وظلم واعتداء أرادوا أن يشبعوا رغبتهم ويلبوا طلب أهوائهم بتأخير شهر المحرم الحرام الى شهر صفر فأحلوا شهر المحرم وحرموا شهر صفر ، هذا ما عبر عنه القرآن الكريم بالنسىء قال تعالى : « إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ »

قال فى لسان العرب : ان العرب كانوا اذا

البدع والآثام

التي استحدثت في شهر المحرم الحرام

صدروا من منى يقوم رجل من كنانة فيقول أنا الذي لا أعاب ولا أخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون صدقت . أنسئنا شهرا أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها . فيحلهم المحرم فذلك الانساء . قال عمير بن قيس بن جذل الطعان :

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

وانما قال صلى الله عليه وسلم : ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ليخرج رجب ربيعة التي كانت تدعي بأن رجب انما هو الشهر الذي بين شعبان وشوال يعنون به : رمضان .

ولقد شددت جماعة منهم على نفسها وحرمت ثمانية أشهر بدل الأربعة ، وهم البسل، فلذلك حددت الآية الكريمة والحديث عدد الشهور المحرمة لتخرج هذه القبيلة وأمثالها ممن تسول لهم أنفسهم تغيير وتبديل ما حرم الله .

وكذلك ابتدعت قريش الوقوف بمزدلفة لأنها من الحرم فلا يقفون بعرفة ــ وهي من الحل ــ لأنهم أهل الحرم وسدنة البيت فلا يخرجون من حدود الحرم حتى لا تضيع هيبتهم عند الناس .

وأيضا ما ابتدعه عامة العرب من طوافهم حول البيت عراة كما ولدتهم أمهاتهم الا من استعار ثيابا من قريش يطوف بها . واستمر الحال على ذلك حتى أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . فطهر القلوب من الشرك والضمائر من الحقد والنفوس من الهوى وأخرج الناس من الظلمات الى النور وأدبهم بآداب الاسلام وخلقهم بأخلاق القرآن وأكمل الله تعالى به لهم الدين وأتم عليهم النعمة ورضي لهم الاسلام دينا ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس .

ولما استقرت الأمور ودخل الناس في دين الله أفواجا وهدأت الأحوال واطمأنت النفوس وسادت كلمة الله وارتفعت راية الاسلام ، أعلن على الملا جميعا بأنه لا يطوف بالبيت عريان ولا يقربه مشرك ولا يحل المحرم . فعاد بذلك للأشهر الحرم قداستها ، بما أعلنه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حجة الوداع بقوله : ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

وصار يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذي الحجة في كل عام الى أن تقوم الساعة.

ولقد استمر المسلمون على ذلك زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ولما اتسعت الفتوح الاسلامية دخل في الاسلام طائفة من أصحاب الملل الاخرى لا حبا فيه ولكن ليقوضوا أركانه وليهدموا بنيانه ويطفئوا نوره ويكسروا شوكته ويفسدوا عقيدة المسلمين ففتحوا باب الشر بقتل عمر رضى الله عنه وتأليب الناس من ضعفاء المسلمين على عثمان رضى الله عنه حتى انتهى الامر بقتله . وبذلك وجدوا لأنفسهم أرضا خصبة بذروا فيها بذور العداوة والبغضاء وأشعلوا نار العداوة بقيام الحرب بين على ومعاوية — رضى الله عنهما — وزاد الامر سوءا عندما استشهد الحسين — رضى الله عنه — في كربلاء في شهر المحرم الحرام .

فظهرت الفرق الآثمة التى ابتدعت من الدين ما هو منه براء . وارتكبت من الآثام ما تقشعر منه الأبدان وما تنكره الاديان .

وانتشرت الفتن . وكثرت النحل ودام الانكباب على العمل بها حتى صارت كأنها سنن مقررة وآيات منزلة وشرائع من صاحب الشرع محررة فاختلط الباطل بالحق والمشروع بالمبتدع وذلك بلا حياة يمنع ولا دين يردع ولا مروءة تصد وتنهى . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخبار عن هذه الفتن فقال : ستكون فتن كقطع الليل المظلم .

وقال — صلى الله عليه وسلم : انه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة .

رواه أبو داود والترمذى :

وقال صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ما أنا عليه وأصحابى .

وفي رواية : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، ومن اظهر هذه البدع والآثام التى انتشرت وعمت الآفاق في شهر المحرم بعد مقتل الحسين رضى الله عنه واستمرت الى هذه الايام في بلاد المشرق والمغرب خصوصا بلاد الشرق الاسلامى

١ — اباحة القتل والاعتداء على النفوس في شهر المحرم الحرام وهذا أمر مشاهد في الحروب القائمة بين ايران والعراق وليبيا وتشاد وأهل لبنان من شيعة ودروز ومسيحيين وغيرهم .

٢ — عدم صلاة الجمعة والجماعة في مساجد المسلمين عند فريق يرى أن صلاة الجمعة لا تصح لعدم وجود امام عادل للمسلمين على وجه الأرض .

٣ — سب كثير من الصحابة على منابر هؤلاء القوم وبخاصة كبار الملازمين له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم والقدح فيهم بباطل القول وزوره ، في باطنية وقانا الله شرها .

٤ — جعلوا بعد هذا السنة تسعة عشر شهرا والشهر تسعة عشر يوما وجعلوا صيامهم تسعة عشر يوما فقط ويبدأ اليوم من طلوع الشمس الى غروبها . وانهم يرجعون كل شىء الى العدد

البدع والآثام
التي استحدثت في شهر المحرم الحرام

١٩ وهم بذلك يحاكون رأى بعض فلاسفة الاغريق بأن الكون كله مخلوق من العدد .
والغريب في زماننا هذا أن كاتبا أخرج للناس في هذه الايام صفحات دون فيها أن العدد ١٩ ركب عليه آيات القرآن فلو حسبت كل حروف الآية بحساب الجمل ثم قسمتها على العدد ١٩ لظهرت النتيجة بأن الاصل الذى بنيت عليه الآيات كلها انما هو العدد ١٩ .

ألا فليتق الله هؤلاء القوم ولا يسيروا خلف الضالين المضللين الذين يريدون بالاسلام سوءا .

٥ — تحريم عقد النكاح في شهر المحرم لأنهم يرونه شهر حزن ، فلا يحل فيه النكاح الا ما كان من نكاح المتعة فان ذلك جائز عندهم .

٦ — الغلو في بعض الشخصيات الاسلامية الهامة غلوا نهى عنه الاسلام ، وقد أخذ هذا الغلو مساره حتى النقيضين وبدت مظاهره في الشهر الحرام :

فمنهم من غلا فيهم حبا ، وعلى رأسهم المختار بن عبيد الثقفى الكذاب الذى ادعى النبوة .

ومنهم من وقع في بغضهم — رضى الله عنهم — كالحجاج بن يوسف الثقفى وقد ثبت في الصحيح عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال :

سيكون في ثقيف كذاب ومبير .

فكان المختار هو الكذاب

وكان المبير هو هذا الحجاج .

واتخذ (غلو الحب) مظاهر من تجديد المصائب والجزع والنياحة وذلك من أفحش الذنوب .

وعكست الطائفة الثانية — في الشهر الحرام — مظاهر الاولى فأبدت الفرح والسرور فيما لا يصح في الشرع أو يقره الدين حتى ذهبوا في ذلك الى وضع الاحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فمن هذه الاحاديث الموضوعة : من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته :

ومنها : من اكتحل يوم عاشوراء بالاثمد لم يرمد أبدا :

ومنها : من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض في سنته الا مرض الموت :

ومنها : من صلى في يومها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد احدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاما :

فكل هذه الاحاديث بين الامام أحمد وابن الجوزى بأنها موضوعة لا أصل لها .

ولم يصح في يوم عاشوراء الا ما رواه

البخاري ومسلم :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : يكفر السنة الماضية » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه :

وقال صلى الله عليه وسلم : لئن عشت الى قابل لأصومن التاسع » .

وقال صلى الله عليه وسلم — في فضل المحرم :

« أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل :

فقد قال تعالى :

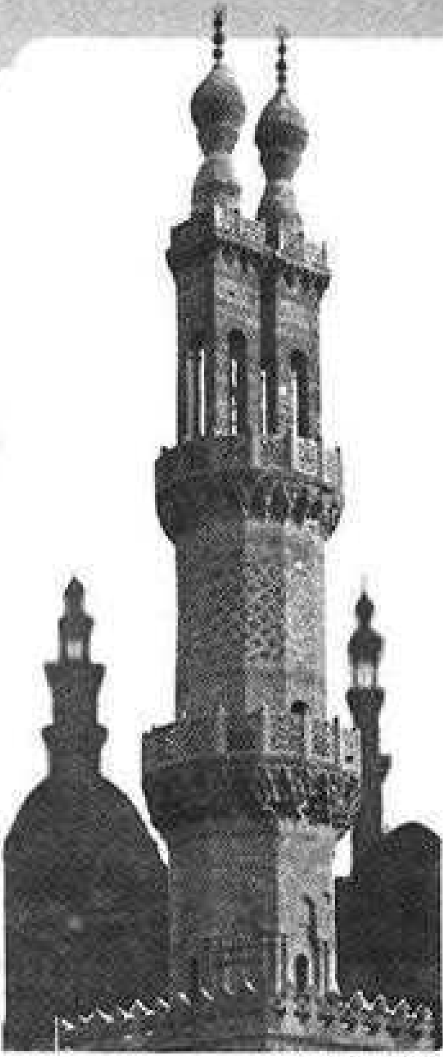
« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » اللهم قد آن .. وآن .. وآن .

آن أن يقبل المسلمون جميعا على يقظة رشيدة يعودون فيها الى كتاب ربهم — سبحانه — وسنة نبيهم — صلى الله عليه وسلم — فيكونون على جدارة بقوله تعالى :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

وقال سبحانه — عز من قائل :

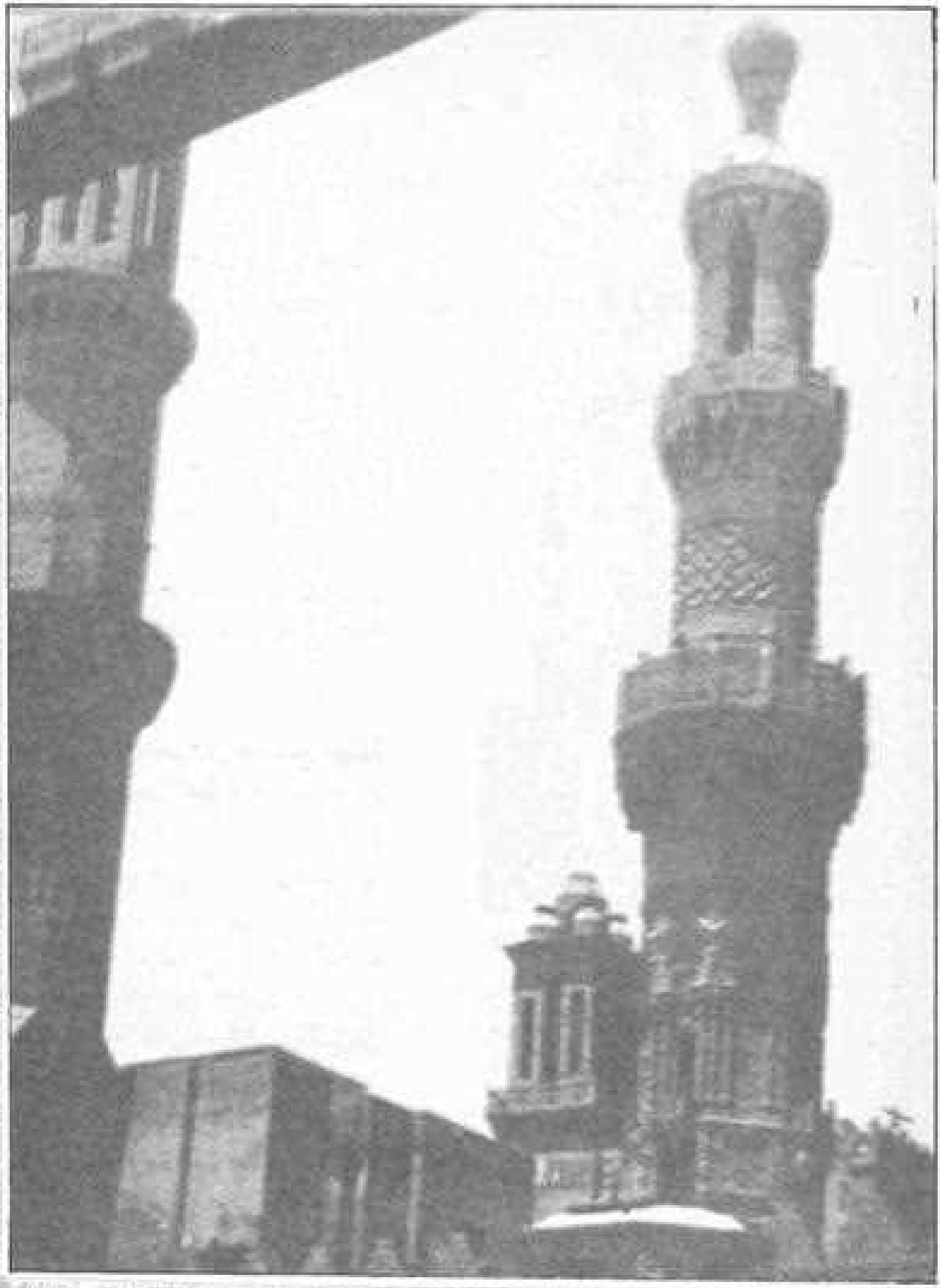
« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .



فاللهم ربنا :

بصرنا بأمور ديننا وقو ايماننا ، واجعلنا من المتمسكين بحبلك المتين ، وسنة نبيك الكريم ، وانصرنا على القوم الظالمين .

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى



هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

تذكر كتب السيرة النبوية ان ابا طالب عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يبسط حمايته عليه فلا يستطيع احد من اعداء الاسلام ان ينال الرسول بأذى خلال قيامه بابلاغ رسالة ربه والدعوة الى الله فى عهدها المكى .

الا أنه فى فترة وجيزة وفى أيام متقاربة من العام العاشر للنبوة توفيت زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد تلك السيدة الفاضلة ذات العقل الراجح والشفقة العظيمة والشرف الكبير فى قومها فكم خففت من آلامه بصفاء روحها وشدت من أذره بمالها وجاهها فى سبيل نجاح مهمته وابلاغ دعوته .

يقول أبوهريرة رضى الله عنه فيما يرويه عن — رسول الله صلى الله عليه وسلم — مشيرا الى علو مكانتها ورفعة منزلتها ودرجتها عند الله (أتى جبريل عليه السلام النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب (١) .

والقصب هنا يعنى اللؤلؤ المجوف .

والصخب يعنى الضجة والجلبة

والنصب يعنى التعب .

ثم توفى عمه أبوطالب الذى كان رئيسا لزعماء قريش وأعظمهم نفوذا وأشدهم حبا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ودفاعا عنه أمام كفار مكة وعتاة المشركين بها ، فلاعجب أن سمى هذا العام فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — عام الحزن لكثرة ما أصابه فيه من الهموم والأحزان (٢) .

(١) أخرجه الشيخان البخارى ومسلم .

(٢) كتاب سيرة الرسول تأليف الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار استاذ التاريخ الاسلامى ورئيس جامعة الأزهر السابق .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

* **وصية أبي طالب الى قومه قبل وفاته** *

مما يستلفت العقول والانظار حقا أنه لما حضرت الوفاة أبا طالب جمع اليه وجوه قومه من قريش وأوصاهم بالكعبة وبأنفسهم ثم بالنبي — صلى الله عليه وسلم — .

فكان مما قاله لهم : (وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية) (يعنى للكعبة) فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة ، صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون من قبلكم . أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف للحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام ومنسأة في الأجل (يعنى فسحة في الأجل) .

أما ما قاله لهم عن النبي — صلى الله عليه وسلم — (وانى أوصيكم بمحمدخيرا فانه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما وصيتكم به ، وقد جاء بأمر قبله الجنان — (اى العقل) . وأنكره اللسان مخافة الشنآن (١) ، كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف ، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا ، واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها .

يامعشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك سبيله أحد الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم مات بعد ذلك أبو طالب بثلاثة أيام في رمضان من السنة العاشرة للنبوة (٢) ، (والهزاهز تعنى البلايا والحروب) .

* **هل عملت قريش بوصية أبي طالب :**

من المؤسف حقا أن قريشا بعد وفاة أبي طالب لم تعمل بوصيته وبآليتها وقفت موقفا محايدا من النبي — صلى الله عليه وسلم — فلا هي ناصرته ولا هي آذته لكن رجالها من المشركين تفننوا في الحاق الأذى به وبأصحابه والكيد لدعوته يقول — صلى الله عليه وسلم — (ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب) (٣) .

* **هجرة الطائف وسوء رد سكانها . من قبيلة ثقيف . .**

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) اى أن ابا طالب انكر الاسلام بلسانه فقط دون عقله حتى لا يقال أنه ترك دين آبائه واجداده الى دين مستحدث .

(٢) كتاب نافذة على الايمان تأليف الاستاذ الشيخ مصطفى الحديدي الطير من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

(٣) المرجع السابق .

قريشا اشتدت في ضراوتها عليه وعلى أصحابه خرج الى أقرب قرية من مكة .. الى الطائف لعل ثقيفا سكانها تجيره حتى يبلغ رسالة ربه فخرج اليها مع مولاه زيد بن حارثة فأقام بها عشرة أيام وقيل شهرا لايدع أحدا من اشرافهم الا جاءه وكلمه وعرض عليه الاسلام والنصرة فلم يجيبوه ولم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفهاءهم وغلمانهم فجعلوا يرمونه بالحجار حتى ان رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد طلب اليهم (وقد رفضوا دعوته) الا يعلموا قريشا فيشتد رجالها في ايذائه اذا علموا أنه لجأ اليهم وكانوا أعداء لثقيف ولكنهم خالفوا ما أوصاهم به كما خالفوا عادات العرب من اكرام النزيل وتوقير حرمته وكتمان أمره فسلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم كما قدمنا (١) .

● نصرانى غريب في الطائف يكشف لنفر من سكان الطائف عن قدر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنزلته عليه الصلاة والسلام ـ :

لما سلط أهل الطائف عليه سفهاءهم وأغروا به غلمانهم لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حائط (أى بستان) لعتبة وشيبة ابني ربيعة حيث جلس في ظل شجرة من أشجار العنب ولبنا ربيعة (كانا من سادات قريش يملكان ذلك الحائط) ينظران اليه ويريان ما لقى هذا السيد من ساداتهم من سفهاء أهل الطائف فتحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما كان نصرانيا يقال له (عداس) وأمراه أن يأخذ قطفا من عنب حائطهما ويضعه في طبق ويذهب به الى ذلك الرجل الجالس تحت شجرة بستانهما ويقدمه اليه ليأكل منه فلما قدمه اليه قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (بسم الله) فأكل فنظر عداس اليه وقال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له صلى الله عليه وسلم (ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك) قال نصرانى، وأنا رجل من أهل نينوى فقال له (أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى) فقال عداس وما يدريك ما يونس ؟ قال (ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى) فأقبل عداس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبل رأسه وقدميه ويديه وقال أشهد أنك عبد الله ورسوله .

فلما جاءهما عداس قال عتبة وشيبة ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه قال ياسيدى ما في الارض شيء خير من هذا لقد أعلمنى بشيء لا يعلمه الا نبى قالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه ولكنه أصر على الحق ولم يأبه بما قالا ولما طلبه عتبه وشيبة ابنا ربيعة ليخرج معهما لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في غزوة بدر قال أتريدان قتال ذلك الرجل الذى رأيته بحائطكما ؟ والله ماتقوم له الجبال ، ورفض الخروج معهما أو الاشتراك في قتاله (٢) .

---

(١) كتاب صور من التاريخ الاسلامى تاليف الاستاذ عبد الحميد العبادى عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة واستاذ التاريخ الاسلامى بها سابقا .

(٢) كتاب نهاية الادب في فنون الأدب تاليف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى ، السفر السادس عشر طبعة دار الكتب المصرية .

هجـرة الرسـول صلى الله عليه وسلم

بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

* **عودة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من رحلة الطائف :**

لما قفل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ راجعا الى مكة أرسل رجلا من خزاعة الى مطعم ابن عدى يقول (أدخل فى جوارك) فقال : نعم ودعا بنيه وقومه فقال : تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فانى قد أجرت محمدا فدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه زيد ابن حارثة حتى انتهى الى المسجد الحرام فقام مطعم بن عدى على راحلته فنـــادى يامعشر قريش انى قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم فانتهى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الركن فاستلمه وصـــلى ركعتين وانصرف الى بيته ومطعم وولده مطيفون به (١) .

* **بشائر الهجرة الى المدينة المنورة :**

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحســين البيهقى بسنده عن عبد الله بن عباس قـــال حدثنى على بن أبى طالب رضى الله عنه قـــال لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضى الله عنـــه فدفعنا الى مجالس العرب ، وكان أبو بكر رجـــلا نسابة يسأل القوم فيجيبونه ويجيبهم حتى انتهينـــا الى مجلس الأوس والخزرج سكان المدينة فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلقد رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد سر بما كان من أبى بكر ومعرفتـــه بأنسابهم (٢) .

* **بيعة العقبة الاولى :**

فى العام الحادى عشر من تاريـــخ البعثة المحمدية التقى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى موسم الحج بستة نفر من الخزرج فعرض عليهم الاسلام فآمنوا وصدقوا ووعدوه أن ينشروا الدين الجديد فى قومهم (٣) .

* **بيعة العقبة الثانية :**

لما كان العام التالى وافى موسم الحج اثنـــا عشر رجلا لقوا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم عند العقبة كان منهم خمسة ممن حضر البيعة الاولى فبايعوه على نسق بيعة النساء(٤) التى تمت بعد ذلك فى فتح مكة وتمت تلك البيعة قبل أن يشرع القتال على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصـــيه فى معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب فأجابوه على (أن يعطـــوه

---

(١) كتاب نافذة على الايمان للاستاذ الشيخ مصطفى المدنى الطير من مطبوعات مجمـــع البحوث الاسلامية بالازهر .

(٢) كتاب نهاية الأرب فى فنون الادب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى السفر السادس عشر .

(٣) المرجع السابق .

(٤) اذا قيل : بيعة النساء ، فهى البيعة التى ليس فيها اشتراط الحرب وهذا الشرط هو الفارق الوحيد بين بيعة النساء وبيعة الرجال .

السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره والا ننازع الأمر أهله وان نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم) (١) .

*** مصعب بن عمير كان أول مبعوث اسلامى الى المدينة :**

كتب أهل المدينة من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل اليهم من يقرئهم القرآن ويفقههم أمور دينهم فبعث اليهم واحدا من أصحابه دينا لبقا فطنا يقوم بما كلف به خير قيام ، وفي الوقت نفسه ليخبر أحوال المدينة العامة ويسبر غورها وينهى الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما يصل اليه من أمورها ، ذلك هو الصحابى الجليل مصعب بن عمير رضى الله عنه وقد أدى واجبه أحسن أداء وأتمه فبجهوده فشا الاسلام في معظم بيوت المدينة وانتشر بين الناس ، ولما عاد الى مكة أطلع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على حال المدينة ومقدار نجاح الدعوة الاسلامية فيها وأن المسلمين في ازدياد بها وقوة وانهم بعد أيام سيجيئون اليه في موسم الحج أكثر عددا وأعظم ايمانا بالله ورسوله (٢) .

*** بيعة العقبة الثالثة :**

عندما حل موسم الحج المذكور وافى مكة جمع غفير من الأوس والخزرج مسلمهم ومشركهم فواعد المسلمون منهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سرا أن يلقوه عند العقبة ليلا وقد لقيه منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فبايعوه بيعة العقبة الكبرى المشهورة وهى تقوم على تعهد الأوس والخزرج بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرب من دونه (٣) ، وقد شهد أمر هذه البيعة العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رغم أنه كان على ملة قومه .

وبعد المبايعة اختار منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ثم قال لهم (أنتم كفلاء على قومكم وأنا كفيل على قومى) (٤) .

*** اذن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمسلمين بالهجرة للمدينة :**

بعد تلك البيعة الاخيرة من قبل الأنصار بالمدينة طابت نفس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ جعل الله له منعة من أهل الحرب والنجدة يمنعونه ويحمونه مما يحمون منه أنفسهم وذويهم ويكونون معه على أعداء دينه .

الا أن المشركين من قريش في مكة أحسوا بخطورة تلك البيعة عليهم فاشتد أذاهم للمسلمين وتضييقهم عليهم حتى لا يلحقوا بأنصار الاسلام في المدينة ويكونون معهم ضدهم فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأذن لهم بالخروج الى المدينة فخرج اليها المسلمون حتى لم يبق بمكة سوى النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصاحبه أبو بكر الصديق وعلى رضى الله عنهما يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (رأيت في المنام أنى أهاجر

---

(١) هذا ما رواه محمد بن اسحق عن عبادة ابن الصامت كما ورد فى كتاب نهاية الأدب فى فنون الادب السفر السادس عشر المشار اليه فيما سبق .

(٢) كتاب سيرة الرسول للاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار استاذ التاريخ الاسلامى ورئيس جامعة الازهر السابق .

(٣) فهذه بيعة الرجال .

(٤) المرجع السابق .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

من جفاء أهل الطائف وترحيب أنصار المدينة

من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة او هجر فاذا هى المدينة يثرب) (١) ·

وهلى يعنى ظنى ·

وهجر بلد فى أرض اليمن ·

*** هجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة ووصوله سالما · الى المدينة المنورة ··**

لما رأت قريش أن المسلمين فى مكة تسللوا فى تكتم عجيب مولين وجوههم الى المدينة أدركت أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

لابد لاحق بأولئك الانصار ومن لحق بهم من المسلمين الذين هاجروا اليهم ليجهز حربا انتقامية ضدهم لذلك اجتمعوا فى دار ندوتهم للنظر فيما يرونه فى شأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واتفقوا فيما بينهم على الا يتركوه حرا فى الخروج من مكة فاما أن يعتقلوه ويحبسوه بها او ينفوه عنها وأخيرا قر قرارهم على قتله بيد لفيف من شباب مختلف القبائل العربية فى ليلة قد اتفقوا على ميقاتها فيما بينهم وبذلك يتفرق دمه بين القبائل العربية وعن تلك المؤامرة يقول الله سبحانه وتعالى

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٢) ·

ويثبتوك يعنى يحبسوك ·

وقد أفسد الله خطتهم وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على مؤامرتهم والوقت الذى حددوه لتنفيذها وهم يعسكرون حول منزله ، وأذن الله له فى الخروج من مكة والهجرة منها الى المدينة فذهب الى بيت أبى بكر وخرجا معا الى غار ثور حيث اختبآ فيه عن عيون القرشيين حتى هدأ الطلب ثم سارا الى المدينة تكلأهما عناية الله وحفظه حتى وصلاها سالمين وبوصول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة بدأت صفحة أخرى فى تاريخ الاسلام هى تأسيس الدولة الاسلامية الكبرى ثم لحق به بعد ذلك بالمدينة على بن أبى طالب بعد أن أدى مهمته الفدائية اذ نام فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وتغطى ببردته وفشلت مؤامرتهم فشلا ذريعا يقول الله سبحانه وتعالى **(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**

---

(١) رواه الشيخان البخارى ومسلم ·

(٢) سورة الانفال ٣٠ ·

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١) .

*** ما هو السبب في مسارعة الأوس والخزرج .. الى قبول الدعوة الاسلامية ..**

يرجع ذلك الى أمرين أحدهما سياسى والآخر دينى .

فمن الناحية السياسية :

كانت الحياة العامة بالمدينة مضطربة أشد الاضطراب من جراء الحروب بين قبيلتى الأوس والخزرج التى سببها ما كان بين الفريقين من دماء وثارات وكانت الغلبة بوجه عام فى تلك الحروب للخزرج على الأوس حتى لقد همت قبيلة الأوس حوالى السنة العاشرة قبل الهجرة أن تجلو عن المدينة جملة وأخذت تفاوض قريشا فى أن تأذن لها بالنزول عليها بمكة .

ولكن قريشا كانت أحرص من أن تأذن بذلك فلما طلبت اليها الأوس أن تحالفها على الخزرج أبت أن تتورط فى شىء من ذلك أيضا مما دفع الأوس لأن تلتمس الحلف من يهود المدينة وخاصة قريظة والنضير .

وكان اليهود قد وقفوا من تلك الحروب بين الأوس والخزرج قبل ذلك موقف الحياد المطلق فلما بلغ الأمر الخزرج أرسلت الى اليهود تحذرهم عاقبة حلفهم مع الأوس ان عقد ثم وقعت الواقعة الفاصلة فى يوم بعاث الذى كان قبيل الهجرة بنحو خمس سنين وقتل فى تلك الحرب من فريقى الأوس والخزرج خلق كثير وعدد كبير من ساداتهم وأشرافهم وأكابرهم .

(١) سورة التوبة ٤٠ .

فلما لقى حجاج الأوس والخزرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بموسم الحج واطلعوا على سيرته وحالته وجدوا فيه ضالتهم المنشودة فهو وحده الرجل الذى تستقيم على يده حالهم المختلفة وتجتمع على حكومته آراؤهم المختلفة (٢) .

اما من الناحية الدينية :

فقد كانت اليهودية قد حرثت المدينة وأعدت الأنصار لقبول الدعوة الاسلامية ، لأن اليهود أهل كتاب منزل (التوراة) وكان الأوس والخزرج يلقفون منهم معنى النبوة والرسالة والوحى ونحو ذلك من المصطلحات الدينية .

ثم ان اليهود كانوا كدأبهم يتوقعون ظهور نبى ينضمون اليه ويؤمنون به ويقهرون به أعداءهم وكانوا لا يعدمون أن يبوحوا بشىء من ذلك لمواطنيهم وجيرانهم من الأوس والخزرج قال ابن اسحق عند كلامه على استجابة الانصار لدعوة النبى ومبايعتهم له (وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلموا والله انه للنبى الذى

(٢) كتاب صور من التاريخ الأسلامى العصر العربى تاليف الاستاذ عبد الحميد العبادى استاذ التاريخ الاسلامى وعميد كلية الأدب بجامعة القاهرة سابقا .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ولكن اليهود غلبت شقوتهم فرغم علمهم به أعرضوا عن الاسلام ولم يؤمنوا به (١) وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عنهم :

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٢) .

*** شهادة أحد احبار اليهود بالمدينة .**
بصدق نبوة الرسول ..
صلى الله عليه وسلم ..

لما هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة وكان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود ومن كبار كهانها ، رأى علامات النبوة التى كان يعرفها وشاهدها فى النبى — عليه الصلاة والسلام — وقد شهد له اليهود كلهم عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم فعلم أنهم ان علموا باسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة .

فلما جاء نبى الله — صلى الله عليه وسلم — قابله عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم

(١) المرجع السابق
(٢) سورة البقرة ٨٩ .

فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فانهم ان يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ماليس فى ..

فأرسل نبى الله — صلى الله عليه وسلم — لليهود فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا ، وأنى جئتكم بحق فأسلموا : قالوا : ما نعلمه قالوا للنبى — صلى الله عليه وسلم — قالها ثلاثا قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم . قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم . قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم .

قال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج فقال يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق . فقالوا كذبت ، فأخرجهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (٣) .

ولقد كان لعبد الله بن سلام بعد اسلامه هو وأهله فضل وصحبة فمن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال (ما سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول لأحد يمشى على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت الآية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) (٤) .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

(٣) صحيح البخارى الجزء الخامس .
(٤) الاحقاف ١٠ .

التاريخ الهجرى المهجور من أهله

للأستاذ محمد أحمد بدوى

يدل كل مبدأ من المبادىء التى قام عليها كل من التواريخ الثلاثة الكبرى المتداولة فى عالم اليوم على سمة تنفرد بها حضارة كل تاريخ عن الحضارات الاخرى .

فالتاريخ الهجرى مبنى على مبدأ الاهتمام بالحدث الموضوعى المؤثر فى حياة المجتمع الاسلامى تأثيرا مباشرا ومستمرا ، وهو بهذا من دلالات الموضوعية فى الدين الاسلامى واستقلاله عن تأثيرات الاشخاص بحيث يحكم أقوالهم وأفعالهم ، ولاتحكمه أقوالهم أو تفسيراتهم .

وبنى التاريخ الميلادى على الاحتفاء بميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ..

وبنى التاريخ العبرى على مبدأ افتراضى هو بدء الخلق ، مع أن الله لم يشهدنا خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسنا .

لم ير سيدنا عمر فى ميلاد الرسول — صلى الله عليه وسلم — مارأى فى الهجرة من بالغ الأثر فى الحضارة الاسلامية ، وقد نقول نحن أن الوثنية قد ظلت سائدة بكل حماقاتها مدة الأربعين سنة بين الميلاد والبعث ، ولم تبدأ فى الانحسار الا من يوم مبعث النبى — صلى الله عليه وسلم — بالهداية . كما لم ير سيدنا عمر ماقد يتراءى لنا الآن من أن المبعث أهم من الهجرة ، اذ هو مبدأ بروز الأمة الاسلامية والدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية . ولعلنا نعتذر عن سيدنا عمر العبقرى بأن الهجرة كانت أقوى أثرا فى حركة الاسلام ، اذ لو لم تتم لظل الاسلام حبيس شعاب مكة أمدا لم يكن يعلمه الا الله .

ويختلف التاريخ الهجرى عن التاريخ الميلادى فى تعاصر أقسام كل منهما ، فالعصر القديم عند الغرب ينتهى بانتهاء الحضارة اليونانية الرومانية ، وبظهور الاسلام ، ويذكرونه بكل فخر واعتزاز ، وبدأت النهضة الأوربية باحيائه ، ثم انبعث منه . ويتعاصر

٥ التـاريـخ الهجـرى

بدء العصر الوسيط الغربى بما فيه من تخلف فى أوربا مع ظهور الاسلام ، ويستمر التعاصر بين تخلف الغرب وازدهار الحضارة الاسلامية فى صدر الاسلام وعصر بنى أمية وصـدر امارة العباسيين ، ثم يبدأ تخلف المسلمين ، ويتعاصر مـع التخلف الأوربى فترة يستمر بعدها تخلف المسلمين ، ويبدأ الصحو الأوربى باحيـاء التراث اليونانى ، ويتعاصر عصر الاحياء الاوروبى مع فترة الانحـدار عندنا ، ثم تبدأ الصحوة العربية بتعثر دولها تعثر الصحوة الاوروبية . لكن أوروبـا نجحت فى تخطى العقبـات .

ومن المؤسف أن العرب فى العصور الأخيرة لايهتمون بالتاريخ العربى اهتمامهم بالتاريخ الفرنجى فى تأريخ أمـورهم المعـاصرة فى مكاتباتهم ومواعيدهم وأبحاثهم ودراساتهم ، وأن بعضا منهم لانستطيع تبرئته من تهمة التعمد فى اثبات التاريخ الفرنجى فيمـا لـم يؤرخه الا العرب وليس له مصدر الا عنـد العرب . لكن الجهات الرسمية تذكر دائمـا التاريخ العربى مـع التـاريخ الافرنجى فى مكاتباتها وتقاريرها ، وقد نلحظ بعض الفلتات فى اغفال التاريخ العربى لكنها ليست مطردة .

ولانأخذ العبرة مما يصنعه الغربيـون اذ يقتصرون فى تأريخهم للامور المعاصرة بالتاريخ الفرنجى ولهم عذرهم فى ذلك ، ولكنهم لفرط منهجيتهم مع تراثهم ومع تراثنا يتعمـدون الاقتصار على التاريخ الفرنجى فى الحوادث العربية سواء منها ما أرخ بواسطة أسلافهم ، أو ما أرخ بمعـرفة العـرب دون غيرهم من أحداث عربية . وما ليس عندهم فيه تاريخ ، يلجـأون فيـه الى الكتب التى تشـتمل على جداول مقارنة التواريخ وعندنا منها جداول اسماعيل باشا الفلكى ، ويستخرجون منهـا التاريخ الفرنجى لما لم يؤرخه سوى العرب ، وينقل منهم مؤلفونا ومترجمونا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع للمصـادر العربية التى استقى منها من يترجمون لهم ، ودون الرجوع الى جداول مقارنة التواريخ .

واذا جـاز لنا الاقتصـار على التـاريخ الفرنجى فى أمور حيـاتنا اليومية لارتبـاط المرتبات والاجازات به ، فانه لاعذر لأحد من مثقفينا فى اهمال التاريخ العربى والاقتصار على التاريخ الفرنجى فيما نسجله كتابة مـن أمور حياتنا ومكاتباتنا وتقاريرنا ، وحتى فيما لم يؤرخه الا الفرنج بالرجوع الى كتب مقارنة التواريخ .

على أن الصحوة قد بدأت ، ونرجـو أن تستمر وتنمـو فى قرن التـاريخ العـربى والفرنجى فى كل مانكتب . وقد رأيت كثيرين يضبطون ساعاتهم المبينة للتاريخ على الشهور العربية .

هدانا الله الى الاعتزاز المنهجى بتراثنا .

محمد أحمـد بدوى

هجرة القلوب

للشيخ محمد صابر البرديسى

عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه) .

رواه البخارى ومسلم .

فى مطلع كل عام قمرى يحتفل المسلمون بهجرة النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة الى المدينة ، وحق للمسلمين أن يحتفلوا بها ، فقد كانت حدثا عظيما فى الاسلام ، وموطنا لكثير من العبر والذكريات التى ينبغى أن يحرص المسلمون عليها .

لقد حولت هذه الهجرة حال المسلمين ، فبعد أن كان المسلمون فى قلة وضعف ، وكانت قريش تضيق عليهم ، وتقعد لهم كل مرصد ، وتضيق بهم ذرعا ، ولا تطيق عليهم صبرا ، أصبحوا فى قوة ومنعة ، وعزة وطمأنينة ، وصارت لهم دولة ، ائتمرت قريش بالدعوة ، وأرادت أن تتخلص منها فى شخص صاحبها « محمد » — صلى الله عليه وسلم — فأطلعه الله على ما ائتمرت به ، وأوحى اليه بالهجرة، فخرج مع صاحبه أبى بكر بلا جيش ولا عدة، والأعداء من كل جانب يتربصون به ويترقبونه كانت القوة المادية والطغيان الغاشم فى جانب، والرسول — صلى الله عليه وسلم — ومعه الحق فى جانب ، فآزره الله وأعزه ونصره ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا .

والعبرة فى هذه الهجرة أن المسلم متى آمن بالحق عن يقين واقتناع ، وثبت على المبدأ ، وضحى فى سبيله بالمال والأهل ، وما ملكته يداه ، كان النصر حليفه ، وفاز بسعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

هجرة القلوب

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

والاسلام دين القلوب ، والنوايا الصادقة المخلصة ، لا دين المظاهر الكاذبة ، والعناوين الخادعة ، والأقوال البراقة .

واذا كانت هجرة بعض الناس لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، ليس فيها اتجاه الى الله ، ولا نية ابتغاء وجهه فهجرته الى ما هاجر اليه .

أما المؤمن الصادق فهجرته تكون خالصة لله وحده يبتغي بها مرضاة الله ورسوله ، صفت بها نفسه ، واطمأن لها قلبه ، وتمحضت هجرته لوجه الله الكريم .

ومن كان كذلك فهجرته الى الله ورسوله ، يتولاه الله برعايته ، ويمده باحسانه وتوفيقه، وتنزل عليه السكينه ، ويؤيده الله بجنود لا ترى ، ويعيش سعيدا موفقا للخيرات معانا عليها .

قال ابن عباس : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة فامره الله بالهجرة وأنزل عليه (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) .

قال قتادة : أخرجه الله من مكة الى المدينة مخرج صدق .

ويقول أنس : « شهدت رسول الله — صلى عليه وسلم — يوم دخل المدينة ، فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا » .

وكانت نتيجة الهجرة اعزازا لدين الله ونصرا لرسوله ، ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وقد حدثنا الرواة عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها « أم قيس » فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه « مهاجر أم قيس » .

ومن الناس من يؤدون العبادة تظاهرا ، يفعلون ما يفعلون ليظهروا أمام الناس بمظهر المؤمنين العاملين ، ولهذا يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « انما الأعمال بالنيات » ، فمن كان الله قصده فله ما قصد ، ومن كان الناس قصده فله ما قصد ، ومن كانت الدنيا قصده فله ما قصد .

والمؤمن يعيش حياته في هجرة الى الله ورسوله ، يهاجر الى الله بعلمه ، ويهاجر الى الله بعمله في كل وجه من وجوه الخير ، بل ان عبادته كلها على اختلاف أنواعها هي أعمال تتسم بالهجرة الى الله ، والانابة اليه ، والاتصال به ، فهو مهاجر الى الله في كل ميادين الحياة .

والجهاد في ميادين الحياة ، والنية الخالصة لوجه الله يسدان مكان الهجرة في الاجر ، والهجرة من بلد الشرك الى بلد الطاعة ، والهجرة لصالح الاسلام والمسلمين ، والهجرة لملاقاة العدو هجرة لا تنقطع ، ولا ينقطع أجرها ، وستبقى الى قيام الساعة .

---

(١) الروم اية ٤٧ .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان الهجرة لا تنقطع مادام الجهاد » (١) .

وعن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ان الهجرة خصلتان ، احداهما : أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهاجر الى الله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فاذا طلعت ، طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل) .

قال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) (٢) .

لا هجرة بين مكة والمدينة بعد الفتح ، لكن جهاد ونية يسدان مكان الهجرة فى الأجر .

لقد ارتبطت الهجرة بالجهاد ارتباطا وثيقا فالذين هاجروا من مكة الى المدينة ، تركوا ديارهم وأموالهم ، وبقيت ديارهم بمكة خالية تضربها الرياح ثم جاهدوا مع رسول الله وعرضوا أنفسهم للهلاك ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من كان ينتظر .

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لم يهاجر هربا ولا ضعفا ، وانما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة ، وان كان الايذاء سببا من أسبابها قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ » ٣

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » (٤) .

وانما وصل المهاجرون الى هذه المنزله لأنهم هاجروا وجاهدوا كما أن الأنصار بلغوا منزلة عظيمة لأنهم آووا ونصروا .

ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح هجرة ، فان المسلم مأمور بالهجرة الروحية ، والاتصال بالله فى كل أحواله والفرار اليه فى كل زمان ومكان ، قال تعالى : « فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ » (٥) .

والفرار الى الله انتصار حتى ولو انتهى بالموت أو القتل ، قال تعالى: « وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ »(٦) .

والمبادىء مهما كانت كريمة فهى لاتنتصر وحدها ، بل لابد لها كى تنتصر من جهاد مرير ، وكفاح شاق ، وعمل منظم ، وتدبير محكم .

والمسلمون اليوم فى حاجة الى هجرة القلوب والعمل الجاد والتضحية فى سبيل الله ، والله لا يضيع أجر من احسن عملا .

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

والله الموفق .

الشيخ محمد صابر البرديسى

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه احمد والنسائى .
(٣) البقرة اية ٢١٨ .
(٤) سورة الانفال اية ٧٤ .
(٥) سورة الذاريات اية ٥٠ .
(٦) سورة الحج اية ٥٨ .

من
أعلام
الأزهر



الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

رائد مدرسة التحقيق العلمي

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

١ — يمثل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد جيلا كاملا من الكفاح العلمي الكبير ، حتى ليعد رائدا عظيما لمدرسة التحقيق العلمي، سار على ضوئه المحققون وشراح كتب التراث الاسلامي العربي .

وقد تتلمذ محمد محيي الدين عبد الحميد على جيل الرواد الاسلاميين الكبار ، الذين ازدانت بهم الحياة المصرية في أوائل القرن العشرين وكانوا دعامة النهضة العربية والادبية والوطنية في العالم العربي كافة .

٢ — وقد تخرج محمد محيي الدين من الأزهر الشريف — يحمل شهادة العالمية أعلى شهاداته العلمية آنذاك ، وكان نجاحه بتفوقه يومئذ مثار الدهشة ، فقد جاء الاول على فحول اقرانه من العلماء، وذلك عام ١٩٢٥ م .

وشغل في هذه الحقبة الطويلة الكثير من المناصب العلمية الرفيعة : أستاذا بالازهر ، فأستاذا بكلية اللغة العربية ، فمفتشا عاما بالمعاهد الدينية ، فوكيلا لكلية اللغة ، فأستاذا بكلية أصول الدين ، فرئيسا لمفتشي العلوم الدينية والعربية بالازهر ، فعميدا لكلية اللغة العربية ، فعضوا بالمجمع اللغوي ، ورئيسا للجنة الفتوى بالازهر ، وعضوا في المجلس

الاعلى للشئون الاسلامية وفى كثير من الهيئات العلميـــة ، ولا ننسى أنه اختير عام ١٩٤٠ للسودان ليشارك فى تأسيس مدرسة الحقـوق العليا فى الخرطوم وقد قام حينذاك بمهمته خير قيام ، وكان مضرب المثل فى علو المنزلة وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء .

ومثل الازهر فى كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والادبية ، ووجه الثقافة فيه الوجهة الرفيعة العميقة ، التى أثرت فى بناء الجيـل الحاضر تأثيرا كبيرا .

— ٢ —

٣ — ويمثل الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد فلسفة لغوية لها منهجها ودقتهـا وعمقها ، فهو يرى ضرورة تربية الحس اللغوى لينتهى بصاحبه الى الذوق الادبى ، ويبـدأ بالكلمة لينتهى الى الاسلوب فالأدب نفسه ، ودور الكلمة فى الادب دور كبير وأثرها فى بناء العمل الادبى ضخم وجليل .

٤ — والاستاذ محمد محيى الدين يقف دائما فى مجال الريادة :

فهو أول من فكر فى تأليف كتب دينية مزدانة بالصور للأطفال ، فألف خمسة أجزاء : اثنين للبنين ، واثنين للبنات ، وكتابا مشتركا وقـد ذاعت هذه الكتب آنذاك حتى كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام يذكر أنه شـاهد ترجمات لها بالفارسية وبالتركية .

وهو أول من عنى بكتب التراث وتحقيقهـا تحقيقا علميا دقيقا ، مما ينجلى لنا فيما حققه من أمهات كتب التراث فى الادب و النقد والبلاغة واللغة والنحو والصرف . ولذلك يعد بحق شيخ العلماء المحققين .

وهو أشهر شارح ومفسر لكتب القدماء فى مختلف فنون العلم . وقد سهل بذلك عـلى الجيل المعاصر قراءة هذه المصادر ، والافادة منها والاغتراف من بحورها .. وقد اختارت مؤسسة (بريل) فى هولندا نشر شرحه عـلى شرح ابن عقيل بالحـــروف البارزة ليقرأه المكفوفون . ونحن نشكر لها هذا العمل العلمى والانسانى معا .

٥ — واذا عدنا الى الاعمال العلمية لهـذا العالم الجليل من أعلامنا المعاصرين تجـدها تنقسم ثلاثة أقسام :

القسم الاول : دراسات أدبية ولغـوية واسلامية ألفها ، وكانت مثلا لرصانة العلماء وعمق البحث ، ودقة التأليف ، ومنها :

١ — دراسة كبيرة له عن المتنبى ونقد شعره نشرها فى مجلة الازهر تباعا . وتعد من أهم المراجع عن أبى الطيب وشعره .

٢ — دراسة عن الفكر الاسلامى عند الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر الاسبق ، وقد نشرت فى مجلة الكتاب التى كانت تصدر عن دار المعارف عدد نوفمبر ١٩٤٥ م .

٣ — تصريف الافعال : وهو كتاب مشهور لم يؤلف مثله حقا ، ويعد مكملا لمنهج القدماء فى دراسة الافعال ، وطبع عدة طبعات ، وكان مرجعا علميا للاساتذة والطلبة فى كليات اللغة ودار العلوم والآداب .

٤ — أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية — المعاملات الشرعية — الاحوال الشخصية — أصول الفقه .

وهي كتب أربعة مشهورة ، كانت تدرس في كليات الحقوق وأصول الدين . وفي مدرسة الحقوق العليا في الخرطوم وطبعت عدة طبعات .

القسم الثاني : كتب من أمهات التراث في مختلف العلوم ، حققها عالمنا الجليل تحقيقا علميا دقيقا ، عنى فيها عناية فائقة بتقويم النص ، وضبط مشكله ، وشرح غريبه ، ومنها:

سيرة ابن هشام — الموازنة للآمدي — يتيمة الدهر للثعالبي — العمدة لابن رشيق — نفح الطيب للمقري — وفيات الاعيان لابن خلكان — زهر الآداب للحصري — فوات الوفيات لابن شاكر ، معاهد التنصيص للعباسي — مروج الذهب للمسعودي — مقالات الاسلاميين للأشعري .

وغير ذلك مما يضيق المجال عن حصره ، ومما تلقاه قراء العربية في كل مكان بالتقدير والاعجاب ، اذ رأوا فيه طاقة علمية فريدة ، واتخذوا منه عمدة المصادر لجميع طلاب الجامعات في العالم الاسلامي العربي .

القسم الثالث : كتب من التراث شرحها شرحا وافيا ، وذلل صعوباتها للباحثين ، وأضاف اليها الكثير من الدراسات .. ومنها أهم كتب الثقافة العربية :

كشرحه للآجرومية الذي خرج بعنوان « التحفة السنية » ، وظل الى اليوم يدرس في جميع أنحاء العالم العربي الاسلامي وطبع أكثر من خمس وعشرين طبعة .

وكشرحه للأزهرية .

وشرحه على شرح قطر الندى لابن هشام الذي طبعه ثلاث عشر طبعة .

وكشرحه على شرح شذور الذهب لابن هشام .

وشرحه على شرح ابن عقيل في أربعة أجزاء كبار ، وطبع خمس عشرة طبعة .

وشرحه على أوضح المسالك لابن هشام ، ويقع في أربعة أجزاء ضخام ، وطبع نحو عشر طبعات .

وشرحه على شرح المفصل للزمخشري وهو من أصول اللغة العربية .

وشرحه على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ويقع في أربعة أجزاء كبيرة وهو يطبع الآن للمرة الثالثة .

وشرحه على كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين في جزءين كبيرين ، ويدرسه المستشرق الفرنسي بلاشير لطلابه في السوربون مؤثرا لهذه الطبعة على الطبعة الاوربية .

وكشرحه على متن التلخيص في البلاغة وطبع طبعات عدة .

— ٣ —

٦ — وقد تتلمذت على عالمنا الجليل أجيال عديدة من الشباب ، وفي مقدمتهم أساتذة وعمداء كثير من الكليات الدينية واللغوية والادبية في مصر والسودان والعالم العربي ، ومنهم جمهرة من كبار رجالات الدولة في العالم العربي .. وما أكثر تلاميذه في الشرق والغرب ، وجميع المستشرقين في العالم يولون بحوثه وتحقيقاته عناية فائقة ، واهتماما كبيرا .

وقد توفي رحمه الله في محرم ١٣٩٣ هـ — مارس ١٩٧٣ عن نحو السبعين عاما .. أجزل الله له الثواب كفاء ما قدم لدينه ولغة كتابه الحكيم ولتراث العربية وآدابها من جهود خالدة على مرور الأيام .

محمد عبد المنعم خفاجي

■ من مزاعم
المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

مع الفكر الغربي

■ فضل الإسلام
على الحضارة الغربية

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

الإسلام والعقل

كل فى ميزان الآخر

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة هما الأساس الأول فى الحكم على الاسلام سلبا أو ايجابا لأنهما معا لسان الاسلام الناطق ودستوره الخالد والينبوع الأصيل الذى يستقى منه الفكر الاسلامى الأصيل مادته الاساسية .

ونستقى منه كذلك الحكم على الاسلام . أدلته وحيثياته . أيا كان هذا الحكم وذلك بالطبع أبسط قواعد البحث العلمى . وذلك نفسه هو الذى غفل أو تغافل عنه المستشرقون الذين قدمنا الحديث عنهم فى مسيرتهم فى الحكم على الفكر الاسلامى المبنى على حكمهم على الاسلام بمجافاة العقل ومنافاة العلم . وبعد أن انتهينا من الردود على مفترياتهم هانحن نبين بشكل ايجابى علاقة الاسلام بكل من العقل والعلم . وبهذا نلفت أنظارهم وأنظار غيرهم الى القيمة الأصيلة لهذا الدين الحنيف ونتناول فى هذا البحث القضية الأولى . وهى قضية الاسلام مع العقل .

وهذه القضية عند التأمل لها جانبان أساسيان الجانب الأول هو :

العقل فى ميزان الاسلام .

أعنى موقف الاسلام تجاه العقل الذى هو أداة التفكير ، وهل هذا الموقف موقف عداء ومحاربة كما حاول أن يصوره متعصبو المستشرقين . أم هو موقف المكرم والمعترف للعقل بفضله الذى لا ينكر ؟

أما الجانب الآخر من هذه القضية فهو (الاسلام فى ميزان العقل) . ونحن لا نريد من هذا التعبير جعل العقل ميزانا مطلقا وانما نريد

الإسلام والعقل

كل في ميزان الآخر

حظ قضايا الاسلام من السند العقلي أو القيمة الفكرية .

واذا أردنا تصوير علاقة الاسلام بالعقل في الجانب الأول فان ملجأنا في الحكم في هذا الموضوع هو معطيات الاسلام من واقع الكتاب والسنة الصحيحة طبقا للقاعدة التي قعدناها أولا والتي كان ينبغي على المستشرقين الرجوع اليها والتلقي من منبعهما ، في معالجتهم لكل ما يتعلق بالاسلام من قضايا وأحكام .

ان الاسلام يناقض العقل ولا يحتقر التفكير كما يدعي هؤلاء المستشرقون بل ولا يترك للعقل الحرية في أن يفكر أولا يفكر فحسب وانما هو يستحثه ويستنهض قواه لتعمل وتعمل وصولا الى ما هي أهل له في ميدان معرفة الحقيقة .

وقد تعامل الاسلام مع العقل من منطلق كونه غريزة انسانية أو كالغريزة في أنه لم يحرمه التعبير عن نفسه واستعمال قواه والا يكون قد كبته بذلك وظلمه جل الله عن ذلك .

فهو سبحانه وتعالى اذا فطر الانسان على شيء أوجد له من منطلق عدله ما يشبع دافعه الملح — وشأن العقل في منظور الاسلام هنا شأن الغرائز الفسيولوجية تماما فحيث شرع الله لها اشباعها فكذلك شرع للعقل وحيث حدد لها مجالها حدد كذلك للعقل مجاله فالله سبحانه وتعالى فطر الانسان على أنه يحس بالجوع والحاجة الى الطعام . ومن هنا قال تعالى : « **كلوا** » ولكن من طيبات الرزق وحلاله وليس أكلا كيفما اتفق . فليأكل الانسان وليسد حاجته ولكن من الطريق الشرعي . ولا يسوغ له احساسه بالجوع أن يهجم على ما ليس له . فلذلك حدود وقيود . وكذلك فعل الاسلام الشيء ذاته مع العقل أو غريزة التفكير كما يمكن أن نسميها هنا . كما سوف نرى ان شاء الله .

الاسلام وأدوات التفكير :

ولو نظر هؤلاء المستشرقون الى الكتاب الكريم « القرآن » دستور الاسلام الخالد . نظرة المسترشد المتعلم أو الباحث المدقق لوجدوا أنه — بكل صراحة — يحث على اعمال الفكر ويؤكد على ذلك المرة بعد المرة مما لا يبقي معه زيادة لمستزيد .. فكثيرا ما يحدثنا القرآن عن مجالات الفكر . خاتما حديثه بـ « **لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** » — « **لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** » « **لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** » . « **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة . التي تدل دلالة واضحة على مدى احترام الاسلام للعقل وحثه واستنهاض قواه وبالقدر الذي يدعو به الاسلام الى الفكر ينفر من التبعية الفكرية والتقليد الأعمى لما عليه الآباء والأجداد أو الرؤساء والكبار .

وبنفس هذه القوة ينفر الاسلام من اهمال روافد الفكر وأعني بها أدوات العلم المودعة في الانسان ويجعل معطلها في مرتبة البهائم أو أشد ضلالا .

« وذلك كله بالطبع فرع عن مسئولية الانسان عن هذه الملكات . ومن أجل ذلك أهاب بالانسان ألا يتبع ما ليس له به علم صحيح ، لأن فيه أدوات التحصيل وعليه أن يستخدمها .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » سورة الاسراء آية رقم ٣٦ .

وانطلاقا من كل ذلك اعتبر الاسلام مهمل هذه الملكات كالمجماوات كما مر في ردنا على المستشرق « تتمان » .

واذا كان الانسان مسئولا عنها فهو اذن مكلف بأعمالها ومن هنا تبرز لنا قيمة العقل وروافده الحسية ، في النظرة الاسلامية .

والكفار في الآخرة يقولون : « لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » الملك .

دعوة الاسلام الناس جميعا الى الفكر :

ودعوة الاسلام الى الفكر وعمل العقل ، لا تقتصر على المسلم . وانما يدعو المؤمن والكافر معا الى الاعتبار والتفكير . فدعوته للمسلم . ليتلقى قضاياه الايمانية عن وعي وتبصر . ويحرس عقيدته عن تشويش المشوشين وطعن الطاعنين ، ولا يتأتى ذلك الا باستيعابها عقليا وحراستها عقليا كذلك وأما دعوته للكافر فهي لتحصيل الايمان أصلا ، عن طريق التعقل والتفحص فيما يستند اليه الايمان من دعائم عقلية متينة وما يقوم عليه الكفر من مبررات هزيلة « وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » البقرة آية ١٧١ « قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » سبأ .

والاسلام يفتح أمام كل منهما المجال أمام العقل ليفكر في الكون كله : سمائه وأرضه جامدة رحيه . « قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » سورة الغاشية

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » البقرة آية رقم ١٦٤ .

غاية استخدام الفكر ومجالاته :

والاسلام يجعل من ذلك كله طريقا الى غايتين أولاهما تحصيل الايمان بالخالق جل وعلا أو ترسيخه وتدعيمه . عن طريق النظر في الآفاق والأنفس .

وثانيتهما :

التمكن من استغلال ما سخره الله سبحانه وتعالى للانسان من مخلوقات في هذا الكون بكل عناصره ومكوناته لتتحقق لهذا الانسان السيادة والريادة اللتان استحقهما بفضل ما أودع الله فيه من ملكة الفكر وأداته وهي العقل وتتدرج

الإسلام والعقل كل في ميزان الآخر

مجالات الفكر المتعددة من أعماق النفس الى الكون الفسيح بما فيه من مجالات للنظر العقلي «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ففي النفس البشرية آيات للمتفكرين: في خلق الانسان وانتظامه وترتيب وظائف أعضائه والدقة المتناهية في عملها . وتأثير بعضها في بعض وتأثر بعضها ببعض . في كل ذلك ما يؤدي امعان النظر فيه الى ترسيخ الايمان بالخالق جل وعلا وشمول علمه وقدرته ولطفه تعالى وعنايته وقد قيل من هذا المنطق « من عرف نفسه عرف ربه » أي ان معرفة النفس طريق عقلي لمعرفة الله تعالى وما أكثر ماتحتويه الأرض من آيات باهرات وأدلة عقلية متينة اذا سلك العقل طريقه المستقيم .

«وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» الرعد آية رقم ٤ .

هذه بعض مجالات الفكر التي يفتحها الاسلام على مصراعيها أمام العقل البشري أفلا يدل ذلك على اعتراف الاسلام بقيمة هذه الملكة وخطورة أثرها ؟

كيف غاب ذلك عن هؤلاء المستشرقين . وهم يتشحون بوشاح العلماء المدققين ؟ غالب الظن . أنهم لم يحاولوا النظر الصحيح في معطيات الاسلام في النقاط التي هاجموه منها ، ولذلك تطيش سهامهم الواحد تلو الآخر بل وترتد الى نحورهم . لتسمهم بأقسى ما يمكن أن يوسم به باحث وهو الجهل المطبق بموضوع دعواه .

قيمة العقل وجودا وعدما :-

واذا كان الاسلام قد اعتبر التفكير فريضة، والعقل أداته . فحيث لا يوجد العقل لا يوجد تكليف لأن تحمل العقل هو مبرر التكليف والمسئولية في نظر الاسلام فلا تكليف على فاقد العقل .

والذي يتطلع أو يتصفح من هؤلاء المستشرقين أبواب الفقه في العبادات والمعاملات يجد للعقل مكانه كشرط للوجوب وشرط للصحة معا في مختلف فروع الفقه وأبوابه . ألا يرون في ذلك دلالة على قيمة العقل في نظر الاسلام ؟

ان العقل . وقد بلغ هذه الأهمية في نظر الاسلام . لابد وأن يضمن له الاسلام أن يعمل بكامل قوته . وأن يقوم بالتفكير في أنظف مناخ حتى يعطي أقصى طاقته فيما يطلب اليه عمله .

تشريعات حماية العقل :

ومن هنا كان ثم تشريعات للاسلام تحقيقا لهذه الغاية . فقد حرم كل ما يؤدي الى التأثير السلبي على عمل العقل .

فقد حرم المسكرات والخمر لما فيها من ستر العقل وتعطيل الفكر وانهاك قواه كذلك علمنا أن الانسان في أثناء تفكيره العقلي يجب أن يكون بعيدا عن أي تأثير من شأنه أن يؤثر في سلامة حكمه في قضاياه : ولذلك فان القاضي لا يحكم وهو غضبان غضبا يؤثر على سلامة فكره .

كذلك أهدر الاسلام كل حكم يقوم على الاكراه وذلك لمضادته لحرية التفكير فالاكراه

تسر للارادة وقد جاء في ذلك قوله تعالى : «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ومما نبه الاسلام اليه وهو بصدد بيان معوقات الفكر المستقيم التفكير الجماعي . أو التشويش الاجتماعي . لأن العصبية تشوش عمل العقل في صورته الجماعية وتحول دون وصوله الى نتائجه التي ينبغي أن يسير اليها اذا ما مضى في طريقه المستقيم . ومن اجل ذلك حث الاسلام خاصة في المسائل الدقيقة والحساسة التي يتعلق بها الفكر . على أن يخلو الانسان الى نفسه أو الى واحد ممن يثق في امانتهم الفكرية . يفكر الانسان وحده ويعرض حصاد فكره على صحيح عقله ، أو يفكر ويعرض فكره على آخر الى أن يصلا معا الى نتيجة مبعثها الفكر الحر غير المتعصب .

فهو هنا يعزل الفرد عن الجماعة أو العقل الجماعي كي تستقيم له حركة فكره ونقرأ في هذا المجال : قول الله تعالى :

«قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»

وقد يصح أن نضرب لذلك مثلا من التاريخ الوليد بن المغيره . عندما ذهب بعيدا عن جماعته التي سفهت دعوة الاسلام . واستمع الى دعوة محمد — صلى الله عليه وسلم — وبعض آيات من الذكر الحكيم ، بعد أن رفض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عروضه . هزت دعواه قلبه وفكره . وقال ما قال من كلام بليغ ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه يعلو وما يعلى عليه .

لكن الوليد ما ان رجع الى الجماعة وأخبرهم بما كان عمل التشويش الجماعي عمله في افساد فكر الرجل .

ويحترز الاسلام عن ذلك لأن الأحكام التي تصدر عن الاجتماعات الكبرى أو في وسطها غالبا ما تكون مشوشة . تتحكم فيها اتجاهات وميول طائفية أو قبلية أو وطنية أو نفسية .

لذلك كله يدعو الاسلام المرء أن يفكر مجردا عن كل عصبية أو ميل مع هوى حتى يمكن أن تسفر له الحقيقة عن وجهها الوضاء .

وهذا انما يكون في المسائل الدقيقة التي هي مظنة التأثر بالعصبيات وليس مطلقا والا فالاسلام يحبذ أيضا مبدأ الشورى(١) وهي مشاركة الفكر للفكر وحرص الاسلام على الشورى في مجالها . ينطلق أيضا نوع من المحافظة على الفكر من أن يستبد به فرد واحد لأنه قد يتعصب على الأقل لميوله ورغباته وأهوائه وهذا في حد ذاته خطر قد يربو في خطورته على التشويش الجمعي .

ومما نبه اليه الاسلام كذلك وهو بصدد ازالة كل معوقات الفكر السليم أمام النظر العقلي . عبادة السلف أو الآباء والأجداد وفي هذا المقام يربأ الاسلام بالانسان عن أن يلغي عقله ليجري على ما جرى عليه آباؤه من أصول ومعتقدات لمجرد انهم آباؤه وأجداده فلابد من

(١) حتى في الشورى ليس كل انسان يستشار .. والا فما قيمة التخصص في أمر من الأمور . ان للتخصص ، كما للأمانة ، منزلتهما الاولية في الشورى ، وليس تقتضي الشورى الجماعة دائما ، فلكل مقال مقال .. وآية سبأ ، قل انما أعظكم ، معينة على الشورى وموجهة الى اصلح أحوالهـا ... مجلة الأزهر .

الإسلام والعقل كل فى ميزان الآخر

أن يتلقى عنهم بوعى وتبصر وذلك لأن تقديس الآباء والأجداد الى حد التبعية العمياء جناية على العقل والحقيقة . وقد كان ذلك يمثل عقبة كئودا أمام دعاوى الاصلاح بل ودعاوى الرسل فى كل زمان ومكان .

وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » البقرة آية ١٧٠ .

هذه وغيرها من العقبات الكثيرة التى تحول دون عمل العقل بصورة صحيحة يستقصيها الاسلام ويدفعها ويحذر منها . ويعمل على ازالتها ويرسم الطريق الى التحرر من سطوتها منذ أربعة عشر قرنا لأن ذلك كله من معطيات الاسلام الصريحة والصحيحة وليس بناء على استنتاجات لعتنقيه حتى يمكن أن يغفل عنها هؤلاء المستشرقون . وانما هى جزء من صميمه وبعض من بنيته .

اكتشاف متأخر :

ثم يأتى بعد ذلك من بنى وطنهم من يكتشف هذه المعوقات أو بعضها فتدق له الطبول وترفع له الأعلام . فقد فطن الى بعض هذه المعوقات فرنسيس بيكون فيلسوفهم المشهور وسماها بالأوهام وغير عزيز على الباحث المدقق فى تاريخ الحضارة الانسانية أن يردها الى أصولها الاسلامية .

فاذا كان القرآن قد نص على اتباع الأسلاف والآباء اتباعا أعمى فانه أيضا قد نهى عن الذوبان فى المجتمع والانقياد لقيمه وتقاليده دون تدبر أو تفكير وأشار الى العواقب الوخيمة التى تترتب على ذلك . قال تعالى :

« وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » الأنعام ١١٦ .

وهذا هو الذى يسميه بيكون بأوهام الجنس . « راجع اعلام الفلسفة الحديثة ورفقى زاهر ص ٢٢ » .

كذلك فان ما سماه بيكون بأوهام الكهف وهى التى تتمثل فى التقوقع بين غرائز النفس وعواطفها وأحاسيسها التى تصنعها الظروف الخاصة والملابسات الشخصية وتخرج بالانسان عن جادة الحق .

أقول هذا كله يشير اليه القرآن الكريم بقوله « أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » سورة الفرقان آية ٤٣-٤٤ .

كذلك فان مما يشير اليه بيكون أوهام السوق وهى التى تتمثل فى تأثر تفكير الفرد بما يدور فى الأماكن العامة من الأحاديث والمناقشات التى تخرج بالمرء عن مقتضى استقلاله الفكرى وتحرره العقلى .

وهذا نفسه هو ما حذر منه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ » سورة الجاثية ١٧ — ١٨ — ١٩ انظر نفس المصدر .

شاهد من قومه :

ومن المعروف تاريخيا عند الغربيين قبل الشرقيين أن تراث الاسلام — وفى مقدمته — القرآن الكريم ثم علوم المسلمين ومعارفهم — قد نقل الى الغرب واستفاد منه الغربيون حتى ان « بريفولت » يقول عن فرنسيس بيكون :

— أنه لم يكن له الحق هو ولاسميه وأستاذه روجر بيكون الحق فى أن ينسب اليهما المنهج التجريبى . بل يرجع الفضل فى ذلك الى أساتذته العرب .

وعبارة الرجل هى :

فلم يكن روجر بيكون و لاشريكه فى الاسم بيكون الآخر يستحقان أن يسند اليهما فضل ادخال الأسلوب التجريبى فى أوربا . فروجر بيكون لم يكن الا رسول علوم المسلمين ومناهجهم لأوربا المسيحية وهو لم ين مطلقا فى اقرار أن الطريق الوحيد لمعاصريه الى العلم الحقيقى هو تعلم العربية . وتعلم العلوم العربية .

« أثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية لروبرت بريفولت ص ١٥٣ — ١٥٤ » .

هذه هى الحقيقة تشهد بها شاهد من قومه . فما بال هؤلاء الذين يتهمون الاسلام والمسلمين دون أن يقرأوا حتى تاريخهم هم ؟ انهم لو قرأوه قراءة واعية منصفة لأملى عليهم واقع هذا التاريخ غير ما يمليه عليهم حقدهم وتعصبهم

هذه هى منزلة العقل لدى الاسلام مميز ذاتى لأكرم مخلوقات الله تعالى وهو الانسان بل ومناط هذا التكريم لهذا الانسان على سواه من المجماوات .

ومناط التكليف والمسئولية . كذلك ذو شأن عظيم وقيمة كبرى فى الاستدلال وتلقى العقائد الدينية .

وهذا ينقلنا مباشرة الى الجانب الآخر من العلاقة بين الاسلام والعقل واعنى بها « الاسلام فى ميزان العقل » .

يتبع

فضل الاسلام على الحضارة الغربية

○ تأليف : مونتجمري وات ○

نقله إلى العربية : حسين أحمد أمين

ـ ١ ـ

« فضل الاسلام على الحضارة الغربية » عنوان الترجمة العربية لكتاب « تاثير الاسلام فى اوربا خلال العصر الوسيط » لمؤلفه « مونتجمرى وات » الصادر عن مطبعة جامعة ادنبرة باسكوتلندا » عام ١٩٧٢ ، وهو يمثل مجموع محاضرات سبق ان القاها المؤلف فى أحد المعاهد العلمية سنة ١٩٧٠ .. وقامت بنشر الترجمة دار الشروق ١٩٨٣ .

والكتاب قائم على فصول ستة :

الاول عن « المسلمون فى اوربا » .

والثانى عن « التجارة والتكنولوجيا »

والثالث عن « انجازات العرب فى ميادين العلم والفلسفة » .

والرابع عن « استعادة المسيحيين لاسبانيا والحروب الصليبية » .

والخامس عن « العلوم والفلسفة فى اوربا » .

والسادس عن « الاسلام والوعى الاوربى » مع تذييل بقائمة تحوى الكلمات الانجليزية المشتقة من أصل عربى ، ثم قائمة بمراجع كل فصل من فصول الكتاب .

والكتاب يعرض لموضوعه فى شىء من التحديد والايجاز مع الشمول ، ويقع فى مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، وتعكس الترجمة العربية جهد المترجم من حيث حسن الفهم ووضوح العرض مع سلامة اللغة واستقامة الاسلوب ، الى جانب ظهور العاطفة الاسلامية التى آثرت أن تضع العنوان الأجدر لمادة الكتاب بدلا من العنوان الذى يؤثر الغربيون أن يطلقوه اذا تحدثوا عن الاسلام فى مثل هذا المقام ، وثمة فرق بطبيعة الحال بين ذكر الفضل واثبات التأثير ، الأول يقتضى من صاحبه اعترافا واشادة ، والثانى يكتفى بمجرد رصد الظواهر وتتبع حركاتها ولمتدادها وربما استطاع القارىء العربى أن يفرق بين الامرين ، وأن يضع يده على الأنسب من القول ، لكن الامر يختلف مع القارىء الغربى

عرض وتعليق

دكتور طه مصطفى أبو كريشة

فكثيرا ما تحجزه العصبية عن نسبة الفضل لأهله وذويه .

— ٢ —

في الفصل الاول « المسلمون في أوربا » يتحدث المؤلف عن حركة الفتح الاسلامي في أوربا مركزا على أسبانيا وصقلية وايطاليا ، موضحا الدوافع والسمات المميزة للتأثير الاسلامي مع بيان ردود الفعل لدى الأوربيين .

(أ) يقدم المؤلف هذا الفصل بمقدمة يوضح فيها الهدف من وراء الموضوعات التي عرض لها في محاضراته ، ويذكر أنه يريد أن يعرض عرضا شاملا لتأثير العالم الاسلامي في أوربا خلال العصر الوسيط ، ليس من وجهة نظر مؤرخ ، وانما من وجهة نظر باحث في الاسلاميات لا ينظر الى المسلمين « باعتبارهم دخلاء من بين العديد من الدخلاء على القارة الأوربية وانما باعتبارهم ممثلين لحضارة ذات انجازات عظيمة تدين لها بالفضل رقعة كبيرة من سطح الارض ، ثم فاضت ثمار هذه الانجازات على رقعة أرض مجاورة » ويعترف المؤلف أن الكتاب المسيحيين في العصر الوسيط كونوا صورة للاسلام هي صورة شائهة من وجوه عديدة ، وان كانت جهود الباحثين في القرون الأخيرة مهدت السبيل لتكوين صورة أكثر موضوعية ، ولا يغفل المؤلف الاشارة الى أن هناك كثيرا من الأوربيين يأبون في عناد أن يقروا بفضل الاسلام الحضاري عليهم ، ومن ثم ينادي بوجوب الاعتراف الكامل بهذا الفضل ، لأن الاخفاء والانكار لايدل الا على خلق زائف من الكبرياء .

(ب) ثم يتحدث المؤلف عن غزو المسلمين لأسبانيا مشيرا الى بداية المعارك والانتصار سنة ٧١١ م ثم احتلال كافة المدن الاسبانية حتى سنة ٧١٥ م ، أما الاثر الذي ترتب على ذلك فهو استقرار الامور في أسبانيا في ظل حكم العرب ، وذيوع السلام معظم الوقت ، وان كان القتال ينشب من حين الى حين بين جماعات مختلفة من المسلمين . ثم يعرض المؤلف لمراحل الحكم الاسلامي في اسبانيا خلال عصر الأمويين ثم العباسيين حيث انفصلت الاندلس بحكم مستقل سياسيا ، وان كان هناك ارتباط اقتصادي وثقافي مع سائر البلاد الاسلامية ، ويتتبع المؤلف تتبعا تاريخيا مراحل الصراع والاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين، ذلك الصراع الذي انتهى باستيلاء المسيحيين على آخر مدينة من مدن الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بعد ثمانية قرون من سيطرة الاسلام ، ولا ينسى المؤلف أن يذكر ما كان من أثر المسلمين فيميدان الآداب والفنون .

ومن الحديث عن أسابنيا الى الحديث عن صقلية وايطاليا حيث يذكر المؤلف أنه كانت هناك سلسلة من المعارك انتهت بالانتصار الكامل على الجزيرة عام ٩٠٢ م ، ذلك الانتصار

فضل الإسلام

على الحضارة الغربية

الذى لم يتوقف عند حدود الجزيرة ، وانما امتد الى داخل مدن ايطاليا ، حتى غدا يهدد العاصمة روما نفسها • ويشير المؤلف فى هذا المقام الى أن البابا يوحنا الثالث ظل يدفع الجزية للمسلمين مدة عامين •

وقد اتخذ المسلمون من صقلية مرتكزا للحملات الداخلية الى أوربا الوسطى ، وان كانت هذه الحملات يحوطها شىء من الابهام ، ويستطرد المؤلف الى بيان أن الحكم الاسلامى فى صقلية لم يدم دوامه فى أسبانيا ، حيث استعادها المسيحيون فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى لدوافع مادية جعلت الطابع الاسلامى يظل باقيا وأقوى من الطابع المسيحى •

(جـ) أما عن الدافع وراء التوسع العربى فان المؤلف يذكر أن ذلك كان امتدادا لنشاط عرفه العرب منذ ظهور الاسلام ، وهنا يعرض المؤلف لمعنى الجهاد فى الاسلام ، ويذكر أنه كان موجها فى بادىء الأمر ضد القبائل الوثنية التى لم تجد بدا من اعتناق الاسلام لتجنب الاغارة عليها •ويحاول المؤلف أن يعلل لمواصلة الجهاد بعد ذلك خارج الجزيرة ، فيذكر أنه كان لابد من توجيه طاقات قبائل البدو وجهة أهداف جديدة للغزو ، فاقتضى ذلك توسعا يعقبه توسع — وقد ساعد على ذلك أن النصر كان حليفهم دائما ، وقد أغراهم ذلك بمزيد من التوسع والاستمرار ، ومن ثم كان غزو العرب لاوربا حلقة فى هذه السلسلة •

ويدفع المؤلف أن يكون الاسلام قد انتشر بالسيف ، فالاسلام لم يخير أهل الكتاب بين الاسلام أو السيف ، وانما ترك لهم حرية الدخول فيه أو بقائهم على دينهم مع فرض الجزية عليهم باعتبارهم من أهل الذمة ، ويسجل المؤلف أن ماكان يدفعه أهل الذمة من ذلك هو أقل مما كانوا يدفعونه فى ظل حكامهم السابقين ، كما أن الدولة الاسلامية كانت تعتبر حمايتهم حماية فعالة واجبا من أقدس واجباتها ، وفى هذا الصدد يذكر أن كثيرا من المسيحيين قد اقبلوا على الدخول فى الاسلام بعد ذلك، حتى يتمتعوا بكافة الحقوق التى يتمتع بها المسلم مثل الالتحاق بالجند وتولى المناصب الكبرى ، ويشير الى أن هذا الاقبال قد حاول بعض الحكام المسلمين أن يحد منه لأنه أدى الى نقص ما يدخل بيت المال من الجزية وذلك فى أواخر القرن السابع الميلادى ، ولكن ان ثبت هذا فانه أمر يستحق التوقف والنظر وهو أقرب الى الاستبعاد منه الى القبول • كذلك فان من هذا القبيل المستبعد ما ذكره المؤلف فى عرض الدوافع أن حب الغنيمة كان يشكل جانبا كبيرا من الحافز على الغزو وليس لأجل الجهاد فى سبيل الله •

(د) أما عن السمات المميزة للتأثير الاسلامى فان المؤلف فى بادىء الأمر يهاجم بشدة ما يلوكه بعض المؤرخين حين يسمون المسلمين بالهمج ، ويذكر أنه من الواجب أن نقمع بشدة أى ميل الى هذا التشبيه ، فالعرب كانوا يمثلون امبراطورية أصبحت خلال قرن أو قرنين صاحبة أعظم ثقافة من المحيط الاطلسى الى أقصى الشرق فى أفغانستان •

ثم يأخذ المؤلف فى بيان السمات المميزة للتأثير الاسلامى ، ويذكر كيف استوعب الاسلام الحضارات السابقة فى البلاد التى فتحها ، وكيف أصبح يعبر عنها بلسان عربى مبين كما يذكر أن الاسلام لم يقع فى أسر هذه الحضارات فتعكس صبغتها عليه ، وانما الذى حدث هو أن العرب فرضوا لغتهم وبعض مناحى تفكيرهم على معظم شعوب دولتهم ، وقد ساعد على ذلك الكبرياء العظيم والثقة بالنفس اللتان يتمتع بهما العربى ، وهما أمران مستمدان من اعتزازهم بالاسلام الذى يرونه أرفع وأنقى صور عبادة الله .

وكذلك فان الذين اعتنقوا الاسلام من أصحاب هذه الثقافة القديمة عملوا على مزج ثقافتهم بالدراسات القرآنية ، ثم أعطوا بعد ذلك عطاء اسلاميا خالصا ، مما كون ثقافة اسلامية قائمة بذاتها ، وما كان هذا التمثل للمعارف الاجنبية ليتم لولا رصيد جوهرى ثابت للب الثقافة الاسلامية ، وهذا الرصيد قائم فى القرآن وفى الحديث النبوى ؛ اذ فى ظل مواجهة المشكلات المعاصرة على ضوء أحكامهما نشأت فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى دراسات القرآن والحديث والفقه ، ومع الحديث عن القرآن يعرج المؤلف الى بيان مكانته فى نفوس المسلمين ويرى أن هذه المكانة تفوق مكانة الكتاب المقدس عند المسيحيين ذلك لأن المسلمين يحفظونه أو يحفظون عددا من سوره وآياته نظرا لضرورة تلاوة بعضه فى الصلوات اليومية المتكررة ، ونظرا لأنه لا يمكن ترجمة القرآن الى لغة غير العربية ، فقد أصبح أمرا لازما على كل من يدخل الاسلام أن يتعلم العربية ليحفظ القرآن أو يقرأه بلغته ، وقد أدى هذا الى دراسة أدق للنحو العربى ولعلم المعاجم ، مع اهتمام بالشعر وجمع المختار من الموضوعات المختلفة.

ومع بداية القرن التاسع وضع نظام التعليم العالى يأخذ بطرف من كل علم ، وقد أدى هذا الى تأسيس مؤسسات شبيهة بالجامعات ، وقد مضى الآن ألف عام على بدء التعليم فى الازهر وهو مسجد وجامعة فى آن واحد .

والى جانب ما سبق فقد عنى المسلمون بعلوم اليونان التى ترجم كثير منها الى السريانية ، وقد بدأت ترجمة هذه العلوم الى العربية قبل عام ٨٠٠ م ، وكان الخليفة المأمون أول من عنى بذلك .

وقد انتشرت حركة التعليم فى كل مكان كان فيه الاسلام قويا ، وكانت حركة الاتصال العلمى دائبة ومستمرة بين المشرق والمغرب على نحو سهل ميسور .

(هـ) أما عن رد الفعل لدى الأوربيين ازاء الوجود الاسلامى فى أوربا ، فان المؤلف يرى أن الحركة الصليبية فى ختام القرن الحادى عشر كانت تمثل رد فعل نشط لمواجهة الاسلام. وكذلك فان من ردود الفعل ما تم من علاقات دبلوماسية فى بعض الأحيان بين بعض الحكام المسلمين وبعض الحكام الغربيين ، كما حدث بين هارون الرشيد وبين شارلمان الفرنسى وقد أدت مثل هذه العلاقات الى اطلاع أوربا على مدى اتساع العالم الاسلامى وقوته ، والى جانب هذا فقد نشأت صلات خاصة بين بلاد أوربا وبين أسبانيا ابان الحكم الاسلامى ، وهذه

فضـــل الاســـلام
على الحضارة الغربية

الصلات أدت أيضا الى الالمام ببعض المعلومات عن الاسلام . ثم يشير المؤلف فى ختام ردود الفعل الى أن وجود الاســلام فى أسبانيا وصقلية كان له عواقب وصدى فى البقـــاع الأوربية الشمالية .

— ٢ —

وفى الفصل الثانى يتحدث المـــؤلف عن « التجارة والتكنولوجيا » من عدة زوايا منها : مكانة التجارة فى الاقطار الاسلامية ، والتجارة بين أوربا الغربية والعالم الاســـلامى ، والخبرات الفنية المتصلة بالملاحة البحرية ، والمحاصيل الزراعية والمعادن ، وفنون الحياة الرغدة ، وامتزاج الثقافات فى أسبانيا فى العصر الاسلامى ، ثم انتشار الثقافة الاسلامية فى أوربا .

(أ) عن مكانة التجارة فى الأقطار الاسلامية

يرى المؤلف ان انتشار الحضارة الاسلامية قد ساعد عليه نشاط العرب وحنكتهم فى ميدان التجارة التى كانت دائما تحتل مكانة خاصة فى الحضارة الاسلامية ، فلم يكن المســـلمون الأوائل من البدو قاطنى الصحراء ، وانما كانوا من أهل مكة وهى مركز تجارى هام ، ومن أهل المدينة وهى واحة زراعية ، وقد كانت الديانة الاسلامية تهىء جوا مناسبا ومشجعا عـــلى التجارة ، وفى ظل النشاط التجارى الذى كان يمارسه المسلمون ، دخلت بقاع كثيرة من العالم فى الاسلام ، فقد كان التجار المسلمون أثناء زيارتهم للاقطار الوثنية يؤدون صــلواتهم اليومية الخمس جهرا ، وترك اخلاصـــهم وايمانهم انطباعا فى نفوس الوثنيين أدى الى اقبالهم على اعتناق الاسلام مع نمو أعدادهم وتزايدهم .

وحين قام الحكم الاسلامى فى أســـبانيا وصقلية أقام القطران على الفور علاقـــات تجارية مع الأقطار الاسلامية الأخرى ، واذ أعجب الاهالى المحليون بالعرب فانهم سعوا الى تبنى كثير من مظاهر حياتهم بقدر الامكان، ومن ثم فقد أصبح الوجود الاسلامى فى هـــذه البلاد وجودا حضاريا لا مجرد وجود عسكرى وسياسى .

(ب) أما عن شكل الاتجـــار بين أوربا الغربية والعالم الاسلامى ، فان الغمـــوض يكتنف العديد من المعلومات المتصلة بذلك ، لكن هناك أمورا بارزة فى هذا المقام منها أن التجارة بين العرب والأوربيين تمت تدريجيا، وأن العرب كانوا الجانب الأنشط فى انماء هذه التجارة ، اذ كانت أساطيلهم مهيمنة عـــلى معظم أرجاء البحر المتوسط عام ٨٠٠ م ، وكانت لهم عدة قواعد بحرية . فما حل النصف الثانى من القرن العاشر حتى كانت التجارة بين أوربا الغربية والعالم الاسلامى تنمو فى اطار نمط محدد ، وحتى كان حجمها آخذا فى الازدياد .

ويذكر المؤلف أن معظم واردات أوربا من العالم الاسلامى كان سلعا استهلاكية بينمـــا كانت تصدر الى المسلمين المواد الخام والعبيد، وكان الكثير من العبيد من بين أفراد الشعوب السلافية الوثنية ، أما عن المواد الخام فكان أهمها خشب السفن والحـــديد لندرتهما فى الأقطار العربية وهناك حالة واحدة كانت أوربا فيها تستورد احدى المواد الخام ، وهى مادة

حجر الشب التي تدخل في صناعة النسيج وكانت أوربا تستوردها من مصر .

(جـ) وفي مجال الخبرات الفنية المتصلة بالملاحة البحرية يرى المؤلف أن العرب جلبوا الى منطقة البحر الابيض المتوسط ثمرة خبراتهم الملاحية في المحيط الهندى ، وكان العرب هم أول من جلب الى البحر المتوسط السفينة ذات الشراع مثلث الشكل ، الذى يساعد على الابحار عكس اتجاه الريح ، وقد اقتبس الصناع الأوربيون هذا الشكل في صناعة السفن وطوروه .

ويذكر المؤلف أن العرب والأوربيين سواء فيما يتصل بالخطوات الرئيسية في تطوير ابرة الملاحين (البوصلة) وان كانت تفاصيل الأمر غامضة ، وهناك ميادين أخرى ساعد فيها العرب في تطوير خبرات الأوربيين الفنية في الملاحة البحرية ، منها الخرائط البحرية التى استقاها أهل جنوة وغيرها من الفن الاسلامى لرسم الخرائط ، وأدلة ذلك تلك الكلمات التى تتصل بهذا الميدان ، فكثير منها مقتبس من كلمات عربية . كذلك فان العرب كان لهم فضل في اتساع معارف الأوربيين الجغرافية ، وفي اتساع قدر كبير من هذه المعارف بالدقة ، وفي هذا الصدد يشير المؤلف الى العالم المسلم « الادريسي » الذى كتب وصفا كاملا للعالم المعروف في القرن الثانى عشر ، وقد ضمن ما حصله من معارف سبعين خريطة ، لكل اقليم من الاقاليم السبعة عشر خرائط .

(د) وفي ميدان المحاصيل الزراعية والمعادن يذكر المؤلف أن الزراعة كانت وافرة نسبيا في معظم الأقطار الاسلامية الصالحة للزراعة، ولذلك فقد تمكن العرب من رفع مستوى الزراعة في قطر مثل أسبانيا ، التى تقل فيها الامطار وقد حسن العرب نظم الرى وتوسعوا فيه على أساس خبرتهم في المشرق الخاصة بوسائل خزن المياه وتوزيعها ، ومما يدل على ذلك وفرة الكلمات الأسبانية المتعلقة بوسائل الرى والمشتقة من العربية ، هذه الى جانب الشبه العظيم بين شكل السواقى المستخدمة حتى اليوم في أسبانيا وبين تلك المعروفة في الشرق الأوسط والمغرب ، والراجح أن هذه السواقى اخترعت في الشرق الأوسط .

وقد صاحب النهوض بالرى في أسبانيا ادخال زراعة نباتات جديدة . وكثير من الكلمات المتصلة بهذه النباتات مأخوذ من العربية ، مثل قصب السكر والأرز والبرتقال والليمون والباذنجان والخرشوف والمشمش والقطن .

كذلك زادت العناية باستغلال الثروة المعدنية في أسبانيا عما كانت عليه في العصور السابقة .

(هـ) أما عن فنون الحياة الرغدة ، فقد استغل عرب أسبانيا هذا التنوع الكبير في المحاصيل الزراعية والمعادن في تكثير مباهج الحياة وتوفيرها للاغنياء على الأقل الى جانب أن الطبقات الأفقر كان لها نصيب في الاستمتاع بأطايب العيش في أسبانيا الاسلامية ويرى المؤلف أنه بوسع السائح اليوم أن يكون فكرة عن الحياة الرغدة التى كان يحياها الناس هناك في الماضى من خلال جولة في قصور أشبلية وغرناطة .أما دارس الأدب فيزيد ادراكه لنمط تلك الحياة الرغدة من قراءته للقصص والشعر .

ومن مظاهر هذه الحياة الرغدة السلع الكمالية التى تتسع للاستهلاك والتصدير ومنها

فضل الإسلام

على الحضارة الغربية

صناعة الخزف التى كانت على درجة عظيمة من الرقى ، وصناعة الأوانى الجميلة ، وصناعة الحلى والمجوهرات ونحت العاج ونقش الخشب ، والصناعات الجلدية المزركشة وكان اطار هذه الحياة الرغدة تلك المبانى العظيمة ، ودلالات اللغة الأسبانية توحى بأن العرب كان لهم الفضل الرئيسى فى الكثير من التحسينات والتهذيبات التى أدخلت على أساليب البناء .

ولكى تستخدم كل هذه العناصر المختلفة معا فى تشكيل نمط حقيقى للحياة الرغدة كان لابد من خلق مستوى رفيع من الذوق لدى أفراد الطبقات العليا من المجتمع ، وقد كان تأثير مدن الشرق كالمدينة وبغداد ودمشق عظيما .

وقد اخترع العرب أو حسنوا أنواعا مختلفة من الآلات الموسيقية ، وثمة الكثير من المؤلفات العربية الخاصة بالنظرية الموسيقية ، وقد ترجم بعضها الى اللاتينية والعبرية ، وان كان تأثير الكتب أقل من الممارسة الفعلية العربية للموسيقى .

ومن بين مظاهر الحياة الرغدة الاهتمام بالكتب ، وقد سهل استخدام الورق اقتناءها ، وقد انتشرت صناعة الورق غربا عبر الشام وشمال أفريقيا الى أسبانيا حيث شاع استخدامه ، ومن أسبانيا وصقلية انتشرت عادة استخدام الورق فى أوربا العربية .

ويختم المؤلف هذا الجانب ببيان أن كثيرا من الألفاظ المتصلة بالادارة المحلية والنشاط التجارى فى أسبانيا مأخوذ من أصل عربى ، ثم يقدم أمثلة لهذه الألفاظ .

(و) ثم يتطرق المؤلف الى الحديث عن امتزاج الثقافات فى أسبانيا فى العصر الاسلامى ، حيث يرى أن أقرب الآراء الى الصحة فى هذا المجال أن معظم أنحاء أسبانيا الاسلامية شهد تبلورا تدريجيا لثقافة عربية أسبانية متجانسة عرفت طريقها الى الشمال الغربى وفرضت نفسها على الثقافة المحلية ، وقد تبنى المسيحيون فى ظل الحكم الاسلامى كافة أوجه ثقافة الحكام الا فيما يختص بالدين لدرجة أنهم عرفوا بالمستعربين ، وقد شكا بعض الأساقفة من أن شباب الطائفة المسيحية يجتذبهم الشعر العربى لدرجة أنهم أغفلوا دراسة اللغة اللاتينية وأقبلوا على دراسة العربية .

(ز) ويختم المؤلف حديثه فى هذا الفصل عن انتشار الثقافة الاسلامية فى أوربا وفى هذا الصدد يذكر أن هناك تطابقا كاملا بين الزجل العربى وبين أحد أوجه الشعر الرومانسى ، كذلك فانه مما يدل على اعجاب المسيحيين بالثقافة العربية نمط الحياة فى البلاط الصقلى خاصة خلال حكم روجر الثانى وفردريك الثانى فقد تزينا هذان بالزى العربى ، وعاشا عيشة رغدة مترفة شبيهة بما عرفته قرطبة منها وقد كان الشعر العربى يقرض وينشد فى البلاط الصقلى ، وكان لذلك أثره فى الشعر الايطالى وقت نشأته .

وانتشرت مظاهر هذه الحياة الناعمة المصقولة تدريجيا من أسبانيا وصقلية الى الشمال ، هذا الى جانب أن خبرات الصليبيين

فى الأقطار الاسلامية ساعدت على نشر الثقافة الاسلامية فى أوربا الغربية الى حد ما .

ويركز المؤلف على أمور ثلاثة فيما يتصل بهذا الفصل .

الأول : أن مشاركة العرب فى حضارة أوربا الغربية كان بصفة أساسية فى مجال كماليات الحياة وصقلها والارتقاء بقاعدتها المادية .

الثانى : أن معظم الأوربيين كانوا قليلى الادراك للأصل العربى والاسلامى للمظاهر التى تبنوها ، والثالث أن حياة العرب الرغدة والآداب التى صحبتها شحذت مخيلة الأوربيين وأثارت العبقرية الشعرية لدى الشعوب الرومانسية من مرقدها .

— ٤ —

أما الفصل الثالث عن « انجازات العرب فى ميادين العلم والفلسفة » التى منها الرياضة والفلك والطب والكيمياء والنبات والمنطق والميتافيزيقيا .

وفى بداية حديثه يتساءل : الى أى مدى كان العرب مجرد نقلة لما اكتشفه اليونان ، والى أى حد بلغت انجازاتهم المبتكرة ؟ وقبل أن يعرض لذلك من خلال الحديث عن هذه العلوم يذكر أن هناك كثيرا من الباحثين يطرقون الموضوع مع بعض التحيز ضد العرب ، حتى أولئك الذين يمتدحونهم يفعلون ذلك وكأنهم يضنون عليهم بالثناء . ثم يتطرق المؤلف من ذلك الى الحديث عن ترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية الى العربية ، ويذكر أنه بين القرن الثامن الميلادى والقرن العاشر تمت ترجمة كل ما هو متوافر من المؤلفات اليونانية التى يهم العرب الاطلاع عليها — وقد كانت الترجمة أولا من السريانية ثم من اليونانية مباشرة بعد الالمام بها وتعلمها — وقد مرت الترجمة بأدوار من الصقل والتهذيب شاركت اسبانيا فى المراحل الأخيرة منها عند اعادة صياغة ما سبق من ترجمات .

(أ) وفيما يتصل بالرياضة والفلك يشيد المؤلف ببعض جهود المسلمين الذين ارتقوا بهذا العلم ، ومن هؤلاء : الخوارزمى الذى أعد مختصرا للجداول الفلكية الهندية كما ألف وصفا للبقاع المجهولة ، ومن مؤلفاته الرياضية علم الجبر ، وله أول كتاب يستخدم العلامات العشرية التى نستخدمها الآن فى الحساب .

ومن بين الرياضيين الأقليدوس وابن الهيثم وله أكثر من خمسين من الكتب والرسائل ، أشهرها كتاب المناظر الذى ترجم الى اللاتينية .

أما علم الفلك فان المؤلف يذكر ما قام به العرب من تطوير بحوث اليونان فى هذا المجال بعد انتقادها واكتشاف ما بها من أوجه الضعف ، ثم يشير الى أن أسبانيا الاسلامية قامت بدور عظيم فى البحوث الرياضية والفلكية وعن طريقها تمكن العلماء الأوربيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية .

(ب) وفى مجال الطب يذكر المؤلف ان المسلمين ابقوا على مناهج المدارس الطبية التى كانت تدرس الطب فى العراق ، كذلك أبقوا عليه عند انشاء مدارسهم الخاصة بهم ، ومن ثم وجد رجال عظماء فى أكثر من ميدان واحد مثل ابن سينا وابن رشد ، ثم يذكر أمثلة من النشاط العلاجى الذى يتمثل فى اقامة المستشفيات الثابتة والمتنقلة التى تطوف بالأقاليم وكان من

فضل الإسلام على الحضارة العربية

أهم هذه المستشفيات مستشفى القاهرة الذى انشىء سنة ١٢٨٤ م ، وكان يتسع لثمانية آلاف شخص ، وقد فصل فيه الرجال عن النساء وخصصت فيه أقسام للأمراض المختلفة ، الى جانب التجهيزات العظيمة وفريق الأطباء والممرضين والممرضات ، وليس بعجيب والأمر كذلك أن تكتب مؤلفات فى ذلك الوقت عن فن ادارة المستشفيات •

واذا كان الطب قام أولا على الترجمة ، فان المسلمين بلغوا شأوا بعيدا فى الالمام بعلم الطب ، لدرجة أنهم فاقوا أسلافهم بمراحل ، واصبحوا فى مستوى أعظم أطباء اليونان ، ومن هؤلاء الرازى وابن سينا ، وقد خلف الرازى أكثر من خمسين مؤلفا ، أعظمها كتاب « الحاوى » الذى كان بمثابة موسوعة لكل المعارف الطبية حتى زمنه ، وقد أقر الناس فى كل مكان عظمة هذا الكتاب وأما ابن سينا فله فى الطب كتاب « القانون فى الطب » وهو يعتبر بحق ذروة التصنيف المنهجى العربى وروائعه •

ولم تتخلف أسبانيا الاسلامية عن الشرق فى مجال الدراسات الطبية ، فقد كان هناك عدد من فلاسفة الأندلس أطباء أكفاء مثل ابن رشد وابن زهر وابن ميمون •

(ج) أما علم الكيمياء فهناك مجموعة ضخمة من الكتابات منسوبة الى جابر بن حيان وهى تحوى عرضا كاملا للكيمياء ، وباعتبارها علما تجريبيا ، وقد دخلت اللغات الأوربية من كتابات جابر كلمات عديدة تطلق على المواد وعلى الأوانى الكيميائية •

أما فى ميادين علوم النبات والحيوان ، فقد شمل نشاط العرب وصف أنواع النباتات والحيوانات وتصنيفها ، وأفضل الانجازات العربية هذا هو فى علم النبات •

(د) أما المنطق والميتافيزيقا ، فقد تم نقل كتب فلسفية يونانية كثيرة الى العربية خلال القرن التاسع الميلادى ، ويمضى المؤلف ليبين أثر هذه الكتب فى علم الكلام ، وظهور المدارس المذهبية ، ثم يشير الى أن الفلسفة العربية ظهر فيها رجلان يمكن اعتبارهما من بين أعظم فلاسفة العالم وهما الفارابى وابن سينا ، وبعدهما جاء الغزالى الذى ألم الماما واضحا بفلسفة اليونان وأفكارهم ثم كتب تفنيدا ساحقا لهذه الأفكار •

وقد كان لكل من ابن سينا والغزالى أثر فى الغرب وفى أسبانيا خاصة ، فقد ساعدت الظروف المواتية خلال القرن الثانى عشر على ظهور فلاسفة عظام عديدين مثل ابن ماجة وابن طفيل وابن رشد •

وفى ختام الفصل يجيب المؤلف عن التساؤل الذى طرحه فى أوله حيث يذكر أن المرء متى أدرك مدى التجارب العربية والفكر العربى والتأليف العربى ، فان بوسعه أن يرى أن العلوم والفلسفة الأوربية ما كانت ستتطور بدون فضل العرب فى الوقت الذى تطورت فيه ، ولم يكن العرب مجرد نقلة للفكر اليونانى ، وانما كانوا حملة للشعلة مبدعين ، وحين شرع الأوربيون فى الاهتمام بعلوم أعدائهم العرب ، كانت هذه العلوم فى أوجها ، وكان على هؤلاء

أن يتعلموا كل ما بوسعهم من العرب ، قبل أن يتمكنوا من احراز المزيد من التقدم فى هذه المجالات .

— ٥ —

أما الفصل الرابع فهو عن « استعادة المسيحيين لأسبانيا والحروب الصليبية » وهو بداية الحديث المفصل عن ردود الفعل للوجود الاسلامى فى أوربا الغربية ويعرض المؤلف هذا الفصل عرضا تاريخيا للمعارك التى قامت بين المسيحيين والمسلمين فى أسبانيا والتى انتهت بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م ، ثم يشير الى مغزى استعادة المسيحيين لأسبانيا ، وتنكرهم

للأصل الاسلامى للعديد من عناصر المدنية التى يحيون فيها ، وبالتالى فان الذين لم يدركوا هذا الأصل لم يجدوا صعوبة فى التوفيق بين قبول هذه المدنية ومناهضة دين الاسلام .

(ب) أما عن الحروب الصليبية ، فان المؤلف يتتبع نمو فكرة شن حرب صليبية ضد المسلمين ، مشيرا الى دور البابوات منذ منتصف القرن الحادى عشر فى تكييف وتحديد مفهوم الحرب الصليبية ، ومنتهيا الى أن الحوافز الدينية اختلطت بالحوافز الدنيوية التى أدت الى قيام الحملات وشنوب الحرب فى نهاية المطاف .

ثم يقف عند مراحل تاريخ هذه الحروب منتهيا الى تسجيل اليأس الذى حل بمشعلى نيرانها حين أصبحوا غير مستعدين لاتخاذ أية خطوات ايجابية من أجل تحقيق مفهوم الحروب الصليبية بعد الكارثة الختامية التى حلت بهم على يد صلاح الدين الأيوبى ، وبعد استيلاء

المماليك على عكا عنوة سنة ١٢٩١ م والتى تبعها سقوط بقية المدن الساحلية .

وفى ختام ما يتصل بهذا المجال يذكر المؤلف أن كثيرا من مشاريع وأفكار الحرب الصليبية كانت خيالية وطائشة حمقاء لأنها لم تكن على ادراك بمدى القوة العسكرية التى تتمتع بها أقطار الشرق ، ولم يدرك من أعدوا لها حقيقة الظروف المادية التى سيقاتل الصليبيون فى ظلها .

وقد أسفرت هذه الحرب عن عكس الهدف المعلن فى بدايتها تماما ، فقد خبر الصليبيون بعض الجوانب الجذابة فى الاسلام ، وحاولوا تقليدها بعد عودتهم الى ديارهم ، كما شهدت ممالك الصليبيين فى الشام ترجمة بعض المؤلفات العربية الى اللاتينية ، كذلك فان الحرب ساعدت بقدر ما فى حركة الاستكشاف التى أدت الى اكتشاف أمريكا .

— ٦ —

والفصل الخامس عن « العلوم والفلسفة فى أوربا » ، وفيه يتحدث المؤلف عن بداية اطلاع الأوربيين على علوم العرب ، وعن العصر الذهبى للترجمة وعن تطور الرياضيات وعلم الفلك فى أوربا ، وعن الطب والمنطق والميتافيزيقا فى أوربا ، ويمثل كل ذلك رد الفعل الثانى لوجود المسلمين فى أوربا الغربية .

(أ) جرت محاولات متفرقة للاتصال بعلوم العرب قبل العصر الذهبى للترجمة فى القرن الثانى عشر ، ويشير المؤلف الى ما قام به جوبرت أو ربالك الذى أصبح البابا سيلفستر الثانى ، وهناك مخطوطات طبية ترجع الى

فضل الإسلام
على الحضارة الغربية

القرن العاشر الميلادى تحوى ما يدل على أن لها أصولا عربية .

(ب) أما العصر الذهبي للترجمة فقد وجد خلال القرن الثاني عشر حين قام كثير من العلماء فى أسبانيا بترجمة كثير من الكتب العربية الى اللاتينية ، فما حل القرن الثالث عشر حتى عرفت أوربا الغربية حركة فكرية قوية قادرة على تمثل كل ما تعلمه العرب فى ميدانى العلوم والفلسفة ، وقد ترجمت فى ذلك القرن المؤلفات العربية الممتازة التى لم تكن قد ترجمت بعد .

(جـ) وفى مجال تطور الرياضيات وعلم الفلك ، فان الفضل الكبير فى استخدام الأرقام العربية لم يدركه الأوربيون الا بعد فترة عقما لتضحت فائدة استخدام الأرقام العربية للأذهان حتى تبناها الناس فى معظم أغراضهم العملية ، وبتبنى هذه الأرقام دخلت الى اللغات الأوربية عدة كلمات عربية ، أما الاهتمام بالفلك فان الحافز الرئيسى على تطوير علومه جاء نتيجة للاطلاع الشخصى على المعارف العربية ، ودراسة الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية.

(د) وفيما يختص بالطب فان ممارسة الطب فى أوربا كانت فجة الى حد بعيد قبل أن يتأثر أطباؤها بالطب العربي ، أما تلقين العلم وتدريب الطلبة فى المستشفيات وهو ما جرت عليه عادة العرب فلم تنقلها أوربا عنهم حتى حوالى عام ١٥٥٠ م

وقد ظلت أوربا حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر تعتمد على الطب العربى والدليل على ذلك هو قوائم أوائل الكتب المطبوعة ، ومنها كتاب الحاوى للرازى والقانون فى الطب لابن سينا ، مما جعل الطب حينئذ امتدادا للطب العربى .

(هـ) وفى التأثر بالمنطق والميتافيزيقا يذكر المؤلف أنه كان للمترجمين فضل تأليف أول كتابات أوربية مبتكرة فى الميتافيزيقا وفى الكثير من فروع العلم التى تدين بالكثير لمصادر عربية، يأتى على رأسها كتب ابن سينا والغزالى وابن رشد .

— ٧ —

ويأتى الفصل السادس فى نهاية المطاف عن « الاسلام والوعى الأوربى » وفيه يتحدث المؤلف عن الفكرة الشائهة التى تكونت عن الاسلام ، وعن الصورة المناقضة لأوربا ، وعن الوضع المخالف فى العالم الاسلامى ، وعن مغزى الاحتكاك بالاسلام بالنسبة لأوربا .

(أ) أما عن الصورة الشائهة للاسلام فان المؤلف يقدم أمثلة من جوانب هذه الصورة التى تحاول أن تطعن فى الاسلام ، ومن ذلك دعواهم أن الاسلام أكذوبة وتشويه متعمد للحقيقة الالهية ، وهم يعنون بذلك بيان تناقض صورة الاسلام مع صورة المسيحية ومنه أيضا دعواهم ان الاسلام دين العنف والسيف ، ويرد المؤلف على هذا بأن الصورة الأوربية للاسلام هى أبعد ما تكون عن الحقيقة ، لأن الاسلام لم يخير بينه وبين السيف مع أهل الكتاب ، وانما

الذين خيروا بينهما عبدة الاوثان وحدهم وفيما يتصل بالعنف فان المؤلف يذكر أنه من الغريب أن يصدق الرجال المشتركون في الحرب الصليبية أن دينهم دين سلام وأن دين خصومهم دين عنف .

ومن بين ما طعنوا به الاسلام قولهم أنه دين يطلق لشهوات المرء العنان ويعرض المؤلف في مجال الرد للأحكام الاسلامية الخاصة بالزواج والمعاشرة والطلاق مبينا الحكمة التى تؤدى الى ايجاد مجتمع متوازن نفسيا وجسديا بعيد عن الاباحية والانطلاق .

ثم يسوق بعض التهم التى ألصقوها بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وتقوم كلها على الباطل بغية الانتصار للمسيحية .

(ب) ازاء هذه الصورة الشائهة التى كونوها عن الاسلام حاولوا أن يكونوا صورة مقابلة لها في جانب أفضل عن العالم المسيحى الكاثوليكى ، وهى تؤخذ من ايحاء الصورة السابقة حين يفهم الشىء ونقيضه .

(ج) ويعرض المؤلف الوضع المخالف في العالم الاسلامى لهذه الصورة الشائهة ، ولمغزى الاحتكاك بالاسلام بالنسبة لأوروبا . ويبرز في هذا المجال شعور أوربا بالنقص عند مواجهتها للحضارة الاسلامية، وكذلك شعورهم بقوة المسلمين العسكرية ، ولكى يعوضوا هذا النقص سعوا الى تشويه صورة الاسلام منادين بأنهم يعملون من أجل نصرة النور على قوى الظلام لكن المؤلف يعقب على هذا الهدف بقوله الرائع « فليتحدثوا هم اذن عن النور والظلمة غير أننا في عالم اليوم نعلم جيدا أن الظلمة التى ينسبها المرء الى أعدائه ما هى الا اسقاط للظلمة الكامنة فيه هو والتى لا يريد الاعتراف بها » (ص ١١٣) ثم يأخذ في بيان أن كثيرا مما ألصقوه بالاسلام والمسلمين انما هو اسقاط لما اكتنف عقول الأوربيين من جهالة !

— ٨ —

وبعد : فان روح الانصاف في هذا الكتاب واضحة من غير شك ، وهو انصاف يحمل من الاعجاب والتقدير للاسلام أضعافا مضاعفة ، ومن ثم فهو جدير بأن يقرأ بامعان ، لكى نعرف كيف كنا ، وكيف أصبحنا ، ثم كيف أصبح غيرنا يعيشون في المقدمة على تراث ماضينا الذى جهلناه وأضعناه حين لم يعكس حاضرنا هذا الماضى .. انه من الحمق أن نكتفى باجترار الماضى وأن نعيش على الذكرى ، دون أن يكون لنا في الحاضر ما نستحق به أن نرفع الهامة وأن نزاحم به في مواكب الحضارة ، وفي مراكز القيادة لهذا العالم الذى قدناه يوما ما !!

د . طه مصطفى أبو كريشة

الشعر

عِبرَة

في كل عام ذكره يتجدّدُ   يوم على مر الزمان مُخَلَّدُ
حسدت عشيته الليالي روعةً   ومن الليالي ما يروع فيُحْسَدُ
لما اطل على الوجود هلاله   هتفت منابره وضج المسجد
واستشرقتْ لسناه بيضُ مآذنٍ   تستطلعُ الآمالَ فيه وترصد
وكأنها ايدٍ رُفِعْنَ ضوارعاً   بالأفق تدعو ربَّها وتمجِّد
من كل مئذنة تشير كأنها   سبابة لموحِّد يتشهّد
والرَّوْض نشوان الخميل مسبِّح   والطير جذلان النشيد مغرّد
هي نشوة الدنيا باروع قصةٍ   نسج الفخارُ خيوطَها والسؤدد
يعنو لها التاريخ مبهورا بما   يَرْويه من امجادها ويعدِّد
رَدِّدْ صداها ياهلالُ محرَّمٍ   فلأنت اصدق مَن يَعِي ويردِّد
في لجّة الأحداث تطفو زورقا   يحنو على غرقي الحياة وينجد
وغياهب الايام تُحْتَ بِلَيْلِهَا   املا يشوق اليائسينَ ويسعد
فاطو الزمان الى مشارفَ ليلة   سجواءَ انجمها عيون سهد
شهدت مؤامرة التّدِيِّ وكيده   والشرك مخمور الحوار عربيد
واذا النداء من السموات العلى   دوّى فلبّاه النبي الامجد
مَنْ ذلك الساري يَشِعّ به الدجى   فكأنه بين المفاوز فرقد ؟
ومن المفارق موطنا يصبو له   ويُحبه فيذاد عنه ويُبْعَد ؟
ومَن المهاجر تَقْتَفِي آثاره   في كل واد اعينٌ تترصد ؟
اغراهم الشيطان فاحتشدوا على   ايذائه وتهدّدوا وتوعّدوا
وثبتْ به ام القرى وهو الذي   بالصدق فيها والامانة يُعْهَدُ

الهجرة

للأستاذ الدكتور حسن جاد

نورٌ يطارده الظلام جهالة ... والحق ينكره الضلال فيَجْحَدُ
وإذا تناهى الجهل واعتكر الدجى ... فالطرف عن نور الحقيقة أرمد
سارٍ وعين الله ترعى دربه ... ماضٍ إلى الغايات لا يتردَّد
يتسابق الرمل المشوق لخطوه ... لثما ويخضرّ الثرى والفدفدُ
والنجم داعٍ والهلال مؤمِّنٌ ... والأفق حانٍ والربى تتنهَّدُ
سِرٌّ يعانقه الظلام وتنحنى ... لجلاله شمُّ الجبال وتسجد
ضاقت به الأوطانُ واتسعت له ... جنبات غار في ثراه يرقد
لولا العنايةُ تَمَّ عنه عبيرُهُ ... أرجا وتلمَّسناه مَنْ يتفقَّدُ
ياصاحبي في الغار لا تحزن ولا ... تَخْشَ الأذاةَ فإنهم لَنْ يهتدوا
سبحانه كنفًا وكيف يخاف مَنْ ... صدقت عزيمته وصح المقصد ؟
واستقبلتْ ركب النبوة يثرب ... نشوى تغنى فرحة وتزغرد
مَنْ ذلك الساري يقود كتائبا ... صمتًا ترج الأرض رجا يُرْعد ؟
في جحفل لجب يَضِجُّ مكبِّرا ... ان راح يهبط واديا او يصعد
ويشق بالزحف المقدس دربه ... ويدك شم الراسيات ويمهدُ
وافاك في وضح النهار مُجَاهرا ... والأفق ضاح والطريق مُعَبَّدٌ
هذا لواء الله عاد مرفرفا ... بالحق يرفعه اللواء المفردُ
يتهلل البيتُ العتيقُ لِقَادِهِ ... والشوقُ في جنباته يتوقَّد
والكعبة الغراء تُكْسِّنَ حولها ... ما كان دونَ الله فيها يُعْبَدُ

عبرة الهجرة

والشرك اذعن خاشعا لجلاله ... مسترجيًا يرجو الأمان ويشهد
واتم نعمته الاله لعبده ... عقبى مظفرةٌ وعودٌ أحمدُ
سبحانك اللهم وعدك صادق ... صدقت بشائره وصحّ الموعِدُ
اعـزَزْتَ بالفتح المبين محمدا ... فسما وعزّ الفاتحين مُحمّدُ
اعظم بها ذكرى تطوف بأمة ... تمضى على درب النضال وتَصْمُدُ
تستلهم النفحات من آياتها ... عبرا وتستوحى الرشاد فترْشُدُ
هى قصة الحق المضام يُحِفّه ... صبرٌ وايمان به وتجلّد
وجلال موعظة يعى اسرارها ... متحرّر من قيده ومُقيّدُ
رمز الفداء العبقرى وقدوة ... فى التضحيات لأمة تستعيد
ومنارةٌ يرقى على اضوائها ... دَرَجَ المعالى كل شعب يَصْعَدُ
الحق مهما طال ليل ضياعه ... فجر يمزق ليله ويبدّد
لولا العقيدة ما استمات مقاتل ... او راح يبذل رُوحَهُ مستشهد
لولا سنا الايمان لم نَعْبُرْ الى ... (سينا) نُقتّلُ فى العدو ونَحْصُدُ
يومٌ اعاد لنا الكرامة ابيضٌ ... فَجَأ العدوَّ به نهارٌ أسْوَدُ
قد اذهل الدنيا صداه روعةً ... فحدا به الحادى وغنّى المُنشِدُ
دع ما يُشيع المغرضون فانه ... حسد يضيق به الفؤاد فَيَحْقِدُ
واذا خلا الميدان من آساده ... الفيت فيه ثعالبا تستأسد
إنا نقاتل من يريد قتالنا ... ونمدّ أيدينا لمن يتودّد
من كان يجنح للسلام فاننا ... بالعدل نبتدر السلام وننشد
واذا اتاح الحقّ سلمٌ عادل ... فالحرب حمق والقتال تمرّد
شعب على الايمان يبنى مجده ... ويقيم نهضته به ويُشيّد
يارب كلل بالنجاح كفاحنا ... وأتمّ ما نسعى إليه ونَقْصِدُ

إلى العام الهجرى الجديد

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

أيشرق فيك يا عامُ الصباحُ — وتُقلِع عن سوافيها الرياحُ ؟
وينقشع الضباب عن الروابى — وتبتهج المدائن والبطاح
ويشفى الشرق من علل اصابت — جوانحه ، وتلتئم الجراح ؟
الا يا عامُ كم حقب تولّت — وَلَيْلُ الشرق ليس له براح
وأنّى للدياجر أن تولى — ويسكت فى معاميها الضباح ؟
ودون الشمس جدران وحجب — اقامتها الشياطين القباح
أيترك موكب الاسلام يمشى — تُسَدّدُه مناهجه الصحاح ؟ !
فيسرى منه للطغاة نَوْح — ويجرى منه سلسال قراح
وكيف يسير والرواد عُزْل — تتوشهمُ الصفائح والرماح ؟!
أيترك بلبل الاسلام يشدو — وليس عليه فى شدو جُناح ؟ !
ويَطْرُقُ لَحْنُه المهج الصوادى — ويعلو منه للدنيا صُداح
أم الغربان من شرق وغرب — يُدَوِّى دونه منها الصياح
وتصخب بالهراء بلا نكير — كأن حمى البلابل مستباح ؟ !
أفيقوا يا بنى الاسلام إنّا — على خطر ، يهددنا اجتياح
لئن جنحت بنا الاهواء حينا — وزايل عيشنا الدين الصراح
ورحنا فى وعور التيه نعدو — وَأَهْزَلَنَا التشتت والجماح
فإن حظيرة الاسلام حصن — وان العود ميسور مُتَاح
فما شَرَدَت شرائم من حماها — وكان لها على الدنيا فلاح
وان عَزَّ السلام على أبىّ — فليس امامه الا الكفاح
الا يايها العام المواق — لنا فى يمنك الأسنى طِماح
فكن للمسلمين بكل وادٍ — ربيعا يغذُّه أرج وراح
وَرَقْرِقْ بالندى فى كل صدر — أزاهير المنى ، فهى الوشاح

من وحى الهجرة

شعر شوقى محمود أبو ناجى

الدهر لا زال يقظانًا يحدثنى … حديثَ أفضل رهطٍ فى الدنى ارتحلوا

فى جنح ليلٍ وعين الله تكلؤهم … مما يحاكُ وحقد القوم يشتعلُ

والشرك فى مكةٍ يغرى جحافله … بالنور .. والنورُ يسطعُ فى الدنيا ويكتملُ

هم اجمعوا امرهم والغدرُ يدفعهم … كى يطمسوا الحق فى مكر وقد فشِلوا

وانسلّ خيرُ بنى حواءَ مُتَّرِعًا … بالليلِ .. والليلُ فوقَ الكونِ منسدلُ

لم يبصروه ولم يمنع تربُّصُهم … أن ينثرَ التربَ فوقَ الهام اذ غفلوا

واستقبلَ الغارُ من يسمو بدعوته … الى الجنانِ بمن لبّوا ومن قبِلوا

خاف الرفيقُ على الهادى وقد وقفوا … على فم الغار والكفارُ قد جهلوا

لكنّ « دعوة ابراهيم » فى ثقةٍ … تُضفى الامان فلا خوفٌ ولا وَجَلُ

يقول للصاحبِ المفزوع ليس على … مثلى ومثلك يومًا تظهرُ الحيَلُ

ماذا تظن ونحن اثنان ثالثنا … الله .. انا على الرحمن نتكل

وَرَدَّ كيْدَ بنى الكفارِ وانقلبوا … بالخزى لم يُجْدِهِم (عُزّى) ولا (هُبَلُ)

ودوت الدعوة الكبرى مجلجلةً … اللهُ اكبرُ .. إنّ الظلمَ منخذلُ

الله اكبرُ نورُ الحقّ عمّ على … كلّ البطاح فضاءَ السهلِ والجبلُ

ولا إلهَ سوى الرحمن منفردًا … بالحكمِ والأمر لا شكٌّ ولا جدلُ

فلترجع اليوم للاسلام يرفعُ مِنْ … خسيسةٍ هبطت بالناس اذ نزلوا

ان الكتاب وما سن الرسول لنا … هما السبيل اذا ما اعوججت السبل

شوقى محمود ابو ناجى

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر



القضاء العادل فى الإسلام

للشيخ محمد الخضر حسين

قال الشيخ ـ رحمه الله :(١)

أحاط الاسلام بضروب السعادة هداية وتعليما . فدل على كل ضرب منها دلالة تقوم بها الحجة وتقطع عن الناس عذر الجهل به . وله فى هدايته درجات ، فقد يرشد الى الشيء دون أن يلهج به ، او يلحف فى الترغيب فيه ، حيث يكون سهل المأخذ على النفس ، أو يكون فى طبيعة البشر ما يسوق اليه ، كاحسان الوالد لولده ، والسعي فى الأرض لابتغاء الرزق.

وقد يكون فى الأمر ثقل على النفس وصرف لها عن بعض شهواتها ، فلا تكاد تقبل عليه الا بعزم صميم ، ونظر فى العواقب بعيد ، كاقامة الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وهذا ما يأمر به المرة بعد الأخرى ، ويسلك فى الدعوة اليه أساليب شتى ، حتى يأخذ اليه النفوس على تفاوت هممها واختلاف رغائبها . وكذلك ترى مسلكه فى الدعوة الى العدل فى القضاء .

يتقدم الخصمان الى القاضى وكثيرا ما يجد فى نفسه ميلا ـ شديدا أو ضعيفا ـ الى أحدهما يميل اليه لنحو قرابة أو صداقة أو وجاهة أو غنى ، أو يميل اليه لأنه فقير أو ضعيف أو خصم لمن يناوئه ، وقلما استطاع القاضى فى هذه الأحوال أن يضع الخصمين من نفسه فى درجة واحدة الى أن يفصل فى القضية بما أراه الله من الحق .

تلك العواطف التى تثور فى القاضى حال النظر فى القضية هى فى حكم المعفو عنه الا أن يكون لها فى رجحان أحد الخصمين على الآخر أثر غير ما تقتضيه البينة وأصول الحكم .

شأن تلك العواطف أن تجاذب القاضى وتناجيه أن ينحو بالحكم نحو منفعة المعطوف عليه ، وعلى قدر العطف تكون هذه المجاذبة والمناجاة ، ومتى قويتا فى نفس لا تخاف مقام ربها ، ولم تكن على بصيرة مما فى لباس العدل من زينة وفخار ، نبذت الحق وراء ظهرها ، وانحدرت مع عاطفتها الى هاوية الظلم ، وما

(١) نشر بعدد المحرم ١٣٥٠

من خمسين عاماً

إعداد : عاطف زهران

هاوية الظلم الا حفرة من النار .

هذه العواطف التى تجاذب القاضى وتناجيه أن يرضى خصما بعينه تجعل العدل فى القضاء من قبيل ما يثقل على النفس ويجمح عنه الطبع، فكان من حكمة الدعوة الاسلامية أن تعنى بـه عناية صافية ، وتدخـل الى الترغيب فيـه من أبواب متعددة .

عنيت الشريعة بالعدل فى القضاء عنايتها بكل ما هو دعامة لعادة الحياة ، فأتت فيه بالعظات البالغات : تبشر من أقامه بعلو المنـزلة وحسن العاقبة ، وتنذر من انحرف عنه بسوء المنقلب وعذاب الهون .

فمن الآيات المنبهة لما فى العـدل من فضـل وكرامة قوله تعالى : « وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »(١) . فقد أمر بالعدل ، ونبه على أن خيرا عظيما ينال الحـاكم بالقسـط : هو محبة الله له ، وما بعد محبة اللـه تعالى الا الحياة الطيبـة فى الدنيـا والعيشـة الراضية فى الأخرى .

ومن الأحاديث الدالة على ما يورثه العـدل من شرف المنزلة عند الله تعالى قوله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ : « ان المقسطين عنـد اللـه على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين ـ ؟ الذين يعـدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولو » صحيح مسلم .

وهذه كناية عن شـدة قربهم من رب العالمين وفوزهم برضوانه وفى ذكر « الرحمن » تربيـة للرجاء والثقة بأن الحاكم العادل يجد من النعيم ما تشتهيه نفسـه وتلذه عينه ، شـأن من يكـون قريب المنزلة من ذى رحمة وسعت كل شىء .

وان شئت مثلا من آيات الوعيد فانظر قوله تعالى : « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَـةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَـقِّ وَلَا تَتَّبِـعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّـذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَـوْمَ الْحِسَابِ » (٢) . نجد الآيـة تنادى بأن الفصل فى القضايا جريا مع الأهواء ضلال عن سبيل الله ، والضلال عن سبيل الله ملـق فى شديد من العذاب ، ومن ذا الـذى يسـتخف بعذاب وصفه الكبير المتعال بالشدة ، ويشتريه بمتاع من هذه الحياة الا من سفه نفسـه ، ولم ينفذ الايمـان الى سـويداء قلبه . ؟

فلهذه الآية أثر بليغ فى النفـوس المطمئنـة بالايمان . كان أحمد بن سهل جارا لقاضى مصر بكار بن قتيبه ، فحدث أنه مر على بيت بكار فى أول الليل فسمعه يقرأ هذه الآية قال : ثم قمت فى السحر فسمعته يقرؤها ويرددها ، فلا عجب أن يكون بكار هذا من أعدل القضـاة حكمـا

(١) المائدة : ٤٢ .

(٢) ص : ٢٦ .

وأشرفهم أمام أولى الأمر موقفا .

ومن الأحاديث الواردة في الوعيد على الجور في القضاء قوله — صلى الله عليه وسلم — : « من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين » . رواه أبو داود . ففي هذا الحديث تمثيل القاضي اذ يلاقي جزاءه في الآخرة ، بأشد الناس عذابا في هذه الحياة ، وهو المذبوح بغير سكين وهذا حال من يكون حظه من علم القضاء بخسا ، أو يكون خلق العفاف في نفسه واهيا .

ويصح حمل الحديث على معنى الاشارة الى صعوبة القضاء ، حتى كأن القاضي من أجل ما يلاقيه في تعرف الحق وتنفيذه من مكاره ومجاهدة للاهواء ، مذبوح بغير سكين ، وهو بعد هذا مشعر بسمو منزلة القضاء ، اذ كان القاضي العادل يضاهي القتيل في سبيل الله بما انقطع عنه من شهوات وقاساه من آلام ، يبتغي أجر الله ، والله عنده أجر عظيم .

ومما جمع بين الوعد والوعيد قوله — صلى الله عليه وسلم — :

« القضاة ثلاثة : اثنان في النار وواحد في الجنة : رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ،ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار » أبو داود وصف هذا الحديث عاقبة من يقضي بالحق على بينة منه ، وهي المصير الى الجنة ، وآذن بعاقبة من يقضي على جهل أو جور ، وهي المصير الى النار ، ولا يتناول هذا الوعيد العالم بأصول الشريعة يجتهد رأيه فلا يصيب الحق ، ويقضي بما رأى ، قرأ الحسن البصري قوله تعالى :

« وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا »(1)

وقال : لولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا ، فانه أثنى على هذا بعلمه ، وعذر هذا باجتهاده .

وصف الاسلام ما في العدل من فوز ، وأعلن بما في الحيف من شقاء ، وكان قضاؤه — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم ، ويكفي شاهدا على هذا أنه — صلى الله عليه وسلم — أراد اقامة الحد على امرأة مخزومية سرقت . فخاطبت قريش أسامة ليكلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في اسقاط الحد عنها فقال — صلوات الله عليه — : « أتشفع في حد من حدود الله » ! ثم قام فخطب قال : « ياأيها الناس انما ضل من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

رسم — عليه الصلاة والسلام — طريق العدل في القضاء قيمة غير ذات عوج . وزادها بسيرته العملية وضوحا واستنارة ، فاستبانت لأصحابه في أجلى مظهر ، فاقتدوا بهديها الحكيم وأروا الناس القضاء الذي يزن بالقسطاس المستقيم ، وانظر الى قول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في رسالته الى أبي موسى الأشعري :

(1) الانبياء : ٧٨ ، ٧٩ .

(آس ــ أى سو بينهم ــ بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك) .

كان للاسلام وسيرة الذين أوتوا العلم من رجاله أثر فى اصلاح القضاء كبير ، ولا تشرق المحاكم بنور العدل الا أن يمسك زمامها رشيد العقل ، راسخ الايمان بيوم الفصل .

فتقوى الله تحمل القاضى على تحقيق النظر فى كل واقعة حتى يتعرف الحق ولا يأخذ بأول ما يلوح له من الفهم وان تيقن أن قضاءه نافذ ، وما له فى الرؤساء من معقب ، ومن أمراء الأندلس من كان يعزل القاضى متى رأى منه السرعة فى فصل القضايا التى تستدعى بطبيعتها شيئا من التروى ، اذ يفهم من هذه السرعة عدم تحرجه من اثم الخطأ فى الحكم .

وتقوى الله هى التى تقف القاضى فى حدود العدل : لا يخرج عنها قيد أنملة فى حال . قيل للقاضى اسماعيل بن اسحاق المالكى : ألا تؤلف كتابا فى أدب القضاء ؟ فقال : « أعدل ومد رجليك فى مجلس القضاء » ، وهل للقضاء أدب غير الاسلام ! وفى سيرة أبى عبد الله محمد بن عيسى أحد قضاة قرطبة أنه التزم الصرامة فى تنفيذ الحقوق والجزامة فى اقامة الحدود ، والكشف عن البيان فى السر والصدع بالحق فى الجهر ، ولم يهب ذا حرمة ، ولا داهن ذا مرتبة ، ولا أغضى لأحد من أرباب السلطان وأهله ، حتى تحاموا حدة جانبه ، فلم يجرأ أحد منهم عليه .

ونقرأ فى وصف ابراهيم بن أبى بكر الأجنادى أحد قضاة مصر أنه « كان لا يقبل رسالة ولا شفاعة ، بل يصدع بالحق ولايولى الا مستحقا » وامتحن عبد الله بن طالب ــ أحد قضاة القيروان ــ فكان يقول فى سجوده وهو فى السجن : « اللهم انك تعلم أنى ما حكمت بجور ، ولا آثرت عليك أحدا من خلقك ولاخفت منك لومة لائم » ووصف المؤرخون محمد بن عبد الله بن يحيى ــ أحد قضاة قرطبة ــ بأنه لم يداهن ذا قدرة ، ولا أغضى لأحد من أصحاب السلطان ، ولم يطمع شريف فى حيفه ، ولم ييأس وضيع من عدله ، ولم يكن الضعفاء قط أقوى قلوبا ولا ألسنة منهم فى أثامه ...

حقيقة ان الاسلام بنى القضاء على أسس محكمة ، ونظم صالحة ، وأخرج للناس قضاة سلكوا الى العدل فى الحكم والحزم فى التنفيذ مسلكا هو أقصى ما يستطيعه البشر ، وأرقى ما يجده الباحث فى القديم والجديد .

فاذا وفقت الدولة الاسلامية لأن تربى رجالا ممن وصفنا علما وجلالة أمكنها أن تحتفظ بروح العدل الذى لا يجرى الا على يد من تفقه فى كتاب الله وسنة رسوله ، واهتدى بحكمتها الى أن الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار .

اعداد : فاطمة زهران

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

تاج البيان لألفاظ القرآن (١)

للشيخ أحمد السحيمي

ان كثيرا من العلماء السابقين وهبوا حياتهم مشتغلين بخدمة العلم فكتبوا وألفوا وفاضت أقلامهم في كل العلوم والفنون وجل مؤلفاتهم في التفسير والحديث ، ومن أبرز علماء الأزهر الذين كتبوا في علم التفسير الامام احمد ابن محمد بن على الحسيني القلعاوي القرشي المعروف بالسحيمي : فقيه مصري من أعيان الشافعية وصلحائهم نسبته الى قلعة الجبل المتوفى سنة ١١٧٨ هـ سنة ١٧٦٥ م .

من كتبه « تاج البيان لألفاظ القرآن » الجزء الأول منه و « تفسير سورة الفجر » و « مناهج الكلام على آيات الصيام » و « العطايا الربانية » على المواهب اللدنية للقسطلاني ، خمس مجلدات ، و « الوضوح شرح النصوص » و « بستان الروح(٢) » وأضاف معجم المؤلفين حـ ٢ ص ١٣٠ أن من بين تصانيفه أيضا : « لباب الطالبين بشرح الأربعين » و « شرح رسالة الاستعارات » للعصام و « التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة » .

وقال عنه الجبرتي في تاريخه جـ ١ ص ٢٦٩ : انه حضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوى وبه انتفع وتصدر للتدريس بجامع سيدى سارية ، وأحيا الله به تلك البقعة ، وانتفع به الناس جيلا بعد جيل وعمر بالقرب من منزله زاوية وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء باشارته مالا جفيلا فنبع الماء وعد ذلك من كراماته فانهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيرا ، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة وصنف التصانيف المفيدة في علم التوحيد والفقه مقبولة بين أيدى الناس . منها حاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وجعله متنا . وشرحه مزجا . وهى غاية في بابها وله حال مع الله وتؤثر عنه كرامات اعتنى بعض أصحابه بجمعها واشتهر بينهم أنه كان يعرف الاسم الأعظم . وبالجملة فلم يكن في عصره من يدانيه في الصلاح والخير وحسن السلوك على قدم السلف وتوفي ودفن بباب الوزير .

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الأزهر تحت رقم خاص ٣٠٤ عام ٥٤١٦ في علم التفسير .
(٢) الاعلام للزركلى حـ ١ ص ٢٣٠

بقلم الأستاذ محمد عميرة على مدير مكتبة الأزهر

وكتاب تاج البيان لألفاظ القرآن الذى نقدمه الى الباحثين فى هذا العدد لشيخنا أحمد السحيمى قال فى مقدمته :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذى نزل الفرقان وفهم فيه من شاء حسن البيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم فى هذا الشأن وبعد فيقول الفقير الى مولاه الغنى أحمد بن محمد السحيمى الأزهرى : قد ألهمنى الله أن أكتب تفسيرا على القرآن العظيم فأخذت فى ذلك ليكون تذكرة لى ولغيرى ونيلا لدرجات جنات النعيم وسميته « تاج البيان لألفاظ القرآن والله أسأل النفع العميم وأن يكون خالصا لوجهه الكريم .

وابتداء بتفسير فاتحة الكتاب فقال : سميت بذلك لأن الله افتتحه بها والأصح أنها مكية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) هى آية من الفاتحة اتفاقا عندنا ومن كل سورة على الأصح الا براءة . وتكرارها فى السور كتكرار ماتكرر فى القرآن من سائر الكلمات وذهب فقهاء العربية والشام ومالك والأوزاعى الى أنها ليست من الفاتحة ولايجب اعتقاد أنها من الفاتحة ولا من غيرها ولا اعتقاد أنها قرآن والكلام فى غير البسملة التى هى أثناء سورة النمل . (الْحَمْدُ لِلَّهِ) أى الوصف بالجميل والله علم على ذاته تعالى (رَبِّ) أى مالك (الْعَالَمِينَ) أى المخلوقات وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث أنه يشتمل على ماق العالم من الجواهر والاعراض . فكما أن فيه ماء ملحا وعذبا فكذا فى الانسان . فالمالح فى عينه والعذب فى فيه (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) معنى الأول المنعم بعظيم النعم والثانى المنعم بدقيقها (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) المالك المتصرف فى الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك بكسر الميم ، والملك المتصرف بالأمر والنهى فى المأمورين من الملك بالضم . وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه واما لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه . والدين الجزاء . وهذا اليوم يوم القيامة . والمعنى مالك الأمر كله فى يوم القيامة أى هو موصوف بذلك (واما (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أى يامن هو موصوف بهذه الأوصاف نخصك بالعبادة والاستعانة ومن عادة العرب العدول من أسلوب الى آخر تنشيطا للسامع (وايا) ضمير منفصل وما يلحقه من الباء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل والاستعانة طلب المعونة وهى الامداد والتقوية والمراد طلبها فى المهمات كلها أو فى أداء العبادات . وقدم المفعول للتعظيم والدلالة على الحصر والتنبيه على أن

العابد ينبغى أن يكون نظره الى المعبود أولا بالذات ومنه الى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق . وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رءوس الآى وتنبيها على أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة واشارة الى أن العبادة لا تتم الا بمعونته وتوفيقه (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الهداية ولغة الامالة يقال هداه الى كذا أى أماله اليه ، وفى اصطلاح أهل السنة الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وصل اليه بالفعل أولا وفى اصطلاح أهل الاعتزال : الدلالة الموصلة الى المطلوب . وأصل الصراط الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه والمراد به طريق الحق والمستقيم المستوى الذى لا يميل سالكه الى الخطأ وقيل الثابت بالبراهين .

والمطلوب اما زيادة ما أعطوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف أراد به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتسقط غواشى أبداننا لنستضئ بنور قدسك فنرى بنورك ، وهذا بيان للمعونة المطلوبة كأنه قال كيف أعينكم؟ فقالوا اهدنا أو افرادها هو المقصود الاعظم . (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) هذا الصراط بدل من الاول بدل كل من كل لأنهما لعين واحدة وفائدة توكيد النسبة وتقريرها وهو كالبيان للذى قبله وكأنه قال من البين أن الطريق المستقيم هو طريق المؤمنين وقيل المنعم عليهم الانبياء وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ ،

والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلزمها الانسان والمعنى طريق الذين تبت عليهم بغفران ما فرط منهم وبالرضا عنهم وبتوبتهم فى أعلا عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين .

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) بمعنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو جمعوا بين النعمة المطلقة وهى الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل ان غير نكرة لا تتعرف بالاضافة ، وأجيب بأن الموصول مستثنى من المعارف لأنه يشبه النكرة من حيث ابهامه فصح وصفه بالنكرة ، ويصح أن يكون بدلا من الذين ، والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا أسند الى الله تعالى أريد به غايته ، قال الكوفيون (لا) فى قوله ولا الضالين بمعنى غير ، والضلال فى الاصل الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك ، وعرف العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ . (والمغضوب عليهم) قيل اليهود ، والضالون والنصارى واستوجه البيضاوى أن المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ، فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة . والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١)) والمخل بعلم جاهل ضال لقوله تعالى : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ (٢)) . (آمين) هذه ليست من

(١) الآية (٩٣) سورة النساء
(٢) الآية (٣٢) سورة يونس

القرآن اتفاقا ، ولكن يبين ختم السورة بها ومعناها استجب .

ونهج المصنف رحمه الله هذا المنهج الجميل بأسلوب سهل جذل دون تعقيد أو اغفاء ، حتى انتهى من الجزء الاول عند قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (١)) أى عملوا بما فيها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم) من الكتب المنزلة (مِّن رَّبِّهِمْ) ككتاب ارميا وزبور داود لأنهم مكلفون بجميعها فكأنها انزلت اليهم وقيل المراد القرآن (لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) أى لوسع عليهم الرزق وأفيض من كل جهة وادخلوا الجنة فيجنوا ثمارها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت أرجلهم (مِّنْهُمْ أُمَّةٌ) أى جماعة مقتصدة أى عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم عبد الله ابن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى آمنوا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ) أى من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود . (سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) أى بئس (ما) أى شيئا (يعملون) ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وفيه معنى التعجب أى كثير منهم ما أسوأ عملهم ، وروى مسروق عن عائشة أنها قالت « من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله فقد كذب » ثم قرأت (٢) (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) خطاب لنبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — (بَلِّغْ) جميع (مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أى لا تكتم منه شيئا خوفا أن تنال بمكروه (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ) أى وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) أى تكون كمن لم يبلغ شيئا مما أوحى اليه . من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب ، (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) أى يحفظك ويمنعك من الكفار وكان يحرس ليلا حتى نزلت هذه الآية فقال انصرفوا فقد عصمنى الله ، فان قلت أليس قد شج وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد وأوذى بضروب من الاذى أجيب بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفى هذا تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلايا فما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقيل نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن .

ويوجد بمكتبة الازهر من هذا الكتاب الجزء الاول فقط من نسخة فى مجلد بقلم معتاد بخط المؤلف ، بهامشه : تغييرات وبه نقص وعدد أوراقه ١٦٦ ورقة وصفحاته مختلفة السطور ، ويغلب على الظن بأن هذا الكتاب من الكتب النادرة بالأزهر وليس له نظير فى مكتبات القاهرة .

ويسر مكتبة الأزهر الشريف ان تقدم للقراء تعريفا عن مخطوطاتها النادرة التى تغيب كثيرا عن أذهان الباحثين أو ربما يعرفونها ولكن لا يعرفون أين مستقرها ، وقصدنا من ذلك انارة الطريق وتوضيح السبيل لأهل الفكر والبحث والله ولى التوفيق .

محمد عميرة على
مدير مكتبة الأزهر

(١) الآية رقم (٦٦) سورة المائدة
(٢) الآية (٦٧) سورة المائدة

طرائف

قالوا

* حسبك خيانة أن تكون أمينا للخونة.
* كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير .
* العلم وطن فى الغربة ، والجهل غربة فى الوطن .
* جهل المشير هلاك المستشير .
* ظن العاقل أصح من يقين الجاهل .
* كل علم لا يؤيده عقل مضلة ، وكل عز لا يؤيده دين مذلة .

نصيحة

ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال جاء أوانه ، ولا كل ما جاء أوانه ، حضر أهله .

حقا

ورزقك ليس ينقصه التأنى
وليس يزيد فى الرزق العناء
اذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت وما لك الدنيا سواء

وصية

قال رجل للامام مالك بن أنس — رضى الله عنه — أوصنى . !

قال : اذا هممت بأمر من طاعة الله ، فلا تحسبه (١) حتى تمضيه فانك لا تأمن الأحداث .

فاذا هممت بغير ذلك ، فان استطعت أن تؤخره لحظة فافعل لعل الله يحدث لك تركه .

ولا تستحى اذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقول :

قال الله — تعالى — فى كتابه « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ » .

وطهر ثيابك ونقها من معاصى الله .

وعليك بمعالى الأمور وكرائمها ، واتق رذائلها وما يسفسفتها، فان الله يحب معالى الأخلاق ، ويكره سفاسفها .

واكثر تلاوة القرآن واجتهد أن لا تأتى عليك ساعة من ليل أو نهار الا ولسانك رطب من ذكر الله ، ولا تمكن الناس من نفسك واذهب حيث شئت .

---

(١) تحبس اللفظ تحبسه لا تحسبه . والله أعلم .

ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

هل تعلم ؟

* أن أول من هاجر الى المدينة ابو سلمة ابن عبد الله وفيه نزل قول الله تعالى ـ : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » الآيات وهو أول من يؤتى كتابه بيمينه من الأمة يوم القيامة .

* وأن أول من هاجر من الأنبياء بدينه ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وهو ابن خمس وستين سنة أو سبعين

قالوا : لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان . وهو قدوة المهاجرين هاجر من كوثى بقرب الكوفة الى حوران، ثم هاجر منها الى فلسطين.

* وأن أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة بالمدينة عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ وأن أول مولود فى الاسلام بعد الهجرة نعمان بن بشير .

* وأن أول من هاجر بأهله فى أوائل الاسلام الى الحبشة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ . عن الأوائل » .

أربعة من المؤذنين

كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اربعة من المؤذنين بلال بن رباح وهو أول من أذن فى الاسلام مات بدمشق سنة عشرين .

وابن ام مكتوم واسمه عمرو عند الأكثرين وكان يؤذن بالمدينة .

وسعد بن العائذ ، وكان مولى عمار بن ياسر وابو محذوره وقيل : اسمه سليمان وقيل اسمه جابر وقيل سمرة بن معير .

دعاء

ياحى ياقيوم
يا بديع السموات والارض
ياذا الجلال والاكرام
لا اله الا أنت
برحمتك استغيث
اصلح لى شانى كله ، ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا الى احد من خلقك ،اعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بعفوك من عقوبتك ، واعوذ بك منك . لا احصى ثناء عليك . انت كما اثنيت على نفسك .

فى الأدب والنقد

- شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد
- أسلوب البحث فى علم النفس
- وسائل الإعلام فى المجتمع الإسلامى

شعر حافظ ابراهيم بين الأصالة والتجديد



للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر

كان حافظ رحمه الله فى الطليعة من شعراء عصره الذى كان حافلا بكوكبة من اعلام الشعر والادب ممن كان لهم فضل ارساء دعائم نهضتنا الادبية الحديثة .

وقد اقترنت حياة حافظ ابراهيم ببداية النهضة . وكان شعره تعبيرا عنها ومظهرا من مظاهرها . كما تعاونت الاحداث المختلفة فى صهر شاعريته فصار له نهجه الخاص الذى عرفه النقاد لـه .

وقد عالج فى شعره كثيرا من الموضوعات التى عالجها القدماء من مديح ورثاء وفخر وهجاء ووصف وعتاب . وأضاف الى ذلك موضوعين جديدين هما :

١ ـ السياسة بما فيها الوطنيات .

٢ ـ الاجتماعيات .

وهو فى الموضوعات الاولى يكاد يقترب من ذوق القدماء اقترابا شديدا . اما الهجاء والفخر والغزل . فهو فيها جميعا دون المستوى . وكأنه كان يريد ان يحاكي القدماء . فلم يأت بشعر طريف يذكر له .

مديح حافظ ادنى من شوقى :

وأما المديح . فكان يريد أن يبارى فيه شوقى فى التقرب الى ذوى الجاه والسلطان . لكنه لم يكن له فيه أثر ذو بال ، ذلك لأن شوقى كان متصلا بالقصر . وارضاء القصر عنده غاية وأمل . فكان ينظم الشعر ليسجل فيه مناقب

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

الذين يتصل بهم من الحكام والملوك . فكان مدحه الذي عرفناه له أعلى درجة من مديح حافظ .

رثاء حافظ متين :

وأما الرثاء فكان لحافظ فيه قدم ثابتة . لأن طبيعة الرثاء تتصل بالبكاء والحزن والألم . وهو ما يتفق مع مسيرة حياته التي عانى في أكثرها ما عانى من القسوة والحرمان واضطراب الأحوال مما كان له أقوى الاثر في نفسه وفي ارهاف حسه . وفي قوة عاطفته . ولذلك كان شعره في الرثاء مؤثرا غاية التأثير . ويبدو ذلك واضحا في رثائه للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وزعيم مصر الشاب « مصطفى كامل » .

وفي رثائه لاستاذه الامام يقول :

سلام على الاسلام بعد محمد
سلام على ايامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجا
على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله
فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوا لهفي والقبر بيني وبينه
على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسرا الراس خاشعا
كأني حيال القبر في عرفات

وفي رثائه للزعيم مصطفى كامل يقول :

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة
فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا
عزيز علينا أن نرى فيك مصطفى
شهيد العلا في زهرة العمر ذاويا

والمعاني التي طرقها الشاعر في هذه الابيات مألوفة شائقة . ليس فيها غرابة أو ابتكار . ولكننا نلحظ فيها من الجزالة والرصانة ما عرفناه في شعر حافظ كله أو معظمه .

وطنيات حافظ :

اما شعره في الوطنيات والاجتماعيات فكان غاية في الجودة والاتقان وقصيدته « مصر تتحدث عن نفسها » قلادة باهرة من قلائد شعره . وهي من أروع ما نظم الشعراء في عصرنا .

وقد كان مجد مصر التليد مصدر الهام لكثير من شعراء عصر النهضة . ومن ذلك النبع السخي استمد حافظ ابراهيم الهامه وهو يوقع لحن المجد بنغم شعرى مؤثر . ونلمح في هذه القصيدة روح حافظ . وعاطفته نحو وطنه . وفيها يقول على لسان مصر :

اى شعب أحق منى بعيش
وارف الظل اخضر اللون رغد
فردوا بى مناهل العز حتى
يخطب النجم في المجرة ودى
وارفعوا دولتى على العلم والاخلاق
فالعلم وحده ليس يجدى

الى أن يقول :

ان في الغرب أعينا راصدات
كحلتها الاطماع فيكم بسهد
فاتقوها بجنة من وئام
غير رث العرا وسعى وكد



نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء
فيه وعثرة الرأى تردى
فقفوا فيه وقفة الحزم وارموا
جانبيه بعزمة المستعد
واستبينوا قصد السبيل وجدوا
فالمعالى مخطوبة للمجد

والقصيدة تدل دلالة قوية على صناعته الشعرية الرائعة . وتسحه القوى وديباجته الاخاذة . وقد عرف له النقاد المحدثون ذلك . وأحب الشعراء والأدباء ديباجته القوية التى تتمثل فى جزالة لفظه . ومتانة أسلوبه والمحافظة على عمودية القصيدة وصياغتها القديمة . حتى أن شوقى نوه فى بعض قصائده بشعر حافظ وشاعريته رغم المنافسة التقليدية التى كانت قائمة بينهما . ومن ذلك قوله :

مازلت تهتف بالقديم وفضله
حتى حميت أمانة القدماء
جددت أسلوب الوليد ولفظه
وأتيت للدنيا بسحر الطائى

وكان حافظ يعجب بالبارودى واسماعيل صبرى . ويرى للبارودى فضل التقدم والسبق كما كان يحب بلاغة القدماء . ويتمسك بها ومع هذا فقد كان يدعو للجديد وينادى به ويبدو ذلك واضحا فى قوله :

آن يا شعر أن نفك قيودا
قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا
ودعونا نشم ريح الشمال

وحين أراد حافظ التجديد لم يرده فى البيان والاسلوب . ولا فى القوافى والاوزان . ولا فى البلاغة والشكل . انما أراده تجديدا فى المضمون فى موضوعات الشعر واغراضه . **فنظمه فى اغراض جديدة جعلها محور قصائده كالشعر الاجتماعى . والشعر السياسى والوطنى .**

وجمهرة أشعاره التى نظمها خلال الفترة من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٣٢ ميلادية حيث كانت خاتمة مطافه . تحوى قدرا كبيرا من هذين اللونين من الشعر .

وقد صحب الشاعر تاريخ مصر فى هذه الحقبة . وتتبع أحداثها . يذوق حلوها ومرها . ويبلو خيرها وشرها . ينضح عنها فى شعره . ويشيد بها . ويحفز أمته الى دفع الضيم . وطلب العزة . ويضرب لهم الامثال ويعرض عليهم من التاريخ المثلات . هم مصر يهمه وينصبه . وحبها يؤرقه ويعذبه . وتمثل قصيدته التالية هذا المعنى :

لعمرك ما أرقت لغير مصر
ومالى دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت
تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال
وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها
وباتت مصر فيه . فهل الام ؟

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

اذا مامر بالباساء عام
اطل عليه بالباساء عام

الى أن يقول :

هلاك الفرد منشؤه توان
وموت الشعب منشؤه انقسام
وانا قد ونينا وانقسمنا
فلا سعى هناك ولا وئام
فساء مقامنا في أرض مصر
وطاب لغيرنا فيها المقام
فلا عجب اذ ملكت علينا
مذاهبنا واكثرنا نيام

القصائد السياسية :

فأما قصائده التي أنشأها في حادثات سياسية أو ذكرى حادثات أو أنشدت في محافل سياسية، فالأمر فيها بين . ففي حادثة دنشواي مثلا يسفر الاحتلال عن وجهه . ويفقد الانجليز آدميتهم . فترسل المشانق من القاهرة الى دنشواي . ويشنق المتهمون جهارا في وضح النهار . وعلى مرأى ومسمع من ذويهم . ويهتز الشعب . ويهتز معه شعراؤه . ويندد حافظ بالانجليز . ويصف الحادثة وفظائعها في أسلوب لاذع . وتهكم مر فيقول :

ليت شعري أتلك محكمة « التفتيش »
عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يحلو من القوى التشفى
من ضعيف ألقى اليه القيادا
انها مثلة تشف عن الغيظ
ولسنا لغيظكم أندادا

ومن سياسات حافظ قصيدته التي أنشدها في ١٥ مارس عام ١٩٢٣ بمناسبة عيد الاستقلال . وجعل عنوانها : بين اليقظة والمنام والتي يقول فيها :

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعد
مجد الجدود ولا تعد لمزاح
شمر وكافح في الحياة فهذه
دنياك دار تناحر وكفاح
واذا ألح عليك خطب لاتهن
واضرب على الالحاح بالالحاح
وخض الحياة وان تلاطم موجها
خوض البحار رياضة السباح

ولنستمع اليه يدعو شعوب الشرق الى التنبه لدسائس الغرب ومؤامراته وينادي بتوكيد الاخاء . وتوطيد المحبة بين أقطار الأمة العربية حتى تتهيأ لها من وحدتها قوة غلابة . وتعيد عظمتها التاريخية على مسرح الوجود وتسترد عزتها الغابرة وسؤددها التليد .

متى أرى الشرق أدناه وأبعده
من مطمع الغرب فيه غير وسنان
تجرى المودة في اعراقه طلقا
كجرية الماء في أثناء أفنان

وحافظ في هذا الشعر السياسي الوطني يعد مبتكرا لصورة جديدة في شعرنا العربي لم يكن القدماء من شعرائنا يألفونها .

شعره الاجتماعي :

وبجانب هذا الشعر الوطني نرى له شعرا

اجتماعيا يصور فيه آلام الامة وآمالها . ويعرب عن حبه لأمته وكلفه بها . فهو يحثها على طلب العلم وبلوغ الغاية فيه . ويدعو أبناء الشعب لانشاء جامعة مصرية فى قصائد متعددة من ذلك قوله فى قصيدة له أنشأها عام ١٩٠٨ يقول فيها:

حياكم الله . احيوا العلم والادبا
ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم الا بجامعة
تكون اما لطلاب العلا وابا
تبنى الرجال وتبنى كل شاهقة
من المعالى وتبنى العز والغلبا
وابنوا باكبادكم سورا لها ودعوا
قيل العدو فانى اعرف السببا

والسبب هو ما ردده المستعمر الانجليزى من أن المصريين فى حاجة الى كتاتيب منهم الى جامعة .

وفى حفل مدرسة البنات ببور سعيد فى ٢٩ مايو عام ١٩١٠ أنشد حافظ قصيدته التى مطلعها :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى
فى حب مصر كثيرة العشاق
انى لأحمل فى هواك صبابة
يا مصر قد خرجت عن الاطواق

ويشيد بالاخلاق الفاضلة . ويراها دعامة من دعائم العلم وذلك فى قوله :

والعلم ان لم تكتنفه شمائل
تعليه كان مطية الاخفاق



لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يتوج ربه بخلاق

ثم يوصى بتربية النساء . مبينا مكانة الام فى المجتمع . وأثرها فى رقيه ونهضته اذا أخذت حظها من العلم والمعرفة .

من لى بتربية النساء فانها
فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

وحين يتحدث عن حضارة الغرب وتقدم مواطنيه فى شتى العلوم والفنون نراه يتمنى أن تبلغ مصر شأوهم . ويدعو أمته الى الاحتذاء بهم . ولا يشيد شاعرنا بمأثرة أو منقبة أو مفخرة فى الغرب الا دعا أمته الى مثلها ومن ذلك قصيدته التى ألقاها فى حفل عام أقيم بكلية البنات الامريكية بالقاهرة يقول فيه :

ليت شعرى متى أرى أرض مصر
فى حمى الله تنبت الابطالا

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

وارى أهلهــــا بيارونكم علمــــا
ووثبــا الى العـــلا ونضـــالا
قد نفضنـــا عنا الكرى وابتـدرنا
فرص العيش وانتقلنـــا انتقــالا

وقصائد اخر ، تشهد بدعوة شاعرنا أمته الى حفز الهمم ، والاخذ بوسائل المعرفة ، والسعى الى مدارج الكمال والرقى .

واقرا معى قصائده فى حفلات الجمعيـة الخيرية الاسلامية ، وملجأ الحرية وجمعيـة الطفل ، وجمعية اعانة العميان ، ليتضـح لك كيف امتزج شاعرنا امتزاجا قويا بحياة الشعب بجميع طبقاته .

وحافظ ابراهيم فى هذا اللون من الشعـر الاجتماعى سابق لشعراء عصره فقد استطاع ان يعيش احداث عصره ، ويعبر عنها فى صدق ، وان يكون شعره صوت الجماهير ، ولســان الشعب ، وضمير الامة ، ووجدان ابناء مصر جميعا .

ولـم تتهيا لحافظ ابراهيم ثقافة واسـعة عميقة ، ولا اتصال قوى بالآداب الاجنبية ، فكان شعره فيض طبعه وموهبته ، ولهذا كانت معانيه محدودة ، وخياله قريبا ، وقد وجه عناية الى تخير الفاظه ، وصقل عباراته ، فجاء شعره صافى الاسلوب ، مشرق الديباجة ، مـع احتفاظه الكامل بعمود الشعر كما عرفه القدامى من بساطة المعانى ووضوحها وقربها ، وسهولة الاسلوب وعذوبته ومن ثم كانت معانيه أقرب تمثيلا لروح الشعب ، وأكثر صلة بوجـدان الجماهير .

ولم ينتظم حافظ ابراهيم فى سلك الدراسة النظامية فترة طويلة من عمره فلم تطل اقامته فى المدارس الثانوية ، ولم يتخرج فى جامعة ، وهو يتفق فى ذلك مع معاصريه الرافعى والعقاد ، وقـد أفادوا جميعا من الامـام محمـد عبده ومدرسته فائدة كبـيرة ، لكنهم يختلفون فى أن حافظ ابراهيم كانت هوايته الشعر ، فالشـعر عنده فى المكانة الاولى وقد اتخذ من البارودى قدوة ومثلا ، يصدر عن مذهبه فى الشعر وهـو مذهب القدامى من أمثال بشار بن برد وأبـى العتاهية وغيرهما ، ويؤثر فى شعره جزالة اللفظ وروعة الاسلوب .

أما العقاد ، فقراءته للشعر الغربى الرومانسى اثرت فى شعره وفى أدبه عامة تأثيرا كبيرا ، فجنحت به الى الخيال البعيد ، والصور غير المألوفة .

وأما الرافعى فقد كان مذهبه فى الشعر يميل فى أغلب الامر الى المذهب الانـــدلسى الذى يميل الى الصور والاخيلة والرمز ، وأثر ذلك فى نثره تأثيرا كبيرا ، فكان نثره صورة فنية كأنها لوحات مرسومة وأخيلته غريبة وغـير مألوفة كأنها أخيلة جديدة محضة ، وبذلك خالف أسلوبه أسلوب حافظ فى الشعر .

ويرى بعض النقاد أن حـافظا صمت عن الشعر منذ أن نال منصبا فى دار الكتب المصرية عام ١٩١١ ، وهذه دعوى يعوزها الدليل ، وينقضها الواقع فان أريد أنه صمت عن شعر السياسة والوطنية فقد كان ذلك الى أجـل محدود ، ففى عام ١٩١٩ اشـــتعلت الثورة



المصرية . وهبت مصر عن بكرة أبيها غاضبة لحقها المغصوب . واستقلالها المسلوب . وثارت مشاعر الرجل لانتفاضة أمته . فكانت له قصائد تعرب عن فرحته وسروره . وتنم عن وطنيته وحماسته . وإن أريد أنه صمت عن ضروب الشعر عامة . فما يقول هذا الا من فاته أن يقرأ ديوان حافظ . ويتعرف تاريخ القصائد فيه .

وهو فى شعره الوطنى والاجتماعى ــ رغم أن بعض موضوعاته ليس مجالا فسيحا للشعر ــ لم يقصر فى ادراك المعانى . وصوغ الكلام المبين عنها الملائم لها . وإن يكن فى بعض المعانى ابتذال وفى بعض الألفاظ نبو . وفى بعض العبارات قلق . فهو القليل النادر الذى لا يخل بالكثير الغالب . وهو فى رأينا الوهن الذى يعرض للقوى . والفتور الذى يطرأ على المجد . والكبوة يكبوها الجواد .

وهو فى جملة شعره جزل الألفاظ . رصين السبك . واف بحق الوزن والقافية مع قرب المعنى ودنو الخيال . واستمع معى الى قوله وهو يتحدث عن الأثر الذى تركته حادثة دنشواى فى نفوس أبناء قومه . وكيف أنها هزتهم هزا عنيفا . وأيقظتهم من سباتهم فهبوا يدفعون عن أنفسهم الظلم والبغى . ويغضبون لعزتهم وكرامتهم . وبهذه العبرة خرج من محنة دنشواى :

قتيل الشمس أورثنا حياة
وأيقظ هاجع القوم الرقود

فليت كرومرا قد دام فينا
يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن
بمجلود ومقتول شهيد
لتنزع هذه الأكفان عنا
ونبعث فى العوالم من جديد

لقد قرأ شاعرنا كثيرا . واستوعب الكثير . واستطاعت شاعريته من خلال هضمه وتمثله لما قرأ استيعاب تقاليد الشعر العربى الكلاسيكى . وبدا ذلك واضحا من خلال حرصه على عمود الشعر العربى حرصا شديدا . ومن خلال الخصائص التى تتميز بها فنه الشعرى والتى سبق أن ذكرناها .

وهذه الخصائص تؤكد فى عمق انتسابه للمدرسة الكلاسيكية وهى نفسها التى أتاحت له موضعه المتميز كشاعر للشعب . وشاعر للاجتماعيات وكأن رسالته الشعرية وجدت

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

قوالبها الجديرة بها من خلال هـذه القيم والخصائص .

ويقول عنه أحمد أمين : « كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناصبهم . فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية . ويصـوغها القـادة وأولو الرأى أفكارا ينادون بها فى مجالسهم ومجتمعاتهم . ويصوغها حافظ شعرا يغذى نفوس الشباب . ويلهب شعور من سمعه .

ثم يذكر الأستاذ أحمـد أمين أن طلبة المدارس الثانوية والعالية كانوا ينحـازون الى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقى . وقسم يتعصب لشوقى ويفضله على حافظ .

فمن فضل حافظا كان يفضله لان شعره غذاء قلبه . وغذاء وطنيته . ومن فضل شوقى فضله لفنه وخياله . فشبيبة الوطنيـة امامهم حافظ . وشبيبة الفن امامهم شوقى .

أما طه حسين . فقد ذكر أنهما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شـك .

ويتحدث عنه مطـران قائلا : كان حافظ يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره . وربما نظم اكثر الابيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب ما بين يديه .

وهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربى فى الشرق العربى لهذا العصر . ولكل من تلك النجوم أثره الخالد . أما شعره فشعر البيان . وان من البيان لسحرا .

ويقول عنه المازنى : « نقدت شعر حافظ نقدا كله سخر وتهكم . أو علة عقل لانه صار فى رأيى ممثلا لمذهب قديم يجب هدمه . ومضت سنوات وأخرجت أنا والعقـاد جزءين من كتـاب « الديوان » فى النقد والتعريف بالمذهب الجديد فى الأدب . وكنا نلتقى بحافظ من حين الى حين ونتحدث فى هذا المذهب الجديد . وأن الأدب فرع من شجرة الحياة . وأن التقليد يفسده . وأن الأديب يجب أن ينظر بعينه ويفكر بعقله . ويحس بقلبه . فيوافقنا حافظ » .

ولعلك ترى معى بعد هذه الدراسة لشعر حافظ أنه كان شاعرا مطبوعا يمتاز بقوة العاطفة . ورهافة الشعور . ودقة الاحساس وهو بكل المقاييس الادبية والنقدية يعتبر واحدا من أبرز شعراء مصر فى العصر الحديث وقد جمع فى شعره بين الاصالة والتجديد . وأضاف الى تراثنا الادبى ثروة شعرية تخلد على مر الزمان ..

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر

أسلوب البحث في علم النفس

للدكتور عبدالله عبد الحي موسى

ويمكن أن نتعلم بعض الأمور حول الطريقة التي يفكر بها الناس ويسلكون، من خلال اطلاعنا على اللوحات الفنية ومطالعات الأدب . ويمكن ادراك الطبيعة البشرية من خلال التأمل الباطني . ولكن يلاحظ أن الغالبية العظمى من علماء النفس يتفقون على أن الطرق العلمية هي، انجح الوسائل في التوصل الى معلومات كاملة ، ومنظمة ، ودقيقة حول السلوك والوظائف العقلية .

وسوف ألقى الضوء ، في هذا المقال ، على الطريقة العلمية من حيث أهدافها ، ومبادئها ، وأساليب البحث فيها . ولن ينصب وصفنا للعلم على التفاصيل اليومية ، ولكن علينا ان نتذكر أن علماء النفس يتعرضون لمشاكل عويصة خلال عملية البحث ، حالهم في هذا حال غيرهم من العلماء ، اذ أنهم ما ان يبدءوا في عملية البحث .حتى (ينبغي عليهم أحيانا ان) يتوقفوا ، ليحاولوا الكرة من جديد : فيخطئون ، ويصيبون وهكذا .

ان علماء النفس — في واقع الأمر — لا يقومون عادة بالبحث بالطريقة التي يقول بها مؤلفو الكتب ، أو الذين يكتبون فصولا حول البحث . وعلينا أن ننبه ، في بداية الأمر الى أن العلم في ذاته (عملية) لا تتسم بالوضوح التام ، والسهولة . ان التقدم العلمي ، غالبا مايتم احرازه ، من خلال الانتفاع من المفاهيم الخاطئة ، والأخطاء ، والغموض ، والصدفة . ففي أواخر الخمسينات ، اكتشف « لويس توماس » Lewis Thomas — وهو باحث طبي مشهور — دون قصد الطريقة التي يؤثر بها « أنزيم » enzyme « البابين » papain في نسيج « غرضوفة » cartilage أذن الأرنب ، وقد وضح « توماس » — من خلال النجاح الذى حققه — كيف أن العلماء ، ومنهم

أسلوب البحث
في علم النفس

علماء النفس ، كثيرا ما يتصارعون مع المشاكل.

اهداف البحث النفسي :

يستهدف علماء النفس تحقيق أربعة اهداف رئيسية هي :الوصف ــ التفسير ــ التنبؤ ــ التحكم .

الوصـــــف :

الوصف هدف أساسي لكافة أنواع العلوم . فعلماء النفس يقومون بجمع الحقائق حول السلوك والوظائف العقلية لرسم صورة دقيقة ومتماسكة لهذه الظواهر ، كما يحاول هؤلاء العلماء ملاحظة أوقياس تلك الظواهر بصفة مباشرة كلما أمكن ذلك . واذا استحال أو صعب تحقيق الملاحظة المباشرة ، فانهم يعتمدون على الاختبارات ، والمقابلات ، والاستخبارات وغيرها من الطرق غير المباشرة التي تتسم بقدر أقل من الدقة .

فاذا أخذنا ــ على سبيل المثال ــ ظاهرة **(السلوك العدواني)** ، فان علماء النفس بامكانهم ملاحظة السلوك العدواني والتخريبي لدى الأطفال في سن ثلاث سنوات بطريقة مباشرة في روضة أطفال ، أما اذا حاول علماء النفس معرفة المزيد عن **(الزوجات العدوانيات)** فانه قد يتحتم عليهم اللجوء الى اجراء مقابلات ، أواستخدام الاستخبارات .

ولاشك أن مقاييس التقرير الذاتي مثل المقابلات ، والاستخبارات قد استخدمت لحل مشاكل قاسية .

التفسير :

وعندما يتم الانتهاء من وصف ظاهرة معينة ، وصفا دقيقا ، فان علماء النفس، عادة ما يحاولون تفسيرها . ويتكون التفسير من وضع شبكة من العلاقات بين الأسباب والمسببات . وعندئذ نقول ان الظاهرة قد فهمت ، لأن كشف العلاقات والفهم شيء واحد . تفهم الظاهرة معناه أن نجد علاقة تربط بينا وبين ظواهر أخرى أما اذا لم نجد أي علاقة لها بأي ظاهرة كانت ، فانها تظل غامضة غير مفهومة .

ويجب أن نفرق بين الفهم وبين مجرد الوصف ، الوصف مهما دق لا يؤدي الى ما نقصده بالفهم ، فكسوف الشمس كظاهرة فلكية مثلا لا نستطيع أن نفهمها بمجرد أن نصفها مهما كان وصفنا دقيقا ، بل نفهمها ، عندما نربط بينها وبين ظواهر اخرى مثل وضع القمر بالنسبة للارض والشمس (١) .

وعلى وجه العموم ، فان علماء النفس يضعون تفسيرات معقولة تسمى بالفروض كما يتم التأكد من تلك الفروض بتجارب مضبوطة.

ان التجربة تصمم لكي تحقق فرضا معينا . والفرض عبارة عن اجابة محتملة لسؤال (أو مشكلة) والتجربة تستهدف الكشف عن صحة هذا الفرض .

واذن فالفرض يكون أولا في ذهن العالم ، والتجربة تأتي ثانيا للتحقيق من صحة أو خطأ الفرض .

ولنذكر مثالا على ذلك فنقول : « مشاهدة

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : المنهج العلمي وتفسير السلوك ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٧٨ ص ٢٨ .

مسلسلات العنف عبر شاشة التليفزيون تزيد النزعة العدوانية لدى الأطفال » .

وبالرغم من ان الفروض عادة ما تصاغ على شكل تقرير للحقائق ، فانها تعتبر تفسيرات تحتاج الى الاختبار لأجل التأكد من صحتها . أما الفروض التى تحظى ببعض التأييد ، فانه يتم التأكد منها بقدر أكبر .

التنبؤ :

يعتبر التنبؤ أحد الاختبارات القوية ، فاذا كان الفرض دقيقا ، فانه ينبغى أن يكون قادرا على وصف ما يحدث فى حالات مماثلة ، ولنفرض أن علماء النفس قد تبين لهم أن مشاهدة المسلسلات الحربية تزيد من الأعمال العدوانية لدى الأطفال . عندئذ ، ربما أمكن التنبؤ أو التوقع بأن مشاهدة الشبان لأبوين يتسمان بنزعات عدوانية يجعلهم يتمتعون بقدر أكبر من العدوانية .

فالتنبؤ — اذن — مؤداه تصور انطباق القانون أو القاعدة العامة فى مواقف أخرى ، أو بمعنى آخر تصور النتائج التى يمكن أن تترتب على استخدامنا المعلومات التى توصلنا اليها فى مواقف جديدة (١) .

ولاشك أن التنبؤ من ناحية أخرى يساعد بدوره على زيادة الفهم ذلك أن التنبؤ يكون جزءا من خطة التحقيق التى نختبر بها صحة معلوماتنا . فاذا ثبت صحة تنبؤاتنا فان معنى ذلك أن المعلومات التى أقمنا التنبؤ على أساسها معلومات صحيحة .

التحكم « الضبط » :

التحكم معناه **تناول الظروف التى تحدد حدوث الظاهرة** بشكل يحقق لنا الوصول الى هدف معين . ويعد التحكم « أو الضبط » اختبارا قويا آخر للتأكد من صحة الفرض ، ففى هذه الحالة يتم تغيير أو ضبط الظروف التى يعتقد أنها تسبب سلوكا معينا أو عملية عقلية لنتبين ما اذا كانت الظاهرة تتغير تبعا لذلك أم لا . وبالرغم من أن عملية التحكم أو الضبط لمجرد الضبط تبعث على الخوف ، فان التحكم فى البحوث النفسية يعد ضربا من التطبيق فى معظم الحالات حيث يطبق علماء النفس معرفتهم فى هذا الميدان للتوصل الى حل لمشاكل عملية . فاذا ثبت بالفعل أن مشاهدة مسلسلات العنف تزيد حقا من النزعة العدوانية لدى الأطفال ، فانه سيكون فى استطاعتنا الحد من هذه النزعة العدوانية بتقييد مشاهدة التليفزيون وأفلام العنف ، وتدريب الآباء وغيرهم على استخدام أساليب لا تتسم بالعنف ، واذا ما نجحنا فى السيطرة على النزعة العدوانية فان ذلك يبين أننا نفهم الظروف الهامة التى تنجم عنها تلك النزعة .

والواقع أن التحكم والتنبؤ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر اذا ما أخذناهما على أنهما هدفان هامان من أهداف العلم . فلكى نحقق أى تنبؤ — مهما كان بسيطا — يجب أن نتحكم فى الظروف التى تحدد الظاهرة التى نتنبأ بها .

(١) المرجع السابق : ص ٣٦

أسلوب البحث
فى علم النفس

قوانين ونظريات فى علم النفس :

فى الوقت الذى يعمل فيه علماء النفس على فهم بعض الجوانب المحددة للسلوك ، فانهم يأملون فى الحصول على قدر موحد من المعلومات يمكن من خلاله تفسير السلوك بكافة أنواعه ، والوظائف العقلية ، وتفضى المعلومات المنظمة - فى نهاية الأمر - الى التوصل الى قوانين ونظريات .

وتصف القوانين - فى علم النفس وغيره من العلوم - العلاقات المنتظمة وتلك التى يمكن التنبؤ بها ، وتفسر النظريات الاكتشافات التجريبية أو المعلومات التى يتم جمعها . وتنطوى بعض النظريات على افتراض بسيط فى حين تنطوى الأخرى على قدر كبير من المعلومات ومهما يكن نطاق تلك النظريات ، فانها تقوم بملء الثغرات ، فهى توضح كيفية تناسق تلك الاكتشافات وما تعنيه . ويفضل العلماء النظريات التى يمكن التأكد من مدى صحتها « أى مدى خضوعها للاختبار » ، ألا وهى تلك النظريات التى يمكن تأكيدها أو تفنيدها عن طريق اجراء مزيد من البحث لفحص مدى فائدة نظرية معينة، وباختصار ، فان النظريات تؤدى دورين هما :-

١ - المساعدة على الفهم وهو الهدف النهائى من وراء البحث .

٢ - حفز الباحث على القيام بمزيد من البحث للحصول على معلومات جديدة .

مبادىء توجه البحث النفسى :

يعد العلم مجموعة من الاتجاهات .. ولا شك أن الاتجاهات المتعددة أو المبادىء هى التى تعطى البحث العلمى سمته « نكهته » المميزة ، ونتحدث عن أهم هذه الاتجاهات فيما يلى :

الدقة - الموضوعية - التجريب - تحديد المفهوم - الاقتصاد - الاجتهاد .

الدقة :

يحاول علماء النفس أن يتسم عملهم بالدقة بعدة طرق : فهم :

أولا : يقومون فى بادىء الأمر بتحديد ما يعكفون على دراسته تحديدا واضحا ، كما أنهم يحاولون .

ثانيا : تصنيف نتائجهم فى صيغة عددية بدلا من الاعتماد على الانطباعات الشخصية فنجد أن علماء النفس يقومون بقياس ظواهر تبدو وكأنه لا يمكن قياسها مثل ظاهرة الحب والقلق والاثارة .

ثالثا : بعد أن يستكمل علماء النفس بحوثهم ، فانهم يضعون تقارير مفصلة تصنف الموضوعات والأدوات ، والاجراءات ، والأعمال التى قاموا بها ، والنتائج . ولا شك أن وضع التقارير الدقيقة حول البحث انما يسمح لغيرهم من علماء النفس بالقيام بنفس النوع من الدراسة ، أو القيام بدراسة على شاكلتها للتأكد من تناسق النتائج .

الموضوعية :

ان علماء النفس ، حالهم حال الآخرين ،

لديهم بعض التحيز . وعندما نقول انهم يعملون جاهدين على أن يكونوا موضوعيين ، فاننا نعنى بذلك أنهم يحاولون تنحية أهوائهم من أن تؤثر على دراساتهم . ويستعين علماء النفس - في بعض الحالات - ببعض الأشخاص المساعدين الذين ليسوا على علم بالفروض التى يحاول هؤلاء العلماء التحقق من صحتها ، ويتخذون موقف الحياد ازاء الموضوع الذى يخضع للدراسة وذلك لأجل أن يقوم هؤلاء المساعدون بعملية البحث الحقيقية .

واذا ما كان يساورك الشك بالنسبة للبيئة البشرية ، فانك قد تتساءل عما اذا كان يمكن فرض أى قيود على موضوعية علماء النفس ، وينبع أحد مصادر القوة الكامنة في الطريقة العلمية من بنائها المحكم ، وطبيعتها التى تتمتع بالتنظيم الذاتى .

ويقوم علماء النفس بالتدقيق بصفة مستمرة في أعمال بعضهم البعض ، كذلك يقوم هؤلاء العلماء أيضا ببحوث على نفس النمط ، وعلى ذلك فان توقع أن تتعرض أعمالهم للانتقاد انما يشجعهم على اتخاذ الحيطة والحذر من الوقوع في التحيز في بحوثهم وتجاربهم . وتبرز حالات من التحيز : بين الحين والآخر ، كما تبرز حالات تتميز فيها البحوث بتعمد عدم التزام الأمانة العلمية ، ولكن يتم التوصل الى صحه الفروض في نهاية الأمر نظرا للعدد الكبير من العلماء الذين يتطرقون لمشاكل أو قضايا مماثلة ، وتطرح البحوث التى لاتتسم بالأمانة أو تتميز بالتحيز جانبا .

التجريب :

يعتقد علماء النفس ، كغيرهم من العلماء أن الملاحظة المباشرة أهم مصدر من مصادر المعرفة . ويعد التأمل - في حد ذاته - دليلا غير كاف للحصول على المعرفة . ويسمى التعبير الذى يقول « أنظر ولاحظ » بالاتجاه التجريبى ، ولا يعفى أحد من هذا الاتجاه ، بل ان أكثر الناس علما يدعمون فروضهم ، أو ما يعتريهم من أفكار ، بالبيانات . فمثلا يجب على علماء النفس الذين يبحثون تأثير فقدان النوم ، أن يقوموا بدراسات متأنية ، وأن يلاحظوا نتائجها ، ولا ينبغى عليهم أن يقدموا لاثبات مايزعمون ، الأفكار الشائعة ، أو أفكار غيرهم وتأملاته من العلماء البارزين ، أو عرض أفكار الغير عن الموضوع لأن كل هذه الوسائل تعتمد على « التخمين » لا على الملاحظة المباشرة .

ولا تتطلب الطريقة التجريبية ان يقوم علماء النفس بالحصول على كل ملاحظاتهم بأنفسهم ، ولكنها تتطلب ان يؤيدوا مزاعمهم بالدراسات التجريبية سواء منها ماكان منشورا او مايحصل عليها عن طريق المراسلة ،

د / عبد الله عبد الحى موسى

وسائل الاعلام

في المجتمع الاسلامي

(١) الصحافة

تمهيـــد :

ما بالنا ننسى اننا خير امة اخرجت للناس .. !؟ ولمـاذا ننسى ان المـؤمن القوى خير واحب الى الله من المـؤمن الضعيف ..!؟ ولماذا ننسى اننـا كنـا سادة الدنيا .. اعزة « ولله العـزة ولرســوله وللمؤمنين .. الآية » ! ولماذا تكون افعالنا ـ دائما ردود فعل وليست افعالا اصيلة نابعة من ايماننـا بالله وثقتنا بانفسنا .. ! ؟ .

على هذا .. فلم يظن البعض أن الاعـلام الاسـلامى مقـره المسـجد .. والمسـجد فقط .. !!؟ ترى هل يتمشى هذا القـول مع روح العصر .. !؟ .

لا شك أن المسـجد هـو اهم وسـيلة من وسائل الاعلام في الاسلام ولكنه ليس مكانها الوحيد .. وقد أفاء الله علينـا من معطيـات العصر الجديد من الوسـائل الأخرى .. فماذا لو اسـتخدمناها في الدعوة الى الله وفي مناقشة قضايا العالم الاسلامى .. !؟ .

ان معظم المشكلات التى تواجه العـالم الاسلامى ـ اليوم ـ هى مشكلات ذات صفة علمية نحتـاج في مناقشـتها الى لغـة العصر ومصطلحاته مع اسـتخدام كـافة الوسـائل الاعـلامية المتـاحة مثـل « الـراديو » أو « التليفزيون » أو « السينما » أو الكتـاب أو الصحافة أو « الكاسيت » .. الخ .

والمسلمون في كل بقاع الأرض لم يحسنوا استخدام الاعلام الاستخدام الأمثل .. ولم يسخروه في خدمة قضاياهم وبسط وجهة النظر الاسـلامية في المحـافل الدوليـة .. ولم يستخدموه في تكوين رأى عام اسلامى موحد يكون قوة يحسب لها ألف حساب في عـالم ساد فيه منطق القوة بأشكالها المختلفة .. !!

ونحن في هذا المقام لا نريد أن نقدم بحثا تاريخيا في تطور وسائل الاعلام الاسـلامى ، فهذا موضـوع نود أن نوفق في مناقشتـه مستقبلا ـ ولكن ما نطرحه للمناقشة عـلى صفحات هذا العدد وما يليه هو وسائل الاعلام قديمها وحـديثها ومـدى ملاءمتها للمجتمع

للأستاذ حسن على محمد العنبسى

الاسلامى مع وضع الظروف والمتغيرات الدولية فى الاعتبار .

ونظرا لخطورة « الوسيلة » فى العملية الاتصالية وتأثيرها فى نجاح أو فشل الاتصال ، فان من باحثى الاعلام (١) من ذهب الى القول بأن « الرسالة » هى « الوسيلة » .. ، ولكن فى العالم الاسلامى يوجد من يقسم الوسائل الاعلامية الى وسائل محرمة وأخرى غير محرمة .. !!

ولكن ما نراه هنا أنه لا توجد وسيلة محرمة وأخرى غير محرمة من حيث هى كوسيلة وانما « المضمون » « والمحتوى » الذى تقدمه هذه الوسيلة هو الذى يكون حراما أو حلالا .

وفى الحق .. فان النظرية التى ترى أن « الرسالة هى الوسيلة » نظرية ليست بالجديدة وانما سبقها الاسلام بقرون طويلة .. بل ان الاسلام يضيف الى كل وسائل الاعلام المعروفة وسيلة جديدة هى رسالة ووسيلة معا وغير مكلفة ولا تحتاج الى ميزانية ولا الى موظفين .. هذه الوسيلة هى .. « القدوة » .

أنظر الى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان خلقه القرآن ، والقرآن رسالة الخالق الى عباده ، وفى هذا المقام امتزج الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة حتى أصبح كأنه قرآن يمشى على الأرض .. ! .

وبالقدوة آمن خلق كثير ودخل فى الاسلام . وهل تنجح أية وسيلة اعلامية ـ أيا كانت ـ فى الاقناع مثلما نجحت القدوة .. ؟! .

وسائل الاعلام فى مجتمعنا الاسلامى :

ونعود مرة ثانية الى الحديث عن وسائل الاعلام فى مجتمعنا الاسلامى .. وموقف العالم الاسلامى من الثورة الالكترونية فى مجال الاتصال .. فلا يجدر بنا أن نقف موقف المتفرج من كل هذا .. ، بل علينا أن نحدد موقفنا بوضوح من هذه الأدوات العصرية وعلينا أن نجعلها تتوائم مع ظروفنا السياسية والاجتماعية وقبل هذا كله تتوائم مع ديننا الذى هو عصمة أمرنا .. !

ثم لنا أن نحدد الأسلوب الأمثل للتعامل مع هذه الوسائل .. وأن نعرف ـ ان كانت حلالا ـ لماذا ؟ أو حراما ـ لماذا ؟ .

والى أى مدى يمكن الاستفادة منها فى خدمة أغراضنا الدولية والمحلية .. وما أكثر مشاكل العالم الاسلامى .. هذا العالم المجنى عليه دائما .

ولهذا نبدأ فى هذا العدد بالحديث عن الصحافة الاسلامية .

(١) مارشال ماكلوهان من اهل كندى وعمل استاذا فى الجامعات الامريكية ..

١ ـ الصحافة الاسلامية

الصحافة الاسلامية مصطلح حديث الاستخدام بالنسبة لنشأة الصحافة فى العالم .. وفى العالم الاسلامى والعربى بالذات والسبب فى هذا أن نشأة الصحافة فى العالم العربى والاسلامى ارتبطت بأمرين:(١)

١ ـ ظروف سياسية .. يتحكم فى مسيرتها الاستعمار الصليبى ويستغل فيما يستغل العملية التربوية ، وبالتالى فانه يوجه أدوات الاعلام الى غاياته التى تنتهى الى تثبيت وجوده ، والى افقاد الأمة العربية والاسلامية شخصيتها الحضارية .

٢ ـ هذه الظروف أدت الى أن النهضة الصحفية بدأت على أيدى أناس ليسوا من المسلمين فى جملتهم ولم يشذ عنهم الا قليلون .. !

لهذا ، فان ظروف الاستعمار أثرت ـ الى حد كبير ـ فى تأخير واستخدام هذا المصطلح استخداما يحقق الفائدة المرجوة منه .. ؛ واذا كان من المعلوم أن الصحافة بوق يوقظ الشعوب من غفلتها .. فهل يقبل الاستعمار أن يوقظ شعوبا يريد استغلالها ووضعها تحت وصايته أبدا .. ؟!

* الصحيفة والصحافة :

الصحيفة ـ اصطلاحا ـ تعنى بها كل مطبوع دورى يصدر بصفة منتظمة ، من مؤسسة معروفة ، تلتزم بوقت صدور محدد .. ، وتنشر أخبارا سياسية أو اجتماعية ؛ كما أنها قد تتضمن أحاديثا صحفية وتحقيقات . ومقالات .. الخ الفنون الصحفية الأخرى ..

أما عن الصحيفة أو الصحافة الاسلامية ، فان من الكتاب (٢) من يرى أنها : الجريدة أو المجلة أو الدورية التى تضع « شارة الاسلام اسما لها وتلتزم بالخط الاسلامى منهجا وهدفا .

ولكن فى هذا القول تعميم كبير اذ لم يبين لنا ما شارة الاسلام ـ هذه التى يقصدونها .. ؟

ثم ما الخط أو المنهج المراد ـ صحفيا ـ من الناحية الاسلامية ؟!

بينما يرى كتاب آخرون ـ ونحن معهم ـ أن الصحافة الاسلامية هى تلك الجريدة أو المجلة أو الدورية التى تصدر بصفة منتظمة ، وتلتزم الخط الاسلامى ـ أو القول بالمنهج أو الفكر الاسلامى فى معالجتها للأحداث . وعرضها لمضمونها الصحفى حتى ولو لم تضع شارة الاسلام .. !

الصحافة فى مصر ـ كمثال ـ وعلاقتها بالمنهج الاسلامى : ـ

اذا ما قلّبنا فى الصحف اليومية الصادرة فى مصر ، وعدنا الى الوراء فاننا نجد صحفا مثل الأهرام ، الأخبار ، الجمهورية لم يبدأ اهتمامها بالدين الا مؤخرا .. !!

(١) د . عبد الحميد يونس: الصحافة حاضرا ومستقبلا ـ مجلة الفيصل ـ العدد ١٦ ـ ١٩٧٨ ، ص ١٠٥ .

(٢) عبد الحميد يونس المرجع سابق .

* فالجمهورية (١) مثلا — لم تهتم بالدين صحفيا — الا منذ عام ١٩٦٥ م .

* ثم تلتها الأهرام في الاهتمام بالدين وبدأت في ذلك عام ١٩٦٦ م .

* وبعدهما بعامين تحركت الأخبار وبدأت تنشر موادا دينية في عام ١٩٦٨ م .

هذه الحقائق ان دلت على شيء فانما تدل على أن المجال الديني .. فكرا .. ومضمونا صحفيا لم تنظر اليه هذه الصحف بعين الاهتمام .. لأسباب كثيرة .. ثم بدأت في الاهتمام تحت رغبة القراء .. وكأى صحيفة تريد توزيعا وانتشارا دفع رؤساء التحرير بها الى مجال « الدين » على شكل محدود .

ولنا ان نتساءل :

هل الصحافة الاسلامية ضرورة .. ؟ والى أى مدى .. ؟

وهل توجد في العالم الاسلامي صحافة اسلامية بالمعنى الصحيح .. ؟!

ثم ما المعوقات التى تقف في طريق انشاء صحافة اسلامية حقيقية .. ؟!

* الصحافة الاسلامية .. ضرورة ..

ان اختراع المطبعة قد فتح أبوابا واسعة أمام الدعوة لأول مرة في تاريخ الاسلام .. لأن عن طريق الكلمة المكتوبة يمكن أن تتجاوز الدعوة طور البلاغ المحلى الى طور الابلاغ العالمى وهو الأصل في عالمية الرسالة الاسلامية ..

ان ادخال المطبعة الى ميدان الاعلام الاسلامى .. انما يعنى تضخيم جهد الشخص الواحد الى مليون ضعف .. وأكثر ، هذا اذا علمنا أنه توجد في العالم حوالى ٤٠ أربعين دولة تدين بالاسلام (٢) ، فلو وجد بينها وحدة الهدف لأمكن للاعلام الاسلامى أن يحقق في سنوات قليلة ما يتطلب انجازه قرونا طويلة .. !!

— لاسيما وأن الاسلام قضية عادلة نسأل الله — جلت قدرته — الا تقع بين أيدى محامين فاشلين .. !!

* ان الصحافة ضرورة — في ميدان الاعلام الاسلامى — لأنها عنصر مؤثر في الرأى العام فرضته طبيعة العصر وظروفه .

* والصحافة الاسلامية ضرورة من ضروريات المجتمع الاسلامى لمعالجة مشاكله ، ومناقشة قضاياه ، وللوصول الى الجماهير .

* والصحافة الاسلامية ضرورة لتوضيح صورة المسلم أمام المجتمع الدولى وازالة ما يلحق بها من تشويه أوتزوير .. !

* والصحافة الاسلامية .. ضرورة لفضح وسائل القهر والقمع والاستغلال التى يعانى منها المسلمون في بعض بلاد العالم .

* والصحافة الاسلامية ضرورة للتوجيه ولنشر الوعى النقى بين الشباب المسلم ومعالجة أموره .

* والصحافة الاسلامية ضرورة لأن صحفنا — أو معظمها — تساير الصحافة

---

(١) د . محمد منير حجاب : موقف الصحف اليومية من قضايا الفكر الدينى — رسالة دكتوراه غير منشورة — ص ١١٢ المقدمة الى كلية الاعلام جامعة القاهرة .

(٢) وحيد الدين خان : مسئوليات الدعوة ص ٣٦ .

الغربية في نشر الجرائم والفضائح .. وبث النميمة .. والكذب .. والاسرار العائلية .. الخ .

يقول د. منير حجاب – في رسالته لنيل الدكتوراه (١) – اذا قارنا النسب المئوية الخاصة بمساحات الرياضة ، والمساحة المخصصة للفكر الديني في صحفنا الثلاثة : (اهرام – أخبار – جمهورية –) لوجدنا أن هناك ارتباطا عكسيا بينهما .. بمعنى أن أي زيادة في نسبة الاهتمام – لدى صحيفة – بالرياضة يتبعه نقص في نسبة الاهتمام بالدين .. والعكس .. !!

ويرى الأستاذ حجاب (٢) أن « هذه الصحف الثلاث – بكل المضمون الذي قدمته – لم تسهم مساهمة فعلية في اثراء الفكر الاسلامي لدى قرائها ، ولم تساعد على حل مشكلة الفراغ الديني لدى جماهيرها .. » .. وهنا تبرز الضرورة لوجود صحافة اسلامية حقيقية .

مقارنات هامة :

بمقارنة النسب المئوية الخاصة بمساحات الرياضة ، الفكر الديني في هذه الصحف الثلاث نجد الآتي: –

– أن نسبة ما تخصصه الصحف اليومية للفكر الديني يتراوح بين (٣) : –

(١) راجع د . منير حجاب ، مرجع سابق – رسالة دكتوراه – ص ١٢٢ .
(٢) راجع نفس المصدر
(٣) راجع نفس المصدر .

٥٠٪ من المساحة المخصصة للرياضة .. في الجمهورية .

و ٧٢٪ من المساحة المخصصة للرياضة .. في الاخبار .

و ٦٨٪ من المساحة المخصصة للرياضة .. في الأهرام .

وعلى هذا .. فان صحافتنا مسئولة أمام الله عن ذلك السرطان الكروي الذي أصاب الشباب بحمى الكرة .. وعن ذلك التعصب المقوت الذي .. جعلهم ينسون أنفسهم ودينهم .. ودنياهم .. !!

ولهذا فان الصحافة الاسلامية ضرورة .. ضرورة لمجابهة مثل هذا الغثاء الذي لا يجدي ولا يفيد .. !

ولسنا في هذا نطالب بالمستحيل من الصحف اليومية في مصر – أمام الأرقام السابقة الذكر – وانما نطالب هذه الصحف بالعدل في مراعاة اهتمامات القراء .. نطالبها حتى بالمساواة في عرضها للمضمون الديني وأن تخصص له مساحة مادية لما تخصصه للكرة وللرياضة فذلك من حق القارىء على صحيفته .. !

ويرى الأستاذ جلال الدين الحمامصي (٤) « أن القارىء المصري والعربي في أشد الحاجة الى مزيد من الموضوعات الصحفية المدروسة ذات الطابع الديني الثقافي . وأن هذا القارىء لا تغريه الألوان .. ولا تجتذبه الاثارة ولا يحوله عن جريدته شيء سوى تقصيرها

(٤) جلال الدين الحمامصي : جريدة الجمعة الاخبار ٥–١–١٩٦٨ من افتتاحية العدد الاول .

فى خدمته ... » .

هذه شهادة رائد من رواد الفن الصحفى فى مصر .

* الاساسيات الواجب توافرها فى الصحافة الاسلامية :

اذا كان العمل الاعلامى — عموما — يقوم على مخططات زمانية ومكانية بمعنى أن ما يصلح للنشر فى زمان ما ومكان ما .. قد لا يصلح فى زمان آخر أو مكان غيره .. ، بل ان ما يصلح للنشر فى زمن معين ومكان معين .. هو عينه لا يصلح فى نفس الزمن ونفس المكان اذا تغيرت الاحوال والظروف السائدة (١) !!

وعلى هذا الأساس فان العمل الاعلامى الاسلامى يحتاج الى ما يلى : —

١ — أن يقوم على تدعيم القيم الدينية وأن يتعاطف مع قضايا المسلمين فى بلاد العالم الاسلامى ، والا ينتمى لأعداء الاسلام تصورا أو أهدافا (٢) .

٢ — أن يلتزم المنهج الاسلامى فى الأعمال الفنية فلا يعلو — الشكل على حساب المضمون .

٣ — الا يحمل لافتة تتناقض مع الفكر الاسلامى أو فى بديهية من بديهياته .. !!

٤ — أن يتم تقديم الدين الى الناس بأسلوب سهل مبسط ليسهل على رجل الشارع أن يفهمه .

(١) حافظ محمود : الاعلام العربى والاعلام الصهيونى — طبعة ثالثة ١٩٧٢ — ص ٨ — بتصرف .

(٢) عبد الحميد يونس : مرجع سابق .

٥ — أن يتقصى المشاكل المزمنة فى بلاد العالم الاسلامى وأن يضع الحلول والبدائل تنبع من تصور اسلامى صحيح .

٦ — ثم أن يضع فى الحسبان أن الاكراه على الفضيلة لا يصنع الانسان الفاضل وأن الاكراه على الايمان لا يصنع الانسان المؤمن .. !

* واقع الصحافة الاسلامية :

فى الساحة الاعلامية — الآن — يصدر العديد من المجلات والصحف الدينية ، تقوم بدور يكمل رسالة المنبر والمسجد الا أن هذه الصحف والمجلات لم تصل — بعد — الى المستوى الذى ننشده من حيث الفن الصحفى .. حيث نلاحظ أن : —

١ — هذه المجلات — فى جملتها — نابعة من جهود فردية ، أو صادرة عن جمعيات خيرية ذات امكانيات متواضعة .. لهذا فانها قليلة التوزيع .. ضئيلة الانتشار والتأثير .. لها جمهور محدود .. محدد .

٢ — أن المشرفين على هذه الصحف أو المجلات قليلو الخبرة بالعمل الصحفى فهم أقرب الى الهواة منهم الى المحترفين فى هذا الميدان (٣) .. ولهذا جاءت الموضوعات الصحفية أقرب الى الشكل الوعظى .. الارشادى منه الى الفن الصحفى القائم على الخبر والحديث والتحقيق والصورة الصحفية المعبرة .

(٣) من رسالة خطية — لرئيس تحرير الرسالة الاسلامية اللبنانية الى كاتب هذه السطور فى صيف ١٩٨٠ م .

٣ ـ أن معظم هذه الصحف والمجلات .. تعتبر صحافة رأى .. تتجه ـ كثيرا ـ الى التلقين المباشر .. وقليلا ما تعالج الواقع .. !

٤ ـ أنه توجد دول اسلامية يندر فيها وجود صحافة اسلامية ؛ بينما توجد دول بها الكثير من المجلات والصحف الاسلامية المتواضعة .

٥ ـ والمثير للدهشة أن كل هذه المجلات والصحف الاسلامية ـ في العالم ـ لا رابط بينها ولا تخطيط يجمعها .. بل لا يوجد تصور عام اسلامي يوحد بينها ويقود خطواتها .. !!

٦ ـ لا توجد صحيفة يومية واحدة من بين هذه الصحف تحمل شعار الاسلام ومنهجه يطالعها القارئ كل يوم به !

٧ ـ أن هذه المجلات ـ في مجملها ـ متخلفة اعلاميا في التحرير والاخراج وفنون العمل الصحفي .. !!

من العرض السابق .. يتبين لنا ـ الى أى مدى ـ أن واقع الصحافة الاسلامية مؤلم ومثير للقلق .. ويزيد من ضرورة وجوب قيام صحافة اسلامية حقيقية واعية تواجه سيل الصحف اليومية ـ الصباحية والمسائية التي تصدر من كل بلاد العالم وتصب في العالم الاسلامي .

وحتى تكتمل صورة الواقع في الصحافة الاسلامية نقدم بيانا بالصحف والمجلات الصادرة في بلاد العالم الاسلامي مع تعليقات سريعة ومقتضبة حول بعض هذه المجلات .

اولا ـ المجلات والصحف الاسلامية الصادرة في مصر :

مجلة الأزهر :

وتصدر عن مجمع البحوث الاسلامية ، وهى مجلة أكاديمية تميل الى طابع البحث العلمي .. تتناول كافة المجالات الإسلامية من فقه وسنة وسيرة وتفسير وعلوم لغة ؛ واجتماع وبلاغة ودراسات اعلامية ونفسية .. الخ .

مجلة منبر الاسلام : وتصدر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ولكنها لاتتنوع في اهتماماتها مثل الأزهر .. ويغلب عليها سمة التخصص فهى ومجلة الأزهر مجلات صفوة .!

ومجلات كانت تصدر ثم احتجبت لظروف ما ، كانت تتبع جمعيات دينية .

ثم صحيفة اللواء الاسلامى عن الحزب الوطنى ، و « النور » عن حزب الأحرار وهما صحيفتان أسبوعيتان على قدر كبير من الفن الصحفى .

ثم مجلات لواء الاسلام والهدى النبوى ، والتوجيه ، والاسلام وهى مجلات نابعة من جهود فردية مثل « لواء الاسلام » أو جمعيات دينية مثل الهدى النبوى وهذه المجلات في مجملها بعيدة عن فنون العمل الصحفى .. نظرا لقلة الامكانيات .. !

ثانيا : في سوريا : تصدر مجلة حضارة الاسلام .

ثالثا : في العراق : تصدر مجلة التربية الاسلامية

رابعا : في الجزائر : تصدر مجلة الأصالة ـ المسلم المعاصر .

خامسا : فى لبنــان : تصدر مجلة الرسالة الاســلامية ، الفكـر الاسلامى ، الشهابـة

سادسا : فى المغرب : مجلـة الوعـد الحق ـ الاعتصام ، الايمان .

سابعا : فى الكويت : تصـدر مجلة المجتمع ، البلاغ ، الوعى الاسلامى

وتشهد الكويت نهضة صـحفية واعــلامية كبيرة بالاضــافة الى توافر الامكانيات التى تجتذب الكوادر الاعــلامية المؤهلة للعمل فى صحفها .

ثـامنا : فى المملكة العربية السعودية :

تصدر مجلة التضامن الاسلامى ، أخبـار العالم الاسلامى ، مجلة البحوث الاســلامية ومجلة الرابطة الاسلامية .

تاسعـا : فى الامارات العربية :

تصدر مجلة منار الاسلام .

عاشرا : فى عمان تصدر مجلة الوحى .

حادى عشر : فى تونس : تصـدر مجلة جوهر الاسلام ، المفرق .

ثانى عشر : فى قطر تصدر مجلة الامة وهى من المجلات الرائعة صحفيا فى أسـلوب التحرير وفى المضـمون المتنوع وفى الاخــراج الصحفى بالاضافة الى الطباعة الجيدة والورق الفاخر .

ونرجو أن يكون هناك ما هو أكثر من هذه المجلات .. اذ أن ما وقع تحت أيدينا هو أسماء هذه المجلات فقط .. فمنها ماتتابعه وبالتالى ألمنا سريعا الى ملاحظاتنا عنهـا ومنها ما لا يصل الينا ، ولهذا فلم تجد ماتكتبه عنها وان كنا نريد ـ مستقبلا ـ أن نجرى دراسة قائمة بذاتها عن واقع صحافة العالم الاسلامى .. !

مشكلات الصحافة الاسلامية :

أما عن المشـكلات فهى كثيرة .. ولكثرتها فاننا نجد أن المجال لا يتسع لذكرها فى هـذا المقام .. ولهذا فاننا سنعرضها بايجاز شديد فى الآتى : ـ

* مشكلة الكوادر الصحفية المؤهلة علميا وذلك لأن معظم القائمين عــلى أمر هذه الصحف الاسلامية هواة وليســوا محترفين أو متخصصين فى الفن الصحفى هذا الى جانب التخصـص العلمى العميق فى الــدراسات الاسلامية .

* مشكلة التمويل وهى الأساس حتى فى فى أكثر الدول تقدما حتى لا يكون المال عقبـة فى سبيل رسالة الصحافة .

* الحرية ونعنى بها جدية الرأى والقول فى مناخ صحى يحترم الرأى والرأى الآخر فى غير اثارة رخيصة ، أو دفـع الى قـلاقل ، أو ابتزاز التوجيه لأغراض شخصية .

* مستقبل الصحافة الاسلامية :

مستقبل الصحافة الاسلامية يحتـاج الى تصور اسـلامى عام موحـد يربط بين هذه المجلات والصحف .. بل بين سائر وسـائل الاعلام فى دول العـالم الاسـلامى وهـو ما يسمى بـ « الاستراتيجية الاعلامية الموحدة الشاملة » ، ويوم أن نصل الى هذا فان الاعلام الاسلامى سوف تكون له كلمة تسـمع ورأى يطاع ..!

وقـد يبدو مـن الصـعب أن تطالب كل هذا الكم ـ السابق ذكره بأن ينتظمه خط واحد

وسائل الإعلام
في المجتمع الإسلامي

وهي تابعة لجهات عديدة حكومية أو أهلية وبلدان شتى .

ولكن أليست جميعها تلتقي على كلمة سواء .. على الاسلام .. ؟!

اذن .. لماذا لا يكون هناك نوع من التنسيق بينها أي تنسيق مستطاع ! ؟

ولماذا لا يتم تبادل زيارات بين رؤساء تحرير هذه المجلات .. ؟! ولماذا لا يكون لهم سنويا لقاء يجتمعون فيه لمناقشة أعمالهم .. ؟!

ونسأل :

الا يمكن تحقيق الحد الادنى من أساسيات العمل الصحفي في توحيد هذه المجلات في الرأي تجاه المحافل الدولية بالذات .. ؟!

ثم بعد ، وفي ختام هذا البحث نود أن نطرح بعض المقترحات التي تنطلق من واقع هذا البحث لتكون أمام العالم الاسلامي أملا في عمل عظيم ــ بمشيئة الله :

١ ــ ضرورة انشاء صحيفة اسلامية يومية تعمل على سد الفراغ في الأخبار التي تنفرد بنشرها صحف غير اسلامية .. وهنا ننادي ونناشد الحكومات الاسلامية بعمل هذا .. حتى لا نترك الساحة خالية شهرا لصحافة غير اسلامية ثم تصدر مجلة هنا .. أو هناك ..!!

٢ ــ ضرورة العمل على انشاء وكالة أنباء اسلامية لها مراسلون في كل دول العالم حتى لا نستقي أخبارنا ــ من وكالات الأنباء غير الاسلامية ــ حيث تصاغ بشكل يخدم وجهة نظر بلادهم .. وحتى لا نكون مجرد مستقبلين وانما نكون أيضا مصدرين للاخبار الصادقة الامينة .. ، كما تساعد المراسلين الأجانب في الحصول على الأخبار الصحيحة .

٣ ــ أن نطرح ــ دائما ــ البدائل لما نرفضه في العمل الصحفي ولا نقف عند التحريم دون طرح الحلول والبدائل .

٤ ــ لابد من النزول الى الشارع ــ صحفيا ــ ومناقشة مشاكل رجل الشارع والاهتمام بهموم المسلم البسيط وحل مشاكله .

٥ ــ أن تخصص مساحة في صحفنا للطفل والمرأة لأن معظم المجلات الاسلامية مقصرة في حق الطفل وهو الاساس في المجتمع الاسلامي .

٦ ــ مراعاة الاهتمام بالصورة الصحفية ورب صورة أبلغ من مقال .

ولله حسن القصد ، وهو ــ سبحانه ــ نعم المعين

حسن علي محمد العنيسي

مع رسالة جامعية

الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية بالتطبيق على أثيوبيا

للباحث مرعي مذكور المدرس المساعد بقسم الصحافة بجامعة الأزهر

عرض وتقديم حمدي الليثي

تعتبر دراسة الاعلام الاسلامي ذات أهمية كبيرة في ميدان علوم الاتصال فهذا الدين قد أرسل للناس كافة وقد انتشر في بقاع كثيرة برغم مختلف العوائق التي يواجه مدة وتحاول حصره في أرض العرب . فاذا كان « علم الاتصال » بصفة عامة من العلوم الحديثة نسبيا . فان الاعلام الاسلامي هو احد مجالات الاتصال التي لم تجد النصيب الوافر من الدراسات « الاكاديمية » .

لقد تعددت وسائل الاعلام الاسلامي ولم تعد تقتصر على الوسائل الاعلامية القديمة كالخطابة والشعر والندوة فهناك وسائل حديثة وجب النظر اليها وتطويعها لمجال الاعلام الاسلامي ومن هذه الوسائل الطباعة والاذاعة بشقيها : « الراديو والتليفزيون » ثم شبكات الاقمار الصناعية وغيرها لمواكبة التطور « التكنولوجي » في صناعة الاتصال .

.. والاعلام الاسلامي الطباعي في الدول غير الاسلامية بالتطبيق على أثيوبيا » أول رسالة « دكتوراه » تناقش بقسم للصحافة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ومقدم هذه الرسالة السيد/مرعي مذكور صحفي يعمل حاليا مدرسا مساعدا بقسم الصحافة ـ جامعة الأزهر .

نوقشت الرسالة بمدرج الشيخ ابراهيم حمروش بكلية اللغة العربية بالقاهرة يوم الاربعاء الموافق ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤٠٣هـ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٨٣ م .

الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية

وتكونت لجنة المناقشة والاشراف من الاساتذة :

الدكتور طه ابو ريشة رئيس قسم الصحافة

الدكتور الحسيني ابو فرحة عميد كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة .

الدكتور سمير حسين عميد كلية الاعلام بالقاهرة .

الدكتور على عجوة وكيل كلية الاعلام بالقاهرة .

وقد استمرت مناقشة الرسالة ما يقرب من ست ساعات حصل الطالب في نهايتها على العالمية من درجة استاذ « الدكتوراه » في الاعلام الاسلامي مع مرتبة الشرف الاولى .

عرض لمحتويات الرسالة :

وقد اشتملت خطة البحث على تمهيد وأربعة ابواب وخاتمة على النحو التالي :

* **التمهيد : ويتضمن تعريفا بالمصطلحات : « الاعلام » و « الدعوة » و « الدعاية » وضرورة استخدام وسائل الاتصال الحديثة في الاعلام الاسلامي ..**

* **الباب الاول :** ويتحدث عن الاعلام الاسلامي الطباعي في البلاد غير الاسلامية وأهدافه ووظائفه .. وأصول هذا الاعلام المكتوب في المواثيق الاسلامية منذ فجر التاريخ مثل المعاهدات والمواثيق الاسلامية المكتوبة ابتداء من فجر الدعوة الاسلامية حتى الآن وبيان منهج الاعلام الاسلامي في الدعوة الى دين الله .

* **الباب الثاني :** ويتناول تحديات الاعلام الاسلامي في البلاد غير الاسلامية في أفريقيا من احتكار اعلامي دولي لقنوات الاتصال العالمية وتعدد اللغات في الدول الاسلامية وغير الاسلامية وقضية الجوع في افريقيا واستغلالها لتغيير الاتجاهات واشاعة التصورات غير الصحيحة عن الاسلام .

* **الباب الثالث :** ويتناول قضايا الاتصال الاسلامي ، فيركز على القائم بالاتصال في مجال الاعلام ، والاتصال في اطار المنظمات والهيئات والجامعات والمعاهد الاسلامية وبيان أثر هذه الهيئات والمنظمات في الاعلام الاسلامي في البلاد غير الاسلامية ، ودور التضامن الاسلامي في ايجاد صيغ للتعاون مع المسلمين في البلاد غير الاسلامية .

* **الباب الرابع :** وهو عبارة عن دراسة تطبيقية حول الاعلام الاسلامي في اثيوبيا وتتبع الوجود الاسلامي في هذه المنطقة منذ الاتصال الاسلامي الاول بها والمتمثل في الهجرات الاسلامية اليها ورسائل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى نجاشي الحبشة ، وتناول الوجود الاسلامي فيها وتناول الصراعات الدائرة بها ، ودراسة الاعلام الاسلامي المعاصر هناك .

الخاتمة: وتشمل خلاصة مركزة للبحث وأهم النتائج والتوصيات ، تشكل وثبة بالمراجع التي استندت اليها الدراسة .

وقد أعتمد البحث على المناهج العلمية التالية :

١ ـ المنهج الوصفى :

الذى يهدف الى جمع الحقائق والبيانات حول ظاهرة معينة أو موقف معين وتحليل هـذه المعطيات والحقائق والبيانات تحليلا دقيقيا وتفسيرها تفسيرا كافيا لاستخلاص الدلالات والنتائج من أجل الوصول الى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضع الدراسة للاستفادة بها فى المستقبل .

ويعتمد البحث على أكثر من نمط من أنماط البحوث الوصفية : مثل : ـ

(أ) المقارنة : التى تقارن جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر .

(ب) الارتباط : ليعين فى الوصول الى مدى ارتباط المتغيرات أو أحد عوامل هذه المتغيرات اتفاقا أو اختلافا أو انعدم هذا الارتباط ودرجاته المختلفة .

(جـ) التطور : أى : دراسة التغيرات التى تحدث فى الظاهرة أو مجموعة الظواهر بفعل مرور الزمن ، ووصف هذه التغيرات على الظاهرة ـ أو الظواهر ـ فى مجرى تطورها عبر فترات الدراسة .

(د) الاتجاهات الغالبة :

أى الحصول على البيانات وتحليلها لتحديد الاتجاهات الغالبة والتنبوء بما يمكن أن يحدث فى المستقبل قياسا على تطور الظاهرة وغلبة بعض الاتجاهات عليها .

٢ ـ المنهج التاريخى :

حيث تم جمع المعلومات ورصد الاحداث التى وقعت فى الماضى وتحليلها وتحديد الحقائق التاريخية الجزئية وتصنيفها والربط العقلى بين هذه الحقائق للخروج بنتائج علمية عن هذه الفترة والوقائع والمنطقة موضع الدراسة .

٣ ـ المنهج المقارن :

وتمت الاستفادة من هذا المنهج فى المقارنة بين جوانب التشابه والاختلاف بين بعض المناطق الاسلامية وغير الاسلامية ، وبين المناطق غير الاسلامية وغيرها من مناطق أخرى فى أفريقيا لمعرفة التأثير الاعلامى ـ الاسلامى وغير الاسلامى ـ فيها .

أما مصادر البحث ومراجعة فكانت كالتالى :

ـ المقابلات الشخصية مع بعض المسئولين فى منطقة القرن الافريقى .

ـ بعض الوثائق الرسمية والصحف والنشرات التى تصدر فى اثيوبيا .

ـ الكتب التى تتناول الاسلام والمسلمين فى المنطقة الافريقية ، وبخاصة فى منطقة القرن الأفريقى .

*** الصعوبات التى واجهت الباحث :**

أولى هذه الصعوبات تتمثل فى أن المنطقة التى أجريت عليها الدراسة التطبيقية ، وهى الدولة الاثيوبية ، شبه مغلقة وميئة بالصراعات والانقسامات وتوترات الحدود داخليا وخارجيا ، وأن كل الكتب والصحف والنشرات الرسمية التى تصدر فى أية منطقة تحمل وجهة نظر دعائية عكس ما يقدمه الاعلام فى مناطق

الإعلام الإسلامى الطباعى
فى الدول غير الإسلامية

أخرى ، مما أدى الى عدم توفر هذه المطبوعات والى أن تصير وجهة نظر واحدة .

« خلاصة هذه الدراسة »

أن طريق الدعوة الاسلامية خارج البلاد الاسلامية تسيطر عليه الاحتكارات الاعلامية الدولية المتمثلة فى وكالات الأنباء الكبرى :
الامريكية (اسوشيتد بريس ويونايتد برس انترناشيونال) .
والانجليزية (رويتر) .
ووكالة الانباء الفرنسية .
والوكالة الروسية : (تاس) .

حتى اصبحت هذه الوكالات أكبر مصدر للتدفق الاخبارى للصحافة فى العالم بما فيها الصحافة فى البلاد الاسلامية .. بالاضافة الى احتكارات الصحافة العالمية والاقمار الصناعية للاتصالات الدولية فى المناطق الاسلامية ذاتها ، وغياب أية مطبوعة تحاول للتعبير عن الوجود الاسلامى وابرازه وتقديمه الى المجال الدولى دون تشويه أو تحريف .

ثم ان الاحتكارات الدولية فى مجال الاتصال قد ساعدت على تشويه صورة الاسلام والمسلمين ووصفهم بالتعصب .. فقد قدمت المؤلفات التى تتناول الحروب الصليبية صورة قاتمة للمسلم يبدو فيها شديد التعصب غير متسامح تجاه غير المسلمين ، وتم الخلط بين القوميات والجماعات المختلفة داخل الامة الاسلامية بحيث يحمل الاسلام كل السلبيات والمتناقضات التى تظهر فى أية جماعة أو منطقة .. ومن هذا المنطلق تعددت المصطلحات مثل (التطرف الدينى) و (العنف الاسلامى .. وغير ذلك من ألفاظ بقصد تخويف وتأليب الحكومات والرأى العام العربى والدولى ضد الحركات والنزعات الاسلامية بصفة عامة باعتبار انها مصدر خطر دائم على التواجد الاجنبى ونفوذه فى المناطق الاسلامية .

ومن جهة أخرى شحن الرأى العام العالمى ضد هذه الحركات الاسلامية بصفة عامة على أساس انها خطر جديد يقف ضد رخاء الغرب — حين تصبح هذه الدول سيدة مصيرها — ومن الممكن أن يعيد هذا الخطر مأساة الحروب الصليبية من جديد .

وللاسف ، اصبح اعلامنا يردد هذه المصطلحات دون أن نحدد ونسأل أنفسنا :

— من الذى اطلق هذه المصطلحات ؟

— وعلى من اطلقها ؟

— وهل حقيقة تنطبق هذه المصطلحات على ما اطلقت عليه ؟ .

— وما الهدف الخفى من اطلاق هذه المصطلحات دون اطلاق مثلها على حركات الدم والعنف التى تسود العالم مثل جماعات الالوية الحمراء الايطالية وعصابة المافيا وغيرها .

كما ساهمت المؤلفات الغربية فى تشويه صورة المسلمين ، فكوميديا « دانتى اليجيرى » المعروفة باسم (الكوميديا الالهية) ساهمت بصورة كبيرة فى اعطاء صورة قاتمة عن نبى الاسلام وعن المسلمين ، ومع ذلك فقد تمت

ترجمتها مرات الى لغتنا العربية وقــام المترجمون بحذف هذه الاساءات عند نقلها الى لغتنا وذاعت هذه الكوميديا في الاوساط العربية أكثر من أية مخطوطة اسلامية نادرة .

وبجانب هذه الاحتكارات العالمية في مجال الاتصال وما تشيعه من تصورات غير صحيحة عن الاسلام هناك جهود كثيرة ومتعددة تبذل من جانب غير المسلمين لتحويل اتجاهــات المسلمين الدينية ، وتستخدم – في سبيل ذلك – مغريات كثيرة : سافرة أحيانا في مناطق العوز والجوع ومخيمات اللاجئين ، ومستترة في أحايين أخرى تحت ستار الاســـتشراق والبحوث العلمية والمقارنة .

•• ان الاعلام الاسلامي الطباعي في هذا العصر التكنولوجي الذي جعل من العالم كله قرية عالمية يجب أن يتوسل بكافة الوســـائل المعاصرة ، من صحافة عامة ومتخصصة ودوريات وكتب ونشرات وملصقات ولافتات اعلاميـــة واعلانية بالاضافة الى الوســـائل الدينية المتخصصة من خطب وندوات للوعظ والارشاد ثم الاذان وتحفيظ القرآن وعلومه وغير ذلك من وسائل وتطويعها .

أقول : يجب أن يتوسل الاعلام الاسلامي الى أهدافه ، وهي أهداف شريفة بذاتها ، لانها أهداف رسالة سماوية . وعليه أن يتم ذلك كله بوصفه في اطار تخصصي سليم لا يسمح أن يتسرب داخله أجسام غريبة ، وانما يخلص لاهل العلم المتخصصين في علومه ، قــال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . (النحل ٤٣) .

فالدعوة بين الاقليات الاسلامية خــارج البلاد الاسلامية وبين أصحاب الاديان الاخرى واللادينيين هي دعوة تخصصية تتطلب الاعداد للقائم بالدعوة بحيث يكون على معرفة تامــة بالظروف التارخية والسياسية والاقتصــادية للجهة التي سيقوم فيها بالاعلام عن الاسلام ، بجانب المامه وفهمه للغات الموجــــة اليهم وعاداتهم وتقاليدهم لتكون هناك قاعـــدة مشتركة ، وحتى يحدث الاعلام تأثيره المطلوب .

•• كما أن بعض الدول غير الاسلامية ، ذات التواجد الاسلامي الكبير مثل « اثيوبيا » قــد انهكتها الضغوط الطويلة والثقيلة للكنيســـة ، مما جعل الحكومة الجديدة تنهي هذا الوجود الكنسي وتتجه وجهة غير دينية (١) – اسلامية كانت أو مسيحية أو يهودية – مما يتطلب توعية خاصة من الاعلام الديني حتى تتوائم القيادات الثورية مع هذا الاعلام ولا تقف ضـــده او تحاربه .

وقد أثبتت الدراسة انه اذا كانت المذاهب والفلسفات المعاصرة قد اعتمدت على الدعاية كوسيلة لنشرها والترويج لها ، فان الاسلام قد أولى اهتماما كبيرا للاعلام الاسلامي منذ بــدء الرسالة النبوية •• فالقرآن الكريم – دستور الاسلام الاول – يعتبر رسالة الاسلام الاولى والخالدة الى الناس في كل زمان وكل مكان •• وقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – كافة وسائل التأثير المتاحة في عصره لابلاغ الرسالة التي كلفه الله بها •• فقام الرســول يعلن عن دين الله بالقرآن الكريم ، وبالحديث الشريف ، وبالخطبة النبوية ، وبالرسائل الى ملوك ورؤساء عصره ، وبالاتصال الشخصي

(١) هذا رأى الباحث – مجلة الأزهر .

الإعلام الإسلامي الطباعي

في الدول غير الإسلامية

والجماهيري وبالاستفادة من التجمعات في مواسم الحج .

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يترك وسيلة في عصره لم يستخدمها وكان يصبغ كافة الوسائل الاتصالية بصبغة اسلامية تتوسل بالكلمة الطيبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

.. ان الاسلام منذ فجره وحتى الآن قد أدرك قوة الاتصال ، وهذا الاتصال قد عرف عدة مسميات منها « الدعوة » و « الدعاية » و « الاعلام » .

وينبغي الا ننسى أن الاتصال الاسلامي في البلاد غير الاسلامية يواجه الآن تحديات متعددة خاصة بعد الموجة الروحية التي سادت العالم في الفترة الاخيرة .

لذا تقترح الدراسة ما يأتي : –

– تأسيس هيئة للدعوة الاسلامية في الخارج ، على ان تتبع هذه الهيئة جهة اسلامية ليست سياسية بحيث تتولى التنسيق والتوجيه والاشراف بين كافة الجهات العربية والاسلامية المنوطة بالدعوة الى الاسلام حتى تتوحد أجهزة الدعوة وتنطلق من منطلقات اسلامية ليست سياسية أو مذهبية .. حتى لا تنعكس الخلافات المذهبية أو الدولية على الدعاة وبالتالي على الجمهور المراد توصيل الدعوة اليه .

– التنسيق بين أجهزة الدعوة في البلاد الاسلامية ، بحيث تتوحد هذه الاجهزة في كل دولة ، مع توفير الامكانيات لهذه الاجهزة .. ففي مصر مثلا توجد عدة جهات للدعوة منها : الأزهر الشريف بهيئاته المختلفة ، ووزارة الاوقاف ، بالاضافة الى الجمعيات الاهلية ومن الواجب التنسيق بين مختلف هذه الجهات .

– رسم خريطة للاعلام الاسلامي في الخارج ، بحيث تشمل هذه الخريطة وضع المسلمين في الخارج والاماكن ذات الاولوية في توجيه الدعوة اليها والوسائل .. وتوضح عليها :

* كيفية الاعلام للاقليات الاسلامية في العالم .. ووضع هذه الاقليات .
* طرق الاعلام عن الاسلام بين اصحاب الاديان السماوية من المسيحيين واليهود .
* وضع اللادينيين في العالم وانتماءاتهم والمؤثرات التي يستجيبون لها .

على ان تشمل هذه الخريطة كافة ما يتعلق بوضع كل هذه الطوائف ومشاكلها وثقافاتها للاستفادة منها في توجيه الوسائل الاعلامية المناسبة التي تؤثر في الجمهور الموجهة اليه الرسالة الاعلامية .

– وضع المناطق الاسلامية – خارج البلاد العربية موضع الاهتمام في الاعلام الاسلامي ، فبعض هذه المناطق رغم كثرتها الاسلامية تعاني ضغوطا مختلفة .

– توطين القائم بالاتصال في المنطقة التي يدعو فيها الى الاسلام حتى يكتسب خبرة ويتآلف مع من يدعوهم الى دين الله ويفهم حقيقة المجتمع الذي هو فيه .

ـ الجمع بين الوسائل الاعلامية المختلفة ـ الحديثة والتقليدية ـ وتكيف هذه الوسائل بحال العصر بحيث تعمل الصحافة (جرائد ومجلات) والكتب والاقوال المذاعة (مرئية وغير مرئية) والخطبة جنبا الى جنب وتحميل هذه الوسائل الاتصالية المضمون الاسلامي .

ـ وضع كتب ورسائل مبسطة عن الاسلام باللغات الاجنبية على ان تتناول هذه المطبوعات قضايا العصر من وجهة نظر اسلامية ، وتعالج مبادىء الاسلام وتحمل المعلومات الصحيحة عنه وتبرز أمجاده ودوره في الحضارة ، وتزويد المراكز والجاليات الاسلامية وأماكن التجمعات في الخارج بهذه المطبوعات .

ـ وضع كتب مبسطة باللغة العربية لتعليم العربية قراءة وكتابة وطبع مواد هذه الكتب على أشرطة تسجيل .. بحيث تكون مواد هذه الكتب في صورة حوار حتى يخدم الحاجة اليومية ، وعقد دورات بشكل منتظم لهذا الغرض في المراكز الاسلامية والمساجد في الخارج وتقديم المنح الدراسية بالجامعات الاسلامية للمتفوقين في هذا المجال .

ـ دراسة امكانية انشاء صحيفة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية اسلامية بعدة لغات تصدر في يوم واحد بالعواصم العالمية بحيث تنسق هذه الصحافة جهودها وتتعاون في ابراز رسالتها واذابة الحواجز بين المسلمين وتتمتع بالاستقلال الذى يمنعها من الوقوع تحت تأثير الاجهزة الحكومية والتيارات السياسية المختلفة ، على أن تتسلح هذه الصحافة بالعلم والمعرفة لتتصدر الساحة الثقافية في جميع المجالات ، ففي مجال التشريع تبرز النظم الاسلامية ، وفي مجال الكون تبرز آيات الله وقدرته ، وفي مجال التاريخ تبرز أمجاد المسلمين وسيرة السلف الصالح ، وفي مجال الادب تحرس لغة القرآن وتربط النفس بخالقها وفي مجال المرأة توضح العطاء القرآني للمرأة والتكريم الاسلامي لها .. هذا بالاضافة الى المتابعة اليومية الحية للواقع الاسلامي في مختلف أرجاء العالم .

ـ المساهمة في انشاء « أوقاف » اسلامية على مستوى العالم الاسلامي ، تمول من أوقاف المسلمين في الدول العربية والاسلامية ، وتضمن دخلا ثابتا يوجه للمؤسسات الاسلامية في الخارج .

ـ انشاء مكاتب اسلامية في الخارج لمتابعة ما ينشر عن الاسلام في الكتب الدراسية وفي البحوث والدوريات والوسائل الاعلامية الاخرى ، وتكون مهمة هذه المكاتب تصحيح المفاهيم الخاطئة التي ساهمت في رسمها الدوائر الصهيونية وبعض المستشرقين عن الاسلام والمسلمين والرد على كتابات المنصرين والمستشرقين التى تهجموا فيها على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى التعاليم الاسلامية .

ـ مواجهة محاولات الاستقطاب الدولى ووضع حد للمواجهات بين الدول الاسلامية ، وتوحيد الجهود الاسلامية والعمل على ابراز كيانها المستقل والمتميز على المستوى الدولى .

ـ الاستفادة من موجة التدين التى سادت العالم في الفترة الاخيرة بعد فشل الحضارة الغربية ، وتبادل زيارات المفكرين المنصفين للاسلام والوقوف بجانب هؤلاء المفكرين ضد

الإعلام الإسلامي الطباعي
في الدول غير الإسلامية

موجات العداء الغربي لهم ، فاذا كان جارودي المنظر السابق للماركسية في فرنسا ، و « موريس بوكاي » الطبيب الشهير وصاحب المنهج التجريبي في العلوم ، وللفيلسوف السويسري « دومينيك جوردان » وغيرهم من المفكرين قد دخلوا الاسلام عن اقتناع ودراية ، ولفتوا أنظار العالم الى قوة الدين الاسلامي وعظمته ، فواجب الاعلام الاسلامي مساندة هؤلاء الاعلام في الدعوة للاسلام وابراز جهودهم حتى لا يطولها التشويش المناهض الذي سبق أن كان وراء تشويه أغلب من دخلوا الى الاسلام ومنهم « ليج ياسو » الذي تولى عرش الحبشة وأعلن اسلامه ، عام ١٩١٣ ، لتتبعه محاولات التشويه من المنظمات التبشيرية المختلفة حتى لختفى نهائيا حتى الآن .

ـ الاهتمام بالاقليات الاسلامية في البلاد غير الاسلامية ومطالبة الدول بمعاملة هذه الأقليات بنفس معاملة غير المسلمين في المجتمع الاسلامي وربط هذه الاقليات بالمجتمع الاسلامي .

ـ اعادة النظر في مواثيق المنظمات الاسلامية لتحقيق التكامل الاقتصادي بمفهومه الاسلامي والالتزام باستراتيجية ثابتة بالنسبة للقضايا المشتركة بحيث يعضد التكامل الاقتصادي الاعلام الاسلامي من كافة جوانبه .

وبعد :

فان هذه الرسالة توضح أن الصحفي المسلم داعية ومبلغ وليس مجرد ناقل للأخبار أو باحث عنها . فهو بجانب وظيفته الاتصالية له أيضا دوره القيادي والفكري في مجتمعه الاسلامي ، خاصة وأن هذا المجتمع الاسلامي يتمتع بثروة بشرية تبلغ ربع سكان العالم وقوة مادية متميزة من حيث الموقع والمساحة الممتدة والثروات الهائلة تحت أقدامه بالاضافة الى العقيدة الراسخة التي تخاطب العقل دون وسيط بين الانسان وخالقه .

فهذه القوى المتعددة لا ينقصها سوى أن تعمل للاسلام فكرا وسلوكا ونظاما وتضامنا .
وجزى الله الباحث عن الاسلام خير الجزاء .
حمدي الليثي

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

● ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر ●

تجديد مقام الضريح

س : من السيد / محمد عبد السلام

هل يجوز تجديد مقام ضريح لولى من اولياء الله الصالحين ، علما بان هناك من يعارض ذلك من أهل البلد وهناك من يؤيده فما الحكم ؟

ج : لا مانع من تجديد المقام للمحافظة على ذكرى هذا الولى ، وايقاظا لشعور الناس حتى يسيروا فى طريق الصلاح الذى انتهجه فى حياته، وذلك اذا لم يكن فى ذلك تضييق على المسلمين فى مدافنهم ، ولم يحصل منه افتتان الناس فى دينهم .

الزكاة عن الأرض

س : الدكتور ف ــ عيد يوسف

اشتريت قطعة ارض بقصد تقسيمها وبيعها قطعا للسكن على سبيل التجارة . ثم بعت البعض نقدا وتسلمت ثمنه ، وبعضها بعته بثمن مؤجل على اقساط ، والبعض الاخر لا يزال موجودا تحت يدى ومعروضا للبيع ..

فكيف أخرج الزكاة عن كل ذلك ؟

ج : ان ما باعه وقبض ثمنه يزكى عنه زكاة النقد (الذهب والفضة) اذا حال عليه الحول وكان نصابا ، ومقدارها اثنان ونصف فى المائة (٥ر٢٪) يعنى ربع العشر وما باعه لأجل بثمن لم يقبضه يزكيه اذا قبضه لحول مضى .

وباقى القطع التى هى تحت البيع تقوم كعروض تجارة بثمن اليوم الذى يتم فيه الحول وتزكى قيمته زكاة عروض التجارة وهى ربع العشر .

زكاة المال إلى المستشفى

س : من السيد رئيس لجنة الهلال الطبية

هل يجوز اعطاء زكاة المال الى مستشفى خصما من القدر المفروض للزكاة ؟

ج : يجوز اعطاء جزء من هذه الزكاة لهذا المستشفى العام باعتبارها تعالج المرضى من الفقراء والمساكين ، وعلى اعتبار أنها جزء من مصرف الزكاة فى قوله سبحانه « وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ » .

في الميراث

س : من السيدة / س٠ع٠ سليمان
صرفت الحكومة تعويضا لابنى(المتوفى) اشترينا به قطعة ارض ، وكان والده وامه واخوته موجودين ٠٠٠ ثم توفى الوالد وترك : زوجة ، اولادا ذكورا واناثا من زوجتين ٠٠٠ فما الحكم مع العلم بان اخوة من صرف تعويضا قاموا ببناء الأرض المشتراة ٠٠ ؟

ج : البناء من حق من قام ببنائه بدون أن يشاركهم أحد ٠

أما قطعة الأرض : فللأم السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والأخوات ، وللأب الباقي تعصيبا ٠٠٠

هذا الباقي يوزع : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقي لأولاده تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠

س : من السيد عبد السلام عبد العزيز
توفيت امرأة عن : زوج ، أخت لأم ، أخ لأب ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : الزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت لأم السدس فرضا لعدم من يحجبها ، والباقي للأخ لأب تعصيبا ٠

تصويب

ننشر فيما يلي تصحيحا للفتوى المنشورة في عدد ذى القعدة سنة ١٤٠٣ هـ حيث أعطى الزوج خطأ الثمن والصواب الربع وهي :

س : من السيد س٠ع٠ عبد المقصود
توفيت زوجتي وتركت منقولات قد اشتريناها معا مناصفة ، ولها زوج ٠ وبنت فقط فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : نصف المنقولات ملك خالص للزوج ، أما النصف الباقي الخاص بالزوجة فيكون للزوج الربع لوجود الفرع الوارث ، والباقي للبنت فرضا وردا لعدم من يعصبها ٠

والمحرر يعتذر عن هذا الخطأ بانه سبق قلم ، فنصيب الزوج في الميراث لا يخفى على أحد لقوله تعالى : « وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ » جزء من الآية ١٢ من سورة النساء ولا يفوتنا أن نشكر للسادة الاعزاء قراء المجلة حسن فقههم وحرصهم على صحة أحكام دينهم ــ فقد بادر الكثير منهم بالكتابة الى المجلة بل قد ارسل أحدهم برقية ٠٠ وان كانت قد وصلت متأخرة ــ وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، آمين ٠

عبد الحميد السيد شاهين

الأزهر في ألف عام

مع الحدث العظيم لألف عام مجيدة فى خدمة الاسلام والمسلمين تقدم الكثير من أبنـاء مصر ببحوث — الى اللجنة العليا للاحتفال بالعيـد الألفى — تسجل نشاط هذا الجامع الجامعة فى مختلف نواحيـه ·

كذلك كتب كثير من المسلمين فى انحـاء شتى من البلاد الاسلامية يرحبـون بهـذه المناسبة الجليلة لهذا التاريخ العظيم ·

ومجلة الأزهر تقدم فى هذا الباب موجـزا لكل رسالة ثم تقدم تنويها بكلمات الكتـاب الاسـلاميين الذين قدموا لمصر التحية البارة ، وللأزهر التقدم العظيم ·

وهذا هو الكتاب الأول

الأزهر ودوره فى الحفاظ على اللغة العربية

للأستـاذ على الفـلال

افتتح الكاتب بحثه ببيان أن القرآن الكريم محفوظ من عند الله وأن الكتاب العزيز كان سببا فى حفظ اللغة العربية من لهجات القبائل المختلفة اذ جنبها من مثل عجعجة قضاعة ، وطمطمانيـة حمير ، وتلتلة بهراء ، وعنعنة تميم ، وكشكشـة أسد وغيرها مما يثقل على اللسان وتنفر منه الآذان ·

ثم تحـدث عن القـرآن وأثره فى توحيـد اللهجات العربية وتناول بعد ذلك أثر الفتوحات الاسـلامية على اللغة العربية ومـا أصابها من اللحن والتكتـات الاعجميـة ثم أورد سردا للمجهودات التى قام بها الخليفة الراشد عثمان ابن عفان — رضى الله عنه — فى جمع القـرآن الكريم فى المصحف الامام الذى التزمت بـه الأمصار الاسـلامية ·

ثم تحدث عن علم النحو وعلم اللغة وعـلم

البيان وعلم الأدب .

وعن الجامع الأزهر فرأى أنه لم يكن مسجدا لأداء الفرائض فحسب وانما كان جامعة بمعنى الكامة زاد فيه النشاط العلمي وتنوعت فيه العلوم والفنون وأصبح قبلة العلماء المتبحرين من رجال الشريعة الاسلامية .

ورأى أن صلاح الدين الأيوبي لم يحارب الأزهر كجامعة تذود عن الدين وتحمى لغة الكتاب والسنة وانما حارب في رحابه الدعوة للمذهب الشيعي دون أن يسيء الى علمائه أو يحرم عليهم البحث أو يقيد فكرهم الا في العلوم العقلية وبخاصة الفلسفة لاعتقاده أنها مفسدة للعقيدة . ومما لاشك فيه أن الأزهر قد أصابه الركود في الحركة العلمية على حين نشطت في المدارس الكثيرة التي بناها سلاطين الأيوبيين . الا أن هذه المدارس انما نشطت ــ اذ نشطت ــ بما استمدته لكيانها من الأزهر .

واهتم بالحديث عن العصر الذهبي للأزهر والظاهر بيبرس . الذي أعاد للأزهر خطبة الجمعة بعد أن كانت معطلة في العصر الأيوبي .

وقد حاز العلماء ورجال الدين في هذا العصر احتراما كبيرا من السلطة وحظي الأزهر في عهد دولتي المماليك « البحرية والبرجية » من العناية والبر بما تتضاءل ازاءه جهود الفاطميين منشئيه وأصحابه .

واهتم الباحث بالحديث عن اللغة والأدب في العصر المملوكي ودور الأزهر في حمايتها . حيث لم تستطع القلة من ذوي الثقافة اللغوية وقف تيار العامية الجارف وأدى ذلك الى :

ــ أن فشت الألفاظ الدخيلة في اللغة بكثرة صعب معها على متناول صناعة الأدب غربلة التراكيب وتنخل الأساليب ليسلم كلامه من دخيل الألفاظ وعامي الكلمات ، فضعفت ملكة اللغة ، وكان للأزهر حيال ذلك عمل جليل .

دور الأزهر في درء هذا الخطر :

لم يترك علماء الأزهر هذا الخطر يتهدد لغة الكتاب والسنة فاسرعوا بدافع من غيرتهم واخلاصهم لدينهم وعروبتهم الى مقاومة هذا الخطر ووقف استشرائه والعمل على تحصين الكتاب والسنة من خطر عدواه . فبدأوا يهتمون بتاليف المعاجم لتكون مراجع لمزاولي صناعة الأدب تعينهم على التفرقة بين الأصيل والدخيل وعلى تفهم استعمال الألفاظ ذات الدلالات المتعددة : فكان اهتمامهم بعلم النحو ليقضوا على شيوع اللحن . كما قاموا بتاليف كثير من الكتب الأدبية الفريدة لاثراء الملكات اللغوية والأدبية عند الراغبين .

ثم تحدث عن الأزهر في العهد العثماني .

الأزهر والحملة الفرنسية

الأزهر في عهد محمد على

بدء الاصلاح الحقيقي للأزهر مع التنويه بعدة قوانين صدرت في شأن الأزهر .

من اعلام الأزهر

ثم تساءل ــ في ختام البحث ــ عن السبب في غياب اللغويين المجيدين والأدباء المبدعين والقصاص البارعين والخطباء المصقعين والكتاب المقنعين من بين خريجي الأزهر ؟

وأرجع ذلك الى عدم التوفيق فى الاعداد ، والى ضعف فى الاستعداد وفى النهاية تقدم الكاتب مجموعة من التوصيات التى ترتقى بمستوى التعليم فى الأزهر من بينها :

تدعيم مدارس تحفيظ القرآن الكريم بقدر كاف من دراسة النحو والصرف مع حفظ مقدار من جيد الشعر والنثر .

والالمام بقواعد الاملاء واتقان الخط اذا شئنا أن نخرج فى المستقبل أدباء مرموقين ، وكتابا مجيدين .

* يجب علينا أن نفرق منذ ابتداء الدراسة بالمعاهد الأزهرية بين من يتطلعون الى المستقبل على أن يكونوا أطباء ، أو صيادلة ، أو مهندسين الخ .. ومن يرغبون فى أن يصبحوا بعد التخرج مدرسين للغة وآدابها . وذلك بأن يتخصص طلبة كليات اللغة العربية من باكر دراستهم بالمعاهد فى دراسات النحو وفقه اللغة والبلاغة والأدب وما اتصل بعلوم اللغة وبالله التوفيق .

هزوا القرى من كهفها ورقيما
انتم لعمر الله أعصاب القرى

وهذا مقتطف مما دونه الباحث .

وبالله التوفيق .

الأزهر والدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج

للسيدة خديجة عبد الله النبراوى عرض الأستاذ محمد عبد الحميد بشير

هذا البحث رؤية خاصة عن دور الازهر فى الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج هذه الرؤية ناتجة عن أن القائم بهذه الدعوة هو الأزهر الشريف بتاريخه المضيء .

ان اروع ما فى هذا الأزهر أن (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) التوبة ١٠٨ انهم عظماء الرجال الذين رزقنا الله بهم ، حملوا مشعل الدعوة وخاضوا من أجلها كل الصعاب وهم يستعذبونها ، جاهدوا الجهاد الاكبر بمحاربة كل من تسول له نفسه المساس بهذا الدين انهم بحق : (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) النور ٣٧ ، ولذلك فهذه الرؤية الخاصة لدور الأزهر فى الدعوة الاسلامية تتركز على الركائز الآتية :

* يقين خاص بحب رجال الأزهر لله ورسوله لأنهم درجوا على هذا الحب وتدربوا عليه جيلا بعد جيل .

* قدرة هؤلاء الرجال على التضحية بكل غال ونفيس وتاريخ الأزهر المضيء، ومواقف رجاله المشهودة خير دليل على ذلك .
* الصحوة الاسلامية التي يشهدها العالم الاسلامي تتطلب قائدا يأخذ بخطاها الى الطريق المستقيم حتى لا تتعثر في مواجهة التيارات المعادية . ولا يوجد من يقوم بهذا الدور خير من الأزهر لخبرته في الدعوة الاسلامية .
* المد الاسلامي الذي يجتاح العالم ويسبب رعبا للدول الغربية ، جدير ببذل مزيد من الجهد لتحقيق مزيد من النمو له ليحتل الاسلام المكانة اللائقة به بالنسبة للقوى الدولية لأنه أساسا رسالة عالمية .
* توقعات كثيرة من المحللين العالميين على جميع المستويات بأن ثورة القرن الحادي والعشرين هي أن تصير القوة الاسلامية بما تمثله من خصائص احدى مصادر الطاقة التي تتحكم في صنع القرار السياسي الدولي في العالم المعاصر .
* أن سبب تخلف العالم الاسلامي هو البعد عن منهج الله وسبب تدهوره هو ذلك التخلف الفكري والثقافي الذي يعيش فيه .
* ان الأزهر يملك رصيدا من الحب من الشعوب الاسلامية يعجز أي قلم عن وصفه وهذا الحب يفرض عليه التزاما كبيرا نحوهم .
* ان دور الأزهر في الداخل لا يقل عن أهمية دوره في الخارج :

فان دوره في الداخل يعني دور الدين في حياة الشعوب أي يعني الرقابة الداخلية على الضمير التي تحقق أقصى كفاءة انتاجية ممكنة في العمل تصنع الاصلاح الشامل والتقدم والرفاهية .

أما دوره في الخارج فهو يعني احتياج الشعوب الاسلامية والأقليات المسلمة في كل مكان الى تحقيق الانتماء الى عاصمة اسلامية معنوية ترشدها الى ما فيه خيرها وتساعدها على حل مشكلاتها والوقوف بجانبها وقت الشدة معنويا وماديا ورفع صوتها عاليا في المحافل الدولية .

* ان الأزهر يملك أقوى سلاح في العصر الحاضر ، وهو سلاح الكلمة اذا أحسن استخدامه الأمثل .

وقد شمل هذا البحث ثمانية فصول وتشتمل تلك الفصول على ما يأتي :

*** الفصل الاول ــ مفهوم الدعوة :**

لقد استخلصت مفهوما للدعوة من المفاهيم السابقة مع اضافة تفاعل احساسها البشري بهذا المفهوم . وخاصة أن هذا المفهوم دعامة أساسية ينطلق منها التصور الداخلي لدور الأزهر في الدعوة الاسلامية . ونلاحظ أن الباحثة أوجزت في هذا الفصل لأنه وسيلة في البحث وليس غاية .

*** الفصل الثاني ــ تاريخ الأزهر المضيء :**

ويتكلم هذا الفصل عن نشأة الأزهر ودوره خلال عصور التاريخ حتى ثورة ١٩٥٢ . ولما كان هذا التاريخ وسيلة أيضا وليس غاية فقد استعرضت الباحثة هذا التاريخ بما يلقي ضوءا واضحا للقارئ العادي عن الدور العظيم الذي قام به الأزهر لنشر ودعم الدعوة الاسلامية بمفهومها الواسع . وختمت الباحثة هذا الفصل بلمحات من استقراء هذا التاريخ توضح كيف استقر الأزهر في وجدان الشعب المصري والشعوب الاسلامية عامة .

الفصل الثالث ــ رجال الأزهر ومواقف مشهودة :

وقد أوجزت الباحثة فى هذا الفصل دون اخلال بالمضمون ولكنه ايجاز لم يسمح بعرض مواقف كل رجال الأزهر الخالدة لأنها مواقف تجل عن الحصر .

* **الفصل الرابع — دور الأزهر فى الداخل :**

وفيه رؤية خاصة لامكانيات الأزهر المستقبلية فى الداخل وهو موضوع لم ينل عناية من الكتاب واذا تكلم فيه أحد فبطريقة جزئية وليست كلية وشاملة تتفق مع دور الأزهر فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنواحى العسكرية . ثم أنهت الباحثة هذا الفصل بالحديث عن دور الأزهر فى عملية التنمية التى تستغرق أشد الحاجة اليها .

* **الفصل الخامس — انطلاقة الأزهر الى الخارج :**

وهو بمثابة دراسة تخطيطية لكيفية تحقيق تلك الانطلاقة على أسس سليمة بحيث تحقق أحسن نتائج ممكنة .

* **الفصل السادس : مشاكل الأقليات المسلمة:**

وفيه تم تناول مشاكل الأقليات المسلمة فى أفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا واختيار بعض الدول كنماذج لبقية الدول التى تعانى نفس المشاكل .

* **الفصل السابع : التحديات التى تواجه الأزهر :**

وتم فيه استعراض التحديات التى تواجه الصحوة الاسلامية والكثير من العقبات التى تواجه الأزهر بصفة كونه الرائد الذى يحمل على عاتقه نشر الدعوة الاسلامية وحيث انه رمز الانتماء الاسلامى بالنسبة للمسلمين . وهذه التحديات لابد من الصراحة فى مواجهتها ومحاولة وضع الحلول لمجابهتها .

* **الفصل الثامن — عالمية الدعوة الاسلامية :**

وفيه عرضت الباحثة الخصائص والمقومات التى جعلت الدعوة الاسلامية دعوة عالمية لتكون فى متناول الدعاة سنة ٢٠٠٠ هؤلاء الدعاة الذين سيخوضون حركة المد الاسلامى فى القرن الحادى والعشرين ان شاء الله ويحققون أهمية الدعوة الاسلامية .

وفى خاتمة البحث تحدثت عن كيفية الصحوة الاسلامية فقالت :

ان البداية هى ماعلمنا ربنا ، فليس من قبيل المصادفة أو العبث — حاشا لله — أن تكون أول كلمة فى القرآن هى : (اقرأ) . انه العلم الذى أمرنا به العليم الخبير .

فمعظم المشاكل التى تقابل العالم الاسلامى سببها جهل المسلمين ، سواء أكان هؤلاء المسلمون أقلية أم أغلبية ، لأن الجهل يقصر العقيدة على مجال الوجدان فقط وهو مجال لا يصلح لممارسة الحياة ، فقد تعلمنا من الكلمات المأثورة أن الحياة للأصلح ، ومن طلب العلا يعلو ، ومن جد وجد ، وما ضاع حق وراءه مطالب . فيجب على الفئة المتعلمة من المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تعليم أى عدد من المسلمين فى حدود استطاعتهم لأن الكثرة الجاهلة من المسلمين هى كغثاء السيل لا قيمة لها .

ثم تحدثت عن أهمية العلم فى اصلاح المجتمعات الاسلامية ثم عن الطريق الوحيد للاصلاح فقالت : ان الطريق الوحيد للاصلاح بالنسبة للمسلمين هو العلم وليس العلم فقط بل العلم المقترن بالعمل أى العلم التطبيقى لأنه أساس كل اصلاح والآيات التى تتكون من كلمة (ع . ل . م) تبلغ ٣٥٩ آية عدا الآيات الأخرى والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو بشكل أو بآخر الى العلم والعمل . وهذا مقتطف مما دونته الباحثة . وبالله التوفيق .

مجدى عبد الحميد بشير

أعمال الكتاب والهيئات

فى الإحتفال

بالعيد الألفى للأزهر

... وكما تناول الدارسون كثيرا من جوانب نشاط الأزهر فى مختلف الميادين بالدراسة وقدموا فى ذلك بحوثهم للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى فقد شارك الكتاب المسلمون والهيئات فى مصر وخارجها بجهودهم الكريمة فى هذه الذكرى لما لها من كريم المشاعر فى قلب كل مسلم يعتز باسلامه ويرى فى الأزهر مصدر العلم لهذا الدين الحنيف .

ونعرض - هنا - بايجاز لهذا الجد الكريم .

* ففى الأزهر :

* ساهمت جامعة الأزهر الى جانب احتفالها بالعيد الألفى باقامة عدة مسابقات وأنشطة فى كل من المجال الدينى والثقافى والرياضى والكشفى . وأعلنت الادارة العامة لرعاية الطلاب عن مسابقة دينية فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب وطالبات الجامعات والمعاهد العليا على مستوى الجمهورية وأجريت المسابقة بقاعة الامام محمد عبده فى الفترة من ٣/٥ الى ٨٣/٣/١٠ وقد رصدت الجامعة لهذه المسابقة خمسا وثلاثين جائزة أعلاها أداء العمرة ، وفاز بها الخمسة الاول من الحفظة ، يليها جوائز مالية تراوحت قيمتها بين (١٥٠) مائة وخمسين جنيها الى خمسين جنيها .

وأعلنت الادارة العامة بالجامعة عن مسابقة ثقافية كبرى بهذه المناسبة فى مجالى البحث والشعر .

* كذلك قامت المناطق الأزهرية باعداد كتيبات هذه المناسبة حرصت على التعريف بتاريخ الأزهر فى مختلف عصوره وأبرزت دور علمائه للكبار على مدار هذه العصور ، كما سلطت الاضواء على كفاح الأزهر فى سبيل تحرير مصر والعالم الاسلامى كذلك اهتمت هذه الكتيبات باعطاء بيان عن نظام التعليم بالأزهر . تناول جهود العلماء تدريسا وتأليفا فى مختلف العلوم .

* ومن هذه الكتيبات :

١ - مجلة بعنوان (الأزهر فى عيده الألفى) أصدرها معهد الورديان بمحافظة الاسكندرية .

٢ - كتيب بعنوان (الأزهر فى ألف عام)

أصدره معهد المحلة الكبرى الديني بمحافظة الغربية .

٣ – كتيب للتعريف بأصحاب الفضيلة شيوخ الأزهر أصدره معهد الباجور الديني .

* وقد شاركت الادارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر في هذه المناسبة باجراء مسابقات اجتماعية ورياضية الى جانب مهرجانات كشفية بالمعاهد وعلى مستوى المناطق وكان للنشاط الثقافي دور بارز في اهتمامات الادارة العامة لرعاية الشباب فأجرت مسابقات ثقافية في الشعر والخطابة وصحف الحائط .

وفي الوزارات :

* ساهمت وزارة الاوقاف بعديد من الانشطة بلغ ستة عشر نشاطا منها :

* اقامة ثلاثين سرادقا بمختلف عواصم محافظات الجمهورية ليحاضر فيها أئمة الفكر وأساتذة الجامعات والمهتمون بالشئون الدينية في هذه المناسبة .

كذلك تم اختيار عدد من المساجد الكبرى بالمحافظات ليلقى فيها (١١٠٠) طوال أيام الاحتفال أختير لها المحاضرون من الأئمة والوعاظ والمدرسين بالمعاهد الازهرية .

* وشاركت وزارة الاعلام بتغطية اعلامية مكثفة للاحتفال تبرز جلال المناسبة ، فكانت البرامج في وسائل الاعلام المسموعة والمرئية عن الأزهر ودوره تعطى أبعادا حية عن الأزهر وعمله وجهاده خلال القرون العشرة التى عاشت مصر في ظلها تلقى من المسلمين كل اعزاز وتكريم بفضل احتضانها للأزهر .

* وقدمت وزارة الثقافة من خلال الثقافة الجماهيرية أعمالا عدة تناول بعضها علاقة الأزهر بالجماهير ، والحركة الوطنية ، وتأثيره على الحركة الفكرية والادبية .

والهيئات :

ساهمت الهيئة القومية للبريد باعداد طوابع تذكارية تخليدا لهذه المناسبة .

كذلك أصدرت مصلحة سك العملة المصرية جنيها فضيا و خمسة جنيهات ذهبية تم بيعها للمواطنين في هذه المناسبة . وقامت الهيئة العامة للكتاب بالتنسيق مع الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للازهر باعداد كتاب تذكارى يكون سجلا حافلا بجهاد الازهر ورجاله بالاضافة الى القاء الضوء على عمارة الأزهر وأروقته ومدارسه .

وقامت هيئة الآثار المصرية ببعض أعمال الترميم والطلاء لمبنى الجامع الأزهر .

والكتاب :

هذا وقد أسهم معظم الصحفيين بالكتابة عن الأزهر في هذه المناسبة الفذة ، وقدموا كلمات عبرت عن آمالهم وآرائهم ومقترحاتهم ليمضى الأزهر في أداء رسالته قدما على أرفع مستوى يأمله المسلمون حاضرا ومستقبلا .

أنباء وآراء

هيلموت شميث يعلن فى الأزهر الشريف :



■ كل الملوك والرؤساء الذين التقيت بهم قالوا
إن جامعة الأزهر هى الجامعة الأم

* استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه بالأزهر الشريف مستر هيلمون شميث مستشار المانيا السابق والوفد المرافق له حضر المقابلة فضيلة الدكتور محمد اسعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الشيخ عبد الحكيم نعناع وكيل الأزهر وقد رحب فضيلة الامام الاكبر بالضيف الألمانى والوفد المرافق له وشكرهم على هذه الزيارة الودية التى تاتى من منطلق التقدير العظيم والعميق الذى يحمله المستشار شميث وشعب المانيا الصديق للاسلام والمسلمين • وقد قام فضيلة الامام الاكبر بشرح الدور العظيم الأزهر والازهريين فى عالمنا المعاصر وكيف ان علماء الأزهر ينتشرون فى كل مكان من العالم يؤدون رسالتهم العظيمة كما وضح فضيلة الامام الاكبر دور جامعة الأزهر وكيف ان خريجيها اصبحوا متخصصين فى شتى فروع المعرفة دينية وعلمية •

وقد استفسر الضيف الالمانى عما اذا كان هناك بحوث علمية تقوم بها جامعة الأزهر فى تاريخ الاديان وتاريخ الأنبياء •

فهل هناك دراسات عن سيدنا ابراهيم او سيدنا موسى او سيدنا نوح عليهم السلام لان هؤلاء الانبياء يدرسون فى المسيحية •

ووضح فضيلة الامام الاكبر ان القرآن

إعداد : صفوت عبد الجواد • أحمد عبد الرحيم السايح

■ نحن مدينون بتقدمنا للثقافة والحضارة العربية والإسلامية

■ جئت لكي أطلب من الأزهر المساعدة في دراساتي للأديان المقارنة بصفتي متخصصاً في علم مقارنة الأديان .

الكريم نفسه جاء بقصص هؤلاء الأنبياء وتقوم كلية أصول الدين وكلية الدعوة بدراسة تلك للطلاب المتخصصين .

وقد ذكر مستر هيلموت شميت في حديثه مع فضيلة الامام الاكبر ان تخصصه في (علم مقارنة الاديان) واعرب عن امله في ان يزوده الأزهر بالمؤلفات .

واستفسر فضيلة الامام عن مؤلفات مستر شميت في علم الاديان المقارن فاجاب انه تخصص من حيث الدراسة وشغلته السياسة ولكن ان شاء الله سوف يعود للدراسة مرة اخرى .

وقد سر المستشار بتخصيص قسم المانى للدراسة بجامعة الأزهر واشار بفضل العرب على الفكر الالمانى منذ اكثر من الف عام . وقال قد تعلمنا من العرب الرياضة والفلك والآداب اليونانية والفلسفة والتاريخ اليونانى كل ذلك جاءنا عن طريق العرب وليس عن طريق الرومان فاماالطب فقد جاءنا عن طريق العرب .وتحدث المستشار شميت عن العلاقات الثقافية بين المانيا والعرب وعن ازدهارها خاصة مع مصر .

وقد وضح فضيلة الامام الأكبر للمستشار الالمانى دور الأزهر وعلمائه وما اسهموا به من حضارة وتقدم واشار الى مكتبة الأزهر التى تضم الآلاف من المخطوطات والكتب .

وقد استفسر المستشار شميت عن بدء طباعة المخطوطات فاجاب فضيلة الامام بانها بدات من القرن الماضى . ثم تساءل المستشار عن العلاقة بين الأزهر والسربون فاجاب فضيلة الامام الاكبر بان كثيرا من علماء الأزهر درس بالسربون امثال فضيلة الامام الراحل د . محمد الفحام ، د . محمد عبد الله دراز وتخرج من الجامعات الالمانية د . محمد البهى، د . محمد عبد الله ماضى .

وفى ختام اللقاء شكر المستشار الالمانى فضيلة الامام الاكبر على استقباله لسيادته وللوفد المرافق له .

تطبيق الشريعة الاسلامية فى موريتانيا

تم تطبيق الشريعة الاسلامية فى موريتانيا ، وصدرت احكام بقطع يد السارق ، ورجم الزانى . صرح بهذا الشيخ محمد الغالى ، المستشار الدينى لرئيس جمهورية موريتانيا .

واضاف قائلا : انه تم تشكيل لجنة لدراسة تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجال

الاقتصادى بهدف تطبيق الشريعة تطبيقا كاملا فى مختلف المجالات . وقال : ان عدد المدارس الاسلامية هناك بلغ ستين مدرسة فى مختلف المراحل الدراسية ، تضم عشرة آلاف طالب .

مركز اسلامى جديد فى شيكاغو

تم بعون الله تعالى وتوفيقه . الاتفاق مؤخرا بين مجلس التربية والتعليم لمدينة « فيلا بارك » احدى ضواحى مدينة شيكاغو الغربية .. حيث يوجد أكبر تجمع اسلامى فى الولايات المتحدة الامريكية .. وبين مجلس ادارة المؤسسة الاسلامية بالمنطقة ، على أن تنتقل ملكية مدرسة « ماديسون » بالمدينة الى المؤسسة الاسلامية .. حالما تنتهى الاجراءات القانونية المتعلقة بعملية الملكية وقد بدأت المؤسسة الاسلامية برامجها الاسلامية فى المنطقة متخذة من هذه المدرسة مركزا اسلاميا جديدا لاقامة الصلوات الخمس ، والجمعة ، وعقد الاجتماعات، وممارسة البرامج التعليمية، للكبار والصغار ، فى ميادين التربية ، والدعوة الاسلامية ، وتعليم اللغة العربية ، وتأسيس جمعية اسلامية نسائية فى ظل مبادىء وتعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، بالاضافة الى الاحتفال بشتى المناسبات والأعياد الاسلامية ، وعقد المؤتمرات » .

معهد للدعوة الاسلامية بالمغرب

تقرر تأسيس معهد عال للدعوة الاسلامية فى المغرب ، بهدف تخريج دعاة افارقة ، للعمل فى مجال نشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية ، والتصدى لما يوجه للاسلام من حملات تضليلية .

ويأتى هذا المعهد ضمن مشروع اسلامى كبير يضم مركزا اسلاميا ، ودارا لطباعة القرآن الكريم ، واعداد ترجمات لمعانى القرآن باللغات الافريقية .

انشاء مدرسة اسلامية فى ديترويت

صرح الشيخ وهبة اسماعيل مدير المركز الاسلامى فى ولاية « ديترويت » بالولايات المتحدة الامريكية . بأن الجالية الاسلامية هناك تقوم بانشاء أول مدرسة اسلامية لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى .. وأضاف : أن عدد المسلمين فى ولاية (ديترويت) بلغ خمسة وثلاثين الف مسلم . وأن المركز الاسلامى يعقد ندوات أسبوعية للتعريف بالاسلام ، وأن غالبية المسلمين من البانيا .

وطالب مدير المركز الاسلامى الدول العربية بدعم المركز بالمطبوعات التى تتحدث عن الاسلام باللغات الأجنبية ، وتزويده بالمصاحف والخطب الدينية المسجلة حتى يمكن تعليم المسلمين .

وأعلن مدير المركز : أن عدد المسلمين

يتزايد نتيجة اقبال الامريكان على اعتناق الدين الاسلامي ، وأن المركز لا يمنحهم شهادات الا بعد أن يحفظوا بعض قصار السور من القرآن الكريم ، وأن يجيدوا الصلاة .

مراكز للدراسات العليا في باكستان

تم الاتفاق بين دولة الامارات العربية المتحدة ، وجمهورية باكستان الاسلامية على تسليم ثلاثة مراكز للدراسات العليا ، في مجال الدراسات الاسلامية واللغة العربية ، والحاقها بجامعات كراتشي والبنجاب وبيشاور ، وتتخصص في تطوير الدراسات الاسلامية ، ودراسات اللغة العربية ، وستمنح الدارسين بها درجتي الماجستير والدكتوراه ، لتخريج علماء في هذا المجال .

تصحيح المناهج الدراسية في اندونسيا

بدأت في اندونسيا حركة قومية لتصحيح الأخطاء الواردة بالمناهج الدراسية عن الاسلام ، وتاريخ دخوله الى هذه البلاد .

•• وقد عقدت في « سومطرة » عدة مؤتمرات اسلامية للمطالبة باعادة النظر في كتب التاريخ المقررة بالمدارس والمعاهد . وذلك بهدف تصحيح الاخطاء الواردة فيها عن الاسلام •• مما وضعه المستشرقون .



مجلة ابحاث الاقتصاد الاسلامي

صدر عن المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجده . « مجلة ابحاث الاقتصاد الاسلامي » باللغتين : العربية والانجليزية .

والمركز انشىء عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م بالجامعة ليقوم في مجال الاقتصاد الاسلامي، باجراء البحوث العلمية ، وانشاء مكتبة ، متخصصة ، وتوفير التسهيلات والدعم للباحثين ، حيثما كانوا ، وبنشر البحوث واصدار الدوريات ، واعداد الكتب الدراسية وتنظيم الندوات والمؤتمرات ، والدورات التدريبية .

احمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

فهرس العدد

طبع بمطابع روزاليوسف

The perpetual living axiom of the Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) resides with devotion and reverance in the deep sentiments of all Muslims. The truimph of Allah's doctrine is everlasting supreme and eternal.

Let us depict and learn, let us take lesson and example, let us understand and conceive, let us pause and ponder with living hearts and cultivating minds the esoteric reality of the great Hijrah.

All Hail to you memorable Hijrah: All Hail to you for all you offered to Mankind. All Hail to you to eternity. All Hail to you magnanimous Prophet of Islam, Mohammad Ibn Abdullah (Prayers and Peace from Allah upon him)

Legend:

1) Famous Arab tribes residing in Yathrib.
2) Also called women's proclamation: in lieu of being of same context as that used by women why they proclaim. There is no mention of worriorship.
3) Some authors report that Abdullah Ibn Maktoom was also delegated to Yathrib with Musab Ibn Umayer. See Ref. (2).
4) Also called proclamation of worriorship in distinction to the first Akaba Proclamation.
5) Muslims emigrant from Macca to Yathrib (Madina).
6) Muslims residing in Yathrib.
7) A mountain in the outskirts of Macca.
8) It is not certain that Amer Ibn Fuhayrah accompanied the Prophet and his companions on their journey to Yathrib. If he did, there is no mention at what stage he departed; or did he complete the whole journey with them?
9) A place five Kilometers south of Madina.
10) This date was later amended in the reign of Omar Ibn Alkhatab to be the First of Muharam the start of Hijrah calender for Muslems.

References:

1) Alsira Alnabawiah.
3rd Edition, 1981:
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher: Dar Al Shorook, Jeddah.
2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th Edition, 1978:
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey.
Publisher: Great Commercial Library, Cairo.
3) Mashahid Min Al Sira Alatirah:
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library, Cairo, 1980.
4) The Holy Quran.
Text, Translation and Commentary.
Abdullah Yusuf Ali.

them,his horse faltered three times. He apprehended that the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was protected by divine powers. Suraka requested a vow which the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) granted him.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and his companions continued on thier journey to Yathrib to reach Kubaà(9) on 2nd Rabei Awal(10), 20th September 622 AD. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) resided in Kubaà for few nights, after which he finally entered Yathrib, which he later named Al-Madina. . A city that later became the throbbing heart of a great Islamic empire; now very popular as the burial ground of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .

These were the sequence of events of Hijrah of the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) . This celebrated achievement is coherent in the minds of all Muslims demarcating the dawn of Islamic history. The Hijrah was not a departure or retreat from oppressive despotism nor was it an attrition towards people militant in rejecting the true faith. It was not a desire to acquire repute or eminence, nor was it a decoy to seek a life free from turmoil and adversity. It was exclusively total sacrifice and renouncement of all that is worldly dear and precious; in order to incur complete unification, credence and devotion to faith. This understanding is the essence, reality, and true meaning of Hijrah.

The association of powers at Madina provided grounds for an Islamic structure to be raised implementing and conducting the disciplines of Islam. The companions and followers of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) realized the dormant latent capabilities and strength inherent in their faith in Allah and their strict adherence and observance to the doctrine and teachings of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .

The unique fraternity and brotherhood between the Muhagereen and Ansaars conducted by the Prophet Prayers and Peace from Allah upon him is unprecedented in history. It spells out the most omnipotent measure of equality and relationship between individuals and human groups.

In the Arabic peninsula, the powers of conflicting forces were changing. Among the pagans of Kuraysh there was defraction of opinion, and elements of split and failure. The new faith now secure at Madina instigated many to cultivate their minds and realize the Reality and the Light. They came to Madina individually and together to announce their Islam, to sit between the hands of the Messenger of Allah (Prayers and Peace from Allah upon him) to proclaim and witness that «There is no God but Allah; Allah is One with no partner, and that Mohammad is His Messenger».

meet him at Mount Thaor(7) after three nights. Abdullah Ibn Abi Bakre listened to talks of Kuraysh in Macca, and his sister Asma brought them food. Amer Ibn Fuhayrah protégé to Abu Bakre brought the sheep to the recluse in the cave at Mount Thaor to remove human footprints and make provision for milk .

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre entered the cave after the latter ascertained its safety. When they were safely inside the cave; by divine authority of Allah, spiders strung their webs at the mouth of the cave and two wild pigeons nested on top.

The pagans of Kuraysh went in pursuit of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) , and reached the cave. There was a crucial moment of intense suspense, either total dispondency or a breakthrough to self determination. They failed to see at their feet. Deceived by the spider's web and pigeons, they returned outraged and desperate.

> If ye help not (Your leader), (it is no matter); for Allah did indeed help him.
> When the unbelievers drove him out, he had no more than one companion.
> They two were in the Cave, and he said to his companion «Have no fear, for Allah is with us.»
> Then Allah sent down His peace upon him, and strengthened him with forces which ye saw not, and humbled to the depths the word of the unbelievers.
> But the word of Allah is exalted to the heights, for Allah is Exalted in might, Wise.
>
> (Tauba IX, 40)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre remained in the cave for three nights, them left with their guide and Amer Ibn Fuhayrah on their long journey to Yathrib following a route by the coast.

On their way, they were pursued by Suraka Ibr Malek Ibn Gashaam desiring to collect the reward of hundred camels put up by Kuraysh for the seizure of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) . When he was close to

Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) as Messenger of Allah. They vowed to support and champion him, and ascertained his affiliation with them. Subsequently, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) appointed twelve prefects from amongst them. This was the second Akaba proclamation(4) which was preludial to the infilteration and proliferation of Islam in the homes of Yathrib.

The pagans of Kuraysh in response to these events became more despotic in enmity and hatred towards Muslims. Conjunctural to prevailing conditions in Macca, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) summoned Muslims to emigrate to Yathrib where they will be fostered with fraternity and brotherhood. They emigrated alone and in groups facing monstrous oppression and fierce constraint from the pagans. Patiently persistant, challenging, determined and with adherent obedience, the Muslims emigrated to Yathrib. They abandoned homes, families and wealth in pursuit of salvation and emancipation. Only few including Abu Bakre and Ali Ibn Abi Taleb remained in Macca with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). The leaders of Kuraysh confronted with this consortium of power in Yathrib of Muhagereen(5) and Ansaar (6), feared the emigration of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). In plunder of opinion, the pagans contrived to kill him. They selected one man from each clan of Kuraysh to affect a combined single kill in order to spread the responsibility among all clans. Allah revealed their conspiracy to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and directed him to emigrate to Yathrib. Hereupon, the Prophet (Pravers and Peace from Allah upon him) instructed Ali Ibn Abi Taleb to sleep in his bed and use his cloak as cover. At dawn, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) left his house and as he passed the men at the door, threw dust over their heads; Allah has blinded them. As he walked out he silently recited from the Quran:

> And We have put a bar infront of them and a bar behind them and further, We have covered them up ; so that they cannot see.
>
> (Ya-Sin XXXVI, 9)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) came to Abu Bakre and informed him that Allah gave ordinance for his emigration. Abu Bakre weeping requested companionship. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) entrusted Ali Ibn Abi Taleb to give back all the claims and trusts to their owners. Several strategies were planned. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre confided in and employed a non-muslim Abdullah Ibn Urayket as guide, gave him their camels and arranged to

THE HIJRAH

OF THE PROPHET MOHAMMAD

PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM.

BY :

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The Hijrah of the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) from Macca to Yathrib was precedented by preordained events to be precursors to the Hijrah and to materialize its ultimate success.

The premise of Islam among the Arabs of Yathrib was achieved when the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) . encountered in Macca six men from the Khazraj (1). He invoked them to Islam and solicited their assistance to propagate his message. They acknowledged and promised to meet with him the following year.

In the following year, twelve men from the Khazraj and Aws(1) convened with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) at Akaba near Macca. They accepted Islam and proclaimed in testimony his prophethood as Messenger of Allah. This was the first Akaba proclamation(2) which was the earliest footstone of Islam in Yathrib. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) entrusted Musab Ibn Umayer Alabdary as envoy(3) to Yathrib to instruct and teach Islam.

During pilgrimage in the ensuing year, seventy three men and two women from Khazraj and Aws came to Macca. They secretly assembled with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) at Akaba in presence of his uncle Abbas Ibn Abdel Mutaleb. They witnessed that Allah is One and Proclaimed the

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL, FROM THY WE SEEK SUPPORT.



Prayers and Peace from Allah upon the Prophet Mohammad, the entrusted Messenger, and upon his kinsmen and companions.

The Editorial of «Alazhar Periodical» has requested me to write an opening note on the occasion of the renewal of activities of the English Section of the «Alazhar Periodical» in the service of Islam and Muslims.

The English Section has been an integral part of the periodical for the past fifty years. It has ceased to appear in order to reconstitute its syllabus to make provisions for salient topics.

1) Essentials of Islamic Faith purified according to Quranic contexts.
2) The Honourable Hadith as quoted from master and recognised sources.
3) Narratives from the life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .
4) Events and incedents pertaining to Islamic History.
5) All useful aspects of Islamic literature to help in the understanding and propagation of Islam.

We praise Allah and ask Him support.

Monday 5th Zi Alhiga, 1403
11th September, 1983

Secretary General
Academy Islamic Research

Alhusseini Abdel Mageed Hashem

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليج

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



• الأزهر الشريف

عجيبا.. غير غريبا..!

د. على الخطيب

رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، فلم يقف ما ليس له به علم ، ولم يدرج على وهم ، أو يرض لعقله ان يكون اناء يطرح فيه من شاء ما شاء ·

وإن المرء ليحار بين امشاج عدة ، قضت ــ بنفسها ــ على هذه الحيرة ، حين تمخضت عن أمرين كلاهما عجيب لكنه ليس بغريب ·

احدهما : الاستخفاف التام ، من بعض الناس بمقدساتنا ·

وثانيهما : طرح المنهج العلمى فى تناول امور هذه المقدسات ·

* الجزء الثانى *

* السنة السادسة والخمسون * صفر ١٤٠٤ هجرية *

عجيب... غيرغريب..!!

والأمران تطوعا بالظهور من خلال ما أثيرحول الشيخ «الأفغاني» رحمه الله :
فان دارا صحفية وقورا قبلت هـذه المقالات التى نالت من الأفغانى بعينها ثم عادت فردتها الى كاتبها مع اعتذار بأنها تثير حساسية .

واذاكانت معلوماتي لاتزال نضرة ، وقد أظن ذلك ، فقد كانت الدار تعد لأمر أكثر حساسية حين اقدمت على نشر **اكذوبة على الله سبحانه** فى غير خجل أو خلق أو حياء على مدى خمسة أسابيع أو ست مناهضة فى أثناء النشر كلمة حرة تنزل بصحيفتها ، أو كما تقول هى بنافذتها الحرة ، تبين رأى الطرف الآخر فيما تنشر ، ثم لا تزال تلح ــ الى يومنا هذا ــ فى تكريم صاحب الاثارة والحساسية ضاربة صفحا بما لمقدساتنا وتقاليدنا من قيم سائرة حتى نهاية الشوط فى ريادتها **للاستخفاف التام بمقدساتنا**.

ثم أقدمت « **التضامن** » على نشر مرفوض الدار الوقور ، وبدأ النشر من ابريل الماضى ، واستمر نشر ما أسماه صاحبه تاريخا للفكر المصرى .. هذا التأريخ الذى احتضن الأمر الثانى اذ ضاع فيه المنهج العلمى على يدى عالم متخصص فى الأدب الانجليزى تناول الشيخ **الأفغانى** دون ثنا - اعتبار لآثار هـذا الرجل الفكرية **فى عالم المسلمين** .

وهل من الاعـم بالفكر المصرى أن نتهم الأفغانى فى دينه ، ويعلم الأستاذ العالم أن ذلك الأمر ليس لأحد من الناس ، فتلك علاقة المرء بربه . ولقد يعلم الأستاذ أن كل مسلم مأمور شرعا ألا يمس هذه العلاقة أو يخوض فيها حتى لو تحدث بهـا أقرب المقربين الى الانسان أو تحدث بهـا عن الأفغانى عبد الله النديم .

ويقينى انـه لا يغيب عن **الأستاذ العالم** سرعة عبد الله النديم فى الحكم المظهرى أحيانا ، وبدا منه ذلك وكتبه فيما كتب تبرئة لزعيم بهائى كبير زار مصر ، وخدع النديم رحمه الله بمظهره .

لا اشك أن الأستاذ العالم ، وهـو يؤرخ للفكر المصرى يغيب عنه هذا المرجع للنديم وهل يرضى الأستاذ العالم ــ بنفس هذا الأسلوب، ونفس هذه الطريقة ــ بطرح أدب « بيرون » فى الحضيض .. مع أن سره ذاع وشاع وملأ الأسماع ؟!!

ومع الفارق بين الرجلين خلقا وعلما وعملا .

ولقد يروق **للأستاذ العالم** أن يرى الوثائق البريطانية ومادار فى فلكها فوق الشك والتهم ويرى كتابها ــ من دون البشر ــ قمة قياسية فى النزاهة والشرف والأمانة ... على مناعة من الهوى والميل ، أبرأ من كل عيب ، وأقوى من رغبة مرءوسيهم .

الم يكونوا فى خدمة وطنهم أولا .. ورغبتهم فى ذلك غريزة ؟..!!

أليسوا حريصين على استتبات الشك في قلوبنا جميعا نحو كل زعيم من زعمائنا .

ألم تنل هذه الوثائق البريطانية وغيرها من الوثائق الاستعمارية **من الشيخ الشرقاوى ، ثم الأفغانى ثم محمد عبده** .. ولست أشك أن بيد الأستاذ العالم هذه الوثائق أيضا وأعلم ويعلم الأستاذ أن **الدكتور على سامى النشار** ـ رحمه الله ـ دفع بهذه الأفكار يوما ـ في الستينيات ـ الى المطبعة .

وهلا انصرف **الأستاذ العالم** الى دحض ما تقوله هذه الوثائق بآثار الأفغاني نفسها ان الأستاذ العالم بحكم تخصصه يتناول الشخصيات الأدبية من خلال موازنة دقيقة لما كتب عنها ، وما كتبت هي في مذكراتها ، وما تحدثت به الرسميات في شأنها ، وأخيرا ما يعطيه النقد الداخلي لآثارها الفكرية ...

... ولولا ذلك كله لأصبح شكسبير خرافة

الا يستحق الأفغاني من الأستاذ العالم نفس النظرة لتلمس الانصاف ... ؟

ان الوثائق البريطانية بالذات وصمت بالعمالة كل زعماء مصر بلا استثناء قبل الثورة وجعلتهم في خدمتها عبيدا وأذنابا ... بينما البريطانيون أنفسهم هم الذين حكموا على كثير منهم بالاعدام أو النفى ، فلم كان الاعدام ، ولم كان النفى ؟!!

انه لا يغيب عن الأستاذ العالم ما تضمنه « **تاريخ للبيع** » بشأن هؤلاء الزعماء ، ثم ماذا وجدنا بعدئذ في كتابات « **مايلز كوبلاند** » و « **ديفيد هرست** » من كتاب المخابرات الأمريكية والبريطانية ... هل نترك لهم موازين رجالنا ونقنع بـ « **نزاهتهم** » فيما يكتبون ؟!!

وهل يكون ذلك منهجا علميا ؟!! وهل كل النصوص سواء ؟ !!

ان ير الأستاذ العالم ذلك فللمصريين عقيدتهم في زعمائهم ، لن تنال منها ممارسة تغض النظر عن النهج المستقيم .

د. على الخطيب

- أصحاب الأخدود
- قصة الصرفة

دراسات قرآنية

- القرآن العظيم ومجمع البحوث الإسلامية

أصحاب الأخدود

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

* قال تعالى فى سورة البروج « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ» الى قوله « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » *

البيــــان

نزلت هذه السورة فى العهد المكى ، تحكى لونا من البلاء بالغ الغاية فى القسوة والغلظة ، صبه ملك جبار وبطانته القاسية القلوب ، على طائفــة كبيرة من المؤمنين والمؤمنات ، احرقوهم بالنار حتى هلكوا، ولم يفرقوا بين شيخ طاعن فى شيخوخته، وبين شاب مشرق الجبين باسم الثغر لمستقبله ، وصبى رضيع على صدر امه ، ولا بين امرأة عجوز تقوس ظهرها وضمر جسمها ، وبين شابة فى ربيع العمر وشرخ الشباب ، وصبية حديثة الولادة .

والغرض من حكاية القرآن لهذه القصة ، تسلية المؤمنين فى صدر الدعوة الاسلامية ، عما أصابهم من ايذاء المشركين ، فانهم يدركون من حكايتها أن بلاءهم فى سبيل الله أخف من بلاء المؤمنين قبلهم ، وأن أهل الحق عرضة للبلاء فى كل عصر امتحانا لايمانهم وقد جــاء ذلك صراحة فى قوله تعالى أول ســـورة العنكبوت « أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » .

ولقد عقب الله هذه القصة فى سورة البروج بوعيد من يعذب المؤمنين والمـــؤمنات ان لم

أصحاب الأخدود

يتوبوا ، ويوعد المؤمنين الصابرين بالفوز الكبير ، وفيما يلي تفسير صدر هذه السورة .

« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ » .

البروج جمع برج ، ويطلق لغة على الامر الظاهر ، وعلى القصر العالى ، وعلى الحصن ، وبروج السماء منازل وهمية فى فضاء الله ، تنتقل فيها النجوم والكواكب ، وهى الحمل والثور والحوت .

وبهذا الرأى قال أبو عبيدة ويحيى بن سلام ، واختاره ابن جرير ، وقال ابن كثير نقلا عنه : هى اثنا عشر برجا تسير الشمس فى كل واحدة منها شهرا ، ويسير القمر فى كل واحد يومين وثلثا ، الى ثمانية وعشرين يوما ، ويحتجب ليلتين : انتهى بتصرف يسير (١) .

وفسرها مجاهد والحسن وغيرهما بالنجوم — وقيل غير ذلك — والحكمة فى اقسام الله تعالى بالسماء ذات البروج ، توجيه أعين الناس وعقولهم الى ما فيها من روائع وآيات شاهدات بعظمة مبدعها وحكمته ووحدانيته ووجوب عبادته ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

وكما أقسم الله سبحانه بالسماء ذات البروج أقسم باليوم الموعود — وهو يوم القيامة من غير خلاف فيه — قال ابن عباس : وعد أهل السماء والارض أن يجتمعوا فيه : أ هـ .

وانما أقسم الله به تأكيدا لمجيئة ، لتحقيق عدالة الله بين عباده ، بمجازاتهم على أعمالهم ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، حسب وعده جل وعلا .

وأقسم بالشاهد والمشهود ، والشاهد هو الله تعالى ، لقوله « وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا » وقوله « وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا » والانبياء شهود ، لقوله سبحانه « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » أو نفس الانسان شاهدة ، لقوله تعالى «كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» وجوارحه كذلك لقوله جل وعلا « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » والحفظة شهود لقوله سبحانه « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » وهذه الامة لقوله « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » الى غير ذلك مما يكون شاهدا يوم القيامة .

أما المشهود فى كل ذلك فهو يوم القيامة وأهل الموقف وعجائبه وأهواله ، وعدالة الحق تبارك وتعالى ، وكرامة أهل التقوى ، وشقوة أهل الكفر والمعاصى .

«قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ»

المراد من قتلهم أنهم ملعونون مطرودون من رحمة الله ، قال ابن عباس : ما يرد فى القرآن

١ — انظر ابن كثير والقرطبى فى تفسير السورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

صدق الله العظيم

بلفظ (قتل) فمعناه لعن : أ هـ .

والأخدود : الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ، والوقود ما أوقدت به النار من الحطب والخشب ، ووصف النار بذات الوقود للايذان بأنها نار حقيقية ، وليست نارا مجازية ، وفسر بعضهم الوقود بأنه الناس الذين احرقوا فى الاخدود .

وكانت قصة أصحاب الأخدود فى الفترة التى بين عيسى عليه السلام وبين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت فترة عصيبة ضد النصارى المتدينين ، فقد حوربوا من الرومان وغيرهم من الوثنيين ، واستحر فيهم القتل والوان العذاب .

وقد رويت قصتهم فى كتب السنة ، ومنها صحيح مسلم ومسند أحمد والترمذى والنسائى وغيرها ، وفيما يلى خلاصة ما رواه الامام مسلم بسنده عن صهيب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « كان فيمن قبلكم ملك (١) له ساحر ، فلما كبر طلب من الملك غلاما ليعلمه حتى يرث عنه السحر ، فبعث له غلاما ، وكان فى أثناء تردده عليه يمر براهب ، فجلس عنده يوما فأعجبه كلامه فأكثر من التردد عليه ، وفى يوم رأى دابة عظيمة حبست الناس وأخافتهم ، فقال : اليوم أعلم هل الساحر أفضل أم الراهب ، فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها وخرج الناس ومضوا لشئونهم ، فلما أخبر الراهب قال له : انك اليوم أفضل منى ، وكان الغلام يبرىء الأعمى والأبرص ، ويداوى الناس من سائر الادواء ، فجاءه جليس للملك أصابه عمى وطلب اليه أن يشفيه فى مقابل هدايا كثيرة قدمها اليه فقال ان الله هو الذى يشفى ، فان آمنت به دعوته فشفاك ، فآمن بالله فدعاه فشفاه ، فلما عاد الى مجلسه عند الملك سأله : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : ألك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ، فعذبه حتى أخبره بأمر الغلام ، فلما جىء به اليه سأله : أأنت تشفى الناس بسحرك ؟ قال : أنا لا أشفى أحدا والله هو الشافى ، فأمر بتعذيبه حتى دل على الراهب ، فأحضره اليه أعوانه ، فطلب منه أن يفارق دينه فأبى ، فأمر به فشق بالمنشار

١ ـ كان هذا الملك ملك نجران ، كما رواه الضحاك عن ابن عباس قال : « كان ملك بنجران ، وفى رعيته رجل له فتى ، بعثه الى ساحر ليعلمه السحر ، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الانجيل » ... انظر القرطبى فى تفسير السورة .

أصحاب الأخدود

شقين ، وأمر أن يفعل بجليسه مثل ذلك بعدما أصر على ايمانه بالله ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك فأبى ، فأمر بالقائه من ذروة جبل ان أصر على دينه ، فذهب به أعوان الملك الى الجبل ، فلما صعدوا به الى ذروته قال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي الى الملك وأخبره أن الله كفاه شر أصحابه ، فأمر بأن يلقى من سفينة في البحر ما لم يرجع عن دينه ، فلما توسطوا به البحر ، قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا الغلام ، فرجع الى الملك وأخبره بهلاك أصحابه ، وقال : لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على شجرة ثم تأخذ سهما من كنانتي ، ثم تقذفني به وأنت تقول باسم الله رب هذا الغلام ، ففعل فأصاب السهم الغلام في صدغه فمات ، فقال الناس : آمنا برب العالمين رب هذا الغلام ، ووقع ما كان يحذره الملك على نطاق واسع ، فأمر بأن يحفر أخدود وتضرم فيه النار ، ويلقى فيه من لم يرجع عن دينه ، فنفذ أعوانه أمره حتى جاءت امرأة معها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال الصبي : يا أماه اصبري فإنك على الحق .

هذه خلاصة معنى الحديث ، ولم نأت به بألفاظه لطوله ، فارجع اليه في صحيح مسلم — كتاب الزهد ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام — وفي هذه الفترة حدثت قصة أصحاب الكهف والرقيم ، فقد خرجوا فرارا من ملك ظالم ، ولجئوا الى كهف ، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى في سورة الكهف ، ولما انتبهوا من رقدتهم بعد ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ، كانت الامور قد تغيرت ، حيث بعثوا في عهد ملك صالح ، ولما ذهب برجاله اليهم في كهفهم ليراهم ، قبض الله أرواحهم فبنى عليهم مسجدا ، وكان ابن عباس يرى أن كهفهم في الاردن — وذلك في احدى الروايات عنه —

« **إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ • وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** » .

تحكي هاتان الآيتان أن أصحاب الاخدود كانوا قاعدين حول ناره ، وأنهم كانوا شهودا على احراق المؤمنين بها ، أى أن بعضهم يشهد لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمرهم به ، ويجوز أن يكون المقصود وصفهم بقسوة القلوب ، اذ كانوا يحضرون هذه المأساة ويشهدونها بأعينهم ، دون أن تدمع منهم العيون أو ترق القلوب ، أو يفزعوا مما يرون ، ويرجعوا عن جريمتهم النكراء في أهل الحق .

« **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** » .

أى أن أصحاب الاخدود لم ينكروا من المؤمنين الذين أحرقوهم بالنار حتى هلكوا ، ولم يعيبوا عليهم الا ايمانهم بالله الغالب لما سواه ، المحمود في كل ما يشرعه ويفعله ، فهؤلاء المارقون يرون ما يستوجب المدح والثناء وحسن الجزاء — يرونه منكرا يقتضي أشد العقاب وأشنع العذاب ، ثم وصف الله نفسه بما هو

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد

مناط عزته وحمده ، وما يؤكد حقه فى الايمان به فقال سبحانه :

« الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » .

أى وما عابوا عليهم الا ايمانهم بالله الذى يجب الايمان به ، فانه عزيز غالب يخشى عقابه ، حميد منعم يرجى ثوابه ، له ملك السموات والارض خلقا وملكا وتصرفا ، وهو عالم بكل شىء شاهد له ، فسوف يثيب من آمن به وتحمل الاذى فى سبيله ، ويعاقب من كفر به وعذب أحبابه، ثم عقب الله هذه الاشارة بوعد صريح للكافرين اذا لم يتوبوا من ظلمهم للمؤمنين فقال :

« إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » .

وهذه الآية قاعدة عامة تتناول أصحاب الأخدود ومشركي قريش الذين عذبوا من آمن منهم ، كما تتناول كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات ولا يتوب .

والمعنى : ان الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ليردوهم عن دينهم ، ثم لم يتوبوا من كفرهم وظلمهم ، بل أصروا على كفرهم ، واستحسان جرمهم ، فلهم بسبب ذلك عذاب جهنم على كفرهم ، ولهم أيضا عذاب حريقهم للمؤمنين والمؤمنات فى الدنيا والآخرة ، ثم بين الله أجر المؤمنين الصالحين فقال سبحانه :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ » .

ان الذين صدقوا بوحدانية الله وسائر كمالاته ، وضموا الى هذا التصديق عمل الصالحات قلبية كانت أو من عمل الجوارح ان هؤلاء — لهم فى الآخرة بسبب ايمانهم وصلاحهم بساتين تجرى من تحتها مياه الأنهار ، فتكتمل سعادتهم باكتمال عناصر الجمال لديهم ، ذلك الجزاء العامر بأسباب المتعة والجمال ، هو الفوز الكبير الذى تصغر أمامه الدنيا وما فيها من متاع لا يلبث أن يزول .

وبعد فهذه قصة حدثت وقائعها فى أول العهد المسيحى ، حيث كان الوثنيون يقتلون كل من آمن بالله فى صدر النصرانية الاولى التى نشأت على قواعد الاسلام الذى هو دين جميع المرسلين ، وفى هذا العهد حدثت قصة أصحاب الكهف — كما ذكرنا — وقد ساق الله كل قصة منهما فى موضعها للغرض الذى سيقت له ، فأما قصة أصحاب الكهف فقد سيقت للدلالة على أن الله يبعث من فى القبور ، وأما قصة أصحاب الاخدود فقد سيقت لتسلية المؤمنين على ما أصابهم ، ببيان أن بعض من آمن قبلهم عذبوا أكثر منهم ، وأنه تعالى توعد من عذبوهم بأشد العقاب ، ووعد المؤمنين الصابرين بأجزل الثواب ، وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

قصة الصرفة (*)

■ نشأتها ■ مدى تطور مدلولها
■ موقف العلماء منها

لما نزل القرآن وسمعه الجيل الذى نزل فيه لم يلتبس عليهم امره وانما استيقنته انفسهم ، وادركوا ان نظمه ووصفه ليس من جنس ما تمارسه السنتهم ، وأن الذى فيه من النظم والسبك ، كالذى فى عصا موسى ، والذى فى احياء الموتى « فكما انه محال ان يكون مهنا احياء ميت لا من فعل الله كذلك محال ان يكون مهنا نظم مثل نظم القرآن لا من فعله تعالى فهذا هو » .

رات آذانهم فى القرآن ما يراه الناس فى تصريف الرياح وسوق السحاب المسخر ، وتحليق الطير فى أجواء السماء صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الله ، استيقن ذلك من آمن

١ ـ الرسالة الشافية ص ١٥٦ .

(*) تنشر مجلة الازهر هذا البحث ليكون مجالا للنظر العام وليتناوله علميا من اراد الرد او التعليق عليه باسلوب البحث العلمى البحت .

بالقرآن ومن كفر به وكانوا فى استشعار اليأس من أن يقدروا على مثله ، وما يجرى مجرى المثل له على صورة واحدة ، كأن قلوبهم فى ذلك قد أفرغت فى قلب واحد »(٢) .

ولم يرو التاريخ رواية واحدة تفيد أن واحدا منهم طاشت منه كلمة تقدح فى بلاغة القرآن ، مع كثرة مارموا من أكاذيب ، وغاية ما ترامى اليه غيظهم فى شأن بيانه أنهم قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا وأنه أساطير الأولين اكتتبها وأنه انما يعلمه بشر .

وهذا غير قادح فى نظم القرآن وانما هو مشير الى سمو منزلته فى نفوسهم مع أن مخرجه مخرج اليأس المقطوع كما قال علماؤنا .

ومضى الأمر على ذلك واعجاز القرآن ظاهر فى نفوس القوم ظهورا لا يلتبس ، ثم كان من أمرهم أن تبدلت أحوالهم ولانت جلودهم(٣) ، فضعفت سلائقهم ، وانتقلت السنتهم ونجم فى

٢ ـ المرجع نفسه ص ١٣٣ .
ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن طبعة دار المعارف .
٣ ـ من كنايات العلماء عن ضعف السليقة .
والمراد انتقالهم من البداوة .

للدكتور محمد محمد أبو موسى

مجتمع المسلمين أهل التشكيك، مجاهرين بزيفهم فكثر القول في القرآن، واعجازه، وأنه خلق في بعض الأجسام، فمن ذلك ابتدأ لا من الله، ومثل ذلك مما ضل به ضل، وهلك فيه من هلك .

وكان في رجال الرياسة من تاريخنا من يثبت بسيفه موضع الداء في اللحظة الحاسمة، كما كان خالد بن عبد الله القسرى وأمر الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان، وهو أول من أظهر القول بخلق القرآن، وكان قد تلقط مقالته من فم رجل يهودى اسمه طالوت بن أخت لبيد ابن الأعصم، الذى قال ان التوراة مخلوقة، فالقرآن كذلك مخلوق، وكان من شأن خالد بن عبد الله أنه لما رأى مقالة الجعد تشيع، وتبعث الفتنة، خطب في الناس يوم النحر، وقال ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فانى مضح بالجعد ابن درهم انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك على عهد التابعين وتحت عيون أئمة علماء المسلمين، كالحسن البصرى وطبقته، ولم ينكروا على خالد بل حمدوا فعله(١) .

١ ـ ينظر كتاب الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ٢ ص ١١٩، ١٦٣ ـ طبعة المغرب . وكتاب اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦٠، ١٦١ وقصة أبينا ابراهيم عليه السلام التى انكرها الجعد الذى تلقط مقالتين من فم طالوت اليهودى هى نفسها التى انكرها كتاب الشعر الجاهلى الذى تلقط مقالاته من فم مرجليوث وهو يهودى .

وكان من الذى قاله الجعد ان نظم القرآن غير معجز، وأن الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله، وأنه لا حجة فيه، وأن فيه كذبا وخللا .

وقد طار هذا الكلام وشبهه، الا أن ذبح الجعد أسكته زمنا، ثم ما لبث أن استعد هو وغيره، واحترقت به قلوب وشردت فيه عقول، وتراحمت به هواجس، ونجمت به فتنة، وكان على سلف علمائنا أن ينهضوا الى ما يحسم « معتلجات الشكوك، وخواطر الشبهات » .

وكان كثير منهم قد طال نظره في مطالعة كتب الفلاسفة فخالطت عقولهم منازع الجدل، ومما دفعهم الى ذلك لجاجة الملاحدة، وأكثرهم يمضع تخاليط من هذا الكلام .

وفتح علماؤنا القول في قضية الاعجاز، وكانت تتوخى في بعض جوانبها اثبات المعجزة، ودليل النبوة، وأن أمرا الهيا ظهر على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دل على أنه نبى الله ورسوله، وأن هذا القرآن نزل عليه من عند ربه، وكان أهل التشكيك قد طعنوا في ذلك وطيروا الكلام فيه، وهذا شىء وتحديد الجهة التى كانت بها المعجزة، والحُجة شىء آخر .

هناك فرق بين الاعجاز، ووجه الاعجاز، الأول موضع اتفاق أهل القبلة، والثانى تنوعت فيه آراؤهم .

والتعويل على النظم، وأن الاعجاز كان به أشبه بمخاطبة المسلمين وليس يجدى في مخاطبة أهل الزيغ، لأنه « يضيق مجال الحجة فيه،

ويصعب وصول البرهان اليه ، وانما مداره على استشهاد القرائح الصافية ، والطبائع السليمة ، التى طالت ممارستها للشعر ، فحذقت نقده ، وأثبتت عياره ، وقويت عـلى تمييزه ، وأثبتت خلاصه »(١) .

والذين تحدثوا فى الاعجاز البلاغى أو حاولوا شرحه وقفوا عند مشـارف هـذا الأمر ، ولم يلجوه ، فليس بين أيدينا دراسة تحدد لنا النظم القرآنى الخاص به ، والذى يوجد فيه ببلاغته، على حد ما فعل الخطابى والباقلانى ولكننـا نتكلم هنا عن النظم الخاص بالقرآن ، والذى أبانوا عنه هو خلو القرآن من أنفـاس النفس الانسانية ، التى تراها منعكسة فى كل ما يصدر عن الانسان ، ماثلة فى مظاهر النقص والقصور اللذين هما من خصائص الانســان ، وبلاغة القرآن موصوفة بالكمال المطلق ، ومادام كذلك فهو من عند الله ، وهذا شىء غير حديث النظم الذى يحدد لنا كيف أعجزت ضروب نظم الكلام طاقات البشر مع أنهـا هى هى التى فى كلامهم لأنه جاء بلسـان عربى مبين أى بنظام اللسـان العربى . وطرائق تراكيب كلماته ، وكل الذى بين أيدينا فى هذا لا يخرج عن مثل القـول بأن التقديم أو التعريف أو الفصل أو غير ذلك من طرائق نظم الكلام تقع مواقعهـا عـلى وفق السياق فى الكلام فتحسن هكذا هى فى الكلام ، وهكذا هى فى القرآن ، نعم حسـنها فى القرآن حسن قاهر ، وهذا اذا تأملته وجـدته احـالة الى شىء غير محدد .

ومذهب الصرفة يعنى أن أمرا الهيا خـارقا أجراه الله على يد محمد صلى الله عليه وسلم دليلا على صدقه فى دعوى النبوة ، وهو أن الله صرف العرب عن أن يأتـوا بمثلـه ، ولـو لم يصرفهم لجاءوا بمثله ، وهذا خارق ، وعلى مثله يؤمن الناس ، وبه تقوم الحجة .

وقد عرض الخطابى فهم أهـل العلم لهـذا المذهب عرضا جيدا قال فيه : « ولو كان الله عز وجل بعث نبيا فى زمان النبوات ، وجعل معجزته فى تحريك يده ، أو مد رجله فى وقت قعوده بين ظهرانى قومه ، ثم قيل له ما آيتك ؟ فقال آيتى ان أحرك يدى أو أمد رجلى ، ولا يمكن أحد أن يفعل مثل فعلى ، والقوم أصحاء الأبدان ، لا آفة بشىء من جوارحهم ، فحرك يده ، أو مـد رجله ، فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه ، كان ذلك آية دالة على صـدقه ، وليس ينظر فى المعجزة الى عظم حجم ما يأتى بـه النبى ، ولا الى فخـامة منظـره ، وانما تعتبر صحتها بأن تكـون أمرا خـارقا عن مجـارى العادات ناقضا لها »(٢) .

وهذا التفسير هو الشـائع بين أهل العلم ، وهو الذى يفهم من كلام الجاحظ وهو قاطع فى اثبات الآية ، وقيام الحجة ، وليس القول بـه قادحا فى الدين ، وقد ارتضاه جماعة من أعيان أهل العلم ولا وجه لما قاله العالم الجليل الشيخ أبو زهرة ــ رحمه الله ــ من أن القائلين « بهذا القول يشككون فى مرتبة القرآن وكونه من عند

---

١ ــ الوساطة ص ٩٩ ، ١٠٠ ، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

٢ ــ البيان فى اعجاز القرآن ص ٢٢ ــ ضمن ثلاث رسائل ، طبعة دار المعارف .

الله » .. وأن الذي يبدو من لحن القول والدعوى هو التشكيك المجرد في علوم البلاغة القرآنية ومن وراء ذلك التشكيك ما يريدون من توهين ثم دعاوى بأنه من صنع محمد » .. الى آخر ما قال رحمه الله :

أقول لا وجه لذلك لأن من القائلين بالصرفة أئمة في الدين ومنافحين عنه ، ورامين من ورائه، على حد ما سنبين ان شاء الله .

ثم ان الذي قال به وهو أبو اسحاق ابراهيم ابن سيار النظام لم يدفع أحد أنه كان من بلغاء زمانه ، حسن المقالة ، رطب اللسان سريع الخاطر ، دقيق النظر ، جيد القياس .

ذكروا أنه « جيء به وهو حدث الى الخليل ابن أحمد ليعلمه ، فقال له الخليل يوما يمتحنه، وفي يده قدح زجاج يابني صف لي هذه الزجاجة ، فقال أبمدح أم بذم ؟ قال بمدح . قال نعم تريك القذى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ما ورا قال فذمها . قال سريع كسرها ، بطيء جبرها ، قال فصف هذه النخلة — وأومأ الى نخلة في داره — قال أبمدح أم بذم ؟ قال بمدح ، قال هي حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها ، قال فذمها . قال هي صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى ، قال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك أحوج » وذكروا أنه بدأ شاعرا ثم غلب عليه الكلام ، كما أن أبا نواس بدأ متكلما ثم غلب عليه الشعر .

ومثل هذا البليغ المتمكن الذي عاش في القرن الثاني ، والعربية باقية حرة خالصة في أفواه الأعراب ، لا يغيب عنه هذا الفرق الفائت بين القرآن وكلام الناس ، وانما رمى بهذا القول في حومة الجدل ، ولجاجة الخصومة ، ولم يقله عن دراسة ومراجعة وتمام اقتناع .

وَيُؤْنِسُ هذا الذي أقوله أن ما عليه الجمهور من أن القرآن قاهر لقوى البشر وهم في تمام حضورهم العقلي والقلبي ، وتمام قدراتهم البيانية غير مصروف منها شيء تراه ماثلا في كلام النظام متواريا وراء القول بالصرفة ، وبيان ذلك .

أن النظام ذكر أن القرآن معجز أيضا بالاخبار بالغيب ، أي أن وجه الاعجاز عنده راجع الى أمرين وليس بالصرفة وحدها والاخبار بالغيب جزء من المعاني المدلول عليها في القرآن فكيف يتلاءم هذا مع القول بأنه لولا الصرف لجاءوا بمثله ؟ الاخبار بالغيب أمر الهي لا طاقة للبشر به ، صرفوا أو لم يصرفوا .

وبهذا تظهر الخميزة في مذهب أبي اسحاق ولهذا والذي قبله وهو تمكن الرجل المقتدر في صناعة البيان قلنا — ولو على سبيل الاحتمال — ان حومة الصراع ولجاجة الملحدين هي التي دفعت الرجل الى القول بالصرفة مع أننا يمكننا أن نقول شيئا آخر وهو أن المثل الذي كان يمكن

أن يأتوا به لولا الصرف انما هو النظم فحسب، أى لأتى النظم مقيدا بمثل المعانى ، حتى يخرج الاخبار بالغيب ، وبذلك يكون أبو اسحاق فطن الى أن التحدى انما هو فى النظم ، كما يفهم من لفظ (مفتريات) فى قوله تعالى « **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** » أى مثل نظمه أما المعانى فمن أى باب تفترون ، وهـذا يسـقط بعض ما أورده عبد القاهر على النظام من اعتراضات كما سنبين ، الا أن هـذا يفتح عليـه بابا من الاعتراض لا يمكن دفعه ، وهو صحة المعارضة بمثل « قفا نبك »وغيرها من الشعر الذى قيل فى أى باب من أبواب المعانى مادام المقصود هو النظم فحسب ، ولو فهم العرب ذلك وكانـوا مصروفين كما قال لعارضوا بمثل هـذا وهـو محفوظ فى صدورهم ، والمهم أن أبا اسـحاق قائل بأن فى القرآن شيئا لا تناله قدرات الناس، وهو الاخبار بالغيب ، وأنه لم يكن مقتنعا بـأن الصرفة وحدها هى وجه الاعجاز ، وانمـا رمى بها فى وجوه أهل الزيغ ، الذين كانوا يشيعون ما ينقض حجة النبوة ، ولم يشأ أن يجادلهم فى أمر النظم ، لأنه يعلم أن النزاع فيه لا يدفع الا عند من كان ذا طبع ، اذا نبه انتبه ، فكيف مـع قوم وصفهم خالقهم بأنهم ، ﴿**وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾ (١) .

أراد الشيخ أن يسد الشبهة ، وأن يحسـم الأمر مرة واحدة ، وقد قال أهـل العلم « ومن ضعف الرأى أن تسلك طريقا يغمض وقد وجدت السنن اللاحب ، وأن تطاول المريض فى علاجك ومعك الدواء الذى يشفى من كثب ، وأن ترخى من خناق الخصم وفى قـدرتك الا يملك نفسـا ولا تستطيع نطقا »(٢) .

وقد رأينا من علمائنا من يضم الرأى فى هذا الباب الى الرأى لا ينضـم اليه وذلك لحسـم الشبهة ، وقطع سبيل التطرق بالتهمة ، كالذى ذهب اليه الفخر الرازى من أمر الاعجـاز فى السور القصار من « **الكوثر** » و « **العصر** » ، « **وقل يأيها الكافرون** » وأننـا لو قلنـا : ان البلاغة فيها تقطع أطماع الخلق ، فقـد يلج فى ذلك من يلج ، ويتماحك من يتماحك ، ويعد ذلك مكابـرة ، ولذلك ذهب الى أن ما يظهـر فيـه التفوق البلاغى القاطع للأطماع ، والمسكت اللجاجة والتماحك ، فالاعجاز فيه راجـع الى النظم ، وما كان كهذه السور فالاعجـاز فيـه راجع الى الصرفة ، ولولا صرف الله لجاءوا بمثله ، ونجد فى كلام الرازى ما يوحى بأنـه سلك هذا الطريق لقطع الشغب .

ولا ريب فى أن الرازى يعلم علم اليقين أن عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل « انا أعطينـاك الكوثر كعجزهم عن خلق السـموات والأرض وما بينهما ، لأن المعجـز قليلـه ككثيره ، خلق الذبابة كخلق السموات ، وقد ألحق بكتابه نهاية الايجاز رسـالة كتبهـا الزمخشرى فى وجـه الاعجاز فى « **انا أعطيناك الكوثر** ، وقد سـاقها

---

١ ـ الاعراف آية ١٤٦ .

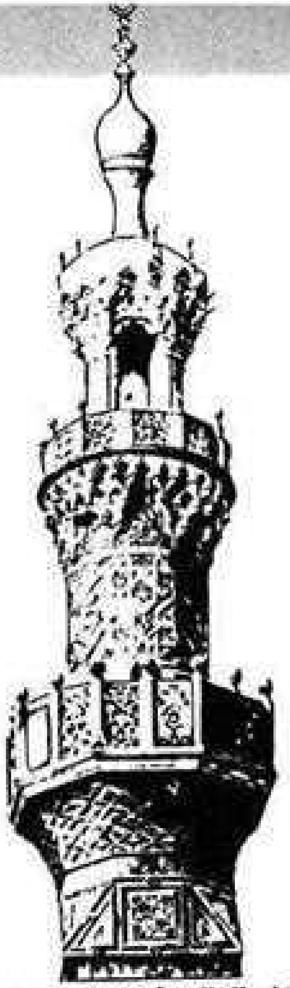
٢ ـ الرسالة الشافية ص ١٤٢ ـ ضمن ثلاث رسائل :

الرازى فى فصل لمتون له بهذا أى بوجه الاعجاز فى سورة الكوثر »(١) ولكنه هنا ناظر الى تماحك من يتماحك ، ولجاجة من يلج فاتجه بكلامه هذا الى قطع الشغب ، وقد وصف ابن كثير مقالة الصرفة ، بأنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة ، والمنافحة عن الحق ، مع أنها غير مرضية .

ولو كانت قادحة فى الدين كما قال الشيخ أبو زهرة لما رضيها هؤلاء على هذا الوجه الذى حددوه .

وقد ذكر الجاحظ فى النظام كلاما وصف فيه مخارج آرائه ، وموارده واحتجاجه لها ، وقد كان الجاحظ قريبا من النظام يعرف دواخل نفسه ، وتولد هواجسه ، وقد ذكر أنه كان شديد الذكاء يتبع أول هاجس ، ثم يحكم قياسه ويثبت دليله ، ويندفع فى ذلك من غير أن يراجع أصل الفكرة ، ويتدبرها بأناة ، وروية ، قال الجاحظ « كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظنا فاذا اتقن ذلك ، وأيقنه جزم عليه »(٢) .

وهذا عيب مضل ، ولعل الجاحظ أراد بهذا ما أشرنا اليه من القول بأن مثل النظام لا يخفى عليه ما بين القرآن وكلام الناس وانما هى هذه العوامل التى أوقعته فيما ذهب اليه من رأى غريب فى الدراسات القرآنية .



وكان النظام رأس فرقة وله آراء غريبة لا علاقة لنا بها هنا لكنه لم يكن بين أهل العلم رجل ضعيف خامل ، ولهذا لم يمت هذا المذهب مع أن الجاحظ تجرد لدفعه ، وانما بقى هذا الرأى وامتد واتسع وركب عقولا كثيرة ، وعد له من عد له ، وهذا هو الذى سوف نتابعه فى المقالة القادمة ان شاء الله .

د. محمد محمد أبو موسى

---

١ ـ ينظر نهاية الايجاز ص ١٦٠ وفى تفسير الرازى ، لآية « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » ...

٢ ـ اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦١ .

القرآن العظيم

ومجمع البحوث الاسلامية

اطلعت — في عـدد المجلة رقم ١٢ من السنة ٥٥ ، ذي الحجة ١٤٠٣ — سبتمبر ١٩٨٣ — على التحقيق القيم الذي تناولتم فيه (القرآن العظيم) نعمـة الله عـلى مصر ، والمظلة التي حمت سماءها والذي الف مصر والفه اهلوها ، فحفظ ابنـاؤها كلماته ورتلوها ، ودرسوا علومه ورسمه وقـراءاته وتفننـوا في كتابة مصـاحفه ونشروه في العالم اجمع ، بل وفتحت مصر قلبها وبسطت ذراعيها لأبناء المسلمين من المشارق والمغارب تعلمهم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتجويدا .

وذلك على مدى قـرون طـويلة الى آخر ما وضحتم .

ثم عرجتم على آثار التخلف في هذا الميـدان التي دفعت المسئولين والغيورين عـلى هـذا الكتاب العزيز الى الدراسة والفحص والتماس الاسباب ووسائل العلاج ودفعكم الى القيـام بهذه الدراسة المستوعبة لهذا الموضـوع وبخاصة في ميدان تحفيظ الناشئة للقرآن الكريم وفصلتم معالم القصور ووسائل العلاج وبعض الخطوات التي تم تنفيذها في طريق النهوض بهذا الأمر . ولقد وفقتم بعون الله تعالى في ذلك أيما توفيق

ولقد استطلعتم في هـذه الدراسة آراء بعض المسئولين والمهتمين بهذا الشأن من داخل الأزهر ومن خارجه .

وفي هذا المقام يسرني أن أقـدم صـورة مختصرة تتصل بهذا الموضوع عن أكبر هيئـة اسلامية تابعـة للأزهر هي مجمـع البحـوث الاسلامية .

لقد عقد مجمع البحوث الاسلامية تسـعة مؤتمرات ضمت علماء المسلمين من جميع أنحاء العـالم ، لم يخـل مؤتمر منهـا عن بحـوث ودراسات وقرارات وتوصيات تتصـل بالقرآن الكريم والعناية به وباللغة العربية باعتبـارها الوسيلة الى حفظه وفهمه ودراسته ، وهـذه الدراسات والبحوث — بحمد الله — مطبوعة ومنشورة ولكني سأقتصر على نماذج من هـذه التوصيات والقرارات :

١ — جاء في المؤتمر الأول : (١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م)

يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الاسلامية جميعا باللغة العربية — لغة القرآن — عنـاية تيسر لهم الـوقوف المباشر على ما اشتمل عليـه القرآن والسـنة النبوية وما وصل اليها أئمة الدين .

أثارت مجلة الأزهر قضية القرآن الكريم وحفظه وتداولت أمر هذا الحفظ في شتى جهاته ، وفتحت الباب لإبداء الرأي النافع في هذا الميدان .
وقد تلقى رئيس التحرير هذا المقال الذي يبين خطة مجمع البحوث في هذا الشأن فننشره كما تلقيناه ليكون بدوره عونا على البحث .. وضوءا قويا لإبراز القصور .

للأستاذ محمد أمين البدوي

مدير الأمانة الفنية للمجمع

٢ ـ جاء في المؤتمر الثاني :
(١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م)

يوصي المؤتمر : ان تعنى الأمم الاسلامية جميعا بدراسة اللغة العربية : لغة القرآن والتشريع ، حتى يكون ذلك سبيلا الى الاتصال المباشر بلغة الوحي والى الاشتراك في تذوق أسرار الاعجاز القرآني والعودة بالثقافة الاسلامية الى ما كان لها في القرون الأولى من وحدة وشمول .

٣ ـ جاء في المؤتمر الثالث :
(١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م)

يؤكد المؤتمر على توصية الدول الاسلامية بتعليم اللغة العربية : لغة القرآن الكريم في مدارسها لتيسير مشاركة غير العرب من المسلمين في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية .

٤ ـ المؤتمر الرابع
(١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م)

يوصي المؤتمر بأن يعنى المسئولون في الدول الاسلامية بانشاء دور للقرآن الكريم تكون مهمتها العناية بشئونه المختلفة حفظا وتجويدا ودراسة .

يوصي المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بأن تشتمل الطبعات الجديدة لكتب التفسير المعروفة على تعليق علمي بأقلام المتخصصين الثقات يبين ما قد يكون في هذه الكتب من أخبار اسرائيلية دخيلة على التراث الصحيح ليكشف عن وجه الحق في موضوعها .

يوصي المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بأن يعهد الى جماعة من العلماء في وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم في أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول الى معانيه (تم بحمد الله اخراج ٣٥ حزبا منه وتواصل اللجنة عملها) .

٥ ـ المؤتمر الخامس :
(١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م)

يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بالعناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفهما ، لأنه مصدر تشريعهم وأساس نهضتهم وعزهم .

يوصي المؤتمر بأن يواصل الأزهر جهوده في دأب ونشاط لاعداد عدد من المعاجم للقرآن الكريم تختلف في مستوياتها وأحجامها

ومجمع البحوث الإسلامية

وموضوعاتها بحسب حاجات الأوساط الاسلامية المختلفة .

يوصى المؤتمر بأن تكون طبعات المصحف بخط واضح يقرأ بالعين المجردة مع التزام الرسم العثمانى .

يوصى المؤتمر المجمع بالعمل على الاتفاق على تأليف هيئة اسلامية عالمية تشرف على طبعات المصحف قبل صدورها .

يوصى المؤتمر هيئة الاذاعة فى جمهورية مصر العربية بتقوية محطة القرآن الكريم ودعم رسالتها حتى تتمكن جميع البلاد الاسلامية من الاستماع اليها والاستفادة بامكاناتها .

٦ ــ المؤتمر السادس :
(١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م)

يوصى المؤتمر فيما يتعلق بالقراءات القرآنية أن القراءات ليست اجتهادية بل هى توقيفية تعتمد على الروايات المتواترة .

يوصى المؤتمر بتشجيع مقرئى القرآن الكريم على الا يقتصروا على قراءة حفص حفظا لكل هذه القراءات الثابتة من النسيان والاندثار .

يوصى المؤتمر بتخصيص الأزهر منحا لدارسى القراءات فى البلاد الاسلامية .

يوصى المؤتمر بدعوة جميع البلاد الاسلامية الى تشجيع هذه القراءات بالدرس فى المعاهد المتخصصة وعلى أيدى الثقات من المقرئين .

يوصى المؤتمر جميع المسلمين بتعقب أى تحريف فى القرآن الكريم فى نصه العربى او فى ترجمة معانيه ، وأن يبلغ أمانة المؤتمر بذلك للعمل على اتخاذ ما ينبغى لوضع الأمر فى نصابه .

يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بشأن دعم اذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية وتقوية موجاتها لتسمع فى جميع البلاد الاسلامية بوضوح ، وكذلك انشاء برامج قرآنية تعليمية لأحكام القرآن الكريم .

٧ ــ المؤتمر السابع :
(١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م)

يوصى المؤتمر جميع الجهات الرسمية القائمة على اعداد مدرسى التربية الدينية ببذل مزيد من العناية فى اعداد معلم التربية الدينية ، وأن تعنى بالتربية الدينية علما وسلوكا .

يوصى المؤتمر القائمين على التعليم الدينى فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بالعناية الجادة بتحفيظ القرآن الكريم للنشء المتعلم .

وقد أحال المؤتمر هذا الموضوع على لجنة من أعضائه لدراسة وتقديم مقترحاتها للمجمع .

وهذا هو تقرير اللجنة المشكلة لهذا الغرض :

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير لجنة شئون القرآن ــ عما ينبغى العناية بتحفيظ القرآن الكريم

بعون من الله وتوفيقه . اجتمعت اللجنة المشكلة بقرار من المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية فى جلسته

المنعقدة بتاريخ ٢٤ من شـعبان ١٣٩٢هـ الموافق ٢ من أكتوبر ١٩٧٢م برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر وعضوية السادة :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد هريدى

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حافظ محمد الشيخ

٤ ـ الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

٥ ـ الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز محمد عيسى

واعتذر عن عدم الحضور السادة :

ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد أبو شهبة

مع الموافقة على ما تقرره اللجنة .

اجتمعت للنظر فى شئون تحفيظ القرآن الكريم والعناية به نهجا على سنة انتهجتها مصر من يوم أن شرح الله صدور أبنائها للاسلام وميزة امتاز بها الأزهر ، فوضعته أمام واجب دينى وتعليمى ، لتحقيق أهداف المسلمين من العناية بعلوم الدين واللغة ، والاهتمام بالقرآن الذى هو عماد هذه العلوم وأصلها .

وقد درست اللجنة فى اجتماعات سبعة دليل عمل تقدم به فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وكيل الأزهر بناء على طلبها ، كما طلبت من بعض الجهات المعنية بتحفيظ القرآن الكريم موافاتها بالوسائل التى تتبعها لتحقيق هذا الغرض ، ونظرت فى تقرير لجنة « دعم وسائل التربية الدينية » فى مدارس وزارة التربية ودور المعلمين ، وهو التقرير الذى لم ينفذ حتى الآن .

وانتهى رأى اللجنة ـ بعد تمحيصها لما اطلعت عليه ، ولما سمعته من آراء ـ الى المقترحات الآتية التى تعرضها على مجلس المجمع ، آملين أن تجد من المسئولين فى هيئات الأزهر المختلفة وفى الوزارات المتصلة بالموضوع العناية الكاملة لتحقيقها وتنفيذها بجو يليق بالأمر .

ترى اللجنة أن العناية بتحفيظ القرآن الكريم يقتضى العمل فى المجالات الآتية :

اولا : بالنسبة لداخل الأزهر .

١ ـ مجال الطلاب الذين يريدون الالتحاق بالمعاهد الدينية الأزهرية .

٢ ـ مجال الطلاب الملتحقين بالمعاهد وجامعة الأزهر .

٣ ـ مجال تعيينات مدرسى العلوم الدينية والعربية بالمعاهد الدينية الأزهرية وترقياتهم ، والاختيار لوظائف تفتيش العلوم الدينية والعربية ، وبخاصة التفتيش بالتعليم الابتدائى .

٤ ـ مجال اختيار الأزهريين للعمل بالبلاد العربية والاسلامية ، للوعظ او التدريس ، نشرا للثقافة الاسلامية .

ثانيا : بالنسبة لخارج الأزهر .

١ ـ مجال الاختيار للوظائف الدينية الاشرافية ف وزارة الأوقاف او غيرها من الوزارات والهيئات ، ولوظائف المأذونين الشرعيين .

٢ ـ مجال تجنيد حفاظ القرآن الكريم ومعاملتهم معاملة المؤهلين .

٣ ـ مجال اعتماد موازنة الأزهر (ميزانية بناء المعاهد الابتدائية والحوافز، والمكافآت التشجيعية للحافظين والمحفظين للقرآن الكريم بما يتفق مع مكانة القرآن الكريم) .

وهاهى ذى الاقتراحات :

ترى اللجنة ان العالم الأزهرى لا يصلح لأداء مهمته الا اذا كان حافظا للقرآن الكريم ولتحقيق هذا :

١ ـ قررت اللجنة بعد استعراض ما جرى ف السنوات السابقة ، وما ترتب عليه من دخول غير الحافظين للقرآن الكريم ف امتحانات القبول الاعدادى والثانوى وجوب اتخاذ وسائل حازمة ، تكفل عدم دخول غير الحافظين للقرآن الكريم مهما كانت النتائج لذلك ، وعدم الاصغاء للشكاوى التى قد تؤدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى التجاوز عن حفظ القرآن الكريم ف الأزهر ويعتبر شيوخ المعاهد مسئولين مع الممتحنين عن تنفيذ هذه التوصية بالدقة .

٢ ـ تحديد أجزاء مناسبة لسنوات الدراسة بالنسبة للطلاب المنتسبين حاليا ف المعاهد الأزهرية الاعدادية والثانوية ، وأوصت اللجنة أن يقدر على الطالب حفظ خمسة أجزاء ف العام الدراسى بحيث لا يحصل الطالب على شهادة المرحلة الا بعد حفظه للاجزاء التى قدرت له فيها حفظا كاملا يجتاز فيه امتحانا تحريريا وشفويا دون ضم أحد الامتحانين الى الآخر . على أن تتولى ادارة المعاهد الأزهرية ابلاغ المعاهد بالأجزاء المقررة على كل صف .

٣ ـ تخفيف الازدواج ف مناهج التعليم الابتدائى الأزهرى لفسح المجال لحفظ القرآن الكريم ، على أن يترك وضع المنهج المناسب للجهة المختصة ف الأزهر ، والتوصية باعتبار الملتحقين بالمكاتب وجمعيات المحافظة على القرآن الكريم منفذين لقانون الالزام .

٤ ـ عدم اعتماد نتائج الامتحانات ف كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وكلية الدراسات الاسلامية والعربية الا بعد النجاح ف القرآن الكريم أمام اللجان المختصة على أن يكون ذلك ابتداء من العام الدراسى ١٩٧٥/ ١٩٧٦ وعلى أن توزع أجزاء القرآن الكريم على صفوف الدراسة بالكليات السابق ذكرها اعتبارا من العام الدراسى القادم ١٩٧٣/١٩٧٤ كما اتبع بالنسبة الى الاعدادى والثانوى .

٥ ـ أن يكون التعيين لمدرسى العلوم الدينية والعربية المتخرجين ف الأزهر عن طريق مسابقة يجريها الأزهر ، ويشترط فيها حفظ القرآن

الكريم ، بعد اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة لذلك .

٦ ــ التوصية بجعل الترقيات الى وظائف شيوخ المعاهد ووكلائها والمفتشين والمدرسين الاوائل في العلوم الدينية والعربية مشروطة بحفظ القرآن الكريم وبتطبيق ذلك على الاختيار للوظائف الدينية الاشرافية بوزارة الأوقاف وغيرها ، وعلى من يختارون لوظائف المأذونين الشرعيين .

٧ ــ عرض القائمين بالعمل من مفتشي التعليم الابتدائي حاليا على لجنة اختبار في حفظ القرآن الكريم بعد ستة أشهر من قرار المجمع ، لابقاء الحافظ ونقل غير الحافظ الى التدريس مع منحه فرصة أخرى بعد ستة أشهر للعودة الى التفتيش اذا نجح في حفظ القرآن الكريم .

٨ ــ جعل حفظ القرآن الكريم هو المادة الاساسية لمن يختارون من رجال العلوم الدينية والعربية للاعارة أو يتقدمون للتعاقد مع دولة أجنبية أو عربية بحيث يكون مجموع درجات الامتحان (١٠٠) مائة درجة منها :

٦٠ ستون درجة للقرآن الكريم ــ نهاية كبرى ، يراعى في منحها حسن الأداء ، والصغرى ٤٨ ثمان وأربعون درجة .

٤٠ أربعون درجة للمعلومات العامة ــ نهاية كبرى وللصغرى ٢٤ اربع وعشرون درجة .

٩ــ التوصية بجعل امتحان المعارين والمتعاقدين أمام لجان لها رئاسة امتحان خاصة كرئاسة امتحان الشهادات الأزهرية .

١٠ ــ اعتبار حفظ القرآن الكريم بتمامه مؤهلا في التجنيد يعامل أصحابه بعد النجاح فيه أمام اللجان المختصة معاملة أصحاب المؤهلات في مدة التجنيد وفي الامتيازات والحقوق .

١١ ــ تخصيص مكافآت تشجيعية من الدولة لا تقل عن خمسين ألف جنيه في العام لخمسمائة حافظ ، ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة ، على أن يكون منها مبالغ مجزية للمحفظين الذين أشرفوا على تحفيظ هؤلاء الطلاب ورفع المبلغ المخصص لاعانة المكاتب والجمعيات الى مائتي ألف جنيه .

١٢ ــ وفيما يتعلق بتحفيظ القرآن خارج الأزهر :

ترى اللجنة أن تفوض الى السادة أعضاء مجمع البحوث الاسلامية أن يتقدموا باقتراحاتهم في هذا الشأن .

والله المستعان

(توقيع)
دكتور محمد الفحام
رئيس اللجنة

*** وقد عرض هذا التقرير على مجلس مجمع البحوث الاسلامية بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢١ م**

*** ووافق المجلس عليه برئاسة فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر ورئيس مجلس المجمع**(١) .

محمد امين البدوى

٨ ــ المؤتمر الثامن ــ (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م):

أولا : يطلب المؤتمر أن تعمل كل دولة اسلامية غير عربية على ادخال اللغة العربية في مناهج تعليمها ، وابراز اهميتها في ميدان الثقافة عامة ، والثقافة الاسلامية خاصة ، وعلى انشاء كلية في احدى جامعاتها للتخصص

فى فروع الثقافة الاسلامية العربية ، وعلى تخصيص أقسام لهذه الدراسات فى بعض جامعاتها وعلى تقرير منح وجوائز لمن يحفظون القرآن كله أو بعضه ، ولمن يتفوقون فى اللغة العربية ، قراءة وكتابة وحديثا ، ولمن يؤلفون بالعربية من أبناء هذه البلاد فى فروع الدراسات الاسلامية ، بمختلف أنواعها .

ثانيا : يقرر المؤتمر وجوب الوقوف فى وجه اللغة العامية والدعوة الى استعمالها ، فهى لا تصلح أن تكون رابطة بين أبناء الشعوب العربية ، وهى ليست ذات ثقافة أو فكر يدرس واستعمالها امتهان للغة العربية ، وقضاء عليها ، وبذا يتعسر على النشء فهم لغة القرآن ، والتراث الاسلامى .

ثالثا : يقرر المؤتمر الوقوف بكل وسيلة فى وجه الذين يدعون الأمة الاسلامية الى استعمال الحروف اللاتينية . فان كل دولة اسلامية تتخذ الحروف اللاتينية تباعد بين المسلمين ولغة دينهم ، وتضعف صلتهم بكتاب الله ، المنزل بلسان عربى مبين ، وتقطع صلتهم بالتراث الاسلامى .

القرآن الكريم

يوصى المؤتمر بتشكيل لجنة من أعضاء المجمع ، يمثلون البلاد الاسلامية لمتابعة ترجمة معانى القرآن الكريم التى تصدر باللغات الأجنبية والأوربية والشرقية وتقديم تقرير عنها للمجمع ، لبيان اتجاهاتها لكى يوضح للمسلمين ما لا يعتمد منها وما هو أقرب منها الى معانى القرآن .

كما يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بشأن تقوية اذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية حتى ينتشر ارسالها فى كل المناطق الاسلامية ، ويؤيد فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى جهوده من أجل دعم هذه الاذاعة حتى تتمكن من خدمة الدعوة الاسلامية على الوجه الأمثل .

القرن الهجرى

يوصى المؤتمر الجماعات الاسلامية ، حكومات ، وهيئات بالتخطيط من الآن لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى ، باقامة مؤتمرات واجتماعات عامة تعرض فيها تعاليم الاسلام فى بيئتها المحلية وفى غيرها ، كما تخصص بدء ذلك القرن الجديد بموسم العناية بحفظ القرآن الكريم وفهمه على مستوى الأمة الاسلامية .

* المؤتمر التاسع (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م) .

يوصى المؤتمر الجهات المعنية بالتعليم فى الأقطار العربية والاسلامية بالعناية بتحفيظ القرآن الكريم وبالعناية بدروس الدين الاسلامى عقيدة وأحكاما وأخلاقا فى مختلف مراحل التعليم لتنشأ أجيال المسلمين على خلق القرآن ووصايا الاسلام مع مزيد من العناية باعداد المعلمين الذين يقومون بهذه الواجبات .

١ ــ التأكيد على العناية بالقرآن الكريم حفظا ودراسة ونشرا .

٢ ــ اقرار المنهج الذى سارت عليه اللجنة المكلفة بوضع التفسير الوسيط مع العناية بالتنبيه على الدخيل فى كتب التفسير القديمة ، مما يتنافى مع المقررات الدينية ، والحقائق العلمية .

محمد أمين البدوى

سيرة وتاريخ

- مشهد حمزة «رضى الله عنه»
- التاريخ الإسلامى وأوهام المؤرخين والمعاصرين
- جمال الدين الأفغانى

مشهد حمزة رضى الله عنه

استقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحرب فى يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة بخطبة حربية زود فيها الجيش المحارب بقوة معنوية رائعة : ومما قال : ما اعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد امرتكم به ، ولا اعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه ، وأنه قد نفث فى روعى (اى قلبى) الروح الامين انه لن تموت نفس حتى تستوفى اقصى رزقها لا ينقص منه شىء ، وان ابطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، واجملوا (اى احسنوا) فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم (السيرة الحلبية ج ٢/ ٢٢٢) .

ودارت فصول المعركة الرهيبة بمحاسنها ومآسيها .. فمن محاسنها : تحدى طلحة بن أبى طلحة للمسلمين مرارا .. طالبا المبارزة .. الى أن قال مستحثا : يا أصحاب محمد تزعمون أنكم تعجلوننا الى النار ، ونعجلكم الى الجنة .. فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه الى النار ، أو أعجله بسيفى الى الجنة .. كذبتم ، واللات والعزى لو علمتم ذلك حقا لخرج الى أحدكم .. فخرج اليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. فاختلفا ضربتين .. وبدره على فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته .. فقال لعلى : أنشدك الله والرحم .. فرجع عنه ولم يجهز عليه .. فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ما منعك أن تجهز عليه فقال : ناشدنى الله والرحم .. فقال له أقتله ، فقتله .. وكان حامل لواء المشركين .. فأخذ اللواء بعده أخوه عثمان بن أبى طلحة .. فحمل عليه حمزة رضى الله عنه فقطع يده وكتفه ورجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج (أى عبد المطلب) .. ثم أخذ اللواء أخو عثمان أبو سعيد فرماه سعد بن أبى وقاص فى حنجرته فقتله ، .. فحمله مسافع بن طلحة الذى قتل أولا ، فرماه عاصم بن ثابت فقتله ، ثم حمله أخو مسافع الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله .. فنذرت أمهما ان أمكنها الله من عاصم لتشربن فى رأسه خمرا ورصدت مائة من الابل لمن جاء

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

برأسه .. ولكن عاصما قتل في غير هذه الغزوة (في سرية الرجيع) ، فحمل اللواء أخو مسافع الآخر وهو كلاب فقتله الزبير .. فحمله أخوهم الجلاس فقتله طلحة بن عبيد الله .. فحمله أرطاة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب فحمله شريح بن قارظ فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ، ثم حمله صواب الحبشي وكان غلاما لهم فقطعت يده ، فبرك على اللواء وضمه لصدره وعنقه فقتله قزمان .

ووسط هذه البداية الموفقة لغزوة أحد .. وأمام هذه المبادرات الطيبة لصالح المعركة بدأ سيل المآسي بموقف مخالف للرماة .. ولا نقول : « لو » أنهم عضوا على أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهم بعدم مغادرة أماكنهم ولو تخطفتهم الطير — بالنواجذ .. لما حدث ما حدث .. لأن « لو » كما قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — تفتح عمل الشيطان .. ولكن نقول كما أمرنا : قدر الله وما شاء فعل .. وقد اتخذ الله منهم شهداء ، ومحص الذين آمنوا .. وماز بين الخبيث والطيب .. ومما قاله لهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكانوا خمسين رجلا بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه : الزموا مكانكم لا تبرحوا منه .. فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، ولاتدفعوا عنا ، وأرشقوهم بالنبل .. فان الخيل لا تقدم على النبل ، انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم اني أشهدك عليهم .

ثم جاء المشهد الرهيب الذي أبكى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وحز في قلبه .. فقد بدأ دور حمزة رضي الله عنه في هذه الحرب الضروس بالتصدي لسباع ابن أم أنمار حين نادى : هل من مبارز .. فخرج اليه حمزة فشد عليه .. فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .. فكان كأمس الدابر (كما في البخاري وغيره) وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة .. وحينئذ .. أكب عليه حمزة ليأخذ درعه .. فأخذها .. وأخذ يقاتل بين الرسول — صلى الله عليه وسلم — بسيفين وهو يقول : أنا أسد الله .. وكان يراقبه عن كثب وحشي غلام جبير بن مطعم ، فيراه يهد الناس بسيفه .. لا يقوم له شيء .. فتربص به فرصة تسنح ليقتله فينال حريته التي وعدته بها هند امرأة أبي سفيان ان قتل حمزة .. وجاءت الفرصة النادرة اذ عثر حمزة على الرغم منه عثرة وقع منها على ظهره .. فانكشف الدرع عن بطنه .. وهنا يقول وحشي :: فهززت حربتي .. حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه .. فوقعت في ثنيته (وهو موضع تحت السرة وفوق العانة) .. فقام حمزة متحاملا على نفسه .. وأقبل نحو وحشي .. ولكنه غلب .. فوقع .. فأمهله وحشي حتى اذا مات ذهب اليه ، وأخذ حربته .. ثم تنحى عن العسكر .. اذ لم يكن له

مشهد

حمزة رضي الله عنه

حذف فيه غيره .. ومما يذكر أن وحشيا هذا ، أسلم أخيرا ، ولما رآه النبي — صلى الله عليه وسلم — يوم الفتح قال له : حدثني كيف قتلت حمزة .. فلما حدثه .. قال له : اغرب بوجهك عني .. فكان يتحاشى لقاء الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك .. وقد شاء قدر وحشي أن يقتل بنفس هذه الحربة مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة .. وكان يقول : قتلت بها خير الناس وشر الناس واني لأرجو أن تكون هذه بتلك .. وكان ذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ابان حروب الردة .. ولا ينافي ذلك أن عبد الله ابن زيد رضي الله عنه اشترك في قتل مسيلمة اذ رأته أمه أم عمارة نسيبة بنت كعب يمسح سيفه بثياب مسيلمة ، فقالت له أقتلته ؟ قال نعم .. فسجدت لله شكرا ، فقد ذكر وحشي انه لما تهيأ لقتل مسيلمة .. تهيأ له رجل من الانصار من الناحية الأخرى .. كلانا يريده .. وهززت حربتي حتى اذا رضيت عنها دفعتها ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله .. وهذا الأنصاري هو عبد الله بن زيد .. وقيل ان أبا دجانة اشترك معهما في قتله أيضا .. ولا مخالفة بين الروايات .. لان الاشتراك ممكن بحسب تعدد الجهات .

وساق وحشي الخبر الى هند لينال منها جزاءه المنتظر .. فذهبت اليه فشقت بطنه ، وأخرجت كبده .. فلاكتها بأسنانها .. فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها .. وكان ذلك وفاء منها لنذر نذرته على نفسها .. ان أمكنها الله من حمزة لتأكلن كبده .. ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل أكلت من كبده شيئا ؟ .. قالوا : لا .. قال : ان الله قد حرم على النار تذوق شيئا من لحم حمزة أبدا .. أي ولو أكلت منه واستقر في جوفها لم تمسها النار ، ثم قطعت أطرافه .. وجدعت أنفه وأذنيه وأجزاءه السفلى ، وجعلت ذلك كالسوار في يديها ، وقلائد في عنقها .. لأنه قاتل أبيها يوم بدر ، .. وجاء في النهر لأبي حيان : أن وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق ، فلم يوف له بذلك .. فندم على ماصنع .. ومر الحليس سيد الأحباش في جيش المشركين .. فرأى أبا سفيان يضرب بزج الرمح في شدق حمزة رضي الله عنه ويقول : ذق ياعاق .. فقال الحليس : يابني كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ماترون .. فقال أبو سفيان : اكتمها عني فانها زلة .. وجاء دور النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو يتفقد قتلى المعركة أخيرا — وكانوا قد ناهزوا السبعين شهيدا .. فلما رأى حمزة مبقور البطن ، مجدوع الانف والأذنين .. رأى مشهدا أوجع قلبه كما لم يوجع من قبل .. وقال : لن أصاب بمثلك .. ماوقفت موقفا أغيظ لي من هذا .. رحمة الله عليه .. فانك كنت ماعلمتك فعولا للخيرات .. وصولا للرحم .. أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك .. وشاركه المسلمون في هذا

الوعيد .. فأنزل الله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) .. فعفا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وصبر ، ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه ..

وقد تكرر نزول هذه الايات فى هذه الوقعة وفى قصة المدنيين ، وعن أبى مسعود رضى الله عنه : ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم — باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه ، وضعه فى القبلة ، ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق .. أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول : ياعم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسول الله .. ياحمزة يافاعل الخيرات .. يا حمزة يا كاشف الكربات ، ياحمزة يا مانع عن وجه رسول الله .. وقال ما قال بعد أن كف عن البكاء .. فهو ليس من الندب المحرم .. وانما هو من ذكر محاسن الميت .. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة حتى لاتقع عينها عليه .. فدفعته فى صدره وهى تقول : ولم ؟ .. وقد بلغنى انه مثل بأخى .. وذلك فى الله .. فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك .. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : خل سبيلها .. فجاءت واسترجعت ، واستغفرت له وهى تبكى .. والرسول يضع يده على صدرها خوفا على عقلها .. وقال : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع .. ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة .. واحدا بعد واحد .. فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .. وصلى على حمزة الشهداء من غير غسل لهم ، ولم يصح عند الشافعى حديث الصلاة على قتلى أحد .. ولكنه صح عند غيره ومنهم الحنفية الذين احتجوا على الصلاة على الشهيد بحديث جابر وأورده فى مراسيله عن عطاء بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد ، وقد اعتضد هذا المرسل بمرفوع غيره فقد رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وقد ثبت أن عمرو بن العاص صلى على مائة وثلاثين استشهدوا فى فتح فلسطين وكان معه تسعة آلاف من المسلمين .

الدكتور محمد محمد الشرقاوى

التاريخ الإسلامي

وأوهام المؤرخين والمعاصرين

لم تدرس حقبة من التاريخ الاسلامى كما درست فترة الخلفاء الراشدين ، ومع ذلك فان كاتبنا المؤرخين فى ايامنا هذه يقعون فى الخطا ، وهو امر غريب فامامهم التراث القديم والتراث الحديث يرجعون اليه فيتفادون الوقوع فى الخطا ، وينبغى للمؤرخ اذا تكاثرت عليه الروايات المتعنة أن يطيل النظر فيها ، ويعرضها على عقله وعقول رواد عصره حتى يقف على الصحيح فلا يزيف التاريخ والتاريخ — فى نظرى — علم كسائر العلوم ، الدقة فيه منشودة ، والتثبت فى الرواية من مطالبه ، ولا يجعل همه الانتصار لميوله ، فالحقيقة هى طلبته ، لانه يعطى ببحثه ودراسته علما وثقافة .

وقد آلمنى أن يقع الأديب المؤرخ الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى أخطاء كنت بمعزل عن نسبتها اليه ، ولكنها كانت منه فى المقالات التى ينشرها الأهرام له منذ أيام شهر رمضان من هذا العام تحت عنوان « على امام المتقين » فقد جاء فى الفصل السادس (٢) وهو عن الشورى ما يفيد أن طلحة بن عبيد الله قد حضر مع أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضى الله عنه حين استشهد فى المدينة بمسجد الرسول — عليه الصلاة والسلام — على يد أبى لؤلؤة المجوسى سنة ٢٣هـ والحقيقة التاريخية تقول غير مقاله . على أن الأستاذ الشرقاوى فى أول حديثه عن الشورى قال : « وكان طلحة غائبا خارج المدينة » ثم اذا به عند اجتماع أصحاب الشورى يثبت أن طلحة كان حاضرا ، وأنه تكلم بعد سعد « فدعا لنفسه » وقد يكون كاتبنا تابع ما جاء فى الطبقات الكبرى لابن سعد الذى روى أن عمر حين حضرته الوفاة قالوا له : استخلف فقال : « لا أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدى ، فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا — فان أصابت سعدا فذاك والا فأيهم استخلف فليستعن به ، فانى لم أعزله عن عجز أو خيانة ، فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة نفر منكم ، فجعل الزبير أمره الى على ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ، وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن » وهذه الرواية نقضها ابن سعد

للأستاذ السيد حسن قرون

نفسه بعد ايرادها بقوله ــ والرواية عن ابن عمر ــ : أن عمر قال حين دخل أهل الشورى عليه : وانما الأمر الى ستة وذكرهم . قال ابن سعد : « وكان طلحة غائبا في أمواله بالسراة » فالرواية التي تقول ان طلحة جعل أمره لعثمان تخالف الواقع وتخالف كتب المؤرخين ، فابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد » يروى أن عمر بعد أن وجه الخطاب للخمسة الحاضرين من أهل الشورى قال : « ... وطلحة شريككم في الأمر ، فان قدم في الأيام الثلاثة .. وهي الأيام التي حددها للانتهاء من اختيار الخليفة . فأحضروه أمركم ، وان مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم ، ومن لى بطلحة ؟ » فقال سعد : « أنا لك به ولا يخالف ان شاء الله » ومما يؤكد أن طلحة لم يحضر اجتماع الشورى أنه حضر في اليوم الثالث وقد فرغ عبد الرحمن ابن عوف من تعيين الخليفة وهو عثمان بن عفان فقيل له أي لطلحة : ان الناس قد بايعوا عثمان ، فقال : أكل قريش رضوا به ؟ قالوا : نعم . فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك . قال طلحة : فان أبيت أتردها ؟ قال : نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم ، قال : قد رضيت ولا أرغب عما اجتمعت الناس عليه ، وبايعه ، وهذا من رواية العقد الفريد أيضا .

فطلحة بن عبيد الله لم يحضر أمر الشورى ولا الذى دار فيها ولم يطلب الخلافة لنفسه في تلك الأيام الثلاثة المحددة لتعيين الخليفة ،

وفي نفس مقال الأستاذ الشرقاوى الذى نحن بصدده جاءت أوصاف لأهل الشورى ــ جملتها الرواية على لسان عمر ــ لا نقبلها فيهم ، فكيف يكون عبد الرحمن بن عوف « فرعون هذه الأمة » ؟ وهو السابق الى الاسلام والمجاهد في سبيله بماله ونفسه والذى كان موضع الثقة في كل عهد ، فما تولى خليفة الا جعله أمير الحج لأول عام من حكمه ، وقد عرض عليه عمر أن يلى الأمر بعده فأبى وقال لا أكون الرابع ، وأخرج نفسه من طلبها عند اجتماع أهل الشورى ومازال بها يستشير وينظر حتى وضعها في عنق عثمان بن عفان فوصفه بفرعون هذه الأمة لا يكون لمثله في تقواه وورعه ونصحه للمسلمين ، والرسول صلى الله عليه وسلم وصفه : بأنه « الصادق البار » وقال عنه عثمان راويا عن النبى أنه « أمين في الأرض ، أمين في السماء » .

ووصف سعد بن أبى وقاص ــ وهو ابن عم عبد الرحمن ــ بالغلظة بعيد كل البعد ، فتاريخه منزه عن الغلظة ، فما ظلم أحدا ولا عاقب من يهجوه بالشعر حين كان قائد جيش المسلمين في فتح بلاد الفرس ؟ بل كان قصاراه يهدد بالدعاء على من يهجوه ، لأنه كان مستجاب الدعوة ، بدعوة النبى له ويكفى شهادة عمر له : « لم أعزله عن عجز أو خيانة » ، ولذلك وصف طلحة بالكبر مباين لأوصافه ، ويكفى أنه قال لخادمه وقد تأخر عن اجابته وسمعه يقول لبيك : « لا

التاريخ الإسلامي
وأوهام المؤرخين والمعاصرين

لبيك » فباع أرضا بخمسة عشر ألف دينار وتصدق بها ليكفر بها عن تلك الكلمة .

وحكاية اقتلوا المخالف منهم أو الباقين ممن لم يبايعوا لا تكون من عمر رضى الله عنه وهو فى النزع الأخير ، ولم يقبل هذا القول الدكتور طه حسين فى كتابه « الشيخان » فقال : وما أحسب أن هذا يصح ، فقد كان عمر أحرص على دماء المسلمين من أن يأمر بقتل ستة من كبار ذوى السابقة من المهاجرين الذين بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنهم راض . قال هذا الدكتور طه دفعا لزعم بعض الرواة أنه أمر أبا طلحة ان امضوا ثلاثة أيام ولم يختاروا خليفة منهم أن يضرب أعناقهم ، فاذا كان الأمر كذلك فبعيد أن يأمر عمر بالقتل، سواء أكانوا ستة أم أقل ؟

واذا كان الأستاذ الشرقاوى أخطأه التوفيق فى الوقائع والرواية الصحيحة فيما سبق فقد أخطأه التوفيق فى نسب عمرو بن العاص ، فقد نسبه الى أمية ورجل كعمرو بن العاص لا يخفى مكانه ولا يجهل نسبه ، فهو الفاتح الكبير : فتح فلسطين وفتح مصر وولى امرها أكثر من مرة ، وله ابن هو عبد الله عرف برواية الأحاديث الشريفة ، ونسبه بين قريش رفيع . ولكن الأستاذ الشرقاوى فى الفصل السابع (٢) فى حديثه عن عثمان وهو « ذو النورين » وموقفه من الشورى أقصد أخذ رأى الصحابة وغيرهم فى ادارة شئون الدولة وكان له فى هذا مجلس فقال : « وكان عمرو بن العاص حاضرا فى مجلس عثمان فهو من رءوس بنى أمية » وكرر هذه المقولة فى مقاله هذا .

ونسب عمرو بن العاص القرشى يجىء هكذا (عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم) وسهم هو الجد الذى ينسبون اليه فيقال عمرو بن العاص السهمى . وسهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، فهو يلتقى مع النبى فى كعب ، ولا جدال فى أن خطأ الكاتب اتاه من كلمة « العاص » لأن بنى أمية منهم الأعياص ، فقد سمى أمية بعض أبنائه العاص وأبا العاص ، والعيص وأبا العيص ، وهم أخوة حرب بن أمية غير أن أشرف بيت فى أمية هو حرب وولده أبو سفيان وابنه معاوية ، وأمية ابن عبد شمس هو ابن أخ هاشم بن عبد مناف وكان العاص بن وائل والد عمرو له مكانته فى حرب الفجار يذكر بجانب رؤساء قريش مثل حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان التيمى وسعيد بن العاص بن أمية ، ولما ظهر الاسلام كان من المستهزئين الذين قال الله فيهم مخاطبا رسوله : « **انا كفيناك المستهزئين** » ٩٥ سورة الحجر .

وكان عمرو يفخر به ويتعالى به على عفان والد عثمان مع أن عثمان من بنى أمية . وأمية بيت عبد مناف كما يقول ابن خلدون فى مقدمته وفى نفس المقال لم يوفق الأستاذ الشرقاوى فى حديثه عن مروان بن الحكم ، ومروان ابن عم عثمان رضى الله عنه ، فنقل شعرا فيه قدح لعثمان واغداقه المال على ذوى قرابته منه :

(والخطاب لعثمان :

دعوت الطريد فادنيته
خلافا لما سنه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد
خلافا لسنة من قد مضى
واعطيت مروان خمس الغنيمة
اثرته وحميت الحمى

وفسر الشعر بقوله : « ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أنكر أشياء على مروان فنفاه وظل منفيا من المدينة حتى ولي عثمان فأعاده وقربه منه . وغضبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن مروان بن الحكم وهو في صلب أبيه ، فهو قطعة من لعنة الله ورسوله » .

وقد اختلط الأمر على الكاتب فلم يتبين له جليا ، وقد يكون مروان أصابه جرم أبيه فلعن وهو في صلبه ، ولكن الطريد هو الحكم لا ابنه مروان فحين نفى النبي صلى الله عليه وسلم الحكم كان مروان طفلا رضيعا ، والرضيع لا ينفى ولا يطرد ولقد كان الحكم بن أبي العاص وهو عم عثمان سيء الخلق كثير الايذاء لرسول الله في مكة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم .

ولما فتحت مكة ودخل الحكم في الاسلام وهاجر الى المدينة لم يتخلص من أخلاقه الذميمة ، لذلك طرده الرسول — صلى الله عليه وسلم — منها .

ومن الطريف في هذا الشأن ما رواه المبرد في الكامل حين تلاحى عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد بن معاوية فكان الحوار الذي ننقل بعضه :

وسببه أن الوليد بن عبد الملك أهان عبد الله بن يزيد ، فكان احتجاج أخيه خالد لدى عبد الملك . قال عبد الملك لخالد : اسكت ياخالد فوالله ماتعد في العير ولا في النفير . فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال : ويحك ، فمن العير والنفير غيري ؟ جدي أبو سفيان صاحب العير ، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت » .

وقد وضح هذا الحوار المبرد ، وخلاصته أن أبا سفيان كان في عير التجارة لقريش فعرض لها صلى الله عليه وسلم ، فجاء الخبر قريشا فنفرت الى المدينة على رأسها عتبة بن ربيعة فكانت موقعة بدر ، وأبو سفيان جد خالد من جهة أبيه ، وعتبة جده من قبل جدته هند بنت بنت عتبة والدة جده معاوية . وقوله غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حبيلة وهي الكرمة ، وقوله رحم الله عثمان أي لرده اياه .

وقوله أطرده جعله طريدا . النبي طرده واستمر طريدا في زمن أبي بكر وعمر رضي الله

عنهما كما جاء فى شعر الشاعر . يقول المبرد : وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده متى أفضى الأمر اليه . روى ذلك الفقهاء . ص ١٩٨ من الجزء الأول من الكامل ، مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥هـ .

ولعدم تثبت الكاتب من الرواية جعل الطرد لمروان لا لأبيه ، وهذا يضعف من شأن الرواية ، ويطمس حقائق التاريخ .

وأتابع ما تنشره الأهرام ، واذا بنا أمام خطأ آخر يجيء فى الفصل الثامن (١) والعنوان العام « على امام المتقين » والعنوان الخاص « أيام الغضب والتربص » وهو كلام يتعلق بعثمان وموقف الرعية من تصرفاته ، ويعدد الكاتب ما أخذ عليه ، منها :

انه يعزل كبار الصحابة ليضع مكانهم ذوى قرابته .. ويكون خطابه : « فحاكم مصر ابن أبى السرح أخوك من الرضاعة ، وفى خراسان ابن خالتك عبد الله بن عامر » .

الأستاذ الشرقاوى كتب كتابا عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وألف كتبا أخرى اسلامية تتصل بالسلف ، وكان المظنون أنه على قدر كبير من معرفة أنسابهم وقراباتهم ، ولا أدرى ما الذى أعجله حتى يقع فيما وقع فيه ، فابتعد عن تحقيق الوقائع ، واختلطت عليه الأنساب حتى جعل عمرو بن العاص من بنى أمية ، ومن ثم يكون قريبا من رجال الحكم ،

ولقد وضحت نسبه ومنزلته ، وكذلك بينت الطريد وما كان من أمره ، وما وصم به أسرته ، ولم يمنع ما وصم به أن يكون أبناؤه الخلفاء حتى تقضى عليهم العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ومعروف فى التاريخ الاسلامى أن معاوية وصل الى الخلافة بقميص عثمان ، وأن مروان وصل الى الخلافة لأنه ابن عم عثمان بن عفان فعثمان كان الطريق الموصلة الى الحكم لبنى أبى سفيان وبنى مروان .

وبعد هذا الاستطراد الحتمى أعود الى (عبد الله بن عامر) فقد جعله الأستاذ الشرقاوى ابن خالة عثمان ــ كما نقلت لك نص عبارته آنفا ، وهو قريب عثمان ولا شك ولكنه ابن خاله لا ابن خالته . واليك البيان :

عبد الله بن عامر بن كريز يلتقى مع عثمان فى نسبه بعبد شمس بن عبد مناف من جهة الأب أما من جهة الأم فهو ابن خال عثمان .

وأذكر لك الأمر من أوله : تزوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس (وعبد شمس والد أمية) أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ــ وهى توأمة عبد الله والد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ــ فولدت له أروى أم عثمان وعامر بن كريز والد عبد الله ، فعامر خال عثمان وابنه عبد الله ابن خاله . انظر « أسد الغابة » فى حديثه عن عمات الرسول .



وخلاصة القول أن الأستاذ الشرقاوى فى تاريخه لامام المتقين على بن أبى طالب لم يحالفه التوفيق فوقع فى أخطاء كنا نود أن يخلو ما ينشره فى الأهرام منها ، ولاسيما أنه موضع الثقة فى كتاباته ، ولكن لكل عالم هفوة ، وله أسلوبه الشائق وعرضه الفائق . وأرجو أن يتدارك هذه الأخطاء حين جمع هذه المقالات لتكون كتابا . والله الموفق(١) .

السيد حسن قرون

١ ــ ان « مجلة الأزهر » لا يسعها امام هذا النقد السليم الا ان تشكر الأستاذ السيد حسن قرون على ما قدم ولقد تأسف المجلة أشد الأسف على وصف سيدنا عبد الرحمن بن عوف ــ رضى الله عنه ــ بهذا الوصف القبيح ، ويكفى أن نعلم ويعلم القارىء أن قائل هذا الوصف انسان من غير أهل السنة ابى ان يذكر اسمه للناس او للتاريخ فالقى هذا الوصف بكتاب نسبه زورا وبهتانا لابن قتيبة ــ رضى الله عنه ــ وابن قتيبة منه برىء .

والله اعلم

جمال الدين الأفغانى

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

يحاول اليوم بعض العلمانيين واعداء الاسلام والعروبة أن يشوهوا صورة « الافغانى » هذا المفكر الاسلامى الكبير ، حيث صوروه فى صورة العميل ، والجاسوس للامبراطورية البريطانية ، والمتحالف مع اعداء الاسلام .. وذلك لغرض فى نفوسهم ، او لمرض فى قلوبهم .

فهم لا يقصدون الأفغانى نفسه انما يريدون تشويه صورة هذا الداعية الاسلامي الكبير ، ليشوهوا بذلك من صورة الحركة الاسلامية فى العصر الحديث نفسها ، وليشوهوا صورة الدعاة الاسلاميين أنفسهم أمام أجيال الشباب ، وأمام الأجيال المقبلة ، ليتخذوا قدوة لهم غير هؤلاء الدعاة الاسلاميين .

ودليلهم على ذلك أقوال أعداء الاسلام نفسه ، وتقارير المخابرات الاستعمارية نفسها ، وهى التى نصبت نفسها لهدم الحركة الاسلامية ، ولتشويه صورة الاسلام ومبادئه ودعاته أمام أجيال المسلمين ، ودليلهم على ذلك أيضا أقوال خصوم الأفغانى نفسه من الذين وقفوا حياتهم على محاربته وتشويه صورته والقضاء على أثره وهو الداعية الى مبادىء الاسلام الكبرى فى الوطنية والحرية والعدالة ، والدفاع عن حمى الاسلام وحق شعوبه فى العزة والسيادة والكرامة ، وفى حياة الحرية والشرف والقوة .

الأفغانى هذا الرجل العظيم الذى قال عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق : انه فى تاريخ الشرق الحديث ، أول داع الى الحرية ، وأول شهيد فى سبيلها .

والذى قال عنه رينان : تعرفت بالشيخ جمال الدين ، فوقع فى نفسى منه مالا يقع لى الا من القليلين ، وأثر فى تأثيرا قويا ، وقد خيل الى من حرية فكره ، ونبالة شيمته وصراحته ، وأنا أتحدث عنه ، أنى أرى أحد معارف من القدماء ، وجها لوجه ، وأنى أشهد ابن سينا أو ابن رشد أو بعض أولئك العباقرة الخالدين الذين عملوا لتحرير الانسانية من اسارها .

والذى قال عنه الامام محمد عبده : « انى لو قلت ان ما آتاه الله من قوة الذهن ، وسعة



العقل ، ونفوذ البصيرة ، هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ » .

وقال عنه براون : أن تاريخ جمال الدين هو تاريخ المسألة الشرقية كلها في الأزمان الحديثة .. وقال عنه هنرى روشفور : « لقد شعرت نحو جمال الدين بعاطفة الحب التى تربطنى بكل داع الى ثورة ، أو مقاوم لاستبداد » .

لقد كان الافغانى رائدا مصلحا ، وفيلسوفا حكيما ، وثائرا مجددا ، ومناضلا مناهضا للاستعمار ، وللفساد السياسى ، وللاستبداد والطغيان ، وقد أبلى طول حياته بلاء حسنا في مقاومة الطغيان السياسى في العالم الاسلامى ، وكافح الاستعمار البريطانى في الهند ، حتى نفته حكومة التاج البريطانى من هذه البلاد ، وتتبعته في كل مكان نزل فيه تتبعا شديدا .

وقدم الأفغانى القاهرة للمرة الاولى ، منفيا من الهند ، عام ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩ م في عهد اسماعيل وفي هذه المرة تعرف عليه الشيخ محمد عبده ، وصار من أقرب الناس الى قلبه ومن القاهرة سافر الى الاستانة ، ولما حيكت له فيها الدسائس والمؤامرات عاد الى القاهرة في أول المحرم من عام ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م ، واستقبله تلميذه محمد عبده استقبالا يليق بمكانته ، وصار يلازمه في غدواته وروحاته ملازمة التلميذ لأستاذه العظيم .

— ٢ —

واندمج جمال الدين في حياة مصر الفكرية والاجتماعية وتردد على دار ابراهيم بك المويلحى في حارة الأمير حسين بشارع محمد على ، وهى في ذلك الوقت ندوة المفكرين والقادة والزعماء والعلماء ، ولما أجرت عليه وزارة الاوقاف المصرية مرتبا شهريا قدره عشرة جنيهات مصرية استأجر منزلا في حارة اليهود ، وصار بيته مدرسة جامعة يقصدها العلماء والطلاب ، كما يقصدها المفكرون والأدباء والكتاب ، والأفغانى يبصر كل رواد منزله بالشئون الاسلامية والسياسية وبحقوق الشعب والأمة ، وعرف الشباب الأفغانى واعتدوا اليه ، واستوروا زنده فأورى ،

جمال الدين الأفغاني

واستفاضوا بحره ففاض درا كما يقول الامام محمد عبده نفسه • وهكذا أيقظ جمال الدين العقول من غفلتها ، وكان من المستفيدين من فكره أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى ، وعبد الله نديم ، وقاسم أمين ، وحسن عاصم ، وحسن عبد الرازق وسيد وفا ، وعبد الكريم سلمان ، وسواهم•

وكان لجمال الدين ندوة ثانية فى « قهوة البوستة » بجوار الأزبكية ، وهى التى أطلق عليها فيما بعد « قهوة متاتيا » ، وكان من رواده فيها : البارودى ، ومحمد عبده ، وعبد السلام المويلحى ، وابراهيم المويلحى ، وسعد زغلول ، وعلى مظهر ، وأديب اسحاق، وسواهم ، وفى هذه الندوة حول جمال الدين مجرى الأدب ، فجعله فى خدمة الأمة ، يطالب بحقوقها ، ويدفع عنها من ظلمها ، ويحرض الشعب على أن يؤمنوا بحقهم فى الحرية ، والا يخشوا بأس الحاكم ، فليست قوته الا بهم ، وأخذ يتحدث عن الوطن ، ويدعو الى الحرية ، ويفيض فى الحديث عن حقوق الانسان ، وواجبات الحاكم ، وحقوق المحكومين ، وبدا ذلك واضحا فى مقالات محمد عبده وسعد زغلول وأديب اسحاق •

وكتب جمال الدين نفسه مقالتين فى جريدة مصر آنذاك : كانت احداهما عن الحكومات الشرقية وأنواعها •• مما كان له صدى بعيد وكتب محمد عبده كذلك عدة مقالات تأثر فيها بروح أستاذه ، ونشرها فى جريدة الأهرام •

وهكذا عمل الافغانى على توسيع المدارك وتوجيه العقول والافكار ، تعويد الشباب على الحرية فى البحث والنقد ، وبصر الشعب بحقوقه ، وبواجبات الحاكم نحوه ، وتحدث فى صميم السياسة ، ورأى أن الحكم النيابى لاقيمة له مادام الشعب غافلا جاهلا • ولما أثمرت النهضة الفكرية التى غرسها بيديه أخذ يلح فى طلب الحكم النيابى ويدعو اليه •

ولم يزل الأفغانى يشعل الثورة فى نفوس المصريين ، ويملؤها ايمانا بالوطن وحريته ، وبالشعب وكرامته ، ووقف الأفغانى فى الاسكندرية قبل خلع اسماعيل يخطب جموع الشعب ويقول : « أنت أيها الفلاح ، تشق قلب الأرض ، لتنبت فيها ماتسد به الرمق ، ويقوم بأودالعيال ، فلماذا لاتشق قلب ظالمك ؟ لماذا لاتشق قلب الذين يأكلون ثمرة كفاحك وتعبك ؟ » •

ولما ألف الافغانى ومحمد عبده جمعية « العروة الوثقى » فى باريس عام ١٨٨٤ م ، كانا يهدفان من وراء ذلك الى عودة مجد الاسلام ، والى الجهاد فى سبيله ومن أجل الدعوة اليه ، والكفاح من أجله ، والذود عن شعوبه وخلق الوعى المستنير فيها ، ومناهضة الحكم الاستبدادى ، والعمل على احياء الاخوة الاسلامية بين شعوب الشرق ، وعلى قيام الحكم فيها على أساس الدين ، الذى يأمر بالشورى والعدل بين الناس •

وفى العدد الأول من جريدة « العروة

الوثقى » ، الصادر فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ / الثالث عشر من مارس عام ١٨٨٤ م ، لخص هذان الامامان أهدافهما من قيام العروة الوثقى فيما يلى :

اولا : بيان الواجب على الشرقيين ، وأسباب فساد حالهم .

ثانيا : اشراب النفوس عقيدة الأمل ، وترك اليأس .

ثالثا : الدعوة الى التمسك بالأصول التى كان عليها أسلافهم ، وعزوا بها .

رابعا : الدفاع عما يتهم به الشرقيون عموما، والمسلمون خصوصا ، من أنهم لن يتقدموا ماداموا متمسكين بدينهم .

خامسا : اخبارهم بما يهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .

سادسا : تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، وتمهيد الطريق الى جامعة اسلامية ، تعيد شأن الاسلام الأول ، وتقوية فكرة الرابطة الشرقية ، بتقوية العلاقات السياسية والتجارية بين شعوب الشرق ، صدا لتيار الغرب وزحفه .

وكان الافغانى ومحمد عبده يريدان حكومة اسلامية موحدة ، ولما رأيا عدم امكان ذلك كتبا يدعوان الى أن تحكم الشعوب الاسلامية بحكومات امامها القرآن وأساسها العدل والشورى ، ويرتبط بعضها ببعض



بروابط محكمة ، وأخذا يناهضان الاستعمار الغربى فى الأقطار الاسلامية ، وخاصة الاستعمار البريطانى فى مصر والسودان ، بكل ما أعطاهما الله من قوة .

ولكن قوى الاستعمار اجتمعت على محاربة « العروة الوثقى » ، ومحاربة الامامين الجليلين حربا لا هوادة فيها ، ومن أجل ذلك عاشا مشردين مضطهدين طول حياتيهما . وكان محمد عبده يتجه الى جمال الدين فى المحنة ، ويقول له : أيها السيد ، أرى أن نترك السياسة ، ونذهب الى مجهل من مجاهل الأرض ، لا يعرفنا فيه أحد ، نختار من أهله عشرة أطفال أو أكثر من الأذكياء ، السليمى الفطرة ، فنربيهم على منهجنا ، ونوجه وجوههم الى مقصدنا ، فاذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين ، لا يمضى بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فى سبيل الله ومن أجل الاصلاح ، ومن أمثال هؤلاء يرجى الفلاح .

وكان جمال الدين يرد عليه بقوة ، قائلا له: « انما أنت من المثبطين ، نحن قد شرعنا في العمل ، ولابد من المضي فيه ، مادمنا نرى له منفذا » .

وهكذا كان الأفغاني عاصفة قوية هبت في عصره على جذوع الاستعمار والاستبداد فاقتلعتها من جذورها ، ولنتمعن في هذا الحوار بين الأفغاني والخديوي توفيق بعد توليه حكم مصر .

جمال الدين : أرى أن تشركوا البلاد في حكم نفسها عن طريق الشورى .

توفيق : انى أحب كل الخير للمصريين ، ولكني أرى مع الأسف أن أكثر الشعب جاهل خامل لا يصلح لأن يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والأقوال المهيجة ، لئلا يلقى نفسه والبلاد في تهلكة .

جمال الدين: ليسمح لي أمير البلاد ان أقول بحرية : ان الشعب المصري كسائر الشعوب، لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، وان قبلتم نصح هذا المخلص ، وأسرعتم في اشراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى ، وذلك بأن تأمروا باجراء انتخاب نواب عن الأمة ، يسنون القوانين ، وينفذونها باسمكم وبارادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم ، وأدوم لسلطانكم .

ويقول الامام محمد عبده في هذا الصدد: ان جمال الدين كان يتمنى أن تكون مصر جمهورية ، لأنه من أشد أنصار الحكم الجمهوري . ولكنه كان يعرف أن تحقيق هذا المطلب لم يكن مستطاعا في ذلك الوقت ، نظرا لاضطراب الاحوال والجهل السائد على العقول ، والخطر الأجنبي المحدق بالبلاد — راجع ص ٥٠ و ٥١ جمال الدين الأفغاني لقدري قلعجي .

وبآراء الافغاني ودعواته السياسية قامت الثورة العرابية في مصر ، بل قام مجلس الشورى في آخر حكم اسماعيل باعلان ان الأمة مصدر السلطات ، وأن الحاكم مطالب بالنزول تحت ارادة الأمة .

ويقول عبد الرحمن الرافعي عنه أنه يعتبر الأب الروحي للثورة العرابية .

ولما كان جمال الدين في الأستانة دعاه السلطان عبد الحميد ذات يوم ، وقال له :

ان سفير العجم رجاني أن أطلب منك الكف عن الوقيعة بالشاه ، وبناء على آمالي فيك وعدته بأنك تكف عنه .

فأجابه جمال الدين : « لم يكن في نيتي أن اترك الشاه حتى أنزله في قبره ، ولكني من أجلك سأعفو عنه » .

— ٣ —

وقد نوه عبد الرحمن الرافعي بالأفغاني وذكر عنه أنه كان في حياته مصلحا دينيا ، وفيلسوفا حكيما ، وزعيما سياسيا ، فجمع بين الزعامات الروحية والسياسية والفكرية ، واضطلع بها جميعا . وقال فيه كذلك : ان



حياة جمال الدين كانت بلا مراء بعثا لنهضة الشرق الحديثة ، اذ هو واضع البذرة الأولى للحركات القومية التى ظهرت فى الشرق الاسلامى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فهو الرائد الأول للحرية ، فى تاريخ الشرق الحديث .

لقد كان الأفغانى صورة رائعة للعالم الدينى المؤمن بحق بلاد الاسلام كافة فى الحرية والتخلص من العبودية والطغيان .

قال عنه سليم العنحورى : لقد كان آية من آيات القرن التاسع عشر ، ومعجزة من بدائع معجزاته .

وكتب عنه شكيب أرسلان فى تعليقاته على كتاب « حاضر العالم الاسلامى » يقول : فيلسوف الاسلام ، وعلم الاعلام ، وكوكب الاصلاح الذى أطلعه الله فى أفق المشرق بعد أن اشتد به الظلام ، حجة الشرق الناهضة ، وآية الحق الباهرة .

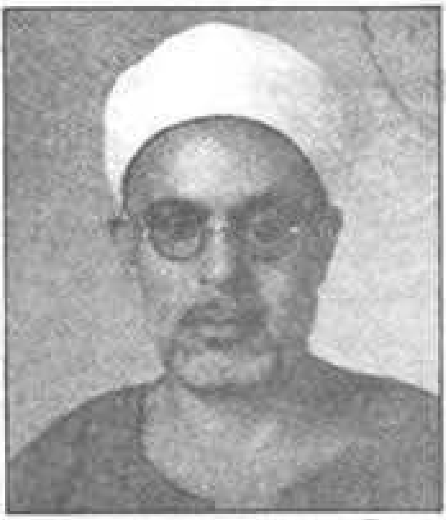
والصورة الباهتة التى رسمها أعداء الاسلام للافغانى هى صورة الحقد الذى تغلغل فى أعماق نفوسهم على جمال الدين ، والذى كانوا يعملون بباعثه على هدم الحركة الاسلامية والبعث الاسلامى فى العصر الحديث .

ان الأفغانى سيرة عاطرة ، وحياة حافلة ، وجهاد كبير وطويل من أجل مجد الاسلام ، وعزة الشرق ، وحرية شعوبه .

ولولا أن الأفغانى مثل عظيم للمكافحين الأحرار من أبناء الاسلام ، فى كل مكان ، لما تحركت أقلام المغرضين والملحدين والعلمانيين وأعداء الاسلام ، لمحاولة هدم مجده ، وطمس تاريخه ، وتشويه صورته ، وتقبيح ذكراه ، حتى ينفروا أجيال الشباب منه ، ويباعدوا بينهم وبين اتخاذه قدوة لهم فى نضالهم الدائب من أجل خلق بعث اسلامى جديد ، وحركة اسلامية ناهضة ، تستعيد للمسلمين مجدهم السالف ، وعزهم الغابر ، وسيادتهم على العالم كله ، ونهضة شعوبهم التى استظلت الدنيا بظلها أجيالا طوالا .. ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والسلام على من اتبع الهدى .

د. محمد عبد المنعم خفاجى

من أعلام الأزهر



الشيخ محمد أحمد عرفه

للدكتور محمد عبد المنعم

(١٠)

من اعلام الأزهر في العصر الحديث،
شيخ جليل ، وأستاذ كبير .
وداعية من اكبر الدعاة الى الله .
تتلمذنا عليه في كلية اللغة العربية في الثلاثينيات ، حيث كان يدرس لنا الفلسفة الاسلامية .
ثم تتلمذنا عليه في الدراسات العليا ، حيث درس لنا البلاغة العربية .
فكان نعم الاستاذ والمرشد والموجه .

تولى رياسة الوعظ في الأزهر الشريف في الخمسينيات ، كما تولى رياسة تحرير مجلة الأزهر فترة من الوقت وفي كل مكان عمل فيه كان نعم الأستاذ ، والعالم ، والمفكر ، والداعية الى الله .

قضى الشيخ عرفة أكثر من خمسين عاما في الأزهر طالبا وأستاذا وموجها .

دخل سلك التعليم في الأزهر عام ١٩٠٤ حيث التحق بمعهد دسوق الديني ، ثم أكمل تعليمه الثانوي في معهد الاسكندرية الديني ، ثم التحق بالقسم العالي في الأزهر الشريف ، وحصل منه على شهادة العالمية عام ١٩٢١ ، وعين اثر ذلك مدرسا في الأزهر الشريف في معهد الاسكندرية .

ولما أنشئت كليات الأزهر عام ١٩٣١ اختير للتدريس في كلية الشريعة الاسلامية ، وفيها ظهر نبوغه العلمي ، وعلت مكانته الدينية ، فاختير وكيلا للكلية عام ١٩٣٣ ، ثم نقل أستاذا في كلية اللغة العربية ، وظل فيها

الشيخ محمد أحمد عرفة

ثلاثة عشر عاما ، وفى عام ١٩٤٣ اختير عضوا فى جماعة كبار العلماء ، وفى عام ١٩٤٦ اختير مديرا للوعظ ومديرا لمجلته ، ثم عين مديرا لمجلة الأزهر ، وفى عام ١٩٥٩ أحيل الى التقاعد .. وظل عاكفا على القراءة والكتابة والدعوة الى الله حتى توفاه الله الى رحمته عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

كانت شخصية الشيخ محمد أحمد عرفه شخصية رجل الدين الوقور العالم ، الداعية الى الله وكان يحب الكتاب حبا جما ، ويقضى جل وقته معه وفى صحبته .

وكانت مقالاته فى الدفاع عن الاسلام ذات مدى كبير فى الرأى العام وكان ينشرها فى صحيفة الأهرام .

(٢)

ترك مؤلفات عديدة ، منها :

١ ــ النحو والنحاه .

٢ ــ رسالة الأزهر فى القرن العشرين .

٣ ــ نقض مطاعن فى القرآن الكريم ، وهو كتاب جليل يناقش آراء الدكتور طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى .

٤ ــ اللغة العربية ، لماذا اخفقنا فى تعليمها وكيف نعلمها .

٥ ــ السر فى انتشار الاسلام .

٦ ــ الاسلام أم الشيوعية .

٧ ــ انقاذ البشر من أن يفنى بعضهم بعضا بالحرب الذرية .

وترك الكثير من أحاديثه فى الاذاعة والصحف التى لم تنشر حتى اليوم .

وكان لديه مكتبة حافلة بشتى الكتب الحديثة والقديمة ، كان يقضى فيها معظم أوقاته .

(٣)

وكان مقربا من جميع شيوخ الأزهر ، يعرفون له مكانته الدينية ، ويعرفون له منزلته الروحية فى وسط الشعب .

وكان محبوبا من تلاميذه لما يفيدهم اياه من العلم الغزير ، والفهم العميق لأصول الشريعة وفروعها ، ولأسرار كتاب الله العزيز ولخصائص اللغة العربية وقواعدها ، وكتابه « النحو والنحاة » خير شاهد على ذلك كله .

وكان الشيخ رحمه الله جميل الهندام ، أنيق الملبس ، معروفا بشجاعة الرأى وبالصلابة فى الحق ، لا يلين الا لحكم العدل والانصاف ولا يخضع الا لقانون الواجب والنصفة ، وكان الناس يقصدونه فى مختلف شئونهم وحوائجهم ، فلا يرد سائلا ، ولا يخيب ظن ظان فيه ، ينهض مع المظلوم لينال الانصاف على يديه ، ويسعى فى الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وكان من جيل الشيوخ الكبار ، جيل تلاميذ الامام محمد عبده : من مثل محمود شلتوت ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، ومصطفى عبد الرازق ، والمراغى ، والزنكلونى ، وحمروش ومأمون الشناوى والخضر حسين، وسواهم .

رحمه الله واجزل مثوبته جزاء ما قدم للعلم والدين ، وللاسلام والمسلمين .

المجتمع الإسلامى

- الإسلام ونظريات بناء الروح المعنوية
- أثر الإسلام فى المجتمع السياسى
- من تاريخ القضاء فى دولة الإسلام
- ماذا قدمنا للإعلام الإسلامى ؟

الإسلام
ونظريات بناء الروح المعنوية

تحتل الروح المعنوية موقعا بالغ الاهمية فى سياسة الدول عامة وفى تخطيطها الاستراتيجى بخاصة ، فقد اصبحت فى هذا العصر العامل الرئيسى الذى يحكم اصدار القرار ببدء العمليات الحربية او تاجيلها او التخلى عنها . والتاريخ الحربى حافل بالمواقف التى اضطرت فيها القيادات الاستراتيجية الى التخلى عن عمليات هجومية كانت مقررة .

كما أصبح « تدمير » الروح المعنوية للعدو ، على رأس الأهداف الاستراتيجية (١) التى تسعى الجيوش المتصارعة الى تحقيقها ، فتضع الخطط « للضربات » التى تستهدف تدمير المعنويات ، سواء بالقتال بالسلاح او الحرب النفسية التى قال عنها القائد الالمانى روميل : « ان القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

وتزيد أهمية الروح المعنوية اذا امتدت الحرب لفترة طويلة ، فبدونها يصبح من المستحيل تحمل مشاقها والصمود لتكاليفها وويلاتها .

من أجل ذلك فان جميع الجيوش تعنى أشد العناية بوضع النظم التى تستهدف بناء الروح المعنوية لرجالها والمحافظة عليها ووقايتها من عوامل الضعف أو الانهيار ، وأصبح تنظيم الجيوش اليوم يضم أجهزة متخصصة فى هذا المجال يعمل فيها الخبراء العسكريون مع علماء النفس وعلماء الاجتماع وأطباء الامراض العصبية والنفسية والعقلية وغيرهم . ويطلق على هذه الاجهزة اسم « التوجيه المعنوى » أو « الشئون المعنوية » أو غير ذلك .

والروح المعنوية فى علم النفس هى « الحالة العقلية للفرد فى وقت معين ، وتحت تأثير ظروف معينة » .. فالفرد فى وقت معين وتحت تأثير ظروف معينة قد نجده شجاعا مقداما يفيض حماسة وحيوية ، وفى وقت آخر وتحت تأثير ظروف أخرى نجده مترددا متخاذلا فاقد النشاط والحيوية محطم الارادة . فحالة

(١) الهدف الاستراتيجى : هو الهدف الذى يسبب تحقيقه للعدو من الاضرار ما يؤدى الى احداث تغييرات حادة فى الموقف العسكرى والسياسى ويؤثر تأثيرا بالغا على تطور الصراع المسلح ككل (مثل تدمير طيران العدو بحيث تحرم القوات المسلحة والبلاد من الغطاء الجوى) .

للواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

الفرد العقلية التى تحركه وتدفعه — فى هذا الوقت أو ذاك — الى السلوك المتسم بالقوة أو الضعف ، أو بالسعادة أو الحزن هى « الروح المعنوية » . من اجل ذلك تعد الروح المعنوية من أهم عوامل الانتصار فى الحروب ، اذ هى الباعث الأساسى لارادة القتال ، وهى مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على احراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات .. هذا فى وقت الحرب ، أما فى وقت السلم فالروح المعنوية تعد من المطالب الحيوية لبناء الجيوش وكفاءتها واستعدادها للقتال ، فهى التى تنشىء الدوافع فى قلوب الرجال نحو الاخلاص والايجابية والحماسة فى العمل فى مجالات التدريب والحراسة وصناعة الاسلحة وغير ذلك من أسباب اعداد القوة .

* المدارس الفكرية فى بناء الروح المعنوية :

وقد ظهرت عدت نظريات أو مدارس فكرية فى مجال بناء الروح المعنوية وتوليد الدوافع لدى الأفراد والمقاتلين على الاقدام والاستبسال فى القتال نذكر أهمها فيما يلى : —

١ — نظرية الجبرية :

وهى نظرية مؤداها أن على الجندى أن يطيع الأوامر طاعة عمياء وينفذ المهام الموكولة اليه ، دون أدنى تفكير أو تبصر ، ودون أن يفهم أو يدرك الهدف الذى يحارب من أجله ..

أى أن هذه النظرية لا تؤمن بتوليد الدوافع المعنوية « الذاتية » النابعة من نفس المقاتل ، ولا ترى ضرورة لأن تكون له « عقيدة قتالية » معينة .. وكان فريدريك الأكبر يعتنق هذه النظرية ، فيقول عن رجاله : «انهم متى اجتمعوا فى صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ولا يترددون فى التخلص من كل اعتداء أو خطر ، ويكفى أن آمرهم ، فيلقوا بأنفسهم فى النار ، ويضحوا بحياتهم فى سبيلى دون أدنى تفكير ، لأنهم يجهلون كل شىء حتى الغرض الذى يقاتلون من أجله » !!

وواضح أن هذه النظرية تهدر قيمة الانسان ، ولا تعترف بفرديته ، ويلحق بها ربط المقاتلين بالسلاسل لدفعهم الى حومة القتال قسرا وقهرا .

وقد أصبحت النظرية الجبرية الآن غير ذات موضوع ازاء التطور الذى حدث فى شكل الحرب وأسلحتها شديدة التدمير بحيث اضطرت الجيوش الى توسيع الفواصل بين أفرادها وبين وحداتها تجنبا للخسائر الجسيمة ، وقد أدى هذا الانتشار الى صعوبة سيطرة القائد على رجاله بالعين والصوت كما كان الأمر فى الماضى ، وهكذا أصبح مطلوبا من المقاتل الفرد أن يتحرك بدوافع ذاتية

الإسلام
ونظريات بناء الروح المعنوية

لا خارجية ، وأن يواجه مواقف المعركة ويتصرف فيها بهدى تفكيره وحده ، وبعبارة واحدة : برزت قيمة الفرد ودوره المؤثر فى المعركة .

٢ ـ نظرية العقيدة المحددة :

وهى تنادى بضرورة اعتناق الجنود لعقيدة محددة (دينية أو سياسية أو مذهبية أو غير ذلك) تتركز حولها جميع اتجاهاتهم الفكرية ، وتوحد جهودهم للدفاع عنها وبذلك يصبح انتصار هذه العقيدة هو هدف القتال .

وواضح أن هذه النظرية تؤمن بأن « العقيدة القتالية للمقاتل » هى التى تحركه بدافع ذاتى الى الاستبسال فى القتال والتصميم على تحقيق الهدف مهما كانت التضحيات . فهى اذن نظرية تخالف تماما النظرية الجبرية ، فهى تؤمن بفردية المقاتل وتحترم شخصيته الانسانية ، وتدرك حقيقة أن المقاتل الذى ينتصر فى المعركة ، هو الذى يقاتل مشبعا بعقيدة معينة تملأ نفسه اقتناعا بالهدف الذى يقاتل من أجله .. وهذه النظرية تأخذ بها الدول التى لا تفصل بين عقيدتها العسكرية(١) ونظامها السياسى أو مذهبها الاقتصادى .

(١) العقيدة العسكرية : اصطلاح فى العلم العسكرى يقصد به السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهة نظر الدولة ابتداء بأهداف الحرب الى طرق ادارتها التى تعبر عن وجهة نظر الدولة الرسمية فى كل ما يتعلق بالصراع المسلح واعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب .

٣ ـ نظرية تنمية الاتجاهات :

وهى نظرية تتفق مع مدرسة العقيدة المحددة فى انقضاء عهد المقاتل الذى يحارب بغير دافع أو هدف ، الا أنها لا تتقيد بعقيدة محددة ثابتة كسابقتها ، بل تنادى بتنمية الاتجاهات الصحيحة نحو القضايا والأهداف التى تختارها الدول فى الظروف والمواقف المختلفة .

وواضح أن أصحاب هذه النظرية يريدون أن يختاروا لأنفسهم الأهداف التى يقاتلون من أجلها بحسب الاحوال والظروف المتغيرة ولذلك يمكن أن يقال أنهم يضعون المصالح فوق المبادىء ومن الامثلة التى تذكر فى هذا المجال اتحاد الرأسمالية والشيوعية فى جبهة واحدة ضد النازية فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ بينما هما الآن خصمان ثم ان هذه النظرية تتوسع فى نظرتها الى الدوافع التى تحرك الانسان فى المعركة فهى ترى أن العقيدة القتالية ليست هى الدافع الوحيد للقتال بل تضيف اليها دوافع أخرى ذاتية واجتماعية مثل حب الظهور بمظهر الشجاعة والبطولة ، أو حب السيطرة والقيادة ، أو الرغبة فى الحصول على الثناء أو المكافأة الى غير ذلك من الدوافع .

المدرسة الاسلامية :

والواقع أنه لا مجال للمقارنة بين هذه النظريات التى ذكرناها وبين نظريات المدرسة الاسلامية التى تمتاز بالدقة والاحكام ونبل المقاصد وتكريم الشخصية الانسانية .

فالجهاد فى سبيل الله هو جوهر العقيدة

ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

صدق الله العظيم

القتالية للمسلمين ، وبذلك تتبنى الروح المعنوية على فلسفة متكاملة تتناول شخصية المجاهد وتكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي ، وتنمي لديه الاتجاهات النفسية الايجابية التي تحركه ذاتيا نحو الاستبسال في القتال في سبيل الله واعلاء لكلمته .

من أجل ذلك تنفرد المدرسة الاسلامية في مجال بناء الروح المعنوية وارادة القتال بعدة خصائص سامية نذكر منها ما يلي : —

اولا : ارتباطها بالدين ومبادئه لا بالسياسة او المصالح او الأهواء مما يمنحها عدة مزايا :

١ — الأصالة والدقة والاحكام ، فبحكم انبثاقها من الدين ، يكون لها من الاصالة ما للدين نفسه من أصالة ومن دقة واحكام ، فالرسالة الاسلامية ليست من صنع انسان يخطىء ويصيب ، وانما هي من الله انزلها على رسوله بالتعبير الالهي نفسه ، كما أنها في غاية الاحكام والدقة جملة وتفصيلا ، لأنها من لدن حكيم خبير لا يخطىء ولا يخفى عليه شيء وقد أودعها كتابا **« أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ »** (هود : ١) .. **« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »** (فصلت : ٤٢) .

٢ — الثبات والاستقرار لأن الدين أثبت وأدوم من السياسة التي تتعرض للتغيير والتبديل تبعا لتقلبات المصالح والأهداف الاستراتيجية .

٣ — النبل والشرف والعدل في الغايات والوسائل فهي لا تخضع للأهواء أو الأطماع أو المصالح .

ثانيا — تكريم الانسان واحترام شخصيته :

فهي تنمي الدوافع التي تحرك الانسان عن ايمان واقتناع وليس عن جبر أو قسر ، وذلك لأن الحرية والاختيار والاقتناع من أصول الدعوة الاسلامية .

ونظرة النظم الى الحرية باعتبارها أهم القضايا التي تمس الفرد والمجتمع ، هي في الواقع من أهم المعايير التي يقاس بها مدى نجاح هذه الأنظمة .

ولقد قرر الاسلام مبدأ الحرية والكرامة الانسانية وحرر شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى في كل ميدان من الميادين . واذا كان الاسلام في جانبه الاجتماعي غير مجرى التاريخ البشري ، فان هذا التغير لم يقم على انتقاص الحرية الفردية ، أو التضحية بها في أية صورة من صورها ، ولذا نراه — مع حرصه الشديد على أن يدخل الناس في الدين أفواجا — لا يضرب على أيديهم ، ولا يسوقهم نحو

الايمان سوقا ، لأن الاسلام يريد بالتغيير الذى نادى به وعمل على تحقيقه أن يصنع رجالا أبطالا ، ونماذج تستطيع أن تحمل مشاعل الفكر ، وتنير طريق الحرية ، فالذين يساقون ، لا يمكنهم يوما من الأيام أن يكونوا قادة فكر ، ولا أبطال جهاد ، وكيف لفاقد الشيء أن يعطيه .

وهكذا كان الاسلام يتحرك من خلال اطار عام يحمي الحرية ويصونها وتمثله الآية الكريمة : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » وبأسلوب الاقناع والمجادلة بالتى هى أحسن كما فى قوله تعالى : « **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » (النحل ١٢٥) .

ثالثا — تنمية الضمير الدينى :

ان الضمير الدينى هو أقوى محرك ذاتى للانسان .. لذلك عنى الاسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم بحيث يندفع الى أداء واجبه على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه ، لا على قوة أو سلطة خارجية .

فالضمير الدينى للمسلم ، هو الذى يمنحه القدرة على السلوك الحسن ، والجدية فى التفكير والعمل الفعال وعلى الابتكار والتصرف فى مواجهة المواقف ، وهو الذى يدفع المسلم الى أن يرعى الله فى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم فى العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (رواه البخارى) .

فالمقاتل المجاهد لا يتحرك فى المعركة خوفا من بطش القائد أو « الضابط الذى وراءه بالسوط » كما يقول فريدريك الأكبر ، وانما يتحرك خوفا من الله جل جلاله ورجاء فى مرضاته . ومن عجيب صنع القرآن الكريم فى تربية هذا الوازع الدينى الخلقى أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب ، وهى الثواب الجزيل والأجر العظيم وذلك ما يفهم من قول الله تعالى : —

« **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** » (النازعات ٤٠ — ٤١) « **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** » (الرحمن : ٤٦) .

ثم ان الضمير الدينى يدفع المسلم الى تقدير المسئولية والاخلاص فى العمل ، فالعمل الصالح قد ورد فى القرآن الكريم مقرونا بالايمان حتى تكررت فيه عبارة « **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » عشرات المرات مما يوحى فى قوة ووضوح بأن الانسان لا يكفيه أن يعرف أو يضع فى رأسه فكرة ما ، بل يجب عليه أن يعمل بما تقتضيه هذه الفكرة فى جد واقدام ، وقدره الله وتوفيقه معه بقدر يقينه واخلاصه .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الايمان بالتحلى أو بالتمنى ولكن ما وقر فى

القلب وصدقه العمل » (١) .

وفي الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢) ، تجسيد لمسئولية الانسان في عمله ، وتربية لضمير المسلم وتنمية لفضيلة الاخلاص في العمل وتقدير المسئولية والواجب .

رابعا ــ تنزيه المجاهد عن دوافع المفاخرة او حب الظهور او الرغبة في الثناء :

لقد رأينا مما ذكرناه كيف أن نظرية تنمية الاتجاهات تقرر أن من الدوافع التي تحرك الفرد للقتال دوافع ذاتية أو اجتماعية كحب الظهور أو الرغبة في الثناء أو الشهرة . أما الاسلام فلا محل فيه لمثل تلك الدوافع .. فالمجاهد منزه عنها تماما ، وأهدافه وتطلعاته أرقى وأسمى وأنبل من أولئك الذين يحملونها .. انه يتحرك لاعلاء كلمة الله ، ولا يبتغي غير وجه الله .. وهو لا يستحق الجنة ، ولا يجد ريحها الا اذا كان جهاده خالصا من أجل اعلاء كلمة الله ، فقد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (رواه البخاري ومسلم) .

أما الثواب الذي ينتظره المجاهد فهو أرقى وأسمى وأبقى من الشهرة أو ثناء الناس ، وقد صور الله سبحانه وتعالى جهاد المجاهد بأنه من التجارة الرابحة مع الله عز وجل بقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (الصف ١٠ ــ ١٣) .

وصوره ايضا بانه عقد تم بين المؤمنين وربهم في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة : ١١١) .

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) يبدو ــ والله اعلم ــ أن العبارة من كلام الحسن البصري ــ رضي الله عنه ... (مجلة الأزهر) .

(٢) راجع صحيح البخاري : الجمعة ، الجنائز ، الاستقراض ، الوصايا .. الخ .

أثر الإسلام في المجتمع العباسي

من معجزات الاسلام الواضحة أن يبرز بوضوح فى كل مجتمع يدين به ، فلقد مرت القرون وراء القرون منذ ظهر نوره فى الكون وصوته الأعلى فى بلاده ، لا يستطيع مجاهر بنزق أو زندقة أن يحتل المكان البارز فيه ، بل أن أصحاب النيات المدخولة والبواطن المريبة ، اذا غفل عنهم الزمن فى فترة من الفترات وارادوا التحكم فى هذا المجتمع الاسلامى فانهم لا يستطيعون أن يكشفوا عن وجوههم المنكرة كيلا يدمرهم الزلزال ، ولكنهم يتسترون باسم الاسلام زاعمين انهم يدورون فى فلكه ويصدرون عن وحيه ليلقوا بالاطمئنان فى نفوس أمة ترى دينها القويم أعز ما تملك وتفتدى ، فالاسلام وحده ذو السيطرة الحقيقية على مجتمعه ، به يحكم الحاكم واليه ينتسب مباهيا فخورا وبه يعتز المحكوم ويتيه ولكن نفرا من الذين فى قلوبهم مرض ، قد دفعتهم غفلة المسلمين عن تحليل تاريخهم الحافل مدة من الزمن ، فجاءوا يكتبون هذا التاريخ لا ليظهروه فى سمته الواضح وواقعه الصريح ، بل ليسدلوا الأغشية السود على أبطاله ورجاله ومجتمعه ، متخذين أحقر الأدلة من النصوص المبتورة والتأويلات الملتوية والاستنباط الشائه ، ليصفوا مجتمع الاسلام فى أكثر فتراته بما يأباه الحق وينكره التاريخ .

لقد بدأ الازدهار العلمى للدولة الاسلامية فى مفتتح عصر بنى العباس ، وهو ازدهار واضح الأثر لا يستطيع انكاره منصف ، تصطرع فى نفسه عوامل الموجدة والضغينة ، وهو فوق ذلك كان الازدهار الأعلى فى العالم كله ، بحيث لم تكن دولة فى الشرق والغرب تستطيع حينئذ أن تساميه فى ارتقائه ، بل كانت أعظم الدول تعشو الى مناره وتقتبس من هديه هذه حقيقة لاينكرها باحث يلتزم الجادة فى بحثه ، ولكن الذين تتآكل قلوبهم من الغيظ يرهقون عقولهم فى نسج الأراجيف ، فيذهبون الى تمحل الأدلة الواهية ليقولوا مرة أن هذه الحضارة لم تكن وليدة الاسلام ولكنها ثمرة ما تقدمها من الحضارات وليقولوا مرة ثانية ان المجتمع العباسى لم يكن يصدر عن الاسلام فى هديه ، بل كان مجتمعا اباحيا يدعو الى الفسق والتحلل والزندقة فكل حضارة تنسب اليه لم تنسب الى قوم يعتنقون الاسلام عن يقين وايمان وانما هى أسماء وتقاليد .

واذا كانت الشبهة الأولى قد أخذت حقها من التمحيص بما يثبت قدرة الاسلام على امتصاص كل نفع حى والسمو به الى أرقى منازل جدواه فاننا نفسح هذا المقال لمناقشة الشبهة القائلة بأن المجتمع العباسى لم يكن ذا صبغة اسلامية ،

للدكتور محمد رجب البيومي

وهي مناقشة قد أثيرت من قبل وكشف بها وجه الحق عن يقين واقتناع ، ولكن نفرا من أدعياء البحث لا يلتفتون الى ما دار من أخذ ورد بل يذهبون في كتبهم الجامعية الى ما أرجف به المغرضون من أعداء الاسلام ، فلابد من مناقشة تضيف الجديد من ناحية وتذكر الناس ببعض ما قيل من ناحية أخرى ، وان في ذلك لذكرى لمن ألقى السمع عن حيدة وانصاف .

لقد كانت كتب الأدب وحدها مرجع القائلين بإباحية المجتمع العباسي ، وفوضاه الخلقية ، وكل باحث عليم يعرف أن روايات الأدب وحدها ليست من مصادر التاريخ الأولية بل هي عامل مساعد يستأنس به في تأييد رأى تقوم أسبابه على أمور مسلمة هي من القائلين بها في منزلة الوثوق الراسخ واليقين المتأصل ، لأن الناحية الخيالية في كتب الأدب القديم تختلق مناسبات للنص وتتخيل وقائع تبدو متطابقة وهي عن الواقع بمنأى بعيد ، بل انها تختلق النص الأدبي أحيانا من قصيدة مجلجلة أو خطبة رنانة أو رسالة محكمة لتجعل من هذا الاختلاق سببا لتأييد القصة الملفقة والحادثة الموهومة ، وما أكثر ما يحمل كتاب الأغاني من روايات ساقطة قد تهافتت حتى في منطق أبي الفرج الأصبهاني نفسه فهو يذكرها قائلا انه مجرد راو لا يتحمل الجزم بحقيقتها ، ومعنى ذلك بصريح العبارة أن كتاب أبي الفرج سجل لكل ما يقال من حق وباطل ، وعلى قارئه أن يكون ناقدا فاحصا يرى الرأى فيما يقرأ ثم يزنه بميزانه التحليلي ، مهتديا الى ما يعلم من حقائق العصر العامة وطبيعة الأحداث . ومنطق المجتمع ، وقد خصصت كتاب الأغاني بالذات لأن هؤلاء المرجفين بالعصر العباسي مجتمعا ودينا واتجاها لا يكادون يصدرون عن غيره ، والرجل في سيرته وشعره وحياته لم يكن بالمثل الأعلى لباحث ملتزم جاد ، بل كان الى الاستهتار أقرب منه الى الجد ، وقد حلا له أن يملأ كتابيه الأغاني وأدب الغرباء بما يندى من المخجلات المخزية التي لا يخلو منها مجتمع تتجاذبه عوامل الارتقاء والهبوط ، وكأنه يرى في تسطير ذلك كله تنفيسا عن رغبة تعتمل في نفسه ، وترويحا عن مشاعر مكظومة تتطلب الافصاح !.

عمد المستشرقون الى كتاب أبي الفرج فاقتطعوا من بعض أخبار أبي نواس ووالبة وحماد ومطيع ابن اياس والحسين الضحاك وبشار ، ومن دار في فلكهم ما يدل على السقوط الشائن ، والانحدار المقيت ، ثم أخذوا يقدمون كل خبر عن هؤلاء بكلام يوحي بالعموم الشامل ، ولا يفتأون يجمعون الشبيه الى الشبيه والنظير الى النظير ، ليسترهبوا القراء ويبهروهم ، وليقولوا ان المجتمع الاسلامي في عصر الدولة العباسية كان مجتمعا اباحيا لا تظهر فيه روح الاسلام ، مع أن الدولة مسلمة مؤمنة ينتسب خلفاؤها معتزين مزهوين ، الى بيت رسول الله ، ويهيم وزراؤها وكتابها وعمالها وقضاتها

بالاسلام عن عقيدة مخلصة عربا كانوا أو عجما، وقد حفلت كتب التاريخ الحقيقى بروائع مواقفهم وغرائب ايمانهم ولكن كل ما يكتب في ذلك لا يلتفت اليه، لأن كتاب أبى الفرج قد تحدث عن عدة مجان من الشعراء المتهتكين !.

كتب المستشرقون ذلك ودونوه، ولم يكن ليقدر له أن يذيع ويشتهر، لو صادف من أهل الاسلام قوة بصر ودقة ملاحظة وتمحيص، وتحليلا للبواعث الدافعة الى تسطيره، ولكن نقيض ذلك قد كان ! فقد أنشئت الجامعات التى تستمد أساتذتها من المستشرقين أنفسهم تارة، ومن تلاميذهم الهائمين بأبحاثهم ودراساتهم تارة أخرى وكان الدكتور طه حسين شابا مندفع الرأى حينئذ، عاد من فرنسا وقد قرأ سموم أساتذته فسرت فى نفسه واعتقدها حقا لا مرية فيه، فتهيأ للحديث عنها فى قوة جامحة، وليته جعل حديثه خاصا بينه وبين تلاميذه، على ما فى ذلك من شر متأكد اذ يتيح لأستاذ مندفع متحمس أن يبذر شكوكه فى نفوس غافلة لم تقف بعد على أرض صلبة من البحث والتمحيص، بل اندفع الدكتور فجعل كبريات الصحف اليومية ميدانا لآرائه المنقولة عن المجتمع العباسى وصلته بالاسلام، والأمة مسلمة، والقراء متطلعون فأحدث الكاتب بما تحدث به عن بشار وأبى نواس وأضرابهما زلزلة لم تهدف الى تمحيص حق، وقد قام المنصفون بتفنيد آراء الكاتب المتبرع وتطاولت الرماح فى معارك ذات احتدام.

وقد تبلور النقاش حينئذ، فى نقطة هامة هى أن المجتمع العباسى يحفل بنواحى الخير والشر معا، فاذا وجد به المتحللون من أمثال أبى نواس وبشار ووالبة ومطيع، فقد وجد به العقلاء من أمثال أبى حنيفة والحسن البصرى ومالك والشافعى وابن حنبل، فمحاولة الاقتصار على رواية الأغانى وحدها تعسف يغفل الجانب الآخر من الحقيقة ! ومعنى هذا القول فى رأيى أن نصيب الشر يتعادل مع نصيب الخير فى ميزان واحد، وذلك اجحاف كل الاجحاف بحقيقة المجتمع العباسى، وغمض عن واقع واضح لا يحتمل اللبس، اذ أن هؤلاء المتحللين لم يكونوا غير شواذ لا تستقيم القاعدة العامة دون استثنائهم، فالقاعدة الكلية العامة هى قوة المجتمع الاسلامى وعمق ايمانه، وعظيم وعيه، والاستثناء الذى لا يؤثر فى القاعدة هم هؤلاء العصابة من المتحللين، وأمثالهم لم يخل منهم مكان، فقد وجدوا فى عصر النبوة، كما وجدوا فى عصر الخلافة الراشدة وفى عصور الفاطميين والأندلسيين والأيوبيين والمماليك، وكما لا يزالون يوجدون بين ظهرانينا اليوم أفيكون مجتمعنا الآن متحللا اباحيا لأن كاتبا كتب قصة خليعة أو أن شاعرا نظم قصيدة ماجنة أو لأن

مطربا غنى قطعة سفيهة ! لن يكون ذلك كذلك ، والاسلام بحمد الله نافذ الكلمة قوى الاشعاع!

ثم لماذا — ليت شعرى — ننظر الى الشعراء وحدهم والى شعراء مخصوصين بالذات دون الجمهرة الغالبة من الشعراء ليكون هؤلاء الشعراء مجال الاستشهاد المغرض والاستنتاج المريض !.

لماذا لا ننظر الى سير الفقهاء، وفيهم المئات من الأعلام من أمثال الأوزاعى والشافعى ومالك وأبى حنيفة وابن حنبل وقد كانوا قوة غالبة يخشع لها الخلفاء، ولا يسكتون على ضيم أو اجحاف لماذا لا ننظر الى سير الزهاد من أمثال عبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض وذى النون المصرى وعمرو بن عبيد .

لماذا لا ننظر الى سير الوعاظ من أمثال البصرى وعمرو بن ذر ومالك بن دينار وسفيان الثورى .

لماذا لا ننظر الى سير القراء والمحدثين والمفسرين بل لماذا لا ننظر الى سير أعلام العربية أمثال الخليل وسيبويه والمبرد وثعلب والفراء ممن يتحدثون عن مسائل التشريع والعقيدة وهم كثرة كاثرة لا تحد !!

أيكون هؤلاء جميعا فى كفة مرجوحة تعلو عليها كفة أبى نواس وبشار !.

على أن هناك حقيقة سافرة تعصف بكل زيف يقال ، وهى أننا لو تركنا أعلام الوعظ والفقه والتشريع والحديث واللغة والنحو والتفسير ، وهم من الكثرة الكاثرة بحيث يتغلغلون فى شعاب المجتمع العباسى ثم يتقدمونه كواجهة مضيئة ذات بريق والتلاق ، لو تركنا هؤلاء جميعا ، وذهبنا الى الشعراء أنفسهم فماذا نجد !.

نجد صوت الاسلام مجلجلا فى ديوان كل شاعر ، فالخليفة يهنأ بالصوم والفطر والحج ويمدح بالامتثال لأوامر ربه والسهر على خلافة الله فى الأرض ، وتوصف مواكبه للصلاة فى المسجد وخطبه على المنبر فى المسجد الجامع ، وامامته للناس ، وتلاوته كتاب الله ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، نجد ذلك كله فى دواوين الكبراء من أمثال أبى تمام والبحترى وابن المعتز وابن الجهم أفلا يكون ذلك كله موازيا لما قيل فى العبث والمجون ! حتى نجعل الانحلال طبيعة العصر دون استحياء .

أذكر أنى سمعت الزميل البحاثة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا يتحدث فى هذا الصدد بندوة اذاعية بالرياض وقد قال — فيما قال — عن حمية واقتناع ان أبا نواس كان صديق الخليفة الأمين ، وقد اضطر الى حبسه نزولا

أثر الإسلام
في المجتمع العباسي

على رغبة المجتمع النافر من خلاعته ، فاذا اضطر مجتمع ما حاكمه أن يحبس صديقه العزيز ، فيستجيب سريعا الى رغبته ، فانه لمجتمع حي مؤمن له الكلمة العليا ، ولن يقال عنه انه مجتمع لذة وفساد !.

على أن أثر هؤلاء المغرضين في دراسة الشعراء قد عاد على الناحية الدينية بالاجحاف فهم يفسحون الرسائل الجامعية لدراسة أمثال البحترى وأبي تمام وابن المعتز وابن الرومي فيوجهون الطلاب الى تحليل كل غرض يتلمس — قريبا كان او بعيدا — ثم لا يوجهونهم الى دراسة عواطفهم الدينية التى تظهر بوضوح في اكثر قصائدهم ولعل الكليات الاسلامية تلتفت في دراساتها العليا الى الاحتفاء بهذه الناحية ، ولعلى أتقدم للقراء موضوعا عن العاطفة الدينية في شعر ابن الرومي يعد تطبيقا قريبا لما تود من اتجاه .

محمد رجب البيومى



من تاريخ القضاء في دولة الاسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

ذكرنا في مقال سابق أن القانون الأساسي في الاسلام (وهو ما يعبر عنه في زماننا المعاصر بالدستور) يتكون من آيات الاحكام التي جاءت في القرآن الكريم ومن أحاديث الأحكام التي صدرت عن رسول الاسلام — محمد صلى الله عليه وسلم — فيما كان يعرض عليه من أمور وأحداث (١) .

وهذا القانون تشريع عام للمسلمين كافة في كل زمان ومكان وكل حركة تشريعية في الاسلام من أي مجتهد في أي عصر يجب ألا تخرج عن حدوده ولا تعارض نصا من نصوصه أو أصلا من أصوله وعلى هذا فمصدر التشريع الاسلامي هو الله سبحانه وتعالى .

أما السلطة القضائية وتطبيق نصوص التشريع على الوقائع فقد استمدها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الله سبحانه بقوله تعالى : —

« فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ » سورة المائدة ٤٨

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » سورة النساء ٦٥

ونضيف في هذا المقال مدى اهتمام أولياء الأمر بولاية القضاء في دولة الاسلام .

القضاء يتولاه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بنفسه

مما لاجدال فيه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولي القضاء بنفسه وهو أن ولاه غيره من صحابته أو كلف به أحدا منهم في جزئية من الخصومات أو في بلد من البلاد فان هذا كان على أنه رسوله ونائبه يعلم الناس ويفتيهم ويقضي بينهم وبناء على ذلك

(١) مجلة الازهر جمادي الآخر سنة ١٤٠٢ هـ مارس / ابريل سنة ١٩٨٢ م.

من تاريخ القضاء في دولة الإسلام

فلم يثبت عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه جعل القضاء ولاية مستقلة (٢) وان اضطرته الظروف الى شيء من ذلك في بعض الأحيان بعد أن انتشر الاسلام في شبه جزيرة العرب فقد بعث على بن أبي طالب الى بلاد اليمن ليقضي فيما يعرض لأهلها من قضاء (يقول على بن أبي طالب كرم الله وجهه) (بعثني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى اليمن قاضيا وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء قال ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك) (١) •

القضاء في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

لما بويع الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تولى بنفسه أمر القضاء نيابة عن صاحب الشرع لأن من مقتضيات الخليفة أن يكون له سلطة القضاء ، وظل الحال على ما كان عليه في عهد النبوة لأن أبا بكر كان يتحرج من تغيير شيء عما كان عليه زمن الرسول لكن قد تضطره كثرة أعباء الخلافة الى أن يعهد بالقضاء الى ولاته في الأمصار •

القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما ولي الخلافة الاسلامية عمر بن الخطاب كانت رقعة الأمة الاسلامية قد امتدت واتسعت حتى شملت مع جزيرة العرب بلاد الفرس والعراق شرقا وبلاد الشام ومصر وبرقة غربا وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعقدت مما دعا ذلك الخليفة الراشد الى فصل الولاية العامة عن القضاء بعد أن كان الوالي في تلك الأقاليم قبل ذلك يجمع الى منصبه ولاية القضاء وبفصل القضاء عن الولاية العامة أصبح القضاء ولاية مستقلة يتولاه في الأمصار قضاة معينون من الخليفة نفسه وتارة يكون من الوالي بتفويض من الخليفة فولى أبا الدرداء قضاء المدينة وولى شريحا على البصرة وأبا موسى الأشعري ولاه قضاء الكوفة •

ولقد كتب عمر بن الخطاب برسالته المشهورة الى أبي موسى الأشعري بين له فيها كيفية التداعي وأسلوب القضاء في الاسلام وهي تعد من أروع النماذج وأرفع التعاليم في قوانين التقاضي والمحاكمة وقد ذكرنا نصها وتكلمنا عنها بتفصيل ووضوح في أعداد سابقة من هذه المجلة (٣) •

وكان ذلك الخليفة الراشد ابان حكمه يراقب ويلاحظ من يتولى ذلك المنصب الخطير حتى اذا مارأى اعوجاجا أمكنه تقويمه قومه ومما يروى في ذلك أنه كان بينه وبين أبي ابن كعب منازعة وخصومه في حائط •

---

(١) كتاب تاريخ القضاء في الاسلام تأليف الاستاذ ابراهيم نجيب معوض •

(٢) رواه ابو داود

(٣) انظر الجزء الخامس والجزء السادس من مجلة الازهر • جمادي الاولى وجمادي الاخرة سنة ١٤٠١ هـ ــ مارس وابريل سنة ١٩٨١ •

فقال : بيني وبينك زيد بن ثابت فأتياه فطرقا عليه الباب فخرج وقال : ياأمير المؤمنين الاأرسلت الى حتى آتيك فقال عمر : (فى بيته يؤتى الحكم) فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال هذا أول جورك وأبى أن يجلس عليها •

ولاشك أن عمر رضى الله عنه أبى الجلوس على تلك الوسادة حتى لا تكون هناك مفاضلة بين أحد الخصمين والآخر •

كيف كان الخلفاء بعد عمر بن الخطاب يختارون رجال القضاء :

ان المتتبع لتاريخ دولة الاسلام يرى أن خلفاء المسلمين كانوا يجتهدون فى اختيار من يتولى ولاية القضاء مااستطاعوا الى ذلك سبيلا فلم يعينوا فى هذا المنصب (منصب القاضى) الا كل من وقفوا على أخلاقه وسيرته وقد يعقدون امتحانا لمن يترشح للقضاء حتى لا يعين فيه الا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به (١) •

القضاء فى عهد على بن ابى طالب كرم الله وجهه :

عندما تولى على بن أبى طالب رضى الله عنه أمر خلافة المسلمين كتب عهده الى الأشتر النخعى حين ولاه مصر باختيار من يتولى أمر القضاء بين رعيته وبين له شروط اختياره فقال له : (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك بنفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تحركه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يحصر من الفىء الى الحق اذا عرفه ولا يستشرف نفسه على طمع ، ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصوم وأصبرهم على كشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه المراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ، ثم اكثر تعاهد قضائك وافسح له فى البذل مايزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة ما لايطمع فيه غيره من خاصتك فيأمن بذلك اغتيال الرجال عندك)

النبى – صلى الله عليه وسلم – أول من سن الاختبار لمن يرشح للقضاء •

لم يكن الامتحان شططا أو بدعة جديدة ابتدعها أولو الأمر فى دولة الاسلام بل كانوا فى ذلك متأسين بالنبى – صلى الله عليه وسلم – فعن الحارث (ابن عمرو بن أخى المغيرة بن شعبة) يرفعه الى معاذ رضى الله عنه لما بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى اليمن قال : له كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال : فان لم تجد ؟ قال : أقضى بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال فان لم تجد فى سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا فى كتاب الله ؟ » قال : قلت أجتهد برأيى ولا آلو

(١) كتاب « سير وبحوث اسلامية » تأليف دكتور جمال الدين الرمادى •

قال ، فضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدري وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يرضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (١) ـ (لاآلو) أي لا أقصر .

كيف كان اختيار المرشحين لمنصب القضاء في عصر الخلافة الأموية :

سأل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عن رجل يوليه القضاء فقال : روح من زنباع وكان مقربا اليه أدلكم على رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالمقتر معروفا انه عامر الشعبي هؤلاء قضاء البصرة وفي ذلك يقول ابن عيينة (العلماء ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه والثوري في زمانه) وذلك لحفظه ومكانته في الفقه وثقته في الحديث ورياسته في العلم كأنه الشمس في الآفاق (١) .

كيف كان اختيار المرشحين للقضاء في عصر بني العباس :

كان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لايعين في هذا المنصب الهام الا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به .

ويرى أنه قال لرجل من المرشحين عند امتحانه ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد . ما قرابة مابين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال يحيى كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه (٣) .

اختيار القضاء في دولة الاسلام بالأندلس

كانوا في عاصمة الخلافة في بلاد الاندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال (٤) .

مما تقدم يتبين أن عناصر التعيين في مناصب القضاء الآتي : ـ

١ ـ الامتحان .

٢ ـ طول الخبرة وتكون بالمعرفة الموثوق بها دون تحيز أو محاباة .

٣ ـ واما بشهادة الثقة أن تشهد له جماعة من الثقات بطول الباع في فهم كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بهما .

اختصاصات القاضي :

كان اختصاص القاضي في دولة الاسلام

(١) أخرجه أبو داود والترمذي ـ وأورده المحدث عبد الرحمن بن علي الشيباني الزبيدي الشافعي في كتابه تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) كتاب سير وبحوث اسلامية تاليف دكتور جمال الدين الرمادي .

(٣) كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة .

(٤) كتاب نفح الطيب لابي العباس المقري .

عاما فيشمل فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق وايصالها الى مستحقيها بعد ثبوتها وتعيين الأوصياء والقيمين على من لا يحسن تصرفه من الصغار والسفهاء والمجانين والمفلسين والنظر في الأوقاف وتنفيذ الوصايا وتزويج الأيامى والنظر في المواريث وأمور اليتامى ومال الغياب والأنساب والتسجيل والاثبات .

كما وأن له النظر في المصالح العامة من منع الضرر في الطرقات والأفنية وأحداث مايضر المارة من البناء وغيره (وكان هذا قبل ظهور وظيفة المحتسب) .

وفي ذلك يقول ابن سهل في مقدمة كتاب التبصرة (ان خطة القاضي أعظم الخطط قدرا وأنها اليها المرجع في الجليل والحقير بلا تحديد وعليه مدار الأحكام واليه النظر في جميع وجوه القضاء من القليل والكثير بلا تحديد (١) .

لكن الملاحظ في مسائل القصاص والحدود أنها ترجع الى الخلفاء وولاة الأمصار كذلك عقوبات الحبس فلم يكن يأمر بها الا الخليفة أو عامله (٢) .

الاختصاص المكاني للقضاة :

كان القاضي يعين قاضيا للولاية الاسلامية كلها سواء كان تعيينه من قبل الخليفة أم من قبل الوالي المفوض بتعيينه وكما كان للوالي أن يستعين على أعمال ولايته بمن تدعو الحاجة الى الاستعانة بهم كذلك كان لقاضي الولاية هذا الحق .

ظهور وظيفة المحتسب :

مهمة المحتسب مهمة دينية مجالها فيما ليس فيه سماع بينه فذلك شأن القضاء وليست تنفيذ حكم فذلك شأن الشرطة وانما ترتبط بأمور يتنزه القاضي عنها لعمومها وسهولة أغراضها فكأنها بذلك خادمة لمنصب القضاء ومخففة لأعبائه (٣) .

١ ـ فعلى المحتسب أن يستجيب لمن يطلب عونه .

٢ ـ وله أن يعزر في المنكرات الظاهرة تعزيزا لا يصل الى الحد .

٣ ـ وأسندت اليه أمور النظر في مصالح الأبنية وأضرارها والمضايقة في الطرقات .

٤ ـ كل ما يتعلق ببخس الاثمان والتطفيف ونقص الكيل والميزان .

٥ ـ أعمال الغش والتدليس في الأشياء وثمنها .

٦ ـ المطل في الديون الثابتة من قبل الأغنياء ومن ملك النفقات المقدرة من المجلس الشرعي على الزوجات والأقارب التي يماطل أصحابها .

٧ ـ وعليه أن يتفقد مجاري المياه العامة في المدينة فان احتاجت الى اصلاح أصلحها ان أمكنه ذلك والا فعليه تنبيه السلطة الى الاصلاح .

---

(١) نقلا عن كتاب « سير وبحوث اسلامية » للدكتور جمال الدين الرمادي ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) كتاب « القضاء في الاسلام ، تاريخه ونظامه للاستاذ ابراهيم نجيب معوض ص ٥٠ .

(٣) كتاب « تاريخ التشريع الاسلامي » وتاريخ النظم القضائية في الاسلام » تأليف الدكتور احمد شلبي .

٨ ــ ومن مهامه تنقية الشوارع وتنظيفها ونقل القمامة وازالة المياه التى تنشأ عنها الأوحال وابعاد أحمال الحطب الكبيرة التى تعوق المرور بالطرقات .

وكذلك الكلاب الضالة المؤذية والزام ذوى البناء المتداعى للسقوط بهدمه أو اصلاحه .

٩ــ كما أسندت اليه أمور النظر فى الاسواق وفحص المبيعات التى يدخلها الغش كالسمن واللبن والدقيق ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردىء منها ــ ومنع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج اليه الناس من طعام وما شابه تلك الامور .

كاتب القضاء :

وهو ما يعرف فى زماننا بكاتب المحكمة .

وقد كان الخلفاء المسلمون يهتمون بأمره فيدققون فى اختياره فيشترطون فيه أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحرام والحلال والمواريث .

وقد امتلأت أوامر الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية فى اختيار ذلك الكاتب والذى كان من مهامه تحرير المحاضر والكتابة فى السجلات وتوقيع اعلانات الحضور للخصوم (١) .

حاجب القاضى :

هو صاحب الباب الذى يقدم الى القاضى أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن فى دخولهم عليه لاسيما من الأعيان لاحتمال أن يجىء أحدهم مخاصما والقاضى يظن أنه جاء زائرا فيعطيه حقه فى الاكرام الذى لا يجوز لن يجىء مخاصما وايصال الخبر للقاضى بذلك اما بالمشافهة واما بالمكاتبة (٢) .

اعوان القاضى :

هؤلاء الأعوان هم بمنزلة الشرطة للوالى، فهم حرس القاضى وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة .

اجراءات المحاكمة :

كانت عادة المتخاصمين أن يتقدموا لكاتب القضاء برقاع فى كل منها اسم المدعى واسم خصمه وأبيه فيأخذها ذلك الكاتب قبل مجىء القاضى ويظل يأخذها حتى يحضر القاضى وعندئذ يبدأ فى مباشرة الفصل فيها .

فاذا كانت رقاع المتخاصمين كثيرة لا يستطيع القاضى أن ينتهى فيها كلها فى يومه حكم فى جزء منها بقدر طاقته من الجلوس

(١) كتاب « سير وبحوث اسلامية » للدكتور جمال الدين الرمادى نقلا عن كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

(٢) المرجع السابق نقلا عن كتاب الحافظ بن حجر فى الفتح .

والصبر وأجل الباقى الى يوم آخر يحدده .

وكان المتحاكمون يبسطون قضيتهم وهم وقوف أمام القاضى وأحيانا يجلسون بين يديه اذا كانت القضية تستغرق وقتا طويلا فيسمع الدعوى أولا من المدعى ثم يسأل المدعى عليه فان أقر فللمدعى ـ أن يطلب من القاضى الحكم وحينئذ يلزم القاضى المدعى عليه بأن يوفى بما أقر به .

وان أنكر طلب القاضى البينة من المدعى فان قدمها وكانت وافية وطلب الحكم بها حكم له القاضى بها وان لم تكن له بينة فله أن يطلب من المدعى عليه اليمين فان حلف المدعى عليه اليمين أو أبرأه المدعى من اليمين سقطت الدعوى (١) .

عدالة الشهود :

لا يقبل القاضى الشهادة الا ممن ثبتت عدالته تطبيقا لقوله تعالى« **وأشهدوا ذوى عدل منكم**) سورة الطلاق ٢ .

فلا تقبل شهادة عدو على عدوه ، ولا شهادة والد لولده ولا ولد لوالده ، ولا تجوز شهادة الخائن ولا المجلود فى حد لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا تجوز شهادة ـ خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر ولا ظنين فى قرابة ولا تقبل شهادة المغصوب منه على الغاصب ولا المسروق منه على السارق ولا ولى المقتول على القاتل ولا المقذوف على القاذف بقول الله تعالى . « **ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا** » سورة البقرة ٢٨٢ (٢) .

أوامر التحفظ :

كان للقاضى أن يأمر بالتحفظ على المتهم ان خيف افلاته من يد العدالة ، وكان هذا التحفظ يتم فى العصور الاسلامية الأولى بوضعه عند شخص موثوق به من جانب القاضى والمتهم ومن الأمثلة على ذلك حبس يحيى بن عبد الله العلوى عند جعفر البرمكى فى خلافة هارون الرشيد ثم قامت الدولة بانشاء السجون لتضع فيها من يخشى منهم الافلات من العدالة وأولئك الذين حكم عليهم بالسجن تعزيرا (٣) .

تسجيل الاحكام :

لم يكن هناك تسجيل للاحكام فى صدر الاسلام اذ كان الناس يقبلون الحكم وينفذونه دون لجاج أو عنت ثم بدأ تسجيل الأحكام فى عهد الدولة الأموية ليلتزم بها المتخاصمون وسبب ذلك أن جماعة اختصموا فى ميراث الى سليم بن عتر قاضى معاوية على مصر فقضى

---

(١) كتاب « التشريع الاسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام » للدكتور احمد شلبى نقلا عن كتاب « ادب القاضى » مخطوط بمكتبة ليدن وكتاب ادم ميتز الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » .

(٢) المرجع السابق نقلا عن كتاب « كفاية الاخيار » للامام تقى الدين الحسينى باب الاقضية

(٣) المرجع السابق نقلا من كتاب « الاغانى» وكتاب « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير .

بينهم ثانية وكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند وبذلك كان أول قاض وضع سجلا لاثبات قضائه ومنذ ذلك الحين أصبح تسجيل الأحكام تقليدا يتبع في أعمال القضاء (١) .

تنفيذ الأحكام :

اذا كانت الأحكام تتعلق بالحلال والحرام فانها لم تكن تحتاج الى منفذ غير أصحابها لأنها في الغالب كانت من قبيل الفتاوى .

أما اذا كانت حدودا واحتاجت الى من يشرف على التنفيذ كان الخلفاء يشرفون على تنفيذها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون كلهم جنودا يعملون على تنفيذ حكم الله ويقوم كل منهم بما تدب اليه .

ثم أسند الخلفاء الراشدون الى قضاتهم مهام التنفيذ بوصفهم ممثلين لهم الا أنه بعد عصر الراشدين استرد الخلفاء سلطة التنفيذ فأصبح الحكم في القصاص والحدود متروكا للخلفاء واقتصر عمل القاضي على الخصومات المدنية (٢) .

رواتب القضاة :

كانت دولة الاسلام تمنح قضاتها الرواتب السخية حتى يتفرغوا لأعمالهم بعد أن يطمئنوا على معاشهم وأرزاقهم .

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

وأول من وسع في أرزاق رجال القضاء الخليفة الراشد عمر بن الخطاب خصوصا بعد اتساع رقعة الدولة وزيادة أعباء التقاضي .

ففي طبقات ابن سعد أن عمر رضي الله عنه رزق عياض بن غنم حين ولاه قضاء حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة .

وكان راتب القاضي في مصر كما أورده الجلال السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » الف دينار في السنة .

أما في المدينة المنورة فقد وصل أجر القاضي في الدولة العباسية أربعة آلاف دينار (٣) .

الحكمة في منح دولة الاسلام الرواتب السخية لقضاتها :

ذلك أن منصب القاضي له من الحرمة والمكانة ماله فهو صاحب رسالة اقامة الحق والعدل بين الناس ولتحقيق هذا الهدف جعل الله الحكم بينهم أرفع الأشياء وأجلها خطرا واستخلف الخلفاء في الأرض ليقيموا حكمه وينصفوا من عباده (٤) ويقوموا بأمره قال تعالى : « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ » سورة ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق .
(٤) كتاب اخبار القضاة لوكيع بن خلف ـ الجزء الاول .

وقال تقدست أسماؤه : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) سورة النساء ٥٨ .

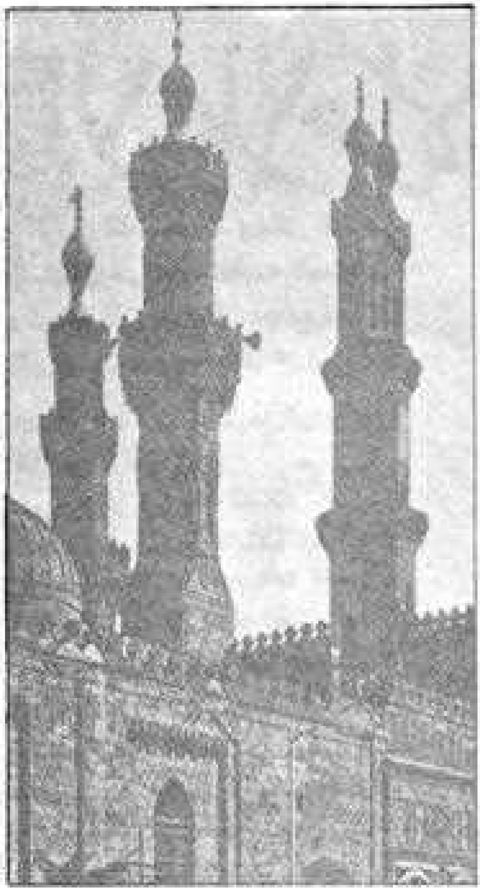
ونظرا لما لهذا المنصب من خطر كبير خشية الجور فى الحكم تهيب منه بعض فقهاء المسلمين فى شتى عصور الاسلام لأن الله توعد الظالمين العذاب الشديد فيقول تعالى : «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا »سورة الجن ١٥ .

والقاسطون : جمع قاسط وهو الظالم .

ومما يروى فى ذلك أن سفيان الثورى لما دعى الى القضاء فى بغداد هرب الى البصرة واختفى بها حتى مات كما ابتلى الامام أبو حنيفة بالايذاء والحبس ليقبل القضاء فلم يقبل حتى مات (١) .

يقول — صلى الله عليه وسلم — : (القضاة ثلاثة ، قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة فأما الذى — فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، واما اللذان فى النار فرجل عرف الحق فجار فى الحكم ورجل قضى على جهل فهما فى النار) (٢) .

وانه من ناحية أخرى نرى القاضى العادل له من علو المنزلة ورفعة القدر عند الله الشىء الكثير ويبشره النبى — صلى الله عليه وسلم — فيقول : (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، يعدلون فى



حكمهم وماولوا) (٣) والمقسطون : جمع مقسط وهو العادل فى الحكم فهم بعدلهم صاروا من أرفع الناس منزلة عند الله يوم القيامة .

المستشار
عزت الطهطاوى

(١) انظر حاشية « ابن عابدين على الدر » .

(٢) رواه ابو داود والبيهقى والحاكم والطبرانى .

(٣) رواه احمد ومسلم والنسائى .

ماذا قدمنا للإعلام الإسلامي ؟

ارسل الله سبحانه وتعالى الرسل السابقين على محمد عليه الصلاة والسلام كل رسول الى مجتمع معين او الى قوم بعينهم ، فيقول عن نوح عليه السلام « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ » (١) .

ويقول عن هود عليه السلام : « وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ » (٢) .

وعن سيدنا ابراهيم عليه السلام : « وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ » (٣) . وعن لوط عليه السلام « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ » (٤) . وعن موسى عليه السلام : « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » (٥) . وعن سيدنا عيسى عليه السلام « وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ » (٦) .

وتحدث القرآن في مجالات أخرى عن قوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وقوم يونس وقوم ابراهيم وقوم موسى .

والجديد في رسالة محمد — عليه الصلاة والسلام — أنها تجاوزت قومه الى البشرية جمعاء ، فلم تقف عند حدود القوم الذين بعث فيهم ، ولم تقتصر على المدينة التي بعث فيها وهي (أم القرى وما حولها) ، لكنها كانت منذ بدايتها رسالة للبشرية كافة، فجاءت لكل مكان على وجه الأرض ، وجاءت لكل زمان حتى تقوم الساعة .

وقد قرر القرآن الكريم أول نزوله بمكة عالمية الاسلام ، فالقرآن جاء ذكرا للعالمين ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — جاء مبعوثا الى الناس كافة ، قال تعالى : « وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » . وقال تعالى : « وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » . والله تعالى يأمر نبيه — عليه الصلاة والسلام — أن يعلن هذه العالمية صراحة وأن يقول للناس أجمعين أنه رسول الله اليهم جميعا ، وذلك في سورة الأعراف وهي مكية أيضا « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » .

والقرآن ليس انذارا للعرب وحدهم ، وانما هو انذار للعالمين الى كل انسان على وجه الأرض في كل زمان ومكان ، وذلك في

---

(١) نوح — ١ .
(٢) الأحقاف ٢١ .
(٣) العنكبوت ١٦ .
(٤) العنكبوت ٢٨ .
(٥) ابراهيم ٥ .
(٦) آل عمران ٤٩ .

للدكتور سامى عبد العزيز الكومى

سورة الفرقان وهي مكية : « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » .
وفي سورة سبأ وهي مكية أيضا : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»

ما تفسير ذلك من وجهة النظر الاسلامية أو من وجهة نظر علم الاتصال بالجماهير — Mass Communication

ان نظرة سريعة على معنى كلمة الاتصال ووظائفه الاجتماعية تساعدنا على الاجابة على السؤال السابق .

عرف ستينبرك Steinberk الاتصال (بانه الفعل الذى يتضمن نقل أو ارسال اشارة أو رمز منطوقا أو مكتوبا أو مصورا من مصدر معين الى جمهور معين عن طريق وسيلة أو أكثر من الوسائل الاتصالية التى تعمل كقنوات للتوصيل وذلك للتأثير فى رأى أو فعل أو جمهور أو مجموعة من الجماهير) .

أما الوظائف التى يؤديها الاتصال فى أى مجتمع سواء كان هذا المجتمع صغيرا أو كبيرا .. بدائيا أو متحضرا ، مؤسسة صغيرة أو دولة كبيرة أو العالم بأسره ، لا تخرج وظائف الاتصال عن خمس وظائف لابد أن يؤديها فى المجتمع وهى :

١ — الاعلام أو نشر الاخبار .

٢ — التعليق على الاخبار أو التوجيه ونشر الراى .

٣ — التسلية والامتاع .

٤ — التسويق والاعلان .

٥ — التنشئة الاجتماعية او نقل خبرات الاجيال من جيل الى جيل .

فكيف يتم تحقيق هذه الوظائف فى المجتمعات البدائية وفى المجتمعات المتحضرة ، وفى المجتمعات الصغيرة وفى المجتمعات الكبيرة ، فى المجتمعات المتخلفة وفى المجتمعات المتقدمة؟

ان للاتصال عدة أساليب تختلف باختلاف حجم المجتمعات ودرجة تحضرها والحاجة الى نوع الأسلوب نفسه .

فهناك الاتصال الشخصى ويكون بين شخص وآخر .

وهناك الاتصال الجمعى ويكون بين شخص ومجموعة أشخاص ، أو بين مجموعة أشخاص بعضهم والبعض الآخر .

وهناك الاتصال الجماهيرى ويكون بين المصدر وجماهير غفيرة تصل الى الملايين ، وهو الذى تستخدم فيه وسائل الاتصال الجماهيرى الحديثة كالصحافة والاذاعة و « التليفزيون » ، كما تستخدم وكالات الأنباء ، وتستخدم الأقمار الصناعية لدعم الارسال « التليفزيونى » وتوسيع مداه .

وهناك الاتصال الثقافى بين المجتمعات بعضها ببعض بأساليب متعددة ومعقدة يكون لها تأثيرات حضارية واضحة .

ولنضرب مثلا بوظيفة من الوظائف الخمس للاتصال وهى نشر الأخبار ، ففى مجتمع قرية أو قبيلة نجد أن الأفراد يعرفون الأخبار الخاصة بمجتمعهم الصغير بوسيلة الاتصال

ماذا قدمنا
للإعلام الإسلامى

الشخص بين بعضهم والبعض الآخر .

وفى مجتمع مدينة كبيرة نسبيا قد يستخدم المنادى أو لصق المنشورات فى الشوارع أو سيارة تطوف بمكبر صوت .

وعلى مستوى الدولة كلها تستخدم الصحف القومية والاذاعة والتليفزيون .

وعلى مستوى العالم كله فى الوقت الحاضر تستخدم الاذاعات التى تتجاوز حدود الدول ووكالات الأنباء والاقمار الصناعية التى تمكن « التليفزيون » من مد ارساله الى مسافات شاسعة ونقل الأخبار من أماكنها مباشرة الى أى مكان فى العالم .

فاذا نظرنا الى الوسائل والأساليب الاتصالية التى كانت موجودة فى العالم فى العصور القديمة ، وقبل رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجدنا تناسبا بين (قومية الرسالة) و (امكان الاتصال) ، وحينئذ تمت رحمة الله الا تخلو أمة ــ من أمم الأرض ــ من رسالة يؤديها رسول من عند الله مبشرا ونذيرا ، قال تعالى :

« وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (١) .

* * *

ان التقدم المذهل الذى حدث فى وسائل الاتصال الجماهيرى قد جعل العالم كما يقول بعض الباحثين « قرية اليكترونية » ، وأصبح فى الامكان معرفة الحدث الاخبارى فى جميع أنحاء العالم لحظة وقوعه ، بل أمكن رؤيته بالصورة والصوت والحركة على « شاشات التليفزيون » فى جميع أنحاء العالم حيث تنتقل اليها الارسال عبر القمر الصناعى

كما أن تقدم وسائل المواصلات ــ القطارات والسفن والطائرات ــ قد يسرت انتقال البشر والصحف والكتب وأشرطة التسجيل الى مختلف أرجاء الأرض ومن ثم يسرت الاتصال الثقافى بين المجتمعات .

لقد وفر هذا كله للدعوة الاسلامية امكانات لم تكن متوفرة فى أى عصر من العصور السابقة .

وجاء محمد عليه الصلاة والسلام و أرسله الله الى الناس كافة أينما كانوا على الأرض ، وجعله خاتم النبيين أى لكل زمان حتى تقوم الساعة . ان الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وحتى يكون الدين كله لله قد سبق فى علمه أن العالم سوف تتصل أجزاؤه وتصبح وحدة واحدة .. تتشابه مشكلاته وتتشابه طرق حلها .. وتتشابه آفاته ويتشابه علاجها . وهذا يلقى تبعة كبيرة على المسئولين عن مستقبل الاسلام والدعوة الاسلامية .

فمن ناحية عليهم أن يدرسوا الامكانات المعاصرة للاتصال العالمى من الناحيتين : « التكنولوجية » والفنية حتى يستطيعوا أن ينفذوا الى العالم بالوسائل التى تعود عليها وأصبح يستجيب لها .

ومن ناحية أخرى عليهم أن يدرسوا لغات العالم وثقافاته حتى يستطيعوا أن يقدموا له المادة الاعلامية التى تحقق هدفهم فى هداية البشر الى دين الله ، مؤمنين بأن انتشار الاسلام يوافق فى العالم كله حاجة عامة حان أوانها وتمهدت الأسباب للوفاء بها فى عالم

---

(١) فاطر ٢٤ .

الفكر والضمير .

وإذا نظرنا الى عالمية الدعوة الاسلامية نجد أن الله تعالى قد وفر لها من الامكانات في العصر الحاضر ما لم يتوفر لها في أي عصر من العصور السابقة ، وامكانات النشر على المستوى العالمي هذه تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هي : الأساس الاعلامي والأساس المالي والأساس الفكري .

أما الأساس الأول وهو ما يتعلق بالجانب الاعلامي فقد قدمنا الحديث عنه .

وأما الأساس الثاني وهو ما يتعلق بالامكانات المالية فاننا نقول : ان أية دعوة تحتاج في تبليغها الى امكانات مالية . وقد وفر الله تعالى للدول الاسلامية هذه الامكانات بما فجره في باطن أراضيها من كنوز النفط . وبالتالي وفر لها استخدام وسائل الدعوة الى الاسلام بأقصى فاعلية ممكنة .

واذا أردنا أن نزيد هذه الحقيقة ايضاحا فاننا ننظر الى الاحصائية التي تقول : ان دخل دول الاوبك (ومعظمها تدين بالاسلام) من البترول قد ارتفع في سنة ١٩٧٤ الى ١١٢ مليار دولار مقابل ٢٢٫٧ مليار دولار سنة ١٩٧٣ ، ولقد يكون لدى الدول فائض بلغ ٦٠ مليار دولار اى بواقع ١٦٤ مليون دولار يوميا ، وبواقع ٦٫٨ مليون دولار كل ساعة .

وفي سنة ١٩٧٦ قالت مجلة الأكونومست ان دول الأوبك يمكنها أن تشتري كل الشركات المساهمة في العالم خلال ٦ و ١٥ سنة بالسعر الحالي لأسهمها . وشراء كل أسهم الشركات التي تتداول في بورصة نيويورك خلال ٩٫٣ من السنوات . وشراء الذهب الموجود في البنوك المركزية في العالم خلال ٢ و ٣ من السنوات بسعر الأوقية ١٧٠ دولارا ، وشراء كل الاستثمارات الامريكية الموجودة في الخارج خلال ١٫٨ سنة ، وشراء ثروة روكفلر في ٦ أيام ، و ١٤٪ من أسهم شركة مرسيدس في يومين .

اذن فالامكانات المالية متوفرة لدى المسلمين لتبليغ الدعوة الى الاسلام ولاستخدام وسائل الاتصال الحديثة بأقصى فاعلية ممكنة ، وهذا يحتاج الى انشاء جهاز على أعلى مستوى من التنظيم يقوم بالتخطيط لنشر الدعوة في العالم كله ، وتشترك فيه الدول الاسلامية كلها ، ولنا عودة أن شاء الله للحديث عن هذا الموضوع .

أما الأساس الثالث : وهو المتعلق بالجانب الفكري فهو يهيىء للدعوة الاسلامية في عالم اليوم ظروفا مواتية لم تكن موجودة في العصور السابقة ، فسهولة السفر واحتكاك الأمم بعضها ببعض يسر نقل الأفكار وحرية الرأى والعقيدة أصبح اليوم مبدأ معترفا به في دساتير معظم الدول .

ان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم دون أدنى تحريف فيه ، ولغته المعجزة في مخاطبة الطبيعة البشرية ، والوثائقية التاريخية في تسجيل قيام النظم الاسلامية ، وسبق الاسلام بالمناداة بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة التى مازال البعض يقول : انها من مبادىء الثورة الفرنسية مع انها اثر من آثار الاسلام على اوربا ، وخلو الاسلام من التفكير الخرافي وتمشيه مع التفكير العلمي والمنطقي السائد في العالم في هذا العصر، نقول ان ذلك كله يوفر لوسائل الاعلام المستخدمة في نشر الاسلام مضمونا قويا ومقنعا يساعدها على تحقيق اهدافها .

الشعر

حنين قلب

للدكتور حسن جاد

صَبَا حين هَبَّتْ صِبًا يثرِبِ
تَحِنُّ إلى البلدِ الطَّيِّبِ
وشوقٌ يُصَفِّقُ بين الضلوع
هياما الى المورد الأعذب
الى مَهْجَرِ الحق مهد الضياءِ
وَوَاحَةِ كُلِّ نَسيجٍ مُتْعَبِ
فيامن قصدت إلى أرضِها
وَفُزْتَ بِمَا رُمْتَ من مَأْرَبِ
بِرَبِّكَ قَبِّلْ ثَرَى طَاهِرًا
تَعَطَّرَ من خُطُوَاتِ النبي
وقل : يا محمدُ نفحة سُقيا
لظمآن يهفو الى المشربِ

القدوة الحسنة والادارة الاسلامية

لفضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .

أفيقوا معشر الاسلام انا ... على البركان نسمر بالمدام
دماء بالعراق وفى ايران ... وفى لبنان جرح القلب دام
ونار الحرب بينكمو لظاها ... يصعد للمصائب كل عام
شريعة احمد علم وحب ... بها قاد الشعوب الى الامام
ومنهجه سرى نورا ونبلا ... ورحمته تبشر بالسلام
فلم يك من قساة الناس فظا ... غليظ القلب يعمل فى الظلام
سلوا انسا يخبر بعد عشر ... قضاها خادما عالى المقام
فهل همس النبى له بعاف ... وهل هم النبى بالانتقام
ويسر الدين منهج كل بر ... ومنهج احمد خير الانام
يطعنا الالى جهلوا فعابوا ... ادارتنا على نهج الكرام
يظنون الادارة فى التعالى ... وتعطيل المعانى بالكلام
وتشويه الحقائق فى ذكاء ... يفوق ذكاؤهم سوس العظام
فهل عملوا الى الاسلام شيئا ؟ ... سوى قذف الخلائق بالملام
ونترك قولهم من غير رد ... مداراة وكرها فى الخصام
وقدوتنا رسول الله يدعو ... الى ترك الخلاف وللوئام
واحمد أم بالاحسان دينا ... فهام الكل حبا فى الامام
أفيقوا معشر الاسلام انا ... على البركان نسمر بالمدام .

■ المدّعون

مع الفكر الغربي

■ من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

المدعون!

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

المدعون : جماعة تبشيرية حديثة لا تنتمي الى اى هيئة من هيئات التبشير المعروفة ، وليسوا من الارساليات التى زاولت النشاط التبشيرى فى الشرق من قبل ، ليسوا من الدومينكان ولا من الفرنشيسكان ، ولا الادفنست .. ولا غير هذه الجماعات ، وليس لهم مذهب تبشيرى ذو خصائص تميزه ، وانما هم جماعة من الذين هاجروا الى استراليا من هنا وهناك واستغلوا قلة المسلمين هناك وضعفهم وقلة المامهم بالدراسة الاسلامية ، فراحوا يخرجون النشرات المتتالية طعنا فى الاسلام ، وشتما بغيئا لنبيه — صلى الله عليه وسلم — واطلعت على بعض هذه النشرات فرأيت هذه الجماعة غاية فى الجهل وقلة الاطلاع وضحالة الثقافة ، وقد سموا انفسهم « المدعون فى محكمة الحق » فلم ار اليق من ان اسميهم « المدعون » .

والقوم يلحون على مسلمى استراليا أن يدعوا الاسلام لأنه دين زائف ويتبعوا الكتاب المقدس لأنه يحوى الحق والعدل والرحمة ، ولتأييد ما يدعون اليه ذهبوا يوردون النقد اللاذع والمعايبات الشنيعة التى يغص بها القرآن وقد برئت منها المسيحية واليهودية ، ويختمون كل تهمة يوردونها باستحثاث المسلمين على سرعة ترك الاسلام واتباع الأناجيل .

والمضحك فى امر هؤلاء أنهم لم يأتوا بأى شيء جديد ، ولكنها التهم التى أثيرت فى القرون السابقة يوم أن كان الأوروبيون لا يزالون فى خمار الحروب الصليبية ، ويوم أن كان طعن الاسلام والمسلمين سلاحا من أسلحة الحرب ودعاية من الدعايات المضللة ، وقد رجع المستشرقون والمضللون عن هذه التهم اذ تبين لهم أنها تسيء اليهم أكثر مما تنفعهم ، لأن حقائقها تكشفت للناس ، وأكاذيبهم فيها أصبحت مفضوحة ظاهرة ، وتمسكهم بها يجعل الناس ينفرون منهم ويسخرون ، على أن هناك مستشرقين سابقين آخرين فندوا ما قال اسلافهم من مفتريات ، ونفوها بأدلة كافية .

<

المدعـون

قال مستشرقون سابقون أن محمدا كانت تعتريه نوبة صرع يسميها وحيا ، فجاء مستشرقون آخرون من بعدهم نفوا فرية الصرع وقالوا : ليست هذه حالات صرع أصلا •

وقال قوم : ان الاسلام دين صحراوى تعكس قوانينه صفات البدو وطبائعهم ، فجاء آخرون وقالوا : ان مكة كانت قد تحضرت وتخلت عن صفات البداوة من قبل ظهور الاسلام ، وقوانين الاسلام قوانين مدنية لا قوانين بداوة ، بل ان الاسلام حارب عادات البدو وحرمها •

وتغنى جماعة بفكرة أن الاسلام نشر بالسيف فجاء آخرون وأثبتوا اعتماد الاسلام على الحجة والدليل وأنه لم يكره الناس على الدخول فيه •

وعاب بعض منهم تعدد الزوجات عند محمد — صلى الله عليه وسلم — فقال آخرون : ان بين الأنبياء السابقين من كانوا أكثر منه زوجات •

وهكذا وهكذا تهم كثيرة توالت على الاسلام منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، ولكنها كانت ضبابا صهرته شمس الحقيقة • وبعد هذا كله جاء « المدعون » يعيدون هذه الأكاذيب التى فرغ الناس منها ورجعوا عن تردادها •

ولنرجع خطوة الى الوراء لنرى خيال الكتاب

اللاتينيين فى العصر الوسيط ، وبدءا من القرن الثانى عشر ، اذ نجدهم يصفون نبى الاسلام بأنه ساحر ، وأنه عن طريق سحره الخارق هدم الكنائس فى الشرق وأنه كان يبيح المحرمات الجنسية ليضمن نجاحه ،••• الى تهم من هذا النوع ، وأصبحت الآن مجرد دلالة على عقلية هؤلاء الكتاب ، ونموذجا من التأخر العقلى فى هذا الوقت ، وأخرج الكاتب الانجليزى ساو ثرن «R.W. Southern» نظرة الغرب الى الاسلام فى العصر الوسيط » فجاء فيه أن الكاتب اللاتينى « جلبرت دى نوجنت Guilbert De Nogent » الذى أسرف فى تشويه الاسلام وافترى كثيرا على نبيه — صلى الله عليه وسلم — اعترف بأنه لم يقرأ عن الاسلام ولا مصادر لديه عنه ، وأنه يستقى معلوماته من كلام العامة ، وليس لديه مايمحص به أقوالهم ، ولكنه لايرى بأسا من نسبة كل سوء للمسلمين لأن خبثهم يفوق كل سوء يتصوره الانسان ، وهكذا طاب لكتاب هذا العصر أن يطلقوا لخيالهم العنان ليشوهوا حقائق التاريخ، وظلت هذه المفتريات تذكر وتدرس حتى فى عصر النهضة ، ولم يحاول المستشرقون تمحيصها ونفى زوائفها البارزة الا بدءا من القرن الثامن عشر ، فنفوا الكثير منها ، ولا يزالون بين حين وآخر ينفى بعضهم ما أثبته غيره •

والجماعة « المدعون » بنشراتهم التى يذيعونها لم يخرجوا عن نطاق ما ردده هؤلاء الأسلاف فهم يسجلون على أنفسهم رجعة ثمانية قرون •

وحين كنت فى استراليا سئلت كثيرا عن مفتريات هذه الجماعة ، واطلعت على رسالة لهم عنوانها « الاسلام أكذوبة الأكاذيب » ، ولم تكن جديدة على ، فرأيت أن الدراسة المقارنة

أجدى رد على هؤلاء ، والرجوع الى نصوص القرآن ونصوص كتابهم المقدس توضح حقيقة الديانتين ، ثم الاحتكام الى تاريخ المسيحية وتاريخ المسيحية فيصل وأمر حاسم فى رد هذه المفتريات ، ومع أن مستمعى هناك ليسوا ، — أو ليس أكثرهم — من ذوى الثقافة العميقة كانت النصوص التى عرضتها كافية ، وودوا لو اتسع وقت اقامتى بينهم لأرد بهذا الأسلوب على كل ما جاء فى رسالتهم ، ولكن ما يتصف به بعض فقارها من الكذب يصدق على سائر أجزائها .

وأقف عند مسألة فرض الاسلام نفسه بالسيف وأثر انتشاره فى الشرق ، وقد جاءت فى رسالتهم — لسذاجتهم وعدم قدرتهم على ترتيب الأفكار — مندمجة بعضها مع بعض ، فأبدوا عجبهم البالغ من ملء القرآن بالآيات التى تحث على القتال والاستعداد له ، ثم أبدوا أسفهم للأمجاد المسيحية التى محاها الاسلام ، وكانت مصر والسودان وشمال افريقية وساحل الشام وتركيا والعراق واليمن .. وغيرها مليئة بأمجاد مسيحية فمحاها الاسلام .. الخ .

وتفنيد الفكرتين مما قد يطول لا لشىء الا لكثرة الأدلة ، ولكنى أحاول ايجازه بقدر ما يتسع له مثل هذا الحديث .

وقبل أن أقدم أدلة من نصوص القرآن أشير الى الكتابات المسهبة التى كتبها المؤرخ الكبير توماس آرثر آرنولد — فى كتابه القيم : « التبشير بالاسلام » وهو مترجم الى العربية باسم « الدعوة الى الاسلام » — فقد تتبع الفتوحات الاسلامية فى الأقطار التى كانت بها ديانة مسيحية فى أى لون أو مذهب من مذاهبها ، فرأى أنه لم يكن تحت أى اكراه لمسيحى أو ذمى على ترك دينه ليدخل الاسلام ، وأرجع انتشار الاسلام بين المسيحيين الى أسباب سردها ، قد يؤذى « المدعون » بذكرها ، ولكن حقائق التاريخ لا تنسى بتأذى الناس منها .

وأول الأسباب التى عنى بها — وهو يرتب أفكاره ومعلوماته — أن الاسلام دين واضح سهل الفهم ، وأن اخلاص العبادة لله الواحد الأحد وتنزيهه عن الولد والشريك مما يقبله العقل ، لأنه أليق بالألوهية ، هذا بينما التعقيد الذى فى المسيحية جعلها ثقيلة غير واضحة ، وكان مسيحيو هذه البلاد قد دخلوا فى المسيحية لمجرد التقليد ، ولم تستسغ عقولهم أن الله والابن والروح القدس ثلاثتهم اله واحد ، ولكنهم دخلوا الاسلام عن فهم ويقين ، وقد كان بين المسيحيين قبل ظهور الاسلام كبار من القسس ينفون ألوهية المسيح وبنوته لله ، ويقررون أنه كان انسانا أوحى اليه شأنه فى هذا شأن أنبياء بنى اسرائيل السابقين ، وظلت هذه الفكرة الى زمن متأخر ، واقتطف من كلامه هذه العبارات :

« ومن المرجح أن تأثير المسيحية فى السواد الأعظم كان قليلا فى القرن السابع ... كما أن سرعة انتشار الاسلام ... قد تكون راجعة الى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء ... وفى أوائل القرن الثانى عشر كان بدير القديس أنطونيوس (بمقربة من اطفيح على النيل) راهب يدعى بلوطس ، وكان عالما ومعلما وخبيرا بأوضاع الدين المسيحى وسيرة الرهبنة ماهرا فى حقوق ما يلزم من القوانين الشرعية ... أشاع أن المسيح كأحد الأنبياء ..

المُدّعُون

وإذا سئل عن مذهبه واعتقاده يقول انه موحد .

وآرنولد نقل عباراته كاملة من أبي صالح الأرمني كما أشار الى ثبت بأسماء الرهبان الذين دخلوا الاسلام ، وقال انهم أكثر من ذلك . ومضى يقول : « حتى في القرن التاسع عشر — في الوقت الذي قيل فيه : ان مصر كانت أشد البلاد الاسلامية تسامحا في الدين ، لم تخل سنة من السنوات لم يتحول فيها القبط الى الاسلام .

وإذن فالتحول الى الاسلام لم يكن الا عن طواعية ولا اكراه فيه .

على أننا نجد كاتبا متعصبا ضد الاسلام . وهو المبشر المتحمس « استيفن نيل » يتحدث عن معركة التبشير والاسلام في القارة الافريقية حيث لا يوجد أي سلطان للمسلمين ولا دعاية منظمة لهم فيقول : انه على الرغم من وجود المستشفيات والمدارس التبشيرية والاغراءات الكثيرة ، يذهب الناس الى المستشفى فيمرضون ويعطون الدواء الذي يحتاجونه ، وينالون أيضا أعطيات مادية ثم لا يقبلون المسيحية ، واذا استطاعت الارساليات العديدة المنوعة أن تدخل شخصا واحدا في المسيحية يكون ثمت خمسة أشخاص قد دخلوا الاسلام تلقائيا ! .

وبجانب السبب الأساسي من تعقيد المسيحية ويسر الاسلام يحفظ التاريخ انقسام رؤسائها وكثرة اختلافهم في شخص المسيح وناسوتيته ولاهوتيته ، بينما يخلو الاسلام من كل ذلك .

واذا رجعنا الى النصوص المقدسة في الدينين : نجد القرآن يقول : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ »(١) — ويقول : « إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ »(٢) .. وجاء في سفر الخروج فيما أوصى الله به موسى .. « انك ستقابل سبع أمم اقتلهم قتلا ... ولا تقبل منهم عهدا ولا تبق منهم أحدا » وأملت النصائح أن يهدم مذابحهم ويحطم أصنامهم ، واذن فتحطيم الأصنام ليس مستحدثا في الاسلام ولكن الاسلام كان رفيقا اذ دعا الى التوبة وعبادة الخالق المستحق للعبادة ، بينما طلبت التوراة الابادة .

وقد انتشر الاسلام في قرن واحد الى مساحة تزيد على مساحة الامبراطورية الرومانية ، بينما ظلت المسيحية تتعثر بضعة قرون . وقد فرضها قسطنطين فرضا على شعبه ، وقتل الكثيرين وعذب الآخرين كي يقبلوا المسيحية دينا ، وفعل كولومبياد الانجليزي بشعبه مثل هذا اذ خيرهم بين التنصر والقتل وأباد في يوم واحد أكثر مما أباد الاسلام في كل حروبه ، ثم جاء شارلمان الذي يوصف بالعقل والذكاء والحكمة . فقتل في يوم واحد أربعة آلاف وخمسمائة شخص لأنهم لم يقبلوا

---

(١) التوبة ٦ .
(٢) التوبة ٤ .

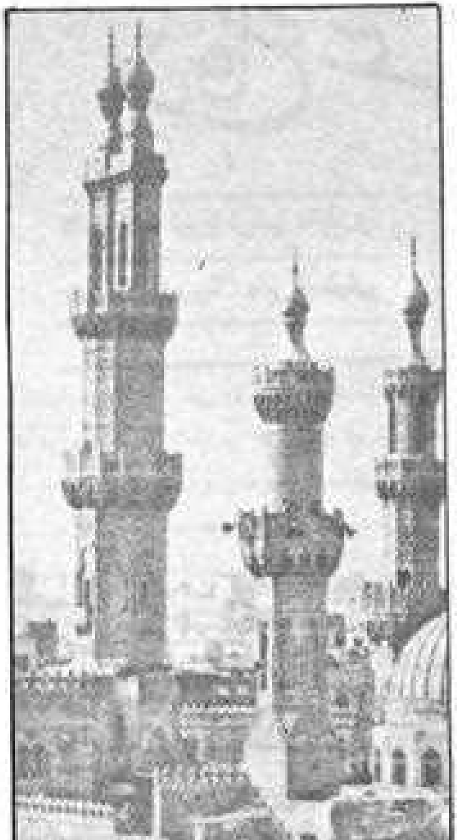
المسيحية دينا ... وهذه رحمة المسيحيين في مقابلة وحشية الاسلام .

أما الكنيسة الشرقية فقد استطاعت أن تنشيء مراكز مسيحية في الشام ومصر والبلاد الأخرى التي دخلها الاسلام في القرن الأول ، ولا يعرف أنها أسست حضارة أو تركت آثارا ثقافية ، فلا الاسلام محاها ولا هي كانت موجودة أصلا، وكما يقول آرنولد انها ما زادت على تمجيد البكورة في النساء والعزوبة في الرجال ، وضياع الوقت في جدل عقيم حول طبيعة المسيح ! أتلك حضارة أم هي مما يوازن بما نشره الاسلام من فكر وثقافة ، ويكفي ما أشاعه من مساواة وعدل وحرية !

ولعل جماعة « المدعين » لو وجدوا من يذكرهم بما في كتبهم لشعروا بشيء من الحياء .

معروف ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رد يوم بدر ــ والمحاربون قلة ــ أحد الفتيان لأن أبويه مسنان وقال له : فيهما فجاهد. وفي الأناجيل أن المسيح أوصى بالقتل عقوبة على الزنا ، وبقلع العين التي تنظر الى امرأة بشهوة، وطلب من شاب أن يتبعه فاعتذر بأن أباه ميت وأنه يريد دفنه فقال : اتبعني ودع الموتى يدفن بعضهم بعضا .. فأي عابد يدع أباه الميت ليدفنه الآخرون ؟ أو هذا من البر بالوالدين .

اذكر اخيرا ان هذه الموازنة كانت حين القيتها باستراليا كانت اوسع ، وكانت ذات اثر في نفوس السامعين ، ولم يكونوا جميعا مسلمين ،



ولكن لست أعرف آثارها عند « المدعين »واعلنت اني على استعداد للمناظرة ان قبل منهم أحد ، ولم يحضر أحد .

د. عبد الجليل شلبي

دفاع عن الإسلام

تأليف د. لوريا فيشيا فاغليري

نقله الى العربية : منير البعلبكي

كتاب « دفاع عن الاسلام » لمؤلفته د. لوريا فيشيا فاغليري هو حلقة فى سلسلة الكتب التى ألفها مفكرون غربيون ، نظروا الى الاسلام نظرة موضوعية منصفة ، بعيدة عن التعصب الممقوت والحقد الأعمى ، الذى ساد كتبا كثيرة ، عملت جاهدة على تشويه الاسلام وتقديمه للجاهلين به فى صورة منفرة ، حتى لايجد هذا الدين طريقه الى قلوب ابنائهم ، لكن على الرغم من هذه الحملات المسعورة ، يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فقيض من أبنائهم أنفسهم من يفهم الاسلام ويعمل فى الاتجاه المضاد اليهم لذلك التشويه ، ويحاول أن يخاطب بما فهم عن اقتناع أولئك الذين تسربت اليهم المعلومات الزائفة الخاطئة .. والراصدون لحركات المد الاسلامى يرون أن الاسلام — على الرغم من السدود والعوائق التى وضعت فى طريقه — استطاع أن يغزو قلوبا كثيرة فى ذلك الوسط الذى أريد ويراد له أن يتحصن ضده بحصون من الفكر المضلل الخبيث ، وتأتى الاحصاءات تلو الاحصاءات لتؤكد أن أفواج الداخلين فى الدين الاسلامى يزدادون يوما بعد يوم ، وآخر هذه الاحصاءات ما نشرته جريدة الاهرام المصرية فى عددها ٣٥٣٧١ بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٨٣ فى صفحتها الاولى تحت عنوان : ٥٠ ألف فرنسى يدخلون الاسلام ، وقد نقلت الخبر عن مجلة « لاكتواليتيه روليجيوز » الفرنسية ومفاده ان عددا يتراوح مابين ٣٠ الى ٥٠ ألف فرنسى من كافة الاوساط الاجتماعية وجميع الاتجاهات قد أشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية .

وقالت المجلة التى تعتبر أكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا أن الاشخاص الذين يتحولون الى الاسلام ينتمون الى الحركة الاكثر انتشارا المعروفة باسم العودة الى الروحانيات ، وينتمى هؤلاء الاشخاص الى كافة الاوساط فمنهم مفكرون وفنانون ، بل ومنهم موظفون وعمال ، وأشارت المجلة الى أن دخول الموظفين والعمال فى الاسلام يعد ظاهرة جديدة ، ثم أضافت أن هؤلاء اجتذبهم الاسلام ببساطته وبأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتيحه من امكانية التوجه الى الله دون وسيط .

ولسنا نستبعد أن يكون للدراسات المنصفة

عرض وتعليق د . طه مصطفى أبو كريشه

أثر في توجيه القلوب والعقول الى الاسلام ، ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فهو كتاب ليس حديث العهد لدى قرائه الأوربيين ، وانما هو قديم بعض الشيء عرف في أوربا في أصله الايطالي أولا ، ثم في الترجمة الانجليزية له ، وعن هذه الترجمة الأخيرة نقل الى العربية في صورته الراهنة . وقد لقي الكتاب لدى ظهوره ذيوعا وانتشارا أدى الى اعادة طبعه عدة مرات مما يدل على مدى تقبل ما جاء فيه عن الاسلام ، وعلى أن هناك كثيرين يبحثون عن الكلمة العادلة المضيئة وسط ركام من الكلمات الظالمة المظلمة التي غشت الابصار والبصائر ، فأخذت من ثم تبحث عن هاد منير وقد وجدته في الاسلام ، فاقبلت عليه تستضيء وتستبصر حتى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد — صلى الله عليه وسلم — نبيا ورسولا .

فما الذي قدمته المؤلفة لأبناء قومها عن الاسلام ؟ .

في الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « سرعة انتشار الاسلام » أوضحت المؤلفة أن الاسلام نشأ وسط شعب كان يحيا في بلاد منعزلة جرداء ، وكان ظهور الاسلام بمثابة ينبوع من الماء الصافي النمير ، الذي ذاق هؤلاء القوم طعمه ، فأحدث فيهم اثره بجمع شمل الجماعات المتناحرة ، وظهور رابطة الأخوة . لكن هذا الينبوع ما لبث أن تحول الى نهر متدفق لا سبيل الى مقاومته ، فطوق تياره الصافي المنيف ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة ، وكان أن حطم الحواجز وأيقظ العقول ، وأنشأ من الشعوب المتباينة مجتمعا موحدا .

وتقول المؤلفة ان التاريخ لم يشهد قط ظاهرة مثل هذه من قبل ، الأمر الذي جعل العقل البشري لايزال يقف ذاهلا دون اكتشاف القوى السرية التي جعلت جماعة قليلة تنتصر على شعوب متفوقة عليها تفوقا كبيرا في الحضارة والثروة والخبرة والقدرة على شن الحرب . وأقول انه على الرغم من ذهول العقل البشري وعجزه عن اكتشاف الاسرار ، فان الوقوف على السر لن يبعد عن الذين اهتدوا بهدى الاسلام وعرفوا أنه دين الله الذي كتب له الغلبة ، وأنه ينصر من ينصره ، وأنه دائما مع الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وما نظن أن هذه المعاني ترد على فكر الباحثين عن الأسرار وهم بعيدون عن التدين بالاسلام ومع هذا فربما كان العجز في بعض الاحيان وسيلة الى التسليم والايمان بأن للاسلام سرا ذاتيا ، على من يريد أن يقف عليه أن يدخل فيه .

وتعرض المؤلفة في هذا المقام لتاريخ الدعوة الاسلامية في مكة ثم في المدينة وسائر أنحاء الجزيرة ، الى أن غادر المحاربون العرب صحاراهم واندفعوا عبر الحدود نحو بلاد الشام والعراق . وتشير المؤلفة الى أن توحيد

الجزيرة وانهاء حالة الفوضى التى سادت قرونا متطاولة يعد أولى معجزات الدين الجديد .

فما الذى جعل الاسلام يتجاوز حدود الجزيرة ؟ ، تجيب المؤلفة مستندة الى القرآن الكريم فتقول : ان آية « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » جعلت الرسول — صلى الله عليه وسلم — يشعر فى يقين بأنه مكلف أن يبلغ الدعوة الجديدة الى شعوب تنتسب الى أجناس مختلفة وتتكلم لغات مختلفة ، وقد شعر خلفاؤه الراشدون بهذا التكليف من بعده بوصفهم المفسرين الأمناء لرسالته ، فحملوا راية الاسلام الى قلب آسيا فى الشرق والى المحيط الأطلسى فى الغرب .

وبعد أن تستعرض جهاد الخلفاء ضد قوتى الفرس والروم ، وتتابع ما تم فتحه من البلاد شرقا وغربا تذكر أن هذا التحول السياسى والدينى أزعج طائفة من الناس فراحوا يتساءلون : ما الذى أدى الى حدوثه ؟ وفى الجواب عليهم تقول ان كثيرا من هؤلاء المتسائلين كانوا عميا لم يستطيعوا أن يدركوا أو يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسئولة عن رسالة محمد آخر حملة الشرائع من الأنبياء والنبى الذى ختم سلسلتهم الى الأبد .

وحين عجز هؤلاء عن ادراك السر راحوا يشيعون أن الاسلام انتشر بالسيف الى جانب ما أشاعوه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وعن أصحابه من الافتراءات والاكاذيب .

وتقف المؤلفة لترد على تهمة « روح الاسلام العدوانية » فتنفى أن تكون الحرب التدميرية جزءا من طبيعة الدين الاسلامى، لأن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لا تؤيد ذلك ، ثم تستشهد على ذلك بالآيات والأحاديث التى تحض على عدم الاعتداء ، وعلى قتال الذين يقاتلون الدين ، ومن ثم كانت الحرب دائما وسيلة لحماية الدين الجديد وتنظيمه ، لاغاية فى ذات نفسها ، كانت دفاعا ضروريا لاعدوانا جائرا . وكان المسلمون يخيرون من يحاربونهم بين أن يدخلوا الاسلام أو يبقوا على دينهم ويلقوا السلاح ويدفعوا جزية يسيرة تسبغ عليهم حماية كاملة .

ومع دفع هذه التهمة فانها تدفع تهما أخرى تتردد كثيرا فى كتب بعض المستشرقين الذين يكتبون بحقد عن الاسلام ، وتخص بالرد ما اتهموا به النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم تختم الفصل بتساؤلات متعددة : كيف نفسر مواصلة الاسلام لتقدمه فى آسيا وافريقيا فى السنوات الأخيرة مع الحرية الممنوحة لغير المسلمين فى البقاء على دينهم ؟ أية قوة عجيبة تكمن فى هذا الدين ؟ أية قوة داخلية من قوى الاقناع تنصهر به ؟ .

وتحاول أن تقدم عن ذلك جوابا بدءا من الفصل الثانى .

— ٣ —

وفى الفصل الثانى وموضوعه « بساطة العقيدة الاسلامية » تتحدث المؤلفة عن دعوة الاسلام الى الايمان بالله وحده ، والى الايمان بأن محمدا — صلى الله عليه

وسلم ـ رسول الله ، ومن ثم كانت محاربة الاسلام للشرك والمشركين ، وكانت وسيلة الاسلام الى توحيد الخالق هي دعوته الى التفكير في الكون وسننه ونسوق المؤلفة كثيرا من آيات القرآن الكريم التي تدعو الى التأمل والتدبر في ملكوت السموات والأرض ، خاصة ما يعود الى الطبيعة المحيطة بالانسان والقريبة منه . ومن هنا تحرر الانسان مما كان يفرض عليه من قيود ، واحس مكانته الرفيعة التي خلقه الله عليها ، واصبح طريقه الى الله طريقا مستقيما ، بعيدا عن هوى الكهان ، وحفظه الألغاز المقدسة الزائفين ، وسماسرة الخلاص ، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والانسان .

هذا الى جانب مساواة الاسلام بين البشر في تعاملهم الاجتماعي دون أن يكون هناك تفاضل بينهم يعود الى النسب والمعتقد ، وانما لا فضل الا بالتقوى والاعمال الصالحة والصفات الخلقية والفكرية الحسنة .

كذلك من بساطة الاسلام أنه أزال السرية التي أضفاها الآخرون على دراسة الكتب المقدسة ، فليس عند المسلمين تفسير رسمي لكتابهم يطلب منهم أن يبنوا معتقداتهم على أساسه ، وليس عندهم تلك المجامع التي تحاول أن تفرض صيغة دقيقة ينبغي اعتبارها رمزا حيا للعقيدة المستقيمة ، والمؤلفة تقصد بذلك الاشارة الى ما كان موجودا لدى الكهان والرهبان في الأديان الأخرى مما يجعل التفسير محتجبا عن الناس موجودا عند طائفة خاصة لا تتعداها ، وليس من حق أحد ان يناقشها أو يشاركها فيما تذهب اليه .

من سماحة الاسلام الواضحة أنه لايوصد سبيله في وجه أحد حتى في وجوه الآثمين حين يدعوهم الى التوبة النصوح التي تطهر نفوسهم وتكفر عنهم ما اقترفوه من سيئات ، وانه بذلك يضفي على كل انسان القدرة على العمل الصالح وان هذا الباب المفتوح للعودة الى الله هو من رحمة الله بعباده التي وسعت كل شيء ، وتقدم المؤلفة شواهد على هذه الرحمة الممنوحة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وتعاود المؤلفة الحديث عن مفهوم الاسلام للتوحيد ، فتوضح أنه دعوة الأنبياء جميعهم ، وما جاء مناقضا لذلك عند حملة الأديان الأخرى فانما هو من التحريف الذي وقعوا فيه ، والذي جاء الاسلام لرده الى الطريق المستقيم ، والايمان بالله وتوحيده يستتبع الايمان بأنبيائه وكتبه ورسله ، فايمان بالأنبياء ينبغي أن تسبقه ثقة النفس الانسانية بوجود الله وباحتمال ارساله بعض الأنبياء الحاملين هدايته للناس .

وتتطرق المؤلفة من هنا الى الحديث عن القرآن الكريم معجزة الاسلام الخالدة الذي لا يحاكى ، والذي لا يشابهه أسلوب ما من الأساليب الأدبية التي تحدرت من العصور التي سبقته ، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية انما يتم من خلال سمو الانسان الفطري والبلاغي دون عون عرضي أو اضافي . وآيات القرآن الكريم كلها على مستوى واحد من البلاغة المؤثرة على اختلاف موضوعاته حتى ما يتكرر منها ، فانه يكررها على نحو مثير الى درجة لا تضعف من أثرها وهو ينتقل من موضوع الى موضوع من غير أن يفقد قوته ، وتنتهي في وصفها الى تأكيد

استبعاد أن يكون الكتاب المعجز من عمل محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو العربى الأمى الذى لم يكن يوما ما شاعرا مثل غيره من العرب الآخرين . وفى سبيل الاستدلال من الواقع الذى عاصر نزول القرآن الكريم ، تذكر أن معارضى الدعوة الاسلامية قاتلوا المسلمين بكل الأسلحة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بأى أثر يضاهى القرآن على الرغم من تحديه لهم ، وحرصهم على النيل منه ،

وتتقدم المؤلفة الأدلة التى تؤكد أن القرآن من عند الله ، وأنه لا يعقل أن ينبثق من غير الذات التى وسع علمها كل شىء ، وأخبرت عن الماضى والحاضر والمستقبل فى أحداث هذا الكون كما تقدم دليلا حسيا على مصدر القرآن الالهى ، هو أن نص القرآن الكريم ظل صافيا غير محرف طوال القرون التى تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا ، وأنه سوف يظل كذلك بعيدا عن كل تحريف ، ذلك بفضل الله ، وبفضل التلاوة المكرورة التى لا تمل ، وبفضل سهولة حفظه واستظهاره من غير عسر ، وتستدل على هذا الجانب بأن فى مصر وحدها عددا من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب فى أوربا كلها . وهذا التأثير الفطرى للقرآن الكريم كان سببا فى انتشار الاسلام وليس عن طريق القوة والاكراه كما يزعم الجاهلون .

وتنهى المؤلفة هذا الفصل مشيرة الى أن الاسلام لم يضع العراقيل أمام العقل البشرى فى سبيل التزود بالعلم ومعرفة أسرار الكون كما تؤكد أن الاسلام كان ذا سهولة معجزة فى فهم تعاليمه ، فكان ذلك سببا آخر أيضا فى انتشاره السريع ابان الفتوح الاولى بين أناس غرقوا فى اضطراب روحى بسبب الغموض الذى يكتنف بعض معتقداتهم الدينية ، وهو أيضا السبب فى انتشاره الموصول اليوم فى آسيا وأفريقيا ، لأن الاسلام قادر على النفاذ الى القلوب من غير شروح مطولة أو عظات معقدة .

— ٤ —

وفى **الفصل** الثالث توضح المؤلفة « **معنى الشعائر الاسلامية** » فتذكر أولا أركان الاسلام الخمسة ، ثم تتبع ذلك بالأثر الذى يحدثه أداء كل ركن بعد الركن الاول وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فالصلاة — كما ذكر القرآن الكريم — تنهى عن الفحشاء والمنكر وتذكر الانسان بخالقه فيعظمه ويمجده ، وفيها تعبير بالسجود عن الخضوع المطلق للقوة الالهية ، ثم تشير الى سهولة أداء هذه الشعيرة ، فهى تؤدى فى أى مكان ، وليس شرطا فى صحتها أن تؤدى فى مكان خاص ، وانما الشرط أن يكون المكان طاهرا مثل طهارة الثوب والبدن . وتقف وقفة خاصة عند صلاة الجمعة التى تجمع المسلمين فى شعيرة واحدة قوامها الاذعان والخضوع لله ، فتشعرهم أنهم جميعا مخلوقاته ، ومن هنا فهم جميعا اخوة .

ثم تعرض لركن الصوم الذى يعود الصائم على الانضباط والرحمة والشفقة فتشير الى من يفرض عليهم الصوم ، ومن يفطرون بعذر ،

وفي بيان أثره تذكر أنه يقتضي أن يجتنب المؤمن جميع ملذات الجسد خلال مدة بعينها ، انه يعلمه لحجم شهواته ، ويحمله على ادراك ماينعم به من آلاء ، ويعمق اعترافه بفضل الله عليه .

أما الزكاة فان الاسلام يتمتع وحده بالمجد المتمثل في جعل الصدقة أمرا الزاميا ، فكل مسلم ملزم بحكم (القانون) بأن يخصص جزءا من ثروته لمصلحة الفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء .. الخ ، وبأداء هذه الفريضة يطهر المؤمن روحه من الشح ، ويكتسب حسا أعمق من الانسانية والرحمة والشفقة وفيما يتصل بفريضة الحج ، فان أحدا لا يستطيع أن ينكر الفائدة التي يجنيها الاسلام من اجتماع المسلمين السنوي في مكان واحد يسعون اليه من مختلف أرجاء العالم — فهم حين يلتقون في المكان الذي يتوجهون اليه جميعا في الصلاة فانهم ينشئون صلات جديدة من المحبة والأخوة . وتذكر المؤلفة يشير الى الغاء الفروق مرة واحدة في حياة المسلم على الأقل الغاء تاما ، فلا فرق بين الغني والفقير والشحاذ والأمير في أداء مناسكه ، ذلك لان كل حاج يلبس خلال أداء تلك الفريضة المقدسة الثياب البسيطة نفسها ، ويخلف وراءه خيلاءه وزينته الشخصية ويتخذ لنفسه شعارا واحدا ليس غير ، هو كلمة « الله أكبر » أما الشعائر والمناسك فان أداءها في أماكنها المعينة يوقظ في نفس المؤمن ذكرى الانبياء الذين عاشوا في المواطن نفسها خلال العصور السالفة .

وتنتهي المؤلفة من عرضها لأسرار العبادات في الاسلام الى بيان أن الله لم يفرض على الانسان مجموعة من القوانين يعجز عن احتمالها ، ولم يفرض عليه في أي من الشعائر قواعد جامدة قاسية لانه يريد بالناس اليسر ، وتستشهد على ذلك بمجموعة من الآيات القرآنية منها قول الله تعالى« يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ »وقوله سبحانه « يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا » ثم تسوق مع الآيات ما يؤكد نفس المعنى من الأحاديث النبوية .

— ٥ —

والفصل الرابع عن « الاخلاق الاسلامية »

وفيه ترد المؤلفة على من يزعمون أن الاخلاق الاسلامية خطرة على الفرد لأنها حافلة بروح الخضوع والاستسلام السلبي للقوة الالهية ، هذا الاستسلام الذي يوحي به اسم الاسلام نفسه .

وترد على هذا الاتهام بأن الاسلام لم يكن قط عقبة في سبيل الكمال الخلقي ليس هذا فحسب ، بل انه وفق قبل أي دين آخر الى تهذيب الناس والارتفاع بهم نحو الله ، وذلك من خلال دعوته الى اتباع مثل عليا غير بعيدة عن متناولهم أما الخضوع فانه خضوع التقوى الذي تحس فيه النفس بضعفها أمام القوة الكبرى فتتجه الى الله تستمد منه العون وتطلب الكمال .

وتأخذ المؤلفة من خلال سرد لحشد من آيات القرآن الكريم ، في بيان الاخلاق الحميدة التي يدعو اليها الاسلام مثل الشفقة على المخلوقات جميعا ، وحسن التفهم والصفح والبساطة واللياقة في العلاقات الاجتماعية ، وتقبل

النوازل ثم تؤكد مع ذلك ان الاسلام أعلن أن الاخاء والرحمة هما حجر الزاوية فى المجتمع الاسلامى ، وكان هذا نصرا كبيرا اذا قورن بما كان يحدث فى الايام الوثنية قبل الاسلام ، ثم تقف وقفة خاصة عند توجيه الاسلام للبر بالوالدين والى دفع السيئة بالحسنة ، والى انتهاج منهج العدل ، مشيرة الى بلوغ الاسلام الكمال فى هذه الجوانب الخلقية .

وتبين المؤلفة ان الاخلاق الاسلامية لا ينظر اليها باعتبارها أمرا دنيويا يؤدى الى سعادة المجتمع ، وانما هناك حافز من العقيدة يجعل الانسان يتمسك بأهداب الفضيلة الى جانب الحافز الدنيوى ، وحافز العقيدة هو أنه مامن عمل صالح فى الدنيا الا وله الجزاء الحسن فى الآخرة ، وأنه ما من عمل سيء الا وعليه المحاسبة يوم القيامة حيث يعاقب الآثمون .

وتوضح المؤلفة أن الأعمال الصالحة فى الاسلام ينظر اليها فى ميزان الحساب مقرونة بنياتها ، فالعمل الصالح لكى يكون مقبولا ينبغى انيكون بعيدا عن نية الرياء والتظاهر وأن يتوافر فيه الاخلاص النابع من تقوى القلوب وطهارتها .

وتعرض المؤلفة لما قد يبدو فى حياة الناس من تمتع الأشرار زينة الحياة الدنيا ، بينما الأبرار كثيرا ما تلم بهم النوازل ، وتذكر أن الاسلام قدم تفسيرا لهذه المشكلة التى ما تزال تحير العقل البشرى ، وتفسير الاسلام لذلك هو ان الله يملى للمتمردين والطغاة والظالمين ويمهلهم حتى موتهم فى بعض الأحيان ، ولكن ثوابه وعقابه آتيان لا ريب وكذلك فان الله قد يمتحن عبيده ليظهروا روح الصبر والتسليم زادين الأمر كله لله .

والدعوة الى الفضيلة فى الاسلام يصحبها مراعاة حاجات الطبيعة البشرية فالاسلام يدعو الى التمتع بالطيبات من الرزق الى جانب الدعوة الى الايمان والعمل الصالح ، وتستشهد على ذلك بقول الله تعالى « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » وقوله سبحانه « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

أما القيود التى فرضها الاسلام على أتباعه فى موضوع التمتع بالحياة فهى قليلة وتنم عن حكمة بالغة ، ومن ذلك تحريمه للخمر والميسر لكونهما سببا فى افساد الروح والثروة جميعا . وكذلك الأمر فى تحريم الربا حيث يضع حدا للمكاسب غير المشروعةوهكذا نجد الحكمة فى كل ما حرمه الله ، وهى حكمة تبغى الخير للانسان فى جميع جوانب حياته .

— ٦ —

أما الفصل الخامس فهو عن « **الحكم الاسلامى والحضارة** » وفيه تتحدث عن الشريعة

الاسلامية وكونها نظاما يشمل كل جوانب الحياة ، وليس أمرا مقصورا على الشعائر والعبادات فحسب ، ثم تشير الى مصادر التشريع الاسلامي من القرآن والسنة والقياس والاجماع ، مؤكدة قيمة الاجماع في مواجهة الظروف العارضة ، حين يضع لها من القوانين مالا يتعارض مع شريعة الله .

وفي مجال الأحكام التشريعية ترد على ما يثار حول اقرار الاسلام لتعدد الزوجات في النظام الأسري ، وتذكر أنه لم يقم حتى الآن دليل قاطع على أن التعدد هو بالضرورة شر اجتماعي وعقبة في طريق التقدم كما تذكر أن الاسلام لم ينشيء التعدد وانما نظمه حيث كان مطلقا من كل نظام قبل مجيئه ، وكذلك فانه أحاطه بقيود منها مراعاة العدل بين النساء وان كان العدل المطلق أمرا غير ميسور ، وتتخذ المؤلفة من ذلك دليلا على استحالة تنفيذ التعدد عمليا مع قيام الدليل على امكانيته ، لأن العدل المادي والمعنوي لا يمكن تحقيقهما في وقت واحد ، وقد فات المؤلفة أن العدل المعنوي بمعنى مراعاة التساوي في مشاعر المودة والحب أمر لا يكلف به من أقدم على التعدد اذ ان مشاعر القلب لا يملكها الانسان ، فالمطلوب اذن هو العدل المادي فحسب ، لأن هذا هو الممكن المستطاع . ليس من المعقول أن يقيم الاسلام تشريعا يبيح به شيئا وينظمه ، ثم يقيم العراقيل أمامه من طريق آخر ليصبح مستحيل التنفيذ والوجود .

وتقف المؤلفة بعد ذلك لترد على أولئك الذين يخدشون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حين يعرضون لتعدد الزوجات في حياته ، مبينة خلال ما ينتهون اليه من نتائج ، ومؤكدة أنه كان لكل زواج سبب اجتماعي أو سياسي ، وقد تم التعدد في السن التي تجاوزت مرحلة الشباب ، مما ينفي ما يظنه أعداء الاسلام نحو النبي — صلى الله عليه وسلم .

وتتعرض المؤلفة في مجال الأسرة لنظام الطلاق في الاسلام ، فتتحدث عن اباحته والأحوال التي يلجأ الانسان فيها اليه ، والحقوق المترتبة عليه ، وكيف وضع الاسلام الضمانات التي تحقق المصلحة للطرفين .

وتتناول بالتفسير والتعليل الحجاب والدعوة الى الاحتشام في الاسلام وكيف كان ذلك حماية للمرأة المسلمة من سوء الظن ومن الاغراء بسوء السلوك ومن شهوات الرجال . ولكن يؤخذ على المؤلفة تعليلها بأن ذلك مقبول في تلك البلاد التي لا ينعم فيها جميع السكان بالثقافة ، وأن الأحوال سوف تتغير اذا أتيح لها قدر من الثقافة والتعليم ، فلعلها تقصد بالتغير ما يتصل بالمشاركة في الحياة العامة على نحو لا يتنافى مع التستر والاحتشام .

ثم تتطرق الى ذكر الحقوق التي نالتها المرأة المسلمة في الاسلام ، وتشير الى تفوقها في هذا المجال كثيرا على المرأة الغربية التي لم تصل الى بعض حقوقها الا في عهد قريب .

وتتعرض المؤلفة لمشكلة الرق ، فتذكر أسبابها ، وموقف الاسلام منها ومثاليته في معاملة الرقيق ، ودعوته الى التحرير والعتق ، وربط ذلك في كثير من المواضع بأمور تعبدية ، كما تشير الى ما استحدثه الاسلام من المكاتبة التي تتيح للعبد أن يعمل ويكسب لتحرير

نفسه مقابل تعويض مادى ، مع الزام الدولة بتقديم عون لهؤلاء من مال الزكاة .

ثم تتقدم المؤلفة بعد ذلك فلسفة الاسلام فيما يتصل بقانون العقوبات فتتحدث عن الحدود ، وتبين كيف كانت فى حد ذاتها وسيلة للردع عن ارتكاب الجرائم قبل وقوعها ، بينما أحاطت اثبات وقوعها بشروط كثيرة تمنع التقول والادعاء ولصق التهم بالآخرين .

— ٧ —

وفى الفصلين الأخيرين السادس والسابع تتحدث المؤلفة عن « **معنى التصوف فى الاسلام** » وعن « **الاسلام وصلته بالعلم** » .

وفيما يختص بالأمر الأول فانها تشير الى نشوء التصوف فى الاسلام ، وكيف نشأ ثمرة لتطور داخلى طبيعى أو لمؤثرات خارجية ، ثم كيف شابته شوائب كثيرة تتنافى مع تعاليم الاسلام، الى أن جاء الامام الغزالى وكان عبقريا عظيما ومجددا ضخما ، فدعا الى حياة صوفية مبنية على مبادىء السنة القويمة ، وعلى التأسى بالمثل الصالح الذى ضربه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم تشير الى أن هذا الاتجاه لم يسلم من الدخلاء عليه ، مما شوه الصورة الحسنة للتصوف . وتؤكد المؤلفة أنه من الظلم أن يحكم غير المسلمين على روح الدين الاسلامى نفسها من خلال ما يرونه من مظاهر لا تتفق مع التعاليم الحقيقية للاسلام.

وفيما يتصل بالأمر الثانى ، فانها تذكر كيف احترم الاسلام العقل وكيف حث على التعلم ، وتنفى أن يكون الاسلام قد عاق نمو الثقافة فى القرون السالفة مع ما نعلمه من أن عواصم الاسلام كانت منارات ثقافة لأوربا الغارقة فى ظلمات القرون الوسطى ، وأن أفكار الفلاسفة العرب بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء الغربيين يقتفون آثارهم ، وتتابع المؤلفة بيان نشاط الحكام والعلماء المسلمين فى سبيل نشر العلم عبر العصور فى كل مجال من مجالاته .

وبعد أن تستعرض المؤلفة بعض العوائق التى جاءت عرضا فى طريق العلم ، تنهى كتابها مشيرة الى أنه لا سبيل أمام المسلمين الا أن يرجعوا الى كتابهم حتى يستعيدوا قوتهم السابقة وفى ذلك تقول بعبارة مخلصة بليغة »

« **فإلى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذى لا يبليه الزمان ، والذى لا يزال الى اليوم كعهده يوم أوحى الله به الى الرسول الأمى البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع — الى هذا المصدر الصافى دون غيره سوف يرجع المسلمون ، حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب ، وثمة بينات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلا** » .

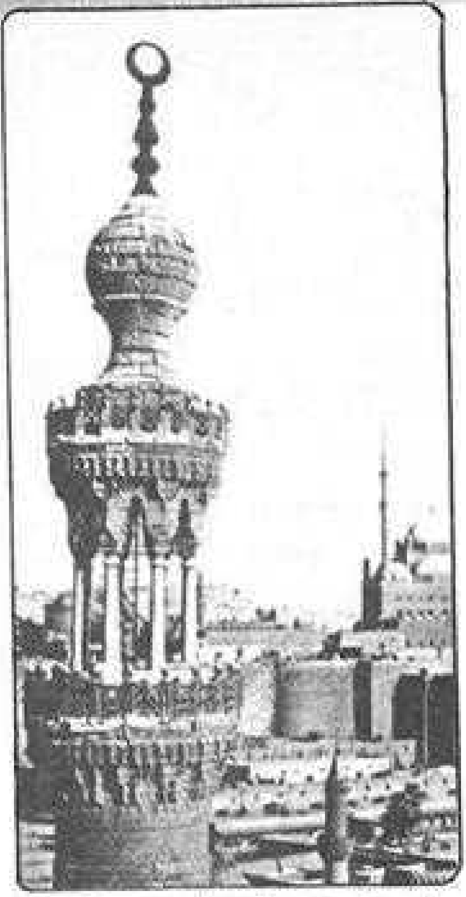
وبعد . فاننا نخرج من هذا الكتاب باحساس لا نخطئه ، هو أن لله تعالى جنودا يؤيد بهم هذا الدين ، ويسخرهم لنصرته والدفاع عنه بالوسائل التى يملكونها . ولقد كان هذا الكتاب بما أوضح من معالم الاسلام ،

وبما أقام من حجج وقدم من براهين ــ كان من هؤلاء الجنود الذين دافعوا عن الاسلام ، وأثروا بذلك فى الفكر الأوربى ، يؤكد ذلك ما ذكرته فى صدر هذا الحديث من تعدد ترجمات هذا الكتاب وتعدد طبعاته ، من خلال اعداده لينتشر بين الغربيين أساسا ، وليخاطب المناصرين للاسلام هناك والمناوئين على السواء .

ان عمق الوقوف على الحقائق الاسلامية من خلال القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، أمر واضح فى كل سطر من سطور الكتاب ، كما يبدو الزهو والاشادة بالاسلام فى حماس موضوعى متدفق رشيد ، وهو حماس تترجم عنه عبارة علمية بليغة تتوافر لها الجمال مع حسن الدلالة والبيان .

ان الجيل الناشىء أحوج ما يكون الى قراءة مثل هذا الكتاب ، ليس لكى يعرف عن طريقه شيئا عن تعاليم الاسلام ، ولكن لكى يقف على ما حواه الكتاب من ردود على شبهات متعمدة موجهة بها الاسلام بروح التعصب المقيت البغيض ، ولقد كانت المؤلفة موفقة كل التوفيق فيما ساقته من حجج وقدمته من أدلة دامغة فى يسر ووضوح ودون حشو وتعقيد .

ان روح الاعجاب بالاسلام التى بدأت تؤتى ثمارها بصورة أكبر منذ وقت قريب تفرض على المسلمين فى كل مكان ان يستيقظوا من سباتهم ويعودوا الى دينهم لتكون حياتهم العملية والمعنوية وفق هذا الدين ، حتى لا يكونوا جناة بأنفسهم على الاسلام بالصد



عنه ، حين يراهم غيرهم على منهج واقعى بعيد عن حقيقة دينهم .. ان على المسلمين أن يرعوا أمانة الاسلام فى حق أنفسهم وفى حق غيرهم ممن ترنو عيونهم وتهفو قلوبهم لكى يدخلوا فى دين الله دين الاسلام ولن ترعى الأمانة الا بالعودة الى تعاليم الدين عودة عملية شاملة ، وبغير ذلك تكون الخيانة لهذه المسئولية الملقاة على عاتقهم « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** » .

د. طه مصطفى ابو كريشة

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

الإسلام في ميزان العقل (١)

والاسلام دين ، هو عقيدة وشريعة عقيدة تعتقد وشريعة تنتهج ، والعقيدة يعتقدها المسلم بقلبه مدعمة بأدلتها العقلية حتى تأخذ شرعية فلسفية أو عقلية تحميها من التزلزل والشريعة ينتهجها المسلم سلوكيا ، وبادىء ذى بدء فانه لاعبرة بالدخول فى الاسلام ولا بالخروج منه على غير صفة الاقتناع والتفكير ، بمعنى أن من اكره على الايمان أو الكفر مثلا ، لاغيره بايمانه ولا بكفره .

ومما ينبغى الالتفات اليه أن الاكراه هنا ــ فيما أرى ــ ظاهرى أو نظرى ، وذلك لأن أمور التفكير والاعتقاد من الأمور المستورة التى لا يتأتى اكراه فيها وغاية الامر هنا أن يكره المرء على اظهار ما ينافى عقيدته أو تفكيره .

كذلك فانه مما ينبغى الالتفات اليه فى هذا الجانب أن العقيدة التى يبثها الاسلام لأهله لابد أن تكون متعقلة ومحروسة بأدلتها ، ولو اجمالا ومن هنا رأينا هذا الخلاف بين علماء الاصول فى اعتبار ايمان المقلد ايمانا صحيحا ، ومعنى هذا أن يكون القبول قبولا عقليا فلسفيا وليس قبولا تقليديا تبعيا ، وهنا يصبح الاسلام دينا وعقيدة متعقلا لا يصادمه العقل السليم ولا يتعارض مع مبادىء العقل الاولية وقضاياه اليقينية ، لا الموهومة أو المظنونة .

أصول الإسلام .. والعقل :

وأصول الاعتقاد فى الاسلام ــ والحمد لله ــ كلها متعقلة متقبلة لدى العقل السليم موزونة بميزانه الدقيق ، وقد لفت الاسلام العقل الى الطريق الأمثل ، لتحصيلها حتى لا يتعثر على غير هدى ، وتلك لازمة هامة من لوازم الاسلام الحنيف ، فى قضاياه وعقائده وشرائعه أيضا كما يأتى .

ومن هذه الأصول الاعتقاد بوجود الله

(١) سبق فى الجزء الاول من هذا المقال بعدد المحرم ١٤٠٤ هـ أن حدد الكاتب مراده من هذا العنوان بقوله ، نحن لا نريد من هذا التعبير جعل العقل ميزانا مطلقا ، وانما نريد : حظ الاسلام من السند العقلى أو القيمة الفكرية .. راجع المقال .. مجلة الأزهر .

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

تعالى . وصفاته والتصديق بنبوة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبعث وما يتبعه . وسوف يأتي أن الالهيات والغيبيات خارجة عن نطاق العقل في المفهوم الاسلامي الصحيح ولا يستطيع الوصول الى كنهها وهي مسألة سوف تأتي ان شاء الله . ولكن الاسلام هنا . في مجال الالهيات يأخذ بيد العقل الى الاستدلال على قضاياه وعقائده فتصبح محروسة بحراسته لها . موزونة بميزانه الدقيق .

فبالنسبة الى وجود الله تعالى . وهو أساس العقائد الاسلامية يقررها القرآن بناء على أسس عقلية لا يتأتى انكارها من عاقل لأنها من مبادىء العقل الأولية والقرآن حين يعرض هذا الموضوع نراه ينوع الأدلة بحيث تتناسب كل العقول وتتسع لها جميع الأفهام . فهناك ما يستند الى مبادىء عقلية بدهية يسلمها الجميع يذعن لها كل عاقل وهي كذلك لا تخلو من السند المعتمد على المشاهدة الضرورية . فهناك ما يمكن ان نسميه دليل الخلق . أو دليل الاختراع . وهو يعتمد على مبدأ العلية وهو مبدأ عقلي وذلك ان من الواضح أن كل مخلوق أو مخترع لابد له من خالق أو مخترع ولا يمكن أن يوجد بدون خالق أو مخترع . أي بدون أن يكون هناك سبب لوجوده لمنافاة ذلك للبداهة العقلية ومن ناحية أخرى يتقرر لدى العقل بنفس الدرجة أن الشيء لا يمكن أن يكون هو سبب في وجود نفسه . والا كان متقدما . على نفسه باعتباره علة ـ وسبق العلة على المعلول أمر بدهي .

وهو في نفس الوقت متأخر عن نفسه باعتباره معلولا فهو متقدم متأخر متقدم باعتباره علة ومتأخر باعتباره معلولا وهذه استحالة عقلية . واذا ثبت بهذا أن الشيء لا يوجد بدون علة ولا يكون علة وجود نفسه ثبت أن له خالقا غيره . موجود هو الله سبحانه وتعالى . الخالق غير المخلوق .

ولا يحسبن القارىء العزيز أن هذا مجرد كلام فلسفي جاف . عن العلة والمعلول بعيدا عن معطيات القرآن (١) .

لأن ذلك هو مفهوم الآية الكريمة . « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » . سورة الطور آية رقم ٣٥ .

وهذا هو دليل الخلق أو كما سماه ابن رشد تقريبا دليل الاختراع .

ومن الواضح أن هذا الدليل يناسب العقول الكبيرة التي تتسع لمفهوم العلة والمعلول . ترتيبهما والعلاقة بينهما وطبيعة هذه العلاقة .

ولكن هناك عقول أخرى كبيرة أيضا ولكن لا تتسع لمثل هذه المبادىء هناك العقول التي تجول في الطبيعة وتتريض بين ربوعها ومظاهرها ولهذه العقول طريقتها الاستدلالية على العقائد يعرضها الكتاب الكريم فيما يعرف بدليل التدبير والعناية .

وتتكون مادة هذا الدليل مما يظهر للعقل في

---

(١) لا يفهم من ذلك ان الله يفعل فعل العلة . بل هو فاعل بالاختيار المطلق .. ومن يقل بالطبع او بالعلة .. فذلك كفر عند اهل الملة .

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامي

الكون الواسع من مظاهر العناية والقصد ، والتدبير ، مما يمكن أن يراه الانسان بحواسه وعقله فى العالم من تناسق وتضامن وانسجام وتدبير محكم وعناية كبيرة بكل صغيرة وكبيرة وترابط محكم بين أجزاء العالم .

وهذا الدليل يعتبر من أوضح الأدلة على هذه القضية وأهمها ، وهو يختلف من انسان لآخر حسب ما وهبه الله من صفاء العقل وتوقد الذهن .

والقرآن الكريم يعرض مادة هذا الدليل فى اكثر من موضع ومن أمثلة ذلك ، آيات كثيرة ، « فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا » ، الخ وكذلك ، قوله تعالى ، « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » .

ويرى ابن رشد أن هذه الآية تجمع بين دليل الاختراع ودليل العناية .

راجع مناهج الأدلة لابن رشد .

ويرى بعض العلماء كذلك ، أن هذين النوعين من الادلة يتضمنان كل ما عداهما من أدلة على وجود الله ، فى القديم والحديث « التفكير الفلسفى فى الاسلام » .

ومن المهم أن ننبه هنا الى أن طبيعة الدلالة فى دليل العناية تفسح المجال أمام العقل فى البحث والاستنتاج على مدى الأزمان وكر الدهور .

ومن الانصاف أن نقول ، ان فلاسفة الاسلام الكبار مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد ، رغم اعجابهم بطرق الاستدلال ومناهج البحث الاجنبية « اليونانية » ، لم يحاولوا التحرر تماما من معطيات الاسلام فيما يتعلق بمنهجية الاستدلال على هذه القضية ، فتكلموا فى نوعى الأدلة السابقين وقد أشرنا الى محاولة ابن رشد وهى محاولة ناجحة قطعا .

ومن قبله أشار كل من الكندى والفارابى وابن سينا الى نمط الاستدلال الكونى على وجود الله ، مع سلوك المنهج الفلسفى أيضا .

« راجع فى ذلك التفكير الفلسفى فى الاسلام » .

وهذا فى حد ذاته يدلنا على مدى أثر التوجيهات الاسلامية سواء فيما يتعلق بقضية اعمال العقل أو بتوجيه الانظار الى كيفية الاستدلال .. فى نفوس هذه الفئة من فلاسفة الاسلام الكبار .

هذا عن وجود الله سبحانه وتعالى .

صـــفاته سبحانه :

وأما عن صفاته فمن أخصها صفة الوحدانية التى هى عماد الاسلام بل الأديان السماوية كلها فهى من أهم أصول العقيدة . وقد بلغ القرآن الغاية فى تقريرها عقليا ووجدانيا . وقد سبق لنا الاشارة بشيء من التفصيل للسند العقلى لهذه العقيدة فى حديثنا عن المستشرق الفـــرنسى (رينان) . ضمن مقالاتنا عن المستشرقين فمن شاء فليرجع اليه ولا نريد الاطالة بذكره هنا .

ولكن القرآن طرق باب العقل فى تقـــرير الوحدانية فى أكثر من آية من القرآن وأكثر من موضع غير ما ذكرنا . قال تعالى :

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ » . الروم آية رقم ٤٠ .

ويقول الله تعالى أيضا :

« مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ » . المؤمنون آية رقم ٩١ .

ويعجبنى فى ذلك أيضا قول الاستاذ الامام محمد عبده :

« والاسلام فى الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذه السبل انظر كيف يقرع بالدليل « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » . الانبياء ٢٢ .

« راجع الاسلام والنصرانية للاســـتاذ الامام محمد عبده » .

أما صفة العلم الالهى .. فيبلغ الاستدلال العقلى عليها مداه فى الاحكام مؤسسا على قضية الخلق التى ثبت بها بالعقل حين يقـــول القرآن الكريم : « الا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » وعن متعلقات العلم . يقول تعالى :

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » . الأنعـــام آية رقم ٥٩ والاستدلال على شمول علمه تعالى لهـــذه المتعلقات هو الاستدلال نفسه على ثبوت الصفة لله لأنه خلق جميعها فتقول . « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » . وهكذا الأمـــر فى الصفات كلها تقريبا .

اننا نقول هنا للمستشرقين جميعا . هكـــذا يبث الاسلام أمهات عقـــائده الى المســـلم عن طريق العقل المسترشد بهدى الخالق جل وعلا فهو يرسم له طريق الاستدلال ويطرحهـــا عليه مشفوعة بسندها العقلى المتين .

التصديق بالرسالة :

أما فيما يتعلق بالتصديق بالرسالة فطريقـــه المعجزة وهى أمر خارق للعادة وخارق العادة من شأنه أن يبعث العقل على التفكير والربط بين توقيت هذا الخرق المؤقت فى نامـــوس الكون وبين صدق الداعى المتحدى وتصديق المرســـل سبحانه وتعالى وهناك من قال من علماء الاسلام أن دلالة المعجزة على الصدق دلالة عقلية .

« راجع المقاصد لسعد الدين التفتازانى مبحث المعجزة » .

من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

والقرآن الكريم هو المعجزة العقلية الكبرى التي قدمها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين يدى دعواه متحديا بها فطاحل الفصاحة والبلاغة في عصره .

وهو دعوة الى اعمال العقل موجهـة الى المخالفين فهو حين يتحداهم بالعجـز عن الاتيان بمثله أو بأقصر سورة منه مثلا انما يعني ما يعبر عنه الشيخ الامام محمد عبده حين قال عنه « وهذا الخارق قد دعى الناس الى النظر فيه بعقولهم . وطولبوا بأن يأتوا في نظرهم على آخر ما تنتهى اليه قوتهم فـان وجدوا طريقا لابطال اعجازه أو كونه دليلا على المدعى، فعليهم أن يأتوا به» « وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ » . وقال القرآن غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم العقـل .

« الاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ٥٣ » .

وحقا فان القرآن يعتبر تحديا عقليا .

فان اللغة معبرة عن الفكر ومن هنا فانه في ضوء العلاقة بين الفكر واللغة يصبح التحدى بالاتيان بمثله مقتضيا لاعمال العقل واعتصار الفكر فالتعويل هنا على ما تعبر عنه اللغة . لا على مجرد اللغة والا فاللغة التى نزل بهـا القرآن تتركب من نفس الحروف التى تتكلم بها العرب وصاغوا بها بليغ الكلام ورائق الاشعار ومن هنا باءت كل محاولات معارضته بالفشل مما حكى عنهم من بعض السخافات فالعبرة ليست بالحروف ولا بمجرد نظم الألفاظ بل المسألة أعمق من ذلك وأدق .

البعث والمعـاد :

بقى بعد ذلك الغيبيات . أو السمعيات ومن أهمها البعث والمعاد .

والبعث والمعاد كقضية مسموعة لها سندها العقلى بادىء ذى بدء لمجرد أنها مسموعـة من الصادق الذى ثبت تبليغه عن الله عز وجل وهذا في حد ذاته يكفى العقل في التصديق .

ويسلك القرآن الكريم في هذه القضـية النمط العقـلى الصرف « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » (١) « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ » (٢) « وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » (٣) . فهـذا نوع من الاستدلال العقلى . قياس الاعادة على البدء قياسا عقليا صرفا .

وهناك نوع آخر من الاستدلال عماد مادته المشاهدة الحية . فالرياح يرسلها الله سبحانه وتعالى . فتثير السحاب . ثم يساق السحاب الى بلد ميت . فتحيا به أرضه الميتة . وهذه مشاهدات لاشك في وجودها .. كذلك النشور « وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ

(١) الاعراف ٢٩ .
(٢) الانبياء ١٠٤ .
(٣) الروم ٢٧ .

إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ». فاطر آية رقم ٢٠ .

ويقطع القرآن شك الشاكين واستبعاد المستبعدين لامكان حدوث هذا البعث أقول يقطع كل ذلك باليقين بعبارة سهلة يفهمها القاصي والداني :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » (٥ سورة الحج) . ثم يسوق دليلا آخر :

« وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ » . الحج ٧ استقصاء في الاستدلال ما بعده استقصاء .

وحقا لقد كان القرآن في ذلك رائدا أو مرشدا لبعض فلاسفة الاسلام في استخراج أدق الادلة على هذه العقيدة الاسلامية الاساسية من القرآن الكريم ولقد أخذ الكندي . مثلا من النسق القرآني الرائع في أواخر سورة (يس) جملة أدلة وليس دليلا واحدا « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » . (أواخر سورة يس) .

وهذا السياق القرآني في عرض القضية وتقريرها والاستدلال عليها يحتوي على أصول نظرية ونتائج لازمة لهذه الاصول . يمكن استخراجها على النحو التالي :

اولا :

وجود الشيء من جديد بعد كونه وتحلله السابقين ممكن « بدليل وجوده بالفعل مرة لا سيما أن جمع المتفرقة أسهل من ايجاده وابداعه من عدم وان كان لا يوجد بالنسبة الى الله شيء هو أسهل وشيء هو أصعب لأن قدرته مطلقة وهذا الدليل موجود في هذه الآيات في كلمات قليلة .

« قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » .

ثانيا :

ظهور الشيء من نقيضه كظهور النار من الشجر الاخضر ممكن وواقع تحت الحس . واذا كان الشيء يوجد من نقيضه فوجوده من نفسه أولى واذن يمكن أن تدب الحياة في الجسد الهامد المتحلل مرة أخرى وذلك قائم على الأساس الاكبر . وهو أن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق وهذا الدليل تتضمنه الآية الكريمة :

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامي

« الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ » .

ثالثا :

خلق الانسان أو احياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الاكبر بعد أن لم يكن وهذا هو مضمون آية .

« أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ » .

وهذا المعنى تعبر عنه آية أخرى من القرآن الكريم . « لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

سورة غافر آية ٥٧ .

فخلق العالم الأكبر دليل على امكان اعادة العالم الاصغر وهو الانسان .

رابعا :

الخلق بصفة خاصة والفعل بصفة عامة — مهما عظم المخلوق — لا يحتاج من جانب الله المبدع لا الى مادة ولا الى زمان وذلك بخلاف فعل البشر الذى لا يتم الا فى زمان ويحتاج بالاضافة الى ذلك الى مادة تكون موضوعا لهذا الفعل الانسانى .

وهذا هو ما تعطيه الآية الكريمة « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » .

وهذه الآية فى نظر الكندى تمثل اجابة عما فى قلوب الكفار من النكير بسبب ظنهم أن الفعل الالهى المتجلى فى خلق العالم الكبير يحتاج الى زمان يناسب عظمته قياسا منهم لفعل الله على فعل البشر . لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج الى مدة زمانية أطول فجاءت الآية حاسمة فى بيان شأن الفعل الالهى وأنه ابداع بالارادة والقدرة المطلقتين لا يحتاج الى مادة ولا الى امتداد زمانى .

هذه هى معطيات هذه الآيات فيما نحن بصدده من تقرير القرآن الكريم لعقيدة البعث والمعاد فيما يراه مفكر اسلامى كبير كالكندى . وهو من الفلاسفة الذين جالوا بعقولهم متفهمين هذا الكتاب الكريم .

يقول الكندى تعليقا على هذه الآيات الكريمة :

فأى بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع فى قول بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله جل وتعالى الى رسوله — صلى الله عليه وسلم — فيها من ايضاح ان العظام تحيا بعد أن تصير رميما وأن قدرته تخلق مثل السموات والأرض وأن الشىء يكون من نقيضه ، ثم يقول الكندى .

كلت عن ذلك الالسن المنطقية المتحايلة وقصرت عن مثله نهايات البشر وحجبت عنه العقول الجزئية .

« رسائل الكندى الفلسفة ، التفكير الفلسفى فى الاسلام » .

وهكذا فان القرآن الكريم ، الذى يتهم ظلما بمجافاة الفكر وعمل العقل ، لا يكتفى

بمجرد عرض عقائده عرضا مرسلا وانما يدعمها ويحرسها عن التشويش والطعن بل ويعلم المسلمين كيف يدافعون عن عقيدتهم من خلال نصوصهم . وكيف يستدلون عليها .

واذا ضفنا الى ذلك ما قدمناه فى أول هذه الدراسة من حثه على الفكر ، ودعوته الملحة الى اعمال النظر . اقول اذا تأملنا هذا وذاك ظهر لنا مدى التجنى فى دعاوى المستشرقين ضد الاسلام من هذه الزاوية .

حتى اننا نرى بعض العلماء وهم بصدد تحديد أول واجب على المكلف يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر . ويرى بعض آخر أنه القصد الى النظر ويراه بعض آخر فى المعرفة ويراه آخرون فى الشك لان الانسان ما لم يشك لم ينظر . وهكذا . نراها كلها ترجع الى النظر والمعرفة ــ والطريق الى كل عمل العقل .

يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد ص ٧ ، ٨ عن القرآن الكريم :

« وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا أو ما أوجب أن نعلم لكن لم يطلب التسليم لمجرد أنه جاء بحكايته ولكنه أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على أنظار العقول وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما ادعاه ودعى اليه » .

هذا هو الاسلام فى عقيدته راجح تمام الرجحان فى ميزان العقل يستوعبه العقل ويؤيد قضاياه وعقائده جملة وتفصيلا بأقوى الأدلة وأنصع البراهين .

والحق أن القرآن الكريم يقود العقل بكل مهارة الى الاستشاد الصحيح على العقيدة بجوانبها المتعددة . وهذه القيادة هامة جدا كما سنرى .

ويكفى أن نعلم مثلا . أن بحث عقيدة المعاد بحثا عقليا صرفا دون الاهتداء بتوجيهات الدين قد يؤدى لدى بعض العقول الى استحالته كلية . كما قال الكفار : « أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (١) !!

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٢) » !!

أو الى استحالة بصورة ما كما أدى النظر العقلى المحض لدى بعض الفلاسفة الى انكاره فى صورته الحسية . فاقتصروا على تقرير البعث بصورة روحانية محضة وهو افتراء على صريح القرآن وحقائقه .

وذلك بسبب انفراد العقل فى سلوك هذا الطريق .

د. محمود عبد المعطى بركات

---

(١) ق ٣ .

(٢) الواقعة ٤٧ ــ ٤٨ .

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

مع التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

المداراة والمداهنة

للشيخ محمد الخضر حسين

إعداد عاطف زهران

قال الشيخ ــ رحمه الله ــ :

خلق الناس للاجتماع لا للعزلة ، وللتعارف لا للتناكر ، وللتعاون لا لينفرد كل واحد بمرافق حياته .

وللانسان عوارض نفسية : كالحب والبغض ، والرضا والغضب ، والاستحسان والاستهجان ، فلو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشئون في كل وقت وعلى أى حال لاختل الاجتماع ، ولم يخلص التعارف ، وانقبضت الأيدى عن التعاون ، فكان من حكمة الله في خلقه أن هيأ الانسان لأدب يتحامى به ما يحدث تقاطعا أو يدعو الى تخاذل ، ذلك الأدب هو المداراة .

فالمداراة ترجع الى حسن اللقاء ولين الكلام وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب أو استنكار الا في أحوال يكون الاشعار به خيرا من كتمانه فمن المداراة أن يجمعك بالرجل يضمر لك العداوة مجلس ، فتقابله بوجه طلق ، وتقضيه حق التحية ، وترفق به في الخطاب

قال سحنون في وصيته لابنه محمد « وسلم على عدوك وداره فان رأس الايمان بالله مداراة الناس » .

وقال أحد الحكماء من بنى أسد :

وأمنحه مالى وودى ونصرتى
وإن كان محنى الضلوع على بغضى

ونقرأ في سيرة الأستاذ محمد بن يوسف السنوسى صاحب المؤلفات المعروفة في علم الكلام وغيره أنه « كان يفاتح من تكلم في عرضه بكلام طيب واعظام حتى يعتقد أنه صديقه » .

ونقرأ في سيرة القاضى يحيى بن أكثم أنه « كان يداعب خصمه وعدوه » .

قد تبلغ المداراة الى اطفاء العداوة وقلبها الى صداقة . قال محمد بن أبى الفضل الهاشمى : قلت لأبى : لم تجلس الى فلان وقد عرفت عداوته ؟ قال : أخبى نارا ، وأقدح ودا .

وقد يقصد المدارى الى علاج جرح العداوة ومنعه من أن يتسع ، قال عقال بن شبة : كنت

المداراة والمداهنة

رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل ، فحياه أبى والطفه ، فلما مضى قلت : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ قال : يابنى أفأوسع جرحى !

ومن المداراة أن يلاقيك ذو لسان أو قلم عرف بنهش الأعراض ولمز الأبرياء ، فتطلق له جبينك وتحييه فى حفاوة ، لعلك تحمى جانبك من قذفه، أو تجعل لدغاته خفيفة الوقع على عرضك .

نقرأ فى الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أخبرته « أنه استأذن على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل فقال : (ائذنوا له فبئس ابن العشيرة) أو (بئس أخو العشيرة) فلما دخل الان له الكلام » وفى رواية « فلما جلس تطلق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وجهه وانبسط اليه ، فقلت يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألنت له القول ! فقال : « أى عائشة ان شر الناس منزلة عند الله تركه » أو « ودعه الناس اتقاء فحشه »(١) .

فلقاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الرجل المعروف بالبذاءة ، من قبيل المداراة، لأنه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق ، أو رفق به فى الخطاب ، وقد سبق الى ذهن عائشة رضى الله عنها أن الذى بلغ ان يقال فيه (بئس ابن العشيرة) لا يستحق هذا اللقاء ، ويجب أن يكون نصيبه قسوة الخطاب أو عبوسة الجبين ، ولكن نظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبعد مدى ، وأناته أطول أمدا ، فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما فى أنفسهم فلا يظهر أثره الا فى مكان أو زمان يليق فيه اظهاره ، ويريد تعليمهم أدبا من آداب الاجتماع هو رفق الانسان بمن يقصد الى زيارته فى منزله ولو كان شره فى الناس فاشيا ، على أن اطلاق جبينك لمثل هذا الزائر لا يمنعك أن تشعره بطريق سائغ أنك غير راض عما يشيعه فى الناس من أذى ، ولايعوقك من أن تعالجه بالموعظة الحسنة الا أن يكون شيطانا ماردا .

ومن المداراة أن تلقى ذا يد تبطش فتمنحه جبينا طلقا ، وتتجنب فى حديثك ما لا يكون له أثر فى نفسه الا أنه يثير فيها القصد الى أذيتك ، وهذا محمل قول أبى الدرداء رضى الله عنه : « انا لنكشر فى وجوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم » وفى رواية « لتقليهم » ـ تبغضهم ـ والكشر : التبسم ، وفى هذا الأثر شاهد على أن التبسم فى وجه الظالم اتقاء بأسه ضرب من المداراة ، ولا يتعداها الى أن يكون مداهنة .

ومن المداراة أن يكون الرجل على حال تقتضى صرفه عن بغية أو عمل ، وتعرف أن فى الاعتذار له بهذا الحال ما يثير فى نفسه ألما ، فتعرض عن ذكر ما يؤلم ، وتذكر له وجها غيره مما هو واقع، حتى لا تجمع له بين الحرمان من بغيته وايلامه بما لا يحب أن يعتذر له به .

أصاب الكسائى وضح (برص) وهو مؤدب أبناء هرون الرشيد . فكره الرشيد ملازمته لأولاده ، فقال له : كبرت فى السن ، ولسنا نقطع راتبك ، وأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، فاختار لهم على بن الحسن المعروف بالأحمر ، ولا ريب أن اعتذار هرون الرشيد للكسائى بكبر السن أخف على نفسه من أن يقول له : أصبت بوضح ، ولسنا نقطع راتبك .

---

١ ـ صحيح الامام البخارى .

فالنفوس المطبوعة على المداراة نفوس أدركت أن الناس خلقوا ليكونوا في الائتلاف كجسد واحد ، وشأن الأعضاء السليمة أن تكون ملتئمة متماسكة على قدر ما فيها من حياة ، ولا تنكر عضوا ركب معها في جسد الا ان يصاب بعلة يعجز الأطباء أن يصفوا له بعد دواء .

فالمداراة يبتغى بها رضا الناس ، وتأليفهم في حدود ما ينبغي أن يكون ، فلا يحدك عنها قضاء بالقسط ، أو القاء النصحة في رفق ، فلم يخرج عن المداراة أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وقال له : « انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت » .

ترجع المداراة الى ذكاء الشخص نفسه ، فهو الذي يراعي في مقدارها وطريقتها ما ينبغي أن يكون وللأسباب المداوة مدخل في تفاوت مقادير المداراة واختلاف طرقها ، فاذا ساغ لك أن تبالغ في مداراة من ينحرف عنك لخطأ في ظن يظنه بك ، أو لعدم ارتياحه لنعمة يسوقها الله اليك ، فلمداراة من يحارب الحق والفضيلة ان صادفك واقتضى الحال مداراته ، حد قريب ومسحة من التلطف خفيفة ، وينبغي أن تكون مداراتك لمن ترجو منه العود الى الرشد ، وتأنس في نظرته شيئا من الطيب ، فوق مداراتك لمن شاب على عوج العقل ولؤم الخلق حتى انقطع أملك من أن يصير ذا عقل سليم أو خلق كريم ، ولك مع من فيه بقية من العقل ضرب من المداراة لا تسلكه مع من يعد مداراتك له أثر الخوف من سلاطة لسانه ، فيزداد فحشا، ليزداد الناس رهبة فيزيدوه خضوعا .

المداراة خصلة كريمة ، يحكمها الأذكياء ، ولا يتعدى حدودها الفضلاء ، أما المداهنة فهي اظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه ، وأصلها الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه .

تضم المداهنة تحت جناحيها الكذب ، واخلاف الوعد ، أما الكذب فلان المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه منه ، ومن الكذب من باب سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة .

وأما اخلاف الوعد فلان المداهن يقصد الى ارضاء صاحبه في الحال فلا يبالي أن يعده بشيء وهو عازم على أن لا يصدق في وعده ، وليس من الصعب على المداهن وقد مرد على الكذب أن يخلف الوعد ويختلق لاخلافه عذرا ، وهذا الاختلاق لا يرتكبه الراسخ في كرم الأخلاق ، وان كلفه الوفاء بالوعد أمرا جللا ، فالمداهن لا يتريث في أن يعد لأنه لا يتألم من أن يخلف ، ولا يصعب عليه أن يصور من غير الواقع عذرا ، والراسخ في الفضل لا يعد الا عند العزم على أن يصدق فيما وعد ، فان وقف أمامه عائق كشف لك عن وجهه الحق ، فاذا لم يساعده الحال على انجاز الوعد لم يفته الصدق فيما يلقيه اليك من عذر .

ومن المداهنة أن تثني على الرجل في وجهه فاذا انصرفت عنه أطلقت لسانك في ذمه .

قيل لابن عمر رضي الله عنه « انا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فاذا خرجنا قلنا غيره » فقال : « كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ » .

وقد قرر أهل العلم أن الرجل ان كان مستغنيا عن الدخول على من يضطره الحال الى الثناء عليه ، فدخل وأثنى بغير ما يعلم كان نفاقا ، أما ان اضطر الى الدخول على ذي قوة لا يخلص

المـداراة والمداهنـة

من بأسه الا أن يسمعه شيئا من الاطراء فهو فى سعة من أن يطريه بمقدار ما يخلص من بأسه ، ولا تلحقه هذه الحالة الشاذة بزمرة المداهنين .

انهزم جيش السلطان فرج بن برقوق أمام جيش الطاغية تيمور لنك ، ووقع طائفة من العلماء فى أسر الطاغية ، ومن هذه الطائفة الفيلسوف ابن خلدون ، فكان من هذا الفيلسوف أن تقدم الى تيمور لنك وقال له فيما حادثه به : « انى ألفت كتابا فى تاريخ العالم ، وحليته بذكرك ، وما أسفى الا على هذا الكتاب الذى أنفقت فيه عمرى ، وقد تركته بمصر . وأن عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى خدمتك ، وتحت ظل دولتك ، والآن أذهب فآتى بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت فى خدمتك » فأطلق سبيله فقدم مصر ولم يعد اليه .

ومن أسوأ ما يفعل المداهن أن يلاقى الرجلين بينهما عداوة فيظهر لكل واحد منهما الرضا عن معاداته لصاحبه ، ويوافقه على دعوى أنه المحق وصاحبه هو المبطل ، وفى مثل هذا ورد قوله — صلى الله عليه وسلم — :

« تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه »(١) .

وقال حكيم من بنى أسد :

ولست بذى وجهين فيمن عرفته
ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى

يتخذ الرجل وجهين متى كان يطمح الى ما فى أيدى الناس من متاع ، أو كان يطمع فى ارضاء طوائف على تباعد ما بينهم من نزعات ، وعلى شدة بينهم من اختلاف ، والعبور الى النفع على جسر من المداهنة يحرم من أعز متاع هو الصدق ، بعد أن يحرم من أطيب لذة هى ارتياح الضمير ، ومن كان حريصا على أن يكون صديق الطوائف المتباينة ، فان الطيب منهم يأبى أن يلوث صدره بصداقة من يتملق الخبيث .

فالنفوس التى تنحط الى المداهنة انحطاط الماء من صبب ، نفوس لم تشب فى مهد الأدب السنى ، ولم تهدها المدرسة الى الصراط السوى وما شاعت المداهنة فى جماعة الا تقلصت الكرامة من ديارهم ، وكانت الاستكانة شعارهم ، ومن ضاعت كرامتهم ، وداخلت الاستكانة نفوسهم ، حالت أيدى البغاة فى حقوقهم ، وكان الموت أقرب اليهم من حبال أوردتهم .

فمن واجب أساتذة التربية ودعاة الاصلاح أن يعنوا بجهاد هذا الخلق المشئوم حتى ينفوه من أرضنا ، وتكون أوطاننا ومدارسنا منابت نشء يميزون المداهنة من المداراة ، فيخاطبون الناس فى رقة أدب وشجاعة ، ويحترمون من لايلوث أسماعهم بالحق ، ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام لأن يحدثهم فى صراحة .

عاطف زهران

---

١ — صحيح الامام البخارى .

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

كتاب

جواهر المعاني في تفسير السبع المثاني (١)

للشيخ على المعروف بالشيرازي

للأستاذ / محمد عميره على ـ
مدير مكتبة الأزهر

مع المعرفة الاسلامية التقت تيارات العقل البشرى حاملة تراث المدنيات والحضارات اليونانية والفارسية والهندية ، ومرت باهلها اعاصير من جدل اهل الكتاب ، فكان كل ذلك حافزا للعلماء على ان يؤلفوا موسوعات فى التفسير تجمع بين دفتيها فنونا من المعرفة لم يكن لهم بها سابقة عهد .

ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب اكمل الأنبياء ، صلى الله عليه وسلم مشتملا على معارف عالية ومطالب سامية ، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال ، ما يكاد يحول بينه وبين الوصول اليها ـ سهل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا الا الفهم والتدبر فى كلامه ، لأنه نزله نورا وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التى لا يمكن العمل بها الا اذا فهمت حق الفهم ، واستوضحت مغازيها ، وكشفت أسرارها ومراميها ، من حيث هى دين الهى وهدى سماوى ، ترشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيوية والأخروية .

وقد اتجه كثير من المفسرين الى وجهات

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر برقم خاص ١٦٧ رقم عام ٢٩٢٩ فى علم التفسير .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

نظر في تفسيرهم ، فمنهم من وجه النظر الى البحث في أساليب الكتاب ومعانيه ، ومنهم من وجه النظر الى اعرابه وتوسع في بيان وجوهه ، ومنهم من وجه النظر الى القصص والأخبار عمن سلف ، ومنهم من وجه همه الى الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات ، ومنهم من عني بالكلام في أصول العقائد ومقارعة الزائغين ومحاجة المخالفين ، ومنهم من اتجه الى الوعظ والرقائق ممزوجة بحكايات المتصوفة والعباد ، ومنهم من سلك طريق التفسير بالاشارة الى دقائق لا تنكشف الا لأرباب السلوك .

● ولقد تعلم أن الاكثار في مقصد من هذه المقاصد قد يخل بالغرض الأصلي من تفسير الكتاب الكريم ، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية للناس في دنياهم وآخرتهم .

ونقدم للقارىء عالما من علماء المسلمين هو (١) الشيخ علي بن احمد بن محمد ، المعروف بالشيرازي ، من علماء القرن التاسع الهجري ، المولود في بغداد سنة ٧٨٨ هـ سنة ١٣٨٦ م ، وتوفي بمكة سنة ٨٦١ هـ سنة ١٤٥٧ م ، من تصانيفه : تفسير القرآن ، وشرح على الحاوي ، جواهر المعاني ، في تفسير السبع المثاني — وهو تفسير لسورة الفاتحة — وهو الكتاب الذي نقدمه اليوم .

قال عنه صاحب الضوء اللامع (٢) إنه اشتغل بالعلم في كبره وأخذ عن غير واحد وجال وصحب الرجال الى أن برع في الفقه وأصوله والنحو والمنطق وغيرها وصنف تفسيرا وشرحا على الحاوي وغير ذلك ، وتكلم على الناس في علم التوحيد بعبارة بليغة فصيحة دالة على غزارة مدده وتحققه بكلام القوم ، وأما في علوم الأوائل فكان لا يجاري فيها وكذا كان اليه المنتهى في علم الرمل ، وقد قطن مكة بعد الثلاثين فسكن الزاوية المعروفة بالجنيد بجبل قعيقعان ، وأخذ عنه غير واحد وصار له صيت ، لقيته بالينبوع في سنة ست وخمسين فسمعت من لفظه خطبة شرحه على الحاوي وشيئا من أول تفسيره وأشياء من تصانيفه ، وكان نير الشيبة فصيحا مفوها حسن الظاهر وسريرته في تصوفه الى الله .

قال المصنف رحمه الله بعد الديباجه أما بعد : فان الله تعالى مما تفضل به ولطف ، ومن بالمجاورة في مكة المشرفة على الوجه الأجمل الألطف ، قد يسر الله المرام ، لجميع الأنام ، بمكة بيت الله الحرام ، بما لم يتيسر لغيرهم فيما تقدم من الأعوام فلم تزل في الحضرة الشريفة آمنين ، أن يسر الله على العبد الفقير العاجز الحقير ، في أعوام المجاورة بالبيت العتيق ، الاشتغال بالعلم والعمل بمقتضى الهداية والتوفيق ، وسلوك طريق الدراية والتحقيق ، فتيسر من المرام ، تأليف كتب شريفة في أعوام .

وتيسر لي (تفسير الفاتحة) ، وسميته

---

(١) معجم المؤلفين ، جـ ٧ ص ٣٦ .
(٢) جـ ٥ ص ١٨٩ .

جواهر المعانى فى تفسير السبع المثانى

« جواهر المعانى ؛ فى تفسير السبع المثانى » ، ورتبت الكتاب على مقـــدمة وســبعة أبواب وخاتمة ، وأسأل الله المعونة بفضله وأن ينفع الطالب بفرعه وأصله .

ثم قال : المقدمة فى شرف العلم وأهله نقلا وعقلا وما يتعلق به .

الباب الأول ــ فى تعـريف العلم وماهيته وما يتعلق به .

الباب الثانى ــ فى تعدد العلم بتعدد عالمه ومعلومه وفيه فصلان .

الباب الثالث ــ فى علم التفسير وهو ثلاثة فصول .

الباب الرابع ــ فى فضائل القرآن وأهله وهو أربعة فصول .

الباب الخامس ــ فى أبحـاث خاصة تتعلق بالاستعاذة وهو خمسة فصول .

الباب السادس ــ فى أبحاث البسملة وهـو ستة فصول .

الباب السابع ــ فى تفسير سورة الفاتحـة وهو سبعة فصول .

الخاتمة ــ فى غوامض من علوم التوحيـد وأسراره ومالا يطلع عليه الا الخاصـــة من الراسخين فى العلم ولا يفهمه الا من له كمال الأهلية .

والخصوصية التى تفرد بها صاحب الكتاب ــ رحمه الله ــ أنه وفى تفسـيره لســورة الفاتحة من جميع جوانبهـــا ، فقد أورده فى الباب السابع فى سبعة فصول نذكرها فيما يلى :

الفصـــل الأول ــ تكلم فيه عن أسـماء الفاتحة وعدد آياتها ونسبتها مكية أو مدنيـة وما يتعلق بذلك ... الخ .

والفصل الثانى فى رسمها وقراءتها واختلاف القراء السبعة وغيرهم وما يتعلق بذلك .

الفصل الثالث : فى غريب لغاتها ومعـــانى ألفاظها وما يتعلق بها .

الفصل الرابع فى اعرابها وأبحاثها المتعلقة بذلك .

الفصل الخامس : فى لطائفها من المعانى والبيان والبديع .

الفصل السادس فى تفسيرها مما جاء فيهـا نقلا عن أئمة التفسير .

الفصل السابع فى مسائل متفرقة من كـل فن على ما تيسر .

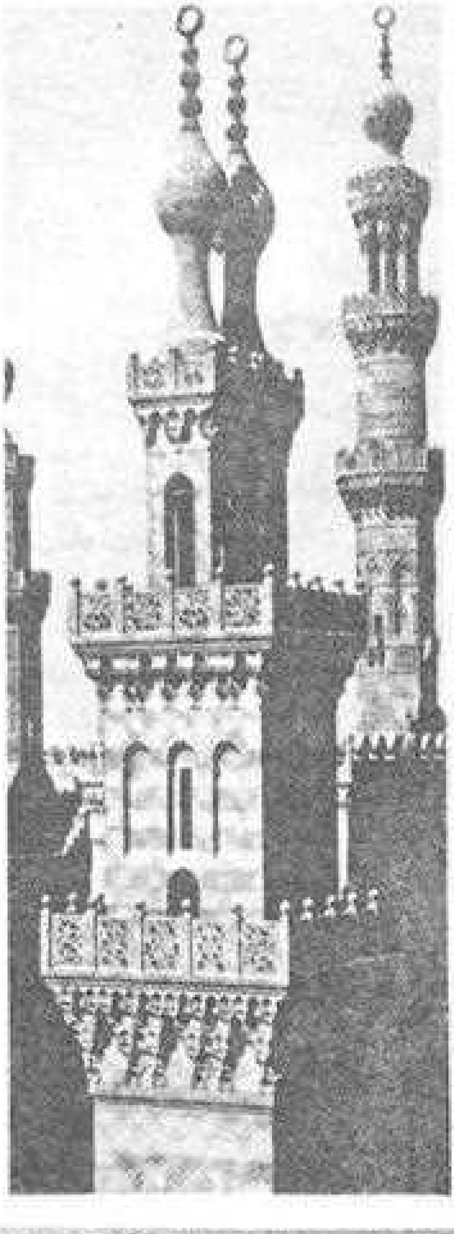
ونقدم للقارىء نموذجا فى تفسير الفاتحـة من الفصل السادس ــ الباب السابع .

قال ــ رحمه الله ــ بما جاء نقلا عن ائمه التفسير وما يتعلق بذلك . قال علماء التفسير: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) بمعنى الأمر وكذا كل ما ورد فى القرآن . والمعنى قولوا الحمـــد لله . وقوة القرينة المعينة لذلك فى قوله اياك نعبد فالمهم ذلك . قال البغوى اخبار على بابه يخبـر أن المستحق للحمــــد هو الله عز وجل ومجيئه

بالغيبة للتعظيم وفيه تعليم الثناء ، ولذلك وصفه برب العالمين . لأن التعليم من آثار هذا هذا الاسم الشريف وهو التلطف ليربيه بأنواع فضله ليهبه أهلية لمزيد الانعام والربوبية لا تكون الا بصفات الكمال ليكون منه الفيض والمدد . وكمال التربية بأنواع الفضل عموما وخصوصا ابتداء وانتهاء جملة وتفصيلا . وبالمالكية الحقيقية وهو كون الشيء له وحده من كل حيثية دائما لا مالك لشيء على الحقيقة سواه . لأنه الموجود من العدم فيوم كل شيء بحيث لا يمكن تصور شيء شيئا الا به فمنه المبتدأ واليه المنتهى . فالعبد الحامد والمأمور بالحمد لما هداه وبلائق حكمته وعظيم نعمته ركبه وسواه . ومما شاء من مقتضيات مظاهر أمره أو عصاه ان شاء بلطفه أسعده وأولاه . فشكر النعمة والحمد لله . وان شاء خصه بقهره ونعوذ بالله فأضله بالحرمان وأشقاه . وختم بمقتضيات ذلك اليه فقابله بما يليق مما قدره عليه وأراده في العقبا فجزاه . فبكريم رعايته وعظيم عنايته عرف من أهله من المستعدين كيف [illegible] فاص ويبتهل ويستعين ويتضرع سائلا طريق المه[illegible]ين ليصل الى ما يتنعم به مع المنعمين ، فلقده ما هو أولى له وأهم من السؤال ، وأى نعمة يختص به من النوال . وكيف يحترز مما يوقعه في الوبال فيستعيذ بالله من الجهلة والضلال وكيفية المناجاة دائما لكل أحد في كل حال . فان فهمت بلغت درجة الكمال ان تحريت دوامه في الأحوال والأقوال والأعمال (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) قيل مدح ذاته بذاته فالله الممدوح بصفات الكمال فحمدا ، ومفيض وممد ومتفضل بأفضاله فشكرا . فيجب الثناء والتعبد والامتثال . وان لم يفعل فقد كفر النعمة وكفر بالمنعم فليحذر الآخرة فانه مالك يوم الجزاء . ومالك ايجاد يوم الجزاء ، فلا نجاة من هول يوم المخاف الا بالاخلاص والاذعان والانقياد .. الى آخره .

وختم كتابه بقوله : اللهم انا بدأنا بما أمرتنا به (بسم الله الرحمن الرحيم) متوجهين اليك بتوفيقك نقصد برك وفضلك بقلب خاشع خاضع سليم . ونثني عليك بما أثنيت به على نفسك (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) نحمدك والحمد من آلائك ونشكرك والشكر من نعمائك فأنت الرحمن عميم الاحسان وأنت الرحيم خصيص الامتنان وأنت مالك يوم الدين الديان لا نخاف ، الا من عدلك ولا نطمع الا في فضلك . اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واياك نستعين في أن تسلكنا طريق المتقين ، اهدنا الصراط المستقيم الموصل الى دار النعيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم المطرودين ولا الضالين آمين أجب بفضلك أرحم الراحمين وبقدر من أنزلت عليه السبع المثاني والقرآن العظيم . الى قوله : هذا ما تيسر من تفسير فاتحة الكتاب على سبيل العجلة في أيام قلائل ابتداؤها عاشر شهر شعبان وانتهاء المبيضة بعد انتهاء المسودة

جواهر المعانى فى تفسير السبع المثانى



يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة أربعين وثمانمائة بحمد الله وذلك على يد كاتبه ومؤلفه الفقير الى الله تعالى على بن احمد بن محمد الشيرازى ختم له بالخير .

والكتاب نسخة فريدة فى مجلد بقلم نسخ قديم جيد (بخط المؤلف) باولها زخارف ذهبية ، ومربعات مذهبة فيها اسم الكتاب واسم المؤلف ، وفواصل الجمل فى الخطبة مذهبة كذلك فى ٣٦١ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا .

ومكتبة الأزهر لا تدخر وسعا فى تقديم ما ندر من مخطوطاتها العلمية الفياضة بما جادت به عقول علماء السلف الصالحين .

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره علي

طرائف

أصعب الأشياء

قال رجل : اصعب الاشياء ان ينال المرء ما لا يشتهيه .

فسمع كلامه بعض الحكماء ، فقال : اصعب من ذلك ان يشتهي ما لا يناله .

قال عمر ـ رضي الله عنه

ـ النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة تعين اهلها على العيش ولا تعين العيش على اهلها ، واخرى : وعاء للولد ، وثالثة : غل قمل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده .

السعادة

السعادة ثلاثة : أما في النفس فهي : الحكمة والعفة والشجاعة .

وأما في البدن فهي : الصحة والجمال والقوة .

وأما خارج النفس والبدن فهي : المال والجاه .

حقاً

قال الامام الشافعي :

اليس من الخسران ان لياليا
تمر بلا علم وتحسب من عمري
اذا مر بي يوم ولم استفد هدى
ولم اكتسب علما فما ذاك من عمري

الصالحون

قال الحسن البصري : ادركت اقواما وصحبت طوائف ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ، « او » ياسفون على شيء من الدنيا ادبر .

ولهي كانت في أعينهم اهون من التراب ، فاذا كان الليل فقيام على اقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

عظة

قال هشام لبعض نساك الشام : عظني . فقرأ الناسك ، « ويل للمطففين .. الآيات » ثم قال : هذا لمن طفف المكيال والميزان فما ظنك بمن أخذه كله .

فبكى هشام من كلامه !!.

أصدق الناس فراسة

العزيز في قوله لامرأته عن سيدنا يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا » .

والابنة التي قالت لأبيها عن سيدنا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » .

وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في الوصية بخلافة سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ .

دعاء

اللهم ان مغفرتك ارجى من عملي ، وان رحمتك اوسع من ذنبي ، اللهم ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فرحمتك اهل ان تبلغني لانها وسعت كل شيء يا ارحم الراحمين .

لغة وأدب ونقد

- كسب
اكتسب
- إذا المفاجأة
بين الحرفية والظرفية
- جولة مع شاعر أبوللو
مختار الوكيل
- من عيون التراث الصوفي
- ذبح اسماعيل بين الحقيقة والافتراء
- علم العدل الاقتصادى

كَسَبَ - اِكْتَسَبَ

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

إننا حين نتأمل الفعلين اللذين اخترناهما عنوانا لهذه الكلمة نجد أنهما متفقان فى المادة ، وهى (الكسب) وحروفهما الأصلية المشتركة ثلاثة (الكاف ، والسين ، والباء) .

غير أن (كسب) ثلاثى مجرد من باب (ضرب) المفتوح العين فى الماضى ، مكسورها فى المضارع فوزنه (فعل يفعل) ونظيره فى الوزن : صبر يصبر ، عدل يعدل ، رجع يرجع ، حجز يحجز ، عقد يعقد ، سبق يسبق ، صدف يصدف ، جلس يجلس ، ملك يملك ، حبس يحبس ، أسر يأسر ، وغيرها من النظائر كثير .

ويتعدى بنفسه الى مفعولين عند غالبية النحاة ، فيقولون : كسبت هشاما مالا ، وكسبك سعيد علما ، لكن ابن الأعرابى لا يعديه الى الثانى الا بالهمزة ، فيقول : أكسبك خالد مالا ، وأكسبت صاحبك جاها أما (اكتسب) فهو ثلاثى مزيد بحرفين (الهمزة والتاء) فوزنه (افتعل) ومن نظائره : اعتدل ، اقتدر ، ارتحل ، ابتسم ، افتخر ، استبق ، امتدح ، امتنع ، امتلك ، اكتمل ، وهو متعد بنفسه الى مفعول واحد نحو : اكتسب محمد ثروة طائلة ، واكتسب الظالم اثما عظيما .

وهذان الفعلان المتحدان مادة يتفقان معنى ودلالة حين يتناولان النواحى المادية وشئون الحياة المتصلة بتحصيل المعاش ، وابتغاء الرزق ، وطلب القوت ، وما اليها من امور العاجلة ، فيقال : كسب طارق مالا ، واكتسب مالا ناله وربحه ، وكسب عمرو صفقة ، واكتسبها ، حصل عليها وامتلكها وفاز بها ، ويقال أيضا : كسب لأهله ، سعى لرزقهم وطلب المعيشة لهم ، واكتسب كذلك .

وفى هذا الاطار السليم ، وعلى هذا النهج الواضح يأتى قول الله تعالى « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ** » الخ الآية (٢٦٧)

من سورة البقرة ، فان هذه الآية دعوة صريحة ملزمة وأمر الهى قاطع للمؤمنين أن يكون انفاقهم مما حصلوه من المال الطيب الحلال ، ومما وفقهم الله وهداهم السبيل الى اخراجه من الأرض من ثمار وزروع ومعادن لينالوا الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم وأن ينأوا بجانبهم عن الانفاق من الخبيث الدنس الذى لا يقبلونه الا على تساهل واغضاء لو بذل لهم فالله تعالى غنى عن انفاقهم مهما كثر ، وهو محمود فى السموات والأرض من خلقه جميعا :

كَسَبَ
اكتَسَبَ

انسهم وجنهم حيوانهم ونباتهم وجمادهم (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) ومن هذا الباب أيضا قوله سبحانه : (وَلاَتَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ) (٣٢) سورة النساء ، فالآية تقرر صراحة حق كل من الجنسين فيما يسرته ملكاته وقدراته ومكنته مواهبه واستعداداته من جمعه وتحصيله بسعيه وكده واجتهاده وحسن تصرفه وسعة حيلته من مطالب العيش ومتاع الدنيا وضرورات الحياة مع الابتعاد عن النظر والتطلع الى ماميز الله به كل جنس عن الآخر من مواهب وقدرات واستعداد نفسي وبدني وليرض كل بما قسم له ، وليسأل الله المزيد من انعامه وفضله ، فهو العليم بما يلائم كل جنس وما يؤهله لأداء وظيفته ورسالته في الحياة .

ومن ذلك القبيل أيضا قول أمير الشعراء — رحمه الله — :

أيها العمال افنوا الـ
عمر كدا واكتسابا
واعمروا الأرض فلولا
سعيكم اضحت خرابا

فهو يدعو عمال مصر ويناشدهم ويستثير حماسهم الى السعي الدائب والعمل الجاد المخلص لزيادة الانتاج وتحقيق الرخاء ، وازالة المكابدة والعناء ، وتهيئة حياة أفضل للوطن وبنيه ، ولايتأتى ذلك الا بوفرة المال ، وزيادة الثروة وارتفاع مستوى الدخل للفرد والأمة ، فالمال عصب الحياة ومصدر الرفعة والقوة والجاه الا أن (اكتسب) أبلغ وأقوى في الدلالة على كثرة الكسب وكبر حجمه واتساع دائرته من (كسب) لأنه يفيد المبالغة في السعي والاجتهاد في الطلب ، حسب ماتقرره وتشير اليه القاعدة المشهورة التي تقول : (زيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى) فمثلا : اقتدر ، أقوى في الدلالة على زيادة القدرة وفعاليتها وقوة أثرها من قدر ، وامتدح أقوى في الدلالة على كثرة المدح والمبالغة فيه من مدح ، والتبس أكبر دلالة على غموض الأمر وخفائه من البس ، واجتذب أقوى دلالة على شدة الجذب وقوته من جذب واقترب أدل على حدوث القرب وزيادته من قرب ، واصطرخ أدل على شدة الصراخ ورفع الصوت به من صرخ واصطبر أقوى دلالة على قوة الصبر والفه والتخلق به من صبر ، وارتحل أكبر في الدلالة على تعجل الرحيل وسرعته والحرص عليه من رحل ، وهكذا تصدق هذه القاعدة ويتأكد مضمونها في كافه الأبنية والأوزان ويتفق الفعلان كذلك معنى ومدلولا حين يدور الحديث حول الجوانب الانسانية ، والنواحي المعنوية ، والأمور الروحية والسلوكية المتصلة بالخير والشر ، والبر والاثم والاحسان والاساءة والرحمة والقسوة وما اليها من الأواصر والروابط الانسانية وشئون وأحوال الآجلة ، فانهما حينئذ تستعملان للدلالة على ارتكاب الأوزار والخطيئات ، واقتراف الآثام

والموبقات ، واتيان الشرور والمنكرات .

لكن (كسب) تنفرد وحدها بأنها — مع مشاركتها اكتسب في الدلالة السالفة تستعمل للدلالة على فعل الخير وصنع المعروف والاسراع في الخيرات ، وعمل الصالحات .

وان المتتبع للفظين في القرآن الكريم يلحظ بسهولة ويستبين له بوضوح أنهما يدوران ويبرزان تلك المفاهيم والمدلولات التي أشرنا حول تلك المعاني ، ويتحركان في هذا الاطار ، اليها وحاولنا كشفها وايضاحها فيما سلف .

واليك بعض الامثلة من آيات وأساليب القرآن التي ضمت اللفظين واشتملت عليهما ومن استعراض هذه الأمثلة وتأملها يتبين صحة ما قلنا وصواب ما قررناه في شأن المعاني التي يفيدها كلا اللفظين ، فقد ورد الفعلان مقترنين في آية واحدة من سورة البقرة ، ومن النظرة الأولى لسياق الآية وموقع الفعلين فيها يظهر معنى كل منهما واضحا جليا وفق ما قررنا وحسب ما حددنا فيما تقدم .

قال الله تعالى : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ »(٢٨٦) ، من سورة البقرة ، فان لها ماكسبت يعني : أن ما قدمت من فعل الخير ، وعمل البر ، وصنع المعروف ، ومبادرة الطاعات ، ومعونة المحتاج، ونحوذلك ، انما هو رصيد لها واضافه تسجل أعمالها الصالحة تنعم بـه وتتمتع بثماره في الدنيا والآخرة أما : وعليها ما اكتسبت ، فانه يفيد أن ما اقترفت من أوزار وآثام ، وما اجترحت من شرور وسيئات وما ارتكبت من جرائم ومخالفات هو حمل ثقيل ووزر عظيم يضاف الى ما أسلفت من طالح الأعمال وسيء الفعال تؤاخذ به وتحاسب عليه حسابا عسيرا يجلب لها الهلاك والعذاب الشديد ويجر عليها النكال والوبال وتكون عاقبة أمرها خسرا .

وهكذا ترى أن اكتسب تقتصر دلالتها على فعل الشر وارتكاب الاثم ، والوقوع في المحظور واتيان المنكر كما يستفاد من نص الآية « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ » (١١) سورة النور ، فالآية صريحة في النص على أن المكتسب هو الاثم ، كما تفيد المعنى نفسه هذه الآية الكريمة الآتية « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (٥٨) سورة الأحزاب ، فان معنى الآية هو ان الذين يلحقون الأذى ويسعون في الاساءة والضرر بالمؤمنين والمؤمنات بغير اثم اقترفوه أو جريرة ارتكبوها ، أو خطيئة وقعوا فيها ، فانهم يتحملون وزرا عظيما ، واثما كبيرا ينالون عليه أشد العذاب وأقسى العقاب يوم القيامة يوم لاينفع مال ولابنون .

وتأمل معنى هذه الآيات الكريمة : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١٣٤ ، ١٤١) البقرة .

« أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (٢٠٢) البقرة ، « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ

كَسَبَ .. اكتسب

آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا » (١٥٨) الانعام .

« مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ » (١٨) ابراهيم ثم أن الفعل (كسب) فيها جاء دالا على فعل الخير وعمل الصالحات واتباع الطريق المستقيم الذى ينال به المرء الأجر الكبير والثواب العظيم ، والجزاء الأوفى متى كان مبنيا على أساس ثابت متين من الايمان الراسخ العميق ثم انظر تلك الآيات :

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ » (٢٨١) البقرة .

« فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ » (٢٥) آل عمران

« أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » (٣٣) الرعد .

« وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ »

« لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (٥١) ابراهيم .

« الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ » (١٧) غافر .

« قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٤) الجاثية .

« كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ » (٢١) الطور .

« كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » (٣٨) المدثر .

يبين لك ويظهر جليا أن الفعل (كسب) هنا واضح الدلالة على أن كل عمل يعمله الانسان ، وكل سعى يسعاه وكل أمر يأتيه فانه سوف يحاسب عليه ويسأل عنه ويجزاه الجزاء الأوفى ، خيرا كان أو شرا ، برا أو اثما ثوابا أو عقابا .

وتدبر – رعاك الله – هذه الآيات البينات :

« بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (٨١) البقرة .

« وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (١١١ ، ١١٢) سورة النساء .

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ »(٣٨) المائدة .

« وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ » (١٢٠) الأنعام .

« وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٢٩) الأنعام .

« وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » (٣٩) الأعراف .

« فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ٨٢ التوبة

« وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ » ٢٧ يونس .

« ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » ٥٢ يونس .

« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ » (٤١) الروم .

« وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ » (٥٨) الكهف .

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ » (٤٥) سورة فاطر .

« أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » (٢٤) الزمر .

« فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاَءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا ، وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ » (٥١) الزمر .

« وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(١٧) سورة فصلت .

« تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ » (٢٢) سورة الشورى

« وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » (٣٠) الشورى .

« كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّاكَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٤) سورة المطففين .

اذا أنعمت النظر وفكرت مليا فى الآيات السالفة يظهر لك جليا وتدرك ادراكا تاما أن الفعل (كسب) واضح المعنى صريح الدلالة على ارتكاب الأوزار والمنكرات ، واقتراف الآثام والخطيئات ، واجتراح السيئات الذى يجر على أهله الهلاك والنكال والوبال ، ويقود ــ والعياذ بالله ــ الى وخيم العاقبة وسوء المصير .

كَسَبَ
اكتَسَبَ

واستنادا الى كل ما تقدم واسترشادا به يمكننا أن نقــول بكل الثقــة ، ودون تردد أو حرج : ان من الخطأ الشائع ما يقال ويتردد كثيرا على ألسنة العامة والخاصة : ان فــلانا اكتسب خبرة في عمله فان الخبـرة تقــدم وارتقاء ، واجادة للعمل واتقان له ، وتطــور الى الأفضل والأحسن ، وهذه كلها محاســن وفضائل ومآثر جليلة تكسب ، ولا تكتسب ، انما الذي يكتسب هــو الجهــل والاهمــال والتخلف ، وسوء المنتج ورداءته ، والتقهقر الى الوراء وغيرها من المثــالب والنقــائص والمساوىء التي تتنافى وكسب الخبــرة ومن هذا القبيل (١) أيضا قول الشاعر القــديم :

كن ابن من شــئت واكتسب ادبــا
يغنيــك محمــوده عــن النســب

ذلك أن الأدب محمدة ومنقبــة ، ورفعــة مكانة ، وصيت ذائع ، وسمعة مدوية ، ينــزل أصحابه منازل العليــة والسراة ويضــعهم موضع الاجلال ، ويبــوئهم مكان الصــدارة ، وهذه كلها مناقب عظيمة ، وصفات عالية رفيعة تنال بالكسب لا بالاكتساب .

ومما يسترعى الانتباه ، وتجدر الاشــارة اليه ويستحق التنويه به أن هذه المادة لم ترد في القرآن الكريم الا بصيغة الفعل : ماضــيا فقط في (اكتسب) وماضيا ومضــارعا في (كسب) فلم يرد منهــا أمر ولا مصــدر — ولا اسم أو مفعول ، ولا مبالغة أو تفضيل ، ولا زمان أومكان ، ولا أي نوع من المشتقات ، وانما اقتصرت على الفعل الماضي والمضارع ، وليس لهذا سبب معلوم ولا علــة ظــاهرة . هذا : وأرجو ممن رأى زللا أو قصــورا أن يغفره فالكمال لله وحده ، أو وجد كبــوة أو هفوة أن يتغاضى عنهــا فلســنا مبرئين من الهفوات ، ولا معصــومين من الأخطــاء والعثرات ، فان العصمة للانبياء والمرســلين والملائكة المقربين ، ومــا أردت الا الخيــر ، ولا قصدت الا الافادة والنفع ، ونية المــرء خير من عمله ، وانما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .

والله تعالى من وراء القصــد ، ومنه الفضل والمنة والعون ، وبه التوفيــق والسداد والهدى لسبيل الرشــاد ، « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » صــدق الله العظيم ..

احمد حسن عبد العواض هلالي

(١) القبيل الخارج على هذا الأصل .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

إعداد الدكتور ابراهيم حسن ابراهيم

ذكر النحاة أن (اذا) تستعمل في اللغة العربية على وجهين :

احدهما : أن تكون للمفاجأة ، كقوله تعالى (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) (١) .

والآخر : أن تكون لغير المفاجأة ، وهى التى تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط غالبا ، كقوله عز وجل « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » (٢) .

وموضوع هذا البحث الوجه الأول من وجهى (اذا) ، وهو (اذا) المفاجأة .

والمفاجأة : مصدر « فاجأه يفاجئه مفاجأة وفجاء ، أى هجم عليه من غير أن يشعر به ، وقيل : اذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب » (٣) .

فالمفاجأة في اللغة : الهجوم والبغتة .

اما في اصطلاح النحاة : فقد قال سيبويه مبينا المراد باذا المفاجأة : « وتكون للشىء توافقه في حال أنت فيها » (٤) ، أى أن المراد بها الدلالة على أن ما بعدها حاصل في حال حصول ما قبلها .

وقال بعضهم : المراد بها الدلالة على أن ما بعدها حصل بعد وجود ما قبلها على سبيل المفاجأة (٥) .

الفرق بينها وبين اذا الظرفية الشرطية :

الفرق بينهما من وجوه ، اهمها :

١ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة تختص

(١) سورة الاعراف ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١١

(٣) لسان العرب (فجأ) المجلد الثانى ص ١٠٥٢ ط بيروت .

(٤) الكتاب ٢/٣١٦ ط بولاق . وانظر البرهان للزركشى ٤/١٩٤ ت محمد ابو الفضل

(٥) حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ١/١٢٧ ط بولاق .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

بالدخول على الجملة الفعلية (١) ، و (اذا) المفاجأة تختص بالدخول على الجملة الاسمية دون الفعلية قيل : مطلقا ، أى سواء اقترنت الجملة الفعلية بقد أم لا ، وهذا مذهب الجمهور ، وقيل : يجوز دخولها على الجملة الفعلية — أيضا — مطلقا ، اقترنت الفعلية بقد أو لا ، وهذا مذهب الكسائى ، وذهب الأخفش وابن عصفور الى جواز دخولها على الجملة الفعلية المقترنة بقد دون المجردة منها ، وقد وجه ابن هشام هذا الرأى بأن (اذا) المفاجأة التزم دخولها على الجملة الاسمية للفرق بينها وبين الشرطية المختصة بالفعلية ، فاذا اقترنت الجملة الفعلية بقد حصل الفرق بذلك ، اذ لا تقترن الشرطية بها (٢) .

والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ، لعدم السماع بما أجازه غيرهم .

٢ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة لابدلها من جواب اذا تضمنت معنى الشرط ، وهذا هو الغالب فيها ، فان تمحضت للظرفية لم تحتج الى جواب ، كقوله تعالى « **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** » (٣) فاذا فى الآية الكريمة ظرف لخبر المبتدأ بعدها ، ولو كانت شرطية لاقترنت جملة « **هُمْ يَغْفِرُونَ** » بالفاء وجوبا ، (٤) وكذا لا تحتاج الى جواب أن خرجت عن الظرفية فاستعملت اسما غير ظرف ، لأنها حينئذ لا تضمن معنى الشرط ، كقوله عز وجل « **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا** » ، (٥) فاذا فى الآية الكريمة عند الأخفش اسم مجرور بحتى ، والتقدير : سيقوا الى وقت مجيئهم اياها ، فهى زمان مجرور لا ظرفية ولا شرطية (٦) .

أما (اذا) المفاجأة فهى لا تحتاج الى جواب ، لعدم تضمنها معنى الشرط فى أى حال .

٣ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة — وهى الظرفية الشرطية — لها الصدارة كسائر أدوات الشرط ، و (اذا) المفاجأة لا تقع فى صدر الكلام ، لأن الغرض من الاتيان بها — كما قال الدماميني — الدلالة على أن مابعدها حصل بعد وجود ما قبلها على سبيل المفاجأة فلابد لحصول هذا الغرض من تقدم شىء عليها ، فلزم أن لا تقع فى الابتداء (٧) .

٤ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة للاستقبال (٨) ، و (اذا) المفاجأة للحال . قال سيبويه : « وتكون للشىء توافقه فى حال أنت فيها » (٩) ، ومعنى كونها للحال الدلالة على أن ما بعدها حاصل فى حال حصول ماقبلها وان كانا ماضيين نحو قولك : خرجت أمس فاذا

---

(١) انظر مغنى اللبيب ٩٣/١ ت محيى الدين ، والأشمونى ٢٠٩/٢ ط الحلبى .

(٢) مغنى اللبيب ١٧٥/١ .

(٣) سورة الشورى ٣٧

(٤) انظر مغنى اللبيب ١٠٠/١

(٥) سورة الزمر ٧١ ، ٧٣

(٦) (اذا) التى لغير المفاجأة لا تفارقها الظرفية عند الجمهور ، ولاتخرج عن الشرطية الا قليلا .

(٧) تحفة الغريب للدماميني ١٤٤/١ ، وانظر الدسوقى ١٢٧/١ .

(٨) قد تجىء للماضى كقوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) ، وللحال بعد القسم كقوله عز وجل (والليل اذا يغشى) .

(٩) الكتاب ٣١١/٢ .

زيد بالباب أي : ففاجأ خروجي وجود زيد بالباب .

وقال الفراء (١) : وقد يتراخى ، كقوله تعالى (ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) (٢) .

نوع (اذا) المفاجأة :

اختلف النحويون في نوعها على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها حرف ، وهو مذهب الأخفش ، ونسب الى الكوفيين (٣) ، واختاره ابن مالك .

الثاني : أنها ظرف مكان ، وهو مذهب المبرد ، والفارسي ، وابن جني ، ونسب الى سيبويه ، واختاره ابن عصفور .

الثالث : أنها ظرف زمان ، وهو مذهب الزجاج ، والرماني ، والرياشي ، ونسب الى المبرد . قيل : وهو ظاهر كلام سيبويه ، واختاره الزمخشري وابنا طاهر وخروف .

والرأي الأول هو أرجح هذه الآراء ، لسلامته من النقض الذي وجه الى غيره ، ومن أهم ما ضعف به قول القائلين بكونها ظرفا للزمان أو المكان أمور أربعة .

١ ـ قولهم : « خرجت فاذا ان زيدا بالباب » ، وقول الشاعر :

وكنت أرى زيدا كما قيل سيدا
اذا انه عبد القفا واللهازم (٤)

رواه سيبويه بكسر همزة « انه » وقال : « وسمعت رجلا من العرب ينشد هذا البيت كما أخبرك به » وأنشد البيت .

فلو كانت (اذا) المفاجأة غير حرف لكانت ظرف زمان أو مكان ، فتحتاج حينئذ الى عامل ، وليس ما قبل الفاء قطعا في المثال ، لأن ما قبلها لا يعمل فيما بعدها ، فلم يبق الا ما بعدها وهو خبر (ان) في المثال والبيت ، ولا يصح عمل هذا الخبر في (اذا) ، لأن خبر (ان) لا يعمل فيما قبلها . وقد يقال : ان العامل ـ هنا ـ مقدر من مادة المفاجأة وحينئذ فلم يتم هذا الترجيح فالجواب أن تقدير العامل تكلف لاداعي اليه لاستقامة المعنى على الحرفية (٥) .

قال المرادي في الجنى الداني : « هذا من أحسن أدلة القائلين بحرفيتها » (٦) .

٢ ـ وقوعها موقع الحرف ، فهي تقع رابطا لجواب الشرط خلفا للفاء ، نحو قوله تعالى « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٧) ، كما تقع مؤكدة للفاء كقوله عز وجل « حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم

---

(١) الجنى الداني ص ٣٦٤ ت طه محسن ط بغداد .

(٢) سورة الروم ٢٠ .

(٣) انظر البحر المحيط بيروت ١/ ٦٠ ، ٣٥٧/٤ ، ٢٥٩/٦ . والجنى الداني ص ٣٦٦ .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ، لم يعلم قائله، وهو من الطويل ، وقد استشهد به سيبويه في الكتاب ٤٧٢/١على وقوع (ان)بعد اذا الفجائية، واللهازم : جمع لهزمة بكسر الاول والثالث،ولكل انسان لهزمتان ، وهما عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين . ومعنى قوله « عبد القفا واللهازم»: اذا نظرت الى قفاه ولهزمتيه تبينت عبوديته ولؤمه ، لان القفا موضع الصفع واللهزمة موضع اللكز .

وانظر في البيت المقتضب ٣٥٠/٢ ت عضيمة وابن يعيش ٩٧/٤ ، ٦١/٨ بيروت ، الخصائص ٢٩٩/٢ ط بيروت ، والاشموني ٢٧٦/١ ، والتصريح ٢١٨/١ ط الحلبي .

(٥) انظر حاشية الدسوقي ١٢٧/١

(٦) ص ٣٦٨

(٧) سورة الروم ٣٦ .

إذا المفاجأة
بين الحرفية والظرفية

مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » (١) .

٣ ـ لو كانت ظرفا ما كان لها موجب للبناء كما كان لها في غير المفاجأة ، وهو اضافتها لزوما الى الجملة (٢) . ذلك أن القائلين بظرفيتها لا يحتمون وقوع الجملة بعدها ، فاذا وقع بعدها مفرد صح عندهم جعلها خبرا مقدما والمفرد بعدها مبتدأ مؤخرا ، وصح تقدير خبر لهذا المفرد ، فافتقارها الى الجملة عندهم ليس افتقارا متأصلا يستوجب البناء كحالها في غير المفاجأة ، اللهم الا أن يقال ان بناءها انما هو بالحمل على (اذا) التي لغير المفاجأة .

٤ ـ لزوم عدم الاطراد الا بتكلف على وجهي الظرفية ، فعلى القول بأنها ظرف مكان لا يصح المعنى الا بتكلف في نحو قولهم : خرجت فاذا الأسد بالباب ، اذ التقدير : فبالمكان الأسد بالباب !! قال الرضي : « لا معنى لقولك : فبالمكان السبع بالباب في تأويل قولهم : خرجت فاذا السبع بالباب » (٣) ، ومثل ذلك يقال لو قيل ان التقدير : فبالحضرة السبع بالباب ، بل حكم بعض النحاة على فساد هذا التقدير قال المالقي : « أما جعلها ظرفا بمعنى (بالحضرة) ففاسد ، لأنها كان يجوز تقديمها على الاسم وتأخيرها بعده ، كما يجوز تقديم (بالحضرة) وتأخيره ، ولزوم تقديم (اذا) في كل كلام تكون فيه للمفاجأة دليل على الفساد » (٤) . أي لو جعلت ظرفا مرادفا لقولك بالحضرة أو بالمكان لجاز تقديمها على الاسم المرفوع [illegible] أخبر عنه كما هو بمعناه ، فلما امتنع لا تصلح لمثل [illegible] التقدير .

وعلى القول بأنها ظرف زمان لا يصح [illegible] كونها خبرا في نحو : خرجت فاذا الأسد ، ذلك أن الزمان لايكون خبرا عن الجثة اي الذات ، وحينئذ لابد من تكلف تقدير مضاف الى الذات يكون اسم معنى ، أي فاذا حضور الأسد ، ليقع الزمان خبرا عن الحضور وهو معنى .

وقد اجاب بعض من يرى أنها ظرف عن بعض ماوجه الى هذا الرأي من نقض أو نقد فكانت الاجابة كفاء الرأي من ضعف وهزال ، وتكلف واضطراب .

ومن ذلك ـ مثلا ـ قولهم : ان في الكلام حذفا في نحو : خرجت فاذا ان زيدا منطلق ـ بكسر همزة ان ، فالتقدير : خرجت فاذا انطلاق زيد انه منطلق ، فتكون (اذا) خبرا لمبتدا محذوف ، والعامل فيها الكون المقدر ، والجملة المبدوءة بان دليل على المحذوف (٥) وما أظن تكلفا في التأويل فاق هذا التكلف ، وكان الأيسر (٦) . أن يقال : ان العامل محذوف مقدر من مادة المفاجأة ـ كما تقدم ـ فتكلف اضمار العامل خير من تكلف اضمار

---

(١) سورة الانبياء ٩٦ ، ٩٧ .
(٢) انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ص ٦٢ ت احمد الخراط .
(٣) شرح الكافية ١/١٠٣ ط بيروت

(٤) رصف المباني ٦٢
(٥) الجنى الداني ٢٦٨
(٦) مع تسليمنا بضعفه كما سيأتي .

المبتدإ على النحو المذكور في التقدير السابق ، ففيه التزام حذف المبتدإ في غير المواضع التي نص فيها على التزام هذا الحذف ، كما أنه يفضي الى غير المقصود بجعله الكلام بعد الفاء جملتين ، أولاهما : فاذا انطلاق زيد ، وثانيتهما استئناف لتأكيد الاولى : ان زيدا منطلق ، وما أظن هذا المعنى مقصود المتكلم بهذا الأسلوب .

ومن ذلك – أيضا – رد الدماميني على اعتراض الرضى على مذهب المبرد بقوله : « وماذكره (أى المبرد) لا يطرد في جميع مواضع اذا المفاجأة ، اذ لا معنى لقولك : فبالمكان السبع بالباب في تأويل : خرجت فاذا السبع بالباب » . أجاب الدماميني مدافعا عن مذهب المبرد : « وفيه نظر ، لامكان كون « بالباب » بدلا من « المكان » ، لكن فيه الفصل بالمبتدإ بين البدل والمبدل منه ، ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف »(١) .

وهكذا يقع الدماميني – في رده – فيما فر منه كما يقولون ، ففي التكلف الذى فر منه وقع قاما لزوم للفصل بالمبتدا بين البدل والمبدل منه ، وهذا الفصل مظنة القطع لا الاتباع كما هو معلوم ، واما التزام حذف المبتدإ في غير ما نص عليه في مواضع هذا الحذف مع جعل ما بعد الفاء جملتين وفيه مافيه كما سبق .

ناصب (إذا) عند القائلين بظرفيتها ..

اذا وقع بعدها مفرد نحو : دخلت البيت فاذا زيد ، صح جعلها خبرا عنه مقدما – كما سبق – وعاملها – حينئذ – الاستقرار المحذوف (٢) .

فاذا وقع بعدها جملة – ولاتكون الا اسمية على الصحيح كما تقدم – نحو : دخلت البيت فاذا زيد جالس ، كانت (اذا) منصوبة بالخبر المذكور ، أى فبالحضرة زيد جالس ، أو ففى الوقت زيد جالس ، ويجوز أن تقول : دخلت فإذا زيد جالسا ، فتجعل الخبر محذوفا – وهو الناصب لإذا – و «جالسا» حالا من الضمير المستكن في الخبر ، والتقدير : فاذا زيد حاضر في حال كونه جالسا ، كما يجوز لك في نحو : دخلت فاذا زيد ، أن تقدر الخبر محذوفا وتجعله الناصب لإذا .

ومجمل ماتقدم أنه ان وقع بعدها مفرد ولم يقدر الخبر محذوفا كانت هى الخبر ، وعاملها الاستقرار المحذوف ، واذا وقع بعدها جملة صرح فيها بالخبر أو قدر ، كان الخبر المذكور أو المقدر عامل النصب فيها .

قال ابن هشام في مغنى اللبيب ١/٨٧ : « لم يقع الخبر معها في التنزيل الا مصرحا به ، نحو (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) (٣) (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ) (٤) ، (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) (٥) ، (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) (٦) ، (فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) (٧) » .

وصرح الزمخشرى في مواضع من الكشاف بأن عاملها فعل مقدر من لفظ المفاجأة ، فقال في

---

(١) تحفة الغريب ١/١٤٥ .

(٢) انظر بن يعيش ٨/٦٢ ، ومغنى اللبيب ١/٨٧ .
(٣) سورة طه ٢٠ .
(٤) سورة الانبياء ٩٧ .
(٥) سورة يس ٢٩ .
(٦) سورة الأعراف ١٠٨ ، وسورة الشعراء ٣٣ .
(٧) سورة النازعات ١٤ .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

سورة طه في تفسير قوله تعالى (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ) (١)

« يقال في اذا هذه اذا المفاجاه ، والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت ، الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها ، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا ، وهو فعل المفاجاة ، والجملة ابتدائية لا غير ، فتقدير قوله تعالى « فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم » (٢) .

وقال في سورة الروم في قوله تعالى « ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (٣) .

« واذا للمفاجاة ، أي : ثم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض » (٤) .

وقال في سورة الزخرف في قوله تعالى « فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ » (٥) .

« فان قلت : كيف جاز أن يجاب « لما » بـ « اذا » المفاجاة ؟ قلت : لأن فعل المفاجاة معها مقدر ، وهو عامل النصب في محلها ، كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم » (٦)

ولم يقبل أبو حيان تقدير الزمخشري فقال :

« ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من أن (اذا) الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره : فاجأ » (٧) . ووضح العلامة الرضي سر ضعف هذا التقدير فقال :

« ويجوز أن يكون ظرف الزمان مضافا الى الجملة الاسمية وعامله محذوف على ما قال المصنف ، أي ففاجأت وقت وجود السبع بالباب ، الا أنه اخراج لاذا عن الظرفية ، اذ هي اذن مفعول به لفاجأت ، ولاحاجة لهذه الكلفة ، فان اذا الظرفية غير متصرفة على الصحيح » (٨) .

فلو أن تقدير الزمخشري كان المعنى معه صحيحا ، ولم يخرج عن قواعد العربية ، ماضره انفراده به وعدم علم ابي حيان او غيره نحويا ذهب الى ما ذهب اليه ، لكن تقديره مخالف لقواعد العربية لاضافته الى جعل (اذا) الفجائية اسما غير ظرف وقع مفعولا به لفعل محذوف تقديره : فاجأ ، دون حاجة أو دليل .

واعترض أبو حيان على تقدير الزمخشري من جهة المعنى أيضا ، فقال :

« ثم المفاجاة التي ادعاها لايدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق ، بل المعنى يدل على ان المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه (اذا) . تقول : خرجت فاذا الأسد ، والمعنى : ففاجأني الأسد ، وليس المعنى : ففاجأت الأسد » (٩) .

مواضعها

تقع (اذا) الفجائية في أربعة مواضع :

١ ـ أن تكون مسبوقة بفعل ماض ،

(١) سورة طه ٦٦
(٢) الكشاف ٥٧/٣ الطبعة الثانية ط . الاستقامة .
(٣) سورة الروم ٢٠ .
(٤) الكشاف ٣٧٢/٣ .
(٥) سورة الزخرف ٤٧ .
(٦) الكشاف ٢٠١/٤ .

(٧) البحر المحيط ٢٠/٨ .
(٨) شرح الكافية ١٠٣/١ .
(٩) البحر المحيط ٢٠/٨ ، ٢١ .

كقولهم : خرجت فاذا زيد بالباب .

وقد اختلف النحاة فى نوع الفاء الداخلة عليها ، فذهب المازنى والفارسى ومن وافقهما الى أنها زائـدة لازمـة ، وليس بشىء ، لأن الأصل عدم الزيادة ، ولمجىء (ثم) بدلا منها فى نحو قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (١) .

وذكر أبو بكر مبرمان الى أنها للعطف حملا على المعنى ، أى خرجت ففاجأت كذا ، قـال الرضى : « وهو قريب » (٢) ، ويؤيده مجىء (ثم) بدلا منها كالآية السـالفة .

ونقل عن الزيادى أنها فاء الجزاء دخلت على حد دخولها فى جواب الشرط ، ولعله — كما قال الرضى — أراد أنها فاء السببية التى المراد منها لزوم ما بعدها لما قبلها ، أى مفاجأة الأسـد لازمة للخروج (٣) .

ولابن جنى فى المسألة رأيان ، أحـدهما فى الخصائص ٣/ ٣٢٠ أيد فيه مبرمان ، والثانى فى سر الصناعة ١/ ٢٦٢ أيد فيه المازنى (٤) .

٢ — أن تقع فى جواب الشرط خلفا للفاء .
قال ابن مالك :

وتخلف الفاء (اذا) المفاجأة
كـ « ان تجد اذا لنا مكافأة »

وشرط النحاة لوقـوع (اذا) المفاجأة فى جواب الشرط أن تكون الأداة (ان) أو (اذا)، وأن يكون الجواب جملة اسـمية غير طلبيـة

(١) سورة الروم ٢٠ .
(٢) شرح الكافية ١/ ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) وانظر الجنى الـدانى ١٢٨ ، ومغنى اللبيب ١/ ١٦٧ .
(٥) سورة الروم ٣٦ .

أو منفية أو منسوخة ، ومـن ذلك قوله تعالى « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ »(٥)وقوله عز وجل « ثُمَّ إِذَا دَعَـاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ » (٦) .

وانما قامت (اذا)الفجائية مقام الفاء لأنها مثلها فى عدم الابتداء بهـا ، وفى افـادة التعقيب ، فكل منهما لابد أن يسبق بكـلام معقب بما بعدهما .

وأما نحو : ان عصى زيد فويل له ، وان قام عمرو فما خالد قائم ، وان حضر على فان بكرا حاضر ، فيتعين فيها الفـاء ، لأن الجـواب فى الأول جملة اسـمية طلبية دعائية ، والطلب ينافى المفاجأة ، لأن المفاجأة انما تكـون بحصـول مضمون الخبر ، وفى الثانية اسمية منفية ، وفى الثالثة اسمية منسوخة ، وكـل مـن المنفى والمنسوخ مظنة القطع عما قبله والاسـتئناف ، فكان لابد لهما من رابط قوى أصيل وهو الفاء ، واشترط فى الربط باذا الفجائية أن تكون الأداة (ان) أو (اذا) ، لأن (ان) أصـل الأدوات الجازمة و (اذا) الشرطية أصل أدوات الشرط غير الجازمـة ، فاكتفى معهما بـأدنى رابط ، واشترط أيضا للربط باذا أن يكـون الجواب جملة اسمية لاختصاصها بالدخول على الجمـل الاسـمية (٧) .

٣ — بعد (لـمـا) الحينيـة ، كقوله تعالى « فَلَمَّـا أَحَسُّـوا بَأْسَـنَا إِذَا هُم مِّنْهَـا يَرْكُضُونَ »(٨) وقوله عز وجل « فَلَمَّـا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ » (٩) . قيـل :

(٦) سورة الروم ٢٥ .
(٧) انظر الأشمونى وحاشية الصبان عليه ٤/ ٢٢ ، والجنى الدانى ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(٨) سورة الأنبياء ١٢ .
(٩) سورة الزخرف ٤٧ .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

وهذا دليل على حرفية (لما) الحينية ، اذ لو كانت ظرفا لكان جوابها عاملا فيها ، و (اذا) الفجائية لا يعمل مابعدها فيما قبلها ، ولعل القائلين باسميتها لايرون أنها مضافة وبذلك يكون عامل النصب فيها على الظرفية فعل الشرط

٤ ــ بعد (بينا) و (بينما) ، كقول هند بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والأمر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف (١)

وقول الآخر :

بينما المرء فى فنون الأمانى
فاذا رائد المنون مواف (٢)

« وقال الأصمعى : اذ ، واذا فى جواب بينا وبينما لم يأت عن فصيح . والصحيح أنه عربى ، ولكن تركهما أفصح » (٣) .

جواز كون المبتدأ بعدها نكرة

لا تقع النكرة مبتدأ الا اذا أفادت . قال ابن مالك :

« فلو اقترن بالنكرة قرينة تتحصل بها الفائدة جاز الابتداء بها ، ومن القرائن التى تتحصل بها الفائدة الاعتماد على (اذا) المفاجأة ، كقولك : انطلقت فاذا سبع فى الطريق ، وأتيت زيدا فاذا رجل يخاصمه ، ومنه قول الصاحب رضى الله عنه : اذا رجل يصلى (٤) ، ومنه قول الشاعر :

حسبتك فى الوغى مردى حروب
اذا خور لديك فقلت سحقا (٥)

المسألة الزنبورية :

تقدم ان (اذا) المفاجأة تختص بالدخول على الجملة الاسمية (٦) ، وانه يجوز لك أن تقول : خرجت فاذا زيد جالس ، أو جالسا ، فان رفعت النكرة كانت خبرا ، وان نصبتها كانت حالا والخبر محذوف ، وهذا محل اتفاق بين النحاة، لكنهم اختلفوا فى نحو : خرجت فاذا عبد الله القائم ، أى فيما اذا كان الواقع بعد (اذا) معرفتين ، فالبصريون يوجبون رفع ثانيهما على الخبرية ، والكوفيون يجيزون فيه النصب والرفع ، ومن ذلك قول العرب « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى » ، فسيبويه انكر أن يقال « فاذا هو اياها » لما سأله الكسائى فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، وأصر على أن صحة القول « فاذا هو هى » كما أصر على أن قولهم أخرجت فاذا عبد الله القائم ، لا يكون الا برفع « القائم » ، فى حين أن الكسائى جوز أن يقال : فاذا هو هى ، و : فاذا

---

(١) انظر فى البيت امالى ابن الشجرى الطبعة الاولى ٢/١٧٥ ، ومغنى اللبيب ١/٢١١ ، وهمع الهوامع ط بيروت ١/٢١١ ، والدرر اللوامع ط بيروت ١/١٧٨ ، الجنى الدانى ٣٦٧ ، ولسان العرب المجلد الاول ص ٣٠٦ (بين) .

(٢) انظر الجنى الدانى ٣٦٧ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) ومنه : « دخل النبى صلى الله عليه وسلم فاذا حبل ممدود .... الحديث اخرجه البخارى فى ١٩ ــ كتاب التهجد ، ١٨ ــ باب مايكره من التشديد فى العبادة .

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ٤٥ ط بيروت .

(٦) اى عند القائلين بحرفيتها ، اما القائلون بظرفيتها فيجوزون دخولها على الاسم المفرد واقعة خبرا مقدما عنه كما تقدم .

هو اياها ، والقائم بالرفع وبالنصب قائلا : العرب ترفع كل ذلك وتنصبه .

وعرفت هذه المناظرة بين سيبويه والكسائى بالمسألة الزنبورية ، ولخطورة هذه المناظرة ــ كما قال شيخنا الشيخ محمد الطنطاوى (١) . نوهت عنها أغلب كتب الأدب والتراجم والتاريخ ، والذى يهمنا هو الوجه النحوى فى المسألة ، وقد حسم القرآن الكريم هذا الخلاف النحوى ، فجاء مؤيدا لرأى سيبويه ، كقوله تعالى « فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ » (٢) ، « فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » (٣) فلم يقع بعد ضمير الرفع الواقع بعد (اذا) الا المرفوع ، وهو ــ وان كان نكرة ــ بمثابة المعرفة لكونه موصوفا ، لذلك كان مارآه سيبويه هو وجه الكلام . قال ابن هشام : وأما « فاذا هو اياها ــ ان ثبت ــ فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، كالجزم بلن ، والنصب بلم ، والجر بلعل ، وسيبويه وأصحابه لايلتفتون لمثل ذلك ، وان تكلم بعض العرب به » (٤) .

وقد ذكر ابن هشام فى مبحث « اذا » خمسة أوجه ذكرها العلماء لتخريج « فاذا هو اياها » ، لا يخلو واحد منها من التكلف والاضطراب .

الوجه الأول : لأبى بكر بن الخياط ، وهو أن (اذا) ظرف مكان متضمن معنى وجدت ورأيت ، وقع خبرا مقدما عن ضمير الرفع بعده ، ونصب ضمير النصب « اياها » على المفعولية بتضمنه معنى الفعل ، والتقدير عليه : ففى الحضرة وجدته ــ أى الزنبور ــ اياها .

وهذا التوجيه خطأ من جهتين :

الأولى : أن الأسماء المتضمنة للمعانى لا تنصب المفاعيل الصريحة كالمفعول به والمفعول المطلق ، والمفعول معه ، وانما تنصب غيرها كالظرف والحال ، وهنا نصب الاسم المتضمن معنى وجد المفعول به .

والثانية : أن الفعل الذى تضمن الظرف معناه ينصب مفعولين ، فهو يحتاج ــ على هذا التوجيه ــ الى فاعل ومفعول آخر ، ولو كان ما يليه هو المفعول الآخر لكان منصوبا لا مرفوعا .

والوجه الثانى : لابن مالك ، وهو أن ضمير النصب « اياها » استعير فى مكان ضمير الرفع « هى » كما استعير ضمير الرفع فى مكان ضمير الجر فى قولهم : ما أنا كأنت ، ولا أنت كأنا .

ويشهد لهذا التوجيه قراءة الحسن البصرى (اياك يعبد) (٥) ، اذ الأصل : أنت اله يعبد ، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . حذف الموصوف استغناء عنه بالصفة ، ثم استعير ضمير النصب « اياك » فى مكان ضمير الرفع « أنت » ، أى وضع موضعه . وضعف هذا التوجيه بعدم اطراده ، فهو لا يتأتى فيما أجازه الكوفيون من نحو : فاذا عبد الله القائم بنصب القائم » ، وحينئذ يحتاج مثل هذا التعبير الى توجيه آخر ، وقد ذكر ابن هشام أنه ينبغى أن يوجه على أنه

(١) نشأة النحو ص ٤٣ ــ الطبعة الثانية تعليق الاستاذ الدكتور عبد العظيم الشناوى، والاستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى .
(٢) سورة الأعراف ١٠٨ ، والشعراء ٣٣ .
(٣) سورة طه ٢٠
(٤) مغنى اللبيب ٩١/١ .

(٥) سورة الفاتحة ٥ ــ وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١ ط الرحمانية .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

نعت مقطوع ، فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره : أعنى ، أو أذكر ، وجملة النعت المقطوع مستأنفة فلا محل لها من الاعراب ، وهذا التوجيه لا يتأتى على رأى القائلين بحرفية (اذا) الفجائية ، اذ هؤلاء يوجبون دخولها على جملة اسمية ، وعليه لا توجد جملة ، لأنه لو قدر « عبد الله » مبتدأ خبره محذوف ، فلا يجوز تقديره بعد جملة النعت المقطوع ، لأن الاستئناف لا يكون الا بعد تمام الكلام ، فلا يجوز أن يوجد بعده ما هو من تمام ما قبله ، ولا يجوز تقديره قبل النعت حتى لا يفصل بين النعت والمنعوت ، اللهم الا اذا قيل ان الفصل هنا جائز لكون النعت مقطوعا ، أو قيل ان جملة النعت المقطوع ليست مستأنفة وانما فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى الخبر المحذوف .

وهناك توجيه آخر لنصب « القائم » ذكره ابن هشام أيضا ، وهو أن يكون حالا على زيادة ال وهذا تخريج على الشذوذ ، لأن زيادة « ال » فى الحال ليس مما يقاس حتى يجوز فى أى استعمال كان من غير سماع .

والوجه الثالث : لابن مالك أيضا ، وهو أن « اياها » مفعول به لفعل محذوف ، والأصل فاذا هو يساويها أو يشابهها ، فالجملة الفعلية فى محل رفع خبر ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير ونظير هذا التوجيه فى حذف الخبر الفعلى قراءة على رضى الله عنه « **لئن أكله الذئب ونحن عصبة** » (١) بنصب « عصبة » ، أى : نوجد عصبة أو نرى عصبة . قال ابن خالويه : « سمعت ابن الأنبارى يقول : هذا كما تقول العرب : انما العامرى عمته (٢) ، أى يتعهد عمته » (٣) .

وضعف هذا التوجيه بعدم اطراده كسابقه ، اذ لا يتأتى فى الاسم الظاهر ، فيخرج على أنه نعت مقطوع أو حال على زيادة ال وفى هذين التوجيهين ما فيهما من ضعف وتكلف . ويلاحظ أن وجهى ابن مالك لا نظير لهما الا فى قراءة شاذة أو نادر من النثر ، وهذا ضعف آخر يضاف الى عدم الاطراد . ولا يقال ان التخريج الأخير على حذف الخبر الفعلى له نظير فى الصحيح المتواتر ، وهو قوله تعالى « **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ** » (٤) ، اذ التقدير : قالوا ما نعبدهم ، فالجملة الفعلية المحذوفة فى محل رفع خبر الذين » ، لأن الخبر الفعلى المحذوف فى الآية الكريمة هنا مستسهل حذفه عند العرب والنحاة لكونه قولا ، وأيضا ليس هذا الاعراب هنا متعينا ، اذ يجوز أن يكون خبر « **الذين** » : « **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ** » ، وجملة : قالوا ما نعبدهم حال من فاعل « اتخذوا » ، أى اتخذوهم قائلين ما نعبدهم ، أو بدل اشتمال من « اتخذوا » الواقعة صلة للموصول (٥) .

والوجه الرابع : للاعلم ، وهو أن ضمير

---

(١) سورة يوسف ٨ وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٢ .
(٢) بنصب « عمته » .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة الزمر ٣ .
(٥) انظر البحر المحيط ٤١٥/٧ .

النصب « اياها » مفعول مطلق ، والأصل ، فاذا هو يلسع لسعتها ، ثم حذف الفعل ، ثم المضاف ، فصار الضمير منفصلا نائبا مناب المفعول المطلق ، ونظيره في حذف الفعل قول العرب « مازيد الا شرب الابل » بنصب « شرب » والأصل : ما زيد الا يشرب شرب الابل .

ويؤخذ على هذا التوجيه كثرة الحذف ، ففيه حذف الفعل والفاعل والمفعول المطلق وهو المضاف . قال الشلوبين : « هو أشبه ما وجه به النصب » (١) .

والوجه الخامس : لابن الحاجب ، وهو أنه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف ، والأصل : فاذا هو ثابت مثلها ، ثم حذف الخبر ، والحال وهو كلمة « مثل » النكرة المضافة الى الضمير دون أن تكتسب منه التعريف لتوغلها في الابهام ، فصار الضمير منفصلا قائما مقام المضاف المحذوف في النصب على الحال .

ونظير هذا قولهم « قضية ولا أبا حسن لها » ، فمن المعلوم أن « لا » النافية للجنس لا تعمل الا في النكرات ، ومن ثم قال سيبويه ان الأصل : ولا مثل أبي حسن لها ، فاسم (لا) نكرة وهو « مثل » ، وقد حذف وأقيم المضاف اليه مقامه فأعرب باعرابه (٢) .

ونظيره أيضا ــ عند الخليل ــ قولهم « له صوت صوت الحمار » ، بالرفع صفة لصوت على تقدير حذف مضاف هو « مثل » ، وعند ابن مالك « مررت برجل زهير » و « هذا رجل زهيرا » ، بخفض « زهير » في الأول على أنه صفة للنكرة على تقدير : « مثل زهير » ، ونصبه في الثاني على الحال على تقدير حذف مضاف هو كلمة « مثل » أيضا .

وعلى الرغم من كثرة نظائر توجيه ابن الحاجب ، عده ابن هشام غريبا ، لكون المعرفة الواقعة خلفا في التنكير لكلمة « مثل » هي الضمير ، ومن المعلوم أن الضمير أعرف المعارف .

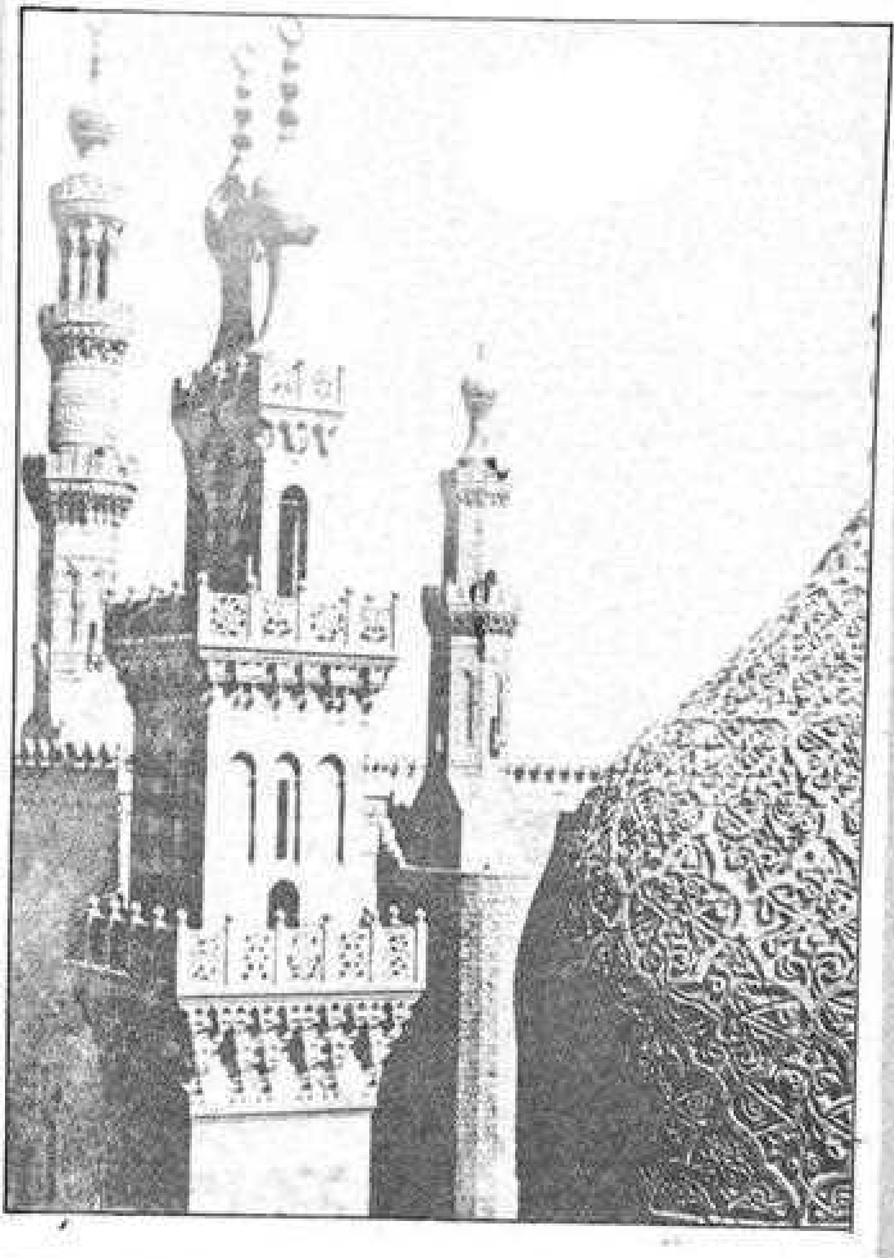
وأيا ما كان الأمر فمهما حاولنا ايجاد تخريج قوي فلن نستطيع ، وانها لمحاولات مشكورة تلك التي بذلها السادة العلماء لايجاد محمل صحيح لما أجازه الكسائي ، وان كان كل ما ذكروه لا يخلو من ضعف وتكلف ، ومع ذلك فان أرجح هذه الآراء ــ في نظري ــ توجيه ابن الحاجب لكثرة نظائره ، ولا غرابة في وقوع الضمير موقع النكرة ، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام في « المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظا ورتبة » (٣) من نحو قولهم « ربه رجلا » ، و « ربه امرأة » .

وبالله التوفيق ..

دكتور / ابراهيم حسن ابراهيم

---

(١) مغني اللبيب ١/٩٢ .
(٢) انظر كتاب سيبويه ١/٣٥٥ .
(٣) مغني اللبيب ص ٤٩١ .



جولة مع شاعر أبوللو المغرد :



الدكتور مختار الوكيل

في ديوانه موكب الذكريات

بقلم أحمد مصطفى حافظ

صاحب هذا الديوان – موكب الذكريات – هو الشاعر الدكتور مختار الوكيل ، احد اقطاب جماعة ابوللو الشعرية ، التى انشاها الدكتور احمد زكى ابو شادى فى خريف عام ١٩٣٢ ، واسند رئاستها الى امير الشعراء احمد شوقى ، قبيل وفاة شوقى بايام قلائل ..
ولابد لنا من الوقوف على نبذة وافية عن موكب ذكريات عمره ، لتتضح الرؤية امامنا ، ونستطيع ان نتفهم مشاعره واحاسيسه ، على ضوئها .

ولد شاعرنا فى قرية صغيرة من قرى ريف مصر بالدقهلية ، هى بلدة (أجا) ، فى العشرين من مايو ١٩١١ ، بين ظهرانى أسرة ميسورة الحال ، تعيش فى كنف أرض تملكها ، وكان عميدها – والده – يعمل ضابطا بالجيش ..

وبلدة أجا معروفة بجمالها الطبيعى الأخاذ ، لوقوعها على شاطىء ترعة المنصورية ، التى تتفرع من النيل ، وتصب عند فرعه بمدينة المنصورة ، على بعد ٢٠ كم من بلدة أجا .

فى هذا الجو الهادىء الحالم ، الذى يكتنف الحياة الريفية ، نشأ شاعرنا ، بين قوم وادعين

موكب الذكريات

.. يتسمون بالصفاء والنقاء .. وفى (كتاب) القرية ختم جزئى (عم) و (تبارك) من القرآن الكريم ، ثم أنهى تعليمه الابتدائى بمدرسة الحسينية الابتدائية ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة .

والتحق بعد ذلك بالقسم الاعدادى بالجامعة الامريكية ، الذى يعد للدراسة بالجامعة نفسها بصفوفها العالية بالقاهرة .. وكل العلوم كانت تدرس فيه بالانجليزية فيما عدا اللغة العربية ، بطبيعة الحال .. ومن ثم أمكنه التضلع فى اللغة الانجليزية ، فى مستهل حياته .

وتصادف ـ لحسن حظه ـ أن أديب العربية الكبير ، المرحوم أحمد حسن الزيات ، صاحب مجلة (الرسالة) ، كان هو الذى يتولى تدريس اللغة العربية فى ذلك الوقت بالجامعة الامريكية ، وكان شاعرنا من جملة تلاميذه ، فكانت افادته من الأدب العربى ، على يدى الزيات ، كبيرة ملحوظة .

وكان الزيات فى تلك الأثناء يترجم قصة (آلام فرتر) لجوته ، وكان يتلو على الطالب الصغير ، مختار الوكيل ، بعض ما ترجم .. لالتفاته الى نبوغه المبكر ، وللمشاركة الوجدانية بينهما .. مما أفاد شاعرنا كثيرا فى تكوين وتجويد أسلوبه بالعربية .

ولكن شاعرنا ترك الدراسة بالجامعة الامريكية ، وفى نفسه مافيها ، لوفاة والده فى ذلك الحين ، عام ١٩٢٧ ، وعاد الى المنصورة ، لينتظم فى صفوف طلاب الدراسة الثانوية بها .

وفى تلك الفترة انبجس هاجس الشعر فى خاطره ، وطفق يذيعه بين لداته ، وينشره فى مجلة (الصباح) لصاحبها المرحوم مصطفى القشاشى ، وبالصفحة الأولى من جريدة (الأهرام) فى عهد رئاسة (داود بركات) لتحريرها .

وكان بالمنصورة عدد كبير من الشعراء الممتازين أمثال الدكتور ابراهيم ناجى ، والمهندس على محمود طه ، وكانا يغشيان مقهى بالمنصورة ، يؤمه الزيات ، بين الحين والحين .

وكان شعراء المدرسة الثانوية من زملاء مختار الوكيل ، يحضرون هذه الاجتماعات ، ومنهم المرحوم محمد عبد المعطى الهمشرى ، شاعر ملحمة (شاطىء الأعراف) ومنهم الشاعر الغنائى المرحوم صالح جودت ، والشاعر المستشار محمد رجب . وكان مختار الوكيل يسمع بهذه الاجتماعات ، ولايتردد عليها ، فى أول الأمر .. لأنه لم يكن معروفا بعد بالمدرسة ، على المستوى الذى عرف به شعراؤها من أمثال الهمشرى وصالح جودت . الى أن جاء يوم طلب فيه أستاذ اللغة العربية بالمدرسة ، أن يكتبوا موضوعا عن نزهة الى الريف .. فما كان من شاعرنا مختار الوكيل الا أن كتب فى الموضوع قصيدة ، بدلا من الكتابة النثرية .. قال فيها :

ذكريني بلوعة العشاق
واعزف اللحن خالدا .. ياسواقى
واملكى منبع المشاعر منى
ثم طيرى ، بقلبى الخفاق

فلما أقبل الأستاذ بعد فراغه من تصحيح كراسات الانشاء ، طلب من مختار الوكيل أن يقوم بالقاء قصيدته ، التى نظمها فى (الموضوع)

•• وكان ذلك بمثابة أول اعتراف به كشاعر في المدرسة ، وهنا بدأ تعرفه الى زملائه من الشعراء الآخرين ، ودخوله في زمرتهم .

والتحق بعد الدراسة الثانوية بكلية الحقوق بالقاهرة ، وكانت جماعة أبوللو قد انشئت حينذاك في خريف عام ١٩٣٢ كما تقدم ، وكان مختار الوكيل من أوائل من انضموا الى الجماعة مع الهمشري وصالح جودت وابراهيم ناجي وغيرهم ، وبدأ ينشر نتاجه بمجلة أبوللو ، وعرف كأديب وشاعر ومترجم .

وكان أول عمل كامل له سنة ١٩٣٣ هو ترجمة قصة (تولستوى) المعروفة « سعادة الأسرة » كما خرج على الناس عام ١٩٣٣ بكتابه النقدى (رواد الشعر الحديث في مصر) ، تناول فيه بالبحث أعمال الشعراء خليل مطران وعبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد ، واحمد زكي أبو شادي . ثم أخرج ديوانه الرومانسي الأول (الزورق الحالم) سنة ١٩٣٦

ولما كان اتجاهه الى الأدب يفوق ميله للاستمرار في الدراسة القانونية ، فقد سافر الى جامعة مانشستر بانجلترا في خريف عام ١٩٣٦ حيث التحق بكلية الآداب بها .

وانعقد مجلس الكلية بحضور الطالب مختار الوكيل ، وبعد اختباره تأكد المجلس من أنه يمتاز عن الطلبة العاديين امتيازا ملحوظا ، بمؤلفاته في الأدب ، واطلاعه الواسع فيه ، في العربية والانجليزية ، وترجمته لمسرحية (تلميذ الشيطان) لبرنارد شو ، التي مثلت على مسرح دار (الأوبرا) .

وترجمته لقصيدة (شلى) المشهورة (الى القبرة) ومنها قوله :

يفيض غناؤك فوق الأديم
ويسمو فيلمس سقف السماء
وينشر في السكون سحر عميم
يفاوح أرواحنا في الفناء
كما يبعث البدر خلف الغيوم
سناه العجيب •• ويزجي الضياء
فنحسب أن الوجود القديم
غريق ببحر لجين وماء !

عند ذلك رأى مجلس الكلية أن يمنحه درجة معادلة لدرجة البكالوريوس ليتقدم مباشرة — بدون بكالوريوس — لدرجة الماجستير في الآداب •• ولم يكن قد أمضى بهذه الكلية سوى عام واحد فقط ، واستتبع ذلك اعفاؤه الكامل من بقية سنى الدراسة الأربعة بها ، لأن مستواه يعادل مستوى الحاصل على البكالوريوس •• ومن ثم فمن حقه أن يدرس للماجستير ! •• وقد كان .

*

الا أن ظروف الحرب العالمية الثانية ، التي اندلعت في ذلك الوقت ، حالت بينه وبين السير قدما في الدراسة الى منتهاها ، والتحضير للدكتوراه •• واضطر فجأة للعودة الى أرض الوطن ، وهو يجأر قائلا :

رب أين الخلاص ؟ قد عبس الجو
وألقى على النجوم قتاما !
لا ضياء منها ينير خطانا
ويبيد الشكوك والأوهاما
ظلمة فوق ظلمة •• فوق أخرى
وغموض يحير الأفهاما
•• أنت مصباح كل شيء على الأر
ض فبدد يارب هذا الظلاما !

موكب الذكريات

واشتغل بالصحافة خلال سني الحرب ، ودخل جامعة الدول العربية عند انشائها عام ١٩٤٥ باستدعاء شخصي من أمينها العام الأول المرحوم عبد الرحمن عزام ، لأنه كان يجيد لغتين : هما الانجليزية والفرنسية •

وأخرج في هذه الفترة عدة كتب منها (ايوب) عن ترجمة انجليزية مستقاه من «الميثيولوجيا» اليونانية • وفي عام ١٩٥٠ تقدم لجامعة « اكس آن بروفانس » بفرنسا بدراسة موضوعها : « تاريخ الصحافة المصرية على ضوء الأحداث السياسية في الخمسين عاما الأولى من القرن العشرين » • بالفرنسية ، وحصل بها على درجة الدكتوراه بامتياز •• ولم تترجم هذه الرسالة بعد الى العربية ، ولعل الشاعر يتفرغ بنفسه لترجمتها ، لأنه سيكون الأقدر على انجاز هذا العمل المثمر الفريد •

*

وحينما تولى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رئاسة اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، استعان بالدكتور مختار الوكيل — الذي كان وكيلا لذات اللجنة — في انجاز مشروعات النقل والترجمة الى اللغة العربية ، عن امهات الكتب الأجنبية ، وأهمها مشروع نقل مؤلفات (شكسبير) المسرحية جمعاء الى اللغة العربية • واشترك في هذه الترجمة طائفة من كبار الشعراء وأساطين الأدباء بمصر والأمة العربية ، أمثال الدكاترة : محمد عوض محمد وسهير القلماوي وعبد القادر القط وعبد الحميد يونس والاستاذين : عباس حافظ ومحمد بدران وغيرهم • وكان من نصيب الدكتور مختار الوكيل ترجمة كل من مسرحيتي : (تاجر البندقية) و (كما تهواه) • Asyou Likeit

واجتذب العمل الدبلوماسي شاعرنا بعد ذلك ، فعينه الاستاذ عبد الخالق حسونة أمين عام جامعة الدول العربية عام ١٩٥٦ نائبا لرئيس الوفد الدائم للجامعة لدى المقر الأوربي للامم المتحدة بجنيف ، وفي عام ١٩٦٢ تولى الرئاسة الكاملة للوفد ، وكان له دور بارز في الأحداث السياسية الكبرى التي مرت بالأمة العربية أثناء عرضها دوليا ، وبخاصة في قضية تأميم قناة السويس ، وقضيتي الجزائر وفلسطين ، وقضايا كفاح الأقطار العربية في المغرب في سبيل الاستقلال •

*

وأحدث هذا التطور في حياة شاعرنا تفاعلا جذريا بين الحضارتين : العربية والأوربية في وجدانه ، مما أتاح لشاعريته أن تنطلق الى آفاق جديدة رحبة لايرتادها الا القليلون ، فتراه ينظم في عطلة صيف عام ١٩٧٥ بمدينة فينيسيا قصيدة رائعة بعنوان : (الحب والموت والبعث) •• يتحدث فيها عن فينيسيا ، ناظرا اليها كمدينة توشك أن تموت ، وهي كائن حي ، يتبدى في المنازل الجميلة ، المبنية بأسلوب زخرفي رائع ، أشبه « بالأرابيسك » •• وهي توشك أن تموت ، لأنها تغرق في الماء منذ سنوات

ويتم الانتقال فيها من مكان الى آخر بـ (الجندولا) •• فلا ينظر شاعرنا اليها كمقهى لعابر سبيل ، ولايقف منها موقف الشاعر الراحل (علي محمود طه) ، بل يمكث بها شهورا أثناء عمله الدبلوماسي ، يتأمل بأسى ولوعة منظرها

الفاجع ، قليلا ، حتى يبلورها فى قصيدة فريدة فى تناولها الشعرى لهذا الموضوع ، يلقيها فى احتفال (اليونسكو) الذى أقيم لترميم فينيسيا ، متذكرا ما حدث فى انقاذ آثار النوبة فى وطنه ، قبل أن تغمرها مياه السد العالى ، لأن فينيسيا تستحق ـ مثلها ـ الرعاية والحفاظ عليها .

وقد ترجمت هذه القصيدة الى الايطالية والفرنسية منذ خمسة أعوام (سنة ١٩٧٧) وألقاها الشاعر بنفسه فى هذا المهرجان الدولى الكبير ، وتناولها النقاد العالميون بالتحليل والتعقيب .. وكان ذلك بمثابة أخذ الشعر العربى الحديث لدوره نحو العالمية ، بمثل هذه القصيدة السامقة .

واذا كان بعض الشعراء الغربيين قد تحدثوا عن (السويس) و (النيل) .. فان الدكتور مختار الوكيل ـ وهو الشاعر المصرى العربى ـ يكتب عن فينيسيا .

وقد بدأ (على محمود طه) قصيدته المشهورة (الجندول) بمناجاة ملهمته الحسناء ، أما الدخول عند الدكتور مختار الوكيل فيتم بطريقة أخرى مغايرة ، اذ يستهل قصيدته قائلا :

ظفرت بالشعر والأغانى
فصرت نشوان بلا دنان
يالى من هذا الهوى الفتان
القرب والبعد به سيان
والوصل ينساب مع .. الهجران !

ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكريات المدينة وتاريخها ، فيقول :

يا امسيات (بابل) الحبيبة
جمعت لى دنيا الهوى العجيبة
فوق (الريالتو) .. فى حلى قشيبة

و (الريالتو) اسم جسر خلده شكسبير حين أورده بمسرحيته الخالدة : (تاجر البندقية).. ويتوجه بالحديث بعد ذلك الى المحتشدين فى المهرجان ، بأخوة عالمية ، فيقول :

يااخوتى من اهل هذى الدار
لاتفرقوا من صولة الأقدار
هنا رايت الموت فى الأحجار

ويسترسل فى رسم هذا (التابلوه) البديع للحياة المعانقة للموت ، الذى ينساب فى الماء على الأركان ، بين القصور الفذة البنيان .

ويختتم قصيدته قائلا :

هيا اركبوا مركب الطوفان
هيا امزجوا الأفراح بالأشجان
هيا اخلطوا العطور بالأدران
وهللوا كالرعد .. كالبركان
لعالم يرقص فى .. الأكفان !

ومن الشعر الرائق الذى وفق الى ابداعه بين أحضان الطبيعة الساحرة ، فوق جبال (ساليه) بسويسرا ، قصيدته (نشوة الألحان) التى مزج بعض الفنون فيها ، كالشعر والغناء ، حينما كشفت الطبيعة عن مفاتنها لعين الشاعر ، يقول :

انا فى نشوة من الانغام
قدعونى معانقا احلامى
انا فى صحتى الفسيح قرير
سابح فى عوالم من هيام
أى وحى منغم يتهادى
ويناجى الفؤاد .. دون كلام
لست أستطيع صوغه فى قريض
آدمى الألفاظ والانغام !

موكب الذكريات

ونلاحظ أن الوصف هنا ليس هدفا مقصودا لذاته ، ولكنه ــ أى الشاعر ــ كان يصف ويتأمل .. ويستبطن ذاته ، ويمزج أحاسيسه ومشاعره ، وارتعاشات نفسه ، وومضات روحه ، بموصوفاته .. على نحو بديع ، متأثرا ــ فنيا ــ بخيرة شعراء الرومانسية ، من أمثال: « هيجو ولامرتين وبيرون وشلي وكيتس » .

وصفوة القول أن الدكتور مختار الوكيل ، في ديوانه (موكب الذكريات) ، يتناول الموضوعات برؤيا جديدة ، وألفاظ مقدودة من وجدانه ..

ان لمختار الوكيل مفاتيحه اللفظية ، مثل مفاتيح « البيانو » اللحنية ، يبدع بها ويمتع

.. فهو يعيش بقلب صاف ، لا يحقد ولا يحمل ضغينة لأحد ، لأنه يتفاعل مع الكائنات كلها ، منطلقا في آفاق رحبة بخيالاته ، لاتحدها حدود

.. اذ تعروه الدهشة الموحية أمام الأشياء والأضواء والألوان ، لأنه يعيش بقلب طفل ،

أى ببراءة تجدد وتقدم المفهوم الصافي .. فهو ــ كشيلي ــ ترك العالم وهام في الضباب ، وكأنه الطائر الذى كان يهيم به شيلي في « القبّرة » .

الا أنه حينما أسندت اليه رئاسة جماعة أبوللو الجديدة ، أثناء الاحتفال بمرور ربع قرن من الزمان على وفاة أبى شادى عام ١٩٥٥ باعتباره أحد الرواد الثلاثة الذين يمثلون البقية الباقية من جماعة أبوللو (مصطفى عبد اللطيف السحرتي(١) وحسن الصيرفي ومختار الوكيل) .. صرح بأن الهدف الذى يتمنى أن تعود به جماعة أبوللو ،هو النهوض بالشعر عام١٩٨٢ م آخذة في الاعتبار ، أن العالم قد تغير كثيرا مابين (١٩٣٢) و (١٩٨٢) والناس يعيشون في عصر الصواريخ .

وأصبح اسم أبوللو (رمز الحب والجمال والموسيقى) عند الاغريق ، يطلق الآن على مركبات الفضاء العابرة للقارات ، الأمر الذى يستلزم تطوير المعنى الرومانسى ، المغرق في الخيال لدى الشعراء ، وان كانت رحلات (أبوللو) الفضائية في الثمانينيات ، قد فاقت كل خيال !

ونختتم كلمتنا بقول شاعر افريقى :

« لاتضعوا الزهور ولا العطور على قبرى الحجرى ، ولاتشعلوا الأضواء .. فكل هذا عبث ..

احسنوا الى مادمت حيا ، اما ان تسقوا التراب الذى اتوسده الانخاب ، فان هذا يجعل التراب طينا .. كما أن الميت ، لايشرب قطرة منها ! » .

احمد مصطفى حافظ

---

(١) انتقل الى رحمة الله فى مايو الماضى وقد استوفينا الحديث عنه فى عدد مجلة الهلال الصادر فى سبتمبر ١٩٨٢ .

من عيون التراث الصوفى

كتاب

عوارف المعارف

للسهروردى

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من كتب التصوف الجليلة التى وعت علومه وعرفت بأحواله ومقاماته ونبهت على فضله وفصلت آدابه واشادت بها كتاب « عوارف المعارف » للامام ابى حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد التى توافق سنة اربع وثلاثين ومائتين والف ميلادية .

وكان فقيها شافعيا متضلعا فى المذهب يشهد بذلك كتابه نفسه « عوارف المعارف » الذى نحن بصدده ، فهو الى جانب ما وعاه من علوم صوفية دقيقة جمع اشارات فقهية كثيرة تدل على دقة الوعى والتخصص والادراك لمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه .

وقد ولد السهروردى المذكور بسهرورد وهى مدينة فى شمال غربى ايران كان يسكنها الأكراد حتى القرن العاشر الميلادى وقد خربها المغول فى أثناء حملاتهم الهمجية فى القرون الوسطى . وكانت هذه المدينة مركزا من مراكز العلم ، واليها ينتسب علم آخر يطلق عليه السهروردى أيضا .

وحتى لا نخلط بين العلمين ــ فاننا نوضح القول بأن السهروردى الثانى هو شهاب الدين يحيى بن حبش وقد توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة هجرية وهى توافق سنة احدى وتسعين ومائة وألف ميلادية ، وهو شافعى المذهب أيضا ، ولكنه غلبت عليه الفلسفة الاشراقية وتنقل بين سهرورد وأذربيجان ، وقد اتهم بالخروج على الدين فقتل فى قلعة حلب ، وله مؤلفات فى الفلسفة منها « حكمة الاشراق » و « هياكل النور » .

ويعنينا الحديث عن الامام السهروردى أبى حفص صاحب « عوارف المعارف » لأن كتابه الذى نقدمه من أمهات الكتب الصوفية التى

عوارف المعارف

يرجع اليها من له اهتمام خاص بهذا العلم واشراقاته .

الكتاب :

والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا تدور حول المعارف الصوفية ، التي تجمع بين المعاملات والمكاشفات .. وقدم لذلك بمقدمة تشير الى سبب تأليفه ، هذا الكتاب قال فيها « ثم ان ايثاري لهدى هؤلاء القوم ومحبتي لهم ، علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة .. حداني أن أؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتقدوه مشعرة بشهادة صريح العلم فيما اعتقدوه ، حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم ، وتستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم ، وسبق الى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن ، وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن .. » .

وهذا الهدف نفسه هو الذي أملى على الامام أبي القاسم القشيري رسالته المشهورة التي يشرح فيها للمريدين أصول الطريقة الصوفية ويبين آدابها بعد أن تبين له كما يقول « انقراض أكثر المحققين وخشي اندراس آثارهم ومذاهبهم . »

والقشيري سبق السهروردي فقد توفي القشيري سنة خمس وستين وأربعمائة هجرية بفارق قرنين من الزمان تقريبا .. فما عسانا نقول الآن بعد أن قرر هذان الحبران الجليلان ماقررا ؟

ان الغيرة على الحق هي التي دفعت كليهما الى تحرير كل منهما كتابه ، وأرجو أن يكون هذا الدافع وراء هذه السطور التي أقدم بها كتاب عوارف المعارف . عسى أن يستفيد بها قوم ، وتصح بها مفاهيم قوم آخرين .

ولا أستطيع في هذه العجالة القصيرة اعطاء صورة كاملة مفصلة عن الكتاب ، ولكن حسبي اعطاء فكرة عامة عنه تحفز الى قراءته مطبوعا على هامش كتاب احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه، أو مطبوعا طبعة مستقلة ملحقة بهذا الكتاب أيضا بمطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة .

اشارات حول موضوعاته :

يدور الكتاب حول المعارف الصوفية التي تجمع بين المعاملات والمكاشفات ، والمعاملات هي ما يقوم به العبد من فرائض ونوافل وطاعات مختلفة تعينه على القرب من الله ، والمكاشفات هي الثمار المترتبة على ذلك من معرفة وأنس وصفاء واشراق وغير ذلك .. كما يدور حول الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد في أثناء سيره الى الله ، وهو يعتمد في تحرير ذلك كله على الآثار المستمدة من الكتاب والسنة ، وعلى الشواهد الموثقة والطرائف والاخبار الدقيقة .

وقد بدأ كتابه بذكر منشأ علوم الصوفية ، قدم لذلك بالحديث الشريف الذي أسنده البخاري رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . قال رسول الله

ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : ياقومي اني رأيت الجيش بعيني ، واني أنا النذير العريان ، فالنجاة النجاة ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق » .

ثم علق على ذلك بقوله ــ بعد أن أورد حديثا آخر يدور حول اختلاف القلوب التي تتلقى الكلم الطيب : ــ

أعد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصفى القلوب وأزكى النفوس ، فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية في تفاوت الفائدة والنفع ، قال تعالى : « أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الماء العلم ، والأودية القلوب .

ومن هذه القلوب قلوب علماء التفسير والحديث واللغة والتصريف والنحو وغيرها من العلوم ومنها قلوب العارفين بالله وهم الصوفية .. « الذين درسوا العلم واستنبطوا منه مفهومات زائدة » فقد عرف الصوفية بقوله : « الصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة ، فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم، فلماعملوا آفادهم العمل علم الوراثة، فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة .. وعلم الوراثة هو الفقه في الدين . قال تعالى « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ » .

فصار الانذار مستفادا من الفقه .

والانذار : احياء المنذر بماء العلم .

والاحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين .

فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب أعلاها ، وهو العالم الزاهد في الدنيا .

سئل الحسن البصري عن الفقيه ، فقال : انما الفقيه الزاهد في الدنيا .

ومن هنا نشأ علم التصوف لأنه مبني على حسن السماع والاستجابة والعمل .

آداب الصاعد الى الله :

وموضوعات الكتاب كلها جديرة بالتأمل ، فهي صورة صحيحة لما يجب أن يكون عليه الصوفي الحق ، أو لما يجب أن يأخذ به نفسه ليكون صوفيا حقا ، ومنها على سبيل المثال :

باب أدب المريد مع استقبال النهار والعمل فيه : ويقتضي هذا منه استكمال الطهارة وعدم الغفلة عن العبادات وتعلق القلب بالله ، وتلاوة الادعية والاوراد المأثورة التي أورد طرفا منها مثل هذا الدعاء .

« اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعثي ، وترد بها الفتن عني ، وتصلح بها ديني ،

وتحفظ بها غائبى ، وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتلقننى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى ايمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة » .

الى غير ذلك من الأدعية المأثورة .

ان ذلك ــ اذا تلى بنية صادقة وقلب حاضر وتوجه مخلص لله ــ أحرى بأن يعين الانسان فى رحلة يومه على ما يلقاه من مشقات ، ويهون عليه المتاعب ويصد عنه مكائد الشيطان ، ويصرف عنه الهم والغم ، فيؤدى عمله الدنيوى بقلب مشرق وهمة قوية فينفع وينتفع .. ويصبح عمله كله خالصا لوجه الله يثاب عليه كما يثاب الراكع الساجد .

وقد دعا المريد الى وجوب التزام الأدب الكامل فى الكسب والمعاش وتحرى الحلال والوثوق فى كلا الله ورعايته وحفظه .

أدب المريد مع شيخه :

وفى باب أدب المريد مع شيخه يقدم لذلك بقوله :

« أدب المريد مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب ، وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه ، وقد قال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (١)

ولما كان هذا الأدب يقتضى بيان حقيقة هذا الشيخ الذى يستوجب أدب المريد ، معه والذى يصلح أن يكون قدوة طيبة لأبنائه وتلاميذه وللناس أجمعين ، فقد تحدث بعد ذلك فى باب مستقل عن آداب الشيوخ وما يجب أن يعتمدوه مع اصحابهم وتلاميذهم .

وهذا أمرمهم يجب التنبيه عليه حتى يقطع الطريق على مدعى الولاية والمتطفلين والمتصدرين للناس بغير أدوات تؤهلهم لذلك.

فأول شىء نبه السهروردى عليه فى ذلك قوله :

أهم الآداب ألا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع ، فاذا رأى أن الله يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى ، والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة ، وفى الخمول السلامة ، فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله اياه أنه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق كلام الوالد لولده بما ينفعه فى دينه ودنياه .

وهذا أدب مهم نهديه لمن ينصبون أنفسهم شيوخا رغم أنف الآخرين ويحصلون على اجازات بالارشاد دون تأهل دينى وعلمى وصلاحى .

(١) الحجرات ١ .

الصحبة والاخوة :

وعقد السهروردى فى كتابه بابا بين فيه حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر، وعلل لاقتضاء الصحبة تعليلا نفسيا واجتماعيا قائلا فى ذلك :

« المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الأوصاف ، وقد يدعو اليها أخص الأوصاف ، فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض ، والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل ملة بعضهم الى بعض ، ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضم الى بعض وكميل أهل المعصية بعضهم الى بعض ، فاذا علم هذا الاصل فان الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص تارة أخرى . فليتفقد الانسان نفسه عند الميل الى صحبة شخص ، وينظر ما الذى يميل به الى صحبته »

وهذا لون من النقد الذاتي والمراجعة التي تقوم الشيء وتزنه بميزان دقيق ، وفى ضوئه يعقد الانسان صلاته ثم يمضى فيها ان وجدها معينة له على الخير أو ينكص عنها ان وجدها صارفة له عنه .

ولان هذا الأمر مهم للانسان فى عاجل حياته وآجلها فقد مضى السهروردى فى حديثه مبينا وجوب انتقاء الصاحب وحقوقه ، وآداب الصحبة والاخوة ، كما يبين رأيه فى العزلة ومتى تكون ومتى لا تكون ، ومتى تكون فريضة ومتى تكون رذيلة ، وهو فى أثناء ذلك لا يكف عن التذكير بمراعاة حق الاخوة والمودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها الا من لم يراع حقوق الله عليه .

أجل فكم من صداقات حميمة ضاعت تحت شعار : الألفة ترفع الكلفة . فان أحق الناس بمراعاة حق الانسان صديقه ، ومن لم يحفظ حق صديقه تفلت منه صديقه بمرور الايام .

معرفة الانسان نفسه :

ومن أبواب الكتاب باب معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية .. وقد تحدث فى هذا الباب عن الروح فى حدود ماورد عنها فى القرآن الكريم والآثار الشريفة وقد نبه الخائضين فى ذلك بقوله « وكان الأولى الامساك عنذلك والتأدب بأدب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستشهد بقول الجنيد رضى الله عنه : الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود » .

ولكنه فصل القول فى مراتب النفس ، وبين الفرق بين الروح والسر وبين الروح والنفس وبين العلاقة بين القلب والعقل وأنواع العقل ، ثم طرق موضوع الخواطر وتفصيلها وتمييزها ، وهو موضوع دقيق لا يحدث فيه

عوارف المعارف

الا من رسخت قدمه فى الطريق ، واشار الى الحال والمقام وأورد اشارات الشيوخ فيها ، وبين سبب الاشتباه والتشابه بينهما وقال « قد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما ، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ، ثم تعود ثم تزول ، فلا يزال العبد فى حال المحاسبة ، يتعاهد الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس الى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب عليه حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة مقامه ووطنه ومستقره » عندئذ يتحول الحال الى مقام .

وقد تحدث السهروردى عن اسرار كل منهما « الحال والمقام » وما يعرض للمريد بينهما ، ومايجب أن يتحلى به من آداب ازاءهما . كما بين أن قوام الاحوال والمقامات يرجع الى اربعة أشياء هى « الايمان ، وصحته ، وعقوده ، وشروطه » .

والمقامات فى رأيه عشرة هى : التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرضا »

اما الاحوال فهى « المحبة وما يتصل بها من شوق وأنس وقبض وبسط وفناء وبقاء وغير ذلك »

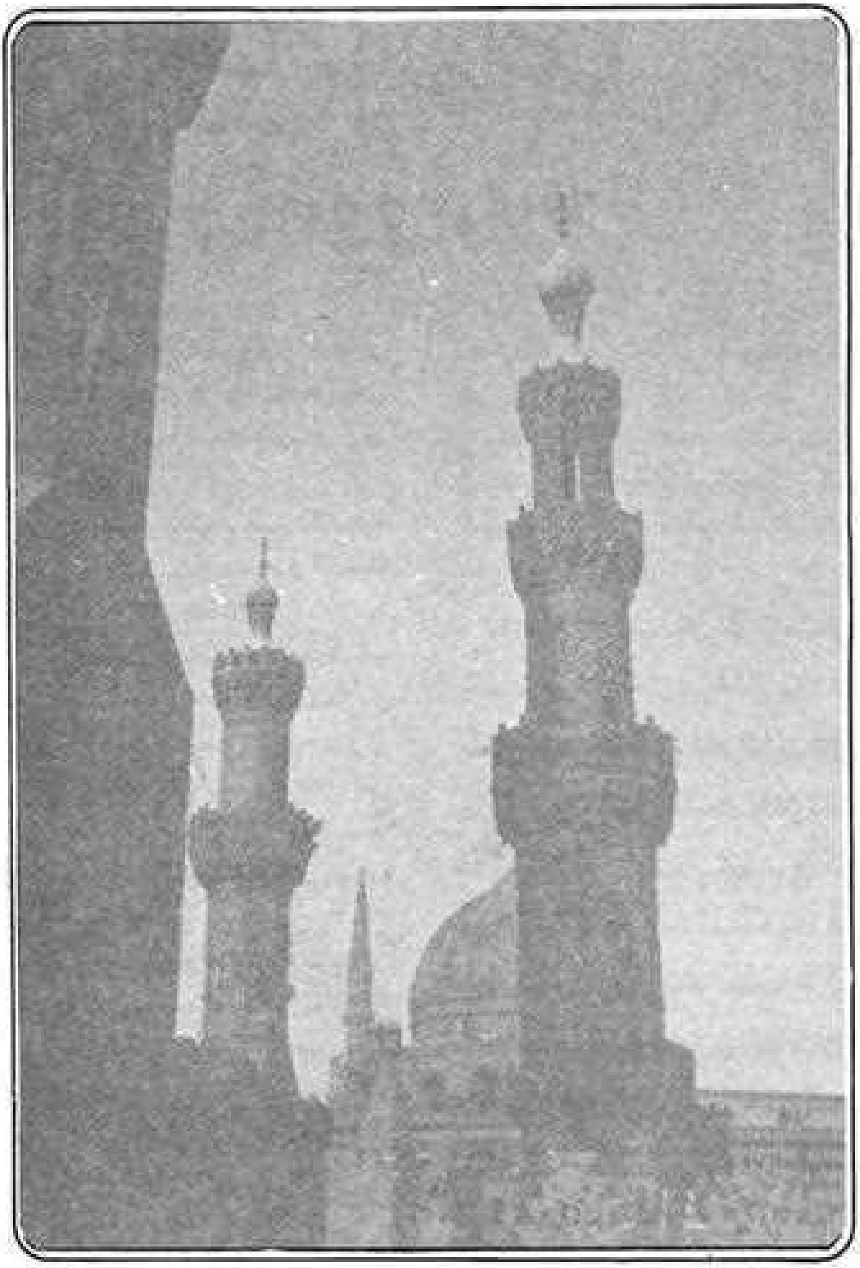
كما أشار الى مصطلحات الصوفية التى اختصوا بها ، وشرح هذه المصطلحات التى تدور كثيرا على السنتهم وتحفل أحاديثهم وانشاءاتهم بها كالتجلى والاستتار والتجديد والتفريد والوجد والتواجد والوجود والصحو والسكر وغير ذلك .

وبعد :

فان كتاب « عوارف المعارف » أحد الكتب الجامعة لعلوم التصوف ، وماأحراه بان ينال عناية المحققين الفضلاء ليهدوه الينا فى ثوب علمى قشيب ، وأن يعكف عليه متخصصون لتخريج احاديثه فان منها ماهو « موضوع » لعل الله أن يجعله سببا من اسباب توثيق الصلة بهذا العلم الكريم .

والله المستعان ،،

عبد الحفيظ فرغلى القرنى



ذبح إسماعيل

بين الحقيقة والافتراء

طالعتنا جريدة الأخبار يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٨٣ م بمقال للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف حول (عيد الأضحى) فى يوميات الأخبار .

بدأه الكاتب بالحديث عن الأضحية وحكمتها وحكمها ، ثم استطرد فى الحديث عن التضحية فكان مما قال :

« إن عيد الأضحى هو عيد تحرير الرقاب الانسانية ، فقد كانت الأمم الوثنية تتخذ من الآدميين قربانا لآلهتهم » . وقال فيه : « أن ابراهيم عليه السلام هَمَّ بذبح ابنه جريا على العادة التى كانت جارية من قبل .. » وهذا يفيد أن الخليل عليه السلام جرى على عادة الوثنيين فى ذبح ولده .

ثم تمادى فى حديثه مبرهنا على ذلك فقال : « وبعد أن هم بهذا ـ بذبح ابنه ـ وشحذ مديته ليذبحه تنفيذا لما كان جاريا من قبل ألهمه الله الحق والصواب .. وفديناه بكبش عظيم » .. انتهى ماتريد أن نقف معه من حديث الكاتب .

ونعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عن كاتب مثل الأستاذ فهمى عبد اللطيف وهو صاحب قلم رائد ، وأسلوب محبب الى النفوس . وهو ذو ثقافة دينية . وله تلاميذ ومحبون لكتاباته كثيرون .

والقارىء البسيط قد يستوقفه هذا الكلام وقد يناقش صحة هذا القول غير أن الكتاب العزيز صريح فى رد ماذهب اليه الأستاذ فهمى عبد اللطيف .

قال تعالى : « وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ ، رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » ٩٩ ـ ١١١ الصافات .

والقارىء للآيات يلحظ عدة أمور منها :

١ ـ تصريح ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه رأى فى المنام رؤيا فأمر بذبح ابنه ، يفهم منه ان الامر وحى من الله سبحانه فرؤيا الأنبياء وحى .

٢ ـ صرحت الآيات بأن اسماعيل استجاب لأمر الله سبحانه وتصديق الرؤيا « .. قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ » فالابن قد فهم أن الأمر وحى ..

٣ ـ ثم ذكرت الآيات مرة ثانية مؤكدة على أن الأمر وحى من الله « .. يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » فابراهيم أقدم على الذبح طبقا لما رآه فى النوم .

٤ ـ تحدثت الآيات عن قصة الذبح وسمتها (الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) مما يفيد ان الله سبحانه أمر ابراهيم بذلك ابتلاء له وتمحيصا .

٥ ـ عقبت الآيات على القصة بالثناء على أبى الأنبياء ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : « .. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » يدل على أن ابراهيم أطاع الله حين هم بتنفيذ أمره فى الرؤيا التى رآها . وعليه فهو من المحسنين والمؤمنين .

وفى هذا ما يدل على بطلان رأى الكاتب . ومنه يبين أن الخليل هم بذبح ابنه طاعة لله لا تقليدا للوثنيين . وهو نبى الله وخليله .
أما أن العادة قد جرت فى ذلك العهد أو ماقبله بالتقرب للآلهة بذبح الأبناء ، فان العادة فى قوم وثنيون هدف أولى لمقاومة النبوة لها وابطالها وكنا نود أن يشير الاستاذ الكاتب الى المصدر الذى استقى منه هذا الكلام ، فالقرآن مازال والحمد لله محفوظا نسمعه ونقرأه . وفيه غنية وحجة فى هذه الامور .

قال ابن كثير فى تفسير الآيات :

« رأى ابراهيم ـ عليه السلام ـ فى النوم رؤياه تلك . قال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحى . وتلا هذه الآية : « يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ » أى افعل ما أمرت به من أمر الله بذبحى ، وسأصبر وأحتسب ذلك عند الله . وصدق فى ذلك الوعد .. والمقصود بالأمر اثابة ابراهيم على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك . ولذا قال :

« إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ » أى هو الاختبار الواضح الجلى حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما لامر الله منقادا لطاعته » .

ومن ذلك يتضح أن الأمر عبادة لاعادة وانقياد كامل لامر الله لاجرى على عادة ولاتقليد للوثنية . ومقام ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لايليق به أن يفعل مافعل تقليدا للوثنيين .

نسأل الله سبحانه يرينا الحق ويرزقنا اتباعه . ويرينا الباطل ويرزقنا اجتنابه .. آمين .

ع . زهران

الفتاوى

هل نستأجر أرض لبناء مسجد

س : من السيد /ع٠ع٠ عبد الزعرف ــ من اليمن الشقيق ٠

استأجرنا قطعة أرض لعمل (جراج) ولكبر المساحة اقتطعنا جزءا منها واقمنا عليه مصلى ٠

وعندما اردنا تجديد العقد لمدة اخرى مع صاحب الأرض رفض التجديد الا بعد ازالة المصلى ٠٠ فما الحكم ؟

ج : شرط الوقف للعبادة أو المسجدية أن يكون مملوكا لواقفه ، فاذا كانت العين ملكا للغير فلا يجوز لأحد أن يوقفها أو يتصرف فيها تصرفا لا يقره المالك ٠

اللقطة ٠٠٠ والتصرف بشأنها

س : من السيد/ع ٠ ب ــ المنزلاوى

وجدت مبلغا من المال فى احد شوارع القاهرة من نحو شهر ، فهل يجوز لى ان اتبرع به لمعهد دينى او مسجد ٠ ؟

ج : هذا المبلغ « لقطة » وحكم اللقطة ان يعلن عنها حيث وجدها ، أو فى صحيفة أو غيرها كمسجد حسب الأحوال ٠

ومن عرفها ، وعرف أوصافها تسلم اليه ، والا فيجوز للملتقط (الواجد) بعد مضى سنة ان يتملكها أو يتصدق بها أو يصرفها فى مصالح المسلمين العامة ٠

وان تصدق بها قبل مضى مدة التعريف ثم ظهر صاحبها كان ضامنا لها وعليه ردها اليه عند مطالبته به ٠

الاخبار بحقيقة المرأة

س : من السيد / أ ٠ م ٠ على من القاهرة ٠

فتاة تعمل شغالة عند أسرة ، سرقت منهم اموالا وحليا ذهبية ، ثم اكتشف امرها واعترفت ٠٠٠ فهل يجوز ان تاخذ منها ما سرقته ؟ وهل يجوز لمخدومتها ان تخبر خطيبها بحقيقة امرها ؟

ج : مادامت الفتاة قد اعترفت بما سرقته من هذه الأسرة فلا مانع من أن تأخذ ماسرقته الفتاة ، واذا سأل الخطيب عن الفتاة وأحوالها وأخبرته بحقيقتها فلا اثم فى ذلك ٠

وان لم يسأل فلا يجوز لها أن تكشف أمرها عنده ٠٠ « ومن ستر مسلما ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة » ٠

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

● الزواج من زانية ●

س : من السيد / م ٠٠ سار ــ من السنغال ٠

شاب تزوج بفتاة وهو لايعرف انها حامل من زنى ، وبعد خمسة أشهر وضعت حملها فطلقها مباشرة ، نظرا لان الحمل ليس منه ٠

وبعد ذلك اراد ان يتزوجها بعقد جديد ٠ فهل يجوز له ذلك ٠ ؟

ج : الحمل ينسب الى أمه ولا ينسب الى الزوج ، لأنه ولد لأقل من ستة أشهر من الدخول بها ، وزواجه بها صحيح شرعا وطلاقه لها صحيح أيضا ٠

ثم ان كان الطلاق رجعيا كان له ان يراجعها مادامت فى العدة ، فاذا انتهت أو كان الطلاق بائنا بينونة صغرى ٠ عقد عليها بمهر جديد وشاهدين ٠

● نصيبنا ميراث ●

س : من السيد / ف ٠٠٠ وهبى

توفيت امراة عن : زوج ، اخت شقيقة ، اخوة لاب ٠ فمن يرث وما نصيبه

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاخت الشقيقة النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها أو يحجبها ، ولا شىء للاخوة لأب لاستغراق الفروض للتركة ٠

س : من السيد ل ٠ ع ٠ الريس

توفيت امراة عن : زوج ، اخت لام ، اخوة لاب ذكور واناث ٠

اولاد اخ شقيق ، اولاد اخت لام ٠٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاخت لأم السدس فرضا لانفرادها ولعدم من يحجبها ، والباقى للاخوة لأب تعصيبا ، للذكر ضعف الأنثى ،ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالاخوة لأب ، كما لا شىء لأولاد الأخت لأم ، لأنهم من ذوى الأرحام ٠

والله اعلم

علم
العدل الاقتصادى

والاقتصاد شيء .. والعدل شيء آخر .. حين يريد خبراء الاقتصاد في العالم ان يطلقوا له منهجا يخضع له كل شيء وييسر له كل وسيلة .

والعدل ـ بدوره ـ كيان انسانى آخر ترجو الانسانية في العالم أجمع أن يخضع له ـ باذن الله ـ كل شيء ليأخذ صراطه المستقيم لسعادة البشر ، ثم يوجهها كيف شاء .

ويعنى ذلك أن يكون الاقتصاد في خدمة العدالة ... أى في خدمة الانسانية الفاضلة التي لا تسعى الى تحطيم الشعوب ، وتقويض قوميتها وتقاليدها ليسيطر عليها اقتصاد يستنزف دماءها .

لذا كان هذا الكتاب من تأليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان أبى المكارم حسن من علماء الأزهر . عرض فيه تحليلا واعيا لطبيعة الصراع المسيطر على العالم : عقيدة واقتصادا بين الشرق والغرب .. ومحاولة كلا النظامين السبق الى الفوز بالنفوذ متجافيا كلاهما هدف الانسانية في طلب العدل .

ذلك العدل الذى يقرره الاقتصاد الاسلامى الذى يتميز : بتحقيق العدل ، ويعتمد على وسائل العلم المتصف ، وهدفه الرحمة ، والتخطيط والنظام حيث (لا تظلمون ولا تظلمون) .

وقد بسط الكاتب منهجا يتحقق في ضوئه تكامل العدل الاقتصادى تربويا وميدانيا .

وفقه الله ...



رجاء الى :

الاخوة الأساتذة كتاب المجلة

الاخوة راغبى الكتابة للمجلة

سبق ان توجهت المجلة الى سيادتكم برجاء معاونتها على اداء رسالتها العلمية التى نحرص جميعا على البلوغ بها ارفع مستوى خدمة لهذا الدين وكتابه العزيز وسنة نبينا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم .

ولقد نعلم ان هذه المجلة للمقال اولا ، وهو ما يعنيها من ابواب الصحافة ، لذا تحرص المجلة على نشر المقال العلمى موثق المادة موضح المراجع فما كان من آية قرآنية كريمة ، او حديث شريف ، فينبغى الدلالة عليه بالنص على سورة الآية ورقمها ، وبالنص كذلك على مصدر الحديث الشريف مؤلفا وكتابا وجزءا وصفحة ومطبعة وطبعة .

وان عدم الاهتمام بهذا الأمر من توثيق المادة عموما اذا عرضت لنص من اسباب عدم نشرها .

كذلك ليست المجلة مسئولة ، ولا هى مطالبة برد المقال الذى لا ينشر ورجاؤها الأخير :

ان يكون المقال بخط جيد ، أو مدونا بالة كاتبة .

أصداء احتفال الأزهر بعيده الألفى فى الخارج

إعداد عبد الفتاح حسين الزيات

مجلة الأزهر :

أبدى فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر اهتمامه بالبحوث الفائزة فى مسابقة الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر ، ورأى فضيلته ان هذه البحوث اولى بها — لمناسبتها الجليلة — ان تطبع .

لذلك تعتذر المجلة عن التعريف ببقية البحوث الفائزة ...

نتناول فى هذا العدد الاشارة الى بعض أعمال الكتاب والمفكرين والهيئات التى شاركت فى الاحتفال بهذه المناسبة فى مصر أو ببلادها — تحية للأزهر فى عيده الألفى .

● ففى « المالديف » لاقت احتفالات الأزهر أصداء طيبة واسعة فى نفوس المواطنين ، وكان قد رأس وفد « المالديف » للاشتراك فى هذه الاحتفالات — بمصر — رئيس جمهوريتها ، وهو خريج كلية الشريعة بالأزهر ، يصحبه وزيران من أعضاء حكومته ونشرت صحف « المالديف » الاحتفالات نقلا عن وكالات الأنباء الى جانب مساهمتها الاعلانية بالاذاعة « والتليفزيون » .

فى ابراز دور الأزهر على المستويين الاسلامى والعالمى .

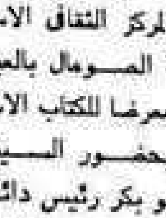
أصداء إحتفال الأزهر بعيده الألفى

* وفى دولة (قطر) ابرزت وسائل الاعلام هناك بصورة طيبة احتفال الأزهر . وخصصت الصحف القطرية صفحات كاملة تحدثت على مدى أسبوع بالدور الريادى والقيادى للأزهر . فى الحفاظ على الاسلام وتجديد الفكر الاسلامى .

* وفى « نيجامينا » عاصمة « تشاد » ألقى السفير المصرى هناك كلمة فى الاذاعة تعرض فيها لنشأة الأزهر وتاريخه ونشاطه .

* واحتفل المركز الثقافى الاسلامى فى مقديشيو عاصمة الصومال بالعيد الالفى للأزهر ، وأقام معرضا للكتاب الاسلامى تم افتتاحه رسميا بحضور السيد العقيد « عبد الرزاق أبو بكر رئيس دائرة التعليم بالحزب الحاكم وقد حضر الحفل كذلك مدير الادارة الثقافية بالخارجية الصومالية وتبع هذا الحفل حفل آخر حضره كثير من رجالات الدولة ومسئوليها تبودلت فيه الخطب للاشادة بدور الأزهر فى حماية القيم والتعليم الاسلامى .

***



* فى المجلات العالمية :

كتب الأستاذ على ارسلان فى المجلة التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الدينية فى تركيا يقول :

« والأزهر يستحق الشهرة الواسعة التى يشتهر بها اسمه ، لأنه « أطول الجامعات الدينية فى تاريخ الانسانية ، والأزهر له عدة جوانب تفتخر بها مصر والعالم الاسلامى . ويعتبر الأزهر المورد الوحيد لأساتذة العلوم الدينية والاسلامية .

كما عقدت الندوة التاسعة للابحاث العلمية الاسلامية لهذا الغرض .

* واصدرت الجمعية المولادية بجمهورية مصر العربية — كتيبا — تذكاريا بمناسبة العيد الالفى للأزهر صدر له السيد السفير / عبد الله وادى الحاج محمد سفير ماليزيا بالقاهرة بكلمة قال فيها : « .. اذا ما قدمه الأزهر الى ماليزيا لا يعد ولا يحصى وهذه الحقيقة اعترفت بها حكومة ماليزيا والمجتمع الاسلامى فيها » كذلك تناول الكتيب كلمات كل من القائم بأعمال رئيس وزراء ماليزيا . ووزير التربية والتعليم فيها . كذلك تناول الكتيب نبذة مختصرة عن مشايخ الأزهر منذ نشأته حتى الآن تحدث عن بعض الأزهريين الماليزيين . .

* وفى مجلة « درع الوطن » التى تصدرها القوات المسلحه فى دولة الامارات العربية كتب الأستاذ / عبد الفتاح الفيشاوى يقول :

« على الرغم من كون هذه المجلة متخصصة فى النواحى العسكرية الا أنها أبت الا أن تشارك فى مناسبة الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر ثم تناول الكاتب مقتطفات من تاريخ الأزهر والتجديدات التى ادخلت عليه ومدينة البعوث الاسلامية التى تضم أكثر من عشرين ألف وافد والمنح التى يخصصها الأزهر لأبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم .

قالوا عن الأزهر فى عيده الألفى :

* قال معالى عبد الرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية بدولة الامارات العربية « الحقيقة أن الأزهر لم يقصر فى أداء رسالته . لقد قدم الكثير للعرب وفتح صدره لأبناء الامارات العربية . وكنت أنا واحد منهم جئنا للدراسة وتحمل الأزهر نفقاتنا . وهذه حقيقة سنظل نحملها للأزهر فى نفوسنا .

* وقال الشيخ احمد بن عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعى بدولة الامارات « ان ما قدمه الأزهر فى سبيل العلم والاسلام وما تخرج منه من علماء ودعاة كان له أكبر الأثر فى افادة المجتمع الاسلامى والانسانى فى جميع بقاع الأرض » وانه بدون الأزهر لا يكون هناك روحانيات أو ثقافة أو علوم فى أى مكان .

* وقال رجاء جارودى « ان الاسلام هو الأمل المنشود الذى يمكن من خلاله ان يتجنب العالم الأخطار الذى تهدده .

* وقال الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير الجامعة الاسلامية بالرياض :

* ان الأزهر اقدم واعرق الجامعات الاسلامية مطالب بالمزيد من العمل الشاق فى الاصلاح وترشيد الصحوة الاسلامية .



أنباء وآراء



وظائف المسجد في محو الأميه وتعليم الكبار

* عقد المركز الاقليمى لتعليم الكبار ندوة كبيرة بسرس الليان عن وظائف المسجد في محو الأمية وتعليم الكبار شارك فيها نخبة كبيرة من علماء المسلمين وخبراء محو الأمية وتعليم الكبار في الدول الاسلامية عربية وافريقية وآسيوية وقد عقدت الجلسة الافتتاحية تحت رعاية الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى حضر الحفل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية وتداول أعضاء الندوة الحديث في الموضوعات التالية .

١ — وظائف المسجد في المجتمع الاسلامى المعاصر وفقا للاحكام الفقهية .

اعداد

● اعداد احمد عبد الرحيم السايح ● صفوت عبد الجواد ● عبد الفتاح السيد عبد السلام

٢ ــ اسهام المسجد فى تعليم الكبار ٠
٣ ــ مشكلة الامية فى الدول الاسلامية ٠
٤ ــ الاساليب المستخدمة عالميا فى محو الامية ٠
٥ ــ برامج محو الامية من خلال تعليم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ٠
٦ ــ رسالة الجامع الازهر عبر التاريخ فى محو الامية وتعليم الكبار ٠
٧ ــ دراسة معمارية للمسجد الجامع ٠
٨ ــ القوى البشرية والاساليب التنفيذية والتنظيمية اللازمة لتحقيق مهام المسجد فى محو الامية وتعليم الكبار ٠

احتفال الأزهر بعيد الهجرة
وبداية الموسم الثقافى للجامعة

● اقامت جامعة الأزهر احتفالا دينيا كبيرا بقاعة الامام محمد عبده بمناسبة الاحتفال بعيد الهجرة وبداية الموسم الثقافى بالجامعة حضر الاحتفال فضيلة الامام الاكبر الشيخ ٠ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب رئيس الجامعة والقى الدكتور احمدعمر هاشم قصيدة عن ذكرى الهجرة كما تحدث، الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس الجامعة ٠ وقد القى فضيلة رئيس الجامعة كلمة تحدث فيها عن الهجرة وعن انتصارنا فى معركة العبور ، وعن بداية الموسم الثقافى بالجامعة ٠

ثم تحدث فضيلة الامام الاكبر عن المناسبة العطرة الطيبة وشرح فضيلته أهمية دور الأزهر والأزهريين فى المجتمع الاسلامى ودورهم العظيم فى نشر رسالة الله فى الأرض واستطرد فضيلته فقال ان جامعة الأزهر تختلف عن كل الجامعات فهى تتصدى للرد عن

الاسلام لانها (مفتوحة العين وحساسة السمع) وترد على الافكار المنحرفة وتواجه دعوى العلمانية فيجب الا نعيش على الآمال فلابد للآمال من قوم يتحملون الامانة وتلك هى رسالة الأزهريين وطالب فضيلة الامام الاكبر فى ختام كلمته جامعة الأزهر بانشاء مجلة تعبر عن الجامعة ورسالتها ٠

● طالب فضيلة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس جامعة الازهر بأن يحظى طالب الأزهر فى هذه الاعوام بماكان يحظى به طالب الأزهر حين بدأ الأزهر يفتح أبوابه ٠

ليقيم فيه الطالب وليطعم فيه الطالب ويتعلم فيه الطالب ولا يصد طالب علم من الأزهر ٠

وطالب فضيلته أيضا بامتداد الرعاية فى ظل

الظروف الاجتماعية والدراسات النفسية لينال الطالب ما كان يناله فى الماضى .

وأضاف فضيلته أن التوسع فى التعليم يجب أن تسير بمحازاته الخدمات التى كانت تتم فى الماضى لطلبة الأزهر .

جاء ذلك فى الكلمة التى القاها فضيلته فى احتفال جامعة الأزهر بذكرى الهجرة هذا الاحتفال الذى شهده فضيلة الامام الأكبر وفضيلة رئيس الجامعة ونواب رئيس الجامعة والأساتذة والطلاب !!

* قام فضيلة الدكتور الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية يرافقه فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام المساعد للمجمع بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية لحضور الاحتفالات التى يقيمها المركز الثقافى الاسلامى بولاية توليدو وذلك بمناسبة افتتاح مقره الجديد .

انشاء ادارتين جديدتين بجامعة الازهر

* وافق الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر على انشاء ادارتين جديدتين بالجامعة تتبعان المدير العام للشئون الادارية بالجامعة .

تختص الاولى بتصميم وصيانة مبانى الجامعة بالقاهرة وفروع الاقاليم والارتقاء بمظهرها . وتختص الثانية بخدمة ورعاية العاملين بالجامعة وتقوم على تجميع الروابط فيما بينهم واعداد البرامج لرعايتهم اجتماعياً وصحيا وترفيهيا .

تطبيق الشريعة الاسلامية

اصدر الرئيس جعفر نميرى قانونا جديدا للعقوبات مستمدا من الشريعة الاسلامية ، ينص القانون على قطع يد السارق ، والقصاص من القاتل بقتله ورجم الزانى المحصن حتى الموت ، وجلد شاربى الخمور . وقد امرت السلطات السودانية فى اعقاب ذلك بإغلاق جميع محال بيع الخمور فى محافظة الخرطوم .. وقدم الرئيس السودانى هذا القانون الجنائى الاسلامى الجديد كجزء من عملية اعادة التنظيم الكامل للنظام القضائى السودانى ضمانا للتطبيق الحازم للعدالة .

هيئة مستقلة للدعوة

تدرس اللجنة الوزارية للخدمات مشروعا تتقدم به مجلس الشعب للحكومة يقضى بانشاء هيئة مستقلة للدعوة الاسلامية ، تتولى أمور الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج على أن تتم الاستفادة من الامكانيات المتخصصة للدعوة الاسلامية بوزارة الأوقاف ، والأزهر .

وسيكون من اختصاص الهيئة وضع سياسة للدعوة الاسلامية تكفل سد العجز الكبير فى الدعاة هذا العجز الذى تعانى منه المساجد ، وتقرير حوافز للالتحاق بكليات الدعوة

الاسلامية ، واعداد « كادر » خاص لهم أسوة بأساتذة الجامعات والهيئات الأخرى .

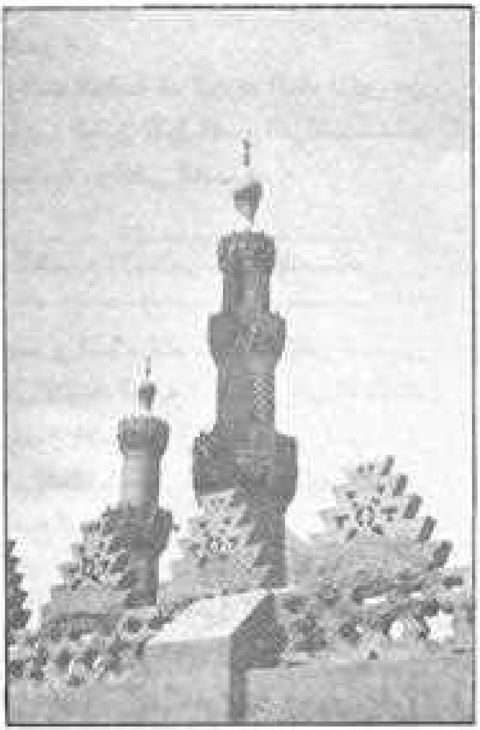
الاسلام والاتجاهات السياسية

في دراسة للباحث البريطاني « جيمس بسكاتوري » بالمركز الملكي ، للشئون الدولية عن الاسلام والاتجاهات السياسية في الشرق الأوسط ، انتهى الباحث من خلال دراسته التي استمرت ثلاث سنوات ، بهدف سد الثغرات في الفكر الغربي تجاه الاسلام . الى نتيجة ايجابية تقول : « لقد أصبح الاسلام لغة السياسة لأكثر من اتجاه في الشرق الأوسط » « وقد ضمن ما توصل اليه من نتائج في كتاب ، له بعنوان » « الاسلام في الحياة السياسية » .

مدينة اسلامية بأمريكا

تفيد الأنباء الواردة من أمريكا . بأن مجموعة من مسلمي الولايات المتحدة اجتمعوا على كلمة سواء ، وقرروا انشاء أول مدينة كل سكانها من المسلمين .. والمدينة تقام بمستوطنة « اليجافيل » التي تبعد أربعين ميلا عن مدينة « الباني » بولاية « جورجيا » .. والأرض التي تقام عليها هذه المدينة يملكها محمد علي كلاي البطل المعروف .

وفي حفل وضع حجر الأساس للمدينة ، توجه ما يزيد على عشرين ألف مسلم من مواطني امريكا السود ، وأعلنوا تأييدهم



للمشروع ، واستمرار جهودهم وراءه حتى يكتمل .

ويتوقع المراقبون أن يصل عدد سكان المدينة خلال ثلاث سنوات الى عشرة آلاف مسلم مع اكتمال المرافق العامة لها التي ستشتمل الى جانب المساكن والمساجد على مكتبة ومدرسة اسلامية ، تكون النواة لمجموعة من المراكز العلمية الاسلامية العملاقة .

افتتاح المسجد الجامع

أقيم في « رالفع » بكالورينا الشمالية ، احتفال كبير بمناسبة افتتاح قسم الدراسات

الاسلامية والمسجد اللذين انشأتهما جامعة « شو » .

وكانت الجامعة قد انجزت البناء المكون من طابقين : الطابق الأول لقسم الدراسات الاسلامية ، والثانى للمسجد .

الطابع الاسلامى على الاقتصاد

عقد فى اسلام اباد مؤخرا المؤتمر الدولى الثانى لاضفاء الطابع الاسلامى على الاقتصاد فى الدول الاسلامية .. وقد قرر المؤتمر فى ختام اعماله تشكيل اتحاد دولى يهدف الى تشجيع انجاز هذه المهمة .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر مائة وخمسون خبيرا اقتصاديا من الدول الاسلامية واعلن عقب انتهاء الاجتماعات أن لجنة تضم ثلاثة عشر عضوا شكلت لنشر فكرة اضفاء الطابع الاسلامى على الاقتصاد والأخذ بها .

الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامى

أقيم فى تلمسان بالجزائر الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامى وموضوعه : « السنة النبوية الشريفة » ، وألقيت فى الملتقى بحوث هامة تتعلق بالحديث الشريف . منها .

ـ استعمال العقل الالكترونى فى فهرسة الحديث .
ـ اعتناء علماء المغرب بصحيح مسلم .
ـ أقدم آثار تدوين الحديث كتابة .
ـ توجيهات السنة النبوية فى مجال التشريع .
ـ جمع الصحيحين .
ـ السنة كمصدر رئيسى فى الفكر التربوى الاسلامى .
ـ طبيعة الدين الاسلامى وسماته .
ـ لا سنة من غير فقه .
ـ وضع الحديث : أسبابه ونتائجه .

وسوف يكون موضوع الملتقى السابع عشر « الاجتهاد » .. على أن يحدد موعده ومكانه فيما بعد .

معهد اللغة العربية

أعلن معهد اللغة العربية لغير العرب بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، عن فتح باب القبول فى برنامج تأهيل « المجموعات » السعودية والعربية والاسلامية ، فى مجال نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية فى العالم .

ويهدف هذا البرنامج الى توفير المجموعات المؤهلة تأهيلا علميا عاليا فى مجال تعليم اللغة العربية لغير العرب ، وتخريج معلمين قادرين على نشر الدين الاسلامى واللغة العربية بالخارج بأسلوب تربوى .

ويشترط فى المتقدمين لهذا البرنامج الحصول على ليسانس اللغة العربية بتقدير جيد جدا فى مواد التخصص ، ويمنح الدارس درجة الماجستير فى علم اللغة التطبيقى ودبلوم تعليم اللغة العربية لغير العرب .

استخدام مختبرات اللغات

عقدت فى دبى ندوة اقليمية لدراسة استخدام مختبرات اللغات فى تدريس اللغة العربية ، تحت اشراف المركز العالمى للتقنيات التربوية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع وزارة التعليم والشباب بدولة الامارات العربية المتحدة .

المركز العالمى للتعليم الاسلامى

بدأ المركز العالمى للتعليم الاسلامى بمكة المكرمة يصدر سلسلة من الكتب التى تبحث فى التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى . وقد اصدر تسعة كتب تضم بعض بحوث المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى . كما اصدر توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الاربع .

الفصل بين الطلبة والطالبات

اوصى مجلس الامة الكويتى فى اجتماعه الاخير بالعمل على الفصل الكامل بين الطلبة والطالبات فى فصول جامعة الكويت ومرافقها وذلك التزاما بمبادىء الشريعة الاسلامية .

وقد بدأ المسئولون بجامعة الكويت سلسلة من الاجراءات لتنفيذ توصية مجلس الامة .

٥٠ الف فرنسى يعتنقون الاسلام

* باريس ـ ا ـ ف ـ ب ـ ذكرت مجلة « الاكتواليتيه روليجوز » الفرنسية ان عددا يتراوح مابين ٣٠ الى ٥٠ الف فرنسى من كافة الأوساط الاجتماعية وجميع الاتجاهات ، قد اشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية .

وقالت المجلة التى تعتبر اكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا ، ان الاشخاص الذين يتحولون حاليا الى الاسلام ينتمون الى الحركة الأكثر انتشارا المعروفة باسم العودة الى « الروحانيات » وينتمى هؤلاء الاشخاص الى كافة الأوساط ، فمنهم مفكرون « الفيلسوف روجيه جارودى وميشيل شودكيويتز عالم الدراسات الصوفية » وفنانون « موريس بيجار الراقص ومصمم الرقصات » بل ومنهم ـ وهذه ظاهرة جديدة موظفون وعمال .

واضافت المجلة ان هؤلاء اجتذبهم الاسلام ببساطته وبانه « دين حى يتسم بالقناعة والزهد » وبما يتيحه من امكانية « التوجه الى الله دون وسيط » .

أنباء وآراء

وقالت المجلة : ان الهجرة الى الاسلام فى الماضى كانت مقصورة اساسا على العسكريين الذين عايشوا الاسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسى فى شمال افريقيا والشرق الأوسط . وكان اول هؤلاء المهاجرين وابرزهم الجنرال مينو خليفة الجنرال كليبر الذى كان على رأس الجيش الفرنسى الذى مكث فى مصر بعد حملة بونابرت فى مطلع القرن الماضى .

شهادات الاستثمار

كتب الأخ / محمد السيد على ـ الشرقية ـ الزقازيق .

يقول فى خطابه ـ نريد أن نرى على صفحات مجلة الأزهر الغراء مقالا شافيا عن شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة هل هى حلال أم حرام ووجه الحل والحرمة ؟ لأننا فى حيرة من هذا الأمر وفقكم الله .

ـ المجلة تشكر لك هذا الاهتمام . وتبلغك بأن هذا الموضوع قدمت فيه ابحاث أحيلت الى اللجنة الفقهية بمجمع البحوث الاسلامية .

شيوخ الأزهر

كتب الأخ / أحمد محمود محمد ـ أسيوط .

مقترحا بأن تنشر المجلة فى باب أعلام الأزهر شيئا من الشيوخ الذين تولوا منصب مشيخة الأزهر فى كل عدد لكى تزداد معرفة بهم .

ـ المجلة تشكر لك هذا الاهتمام ، وتفيدكم بأن مجمع البحوث الاسلامية أصدر أكثر من كتاب جمع تاريخ هؤلاء الأعلام الأفاضل ، وستحاول المجلة أن تقدم منهم فى باب (من أعلام الأزهر) .

الاشتراكات

كتب الأخ / الشاذلى رجائى ـ السودان .

مستفسرا عن كيفية الاشتراك فى المجلة وقيمة الاشتراك .

ـ على الأخ الفاضل الاتصال بادارة توزيع الأهرام فانها المختصة بهذا الموضوع وهاك عنوانها .

القاهرة ـ شارع الجلاء ـ ادارة توزيع الأهرام .

رد خاص

الأخ / صلاح محمد لاشين ـ الغربية ـ زفتى .

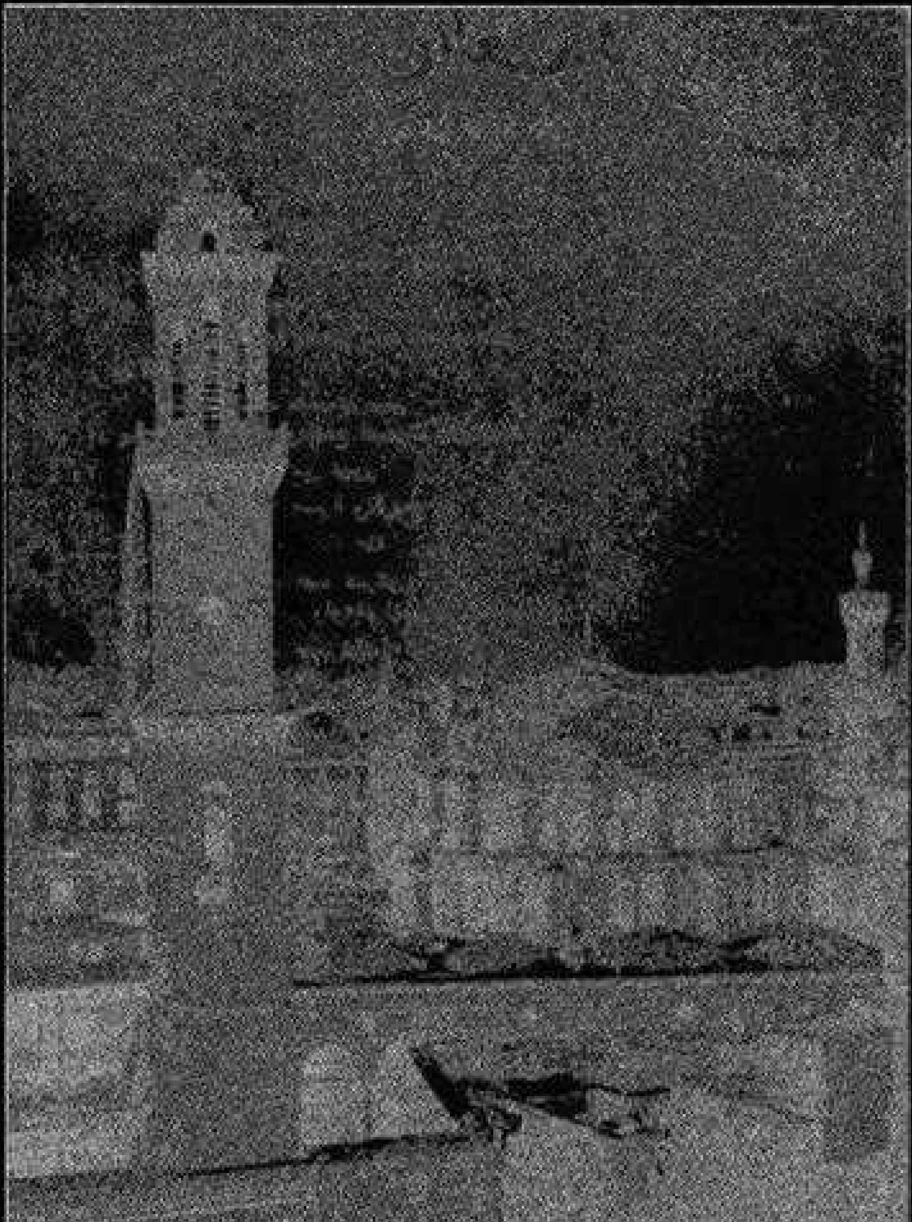
ـ أكتب بطلبك الى ادارة بنك فيصل الاسلامى بالقاهرة كورنيش النيل .

الدوائر الدعائية ضد الاسلام

كتب الأخ / د. محمد على أحمد المفتش بوزارة الصحة ـ القاهرة .

يسأل لماذا توقفنا عن نشر الدوائر الدعائية المضادة للاسلام .

ـ نحن لم نتوقف وانما انتهى بحث الكاتب ولم يبدأ حلقة جديدة وسوف نسلمه رسالتكم وبالله التوفيق .



فهرس العدد

* الجزء الثانى *
* السنة السادسة والخمسون *
* صفر ١٤٠٤ هجرية * نوفمبر ١٩٨٣ ميلادية *

طبع بمطابع روزاليوسف

repeatedly infringed by the Jews. In the course of events they suffered indignant defeat and destitution on the hands of the Muslims.

The theme of this treatise is to familiarise ourselves with the most outstanding achievements of the Prophet (Prayer and Peace from Allah upon Him) during the early period after Hijrah. Achievements that had direct and perpetual influence on further growth, development, and expansive propagation of the Islamic state.

Prayers and Peace from Allah upon the illusterious Messenger.

Legend

1 — The Qibla : direction which Muslims face during prayer.
2 — Biet Al Maqdis . Now known as Jerusalem.
3 — A total of 39 are recorded in the literature

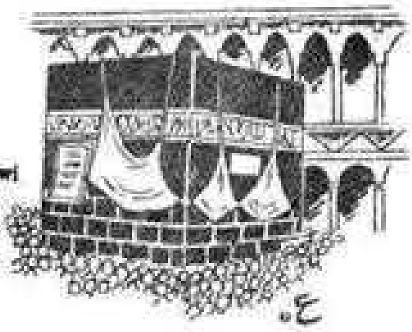
References :

1 — Hayyat Mohammed.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition, 1978.
Sheikh Mohammad Al Khodary Bey.
Great Commercial Library Cairo.

3 — Alsira Al Nabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Al Nadawi
Dar Al-Shark — Jeddah.

4 — Fiqh Al Sira.
Dr. Mohammad Ramadan Al Booty
7th. Edition, 1977.
Dar Al-Fikr Cairo.



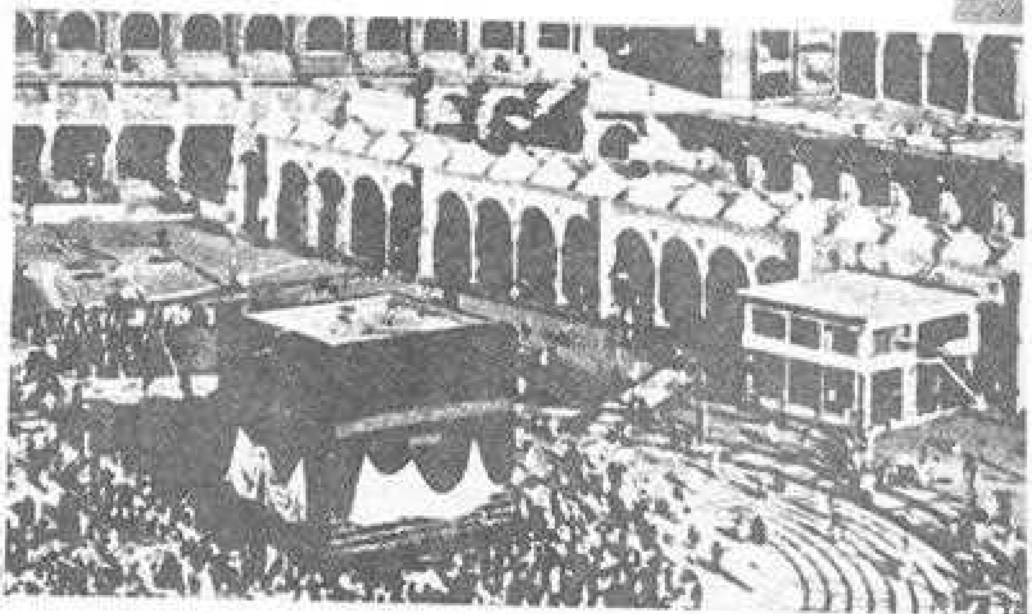
THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

of (Allah is one with no partner, and Mohammad is the Messenger of Allah).

The early residence of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) at Al-Madina was challenged by the complexity of prevailing conditions in a city with divergent, antagonistic religious cults, social classes, and tribal disputes. It was difficult and futile to associate oponent hostile powers in one crucible of social order and obedience The Prophet (Prayers and Peace from Allah tpon Him) and his companions of Muhagreen and Ansaar during those early stages still constituted a minority group as compared to resident popula tion at Al-Madina and its effective surroundings. The majority of these belonged to the Jewish clans of Banu Qaynuqaa, Qurayzah, and Al-Nadeer; who were dogmatically repellent, and persistantly rejecting the birth of the new faith brought about by the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him). However, inspite of bitter animosity to Islam, several (3) of them embraced the Faith of Islam including Abdu Allah Ibn Salaam a chieftain of Banu Qaynuqaa. Among the Arabs of Al-Madina, there were many that lived among Muslims with deciet and hypocrisy, most reputable was Abdu Allah Ibn Ubai Ibn Salool. These hypocrites were potentially more dangerous to Islam than those showing frank open enmity. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him)with devine wisdom and through Quranic revelations, recognised these hypocrites and developed means and attitudes to deter and antidote their disasterous poison within the Muslim community.

The compact hatred and antagonistic attitude of the Jewish clans towards the Islamis Faith and Muslim community was featured with frank enmity. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) reconciled to document a working agreement and truce to be formulated among Muslims on one hand, and between Muslims and jews on the other. This documentation is expandedly cited in Islamic literature, and constituted thirteen items dealing wih every possible aspect of Muslim-Jewish relationhips, limitations, possessions and freedom of belief, no armed conflict, no support of enemy, recognition of material belongings and territorial occupancy.

Such documentation reveals the honest and sincere intentions and respect of Islam towards the Jews and other religious cults. However, this agreement later on with vulgar and deceitful contrivance, and with dishonest betryal was



fundamental considerations the Prophet (Pray ers and Peace from Allah upon Him) directed his premier initial attention to the construction and function of the Mosque at Al-Madina.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) with adamant intention desired to achieve social coherence and perpetual cognition between Muslims consorting at Al-Madina, and belonging to diverce social, economic, tribal, and ethnic backgrounds. He accomplished that purpose with superb success by establishing and arranging fraternal order between pairs of Muslims particularly between Muhagreen and Ansaar. This conformity instituted several binding linkages between pairs. In its early stages this fraternity order included the right of inheritance, a practice which was later deleted by Quranic revelation. This brotherhood linkage is unprecedented in history and gained dominant authority and influence over associations and relationships within the Muslim community. The triumphal success of this fraternal order originated from true belief, honest acceptance of Islamic Faith, and profound obedience to the teachings of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). All Muslims conducting themselves intimately with penitent intention and devoted spirit to the framework of Islamic doctrine become interlaced with the eternal reality and maxim

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

During the first seven months at Al-Madina, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) stayed in the home of Khalid Ibn Zayd (Abi Ayoub Alansari), and then moved to his rooms built adjoining the Mosque. In the first year after Hijrah, three major accomplishments were completed. These were the building of the Mosque; the establishment of a fraternal order between Muslims, essentially between Muhagereen and Ansaar; and the documentation of a working agreement between the Prophet (Prayer and Peace from Allah upon Him) and the Jews resident at Al-Madina.

The Mosque was constructed in a humble manner and primitive means using mud bricks and palm trees, and covering its grounds with pebbles of stone. The Qibla (1) was directed north towards Beit Al-Maqdis (2), and was later during the second year of Hijrah transposed to be directed south towards Macca as ordered by devine Quranic revelation. The Mosque essentially used by Muslims to perform communal prayer five times a day demanded the innovation of a prayer calling system. After deliberation, debate and consultation, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) accepted and recognised the current well known method of the call for prayer — (The Athan). This was confirmed and established during the first year of Hijrah.

The Mosque is not merely a place for prayer and workship. By Islamic concept, it possesses multi-purpose functions of fundamental importance in teaching, developing, propagating, and practice of Islamic culture. In the Mosque, Muslims adhere strictly to proper Islamic conduct and behavior; they attain personal and mutual cohesion and consolidation; and gain the true traditional Islamic mannerisms.

During the assembled concourse of prayer, they develop firmness, purity confidence, equality and respectfull mutual inter-relations. They stand humble and subdued, devoid of rank or richness, without worldly arrogance or power. They all stand equal and alike in serene subjection to Allah. They ripen in manner, ability of intellect, knowledge of faith, sincere workship of Allah, and strict adhereance to the teachings and tradition of His Messager (Prayers and Peace from Allah upon Him). For such essentially vital and

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

BY :

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of ALLAH, Most Gracious, Most Merciful

The Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) from Macca to Al-Madina provided the fertile soil and suitable environment required for the institution and secureness of the newly gathered juvenile moslem community. However, although the Prophet (Prayers and Paece from Allah upon Him) and his companions were free from the oppressive despotism of Kurayth experienced in Macca, yet at Al-Madina several challenging problems were to be encountered and solved in order to achieve solid organization selective for a vanguard muslim state.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) bestowed with provident wisdom and supreme insight realised with knowledge and understanding the substancial requirements necessary to achieve his purpose. It was mandatory to establish a firm tightly bound matrix and infrastructure of spiritual unity, social order and justice, equality and sodality, all conforming within a totalitarian system which stems from firm belief, and pious devotion to faith as identified by Quranic revelations, and traditional practice of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). The acquisition of this objective demanded action and effort to be taken in salient imbending matters during those early months after the Hijrah. These were the implementation and practice of Islamic doctrine and Shari-ah; the regional and global recognition and promotion of Islamic Faith; and to consumate a suitable attitude and conduct between Muslims and other religious cults and creeds at Al-Madina.

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

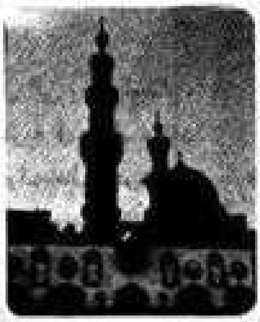
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



● الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

خير أيام الدنيا يوم سرى في ربيع الأول، وتلقى فيه الكون رحمة ربه بمولد محمد — صلى الله عليه وسلم — رسول الله الى الناس كافة حتى يوم الدين .

وما يسرى « ربيع » الا استهدف قلوب المسلمين بهذه الذكرى فشغفت لها القلوب حبا وودا واخلاصا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأملا وبشرى ورغبة في حياة افضل يستلهمونها من سيرته ، ويتذوقون فيها رحيق الايمان راجين الخير كله من رب كريم رحيم .

وهذه « مجلة الأزهر » تقدم لقارئها من السيرة العطرة والشمائل الطيبة ما يلاقيه بتلك الذكرى الطاهرة على خير ود وأعمق حب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم .

● الجزء الثالث ● السنة السادسة والخمسون ●

● ربيع الأول ١٤٠٤ هجرية ● ديسمبر ١٩٨٣ ميلادية ●

أسس الرياسة عند الرسول صلى الله عليه وسلم في ذكرى ميلاده

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعمة أنعم الله بها على الانسانية ادخره لها بعد اذ شبت ، واستتب لها الأمر على الأرض ، ولكنها بعد لم تعرف حق بارئها فذهب الانسان يتخذ اربابا من دون الله من نار ، وبقر ، وحجر .

تغدو اليه الأنبياء والرسل منذرة ومبشرة بدين الله ، ولكن قتل الانسان ما اكفره اتخذ اندادا لربه ، فانغلق قلبه دون نور الايمان وطغت عليه المادة ، فاستظل بها دون رحمة الله ، حتى استشرى الفساد في الأرض (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) .

واذ طم الجهل وعم ، وكفر الناس بأنعم الله الذي خلق فسوى كانت الرحمة المهداة فشرفت الدنيا بمولده ، واستنارت ، وكان هذا الوليد الكريم على ربه الذى اصطفاه وشرفه فيما بعد بالرسالة ، بعثا الى الناس جميعا :

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) .

نعم تدارك الله الانسانية برحمته ، بدين ينضوى تحت لوائه الخلائق الى يوم البعث ، فكانت ولادة هذا الرسول في وقت كانت المهالك والضلالات قد أصابت البشرية في مقتل ، فقد امتهنت كرامة الانسان حتى نسى نفسه ، بعد أن أنساه الشيطان ذكر ربه واستحل الحرمات ، دون خشية من وعيد أو تهديد ، وغاضت من قلبه مراقبة ربه ، ووثب الأقوياء على الضعفاء يستذلونهم ، ويستعبدونهم ، فانغلقت أبواب الراحة والرحمة ، وانفتحت أبواب الشر والآثام .



لصاحب الفضيلة
الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر

كانت ولادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشير خير وبر بالانسانية ، ونذيرا بزوال دولة الظلم والاستبداد والجهالة ، فقد بعثه الله بعد اذ اصطفاه ورباه ، وارتفع به عن الدنايا وغرس فيه كل الكمالات اعدادا لحمل أعظم وأخلد الرسالات .

فالاسلام ليس دعوة أخلاقية ولا برنامجا اصلاحيا ، ولا بيانا من بيانات الحكام .

كما لم يكن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجلا اقليميا ، ولا زعيما وطنيا ، انما كان نبيا جاء بالاسلام دينا من عند الله ، لا من صنع البشر ، دينا ينتظم كل شيء فيه كمال الفرد ، وصلاح الأسرة ، واستقامة الأمة وعمارة الحياة ونضارتها . كان مولده نعمة وبعثته رحمة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) .

فلننظر في سيرة هذا النبي حتى نقتدي به كما أمر الله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ولنتعلم كيف ساس الأمة وعلمها فانطبعت على الخير وابتعدت عن الشر .

هذه سيرته في رياسته : لقد كان أصغر اتباعه عنده كنفسه ، يكره أن يتميز على غيره ، هذا هو في سفر ، وهاهم أصحابه يقومون باعداد الطعام ــ شاة ــ يصلحونها فيتقاسمون العمل فيقول أحدهم : على ذبحها ، ويقول آخر وعلى سلخها ، ويقول ثالث : وعلى طبخها ، فيقول صاحب الذكرى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « وعلى جمع الحطب » فيقولون يارسول الله : نكفيك العمل . فيقول لهم : (علمت أنكم تكفونني ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، ان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) رياسة اعداد ومشاركة في كل الأعباء .

أسس الرياسة عند الرسول صلى الله عليه وسلم

وموقف آخر ليس للطعام وانما للدفاع عن المدينة ، ورد العدو عنها يوم الخندق لقد كان يعمل بيديه مع المسلمين فى حفر الخندق حول المدينة حماية لها من الأحزاب الذين تجمعوا يريدون بالاسلام وبالمسلمين فى المدينة الشر .

ثم ها هو يرى أن فى قضاء حوائج الناس أمانا من غضب الله وعذابه فيقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (ان لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس يفزع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله) .

كانت ولادته نعمة وبعثته رحمة ، فكانت دعوته الى تقديم الرحمة على العدل فقال :

(ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : أن رحمتى تغلب غضبى)

(ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف) وقال : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا) .

ولقد تناقل عنه بعض أصحابه انه ما خير بين حكمين الا اختار أيسرهما ، مالم يكن خرقا للدين » .

وضع للناس ميزان العدل فى الأحكام وحاسبهم بما ظهر له من أدلتهم التى يتبادلونها ووكل ضمائرهم وبواطنهم الى أنفسهم ، والى الله الذى يعلم السر وأخفى وأرشد القضاة الى العدل حين خرج الى الناس يوما وهم يختصمون فقال :

(انما أنا بشر وانه ليأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها) هذه نماذج من أسس الرياسة التى أرساها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونماها بين أصحابه فاستقاموا عليها فاستقامت لهم الحياة واجتمعوا بعد فرقة ، وكانوا روادا وقادة ، ينطقون بالحكمة ، ويعدلون فى الحكم .

نعم نذكره فى مولده رءوفا رحيما « بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » يود من عرفه ، ويعرف حق من أحسن اليه ، تلك مودته لعمه أبى طالب ، وحنينه لأمه آمنة ، وبكاؤه على قبرها ذاكرا لها ، وحفاوته بمرضعته حليمة واكرامه اياها ، ومودته لحاضنته أم أيمن .

لم يكن رحيما بالناس فحسب ، بل وبالحيوان فيقول لاصحابه معلما وداعيا الى الرحمة :

(دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) .

وبعـــد :

ففى ذكرى ميلاد الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نذكر أنه أقام هذا الدين ، رابطة قوية ، حبل الله المتين دين الاسلام ، فقوة المسلمين انما هى بالقوة الاعتقادية التى هى أجل الفضائل الانسانية منذ ان اهتدى الناس الى هـذا الدين الذى هو أقدس رابطـة وأعلاها متى تمكنت واستحكمت صعدت بالمسلمين الى مدارج السيادة والقوة وذروة المجـد ، فجنسية المسلم عقيدته (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) .

فى ذكرى مولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينبغى أن نأخذ أنفسنا أفرادا وجماعات ، حكاما ومحكومين بما كان عليه وما جاء به ، وأن نقبل على الله استمساكا بكتابه وسنة رسوله وعملا بشريعته ، وانخلاعا من الاعتقادات الباطلة ، حتى تحيا قلوبنا وتطمئن بذكر الله ، ولنعمل على تقوية العاطفة الدينية بين المسلمين ، ولنوثق الاخاء الاسلامى .

فيه تجتمع الأمة على قلب رجل واحد ، ويعصمها الله من الضلال . وليكف أولئك الذين يدعون الى الفرقة ، ويشيعون بين الناس الفتن ، فان للمسلمين طريقا واحدا مستقيما (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم

- سيدى يارسول الله
- من شمائله
- الإشراقة العظمى
- ومضات من سيرة الرسول
- قادة النبى صلى الله عليه وسلم

سيدى يارسول الله

صلوات الله وسلامه عليك

للدكتور على الخطيب

عزيز علينا انت — والله — سيدى يارسول الله .

عزيز علينا انت يارسول الله باكثر ما يفوق طاقة محب ان يشغف بحبيب كريم أمين ، رءوف رحيم ، على خلق عظيم .

عزيزة علينا شمائلك الزكية التى اختصها المولى — عز وجل — بعنايته فظلت اسوة ، وظلت رحمة ، وظلت عزاء الى يوم الدين .

عزيز علينا انت — ياسيدى ، يارسول الله — فى كل آن عزة لاتفتر فى حب لايحول ولايزول .

عليك صلاة الله وسلامه .

وتحياته ورحمته وبركاته .

على خير مايحب ربنا ويرضى .

سيدى : يارسول الله .

على الدنيا العفاء لو لم يشرق فيها يوم بوجودك ، فتختم النبيين بأيسر دين وعلينا العفاء ان لم نخصك بمزيد الانس بك ، والنفع بشريعتك ، والتعظيم لك فى يوم مولدك الكريم .

سيدى : يارسول الله ..

* لأنت أسمى شعورا وأجل انسانية من أن تصد مسلما فتمنعه أن يبدى فرحته بك ، وسعادته بذكرك ، وحبه لذاتك .

وما علمناك فعلت ، ياسيدى يارسول الله ، ولا نهيتنا ، بل علمنا انك أفسحت للسيدة التى نذرت أن تضرب دفا بين يديك فرحا بسلامتك — قالت لك : يارسول الله ، انى كنت نذرت —

>

سيدي
يارسول الله

ان ردك الله صالحا (١) — أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى ، فقلت — مارواه عنك سيدى الترمذى وغيره من الأئمة :

ان كنت نذرت فاضربى ، والا فلا .

فجعلت تضرب .

ولو كان نذر معصية ما أقررتها سيدى يارسول الله ،

وفى سند أبى داود قالت :

« **يارسول الله** ، انى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف !

فقلت — سيدى يارسول الله :

« **او فى بنذرك** »

وفى مسند أحمد — رضى الله عنه :

« **فقعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فضربت بالدف** » (٢) .

وما عليها فى فرح برىء لايستثير شهوة ، أو يصرف عن طاعة ، أو يجر الى معصية ؟!!

* وما علمناك — سيدى يارسول الله — منعت الاحتفال بالأيام الطيبة ، ولا تلقينا عنك نهيا فنلتزمه ، بل نقول — واثقين :

(١) اى سالما ، وكان صلى الله عليه وسلم قد عاد من احدى مغازيه .
(٢) انظر للامام الترمذى — الجامع الصحيح — المناقب : الحديث (٣٦٩٠) ط اولى ١٢٨٥ مصطفى البابى الحلبى .
انظر سنن ابى داود ٢/٢١٣ ط اولى ١٢٧١ مصطفى البابى الحلبى .
انظر المسند للامام احمد بن حنبل ٥/٣٥٦ الميمنية .

كان يقلس عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويقلس له يوم للفطر قال ابن ماجه — رضوان الله عليه :

« حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا شريك ، عن مغيرة ، عن عامر قال :

شهد عياض الأشعرى عيدا بالأنبار فقال :

مالى لاأراكم تُقَلِّسُون (٣) كما كان يُقَلَّس عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ »

وفى الزوائد :

هذا اسناد رجاله ثقات :

وروى — رضى الله عنه — قال :

حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو نعيم ، عن اسرائيل ، عن أبى اسحاق ، عن عامر ، عن قيس بن سعد قال :

ماكان شىء على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الا وقد رأيته الا شىء ، واحد ، فان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يقلس له يوم الفطر » .

قال أبو الحسن بن سلمة القطان :

حدثنا ابن ديزيل حدثنا آدم ، حدثنا شيبان عن عامر — ح — وحدثنا اسرائيل عن جابر — ح — وحدثنا ابراهيم بن نصر ، حدثنا أبو نعيم حدثنا شريك عن أبى اسحاق عن عامر : نحوه .

(٣) تلعبون . وورد اللعب على شكل ما كانت عليه بيئة اللاعب فى بعض الأحاديث .

في الزوائد : اسناد حديث قيس صحيح ورجاله ثقات (١) .

فهذا احتفال بيوم من أيام الله الطيبة كان فيه تقليس بين يدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي لعب ، ومانشك في أنه لعب بريء بريء حتى ليكاد عياض — رضي الله عنه — يحتج ، أو هو احتج لعدم اتيانهم به في الأخبار .

ومن يقول : ان يوم ميلاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليس من الأيام الطيبة ؟!

انه لمن أكرمها ... وأعزها ..

انه اليوم الذي احتفل فيه الكون ذاته بميلاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فارتكست فيه شرفات الكفر ، وكبت — على وجهها — الأصنام (٢) .

***

* وما علمناك — سيدي يارسول الله — منعتنا أن نحتفل بالحوادث العظام التي تشرفنا وترفع منا ، وتدفعنا الى المجد العظيم . وهذا نشيد استقبالك يوم أنرت المدينة .. كان حادثا فذا .. كان يوم الدين والدولة ، وصدحت فيه فتيات المدينة :

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة — مرحبا يا خير داع

كذا أنت سيدي يا رسول الله :

أسمى شعورا ، وأجل انسانية من أن تصد مسلما فتمنعه أن يبدي فرحته بك وسعادته بذكرك ، وحبه لذاتك .

ولا منعت — سيدي يا رسول الله — ولا تلقينا عنك نهيا بالاحتفال بالأيام الطيبة ولا منعت — سيدي يا رسول الله — ولا تلقينا عنك نهيا بالاحتفال بالحوادث العظام .

وهل يخرج الاحتفال بيوم مولدك العظيم عن احدى هذه الثلاث ؟!!

مرحبا بيومك العظيم يا خير داع !

وصلى الله وسلم وبارك عليك — سيدي — حتى يرضى فترضى .

د . علي الخطيب

---

(١) سنن ابن ماجه ٤١٣/١ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢١١/١ — ٢٢٠ عيسى البابي الحلبي .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

من صفاته الخلقية والخلقية صلى الله عليه وسلم :

كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراف الناس وأعدل الناس وأحلم الناس

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسخى الناس وأكرم الناس : لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه له وفجاءه الليل · لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايأخذ مما آتاه الله ــ عز وجل ــ الا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع ما فضل من سائر ذلك في سبيل الله ــ عز وجل ــ ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايسئل شيئا الا أعطاه ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايواجه أحدا بمكروه ، ولا يتعرض في وعظه لأحد معين بحيث يعلم بالقرينة أنه يعني ذلك الرجل ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقبل على أصحابه بالمباسطة حتى يظن كل واحد منهم أنه أعز عليه من جميع أصحابه ، ويعطي عليه الصلاة والسلام كل من جلس اليه نصيبه من البشاشة حتى يظن أنه أكرم الناس عليه ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مهنة أهله ويقطع معهن اللحم كأنه واحد منهم ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجيب دعوة الحر والعبد ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ·

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعود مرضى المساكين الذين لايؤبه لهم ويخدمهم بنفسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ·

---

(١) تقدم مجلة الازهر هذه الكلمة في مناسبة مولده ــ صلى الله عليه وسلم مستمدة من الشمائل لابن كثير المفسر شمائل الترمذي ــ رضي الله عنهما . وما ورد من صحيح الحديث ملخصة على طريق الامام الشعراني ــ رضي الله تعالى عنه من كتابه « منح المنة في التمسك بالشريعة والسنة »

إعداد الأستاذ علي حامد عبدالرحيم

وكان يتلطف بخواطر أصحابه ويقول لأحدهم اذا انقطع عن مجلسه : لعلك وجدت يا أخي منا أو من اخواننا شيئا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من غير تطويل وأحسنهم بشرا لايهوله شيء من أمر الدنيا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يواكل الفقراء والمساكين ويجالسهم ، وكان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالاحسان اليهم .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يكرم ذوي رحمه ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يقبل معذرة المعتذر اليه ولو فعل ما فعل ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يمزح ولايقول الا حقا .

وكان ضحكه — صلى الله عليه وسلم — التبسم من غير قهقهة ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يرى اللعب المباح فلا ينكره .

وكانت الأصوات ترفع عليه بالكلام الجافي فيصبر ولايؤاخذ .

وكان — صلى الله وسلم — يعود المرضى في أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويتفقد أصحابه اذا انقطعوا عن مجلسه ويقول : ماحال فلان ؟

وكان له — صلى الله عليه وسلم — عبيد واماء لايرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لايمضي له وقت في غير عمل لله — عز وجل — أو فيما لابد منه من صلاح نفسه .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يخرج الى بساتين أصحابه فيأكل منها ويحتطب .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لايحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولايهاب ملكا لملكه ويدعو هذا وهذا الى الله — عز وجل — دعاء واحدا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له وما لعن امرأة ولا خادما قط ، ولا ضرب أحدهما بيده .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لاياتيه أحد من حر أو عبد أو أمة الا قام معه في حاجته ، وما عاب مضجعا قط ان فرشوا له اضطجع ، وان لم يفرشوا له جلس على الأرض واضطجع وقد وصفه الله — تعالى — في التوراة قبل أن يبعثه فقال :

« محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح • مولده بمكة وهجرته بطابة(١) وملكه بالشام ، يأتزر

(١) هي طيبة ، اي المدينة المنورة .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

على وسطه ، هو ومن معه من دعاة للقرآن والعلم ، يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل » .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن قام معه لحاجة سايره حتى يكون هو المنصرف .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا لقى احدا من أصحابه صافحه ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله — عز وجل —

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال : « ألك حاجة » ؟ فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ، ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وما رئى — صلى الله عليه وسلم — مادا رجليه يضيق بهما على أصحابه الا أن يكون المكان واسعا ، وكان أكثر جلوسه — صلى الله عليه وسلم — الى القبلة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يكرم كل داخل عليه وربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تكون تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبل .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضاء .

وكان أرأف الناس بالناس وأنفع الناس للناس وخير الناس للناس .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قام من مجلسه قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك » ، ثم يقول : « علمنيهن جبريل — عليه الصلاة والسلام » .

وكان — صلى الله عليه وسلم — نزر الكلام سمح المقالة ، يعيد الكلام مرتين وأكثر ليفهم عنه ، وكان — صلى الله عليه وسلم — كلامه كخرزات النظم .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يعرض عن كل كلام قبيح ويكنى عن الأمور المستقبحة في العرف اذا اضطره الكلام الى ذكرها .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا سلم سلم ثلاثا وكانت عيناه — صلى الله عليه وسلم — كثيرة الدموع والهملان ، وكسفت الشمس مرة فجعل يبكى في الصلاة وينفخ ويقول : « يارب ألم تعدنى الا تعذبهم ، وأنا فيهم ، وهم يستغفرون ونحن نستغفرك يارب » .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أكثر الناس تبسما مالم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب خطبة موعظة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا نزل به أمر فوض الأمر الى الله — عز وجل — وتبرأ

من الحول والقوة ، وسأله الهدى واتباعه ، وسأله البعد عن الضلال .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وكان ينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ــ رضي الله عنهم ــ .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبيع ويشترى ولكن كان شراؤه أكثر ، وأجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم وأجر نفسه لخديجة في سفره للتجارة ، واستدان برهن وبغير رهن واستعار وضمن ووقف أرضا كانت له ، وشفع في مغيث زوج بريرة عندها لتراجعه فردت شفاعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يغضب ولم يعتب .

وحلف في أكثر من ثمانين موضعا ، وأمره الله تعالى بالحلف في ثلاثة مواضع في قوله : « قُلْ إِي وَرَبِّي »، وفي قوله : « قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ(١) » وفي قوله تعالى : « بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ(٢) »وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستثني في يمينه تارة ويكفرها تارة ، ويمضي فيها تارة وصارع ــ صلى الله عليه وسلم ــ ركانة(٣) ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحسن الناس مشيا وأسرعهم فيه كأنه ينحط من صبب من غير اكتراث منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وكان أصحابه يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول : دعوا ظهري للملائكة ، وكان اذا سافر يكون ساقة أصحابه لأجل المنقطعين يردفهم ويدعو لهم ــ صلى الله عليه وسلم .

وأما صفته في خلقه فلم يكن بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا مشى مع الطويل ساواه وكان يقول : جعل الخير كله في الربعة .

صفاته الخلقية :

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أزهر اللون ولم يكن بالأسمر ، ولا بالشديد البياض ــ والأزهر هو : الأبيض المشرب بحمرة .

وكان عرقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أطيب من المسك الأزفر ــ يعني الخالص وكان شعره ــ صلى الله عليه وسلم ــ يضرب الى منكبيه ، وكثيرا ما يكون الى شحمة أذنيه ، وكان شيبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الرأس أو في اللحية سبع عشرة أو نحوها .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرى رضاؤه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاث عكن (٤) يغطي الازار منها بواحدة .

وكان ــ كفه صلى الله عليه وسلم ــ ألين من الحرير ، وله رائحة كأنها كف عطار مسها

---

(١) سبأ ــ ٣ .

(٢) التغابن ــ ٧ .

(٣) هو ركانة بن عبد العزيز بن هاشم القرشي .. أمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف . كان من اشد قريش قوة ، واشهر مصارع فيها ، وقد صرعه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اكثر من مرة . أسلم في الفتح . ومن حديثه عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء .

(٤) جمع عكنة ــ بضم فسكون فضم : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

بطيب أم لم يمسها ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على يد الصبي أو رأسه فيعرف من بين الصبيان برائحتها .

وكان — صلى الله عليه وسلم — معتدل الخلق في السمن فبدن في آخر عمره وكان مع ذلك لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن — صلى الله عليه وسلم — وعلى آله وأصحابه وذريته والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

ملبسه — صلى الله عليه وسلم —

وكان — صلى الله عليه وسلم — يلبس ماوجد : فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يردف خلفه عبده أو غيره وتارة يردفه خلفه وقدامه وهو في الوسط .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يركب ما يمكنه : فمرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا قلنسوة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه وفي أوقات كان يضمها ويرشقها وأوقات لا يرخيها جملة واحدة .

وكان كمه — صلى الله عليه وسلم — الى الرسغ ، ولبس القباء والفرجية ولبس جبة ضيقة الكمين في سفره — صلى الله عليه وسلم — وكان رداؤه — صلى الله عليه وسلم — طوله ستة أذرع في ثلاثة وشبر ، وكان ازاره أربعة أذرع في عرض ذراعين وشبر ولبس — صلى الله عليه وسلم — البرد الذى فيه خطوط حمر ، وكان — صلى الله عليه وسلم — ينهى أصحابه عن لبس الأحمر الخالص وكان له — صلى الله عليه وسلم — سراويل ، ولبس النعل التى تسمى « القاسومة » ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — بردان أخضران فيهما خطوط حمر ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يلبس خاتما ويجعل فصه مما يلى كفه ، وكان — صلى الله عليه وسلم وسلم — يتقنع بردائه تارة ويتركه أخرى وهو الذى يسمى في العرف الطيلسان .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أغلب لباسه ولباس أصحابه القطن ، وكان — صلى الله عليه وسلم — كثيرا ما يلتحى بالعمامة من تحت الحنك كطوارق المغاربة ، ولبس الأشعر الأسود ، ولبس مرة بردة من الصوف فوجد ريح الضأن فطرحها .

وكان — صلى الله عليه وسلم يحب الريح الطيبة ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — قباء من السندس الأخضر يلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه ، وكانت ثيابه — صلى الله عليه وسلم — كلها مشمرة فوق الكعبين ، وكان ازاره — صلى الله عليه وسلم — فوق ذلك الى نصف الساق ، وكان قميصه — صلى الله عليه وسلم — مشدود الأزرار في الصلاة وغيرها ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — ملحفة مصبوغة بالزعفران ، وربما صلى بالناس

فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده وماعليه غيره ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ كساء ملبد يلبسه ويقول : « انما أنا عبد » .

وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة ، وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه ، وربما أم به الناس على الجنائز ، وربما صلى فى الازار الذى يجامع فيه ، وربما صلى بالليل فى الازار الطويل يرتدى ببعضه مما يلى هدبه ، ويلقى البقية على بعض نسائه ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ كساء أسود فاستكساه واحد فكساه له ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم يختم به على الكتب ويقول : «الختم على الكتب خير من التهمة » ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرا مايخرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوة من رأسه فجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلى اليها ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلى ــ رضى الله عنه ــ فربما طلع على فيها فيقول ــ صلى الله عليه وسلم : « أتاكم على فى السحاب » ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ فراش من أدم وحشوه ليف ، طوله ذراعان أو نحوهما ، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عباءة تفرش تحته حيثما تنقل تثنى تحته طاقين ، وكان كثيرا ما ينام على الحصير وحده ليس تحته شيء غيره ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ مطهرة من فخار يتوضأ فيها ، ويشرب منها فكان الناس يرسلون أولادهم الصغار الذين عقلوا فيدخلون عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يدفعون فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسامهم يبتغون بذلك البركة . وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا صلى الغداة ــ جاءه خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يأتونه باناء الا غمس يده فيه فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها .

طعامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وكان أحب الطعام اليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماكثرت عليه الأيدى(1) ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أكثر جلوسه للأكل أن يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلى .

ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل الطعام الحار ويقول :انه غير ذى بركة فأبردوه، فان الله لم يطعمنا نارا ــ وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل مما يليه ، ويأكل بأصابعه الثلاثة وربما استعان بالرابعة ولم يأكل قط

(1) هذا دليل على كرمه صلى الله عليه وسلم ، فى كراهته ان يأكل وحده .

بأصبعين ، ويخبر أن ذلك من فعل الشيطان .
وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل خبز الشعير غير منخول ، وربما وقف فى حلقه فلا يسيغه الا بجرعة ماء وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل القثاء بالرطب والملح وكان أحب الفواكه اليه الرطب والعنب ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل البطيخ بالخبز والسكر ، وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا(١)، وكان أكثر طعامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التمر والماء وكان يجمع التمر باللبن ويسميها : الأطيبين .
وكان أحب الطعام ــ الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اللحم ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل الثريد باللحم والقرع ، وكان يحب القرع ويقول : « انها شجرة أخى يونس ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايستكبر عن اجابة الأمة والمسكين ، وكان ــ له صلى الله عليه وسلم ــ لقاح وغنم يتقوت من ألبانها هو وأهله ، وكان له ــ جيران لهم منائح يرسلون له من ألبانها فيأكل منها ويشرب .
وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل متكئا ولو على خوان .
وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجيب الى الوليمة من دعاه ، ولم يشبع ــ صلى الله عليه وسلم ــ من خبز بر وشعير ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عز وجل ايثارا على نفسه لا عجزا وبخلا ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويكتم ذلك عن أصحابه حتى لا يشق عليهم .
وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل ماحضر ولا يرده ، ولا يرد ما وجد ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل لحم الدجاج والطير الذى يصاد وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا أكل اللحم لم يطاطىء له رأسه بل يرفعه الى فيه ؟ وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب من الشاة الذراع والكتف ، وقالت عائشة : كان الذراع أحب اللحم الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن لا يأكل اللحم الا غبا ، وكان يعجل اليه ، لأنه أعجلها نضجا وكان يحب من التمر العجوة ودعا فى العجوة بالبركة .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « انها من الجنة وهى شفاء من السم والسحر » وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب من البقول الهندباء والشمر والرجلة .
وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكره الكليتين لمكانهما من البول ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأنثيين والحياء وهو الفرج والدم والمثانة والمرارة والغدد ويكره لغيره أكلها .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ، وماذم طعاما قط ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ قصعة تسمى الغراء لها أربع حلق يحملها أربعة رجال

---

(١) اى فيما يحتاج لكسر او نحره ، فاما تناوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى فمه فما كان الا باليمنى .

بينهم(١) ، وصاع ومد وسرير قوائمه من ساج .

وكان له — صلى الله عليه وسلم — ربعة يجعل فيها المرآة والمشط والمقرضين والسواك ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — سبعة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن حاضنته — رضي الله عنها — ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا أكل اللحم والخبز خاصة غسل يده غسلا طيبا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وأتوه مرة باناء فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال : «شربتان في شربة وأدمان في اناء واحد » ثم قال : « انى لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا وأحب التواضع لربى — عز وجل — فان من تواضع لله رفعه » ، وكان — صلى الله عليه وسلم — في بيته أشد حياء من العاتق لايسألهم طعاما ولايتشهاه عليهم فان أطعموه أكل وما أعطوه قبل ولو كان شيئا يسيرا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — كثيرا ما يقوم فيأخذ ما يأكل وما يشرب بنفسه — صلى الله عليه وسلم — .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل من الكبد اذا شويت وكان له — صلى الله عليه وسلم — غنم يتقوت من ألبانها .

(١) كان كرمه — صلى الله عليه وسلم — مضرب المثل ، ومن ذلك أن جفنته — صلى الله عليه وسلم — بهذه السعة ليلتف حولها عدد كثير .

نساؤه — صلى الله عليه وسلم —

لم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه — صلى الله عليه وسلم — ، وكانت سيرته — صلى الله عليه وسلم — مع أزواجه حسن المعاشرة والخلق وكانت عائشة — رضي الله عنها — اذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه — صلى الله عليه وسلم — .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يتكىء في حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها — صلى الله عليه وسلم — وربما كانت في ذلك كله حائضا وتدافع هو واياها في خروجهما من الباب مرة ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن من غير مسيس واستقرأ أحوالهن فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة النوبة فيبيت عندها ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قرب من نسائه أول الليل أو آخره تارة يغتسل وينام وتارة يتوضأ(٢) وينام، وتارة يغتسل اذا دار على نسائه عند كل واحدة وتارة يدور عليهن بغسل واحد ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قدم من سفره لم يطرق أهله ليلا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يردف خلفه بعض نسائه في الأسفار ، وكان له

(٢) هي خفة الطيب .
(٢) هذا هو وضوء النوم للجنب — كما هو معروف عند الفقهاء .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملاة مصبوغة بالزعفران تنقل معه الى بيوت نسائه فترشها صاحبة النوبة بالماء فتظهر رائحة الزعفران فينام معها فيها ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأزواجه : « ان أمركن لما يهمني من بعدي ولن يصبر عليكن الا الصابرون » ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يثني على بعض نسائه بحضرة ضرائرها ، فاذا ذكرتها ضرتها بمكروه يغضب بذلك حتى يهتز مقدم شعره من الغضب .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا رأى شدة الغيرة من بعض أزواجه يقول : « سبحان الله ان الغيرة لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه »

وكانت أزواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتباسطن فى حضرته حتى يلطخ بعضهن وجه بعض بالطعام فيضحك ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعذر(1) نساءه فى غيرتهن ويحجزهن .

وبالجملة : فأخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تحصر وفى هذا القدر كفاية .

أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا توضأ يكاد أصحابه يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وكانت الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لا يحدون النظر اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعظيما له .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا آذاه أحد يعرض عنه أو يقول : « رحم الله أخى موسى ، عليه السلام » قد أوذى بأكثر من هذا فصبر ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا ما يقول : « لا تبلغونى عن أصحابى الا خيرا ، فانى أحب أن أخرج اليهم وأنا سليم الصدر » .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا رأى انسانا يفعل شيئا لا يليق لم يدع أحد يبادر الى الانكار عليه حتى يتثبت فى أمره فيعلمه الأدب برفق ، ودخل أعرابى يوما المسجد فبال فيه فهم به أصحابه فقال : « لا تقطعوا عليه البول » ثم قال له « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من القذر والبول والخلاء » .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركب الحمار موكوفا وعليه قطيفة ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا مر على الصبيان ـ سلم عليهم ثم باسطهم ، وأوتى ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجل فأرعد من هيبته فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « هون عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجلس بين

---

(1) عذر ـ فلانا ـ بالذال ـ التمس له عذرا فلم يلمه ، وعذر ـ بالذال ـ لانه فيها محل .

أصحابه كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدرى : أيهم هو ؟ حتى يسأل عنه فطلب أصحابه منه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فقال : « افعلوا ما بدا لكم فبنوا لــه دكانا (١) من طــين فكان يجلس عليهـا » ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله ــ تعالى ــ ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يدعوه أحد من أصحابه ولا غيرهم الا قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لبيك » .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا جلس مع أصحابه بدا كواحد منهم ، فان تكلموا في معنى الآخرة تكلم معهم ، واذا تحدثوا في أمر طعام أو شراب تحدث معهم ، وان تحدثوا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويذكرون شيئا من أمر الجاهلية ، ويتبسمون ويتبسم اذا ضحكوا وكان لا يزجرهم الا عن حرام . ومدحه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض الشعراء فأثاب عليه ، ومنع الثواب في حق غيره بل أمر أن يحثى في وجوه المداحين التراب » ، وكان ضحك أصحابه عنده ــ صلى الله عليه وسلم ــ التبسم من غير صوت اقتداء به وتوقيرا له ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا اذا جلسوا كأنما على رؤوسهم الطير ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكنى



أصحابه ويدعوهم بالكنى اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم يكن لهم كنية .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد ، واللاتى لم يلدن يبتدىء لهن الكنى ، ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم .

على حامد عبد الرحيم

---

(١) أي مقعدا .

الإشراقة العظمى

البشارات بمولد النبي عليه الصلاة والسلام

لعل من نافلة القول التحدث عن تشوق الحياة لطلعة سيد الخلق وانتظارها له بعد طول عناء ..

فلقد كانت الأرض تتلفت عن منقذ لها ينقذ الناس مما ترددوا فيه من فساد وضياع ، وتطلعت الى السماء لعله يأتي منها خبر مبهج او نبأ مفرح عن ذلك الهادي الذي بشرت به الكتب السماوية وتحدثت به الرهبان في الصوامع ، والكهان في الأديرة والمتنبئون في كل مكان .

وكانت ولادة النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم بعثته الاشراقة العظمى التي سطعت على الأرض العربية فطهرتها من الرجس أولا ، ومن التبعية لغيرها ثانيا ، كما سطعت بعد ذلك على الدنيا جمعاء فأذاقتها لذة الحياة وعلمتها معنى الكرامة ووهبتها ما كانت تطمح اليه من حرية وعزة .

واننا لنجد مصداق ذلك في المصادر التي تحدثت عن مولد الهادي البشير — صلى الله عليه وسلم — .

اخبار الكتب السماوية السابقة :

ان هذا القرآن الكريم يقرر لنا في سورة الصف أن عيسى ابن مريم بشر حوارييه بمقدم النبي — صلى الله عليه وسلم — « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » .

ويتحدث عن اليهود مبينا أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويقول في سورة البقرة متحدثا عن استنصارهم بالنبي — صلى الله عليه وسلم — في حروبهم قبل أن يبعث « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »٨٩ الى غير ذلك من الآيات .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

فاذا استنطقنا التوراة والانجيل كليهما نجد فيهما الشاهد تلو الشاهد على مجيء الرسول المنتظر — صلى الله عليه وسلم — ليكون الرسول الخاتم . جاء في كتاب نور اليقين : روى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : أجل ، والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ومن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقول لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عمياء وآذانا صما وقلوبا غلفا

وروى مثله عن عبد الله بن سلام — رضي الله عنه — وهو الذي كان رئيس اليهود ، فلم تعمه الرياسة عن ادراك الدين القويم والايمان به . وعن كعب الأحبار أيضا .

وعبد الله بن سلام هو الذي نزل في شأنه قوله تعالى « وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » الأحقاف ١٠ .

لقد كان اليهود على يقين من صدق الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأنه هو النبي المنتظر ، بل كانوا يترصدون مولده ومبعثه ، وقد تحقق بعضهم من معرفة ساعة مولده .

حدث ابن اسحاق عن حسان بن ثابت قائلا « والله اني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت ، اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة (مرتفع) بيثرب يامعشر يهود ، حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا : ويلك مالك؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء « نبوة محمد موجودة في التوراة رغم ما اعتورها من التحريف والتشذيب ، وهانذا أعدد تلك المواضع تتميما للفائدة » .

— من ذلك — في الآية العشرين من الاصحاح السابع عشر تكوين « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، هانا أباركه وأثمره كثيرا جدا » .

ولفظ العبارة الأخيرة في العبرية : هني بيرختي أوتوا وهفريتي أوتو وهربيتي أوتو بماد ماد . بامالة في بماد ماد الى واو .

ومن عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب فلو حسبنا لفظ بماد ماد بالجمل لكانت هي جمل محمد بلا زيادة ولا نقصان (٩٢) وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار في أبنائه .

وفي الآية الثالثة من الاصحاح ٣٨ تثنية : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . فجبل فاران بمكة ، وهي البلاد التي سكنها اسماعيل عليه السلام .

وكما أخبرت التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر الانجيل كذلك ، وكما تأكد اليهود من نبوته — صلى الله عليه وسلم — تأكد النصارى كذلك .

ولقد سأل الشيخ النجار يوما الدكتور كارلو نلينو المستشرق الايطالي عن ترجمة كلمة « بيريكلتوس » المعربة بكلمة « فارقليط » فقال: ان القسس يقولون ان معناها : المعزى فقال له: أنا أسألك كمتخصص في اللغة اليونانية القديمة وآدابها ولست أسألك كقسيس ، فقال : ان معناها الذى له حمد كثير .

فقال : هل توافق أفعل التفضيل من الفعل حمد ؟ أى أحمد . فقال نعم . قصص الأنبياء ص ٣٩٧ .

سيف بن ذى يزن والبشارة برسول الله :

ولما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة أتته وفود العرب لتهنئه ، وجاء وفد قريش بزعامة عبد المطلب ، فأدناه سيف وكرمه ، ثم خلا به يوما وأسر اليه بما يأتى :

« انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة وهو للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك فمثلك من سر وبر ، فما هو ؟

قال سيف : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت لكم الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ، ثم زاد الأمر وضوحا فقال : نبى هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد ، اسمه أحمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه .

قال عبد المطلب : « أيها الملك عز جدك وطال عمرك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعض الايضاح » .

فقال ابن ذى يزن : « والبيت ذى الحجب انك يا عبد المطلب لجده غير الكذب » فخر عبد المطلب ساجدا ثم رفع رأسه .

فقال له سيف : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم ....

قال ابن ذى يزن : ان الذى قلت لك لكما قلت، فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . والله مظهر دعوته فاطو ماذكرته لك دون هؤلاء الرهط الذين معك .

ثم قال له : اذا حال الحول فاتنى بأمره ولكن سيف بن ذى يزن مات قبل أن يحول الحول .

فكان عبد المطلب يقول : يامعشر قريش ، لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك لى وان كان كثيرا فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه .

فاذا قيل له : ومـــاذاك ؟ قال : ســـتعلمون ما أقول لكم بعد حين(١) .

ولا تعنى الكتب السماوية والأخبار القـديمة بالبشارة بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا اذا كانت تلك المنزلة الكبرى والمكانة العظمى فى السماء والأرض ، والا اذا كان مجيئه منقـذا للعالم من الضياع ومخلصا له مما كان يعانيه من معاناة وصراع .

لقـد كان ترقب مولـده شـغل الأذهـان والتطلعات ، حتى اذا جاء لم يكن مجيئه فجاة بدون اعلان أو توقع ، وهكـذا يكـون مجىء العظماء .

لقد سبقته ارهاصات كثيرة بشرت بمولده ، وأعلنت عن قدومه ، ونبهت على أن شيئا عظيما ذا بال سوف يحدث ، فلتأخذ الأرض زينتهـا ، ولتعلن السماء بهجتها ، ولتظهر الدنيا فرحتها ، ولتسعد البشرية بمقدم خير مبعوث وأشرف مخلوق .

لقد كان تشريف النبى ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ للوجود مثار شوق للأرواح الهـائمة والقلوب الظمأى .. رأت فى هذا التشريف ريا وظلا وأمنا واستقرارا ، كما رأت فيه أجل معانى اصطفاء الله للانسان ، ورأت فى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ المثل الأعلى لهذا الانسـان الذى جعله الله خليفة له فى الأرض .

كما رأى فيه المتحققون الصلة التى تربط بين الله والناس ، مهتدين الى هذا الفهم بضـوء قوله تعالى «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» النساء ٨٠ وقوله تعالى« قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » آل عمران ٣١

وقوله تعـالى « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » الأحزاب ٦ .

وقوله تعالى « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » النساء ٦٥ .

الا فلتكن ذكرى مولده الآن مثار شوق لحياة أفضل ومستقبل أجمل وغد يسترد فيه المسلمون عزتهم وكرامتهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

---

(١) راجع قصص العرب لمحمد جاد المولى وآخرين جـ ١ ص ١٠٤ ــ معتمـدا على البداية والنهاية لابن كثير ، والاغانى والعقد الفريد وبلوغ الارب والمختار من نوادر الاخبار ــ مخطوط .

ومضات

من سيرة الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم

انزل الله رسوله صلى الله عليه وسلم المنزل الارفع الاسمى وجعل جنابه الاعز الاحمى فشرح صدره ورفع ذكره واعلى على جميع المخلوقات قدره ، وفى ذلك يقول عنه سبحانه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) سورة الشرح ١ — ٤ .

طهر الله علانيته وسره وكمله بالعصمة وجمله بالحكمة واختص عقله بالرجاحة ونفسه بالسماحة فهو يصفه بقوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) سورة آل عمران ١٥٩ .

وهبه كمال الفطنة ونهاية الذكاء ورقاه فى العلوم والمعارف أقصى درجات الارتقاء .

يقول تعالى تعليما له ولأمته (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) سورة طه ١١٤ .

زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما ، فرض طاعته على جميع خلقه وألزمهم عرفان قدره وحقه ونفى الايمان عمن لم يسلم لحكمه وتوعد مخالف أمره عذابا أليما قال تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساء ٦٥ .

هو أمين الله على رسالته وحجته على خليقته ، قوله فصل وحكمه عدل فلا غرو أن يقول تعالى عنه فى قرآنه العظيم (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ) سورة النجم ٣ ، ٤ .

ناداه ربه فى كتابه الكريم بالنبوة والرسالة فى الوقت الذى نادى سبحانه وتعالى فيه الأنبياء والمرسلين بأسمائهم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) سورة المائدة ٦٧ .

(يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)
سورة الأحزاب ٤٥ – ٤٦ .

رتب نفسه على أسمى المبادىء ، ولم يخرج عليها فى شدته ورخائه طوال حياته .

حبه للتيسير والتخفيف :

كان يحب التيسير فى الأمور (ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اخذ أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) (١) .

وحتى فى العبادة تظهر آثار التخفيف والرفق فى تعاليمه فيقول (اذا صلى أحدكم للناس فليخفف فان فيهم الضعيف والسقم والكبير ، واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) (٢) وفى رواية وذا الحاجة .

القدوة الحسنة :

هو القدوة الحسنة فلم يخف على الناس شيئا ينتفعون به قال تعالى منوها عنه فى قرآنه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)
سورة الاحزاب ٢١ .

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
سورة آل عمران ٣١ .

معرفته قدر نعمة ربه وانشغاله به :

كان يعرف قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكره ويقول للمتسائلين عن حاله وقد غفر الله له (أفلا أكون عبدا شكورا) (٣) .

وانشغل بربه فى يقظته ونومه لاتنصرف عنه بصيرته وفى ذلك يقول (ان عينى تنام ولاينام قلبى) (٤) .

تمسكه بحسن المعاشرة :

كان أعرف الناس بالرجال وأشدهم استمساكا بحسن المعاشرة يعلم ماتحدثه الكلمة من أثر فى النفس فيقول صلوات الله وسلامه عليه (لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) (٥) .

حبه للشفاعة :

وكان يحب الشفاعة فيما يباح من الأمور فاذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال

(١) صحيح البخارى اسلام ابى ذر .
(٢) متفق عليه .
(٣) صحيح البخارى فى التهجد .
(٤) المرجع السابق .
(٥) رواه أبو داود والترمذى .

(اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما أحب) (١) .

كياسته وفطنته :

بلغت به الكياسة والفطنة الى حد لم يجعل نفسه يوما فى موضع شبهة فيتهم وان كان هو المعصوم عند الله والناس . كان ذات ليلة معتكفا فدخلت عليه احدى زوجاته وقام يودعها فى الظلام فرآه رجلان من أصحابه وعرفاه فحولا بصرهما عنه وعن المرأة فناداهما انها صفية (أى زوجته أم المؤمنين صفية) فتعجب الرجلان فقال مشفقا عليهما (ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم وانى خشيت أن يلقى فى أنفسكما شيئا) (٢) .

شمول وده الأموات والأحياء :

ولقد شمل وده الأموات كما شمل الأحياء فلم ينسه طول الزمان أن يذكر للميت حسنه فنراه صلى على قتلى أحد بعد ثمانى سنين وقال انى بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) (٣)

وفرط بفتحتين أى يتقدمهم ليسقيهم من حوضه يوم القيامة .

عنايته بنشر النظافة بين أصحابه :

نشر بين أصحابه الوعى الصحى والاعتناء بنظافة الجسم والاسنان وفى هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل يوم الجمعة) (٤) .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء) (٥) .

وكان هو صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى ذلك نظيفا طيب الرائحة وقد صح أنه شرب لبنا ومضمض وقال ان له دسما (٦) ويقول عنه أنس رضى الله عنه ماشممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) .

مراعاته مشاعر الناس فيما لايمس عقيدة أو شريعة :

كان يراعى مشاعر الناس وعواطفهم ويحس بان التمهيد لكل تغيير أمر لابد منه وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح البخارى الاعتكاف .
(٣) المرجع السابق . الجنائز .

(٤) المرجع السابق باب الجمعة .
(٥) رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم .
(٦) صحيح البخارى باب الوضوء .
(٧) متفق عليه .

أضرار وعواقب ينبغى للمصلح أن يتلافاها فيقول لزوجته عائشة (لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم — فأدخلت فيه ما أخرج منه وبلغت به قواعد ابراهيم) (١) .

مساواته بين نفسه وبين أصحابه :

جعل المساواة أساس صحبته وحق المعلم على طلابه أن يتأسوا به ، وليس هو السيادة واستغلال النفوس وتسخير الدهماء لذلك نراه صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه وكان ذلك فى بعض أسفاره فأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جمع الحطب قالوا يارسول نحن نكفيك فقال (علمت أنكم تكفوننى ولكن أكره أن أتميز عليكم ، فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) وقام فجمع الحطب (٢) .

كيف كان تعليمه لأصحابه :

وفى تعليمه لأصحابه كان يضرب لهم الأمثال من واقع ما علمه ربه — جل وعلا — حتى يبرز المعقول فى صورة المحسوس المشاهد فيسهل على الناس فهمه ويتضح تصورهم له على حقيقته فنراه يقول لأصحابه (انى رأيت فى المنام كان جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول (أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مادبةثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامهفمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك ، فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ، ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها) (٣) .

تعظيمه لأهل العلم وحفظة القرآن الكريم :

ولقد كان يعظم العلم ويعلمه أصحابه ويفضل من فيه استعداد له يقول عليه الصلاة والسلام (بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى انى لأرى الرى يخرج فى أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم (٤) .

وكان يحب أن يستمع الى آيات ربه تتلى من فم غيره ليزداد فيها تأملا ففى معنى الحديث (اقرأ على القرآن يابن مسعود قال : أأقرأ عليك وعليك نزل ؟ قال انى احب أن أسمعه من غيرى فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) فرفع رأسه فاذا النبى — صلى الله عليه وسلم — مستغرق فى البكاء (٥) .

(١) صحيح البخارى باب الحج .
(٢) كتاب نهاية الارب فى فنون الادب السفر الثامن عشر تأليف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى مطبعة دار الكتب المصرية .
(٣) صحيح البخارى الاعتصام بالكتاب والسنة
(٤) المرجع السابق كتاب العلم .
(٥) المرجع السابق تفسير القرآن .

رفقه بالصغار والكبار :

ولم يفارقه الرفق بالصغار وان كان في عبادته (كان يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب فاذا سجد وضعها واذا قام حملها) (١) وأمامة هذه كانت ابنة ابنته زينب من زوجها العاص بن الربيع — ولقد صح عنه انه قال (من يحرم الرفق يحرم الخير كله) (٢) .

وقدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تقبلون صبيانكم ؟ فقال نعم ، قالوا : لكنا والله مانقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) (٣) .

ولما كان صاحب حس مرهف لم يجرح شعور أهله في طعام يقدم اليه فمما ثبت عنه (ما عاب رسول الله طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه) (٤) .

ومن شفقته على الكبار نراه يقول — صلوات الله وسلامه عليه : (اني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه) (٥) .

وكان يقول : (من لايرحم الناس لا يرحمه الله) (٦) وقد نهاهم عن الوصال في — الصوم رحمة لهم فقالوا : انك تواصل قال : اني لست كهيئتكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني (٧) ومن وصاياه : (يسروا ولاتعسروا وبشروا ولا تنفروا) (٨) .

اظهاره القوة من نفسه ومن المسلمين :

فقد ورد عنه قوله (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) (٩) وكان يحب أن يرى الاعداء من نفسه القوة وممن معه حتى لايطمع فيهم ؛ عن عمر — رضي الله عنه — قال: فمالنا والرمل انما كنا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : شيء صنعه النبي — صلى الله عليه وسلم — فلا نحب أن نتركه (١٠) .

تواضعه وزهده :

(بلغ من تواضعه انه شرب من مكان أيد الناس في زمزم وعرض أن يعمل فيها) (١١) وعاش صلى الله عليه وسلم حياته زاهدا في الدنيا يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين لتقتدي به أمته فقد ثبت أنه رهن درعه عند رجل من أهل الكتاب وقال (ما أمسى عند آل محمد صاع برولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة) (١٢) .

---

(١) المرجع السابق (الصلاة) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) صحيح البخاري ومسلم .
(٥) صحيح البخاري .
(٦) متفق عليه .
(٧) متفق عليه .
(٨) متفق عليه .
(٩) صحيح مسلم .
(١٠) صحيح البخاري (الحج) .
(١١) المرجع السابق .
(١٢) المرجع السابق البيوع .

كراهيته للشرك ومكافأته على المعروف :

كان يكره الشرك والمشركين ويكافىء على المعروف لذلك فقد أوصى عند موته فقال : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزه) (١) .

اقراره دقة القيافة ومراعاة الظاهر من أحوال الناس :

من ذلك أن أسامة بن زيد وأباه كانا نائمين فدخل قائف وقال (ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر النبى وأعجبه وأخبر به عائشة)(٢)

وكان يحسن الظن بالناس ويعلم الأمة أن تقيم الأحكام على أساس الظاهر من أحوالهم بعيدا عن التجسس أو التخمين لذلك نراه - صلى الله عليه وسلم يقول (انى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم) (٣) .

رحمته باليتامى والضعفاء :

ومن رحمته الكبيرة باليتامى انه كان يوصى بهم ويعد الأوصياء المحسنين بمنزلة تدنو من منزلته عند الله لذلك يقول - صلوات الله وسلامه عليه : (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا) (٤) .

وعن الضعفاء يقول (ابغونى فى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم) (٥) وعن ملاحظة الأرملة والمسكين يقول (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالقائم الذى لايفتر ، وكالصائم الذى لايفطر) (٦) .

وعن اعالة البنات يقول (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه) (٧) .

وعن رعاية النساء عامة يقول - صلى الله عليه وسلم - من حديث طويل (استوصوا بالنساء خيرا) (٨) .

بصره بالأمور ونبل غايته :

كان - صلى الله عليه وسلم - بصيرا بالأمور نبيل الغاية يدخر لأمته ماهو نافع لها فيقول - صلوات الله وسلامه عليه - فى ذلك (لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) (٩)

وهو وان أنسته بشريته ذكرته نبوته لذلك فهو يقول (انى بشر اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائى عليه رحمة) (١٠) .

كيف كان خلقه :

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جانب كبير من حسن الاخلاق وكان يحض أصحابه وأتباعه على مكارم الاخلاق يقول الحق سبحانه وتعالى عنه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (سورة القلم ٤) .

ولما سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين وزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خلقه قالت (كان خلقه القرآن) فلم يكن أحد

(١) صحيح البخارى .
(٢) المرجع السابق فضائل الصحابة .
(٣) المرجع السابق غزوة الطائف .
(٤) المرجع السابق الطلاق .
(٥) رواه أبو داود باسناد جيد .
(٦) متفق عليه .
(٧) رواه مسلم .
(٨) متفق عليه .
(٩) صحيح البخارى الدعوات .
(١٠) المرجع السابق .

من البشر ولايكون على أجمل منها فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكريمة مما لايحد ولايمكن وصفه .

ووصفه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقال (لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وكان يقول (ان من خياركم أحسنكم أخلاقا) (١) ويروى عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال : (سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق) (٢) وتقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (٣) .

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم :

جعلت الصلاة عليه قربى وزلفى الى الله تعالى يجازى عليها بالاحسان من أداها ويحقق له ماتصبو اليه نفسه ويتمناه قلبه يقول تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة الاحزاب ٥٦ .

ويقول — صلى الله عليه وسلم — (اذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) (٤) بل انه يتعرف على الخلق بعد وفاته بمقدار صلاتهم عليه فيقول فى ذلك (ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على) (٥) .

كيف ختمت بـه رسـالات السماء :

ولقد أكمل الله — سبحانه — به — صلى الله عليه وسلم — البناء وأودع فيه من الخصائص ما استغنى به عن ارسال جيش من المرسلين وضمن كتابه المنزل عليه عموما ومرونة يسع بهما الزمان والمكان والأشخاص الى يوم القيامة وفى هذا المعنى يقول — صلى الله عليه وسلم — (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون :هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٦) .

وفى معنى ختم ديوان النبوة به — صلى الله عليه وسلم — يقول الله تبارك وتعالى : (مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٧) .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه ابو داود والنسائى .
(٦) صحيح البخارى اسلام ابى ذر .
(٧) سورة الاحزاب ٤٠ .

الرسول

رحمة مهداة

للشيخ محمد صابر البرديسى .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

« انما انا رحمة مهداة » (١)

العناية بذكرى الرسول « صلى الله عليه وسلم » والاهتمام بسيرته امر واجب على كل مسلم .

والمسلمون فى كل عام يحتفلون بمولد الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وكتابهم يتناولون سيرته ويذكرون مناقبه ، ويطرقون نواحى مختلفة من نواحى مجده وعظمته .

لقد كانت الدنيا والعرب على وجه خاص قبل بعثته — صلى الله عليه وسلم — فى ظلام دامس ، وجهل فاضح ، وضلالة عمياء ، وقسوة ظالمة — صرفت الانسان عن إنسانيته ، وفجرت فيه نوازع الشر ، وشراسة باغية عاتية حولت الناس الى وحوش ضارية أفزعت الأمنين وجعلتهم فى صراع دائم فأرسل الله رسوله محمدا — صلى الله عليه وسلم — رحمة بتلك البشرية التائهة فى ضلالها لينتشلها من براثن الجهل ، وظلمات الباطل .

جاء محمد فرفع الأمة من حضيض الهوان والشقاء ، الى أوج السعادة والعزة والرخاء .

وعاد الى التوحيد ، وقرر الحرية والمساواة ، وشرع الاخاء والحب والتعاون والرحمة ، وقضى على الرذائل والمنكرات ، ومحا الأوهام الضارة ، وهذب الشهوات ، ووقف ضد التقاليد البالية ، وجمع الناس تحت لواء واحد وشريعة واحدة هى شريعة الاسلام .

لقد أرسله الله بالهدى والرحمة ، فشمل برحمته الناس جميعا ، واقتدى به أصحابه والمسلمون فأصبحت الرحمة طابعا لهم ، وعنوانا لأقوالهم وأفعالهم .

لقد جاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رحمة الى الناس كافة فأخذت بأيديهم

---

(١) شرح الجامع الصغير للمناوى جـ ٢ .

الرسول

رحمة مهداة

الى الهدى ، جاءهم بمنهج سمح يسعد البشرية كلها ، يلبى رغبة الناس ، ويوجههم نحو العلا والتقدم ، لا يقعد بهم ولا يكبت طاقاتهم ، ولا يحرمهم الاستمتاع بطيبات الحياة ، لا يعذب الجسد ليسمو بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد بلا حدود .

وقد لاحت بشائر نبى الرحمة ، وظهرت بواكيرها ، منذ نعومة أظفاره وقت أن كان رضيعا .

فقد كانت حليمة السعدية فقيرة مسكينة ، تقيم هى وزوجها الحارث فى خيمة فى منطقة قليلة الخير ، بحثت فى بيوت مكة علها تجد من يدفع اليها طفلا ترضعه ، فكان محمد من نصيبها ، وقبلت أن تكون مرضعة له على يتمه ، فان ما يدفع لها من المال (مهما قل) فانه يساعد فى الغذاء فيدر صدرها لبنا تعطيه لمحمد ، ولأخيه عبد الله من الرضاع .

حملته حليمة الى خيمتها فحملت معه السعادة والرحمة والخير والبركة ، وما أن استقرت به فى خيمتها حتى تغير كل شىء حولها ، فأمطرت السماء ، ثم اخضرت الأرض مليئة بالمرعى ، فعم الخير ، وأصبح اللبن فى ضروع المواشى كثيرا وغزيرا ، وغمرت الحياة الرخية المنطقة كلها حتى قال القوم (اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب (يعنون حليمة السعدية) .

ظلت الرحمة تحيط به ، وتنتشر من حوله ، لزمته واستمرت معه ، وأصبحت جزءا منه يتصرف فى أموره من خلالها .

ففى ريعان شبابه حين اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه من الكعبة ، بعد ان تضافرت جهودهم فى تجديد بنائها ، وكادوا يحتكمون الى السيوف ، لولا أنهم رجعوا الى عقولهم ، واتفقوا على أن يحكموا أول داخل من الباب عليهم ، وتعلقت أبصارهم لترقب الحكم الذى تسوقه الأقدار اليهم ، فكان محمد أول داخل من ذلك الباب ، فهتفوا جميعا « هذا الأمين رضيناه حكما » . والرحمة من صفات الانسانية الفاضلة التى تحيط المجتمع بسياج من الحب ، وتجعل أبناءه متعاطفين متحابين متراحمين .

وأخص ماتكون صفة الرحمة فضيلة انسانية اذا كانت مع الصغار الذين يحتاجون الى حنان خاص ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا يسع الناس جميعا ، الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، وكيف لا يكون كذلك وقد وصفه الله بقوله « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »(١)

كان — صلى الله عليه وسلم — يداعب الصغار ويحنو عليهم ، ويضمهم الى صدره ، ويقبلهم بفمه رحمة ، وحنانا وشفقة ، وللبؤساء واليتامى تعزية وسلوى .

عن أسامة بن زيد — رضى الله عنهما — قال: كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأخذنى فيقعدنى على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(اللهم ارحمهما فانى أرحمهما)»[1]

ومن رحمته بالنساء رحمته بأزواجه « وكان يحافظ على شعورهن » ، من ذلك أنه حدث خلاف بين السيدة صفية بنت حيى بن أخطب (زوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم —) « وكانت قبل اسلامها من يهود بني النضير » وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالتا لها « نحن أكرم على رسول الله منك ، فشكت ذلك للحبيب المصطفى — عليه الصلاة والسلام — ، فقال لها :

(الا قلت لهما : وكيف تكونان خيرا منى ، وزوجى محمد ، وأبى هرون ، وعمى موسى ؟) .

ويرخص للبنات الصغار أن يلعبن باللعب التى تدربهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن .

ومن مواقف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع عائشة فى صغرها هذه الرخصة عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : (كنت ألعب بالبنات عند النبى — صلى الله عليه وسلم — وكان لى صواحب تلعبن معى ، فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن الى يلعبن معى) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال: مات ميت فى آل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاجتمع النساء يبكين ، فقام عمر ينهاهن ويطردهن ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دعهن ياعمر فان العين دامعة، والقلب مصاب ، والعهد قريب .

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .

فما أحوج الناس الى أن يتطلعوا من هدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يرقق قلوبهم ، ويبعث فيها الرحمة ، ويذهب فيها الغلظة والجفوة فقد رحم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هؤلاء النساء فلم يمنعهن من البكاء الاضطرارى الذى لا يمكن دفعه الا بمكروه يلحق بالجسد ، ويصيب البدن ، وهذا فيه كبير ضرر ، على أن النساء لم يزدن على البكاء فيفعلن ماهو ممقوت من النياحة والجزع وصدق الله اذ يقول :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

هو رسول من أنفسهم ، وثيق الصلة بهم جزء منهم ، تربطهم به صلة النفس بالنفس ، والروح بالروح ، وهى أشد صلة وأعمق أثرا ، رحيم بأمته يشق عليه مشقتها ، ويعمل على راحتها ويبذل فى سبيلها النفس والمال ، لأنها صلة فى الله ولله .

لا يلقى بأمته الى التهلكة ، ولا يدفع بها الى المهالك ، واذا لاح للبعض أن فى التكاليف مشقة ، فهى فى الواقع رحمة ، رحمة من الذل والهوان ، ومن الذنب والخطيئة ، هى الحرص على أن يكون المسلم مثلا أعلى فى الخلق الفاضل وأن يكون له شرف الرضا من الله ، وأن يظفر بما وعد الله به عباده المتقين من الظفر بالجنة ، رحمة شملت الفرد والجماعة ، وعمت كل ذى كبد حرى ، وتجاوزت البوادى والحواضر لتغمر آفاق الدنيا ، وتتعداها الى الدار الآخرة حيث

الرسول

رحمة مهداة

يكون الجزاء الأوفى والجنة هي المأوى .

وفي حديث رواه مسلم عن جرير بن عبد الله — رضي الله عنه — أن قوما من مضر أقبلوا على الرسول — صلى الله عليه وسلم — في صدر يوم من الأيام وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة ، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا ، فتغير لذلك وجه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبدا عليه الغضب الشديد ، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم الفاقة الى هذا الحد ، ورؤى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ مهتما قلقا يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن في الناس ، فأذن بلال ، وحضر الناس ، وأقيمت الصلاة ، ثم خطب فقال : (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ »(٢) الا فليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، الى أن قال :

(ولو بشق تمرة) ، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب ، فتهلل وجه النبي — صلى الله عليه وسلم — لما رأى من تلبية ندائه واستجابة دعوته ، وقيام الأغنياء بحق الفقراء ، ثم قال : (من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده لم ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(٣) .

رسول الله بالمؤمنين رءوف رحيم عز عليه أن يرى هذا المنظر المؤلم ولم يطق صبرا أن يرى العري والضعف والهزال ماثلا أمامه وفي المسلمين أغنياء لديهم الأموال ، فأخذته الرحمة ودفعته الشفقة فاهتم بأمر هؤلاء الفقراء ، وتغير وجهه ، وكأن الأمر مصيبة ونازلة تعم المسلمين ، فجمع المسلمين ودعاهم الى الاكتتاب والتبرع فكان هذا أول اكتتاب مالي في الاسلام لمحاربة الفقر والبؤس والعوز .

---

(١) سورة النساء : ١

(٢) سورة الحشر ١٨ — ٢٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه عن ابي جحيفة رضي الله عنه — وأخرجه احمد ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي

(كما في البيان والتعريف) .

ولم تمت الرحمة بموت محمد بل عاشت فى قلوب الناس احساسا وعقيدة ومثلا من نبى الله فى أخلاق الله ، وهذه هى الحقيقة التى جعلها الرسول للمسلم مثله الأعلى ، ولن يكون مسلما كاملا الا بها والا اذا امتد بمنائحه حول أمته كلها .

أرسلت بنت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقول : (ان ابنى قد احتضر ثم أقسمت عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، فرفع اليهم الصبى فأقعده النبى فى حجره ، ونفسه تتقعقع ، ففاضت عيناه فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ قال : (هذه رحمة يجعلها الله فى قلوب عباده ، انما يرحم الله من عباده الرحماء) .

الرحمة صفة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه (انما أنا رحمة مهداه) .

ويقول الله تعالى « مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » ومحمد وصحبه أشداء على الكفار ، وفيهم أقرب الناس اليهم،آباؤهم واخوتهم وذوو قرابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الصلات وتلك الوشائج جميعا ، وهم رحماء فيما بينهم ، يتحابون فى الله ، وهم اخوة دين ، يقيمون علاقاتهم وعواطفهم ومشاعرهم وسلوكهم واعمالهم على اساس من المحبة فى الله ، فاذا اشتدوا فالشدة فى سبيل الله ، واذا تراحموا فالرحمة لله ، تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، الشدة والسماحة ، والبغض والحب لا يكون الا لله .

وتتعدى رحمته ــ صلى الله عليه وسلم ــ الانسان فتشمل الحيوان أيضا وهذا سراقة يسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ضالة الابل تغشى حياضه ، فهل له من أجر ان سقاها ؟

فيقول له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

(فى كل ذات كبد حرى أجر) .

ففى سقى الحيوان وجميع وجوه الاحسان اليه من اطعام وعلاج فيه ثواب وأجر ، والمراد الاحسان الى كل مافيه حرارة الحياة ورطوبتها ويختص ذلك بالحيوان المحترم الذى لم نؤمر بقتله .

وفى الحديث (بينما رجل يمشى اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج ، فاذا بكلب يلهث ويأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب مثل الذى بلغ بى فنزل فى البئر ثانية فملأ خفه ثم امسكه بأسنانه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكره الله فغفر له ، قالوا يا رسول الله : (وان لنا فى البهائم أجرا ، قال ــ عليه الصلاة والسلام (فى كل ذات كبد حرى أجر) . صلى الله عليه وسلم .

محمد صابر البرديسى

خاتمة حول

قادة النبي

صلى الله عليه وسلم

وددت ــ وقد انتهيت ، بفضل من الله ــ سبحانه ــ من الحديث عن قادة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان اعرج بكلمة مختصرة تبرز امرين جليلين في هذه الدراسة .

الأول : ما مر بقارىء هذه السلسلة ، من اعمال لبعض اصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكلفوا بادائها بأمر صريح يصدر اليهم منه عليه الصلاة والسلام ، فقاموا بانفسهم ــ بهذه الاعمال التي تقتضي فدائية فذة ، وهؤلاء هم « المتطوعون » .

فكان يكفي أن يقول ــ عليه الصلاة والسلام :

« من لي بهذا الخبيث » .

أو « الا آخذ لي من ابنة مروان » .

أو « من لي بابن الأشرف » .

.. فما أن ينتهي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كلمته حتى يتطوع أحدهم ، وقد يسرها ــ في نفسه لا يطلع عليها أحدا ــ فيخلص المسلمين من شر هذا الخبيث .

من هؤلاء :

سالم بن عمير ــ رضى الله عنه ــ الذي خلص المسلمين من « أبي عفك » الخبيث وعمير ابن عدي ــ رضى الله عنه ــ قتل ابنة مروان ، ولم يخش ــ وهو شبه الكفيف ــ أبناءها الخمسة ، ولا قومها ، بل قال لهم :

« يابني خطمه ، أنا قتلت ابنة مروان فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون » .

محمد بن سلمة ــ رضى الله عنه ــ قام ، ورهط من أصحابه فضربوا كعب بن الأشرف شيطان يهود في عقر داره في « خيبر » ورجعوا سالمين .

ومن هؤلاء ــ أيضا ــ ابن أبي حدرد ورفيقاه ــ رضى الله عنهم ــ هاجموا رفاعة ابن قيس الجشمي وقومه بني جشم ، ونداؤهم : الله أكبر : فأتاهم نصر الله .

هؤلاء الأصحاب وأمثالهم أسوة في الايمان بالهدف ونكران الذات عملا بما يرضى الله ورسوله .

والثاني : هؤلاء الفئة من الأصحاب الذين تلقوا ــ أو تلقى أحدهم أمرا بمهمة من « استطلاع » أو « قتال » وهؤلاء هم :

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

المأمورون .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يحدد لهم ما يريد ، والوجهة التي يذهبون اليها ، والعمل المنوط بهم ، فيسمعون ويطيعون عن ايمان واقتناع ورغبة في الشهادة وفي مقدمة هؤلاء أصحاب السرايا من أصحابه — صلوات الله وسلامه عليه — ورضي الله تعالى عنهم ، مثل :

سرية عبد الله بن جحش — رضي الله عنه — بعثه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ، كتب له — صلى الله عليه وسلم — كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره أحدا من أصحابه ، وبعد مسيرة يومين يفتح الكتاب ، فاذا فيه أمر بالمضي قدما حتى نخلة بين مكة والطائف يترصد قريشا ويعلم من أخبارها فيقول « سمعا وطاعة » .. هكذا الأمر وهكذا الطاعة ، وكانت توجيهات الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهؤلاء المأمورين خيرا وبركة لهم .

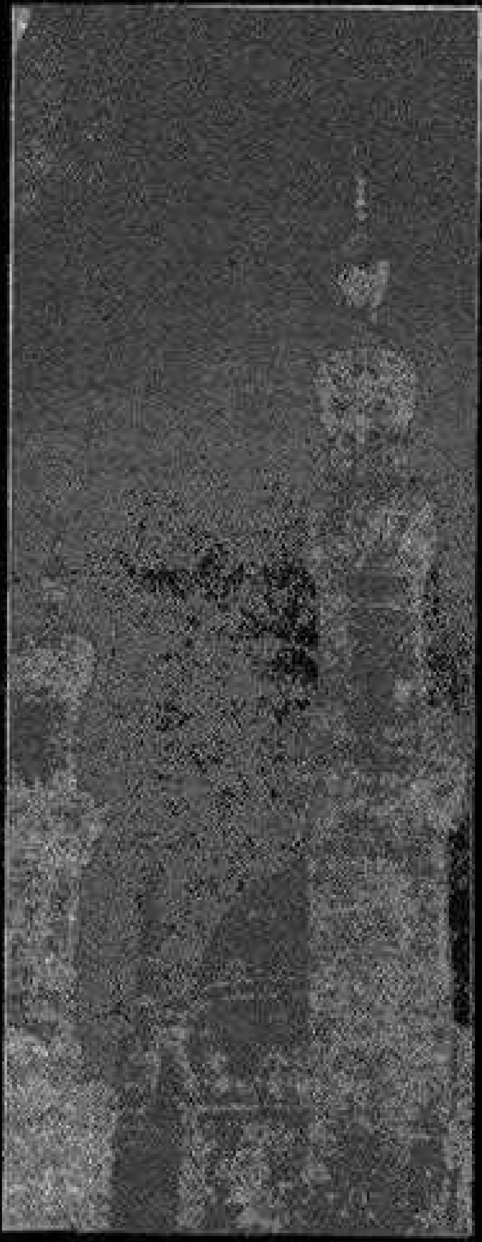
ومن هؤلاء حذيفة بن اليمان ، وان لم يذكر في قادة السرايا ، وكان بعض المؤلفين كابن الأثير صاحب .. أسد الغابة يراه منهم .

وهو حذيفة بن حسل — أو حسيل — بن جابر ابن عمرو بن ربيعة من غطفان واليمان لقب . وحسل بن جابر هو الذي ذهب الى المدينة بعد أن أصاب دما في قومه وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه اليمان — لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن أسلم حذيفة رضي الله عنه وهاجر الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة وشهد مع النبي — صلى الله عليه وسلم — احدا وقتل أبوه خطأ من المسلمين فأراد الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يدفع ديته ولكن حذيفة — رضي الله عنه — تصدق بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خيرا .

كان حذيفة — رضي الله عنه — صاحب سر الرسول — صلى الله عليه وسلم — في بعض المنافقين فلم يعلمهم أحد الا حذيفة أعلمه بهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وكان عمر — رضي الله عنه — في خلافته — اذا مات انسان ينتظر فان حضر حذيفة الصلاة صلى عليه عمر ، وان لم يحضر حذيفة لم يحضر عمر — رضي الله عنه — وحضر مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — غزواته وفي غزوة الأحزاب ، وبعد أن دب الفشل في حزب الشيطان وصلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — هويا من الليل التفت الى أصحابه قائلا :

من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة .

قـــادة النـــبي



فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ومن شدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحـــد دعا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حذيفة فلبى ، وقال الرسول صلى الله عليـــه وسلم : (يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا) .

ويقول حذيفة ــ رضى الله عنه ــ : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بنـــاء فقام أبو سفيان فقال : ــ

يامعشر قريش : لينظر امرؤ من جليســـه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فـــلان بن فـــلان فنادى أبو سفيان على القوم مقترحا الرحيل ، وكان أبو سفيان أول مرتحل .

ويقول حذيفة ــ رضى الله عنه ــ : لولا عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى « أن لا تحدث شيئا حتى تأتينا ، ثم شئت لقتلته بسهم .

وثبت فى الصحيح علمه تفصيلا بالفتن .

اشترك حذيفة فى حروب الردة ولـــه فيها بطولات خارقة ، وحضر « نهاوند » وفتح همدان ــ همذان ــ والرى وشـــهد فتح الجزيرة واستعمله عمر على المدائن مات بعد عثمان سنة ست وثلاثين هجرية رحمهما الله .

ابراهيم عبد الرحمن أبو الفيط

آراء.. وآراء

بقلم المستشار السيد عبد العزيز هندى

اولا ــ عن تطبيق الشريعة الاسلامية :

ــ فى مقالات بعنوان : ملاحظات حول العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية نشرته مجلة « المصور » الغراء ــ للاستاذ حسين احمد امين ·

ولنا على هذه الملاحظات ملاحظات ــ نوجزها فيما يلى :

١ ــ ليس من شك فى صحة ما قرره الكاتب من ان الدعوة للعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية هى دعوة حق يراد بها حق ــ وان ما قرره الكاتب من انه من المؤمنين بضرورة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ــ هو امر لامراء فيه ·

اما ماذهب اليه الكاتب من انه « ليس ثمة مجموعات للأحكام التشريعية الاسلامية صيغت صياغة نهائية محددة واضحة المعالم ويراد من حكومات اغفلتها زمنا طويلا ان تعود الى تطبيقها والعمل بها » ــ فانى ابادر فاقرر بأن هذه الصعوبة قد واجهتنا حين بدأت اللجان المشكلة لتقنين الشريعة الاسلامية عملها ــ ولكنها لم تقعد بها عن أداء مهمتها ·

فقد ذهب راى الى انه لا لزوم اصلا لتقنين الشريعة الاسلامية ولا حاجة لنا به ــ فان اصول الشريعة مقررة فى الكتاب والسنة ــ وما على القاضى الا ان ينظر فيها ليجد ضالته ·

ولما كان الاخذ بهذا الراى ــ وهو عدم التقنين ــ تعترضه صعاب جمة سقنا ــ وان كان لا خلاف بين المسلمين على تحريم السرقة مثلا ــ الا أن السرقة الموجبة لاقامة الحد ــ تستوجب توافر أركان معينة ــ ذهب فيها الفقهاء مذاهب شتى ــ ومن ثم يعدو لزاما تحديد هذه الاركان ــ تيسيرا على القاضى والمتقاضى على حد سواء ــ وأن يصدر بها تشريع ملزم ــ يستمد أصوله من الشريعة الغراء ــ وغير متعارض مع أصل من الاصول القطعية الثبوت والدلالة فيها ــ فيكون بهذه المثابة اجماعا ملزما ــ مصوغا صياغة نهائية واضحة المعالم ــ فى مجموعات منسقة على نحو علمى دقيق ·

وبذلك نجمع بين الحسنيين ــ العمل بشريعة الله ــ وتسخير العلم والفن لتكون فى خدمة هذا الغرض النبيل ــ « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » .

وقد قامت اللجان المختلفة التى شكلت لهذا الغرض ــ سواء فى الازهر او وزارة العدل او مجلس الشعب ــ بما نيط بها من هــذا العمل الجليل ــ واخرجت مجموعات القوانين الخاصة بالمعاملات المدنية ــ والتجــارية ــ والتجارة البحرية ــ والعقوبات ــ والاجراءات ــ فضلا عن قانون الاحوال الشخصـية ــ وجميعها تحت المراجعة النهائية قبل اصدارها من السلطة المختصة ــ قريبا بمشيئة الله ــ ليكمل العمل بشريعة الله ــ فى كل شــأن من شئون الحياة ــ وبالتالى فانه لا يكون ثمة وجه لهذا الاعتراض .

٢ ــ ولما كان معلوما أن قوام القسم الخاص بالمعاملات فى الشريعة الاسلامية ينهض عـلى دعامتين أساسيتين ــ هما العقوبات والمعاملات المدنية ــ وأن قانون العقوبات المصرى يضم بين دفتيه ما يقرب من ١٢٠ جناية ــ فضــلا عن الجنايات التى تضمنتها القوانين الخاصة ــ والجنح والمخالفات . هذا ــ على حين أن الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبات مقدرة الا فى خمس جرائم فقط ــ هى السرقــة والحرابة والزنا والقذف والردة فضـــلا عن القصاص ــ وتركت ما عدا ذلك من نشــاط اجرامى لتعالجه التشريعات الوضعية وفقــا للمتغيرات التى يتطلبها المجتمع فى كل زمان ومكان ــ وفى مجال التعزير متسع للمواءمة بين العقوبات التعذيرية وبين ما يتطلبه صالح المجتمع من عقوبات شريطة الا تخالف مبــدأ مقررا فى الشريعة الغراء .

ولما كان مجموع مواد قانون العقــوبات والاجراءات حوالى (١٠٣٢) مادة ــ كمــا يبلغ مجموع المواد فى القــوانين المــدنية والتجارية والقوانين المكملـة لهما حــوالى (٢٠٢٣) مادة وبذلك يكون مجمــوع مواد القانون فى هذه الفروع حــوالى (٣٨٩٧) مــادة .

ولا حجر على حرية الناس ــ فيما عــدا الاحكام القطعية الثبوت والدلالة فى الشريعة الاسلامية ــ وهى محدودة معدودة ــ فى اتخاذ ما يرونه ملائما لحياتهم من قوانين واجراءات ــ فهى حق مقرر للسلطات الدستورية المختصة ــ تستهدى فيه بالمصالح المرسلة ــ بحسب الزمان والمكان ــ مادامت مقرراتها فيهــا لاتخالف أصلا مقررا من أصول الشريعــة الغراء

٣ ــ ولا حجة فى التعلل بان السنة الشريفة قد تعمد اقوام تحريفها ــ كما ذهب الى ذلك الاستاذ حسين احمد امين ــ فى مقالاته ــ فان الثابت الواقعى ــ يبين منه ان الله سبحانه ــ قد قيض للسنة الشريفة ــ منذ بدء تدوينها ــ علماء اجلاء محققين تتبعوا ما حــاول المضللون اقحامه عليها ــ فبينوا سند كل حديث شريف ــ ودرجة رواته ــ واصبح الحديث علما مقررا ــ له اصوله التى تنفى عنه كل خبث ــ ولمن شاء ان يتحرى الحقيقة فيما يروى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يرجع الى الكتب المعتمدة فى هذا المجال ــ وينــأى بنفسه عن الشبهات .

٤ — ولما كان مقررا فى الفقه الدستورى — أنه اذا خالف القانون نصا صريحا فى الدستور — فقد وجب اعمال نص الدستور — دون نص القانون — وأنه اذا خالف القرار الادارى نصا فى القانون — فانه يجب اعمال نص القانون دون نص القرار — ثم أقيمت محكمة دستورية عليا لاحكام الاشراف والرقابة الدستورية على ذلك كله .

فما بالنا — اذا خالفت هذه القوانين التى وضعها البشر — تلك القوانين الالهية الثابتة الموثقة — تحاول النيل منها والتشكيك فيها — على حين أنها تعصم سلوك الناس ظاهرا وباطنا من كل انحراف — وهو الامر الذى تقصر عن بلوغه القوانين الوضعية — التى لا تعصم الناس الا ظاهريا فقط — ولو استطاعوا الانفلات منها لفعلوا .

هذا — وقد تضمنت مشروعات القوانين الجنائية جميعها — النص على أن عقوبات الحدود تعتبر جناية — تختص بنظرها محكمة الجنايات — وأن على النيابة أن تطعن فى الحكم الصادر فيها بالادانة أمام محكمة النقض — ولا يجوز تنفيذها الا بعد صيرورة الحكم الصادر فيها انتهائيا — واستنفاد كافة طرق الاستشكال فيه — على النحو المفصل فى مشروعات هذه القوانين .

وذلك كله تأكيدا لاستيفاء كافة الضمانات لحقوق المتهمين فى هذه الجرائم الحدية — وتحرزا من وقوع خطأ فيها .

ولما كانت محكمة الجنايات مكونة من ثلاثة مستشارين وكانت محكمة النقض مكونة من خمسة مستشارين — فضلا عن أن حضور النيابة العامة فيها وجوبى — والا كان الحكم باطلا .

ولما كان فى وجود هذه المجموعة من المستشارين وأعضاء النيابة المتخصصين — ما يمثل ذروة الاجتهاد البشرى قبل بتر عضو المتهم أو جلده أو اعدامه تطبيقا لاوامر الله العليم الحكيم — على حين يرتضى الناس رأى الطبيب — وهو بشر يصيب ويخطىء — أو مجموعة أطباء (كونسلتو) اذا قرروا اجراء عملية من العمليات الجراحية التى تقتضى بتر عضو لانقاذ باقى الجسد — ولا يعدو المتهم أن يكون عضوا ثبت فساده — فى جسم المجتمع البشرى — وحق المجتمع أولى بالرعاية فى هذه الحال .

فلنعمل جميعا — على اصلاح هذا المجتمع وصلاحه — فى هدى مارسمه الله فى كتابه العزيز حين قال :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ — وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وفى هدى سنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — الثابتة — من قول أو فعل أو اقرار — مستنيرين فى ذلك بآراء السلف الصالح من العلماء الاجلاء الافاضل — من الصحابة والأئمة المجتهدين — فهم مصابيح على طريق الحق المستقيم .

ولا ننسى فى هذا المقام — أن ننبه الى ما انفردت به الشريعة الغراء من أن الوسائل فيها لا تنفصل عن الغايات — وأنه لا مجال لاعمال المبدأ المكيافلى — الذى يقول بان الغاية تبرر الوسيلة — ذلك بان الشريعة الاسلامية

توجب ان تكون الغاية مشروعة والوسيلة اليها مشروعة كذلك ومن حديث للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : (ولا يحملن احدكم استبطاء الرزق ان يطلبه بمعصية الله ـ فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته) . والله طيب لا يقبل الا طيبا .

فاذا خلصت النيات ـ وصلحت الوسائل والغايات ـ كنا حقيقين بنصر الله الذى وعد به عباده الصالحين اذ يقول سبحانه :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » .

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ .

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا .

وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

« صدق الله العظيم »

(الآية ٥٥ من سورة النور)

٥ ـ وما بال البعض منا يعيب الأخذ بالاجماع كمصدر أساسى من مصادر التشريع ـ ما لم يخالف أصلا مقررا فى الشريعة الغراء ـ ثم نفاخر فى نفس الوقت بالديمقراطية وندعوا اليها ـ مع أن الاجماع هو قمة الديمقراطية التى لا تعدو أن تكون نصف عدد الاعضاء + ١ ـ ونهلل لها كأنها اكتشاف حديث لم يسبق اليه التشريع الاسلامى .

أما آن لنا أن نستخرج كنوز تراثنا الاصيل ـ ونصوغها صياغة حديثة ـ وقد سبقنا الى ذلك أعلام فى الادب العربى ـ يأتى فى مقدمتهم أستاذنا العالم المحقق / أحمد أمين ـ بما أصدره من تحقيقات فى الادب العربى الاسلامى ـ حين أصدر كتبه : فجر الاسلام وضحى الاسلام ـ ومثيلاتها من الكتب والمقالات ـ وبدلا من أن نعيب أسلافنا ـ هلا أضأنا معهم على الطريق شمعة :

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

المستشار السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الشعر

■ مولد الربيع

■ إنه بسمة الحياة

■ يا طيبة النور

في ذكرى المولد النبوي الشريف

مولد الربيع

○ للدكتور حسن جاد

طاف بالمشرقين نورُ (محمد) … فشدا الطير فى الرياض وغرّد

وتهادى فى الكون موكب ذكرى … كلَّ عام جمالها يتجدد

يقبس الشرق نفحة من سناها … فيفاديه كلُّ مجدٍ محمَّد

كلما اظلم الطريق أضاءته ، وشعّت على الدجى فتبدّد

هكذا فلتعزّ ذكرى نبيٍ … من يصن عهده يعزّ ويسعد

ياربيع الوجود عيدك روحٌ … تتسامى على الربيع المجدّد

لبس الكون فيه حلة بِشرٍ … وصفا الجو بعدما كان أربد

وسرت فى النفوس هزّة فخرٍ … ومشت فى الصدور نشوة سؤدد

ايه يا منقذ الأنام من الجهل ، ويا خير من هداهم وأرشد

ولد النور منذ وليدت فدكت … شرفات الطغيان من كل معبد

وتمشّت هداية الله فى الأرض كنور الصباح ساعة يولد

ضلّ من صدّ عن هداك واعمى … عينه عن ضياء نورك وارتد

كم حملت الأذى جهادا وما نؤت بأعبائه ، وذو العبء يجهد

وسلكت الأمور سلما وحربا … فى اصطبار فذ وعزم موطّد

بين سيفٍ من منطق الحق هادٍ … وسلاح على الضلال مجرّد

عجبا للذى يغالط فى الحق ، ومن يسلك الحقيقة يهتد

سخروا منك يا أعزّ أمانى الأرض ، بل أنت للسموات مرقد

لو سلكت السبيل للحجر الصلد بدعواك ما تأبّى وفنّد

واذا جئته " اتشهد بالله وأنى رسوله " قال : أشهد

يا امام الجهاد قم فانظر اليوم تر الحرب للطامع تقصد

حشدوا للدمار كل سلاح … وتجنوا على الضعيف المصفّد

طمع ساقهم الى الحرب بغيا … ومن الحرب ما يذم ويحمد

ولو ان الشعوب أصغت الى الدين لما بات فى الشعوب مشرّد

شرعة تكفل الحقوق وتحمى … من شرور الطغيان كل مهدّد

لو أتوها لضمّدت كل جرح … ولضمّت من شملهم ما تبدّد

إنه بسمة الحياة

للأستاذ محمد عبد الرحمن صبان الدين

نور يشع على الدنا وضياء ... لا الشمس تبلغه ولا الجوزاء

نور يبدد في القلوب ظلامها ... فلأى نجم هذه الآلاء ؟

نور الوليد محمد في مهده ... بهر العيون بريقه الوضاء

هبت نسائم ذكره بين الورى ... فتأرجت لعبيرها الأجواء

وسرت بأنحاء الوجود كأنها ... روح من الفردوس أو أنداء

فعرائس الروض البهيج تأودت ... نشوى عليها نضرة ورواء

بسم الزمان به وكان مقطبا ... مثل المعنى زال عنه عناء

لم تدر مكة حين مولده بأن ... يتيمها تزهو به الغبراء

نور أماط الدهر عنه سجوفه ... حين ادلهم الكون والأرجاء

سر طواه الدهر بين ضميره ... لما تجلى عابه الجهلاء

وإذا غوى طبع ابن آدم والتوى ... فسنا اللآلئ عنده حصباء

سحقا لمتبول الفؤاد يخب في ... حلك الجهالة ، عينه عشواء

ياواعظ الذكرى فديتك مرشدا ... لمدارك ضلت بها الأهواء

قل للذين تنكبوا نهج السماء ... وطوتهمو في تيهها البيداء

إن السعادة منحة قدسية ... تلقى بأفئدة زكت وعطاء

ياليتهم يتدبرون ليبصروا ... أن الحنيفة للفريق نجاء

أشرق علينا ياربيع مرفرفا ... بالذكريات فإنها أفياء

أشرق علينا بالسكينة والهدى ... فالكل يانور الربيع ظماء

واسق الحيارى من ينابيع الهدى ... فرحيقها لذوى السقام شفاء

وأدر على الأسماع أروع سيرة ... إن الحديث عن الحبيب لقاء

ياطيبة النور

« ياطيبة » النور ياصبحا بدنيانا   قد فجر النور في الأكوان ايمانا
يامن حضنت هدى الرحمن فاحتضنت   بك الحياة حياة قد علت شانا
محمدا أنت قد عانقت وانطلقت   منك الاغاريد ملء الكون الحانا
ورقت الأغنيات البيض في طرب   والشوق يسبق خطو القوم نشوانا
البدر أقبل قد هلت طوالعه   الله اكبر خير الخلق وافانا
شرفت بالمصطفى أصبحت طيبة   فقد ضممت اجل الخلق انسانا
قد صرت بالمصطفى للكون صفوته   وصار قومك في الاسلام اخوانا
تبوءوا الدار والايمان وصفهم   وانزل الله في الايثار قرآنا
آووا رسول الهدى والصحب اخوتهم   وقدموا روحهم لله قربانا
كم قسم المال انصار لاخوتهم   وقدموا الدور لايبغون اثمانا
هل نبصر اليوم منهم بيننا مثلا   ساح السباق تريد اليوم فرسانا
« يا طيبة » النور في مثوى النبي هنا   ما يملأ النفس تذكيرا وعرفانا
جاءت له هذه الدنيا بزينتها   ما رام دنيا ولكن رام ديانا
وربما شد فوق البطن من حجر   اذ يمكث اليوم والأيام جوعانا
ومات والدرع مرهون بمطعمه   ما شاد قصرا ولكن شاد ايمانا
هذا الذى فجر الآمال منطلقا   به صباح الهدى يجتاج بطلانا
هذا الذى دك ليل الكفر وانتصرت   به الحياة ودك الحق اوثانا
هذا الذى عرف الانسان قيمته   فاصبح المرء فوق الأرض انسانا
هذا الذى صنعت للكون دعوته   صيدا أضاءوا بنور الله دنيانا

أبو زيد إبراهيم سيد

كانوا نجوما يا أرض الله ساطعة ... تهدى وتمحق بطلانا وبهتانا

تلقاهم الليل قواما لربهم ... وفى النهار ترى أسدا وفرسانا

أخلاقهم من كتاب الله منبعها ... فهم يسيرون فوق الأرض قرآنا

« يا طيبة » النور فى الأشعار معطرة ... ما كنت فى روعة الأشعار حسانا

« فمالك » يخلع النعلين فى أدب ... يمشى وقد طبق الآفاق عرفانا

يقول : أرض بخطو المصطفى شرفت ... فتر بها قد غدا مسكا وريحانا

الله أكبر والأمجاد تعرفنا ... كنا أسود الوغى شيبا وشبانا

و « الغرب » يعرف ماضينا وقوتنا ... فقد أقمنا به حكما وسلطانا

وقد تسامت لهام الشمس هامتنا ... وقد نشرنا على الأكوان عرفانا

منا السلام وكان العدل ديننا ... وما وهنا ولا عود لنا لانا

***

أين الشباب وهل كابن « الوليد » نرى ... أو « مصعب » يحمل الرايات مزدانا

جابوا البحار وجابوا البر وانطلقوا ... وحطموا فى الورى فرسا وروما نا

ما بالنا معشر الإسلام فى ألم ... و « الحمر » قد أنشبوا الأظفار ذؤبانا

ومسلمونا استباحوا قتل إخوتهم ... وفجروا الموت فى الأوطان طوفانا

يا مسلمون أما يكفى تفرقنا ... فاجمعوا أمركم فالوقت قد حانا

***

عودوا إلى الله ضموا الصف واعتصموا ... بالله واتخذوا الدستور قرآنا

إن تنصروا الله ينصركم وصبحكم ... سيغمر الكون أنوارا وإيمانا

■ قصة الصرفة

■ أثر منهج البخاري والمحدثين

دراسات في القرآن والحديث والتشريع

■ أثر منهج المحدثين فى المنهج الأوربى

■ حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

قصة الصرفة

نشأتها . مدى تطورمدلولها . موقف العلماء منها

للدكتور محمد محمد أبو موسى

(٢)

كان الجاحظ صاحب ابراهيم بن سيار النظام ، وتلميذه ، وخليطه وكان يعرف فضله ، وبعده من النابهين في زمانه ، وانه ممن نجى الله به خلقا كثيرا من معاطب الهلاك والزيغ ، وانه نهج لشيعته من المعتزلة « سبلا ، وفتق لهم أمورا ، واختصر لهم ابوابا ، ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة »(١) .

وكتب الجاحظ فيها ذكر كثير للنظام ، ومقتبسات كثيرة من فرائد بيانه ، الا أن الجاحظ لما سمع منه القول بالصرفة أنكره انكارا واضحا لا يلتبس .

وكلام الجاحظ قاطع بأن نظم القرآن لا طاقة لبشر به ، وهو من أوائل من ذكروا أن بلاغة العرب فوق بلاغة غيرهم من الأمم ، وأن الجاهليين من العرب فوق غيرهم من الأجيال التى تتابعت فى هذا الشأن ، وأنه ان ادعى لهم

١ ــ الحيوان جـ٤ ص ٢٠٦ تحقيق عبد السلام هرون طبعة الحلبى .

« أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ومن المزدوج وما لايزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق ، من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت، الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقولوا فى مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل » .

ومثل هذا الكلام الواثق القاطع مستفيض فى كتب الجاحظ .

وكلامه أيضا قاطع فى أن هذا الجيل الذى هو أنبغ أجيال الأرض بيانا ، وأعرفهم بمخارج الكلام ومطالعه ، حين يسمع الواحد منهم سورة « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » يرى فيها من الأمر الالهى الذى لا يطيقه الناس مايراه فى خلق السموات والأرض وما بينهما .

قال الجاحظ « ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة ، لتبين له فى نظامها ، ومخرجها من لفظها وطابعها أنه

٢ ــ البيان والتبين جـ ٣ ص ٢٧ تحقيق السندوبى .

قصة الصرفة

عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب ، لأظهر عجزه عنها »(١) .

وهذا الفهم المستقيم لا يلتقي مع الصرفة من قريب ولا من بعيد وهو نص في بيان علة العجز ، وأنها في نظام الكلام ، ومخرجه من لفظه ، وطابعه ، وأن العرب قدتبين لهم ذلك واستيقنوه وأنهم عجزوا عجز من يعرف علة عجزه ، وليس عجز المتحير المصروف وقد كتب الجاحظ كتابا في هذا الباب سماه « الاحتجاج لنظم القرآن » والتسمية قاطعة في رفض الصرفة ، وقد قال في نعته :

« فلم أدع مسألة لرافضى ، ولا لحديثى ، ولا لحشوى ، ولا لكافر مباد ، ولا لمنافق مقموع ، ولا لأصحاب النظام ، ولا لمن نجم بعد النظام ، ممن يزعم أن القرآن حق ، وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل ، وليس ببرهان ولا دلالة »(٢) .

وهذا قاطع في رفض الصرفة .

وجاء في كتاب الحيوان ما رجع عند بعض أهل العلم أن الجاحظ قال بالصرفة ، وأنه تناقض واضطرب .

قال الرافعي — رحمه الله :

« أما الجاحظ فأن رأيه في الاعجاز كرأى أهل العربية ، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة ، التي لم يعهد مثلها ، ثم قال :

غير أن الرجل كثير الاضطراب فان هؤلاء المتكلمين كانما كانوا من عصرهم في منخل ، ولذلك لم يسلم هو أيضا من القول بالصرفة » (٣)

ونعلم أننا قد نجد فيما كتبه العالم رأيا له يضرب رأيا آخر ، وخاصة اذا طالت الممارسة للاستخراج والتأليف ، وتراخت الأيام بين أوائل آرائه وأواخرها .

وقد نجد لأهل العلم غفلات لا يقع فيها المبتدئون وهي كثيرة ، ولو أراد مريد أن يكتب في أوهام الأعيان لوجد بين يديه الكثير والكتب مشحونة بذلك .

ولكن يبعد أن يحتشد العالم لمسألة كهذه من أكبر المسائل التى شغلت العقل الاسلامى ، فيضع فيها كتابا يبت الحكم فيها بتاً ، ويذكرها في كتبه الأخرى وهو يجرى في ذلك كله على رأى واحد قاطع ثم يرجع عن هذا كله من غير أن يقف مع قارئه وقفة طويلة .. يشرح له فيها الرأى الثانى ، ويبين الذى بان له فعدل له عن رأيه الاول ، ومثل هذا كثير في كلام العلماء تراهم يقولون في قوة وجهارة انا كنا نفهم هذا الكلام على وجه كذا ثم بان لنا بأخرة خطأماكنا فيه ، وأن الوجه فيه كذا (٤) .

والجاحظ لم يفعل ذلك .

وقد تأملت كلامه في الحيوان — وهو الذى قال أهل العلم ان الجاحظ قائل فيه بالصرفة ، وقضوا عليه بالتناقض — فوجدته لا يتناقض مع ما احتشد له .

ووجه ذلك ، أن النص الذى ساقه الرافعي وغيره واستدلوا به على أن الجاحظ ، قال

١ — دلائل الاعجاز ص ٢٥٠ وقد اقتبسه من كتاب دلائل النبوة .

٢ — مقدمة اعجاز القرآن للباقلانى ص ٩

٣ — اعجاز القرآن ص ١٦٥ .

٤ — ينظر كلام عبد القاهر في بيت المتنبي
عجباله حفظ العنان بانمل
ماحفظها الاشياء من عادتها
ص ٢٤٧ دلائل الاعجاز .

بالصرفة ، جاء فى سياق ذكر الدهريين وانكارهم خبر ملكة سبأ والهدهد ، وسليمان ، واحتجوا لذلك بأن سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كما يقول القرآن الكريم سأل ربه أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأن الله سبحانه استجاب له فعظم ملكه ، ونبه ذكره ، وسخرت له الشياطين ، والريح تجرى بأمره ، وعلم منطق الطير ، فكيف يجهل خبر ملكة سبأ ، وهى أيضا نابهة الذكر وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وملك سليمان عليه الصلاة والسلام اما أن يكون كان بالشام أو بسواد العراق ، وكانت بلقيس باليمن(١) والطريق بينهما قريب واصل ، ونهج للخف والحافر والقدم ، وملوك زماننا وهم أقل من سليمان لا يجهلون صاحب الخزر ، ولا صاحب الروم، ولا صاحب الترك ولا صاحب النوبة •

ثم أجاب الجاحظ بأن هذا معقول لو أن الله سبحانه خلى الدنيا وتدبير أهلها ومجارى أمورها ، وعاداتها ، ولكنه سبحانه يتدخل قدره فيرفع عن الأوهام أشياء ويصرفها عن الفطن فيحدث ماجرى به قدره •

وكان يعقوب بن اسحاق أنبه أهل زمانه ، لأنه نبى وابن نبى ، وكان يوسف بن يعقوب وزير ملك مصر ، وكان من النباهة بالموضع الذى لا يدفع ، وله البريد ، واليه يرجع جواب الأخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ، ولا يوسف مكان يعقوب •

ثم ذكر أمر موسى بن عمران — على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام — فى التيه هو ومن معه ، وأنهم ظلوا « يتسكعون أربعين عاما فى مقدار فراسخ» وهذه البلاد التى تاهوا فيها هى من ملاعبهم ، ثم هى عامرة بالأدلاء من العسكر والجمالين ، والمكارين والفيوج(٢) والرسل، والتجار ، ولكن الله صرف أوهام موسى ومن معه عن البصر بالطريق الواصل بهم ، ثم ذكر أشياء ذلك ثم قال « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ، ولذلك لم تجد أحدا طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة ، لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب والنساء، وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، ولطلبوا المحاكمة ، والتراضى ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال ،••• فقد رأيت أصحاب مسيلمة ،••• انما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة ، من ذلك الكلام الذى يعلم كل من سمعه أنه انما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له »(٣) •

والصرف هنا مباين للصرفة التى ذكرها النظام وأنكرها الجاحظ فى غير موضع مباينة لا تلتبس ، فلولا الصرف عند النظام لجاؤوا بمثله •

أما صرفة الجاحظ هذه فلولاها لطمعوا فيه ، ولو طمع فيه بعضهم وتكلفه فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب ، وأشباه الأعراب والنساء ، الى آخره ، ومراجعة هذا الكلام تفيد أن قصارى ما يأتى به المتكلف كلام

---

(١) فيما ذكره المؤرخون بأخرة ان مملكة سبأ امتدت حتى شملت اكثر من نصف الجزيرة الجنوبى • وان عاصمتها كانت « الفلا » •

(٢) الفيوج الرسل الذين يحملون بريد الملوك •• (السفراء) وهو معرب عن (بيك) الفارسية •

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٨٩

قصـــة الصرفة

فيه أدنى شبهة ، ثم ان أدنى شبهة هذه لاتكون عند أهل المعرفة ، وانمـا عنـد الأعـراب ، وأشباههم من ضعاف الايمان ، وعند النسـاء وأشباههن من ضعاف النحيزة ، وهذا أمر يفتح باب اللجاجة التي تعمل فيها العصبية عملهـا الذي عملته مع مسيلمة مع تطعمهم بكذبه وفساد كلامه ، والشبهة فضلا عن أدناها في هذا الأمر لا يستقل قليلها ولا يتهاون باليسير منهـا كما يقول العلماء •

الصرف هنا لا يجوز أن نحمله على معنى أنه لولاملجاءوا بمثله ، وأنه وجه اعجاز القرآن ، وحجة النبوة ، والذي عليه الأمر في الالزام •

وليس في كلام الجاحظ مايدل على ذلك ، بل ولا مايوهم به ، وانما هو قاطع في أن الصرف هنا أغلق باب اللجاجة بالباطل المتعلق « بأدنى شبهة » ثم هي أدنى شبهة لا موضع له في قلب ذي لب ، وانما يتعلق بها من لا حاجز لـه من تمكن في دين ، كالأعراب ، ومن لا تـدبر لـه كالنسـاء ، هكذا قال الجـاحظ ، وقد كررنا ذلك لتأكيده •

وهذا الذي أقوله لا يخامرني شك فيه ، بل اني لأعجب من أهـل العلم كيف أغفلوه مـع وضوحه وتميزه •

ثم هو قائم في كلام آخر للجـاحظ ، وأنهم صرفوا عن المعارضة ولولا الصرف لعجزوا أيضا عن ان ياتوا بمثله ، وانما هو صرف عن الشغب واللجاجة والمدافعة بالباطل ، فحسب •

ذكر الجاحظ أن الله بعث محمدا ــ صـلى الله عليه وسلم ــ ، أكثر ماكانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ماكانت لغة ، فدعاهم بالحجة ، وقطع العذر وأزال الشبهة فاستيقنوا أمره ، وحجزتهم الحمية والهوى،فنصب لهم ونصبوا له ، وقتل من عليتهم ، وهو يدعوهم في ذلك الى المعارضة ، بسورة واحدة أو بآيات يسـيرة ، وقرع عجزهم ، وكشف نقصهم ، فلما قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف قال لهم: هاتوا مفتريات(فلم يرم ذلك خطيب ، ولاطمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفـه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجـد من يسـتجيده ، ويحامي عليه ، ويكابد فيه ، ويزعم أنـه قـد عارض وقابل ، وناقض فدل ذلك العاقل عـلى عجز القوم مع كثرة كلامهم ، واستحالة لغتهم وسـهولة ذلك عليهم(1) •

تأمل قوله « لو ظهر لوجد من يسـتجيده ، ويحامي عليه ، ويكابد فيه ، ويزعم أنه عارض الى آخره ، تجد الكلمات مبينة عن أنهم لـو عارضوه لعجزوا عن أن يجيئوا بمثله ، الا أن يجيئوا بشيء على سـبيل الـزعم والمكايدة ، ودعوى أنه عارض ، وقابل ، وناقض •

ويمكن أن نقول : ان الجاحظ أدار مقـالة النظام في نفسه ورفضها رفضـا قاطعا ، وكان قصارى ما وجده منها أنه يصـح أن يقال ، ان هناك صرفا هو صرفهم عن الشـغب بالباطل ، ولولا هـذا الصرف لكابدوا وهيجـوا ، وكثر القيل ، والقال ، ولما وجد الجاحظ أن هذا الذي وقع في نفسه مباين لما قاله النظـام لم يلتفت اليه وهو يهدم صرفة النظام ، ومن نجم بعـده ممن يزعم أن القرآن حق وليس تاليفه حجة •

ويمكن أن نتلمس صورة لهذا التصور الذي يعني الاعجاز الكائن في نظم الكلام ومخارجه

---

(1) الاتقان جـ 4 ص 6 •

من ألفاظه ، والكائن أيضا في صرف العرب عن المعارضة ، ولولا الصرف لعجزوا عن أن يأتوا بمثله ، وانما هو صرف عن الشغب ، واللجاجة والمكايدة ، يمكننا أن نلمس هذا التصور فيما ذكره الأصبهاني في تفسيره على حد ما ذكر السيوطي ، فقد ذكر الأصبهاني :

أن اعجاز القرآن من وجهين :

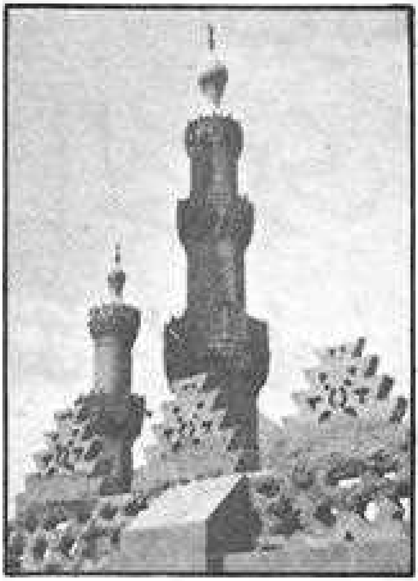
أحدهما : اعجاز يتعلق بنفسه .

والثاني :بصرف الناس عن معارضته .

فالأول لا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ ، لأن ألفاظه ألفاظهم ، ولا يتعلق بالمعنى ، لأنه في زبر الأولين ، وانما يتعلق بالنظم المخصوص الذي هو صورة القرآن ، والذي تجد فيه اللفظ والمعنى عنصرين ، « وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء لا بعنصره ، كالخاتم والقرط ، والسوار فانه بأختلاف صورها اختلفت أسماؤها » .

وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن المعارضة ، فقد ذكر أن غرائز النفوس تميل بها الى صناعات تجد فيها مناسبات خفية فتنشرح في ملابستها وتطيعها قواها في مباشرتها ، وتزاولها باتساع قلب « فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد ببلاغة لسانهم ، الى معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بمثله ، ولم يتصدوا لمعارضته ، لم يخف على أولى الألباب أن صارفا الهيا صرفهم عن ذلك ، وأى اعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزة في الظاهر عن معارضته ، مصروفة في الباطن عنها »(١) .

وهذا قريب من الذى عند الجاحظ فكلاهما يذكر الصارف الالهي للعرب عن المعارضة مع أن



القرآن في صورته ونظمه أمر الهى لا طاقة للناس به والأمر فيه يدل ذا العقل عليه اى انه في ذاته حجة ظاهرة ، وان القوم عاجزون في الواقع الظاهر ، ومصروفون في الباطن فما راموا ولا طمعوا ، بل ولا حدثتهم نفوسهم بالمعارضة .

نعم هناك من ذكر أن القرآن معجز ببلاغته ، وبالصرفة على الحد الذى ذكره النظام ، وفي هذا اشكال تعرض له في المقالة اللاحقة ان شاء الله .

د. محمد محمد ابو موسى

(١) الاتقان جـ ٤ ص ١١ .

أثر منهج البخاري والمحدثين في المنهج الأوربي الحديث

مع المقارنة

وبعد ان وصل تدوين الحديث الى اوج العظمة والدقة في القرن الثالث « العصر الذهبي » لتدوين السنة الذي حمل لواء نهضته الامام البخاري بمنهجه القويم ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجه ما كان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقات المحافظين على تراث نبيهم في القرون الخيرة الأولى .

وكان الزمن بين اشتغال البخاري بالعلم وبين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمني وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالي وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد .

والثقافة ثقافة وحي ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخيار الأطهار الثقات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة في كتب أصول الحديث وقد تقدم منهج البخاري الدقيق .

وأبين هنا اثر منهج البخاري والمحدثين في المنهج الأوربي الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخاري والمحدثين ؟!

بعد وفاة البخاري بحوالي عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر في أوربا وقوبل هذا المنهج بالحفاوة البالغة والتقدير الكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخاري

تأثر المنهج الأوربي الحديث بمنهج البخاري والمحدثين :

يقول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم وعميدها تحت عنوان « مراحل البحث التاريخي الأوربي » لم يتتبع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما في دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص

للدكتور الحسيني هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها في قالب أدبي جذاب .

لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم في النقل ولاسيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

ولقداتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبينوا القواعد التي يجب على المبتدىء احترامها وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاسم لدراسة مراحل البحث التاريخي تحت عنوانين أساسين التحليل ــ والتركيب ، طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودونو وفريمان وغيرهم واليك البيان .

التحليل التاريخي

اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها ،والتحليل نوعان : خارجي ــ وداخلي .

أولا : التحليل الخارجي :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :

(١) نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لا وجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد » .

ولما كانت مادة التاريخ لا تقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ولما كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر في استخدامها ، والعناية بين الصحيح والزيف منها فتتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذا التصديق أقل مجهودا من المناقشة ، والتسليم أيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقديرها ، وقد بين العلامة سينيوبوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتماد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الاقرب عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لا يدل على شيء البتة وقد ضرب سينيوبوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثماني عشرة نسخة في نقطة واحدة هي (أ) . ويشترك النسختان الاخريتان في نقطة مخالفة هي (ب) ففي هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) .

لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الاولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا

أثر منهج البخاري والمحدثين في المنهج الأوربي الحديث

والباقي منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا .

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة .

لا تكفي المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف على مصدر كل وثيقة وأين ومتى كتبت؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لا فائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة . فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيعه لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة آثرهم الى انفسهم حقا ان خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هي التحليل الداخلي غير أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة .

وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق وانتحالها فان كثيرا من المزيفين لايتخذون جميع اسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التي لم تكن مألوفة في العصر الذي ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التي دونت فيها الوثائق الصحيحة وبمواضع التزييف أو التحريف في غيرها .

وتستخدم المقارنة في التفرقة بين النص الذي اشترك في كتابته أفراد عديدون لأن اضطراب الاسلوب او عدم اتساقه دليل على تعدد كاتبي الوثيقة او على أن بعضهم ينقل عن بعض وتؤدي هذه العملية الى بعض النتائج السلبية ، يرى (سينيوبوس) أن التحليل الخارجي لا يؤدي الى بعض النتائج الايجابية وانه اذا أرشدنا الى الوثائق الرديئة التي يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال في النقد فان بعض دارسي الوثائق يغلون في النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم في كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التي يدرسونها ، ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق .

وهناك آخرون ينتقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وأن أهمية الوثيقة لا تقاس بما تحتوي عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات .

وليت المغرمين بنقد الحديث على غير موازين ، والمغرمين بتتبع الغربيين يستمعون الى سينيوبوس فانه يعيب على من شك عند وضوح النص ، فما بال من يشك بوضوح النص

وصاحبه وتوفر أسمى المقاييس ؟ .

ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شىء بل ذكروا أن من وسائله العلوم المساعدة ـ ذهب « دونو » الى ضرورة بعض الدراسات بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخية ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم «كهيرودوت ، وتاسيت ، وميكيافيلى وغلتير» ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبار الفلاسفة والمؤرخين . وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شىء ، فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم أجناس وجغرافيا وعلوم طبيعية ، وذلك لانه سوف يلقى فى أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل ، وان كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد مايكون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلسفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها .

والمهم أن سينيوبوس يحرم الاسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » « وفريمان » ـ ولم يعارضهما سينيوبوس ـ يقررون أن هناك من الكتب ما هى صحيحة مسلمة معتمدة بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضاح الشك فى غيرها أو تدعيم الباحثوهى كتب كبار كتابهموفلاسفتهم التى يجبقراءتها كما يقولون « رغم أنها ألفت من غير منهج» .

فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتب البخارى حتى تكون لهم أصالة كغيرهم ولعلهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبرون بأقوالهم من الغربيين فى كتبهم التى لا تقاس ولاتوزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ما ارتابوا فيه من المسائلالعلمية التاريخية واعتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهمالعلمية.

الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهوى والغرض ، ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى مالم يصل اليه غيرهم، ولو بحثت الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من الحرى بهم أن يدرسوا قبل ان ينقدوا وان يتعلموا قبل ان ينصبوا أنفسهم أساتذة على أساتذة الفن .

د. الحسينى هاشم

أثر منهج المحدثين

في المنهج الأوربي التاريخي الحديث

بعد تدوين السنة النبوية وازدهارها بعشرة قرون ظهرت فكرة مستحدثة في اوربا تهدف الى تحديد منهج جديد للتاريخ وعندما برز المنهج الى حيز الوجود قوبل بالتقدير البالغ وتناقله الشرقيون على انه جديد ، ولكنه في الحقيقة ماخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين ومتأثر به ومع هذا فلم يصل المنهج التاريخي الى ما وصل اليه منهج المحدثين الثقات الأخيار الذين جمعوا بين العلم والعمل ودفعهم اخلاصهم لعقيدتهم ، وحبهم لرسولهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الى ان ينقلوا سنته الشريفة بحرص بالغ ، ودقة فائقة ، فاودعوها سويداء قلوبهم ، ونقشوها على صفحات صدورهم الامينة ، متتبعين في التحمل والأداء اقصى مافي الوسع الانسانى ، ومترسمين ادق الطرق واسماها حتى تدوين السنة نقية مشرقة وكيف لا وصاحبها هو حبيبهم ورسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

وسأقدم هنا المنهج التاريخي الحديث حتى يتبين لنا بالمقارنة أثر مناهج المحدثين وائمة السنة ، فيمن جاء بعدهم وأثرها في هذا المنهج الحديث وحتى يتضح أن هذا المنهج ليس له من القداسة مالمناهج أئمة السنة النبوية الذين استجابوا لله وللرسول يقول الدكتور محمود قاسم : « لم يتتبع القدماء الأوربيون » منهجا سليما في دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص ، وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها في قالب ادبي جذاب ، لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم في النقل ، ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد حدد ابن خلدون قواعد البحث في التاريخ حتى ينهض به الى مستوى العلوم الجديرة بهذا الاسم ، ثم اتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبينوا القواعد التي يجب على المبتدىء احترامها ، وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا أ . هـ .

مراحل البحث التاريخي

(التحليل والتركيب والعرض)

أ ـ التحليل التاريخي :

١ ـ اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ، ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها ، والتحليل نوعان خارجي وداخلي .

للدكتور أحمد عمر هاشم

اولا : التحليل الخارجي :

وتتكون هذه المرحلة من عمليتين رئيستين هما :

أ ـ نقد الوثائق : لما كانت مادة التاريخ لا تقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة .

ولما كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر فى استخدامها والعناية بالتفرقة بين الصحيح والزيف منها ، وتتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص، اذالتصديق أقل مجهودا من المناقشة ، والتسليم أيسر من النقد ، وتكديس الوثائق ، كيفما اتفق أقل عناء من وزنها وتقديرها .

وقد بين العلامة « سينيوبوس » أنه يجب الحذر من بعض العادات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع فى أيدينا ، ولوكانت غير دقيقة ، وكالميل الى الاعتماد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب منها عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها ، مع أن هذا لايدل على شىء البتة .

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة :

لاتكفى المقارنة بين مختلف النسخ ، بل لابد من الوقوف أيضا على مصدر كل وثيقة:أين ومتى كتبت ؟ ومن كتبها ؟ وذلك لأنه لا فائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ، ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة ، فان كتابها ماكانوا يعنون عناية المعاصرين بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيعه ، لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى معرفة التصديق ، فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ، ونحن نعلم أن بعض فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة آثارهم الى أنفسهم . حقا ان خير وسيلة الى معرفة شخصية الكاتب هى التحليل الداخلى ، غير أنه يجب الاعتماد ، قبل ذلك ، على بعض العلامات الخارجية كالخط والورق واللغة ، وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق أو انتحالها فان كثيرا من المزيفين لا يتخذون جميع أسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى العصر الذى ينسبون الوثائق اليه ، كذلك تجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دونت فيها الوثائق الصحيحة ، وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها ، وتستخدم المقارنة أيضا فى التفرقة بين النص الذى

اشترك في كتابته أفراد عديدون ، لأن اضطراب الأسلوب أو عدم تجانسه دليل على تعدد كاتبي الوثيقة ، أو على أن بعضهم ينقل عن بعض ، وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية ، اذ تبين لنا أن بعض الوثائق مزور أو منقول ، وأنه لافائدة من استخدامه لكن يجب الاعتدال في النقد فان بعض دارسي الوثائق يغالون في النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم في كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التي يدرسونها •

ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق ، وهناك آخرون ينقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا من وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين أن التاريخ نوع من الرياضة العقلية ، وأن أهمية الوثيقة لاتقاس بما تحتوي عليه من حقائق بل بما تثيره من صعوبات •

ثانيا : التحليل الداخلي :

ويطلق على مجموعة العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات الوثائق ، وتقدير الظروف التي أحاطت بكتابتها ويتكون التحليل الداخلي من نوعين :

(أ) تحليل داخلي ايجابي :

ويستخدم للتفرقة بين العناصر الأولية التي يحتوي عليها النص التاريخي تمهيدا لفهم كل عنصر على حدة ، والوقوف على المعنى الحقيقي الذي ترمي اليه الالفاظ والعبارات •

(ب) تحليل داخلي سلبي :

ويتمثل في دراسة الظروف التي وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل في دراسة الاسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التي ربما تدعو الى الكذب أو تؤدي الى الخطأ ، والقاعدة العامة تنص على وجود الشك في كل راو حتى تتوفر بعض الاسباب القوية التي تدعو الى الثقة به ، وهذا يحتاج الى جهد كبير •

وقد حدد « سينيوبوس » القواعد العامة التي يجب اتباعها في هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تمس احداهما الدوافع التي تدعو الى الكذب وتمس الأخرى البواعث التي ينشأ عنها الخطأ ، وتتكون المجموعة الأولى من الأسئلة الآتية باختصار •

١ ــ هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة ؟ وهل أراد أن يخدع القارئ؟ •

٢ ــ هل كان الراوى ينتمي الى جماعة خاصة يميل الى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها في وضع مشرف ؟

٣ ــ هل وجد الراوى في مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا ما يحدث عندما لا يتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة ؟

٤ ــ هل جره الضرر بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف ؟

٥ ــ هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه واثارة عواطفه ؟

٦ ــ هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى ؟ وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟

وأما عن البواعث التى ينشأ عنها الخطأ فتتلخص فى مجموعة من الأسئلة الآتية : ــ

١ ــ هل كان الكاتب فى حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحادثة ؟ وهل سلم من بعض العوامل التى تدعو الى الخطأ كالوهم ؟

٢ ــ هل تحققت الشروط العلمية فى الملاحظة ؟ وهل كان خاليا من الهوى ؟ وهل فهم ماسمع أو رأى ؟

٣ ــ هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الاهمال عن ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يرها ولم يسمع عنها شيئا بل استنبطها بخياله ؟

٤ ــ هل كانت طبيعة الحادثة تسمح بملاحظتها ؟ لأن بعض الحوادث تحاطها بالكتمان وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه : الايجابى والسلبى الى تقرير بعض النتائج الجزئية المبعثرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب .

(ب) مرحلة التركيب التاريخى

تقوم مهمة المؤرخ بعد هذا بالتركيب التاريخى ويتلخص فى الآتى :

أولا : جمع المعلومات وتنظيمها على أساس طبيعتها الداخلية فيقسمها الى ظواهر لغويةوعلمية ودينية ... الخ . وعلى أساس طبيعة الشروط الخاصة المتصلة بمظاهر النشاط الانسانى كالعادات المادية : من مأكل وملبس ونظم اجتماعية .

ثانيا : الاجتهاد : وقد أباحوا فى منهجهم الحديث أن يستخدم المؤرخ الخيال لسد الفجوات فى التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل .

ثالثا : التعليل : وذلك بربط النتائج جميعها عن طريق بيان العلاقات التى توجد بينها .

(ﺟ) مرحلة العرض

ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانسانى غير اتجاههم فى طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الذين بدأوا محاولتهم على استحياء فى القرن التاسع عشر ، وبالجملة لم يعد العرض التاريخى يرمى الى امتاع القارىء أو اسداء النصح اليه أو اثارة عواطفه . بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة، ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدام تلك الالفاظ التى تدل على معان مجردة أدعى الى الغموض واللبس منها الى الوضوح .

نقد المنهج التاريخى ومقارنته بمنهج المحدثين

أولا : من ناحية نقد الوثائق : وأما بالنسبة لنقد الوثائق فان أصحاب المنهج الحديث يرون وجوب الحذر فى استخدامها ، كالحذر من

أثر منهج المحدثين
في المنهج الأوربي التاريخي الحديث

استخدام أول نسخة تقع لديهم أو الاعتماد على أقدم النسخ ، أو الميل الى اتخاذ حكم الأغلبية ، وبفحص هذه الطريقة لم نجد للوثيقة اتصالا الى صاحبها الأول وكاتبها ، وكل مايمنون به انما هو الحذر من استخدامهم لأول نسخة أو الاعتماد على أقدم النسخ أو اتخاذ حكم الأغلبية فكأنهم يدرسون ظاهرة الوثيقة كما هي أمامهم دون تتبع طرق وصولها الى أيديهم فأين هذا من منهج المحدثين الذى تقوم الرواية فيه على نقل الثقة عن الثقة يبلغ

به النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الاتصال ولا شك أن الاسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الاسلامية .

وأما هذا الذى وجهوه الى نقد الوثائق من حيث الحذر في استخدامها .... الخ فقد تأثروا فيه ببعض طرق المحدثين ، ولكنهم لم يصلوا الى ما وصل اليه المحدثون حيث وضعوا للحيطة والمحافظة على الحديث أدق ما وصل اليه النقد القديم والحديث ووضعوا قرائن تدل على الوضع في المتن منها اقرار واضعه ، وركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ومناقضة الخبر للكتاب والسنة ، ومخالفته للحقائق التاريخية ، ومخالفته للعقل وغير ذلك .

وبتلك الدراسات الحديثة تكونت الملكات العلمية عند المحدثين فكانوا يدركون الحديث الصحيح في ثوبه الالهي ، وبضوئه المشرق ، ويعرفون المنكر فيقشعر منه جلدهم وتنفر قلوبهم منه .

كما قام رجال السنة بحصر الأخبار الموضوعة ، وحكموا على بعض الأحاديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والوضع والاختلاق .

ثانيا : من ناحية التحقق من شخصية صاحب الوثيقة :

ولما كانت طرقهم في ذلك لاتوصلهم الى بعض النتائج الايجابية ، ولاتوقفهم على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ، فاننا نرى « سينيوبوس » يعيب على من يشك عند وضوح النص ، ويحرم الاسراف في النقد الواضح للناس ، ثم يقرر كل من « دونو » و « غريمان » وسينيوبوس أن هناك من الكتب ما هي صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم

ولم يصل الشك اليها في رأيهم وهي كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم ، ثم يرون أنه من الضروري قراءتها ، فمن وسائل منهجهم الاستعانة بالعلوم المساعدة التي تعين الباحث على فهم الوثائق التاريخية وهي كتب كبار الكتاب والفلاسفة فياليت التابعين للفكر الغربي والمستشرقين ينظرون الى مايقوله هؤلاء في منهجهم لوضوح النص فقط فكيف بالنص النبوي الشريف الذى توفرت فيه شروط الصحة ، وتوفر لصاحبه أسمى صفات الصدق والثقة ، حتى دونت السنة النبوية على أدق المناهج والمقاييس

العلميـة ؟ أو ليس أولى بكتب السـنة اذا الاعتراف بها خاصة وان رواتها قد جمعوا الشروط العالية ، الاسلام ، والعقل ، والصدق وعدم التدليس والضبط ، والعدالة (فيكون الراوى مسلما بالغا عاقلا خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة) وألا يكون سفيها به حمق وعدم اتزان وألا يكون عابدا لا يزن الأمور بدقة ، وألا يكون صاحب بدعة يدعو اليهـا .

قال الامام مالك : لا يؤخذ العلم من اربعة ويؤخذ من سواهم لايؤخذ من سفيه ، ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث النـاس ، وان كان لا يتهم على حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا من شيخ له فضـل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحمل وما يحـدث بـه

ثالثا ــ من ناحية التحليل الداخلى الايجابى :

يرى أصحاب المنهج الحديث أنه لا ضرورة الى تحليـل الـوثائق الخاصـة بالعصـور الحديثة ، تحليلا تاما لقرب لغتها من لغة المؤرخ ويكتفون بالتحليل بالنسبة لوثائق العصرين : القديم والوسيط .

فأين هذه من المناولة فضـلا عن السـماع عند البخارى والمحدثين .

رابعا ــ من ناحية التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل فى دراسة الاسـباب الخارجيـة والبواعث النفسية الداخلية التى ربمـا دعت المؤرخ الى الكذب أو الخطأ .. وفى الواقع أن أصول هذه المبادىء مأخوذة من المحـدثين الا أنها قاصرة ولم تبلغ شأن مبادىء المحـدثين لطول الزمن عليها ، ولعدم قداسة المعلومـات بالنسبة لما فيها ، أما المحدثون فقد بينوا أسباب الكذب والوضع ، منها الزندقة ، والخـلافات السياسية ، والتعصب العنصرى ، والخلافات الفقهية والكلامية ، وما صنعه بعض القصاص من استهواء العـامة واتبـاع هـوى الملوك والأمراء .

خامسـا ــ من ناحية التركيب التاريخى :

فتراهم يبيحون للمؤرخ استخدام الخيـال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيـدا بنتائج التحليل ، وهـذا لا يقبلـه المحـدثون ولا يرضى منهجهم أبدا بحال من الأحوال .

أثر منهج المحدثين
في المنهج الأوربي التاريخي الحديث

سادسا ـ من ناحية العرض :

فقد صاغه المحدثون في شروط دقيقة هي : الاسلام ، والثقة ، والعدالة ، والضبط والا يكون متبعا لبدعة يدعو اليها ... الخ .

كما تميزت طرق التحمل والأداء عند المحدثين بالدقة الفائقة التي لا يمكن ان يصل اليها أصحاب المنهج التاريخي ولا غيرهم . ومثال هذه الطرق :

١ ـ السماع : من صيغ الأداء عن هذا الطريق سمعت أو سمعنا .

٢ ـ **القراءة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق قرأت على فلان ، وقرئ على فلان وأنا أسمع .

٣ ـ **الاجازة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أجازني أو أجازنا فلان .

٤ ـ **المناولة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق ناولني أو ناولنا فلان مع الاجازة .

٥ ـ **المكاتبة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق كتب الى أو الينا فلان .

٦ ـ **الاعلام** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أعلمني واعلمنا فلان .

٧ ـ **الوصية** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أوصى الي أو الينا فلان ، وحدثني فلان بالوصية .

٨ ـ **الوجادة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق وجدت بخط فلان اذا عرف الخط ووثق به اما أصحاب المنهج التاريخي فيعتمدون في صحة وثائقهم على الحفريات والاوراق المتناثرة التي قد تكون منذ آلاف السنين ، ولا يعترف بها رجال الحديث ، وأين هذه الأمور مما اشترطه المحدثون من طرق التحمل والأداء ، ولو أن أصحاب هذا المنهج التاريخي اشترطوا شروطا كشروط المحدثين أو صاغوا مناهج كمناهجهم ما كان ليسلم لهم شيء من تاريخه القديم والأوسط وأكثر العصر الحديث بل ولا ثبت عندهم من كتبهم التي عدوها أصولا في نظرهم شيء ما .

وأنى لهم ذلك ؟ والمحدثون في دقتهم وتحريهم قد وصلوا الى درجة عالية فيها فها هو الامام البخاري يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر اسناده (١) .

وقال أيضا : لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته ، أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون ، ولم يكن من بين أهل

---

(١) تاريخ بغداد جـ٢ ص ١٩ .



الحديث من يحابي في الحديث أباه ولا أخاه ، ولا ولده ــ كشأن غيرهم ، وهذا علي بن المديني شيخ البخاري ولا يروى عنه حرف واحد في تقوية أبيه بل يروى عنه ضد ذلك (١) .

هــذا بالاضافة الى أن المحدثين يقدمون الحديث متنا وسندا بكامل رواته فيبحث عنه من شاء الاستيثاق بهنليراه موصولا في موضع آخر وعند رواة آخرين ثقــات وهكــذا . أما أصحاب المنهج التاريخي الحديث فيطبقــون منهجهم فيما بينهم ولا يوقفون القارىء عــلى خطوات بحثهم .

وهكذا نخلص من مقارنة المنهج التاريخي بمنهج المحــدثين بما لمنهج المحــدثين من أثر عظيم فيه ، وبماله من جلالة قدر ، وسمو في مجال النقد العلمي ، وهكذا كانت مكانة السنة النبوية عند أئمة الحديث وأهميتها في نفوسهم وقداستها وحرمتها وقيــامهم عليهــا بالحفظ والعناية ، والضبط والصيانة ..

د. أحمد عمر هاشم

---

(١) مشرف أصــحاب الحــديث للخطيب البغدادي ص ١٠ مخطوط بدار الكتب المصرية .

حقوق غير المسلمين

فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية

— ٤ —

تناولنا فى المقال السابق بيان حق غير المسلمين فى الحياة ، ورأينا مدى حرص الشريعة الاسلامية على حماية هذا الحق للمسلمين وغيرهم على درجة سواء ، لانه يتصل بمصلحة حفظ النفس ، وهى واحدة من الضرورات الخمس التى اولتها شريعة الله من الاهتمام والرعاية مايحفظ اسبابها ويضمن قيامها ، وما يليق بجلالها عند الله وخطرها فى حياة الناس ، ومن ثم كان تشريع الله فى هذا الحق كاملا متكاملا ، فلم يقتصر الامر فيه على مجرد تقرير وجوده واحترامه ، بل تعداه الى وضع العقوبة التى تضمن ذلك الوجود وتكفل هذا الاحترام على نحو ما جاءت به مصادر الشريعة الغراء .

وحق غير المسلمين فى الحياة كغيره من الحقوق التى قررها لهم الحق سبحانه وكفلها لهم بشرعه العادل ، يقوم مستندا على عقد الذمة وراجعا اليه ، حيث يعتبر ذلك العقد هو الاساس بالنسبة لكل ما يتقرر لغير المسلمين فى المجتمع الاسلامى من حقوق رتبها الشارع سبحانه على ذلك العقد نظير التزامهم بآثاره واحترامهم لأحكامه .

ومن مقتضاه أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين وعليهم ماعليهم اذ هو كما يقرر الفقهاء خلف عن الاسلام فى ثبوت تلك الحقوق (٢) ، وقد احسنت اللجنة العليا لتطوير القوانين وفق احكام الشريعة الاسلامية صنعا ، حين ابرزت فى المادة الأولى من مشروع الجناية على النفس ما يدل على هذا المعنى ، فنصت على ان .

« كل بالغ قتل نفسا عمدا يعاقب بالاعدام قصاصا اذا كان المقتول معصوم الدم وليس فرعا للقاتل ، ونفس الذكر والانثى والمسلم وغير المسلم سواء»(٣) ولاشك ان ذلك النص قد أصاب هدفا سليما وغاية صحيحة ، حين نص على ان المسلم وغير المسلم فى العقوبة سواء ، فجاء كافيا لحماية هذا الحق ، ومتفقا مع الرأى الراجح فى الفقه ، ووليد فهم شرعى صحيح ، وتلك مفخرة لشريعة الله حيث تكفل حق الحياة لغير المسلم كما تكفله للمسلم ، على نحو ماثنينا ببيانه (١) ، وستكمل دراسة بقية تلك الحقوق .

---

(١) الهداية ــ شرح بداية المبتدى للميرغنانى الحنفى ــ جـ٢ ص ١٥١ ــ مطبعة صبيح .

(٢) راجع : مشروعات قوانين القصاص والديات والحدود الشرعية ــ ص ١١ ــ دار الاعتصام .

(٣) راجع ــ مقالنا بمجلة الازهر ــ عدد المحرم ١٤٠٤ هـ ــ ص ٣٥ وما بعدها .

للدكتور عبدالله مبروك النجار

ثالثا : حماية أموال غير المسلمين :

ومصلحة حفظ المال فى الشريعة الاسلامية هى الأخـــرى مصلحة ضرورية ، حيث تعتبر كالنفس واحدة مـــن الضرورات الخمس التى لايمكن أن تستقيم حياة الناس بدونها ، ولهذا فقد كفل الشارع لها من الاحكـام ، ما يحقق

كمال التنعم بها ويوصل الى حسن استخدامها، ليؤدى المال رسالته فى الحياة ويكون كما اراد الله له ، اداة بناء ومصدر عطـاء ، لا معـول هدم ، ووسيلة ظلم وحقد ، ولهذا جاء تنظيم الشريعة لتداول المال شافيا كافيا ، فبينت طرق اكتسابه وسبل انفاقه ، ووسائل اثبات التعامل

به ، كما حددت نطاق المسئولية عنه ، ووضعت العقوبة اللائقة بوقوع الخطـر عليه ، ليأمن كل انسان على ماله ويسعى فى مناكب الارض بالاصــلاح والعمران ، فينتشر الخير ويعم الرخاء ، وتلك أمنيات تسـعى التقنينـات الوضعية للوصول اليها وقد كفلتها شريعة الله للناس أجمعين ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

محل الحق فى الحماية :

ومحل الحق فى حماية الشريعة الغراء هـو المال ، ولهذا ينبغى التعريف به .

والمـال فى اللغة :

هو ما ملكته مـن كل شىء (١) ، وكل مايقبل الملك فهو مال عينا كان أو دينا أو منفعة(٢) .

يقول ابن الاثير فى النهـاية : « المـال فى الاصل ما يملك من الذهب والفضة ، ثم اطلق على كل مايقتنى ويملك من الاعيـان ، وأكثر مايطلق المال عند العرب على الابل لأنها كانت اكثر أموالهم » (٣) .

وفى اصطلاح الفقهاء :

اختلفت عبارات الفقهاء فى تعريف المـال ، ولكنها مع هذا الاختلاف تتقارب فى الكثير من مفهومها ، ويمكن رد تعريفات فقهاء الشريعة الاسلامية للمال الى قولين :

اولهما : لفقهاء المذهب الحنفى :

وقد عرفه عندهم العـلامة ابن عـابدين بقوله : المـال هو مايميـل اليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة (٤) ، ويتضـح من هذا التعريف انه يربط بين معنى المـال فى الشرع واشتقاقه اللغوى ، وان كان غير جـامع لكل افراده ، فمـن الاموال مالا يمكن ادخـارها

---

(١) القاموس المحيط ـ جـ ٤ ص ٥٣ .
(٢) لسان العرب ـ جـ ١٤ ص ١٥٨ .
(٣) ابن الاثير ـ النهاية فى غريب الحـديث ـ جـ١ ص١١٤ ـ دار الكتب المصرية .
(٤) حاشية ابن عابدين بن على الدر المختار ـ جـ١ ص ٣ . وراجع : رسـالة الشيخ احمد ابو سـنة ـ العرف والعادة فى رأى الفقهاء ـ ص ١٣٦ وما بعدها ـ مطبعة الازهر سنة ٤٨م .

>

مطلقا كالمنافع ، اولا يمكن ادخارها مع بقاء منفعتها كما هي كالخضروات مثلا ، وهما لايدخلان في هذا التعريف ، كما لايدخل فيه بعض الاموال التى لايميل اليها الطبع بل يعافها ، كبعض الادوية والسموم مع انها اموال .

وقد عرفه صاحب مرشد الحيران في المادة الاولى بأنه :

ما يمكن ادخاره لوقت الحاجة .

ثانيهما: لجمهور الفقهاء غير الحنفية :

وهم لايشترطون في تعريف المال امكان احرازه وادخاره لوقت الحاجة ، ولذلك يعرف عندهم بأنه :

« كل ماله قيمة ماليه ويمكن الانتفاع به » (١)

يقول الامام الشافعى : « لايقع اسم المال الا على ماله قيمة يباع بها ويلزم متلفه وان قلت » (٢)

ومن خلال تعريفات الفقهاء للمال ، نجد أنهم متفقون على ان المال لابد أن يكون متقوما شرعا ، ومن ثم فغير المتقوم كالميتة والدم وحفنة التراب لا يصدق عليها اسم المال ، وهذا ظاهر في تعريف الحنفية له بأنه ما يميل اليه الطبع ، وتعريف الجمهور له بأنه ماله قيمة ، ويلاحظ ان الخمر والخنزير من الاموال المتقومة في حق غير المسلم ، لكنها غير متقومة في حق المسلم ، وبالتالى فان تلك الاموال اذا تلفت تضمن لغير المسلم ، ولا تضمن للمسلم ، والحنفية يذكرون في تعريفه أنه مايمكن حيازته وادخاره لوقت الحاجة ، والمنافع لا تصلح بطبيعتها للادخار والحيازة فلا تعتبر اموالا عندهم ولما كان الجمهور لا يذكرون ذلك في تعريفهم للمال ، بل يعرفونه بأنه مايمكن الانتفاع به ، فتكون المنافع أموالا عندهم .

ومما تجدر الاشارة اليه ان فقهاء القانون يعرفون المال بما هو قريب من رأى جمهور الفقهاء حيث يعرف المال عندهم ، بأنه كل شيء نافع للانسان يصح أن يستأثر به دون غيره ، ويكون محلا للحقوق .

فالاموال بالمعنى القانونى « هى الاشياء التى لها قيمة اقتصادية » (٣) .

آراء الفقهاء في مالية المنافع :

ويظهر من خلال تعريفات الفقهاء للمال ان هناك اختلافا واضحا في مالية المنافع ، ومثل هذا الاختلاف لا ينبغى اهمال النظر فيه ، لما يترتب عليه من آثار خطيرة تتصل بنطاق المسئولية عن المال وتتعلق بحمايته ، الامر

(١) دكتور محمد زكريا البرديسى ــ الميراث ــ ص ٢٠ .

(٢) عن الاشباه والنظائر للسيوطى ص ١٩٧ . وراجع : الموافقات للشاطبى ــ جـ٢ ص ١٠ . والمغنى لابن قدامة الحنبلى ــ جـ٥ ص ٢١٧ .

(٣) السنهورى ــ الوسيط ــ جـ٨ ص ١٨١ ، ودكتور محمد كامل مرسى ــ الاموال ــ ص ٥ ــ الطبعة الثالثة لسنة ١٩٤٣ م ، ودكتور محمد عرفة ــ حق الملكية ــ جـ١ ص ٥٤ ، وقد جاء في المذكرة الايضاحية لمشروع تنقيح القانون المدنى ــ جـ١ ص ١٧٦ .

، ان المال في عرف القانون المدنى هو الحق ذو القيمة المالية » .

الذي يجعل النظر في أدلة كل قول على درجة كبيرة من الاهمية ، اذ تبنى على قوة الدليل رجحان القول الذي يؤيده ، ومن ثم يكون العمل بمقتضاه ، وقد افترق الفقهاء في تلك المسألة الى قولين :

اولهما لجمهور فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة وحاصل قولهم : ان المنافع مال ، وبالتالي يمكن ثبوتها في الذمة وتضمن بالتفويت (١) ويجوز أخذ العوض عنها (٢) يقول الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير « لو غصب منفعة لذات من دار أو دابة أو غيرهما فانه يضمن قيمة المنفعة التي استولى عليها » (٣) .

وثانيهما : لفقهاء الحنفية ، وحاصل قولهم : « ان المنافع ليست مالا ، وانما هي ملحقة بالمال في باب المهر والخلع فقط ، فيجوز أن تضمن فيهما فقط دون غيرهما » (٤) ، ولكل قول أدلته .

دليل القول الأول :

استدل جمهور الفقهاء لما ذهبوا اليه بالكتاب : قال تعالى « وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » (٥)

(١) اسنى المطالب ــ للشيخ زكريا الانصارى ــ جـ٣ ص ٢٤٣ .

(٢) شرح منتهى الارادات ــ جـ٢ ص ٤٠١ .

(٣) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ جـ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) التوضيح لصدر الشريعة ــ مع متلا خسرو ــ جـ٢ ص ٩٨ وما بعدها .

(٥) النساء ــ آية ٢٤ .

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة :

انها قد دلت على ان المهر لا يكون الا مالا، لانه هو الذى يبتغى به العرض ، ولما كانت المنافع يجوز أن تقع مهرا فتكون مالا وفقا لنص الآية الكريمة ، وقد صح انها وقعتمهرا في قصة نبى الله موسى ، قال تعالى ــ حكاية عن قول والد الفتاة ــ في هذا الخصوص « قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ » (٦) ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد دليل ناسخ ، واذا صح أن المنافع تقع مهرا فتكون مالا ، واذا كانت مالا فيجوز أخذ العوض عنها ، وتضمن بالتفويت بالغصب وبالاجارة (٧).

دليل القول الثاني :

وقد استدل اصحاب القول الثانى لما ذهبوا اليه بأن وصف المالية انما يثبت للاشياء التى يمكن احرازها وادخارها لوقت الحاجة ، اذ المال كما هو ما يميل اليه الطبع ويمكن ادخاره لحين الحاجة اليه (٨) ، والمنافع لا يمكن ادخارها ، لأنها من الأعراض التى لا تبقى زمانين فصاعدا وانما تكتسب شيئا فشيئا وبعد الاكتساب تفنى ولا يبقى لها اثر ، اذهى عرض ولابقاء للاعراض (٩) ومن ثم فلاتكون مالا ، وتقوم المنافع في عقد النكاح ليس لانها متقومة في ذاتها ، وبالتالى تجرى في غيره ، لان تقومها

(٦) القصص ــ آية ٢٧ .

(٧) مغنى المحتاج ــ جـ٢ ص ٢٣٩ ، وكشاف القناع ــ جـ٣ ص ٥٦١ ، وجواهر الاكليل ــ جـ٢ ص ١٥١ .

(٨) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ــ نفس المكان السابق .

(٩) التوضيح مع متلا خسرو ــ جـ٢ ص ٩٨.

حقوق غير المسلمين
في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

ثبت بالرضا استثناء على خلاف الاصل فلايقاس عليه (١) ، ووجه الاستثناء انها في النكاح غير مقابلة بمال فيجرى التسامح فيها ، ولو صح تقومها في غيره لقوبلت بالمال وتكون مبنية على المشاحة ، فلا يجرى التسامح فيها في غيره ، ومنع تقومها فيه لذلك (٢) .

الرأى الراجح ومبررات الترجيح :

والرأى الراجح في نظرنا هو رأى الجمهور، ذلك ان استدلال الحنفية على ماذهبوا اليه بأن المالية لاتثبت الا بالاحراز والادخار محل نظر ، حيث لم يقم عليه دليل من كتاب أو سنة أو لغة ، ولو صح فليس من اللازم في المال ان يحرز ويحاز بنفسه ، بل يكفى ان يحاز بحيازة اصله ومصدره ، والمنافع يمكن فيها ذلك ، واقرار الحنفية بجواز وقوع المنافع مهرا يعد اعترافا منهم بماليتها ، والمالية وصف لايتجزأ فيكون معناه حالا بالمنافع ، ولايحول دون ذلك ابتناء التعامل فيها على المشاحة طالما اعتبرت مالا ، وقد جرى تعامل الناس علىذلك ، ولما كانت هذه الاعتبارات تقوى ماذهب اليه الجمهور فانني ارجح رأيهم ، وبمقتضاه تكون المنافع مالا ولها ماللمال من احكام ، ويقترب موقف القانون من الشريعة في هذا الموضوع (٣) .

(١) نفس المرجع — ص ٩٩ .
(٢) فتح القدير — جـ٥ ص ٤٦١ .
(٣) راجع دكتور محمد كامل مرسى — المرجع والمكان السابقين .

وسائل حماية اموال غير المسلمين :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية في المحافظة على اموال غير المسلمين مسلكا يعتبر علامة مشرقة في جبين تلك الشريعة الغراء ، وعنوانا على يسرها وسماحتها ، وقدرتها المتميزة على تحقيق الغاية المثلى لما يحرص الناس عليه من وراء تداول المال وتملكه وتثميره ، ومنهج الشريعة الاسلامية في هذا الخصوص يتسم بالدقة والتكامل ، ويتفوق على كل ما يمكن ان يضاهى به في الفكر الانسانى المعاصر ، فلم يقتصر الامر فيه على مجرد احترام تملك المال اذا كان تحصيله قد تم وفقا للاسباب الشرعية الصحيحة ، بل استهدف مع العناية بتلك الأسباب وضع الضوابط التى تضمن حماية المال على أكمل وجه ، وذلك من خلال أمرين :

اولهما : تقرير مبدأ الرضائية في التعامل .

وثانيهما : تحديد نطاق المسئولية عن المال ، وينبغى بيان هذين الامرين بشىء من التفصيل الذى تقتضيه تلك الدراسة .

الامر الاول : مبدأ الرضا في التعامل :

وتوخيا لتحقيق حماية المال والمحافظة عليه للمسلمين وغيرهم ، قرر الحق سبحانه مبدأ الرضائية في التعامل وجعله اصلا يقوم نظام تداول المال عليه ، ولاشك ان الرضا هو العنصر الهام الذى يكفل ترشيد مسيرة المال ، وتصحيح مهمته في الحياة ، وبدون الرضا في التعامل تنحرف رسالته ، فيصبح مادة للجريمة وأداة للحقد والتخريب ، الامر

الذي يبرز حكمة الشارع سبحانه في الاهتمام به ، وتحديد ملامح التعامل المشروعة من خلاله ، ومن هنا كانت مشروعية العقود المختلفة موصلة اليه ، وكان امر الله بالوفاء بالعقود والعهود محققا له ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (١) » وقال تعالى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » (٢) ولهذا أيضا كان اهتمام فقهاء الشريعة الاسلامية ببيان حقيقته ، ودراسة الموضوعات التي تتعلق به ، وتجعل وجوده في التعامل على النحو التام .

حقيقة الرضا في الشريعة الاسلامية :

والرضا في اللغة : مصدر للفعل « رضى » ضد سخط كما جاء الرضا بمعنى الاختيار (٣)

وفي اصطلاح الفقهاء ، نلاحظ اختلافا دقيقا بين الحنفية وجمهور الفقهاء حول التعريف بالرضا ، حيث عرفه الحنفية بأنه « ارتياح النفس وانبساطها من عمل ترغب فيه وتستحسنه » .

أو هو كما يقول البخاري صاحب كشف الأسرار :

« الرضا عبارة عن امتلاء الاختيار ، أي بلوغه غايته بحيث يفضي أثره الى الظاهر ، من ظهور البشاشة في الوجه ونحوها ، كما يفضي أثر الغضب الى الظاهر من حماليق العين والوجه بسبب غليان دم القلب » (٤).

ويستبين من هذا التعريف أن هناك فرقا بين الرضا والاختيار .

فالرضا في مجال التعاقد يعني رغبة العاقد في آثار العقد مع العزم عليه والتوجه الى انشائه (٥) ، وهو على هذا النحو يمتزج القصد فيه الى السبب مع الحكم ، وذلك هو معيار تلك التفرقة الدقيقة .

ويبدو أن التفرقة بين الرضا والاختيار على نحو ما رأينا أمرا اختص به المذهب الحنفي ، فلم نلمس من خلال أقوال الفقهاء في المذاهب الأخرى ما يشعر بوجود أثر لها ، في موضع دراستها عند الكلام على الاكراه .

يقول الشربيني الخطيب من فقهاء الشافعية « لا يقع طلاق مكره بغير حق » .

ثم علل الشارح ذلك بقوله « لأنه قول لو صدر منه باختياره لحنث به » (٦) .

وهذا ظاهر في نفي الاختيار عمن انعدم منه الرضا بالاكراه .

ويقول البهوتي من فقهاء الحنابلة : « من شروط البيع التراضي وهو أن يأتيا به اختيارا » (٧) .

وهذا يدل على أن الرضا والاختيار أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ويقول الحطاب من فقهاء المالكية : «والمكره غير قادر على الامتناع مما أكره عليه » . فهو حينئذ عديم الاختيار ، ولما كان الاكراه يعدم الرضا ، فدل ذلك على تلازمه مع الاختيار وجودا وعدما .

---

(١) المائدة ــ آية ١ .
(٢) الاسراء ــ آية ٣٤ .
(٣) القاموس المحيط ــ جـ٤ ص ٣٣٦ .
(٤) كشف الاسرار على أصول البزدوي ــ جـ٤ ص ١٥٠٢ .

(٥) راجع في هذا المعنى بحثا للدكتور حسن صبحي موضوعه الرضا وعيوبه في العقد ــ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الاسلامية بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ضمن مجموعة بحوث عنوانها . الفقه الاسلامي اساس التشريع ــ ص ٢٨٦ وما بعدها .
(٦) نهاية المحتاج ــ جـ٦ ص ٣٢٤ .
(٧) كشاف القناع ــ جـ٣ ص ٥ .

ولعل وجهة نظر الجمهور في عدم التفرقة بين الرضا والاختيار أنهم جعلوا الاختيار عبارة عن القصد الى العبارة ، بحيث تكون العبارة ترجمة في الضمير ودليلا علىمايقصده .. ومن ثم فاذا لم تتوافر في العبارات تلك الدلالة فلا يوجد اختيار حينئذ ، اذ لا اختيار في مجرد قصد النطق (١) .

ويبدو من خلال هذا الخلاف بين الفقهاء مدي الحرص على وصول الرضا حد الكمال، وبلوغه غايته ، ولعل في مشروعيته الخيارات عند التعاقد ، وتحديد اهلية الالتزام وعوارضها ما يؤكد هذا المعنى ، واذا كان الرضا مقررا كمبدأ للتعامل فانه يسرى على المسلمين كما يسرى على غيرهم ، ويكون التراضي هو اجتماع رضا طرف العقد .

ادلة التراضي في التعامل مع غير المسلمين :

وتقرير الرضائية في التعامل مع غير المسلمين يدل على احترام الشريعة الغراء لأموالهم وتقديرها لملكيتهم ، حيث يجيء مصدر تلك الدلالة من كتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، واجماع الفقهاء وآثار الصحابة ، وذلك على النحو الآتي :

١ ــ من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (٢) .

ويقول عز من قائل : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٣) .

ووجه الدلالة في هاتين الآيتين الكريمتين :

ان الحق سبحانه قد نهى في الآية الاولى عن أكل أموال الناس بالباطل ، واستثنى التعامل به عن طريق الرضا ، وفي الآية الثانية نهى أيضا عن أكل أموال الناس بالباطل ليكون وسيلة لأكل فريق من أموال الناس بالاثم ، فيكون المنهي عنه حرام ، وما خرج بالاستثناء على خلافه ، ومن باب أكل أموال الناس بالباطل المنهي عنه ، جحد الحقوق ومالا تطيب به نفس مالكه ، وأخذ مال الغير لا على وجه اذن الشرع (٤) ، وفي هذا دلالة على أن أكل المال دون رضا مالكه ، وعلى غير الوجوه المشروعة يكون حراما ، أعم من أن يكون ذلك المالك مسلما أو غير مسلم ، ومن ثم يكون الرضا هو المشروع بالنسبة لهما ، وتوجيه الخطاب للمؤمنين لا يغير من هذا المعنى ، فحكمه يسرى على

---

(١) كشف الاسرار ــ جـ٤ ص ١٥٠٥ . وراجع في هذا المعنى رسالة استاذنا الدكتور شوكت العدوي ــ نظرية العقد في الشريعة الاسلامية ــ ص ٩٢ . ودكتور حسن صبحي ــ المرجع السابق ــ ص ٢٨٧ .

(٢) النساء ــ آية ٢٩ .
(٣) البقرة ــ آية ١٨٨ .
(٤) القرطبي ــ الجامع لاحكام القرآن ــ جـ٢ ص ٣٣٨ . وتفسير الطبري ــ جـ٢ ص ١٨٣ .

المسلمين بالنص ، وعلى غير المسلمين بالعهد اذ بمقتضاه يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولا يتفق مع عدالة الاسلام وسموه أن يجرى على مال غير المسلمين ، ما حرم مثله على مال المسلمين ، فى هذا الامر الواضح فى دلالته على رضائية التعامل بالنسبة للمسلمين وغيرهم .

(ب) ويقول عز من قائل « وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (١) .

وجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

ان الحق سبحانه قد ذم قوما ، وتوعدهم بالعذاب الاليم بسبب اقترافهم عددا من المخالفات الجسيمة ، منها أكل أموال الناس بالباطل ، الأمر الذى يدل على تحريمه ، ومن الباطل الذى حرمه الله كما يقول ابن تيمية : « ما يؤكل بالباطل فى المعاوضات والتبرعات وما يؤخذ بغيرضا المالك (٢) » والتفرقة بين مال المسلم وغيره فى الحرمة لا تجد سندا لها من نصوص الشريعة ، وبالتالى يكون الرضا هو سبيل التعامل معهما .

٢ ــ ومن السنة :

(أ) ما رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد خطب فى الناس يوم النحر فى حجة الوداع وقال : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا .. ثم قال : الا ليبلغ الشاهد الغائب (٣) » .

وجه الدلالة فى هذا الحديث :

ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد حرم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم شبه ذلك التحريم بما يفيد أبلغه ، وتحريم المال يفيد عدم جواز تداوله الا بالرضا ، وليس فى الحديث ما يدل على التفرقة بين المسلم وغيره فى حرمة المال .

(ب) وبما روى عن عمرو بن يثربى قال : « شهدت خطبة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنى ، وكان فيما خطب به أن قال : « ولا يحل لامرىء من مال أخيه الا ما طابت به نفسه (٤) » ، فقد دل هذا الحديث على أن مال المرء لا يحل الا برضاه التام ، وليس فيه ما يدل على اختصاص مال المسلم بحكم دون مال غيره ، بل ان منطوقه يدل على أن مال المسلم وغيره فى الحكم سواء ، اذ المرء هو الانسان (٥) ، فيكون معنى الاخوة فىالحديث مرادا به اخوة الانسانية وهى تشمل الناس جميعا دون تفرقة بين المسلم وغيره ، ويكون الحديث الشريف على هذا النحو دالا على المطلوب .

٣ ــ ومن الاجماع :

فقد أجمع الفقهاء على انه لا يجوز أن يؤخذ من مال أهل الذمة غير ما اشترط عليهم ، وصولحوا عليه ، الا بطيب انفسهم(٦) ، وقد

---

(١) النساء ــ آية ١٦١ .

(٢) القواعد النورانية الفقهية ــ ص ١١٥ ، وما بعدها .

(٣) رياض الصالحين ــ ص ١١٧ وما بعدها .

(٤) نيل الاوطار للشوكانى ــ جـ٨ ــ ص ١٧٢ .

(٥) راجع : القاموس المحيط ــ جـ١ ص ٢٩ .

(٦) الاموال ــ لابى عبيد ــ ص ١٩٦ .

حقوق غير المسلمين

في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

نقل هذا الاجماع عن الاوزاعى وأبو عبيد فى الأموال فقال « فأما مازاد على ما اشترط عليهم وصولحوا عليه ، فما علمنا أحدا رخص فيه فى قديم الدهر ولا حديثه ، وفى ذلك آثار متواترة »(١) وفى هذا أبلغ الدلالة على احترام أموال غير المسلمين ، وعدم جواز التعامل معهم الا بالتراضى .

٤ ــ ومن آثار الصحابة :

(أ) مارواه أبو عبيد عن أبى أمامة عن ابن عباس ــ رضى الله عنهم ــ « ان رجلا سأله، فقال : انا نمر بأهل الذمة فنصيب من الشئ» فقال ابن عباس : لا يحل لكم من ذمتكم الا ما صالحتموهم عليه »(٢) .

فقد دل هذا الأثر على أنه لا يحل من أموال أهل الذمة الا ما اتفق عليه برضاهم ، ووقع الصلح عليه بارادتهم .

(ب) ومما رواه أبو عبيد أيضا عن أبى اسحاق عن صعصعة ــ رضى الله عنهم ــ قال : سألت ابن عباس ، فقلت : انا نسير فى ارض أهل الذمة فنصيب منهم ، فقال ابن عباس : بغير ثمن ؟ قلت : نعم ، قال : فما تقولون : قلت : نقول : حلالا لا بأس به ، فقال : أنتم تقولون كما قال بعض أهل الكتاب: **« ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »**(٣) .

ووجه الدلالة فى هذا الأثر : ان ابن عباس قد افتى بعدم جواز اكل اموال أهل الذمة الا بالثمن ، وهو يفيد حصول التراضى منهم به ، وشبه العمل بخلافه ، بانه كذب على الله بدون علم ، الأمر الذى يدل على احترام أموالهم ، وتقرير الرضائية فى التعامل معهم ، ومن المؤكد ان هذه الأدلة مجتمعة تدل على مشروعية الأمر الأول فى حماية أموال غير المسلمين وهو الرضا .

اما عن الأمر الثانى وهو تحديد نطاق المسئولية عن أموال غير المسلمين ، فسوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم بمشيئة الله ، والله المستعان .

عبد الله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٩٧ .
(٢) أبو عبيد ــ الأموال ــ ص ١٩٧ .
(٣) نفس المرجع والمكان السابقين .

رجاء الى :

● الاخوة راغبى الكتابة للمجلة ● الاخوة الأساتذة كتاب المجلة

سبق أن توجهت المجلة الى سيادتكم برجاء معاونتها على اداء رسالتها العلمية التى نحرص جميعا على البلوغ بها ارفع مستوى خـدمة لهذا الدين وكتابه العزيز وسنة نبينا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولقد نعلم ان هذه المجلة للمقال اولا ، وهو ما يعنيها من ابواب الصحافة ، لـذا تحرص المجلة على نشر المقال العلمى موثق المادة موضح المراجع فما كان من آية قرآنية كريمـة ، او حديث شريف ، فينبغى الدلالة عليـه بالنص على سورة الآية ورقمها ، وبالنص كذلك على مصدر الحديث الشريف مؤلفا وكتابا وجـزءا وصفحة ومطبعة وطبعة .

وان عدم الاهتمام بهذا الامر مـن توثيق المادة عموما اذا عرضت لنص من أسباب عدم نشرها .

كذلك ليست المجلة مسـئولة ، ولا هى مطالبة برد المقال الـذى لا ينشر ورجـاؤها الأخير : أن يكون المقال بخط جيد ، او مدونا بآلة كاتبة .

الى السـادة راغبى الاشتراكات فى مجلة « الأزهر » الشهرية .



* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :
مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

وفيما يلى قيمة الاشتراك :

* جمهورية مصر العربية مليم ـ جنيه
قيمة الاشتـراك سـنويا : ٤٠٠ ٢

* اتحـاد البريد العربى والافريقى « بالبريد الجوى » .
ـ ٠ر١٥ خمسة عشر دولارا او ما يعادلها .

* باقى دول العالم : ٠ر٣٠ ثلاثون دولارا او ما يعادلها .

ملاحظـة :يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الاهرام كما هـو مذكور وليس الى المجلة .

طرائف

قال الله تعالى :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (صدق الله العظيم)

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا الى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

حقاً

ومحيا كالشمس منك مضيئا
اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء

***

مولد كان منه فى طالع الكفر
وبال عليهم ، ووباء

***

رافعا راسه وفى ذلك
الرفع الى كل سؤدد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى
عين من شانه العلو العلاء

من ميزات خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

هو امام المرسلين وخير الخلق أجمعين .
وأصحابه خير الناس فى كل القرون .
وكتابه محفوظ من التحريف والتبديل .
وأعطى الشفاعة والمقام المحمود .
وصفوف أمته فى الصلاة كصفوف الملائكة .
وتنام عينه ولاينام قلبه .
وتبعث أمته غرا محجلين من أثر الوضوء .
ومن رآه فى النوم فقد رآه حقا .
وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة .
ولايحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا يناديه باسمه .
وأعطى جوامع الكلم ، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا ، وصلاة الله وملائكته عليه .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أسماء المصطفى صلى الله عليه وسلم

محمد ، المصطفى ، الماحى ، الحاشر ، العاقب ، المقفى ، الشهيد ، المصدق ، النور ، المسلم ، العبد ، الداعى ، الامام ، الهادى ، البشير ، النذير ، السراج المنير ، المدثر ، طـه ، يس ، خاتم النبيين ، الصاحب ، عبد الله ، أحمد ، قاسم المزمل ، نبى الرحمة ، نبى الملحمة الطيب ، الكريم .

وقال ابن دحية :

أسماؤه - صلى الله عليه وسلم - تقرب من الثلاثمائة وانتهى بها بعض المتصوفة الى الألف .

***

توجيهات نبوية

* ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس .

* لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به .

* من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .

* البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس .

* كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

من كتاب مختصر النبراوى على الأربعين النووية

دعاء

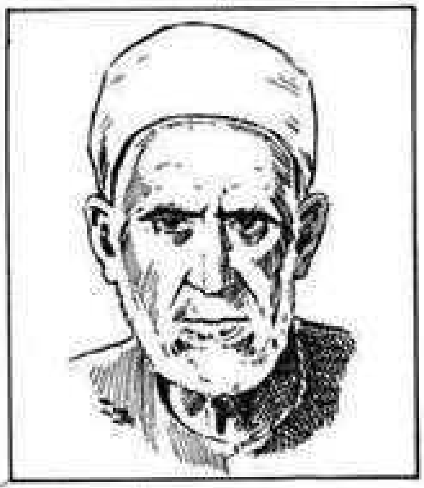
اللهم انى أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك .

■ الشيخ سليمان نوار

من
أعلام الأزهر

■ من شعراء الأزهر
خالد الجرنوسى

من أعلام الأزهر



الشيخ سليمان نوار

١٨٨٦
١١ فبراير
١٩٦٩

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

شخصية علمية كبيرة ، قامت بدور كبير فى خدمة الثقافة العربية والاسلامية فى الأزهر فى العصر الحديث .

كان رحمه الله ، فارع الطول ، قوى البنية تشع عيناه بريقا وذكاء ، يتكلم العربية الفصحى ولا يتكلم الا بعد تفكير طويل ، واذا تكلم كان رأيه فصل الخطاب .

عاش عصر النضال الوطنى العظيم ضد الاحتلال عصر مصطفى كامل ، وسعد زغلول، وشهد ثورة الزعيم مصطفى كامل أو قل حركته الوطنية الكبرى من أجل الحرية واشترك فى ثورة ١٩١٩ ، فكان هو والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والسيد حسن القاياتى ، والشيخ الزنكلونى ، رحمهم الله جميعا ، من خطباء الثورة المصرية، وعلى منبر الأزهر كانت أصواتهم أعلى الاصوات ، وأكثرها حماسا وايمانا بحق مصر الخالد فى الحرية والاستقلال .

الشيخ سليمان نوار

وفى يوم من الأيام دعاه الصوفانى الى اجتماع وطنى ضد سعد زغلول ، فأبى ، وقال له : اذا كان سعد قد أيقظ مصر لتطالب بحقها فى الحرية فما ذنبه ؟

وفى عام ١٩٢٧ نشرت له صحيفة الاخبار سلسلة من المقالات حول ، اصلاح الأزهر والاصلاح الاجتماعى والثقافى فى مصر .

— ٢ —

ومنذ تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٢١ وهو يجعل النضال الوطنى من أجل حرية وطنه جزءا متمما لنضال العالم الدينى من أجل خدمة شريعة الاسلام ولغة القرآن .

وكان لابن « كفر شكر » العالم الازهرى الشاب النابغة — صوت مدو فى مختلف جوانب حياتنا المصرية الحافلة بأسباب النضال والثورة من أجل الاصلاح .

اشترك مع صفوة من العلماء فى المطالبة باصلاح الأزهر ، والعمل من أجل ازدهار حلقاته العلمية ، مسترشدا فى ذلك بأفكار الامام محمد عبده ، الذى كان أقرب العلماء فى العصر الحديث الى قلوب الشباب ، من أبناء الأزهر وخريجيه وشيوخه .

وأنشئت كليات الأزهر الشريف الثلاث : الشريعة — أصول الدين — اللغة ، فاختير الشيخ سليمان نوار أستاذا فى كلية اللغة العربية ، للثقة بعلمه ، وتفقهه فى اللغة والأدب فوق تفوقه فى الدراسات الاسلامية .

وفى عام ١٩٣٤ و ١٩٣٥ نهض الأزهر يطالب بتجدد حركة الاصلاح فى أروقته ، ويعلن أن الأزهر لا يمكن أن يكون سندا لطغيان القصر الملكى واستبداد أعوانه ، ومؤيدى بطش الوزارات المتآمرة على حرية الشعب ، ويطالب بصيرة قوية للاصلاح فى الأزهر . وكان شيخنا الجليل فى مقدمة المنادين بذلك ، وفصل من الأزهر مع من فصلوا بسبب ذلك . ثم عادت الأمور فى الأزهر الى الاستقرار ، وعادت الدراسة فيه الى الانتظام ، ولكن ثورة الشيخ لم تهدأ ، فقد رأى أن الأزهر الذى حارب فيه طغيان السياسة قد بدأ يعود الى السياسة من الباب الخلفى مرة أخرى ، ومن أجل ذلك ناهض شيخنا نوار مشيخة الأزهر آنذاك وعاد الى الثورة مرة أخرى .

وعندما أنشأت الحكومة الجيش المرابط عام ١٩٣٩ فى وزارة على ماهر باشا ، أشرف الشيخ بنفسه على التدريب العسكرى فى معهد الزقازيق ، وشارك طلبته فى التدريب العسكرى ، بهدف تكوين الوطنى الحر المناضل .. واعتقله الانجليز عام ١٩٤٢ مع لفيف من الوطنيين الأحرار .

— ٣ —

ومن التدريس فى الازهر ، الى التدريس فى الكليات الأزهرية ، الى التفتيش على العلوم العربية فى الأزهر ، الى مشيخة معهد القاهرة الثانوى الأزهرى ، الى العودة لمنصب الاستاذية فى كلية اللغة العربية ، الى عمادة الكلية نفسها .. الى كثير من اللجان التى كان عضوا فيها ، ظل الشيخ يناضل ويكافح نضال الابطال وكفاحهم .

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فكان صوت جامعة الاسكندرية وصوت الشيخ سليمان نوار فى الأزهر أول الأصوات العالية فى تأييد

الثورة ومساندتها ، ودعوة الشعب الى الالتفاف حولها ، والثقة بها .

وترك للشيخ سليمان نوار منصب العمادة فترة قصيرة ، ثم أعيد الى العمادة مرة ثانية ، فالتف حوله طلابه وتلاميذه التفافهم حول رائد مناضل .

كان رحمه الله ــ يمثل شموخ العالم الازهرى وصموده فى وجه الأحداث أتم تمثيل.

وكان يقوم بتدريس البلاغة والأدب والحديث والتفسير لطلابه فى كلية اللغة العربية وأفاد الطلاب منه علما غزيرا ، وفكرا مستنيرا وعطلا متميزا قوى الشخصية والمنهج العلمي.

دعا الى الارتفاع بمستوى اللغة العربية

وعلومها وآدابها عن طريق التراث والاصالة مع المعاصرة أيضا بتأثير الاتصال بالثقافات العالمية .

وكانت أفكاره فى البلاغة العربية أفكار عالم ثائر على الجمود والتقليد يعمل من أجل تجدد الثقافة البلاغية ومن أجل تأصيلها وتعميقها فى أذهان الشباب .. وكتاباه فى القصر ، وفى الايجاز والاطناب والمساواة من أجل ما كتب فى هذه الجوانب فى البلاغة العربية ، مما يشهد له بعلو الباع فى فهم خصائص أسلوب العرب وبلاغتهم ، وبسمو الذوق الأدبى والموهبة المطبوعة على الفصاحة والبيان ، وبعظمة المنزلة العلمية فى علوم البلاغة ودراساتها .

وألف كذلك كتابا فى الحديث النبوى الشريف كان صدى لذوقه الرفيع ، وعلمه الغزير ، وملكته العربية المتطورة على اللسن والبيان والبلاغة .

وظل الشيخ مثابرا على القراءة والكتابة كما كان فى عهد شبابه ، وحتى بعد أن أحيل الى المعاش . حيث كان يقيم فى بلدته « كفر شكر » ، ويتردد على القاهرة فى أوقات فراغه ليلتقى بطلابه وزملائه التقاء الأستاذ والموجه والمرشد .

وبفكره المستنير ، وعقله الواسع ، وذوقه العربى الأصيل ، وثقافته الواسعة ، التى كان من أدواتها اجادته للغة الفرنسية .. كان يملك قلوب الناس وعقولهم ، ويستحوذ على ألباب الشباب وحبهم وتقديرهم .. وناحية أخرى فى حياته هى حبه للرياضة وكثرة حبه لرياضة المشى الطويل ، وبساطته فى حياته وفى كل مايتصل به مع التواضع والشموخ .. أخلص طول حياته للعمل من أجل ازدهار الثقافة العربية والاسلامية .

وكانت البساطة فى حياته منبعثة من ايمانه بأن الاسلام دين البساطة والسهولة والرفق وحب الناس والعمل من أجل اسعادهم ، وجلب الخير لهم .

وظل الشيخ الجليل ، يبنى من حيث يهدم غيره ، ويجهر برأيه حرا من حيث يصمت سواه .. الى اليوم الحادى عشر من فبراير عام ١٩٦٩ ، حيث وافته المنية ، ولقى ربه ، وترك الدنيا هذا العالم الأزهرى الكبير المتمكن وذلك الأديب الجليل الشاعر الموهوب .. بعد أن أدى واجبه فى خدمة الاسلام ولغة القرآن .. ومن أجل ازدهار الحلقات العلمية فى الأزهر الشريف .

رحمه الله رحمة واسعة .

محمد عبد المنعم خفاجى

من شعراء الأزهر

خالد الجرنوسى

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

فى الطليعة الملحوظة من الزعماء الوطنيين فى مصر ، يبرز اسم البطل (محمد فريد) زعيما لجيل فترة ما قبل ثورة مارس ١٩١٩ ، وقد تولى زعامة الحزب الوطنى ، وتلقف الشعلة ، على أثر انتقال الزعيم الوطنى الشاب : (مصطفى كامل) الى الرفيق الاعلى ، فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ .

وقد ضرب (فريد) المثل الأعلى للتضحية والفداء ، اذ ضحى بماله وجاهه ومنصبه ، بل ودخل السجن .. راضيا مختارا ، من أجل المقدمة التى كتبها لديوان (وطنيتى) ، للشاعر على الغاياتى ، التى قال فى مستهلها عن الشعر ، انه :

« من أفعل المؤثرات فى ايقاظ الأمم من سباتها ، وبث روح الحياة فيها .. » .

وبرز من بين ظهرانى الثوار خطباء مفوهون ، وشعراء مفلقون ، وفنانون موهوبون ، يثبتون الثقة بين الناس بالثورة على الاستعمار ، ويحضونهم على الاستمرار فى الكفاح ، حتى تتحقق المطالب الوطنية .

وكان الشاعر « خالد الجرنوسى » من قادتها الشبان الذين تعاقبوا على أعواد المنابر فى شتى أنحاء القاهرة ، كما شارك فى النشاط الثورى ، باعداد المنشورات ضد الانجليز ، والاشتراك فى الاجتماعات والمحافل ، والخروج على رأس المظاهرات جنبا الى جنب من لداته من شباب هذه الفترة ، من شعراء وفنانين وخطباء ، أمثال : بديع خيرى وبيرم التونسى ومحمد فضل اسماعيل وحسن فايق وحسين المليجى وسيد درويش وعبد الوارث عسر ونجيب الريحانى وعبد الله شداد ومصطفى الغاياتى والشيخ محمود أبو العيون وعبد المجيد بدر وغيرهم .

وقد قال زعيم الثورة (سعد زغلول) ، قبيل نفيه ، ومعقبا على الشاعر خالد الجرنوسى — بعد القائه لاحدى قصائده النارية فى محفل كبير : « ان هذا الشاعر قد عض فى الكتف » .

* * *

ولد خالد الجرنوسى عام ١٨٩٨ بقرية (الجرنوس) احدى قرى (المنيا) ، عروس الصعيد ، وبعد أن أتم مرحلة التعليم الاولى



بالقرية ، وأتم حفظ للقرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره ، راح يلتهم كتب السيرة بصفة خاصة ، بمكتبة والده ، الذى كان ، بدوره من أبطال الثورة العرابية . ووقف طويلا أمام قصص بطولة (سيف بن ذى يزن) و (أبو زيد الهلالى سلامة) و (عنترة العبسى) . مما شكل وجدانه فى هذه السن الغضة ، وجعله يتشبع بحب البطولة والابطال ، وكان لذلك كله تأثيره العميق فى اتجاهه ونتاجه الادبى فيما بعد ، وجعله يكثر من الكتابة ونظم الشعر عن الحرية والديمقراطية ، وقصص الفروسية والفداء ، أثناء وبعد ، دراسته بالأزهر الشريف .

وقد التحق « خالد » بالازهر الشريف ، والحرب العالمية الأولى يشتعل أوارها ، وفى أعقابها تجىء ثورة مصر فى سنة ١٩١٩ .. ومما استقر فى وجدان « خالد » من روح القرآن الكريم ، ومما اجتمع له من ميراث البطولة الثائرة من أبيه ، ومما قرأ وتمثل من بطولات التاريخ العربى والاسلامى ، ومما ألهب روحه وشحذ خياله من أصداء الحرب العالمية ، ومن حماسة الوطنية ، وشبوب شعلتها فى ثورة أمته .. ألقى « خالد » بنفسه فى غمار الثورة ، وكما يقول صديقنا الشاعر الكبير «الربيع الغزالى» فى تقديمه لديوان (على طريق النور) (١) للجرنوسى : « وتمضى الحياة بخالد فى دورة من جهاد العيش، يشتغل بالتدريس ، ويتعهد رسالة الجهاد فى شعره ، فيكتب عن الحرية ، وعن الديمقراطية ، ويكثر من شعر الوطنية » .

« ترى ذلك وتلمحه فى كل خطوة من خطواته وكل حركة أو سكنة من حركاته وسكناته .. وتراه فى كل عمل تناوله بين أعماله الكثر التى تولاها ، حتى بين الصحافة والتدريس ، حتى وهو طالب يطلب العلم فى الازهر وفى الجامعة المصرية القديمة فى وقت معا ، ويتعلم من اللغات ما ليس مفروضا عليه ، ليطلع فى آدابها وثقافتها » (٢) .

وقد عمل خالد بجريدة المصرى ، ونشر بها العديد مما أبدعه من الملاحم الشعرية ، عن البطولات الاسلامية فى شتى حقب التاريخ ، التى جمعت بعد ذلك بين دفتى ديوانيه القصصيين : « اليواقيت » ـ الذى حاز به جائزة المجمع اللغوى عام ١٩٥٢ ، وطبع عام ١٩٥٤ . و « قصص اسلامية » الذى طبعته الادارة العامة للثقافة ، ضمن سلسلة (الالف كتاب) ، وقد تحقق فى حرب رمضان المجيدة عام ١٣٩٣ ، ما تمناه الشاعر حين قال :

---

(١) ص ٦ ط سنة ١٩٧٣ .
(٢) المصدر السابق .

خالد الجرنوسى

يا ليت فينا (صلاح الدين) يسمعنا
ونحن نرمي سهاما ، من قوافينا

وقوله :

ردوا على الشرق امجادا ورثناها
ردوا له الباس والايمان والجاها
في الجاهلية والاسلام السوية
على مشارف دنيانا .. رفعناها

وقد أهدى خالد ديوانه الأول الذى صدر عام ١٩٢٤ .. ومعظمه شعر وطنى سياسى ، للزعيم « سعد زغلول » ، قائلا في مناجاته :

يا أبا الشعب .. وحسبى شرفا
ان روحي تلتقى مددك
بعثتنى في الليالى شاعرا
دامع العين .. اناجى جلدك

وحينما حل ضيفا على سجن الاجانب لمدة شهر ، بعد القاء القبض عليه لمواقفه الوطنية وحماسته الملتهبة ، قال يصف يوم الاعتقال :

طاف في فجره الجنود بدارى
وتداتوا .. واوغلوا ايغالا
طوقوا سائر الجهات .. فراعوا
انفس الناس .. جولة وصيالا
فرقة من جنودهم حشدوها ؟
ليت شعرى .. أيطلبون قتالا ؟!

ثم قال هازئا بسجانيه :

ضيقوا منفذ الحياة وهاتوا
كل ما تحسبونه .. أهوالا
ليت شعرى .. الف باب علينا
قد وضعتم وراءها الاقفالا
.. نحن لو تجعل البيوت سجونا
لن ينال الهوان منا منالا

ثم يصف وحشة السجن وضيقه ، بعد أن استقر به ، وعانى الأمرين منه :

حجرة تسلخ الجلود من الحر
وتفرى العظام والاوصالا
حفرة من لظى الجحيم .. لبسنا
من غواشى لهيبها سربالا
نحن والمجرمون فيها سواء
نتدانى .. مساكنا ومآلا
.. فيم سجنى ؟ وفيم طول اعتقالى ؟
الانى أريد الاستقلالا ؟

ثم يجيب على هذا التساؤل ، متحديا برغم ما يلقاه في بلواه :

اسجنوا الشعب كله .. فهو مثلى
أنا منه ، منازعا وفعالا

ونستطيع أن نستشف قدرا من الحقائق عن سيرة الشاعر بقصيدته « دمعة على جدث » ، التى يستهلها مخاطبا مسقط رأسه (جرنوس) بقوله :

جرنوس يا مهد الطفولة
ومغارس الفطر النبيلة
لم انس في مغناك يو
م وقفت في الدار المحيلة

ثم يناجى شجرة (الأثل) ، بقوله :

يا شجرة الأثل التى
ظلت على أهلى ظليلة
ها حدثينى عن اب
اودت به الأيام غيلة



وذلك لأن والده كان ، ضابطا كبيرا ، أبلى بلاء حسنا — كما قدمنا — فى الثورة العرابية ، وشهد معارك شهد له جميع زملائه بالثبات فيها .. أو كما يقول الشاعر موضحا ذلك ، ومصورا غمار المعركة التى خاضها :

أو لست فى التل الكبير ..
منحت قومك كل حيلة
وثبت حين جرى الألا
ء ، وفرق الباغى فلوله
قد الجؤوك الى الميا
ه .. وما الى شط وسيلة
والنار تعلو فوق را
سك .. من مدافعها الثقيلة
حتى طلعت مع الصبا
ح .. بحيث تنظرك العقيله
رث الثياب .. تقاسمت
أثوابك المحن الوبيله

* * *

ويلجأ فى قصيدة أخرى الى (الشعر) ، ملتمسا فيه السلوى والعزاء ، بقوله :

هل يشفعن الشعر ان ارسلته
كالزهر يزهو فى الجمال ويعبق
هو ملجئى فى المشتكى وبشاشتى
فى الملتقى .. وهو السميع المطرق
من لى به — والنفس فى غليانها
ليست بغير جنونها تتملق
من مبلغ عنى الذين بنابهم
جمعوا على همومهم .. وتفرقوا

وفى البيت الأخير صورة بلاغية طريفة .. ونستطيع أن نعرف شيئا عن اتجاه شاعرنا الأدبى ، وفهمه العميق لرسالة الشعر ، فى وقت مبكر بعشرينات القرن الحالى ، بقوله بمقدمة قصيدته (نصائح الشباب) : « ترك الجزء الكبير من الغزل الذى تقدم الموضوع ، لأننا من المحبين للجديد ، فنحن والحالة هذه ألد الأعداء للطريقة القديمة ، التى تجعل الغزل مقدمة لابد منها للشروع فى مدح أو نحوه ، وقد تأثرنا بها زمنا ، ثم لما تبين لنا وجه الخطأ فيها ، هجرناها معلنين الحرب عليها » الى أن يقول : « وهذه بقية من قصيدة طويلة ، لم يسعدنا الزمن بحفظها كلها ، وقد أحرقت فى ابان ثورة مارس سنة ١٩١٩ » .

ولاشك أن التجديد الذى عناه الجرنوسى : هو ذات التجديد الذى يصفه المرحوم الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى ، بقوله :

لايؤخذ التجديد الا من فتى
درس القديم .. حواشيا ومتونا

وقول جميل صدقى الزهاوى :

الشعر لست أقوله
الا كما أنا أشعر
ما ان أقلد من مضت
قبلى ، عليه .. الأعصر

* * *

ويستوقفنا بديوانه : (على طريق النور) ، الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

خالد الجرنوسي

عام ١٩٧٢ ، بعد وفاة الشاعر في الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٦١ ، خريدته الرائعة ، التي تحمل عنوان : (سكينة) .. التي يتغنى فيها بالسيدة سكينة ، احدى عقيلات (آل البيت) ، الذين قال فيهم الفرزدق بحق :

هم معشر حبهم دين .. وبغضهمو
كفر .. وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى .. كانوا أئمتهم
او قيل : خير اهل الأرض ؟ قيل : همو

ويقول الجرنوسي :

لمن المزار عليه النور ينسكب
هذى سكينة .. لامين ولا كذب
ياليتما كان لى كأس فأشربها
مثل الصحاب الألى .. من نبعكم شربوا
قد سابقونى ، فجئت اليوم أسبقهم
وكدت أسبق .. لولا انها .. رتب

وعلى الرغم من أن الشاعر قد أصدر ثلاثة دواوين في حياته ، هى :

١ ـ ديوان خالد
٢ ـ قلوب تغنى
٣ ـ اليواقيت .

وصدر ديوانان بعد وفاته ، كما تقدم .. الا أن مالم ينشر بعد من نتاج الشاعر ، يفوق ماتم نشره ، كما أخبرنا بذلك نجله الاستاذ أحمد شوقى الجرنوسي .. والنداء موجه من فوق هذا المنبر للسيد وزير الثقافة ، لاصدار بقية أعمال الجرنوسي الشعرية ، ذات القيمة الفنية الرفيعة ، وهى تشتمل على شعره الاسلامى والسياسى والجمالى ، وملحمة خالد بن الوليد وغيرها .

وعلمنا أن نجله يحتفظ بها برمتها لديه .. ومنها مالم ينشر بعد من قبل .

.. وكم يعجبنا وصف الاستاذ الشاعر « ابراهيم عيسى » لشعر الجرنوسي ، بقوله انه :

شعر بارغول الزمان مغرد
لا شلو اوزان .. ونحت خواطر

وقوله في مقطع آخر من نفس القصيدة المتنوعة القوافى ، مؤرخا لدور الجرنوسي الرائد في انشاء (ندوة شعراء العروبة) :

بالأمس شدت لنا (عكاظ) ، فمالها
صارت عليك اليوم .. حشد بكاء ؟
وكأن انداء الصباح على الربى
دمع الطبيعة .. يا أبا الشعراء

وندوة شعراء العروبة ، مدينة بوجودها ، بالفعل ، لخالد الجرنوسي ، الذى حمل وحده عبء قيامها ، بعد أن نبتت فكرتها في ذهنه ، لتكون بمثابة الواحة الظليلة ، في هجير الحياة ، تجمع شمل الشعراء من مشاركة وجدانية عميقة .

وكان الجرنوسي قد انضم من قبل الى (جامعة أدباء العروبة) ، التى كان يرأسها الوزير الشاعر ابراهيم دسوقى أباظة ، وهى من المعالم الادبية الكبيرة في تاريخنا الأدبى الحديث .. وعندما انفرط عقد (الجامعة) ؛ عقد العزم على احياء حلم حياته ، بتكوين (الندوة) ، مهما كلفه الامر من جهد ومشقة ووقت .. وأخيرا تم له ما أراد ، فانطلق يجمع



رفاقه ، وينظم ندوات دورية للشعر ، يشدو به الشاعر العربي ، أنى كان موقعه .. وأطلق عليها في البداية اسم : « ندوة الشعر الشهرية » وكان مولدها ومقرها احدى قاعات جمعية الشبان المسيحية ، في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٩ وبعد فترة من الزمن ، اتسع فيها نطاقها ، وثبتت أقدامها واستقرت ، وتغير اسمها ، فأصبح : ندوة شعراء العروبة . وكانت ندوات حافلة تنشر الصحف برامجها ، وتستهوي شداة الادب وأساتذته ، ويتناول الشعراء المشتركون فيها موضوعات حية ، تواكب الاحداث الجارية ، على النطاق العربي الشامل ، وتتفاعل معها ، وكانت هذه الموضوعات ، مع انشاد الشعراء ، تلقى صدى طيبا ، واقبالا من جمهور المثقفين ، فازداد عدد الاعضاء المنتمين الى الندوة ، وتكررت دعوة عدد من الشخصيات الادبية المرموقة للحضور ، والمشاركة والتعقيب(١) .

وأصبح للندوة شيئا فشيئا أثر كبير وصفة عامة ، دون أن يكون للجرنوسي نفوذ أو جاه يعينانه على تحقيق ما أصابت الندوة من نجاح اللهم الا ايمانه بفكرته ، وتضحيته بكل ما يستطيع في سبيل استمرار الندوة في أداء رسالتها على أكمل وجه . حتى كادت — بما أذكت من روح الثورة ، ودعت اليه من توحيد الصف العربي — أن تكون بمثابة ارهاص لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .. وقد سعد الجرنوسي كثيرا ، بحضور الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي أحد اجتماعات الندوة ، ملبيا دعوته اليها ، وعقب في نهايتها بكلمة ثناء وتقدير .

وكانت الندوة تعقد أحيانا في قاعة ايوارت التذكارية ، الملحقة بالجامعة الامريكية في القاهرة ، وأحيانا كانت الندوة تعقد ، بعد انتقال شعرائها الى المكان الذي تختاره ، على سبيل التجديد وتعميم نشر رسالتها ، واجتذاب أكبر عدد ممكن من الاعضاء والموهوبين اليها ، في طول البلاد وعرضها ، بالمنيا والسويس ، بل وبقرية اسطنها في الوجه البحري ، وبضاحية (المعصرة) الواقعة على خط حلوان ، حيث يقيم الجرنوسي نفسه ، بكرمة ابن الوليد ، التي تحيط منزله الريفي بها ، باطار من الخضرة والنضرة والفاكهة ، وأنسام فواحة من الزهر والرياحين .

ومن شعراء الرعيل الأول الذين انضموا الى الندوة عقب تكوينها ، كل من :

عبد الله شمس الدين ، صاحب نشيد (الله أكبر) المشهور ، والذي تولى رياسة الندوة بعد وفاة الجرنوسي ، والدكتور عفيفي محمود ومحمد عبد المنعم ابراهيم المحامي ، والربيع الغزالي ومحمد التهامي وابراهيم عيسى ومحمد علي عبد العال ، وامام الصفطاوي

(١) انظر نشرة احتفال الندوة بيوبيلها الفضي من اعداد الشاعر خليل جرجس خليل رئيس تحرير مجلة (صوت الشرق) ، وسكرتير الندوة .

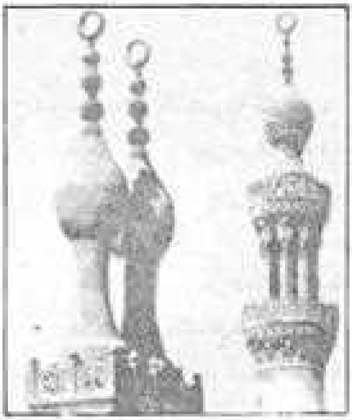
خالد الجرنوسى

وخليل جرجس ومحمد المصرى محمود وعبد السلام شهاب ومحمد على أحمد ومحمود شاور ربيع ونجاة شاور وغيرهم .

ومن أعضائها الحاليين : الدكتور عزت شندى موسى ، الذى تولى ريادة الندوة بعد وفاة الشاعر عبد الله شمس الدين ، وعبد الوهاب محمد والمهندس وليم نجيب سيفين عضو مجلس الشعب ، وصلاح جاب الله ومحمود خليفة غانم ورياض سوريال وعبد الله القبيدى وأحمد مصطفى حافظ وابراهيم محمد امام ومحمد عبد الفتاح حماده والدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ومحمد وجدى شبانه ووديد الزند وهاشم السمان وابراهيم صالح ومحمود الجرف والدكتور أحمد كمال زكى والدكتور محمد أحمد العزب وعلى هاشم رشيد وعبد الله يوركى حلاق (صاحب ورئيس تحرير مجلة الضاد السورية) وغيرهم .

ومن الشواعر : جليلة رضا الحاصلة على جائزة الدولة التشجيعية للشعر ونور نافع وشريفة فتحى وعلية الجعار وأمانى فريد وكريمة زكى مبارك ونعمت عامر وحياة أبو النصر وسعاد حجازى وغيرهن .

وفى قصائد ديوان الشاعر ، الذى يحمل عنوان : « على طريق النور » ، فلتات شعورية ، تأخذ طريقها الى واعية المتذوق ، فى رفق وعمق ، كالأمواج المنسابة فى ريث ، وهى أشبه ماتكون بوثيقة نفسية ، بث الشاعر أنفاسه فى كل شطرة منها ، ونستدل منها



على سماحته وصفاء نفسه ، وترفعه الذى يذكرنا بقول الرافعى :

نفسى من الملأ الأعلى ، وسجيتى
تأبى على مذلة الانسان

*** * ***

احمد مصطفى حافظ

■ فتح المدائن
عاصمة الفرس

من مناهج النصر

■ منابع الإرادة القتالية
للمجاهدين في سبيل الله

فتح المدائن عاصمة الفرس

البيان

لم يكن عبور جيش مصر قناة السويس وتحطيمهم خط « بارليف » المنيع ، اول عبور المسلمين البحر ، واول قضاء على كبرياء عدو شرس تعود العدوان على سواه ، فامجادهم في ركوبهم البحار والخضاعهم من وراءها من الاعداء المتجبرين العتاة ، كل ذلك يرويه التاريخ بفخر واعجاب •

كانت المدائن عاصمة للفرس قبل الاسلام ، وكان نهر دجلة يجرى في احشائها ، فيقسمها قسمين :

احدهما : شرقى ويسمى المدائن الشرقية •

وثانيهما : غربى ويسمى المدائن الغربية •

ولما سقطت المدائن الغربية فى أيدى المجاهدين المسلمين ، بقيادة سعد بن أبى وقاص فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، اشتاق المسلمون الى فتح المدائن الشرقية ، وكان نهر دجلة يحول بينهم وبينها ، وقد فاض ماؤه ، وبينما كان سعد جالسا يفكر فى طريقة غزوها ووقت البدء فيه ، اذ جاءه رجل فارسى وقال له : ان (يزدجرد) ينقل نفائسها ، فلو مضى عليك ثلاث ليال دون أن تدخلها ، فلن تجد فيها شيئا ، فهاجه ذلك وحفزه على التعجيل وعبور دجلة اليها •

وقد رأى بعض المسلمين فى منامه أن خيول المسلمين اقتحمت النهر فعبرت ، فقوت هذه الرؤيا عزم سعد على العبور •

اول اجراء للعبور

كان الفرس قد نزعوا كل وسائل الاتصال بين شطرى المدائن ، فلهذا جمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليهم معه ، ولكنهم يخلصون اليكم فى سفنهم — اذا شاءوا — فيناوشونكم ، وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت من الرأى أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا ، الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر ، فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل •

● كيف عبر المسلمون البحر اليها
● فدائية السلف الصالح

للأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

اختيار الطليعة

لما سمع سعد من رجال الجيش موافقتهم على العبور قال : من يبدأ العبور ليحمى الفراض ؟ — أى الثغر — حتى يتلاحق الناس وهم آمنون فاستجاب له رجل عظيم — هو عاصم بن عمرو صاحب البأس الشديد — فى ستمائة وستين من أهل النجدات ، فجعله أميرا عليهم ، فاختار منهم ستين فارسا ليكونوا معه طليعة العبور ، وجعل الخيل التى تحملهم ذكورا واناثا ، ليكون ذلك أسلس لسباحة الخيل ، ثم اقتحموا دجلة ، فلما رآهم الفرس هكذا يسبحون على خيولهم قلدوهم ، فركب بعضهم الخيل واقتحموا عليهم دجلة ، فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض — أى الثغر(١) — فقال عاصم لرجاله : اطعنوهم فى عيونهم بالرماح ففطنوا ، فانهزموا وتبعهم المسلمون حتى قتلوا اكثرهم ، ومن نجا منهم صار أعور ، وتلاحق الستمائة والستون ، حتى وصلوا جميعا الى الفراض .

ولما رأى سعد عاصما ورجاله على الفراض يحمونها ، أذن لباقى الجيش أن يقتحم نهر دجلة ، وأوصاهم أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم قال سعد : والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وتلاحق الناس يعبرون دجلة على خيولهم ، وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر ، وكان الذى يساير سعدا فى الماء سلمان الفارسى ، فسبحت بهم خيولهم وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه، وليهزمن عدوه ان لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال له سلمان : أما والذى نفس سلمان بيده ، ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا ، فخرجوا كما قال سلمان، لم يفقدوا شيئا ولم يغرق منهم أحد ، الا أن مالك بن عامر العنبرى ، سقط منه قدح جرى

---

(١) الفراض والثغر بمعنى الميناء ، وهى مرسى السفن .

فتح المـدائن عاصمة الفرس

به الماء ، فقال له الذي يسايره معيرا له : أصابه القدر فطاح ، فقال : والله انى لعلى حـالة ما كان الله ليسلبنى قدحى من بين العسكر ، فلما عبروا تحقق أمله فى الله تعـالى ، حيث ألقت الأمواج بقدحه الى الشاطىء ، وأعاده الله الى صـاحبه جزاء احسـانه الظن بالله تعالى •

وحدث أن رجلا من بارق يـدعى (غرقدة) زال عن فرســه أثناء العبور ، فثنى القعقـاع عنان فرسه اليه ، وتلقفه بيده وأخرجه سالما ، وكان غرقدة هذا من أشد الناس ، فقال : تعجز النســاء عن أن تلـد مثلك ياقعقـاع ، وخرج الجيش كله سالما ، وجعلت الخيل تنفض الماء عن أعرافها •

هول المفاجاة وآثارها

كان نجاح العبور الأول فى التاريخ مفاجـأة أذهلت الفــرس وفتت فى أعضـادهم ، ففر (يزدجرد) ورجاله هاربين من المدائن ، حاملين ماقدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه ، ومعهم نساؤهم وذراريهـم وتركوا فى خزائنهـم من الثياب والمتاع والجواهر والنفـائس ، ما لا يستطاع تقدير قيمته ، كمـا خلفـوا وراءهم ما كانوا قد أعدوه للحصار الطويل ، من البقر والغنم والأطعمة ، وكان فى بيت المال ما لايحصى من الأموال •

نظام دخول الجيش الى المدائن

كان أول من دخل المدائن كتيبة الأهـوال ، وعلى رأسها قائدها عاصم بن عمرو ، ثم كتيبة الخرساء بقيادة القعقاع بن عمرو ، فجاسـوا خلال الديار ، فلم يلقوا فى خلالها أحدا يخشونه من الفـرس ، الا من كان فى القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعـوهم فاســتجابوا على أداء الجزية ، ولما علم بذلك من هاجر من أهلها عادوا اليها بشرط أداء الجزية(١) •

سعد فى ايوان كسرى

نزل ســعد بن أبى وقاص القصر الأبيض ، واتخذ ايوان كسرى مصلى ، ولم يغير ما فيه من التماثيل . ولما دخل ســعد الايـوان قرأ قوله تعالى « كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ » من سـورة الدخان •

ثم صلى فيه ثمانى ركعات شــكرا لله عـلى الفتح ، وفى يوم المدائن قال أبو نجيد نافع بن الأسود :

وأملنـا على المـدائن خيـلا
بحرها مثل برهن اريضـا (٢)
فانتثلنا خزائن المرء كسرى
يوم ولوا وخاض منها جريضا(٣)

وكان فتح المدائن فى صفر من السنة السادسة عشرة الهجرية ، فى عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ •

ومن حوادث الشجاعة للجندى المسلم فى هذه الغزوة ، أنه لما ســار المسلمون وراء الفرس ، أدرك رجل منهم جنديا فارسيا يحمى أصحابه ،

---

(١) فانهم مجوس ، والمجوس يعاملون معاملة اهل الكتاب فى دفع الجزية ان استسلموا •

(٢) الاريض الارض الطيبـــة التى تعجب العين •

(٣) الانتثـال : الاخذ والجريض ما يغص به المرء فيبتلع ريقه بمشقة •

فضرب فرسه فهوى الى الأرض ، ولم يستطع مبارزة الجندي المسلم وحاول الفرار ، فقتله المسلم وأخذ سلبه ، كما أدرك جماعة من أشد الرماة اصابة ، فقتل زعيمهم وفر الباقون ، وأمثال تلك الحوادث الفردية كثير .

عظمة الغنائم وأمانة الجنود :

كان سعد بن أبي وقاص قد وكل الى عمرو ابن عمرو بن مقرن جمع الغنائم ، ووكل الى سلمان بن ربيعة قسمتها ، فأحصى ما في القصر والايوان والدور وما يأتي به الطلب .

وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا في كل وجه ، فما أفلت أحد منهم بشيء الا أدركهم الطالبون فأخذوا مامعهم من المنهوبات ، ورأوا بالمدائن قبابا مملوءة سلالا مختومة برصاص : فلما كشفوا عما فيها وجدوا بها آنية من ذهب وفضة ، كما وجدوا كافورا كثيرا ، فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا .

ولما وصلوا الى جسر النهروان ، وجدوا جماعة قد ازدحموا عليه ، فوقع منهم بغل في الماء ، فتجمعوا عليه لينقذوه بصورة تلفت النظر ، فقال بعض المسلمين ، ان لهذا البغل لشأنا ، فجالدهم المسلمون عليه وأخذوه منهم، فوجدوا عليه ثياب كسرى وخرزاته ووشاحه ودرعه المرصعة بالجواهر ، ثم أدركوا فارسين معهما بغلان ، فقتلوا الرجلين وأخذوا البغلين ، فاذا هما يحملان تاج كسرى المرصع برفيع الجواهر ، وغير ذلك من الجواهر شيء كثير لايحيط به الوصف ، وقد استخلصوه من أيدي ناهبيه .

وقد بعث سعد بتاج كسرى وحليته وثيابه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ليراه المسلمون ، وكانت الأمانة موفورة وتامة عند المسلمين في جمع الغنائم ، ومن أمثلة ذلك أن رجلا منهم جاء (بحق) عجيب فيه نفائس ممتازة ، فقال عمرو بن عمرو وكيل سعد في جمع الغنائم ، والله مارأينا مثل هذا ولا يقاربه شيء عندنا ، ثم سأله : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : والله لولا الله ما أتيتكم به ، فقالوا : من انت ؟ فقال : والله لا أخبركم فتحمدوني ولاغيركم فيقرظوني ، ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه، فاذا هو عامر بن عبد القيس .

وقال سعد بن أبي وقاص : والله ان الجيش لذو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر ، لقلت انهم على فضل أهل بدر ، وقال عمر بن الخطاب لما جاءته نفائس كسرى : ان قوما أدوا هذا لذوو أمانة ، فقال له علي رضي الله عنهما : انك عففت فعفت الرعية .

ولما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعدما خمسه ، وكانوا ستين ألفا ، فأصاب الفارس اثنى عشر ألفا ، وكانوا كلهم من الفرسان ، وليس فيهم مشاة ، ونفل من الأخماس المبرزين الشجعان (١) أهل النجدة ، وقسم المنازل بين الناس ، فأقاموا بها حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت ، ثم تحولوا الى الكوفة .

بساط الأكاسرة العجيب

وأرسل سعد في خمس الغنائم ثم الذي بعث به الى عمر — أرسل — كل شيء يعجب العرب، وأرسل له أيضا بساطا مربعا ، طول ضلعه ستون ذراعا ، وكانت الأكاسرة تعده للشتاء .

(١) أي زادهم العطاء .

فتح المدائن عاصمة الفرس

ليشربوا وهم جلوس فوقه ، فيشعروا كأنهم في الربيع حيث الأزهار والرياحين حولهم ، فلقد تفنن ناسجوه في رسمه ، فرسموا فيه أنهار بخيوط من ذهب ، وجعلوا لتلك الأنهار شواطيء كأنها مزروعة بالبقول وشجيرات الزهور المختلفة الأشكال والألوان ، وما ... منها فضيا رسموه بخيوط الفضة ، وجعلوا أزهاره حبات من الجوهر واللؤلؤ والماس وسائر الأحجار الكريمة ، ومن الذهب والفضة .

وجعلوا أوراق الشجر من خيوط الحرير الأخضر ، وبالجملة فقد أبدعوا رسمه ونسجه وأفرغوا فيه من روائع الفن مالا يتصوره الخيال الخصيب ، حتى بدا تحفة لا يجود بمثلها الزمان .

ولما أراد سعد أن يخمسه ، فيرسل الخمس لأمير المؤمنين ، والأخماس الأربعة يقسمها على المجاهدين ، وجد أن هذا البساط سوف تضيع قيمته بقسمته على ستين ألفا ، فاستأذن أصحابه من المقاتلين أن يتنازلوا عن نصيبهم فيه ويرسله الى عمر ليضعه كما يشاء ، وحيث يكون أجمل موقعا وأجدى نفعا لأهل المدينة من تقطيعه وتوزيعه عى هذا العدد الهائل من الجيش ، ولما عرض عليهم ذلك وافقوا أجمعين .

ولما قدمت الغنائم على عمر قسمها مقسم الخمس ، ثم قال لجلسائه : أشيروا على في هذا القطيف — يعني بساط الأكاسرة — فقال على رضي الله عنه : لم يجعل الله علمك جهلا ، ويقينك شكا ، انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت ، وانك ان تبقه على هذا اليوم ، لم تعدم غدا من يأخذ منه مالا يستحقه ، فقال صدقتني ونصحتني ، فقطعه بينهم ، فأخذ منه على قطعة باعها بعشرين ألفا ، وما هي بأجود تلك القطع .

وكنتم خير امة اخرجت للناس

هؤلاء الذين أخضعوا الفرس ، وقضوا على نفوذهم وأخمدوا نيرانهم ، وورثوا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وورثوهم العلم والايمان والعدل والاحسان — هؤلاء — هم خريجو المدرسة المحمدية ، ودعاة الديانة الاسلامية ، والذائدون عن التوحيد بعد أن تسلموا الأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بحق (خير امة أخرجت للناس) .

لقد انتقل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى بعد أن أرسى قواعد التوحيد في الجزيرة العربية ، وجمع الناس فيها على دين واحد ودولة واحدة ، يسود بينهم العدل والاخاء ، ويعيشون في مجتمع فاضل ، أمرهم جميع وكلمتهم واحدة ، لاطمع يفرق بينهم ، ولا حفيظة تشق صفوفهم ، رهبان بالليل فرسان بالنهار ، ان حاول مفتون شق عصاهم هبوا سراعا لتأديبه ، وان طمع فيهم طامع وقفوه عند حدوده ، وان سالمهم مسالم كانوا الى السلام أسرع منه .

ثم تحولت الحال من النقيض الى النقيض .

فبعد أن كان المسلمون أمة واحدة أمرها مجتمع، أصبحوا أمما كثيرة ، بين ممالك وجمهوريات وامارات ، وكانوا كما قال الشاعر :

وتفرقوا شيعا لكل قبيلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكان لهذا التفرق أثره في اضعاف الأمة الاسلامية ، وتسلط أعدائها عليها ، وابتلاعهم خيراتها ، ومعاداة بعضهم لبعض ، وقتالهم لهم بغير شفقة ولا رحمة ، استجابة لدسائس المستعمرين ، وامتثالا لتحريض الجبارين الشانئين .

يا أمة محمد ، ياخير أمة أخرجت للناس : انظروا الى تاريخكم المجيد ، ثم انظروا الى الأثر العظيم الذى أثمرته وحدتكم في حرب رمضان سنة ١٣٩٢ هجرية ، لكى تعرفوا من هذا وذاك قيمة الوحدة وأثر الترابط ، في قوتكم وعزتكم في العالمين .

انكم تملكون أسباب الضغط على الطامعين فيكم ، بما تشتمل عليه بلادكم من اكسير الحياة لمصانعهم ، فان اتحدتم كانت ثرواتكم سببا لقوتكم ، وان تفرقتم كانت نهبا لأعدائكم .

انه لا مانع من أن تكون فيكم ممالك وامارات وجمهوريات ، يحنو بعضهم على بعض ، ويمد قويهم ضعيفهم بما لديه من أسباب القوة ، من علم وخبرة ومال وأيد عاملة ، حتى ينتشر فيهم العلم والعرفان والرخاء ، ويكون المجتمع الاسلامي بذلك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا :



كونوا أيها الأمجاد في تكوينكم الداخلى كيف شئتم من ألوان الحكم التى ترضونها لأنفسكم ولبلادكم ، ولتكن لكم فيها وراء ذلك سياسة اسلامية واحدة ، تربط بينكم وتجعلكم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وما أعظمكم لوتمثلتم في ترابطكم بقول رسولكم الصادق الأمين « مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

منابع الإرادة القتالية للمجاهدين في سبيل الله

جاء اعرابي الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فآمن به ثم قال : اهاجر معك ، فاوصى به النبي — صلى الله عليه وسلم — بعض اصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبي — صلى الله عليه وسلم — ، فقسم عليه الصلاة والسلام وقسم له . فقال الرجل : ماهذا ؟ فقال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن ارمى الى ها هنا (واشار بيده الى حلقه) بسهم فاموت فادخل الجنة ، فقال : ان تصدق الله يصدقك . فلبثوا ثم نهضوا في قتال العدو ، فاتى به الى النبي — صلى الله عليه وسلم — محمولا قد اصابه سهم حيث اشار ، فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : أهو هو ؟ قالوا : نعم . قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفن في جبة النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما قاله مما ظهر من صلاته دعاؤه : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا ، وانا شهيد على ذلك » (أخرجه النسائى) .

وفي صفر للسنة الرابعة من الهجرة بعث الرسول — صلى الله عليه وسلم — المنذر بن عمرو في اربعين (أو سبعين) من أصحابه الى بئر معونة لدعوة اهل نجد الى الاسلام وذلك تلبية لطلب أبى براء عامر بن مالك بعد أن تعهد بحمايتهم . فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام ابن ملحان بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه ، وقالوا : لن نخفر أبا براء (أى ننقض عهده) ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ..

وكان من بين الشهداء عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قال ابن اسحق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم (أى من المسلمين) لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؟ فقالوا : هو عامر بن فهيرة .

قال ابن اسحق : وقد حدثنى بعض بنى جبار ابن سلمى بن مالك قال — وكان جبار فيمن حضرها (أى بئر معونة) مع عامر ثم أسلم . (قال) فكان يقول : ان مما دعانى الى الاسلام

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : مافاز ، ألست قد قتلت الرجل !؟ قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمرو الله (١) .

الشهادة امنية وأمل :

هذه الصور الرائعة والكثير غيرها مما حفل به تاريخ الاسلام توضح كيف أن الشهادة بالنسبة للمجاهد أمنية وأمل . يسعى الى تحقيقه بل الى « الفوز » به ، وذلك أرقى درجات الارادة القتالية والقوة النفسية والمعنوية وهو ما ينفرد به منهج الاسلام في بناء شخصية المجاهد ، وما لاتتسامي اليه أعظم نظريات المدارس العسكرية في الشرق أو الغرب .

فالانسانية في مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت وتخشاه ، وهذا يقودها الى الاستعباد للأقوياء والذلة أمام الطغاة ، ويجعل القادة يبذلون غاية جهدهم لاقناع المقاتلين «بالتغلب» على هذا الخوف ، على أساس أن هذا الخوف أمر طبيعي في النفس الانسانية ، لايمكن انكاره أو الغاؤه ، وانما يكون المطلوب من المقاتل أن يحاول التغلب عليه ، وذلك هو أقصى ما تتمناه وتقدر عليه النظم الوضوعية لاعداد المقاتل نفسيا ومعنويا لمواجهة تحدى الموت ومشاق المعركة وأهوالها .

الاسلام يحرر المجاهد من خوف الموت :

أما الاسلام ، فانه يحرر شخصية المسلم من خوف الموت ، فان مالك الملك انما هو وحده الذى يملك الموت والحياة ، وهو الذى قدر الآجال وحدها « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » ، فالحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب اطالة الأجل ، كما أن الشجاعة والاقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل ، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه الكريم ابانة تامة :

« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » (آل عمران ١٨٥)

« أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ » (النساء ٧٨) .

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (الاعراف ٣٤) .

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا » (آل عمران ١٤٥) .

أما هؤلاء الذين قالوا : « لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٨٣ — ١٨٧ .

الأمر شيء ما قتلنا ها هنا » فإن الله سبحانه يرد عليهم : « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » (آل عمران ١٥٤) .

وهؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا : « لو أطاعونا ما قتلوا » فإن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — أن يرد عليهم قائلا : « فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » (آل عمران ١٦٨) .

أما الذين يفرون أمام أعداء الله ، فهؤلاء « إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » (آل عمران ١٥٥) .

إذن المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف الجبن ، ولا يستزله الشيطان موسوسا له بالخوف من غير الله تعالى .

ومن أعظم ما يروى في هذا المقام أنه في غزوة أحد ، وبعد أن أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب التف حول الرسول نفر قليل من المسلمين يدافعون عنه .. وفي ذلك الموقف العصيب : بايع الرسول على الموت ثمانية هم علي والزبير وطلحة وأبو دجانة والحارث بن الصمة والحباب ابن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ووقفوا يفدونه بأنفسهم ، ويقاتلون دونه ، ويتلقون السهام والطعنات والرماح والسيوف بأجسامهم ، ومع ذلك فلم يستطع المشركون أن يقتلوا منهم واحدا وعاشوا جميعا ! « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا » (آل عمران ١٤٥) .

المجاهد لا يغلب أبدا :

يقول الله تعالى : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (النساء ٧٤) .

يفهم من هذه الآية أن المجاهد في سبيل الله يضع نصب عينيه أحد أمرين : إما شرف النصر أو شرف الشهادة .

والمتأمل في المقابلة بين (يقتل) و (يغلب) في الآية الكريمة قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته فيغلب (بفتح الياء) أو يغلب (بضم الياء) (١) ؟ لأن المقاتل إما أن يكون غالبا أو مغلوبا ؟

ويمكن الإجابة على ذلك بأن المجاهد المؤمن لا يغلب أبدا (أي لا يقهر) وذلك لأنه ينتظر إحدى الحسنيين ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه « فائز » في كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب .

وكذلك يلاحظ المتأمل في هذه الآية أنه قدم فيها القتل على الغلب (فيقتل أو يغلب) وفي هذا تحريض للمجاهدين على الإقدام واسترخاص النفوس في سبيل الله ، بل فيه إغراء بالاستشهاد ، وإشعار بأن شرفه أعظم وأكرم من شرف النصر .

---

(١) أي دون ذكر « يقتل » .

المعركة مستمرة اذا لم يتحقق النصر :

كذلك يستشف من هذه الآية أن المقاتل المجاهد لايكف عن القتال حتى يكتب له النصر على عدوه ، فاذا لم يتحقق ، فالمعركة مستمرة مالم تزهق روحه ويقع سلاحه ، أى أنه لااستسلام فى الاسلام .

معية الله للمجاهدين :

كما يفهم أيضا أن المجاهد الصادق الذى يعد العدة الكافية ، ويتبع سنن الله فى الأرض ، لايمكن أن يغلب ، لأن الله تعالى فى هذه الحالة يكون معه ، ولأنه وعده بالنصر ، ووعد الله لايتخلف وقد قال تعالى :

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (الروم ٤٧) .

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج ٤٠) .

« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » (النحل ١٢٨) .

« وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » (الصافات ١٧٣) .

الارادة القتالية لدى الشباب :

ومن صور الارادة القتالية لدى شباب المجاهدين أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منع سمرة بن جندب الفزارى ورافع ابن خديج وهما ابنا خمسة عشر عاما من الخروج للقتال ، فقيل للرسول : ان رافعا رام (أى يجيد الرمى) فسمح له ، ثم قيل له : ان سمرة يصرع رافعا ، فسمح له .

وقال عبد الله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى . ورد الرسول يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة .

ويقول عبد الرحمن بن عوف : « انى لفى الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل . فقلت : يا ابن أخى ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه .. وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه » .. وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما عوف وشقيقه معوذ ابنا الحارث الخزرجى الانصارى .

وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر يتوارى . فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : انى أخاف أن يرانى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعل

الله يرزقني الشهادة . قال : فعرض على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرده ، فبكى ، فأجازه . فكان سعد رضى الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره وهو ابن ست عشرة سنة !

الارادة القتالية لدى الشيوخ :

ومن صور الارادة القتالية لدى الشيوخ أن عمرو بن الجموح — وهو أعرج شديد العرج — كان له أربعة أولاد يقاتلون مع رسول الله ، فلما كانت غزوة أحد اصر على أن يخرج محاربا ، فأبى عليه أبناؤه لعجزه وكبر سنه ، وقالوا : نحن نكفيك المؤونة ، وقد رفع الله عنك الحرج ، فاتى الرجل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال : ان أبنائي يمنعونني أن أجاهد معك . فقال له الرسول : ان الله قد وضع عنك الجهاد ، فقال الرجل : يارسول الله لاتحرمني الجنة ، فاني أريد أن أدخلها فاطأ فيها بعرجتي ، فقال الرسول لأبنائه ازاء اصرار أبيهم : وما عليكم أن تتركوه فلعل الله أن يرزقه الشهادة ، ثم خرج الرجل وقاتل واستشهد في سبيل الله .

وقرأ أبو طلحة الانصاري سورة براءة حتى بلغ هذه الآية : (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فقال و يأمرنا أن نخرج خفافا ، شبابا وكهولا ، ماسمع الله عذر أحد ، وقال لبنيه : أى بنى ، جهزوني ، جهزوني .. (يعنى الجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك الله ! قد غزوت مع النبى — صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك .. فقال : لا ، جهزوني ، فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر . فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها رضى الله عنه !

الارادة القتالية لدى المرأة :

حين خرج أبناء الخنساء الأربعة الى القادسية ، توجهت اليهم بالوصية التى قالت فيها « يابنى : انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين .. والله الذى لا اله الا هو ، انكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . فان رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها ، فيمموا وطيسها (المعركة والضرب) وجالدوا رسيسها (أصلها) تظفروا بالغنم والكرامة في دار الحرب والمقامة » .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا اليها وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم ، حتى قتلوا واحدا في أثر واحد .

ولما وافتها النعاة بخبرهم — وهى التى ملأت الدنيا على أخيها صخر الذى مات في الجاهلية شعرا فيه رثاء وبكاء حتى فقدت بصرها — لم تزد أن قالت :

« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » !!

ورحم الله ورضي عن الصحابية الجليلة أم خلاد عندما حضرت غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها ، واستشهد الزوج والولد والأخ ، فحملتهم على بعيرها ، ولقيتها عائشة أم المؤمنين في طريق المدينة فقالت لها : عندك الخبر فما وراءك ؟ قالت أم خلاد : أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل (أي هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)(١) .

قالت عائشة : من هؤلاء ؟ (تسأل عن الشهداء معها) قالت : أخي وابني خلاد وزوجي عمر بن الجموح ! . وقد قال لها النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن دفنهم : « يا هند : ترافقوا في الجنة ، عمرو بن الجموح وابنك خلاد وأخوك عبد الله » ، فقالت أم خلاد : يارسول الله ، أدع الله أن يجعلني معهم .

لواء أ ح محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) تشير الى تراجع المشركين من غزو قاعدة الاسلام في المدينة، والاكتفاء بمعركة خارجة عند جبل أحد .



■ من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامى

مع
الفكر
الغربى

■ القضاء وكتاب :
مقدمة فى فقه اللغة العربية

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الاسلامى

للدكتور محمد عبد المعطى بركات

(٢)

ونأتى الى الجانب التشريعى فى الاسلام .

والحقيقة المعروفة أن مصدر التشريع فى الاسلام هو المعصوم : كتاب الله وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، اذ هى منه تعالى ، وحيا يوحى .

وهذه الحقيقة ليست تحكمية ، وانما لها قواعدها العقلية المتينة ومجال العقل فى التشريع مجال محدود . كما سيأتى .

فالتشريع فى الاسلام يرتكز على قاعدة وجوب أخذه من المعصوم . وهذه القاعدة مؤسسة تأسيسا عقليا صرفا . وبالتالى تصبح عصمة مصدر التشريع ضرورة عقلية . حتى يستقيم أمر الجماعة البشرية ، والا تخبطت فى قوانينها وتعثرت فى اصلاح شأن نفسها . دليل العصمة .

والأساس العقلى فى الحاجة الى مشرع معصوم وهو الوحى الالهى ليس الا نجده فى حديث بعض فلاسفة الاسلام . وقد أجلاه ابن سينا اجلاء رائعا فى فكرة فلسفية قائمة على تحليل اجتماعى دقيق مؤداه .. أن الانسان محتاج الى بنى جنسه ولايتحقق الاجتماع الانسانى الا بالتعاون والتمانع ، أو بالمعارضة والمعاوضة .

فالانسان محتاج بطبعه الى اجتماع ، وهو معنى قول من قال أن الانسان مدنى بالطبع ، ولا يمكن لهذا الانسان أن يستقل وحده بأمر نفسه لأنه يحتاج الى أشياء كثيرة لا يمكن له أن يهيئها لنفسه اذا عاش فى عزلة، بل لابد من مشاركة الآخرين من بنى جنسه يقوم كل واحد منهم بعمل والتعاون والمشاركة لا يتمان الا بمعاملة ولابد فى هذه المعاملة — من سنة وعدل .

ولابد للسنة والعدل من قائم عليهما وذلك أنه لو ترك الناس وآراءهم لاختلفوا ولرأى كل منهم أن العدل الحقيقى ما يراه هو عدلا لا مايراه من عداه فيضطرب الأمر ويختل الاجتماع الانسانى .

فلابد من وجود انسان متميز باستحقاق الطاعة من الناس فيما يقرره بشأن تقرير وتحديد ما يحقق العدالة .

واستحقاق هذا الانسان للطاعة لا يكون الا

من مزاعم المستشرقين

بخصوصية فى هذا الانسان . هذه الخصوصية ليست لسائر الناس ، ولا تتقــرر هــذه الخصوصية الا بآيات تدل على أن ما أتى به من أسس النظام وهو الشرع انمـا هـو من عند ربه .

وذلك الشخص هو « النبى » وليس غيره. والآيات المشار اليها هنا هى معجزاته ولاينتظم أمر الشريعة الا بتضمنها الثواب للمحســن والعقاب للمسىء .

وذلك يستلزم أو يتضمن معرفة المجازى سبحانه ، وهذه المعرفة لا تثبت ولا تستقــر الا اذا كان معها سبب حافظ لها ، ومن هنــا فرضت العبادة المذكرة بالمعبود وكــررت فى أوقات متتالية كالصلاة وما يجرى مجـراها حتى يستمر التذكير . ويزول احتمال النسيان وبذلك تستمر الدعوة الى العدل الذى لولاه لما قامت للمجتمعات قائمة . لابد للمجتمــع اذن من نبى . ولا شك أن أفراد المجتمع باتباعهم شريعة النبى هذه ينالون السلام فى الدنيــا ، ولكنهم فضلا عن ذلك ينالون الاجر الجزيل فى الآخرة .

من هنا نلمح مدى متانة التأسيس العقلى للتشريع الالهى جملة . وندرك مدى عــلاقة تشريع العبادات بهذا التأسيس العقلى . من حيث دوام معرفة المجازى والمحاسب ، وهــو أمر هام فى الالتزام الأخلاقى وقاعدة الثواب والعقاب من أهم مايمكن أن ينظم به السلوك

الانسانى بل هى من عوامل اعــلاء أو ابدال الغرائز كما يقول علماء النفس .

راجع النمط التاسع من الاشارات لابن سينا مقامات العارفين فى حديث ابن سينا عــن الحاجة الى النبوة .

دواعي الانثال .

واذا كانت العبادات مرتبطة جميعها بالمبدأ الأصلى فى الحاجة الى التشريع الالهى عقليا واجتماعيا ، فان هذه العبـادات أو التكاليف اذا أخذت فرادى رأينا أن الاسـلام خاطب العقل فيها عن طريق بيــان حكم معظمهـــا وما تعود به من خير على الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة . وهذه الحكمة يظهر أثرهــا مباشرة على الفرد والجماعة كالصـلاة مثلا وعلاقتها بالنهى عن الفحشاء والمنكر . والنظافة للبدن والطهارة للروح . والزكاة وما فيها من نماء وطهر ، وتضامن وتعــاون وتكافل وغير ذلك كثير مما يطول شرحه ويقصر دونه المقام ، ولذلك وجدنا هناك من كتب من العلماء . مثلا أسرار العبادات فى الاسلام ، أو من كتب فى حكمة التشريع ، وكل هذه مقومات عقلية من شأنها أن تحث على الامتثال .

ورغم أن هناك أمورا تعبدية كثيرة ــ وهى التى لم نقف بشأنها على حكمة ، الا أن هــذه الأمور تأخــذ ســـــندها العقلى من منطلق ما أسسناه عقليا من الناحية التشريعية .

وبناء عليه : فانه يكفى للاقتناع عقليـــا بصحة الخبر الذى يحمل الينا هذا التكليف أو ذاك من الأمور التعبدية .

قصور العقل البشرى عن ادراك الذات العليا

على ان هذه الأمور تحمل فى نفسها معنى الابتلاء بالطاعة المطلقة .. أعنى أن عـــدم استيعاب العقل للحكمة مع الامتثال أدخل فى باب الاسلام بمعناه الحرفى الذى يعنى الانقياد والتسليم أو اسلام الوجه لله .

ومن هنا يصح عدم بيان الحكمة . حكمة معقـولة ومتعقلة لدى المؤمن على الرحب والسعة . من منطلق أنه أمـر الهى واجب الامتثال .

هذا هو الاسلام فى ميزان العقل ، كما قلنا راجح تمام الرجحان ليس فيه ما ينفـر منه العقل .

وانما هو دين متقبل عقليا مفهوم فلسفيـا فى عقائده وتشريعاته .

وبرغم قيمة العقل الكبرى فى هذين الجانبين اللذين تحدثنا عنهما ســـواء فى : العقل فى - منظور الاسلام . أو الاسلام فى منظور العقل .

أقول .. رغم هذه القيمة الكبـرى ، فان هناك نوعا من التحديد والتوجيه لهذه الملكة الانسانية ، من جانب الدين حتى لا تعمل مستقلة فتهلك وتهلك ، وهذا يجرنا الى الحديث عن مدى العقل وحدود قدراته المعرفية ؟

وهل هى مطلقة ؟

أو يمكن أن تكون مطلقة ولماذا ؟

واذا كانت مقيدة .

فما وجه تقييدها ؟

وما هو المجال الذى تعمل فيه ؟

هل هو الطبيعة ؟

أم ما وراءها ؟

واذا كان المجال الحقيقى للعقل هو الطبيعة

فهل يعنى ذلك انعزاله تماما عن الالهيات ؟

وهل هذا الانعزال يعنى التقليل من أهمية العقل ودوره فى الميتافيزيقا ؟

أقول .. ان للاسلام مع العقل فى هـذا الشأن موقفا دقيقا ومعالجة دقيقة . فلقـد حدد الاسلام للعقل مجال عمله المشروع ، حتى يمكن لهذه القوة الانسانية المميزة أن تعبر عن نفسها بحيث لا يؤدى كبتها كلية الى ارتباك نفسى وتوتر عصبى لدى هذا الكائن المعقـد الذى شاء الله سبحانه وتعالى أن يطبعه على حب الاستطلاع . ومقتضى العـدل الالهى حينئذ أن يفتح له مجـال التعبير عن هـذه الفطرة . مثل العقل فى ذلك مثل أى استعداد نفسى مركوز فى الفطرة البشرية ، ومن هنـا كان هذا التحديد الذى يتضمنه الأثر النبوى الشريف الذى يقول فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

(تفكروا فى خلق الله ، ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا) . الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للسيوطى حـ ١ .

ومن الملفت للنظر هنا أن هذا الأثر تمسـك به المستشرقون الذين يرمون الاسلام بالحجر على العقول ، ويقولون : ان هذا الحديث ينهى عن التفكير فى الالهيات والالهيات جـزء من موضوع التفكير الفلسفى .

ولكن الواقع أن هذا الحديث الشريف يوجه التفكير وينظمه ولا يمنعه أو يحظره كما فهم ذلك بعضهم . هـــو يوجهه الى التفكير فى الطبيعة والكون ، ويمنـــع التفكير فى الذات الالهية ويعنى به محاولة استكناه الذات العلية واستيعاب حقيقتها المقدسـة ، وهو أمر خارج عن نطاق العقل .. وليس يمنـع التفكير فى الالهيات من جميع الجهات . والا لما أهـاب الكتاب الكريم بالعقل وخاطبه فيمـا يتعلق بوجود الله وصفاته على ما مر . أما محـاولة الوصول الى حقيقة الذات أو معرفة كنههـا فهذا هو المجال المحرم على العقل ولوجه فى النظرة الاسلامية الصـحيحة . لاستحالة

احاطة مخلوق محدود بخالق لا محدود .ولا عن الاستدلال على وجود الله والعقائد .

وقد وجدت حكمة قديمة منقوشة على معبد بصالحجر . مؤداها : « محال على من يفنى أن يكشف النقاب عمن لا يفنى » .

ونستطيع بناء على ذلك أن نقول ، ان عزل العقل عن مجال الالهيات من الحيثية السابقة، هو عزل جـزئي ، لا عزل كلي . لأن الشرع صحب العقل الى الاستدلال على العقـائد .. وكذلك استصحب الاسلام العقـل الى الايمان بالغيبيات لأنها فوق طاقته ، وكـذلك الاستقلال بالتشريع أيضا أمر لا يتحمله العقل وقد مر بنا بيان الحاجة عقليـا الى المشرع المعصوم حتى يسـتقيم حـال الجماعـة الانسانية .

وان كان قد ترك له بعض المجالات سـيأتي بيانها .

حكمة معونة الاسلام للعقل فى معرفة الالهيات

ومن المهم أن ننبه هنا الى أن استصحاب الاسلام للعقل فى الاستدلال على الالهيـات والغيبيات جاء من منطلق مراعاة الاسـلام لأمر آخر فطر عليه الخلاق العليم الانسان ، وهو حب استطلاع الغيب ، وقد شغل هـذا الموضوع الناس قديما ، خاصة فيمـا يتعلق بالمبدأ والمصير ونشأت حول هـذا الموضـوع فلسفات عديدة لم تأت الا بنتيجـة قلقـة لا تسمو الى مرتبة ما أتى به الدين أو مالرشد اليه العقل فى هذا المجال ، وهو مجال الغيب الملح على عقل الانسان .

ونستطيع من خلال هذه النظرة فى ميـدان عمل العقل أن نقرر أن للعقل مجالا فىالالهيات والغيبيات ، ولكنه مجال للاستدلال للايمـان لا للاحاطة ومعرفة الكنه . وفى هذه الحدود فان عمل العقـل فى صورته المثلى يجب أن يسير فى ضوء الدين مسترشدا بتوجيهاته . والا فقد يضل أو يزل ، ومن الانصاف للعقل البشرى أن نقول انه فى حـركته المطلقة قد يهتدى بنفسه الى وجود خالق للكون مثلا . وقد يهتدى أيضا الى أن هناك خلودا وحيـاة أخرى . كما قيل مثلا أنه لو لم يكن هناك دار حساب أخرى ما كان أعظم حظ الأشرار .

ولكن نحب أن نلفت النظر هنا الى أنه : اذا كان هناك عقل يثبت فهناك أيضا عقل ينفى !! فهناك دليل على القضية . ودليل على نقيضها. فأصبح التفويض للعقل الخالص مدعـاة الى القلق والحيرة .

وتلك ظاهرة لمسها الامام الغزالى — رضى الله عنه — ولمسها فىالعصر الحديثالفيلسوف الألمانى « عمانويل كانت » حيث أكد كل منهما قصور العقل فى هذا الميدان . ميدان الالهيات والأخلاق .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الاسـلام فى مجال التشريع قد وضع الأصول والمبـادىء فى التشريع والأخلاق . لأن مصدرها لابد أن يكون معصوما كما قدمنا آنفـا ، ولكن من الانصاف أن نقول .. انه ترك للعقل مجـالا خصبا فى هذا الميدان ، لكنه بعيـد عن تقنين المبادىء والأصول ، فكانت شرعية الاجتهاد لادخال غير المنصوص تحت المنصوصوقياس مالا نص فيـه عـلى مافيـه نص بنـاء عـلى منهـج مسـتقيم كالمنهج الأصولى ، كذلكالاستحسان والمصالح المرسلة . وحديث معاذ بن جبل يوضح هـذا المعنى كثيرا حينما بعثه الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى اليمن فقال : بم تحـكم ؟

قال معاذ : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله .

خطورة ترك العقل لنفسه

أما أن يستقل العقل كلية بالتشريع الأخلاقي والتقعيد السلوكي فتلك داهية الدواهي ، لأن الحق أنه ليس أجرأ على العقل من العقل نفسه ، ومن هنا يفقد التشريع صفة الالزام . فليس عقل المتبوع بأرجح من عقل التابع . خاصة في نظر التابع وكلها عقول .

وهكذا ، علاوة على قصور التشريع في ذاته حينئذ لأنه سوف يحمل كلخصائص البشر من عجز وقصور . فلا يحسن توجيه الانسان وقيادته الا خالقه جل وعلا ، ومن هنا كان وجوب عصمة مصدر التشريع الذي يتسم بالعموم والدقة والالزام السماوي أيضا ، لأنه وحده هو الذي يوفر عنصر المراقبة الداخلية وهذه كلها خصائص لا يمكن أن تتمثل في تشريع بشري مهما بلغ عقل صاحبه نبوغا وعبقرية .

تخبط العقل المجرد في مجال الالهيات

ومن المهم أن نقرر هنا أن عزل العقل عن هذه المجالات معقول ، وليس عزلا تحكميا ..

وذلك أن التاريخ نفسه ينبئنا بعجز العقل في هذه الميادين ولا أدل على ذلك من أن حصاد العقل في هذا الميدان حصاد بلغ الغاية في التناقض والاختلاف في قضايا الميتافيزيقا والأخلاق . وكل مذهب يقوم على أشلاء سابقة ويستمد قواعده من حطام قواعد سابقة . والدليل على ذلك هذا الكم الهائل من الفلسفة اليونانية المتناقضة في ميدان الالهيات والأخلاق فالله يعلم ما في الكون عند أفلاطون . ولا يعلمه عند أرسطو . والنفس عند أحدهما كمال عند الآخر . هو مدبر للعالم عند فلان ، ومعزول عنه عند فلان .

كذلك لكل رأيه في تحديد مفهوم الخير والشر . لاتكاد تظفر بمفهوم واحد لهذه الأمور في تاريخ العقل الفلسفي وهذا يدل على أن هذا الميدان فوق العقل وأسمى من قدراته . ولا يقدر على سبر أغواره مستقلا عن هدى الخالق جل وعلا .

والملفت للنظر في هذا الموضوع أنه كان في اليونانيين أنفسهم من أدرك أن موضوعات الميتافيزيقا فوق العقل وأن خوض غمارها بالعقل الخالص مغامرة غير مأمونة العواقب، بل كانوا يتشوقون ــ فيما يحكى عنهم ــ الى وحي الهي يحسم هذه المسألة ويريحهم من هذا العناء الذي لا فائدة من ورائه ويأخذ بأيديهم .

فقد ورد عنهم أن جماعة من علمائهم كانوا يتناقشون في مسألة خلود النفس ، ولكن لم يستتم لأي طرف من أطراف المناقشة دليل فسكتوا ثم قال أحدهم ــ وهو سمياس :

ــ ان العلم بحقيقة هذه الأمور ممتنع أو عسير جدا في هذه الحياة ولكن من الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى العقل . فيجب : اما الاستيثاق من الحق واما ان امتنع ذلك استكشاف الدليل الأقوى والتذرع به في اجتياز الحياة كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح من الخشب مادام لا سبيل لنا الى مركب أمتن وآمن ، أعني الى وحي الهي .

من مزاعم المستشرقين

يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ومحاورات أفلاطون سمياسي .

وهذا في الحقيقة يعكس الحيرة التي يمكن أن تصرع العقل في غياب الوحي الذي يمكنه — وليس غيره — أن يحسم هذه القضية أو تلك مما هو فوق طاقة العقل ويهديه فيها ويرشده .

وبناء على ذلك وعلى شهادة التاريخ الفلسفي الانساني بعجز العقل الذاتي عن حسم هذه القضايا .

فاننا اذا سألنا العقل نفسه : أيهما أجدى وأليق بمكانة العقل نفسه .. أن يطلق سراحه ليعمل فيما يقع تحت سيطرته وما لا يقع ؟ أم أن يحجز عما لا ينتج فيه وتوفر طاقته الى مجاله الحقيقي . وهو الكون ؟

أقول : اذا وجهنا مثل هذا السؤال الى العقل الذي يحترم نفسه فانه لا يتردد في اختيار الشق الثاني وهو أن يعمل في مجاله . وهو الطبيعة . ليفيد ويستفيد ولا يضل أو يضل لأن عمله في غير مجاله لا يجديه نفعا وانما ينهكه ويبدد طاقته فيما لا يفيد .

تكريم الاسلام للعقل

ومن الواضح أن الاسلام لا ينظر الى هذا العقل المحدود نظرة احتقار نتيجة لمحدودية بل تراه قد حباه حبا . بأنواع التكريم والصيانة على ما مر في مقدمة هذه الدراسة ومجالات الانتفاع بالعقل في حدوده كثيرة وكبيرة . فليس المقصود الحط من قيمة العقل ولا يمكن أن يكون ذلك القصور — وليس التقصير— عيبا يؤخذ عليه ، فذلك فوق مقدوره وأبعد من طاقاته ، واذا كان هذا قصور وليس تقصيرا فلا ينبغي أن يعاب عليه وانما يعاب على التقصير فيما يقع تحت قدرته .

ومن هنا كان الأمر باستعمال العقل في مجاله ، ولا يستطيع عاقل أن ينكر فضل قوة العقل الرائعة في حياة الانسان في القديم والحديث ، فالقلم الذي أكتب به ، والورق المصقول الذي أكتب عليه ، والمصباح الكهربائي الذي أستضيء به في كتابتي ، والسيارة التي أركبها وصولا الى عملي ، والمطبعة التي تطبع هذا المقال وغير ذلك .

أقول : هذا وغيره كثير ما هو الا بعض ثمار هذا العقل في مجاله الذي أعد له .

ومن الواضح أن خطأ العقل في هذا الميدان ربما لا يضير أو يشين . فجهد العقل قائم على التكميل وهو ميدان لا يتأتى فيه تضارب العقول ، ولا تكفير بعضها لبعض .

ولعله من الواضح أن عمل العقل في ميدانه غير منفصل عن قضية الميتافيزيقا ، لأن عمل العقل على النحو الذي قدمناه يعضد الايمان ويحرسه من الطعن والتشويه ، كذلك يمكن من تسخير الكون لمنفعة الانسان على أتم وجه ، وهذا يؤدي الى تعميق الايمان بالله سبحانه وتعالى، مما يصبح الايمان معه ايمانا علميا مؤيدا بالدليل العلمي .

فهناك الاستدلال وهناك التسخير .

الغرور آفة قاتلة

ولكن ما هو الداعي الذي يصرف العقل عن ميدان تأثيره وانجازاته الى مجال عجزه وتعثره ، حتى يضل ويتناقض على النحو الذي قدمناه ؟

أقول : قد يكون ذلك من قبيل الغرور . فقد تصور أنه قادر على حسم مجال الالهيات

والغيب والأخلاق بناء على تفوقه فى مجال الطبيعيات ، أو الرياضيات مثلا ، فطرق مجال الغيبيات والالهيات . والفرق شاسع بين الاثنين ، لأنه فى الأولى برهانى ، وفى الثانية تخمينى على حد تعبير الامام الغزالى — رضى الله — عنه .

أما الأمر الثانى فقد يكون ذلك نتيجة لغياب الوحى الالهى فى بعض البيئات ، وقد يكون ذلك على فترة من الرسل . فيظل الدافع الداخلى لحب الاستطلاع يلح على الانسان فينطلق العقل محاولا الاجابة عما يطرقه العقل نفسه من استفسارات تتعلق بالمبدأ والمصير ، والعلة الأسمى ، والأخلاق وغير ذلك .

وفى الحق أن ميدان الطبيعة والكون ومافيه ممتد أمام العقل يكتشف فيه كل يوم جديدا ومع ذلك لا ينتهى ، وذلك كله يمكن أن يؤكد قضية الالهيات على نحو مستقيم وصدق الله العظيم اذ يقول : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١)»

وقد يكون للعقل شطحاته فى وجود دين ولكنه لا يكفيه مئونة هذه الامور نتيجة لأنه دين وثنى أو شعبى كما كان شائعا فى البيئة اليونانية،ومن هنا نفهم استشراف «سمياس» الى وحى الهى لا الى دين أى دين أما محاولة السير الى هذه الامور بالعقل الخالص . مع وجود الوحى الالهى الذى يحكم فى هذه القضايا أو ينهى عن الخوض فيها فهو امتداد لنزعة الغرور الزائد .. وهنا فى هذه الحالة قد يهوى العقل بصاحبه الى دركات الكفر وليس ذلك ببعيد .

لكن العقل اذا اتخذ منطلقه الاصول الشرعية الوحيية أمن السلامة فى انطلاقه وحتى اذا أخطأ العقل فى هذه الحالة فهو غير مذنب بل هو مأجور لأن المجتهد دائر بين الأجر والأجرين كما تعلمنا ذلك فى الأصول .

والحق أن مسيرة العقل مع الكون مستمرة وكلما اكتشف جديدا انتهى به وحسب أنه وصل الى نهاية المطاف ولكنه سرعان مايكتشف أن ما أنجزه ما هو الا حلقة فى سلسلة متصلة أو درجة فى سلسلة الترقى نحو استيعاب حقائقه يتقدم العقل فى اختراع وسائل الكشف فيكتشف الجديد ومن هنا نعمنا بالمخترعات وشقينا بها أيضا .

أما كيف نشقى فذلك موضوع طويل يدعونا الى أن نبحث مدى حركة العقل فى الطبيعيات والكون وهل هى مطلقة أو مقيدة ؟

واذا كانت مقيدة فهل هذا التقييد كمى أم تقييد كيفى .. وهل يحتاج العقل الى الدين ايضا وارشاده فى الميدان الطبيعى العلمى .

هذا وغيره ما سوف يكشف عنه الجزء الثانى من هذه الدراسة وهوموقف الاسلام من العلم لأن هناك شبهات طرحها المستشرقون حول جهود المسلمين العلمية .. فالى اللقاء . والله وحده المستعان .

الدكتور
محمود عبد المعطى بركات

---

(١) فصلت ٥٣.

القضاء وكتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية

للدكتور لويس عوض

القضاء يقرر :

ان حرية الراى فى نطاق الدستور ليست حرية السخرية او حرية الازدراء بالشرائع .

وان هذا المؤلف لم يستهدف فى كتابه مجرد البحث العلمى ، وانما اللمز المستتر حينا والبين احيانا

ملخص للحكم والمبادىء القانونية التى تضمنها قرار المحكمة بتأييد امر ضبط كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض .

— ابلغت ادارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف — مباحث امن الدولة — بان كتابا بعنوان « مقدمة فى فقه اللغة العربية » تاليف الدكتور لويس عوض — متداول فى الأسواق — وانه يتضمن تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم . كما يتضمن بعض الموضوعات التى تنال من الاسلام وتهاجم القرآن الكريم وتشكك فى صحته — وطلبت ادارة البحوث والنشر بالازهر اتخاذ اللازم قانونا نحو مصادرة الكتاب — حفاظا على مشاعر المسلمين ومنعا من حدوث فتنة — وذلك للأسباب المفصلة فى طلبها .

— قامت مباحث أمن الدولة بتحرير محضر عن هذه الواقعة مؤرخ ١٩٨١/١٢/١٥ والتحفظ على عدد ٢٤٠٠ نسخة من نسخ الكتاب التى تم طبعها بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب وعددها ٣٢٩٠ نسخة .

— وبعد اتخاذ الاجراءات القانونية — أعلنت النيابة المتهم بالحضور أمام جلسة المحكمة المحددة للنظر فى أمر ضبط الكتاب المذكور — وأبدى كل من الطرفين وجهة نظره ودفاعه — على النحو الذى أوضحه الحكم — ثم أصدرت المحكمة قرارها بجلسة ٨٣/٦/٣٠ حضوريا بتأييد أمر ضبط الكتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض . وقد أرست أسباب هذا القرار المبادىء القانونية الآتية :

١ — أن المادة ٤٧ من الدستور الدائم الصادر سنة ١٩٧١ صريحة فى أن حرية الرأى مكفولة لكل انسان فى حدود القانون والنقد

الذاتي البناء ــ ضمانا لسلامة البناء الوطني وحرية العقيدة ــ ومن ثم فان حرية الرأى فى رأى الدستور ليست حرية السخرية ــ أو حرية الازدراء بالشرائع أو النظم والقوانين أو حرية التحريض على ماهو قائم فى المجتمع • وليس من قبيل النقد المباح ــ النقد الذى يتضمن التشهير أو التحريض أو الازدراء أو الاثارة •

٢ ــ أن المادة ١٠٢ مكرر من قانون العقوبات تنص على أن كل من أذاع عمدا أخبارا أو بيانات او اشاعات كاذبة أو مغرضة أو بث دعـايات مثيرة فيها ايذاء لمشاعر وشـعائر الديانات الأخرى ــ ولا يشترط فى وجوب العقاب طبقا لما ورد فى الفقرة الاخيرة من المادة المذكـورة عدم صحة البيانات أو الاخبار المذاعـة أو المؤلفات بل يكفى أن تكون مغرضة •

٣ ــ وأنه بانزال حكم القواعد المتقدمة على موضوع الكتاب محل المساءلة وماورد به مـن تعليقات يبين :

أولا : أن المؤلف أورد بصفحة ٣٠٦ من كتابه أنه يلاحظ أن كلمة « صمد » العربية ــ وهـى من الاسماء الحسنى ــ كلمة محيرة ــ لأنه مادة جامدة ــ وأنها كلمة غامضـة المعنى نادرة الاستعمال ــ الاسم فيها هو الصفة والصـفة هى الاسم ــ وأن معنى الصمدية ــ فى رأى المؤلف ــ هو « الثالوث » ، أو الثلاثة ــ فـاذا كان الامر كذلك كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق ــ ورفض مسـاواة المسيح لله فى الجوهر •

وهذا من المؤلف يتعارض مع السـورة الكريمة : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ــ اللَّهُ الصَّمَدُ ــ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » صـدق الله العظيم ــ ومع الآيات الكريمة التى أوردها القرآن الكريم ــ واثبتها الحكم فى أسبابه ــ والتى تقطع بوحدانية الله سبحانه وعبـودية المسيح عليه السلام لله تعـالى ــ وأنه ــ سبحانه ــ أفرد نفسه بالصمدانية أى بالفردية ــ وأكد ذلك فى كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

ثانيا : أما ما ساقه المؤلف من انكاره لخصب جنوبى الجزيرةالعربية (اليمن) فى التـاريخ القديم وتقريره بأن هذا القول يحتـاج الى تشنجات جيولوجية فى تفسيره ــ فقد رد الحكم عليه بأن ذلك مخالف للثابت فى الآيتين ١٥ ، ١٦ من سورة سبأ اذ قال الله تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » ــ الى آخر الآيات •

ثالثا : أن المؤلف تطرق فى صفحة ٥٤ ، ٥٥ من كتابه الماثل ــ الى القول بأن الاسـلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمـان والتقوى والعمل الصالح ــ وهذه هى طبقات العرق العربى واللغة العربية ــ وهو مالم ينص عليه صراحة فى التاريخ الاسلامى خشية الفتنة ولمخالفته ، صراحة لجوهر الدين بل ولنصه ــ ولكنه متضمن فى تكوين الدولة الاسـلامية ــ وقد رد الحكم على ذلك بأن هذا يتضـمن من المؤلف زعما بأن الاسلام ينطوى على مايسمى بالعنصرية والعصبية والتفرقة ــ وهذا منـه افتراء لايطابق الواقع والحقيقة ــ كما يخالف صريح الآية الكريمة :

٥

القضاء

وكتاب مقدمة في فقه اللغة العربية

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ـ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » صدق الله العظيم .

رابعا : وأما ما أثاره المؤلف في صفحة ٦٣ ، ٦٤ من كتابه باتهامه الامام الشافعي ـ وهو أحد الأئمة الأربعة ـ بالعصبية والعنصرية لمجرد أنه قال بأن لغة القرآن العربية تخلو من الألفاظ الأعجمية ـ فانه مردود عليه ـ على النحو الذي أورده الحكم تفصيلا ـ فضلا عن مخالفته لقوله سبحانه في كتابه الكريم: « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ـ وقوله سبحانه : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » صدق الله العظيم .

٤ ـ وبعد أن فندت أسباب الحكم أقوال المؤلف على التفصيل الذي أوضحته فيها ـ انتهى القرار الى أنه يبين مما سلف أن الغرض من المؤلف ليس مجرد البحث العلمي . بل ان به لمزا مستترا بقول مؤلفه أن الصمدية تعني الثالوث في اللغة المصرية القديمة ـ وكذلك في اللاهوت ـ ولايسع المحكمة والحال كذلك ـ بالرغم من كون الكتاب قد قامت بطبعه مطابع الدولة وباشرافها ـ الا أن تقول كلمتها في هذا المؤلف المليء بالتحريض على التنافر والفتنة ـ ويحوي كثيرا من الهدم للأسس في الكون والخالق والحياة والآخرة والدين الاسلامي الحنيف ـ الذي وسع كل شيء ـ وأن تقضي بتأييد أمر الضبط لهذا الكتاب الذي ينال من الاسلام ويهاجم القرآن ويشكك في صحة ماجاء به ـ ويتهجم على علماء المسلمين ويصفهم بما ليس فيهم .

ولهذه الاسباب قضت المحكمة بتأييد أمر ضبط كتاب « مقدمة في فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

باسم الشعب

محكمة جنوب القاهرة الابتدائية

حكم

بالجلسة المنعقدة علنا بسراي المحكمة في يوم الخميس الموافق ١٩٨٣/٦/٣٠ م برئاسة السيد الأستاذ : حسنين فؤاد .

رئيس المحكمة

صدر الحكم الآتي

في التظلم رقم ٦٣٥ لسنة ١٩٨١ حصر أمن الدولة العليا المرفوع من : نيابة أمن الدولة العليا .

ضد

الدكتور/لويس عوض

الهيئة

بعد سماع المرافعة ومطالعة الأوراق .

حيث ان الواقعة تتخلص فيما أثبته محرر محضر الضبط المقدم حمدي عبد الكريم بمحضره المؤرخ في ١٩٨١/١٢/١٥ من أنه تم اخطار مباحث أمن الدولة من ادارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف من أنه يتداول

بالأسواق كتاب بعنوان « مقدمة في فقه اللغة العربية » تأليف الدكتور لويس عوض وأن الكتاب يتضمن تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم ، وأن الكتاب يتضمن بعض الموضوعات التي تنال من الاسلام وتهاجم القرآن الكريم وتشكك في صحته (على التفصيل الموضح بالتقرير المرفق) وطلب السيد الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف اتخاذ اللازم قانونا نحو مصادرة هذا الكتاب حفاظا على مشاعر المسلمين ومنعا لحدوث فتنة .

وقد تم طباعة الكتاب بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وقد تم التحفظ على عدد ٢٤٠٠ نسخة من نسخ الكتاب المطبوعة وعددها ٣٢٩٠ نسخة ، ومرفق طيه عدد ثلاث نسخ وأرفق بمحضره تقرير صادر من مجمع البحوث الاسلامية « الأمين العام المساعد ، بمآخذ الأزهر على كتاب « مقدمة في فقه اللغة العربية » تأليف د. لويس عوض .

في الفصل الثاني من هذا الكتاب يرى المؤلف أن مذهب أهل السنة في القول بقدم القرآن وما تبعه من القول بقدم اللغة العربية يرتبط بنظرية اللاجوس المسيحية التي تقول بقدم الكلمة . ففي نظره أن فقهاء الاسلام اجتهدوا أن يضعوا نظرية الوحي في الاسلام على غرار نظرية اللاجوس وهي كلمة الله المرادفة لعقل الله أو للروح المقدس ، أو نظرية الفيربوم وهي كلمة الله المرادفة للعقل الالهي ، أو الغياب أو الخلق الأول بكلمة « كن فيكون » فكان الكون وهي في نهاية الأمر صورة من صور اللاجوس المرادفة لعبارة « روح الله وكلمته » ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٦٩ من الكتاب .

مهاجمة الكتاب عقيدة التوحيد الاسلامية وجعلها تقوم على مبدأ التثليث ، وكثيرا ما حاول وصم الاسلام بهذه النظرية في مواقع كثيرة ، ويزعم أن كلمة « صمد » في العربية ــ وهي من الأسماء الحسنى ــ كلمة محيرة لأنها مادة جامدة لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ويفهم من كلام د/لويس عوض ما يلي :

(أ) ان « صمد » ثلاثة وان الثلاثة في مفهوم الكلمة قائم على اختلاف علماء اللاهوت المسيحية وطبيعة المسيح والله وكيفية اتصالهما بكلمة « صمد » بمعنى الاسم فيها هو الصفة والصفة هي الاسم ومعنى (الصمدية) الثالوث أو الثلاثة .

(ب) لم تشتق كلمة « صمد » من الفعل صمد أو يصمد .

(ج) الصمد من الأسماء الحسنى وهي كلمة نادرة الاستعمال غامضة المعنى ، وهي كلمة محيرة ولذلك ربط المفسرون معناها دائما بتوكيد التوحيد وانكار التثليث في مفهوم الصمدانية « ص ٣٠٥ » .

وزعم أن كلمة « الصمد » في القرآن الكريم تنطوي على مبدأ التثليث ، فعند حديثه عن العدد « ثلاثة » ص ٣٠٥ عقد مقارنة بين كلمة « خمت » المصرية وكلمة « صمد » العربية وجعل كلا منهما مساوية للاخرى ، أو بعبارة ثانية جعل قوانين الفونطيقيا تسوغ التبادل بين الخاء الحامية والصاد العربية وبين التاء الحامية والدال العربية ، وحكم بأن الكلمة العربية « صمد » متطورة عن الكلمة المصرية القديمة « خمت » ومادام قد ذكر أن كلمة « خمت » المصرية ثلاثة فان كلمة صمد = ثلاثة أيضا .

القضاء وكتاب..

يقول الكتاب ، وطبقا لقوانين الفونطيقيا « خمت » المصرية = « صمد » العربية فانون (ح) الحامية تساوي س السامية فاذا كان الأمر كذلك كان معنى الصمدية « الثالوث » أو الثلاثة وكان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق .

نقول ان هذه التصورات مجرد أوهام لاتجد الدليل العلمي .

ومن الجوانب الخطيرة في هذا الكتاب التهجم على النصوص القرآنية فالكاتب مثلا ينكر أمر خصب جنوبي الجزيرة العربية « اليمن » في التاريخ القديم ويصف القول بخصب هذا الجزء من الجزيرة بأنه تشنجات بشرية تحتاج في تفسيرها الى تشنجات جيولجية .

ونقول هذا انكار للحقائق المسلم بها وثائقيا وتاريخيا ، فالقرآن الكريم وهو أوثق النصوص وأعلاها يشير الى خصب جنوبي الجزيرة العربية قائلا : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) صدق الله العظيم فانكار خصب اليمن ووصفه بأنه تشنجات يعد اتهاما للنص القرآني الموثوق به .

ومع ان الحقائق والوثائق تؤيد ما جاء ان الاسلام لاينطوي على العنصرية والعصبية فالاسلام كان يضم العرب والمستعربين « الموالي » .

وبالطبع — في زعمه — يتضمن أن الاسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمان — والتقوى والعمل الصالح وهو مالم ينص عليه صراحة في التاريخ الاسلامي خشية الفتنة ولمخالفته صراحة لجوهر الدين ص ٥٤ من الكتاب .

وهذا من الكاتب مخالفة تاريخية وعلمية ، فالاسلام كان ومايزال يهتم بغير العرب وكان للموالي من الشرف الى حد كبير في عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — والقرآن الكريم يضع هذا المبدأ المهم قائلا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١) صدق الله العظيم .

أما أن مبدأ العنصرية لم ينص عليه صراحة في الدين الاسلامي خشية الفتنة فهذا لا دليل عليه من الواقع ولا من التاريخ .

وهو يناقض نفسه حين يدعي أن جوهر الدين الاسلامي يتنافى مع التعصب وقد جعل الكاتب العصبية والعنصرية تتجلى في قريش لأنهم آل النبي ومنهم من نشأ منشأ الشرف منهم تبعا لهذه القبيلة .

ثم أن الخوارج والشيعة تمثلان — في رأيه — ثورة واحتجاجا على سيادة الجنس العربي

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

على الشعوب الاسلامية باسم اللغة والدين — بل وسيادة قريش على كافة القبائل العربية لمجرد أن النبي كان قرشيا • ص ٥٤ •

كما اتهم علماء العربية بالتعصب والعنصرية حين تحدثوا عن أثر لهجة قريش في العربية وأنها تغلبت على بقية اللهجات واللغات العربية، وجعل ذلك كله بسبب نزول القرآن الكريم بلهجة قريش ، وبسبب سيادة قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام •

وهذا الحديث من الكاتب قصد به الغض من شأن اللهجة القرشية خاصة واللغة العربية عامة والغض من شأن أصحاب تلك اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها في تكوين اللغة العربية ومحاولة ارجاع ذلك الأثر الى العصبية والعنصرية ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ •

اتهم الكاتب أئمة الاسلام كالامام الشافعي وأبي عبيدة بالعصبية والعنصرية أيضا لمجرد أنهما قالا : ان اللغة العربية تخلو من الالفاظ الأعجمية فقد اتهم قول الامام الشافعي بسعة اللغة العربية وامكان اتفاق لغتين في بعض الألفاظ بأنه موقف دعاة العنصرية العربية الذين غالوا في تصورهم لقدم الجنس العربي والحضارة العربية ص ٥ كما ادعى أن نظرية التعصب للغة العربية بجعلها لاتقبل الألفاظ الدخيلة هو السبب في دخول العربية في مأزق شطرها الى لغتين لغة الكتابة المقدسة ولغة الكلام الدارجة ،وأن العلماء الذين قالوا بوقوع الأعجمي في القرآن ليسوا شعوبيين بل منهم جمع غفير من الصحابة مثل ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي عبيدة القاسم ابن سلام وغيرهم من جلة العلماء وكبار الباحثين قديما وحديثا•

أما دعواه بأن منع وقوع الأعجمي في القرآن شطر العربية الى شطرين فهي دعوى غير مسلم بها ، بل انها تنطوي على نظرة خبيثة تريد ترك الباب مفتوحا لدخول الألفاظ والتراكيب الأجنبية في اللغة العربية لتفقد اللغة العربية شخصيتها ، بل ان طبيعة الانضباط وعدم التهاون هي التي حفظت لنا لغة القرآن سليمة حتى الآن •

فهذه التهم التي ألقى بها الكاتب تعد سابقة خطيرة في التهجم على أئمة الاسلام والتهوين من شأن هؤلاء الأعلام وأثرهم ومكانتهم العلمية والدينية للمسلمين ولأئمة العربية وأنه يريد أن يصل الى أغراضه عن طريق قلب الموازين والحقائق وجعل اللغة طريقه •

وقد استنتج بناء على مقدمات افترآها أن صلب اللغة العربية ذاته كان من صلب الشجرة التي تفرعت عنها المجموعة الهندية الأوربية قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازي الى شبه الجزيرة العربية التي تحمل اسمهم الآن ، وبالتالي فانه ادعى أن ماتجده من عناصر غير هندية أوربية هو الدخيل وليس صلب الأصلاب وهو بهذا يحاول أن يثبت أن كتابه يقوم على دعم رأيه الذي يقلب الموازين فيجعل اللغة العربية من فروع اللغات الهندية الأوربية ، اذ أنه يقول انه انتهى من أبحاثه في فقه اللغة الى ان اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوربية ، وأكثر من ذلك فانه جعل التأثير الاوربي مستمرا في اللغة العربية حتى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — •

ومن المغالطات الكبيرة في هذا الكتاب محاولة من الكاتب فصل مصر عن العرب والساميين

القضاء .. وكتاب ..

وجعلها حامية وهي محاولة تدحضها حقائق التاريخ ، فالثابت أن الساميين والعرب نزلوا الى مصر وافريقية فقد تمت هجرات قديمة الى مصر حوالى الألف الرابع قبل الميلاد وهاجرت عشائر سامية الى بلاد الحبشة قبل الميلاد بعدة قرون ، ويذكر المؤرخون أن الهجرات السامية ظلت تتدفق على مصر منذ عصور ماقبل التاريخ وطوال العصور القديمة حتى الفتح الاسلامي فى القرن السابع الميلادى .

ومن هذا يتبين أن المؤلف الدكتور/لويس عوض أراد الكيد للاسلام فألف كتابه زاعما أنه دراسة وعلم وتحقيق ، وفى الحق أنه زيف وباطل وتضليل .

وبعرض الأوراق على السيد محامى عام نيابة أمن الدولة أشر سيادته بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨١ م بأمر الضبط وبعرض على السيد المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة لتحديد جلسه للنظر فى تأييد أمر الضبط ، وبعرضه على السيد المدعي العام الاشتراكي للنظر . وبعرض الأوراق على السيد الأستاذ المستشار رئيس المحكمة أشر سيادته بتاريخ ١٦/١٢/١٩٨١ بندب الهيئة الماثلة لاتخاذ الاجراءات ، وبذات التاريخ أشرنا بتحديد جلسة ٢٣/١٢/١٩٨١ م لنظر الأمر وتكليف النيابة العامة باعلان المتهم وبعد أن تداولت الدعوى بالجلسات على النحو الموضح بمحاضرها وبجلسة ٣١/٣/١٩٨٢ م قضت هذه المحكمة وقبل الفصل فى الموضوع بتشكيل لجنة من السادة : الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى والأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى والأستاذ توفيق الطويل تكون مهمتها مطالعة كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية للدكتور لويس عوض لبيان ما اذا كانت هناك مغالطات دينية أو لغوية يتضمنها الكتاب المذكور وما اذا كانت هذه المغالطات . ان وجدت ستخالف نصوص الشريعة الاسلامية كمصدر للدستور والتشريع وتعد تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم من عدمه .

ثم عادت بجلسة ٢٧/٥/١٩٨٢ م وقضت قبل الفصل فى الموضوع باستبدال اللجنة السابق ندبها بلجنة أخرى تشكل من مجمع البحوث الاسلامية ومن بين أعضائه بحيث لا يقل عددهم عن ثلاثة يرأسهم السيد رئيس المجمع وعضويين من بين أعضائه وذلك لأداء المأمورية المبينة بمنطوق الحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٣١/٣/١٩٨٢ وذلك بذات الصلاحيات الممنوحة للجنة السابق ندبها .

ونفاذا لهذا الحكم قدم المجمع ذات التقرير السابق الاشارة اليه والمرفق بمحضر الضبط وبعد أن تداولت الدعوى بالجلسات على النحو الموضح بمحاضرها وبجلسة ١٥/١/١٩٨٣ م لم يحضر المعروض ضده وقرر ممثل النيابة أن المعروض ضده أعلن لجلسة ١٥/١/١٩٨٣ والتمس تأييد أمر الضبط ثم حضر وكيل المعروض ضده والتمس أجلا لحضور المحامى الأصلى وللاطلاع .

وحيث أن المحكمة قررت اصدار حكمها بجلسة ١٩/٢/١٩٨٣ م ثم قررت مد أجل الحكم لجلسة اليوم فقدم المعروض ضده مذكرة بدفاعه أورد فيها ــ اعتراضه على

تغيير اللجنة السابق ندبها بالحكم الصادر بجلسة ١٩٨٢/٣/٣١ كما وأن اللجنة الحالية هى ذات الخصم والتمس القضاء برفض طلب التأييد والافراج عن الكتاب ومن باب الاحتياط الكلى ندب اللجنة التى سبق أن قضى الحكم التمهيدى فى ١٩٨٣/٣/٣١ م بتشكيلها لأداء المأمورية المبينة به .

وحيث أن المتهم أعلن ومثل بالجلسة بوكيل عنه ومن ثم يكون الحكم حضوريا فى حقه .

وحيث أن المادة ٤٧ من الدستور الدائم الصادر سنة ١٩٧١ م صريحة فى أن حرية الرأى مكفولة ولكل انسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول والكتابة وغير ذلك من وسائل التعبير فى حدود القانون وبالنقد الذاتى البناء ضمانا لسلامة البناء الوطنى وحرية العقيدة ، ومن ثم فان حرية الرأى فى رأى الدستور ليست حرية السخرية أو حرية الازدراء بالشرائع أو النظم والقوانين أو حرية التحريض على ماهو قائم فى المجتمع ، واذا كان القصد الذى قصده الدستور المصرى وأباحه هو النقد الذاتى البناء ضمانا لسلامة البناء الوطنى وحفظ المشاعر للجماهير وحرياتهم وشرائعهم وحرماتهم ، ومن ثم فليس من قبيل النقد المباح النقد الذى يتضمن التشهير أو التحريض أو الازدراء أو الاثارة .

وحيث أن المادة ١٠٢ مكرر عقوبات تنص على أن كل من أذاع عمدا أخبارا أو بيانات أو اشاعات كاذبة أو مغرضة أو بث دعايات مثيرة اذا كان من شأن ذلك تكدير الأمن العام أو القاء الرعب بين الناس أو الحاق الضرر بالمصلحة العامة أو ايذاء مشاعر وشعائر الديانات الاخرى ، كما انه لايشترط فى وجوب العقاب طبقا لما ورد بالفقرة الأخيرة للنص سالف الذكر عدم صحة البيانات أو الاخبار المذاعة أو المؤلفات ، بل اكتفى بأن تكون مغرضة .

وحيث أنه بانزال القواعد المتقدمة على موضوع الكتاب محل المساءلة وما ورد به من تعليقات والمشار اليها آنفا على الرغم من اعتراض المعروض ضده على اللجان وطلبه تشكيل لجان أخرى وماورد بمذكرات دفاعه فانه يتضح ما يلى :

أولا : أن المؤلف أورد بصفحة ٣٠٦ من الكتاب أن طبقا لقوانين الفونطقيا (خمت) المصرية = (صمد) العربية (قانون ح الحامية = س السامية) فاذا كان الأمر كذلك كان معنى الصمدية « التالوث » أو « الثلاثة » وكان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق ورفض مساواة المسيح لله فى الجوهر فى أهم مدرستين للاهوت المسيحى تبعا الفكر البيزنطى ويلاحظ أن كلمة (صمد) العربية هى من الأسماء الحسنى كلمة محيرة لأنها مادة جامدة ، لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ولا صلة لها بالهرموتيم «صمد» «يصمد» وهى فولجياتاتية ، الاسم فيها هو الصفة ، والصفة هى الاسم ، وهى غامضة المعنى نادرة الاستعمال وأشهر استعمال لها فى الصمدية .

وهذا من المؤلف يتعارض مع السورة الكريمة

(قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ، اللّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (١) صدق الله

---

(١) سورة الاخلاص .

القضاء .. وكتاب ..

العظيم . والآية الكريمة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (١) صدق الله العظيم .

كما أنه قال سبحانه وتعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٢) صدق الله العظيم . كما قال سبحانه وتعالى : (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) (٣)

(١) سورة المائدة ـ الآيتان ١١٦ ـ ١١٧ .
(٢) سورة آل عمران ـ آية ٥٩ .
(٣) سورة مريم الآيات ٣٠ ـ ٣٥ .

صدق الله العظيم . كما قال سبحانه وتعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا) (٤) صدق الله العظيم .

ومن هذه الآيات جميعها يبين أن الله سبحانه وتعالى واحد أحد لم يلد ـ بقصد الحوائج ـ عيسى وليس كمثله شيء وقد أفرد نفسه بالمعدانية أي الفردية وليس مستطيعا بغيره كما ذهب المؤلف وأكد ذلك سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أما بالنسبة لما ساقه المؤلف من انكاره لخصب جنوبي الجزيرة العربية (اليمن) في التاريخ القديم مقررا أن للقول يحتاج الى تشنجات جيولجية في تفسيره فانه يخالف الثابت في الآية الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة سبأ اذ قال سبحانه وتعالى : (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) صدق الله العظيم ، هذا فضلا عن أن المعروض ضده قد تطرق في كتابه الماثل من رقم ٥٤ ، ٥٥ الى أن الاسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمان

(٤) سورة مريم الآيات ٩٠ ـ ٩٤ .

والتقوى والعمل الصالح ، وهذه هي طبقات العرق العربي واللغة العربية ، وهو ما لم ينص عليه صراحة في التاريخ الاسلامي خشية الفتنة ولمخالفته صراحة لجوهر الدين بل ولنصه ، ولكنه متضمن في تكون الدولة الاسلامية (رد على الأصح حتى نهاية عصر الأمين لأن المأمون كان يرى رأى المعتزلة بسبب اختلاف المراقة، الى نهاية العصر العباسي الأول ومتضمن في الصراعات السياسية التي نشبت بين الشيع الاسلامية سافرة كانت أو مقنعة المذاهب الاسلامية والفلسفية كلامية أو شرعية وهذا منه أى المؤلف ينطوى على زعم أن الاسلام ينطوى — على مايسمى بالعنصرية والعصبية والتفرقة بين أهل الجزيرة الذين دخلوا في الاسلام بعد ذلك ، وهذا منه افتراء لايطابق الواقع أو الحقيقة ذلك أن الامام البخارى صاحب صحيح البخارى هو من سكان تلك الأقاليم التى يقرر مؤلف الكتاب المعروض أنهم أقل عنصرا من سكان الجزيرة العربية وهذا العالم الجليل رحمه الله له شأنه في الاسلام بدليل أن كتاب البخارى من المراجع الفقهية الجليلة في الأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام — والمؤلف باللغة العربية وغيره كثيرون ممن تفقهوا في اللغة العربية أمثال الزمخشرى وأبى الأسود الدؤلى وغيرهم ، ولم يقل أحد بأنهم اقل من أهل سكان الجزيرة العربية بل ان هذا القول منه يخالف ما حدث في عهد الرسول — عليه الصلاة والسلام — من تكريم سلمان الفارسى الذى أسلم في عهد الرسول — عليه الصلاة والسلام — وكان ابن أحد كبراء الفرس كما أنه يخالف صريح الآية الكريمة (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (١) صدق الله العظيم ، بل أن المعروض ضده قد ذهب الى القول : بماذا يهمنا اذا كان الانسان قد انحدر من جمجمة واحدة أو من جماجم متعددة ومن وطن واحد أو من أوطان متعددة ، وفي هذا منه مالا يخالف النص القرآني سالف الاشارة أما بالنسبة لما أثاره المؤلف في صفحة ٦٣ ، ٦٤ من مؤلفه باتهامه الامام الشافعى « أحد أئمة المذاهب الاربعة » بالعصبية والعنصرية لمجرد أنه قال ان لغة القرآن اللغة العربية تخلو من الألفاظ الأعجمية وأن القرآن لايشتمل على كلمة واحدة غير عربية ، وذلك على سند من قول المؤلف ان بعض الألفاظ الأعجمية ومئات منها كانت متداولة في أفواه الناس وفي فصيح الشعر في صدر الاسلام بل وفي الجاهلية ، وبالتالى فقد كانت من صلب اللغة العربية أيام الوحى ، فانه فضلا عن مخالفة قوله هذا لما أورده بكتابه من شواهد وقرائن فانه يخالف قوله سبحانه وتعالى (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**) (٢) ، (**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) (٣) كما أن هذا القول من المؤلف فيه لمزة لقوله سبحانه وتعالى وهو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فضلا عن أنه يتيح لادخال ألفاظ وتراكيب غريبة عن اللغة العربية لافقادها ذاتيتها المستمدة من القرآن الكريم بالاضافة الى تهجمه الصريح المباشر على أئمة الاسلام واتهامهم بضيق

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٢) سورة يوسف آية ٢ .
(٣) سورة الزخرف آية ٣ .

القضاء .. وكتاب ..
مقدمة فى فقه اللغة العربية

الفهم والتخبط ولا يعلم سوى الله سبحانه وتعالى غايته من ذلك .

وحيث أنه يبين من العرض السالف وهو قليل مما حواه الكتاب من مغالطات وتهجم وتزييف لحقائق ثابته منذ الأزل وحتى الأبد بكتاب أنزله سبحانه وتعالى فرقانا وهاديا ومرشدا ومبينا بلغة قررها سبحانه وتعالى بأنها اللغة العربية متخذا المؤلف المعروض ضده من مصطلحات اخترعها لنفسه مقررا أنها بناء على دراسة علمية قام بها كم استغرقته تلك الدارسة عشر سنوات أو عشرون سنة أكثر أو أقل ، — أقول ألم يقل سبحانه وتعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١) أياتى بشر خلقه سبحانه ليتولى تبديل كلماته وهو القائل سبحانه وتعالى : (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) (٢) ألم يقل سبحانه وتعالى فى محكم آياته : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (٣) ، (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (٤) (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) (٥)

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة يونس آية ٦٤ .
(٣) سورة البقرة آية ٧٥ .
(٤) سورة البقرة آية ٤١ .
(٥) سورة النساء آية ٤٦ .

حتى يمكن أن يجىء الآن المعروض ضده بعد حوالى ١٤ قرنا هجريا ليقول : ان اللغة العربية التى نزل بها القرآن كانت قد تداخلت من لغات أخرى بل ان مئات الكلمات كانت منتشرة فى صدر الاسلام ونزل بها الوحى وهى ليست عربية الا والله لقد (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) كما يبين أن الغرض من المؤلف ليس مجرد البحث العلمى بل ان به لمزا مستترا بقول مؤلفه ان الصمدية تعنى الثالوث فى اللغة المصرية القديمة وكذلك فى اللاهوت .

ولايسع المحكمة والحال كذلك بالرغم من كون تلك الأمور كما قرر مؤلف الكتاب على لسان محاميه قد قامت بطبعها مطابع الدولة وباشرافها الا أن تقول كلمتها فى هذا المؤلف الملىء ، بالتحريض على التناحر والفتنة ويحوى كثيرا من الهدم للأسس فى الكون والخلق والحياة والآخرة والدين الاسلامى الحنيف الذى وسع كل شىء حتى المغرضين وان تقضى بتأييد أمر الضبط لهذا الكتاب الذى ينال من الاسلام ويهاجم القرآن ويشكك فى صحة ماجاء به ويتهجم على علماء المسلمين ويصفهم بما ليس فيهم .

فلهذه الاسباب

قررت الهيئة تأييد أمر ضبط كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض ، .

أمين السر ..

رئيس الهيئة

مولده صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف

للشيخ إبراهيم الجبالى

بقلم الشيخ أحمد حسن جابر رجب

مقدمة لابد منها :

لما كان التذكير بنعم الله من آياته مرغوب فيه ، ومندوب اليه وفيه بعد الخروج من ظلمة الكفر الى نور الايمان — آيات ينتفع بها كل من كان قدوة فى الصبر والشكر قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ » ابراهيم : ٥ .

وكان من أكبر النعم علينا قبل الايمان وبعده مولد سيد ولد آدم على الاطلاق سيدنا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — والتذكير بمولده تذكير بنعم الله فى أيام وقوعها فانى أجمل الكلام فى النقاط التالية باختصار ، لضيق المكان ، ونفرة أهل هذا الزمان فى : كونه — صلى الله تعالى عليه وسلم — أول الأنبياء خلقا ، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله .

وأن نبوته ثابتة قبل خلق الروح فى آدم .

وأن احياء ذكرى مولده — صلى الله تعالى عليه وسلم — ثابتة بالنص .

أقول : لاخفاء على من مارس شيئًا من العلم ، أو خص بأدنى لمحة من فهم ، يتغافل أو يمارى فى تعظيم الله قدر نبينا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — وتخصيصه اياه بفضائل تفرد بها من العلم والعمل ، ومحاسن تتعلق بذاته الكريمة ، ومناقب يفتخر بها من عموم رسالته — صلى الله تعالى عليه وسلم — وسيادته ، وشفاعته فى يوم الحشر وما أعطاه الله له من الكمال النفسى والبدنى خلقا ، وخلقا وصورة ، وسيرة من الأمور الدينية والدنيوية، التى لا يدانيه فيها أحد ، وتنويه الله من عظيم

قدره الشريف بما تكلم عنه الألسنة والأقلام.

محمد اول الأنبياء خلقا :

أما انه — صلى الله تعالى عليه وسلم — أول الأنبياء خلقا . فقد روى البيهقى فى الدلائل بسنده عن العرباض ابن سارية صاحب رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — أنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — يقول : « انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم عن ذلك : دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين — وان أم رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — رأت حين وضعته نورا إضاءت له قصور الشام وفى رواية يعقوب اضاءت منه قصور الشام » .

وقوله — صلى الله عليه وسلم — انى عبد الله .. يريد به أنه كان كذلك فى قضاء الله تعالى وتقديره قبل أن يكون أبو البشر .

وقوله وسأخبركم عن ذلك... يريد به أن ابراهيم لما أخذ فى بناء البيت قال ... ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة : ١٢٩ .

وأما قوله : « وبشارة عيسى بى » فهو أن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فبشر به قومه فعرفه بنو اسرائيل قبل أن يخلق .

وأما قوله ورؤيا أمى التى رأت فانما عنى به ماروإه البيهقى بسنده عن ابن اسحاق قال :

وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع على الأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، فى كل بر عاهد ، وكل عبد رايد ، يرود غير رايد ، فانه عبد الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد ، قال فان آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام — فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه فى الانجيل احمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك » .

وروى أبو اسحاق الجوزجانى — محدث الشام وأحد الحفاظ المصنفين المخرجين الثقات — فى تاريخه وابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — « كنت أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا » . والمراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد ، فانه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا ، ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود.

وروى احمد فى سنده ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة وابن الجوزى فى الوفا عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه عن النبى — صلى الله عليه وسلم « انى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته » . ورواه الحاكم وصححه .

وليس المراد والله أعلم .. أنه حينئذ كتب فى أم الكتاب ختمه للنبيين . وانما المراد الاخبار عن كون ذلك مكتوبا فى أم الكتاب فى

ذلك الحال قبل نفخ الروح في آدم وهو أول ماخلق من النوع الانساني .. فانه ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ استخرج من ظهر آدم ونبيء فصارت نبوته موجودة في الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة في أم الكتاب .

ومثل ذلك كمن تولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه يتأخر الى حين مجيء الوقت المحدد له .

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ــ صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « كان الله ولا شيء قبله ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » . ومن جملة ماكتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ خاتم النبيين .

وروى الامام احمد في سنده والبخاري في تاريخه والحاكم وصححه : عن ميسرة الفجر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .. وليعلم أن الكتابة انما تستعمل فيما هو واجب اما شرعا كقوله تعالى « **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** » البقرة : ١٨٣ .

أو قدرا كقوله تعالى« **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي** » . المجادلة ٢١ .

وروى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : « قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » .

خلق آدم والمخلوقات من اجل المصطفى

وأما خلق آدم والمخلوقات لأجله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم :

فقد روى أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين والحاكم وصححه ، وأقره السبكي في شفاء السقام ، والبلقيني في فتاويه ــ عن ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قال : « أوحى الله الى عيسى » « آمن بمحمد ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن » .

وروى الديلمي في سنده عن ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ قال : أتاني جبريل فقال يامحمد : ان الله يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار ..

وفي فتاوي البلقيني شيخ الاسلام وفي شفاء الصدور لابن سبع عن علي كرم الله وجهه عن النبي ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ عن الله عز وجل أنه قال : (يامحمد وعزتي وجلالي لولاك ماخلقت أرضي ولا سمائي ، ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء) .

وذكر المصنفان المذكوران في رواية أخرى عن علي كرم الله وجهه أن الله تعالى قال لنبيه ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ : من أجلك أبطح البطحاء ، وأموج الماء ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار .. ولنقتصر على ذلك خشية الاطالة .

واما احياء ذكرى مولده ــ صلى الله تعالى عليه وسلم :

فقد روى البيهقي في الدلائل بسنده عن مهدي بن ميمون عن أبي قتادة « أن أعرابيا قال يارسول الله ماتقول في صوم يوم الاثنين ؟

فقال ذاك يوم ولدت فيه . وأنزل على فيه » .

وروى بسنده أيضا عن أبان بن يزيد عن أبى قتادة الأنصارى « أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — عن صوم الاثنين ؟ فقال ذاك اليوم الذى ولدت فيه وأنزل علىّ فيه » قال البيهقى أخرجه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى فى الصحيح من حديث مهدى بن ميمون وأبان بن يزيد العطار .

وروى البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « ولد نبيكم — صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين » . كما روى بسنده عن محمد بن اسحاق « ولد رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — يوم الاثنين عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول » .

وبعد : فلما كان لا منزلة فى العالم أعلى من النبوة التى هى سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق ، كان أفضل الخلق بها أخص ، وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس ، فهيأه الله لأشرف الأخلاق ، وأجمل الأفعال وأفضلها .

ولم يكن فى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، ومادانى طرفيه من قاربه فى فضله ولاداناه . فى كماله خلقا وخلقا ، وقولا وفعلا وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله :

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » القلم : ٤ .

وكمال الفضائل من أمارات النبوة . ومن كمال الفضائل اجتناب الكذب ، وليس من كذب فى ادعاء النبوة بكامل الفضل ، فصار كمال الفضائل موجبا للصدق ، والصدق موجبا لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل ولذا وضح ذلك علم أن الكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه :

أحدها : كمال الخلق .

والثانى : كمال الخلق .

والثالث : فضائل الاقوال .

والرابع : فضائل الاعمال .

فأما كمال خلقه — صلى الله عليه وسلم — بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف :

أحدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم فكان — صلى الله تعالى عليه وسلم — أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه فى أعينهم أعظم ، وان لم يتعاظم بأبهة ، ولم يتطاول سطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا والوطاء معروفا .

والثانى : الطلاقة الموجبة للاخلاص ، والمحبة الباعثة على المصافاة ، والمودة وقد كان — صلى الله تعالى عليه وسلم — محبوبا ولقد استحكمت محبة طلاقته فى النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب الى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ .

والثالث : حسن القبول الجالب لمماثلة القلوب حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره — صلى الله تعالى عليه وسلم — مستوليا على القلوب ، ولذلك استحكمت مصاحبته فى النفوس حتى لم ينفر منه معاند ، ولايستوحش منه مباعد الا من

ساقه الحسد الى شقوته ، وقاده الحرمان الى مخالفته .

الرابع : ميل النفوس الى متابعته ، وانقيادها لموافقته وثباته على شدائد ، ومصابرته فما شذ عنه معها من أخلص ، ولا ندعنه فيها من تخصص .

وهذه الاربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها .

وأما كمال خلقه ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ ، فيكون بخمس خصال :

احداها : رجاحة عقله ، وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه ، وصواب تدبيره ، وحسن تألفه ، وأنه ما استفعل في مكيدة واستفجر في شديدة بل كان يلحظ الاعجاز في المبادئ، فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا بأصدق وهم وأصح جزم .

والثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب ، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف ساكنة لا يجوز في شديده ، ولا يشكين لعظمة ويقتدر على الخلاص ، أو بالشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقى بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي .

روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ قال : لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال » ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء الى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا وقد رويت عنه وماذاك الا لطلب الآخرة ، ومستحيل ممن كذب في ادعائه اليها أن يستوحشها أو كذب على الله تعالى أن يثاب بها . وفي السنة الصحيحة كثير .

والثالثة : زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم تمل الى نضارتها ولم يله لحلاوتها ، روى سفيان الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل لرسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ ان شئت أعطيت خزائن الأرض ما لم يعط أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك ولا ينقصك في الآخرة شيئا قال اجمعوها لي في الآخرة فنزلت (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا) الفرقان : ١٠ وغير ذلك كثير في السنة .

وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه اليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة بها ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور والنذر ورضي بالعيش الكدر .

وتملك أصحابه فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها .

الرابعة : حلمه ووقارة عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم ، وأسلم في الخصام من كل سليم ، وقد منى بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولا حليم غيره الا ذو عثرة ولا وقور سواه الا ذوهفوة ، فان الله تعالى عصمه من نزع الهوى

وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمته رءوفا وعلى الخلق عطوفا وقد تناولته قريش بكل كبيرة ، وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم معرض عنهم وما تفرد بذلك سفاؤهم دون حلمائهم ، ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون حتى قهر عفوا وقدر فغفر حتى قال لهم حين ظفره ، عليهم يوم الفتح (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف ٩٢ .

الخامسة : حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد ، فانه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمراقب وعدا يرى الغدر من كبار الذنوب ، والاخلاف من مساوىء الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهد ، ووفاء بوعده حتى يبتدىء معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير ، وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة فهذه خمس خصال تكاملت في خلقه فضله الله بها على جميع خلقه .

واما فضائل اقواله : فقد أتى من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الحجة الباهرة ، وهو امي من أمة امية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولاصحب عالما ولا معلما ، فأتى بما بهر العقول وجعل مداد شرعه على أربعة أحاديث أوجز بها المراد وأحكم بها الاجتهاد .

احدها : انما الاعمال بالنيات الحديث .

وثانيها : الحلال بين والحرام بين .. الحديث .

وثالثها : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ورابعها : دع ما يريبك الى ما لا يريبك .

وما هذه الفطرة في الرسول الا من صفاء جوهره وخلوص مخبره .

وحفظه لما أطلق الله عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يغرب عنه منها قليل ولاكثير وهو لايضبطها بكتاب يدرسه ولا يمقطها بعين تحرسه وماذا الا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب مستريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا .

وما أمر به من محاسن الاخلاق ودعا اليه من مستحسن الأدب وحث عليه من صلة الأرحام والتعطف على الضعفاء والأيتام ، وما نهى عنه من التباغض والتحاسد ، والتباعد والتقاطع لتكون الفضائل في الأمة أكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أشد ، وتكون الى الخير اسرع ومن الشر أمنع فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الاسلام وذل بهم الشرك فصاروا أئمة أبرارا .. هذا مع وضوح جوابه اذا سئل وحفظ لسانه من تحريف في قول يكون به الى الكذب منسوبا والصدق مجانبا مع اقتصاره من الكلام على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصيرا مع فصاحة اللسان ووضوح البيان وأجزل لفظا وأصح معنى .

واما فضائل اعماله : فحسن سيرته ، وصحة سياسته في دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدبير احسن وضعه حتى استمر بجزم صائب ، وعزم ثاقب حتى استقر شرع الله نظاما

لاعصار تتقلب ، صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانا ولمن ارتاب به بيانا .

وجمع فيه بين رغبته من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته ، وقاموا بحقوق دعوته فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا .

مع العدل في ما شرع من الدين عن غلو النصارى في التشديد وعن تقدير اليهود في التقصير الى المتوسط بينهما وخير الأمور أوساطها . فلم يمل بأصحابها الى الدنيا كما رغبت اليهود ولا في رفضها كما ترهبت النصارى وأمرهم فيها بالاعتدال ، وبين لهم مايحل ومايحرم من مباحات ومحظورات وفصل لهم مايجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى احتاج اليهود في كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه الى شرع غيره وأمر الشاهد أن يبلغ الغائب فأحكم ماشرع من نص وتنبيه وعم بما أمر من حاضر

وبعيد لئلا يكون في حقوق الله ذلك ولا في مصالح الأمة خلل وذلك في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك الا بديع معجزهم . فهذه جملة متفقة في أعلام نبوته وقاعدة مستقرة في ترتيب رسالته وأحكام شريعته بمناسبة مولده ولتقدم مقالة الشيخ بعنوانها المتقدم قال رحمه الله تعالى :

في العدد الاول من مجلة (نور الاسلام) قطفنا زهرة يانعة ، بل جنينا ثمرة نافعة من بستان الكمال البشر ، والجمال الانساني ، والجلال النبوي .

تلك كانت النبذة المتعلقة بهجرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة المشرفة الى المدينة المنورة اقتطفناها من سيرته ــ صلى الله عليه وسلم الحافلة بأنواع الكمال ، وصنوف الفضائل بل التي هي مظهر التجلي الالهي الأكمل على أفضل خلقه الذي اصطفاه هاديا ورسول رحمة للعالمين .

والآن نردفها بكلمة في المولد الشريف ، والنسب الطاهر ، آملين أن تدرج في معارج هذا الأفق المتلئ، بنجوم الهدى من أخلاقه ــ صلى الله عليه وسلم وشئونه وأفعاله وأقواله فتجلو لعيون القارئين من سناها مايضيء سبل السعادة والمجد .

وقد كان حقيقا بمن يتكلم في السيرة النبوية أن يجرى مع ترتيبها في الوجود فيبدأ بأولها وهو النسب ، ثم المولد ، وهلم جرا ، ولكن لما صادف ظهور أول عدد من المجلة في أول شهر من السنة الهجرية ، وكان ذلك مدعاة للتكلم على الحادث الجليل الشأن الذي اختاره المسلمون مبدأ لتاريخهم اذ كان مبدأ ظهور نور الاسلام واضحا جليا ، وتبوؤ الدين الحنيف

مكانا عليا ، وهو هجرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ التي أعز الله بها الاسلام والمسلمين .

رأينا أن نبدأ مقالات السيرة النبوية بالهجرة الشريفة ، وليس معنى هذا أن الهجرة كانت في شهر المحرم ، بل لقد كانت في ربيع الاول ، كما كانت ولادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانتقاله الى الرفيق الأعلى في ربيع الاول .

وانما جعل شهر المحرم تذكارا للهجرة النبوية ، لأنها لما جعلت مبدأ للتاريخ الاسلامي وكان المحرم ولا زال أول العام الهجري ــ كان تذكارها أبدا قرين أول السنة الهجرية .

ولقد اخترنا شهر ربيع الأول للكلام على مولده عليه الصلاة والسلام ، لانه الشهر الذى تشرف فيه الوجود بطلعته الزاهرة ، ووفاقا لما جرت به عادة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، من التنويه بفضل هذا الشهر ، واحياء لياليه بالعبادات وبث الصدقات على الفقراء ، شكرا لله تعالى على نعمة اشراق هذا النور الساطع الذى كان هدى للعالمين ورحمة للناس أجمعين .

ويحسن قبل الكلام على المولد الشريف ، أن نبدأ بنبذة فى نسبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليتبين أنه قد اختير من أفضل أرومة وأكرم منبت .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه (١)
وتغرس الا فى منابتها النخل

« نسبه ـ صلى الله عليه وسلم » :

ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم (٢) وقد اتفق على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ولد أسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن ـ صلى الله عليهم وعلى جميع اخوانهم الأنبياء والمرسلين ـ وورد عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » وأن أعرابيا قال له (يا ابن الذبيحين) فتبسم ولم ينكر عليه .

أما الذبيح الأول فهو اسماعيل عليه السلام فان الصحيح أنه هو الذبيح لا اسحاق عليه السلام ، ودليله من القرآن الكريم أنه تعالى بعد أن قص قصة الذبيح فى سورة الصافات بقوله تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) الخ الآية أردفها بقوله : (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) والظاهر المتبادر أنها بشارة أخرى .

وأما الذبيح الثانى فهو أبوه عبد الله ، وقصته مشهورة فى كتب السير .

هذا : والذى صح فى النسب الطاهر اتصاله بدوحة معد بن عدنان باتفاق النسابين وعدنان فرع من نبعة اسماعيل بن ابراهيم ـ عليهما السلام ـ باجماع ، ومابين عدنان واسماعيل فقد اختلف فيه النسابون .

وقد ورد فى بعض الآثار : أنه ما افترق الناس فرقتين الا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أفضلهما .

وورد أن نوره ـ عليه السلام كان يرى متلألأ فى جبين آبائه الأكرمين ، ومازال يتنقل بين أصلاب كريمة وأرحام طاهرة حتى خصت العناية الصمدانية به والده عبد الله فكان أجمل نساء العرب يتعرضن له .

وروى أن سيدة من بنى أسد بن عبد العزى عرضت نفسها عليه وجعلت له مائة من الابل ان هو أجابها فقال لها :

اما الحرام فالممات دونه
والحل لاحل فاستبينه

---

(١) رواه مسلم فى الصحيح عن محمد ابن مهران وغيره عن الوليد بن مسلم وله شاهد مرسل .

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين لان الرماح تباع به ، والوشيج : شجرة الرماح .

يحمي الكريم عرضه ودينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه

وقد روى أن الله نظر الى آبائه نظر تكريم في الجاهلية ، فكانوا كلهم سادة قادة ، وتجمع فضلهم في عبد المطلب جده — عليه الصلاة والسلام — ، وهو الذي حفر زمزم بعد أن طمت ، وكان له بذلك أرفع منزلة في العرب قاطبة .

والذي ينظر في سيرتهم ويتتبع تاريخهم لا يجد فيهم الا من كان سيدا نابها عظيما دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوثه الطيبة ولنرجع الى مولده الشريف وما تقدمه من تزوج أبيه وأمه .

تزوج أبيه عبد الله بأمه آمنة بنت وهب

روى أن عبد المطلب جده — صلى الله عليه وسلم — كان في سفرة ، فمر براهب من أهل الكتاب فسأله :

الراهب : ممن الرجل ؟ قال من قريش .

قال من أيهم ؟ قال : من بني هاشم .

قال اتأذن لي ان أنظر بعض جسدك ؟

قال نعم . مالم يكن عورة .

ففتش في منخريه ، وقال : ان فيك ما يدل على الملك والنبوة ، وانا نجد ذلك في بني زهرة ، فعمد عبد المطلب الى بني زهرة ومعه ابنه عبد الله وقد بلغ الثمان عشرة سنة فخطب اليهم لنفسه ولابنه ، وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة ، فعقد له عليها وبنى بها فحملت به — صلى الله عليه وسلم — .

وروى أنها لم تشك ثقلا لحمله ، وأنها أتاها آت في المنام فقال لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، ورأت في منامها كان قد خرج منها نورا أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام .

وقد توفي أبوه وأمه حاملا به — كان قادما مع قومه من تجارتهم بالشام فمرض بالمدينة ، فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار ، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضا عند أخواله ، فبعث اليه أحد اخوته فوجد قد توفي بالمدينة ودفن بها .

وكان السر في يتمه — عليه الصلاة والسلام — من صغره أن تظهر عناية الله به من أول أمره والا يظن أن العز قاصر على ما يكتسب من الآباء ، ولكيلا يكون عليه حق لسوى خالقه ، وليظهر مغزى قوله — صلى الله عليه وسلم — « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وروى أنه — عليه الصلاة والسلام — قال : « ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء ، فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا » .

مولده — صلى الله عليه وسلم — :

أشرق هذا النور الذي هدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام في فجر يوم الاثنين لثمان ليال مضت من ربيع الأول من عام الفيل ، وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، وقيل غير ذلك ، فنزل — صلى الله عليه وسلم — مسرورا (١) ، مختونا نظيفا ، وروى أنه نزل على كفيه وركبتيه ساجدا ثم رفع رأسه الى السماء ، شاخصا ببصره اليها قابضا أصابع يده باسطا سبابته كالمتضرع ، وفي ذلك يقول البوصيري :

رافعا رأسه وفي ذلك الر
الرفع الى كل سؤدد ايماء ..

---

(١) مقطوع السرة

مجلة الأزهر.. من خمسين عاماً

رامقاً طرفه السماء ومرمى
عين من شأنه العلو العلاء

وكان مولده – صلى الله عليه وسلم – في دار عقيل بن أبي طالب عند الصفا ، وقد تلقته حين ولادته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحضنته أم أيمن .

وقد روى عن أمه أنه لما أخذها ما يأخذ النساء – وانها لوحيدة – رأت من الآيات ما كان تقدمة لمقدمه وارهاصا لنبوته – صلى الله عليه وسلم – .

ولما وضعته أرسلت لجده عبد المطلب ورفعته اليه فأخذه ودخل به الكعبة ثم عاد به اليها وقد ظهر لمولده آيات بينات واضحات وأخبر به من عنده علم من الكتاب ، وتصدع لأجله أيوان كسرى ، وغاضت بحيرة ساوه ، وانطفأت نيران الفرس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تخمد جذوتها ، فكان هذا وما ماثله من الارهاصات التي تعد الاذهان لقبول مابعدها من شأن خطير ، وأمر عظيم .

ولنكتف بهذا المقدار في السيرة النبوية مذكرين بأن رواية أصحاب السيرة ليست في قوة رواية حفاظ الحديث ، فان المحدثين لكونهم يبلغون شرع الله وحلاله وحرامه يجب أن يكون احتياطهم بالغا الغاية القصوى .

وقبل أن نختم هذه الكلمة نقرر أن ظهور هذا النور النبوى للعالم كان من أعظم آثار رحمة الله التى سعد بها الناس دنيا وأخرى وأن السعادة الدنيوية لم تقف عند حد من آمن به ، بل قد اقتبست الامم التى لم تسعد بالايمان من نظم العدالة وتهذيب النفوس ، ما ارتقت به حياتها وهذبت به نفوسها ، فحق على كل من يعرف حق الجميل وشكر النعمة أن يرى مافي هذا الشهر العظيم من أفضل الذكريات فيشكر الله جلت قدرته بما قدر عليه من أنواع الزلفى اليه جل شأنه ، خصوصا صلة الأرحام وبث الصدقات على المحتاجين ففى الشكر زيادة النعم وتحصينها.

نسأل الله تعالى أن يمن على الأمة الاسلامية بمنة المعرفة لنعم الله عليها والتمسك بحفظها ويزيدها من دوام الشكر للمنعم واستعمال النعمة في وجوهها الحقيقية ، والله المستعان وهو ولى التوفيق .

نور الاسلام العدد الثالث ربيع الاول ١٣٤٩ هـ المجلد الاول .

من
نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر
كتاب
القواعد الفقهية
لابن رجب الحنبلي

للأستاذ محمد عميره على

تسهم مكتبة الأزهر بمقالاتها فى مجلة الأزهر بابراز مكنوناتها وذخائرها العلمية النادرة والفريدة فى مكتبات العالم اجمع ، وهى اذ تقدم للقراء النادر من المخطوطات فى مختلف العلوم والفنون ، يسرها أن تقدم فى هذا المقال كتاب (القواعد الفقهية) للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن رجب السلامى البغدادى ثم الدمشقى ابو الفرج زين الدين ! حافظ للحديث ، من العلماء · ولد فى بغداد سنة ٧٣٦ هـ ١٣٣٥ م ونشا وتوفى فى دمشق سنة ٧٩٥ هـ ١٣٩٣ م · من كتبه « شرح جامع الترمذى » و « جامع العلوم والحكم » فى الحديث ، وهو المعروف بشرح الأربعين ، و « فضائل الشام » و « الاستخراج لأحكام الخراج » و « للطائف المعارف » و « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » لم يتمه ، و « ذيل طبقات الحنابلة » لابن ابى يعلى » جزآن ، و « الاقتباس من مشكاة وصية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عباس » و « أهوال القبور » و « كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة » و « القواعد الفقهية » و « رسالة فى شرح حديث بدا الاسلام غريبا » و « التوحيد » و « رسالة فى معنى العلم » ·

قال عنه صاحب شذرات الذهب انه قدم من بغداد مع والده الى دمشق وهو صغير سنة اربع وأربعين وسبعمائة وأجازه ابن النقيب والنووى ، وسمع بمكة على الفخر عثمان بن يوسف واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده وحدث عن محمد بن الخباز وابراهيم بن داود العطار ، وأبى الحرم محمد بن القلانسى وسمع بمصر من صدر الدين أبى الفتح الميدومى .

ومن جماعة من أصحاب ابن البخارى ، ومن خلق من رواة الآثار ، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب بالمحبة اليه، وكان لايعرف شيئا من أمور الناس ولايتردد الى أحد من ذوى الولايات وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين ، قال ابن حجى أتقن الفن أى فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

وتتبع الطرق وتخـــرج به غالب أصحابنـا الحنابلة بدمشـــق •

وقال صاحب الدرر الكامنـة أنـه ألف (القواعد الفقهية) وأجاد فيها وقـرأ القرآن بالروايات وولد ببغداد فى ربيع الأول سـنة ٧٠٦ هـ •

وكتاب (القواعد الفقهية) الذى نحن بصدد تعريفه بدأه المصنف بعد الديباجة قال : أمـا بعد فهذه قواعد مهمةوفوائد جمةتضبطللفقيه أصول المذهب ، وتطلعه من مآخذ الفقه عـلى ماكان عنه قد تغيب ، وتنظم له منثور المسائل فى سلك واحد وتقيد له الشوارد ، وتقرب عليه كل متباعد فليمعن الناظر فيه النظر ، ويـأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف مـن اغتفر قليل خطأ ألم فى كثـير صوابه ، واللـه المسئول أن يوفقنا لصواب القول والعمل •

ورتبه على مائة وسبعة وثلاثين قاعدة فقهية وفصول وأبواب نذكر على سبيل المثال القاعدة الاولى ــ الماء الجارى هل هو كالراكد أو كـل جرية منه لها حكم الماء المنفرد ، فيه خلاف فى المذهب ينبنى عليه مسـائل •

احداها : لو وقعت فيه نجاسة فهل يتغـير مجموعه ، فان كان كبيرا لم ينجس بدون تغـير والا نجس أو تغير كل جـرية بانفـرادها فان بلغت قلتين لم تنجس والا تنجست • فيـه روايتان حكاهما الشيرازى وغيره والثانيـة المذهب عنـد القاضى •

الثانية : ــ لو غمس الاناء النجس فى مـاء جار ومرت عليه سبع جريات فهل ذلك غسـلة واحدة أو سبع غسلات ، على وجهـين حكاهما أبو الحسن بن الغازى تلميذ الآمدى ، وذكـر أن ظاهر كلام الأصحاب أن ذلك غسلة واحدة ، وفى شرح المذهب للقاضى أن كلام احمد يـدل عليه وكذلك لو كان ثوبا ونحوه وعصره عقب كل جريـة •

الثالثة : لو انغمس المحدث حدثا أصغر فى ماء جار للوضـوء ومرت عليـه أربع جريات متوالية فهل يرتفع بذلك حدثه أم لا ، عـلى وجهين أشهر ما عند الأصحاب أنه يرتفع حدثه وقال أبو الخطاب فى الانتصار ظاهر كلام احمد انه لايرتفع حدثه لأنه لم يفرق بين الجـارى الراكـد •

قلت بل نص لحمـد على التسوية بينهمـا فى رواية محمد بن الحكم فانه اذا انغمس فى دجله فانه لايرتفع حدثه حتى يخرج مرتبا •

الرابعة : لو حلف لاتقف فى هذا الماء وكان جاريا لم يحنث عند أبى الخطاب وغـيره لأن الجارى يتبدل ويستخلف شيئا فشيئا فـلا يتصور الوقوف فيه ، وقياس المنصوص أنـه يحنث لاسيما والعرف يشهد له ، والايمـان مرجعها الى العرف ، ثم وجدت القاضى فـى الجامع الكبير ذكر نحو هذا والله أعلم •

ثم شرح قاعدة الملك فذكر أنها أربعة أنواع ، ملك عين ومنفعة ، وملك عين بلا منفعة ، وملـك منفعة بلاعين ، وملك انتفاع من غـير ملك المنفعة .

النوع الأول : فهو عامة الأملاك الواردة على الأعيان المملوكة بالأسباب المقتضية لها من بيع أو هبة أو ارث وغير ذلك ، واعلم أن ابن عقيل ذكر في الواضح في أصول الفقه اجماع الفقهاء على أن العباد لايملكون الأعيان وانما يملك الأعيان خالقها سبحانه وتعالى ، وأن العباد لايملكون سوى الانتفاع بها على الوجه المأذون فيه شرعا ، فمن كان مالكا لعموم الانتفاع فهو المالك المطلق ، ومن كان مالكا لنوع منه فملكه مقيد ويختص باسم خاص كالمستأجر والمستعير وغير ذلك .

وكذلك ذكر ابن الزاغوني في كتاب « غرر البيان » ورجحه الشيخ تقي الدين فعلى هذا جميع الاملاك انما هي ملك انتفاع .

النوع الثاني : ملك العين بدون منفعة وقد أثبته الأصحاب في الوصية بالمنافع لواحد وبالرقبة لآخر وتركها للورثة وقد قال احمد في رواية مثنا فيمن أوصى بخدمة عبد أو ظهر دابة تركب أو بدار تسكن . فقال الدار لابأس بها وأكره العبد والدابة لأنهما يموتان .

قال ابو بكر الذي أقول به : ان الوصيه تصح في جميع ذلك لأن الدار يخرب أيضا ، وحمل القاضي كلام احمد على الكراهة دون ابطال الوصية ، وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى لم يرد أحمد أن الوصية لاتجوز الا بما يدوم نفعه ، فان هذا لايقوله أدنى من له نظر في الفقه . فضلا عن أن يكون مثل هذا الامام . وانما أراد أن العبد والدابة اذا أوصى بمنافعهما على الناس فلم يترك للورثة ما ينتفعون به ، فلا يجوز أن يحسب عليهم ذلك من الميراث ، فانه لا فائدة في الرقبة المجردة عن المنافع بل هو ضرر محض ، وقد شرط الله سبحانه لجواز الوصية عدم المضارة ، لكن ان قصد الموصى ايصال جميع المنافع الى الموصى له فهذه وصية بالرقبة فلا يحسب على الورثة منها شيء ، ولا يصح الايصاء معها بالرقبة وان قصد مع ذلك أنفا الرقبة للورثة ، أو الايصاء بها لآخر بطلت الوصية لامتناع أن تكون المنافع كلها لشخص والرقبة لآخر ولا سبيل الى ترجيح احد الأمرين فيبطلان ، أما ان وصى في وقت بالرقبة لشخص وفي الآخر بالمنافع لغيره فهو كما لو وصى بعين لاثنين في وقتين واستبدل على أن تمليك جميع المنافع تمليك للعين بالرقبى والعمرى فانها تمليك للرقبة حيث كانت تمليكا للمنافع في الحياة وهذا المعنى منتف في الوصية بسكن الدار لأن هذا تمليك منفعة خاص ينتهي بموت الموصى له وبخراب الدار فيعود الملك للورثة كما يعود الملك في السكنى في الحياة .

النوع الثالث : ملك المنفعة بدون عين وهو ثابت بالاتفاق وهو ضربان .

احدهما : ملك مؤبد ويندرج تحته صور منها . الوصية بالمنافع كما سبق وتشمل جميع أنواعها الا منفعة البضع فان في دخولها في الوصية وجهين ، ومنها الوقف فان منافعه وثمراته مملوكة للموقوف عليه ، وفي ملكه لرقبته وجهان معروفان لهما فوائد متعددة ، ومنها . الأرض الخراجية المقرة في يد من هي في يده ، وبالخراج تملك منافعها على التأبيد .

الثاني : ملك غير مؤبد فمنه الاجارة ومنافع

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

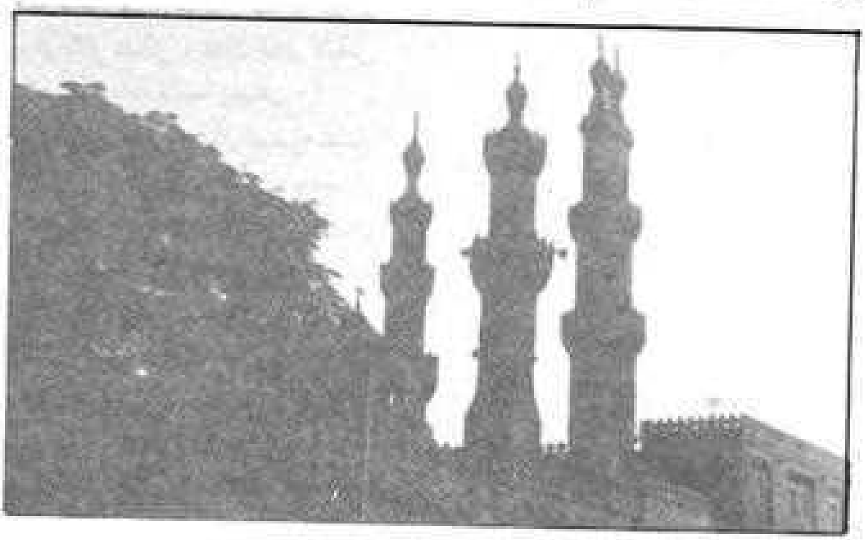
المبيع المستثناه في العقد مدة معلومة ومنه ماهو غير موقت لكنه غير لازم كالعارية على وجه واقطاع الاستغلال .

النوع الرابع : ملك الانتفاع المجرد وله صور متعددة منها : ملك المستعير فانه يملك الانتفاع لا المنفعة الا على رواية ابن منصور عن احمد ان العارية الموقتة يلزم كذا قال الأصحاب ويمكن أن يقال لزوم العارية الموقتة انما يدل على وجوب الوفاء ببذل الانتفاع لا على تمليك المنفعة ، ومنها المنتفع بملك جاره من وضع خشب وممر في دار ونحوه ، وان كان عقد صلح فهو اجارة ، ومنها اقطاع الارفاق كمقاعد الأسواق ونحوها ومنها الطعام في دار الحرب قبل حيازته بملك الغانمون الانتفاع به بقدر الحاجة وقياس الأكل من الأضحية والتمر المعلق ونحوه ومنها أكل الضيف الطعام المضيف فانه اباحة محضة لايحصل به الملك بحال على المشهور عندنا ، وعن احمد رواية بجواز الاطعام في الكفارات وينزل على أحد قولين : اما أن المضيف يملك ما قدم اليه وان كان ملكا خاصا بالنسبة الى الأكل ، واما أن الكفارة لايشترط فيها التمليك .. الى اخر ما شرحه في هذه القاعدة .

والنسخة الموجودة في مكتبة الأزهر في مجلد بقلم معتاد بخط حسن ابن علي المرداوي المقدسي الحنبلي سنة ٨٤٠ هـ بآخرها وقف تاريخه سنة ١١٥٨ هـ في ٢٠٦ ورقات ، ومسطرتها ١٩ سطرا وبحالة جيدة تسهل قراءتها .

فالى القراء الكرام لمن أرادوا البحث والاستقراء أن يتتبعوا ما تقدمه مكتبة الأزهر من نوادر المخطوطات خدمة للعلم والاسلام والمسلمين .

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره علي



في اللغة والأدب والنقد

- الجملة النحوية
- شاعران وممدوحان
- تغطية الإسلام
- القيم الدينية في شعر محمد مصطفى الماحي

الجملة النحوية

نشأة ونظامًا ونظمًا

دراسة الجملة لم تنل حظها من الدراسة والبحث والتحقيق ، مثل ماحدث لبعض الفرعيات كالفاعل والمبتدأ والخبر والمشتقات وغيرها .

فلم نر كتابا واحدا يختص بدراستها ويتوفر على مباحثها كلها غير أن هناك بعض الاشارات أو التعريفات جاءت منثورة على صفحات كتب النحو عند بعض الأوائل ، ثم تقسيمات واعرابات عند بعض الأواخر ، وعلى رأسهم ابن هشام : فى كتابه المغنى ، وكان هذا مختلطا بالآراء النحوية المتباينة ، تائهـا بين الخلافات الاعرابية مفرقا فى كتب النحو والبلاغة .

وبقيت دراسة الجملة تتردد على هذا النحو فى الصور المختلفة ونحاول فى هذا البحث أن نقدم دراسة عن الجملة النحوية : نشأة ونظاما ونظما .

يتقدم هذا كمدخل : التعرف على معنى الجملة لغـة .

حـد الجملة

فالجملة لغة : الجماعة غير المنفصلة وجماعة كل شيء : بكماله من الحساب وغيره : يقال : أجملت له الحساب والكلام . والجملة واحدة الجمل(١) .

وقد استخدم ابن بابشاذ الجملة فى هذا المعنى اللغوى فقال : « وأما قولنا : فجملة الأسماء الظاهرة عشرة أنواع(٢) .

كما جاءت الجملة فى القرآن الكريم بمعنى الجمع قال الله تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً »(٣)

بعد ذلك ننتقل الى عناصر البحث الثلاثة : ١

النشأة : أى كيف نشأت الجملة عند النحاة ؟

النظام : أى ما ترتيب أجزائها ونظامها ؟

النظم : أى كيف تختار مادة نظمها ؟

نشأة الجملة :

والمقصود بها الظاهرة التاريخية لدراسة الجملة فى كتب النحاة ، واطلاق هذا المصطلح على كلام معين .

عند نحاة البصرة :

لم يعرف هذا المصطلح عند نحاة البصرة ولم ينقل عنهم . فنرى سيبويه لم يستعمل هذا

(١) انظر مادة (جمل) فى الصحاح ، والقاموس ، واللسان ، والتاج ، والمصباح المنير ، والمعجم الوسيط ، ومعجم مقاييس اللغة .
(٢) الجملة النحوية فتحى الدجنى : ١٦
(٣) سورة الفرقان : ٣٢ .

للدكتور محمد زين العابدين سلامة

المصطلح في كتابه ، كذلك لم يشر الى تعريف مستقل للكلام . ولكنه في مواضع متعددة يستعمل مصطلح الكلام عندما يتحدث عن الجملة فيقول في كتابه « هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وماهو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن ... الخ » .

حينئذ نرى سيبويه يمثل للكلام المستقيم الحسن بجمل نحوية تامة ، فيقول : « فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غدا »(١) .

كذلك نراه لم يتعرض لدراسة الجملة تفصيلا ولكنه أشار الى عناصر الجملة من حيث تركيبها وأجزائها حيث يقول : « هذا باب المسند والمسند اليه ، وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك : الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك : عبدالله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلابد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء »(٢)

ثم تحدث عن دخول النواسخ على الجملة الاسمية ، وعن المتعدى واللازم من الأفعال(٣) .

فاذا نظرنا الى ما كتبه سيبويه في كتابه نلحظ أنه قد تحدث عن تكوين الجملة وأجزائها:

(١) الكتاب ١ ، ٨ ط بولاق ، وانظر ١ ، ١٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، الى ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) الكتاب ١ ، ٧ .
٣ الكتاب ١ ، ١٤ ــ ١٦ .

فقد تحدث عن الجملة الاسمية والفعلية ، كما تحدث عن الفعل اللازم والمتعدى ، ولكنه لم يطلق مصطلح الجملة .

وقد سار النحاة ــ غير المبرد ــ بعد سيبويه على هذا الطريق سيرا دقيقا ، فلم يتعرض أحد لدراسة الجملة اصطلاحا أو اعرابا ولكن كان هناك تعرض لدراسات حول أجزاء الجملة ، حيث أطلقوا عليها مصطلح الكلام(٤) .

أما المبرد : فقد تعرض بوضوح لمصطلح الجملة ــ ولعله أول من استخدم هذا المصطلح من النحاة(٥) وذلك في باب الفاعل حيث يقول : « وانما كان الفاعل رفعا ، لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت ، وتجب بها الفائدة للمخاطب ، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر ، اذا قلت : قام زيد ، فهو بمنزلة قولك : القائم زيد (٦) فنجده قد تكلم على تقسيم الجملة ، كما نجده قد تحدث عن الجملة الفعلية(٧) ، وعن الشرطية(٨) ــ التى أطلق عليها مصطلح الجزاء .

عند نحاة الكوفة :

سار نحاة الكوفة على منهج سيبويه في الكتاب ، فلم يستعملوا مصطلح الجملة ،

(٤) الجملة النحوية ٤٣ .
(٥) الجملة النحوية ٢١ .
(٦) المقتضب ١ ، ٨ .
(٧) المقتضب ١ ، ١٠ ، ١٢ .
(٨) المقتضب ٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢ .

واستعملوا مصطلح الكلام .

فهذا الفراء يطلق مصطلح الكلام في مواضع متفرقة من كتابه معاني القرآن ، فيقول : « وقد وقع الفعل في أول الكلام »(١) وعندما يكون الفعل في أول الكلام فهو ما يسميه النحاة بالجملة الفعلية — وعقب على قوله تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم » بقوله : « يقول القائل : كيف ابتدىء الكلام بلام خافضة ليس بعدها شيء يرتفع بها »(٢) ، أما ثعلب : فقد استعمل مصطلح العربية ومصطلح الكلام ، — ولم يستعمل مصطلح الجملة — حيث يقول . « وليس في العربية اذا قال : قام اخوتك أن يقول : قام هم »(٣) . ويقول مستخدما مصطلح الكلام « قال : ضربتك اياك ، وضربتك أنت ، يجعلون المرفوع مثل التوكيد والعماد ، والتوكيد لا يكون أول الكلام »(٤) .

وأغلب الظن في عدم استعمال ثعلب لمصطلح الجملة مع معاصرته للمبرد الذي استعمل هذا المصطلح ، أنه ربما لم يطلع على كتاب « المقتضب » للمبرد ولم ينتفع به ، اما للتنافس العلمي بين البصرة والكوفة عامة ، وبينهما خاصة ، وأنفته من استعمال اصطلاحات منافسيه ، واما تشاؤما من هذا الكتاب ، كما كانت النظرة سائدة نحو هذا الكتاب حينئذ(٥) .

(١) معاني القرآن ٢ ، ١٠ .

(٢) معاني القرآن ٣ ، ٢٩٣ وانظر استخدامه لمصطلح الكلام في ٢ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٤١ .

(٣) مجالس ثعلب ٢ ، ٥٩٣ وانظر ٢ ، ٥٩٧ .

(٤) مجالس ثعلب ١ ، ١٣٣ وانظر ٢ ، ٥٩٣ ، وانظر المدرسة الكوفية ٣٣٧ .

عند نحاة بغداد :

يبدو أن دراسة الجملة عند نحاة بغداد قد نمت عندهم واتسعت وازدهرت — كما سنرى — ولكن كيف عرف هؤلاء النحاة مصطلح الجملة ، أغلب الظن أنه انتقل اليهم عن طريق المبرد — وهو أول من استعمل هذا المصطلح كما رأينا — فهو قد انتقل الى بغداد واتخذها مقرا له ، يعلم فيها نحوه ونحو البصرة الذ ينتسب اليه ، فلقد كان في حلقته ابن السراج ، وكان من تلاميذ ابن السراج الزجاجي والفارسي(٦) .

لقد عرف نحاة بغداد مصطلح الجملة على أى وضع ، وهم أول من توسعوا في استخدامه — ولكنهم في الوقت نفسه لم يهملوا مصطلح الكلام — وظهر عندهم لأول مرة كتب تحمل أسماء « الجمل » ، مثل كتاب « الجمل » للزجاجي ، ويبدو أنه أول كتاب ظهر يحمل هذا الاسم ، ونفهم منه أنه أراد بالتسمية المعنى اللغوى(٧) ، كما ألف ابن خالويه كتابا يحمل اسم « الجمل »(٨) ، ثم نجد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني يؤلف أيضا كتابا باسم « الجمل »(٩) وقد مال الشيخ عبد القاهر في هذه التسمية الى المعنى اللغوى كما يظهر من مادة الكتاب ، ولكنه

(٥) انظر نزهة الالباء ١٨٣ ، وطبقات الزبيدى ٨١ ، وانباه الرواة ١ ، ١٥٩ .

(٦) نزهة الالباء ١٨٦ .

(٧) انظر ص ١٠ من الكتاب وما بعدها ط/١ بتحقيق ابن ابى الشنب . وانظر الجملة النحوية ٢٦ .

(٨) كشف الظنون ٢/٦٢٣ .

(٩) انباه الرواة ٢/١٨٨ والكتاب مطبوع بتحقيق على حيدر .

فى آخره أشار الى المعنى الاصطلاحى للجملة(١) .

وذهب نحاة بغداد الى أن الجملة والكلام مترادفان تارة ، وتارة أخرى ذهبوا الى أنها مخالفة للكلام .

قال الزجاجي : « باب أقسام الكلام ، فأول ما تذكر من ذلك اجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف » (٢) .

وقال أبو علي الفارسي : « الكلام يتألف من ثلاثة أشياء ، اسم وفعل وحرف » (٣) .

فالزجاجي والفارسي لا يريدان الجمل من هذا التعريف ، بل يريدان « الكلمة » ، وقد يراد من الكلام الجملة ، على ارادة أن الكلام أو الجملة لا يخلو من هذه أو من بعضها .

أما ابن جنى فانه يطلق مصطلح الجملة على الكلام بوضوح ، وانه لا فرق بينهما عنده ، فيقول : « أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو : زيد أخوك ، وقام محمد »(٤) .

ويوضح الزمخشرى ذلك توضيحا تاما ، وانه لا فرق بينهما ، وكل منهما مرادف للآخر فيقول « والكلام هو المركب من كلمتين أسندت احداهما الى الأخرى ، وذلك لا يأتى الا فى اسمين ، كقولك : زيد أخوك ، وبشر صاحبك ، أو فى فعل واسم نحو قولك : ضرب زيد ، وانطلق بكر ، ويسمى الجملة »(٥) .

(١) انظر الجمل ٤٠ .
(٢) الايضاح فى علل النحو ٤١ .
(٣) الايضاح العضدى ٦/١ .
(٤) الخصائص ١٧/١ .
(٥) شرح المفصل ١٨/١ .
وانظر المفصل ٦ ط/٢ بيروت .

وفى آخر كتاب «الجمل» للشيخ عبد القاهر أشار الى المعنى الاصطلاحى للجملة والى مرادفتها أيضا للكلام فيقول « ان الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة ، فاذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو : خرج زيد سمى كلاما وسمى جملة »(٦) ، كما يذكر معنى الجملة الاصطلاحى فى كتابه « دلائل الاعجاز »(٧) ، ثم فى كتابه « أسرار البلاغة » نجده يطلق مصطلح الكلام على الجملة(٨) .

لقد درس عبد القاهر الجملة دراسة واسعة تقوم على المعانى ، مع المحافظة على التنظيم النحوى لها ، وجعله مهما فى تركيب الجملة(٩) ، فقد تحدث عن التقديم والتأخير فى الخبر والاستفهام(١٠) ، وحذف المبتدأ(١١) والجملة الحالية(١٢) والجمل فى العطف(١٣) ، ومتعلقات الفعل(١٤) .

ولكن الحريرى يذهب مذهب النحاة القدماء حيث لم يستعمل مصطلح الجملة ، واكتفى باطلاق مصطلح الكلام ، فيقول : « الكلام عبارة عما يحسن السكوت عليه ، وتتم به الفائدة ، ولا يأتلف من أقل من كلمتين »(١٥) .

(٦) الجمل ٤٠ .
(٧) ص ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٨ .
(٨) ص ٨ وما بعدها .
(٩) دلائل الاعجاز ٥٥ ، ومن اسرار اللغة د. ابراهيم انيس ٣٠٢ والجملة النحوية ٤٤ .
(١٠) دلائل الاعجاز ٩٣ .
(١١) دلائل الاعجاز ٩٦ .
(١٢) دلائل الاعجاز ١٣٥ .
(١٣) دلائل الاعجاز ١٥٩ .
(١٤) دلائل الاعجاز ٢٤٩ .
(١٥) الجملة النحوية .

الجملة النحوية

عند نحاة الأندلس :

نحاة الأندلس لم يستعملوا مصطلح الجمله في الأغلب الأعم ، ولا أستطيع القطع في هذه المسألة لعدم الاطلاع على آثارهم ، على الأقل آثار هؤلاء النحاة التي بين أيدينا لم ير فيها مثل هذا الاصطلاح .

فهذا السهيلي لم يذكر مصطلح الجملة في اماليه ، وكذلك ابن مضاء القرطبي نحا نحوه ولم يشر اليها من قريب أو بعيد في رده على النحاة .

أما ابن عصفور فانه يشير الى مصطلح الكلام فيقول : « الكلام اصطلاحا هو اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيد بالوضع ، وأجزاؤه ثلاثة اسم وفعل وحرف » (١) .

غير أننا نقرأ عند ابن هشام أنه نقل عن ابن الطراوة مصطلح الجملة ، كما نقل أن ابن السيد البطليوسي يذهب الى أن « حتى » لا تعطف على المفردات فقط ، بل تعطف أيضا على الجمل(٢) ، ولا ندرى هل ابن هشام هو الذى استعمل هذا المصطلح ، أو نقله عن الأندلسيين ؟ أغلب الظن أنه من اطلاق بن هشام ، وبخاصة أنه ذكر الجملة في كتابه « المغنى » وقدم لها دراسة اعرابية واسعة ، كما تحدث عن الجملة مصطلحا في أكثر كتبه .

كذلك ابن مالك لم يشر الى الجملة في ألفيته، ولكنه ذكر مصطلح الكلام حيث يقول :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكلم

(١) المقرب ١/٤٥ .
(٢) المغنى ١/١٣٦ .

أما في كتابه « التسهيل » فقد أشار الى مصطلح الجملة بايجاز(٣) ، وهذه هي الاشارة الوحيدة الى مصطلح الجملة عند الأندلسيين فيما رجعت اليه من كتبهم التي تيسرت لي .

عند نحاة مصر والشام :

نحاة مصر والشام كان أمامهم الاختيار من أقوال ومذاهب النحاة السابقين ، كما كانت هناك هجرة النحاة من الأندلس والعراق الى الشام ومصر ، فحصل الامتزاج والتأثر ، مع اضافات واستدراكات ينفرد بها نحاة مصر والشام .

وموقف هؤلاء النحاة من استعمال مصطلح الجملة والكلام ، نعرفه من شرحهم لقول ابن مالك السابق .

فهذا ابن عقيل يشرح ويقول : « الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، وانما قال المصنف « كلامنا » ليعلم أن التعريف انما هو للكلام في اصطلاح النحويين لا في اصطلاح اللغويين ، وهو في اللغة اسم لكل ما يتكلم به مفيدا كان أو غير مفيد »(٤) .

فنجد ابن عقيل لم يشر الى الجملة ، واكتفى بتعريف مصطلح الكلام ، كما فعل ابن مالك ، ولعله يراهما مترادفين .

ولكن الأشموني يفرق بين الكلام والجملة في شرحه للالفية(٥) .

أما ابن هشام فانه يشير اشارة واضحة للجملة ، ويقدمها في دراسة مستفيضة ، فيقول: « الكلام هو القول المفيد بالقصد ، والمراد

(٣) انظر التسهيل ١٦٧ .
(٤) شرح ابن عقيل للالفية ١/ج ١٤ .
(٥) انظر شرح الاشموني للالفية ١/٨ .

بالمفيد مادل على معنى يحسن السكوت عليه ، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ « قام زيد » ، والمبتدأ وخبره كـ « زيد قائم » وماكان بمنزلة أحدهما نحو « ضرب اللص » و « أقائم الزيدان » و « كان زيد قائما » و « ظننته قائما » وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فانه بعد أن فرغ من حد الكلام قال : ويسمى جملة ، والصواب أنها أعم منه ، اذ شرطه الافادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام(١) .

وذهب ابن هشام الى ذلك ، لأنه رأى تعريف الزمخشري للجملة ليس جامعا مانعا ، وذلك لأنهم يقولون : جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وهذا ليس بكلام ، فليسا بمترادفين ، ولذلك قال : هما متغايران ، لأن تعريف القاعدة يجب أن يكون جامعا مانعا .

وابن هشام يعتبر بحق أول من توسع في دراسة الجملة ، وقد حاول أن يكون محافظا(٢) ، حيث انه لم يخرج عن تعريف القدماء للجملة ، سوى معالجته لجملة الشرط والصلة ، وعلى هذا توصل الى أن الكلام أخص منها ، ثم تحدث عن أقسامها واعرابها مفصلا وشارحا(٣) .

ولكن السيوطي يميل الى أنهما مترادفان ، فانه نقل مجموعة لأقوال من النحاة ، وختمها بقوله من يرى أنهما مترادفان ، أما اعتراض ابن هشام بأنهما ليسا مترادفين ، لأنهم يقولون: جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وهذه ليست مفيدة ، والكلام يكون مفيدا ، فيجيب عن ذلك السيوطي ناقلا عن « ناظر الجيش » : وأما اطلاق الجملة على ماذكر من الواقعة شرطا أو جوابا أو صلة ، فاطلاق مجازي ، لأن كلا منهما كان جملة قبل ذلك ، فأطلقت الجملة عليه باعتبار ماكان ، كاطلاق اليتامى على البالغين ، نظرا الى أنهم كانوا كذلك ، ثم تكلم السيوطي بعد ذلك عن تقسيمات الجملة(٤) .

ونختم الكلام على نشأة الجملة عند نحاة مصر والشام بقول عالم لغوي مشهور ، هو قول صاحب لسان العرب ، ففي اللسان «الكلام ماكان مكتفيا بنفسه وهو الجملة » وأيد ذلك بقوله « ومما يدل على أن الكلام هو الجمل المتركبة في الحقيقة قول كثير :

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

فمعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجي ولا تحزن ، ولا تمتلك قلب السامع ، وانما ذلك فيما طال من الكلام ، وأمتع سامعيه ، لعذوبة مستمعه ، ورقة حواشيه » (٥) .

---

(١) المغنى ٢/٣٧٤ . وابن هشام نحوه وتآليفه د. محمد زين العابدين حسن سلامة ١٢٢ .
(٢) الجملة النحوية ٤٨ ـ ٤٩ .
(٣) المغنى ٢/٣٧٤ وما بعدها .

(٤) انظر همع الهوامع ١/١٢ ـ ١٣ والجملة النحوية ٤٩ .
(٥) اللسان مادة « كلم » .

الجملة النحوية

عند النحاة المحدثين :

أما النحاة المحدثون كالأستاذ/عباس حسن، فنجده قد تعرض لمصطلح الجملة ، وأشار الى معناها ، واعتبرها مرادفة للكلام ، فيقـول : « الكلام أو الجملة هـو ما تركب من كلمتين أو أكثر ، وله معنى مفيد مستقل »(١) .

خاتمـة :

وفي خاتمة النشأة أشير الى أنه ورد اطـلاق الكلمة على الجملة ــ التى هى مرادفة للكلام ــ في قوله تعالى« كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُـوَ قَآئِلُهَـا » اشارة الى قول القائل «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » وفي قولـه جـل ذكره « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا »اى : لا اله الا الله .

وفي قوله جل شأنه « تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» .

وفي حديث الصـحيحين (الكلمـة الطيبـة صدقة) .

وفي حـديث النســاء « استحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » ، والمراد قول لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَاخَلَا اللَّـهَ بَاطِلُ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَـالَةَ زَائِـلُ

وقال صاحب اللسان : « كلمة التوحيد لا اله الا الله » .

والمراد ــ كما قال ابن هشام والسيوطي ــ المعنى اللغوى ، أى أن الكلمة تطلق لغـة على الجمل المفيدة(٢) .

نظام الجملة :(٣)

تخضع الجملة لنظام معين في ترتيب كلماتها ، ويلتزم هذا الترتيب في تكـوين الجمـل ، فاذا اختل هذا النظام لم يحقق الكلام الغرض منـه وهو الافهام ، فمفردات اللغة لا تمثل الا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة ، فاذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين ، سرت فيها الحياة ،وعبرت عن مكنون الفكر ، ومايدور في الأذهان ، فاللغة في حقيقة الأمر ماهي الا نظـام من الكلمـات العمد والفضلات ــ كل كلمة على حسب موقعها في الجملة ــ ارتبط بعضها ببعض ارتباطا تحتمه قوانين معينة .

ولكى نعرف هذا النظام علينا أن نحدد معالم الجملة من العمد ومن الفضلات ، ويكون ذلك من الاستعمالات اللغوية التى تواضع النـاس على افادتها واستقلالها بالمعنى .

فالجملة في أقصر صورها هى أقل قـدر من الكلام يفيد السـامع معنى مستقلا ، فكل الذى يجب أن يشترط في الكلام لئلا يكون لغوا ، هو حصول الفائدة وتمامها ، وتشتمل الجملة في هذه الحالة على ما يسمى بالمسـند والمسـند اليه وحدهما ، أى شيء ينسب اليه أمر من الأمور ، فالشيء هو المسند اليه ، والأمر هو المسـند ،

(١) النحو الوافي ١/١٥ .

(٢) انظر شذور الذهب ١٢ ، والهمع ١/٣ ، والجملة النحوية ٣٨ ، ولســان العرب مادة « كلم » .

(٣) انظر من اسرار اللغة د. ابراهيم أنيس ٢٩٥ ــ ٢٤٨ الطبعـة الرابعة وكتب النحـو والبلاغة .

والمسند والمسند اليه هما الركنان الأساسيان اللذان يكتفى بهما فى هذه الجمل الصغيرة ، وذلك نحو قوله تعالى « فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً »(١) .

ولكن الجملة تتضمن فى الأغلب الأعم أمورا أخرى — هى الفضلات أو المتعلقات — تطول بها الجملة ، مثل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً »(٢) فالمسند اليه فى الآية قوم معينون من الناس ، وقد أسند اليهم ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها ، وقد جاء هذا الاسناد فى صورة من الكلام مطولة(٣) ؛ لأن الجملة اشتملت على المسند والمسند اليه ، وكثير من الفضلات أو المتعلقات .

اذن فالجملة فى أقصر صورها أو أطولها ، تتركب من ألفاظ ، هى مواد البناء التى يلجأ اليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر ، يرتب بينها وينظم ، ويستخرج لنا من هذا النظام كلاما مفهوما ، تطمئن اليه ولا نرى فيه خروجا عما ألفناه ، فى صور وصيغ كلامنا العربى .

وحين نحاول البحث عن نظام الجملة العربية فى كتب القدماء ، يندر أن نرى منهم من قصر على مثل هذا البحث كتابا مستقلا ، أو فصولا فى كتاب ، حتى جاء عبد القاهر الجرجانى ، فعنى بهذا الأمر كل العناية فى كتابه « دلائل

---

(١) مريم ٢٦ .
(٢) النساء ٥٧ .
(٣) المرجع السابق ٢٧٧ .

الاعجاز »(٤) ، فقد عرض فى هذا الكتاب لشىء من نظام الجملة ، حين تحدث عن التقديم والتأخير مع الاستفهام والنفى والخبر المثبت ، وحين تحدث عن الفصل والوصل ، وحين تحدث عن القصر ...

وقد حذا حذوه وسلك مسلكه أولئك الذين جاءوا بعده من البلاغيين ، كـ « السكاكى » و « الخطيب القزوينى » و « السبكى » وغيرهم من البلاغيين ، وهم حين يتحدثون عن نظام الجملة يتحدثون عنه فى مواضع متناثرة من كتبهم ، حين يتحدثون عن الفصاحة فى الكلام ، وحين يعرضون لأحوال المسند والمسند اليه — وبخاصة مبحث التقديم والتأخير — وأحوال متعلقات الفعل ، وحين يتحدثون عن القصر ، أو عن الفصل والوصل .

أما النحاة فقد قسموا علمهم تقسيما تقليديا ، ورثوه عمن قبلهم ، وبوبوه على ذلك النظام المألوف المعروف فى كتبهم ، ولذا نرى بحثهم فى ترتيب الكلمات ، قد جاء متناثرا فى تلك الأبواب ، يكاد ينتظم معظم أبواب النحو .

موضع المسند اليه فى الجملة :

لاشك أن تحديد موضع المسند اليه فى جملة من الجمل يترتب عليه أن يتحدد أيضا موضع المسند ، فتقدم أحدهما يستلزم بالتالى تأخر الثانى ، والعكس بالعكس .

---

(٤) انظر من ص ٦٠ — ١٨٠ ، ومن ٢٢٦ — ٢٥٧ .

الجملة النحوية

ولكى نحدد موضع المسند اليه نقسم الجملة الى :

اولا : الجملة التى لا تشتمل على فعل .
ثانيا : الجملة التى تشتمل على فعل .

اولا : الجملة التى لا تشتمل على فعـل :

وهذه هى التى جرى عرف النحاة والبلاغيين على تسميتها بالجملة الاسمية ، ويغلب أن يكون المسند اليه فيها اسما ، والمسند وصفا مشتقا ، فاذا كان المسند فيها اسما جامدا أولوه بمشتق، وذلك ليتحقق فيها ركنا الاسـناد ، واذا كان المسند جارا ومجـرورا او ظرفا أو لو بكلمـة « مستقر » .

والجمل الاسمية هنا ثلاثة انواع :

النوع الأول : جمل يكون فيها المسـند اليه معرفة والمسند نكرة ، وهذه قسمان متميزان فى نظام كلماتها .

١ ــ قسم يكون فيها المسند وصفا منكرا أو اسما منكرا ، وترتيب الجملة يكون بذكر المسند اليه ، فالمسند ، تقـول : محمد فاهم ، والنصر فتح ، ولا يصح العدول عن هذا النظام الا حين تبدأ الجملة بنفى أو استفهام ، تقول : أكاتب أنت ؟ فالمسند فى هذا المثال وهو وصف مشـتق لا تعريف فيه ، تقدم على المسند اليه ، وقـد تقـدم مع تنكيره بفضـل الاعتمـاد على الاستفهام ، ويمكن أن يقال مثل هـذا حـين يكون المسند اسما منكرا لا وصفا مشـتقا . تقول : هل فتح النصر ؟ وهل النصر فتح ؟

٢ ــ وقسم يكون فيها المسند شبه جملة ، أى الجار والمجرور أو الظرف ، ولا فرق هنـا بين أن يتقدم المسند أو يتأخر ، فالتعبيران جائزان مقبولان ، تقول : الحمد لله ، ولله الشـكر ، والكتاب فوق المكتب ، وفوق المكتب الكتاب ، غير أن الكاتب قد يؤثر أحدهما فى موضع ما ، ويؤثر الآخر فى موضع آخر ، ولا يكاد يختلف المعنى فى كلتا الحالتين ، فالفرق بينهمـا فرق أسلوب ، فاختيار أحد الأسلوبين يرجع الى تلك النـواحى الفنية التى تتـأثر بمزاج الكاتب ، وموسيقى الكلام ، وعلاقة الجملة بما يليها وبما يسبقها ، ويظهر أن صفة التعدد فى المسـند أو المسند اليه تجعل معظم الكتاب يؤثرون تأخـير المتعدد منهما ، فيقال : الكتاب لك ولأصدقائك ولزملائك ، ويقال أيضا : لك الكتاب والكراسة والقلم ، فالمثال الأول تعدد فيه المسند فحسن تأخيره ، وفى المثال الثانى تأخر المسند اليه لأنه تعدد .

النوع الثانى : جمل اسمية يكون فيها كل من المسند والمسند اليه منكرا ، وقد عنى النحـاة بتلك الجمل الاسمية التى يكون فيها المسند اليه منكرا ، ووصفوا لنا حالاتها ، ومثلوا لكل حالة، وليس يعنينا منها هنا الا حالتان :

الحالة الأولى : حين يوصف المسـند اليـه بوصف يخصصه أو يقلل من عموميته ، مثل قوله تعالى « وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ(١) » ، وهنا تلتزم الجملة صورة واحدة ، يتقدم فيها المسند اليه على المسند .

---

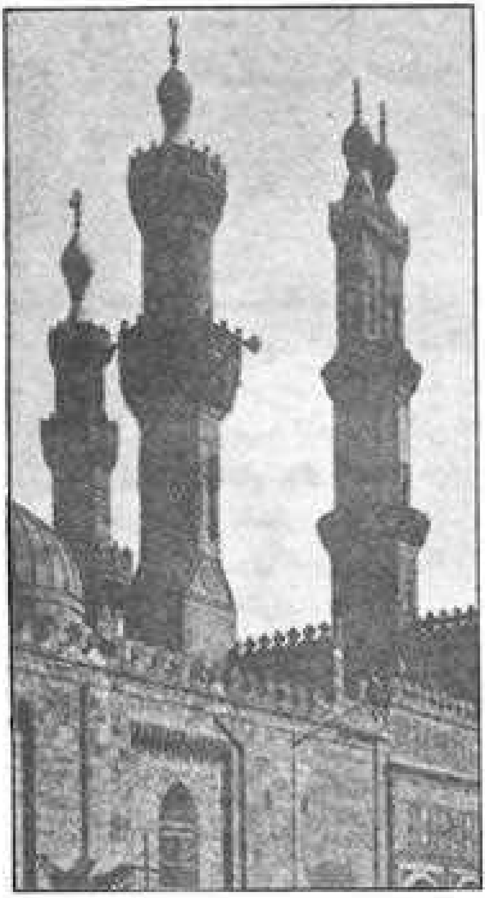
(١) البقرة ٢٢١ .

الحالة الثانية : حين يكون المسند جارا ومجرورا أو ظرفا وهنا نرى الجملة غير المعتمدة على نفى أو استفهام تلتزم صورة واحدة عليها يتقدم المسند ، تقول : فى الأزهر رجال ، فاذا اعتمدت هذه الجملة على نفى أو استفهام جاز تقديم المسند وتأخيره ، تقول : أطالبات فى الكلية ، كما تقول أيضا : أفى الكلية طالبات ، وكذلك الحال اذا اعتمدت الجملة على نفى ، والمعنى فى التقديم والتأخير واحد ، ولا يعدو أن يكون هذا فرق أسلوب ، وعلى كل هذا فرق بين الجملة المثبتة والمنفية فى نظام كل منهما .

النوع الثالث : جمل اسمية يكون فيها كل من المسند والمسند اليه معرفة ، نحو : الكاتب زيد ، والترتيب هنا بين المسند والمسند اليه لا يعدو أن يكون أمر أسلوب ، اذ لا يكاد المعنى يختلف بتأخير أحدهما أو تقديمه ، ولكن هناك صعوبة فى التمييز بين المسند والمسند اليه ، فأيهما المسند ؟ وأيهما المسند اليه ؟

للنحاة وعلى رأسهم سيبويه كلام كثير وخلاف كبير فى هذا(١) ، ولكن يبدو أن المسند اليه فى هذه الحالة هو المتحدث عنه ــ كما سبق أن قلنا فى تعيين المسند اليه عامة ــ أى الشىء الذى نعنى بالحديث عنه ، ونهدف الى نسبة صفة له ، فمعرفة ظروف الكلام وملابساته تيسر لنا التمييز بين المسند والمسند اليه فى مثل هذه الجمل .

ومما تتميز به الجمل الاسمية فى هذا النوع ، الميل الى تأكيد المحكوم عليه فيها بضمير منفصل



يقع بين الركنين ، مثل قوله تعالى «قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »(٢) .

---

(١) انظر اسرار اللغة ٣٢٤ ، والمغنى ٢٣٢/٢ ــ القاعدة العاشرة .

(٢) المائدة ٧٦ .

شاعران وممدوحان

في مقالات سابقة اشرت الى ان الشعراء في العصر الأموي ازداد تكسبهم بالشعر ، لانه العصر الذي كثرت فيه الاموال ، وظهرت فيه الاحزاب التي تتقاتل في سبيل الحكم ، ومن الشعراء من كانوا ذوي فطنة يقصدون رجال الحكم او القادة او ذوي البيوتات العريقة فيجدون العطاء والاكرام ، ومنهم من كانت تضيع الطريق بين قدميه فيرجع بخفي حنين .

والشاعران اللذان أتحدث عنهما اليوم هما : أبو وجزة السلمي ، وأبو زيد الأسلمي : أما الأول فقصد آل الزبير ، وأما الآخر فقصد ابراهيم بن هشام المخزومي ، والتقيا في طريقهما الى المدينة واصطحبا .

فقال أبو وجزة ، هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الأسلمي : كلا ، انا امدح الملوك — يعني ابراهيم بن هشام المخزومي وكان والي المدينة من قبل ابن اخته هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي — وأنت تمدح السوق . فلما دخلا المدينة حدث ماخيب ظن أبي زيد الأسلمي وسيأتيك الخبر مفصلا بعد :

ذهب أبوزيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده « يابن هشام يا أخا الكرام » فقال ابراهيم : وانما أنا أخوهم وكأني لست منهم ، ثم أمر به فضرب بالسياط . وذهب أبو وجزة الى آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هي لك في كل سنة . وقد نتج عن الموقفين شعر لكل من الشاعرين عني أبو العباس المبرد به وغيره وسنذكره بعد اعطاء فكرة عن العصر وعن رجاله .

جموع الفراسة عند الأسلمي

مما لا جدال فيه أن أبا زيد الأسلمي قد أخطأ خطأ كبيرا ، فقد جال في ذهنه أن ابراهيم بن هشام اكثر مالا وأعلى قدرا من آل الزبير لأنه والي المدينة ، ولم ينظر الى الزبيريين ومنزلتهم في قريش وفي العالم الاسلامي ، فالزبيريون ينسبون الى الزبير بن العوام ، والزبير من رهط خديجة زوج الرسول — صلى الله عليه وسلم — وجده أسد بن عبد العزى من ولد قصي بن كلاب ، والخلافة بعد عمر رضي الله عنه لم تخرج من بني قصي ، فهي اما في بني هاشم أو بني أمية وكلاهما من عبد مناف بن قصي ، واما في بني الزبير .

وكان عبد الله بن الزبير خليفة المسلمين لمدة تسع سنوات له كل الدولة الاسلامية ماعدا دمشق ثم كانت له ماعدا الشام ومصر ، وكان

للأستاذ السيد حسن قرون

أخوه مصعب والى العراق والعرب تلقبــه بالملك . ملك العراق ويمتد أمره الى الفرس وماوليها من الشرق ، فالزبيريون أمراء ولهم مواقف مع بنى أمية وخطوب ومواقف مع بنى هاشم ، ولو بايع الهاشميون عبد الله بن الزبير لساد العالم الاسلامي كله ، ولذلك قبض على خمسة عشر منهم وأراد احراقهم لولا جيوش الشيعة التي قدمت من العراق فأنقذتهم . ولما سقط ملكهم بقيت لهم أموالهم وممتلكاتهم ومجدهم ، والعرب تعترف لهم بذلك وبقى لهم هذا الشأن فى العصر الأموى وصدر من الخلافة العباسية . ومما قصه علينا أستاذنا عبد الفتاح بدوى مدرس العروض والقوافى بكلية اللغة العربية ــ رحمة الله عليه ــ أن أحد الزبيريين فى عهد أبى جعفر المنصور حضر حفلا فيــه راقصة تغنى ، فأعجبته فأعلن مبايعته اياها بالخلافة ، فقال أبو جعفر المنصور حين بلغــه ذلك : الآن انتهينا من منازعة آل الزبير فى الخلافة .

وقد كان الزبيريون يردون مفاخر بنى أمية ولا يجد الأمويون منفذا للنفى منهم ، ومــا دونته كتب الأدب من أن عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ قال للزبير حين فخر بأمه (صفية بنت عبد المطلب) : أدنتك من الظل ولكنت ضاحيا لايكون ، لأن أبناء قصى على قدم المساواة فى المنزلة عند قريش وغيرها . واذا كان عبد مناف من أبنائه رسول الله فهذا شرف للعرب جميعا ولو خصصنا لكان شرفه لبنى هاشم فقط وهذا لايقوله أحد ، فهو رحمــة مهداة الى الناس جميعــا .

يروى الأمويون أن خالد بن يزيد بن معاوية قال شعرا فى زوجه آمنة بنت سعيد هو :

فتــاة أبوهــا ذو العصــابة وابنــه
وعثمـان ما أكفــاؤها بكثــير
فــان تفتلتهــا والخــلافة تنقلب
بأكــرم علقــى[1] منبــر وسرير

فأبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاص ابن أمية ، والحقيقة أنه جدها لأن أباها هــو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وذلــك أن قومه يذكرون أنــه كان اذا اعتم لــم يعتم قرشى اعظاما لــه وينشدون :

أبو أحيحــة من يعتــم عمتــه
يضرب وان كان ذا مــال وذا عــدد

قال المبرد : ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع . وأزعم أنــا أن شــعر خــالد موضوع أيضــا ، لأن خالدا جعل عثمــان من الأدنين فى نسبها ، وخالد وعثمان ســيان فى النسب اليها ، فجد خالد حرب بن أمية أخــو العاص بن أمية (جد الفتاة) وأخو أبى العاص ابن أمية (جد عثمــان) وأخــو العيص وأبى العيص الى آخر الاخــوة ، فــلا حاجــة الى تخصيص عثمان بالقرابة والفخر ، ولو كــان الشعر لخالد لما عــدل بحرب وأبى ســفيان ومعاوية أحدا ، لأن مركز السيادة فى بنى أمية

---

(١) مثنى علق وهو النفيس .

شاعران وممدوحان

حرب وأبناؤه ، وهم الذين نازعوا على بن أبى طالب ، فى الخلافة . ومعنى تنتلتها تأخذها فجاءة ، والعلق الشىء النفيس ، والشعر جعل سريرها يعادل منبر الخلافة .

وانما سقت اليك كل هذا لأبين أن أبا زيد الأسلمى خانته فراسته فى قياس مروءة الرجال وتغير الأحوال لاينزل من أقدار الكرام ، وقد كان بنو هاشم مقصيين عن الرياسة ومع ذلك — فى هذا العصر — كانوا يقصدون ويمدحون ويجد الناس عندهم طعاما وعلما وجوائز سنية ولك أن تقرأ أخبار أجداد العرب فى الاسلام فستجد فى المقدمة عبيد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر والشاعران حين ذهبا الى المدينة كانت الخلافة فى عنق هشام بن عبد الملك الأموى ، وهشام تولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ بعد أخيه يزيد بن عاتكة ، وهلك سنة ١٢٥ هـ فما قاله الشاعران وقع فى عهده .

بعد نظر السلمى

وقد وفق أبو وجزة السلمى فى انتجاعه آل الزبير ، وأبو وجزة ربى فى بنى سعد بن بكر أظئار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد ينسب اليهم فيقال « أبو وجزة السعدى » وجاءت تربيته عندهم لسباء حدث لأبيه وهو صبى فبيع لرجل من بنى سعد بن بكر وكبر عندهم ، فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه . ذهب اليه وقص عليه قصته . فقال عمر : « لاسباء على عربى » وخيره فى المقام بين بنى سعد وبين مغادرتهم فعاش بينهم ، وابنه أبو وجزه يعد من التابعين وعاش فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ليمدح آل الزبير .

ولم يكن أبو وجزة وحده هو الذى يرحل الى آل الزبير لينال جوائزهم بل كثير من الشعراء كانوا يقصدونهم ، يحكى المبرد حين تعرض للغناء والمجيدين فيه أن الشاعر موسى شهوات قال لمعبد المغنى أقول شعرا فى حمزة ابن عبد الله بن الزبير وتتغنى أنت به فما أعطاك من شىء فهو بيننا فقبل معبد وقال موسى :

حمزة المبتاع بالمال الثنا
ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان اعطى عطاء كاملا
ذا اخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنه مجحفة
برت المال كجرى بـ سفن
حسرت عنه نقيا لونه
طاهر الأخلاق ما فيه درن

فأبو وجزة لم يخطىء الهدف ، ولم يمدح من يكدر العطاء بمن ، وانما أعطاه الزبيريون ستين وسقا من تمر وجعلوها مفروضة عليهم كل سنة ، ونافته لاتستطيع حملها فأعطوه بها كتابا ، كما نفعل اليوم بكتابة (شيك) مبين فيه المبلغ ، والوسق خمسة أقفزة بملجم البصرة ، وفى الحديث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » هكذا يفسره المبرد ، فكم كيلة هذه الأوسق ؟ فى فقه السنة جعل نصاب الزكاة خمسين كيلة وهى خمسة أوسق ، فتكون الستون وسقا ستمائة كيلة حسب المعمول به فى مصر .

فماذا قال أبو وجزة في هذا الأمر ؟ قال :

راحت رواحـــا قلوصي(١) وهي حامدة
آل الزبـير ولـم تعـدل بهـم احـدا
راحت بسـتين وسـقا في حقيبتهـا
ما حملت حملهـا الادنى ولا السددا(٢)
ما ان رايت قلوصـا قبلهـا حملت
سـتين وسـقا ولا جابت بـه بـلدا
ذاك القـرى لاقـرى قـوم رايتهم
يقـرون ضيفهم الملوية (٣) الجـددا

وماذا قال صاحبه أبو زيد الأسلمي وقد قراه ممدوحه السياطالجدد ؟ قال وقد عرف الحقيقة؟

مـدحت عروقا للنـدى مصت الثرى
حديثـا فـلم تهمـم بـأن تتزعزعـا
نقـائذ بـؤس ذاقت الفقـر والغنى
وحلبت الأيـام والدهـر اضرعـا
سقاها ذوو الأرحـام سجلا على الظمـا
وقـد كربت اعناقهـا ان تقطعـا
بفضـل سـجال لو سـقوا من مشى بها
على الأرض ارواهم جميعا وأشـبعا
فضمت بأيديهـا على فضـل مائهـا
من الـرى لمـا اوشكت ان تضلعـا
وزهدهـا ان تفعـل الخيـر في الغنى
مقاساتها من قبـله الفقـر جوعـا

وهذا الشعر يقتضينا القـاء الضوء على التغيرات التي حدثت للأسرة في العهد الأموي ومنها بنو مخزوم ، ارتفع شأن بني مخزوم في عهد الخليفة الأول ارتفاعا عظيما بما قام بـه خالد بن الوليد من بطولة رائعة جعلت العقـاد يراها عبقرية ، فكان كتابه « عبقرية خـالد » وكان معه أبناء عمه فأبلوا في الحروب الاسلامية بلاء حسنا ، ثم عزل خالد ، وعاش أبناؤه بعده في الشام ، وكان ميل بني مخزوم عند أمـر الشورى لعثمان بن عفان ولكنهم لم ينالوا من خلافته ما أملوا ، فتحولوا الى العطف على بني هاشم ولاسيما الحسين ، ولم ينالوا امارة ولا قيادة حتى جاء هشام بن عبد الملك خليفة فنظر الى خاليه : محمد وابراهيم فولاهما عن خمول كما يقول المبرد ، ويخيل الى أنهما لم يكونا في مستوى المسئولية ، وأنهما كأختهما أم الخليفة حمقاء وقد طلقها عبد الملك وهي حامل بهشام ، وربى هشام بعيدا عنها ، وكانا لاهم لهمـا الا اقصاء ولي العهد عن حقه في الخـلافة وهـو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان جزاؤهمـا القتل والتنكيل بعد وفاة هشام وتولية الوليد .

ومن حمق ابراهيم ممدوح أبي زيد الأسلمي انه ما ان سمع مطلع الشعر فيه حتى أمر بضربه بالسياط لأنه خاطبه بقوله « يابن هشام يا أخا الكرام » وأخا هذه استخدمها القرآن كثيرا فلم يعبها أحد ، وانما هي الغطرسة وسوء الخـلق وضعف الوازع الديني ، والعاقل لايفعل ذلك بمدحه شاعر ، فان لم يعجبه الشعر فليتصدق عليه أو فليصرفه عنـه بالاعراض عن سـماع شعره .

انما الضرب دون جريرة فهـذا نهـاية في الغلظة والتجبـر والخـروج عـن المألوف . وابراهيم هذا ينتهي نسبه الى الوليد بن المغيرة من ولد هشام بن الوليد ، وقد كان الوليد غنيا في الجاهلية ، ولكن ظروف الحياة تغيرت ، ونحن الآن في القرن الثاني للهجرة ، ولابد أن يكون

---

(١) ناقتي الشابة .
(٢) المقارنة .
(٣) السياط .

شاعران وممدوحان

ابراهيم وأخوه محمد قد ذاقا الفقر طويلا فلما وليا وصارا من الامراء السوقة ضنا بالمال وضنا بالكلمة الطيبة ، وكانا عبئا على الخليفة ، والشعر الذى قاله الشاعر في ابراهيم يصف واقعه وصفا دقيقا ، فهو حديث الغني لاتأخذه الأريحية فيهتز للكرم ، لقد أنقذ من البؤس بعد أن تقلبت به الأيام وعرف الجوع والشبع ، ولم يعرف الشبع بجهده وانما وصل اليه من ذوى الأرحام وهو هشام الخليفة ، بفضل من ماله وهذا الفضل كثير يسع الكثير من المحتاجين ، فقد شبعوا حتى اتخموا ، وأمسكوا بما ملكوا حتى جشعوا .

وزهدها ان تفعل الخير في الغنى
مقاساتها من قبله الفقر جوعا

ومن شبع بعد الجوع ، واغتنى بعد الفقر أشد الناس حرصا على المال وجمعه . وقد وجد المبرد بغيته في شعر أبي زيد ، فشرح بعضه ونحا ببعضه نحو النحو ، فتحدث عن أفعال المقاربة ، ولا بأس بالالمام بما قاله ، فنحو المبرد يعطى النحو واللغة والأدب معا .

واذا جئتك بما عنى به فانما أجيئك بخلاصة لأنه أمام كل كلمة لغوية يشرح ويستشهد ويوثق اللغة فهي لغة تتصل بالرواة ، ونسب مفرداتها معروف موصوف ، ولذلك تقول هذه لغة تميم أو أهل العالية أو لغة هذيل الى آخر اللغات أي اللهجات فعند قول أبي زيد « فلم تهمم بأن تزعزعا » يقول ، فانما هذا مثل ، يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم ابن نويرة في وصف أخيه مالك بن نويرة :

تراه كنصل السيف يهتز للندى
اذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا

ولايكتفى بهذا البيت وهو كاف بل يسوق في ذلك بعده شاهدين ويعلق على كل لفظ يتصل بالاهتزاز للندى من الترعزع والاريحية والسرور بما يعطى كأنه أخذ . وقوله « نقائذ بؤس » يجيء شرحه على هذا الوجه : وأحدتها « نقيذة » وتأويله انهم أنقذوا من بؤس ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول : هذا نقيذة بؤس تقع الهاء و (التاء) للمبالغة لأن أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله ، وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقد الكريمة والخصلة الكريمة . وفي الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » وتقول العرب للرجل راوية ونسابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علامة وقد تلزم الهاء (التاء) في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لاتنزع الهاء منه ، فأما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائز فيه ، ولايبلغ في المبالغة مانبلغه الهاء . وقوله : « وحلبت الأيام والدهر أضرعا» فانه مثل يقال للرجل المجرب للأمور : فلان قد حلب الدهر أشطره أى قد قاسى الشدة والرخاء وتصرف في الفقر والغنى كما قال القائل :

قد عشت في الناس اطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ومعنى قوله « أشطره » فانما يريد خلوفه ، يقال حلبتها شطرا بعد شطر ، وأصل هذا من التنصف لأن كل خلف عديل لصاحبه ، وللشطر وجهان أحدهما النصف كما ذكرنا من ذاك قولهم شاطرتك مالي والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أي قصده . قال الله عز وجل : « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (أى قصده) وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » (١) ثم يذكر شعرا بعد هذا .

وقوله « شماها ذوو الأحلام سجلا على الظما » فالسجل في الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها ، يقال للدلو وهي مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران ، والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة . ويقال فلان يساجل فلانا أي يخرج من الشرف مثل مايخرج الآخر . وأصل الساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل مايخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك (الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب) في قوله .

من يساجلني يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب .

وسمعه الفرزدق الشاعر وهو ينشد فقال : أنا أساجلك ثقة بنسبه فقيل هذا (الفضل ..) فقال ما يساجلك الا من عض . وذكر كلمة قبيحة . ونسب الفضل لايعلوه نسب ، وبعد بحث غير قصير في الدلو وأخواتها يقول في قول الشاعر « وقد كربت أعناقها أن تقطعا » سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب في معنى المقاربة . وهنا يدخل في النحو

ونحن على علم بأفعال المقاربة وأنها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر ، ويقسمونها الى أفعال مقاربة مثل (كاد وكرب وأوشك) وأفعال رجاء مثل (عسى) وأفعال الشروع مثل (أخذ وأنشأ وطفق) ولكنه يقدمها لك بهذه الأناقة ، يقال ، كاد يفعل ذلك ، وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك ، ويقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فأما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناها أنه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن (وهكذا كل أفعال الشروع مثل طفق أنشأ وبدأ ...) فان لا تستعمل بعد واحدة منها الا أن يضطر شاعر . قال الله عز وجل ، « إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا » أى لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد .

وكذلك «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(٢) » وكذلك « كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ (٣) » بغير أن . ومن أمثال العرب : كاد النعام يطير . وكاد العروس يكون أميرا . وكاد المنتعل يكون راكبا . وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال « وقد كربت أعناقها أن تقطعا » فكاد بمنزلة كرب في الأفعال والمعنى وقوله : « ولما أوشكت أن تقطعا يقول لما قاربت ذلك ، والوشيك للقريب من الشيء والسريع اليه ، يقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا والماضي منه أوشك وقعت بأن وهو أجود ، وبغير أن كما كان ذلك في لعل — ولعل حرف من أخوات ان وانما أدخلها هنا المبرد من أجل أن ومثل لها

(١) سورة البقرة ١٥٠ .

(٢) النور ٤٣ .
(٣) التوبة ١١٧ .

شاعران وممدوحان

بقوله : تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة . قال الله عز وجل : «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» ..

وقال متمم بن نويرة :

لعلك يوما أن تلم ملمة .

عليك من اللائي يدعنك اجدعا (١) .

ولم يفعل النحاة فعله فهم يذكرون الأفعال فقط ولايبحثون في الحروف ، ولكن المبرد ينفرد بما فعل ، لأنه لغوى نحوى وأديب وأخبارى أيضا . قال ، وعسى الاجود فيها أن تستعمل بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل : « فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ » (٢) ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هوبة .

عسى الكرب الذى امسيت فيه .

يكون وراءه فرج قريب

ونحن اليوم عند درسنا لتلك الأفعال نضع اوشك وعسى معا من حيث دخول أن على خبرها ، ونذكر ما ذكره المبرد .

وبعد هذا الكلام يعتذر المبرد قائلا : « وحروف المقاربة ــ يقصد أفعالها ــ لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب (المقتضب) بغاية الاستقصاء » .

وقوله «أن تضلعا» معناه أن تمتلىء وأصله أن الطعام والشراب يملئان الأضلاع فيكثانها كذلك قال الأصمعي في قولهم : أكل حتى تضلع

وأنت ترى المبرد لم يشرح الشعر كما نشرحه الآن ، فنحن نشرح الألفاظ الغريبة ثم نذكر المعنى الكلى للشعر ثم نبين ما في أبياته من بلاغة ، ولا نتعرض للنحو الا بقدر ، وصنيعه غير مردود ، فهو يكتب لأناس يفهمون المعنى ويركز هو على مايحتاج الى الشرح والتنويه ، على أنه يوثق للغة ، وأن ما يذكره جدير بالحفظ والتقيد به حتى يجيء التعبير سليما من الخطأ جاريا على أساليب العرب .

وقد كان تعليقه على أبى وجزة قليلا ، لذا لم أذكره في هذا الصدد (٣) .

وقد كانت رحلة الشاعرين الى المدينة للاستجداء بالشعر ونجاح أحدهما واخفاق الآخر سبيلا الى اثراء اللغة بمعان تكاد تكون مبتكرة وألفاظ مختارة فيها جمال وأناقة وما اجمل قول ابى وجزة في حديثه عن حمل قلوصه .

راحت بستين وسقا في حقيبتها

ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

فهو معنى مبتكر ، لان صاحبها أخذ صكا بما يوجب هذا المقدار من التمر ، وهو غير المعنى الذى ذهب اليه الأعشى في قوله :

وان عتاق العيس سوف يزوركم .

ثناء على اعجازهن معلق

فانما أراد المدح الذى تحدى به النوق البيض وهى « العيس » والحادى من ورائها كما ان الهادى امامها ، وشتان بين الحداء وحمل العطاء وكل افتنان في التعبير وابداع في الاداء ، كم في الشعر العربى من جمال وجلال وبهاء .

---

(١) مصابا بقطع الانف او الاذن والمراد الاصابة مطلقا .

(٢) المائدة ٥٢ .

(٣) راجع باب ١٧ من كتاب الكامل .

من المراجع

الكامل للمبرد

الاغانى : اخبار ابى وجزة .

اخبار الوليد بن يزيد

تفسير النسفى

مختار الصحاح

فقه السنة للشيخ سيد سابق .

تغطية الإسلام

تأليف : إدوارد . و . سعيد

عرض وتعليق : د . طه مصطفى أبوكريشة

كيف تتحكم وسائل الاعلام الغربي في تشكيل وإدراك الآخرين وفهمهم ؟!

١

هذا الكتاب هو الترجمة العربية التي صدرت في طبعتها الاولى سنة ١٩٨٣ عن مؤسسة الابحاث العربية ببيروت ، وقامت بالترجمة سميرة نعيم خوري عن النص الانجليزي للطبعة الامريكية الاولى الصادرة في نيويورك سنة ١٩٨١ حيث يعمل المؤلف استاذا للادب الانجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك .

والكتاب قائم على مقدمة وثلاثة فصول وملحق بالهوامش التي تشير الى المصادر والمراجع التي استعان بها المؤلف في ثنايا عرض الكتاب .

والمقدمة تقدم تفسيرا وتوضيحا للتسمية التي قد يفهم من ظاهرها غير ما يراد منها ، ومع التوضيح والتفسير يظهر هدف المؤلف من تأليف الكتاب .

أما الفصول الثلاثة فتتناول هذه الموضوعات على الترتيب : الاسلام في الاعلام — قصة ايران — المعرفة والقوة .

أما ترجمة الكتاب فشأنها شأن كثير من الترجمات اللبنانية المعاصرة التي تتسم بشيء من غموض الفكرة والعبارة الى جانب تردد بعض الالفاظ المنحوتة من مصطلحات أجنبية ، الامر الذي قد يعطي أسلوب الكتاب شيئا من العجمة اللفظية ، لكن ذلك ليس بالامر الكثير .

٢

أما تسمية الكتاب « تغطية الاسلام » فان لفظ التغطية ليس معناه الاخفاء كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة ، وانما هو مأخوذ من استعمال « اعلامي » حين تتناول أجهزة الاعلام

>

تغطية الاسلام

موضوعا معينا ، فتذكر كل ما يتصل به ف تعبئة اخبارية تشمل الموضوع من جوانب متعددة ، فيقال انها غطته اخباريا ، وهذا ما أشار اليه المؤلف ف مقدمة الكتاب بقوله « ف غضون السنوات القليلة الماضية خاصة منذ أن استولت الاحداث ف ايران على الاهتمام الاوربى والامريكى استيلاء بالغا ، اتجهت وسائل الاعلام لتغطية الاسلام : لقد قامت بعرضه وبسطه وتصويره ، وتحديد خصائصه وتحليله ، وتوفير مساقات فورية حوله ، ونتيجة ذلك جعلت الاسلام معروفا » (١٠) ثم ينتقل المؤلف الى بيان الهدف من تأليف الكتاب فيقول •• ولكن هذه التغطية زاخرة بالمغالطات •• ولقد زودت هذه التغطية مستهلكى الاخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الاسلام دون أن تشعرهم ف الوقت نفسه بأن القسط الأوفر من هذه التغطية النشطة انما يقوم على مادة هى أبعد ما تكون عن الموضوعية » ثم يقول « ولقد رافق هذا النوع من التغطية الكثير من التعمية » ويفسر ذلك بأن كثيرا من الذين تولوا التعبئة الاخبارية كانوا يرسلون دون أعداد أو خبرة تؤهل لذلك « بل يكمن المؤهل الوحيد ف براعتهم ف التقاط الاشياء بسرعة »

ويرتب المؤلف على ذلك أن الهدف هو كشف هذه المغالطات البعيدة عن الموضوعية ، وابراز هذه التعمية المبنية على الجهل وسوء الفهم •

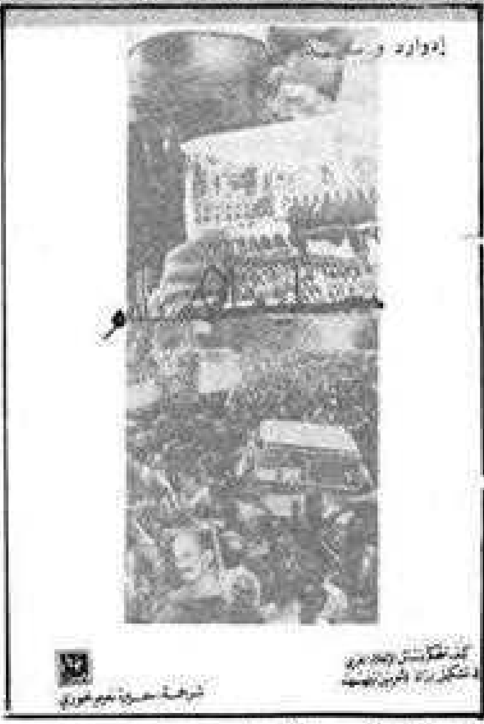
والمؤلف ــ كما ذكر ــ لا يقصد بذلك الدفاع عن الاسلام بقدر ما يقصد وصف ونقد استخدام الغرب للاسلام ف اجهزة اعلامه

وبيان ما ف ذلك من سوء ــ (١١ ــ ١٥)

٣

وموضوع الفصل الاول هو « الاسلام ف الاعلام » وتحت عنوان « الاسلام والغرب » يذكر المؤلف أن هناك أحداثا معاصرة معينة استغلتها أجهزة الاعلام الغربى ف الدعاية ضد الاسلام وف تشويه صورته لدى « المتلقين » وف هذا المجال أشار الى البترول العربى ودوره ف توجيه الاقتصاد الغربى كما أشار الى احداث ايران التى بدت وكأنها بعث اسلامى ذكر الغرب بقوة الاسلام وبتاريخه الماضى معه ، ذلك حين « هددت جحافل الجيوش الاسلامية وأساطيلها أوربا على مدى مئات من السنين ، فدكت ثغورها واستعمرت مناطقها » « ومن هنا حين بدأ ــ منذ الزيادات الهائلة ف أسعار النفط ف أوائل السبعينيات ــ كأن العالم الاسلامى على وشك أن يعيد سابق انتصاراته ، أخذ الغرب كله يرتعد فرقا » ص (٣٧) •

ولذلك فان ردود الفعل على هذين الأمرين السابقين لم تنشأ من عدم ، بل ان هناك « ف وعى الجمهور الثقاف الاعلى ذلك الموقف القديم من الاسلام والعرب والشرق عموما فصورة الاسلام هى واحدة ثابتة لا تتغير حيثما نظرت، ومهما تكن المادة التى تعرضها يستوى ف ذلك الروايات الحديثة ، والكتب المدرسية المقررة ف مادة التاريخ ، والأشرطة الهزلية والمسلسلات التليفزيونية ، والافلام الفكاهية القصيرة » أما هذه الصورة الموحدة فهى تصوير المسلمين « كاريكاتوريا » بأنهم موردو نفط ، وارهابيون، وغوغاء عطشى للدماء ، وف المقابل فان الحيز



المتاح للتعاطف مع الاسلام حيز ضيق جدا ، سواء فى ذلك ما تتيحه الحضارة بشكل عام أو فى نطاق البحث والنقاش حول غير الغربيين بشكل خاص .

ومن أمثلة ردود الفعل ما أشار اليه المؤلف ص (٣٩) من قيام ف . س نيبول بنشر حديث فى « النيوزويك انترناشيونال » فى ١٨ أغسطس ١٩٨٠ ذكر فيه أن المبادىء الاساسية فى الاسلام خلو من المضمون الفكرى ، ولذلك فلابد ان ينهار » .

ويرد مؤلف الكتاب على هذا الزعم بقوله « ان نيبول لم يفصح عن ماهية المبادىء الاساسية فى الاسلام أو يحدد ما يعنيه بها ، كما يفصح عن نوع المضمون الفكرى الذى يرمى اليه ، غير أننا لا نشك انه قصد ايران ، كما قصد أيضا بعبارات غامضة كافة مظاهر الموجة الاسلامية المناهضة للامبريالية التى اجتاحت العالم الثالث بعد الحرب ، تلك الموجة التى يكن لها نيبول شعورا خاصا من النفور العميق » .

ويلخص المؤلف المضمون الذى تحويه الدعاية الغربية فى أجهزة الاعلام نحو الاسلام فى كون الاسلام ضد الغرب ، وهو مضمون يتضمن بالتالى أن يكون الغرب ضد الاسلام .

ويفرق المؤلف وهو يتحدث عن الاسلام والغرب بين موقف أوربا وأمريكا ، فأوربا كان لها ماض استعمارى فى بلاد اسلامية ، ومع هذا الاستعمار نما الاستشراق بما يعنيه من دراسات متخصصة فى جوانب الحياة والثقافة الاسلامية ، ومن أجل ذلك فان الاسلام فى نظر هؤلاء الاوربيين كان يمثل نوعا من التحدى الدينى الحضارى الدائم ، ويشير المؤلف فى هذا المجال الى أنه مهما كان قدر العداء بين أوربا والاسلام ، الا أنه كان هناك نوع من التجاوب عند بعض الشعراء والباحثين من أمثال جوته وجيراردى وفلوبير ولوى ماسينيون ، ومع ذلك فان الظاهرة العامة التى تبقى فى الأذهان هى أن الاسلام لم يلق الترحاب فى أوربا رغم وجود هذه الشخصيات .

أما أمريكا فانها على العكس من ذلك ، فهى ليس لها ماض طويل العهد بالاسلام ، وهذا ما يجعل الحوار أكثر تميزا وأكثر تجريدا وأقل جدة وأصالة ، وكذلك فانه فيما يتصل بالحاضر فان الخبراء فى شئون الاسلام فى أمريكا كانوا دائما غرباء المولد ، ينتمون فى الاصل الى بلاد أخرى ، وقد انعكس هذا على الدعاية الأمريكية حيث تبدو السطحية فى فهم

تغطية الإسلام

الاســـلام ومن امثلـة ذلك أن مجلـة « التـايم » حـين جعلت موضـوعها الرئيسى عن الاســلام فى عـدد ١٦ ابريل ١٩٧٩ فانهـا زينت الغـلاف باحـدى لوحات جيروم وهى لوحة تصور مؤذنا ملتحيا يعتلى مئذنة ، ويدعو المؤمنين بهدوء للصلاة ومع ذلك فانه من المفارقات التاريخية أن هذا المنظر الهادىء قد رصع بديباجة لاعلاقة بهـا اطلاقا ، وهى عبارة « الاحياء النضالى » وكان المجلة تريد أن توجـد شـعورا عدائيا لدى القـارىء الأمريكى ذلك حين توحى بأن هذا النضال انما هو ضده فى واقع الامر (٤٦) •

ويتابع المؤلف وصف علاقة الغرب بالاسلام من خلال أجهزة الاعلام فى الآونـة الراهنة ، ويخلص من ذلك الى أن المسـلمين والعـرب « تتم تغطيتهم الاعـلامية أساسـا ، ويدور النقاش حولهم ، بوصـفهم موردى نفط أو ارهابيين محتملين ، أما تفاصيل الحياة العربية الاسلامية والكثافة الشعورية الانسانية ، فلم يدخل الا النزر اليسـير منهـا حتى فى وعى أولئك الذين امتهنوا تغطية العالم الاسـلامى والتقرير عنه ، ونجد لدينـا عوضـا عن ذلك سلسلة محدودة من الكتابة الكاريكـاتورية الفجة المختزلة حـول العالم الاسـلامى ، معروضة بطريقة من شأنها أن تجعـل هـذا العالم معرضا للعدوان العسكرى » (٥٧) •

وتحت عنوان « جماعات التفسـير » (٦٥) يشير المؤلف الى تلك النقلة التى حدثت عقب حرب رمضان بعد أن عبر الجيش المصرى خط بارليف المنيع ولم يفر الجنود العرب كما فعلوا سنة ١٩٦٧ ، وانما حـاربوا بطريقة جيـدة مدهشة فقـد انتقل عـدد كبير مـن الـدول والشخصيات الاسلامية من وضـع الاعتراف بوجودها فقط لتحتل مرتبة « الأخبـار » فى الوعى العام ، وكان هذا الانتقال فى غاية الدقة بحيث لا يكاد يدرك (٦٧) •

وكان أن حدثت ردود فعل لهذه النقلـة فى أجهزة الاعلام الامريكى ضد الاسلام نفسه ومن ذلك ما نقله المؤلف عن « النيوريببلك » فى ٨ ديسمبر ١٩٧٩ اذ نشر « مـايكل والترد » مقالة عنوانها « الانفجار الاسـلامى » وفيهـا أشار الى مجموعة من الاحداث العالمية الهامة فى القرن العشرين ، وقد رد أسبابها جميعهـا الى الاسلام ، ومـن هذه الاحـداث أحداث الفلبين وايران وفلسـطين ومعنى ذلك أن كل هذه الاحداث هى ضد الغرب لأن الاسـلام وراء تحريكها •

ومن صور ردود الفعل ماكتبته فلورا لويس عن الاسلام فى سلسلة أربعة مقالات فى جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٩ وكـان جوهر هـذه المقالات هو تقديم صورة مشوهة عن الاسلام من خلال الحديث عن خصائص اللغة العربية وعن العقيدة ، ومشيرة الى أن الاسـلام فى حقيقته يتساوى مع سلوك اى مسلم ينتسب اليه ، بغض النظر عن مطابقة ما تقوله الحقائق الواقعية بدقة ص (٦٨) •

ويشير المؤلف الى مصادر تفسير الاسلام فيذكر أن فرع الجهاز الثقافى الذى زود ويزود معظم الأمريكيين والأوربين بصفة عامة يشتمل فى معظم الأحيان على الشبكات الاذاعية والتليفزيونية والصحف اليومية ، والمجلات الاخبارية الواسعة الانتشار ، وتلعب الأفلام دورا دون شك ، حتى لو اقتصر ذلك الدور على ما تستمده من احساس بصرى بالتاريخ • وكل هذه الوسائل مجتمعة تشكل نواة مشتركة من التفسيرات توفر صورة معينة للاسلام ، وفى الوقت نفسه فان سعى هذه الوسائل الاعلامية للربح ، يجعل من المفهوم أن مصلحتها تكمن فى ترويج بعض التصورات عن الواقع بدلا من غيرها حتى تصل الى الجمهور الذى تربح من وراء ارضائه ، وهنا يلتقى الربح المادى مع التوجيه السياسى فى هدف واحد (٧٢) •

ويشير المؤلف الى الاثر الخطير الذى يترتب على استقاء المعلومات عن الاسلام من خلال هذه المصادر فيقول :

« من العواقب الخطيرة لذلك الا تتاح للامريكيين الا فرصة ضئيلة للتعرف الى العالم الاسلامى ماعدا النظر اليه بطريقة اختزالية وقسرية ومعارضة ، وتكمن المأساة الناجمة عن ذلك فى نشوء عدد من الاختزالات المضادة هنا وفى العالم الاسلامى نفسه ••• ومنها أن الاسلام يمثل فى نظر الغربيين والأمريكيين بعثا سلفيا لا يهدد بالعودة الى القرون الوسطى فقط بل بتدمير مادرجت العادة على تسميته بالنظام الديموقراطى فى العالم الغربى » كذلك فان من هذه العواقب محاولة تسوية الاسلام بالوضع الراهن فى أحد البلدان الاسلامية أو بسلطة من السلطات الاسلامية (٧٩) •

ويضيف المؤلف الى ذلك أن كثيرا من برامج الاعلام الغربى تغطى أجزاء عديدة من العالم الاسلامى ، لأن سكان العالم الثالث ومنهم المسلمون يعتمدون على جماعة صغيرة من وكالات الاخبار مهمتها نقل الأخبار واعادتها الى العالم الثالث ليكون مستهلكا بعد ان كان مصدرا • هذا بالاضافة الى أن كثيرا من الطلاب والباحثين فى العالم الاسلامى لايزالون يعتمدون على المكتبات والمؤسسات العلمية الأمريكية والاوربية فيما يتعلق بما يعتبر الآن دراسات « شرق أوسطية » ، وهذا من شأنه ان يجعلهم اسرى هذه المعلومات المختزلة والمحرفة عن الاسلام •

٤

وموضوع الفصل الثانى من هذا الكتاب هو « قصة ايران » ، وتحت عنوان « الجهاد المقدس » يعرض المؤلف لحادث الاستيلاء على الرهائن الأمريكيين واحتجازهم داخل السفارة الأمريكية فى طهران فى نوفمبر ١٩٧٩ ، مشيرا الى الضجة الاعلامية الغربية التى صاحبت ذلك ، والتى استهدفت فيما استهدفت الهجوم على الاسلام والمسلمين ، ويذكر مجموعة من عناوين المقالات والتعليقات التى تعبر عن ذلك ومنها على سبيل المثال : كراهية المسلمين لأمريكا ــ خلال الازمة ــ الاعصار المندفع عبر النجد الاجرد •كذلك يشير الى ما صنعته احدى شركات التليفزيون حين عرضت فى ارسالها بعض الصور وهى تقدم نبذة

تغطية الإسلام

قصيرة عن الاسلام ، وكتبت فى الجانب الأيمن لهذه الصور عناوين موجزة روت القصة البغيضة نفسها ، قصة مفادها ان الامتعاض والشك والاحتقار هي رد الفعل الملائم للاسلام : للمحمدية ولمكة وللحجاب وللصلاة وللسنة وللفقهاء والأئمة ، هذا عدا المقالات

المستفيضة التى أخذت تربط بين الاسلام وبين الجرائم والحروب والنزاعات المستمرة التى تتخللها الفظائع وذلك باعتبار ان الاسلام لعب بوضوح دورا مهما فيها !! وذلك دون نظر الى الحقائق الثابتة ودون احساس بضرورة تقديم الادلة المطلوبة على مايقدم فيها من معلومات (١٠٤) .

ولم يقتصر الأمر فى الصحف على المقالات بل شمل كذلك ندوات كانت تعقدها هذه الصحف ، ومن ذلك الندوة التى نظمتها صحيفة « التايمز » وخصصت لها صفحتين فى عددها الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٧٩ ، وقد شارك فى هذه الندوة سبعة أشخاص ثلاثة من المسلمين الذين يعملون ويعيشون فى الولايات المتحدة وأربعة خبراء مرموقون متخصصون فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث وثقافته ومجتمعاته المختلفة وكانت جميع الاسئلة التى وجهت اليهم أسئلة سياسية ، يشير كل منها الى تهديد الاسلام للمصالح الامريكية وخطره عليها ، وكانت خلاصة الندوة السخط والغضب اذ أوحت الاسئلة بوضوح أن المنطق والاقناع لن ينجحا ، وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء الى القوة كملاذ أخير (١١٠)

وتحت عنوان « خسارة ايران » (١١٥) وعنوان « افتراضات مضمرة غير مدروسة » (١٢٩) وعنوان « بلد آخر » (١٤٠) يعرض المؤلف لموقف الاعلام الغربى من الثورة الايرانية من الناحية السياسية ، وذلك من خلال تطور الأحداث مع أزمة الرهائن ، وهى موضوعات ثلاثة تدور حول هذه الأزمة وكيفية معالجتها ، وهى خارج نطاق ما سمى بتغطية الاسلام . وبها أنهى المؤلف حديثه فى هذا الفصل .

٥

اما الفصل الثالث فموضوعه « المعرفة والقوة » وتحت عنوان « سياسات تفسير الاسلام» (١٥١) يتحدث المؤلف عن الدراسات التى قامت حول الاسلام فى غير ميدان الاستشراق ، ويرى أن مثل هذه الدراسات لاتكون دقيقة ، ولا تكون بعيدة عن التحيز ، ومن هنا فان الاسلام اليوم بالنسبة الى الجمهور العام فى امريكا وأوربا يمثل أخبارا مزعجة بشكل خاص ، وتنضوى وسائل الاعلام والحكومة والخبراء الاكاديميون المختصون فى الاسلام — فى «جوقة متناغمة واحدة هى : الاسلام تهديد للحضارة الغربية» وليس معنى ذلك أنه لا يوجد فهم ايجابى وتصور عادل عن الاسلام — فذلك مالا يقول به احد ، وانما معناه أن الصور السلبية عن الاسلام هى أكثر شيوعا ورواجا عن كل ماعداها وأن هذه الصور لاتطابق حقيقة الاسلام ، بقدر ما تطابق أوضاعا معينة لتقاليد أو أعراف اجتماعية ظنوا أنها هى الاسلام (١٥٩) .

ومن الدلائل على ذلك أن الدراسات التى تقوم بها بعض المؤسسات عن الشرق مثل مؤسسة فورد ، توجه العناية الى دراسة الشرق الأدنى الحديث فى الاقتصاد والسياسة والتاريخ والاجتماع ، بينما يقل حضور الدراسات الاسلامية التقليدية ، وهذا يظهر فى مناهج الدراسة ، وفى عدد الأساتذة المختصين ، اذ تبدو القلة واضحة جلية .

واذا كانت هناك موضوعات مطروحة للبحث ، فان القائمين على تنظيم هذه الدراسات كانوا يختارون موضوعات من شأنها تحت توجيه معين — أن تسوىء العلاقات بين المسلمين الافارقة وبين العرب ومن أمثلة هذه الموضوعات موضوع « الرق فى الاسلام » ، وقد لوحظ أنه من خلال ذلك تمارس الدعاية الصهيونية عملها حين كان يحذر الباحثون الاسرائيليون البلدان الافريقية من الاعتماد كثيرا على الشعوب العربية التى أفقرت بلادهم من سكانها فى الزمن الغابر على حد مازعمه هذه الدعاية ، وفى مثل هذه الدراسات لوحظ أيضا أنه لم يدع أى باحث من العالم العربى والاسلامى لحضورها ، وسبب هذا متجاهل واضح ، لانه فى ظل حضور أى باحث متخصص سوف لا تعمل الدعاية الخبيثة عملها . (١٦٠)

وعلى هذا النمط أثيرت موضوعات أخرى للوصول الى نفس الغرض ومنها بحث **موضوع الاقليات الدينية فى البلدان الاسلامية ، ولم يكن البحث فى مثل هذا الموضوع بعيدا عن التحيز ، وانما اتخذ وسيلة للاساءة** ومن أبرز الدلائل على عدم الموضوعية فى هذا الموضوع ، أن القائمين على تنظيمه اعتبروا الفلسطينيين من الاقليات ، وكان المتحدث بلسانهم أستاذا جامعيا اسرائيليا !! (١٦١) .

وتحت عنوان « المعرفة والتفسير » (١٧٦) يذكر المؤلف أن كل معرفة تتناول المجتمع الانسانى هى معرفة تاريخية ، ولذلك فهى تقوم على الأحكام والتفسير ، وليس معنى ذلك أنه لا وجود للحقائق ، فالحقائق موجودة ولكنها تستمد أهميتها مما يسبغه التفسير عليها ، فالتفاسير تعتمد اعتمادا كبيرا على من يقوم بها ، وعلى من يخاطبهم هذا المفسر ، وعلى ماينشده هدفا لتفسيره وعلى اللحظة التاريخة التى يتم التفسير خلالها ، وكذلك فان أى تفسير لا حق لابد أن يقف على كل تفسير سبقه فى نفس مجاله ، اذا أريد له أن يكون موضوعيا ودقيقا .

ويخلص المؤلف من هذه المقدمة الى أن الدراسات « الشرق أوسطية » أو الاسلامية الراهنة تفتقر افتقارا كبيرا الى هذه المعرفة السابقة عليها **ويضيف المؤلف الى ذلك ان الدراسات الاسلامية تمت فى أغلب الاحيان تحت تأثير الكراهية الثقافية ، وليس تحت تأثير المواجهة فحسب ، ومن هنا فان الاسلام حين يعرف ويفسر فانه يعرف تعريفا سلبيا على أنه فى موقع التعارض الجذرى مع الغرب .**

ويذكر المؤلف أنه مابقى هذا الاطار قائما ، فان الاسلام لا يمكن أن يعرف بوصفه خبرة حيوية واقعية يحياها المسلمون .

تغطية الإسلام

كذلك فان من أخطاء التفاسير التى تنشأ حول الاسلام أنها لا تتم فى وضع حيادى ، ولا تحدث فى مختبر محصن بالامان ، وانما يعبر اغلبها عن نشاط اجتماعى مرتبط بالوضع الذى نشأ فيه اولا (١٧٧)

وينهى المؤلف كتابه بقوله فى ختام هذا الفصل « ان التغطية التقليدية للاسلام التى نجدها فى الجامعات وفى الحكومة ، وفى وسائل الاعلام هى فيها جميعها تغطية شديدة التداخل والتشابك ، وقد تم نشرها فى الغرب أكثر من أى تغطية أو تفسير غيرها ، فبدت أكثر اقناعا ونفوذا مما عداها ، ويمكن أن يعزى نجاح هذه التغطية الى مايتمتع به الناس والمؤسسات التى انتجتها من نفوذ ، لا الى الدقة أو الحقيقة بالضرورة ، وقد خدمت هذه التغطية أغراضا لا تمت الى المعرفة الحقة بالاسلام نفسه بغير صلة عرضية » (١٨٢) .

٦

وبعد فانه اذا كان هناك شىء يمكن أن يتركه الكتاب فى ذهن القارىء فان هذا الشىء يبرز فى أمر واحد ، ذلك الأمر هو أن **الاسلام اليوم يواجه معركة ضارية ، وانه لا مفر له من ان يتجه الى الميدان ، ووجوده فى الميدان لا يكون وجودا فعالا الا اذا تمثله المسلمون فى واقع حياتهم تمثلا صحيحا ، يبرز اصوله ويحدد شخصيته تحديدا لا يختلط بهذه الصور التى تعيش على هامشه ، او تدعى زورا انها هى التى تمثله وحدها .**

ان مانقوم به أجهزة الاعلام الغربى ماهو الا رد فعل لصحوة مشهودة فى الطرف الآخر فى الواقع الغربى ، ذلك حين أخذ فريق من الناس يدخلون فى الاسلام عن ايمان واقتناع بل ويدافعون عنه بحرارة ويعقدون الندوات التى يشرحون فيها قضاياه ، على النحو الذى نطالعه فى الصحف بين الحين والحين ، وكل هذا بطبيعة الحال لابد أن يزعج الكارهين والحاقدين ، وهؤلاء لهم وزنهم وثقلهم فى أجهزة الاعلام ، ومن ثم يتخذونها وسيلة مضادة للحرب ضد الاسلام ، مسلطين عليه دعاية تستمد مادتها من حاضر مشوه ، ومن ماض شوهه اسلافهم ، وتناقلوه عبر قرون من التعصب المقوت البغيض .

ان المسلمين اليوم أحوج مايكونون الى اليقظة والى التنبه ، فالاسلام على الرغم من الحرب الضارية يزحف ويتقدم ويجتاز الموانع التى تقام فى طريقه وقد بدت النتائج المثمرة تظهر فى كل مكان - وعلى المسلمين ان يتجهوا باخلاص لنصرة دينهم ، وأن يصدقوا فى الانتماء له والمنافحة عنه ، ولن يكون ذلك الا بحسن التطبيق فى واقعهم ، وبحسن الادراك والفهم لما يحيط بهم . « وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ »

د . طه مصطفى أبو كريشة

القيم الدينية

فى شعر محمد مصطفى الماحى

○ للباحث : محمد محمد على التورى

اتصل الماحى بالثقافة الدينية منذ نشأته الاولى فى بيئة عرفت بالتمسك بآداب الدين ، ثم بعد أن التحق بكتاب « الرمالى » ومدرسة « الحمزاوى » التى كان لهما اهتمام كبير بدروس الدين والقصص القرآنى الحكيم ، وغذى الشاعر نزعته الدينية بقراءاته فى كتب الدين والحكمة والأخلاق ، من كل هذا الرصيد الذى احتفظ به من القيم والمثل.

ولاعجب اذن أن نلتقى بالروح الاسلامى فى كل منعطف من ديوان الماحى ، ذلك لأن شعره صورة نفسه التى أشربت مكارم الأخلاق ، والاخلاص فى الدعوة الى التمسك بها ، يشير الى ذلك ـ أو بعضه ـ مايحث به العرب على مراعاة الله فيما يفعلون والتمسك بتعاليم الملة الغراء التى تدعونا الى الوحدة والتآخى لتحقق لنا الغلبة على أعدائنا (١).

ولـو أنـا رعينـا اللـه حقـا
وبتنـا اخـوة متحالفينـا
لمـا وجـد العدو لـه سـبيلا
ولا افشى ضروب الكيـد فينـا

وقوله يشيد بالاسلام وتعاليمه (٢) .

انمـا الاسـلام نـور وهـدى
يرشـد النـاس ويدعـو للوئـام
وهـو فى الدهـر على احداثه
مبعث الأمـن وميثـاق السـلام

وأكثر ماينهض شاهدا على تغلغل الروح الاسلامى فى شعر الماحى قصيدته « الى ساحة النبى الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم » التى أهدى بها الطبعتين الثانية والثالثة من ديوانه ومطلعهـا :

الى الساحة العظمى ، الى مطلع الهـدى
بسطت لخير النـاس اجمعهم يـدا
فيـارب هب لى حكمـة وبـلاغة
اوف بهـا حبى النبى محمـدا

وهكذا نجد أنفسنا ـ عند قراءتنا فى شعر الماحى ـ أمام شاعر كريم الأخلاق ، طيب السريرة ، صافى النفس ، رقيق العتاب ، حافظ للوداد ، بار بأبويه ، شفق على أبنائه ، اذا

(●) الباحث يعمل مدرسا مساعدا فى كلية اللغة العربية بالزقازيق ، وقد نال درجة الماجستير عن رسالته التى أعدها عن حياة الماحى وشعره بتقدير جيد جدا ، وليس بتقدير جيد كما جاء فى عدد ذى الحجه الماضى من مجلة الأزهر

(١) ديوان الماحى ٣٦ .

(٢) ديوان الماحى ١٠٩ .

القيم الدينية في شعر محمد مصطفى الماحي

غضب فللحق والفضيلة ، واذا افتخر فبوطنه ودينه ، تسود شعره نزعة انسانية ممثلة في خلق الوفاء والصفاء والاعتدال والدعوة الى السلام والوحدة والذود عن الأوطان والتمسك بأهداب الدين ، واتخاذه دعامة لاصلاح النفوس ، وتحقيق السعادة ، وكل ذلك ثمرة السلوك والطبع والتكوين الديني لشخصية الماحي .

وأكثر ما نلمس فيه المسحة الدينية من شعر الماحي شعره في باب (الروحانيات) ويضم عشر قصائد نتبين من خلالها روح الصوفية ، وايمانها الكامل وصفاءها العامر .

وكانت هذه القصائد انطلاقات فاض بها وجدانه عندما أسعده الله بالطواف حول الكعبة وزيارة بيت الله الحرام ، ومثوى الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغير ذلك من الأماكن المقدسة .

ففي قصيدة « تضرع ودعاء » (٣) يناجي ربه بآيات تنم عن شفافية روحه ونزعته الصوفية .. فيقول :

يارب اى ثناء استطيع به
ايفاء حقك من حمد وتمجيد
كم من يد لك عندي لست اجحدها
حلت بقلبي فكانت فرحة العيد

وكذلك كان شعر الماحي في مجال الغزل شعرا يحرص فيه الشاعر على العفاف والطهر ولا أدل على ذلك من قوله يصور مدى عفافه ومحبوبته وطهرهما(٤) :

كانا في التصون والتوقى
من خوف الله في البلد الحرام
فقد ضرب العفاف اعز ستر
يقينا كل منقصة وذام

ونظم الشاعر اخوانياته في اطار ديني أيضا، اذ لا يعوزها صدق أو وفاء ولا يشوبها فظاظة او مجافاة ، فهو في عتابه أدنى الى الاشفاق منه الى التقريع ، فلا يقول لصفيه الذى خاب ظنه فيه الا مثل هذا العتاب الرقيق الذى تبدو من خلاله شفافية تحيل كل غضبة تحتمل في نفسه الى غضبة مهيضة الجناح(٥) :

فياصاحبا ماسؤته ثم ساءني
واصبح حقى عنده وهو ضائع
لقد كنت ان اخفقت سعيا وجدتنى
لتبلغ ماقصرت عنه اسارع
فبالله ماهذا الجفاء الذى بدا
الم يك لى فيما حبوتك شافع

ومراثى الشاعر أيضا هادئة لا نرى فيها أثرا لشق الجيوب أو لطم الخدود ، فقد امتثل الشاعر لقضاء الله ونزل على حكمه(٦) :

فلكل عمر ماتطاول ساعة
ولكل نفس موعد لحمام

وشعر الماحي في مجال الأسرة صورة صادقة من تدينه وخوفه من الله : فهو مطيع لوالديه ، وفي لزوجه ولأولاده ، آخذ بيدهم نحو التقدم وعزة الوطن ، وحسبنا شاهدا على ذلك قوله

(٣) ديوان الماحي ١٣٤ .
(٤) ديوان الماحي ١٨٢ .
(٥) ديوان الماحي ٢٤٧ .
(٦) ديوان الماحي ٢٨٧ .

يسترضى والديه اللذين غضبا على اثر اقتراح صهر الشاعر عليه أن ينفصل عن والديه(٧) .

حنانا فما التشكوى لغيركما عدل
ورحماكما فقد ناء بالكاهل الثقل
أرضى انفصالا عنكما وانا الذى
ارى غضب الآباء يتبعه الذل ؟

ومما يتصل بهذا اللون من الشعر ما يشيع فى ديوان الماحى من نزعة انسانية تمثلت فى احساسه العميق بمآسى الحياة والأحياء ، فقد رق لأحوال اليتامى والمحجوبين وما يقاسونه من بؤس وشقاء ، فقال يحث الأغنياء على مساعدتهم بعدد أبيات رائعة صور فيها حالهم(٨) :

يا قوم حسبهم ما فى قلوبهم
من الأسى وهم منكم ذوو رحم
مدوا اليهم يد المعروف واستبقوا
صنائع البر يغشاهن كل ظلم

وانفعل الشاعر بما يدور فى العالم من أحداث وصراعات تنتهك حقوق الانسان فندد بجوانب من تلك الحضارات الزائفة فى العالم المتمدين التى تقر شريعة الغاب وطباع الجاهلية المتناحرة ، وتنفق أموالا طائلة على التسليح وغزو الفضاء ، فقال هاديا ومرشدا (٩) .

ولو انفقوا بعض الذى ينفقونه
لاسعاف محتاج واسو جريب
لأصبحت البيد الفساح نضيرة
وصار جديب الأرض جد خصيب

(٧) ديوان الماحى ص ٧١ .
(٨) ديوان الماحى ص ٩٢ .
(٩) ديوان الماحى ص ٦٩ ، ٧٠ .

ورفت ظلال الأمن واليمن طلقة
على امم محرومة وشعوب

ودعا الشاعر ــ فى قصيدة « من وحى الهجرة »(١٠) ــ الى حقوق الانسان وذكر ما للاسلام من فضل الدعوة الى الاخاء والمساواة والعدالة فقال :

دعاهم للهدى داع يؤيده
من جانب الحق ماارتاعت له الأمم
دعاهم لمساواة يعز بها
من ليس ينجده جاه ولا نعم
دعاهم لاخاء ليس يفسده
سوء المظنة او تودى به التهم

وهكذا دعا الماحى الى كل بر وصالحة ، وشدا بالاسلام مصلحا للنفوس ، وحدا بالخلق الفاضل دعامة للرقى والمجد واساسا ترسو عليه عزة الأمم ، الأمر الذى يؤكد نفاذ الاسلام الى فكر الماحى ووجدانه فغدا فى شعره طبيعة وسلاما .

محمد محمد على التورى
مدرس مساعد فى كلية اللغة
العربية بالزقازيق

(١٠) ديوان الماحى ص ١٣٦ .

الفتاوى

هل للمنبر مكان معين من القبلة ؟

س : من السيد / م ٠ د

يوجد فى منطقتنا مسجد وضع المنبر فى زاوية من زواياه فى جهة اليسار حتى لا يقطع صفوف المصلين ٠ فما الحكم ؟

ج : لم يرد نص صريح بوضع المنبر فى المسجد فى مكان معين من القبلة ، وعلى ذلك فيجوز وضعه فى أى مكان فى المسجد يتمكن منه الخطيب من رؤية المصلين وسماعهم له ٠٠

تصرف مشروع

س : من السيد / محمود ٠ هـ ٠ ع ٠ح

امتلك محلين لتجارة وقد بعت جزءا منهما لولد من اولادى وقبضت منه الثمن واشترطت عليه أن يقوم بادارة المحلين وان يعول اخوته الصغار والمرضى فى حياتى وبعد مماتى ، وخصصت باقى المحلين بالاولاد الذين لم يتم تعليمهم والمرضى منهم ، علما بان باقى الاولاد قد تم تعليمهم واصبحت لهم مراكز مادية وادبية مرموقة ٠ فما حكم ذلك ؟

ج : نفيد بأن بيعك جزءا من المحلين وقبض الثمن هو تصرف من مالك ، والمالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فى حدود ما أمر الله ٠

وتخصيصك بعض أولادك الذين لم يتم تعليمهم والمرضى بباقى المحلين جائز ، اذ أنه يحرم تمييز بعض الأولاد عن بعض الا لمصلحة شرعية : كصلاح أو مرض ٠

ما حكم دفن الرجال والنساء فى مقبرة واحدة ؟

س : من السيدة / ح ٠ ا ٠ أمين

امرأة وحيدة ٠ مات شقيقها الوحيد الذى قام باعالتها وتربيتها وتعليمها ٠ وترغب أن تدفن معه فى مقبرته نفسها عند وفاتها ٠ فهل يجوز ذلك ؟

ج : الأصل أن يدفن الرجل وحده والمرأة وحدها ، ولكن اذا اقتضت الضرورة بأن ضاق المكان بالموتى ، أو كثرت الأموات ، فلا مانع من دفن أكثر من واحد فى قبر ، واذا دفنت المرأة مع رجل أو مع رجال فليكن بين المرأة والرجل حاجز من تراب أو غيره ٠

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

عقد باطل

س : من السيدة / ا ٠ ح ٠ حسن ٠
رجل طلق زوجته قبل الدخول والخلوة بها ، وفى اليوم نفسه وقبل طلاقها تزوج باختها بعقد عرفى بدون شهود ٠ فما حكم هذا العقد ؟ ٠ واذا كان باطلا فهل يجوز لها ان تتزوج بغيره ؟

ج : العقد الشرعى انما يتم بركنيه وهما الايجاب والقبول ، وبشرط صحته وهو الشاهدان المسلمان فى العقد على مسلمة ، وحيث ان العقد تم بدون شهود فهو عقد باطل شرعا ، هذا بالاضافة الى أن العقد على أخت الزوجة ـ قبل طلاق الزوجة غير المدخول بها ـ يعد باطلا أيضا ٠٠ ولها أن تتزوج بآخر اذا أرادت ٠

فى الميراث

س : من السيد / ب ١٠ ٠ السيد
توفيت امرأة عن : زوج ، اخت شقيقة ، واخ واخت لاب ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا ، لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ، ولا شىء للاخوة لأب ، لاستغراق فروض التركة ٠

س : من السيد / م ٠ ر ٠ عامر
توفى رجل سنة ١٩٨٣ عن : بنت ، أولاد بنت ذكور واناث ، ابن عم شقيق ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ ٠

فتقسم التركة ثلاثة أجزاء :

جزء منها وصية واجبة لأولاد البنت ، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠ والباقى وهو جزءان هو الميراث :

للبنت الموجودة النصف فرضا ، لعدم من يعصبها ، والباقى لابن العم الشقيق تعصيبا ٠

والله تعالى اعلم ٠

انباء وآراء

* صرح فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى هاشم عقب عودته من الولايات المتحدة الامريكية لمندوب المجلة بانه قام بزيارة ولاية توليدو الأمريكية واعلن انه يوجد بالولاية حوالى ٥٠٠ اسرة مسلمة وقد استطاع الاستاذ عبد المنعم خطاب مبعوث الأزهر بولاية توليدو ان يجمع جهود الجالية الاسلامية الى جانب جهود بعض الدول العربية فتم بناء مركز اسلامى به مسجد وعدة فصول ويقع فى موقع ممتاز بولاية توليدو وقد خطب فضيلة الأمين العام خطبة الجمعة فى هذا المركز اثناء اقامته ذكر المسلمين فيها بسماحة الاسلام وكذلك حثه للمسلمين على حسن الجوار .

وقد افتتح المركز الاسلامى بولاية توليدو فى حفل كبير حضره الآلاف من المسلمين كذلك حضره رئيس ولاية توليدو .

وقد اصدر رئيس الولاية قرارا بأن يكون يوم ٣٢ اكتوبر — وهو يوم افتتاح المركز — هو يوم الاسلام من كل عام . كذلك سمى الاسبوع الذى افتتح فيه المركز باسبوع الاسلام فى ولاية توليدو .

وقد وعدت الولايات المتحدة الأمريكية بانشاء دار للمسنين المسلمين .

وقد عقدت جلسة حضرها المسلمون فى أمريكا وكندا وتبرعت الجالية الاسلامية بولاية توليدو بمبلغ ٢٧٧ الف دولار لانجاز بعض الأعمال بالمركز الاسلامى لخدمة الدعوة الاسلامية ولتعليم ابناء الجالية الاسلامية اللغة العربية فيعرفون كتابهم الكريم وكذلك سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وقد قابل الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية فى نيويورك رئيس مجلس السفراء المسلمين وهو سفير قطر وقد عرض رئيس مجلس السفراء على فضيلة الأمين العام مشروع بناء مركز اسلامى كبير ، لأن نيويورك بها مسلمون كثيرون والمركز الحالى لايتسع لآلاف المسلمين الموجودين فى أمريكا وقد جمع رئيس مجلس السفراء من المسلمين فى نيويورك عشرة ملايين دولار لهذا المشروع وقد وافق فضيلة الأمين العام على المشروع الضخم وسوف ينفذ المشروع « مقاول » مصرى فى نيويورك وقد وجهت الدعوة لفضيلة الاستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع الاسلامى لالقاء خطبة الجمعة فى هيئة الأمم المتحدة .

* استقبل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر وفدا من ماليزيا بهدف الحصول على احتياجات المعهد الدينى بماليزيا من الكتب والأساتذة وقد وعد فضيلة رئيس الجامعة بتلبية احتياجات الوفد حتى يتمكن المعهد من اداء رسالته التى انشىء من اجلها وهى نشر اللغة العربية .

* استقبل فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف فضيلة الشيخ خلف الله عمر ابراهيم مدير المساجد والأوقاف بجمهورية السودان الشقيقة وتم خلال اللقاء التشاور بخصوص انشاء معهد لتأهيل الأئمة والدعاة بالسودان بناء على توجيهات الرئيس جعفر محمد نميرى .

ومما هو جدير بالذكر أن السودان به حوالى ١٥٠٠٠ مسجد وحوالى ٨٠٠ كتاب لتحفيظ القرآن ٠

صرح بهذا فضيلة الشيخ خلف الله عمر ابراهيم مدير المساجد بالسودان ٠

* استقبل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس جامعة الأزهر وفدا من السويد يضم ٢٩ شخصا يمثل جمعية (ميدبور جرار سكولان) وهى جمعية ثقافية دينية ٠ نوقش خلال اللقاء دور الأزهر على مدى ألف عام وكذلك دور جامعة الأزهر ٠

وقد أجاب نائب رئيس الجامعة على العديد من الاستفسارات الدينية المتعلقة بالاسلام والمسلمين ٠

وقد صرح رئيس الوفد أنه سعيد جدا بهذا اللقاء الذى تعرف فيه على سماحة الاسلام وعدالته ورحمته ٠

مؤتمر للنهوض باللغة العربية فى باكستان

بدأ فى اسلام أباد المؤتمر الدولى للنهوض باللغة العربية فى باكستان والذى تنظمه وزارة التربية والتعليم بالباكستان وجامعة اقبال والجامعة الاسلامية باسلام أباد والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠

وناقش المؤتمر خلال عدة الاجتماعات عددا من البحوث العلمية فى سبيل تعليم اللغة العربية فى الباكستان ، وتقييم برامج اللغة العربية فى جميع المراحل ، واعداد برامج جديدة لتلك المراحل ، وامكانية تعليم اللغة العربية فى مناهج المدارس الدينية ٠

اعداد :

احمد عبد الرحيم السايح

عاطف زهران صفوت عبد الجواد

عبد الفتاح السيد عبد السلام

اول مركز اسلامى افريقى بالخرطوم

تم انشاء مركز اسلامى افريقى بالخرطوم أسسته سبع دول عربية هى السودان ومصر والسعودية والكويت والامارات العربية وقطر والمغرب ٠٠ يهدف المركز الى نشر الدعوة الاسلامية ، وتعميق الثقافة الدينية بين المسلمين فى افريقيا ، واعداد الدعاة ٠ وخدمة المجتمعات الاسلامية عامة والافريقية بصفة خاصة ، والتعاون مع الهيئات والمؤسسات الاسلامية على نشر الاسلام ٠

— قام المركز بانشاء دبلوم للدعوة والدراسات الاسلامية ويقبل كل من له معرفة جيدة باللغة العربية والعلوم الاسلامية ٠ والدراسة بهذا القسم مدتها عامان يتأهل الطالب خلالهما للعمل فى مجال الدعوة أو ادارة المساجد ، أو التوجيه والارشاد ٠

— وقد أضاف المركز الى اختصاصاته شعبة للدعوة من خلال العمل الميدانى والتدريب والاتصال بالمنظمات والهيئات الاسلامية فى افريقيا والتعاون معها فى مجال الدعوة ٠

— أما شعبة البحوث والنشر فتهتم بجمع الوثائق والمؤلفات والدوريات الاسلامية ٠

أنباء وآراء

معهد الامام المودودي

اسست جمعية التعليم الاسلامي في المنصورة ـ لاهور ، معهدا تربويا اسمته « معهد الامام المودودي العالي للدراسات الاسلامية » ولغة التدريس فيه هي الانجليزية. اما اللغة العربية فهي مادة اجبارية يقوم بتدريسها معلمون عرب . ويضم المعهد في البداية خمسة صفوف من الصف الثامن الى الصف الثاني عشر ، ويعد الطلاب للاختبار الثانوي والثانوي العالي المنعقد تحت اشراف مجلس التعليم الثانوي بلاهور » .

اول حزب اسلامي في فرنسا

اعلن المسلمون الفرنسيون في مؤتمر كبير عقد مؤخرا في باريس ، انهم بصدد اعلان تشكيل اول حزب اسلامي في فرنسا ، ليتمكنوا من المطالبة بحقوقهم يلاحظ ان الدخول في الدين الاسلامي ، اصبح الظاهرة الحضارية التي تنتشر في فرنسا .

بين معهد التراث ومعهد المخطوطات

تم توقيع اتفاقية بين معهد التراث العلمي العربي ، ومعهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد اتفق الطرفان على طبع الكتب التراثية العربية المناسبة وتحقيقها ونشرها ، وتخرج الكتب المنشورة باسم المعهدين . واتفق الطرفان على ان يتم تحقيق ونشر الكتابين التاليين حتى نهاية عام ١٩٨٣ م » .

١ ـ مخطوط « القولنج » للرازي ، تحقيق الدكتور صبحي حمامي يشمل الكتاب دراسة عن المخطوطة باللغة الفرنسية .

٢ ـ مخطوطة « دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية » لابن سيناء تحقيق الدكتور محمد زهير البابا » .

الاسلام اليوم

صدر عن المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم « ايسيسكو » العدد الأول من المجلة الجديدة « الاسلام اليوم » وهي مجلة دورية تصدر مؤقتا كل ثلاثة شهور وبثلاثة لغات : العربية والانجليزية والفرنسية . وقد احتوى العدد الأول على عدد من الموضوعات الاسلامية اهمها موضوع عن مراكز الحضارة الاسلامية ، وموضوع آخر عن الزراعة والبيطرة عند العرب ، بالاضافة الى معلومات عن المؤتمر التأسيسي للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم « ايسيسكو » باقلام كبار المفكرين المسلمين .

لجان للزكاة بجميع مدارس القاهرة

تقرر أن تعم لجان الزكاة بجميع مدارس القاهرة بالتعاون مع بنك ناصر الاجتماعي ، الذي يخصص مبلغ مائة جنيه لكل لجنة زكاة بالمدرسة ، وذلك لبعث روح التكافل الاجتماعي والمساواة في نفوس التلاميذ ، وخاصة في المرحلة الابتدائية ، ستخصص مبالغ الصندوق لمساعدة الطلاب غير القادرين ، ومدهم بالمال والكتب واشتراكهم في مجموعة التقوية بالمجان .

« تعريب تعليم الطب ضرورة دين وانتماء »

كتب الاستاذ احمد موسى سالم تحت هذا العنوان « بعموده الاسبوعي » بالصفحة الدينية بجريدة الاخبار الصادرة بتاريخ ٣ من نوفمبر سنة ١٩٨٣ مقالا قال فيه :

تعريب التعليم الفنى بأنواعه ، وبخاصة تعليم الطب خطوة أساسية يجب التعجيل بها ، فى مقدمة هذا الجهد القومى للنهوض بلغتنا العربية الفصحى ، وتنميتها الى الحد الذى يكفل لنا بكل فئاتنا وللاجيال الناشئة ان تذوق الممارسة فى حياتنا الفكرية والعملية ، ونحن نرتقى بها الى تدبر كتاب الله، والى تفهم أحاديث رسول الله ، والى استجلاء نفائس هذا التراث الفكرى الغنى للأمة العربية الاسلامية ، بينما نواصل فى واقعنا المعاصر ، طريق التنمية لمفردات هذه اللغة المبينة ، فى كل مجالات الدين والعلم ، والحضارة والانتاج ، والثقافة والأدب .

ولقد سبق لى منذ أكثر من عام أن كتبت عن ضرورة تعريب المصطلحات الطبية وأسماء الأمراض فى تعليم الطب حتى لا تبقى هذه المصطلحات والاسماء عند استخدامها فى قوالبها الاوربية فى المستشفيات والعيادات الخاصة « الغازا » مبهمة أمام المرضى ، ورطانة محيرة لا يكون لها الا أسوأ الاثر على حالاتهم المرضية والنفسية ، وعلى صحة استجابتهم لارشاد الطبيب واستعمال الدواء .

لقد كان أملى كبيرا ولا شك عندما تقدمت بهذا الرجاء الى المسئولين من أجل تعريب التعليم الفنى بأنواعه وبخاصة تعليم الطب وهو الامر الذى فطنت الى أهميته ، وسبقتنا الى تنفيذه ، أكثر من دولة عربية شقيقة على أنه وان لم يتحقق من رجائى هذا شىء حتى الآن ، فى مصر التى هى رائدة قوة الانتماء القومى ، والتقدم الحضارى فى الوطن العربى ، فانى بغير يأس ، أعود اليوم الى تجديد الدعوة لتعريف تعليم الطب مبشرا فى نفس الوقت بزوال أخطر العقبات أمام هذا الامل ، وذلك بعد أن تحقق خلال شهر أكتوبر المنصرم اصدار « المعجم الطبى العربى الموحد » وهو يضم ٢٥ ألف مصطلح طبى باللغة العربية مع ما يقابلها باللغتين الانجليزية والفرنسية . معنى هذا بكل وضوح انه لم يعد هناك — فى مصر الرائدة والغالية أى مجال للتباطؤ فى تعريب المصطلحات الطبية وبخاصة فى التعامل مع مرضى المستشفيات والعيادات الخاصة .

ان كلمة «الحمية» مثلا وقد وردت فى حديث مشهور للنبى — عليه الصلاة والسلام — هى ولا شك أقرب الى وعى وأذن المواطن من الكلمة الأوربية المقابلة لها وهى « ريجيم » بمعنى تنظيم تناول الطعام لهدف ما ، قد يكون مجرد التخسيس حسب قواعد التجميل : كذلك الكلام عن « أسباب العدوى » بأنها « انفكتف كوزس » وعن « العوامل العضوية » بأنها « فسيولوجيك كوزس » الى غير ذلك وهو كثير .

« الاعتداء على المسجد الاقصى قانونيا فى اسرائيل »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ صلاح عزام فى جريدة الحياة الاسبوعية بتاريخ

أنباء وآراء

٦/١١/١٩٨٣ مقالا قال فيه :

« .. منذ أيام أصدرت المحكمة العليا في القدس حكمها ببراءة المتهمين في قضية العدوان على المسجد الاقصى وعلى المصلين فيه باطلاق الرصاص عليهم هذه هي العدالة الاسرائيلية وهذا هو القضاء اليهودي به فهل سمعتم بذلك يا مسلمي العالم ؟ لا اعتقد لأن الخبر قد نشر في بعض الصحف العربية بطريقة لا تلفت النظر وفي بعض الصحف الاجنبية وقراؤها من الغرب لا يهمهم مثل هذه الاخبار وبالتالي فلم نسمع تعليقا واحدا من كاتب اسلامي أو « داعية » .. من هنا أو هناك وبالتالي فلم نقرأ بيانا من احدى المؤسسات الاسلامية وما أكثرها على هذا الحكم والشيء المؤسف أن خصوم الاسلام قد استباحوا بيوت الله — في كل بلاد الدنيا ونحن صامتون .....

ولا أدري هل يمكن أن يتقبل العالم المسيحي أو اليهودي منا . نحن اتباع الاسلام عدوانا مقابلا وهل يمكن أن نتصور مدى الضجيج الاعلامي من هذا العالم « المتحضر » لو ان بعضا منا اعتدى على أحد معابدهم أو رجال دينهم ؟ انهم لا يطمئنون الى ان ديننا يحرم علينا مثل هذا التصرف ولانهم يعلمون مدى انشغالنا بأمور « جدلية » فقد استمروا في عدوانهم على مساجدنا وعلى المصلين بها ....

ويوم يكون لنا رأي واحد .. ويوم ان نكون صفا واحدا — ويوم أن نلتزم بحقوق آداب اسلامنا يومئذ لن يجرؤ كائن من كان أن يعتدي على مسلم أو مسجد ولو في آخر البقاع حتى ولو كانت معه السلطة والمحاكم والاحكام القضائية .. و .. لله الامر .

مسلمون في كل مكان

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمود مهدي بصحيفة الاهرام في ٤ من المحرم ١٤٠٤ — ٢١/١٠/١٩٨٣

أذاعت وكالة الانباء الفرنسية هذا الاسبوع نبأ نشرته بعض الصحف العالمية في صفحاتها الأولى يقول : ان عددا يتراوح بين ثلاثين الى خمسين الف فرنسي قد أشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية . وأهمية هذا النبأ كما اعتقد ويعتقد كل الذين يعملون في مجال الفكر الديني ويتابعون عن قرب الصحوة الاسلامية العالمية في الاعوام الاخيرة ترجع الى عدة أمور من بينها ان النبأ صحيح مائة في المائة ولا مجال للشك فيه فلم تنشره مجلة عربية أو اسلامية حتى يمكن أن يقال ان شيئا من المبالغة قد لحق به وانما نشر في مجلة ، « لاكتواليتيه روليجيوز » وهي أكبر مجلة كاثوليكية تصدر في فرنسا — ومن الامور التي تجعلنا نولي اهتماما كبيرا بهذا النبأ أن العدد الكبير الذي دخل في الاسلام من الفرنسيين خلال السنوات القليلة الماضية يمثل كافة الاوساط الاجتماعية والاتجاهات الفكرية كما جاء في المجلة التي نشرت للنبأ وذكرت من بينهم مفكرين مثل « روجيه جارودي » الذي ظل فترة طويلة من أنصار ماركس وكان مناضلا كبيرا لصالح الشيوعية الدولية و « ميشيل شود كيوتيز » عالم الدراسات الصوفية وفنانين مثل « موريس بيجار » الراقص ومصمم الرقصات وأساتذة في الجامعات مثل « فانش مونتي » الذي كتب عددا من أعماله عن السلام « وبيربنواميشان » عالم التاريخ

الكبير الذى كتب « ابن مسعود » وراحت المجلة بعد ذلك تعلق على النبأ بأن هؤلاء جميعا قد اجتذبهم الاسلام ببساطته وبأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتيحه من امكانية التوجه الى الله دون وسيط ، ثم تبقى الاهمية الكبرى لهذا النبأ والتى تجعلنا نقف عنده طويلا ونتخذه موضوع حديثنا هذا الاسبوع وهى أن هذا العدد الكبير من الفرنسيين من مختلف الاوساط الاجتماعية والفكرية يدخلون الاسلام فى الوقت الذى يواجه الاسلام بحملة ضارية يشنها الآن خصومه فى أوربا وأمريكا وتفرد لها بعض الصحف العالمية العديد من الصفحات كما يشارك فيها للاسف الشديد بالمغالطة والهجوم عدد من الهيئات العلمية والموسوعات العالمية ولو وضعنا هذا النبأ بجانب هذه الحملة الضارية على الاسلام لأدركنا على الفور ونحن والحمد لله على يقين من ذلك أن الله سبحانه وتعالى حافظ دينه ومظهره على الناس ولو كره الكافرون •

كتب السيد/محمد ابراهيم الشامى — القاهرة — حلوان •

مقترحا : بان تجعل المجلة الهدية الملحقة بها من الكتب الموجودة بمكتبة الازهر التى ليس من السهل ان يعثر عليها كل الناس •

﴿ نشكر لك يا أخى هذا الاهتمام — ونفيدكم بأن الملحق من أمهات الكتب سواء كان فى مكتبة الازهر أو فى غيرها • ونسأل الله أن يوفقنا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •

كتب السيد / رأفت مصطفى أحمد — شنبارى — جيزة •

مقترحا : بان تخصص المجلة بابا يهتم بامور شباب الازهر خاصة وشباب الاسلامى عامة •

ثم يسأل عن كيفية حصوله على بعض الاعداد التى تنقصه من المجلة •

﴿ المجلة تشكر لك هذا الشعور الطيب وترجو — ان شاء الله — أن توفق فى تحقيق طلبك للحصول على ما ينقصك وعليك الاتصال بتوريدات الأزهر بمدينة البعوث الاسلامية — القاهرة — حيث يوجد بها قسم لمبيعات مطبوعات الازهر •

كتب السيد /محمد مصطفى البحيرى — طهطا •

تحت عنوان — السعادة وكيفية تحصيلها فى نفس الانسان —

جاء فيها : بأن السعادة ليست فى جمع المال ولا فى كثرة العيال ولكن السعادة الحقة فى راحة الضمير •• وهناك من قال أن السعادة — عبادة الله والسعيد من قاطع كل طريق يخالف الرحمن •

كتب السيد/هاشم على — الجزائر • مستفسرا عن كيفية الاشتراك وقيمته للحصول على المجلة شهريا •

﴿ عليك يا أخى الاتصال بادارة توزيع الاهرام فانها المختصة بهذا وعنوانها القاهرة شارع الجلاء — ادارة توزيع الاهرام •

فهرس العدد

طبع بمطابع روزاليوسف

MOHAMMAD

The early life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is highly characterised by working for a living. This remarkable aspect from early childhood certainly added to his illustrious character the sense of duty and responsibility, and a perceptive depth in the needs and nature of human goodness and virtue.

His marriage to Khadija lasted twenty five years and terminated by her death. During that period the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) at that active and youthful age did not think of marriage to a second wife. He remained to honour and respect her during her life and after her death. Several true honourable Hadith are related specifying the high ranking position of Khadija and the great esteem she deserved amoung all people and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) in particular.

At this stage of the life (Al-Sira) of the esteemed honourable magnanimous Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him), this treatise ends. In Sha-Allah, continuation of his superb and unique life will appear in future articles.

References

1 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al Maarif, 1977, Cairo.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition, 1978.
Sheikh Mohammad Al Khodary Bey.
Great Commercial Library, Cairo.

3 — Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi.
Dar Al Sharak, Jeddah.

4 — Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th. Edition 1977.
Dar Al Fikr — Cairo.

It is evident that the ancestal lineage of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is specifically designated and characterised by divinely preordained selective genealogy of genetical purity, honour, and human distinction. This reality is confirmed by the laws of inheritance of dominant characters; and is also supported by several honourable Hadith and Quranic text.

By divine will and wisdom, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was born an orphan, and lost his mother and grandfather by the age of eight years. He was totally deleted from paternal connections to remain exclusively under divine care and godly ordinance. His character, intellect and conduct; his insight and contemplation, his scrutiny and precognition — were all developed by transcendent heavenly supreme schooling from the creator «ALLAH», in preparation for his future task as «ALLAH's Messenger». He was pious, devout, humble and free from worldly want, power or lust. He possessed no drive of racial or tribal superiority, support, or distinction of class. With such attributes was his culture and inherent personality in order that people will not confuse the reverence of prophethood with world rank, arrogance or power.

The incidence of thoracotomy that occured when he was in the dwellings of Bani Saad has been extensively argued by materialist thinkers to the extent of denial. However, the reality of the event has been well confirmed in the Honorable Hadith, and is absolutely accepted by those with unfaltering faith in Allah and the Prophethood of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him). This event proper is a prodromal insignia that Allah has enshrined and exalted him with selective choice of eminence and sanctified status. Among the numerous extra-ordinary and miraculous events occuring to prophets and men alike, this particular incidence is amenably accepted by the unbiased mind. How easy it is to believe as reality when we love enough the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) trust enough in his virtuous honourable Hadith.

The communication of speech from the Hermit Buhira to Abu Taleb when he recognised in his nephew signs of prophethood has been related by all biographers of the prophets life (Al-Sira). This speech indicates that both Jewish and Christian theologians and priests had in their scriptures signs and descriptions of the expected prophet; and several indications of his recognition. This understanding is well documented in the Quran.

The People of the Book
Know this as they know
Their own sons; but some
of them conceal the truth
which they themselves know.

(Al-Baqarh II, 146)

Several of those theologians that embraced Islam confessed to the understanding that their past traditions and teachings describe signs of the expected apostle. Salman Al-Farsi (the famous sahabi) accepted Islam by closely following the signs and descriptions of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) as documented in Christian and Jewish scriptures, and as instructed to him by their priests and theologians.

MOHAMMAD

At the age of twelve years, his uncle Abu- Taleb took him on a trade journey to Al-Shaam (Syria). This was the first trip for the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). On their way, they passed by a Hermit called Buhira who was knowledgeable in Christian Theology. When Buhira saw the young master, he closely scrutinised him and realised in him the signs of future prohethood well known at the time in Christian and Jewish doctrinism. Buhira warned Abu Taleb from the danger of Jews in the event they see his nephew and recognise his future status as endowed with divine selection and appointment to be the Messenger of Allah. Consequent upon this warning, Abu Taleb hurried back with his nephew to Macca.

At the age of twenty years, he witnessed the war of Al-Fujjar between the tribes of Kuraysh and Qays; and also attended the alliance of Al-Fudool uniting all the clans of Kuraysh within one affiliation to antagonise, condemn and resist any injustice or harm to all people. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) in later years acclaimed this treatise conformed by the clans of Kuraysh at that time.

The second trade journey of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) was in the service of Khadija Bent Khuwaylid Al-Asadiah who was a Korashian lady of high esteem, rank, honour and wealth. She employed men to expedite and promote her trade in return of shares in profits. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) at the age of twenty five years was eminently notable and reputed for his peity, puritan honesty, truthfullness and virtuousness. Such reputation of supreme character and conduct drove Khadija Bent Khuwaylid to ask his services in trading for her. He accepted and travelled to Al-Shaam trading with Khadija's funds. She entrusted to his assistance Maysarah a yeoman in her house hold. Mohammad (Prayes and Peace from Allah upon Him) was very prosperous and successful, and returned from this trade route with bountiful gratuity. He also incurred the highest esteem, respect and true devotion which he so very well deserves. Khadija was highly impressed with and deeply respectful to such supreme human characters by which Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) was outstandingly reputed by all. She asked him in marriage through her friend Nafisa Bent Munayah and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) accepted. His uncle Abu Taleb asked her hand for his nephew from Khadija's uncle Amre Ibn Assad. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) married at the age of twenty-five and Khadija was at the age of forty.

This chronological sequence of events of the life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) from birth to marriage has emphasized salient aspects during that period. However, several important considerations should be brought to our understanding in order to acquire an intelligent comprehensive knowledge pertaining to that period of his reverend and honourable life.

MOHAMMAD

PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM

FROM BIRTH TO MARRIAGE

By :
Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the Name of Allah most Gracious most Merciful.

The ancestral descent of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is ascertained and accepted by all chroniclers to be as such. He is Mohammad Ibn Abdullah Ibn Abdul-Mutaleb Ibn Hashim Ibn Abed-Manaf Ibn Qusai Ibn Kelab Ibn Murrah Ibn Kaab Ibn Luai Ibn Ghaleb Ibn Fahr Ibn Malek Ibn Al-Naddre Ibn Kenanah Ibn Khozaymah Ibn Mudrakah Ibn Ilyas Ibn Muddar Ibn Nezar Ibn Maad Ibn Adnan. To this extent of parenthood, his honourable descent is undisputed. There is also unanimous agreement that Adnan is a direct descendant of Ismail Ibn Ibrahim (Peace be upon them all).

The mother of the prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is Amenah Bent Wahb Ibn Abed-Manaf Ibn Zahrah Ibn Kelab. She was married to Abdullah the youngest son of Abdul-Mutaleb when he was eighteen years old. Two months after conceiving, Abdullah died on his way back from a trade journey and was burried at Al-Madina.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was born an orphan on Monday 12th. Rabie Al-Awal corresponding to April 20th. 571 AD, and was taken in the guardianship of his grandfather Abdul-Mutaleb. According to prevailing Arab cutoms at that time, the infant was charged to the care of a bedouin wet nurse called Halima Bent Abi Zoayb from the tribe of Bani Saad Ibn Bakre. At the home of Halima, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) lived in the dwellings of Bani Saad till the age of five years. During that period, the famous event of seraphic thoracotomy took place. Soon after the incidence, he was returned to his mother in Macca.

At the age of six years his mother died, and consequently the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was taken under the complete custodianship of his grandfather Abdul-Mutaleb. When he was eight years old, his grandfather died, and he was taken under the protectorship of his uncle Abu-Taleb. During the years that followed, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) occupied his time working as a shepard, humble and content, away from the common conduct and boisterous behaviour of the youngesters of his age.

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رضى الله عنهم ، هم خير القرون ، وأسبق السابقين الى الايمان ، وخير من عمل بالإسلام لهم ميزتهم على الأمة ، وفضلهم على أهل الاسلام .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :

« خير أمتى أهل قرنى » (١) .

هم عدول هذه الامة ، وحواريوها ، وأسوتها فى كل خير .

نزلت سورة النصر : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

(١) صحيح البخارى ٢/٢٤٧ طبع الوهبية .

* الجزء الرابع * السنة السادسة والخمسون

ربيع الآخر ١٤٠٤ هجرية * يناير ١٩٨٤ ميلادية

أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

فقرأها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى ختمها ، ثم قال :

« الناس حيز ، وأنا وأصحابي حيز » (١) ٠

فهم القمة التي نذكرها مقدرين ، ونستعرض جلالها شاكرين ، فاذا كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صفوة الخلق ، فهــؤلاء الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ صــفوة الأمــة ، وَإِنَّ مِنْ أيسر أعمالهم فضلا ما يستمر تخــاتر حسناته الى يوم الدين ٠

هذا عثمان بن عفان ، ذو النورين ، يحفظ ــ رضى الله عنــه ــ عن رؤية وعمل وضوء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، فيتحدث بــه علما وعملا أمام الناس ، ويحتوى « صحيح مسلم » في باب الطهــارة عمله هذا فيستمر فضله نصب أعيننا الى يوم الدين ، وله ــ بعد ــ ما له شــأنه :

أتذكره اذ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مســـند أحمد ٣/٢٢

« من يحفر بئر رومة فله الجنة » .
فحفرها عثمان !!

وإذ قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« من جَهَّزَ جيش العسرة فله الجنة » .
فجهزه عثمان !! (١) .

رضى الله عن سيدى : عثمان بن عفان بشره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة على بلوى تصيبه ، فأصابته ، ولازال يُصَاب .

** ** **

وانما عثمان واحد من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القوم الذين اختارهم الله ـ سبحانه ـ لنبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه .

عن محمد بن طلحة المدينى عن عبد الرحمن ابن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ان الله اختارنى ، واختار لى أصحابا ، جعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه ـ يوم القيامة ـ (٢) صرفا ولا عدلا » (٣) .

وروى ـ فى هذا المعنى من حديث أنس رضى الله عنه ، ولفظه : « من سب أصحابى فقد سبنى ، ومن سبنى فقد سب الله » رواه ابن البناء .

وعن عطاء بن رباح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لعن الله من سب أصحابى » .

رواه أبو أحمد الزبيرى : حدثنا محمد ابن خالد عنه ، وقد روى عنه عن ابن عمر مرفوعا (٤) ـ من وجه آخر .

رواهما اللالكائى .

وقال على بن عاصم :
أنبأ أبو قحذم ، حدثنى أبو قلابة عن ابن

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢٥٥ الوهبية .
(٢) اى لا يكون له خير يقبل منه .
(٣) ابن تيمية ـ الصارم المسلول ص ٥٧٧ ط أولى مطبعة السعادة ـ شعبان ١٢٧٩ .
(٤) نفس المرجع ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مسعود قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

اذا ذكر القدر فأمسكوا ، واذا ذكر أصحابي فأمسكوا » (١) •

** ** **

ولقد تعلمنا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم حملة العلم أصحابه — رضوان الله عليهم — ما للقوم من منزلة ، وما ينبغي لهم من تقدير ، فكان خير التابعين من لزم سنن التقدير والاجلال لأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم •

أوْتَرَ معاوية بن أبي سفيان — رضى الله عنهما بركعة بعد العشاء ، وعنده (٢) (مولى) لابن عباس — رضى الله عنهم — فقام بنفس المولى شيء من ركعة واحدة ، فأتى ابن عباس فأخبره ، فقال ابن عباس : « .. دَعْهُ ، فإنه قد صَحِبَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم » (٣) •

كذا على خير أدب وأكرم سنن ، فلم يُخَطِّئ أو يُجَادل ، أو يماري أو يخوض ، بل أشار الى صحبة معاوية — رضى الله عنهما — وفيها من العلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما فيها ، وقطع بها الطريق على وساوس الشيطان في نفس (المولى) •

وهذا ما ينبغي من التابعين مع صدر المؤمنين — رضوان الله عليهم ، ولذا يحذرون كل الحذر ثلاثا :

(أ) سب أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو أحدهم •

(ب) أو التعريض بهم — رضوان الله عليهم — أو بأحدهم •

(ج) أو اثارة أمرهم — في غير مقامه — فيكون مضغة في أفواه الناس على اختلافهم وتفاوتهم فيستحسنون من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويستقبحون !

وما واحدة من تلك الا مساوية لغيرها وشرها ثالثتها لما فيها من اثارة الفتنة والايقاع في الضلالة ، وجر الناس الى الكبائر

قال التستري : سمعت أبا زرعة (٤) يقول :

« اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — عندنا حق ، والقرآن حق ،

---

(١) نفس المرجع ص ٥٧٨ •

(٢) أي رقيق أعتقه فصار حرا •

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٦٥ طبع الوهبية •

(٤) ابو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي من الاعلام الائمة توفي ٢٦٤ هـ •

وانما أدى الينا هذا القرآن والسُّنَن أصحابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » (١) .

روى الامام أحمد — بسنده — الى المزنى قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى — الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن احبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله — تبارك وتعالى — ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » (٢) .

قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا » (٣) .

قال الامام أحمد — عن الأئمة الاربعة فأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « وهم خلفاء راشدون ، مهديون ، ثم أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد هؤلاء الاربعة خير الناس .

لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له (أى لولى الأمر) أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فان تاب قبل منه ، وان ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده فى الحبس حتى يموت أو يراجع » (٤)

لذا يشغف المخلصون بحب أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويستزيدون من فضلهم ، ويحرصون على مجانبة ما يمسهم ، ويتهم أئمتهم من يفعل .

قال أحمد بن حنبل للميمونى — رضى الله عنهما :

يا أبا الحسن ، اذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بسوء ، فاتهمه على الاسلام » .

وصرح — بأوضح من ذلك فقال :

« ما أراه على الاسلام » . (٥) .

فكيف بمن استثار شئونهم — على أى وجه و لون من النشر — فلاكها الناس منعتا وقدحا !! ؟

نسأل الله العافية .

ولم يكن هذا الامر ليغيب عن سلفنا الصالح من فقهاء الأمة ، فنظروا اليه — فى ضوء القانون — سواء وقع بين صفوف المسلمين أو المعاهدين ، قال القاضى أبو يعلى :

---

(١) انظر مقدمة العواصم من القواصم للقاضى ابى بكر بن العربى ص ٢٤ تحقيق محب الدين الخطيب ١٣٩٠ .

(٢) مسند أحمد ٥/٥٤ ، ٥٧ الميمنية .

(٣) الاحزاب — ٥٧ .

(٤) ابن تيميه — الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

(٥) راجع لابن تيميه — الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة :

ان كان مستحلا لذلك كفر ، وان لم يكن مستحلا فسق » (١) ثم بقى بعد ما يلزم الأمة تجاه تلك الصفوة البارة ـ رضوان الله عليهم ـ ويتمثل فى الآية الكريمة :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٢) .

وأسبق السابقين الى الايمان هم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو جاز سبهم ، أو التعريض بهم ، أو اثارة حديثهم للنيل منهم ـ ما جاز الاستغفار لهم كما لايجوز الاستغفار للمشركين ، وفى ذلك دليل على حب الله ـ سبحانه ـ لهم ، وما أبعد نظر عائشة ـ رضى الله عنها ـ اذ تقول : « أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسبوهم » .

وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ اذ يقول :

لا تسبوا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان الله قد أمر بالاستغفار لهم ، وقد علم أنهم سيقتتلون » (٣) .

وأمر الله جاء فى قوله تعالى :

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » (٤) .

وبعد :

فمن أراد الحيطة لدينه فتلك عُرْوَتُه .

د. على الخطيب

---

(١) نفس المرجع ص ٥٦٩ .
(٢) الحشر ـ ١٠ .
(٣) انظر الصارم ٥٧٤ .
(٤) سورة محمد ـ ١٩ .

الحمد
في القرآن الكريم

دراسات إسلامية

غارة تبشيرية
جديدة على أندونيسيا

الحمد

فى القرآن الكريم

مقـدمة البحث

ان النعم التى تفيضها يد الله فى حياة المؤمن ـ وما اكثرها ـ ينتفض لها قلبه حمداً لصانع النعم ، ويمضى الحمد يحطه الكرام الكاتبون فيجتازون به اطباق السموات الى ساحة المنعم رجاء ان يؤدى لـرب النعم بعض ما يجب ، ولن يقضى حمـد الحامـدين ما عليهم ، وان تحولت حياتهم السنة تلهج بحمـد اللـه لان اياديه غمرت الانسان منذ التقى ماء الاصلاب والترائب فى الأرحام فكان نطفة ، وعاشت معه نعم الله فى الظلمـات الثـلاث ترعاه فى تلك المضايق ، وتربط بينه وبين الام اسباب الحياة وحبالها ، وينفخ الله فيه من روحه روحا تبعث الحياة فى ذلك الانسان الذى صورته يـد الله بشرا (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ).

ونعم الله التى تعيش مـع الانسـان فى الأرحام وهو عاجز عن شكرها لا تتخلى عنه حين ينبعث من الأرحام ، بل انه يمضى اعوام طفولته واعواما اخرى بعد طفولته غـارقا فى نعم الله ولا يؤدى لها شكرا .

فالانسـان مدين لله بالشكر على نعمه عليـه ، فإن لم يكن يدرك أن النعم تستوجب الشكر ، فما أحراه حين أدرك نعم الله عليـه ، وأدرك الدين الذى فى عنقه لربـه أن ينتفض قلبـه ولسانه بحمد الله على ماآتاه ويؤتيه من نعم لا ينقطع مددها على الزمن ، فهو فى كنف الله ما عاش ، ثم تمتد جسور النعم مع المؤمن الى الحياة الآخرة حيث النعمة الكبرى : نعمـة الخلود فى رضوان اللـه فى جنـة (عرضـها السموات والارض) (فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)

ومفتاح جنة الله : ايمان « بالله وبرسـل الله وبكتب الله وباليوم الآخر ، وعمل بما جاءت به شرائع الرسـل ، وسلوك » ينبع من التأثـر الصادق بمناهج الانبياء والصـديقين ممـن اصطفاهم الله فكان سلوكهم مشـاعل علـى طريق الحق يهدى بها الله من عاش شـاكرا

للدكتور محمد محمد خليفة

أنعمه ، وعاش لسانه رطبا بذكر الله مرددا أبدا من الأعماق :

« سبحان الله وبحمده سبحان العظيم » .

والحمد في اللغة : الشكر والرضاء والجزاء وقضاء الحق .

وقيل في الفرق بين الحمد والمدح والشكر :

ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده ، أما الحمد فلا يكون الا بعد الاحسان ، والمدح قد ينهى عنه أما الحمد فمأمور به .

والحمد عاما وصل اليك والى غيرك والشكر خاص بما وصل اليك ، فالحمد ثناء على الله بسبب ماوصل الى الخلق من الانعام ، والشكر ثناء على الله بسبب ماوصل الى الشاكر فقط .

والحمد لله أفضل من أحمد الله : لان التعبير الاول يفيد أن الله محمود قبل حمد الحامدين وشكرهم ، بخلاف الثانى فانه يدل على أن القائل قادر على حمده وعلى تجديد ذلك الحمد .

والاول كذلك يدل على أن الحمد حق وملك له لكثرة نعمه فهو مستحق للحمد لذاته .

والثانى يدل على أن شخصا حمده ولا يدل على استحقاقه للحمد لذاته .

وقد ورد الحمد بمشتقاته في القرآن في ثمان وستين موضعا بصيغ مختلفة : بعضها بصيغة المصدر وبعضها بصيغة المضارع وبعضها بصيغة اسم الفاعل وبعضها بصيغة اسم المفعول وبعضها بصيغة فعيل أو أفعل أو مفعل فجاءت بصيغة المضارع في آل عمران واسم الفاعل في التوبة واسم المفعول في الاسراء وبصيغة أفعل في الصف وبصيغة مفعل في « آل عمران » والأحزاب ومحمد والفتح » وبصيغة فعيل في : «البقرة . هود . ابراهيم» في موضعين وفي الحج في موضعين وفي لقمان في موضعين وفي سبأ وفاطر وفصلتوالشورى والحديد والممتحنة والتغابن . والبروج . والنساء » . ووردت بصيغة المصدر :

١ ــ مقترنة بالله رب العالمين في : « الفاتحة ــ والانعام ــ يونس ــ الصافات ــ الزمر » .

٢ ــ في فواتح السور في : « الفاتحة ــ الانعام الكهف ــ سبأ ــ فاطر » .

٣ ــ مقترنة بالتسبيح في : البقرة ــ الحجر ــ طه ــ السجدة ــ الزمر ــ غافر في موضعين ــ الشورى ــ ق ــ الطور ــ النصر ــ الرعد ــ الاسراء ــ الفرقان » .

٤ ــ غير مقترنة بالتسبيح في : « الفاتحة ــ الانعام في موضعين ــ الاعراف ــ يونس ــ ابراهيم ــ النحل ــ الاسراء ــ الكهف ــ المؤمنون النمل في ثلاثة مواضع ــ العنكبوت ــ لقمان ــ سبأ ــ فاطر في موضعين ــ الصافات ــ الزمر في ثلاثة مواضع ــ غافر ».

٥ ــ تقدم الجار والمجرور على صيغة المصدر « الحمد » بما يفيد الحصر وذلك في :

الحمد فى القرآن الكريم

« القصص ـ الروم ـ سبأ ـ الجاثية ـ التغابن .

واليكم ما جاء من الصيغ المختلفة فى القرآن :

١ ـ الحمد لله رب العالمين ، الفاتحة :

الحمد : الثناء ، واللام فى قوله : « لله » قد تكون للاختصاص على معنى أن الحمد لا يليق ولا يختص الا به : لجلاله وفضله واحسانه وقد تكون اللام : للملك ، على معنى أنه مالك للكل ، فوجب أن يملك من العالمين اشتغالهم بحمده وقد تكون اللام للاستيلاء على معنى أنه مسئول على الجميع ومستعل عليهم .

والحمد لله : شكر على نعمه الماضية والمستقبلة التى تتجدد تحقيقا لوعد الله « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

وان فاتحة البشرية وخاتمة مايتصل بدنياها من ايمان وعمل : الحمد لله حيث ان آدم لما توسطت الروح جسده عند خلقه عطس ، فقال : « الحمد لله » وكان ذلك أول كلام تكلم به .

وحين يبلغ المؤمنون الجنة يقولون الحمد لله ، « **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » وقد أضاف الله الحمد الى نفسه فى قوله : « الحمد لله » ، ثم وصف نفسه بانه رب ـ ثم أضاف رب الى العالمين . ومعنى ذلك أن الله أحب الحمد فنسبه الى نفسه على أنه مملوك له ، ثم عرف نفسه بكونه ربا للعالمين ، وربوبيته للعالمين أكمل الصفات وأتمها وفى ربوبيته للعالمين اشارة الى أنه يملك الكثير من الخلق غير البشر .

والرب : مصدر بمعنى التربية ، سمى به المالك ، لأنه يحفظ ما يملك ، فالله رب العالمين : يربيهم ويرعى شئونهم ، ويحسن اليهم ، ويرزقهم من خزائنه التى لاتنفد قبل سؤالهم : رباهم أجنة فى أرحام الأمهات ، ولم ينقطع احسانه عنهم ولا عن أحد من خلقه ، بل وسعت نعمه ورحمته كل شىء ، ان المراحل التى مر بها الانسان من نطفة الى علقة : الى مضغة الى عظام وغضاريف وشرايين الى أجهزة : للتنفس والهضم . وغيرهما الى الرأس وما خلق الله فيها من المخ الذى تعيش فيه الاعصاب لتؤدى وظائفها من الاشارات المتلاحقة للسمع والبصر واللمس والذوق ، كل ذلك الخلق والتدبير والاحكام فى كل مراحل الحياة يدل على تربية الرب للعبد ، وخلق مايحتاجه للحياة التى وهبها الله له « **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** » .

فلو ابصر الانسان نفسه ، ومشى وراء نعم الله فى تلك النفس لخر ساجدا لمن رباه

والعالم : اسم لما سوى الله من المخلوقات (وما يعلم جنود ربك الا هو) ويطلق ذلك

الاسم على كل جنس من خلق الله : كعالم الملائكة وعالم الأفلاك وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الزواحف وعالم الجن وعالم الانسان .

وقيل : هو اسم لأولى العلم من الملائكة والثقلين : الانس والجن .

وقيل : يطلق على الناس فقط .

وقيل يطلق على كل ما علم الله من الأجسام والأعراض .

وربوبية الله حاصلة لجميع أفراد كل جنس من أجناس العالمين .

٢ ـ « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » البقرة ٣٠ .

تدل هذه الآية على تعظيم الله لآدم عليه السلام وفى تعظيمه تشريف له ولذريته وملائك جمع : ملأك ، كشمائل وشمال والتاء لتأنيث الجمع .

والملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وهم كثيرون كثرة يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع » والأطيط : صوت تحدثه الابل مما تحمل من الأثقال وقد ذكر القرآن أصنافا من الملائكة وأوصافهم :

فمنهم : حملة العرش ذكرهم الله فى قوله : وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » الحاقة ١٧ .

ومنهم الحافون حول العرش ذكرهم الله فى قوله : « وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » الزمر ٧٥ .

ومنهم أكابر الملائكة ذكرهم الله فى قوله : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ » البقرة ٩٨ .

ومنهم ملائكة الجنة ذكرهم فى قوله : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد ٢٣ ، ٢٤ .

ومنهم ملائكة النار ذكرهم الله فى قوله : « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) المدثر ٣٠ ، ٣١ وسماهم الله : الزبانية فقال : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » العلق ١٧ ، ١٨ .

ومنهم الموكلون ببنى آدم ذكرهم الله فى قوله : « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » ق ١٧ .

ومنهم كتبة الأعمال ذكرهم الله فى قوله : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ » الانفطار ١٠ ، ١١ .

أما عن طاعتهم له فقد ذكرها القرآن فى قوله : « وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » البقرة ٣٠ « وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ

الحمد فى القرآن الكريم

الْمُسَبِّحُونَ » الصافات ١٦٥،١٦٦ وهم الممتثلون لأمر الله : « فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ » الحجر ٣٠ وقوله : « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » الأنبياء ٢٧ .

وقوله : يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » الأنبياء ٢٠ وقوله : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» التحريم ٦ .

ووصفهم الله بالخوف منه فى قوله : « يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » النحل ٥٠ .

وقد أخبر الله ملائكته باستخلاف آدم فى الأرض فى قوله : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» اى مصير فى الأرض والمراد : جميع الأرض مشارقها ومغاربها .

والخليفة : من يخلف غيره ويقوم مقامه ، وقد خلف آدم الجن فى الأرض حيث كانوا يعمرونها قبله ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضا ، فأخرجوا من الأرض ليخلفهم فيها آدم وذريته .

وقيل سماه الله خليفة : لأنه يخلف الله فى الحكم بين المكلفين من خلقه .

وقد ذكر الله الاستخلاف فى الأرض فى قوله : « ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ » اى يخلف بعضكم بعضا .

وقد ذكرت الآية ما دار من القول بين الله والملائكة حين قالت الملائكة : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » والمراد بمن يفسد ويسفك الدماء أولاد آدم وقد أضاف الملائكة الفساد وسفك الدماء للمخلوقين من البشر أما الملائكة فانهم يسبحون بحمده ويقدسون له والتسبيح تنزيه ذات الله عن كل نقص ، والتقديس تنزيه أفعاله عن صفات الذم ، وهم لم يسألوا ليقدحوا فى حكمة الله لأنهم يسبحون بحمده ، ويعترفون بعظمته ، ولكنهم بسؤالهم يطلبون الحكمة فى التفضيل .

ومعنى نسبح بحمدك : نسبح لك حامدين ومتلبسين بحمدك مقرنين التسبيح بالحمد لنقر بفضلك علينا بالنعم المختلفة لأنك تستحق الحمد .

وفى التسبيح تبرئة من السوء وتنزيه الله عما لا يليق به اعتقادا وقولا وعملا والاسراع فى طاعته .

وقيل المراد بالتسبيح : الصلاة ، فمعنى نسبح لك : نصلى لك وهذا قول ابن عباس — رضى الله عنهما — .

وقيل التقديس : التطهير ، فمعنى نقدس لك اى نصفك بما يليق بك أو نطهر أنفسنا من الخطايا ابتغاء مرضاتك وقد أجاب الله عن

سؤال الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها بقوله : « انى أعلم مالا تعلمون » من دواعى الخلافة والصالح للاستخلاف .

والمعنى : لا تتعجبوا من أن يكون فيهم من يفسد ويقتل فانى أعلم أن فيهم الى جانب ذلك الكثير من المتقين ومن لو أقسم على الله لأبره ، وفيهم من يتضرعون الى الله ويلوذون به من خطاياهم ، ويجأرون حين يعصون : ربنا ظلمنا أنفسنا ورب الملكوت عليم بالحكمة فى استخلاف آدم وبنيه فى الأرض .

٣ ـ « لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » آل عمران ١٨٨ .. قال تعالى فى الآيات السابقة على هذه : « لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا »
وكان من جملة ايذائهم : انهم يفرحون بما أتوا من الخبث والكذب وتحريف الحق والتلبيس ويحبون أن يحمدوا بأنهم من أهل البر والتقوى والصدق وصالح الأعمال ، فأخبر الله نبيه بأنه لا يظن أنهم ناجون من عذاب الله على ما يفعلون بعد أن كشفت طواياهم .

وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيه له الى الصبر على أذى المشركين والكتابيين واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال بعضهم :

نزلت فى اليهود الذين يحرفون نصوص التوراة ، ويفسرونها حسب أهوائهم ، ويفرحون بهذا الصنع ، ويحبون أن يحمدوا بأنهم أهل ديانة وصدق وعفة .

وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء فى التوراة فكتموا الحق ، واخبروا بخلافه ، وفرحوا بذلك التلبيس وطلبوا من الرسول أن يثنى عليهم فأطلع الله رسوله وكانوا قد توقعوا أن يحمدهم النبى ويثنى عليهم وقيل نزلت فى المنافقين يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان وتوقعوا أن يحمدهم النبى على ما لم يكن فى قلوبهم منه شيئا .
وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى رجال من المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى الغزو ويفرحون بتعودهم عنه ، فاذا اعتذروا قبل عذرهم ، وطمعوا فى أن يثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم .

وليس هؤلاء أو أولئك بنجاة من عذاب الله على مواقفهم ولهم عذاب أليم لكذبهم وتدليسهم وتلبيسهم والمراد بالحمد فى قوله : (أن يحمدوا) أن يثنى عليهم ويشكروا .

٤ ـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) الأنعام ١ .

التحميد فى هذه الآية خاص لخلقه السموات والأرض وانشاء الظلمات والنور ، أما التحميد فى أول الفاتحة فانه لرب العالمين .. والعالمون : كل ما خلق ، فالحمد هنا مستحق وثابت لله الذى خلق السموات والأرض

الحمد في القرآن الكريم

وأنشأ الظلمات والنور والخلق : هو التقدير ، ومعناه علم الله النافذ في الكليات والجزئيات التي في السموات والأرض والآية فيها تعليم

للعباد ، والمعنى قولوا : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وخلق السمواتوالأرض بما فيها من النعم التي سخرها الله للانسان يستأهل من الانسان أن يحمد الله على خلقهما وخلق ما فيهما من للنعم •

ووصف الله بأنه خلق السموات والأرض بما فيهما خليق بأن يحمد لذلك الخلق •

وقدم ذكر السموات على الأرض لأن منافعها أعظم وقيل : لأن السماء كالدائرة والأرض كمركز لتلك الدائرة وحصول الدائرة يوجب تعين المركز •

والفرق بين الخلق والجعل : أن الخلق فيه معنى التقدير أي أن علمه نافذ في كل الكائنات في السموات والأرض أما الجعل ففيه معنى الانشاء والتصيير كانشاء شيء من شيء وتصيير شيء وشيئا كقوله تعالى« وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » بمعنى أنشأ منها زوجها •

ولفظ الظلمات والنور يشير الى تعاقب كل منهما ، وكأن كلا منهما تولد من الآخر ، والظلمات كثيرة لأنها ظل للاجرام ولذلك جمعها أما النور فهو من النار ، وذلك جنس واحد ولذلك أفرده •

وفسر بعضهم الظلمات : بالشرك والنفاق والكفر والنور بنور الاسلام ، والباطل كثير ولذلك جمعه أما النور فواحد وهو الايمان •

وقدم الظلمات على النور ، لأن الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود •

٥ ــ « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » الأنعام ٤٥ •

بين الله في الآية السابقة على هذه حالة أولئك الذين نسوا ما ذكروا به من الشدة والضر فلم تنفعهم عظات ولا عبر حيث تركوا الانتفاع بالعظات ، ولم يشكروا الله على نعمه التي فتح لهم أبوابها ، فأخذهم الله بغتة وهم مبلسون متحسرون آيسون ، وقد استدرجهم الله ثم أخذهم وهم في حالة الرخاء ليكون الأخذ أشد عليهم حسرة على مافاتهم مما كانوا فيه من النعم ، وحين طال ظلمهم لأنفسهم وجحدوا آلاء الله قطع الله دابرهم ، واستأصل شأفتهم ، ولم يترك منهم أحدا وفي الآية ما يؤذن بالحمد عند ما يهلك الظالمون •

وقوله : والحمد لله رب العالمين : قد يكون معناه أنه تعالى حمد نفسه على قطع دابر هؤلاء الظالمين •

وقد يكون المعنى أن الحمد لله رب العالمين حصل لأنه أخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى النعم وأمهلهم ، وبعث الأنبياء والرسل اليهم فازدادوا فى غيهم وطغيانهم فأفناهم ، وطهر الأرض منهم فكان الحمد لله على النعم التى أنعمها عليهم قبل أن يأخذهم ويقطع دابرهم .

٦ ــ « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف ٤٣ .

هذه الآية تصور حال المؤمنين فى الآخرة حيث ان الله جلت قدرته يزيل الأحقاد التى كانت بين الناس فى الدنيا حين يدخلهم الجنة فيقتلع كل ما كان يعيش فى القلوب من الأضغان ، أو يزيل أسباب الغل التى كانت تشعل القلوب حقدا ، ويضع فى النفوس المحبة والود ، أو أنهم لا يتحاسدون على الرغم من اختلاف درجاتهم ومنازلهم فى الجنة .

وقدانعم الله عليهم بالجنات التى تجرى من تحتهم الأنهار جزاء ما عملوا فى دنياهم .

ثم حكى الله عنهم أنهم يقولون عندئذ : « الحمد لله الذى هدانا لهذا أى لما جزاؤه هذا الذى نحن فيه من النعيم حيث أعطانا فى الدنيا العقل والقدرة لنتدبر فى ملكه وما فيه من آيات تدل على أنه الاله القادر الحكيم فآمنا به ، وعملنا بما يقتضيه الايمان من العمل الصالح ، ونحمده كذلك لأنه أزال الموانع من طريق تفكرنا وتدبرنا حتى اهتدينا ، ولولا أن هدانا الله مااهتدينا (قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ).

فالذين أنعم الله عليهم بالجنة يحمدونه ويثنون عليه لأنه هداهم للايمان والعمل الصالح والخلق الطيب والسلوك الحسن وكل ما استحقوا به الجنة .

٧ ــ « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »يونس ١٠ .

دعواهم بمعنى : دعاؤهم أو عبادتهم أو قولهم .

وعبادة المؤمنين فى الجنة ليست عبادة تكليف حيث ان الآخرة ليست دار تكليف وانما هى دار جزاء وانما عبادتهم فى الجنة تجمع بين التسبيح والتحميد للتلذذ بتسبيح الله وشكره على نعمه فيقولون : اللهم انا نسبحك ــ وتحيتهم فيها سلام وهى تحية الملائكة لهم وخاتمه دعائهم الذى هو التسبيح « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » أنهم يحمدون الله على الفوز الذى نالوه وهو الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار وقد روى الحسن البصرى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ان أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون أنفاسكم) والاشتغال بتسبيح الله وحمده من أعظم مايتقرب به الى الله ويحمل الشكر على النعم ولهذا كان آخر الدعاء : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

الحمد فى القرآن الكريم

٨ ـ حمد أبينا ابراهيم :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)

ابراهيم ٣٩ .

ينص القرآن على أن الله رزق ابراهيم اسماعيل واسحاق فى سن الشيخوخة ، وذلك ما بينه ابراهيم حين حمد الله على أن وهبه فى الكبر اسماعيل واسحاق ، وتقدم اسماعيل فى الذكر يدل على تقدمه فى الولادة على الرغم مما ادعاه الاسرائيليون من أن اسحاق هو الأكبر .

ولم ينص القرآن على سن ابراهيم حين وهبه الله اسماعيل واسحاق ، ولهذا اختلفت الروايات : فقيل حينما ولد اسماعيل كانت سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ، ولما ولد اسحاق كانت سن ابراهيم مائة واثنتى عشرة سنة .

وقيل ولد اسماعيل وسن ابراهيم أربع وستون سنة وولد اسحاق وسن ابراهيم تسعون سنة .

وروى عن سعيد بن جبير أنه لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة من عمره .

وهبة الله لابراهيم فى الشيخوخة عظيمة ، لأنها جاءت بعد اليأس من الانجاب ، والانجاب بعد الكبر من أعظم النعم وكانت ولادة الولدين فى الكبر آية لابراهيم تستوجب حمد المنعم على تلك النعمة .

وقد حكى الله عن ابراهيم بعد حمده على عطاء الولدين قوله : ان ربى لسميع الدعاء « أى انه عالم بالمقصود صرح به أو لم يصرح ، وان الله لسميع دعاء من دعا سواء أجاب أو لم يجب .

وكان ابراهيم قد سأل ربه الولد فى غير هذا الموضع حينما قال : رب هب لى من الصالحين الشعراء ، واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وفى الآية توجيه للناس الى حمد الله على نعمه التى ينعم بها على عباده .

٩ ـ الفزع الى الله لكشف الكروب .

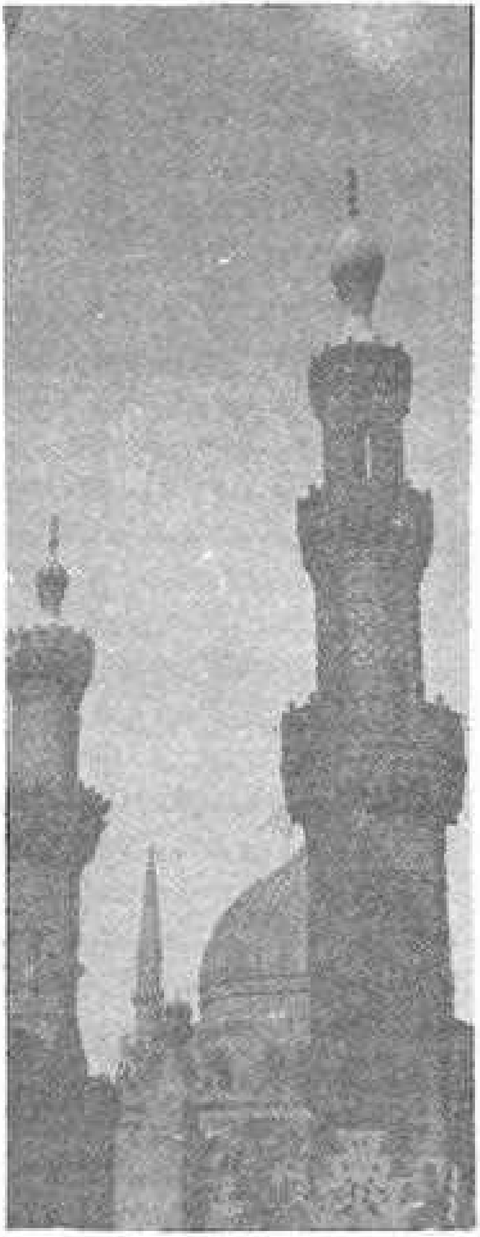
« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ »

الحجر ٩٨ .

لقد كفى الله محمدا أمر المستهزئين من قريش فى قوله : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ » .

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أولئك المستهزئين ياتوا يوم بحر قال جبريل : انى أكفيكهم ، فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات ، وأومأ الى أخمص العاصى بن وائل فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله فمات ، وأشار الى عبد الأسود بن المطلب فعمى ، وأشار الى أنف الحارث بن قيس فامتلأ قيحا ومات ، والى الأسود بن يغوث فجعل ينطح رأسه بشجرة حتى مات .

وهكذا كفى الله نبيه هؤلاء الخمسة الذين كانوا يستهزئون به وبالقرآن .



ثم أمر الله نبيه أن يفزع اليه فى كل ما نابه من الشدائد ، والفزع الى الله انما يكون بذكر الله دائما وكثرة السجود لله وقد أطلق السجود وأراد الصلاة فى قوله : وكن من الساجدين .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة .

وفى الآية أربعة أوامر التسبيح والتحميد والسجود (بمعنى الصلاة) ثم العبادة عامة.

ومعنى تسبح بحمد ربك : سبح ربك مقترنا بالحمد .

للبحث بقية

دكتور / محمد محمد خليفه

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

تأليف : أبو هلال الأندونيسى

« غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا » عنوان للكتاب الذى ألفه أبو هلال الأندونيسى، وقامت بطبعه ونشره «دار الشروق» فى جدة ، وهو كتاب من سلسلة الكتب التى تكشف عن دور التبشير فى البلاد الاسلامية ، خاصة تلك التى رزحت تحت نير الاستعمار طويلا ، ثم قدر لها ان يتولى زمام الأمر فيها ولاة ضعفت لديهم عاطفة الدين ، ولم يكن لهم من الاسلام الا حبال واهية تصلهم به ، ومن هنا أمكن للاستعمار من خلال ذلك أن يواصل دوره عن طريق خلفائه من المبشرين .

أما مؤلف الكتاب فهو كما جاء فى التعريف به كاتب مسلم أندونيسى ، عاش مع أحداث بلده ، منذ انهيار الاستعمار الصليبى أمام الغزو اليابانى سنة ١٩٤٠ ، الذى استغله زعماء أندونيسيا لاعداد الوثبة التحررية الأندونيسية الكبرى ، وقد كان المؤلف ممن شاركوا فى النضال التحررى ضد الاستعمار ، كما كان ممن وقف على ما تلا ذلك من أحداث ومناورات وتآمر ضد الاسلام من خصومه وأعدائه ، ومن ثم جاء حديثه فى كتابه حديث العارف ببواطن الأمور .

والكتاب يكشف عن تفاصيل الغارة التبشيرية الجديدة على أندونيسيا تحت عدة عناوين منها : قصة النصرانية فى أندونيسيا ــ مؤتمر ممثلى الأديان فى أندونيسيا فى نوفمبر ١٩٦٧ ــ غضبة المسلمين فى « مكاسار » على أعمال المبشرين ــ آخر أوضاع التبشير فى أندونيسيا .

وفى مواجهة العمل التبشيرى قدم المؤلف الجهود التى بذلت تحت عناوين أخرى هى (المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية تحديات أمام العمل الاسلامى ــ أهداف ومخططات) .

وفى نهاية الكتاب قدم المؤلف كشفا بأسماء الهيئات الأجنبية العاملة فى القطاع التبشيرى المسيحى فى أندونيسيا . وبذلك أنهى المؤلف كتابه الذى يقع فى ١٩٠ صفحة من القطع الكبيرة .

ــ ٢ ــ

أما فيما يتصل بالجانب الأول الذى كشف

عرض وتعليق الأستاذ الدكتور
طه مصطفى أبوكريشة

فيه المؤلف عن تفاصيل الغارة التبشيرية الجديدة على أندونيسيا فان صاحب الكتاب قدم لذلك بمقدمة أوضح فيها الهدف النهائي من التبشير، وهو الوصول الى تنصير كل أندونيسيا خلال ٥٠ عاما كما جاء في قرارات مؤتمر المبشرين الذى عقد في مدينة « مالانج » .

وقد كشف المؤلف عن الوسيلة التى رأى المبشرون أنها توصلهم الى هذا الهدف بسهولة وفي أسرع وقت، وهذه الوسيلة هي استغلال بؤس الشعب الأندونيسى .

يقول المؤلف « وقد اتخذت الغارة الشعواء على أندونيسيا شكل الصليب يحصل حفنة من أرز وزجاجة من دواء لتقدم باسم المسيح الى الجماهير المسلمة الجائعة العارية المريضة الخائفة ... ومنطق الجوع والعرى والمرض والخوف يقضى أن الجائع يهرع الى من يطعمه، والعارى يقبل على من يكسوه، والمريض يسرع الى من يعالجه، والخائف يلوذ بمن يمنحه الأمن والطمأنينة »، وانهم يتسللون الى السجون والمعتقلات ويتصلون بالمساجين والمعتقلين، ويعرضون عليهم الوعود بأنهم سيمدون أسرهم وذويهم بالغذاء والكساء والحاجات الضرورية شريطة أن يوقع أولئك المساجين على تعهد بأنهم مستعدون للتنصر لقاء ذلك » (١٣ — ١٤) .

وتحت عنوان «قصة النصرانية فى أندونيسيا» يذكر المؤلف أن أندونيسيا تتكون من ١٣ ألف جزيرة متناثرة على خط الاستواء، وتبلغ المسافة بين حدودها الشرقية والغربية «المسافة من لندن الى الخليج العربى، كما يبلغ عدد السكان ١٣٠ مليون نسمة ينتظم الاسلام أغلبيتهم عقيدة وشريعة، وينتهى المؤلف من هذا التوضيح الى أن هذا الكيان الاسلامى الجديد الذى يمثل أكبر تجمع اسلامى سياسى لم يرق للكثيرين من الموتورين من الاسلام أو الحاقدين عليه، حيث لا يريدون لهذا الشعب المسلم الهادىء أن يتكتل ويتفرغ للانماء والبناء .

ثم يقدم المؤلف تاريخ الكاثوليكية فى أندونيسيا، فيذكر أن تاريخ أول رجل دخل أندونيسيا من أتباعها كان فى القرن الثانى عشر الميلادى، وتتابع بعد ذلك بعض الأفراد الى أن ازدهرت الكاثوليكية خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر، ثم ازدادت ازدهارا بتعيين أول قاصد رسولى فى أول القرن التاسع عشر . وفى أوائل القرن العشرين تكونت الارساليات المتعددة، وتبع ذلك نشاط وفير فى شتى الجوانب الدينية والتعليمية والصحية والادارية والاجتماعية، وقد توج ذلك كله بانشاء « مجلس دعاة الكنائس بأندونيسيا » له رئاسة

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

وأمانة عامة ، وتضم هذه الأمانة أقساما للموظفين ولشئون التعليم والشئون المالية والخدمات العامة وشئون المستندات والاعلام الى جانب بعض المعاهد وبعض لجان الاشراف على أوجه النشاط المتعددة (١٧ ــ ٢٠) .

أما تاريخ « البروتستانية » فى أندونيسيا ، فان ذلك يعود الى أوائل القرن السابع عشر ، وقد كان الأندونيسيون البروتستانت قليلين فى أول الأمر ، ومع ذلك فقد بلغت كنائس البروتستانت عددا كبيرا تجاوز المئات ، نظرا لما تمثله فى نظر أتباعها من الحرية فى فهم النصوص الدينية .

ويعقب المؤلف على الثراء الواضح على المؤسسات التابعة لمجلس الكنائس الأندونيسى مشيرا الى التمويل الخارجى الذى لابد من وجوده فيقول : « ان الفرق العددى بين المسلمين والنصارى الأندونيسيين كبير جدا ، وكان المسلمون والنصارى حتى لحظة استقلال أندونيسيا متساوين فى حالة الفقر والغنى ، فلم يكن بين النصارى قبل ذلك مليونير معروف حتى يمكن تعليل ثراء هذه الطائفة الذى مكنها من انجاز المنشآت الضخمة الكثيرة فى ذلك الوقت الوجيز ، والتى اذا وزعت تكاليفها على أفرادها كلهم لغرم كل واحد منهم عشرات الألوف بل ربما مئات الألوف من الدولارات » (٢١) .

ومن بيان تاريخ الطوائف المسيحية فى أندونيسيا ينتقل المؤلف الى الحديث عن مؤتمر ممثلى الأديان فى أندونيسيا الذى عقد فى نوفمبر ١٩٦٧ وفى مقدمة هذا الحديث يورد تمهيدا أوضح فيه أن عام ١٩٦٧ شهد قمة التوتر فى علاقات المسلمين بالمسيحيين فى أندونيسيا ، وذلك بسبب : تفاقم المحاولات التى يقوم بها المسيحيون لتنصير المسلمين ، ثم ردود الفعل التى تصل أحيانا حد العنف من قبل المسلمين ضد التبشير ومؤسساته فى بعض المناطق المعنية ، وكان من أثر ذلك أن دعت الحكومة ممثلى الأديان فى البلاد الى اقامة حوار مفتوح للتشاور وتبادل الآراء فى أسباب تدهور العلاقات بينهم للتوصل الى أحسن الحلول لتسويتها . لكن المؤتمر لم يصل الى شىء ، وأخفق فى الوصول الى الغرض الذى عقد من أجله بسبب اصرار النصارى على رفض مقترحات الجانب الاسلامى فى المؤتمر . (٢٥) .

أما المؤتمر ومادار فيه فقد طلب رئيس الجمهورية من ممثلى الأديان أن يقوم بينهم مبدأ الاحترام المتبادل وأن لا تكون هناك أية محاولة من أية جهة كانت لفرض دين من الأديان على الناس ، كما طلب أن لا يكون الهدف من أعمال الدعوة والتبشير مجرد الاكثار من الأتباع فقط ، وبخاصة اذا كانت هذه الأعمال

والأساليب المستخدمة فيها تتسبب في احساس أتباع الأديان الأخرى أنها موجهة اليها مكرسة ضدها .

ويقدم المؤلف بعد ذلك مقتطفات من كلمات الأعضاء ، ويورد نصا كاملا لكلمة عضو سرد فيها كثيرا من الأمثلة للمحاولات المستميتة التى يقوم بها المبشرون لتحويل المسلمين عن دينهم ، تحت ظروف الفقر والعوز التى يوجد فيها الكثير منهم ، كذلك يقدم أمثلة أخرى عن شراء الأراضى التى تتميز بموقع حسن بغية اقامة المؤسسات التبشيرية عليها خاصة تلك المواقع التى تلاصق المساجد ، أو التى تتصدر الميادين العامة ، وفى كلمة هذا العضو الى جانب ذلك حديث عن التسامح فى الاسلام ، فى تعامله مع أهل الكتاب ، مقارنا ذلك بالتسامح الذى ينادى به أهل الكتاب المسلمين ، والذى يعنى أن يسكت المسلمون وأن يلتزموا الصمت ازاء ما يرونه من أعمال التبشير ضد اخوانهم المسلمين .

أما عن نتائج هذا المؤتمر فان المؤلف يذكر أن النقاش عندما وصل الى الفقرة الخاصة بعدم التعرض بأعمال التبشير للفئات التى اختارت لنفسها دينا من الأديان ، والاقتصار على ترقية مستوى العقيدة والوعى الدينى لدى أبناء الطائفة التى ينتمى اليها المبشر نفسه ، ثم دعوة الجماعات البدائية ـــ عندما وصل النقاش الى ذلك رفض ممثلو الطوائف الأخرى من غير المسلمين الموافقة على ذلك ، وأصروا على مواصلة منهجهم فى التبشير مدعين أنهم موجهون فى ذلك بأمر الهى لابد من تنفيذه والبذل والفداء من أجله (٥٩) .

وتحت عنوان « آخر أوضاع التبشير فى أندونيسيا » يلقى المؤلف الضوء على الأوضاع التبشيرية فى الفترة التى أعقبت مؤتمر ممثلى الأديان ١٩٦٧ ، وفى هذا المجال يذكر المؤلف أن التبشير اتسع نطاقه ، فبعد أن كان محصورا فى الماضى فى المجالات التقليدية مثل انشاء المدارس والكنائس والمستشفيات وملاجىء الأيتام فانه أصبح اليوم متغلغلا فى مختلف ميادين الحياة العامة فى أندونيسيا بفضل الوسائل الحديثة التى تجاوزت المؤسسات التقليدية .

أما المسلمون المغلوبون على أمرهم فهم مضطرون الى الوقوف وقفة المتفرج وأفئدتهم تتفطر أسى وحزنا وذلك تحت شعار التسامح الدينى الذى يفسر به هذا الموقف لدى البعض .

ويقدم المؤلف أمثلة من الوسائل الحديثة التى تجاوزت المؤسسات التقليدية فيذكر من بينها الأفلام والمجلات ووسائل الطباعة ، واستخدام بواخر بأكملها ترتاد السواحل والجزر النائية عن مراكز التجمعات الاسلامية ، وكذلك استخدام طائرات الهليكوبتر فى الوصول الى المناطق البرية النائية .

كذلك يذكر المؤلف أن التبشير استخدم أسلوبا جديدا مؤداه الاسهام فى أعمال التنمية ومشاريعها فى الأقطار النامية ، مثل اقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات الفنية ، وتقديم القروض المباشرة الى الفلاحين عن طريق مؤسسات وحدات الاقراض ومشروعات التهجير الداخلى للسكان

وغير ذلك ، وكان من بين هذه الأقطار التي وقع عليها الاختيار أندونيسيا في آسيا والحبشة والكاميرون في افريقيا .

أما موقف أندونيسيا من هذه المعونات التي يقدمها مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان فيوضحه المؤلف بقوله في شيء من المرارة .

« أندونيسيا بلد فرض عليه التخلف فرضا ، وهو يحاول قطع مسافة التخلف واللحاق بركب التقدم والرقي ، وكل ذلك في حاجة الى رءوس أموال ضخمة ، فأنى لها أن ترفض اسهام رءوس الأموال المقدمة من مجلس الكنائس أو الفاتيكان مثلا أو تحول دون توظيفها عن طريق الحكومة أو طريق مؤسسات التبشير ، مادامت تعمل في قطاع الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها ، ولا تبالي الحكومة العلمانية التي تعتبر كل الأديان في نظرها متساوية ، ما اذا كان وراء ذلك ما وراءه » !!

ويعقب المؤلف بالاشارة الى المغزى الحقيقي من وراء كل ذلك بقوله متسائلا ومستنكرا :

« انه من السخافة ومنتهى الغباء أن يظن أحد أن هذه الهيئات التبشيرية والارساليات الأجنبية بأموالها الضخمة التي تكاد لا تحصى، وفيالق خبرائها المتخصصين في مختلف المؤهلات الدينية والعلمية قد جاءوا الى أندونيسيا لمجرد المساعدة على رفع مستوى الحياة ونشر العلوم والمعارف للشعب الأندونيسي » .. وواقع التطبيقات يثبت خلاف هذا الظن » .

أما المسلمون ازاء هذا الزحف التبشيري المدعوم بكل وسائل الاغراء ، فانهم يقفون بدون أية وقاية أو حماية أو غطاء أو تحصين ، أوضاعهم الاقتصادية متردية جدا ، ومنظماتهم السياسية رفع منها اسم الاسلام ، ولم يبق لديهم الا المنظمات الخيرية الاسلامية ، وهذه المنظمات مع ما قامت به من عمل خيري في مختلف المجالات الا أنها لا تملك المال الكافي ولا تتلقى أية معونات من الخارج . (٨٤ — ٩١) .

— ٣ —

أما الجانب الثاني الذي يتعرض فيه المؤلف لتفاصيل العمل الاسلامي في مواجهة هذه الأخطار التبشيرية ، فان المؤلف يقدم تحت عنوان « المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية » تاريخ دخول الاسلام الى أندونيسيا مشيرا الى أن ذلك تم منذ عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان على رأي بعض المؤرخين ، ثم يعرض لتاريخ الاستعمار الصليبي الذي كان البرتغال أول طلائعه ، ومن بعده الاستعمار الهولندي ، ذاكرا أوجه النضال المسلح ضد المستعمرين الذين مكثوا في البلاد قرابة ثلاثمائة وخمسين عاما ، لم يهدأ المسلمون خلالها من ثورة الا ليقوموا بثورة أخرى .. وحين تحررت البلاد أصبح على القادة أن يبدأوا العمل من الأساس ، وهو ترسيخ جذور الايمان في أعماق النفوس ،

وتوطيد أسس العقيدة فى البناء الجماهيرى ، ومن ثم كان بدء تكوين هذه الهيئة التى سموها «المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية» ثم يلى ذلك عرض المواد المنظمة لهذه الهيئة (١٠٥ — ١١٦) .

وتحت عنوان « تحديات أمام العمل الاسلامى » يقدم المؤلف أمثلة من التحديات التى واجهت هذا المجلس بعد انشائه ، ومنها تلك المصالحة التى حاول بعض الحكام أن يقيمها بين الاسلام والشيوعية ، ومنها أعمال المبشرين ونشاطهم بين المسلمين ، ومنها عودة النشاط البوذى الى البلاد بحيث أصبح معترفا بالبوذية مع بقية الأديان التى تمثل العقائد المختلفة للشعب (١١٧ — ١٢٠) .

وتحت عنوان « أهداف ومخططات » يذكر المؤلف موقف المجلس الأعلى من هذه التحديات حيث شرع يعمل ، وهو لا يملك أكثر من الايمان بأنه مدعو للاضطلاع بالمسئولية الضخمة بوانه مجند للقيام بواجب الانقاذ .

ومن أمثلة ما قام به المجلس فى سبيل ذلك قيامه بعملية حصر الدعاة والوعاظ والمبلغين ، وحصر الميادين التى سيعملون فيها ، وتبين لهم أن هؤلاء الدعاة ينقصهم الاعداد الفنى وتنقصهم المادة ، وينقصهم التنسيق ، كما تبين لهم أن ميدان العمل فسيح الأرجاء ، فهناك الالحاد والشيوعية ، وهناك طلائع الجيل الصاعد الذى عاش ردحا من الزمن فى ظل قيم ومفاهيم وتقاليد ليس بينها وبين مجتمعه أى سبب أو رابطة وهناك جماهير الشعب التى أجبرت زمنا على تجرع التعاليم والمبادىء الالحادية هذا فضلا عن الوجود التبشيرى الواسع النطاق .

وكان أن عمل المجلس على اقامة حلقات التدريب الدورية لجماعات الدعاة والمبلغين ، وأعدت منهم طائفة خاصة لمواجهة المبشرين ، مع العناية بالمساجد الأهلية ، وتنظيم الدروس الدينية التى تلقى فيها ، وخاصة دروس الفجر ، هذا الى جانب القيام بالخدمات الاجتماعية ، وقوافل التوعية الدينية المتنقلة التى تصل الى أعماق الريف مع الخدمات الصحية ، وبذلك تكفى القروى مئونة الذهاب الى المدن ، والارتماء فى أحضان المؤسسات التبشيرية .

وقد تعددت مجالات الدعوة خارج المساجد فشملت أوساط الموظفين والطلاب والمعتقلين الشيوعيين .

ثم يقدم المؤلف سردا للرعاية الصحية التى قام بها المجلس ، وكذا ما يقوم به فى مجال الخدمات التربوية والتعليمية ، ومن أبرزها تلك المنح الدراسية التى أتاحها لكثير من المسلمين للدراسة فى الجامعات الاسلامية فى بعض جامعات العالم الاسلامى (١٣٦ — ١٤٨) .

وتحت عنوان « مستقبل الاسلام والعمل الاسلامى فى أندونيسيا » يذكر المؤلف أن موقع أندونيسيا الجغرافى يضعها بين قارتى آسيا واستراليا ووسط أقطار تحيط بها احاطة السوار بالمعصم ، مثل الفلبين التى يتم فيها اعداد المبشرين ، ثم الصين الشعبية معقل الشيوعية والبوذية ، ثم أقطار الهند الصينية

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

وسيام وهى أقطار عريقة فى البوذية ، ثم استراليا فى الجنوب .

وينتهى المؤلف من توضيح هذا الموقع الجغرافى الى نتيجة هى أن هذا يجعل من أندونيسيا اما مركز اشعاع اسلامى ينجح فى أن يغمر بالنور الالهى الوهاج جاراتها تلك ، واما أن يجعلها هدفا ومرمى يسدد اليه من كل حدب وصوب رماة مهرة فى تسديد الأهداف .. ومن هنا تكمن طبيعة المواجهة التى يكابدها العمل الاسلامى فى أندونيسيا ، والتى يقوم بتحمل عبائها المجلس الأعلى للدعوة الاسلامية .

ثم ينهى المؤلف كتابه بأمل مرتقب وبغاية مرموقة يستوحيها من قول الله تعالى « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

— ٤ —

وبعد .. فتلك صورة من صور التبشير التى تعمل عملها فى البلاد الاسلامية التى قدر لها أن تعيش تحت ظروف اجتماعية واقتصادية قاسية ، وهى صورة لا يخطىء فيها الهدف والغاية ، ولا يلتبس فيها الباعث والنتيجة ، هى صورة فيها بيان وتذكرة ، وفيها بلاغ لكل من يعنيه أمر دينه ، بأنه مستهدف من قريب أو من بعيد ، وأن الحروب المتنوعة التى تسلط عليه لن تقف عند حد لا تتعداه ، بل هى على استعداد لأن تصل اليه فى عقر داره فى تبجح وطغيان ، كما حدث فى أندونيسيا ، والأمر لا يتطلب أكثر من يقظة تدرك جيدا ما حولها ، وتفرق بين ما هو حق وماهو باطل ، تفرق بين السم المدسوس فى العسل ، وبين العسل الصراح .

ولن يكون ذلك الا من خلال وعى بالدين مكين ، وارتباط بالعقيدة لا يلين ، من خلال استشعار المسلم بعزته النابعة من تمسكه باسلامه ، وليس من خلال نسبة مدعاة لا تلبث الا ان تتهاوى أمام الرياح والأعاصير القادمة .

اما اولئك الذين يسعون جاهدين لمحاربة هذا الدين فانهم ينطحون الصخر وسوف يغرقون يوما حين تعشى ابصارهم انوار الاسلام وصدق الله العظيم « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

د. طه مصطفى ابو كريشة

نفحات من السنة المباركة

- أولياء الله
- الإسلام وقضايا الفكر المعاصر
- مع بعض المفاهيم
- رعاية اليتيم
- رئيس جامعة الأزهر يتحدث لمجلة الأزهر
- سفراء النبى عليه الصلاة والسلام وكتابه ورسائله
- محاضرة الأستاذ الدكتور « رجاء جارودى »

أولياء الله

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الى عبدى بشىء احب الى مما افترضته عليه . ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى اعطيته ولئن استعاذ بى لاعيذنه » .. الحديث . رواه البخارى .

* **الولى** : من الولاية بفتح الواو ضد العداوة .

وهو اما بمعنى : فاعل : وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان .

واما من فعيل بمعنى : مفعول : وهو من يتولى الله تعالى أمره فلا يكله الى نفسه بل يتولى الحق تبارك وتعالى رعايته قال تعالى : **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** : وقال تعالى : **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** :

والولى لغة : المحب ، والصديق ، والنصير .

وشرعا ، بينهم الله تعالى بقوله : **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** « يونس » .

وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله تعالى قال :

الذين اذا رؤوا ذكر الله » رواه البزار عن ابن عباس باسناد حسن .

* وقال فيهم أيضا : هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا قوله تعالى : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .. الآية (١) .

وعند علماء التوحيد : الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي حسب الامكان المعرض عن الانهماك في الملذات والشهوات المباحة .

وقال ابن حجر : الولى العالم بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعة المخلص في عبادته .

ويرى البعض ان الولى : هو من اقبل على الله تعالى بكليته فلا يغفل عنه طرفة عين .

والولاية ثابتة بنص القرآن والسنة قال تعالى .. **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** : يونس .

(١) رواه ابن جرير الطبري وابو داود . عن ابى هريرة .

وقال : **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** : البقرة .

وقال : **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** : الكهف .

وقد ذكر الله تعالى : الولى والأولياء، والولاية في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة سواء كانت الولاية للمؤمنين أم كانت الولاية بين الكافرين بعضهم مع بعض كما قال تعالى : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** : البقرة .

وقال : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** » المائدة .

وبناء على هذا فالولاية يجب الايمان بها وكذلك يجب الايمان بالولى ومن أنكر ذلك فقد كفر لأنه أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة قال شارح الطحاوية : الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** » .

الولى : هو المواظب على الطاعة ولأن الله تعالى تولى أمره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة .

ثم قال : ومن شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى ان يكون معصوما : وكل من كان عليه اعتراض فهو مغرور مخادع لذلك قال القشيرى رحمه الله تعالى : والمراد بكون الولى محفوظا أن يحفظه الله تعالى من

من نفحات السنة المباركة - أولياء الله

تماديه فى الزلل والخطأ ان وقع فيهما بأن يلهمه التوبة فيتوب منها والا فهمـا لا يقدحـان فى ولايته .

وعلى هذا فالولى يجوز أن يقع منه الذنب سهوا أو خطأ لكنه لا يصر عليه بل يستغفر ويتوب فى الحال :

ولا يصدر من الولى بأنه بلغ حالة تسقط عنه التكاليف الشرعية مطلقا لذلك قال النووى : من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه .

وقال أبو يزيد البسطامى : لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة :

لذلك ما يدعيه بعض الملاحدة والزنادقة من أن الانسان يصل الى درجة فى التصوف والزهد يسقط بها عنه الأمر والنهى من التكاليف الشرعية انما هو ضلال مبين .

وأيضا ما يدعيه بعض الفلاسفة من أن الولى ربما كان أفضل من نبى زمانه لأن الولى يصل الى الله بعمله واجتهاده بخلاف النبى فوصوله الى الله منحة من الله تعالى وليس بكسبه : فهذا من تزيين الشيطان .

قال صاحب الطحاوية : كثير من الجهال المتصوفة والاتحادية يظن أنه يصل برياسته واجتهاده فى العبادة وتصفية نفسه الى ما وصلت اليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم . أو يظن انه قد صار أفضل من الأنبياء فهذا من تسويل الشيطان .

وقال صاحب العقائد النسفية : ولا يبلغ ولى درجة الأنبياء أصلا ولا يصل العبد الى حيث يسقط عنه الأمر والنهى . والنصوص تحمل على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد : وبذلك تسقط دعوى بعض المتصوفة فى زماننا هذا بأن لهم حالة مع الله تسقط عنهم الصلاة والصوم والزكاة والحج وفرائض الاسلام ثم يستبيحون لأنفسهم أكل أموال الناس بالباطل ويأمرون الناس بارتكاب المحرمات فى الموالد والمواسم وحلقات الذكر . انما هو من تسويل الشيطان لهم لهذا يجب محاربتهم وابطال بدعهم لأنها ليست من الاسلام فى شىء بل أعمالهم تسىء الى الاسلام والمسلمين أكثر من أعدائه الظاهرين .

والأولياء درجات . فمن كانت عنده ذرة من الايمان والتقوى فعنده ذرة من الولاية . ومن كان كامل الايمان فهو كامل الولاية .

قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » الانعام .

وقال تعالى : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » المجادلة .

وقال النسفي : العبيد أربعة : قن ، ومأذون ، ومكاتب ، وآبق فمثال الأول : ولى العزلة : الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى : ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى لله ، فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته ، والعدل فى الرضا والغضب ميزانه ، والقصد فى الغنى والفقر عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه ، والقرآن كتاب الأذن من مولاه كائن فى الناس بظواهره وبائن عنهم بسرائره ، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون وما يدريهم أنه ضيف الله .

والنبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الحسنيين فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة .

وأما الثالث : فهو المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى كل مائتى درهم خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة ، فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة .

والرابع : الآبق ، فمنهم السلطان الجائر والعالم غير العامل والواعظ المرائى ، فضلا عن الزانى والسارق والقاتل والظالم وآكل الربا والنمام والمغتاب وشارب الخمر ، هؤلاء الذين أخبر عنهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : ان الله تعالى لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخرة : رواه الطبرانى فى الكبير عن عمر بن النعمان بسند حسن . فاذا أحب العبد ربه ورسوله وجد حلاوة الايمان وذاق طعم الاحسان وصار موضع الرضا من الرحمن وكان الله تعالى أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الأسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى وان سأله أعطاه وان استعاذ به أعاذه قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره : رواه البخارى وابو داود .

ان لله تعالى عبادا لم يبلغوا ما بلغوا اليه بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله تعالى بعلمه واستخلصهم لنفسه ، من علاماتهم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه

من نفحات السنة المباركة - أولياء الله

ولا يؤذون من يخونهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم . هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا يدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد فى السقوف العليا ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات . أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون :

وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتحب أن تكون لله تعالى وليا قال : نعم . قال : لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك .

هؤلاء القوم هم الذين نصروا الله فلذلك ينصرهم الله تعالى فى كل أمورهم ويؤيدهم بالكرامات .

والكرامة هى الأمر الخارق للعادة الذى يظهر على يد عبد مستور الحال دون اظهار التحدى بها . وهى غير المعجزة لأن المعجزة لا تكون الا لنبى ويتحدى بها .

والكرامة جائزة عقلا ونقلا وواقعه فعلافقد جاء فى القرآن الكريم والسنة والآثار مما يدل على وقوعها فعلا ما أخبر الله تعالى به عن مريم رضوان الله عليها بقوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وكذلك قصة ذى القرنين وأصحاب الكهف، وجليس سليمان رضى الله عنه مع سليمان عليه الصلاة والسلام بنقله عرش ملكة سبأ قبل أن يرتد اليه طرفه وما ورد فى الحديث من حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل فى المهد حين قال له ياغلام من أبوك ؟ قال فلان الراعى .

وكذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وما ورد فى الصحيحين فى أبى بكر رضى الله عنه مع ضيفه الذى قال فيه وأيم الله ما أكلنا لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك .

وما صح عن عمر رضى الله عنه وهو على المنبر يقول : ياسارية الجبل الجبل فبلغ صوته الى سارية فى ذلك الوقت فانقض على الأعداء وهزمهم .

وما ورد فى البخارى من حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما قال فيه : خرجنا من عند النبى صلى الله عليه وسلم

فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى اتى أهله .

● وماحكاه النووى فى البستان رحمه الله تعالى عن أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه قال :

كان أى أبو مسلم قد رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق : ولما ادعى الأسود العنسى النبوة باليمن بعث الى أبى مسلم الخولانى فلما جاءه قال أتشهد أنى رسول الله فقال : ما أسمع : قال : أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم فردد ذلك مرارا عليه فأمر بنار عظيمة فأججت والقى فيها أبا مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد وقام يصلى فبصر به عمر رضى الله عنه فقام اليه وقال ممن الرجل ؟

قال من أهل اليمن قال ما فعل الذى حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبد الله بن ثوب قال : نشدتك الله أنت هو قال : نعم . فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب به الى أبى بكر رضى الله عنه وأجلسه بينهما وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله .

وقد كثرت الكرامات فى عصر التابعين وتابع التابعين الى وقتنا هذا وقد سئل الامام أحمد رحمه الله تعالى عن قلة الكرامة أيام الصحابة وكثرتها فيمن بعدهم فقال : أولئك أى الصحابة كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شىء يقوون به . وغيرهم كان ايمانهم ضعيفا فقووا باظهار الكرامات .

ولقد أنكر بعض المسلمين والزنادقة وكثير من المعتزلة . الكرامة محتجين بأنها لو ظهرت لالتبست بالمعجزة فيلتبس النبى بالولى .

ولو فطنوا لظهر لهم بأن ظهور الكرامة لا يؤدى الى التباسها بالمعجزة لأن المعجزة مقرونة بدعوى النبوة دون الكرامة .

ويجوز أن يعلم الولى أنه ولى لله تعالى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر كثيرا من أصحابه بأنهم من أهل الجنة ومع ذلك لم يركنوا الى الدنيا ولم يتركوا الخوف من الله تعالى ولم يأمنوا مكره سبحانه والكرامة للأولياء واقعة فى حال حياتهم وبعد موتهم لأن الروح بعد الموت تكون قد تخلصت من شوائب المادة الجسمانية وأصبحت تمرح فى رحاب الجنة وان كان لها تعلق بالجسد وقد قال تعالى فى شأن الشهداء « وَلاَ تَحْسَبَنَّ

من نفحات السنة المباركة ـ أولياء الله

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وقد ثبت فى الصحاح أن صحابيا ضرب خباءه فى الصحراء فسمع صوتا من تحته يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك ، فتبين أنه قبر فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثون آية من كتاب الله تشفع لصاحبها « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » رواه الاربعة والحاكم .

والأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهـوال الآخـرة ولا هم يحـزنون على ما وراءهم فى الدنيا ولهم البشرى فى الحيـاة الدنيـا وفى الآخرة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البشرى لهم فى الدنيا فقال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له : وأما فى الآخرة فهى الجنة وتبل بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » فصلت .

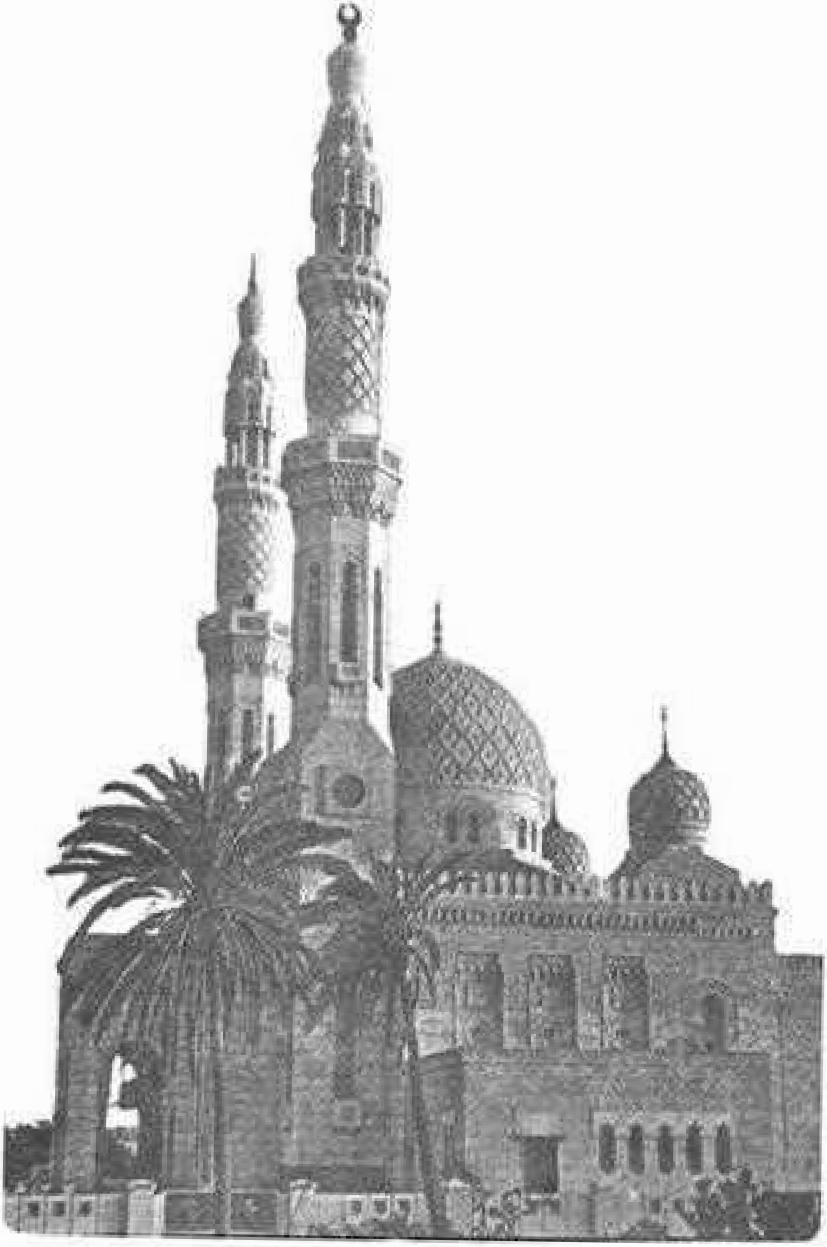
وقال تعالى : لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » الانبياء .

فاللهم اجعلنا من أوليائك وأحبابك وانصرنا على أعدائك واحشرنا فى زمرة سيد الانبياء والأولياء ولا تحرمنا من النظر الى وجهك الكريم . اللهم آمين .

كتبه

د. محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى الأزهرى



رعاية اليتيم

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

« كافل اليتيم له او لغيره ، انا وهو كهاتين فى الجنة » .

واشار مالك بالسبابة والوسطى (١) .

أولا :

اللغة : كافل اليتم كفل اليتيم اذا عاله وانفق عليه وقام بأمره .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث .

١ ــ معنى اليتيم .

٢ ــ اليتيم احق الناس بالشفقة والعناية .

٣ ــ واجب الأقارب والأولياء حسن رعايتهم لليتيم .

٤ ــ اهمال اليتيم جناية على المجتمع .

٥ ــ البشرى لكافل اليتيم انه مع الرسول (صلى الله عليه وسلم فى الجنة) .

٦ ــ احاديث تحث على الرحمة باليتيم .

(١) رواه مسلم عن ابى هريرة . ورواه مالك عن صفوان .

البيان

١ ــ معنى اليتيم : اليتيم من بنى الانسان، من مات أبوه ، ولم يبلغ ، فقد فقد الذى كان يرعاه بنفسه ، وماله ، ويحبه من أعماق قلبه ، ويؤثر مصلحته على مصلحته .

ومما يؤلم النفس ، ويحزن القلب ، ويذرف الدمع رؤية صبية صغار ساعة موت أبيهم ، يخلفهم الميت وراءه .

* وكل آماله وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن يقوم مقامه وصى تقى مرشد يرعاهم كرعايته ، ويقوم بمصالحهم ويسوسهم كسياسته يخفف عنهم آلام اليتم ببره ولطفه ، ويجعل منهم مستقبلا رجالا فى الحياة ، يَمْلَئُونَ العيون ، ويشرحون الصدور ، ينفعون أهلهم ووطنهم .

٢ ــ اليتيم احق الناس بالشفقة :

ان اليتيم الذى شاء الله له أن يحرم عاطفة الأبوة لظروف وحكمة قدرها الله ، ينبغى

للشيخ محمد صابر البرديسى

رعايته والعطف عليه ، وهو أولى الناس بالشفقة والرحمة ، فحرمان الطفل من عاطفة الأبوة لا يعوض ، لهذا كان فى حاجة الى من يأخذ بيده ، ويوجهه ، ويعنى بشئونه .

ليس فى استطاعة انسان أن يمحو من اليتيم ما ألم به .

فلا أقل من أن نضع أمام عينه بريق أمل ، وبسمة رجاء ، عله يجد منها تعزيه وسلوى ، أنها لمسة انسانية ، ورقة ايمانية ، يخفف بها المسلم عن الطفل اليتيم .

فلتكن أيها المسلم له كالأب الرحيم ، وقدر لنفسك أن تموت ويبقى لك ولد يتيم فكما تزرع تحصد .

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا) (١)

ولقد شكا رجل الى النبى (صلى الله عليه وسلم) قساوة قلبه .

فقال : أتحب أن يرق قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ قال : نعم ، قال : « ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك ، وتدرك حاجتك (٢) » .

وقال (صلى الله عليه وسلم) (من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ، الا أن يعمل ذنبا لا يغفر » (٣) .

لقد تفضل الله علينا ورزقنا من الطيبات ، وجعلنا آمنين مطمئنين وأغنى أولادنا عن الحاجة ، فالواجب علينا ازاء هذه النعم العظام أن نشكره ليحفظ علينا نعمه ويزيدها من فضله قال تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (٤) .

وشكر الله يكون بالعمل الصالح ، والاحسان الى عباد الله ، ومن ذلك العطف على اليتيم والاحسان اليه ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

ان الشفقة والرأفة على اليتيم أثر من آثار رحمة الله يجعلها الله فى قلوب بعض عباده ، فمن كان رحيما باليتيم فله البشرى والهناء بهذا الخلق الكريم ، وله السعادة فى الآخرة حيث يرحمه الله يوم الحسرة والندامة ، فالراحمون يرحمهم الرحمن ، وهل جزاء الاحسان الا

---

(١) سورة النساء اية ٩ .

(٢) اخرجه الطبرانى عن ابى الدرداء (رضى الله عنه) .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٤) سورة ابراهيم ـ ٧ .

الاحسان ، ويكون فى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

٢ ـ واجب الأقارب والأولياء نحو اليتامى .

من رحمة الله باليتامى أنه لم يترك أمرهم بلا رعاية ، بل كان من رحمته بهؤلاء الضعفاء أن أوصى بهم خيرا فأوجب على أقاربهم وأوليائهم حسن رعايتهم ، بل أوجب ذلك على المجتمع عامة ، فهم أمانة ، ورعايتهم واجبة ، وتربيتهم والعطف عليهم واجب شرعا ، ومطلوب دينا ، والمحافظة عليهم ، وتوجيههم الى الخير يحتمه الدين وقد وعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالجزاء الأوفى لمن يسهم فى معاونة اليتيم وكفالته وحفظ ماله .

روى البخارى عن سهل بن سعد (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين اذا اتقى » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) (١) .

فاذا راعى كافل اليتيم الأمانة فيما اسندت اليه ولايته واتقى الله فى كل تصرف يتعلق باليتيم من جهة تنشئته تنشئة حسنة ، والحرص على ماله ، وعدم التبذير فيه كان جديرا بمنزلة كريمة ، وخليقا بدرجة رفيعة ، وكان رفيق رسول الله فى الجنة .

ان اليتيم بحاجة الى الرعاية ، والتربية والسقى والتعهد ، انه فى حاجة الى تعليمه وتأديبه ، واصلاح عيوبه وما يبدو من اعوجاج فيه انه كالعجينة الرخوة يصورها المربى كيف يشاء .

أما الذين يَجْفُون اليتيم ، وينفرون منه ويعاملونه بالقسوة ان كان فقيرا ويتخذون كفالته موردا لاقتناص الأموال واختلاسها ، والتربص لها ، وأكلها ظلما ان كان غنيا فان هؤلاء سيبعثون يوم القيامة وأفواههم تتأجج نارا ولقد عنى القرآن الكريم بأمر اليتيم مستقصيا أحواله ، مبينا أحكامه فأمر بالاحسان اليه فقال تعالى (**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**) .

وقد استثار عطف النبى ورعايته ورعاية المسلمين لليتامى فقال : (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**) .

وقد نهاه عن قهر اليتيم فقال : (**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**) .

وجعل العنف عليه والشدة فى غير محلها ، والغلظة فى غير موضعها ومن غير رعاية لتعليمه وتربيته ، جعل ذلك أمارة على التكذيب بالدين ، قال تعالى(**أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ**) .

وأمر باصلاحه فى كافة أحواله فى نفسه وفى خلقه ، فى تربيته وتعليمه وفى ماله ، قال تعالى : **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ**

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

خَيْرٌ » وحذر من قرب ماله الا بالمعروف ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ وأمر باعطاء اليتامى أموالهم عند بلوغ رشدهم وحذر من أكلها فقال: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾ وأمر بالعدل والقسط في يتامى النساء اللاتي يرغب الاوصياء أو أبناؤهم في التزوج منهن طمعا في أموالهن ، أو تخففا من المهر الذي يدفع لأمثالهن ، قال تعالى ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ وهكذا استقصى القرآن أحوال اليتامى منذ نعومة أظفارهم الى أن يبلغوا سن الرشد والزواج .

وليست هذه الوصايا والتحذيرات بأمور ترجع الى فرد بصفته وانما هي للافراد بصفاتهم المختلفة فالمجتمع كافة .

اهمال اليتيم جناية على المجتمع :

ان الذين لا يحسنون الى اليتامى ولايقومون بحق الكفالة نحوهم من حسن التربية والرعاية لهم ومعاملتهم كمعاملة أبنائهم من الحرص على تعليمهم وتثقيفهم والمحافظة على صحتهم وتقويم أخلاقهم انهم ظالمون مسئولون أمام الله :

ان اهمال اليتيم يخلق منه عضوا فاشلا وانسانا فاسدا يضر نفسه وأهله ومجتمعه .

ان كثيرا من اليتامى أصبحوا مشردين ، وانحرفوا عن الطريق المستقيم بسبب قسوة قلوب الأوصياء الذين لا تعرف الرحمة قلوبهم، وبسبب اهمالهم وتركهم دون تربية سليمة ولا توجيه صحيح ، فسلكوا بهم طريق الغي ، وبعدوا بهم عن الجادة ، فكانوا من المفسدين .

وما فعلوه باليتيم عمل اجرامي بعيد عن الرحمة « ولا تنزع الرحمة الا من شقى » .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره ، وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت انا وهو في الجنة اخوين كما ان هاتين اختان ، والصق اصبعيه « السبابة والوسطى » (١) .

فلنقم نحن المسلمين بواجباتنا نحو اليتيم ولنعمل على اصلاحه وحسن تربيته ولنحث الناس على هذا الخلق القويم فانها دعوة الانسانية ودعوة الدين ، والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسي

(١) رواه ابن ماجه .

سُفراءُ النبي صلى الله عليه وسلم

وكُتّابه ورسائله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الكريم ، وبعد :

فقد نزعت النفس منذ زمن إلى التعلق بشخصية الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم اخذت أتتبع عن قرب ذلك النور المحمدى المتألق الفياض الذى أنار الله به ظلمات هذا الكون بتلك الرسالة الخالدة ، وبذلك القرآن العظيم الذى أوحى به الله الى عبده ورسوله الأمين – صلى الله عليه وسلم – وكان من أهم ما استرعى انتباهى تلك الرسائل الملهمة التى وجهها رسولنا العظيم الى الملوك والعظماء ، يدعوهم فيها الى الدخول فى الاسلام :

وهى الرسائل التى حملها رسل النبى – صلى الله عليه وسلم – أولئك السفراء الكرام الذين بلغوا رسائل النبى فى اخلاص وأمانة ودراية وحكمة واقناع وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الاسلامية الباهرة التى سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا ، وكتبت للاسلام النصر المؤزر والفتح المبين ولقد رأيت أن أكتب للشباب هذه الرسالة عن كتب النبى – صلى الله عليه وسلم – وكتابه وديوانه حتى يقفوا ولو بصورة سريعة مختصرة على قبس من ذلك النور المحمدى الباهر الذى أنعم الله به على هذا الوجود . وبالفرط سعادتنا نحن الذين ننعم ونمرح فى هذا النور المحمدى الشريف .

فاليك ياسيدى يارسول الله أتقدم فى تواضع وخشية وخشوع هذه الصفحات ، يشفع لى فيها

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

الصدق والاخلاص ، آملا أن تظفر منك ياسيدى بالرضا والقبول .

وأنال بها من الله العفو والمغفرة .

اهمية الكتاب والسفراء في مضمار الدعوة الاسلامية

من الموضوعات الهامة في جهاد النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه ، في ميدان الدعوة الاسلامية المباركة — موضوع كتابه ورسائله وسفرائه ، وهو موضوع يكشف لنا عن جانب من جوانب هذه الشخصية العظيمة الجليلة التي بهرت العالم برسالتها الخالدة الباقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد سجل عظماء الغرب وأقطابه ومفكروه الفطاحل اعترافات صريحة صادقة بعظمة الرسول الأعظم وعظمة رسالته الباقية على مر الدهور ، ومن هؤلاء : روسو وكارليل وبرناردشو وجيته ونابليون .

ولقد أثر عن نابليون قوله : « آمل أن اجمع وأوحد كل العقلاء والمثقفين من مختلف بلاد الأرض وأقيم نظاما موحدا على أسس القرآن ومبادئه ، فهي وحدها المبادىء الحقة التي يمكن أن تقود البشر الى السعادة » !

وقال برناردشو عن دين الاسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام : « سيكون هذا الدين مقبولا غدا ، كما بدأ الناس اليوم يقبلونه في أوربا » .

وقال عنه جيته الشاعر الالمانى الكبير : « اذا كان هذا هو الاسلام أفلسنا جميعا نتفيأ ظلاله » ؟ .

سفراء فوق العادة !

وكتابة الوسائل وايفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب ، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماء المصريين . ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجيا في العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة في العصور

سفراء النبى عليه الصلاة والسلام وكتَّابه ورسائله

الحديثة : فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة فى مهام معينة حاملين رسائل موجهة الى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها ، تنطوى على آراء أو مطالب معينة ، ولهؤلاء الرسل أو من يدعونهم اليوم (السفراء فوق العادة) — وهم غير السفراء الذين يمثلون بلادهم عادة فى تلك البلاد — حصانات « دبلوماسية » ، فلا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء ، مهما كان مضمون الرسائل التى يحملونها .

ويختار هؤلاء السفراء فوق العادة من بين الاشخاص الذى يتميزون بالعلم الواسع والذكاء الخارق والسمعة الطيبة والمظهر اللائق والرونق الشائق والمنطق اللطيف والبديهة الحاضرة ، حتى يكون لكلامهم أجمل وقع ، ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه .

والنبى العظيم — صلوات الله وسلامه عليه — قد أقبل على هذه الدنيا برسالته الخالدة التى غيرت وجه التاريخ ، وستظل تحمل نور القرآن الكريم أبد الأبدين .

ولقد ميز الله نبيه العظيم بميزة كريمة فبعثه أميا ، وهو الذى اصطفاه سبحانه لتلقى القرآن . ولتبليغه للناس أجمعين .

ومع ذلك فقد عرف العرب منزلة الكتابة حتى فى الجاهلية : وان قلت حاجتهم اليها فى معاشهم ، ولذلك كان عدد الذين أتقنوا الكتابة فى الجاهلية قليلا .

وروى الواقدى أن الذين كانوا يعرفون الكتابة فى المدينة أحد عشر شخصا ، ومهما يكن من شىء فقد كانت الأمية هى الغالبة على أهل الجزيرة العربية .

الكتاب

وكان هذا النبى الامى العظيم يتلقى آيات القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، ثم يرددها على أصحابه وأتباعه وأنصاره . وكان كتاب الوحى يسجلون ما يسمعون من النبى الكريم من آيات القرآن العظيم .

وكان كتاب الوحى كثيرين ، ولكن اهمهم — كما جاء فى كتاب (أنباء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والامراء) هم عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب — رضى الله عنهما — فان غابا كتب أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت — رضى الله عنهما .

وذكرت مصادر كثيرة منها كتاب (الاستيعاب) أن أبى بن كعب وزيد بن ثابت كانا ألزم الصحابة لكتابة الوحى .

هذا عن كتاب الوحى .

أما رسائله الشريفة فقد أوصل ابن عساكر فى (تاريخ دمشق) كتابها الى ثلاثة وعشرين كاتبا ، وترجم لهم فى نهجه الحافل فأوصلهم الى خمسة وعشرين ، ومنهم :

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب، وعثمان

ابن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعامر ابن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم وأبى بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، وخالد بن سعيد ابن العاص وأخوه حيان ، وحنظلة بن أبى عامر الأسدى ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله ابن عبد الله بن أبى بن سلول ، والزبير ابن العوام ، والمغيرة بن شعبة ، وخالد ابن الوليد ، وعمرو بن العاص وعبد الله ابن رواحة ، وعبد الله بن سعيد بن أبى السرح ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، والعلاء بن الحضرمى ، وحويطب بن عبد العزى العامرى .

ولقد أوصل العراقى المؤرخ كتابه عليه الصلاة والسلام الى اثنين وأربعين كاتبا ، بل لقد ارتفع بهم الحلبى فى حواشى الشفا الى ثلاثة وأربعين كاتبا . ولكن ما يشهد به كثير من المؤرخين هو أنهم لم يكونوا كلهم كتاب وحى ، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحى هو زيد ابن ثابت كما قدمنا ، بل انه كان يواظب على تحرير الرسائل الأخرى والاجوبة عن تلك الرسائل التى تصل النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

ديوان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وهكذا نشأ (الديوان) ، **وهو الموضع الذى يجلس فيه كتاب الرسائل ،** فلقد بدأ النبى ــ عليه الصلاة والسلام يكاتب الامراء وكان أمراء سراياه من الصحابة يتابعونه .

ولما رجع ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الحديبية كتب الى الروم ، فقيل : انهم لا يقرءون كتابا الا أن يكون مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر : (محمد) سطر و (رسول) سطر و (الله) سطر ، وختم به الكتاب .

كذلك كان النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ أول من أملى كتب العهود والمواثيق ، ومنها عهده ــ عليه الصلاة والسلام ــ لنصارى (ايلة) القدس (١) موكان بخط على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد كان متخصصا فى كتابة المعاهدات .

وبدأ ديوان الكتاب فى عهد النبى ينتظم ويتولى الرد على الرسائل الموجهة للنبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بلغات أجنبية : ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه من أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : انه تأتينى كتب ولا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية . فقلت : نعم ، يا رسول الله ، فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة !

المترجمون

وجاء فى (العمدة) للتلمسانى أن زيد بن ثابت الأنصارى كان ترجمان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية فضلا عن السريانية والعبرية . وأنه تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن .

وجاء فى (العقد الفريد) لابن عبد ربه : أن زيدا تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب النبى ــ صلى الله عليه

سفراء النبي عليه الصلاة والسلام وكُتَّابه ورسائله

وسلم — ، والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمته — عليه الصلاة والسلام — .

ميزات كتاب النبي

وكتاب رسائل النبي — عليه الصلاة والسلام — نماذج حية في الأمانة والاستقامة والتقوى ، فكانوا موضع ثقته الكاملة : ومن ذلك ما رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير من أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استكتب عبد الله بن الأرقم ، فكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده انه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره بأن يطبعه ويختمه ولا يقرؤه لأمانته عنده .

ومما يروى أيضا في معرض أمانة الكتاب واخلاصهم المطلق للرسول الكريم ما ذكره البغوي من أن مالكا روى عن زيد بن أسلم عن بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كتب الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كتابا ، فقال لعبد الله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني ، فأجابهم ، ثم جاء بما كتب يعرضه عليه — عليه الصلاة والسلام — فقال : أصبت فيما كتبت . قال عمر : فمازالت في نفسي حتى جعلته على بيت المال !

وقصارانا هنا أن نشير في ايجاز الى أن كتاب النبي الكريم — صلى الله عليه وسلم — كانوا يكتبون في مجالات شتى :

فمنهم — كما قدمنا — كتاب الوحي القدسي ، ومنهم كتاب الرسائل الى أمرائه وسراياه وبعوثه . ومنهم كتابه اذا عاهد أو صالح .

ومنهم كتاب حوائجه ومداينا‌ته ، ومعاملاته .

ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات وخرص النخل.

وهكذا كان ديوانه — عليه الصلاة والسلام — أول ديوان حافل في الدولة الاسلامية ، وتقصي ذلك والافاضة فيه يحتاج الى أبحاث طوال .

اسلوب الرسائل النبوية

ولقد اشتهرت رسائله — عليه الصلاة والسلام التي بعث بها الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام وتمتاز هذه الرسائل النبوية الكريمة بأسلوبه الجامع المانع الموجز المحكم المضيء المبين عليه الصلاة والسلام .

ولقد فصل القلقشندي الحديث عن رسائله — عليه الصلاة والسلام — فقال : انه كان يفتتح كتبه بعبارة (من محمد رسول الله) الى فلان ، وربما افتتحها بلفظ (هذا كتاب) ، وقد يفتتحها بقوله : (أسلم أنت) .

وكان — عليه الصلاة والسلام يصرح باسم المرسل اليه في أول رسالته ، وربما اكتفى بلقبه الذي اشتهر به (كالقيصر) مثلا ، فان كان المرسل اليه ملكا كتب بعد ذكر اسمه (عظيم القوم) ، وربما كتب (صاحب مملكة كذا) ، وكان

يعبر عن نفسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ثنايا رسائله بلفظ المفـــرد مثل (انى ، ولى ، وجاءنى ووفد على .. وما أشبه ذلك) . وربما جاء بصيغة الجمع مثل (بلغنا وجاءنا ونحـــو ذلك) وكان يخاطب المرسل اليه بكاف الخطاب مثل لك وعليك وتاء المخاطب مثل أنت قلت كذا وكذا وجعلت كذا ، وعند التثنية يقول : انهمـا ولكما وعليكما ، وعند الجمع بلفظه مثل : أنتم ولكم وعليكم وما أشبه ذلك .

وكان يبدأ رسائله بالسلام : فيقول في خطاب المسلم :

سلام عليك ، وربما قال : السلام على من اتبع الهدى ، وربما أسقط السلام في صـــدر الخطاب .

وكان يأتي في صدر الرسالة ، بالتحميد بعد السلام فيقول انى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد .

وكان يخلص بعد ذلك الى المقصود تارة بـــ (فأما بعد) وتارة بغيرها .

وكان يختم كتابه ــ عليه الصلاة والسلام ــ تارة فيقول في خطاب المسلم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وربما اقتصر عـــلى السلام . ويقول في خطاب الكافر : والسلام على من اتبع الهدى . وربما أسقط السلام في آخـر كتبه .

وكتبه ــ عليه الصلاة والســـلام ــ الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام قد افتتحها على ثلاثة أساليب :

أولها : أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ يبدأها بعبارة (من محمد رسول الله الى فلان) .

وثانيها : بأما بعد .

وثالثها : أن يفتتح الرسالة بلفظ (هـــذا كتاب) .

وكان من عادة كتاب رسائله الشريفة أن يذكروا أسماءهم آخرهـــا لعلهم يرجون أن يكونوا شاهدين على صدورها منه عليه الصلاة والسلام .

وروى الشعبي أن رسول الله ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ كان يكتب كما تكتب قـــريش (باسمك اللهم) ثم نزلت عليه الآية الشريفـة

(ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَـاهَا) فكتب ــ عليه الصلاة والسلام ــ (باسم الله) حتى نزلت عليه آية : **(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ)** فكتب (باسم الله الرحمن) حتى نزلت عليه آية **(إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّـــهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)** فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

« يتبـع »

د/مختار الوكيل

الإسلام وقضايا الفكر المعاصر

كان اسلام روجيه جارودي المفكر الفرنسي الكبير اعلانا عالميا بعظمة الفكر في الاسلام ، وبجلال المبادىء الاسلامية المثلى التي تحمل روح التقدم للانسانية جمعاء .

ومن قبل أسلم كثير من المفكرين في أوربا ، منهم من استطاع ، اعلان اسلامه ، متحديا كل الظروف من حوله ، ومنهم من كتم اسلامه في نفسه لأن روح التعصب السائدة في المجتمع الاوربي حوله ضد الاسلام لم تسمح له بأن يعلن ايمانه بخاتم الاديان ، وآخر الرسالات .

ومن قبل أسلم المستشرق المجرى الكبير « عبد الكريم جرمانوس » ، وأشاد بعظمة الفكر الاسلامي ، وعظمة الحضارة الاسلامية ، بل أسلم الآلاف من العلماء ، والباحثين والمفكرين وسواهم ، وايمانا منهم بالدين الخاتم ، وبالعقيدة المحمدية الطاهرة .

ان الاسلام مع امتداده العظيم لم يحمل روح التعصب أو العداء لأحد أو لجنس أو لحضارة .. يحمل ـ نظريا وتطبيقيا الى الناس كافة روح الاخاء والحرية والمساواة ، روح الاعتزاز بالانسان وكرامته ، لأن هذا الانسان هو في الاسلام خليفة الله في الأرض وحامل ميراث النبوات والرسالات ، والمؤمن بكل قيم الحق والعدل والخير والفضيلة والشرف في الحياة .

لقد قامت في ظلال الاسلام حضارة رفيعة ، لم تعرف الانسانية في تاريخها الطويل حضارة مثلها ، تقوم على المادة والروح ، وعلى الايمان والعمل ، وعلى الفكر والتطبيق ، وعلى الايمان

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

بالمسئولية والامانة ، وبحقوق الانسان ، وبالأمل والرجاء ، وبالحرص على سعادة كل الناس ، وبأن يحب الانسان لغيره ما يحبه لنفسه .

الفكر فى الاسلام يصاحب التفكير فى سعادة الانسانية وتقدم الحياة ، وجلب الرخاء والرفاهية والامان لكل الناس .

يقول « ويلز » : الدين الحق الذى يساير المدنية هو الاسلام .

ولقد صاح « بترارك » الشاعر الايطالى المعروف (١٣٣٤ — ١٣٧٤ م) مبهورا بفكر الاسلام وحضارته قائلا : ياعجبا ، لقد استطاع «شيشرون» أن يكون خطيبا بعد «ديموستين»، واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد « هوميروس » ؟

فهل قدر علينا الا نؤلف بعد العرب ؟

لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها أحيانا ، الا العرب ، فيالعبقرية ايطاليا النائمة الخامدة .

ويعترف مسيو « لبيرى » بأن نهضة أوربا هى ثمرة الحضارة الاسلامية وتقدم الفكر العربى ، فيقول : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون » .

ويقول «غوستاف لوبون» فى كتابه « حضارة العرب » : ـ مبهورا بعظمة الحضارة الاسلامية وبالفكر الاسلامى الحضارى العظيم : « الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الاعداء ، ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية الساحقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس .

***

وأتباع محمد هم المسلمون ، والعجب أن يتصور هذا المفكر أن المسلمين كانوا أعداء لاوربا ، وهم الذين أيقظوا الغرب من سباته حتى سار الى العصر الحديث ، وفى مراكز الحضارة الاسلامية فى الاندلس تعلم شباب أوربا ، والعرب لم يحاربوا الغرب ، انما كانوا داعين إلى حضارته وتقدمه ليشارك فى بناء الحياة الانسانية .

والعجب أن أوربا هى التى وقفت فى الماضى تحمل روح العداء للاسلام ، فالامبراطوية الرومانية الشرقية وعاصمتها « بيزنطة » هى التى وقفت — بعد معركة اليرموك — على طول الاجيال — فى وجه الاسلام — تشن عليه الحروب ، وتدبر له المؤامرات ، وتؤلب عليه القوى المختلفة ، فهى المحركة للحروب الصليبية ، وهى المحركة لجيوش التتار لغزو العالم الاسلامى وتدمير حضارته ، وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن «هيتون» ملك أرمينية كان العامل الرئيسى فى اقتناع المتولى « مان جوخان » (٦٤٩ — ٦٥٥ هـ / ١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) بارسال تلك الحملة التى دمرت بغداد ، عام ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م بقيادة « هولاكو » ، ولقد زوج هولاكو ابنه من ابنة امبراطور القسطنطينية .

ولقد كانت القوى العالمية ، قبيل ظهور الاسلام ، ممثلة فى ثلاث قوى : الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية البيزنطية ، والقوة الثالثة ، هى قوة الاتراك التى كان الشعب الخزرى هو القوة الفعالة فيها .

وبعد ظهور الاسلام تركزت القوى الدولية فى قوى ثلاث أيضا : الامبراطورية الاسلامية والامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، والامبراطورية الخزرية ، وقد اصطدمت الجيوش الاسلاميه بالامبراطوريتين : البيزنطية ، والخزرية ، على حدود الخلافة الاسلامية ، مرارا ، وكانت الدولة الخزرية هى التى حمت الامبراطورية البيزنطية طويلا ، ووقفت — فى جانبها — ضد القوة الاسلامية ، واعترفت بيزنطة بفضل الخزر عليهم ، فتزوج ولى عهد الامبراطور البيزنطى أميرة خزرية ، تقرر لابنها أن يحكم بيزنطة باسم «ليو الخزرى» وفى عام ١٢٢ هـ/٧٤٠ م اعتنق الخزر اليهودية خوفا من القوة الاسلامية فى الشرق ، ومن سيطرة القوى الغربية المسيحية فى الغرب ، وذلك قبل التقرب الكبير بين بيزنطة والخزر .

— ٢ —

ان الفكر الاسلامى بطبيعته فكرى مثالى ، وحضارى وانسانى وتقدمى ، حقا .

ولقد نهضت الحضارة الاسلامية ، بعد ظهور الاسلام بقليل على جناح من مبادىء الاسلام العظيمة ، وجناح آخر من فكر العلماء المسلمين، الذين أثلوا صروح الحضارة العربية الاسلامية فى مختلف المجالات : من طب وهندسة ورياضة وكيمياء ، وعلوم الدين واللغة ومختلف العلوم الانسانية .. ويقول مستشرق ألمانى هو صاحب كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » فى ختام كتابه نقلا عن مفكر انجليزى : لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى جوانحها عقيدة مثل الاسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر

فحسب ، بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه» .

وأقول لهما معا :

ان الاسلام ليس له أعــــداء ، الا الذين ينصبون أنفسهم أعداء له بحكم التعصب والرغبة فى السيادة على الشعوب الاسلامية ، والاسلام ليس خطرا على أحد ، بل هو سلام ورحمة وخير للانسانية كافة .

ان الاسلام يكره العنف والبطش والطغيان والاستبداد ، ويؤمن بالاخاء والسلام والحرية ، ويدعو الى الحب والتعاون .

والاسلام لا يقبل الدعوات الضـــالة والمنحرفة ، من اباحية وعلمانية ومادية جدلية ووجودية وماركسية وغيرها ، والذين يرفعون عقيدتهم مرددين قولهم : « دع ماالله لله وما لقيصر لقيصر » من دعاة العلمـــانية ، الذين يبعدون الدين عن طريق المجتمعات الانسانية لاشك مخطئون ، فالانسانية لا تحيـــا الا اذا استرشدت بتعاليم السماء ، وبعدها عن المنهج الاسلامى القرآنى هو الذى جر عليها الويلات والنكبات والحروب على امتداد الاعوام .

والمسلم بطبعه لا يمكن أن يكون ملحدا أو علمانيا أو ماركسيا ، أو أى لون آخر من ألوان الانحراف الفكرى والسياسى والاجتماعى .

الاسلام يحرص على تطبيق العلم والعمل فى نظرياته التربوية والفكرية ، والمجتمـــع الاسلامى هو الذى ينفذ المنهج الاســـلامى والقرآن فى كل جوانبه ، ويطبقه فى كل مجالات حياته ، ويعمل على اثراء الحياة وتجديدهـــا بروح مبدعة تجعل منه نواة صالحة لخلافـــة الله فى الأرض .

ومن ثم كان تطبيق المنهج الاسلامى جناحا من أجنحة الايمان بالعقيدة ، هذه العقيـــدة السامية الصالحة لكل زمن ومكان ، المتجددة على امتداد الايام والاجيال ، التى تحمـــل بذور الصفاء والنماء والرخاء والاخاء لكل الناس فى كل أنحاء الأرض .

والتقدم هو هدف الشريعة الاسلامية فى كل مجالات الحياة وجوانبها : السياســـية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية والفكرية والعلمية ، فالاسلام هو دين النهضة والمدنية ولقد قام التقدم العلمى فى ظلال الاسلام ليبنى حضارة مثلى ليس لها نظير فى العالم حتى اليوم .

ـ ٢ ـ

والاسلام دائما دين العلم ، وفى ظلاله حدثت نهضة علمية رفيعة شهدتها فاس والقيروان وقرطبة وأشبيليه ، كما شهدتها الفسطاط والقاهرة ودمشق وبغداد ، وغيرها من حواضر العالم الاسلامى الكبير .. ونحن ننادى اليوم الشعوب الاسلامية بأن تتسلح بســـلاح العلم فى كل مجال لتستطيع أن تأخذ مكانهـــا الرفيع بين مختلف الدول العالمية القـــوية ، فبالعلم تستطيع أن تعيش عصر الرخـــاء والحضارة والقوة والسيادة .

والاسلام دائما دين المثاليات الرفيعة فالعالم فى نظره وحدة واحدة ، بكل أجناسه وألوانه وأممه وشعوبه .. وكان أكثر دول العالم فى عصور القوة والازدهار يعيش فى ظلال الاسلام دولة واحدة ، وفكرا واحدا وحضارة واحدة ، مما أكسب المسلمين العزة والمنعة والســـيادة

والرخاء والأمن والسلام ، وفى حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان بلال الحبشى نائبا عن الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — فى حكم المدينة ، وأسند الى مهران الفارسى ولاية اليمن ، ولما مات مهران ولى ابنه مكانه ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول فى سلمان الفارسى : سلمان منا أهل البيت ، وتزوج رسول الله من صفية بنت حيى بن أخطب ملك خيبر غير المتوج ، ولما رأتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، سألها رسول الله : ماذا رأيت ؟ فقالت : رأيت يهودية بين يهوديات ، فقال — صلوات الله وسلامه عليه — لها : لا تقولى هذا فقد أسلمت .. وقال — صلوات الله عليه — : لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى والعمل الصالح .

وكان ذلك كله عنصرا من عناصر الفكر الاسلامى الرفيع المتقدم ، يقول فلبى : « انه عند مفترق عصرين : عصر تعطلت فيه العلوم والفنون ، فغشى الدنيا كلها ظلام وجهل وعصر تألق فيه نجم المعرفة بعد كسوف طويل ، سوف ندرك مدى النهضة الفكرية الشاملة ، عاشها المسلمون ، وكانت بشيرا بحضارة انسانية ، رفيعة ، تمثلت فى تنقيب العلماء عن كنوز الماضى الدفينة ، حتى أصبحت علوم الاغريق المنسية فى متناول العالم ، بعد أن نقلها علماء المسلمين ، حيث نقلوا كتب الفلاسفة وعلماء الفلك والطب والنبات من الاغريقية الى العربية .

ويقول نيتشه الفيلسوف الالمانى الكبير :

« لقد حرمتنا البابوية من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام ، لقد ديست بالاقدام تلك المدينة العظيمة مدينة الاندلس الخالدة ، ولماذا ؟ لانها نشأت من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة : ان تلك المدينة الاسلامية لم تنكر الحياة ، بل فتحت لها صدرها ، ولهذا قاتل الصليبيون تلك المدينة بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها ، وما مدنيتنا فى هذا القرن التاسع عشر ، الا فقيرة واهية بجانب مدنية الاسلام فى ذلك الوقت » .

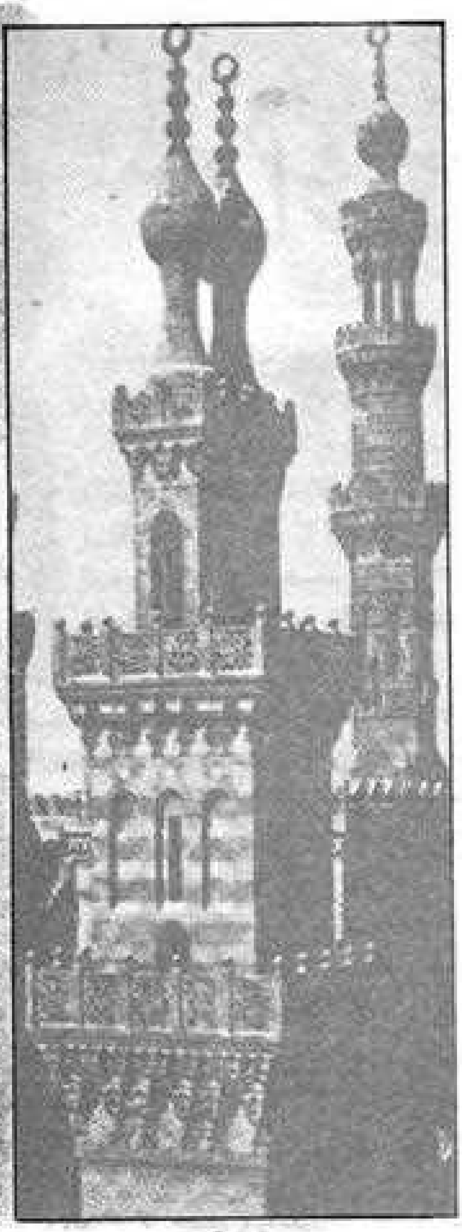
— ٤ —

وماذا أقول ؟ ان الذى أقوله الآن هو أن الفكر المعاصر قاسى كثيرا من ألوان الحجر على الحريات ومن التعصبات المختلفة ، ومن مادية الحضارة والحياة ، ومن شيوع فلسفة الجنس والانحلال ، وان الفكر المعاصر يعانى الكثير اليوم من الازمات الحادة التى تعمل عملها فى انهيار الحضارة الراهنة .. وان الحل الاوحد ، والمنقذ الاكبر للانسانية اليوم وللفكر المعاصر فى هذا الوقت بالذات ، هو الاسلام نفسه الذى وجد فيه « روجيه جارودى » كل حل لازمة

الانسان المعاصر ولازمة الفكر المعاصر ايضا .

يقول برناردشو : « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور » ، ويقول عن رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه يجب أن يسمى منقذ الانسانية .

ويقول الفيلسوف المسلم محمد اقبال : مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذى حوله مغامرو الغرب الى حانة للفساد ، ولقد رأت أوربا بعينها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهذا العالم لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم .



واذا كانت مراكز الاستعمار العالمى تحذر كل الحذر من انبعاث المد الاسلامى، والفكر الاسلامى ، خوفا على نفوذها وسيادتها والثراء الذى تحيط نفسها به ، وتراقب العملاق المسلم كل المراقبة ، وتعرقل مسيرة ومسيرة حياته بكل ما تستطيع فلقد يأتى اليوم الذى يقوى هذا العملاق الرائد على السير والتقدم والاعلان عن مسيرة جديدة للحياة البشرية وللحضارة الانسانية ،ويومئذ سيكون الانسان فى كل مكان هو سيد الحياة وحامل مسئوليتها أمام التاريخ .

محمد عبد المنعم خفاجى

مع محاضرة الأستاذ الدكتور رجاء جارودى

١ ــ فى المحاضرة القيمة التى القاها الاستاذ الدكتور / رجاء جارودى فى يوم الاثنين ٢١ من مارس ١٩٨٣ بالمركز القومى للدراسات القضائية ــ قدم السيد المستشار سمير ناجى مدير المركز ــ السيد المحاضر بقوله عنه : هو عندى تجسيد حى لفريضة فرضها الاسلام علينا حين ارتضيناه دينا : هى الفكر .

ــ ومن هذا المنطلق ــ نود ان نناقش ما قاله السيد المحاضر ــ فى خصوصية موضوع بحثنا الماثل عن الجريمة والعقاب فى الشريعة الاسلامية .

يقول السيد المحاضر : ما من مرة القى فيهـا محاضرة عن قضايا الاسلام الا ويقف أحد الحاضرين ويطالبنى بالحديث عن قطع يـد السارق .

ويستطرد فيقول : وقـد اعتدت ان اجيب هكذا : اعتقد أن من الحمق أن نهاجم قطـع يد السارق فى حين أنه فى بلدان كثيرة كفرنسا ــ وحتى ستة شهور خلت ــ كانت تقطع رقبـة بعض المجرمين ــ كما أننا يجب أن نلاحظ فى أى ظروف تاريخية أمرنا القرآن بقطع يـد الســارق ــ كان ذلك فى ظل مجتمع مزقتـه حوادث الثأر الجمـاعى وأيضـا العقوبـة الجماعية ــ فى ظـروف كتلك يكـون قطـع يد السارق بمثابة الاتجاه نحو تفريد العقوبة ــ ها هو تفسيرى الذى أعرضـه على المعارضين الغربيين ــ ومن هذا المنطلق تكون هذه العقوبة التى تتسم بالتفريـد ــ خطوة تقـدمية اذا قارناها بديانة تتحدث عن خطيئة بنى آدم كما هو الحال فى المسيحية ــ .

للمستشار السيد عبدالعزيز هندى

عضو مجمع البحوث الاسلامية

٢ ـ وقد عقب فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الازهر على كلمة السيد المحاضر فور انتهائه من محاضرته بقوله :

« ولنأت الى تفريد العقاب وشخصية العقوبة .. هو أيضا وجد أن هناك ضرورة ـ وقاعدة الضرورة من قواعد التشريع ..

العقوبات فى الاسلام شخصية ـ هذا حق ـ لكنها قد تكون جماعية ذلك أنه بدلا من أن تقيد القضية ضد مجهول لعدم وجود دليل ـ هنا الاسلام وجد علاجا ـ الشريعة الاسلامية فى هذا ـ فى باب يسمى القسامة والقسامة تعنى أننا اذا وجدنا قتيلا فى مكان لم يستدل على القاتل فان دم القتيل لا يذهب هباء ـ لأنه لايطل دم فى الاسلام ـ بل يدفع أهل عاقلته ديته .

ـ واستطرد فضيلة الامام الاكبر قائلا : أن ماسمعه من ترجمة لأقوال الأخ « رجاء » فى شأن عقوبة قطع يد السارق وأنها تعتبر اهانة للفرد لاصقة به ـ هذا القول مردود بأن العقوبة لا تعتبر اهانة للمعاقب ـ باعتبار أن الغاية منها ـ هى حماية المجتمع فى نفسه وأمواله ـ ولاضرر فى التحذير ممن يرتكب الأخطاء الجسيمة فى حق المجتمع ـ بل أن النظام المعاصر قد وضع صحائف السوابق للتحذير من الخطائين والمجرمين .

ومن ثم فلا يكون قطع يد السارق اهانة له أو اهدارا لأدميته ـ وانما هو تحذير لغيره من أن يقدم على أمر يعاقب عليه بهذا العقاب .

٣ ـ واذا كان لى أن أضيف ـ من ناحية التشريع العقابى ـ شيئا ـ عن عقوبة قطع اليدفى حد السرقة ـ مع جزيل الشكر وعظيم التقدير للمجمع ـ فأقول :

(أ) من الثابت أن المجتمعات الانسانية يسودها فى الوقت الحاضر موجة طاغية من الاجرام تتخذ أشكالا وصورا تثير الفزع فى النفوس ـ ويقف علم الاجرام من هذه الظاهرة يحلل أسبابها ـ بينما يحاول علم العقاب أن يجعل من العقوبات أو التدابير الاحترازية ـ وسائل لتقويم المجرم واصلاحه حتى يترك الجريمة ويتآلف مع المجتمع ـ ذلك

فى الوقت الذى يراعى المشرع الجنائى أن يكون العقاب رادعا للمجرم نفسه ــ وهو ما يعرف « بالردع الخاص » ــ وأن يكون زاجرا مخيفا لغيره من ارتكاب الجريمة وهو مايقال له « الردع العام » . ومهما تعددت النظريات والاساليب فى الشأن ــ فان هناك حقيقة تظل راسخة ــ هى أن العقاب يجب أن يكون بالقدر الذى يزيد فى ايلام الجانى عن الشعور بالمنفعة الذى عاد عليه من الجريمة ــ حتى يوازن الشخص بين مايمكن أن يحصل عليه من فائدة اذا باشر السلوك الاجرامى ــ وبين ما يتعرض له من عقاب ــ فيجد أن مصلحته دائما أن يبتعد عن طريق الجريمة ــ ويكون على يقين جازم بأن « الجريمة لاتفيد » ــ الامر الذى يتعين معه اعادة النظر فى دعائم السياسية العقابية الحالية من أساسها ــ ولن يصلح حال هذه الانسانية آخر الامر الا بما صلح به أوله ــ وهو العلاج الربانى الذى نزره من خلق هذه النفس وسواها فالهمها جورها وتقواها .

ومن عجب ان نتقبل رأى الطبيب ــ وهو بشر قد يخطىء ويصيب ــ ونسارع الى تنفيذ رأيه اذا رأى وجوب بتر عضو من الاعضاء لانقاذ باقى الجسم من خطر داهم ــ ثم نجادل بغير علم فى حكم العليم الحكيم ــ الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ــ مع ان التجربة الواقعية والاستقراء المعطى يقطعان بأنه حتى فى البلد الواحد وفى نفس البيئة السكانية ــ بصرف النظر عن الغنى والفقر ــ حين طبقت السعودية حد السرقة ــ اختفت تماما ظاهرة النهب والسلب ــ حتى لحجاج بيت الله الحرام ــ التى كانت تسود هذه البلاد قبل تطبيق حدود الله .

هذا ــ على حين أن مجتمعا موغلا فى الرفاهية والترف وتدليل المجرمين ــ كالمجتمع الامريكى بخاصة والغربى بعامة ــ تتزايد فيه جرائم السرقة والاغتصاب بمعدلات رهيبة تغرى بالمحاكاة ــ وتنذر بأوخم العواقب على المجتمع نفسه ــ **وليست الرحمة التى يطلبها الاسلام هى الشفقة أو الرأفة بالجانى فحسب ــ انما هى الرحمة بالكافة ــ وهى توجب تشديد العقوبة ــ وهى الرحمة بالمجتمع ــ وهو المجنى عليه فى حقيقة الأمر** ــ وحته أولى بالرعاية ــ ومن ثم كانت الحدود ــ فى أساسها ــ حقا خالصا لله تعالى حماية للعباد وانقاذا للبلاد وليست موقوتة بعصر معين ولا بيئة معينة ــ وانما هى صالحة لكل زمان ومكان وما من شك فى أن الدواء الناجع هو الذى ينتصر على المرض لا الذى ينتصر عليه المرض ــ وأن العقاب الناجع هو الذى ينتصر على الجريمة لا الذى تنتصر عليه الجريمة .

ثم ان المشرعين الوضعيين لم يستغلظوا عقوبة الاعدام بالنسبة الى بعض الجرائم التى قدروا

أنها خطيرة ــ من ذلك في مصر مثلا ــ القرار القانوني رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ في شأن مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها ــ هذا القانون الذي قرر عقوبة الاعدام ــ جزاء لمن صدر أو جلب جواهر مخدرته ــ ولمن أنتجها أو استخرجها أو صنعها بقصد الاتجار وليس من شك في أن هذه العقوبة أشد من عقوبة القطع في السرقة الحديثة ــ فالعبرة اذن هي بالعقوبة المناسبة الفعالة في مقاومة الجريمة وتحقيق الامن والاستقرار للمجتمع ــ والبدان للانسان ــ كما جاء في كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين ــ ج ٢ ص ١١٤ وما بعدها ــ كالجناحان للطائر في اعانته على الطيران ــ فعوقب السارق بالقطع ــ قصا لجناحه ــ وتسهيلا لأخذه اذا عاود السرقة ــ وعقوبة السارق بالقطع ــ أبلغ وأردع من عقوبته بالجلد ــ ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل (كما تفعل بعض الدول الشيوعية حاليا) فكان أليق العقوبات به ــ ابانة العضو الذي جعله وسيلة الى أذى الناس فأخذ أموالهم ــ

(ب) أما بالنسبة للضرورة التي تدرأ الحد فقد رأى عمر ــ رضي الله عنه ــ أن المجاعة تكون شبهه مانعة من اقامة الحد وان كانت لاتسقطه ــ اذ أن الحد في نظره ــ لم يستوف شروط اقامته ــ لأن السارقين وقتئذ ــ كانوا في حال اضطرار وقرائن الاضطرار كانت قائمة ــ فالسرقة كانت في مجاعة ــ وقد ذبحوا الناقة وأكلوها ــ وكانوا عبيدا لرجل عرف بأنه يبيع غلمانه فكانت حالة الاضطرار قائمة ــ والضرورات تبيح المحظورات ــ فضلا عن أن كلا منهم قد أخذ مادون النصاب الذي يستوجب الحد .

وقد حسب بعض الناس أن عمر أسقط الحد بعد أن توافرت أسباب اقامته ــ وحاشاه وهو من نعرف علما وعدلا ــ وما كان لأحد أن يسقط حدا من حدود الله ــ وانما الامر كما ذكرنا من قبل ــ من أنه فضلا عن قيام الشبهة الدارئة للحد ــ فان ركن النصاب لم يتوفر في حق كل منهم حتى يقام عليه الحد .

وما ورد عن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام ــ من انه لم يشترك في رجم المجدلية المتهمة بالزنا وثبط الشهود عن رجمها ــ انما مرده ــ كما هو واضح ــ انه ايا من الشهود لم يكن بلا خطيئة ــ وبالتالي فلا يصح أن يكون شاهدا عدلا يمكن الاعتداد بشهادته في هذا المقام ــ وليس في ذلك اسقاط لحد واجب من حدود الله ..

السيد عبد العزيز هندي

عضو مجمع البحوث الاسلامية

مع بعض المفاهيم

تحديد « المعنى » لأى « لفظ » يلقى الضوء قويا على مفهومه ، فلا يجد عسرا فى طريقه الى الذهن ، لاسيما اذا كان هذا « المعنى » مجردا من التواء مقصود ، او قيد مصطنع يحيط به ، فليس غريبا ان يتعثر اى « مفهوم » حين يسلك طريقه الى العقل مقيدا بنص ليس من طبيعته ، وليس من شأن العقل أن يفهمه .

من هنا كانت قضية « الألوهية » فى الاسلام يسيرة الفهم ، متجردة من مكبلات القيود :

فالله واحد لا ند له ، ولا مثيل ، ولا شريك ، فرد — سبحانه — قادر لا يعجزه شىء فى الكون : سمائه وأرضه .

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » (١)

« مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٢) .

ومادامت هذه القضية هى الحقيقة ، فالله رب العالمين ، هذا الكون كله ما نرى منه ومالا نبصر ، ما نعلم منه ، وما نكتشف ، وما سوف

---

(١) الانبياء — ٢٢ .
(٢) المؤمنون — ٩٢ .

للأستاذ متولى الجرجاوى

نكتشف ، ثم مالا نعلم ، فالله ــ وحده ــ رب هذا كله ، وخالقه .

« فأى آيات الله ينكرون »

ما ينكر ذلك الا جاحد ، مكابر .

والجاحد المكابر ليس له وزن فى باب الفكر و « العلم » أيا كان لونه .

فالحقيقة تقتضى الخضوع لها .

فوجب على الخلق عبادته ــ سبحانه ــ وأبسط « مفهوم » العقلاء أن يشكر أحدهم من قدم له « هدية » فلا يتلقى زيد هدية من عمرو فيقول لخالد : شكرا !!!؟

انما الشكر لصاحب الهدية ، فاذا صرف لغيره كان جحودا ، وسوء أدب ، وصغارا ممجوجا .

« وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » (١) .

لذا وجبت عبادته وحده ، لأنه صاحب الحق كله ، فانه هو الخالق ــ وحده ــ مهدى الحياة ، والنعمة .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٢) .

سلسلة من المنطق الحق لا تهوى الى ظلام الفكر أو تضل السبيل .

ولقد حدث فاوت بعض الفرق الى وضع قضية « الألوهية » خارج نطاق مثالية الفكر ، وشققت لها أجزاء ، وألزمت الايمان بها بقوة القانون تارة ، وبارهاب النفوس أخرى فما تطاولت العصور حتى سوى القانون واضمحل الارهاب ، وأبى الفكر أن يؤمن بما لا يتسم بالمنطق فاستشرى الالحاد فى الأتباع ولا يزال .

واستنارة العقيدة فى الاسلام ــ فى ضوء ما قدمنا ــ كانت تعنى احتضان الأخلاق

(١) النحل ــ ٦٠ .

(٢) البقرة ــ ٢١ .

الكريمة فى مثلها العليا ، فمن تمام اسلام المرء أن يكون عبدا مستسلما لمولاه فى كل أمر راضيا لحكمه وقضائه :

فى عقيدته ، فى معاملته للناس ، فى اخلاصه لوطنه ، ولعمله ،عافا عما فى أيدى الناس صادقا غير منافق لفائدة أو منصب ، وليتق الله ربه .

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (١) .

والايمان بهذا المستوى حصن لصاحبه ، ودرع لمجتمعه ، وحماية لوطنه ، فان الأوطان لا تقوى ولا تسمو بمجرد القوة المادية ، فلقد تذوب هذه القوة كلها برجل خائن ، بينما تبدو قوة الوطن من نواة مجتمعه :

من الأسرة ، وقد حصنها الاسلام بسلامة الاختيار وقوة ترابط أفرادها صغارا وكبارا .

فالجار بماله من حقوق وبما عليه من واجبات .

وما المجتمع كله الا أسرة أو جار .

وفى الكتاب العزيز خلاصة للأمر كله

(١) الانعام ـ ١٦٢ ، ١٦٣ .

فيما تتلوه من وصايا عشر جاءت فى قوله تعالى :

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... » الآيات (٢) .

وفيما ذكره سبحانه فى سياق « عباد الرحمن » فى هذا الاطار الذى يطرح عليهم من المولى ـ سبحانه ـ الرحمة :

فى قوله تعالى :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا .. (٣) الآيات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

متولى الجرجاوى

(٢) سورة الانعام الآيات ١٥١ ـ ١٥٣ .
(٣) سورة الفرقان الآيات ٦٣ ـ الى آخر السورة .

رئيس جامعة الأزهر
يتحدث لمجلة الأزهر



• الجامعة تطور نفسها بنفسها لأن متطلبات الحياة تحتم ذلك ولأن حركة العصر تتطلب ذلك

قبل أن أبدأ حوارى مع فضيلة رئيس الجامعة أود أن أسجل له بكل الشكر والتقدير أنه صاحب الباب المفتوح لكل صاحب حاجة ومادام صاحب حق فله فى الحق ألف حق .

وابدأ حديثى مع فضيلته رغم كثرة أعبائه .

نود فى البداية لو تفضلتم ببسط سياستكم لهذه الجامعة العتيقة وكم نرجو لو تكرمتم ببيان ارتباطها بالمعاهد الأزهرية من جهة ثم مجمع البحوث من جهة أخرى فإن وحدة الأزهر فى هذه الثلاث ؟؟

حديث أجراه صفوت عبد الجواد

- لا أدعى لنفسى أننى أرسم سياسة الجامعة .. فالجامعة كيان عظيم له مقدرته الذاتية على أن يرسم سياسته .
- الجامعة لها صلات بمختلف المؤسسات الثقافية والعلمية فى العالم .

ـ جامعة الأزهر هيئة من هيئات الأزهر الشريف وهيئات الأزهر كما تعلمون المجلس الأعلى للأزهر ويختص برسم السياسة العامة للتعليم والدعوة ومجمع البحوث الاسلامية ويختص باختصار بالاجتهاد فيما يتصل بأمور الحياة وخصوصا ما يستجد منها وعرضها على الشريعة الاسلامية وابداء الرأى فيها، ثم الادارة العامة للمعاهد الأزهرية وتختص بالتعليم قبل الجامعى وجامعة الأزهر تختص بالتعليم فى المرحلة العالية كما تختص بالبحث العلمى فيما يتصل بشئون هذا التعليم ومن هنا نجد أن جامعة الأزهر لها دور فى النهوض برسالة الأزهر يتكافأ مع الأدوار التى تختص بها الهيئات الأخرى أما السياسة التى تنشد الحديث فيها فهى سياسة مرسومة فعلا فى القانون ونحن ننفذها ويمكن أن تندرج تحت مسألتين رئيسيتين وكما ذكرت شئون التعليم العالى والبحث العلمى أما تفريعات هذه السياسة وتطبيقاتها والمصبات التى تصب فيها فذلك مرجعه أولا الى مجالس الأقسام العلمية والى مؤتمرات هذه المجالس ثم مجالس الكليات ومؤتمرات الكليات ثم مجلس الجامعة ، والذى يرسمه مجلس الجامعة يعرضه على المجلس الأعلى للأزهر لاقراره ومن هنا لا أستطيع أن أدعى لنفسى أننى أرسم سياسة الجامعة فالجامعة كيان عظيم له مقدرته الذاتية على أن يرسم سياسته وخط سيره بنفسه ورئيس الجامعة يكون ملزما بحكم القانون وبحكم الجانب الأدبى أن ينفذ هذه السياسة بعد اقرارها واعتقد أن الجامعة بخير وأنها ماضية فى سياسة رشيدة منذ أنشئت فمن هذه الناحية تطمئنون على أن جامعة الأزهر تسير فى خط السياسة التعليمية المرسومة بالفعل ودائما الجامعة تتطور نفسها بنفسها لأن متطلبات الحياة تحتم ذلك ولأن حركة العصر تتطلب ذلك ولأن التكنولوجيا أو (التقنية) تتطلب ذلك . كل يوم جديد من العلم وجديد من المعرفة ومن هنا فان الجامعة تأخذ بهذا الجديد وهذا يدعونا ونحن ننفذه فعلا الى أن تكون لنا صلات علمية وثقافية بمختلف المؤسسات التعليمية فى بلدان العالم كله وهذا أمر واقع فنحن نوفد الى كثير

من جامعات العالم في أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا أيضا طلابا يسمون طلاب البحوث ليدرسوا ويحصلوا على درجات علمية « الدكتوراه والماجستير » أحيانا ليعودوا الينا بخبرتهم التي يأخذونها من الجامعات التي أوفدوا اليها .

ومن ناحية أخرى فاننا نمد المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث وخاصة في الوطن العربي وفي بعض البلاد الآسيوية والافريقية بأساتذة يقومون بعبء التعليم العام والبحث العلمي في هذه المؤسسات مشاركة منا في أداء الواجب ونشر العلم وهذا من شأنه أيضا أن يزيد من أواصر العلاقات الثقافية بيننا وبين البلدان التي فيها هذه المؤسسات كما أننا نتبادل الرسائل العلمية والمطبوعات والمصنفات بقدر الامكان مع الجامعات والمؤسسات التي تطلب ذلك والعلم رحم بين أهله والعلم لا وطن له ومن هنا فاننا ننشر العلم في كل مكان .

بيد أنه يجب أن نؤكد تأكيدا خاصا على أن جامعة الأزهر تختص بعلوم الشريعة ومن هنا فان الوفود التي تأتينا من البلاد المختلفة ليدرسوا في جامعة الأزهر انما يرجعون الى بلادهم بعد أن يكونوا قد تزودوا بالزاد الاسلامي فيما يتصل بالشريعة وهو زاد طيب ونحن نحرص على أن يتزودوا بهذا الزاد ليعودوا الى قومهم كما نصت الآية الشريفة :

« فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ



يَحْذَرُونَ » والعلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا مالا ولا عقارا وانما ورثوا العلم الذي علمهم الله ومن هنا نرجو أن نكون ورثة حقيقيين نفخر بهذه الوراثة ونحرص على الانتفاع بهذا الميراث الرباني العظيم الذي أخذناه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبر الأزمان المختلفة .

وأخيرا فان أي أستاذ يعمل في الداخل أو في الخارج ويتكلم بكلمة الاسلام انما يؤدي واجبا وهو الدعوة الى سبيل الله ومن حسن الحظ أن الأزهريين يدينون بالآية الكريمة « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » وهذا اطار ندعو فيه الى سبيل الله سواء كما قلت في الداخل أو في الخارج والله الموفق .

● العلم رحم بين أهله ولا وطن له ، والعلماء ورثة الأنبياء .

● زيادة نسبة القبول بأصول الدين واللغة العربية والدعوة والتربية ٢٥٪ عن الأعوام الماضية .

تستطيع الجامعة أن تقدم الكثير والكثير بالنسبة للدعوة والدعاة الذين يتخرجون من كلية أصول الدين فما هى الوسيلة لزيادة الدعاة الذين ينشرون كلمة الله فى الأرض ؟؟

ــ بسم الله الرحمن الرحيم .

نحن كلنا خدام للدعوة والمعاهد التى تنشأ انما هى وسيلة لتعليم الأشخاص الذين ينتهى بهم الأمر الى أن يدعوا الى سبيل الله وكما قلت نحن ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا مالا ولا عقارا وانما ورثوا العلم الذى علمهم الله فنحن علينا أن نأخذ هذا العلم ولا نحتجزه لأنفسنا وانما علينا أن ننقله الى الناس هذا هو الذى فعله رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ما يوحى به الله من ربه ينقله الى الناس فور نزوله وهذا هو الواجب على المسلمين وهو واجب كفائى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، كما قلت فى الاجابة على الموضوع الأول .

وجامعة الازهر بكلياتها كلها : سواء أصول الدين أو الدعوة أو الشريعة أو الدراسات الاسلامية والعربية ام زراعة ام علوم أم طب أم هندسة كل الكليات تخرج الدعاة ولكن هناك داعية يتفرغ للدعوة وهناك داعية لا يتفرغ لها فالذى يتفرغ للدعوة هو الذى يتخرج فى كليات أصول الدين وكليات الدعوة .

« وعندما كنت وكيلا للأزهر الشريف عندما يأتينى متخرج فى احدى هذه الكليات ويرغب فى أن يعين مدرسا فى المعاهد ارفض واقول له مكانك اما فى الوعظ واما فى المسجد وبين الجماهير وهذه سنة استننتها وارجو ان تستمر .

فالذى يتخرج فى كلية اللغة العربية أساسا يدعو الى سبيل الله بين الطلاب الذين يعلمهم وكذلك فى كلية الشريعة وكلية الدراسات العربية الخ ...

والذى يتخرج فى كلية الطب انا لا أطلب منه

أن يكون داعية مثل خريج كلية أصول الدين وانما يكفيني منه أن يكون قدوة في سلوكه

وهذه القدوة هي أعظم شيء في الدعوة فعندما يجد الذين يترددون عليه أنه عندما يحين وقت الصلاة يستأذنهم في أداء الصلاة ثم يعود الى

مراجعة مرضاه هذه قدوة طيبة . والمهندس الذي يكون في موقع من المواقع ويكون اليوم يوم صيام ويعرضون عليه المشروب فيقول لهم اني صائم لأن اليوم من رمضان أو لأني نذرت أن أصوم هذا اليوم ، هذا المهندس يكون قدوة طيبة ليس هذا فقط بل تقدير الناس واحترام الكبير والعطف على الصغير واحسان الكلمة واماطة الأذى عن الطريق والعطف على الفقير والمحروم وآداب كثيرة جدا جدا يتخلق بها المسلم العادي يكون فيها قدوة لغيره فاذا أضيف الى هذا ــ وهو متخرج من كلية الطب مثلا ــ شيء من العلم الاسلامي الذي يؤدي به فرائض الله والطاعات فانه بهذا المسلك يؤدي للدعوة عاملا طيبا جدا وبحمد الله عندما جئت الى هنا وبمعاونة اخوتي العاملين في الجامعة استطعنا أن نعطي كليات أصول الدين والدعوة عددا زائدا بمقدار ٢٥٪ عن العدد الذي قبل في العام الماضي وكذلك في كلية اللغة العربية لأن المجتمع محتاج لهذه النوعيات التي أصبح العجز فيها واضحا .

مساجدنا بحمد الله عامرة ونحن نحاول أن نخرج من أصول الدين والدعوة الذين يؤمون الناس ويخطبونهم في هذه المساجد .

مدارسنا والحمد لله عامرة ولكن فيها عجز في مدرسي اللغة العربية وفي المدرسين التربويين ومن هنا فاننا زدنا الأعداد المقبولة في كلية اللغة العربية والتربية بنسبة ٢٥٪ عن الأعوام الماضية وهذا شيء طبيعي .

ومن هنا فاننا حريصون على أن تؤدي كلية الدعوة وأقسام الدعوة في كليات أصول الدين واجبها .

بقي أن على هذه الكليات الا تكتفي بالدروس النظرية بل تطبق العلم على العمل وأن تخرج بطلبتها الى المساجد والمجتمعات ليتمرن الطلاب ويتدربوا فيها حتى اذا ما خرجوا الى الحياة الوظيفية والعملية كانوا مستعدين لأن يقولوا كلمة الله بين الناس وهي الكلمة التي أمر بها الله « **الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالله التوفيق** » .

س : هل توافقون على استمرار الامتحان التحريري في القرآن الكريم نرجو لو نتعرف خطتكم بشأن القرآن الكريم وانتم اعلم بامره ؟

القائم الآن أن يمتحن الطالب في القرآن تحريريا وشفهيا وهو نظام مقبول ومعقول وهناك شرط أن يحصل الطالب على ٣٠٪ على الأقل من كل من الامتحانين وأن يحصل في المجموع على ٥٠٪ حتى يمسي ناجحا والامتحان الشفهي له مزاياه والامتحان التحريري له مزاياه والجمع بينهما افضل وبالله التوفيق .

صفوت عبد الجواد

من أعلام الأزهر

الدكتور: حسن جاد

من أعلام الأزهر



حسن جاد حسن
شاعر الأزهر بعد الأسمر

للأستاذ عبد الرحمن خضير

هكذا يطلقون عليه ، وهو لقب يصدق على الشاعر كل الصدق ، فهو الشاعر الذى يمثل شعره الثقافة الأزهرية المحافظة المتجددة فى سماتها الدينية ، والعربية ، واللغوية ، وهو الشاعر الذى شب فى احضان الأزهر ، وأنفق حياته كلها فى ظله ، يتغنى بعظمته ، ويشيد بمجده ، ويدافع عن حقوقه ، ويواجه خصومه ، ويتعقب كل من ينحرف عن سمته ، او يفرط فى حقه ، او يحاول أن يشوه صفحته الناصعة ، وتاريخه المجيد ، بنقده اللاذع الجرىء ، وهو نقد بناء ، دفعت اليه غيرته الشديدة ، وحرصه الملح ، على ان يظل الأزهر شامخ الرأس ، مرفوع الجبين ، نقى الصفحة ، موفور الكرامة ، سليم السمعة ، فهو نقد واقعى بناء يستهدف الاصلاح والتغيير ، وليس هجاء يستهدف الهدم والتشهير · وهو الشاعر الذى رفع اسم الازهر فى كثير من المواقف والمناسبات ، وحصل على الكثير من الجوائز الأدبية ، وفاز فى كثير من المسابقات فى الشعر العربى ·

— ١ —

ولد (حسن جاد حسن عطا الله) بقرية (منشاه الجمال) التابعة الآن لمركز (منية النصر) بمحافظة الدقهلية ، وذلك فى ١٣ يناير سنة ١٩١٤ ، ونشأ فى أسرة متدينة متواضعة الحال ، وكان أبوه يحفظ القرآن الكريم ، ويلم بقسط من الثقافة الدينية ، اما أمه

فتنتمى الى قبيلة عربية .

وقد توفى والده ، وهو فى سن الخامسة ، فكفلته أمه ، وأدخلته (كتاب القرية) فحفظ القرآن الكريم ، وأحسن تجويده ، ثم التحق بمعهد دمياط الدينى سنة ١٩٢٦ م وبعد أن أتم دراسته الابتدائية فى هذا المعهد التحق بمعهد الزقازيق الثانوى سنة ١٩٣٠ م حيث كان من زملائه الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والدكتور محمد الطيب النجار ـ مدير جامعة الأزهر ، والشيخ محمد خاطر ـ مفتى الجمهورية ، والأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ، والشاعر طاهر محمد أبو فاشا وغيرهم .

وفى هذا المعهد بدأت شاعريته تتفتح ، حيث أخذ ينظم الشعر فى كل مناسبة ، وأصدر ديوانه الأول (زورق الشجون) وهو فى السنة الرابعة الثانوية . وفى سنة ١٩٣٥ م التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وكان من المتقدمين فيها ، حيث كان ترتيبه دائما الثانى . وحصل على الشهادة العالية ، ففاز بجائزة الملك فؤاد التى كانت تمنح للأول والثانى فى الشهادة العالية .

وفى هذه المرحلة اتصل بكبار الأدباء والشعراء مثل : سيد قطب ، ومحمد الأسمر ، وأحمد الزين ، والهراوى ، ومحمود غنيم ، ومحمود حسن اسماعيل ، وأحمد فتحى ، وأحمد مخيمر ، والعوضى الوكيل ، وعبد الحميد الديب ، والشيخ حسن القاياتى ، ومحمود أبو الوفا وغيرهم .

وفى هذه المرحلة بدأ ينشر قصائده فى الصحف والمجلات ، ويشترك فى المسابقات الأدبية ، وقد حصل على كثير من الميداليات الذهبية ، وألقى قصائده الفائزة فى دار الأوبرا الملكية .

ثم التحق بقسم الدراسات العليا متخصصا فى البلاغة والأدب فى سنة ١٩٣٩ م ، وفى هذه المرحلة اشترك فى مسابقة الشعر البريطانية التى كانت تعقد كل عام أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد فاز بالجائزة الأولى عن قصيدته (دنيا الغد) عام ١٩٤٤ م ، وفاز بالجوائز الثلاث عام ١٩٤٥ م عن قصائده (أمل الفلاح ـ الجامعة العربية ـ نشيد النصر) وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ عباس العقاد ، والأستاذ أحمد حسن الزيات .

وفى سنة ١٩٤٦ م حصل على (الدكتوراه) فى البلاغة والأدب بتقدير (ممتاز) وذلك بعد أن توفيت والدته بشهر واحد قبل حصوله على هذه الشهادة ، وقبل أن يلتحق بوظيفة كان ينتظرها ليرد لأمه بعض الجميل على ما قدمته له من تضحية ورعاية وطول انتظار

.... فكأن موتها صدمة كبيرة أنسته فرحته بالشهادة و « الوظيفة » .

— ٢ —

وفى أواخر سنة ١٩٤٦ م عين مدرسا بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ثم أستاذا مساعدا فى سنة ١٩٦٤ م ثم أستاذا فى سنة ١٩٦٩ م ثم رئيسا لقسم الأدب فى سنة ١٩٧٦ م ثم عميدا للكلية فى سنة ١٩٧٨ م .

وفى سنه ١٩٥٤ م ألقى قصيدة فى عيد الجلاء بقاعة الامام محمد عبده حيث حضر الحفل رجال الثورة ، وقد طالب فى قصيدته بحقوق الأزهر المهدرة فى صراحة وشجاعة ، وقد أعجب الرئيس جمال عبد الناصر بصراحته وشجاعته ، وشد على يده شاكرا ، ومقدرا ، وواعدا ، وفى القصيدة قال :

اسود الحمى حيّاكُم الأزهر الذى
يُكَبِّرُ للبشرى ويهتف شاعره
تمائل للبعث الجديد وقد صحت
امانيه واهتزت رجاء منابره
ألحَّ عليه السقم من طول يأسه
وشقت من الحرمان مطلا مرائره
واوهن باس الظلم عزم شيوخه
وكان اعز المالكين يحاذره
وصار يُلَقِّى الامر من كل تابع
وكانت على الحكام تملى اوامره
اتنساهُ مِصْر وهى تفخر باسمه
ويذكره بالقول لا الفعل ذاكره ؟!
وتمنع دون الجامعات حقوقه
وتعطى كما شاءت مناها نظائره ؟
اذا ما شكا قالوا : عهدناه قانعا
تقشفه فى العيش تروى مآثره
وان ضاق بالحرمان قيل له : اتئد
وطالبه بالزهد من لا يصابره
اليس لنا حق الحياة كغيرنا
واين سبيل العدل ان جار جائره

وفى سنة ١٩٦٠ م — سنة ١٩٦١ م أعير لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وعند انشاء جامعة الأزهر الجديدة، قدم قصيدة لعاهل الكويت ، فتبرع لهذه الجامعة بنحو مائتى ألف جنيه .

وفى هذه القصيدة يقول :

الأزهر المعمور فى ايامنا
نس المعز الفاطمى وجوهرا
لله جامعة نماها منجب
كرمت به أصلا وطابت عنصرا
سبقت عوارفكم بها فتضوعت
مسكا وفاحت فى الكنانة عنبرا
فاذا ذكرت الأوفياء وعهدهم
فاذكر على عهد الوفاء الأزهرا

وفى عام ١٩٦٩ م أعير للجامعة الاسلامية بليبيا ، وظل حتى عام ١٩٧٣ م .

وفى عام ١٩٧٣ م فجعه القدر فى ولده الوحيد (محمد) وكان طالبا بالثانوية العامة د ث فقد بفقده كل أمل كان ينتظره منه فى شيخوخته ، وقد حطمت هذه الفاجعة نفسه ، وذهبت ببصره ، وزادته انطواء على نفسه وبعدا عن الأضواء والشهرة ، وقد رثى ابنه

هذا بقصيدة من عيون الشعر بلغت نحو مائة بيت . وقد قال أحد النقاد : « ان أعظم رثاء للولد في تاريخ الشعر العربي هو رثاء ابن الرومي لابنه ، والزيات لولده ، وحسن جاد لوحيده » . ومطلع هذه القصيدة :

ودعت فيك صفاء العيش ياولدى
ياطول همى وياحزنى وياكمدى

وفى سنة ١٩٧٦ م عين عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب . وفى ابريل سنة ١٩٧٨ م أقيم مهرجان شعرى كبير ضم شعراء الجمهورية وشواعرها . وفى هذا المهرجان اختار الأدباء تنصيبه عميدا للادب العربى ، وقد أحدث ذلك ضجة كبرى فى الصحف ، ووسائل الاعلام غير أن الشاعر رفض هذا التنصيب الذى لم ير نفسه أهلا له .

وفى سنة ١٩٨١ م منحه الرئيس أنور السادات (وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى) وبعد أن أحيل الى التقاعد فى عام ١٩٧٩ عمل أستاذا متفرغا بكلية الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الأزهر .

ـ ٣ ـ

ولقد أشرف على نحو مائة وخمسين رسالة علمية للماجستير والدكتوراه فى الأدب والنقد أما أهم مؤلفاته فهى :

١ ـ الأدب العربى بين الجاهلية والاسلام .
٢ ـ الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين .
٣ ـ ابن زيدون (عصره ، حياته ، أدبه) .
٤ ـ الأدب العربى فى المهجر .

٥ ـ دراسات فى النقد الأدبى القديم والحديث .
٦ ـ الأدب المقارن .
٧ ـ ميزان الشاعر فى العروض والقوافى .
٨ ـ مناهج البحث الأدبى .
٩ ـ ديوان حسن جاد .

وقد كان لى شرف جمعه ، وتبويبه ، وكتابة دراسة عنه ، تقدمت بها للحصول على الماجستير فى الأدب والنقد ، وهو ديوان مخطوط كبير يضم عدة أبواب هى . الشعر الدينى ـ الشعر الوطنى والقومى ـ شعر الرثاء ـ الشعر الاجتماعى والانسانى ـ شعر الطبيعة ـ شعر المرأة ـ بين الجد والفكاهة ـ شعر النقد ـ أناشيد .

ـ ٤ ـ

عاش الشاعر « حسن جاد » قانعا راضيا لا يسعى الى ثراء . ولا يحرص على منصب أو جاه ، معتزا بكرامته ، متعزيا بحب تلاميذه له ، وهم يبلغون الألوف من شتى

البلاد العربية والاسلامية ، يكره النفاق والمنافقين ، ويمقت التزلف والمتزلفين ، ويجاهر برأيه فى صراحة وجرأة مما جر عليه ذلك من ايذاء أو حرمان . وقد عبر عن ذلك بقوله :

اضاعنى حر رايى فى صراحته
وقبل كم ضاع ذو حس ووجدانى

ويقول :

ولكننى اعتز بالله وحده
وليس لغير الله يركن جانبى

ولى من اباء النفس اكرم عاصم
عن الذل والزلفى وامنع حاجب
وما ضرنى ان لم تدع لى صراحتى
وفاء محب او مودة صاحب
اذا كان قول الحق يؤذى فاننى
الفت من الايام مر النوائب
ولست عن الراى الصريح بحائد
ولا عن طريق الحق يوما بناكب

وبعد فهذا شاعر الأزهر الذى يمجده ، ويفخر بانتسابه اليه ، ويرد له الفضل فى براعته فى الشعر ، وتفوقه فى البيان :

هو المعمور فخر الشرق طرّا
وليس له على الغبراء ثان
يسافر صيته شرقا وغربا
الى قاص من الدنيا ودان
وكيف يفوتنى فى الشعر سبق
ومجد الأزهر العالى نمانى
وما عرف البيان الحر شاد
اذ لم ينش منه شذا البيان

فرائد من كريم الدر شاقت
كرائمهن لبات الغوانى
وما انا فيه الا ازهرى
اغنى للوفاء وقد دعانى
شاوت فوارس الميدان فيه
وحزت الخصل من قصب الرهان

وهو الذى يقول فى العيد الألفى للأزهر :

هرم من الاهرام الا انه
حرم يلوذ به الحجيج وَمَعْشَرُ
ليس الذى يبنى الحجارة مثل من
يبنى العقول النيرات وَيَعْمُرُ
ما شاد بان فى الكنانة مثلما
شاد المعز الفاطمى وَجَوْهرُ
لبيك شيخ الجامعات ومن به
مصر على الدنيا تتيه وَتَفخرُ
يكفيك انك انت مصر ومجدها
يوم الفخار وأن مصر الأزهرُ

عبد الرحمن خضر

الشعر

■ في الدوائر العروضية

■ السحرتي في ديوانه «أزهار الذكرى»

■ «حنين مغترب»

حنين مغترب

للدكتور : حسن جاد

وَطَنِي يا اعزّ ماق الوجود … انت فى سمع الزمان نشيدى

ابدًا انت ماثل فى خيالى … حاضر فى فؤادى المعمود

اتملاك شاديا من قريب … واناجيك نائحًا من بعيد

كلما هب من حماك نسيم … هاج شوقى الى حماك السّعيد

أوْ بدَا فى الآفاق سَائِغ برْق … عاود القلب خَفْقُهُ من جديد

او شدا باسمك المحب شدٌّ … خف روحى لذلك الغريد

كل شيء حولى قصيدة شَوْق … وانا فى الحنين بَيْتُ القصيد

وكأن النسيم انفاس احبابى … إذا ما احتوى اريج الورود

والهتوفُ الصدّاح ساجل نجوا … ى وحيدا يشكو النوى لوحيد

غربة عَلّمَتْ محاجرى الدمع … وكانت من قبلها فى جمود

وطنى يا اعز ماق الوجود … انت فى سمع الزمان نشيدى

فى سبيل العلا وفى ذمة المجد … عنائى وغربتى وجهودى

واحتمالى الصعاب غير مبال … وركوبى الأخطار غير قعود

مجدك العبقرى ياوطنى الخالد اسمى رجائى المنشودِ

ها هنا من مباهج الحسن دنيا … وفنون من طارف وتليدِ

اجتليها فما تُهَدْهِدُ اشواقى … لذكرى ملاعبى وعهودى

اى حسن حيال حسنك يسبى … وهو دنيا من الجمال الفريدِ

اتغنى به فخارا وَأَشْدُو … بمعانيه فى سماء الخلود

اين منى ديار اهلى واحبابى … ومغنى عشيرتى وجدودى ؟

ومجالى الشباب بين ليال … باسمات المنى وعيش رغيدِ

وطنى يا اعز ما فى الوجود … انت فى سمع الزمان نشيدى

طال شوقى وطال عنك اغترابى … وحنينى لوردك المورود

فمتى أُسْعِدُ العيون بمرآ … ك واشدو بظلك المَمْدُودِ

يوم عَوْدِى إليك آيَةُ بشرى … للفؤادِ الغريب بل أىُّ عيدِ ..؟!



السحرتي في ديوانه

أزهار الذكرى

ليس من شك في ان الشعر الجيد ينزع تلك الاقنعة الكثيفة التي كثيرا ما يخفي الشاعر خلفها قلبا مليئا بانبل الوان المشاعر والخلجات .

فقد عرفت السحرتي رحمه الله منذ خمسة وعشرين عاما . ولمست كما لمس المقربون منه صفاته وطباعه .

يومئذ كان مصطفى عبد اللطيف السحرتي رئيسا لرابطة الأدب الحديثه يرأسها في شرف وجدارة .

كان نبعا صافيا متدفقا يستقي منه زملاؤه قبل تلامذته . وكنت أنا مازلت ناشئة أخطو فوق درب الشعر في حرص وتردد كنت أعرف جيدا ان السحرتي انسان بكل ما تعنى الكلمة ، وكما يقول عنه رفيق العمر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مقدمة كتاب (دراسات في النقد المعاصر) وهو بقلم لفيف من أعلام الأدب ، احتشدوا جميعا ليقدموا دراساتهم عن السحرتي الناقد تكريما لـه .

يقول الدكتور خفاجي عنه :

« أديب من أدبائنا النوادر الذي جمعوا الى الشخصية الجذابة النبوغ الأدبي ، وهو مثال انساني حر على الأخوة الانسانية والتعاون الأدبي والروح المتوقد لخير الأدب والأدباء ، ان السحرتي انسان طيب السيرة والسريرة .

وانسان هادىء النفس دمث الخلق ، حلو الحديث ، وانسان يعامل الناس معاملة رقيقة ، ويغفر لهم زلاتهم ويهتم بشئونهم اهتمامه بنفسه » .

للشاعرة جليلة رضا

أقول اذن . عرفت السحرتي عن قرب منذ ربع قرن ولكني أعترف اليوم انني لم أعرفه المعرفة الكافية الا بعد أن انتهيت من قراءة ديوانه هذا الذي بين يدي اليوم ، وبعد رحيله عن دنيانا .

ويقيني انني حين فكرت في وقفة أمام شعره وهو شيخ النقاد لم أحد عن الطريق الذي اتخذته عنوانا لكتابي (وقفة مع الشعر والشعراء) فالسحرتي شاعر قبل أن يكون ناقدا .

وعندما قمت بقراءة ديوانه الوحيد « أزهار الذكرى » قدرت كيف خسرت روضة الشعر طائرا غردا فر من دوحتها ذات يوم ليتجه الى كهوف النقد الصخرية وليمهد طريقها وينير سراديبها المجهولة أمام أبناء الجيل الحاضر واني لأتساءل كيف لم يعمل السحرتي على ارضاء هوايته فينظم بين الحين والآخر .

انه لشيء قيم أن يكون هذا الديوان هو باكورة عمل السحرتي فديوان « أزهار الذكرى » يحتوي على ما يقرب من سبعين قصيدة . وانه لعدد واف وان كان يجمع القليل من الأبيات والكثير من المعاني والوفير من المشاعر .

فان أول ما يلفت النظر في الديوان هو ذلك التركيز الصائب في سرد الحدث والتعبير عن المعنى مما لا يدع مجالا للملل مع تنوع الموضوع .

وحب الشاعر للطبيعة قانون سائد على أغلب قصائده .. فالطير والزرع والموج والضوء والشمس والظل كلها منابع شعره وبهجة روحه حين تضيق به الحياة .

ففي قصيدة « زهرة الذكرى » يقول عن زهرة « البانسيه » :

ايها السائر مهلا بين زهر الذكريات
قف قليلا وتمهل تلق فيه الأمنيات
امنيات الروح جلت سرها دنيا النبات

أما في قصيدة « شفاء الروح » فيرى القارىء كيف أن الطبيعة كانت للشاعر الدواء من آلامه وأشجانه وسأقتطف بعض أبياتها حيث يقول :

عصفت بقلبي ثورة الآلام
وتوزعت روحي وضاق مقامي
فخرجت في جو الطلاقة ساريا
وطفقت أضرب في اثر ركامي
فاذا الطبيعة في حنان وارف
واذا الجواء ترف بالأنغام
واذا اليمامة فوق غصن هانيء

فى شجوها نغم يذيب سقامى
واذا السماء بزرقة وعذوبة
تهدى الى ذهنى الخيال السامى
والنهر فى فيضانه متضاحك
متهلل فى مهده المترامى
والشمس بعد تألق فى بهجة
غريب مع الشفق الجريح الدامى

ويكمل الشاعر قصيدته وقد جن الليل وهو يسبح بين المشاهد .

حتى شدا الكروان موقظ مهجتى
فشفيت من ألمى ومن اوهامى
وتلألا القمر الوديع بوجهه
فأزاح ما بالقلب من الظلام

ثم يهتف الشاعر متمنيا لو عاش حياته بين الطبيعة بعيدا عن نفاق الأحياء ، فهى الجنة والفن والخواطر والأحلام .

***

ومن الملاحظ أنه ما من قصيدة فى شعر السحرتى الا واختتمها ببعض الآراء الفلسفية الواضحة الخالصة من التعقيد والترديد ولنستمع اليه وهو يتمعن فى مشاهد الطبيعة وتمعن فى سرد حركات طائر فى قصيدة «وقفة» حيث يقول فيها :

يدق الارض بالمنقار كالفلاح بالفاس
ويحفر ثغرة فيها ليلقط باطن الغرس
واصوات العصافير مراح اللب والحس
هى الأحداث صارخة بكل روائع الحدس
فدعنى فى مجاليها أنيب مشاكل الراس
فهذا الجسم منقرض ويبقى الاسم للرمس

وتثور مياه النيل تحت قناطر « دهشور » وتشبه ثورة البحر وتتراقص مع ضياء الشمس ، فيبهر هذا المنظر وجدان الشاعر الرقيق فى « ثورة النهر » .

هيا ارقصى يامياه .. مع الضياء السعيد
وانعشى كل قلب .. يعطر نهر الخلود
فانت لاريب عندى .. مثوى الجمال الفريد

ان اقل حركة أو همسة من حركات وهمسات الطبيعة التى قد يمر عليها أى انسان فلا يراها أو يفكر فيها ، انها عند السحرتى الشاعر من آيات الخالق الفنان . وانه ليعتز بشجرة قد تبناها فأصبحت لديه ربة الجمال أو « جميلة الأشجار » فى قصيدة شجرتى المحبوبة » .

اجميلة الاشجار اى جمال
هيفاء مثلك لم تر العينان
الريح حولك فى حبور دافق
تحنو على الافنان كالولهان
والماء تحتك ساجد متذلل
بدت الغصون بموجه الالوان
والطير فوقك ناعم مترنم
فهم الحياة وعاش بالوجدان

والبعث يبـدو آيـة علـوية
لتجدد الأزهـار والأفنـان
وفي ذلك الصوق أعذب منبع
للمؤمنين ومرتجى السلوان
دامت حياتك في جمال فاتن
وبقيت رمز العطف والاحسان
وبقيت أروع ما يكون لعاشق
ناجى الطبيعة في بديع بيان

وحتى المطر .. ينصت الشاعر الى ألحانه ويقول ان المطر موسيقى منفردة ولحنها الفريد يورث النفس عاطفة جديدة . ان المطر ايضا يتغنى بالشعر مثل النجم والبحر والريح والشمس والسحرتى جدير بأن يطلق عليه « عاشق الزهرة » فهو لا ينى يذكرها في كل قصائده . ولنستمع اليه في هذه القصيدة الرائعة « زهرة الأراولة » فهو يصفها بأنها زهرة بيضاء اللون جميلة تنبت في الخريف ومنظرها رائع بديع مبهج وهى تتربع عرش الحديقة :

مشعشعة منورة الجبين
كاكليل على رأس العروس
منسقة بفضل يد صناع
تشيع اللطف في عمق النفوس
أتتنا والخريف على قدوم
فحاكت مقدم الضيف الأنيس
زهاها الحسن فانتظمت قصيدا
يهز عواطف القلب الحبيس
تشي لنا بايماء خفى
بترك الغل والحقد الخسيس

لنحيا مثلها طهرا ولطفا
ونبسم مثلما بعد العبوس

هذا هو الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، هذا هو الشاعر المبدع الذى خسرناه شاعرا وكسبناه ناقدا ..

والآن لنستعد لمفاجأة كبرى في شعر السحرتى أول من نادى بالشعر الحر واستخدمه .. بل واعترف به كناقد كبير وجعل له منزلة في الأدب المعاصر عندما قال في كتابه « شعر اليوم » « لا يهم في اعتقادنا نوعية الصياغة مقفاة أو متحررة ولا نوع أسلوب التعبير أو طريقته . فللشاعر كل الحرية في استخدام الشعر المقفى أو الحر لأن هذا متروك لمزاجه وطبيعته وقدرته الفنية وطبيعة التجربة التى يريد أداءها . ومن التعنت الزامه بسلوك طريقة بعينها .. » .

وأما في قصيدة « الفراشة » وهى من الشعر الحر فيقول :

شهدتها في الفضاء
تميس في أحلام
كأنها انخوان
ملت حياة المقام
تطوف بالورود
تهدى له السرا
وتسرب القبلات
من خده الغض
وترشف الألوان
من قطرة الأنداء
في صحوة الفجر

ويخال الى ان السحرتى فى شعره الحر قد تأثر بالشعر الفرنسي ومال اليه فى أسلوبه وتفكيره وطريقة سرده .

فهنا فى قصيدة « المرح » يظهر بوضوح مدى التشابه .

كل شيء فى الوجود .. يمرح . ماخلا الانسان
كل وقت ساهم متوهم .. حتى الممات
هاهو الوادى يغنى بالأغانى
من هواء وطيور ونبات

تماما كأنه ترجمة لشاعر فرنسي يهيم بالطبيعة ولا غرابة فى ذلك فالسحرتى قد اطلع على كل علوم وآداب الغرب فليس بعيدا أن يتأثر بها وهو الحر المتحرر .

لِمَ لا نملأ الدنيا ابتساما مثل احداث الطبيعة
لِمَ لا نبذر الفرحة فى كل مكان
فظلال الموت فى اثر الأنام

وهذه النزعة المتفائلة نقع على شواهدها فى كثير من قصائده :

فتعالى لا اسى بلا قيود
وابسم فى غدوى او رواحى
وامرح مثل عصفور صغير
والتمس المنى فى كل ساح
فما الدنيا سوى جذل وانس
ولذات جنين من الكفاح

لقد أفصح السحرتى الشاعر فى ديوانه « أزهار الذكرى » عن مثالية مشاعره فى أسلوب مستقيم ناصع وتصوير جرىء ولون جديد فيه القدرة الرفيعة على التبسيط والحرص الشديد على عدم التكرار .

والسحرتى الانسان يعرض لنا بوضوح مشاعره النبيلة حيث يرثى من فقدهم من الأصدقاء ففى « دمعة وفاء » يقول ببساطة باسطا آلمه ، فاتحا مكنون صدره :

تاه منى فى الزحام .. يوم ان كان معى
صاحب كالزهر فى طيب الخلال
قد تحلى بجمال وذكاء المعى
اسدل الموت على الروح القناع
وتوارى النور من عين الصديق
ليت شعرى .. ما الحياة
النهار .. سيعود .. وصديقى لن يعود

وتظهر أكثر تلك المشاعر الرقيقة فى قصيدة « وحيدة » وهى عن أم فقدت طفلها ابان الحرب وأثناء غارة الأعداء ، وفى قصيدة « أين الأم » وهى عن طفلين فقدا أمهما أثناء الغارة أيضا ، وفى قصيدة « الضرير » وهو يتجول فى الطريق ، حتى الحيوان لم يفتقد الرحمة من هذا القلب الكبير ، ففى «كلاب الطريق » وهى من أجمل قصائد الشاعر وأبدعها حيث يقول :

شريدة فاجأتنى فى ذلة وعناء
وكنت وحدى غريبا فى عزلتى ونجائى

وحان وقت غـذائى فشاركتنى غـذائى
وكان عطفى عليها تجـاويا للاخـاء
وكلما نظرت لى لمحت معنى الحيـاء
وحادثتنى بصمت واستشرفت لندائى
وودعتنى بلطف جم عـزيز المنـال
وعلمتنى دروسـا من الدروس الغوالى

ويرى الشاعر كم يقاسى الفلاح فى حقلـه فيقارن بين حامل الفأس وحامل الكأس ويقول فى قصيدة « حامل الفأس » .

يهـدى لنـا زرعـه
لا يجتنـى ثمـره
كـالعنز فى المـرعى
تهـدى لنـا اللبنـا
لا ترتجـى جرعـه

ويختم ديوانه بقصيدة «مآل » حيث وقفت عين الشـاعر على صفحة الوفيـات :

سـنمضى هـا هنـا يـوما
علـى صـفحات أمـوات
ونـذهب مثـل مـن ذهبـوا
زرافـات زرافـات
ولـن يبقـى لنـا خلـف
سـوى طيب ونفحـات
ومـا نفـع لاولادى
ولا جـدوى الثـروات
ومن ينظـر الـى المـاضى
يجـد مـا يلهم الآتـى

وبعد لو استطعت لاتسعت فى عرض هذه المجموعة الشعرية « أزهـار الـذكرى » ولأطلت وقفتى أمامها ، فلن تنقضى المادة ومواضيعها تكفى لملء صفحات وصفحات .

ولكنى آثرت أن أنتقى القصائد المفصحة عن طريقة أسلوب السحرتى فى النظر ومدى حرصه على اختيار الكلمة والصورة والقدرة الحية على التعبير عن خلجات نفسـه وكيف يمزج بين القديم والحديث وعبوره فى صفحات قصار مئات السنين والأجيـال ، ومدى حنينه للماضى والحاضر .

ولا زلت اقول .. ان السـحرتى طائر صداح فر من دوحتـه الوارفـة الظليلة فخسرت روضة الشعر طـائرا غنى ذات يوم فابدع واسـكر فـارع وخفر بمشاعره فاينع .

رحمه الله رحمـة واسـعة ، وألهم الدارسين أن يتوفـروا على دراسـة نتاجه الممتاز ، الذى يستحق كل احتفاء وتقدير .

جليلة رضـا
عضـو لجنة الشعر بالمجالس القومية المتخصصـة

في الدوائر العروضية

الدكتور يوسف حسن نوفل

ابتكر الخليل بن احمد الفراهيدي (١) الدوائر العروضية الخمس متضمنة بحور الشعر العربي في نظرية فنية متكاملة في موسيقى الشعر العربي، قائمة على استقصاء شامل وحصر دقيق لموازين الشعر المستنبطة من تراثنا الأدبي، فحفظ لشعرنا العربي تقاليده الموسيقية التي تكفل له التميز والبقاء.

والحق أن ملكات هذا العالم الجليل لم تتوقف عند فن أو علم. بل تعدت ذلك الى التنوع بين اللغة والنحو، والصرف، والعروض، والمعاجم، والموسيقى، والنغم، والايقاع، كما يبدو من تأمل أسماء مصنفاته، وكما اشتهر بمعجم (العين)، اشتهر باستنباط العروض، ووضع رموز الشكل والحركات، كما يذكر أبو الحسن بن كيسان نقلا عن المبرد (٣)، ويبلغ من علمه قدرا جعل ابن المقفع يقول عنه :

« رأيت رجلا عقله أكثر من علمه » (٤).

وقد جمع الى ذلك أوصافا يذكرها

---

(١) هو الخليل بن احمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي، ولد فيما يعرف الآن بعمان على شاطىء الخليج العربي سنة ١٠٠ هـ، وتوفي سنة ١٧٥ هـ (وقيل سنة ١٧٠ هـ، و سنة ١٧٤ هـ)، وقد نشأ بالبصرة ونما فيها غلاما فطالب علم فعالما فشيخا، لذا لقب بالبصري. وهو من أصل عربي، وليس من الموالي كأستاذه ابي عمر بن العلاء، وتلميذه سيبويه.

(٢) يشك بعضهم في نسبته اليه.

(٣) هامش انباه الرواة ص ٣٤٢.

(٤) نفسه ص ٣٤٥، وانظر قصته مع ابنه الذي ظن به الجنون حيث رآه يقطع بيتا (نفسه ص ٣٤٢).

المؤرخون منها : الذكاء ، والفطنة والكرم العلمي ، والزهد والورع ، والمنزلة بين العلماء .

ابتكر الخليل (٥) وضعا يفي بمنهجه الاحصائي لبحور الشعر المستعملة عند العرب ، وجمعها في خمس دوائر وجعل ذلك قائما على « الفك » أي استخراج بحر من آخر بترك ما في أوله من « سبب » أو « وتد » ليكون بحرا ثانيا وهكذا ، حتى يقف الدارس على البحور المستعملة والمهملة في هذه الدوائر .

وهي طريقة لو أحسنا تبسيطها للناشئة لسهل الدرس العروضي ، وزال عنه ما يشيع من غموض .

(٥) اقرأ عن الخليل (على سبيل المثال لا الحصر) :

أخبار النحويين البصريين ، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي الكاثوليكية ، بيروت .

وانباه الرواة على انباه النحاة ، لجمال الدين القفطي ، ت محمد أبو الفضل ابراهيم ط ١ ، دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ .

بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ٥٥٧ .

تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، جـ ١ ص ١٧٧ .

الحروف للخليل ، ت د. رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس ١٩٦٩ .

غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين الجزري ، المثنى ، بغداد جـ ١ ص ٢٧٥ .

المعارف لابن قتيبة ، ط ١ ١٣٥٣ هـ ، ١٩٤٢ ـ القاهرة .

نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري ـ محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ص ٤٦ .

وفيات الاعيان لابن خلكان دار الثقافة ، بيروت جـ ٢ ص ٢٤٤ وغيرها مما لا يكاد يحصى من مصادر قديمة .

وقد لا نجني كثير فائدة من ذكر ما ساقه المتقدمون تعليلا لتسمية البحور ، وتعليلا لتسمية الدوائر على نحو فيه افتعال غير مقنع ، فقد أخذ الخطيب التبريزي في ذلك في (الكافي) (٦) ، وكذلك ابن جني في (العروض) (٧) . أما صاحب المعيار ، فكفانا مئونة التعليل للتسمية .

وقد لا يشغل الباحث باختلاف الترتيب في ذكر الدوائر ، اذ نراها لدى التبريزي ، وابن جني هكذا : المختلف ، فالمؤتلف ، فالمشتبه فالمجتلب ، فالمتفق .

بينما نجد الترتيب عند الشنتريني في (المعيار) (٨) هكذا : المتفق ، فالمجتلب ، فالمؤتلف ، فالمختلف ، فالمشتبه اذ يعلل كل منهم لذلك الترتيب ، من ذلك قول الشنتريني : « فهكذا كان ينبغي أن ترتب الدوائر فيبدأ بدائرة الخماسي ، ثم دائرة السباعي ، ثم المركب منهما ، غير أن الخليل قدم ما كثر استعماله ، وزادت حروفه أو حركاته ، والكل قد اجتهد فيما اليه قصد ، وعليه اعتمد » (٩) .

وقد صاغ القدماء جملتين لضبط طريقتين

(٦) الخطيب التبريزي ، الكافي في العروض والقوافي ، ت الحساني حسن عبد الله ، المدني ، القاهرة ص ٥٠ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٩ .

(٧) أبو الفتح عثمان بن جني ، العروض ، ت د. حسن شاذلي فرهود ط ١ ، دار القلم ، بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ ص ٤٢ ـ ١٠٠ .

(٨) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني الاندلسي ، المعيار في أوزان الاشعار ، ت د. محمد رضوان الداية ، دار الملاح ط ٢ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ ص ١٦ ـ ٢١ .

(٩) نفسه .

للترتيب ، فجملة هي (خف لشق) ، أي : المختلف ، فالمؤتلف ، فالمجتلب ، فالمشتبه ، فالمتفق . وجملة أخرى هي (خف شلق) ، باختلاف ترتيب المشتبه والمجتلب .

وكما اختلف القدماء في الترتيب اختلفوا في مضمون دائرتين هما : المجتلب والمشتبه :

ويبدو هذا الخلاف بين المعيار والكافي (١٠). وقد ترتب على هذا الخلاف في الترتيب والمضمون اضطراب في رسم الدوائر التوضيحية في هاتين الدائرتين ، اذ نجد في كتاب (العروض) رسما لدائرة المشتبه محتويا مضمون دائرة المجتلب .

ويقول أسفل الرسم (١١) بالنص :

« وهذه الدائرة الثالثة سميت دائرة المشتبه » ، ثم يذكر بحورها : الهزج ، والرجز ، والرمل ، بينما نجد الرسم المسمى بدائرة المجتلب (١٢) محتويا البحور الثلاثة السابقة ويذكر بحورا أخرى تبدأ بالسريع . أي أن محتوى الرسم في الدائرة لم يتطابق مع التعليق عليها ، والتغير الذي حدث يرجع الى وضع الرسم ، وضرورة مطابقته التعليق ، ليستقيم العرض ، وذلك باحلال كل رسم من الرسمين محل الآخر .

والحق أن اختلاف ترتيب الدوائر ، ثم اختلاف مضمونها بين عالم وآخر يؤدي الى اللبس لدى بعض الدارسين ، وبخاصة الناشئة ، اذ انعكس هذا الاختلاف في الترتيب على بعض الدراسات المعاصرة ، واصبح من المهم النظر الى اساس نظرية الدوائر ، ومضمون كل دائرة بصرف النظر عن اسمها ، وهذا لا يشغلنا عن التنويه بضرورة تصحيح رسم الدائرة في كتاب (العروض) لابن جني في طبعته المشار اليها منعا للاضطراب الذي قد يخفى على الناشئة .

د/ يوسف حسن نوفل

---

(١٠) يذكر صاحب المعيار البحور المستعملة لدائرة المجتلب : الهزج ، والرمل ، والرجز ، والبحور المستعملة لدائرة المشتبه : المضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والسريع ، والمنسرح ، والخفيف (ص ١٦ ـ ٢١) .
بينما يذكر صاحب الكافي العكس (ص ٩٢ ، ١٣٦) .

(١١) العروض ص ٧٥ .

(١٢) نفسه ص ٩٩ .

■ طابا بأرض سيناء..
هل هى جزء من مدين؟

دراسات سياسية

■ صانعو السياسة
البريطانية فى المشرق العربى

صانعو السياسة البريطانية

فى المشرق العربى

ان موضوع « صانعى السياسة » ــ حتى ولو كان فى فترة محدودة ، وبالنسبة « لحكومة معينة » ــ لموضوع صعب ودقيق • خاصة بالنسبة لباحث مصرى عن صانعى السياسة البريطانية • فهو موضوع يلائم باحثا بريطانيا ملاءمة أكثر •

ولكن الذى خفف من هذه الصعوبة أن الموضوع متعلق بمنطقتنا •

ومن ناحية أخرى ، فان الوثائق والمصادر التى استندت اليها لا تمثل كل ما يجب أن اطلع عليه للتعرض لمثل هذا الموضوع فهناك فى دور الوثائق البريطانية وهناك من الاوراق الخاصة للساسة الانجليز ومذكراتهم ما هو بعيد عن متناول أيدينا ، ومع ذلك فهذه محاولة متواضعة لعرض هذا الموضوع •

اذا ألقينا نظرة سريعة على أولئك الذين أسهموا فى وضع السياسة البريطانية ازاء المشرق العربى فيمكن أن نصنفهم على أسس مختلفة :

(أ) منهم من يوجه الامور من برجه العالى الذى يطل منه على المسرح العالمى وينظر اليه بعين بريطانية من أمثال لويد جورج وبلفور •

(ب) ومنهم من كان يوجه السياسة من قاعدة سياسية خارج المشرق العربى ولكن على علاقة أوثق بوزارة الخارجية البريطانية مثل المعتمد البريطانى ورجاله فى القاهرة •

(جـ) ومنهم من كان يدبر أمور السياسة البريطانية ازاء المشرق العربى من خارجه دون أن تكون لديه صورة واضحة عن المسرح العالمى مثل حكومة الهند (هاردنج) •

ومنهم من كان يعمل فى قلب المشرق العربى، بعضهم متأثر بالمصالح الهندية البريطانية مثل ولسون وبعضهم متأثر بالمصالح البريطانية العربية مثل لورنس واللنبى وفيلبى وبل •

ويمكن أن نقسم صانعى السياسة البريطانية فى المشرق العربى الى عدة مستويات على النحو التالى :

للأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار

(ا) المستوى الاول

- لويد جورج •
- بلفور •
- ثيرزون •
- كتشنر •
- تشرشـل •
- منتاجو •

(ب) المســـتوى الثانى

وينقسم الى قسمين

- مكما هون • Mcmahon
- اللنبى Allenby
- ويلســون • Wilson
- كوكس • Cox
- وينجت • Wingate

(جـ) المســتوى الثالث

- لورنس • Lawrence
- مس بل • Mais Bell
- فلبى • Philby
- هوجارث • Hogarth
- ستورز • Storse

وفوق هؤلاء وهولاء البرلمان البريطانى ، وحكومة الحرب البريطانية والى جانب اولئك المشار اليهم هناك العديد ممن لعبوا أدوارا لها قيمتها فى توجيه ووضع السياسة البريطانية من أمثال هرتزل،ديكسون،وويلسون — قنصل جدة وادموندز فى كردستن ، وكيركبرايد •

ولكن ادوارهم كانت ثانوية •

وفى هذا البحث ستعنى برجال الصف الثانى من صانعى السياسة خلال الحرب العـــالمية الأولى ، وقد عنينا بهم لأسباب :

اولا : لم تكن هناك سياســـة بريطانية واضحة ازاء المنطقة ، فلقد كانت الخطوات العسكرية لمواجهة دخول تركيا الحرب وتحركها ضد معاقل ومناطق النفوذ البريطانى فى المشرق من الامور المتفق عليها ولكن دون أن تكــون هناك سياسة محددة نحو مســـتقبل المشرق العربى •

ثانيا : ان رجال الصف الثانى — فى غياب سياسة بريطانية — محددة وضعوا مخططـــات أحيانا متناقشة وأحيانا أخرى متضاربة •

ان الغالبية العظمى من اولئك الانجليـــز المسئولين عن السياسة البريطانية فى المشرق العربى والذين كانوا يقيمون فيه خلال الحرب العالمية الاولى كانوا قد زاروه أو عاشـــوا فيه لفترات ليست بالقصيرة جعلتهم على دراية مسبقة بأحوال البلاد وغالبيتهم العظمى كانوا من الرحالة والمدققين فى أوضاع المجتمـــع والاقتصاد •

كما كانت أغلبيتهم العظمى أيضا تتكلم اللغة العربية وتعرف الكثير عن آثار البلاد القديمـة

وتاريخها الوسيط والحديث وتوزيع السكان والثروة والمستوى الثقافى .

كذلك فان كثيرا منهم كانوا على علاقات وثيقة مع شيوخ العشائر والامراء فى المنطقة الأمر الذى ساعدهم على التعامل مع هؤلاء .

ومن أبرز أولئك الذين كانوا على هذا المستوى العالى من المؤهلات اللازمة للعمل فى البلاد العربية لورانس Lawrence وبل Bell, وكوكس Cox, وكلايتون Clayton وهاوجارث Hogarth

كذلك فان غالبيتهم العظمى كانت تعمل فى السلك العسكرى البريطانى ، وهذا يؤكد أن الاهداف العسكرية كانت فى المرتبة الأولى ، ولقد لاحظنا فعلا أنه كانت توجد خطة عسكرية بريطانية شاملة ازاء المشرق العربى بينما لم نعثر على خطة سياسية شاملة مقابلة .

ومن هؤلاء المسئولين الانجليز فى المشرق من كان قد استهوته الحضارة الاسلامية والبيئة العربية ، واستطاع أن يتغلب على كبريائه الأوربى لعوامل نفسية فى داخل ذاته ليعيش حياة البداوة . فى أول الامر وكان ذلك وسيلة للوصول الى قلوب الشيوخ العرب لتحقيق أهداف بريطانيا ، ولا شك أن « بل » و « لورانس » كانا ، من هذا النوع ، أما فيلبى فقد استهوته الحياة العربية ، حتى تحول الى مسلم يعبد الله ، ولا ندرى أى الرأيين هو المصيب هل ظل يخفى حقيقة هدفه وهو خدمة بريطانيا حتى بعد اسلامه ونسكه أم انه كان صادقا فى اسلامه .

وهناك من رأى أن هذه المخالطة هى التى نمت فى ابنه روح الخيانة لوطنه حتى تحول الى جاسوس للسوفييت ضد بريطانيا .

ومن هؤلاء المسئولين الانجليز من كان على صلف وكبرياء شديدين ليس ازاء العرب فقط ، بل ازاء الاوربيين كذلك .

المنهجية البريطانية

ولقد كان هاردنج وويلسون من طراز واحد اذ كانا يمثلان الانجليزى المتغطرس المتعالى الذى يحتقر العربى وينظر اليه على اعتبار أنه انسان غير جدير بالافادة من منجزات العصر الحديث الا بعد طول خدمته لمصالح الامبراطورية البريطانية وان معاملة العرب يجب ان تقوم على أساس (العصا والجزرة) (١) .

---

(١) اى خدم الانتدية ـ مجلة الازهر .

وأيا كانت مكانة هؤلاء الموظفين البريطانيين المدنيين والعسكريين في المشرق العربي ، فكيف يمكن أن نصف أيا منهم بأنه واضع سياسة أو صانع سياسة على اعتبار أن حكومة الدولة الأم هي المسئولة عن وضع السياسة ليصبح هؤلاء منفذين لها في المشرق العربي . الواقع ونكرر مرة أخرى ، أنه لم تكن هناك سياسة بريطانية واضحة ازاء المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى .

فلماذا لم تكن هناك سياسة محددة ؟

وما أدلة عدم وجود سياسة محددة على غير المألوف ؟

١ ــ فطول المسافة بين المشرق ولندن كان يؤخر المكاتبات فتنقضي فترة ليست بالقصيرة خاصة اذا عرضت المكاتبات على لجان متخصصة تضطر المسئولين في المشرق الى اتباع سياسة معينة لحين وصول الرد . ولقد اتضح من مراسلات ويلسون ــ الذي جاء كوكيل للمسئول السياسي في العراق عقب نزول الحملة البريطانية اليه أنه تعب من تكرار مطالباته للحكومة البريطانية بتوضيح سياستها ازاء ــ ح ــ العراق الذي احتلته القوات البريطانية خلال الايام الاولى من الحرب ولكن لم يصله الرد .

٢ ــ ان المكاتبات لا تفيد في فهم المقصود بدقة ، فيمكن فهم النص بطريقة قد تختلف عن الهدف الذي يرمي اليه ، الامر الذي يزيد من طول فترة المراجعات والمناقشات عبر البريد ، ويكون في هذا فرصة لرجال الصف الثاني لوضع السياسة التي تروق لهم والتي قد لا تكون مقبولة من وزارة الخارجية البريطانية وهذا ما صور لنا ويلسون وهذا ما حدث في العراق خلال الحرب العالمية الاولى .

٣ ــ نظرا لامكانيات المسئولين الانجليز في المنطقة من حيث الاتصال المباشر بالزعامات العربية هناك ، ونظرا لان معلومات هؤلاء المسئولين عن أحوال المنطقة أكثر وأعمق ، ولأن الاحداث تصل أنباؤها اليهم في سرعة كبيرة استخدم رجال الصف الثاني هذه الميزات لفرض وجهات نظرهم على الزعامات العربية أو دفعهم الى السياسة التي تخدم مصالح بريطانيا أولا وحلفاءها ثانيا . وهذا ما حدث فعلا في العراق كما سنرى .

كانت نتيجة كل هذا امكانية وجود سياسة معينة يضعها مسئول بريطاني في العراق مثلا لا تتمشى مع سياسة وزارة الخارجية البريطانية أو أن تصدر الأخيرة تعليمات اليهم لا تتفق مع السياسة التي وضعوها ، ونظرا لتعدد الجبهات المسئولة عن السياسة البريطانية في المشرق مثل وزارة المستعمرات ، ووزارة الهند ، وحكومة الهند ووزارة الحرب البريطانية ، المعتمد البريطاني في القاهرة ، كل هذا فضلا عن (الخارجية البريطانية) قد أظهر مخططات متعددة ومتضاربة . وظهرت اقتراحات ، واقتراحات مضادة حيث ان كل طرف ينظر الى الموضوع من زاويته ، مما يترتب عليه في بعض الظروف أن نجد ، أحد السياسيين يغير موقفه بسرعة

المذكرات والمذكرات المضادة

ثم هناك ذلك السيل من المذكرات، والمذكرات المضادة التى تكتب فى موضوع معين ، كمشكلة الموصل مثلا ، واعتقدت فى أول الامــر ان قصورى فى مراجعة كافة الوثائق هو الذى أوقعنى فى هذه الحيرة ، حتى قرأت كتاب .
Busch: Br., Inet., and the Persian Young
الذى استخدم كافــة الوثائق التى تبحث فى السياسية البريطانية خلال الحرب العــالمية الأولى فذكر نفس الحقيقة وهى أن الجـدل طويل ومرهق ، ومع هذا لم يصل المسئولون البريطانيون الى قرار محدد ازاء العديد من القضايا ولم تصدر سياسة بريطانية محــددة متفق عليها من كافة الاجهزة المعنية بالمشرق العربى .

النزاع بين الجهات المتعددة اصله

ومن المعروف لدينا أنه كان هناك نزاع بين حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية حول تحــديد سياسة معينة لبريطانيا ازاء المشرق العربى ، فما هى الأصول الاولى لهذا النزاع ؟

فى اعتقادى ان التطورات التى صــاحبت التغلغل البريطانى فى المشرق العربى منذ مطلع القرن الســابع عشر بصفة خاصة قد وضعت أساس هذا النزاع فقــد تغلغــل الانجليز فى شمال المشرق العربى من جهة البحر المتوسـط ، فكان طبيعيا أن يكون المسئول عن مصــــالح بريطانيا فى تلك الجهات هو وزارة الخــارجية البريطانية .F.O وتغلغــل الانجليز فى شرق بجنوب المشرق العربى من قواعدهم فى الهند فكان طبيعيا ان تتولى حكومة الهنــد ووزارة الهند .I.O مسئولية الســياسة الانجليــزية وتخطيطها فى هذه الجهات . واستمر هذا الحال لعدة قرون دون وقوع خلافات جوهرية حتى اذا ما وقعت الحــرب العــالمية بلغت هــذه الخلافات ذروتها .

ولكن بتتبع الجهــات التى يتبعهــا أى من المسئولين عن توجيه السياسة البريطانية فى المشرق العربى نجد أن للخارجية البريطانيــة النصيب الاكبر وقلــة قليلــة كانت تتبــع حكومة الهند ، وحتى أولئك الذين كانوا يمتون الى حكومة الهند كانوا مرتبطين بشكل أو بآخر بالخارجية البريطانية .

ركليف ينفذ خطة لاقامة حرب على روسـيا

هل كانت الدوائر السياسية البريطانية خلال مختلف القرون السابقة على مثل هذا التضارب فى البرامج على ذلك النحو الذى نشاهده ازاء العرب خلال الحرب العالمية الاولى ؟

هناك أمثلة على مثل هذه المواقف المتضاربة بين وجهة نظر الحكومة ووجهة نظر ممثليهــا

فيما وراء البحار ، وهذا أمر طبيعى فى كثير من الاحيان ينتج عن أن المسئول البريطانى فى موقعه يرى الامور بأفق أضيق من ذلك الذى أمام الحكومة فى لندن .

ومما زاد من وضوح الخلافات بين حكومة الهند والخارجية البريطانية .F.O خلال الحرب العالمية الأولى ان حكومة لويد جورج (١٩١٦ ـ ١٩٢٠) اتهمت بأنها وضعت الامور السياسية فى يد « البيروقراطية البريطانية » ، فسمحت هذه « البيروقراطية » (١) لكل ذى رأى من رجال الصف الثانى أن يعمل على فرض رأيه ووضع سياسته الخاصة موضع التنفيذ ، ولا شك أن ظروف الحرب هى التى ساعدت على ظهور هذه الحالة الفريدة غير المعتادة فى التاريخ الانجليزى .

عدم وجود سياسة عامة محددة جعلت كل واحد صانع سياسة

ومن المعتاد ان يعثر الباحث بسهولة على الخطوط الرئيسية لسياسة دولة كبيرة ازاء منطقة حساسة مثل المشرق العربى ، ولكن الحقيقة هى ان المشكلة الكبرى التى واجهت السلطات البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى فى العراق بصفة خاصة هى عدم وجود سياسة محددة بريطانية ازاء العراق بصفة خاصة والمشرق بصفة عامة ، فاتخذ المسئولون الانجليز فى المشرق سياسات متعددة الامر الذى أعطى الفرصة لهؤلاء المسئولين الانجليز فى المشرق لكى يصبح كل منهم صانعا لسياسة بريطانية يتفق معه فيها بعض زملائه ويختلف معه آخرون .

تعدد الاطراف المشتركة فى توجيه سياسة المشرق

ولكى نصور ضخامة المشكلة ، نشير الى أنه اذا كانت الخلافات قبيل الحرب العالمية الاول قاصرة على وزارة الخارجية البريطانية .F.O ووزارة خارجية الهند .I.O فقد دخلت أطراف عديدة بريطانية أخرى على نفس هذه المستويات العالية حلبة التوجيه السياسى وتحملت مسئولية وضع القرار ونعنى بذلك : وزارة الحرب .W.O ووزارة المستعمرات .C.O والسلطات البريطانية فى البصرة ثم بغداد والسلطات البريطانية فى القاهرة وعلى رأسها المعتمد البريطانى وزادت المشكلة تعقيدا بتأسيس المكتب العربى Arab Beureau

خطة عسكرية لا تقابلها خطة سياسية

ولقد أجلت الخارجية .F.O عمدا توضيح سياستها ازاء العراق ، حقيقة كانت هناك

---

(١) تعنى الكلمة : سلطة المكاتب ، اى التحكم الادارى فى الجمهور باسم السلطة التى يملكها الموظف مما يترتب عليه توقف مصالح الناس ..

سياسة عسكرية محددة واضحة فى المشرق العربى يمكن أن تختصرها بأنها القضاء على القوة العسكرية التركية ، ولكن لم تكن فى مقابل ذلك خطة سياسية تحدد طريقة ادارة البلاد المفتوحة حديثا مثل جنوب العراق أو تحدد مستقبل هذه البلاد هل ستصبح مستعمرات ؟ هل ستصبح محميات ؟؟ هل تقام فيها ادارة مباشرة بريطانية أم ادارة وطنية تحت السيطرة البريطانية أم ادارة وطنية فقط ؟ كل هذا لم يكن واضحا .

« طول الفترة اللازمة لوصول الرد »

ولقد أدرك المسئولون الانجليز فى البصرة منذ أوائل الحرب العالمية الأولى هذه المشكلة وكتبوا كثيرا ولفترة طويلة عنها ولم تكن المشكلة فى عدم وصول « الرد » فقط ، بل قد يصلهم بعد مرور فترة من الوقت تكون فيه الخريطة السياسية والعسكرية قد تغيرت بسبب أن الفترة كانت فترة حرب تحدث فيها التغيرات بسرعة كبيرة لا تتناسب مع الفترة التى تقضيها الرسالة ذهابا الى لندن وعودة منها . وهذه الحقيقية أكدها ارنولد ويلسون فى مؤلفاته وأوراقه .

لاتنسيق بين وزارة الخارجية البريطانية F.O., ووزارة الهند I.O. .

ولقد كانت هناك الاوامر والتعليمات التى توجه من حكومة الهند ومن وزارة الهند الى المسئولين الانجليز عن الحملة فى العراق ولكن هذه الاوامر كانت تصدر دون ان يكون هناك تنسيق بين وزارة الهند I.O. ووزارة الخارجية البريطانية F.O., .

ولقد أبرز « ستورز » هذه الحقيقة حين انتقد المسئولين الانجليز الكبار من حيث أن احدا منهم لم يعن لفترة طويلة لا بالتنسيق بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية F.O., ولا حتى بين حكومة الهند والقاهرة وهما أقرب سلطتين بريطانيتين من المشرق العربى . فقد قال ويلسون فى معرض حديثه عن اتفاقية « سيكس — بيكو » .

We have the slightest information about the Sy. — picot Agr. (١)

« تشكيل اللجان لم يؤد الى وضع سياسة »

ولقد اهتمت الحكومة البريطانية بتشكيل لجان متخصصة تسعى الى تحديد سياسة

(١) لدينا اقل المعلومات عن اتفاقية « سيكس ربيكون » — مجلة الازهر .

بريطانية واضحة ازاء المشرق ، وحتى دخول بريطانيا فى مفاوضات لتقسيم الدولة العثمانية لم تكن هذه اللجنة قد وصلت الى قرار بعد ، ودخلت بريطانيا فى مفاوضاتها مع روسيا دون أن يكون لديها مثل هذه السياسة المحددة .

العراق اشد المناطق احساسا بعدم وجود سياسة

وهناك عوامل ساعدت على عدم وضع سياسة بريطانية محددة ازاء المشرق العربى وخلال الحرب العالمية الاولى خاصة بالنسبة للعراق . ونحن سنركز على العراق لسبب جوهرى وهو أنه كان مجال الصدام بين المسئولين الانجليز بشكل واضح بينما كانت سياسة بريطانيا ازاء بقية المناطق ــ مثل « شريف مكة » ، واليمن والادريسى واضحة الى حد كبير ولا تثير خلافات ، أو اذا كانت هناك خلافات فقد استطاعت الخارجية البريطانية وسلطات القاهرة أن تفرض رأيها حتى لو لم تكن حكومة الهند راضية عنه .

فحكومة الهند كانت ضد فكرة اشعال ثورة عربية يتزعمها الشريف حسين ولكن سارت الامور حسب الخطة التي وضعها كتشنر وحكما هون . F.O.

وأما صدى هذه الثورة فى العراق فهو الذى أثار الكثير من الجدل والخلاف بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية .F.O.

ونظرا لأن عبد العزيز بن سعود كان يتعامل مع سلطات الانجليز فى العراق وكان موقفه على جانب كبير من الاهمية ازاء الصين والعراق ، أى انه كان بين منطقتى نفوذ وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية .F.O فقد دار جدل شديد حول السياسة التى يجب أن تتبع نحوه .

وقيمة جبهة العراق كانت أمرا مختلفا عليه بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية .F.O. فجبهة العراق من وجهة نظر الخارجية البريطانية .F.O كانت جبهة ثانوية لا تحسم الحرب ، ولكن بالنسبة للهند يراها هاردنج جبهة على جانب عظيم من الأهمية .

وقد طالب هاردنج بالحد من استنزاف القوى البشرية والمادية والعسكرية الهندية فى الجبهات الاوربية وتركيز الجهد العسكرى الهندى فى التوسع فى العراق . وهذا ما كان تعارضه الخارجية البريطانية . F.O.

ومنذ الاشهر الاولى من وقوع الحرب العالمية الاولى بدت حكومة بريطانيا وكأنها أمام معضلة لا تستطيع ابداء الرأى فيها بسرعة ، وهى أن الظروف الاستراتيجية تفرض عليها فرضا ــ بعد اعلان تركيا الحرب أن تبعث بقواتها الى العراق للاسباب المعروفة وهى بترول عبادان وحماية الكويت ــ ووقف تيار الانضمام الى حركة الجهاد ... الخ .

هذه الضرورة العسكرية واجهها عامل مناقض وهو هل الوقت مناسب للاستمرار فى سياسة التوسع الامبريالى ؟ أم أن الرقعة اتسعت على بريطانيا بحيث يصير أى توسع جديد خطرا عليها .

لهذا شكلت الحكومة البريطانية لجنة على مستوى عال عرفت بلجنة «بنسن Bunsen» فدرست الموضوع وأصدرت توصياتها بأن الأجدى للحكومة البريطانية أن تقتصر على عملية تقويم أطراف الامبراطورية وعدم الاقدام على أى توسع جديد وكان من أنصار هذا الرأى كل من « هنرى ولسون » رئيس الهيئة الامبراطورية العامة الذى دعا الى التمسك بما هو تحت يد بريطانيا فعلا و « هوجارث » أحد المسئولين الانجليز فى القاهرة الذى كان يرى أن الامبراطورية وصلت الى ذروة اتساعها .

وعندما تمت هذه الخطوة ، خطوة السيطرة على « البصرة » ، بدأت المشكلات تظهر بين الخارجية البريطانية F.O. ووزارة الهند I.O. فلم تتحدث تعليمات الخارجية البريطانية عن مستقبل هذه المنطقة .

هل ستصبح مستعمرة بريطانية أم ماذا ؟

فعلى ضوء هذه السياسة يمكن أن توضع سياسة ادارية تخدم هذا الهدف .

وكان من الطبيعى أن تتطاير المقترحات وأن يدلى كل مسئول بدلوه ، ويحاول أن يضع هو بنفسه سياسة بريطانية فى المنطقة تختلف عن سياسة الخارجية البريطانية F.O. مما أدى الى منازعات حول السياسة الصحيحة بين أكثر من طرف مسئول .

ولقد بدأ النزاع بين هاردنج والخارجية البريطانية F.O. فى أعقاب نشوب الحرب ضد تركيا مباشرة وذلك عندما قامت الطائرات البريطانية بالقاء منشورات على الحجاز تقول:

ان بريطانيا لن تستولى على شبر من الأراضى العربية ، على اعتبار أن مثل هذا المنشور يتنافى مع السياسة التى سبق واتخذها ويلسون وشرع فى تنفيذها فى جنوب العراق تلك

السياسة التى تقضى بأن يكون احتلال هذه المنطقة احتلالا بريطانيا دائما وانه فى المستقبل سيتحول جنوب العراق الى مستعمرة بريطانية.

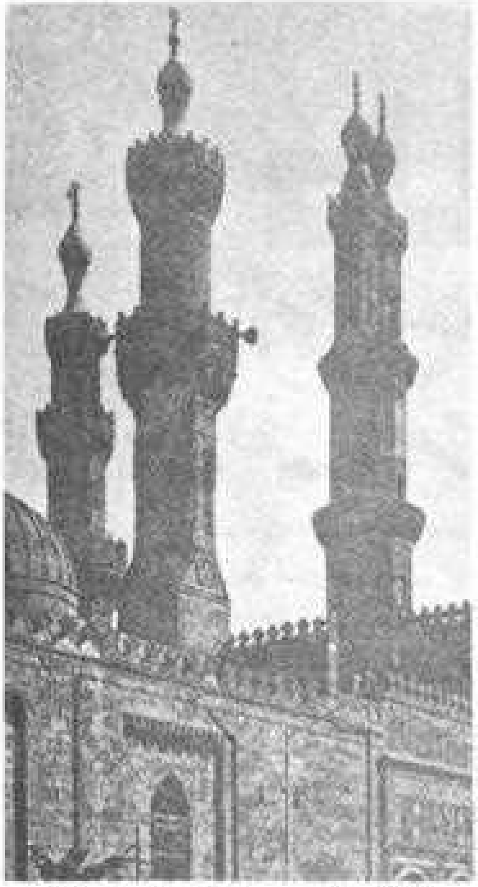
وأسرع هاردنج الى اخطار الخارجية البريطانية F.O. بأن البصرة ليست من البلاد الداخلة فى شبه الجزيرة العربية واذا كان هذ صحيحا فقد دفع ويلسون بهذا المفهوم فيما بعد الى مستوى آخر حين قال : ان العراق برمته لا يمت الى البلاد العربية .

ثم صرح هاردنج بأن بريطانيا لن تغادر البصرة ، وفتح بذلك الباب أمام تخريجات جديدة فقال كوكس المسئول السياسى فى العراق أنه اذن احتلال دائم Permanent occupation بوأطلق هرتزل

الذى سيصبح بعد قليل مساعد وكيل وزارة الهند ـ احتمال تطبيق سياسة الضم Annexation وأخذت سياسة الضم تستهوى بعض كبار المسئولين عن سياسة بريطانيا فى العراق ـ وبوجه خاص ـ ارنولد ويلسون ـ الذى كان يشغل منصب (١) Deputy of Civil Commissioner in Mesop. وخشى « ادوارد جراى » من أن يتجه هؤلاء المسئولون الى سياسة الضم لأن بريطانيا سبق لها ان ضمت قبرص وأعلنت الحماية على مصر ، فاذا ضمت البصرة ـ وبمعنى آخر ـ جنوب العراق ـ فان ذلك سيثير غضب حليفتيه فرنسا وروسيا اللتين فقدتا الكثير من أراضيهما العزيزة أمام الألمان .

وبعث جراى بتعليمات تقول : انه يرى ان الاحتلال المؤقت Provisional Occup. هو سياسة بريطانيا . وكان هذا التعبير المائع على غير هوى « ويلسون » بالذات فتجاهل هذه التعليمات وفضل أن يسير فى سياسة الضم ويدافع عنها بطريقة أو بأخرى .

وقال : ان الهند يجب ان يكون لها مستعمراتها التى تخفف عنها حدة المشكلة السكانية التى تعانيها عن طريق تهجير الهنود الى العراق وبذلك يهند جنوب العراق ويصبح قاعدة بريطانية لا تزول وهكذا كانت هناك سياسة تتخذها حكومة لندن واخرى



يطبقها مسئولو بريطانيا فى العراق التابعون لحكومة الهند .

وخطا ويلسون خطوات كبيرة فى تحقيق هدفه الخاص بان يظل الحكم البريطانى فى جنوب العراق ابديا فقد كان هذا هدف الادارة التى انشأها ويلسون لتحل محل الادارة العثمانية .

وقد يبدو أن ويلسون هو صاحب سياسة تهنيد العراق .

يتبع

د/عبد العزيز سليمان نوار

وكيل الدراسات العليا جامعة عين شمس

---

(١) اى نائب المندوب السامى ـ مجلة الازهر

طابا

بأرض سيناء

هل هى جزء من مدين ؟

فى خلال عام ١٨٩٠ ميلادية حضر الى مصر رجل اسرائيلى ينتمى الى الدولة الالمانية يدعى (بول فريدمان) واتصل بسلطات الاحتلال البريطانى فى القاهرة وابلغها بنيته فى الهجرة الى سواحل خليج العقبة ولم يمانعه الانجليز فى تحقيق تلك الرغبة .

لذلك عاد فى أواخر العام التالى سنة ١٨٩١ مع عشرين من اليهود الالمان والروس ونزلوا جميعا على ساحل الخليج المذكور واشتروا أرضا فى ناحية (المويلح) مع أن قوانين الدولة العثمانية كانت لا تبيح بيع الأراضى للأجانب فى شبه جزيرة العرب .

ولقد انبرت الصحف المصرية فى ذلك الوقت الى التنبيه للخطر الاسرائيلى أو اليهودى (كما غلب على تسميتهم) القادم من أوربا مما أثار الحكومة العثمانية فاتخذت الاجراءات الآتية : —

اولا : طرد الاسرائيلى فريدمان وجماعته من منطقة خليج العقبة كلها .

ثانيا : سلخ الأراضى التى كانت تديرها مصر شرق خليج العقبة وهى « ضبا » « والمويلح » والعقبة طبقا للفرمان الصادر فى يونيه سنة ١٨٤١ الى « محمد على » والى مصر وقتئذ .

ثالثا : انتزاع شبه جزيرة سيناء كلها من السيادة المصرية .

فزع الحكومة البريطانية من اقتراب الدولة العثمانية من قناة السويس :

ولقد فزعت الحكومة البريطانية من الاقتراب العثمانى من قناة السويس مما يهدد وقتئذ شريان الامبراطورية البريطانية الحيوى فقامت تلك الحكومة باجراء ضغط دبلوماسى بريطانى عنيف على الحكومة العثمانية مما جعل السلطان العثمانى يترك

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

سيناء لمصر بعد ان كانت نيته تتجه لضمها الى ولاية الحجاز وكان ذلك بموجب برقية أرسلها جواد باشا الصدر الأعظم فى تركيا بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ الى خديوى مصر عباس حلمى الثانى اثر توليه حكم البلاد بعد وفاة والده الخديوى محمد توفيق .

— وقد وضحتها مذكرة المعتمد البريطانى فى القاهرة بتاريخ ١٣ ابريل من نفس ذلك العام والمرسلة الى « تيجران باشا » وزير الخارجية المصرى وقتئذ والتى أبلغه فيها أن حدود شبه جزيرة سيناء يحدها من الشرق خط يسير فى اتجاه جنوبى شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش الى رأس خليج العقبة ، وأن قلعة العقبة الواقعة شرق هذا الخط هى فقط التى سوف تبقى قسما من ولاية الحجاز وقد أبلغت مختلف الدول بمضمون تلك البرقية خصوصا ممثل فرنسا والروسيا فى القاهرة (١).

اثارة الازمة من جديد سنة ١٩٠٦ :

لما ازدادت عملية مد الخطوط الحديدية داخل الدولة العثمانية وبالذات سكك حديد الحجاز وكان فى النية مد أحد فروعها من « معان » الى « العقبة » رأت الحكومة العثمانية أن الوجود البريطانى فى مصر خطر على هذا الفرع خصوصا وأن جريدة اللواء المصرية التى كان يصدرها المرحوم مصطفى باشا كامل ذكرت فى مقال لها بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٥ أن سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر تعد سيناء لأعمال حربية مهمة ووضعت تصميمات هذه الاعمال وعينت « الكولونيل براملى » قومندانا لطور سيناء .

وأرسل والى سوريا الى الحكومة العثمانية بأن قوات الاحتلال البريطانى ستشارك القوات المصرية فى بناء ثكنات عسكرية فى المنطقة بين « العقبة » « والقسيمة » .

ولما أرسلت الحكومة المصرية قوة يقودها الضابط سعد رفعت لاحتلال طابا النقطة الهامة التى تقع على الساحل الغربى من خليج العقبة على بعد خمسة أميال من قلعة العقبة بحرا وثمانية أميال برا فوجئت بوجود وحدات من الجيش العثمانى تأمرها بعدم النزول فى طابا ولو أدى الامر الى استعمال القوة بحجة أنها تدخل ضمن الأراضى التى تتبع مدينة العقبة وليست ضمن الأراضى الممنوحة لمصر ولذلك فقد قامت القوات العثمانية بالنزول فى طابا واحتلالها وطلبت من القوات

---

(١) كتاب الأصول التاريخية لمسألة طابا دراسة وثائقية تأليف دكتور/يونان لبيب .

المصرية التي تمركزت في جزيرة فرعون الانسحاب منها (١) .

موقف الحكومة البريطانية :

لم تقف الحكومة البريطانية ازاء الازمة موقف الصامت بل اتخذت الاجراءات الآتية : ــ

١ ــ اجراء ضغط دبلوماسي بريطاني على الحكومة العثمانية بتقديم احتجاج شديد اللهجة على احتلال القوات التركية لطابا وعدم السماح للقوات المصرية بالنزول فيها .

٢ ــ التصاعد بالتهديد السياسي الى حد ارسال السفن الحربية البريطانية الى مكان الازمة فأرسلت البارجة (ديانا) لتبقى في مدينة السويس واحتمال تقدمها الى مياه خليج العقبة ، وارسال البارجة (منيرفا) لتبقى في مدينة بور سعيد تحت طلب السلطات البريطانية في القاهرة .

٣ ــ ثم التقدم بانذار الى الحكومة العثمانية وكان ذلك بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٠٦ لتعيين خط الحدود بين رفح الى رأس خليج العقبة على أساس برقية الصدر الاعظم في تركيا والمرسلة الى خديوي مصر بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وتكليف العثمانيين باجلاء قواتهم عن طابا وحدد لهذا الانذار مدة عشرة أيام فقط والا ستكون النتائج وخيمة للغاية .

استجابة الحكومة العثمانية :

وفي ٥ مايو أرسلت الحكومة العثمانية مبعوثا خاصا عنها الى السفير البريطاني في استنبول تجدد معه تأكيداتها باحترام برقيتها السابقة والمؤرخة في ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وانها لا تدعي أي شيء لها غرب خليج العقبة وهي بسبيل تكليف القوات العثمانية بالجلاء عن طابا .

ثم وصلت مذكرة الحكومة العثمانية بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ ردا على الانذار البريطاني وفيها :

اولا : توافق الحكومة العثمانية على كل ما جاء في برقيتها المؤرخة في ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ الى خديوي مصر .

ثانيا : وأنها قررت الجلاء عن طابا وصدرت الاوامر لتنفيذ هذا القرار .

ثالثا : وأن خط الحدود يمتد من رفح الى

---

(١) المرجع السابق .

رأس خليج العقبة على بعد ثلاثة أميال غـرب قلعة العقبة (١) .

وهكذا كانت ازمة طابا ـ والتى امتدت من سنة ١٨٩١ حتى ١٩٠٦ ـ تثـور تـارة وتخمد تارة أخـرى حتى انتهت الى تثبيت حقوق مصر وأنها أرض مصريـة لا مجـال للجدل فيها .

المطامع الصهيونية فى سيناء :

حاولت الصهيونية العالمية التمركز فى منطقة طابا فى شبه جزيرة سيناء كما قدمنا آنفا فى صدر هذا المقال ولما فشلت محاولاتها سـنة ١٨٩١ على يد (بول فريدمـان) الاسرائيلى الالمانى عاودت محـاولتها مع السـلطان العثمانى ثم مع السلطات البريطانية مستهدفة منطقة العريش هذه المرة ، فلقـد شـددت الصهيونية من ضغطها عليها مما أدى الى ان تعرض بريطانيا على هرتزل ممثل الصهيونية وقتئذ اقتراحا بايفاد بعثة فنيـة الـى مصر لدراسة المنطقة لمعرفة مدى صلاحيتها لانشاء مستوطنات ووصـلت البعثة الفنية الصهيونية فعلا الى مصر فى أواخر يناير سـنة ١٩٠٣ ومكثت شهرا فى شبه جزيرة سيناء ووضـعت تقريرها ، وبناء عليـه قـام هرتزل باعـداد مشروع اتفاق لعرضه على الحكومة المصريـة ولكن الحكومة المصرية رفضت قبول المشروع كلية من أساسه (٢) .

الصراع العربى الاسرائيلى وشـبه جزيرة سيناء :

لما انهت بريطانيا انتدابها على فلسـطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عبـر الجيش المصرى شبه جزيرة سيناء ليشـترك مع الجيـوش العربية الأخرى فى تحـرير فلسـطين من الاحتلال الاسرائيلى الا أن نتيجة تلك الحرب كانت مخيبة لآمال العرب فلم يتم لهم النصر وأعلن عن قيام دولة اسرائيل ، واعترفت بها أغلب الدول الاوربية والامريكية ، واثر ظهور تلك الدولة العنصرية قامت بتشريد الكثير من الشعب الفلسطينى وطرده من وطنه .

ولما تكرر عدوان دولة اسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ ، وسنة ١٩٦٧ حاولت ضم شـبه جزيرة سيناء اليها باكملها الى أن قامت حرب العاشر من رمضان الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣م فعبرت القوات المصرية أكبر حـاجز مائى وهـو قنـاة السـويس واقتحمت التحصينات الاسرائيليـة التى عرفت باسـم خط بارليف على الضـفة الشرقية لقنـاة السويس وسحقت الجيش الاسرائيلى ولولا استغاثة رئيسـة وزراء اسرائيل بالولايـات المتحدة الامريكية لنجدتها ومسـارعة تلك الاخيرة بمساعدتها بما لديهـا من مخـزون السلاح الاستراتيجى فى ترساناتها الحربيـة

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب سيناء بين الحرب والسلام اعـداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

لأمكن للجيش المصرى القضاء على تلك الدولة المصطنعة ولأراح الحرب والعالم منها ومن شرورها (١) .

معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ :

سارت مصر على طريق السلام بتوقيع تلك المعاهدة بوصفها خطوة على طريق السلام الشامل واسترداد الحقوق الاساسية للشعب الفلسطينى وحق تقرير مصيره بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته .

وكان من نتائج المعاهدة المشار اليها تحقيق جلاء الجيوش الاسرائيلية عن سيناء من العريش الى رأس محمد طبقا للمراحل الآتية : ــ

المرحلة الأولى :

تشمل الساحل الشمالى حتى مدينة العريش وسلمت لمصر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثانية :

تمتد من « رأس سدر » حتى « أبو زنيمة » على امتداد خليج السويس ، وسلمت فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثالثة :

من « أبو زنيمة » حتى « أبو صوير » فى جنوب سيناء وسلمت فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الرابعة :

تمتد من « أبو صوير » حتى « رأس محمد » فى جنوب سيناء سلمت فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الخامسة :

(أ) تشمل منطقة « سانت كاترين » والمناطق السياحية حولها ووضعت تحت السيادة المصرية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ قبل شهرين من التاريخ المتفق عليه فى المعاهدة .

(ب) تشمل وسط سيناء ومنطقة المضايق الاستراتيجية سلمت لمصر فى ٢٥ يناير سنة ١٩٨٠ .

(١) كتاب حرب رمضان الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة اكتوبر سنة ١٩٧٣ اعداد لواء حسن البدرى واللواء المجذوب والعميد ضياء الدين زهدى .

المرحلة الأخيرة :

وفيها تم الانسحاب النهائى لاسرائيل من جميع الاجزاء المتبقية من سيناء وهى المنطقة الممتدة من شرق خط العريش حتى رأس محمد (١) .

احتفاظ اسرائيل بمنطقة طابا المصرية :

الا أنه مما يثير الدهشة حقا أن اسرائيل وان جلت فعلا عن تلك المنطقة الأخيرة لكنها احتفظت بمنطقة طابا على خليج العقبة لتعيد الى الاذهان أحلام الاسرائيلى الالمانى (بول فريدمان سنة ١٨٩١) واطماع الصهيونية التى كان يمثلها (هرتزل وبعثته) فى شبه جزيرة سيناء أواخر يناير سنة ١٩٠٣ .

ما الهدف من احتفاظ دولة اسرائيل بطابا ؟

مما لا شك فيه ان هناك اطماعا تحاول اسرائيل ان تخفيها وراء وثوبها الى شبه جزيرة سيناء وحتى بعد جلائها عنها تحاول ان تجعل لها منطلقا الى تلك المنطقة ولو بنقطة ارتكاز صغيرة مثل طابا ولما كانت اليهودية والصهيونية منذ القرن الماضى على وفاق مع الصليبية ومؤسساتها التى تقوم على طبع ونشر الكتاب المقدس الذى يضم « العهد القديم » والمشتمل على أسفار اليهود « والعهد الجديد » المشتمل على أسفار النصارى لذلك فقد نشرت تلك المؤسسات الصليبية فى صلب كتابها المقدس خريطة سيناء وفلسطين وجعلت بطريق التدليس بلاد مدين على ضفاف خليج العقبة بأرض سيناء بمعنى أنها فى أرض طابا وما جاورها من أراض على خليج العقبة على زعم انها بلاد مدين التى عاش فيها موسى بن عمران بعضا من عمره (٢) .

قصة موسى ومدين كما وردت فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز حكاية عن موسى عليه السلام فى سورة القصص (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ

---

(١) كتاب سيناء بين الحرب والسلام اعداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

(٢) انظر خريطة سيناء وفلسطين بالكتاب المقدس .

طابا بأرض سيناء .. هل هى جزء من مدين ؟

كَرِيمٌ • فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ • فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (١) •

وقريب من ذلك ما ورد بسفر الخروج عن موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في قوله (ثم خرج في اليوم الثاني واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب : لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال : من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصرى فخاف موسى ••• فسمع فرعون هذا الامر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض ــ مديان (٢) •

اذن أين تقع مدينة مدين حقيقة :

يقول الامام ابو الفداء اسماعيل بن كثير ان اهل مدين كانوا قوما عربا يسكنون مدينتهم التى هى قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلى ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، وبناء على هذا الكلام فانها تدخل فى نطاق وحدود وسيادة دولة الاردن (٣) •

وخلاصة القول فان مدينه طابا بعيدة عن أرض مدين :

فانه بناء على ما ذكره المؤرخ الامام أبو الفداء اسماعيل ابن كثير ــ رحمه الله ــ فان مدينة طابا وما جاورها من أراض على خليج العقبة تعتبر بعيدة كل البعد عن أرض مدين ، وتعتبر هذه الخريطة خطا فادحا يجاوز الواقع ويتخطى ما للحق من حدود ••

المستشار

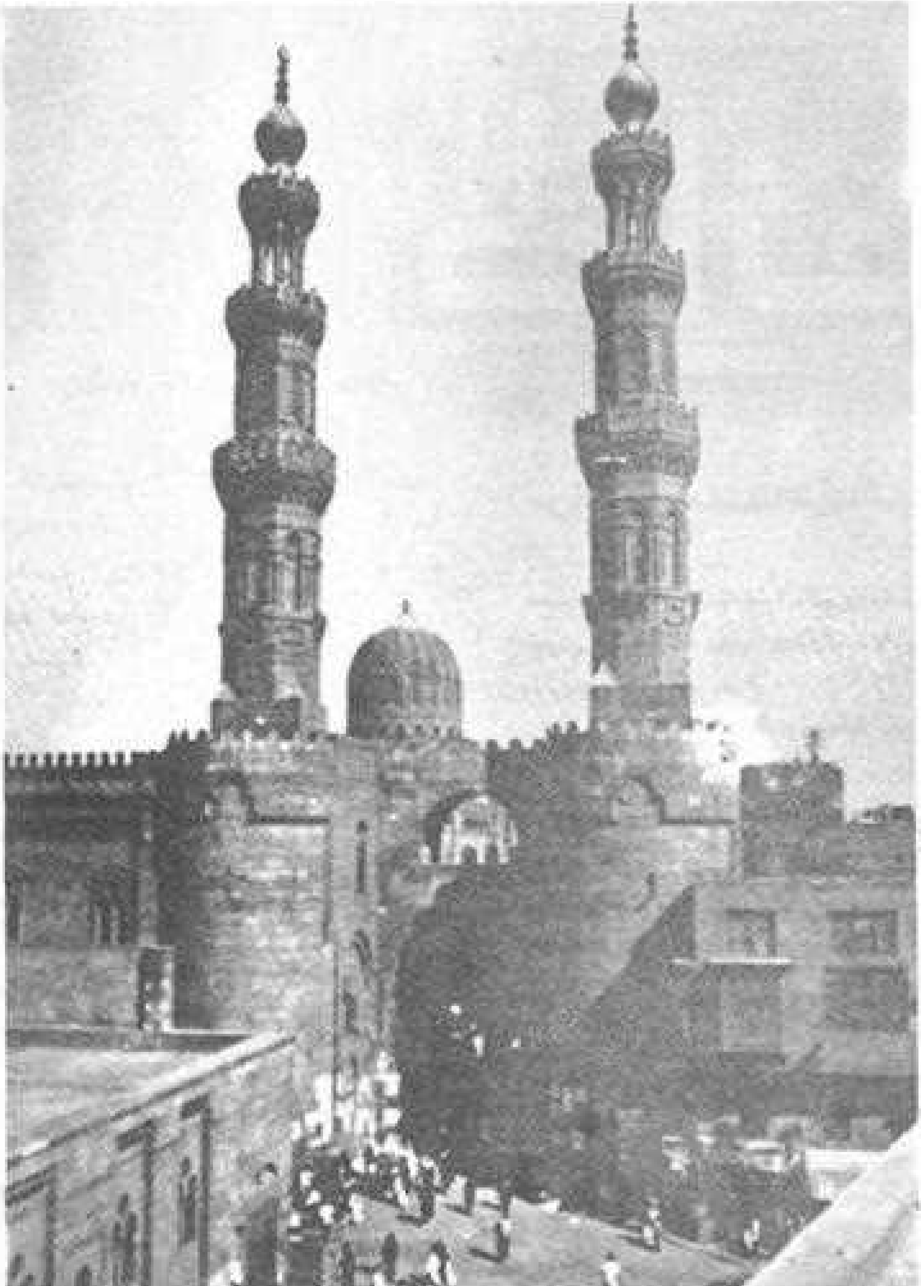
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) سورة القصص ١٩ ــ ٢٨ .

(٢) سفر الخروج الاصحاح الثانى عدد ١٢ ــ ١٥ .

(٣) كتاب قصص الانبياء للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير الجزء الاول تحقيق الدكتور / مصطفى عبد الواحد .



طرائف

من أسماء القرآن الكريم

الكتاب ، القرآن ، الكلام ، النور ، الهدى ، الرحمة ، الفرقان ، الشفاء ، الذكر ، النبأ العظيم ، الروح ، الوحي ، البلاغ ، البصائر ، الحق ، الصدق ، التنزيل .

حكى ربنا ما قالت مؤمنو الجن :

« إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ » .

ان القرآن هو الحق ، من قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

من أسماء سور القرآن الكريم

الفاتحة تسمى : فاتحة الكتاب ، ام الكتاب ، ام القرآن ، السبع المثاني ، الوافية ، الكافية ، الحمد الاولى ، الصلاة .

سورة « البقرة » تسمى : سنام القرآن .

سورة « النحل » تسمى : سورة النعم .

سورة «الرحمن» تسمى : عروس القرآن .

سورة « يس » تسمى : قلب القرآن .

سورة « الشعراء » تسمى : الجامعة .

من أعاجيب سور القرآن الكريم

سورة « الحج » ففيها مكي ومدني ، وحضري وسفري ، وليلي ونهاري ، وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ .

وكذلك سورة « يوسف » سماها القرآن احسن القصص لاشتمالها على ذكر : حاسد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وحبس واطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجدب ، وصبر وجلد ، واستقامة واستعصام .

من ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل

« ذلك بما قدمت يداك » .

« اليس الصبح بقريب » .

« لكل نبأ مستقر » .

« الآن حصحص الحق » .

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ولا يحيق المكر السيء الا باهله » .
« ما على الرسول الا البلاغ » .
« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .
« ضعف الطالب والمطلوب » .
« وقليل ما هم » .
« فاعتبروا يا اولى الابصار » .
« لايستوى الخبيث والطيب » .
« كل حزب بما لديهم فرحون » .

على الحاكم فى الإسلام

العدل والنصيحة والانصاف .

ولـه :

الطاعة والنصيحة وحسن المعاونة وحقوق الحاكم واجبات المحكوم .

وحقوق المحكوم واجبات الحـاكم ، ولا فضل لأحدهما على الآخر الا بالتقوى .

قـالـوا

* لا يبلغ الأعداء من جاهل ، ما يبلـغ الجاهل من نفسه .

* لا تشاور مشغولا وان كان حازما ، ولا جائعا وان كان فاهما ، ولا مهمـوما وان كان عـاقلا .

* انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله .

* خير من العـدل ، الفضـل .

* لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه .

* لم يضع مالك ما وعظك .

* اياك وعزة الغضب فانها تصيرك الى ذل الاعتذار .

دعاء

اللهم انى اعوذ بك ان اقول قولا حقا فيه رضاك التمس به احـدا سـواك .

واعـوذ بك ان اتزين بشىء يشيننى عنـدك .

واعوذ بك أن أكون عبرة لأحـد من خلقك .

التصرف الزين
فى مناجزة سقم العين

شغل الرأى العام فى الايام الأخيرة بالحديث عن تعريب الطب . وتبارت الاقلام على صفحات الجرائد اليومية بين المؤيد والمعارض . كل يدافع عن رأيه .

وقضية تعريب الطب والعلوم ليست وليدة اليوم . انما حدثت فيها مناقشات كثيرة منذ سنوات الا ان الأصوات لا تكاد تعلو تطالب بالتعريب حفاظا على لغتنا الجميلة . حتى تخفت الا ان واحدا ظل يعمل فى صمت وعلى مدى عشر سنوات أو تزيد حتى قفز الى واقع وكان نتيجة ذلك ان اصدر منذ اشهر كتاب (التصرف الزين فى مناجزة سقم العين) وهو اول كتاب بالعربية فى الطب للأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز وبعد ان علمنا بذلك ذهبت اليه ليحدثنا عن تجربته فى تعريب الطب ويشرح لنا نظريته وفكرته .

وقد وافق مشكورا على أن يعطى مجلة الأزهر من وقته هذا الحديث .

* ترجمه وليست خلقا *

** الاستاذ الدكتور محمد عبد العزيز

استاذ ورئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر نرجو من سيادتكم اعطاء القارىء لمحة سريعة حول فكرة تعريب الطب . ومن روادها ؟ وما تقويمكم للاعمال التى ظهرت فى هذا الميدان .

قال سيادته :

هناك محاولات سبقتنى فى تعريب الطب . واذكر فى طب العيون على سبيل المثال : الدكتور محمد حسن الرشيدى الذى كتب كتابا بعنوان : (ضياء النيرين فى علاج أمراض العين) سنة ١٨٤٠ م . والدكتور محمد علوى باشا كتب كتابا أسماه (النخبة العباسية للامراض العينية) سنة ١٨٩٢ ، كما كتب الدكتور عطا الله يوسف فهمى كتاب (العين فى الصحة والمرض) سنة ١٩٣٦ . والذى ظهر منه الجزء الاول فقط فى تشريح العين . وهناك مدرسة عربية للطب فى سوريا .

ولكن كل هذه المراجع كانت ترجمات لكتب أجنبية وليست خلقا جديدا . فكتاب (ضياء النيرين) كان ترجمة لكتاب الاستاذ سيشل فى أمراض العيون كما يعترف المترجم بذلك .

حديث مع الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز محمد
أستاذ ورئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر
أجرى الحديث عاطف زهران



وكتاب (النخبة السياسية) كان ترجمة لكتاب الأستاذ مير ، والمدرسة السورية انما هى مدرسة تعريب وترجمة لمراجع أجنبية ولكن بلغة العصور الوسطى .

*** رائد التعريب ***

ثم يستطرد سيادته فى الحديث فيقول :

أما كتابى (العين) الذى صدر منذ أشهر . فهو ليس ترجمة لكتاب أجنبى ، وليس اقتباسا من كتاب آخر ، انما هو تأليف وخلق جديد بكل ما تحويه الكلمة من معنى . وعلى ذلك فهذا أول عمل فى التأليف فى هذا المجال .. مجال طب العيون بالعربية .

« الاصل العربى للمفردات الطبية »

*** * قبل ان يظهر كتاب (العين) كان لسيادتكم جهد مشكور فى تعريب مفردات طب العيون . رددت فيه اغلب المفردات الطبية فى مجال تخصصكم الى اصل عربى . مما يثير لدينا سؤالا هاما :**

ما الذى أوحى لسيادتكم بهذه الفكرة . بفكرة ان العربية هى اصل اللغات ؟

*** فاجاب قائلا :**

استلهمت هذه الفكرة من القرآن الكريم .

فحين كنت أقرأ قول الله تعالى **« وكنتم قوما بورا »** لفت نظرى أثناء تلاوتى أن كلمة (بورا) فى الآية تتفق مع كلمة (Poor) الانجليزية فى الجرس والنطق . كما أنهما تؤديان نفس المعنى . وهو الفقر والعدم والقلة .

وكلمة (قسط) ومعناها فى العربية العدل تشبه كلمة (Just) الانجليزية والتى تؤدى نفس المعنى بتغيير بسيط فالقاف العربية تبدل (J) بالانجليزية .

كما أن هناك تشابها بين كلمة القسطاس العربية ، وكلمة (Justice) الانجليزية ، وكلمة مثقال تقابلها فى الانجليزية كلمة (Meticulaus) وكلمة أرض تقابلها فى الانجليزية (Earth)

وهكذا يمكن أن نجىء بآلاف الكلمات المتشابهة .

ومن يطالع كتاب (الأصل العربى لمفردات طب العيون) سيجد الكثير الذى يدعم هذا الرأى . وسيرى كيف أثبت بالبرهان أن العربية فعلا هى الأم والأصل لجميع اللغات !.

*** شهادة تقدير ***

ثم استمر سيادته فى الحديث عن كتابه المذكور فقال .

قدم الكتاب لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وعكف عليه على مدى ثلاث جلسات متواصلة أصدر بعدها توصية « بأن هذا الكتاب لو لم يكن صاحبه حاصلا على (الدكتوراه) لكان كافيا للحصول على الدكتوراه ، وأنه قلب المفاهيم وغير طريقتنا فى التفكير » .

*** أسباب الخوف من التعريب ***

*** * قفز بخاطرى سؤال . لم أشأ أن أرجئه لكثرة ما ألح على فقلت لسيادته : مادامت العربية أصل اللغات كما ترون . فلماذا التخوف من التعريب الآن فى الطب والعلوم ؟**

*** قال رئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر :**

هناك عاملان أساسيان يرجع اليهما الخوف من التعريب هما :

فقر المادة العلمية .

ثم عدم القدرة على الانطلاق فى رحاب العلم . ومن هذين العاملين نشأ السبب القوى فى تخلف القطاع الأغلب من المثقفين . واشفاقهم من محاولة الدراسة باللغة العربية بل وعدم الترحيب به .

فأما من ناحيتى فانى أرى أنهم على حق لو كانت الأمور حقيقة تسير كما تشير الظواهر وكما يظنون . ولكن العبرة هنا ليست بالنتيجة الموجودة حاليا فى الدول التى تدرس بالعربية انما العبرة بالطرق الخاطئة التى شكلت . وفداحة تصورها فى الوصول الى الهدف .

والبعض يعارض التعريب خوفا من التخلف والتقوقع . وأنا حين أدعو الى التعريب لا يعنى ذلك أننى أدعو الى التقوقع والتأخر . بل العكس أدعو الى الانتشار والانطلاق من قاعدة الفهم السليم والرؤية الواضحة للدارس العربى . وفى نفس الوقت أطلب — فى الحاح — أن يتعلم ما وسعه من لغات أجنبية فهى النافذة على العالم والتقدم .

*** العربية هى الأصل ***

*** * هناك أسئلة مطروحة أمامنا من المعارضين للتعريب . أهمها وأكثرها ترددا حسب ظنى هذا السؤال : لماذا يجب تعريب الطب ؟ ونرجو من سيادتك ايضاح هذا الأمر**

كما نرجو ايضاح بعض الحقائق التي اردت ابرازها في تأليفك العربية في الطب ؟

* فقال :

كانت أمامي عدة حقائق حين فكرت في التأليف باللغة العربية في الطب . عل فيها مايرد على سؤال : (لماذا يجب تعريب الطب) .

أولا : ان اللغة العربية ليست لغة حديثة . انما هي لغة قديمة قدم الدهر . فهي لغة مخلوقة وليست موضوعة . وهي لغة القرآن . وحيث ان القرآن من عند الله فلغته من عند الله . وحيث أنه أنزل للناس كافة فلغته يجب أن تعرف للناس كافة . فالعربية هي الأصل لجميع اللغات .

ثم ان ما ندرسه حاليا بلغات أجنبية له أصل أو أساس عربي ، وما اعتراه من تغيير انما هو في المظهر فقط ، ويمكن تشبيه ذلك بشخص عربي يلبس الملابس اللاتينية أو اليونانية ، فاذا خلعت عنه هذه الملابس ظهرت حقيقته العربية .

وهذا فعلا ما نجده في هذه اللغات ، فبقليل من التحليل المعملي لأغلب الكلمات الاجنبية فانه يمكن ردها لأصلها العربي .

ثانيا : أنني أهدف الى الوصول الى أهم نقطة في الموضوع ، ألا وهي احداث صورة ذهنية مبنية على وجود صلة سمعية بين اللفظ الاجنبي واللفظ العربي ، وبذلك يسهل على الدارس أن يستظهره ويستوعبه ويستبقيه في ذاكرته بأيسر سبيل . فحاسة السمع أقوى من حاسة البصر في الادراك والحفظ .

* نظرية التطابق الصوتي *

ثم يبرهن سيادته بمثال على مايقول ليتضح الأمر أكثر فيقول :

خذ مثلا كلمة (Trolecula) وهي النسيج المصفوي الموجود في الزاوية الطرفية للخزانة الامامية للعين ويتسرب منه السائل المائي الى خارج العين . استعملت لها كلمة (الترابطات والدروب) والتي هي فعلا دروب ومسالك وترابطات في شكلها العام . وفي نفس الوقت تطابقت صوتيا مع الكلمة الاجنبية ، وهذا ما أسميه (التوافق) والمكون من التطابق الصوتي والمعنوي .

ونحن بذلك انما نريد للغتنا الانتشار والمجد .

الانتشار لأن لغتنا تقاربت صوتيا ومعنويا مع اللغات الاجنبية .

والمجد لأن لغتنا هي السابقة . ولا نريد تخريب لغتنا من الداخل كما يسلك البعض .

* بعيدا عن التعصب *

ثالثا : ان الدعوة للتأليف باللغة العربية في الطب والعلوم ليست تعصبا قوميا . بقدر ما هي رغبة صادقة القصد منها أساسا هو تسهيل ايصال (المعلومة) الى ذهن الطالب والدارس العربي . وذلك بواسطة اللغة التي يتحدث بها ، والتي لها مدلول وكيان قائم في أعماقه . وعلى أساسه يستطيع أن يقرأ ويدرك ويستخرج ثم يقارن ويؤلف وينشر .

* هذه الكلمات *

** الاستاذ الدكتور : نريد من سيادتك ان تذكر للقارىء بعض النماذج لكلمات وجدتم لها اصولا عربية .

فقال سيادته : على سبيل المثال :

كلمة Shape ردت الى (شبه) أى سمت

كلمة Clat ردت الى جلطه

كلمة Halo ردت الى هاله

كلمة Flatten ردت الى فلطح

كلمة Chart ردت الى خرطه

كلمة Chronic ردت الى قرونى (زمنى)

كلمة Scotoma ردت الى أماكن سكوت

وأمثال هذا كثير . ومنه يتبين الكم الهائل من الالفاظ الاجنبية التى لها أصل فى اللغة العربية . والتى ردت اليها فعلا بقت صوتيا ومعنويا . فسهل على من يقرؤها سرعة فهمها والاحتفاظ بها . كما تبين ايضا التطبيق العلمى لنظرية المواءمة الصوتية بين الالفاظ الاجنبية والمتشابهة مع العربية . والتى تؤدى نفس المعنى . ونظرية (التوافق والتشابه) هى النظرية التى اهتديت اليها وادعو للعمل بها حاليا .

* أساس دينى *

** الاستاذ الدكتور :

ذكرتم ان كتابكم فى طب العيون هو أول عمل فى تعريب الطب . وهو جهد مشكور لسيادتكم وخطوة مباركة نحو الهدف .. تعريب الطب والعلوم فما الاساس الذى قام عليه هذا الكتاب ؟

* فقال سيادته :

استغرق تأليف كتاب (العين) عشر سنوات ، وحصيلة أكثر من ثلاثين عاما من الخبرة وأسميته التصرف الزين فى مناجزة سقم العين .

وللكتاب خلفية وأساس دينى بمعنى أن تعاليم القرآن الكريم من خلال آياته البينات، وما لها من علاقة فى صحة الفرد النفسية والبدنية منصوص عليها فى أغلب أبواب الكتاب وفصوله . وهذه الآيات البينات ترجمت معانيها الى اللغة الانجليزية . وذلك حتى يتمكن القارىء الأجنبى من التعرف على شىء من عظمة الاسلام .

« مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ » .

ويجد القارىء للكتاب أن المراجع التى بنى عليها أولها وأساسها القرآن الكريم ثم الحديث الشريف .

* تعليق على العنوان *

** الاستاذ الدكتور محمد عبد العزيز :

من يقرأ عنوان الكتاب (التصرف الزين فى مناجزة سقم العين) يدهش لهذا العنوان

الطويل والمجوع ، على طريقة السلف . وذلك يجعلنا نسأل : لماذا اخترتم له هذا العنوان ؟

* فقال :

أردت أن أربط بهذا العنوان الماضى بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل ، أردت أن أسير على نهج السلف فى طريقة تسمية المؤلفات ، وذلك لتعميق الفكرة بأننى عربى ... جذورى عربية .. وثقافتى عربية ، وأننى لا أستطيع أن أنسلخ منها أو أتمرد عليها هذا من ناحية الماضى .

اما من ناحية المستقبل فهو للاعلام بأن كلمة (مناجزة) هى أصلا كلمة (Management) وكلمة (سقم) هى أصلا كلمة (sick) وكلمة عين هى أصلا كلمة (Eye). .

وبذلك يكون التعبير : (مناجزة سقم العين) هو بعينه Management of Sick Eye.

وليس أدل على توقع انتشار اللغة العربية مستقبلا الا هذا التوافق بينها وبين اللغات الأخرى .

*** أسس الكتاب ومضمونه ***

*** * الأستاذ الدكتور :**

نأمل فى سيادتكم ان تعرض عرضا سريعا للأسس التى قام عليها هذا الكتاب . وما مضمونه ؟

*** فقال :**

السؤال ينقسم الى شطرين نفرق بينهما فنقول :

أولا : الأسس التى قام عليها الكتاب أو طريقة تأليفه فنوجزها فى نقاط أهمها :

(أ) أننى أومن بالله وقدره ، وأومن بأن الشفاء من عنده . (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) وبذلك فاننى لم أغفل القيم الدينية والايمانية وعلاقتها بالشفاء ، ولم أنكب على المادة فقط بل استعديت عليها القوى الروحية والنفسية ، وأثرت كوامنها فى نفسى وفى نفس المريض حتى يتم الشفاء باذن الله .

(ب) أننى أشعر فى أعماقى أن الانسان به قوى هائلة فى أعماقه كامنة قابلة . لأن تشحذ وتتفجر .

واذا كنا نحن العرب نرجو اللحوق بركب التقدم فيجب أن نشحذ هممنا ونعطى الدارس كل ما يمكننا من علم ومدركات فى هذا العصر.

اننى أدعو الى امداد الطالب بكل المادة العلمية وبأدق التفاصيل .

(جـ) أننى ساعة تأليفى لهذا الكتاب ، وأنا أكتب باللغة العربية ، كانت أمامى صورة العالم العربى بكل شعوبه وآماله وآلامه ، لذلك كنت أحاول أن أربط بعضه ببعض عن طريق الكلمة والبحث والانجاز .

*** البساطة والوضوح ***

ثم يمضى رئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر فى شرح مضمون الكتاب فيقول :

ثانيا : أما مضمون الكتاب فهو بسيط وواضح . ويمكن ايجازه فى نقاط منها :

(أ) تسهيل المعلومة وتبسيطها مهما كانت صعبة .

(ب) تسخير الكلمة فى خدمة الفكرة وليس

٥

التصرف الزين في مناجزة سقم العين

العكس . فلم أقف موقف المتهيب لأي تعبير ملائم في اللفظ ، ولم أقف جامدا أمام الكلمات القديمة ، بل فحصت ونقبت وغربلت واستخلصت أحلى ما في لغتنا الجميلة وسردتها قلائد جميلة معبرة مع الدقة في المواءمة بين الكلمات الأجنبية والكلمات العربية صوتا ومعنى ؛

ولقد أدى ذلك الى كشف وسك مئات الألفاظ العربية التي تعبر أصدق تعبير عن واقع الحال . كما أحيت الألفاظ الجافة .

(جـ) الاهتمام بالرسم والصورة كوسيلة لتوضيح المعلومة بمختلف الأشكال والأوضاع والألوان ، حتى يلمس الدارس حقيقة كل شيء وأبعاده ويقف على أرض ثابتة من المعرفة .

(د) احترام اللفظ الأجنبي وخاصة ذلك الذي يشرح التعبيرات الطبية . ولذلك لم أهمله ، بل جئت به عزيزا مكرما مع أخيه العربي ، وعليه فأنا لم (أنغلق) على نفسي ولم أغلق نوافذ المعرفة على طلبتي بل فتحتها على أوسع ما تكون .

* نصيحة هامة *

*** * ما النصيحة التي تصحونها لمن حذا حذوكم في التأليف بالعربية في العلوم .**

*** فأجاب سيادته :**

اعتقد أنه ليس كل شخص يستطيع أن يتصدى للتأليف بالعربية وبخاصة في مجال العلوم الا أولئك الذين تسلحوا بتعلم اللغات الأجنبية فكلما كثرت هذه المعرفة وتعددت ، وضحت للشخص عظمة اللغة العربية وبانت أمام عينيه الحقيقية المذهلة بأن جذورها ممتدة في جميع اللغات على اختلاف أصولها .

* كلمة أخيرة *

*** * وبعد هذا الحديث الشيق . نريد ان توجه كلمة للفريقين . المعارضين للتعريب والمؤيدين له .**

فماذا تقول لهؤلاء وأولئك ؟

*** فقال الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز .**

ان لغة الضاد مضى عليها حين من الدهر ولواؤها معقود لأناس من غير أهلها ، فكان معلموها هم أعاجمها ، وباحثوها هم وادتها . ولقد آن الأوان لأبنائها كي ينهضوا للحفاظ على تراث لغتهم وحمل لوائها في مسيرة العلم والنور .. يغوصون في بطون أسفارها في طلب دررها ، وينهلون من فيض مواردها . حتى يعود لها رونقها وروعتها كأصدق أداة للوصف والتعبير ولله در حافظ . حين قال على لسان بنت عدنان :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

ترجمة الطب إلى العربية وضماناتها

للدكتور السيد الجميلى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ·· وبعد

أثيرت هذه الأيام قضية تعريب الطب ، ونقل مصطلحاته ومخترعاته ومستحدثاته المتطورة الى اللغة العربية ، ولكنى أقول ان العرب هم أقدم من مارس الطب منذ القديم ، وأعرف الناس بالعقاقير الطبية الشافية ، وكان لهم فى مضماره سبق أى سبق ، فاذا ماقمنا بتعريب الطب فانما نكون قد أعدنا للأيام سيرتها الأولى وأعدنا للعربية خالى امجادها وسالف عزها الأصيل الذى أسسه علماؤها ورجالها منذ القدم ·

فلقد بلغ الطب عند العرب شأوا بعيدا ، وقد كان طبا بسيطا لكنه نافع يقوم على المجربات ، وهو متوافق مع ما يستحدثه المعاصرون من أساليب متنوعة فى فروعه المختلفة ، انما يتلاقيان فى الأصول وقد نهلت أوروبا من هذا المورد السخى العذب ، وارتوت من هذا الفرات السائغ ردحا من الزمان أقالها من عثرتها وبدد عنها ظلمات القرون الوسطى ·

ترجمة الطب إلى العربية وضماناتها

ويشفق الكثيرون من أن عملية التعــــريب سيروح ضحية لها كثير من المصطلحات التى لا يمكن للعربية أن تتسع لها ، وهذا خطأ مردود عليه ، فان اللغة العربية غاية فى المـــرونة والاتساع واذا كانت قد اتسعت للقرآن الكريم بما فيه من اعجازات شتى للافهام ولكل حرف فيها دلالته العظيمة ، وقد أدت دورها الرائع فى بيان عظمة القرآن الكريم ، وجميل لحـــاته ، وجليل شرفه وشريف مقاصده ، وروعة عظمته وعظيم روعته ، واننا ازاء هذا لنجـــزم بقـــوة ونتكلم بيقين وصراحة أنها لا يمكن أن تقصر فى بيان دقيق أو شرح مصطلح طبى مهما كانت درجته ، ولو كان هناك شبهة عجز أو تقصير فانه لن يكون من اللغة العربية ولكن سيكون من القائمين على ذلك ـــ منا نحن أنفسنا ـــ فلغتنا القومية العظيمة ـــ ويعرف ذلك جيدا دارسو اللغات الأخرى ـــ تتفوق على ما عداها من لغات أخرى بدقة ايحاءاتهـــا وعمق دلالة ألفاظهـــا ومرونة استيعابها وشمولها وجرسها العظيم ووقعها الرائع البديع .

* * *

والذين يقولون بأن القضية معقدة صعبة ، نرد عليهم فنقول ان هناك دليلا على نجاحهـــا سلفا وهو الكثير من الكتب الطبية التى ترجمها ونقلها للعربية كثير من زملائنا الأطباء . وقد أعجبنى كتاب بالغ الأهمية ألفه أستاذنا العالم الكبير الدكتور محمد زكى سويدان اســــمه « الصحة والامراض المعدية » صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٠ م . وقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب باللغة العربية وأعتقد أنه لو ترجم للانجليزية لكان وافيا شـــافيا لدارسى الطب وللباحثين على حد سواء .

وكذلك فقد قرأت كتاب :
Forensic Medicine and Toxcology
« عن الطب الشرعى والســـموم » باللغـــة الانجليزية والذى صدرت طبعته الأولى ســـنة ١٩٦٤ م . للدكتور البهنساوى ود . يحيى الشريف ثم قرأت الترجمة العربية لنفس الكتاب والتى قام بها المؤلفان الكريمان ، فأعجبنى دقة التعريب وعظمة البيان ووضوحه وقد صـــدرت النسخة العربية فى طبعتها الأولى سنة ١٩٦٩م. (مطبعة جامعة عين شمس) .

ولا يفوتنى أن أنوه عن عميق تقـــديرى واعجابى بكتاب قيم جامع شامل وهو كتاب (علم الصحة) للدكتور عبد الواحد الوكيل وزير الصحة سابقا وقد صدر بالعـــربية فى طبعته

راجع الطب عند العرب للدكتـــــور أحمد شوكت الشطى ، والطب المصرى القديم للدكتور بول غليونجى والأستاذة زينب الدواخلى .

الاولى سنة ١٩٣٥ م • والطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ والثالثة سنة ١٩٤٤ والرابعة سنة ١٩٥١م والكتاب يلتزم بالمنهج العلمى الطبى الدقيق فى أسلوب منسق مشوق جذاب ، وانى لأتساءل أين هذه المراجع العظيمة فى طبعات جديدة منقحة مضافا اليها الحديث والمعاصر ؟؟

مرجع آخر وضعه طبيب باحث أديب ، وتزداد قيمة العطاء الطبى عندما يمتزج بجرعة أدبية كالتوابل المشهية اذا ما أضيفت الى الغذاء تفتح الشهية وتفتق الذهن هذا الكتاب القيم هو (على هامش الطب) للدكتور سليمان عزمى صدر سنة ١٩٦١ م وهو جميل رائع دقيق فى تناوله لكن لم يطبع مرة أخرى ، هذا كله ناهيك عن المراجع القديمة العديدة المتنوعة وفى مخطوطات دار الكتب رأيت وقرأت الكثير والكثير من المخطوطات الطبية القديمة المعاصرة التى لم يقترب منها انسان ولم تتناولها يد محقق ولوتم ذلك لأثرينا العلم والحضارة الحديثة •

وكل ما يقتضيه التعريب انما هو الاهتمام بتشكيل لجان فى كل فروع التخصصات الطبية من أمراض باطنة أو ظاهرة أو مختلف الجراحات لترجمة المراجع والمتون الطبية فى آخر طبعاتها المعاصرة ، وترجمة كل ما يدور فى المؤتمرات الأوروبية وغيرها وليس هذا فحسب بل نطالب بلجان مسئولة عن ترجمة المجلات الطبية الدورية التى تصدرشهريا فى انجلترا وأمريكا حتى نكون حريصين على متابعة أحدث التطورات وآخر المستحدثات الشائقة الممتعة•

وحتى نكون جادين فى تنفيذ هذا الموضوع من واقع المسئولية والالتزام وبعيدا عن المبالغة أو التفريط فلابد من تشكيل هذه اللجان العلمية العملية النشطة على أن تكون قائمة مستمرة بدون توقف أو انقطاع •

وأقترح أن تساهم فى تأسيسها وزارة التعليم العالى ووزارة البحث العلمى وذلك باشراف الجامعات المصرية الثرية بالمواد العلمية وهذه اللجان منوط بها تعريب ومتابعة كل ما يجرى من مؤتمرات وبحوث ورسائل جامعية هنا وهناك فى كافة البلدان وفى مختلف المؤتمرات وبمتباين اللغات وتكفل نقله لنا الى اللغة العربية ، بذلك نكون قد أوضحنا جانب المسئولية والالتزام

ومتى التزمنا بهذه المقتضيات ، فانى أتوقع نجاحا عظيما — ان شاء الله وبهذا نكون قد أثبتنا — بحق واقتدار — ان لغة القرآن الكريم قادرة على احتواء علوم الطب مثلما اتسعت لعلوم القرآن الكريم ، والله سبحانه الموفق والهادى الى سواء السبيل •

د • السيد الجميلى

طبيب باحث لدراسات الدكتوراه — واخصائى امراض باطنة بالوحدة العلاجية بالمعادى

■ مجلة الأزهر..

من خمسين عاما

من التراث

■ من نوادر

مخطوطات مكتبة الأزهر

فضيلة الصبر

للشيخ ابراهيم الجبالى

بقلم الشيخ أحمد حسن جابر رجب

لما كان الصبر من عزائم الامور ، ومفتاح مغاليق الضيق ، وكان مولد النبى — صلى الله تعالى عليه وسلم — فاتحا لما اغلق ، ونورا فتق الظلام ، وكان — صلى الله تعالى عليه وسلم — قدوة اولى العزم من الرسل ناسب أن يعقب الكلام على مولده الشريف الكلام فضيلة الصبر اذ هو ركيزة دعوته الى الله تعالى وحظى منه — صلى الله تعالى عليه وسلم — بحظ وافر .

يطلق الصبر على معان : هى الصبر على أداء الفرائض لله تعالى على كل حال : فى الشدة والرخاء والعافية والبلاء طوعا وكرها .

الصبر على كل مانهى الله عنه ومنع النفس من كل ما مالت اليه بهواها مما ليس لله تعالى فيه رضا طوعا وكرها .

وهذان صبران فى موطنين : هما فرض على العباد أن يعملوا بهما .

الصبر على النوافل وأعمال البر مما يقرب العبد الى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية منه للذى يرجاه من ثواب الله — عز وجل .

والصبر على قبول الحق ممن جاء به من الناس ، ودعاك اليه بالنصيحة ، فيقبل منه ، لأن الحق رسول من الله جل ذكره — الى العباد ، ولا يجوز لهم رده ، فمن ترك قبول الحق ورده فانما يرد على الله تعالى أمره .

وهذا هو الصبر الواجب على الخلق الذى لا يسعهم جهله ، ولابد لهم منه ، والصبر نصف الايمان وهو احتمال مكروه النفس اذا وقع بها ماتكرهه تجرعت ذلك ، وأنفت من الجزع ، وتركت البث والشكوى ، وكتمت مانزل بها . يروى فى الحديث الشريف « ان الصبر على المكاره من حسن اليقين »

وجماع ذلك أن الصبر صبران : صبر المرء على مايكره ، وصبره عما يحب ، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرا .

وأحق ماصبر عليه مالا سبيل الى تغييره ؛ ومن حسن التوفيق وامارة السعادة الصبر على الملمات والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . آل عمران /٢٠٠ يعني اصبروا على ما افترض عليكم ، وصابروا عدوكم ورابطوا على الجهاد ، وعلى انتظار الصلوات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - « ألا أدلكم على مايحبط الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله : قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » .

والصبر دعاء الى مايشق على الانسان فعله ، كأن يدفع السيئة بالحسنة ، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة استكفافا لشره وأذاه حتى يعود الى اللطف في المقال ، والجميل من الفعل فيصير بعد أن كان عدوا كأنه صديق قريب القربى ، « وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »

أي ما يوفق لذلك الا من ملك أمر نفسه ، وصبر على احتمال الأذى من عدوه .

ومن الصبر أيضا صبر العبد على ماليس بمكتسب له ، كصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما يناله فيه مشقة . قال الجنيد : المسير من الدنيا الى الآخرة هين سهل على المؤمن ، وهجران الخلق في طاعة الله تعالى شديد ، والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد . والصبر مع الله أشد ، لأنه التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البليات ، واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب والغناء في البلوى بلاظهور شكوى .

وأما الصبار فهو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره مع الثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وأما التصبر فهو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة . وعلامة الصبران لايفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما . وآفة الصبر الشكوى ولذلك فاز الصابرون بعز الدارين .

وحد الصبر أن لا تعترض على التقدير : أما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » ص

/٤٤ مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال « أني مسني الضر » وقد استخرج الله منه هذه المقالة « مسنى الضر » لتكون متنفسا لضعفاء هذه الامة .

وحقيقة الصبر : الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام فانه قال في آخر بلائه : (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الانبياء / ٨٣ فحفظ آدب الخطاب بحيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصرح بقوله : ارحمني .

ولنكتف بهذا القدر ونقدم كلمة الشيخ بعنوانها المتقدم قال :

وعدنا في الكلمة الماضية أن نطالعك بكلمة عن فضيلة الصبر نبين فيها حقيقته وأقسامه وفوائده ، وآثاره وما يعين عليه وينميه في النفوس .

ولقد نرى في أسلوبنا هنا شيئا من المغايرة لما سبق ، فاذا رأيت ذلك فاصبر وما صبرك الا بالله ، واذا لحظت أن في الكلام دقة في التعبير أو توسعا في التقسيم ، أو ميلا الى عبارات المؤلفين التى تتطلب اجهاد فكر واطالة امعان ، فاصبر ان الله مع الصابرين وقد قال عز وجل « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا » .

وقبل ان ندخل في بيان حقيقة الصبر يجب أن ننظر الى منزلة الانسان في الترتيب بين الملائكة والبهائم ، فقد خلق الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى والتقرب اليه ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) . ولم يودع في خلقهم ما يصرفهم عن هذا من شهوة تدعوهم الى نقص ، أو غضب يثور بهم الى شر ، فهم كرام بررة خيرون بأصل الخلقة لا يتصور منهم مخالفة ولا معصية . وخلقت البهائم مسخرة لشهواتها لا تتحرك الا لجلب لذائذها العاجلة أو دفع مؤذياتها الحاضرة .

وأما الانسان فقد خلق جامعا الخصلتين المتعارضتين ففيه شبه من كلا النوعين ، خلق في أول أمره وبدء طفولته لا يعرف الا شهوة غذائه ، فاذا ماكبر ونما نبت فيه شهوات أخر كشهوة الزينة واللهو ، ثم يبدو حب العلو في نفسه وينشأ من كل ذلك قوة الغضب اذا فاته شيء مما يشتهيه ويتبعها الحركة وقوة التفنن والمغالبة على احرازه ، فاذا ما شب وترعرع نبت فيه غرائز أخرى وصحبها التمييز والعقل وحب النافع ولو مؤلما وكراهية الضار ولو لذيذا ولكنه لا يعدو النظر الى العاجلة ، فاذا ما اكتمل عقله وآن أوان تكليفه صح أن يفكر في الآجلة ، وأن ينظر بكلتا عينيه الى كلتا حياتيه: حياته الدنيا ، وحياته الآخرة ، وهنا يجد نفسه بين قوتين متعارضتين تتجاذبانه الى جهتين متضادتين ،

الأولى : منهما القوة البهيمية تدعو الى اللذات وانتهاز فرصها قبل الفوات ، توهمه أن في فوات الفرصة عقبة .

والثانية : تنبهه الى ما هيىء له من نعيم مقيم ، وما أعد له من مكان عظيم ، وكل منهما لها خطرها ولها أثرها ولها مددها ولها نفعها أو ضررها .

فأما الأولى فقد نشأت مع النفس وتمكنت بمرور الزمن وقوة الالف ، واستحكام العادة

ثم بحضور ثمرها وللحاضر معنى من القوة لا يناله الغائب .

وللثانية أهميتها وعظم هولها وخطر شأنها وعدم القدرة على تحمل نتيجة مخالفتها ومواجهة هولها وانها لمعركة حامية وموقعة دامية ميدانها قلب الانسان وجيشاها جند الرحمن وجند الشيطان ، وسعادة المرء وشقاوته بين كفتى الميزان فاما نال أعظم الربح ، واما باء بأعظم الخسران فهو اما فى مصاف الملائكة ، واما ملحق بالبهائم أو بحزب الشيطان ، فالصبر هو ثبات جند الفضيلة أمام جند الرذيلة ، هو تقوية جند الله حتى تقهرجنود الهوى فتنتصر النفس على الشيطان عدوها وتفوز بأقصى امانيها ، وبذلك ترى الصبر داخلا فى كل عمل من أعمال الانسان النافعة ، فقلما تجد عملا نافعا الا وله صوارف متنوعة ، أما الكسل عنه أو استصعاب طريقه أو الانصراف عنه لما هو حاضر اللذة ، وكذلك الأعمال التى هى من باب الكف والترك وهى الانتهاء عن المعاصى تجد النفس دائما تنازعك بطموحها الى الحركة المشتهاة لها .

وأن شئت فقل الصبر هو ضبط النفس وقمعها عما تهوى وحبسها عما تكرهه حبا فى احراز خيرها الاجل ونعيمها المقيم وسعادتها الدائمة.

لما كان الايمان المعتد به شرعا هو ما يجمع بين تصديق القلب اليقينى وبين العمل بمقتضى تصديقه وعرفنا أن عمدة كل الاعمال هو الصبر عليها والصبر عن الصوارف عنها كان الصبر بهذا الاعتبار كما ورد « نصف الايمان » . وسيجىء لهذا تتمة توضيح .

مقومات الصبر : يعتمد الصبر على دعامتين تقومانه وتكونان حقيقته وهما :

قوة اليقين ، وقوة الارادة ، وذلك أن الأعمال النافعة دائما تجد ميولا فى النفس مضادة لها تصرفها عنها وتلك الميول غرائز سابقة فى النشأة على وجود الفضيلة فى النفس ، فاذا همت النفس بعمل ما يجدر بها أن تعمله ويطلبه داعى الدين ، هبت تلك الميول فى وجهها هبوب العاصفة تصرفها عنها وتطالبها أن تستوفى متعها وتنعمها بما يحيط بها ، والا تفوت على نفسها فرحها فتقع النفس فى الحيرة بين هاتين الداعيتين : داعية الهوى يقويها الف النفس له واعتبارها اياه ويغذيه أنه عاجل وقد طبعت النفوس على حب العاجلة ، وداعية الفضيلة يقويها عظمة شأنها ودلال نعيمها وهنا تنشب المعركة بين الداعيتين وتتصارع القوى فتحتاج داعية الفضيلة الى مدد يقويها حتى تظفر بخصمها وتتغلب عليه وتقهره ، وذلك المدد وهو قوة اليقين وقوة الارادة فأما اليقين فيتقوى بتكرار التذكر لعقيدته التى لا يشك فيها أى بمعاودة

استحضار ايمانه المرة بعد المرة حتى لاتبتعد عقيدته طويلا عن خاطره واليه الاشارة بقوله جل شانه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وانك لتشاهد الرجلين كل منهما يجزم بأن عمله وكده سينتج له نتيجة عظيمة هو حريص عليها وراغب فيها اتم رغبة ، ولكن أحدهما دائما يتذكر حرصه على نتيجته المرجوة فلا تكاد تبرح اليه ولا تزايل خاطره ، والثانى لاه عنها غافل حتى تذكره بها فيقول لك حقا ان هذا لازم ولكنا انصرفنا عنه ، وقد يجد فى تذكيرك له ألما ومضايقة لانك أشعرته بالحرمان الذى سيلحقه من اعماله ، ولا يجد عذرا يقنع به نفسه ويريح ضميره من الوخزات التى تلحقه ساعة الذكرى ، فقد يعمد الى التلهى عن ذلك التذكير فرارا من الم التأنيب الذى يحسه من نفسه ، وتارة يجمع قواه ويحفز همته ويحمل نفسه وهى كارهة ، كارهة لأنها ألفت البطالة وخلدت الى الراحة والكسل أو استملحت مذاق تلك الملاذ والملاهى ، فاذا عاودتها الذكرى قويت نوع قوة على الداعية المضادة ، فاذا ما تكرر التذكر وطال أمده كانت قوته بلا ريب من قوته حين يكون لمحات أو خطرات سريعة الزوال . وقد حمل بعضهم معنى زيادة الايمان ونقصه على هذا أى على زيادة الاستحضار ونقصه ودوام ملاحظة المعنى الذى يؤمن به أو سرعة انصرافه عنه فيقوى هذا الاستحضار حتى يكون اليقين فيه كالشهود والمعاينة ، وبه فسروا ما ورد فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لو وزن ايمانه بايمان هذه الأمة لرجح بها وهذا هو السر فى طلب ادامة الذكر ، فالمقصود ادامة التفكير والذكر القلبى وانما جعل الذكر اللسانى وسيلة له ، لأن النفس غالبا تتذكر معنى ما تنطق به بل ما تسمعه أيضا ، وأما الارادة ، فتقوى بالمران والتعود بأن يتتبع المرء خواطره المتنافرة ويتعاهدها بيقظة تحملها على تغليب مرضاة الله على مرضاة الهوى ، فاذا ما ظفر مرة عاود الثانية فاذا ما تكرر له هذا سهل عليه ان يقود نفسه كالمطية التى تراض على السير الخاص فتجمع فى أول أمرها فلا يزال يحملها على ما تكره حتى يصير ذلك عادتها وكالشخص الذى يتعود المصارعة مرة بعد أخرى فيكتسب بمرانه قوة لم تكن له قبل المران فهكذا تجد النفس فى أول تدريبها جامحة عن السير الذى يراد منها فتحمل عليه قسرا فتتعاصى مرة بعد مرة حتى يسلس قيادها وتلين شكيمتها ، فاذا ما كررت ذلك عليها أصبح هذا المسلك ديدنها والتحق بغرائزها ووجدت فيه غبطتها ومسرتها وأصبح ما كنت تسميه قسرا وصبرا رضا وطمأنينة فهذا طريق علاج النفس حتى تتحلى بفضيلة الصبر وكما أنه لا يكفى فى سلامة البدن من الآفات مجرد معرفة أنواع الأدوية والعلاج بل ينبغى أن تراعى الوقاية من المرض قبل حلوله وذلك أفضل من التعرض له استنادا على العلاج الميسور كذلك لا يكفى فى سلامة النفس من آفات الأخلاق المرذولة معرفة أدويتها وأنواع علاجها بل ينبغى استعمال الوقاية والعناية بها وتقديمها على اللجأ الى العلاج بعد حلول

المرض النفساني .

وعلى هذا ينبغي الابتعاد عما يثير في النفس دواعي الشر حتى يكفي شر المرض ومؤونة العلاج وهذا يأتي العوارض الاختيارية وهي التي تكون مبادؤها من ميول الانسان واختياره وذلك كارسال النظر الى المشتهيات المحظورة والاسترسال الى التفكير في اللذائذ المنهية مما يجعل النفس متطلعة لها فتنقاد اليها متى سنحت فرصتها وكالاستسلام لثوران النفس عند غضبها أو الاشتغال بالمماراة والمجادلة بغير الطريقة المثلى ، فانه مما يعرض النفس لزلات قد تندفع فيها بلا تبصر ، ولا تروٍ فلا تفطن لنفسها الا وقد تردت فيما تكره فتعود على نفسها بالندم واللائمة ان كانت من النفس اللوامة أو تستمرىء ذلك المرعى الوبيل ان كانت من فريق المخذولين وفي ذلك دمارها وهلاكها ، فقطع تلك الأسباب من أساسها أسهل وأضمن للسلامة من علاجها بعد تورطها فيها ولذلك جعل الشارع الحكيم للمحرمات سياجا واسعا يبتعد بالنفوس عن حماها ، وجاء في الحديث : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه الا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » رواه البخاري .

منزلة الصبر من الفضائل : ان نسبة الصبر للأخلاق الفاضلة كنسبة الأصل الى الفروع أو كمنزلة الماء من الأحياء ، تلك المنزلة المذكورة في قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» . فلا تكاد تجد المرء في حال من أحوال حياته غنيا عن التذرع بفضيلة الصبر ليتحلى بالخلق الذى تستدعيه حاله ، فالغنى في حاجة الى الصبر ليضبط نفسه عن البطر والطغيان المشار اليه في قوله تعالى(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ) . ، ولا نظن أن الصبر على هذه الحال حال الغنى وما على شاكلته من التمتع بالصحة والجاه والولد وأنواع النعم من الهنات الهينات ، فالنفس مشغوفة بالاسترسال في ملاذها والاستزادة منها والطعام يقوى شهوة النهم، وقد جاء قوله جل شأنه : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، فالانسان بحاجة الى أن ينظر اليها بعين أنها نعمة أوجبت عليه حقا يقوم به وليس من حقها عليه أن ينهمك في ملاذها ويغفل عن شكرها ويستوجب لنفسه على الناس حقا لا يلزمهم من أجلها فهو بين فتنة الانهماك فيها وفتنة التقصير في

الشكر عليها وفتنة زعمه أنه وقد أنعم الله عليه بها يجب على الناس أن يعطوه من التوقير والتعظيم والتمييز من أجلها مالا يملكه عليهم، أفلا تراه يغضب ان خوطب خطاب المساواة ممن لم يساوه فيها ؟

وهل هذا الا جنوح للعظمة الممقوتة وادعاء لما ليس له ؟ فهو بحاجة الى ضبط نفسه عن هذه الأحوال وذلك من أبواب الصبر ، والفقير أو المحروم من بعض متع الحياة بحاجة الى ضبط النفس وحبسها عن التذمر والضجر والجزع مما حل به ، وأن يرى في نفسه أنه عبد قد منحه سيده الذى خلقه نعما لو قاس بها ما حرم منه لم يكن شيئا مذكورا فضلا منه لا وجوبا عليه (**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**) فهل تأمل هذا الفقير نعمة وجوده وامتاعه بحواسه وصحته وقواه ؟ بل هل التفت الى قوة تدبير غذائه ومراتب جهاز هضمه مما يتم على أكمل وجه لا شعور له به ؟ وهل دفع ثمن ذلك ؟ وهل راعى المريض أنه قد سلم من الأمراض الأخرى التى عوفى منها ؟ وما من بلاء الا والمرء معرض لما هو أشد منه وأكبر ، واستعرض بعد ذلك الأخلاق تفصيلا واستخرج منزلة الصبر منها فانك تجد العفة صبرا عما يشتهى ، والشجاعة صبرا حين البأس ، والصدق صبرا عما يطمع في احرازه لو كذب ، وكتمان السر صبرا عن الافشاء المحبوب بسبب أن يذكر للغير ما يتطلع لمعرفته ، وتجد في الأمانة صبرا على منازعة النفس أن تفوز بما أؤتمنت عليه ، وهل الحلم الا الصبر عن الأذى ؟ وهكذا دواليك تجد الصبر من الأخلاق كالماء من الأحياء .

ثم استعرض الطاعات تجد الصلاة بحاجة الى الصبر على أداء تلك الأركان والتغلب على الشواغل التى تصرف عنها ، بل تحتاج الى الصبر على استحضار أسرار الصلاة والخشوع وحضور القلب وهو أعظم من صبر الجوارح والصوم ما هو ؟ أليس هو الصبر عن المشتهيات وكف النفس عما تميل اليه بطبعها ؟ ولشدة الاتصال بين الصوم والصبر ورد في شأنهما جزاء متناسب فقال عز وجل في شأن الصبر (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**) وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الصوم (**كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا اجزى به والحسنة بعشر امثالها**) فقد جعل جزاء كل من الصبر والصوم خارجا عن التقدير موكولا الى فضل العليم الخبير فهو أعلم بمقدار ما يعانيه الصائم والصبور من مكافحة الميل ومعاصاة الهوى وقوة الجلد في اكتساب مرضاة الله وذلك أمر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وهو أعلم بذلك من صاحب هذه الأحوال نفسه ، والزكاة بحاجة الى ضبط النفس وكفها عن البخل ومنعها من الاستئثار بما ليس لها من حق الفقير الذى وقع تحت يدها ، وهل يخفى عليك المشاق التى يتعرض لها الحاج والمتاعب التى تعترضه في طريقه فضلا عن بذل المال المحبوب في سبيل طاعة الله ، ولعلك قائل وما علاقة الصبر بالايمان : وأقول لك قد روى « الصبر نصف الايمان » .

وقد فسر ذلك بتفسيرين أحدهما أن الايمان المعتد به شرعا هو المعنى الجامع لليقين والعمل على مقتضاه ، وقد رأيت العمل كله بحاجة الى الصبر ، والثانى أن الايمان انما يكون ايمانا اذا أثمر ثمره فى نفس المؤمن وذلك أن يكون شاكرا على السراء صابرا على الضراء والمرء فى حياته لا يخلو عنهما ، فالصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب ، ولعل الثانى أشق من الأول ، فالمكاره فى الغالب محدودة الأمد وأما المحاب فهى محيطة بالنفس تطالبها أن تستوفيها فهى محتاجة الى مصابرة أطول ويقين أثبت وايمان حاضر فى كل لحظة .

آثار الصبر : وأما آثاره وثماره فحسبك فى تقديرها اجمالا ما رأيت من دخوله فى كل الطاعات واحتياج المرء اليه فى جميع الحالات ، وواضح كل الوضوح ، ان الانتهاء عن المحظورات بحاجة الى الصبر عنها كاحتياج امتثال الطاعات الى الصبر عليها وتزيدك معرفة لقدرة نظرك الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة فى شأنه وانظر الى قوله جل شأنه بعد أن أمر عباده بالذكر والشكر ونهاهم عن الكفر : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ — الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

فأنت ترى فى تعقيب الأمر بالذكر والشكر والنهى عن الكفر بالامر بالاستعانة بالصبر والصلاة ان الصبر قوام الطاعات ومعين عليها، وأن اقترانه فى الآية الكريمة بالصلاة التى هى عماد الدين لآية جلية فى ذلك ، وهل يمارى ... فى تلك المنزلة الرفيعة التى منحها الله ... صابرين وانه معهم وأى شرف وفوز أعظم من هذه المنزلة الرفيعة ، وانك لتلمح فى قوله جل شأنه (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) واقتصاره على الصبر ولم يضف اليه الصلاة مع اقترانها به فى الأول تلمح من ذلك ما قدمناه من دخول الصبر فى أنواع العبادات ، فالمصلى صابر فى صلاته فالله معه ثم انه جل شأنه قد بين عقب ذلك حقائق يعين فهمها على الصبر ، ويقوى النفوس على الطمأنينة وتفتح أمام الذهن مغالق خفية متى عرفت على وجهها سهل الاذعان للصبر عليها بل الاطمئنان اليها ، فقال جل من قائل : (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) ، فنهاهم عن أن يصفوا الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله بالموت والقتل غاية المصائب وبين أنهم أحياء حياة لا نشعر بها ، وحسبنا أن أخبرنا بها ربنا ثم بين حكمة تعريفه عباده للمصائب وأن هذا ابتلاء منه لعباده ليتميز الخبيث من الطيب ، وليتبين عدل الله لعباد الله فقال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) فعدد أنواعا من المصائب تصيب العباد وجعلها مثلا منه كما قال عز وجل (الم.أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ، ثم أردف هذا الابتلاء بتبشير الصابرين الذين بين صفتهم وعلامتهم بأنهم الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا بلسانهم قولا يطابقه اعتقادهم ويقينهم : انا لله وانا اليه راجعون،انا له عبيدا يملكنا ولا نملك عليه شيئا أنعم علينا بفضله بدون أن نستوجب ذلك فهو المنشىء لنا والخالق وهو الواهب لهذه النعم بلا ملجىء ولا قاهر ، فله ما أعطى ، وله ما أخذ وانا اليه راجعون فيجزى كل امرىء بما عمل ، فان لم يكن الصبر اعترافا بأنه هو مالك كل شىء فليكن أملا فى الفوز بما وعد به الصابرين يوم يرجعون اليه وما أجمل السياق الذى ذكرت به بشرى حيث قررها على وجه الثبات والتمكين فى قوله : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) فقد عرف فى أسلوب اللغة العربية أن التعبير عن شىء بصيغة اسم الاشارة بدل الضمير بعد سبق التحدث عنه باثبات صفات تناسب السياق نكتته أن الحكم الذى تثبته قد نشأ عن تلك الصفات واستحق بسببها ، فكأنه هنا يقول ان الصابرين بما صبروا وبما قالوا واعتقدوا من أنهم ملك لله وراجعون اليه يستحقون من الله الصلوات والرحمة يستحقون الثناء العظيم ، يستحقون العطف والاحسان صلوات ورحمة تشملهم وتعمهم وتحدق بهم وتعلو عليهم ، ثم وصفهم كذلك بأنهم هم المهتدون للحق والصواب باعترافهم بعبوديتهم لله ورجعوهم اليه المهتدون للفوز بما يشتهون وادراك ما يرجون فهذا قوله (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

وقد قال عمر رضى الله عنه فى ذلك نعم العدلان ونعمت العلاوة جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم .

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

مجلة نور الاسلام العدد ٩ رمضان ١٣٤٩ هـ المجلد الأول

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة

لما كان افضل الاشياء كتاب الله المنزل على رسوله ومصطفاه،وكان علم القراءة لتعلقه به اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا ، فهو اولى ما صرفت فيه الهمم العوالى . وكان الاسناد فيه من مهمات الدين ، وطلب العلو فيه قربة من رب العالمين .

ويجدر بنا أن نشير الى ان القراءات اختلاف الفاظ الوحى في بعض الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وفتح وتقليل وامالة وتفخيم وترقيق وحذف واثبات . وجمع وافراد وغير ذلك .

وقد عرفه صاحب (اتحاف البشر) بأنه علم يكفيه أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله .

(وموضوعه) كلمات القرآن من حيث يبحث فيه عن احوالها كالمد والقصر والنقل وغير ذلك.

(واستمداده) من السنة والاجماع .

(وفائدته) صيانة كتاب الله تعالى عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة .

ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ، معنى لايوجد فيقراءة الأخرى، والقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ، ومحجتهم في الاهتداء ، مع مافيه من التسهيل على الأمة . ونكتفي بهذا القدر من التعريف بعلم القراءات .

ومن أشهر كتب القراءات . كتاب (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السبع (للسبع المثاني) .

وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ ابى محمد القاسم بن فره الشاطبى الضرير المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ .

وقد تناوله بالشرح العلامة (٢) شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم - المقدسى الدمشقى الشافعى المعروف بأبي شامة المولود في دمشق سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م والمتوفى سنة ٦٦٥ هـ

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الاز هرتحت رقم خاص ١٩٥٢ رقم عام ١٦١٩٠ في علم القراءات

(٢) الاعلام للزركلي جـ٤ ص ٧٠

للأستاذ محمد عميره على

(سنة ١٢٦٧ م) مؤرخ . محدث . باحث أصله من القدس . ومولده فى دمشق ، وبها منشؤه ووفاته .

ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية ، ودخل عليه اثنان فى صورة مستفتيين فضرباه فمرض ومات . له « كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : الصلاحية والنورية » و « ذيل الروضتين » سماه ناشره « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » و « مختصر تاريخ ابن عساكر » خمس مجلدات و «المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » فى المكتبة البديرية بالقدس ، وكتابان فى « تاريخ دمشق » أحدهما كبير فى خمسة عشر جزءا والثانى فى خمسة أجزاء وله « ابراز المعانى » فى شرح الشاطبية وغير ذلك ووقف كتبه ومصنفاته جميعها فى الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها . ولقب أبا شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الايسر .

وقيل عنه فى طبقات الشافعية الكبرى (١) كان أحد الأئمة قرأ على السخاوى وعنى بالحديث فسمع بنفسه من دواوين ملاعب واحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفق وطائفة ، وبرع فى فنون العلم . وقيل بلغ رتبة الاجتهاد ومن محاسنه (كتاب نور المسرا فى تفسير آية الاسرا واختار فيه أن الاسراء بالنبى — صلى الله عليه وسلم — الى بيت المقدس والى السموات وقع مرتين أو مرارا تارة فى المنام وتارة فى اليقظة .

قال : وعلى ذلك يخرج جميع الأحاديث على اختلاف عبارتها والاختلاف فى المكان الذى وقع فيه الاسراء قال : وهذا القول نصره الامام أبو نصر بن الاستاذ أبى القاسم القشيرى فى تفسيره واختاره أيضا أبو القاسم السهيلى وحكاه عن شيخه أبى بكر بن العربى وحكاه ابن المهلب بن أبى صفره فى شرح البخارى عن طائفة من العلماء ، وتعقب فيه قول السهيلى مستدركا قول أهل اللغة أن أسرى وسرى لغتان بمعنى واحد اتفقت الروايات على تسميته اسراء ولم يسمه أحد سرى فدل على أن أهل اللغة لم يتحققوا العبارة الى آخر ما ذكر السهيلى .. الخ .

وقد ابتدأ المؤلف العلامة أبو شامة رحمه الله شرحه على الشاطبية المسمى (كتاب ابراز المعانى من حرز الأمانى) .

فقال : « الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه وأفاض لدينا منه وأنزل الينا كتابه الذى فصل آياته فأحكمه وأتقنه ، وجعلنا من حملته وخدام شرعه الذى علمنا فروضه وسننه ، وخصنا بارسال أكرم الخلق عليه الذى طهر

(١) جـ ٥ ص ٦١ .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

قلبه وأظهر لسنه وجعل خير الناس أمته وخير القرون قرنه الذى به قرنه أبى القاسم محمد ابن عبد الله خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه وعلم أوليائه الذى زان عصره وشرف زمنه ، صلوات الله وسلامه عليه ما قصد (شام) شامة وبلغ يمان يمنه ، وعلى آله الأبرار الممتثلين أمره المقتفين سننه ، وعلى أصحابه الكرام الذين منهم من آواه ونصره ومنهم من هجر لأجله أهله وماله ووطنه ، وعلى كل من تبعهم باحسان فى جميع الأزمان ممن اتخذ طاعة ربه سكنه ، ووافق فى الصلاح سره وعلنه ، وجعلنا ممن أصغى للمواعظ فى الدنيا أذنه وأذهب عنه فى الآخرة حزنه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

ثم قال : « ان أولى ما أفنى فيه المكلف عمره وعلق به خاطره » وأعمل فيه فكره تحصيل العلوم النافعة الشرعية واستعمالها فى الأعمال المرضية ، وأهم ذلك علم كتاب الله تعالى الذى تولى سبحانه حفظه لفضله وأعجز الخلائق أن يأتوا بمثله وجعل ذلك برهانا لتصديق رسالة من أنزل عليه وأخبر أن الباطل لا يأتيه من خلفه ولا من بين يديه .

واستطرد — رحمه الله فى شرحه فقال : ان العلوم المتعلقة به كثيرة وفوائد كل علم منه غزيرة ، لكن الأهم أولا اتقان حفظه وتقويم لفظه ولا يحصل ذلك الا بعد الاحاطة بما صح من قراءاته وثبت من رواياته ليعلم بأى لفظ يقرأ وعلى أى وجه يروى ، والقرآن كلام الله تعالى منقول نقل التواتر عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، الذى أنزل اليه لم يزل فى كل حين وجيل ينقله خلق لا يحصى ويبحث عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى .

وذكر انما يعد أهل العلم منهم من كثرت عنايته به واشتهر عند الناس بسببه الامام أبو عبيد القاسم بن سلام — رحمه الله تعالى — فى أول كتابه فى القراءات تسمية من نقل عنهم شىء من وجوه القراءات من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر أئمة المسلمين فذكر الخلفاء الاربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم من المهاجرين — رضى الله عنهم أجمعين — وذكر من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل ومن التابعين بالمدينة ابن المسيب وعروة وسالما وعمر بن عبد العزيز وبمكة عبيد بن عمر وبالكوفة علقمة والأسود وبالبصرة عامر بن عبد قيس وبالشام المغيرة ابن شهاب . قال : ثم تجرد قوم للقراءة فاشتدت بها عنايتهم حتى صاروا أئمة يأخذها الناس عنهم وهم خمسة عشر رجلا من هذه الامصار الخمسة .

ونقدم للقارىء نموذجا من شرحه لأبيات الشاطبية قال :

بدأت ببسم الله فى النظم أولا تبارك رحمانا رحيما وموئلا أى قدمت باسم الله الرحمن الرحيم فى أول نظمى هذا يقال : بدأت بكذا اذا قدمته . فالباء الأولى لتقوية الفعل والثانية هى التى فى أول البسملة أى

بـدأت بهـذا اللفظ والنظـم الجمـع ، ثم غلب على جمع الكلمات التى انتظمت شعرا، فهو بمعنى منظوم . أو مصدر بحاله . (واللام) فى النظم للعهد المعلوم من جهة القـرينة وهى قائمة مقام الاضافة ، كقوله تعالى : (فِى أَدْنَى الْأَرْضِ) اى فى نظم نزله منزلة المعـروف المشهور تفاؤلا له بذلك ، أو أراد فى هـذا النظم نزله منزلة الموجود الحاضرفأشار اليه كقوله تعالى : (هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) و (أولا) نعت مصدر محذوف أى فى أن نظمت نظما أول . أى أنه مبتكر لم يسبق اليه وهو نظم قصيدة على روى واحد فى مذاهب القراء السبعة موجزه بسبب ما اشتملت عليـه من الرموز .

وقد تشبه به قوم فى زماننا فمنهم من سلك مسلكه مختصرا لها ومنهم من نظم فى مذاهب القراء العشرة زاد رواية أبى جعفـر المدنى ويعقوب الحضرمى وخلف البزار فيما اختار ، والفضل للمتقدم الذى هـو أتقى واعلم ، (فالألف) فى قوله أولا على هذا الوجه للاطلاق لأنه غير منصرف ، ويجوز أن يكون الألف بدلا من التنوين على أن يكون أولا ظرف زمان عامله بدأت او النظم اى بدأت فى أول نظمى ببسـم الله . او بدأته ببسـم الله فى نظمى الواقع اولا فهو كقول الشاعر :

فسـاغ لى الشراب وكنت قبلا

(والبركة) كثرة الخير وزيادته واتساعـه وشىء مبارك أى زايد تام وما لا يتحقق فيه ذلك يقدر فى لازمه وما يتعلق به كقوله تعالى: (وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ) (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) ، أى كثير خير ذلك وما يتعلق به مـن الأجر .

وتبارك تفاعل من كتعاظم من العظمة وتعالى من العلو .

وقيل : انه فعل لم يتصرف أصلا لا يقال يتبارك وغيره ، **ثم كمل لفظ البسملة بقـوله** رحمانا رحيما ، وزاد قوله وموئلا وهذا المعنى زاد دخول الواو فيها حسنا . والموئل المرجع والملجأ وهو وان لم يكن لفظ ثابت الاطلاق على الله تعالى من حيث النقل فمعناه ثابت نحـو (اليه مرجعكم والى الله المصير) .. الخ .

وقد دون المؤلف ــ رحمه اللـه ــ أبيـات الشاطبية بالمداد الاحمر ولا نعلم ان كانت بخط المؤلف أو احد تلاميذه ، والنسخة فيما نعلم ليس لها نظير فى المكتبات الاخرى وتعتبـر من المخطوطات النادرة ، ورتب المؤلف شرحـه حسب ترتيب سور القرآن الكريم ، والنسخة موضوع البحث كاملة لا نقص فيهـا مكتوبة بخط النسخ الجيد تسهل قراءتها وعدد أوراقها ٣١٢ ورقة وأسطرها مختلفة .

ومكتبة الأزهر لا تألو جهـدا فى أن تقدم لقراء مجلة الأزهر تعريفا بقـدر استطاعتها عن المكنون من ذخـائرها فى مخطوطاتها النادرة من حيث نوعيتهـا وأقدمية تأليفها نفع الله المسـلمين بما تركه السلف الصالح من علم ينتفع به ومعين لا ينضب ما بقى الزمن .

مـدير
مكتبة الأزهر
محمد عميرة على

في اللغة والأدب والنقد

■ أدب الرافعى فى خدمة العروبة والإسلام

■ الجملة النحوية

■ العقد الفريد.. لابن عبد ربه

■ فى حاشية الأمير

■ دراسة عن مجلة الشباب وعلوم المستقبل



حتى..

معانيها.. واستعمالاتها

حتى حرف يأتي لافادة معان ثلاثة :
١ ـ انتهاء الغاية وهو الغالب ، ٢ ـ التعليل ، ٣ ـ وبمعنى (الا) في الاستثناء وهو اقلها ، وقل من يذكره من النحويين .

استعمالاتها : تستعمل حتى على ثلاثة اوجه : ١ ـ جارة بمنزلة (الى) ، ٢ ـ عاطفة كالواو ، ٣ ـ أن تكون حرف ابتداء .

حتى الجارة

الاستعمال الأول لحتى استعمالها حرف جر كالى في المعنى والعمل ، كقول ابن خفاجة الأندلسي :

فحتى متى أبقى ، ويظعن صاحب ؟
أودع منه راحلا غير آئب

ولكنها تخالفها في أمور ثلاثة :

أولها : أن المجرور بها له شرطان :
شرط عام ، وهو أن يكون ظاهرا لا مضمرا خلافا للكوفيين والمبرد ، وأما قول الشاعر :

انت حتاك تقصد كل فج
ترجى منك انها لا تخيب

فهو ضرورة .

واختلف في علة منع جرها المضمر . فقيل : لأن مجرورها لا يكون الا بعضا أو كالبعض مما قبلها ولا يجوز عود ضمير البعض على الكل ، ويرد هذا التعليل أن الضمير قد يكون حاضرا (ضمير مخاطب) كما في البيت فلا يعود على ما قبل حتى ، كما أنه قد يكون ضمير غيبة عائدا على ما تقدم غير الكل نحو : محمد أكرمت الوفد حتاه .

وقيل : علة المنع التباسها بالعاطفة ، ويرد هذا : أنها لو دخلت على الضمير لقيل في العاطفة مثلا : قام القوم حتى أنت وأكرمت القوم حتى اياك بفصل الضمير عنها ، لأن الضمير لا يتصل بعامله العاطف .

وقيل في الخافضة : حتاك بالوصل كما في البيت ، وحينئذ فلا التباس .

الشرط الثاني خاص بالمسبوق بمعطوف عليه ذي أجزاء ، وهو أن يكون آخر تلك الأجزاء نحو : أكلت السمكة حتى رأسها أو متصلا

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي

بالآخر نحو قوله تعالى : (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

ثانى الأمور التى تخالف حتى فيها « الى »، هو أنها اذا لم يكن معها قرينة تقتضى دخول ما بعدها كما فى قول الشاعر :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله
والزاد ، حتى نعله ألقاها

أو عدم دخوله كما فى قوله :

سقى الحيا الأرض حتى أمكن عزيت
لهم فلا زال عنها الخير مجدودا

حمل على الدخول ، عكس ما بعد « الى » فانه يحكم بعدم دخوله على الغالب فى الحالتين .

وقد ادعى شهاب الدين القراف أنه لا خلاف فى دخول ما بعد حتى ، وهذا غير صحيح فالخلاف واقع مشهور وانما المتفق على دخوله هو ما بعد حتى العاطفة لا الخافضة ، والفرق أن العاطفة بمعنى الواو .

ثالثها : أن كلا من حتى والى قد ينفرد بموضع لا يصلح فيه الآخر ، فمما انفردت به « الى » أنه يجوز أن تقول : تحدثت الى رئيس المدينة ، وأنا الى على ، أى أننى وفى مخلص له ومعين له فى كل أموره ، وسرت من السويس الى الاسماعيلية ، ولا يجوز : تحدثت حتى رئيس المدينة ، ولا حتى على ، وحتى الاسماعيلية . ومما انفردت به حتى وقوع الفعل المضارع المنصوب بعدها نحو : حثثت السير حتى أدخل المدينة قبل حلول الظلام على تقدير حتى أن أدخل المدينة ، وأن المضمرة هذه والفعل المضارع فى تأويل مصدر مجرور بحتى وانما نصب الفعل بعد حتى بأن مضمرة لا بحتى نفسها كما زعم الكوفيون ، لأنه قد ثبت واشتهر أن حتى تجر الأسماء وما يعمل فى الأسماء لا يعمل فى الأفعال ، وكذلك العكس .

وحتى هذه الداخلة على المضارع المنصوب لها ثلاثة معان :

١ — مرادفة « الى » فى الجر نحو قوله تعالى : (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ) ، ٢ — تعليلية بمعنى (كى) نحو قوله سبحانه : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) ، وقوله : (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا) .

ونحو قولك : (أخلص العمل حتى تظفر بالاحترام) ويحتمل المعنيين (مرادفة « الى » والتعليل) قوله تعالى : (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) ، ثالثها : أن تكون بمعنى (الا) فى الاستثناء ، وهذا المعنى يفهم من قول سيبويه فى تفسير قولهم : (والله لا أفعل الا ان تفعل) المعنى : حتى أن تفعل ، فجعل حتى مرادفة « الا » ، وحالة محلها ، كما

يفهم بوضوح أيضا مما أنشده ابن مالك من قول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وأيضا قول امرىء القيس :

والله لا يذهب شيخي باطلا
حتى أبير مالكا وكاهلا

لأن ما بعد حتى في البيتين ليس غاية لما قبلها فتكون بمنزلة الى في الجر ، ولا مسببا عنه فتكون تعليلية .

وجعل ابن هشام من هذا القبيل الحديث المشهور (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه) لأن زمن الميلاد لا يطول ويمتد فتكون حتى فيه للغاية ، وليست الولادة على الفطرة علة لتهويد المولود أو تنصيره ، فتكون حتى فيه للتعليل ، ويمكن تخريجه على وجه آخر ، وهو تقدير جملة محذوفة ، أي كل مولود يولد على الفطرة، ويستمر كذلك حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه .. الخ .

حكم الفعل المضارع بعد حتى الجارة

الفعل المضارع الواقع بعد حتى الجارة يأتي منصوبا ومرفوعا ، فينصب اذا كان مستقبلا ، ثم ان كان استقباله بالنسبة الى زمن التكلم فنصبه واجب نحو قوله تعالى في (سورة البقرة) : **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)**

وقوله سبحانه (في سورة الانعام) : **(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)** . وقوله عز شانه (في الأعراف) : **(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)** وقوله أيضا في سورة التوبة : **(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)** وقوله تعالى في سورة يوسف : **(قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)** وقوله في سورة الرعد **(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ)** وقوله جل علاه في سورة الكهف : **(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)** وقوله سبحانه في سورة طه : **(قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)** .

وأمثلة هذا النوع من الكتاب العزيز بينة موفورة .

وان كان استقباله بالنسبة لما قبلها خاصة جاز نصبه ورفعه ، وقد قرىء بالوجهين (النصب والرفع) قوله تعالى : (وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؟) فاستقبال الفعل هنا بالنظر الى وقت الزلزال لا بالنظر لوقت سرد القصة علينا فى زمن التكلم ، فقراءة نافع بالرفع بتقدير حتى حالتهم حينئذ أن الرسول والذين معه يقولون كذا وكذا ويرتفع الفعل بعد حتى اذا استوفى شروطا ثلاثة :

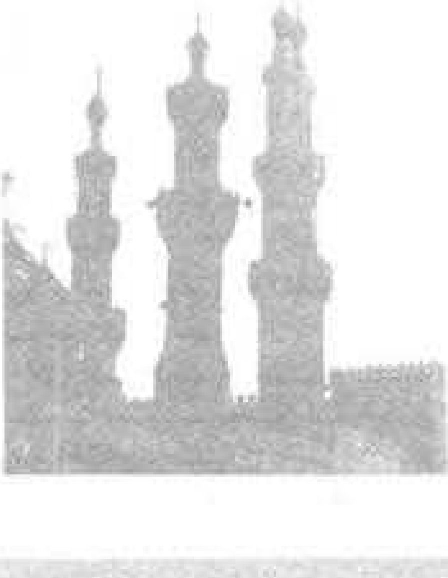
أولها : أن يكون للحال أومؤولا بالحال ، فان كانت حالية بالنسبة لزمن التكلم وجب رفعه كقولنا : سار محمد حتى يدخلها اذا قلنا ذلك حال دخوله ، وان كانت حالية محكية وليست حقيقة يرفع ، ويجوز نصبه اذا لم تقدر الحكاية كالآية آنفة الذكر •

ثانيها ، أن يكون مسببا عما قبلها ، فلايجوز أن تقول : سرت حتى تطلع الشمس ، ولا أن تقول : ماسرت حتى أدخلها ، ولا ، هل سرت حتى تدخلها ، لأن طلوع الشمس لا يتسبب عن السير ، وأن الدخول لايتسبب عن عدم السير ، وأما المثال الثالث (هل سرت حتى تدخلها) فالسبب مشكوك فى وجوده • ويجوز أن تقول : أيهم سار حتى يدخلها ؟ ومتى سرت حتى تدخلها ؟ لان السير الذى هو سبب الدخول محقق ، وانما المشكوك فيه هو عين الفاعل ، وعين الزمان •

وأجاز الأخفش الرفع بعد النفى على تقدير أن الكلام أصلا ايجاب ثم دخلت أداة النفى على مجموع الكلام بأسره لاعلى ماقبل حتى خاصة ، وسيبويه لايمنع الرفع بعد النفى اذا كان مسلطا على جملة الكلام بمجموعه لكنه يمنعه اذا كان النفى منصبا على السبب خاصة ، وهذا موضع اتفاق بينهم •

ثالثها : أن يكون فضلة ، فيمتنع أن تقول : سيرى حتى أدخلها لكيلا يبقى المبتدأ بغير خبر ، لأن المرفوع بعد حتى مستأنف ، وكذلك كان سيرى حتى أدخلها ان قدرت كان ناقصة، لئلا تبقى بغير خبر ظاهر أو مقدر ، فان قدرت كان تامة جاز الرفع •

للاستاذ : احمد حسن عبد العواض هلالى



الجُملة النحْويّة

ثانيًا

الجملة التى تشتمل على فعل

ثانيا — الجملة التى تشتمل على فعل :

والفعل فيها يكون مسندا ، ومثل هذه الجملة قد تكون اسمية ، وقد تكون فعلية ، وفعل هذه الجملة قد يكون ماضيا ، وقد يكون مضارعا ، ثم الجملة مع الفعلين تكون مثبتة او منفية(١) وقد دل الاستقراء على ان موقف المسند اليه فى جملة الماضى غيره فى جملة المضارع ، وعلى انه فى الجملة المثبتة غيره فى الجملة المنفية او الاستفهامية(٢) .

أ — فالجملة التى اشتملت على فعل ماض وخالية من النفى ، نظامها يكون بذكر المسند أولا فالمسند اليه ثانيا ، تقول : حضر محمد ، وقد يوجد غير هذا النظام ، فيقدم المسند اليه ويؤخر المسند ، ويكون هذا النظام أسلوبا من أساليب القصر والحصر .

ب — أما الجملة الماضوية المنفية أو الاستفهامية — ولا تكون أداة النفى بين المسند والمسند اليه ، فلا نكاد نعثر فى الأساليب الصحيحة على شىء يشبه «أنا ما فعلت هذا»(٣) — فأكثر الترتيب فى مثل تلك الجمل يكون بتقديم أداة الاستفهام أو النفى — لأن لهما الصدارة كما يقول : النحاة — فالمسند والمسند اليه ، تقول : هل حضر محمد ؟ ، وما حضر محمد ، فاذا حصل تقدم للمسند اليه على المسند أحسسنا أن كلا من المتكلم والسامع يفترض أن الحديث قد حصل ووقع وكان ، وأن موضع نفيه أو استفهامه هو المسند اليه نفسه وبذاته ، فعليه ينصب النفى أو الاستفهام ، أما نفى وقوع الحدث أو الاستفهام عن وقوعه فأمر ثانوى يفهم تبعا فى مثل هذا الأسلوب ، ولذا فهذا الأسلوب طريق آخر من طرق القصر والحصر(٤) .

---

١ — انظر أسرار اللغة ٣٠٦ .
٢ — أسرار اللغة ٣٠٧ .
٣ — من أسرار اللغة ٣١٢ .
٤ — المرجع السابق .

للدكتور محمد زين العابدين حسن سلامة

وقد وقع مثل هذا الترتيب في القرآن قال تعالى «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم»(١) «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» (٢) . فالحدث قد وقع فعلا ، فقد كسرت الأصنام ، وقد قيل للناس اتخذوا عيسى وأمه الهين ، ولكن الاستفهام الانكاري منصب على المسند اليه ، فهو محل التساؤل ، أما هذا الترتيب في الأسلوب مع النفي فلم يقع في القرآن الكريم(٣) .

جـ ـ الجمل المثبتة التي اشتملت على فعل مضارع لها صورتان :

الصورة الأولى : تبدأ بالمسند يليه المسند اليه ، تقول : يذهب علي ، وهذه الصورة هي الكثيرة الشيوع ، ولا يكاد يعرض للمضارع فيها تغيير ـ فلا تلحقه علامة تثنية أو جمع في المشهور ، وقد تلحقه علامة تأنيث وقد لا تلحقه ، على تفصيل يعرف في باب الفاعل في النحو .

الصورة الثانية : أن يتقدم المسند اليه ، فنقول : علي يذهب ، وحينئذ يجب أن تعد الجملة جملة اسمية ، والمضارع حينئذ يجب مطابقته للمسند اليه .

د ـ الجملة المضارعية المنفية :

والصورة الشائعة لهذه الجملة في ترتيبها هي : أداة النفي فالمسند فالمسند اليه ، تقول : لم يحضر علي ، وهذه جملة فعلية ، ويندر أن يسبق فيها المسند اليه المسند ، مع تقدم أداة النفي على الجمع(٤) ، أما اذا توسطت أداة النفي بين المسند اليه والمسند ، نحو : محمد لا يلعب في الحديقة ، فهذا استعمال كثير ، ويعد هذا الاستعمال جملة اسمية ، وذهب د/ ابراهيم أنيس ، الى أن مثل هذه الجملة لا تعد من الناحية اللغوية جملة منفية ، بل هي كالمثبتة تماما (٥) .

الاعتراض بين جزأي الجملة :

الاعتراض في الجملة الواحدة ورد في النصوص الصحيحة بالجمل الدعائية ـ مثل : ويل له ، لا فض فوه ، رحمه الله ، أيده الله وبالقسم والشرط والنداء والجار والمجرور والظرف .

على أن النحاة حين يعرضون للفصل بين

١ ـ الانبياء ٦٣ .
٢ ـ المائدة ١١٦ .
٣ ـ من أسرار اللغة ٣١٢ ـ ٣١٣ .
٤ ـ المرجع السابق ٣١٧ .
٥ ـ من أسرار اللغة ٣١٦ .

الجملة النحوية

جزأى الجملة الواحدة ، يرون بعض الأجزاء أوثق فى ارتباط بعضها ببعض من الأجزاء الأخرى ، فبينما يجيزون الفصل بين المسند والمسند اليه ، وبين النعت والمنعوت ، وبين القول ومقوله ، نراهم يتحرجون من الفصل بين العدد والمعدود ، وبين المضاف والمضاف اليه ، ويختلفون فى هذا اختلافا كبيرا – انظر المغنى والتصريح وشرح المفصل وشرح الكافية .

ومن أمثلة الجمل الاعتراضية الحسنة ، ما ورد فى القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : « وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ »(١) ، « وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ »(٢) ، « قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »(٣) ، « إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ »(٤) .

موقع غير المسند والمسند اليه فى الجملة :

غير المسند والمسند اليه هو ما يطلق عليه البلاغيون « متعلقات الاسناد » وهو ما يسميه النحويون بـ « الفضلات » ويشمل هذا أشياء كثيرة ، كالمفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه ، والاستثناء ، والتمييز ، والحال ، والجار والمجرور ، والظرف ، وغير ذلك مما تزخر به كتب النحاة .

هذه الأمور ما مكانها فى الجملة ؟ لقد عالج البلاغيون هذا بأن أرشدونا الى دستور علم يبين موضعها فى الجملة ، فقرروا أن الأصل فيها التأخر ، أى تكون فى أواخر الجمل ، ولا تتقدم على المسند اليه الا لنكتة بلاغية ، ولا تتقدم على ركنى الاسناد الا حين يراد التخصيص أو التأكيد ، تاركين تفصيل هذه الأحكام لكتب النحاة .

فاذا رجعنا الى قواعد النحاة المدونة فى كتبهم وجدنا تطويلا وتفصيلا وخلافا فى بيان الحكم الاعرابى ، يكاد يغمر تلك المتعلقات وموضعها من الكلام ، وهم قد يشيرون الى مكانها ولكن مع ذكر الاختلافات الطويلة بينهم ، وليس هذا مقام تتبع مكان هذه المتعلقات ، فلنرجع الى كتب النحاة والتعرف على ما فيها من أحكام ، وذلك لكى نبنى جملا خالية من المخالفات النحوية .

نظام الجملة فى الشعر :

ماسبق هو نظام الجملة فى النثر ، فهل هو نفس نظامها فى الشعر ؟ لا شك أن الأمر يختلف، لأن الشعر له نظام يترتب عليه مخالفته لنظام الجملة فى النثر .

فالشعر له نظام من معالمه :

أن له موسيقى هى الأوزان والقافية .

وانه يتخذ من ألفاظ اللغة قدرا خاصا يحرص عليه الشعراء المجيدون أشد الحرص .

وهو يهدف الى العاطفة والخيال ، فيحلق مع

---

١ – الاعراف ١٤١ .
٢ – البقرة ٧٠ .
٣ – الانعام ١٥ .
٤ – الانعام ٢٣ .

خياله ، وينتزع من قريحته صورا لا تكاد تخطر على بال ، وأنه يكثر فيه أسلوب المجازات والاستعارات ، رغبة من الشاعر فى تجلية صوره وأخيلته .

وأن الألفاظ تشحن فيه بأكبر قدر من المعانى، فالشاعر لا يكتفى بما تدل عليه الألفاظ والتعابير من معنى حقيقى واضح الحدود فى أذهان الناس ، بل يستغل الى أبعد حدود الاستغلال ظلال المعانى ، وما توحى به العبارات مع معناها من ذكريات وتجارب ذات أثر قوى فى النفوس، فالايجاز فى اللفظ والاطناب فى المعانى من سمات الشعر ، ومن أهم أهداف الشعراء ، ويكفى أن يحاول أحد نثر أبيات لشاعر مجيد ، ليتضح له أن ما تتطلبه تلك الأبيات من عبارات نثرية تزيد كثيرا عما تتضمنه تلك الأبيات من ألفاظ ، لأنه سيوضح معانى الألفاظ المباشرة ، ثم ما يوحيه الشعر من ظلال المعانى ، وما يثيره من الخواطر والعواطف ، وان لم يعبر الشعر عنها تعبيرا مباشرا فى ثوب من الألفاظ والجمل .

وقد ترتب على رغبة الشاعر فى شحن الفاظه المختارة بقدر كبير من المعانى ، مع استعمال الأخيلة وأسلوب المجاز ، وفى نفس الوقت مع المحافظة على الوزن ، ان عمد الى نظام خاص به نابع من نفسه فى ترتيب تلك الألفاظ ، فرارا من المألوف المعهود فى نظام النثر الذى يقيده ويحدده ، ــ وهو بطبعه ميال الى الحرية والتحليق بلا قيود ــ وأدى مثل هذا الى أن شهدنا للشعر صفة خاصة به فى ترتيب كلماته .

ولكن ما نشهده فى نظام الشعر لا يصل عادة الى أن يصبح ذا كيان مستقل عن نظام النثر ، بل يشترك مع نظام النثر حينا ، وينفر منه حينا آخر ، دون أن يعمد الشاعر الى مثل هذا الخروج ، أو يلتمسه قصدا ، بل يرد فى نظمه وهو لا يكاد يشعر بوروده ، حتى يفد اليه أحد اللغويين فيدله عليه ويلفت نظره اليه ، وهنا قد يثور الشاعر لفنه ، وتنشب تلك الخصومات بين الشعراء واللغويين القدماء ، كالذى حصل بين الفرزدق وعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى(١)

اذن فالشعر له نظام فى ترتيب جمله ، يخالف ترتيب جمل النثر التى ذكرت سابقا ، وذلك فى القليل النادر ، والشعراء لا يقصدون الى مثل هذه المخالفة ، ولا يعمدون الى شىء منها ، بل ترد فى النظم وهم لا يكادون يشعرون بوجودها وكان هذا النظام الخاص بالشعر بسبب ما له من معالم تميزه عن النثر .

نظم الجملة :(٢)

الكلمة أو العبارة حين ترهق بالقيود والأغلال تصاب بالجمود وتحرم الطواعية والنماء ، وتتوقف عن أن تكون رباطا وسجلا ومستودعة للحياة ، وحينئذ لا تروق ولا تشوق ، ولاتسعف ولا تطرف فى عصر التكنولوجيا المتغير المتجدد ، ولكن اذا نفض ما علاها من قيود ، تنطلق فى التعبير وتستوعب الجديد ، وتجد فى الترجمة ، وتسهم فى حضارة العصر بالتعبير والتسجيل ،

---

١ ــ انظر نزهة الالباء ١٩ . وطبقات الزبيدى ٣١ . والقاضى الجرجانى وكتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه . د. صلاح عبد التواب ــ دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٥ص ١٤٥ . والموشح ١٠٢ . والشعر والشعراء ١١ ، ١٢ .

٢ ــ انظر مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٢٨ . وجريدة الاهرام العدد ٢٥٣٠٦ .

الجملة النحوية

وذلك فى اطار التعابير الواضحة ، والكلمات الجليلة الظاهرة .

ان فى العربية صيغ عويصة ، وجلاميد صخر شديدة ، فما المانع من استبعاد هذا ؟ ، ثم اصطفاء : الرائق الجميل من صورها وعباراتها وما أكثره،مع ملاحظة أن فى العربية سعة وفنونا من الاستعمال ، فاذا تعسر بناء من الأبنية ، أو ثقل أسلوب من الأساليب ، صرفنا الى شيء آخر ، أليس سهلا أن نلجأ الى أسلوب الاضافة فنقول : « أنظمة التسوية » بدلا من أسلوب « الأنظمة التسووية » والاضافة تؤدى ما يؤديه أسلوب النسب ، وبذلك نتخلص من الثقل البغيض،الحاصل من اجتماع الواوين فى حشو الكلمة الواحدة ، وهى « التسووية » .

والحشو — عامة — فى الجمل ليس من الرائق الجميل فى اللغة ، وذلك لأنه ينزل بالكلمات منزلة الدرك الأسفل ، ويجعلها مضغاضة خالية من محتواها الحقيقى ، فقوة الجملة وحيويتها تكمن فى خلوها من الحشو ، مع أقصى مايكون من الدقة ، لأن للجملة المفيدة حجم يأخذ حظا من الزمان ومن المكان يجب الا يتعداه ، فأحسن الكلام كما يعرفه الجاحظ « ماكان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه »(١) .

والكلام السهل الذى يخاطب آلاف الناس ، أو الذى تقرؤه الجماهير ، يعتمد على القدرة فى تبسيط المادة ، وعرضها فى أسلوب شيق ممتع ، هذه البساطة فى تركيب الكلام ، هى التى تجذب أنظار الناس لكاتب معين يقرأون له ، أو لمتحدث محدد يستمعون له ، ويتحدثون عنهما ، ولن تقوم الصلة الوثيقة بين كاتب وقرائه ، أو بين متحدث ومنصت ، الا عندما يصل ببساطة لغته وبراعة أسلوبه الى عقول الناس .

والمواد المقروءة أو المسموعة تتأثر تأثرا مباشرا بمدى سهولة الكلمات والجمل التى تشتمل عليها فى نظمها وتركيبها ، فكيف نحقق ذلك ، ونصل الى كلمات وجمل سهلة ميسورة فى نظمنا لأسلوبنا ؟ هناك أمور لو راعيناها حققنا ذلك .

اولا — فى الكلمات :

لكى نصل الى كلمات سهلة علينا أن نراعى الأمور الآتية :

١ — الكلمة الشائعة التى يكثر تكرارها وتداولها أسهل من غيرها ، فكلمة « رجل » أسهل من كلمة « زميل » لشيوع الأولى .

٢ — الكلمات القصيرة أسهل من الكلمات الطويلة ، فالكلمة تزداد صعوبة تبعا لزيادة عدد حروفها ، لأن الكلمة الطويلة ثقيلة فى النطق والهجاء والاستعمال ، وعلى ذلك فكلمة « دار » أسهل من كلمة « منزل » لأن الأولى مكونة من ثلاثة حروف ، والثانية مكونة من

١ — البيان والتبيين ١/١٨٦ .

أربعة ، ولذلك كانت الكلمات الثلاثية كثيرة في اللغة لحفظها وسهولتها .

٣ ــ نوع الكلمة يحدد مستوى سهولتها ، فالأسماء أقرب الى السهولة من الأفعال ، لأنها تدل على وجود ذاتي أو معنوى ، أما الأفعال فأحداث في زمن ، والزمن أكثر تجريدا من معنوية الأسماء ، ولذلك كانت الأسماء أصلا للأفعال ، وبالتالى أكثر دورانا وتكرارا من الأفعال ، ثم أسماء الذوات أسهل من أسماء المعنى ، فمثلا كلمة « قلم » أسهل في ادراكها من كلمة « فكر » ، لأن الكلمات الحسية أسهل الى الفهم ، وبالتالى أسرع الى التداول ، وهكذا يحدد مفهوم الكلمة مدى شيوعها ومستوى سهولتها .

٤ ــ الضمائر الشخصية سبب في سهولة الكلمة ، لأن الحديث عن النفس ممتع جذاب ، ولذا فالضمائر الشخصية تؤثر في سهولة استعمال الكلمة ، والفهم المباشر لها ، فعندما تحدث انسانا عن نفسه فانه يهتم بحديثك أكثر من اهتمامه بحديثك عن شخص آخر ، أو موضوع غير شخصى ، ولذا تكثر الضمائر الشخصية في حوار الناس وحديثهم ، مثل « أنا وأنت » وغير ذلك مما يثير مباشرة الفرد ، ولعل هذا هو أحد الأسباب التى تجعل الناس يميلون الى قراءة القصص والروايات ، لأنها تعبر بطريق مباشر أو غير مباشر عن شخصياتهم وعواطفهم وآمالهم وآلامهم ، والقصة الناجحة هى التى تمس أعماق النفس ، فتثير الانفعال والاعجاب .

٥ ــ الكلمات الغريبة في رسمها أو معناها تحدد مستوى سهولة الكلمة ، فسهولة العبارات تتأثر بنسبة الكلمات الشاذة الغريبة التى تحتوى عليها ، لأن هذه الكلمات تعوق الفهم ، وتحول بين الفرد وبين التعرف الصحيح على الكلمة ، لغرابة رسمها ، أو لغموض معناها ، أولهما معا ، ولذا يستحسن تجنب استخدام الأوزان غير الشائعة لبعض الأفعال ، مثل « يئس » فـ « أيس » أسهل منها ، وتجنب الألفاظ الثقيلة ، مثل « استحجر » فـ « تحجر » أسهل منها ، والمصطلحات الدقيقة ، مثل « المصادق » فـ « المراجع » أسهل منها ، والكلمات التى تحتمل أكثر من معنى ، مثل « عين » بمعنى جهاز الابصار في الانسان ، وبمعنى بئر الماء ، وبمعنى جاسوس ... ، لأن مثل هذه الكلمات غامض الدلالة ، تتعب في الفهم ، فيحار الانسان في تحديد المراد منها ، كذلك يجتنب ما أمكن استخدام الأسماء المقصورة مثل « صرعى » لاختلاف نطقها عن اسمها .

هذه أمور لو روعيت لأمكن الوصول الى كلمة سهلة خفيفة نطقا وكتابة وفهما .

ثانيا ــ سهولة الجمل :

الجمل المناسبة تؤثر على بساطة الأسلوب وسرعة فهم الفكرة ، ولذا يجب أن تخضع الجملة في فكرتها وصورتها وبنائها للوضوح ، حتى تؤدى هدفها في تيسير القراءة ، وسلامة التعبير ، وتقاس سهولة الجملة بما يأتى :

الجملة النحوية

١ ـ البساطة الفكرية للجملة : فالجملة الكاملة تؤدى معنى ، ويختلف مستوى صعوبة الجملة أو سهولتها تبعا لعدد الأفكار التى تشتمل عليها ، ولذا يجب أن تحتوى الجملة على جزء محدود من الفكرة التى تقوم عليها الفقرة ، فعلاقة الفقرة بالجملة هى علاقة الفكرة بأجزائها .. ولذا يجب ألا تختلط هذه الأجزاء ، بل تتتابع فى انتظام ونسق واضح ، بحيث تؤدى فكرة أية جملة الى فكرة الجملة التى تليها .

وهكذا تتحقق البساطة الفكرية للجملة ، وتصبح قراءتها سهلة ، وفهمها ميسورا .

٢ ـ طول الجملة يؤثر فى سهولتها ، فالجملة القصيرة جدا قد تؤدى الى الايجاز المخل ، وهذا الايجاز يعوق فهم المعنى ، كما أن الجملة الطويلة جدا تؤدى الى الاطناب الممل ، والاطناب الكثير يؤدى الى الكلل ، وتشتت الانتباه ، وقد يؤدى أحيانا الى اختلاط الجملة بالفقرة ، ولذا يجب أن يكون طول الجملة مناسبا لمستوى القارىء .

٣ ـ نوع الجملة يؤثر فى سهولتها : فالجمل الاسمية أبسط وأسهل من الجمل الفعلية ، لأنها تبدأ بالاسم ، الذى هو فى الأغلب والأعم أسهل من الفعل ، لذا فالأفضل أن نعتمد على الجمل الاسمية فى انتاج مواد القراءة السهلة ، والمواد المسموعة الميسرة .

٤ ـ التقديم والتأخير يزيد فى صعوبة الجملة : يتقدم المبتدأ على الخبر فى الصورة الأصلية للجملة الاسمية ، ولكن عندما يتقدم الخبر على المبتدأ يزداد تعقيد الجملة ، لأنها تخرج بذلك عن الصورة المألوفة لها ، لذا فالأحسن أن نراعى الصورة المألوفة للجملة الاسمية ـ مع المحافظة على قواعد النحو ـ منعا لتشتت الفكر وبطء الفهم ، وبخاصة مع المستويات الأولى .

٥ ـ تباعد مكونات الجملة يزيد من صعوبتها: يراعى أن نتجنب التباعد الكبير بين المبتدأ أو الخبر ، أو بين اسم « ان » وخبرها ، أو اسم « كان » وخبرها ، أو بين الشرط وجوابه ، أو بين الضمير والاسم الذى يعود اليه ، كذلك يراعى الابتعاد عن كثرة الجمل الاعتراضية ، وذلك حتى لايتعقد المعنى ، وحتى لاتقوم العوائق أمام الفهم المباشر السريع للجمل المختلفة ، لذا كان ولابد أن نقارب بين مكونات الجملة ، حتى يستقيم التركيب اللغوى ، وحتى تتيسر عملية القراءة والانصات والفهم .

٦ ـ حذف أحد مكونات الجملة يزيد فى صعوبتها : تحتوى الجملة فى صورتها الأصلية على مكوناتها دون حذف أو تقدير ، وبذلك يظهر المبتدأ أو الخبر فى الجملة الاسمية ، والفعل والفاعل فى الجملة الفعلية ، وعندما يختفى أحد هذه المكونات فان المعنى يصبح غامضا ، لأنه يحتاج الى جهد عقلى معين لادراكه ، لذا يجب

أن نتجنب الحذف والتقدير في بنائنا اللغوي للجملة .

٧ ـ المبني للمعلوم أسهل من المبني للمجهول ببناء الفعل للمعلوم في الجملة يوضح الفعل والفاعل ، ولذا فهو أيسر فهما ، وأقرب منالا من البناء للمجهول ، الذي يغير صورة الفعل ، ويحذف الفاعل ، وهكذا نرى الاعتماد على المبني للمعلوم في التكوين اللغوي للجملة ، وخاصة في عملية انتاج المواد السهلة .

٨ ـ الانتقال السريع في زمان الفعل يعقد المعنى : الانتقال السريع من الماضي الى الحاضر .. أو من الحاضر الى المستقبل ، أو في الزمن عامة مهما كانت صورته ، قد يكون جميلا في البناء اللغوي الناضج ، لأنه يتطلب تركيز الانتباه ، ويضفي على الصورة اللغوية جمال الحركة والمرونة ، لكنه مهما كانت صورته يعوق الفهم السريع المباشر للجملة ، ويوقف التفكير المطلوب فيه أن يكون سريعا حادا يتمشى مع نبضات عصر السرعة ، لذا لابد أن نراعي الوحدة الزمنية للجملة ، فلا نضمنها أكثر من صورة زمنية واحدة للفعل ، وما أمكن نراعي هذا التناسق الزمني في الجمل المتعاقبة ، حتى لانفاجيء القاريء أو السامع بالصور الزمنية المختلفة الماضية والحاضرة والمستقبلة بل نسير معه وفق سرعته الفعلية ، ومستواه الاستيعابي الموجود فيه .

٩ ـ عدم الاسراف في الصفات : فكثرة الصفات ـ بلا داع ـ تبعث على الملل والسأم وفي نفس الوقت من نتيجة هذه الكثرة تباعد مكونات الجملة ، وهذا بدوره يؤدي الى طول الجملة واطنابها ، وكل ذلك غير مستحب في سهولة الجملة ، وسرعة فهمها واستيعابها .

هذه أمور وموازين لو أخذت في الاعتبار عند نظم الجملة ، فلعلها تجعلها سهلة ميسورة ، واضحة جلية ، في الفهم والاستعمال .

والمقصود من كل ماسبق هو أن يكون الحديث واضحا ، والكتابة جلية ، وهذا هو المطلب الأسمى في كل كتابة على الاطلاق ، هذه هي القضية ، وهي قضية هامة للغاية ، أو هي رسالة .

وبذا أصل الى نهاية ما أردت بيانه وعرضه من أمور تخص الجملة نشأة ونظاما ونظما ، أما اعراب الجملة وذكر أعداد التي لها محل أو التي لامحل لها ، وكذلك تقسيمها الى اسمية وفعلية أوغير ذلك ، وتقسيمها الى صغرى وكبرى .

فلم يكن ذلك من قصدي ومرادي ، فلم أرم الى شيء من ذلك ولا دار بخلدي ، لسبب بسيط جدا هو ان كتب النحو فيها ذلك ، في مكان واحد او في أماكن متفرقة ، وبخاصة كتاب المغني لابن هشام ، فلتراجع عند الرغبة في ذلك (١) ، اما ما ذكرت فارجو ان اكون موفقا فيه ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

---

١ ـ انظر المغنى ٤١٩/٢ وما بعدها ، وشرح المفصل ١٨/١ ، ٨٨ وما بعدها ، شرح الكافية ١٦/١ ، وهمع الهوامع ١٢/١ ـ ١٣ ، والتسهيل ٤٨ ، ١٦٧ ، واعراب القرآن للزجاج ١٧١ ، ٥٦٣ .

مصطفى صادق الرافعى

نفحة من عبقريته

تذكرنا لأديب الأمة الاسلامية الكبير ، المغفور له مصطفى صادق الرافعى ، فى هذه الآونة بالذات ، ضرورى وحتمى ، لأنه يعد بمثابة افتقاد البدر فى الليلة ، أو الليالى الظلماء .. كما قال الشاعر .

لأن بلاغة الرافعى تذكر الأمة العربية جمعاء ، وما تشـــهده اليوم من محن وإحن ، بمـا كانت عليه فى الامس القريب حينما كان الشعب « يتعلم من دفن شهدائه كيف يستنبت الدم ، فينبت به الحـرية ، وكيف يزرع الـدمع ، فيخرج منه العزم ، وكيف يستثمر الحـزن ، فيثمر له المجد » وعلى الجملة فقد كان أفراد الشعوب العربية « فى معـــانى قلوبهم لا فى غيرها ، فامت أراهم الا عظماء فى عظمة المبدأ الذى ينتصرون له أقـوياء فى قوة الايمـان الذى يعملون به ، أجلاء فى جلال الوطن الذى يحيون ويموتون فى سبيله » (١) ..

ويطلق فى وجوه (لحوم البحر) صـيحته المجلجلة ، لأبطال معركة الرجال والنسـاء ، على شاطئ البحر ، الذى يموج بأشباه العراة من الجنسين قائلا بسخرية أليمـة : « يالحـوم البحر سلخك جزار من ثيابك ، جزار لا يذبح بالم ، ولكن بلذة .. ولا يحز بالسكين ، ولكن بالعاطفة .. ولا يمت الحى الا موتا أدبيا .

الى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ونواميس الأخلاق .. للطبيعة أسلحة العرى ، والمخالطـــة ،

---

(١) انظر (الأخلاق المعارية) - وحى القلم جـ ٢ ص ٣٠٦ .



بقلم : أحمد مصطفى حافظ

والنظر ، والانس والتضاحك ، ونزوع المعنى الى المعنى ..

وللاخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدىء ، وسلاح من الحياء مكسورا .. ياحوم البحر سلخك من ثيابك جزار .. »(١) .

ثم يقول بعد ذلك محذرا ومنذرا المرأة الشرقية ، وهى النجم الذى أضاء منذ النبوة ، أن تقلد هذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل ، يقول :

احذرى تهوس «الاوربية» فى طلب المساواة بالرجل .. لقد ساوته فى الذهاب الى الحلاق ، ولكن الحلاق لم يجد فى وجهها اللحية انها خلقت لتحبيب الدنيا الى الرجل فكانت بمساواتها مادة تبغيض ثم يهيب بها قائلا : « احذرى أن تخسرى الطباع التى هى الاليق بأم انجبت الانبياء فى الشرق، أم عليها طابع النفس الجميلة ، تنشر فى كل موضع جو نفسها العالية . فلو صارت الحياة غيما ورعدا وبرقا ، لكانت هى الشمس الطالعة ، ولوصارت الحياة قيظا وحرورا واختناقا ، لكانت هى فيها النسيم يتخطر .. أم لا تبالى الا أخلاق البطولة وعزائمها ، لأن جداتها ولدن الابطال » (٢) .

وحين يحرِّكه ما يراه حوله من فوضى شاملة تستشرى فى كل مكان ، يتذكر (الازهر) .. ورسالته الخطيرة فى دفع ذلك كله ومجابهته ، فيقول : « عندى أن الأزهر فى زماننا هذا ، يكاد يكون تفسيرا جديدا للحديث : « مصر كنانة الله فى أرضه » .. فعلماؤه اليوم أسهم نافذة من أسهم الله ، يرمى بها من أراد

(١) المصدر السابق جـ١ ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٢ .

مصطفى صادق الرافعي

دينه بالسوء ، فيمسكها للهيبة ، ويرمي بها للنصر .. ويجب أن يكون هذا المعنى أول معانيهم في هذا القرن العشرين ، الذي ابتلى بملء عشرين قرنا من الجرأة على الأديان واهمالها والالحاد فيها » (١) .

هذا على الرغم من أن الرافعي لم يكن من خريجي الأزهر ، وبتتبع سيرة حياته بايجاز نجد أنه اقتصر أو شاء له القدر أن يقتصر ، ـ في تعليمه المدرسي على الالتحاق بمدرسة دمنهور الابتدائية في سن الثانية عشرة ، ثم انتقل مع والده الشيخ عبد الرازق ، القاضي الشرعي ، الى المنصورة ، حيث أكمل دراسته الابتدائية بها ، وحصل على شهادتها في سن السابعة عشرة ، ولم يحصل بعدها على شهادات دراسية أخرى ، لانه مرض بحمى التيفود ، ولم يبرأ منها الا بعد أن تركت مضاعفاتها حبسة في صوته ، ولازمته الى آخر عمره ، كما أحدثت وقرا في أذنيه ، عاقه عن استكمال الدراسة ، ولم يجد أى علاج لشفائه منه ، الى أن انتهى به الامر الى الصمم التام ، في سن الثلاثين ، التى أكمل فيها ، كتابه (تاريخ آداب العرب) باجزائه الثلاثة .. وحال المؤهل الدراسي بينه وبين الاستقرار في بحبوحة وظيفة حكومية ذات شأن ، تعينه على تكاليف الحياة ، واقتصر الأمر على التحاقه في سن التاسعة عشرة بوظيفة صغيرة بمحكمة طلخا الشرعية عام ١٨٩٩ بمرتب أربعة جنيهات شهريا ، ثم نقل الى محكمة ايتاى البارود ، فمحكمة طنطا ، واستقر عمله بطنطا وأقامته بها الى آخر عمره سنة ١٩٣٧ حيث قضى نحبه في العاشر من مايو من هذه السنة

وكان معروفا بين زملاء العمل بالنبل وكرم الاخلاق ، ووفق ـ رغم ضآلة مرتبه الذى لم يتجاوز في ذروته سبعة عشر جنيها شهريا الى تربية أبنائه العشرة أحسن تربية ، حتى استكملوا جميعا تعليمهم العالى ، ومنهم من حصل على شهادة الدكتوراه ، مستعينا بجانب المرتب المحدود ، على ذلك بما تدره عليه كتبه ومقالاته في الصحف والمجلات الادبية من دخل زهيد .

وقد عوض الرافعي عن قلة حصيلته من التعليم المنظم ، أنه منذ ولد في يوم ما من شهر يناير عام ثمانين وثمانمائة وألف ببلدة (بهتيم) ، احدى قرى محافظة القليوبية ، الى أن بلغ العاشرة من عمره ، ظفر برعاية وحدب والده العالم الجليل ، الذى أشرف على تربيته وتنشئته بنفسه تنشئة قويمة ، جعلته يجمع القرآن كله حفظا ، ويجوده بأحكام القراءة ، وهو في سن العاشرة . كما يخبرنا الرافعي بذلك بمقاله (قرآن الفجر) ، الذى يستعيد فيه ذكريات الحداثة مع والده ، الذى كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد ، الايام العشرة الاخيرة من شهر رمضان .. وذهب الرافعي ذات ليلة الى أبيه وبات عنده لينهل ، في هذه

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٨٠ .

السن الغضة ، من الجو الروحي العميق الذي يشعه المسجد ، ويعيش في آفاقه السامية ، ويصف ذلك بأبلغ عبارة ، فيقول : « لا أنسى أبدا تلك الساعة ، وقد انبعث في جو المسجد صوت غرد رخيم ، يشق سدفة الليل في مثل رنين الجرس تحت الافق العالي ، وهو يرتل هذه الآيات من آخر سورة النحل :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » .

يقول الرافعي : « وكان هذا القارىء يملك صوته أتم ما يملك ذو الصوت المطرب ، فكان يتصرف في التطريب كل مبلغ يقدر عليه القادر ، حتى لا تفسر اللذة الموسيقية بأبدع مما فسرها هذا الصوت » . الى أن يقول : بهذا المقال النفيس :

« وسمعنا القرآن غضا طريا كأول مانزل به الوحي ، فكان هذا الصوت الجميل يدور في النفس ، كأنه بعض السر الذي يدور في نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كالقلب الشجرة .. يتناول الماء ويكسوها منه . واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى في كلامه .. وبدا الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يضيء من هذا النور » !

ثم يقدم لنا الرافعي مفتاح شخصيته وتفسير منهجه الادبي ، واتجاهه الوجداني بعد ذلك ، وتأثير تلاوة قارىء القرآن للآيات الكريمة لأول مرة — بالنسبة له — حينما كان قادرا على الاستماع بقوله : « أما الطفل الذي كان فيومئذ فكأنما دعي بتلخذلك ليحمل هذه الرسالة ويؤديها الى الرجل الذي يجيء فيه من بعد .. فأنا في كل حالة اخضع لهذا الصوت : « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ » وأنا في كل ضائقة أختم لهذا الصوت : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ .. » (1)

وقد كان الرافعي ، رحمه الله ، في (أزهر) من أهله ، كما يقول المرحوم الزيات صاحب (الرسالة) في رثائه ، لأن وظيفة القضاء والافتاء كادت تنحصر ، في احدى الفترات ، في الرافعيين ، الذين وفدوا من الشام الى مصر ، وما منهم الا قاض أو مفت ، منذ عام ١٢٤٣ هجرية ، وبلغ عددهم في زمن واحد أربعين قاضيا في محاكم مصر وسائر البلاد العثمانية ، مما أتاح للرافعي أن ينشأ في كنفهم نشأة اسلامية رفيعة .

وبادىء ذي بدء ، كانت مكتبة والده العامرة بذخائر الكتب الدينية والأدبية ، والفقهية ، هي جامعته الكبرى ، التي أقبل على قراءتها بشغف وصبر وتصبر ، حتى أصبح « حجة في علوم اللسان ، ثقة في فنون الادب ، عليما بأسرار اللغة ، بصيرا بمواقع اللفظ ، خبيرا

(1) المصدر السابق ج٣ ص ٣٠ ومابعدها .

مصطفى صادق الرافعى

بمواضع النقد ، محيطا بمذاهب الكـــلام .. وقلما تتهيأ هذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء » . كما يقول المرحوم الزيات فى حديثه عن الرافعى ، بعد عام من رحيله .

وفى فصل هام من كتابــه (وحى القلم) ، بعنوان : « قلت لنفسى وقالت لى » يستطيع الدارس لأدب الرافعى ، أن يقف عـلى وثيقة هامة عن طبيعة أسلوب الرافعى فى تكوين نفسه ومثابرته لشق طريقه خلال الوعود وصــلد الصخور ، لبلوغ المنزلة التى كان يهفو اليهـا بطموح لا يعرف الكل أو الهوادة ، حين يقول لنفسه : « ويحك يا نفس ما لى أتحـامل عليك فاذا وفيت بما فى وسعك أردت منك ما فوقــه وكلفتك أن تسعى فلا أزال أعنتك من بعــد كمال فيما هو أكمل منه ، وبعد الحسن ، فيما هو الأحسن .. وما أنفك أجهدك كلما راجعك النشاط ، وأضنيك كلما ثابت القوة ، فان تكن لك هموم ، فأنا أكبرهـــــا ، واذا ساورتك الاحزان ، فأكثرها مما أجلب عليــك ! أنت يانفس سائرة على النهج ، وأنا أعسـف بك أريد الطيران لا السير ، وأبتغى عمل الاعمار فى عمر ، وأستحثك من كل هجمة راحة ، بفجر تعب جديد » . وتجيبه النفس بما يثبت به فؤاده :

« ليست دنياك يا صاحبى ما تجده من غيرك ، بل ما توجده بنفسك ، فان تزد شيئا على الدنيا ، كنت أنت زائدا على الدنيا ، وان لم تدعهـــا أحسن مما وجدتها ، فقد وجدتها ، ومـــا وجدتك » . وكما يقول أوفى تلاميذ الرافعى :

وكاتب وحيه ومترجم حياته المرحوم محمد سعيد العريان فى كتابه الممتع (حياة الرافعى) . ان الرافعى قد « اجتمعت له كل أسـباب المعرفة والاطلاع ، وكانت علته خيرا وبركة » .

وكم من مصاب فى ثناياه العـزاء ، أو رب ضارة نافعة كما يقولون ، فقد انقطع الرافعى عن دنيا الناس ، للتفكير والتأمل ، وإسـماع الناس رأيه وفكره وبيانه ، مادام قد أصبح هو عاجزا عن الاستماع اليهم .

وقد شاء الله تعالى للرافعى أن ينقطـع للنثر الادبى بكليته فى أخرياته ، بعد أن كـان قد قطع شوطا كبيرا فى مداعبته لقيثارة الشعر ، وبراعته فى العزف عليها ، حتى ليقول للطير متعاطفا :

كلانا على التغريد يا طـــير نلتقى
وما بيننا الا .. اختلاف لغـــات

ومن منا لم يردد مقاطع نشـيده الوطنى الحماسى المشهور :

اســلمى يا مصر اننى الفـــدا
ذى يدى ان مدت الدنيــا يـدا
ابدا لن تســتكينى ابـــدا
اننى ارجــو مع اليوم غـــدا
ومعى قلبى وعـزمى للجهـــاد
ولقلبى انت بعـــد الدين دين
لــــك يا مصر الســلامه
وســلاما يـــا بـــلادى

ان رمى الــدهر ســهامه
اتقيهــا بفـــؤادى

وقوله فى نشيد اسلامى آخر :

يا شــباب العــالم المحمدى
ينقص الكــون شــباب مهتدى
فــاروه دينكم ليهتــدى
دين عقــل وضــمير ويــد

وقوله ، الذى ينبغى أن ينبه الخاملين :

حمــاة الحمى يا حمــاة الحمى
هلمــوا هلمــوا لمجــد الزمن
لقد صرخت فى العــروق الــدما
نموت نموت ويحيــا الوطن

وانقاد النثر للرافعى ــ طوعا ــ لا كرهــا كما كان يردد خصومه ، الذين كانوا ينفسون عليه طاقته البيانية العالية وبهاءه اللغــوى المترع بالرفعة والسمو ، الذى يستشرف بــه آفاقا سامقة ، لم تبصرها عين كعينــه ، أو يستنزل غررها قلم كقلمه .. لان الامر بالنسبة له امر رسالة أخذ على عاتقه أمر القيام بأدائها .. وكما يقول : « أنا لا أعبأ بالمظــاهر والأغراض التى يأتى بها يوم وينسخها يــوم آخر ، والقبلة التى أتجه اليها فى الادب انمــا هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ، فلا اكتب الا ما يبثها حية ويزيد فى حياتهــا وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصهــا فى الحياة ، ولذا لا امس من الآداب كلهــا الا نواحيها العليا ، ثم انه يخيل لى دائمــا أنى رسول لغوى ، بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه » .

وهذا ما حدا به الى أن يقول لخصومه ، الذين عابوا لغته وبيانه ووهجه الروحى ، بقوله فى مقدمة الجــزء الاول من (وحى القلم) : « ربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ، ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثــير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك .. ان لم يــكن البحر ، فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم ، فلا تنتظر الشعاع ، وان لم تكن شجرة الورد ، فلا تنتظر الورد ، وان لم يكن الكاتب "بيانى" فلا تنتظر الأدب » .

ولا شك أن القارىء الذواقة ، اذا أراد أن يمتع نفسه بالقراءة الراقية لكاتب عبقرى ، يكون ما يخطه قلمه ترجمانا لضميره ، وعمق أغواره ، فعليه أن يعرج الى خميلة الرافعى ، يستظل بفيئها الظليل ، ويقطف من جناهــا الشهى الطيب ، الذى أوردنا قطرة من بحــره فى كلمتنا هذه ــ ليقربه عينا ، وينشرح صدرا .

فالرافعى منجم لا تنفد نفائســه لكل وارد ونهر لا يتوقف هديره وتدفقه عن أى مرتشف .. وقيمة نتاجه الادبى الحقيقية وبــرهانه الساطع انه يصمد لتحريات الزمن ، الذى يطوى الزبد ، أما العمل الاصيل فيبقى فى الاســفار بأثره العميق النافع ، بعد وفاة صاحبه ، بقرون وقرون ، شامخا فذا متجددا .. شأنه فى ذلك شأن عباقرة الانسانية فى شتى عصورهــا ومجالاتها .

ولا يستمد الرافعى منزلته فى الأدب العربى المعاصر من سعة أفقه وثقافته وتنوعهــا ، ومقدرته على روعة الصياغة وبراعة التوليد

٥

مصطفى صادق الرافعى

والابتكار فحسب بل من نقاء سريرته أيضا ونورانيته واشراقه ، واطلاله على الدنيا اطلال مغفرة على آثام ، عبر معانيه السامية ، صابرا على عنت الأيام وعدم انصاف مجتمعه له ، فكان فى وظيفته المتواضعة وتفانيه فى الابداع الفنى ، مثله كمثل العباس ابن الأحنف ، اذ يقول فى بيته المشهور :

كنت كأنى ذبالة نصبت

تضىء للناس وهى تحترق

***

وان كان قد قضى نحبه فى عمر قصير نسبيا ، قبل حملة التطهير التى كان يتمنى أن يقوم بها بعد خروجه الى المعاش المبكر ، كما ذكر ذلك لصديقه الزيات فى رسالة خاصة ، قبل وفاته بأسبوع واحد .. فان قيمة المرء ليست فى ضخامته أو طول عمره « كما يقول الشاعر الانجليزى » بن جونسون (١٥٧٣ ــ ١٦٣٧) « فى قصيدته : (The perfect life)

بل فى عنصره :

« فالزنبقة التى تزدهر لمدة يوم واحد فى الربيع اجمل بكثير ، من شجرة البلوط التى تعيش ثلاثة قرون ثم تهوى بعدها قطعة من الخشب ، جافة ، مجردة من الأوراق » .

وصفوة القول ، ان الذين يكرمون الرافعى بالكتابة عنه ، كلما سنحت الفرصة أمامهم لذلك، انما يكرمون أنفسهم فى ذات الوقت ، اذ يفيئون الى أدبه الرصين ، مجددين العهد به ، لتصفو نفوسهم ، وتشحن « بطاريات » وجداناتهم ، نفحة من عبقريته الباقية على الدهر .

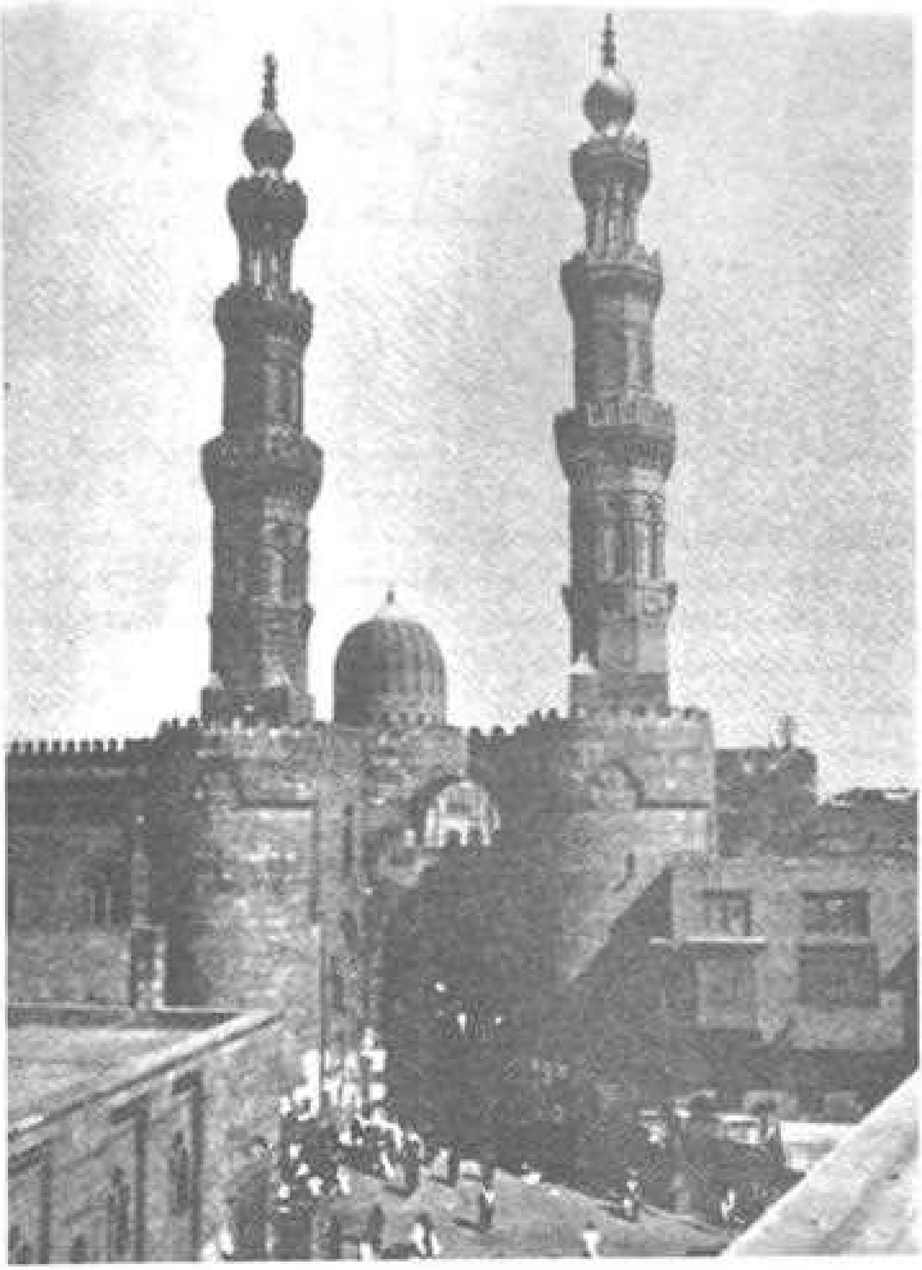
وقد كان الرافعى ملء سمعى وبصرى ، منذ بدأت القراءة الأدبية الجادة ، فى منتصف الأربعينيات ، فى ريق العمر ، وحين اهتديت اليه ، لم أكف عن قراءة آثاره الخالدة :

حديث القمر ، والمساكين ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر وأوراق الورد ووحى القلم .. بين الحين والحين ، بل اننى أصبحت لا أعرف للأعياد والمواسم مذاقا ، الا من خلال صفحات كتبه ، وعكوفى على قراءتها بلذة لا تعد لها لذة أخرى ، حسية كانت أو معنوية ، ولم يشتد ويصلب عود هذا القلم بين أناملى ، الا من ترددى الدائم الدائب على (صومعته) الأدبية المتمثلة فى تراثه وان كنت لم التق به قط فى حياتى لأنه ودع الدنيا وأنا مازلت فى مدارج طفولة السادسة من عمرى .

وحينما فقدت والدى فى سن السابعة عشرة ، اتخذت الرافعى الخالد أُسْوَةً اتأدب بأدبه ، وأجعله من مثلى العليا للتربية والتثقيف الذاتى ، لاننى وجدت وراء عباراته الثاقبة ، الجوهر الكامن لعبقريته وشفافيته وانسانيته .

يرحمه الله .

احمد مصطفى حافظ



أدبُ الرَّافِعي
في خدمة
العُروبة والإسلام



في الفترة التي بدأ الرافعي يباشر فيها نشاطه في ميدان الكتابة كان الاسلام يعاني من مؤامرات الاستعمار معاناة مريرة ، فكان الرافعي في مقدمة من تولوا مهمة النضال والدفاع عن الاسلام والعروبة وقد شجعه على النهوض بتلك المهمة الكبيرة : نشأته الدينية ، وثقافته التي تأسست على حفظ القرآن الكريم والتفقه في علوم الدين والتمكن من علوم اللغة وفهم أسرارها .

هذه الثقافة العربية الأصيلة مكنت الرافعي من صد هجمات الحاقدين على الاسلام وردهم على أعقابهم خاسرين . ولم يخل كتاب من كتب الرافعي من تغن بقيم الاسلام ، وانتصار لمبادئه . وقد أحسن الرافعي صنعا حينما استخدم أدبه وملكاته التي امده الله بها في الذود عن حياض القرآن ولغته ، وفي تجلية مبادىء الاسلام ، ومن هنا كتب لهذا الأدب البقاء والخلود ، وصدق الله حيث يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وبهذا وحده يكون الرد على من يتعجبون من تعدد طبعات كتب الرافعي وزيادة اقبال الناس على اقتنائها على الرغم من غموضها وارتفاع ثمنها (١) .

رحم الله الرافعي ، لقد كان عصرا بتمامه من عصور الأدب ، وجيلا بناسه في تاريخ العرب وفصلا بعنوانه في مجد الاسلام ، وكان له هدف عاش يسعى جاهدا لتحقيقه هو : أن يبعث الحمية الاسلامية في نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية في قلب كل عربي ، فكان بذلك رسول العروبة والاسلام الى كل مسلم وكل عربي ، فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية الى كل مسلم وكل عربي ، حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ونشأته الأدبية كلها يسعى بها الى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب في هذا المعترك ، وما عادى عدوا قط من أدباء العربية الا للدين أو اللغة أو القرآن ، وما اتخذ صديقا من رجال الادب أو السياسة الا للدين أو اللغة أو القرآن

لقد نظر الرافعي أمامه فوجد مجموعة

(١) انظر : دراسة في ادب الرافعي د. نعمات احمد فؤاد ص ٦٥ وما بعدها ط ثانية .

للدكتور فتحى عبد القادر فريد

من الكتاب والأدباء يناصبون العربية والاسلام العداء ، فانتهى باستنتاجه الملهم الى أن هناك مؤامرة متعددة الأطراف متباينة الأساليب تنتهى الى هدف واحد هو : اعلان الحرب على اللغة العربية واشاعة التفتيت بين جسم الأمة العربية ، والنيل من قدسية المبادىء الاسلامية .

فكانت هناك فئة تنادى بالعامية وتتحمس لها وتطالب بجعلها لغة للكتابة .

وكان هناك من ينادى بالفرعونية مذهبا وقومية محاولا أن يقطع كل صلة بين مصر العربية لغة ودما وحضارة وفكرا وبين بقية جسم الامة العربية التى تمثل مصر منها مكان القلب من الجسد ، وكان هؤلاء « المتفرعنون » يعملون لحساب الاستعمار الذى قطع أوصال الأرض العربية ، وخلق حدودا مصطنعة فى أرض الوطن الكبير ، وقسم الامة العربية أحزابا وشيعا .

وكان هناك أيضا من يحاول صرف الأمة عن تراثها وأمجادها ، ويتحمس للتراث الأوروبى قديمه وحديثه .

وكانت هذه الطائفة امعانا فى عداوتها للأدب العربى تنسب كل جميل مستطرف الى الأدب الأوروبى وتنسب كل جمود وقبح الى الادب العربى .

وكان هناك فريق آخر أشد خطرا على الناشئة من أبناء ذلك الجيل ، وهو فريق الجاهرين بالالحاد المنكرين رسالات الأنبياء والمرسلين ، وفى هذه البيئة الأدبية التى جمعت بين الضدين فى ميدان التدين والمجاهرة بالالحاد ، والعروبة والفرعونية عاش الرافعى المؤمن بعقيدته ولغته وحضارته ، ومن ثم فقد هيأ نفسه ليكون الذائد عن حمى الدين المنافح عن أمجاد لغة القرآن .

لقد كان الرافعى من غير شك أديب الفكرة الاسلامية دون منازع ، فى فترة زمنية كان النيل من العقيدة دربا يستهوى كثيرا من أدباء العصر كى يسيروا فيه ، وكان التحامل على اللغة العربية ومحاولة طمس معالمها ظاهرة من مظاهر التجديد حسبما تخيل بعض المتادبين وكان الرافعى بحكم نشأته وتربيته وثقافته وقناعته يرى فى هذه الاتجاهات معاول هدم وبوادر نقض فى جسم الامة يجب أن تتوقف عند حد ، وأن يضرب عليها بشدة ، ومن ثم فرضت عليه طبيعة الأمور أن يخوض معركة قلمية فكرية ضارية أمام أعلام الكتاب آنذاك أمثال : الدكتور طه حسين ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ، وعباس العقاد، وسلامه موسى وغيرهم .

وكانت معركة الرافعى مع خصومه معركة بيانية اسلامية فريدة ربما لم تتكرر كثيرا فى مسيرة تاريخ أدبنا وفكرنا منذ عهد بعيد .

د/فتحى عبد القادر فريد
أستاذ البلاغة المساعد كلية اللغة العربية بالأزهر — القاهرة

العقد الفريد

لابن عبد ربه منهجه والغاية منه

العقد الفريد هو احد الكتب الجامعة لفنون الادب ، والوان الثقافة المعروفة حتى نهاية القرن الثالث في البيئة الاندلسية ، جلا فيه مؤلفه وجه الحضارة الاسلامية .

وهو ايضا واحد من الكتب التى عنيت بحفظ التراث العربى بجمع مادته في مختارات منتخبة ، كافية في لم شتات هذه المادة ، شافية لنفوس رواد العلم والأدب ، وهواة الأخبار والطرائف ، وشداة الشعراء ممن يحاولون صقل مواهبهم الفنية ، والتزود بتلك الثقافة كي تنمو تجاربهم وتتسع آفاقهم ، اذ حرص فيه ابن عبد ربه على أن يكون واحدا من بناة النهضة الثقافية والأدبية في عصره :

بما نقل من علم المشرق وأدبه .

وبما اختار من أخباره ، وفنون آثاره مما جرى على السنة الخاصة والعامة ، والملوك والسوقة ، لتكون زينة المجالس ، وأنس النفوس وغذاء العقول والقلوب ، كما ابتغى بها أن تسهم في اعلاء شأن الأندلس ، فقد عد العقد :

أول مجموع ضخم صدر عن مؤلف أندلسى .

وأول بضاعة شرقية وردت الى تلك البلاد بعد أن أحسن جامعها اختيارها ، وتأنق في تصنيفها وحدد موضوعاتها .

وقد حاول ابن عبد ربه بهذا الكتاب أن يكون (محايدا) في نقله ، معتدلا فيما ذهب اليه فطبيعة العصر ، ومذهب العلماء والمؤدبين ، ومجالسة الأمراء والخلفاء ، كلها كان يدعو الى سلوك هذا السبيل ، فلم يغرق في الميل مع الهوى ، ولم يجر عن القصد في الأخذ بيد الناشئة ، باطلاعهم على مآثر قومهم ، وحضارة أسلافهم ، وبخاصة فنون القول ، وما يكفى لرسم صورة واضحة تميز معالم المجتمع الاسلامى في الجزيرة العربية وخارجها ، في الوقت الذى عنى فيه غيره بنقل مظاهر تلك الحضارة ، كل في مجال تخصصه ، وما تميل اليه نفسه من ألوان الثقافة . كالفقه

للأستاذ الدكتور أحمد محمد النجار

والحديث والنحو والغريب والأدب والتاريخ والفلسفة والطب وغيرها .. فقد سبقته أجيال من الأندلسيين الى ارتياد هذه الشارع منذ توثقت العلاقة بين مشرق البلاد الاسلامية ومغربها من وقت أن كانت الأندلس ولاية أموية تتبع الخليفة في دمشق ، وقد كانت علاقة قائمة على عناصر مادية وأخرى روحية كانت أعظم زاد لرواد هذه البلاد وسكانها الذين أخذوا يمتزجون بالعرب وبالبربر الفاتحين ، ويصهرون اليهم ، ويندمجون فيهم ، ويعرفون لغتهم ، ويدينون بدينهم وان كانوا فيه من الواغلين الا من شرح الله صدره للاسلام وتخلى على نعرته وعصبيته القومية .

وقد سرى تيار الثقافة العربية والاسلامية مع (الطوالع) الأولى . اذ القوم عرب مسلمون وفنهم القولي أخص ما لديهم من فنون ، بل هو فنهم الوحيد الذي وجهوا نحوه وجهتهم واعتبروا أنفسهم أقوى الأمم حظا منه ، وأفصح الناس لسانا ، وأنصعهم بيانا ، وان لم تبد في هذه الفترة ظواهر أدبية واضحة ، ذات معالم محدودة ، ولم تؤلف فيها

كتب ، ولم تدون لهم آثار — فيما بدا لنا — لأنهم كانوا عنه في شغل بالفتح والجهاد وطلب الاستقرار ، حتى كان عهد (عبد الرحمن بن معاوية) الملقب (بالداخل) ذلك الفتى الطموح لبناء دولة أموية في المغرب تكون عوضا عما فقده الأمويون في المشرق ، كما تكون مجالا جديدا لابراز دور الحضارة الاسلامية في تلك الأصقاع النائية ، وان خلت هذه الأيام من مظاهر النهضة الثقافية والحركات العلمية . دون أن ننسى دور من رحل الى المغرب من المشارقة من أمثال :

معاوية بن صالح الحضرمي قاضي الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل ، وأصله من (حمص) في بلاد الشام .

ومثل أبي المخشى الشاعر الأعرابي الطارىء على الأندلس ، وقد وصف شعره بالجودة وسلوك سبيل الأقدمين في الحوك والصنعة ، فقد نشأ عربي الدار والمربى ، وصار عندهم من فحول الشعراء المتقدمين (١) .

وعرفنا ممن رحل الى المشرق في ذلك العهد من الأندلسيين أبا موسى الهواري ، وهو أول من جمع الفقه في الدين ، وعلم العرب

بالأندلس ، ورحل في أول خلافة عبد الرحمن الداخل ، فلقى الامام (مالكا) ونظراءه من

(١) انظر الجذور ص ١٧٧ .

الأئمة في الدين كما لقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وغيرهما من أعلام الأدب واللغة ، كما داخل الأعراب في محالها » (٢) .

وعرفنا منهم الغازي بن قيس الذي التزم التأديب بقرطبة أيام عبد الرحمن أيضا ثم رحل الى المشرق وشهد تأليف (مالك) للموطأ وهو أول من أدخله الأندلس ، ثم استاذيه الأمير هشام بن عبد الرحمن والحكيم بن هشام لأبنائهما وتوفي سنة (١٩٩ هـ) .

وكذلك عرفنا (زيادا اللخمي) الملقب بشبطون .. ثم خلف من بعد عبد الرحمن الداخل خلف عنوا بأمر هذه الثقافة الشرقية ، فتوالت الوفود المرتحلة الى المشرق قصدا وطلبا للعلم ، كما توافد التجار لجمع صنوف الكتب ونوادر الأصول الأدبية والعلمية .

* مما امتلأت به خزائن الكتب في القصور والمساجد ، فلما كان عصر ابن عبد ربه ، وقد كانت عينه على ثقافة عصره وعلى الاهتمام بنشرها بين ناشئة قومه ، وأدباء جيله ، رأى أن يختار من نتاج هؤلاء جميعا أطيبه ، سالكا سبيلا جديدا في عرضه لجذب الانتباه اليه ، وحمل النفوس على قراءته وحفظه ، وان لم يهتم كثيرا بأخبار مجتمعه وأدباء موطنه لأن قصده كان أولا الى تعريف الناشئة بأصول ثقافتهم العربية والاسلامية ، وكانوا بحاجة أشد الى تنمية هذه الأصول ، وصقل أذواقهم وتدريب ملكاتهم على محاكاة هذه النماذج أول الأمر ، ولم يغفل ابن عبد ربه عن ذلك عمدا أو سهوا ، وانما كانت هذه غايته من تأليف هذا الكتاب الجامع ، كما كان قصده الى مباهاة السابقين بتأليف أدق نظاما ، وأفضل اختيارا ، وأخصب نتاجا ليدل على ما بلغه من الأدب والعلم والذوق .

وأما منهجه فان سبيله فيه هو ما ذكره في مقدمته قائلا : (فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم ، وضروب الأدب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه ، فجعلته بابا على حدته ، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره في كل باب ، وقصدت من جملة الأخبار ، وفنون الآثار أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا ، وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، آخذا بقول الله تعالي : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) .

وقول يحيى بن خالد : (والناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون) .

ورأى أن (أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أمة ، قد تكلموا في الأدب ، وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ، وأن

(٢) انظر طبقات الزبيدي ص ٢٧٥ .

كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، وأكثروا من ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار) .

ورأى أيضا أن (آخر كل طبقة ، وواضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل أدب ، أعذب ألفاظا ، وأسهل بنية ، وأحكم مذهبا ، وأوضح طريقة من الأول ، لأنه ناكص متعقب ، والأول بادىء متقدم) .

ثم أتم تبيان نظامه في التأليف بقوله :

« وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ، ولباب اللباب » .

ولعله بهذا وصف (العقد) بالفريد وإن خلا من هذه بعض كتب القدماء من أمثال (المقتبس) لابن حيان ، وما كتبه ابن حزم ، والشقندي وابن شرف القيرواني ، والحميدي ، والفتح بن خاقان ، ومن نقلوا عنهم كالضبي في (بغية الملتمس) وابن دحية في (المطرب) وياقوت في (المعجم) .

فلما كان عهد ابن الأبار المتوفى عام ٦٥٨ وجدناه في كتابه (اعتاب الكتاب) يأخذ منه ، ويطبقه (بالعقد الفريد) في أكثر من موضع بالكتاب ، واعتبر وصفه بالفريد ، على هذا ، أقدم وصف له به ، لا الا يشيهي صاحب (المستطرف) ـ وهو من رجال القرن التاسع الهجري بعد عصر ابن الأبار بنحو قرنين من الزمان .. ولعله كان يحذف هذا الوصف اختصارا كما يقال الآن : النفح ، والمطمح ، والبيان ، والعيون بدلا من نفح الطيب ، ومطمح الأنفس ، والبيان والتبيين ، وعيون الأخبار .

وقد أبان ابن عبد ربه عمله فيه ، فلم يزعم لنفسه الا فضل (تأليف الأخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش صدر كل كتاب) ونقل أكثر هذه الآثار عن كتب السابقين ، وروى بعضها عن أفواه العلماء والحكماء ، وبذلك يكون قد حدد أصول مروياته من كتب ودواوين ، ومشافهة على طريقة الرواة الأولين ، وحيث كان قصده الى الجوهر واللباب ، رأيناه عمد الى حذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والايجاز ، وهربا من التثقيل والتطويل :

(لأنها أخبار ممتعة ، وحكم ونوادر لاينفعها الاسناد باتصاله ، ولا يضره ما حذف منها) .

وان يكن الاسناد قد فرضه علماء الحديث ، فان بعضهم كان يحذف أسانيده على نحو ما روى من أن الحسن البصري كان يحدث بحديث ، فقيل له : يا أبا سعيد ، عمن ؟ قال :

وما تصنع بعمن يابن أخي ؟ أما أنت فنالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .. ويعقب المؤلف بقوله : (فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومن مثل سائر ، وخبر مستطرف وحديث يذهب نوره اذا طال وكثر) مادام القصد الى الثمرة والنتيجة في الكتابة والحفظ والرواية ،

والى المنقول لا الى الناقل ، والى الغـاية لا الطريق .

والحق انه بهذا السلوك قد خرج عن حدود المنهج العلمى الدقيق عند رواة الأحـاديث ، ونقله الآثار والأخبار والأشعار من السـابقين الأولين ، وربما افتقد الثقة بمروياته التى خلت من الأسانيد اذ (انهم كانوا يعتمدون فى قراءة الادب والتاريخ على الرواية من جهـة ، وعلى الذوق من جهة اخرى ، وكانوا يرضون الرضا كله ، اذا رويت لهم الأخبار عن هؤلاء الثقات الذين اعتمد عليهم القدماء فى نقل السـير والاخبار ، كما كانوا يرضون الرضا كلـه ، اذا وقعت اليهم القصـيدة الجيـدة ، أو المقطوعة المختارة ، فلاءمت أذواقهم ، ومثلهم الاعلى فى الفن) (١) .

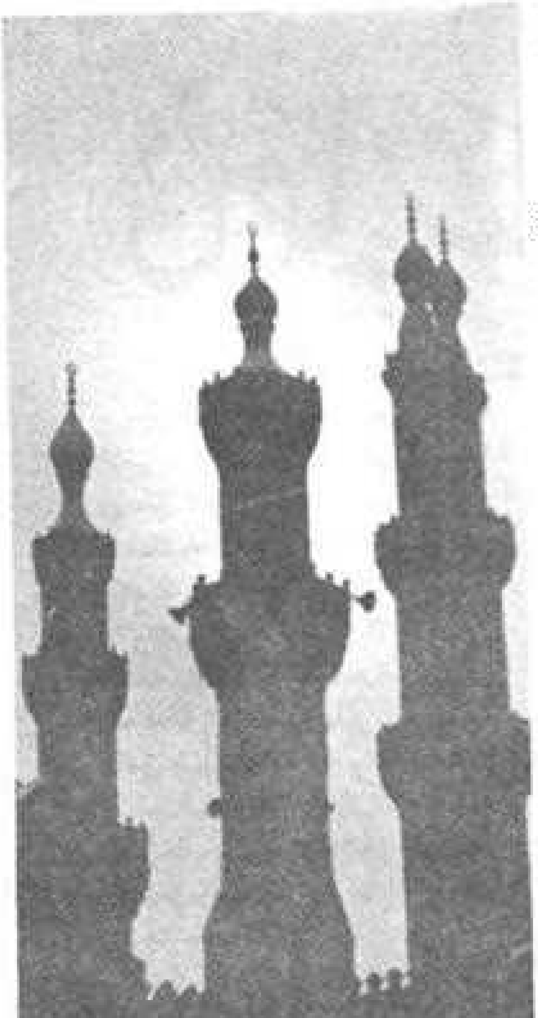
وقد صار العقد بذلك مصدرا من مصـادر الادب ، وسجلا لبعض احداث التـاريخ ، دون أن يعتد به اعتدادا كبيرا ككتاب للأدب والتاريخ بالمعنى العلمى الدقيق ، وصـارت الحاجة الى سلوك السبل المنهجية فى الدراسة والتاليف اشـد فى عصرنا الذى يمضى مفسرا محللا ، باحثا وراء الدافع والهدف فى مجـال التخصص وتقدم العلوم ، وتطـوير الآداب مع تطور مناهج البحث .

(١) حديث الاربعاء ٢/١٢ .

ولكن ابن عبد ربه ، من وجهـة نظـره ، وللهـدف الذى استهدفه كان لا يهمه الا أن يروى ما اعتبره جـوهر الجـواهر ، ولبـاب اللباب ، كمـا يهمـه طلب الاسـتخفاف والاختصار،هربا من التثقيل والتطويل متخففا ــ فى الغالب ــ من مذهب علماء الحديث الذى سلكه علماء الأدب والتـاريخ ، على مثـال ما اتبعه ابن قتيبة فى (عيـون الأخبـار) فى كثير من الأحيان ، وعلى نحو ما اتبـع فيما

بعد فى كتاب الأغانى واعتبر اسرافا فى التطويل واثقالا على القراء ، وعد عمل ابن عبد ربه فى العقد افضل من عمل الاصفهانى فى الأغانى ، كما كان أكثر تنظيما وأحسن تبويبا من عمـل أصحاب المختارات السابقة ، وصار كتـابه بعد (عيون الأخبار) الذى ارتكز عليـه ،أوفى هذه المصـادر كلها مـادة ، وأمتعهـا أدبـا وخبرا ، ــ قبل أن يذيع فى الناس كتـاب الأغانى لأن العقد أقدم منه عهدا .

وكما كان ابن عبد ربه واضح الشـخصية فى تصنيفه وتاليفه ، كان ما (غرش) به كتب العقد مظهرا آخر من مظاهر وضوح شخصيته فى كتابه ، فلم يسلك مسلكه هذا أحد سـواه فى مثل هذه الكتب الجامعة ، وكان ما أشاع منه فى العقد من مسائل وآراء ، وما علـق به عليها من سماته الدالة ، وخصائصه المميزة ، يضاف الى ذلك مختاراته النـادرة فى بعض



الأحيان ، حتى صار العقد بحق مدرسة جامعة يتخرج فيها من يريد أن يجرى فى البيان العربى على عرق ، وأن يتثقف ثقافة العرب والمسلمين . وأن يقف على أساليب الحكم ونظم الاجتماع فى البيئة التى نتجت هذه الثقافة على مدى نحو ثلاثة قرون ، ولذلك عنى به المثقفون واستمدوا منه ما شاءوا ، ورووا عنه ما استملحوا واستجاروا ، ولم يغض من شأنه قول (الصاحب بن عباد (١)) — وقد حرص على أن يحصل عليه — : (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ..) . ولم يستحق لوم (القيروانى) فى قوله (٢) : (اذ لم يجمل فضائل بلده ، واسطة عقده ، ومناقب ملوكه يتيمه سلكه) .. لأنه — كما قلنا آنفا — :

كان يقصد وجهة واضحة عندما رأى أن يؤدى العقد وظيفة ثقافية فى المجتمع الأندلسى ، دون أن يخليه جملة من أخبار الأندلس مثلما فعل فى عرضه التاريخى لبنى أمية حتى زمانه ، وكما ضمنه مختارات من شعر يحيى بن حكم الغزال ومؤمن به سعيد ، وفرج بن سلام وغيرهم ، وكما اعتمد على بعض ما رواه الرواة الأندلسيون كابان بن عيسى ، وايوب بن سليمان ، وبقى بن مخلد ، ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم كثير ..

د. احمد محمد النجار
أستاذ الأدب العربى بكلية البنات
جامعة عين شمس

---

(١) معجم الادباء ٢١١/٤ .
(٢) النفح ١٢٣/٢ المطبعة الازهرية .

في حاشية الأمير

حين عزمت على أن أكون من « حاشية الأمير » وضعت نصب عيني أهدافا ووسائل لأحظى بذلك المجد المؤثل ، « فحاشية الأمير » جليلة نبيلة تستحق الجهد والبذل والمثابرة ، فقد وجدت بالاستقراء أنها لا تضم الا القمم من العلماء والأدباء والشعراء وأرباب الصناعات التي لها وزنها في « حاشية الأمير » ولاسيما النحاة ولجلالة قدرها جذبت اليها الخلفاء والأمراء . وهؤلاء الذين طاب ذكرهم ليسوا من قطر واحد ولا زمن واحد وانما هم من أقطار شتى وأزمنة متعددة متلاحقة .

فلما تم لي ما أردت استأذنت الأمير في الدخول الى حاشيته لأنال حظا من أفضاله ونصيبا من سامي أقواله ، ولأرجع من « دارين بجسر الحقائب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان كريما معي فأذن لي فدخلت فماذا وجدت ؟

وجدت هياكل من نور مسورة حول « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » فتراءت لي عن كتب العرائس الحسان والحور العين من داخل مغني اللبيب وبين حاشية الأمير . وسألت الشيخ محمد الأمير عن المغني وعن صاحبه ، فكان جوابه : انه تأليف الامام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الخزرجي الشافعي ثم الحنبلي . هكذا ينسبه وكان ينبغي أن يضاف الى ذلك « المصري » فهو كما يقول : ولد بالقاهرة سنة ثمان وسبعمائة هجرية ، ولم يأخذ عن أبي حيان غير أنه سمع منه ديوان زهير بن أبي سلمى — بضم السين — وتوفي في ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة . فعاش بعد تأليف هذا الكتاب

للأستاذ السيد حسن قرون

« مغنى اللبيب ... » نحـو أربع سـنين ، ودفن خارج باب النصر . ومن شعره :

ومن يصـطبر للعلم يظفـر بنيـله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يـذل النفس فى طلب العـلا
يسـيرا يعش دهرا طـويلا اخا ذل

وترك ولدين : محب الدين ، وعبد الرحمن.

ورثاه ابن نباتة المصرى – بضم النون – بقـوله :

سقى ابن هشـام فى الثرى نوء رحمة
يجـر على مثـواه ذيـل غمـام

سأروى لـه من سـائر المدح سيرة
فمازلت أروى سـيرة ابن هشـام

تورية بعبد الملك بن هشام صاحب السيرة.

ولهم ثالث محمد بن يحيى بن هشـام الخضراوى نسـبة الى الجـزيرة الخضراء بالأندلس ويقال له الأندلسى .

ورابع محمد بن أحمد بن هشام اللخمى .

وابن نباته معاصر لابن هشام وقد أعجبه المغنى فبكى مؤلفه وتوفى بعده سـنة ٧٦٨ هـ فعاش بعده سبع سنوات تقريبا .

ولو ترك ابن نباتة نفسه على سجيتها لأتى بمرثية تناسب مقدرته الشاعرية ، ولكنه اهتم بالتورية فحال بين عاطفته والتدفق .

على أن الشيخ الأمير لم يذكر لنا شـيئا عن عصر ابن هشام ، وهو عصر جدير بالقاء النظرة الفاحصة عليه فهـو مغموط الحق لأن المماليك يستبدون بصنعه ، وقد ورثنا ذمهم والحط من شأنهم ، ولكنهم كسائر الحكـام لهم الحسنات ومنهم السيئات .

ويكفى أن القاهرة فى عصرهم كانت مركـز العلم والثقافة لبلاد الاسلام جميعا . فقـد نهضت مصر نهضة عظيمة ومن أهم أسـباب النهضة غيرة العلماء وحرصهم على اعادة مجد الاسلام بعد سقوط بغداد وضياع المؤلفات الثمينة تحت سنابك خيل التتار ،وكان للسلاطين فى ذلك الزمان سبل الى العلم والعلماء . ألم يروا أنهم أصبحوا حماة الخلافة الاسلامية ، وأن دولتهم صارت ملجأ الفارين من آسـيا والقادمين من الأندلس ؟

وجد العلماء ونشـطوا وخلفـوا وراءهم موسوعات فى كل علم وفن ، وظهر أثر الأزهر جليا فى تلك الحلبـة وحـافظ على التراث ومن أشهر المؤلفين فى ذلك العصر .

فى حاشية الأمير

شهاب الدين بن فضل الله العمرى وكتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » جليل فى عطائه .

وشهاب الدين أحمد بن على القلقشندى وكتابه « صبح الأعشى » .

ثم النويرى أحد رجال الناصر بن قلاوون ، واشتهر بكتابه « نهاية الأرب فى فنون الأدب » .

وبجانب ذلك ابن تيمية ومؤلفاته .

والقسطلانى صاحب « ارشاد السارى الى شرح البخارى » .

وابن هشام صاحبنا يمثل اللغة بنحوها وقدرته على التعليل فى بيان واضح يدل على ملكة أدبية . ملا صيته العالم الاسلامى ، فقال عنه ابن خلدون فى مقدمته : « مازلنا ونحن فى المغرب نسمع أنه ظهر فى مصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » وله تصانيف فى النحو غير المغنى « قطر الندى وبل الصدى » و « شذور الذهب » .

وقد ابتكر هذا العصر المتون والشروح ، فقد تعود بعض المؤلفين — وبخاصة مؤلفو العلوم العربية والدينية — أن يضعوا موجزا فى العلم يسمونه متنا ، ثم يفسرون مجمله فى شيء من الاسهاب ويسمون هذا التفسير شرحا .

واشهر هذه المتون فى النحو الألفية لابن مالك ، وفى القراءات الشاطبية للشاطبى ، وفى الفقه الحنفى متن الكنز للنسفى .

وهذه النزعة يراها بعض المفكرين معطلة للمبتدئين عن الفهم وسرعة التحصيل .. قالوا .. ولماذا لا يوضع العلم أول وهلة أمام الطالب فى أسلوب واضح مفهوم سائغ ؟ وهذا الرأى له وجاهته .

وجاء العصر العثمانى فأضاف الى المتن والشرح الحواشى . فكتاب « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه » يقول » : وبقيت هذه الحال حتى أوائل الحكم العثمانى ، ثم اخترع تأليف الحواشى والتقريرات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة او قصيدة ، وضعفت عبارتها وازدادت تعقيدا وغموضا حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ، ويظن فى صاحبه العلم والدقة » جاء هذا تحت عنوان « كتاب التدوين والتصنيف » وما من شك فى أن ابن هشام قد علا على المتون والحواشى والشروح فهو واضح التأليف قويم التعبير سواء فى مؤلفه الكبير مغنى اللبيب أو فى مؤلفاته الصغيرة ، ولا ضير عليه اذا أنشئت الحواشى حول كتبه ، فلكل عصر مسلكه ، على أن الشيخ محمد الأمير لم يفته أثناء تعليقاته على المغنى أن يأتى بما قيل فيه من شعر ، فقد علق على مقدمة المؤلف عند قوله سميته « بمغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » بقوله : لم يقل الأريب مع

أن فيه لزوم مالا يلزم ، لخفة اللام والباء عن الراء والهمزة ، وللبرهان القيراطي توفي سنة ٧٨١ هـ :

جلا ابن هشام من اعاريبه لنا
عروسا عليها غيره الدهر لا يبنى
وأبدى لنا من كنزه الذهب الذي
تقر له الشمس المنيرة بالحسن
واهدى لأرباب اللسان مصنفا
يفدى بعين كلما حل في اذن
ولقبه مغنى اللبيب فاصبحوا
وما منهم الا فقير الى المغنى

والشيخ الأمير لم يذكر هذا عند الترجمة انتظارا لما يجيء في المقدمة خضوعا لمقاصد الحاشية ، وكم للحاشية من أحكام وقوانين !! وقد ضاق بها طلاب الأزهر فقالوا : « شرحوا الشروح وللشروح حواشى » وأظن أن الأزهر خفف منها أو تركها فأنا لا أعرف مناهجه اليوم. لكن حاشية الأمير لها نهج خاص يبعدها عن وصمة الغموض وحيرة التعقيد لسلامة لغته ، ولسليقته الأدبية .

وكنت آمل أن يضع لنفسه ترجمة كما فعل السيوطي في العصر المملوكي ، ولكنه اكتفى بالسنة التي انتهى فيها من تأليف حاشيته . فدفعني ذلك الى أن أسجل ما قاله وأبحث عن ترجمة حياته في الكتب التي عنيت به . فماذا قال في آخر الحاشية ؟

قال :

« وافق الكمال صبيحة ليلة الاثنين المبارك من شوال سنة ثمان وثمانين ومائة والف ١١٨٨ هـ » .

ولقد راجعت هذا التاريخ في يوميات الجبرتي ، لأعرف ما جرى في هذه السنة ١١٨٨هـ فوجدت الجبرتي يؤرخ لها بما يوافق (١٤ مارس ١٧٧٤ — ٢ مارس ١٧٧٥) من التاريخ الميلادى . قال الجبرتي :

« استهلت ووالى مصر (من قبل السلطان العثمانى) خليل باشا محجور عليه ليس له في الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بك ابو الذهب ... والوقت في هدوء وسكون وأمن ، والأحكام في الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفي الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر في حال السكون بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب »

ولئن كان الجبرتي متشائما وله نظرته المستقبلية ، فان الشيخ الأمير كان راضيا عن وطنه وحاله وعمله ، فهو شاب يلقى الكرامة حيثما حل ، وله علمه المعترف به ، ولا أدرى أن كانت الحاشية صيغت أثناء الدرس أو كانت في خلوة الشيخ ببيته ، وهى حاشية جديرة بأن تكون كتابا قائما بذاته ، فيها الأدب يصاحبه التاريخ والنحو يرافقه الشرح والترجمة للنحاة ، وكثيرا ما يعنى بالفاظ اللغة عنايته بالمصطلحات الفنية والنحوية ، فقد تجلى علمه الغزير في تلك الحاشية ، ووددت ولا فائدة للتمنى لو أن شيخنا ألف ولم يكن صاحب حاشية ، ومثل في ذهنى صنيع ابى الحسن الأخفش ، فله تعليقات على كتاب الكامل للمبرد تدل على أصالة في فهم النحو

في حاشية الأمير

والتعمق في الرواية ومعرفة الرجال والأنساب ، وعلى كل فكلاهما مفيد وقوله سديد :

محمد الأمير المتوفى سنة (١٢٣٢ هـ ـ ١٨١٧ م)

هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الشهير بالأمير . هبط أهله مصر بعد أن جاءوا من المغرب وسكنوا بلدة (سنبو) من أعمال محافظة أسيوط ، وهي تكتب اليوم بالصاد فيقال (صنبو) وفيها ولد الشيخ محمد ، وقد قدم به والده الى القاهرة وهو ابن تسع سنين وكان قد حفظ القرآن الكريم ، فلما جوده طلب العلم في الأزهر ، وأخذ عن أئمة الأشياخ فيه حتى جود المعقول والمنقول ، وحذق ما تهيأ لعصره من الحساب والهندسة والفلك . ثم تصدر لالقاء الدروس بأعين أشياخه ومجيزيه فذاع أمره واشتهر فضله ، وقصد اليه الطلاب من كل مكان ، وعرف عند الخاصة والعامة ، وسافر الى القسطنطينية زائرا وهي يومئذ حاضرة الخلافة فألقى دروسا حضرها أعيان العلماء هناك فأقروا بفضله وشهدوا بسعة علمه ، واستجازوه فأجازهم .

وقد صنف في كثير من العلوم فكانت مصنفاته موضع الاجلال والثقة لما امتازت به من براعة التحرير ، وقوة التحقيق حتى لقد كان بعض شيوخه اذا غم عليهم الأمهر في احدى مسائل العلم راجعوا بأعين طلابهم ما كتب فيها الأمير ، وكلها حواش وشروح في الفقه المالكي وعلم العربية وكان رحمه الله رقيق القلب ، مرهف الحس ، حلو الحديث ، زاهدا في متاع الدنيا ، شديد الرغبة عنها ،

ولقد عاش ما عاش متهافت على صحبة الحكام ، ولا داور غنامة الظلام ولا جهد في احراز الجاه ولا جمع الحطام .

وكان يعالج نظم القصيدة أحيانا ومن قوله في التشبيه :

يا حسن لون الشمس عند غروبها
في روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنها في ناظري
ذهب يجول على بساط سندس

هذا ما نقلته عن « المفصل » ببعض التصرف .

وشاعرية الشيخ أصابها ما أصاب الشعر في عصره ، فهل من موضوعات الشعر «التشبيه» ؟

ثم ان هذا الشعر ينظر الى ما صاغه ابن خفاجة الأندلسي في وصف نهر ، منه :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء

وميزة ابن خفاجة أنه جعل الأصيل كالذهب لصفرته ، والماء كالفضة في بياضها ، وقالوا انه من اضافة المشبه به للمشبه . والشيخ قد جعل لون الشمس ذهبا يجول على بساط سندس أي أصفر على أخضر .

وأستاذنا البهى الخولى فى معهد أسيوط الدينى أملى علينا قصيدة للشيخ الأمير فى وصف نزهة ختمها بقوله :

وان يكن لهو فلهو
بشىء نافع والله أعلم

وأنا لا أعرف له ديوانا من الشعر ، وانما أروى ما قرأته أو سمعته ، وكتاب المفصل جعل الشيخ بعيدا عن الحياة العامة ، ولكن الجبرتى وضعه فى المعمعة سواء على عهد المماليك والوالى التركى أو فى أيام الحملة الفرنسية ثم فى العمل على تولية محمد على باشا . ولا أطيل على القارىء فحسبى موقفه

من الأحداث سنة ١٢٠٩هـ وفى ذى الحجة الموافق ١٧٩٥ م قبل الحملة الفرنسية بثلاث سنوات ، فقد كان أحد الأعلام الأزهريين الذين اشتركوا فى وثيقة الشرع التى تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وأسباب ذلك بايجاز كما دونها الجبرتى فى يومياته :

أن الشيخ عبد الله الشرقاوى كانت له حصة بشرقية بلبيس فجاء أهلها شاكين من

(محمد بك الألفى) وذكروا أن أتباعه أوقعوا عليهم ظلما فادحا فى فرض أموال لا طاقة لهم بدفعها وليست فى بند الضرائب ، فاغتاظ الشيخ وذهب الى الأزهر فاجتمع المشايخ وأغلقوا الأبواب ، وذلك بعد عرض الأمر على ابراهيم بك ومراد بك اللذين لم يبديا شيئا . وفى اليوم الثانى ركبوا واجتمع اليهم جمع غفير من أفراد الشعب وساروا خلفهم حتى بلغوا منزل الشيخ السادات ،

وازداد الزحام من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك ، فأرسل من قبله أيوب بك الدفتردار ، فوقف بين الجمع الحاشد ، وسلم على المشايخ وسألهم عن مطالبهم ، فقالوا له : « نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع ، وابطال الحوادث والمكوس

التى ابتدعتموها .. » قال أيوب بك : « لايمكن ألاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » قال المشايخ : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ؟ والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ» فقال : أبلغ .

ومعنى هذا أن الأمر مازال كما هو ، ولذلك اتجه المشايخ الى الأزهر ، واجتمعت حشود من القاهرة وضواحيها وباتوا فى المسجد . وأرسل ابراهيم بك اليهم يسترضيهم ويقول لهم : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطرى ومرادى .. ومن جهة أخرى أرسل الى مراد بك ينذره بعاقبة ما فيه المماليك ، فبعث اليه

مراد بك أجيبكم الى كل شىء الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكسر من الجامكية . ونبطل ما عدا ذلك وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا . وطلب مع ذلك أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا اليه فلاطفهم والتمس

منهم الصلح على ما شرط .

فى حاشية الأمير

وفى اليوم الثالث حضر الباشا (الوالى التركى) الى منزل ابراهيم بك واجتمع الأمراء هناك ، فقد تفاقم الأمر ولابد من حل ، فكان ان أرسلوا الى المشايخ ، فحضر الآتى أسماؤهم :

الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى والشيخ الأمير ، ومنع العامة من السير خلفهم ، فلما تم الجمع عرضت القضية ، وبعد الحوار بين العلماء والأمراء استقر الشأن على أن الأمراء تابوا وأنابوا والتزموا بما شرط العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفع المماليك سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون ،

● وأموال الرزق ، ويبطلوا ما أحدثوا من مظالم مثل الكشوفيات والتفاريد (١) والمكوس — ما عدا ديوان بولاق — وأن يسيروا فى الناس سيرة حسنة ،

● وكان القاضى حاضرا فى المجلس فكتب عليهم حجة بذلك ، « وفرمن » (٢) عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بك وأرسلت الى مراد بك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ، ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم جمهور من الشعب وهم ينادون : « حسب مارسم سادتنا العلماء » ،

وهذه الوثيقة تعد من مفاخر مصر ، انها معاصرة لوثيقة الثورة الفرنسية تقريبا ، ولكن الوثيقة الفرنسية وجدت من يعلنها ومن يدعو لها حتى اعترف بها العالم أجمع ، وبقيت الوثيقة المصرية فى يوميات الجبرتى وكتابنا المعاصرين ،

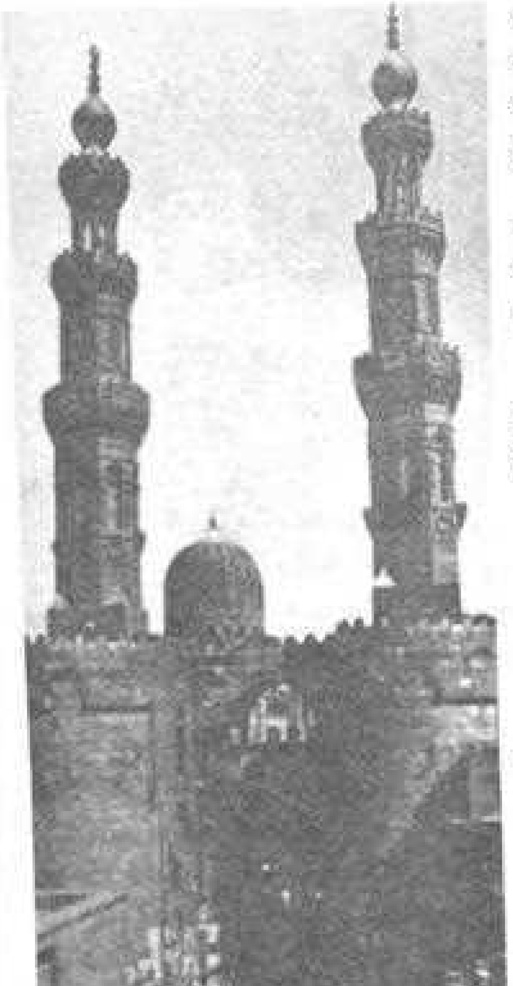
وتعقيب الجبرتى عليها يدل على تشاؤمه بنتائجها ومستقبلها ، فقال : وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد ما كان مما ذكر وزيادة ،

وفى عهد كليبر نرى الشيخ الأمير له مكانته عند الغاصب وعند أبناء الشعب ، وحدث ما أغضب كليبر من المصريين حين تلاقى جيشه بجيش العثمانيين ، واتهم المصريين بمساعدة عدوه فانزل بهم من النكال ما تنوء بحمله

الجبال ، انتهزها فرصة ، ففرض الضرائب وطالب بالأموال الكثيرة التى يعجز عن أدائها أغنى الأغنياء وكان مما فرضه على الشيخ السادات خمسمائة وخمسة وثلاثون ألف

---

(١) التفاريد : فرض ضرائب على كل فرد .
(٢) فرمن : صدق .



فرانسة ، وعجز الرجل عن دفعها فقبض عليه ، وتعرض للضرب والاهانة صباحا ومساء ، وبيع ماق داره فلم يف بما طلب منه ، وزادوه نكالا فأحضروا معه زوجته وكرروا ضربه أمامها .. » ثم ان المشايخ وهم الشرقاوى

والفيومى والمهدى ومحمد الأمير ، وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت الفيومى ، وبقى الشيخ على حاله . » هكذا يروى الجبرتى .

فالشيخ الأمير لم يعتزل العمل السياسى ولم يول ظهره للأحداث ـ وان كان غير منهوم بوظيفة أو مال . هذه مناقبه ومواهبه .

أما صفاته الجسمية فكل شيوخنا وصفوه بجمال الصورة وحسن المنظر مع عفة وورع وتقوى تحرس ذوى الجمال من الوقوع فيما يشين الجمال .

وقد رزقه الله الولد ، وكان له ابن شارك فى الأحداث على عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) .

بقلم
السيد حسن قرون

دراسة عن

مجلة الشباب وعلوم المستقبل

بعض الاستفهام .. !

.. هل يكفى الشباب تحقيق صحفى هنا ..او هناك لينال منه المعرفة التى يريد ، ويملأ منه الفراغ الذى يحس به ؟

ان الشباب فى بلدنا يزيد على ستة عشر « مليون » شاب .. ، فهل يستوعب حماس هذا الشباب لقاء « تليفزيونى » ؟ او « حوار اذاعى » من حين وآخر .. !!

ثم اين صحافة الشباب ..!! واعنى بصحافة الشباب .. الصحف التى تهتم بقضاياه ومشكلاته .. ، والتى تحتضن منه المواهب .. وتنشر له الأمل .. وتضىء الطريق امام براعمه ، وتتابع الحلول وتقدم المعونة بالرأى والفكرة والمشورة ..

وشبابنا حائر .. ، فهو يرى تناقضا فى حياته اليومية ، ويرى تيارا من الاغراءات يتمثل امامه فى أكثر من حال ، ثم يجد هو نفسه مشدودا بطهره وصفائه الى دينه وعقيدته .. !!

وربما تعرض للتشكيك فى هذه العقيدة من ذوى الأقلام المنحرفة والفكر المغروب وبقدر فداحة هذه الحال من التناقض كانت أخطاء الشباب فادحة .. !! ، .. ، والاصرار على الأفكار الغربية قويا .. !!

ووسط هذه الأجواء برزت « مجلة الشباب وعلوم المستقبل » فبرز معها نتاج الرجال الذى نشدناه ، وظللنا نمنى النفس بتحقيقه ، حتى رأينا وانما يطل علينا فى هذه المجلة الغراء ، فدفعنى وجودها الى اطلالة دراسة أقدمها فى هذه الصفحات .

و « مجلة الشباب وعلوم المستقبل » حديثة العهد ، لم يتعد عمرها سنوات سبع ، لكنها والحق يقال اشتملت على كثير من فنون الصحافة ، وحرصت على أن تكون الصوت المعبر عن شباب بلادنا .. لهذا ، يسعدنى أن أقدم للقارىء « بطاقة تعارف » بالمجلة ثم نتأملها معا .. ونهمس سويا فى أذن القائمين عليها بما نراه حقا لهم علينا

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

من النصح المخلص .. من أجل شبابنا ..

* **بطاقة تعريف بالمجلة (١) :** ــ

١ ــ **الشعار :** مجلة ثقافية علمية .

وهذا يحدد لنا مسار واتجاهات المجلة ، وما نتوقعه من « مضمون » صحفى للقارىء .

٢ ــ **الصفة :** ثقافة عامة .

ولكنها لم تحرص على هذه الصفة فقد مالت الى التخصص منذ ميلادها ــ ، خصوصا فى جانب الثقافة الطبية ، والهندسية .

٣ ــ **تاريخ صدور العدد الأول :** أغسطس ١٩٧٧ م ــ شعبان ١٣٩٧ هـ .

٤ ــ **طريقة الصدور :** شهرية ، مع بداية كل شهر افرنجى .. ولا أدرى لماذا لا تصدر كل صحافتنا الشهرية مع مطلع كل شهر عربى .. ؟! فان كان مراسيمنا تصدر ــ رسميا ــ بالتاريخ العربى .

٥ ــ **فترة الصدور :** بلغت ــ حتى الآن ــ ست سنوات وشهرين ، فى عدد أكتوبر ١٩٨٣ ، ونتمنى لها التوفيق والاستمرار .

٦ ــ **عدد الصفحات :** مع العدد الأول وحماس الشباب كانت « ١٩٢ » صفحة ثم لسبب ما نقص هذا العدد الى « ١٤٨ » صفحة ، ثم من عدد نوفمبر ١٩٨٢ وحتى آخر عدد بين أيدينا ــ الآن ــ نقصت هذه الصفحات الى « ٩٦ » صفحة فقط وصفحتى الغلاف أى أنها نقصت طوال رحلة عمرها الصحفية ما يقرب من مائة صفحة وهو رقم كبير يجعلنا نتساءل : .. لماذا ؟

٧ ــ **الثمن :** ٢٥ خمسة وعشرون قرشا مصريا .

٨ ــ **الناشر :** مؤسسة الأهرام ــ القاهرة .

٩ ــ **رئيس التحرير .** الأستاذ / صلاح جلال .. منذ أن صدرت وحتى كتابة هذه السطور .

١٠ ــ **الخطة :** وفى الحق ، فاننى طلبت من بعض العاملين بالمجلة أن يمدنى بشىء من المعلومات عن خطة النشر .. فظن أنها من الأسرار التى لا يحسن نشرها .. ، وقد تحدثت مع الأستاذ / محمد محمد سليمة مدير التحرير فقال لى انه لا توجد خطة نشر محددة سوى ما نناقشه فى اجتماع التحرير بالمجلة .. !!

ومع هذا ــ فانه يمكن لنا أن نعرف شيئا عنها من خلال افتتاحية العدد الأول التى كتبها رئيس التحرير يقول (٢) : ــ

« فى أول أعداد المجلة الجديدة » الشباب

---

(١) نستعير هذا اللون من التقسيم من الأستاذ / د. على شلش كاسلوب وصفى ، لذا لزم التنويه .

(٢) راجع مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، المجلد الأول ، افتتاحية المجلة ، ص ٥ .

دراسة عن
مجلة الشباب وعلوم المستقبل

وعلوم المستقبل » يلتقى شباب الفكر والعقل ، شباب الايمان والعلم ، شباب المستقبل والحاضر .. الخ .

ومن خلال ما كتبه رئيس التحرير يمكن أن نستبين ملامح الخطة فالمجلة تضع الشباب نصب عينيها ..

لكن هل نفذت المجلة هذا الوعد .. وهى التى تؤمن بالله .. وبالحق .. وبالعدل ؟

وهل حلت المجلة مشكلة الفراغ الدينى عند الشباب ؟

وهل قدمت حلولا لبقية مشكلات الشباب ؟

ثم ما أهم النوعيات التى تخاطبها المجلة واعنى بالنوعيات قطاعات الشباب المختلفة.. كشباب العمال ، والفلاحين ، وشباب المحامين ، وشباب المهن الأخرى .. الخ .

ونهمس فى أذن القائمين على المجلة أن بضع مقالات اسلامية لا تكفى .. ولا تسهم فى حل مشاكل القراء من الشباب .. ، بل ان ما نشر من موضوعات دينية اسلامية فى المجلة لا يروى غلة شاب مسلم يبحث عن أساسيات فى دينه تزوده معرفة به تعينه على تجنب الفكر المنحرف

ورب قائل يقول : ان هذا الجانب وظيفة المجلات الدينية ..

أقول :

● ان الدين حياة ، له فى الشباب « عروج وسمو الى غايات نبيلة لا ينقصها » الحماس ولا التضحية ، ثم هى غايات لا تعرف التجزئة من مجلة الى أخرى ، ومجلة الشباب حملت نفسها عبء الشباب ، فينبغى أن تنبض نبضاته وتتمثل عقليته ووجدانه وهما كيان لا يتجزأ ولا ينفصل ، وهذا الشباب بين يدى المجلة اذا لم يجد نفسه فيها فأين يجدها ؟ !

من هنا أرى أن على المجلة أن ترعى هذا الجانب ليكون وجبات غنية هادفة سامية عاصمة من التطرف والخذلان .

ثم ان المجلة تتوجه الى الشباب المثقف.. الشباب الذى لديه القدرة على القراءة الواعية ، فمستوى شبابها فوق « فك الخط » بكثير ، ونلاحظ أن المجلة تنسى قطاعا عريضا من شباب المحامين .. والمحاسبين .. والعمال ... الخ وتقتصر – فى التوجه – الى شباب الجامعة والأطباء والصيادلة والمهندسين وحسب ... !؟

١١ – أهم الكتاب والمحررين (١) : –

صلاح جلال ، محمد متولى الشعراوى ، عبده مباشر ، محمد محمد سليمه د. محمد عبد المنعم خفاجى ، د. عبد العزيز شرف ، د. فوزى سويحه يوسف عبد القدوس ، طه محمد كسبه ، عثمان الجوهرى ، مهندس محمد تيمور .. الخ .

هذا، الى جانب عشرات من أسماء المحررين

---

(١) يراعى ان ترتيب الاسماء لا يخضع لاى اعتبارات .

والمحررات يضيق المقام بنا .. ان كتبنا عن كل كاتب أو محرر بالمجلة فنكتفى بهذا القدر .. ونعتذر للقارىء وللاخوة المحررين بالمجلة .

١٢ ــ **الأبواب الثابتة** : فى الحقيقة لم تخضع المجلة لأبواب ثابتة حسب الظروف ونوعية الموضوعات وان كانت جميعها لم تخرج عن :

(أ) الاسـلاميات .
(ب) تحقيقات مرضية .
(جـ) شـباب .
(د) علـوم .

بـاب الاسـلاميات : ــ

وقد احتوى على مقالات لكتاب اسلاميين وأحاديث مرضية خصوصا فى الأعداد الأخيرة لعام ٨٢/٨٣ مع الشيخ متولى الشعراوى ، وقصصا لكبار الصحابة والمسلمين فى صدر الاسلام ولنا عودة الى هذا الموضوع عند الحديث عن المحاور الأساسية فى سياسة التحرير بالمجلـة .

*** والتحقيقات الصحفية :**

من الأبواب التى أفردت لها المجلـة مكانا « متسعا » وهى فى هـذا أقرب الى روح الشباب غير أن معظم هذه التحقيقات لاتهم « الشاب » كثيرا ، .. فلو أن هذه التحقيقات كانت مع الشباب ومنهم ، ثم مع المسئولين عن الشباب ..لكانت أفضل ..

*** بـاب الشـباب :**

ويشمل الموضـوعات التى تدور حـول الشباب ومشكلاتهم وأفكارهم وسوف نرى عند الحديث عن سـياسة التحـرير كم من الصفحات أفردتها « مجلـة الشـباب» .. للشباب .. !! ؟

*** ثم باب العلوم :**

ويضم أقساما ثابتة مثل : ــ

نادى الطيران ، الطب للجميع ، نـادى الهواة ، فى « الألكترونيات » ، ثم ملحق بالانجليزية عن أحدث الموضـوعات الطبية .

(ملاحظـة اجمالية) : ــ

يلاحظ على « الأبواب الثابتة »أنه لا يوجد بها أقسام يندرج تحتها كل المقالات التى تنتمى الى باب الشباب مثـلا .. أو كـل المقالات التى تنتمى الى باب الاسلاميات .., ولكن يلاحظ أن المقالات متداخلة .. فقد تجد حديثا مع الشيخ الشـعراوى ثم بعـده مباشرة مقالة عن الشباب ثم بعد ذلك حديثا عن مشكلة الكتاب الجامعى ثم تحقيقـا عن المواصلات .. الخ .

١٣ ــ **الأعداد الخاصة :**

لا يوجد .. ولكن هناك ملاحق تصدر عن المجلة مثل : ــ

(أ) ملحـق التعليم الطبى المستمر : ويصدر كل ثلاثة شهور .

(ب) ملحق الأسرة والسكان : ويصدر كل ثلاثة شهور .

(ج) ملحق البيئة : ويصـدر كل ثـلاثة شهور بالتبادل مع ماحق الأسرة والسكان .

(د) صـندوق الدنيـا : وهـى تهتم بالناشئين .

١٤ ــ **الاخراج** : ــ صفحة الغلاف .. ؛ ويوضع العنوان (اسم المجلـة) فى أعلى يمين الصفحة .. يعلوه شـعار الأهرام ..

دراسة عن
مجلة الشباب وعلوم المستقبل

« وكلمة الشباب » تكتب بخط هرمى مربع الحروف ثم كلمة « علوم المستقبل » فى « برواز » أسود والطباعة « أوفست » ، والغلاف بالألوان وغالبا ما يخصص لنشر الصور الهامة التى كثيرا ما تكون أحد موضوعات المجلة الهامة .

١٥ ــ **الاعلانات** : وهى ليست كثيرة .. وان كانت الصفحة الثانية ظهر الغلاف كاملة والصفحة الأخيرة للغلاف بوجهيها .. ولنا تعليق على موضوع الاعلان فى المجلة نذكره فى حينه .

١٦ ــ **التوزيع** : وهو المقياس الحقيقى لرواج المجلة والمؤشر الذى يوضح لنا الفاعلية الاعلامية ومدى التأثير والانتشار .. غير انه من الأسرار الصحفية ذكر رقم التوزيع الحقيقى .. !!

لهذا نعتذر عن عدم حصولنا عليه .

١٧ ــ **مجموع الاعداد الصادرة** : ــ

وحتى كتابة هذه السطور صدر ٧٤ عددا على مدى ست سنوات وشهرين فقط بعد هذه الجولة .. وهذا التعارف الضرورى .. نود أن نناقش معا بعض الأمور الهامة حول المجلة وذلك **من خلال النقاط الاساسية التالية** : ــ

١ ــ **المحاور الاساسية فى سياسة التحرير بالمجلة** .

٢ ــ **سياسة التحرير** .

٣ ــ **نظرة على الشكل العام للمجلة** .

اولا : المحاور الأساسية لسياسة التحرير : ــ

١ ــ الافتتاحية :

ويكتبها رئيس التحرير .. وهى فى الصفحة الرابعة من كل عدد وبمساحة صفحتين .. ، والطابع الغالب على ما يكتبه رئيس التحرير هو التركيز على الأخطاء والظواهر غير السوية والبحث عن جذور هذه الأخطاء .. ثم تقديم الحلول لبعض هذه القضايا .. وطرح البدائل لما ينادى بتجنبه ..

وحين تقرأ الافتتاحية تشعر أن كاتبها شاب فى مقتبل العمر فتجد أسلوبا متدفقا يمتزج بحماس الشباب ..

٢ ــ الاسلاميات (١) : ــ

وهو اتجاه يحمد للمجلة .. ونغبط أسرة التحرير عليه .. ، فالشباب فى بلادنا يحتاج الى أن يعرف دينه ، ويتفهم قضاياه ، ويعيش مجتمعه والعالم من حوله أيضا وذلك فى خط متواز ، وجنبا الى جنب ليعلم الشباب : أين ما يرى من دينه ..

والموضوعات الدينية المقدمة لابد أن تكون مدروسة ، وفقا لخطة محددة تضعها المجلة فى فترة زمنية محددة ..

---

(١) ونعنى بها كل الموضوعات الدينية من مقالات او احاديث صحفية او تحقيقات او عرض لبعض الكتب الاسلامية .

ولكن ـ للأسف ـ نجد هذا الباب « اسلاميات » غير ثابت ، كما أن قيمة ما يقدم من موضوعات ليست على المستوى الذى نتوقعه وننشده من مجلة شبابية على مستوى راق من التحرير والاخراج ، وانتقاء الموضوعات العلمية والثقافية الأخرى فلماذا لا تكون الموضوعات الدينية بنفس القدر ونفس الاهتمام : ـ

ونتمنى أن تتابع المجلة النشر فى القضايا الفكرية الدقيقة التى تهم الشباب المسلم ، وأن تتبنى الرد على الأفكار الغربية عن الاسلام سواء كان ذلك من المستشرقين أو من الكتاب المسلمين ، أو من الرأى المتطرف .. أو المنحرف .. ولهذا نحن نريد من المجلة الاهتمام بالفكر الدينى بشكل أكثر ، وأعنى بالتحديد أن تقدم المجلة حلولا لمشاكل الشباب الحالية من منظور اسلامى وفى الحق فان المجلة قدمت خلال عامها الأول حوالى ٤٣ موضوعا عن أعلام الفكر الاسلامى ، وعرضت لنماذج للشباب المسلم أمثال .

* حمزة عم النبى « صلى الله عليه وسلم » ، وأسامة بن زيد رضى الله عنهما وعرضت لنماذج من المفكرين فى العصر الحديث كطه حسين ، ولطفى السيد وغيرهما ..

ولكن اذا علمنا أن مجموع الموضوعات التى قدمت خلال عام واحد هى ٢٧٢ موضوعا ، الاسلامى منها لم يزد عن ٤٣ موضوعا فقط فالنسبة هنا لا ترضينا ؟

ولا ننكر أن المجلة فى بعض أعدادها توسعت فى عرض الموضوعات الدينية ، كما فى العدد الثانى من السنة الثانية (سبتمبر ١٩٧٨ ـ رمضان ١٣٩٨) ويلاحظ هنا سبب هذه الزيادة هو مناسبة شهر رمضان ..

ونحن نسأل ألسنا مسلمين دواما : فى رمضان وغير رمضان !! ؟

٣ ـ نشر الجديد فى العلم والتكنولوجيا

وآخر ما توصل اليه العلماء فيهما : ـ

وهذا المحور فى حد ذاته هدف أساسى من أجله قامت المجلة وهو هدف محمود تسعى اليه الأمم الراقية والصحافة الجادة وقد قدمت المجلة فى خلال عامها الأول حوالى « ١٦ ستة عشر » موضوعا عن الطاقة الشمسية ، « ١٦ وستة عشر » موضوعا عن الفضاء وأكثر من ٢٠ عشرين موضوعا عن الحيوان والنبات .

وقد حظيت الدراسات الطبية بقسط وافر من اهتمامات المجلة فقدمت حوالى ٣٠ ثلاثين موضوعا طبيا ..(١)

٤ ـ باب القراء وتطوير المجلة ..

كان هذا الباب من خلال متابعتى له .. نبضا حيا لاهتمامات القارىء بالمجلة ، ورأيت أن أسرة التحرير أخذت بكثير من آراء القراء ، واهتمت بهذه الآراء الشبابية .

ونرى أن هذا الباب هو همزة الوصل بين المجلة وجمهورها وأنه « المقياس »

---

(١) راجع البحث المنشور بالمجلة فى العدد الأول للسنة الثانية اغسطس ١٩٧٨ .

دراسة عن
مجلة الشباب وعلوم المستقبل

الذى يوضح درجة حرارة العلاقة بين المجلة والقارىء .. ولهذا لم تغفله صحيفة أو مجلة فى معظم بلاد العالم — !

الى جانب هذه المحاور الأربعة السالفة الذكر فان المجلة تقوم بتبسيط المعارف للشباب ، وتقوم بربط العلم باحتياجاتنا الفعلية ، وتقدم للقارىء فرصة ممارسة هوايته من خلال نوادى العلوم والمعارض الدولية التى تنظمها ..

وبصفة عامة :

١ يمكن القول أن المجلة اهتمت بالشباب لأنه الجمهور الحقيقى للمجلة ولكنها — للاسف — لم تعش معه مشكلاته كاملة ، ولم تقدم له ما يساعده فى حل مشاكله واشباع احتياجاته الفكرية .

٢ — المجلة تخاطب القطاع المثقف من الشباب ولكنها نسيت أن هذا القطاع لا يمثل ٢٥٪ من مجموع شبابنا .. ولهذا فأين نصيب الفلاحين الشبان ، والعمال الشبان ، والمهن الأخرى من الشباب .. ؟!

٣ — يلاحظ أن هناك « تحيزا » لقطاع الأطباء والمهندسين من الشباب فى سياسة التحرير والمساحة المخصصة لهما دون غيرهما من قطاعات الشباب الأخرى مثل المحامين ، المدرسين .. الخ من شباب مصر ، والمجلة كما نرى تعبر عن كل شباب مصر .. فلماذا هذا التحيز .. ؟!

ثانيا سياسة التحرير كما يراها رئيس التحرير .

ذكر لنا رئيس التحرير فى ص ٦ من العدد الأول فى السنة الثانية (١) :

« أن المجلة لا تؤمن بالكلمات الصاخبة ، ولا الصور الفاضحة — ولى استدراك حول هذه الجملة — تؤمن بالله وبالانسان ، وبالشباب وبالمستقبل ..

ونحن نحيى رئيس التحرير على تأكيده دائما على ايمان المجلة بالله تعالى وادراكها لقيمة الانسان ولكن نعتب على المجلة التى لا تقدم الصور الفاضحة .. نعتب عليها فيما هو منشور بالصفحة الثانية من الغلاف فى العدد الأول من السنة الأولى اى فى بداية أول أعدادها وحياتها الصحفية حيث نرى :—

« اعلانا » عن عطور فرنسية وفيه : —

صورة لساقى امرأة .. ، وهاتان الساقان عاريتان وبين هاتين الساقين كرسى عليه صنف من العطور .. !!

وقد تكرر هذا الاعلان لعدة أعداد ونتمنى الا يتكرر فى أعداد قادمة ، ونرجو الا يطغى الاعلان على المبادىء مهما كان العائد من وراء هذا الاعلان .. ، فصاحب المبدأ .. لا قيمة للمال أمام ما يعتقده ويؤمن به ! والغريب أنه فى بعض هذه الأعداد مثال

---

(١) راجع العدد الاول — السنة الاولى — اغسطس ١٩٧٧ ، ص ٢ .

اسلامى ثم بعده مباشرة اعلان عن نوع من أنواع الكلونيا بشكل لافت للنظر .. !!
وعلى أية حال مثل هذه الملحوظات لا تقلل — أبدا — من شأن المجلة ولا من قيمة ماتدعو اليه .. وما هى عليه فعلا من فن صحفى راق ..

ثالثا : الشكل العام للمجلة .

المجلة ثقافية ، علمية ، شهرية ، بدأت عددها الأول ، وكان يحتوى ثنتين وتسعين ومائة (١٩٢) صفحة ثم هبط الى (١٤٨) صفحة فى العددين (١١) ، (١٢) ، ثم الى (٩٨) صفحة فى الاعداد الحالية الآن .

وقدمت المجلة خلال العام الأول نحو ١٩٤٢ صفحة (١) ، من بين هذه الصفحات نحو ٧٥٤ صفحة بالألوان بنسبة ٤٠٪ من اجمالى الصفحات ، كما قدمت حوالى (٢٥) ملحقا على مدار العام كلها بالألوان عدا ملحقا واحدا ، وكان عدد صفحات الملاحق يقرب من (٤٧٤) صفحة .

وشكل المجلة — عامة — متطور ولا تأخذ الصفحة الأولى شكلا واحدا وانما تتغير صفحة الغلاف بتغير الموضوعات كل شهر عدا « البنط » الذى كتبت به عنوان المجلة فهو ثابت الشكل والحجم .

كما نلاحظ أناقة الطباعة والغلاف الجذاب وما فيه من جهد ، كذلك نلاحظ أن «البنط» مناسب لحجم المجلة وان كان المفروض أن يكون (٤) أسود بدلا من كونه أبيض حتى يساعد العين على القراءة .

والمجلة تكاد تخلو من الأخطاء المطبعية هذا الى جانب البساطة فى العرض والتبويب و « ديناميكية » التبويب تجعلها فى حل من أمرها فى اضافة باب جديد أو الاستغناء عنه وفقا لموضوعات المجلة والأحداث الجارية وخطة التحرير للعدد الواحد .

وفى ختام البحث يطيب لى أن أقتبس من مقالة للأستاذ / محمد محمد سليمة حول مجلة الشباب فى عدد يناير ١٩٧٩ ما نصه : —

« لا أدرى هل كل ما يكتب فى هذا الصوت الشبابى الوحيد (مجلة الشباب) لم يجد صدى عند المسئولين ؟ . وأين النتيجة ؟ فهما وتفهما لكل ما يطرح من خلال ما يدرس ويبحث ؟ أو حتى على الأقل خلافا .. أو اختلافا فى الرأى .. والتفسير .. » .

واخيرا اود ان اقول :

*** ان شباب مصر جاد يريد ان يبنى فهل تأخذ بيده ؟**

*** وشبابنا لا يقل نشاطا وذكاء عن شباب العالم فهل يمكن ان نستوعب هذا النشاط ونستثمره . ؟!**

*** وشبابنا يحتاج الى الأبواب التى تمارس انتاجه ليثبت ذاته فهل تتاح له هذه الفرصة ؟!**

شكر واجب

يتوجه الباحث بالشكر الى الأستاذ محمد سليمه مدير التحرير والآنسة آمال بسكرتارية التحرير والأخوة الزملاء المحررين ..

---

(١) راجع عدد اغسطس سنة ١٩٧٨ .

الفتاوى

خطأ قاتل

س : من المواطن/ع . م . الدسوقى .

رجل يدعى انه « رفاعى » وان الثعابين لا تضره .. قال لآخر : انا الف الثعبان حول رقبتك ولا يضرك .. وفعلا وضع « الرفاعى » الثعبان على رقبة الرجل الآخر ولفه عليها فلدغه الثعبان فى اذنه .. وبعد مدة شعر « بدوخة » نقل على اثرها الى المستشفى ولكنه مات فى الطريق .. وقرر الطبيب ان سبب الوفاة راجع الى تسمم دموى وصدمة عصبية.

فما الحكم ؟ أهو القصاص أم الدية ؟

ج : اذا تيقن موت الرجل بلدغة الثعبان من أهل الاختصاص فهو خطأ لا يجب القصاص فيه ، وانما تجب الدية .. ومقدارها (٢٣٦٣٢) جراما من الفضة تضرب فى سعر الجرام عيار ٩٠٪/يوم الحادثة ، يدفعها الذى تسبب فى الموت وتعاونه أسرته فى ذلك ..

وهذه الدية حق لورثة الميت .. ويجوز تقسيطها على ثلاث سنوات .

وعلى المتسبب فى القتل بالاضافة الى ذلك الكفارة ، وهى عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين .

زكاة المال المستثمر

س : من المواطن / . و. اسماعيل .

يضع شخص مبلغا من المال فى بنك اسلامى للاستثمار وليس ايداعا .. فهل يدفع الزكاة عن المبلغ الأصلى أم يدفع عن الربح فقط ؟

ج : الجمهور يوجب اخراج الزكاة عن الأصل والربح معا ...

وهو الأولى وعليه الفتوى .

ويرى عبد الله بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز والسيدة عائشة ورواية عن الشافعى رضى الله عنهم جميعا : أن الزكاة عن الربح فقط ..

مسجد .. لا ورشة

س : من المواطن / م ١٠ . . محمد .

بنى مسلم مسجدا وشاركه الناس فى بنائه واقيمت فيه الصلاة .. ثم حوله الى مخزن (لورشته) .. فهل يجوز له ذلك ؟ وما الحكم ؟

ج : المسجد ثبتت مسجديته ببنائه مسجدا وصلاة الناس فيه ، ولا يصح أن يتخذ لأى غرض آخر غير العبادة .

الجماع .. والطلاق

س : من المواطن / ١ . عبد اللطيف .

هل يجوز الزوجة أن تطلب الطلاق

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

بعد ان ثبت ان زوجها غير قادر على الناحية الجنسية ؟

ج : اذا ثبت أن الزوج غير قادر على ممارسة الجنس مع زوجته ، فللزوجة أن ترفع أمرها الى القاضي ، فاذا ثبت لدى القاضي حقيقة ما تدعيه الزوجة فان للقاضي أن يطلقها عليه .

طلقة واحدة

س : من المواطن / م ٠ ح ٠ عبد العاطى ٠
حلفت على زوجتي قائلا بموجب ورقة عرفية كتبت فيها : انا العبد الفقير لمغفرة الله (انا فلان) ٠٠ باننى طلقت زوجتي (فلانة) ثلاث طلقات ومحرمة على وتحل لغيرى واشهد الله على ذلك ٠٠ وانت لمن يشهد والله خير الشاهدين ٠٠ وهذا ثانى طلاق ٠٠ فما الحكم ؟

ج : هذا يمين يقع به طلقة واحدة رجعية ، فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك ، حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها . وتبقى معك على طلقة واحدة .

ميراث

س : من المواطن / م ٠ ص ٠ محمد ٠
توفى رجل عن اختين شقيقتين ٠ اختين لأم ، اخوة لأب ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للاختين الشقيقتين الثلثان فرضا ، لعدم من يعصبهما أو يحجبهما . يقسم بينهما بالتساوى ، وللاختين لأم الثلث فرضا ، لعدم من يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى .
ولا شىء للاخوة لأب ، لاستغراق الفروض التركة .

س : من المواطن / ك ٠ ط ٠ ابو سعدة ٠
توفيت امرأة عن : ابن ، بنت ، أولاد بنت ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة المتوفاه وصية واجبة لأولاد البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م .
والمسألة من أربعة أجزاء : منها جزء وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠٠ ، والباقى ثلاثة أجزاء هو الميراث للابن والبنت تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .
والله اعلم ٠٠٠

أنباء وآراء

مفكر إسلامي أندونيسي يترجم معاني القرآن بلغة بلاده !

* اقيم احتفال كبير بجامعة الأزهر حضره فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر وسعادة سفير اندونيسيا بالقاهرة والجالية الاندونيسية والسادة نواب رئيس الجامعه والأساتذة والطلاب وذلك بمناسبة (المحاضرة التي ألقاها الحاج عمر بكري عميد كلية الدراسات الاسلامية بندونيسيا والمفكر الاسلامي الكبير وذلك حول نقل معاني القرآن الكريم الى اللغة الأندونيسية الحديثة وقد سمى ترجمته التي ضمها مجلد كبير باسم (الرحمة) .

وقد عرض المفكر الاسلامي في كلمته التي شهدها لفيف كبير من المهتمين بشئون الاسلام والمسلمين للهدف الكبير من ترجمته لمعاني القرآن قائلا :

انني قمت بهذا العمل حتى يستطيع شعب اندونيسيا فهم معاني القرآن الكريم واضاف قائلا أن هناك تجربة سابقة قام بها علماء سابقين في اندونيسيا في القرن السابع عشر سبقونا في حقل الدعوة الاسلامية .

وفي ختام كلمته قال الحاج عمر بكري : ان الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للبشر أجمعين ولم يرسله للعرب فحسب .

ثم القى فضيلة الدكتور رئيس الجامعة كلمة قال فيها :

ان الاسلام يحيا بالقرآن والقرآن يحيا باللغة العربية وعلينا اذا ان ننشر اللغة العربيه في كل مكان .

ثم تحدث فضيله الامام الاكبر شيخ الازهر فقال :

قال الله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ولعل هذا القول شامل لما أداه الحاج عمر بكري وما قام به وما قال به من ترجمة لمعاني القرآن الكريم .

وهناك ايضاح أقوله لابنائي الطلاب وهو أنه لا ارتباط بين « النظريات العلمية » وبين آيات القرآن الكريم فليس لنا أن نفسر القرآن الكريم بنظريات علمية تتغير من وقت لآخر فقديما كانوا لايقولون بكروية الأرض وجاء في كتب التفسير ما ينفي هذا . ان النظريات العلمية فقط للتقدم العلمي والفكري . والقرآن كتاب علم ودين .

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) .

ان الترجمة الحرفية للقرآن لا تؤدي اطلاقا

المعنى ، ولقد جاء المستشرقون يحـــاولون الترجمة وكانت الأخطاء .
لكننا نشجع كل ترجمة لعالم مسلم متفقة مع الدين .
ومن ناحية اخرى فان اندونيسيا بها حوالى ١٣٥ مليون مسلم .

مصرى يفوز بجائزة الملك فيصل فى الأدب واللغة .

* صرح فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عقب عودته من المملكة العربية السعودية لحضور احتفالات لجان جائزة الملك فيصل بأن هناك نظامـــا جديدا للجان التحكيم ترتب عليه أن أصبح أعضاء لجان التحكيم غير دائمين كما كانوا فى الماضى ويفسح ذلك مجالا للاختيار كل عام وصارت الجوائز خمسا . وهى جائزة خدمة الاسـلام . جائزة للدراسات الاسلامية .

جائزة الدراسات الادبية واللغوية الجـائزة الطبية وجائزة العلوم .

وكانت لجان الاختيار كما تسميها لائحة الجوائز جامعة لشخصيات كثيرة متنوعـة من مختلف البلاد العربية والاسلامية والاوربية والامريكية وجائزة العلوم منحت لاول مـرة هذا العام وقد حجبت فى العام الماضى أمـا الجائزة الطبية فقد منحت لثانى مرة هـذا العام وقد فاز من المصريين بالجائزة الادبية واللغوية الاستاذ محمود محمد شركس .

إعداد / صفوت عبدالجواد
أحمد عبدالرحيم السايح
عبدالفتاح السيد عبدالسلام

أعلى وسام فى المانيا .. لأستاذ بجامعة الأزهر

* اهدت مؤسسة جاكوب فيلهلم جريم العلمية التى ترعى اللغة الالمانية وادابهـا فى العالم وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى الى الاستاذ الدكتور محمد ابو حطب خالـــد رئيس قسم اللغة الالمانية بكلية اللغـات والترجمة بجامعة الأزهر تقديرا لجهوده وجهود جامعة الأزهر فى نشر اللغة الالمانية وادابها فى جمهورية مصر العربية وقد تسلم الدكتور محمد ابو حطب الوسام بمقر رئيس الوزراء الالمانى ببرلين وقد حضر الاحتفال مستر فيلى شتوف رئيس الوزراء وكذلك وزير التعليم العالى وكبار رجال التعليم بالمانيا ورجال السلك السياسى والديلوماسى العربى والاجنبى .

مفتشو التربية الدينية يجتمعون لوضع خطة للمادة لجميع مراحل التعليم .

* اقامت وزارة التربية والتعليم حلقـة دراسية لوضع اساس لدليل المعلم فى مـادة التربية الدينية لجميع الصفوف الدراسـية

بجميع مراحل التعليم وذلك لمساعدة المعلم فى اداء رسالته وللافادة الكاملة من مناهج التربية الدينية ونشر الروح الدينية وتعميقهـا فى نفوس الناشئين .

مشروعات تقنين الشريعة الإسلامية

القاهرة

وافقت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب على تشكيل ثلاثة لجان لدراسة المشروعات الثلاثة لتقنين الشريعة الاسلامية .. وهى القانون المدنى ، وقانون العقوبات ، وقانون الاثبات .. على أن تنتهى اللجان من عملها فى موعد يسمح بعرض المشروعات على المجلس فى دورته الحالية ..

ويرأس هذه اللجان السادة مختار هانى وزير شئون مجلس الشعب والشورى ، وممتاز نصار والمستشار حلمى عبد الآخر ..

الشريعة الإسلامية فى القمة

أصدرت الندوة الدولية التى دعت اليها كلية الحقوق بجامعة السربون لمناقشة قضايا الفقه الاسلامى بالاشتراك مع لجنة الحقوق فى المجمع الدولى للقانون المقارن التى حضرها أساتذة القانون من مختلف دول العالم — عدة قرارات هامة أذاعتها على العالم .

اولا : ان الفقه الاسلامى يحتوى على ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القيمة وأن مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا تصل الى مستواها اية شرائع أو تشريعات قانونية أخرى .

ثانيا : ان اختلاف المذاهب الفقهية فى الاسلام ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات من الأصول الحقوقية . وأن الفقه الاسلامى يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ..

تعديل القوانين المدنية فى الكويت احتراما للشريعة

وكان قد نشب خلاف بين الحكومة ومجلس الأمة حول تعديل المادة الأولى من القانون المدنى حيث وافق ثلاثون نائبا فى المجلس على التعديل المقترح باعطاء الشريعة الاسبقية على العرف اذا لم يتوافر النص القانونى أمام القاضى . كما أضيف الى التعديل فقرة أخرى : بأن للقاضى أن يحكم بسلطة الشريعة الاسلامية اذا وجد أن النص مخالف لها ..

الكويت ..

وافق خمسة وعشرون عضوا من أعضاء مجلس الأمة الكويتى على اقتراح تقدم به خمسة نواب بالمجلس يطالبون بتشكيل لجنة متخصصة لمراجعة القانون المدنى كله ، وتعديل المواد التى تخالف التشريع الاسلامى ..

رجاء جارودى وفشل الغرب والشرق .

زار المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى مكتب رابطة العالم الاسلامى بنيويورك وقال

في حديث للمسئولين بمكتب الرابطة : ان الأنظمة الرأسمالية الغربية والنظام الاشتراكي السوفيتي · قد فشلت جميعها في مواجهة تحديات مشاكل العالم الحالي وان الاسلام هو القادر على حل كافة المشاكل والمستقبل له حتما ·

الشريعة الإسلامية تحمي غير المسلمين

اكد الرئيس السوداني جعفر نميري « ليوحنا بولس الثاني» اسقف الكاثوليك العام اثناء زيارته لروما · ان تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان لن يؤثر على حقوق الأقليات غير المسلمة ، لان الشريعة الاسلامية تحترم حقوق الأقليات خاصة حرية العقيدة والعبادة ··

اشهر رجل اقتصادي في العالم يعتنق الاسلام

اعتنق الاسلام أشهر رجل اقتصادي في العالم بعد دراسة عميقة لهذا الدين وسمى نفسه (احمد) تيمنا باسم رسول الاسلام — صلى الله عليه وسلم — ، الذي ورد في القرآن الكريم على لسان السيد المسيح « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » ·

قال رجل الاقتصاد البريطاني : كريستوفر شامونت الذي اعتنق الاسلام : انني وجدت في الاسلام ما كنت ابحث عنه · فأي مشكلة يواجهها الانسان في حياته يجد حلها في القرآن الكريم ·· والاسلام هو الدين الذي يخاطب عقل الانسان · ويضع يده على بداية الطريق ليحقق السعادة في الدنيا والآخرة ··

المسابقة السنوية للقرآن الكريم

تنظم وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية المسابقة السنوية السادسة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره في الفترة من شهر مارس القادم وحتى الثالث عشر منه ·· وتهدف المسابقة الى تشجيع الناشئة من المسلمين على حفظ كتاب الله الكريم وتجويده والاقبال عليه بالدراسة ، حيث رصدت مبالغ ضخمة كجوائز للفائزين في نهاية المسابقة · وقد وجهت الدعوة الى اربعين دولة اسلامية للمشاركة في هذه المسابقة · كما وجهت الدعوة لأربع وتسعين جمعية من الجمعيات والمراكز الاسلامية في الدول غير الاسلامية ··

اللغة العربية في الصومال

اصدرت الحكومة الصومالية قرارا بالزام جميع الموظفين باستعمال اللغة العربية قراءة وكتابة خلال ستة اشهر ·

يأتي هذا القرار ضمن حملة واسعة النطاق بهدف تنمية اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، والتأكيد على الانتماء العربي ··

وكان الاستعمار الأوربي يعمل على طمس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتشجيع

السكان على استعمال اللغة الصومالية المحلية في محاولة لقطع الارتباط بين المسلمين ودينهم ..

اول مصرف اسلامي عالمي بالقاهرة

قرر رؤساء أربعة عشر مصرفا اسلاميا انشاء أول مصرف اسلامي عالمي برأسمال (خمسمائة مليون دولار) ليكون أساس نظام مصرفي اسلامي ويتولى ادارة سوق مالية اسلامية ، والتنسيق بين البنوك الاسلامية وتمويل مشروعات التنمية في العالم الاسلامي ..

كذلك قرر المؤتمر التأسيسي الاسلامي أن يتولى البنك مهام تخطيط السياسات التمويلية ووضع خريطة لاستثمارات العالم الاسلامي واستثمار فوائض الأموال الاسلامية ، وانشاء مصارف اسلامية في الدول الاسلامية التي لا تمتلك مثل هذا النوع من المصارف .

وكان المؤتمر التمهيدي ، قد قرر انشاء المصرف وتشكيل لجنة من ست من رؤساء المصارف الاسلامية لاتخاذ الاجراءات القانونية للتأسيس ودعوة المؤسسات المالية الاسلامية الأخرى الى المشاركة في المصرف وتشكيل لجنة فنية للقيام بالدراسات التكميلية اللازمة للتأسيس ..

اول مسجد في الدول الاسكندنافية

استوكهولم

أعلن رئيس رابطة المسلمين في السويد أن اول مسجد يقام في الدول الاسكندنافية سيفتح في شهر رمضان القادم ١٤٠٤ هـ في مدينة « معوى » وستمول المنظمة العالمية الاسلامية هذا المسجد الذي تقدر تكاليفه بسبعة ملايين « كورنة » سويدية ، وستلحق بالمسجد مدرسة للعلوم القرآنية .

ويقيم في السويد اكثر من خمسين الف مسلم ينحدرون من خمسين دولة مختلفة .. كذلك يعتزم المسلمون المقيمون في الدول الاسكندنافية بناء مسجد في « كوبناجن » ..

ثلاثة مساجد في امريكا

في مدينة « ريفرسايد » بكاليفورنيا بامريكا، قام اتحاد الطلبة المسلمين هناك بافتتاح مسجدهم الجديد الذي سمي (مسجد الاسلام) ..

كذلك احتفل مؤخرا في نيويورك بالانتهاء من انشاء الجامع الذي شيدته الجالية الاسلامية في كورونا ، احدى ضواحي نيويورك .

اما المسجد الثالث فقد افتتح في ولاية

(نيوجرسى) وهو اول مسجد بالمدينة يضم قاعة للمحاضرات وبعض المرافق الاخرى .

مراكز للدراسات الاسلامية

ابو ظبى

تم مؤخرا التوقيع على اتفاقية بين دولة الامارات العربية المتحدة ، وجمهورية باكستان الاسلامية .. تنص على تسليم ثلاثة مراكز للدراسات العليا فى مجال الدراسات العليا واللغة العربية الى حكومة باكستان « وقد تم الحاقها بجامعات : كراتشى والبنجاب وبيشاور » ..

آراء

كتب للمجلة السيد / محمد عبد الرحيم فرغل .

ان تساعده فى رفع صوته الى المسئولين لاتخاذ الوسائل الكفيلة باتمام العمل بمسجد (حوض الجنينة) ببندر نجع حمادى — قنا .

— نسأل الله — التوفيق والعون .

كتب للمجلة السيد الحاج عبد الله محمد عبد الله — ٨ ش المرغنى — قسم الاشارة — خلف نجدة الزقازيق شرقية .

ان ترفع شكواه الى المسئولين التى يرجو فيها أن يبت سريعا فى العمل الادخال (مجارى) مسجد الشيخ سيد تكفه الضيفى .

ولقد أبدى المسئولون بالمنطقة استعدادهم لهذا العمل منذ ثلاث سنوات . نرجو سرعة البت فى ذلك .

نسأل الله التوفيق .

كتب للمجلة السيد / مصطفى فرغلى جارحى — منفلوط — نزة قرار .

يشكو من عدم انتشار المعاهد الابتدائية الأزهرية فى جميع أنحاء الدولة وكثرة المعاهد الثانوية . وهو يتوجه بندائه هذا الى المسئولين فى الأزهر .

— نشكر للاخ هذا الشعور الطيب نحو الأزهر ونسأل الله التوفيق .

كتب الاخ / عارف الامير عارف محمود — سوهاج — المنشاة — الحريزات الغربية .

يشكو من عدم وصول المجلة الى سوهاج ومستفسرا عن كيفية الاشتراك فى المجلة .

أفادت مؤسسة الاهرام — شئون التوزيع — بالعدد المطروح بسوهاج ونأمل بمشيئة الله زيادته .

فهرس العدد

ings and Legislation of Islamic doctrine.Those who sin or fault or transgress through weakness, error or human neglect are required to repent in penitence, atone and repose trusting in the forgiveness of Allah.

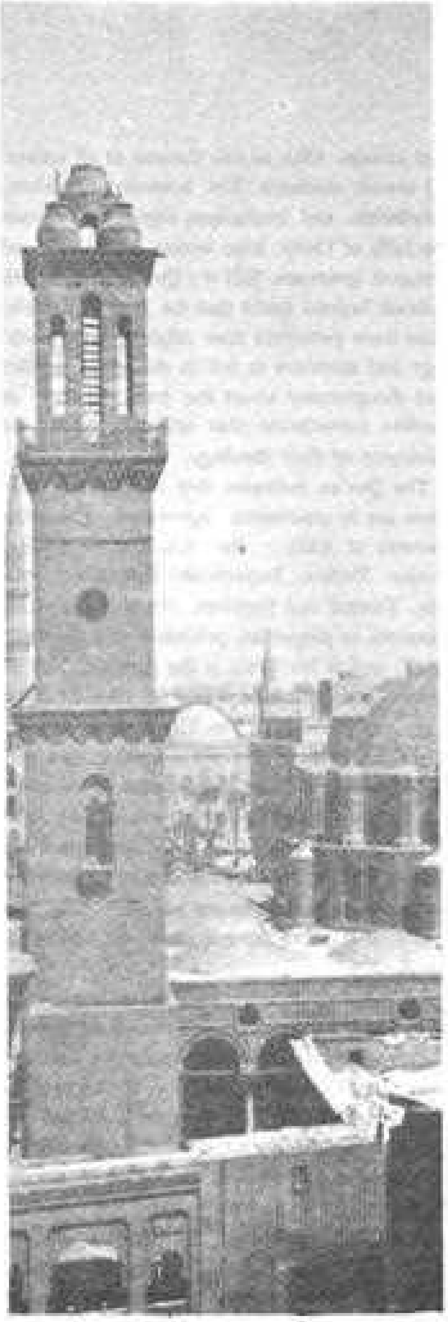
> Be quick in the race for forgiveness from your Lord,
> And for a garden whose width is that (of the whole) of the heavens and the earth,
> Prepared for the righteous.
>
> (Surat Al-Imran III, 133)

> And those who, having done something to be ashamed of,
> Or wronged their own souls, Earnestly bring God to mind,
> And ask for forgiveness for their sins,
> And who can forgive sins except Allah
> And are never obstinate in persisting knowingly
> In (the wrong) they have done.
>
> (Surat Al-Imran III, 135)

The thelogy of Islam teaches that Faith does not demand supression or submission, it requires pious self willing humble obedience to the words of Allah and the tradition of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). Its substance is simple inherent belief originating from the heart free from force or compulsion, thus extoring for itself reverence and dignified fidelity and devotion.

To witness that there is no God but Allah and that Mohammad is the messenger of Allah is the trunk of Islamic Faith. This axiom dominates, encompasses and entails within its intrinsic detail a supreme tunning, efficiency and fulfillment of human righteous behaviour, conduct, and achievement.

> If anyone desires a religion other than Islam,
> Never will it be accepted of him; and
> In the Hereafter He will be in the ranks of those who have lost.
>
> (Surat Al-Imran III, 85)



and acclaim Allah as sole Creator of all universal cosmic existance. Yet, however, idolators, polytheists, and trinitarians reject to embrace the faith of Unity; from wrong standing and arrogant ignorance. Still the Qur'an and Hadith indicate beyond doubt that the Jews and Christians have perverted their original basic teachings and doctrines to fall in the pit of conflict and disagreement about the true Reality of absolute monotheism that originally forms the backbone of their theology.

The Qur'an indicates that all heavenly religions are in unanimous agreement about the Oneness of Allah:, the Absolute, Reality, Unique, Perfect, Impartable, Intangible, Infinite, Eternal and Supreme. He is beyond dimensions or properties, precedent and successor to all, and in his hands is the dominion of all things. Jesus is not, and has not claimed to be a son or a junior god. The Virgin Mary with her esteemeed position was not a mother to a god nor a medium for God to humanize. Only Allah has the power and domain to create, the right to charge with what He ordains and what He forbids. He does not coerce man into obedience but leaves us to recognition, comprehension and choice to attain a self-will faith and belief in the Reality.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was ordained and chosen as Messenger of Allah, with guidance and right faith in mercy of all mankind, and for perfection of human morals. All Muslims are ordered by Qur'anic command to obey the Prophet in all he advocates and to reject all that he denies and forbids.

Belief in the unknown and unseen is the core of Muslim Faith; in fact, it is the decisive distinction between believers and non-believers. The attributes mentioned in the Qur'an of the righteous are their belief in the unseen, those are bestawed with utmost guidance from Allah.

> A.L.M.
> This is the book; in it is guidance sure without doubt to those who fear God.
> Who believe in the Unseen, are steadfast in prayers,
> And spend out of what We have provided for them.
> And who believe in the Revelation sent to thee,
> And sent before thy time, and (in their hearts)
> Have the assurance of the Hereafter
> They are on (true) guidance, from their Lord,
> and it is these who will prosper.
> (Surat Al-Baqara II, 1-5)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and the believers have belief in Allah, in the revelation, in His Angles, His scriptures, His Apostles. In the Quranic text is stated:-

> The Prophet believeth in what hath been revealed to him from his Lord,
> As do the men of faith
> Each one (of them believeth in
> God, his angels, his books, and his apostles.
> «We make no distnictoin (they say) between one and another of his apostles»,
> And they say: «We hear, and we obey:
> (We Seek) Thy forgiveness our Lord, and to Thee is the end of all journeys.
> (Surat Al-Baqara II, 285)

From such perception and comprehension, Muslims believe firmly in the Hereafter, Resurrection, Account, Reward and Punishment, Paradise and Hell; and in ordainment and predetination. They are firmly bound by all teach-

FROM

THE TEACHINGS OF ISLAM

by: Soliman Barakat

«There is no God but Allah, Mohammad is the Apostle of Allah». This dual statement is the core of Muslim faith. A monotheist is not a believer who denies the propophethood of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him).

Allah, highly exalted is the sole Creator of all. A peer to Him is sheer impossibility. Divinity and the right to be workshipped are particular to Him alone. Allah is Eternal, Absolute. He begetteth not, nor is He begotten. Allah is not a mere abstract of philosophical conceptions. He is the Reality unique in qualities and nature.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) is the last of the chain of prophets. He is the Messenger of Allah to mankind rather than to certain people with command and decree to convey the words of Allah to man of all colours and tongues.

The Qur'an is the word of Allah revealed to His Messenger through the Archangel Gabdiel. The revelation of the Quran was protracted over twenty three years — the years of the mission. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) most honestly conveyed the exact text of the Quranic revelation and arranged it as ordered before his death. Allah has explicitly undertaken to preserve the exact text from alteration, perversion, omission or addition from time of revelation to eternity.

The implemetation of Quranic elements and teachings were bequeathed to Muslims through the Tradition (Sunna) of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him). His life's conduct and Hadith have been applications and interpretations of Islamic code as portrayed in the Qur'an. The scope of this understanding entails that both the Qur'an and the Tradition are binding to all Muslims as the solid source of Islamic legislation (the Shari'ah). This Islamic Shari'ah sanctifies, legalises, legislates and essentially dominates by divine code all aspects of human life and conduct.

Knowledge of the Qur'an and Tradition constitutes the bulk of Islamic doctrine from which no Muslim can ignore or absolve himself of its precepts. Such are the pillars of Islam-Prayer (Salat), Fasting of Ramadan, Zakat, and attending Pilgraimage (if rendered possible). These pillars are supplemented by adherent obedience and strict compliance to restrains and restrictions that Allah has specified. These supplements include social, financial, matrimonial, cultural, educational, behavioral, spiritual, and all similar components of man's existance both worldly and in the life hereafter. All these facets together command and formulate a Muslim's attitude, inward intention, thought, and outward conduct.

The absolute Oneness of Allah is the salient maxim and assertion in Islamic Faith. It stands out awe-inspiring throughout the Qur'an from beginning to end. Next comes the affirmation that Allah has chosen to all nations—Apostles from among them — calling them to distinguish

Mary said:

«O children of Israel. I am the Apostle of God sent to you confirming the Law (which came) before me, and giving Glad Tidings of an apostle to come after me. Whose name shall be Ahmad».

But when he came to them with clear signs. They said «This is evident sorcery».

(Surat Al-Saff. LX 6)

The dawn of the Revelation was ve[illegible] [illegible]e, and the fulfilment of the prophecies o. Moses and Jesus was about to materialise in the person of Mohammad Ibn Abdu-Allah (Prayers and Peace from Allah upon him) to be the last of all prophets, to carry the message of Islam to dislose humanity from the pitch of darkness to the Reality, to the Light, to the Truth. The Revelation of the Qur'an reinstates man in the appropriate rank of descency and dignity.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

References

1 — Alsira Alnabawiah.
3rd Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi.
Publisher. Dar Al Shorook. Jeddah.

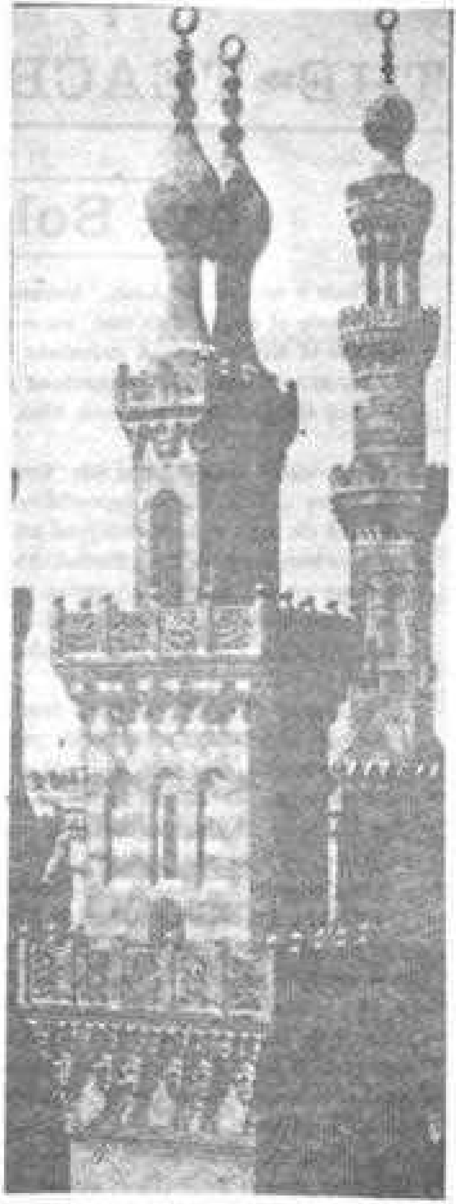
2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th Edition 1978.
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey.
Publisher. Great Commercial Library. Cairo.

3 — Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy.
Kilani Library — Cairo — printed 1980.

4 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif. 1977. Cairo

5 — Figh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th Edition. 1977.
Dar Al-Fikr. Cairo.

6 — The Holy Quran.
Text. Translation and Coumentary.
Abdullah Yusuf Ali.



Ibn Al-Mughirah Al-Makhzumil being an elder respectable figure in Kuraysh rose and counselled them to adhere to patience and accept the judgement of the first man who enters the courtyard of the Kabaa. By divine providence the first man that entered was Mohammad (Prayers and Peace from Allah Upon him). All the clans applauded and commended his judgement knowing him well as the honest and truthfull. He spread his robe and requested from the chieftain of each clan to lift the robe after placing the Black Stone in the robe, reaching the site of the stone in the corner of the Kabaa he placed it there himself. By this wise management and solution he prevented an impending war between the clans of Kuraysh.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was approaching the age of forty years. He was experiencing a severe inner contrariety and struggle resulting from his true piety and distinct spiritual refinement as opposed to the repudiative chaotic infamy and human disintegration around him. His aptitude for solitude and thoughtfull contemplation drove him to seclusion and withdrawal from society around him. With provident direction, he chose an encavement at Mount Hira (North West of Macca) to be the place of his retreat. There, it became his custom to remain for several nights, alone in deep meditative thought, worship, and earnest search for Reality and Truth. He purified himself from arrogance, envy, hypocracy, world lust, repentance and inner self discipline and restraint.

He gave thought to creation and its wounderous mysteries, to the law and power that govern the universe in perpetual harmony and order. He was paving his mind, heart and self to the Absolute infallible belief. His conduct and behavior during that period was undoubtedly preparatory and provisional to the revelation that later came to him in his seclusion and retreat.

Both the Taurah and Gospel explicity document precise statements indicating the oncoming of a prophet after Moses and Jesus. Such indication is rightly stated in the Qur'an.

> «Those who follow the Apostle, the unlettered Prophet whom they find mentioned in their own Sriptrres. In the law and the Gospel.
>
> For he commands them what is jrst, and forbids them what is evil; he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure);
>
> He releases them from their heavy burdens and from the Yokes that are upon them.
>
> So it is those who believe in him, honour him, help him, and follow the light which is sent down with him. It is they who will prosper».
>
> (Surat Al-Araf VII, 157)

This cearly indicates that prophecies about Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) are stated in the Taurah and Gospel. In the reflex of the Taurah as now accepted by the Jews, Moses says «The Lord thy God will raise up unto thee a Prophet from the midst of thee of thy brethren, like unto me (Deut, XVIII, 15). The only Prophet bringing a Shari'ah like that of Moses was Mohammad (Prayers . and Peace from Allah upon him), and he descended from the house of Ismail the brother of Issac the father of Israel. Also in the reflex of the Gospel as now accepted by the Christians Christ promised another Comforter (John XIV, 16). The original prophecy of Jesus stated the name Ahmed. The names Ahmed and Mohammad both originate from the same Arabic meaning of the «Praised One». This prophecy of Jesus is distinctly stated in the Qur'an.

«And remember, Jesus», The Son of

MOHAMMAD

PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM

FROM MARRIAGE TO THE REVELATION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

The mai ied life of the Prophet (Prayers and Peace form Allah upon him) with his first wife Khadija Bent Khuwaylied was highly distinguished by mutual fidelity,faithfulness, understanding, liniency and clement compassion. She recognised in him the rarity and uniqueness of supernal qualities of chara and personality. She identified and ack edged the depth of his **subtle** humble wisdom and his aspiring aptitude and inborn faculty for intellectual reasoning. He was inhere ly endowed with transcendent wonder and meditative contemplation and thoughtfullness. She respected and esteemed his reverence, devoutness and solemn piety. Married to a man of such extraordinary distinctions and refinement, she relieved him from expediting and promoting her trades to allow him the time, peace and tranquility necessary for his theosphic perceptions. Khadija gave birth to all the children of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) except Ibrahim. She was the mother of two male children Al-Qassim and Abdu Allah who died as infants: and Zainab, Ruqaiah, Um-Kulthoum and Fatimah as female children who survived to be married. The years went on and Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) shared with Kadija a life of peace, content and tender kind companionship. In Macca he was eminent among Kuraysh sharing wi them timely events, renouned as the honest and truthfull; with sincere modesty, intelligence, wisdom, tolerant, generous, determined and confindent. He was pure and pious, and did not indulge himself in transgression or sin, profligacy or want-on unchastity. His greatness, resoluteness and thoughtfull **serious** character was dominating.

At the age of thirty five years, torrents of rain surged over Macca causing disasterous damage specially to the Kabaa. Kuraysh decided to rebuild the Kabaa, and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) took active part in the reconstruction. The clans of Kuraysh arranged to divide the four faces of the Kabaa among them to pull it down and reconstruct; taking the foundations of Ibrahim and Ismail (Peace upon them) as mounting understructure. When the building was shoulder high, a dispute between the clans took place concerning replacing the sacred Black Stone to its original site. Each clan desired for itself the privilage and honour of carrying the Black Stone to its place. The dispute was escalated between the clans to reach armed confrontation. At that critical situation of stubborn disagreement between the clans of Kuraysh reaching the edge of armed conflict, Abu Umayah

بسم الله الرحمن الرحيم

من هدي فقهاء من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم هم السابقون الأولون الى هذا الدين رضى ويقينا ، الحاملون نصوصه أمانة وبلاغا ، الناشرون لواءه هديا واعلاما ، فلهم بهذه « الروافد » وقاية تمنعهم لغط الناس ، وتصون امامتهم فى الأجيال اعلاما أئمة مهتدين .

وهذا حقهم بالكتاب والسنة واجماع الأمة .

واجرهم ـ عند الله سبحانه ـ فوق ما يحصيه ذكاء البشر ، حتى لتصبح « المبالغة » هباء لايقضى بحق أو يصور ثوابا .

الجزء الخامس السنة السادسة والخمسون

* جمادى الأولى ١٤٠٤ هجرية *

* فبراير ١٩٨٤ ميلادية *

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د . على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



جامع عمرو بن العاص

منهج دقيق في جلال صحابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئا .
ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا »

صدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم . ترى :

كم يبلغ أجر عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ وهو أحدهم ؟ !!

انه لا ينبت بمصر وليد يشهد « أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » .

الا كان لعمرو أجر اسلامه وذريته الى يوم الدين ، لا ينقص أجره من أجرهم شيئا ،
فيمين « عمرو » هي التي أهدت الاسلام الى مصر ، وبه صار أهلها مسلمين ما أصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » الحديث .

لذلك كان للحديث عنهم ــ رضوان الله عليهم ــ مقام ، وكان له منهج .

فأما المقام :

فقد بينه المصطفى الأمين اذ حد حدودا بينة أوجب علينا الا نقترب منها ، فلزم :

(أ) الا نذكرهم بسوء .

(ب) وألا نتحدث بوقائعهم ــ بعضهم مع بعض .

ذلك أن ما وصل الينا من شأنهم لا يعطى من أخبارهم الا شذرات لا تغنى شيئا من علم فى هذه الوقائع .

فان (رمنا) منزلتهم وجب علينا عدم الخوض .

وان رُمْنَا « العِلْم » فليس بين أيدينا حقائق الأشياء ، وسط ركام من رُوَاةِ السوء ، وَصُنَّاعِ اللبس ، ورُوَّادِ الحقد ، وأُجَرَاء الدسيسة ، وعملاء الأعداء .

فما بَقِيَ لنا ــ بعد ــ الا هُدَاهم .

ونحمد الله أن كان رُوَاةُ الْهُدَى أهل الهدى . وفى « الْهُدَى » ننظر ، وبه ننتفع فى اطار « منهج » .

وللمنهج علماؤه المختصون ، لا نكابر فيما أسسوا من (حق) فى سند الرجال ومتن الحديث :

فالرجال علم ينبغى أن يحاط به لنأخذ ما نأخذ عن بينة وللحديث(متن) له موازينه فى ضوئها نأخذ وننتفع وفى ضوء « المنهج » و «المقام» نأوى الى سلوك مستقيم .

للدكتور على الخطيب

دراسات قرآنية

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
السلام لست مؤمنا

المحمد في القرآن الكريم

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

البيـــان

فرض الله عـــلى عباده المؤمنين ان يجاهدوا في سبيله ، ويقاتلوا اعـــداءه الذين يتربصون بدينه الدوائر ، كفـــا لاذاهم ، ودفعا لعدوانهم وخيانتهم ، فان هم اسلموا أو عاهدونا على الســـلام والامان ، كففنا عنهم وبادلناهم ســـلاما بسلام ، وكنا اكثر منهم وفاء بما تعاهدنا معهم عليه ، فلا نكرههم على الايمـــان ، قال تعالى « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ » (١) .

واحيانا تحدث من المجاهدين اخطـــاء ، يخالفون بها تعاليم الاسلام ونصوص القرآن، وقد يحدث ذلك بضرب من التأويل ــ والقرآن ينزل ــ فعند ذلك يوحي الله تعالى الى رسوله من الأوامـــر والنـــواهي ما يرد المخطئين الى الصواب ، وأحيانا يكون ردهم اليه بهدي نبوي وقد يجتمع الأمران .

ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن الســـدي قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ سرية عليها أسامة بن زيد الى بني ضمرة ، فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك ، معه غنيمات له وجمل أحمر ، فأوى الى كهف جبل ، واتبعه أسامة ، فلما بلغ مرداس الكهف وضـــع فيـــه غنمه ثم اقبل عليهم فقال : « الســـلام عليكم ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فشد عليه أسامة فقتله من أجل جمله وغنيمته ،

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث أسامة أحب أن يثني عليه خيرا ويسأل عنه أصحابه ، فلما رجعوا لم يسألهم عنه ، فجعل القـــوم يحدثون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : يا رسول الله ، لو رأيت أسامة وقد لقيه رجل ، فقال الرجل : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فشد عليه فقتله ــ وهو معرض عنهم ــ فلمـــا أكثروا عليه رفع رأســـه الى أسامة فقال « كيف أنت ولا اله الا الله » فقال : يارسول الله ، انما قالها متعوذا يتعوذ بها(٢) .

فقال صلى الله عليه وسلم : هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه » ، ثم نزلت الآية .. ويعني بالآية قوله تعالى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ

---

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) اي يلجأ الى الشـــهادة ليحتمي بها من القتل لا من عقيدة .

لفضيلة الشيخ

مصطفى محمد الحديدى الطير

إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » . (١) وقد ذكر لنزول هذه الآية أسباب أخرى ، وحسب القارىء ما ذكرنا .

فأنت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعجبه تصرف أسامة ، حيث قتل رجلا ألقى اليه السلام ، وأعلن بكلمتى الشهادة اسلامه ، فقد أعرض عن استماع الثناء عليه من أصحابه ، بعدما أبلغه الوحى ما فعل أسامة قبل عودته الى المدينة ، ولم يكتف الرسول بهذا الاعراض ، بل ناقش أسامة فى قتله مرداس ابن نهيك بعد أن أعلن اسلامه ، ولم يقبل منه اعتذاره عن قتله اياه ، بأنه لم يكن مخلصا فى اسلامه ، بل أسلم تعوذا وتقية ، فقد قال له معنفا ولائما : « هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه » يريد بذلك أن أمر القلوب الى الله تعالى فيكفينا فى اسلام المرء وحقن دمه أن ينطق بالشهادتين ، وحسابه على الله تعالى ، فان كان مخلصا أثابه ، وان كان منافقا عاقبه ، ولم يكلفنا الله التنقيب عما أضمره فى قلبه ، فان ذلك سيظهر فيما بعد من تصرفاته .

ولم يقف الأمر عندما فعله الرسول مع أسامة ومراقبته فى السرية ، بل أنزل الله هذه الآية الكريمة توجب على المسلمين أن يتبينوا ويتعرفوا وجه الحق فى تصرفاتهم ، وتنهاهم عن التسرع فى الحكم ، حتى لا يقتل أحد ظلما وتبين أنه يكفى فى اسلام المرء أن ينطق بالشهادتين فالمقصود بالقاء السلام اليهم النطق بالشهادتين أمامهم ، وتسميتها سلاما ، لأنهما أمارتان على المسالمة من جانب قائلهما ، وسبيان للسلام والأمان من جانب المسلمين ، فلا يحل اهدار دم من نطق بهما .

ومن العلماء من فسر السلام فى الآية بتحية الاسلام : (السلام عليكم) ولكننا لم نأخذ بهذا التفسير ، لمخالفته لسبب النزول ، ولأن العاصم الأول للكافر من القتل هو نطقه بالشهادتين ، فقد أخرج الامام مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

وفى رواية أخرى لمسلم عنه أنه — صلى الله عليه وسلم — قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) .

سنة التدرج فى الاسلام

ولكى تزداد علما بأن الشهادتين هما مفتاح

(١) النساء ٩٤ .

السلام بيننا وبين من نطق بهما ، وانهما صمام الأمان الأول لمن اراد الدخول في الاسلام ، وأنهما أول ما يطلب منه ، ثم يطلب منه سواهما بعد أن ينطق بهما على سبيل التدرج — لكي تزداد علما بذلك — أسوق اليك هذا الحديث الصحيح : عن ابن عباس (أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما بعث معاذا الى اليمن قال : « انك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل فاذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فاذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فاذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم » .

فالرسول يعلم معاذا أن يبدأ أهل الكتاب بتعريفهم بوحدانية الله وتخصيصه دون سواه بالربوبية ، وذلك ما يدعو اليه الاسلام في صورة النطق بالشهادتين ، وبهما يعصم دم قائلهما وماله ، كما تقدم في حديث مسلم ، وبعد أن يعلمهم توحيد البارى ، يعلمهم الصلاة ، فاذا استجابوا وأطاعوا أخبرهم بأن الله فرض على أغنيائهم زكاة لفقرائهم — من باب التكافل الاجتماعي — وليقضي على الحقد والبغضاء في المجتمع الاسلامي ، فان اجتمع قوم على ترك الصلاة والزكاة قاتلناهم حتى يعودوا الى أدائهما ، ولا نبدؤهم بالقتال حتى ننصحهم فلا يستجيبوا .

وفي ذلك يقول النبي — صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله » أخرجه الامام البخاري في كتاب الايمان .

وانما اختصت الصلاة والزكاة بقتال من تركوها بشكل جماعي ، لأن الاجتماع على ذلك هدم لأعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين .. وطمس لأهم شعائره ، وذلك دون شك أمارة على فقدان الايمان وهروبه من أعماق القلوب ، وأثره على ايمان المؤمنين واقبالهم على الطاعة جد خطير ، فما لم يؤخذ على أيدي هذه العصابة ، انتقلت عدواها الى البيئات الصالحة .

وقد سلك أبو بكر — رضي الله عنه — هذا المسلك الذي رسمه الحديث الشريف مع مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وهم قوم أنكروا وجوب أداء الزكاة للامام بتحريض من مالك بن نويرة ، ولكنهم أقروا بالصلاة ، فلما أراد أبو بكر قتالهم قال عمر بن الخطاب : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم على منعه .

فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو الا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق » : ا هـ من حديث أخرجه الامام مسلم عن أبى هريرة .

العصمة تكون بالشهادتين :

فمما تقدم من نصوص الكتاب والسنة تعلم أن من نطق بالشهادتين يعصم دمه وماله ، ثم يعلم أحكام الاسلام وآدابه ، ويطالب بأداء مايجب عليه منها من صلاة وزكاة وحج وعفة عن الفواحش وأمانة ، وغير ذلك من حقوق الله وحقوق عباده ، ولايهدر دمه كفرا بعد أدائه الشهادتين فى أية معصية من المعاصى ، فان المعاصى لاتكفر مؤمنا حتى يهدر دمه بفعلها .

ولقد شرع الله تعالى للعصاة حدودا وتعازير فى بعض المعاصى ، كما شرع التوبة والاستغفار فيما لم يشرع فيه حدا ولا تعزيرا .

وأعلم أن المعاصى الخفية التى يستتر فيها العصاة ولايعلم الناس عنها شيئا ، وكذلك فساد القلوب ونفاقها فأمر العباد فيها الى الله تعالى وحسابهم عليه سبحانه ، وفى شأنها يقول الله تعالى لنبيه : « **إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** » (١) فقد نفى الله سيطرة نبيه على قلوب الناس ، وأثبت حقه فى تذكيرهم ووعظهم ، ولم يجعل له حقا فى قتلهم ولهذا لم يقتل أحدا من منافقى المدينة وما حولها مع علمه بنفاقهم (٢) ، لأنهم يحتمون بالنطق بالشهادتين ، والله تعالى قد أمره بالكف عمن ينطق بهما فلا يقاتله ولايقتله ، كما تقدم بيانه قرآنا وسنة ، وانما نهاه عن الصلاة على من مات منهم والقيام على قبره ، بقوله سبحانه :

« **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** » (٣) .

فأنت ترى أنه تعالى كشف فى هذه الآية ماانطوت عليه قلوبهم من الكفر ، وما اتسم به سلوكهم من الفسق ، ومع هذا فانه تعالى لم يأمره بقتلهم لأنهم يتظاهرون بالاسلام ، ويحضرون الى المساجد ، ويشهدون الجماعات، ولقد كانت لهم مواقف جماعية هددت الاسلام وكادت تقضى عليه لولا أنه دين الله ، وهو الذى يكلؤه ويرعاه .

ففى غزوة أحد رجع منهم ثلاثمائة بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول،وكادت طائفتان من المؤمنين أن يفشلا بسببه ، وانتهت الغزوة بهزيمة المسلمين فيها بسبب هؤلاء المنافقين ، كما أنهم قاموا بأوفر دعاية فى قصة الافك التى ابتدعوها وزوروها ، وحينما وعد الله المؤمنين بالنصر فى غزوة الخندق قالوا « **مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** » (٤) ثم انسحبوا من المعركة قائلين « **إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** » (٥) .

---

(١) الغاشية ٢١ و ٢٢ .

(٢) « **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ** » الآية ١٠١ من سورة التوبة .

(٣) التوبة ٨٤ .

(٤) الاحزاب ١٢ .

(٥) الاحزاب ١٣

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

والخلاصة ان النطق بالشهادتين يعصم الناطق بهما فى دمه وماله ، حتى يحدث منه مايوجب حدا أو تعزيرا او قضاء حق من الحقوق ، ويثبت ذلك عليه باقرار او شهود فيقام عليه الحد ان اصاب مايوجبه ، او التعزير ان فعل ما يقتضيه ، او يلزم برد الحق لصاحبه ان ثبت عليه .

وهذا هو حق الاسلام فى قوله — صلى الله عليه وسلم — « فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » من حديث مسلم .

المعاصى لاتكفر مسلما

ان الله هو الذى خلق الانسان ، وهو الذى يعلم ماطبع عليه من الغرائز والشهوات ، وأنه عرضة للتأثر بغرائزه ، وشهواته ، ومخالفة أمره ونهيه ، فلهذا فتح له باب التوبة والاستغفار ، وجعل أمر من لم يتب اليه وحده ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه .

فهذا آدم خلقه الله بدون واسطة ، وعلمه الأسماء والمسميات ، وأسجد له الملائكة ، وتكبر عليه ابليس وحذره الله منه ، ولكنه أغراه حتى أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ، فأهبطه الله الى الأرض مع زوجه ، لأن الجنة لم تعد للخطيئة ، وانما أعدت لها الأرض ، حيث جعلت دارا للتكليف ، ولم يكفر الله آدم بخطيئته ، بل وصفه بالعصيان ، ثم تاب الله عليه وهدى ، والمؤمنون اذا قاتل بعضهم بعضا لايسلب عنهم الايمان ، بل يوصفون به ، مع عصيان الباغية منهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

فقد وصفت الطائفتان المتقاتلتان بالايمان وبأنهم اخوة للمؤمنين ، وأن عليهم أن يصلحوا بين أخويهم .

ولم يحدث أن كفر النبى عاصيا بمعصيته ، ولو وصلت الى حد الزنى ، فهذا ماعز والغامدية لما زنيا واعترفا حاول النبى أن يصرفهما عن الاعتراف ، فلما أصرا عليه أقام عليهما حد الزنى — وهو الرجم — ولم يحكم بكفرهما ، فلا كفر الا بانكار ماعلم من الدين بالضرورة كانكار الوهية الله أو وحدانيته أو نبوة أنبيائه أو اليوم الآخر ، أو نحو ذلك مما يهدم أساس العقيدة ، ويزلزل قواعد الايمان .

ومن الأمثلة الهامة على أن المعصية لاتكفر مؤمنا ماحدث من حاطب بن أبى بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا ، فقد كتب رسالة الى قريش يخبرهم فيها بما يستفاد منه عزم الرسول على فتح مكة ، وبعث بهذه الرسالة مع جارية ،

---

(١) الحجرات ٩ ، ١٠ .

فاعلم الله رسوله بهذه الخيانة العظمى ، فأرسل في أثرها عليا والمقداد والزبير بن العوام ، فالتقوا بها في روضة خاخ وأخرجوا الرسالة من عقاص شعرها ، وأتوا بها الى الرسول ، ولما سأله عن سر هذه الخيانة قال : انى لم أكن من قريش بل كنت حليفا لها ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتدادا عن دينى ، ولارضا بالكفر بعد الايمان .

فقال — صلى الله عليه وسلم — انه قد صدقكم ، وعفا عنه لأنه شهد بدرا ، ونزل فيه قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ »(١) .

بعد هذا العرض أقول انه لايصح أن يكفر مؤمن بمعصية ولايقتل بها ، وانما يؤاخذ بمعصية ان وصلت الى القضاء وثبتت عليه باقرار أو شهود ، وتكون عقوبته وفقا لما تقرر في الاسلام من حد أو تعزير ، حسب نوع هذه المعصية ومن لم تبلغ معصيته الى القضاء فعليه أن يتوب الى ربه ولا يلقاه بذنبه ، وباب التوبة والاستغفار والعفو مفتوح على مصراعيه للتائبين الصادقين . قال تعالى : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ »(٢) .

بهذا البيان والتحقيق نرجو أن نكون قد حسمنا مشكلة قديمة تجد من يثيرها من جيل الى جيل فمن قديم قال بعض الفرق بكفر من يرتكب المعاصى ولايتوب ، ولا نزال نقرأ أو نسمع من يثير هذا الرأى الذى يجافى كتاب الله وسنة رسوله .

ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل ويوفقنا الى منهج القرآن والسنة المطهرة على الدوام ، والله حسبنا ورجاؤنا ، عليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) الممتحنة ١ .

(٢) الزمر ٥٣ ، ٥٤ .

الحمد في القرآن الكريم

١٠ ـ مثل للرد على عبدة الأصنام :

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » النحل ٧٥ .

هذا مثل ساقه الله للرد على عبدة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، وقد سيقت الآية لاثبات التوحيد ودفع الحمقى من عبدة الأوثان : ومفهوم المثل : أن العبد المملوك الذى لا يقدر على شىء لا يجوز فى عقل أحد أن يسوى بالحر الكريم الغنى الذى ينفق من ماله سرا وجهرا فى الاجلال والاكبار ، فكما انه لا يمكن التسوية بينهما فى التنظيم على الرغم من اتفاقهما فى الصورة البشرية فكذلك لا يمكن أن يسوى بين الله القادر على الخلق والرزق وبين الأصنام التى لا تملك شيئا .

وقيل المراد بالعبد المملوك : الصنم وهو ذليل مملوك (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا) .

(وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا) : هو عابد الصنم لأن الله رزقه المال الذى ينفق منه على ما يريد .

فكيف يسوى عقلا بين الصنم وعابد الصنم ، وكيف يجوز الحكم بأن الصنم الذى صنعته يد الناحت يساوى رب العالمين الخالق لكل شىء .

والتعبير بصيغة الجمع فى قوله : (هَلْ يَسْتَوُونَ) معناه الأحرار والعبيد .

ثم قال : الحمد لله « الذى أنعم على أوليائه بنعمة التوحيد وان الحمد كله له ، وليس شىء منه للأصنام بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن الحمد لله وحده » .

أو الحمد لله على قوة الحجة التى قدمها وظهورها وان كان أكثر المشركين لا يعلمون وضوح الحجة التى ساقها فى المثل ، ولا يفهمونها لأنهم ضلوا عن طريق الحق وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون .

١١ ـ كيفية التحميد :

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) الاسراء ١١١ .

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الآية السابقة أن يدعوه بلفظ الجلالة أو الرحمن أو اى اسم من أسمائه الحسنى فكلها له جل جلاله وهو السميع لكل من ناداه بأحدها أو بكلها ، ثم نهاه عن الجهر بالصلاة حتى لا يسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفه

علم كما نهاه عن التخافت بها حتى يستحيل سماعها على أصحابه .

وأمره أن يسلك صوته سبيلا وسطا بين الجهر والاخفات .

ثم علمه كيفية التحميد وصفات التنزيه والجلال بعد أن أمره بتقديم الحمد لله الذى وصف نفسه بصفات :

أولها : أنه لم يتخذ ولدا ، لأنه من ولد له يحفظ النعم لولده ولا يفيضها على غيره ، ومن ليس له ولد ينعم على عبيده جميعا .

ثانيها : أنه لاشريك له ، لأنه لو كان له شريك لا يكون مستحقا وحده للحمد والشكر ، بل يشركه في الحمد شريكه .

ثالثها : أنه لم يكن له ولى من الذل ، لأنه لو جاز أن يكون له ولى من الذل لم يجب شكره لجواز أن يكون غيره هو الذى حمله على الانعام .

رابعا : التكبير : والمراد تكبير الله في ذاته وفي صفاته من حيث الكمال والعظمة والجلال ، وتنزيهه عن صفات النقص وتكبير الله في أسمائه وأحكامه .

وتشير الآية الى اقتران الحمد بالتكبير عند ذكر الله ، وفي ذلك تعليم للعباد .

١٢ ـ الحمد لانزال القرآن :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) الكهف ١ ـ ٣ .

لقد كرم الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم باتخاذه عبدا له في سورتين متتاليتين بدأ احداهما بالتسبيح : « **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** » .

وبدأ الثانية بالتحميد : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ** » والكتاب : القرآن « **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** » .

وانزال الكتاب على عبده نعمة للمنزل عليه ونعمة على أمته ، ولهذا كان الحمد واجبا على النبى وعلى أمته :

أما كون الكتاب : وهو القرآن نعمة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ، فلأن الله أطلعه بهذا القرآن على التوحيد وصفات الجلال وأحوال الملائكة وعالم الآخرة وغير ذلك مما حواه القرآن وما أكثر ما حوى مما لم ينزل على بشر قبله وايثاره بذلك كله نعمة تستوجب حمد رسول الله على ما آتاه الله وفضله به على غيره من الرسل .

وأما أنه نعمة على أمته فلأنه مشتمل على التكاليف والأحكام والسلوك والوعد والوعيد والثواب والعقاب وغير ذلك مما ينتفع به الانسان في دنياه وأخراه وتلك النعمة تستوجب شكر الأمة الاسلامية كلها على اختلاف الأجيال والأحقاب وقد وصف الله القرآن المنزل على عبده بوصفين في قوله :

« وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا » وأشار بنفى العوج عنه : الى أنه كامل وأشار بقوله : قيما الى أنه قائم بمصالح الغير ، والمراد بنفي العوج : نفي التناقض عن آياته « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

والمراد بالقيم : المستقيم او أنه الهادى الذى يجرى مجرى القيم للاطفال ، واثبات الاستقامة بعد نفى العوج الذى يدل على الاستقامة فيه تأكيد .

ثم بين السبب فى انزال الكتاب بأنه أنزله للانذار والبشارة ، فهو ينذر الكافرين بأسا شديدا ، والبأس : العذاب وهو يبشر المؤمنين الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح بالأجر الحسن الدائم وهو الجنة .

والآية تدل على أن الله يوجه رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى انذار الناس جميعا وتبشير المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات .

* وفى الآية كذلك تلقين للأمة وتفقيه لها فى الثناء على سبب انزال الكتاب الجامع لخير البشرية على عبده محمد .

١٢ ــ أمر الله لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد :

« فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ » طه ١٣٠ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه : أنه لولا كلمة سبقت من ربك بتأخير عذاب هؤلاء الكفرة الى يوم القيامة لحل بكفار مكة العقاب بسبب تكذيبهم الرسول ، ثم أمره فى هذه الآية بالصبر على ما يقولون من أنه : ساحر أو شاعر أو مجنون أو كذاب كما أمره بأن يفزع الى التسبيح بحمد الله أى سبحه وأنت حامد لربك على توفيقه لك بالتسبيح واعانتك عليه واختلف فى المراد من قوله : « فسبح » .

فقال بعضهم : المراد بالتسبيح : الصلاة ، وفسروا الآية على أن المراد : الصلوات الخمس ، فالمراد بقوله : قبل طلوع الشمس الفجر ، وقبل غروبها ، الظهر والعصر ، ومن آناء الليل : المغرب والعشاء .

وقال بعضهم : المراد بقوله قبل طلوع وقبل غروبها الليل والنهار وفيهما الصلوات الخمس ، أما قوله ، ومن آناء الليل :

فيراد بذلك : صلاة النوافل فى الليل هذا اذا كان المراد بالتسبيح : الصلاة .

واذا كان المراد بالتسبيح : الذكر ، كان المعنى اذكر الله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار ، أى اذكر الله فى كل الأوقات ــ وأفضل الذكر ما كان بالليل : « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا » « أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ » والليل وقت الراحة فاذا صرفه الانسان فى العبادة كان له الأجر العظيم لمشقة تلك العبادة على النفس وقت راحتها ، والثواب على قدر المشقة .

والخطاب فى قوله : « لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ » : للنبى صلى الله عليه وسلم .

والمراد اذكر الله وسبحه مقرنا التسبيح بالحمد على النعم العظيمة التى أنعم بها عليك

وعلى أمتك ، أو صل في هذه الأوقات وتهجد فيها لعلك ترضى بثواب الله عليك أو باعطائك الشفاعة لأمتك وتنال بذلك ما ترضى به نفسك وما يسر قلبك .

١٤ ـ الحمد عند النجاة من الظالمين :

« فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

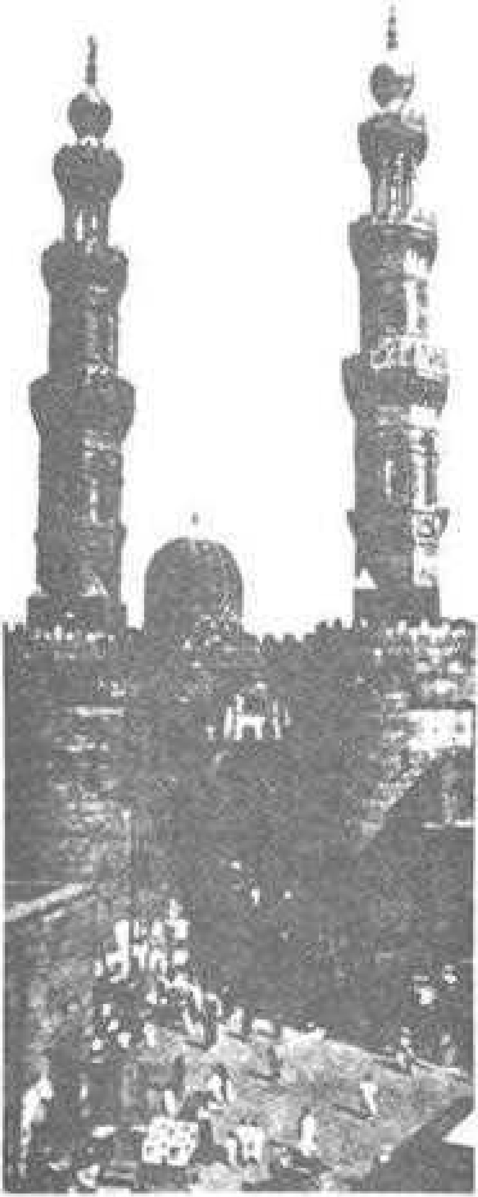
المؤمنون ٢٨ .

وردت هذه الآية في قصة نوح حيث دعا نوح ربه أن ينصره على قومه لتكذيبهم له في دعوته التي جاء بها وهي : عبادة الله ونبذ الأصنام فأوحى الله اليه أن يصنع الفلك ، ونهاه عن مخاطبته في شأن الظالمين ممن لم يؤمنوا ، لأن الله قضى عليهم بالغرق ، ثم أمره عندما يستوى على الفلك ، ويستقر عليها هو ومن آمن معه أن يحمد الله ، ويثنى عليه ، لأنه نجاه من شر الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بعدم ايمانهم ، وظلموا أتباعهم الذين اقتدوا بهم في انكار ما دعا اليه نوح عليه السلام ، وقد كان نوح اماما لمن آمنوا معه ، فأمر الامام بحمد الله على النجاة أمر للمأمومين كذلك .

وفي أمر الامام بالحمد اشعار بمكانته وفضل نبوته ، وليس الحمد للنجاة فحسب ، ولكن لاهلاك أعداء الله .

ووصف القوم بالظلم لظلمهم أنفسهم بالشرك (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) .

ثم أمره الله بالدعاء أن ينزله منزلا مباركا في الآية التي بعد هذه ـ والمراد بالمنزل المبارك : السفينة ، لأنها المنزل المبارك الذى نزله نوح ومن معه فأمنوا شر الطوفان .



أو المراد بالمنزل : الأرض التي ينزلون بها حينما تبتلع الأرض ماءها وتستوي السفينة على الجودي وهو جبل رست عليه السفينة .
ويقال عندئذ : « بعدا وهلاكا للقوم الظالمين » .

وقد جعل الله الأرض التي نزلوا عليها منزلا مباركا لأهل الدين والطاعة بعد أن استجاب دعاء نوح عليه السلام :

(رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) نوح ٢٦ ، ٢٧ وقد طهر الله الأرض من الشرك بالطوفان حينا من الدهر استجابة لدعاء نوح عليه السلام .

١٥ ــ حمد داود وسليمان :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) النمل ١٥ .

لقد وهب الله داود وسليمان عليهما السلام علما غزيرا أو طائفة منه فصلا به قلبا وجارحة ، ومما علمهما الله منطق الطير ولغة النمل ، ولما أدركا هبة الله نطقا بحمد لله شكرا على ما آتاهما من فضيلة العلم .

وقد فضلهما الله بعلمهما على من لم يؤته علما أو من أوتي علما أقل من علمهما .

وقد آتاهما الله ملكا ولكنهما ، قصرا شكر الله على العلم لانه في نظرهما أعظم من نعمة الملك والسلطان ، والعلم الذي فضلا به : هو علمهما بالله وبصفاته علما لم يغفل عنه قلباهما ، بل استغرقا فيه حياتهما : فلم يشغلهما عن التفكير في الله شاغل مما يخطر بالنفوس فينأى بها عن التفكر في جلال الله وعظمته وعظمة ملكوته . وتشير الآية الى تواضعهما حينما قالا : فضلنا على كثير من عباده ، ولم يقولا : فضلنا على جميع عباده اعترافا بأن غيرهما قد يفضلهما فيما أوتياه .

كما تشير الآية الى فضل العلم وأهله ، وان النعمة به من أعظم النعم ، ولم يوصف العلماء بأنهم ورثة الانبياء في الشرف والمكانة الا لما أوتوا من العلم « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » .

وفي الآية توجيه لحمد الله وشكره على كل نعمة ينعم بها « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » ولو عمر الانسان حياته يلهج لسانه بحمد الله لما وفى حق نعم الله عليه .

١٦ ــ أمر لرسول الله بالحمد والسلام على المصطفين قبله :

« قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ » النمل ٥٩

اما أن تكون هذه الآية متصلة بما قبلها من القصص الذي ساق الله فيه أخبار الانبياء قبل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماحل بمكذبيهم من العذاب من نحو قوم صالح ولوط ، وأن الله أمر نبيه محمدا بالحمد على اهلاكهم والسلام على عباده ورسله الذين

اصطفاهم فأرسلهم الى أولئك الأقـوام ثم انجاهم وأهلك أقوامهم واما أن تكون الآيـة بدءا ، فبعد أن ذكر الله أحـوال الانبيـاء ومانزل بأقوامهم مـن العذاب ممـن كذبوا وكان محمد ـ صـلى الله عليه وسـلم ـ مخالفا لمن قبله فى أمر العذاب ، حيث رفع الله عن قومه عذاب استئصالهم املا فى أن يستجيبوا يوما للحق ، أو أن يكون من ذريتهم من يستجيب للحق بعدهم ، ولهذا أمر الله نبيه أن يشكره على ما اختصه به مـن هذه النعمة ، وهى نعمة الابقاء على قومه وعـدم استئصالهم حين كذبـوه ، كما وجهـه الى السلام على المصطفين ممن سبقوه من الانبياء بأن يقول عند ذكر نبى منهم : عليه السـلام فاذا ذكر موسى مثلا قال : أخى موسى عليه السلام وكذلك غيره .

والآية تشير الى توجيه الرسول الى الحمد والسلام على الانبياء وفى ذلك تعليم وأدب جميل لأمة محمد فى التبرك بحمد الله ، وكان لذلك التوجيه الالهى أثره فى توارث العلماء والخطباء والوعاظ لهذا التوجيه فى شـتى المـواقف حيث يبدءون خطبهم وعظـاتهم ودروسهم بحمـد اللـه ، كمـا توارث ذلك المؤلفون والكتـاب حين يفتتحون مؤلفـاتهم وكتبهم بحمد الله .

وليس المراد من قوله : « آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ » تصوير الموازنة بين خالق الخير ومالك الملك وبين ما أشركوا به ولكنه سـاق ذلك على سبيل التبكيت والتهكم ، لأنهم فضلوا عبادة الأصنام على عبادة الله ، ولا يفضـل عاقل شيئا على شىء الا اذا كان فى المفضل من الخير والنفع ما يدعو الى التفضيل ، فبين لهم أنه لا خير فيما فضلوه ولكنه الافراط فى الجهل والضلال هو الذى حداهم الى عبـادة صنم صنعته أيديهم ثم خروا له سجدا ، وان الصنم المعبود لايستجيب لداع ولا ينفع مستنفعا فالله الخالق الرازق النافع الرحيم السميع خير أم هذا الحجر الأصم الـذى عبدتموه .

١٧ ـ حمد وانذار :

« وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » النمل ٩٣ .

أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هذه الآية بأوامر :

أولها : أن يخص الله بالعبادة ولا يجعـل له شريكا ووصف الله نفسه بأنه رب هـذه البلدة وهى مكة التى اختصها وشرفها باضافة اسمه اليها « رب هذه البلدة » لأن فيها بيت الله الحرام ومسقط رأس نبيه محمد ومهبط وحيه عليه ، وقد حرمها فلا تنتهك حرماتها ، ثم بين أن العالم بكل مافيه ملك لله .

وثانيها : أنه أمر نبيه أن يكون من المسلمين .

وثالثها : أن يتلو القرآن عليهم فمن اهتدى الى الحق فهداه لنفسه ومن ضل فضلاله عليها **(وما محمد الا رسـول منذر ثم)** ثم أمـره اخيرا بالحمد : « قل الحمـد لله » على مـا أعطانى من نعمة العلم والحكمة والنبوة .

أو الحمد لله على توفيقى فى أداء رسالته وابلاغ أمانته وفى أمـر الرسول بالحمد توجيه لأمته . بحمد الله على كل ما ينعم به .

ثم جاء الانذار ، سيريكم آياته فتعرفونها، حيث لا ينفعكم الايمان **« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »**

الحمد في القرآن الكريم

وليس الله بغافل عما تعملون ، وستحصى عليكم أعمالكم ثم يكون الجزاء ثوابا طيبا لمن اهتدى وعذابا لمن ضل واتبع الهوى .

١٨ — الحمد لله في الأولى والآخرة :

« وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » القصص ٧٠ .

كان القرشيون يقولون فيما حكاه الله « لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » الزخرف ويعنون : الوليد بن المغيرة بمكة وأبا مسعود الثقفى بالطائف ، فرد الله عليهم بقوله : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

فهو وحده الذى يختار الرسل ، ويصطفيهم من أطهر عباده وأصدقهم (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) فهو المالك المنزه عن النقد ، فالخلق والاختيار مفوض الى الله لا يشركه فى ملكه ولاتدبيره أحد ، انه يعلم ماتضمر صدورهم ، فلا يخفى عليه شىء مما تطويه الصدور من الاحقاد ، وما خاضوا فيه من المطاعن ، فهو الله الذى لا اله الا هو قادر يجازى المحسن على احسانه ويعاقب المسىء على عصيانه .

● وله الحمد فى الأولى على نعمه التى لا تحصى على خلقه ، ولا يليق الحمد والثناء الا له ، لأن عطاءه تفضل واحسان منه على خلقه .

وله الحمد فى الدار الآخرة حين يقول المتقون ، وقد رأوا ما وعدهم الله حقا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ » « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ » « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وانهم ليلهمون التسبيح والتقديس .

وله الحكم فى الأولى والآخرة كذلك ، لأن كل حاكم فى الدنيا ينفذ بحكمه وقضائه وحكمته ، وأما فى الآخرة فهو الحاكم وحده الذى يحكم بين عباده فينتصف للمظلوم من الظالم ، والى محل قضائه وحكمه ترجعون جميعا ليقضى بينكم بحكمه وعدله ، وفى قوله « وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » انذار للإخافة من حسابه وعذابه .

د. محمد محمد خليفه

دراسات في الحديث

من نفحات السنة المباركة

مناهج كتابة السير

سفراء النبي
صلى الله عليه وسلم

من هدي النبي
صلى الله عليه وسلم

مؤلفات الإمام البخاري

من نفحات السنة المباركة

حب الصحابة

رضى الله عنهم وتوقيرهم

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ،فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته متفق عليه :

كان الناس قبل بعثة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، عقيدتهم فاسدة ، وضمائرهم ميتة ، فلما أراد الله تعالى بالانسانية خيرا أرسل اليها محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور وليكون رحمة للعالمين أمره ربه أن ينذر عشيرته الأقربين ويبلغ الناس دعوته فصدع بالامر فاستجاب له جماعة من الذين صفت نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، واستنارت ضمائرهم .

ولما اشتد الامر عليهم هجروا أوطانهم التى أحبوها ، وخرجوا من ديارهم التى نشأوا فيها وفارقوا أولادهم وأهليهم فرارا بدينهم ، ورغبة فى مثوبة مولاهم رب العالمين .

لا يبالون بما فاتهم من متع الحياة الدنيا ايثارا لما عند الله تعالى فى الدار الآخرة ولما هاجر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة المنورة وجد بها أنصارا يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، رأى المهاجرون والانصار الفرصة مواتية لاعلاء كلمة الله ونشر دين الله ، وازالة العقبات عن طريق دعوة الحق ، فبذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، وباعوا أنفسهم عن رغبة صادقة فى رفع كلمة اليقين ، وأنفقوا أموالهم على حبها وشدة حاجتهم اليها فى سبيل مرضاة مولاهم وتثبيت عقيدتهم ، والدفاع عنها ضد عدوهم (الغاشم اللدود) وهم فى كل هذا مخلصون لله تعالى غاية الاخلاص ، متمسكون بآداب الدين الحنيف غاية التمسك ، ناصحون لله ولرسوله الأمين ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى اذا ما ثبتت قواعد الايمان واستقرت أسس الاسلام .

لفضيلة الدكتور

محمد محمود شعبان

وعلت كلمة الله اندفعوا فى الأمصار ينشرون كلمة الله ويرفعون راية الحق ويحققون العدالة بين الناس . ويخلصونهم من شرور أنفسهم وأمرائهم لهذا أثنى الله تعالى عليهم فقال :

« وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . التوبة ١٠٠ .

وقال تعالى « لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . التوبة ٨٩ .

وقال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » . الفتح .

وقال تعالى : « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » . الفتح .

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لاتسبوا أصحابي لاتسبوا أصحابي فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه : رواه مسلم .

ولقد أوجب الشارع الحكيم على الناس جميعا : محبتهم . وتوقيرهم واتباع سنتهم . والاستغفار لهم . والترضى عليهم . وحرم

من نفحات السنة المباركة

على الخلق ايذاءهم سواء كان باللسان أو بالسنان .

قال الله تعالى : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » . الحشر .

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه :

رواه الترمذى وابن حبان .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ان الأنصار كرشى وعيبتى وان الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم : رواه مسلم .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اللهم اغفر للانصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار : رواه مسلم .

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : وعظنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا : قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد . وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة : رواه الترمذى وأبو داود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات من أصحابى بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة : رواه الترمذى .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم قال : يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فيقولون نعم : فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى من صحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فيقولون نعم : فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فيقولون نعم. فيفتح لهم: متفق عليه .

وعن أبى بردة عن أبيه قال : ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال : النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد . وأنا أمنة

لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون : رواه مسلم فى صحيحه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد — صلى الله عليه وسلم — خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه فاختارهم لصحبته :

فالصحابة رضى الله عنهم هم خير الخلق بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

والصحابى : هو من لقى النبى — صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد بعثته حال حياته ومات على الاسلام ولو تخللت ذلك ردة على القول الصحيح وتثبت الصحبة بالقرآن والسنة وشهادة بعض الصحابة للبعض وبأخبار الصحابى عن نفسه بشرط أن تكون المعاصرة للنبى — صلى الله عليه وسلم ممكنة شرعا وزمنا .

وبناء على هذا فالصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول سواء منهم من آمن قبل الفتح أو بعده وعدالتهم ثابتة بنص الكتاب والسنة قال تعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » . آل عمران .

وقال تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » . البقرة .

وماورد فيهم من أحاديث صحيحة منها ماتقدم ومنها أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : كأن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم . متفق عليه .

ومنها قوله — عليه الصلاة والسلام : اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان متفق عليه .

وسواء لابسوا الفتنة أو لم يلابسوها وسواء ارتكب كبيرة ثم تاب عنها أو لم يرتكب: وهذا هو رأى جمهور أهل السنة والجماعة ومعنى عدالتهم قبول مروياتهم من غيرأن نبحث عن عدالتهم أو أن نطلب من أحد تزكيتهم لأنه لايوجد من هو أفضل منهم .

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون عن الخطأ ويستحيل عليهم الذنوب والمعاصى،هذا ما أورده النووى فى التقريب وابن الصلاح فى مقدمته ثم قال : لأن الصحابة رضى الله عنهم هم حملة الشريعة والناقلون لها الينا فلو توقفنا فى مروياتهم وبحثنا عن عدالتهم وطلبنا تزكيتهم لانحصرت الشريعة على عصر النبى — صلى الله عليه وسلم — ولما أمكن أن تسترسل الى الأمصار . ولذلك يجب قبول ما قالوه وتحريم انتقاصهم قال أبو زرعة رحمه الله تعالى : اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق :

وأما من قال ان الصحابة كلهم عدول الى حين وقوع الفتنة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فهذا قول مردود على صاحبه وقد قال ابن كثير فى كتابه الباعث الحثيث : وأما ما شجر بينهم بعده عليه السلام فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطىء ويصيب لكن صاحبه معذور وان أخطأ ومأجور أيضا . أما المصيب فله أجران اثنان .

وأما من قال ان الصحابة كلهم عدول الا من قاتل منهم على بن أبى طالب وصحبه

الذين كانوا معه فقد رده ابن كثير أيضا بقوله : قول باطل مردود فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم انه قال عن ابن بنته الحسن بن على وكان معه على المنبر : ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين :

وظهر مصداق ذلك فى نزول الحسن لمعاوية عن الأمر بعد موت أبيه على واجتمعت الكلمة لمعاوية . وسمى عام الجماعة وذلك سنة ٤٠ من الهجرة فسمى الجميع مسلمين وقال تعالى :

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » فسماهم مؤمنين مع الاقتتال . ومن كان من الصحابة مع معاوية ؟ يقال لم يكن من الفريقين مائة من الصحابة : وجميعهم صحابة فهم عدول كلهم .

وقال الامام النووى على شرح مسلم فى باب فضل الصحابة : أما على فخلافته صحيحة بالاجماع وكان هو الخليفة فى وقته لا خلافة لغيره وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء .

وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول ومتأولون فى حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها ولايلزم من ذلك نقص أحد منهم .

واعلم ان سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة اقسام :

قسم ظهر لهم بالاجتهاد ان الحق فى هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة امام العدل فى قتال البغاة فى اعتقادهم .

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد ان الحق فى الطرف الآخر فوجب عليه مساعدته وقتال الباغى عليه .

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح احد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه فكلهم معذورون – رضى الله عنهم – .

ولهذا اتفق اهل الحق ومن يعتد به فى الاجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم .

واما طائفة الروافض الذين قالوا ان الصحابة كفروا كلهم الا سبعة عشر .. فهو قول باطل صادر عن خبث فى العقيدة ولؤم فى الطبع ، لأنهم بذلك يريدون هدم قواعد الاسلام وطمس معالم الشريعة والطعن فى حملتها حتى يشككوا الخلق فيها وكأنهم : لو كانوا مؤمنين:

لم يسمعوا قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أيما رجل مسلم كفر رجلا مسلما

فان كان كافرا والا كان هـــو الكافر : رواه أبو داود .

فهـــؤلاء الروافض ما هم الا طائفة من الناس من اليهود والمجوس دخلوا فى الاسلام لا حبا فيه ولكن ليدفنوه وليطفئوا نوره «كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا» .

وقد قال الامام مالك ــ رحمه الله تعالى ــ : من شتم أحدا من الصحابة أبا بكر أو عمـــر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص، فان قال : كانوا على ضلال كفر وقتـل وان شتمهم بغير هذا نكل نكالا شديدا .

وقالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ــ صـلى الله عليه وسلم ــ فسببتموهم . سمعت نبيكم ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخـرها أولها : رواه أصـــحاب السنن .

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: سيكون بين أصـــحابى فتنة يغفـــر الله لهم بصحبتهم اياى ، ثم يستن بها قوم بعــدهم يدخلون النار بسببها : رواه أصحاب السنن .

وبناء على هذا لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسب أحدا من الصحـــابة ــ رضى الله عنهم ــ ولا أن يخوض فيما شجر بينهم لأجل أن يوقد نار الفتنة بين المسلمين .

فقد قال رسول الله ــ صـلى الله عليـــه وسلم ــ فى شأن معاوية ــ رضى الله عنه ــ : اللهم اجعله هــاديا مهـديا واهــد به : رواه الترمذى .

وقال أيضا فيه : اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب : رواه الطبرانى وأخرجه البخارى فى التاريخ والامام أحمد وابن جرير .

وفى رواية : « وأدخله الجنة » .

وروى الطبرى : أن قبيصة بن جابر الأسدى قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمـر ابن الخطــاب فمـا رأيت رجـلا أفقه فقهــا ولا أحسن مدارسة منه ثم صـــحبت طلحـة ابن عبد الله فما رأيت رجلا أعطى للجـزيل من غير مسألة منه ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحب رفيقا ولا أشـبه سريرة بعـلانية منه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج عن أبى اسحاق السبيعى أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه لقلتم كـان المهدى .

ولقد كان معاوية ــ رضى الله عنه ــ عادلا حليما كريما زاهدا .

روى الامام أحمد فى كتاب « الزهد » عن أبى حملة قال :

رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع .

وثبت أنه خليفة من الخلفاء بصريح الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى كتاب الامارة عن جابر بن سمرة قال :

دخلت مع أبى على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسمعته يقول: ان هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفـــة . قال ثم تكلم بكلام خفى على فقلت لأبى ما قال ؟ قال: كلهم من قريش .

وكذلك رواه البخاري والترمذي ، وفي سنن أبو داود ومسند الامام أحمد .

وعن أنس بن مالك قال حدثتني أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال عندهم فاستيقظ وهو يضحك . قالت : فقلت : يا رسول الله ما أضحكك ؟ قال : رأيت قوما ممن يركب ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : فانك منهم .

قالت : ثم نام فاستيقظ وهو يضحك قالت: فقلت يارسول الله ما أضحكك فقال مثل مقالته، فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : أنت من الأولين .

قال : فتزوجها عبادة بن الصامت فغزا في البحر فحملها معه فلما رجع قربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فاندقت عنقها فماتت : رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

والمعروف بأن ركوب البحر حدث في زمن معاوية حين غزا قبرص زمن عثمان ــ رضي الله عنه ــ .

وقبرها بقبرص الى اليوم .

وأما عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه ــ فهو من المجاهدين العظماء الفاتحين لفلسطين ومصر الذي سار في أهل البلاد سيرا حسنا يضرب به المثل في العدالة والعفة والنزاهة .

وأما ما وصفه به أهل الخبث من أنه كان داهية في السياسة وهو الذي أشعل نار العداوة في موضوع التحكيم بين علي ومعاوية ، فهذا أمر مدسوس عليه كما بين ذلك ابن العربي في كتابه « العواصم من القواصم » حيث قال : هذا كله كذب صريح ما جرى منه حرف قط ، وانما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع .

ولقد شهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعمرو ــ رضي الله عنه ــ بقوله : ان عمرو بن العاص من صالح قريش : رواه أحمد .

وقال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول عن عبد الله بن عمرو بن العاص : نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله : رواه أحمد في مسنده .

وأيضا قال فيه وفي أخيه هشام : ابنا العاص مؤمنان هشام وعمرو : رواه أحمد . لذلك وجب علينا أن نمسك عن الكلام فيما حدث بينهم . قال صاحب جمع الجوامع : ونمسك عما جرى بين الصحابة ونرى الكل مأجورين : ولا نكفر أحدا بذنب .

وقال صاحب العقائد النسفية في « علم التوحيد » .

ونكف عن ذكر الصحابة الا بخير ، ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالجنة .

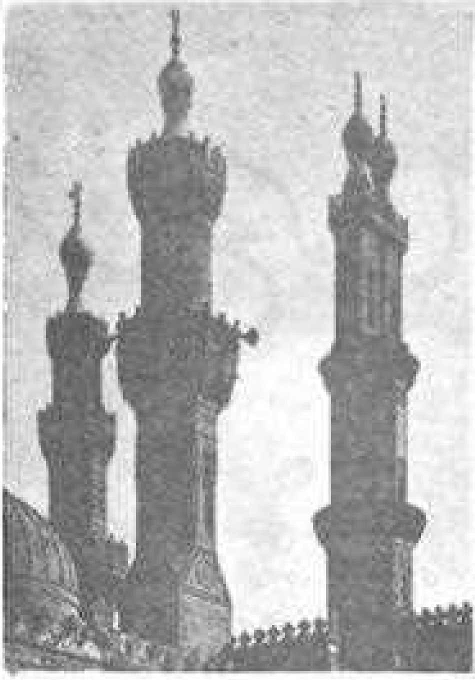
وقال الامام الغزالي سئل ابراهيم النخعي عن القتال الذي دار بين الصحابة فقال : تلك دماء قد سلمت منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا .

ونرى من الواجب على كتاب هذا العصر ومؤرخيه والمحققين من العلماء أن يعيدوا النظر فى دراسة الأمور التى تتصل بالاختلافات المذهبية والسياسية من تاريخ الاسلام وحياة رجاله وأن يمحصوا كل خبر بالرجوع الى أقدار رواته وأحوالهم على طريقة علماء الحديث فلا تقبلوا الا الخبر الذى تناقله العدول المتصفون من أهل الصدق والبصيرة حتى تغلق باب الفتنة . وبذلك تطهر القلوب التى امتلأت غلا وحقدا على أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فان الشباب فى هذا العصر أصبح يبرر مسلكه نحو السنة من نبذ لها وترك بالعمل بها مما يقرأه من الكتاب على صفحات (الجرائد) .

وقد أخبر عن ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث الصحيح المتفق عليه : (يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه . الا وان ما حرم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مثل الذى حرم الله .

وكذلك نرى الفئات المختلفة يبررون مايفعلون بقولهم : اذا كان هذا حدث بين الصحابة وهم من هم فما بالنا نحن لا نسلك منهجهم فى القتال الدائر بين الفلسطينيين بعضهم مع بعض وبين العراقيين والايرانيين وبين الفرق الاسلامية الأخرى .

وأيضا لقد ظهرت الفئات الضالة من جراء ذلك كل فئة تدعى بأنها على الاسلام الصحيح وغيرها قد ضل الطريق يحل قتله وسلب ماله وانتهاك عرضه وعدم التعاون معه . وعدم العمل بحكمه . ولو كانوا آباءهم واخوانهم فهم فى نظرهم كفار .



ألم يأن للكتاب والمؤرخين أن يثوبوا الى رشدهم وأن يقفوا عند حدود الله . وأن يلتزموا بالسنة الصحيحة . وألا يقولوا على أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الا الحق .

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

اللهم املأ قلوبنا بحبك وحب نبيك وحب أصحاب نبيك والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . اللهم آمين :

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى بالازهر

مناهج كتابة السير

وحلقات: (على إمام المتقين)

ان الذى يكتب التاريخ ناقلا – كما يفعل الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى حلقاته فى الأهرام عن ابن تيمية وابن حزم وعز الدين بن عبد السلام وعلى امام المتقين أخيرا معرض للذاتية المفرطة فيما يكتب فيميل الى ان يختار من النصوص التى امامه ما يبدو له انه جدير بالاختيار ، وهو فى ذلك لا يستطيع الفكاك من وجهة نظره الخاصة ، ولايحيد عن طريق الوصول الى هدفه الا ليعود اليه .

واذا استهدف الباحث التحقيق التاريخى فانه يعلن ذلك فى مبتدأ قوله ، ويغلب على ميكتب طابع التحقيق المتميز ، وصلب هذا الطابع الحياد فى ذكر الحوادث والاقوال والتفسيرات وتفنيد بعضها وترجيح الاخر ، وضرب الضعيف بالقوى من الأخبار وطرده .

والأستاذ الشرقاوى بناء على ذلك لا يقصد تاريخا بالمعنى الفنى للتاريخ فى كتاباته المشار اليها ، لكن طابع التاريخ بالنقل له أيضا شروطه الأولية التى لا يجب أن تغيب عن المتصدى له . ويزيد فى قسوة هذه الشروط أن يكون التناول لشخصية مثل شخصية الامام على ، لأنه من الذين أمر المسلمون بالاقتداء بهم والسير على سنتهم بقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) ولاينطبق على سير هؤلاء القادة ما يمكن أن يتسامح فى انطباقه على غيرهم ، لأن الخطأ والتجاوز أو الاختيار المنحاز الذى يسمح بدخول الضعيف والمكذوب من الأخبار يترتب عليه كبير الضرر بعقائد الناس وأفكارهم ، ويقل ذلك الضرر – ولا ينمحى – فى سير ابن حزم وابن تيمية والعز بن عبد السلام ، لأن اقوالهم ليست حجة ملزمة فى الدين ، فيؤخذ من اجتهادهم ويترك بلا حرج .

وتثير حلقات : (على امام المتقين) كثيرا من المثقفين لجافاتها لمناهج السير واكتظاظها بالمبالغات غير المقبولة عقلا ولا نقلا ، وقد تناول الاستاذ الكبير ثروت أباظة فى جريدة

للأستاذ محمد أحمد بدوى

الاهرام بعض هذه الحلقات بالتعليـق ، وفى اطار من الاهتمام بالشيوعية ، ونفى أى تقارب بينها وبين الاسـلام من الأستاذ ثروت نقاطـا ثـلاثا .

أولاها : هي افتراض الاستاذ الشرقـاوى صحة ما أورد من نصوص وصحة صـدورها عمن نسبت اليهم ، فبنى عليهـا ما بنى من استنتاجات رأى فيها الأستاذ ثروت محـاولة لجر الاشتراكية الى الاسلام أو جر الاسلام الى الاشتراكية ، فبين أن قصر حق الملكيـة على العمل وحده وهو لب الفلسفة الشيوعية فى الاقتصاد لايستفاد من النصـوص التى سـاقها الأستاذ الشرقاوى مع كونهـا مجتزاة ومبتورة من سياقها الكامل . وأن قصر التركة التى يتركها المسلم على اللسان الذاكر والقلب الخاشع والزوجة الصالحة كما ذكر الاسـتاذ الشرقاوى غير مسلم ، واستشـهد بغنى عبد الرحمن بن عوف فوق اسـتحالة توريث اللسان الذاكر والقلب الخاشع والزوجة التى تعين أحدنا على دينه ، وعارض ما نقـل الأستاذ الشرقاوى من عزم عمر على الحـاق أسفل الناس بأعلاهم ، وكى صاحب الدنانير كيات بعددها بالصحيح من قول النبى ـ صلى عليه وسلم ـ (ان دماءكم وأموالكم حـرام عليكم) فوق ما يثيره ذلك من ضباب حول تأخر عمر عن تنفيذ ما رآه صوابا وتأجيله الى العام المقبل .

والثانية : معارضة ما سـاق الأسـتاذ الشرقاوى من أخبار غير موثقة عن حق الملكية بالموثق من الأخبار بثبـوت الارث وطلب السيدة فاطمة عليها السـلام ميراث أبيها صلى الله عليه وسلم من الخليفة أبى بكر رضى الله عنه .

وحق الملكية كمـا يثبت بالارث كما ذكـر الأستاذ ثروث يثبت كذلك بالهبة من غير أولى الأمر ومن أولى الأمر كالجـوائز التقـديرية التى هى زيادة على ما حصلوه من عمل بنشره ، ونحن نزيد على ما ذكر الأستاذ الشرقـاوى فى تعقيبه على تعقيب الأستاذ ثروت أن هبات الأمراء لم تكن كلها مقننة كجـوائز الـدولة التقديرية والتشجيعية وقد يثبت حق الملكيـة بلا عمل اطلاقا كالعثور على منجم أو آثار بما تخصص الدولة من مكافآت على ذلك ، وقـد تثبت باحياء الموات أو وضع اليد مددا متطاولة بدون منازع .

والثالثة : عما عمد الأستاذ الشرقاوى من الاجتزاء من النصوص وابراز البعض واغفال البعض ، وهـذا مخالف للمناهج العلميـة بكل المقاييس .

قـد يعتـرض الأستاذ الشرقاوى كمـا اعترض من قبله الدكتـور طه حسـين بأن

مناهج كتابة السيرة

اشتراط التوثق من الأخبار في كتابة التاريخ تضييق لما وسعه المؤرخون من شروط قبول الأخبار .

وهنا تثار مشكلة التوسع والتضييق في شروط قبول الأخبار بصفة عامة وفي الأخبار ذات الصبغة الدينية بخاصة .

ان التوسع في قبول الأخبار منهج (الفنانين) لا منهج المؤرخين . وقد أثيرت في الآونة الأخيرة مسألة حرية « الفنان » في تجاوز الحقائق التاريخية ، واستقرت الآراء على عدم جواز ذلك بحال . وقد بين ابن خلدون ضرورة التوثق من الأخبار جميعها دينية وغير دينية ، وهو في هذا متفق مع رجال الحديث اتفاقا تاما . على أننا نأخذ على بعض علماء الحديث ما صرحوا به من تسامحهم في قبول الأخبار المتعلقة بالسير وتدقيقهم في الأخبار المتعلقة بالأحكام . والرد على هؤلاء الذى ربما أعطى المؤشر للأستاذ الشرقاوى ليتتبع مقالاتهم ليجد فيها (سنادا) لا حقا لما يكتب أن أخبار السير غير الموثقة والمليئة بالمبالغات أشد ضررا بالعقل وبالعقائد من أحاديث الأحكام .

ان العلوم النفسية والاجتماعية قد كشفت أن العقل يتكون أساسا وبصفة مطلقة مما يدخل في خبرة المرء مما يسمع ويرى وما يقرأ من مبدأ حياته الى نهايتها كما تتكون عاداته العاطفية والسلوكية بهذه الوسيلة ، لاسيما اذا كان لما يسمع ويقرأ قداسة دينية أو عرفية صحيحة أو كاذبة ، والقصص الذى توسع هؤلاء العلماء في شروط قبوله يتعامل مع الوجدان الذى هو خزان الدوافع للعمل والسلوك والاعتقاد بينما أحاديث الأحكام تخاطب العقل والمنطق فتفيد المعرفة ، أما الأخبار فهى التى تطبع الوجدان بطابعها فتتكون فيه عادات عقلية تقبل الخرافة ومبالغاتها ، وتنفر من الجد واتزانه وتبتغى دائما الاستماع الى المعجزات والخوارق ، ويكون ثبات سنن الله وعدم التفاوت في خلق الله كلاما أجوف بلا مضمون يتلى فقط بقصد التعبد ، وقد انتبه الى هذه الحقيقة كثير من العلماء ، وألف الامام السيوطى رسالة أسماها (تحذير الخواص من أوهام القصاص) وكتب غيره في بيان أثر القصص في عقول الناس . ونحن على بينة مما يحدثه القصص كأحد أساليب الغزو الفكرى ، وقد ذكرت (بروتوكولات حكماء صهيون) أن من وسائلها استخدام القصص والتمثيليات ، وقد استخدمت الشيوعية القصص في نشر مبادئها بين الناس ، ولا تزال أخلاق الريفيين متأثرة الى الآن بسيرة عنترة والهلاليين .

اننا نعرف أن القضايا الفكرية مهما ظننا أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فيها يمكن أن تحيا من جديد بكل جدتها وكأن أحدا لم يتناولها قط بتحليل ، فقد ثارت مشكلة التوثق من الأخبار في السير بين الدكتور طه حسين من جهة وبين الغرابلى باشا والدكتور محمد حسين هيكل منذ ما يزيد عن نصف قرن تقريبا .

ويكفى أن نذكر أمثلة لما تمتلىء به حلقات (على امام المتقين) من بعد عن المنهج لأن استقصاءها فوق الطاقة ، ويدل القليل الذى يذكر على الكثير الذى لم يذكر .

وأول هـذه الأمثلة وأكثرها ورودا في الحلقات استناد الأستاذ الشرقاوي الى غير الموثق بل والمكذوب من الأخبار الذي يحب العوام أن يسمعوه ويقرءوه ، ولعل عين الأستاذ الشرقاوي كانت على هؤلاء العوام حين يكتب الحلقات فلم ير غيرهم أمامه ممن يمكن أن يحسب لهم أي حساب . ففي الحلقة الثالثة يرفع علي كرم الله وجهه بابا من أبواب خيبر لم يستطع ثمانية رجال أن يقلبوه على جنبه ، وهذا خرافة فوق أن خبره غير موثق بل مكذوب قالت السيرة الحلبية بعد أن أوردت الخبر بصيغة التشكيك ص ٤٣ ج ٣ : قال بعضهم : طرق الحديث كلها واهية ، وقال الذهبي : ان الحديث منكر ، وقال في الامتاع : قال بعضهم : ان حمل علي للباب ومباشرة القتال وهو في يده ثم رميه به الى بعد تقدره ثمانون شبرا لا أصل له ، وانما يروى عن رعاع الناس ا هـ من السيرة الحلبية ، وفي الحلقة الرابعة ذكر الأستاذ الشرقاوي آيات كثيرة من القرآن الكريم نزلت في سيدنا علي ومن هذه الآيات قوله تعالى :

(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) الآية .

اذ قال : نزلت في علي وأبي بكر ، وقال الشيخ رشيد رضا في المنار : لم يصح في نزول الآية شيء ومعناها عام ، وساق الأستاذ الشرقاوي قصة اطعام سيدنا علي ولوصراته وابنيه مسكينا ويتيما وأسيرا بما كانوا يعدونه للافطار ثلاثة أيام متواليات مكثوها صائمين ، وذكر أن هذه الآية نزلت فيهم :

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) .

قال القرطبي في تفسير الآية : هذا الحديث لا يصح ولا يثبت وقال الترمذي الحكيم : هذا حديث مزيف مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا ألا يكون بهذه الصفة ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم . وقد قال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) .

وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك ، ووردت الأخبار أن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .

وقال صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت .

أفيحسب عاقل أن عليا جهل هذا الأمر حتى أجهد أبناءه الصغار على جوع ثلاثة أيام ولياليهن حتى تضوروا من الجوع حتى أبكوا رسول الله بما بهم من الجهد ؟. هب أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ ما يروج هذا الا على حمقى جهال ، أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلي مثل هذا . وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة — رضي الله عنهما — واجابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أداه الى هؤلاء الرواة ؟ فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى ، بلغني أن قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه ، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فاذا صارت الى الجهابذة رموا بها وزيفوها ا هـ بالحرف من القرطبي .

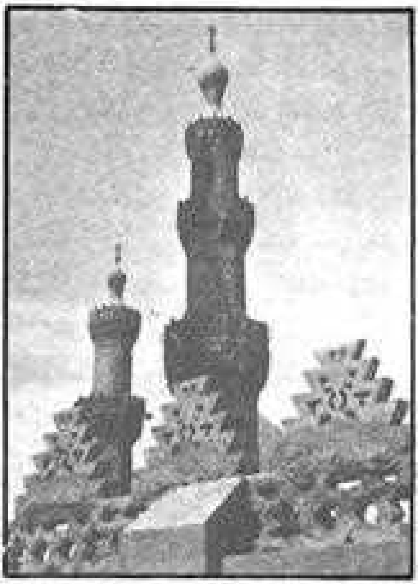
واعتذر عن القرطبي فهو لم يكن يعرف أن الأستاذ الشرقاوي سيردد مثل هذا .

وساق الأستاذ الشرقاوى قصة اسلام أبى طالب بحديث لا يدرى مدى صحته ولا فى أى كتاب هو لكنها تعارض وتفند بما رواه الامامان البخارى ومسلم ، فأما البخارى فقد ذكر قصة أبى طالب فى خمسة مواضع من كتابه وأورد مسلم منه ثلاث روايات وذلك عن طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أبى طالب أن يسلم فلم يستجب له .

ثالثا : أورد الأستاذ الشرقاوى فى حلقاته نصوصا فيها سب لعصر عثمان وعصر على وهو من خير القرون التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فقال فى الحلقة الأولى : بهذه النبالة (التى ساق منها الأستاذ الشرقاوى ما صح أقله ولم يصح أكثره) كابد على عصرا من اللؤم حين ولى أمر المؤمنين .

رابعا : تشنيع الأستاذ الشرقاوى على أشخاص بأعيانهم ممن بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم عثمان وطلحة والزبير وغيرهم وقد تناثر ذلك فى كثير من الحلقات فمن وصفه لهم أنهم خونة وعباد مال وانقطاعيون يبايعون عليا وينكرون البيعة ويقول طلحة والزبير انهما بايعا عليا والسيوف على رقابهم مع أن الأستاذ الشروقاوى حين ذكر بيعتهم لم يذكر معها اكراها .

خامسا : المبالغات غير الموثقة ومنها — فوق حمل على بابا لا يقلبه على جنبه ثمانية رجال — كان على فى زمن كان طول رجاله فى مثل قامة الجمل حتى ليقال : ان من هؤلاء الطوال من كان يقبل امرأته وهى فى هودجها على ظهر بعير ! .



سادسا : استعمال الأستاذ الشرقاوى لعبارات تقترب من الأدب المكشوف عن حكايته عن زواج سيدنا عثمان ببنت الفرافصة (فى الحلقة ١٨) اذ قال عثمان لعروسه : لا يهولنك يابنت الفرافصة ما ترين من صلع فان وراءه ما تحبين .. الى أن قال حينما استحيت أن تحل ازارها بناء على طلبه : فحل لها ازارها فكانت أحظى نسائه عنده .

سابعا : فى غمرة اعجاب الأستاذ الشرقاوى بسيدنا على الذى لا يخرجنا مشاركته فيه عن المنهجية الواجبة قد أظهر سيدنا على بمظهر غير الخبير فى السياسة ولا بالحكم من حيث أراد أظهاره بمظهر المتمسك بالحق وعدم خشية لوم اللائمين فيه .

وفى هذا القدر كفاية فى تقويم حلقات (على امام المتقين) رضى الله عنه وكرم وجهه ..

محمد أحمد بدوى

من هدى النبى صلى الله عليه وسلم

حفظ السر

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

اخرج مسلم فى صحيحه بسنده من طريق ابى بكر بن ابى شيبة عن عبد الرحمن بن سعد قال : سمعت ابا سعيد الخدرى يقول : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ان من اشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته ، وتفضى اليه ثم ينشر سرها .

اللغة : قال : الجوهرى (شر) فيه معنى التفضيل لا يثنى ولا يجمع ، ولا يؤنث .

الافضاء مباشرة البشرة وهو هنا كناية عن « الجماع » .

السر : ما يسر ويخفى من الأمور .

الراوى : كنيته أبو سعيد ، واسمه : سعد ابن مالك بن سنان بكسر السين المهملة وبنونين بينهما ألف ، الخدرى : بضم الخاء وسكون الدال نسبة الى خدرة : هو الأبجر بطن من الخزرج وقيل خدرة : أم الأبجر ، ثم سعد وأبوه صحابيان استشهد أبوه فى وقعة أحد .

روى لأبى سعيد عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ألف ومائة وسبعون حديثا .

اتفق البخارى ومسلم على ستة وأربعين حديثا .

انفرد البخارى بستة عشر حديثا .

انفرد مسلم باثنتين وخمسين حديثا .

عن حنظلة بن أبى سفيان الجمحى عن أشياخه قالوا : لم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه من أبى سعيد وفى روايته أعلم ومناقبه كثيرة .

توفى بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين . وقيل وسبعين ودفن بالبقيع .

وبعد :

فان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يرشد الى تبكيت صاحب الذنب وفاعله وأن اتصال الرجل بزوجته من الأمور التى يمنع الشرع عدم اذاعتها أو التحدث بها ولا يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدماته ويفهم من الحديث الوعيد الشديد على ذلك بكونه من أشر الناس منزلة يوم القيامة يؤكد ذلك الوعيد ما جاء من طريق آخر لمسلم عن

الراوي المذكور قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها • وكتمان السر من أقوى أسباب النجاح وأبعد من داء الحسد المفضي الى زوال النعمة أو عدم دوامها وتمامها •

قال الامام علي كرم الله وجهه : سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره والعاقل يكون جوادا بماله ضنينا بأسراره ومن كتم سره أمن من الضرر خاصة فيما يتعلق بالأمور الزوجية وعلاقاتها • وكم من سر ظهر أراق دم صاحبه • وان الوشاة ماتركوا أديما لرجل صحيحا • ومن أفشى سره بلسانه ثم لام عليه غيره فهو أحمق وفي افشاء السر ثلاث أحوال مذمومة :

احداها : ضيق الصدر وقلة الصبر •

ثانيها : الغفلة عن تحذير العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء ، فلا يأمن أن يودعه حازما فيزل ، أو جاهلا فيخون •

والثالثة : ماارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر •

وواضح من الحديث :

ما ينبغي أن يتحلى به المسلم من وجوب صيانة سر فراشه ، لما في ذلك من صيانة لبيته كله ، واكرام لأهله ، وتوقير لبنيه وبناته ، واكسابهم المنزلة بين الناس عكس ما لو أفشى هذا السر فتغامز به الناس ونالوه ونالوا أهله وبسطوا ألسنتهم في ولده فأسقط منزلته بيده ، وجنى على نفسه بنفسه •

واعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق ، واستشارة ناصح مسالم فلتختر من تأمنه عليه وتستودعه اياه ، فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار مؤتمنا • لأن العفة عن الأموال أيسر من العفة عن اذاعة الأسرار ، ولأن الانسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشح باليسير من ماله حفظا له ، ولا يرى ما أضاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه •

من أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذرا واقل وجودا من أمناء الأموال • وكان حفظ الأموال أيسر من كتم الأسرار ، لأن احراز الأموال منيعة واحراز الأسرار سهلة الفتح غير منيعة •

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرىء مفتاح سره •

ومن صفات أمين السر : أن يكون ذا عقل عاقل ، ودين حاجز ، ونصح مبذول ، وود موفور وكتوما بالطبع ، فان هذه الأمور تمنع من الاذاعة ، وتوجب حفظ الأمانة ممن كملت فيه فهو من الندرة بمكان •

وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه • فان طالب الوديعة

خائن • والطالب للسر مذيع • وليحـــذر كثرة المستودعين لسره ، فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة لأمرين :

احدهما : أن اجتماع هذه الشروط فى العدد الكثير معوز ولابد اذا كثروا من أن يكون فيهم من أخل ببعضها •

والثانى : أن كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفى الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غـــيره فلا يضاف اليه عيب ولا يتوجه اليه عتب ، لأنه كلما كثرت خزان الأسرار ازدادت ضياعا وكل سر جاوز الاثنين فشا ومن فشا سره كثر عليه المتآمرون •



وقالوا فى الحكم : صـــدور الأحرار قبـــور الأسرار فعلى العاقل أن يختار هذه الصـــدور وأرجو الله أن يوفق فى الاختيار ، ويستودع سره مثله اداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسى له حتى لا يخطر له على بال ، ولا يدور له فى خلد ثم يرى لذلك حرمة يرعاها ولا يدل ادلال اللئام ويخفيه عن نفسه كأنه لم يسمعه وباتباع ذلك الهوى الراشد يبلغ المرء غاية النجـــاح ويأمن سهام الحاسدين •

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان فـــان كل ذى نعمة محسود • أخرجه ابن عـــدى فى الكامل ، والطبرانى فى الكبيـــر ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الايمان •

والله الموفق للصواب وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

احمد حسن جابر رجب

سُفَراءُ النبيّ صلى الله عليه وسلم

وكُتّابه ورسائله

قال ابن هشام — في سيرة النبي — صلى الله عليه وسلم — :

حدثني من اثق به عن ابي بكر الهذلي قال :

بلغني ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خرج على اصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال :

« ايها الناس ، ان الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال اصحابه :

وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟

قال : « دعاهم الى الذى دعوتكم اليه » .

فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم .

واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا ذلك عيسى الى الله ، فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث اليها .

واستطرد ابن هشام قائلا :

فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اثر ذلك — رسلا من اصحابه ، وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم الى الاسلام :

فبعث دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم .

وبعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك فارس .

وبعث عمرو بن امية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة .

وبعث حاطب ابن أبى بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية .

وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر ، وعياذ ابنى الجلندى الى الازديين ملكى عمان

وبعث سليط بن عمرو الى ثمامة بن آثال وهوذة بن على ملكى اليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين .

وبعث شجاع بن وهب الاسدى الى الحارث

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

ابن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام .. الخ .. الخ .

السفير دحية الكلبى

وحامل رسالته — عليه الصلاة والسلام — الى قيصر ملك الروم سفير من أعظم سفرائه ، وهو دحية الكلبى . وكان شابا صادق الايمان من الرعيل الاول الذى تخرج فى المدرسة المحمدية المثالية العليا ، وكان جميل الصورة . عظيم الذكاء ، وقيل فى وصف جماله : ان جبريل عليه السلام كان يفد على النبى — عليه الصلاة والسلام — فى مثل صورته .

كيف وصل كتاب النبى الى قيصر ؟

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

لما جاء كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — الى قيصر قال حين قرأه : التمسوا لى رجلا من قومه أسأله عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فأخبرنى أبو سفيان أنه كان بالشام رجال من قريش قدموا تجارا . وذلك فى الفترة التى نشب فيها القتال بين رسول الله — عليه الصلاة والسلام — وبين كفار قريش . فأتانى رسول قيصر ، فانطلق بى وبأصحابى ، وأدخلنا عليه، فاذا هو جالس فى مجلس ملكه عليه التاج ، واذا حوله عظماء الروم .

فقال لترجمانه :

سلهم : أيهم أقرب نسبا من هذا الرجل ؟ (يعنى النبى — صلى الله عليه وسلم —) .

قلت : أنا

قال : وما قرابتك منه ؟

قلت : ابن عمى

(قال أبو سفيان : وليس فى الركب رجل من عبد مناف غيرى) .

فقال قيصر : ادنه منى !

ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى : ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : انى سائل هذا عن هذا الرجل (يعنى رسول الله ، — صلى الله عليه وسلم —) فان كذبنى فكذبوه !

قال أبو سفيان : فوالله ، لولا الحياء يومئذ أن يؤثر عنى الكذب لكذبته حين سألنى ، ولكنى استحييت أن يؤثروا عنى الكذب ، فصدقته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب !

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قلت : لا ..

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

قلت : بل ضعفاؤهم !

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون !

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا ..

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه الآن على خلاف ونحن نخاف ذلك .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربه وحربكم ؟

قلت : كانت دولا سجالا ، يدال علينا المرة ويدال عليه الاخرى .

قال : فبم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة والوفاء بالعهد وأداء الأمانة !

قال أبو سفيان :

فقال قيصر لترجمانه :

قل له : انى سألتك عن نسبه فيكم ، فزعمت انه ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ، فزعمت : أن لا :

قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله !

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فزعمت أن لا !

فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فزعمت أن لا : فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه !

وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه ، والضعفاء هم أتباع الرسل !

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم !

وسألتك : أيرتد أحد سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟

فزعمت أن قد فعل ، وأن حربه وحربكم تكون دولا : يدال عليكم مرة ، وتدالون عليه الأخرى .

وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة !

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمت انه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد وأداء

الأمانة ، وهذه صفات نبى قد كنت أعلم أنه خارج !

ولكن لم أظن أنه منكم ! وان يكن حقا ماقلت فيوشك هذا الرجل أن يملك موضع قدمى هاتين ! والله لو أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه !

قال أبو سفيان :

ثم دعا قيصر بكتاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فأمر فقرىء ، فاذا به :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

من محمد بن عبد الله ورسوله .

الى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى ..

أما بعد ..

فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الاريسيين (الفلاحين) .

(يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١).

حوار دحية مع قيصر !

وقال السهيلى فى الروض ص ٣٥٥ من الجزء الثانى :

لما قدم دحية على قيصر قال :

يا قيصر : أرسلنى من هو خير منك ، والذى أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذل ثم أجب تنصح ، فانك ان لم تذلل لم تفهم ، وان لم تنصح لم تنصف .

قال قيصر : هات .

فقال دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلى ؟

قال : نعم !

قال دحية : فانى أدعوك الى من كان المسيح يصلى له ! وأدعوك الى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح فى بطن أمه ، وأدعوك الى هذا النبى الأمى الذى بشر به موسى ، وبشر به عيسى ابن مريم ، وعندك من ذلك أثارة من علم تكفى عن العيان ، فان أجبت كانت لك الدنيا والآخرة ، والا ذهبت عنك الآخرة وشوركت فى الدنيا ! واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم !

فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه ، وقبله وقبل خاتم الرسول الكريم ، ثم قال :

أما والله ما تركت كتابا الا قرأته ولا عالما الا سألته ، فما رأيت الا خيرا ، فأمهلنى حتى أنظر : من كان المسيح يصلى له ؟ فانى أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدا ما هو أحسن منه ، فارجع عنه فيضرنى ذلك ولا ينفعنى ، أقم حتى أنظر !

وروى البخارى أنه لما تلى كتاب النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ على هرقل (قيصر) غضب ابن أخيه غضبا شديدا وقال : أرنى الكتاب !

قال قيصر : وما تصنع به ؟

قال ابن أخيه : انه بدأ بنفسه ، وسماك صاحب الروم !

فقال قيصر :

والله انك لضعيف الرأى ! تريد أن أرمى كتاب رجل أتاه الناموس الأكبر ! لئن كان رسول الله انه أحق أن يبدأ بنفسه ، ولقد صدق فأنا صاحب الروم !

---

(١) آل عمران / ٦٤ .

ثم أمر قيصر باكرام دحية الكلبي سفير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

والواقع أن البحث ليتشعب كثيرا لو حاولنا التوسع في الحديث عن ذلك الحوار الشائق الذي دار بين رسل – النبي عليه الصلاة والسلام – والملوك والأمراء الذين أرسلوا اليهم : فعلى من يرغب في ذلك التوسع أن يرجع الى الجزء الثاني من كتاب (الروض) للسهيلي ففيه تفصيل الحوار البارع الذي أداره بتوفيق الله وهدايته أولئك الرسل الكرام الذين أوفدهم المصطفى – عليه الصلاة والسلام – الى الملوك والأمراء والحكام الأجانب ، مما ينبغي أن يدرسه ويحققه ويعيه ويستوعبه كل الدارسين وطلاب المعرفة من المسلمين بل غيرهم ممن هم مهتمون بتدريب سفراء الغد ورجال السلك السياسي تدريبا قويما من شأنه اطلاق المنطق السليم المستقيم من عقاله ، واخراج الحجة الدامغة في اللحظة الحاسمة لتكون فصل الخطاب !

اين رسالة النبي لقيصر اليوم ؟

وروى الحافظ السهيلي في (الروض) ص ٣٢١ من الجزء الثاني أن (هرقل) قيصر وضع كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – في قصبة من ذهب تعظيما له . وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع محراب وأعز مكان حتى كان عند (أدمونش) الذي تغلب على (طليطلة) وما أخذ من بلاد الاندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف بابن (السليطة) وروى الشيخ عبدالحي الكتاني في كتابه المعروف (نظام الحكومة النبوية) قول الحافظ بن حجر في (فتح الباري) الأثر الذي أحدثه كلام السهيلي : وانبأنا غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي أنه قال : حدثني سيف الدين فليح المنصوري ، قال : أرسلني الملك المنصور قلاوون الى ملك المغرب بهدية ، فأرسلني ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها ، وعرض على الاقامة عنده ، فامتنعت ، فقال : لأتحفنك بتحفة سنية . فأخرج لي صندوقا مصفحا بذهب ، فأخرج منه مقلمة من الذهب ، فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت على حرفه حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم الى جدي الأعلى (قيصر) ومازلنا نتوارثه الى الآن ، وأوصانا آباؤنا أنه مادام هذا الكتاب عندنا لايزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا !

ويعلق الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه (نظام الحكومة النبوية) الجزء الاول على هذا بقوله : « ويؤيد هذا ما وقع في حديث سعيد ابن أبي راشد من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عرض على التنوخي رسول (هرقل) قيصر الدخول في الاسلام فامتنع ، فقال – عليه الصلاة والسلام : يا أخا تنوخ . انى كتبت الى ملككم بصحيفة فليمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا مادام في العيش خير ! » .

وكذلك أخرج أبو عبيد في كتاب (الأموال)

عن عمير بن اسحاق ، قال :

كتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى قيصر وكسرى : فأما كسرى فلما قرأ الرسالة مزقها ، وأما قيصر فلما قرأها طواها ثم رفعها ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، اما هؤلاء فيمزقون ، وأما أولئك فستكون لهم بقية !

ويؤيد ذلك ما روى من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — لما جاءه جواب كسرى قال : مزق الله ملكه ، ولما جاء جواب قيصر قال : ثبت الله ملكه !

هذا وقد تواترت الأنباء منذ مدة أن أحد حكام العرب قد اشترى الرسالة النبوية الكريمة التى كانت أرسلت الى قيصر ، ولاشك أن العالم الاسلامى يهمه كثيرا أن يكشف عن وجه الحقيقة فى هذا الامر الجليل وأن يقطع الشك باليقين !

ولقد أفضت الحديث عن رسالة النبى — عليه الصلاة والسلام — الى قيصر . والحق أن الكلام عن هذه الرسالة الشريفة وحدها يطول ويتشعب ، ويمكن أن يكتب المرء عنه رسالة قائمة بذاتها ولضيق المقام نجتزىء بهذا الحديث المفصل عن هذه الرسالة الشريفة .

خاتم النبى

أشرنا فيما تقدم الى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يختم رسالته بخاتمه الشريف .

وفى ذلك يقول البخارى نقلا عن أنس رضى الله عنهما : « انه لما أراد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يكتب الى الروم قيل له : لن يقرءوا كتابك اذا لم يكن مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة ، ونقشه : (محمد رسول الله) «كأنما أنظر الى بياضه فى يده — صلى الله عليه وسلم — » . وعن أنس رضى الله عنه قوله كذلك :

كان خاتم النبى — صلى الله عليه وسلم — (محمد — فى سطر ورسول فى سطر والله فى سطر وانها كانت تقرأ من أسفل فصاعدا ليكون اسم الله فوق الجميع) .

وقال المهلب ، كان — عليه الصلاة والسلام — لا يستغنى عن الختم به فى الكتب التى يبعثها الى البلدان فى أجوبة العمال وقواد السرايا .

وكان الرسول — عليه الصلاة والسلام — أول من ختم الرسالة بخاتمه الشريف من قريش وأهل الحجاز ، على ما رواه السيوطى .

صاحب خاتم النبى

وكان لخاتم النبى — عليه الصلاة والسلام — حافظ يطلق عليه اسم صاحب الخاتم ، ويحفظه عندما يخلعه — عليه الصلاة والسلام — .

وتقول بعض الروايات : أن صاحب خاتمه الشريف هو معيقب بن ابى فاطمة ، وتقول روايات اخرى : انه كان يعهد بخاتمه الشريف الى حنظلة بن الربيع بن صيفى ابن اخى الكتم ابن صيفى الأسدى .

مؤلفات الإمام البخاري

وللامام البخارى ، في الجامع الصحيح مؤلفات . في تاريخ الرجال واحوالهم .

ومؤلفاته هي خير دليل على سعة افقه وامانته ومقدرته في معرفة أحوال الرواة وتقدمه على غيره في هذا الشان .

ومن مؤلفاته التى تعتبر خير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامعه الصحيح والثقة في كل مروياته .

« التاريخ الكبير » :

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ « تأليف الحافظ الناقد شيخ الاسلام جبل الحفظ وامام الدنيا أبي عبد الله البخارى » . رواية أبي الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه .

ورواية أبي أحمد عبد الوهاب بن محمد موسى الغندجانى عنه .

ورواية الشيخ الجليل أبي الحسين عبد الحق ابن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد ابن يوسف عنه .

وقد حاول فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه ، والكتاب ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ضخمة — رتبه على حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول — صلى الله عليه وسلم — ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول — صلى الله عليه وسلم — ونسبه .

وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء في الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا في الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم هكذا .

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه ، وقد يذكر حديثا له وقلما يذكر جرحا وتحديلا ويبين الصحابي بالتنبيه عليه .

« والتاريخ الكبير » يعطي صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواه ويضفي الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث ان أي ناقد لم يبلغ مبلغه في معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير أستاذه اسحاق ابن راهويه .

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى

لفضيلة الاستاذ

الدكتور الحسيني هاشم

أمده الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى — صلى الله عليه وسلم — حيث ألفه حول المقام .

وقد ألف البخارى « التاريخ الكبير » فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح .

يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول .

وقد قوبل « التاريخ الكبير » فى عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى ان شيخه الامام اسحاق بن راهويه لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله ابن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟

وقال الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة وفيها أحوال كثيرة من الوضاعين ومنها كتاب « التاريخ الكبير » للبخارى وقد ذكر به أسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا ما بين ثقة وضعيف ورجل وامرأة .

وقال التاج السبكى : انه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده فى التاريخ والأسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحوا من (١٢٦) رجلا .

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث بحق فى العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه هو الذى أصل الأصول .

وفى تذكرة الحفاظ على ما فى مقدمة المعلمى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على ابن أبى حاتم كتاب « الجرح والتعديل » .

قال : « فقلت لابن عبدويه الوراق هذه

مؤلفات الامام البخاري

ضحكة أراكم تقرأون كتاب التاريخ للبخاري على شيخكم وقد نسبتموه الى أبي زرعه وأبي حاتم فقال يا أبا أحمد ان أبا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخاري قالا هذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا فاتعدا .

وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمي بقوله : لا ريب ن ابن أبي حاتم هذا في الغالب حذا حذو البخاري في الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك لكن هذا لا يخفى من تلك المزية العظمى وهي التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة .

وحاول أن يبرز قيمة كتاب « الجرح والتعديل » وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميل وبه زيادات ونقص وهو كتاب رائع وعظيم لا شك في ذلك .

ولست أنقص من قيمة كتاب « الجرح والتعديل » بل كلما زادت قيمة كتاب « الجرح والتعديل » ازدادت النظرة التقديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخاري .

وقد بين الأستاذ المعلمي في تحليل رائع ما يؤيد ذلك وبين عذر ابن أبي حاتم في عدم ذكر آراء البخاري .

كما بين أن علم والده انما يرجع الى علم التاريخ الكبير قال « حرص ابن أبي حاتم بارشاد ذينك الامامين (أبي زرعة ووالده محمد ابن ادريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن في الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل في يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبوه وأبو زرعة والبخاري ، أما أبوه وأبو زرعة فكان يسائلهما في أغلب التراجم التي أثبتها في كتابه ويكتب جوابهما وأما نصوص البخاري فانه استغنى عنها بموافقة أبيه للبخاري في غالب تلك الأحكام » .

« ومعنى ذلك أن أبا حاتم كان يقف على ما حكم به البخاري فيراه صوابا في الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » .

ثم بين الأستاذ المعلمي أيضا السبب المباشر في عدم ذكر البخاري ونسبة أحكامه اليه « ويمكن أن نعتبره سببا شخصيا أو سياسيا » .

فقال « وكان محمد بن يحيى الذهلي قد كتب اليهم فيما جرى للبخاري في مسألة القرآن على حسب ما يقوله الناس على البخاري كما ذكره ابن أبي حاتم في ترجمة البخاري في كتابه فكان هذا هو المانع لابن أبي حاتم من نسبة أحكام البخاري اليه . فعلى كل حال فالمقصود حاصل .

رحم الله مؤصل الأصول الامام البخاري ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للاسلام خيرا .

« والتاريخ الكبير » طبع بمطبعة حيدر أباد الدكن بالهند طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ ــ ١٣٦٢ هـ في أربعة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

د . الحسيني هاشم

عطاء الإسلام

قوة الشخصية الإسلامية
في عصر القلق

المؤمن الحق

قوة الشخصية الإسلامية

فى عصر القلق

للــواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

يصف الباحثون فى العلوم الانسانية وعلم النفس على وجه خاص عصرنا الذى نعيش فيه بانه « عصر القلق » ، ذلك لأنه عصر تعددت فيه وتنوعت عوامل اثارة القلق . من صراعات وحروب وأزمات سياسية واقتصادية وتقدم مذهل ورهيب فى اسلحة الدمار .

ولقد ادى ذلك الى انتشار « الاضطرابات النفسية » التى سيطرت على كثير من مظاهر السلوك ، فضجت المجتمعات بالشكوى من اضطراب العلاقات الانسانية واضطراب العمل وقلة الانتاج وضعف الاقبال على الحياة وفقد الحماسة والايجابية والتوازن النفسى وشيوع اللامبالاة واليأس وعدم الاحساس بالأمن الى غير ذلك مما يعصف بحياة الناس وطمأنينتهم وراحتهم النفسية، ويعوق حركة الأمم نحو البناء والنهضة والتقدم .

من أجل ذلك اتجهت جهود العلماء والباحثين والقادة نحو البحث عن طرق وقاية المجتمعات من هذه الأخطار من خلال العناية بصحة الأفراد النفسية وبناء نفسياتهم بناء سليما ، وظهرت أهمية مايسمى «بعلم الصحة النفسية» الذى يرشد الى الأساليب الوقائية والعلاجية من عوامل الاضطراب النفسى لتحقيق التوازن النفسى والسعادة للأفراد والجماعات .

وعلم الصحة النفسية هو « علم التكيف أو التوافق النفسى الذى يهدف الى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية » (١).

ومعنى ذلك أن الصحة النفسية تعنى : قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا التوافق يؤدى الى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات ، مليئة بالحماسة ، ويتسم الفرد وفقا لهذا المفهوم بالرضا عن الذات أى (رضا الفرد عن نفسه)

١ ــ د. مصطفى فهمى ــ الانسان وصحته النفسية ص ١٨.

ولا يبدو من سلوكه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعي ، فلا يأتي سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يكون سلوكه مقبولا ومعقولا ويدل على اتزانه الانفعالي والعاطفي والعقلي في مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف ٠

والشخص الذي هذا نمطه ، يعتبر في نظر علم الصحة النفسية « شخصا سويا » ، أو ذا « شخصية سوية » ، ويتمتع بالصحة النفسية.

واهم ما تتميز بـه الشخصيـة السـويـة ، القدرة على التحكم في الذات ، وتحمل المسئولية وتقديرها ، والتعاون البناء ، والقدرة على مواجهة المخاوف والقلق وأشـكال الصراع المختلفة ، والتمتع باحترام الذات ، والقدرة على جذب الآخرين ، والحصول على حبهـم وتقديرهم ، والمرونة في مواجهة الواقـع ، وعناية الانسان بغيره من أبناء المجتمـع ، والقدرة على اتخاذ أهداف تتناسب مع قـدرته على تحقيقها ٠

منهج الاسلام هو الطريق الأمثل :

ومهما اجهد العلماء والباحثون انفسـهم في الدراسة والبحث ، فلا يتسامى ما يقررون من مبادىء ونظم الى منهج الاسلام في بنـاء شخصية المسلم ، فهو الطريق الأمثل لبنـاء الانسان صحيح العقل والنفس والجسم ... وابلغ دليل على قصور المناهج الموضوعية في هذا المجال انتشار الاضطرابات النفسـية في المجتمعات الغربية برغم توفر كل أسـباب الرفاهية واشباع الحاجات التي كانوا يظنون أن فيها سـعادة الأفراد والجماعات ٠ فلقـد ظهر من احصاء قريب (١) باحدى الـدول الغربية أن أكثر من سـتة بالمائة من السـكان يعانون نوعا من سوء التوافق (٢) ، وأن واحدا من كل عشرة من السكان يحتاج الى معـونة الطبيب النفسي ان عاجلا او آجلا ، وأن واحدا من كل ثمانية عشر شخصا ينفق بعض الوقت في مصحة عقلية ، وأن عدد من يدخلون هـذه المصحات كل عام يساوي عدد من يتخرجـون في الجامعات ، وأن المصابين بأمراض عقلية ــ اي بالجنون ــ يشغلون من أسرة المصـحات اكثر مما يشغله جميع المرضى بكافة الأمراض الأخرى ، وأن نصف من يترددون عـلى أطباء البدن لعلل جسـمية يعـانون في الواقـع من اضطرابات نفسية انفعالية ٠

١ ــ عقيدة التوحيد :

ان الاسلام اذا خالطت بشاشته القلوب ، يشيع فيها الطمأنينة والثبـات والاتزان الانفعالي والعاطفي والعقلي ، ويقيها من القلق والخوف والاضطرابات كما يفهم من قـوله تعالى :

ــ « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » (ابراهيم ٢٧)٠

ــ « فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (البقرة ٣٨) ٠

---

١ ــ د. مصطفى فهمي ــ الانسان وصحته النفسية ص ٨ .

٢ ــ يكون الفرد (حسن التكيف او التـوافق اذا تمكن من أن يعيش حياة سعيدة ناجحة ، فان عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود للتكيف قيل انه « سيء التكيف او التوافق » .

ــ « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » (الاسراء ٨٢) .

ومن منطلق العقيدة الصحيحة ، وفي ضوء التوحيد ، يتجه مسار شخصية المسلم اتجاها واحدا مستقيما هو « اسلام الوجه لله » ، ويكون ذلك في العقيدة بالايمان بوحدانية الله، ويكون في الأخلاق بأن يتخلق الانسان بالأخلاق التي أمر الله بها ، وقد فسر الله سبحانه معنى « اسلام الوجه لله » حينما وضع ذروته ممثلة في شخص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليسترشد أتباعه اذ يقول :

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (الانعام ١٦٢ ــ ١٦٣) .

٢ ــ دوام الصلة بالله :

ويربي الاسلام شخصية المسلم على دوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة وذلك منذ بداية نشأته وفي المراحل الأولى من عمره ، ومن ذلك مثلا وصية رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعبد الله بن عباس ــ وقد أردفه خلفه وهو صبي ــ :

« ياغلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » (١) .

٢ ــ الصبر والشكر :

ومن شيم المؤمن ومن أسباب الطمأنينة والخير له ، الصبر عند البلاء ، والشكر في السراء ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

ــ « وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (البقرة ١٧٧) .

ــ « وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » (النمل ٤٠) .

ــ « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (ابراهيم ٧) .

وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (رواه مسلم) .

وسأل عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه : أمؤمنون أنتم ؟ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نعم يارسول الله .. فقال : فما علامة ايمانكم ؟ .. فقال : نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء .. فقال : مؤمنون ورب الكعبة .

---

١ ــ الحديث في سنن الترمذي في كتاب القيامة.

٤ ــ المرونة في مواجهة الواقع :

ويوجه الاسلام الانسان الى المرونة في مواجهته الواقع ويقيه من القلق والحزن اذا لم تتحقق له بعض حاجاته في الحياة ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (البقرة ٢١٦) .

والانسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ، ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة في مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى أقرها الاسلام .. ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

٥ ــ روابط الحب والتراحم :

ويقيم الاسلام الصلة بين المسلمين على الحب والمودة والتراحم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » (مسلم ــ البر والصلة) .

ــ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (البخارى ــ كتاب المظالم) .

ــ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (البخاري ــ كتاب الايمان) .

٦ ــ التسامح والعفو :

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، والطريق الذي يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء هو التسامح وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، فهذه الفضائل دليل قوة النفس وتقوى الله .. يقول الله تعالى :

ــ « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (فصلت ٣٤) .

ــ « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (آل عمران ١٣٣ ــ ١٣٤) .

٧ ــ الزهد والقناعة :

وتطلع الانسان الى ما في يد غيره ، وتطلعه الى أهداف فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعله دائم الضيق والألم ، وقد يدفعه ذلك الى الانحراف لكى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره .. والقرآن يعالج هذه الناحية ، فيطلب من المسلم القناعة:

« وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ » ، فاذا أراد شيئا فليسأل الله

قوة الشخصية الإسلامية في عصر القلق

من فضله ، فان أعطاه شكر ، وان لم يعطه صبر ، وله الثواب في الحالين ، ومع ذلك فقد يذوق ما في يد غيره مقصودا به الفتنة ولقد عافاه الله منها :

« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (طه ١٣١) ، فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويبعد نفسه بذلك عن كثير من الاضطرابات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المغريات ولو كان في حاجة اليها ويتوج هذا كله بان يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه والا يجعل في قلوبنا « غلا للذين آمنوا »

٨ ــ التفاؤل الدائم :

ويطلب الله جل شأنه من المسلمين ان يكونوا متفائلين دائما وان يبعدوا اليأس عنهم ، فان المؤمن متفائل دائما :

« وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (يوسف ٨٧) .

ويطمئنهم سبحانه بانه معهم دائما اذا سالوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » (البقرة ١٨٦) .

وهذا نهاية الطمانينة والأمن الذى يحتاجه الانسان .

وأخيرا وليس آخرا فان الاسلام ينفرد بقاعدة في بناء الانسان وبناء شخصيته وهى ان بلوغ المسلم « سن التكليف » ياتى في مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى الذى تقرره النظم الوضعية ، وينطوى ذلك على معنى عظيم وعميق هو ان يخرج المسلم الى الحياة يحمل رصيدا مناسبا من الأسس النفسية السليمة التى تقيمها التربية الاسلامية منذ مرحلة الطفولة كالصلة القوية بالله ، ويقظة الضمير ، وتوافق الانسان مع نفسه ، والقدرة على التحكم في الذات ، والسيطرة على نزعاته وغرائزه ، الى غير ذلك مما يهيىء له اسباب الصحة النفسية والعقلية والجسدية ولقد امتحن المؤمنون ، فكانوا بايمانهم اقوى من الأحداث التى واجهتهم كما يقول الله تعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا » (آل عمران ١٤٦) .

لواء / أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ

المؤمن الحق

للأستاذ أحمد على منصور

ان المؤمن الحق — هو الذى يؤمن بالله عز وجل ، ويعلم علم اليقين انه تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته العلية ، جلت حكمته ، وانه منزه عن كل نقص لايتمشى مع قدرته وعظمته ، وتدبيره وحكمته ، وانه يجوز فى حقه جل جلاله فعل الممكن وتركه ، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويسعد أقواما ويشقى آخرين ، ولايسال عما يفعل وهم يسالون .

ويؤمن بملائكة الله الكرام ، الذين اصطفاهم لطاعته ، واختارهم لعبادته ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يضعفون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وهم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله الواحد القهار ، ورئيسهم أمين الوحى جبريل عليه السلام ، والسفير بالوحى بين الله العلى العظيم ، والمصطفين الاخيار من الأنبياء والمرسلين ، صلوات اللهوسلامه عليهم وعلى آلهمواصحابهم أجمعين ،

ومنهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ، ورقيب ملك الحسنات ، وعتيد ملك السيئات ، ومنكر ونكير ، الموكلان بسؤال الموتى فى القبور . ويؤمن بكتب الله المنزلة منه عز علاه ، على النبيين والمرسلين ، لهداية البشر ، ويعلم منها الأربعة التى صرح القرآن العظيم بها ، وهى زبور داود ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وقرآن خاتم الأنبياء وامام المرسلين، عليهم وعلى آلهم وأصحابهم أفضل الصلوات واتم التسليم .

ويؤمن برسل الله من لدن آدم ، الى سيدنا ومولانا محمد ، عليهم الصلاة والسلام ، ويعتقد اعتقادا قويا أنهم كثيرون ، لايعلم عددهم الا الله أحكم الحاكمين ، وقد قال بالآية الثامنة والسبعين من سورة غافر : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ ، مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ

المؤمن الحق

أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) فقبل سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرسل الله تعالى رسلا كثيرين الى أممهم ، مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيي عن بينة ، وان الله لسميع عليم ، ومن هؤلاء الرسل من أنبأ الله نبينا الكريم بأنبائهم ، ومنهم من طوى ذكر أخبارهم عنه ، لسر عظيم هو بالغه ، وذهب فريق من العلماء الى أن الله عز وجل بعث ثمانية آلاف نبي ، أربعة آلاف من بني اسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس ، ولما اقترح كفار قريش على خاتم النبيين أن يأتيهم بالآيات عنادا ، وحسدا من عند أنفسهم ، من بعد ماتبين لهم أن ماجاءهم به هو الحق ، أعلمهم الله في هذه الآية الكريمة ، بأنه أرسل للأمم جميعهم تفضلا وكرما ، كثيرا من الرسل لهداية الناس في كل زمان ومكان ، وما كان لواحد من هؤلاء المصطفين الأخيار ، أن يأتي بآية الا باذن الله ، فمن أين للهادي البشير النذير ، أن يأتي بآية مما يقترحونه عليه ، الا أن يشاء الله العلي القدير ، ويأذن في الاتيان بها ؟ واذا جاء يوم الحساب فاز المؤمنون ، وخسر هنالك المبطلون المعاندون ، الذين اقترحوا الآيات عنادا ، وفي هذا وعيد لهم ، ولكل من دار في فلكهم ، وفعل مثل أفعالهم .

ويجب على كل مكلف أن يعرف أسماء خمسة وعشرين نبيا ورسولا ، وردت في القرآن العظيم منهم ثمانية عشر ، وردت بسورة الأنعام الشريفة من الآية الثالثة والثمانين ، الى الآية السادسة والثمانين ، وفيها يقول الله جلت حكمته : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين) والأسماء السبعة المكملة للخمسة والعشرين هي :

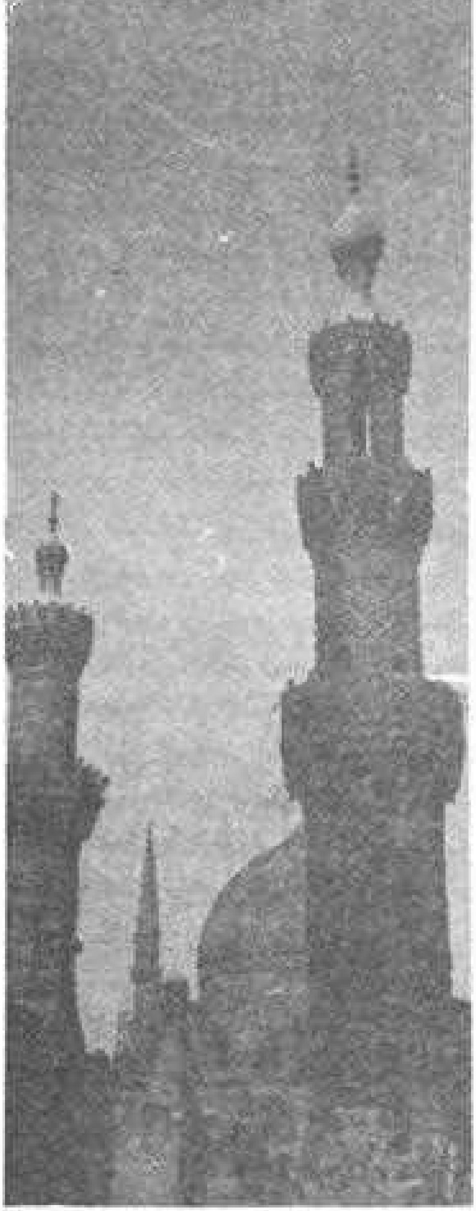
ادريس وهود وشعيب ، وصالح وذو الكفل وآدم ، والمصطفى الصادق الأمين ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آلهم وأصحابهم والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وفي هذا يقول علماء التوحيد والعقائد :

حتم على كل ذي التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وعلى المؤمن الحق أن يعتقد أن هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، يجب لهم كل كمال بشري ويستحيل عليهم كل نقص بشري ، فيجب لهم الصدق والأمانة ، والتبليغ والفطانة ، ويستحيل عليهم أضداد ذلك ، من الكذب والخيانة والكتمان

والبلادة ، ويجوز فى حقهم مايجوز فى حق سائر الناس ، مما لايؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية ، أو ينفر الناس منهم ، ويؤمن باليوم الآخر وما يكون فيه من الحشر والنشر ، الصراط والميزان والحوض ، والشفاعة والثواب والعقاب والجنة والنار ، ونحوها من السمعيات التى ثبتت بالنصوص القطعية ، من القرآن العظيم والسنة النبوية ، ويؤمن فضلا عن ذلك بالقضاء والقدر ، خيرهما وشرهما ، حلوهما ومرهما .

ويعمل بأركان الاسلام الخمسة ، من الشهادتين ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ان استطاع الى ذلك سبيلا ، ويحسن معاملته مع الخالق والمخلوق ، ويحب للناس مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لها ، ويكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء حبا مجردا عن الهوى والغرض ، بأن يحبه لوجه الله الكريم ، وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد أن ذاق حلاوة الايمان ، كما يكره أن يقذف به فى النار ، وأن يؤدى واجبه بلا نقص منه ، وأن يأخذ حقه بلا زيادة عليه ، وأن ينأى بجانبه عن الظلم والأذى ، والمعاصى والسيئات ، واذا ذكر الله عز وجل امتلأ قلبه خشية منه ، واذا تليت عليه آياته زادته ايمانا على ايمانه ، وتأدب بآدابها ، وعمل بأحكامها ، وفوض الى مولاه جميع أموره ، وتوكل عليه فى كل شئونه ، ويجعل فى ماله حقا معلوما للسائل والمحروم ، فيمسح دمعة الباكى ، ويواسى المحتاج ، ويعطف على الفقير والمسكين ، ويرحم اليتامى والأرامل



المؤمن الحق

والبائسين ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولايغتر بالحياة الدنيا وزينتها ، واذا أصبح فلاينتظر المساء ، واذا أمسى فلاينتظر الصباح ويعتبر نفسه فى هذه الدار الفانية غريبا أو عابر سبيل ، ويتزود منها بخير الزاد ، ليوم الحساب والمعاد ، فيأخذ من حياته لموته ، ومن صحته لمرضه ، ومن غناه لفقره ، ومن فراغه لشغله، ومن دنياه لآخرته ، ويضع نصب عينيه أن الحياة وان طالت قصيرة ، وأن الآخرة وان بعدت قريبة ، وأننا جميعا الى الله صائرون ، ولكأس المنية شاربون ، ولأولادنا وأهلنا وأقاربنا مفارقون ، وعن الدنيا راحلون ، ونحو الآخرة مقبلون وبين يدى ربنا تبارك وتعالى واقفون ، وعلى ماقدمنا فى حياتنا محاسبون ، أمام محكمة العدل الالهية والقاضى فيها رب العالمين ، يوم تشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ، بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون أن الله هو الحق المبين ، وفى هذا يقول بالآية السابعة والأربعين ، من سورة الأنبياء وهو أصدق القائلين : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) .

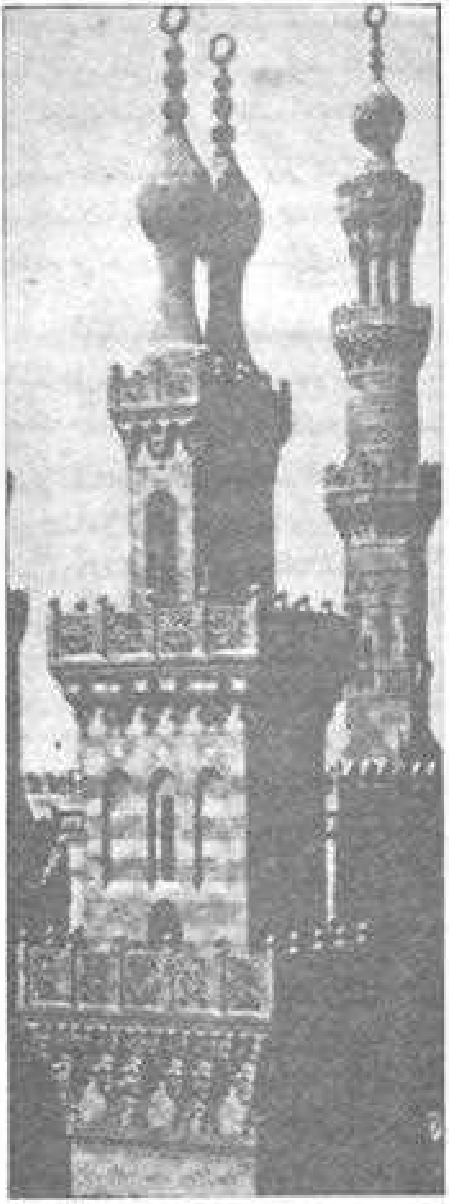
والمؤمن الكامل الايمان هو الذى يتواصى مع غيره بالحق ، والأمر الثابت الذى لايسوغ انكاره ، وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته ، والمسارعة الى الخيرات ، والبعد عن السيئات ، ويتواصى مع سواه بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات ، وما يبلو به الله عباده على مر الأيام وتوالى السنين . وهؤلاء المؤمنون الكاملون فى ايمانهم سبقت لهم من ربهم الحسنى ، والسعادة فى الدارين أو البشرى بالثواب ، أو التوفيق للطاعة ، ونالوا من مولاهم العناية فى البداية ، وتحققت لهم الولاية فى النهاية ، وهم فى الآخرة عن النار مبعدون لايسمعون حسيسها ، وصوتها الذى يحس وحركة تلهبها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم من نعيم الجنان خالدون ، لايحزنهم الفزع الأكبر ،

يوم الدين ، وتستقبلهم الملائكة على أبواب الجنان مهنئين ، ويقولون لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون ، وسلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، ولهم فيها مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من الناس أجمعين .

وبالآيات الثانية والثالثة والرابعة ، من سورة الأنفال العزيزة ، يقول مولانا تبارك وتعالى فى وصف المؤمنين الكاملين فى إيمانهم : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ، وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).

وفى هذه الآيات الثلاث الكريمة ، التصريح

بأن المؤمنين الكاملين فى ايمانهم ، هم الذين اذا ذكر الله تبارك اسمه ، ولا اله غيره ، امتلأت بالخوف أفئدتهم ، وفزعت لذكره عز شأنه ، استعظاما له ، وتهيبا من جلاله ، واشفاقا من عظمته وسلطانه ، واذا قرئت عليهم الآيات القرآنية زادتهم ايمانا ، وطمأنينة ويقينا ، وانصرفوا خاشعين خاضعين الى العمل بأحكامها والتأدب بآدابها ، وفوضوا أمورهم الى الله لايخشون ولايرجون الا اياه ، واعتمدوا عليه فى جميع شئونهم ، واستعانوا به سبحانه وتعالى فى كل أحوالهم ، وعلموا علم اليقين أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوهم بشىء ، لن ينفعوهم الا بشىء قد كتبه السميع العليم لهم ، وان اجتمعوا على أن يضروهم بشىء لن يضروهم الا بشىء قد كتبه العلى العظيم عليهم ولقد جمعوا بين أعمال القلوب ، من الوجل والاخلاص والتوكل على الله ، وبين أعمال الجوارح والاعضاء من اقام الصلاة ، باسباغ وضوئها ، والاتيان بأقوالها وأفعالها تامة كاملة ، فى أروع صورها ، وحافظوا عليها فى أوقاتها ، ولم تلههم تجارة ولا بيع عنها ، وأكثروا من السعى بالغدو والآصال ، وتحت جنح الليل الى بيوت الرحمن التى أذن أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ، ويحمدونه لأنه رب العالمين ، ويثنون عليه لأنه الرحمن الرحيم ، ويمجدونه لأنه مالك يوم الدين ، ويخصونه وحده بالعبادة ، ويطلبون منه وحده الاستعانة ، ويرفعون اليه أكف الضراعة والابتهال ، أن يهديهم الصراط المستقيم ، ويثبتهم على المنهاج الواضح القويم ، فيعملوا بأحكام الاسلام العظيم ، الذى جاء لسعادة البشرية فى العاجل



المؤمن الحق

والآجل ويوفقهم في المستقبل كما وفقهم في الحال ، ويسلكوا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ،

ويجمعوا بين النعمة المطلقة ، وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال ، وينأوا بجانبهم عن طريق اليهود والنصارى ٠

ومن أعمال الجوارح والأعضاء التي اتصف بها المؤمنون الكاملون ، مع اقامتهم للصلاة الصدقة ، فهم مما رزقناهم ينفقون ، ولاينسون حقوق المستحقين ، فيما أعطاهم أحكم الحاكمين وان المتصفين بذلك هم المؤمنون ايمانا حقا ، ولهم درجات عند ربهم ، ومراتب بعضها فوق بعض على قدر أعمالهم ، ولهم مغفرة وتجاوز لسيئاتهم ، ورزق كريم ، صاف عن كد وتعب الاكتساب ، وخوف وترقب الحساب ٠

قال رجل للحسن البصري رحمه الله : أمؤمن أنت ؟ فقال الحسن ٠٠ ان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والبعث والحساب والجنة والنار فأنا مؤمن ، وان كنت تسألني عما وصف الله تعالى به عباده المؤمنين الكاملين ، في قوله عز وجل بسورة الأنفال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) الآيات ، فلا أدرى أنا منهم أم لا ؟

وكان قتادة رحمه الله اذا سئل أمؤمن أنت ؟ يستثني في الجواب ويقول أنا مؤمن ان شاء الله ، وكره ذلك بعض العلماء ، وقيل لقتادة : لم تستثني في ايمانك ؟ فقال اتباعا للخليل ابراهيم عليه السلام في قوله : (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) فقال له : هلا اقتديت به في قوله : (أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ؟ ٠

وعن ابراهيم التيمي رحمه الله : قل أنا مؤمن حقا ، فان صدقت اثبت عليه ، وان كذبت فبعدك عن رياض الايمان أشد من كذبك ٠ وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا ٠

اللهم اجعلنا من المؤمنين حقا ، ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وأنت أنت الله السميع القريب المجيب ٠

« أحمد علي منصور »

مع الشعر

أجل إنها أحلام

جيلي عبد الرحمن في ديوانه

الوطنية والعروبة في شعر محرم

من ذكريات الريف

للدكتور : حسن جاد

على شاطئ جدول صغير ينساب في رقة بين أحضان المزارع في الريف تنهض خميلة من الأشجار الباسقة ما تزال قائمة حتى الآن اتخذت ظلها محرابا للشعر ، ومهبطا لالهامه ، وذلك منذ ريعان الصبا في أول عهدي بنظم الشعر حيث ذ'ت هذه القصيدة قبل أن أبلغ سن العشرين .

خميلةَ الشعر كم حرّكتِ أوتاري ... للشدو فيكِ وكم ألهمتِ أفكاري

يا مَبْعثَ الروح في الأبدان هامدةً ... ومهبطَ الوحي من آيات أشعاري

حَيّيْتُ فيكِ مكاناكم نظمتُ به ... لآلِئَ الشعْرِ فوق الجدْوَلِ الجاري

من كلّ عصماء من نجواك رائعةٍ ... عذراءَ تختالُ في وَشْيٍ وأنْوار

ساجلْتُ طيْرَك فيها شاكيًا غرِدًا ... كأنني طائر مابينَهُنّ أطيار

بَكَتْ أليفًا عن الوكْرِ الجميل نأى ... فرُحْتُ أبكي أليفًا نائيَ الدّار

والبدْرُ يُشْرِقُ أحيانًا فيؤنسُني ... وتارة يتوارى خَلْفَ أستار

والأرضُ مجلُوّة الآفاق وادعةٌ ... تبدى المزارعُ فيها قُدْرَةَ الباري

والكوْنُ حوْلك قد سار السكونُ به ... عدا نسيم رقيق النفح مِعْطار

والكوْن مَعْبدُ رُوحي في محاريبه ... أسَبّح الله في صَمْتٍ وإسْرار

خميلةَ الشعْرِ كمْ من أنعُمٍ عَظُمَتْ ... أسْديتها ليَ في حُبٍّ وإكْبار

كمْ عشْتُ في جَوّك النشوانِ منفردًا ... مُطهّرَ النفْسِ من حِقْدٍ وأوْضار

سئمْتُ من معْشَرٍ بيضٍ ظواهرُهم ... لكن بواطنهم سوداءُ كالقار

وجئْتُ فيكِ - غناءً عن صداقتهم ... خِلًّا وفيًا ، ومحرابًا لأفكاري

الاستاذ : محمد عبد الرحمن صان الدين

انا مازلت فى حكم الحياة ... وراء الوهم أعدو فى فلاة
وفى فلك السراب قضيت عمرا ... اجدف فى بحار ما ثجات
وقد وهنت قوى جسمى وكلت ... وانفاسى غدت متلاحقات
ولم تحصد سوى الأضغاث كفى ... كمحتطب الليالى الداجيات
ابهر فى كلال فى ملال ... متى يارب أصحو من سباتى

***

تمر بى الحوادث والليالى ... كاسراب الطيور الرائحات
اشيعها الى الماضى بعين ... وعين ترتجى مخبوءآت
وفى قلبى رحيق مستلذ ... وصاب من كئوس مترعات
واعطى خاطرى فكرى وجهدى ... لاجنى ينعه عند الغداة
كانى قد ملكت الدهر وحدى ... امرغه كما أهوى لذاتى

***

حسبت الخلد والاسعاد نيما ... يشيد من قصور باذخات
وفى السلطان ذى الجبروت يعنو ... لسطوته الرهيبة كل عات
وفى زمر من الخلان تحظى ... بلذات الحياة المشتهاة
حسبت المجد فى هذا وهذا ... ولم أحفل بغير البارقات
ولكنى رايت الكل يزوى ... كما تزوى أزاهير النبات
ويذهب كل شىء فى ايادى ... اعاصير الخريف العاصفات
فاين الجالسون على عروش ... موطدة الدعائم راسيات
واين المترفون على بساط ... باحضان النعيم الآمنات
واين اماجد فى الناس كانوا ... رياحين النفوس الكاسفات
لقد كانوا نياما واستفاقوا ... الى اخرى على متن الوفاة
اقاموا برهة ومضوا تباعا ... كاطياف تمر مجنحات
الى الأبد المحجب حيث حلوا ... وغابوا عن عيون شاخصات
وانى لم ازل فى الحلم احيا ... متى يارب أصحو من سباتى

طلع البدر علينا

كتبت الطالبة « ريهام احمد مصطفى حافظ » تحية الى : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم:

طلع البدر علينا

طلع البدر علينا — مرحبا زين البدور
بالهنا تاتي الينا — فى ربيع بالسرور

طلع البدر علينا

فى ربيع الأول — كان ميلاد الرسول
بالمعالى ينجلى — فاتحا باب القبول

طلع البدر علينا

عيد اعياد الزمان — يتجلى كل عام
بهجة فى كل آن — بصلاة ٠٠وسلام

طلع البدر علينا

كان فى الدنيا يتيما — كان فيضا مشرقا
ويرى نوما رحيما — وامينا صادقا

طلع البدر علينا

فامسحوا دمع اليتيم — كى تنالوا حبه
واسلكوا النهج القويم — كى تكونوا قربه

طلع البدر علينا

يوم لا ينفع مال — تطمئنوا ٠٠ فى حماه
دون تقولكم ٠٠ محال — ان تفوزوا برضاه

« بمدرسة عبد الله النديم/بمدينة نصر بالقاهرة » ٠٠

جيلى عبد الرحمن فى ديوانه

"قصائد من السودان"

للشاعرة : جليلة رضا

شاعران من السودان قصدا أرض مصر فضمتهما كأم فى زهو وفخر ومنحتهما حنانها الكبير وضمختهما بعبير أسرارها المقدسة : انهما جيلى عبد الرحمن وتاج السر حسن .

شاعران لايمكن أن نذكر احدهما دون ذكر الآخر . فقد عاشا فى مصر وانتجا سويا ديوانهما الاول «قصائد من السودان» المطبوع عام ١٩٥٦ . ولست بصدد المقارنة بين الشاعرين فلكل منهما أسلوبه الخاص ومقدرته الفنية واتجاهاته .

أما جيلى عبد الرحمن فقد ولد عام ١٩٣١ فى جزيرة « صاى » ثم هاجر الى مصر فى سن التاسعة ليلحق بوالده الذى سبقه اليها سعيا وراء الرزق .

بدأ جيلى حياته الفنية شاعرا « رومانسيا » يكثر من الحنين الى وطنه ويردد الشكوى من الاغتراب .

ثم انتقل بعد ذلك الى الشعر الواقعى الهادف المتحرر ، واستطاع أن يسيطر على عاطفته الشخصية فلم يعد شعره قائما على مجرد الانفعال الثائر بل تخطاه الى التفكير المنظم والموسيقى الهادئة والتصوير الواضح الخالص من التهويل والترديد واتجه نحو التقطيعات الحرة والاستقامة الفكرية .

وعندما فهم الشاعر الواقعية فهما صحيحا بدأ شعره يحمل السهولة فى اللفظ والبساطة فى التعبير مع التصوير الجيد بل فى كثير من الأحيان كان تصويره مبدعا مجسدا يجعلنا نعيش فى أحداث ومرئيات القصيدة ونحس بكل اختلاجاتها الحسية .. وسوف أبدأ

بقصيدته « حارة زهرة الربيع » لأنها تتربع قمة الديوان فلنستمع اليه وهو يصف (حارته) :

حارتنا مخبوءة فى حى « عابدين »
تطاولت بيوتها كأنها قـــلاع
وسدت الأضواء عن أبنائها الجياع
للنور .. والزهور والحياة
فاغرورقت فى شجوها وشوقها الحزين
وبابهـا العجـوز ..

هكذا عاش الشاعر جيلى عبد الرحمـن فى القاهرة فى قلب الحارة وامتزج بحياة أهلها .

عاش مع البسطاء وعرف كيف يجوع الفقير ويشقى الأجير فصور كل ذلك بأسلوب صادق أمين وكأنك ياعزيزى القـــارىء دخلت الآن حارة الشاعر ورأيتها مخبوءة تعلو بيوتهـــا القديمة وتسد الأضواء وهى تبكى الحرمان والحنين الى النور . لقد وصفها الشاعر وصفا دقيقا فى كلمات مجسدة ثم أراد بعد ذلك أن يدل القارىء على اسم هذه الحارة فى مرارة وسخرية : « وفوق عتمة الجدار . صـــفيحة مغروسة فى كومة الغبار تآكلت حروفها لكنهـا تضوع . « حارة .. زهرة الربيع » .

هذه الأبيات القليلة السابقة من أجمـــل ما قرأت لشاعر يصف الحى الذى يعيش فيه لقد قال فيها كل شىء ببساطة عميقة وكأنه لم يقل شيئا .. ثم يعود الشاعر ليصف . الآن أبناء الحارة وأعمالهم .

وفى البكـــور يخـــرج الرجـــال
أقدامهم منهوكة وصـــمتهم ســـعال
يدعـــون للالــه فى ابتهـــال .. يا اله
افتح لنـــا الأبواب .. وسهل الأرزاق
وتختفى أقـــدامهم فى زحمـــة الحيـــاة

وبعد أن يصف الباعة وضجيجهم وشتائم أهل الحارة يذهب بنا بعيدا نحو الأحـــلام الزائفة وأوهام بنات الحارة ..

وترسل البنات من نوافذ البيوت .

اشذاء أغنيات تحن « للنيون » والعبير .
فى عالم بعيد .. وللعريس وهو فى ثيـــابه يميس .
وتورق الألحان فى القلوب ..
فتنسج الكروم من اشعة النهار ..

ثم يأتى دور الأطفال الصـــغار ، وهم عصافير الحارة فنستمع الى أجمل وأحلى حوار يضم هؤلاء الأطفال الأبرياء .

« محمد » عيونه السهدية الصفاء
تخضل بالحنان .. « وصابر » فى وجهــه استدارة الريال .

و « رفعت » بأنفه يدب كالمنقار .
وأخته كالنور ياسمين .. فى رجلها خلخال .
« محمد » يحكى لهم فى نشفة العصفور .
عن راكب الحصان فى الميدان .. والماء من نافورة بيضاء .
ينساب للسماء .. والشجر المخضوضر الكثير ..
حارتنا يا اخوتى تمتد كالثعبان . ووالدى هناك عبر شارع مسحور .. بيوته قصور ..

يبيع في ملابس النساء والرجال وصاحب الدكان .. « خواجة » دماؤه حمراء كالبطيخ فقالت الأطفال .. يا سلام ..

تصوير بديع كل الابداع حيث يصور الشاعر ياسمين تلك الطفلة الصغيرة التي هي مشروع أنثى تميل وتحن لمفاتن الحياة فتطلب

من محمد أن يرجو والده فيمنحها فستانا ثم تلقى عيونها على محمد فاذا به في ثوب مهلهل قديم ، وينهي الشاعر قصيدته الرائعة بعودة

رجال الحارة الى بيوتهم كعادتهم كل مساء .. أقدامهم معروفة وصمتهم سعال ولكن الأطفال

مازالوا يحلمون براكب الحصان في الميدان وبالشجر الاخضر والقصور المضيئة هذا هو

الشاعر جيلي عبد الرحمن الذي كان في عمر الزهور حين كتب هذه القصيدة وغيرها في

ديوانه « قصائد من السودان » وحقا .. ان السودان العظيم ، عظيم في شعرائه الذين

ينضجون قبل الاوان ، انه يمنحهم أغلى هباته وأسماها ، فهو يبعث فيه رقة الشعور

وبعد النظر وبديع التصوير .. ففي قصيدته «الفجر في القرية» يحكي لنا جيلي عبد الرحمن

عن قرية فيها ترامت الأكواخ في حضن الظلمة:

« أكواخ راجفة جهمة .. نامت كي تصحو في الفجر . ويطل الديك على دور تجثو في الليل المقفور .. وتهادت انه طنبور وينام هناك على السطح .. « عم سعيد » والوجه القمحي الطيب حفنة نور .. وشعيرات كانت ترشح كالبللور .. عرق الأرض الساخن .. ودجاجات كانت تمشي وتنقر في الطين على حب .. ونباح مبحوح .. هو كلب الجيران الأجرب » .

ويفرغ الشاعر جيلي عبد الرحمن من وصف القرية فينتقل الى المدينة .. فالمدينة أيضا لها عنده ذكريات كبار وبها مايكفيها من اليأس والدمار .. في قصيدة « شوارع المدينة »

شوارع المدينة المخضوبة البيوت بالدخان والزيوت .. نعيش في اعماقها .. نعيش لا نموت .. ان المدينة عنده هي المصانع « والشغيلة » والحواري الجرداء في احتائها الشقاء والحصى والظلام ، ولكنها أيضا الاضواء والقصور والرخام والجسور والناس في المقيع يحلمون بالربيع .

أما قصيدة « قطرات الصيف » ففيها تبدو انسانية جيلي عبد الرحمن حين يدعو شجرة الصفصاف قائلا :

ياظل الصفصاف اياحب .. مد فروعك واطرد كل غيوم الصيف وافرش هذا الشارع بالعشب ، واسق الحيطان من النور .. قل للغيمات أيا غيمات .. هذا زيف .
أن تمطرن ونحن نشم عبير الصيف .

وكان الشاعر رائعا مبدعا حين خط على الورق لصاحبته هذه الأبيات :

عيناك تشعان بقلبي الفرحه
والسمرة في وجهك كالكرمه
كالطمي على النيل الشادي
عيناك كأشواق بلادي

بارك الله فيك أيها الشاعر الوفي لبلادك ..

الوطنية والعروبة

في شعر محرم

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت عرائس الشعر قد طوفت بالهامها على ضفاف النيل السعيد . وارسلت اولى نغماتها الشجية على لسان البارودى ومن بعده شوقى العظيم . فاخذت دولة الشعر تزهو وتشتد اركانها.

وفي العشرين من يناير عام ١٨٧٧ ضمت عرائس الشعر الى قيثارتها وترا جديدا .. واستقبلت مملكتها وافدا عزيزا اتخذته من أعوانها ومنحته الهامها .. ذلكم هو شاعرنا : احمد محرم ..

ولم تكد شاعرية محرم تعلن عن نفسها حتى طار ذكره على الألسنة وهو لما يزل بعد في ريق الصبا .. وشرخ الشباب .. ومقتبل العمر وغصت الصحف والمجلات بقصائده المبدعة .. يضرب بها في كل فن .. ويجول في كل ميدان .

ويتبوأ شاعرنا مكانه في الصف الأول من شعراء عصره .

وقد عاش أحمد محرم فترة طويلة من حياته توالت فيها على مصر المحن وتتابعت الخطوب . فاتخذ من هذه الأحداث وقودا يؤرث به نار الحقد على الغاصبين .. ويحفز الهمم .. ويذكى روح الوطنية في النفوس .. ويملأ بها الأسماع .

واحب شاعرنا وطنه حبا عميقا ملك عليه نفسه وقلبه وروحه ووجدانه ودفعه هذا الحب الى التغنى بمصر وأمجادها .

فان يسالوا : ما حب مصر ؟ فانه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر

لنفسى وفائى ان وفيت بعهدها
وبى لا بها أن خنت حرمتها الغدر

لفضيلة الدكتور

طه عبد الرحيم عبد البر

أخاف وأرجو وهي جهد مخافتي
ومرمى رجائي لاخفاء ولا نكر
بذلك آمنا فيا من يلومنا
لنا في الهوى ايماننا ولك الكفر

ومن آثار ذلك الحب أن الشاعر أهدى ديوانه الذي طبع الجزء الأول منه عام ١٩٠٨ الى النيل على غير عادة الشعراء ومن ذلك قوله في المقدمة :

« لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم الى من شاءوا من ذوي الثروة والجاه .. لكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف .. وآثرت أن أهدي ديواني الى النيل ذلك الأب الذي وهبني نعمة الحياة ... » .

فيانيل أنت الهوى والحياة
وأنت الأمير وأنت الأب
ويانيل انت الصديق الوفي
وأنت الأخ الأصدق الأطيب
وهبتك ملك القريض العتيد
وذلك أفضل ما يوهب

وشعره في الوطنية ترجمة عاطفة جياشة .. وشعور صادق بحب الوطن . وتطلع وثاب الى مجده المرموق .. ومن هنا أطلق على نفسه لقب « شاعر الوطن » وذلك في قصيدته التي يناجي فيها خزان أسوان ، والتي يقول فيها :

رويدك ان شخصك ملء عيني
وذكرك ما يزال على لساني
أيشغل شاعر الوطن المفدى
سواك وانت شغل بني الزمان

وشعر الوطنية عند محرم تغذيه روافد ثرة . منها حبه لمصر . وقد دفعه هذا الحب الى أن يرفع عقيرته بالنداء .. ويهتف بأبناء أمته كي يستيقظوا من سباتهم .. ويهبوا من غفلتهم حتى يتبوءوا المكانة السامية : اللائقة بهم .. فما أضاع الشعوب الا نوم بنيها واستسلامهم لأعدائهم ، وفي ذلك يقول :

يا امة خاط الكرى اجفانها
هبي فقد اودت بك الأحلام
هبي فما يحمي المحارم راقد
والمرء يظلم غافلا ويضام
هبي فما يغني رقادك والعدا
حول الحمى مستيقظون قيام
شيئان يذهب بالشعوب كلاهما
نوم عن الأوطان واستسلام
الا يحن للراقدين قيام
فعليهم وعلى الديار سلام

ويضرب شاعرنا لقومه الأمثال .. ويقص عليهم قصص الشعوب المناضلة كي يجمعوا أمرهم .. ويرأبوا صدعهم ويقفوا صفا واحدا يسعى الى مجد الحياة .

سلني بأدواء الشعوب فانني
طب بأدواء الشعوب مجرب

ان الشعوب اذا استمر جثومها
جثم الردى من حولها يترقب
ليس الشقاء بزائل عن امة
حتى يزول تفرق وتحزب

ثم نراه في قصيدة أخرى يعرب عن أشفاقه لما تتردى فيه مصر من اضطراب .. ويدعوأبناء مصر الى العمل الجاد قبل أن تندلع جذوة الشر فلا يملكون اخمادها .

عنائي على مصر المحبب نيلها
الى عناء الخائن العرض والدم
افيقوا فهذى جذوة الشر بينكم
تلظى والا تخمد اليوم تعظم
وجدوا فان الهون اثام صاحب
وان العلا للكادح المتجشم

ومن أجل مصر وحرصه على عزها ومجدها يتوجه الى الخديوى يزجى اليه النصح .. ويدعوه الى العمل من أجل رفعة شأنها حتى تحيط به قلوب الشعب وفي ذلك يقول :

أحب المالكين الى الرعايا
مليك ليس يألوها افتقادا
تغلغل في مكان الحس منها
فكان السمع فيها والفؤادا

وحين يتنكر « عباس » للحركة الوطنية ويقف في وجه زعمائها يقرعه أحمد محرم تقريعا شديدا .. ويلومه أشد اللوم وأقساه .

اضر الناس ذو تاج تولى
فما نفع البلاد ولا أفادا
وكان على الرعية شر راع
واشام مالك في الدهر سادا

تبيت له الأريكة في عناء
تمارس منه أهوالا شدادا
ويمسى ملكه في زى ثكلى
كساها فقد واحدها الحدادا
حياة توسع الأحياء عارا
وفكر يملأ الدنيا سوادا

ونراه في قصيدة أخرى يهاجمه في جرأة وعنف .. ويعلن نقمته عليه .. ذلك لأن شاعرنا يحب مصر .. ويكلف بها .. فمن خانها أو قصر في حقها فلا حرمة له عنده .. ولا وزن له في حسابه .. ولو كان سلطان مصر وحاكمها .

ولنستمع اليه مخاطبا الخديوى عباس في جرأة نادرة :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا
افاصبحت حرب الغزاة سلاما
اتخون مصر وما تحول نيلها
سما وما انقلب الضياء ظلاما
عباس رأيك في البلاد وأهلها
ان الأذى يستفرم الادغاما

وفي قصيدة أخرى نجد أحمد محرم يعلن نقمته على الملوك وجنايتهم على شعوبهم .. ويندد بهم . ويجردهم من القيم الانسانية .. ويرميهم بكل نقيصة .. وقد عبر عن رأيه في صراحة لا تعرف المواربة .

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
شرفا ويزعم أنهم شرفاء
رتب والقاب تغر وما بها
فخر لمحرزها ولا استعلاء

ذنب الملوك رمى الشعوب بنكبة
جلى تنوء بحملها الفيراء
لا المجد مجد بعد ما عبثت به
ايدى الملوك ولا السناء سناء
مالوا عن الشرف الصميم واحدثوا
ما شاءت الأوهام والأهواء

وكان شاعرنا نبض أمته .. يحس باحساسها ويشعر بشعورها . وقد تأثر لما ألم بها من أحداث جسام .. ووقف من أحداث أمته ووطنه موقفا صلبا .. لا يخشى فيه عسف ظالم ولا يرهب بطش محتل .. ولا يداور في حق يعتقده ... ولا يصانع في رأى يراه .. ولا يداهن ولا ينافق .

ففى صيف عام ١٩٠٦ تهتز البلاد على اثر الوحشية والظلم الصارخ اللذين حلا بقرية دنشواى .. فقد ذهب عدد من بنيها ضحية نزوة طائشة من جند الاحتلال الذين أتوا القرية لصيد الحمام .. فأصابت رصاصة من رصاصاتهم امرأة .. وحرقت جرن قمح ... فتجمع أهل القرية غاضبين .. فاعتدى الانجليز عليهم بأسلحتهم وقتلوا شيخ الخفراء فدافع الناس عن أنفسهم بالحجارة .. فجرح أحد الضباط الانجليز في رأسه وفر ومن معه .. وجروا في وهج الشمس ما يقرب من ثمانية أميال .. فمات متأثرا بضربة الشمس .

وثارت ثائرة الانجليز لهذه الحادثة .. وأسرفوا في تصويرها اسرافا جعلهم يخرجونها من صفتها الفردية الى التعصب الدينى وعقدوا محكمة عسكرية قضت على واحد وعشرين رجلا بأحكام مختلفة .. وأعدم منهم أربعة على مرأى ومسمع من أهليهم وذويهم وتهيج ثائرة الوطنيين .. وتستعر حفيظتهم .. ويدوى صوت مصطفى كامل في أنحاء أوربا يندد بوحشية هؤلاء الذين ملأوا جنبات الدنيا بأنهم حماة الحضارة .. ورسل المدنية .

ويمور الحقد في القلوب .. وتشتعل الصدور بالغضب .. ويصدر شعر يتدفق حماسة يندد بالانجليز وسياستهم الاستعمارية ويصرخ شاعرنا صرخة عاتية .. ويجاهر الانجليز بتصميم الأمة على الكفاح حتى يغادروا البلاد الى غير رجعة .. ويرميهم بالكذب والخداع . ومن ذلك قوله :

بنى التاميز كونوا كيف شئتم
فلن ندع الكفاح ولن نلينا
خلوا أنصاركم انا نراهم
لنا ولقومنا الداء الدفينا
هم الأعداء لسنا من ذويهم
وليسوا في الشدائد من ذوينا
لمحنا مهدكم فمتى نراكم
تشدون الرحال مودعينا
زعمتم أن موعدكم قريب
كذبتم أمة تحصى السنينا

وتهب الثورة المصرية عام ١٩١٩ .. وتتدفع مصر مطالبة بحقها في الحرية والاستقلال ... ويتعرض شبابها الثائر لنيران المستعمر وقذائفه ويذكى أحمد محرم الشعور الوطنى بقصائده الملتهبة ويعلنها ثورة مشبوبة الغرام على المستعمر وأعوانه .. ينشد الأشعار يلهب بها المشاعر .. ويقوى العزائم .. ويثير النفوس الخائفة .. ويدفعها الى الاقدام والتضحية .

يا مصر انت لكل نفس مطلب
جلل وانت لكل قلب مطمع

تحيين بالقتل النفوس فلا المنى
تطوى لديك ولا الدماء تضيع

يدمى وكل دم الى محبب
دمك الزكى اذا أصابك مضجع

ويسجل شاعرنا رأيه فى فتنة الأحزاب التى أعقبت الثورة المصرية ويدعو دعوة مخلصة الى اليقظة والوقوف فى وجه الفتنة حتى لا تجتاح الصفوف .. ويتصدع الشمل .. ويتمزق شمل الأمة .

لمن تتالب الأحزاب شتى
وما هذى الصواعق والرعود

تداعوا للوغى فهوى صريعا
على أيديهم الوطن الشهيد

مضت أسلابه تزجى اليهم
فمأتمه لدى الأقوام عيد

اذا ساد التخاذل فى أناس
فأعوز ما ترى شعب يسود

ويرى أن الكلمة للشعب وليست لملك أو حزب من هذه الأحزاب المتناحرة .. أو زعيم من أولئك المتطاحنين على الحكم والمآرب الفردية ولذلك نراه يخاطب المعتمد البريطانى قائلا :

اذا سعت الوفود اليك فاحذر
عواقب ما تقول لك الوفود

فما أحد بمالك أمر مصر
وما بالشعب جبن أو جمود

مضت دنيا القيود وتلك دنيا
تشم بها وتحتقر القيود

حسبنا ما حمى الآباء قدما
وصان لنا وللنيل الجدود

بلاد ما تباع وبا قيات
من الآثار معدنها الخلود

وحين تطير الأنباء باتساع هوة الخلاف بين أعضاء الوفد المصرى وانقسامهم على أنفسهم يجزع شاعرنا أشد الجزع .. وينظر للأمر من زاويته الخاصة .. فلا يعنيه أن يكون الزعيم سعدا أو سعيدا .. وانما الذى يعنيه أن يسلم استقلال مصر .

يقول البرق : شر مستطير
وخلف بين سادتنا شديد

اذا اختلفوا أو اتفقوا فانا
سوى استقلال مصر لا نريد

هو الحق الذى نسعى اليه
ولسنا عنه ما عشنا نحيد

اذا لم يحفظ استقلال مصر
فلا سعد يطاع ولا سعيد

وفى عام ١٩٢٥ ترسل انجلترا معتمدا جديدا لها فى مصر خلفا لسابقه .. ويتوقع شاعرنا على يده شرا ، لأن مصر تعودت هذا دائما .

اتسأل مصر ما صنع العميد
وهل عند الرماة لها جديد

هو السهم الذى عرفته قدما
وجرب وقعه الشعب الوئيد

ثم يستعرض تاريخ سلفه وماذا حدث منه فى دنشواى .. وكيف عاد الى بلده مشيعا باللعنة والغضب من الشعب بينما الوطن صامد باق .. والأحرار قائمون بحق بلادهم لا يدخرون فى سبيلها وسعا ولا يألون جهدا .. مهما طال الزمن .. وامتد أمد الكفاح .

عبيد الغاصبين نزلت ارضا
يبيد الغاصبون ولا تبيد
يذود الواحد القهار عنها
اذا قهرت جنودك من يذود
اتذكر اذ لقومك ما ارادوا
واذ لكرومر البطش الشديد
اتذكر دنشواى وكيف كانت
جوانبها باهليها تميد
ونحن المقبلون على المنايا
اذا الابطال كان لهم صدود
نفى بمصر ان عدت العوادي
ولكنا بانفسنا نجود

وكان أحمد محرم يتخذ من ذكرى الزعماء الوطنيين فرصة يتغنى فيها بمجد الوطن ... ويبكيها فيما حل بها من أرزاء .. فنراه يقول فى ذكرى ــ مصطفى كامل ــ عام ١٩٢٦ :

طبيب النيل هل للنيل شاف
وهل للداء بعدك من طبيب
هوى الوطن الجريح وكنت قدما
تضم جوانب الجرح الرغيب
على الدنيا العفاء اذا تولى
اطباء الممالك والشعوب
اذا ما مصر زلزل جانباها
فمن خفقان قلبك والوجيب
وان جرت الرياح بها لهيبا
فتلك حرارة الوجد المذيب

وكان شاعرنا أمينا على مبادىء الزعيم مصطفى كامل الوطنية .. يرى هوادة المحتل خيانة .. وأشد أعداء البلاد عداوة من لا يرى المحتل من أعدائه .

واشد ابناء البلاد عداوة
من لا يرى المحتل من اعدائه
هى فى جلالتها حمى ابنائه
ومضاجع الماضين من آبائه
افمن يبيع بلاده كمجاهد
يناى بها عن بيعه وشرائه

ولاحمد محرم الكثير من هذه الفرائد والدرر التى تزخر بالعاطفة الجياشة .. والغيرة على الوطن وقضيته .. ينطق بها بين حين وآخر فى المناسبات الوطنية المختلفة .

ولقد كان حبه لمصر يملك عليه شغاف قلبه حتى ليعز عليه أن يفرط فى أى حق من حقوقها .

وهبت الصبا والشيب والشوق والهوى
لمصر وان لم اقض حق الهوى مصرا
بلاد حبتنى ارضها وسماؤها
حياتى واجرى نيلها فى دمى الدرا

فلسطين :

وتقفز مشكلة فلسطين على مسرح السياسة العربية مؤذنة بخطر داهم يجتاح العرب جميعا ان لم يهبوا يدا واحدة لانقاذها . وتؤذن الاحداث بغد مظلم .. فتهيج عاطفة محرم .. ويلقى بصيحة عالية يوجه فيها الانظار الى ما تتعرض له فلسطين من بغى وظلم وعدوان وذلك من خلال قصيدته ــ نكبة فلسطين ــ والتى يقول فيها .

فى حمى القدس ومن حول الحرم
امة تؤذى وشعب يهتضم
فزع القدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الالم
ومضى الظلم خليا ناعما
يسحب البردين من نار ودم

بعثته ثـــورة وحشية
تتلظى مثـــل أجــواف الاطم
أهــون الاشياء في شرعتهـــا
أمـــة تمحى وشـــعب يلتهم
يا فلســطين اصطليهـا نكبة
هاجهـــا للقوم عهد مضطرم
لا تنـــامي للعـــوادي وادابى
وادعبى طامحـــة في المزدحـم
ليس بالمدرك حقـــا غافـــل
نام والاحداث يقظى لـم تنـم

ويهيب بالاحرار أن يخفوا لحمـــاية وطنهم العربي .. ويدفعوا عنه ما سيم من خسف وظلم .. ويعـــرض لمؤامرات الاســـتعمار والصهيونية من خلال وعد «بلفور» الذي أعطى فيه (من لا يملك وعدا لمن لا يستحق) .

هبوا الاحــــرار تحمى وطنــا
عربيـــا ســيم خسفا وظلـــم
باعـــه ذئب لـــذئب غيلـــة
فهـــو للذئبين نهب مقتســـم
تنـــزع الارزاق من ابنـــائه
وتســـل الارض من فرط النهم

هذا وقد ظفرت فلسطين من شعر محـــرم بنصيب وافر في وقت لم تكن فيه قضيتها قـــد بلغت الاسماع والقلوب .. وكـــان يرى في مناصرته لفلسطين واجبا اسلاميا مقدسا بعـــد أن احس بالخطر الذي يتهدد أولى القبلتين .

ولمح نذر العاصـــفة التي توشك أن تجتـــاح الامة العربية بأسرها .

وطن يعـــذب في الجحيم وامة
أعزز علينا أن تصاب وتنكبـــا
بقلوبنـــا الحرى وفي احشائنا
ما شـــب من اشـــجانها وتلهبـــا
نتجرع البلـــوى وندرع الاسى
نرعى لاخوتنـــا الذمام الاقربا
انا لنعـــلم ان آكـــل لحمهـــم
سيخوض منا في الدماء ليشربا

ويمضي محرم مع الركب العربي يحدوه .. ويستطلع له الآفاق .. حتى يرى بشـــائر الوحدة فيحث أمة العرب على أن تأخذ مكانها وتضم قواها في وحدة عربية تحمى لواءها .. وتجمع صفها .. فذلك هو السبيل لاستعـــادة مجدها .. ولن ينجو الوطن العربي من هـــذا الطوفان الجائح الا اذا اعتصم بوحدته ... ونظم عقدها المنثور وفي ذلك يقول :

أمم العروبة جاء يـــومك فاعلي
والى مكانك فانهضي وتقـــدمي
لك في فم الاحداث دعو قصارخ
ينفى القرار عن الشعوب النوم
فدعي المضاجع وانفضي عنك الكرى
وخذى السبيل الى المقام الاعظم
ضمى القوى وتجمعي في وحـــدة
عربية تحمى اللـــواء وتحتمي
هذا زمان ليس يفهـــم أهلـــه
الا حـــديث النار أو لغة الدم

امم العروبة جد جـدك فانظمى
من عقـدك المنثور ما لـم ينظم
لك ان تسودى تحت رايتك التى
خلقت لها الدنيا فسودى واسلمى

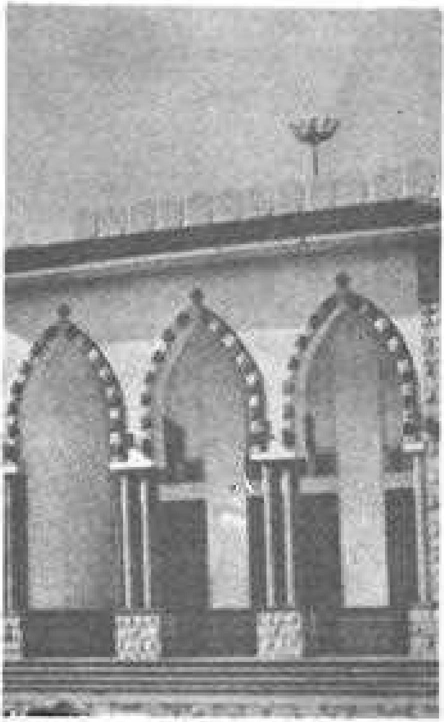
وفى مارس عام ١٩٤٥ قامت الجامعة العربية وقد سبقها كثير من الاستعداد والدعوة الى جمع الكلمة .. وكان محرم سباقا فى هذا الميدان .. فكم انشد من قصيدة يدعو فيها العـرب الى الوحدة .. ويهتف بأبنائهم أن يعرفوا مكانتهم ويبارك كل خطوة فى هذه السبيل .

ومن أجل هذا الامل الذى يرقب شـاعرنا فجره فى لهفة وشوق نجده لا يألو جهـدا فى الانطلاق بصيحته الوطنية كلما لمع فى الافـق بارقة .. أو أبصر سعيا الى وحدة الصـف وجمع الكلمة . ويرى فيه بشيرا صادقا ببزوغ الفجر .

ولم يدع أحمد محرم مقاما تفرضه عليـه وطنيته الا أدلى فيه برأيه صادعا بكلمـة الحق .. محذرا وناصحا .. مشجعا ومقرعا . ولم يضعف من وطنيته خوف من ذى جـاه أو سلطان .

وهكذا أسهم أحمد محرم بشعره فى الحركات الوطنية .. وفى الثورة على فساد الحكام وعبثهم بمصالح الامة ومقدراتها .. وكـان له دوره الكبير فى تعبئة طاقات الامة .

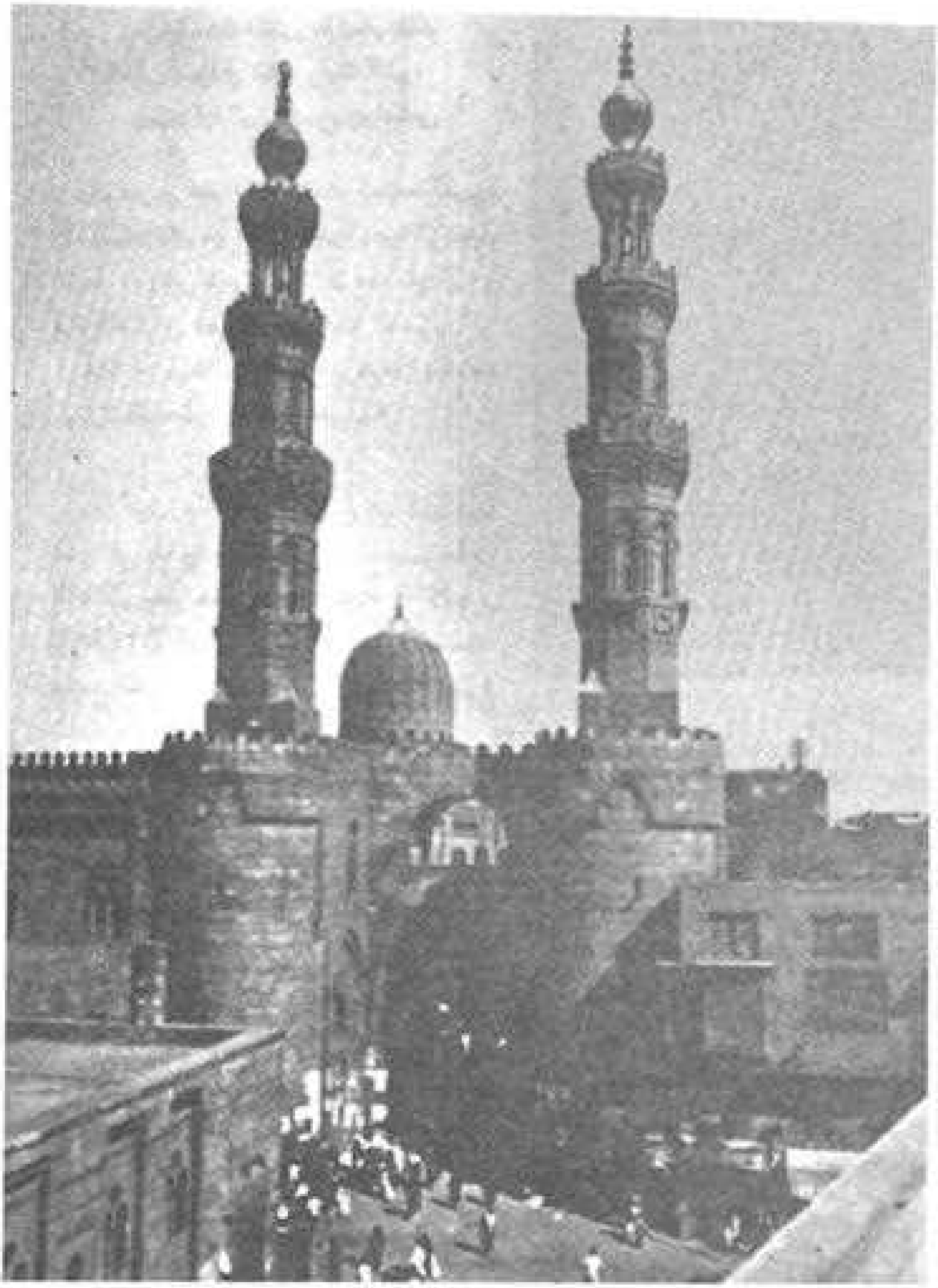
كما شارك مشاركة فعالة فى الدعـوة



الى جمع صفها ووحدة كلمتها .. وعبر فى جملة شعره عن خلجات النفوس فأحسن التعبير .. وانفعل بما يضطرم فى الصدور والقلوب فصدق انفعاله .. وحـدا ركب الوطنية فكان أجمل حاد .. وظل حياتـه وفيا لفنه ومبادئه .

وقد عده النقاد فى الطبقـة الاولى من شعراء عصره .. وسلكوه فى صف شوقى وحافظ ومطران .. وهو بما قدمه لوطنه وامته خليق بأن يكتب فى سجل الخالدين .

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر



من أعلام الأزهر

حسين منصور "بك"

حسن منصور "بك"

لحفيده الأستاذ مدحت فتحى شريف

فضيلة الشيخ حسن منصور (بك) عالم جليل ..

عرفت معاهد العلم فضله ، وقرأ له المسلمون روائعه في الدين والأدب ولد ـ رحمه الله ـ في الاسكندرية عام (١٨٧٠ م) وفيها حفظ القرآن الكريم ،

ثم التحق بمسجد الشيخ (مسجد ابراهيم باشا) بمنطقة « الميدان » بالاسكندرية على ماتجد تفصيلا له بكلمة مجلة (الأزهر) التى ابنت بها الشيخ رحمه الله عقب وفاته في العشرين من شعبان عام (١٣٥٠) هـ.

تلقى ـ رحمه الله ـ العلم بالأزهر ثم بدار العلوم ، وأحرز مناصب عالية فى التدريس منذ أهلته سيرته النقية للتدريس « بمدرسة السنية » .

وفى أوائل يونيو ١٩٣٠ أحيل الى « المعاش » ومنح (نيشان) النيل تقديرا له من الدولة .

وما كان ـ رحمه الله ـ فى أعماله الادارية أقل كفاءة منه فى مناصبه العلمية وندع لمجلة الأزهر (نور الاسلام) كلمتها فى هذا المقام . قالت

« وفـاة عالم جليل »

فى ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان ١٣٥٠ فجع العلم والدين والأدب فى وفاة الأستاذ العالم الجليل الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم سابقا وأحد محررى مجلة

(نور الاسلام) فتصدعت القلوب لهذا المصاب حزنا ، وسالت له العبرات حسرة ، فقد كان الفقيد رحمه الله تعالى راسخا في العلم ، مهذب الأخلاق ، قوى الايمان محمود السيرة حسن البيان .

ولد الفقيد في الاسكندرية ونشأ بها ، وحفظ القرآن وجود قراءته على أشهر قراء الاسكندرية المرحوم الشيخ ابراهيم ادريس .

وابتدأ بعد حفظ القرآن وتجويده يطلب العلم في جامع الشيخ ابراهيم باشا .

فكان هذا الجامع المعهد الدينى بالاسكندرية لذلك الوقت ، ثم انتقل الى الأزهر الشريف وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين ، ثم دخل دار العلوم واستمر بها حتى أحرز شهادتها ، وولى بعد احراز هذه الشهادة التدريس فى مدرسة السنية ، ثم تولى التدريس في مدرسة خليل اغا ، ثم نقل الى محكمة الاستئناف كاتبا ورئيسا لقلم النسخ ، ولما أنشئت مدرسة القضاء عين بها مدرسا وظهر تحقيقه بوجه خاص في التفسير والحديث ، ثم عين وكيلا لها مع عدم الانقطاع عن التدريس ولما الغيت مدرسة القضاء وانشئت (تجهيزية دار العلوم) عين ناظرا لها حينا ثم عين وكيلا لدار العلوم ومدرسا بها ومازال بها حتى بلغ الستين فأحيل على المعاش .



ولما عزمت مشيخة الأزهر الجليلة على اصدار مجلة نور الاسلام اختارته للتحرير بها، فاختص بقسم التفسير وشرح السنة والملح والطرف فدل مايكتبه على تضلع في علوم الدين وبراعة في التحرير وسلامة ذوق في الاختيار .

وما لنا امام هذا المصاب الا أن نقول (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

ونسأل الله تعالى أن يفيض على قبر الفقيد رحمة ونورا ويعوض المسلمين منه خيرا .

وقد كتب ـ رحمه الله ـ مؤلفات عدة في التفسير والأدب ، لايزال بعضها مخطوطا هذا الى جانب ما أملاه من مذكرات على طلبته .

واشترك ـ رحمه الله ـ في تأليف كتاب

حسن منصور "بك"

« الدين الاسلامي » وهو من أجمع الكتب وأنفعها للصف الثانوي . وشاركه فيه كلا زميليه : الشيخ مصطفى العناني (بك) والشيخ عبد الوهاب النجار — رحمهم الله .

وكتب تفسيرا لجزء (تبارك) لم يتم نشره .
وكان له — رحمه الله — ندوات علمية ، شبه دورية يعقدها مع اخوانه الفضلاء أصحاب الفضيلة الأساتذة :

الشيخ أحمد ابراهيم حمروش ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ حسن مأمون والشيخ على محفوظ ، والشيخ عبد العزيز الخولى ، والسيد محمد البيلاوى ، والشيخ على الجارم ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والدكتور أحمد أمين ، ومحمد (بك) زكى ، وسعيد (بك) الزويى ، ومحمد (بك) نسيم وجمهرة ممن تخرج من مدرسة (القضاء الشرعى) و (دار العلوم) من ثمرات غرسه وسقى فكره نذكر منهم :



الشيخ محمد ابو زهرة ، والأستاذ الدكتور مهدى علام ، والأستاذ على حسب الله ، والأستاذ محمد محمد شورى ، والأستاذ امين الخولى .
فصحب — رحمه الله — العلم والأدب تراثا وقمما .
نفعنا الله بـه .

« مدحت فتحى شريف »

دراسات سياسية

صانعو السياسة البريطانية في المشرق العربي

صانعو السياسة البريطانية

في المشرق العربي

— ٢ —

من صاحب سياسة التهنيد
« ويلسون » أم « هرتزل » .

كان المتحدث بخطة تهجير الهنود الى العراق» هو « هرتزل » في لندن في رسالة له .

فأيهما كان صاحب الفكرة .. ؟!

هل نادى بها « ويلسون » وأخذ بها « هرتزل » ؟ أم التقطها « ويلسون » من مراسلات هرتزل ؟! .

الأمر الذى لاجدال فيه ان رسائل الرجلين في وقت متقارب جداً كانت تتحدث عن تهجير الهنود حتى في أعقاب هزيمة « تونسند » فى معركة « سلمان باك » في ١٤ نوفمبر ١٩١٥ .

كوكس Cox يدفع الهند فتدفع الخارجية البريطانية F.O الى التقدم الى سلمان باك

ونظرا لأن كوكس Cox كان في ميدان القتال ويرى الأمور مباشرة كان يستطيع أن يضع الأمور أمام حكومة الهند بالطريقة التى تروق له في اطار عظمة بريطانيا . كان كوكس Cox يريد احراز نصر كبير يضع العراق في يد بريطانيا في أسرع وقت ، واقنع دف Duff قائد الجيش الهندى بوجهة نظره مع أن الامكانيات العسكرية كانت محدودة ، ولم يدرك دف Duff أن كوكس وضع الأهداف السياسية والدعائية فوق الأهداف العسكرية (افغانستان / فارس الجهاد) وتحت ضغط حكومة الهند وافقت الخارجية البريطانية F.O على الزحف الى بغداد فوقعت نكبة الجيش عند سلمان باك في ١٤/١١/١٩١٥ وحوصر جيش تونسند في كوت العمارة حتى استسلم في أبريل ١٩١٦ .

وفي مواجهة هذا الموقف الدقيق الخطير اختلفت الآراء كذلك ، فقد دعا لويد جورج L. George — وزير المالية البريطاني حينذاك — وكذلك وينجت Wingate الى سحب القوات البريطانية من العراق .

ورد عليهما هاردنج وهرتزل بشكل متطرف :

قال هاردنج : ان العراق لايقل أهمية لبريطانيا عن السودان .

للأستاذ الدكتور

عبد العزيز سليمان نوار

وقال هرتزل بضرورة استمرار التقدم — رغم تلك النكسة — بل وبتهديد جنوب العراق وتحويل جنوب العراق كله الى محمية بريطانية تمتد من البصرة الى بغداد الى الاسكندرونة .

ولعل هرتزل التقط مشروع « كتشنر » لارسال حملته الى الاسكندرونة .

أدت تلك النكسة في سلمان باك ثم في كوت العمارة وكذلك في حملة غاليبولي الى أن يسعى البريطانيون الى كسب قوى جديدة تشد أزرهم فزاد الانجليز من قوة اتصالاتهم بالشريف لتحريضه على الثورة وهي اتصالات بدأت ايام ان كان « كتشنر » في مصر فلما غادرها ليتولى وزارة الحربية ترك مهمة الاتصال بالشريف الى مكماهون المعتمد البريطاني في مصر .

ولما علم هاردنج ببعض تفاصيل المراسلات بين مكماهون والشريف أبدى اعتراضه على فكرة قيام ثورة عربية وعلى اعطاء أية وعود للعرب بالاستقلال أو حتى شبه استقلال ولهذا عارض بشدة مكماهون من كافة الجوانب المستطاعة حتى في شخصه فقد اتهمه بأنه رجعي ليس له مؤهلات السياسي الحصيف .

وفي اعتقادي أن « هاردنج » لم يكن مصيبا في الهجوم على مكماهون على اعتبار أنه صاحب نظرية التفاهم مع العرب على اشعال ثورة عربية . فمكماهون في رأيي هو منفذ لسياسة الخارجية البريطانية ، وليس بصانع سياسة رغم تلك الشهرة الكبيرة التي أحاطت به بسبب مراسلاته مع « الحسين » . فقد كان من المتواتر أن مراسلات الحسين توقفت فجأة دون الوصول الى اتفاق بسبب يأس الحسين من الوصول الى شروط أحسن ، وأن المراسلات توقفت هكذا .

تعليمات الخارجية البريطانية

ولكن الحقيقة هي أن تعليمات الخارجية البريطانية الى « مكماهون » كانت صريحة بالا يصل الى اتفاق محدد المعالم مع « الحسين » حيث ورد ما نصه :

«There is not time to discuss an exact formula»(1)

وأن يسير وفقا لتطورات مفاوضات « سيكس مع بيكو » وكانت مهارة مكماهون في أنه دفع

---

١ — لا يوجد وقت لمناقشة صيغة محددة ... مجلة الازهر .

الصين وسايره الى أن وصل الى هذه النتيجة التى أرادتها الخارجية البريطانية . على أن تعليمات وزارة الخارجية هذه هى فى جدها جزء من عدم قدرتها على وضع سياسة واضحة محددة المعالم ازاء هذه المنطقة ففضلت الصيغ المطاطة مثل مراسلات الحسين مكماهون ومثل وعد بلفور وغيرها .

ومن ناحية أخرى كان مكماهون فعلا تحت تأثير مستشاريه العسكريين فى القاهرة أولئك المستشارين الذين كانوا يرون فى خلق أية قوة ضاربة ضد الأتراك مكسبا للمجهود الحربى البريطانى بصفة عامة ، فدفعوه بقوة نحو خطة كتشنر من قبل وهى الافادة من الحسين كقوة ضاربة ضد الاتراك للتخفيف عن الجبهة المصرية التركية فى وقت كانت فيه الجيوش البريطانية تعانى من الهزائم فى سلمان باك وغاليبولى ولا تستطيع زحزحة الالمان خلال حرب الخنادق .

وبطبيعة الحال كان موقف « هاردنج » شديدا ازاء « سيكس » لمجرد أنه كان أحد طرفى اتفاقية « سيكس ــ بيكو » .

والحقيقة أن « سيكس » لم يكن صاحب الأفكار التى جاءت فى هذه الاتفاقية ، وانما تولى مهمة الوصول الى اتفاقية بعد أن قطعت المفاوضات الفرنسية البريطانية شوطا بعيدا ، وتبنى من بعد سياسة ترضية فرنسا ولو مؤقتا .

تضارب :

وفى نفس الوقت كان « سيكس » يكره السياسة الهندية ، ولايقدر المسئولين عنها ، وكان « هاردنج » فى نظر « سيكس » سياسيا من ذلك الطراز القديم الذى عفا عليه الدهر . وأنه قصير النظر فهو يرى مصالح الهند ولايستطيع أن يلائم بينها وبين مصالح الامبراطورية .

وبادله « هاردنج » الكراهية بمثلها ، ومصداق ذلك أن هاردنج رفض استقبال « سيكس » عندما أرسلته حكومته لاستطلاع رأى حكومة الهند فى الاتفاقية المقترحة الا على اعتبار انه زائر عادى وليس بصفته مسئولا عن السياسة البريطانية ، ويبدو أن هذه الكراهية المتبادلة كانت وراء اهمال الخارجية البريطانية اخطار حكومة الهند بتفاصيل هذه الاتفاقية كما أن « هاردنج » من جانبه استخدم نفوذه فى ابعاد سيكس عن رئاسة المكتب العربى البريطانى فى القاهرة فأسند الى « كلايتون » . كذلك لم يعلم ويلسون بأنباء هذه الاتفاقية الا بعد عقدها ، وحتى المعلومات التى وصلته عنها كانت قليلة جدا . الأمر الذى أثار المرارة فى نفسية « ويلسون » وبخاصة أن وجهة نظر ويلسون كانت متفقة مع هاردنج حول هذه الاتفاقية على اعتبار أنها لاتحترم مصالح حكومة الهند البريطانية واتهم ويلسون سيكس بأنه عندما جاء الى الهند انما جاء بفكرة اختمرت فى ذهنه وجاء الى الهند ليجمع المعلومات التى

تؤيد هذه الفكرة فقط بغض النظر عن الحقائق الأخرى التي كانت في نظر ويلسون تستحق الأولوية في الترتيب .

ويقصد « ويلسون » بذلك أن سيكس ماجاء الهند الا ليجمع معلومات تخدم فكرة اقتسام المشرق العربي مع فرنسا واقامة حكومات عربية .

واذا كان سيكس على هذه الصورة التي صورها لنا ويلسون ، فلا شك أن عامل الاسقاط واضح في هذا الموضوع .

فلقد كان ويلسون نفسه من ذلك النوع من السياسيين الذين لايرون من الوقائع والأحوال الا مايخدم الفكرة التي تكونت لديه والتي يسعى الى تنفيذها كما سنرى في موقف ويلسون من ثورة العشرين .

لقد أصبح موقف ويلسون دقيقا . فبعد أن سار قدما في سياسة هي أقرب الى تحويل جنوب العراق على الأقل الى مستعمرة هندية اذا به يواجه اتفاقية بريطانية فرنسية تفرض عليه تعديلا في خطته لأن الاتفاقية تشير الى عبارة خطيرة يكرهها « ويلسون » وهي اقامة حكومات عربية أيا كان نوع هذه الحكومات في المشرق .

ان « اللنبي » في مصر لم يواجه مثل ذلك الموقف العصيب الذي واجهه ويلسون في العراق وأعني هنا بالموقف العصيب عدم وجود سياسة بريطانية تتعارض مع اتجاهاته الأساسية ، والسبب في ذلك أن الأتراك هم الذين بدأوا الهجوم على مصر وتقدموا حتى قناة السويس فلم يواجه اللنبي مشكلة حول طريقة ادارة أرض محتلة ولايكاد يعمل على السيطرة على فلسطين حتى كان أمامه وعد بلفور ١٩١٧ .

أما ويلسون فقد واجه المشكلة في الأيام الأولى من الحرب العالمية وظل طوال سنواتها يبحث عن سياسة بريطانية محددة وظل كذلك ينفذ سياسة رسمها هو يعلم أنها لا تقابل بالرضا من جانب وزارة الخارجية ، بل وتعقد موقف ويلسون ازاء وزارة الخارجية عندما نفضت الهند يدها الى حد كبير من مشكلات المشرق تاركة ويلسون يتحدث عن وجهة نظر الهند ازاء وزارة الخارجية .

كذلك لم يواجه (اللنبي) مشكلة تداخل الاختصاص بين الأجهزة الحكومية البريطانية بعكس (ويلسون) الذي واجه هذا التدخل بأجلى صورة ، بل واجه ما هو أشد مرارة ، أعني ضعف نشاط حكومة الهند امام نشاط وزارة الخارجية التي لم يكن ويلسون على انسجام معها وزاد الطين بلة أمام ويلسون ماحدث بعد ذلك من نقل المسئولية عن سياسة بريطانيا في المشرق الى وزارة المستعمرات وحدث هذا التحول في وقت كان فيه ويلسون قد وسع نطاق سياسته سواء نحو الموصل أو نحو دير الزور . فقد اتجه الى :

اما أن يستقل كردستان واما أن يضم الى العراق . أما الموصل فقد كانت في نظره مكملة للعراق ، كل هذا كان يوجه خطوات ويلسون رغم أن وزارة الحربية كانت تقدر قيمة اعطاء الموصل الى فرنسا لخلق منطقة حاجزة بين العراق البريطاني وروسيا ، وكانت وزارة الخارجية قد سلمت الموصل لفرنسا نظريا في اتفاقية « سيكس ــ بيكو » ولكن رجال الصف

الثانى من صانعى الدبلوماسية البريطانية فى المشرق تحدوا هذا الاتفاق فيما يتعلق بالموصل.

وفعلا أخذ لويد جورج بوجهة نظر ويلسون الخاصة بالحفاظ على الموصل تحت يد بريطانيا متخطيا بذلك اتفاقية سيكس بيكو ومقدرا لويلسون خطواته الجريئة بشأن السيطرة على الموصل بعد توقيع الهدنة .

على أن هذا التقدير من جانب لويد جورج لقدرات ويلسون تلك كان يخفى حقيقة الصراع بين ويلسون ووزارة الخارجية ، حيث أن السياسة التى كان ينتهجها ويلسون كانت لاتزال تتعارض حتى مع بعض تصريحات لويد جورج نفسه بشأن اقامة نوع من الحكومات العربية فى المناطق المحررة من الاحتلال التركى .

وكان طبيعيا أن تؤدى طول هذه الاختلافات الى فكرة تكوين لجان ومؤسسات تتولى مسئولية التخطيط والتنسيق بين الأجهزة المختلفة المسئولة عن المشرق العربى . وكان انشاء المكتب العربى Arab Bureau واحدا من هذه المؤسسات التى ظهرت لهذا الغرض ، ولكن الحقيقة حتى هذه المحاولة كانت محدودة الفائدة فقد دخل المكتب العربى طرفا فى النزاع الدائر حول الاختصاصات وحول السياسات التى يجب أن تتبع ، وكانت

منازعاته حادة مع حكومة الهند برغم أن مس بل ــ سيدة المخابرات ــ قد كلفت بأن تكون همزة الوصل بين الهند و Arabs (العرب) .

ومن ناحية أخرى كان المكتب العربى يضم عددا من المسئولين الانجليز المكروهين ! ونفسى بذلك كراهية ويلسون للورنس ، وكان الأخير يبادله الكراهية والنقد بأشد منه حتى لقد اصطدم بالنائبية العظمى من ضباط الحملة البريطانية فى العراق ممن احتك به خلال اقامته القصيرة هناك .

كذلك تشكلت اللجنة الشرقية لعلاج مشكلة عدم وجود سياسة بريطانية محددة فتشكلت اللجنة الشرقية Eastern Committee التى ترأسها « كيرزون » .

ولكن لويد جورج كان يرى أن كيرزون غير كفء لمواجهة العبء الكبير ومن ناحية أخرى فشلت هذه اللجنة فى وضع سياسة محددة بريطانية نحو الشرق ، بينما تم تكوين فريق آخر برئاسة (Smuts) لتوجيه سياسة بريطانية فى مؤتمر الصلح .

تياران :

وأدى هذا كله الى ظهور تيارين فى دوائر السياسة البريطانية فى هذا الصدد عرفوا بـ :

Easterners and Westerners

كان الغربيون يرون أن الجبهة الغربية هى الفاصلة فى الحرب وأن فرنسا أهم لبريطانيا من العرب اما الشرقيون فيرون أن هزيمة المانيا غير ممكنة وأن التوسع فى الشرق خير لبريطانيا.

أدت التضاربات الى ظهور فكرة تكوين جهاز خاص فى لندن يتولى أمور الشرق الأوسط

« Center for the Middle East»
وليتفوق على الخلافات المتتالية بين وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية .F.O وأسندت هـــذه المهمـــة أولا الى روبرت ســـيل
Robert Ccil
ولكنه فشل واقترح انشاء قيادة واحدة للشرق الأوسط .

One M.E. Commander

وسعى الى ادخال العراق في هذه القيـــادة فاعترضت وزارة الهند فاقترح كيرزون انشـــاء منصب وزير دولة لشئون الشرق الأوسط .

بينما اقترح (اللنبى) وضع جنوب العراق كله تحت الحماية البريطانية وتتولى مسئوليتها وأيد تشرشل فكرة اسـناد جنوب العراق الى وزارة المستعمرات .C.O ولكن خشى المسئولون رد فعـــل ذلــك لــدى العــرب عنــدما يجدون أنفسهم يتعاملون مع وزارة المستعمرات وخلال دراسة « ملنر » لأسباب ثورة ۱۹۱۹ في مصر اقترح انشاء منصب
High Commissioner for M.R.
يكون مقره القاهرة ويكون المكتب العربى نواته .
وأيد اللنبى هذا الرأى مطالبا بعدن ، كمـــا اقترح « جاكوب » ــ مقيم عــدن ــ انشـــاء مكتب اسلامى

A Moslem Bureau
وأخيرا اســـتقر الأمـــر على أن تتولى وزارة المستعمرات مسئولية المشرق العـــربى باستثناء الحجاز وجنوب العراق .

فهل وضعت ســياســة بريطانيــة لمواجهـة



صانعو السياسة البريطانية

احتمالات النصر القديم وتسويات مابعد الحرب ؟

لم يحدث ذلك ، بل الذى حدث بعد ذلك كان أكثر ازعاجا ولنضرب لذلك مثلا ، ففى الوقت الذى كانت فيه « اللجنة الشرقية

(Eastern Committee

تضع مشروعات لمستقبل العراق على أساس انشاء حكومة « قومية وشعبية » ونبذ سياسة الضم أو اعلان الحماية ، لم تكن هذه اللجنة تعرف ما كان يدور من مفاوضات بين كلمنصو ــ ولويد جورج فى ديسمبر ١٩١٨ .

وقد أدخلت اللجنة الشرقية فى اعتبارها أن شعب العراق لم يحارب الى جانب بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى فلا يستحق أن تسمح له بريطانيا بالافادة من مبدأ حق تقرير المصير .

ولنضرب مثلا آخر على فوضى التضارب بين الجهات العليا المسئولة عن وضع سياسة بريطانية ازاء العراق ومشكلاته .

كان مستقبل ولاية الموصل مدار محادثات بين الفرنسيين والانجليز فى مكانين منفصلين كل الانفصال ليس انفصالا مكانيا فقط وانما كذلك لم يدر لويد جورج وهو يفاوض كلمنصو فى باريس حول قضية بترول الموصل أن هناك مفاوضات تجرى بين لونج وبرنجر

(Long and Berenger)

ولقد توصل فعلا لونج وبرنجر

(Long and Berenger)

الى اتفاقية حول توزيع الأنصبة فى بترول الموصل .

ولما علم « لويد جورج » بها ألغاها ، لأنه كان يريد ألا تعقد هذه الاتفاقية الا بعد التسوية النهائية لمشكلة الموصل كذلك لم يكن «كلمنصو» يعرف بتلك الاتفاقية .

وهكذا بينما كانت الحرب تقترب من نهايتها كان الصراع بين الأجهزة يزداد حدة ، وكان رجال الصف الثانى يتبعون سياسة خاصة بهم : ويلسون فى العراق ولورنس مع الثورة العربية

ولكن هذه الأجهزة والى جانبها تلك المشاكل بدأت تواجه عوامل ضغط عليها لا حول لها ولا قوة فى ردها مثل تلك القنبلة التى ألقاها الرئيس الامريكى ويلسون ونعنى بها (حق تقرير المصير) وقد أثرت فى تفكير لويد جورج السياسى وجعلته يتكلم عن أهداف الحرب الديمقراطية فى الشرق أيضا .

الأمر الذى أزعج هاردنج وحكومة الهند ، وأصبح أمل هاردنج فى تحقيق هدفه هو أن تعلن فرنسا سياسة ضم سوريا ولذلك يصبح لدى حكومة الهند المبرر لضم العراق . وكان نفس الاتجاه لدى ويلسون .

ومع أن التيار الدولى ، وفى الخارجية البريطانية كان ضد اتجاهات هاردنج وويلسون الا أنهما أصرا على تحقيق هدفه حتى ولو زورا تعليمات الخارجية البريطانية فعندما طلبت

وزارة الخارجية من هاردنج أن يطمئن الشريف بأن بريطانيا تسعى الى تحرير البلاد العربية ولاتسعى الى ضمها :

(١) «Liberation not annexation»

حذف هاردنج عبارة

(٢) «not annexation »

اتبع ويلسون سياسات لم يكن يوافق عليها من قبل لعله يمنع وزارة الخارجية من تحقيق هدفها ، فقد اعتقد أن القضاء على الحسين يشل يد وزارة الخارجية عن متابعة سياستها العربية ولهذا أيد ويلسون فكرة أن يعلن عبد العزيز ابن سعود نفسه ملكا وكان يود لو استطاع ابن سعود أن يجتاح الحجاز ، وعندما اشتدت الأزمة بين الحسين وابن سعود وأبدى الحسين رغبته الصورية للاعتزال هلل « ويلسون » لذلك حتى تختفي معالم المطالبة بدولة عربية موحدة .

وبالنسبة للعراق قاوم بشدة فكرة وضع أمير عربي عليه أو اقامة حكومة عربية ولكن تنازل قليلا بأن تخلى عن سياسة الضم واكتفى بفكرة اعلان الحماية على العراق .

ولما طلبت وزارة الخارجية منه اجراء استفتاء في العراق لمعرفة رأيه في مستقبله استغل ويلسون الاستفتاء ليثبت وجهة نظره القائلة بأن الشعب لا يريد أى حاكم عربي وأن النظم الدستورية لاتصلح للعراق وانما يريد مندوبا ساميا بريطانيا .

ولقد قال يانج (Young) أحد كبار المسئولين عن اجراءات ويلسون تلك

« Public opinion is not to be en couraged or even alloced to express itself in a sense contrary to Wilson's opinion »(٣)

فقد طلب ويلسون من رجال ادارته أن يسجلوا فقط وجهات النظر المتمشية مع خطته السياسية تلك .

ولقد علق « كيرزون » على أساليب ويلسون بقوله :

«When the French do this sort of thing we are up in arms. but when our man does it because it is marked Secret and Confidential may have acted with the best intentions But his intentions were not our orders.»(٤)

وعندما نمت حركة المقاومة الوطنية ضد الحكم البريطاني في العراق كان يكتب الى الخارجية البريطانية ان كل شيء على مايرام ولكن الخارجية البريطانية شعرت بأن الموقف يتحرج يوما بعد يوم وأنه يجب كسب ثقة الوطنيين عن طريق وعدهم بنظام حكم يعطى للعرب مكانا واضحا فيه تحت الانتداب البريطاني . ولكن ويلسون كان ضد أى فكرة تدعو الى اشتراك الشعب في الحكم ، وكان على

---

١ ــ تعنى العبارة : « تحريرا وليس ضما » . . مجلة الازهر

٢ ــ تعنى العبارة : « ليس ضما » . مجلة الازهر

٣ ــ لا يسمح للرأى العام ، ولا يشجع على التعبير عن نفسه برأى مخالف لرأى ويلسون » . مجلة الازهر

٤ ــ « عندما يفعل الفرنسيون مثل هذا العمل نرفع السلاح ــ ولكن عندما يفعل ذلك رجلنا ــ لأنها مختومة بكلمة سرى وشخصى ــ انما يفعل ذلك بأحسن النيات ، لكن نواياه لم تكن أوامرنا » مجلة الازهر

عادته مستعداً لتزوير تعليمات وزارة الخارجية اذا تعارضت مع خطته .

فعندما طلبت الخارجية منه أن يصدر بيانا ينبه بريطانيا في وضع قانون أساسي وانشاء مجلس يسوده العرب

An Arab Council of State

حذف ويلسون كلمة عرب من العبارة حتى ينشىء مجلساً غير عربي تحقيقا لأهدافه .

كذلك كان ويلسون لايتورع عن تشويه صورة الحركة الوطنية في العراق بكافة الوسائل فتارة يؤكد أن العشائر ستعانى من (الأفندية) اذا ما أقيمت حكومة عربية في العراق ، كما أتهم الوطنيين بأن البلاشفة يحركونهم وهي نفس الاتهامات التي رددها « وينجت » عندما وقعت ثورة ١٩١٩ ، واستخدام البلشفية كان مقصوداً به كسب الرأى العام الانجليزى ضد الحركة الوطنية العراقية (١٩٢٠) وكسب تشرشل الذى كان العدو الشديد ضد البلشفية .

لقد كان ويلسون شخصية قوية في الثلاثين من عمره عندما تولى زمام الأمور في العراق ، ليواجه مشكلات معظمها جديدة وليست تقليدية وهو نفسه كانت تعوزه الخبرة الطويلة . وكان لا يزال يعيش بعقلية أبناء الامبراطورية التقليديين في عصر نمت فيه قوميات الشرق ، وهو لم يكن يدرك ذلك .

لقد كان ويلسون يفقد أصدقاءه بسرعة ، سواء في العراق او القاهرة أو في لندن . ففى العراق أصبح في نظر الوطنيين عدوهم الأول .

وفي داخل السلطة البريطانية نفسها ظهرت جماعة من المسئولين الانجليز تهاجم سياسة ويلسون وتؤيدوجهةالنظر الوطنية ولكن فيحدود ضيقة ، وهذه الجماعة كانت بزعامة « جرترود بل Bell » ترى أن ويلسون يتبع سياسة عفا عليها الزمن وأنه بذلك يشكل خطرا على مستقبل المصالح البريطانية في العراق وفي المنطقة .

وفي اعتقادنا أن مس (بل) التى قدمت خدمات ضخمة لويلسون ، أدركت بذكائها أن أيام ويلسون قد ولت ، وأنه لابد وأن يبعد عن العراق بعد أن ساءت علاقاته مع الجميع فقلبت له ظهر المجن وأخذت جانب الرجل المرشح ليلعب الدور الأول في العراق بعد ويلسون وهو كوكس Cox

فقد أصبح ويلسون الحصان الخاسر .

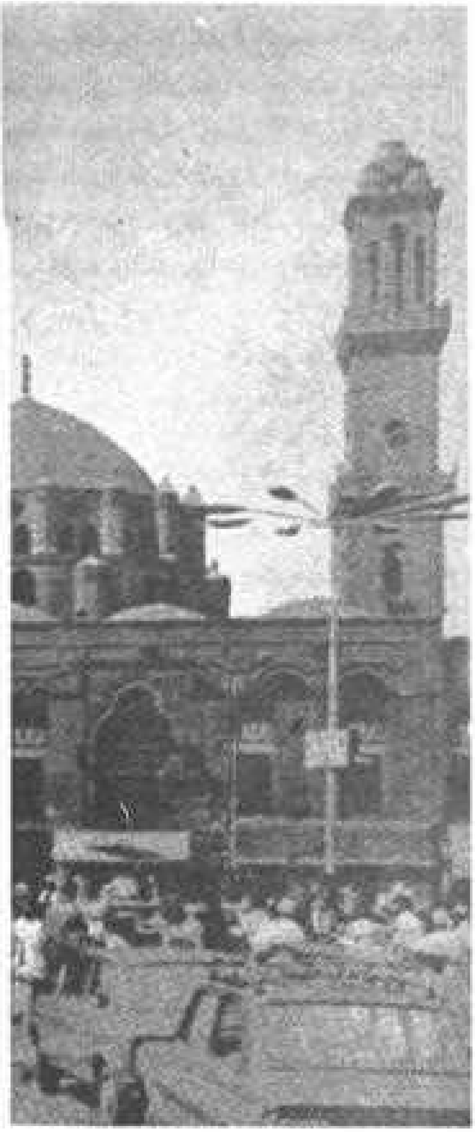
ومن ناحية أخرى أصبح الرأى العام فى بريطانيا والرأى العام العالمى ضد سياسة (التهنيد) ومع سياسة اعطاء العرب ولو بعض حقوقهم ومن ثم أصبحت خطط ويلسون غير ذات موضوع وعفا عليها الزمن كما قالت مس بل ، وفيلبى ، ولورنس .

ولقد أدى وقوع الاضطرابات في العراق الى أن يلقى عدد من المسئولين باللائمة على ويلسون فقد اتهم « يانج (Young) » ويلسون بأن عناده ضد كل ماهو شريفى زاد من الاضطرابات وتعقيد الموقف ووصف هاردنج ويلسون فى ظروف ماقبيل ثورة العشرين

« The whole situation is too big for Col. Wilson to cope with» (١)

وكانت ثورة العراق السبب الرئيسي في ابعاده عن العراق ولكن حكومته كرمته اذ عين

1 — Hardinge minute, F.O. 371/5229.



في منصب كبير في شركة البترول « الأنجلو — فارسية » وتابعت أخذ وجهات نظره في مستقبل البلاد وبخاصة في مؤتمر القاهرة الذي انعقد في سنة ١٩٢١ ٠

وفي اعتقادنا أنه في غياب سياسة محددة ازاء العراق أطلق ويلسون العنان لنفسه لوضع سياسة تصورها ونفذها وأيدته فيها حكومة الهند التي لم يكن لها دور في تخطيط هذه السياسة بقدر ما كان لها دور في الموافقة على هذه السياسة التي وضعها ونفذها ويلسون وتحطمت في نهاية الأمر ولكن أكسبت بريطانيا بصفة عامة مكاسب كبيرة ٠

ولكي يتغلب كوكس عندما استدعى للعراق بعد ثورة العشرين على تضارب الاتجاهات وعلى مشكلة عدم وجود سياسة محددة طالب الحكومة البريطانية بأن تمنحه (٢) «Full Powers» في تصريف أمور العراق ٠

---

١ — « ان الموقف — كاملا — اكبر وافخم من أن يقدر الكولونيل ويلسون على أن يتعامل معه » . مجلة الازهر

٢ — « كامل النفوذ » . مجلة الازهر

كوكس فى العراق

كان وصول كوكس الى العراق وابعاد ويلسون عنه بدايةلاستقرار السياسة البريطانية نحو العراق ، ولكن لم تصبح لدى بريطانيا سياسة محددة ازاء المشرق الا على يد تشرشل عندما خلف « ملنر » فى وزارة المستعمرات وعقد مؤتمر القاهرة • وتبنى الحل الشريفى الذى كان يقاومه ويلسون وأعنى به تولية « فيصل » على العراق ، وتولية « عبد الله » على الأردن لأن الأخير كان فى نظر كثير من ساسة بريطانيا تافها لن يعرقل أهداف بريطانيا •

واستطاع تشرشل أن يعلن فى مجلس العموم البريطانى فى ١٩٢١ لأول مرة :

«We have a single clear policy upon which the authorities, Military and Civil at the present time agree.» (١)

وهذا الحل الشريفى يقودنا الى رجلين شهيرين :

لورنس وفيلى ثم مس بل •

لورانس

ولا شك لدى فى أن الظروف التى رفعت لورنس الى الشهرة كانت غير عادية ، وأن هناك يدا خفية كانت تدفعه ، وبلا شك كان « هوجارت » يدفعه ولكن هذه اليد كانت أعلى من « هوجارت » وأعنى بها « المخابرات البريطانية » التى وجدت فيه استعداداً كاملا ليؤدى الدور الذى تريده ، دور البريطانى الذى وضع نفسه فى خدمة العرب • وكانت هذه اليد تحميه وكان يعتمد عليها فى تصرفاته غير اللائقة حتى مع كبار المسئولين من العسكريين •

والدور الذى أداه لورنس فى الثورة العربية معروف لنا جميعا ، ولكن هناك عدة نقاط يجدر ابرازها وهى أنه مثل « جرترود بل » كان يعانى من أزمات نفسية وعاطفية حادة • وكانت له علاقاته المشبوهة،وكان يكره المرأة بمرارة حادة•

وكان لورنس يعتقد ان المجتمع كله ضده ، وكان يضفى على نفسه هالةمن الأكاذيب ليفخم صورته فى الأذهان حتى لقد قال : انه عرض عليه منصب المندوب السامى فى مصر أكثر من مرة ، وان الفاشيين فى بريطانيا طلبوا منه أن يكون دكتاتور المستقبل •

وكان يتطلع الى أن يكون قائد ثورة الحجاز ولكن « كلايتون » رفض طلبه فهو يعرف ماهى حدود وقدرات لورنس وكان يود أن يصبح شريفا ووزع الملوك العرب ، ولكن كل هذا لايغمط حقه فى خدمة بلاده بالطريقة التى تصورها ، وهى الحل الشريفى ، فقد وجد فى (فيصل) ضالته خاصة وان لورنس — على العكس من فيلبى — كان يرى أن الوهابية كالبلشفية خطيرة على مصالح بريطانيا •

---

١ — يريد : « نحن لنا سياسة واحدة واضحة يتفق عليها جميع السلطات الحربية والمدنية فى الوقت الحالى » . مجلة الازهر

لقد كان فيلبى اكثر حصافة من لورنس اذ تنبأ الاول بان المستقبل لآل سعود ، ومع أن فيلبى لم يكن معتقدا عاطفيا مثل لورنس ، فانه لم يكن مستقرا ايديولوجيا •

فقد كان يؤيد مطالبة النقيب باقامة جمهورية فى العراق •

واذا كان ويلسون صاحب سياسة معينة سعى الى تطبيقها بخيرها وشرها فان لورنس كان فى الطرف الثانى يسعى الى سياسة هاشمية بخيرها وشرها وسعى فيلبى الى سياسة سعودية وكل منها اصطدمت بالأخرى وسواء كانت نتائج هذه السياسات ايجابية أو سلبية ناجحة أو فاشلة فقد خدمت المخططات البريطانية حتى « فيلبى » الذى أسلم وتسمى بعبد الله عاش للمصالح الانجليزية معظم حياته حتى اذا ما مات عبد العزيز بن سعود واتجه « سعود » نحو الولايات المتحدة USA لم يعد لفيلبى مكان فى السعودية •

الصف الثانى

واذا نظرنا الى موقف رجال الصف الثانى من أمثال « هاردنج » ولورنس و « هوجارت » و « مس بل » وغيرهم لوجدناهم جميعا « فرانكو فوبيا » وان كان ذلك بدرجات مختلفة فقد كان لورنس أشدهم عداء للفرنسيين حتى ان مفتاح دراسة تاريخه هو كراهيته لفرنسا وما ألقى بثقله الشديد الى جانب الشريف وأولاده الا لهذا الغرض •

وأخذ لورنس يتحدث مع الزعماء العرب عن ان بريطانيا انما تسعى الى اقامة دولة عربية موحدة وكان فيصل(١) من السذاجة لأن يعتمد على مثل هذا الرجل الذى كان فى حقيقة الأمر من رجال المخابرات زج به فى الجيش وانتسب الى هيئة الأركان البريطانية دون مؤهلات بواسطة المخابرات البريطانية ليلعب هذا الدور، دور البريطانى المؤمن بقضية العرب وعدالتها •

اللنبى

ورغم الوصول الى ما عرف باسم اتفاقية « سيكس بيكو » ، فقد أطلق « اللنبى » العنان لرجال لورنس وفيصل للدعاية له ولحكومة عربية مناهضة للفرنسيين وكان هذا يتم بمعرفته وبتشجيعه ولكن نظرا لأن اللنبى كان يعرف بمضمون هذه الاتفاقية فقد فضل أن يمسك العصا من الوسط بأن وضع البلاد التى منحت لفرنسا تحت سيطرته هو المباشرة تاركا فيصل يعمل فى المنطقة الداخلية (دمشق • حمص • حماه • حلب) وفى نفس الوقت أيضا عمل على منع الفرنسيين ما استطاع من أن يضعوا اقدامهم فى سوريا ولبنان الا فى آخر لحظة عندما لا يجد بدا من ذلك •

وكان اللنبى يصور الوجود الفرنسى فى سوريا ولبنان على أنه نذير باضطرابات قد تجر بريطانيا الى مواجهة مع فرنسا •

أما لويد جورج وبلفور فقد كانا يريان أن التحالف مع فرنسا أجدى من التضحية به من

١ ـ ملك العراق • •

أجل العرب وهكذا كانت هذه « الفرانكو فوبيا » تقل حدتها كلما صعدنا من رجال الصف الثانى الى رجال الصف الأول .

تحت أنظار الصف الأول

على أن رجال الصف الأول من أمثال لويد جورج وبلفور كانوا يدركون حقيقة الخطوات التى كان يتخذها رجال الصف الثانى ضد الوجود الفرنسى ، وكانوا يعطونهم الفرصة لتنفيذ سياسة غير تلك التى قد يجدون أنفسهم مضطرين اليها وأعنى بها التفاهم مع فرنسا على أساس حصولها على سوريا ولبنان ، وذلك لتكون هذه الاجراءات أوراقا يلعب بها المفاوض البريطانى مع غريمه الفرنسى .

نتائج

أدت هذه السياسة المضطربة أن يفهم رجال الصف الثانى أنهم يستطيعون فرض سياستهم الخاصة على حكومتهم لدرجة أن **اللنبى وويلسون** بلغ بهما الجرأة أن منعا المبعوثين **الفرنسيين** الى سوريا والموصل ــ كل فى دائرة اختصاصه ــ من الوصول الى مقارهم المتوقعة، ولم يمنع لويد جورج الى الاحتجاجات الرسمية التى قدمتها الحكومة الفرنسية بهذا الصدد .

كل هذا أدى الى تمادى لورنس فى سياسة « الفرانكو فوبيا » .

أما بالنسبة للحركة فقد كان لورنس يعمل لبلاد عربية مفككة وليس لوحدة عربية ، ولكنه لم يكن يتوقع أبدا أن يترك الانجليز فيصل ليفترسه الفرنسيون دون تدخل وهذا هو الذى قضى على آمال لورنس .

والحقيقة

هناك مشكلة تثير الباحثين وهى :

لماذا هذا الضجيج الضخم حول لورنس مع أنه لم يكن سوى مغامر فى ميدان حرب محدودة فى الوقت الذى يتساقط فيه الألوف من الأبطال فى جبهات القتال فى فرنسا ؟

ولكن لا شك أن وقفته بجانب فيصل عسكريا فى الشام وسياسيا خلال مؤتمر الصلح جعلت العلاقات بين فيصل والانجليز متصلة لا تنقطع رغم الضربات التى تلقاها منهم .

أما هذا الضجيج فيفسره أحد المؤرخين الانجليز بأن صحفيين كرها الدماء المسيلة غير المثيرة فى الجبهة الغربية وبحثا عن موضوع مغامرات ساحر فاستهواهما لورنس بطل الثورة العربية .

فما دور لورنس فى وضع سياسة بريطانية ازاء المشرق العربى ؟

الواقع أن الكثير من وجهات نظر لورنس أخذ بها فى وزارة الخارجية وكثير منها لم يؤخذ بها ولكن يكفيه فخرا أن الحل النهائى الذى توصل اليه ونستون تشرشل لوضع سياسة بريطانية

في المشرق كان هو الحل الشريفي

The Sharifian Solution z

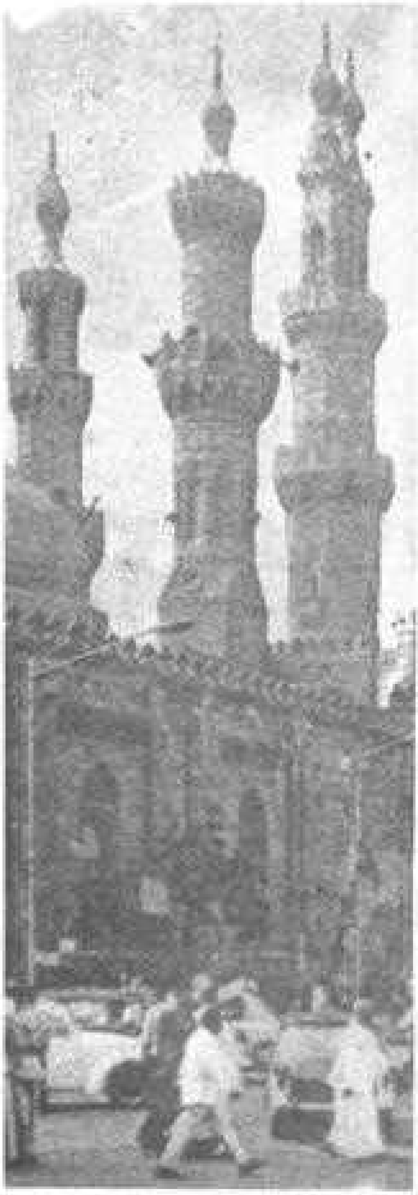
الذي نادى به لورنس

باستمراره ٠

واذا كان لورنس قد ترك فيصل يذهب الى العراق ملكا ، فقد سلمه ليد آمينه — من وجهة النظر البريطانية — مس بل ، التي تعمق للمخابرات البريطانية والتي كانت تستطيع أن تحقق الكثير من فيصل ، لقد كانت معجبة به وكان معجبا بها ، بعكس موقف « بل » من « عبد العزيز بن سعود » الذي لم تثره هذه المرأة فاستشاطت غضبا وعاشت حياتها وهي تناصب العداء ذلك الرجل العملاق الذي عاملها كانسان بسيط عادي ٠

أما عبد الله فيلبي ، فكان على طراز لورنس، ولكن تحكمه تقاليد وقيم مختلفة عن تلك التي كان لدى لورنس، لم يكن فيلبي ليقدم الى كل من عبد العزيز بن سعود أو عبد الله بن الحسين في الأردن وعودا مبالغا فيها ٠ كان واقعيا في خطواته وعلاقاته ٠وكان بعيد النظر حين اكتشف أن عبد العزيز بن سعود سيكون من رجالات العرب المسموعي الكلمة وأن التفوق سيحالفه أمام الحسين ، وهذا مالم يكن يتصوره لورنس٠

وكثرة كثيرة من المسئولين الانجليز — حتى مس « بل » ذات التوافق الذهني مع « فيلبي » لم تكن تتصور ذلك ٠



تم البحث ،،،

د٠ عبد العزيز سليمان نوار
وكيل الدراسات العليا — جامعة عين شمس

طرائف

فضل الأدب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب فى الغربة ، ومؤنس فى الوحشة ، وصلة فى المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم ان جاها بالمال انما يصحبك ماصحبك المال ، وجاها بالادب غير زائل عنك .

الحسن البصرى

سئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى رضى الله عنه فقال :

كان أشبه الناس علانية بسريرة ، وسريرة بعلانية ، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره . واستغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا الى مافى يديه من دينهم . ا هـ

وكان الحسن البصرى كريما على نفسه ، صانها أن تبذل للئيم أو أمير عفف عن الأبواب الا باب الله – وحده ، وحفظ على نفسه لسانه وحكمه فعز على الفتنة ، وارتفع عن الضعة .

طلبه الحجاج فى مرض موته وألحف فى الطلب .. فلما ذهب اليه شكا اليه « الحجاج » مايجده فى مرض موته ، فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض للصالحين فلججت ، فقال الحجاج : يا « حسن » لاأسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى ، ولكنى أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحى ولايطيل عذابى » .

فبكى الحسن بكاء شديدا ، ثم انصرف .

مأثورات فى الحلم

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف مابلغ ؟

قال : ان شئت بخلة ، وان شئت بخلتين ، وان شئت بثلاث .

قال : فما الخلة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه .

قال : فما الخلتان ؟ قال : كان موقى الشر ؛

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ملقى الخير .

قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لايجهل ، ولا يبغى ، ولا يبخل .

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحلم ؟

قال : ان تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

وقالوا : ماقرن شيء الى شيء أزين من حلم الى علم ، ومن عفو الى قدرة .

وقال الحسن : المؤمن حليم لايجهل وان جهل عليه ، وتلا قول الله عز وجل : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وقال الشاعر :

ليست الأحلام فى حين الرضا
انما الاحلام فى حين الغضب

لا أعود لمثلها

شتم هشام بن عبد الملك رجلا ، فقال له الرجل : أما تستحى ان تشتمنى وأنت خليفة الله فى الأرض ؟

فاستحيا منه هشام . وقال : اقتص منى !

قال الرجل : اذا أنا سفيه مثلك .

قال : فخذ منى عوضا من المال .

قال : ماكنت لأفعل .

قال : فهبها لله .

قال : هى لله ، ثم لك . فنكس هشام رأسه واستحيا .

وقال : والله لا أعود لمثلها أبدا .

أسوأ الناس

قيل لبعض العلماء : من أسوا الناس حالا ؟

قال : من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وبعدت همته .

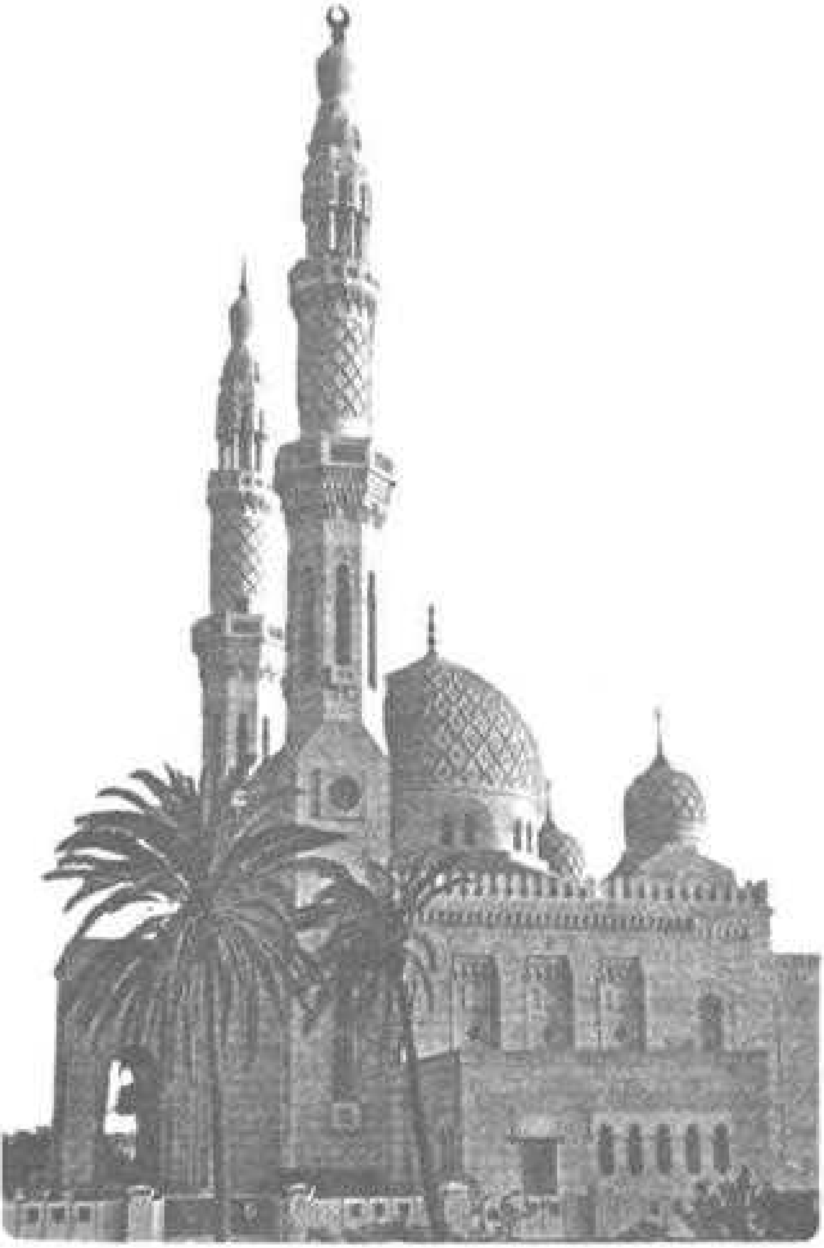
وأسوا منه حالا من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

حقا

ان الذى يقبض الدنيا ويبسطها
ان كان أغناك عنى سوف يغنينى

دعاء

اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك .



من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر المخطوطات

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

الامانة زينة العلم وروحه وبها يزكو فينفع ويفيد ، وانت اذا دققت وامعنت النظر فى تراجم رجال العلم فى العالم عامة رأيت فيهم الأمين وغير الأمين .

الاول : فى مكانة مرموقة محفوفة بالاجلال والوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد .

والثانى : فى منزلة أدنى، ونفوس الناس عنه منصرفة ترمقه بازدراء ، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون منه بشىء ومن هنا يظهر مقدار صلة العالم بمزية الامانة ، فالامانة فى العلم لها صلة وثيقة بخلق العالم عندما يسأل عما لا يعلم فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول : « لا أعلم » .

قال الشيخ ــ رحمه الله :

فلاح (١) الأمة فى صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها فى صحة علومها ، وصحة علومها أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون ، فمن تحدث فى العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة ، ووضع فى سبيل فلاح الأمة حجر عثرة .

لا تخلو الطوائف المنتمية الى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة ، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الامانة فى نفوسهم مستقرا فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا ، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم الى نقد الرجال وتمييز من يسرف فى القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه ، فلا تخفى عليهم منزلته من القطع بصدقه أو كذبه أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالهما على سواء .

قيض الله للسنة النبوية رجالا أشربوا فى قلوبهم التقوى ، فنهجوا فى روايتها نهج

---

(١) نور الاسلام (مجلة الازهر) ربيع الآخر ١٣٥٠ هـ .

فضيلة الشيخ

محمد الخضر حسين

تقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يروون الا ما وثقوا من صحته . وهم بعد هذا الاحتراس البالغ على فريقين : فريق يحافظون في الرواية على الألفاظ لا يغيرون منها حرفا . ومن أصحاب هذه الطريقة القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، ورجاء ابن حيوة ، ومحمد بن سيرين .

وفريق من أولئك الراشدين يحافظون فيما يروون من الحديث على المعنى ، ولم يروا بأسا في التعبير عنه بلفظ غير لفظ الرواية على شرط أن يؤدى المعنى كما هو . ومن أصحاب هذه الطريقة الحسن البصرى ، والشعبى وابراهيم النخعى .

اندس بين هؤلاء الأمناء أشخاص يتشابهون في الاستخفاف بصدق اللهجة . ويختلفون في الأغراض التى دعتهم الى هذا الاستخفاف ، فمنهم الجاهل الذى يحسب أن من طرق الاحسان الى الدين وضع أحاديث للترغيب في بعض ماندب اليه من أعمال صالحة ، كما وضع نوح بن أبى مريم أحاديث في فضل سور القرآن ، وقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة .

ومنهم المغلوب على رشده : يضع الحديث لنحو تأييد مذهب أو اصابة عرض زائل كأن يصنع حديثا فيما يوافق هوى ذى سلطان ليزداد عنده حظوة . مثل غياث بن ابراهيم رأى المهدى يلعب بالحمام ، فتصرف في حديث (لا سبق الا في نصل أو خف أو حافر) فزاد فيه (أو جناح) وقد شاء الله تعالى أن يتنبه المهدى لهذه الخيانة ، فأنب غياثا وترك الحمام وأمر بذبحها .

ومنهم الزنديق : يضع أحاديث ليفسد القلوب ويزعزع الايمان كما وضع بعض عباد الأوثان حديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » .

ونهض باللغة العربية وآدابها رجال طبعوا على الأمانة ، مثل أبى عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبى ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعى ، وابن الأعرابى ، وأبى عمرو الشيبانى ، ومحمد بن مسلم الدينورى ، ولم تخلص اللغة وآدابها من أن ينتمى اليها نفر لا يتحاشون أن يدخلوا فيها ما ليس من حدائقها ، كقطرب (١) ، وحماد الراوية ، ولولا العلماء الذين ينقدون ما يرويه أمثال هؤلاء لأصيبت اللغة بفساد كبير .

---

(١) كان متهما في رأيه وروايته عن العرب (مقدمة التهذيب لأبى منصور الأزهرى) .

وللتاريخ القسط الأوفر من اختلاق الرواة وتزوير الكتاب ، فكم من حقائق شاخصة حاولوا أن يذهبوا بها هباء ، وكم من سير نقية أخرجوها فى صورة ما يستحق هجاء ، وسير مدنسة ألبسوها ثوب ما يستأهل ثناء ، ومن ناحية المحرومين من نعمة الأمانة فى العلم صدرت كتب مثل كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وصفت كثيرا من افاضل السلف فى غير انصاف ، وولغت فى اعراض الصحابة وهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حذر أهل العلم من التسرع الى تسليم ما يكتبه المؤرخون فى شأنهم ، وانما يعول فى أخبارهم على الروايات الموثوق بها كالأخبار الواردة على طريق علماء الحديث .

وكذلك ترى فى غير الحديث واللغة والتاريخ من العلوم رهطا يمسونها بأيد غير مؤتمنة ، ويحشرون فيها ما لا يصح رواية أو لا يقبل دراية ، فيتناولها الجهابذة بالنقد ، فينفون خبثها كما تنفى النار خبث الحديد .

فالأمانة زينة العلم وروحه الذى يجعله زاكى الثمر لذيذ المطعم ، واذا قلبت النظر فى تراجم رجال العلم ، رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين بوناشاسعا ، ترى الأول فى مكانة محفوفة بالوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد ، وترى الثانى فى منزلة صاغرة ، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه أو متباطئة .

وقد تقرأ كتابا . فتراه حافلا بالمسائل النادرة ، فكبر صاحبه فى عينك ، ومتى عرفت أنه من المطعون فى أمانتهم ، شعرت بأن شطرا من ذلك الاكبار قد ذهب ، وخالطك الريب فى صحة ما أعجبت به من المسائل الراجعة الى الرواية .

كيف تكون منزلة الجاحظ عندك لو درست حياته فخرجت مالئا يدك بالثقة من أنه راوية أمين ؟ لا أشك فى أن الأمانة اذا انحازت الى مثل ذكاء الجاحظ وسعة اطلاعه بلغ صاحبهما فى الشرف والسؤدد المكانة القصوى ، ولكنك تقرأ ما شهد به بعض (١) ناقدى علماء العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروى ، فلا يبقى فى نفسك من احترامه الا ما جاءها من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه . ولا أظنك بعد أن تعلم أن أبا الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى غير معدود فيمن يطمأن الى روايته (٢) الا أن تقرأ كتاب الأغانى على أنه كتاب أدب يجمع بين الصحيح والسقيم ، حتى اذا أردت تدقيق موضوع تاريخى ، لم تعول على ما ينفرد بروايته فتورده كما تورد ما يرويه ابن جرير الطبرى مثلا — وأنت مطمئن اليه ، ولو كنت اذ درست حياة أبى الفرج وجدتها خالصة مما يخدش فى أمانته لأخذ فى نفسك مكانة فوق المكانة التى حازها من جهة سعة اطلاعه واتقانه لصناعة التأليف .

فالرجل الذى يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ، يرمقه الناس بازدراء ، وتذهب تلتهم به فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من معلوماته الصحيحة وهذا صاعد بن الحسين البغدادى

---

(١) أبو منصور الازهرى فى مقدمة كتاب التهذيب .

(٢) انظر ، عيون التواريخ ، لابن شاكر .

ـ دخل قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر ، وكان عالما باللغة والأدب والأخبار ، ولكن أهل العلم اختبروه فوجدوه يتنفق بالكذب ، فأعرضوا عنه ولم يأخذوا منه شيئا ، وألف كتابا باسماه الفصوص نحا فيه نحو الأمالى لأبى على القالى فغلب شؤم ما فيه من كذب على ما فيه من صدق ، وكان شكرهم لهذا الكتاب أن طرحوه فى النهر .

قد يقع الرجل فى حال يرى أن الاعتراف فيه بالجهل يذهب بشىء من احترام سائليه له ، فيقف بين داعيين : فضيلة الأمانة تدعوه الى أن يقول « لا أدرى » وحرصه على أن يبقى احترامه فى نفوس سائليه غير منقوص يدعوه الى أن يستمد من غير الحقيقة جوابا ، وفى مثل هذا الحال يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة ، فان كان راسخا فيها رسوخ الجبل تشتد به العواصف فلا تزحزحه قيد شعرة ، اجاب داعيها ، واستيقن أن الاحترام الحق فى الوقوف عند حدودها ، وان كانت الأمانة كلمة يقولها بفمه ويسمعها بأذنه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ، آثر لذة الاحترام فى ذلك المشهد ، وأجاب بما ليس له به علم حضر بعض أدباء المغرب مجلس السلطان اسماعيل أو ابنه محمد وقرأ هذا الأديب بين يديه صحيفة ، فجاءت كلمة « الوخيد » (١) فقرأها «الوخيذ» بالذال المعجمة ، فأرجعه السلطان ، فقال ذلك الأديب : انه بالمعجمه والمهملة ، فطلب منه شاهدا على ذلك فارتجل :

اقول لصاحبى لما ارتحلنا
وأشرعنا النجائب فى الوخيذ

تمتع من لذيذ كلام حوارا
فما بعد العشية من لذيذ

واذا كان هذا الأديب قد خرج من مجلس السلطان فى ستر ؛ فقد لقى ما يلقاه المستخف بحق الأمانة فى العلم ، فافتضح أمره ، ووعت صحف التاريخ حديثه ، فأزرى بقدره .

واذا أبديت فى العلم رأيا ، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق فى غير ما أبديت ، فمقتضى الأمانة أن تصدع بما استبان ذلك انه الحق ، ولا يمنعك من الجهر به أن تنسب الى سوء النظر فيما رأيته سالفا ، فما أنت الابشر ، وما كان لبشر أن يبرىء نفسه من الخطأ . ويدعى أنه لم يقل ولن يقول فى حياته الا صوابا ، والأمانة هى التى كانت تحمل كبار أهل العلم على أن يعلنوا فى الناس رجوعهم عن كثير من آراء علمية أو اجتهادات دينية تبينوا أنهم لم يقولوا فيها قولا سديدا ، تجد هذه الفضيلة فى الأئمة المقتدى بهم كمالك بن أنس وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ، والفتاوى التى رجع عنها أمثال هؤلاء العظماء منبه عليها فى كتب الأحكام ، ولا يحدثىء منها فيما يصح الاقتداء به الا أن يراه بعض المجتهدين صحيح الاستنباط ثابت الأصل فحكمه العمل على ما رأى .

يسأل العالم ذو الخلق العظيم عما لا يعلم ، فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول « لا أعلم » وهذه سيرة علمائنا الاجلاء ، يلقى الواحد منهم السؤال فى العلم الذى علا فيه كعبه ، فاذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة «لا أدرى» غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من الأثر فى نفوس السائلين ، واذا فاته أن يجيب طالب

---

(١) الوخيد للابل : الاسراع .

العلم عما سأل ، لم يفته أن يعلمه خلقا شريفا هو أن لايتحدث في العلم الا على بصيرة، فيحفظ مقامه من أن يرمى بضعف الرأى ان كانت المسألة من قبيل الدراية ، أو بقلة الأمانة ان كانت عائدة الى الرواية ، ولأن يقال : سئل فقال : لا أدرى ، خير من أن يقال : سئل فقال خطلا ، أو روى ما لم يكن واقعا .

قال ابن هرمز : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول « لا أدرى » .

والمسائل التى قال فيها كبار العلماء « لا أدرى » بالغة من الكثرة ما لا يحيط به حساب .

سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة ، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب ، فقال له : أخبر الذى أرسلك أنه لا علم لى بها. قال : ومن يعلمها ؟ قال : من علمه الله ، وسأله آخر عن مسألة استودعه اياها أهل المغرب ، فقال : « ما أدرى ما هى » فقال الرجل : يا أبا عبد الله تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك . فقال مالك غير مستوحش : اذا رجعت فأخبرهم أنى لا أحسن ، وقال الكاتبون فى سيرته : لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك « لا أدرى » لفعل .

ونقرأ فى سيرة الشعبى أنه سئل عن مسألة فقال « لا أدرى » فقال له السائل : فبأى شىء تأخذون رزق السلطان ؟ فقال : لأقول فيما لا أدرى « لا أدرى » .

ومن شواهد أمانة محمد بن الأعرابى أن محمد بن حبيب سأله فى مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فكان يقول : لا أدرى ، ولم أسمع ، أفأحدس لك برأيى !

وقد تخون الرجل ذاكرته أو تأخذه غفلة فيقع لسانه فى خطأ ، وينبه بعد أو يتنبه من نفسه الى هفوته ، فان كان على حظ عظيم من الأمانة بادر الى اصلاح خطئه بنفسه غير مستنكف من الاعتراف بما أخذه من ذهول قلب أو غلط لسان ، حضر أبو بكر بن العربى (١) مجلس أبى الفضل النحوى فسمعه يقول : طلق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وآلى وظاهر ، فلما انصرف قصده الى منزله ، وقال له : أصلحك الله ! قلت : انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ طلق وآلى وظاهر ، وانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يظاهر ، فان الله جعل الظهار منكرا من القول وزورا ، فكان من أبى الفضل أن شكره ، ومن الغد قال أبو الفضل لأهل مجلسه بعد أن قرب ابن العربى اليه : انى قد قلت لكم بالأمس : ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ طلق وآلى وظاهر ، وان هذا أرشدنى الى أنه لم يظاهر ، وهو كما قال، وانه شيخى فى هذه المسألة .

من الأمانة الرجوع الى الحق ، وهو كمال لا تحرص عليه الا نفوس ذللت لها سبل المكارم تذليلا ، ومن الأمانة أن تنقد الآراء ولا تغمض

---

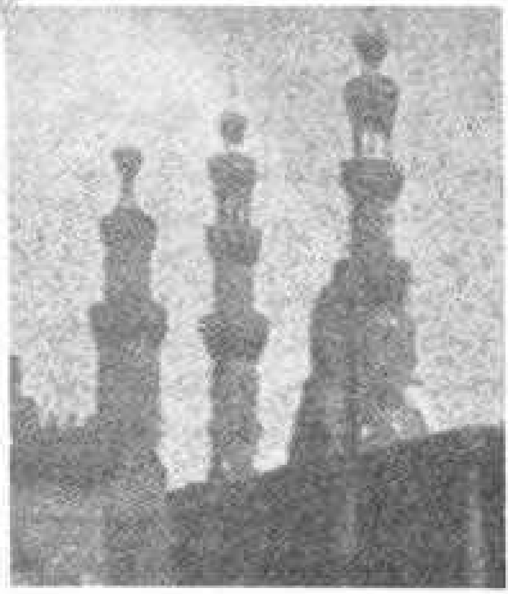
(١) هكذا وردت هذه القصة فى كتاب « الفائق » لابن راشد القفصى وأوردها أبو بكر بن العربى فى كتاب « الاحكام » على أنها وقعت لمحمد بن قاسم العثمانى حين حضر مجلس أبى الفضل الجوهرى .

فيما تراه باطلا وان كان بينك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى .

قدم أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى لملك المستنصر فى تونس كتابا فى النحو ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبى الحسن حازم ، فزار أبو جعفر حازما يوما ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له يا أبا الحسن « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » فقال له حازم : أنت سيدى وأخى ، والعلم لا يحتمل المداهنة ، فقال له أبو جعفر : فأخبرنى بما عثرت عليه ، فأراه مواضع فسلمها وأصلحها بخطه .

ومن امانة العالم أن لا يفتى أو يقضى بما يراه باطلا ، فحرام عليه أن يفتى أو يقضى برأى غيره وهو لا يتردد فى بطلانه ، ويبقى النظر فى المسائل التى تعود الى الاجتهاد ولا يتعدى حكمها مراتب الظنون . وهذا ما يمكن أن يكون موضع اختلاف الفقهاء فى قضاء العالم أو افتائه بغير مذهبه ، كأن يقضى بين خصمين من أتباع بعض المذاهب على مقتضى المذهب الذى تقلداه . كان العالم الجليل قاسم بن محمد بن سيار يفتى فى الأندلس بمذهب مالك وهو يخالفه فى كثير من المسائل ، فقال له أحمد بن خالد : أراك تفتى الناس بما لا تعتقد ! وهذا لا يحل لك ، فقال : انما يسألوننى عن مذهب جرى فى البلد فعرف، فأفتيهم به ، ولو سألونى عن مذهبى لأخبرتهم به .

ويسهل على العالم السبيل لافتاء القوم بمذهب امام تقلدوه أن المجتهد وان خالف غيره من المجتهدين فى بعض الأحكام المستنبطة، يرى أن عبادات كل مجتهد ومن يقلدونه فى مذهبه



صحيحة ، لأنها قائمة على الاجتهاد الذى هو أقصى ما كلفهم الله بالعمل عليه ، وليس عليهم أن يكون اجتهادهم مطابقا لما هو الصواب عند الله .

ومن لا يجيز للعالم أن يحكم بمذهب غير راجح فى نظره أبو بكر الطرطوشى ، فانه كان ينكر ما يفعله ولاة قرطبة من أنهم اذا ولوا أحدا القضاء شرطوا عليه أن لا يخرج عن قول ابن القاسم ، وقال : هذا جهل عظيم .

والحق أن ولاية القضاء المتيمين لمذهب بعض الأئمة المقتدى بهم — عند فقد المجتهدين — صحيحة ولولى الأمر أن يشترط عليهم الحكم بالمشهور أو الراجح فى مذهب بعينه عند الولاية، ضبطا للأحكام وسدا لأبواب اتباع الأهواء ، ولا حرج فى قضائهم على هذا الشرط وان حكموا بما لا تطمئن اليه نفوسهم ، فان آراء من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق أو المقيد تسقط أمام آراء المجتهدين ، وليس لها فى نظر



الشارع من قيمة ، أما بالغ رتبة الاجتهاد فليس له أن يحكم بغير ما قامت الأدلة القاطعة أو الراجحة على أنه حكم الله الذى شرع لعباده .

وإذا كانت الأمانة فى العلم منبع حياة الأمم وأساس عظمتها ، زيادة على أنها الخصلة التى تكسب صاحبها وقارا وجلالة ، كان حقا علينا أن نعطف على نشئنا من طلاب العلم ، ونتخذ كل وسيلة الى أن نخرجهم أمناء يروون أو يصفون ، ذلك بأن نتحرى فى دروسنا الأمانة فيما نروى ، ولا نجيب سؤالهم الا بما ندرى أو بقولنا « لا ندرى » وإذا أوردنا رأيا استبنا بعد أنه مأخوذ من غير أصل ، قلنا لهم فى صراحة : قد أخطأنا فى الفهم ، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم .

ومن أساليب تلقينهم الأمانة فى العلم أن نتلقى مناقشاتهم بصدر رحب ، ولا نقتل آراءهم بالكلمات الجارحة ، أو نتعسف فى ردها فندافعها بما نعتقد فى أنفسنا أنه غير كاف لدفاعها .

وعلى الاستاذ بعد ان يقوم بحق الامانة ملاحظة سير الطلاب حتى اذا وقع احدهم فيما يدل على انه غافل عن رفعة شانها وغزارة فوائدها ، ارشده الى ان العلم بغير امانة شر من الجهل ، وان ذكاء لايصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)

محمد الخضر حسين

من نوادر المخطوطات

قواعد الشريعة

لعز الدين بن عبد السلام

عرض وتقديم
محمد عميرة على

من المعلوم ان علم اصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية قدرا وأجلها نفعا واكثرها فائدة .

وهو العلم الكفيل بالنظر فى الادلة الشرعية قرآنا وسنة واجماعا وقياسا من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف .

وهو يعصم الذهن عن الخطأ فى استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

وهو العمدة لأصحاب التخريج الذين عنوا بتفريع الأحكام الفقهية وتخريج الوقائع والحوادث الوقتية على أصول تبنى عليها وتؤخذ منها . وكذلك لأصحاب الترجيح من أتباع الأئمة فانه لايعتد بترجيحهم الا اذا ردوا الأقوال الى ادلتها على وجه لا تخرج به عن قواعد الأصول .

وقد تصدى لصناعة التخريج والترجيح كثير من الفقهاء، فيما دونوه من كتب الأصول والفروع لتحقيق مذاهب الأئمة والترفع بها عن مواطن الضعف والدخل كما تصدى كثير منهم لصناعة الخلاف فكانت حاجتهم الى الأصول كحاجة الفقيه المجتهد . الا أن الفقيه المجتهد يحتاج اليه للاستنباط وصاحب الخلاف يحتاج اليه لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته . ولذلك فائدة جليلة فى معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم ومثار اختلافاتهم ومواقع اجتهادهم . والغرض الأصلى من معرفة الأصول هو تحصيل ملكة استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية على وجه

(١) الكتاب موجود بمكتبة الازهر برقم خاص ٨٦٥ رقم عام ٢٢٤٢٨ فى علم الاصول .

معتد به وذلك لا يكون الا لمجتهد تحصل لديه جملة من العلوم العربية والشرعية والعقلية وعلى درجة خاصة من الفطنة والفهم واستعداد يؤهله لخوض عباب هذا الاستنباط الخطير الذى قلما تتوفر دواعيه لكثير من الباحثين .

ومن الذين توفرت لديهم هذه الدعائم الامام(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . ولد ونشأ فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ (سنة ١١٨١م وزار بغداد سنة٥٩٩ هـ وأقام شهرا ، وعاد الى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزاوية (الغزالى) ، ثم الخطابة بالجامع الأموى . ولما سلم الصالح اسماعيل ابن العادل قلعة « صفد » للفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له فى الخطبة ، فغضب وحبسه . ثم أطلقه فخرج الى مصر ، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهى . ثم اعتزل ولزم بيته . ولما مرض أرسل اليه الملك الظاهر يقول : ان فى أولادك من يصلح لوظائفك . فقال : لا . وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) .

ومن مصنفاته « التفسير الكبير » و « الالمام فى أدلة الأحكام » و « قواعد الشريعة » و « قواعد الأحكام فى اصلاح الأنام » و « ترغيب أهل الاسلام فى سكن الشام » و « الغاية فى اختصار النهاية » و « الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز » .

قالت عنه رحمه الله طبقات الشافعية الكبرى للسبكى (٢) : هو امام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علما وورعا وقياما فى الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان ، تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الأمدى وغيره ، وسمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم بن عساكر وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل بن أبى سعد البغدادى وعمر بن محمد بن طبرزد وحنبل بن عبد الله الرصافى روى عنه تلامذته شيخ الاسلام ابن دقيق العيد وهو الذى لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء والامام علاء الدين أبو الحسن الباجى والشيخ تاج الدين بن الفركاح .

وتقول عنه الطبقات اطلع شيخنا عزالدين مرة الى السلطان فى يوم عيد الى القلعة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه فى زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل

---

(١) الاعلام للزركلى جـ ٤ ص ١٤٤ .

(٢) جـ ٥ ص ٨٠ .

الأرض بين يدى السلطان فالتفت الشيخ الى السلطان وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله اذا قال لك ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟

فقال هل جرى هذا . فقال نعم . الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة يناديه كذلك بأعلا صوته والعساكر واقفون .

فقال يا سيدى هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبى .

فقال أنت من الذين يقولون (انا وجدنا آباءنا على أمة) فرسم السلطان بابطال تلك الحانة وغيرها ، وسئل الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر . ياسيدى كيف الحال ؟ . فقال يابنى رأيته فى تلك العظمة فاردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه . فقلت يا سيدى أما خفته ؟ فقال والله يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان امامى كالقط .. الخ .

وكتاب قواعد الشريعة الذى نقدمه لقرائنا لسلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام ذكر فى مقدمته : الحمد لله الذى خلق الانس والجن ليكلفهم أن يوحدوه ويعبدوه ويقدسوه ويمجدوه ويشكروه ولا يكفروه ويطيعوه ولا يعصوه وأرسل اليهم رسوله صلى الله عليه وسلم ليعزروه ويوقروه ويطيعوه وينصروه فأمرهم على لسانه بكل بر واحسان وزجرهم على لسانه عن كل اثم وعدوان وكذلك أمرهم بالمعاونة عن كل اثم وعدوان وكذلك أمرهم بالمعاونة على البر والتقوى ونهاهم عن المعاونة على الاثم والطغيان وحثهم على الاقتداء والاتباع كما زجرهم عن الاختلاف والابتداع .. الخ .

ورتب المصنف مؤلفه فى ثمانية وثمانون بابا . وكل باب الى عدة فصول وختمه بقواعد وفوائد .

وقال ان الغرض فى بيان مقاصد هذا الكتاب مصالح الناس من حيث الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد فى كسبها ، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد فى درئها ، وبيان مصالح المباحات ليكون العباد على خيرة منها ، وبيان مايقدم من بعض المصالح على بعض ، وما يؤخر من بعض المفاسد عن بعض ، مما يدخل تحت اكتساب العبيد دون مالا قدرة لهم عليه ولا سبيل لهم اليه ، والشريعة كلها نصائح اما بدرء مفاسد أو بجلب مصالح ، فاذا سمعت الله يقول « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد الا خيرا يحثك عليه أو شرا يزجرك عنه ، أو جمعا بين الحث والزجر ، وقد أبان فى كتابه ما فى بعض الأحكام من المفاسد حثا على اجتناب المفاسد . وما فى بعض الأحكام من المصالح حثا على اتيان المصالح .

ونورد نموذجا لبعض فصول الكتاب فيما يتعلق به الثواب والعقاب من الأفعال قال فيه : لايثاب الانسان ولا يعاقب الا على كسبه واكتسابه ، اما بمباشرة أو بتسبيب قريب أو بعيد . قال تعالى « إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » وقال « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ » اى ليس له الا أجر سعيه ، وقال « وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا » ولان

الغرض بالتكاليف تعظيم الاله بطاعته واجتناب معصيته ، وذلك يختص بفاعليه ، اذ لا يكون معظم الحرمات منتهكا لها بانتهاك غيره، ولا منتهك الحرمات معظما لها بتعظيم غيره، فلذلك لا تجوز الاستنابة فى المعاصى والمخالفات ولا فى الطاعات البدنيات الا ما استثنى من الطاعات كالحج والعمرة والصدقات رحمة للعاجزين بتحصيل ثواب هذه القربات وللغائبين عنهم بالتسبب الى انالة ثواب هذه الطاعات وأما قوله عليه السلام « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ومعناه انقطع أجر عمله أو ثواب عمله فهذا على وفق هذه القاعدة ، لأن هذه المستثنيات من كسبه .

فان العلم المنتفع به من كسبه فجعل له ثواب المتسبب الى تعلم ذلك العلم ، وكذلك الصدقة الجارية تحمل على الوقف وعلى الوصية بمنافع داره وثمار بستانه على الدوام فان ذلك من كسبه لتسببه اليه ، فكان له أجر التسبب ، وليس الدعاء مخصوصا بالولد ، بل الدعاء شفاعة جائزة من الأقارب والأجانب ، وليست مستثناة من هذه القاعدة لأن ثواب الدعاء للداعي والمدعو به حاصل للمدعو له ، فاذا طلبت له المغفرة والرحمة كانت المغفرة والرحمة مخصوصتين بالمدعو له، وثواب الدعاء للداعي ، كما لو شفع انسان لفقير فى كسوة أو فى العفو عن زلة كان للشافع ثواب الشفاعة فى العفو والكسوة . وكانت مصلحة العفو والكسوة للفقير ، وقد ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور على مصيبته وهذا خطأ صريح ، فان المصائب ليست من كسبه بمباشرة ولا تسبب ، فمن قتل ولده أو غصب ماله أو أصيب ببلاء فى جسده فليست هذه المصائب من كسبه ولا من تسببه حتى يؤجر عليها . بل ان صبر عليها كان له أجر الصابرين ، وان رضى بها كان له أجر الراضين ، ولا يؤجر على نفس المصيبة لأنها ليست من عمله . وقد قال تعالى « إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » كيف والمصائب الدنيوية عقوبات على الذنوب والعقوبة ليست ثوابا ويدل على ذلك قوله تعالى « وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » الى آخر ما أورده فى هذا الفصل .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم بخط محمد بن عبد الرحمن الشافعي سنة ٧٣٦ هـ فى ١٨٢ ورقة ومسطرتها مختلفة ، وقال الناسخ قوبلت هذه النسخة من أولها الى آخرها على النسخة المنقولة منها مع بذل الجهد فى ذلك ، وبهامشها تعليقات عليها وتصحيحات ، ويوجد بمكتبة الأزهر نسخة أخرى فى مجلد بخط محمد بن ثابت العوضى الحلبى سنة ٨٣٣ هـ بها خروم وتلويث ونقص من أولها وتقع فى ٣٢٨ ورقة ومسطرتها سبعة عشر سطرا .

مدير مكتبة الأزهر
محمد عمره علي

لغة وأدب ونقد

حتى .. العاطفة

مصادر العقد الفريد

وطريقة ابن عبد ربه في الرواية والصياغة

مجلة الرسالة الجديدة ١٩٥٤ - ١٩٥٩

ودوحات الأدب والنقد

حتى .. العاطفة

الاستعمال الثانى لحتى أن تكون حرف عطف مثل (الواو) فلا تفيد ترتيبا مع الفور (كالفاء) ولا مع التراخى (كثم) وقيل : انها للترتيب مع نوع مهلة دون مهلة ثم ، فهى واسطة بينها وبين الفاء ، ويؤيد انها ليست للترتيب قول الشاعر :

رجالى حتى الاقدمون تمالئوا
على كل امر يورث المجد والحمدا

لكنها تخالف الواو فى امور ثلاثة :

أولها أن معطوفها يلزم أن تتوفر فيه شروط ثلاثة :

١ ـ أن يكون ظاهرا لا مضمرا، كما أن هذا شرط فى مجرور حتى الجارة .

٢ ـ أن يكون بعضا من المعطوف عليه حقيقة بأن يكون جزءا من كل نحو اكلت السمكة حتى رأسها ، أو أفرادا من جمع نحو : قدم الحجاج حتى المشاة ، أو نوعا من جنس نحو : أعجبنى التمر حتى البرنى ، أو يكون بعض المعطوف عليه تأويلا كقول ابن مروان النحوى .

القى الصحيفة كى يخفف رحله
والزاد حتى نعله القاها

بنصب نعله بالعطف ، فان المعطوف وان لم يكن بعض المعطوف عليه حقيقة ، الا انه على تقدير : ألقى كل ما يثقله من الصحيفة والزاد حتى نعله ، والنعل بعض ما يثقله فالمعطوف اذن بعض المعطوف عليه تأويلا ، ويحتمل أن يكون منصوبا بفعل محذوف يفسره المذكور ، وهو ألقاها . وعلى النصب بالعطف يكون ألقاها توكيدا وعلى تقدير النصب بفعل مقدر يكون ألقاها تفسيرا ، وأما من رفع نعله فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها خبر المبتدأ أو يكون شبيها ببعض المعطوف عليه لشدة اتصاله به نحو : أعجبتنى الجارية حتى كلامها ، ويمتنع أن يقال أعجبتنى الجارية حتى ولدها ، لأن ولد الجارية ليس جزءا منها لشدة اتصاله بها صار كجزء منها .

٣ ـ أن يكون غاية لما قبلها فى زيادة حسية نحو : حاتم يهب الأموال الكثيرة حتى الألوف فالألوف بالنسبة للاموال غاية فى الزيادة الحسية ، أو فى زيادة معنوية ، نحو : مات الناس حتى الانبياء والملوك

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي

فالأنبياء والملوك غاية الناس في الزيادة المعنوية ، أو في نقص حسي نحو : المؤمن يجزى بالحسنات حتى مثقال الذرة فمثقال الذرة غاية في النقص الحسي ، أو نقص معنوي نحو : غلبك الناس حتى النساء والصبية ، فان النساء والصبية غاية في النقص المعنوي وهو الاتصاف بالأنوثة والصبا ، وقد اجتمعت الغايتان (الزيادة والنقص) في قول الشاعر :

قهرناكم حتى الكماة فانتم
تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا

فالكماة غاية في زيادة القوة والهيبة ، والبنين الصغار غاية في زيادة الضعف والعجز .

والمعتبر في تقدير الغاية مع حتى هو ترتيب أجزاء ما قبلها في الذهن من الأقوى الى الأضعف والعكس ولا يعتد بالترتيب الخارجي المستفاد من نص الكلام لجواز أن تكون ملابسة الفعل لما بعدها قبل ملابسة الأجزاء الأخر نحو : مات كل آبائي حتى آدم ، أو تكون ملابسة ما بعدها في أثناء ملابسة ما قبلها نحو : مات الناس حتى الأنبياء أو تكون الملابسة لهما في زمان واحد ، نحو جاءني القوم حتى نافع ، اذا جاءوك معا ، ونافع هو الغاية في القوة أو الضعف . ويُعلم من كلام الموضح أنه اذا لم يكن ما بعد حتى بعض ما قبلها تحقيقا أو تأويلا أو كبعضه أو كان كذلك ، ولكنه لم يكن غاية له ، أو كان غاية ولكنه لا يحتمل زيادة أو نقصا حسيين أو معنويين امتنع العطف بحتى فلا يجوز : صادقت العرب حتى العجم لاختلاف الجنس ، ولا خرج الفرسان حتى بنو سعد ، وبنو سعد أولئك من أوساط الفرسان لفقدان الغاية لأن الغاية لا تكون الا بين الأطراف تامة التفاوت في العلو أو الدنو ، ولا جاء القوم حتى هشام ، اذ أن المعطوف وهو هشام لم يتصف بزيادة أو نقص من رفعة أو ضعة .

ثانيها : أن معطوفها يتعين أن يكون اسما مفردا لا فعلا ، لأنها لا تدخل على الأفعال ، فلا يجوز أن تقول : أكرمت أحمد بما أستطيع حتى خدمته بنفسي ، ولا أن تقول : بخل على جعفر بكل شيء حتى أبى منحى درهما واحدا ، ذلك أنه يشترط في معطوفها أن يكون بعضا أو جزءا مما قبلها أو كالجزء منه مثل :

الجارة ، ولا يتأتى ذلك الا في المفردات وقد

حتى .. العاطفة

ادعى بعضهم فى قول امرىء القيس :

سريت بهم حتى تكل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

فيمن رفع تكل ، أن جملة تكل معطوفة بحتى على سريت بهم على معنى حتى كلت مطيهم ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ، وأما من نصب تكل فان حتى عنده جارة ، والفعل بعدها منصوب بأن المضمرة ، والمصدر المؤول من أن والفعل المضارع مجرور بحتى ، والحق أن حتى فى الموضعين من البيت ابتدائية ، وليست عاطفة ولا جارة .

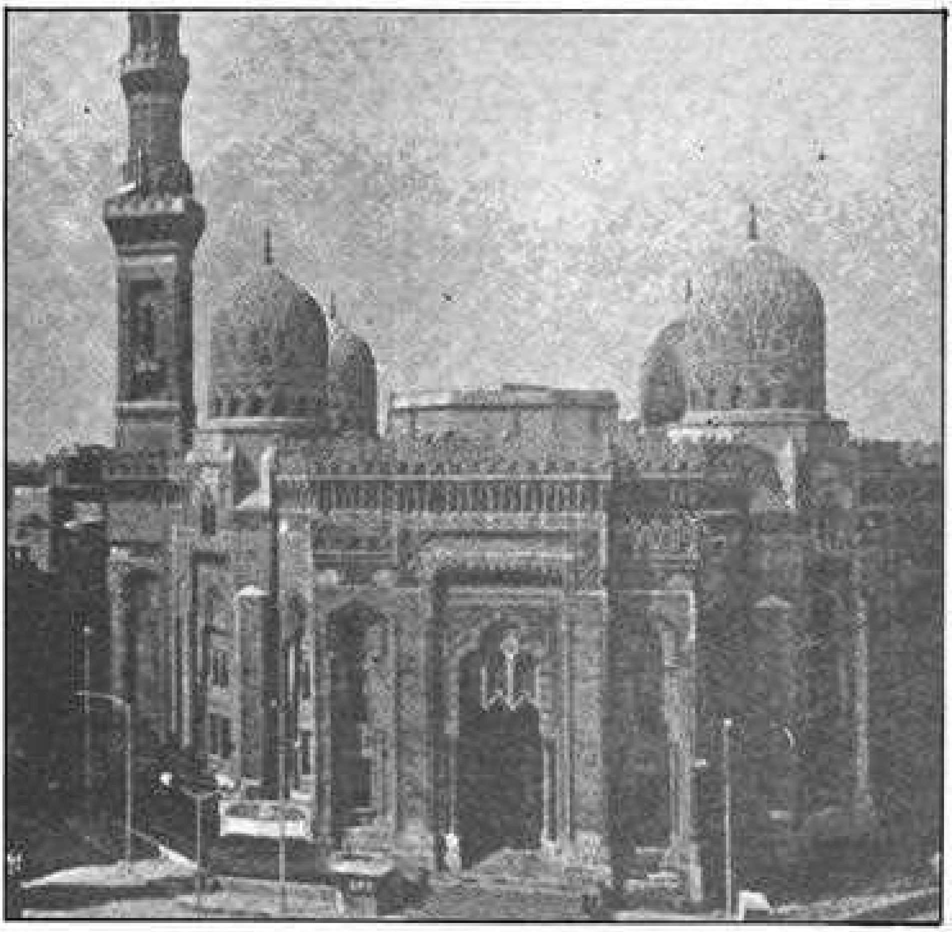
وعلى النصب لابد من تقدير زمان مضاف الى المصدر المؤول من أن والفعل ، أى حتى زمن كلال مطيهم ، والواو على النصب فى الشطر الثانى من البيت عاطفة لمحذوف على سريت بهم فى الشطر الأول تقديره : وسريت بهم حتى الجياد الخ حتى لا يرد أنه لا يستقيم عطف حتى الابتدائية وجملتها على حتى الجارة ومجرورها .

ثالثها : أنها اذا عطفت على مجرور فالأحسن اعادة الجار فى رأى ابن عصفور ليظهر الفرق بين العاطفة والجارة وقال ابن الخباز يتعين اعادة الجار للفرق بينهما نحو : سألت عن الغائبين حتى عن سعيد ، وقيد ابن مالك اللزوم بألا يتعين كونها للعطف نحو : اعتكفت فى الشهر حتى فى آخره ، فان تعينت للعطف لم تلزم الاعادة ، نحو : عجبت من القوم حتى بنيهم ، وقول الشاعر :

جود يمناك فاض فى الخلق حتى
بائس دان بالاساءة دينا

وهو حسن توردة أبو حيان ، وقال : هى فى المثال جارة ، اذ لا يشترط فى تالى الجارة عنده أن يكون بعضا أو كبعض ما قبلها بخلاف العاطفة ، ولذا منعوا (أعجبتنى الجارية حتى ولدها) ، قال : وهى فى البيت محتملة للأمرين، ذلك أن الجارة التالية ما يفهم الجمع أو الكل ذا الأجزاء يشترط فمجرورها أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه ، وقد ذكر ذلك ابن مالك فى باب حروف الجر وأقره أبو حيان عليه .

وخلاصة ذلك كله أن الموضع الذى يصح أن تحل الى فيه محل حتى العاطفة تكون حتى فيه محتملة للامرين فيحتاج حينئذ الى اعادة الجار اذا قصد العطف نحو : اعتكفت فى الشهر حتى فى آخره ، بخلاف المثال (عجبت من القوم حتى بنيهم والبيت ، فيتعين العطف ويمتنع الجر لعدم صلاحية الى فى موضع حتى ، ولكون ما بعدها ليس آخرا ولا متصلا بالآخر واذا كانت تصلح للعطف والجر فالجر أحسن لقلة العطف بها حتى لقد أنكره الكوفيون وحملوا ما ورد من نحو : جاء القوم حتى أبوك ، ورأيت القوم حتى أباك ، وسررت من القوم حتى أبيك على أن حتى ابتدائية ، وأن ما بعدها ، مرفوعا أو مجرورا أو منصوبا انما هو باضمار عامل رفع أو نصب أو جر .



الا اذا جاء بعد الاسم التالى حتى فعل مشتغل بضميره المنصوب نحو : عاقبت المهملين حتى عمرا عاقبته فالنصب أحسن على تقدير كون حتى عاطفة ، وعاقبته توكيد لعاقبت عمرا الذى تضمنه عاقبت المهملين لدخول عمرو فى عداد المهملين أو ابتدائية ، وعاقبته تفسير للفعل المضمر الناصب عمرا . فان اشتغل الفعل برفع الضمير ، نحو قام القوم حتى زيد قام وانصرف الحاضرون حتى صالح انصرف امتنع النصب ، وجاز الرفع والجر .

وعلة ايثار النصب على الجر أن فيه مشاكلة الضمير لمرجعه فى الاعراب ، وقد روى بالوجهين (النصب والجر) : حتى نعله ألقاها ، وتكون ألقاها حينئذ توكيدا لألقى نعله المستفاد من ألقى الصحيفة ، اى ألقى الصحيفة والزاد ، حتى ألقى نعله ألقاها ، كما روى بالرفع ايضا على اعتبار أن حتى ابتدائية . ونعله مبتدأ ، وجملة ألقاها خبر المبتدأ .

احمد حسن عبد العواض هلالى

مصادر العقد الفريد

وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة

سلك ابن عبد ربه طريقه المختار فى تأليف (العقد الفريد) على النظام الذى رآه أدق مسلكا ، وأجمل مذهبا ، وأوضح غاية ، حين وجد من سبقه اما (جماعا) لا يتخذ لنفسه منهاجا ، ولا يوضح لعمله غاية مستهدفة ، واما (مختارا ذواقة) أعرف بخطته ، وأبصر لغايته ، وان يكن قد قصرها على فروع من الثقافة دون ما ينبغى أن تحتفل به الكتب الجامعة التى تسهم فى تثقيف الأديب .

ولعل (الجاحظ) قد سبق الى فوضى التأليف الأدبى فى عصره ، على الرغم مما امتاز به من قوة العقل والبصيرة ووضوح المنهج والمقصد ، غير أنه غلب (الاستطراد) على طريقته ، حتى سار على نهجه (المبرد) فى كتابه (الكامل) ، الا أن (ابن قتيبة) اهتدى الى سبيل أدق تنظيما وأوضح منهاجا ، وأشد حرصا على تحقيق الهدف من تأليفه كتابه (عيون الأخبار) . فكان أن اقتفى أثره (ابن عبد ربه) فى الاختيار والتبويب والترتيب ، وحرص مثله على أن يجمع كتابه ثقافة الأديب فى عصره ، مع سعة بينة فى مختاراته بحيث توائم بيئته وحاجة أهل ناحيته ، فاذا قصرت مادة (عيون الأخبار) عن جمع فنون هذه الثقافة ، فان مادة العقد أوفى وأتم ، والارتباط بين عناصرها أوثق — وكيف لا يكون كذلك ، وجواهره الأدبية ينظمها على قوله : (دقة السلك وحسن النظام) .

وقد كان (ابن قتيبة) فى نظر كثير من المثقفين مثالا للأديب والفقيه واللغوى ، بما لقنه من ثقافات متعددة الألوان : عربية ودينية : اسلامية وغير اسلامية كما كان له فضل معرفة بلغة الفرس ، واطلاع واسع على آدابها ، تشهد بذلك كتبه ، ويدل عليها قوله فيما نقل ابن عبد ربه عنه :

(اذا أردت أن تكون عالما فاطلب فنا واحدا . واذا أردت أن تكون أديبا فتفنن فى العلوم) ،

وكما تنوعت ثقافته وتعددت كتبه لتحقيق أغراضه الدينية واللغوية ، فاننا نلتمس آثاره فى صياغته البليغة ، وصدق لهجته وحرارة أسلوبه وابتكاره منهجا دقيقا فى التأليف . يدل على غزارة مادته ، وسلامة ذوقه فى اختياره ، مما كان سببا فى علو منزلته ، وذيوع شهرته فى أقطار المسلمين فى المشرق والمغرب فعظم فى

للأستاذ الدكتور أحمد محمد النجار

عين كل عالم وأديب ، حتى قال عنه (ابن كثير):

« وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن فى منزله شيء من تصنيفه » (١) .

وقد حمد لابن قتيبة كثير من المسلمين والعرب دفاعه الحار عن الاسلام والعربية والعروبة ، بوقوفه فى وجه التيار الشعوبى ، وكانت له أسمى منزلة فى بلاد المغرب بخاصة ، حيث كانوا يتخذونه أستاذا واماما ، وظنوا فيمن لم يقرأ كتبه الظنون ، وتجاوزوا ذلك الى القول : **« بأن من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة »** ، كما كانوا يقولون : **« كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه » (٢) .**

ولعل من أثر ذلك أنا وجدنا ابن عبد ربه يعتمد عليه كثيرا فى نقل ما شاء من كتب المشارقة فى العلم والأدب ، وعلى ما رواه الرواة المشارقة والمغاربة ، فجد فى طلب هذه الكتب وبخاصة ما كان منها جامعا مثل البيان والتبيين والكامل الى جانب عيون الأخبار وهى الكتب التى عظم قدر المختار منها فى العقد ، وكان المختار من عيون الأخبار أوفاها حظا فيه . اذ كان بما أحصينا واستقرأنا أهم مصادره ، وأوضح منهاج على سلكه عندما نظر فيه وأطال النظر ، ووضعه نصب عينيه ، وهو يسلك جواهره فى سلك عقده النظيم .

وبيان ذلك أنا وجدنا ابن قتيبة قد أحصى موضوعات كتابه وحصرها فى عشرة كتب صغار ، هى كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب السؤدد وكتاب الطبائع والأخلاق المذمومة وكتاب العلم والبيان ، وكتاب الزهد ، وكتاب الاخوان ، وكتاب الحوائج ، وكتاب الطعام ، وكتاب النساء . .

ثم جاء ابن عبد ربه فتناول هذه الكتب فى (عقده) ونظم من مادتها وزاد عليها كتبا أخرى حتى بلغت عدتها خمسة وعشرين كتابا ، ليكون (العقد) « كافيا شافيا جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة . وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، مع تحلية كل كتاب بشواهد من الشعر ، تجانس الأخبار فى معانيها الخ » (٣) ثم يتفرد العقد باضافة كتب أخرى عالجت موضوعات عامة رآها ابن عبد ربه ضرورية لتكون ثقافة الأديب .

وقد نهج ابن عبد ربه فى الاسناد منهجا غير منهج ابن قتيبة الذى كان يذهب مذهب المتقدمين فى اسناد الأخبار الى رواتها ، والأشعار الى

---

(١) البداية والنهاية ٥٧/١١

(٢) انظر ترجمة فى مقدمة كتابه الميسر والقداح لمحب الدين الخطيب .

(٣) مقدمة العقد لابن عبد ربه ص ٣ .

قائليها في الغالب . واذا نقل من كتاب فكثيرا ما يذكر اسم الكتاب . الا أن ابن عبد ربه قصد الى حذف الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلبا للاستخفاف والايجاز . وهربا من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر ، وذلك حسبها .. ومع ذلك وجدناه يخالف عن مذهبه ذاك عند ذكر التواريخ والأحداث فنجده بخاصة في كتاب السجدة الثانية وفي الخلفاء ، وتواريخهم وأيامهم ، وفي أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة يسند اسنادا متصلا تارة ، ومنقطعا تارة أخرى ، ولعل لطبيعة الموضوع دخلا في اختيار الاسناد توثيقا له ، ودلالة على اتجاه بعض رواتها ، والكشف عن ميولها .

وربما كان حذف الأسانيد أجدى في جمع ضروب الآداب وفنون الآثار لتكوين ثقافة الأديب في عصر متقدم ، أما في عصرنا الذي بلغ فيه الاهتمام بالمنهج العلمي مبلغا أتم وأوفى، وألصق بمنهج أهل الحديث ، فيعتبر حذف الأسانيد طريقا غير مأمونة في مجال التخصص وتمحيص القول ، ونقد المأثورات ايمانا بانتهاء عصر المسلمات تثبيتا لليقين ودفعا لعجلة التقدم والتطور في شتى الميادين .

وقلما نسب ابن عبد ربه ما نقله من كتاب مصرحا باسم مؤلفه ، فنراه يذكر كتاب (التاج) وهو لابن عبيدة وكتاب (الأشربة) وهو لابن قتيبة ، و (مسند ابن أبي شيبة) وناقله بقي ابن مخلد و (الروضة) وهو للمبرد و (الموالي والعرب) وهو للجاحظ ، و (الموسيقى) وهو لبطليموس ، و (الأمثال) وهو لأبي عبيد و (المغازى) وهو لابن اسحاق ، و (تفضيل العرب) لابن قتيبة ، و (الأدب) للجاحظ ، و (اللحون الثمانية) لبطليموس .

وقد يورد اسم المؤلف دون الكتاب ، والمختار منه يشهد بأنه نقل عنه ، فنراه ذكر أبا عبيدة دون النقائض و (أيام العرب) . وابن هشام دون السيرة النبوية ، ومحمد بن يزيد المبرد دون (الكامل) والجاحظ دون (البيان والتبيين) و (البخلاء) ، وابن قتيبة دون (عيون الأخبار) ودون (الشعر والشعراء) وابراهيم الشيباني دون (الرسالة العذراء) ، وصاحبُ الفلاحة وان لم يصرح بابن وحشية ، وصاحب المنطق دون ارسطو ، وأخيرا يذكر أبا عبيد دون (غريب الحديث) ...

وفي أحيان قليلة يقول : (وفي كتاب للهند) .. وأقل منها ما صرح فيه باسم (كليلة ودمنة) (وكتب العجم) (وكتاب التاج) .

واذ ارتكز على كتابي عيون الأخبار والشعر والشعراء فقد رأيناه يذهب في الأخذ عنهما مذهبا بعيدا ، وبخاصة عيون الأخبار الذي نقل عنه نقلا حرفيا ، وأوضح ما يكون ذلك النقل في الموضوعات المشتركة بينهما مثل : كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب العلم والبيان وكتاب الزهد ، وكتاب الطبائع وكتاب الطعام وكتاب النساء .

فهو مثلا يعتمد على هذا الكتاب منذ بدأ مقدمته .. فاذا قال ابن قتيبة : (وصنفتها أبوابا) ، وقرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله ،

والكلمة بأختها ، ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها(١) .. قال ابن عبد ربه : (فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكم وضروب الآداب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس الى جنسه فجعلته بابا على حدته ، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره فى كل باب)(٢) .

واذا كان ابن قتيبة يذهب مذهب المحدثين فى الاسناد فيقول : « وحدثنى محمد ، قال : حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قلابة قال : « قال كعب : مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد »(٣) فالفسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس . لا يصلح بعضه الا ببعض » .. قال ابن عبد ربه على مذهبه فى ترك الاسناد : « وقال كعب : مثل الاسلام السلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب »(٤) مع مخالفة يسيرة فى رواية بعض الألفاظ .

ورأيناه اتبع هذا المنهج فى النقل واختصار السند فى سائر ما نقل عنه ، وقد تقع بعض المخالفات اللفظية بسبب اختلاف النسخ أو تصحيف النساخ ، أو التصرف فى النقل .

وقد يبلغ به الأمر أن ينقل عن ابن قتيبة بلسانه ، فضمير المتكلم يكون لابن قتيبة ، وينقله ابن عبد ربه دون تغيير ، كأن يقول ابن قتيبة (وقرأت فى كتاب للروم) : اذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر الى لسانها فان الجنين يكون على لونه(٥) .. ثم يقول ابن عبد ربه : وقرأت فى كتاب للروم وينقل الخبر . مما يدل على نقله عنه دون تصرف .

غير أننا نجده لا يلتزم دائما ألفاظ ابن قتيبة وأساليبه فيما نقل.فقد كان يرسل قلمه منتقحا، مختارا لفظا أسهل . أو عبارة يراها أجمل ، وأحيانا يضيف بعض الألفاظ والجمل ، وكان تصرف ابن عبد ربه فيما نقل بالحذف والاختصار أو الزيادة ، غير قاصر على ما أورده نقلا عن كتب ابن قتيبة ، فالواقع أنه سلك هذا المسلك فيما نقل عن أبى عبيدة ، والجاحظ ، وأبى عبيد، والمبرد وغيرهم فقد أجرى يد التغيير والاختصار فيما نقله عن (النقائض) لأبى عبيدة الذى قال عن (يوم النبيط) مثلا : « فان سليطا وزيان الضبيرى وجهما السليطى قالوا : غزا بسطام بن قيس ، ومفروق بن عمرو ، والحارث الحوفزان ابن شريك ، بلاد بنى تميم فأغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج ، فاقتتلوا فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم »(٦) .. الى آخر الخبر الذى صاغه ابن عبد ربه فى العقد هكذا : وقال أبو عبيدة : حدثنى سليط بن سعد ، وزيان الضبيرى ، وجهم بن حسان السليطى ، قالوا : غزا بسطام ابن قيس ، ومفروق بن عمرو ، والحارث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بنى تميم — وهذا

---

(١) مقدمة عيون الاخبار ؟؟؟ طبعة دار الكتب

(٢) مقدمة العقد ص ٣ .

(٣) عيون الاخبار ص ٢ .

(٤) العقد ٨/١ .

(٥) عيون الاخبار ٧٥/٢ .

(٦) النقائض ص٣١٢ .

اليوم قبل يوم العظالى ـــ فأغاروا علــى بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سـعد بن ضـبة ، وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سـعد بن ذبيان فلذلك قيــل له « يوم الثعـالب ـــ وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالب ، فأصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم .. الخ .

فهو هنا يتصرف فى العبـارة بتغـيير بعض الألفاظ وحذف بعضها ، وزيادة بعضـها الآخر محاولا فيما فعل تبسيط سرد الواقعة وتوضيح المراد ببعض الألفاظ .

وقد جرى على مثل ذلك كثيرا فيما نقله عنـه فى (أيام العرب ووقائعهم) ، ولعله وقف علـى كتاب أبى عبيدة (الأيام) فقـد كان مشهورا عنه ، وذكرته بعض المصادر كالفهرست(٢) ، غير أن الموافقة بين النقائض والعقد تكاد تكون تامة مما يرجح أنه رجع اليه واعتمد عليه .

ومثل هذا فعله فى كثير مما نقله عن (الجاحظ) من أقوال فى البيان وحكايات البخلاء ونوادرهم ومن أمثلة ذلـك ما ذكره الجـاحظ فى البيـان والتبيين(٣) بقوله : « وجلس معاوية بالكوفـة يبايع الناس على البراءة من على رحمه الله . فجاءه رجل من بنى تميم ، فأراده علـى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ، ولانبرأ من موتاكم . فالتفت الى المغيرة فقال : ان هذا رجل فاستوص به خيرا » وجاء ابن عبد ربـه ونقل الخبر بتصرف يسير .

ولم يكن يقتصر فيما نقل من حكايات البخلاء ونوادرهم على (عيون الأخبار) بل كان ينقـل مباشرة عن (البخلاء) للجاحظ مثل ما نقله من بخل (الكندى) ، وبخل (سـهل بن هارون) الذى نقل رسالته فى البخل كما ساقها الجاحظ مع ما وقع من زيادة بعض الجمل ، ومخالفـة فى ترتيب بعض العبارات ، لعل مرجعهـا الى اختلاف النسخ والروايات .

وكانت هـذه طريقته فى نقـله عن (الكامل) للمبرد ، وبخاصة ما رواه عنه فى أخبار الأزارقة، ومثل ذلك يقال فى اختصاره بعض الخطب . فقد أورد ـــ مثلا ـــ خطبة لأبى حمزة بالمدينة ، ثم ذكر فى آخر ما نقله قوله : (أسقطنا من هـذه الخطبة ماكان من طعنه على الخلفاء)(٤) .

وقد تناول (الرسـالة العذراء) بالتلخيص والحذف فى عدة مواضع من العقد عرض فيها لمسائل فى النقد والبلاغة رواية عن ابراهيم بن محمد الشيبانى على نحو ما هو مدون فى العقـد فى الجزء الرابع بخاصة ، فقد قدم بعض مانقله منهـا على بعض ، وحـذف وبدل وزاد بعض الألفاظ والجمل كدأبه فى التصرف فيمـا ينقـل كشأن النساخ فى تصرفهـم فيمـا يكتبـونه بأيديهم .

ورأيناه نقل عن أبى عبيد القاسم بن سلام فى (غريب الحديث) دون أن يصرح بذكر الكتاب ، ونقل عنه فى (الجوهرة فى الأمثال) حيث قال

---

(٢) الفهرست ص ٨٦ .
(٣) البيان والتبيين ٢/١٠٥ .
(٤) العقد ٤/١٤٤ .

وهو يفرش له : (ومن أمثال العرب مما روى بو عبيد ــ) وعرفنا نقله عن احمد بن ابى طاهر (طيفور) فى كتابه « اختيار المنظوم والمنثور : من بلاغات النساء والفصول القصار عقب التوقيعات ، وجرى فيما نقل عنه وتصرف فيه على عادته التى أشرنا اليها واعتمد فى مسألة الشعوبية والتعصب للعرب على ما كتب ابن قتيبة فى (تفضيل العرب) وعلى ما ذكر الجاحظ فى كتابه « الحيوان » وكتابيه اللذين صرح بذكرهما : الموالى والعرب ، وفضل قحطان على عدنان ..

ثم انه لم يلتزم فيما نقله عن (كليلة ودمنة) حرفية النقل سواء أكان نقلا مباشرا أم غير مباشر فيما ذكره منها ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) اذ كان ابن قتيبة وسيلة معرفته بآثار الروم والعجم والهند فيما رواه فى العقد منسوبا اليهم . وكذا ما ذكره منقولا عن التوراة والانجيل والزبور .

بل وجدناه قد تجاوز فى النقل هذه الحدود فحذف بعض الجمل والكلمات فى حديث نبوى شريف رواه عن مالك فى (الموطأ) تحت عنوان : (اللباس) جاء فيه : « أن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة بنى أنمار ، فبينما أنا نازل تحت شجرة ، اذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال جابر : وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظهرنا ، قال : فجهزته ، ثم أدبر يذهب فى الظهر وعليه ثوبان قد أخلقا .. الخ(١) وتذكر رواية الموطأ جملة طويلة توضح المراد بصورة أتم هى قوله : « فنزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال جابر : فنمت الى غرارة لنا ، فالتمست فيها ، فوجدت فيها جرو قثاء(٢) ، فكسرته ثم قربته الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال : من أين لكم هذا ؟ قال : فقلت : خرجنا به يا رسول الله من المدينة .

قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهزه .. الى آخر الحديث برواية مالك فى موطئه تحت عنوان : «ماجاء فى لبس الثياب للجمال بها »(٣) ولعل ابن عبد ربه فعل مثله فيما نقل عن (مسند ابن ابى شيبة) ، وقد نقل عنه أكثر ماروى فى العقد من آثار نبوية . اعجابا به ، وتأثرا بأستاذه (بقى بن مخلد) ناقل المسند المذكور الى بلاده ..

للبحث بقية

د. احمد النجار

كلية البنات ــ عين شمس

---

(١) العقد ٦/٢٢٤ .

(٢) جروقثاء : قثاء صغيرة .

(٣) الموطأ ص ٢٦٥ طبعة الهند .

دراسات عن

مجلة الرسالة الجديدة

١٩٥٤ - ١٩٥٩

قامت المجلات والصحف بدور واضح فى نهضة الادب المعاصر ، سواء منها ما خصص صفحات للادب ، ام تفرغ له كلية ، اذ اتاحت لجانب كبير من انتاج الادباء ان ينشر تباعا على صفحاتها فى صورة مقال او بحث او قصيدة .. الخ .

وبذلك يمكن القول ان كثيرا من النتاج الأدبى المجموع فى كتاب أو ديوان او مجموعة قصصية نشر — أول مرة — على هذه الصفحات الادبية أى أنه مدين فى انتشاره لها ، وربما راد هذا المقال أكثر من رائد من أدبائنا عبر أجيال الادب المتتابعة جيلا بعد جيل .

وحين يمضى هذا الحديث مع الصحف (١) والمجلات يبرز دور مجلة (الرسالة) (٢) للزيات حيث ولد على صفحاتها جيل من الكتاب .

وفى محاولة لاستعادة طيف هذا المنبر الأدبى ظهرت مجلة (الرسالة الجديدة) مختلفة عن سميتها العريقة فى الشكل ، حيث الاخراج الصحفى المحدث .. ولسنا فى مقام الموازنة بين المجلتين ، ولكنا فى مجال الحديث عن هذه المجلة ، ومدى اسهامها فى الحياة الأدبية بعد سابقتها .

صدر العدد الأول من مجلة (الرسالة الجديدة) فى ابريل سنة ١٩٥٤ ، وظلت تصدر شهريا عن دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة (٣) ، حتى توقفت سنة ١٩٥٩ ، ثم عادت الى الظهور

---

(١) لن نفيض فى الحديث عن مجلات : البيان ، والسياسة ، والسفور ، والفجر ، والجريدة ، والمجلة الجديدة ، ومجلتى ، والثقافة ، والكتاب ، والكاتب المصرى .. الخ .

(٢) ظهرت الرسالة فى يناير سنة ١٩٣٣ لاحمد حسين الزيات (١٨٨٥ — ١٢ يونيو ١٩٦٨) ، ثم اصدر الرواية سنة ١٩٣٧ ، ثم اندمجتا ، وتوقفتا فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٣) تاسست دار التحرير سنة ١٩٥٣ ، وكان مديرها العام محمد انور السادات ، وجلال الدين الحمامصى نائبا له ، ويوسف السباعى مديرا للتحرير ، ثم اصبح رئيسا ، وكان عبد العزيز صادق سكرتيرا للتحرير .

للأستاذ الدكتور
يوسف حسن نوفل

ودورها فى الأدب والنقد

فى تجربة أخرى (٤) فى مايو سنة ١٩٧١ .

صدرت المجلة فى وقت كان الجيل الرائد ـ بزعامة طه حسين ـ يقود الحياة الأدبية منتبها الى جيل جديد بدأ يشاركه النشاط الادبى ، من هذا الجيل ، السحار ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف السباعى ، وأمثالهم ، وقد توقع قارىء المجلة أن يجد فى المجلة جديدا ، لا سيما حين نقرأ لرئيس تحريرها فى كلمة المحرر كلمة بعنوان (ثورتنا الثقافية) (٥) يقول فيها :

« وعندما صدرت هذه المجلة منذ عامين كان فى الجو قتامة ، وفى محيطه وجوم ، وفى ميدانه صمت حزين أشبه بصمت ميادين المعارك بعد الانسحاب ، وقد تناثرت أشلاء المجلات الأدبية وتعالى من حولها الانين والنوح ، وكانت أحاديث الادباء نواحا ورثاء ، وعناوين حزينة لا تتجاوز « محنة الادب » » .

حين يقرأ قارىء ما كتبه رئيس التحرير ، ويمضى مع قضايا المجلة وموادها لا يستطيع أن يسلم بوجود ثورة ثقافية ، غير أن ذلك لايمنع من الالمام بصورة لما أسهمت به المجلة جامعة بين عطاء الجيلين ، فمن ناحية نجد كتابات توفيق الحكيم ، فهو يتحدث حديثا ذا صلة بمناهج دراسة الادب العربى ونقده ، يقول :

« اعتاد النقاد فى مصر أن يؤرخوا للادب ، على أساس تقسيمات شخصية ، وهذا يفسد حقيقة التاريخ الادبى والفكرى الى حد بعيد ، وقد يكون من الأقرب الى الدقة والصواب أن يكون التقسيم طبقا لمراحل التفكير والفن ، فمثلا يمكن تقسيم الادب العربى الحديث فى مصر الى المراحل الفكرية والادبية والفنية الآتية ، أشير اليها باختصار كما يلى :

١ ـ من ١٨٨٠ الى ١٩٠٠ مرحلة الأفكار الجديدة التى تسربت الى العقول ، وأهم العوامل فى اثارتها رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى .

٢ ـ من ١٩٠٠ الى ١٩٢٠ مرحلة التطلع الى الحرية ومقاومة الاحتلال ، وفتح النوافذ على الغرب ، وأهم المظاهر فى الفكر العربى ظهور ترجمات فتحى زغلول ، والتربية الاستقلالية ، وما نقله المنفلوطى ونحو ذلك .

٣ ـ من ١٩٢٠ الى ١٩٤٠ مرحلة بناء القومية

---

(٤) كان الدكتور عبد العزيز الدسوقى مديرا للتحرير .

(٥) بمناسبة احتفال المجلة ببدء العام الثالث لقيامها فى العدد ٢٥ (ابريل ١٩٥٦) ، ومن قضايا هذه الكلمة : دعم جمعية الادباء ـ يناير ١٩٥٦ ، والمسابقات الادبية ـ ديسمبر ١٩٥٥ ، والمجلس الاعلى للفنون والآداب ـ مايو ١٩٥٦ ، ومخاطبة ادباء فرنسا ـ نوفمبر ١٩٥٦ .

المصرية بعد نجاح ثورة ١٩١٩ ، وظهور الخلق الفعلى لأدب مصرى حديث ، وادخال قوالب جديدة فى الأدب العربى مثل النقد المنهجى والتراجم والقصص والمسرحيات .

٤ ــ من ١٩٤٠ الى ١٩٦٠ مرحلة الاتجاهات الاجتماعية الحديثة ، ولم تتم هذه المرحلة بعد ولكن المدة الباقية منها بالمقارنة بما مضى تدل على أن اتجاهها سيكون الأهداف الاجتماعية .

وهذا التقسيم ليس تام الانفصال ، لأن هذا مستحيل فى تاريخ أى أدب : انما الحاصل دائما أن المراحل تتداخل فى بعض : فمثلا فى مرحلة سابقة قد تجد بعض الآثار الاجتماعية الهدف ، كما قد تجد قصة مؤلفة مصرية فى مرحلة الترجمة ، وهكذا ، ولكن المعول عليه فى مثل هذه التقسيمات والمراحل هو الطابع العام الغالب للمرحلة » (٦) . أ . هـ .

وهذا الاسهام من كتاب الجيل الأكبر مع الجيل الشاب اسهام يدل على تجدد عطاء هذا الجيل ، وسواء وافقنا الحكيم على آرائه أم لم نوافقه فان هذا الرأى نابع من تجربة أديب مع الابداع الأدبى من ناحية ، ومعاصرته لأحداث مجتمعه وتطوره من ناحية أخرى ، مما يجعلنا حريصين على اثبات هذه السطور السابقة ولا نعتبر ذلك استطرادا .

وقد أسهم الحكيم أيضا بحديثه عن مهمة الكاتب معللا تناول الجنس فى روايته (الرباط المقدس) (٧) ، ويتحدث عن مذهبه الذى دعا اليه فى كتابه (التعادلية)(٨) .

ومن ذلك الجيل كان طه حسين فى بعض كتاباته(٩) وأحمد حسن الزيات(١٠) ، ومحمد مندور(١١) ، وعثمان أمين(١٢) ، وعباس حافظ(١٣) ، ويحيى حقى الذى ينقد أعمالا لكتاب الجيل الثانى ، فيكتب عن (الوسادة الخالية) لاحسان عبد القدوس ، وعن رواية (عذراء أسيوط) لعبد السميع المصرى ، و (غصن الزيتون) لمحمد عبد الحليم عبد الله(١٤) ، كما قرأنا فى المجلة نقاشا دار بين السباعى وعبد الحليم من ناحية ، وعبد القادر القط من ناحية ثانية اذ أصدر الأخير كتابه (فى الأدب المصرى المعاصر)(١٥) متناولا روايات لأبى حديد والسباعى وعبد الحليم ، ورأى أن رسم هؤلاء الكتاب لشخصياتهم السلبية راجع لغلبة السلبية عليهم ، وكان أن ردا(١٦) عليه بالرسالة فرد قائلا :

---

(٦) ديسمبر ١٩٥٥ ــ ص ٤ .
(٧) ابريل ١٩٥٦ ص ٦ .
(٨) سبتمبر ١٩٥٥ ، وظهر الكتاب بعد ذلك .
(٩) ابريل ١٩٥٦ ، ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٠) ابريل ١٩٥٦ ، ومايو ويونيو ١٩٥٦ .
(١١) ديسمبر ١٩٥٥ ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٢) مايو ١٩٥٦ .
(١٣) يناير ١٩٥٥ ، وابريل ، ومايو ، ويونيو ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٤) يناير وديسمبر ١٩٥٥ ، وضمنها كتابه (خطوات فى النقد) .
(١٥) فى الأدب المصرى الحديث ــ دراسة تطبيقية لمشكلات معاصرة ــ فصل السلبية فى القصة المصرية ص ١ ــ ٤٤ ــ مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة سنة ١٩٥٥ .
(١٦) بعنوان (فى مخالب القط) ــ انظر الرسالة يناير ١٩٥٦ ، ورد القط ــ الرسالة فبراير ١٩٥٦ ص ١٨ ، ورد يوسف السباعى بعنوان (من الكاتب الزاهق الضال الى الناقد الايجابى .. الناضج المهتدى) .

في مخالب القط
حول مشكلة النقد
بقلم
د. عبد القادر القط

في العدد الماضي من الرسالة(١٧) كتب السيد محمد عبد الحليم عبد الله ردا على ما وجهته من نقد الى قصته « بعد الغروب » في كتابي « في الأدب المصري المعاصر » صب فيه كل ما تفيض به نفسه من مرارة منذ أن قرأ ذلك الكتاب . وقد أسيت له وأدركت أنه يعاني أزمة نفسية حادة تلتمس مخرجا ولو من خلال السباب والتبذل . ولكن ما حيلتي وقصته ليست هرما من تلك الأهرام التي أشار اليها في مطلع مقاله وقال : ان الفراعنة وحدهم هم بناتها ، ولكنها هرم مقلوب يقف مزعزعا على رأسه رغم ذلك الحزام الأخضر الذي غلفها الكاتب به وكتب عليه اسم الجائزة التي نالتها !.

والحق أن تلك الجوائز التي نالها الكاتب هي عقدته التي تجني على أدبه وتدفعه الى تلك الثورة الجامحة على النقد . والا فما باله يعزو نقدي لقصته الى انني ثائر منذ سقط ديواني في مسابقة المجمع اللغوي ، كأنما يخيل اليه أنه « صاحب محلات المجمع اللغوي » وقد اعتدى « عماله » علي وحرموني جائزة الشعر !

فأي علاقة هناك بين سقوط ديواني ونقدي لقصته ؟ انه ليس شاعرا فأغار منه ، ولم يكن من بين أعضاء لجنة التحكيم فأسخط عليه . فما سر هذا الالتواء النفسي العجيب اذن ؟ سره أن الكاتب قد ركبه الغرور لكثرة ما نال من تلك الجوائز فخيل اليه انها المقياس الاوحد لمقدرة الأديب وان الأدباء جميعا يحسدونه عليها . لذلك يقول عني في تهكم :

ان الحرمان قد يلد عبقريا . وصحيح أن الحرمان قد يلد عبقريا اما التخمة والتدليل فمن المؤكد أنهما لا يلدان الا فاشلا !

على أنه اذا كانت نفوس بعض الكتاب قد خلت من الخير الذي يعصمها من الانزلاق الى هذا الأسلوب الشائن من النقد فان في نفوس القراء خيرا كثيرا . فما لقيت أحدا ممن قرأوا ذلك الرد — على كثرتهم — الا أبدى تقززه وعجبه لهذا الاسفاف .

وقد رماني الكاتب بأني لم أكن أمينا على المنهج الذي رسمته في مقدمة الكتاب لأني « خلقت من بعض الكتب سماء ومن بعضها الآخر أرضا » ولم ألتفت الا الى الجانب السيىء من قصته . والواقع اني اتخذت من تلك القصة نموذجا لعيب فني يتخذ صورة الظاهرة في قصصنا فلم يكن هناك مجال للحديث عن جميع جوانبها . أما اشارتي الى الجوانب المختلفة من القصص الأخرى فانها خاضعة لطبيعة الموضوع ، فقد درست تلك القصص لأبين مدى نجاح مؤلفيها في التوفيق بين غاية الأدب وفنيته فكان طبيعيا أن أتحدث عن محاسنها ومساوئها . لذلك قلت في مقدمة ذلك البحث وقد اخترنا من أدبنا المصري أربعة نماذج تمثل أشكال الأدب المختلفة لنرى مدى ما فيها من اتباع للمنهج الصحيح أو انحراف عنه ، وان كنا حريصين كما قلنا في مقدمة الكتاب على أن ننبه الى الأخطاء ، لذلك كان عجيبا أن يتهمني الكاتب

---

(١٧) يناير ١٩٥٦ .

بأنى خلقت من تلك الأعمال سماء مع انى نبهت الى كثير من الأخطاء فيها . وهكذا يرى القارىء مدى « أمانة » الكاتب فى النقل . ولعل سر ثورته ان بعض من أثنيت على نواحى التوفيق فى أعمالهم لم ينالوا جوائز المجمع فهو لا يستطيع أن يتصور كيف يمكن أن يكونوا أدباء مجيدين !.

وقد استخلص الكاتب ست قواعد من كتابى تمثل فى رأيى القصة سأعرضها وأناقشها ليرى القارىء مدى أمانة الكاتب وقدرته على الفهم :

١ ــ لا تكن ايها الكاتب سلبيا لان المجتمع الذى انت فيه سلبى !

وهذا صحيح . فليست مهمة الكاتب مجرد تسجيل الظواهر فى مجتمعه ، بل عليه كما قلت فى مقدمة الكتاب « أن يضعها تحت ضوء خاص يخلق لها دلالات جديدة ويبث فيها معانى طريفة تجعل من قصته حافزا الى الحياة ومنبها الى ما فيها من خير وشر ، بحيث يخلق فى نفوس قارئيه وعيا قويا بمجتمعهم ومشكلاتهم ونفوسهم وحقيقة ما يحتمل فيها من أحاسيس » وفى هذا ردى على قوله :

« ان القصاص لا يستطيع الا أن يرسم مجتمعه » .

٢ ــ لا تتفلسف لان الفلسفة تتلف العمل الفنى الا اذا كان البطل فيلسوفا !

لم أقل هذا بل قلت لا تتفلسف على لسان البطل الا اذا كانت شخصيته وموقفه يحتملان هذه الفلسفة . ولك بعد ذلك أن تتفلسف حين تعلق بنفسك على الأحداث أو تحلل المواقف .

وهذا من أوليات النقد . وتلك « أمانة » ثانية !

٣ ــ واحذر أن تكون جميل الأسلوب .. فان هذا فى الشعر وحده !

لم أقل هذا . بل أخذت على الكاتب حرصه الشديد على الزخرف والرصانة التى تجعل أسلوبه يجرى على وتيرة واحدة وقلت فى هذا فالمؤلف حريص أشد الحرص على الأسلوب العربى الرصين الذى لا يتلون كثيرا باختلاف المواقف والأشخاص . « قلت فى موضع آخر » ولسنا بذلك ندعو الى الركاكة والاسفاف ولكن هناك فرقا بين أن يكون الأسلوب قويا جميلا لأنه يعبر فى صدق عن الموقف والشخصية وبين أن يكون جماله مجرد حلى ظاهرة ليس وراءها شىء . وهذه « أمانة » ثالثة !

٤ ــ لا تكتب الحوار بالفصحى لان العوام لا يتكلمونها !

لم أقل هذا ! . بل قلت « وهو يفضل الحوار العربى على العامى ولو كان الأخير أقدر على تصور الشخصية أو الموقف . وقد يكون فى هذا مجال لاختلاف وجهات النظر ، ولكنى لا أستطيع أن أقره على استعمال « المحط » مثلا بدل « المحطة » تلك الكلمة الحية المألوفة . واذا كانت لغتنا الأدبية غير قادرة على التطور الذى ينبعث من استعمال اللغة فى الحديث ، فلا أقل من أن نتيح لها التطور على أقلام كتابها .

ومن هذا يرى القارىء انى لم أقبل بوجوب استخدام اللغة العامية فى الحوار ، بل قلت ان فى ذلك مجالا لاختلاف وجهات النظر . ولكنى أخذت على الكاتب حرصه البالغ على « قواعد المجمع » مانح الجوائز ! وهذه أمانة رابعة .

وبمناسبة الحديث عن الأسلوب واللغة أنصح

الكاتب أن يقرأ الفصل الذى كتبته عن أسلوب الشعر فى الكتاب المدرسى الذى « حلر اسمى عليه » فيستفيد منه كثيرا فى هذا الموضوع :

٥ ـ المصادفة فى القصة تدل على انك كاتب قدرى جبرى انهزامى !

لم أقل هذا . بل أخذت على قصته تتابع المصادفات فى سلسلة عجيبة لا يمكن أن تحدث فى الحياة . وكثير منها يحدث فى مواقف حاسمة من القصة ماكان ينبغى أن تحل عن طريق المصادفة . وهذه أمانة خاصة !

٦ ـ كن ثائرا كثورة الحياة !

قلت ذلك وأتبعته بما يوضحه » . ا هـ

والذى يلحظه قارئ المجلة ما يبدو من حدة لدى القائمين عليها ازاء ما يوجه اليهم من نقد قد يكون موضوعيا ، وكان هذا واضحا من مناقشاتهم مع « القط » ، وبالمنهج نفسه كان للمجلة دور فى معركة أدبية أخرى بين السباعى وعبد الحليم من ناحية ، ومؤلفى كتاب « فى الثقافة المصرية »(١٨) ، اذ قسما الكتاب الى قسمين : كتاب الطبقة المتوسطة ، والكتاب الأحرار ، وعدا من القسم الأول السباعى وعبد الحليم ، فشهدت المجلة(١٩) ردودا لهما على الكتاب اتخذا فيها جانبا أكثر موضوعية ، كما رد عليهما المؤلفان(٢٠) .

.. .. ..

وبعيدا عن اطار المعارك الأدبية ، وجدنا ألوانا من النقد ، مثل نقد محمد فوزى العنتيل(٢١) ، وتوفيق حنا(٢٢) لبعض الأعمال الروائية ، ونقد السباعى قصة « صح النوم » وليحيى حقى(٢٣) و « هكذا خلقت » لهيكل(٢٤) وفى مجال اهتمامها بالفن القصصى(٢٥) نشرت قصصا كثيرة لأجيال شتى ، ونقدا لأقاصيص الناشئين الفائزين بجوائز مسابقة نادى القصة(٢٦) ، ووجدنا بابا طريفا هو باب « قصة القصة » بدأه احسان عبد القدوس مخاطبا يوسف السباعى قائلا :

« على كل حال . فانى أحمد لك أنك لم تتول بنفسك كتابة قصة احدى قصصى والا فتصور ما كان يمكن أن يحدث لنا لو أنك كتبت قصة قصة « لا انام » ، وكتبت أنا قصة قصة « بين الأطلال » .. أين كان يمكن أن نكون ـ أنت وأنا ـ الآن » . وقد أشار الكاتب الى ضرورة « الذاتية فى العمل الفنى » والا أخذ الكاتب من غيره(٢٧) .

---

(١٨) لمحمود أمين العالم ، وعبد العظيم أنيس ، وهو مجموعة مقالات نشرت بمجلات لبنانية ومصرية ، وقد قرظته عقب صدوره مجلة الثقافة الوطنية بلبنان ، ومن موضوعات الكتاب : البرجوازية ونجيب محفوظ ، والحوار ، والبطل ، ونماذج من المازنى والشرقاوى .

(١٩) سبتمبر ١٩٥٥ ، ومارس ، وابريل ١٩٥٦ ، واغسطس ١٩٥٦ ، ونجد فى هذا المجال عنوانات الردود : القابيس الضيقة ، والارهاب الادبى ، وبين الذهبية والانسانية .. الخ .

(٢٠) اغسطس ١٩٥٦ .

(٢١) سبتمبر ١٩٥٧ .

(٢٢) فبراير ١٩٥٨ .

(٢٣) ديسمبر ١٩٥٥ .

(٢٤) مايو ١٩٥٦ .

(٢٥) انظر (دليل القصة القصيرة المصرية ـ سيد حامد النساج ، الهيئة المصرية ١٩٦١ .

(٢٦) نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢٧) ص ٨ ديسمبر ١٩٥٥ .

ثم كتب الحكيم قصة القصة بعنوان « قصة القصة بين توفيق الحكيم ويوسف السباعي »(٢٨) ، كما نشرت المجلة ــ للمرة الأولى ــ رواية « بين القصرين » ــ أولى أجزاء الثلاثية لنجيب محفوظ ــ قبل أن تنشر كاملة ، كما نشرت مسرحيات من ذوات الفصل الواحد لعلى أحمد باكثير ، وجزءا من ذكريات عبد الحميد جودة السحار قبل أن تظهر في كتاب(٢٩) .

ونشرت المجلة نماذج من الأدب العالمي مثل مقال «ميرميه»(٣٠) وأقصوصة « تصفاجازة » لهكسلي(٣١) ، ونهر الحياة عن الروسية ترجمة عباس حافظ(٣٢) ، وظهرت اهتمامات بالأصول الأوربية للمذاهب الأدبية ، وظهرت أعداد خاصة مثل : الرومانتيكية (١٩٥٥) ، والوجودية(٣٣) ، والواقعية(٣٤) ، وتعادلية الحكيم(٣٥) .

واهتمت المجلة بالشعر ، وظهر باب (بريد الشعر) بإشراف محمد فوزى العنتيل(٣٦) ، ولمع في المجلة شعراء كثيرون ، وظهرت نقود عن شعر العنتيل(٣٧) ، وملك عبد العزيز(٣٨) .

وبدت جهود زكريا الحجاوى في الأدب الشعبي « والفولكلور » واضحة جلية ، ورأينا كتابات : ثروت أباظة ، وأنيس منصور ، وعبد العزيز جادو ، وغنيمى هلال ، وسعد الدين وهبة ، ومحمد العزب موسى ، وعبد المنعم شميس ، وكمال النجمى ، وعبده بدوى ويوسف ادريس ، وبدر شاكر السياب وغيرهم .

وهكذا نرى أن هذه المجلة حاولت أن تأخذ من طيف مجلة « الرسالة » منعوتا ، وأضافت له صفة « الجديدة » ، ولا شك أن المناخ مختلف بين الرسالتين فلا ضرورة لمقارنة ، يكفى أن نقول :

ان مجلة « الرسالة » عاصرها كثير من المنابر الثقافية من صحف ومجلات ، مثل الثقافة لأحمد أمين (يناير ١٩٣٩ ــ ١٩٥٣) ، والكاتب المصرى (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) ، والسياسة الأسبوعية ، والكتاب (١٩٤٥ ــ ١٩٥٣) ، والأدب المصرى (١٩٥٠) لمحمد مفيد الشوباشى ، والآداب

---

(٢٨) ص ٦ يناير ١٩٥٦ .
(٢٩) ابريل ومايو ١٩٥٦ .
(٣٠) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣١) يونيو ١٩٥٦ .
(٣٢) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣٣) يناير ١٩٥٥ .
(٣٤) نوفمبر ١٩٥٦ .
(٣٥) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣٦) انظر ــ مثلا ــ تعليقا على شعر عبد الرحمن الابنودى ــ نوفمبر ١٩٥٦ ص ٥٠ .
(٣٧) يناير ١٩٥٥ ، ونوفمبر ١٩٥٦ .
(٣٨) فبراير ١٩٥٦ .

البيروتية (١٩٥٢) وغيرها .

كما ظهرت سلسلات قصصية مثل : اقرأ (١٩٤٣) ، وكتب للجميع (١٩٤٧) ، وروايات الهلال (١٩٤٩) ، وكتاب الهلال (١٩٥١) ، والكتاب الذهبي عن نادى القصة (١٩٥٢) .

كما عاصرت « الرسالة الجديدة » مجلات مثل : الأدب عن جماعة الأمناء (١٩٥٦) ، والمجلة (١٩٥٦) ، والشهر (١٩٥٨) ، كما استمر صدور بعض الدوريات المذكورة من قبل،

وهكذا نجد أن المجلتين عاصرتا مجلات ودوريات عديدة ، غير أن بروز (الرسالة) وحضورها الأدبي كان أعظم بكثير من الحضور الأدبي لسميتها ، حتى ليمكن القول بإيجاز شديد — ما أشد ما بينهما من فارق في الرسالة والمحتوى والأثر ، برغم استعارة الاسم ومحاولة احيائه في اخراج صحفي جديد ملون لم تعهده — شكلا — المجلات الأدبية من قبل .



ونضيف انهـا ادت دورا في حياتنا الأدبية شأنها شأن كثير من المجلات والصحف . لكنها لم تتفوق على ماعاصرها من مجلات كما تفوقت الرسالة،كما أنها لم تسهم في انشاء جيل ادبي — على المستوى العربي لا المحلي فحسب — كما سبق أن اسهمت الرسالة من قبل .

د. يوسف نوفل

مع رسالة جامعية

منهج الإسلام

فى معالجة دوافع السلوك الانسانى

(منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى) هو عنوان للرسالة التى تقدم بها الباحث/طلعت محمد عفيفى المعيد بكلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة الى قسم الدعوة والثقافة الاسلامية بكلية اصول الدين جامعة الازهر بالقاهرة لنيل درجة التخصص «الماجستير» .

وذلك فى يوم السبت ٢٨ من صفر سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٣ ديسمبر سنة ١٩٨٣ م وقد تكونت المناقشة من :

أ د / نجيب عمارة أستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية بأصول الدين بالقاهرة مشرفا .

د / على يوسف السبكى مدرس الدعوة والثقافة الاسلامية بأصول الدين بالقاهرة مشرفا متابعا .

أ . د / محمد عبد الغنى أبو شامه وكيل كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة عضوا .

أ . د / عبد الغفار محمد عزيز بكلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة عضوا .

وبكلية أصول الدين بالقاهرة تمت مناقشة الباحث وقررت اللجنة منح الباحث درجة الماجستير بتقدير « ممتاز » .

وتتكون الرسالة من :

١ ــ المقدمة .

٢ ــ منهج البحث وخطته .

٣ ــ ثلاثة أبواب .

٤ــ الخاتمة .

اولا ــ « المقدمة » :

وفى هذه المقدمة تحدث الباحث عن الهدف من اختياره لهذا الموضوع الذى يرجع الى أن موضوع « دوافع السلوك » قد نال اهتمام كثير من علماء الغرب وقد كانت لهم فيه نظريات وآراء ينظر اليها الناس أو هكذا أوهمهم أصحاب هذه النظريات على أنها من مسلمات العقل ومعطيات العلم ، وتصور بعض المسلمين أن الدعوة الاسلامية قرينة الاصابة بالمرض والفقر وأنها حجر عثرة أمام تمتع الناس بطيبات الحياة .

ومن بين الاسباب ايضا أن معظم الذين تحدثوا عن الدوافع كانوا يرددون ما قاله الغرب فى هذا الشأن وغاب صوت الاسلام فى خضم الآراء الكثيرة مما أدى الى ندرة الابحاث التى كتبت عن منهج الاسلام فى هذا الجانب « الدوافع » .

للباحث طلعت محمد عفيفي

ثانيا ـ (منهج البحث وخطته) :

فى هذا البحث التزم الباحث بعدة أشياء فى منهج البحث والخطة التى وضعها لبحثه وهذه الاشياء تتمثل فى النقاط الآتية :

١ ـ ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتعلق بموضوع الدوافع مقرونة بما قاله علماء التفسير والحديث وائمة الفكر الاسلامى من القدامى والمحدثين مع تسليط الأضواء على ما كتبه علماء النفس المحدثون .

٢ ـ عمد الباحث الى تسمية المناهج التى تتعارض مع الاسلام فى شأن الدوافع بالمناهج المنحرفة وبين السبب فى هذا وصدرها بالحديث عن منهج الاسلام ليكون ذلك متفقا مع عنوان الرسالة وكل ذلك فى ضوء القرآن والسنة . ثم التنويع فى اسلوب الاستشهاد بآراء الباحثين فتارة بذكرها بنصها وأخرى بشىء من التصرف وتارة بأسلوبه مع الاشارة الى المرجع فى الهامش وحرص على تنويع المراجع من قديمة وحديثة بالأسلوب الذى يتناسب مع موضوع الاستشهاد .

٣ ـ تقديمه لكل باب أو فصل بتمهيد للقارىء لاعداده نفسيا لمعرفة أهمية المقبل عليه .

« أبواب الرسالة »

الباب الاول : (مناهج البحث فى العلوم الانسانية وموقف الاسلام منها) ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول هى :

الفصل الاول (تعريف المنهج) وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن تعريف المنهج قائلا : انه جاء فى لسان العرب منهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج وفى التنزيل قال تعالى : **« لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا »** ٤٨ من سورة المائدة .

« انواع المنهج » أنواع المنهج ترجع الى نوعين **١ ـ المنهج التلقائى الآلى** : وهو ما يسير عليه انسان فى حياته اليومية وفق عاداته التى درج عليها .

٢ ـ المنهج التأملى الدقيق وهو ما يسير عليه الانسان فى تفكيره عند مواجهة المسائل العلمية .

الفصل الثانى بعنوان « منهج الاسلام فى دراسة الانسان وخصائصه » :

لمنهج الاسلام فى دراسة الانسان تصور خاص ينفرد به دون سائر المناهج الاخرى ويتلخص هذا المنهج فى كونه متكاملا ينظر الى الانسان نظرة موضوعية تنبثق من احتياجاته الفعلية وترتقى به الى أعلى مستوى يمكن الوصول اليه كما أنه منهج ربط الجسد والروح والدنيا والآخرة ، ويعمل على التآلف والانسجام بين مختلف اهتمامات الانسان دون تصارع أو تصادم بينهما.

خصائص منهج الاسلام فى دراسة الانسان هى :

(أ) الوسطية بين الروح والجسد والدنيا والآخرة : وفى هذه الخاصية يقول الباحث ان الله تعالى اقتضت حكمته أن يخلق الانسان من طبيعة مزدوجة تقوم على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله كما صور ذلك القرآن الكريم (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سورة ص ٧١ — ٧٢ ولذلك فان منهج الاسلام منهج متوازن معتدل يوائم بين أشواق الروح وحقوق الجسد ، وبذلك يستخدم كل طاقات الانسان دون أن يهدر منها طاقة واحدة يمكن أن تعود على الفرد والمجتمع بالخير بخلاف بعض الآراء الأخرى التى ترى أن هذه الحياة الدنيا وهذا الوجود البشرى المتكون من اللحم والدم مبعث الألم وموطن شقاء الانسان وأن الروح فى الجسد كمثل الاسير فى غيابة السجن يذوق آلام الحبس عقابا على بعض ما اقترفه من أخطاء .

(ب) الواقعية فى التعامل مع الانسان : يقول فيها الباحث ان النفس الانسانية والتصرفات البشرية يعتريها أحوال من الانتكاس الخلقى والارتكاس السلوكى — وتعد هذه — بمثابة الشذوذ عن الفطرة القويمة والسلوك الأرشد الا أن المناهج الوضعية الحديثة قد أقرت هذا الشذوذ بحجة (الواقعية) لأنهم يرون أن مجرد بروز التصرف الى أرض الواقع يعطيه أحقية ومشروعية فى أن يوجد كما نسمع ونشاهد ونقرأ عن العالم الاوربى واباحته للمخدرات والجنس .

أما منهج الاسلام فانه يختلف تماما فهو يرى أن الامر الواقع قد يكون سيئا فلا يعطيه ذلك شرعية الوجود بل يصفه بالسوء مهما اتسعت دائرته والواقعية فى الاسلام هى التى تصف الواقع الانسانى وصفا صحيحا مشتملا على جوانب الضعف فيه لا لكى تبرر له الانحراف وانما لترتقى به الى المستوى اللائق به كانسان كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله على سبيل المثال قوله تعالى : (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ٩ الحشر وقوله : (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) سورة البقرة رقم ٢١٦ .

(جـ) الجمع بين الثبات والتطور : يختلف منهج الاسلام عن المناهج الوضعية قديمة أو حديثة فى الثبات والتطور فهو منهج له أصوله وقيمه التى لا يقبل التفريط فيها قيد أنملة ولا يقبل أن يعيش المسلمون عالة على غيرهم ولكن لا يمنع من امكان أخذ المسلمين من

الغرب ببعض البواعث في ميدان العلوم المجردة والتجريبية .

الفصل الثالث بعنوان (المناهج الحديثة في العلوم الانسانية) : وهذه المناهج تشتمل على منهجين هما :

(أ) التجريبيون : وهم الذين يرون ضرورة اخضاع العلوم الانسانية للمنهج التجريبي

(ب) غير التجريبيين : وهم الذين يرون أن اخضاع العلوم الانسانية للمنهج التجريبي لا يحقق ما يهدف اليه من خدمة البشرية فالفارق بعيد بين المادة الصماء والنفس الانسانية من حيث موضوع البحث والنتائج المترتبة عليه والاسباب في ذلك واضحة منها ان قوانين العلوم الانسانية ليست موضوعية خالصة فان الباحث لا يستطيع أن يتجرد من أهوائه وميوله ومصالحه بعكس العلوم الطبيعية فان تجرد الباحث من كل هذا ميسور عند علاج موضوعاتها وأيضا الدقة في قوانين العلوم الطبيعية مرجعها الى صورتها الرياضية لأنه من الميسور ان تقاس مقاديرها بالكمية على عكس العلوم الانسانية فيتعذر اخضاع موضوعاتها لهذا الضبط الكمي .

وفي نهاية الباب الاول تخلص الى أن منهج الاسلام في دراسة الانسان لا بديل عنه اذا أراد الانسان سعادة الدنيا والآخرة .

الباب الثاني بعنوان (دوافع السلوك الانساني بين منهج الاسلام ومدارس علم النفس) يتكون هذا الباب من ثلاثة فصول هي:

الفصل الاول وعنوانه (تعريف دوافع السلوك وتقسيمها) ـ وفي بداية هذا الفصل عرف السلوك بأنه « الافعال التي يأتيها الفرد ويكون لها بالحياة النفسية أو العقلية عنده علاقة » وبذلك تخرج الافعال العشوائية .

اقسام الدوافع : يقول الباحث انه يمكن تصنيف الدوافع حسب أرجح الآراء في الدراسات السلوكية الى :

١ ـ فطرية .

٢ ـ ومكتسبة وكل منهما الى (أ) شعورية (ب) لا شعورية .

انواع الدوافع الفطرية هى :

(أ) دوافع المحافظة على بقاء الفرد كالأكل والشرب .

(ب) المحافظة على بقاء النوع كدافع الجنس ودوافع الطوارىء كالهرب والمقاتلة .

انواع الدوافع المكتسبة : دوافع اجتماعية عامة ، دوافع اجتماعية حضارية مثل ميل شعب من الشعوب للتملك والسيطرة في حين أن مجتمعات أخرى لا يرى فيها أثر لمثل هذه الدوافع .

ـ دوافع اجتماعية فردية : وهى التى تميز الافراد بعضهم عن بعض حتى ولو كانوا ينتمون الى حضارة واحدة .

اما سمات الدوافع الفطرية : فهى عامة ومشتركة بين جميع أفراد النوع مهما اختلفت بيئاتهم وحضاراتهم كدافعي الجوع والجنس وتنتقل عن طريق الوراثة فلا تحتاج الى تعلم ثم انها بسيطة في طبيعة تكوينها . في حين أن الدوافع المكتسبة معقدة في التركيب والسر في أنها تنشأ في ظل الظروف المختلفة وتتغير باختلاف الافراد .

اما الدوافع الشعورية : فيراد بها تلك الدوافع التى يدركها الفرد ويعيها ويعرف حقيقتها وذلك مثل الطالب الذى يندفع الى

المذاكرة بدافع الرغبة في النجاح والجائع في بحثه عن الأكل .

اما الدوافع اللاشعورية : فهى التي يضطر فيها المرء بسببها الى مباشرة بعض الاعمال دون معرفة السبب الكامن من وراء هذا التصرف كالذى يباشر سلوكا غير اجتماعى لا يرضى عنه المجتمع .

الفصل الثانى وعنوانه (منهج الاسلام في معالجة دوافع السلوك الانسانى) : ويشتمل على الآتى :

(أ) اعتراف الاسلام بالدافع : لابد وأن نعرف أن الاسلام لم ينكر الاعتراف بالدافع لأن تصرف المرء عبارة عن مجموعة من الدوافع منها ما يتعلق بالجانب العضوى ومنها ما يتعلق بالناحية النفسية ، وأنه من المحال على الله أن يخلق شيئا عبثا فهذه الدوافع وجودها ضرورى للمحافظة على بنية الانسان والحيلولة دون هلاكه فمثلا لو فكرت في دافع الجوع الذى يستحثك على الأكل ففى ذلك قوام البدن وحياته ومماته وذلك عين الحكمة واذا كان وجود الدوافع لدى الانسان ضرورة للمحافظة عليه وتعمير الدنيا فان ذلك من شأنه تهيئة الفرصة له للحصول على مرضاة ربه ونيل السعادة في الدارين ووضع النظم التى تحقق له الأمن والأمان .

(ب) هل استعمل الاسلام لفظة الدوافع : وعن هذه النقطة قال الباحث ان القرآن الكريم والسنة النبوية لم يستعملا لفظة دوافع باعتبار أنها محرك للسلوك وانما استعمل ما يشير الى المعنى كاستعمال (لفظ) الشهوة(١) فقوله تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » ١٤ من آل عمران وذلك للمظهر النفسى أما الجسدى فيتمثل في التوجيه وهو النية وهنا اعترض عليه أحد أعضاء لجنة المناقشة وقال له ان القرآن الكريم قال في احدى آياته (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة فصلت .

(جـ) استعمال الاسلام للضبط والتهذيب في معالجة الدوافع ولقد سلك في سبيل ضبط الدوافع وتهذيبها عدة طرق منها :

١ ــ لفهام المرء بأن الدوافع ليست غاية في ذاتها وانما هى وسيلة الى غاية أرفع وأنبل .

٢ ــ ربط الاسلام « القلب البشرى » بالله وخشيته وتقواه ومراقبته في كل عمل وحركة وشعور .

٣ ــ الحدود التى جاء بها الاسلام فجعل حلالا يحق استخدامه وجعل هناك حراما فيه ضرر على الانسان فمنع استخدامه .

٤ ــ كذلك بين القلب البشرى واليوم الآخر وهذا بالطبع يمنع الانسان من التهافت على شهوات الأرض .

« وفي رفض الاسلام لانحراف الدوافع وعلته يأخذ شكلين متباعدين » هما :

اولا : استقزاز هذه الدوافع وعدم الاعتراف بها ومعالجتها بالكبت والقمع تخلصا من الشعور بالاثم .

ثانيا : فتح الباب على مصراعية أمام الحاح الدوافع دون النظر الى خلق ودين .

وبالنسبة لموقف الاسلام من النقطة الاولى وهى استقزاز هذه الدوافع وعدم الاعتراف بها بأن الكبت ينشأ لدى الانسان من عدم اعترافه في داخل نفسه بأحقيته بأن يفكر في

تلبية حاجاته واشباع دوافعه وهذا من شأنه أن يحدث اضطرابا فى نفس الانسان ومن الامثلة التى واجهت الرسول ــ عليه السلام ــ قصة الرهط الذى جاء الى بيوت ازواج النبى ــ عليه السلام ــ يسألون عن عبادته فلما عرفوه تقالوه أى « عدوها قليلة » فقالوا وأين نحن من النبى ــ عليه السلام ــ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم فأما انا فأصلى الليل دائما والثانى وأنا أصوم الدهر كله ولا أفطر والثالث وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ــ فعلم النبى ــ عليه السلام ــ بهذا فخطب قائلا: « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبالنسبة لموقف الاسلام من النقطة الثانية وهى فتح الباب على مصراعيه أمام الحاح الدوافع أمام الشهوات دون ضابط واعتقد البعض ان هذا الاجراء من شأنه ان يهىء للناس الفرصة للحصول على كل ما تشتهيه أنفسهم فتفاقمت بسببه المشاكل وزادت ضراوة الشهوة فلم تقنع النفوس من هذه الحياة بالأشياء المباحة بل طلبت المزيد والمزيد واصطنعت من الأساليب ما لا يليق بمكانة الانسان ولهذا رفض الاسلام هذه الفوضى وأقام لها الحدود للضرب على أيدى العابثين

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ » . سورة الانعام ٣٢ وهذا يعتبر محافظة من الاسلام على أصل الغرائز وتوجيهها الوجهة المعتدلة الصالحة التى لا افراط فيها ولا تفريط .

الفصل الثالث بعنوان (مدارس علم النفس وقضية دوافع السلوك الانسانى) ــ وتحدث الباحث قائلا بأن المدارس ثلاث الأولى : المدرسة الغرضية : وهذه المدرسة تنسب الى العالم الاسكتلندى « وليم مكدوجل » وله نظرية فى الغريزة بأنها استعداد فطرى وجسمى يدفع الفرد الى ان يدرك وأن ينتبه الى أشياء من نوع معين وان يشعر بانفعال خاص عند ادراك هذه الاشياء ويسلك نحوها سلوكا خاصا أو يحدث فى نفسه على الاقل نزوعا الى هذا السلوك ومن الغرائز التى اعتبرها « مكدوجل » المحركات الأولى للسلوك مثل .

الهرب وانفعالها الخوف ــ المقاتلة وانفعالها الغضب ــ السيطرة وانفعالها الزهو ولكن نظرية « مكدوجل » لم تلبث ان تكشف عن كثير من الاخطاء التى أدت الى القضاء عليها منها :

١ ــ انها لم تضف جديدا الى فهم سلوك الانسان ودوافعه وانما هى قد وصفت الواقع.

٢ ــ انها لم تقدم تفسيرا مقنعا لكثير من انماط السلوك والتى كشفت عنها الدراسات الاجتماعية .

٣ ــ ان نظرية دارون كانت مصدر الالهام « لمكدوجل » حين خرج بنظريته وقد كشف العلماء بطلانها .

الثانية : مدرسة التحليل النفسى ومؤسسها هو الطبيب النساوى « فرويد » وهى التى بدأت بأسلوب لمعالجة بعض الامراض النفسية وتختلف هذه المدرسة عن سابقتها بأن صاحبها زعم ان الانسان

محكوم بغرائزه ومساق لشهواته أراد أم لم يرد وان « فرويد » أعطى الغريزة الجنسية على وجه الخصوص أهمية قصوى فأرجع اليها جميع التصرفات الانسانية فردية أو اجتماعية وقد وجدت هذه المدرسة ونظريات صاحبها بيئة خصبة لذيوعها وانتشارها فضلا عما تبناه اليهود من اذاعة وترويج الافكار ولكن سرعان ما قوبلت هذه النظريه بعاصفة من النقد الشديد حيث انها على حسب قول بعض العلماء أن نظرية «فرويد» كفيلة بتحطيم القيم والأخلاق التى تعارف عليها الناس بواسطة الايمان وزعم « فرويد » أن الحياة كلها جنس وأن كل شىء نابع منه قوبل بعاصفة من النقد أيضا ــ هذا من ناحية النظرية أما من ناحية منهجه فى البحث فقد اعتمد فى ابحاثه على المرضى ثم عمد الى تعميم نظريته مما أدى الى اضطراب النتائج للفارق الكبير بين المرضى والاصحاء ، وتأثره بطفولته كيهودى فى النمسا المتعصبة لليهود واعتماده على الاساطير اليونانية القديمة وتصديقه لها ــ لهذه الاسباب أعلن العلماء رفضهم لآراء « فرويد » ونظريته .

الثالثة : المدرسة السلوكية : تختلف هذه تختلف هذه المدرسة مع المدرستين السابقتين فى مسألة دوافع السلوك الانسانى فهى ترى أن سلوك الكائن الحى لا يتأثر بعوامل داخلية وانما يأتى نتيجة عوامل خارجية تثير سلسلة من الأفعال المنعكسة لدى الكائن الحى يتكون منها فى النهاية السلوك الذى وهى بذلك ترى أن الكائن الحى ما هو الا آلة معقدة تدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل لها ولا شعور .

أما العوامل النفسية الباطنية كالارادة والرغبة والذهن والتفكير فلا أثر لها فى العمل أو النتائج وقد عورضت هذه النظرية بشدة من العلماء حيث أنكروا ما ذهب اليه السلوكيون من رفض لدوافع السلوك .

الباب الثالث بعنوان :

نماذج من معالجة الاسلام للدوافع واثر ذلك على الفرد والمجتمع ..

ويشتمل هذا الباب على فصلين هما الفصل الاول بعنوان ..

(نماذج من معالجة الاسلام الدوافع) ..

وقام فيه الباحث بعرض لدافعى (الجنسى ــ التملك) ..

وفى دافع الجنس تحدث قائلا : ان العناية الآلهية أناطت بدافع الجنس وظيفة وهى التناسل لبقاء النوع ومعالجة الاسلام له بأنه اعترف به وبحق الانسان فى تلبيته ورفضه الانحراف به كبتا أو انطلاقا بلا حدود وقد وضع له الضوابط التى تكفل لهذا الدافع تحقيق هدفه بمنهج خاص له ــ ومن أدلة احتفاء الاسلام بالجنس وتقديره للدور الذى يقوم به اذا كان فى نظافة وطهارة ما سنه رسول الله عليه السلام من قراءة اسم الله قبل البدء فيه فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ــ أما ان أحدكم اذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فرزقا ولدالم يضره الشيطان » .

ثم نأتى الى معالجة الاسلام للانحراف به كبتا أو انطلاقا بلا حدود فيقول الباحث انه اذا كان الله قد أناط بالدافع الجنسى مهمة حفظ النوع الانسانى عن طريق التزاوج والتكاثر فان هذا الاتجاه المعوج لو قدر له ان يهيمن على سلوك الناس كان حريا بتوقف عجلة الحياة بانقطاع النسل ثم ان الله جعل الحياة الزوجية مصدرا للمشاعر الفياضة بالرحمة والمودة بين الزوجين وبالعطف والشفقة على الأولاد ومبعث هذه الرحمة اختلاط الأرواح واتصال النفوس ــ وإباحة الجنس أو الانحراف الجنسى فى البلاد الأوربية نشأ عنه زيادة التعلق بالجنس وانعدام السعادة ، واضراب الشباب عن الزواج وانهيار الأسر وضياع الأولاد ــ وبالنظرة الى هذه الاخطار نجد أن الاسلام حرص على الدافع الجنسى بوجود الزواج لضبط هذا الدافع وفى ظل الزواج يشهد الانسان بفطرته فيما يملكه ويستقر نفسيا وعصبيا .

اما عن دافع التملك فقد تحدث الباحث فى التمهيد عنه قائلا : ان الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية تميل الى حب تملك الأشياء وحيازتها كما نوه القرآن الكريم عن ذلك بكثير من الآيات منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ »

(آل عمران رقم ١٤) وهذه الآية دليل على ان الطبيعة البشرية لاتكتفى بمجرد الميل الى المال وانما تقبل عليه بنهم شديد وكذلك قوله تعالى : « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » (الفجر ٢٠) وقوله « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » (العاديات ٨) ويقصد بالخير المال وقد عالج الاسلام انحنيف هذا الدافع من خلال (١) الاحتفاء بالمال وتقديره لماله من دور كبير فى حياتنا الدنيوية واحتفاء الاسلام بالمال جعل من حق الفرد الايتنازل عن ماله كلية حتى لايصبح فقيرا فيما بعد .

وتحدث الباحث عن موقف الاسلام من الفقر قائلا : ان الانسان اذا ابتلى بالفقر حمله ذلك على الاتصاف بصفات رذيلة كالاحتياج وكونه عالة على غيره من أهله وقد يضطره الاحتياج الى كشف الاسرار وقد يعطل موهبة عنده تحتاج الى مال لتنفيذها والاستفادة منها .

٢ ــ رفض الاسلام للانحراف بدافع التملك كبتا أو انطلاقا : تناول فيه الباحث موقف الاسلام من الرافضين لدافع التملك بأن الفقر لايقف ضرره عند حرمان الجسد من مطالبه الرئيسية من طعام وشراب وغيرهما وانما يتعداه الى افساد مشاعر الفقير وأفكاره والهبوط عما ينبغى اللانسانية أن تهدف اليه فهو اما أن يستذل الاغنياء الفقراء بالاحتياج اليهم ، واما أن يحقد الفقراء على الأغنياء بما لديهم وهذه من الصفات التى ذمها الاسلام وقد أوضح موقف الاسلام من عباد المال الذى يجمعونه رغبة فيه ولذة فى الحصول عليه ثم يستغلون هذا المال بطرق لاتتفق والشرائع السماوية .

٣ ــ قيام الاسلام بوضع الضوابط المنظمة للمال : ان قيام الاسلام بوضع النظم

والضوابط التى تنظم عملية التعامل بالمال يدلنا على أن الاسلام لم يترك المرء ليجمع المال من كل طريق ومكان وانما جعل هناك طرقا محرمة لجمع المال كالربا والغش والاغتصاب وغير ذلك وأعطى للانسان طرقا مشروعة يكتسب منها المرء رزقه حلالا طيبا بلا اضرار لنفسه أو المجتمع ومثال ذلك التجارة ـ العمل بأجر للآخرين ـ الزكاة للمستحق ـ الصيد .

ورغم كل هذا الحرص والاحتفاء بالمال جعل الاسلام حقوقا عامة وخاصة فى هذا الدافع وهذا من باب العدالة الاجتماعية .

الفصل الثانى « أثر المنهج الاسلامى فى رقى الفرد والمجتمع » ويشتمل هذا الفصل على :

١ ــ أثر المنهج الاسلامى فى رقى الفرد وسعادته : وفى ذلك يمكن تلخيص الآثار المترتبة على منهج الاسلام فى معالجة الدوافع بالنسبة للافراد فى النقاط التالية : **١ ــ تحقيق انسانية الانسان والرقى به الى اعلى مستوى ممكن .**

(ب) تحقيق السعادة المنشودة فى الدنيا والآخرة .

(ج) المحافظة على حيوية الانسان وصحته .

(د) العمل على توزيع الطاقات الانسانية بصورة عادلة تمنع من اشباع جانب على حساب آخر وكل ذلك يتأتى عن طريق تلبية الانسان منا لحاجات بدنه دون الجور على الجانب الاخر وهو الروح ، وسعادة الانسان فى اتباع منهج الله فى تصريف هذا الدافع « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

٢ ــ أثر المنهج الاسلامى فى رقى المجتمع وسعادته : كل ماسبق من فوائد تفيد الافراد فانها أيضا تنعكس على المجتمع من حيث ان المجتمع يتكون من لبنات هم الأفراد .

« الخاتمة »

وفى خاتمة هذا البحث يقول الباحث : انه قد وضح من خلال هذه الدراسة المطولة عن منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى أنه منهج يقوم على الاعتدال والضبط وينأى بأهله عن الانحراف افراطا أو تفريطا كما أنه منهج يتعامل مع الانسان فى واقعه فهو يعترف بدوافعه ويحق المرء فى تلبيتها مع وضع كافة الضمانات التى تخول للمرء الارتقاء الى أعلى مستوى ممكن .

وحين حاولت مناهج البشر ان تقحم نفسها فى هذا المجال بعيدا عن هدى السماء لم يكن من نصيبها سوى الفشل والارتكاس بالانسان الى درك الشقاء يستوى فى ذلك منهج الكبت والقمع الذى تمثله الديانات البشرية كالبوذية والبراهمة والرهبانية ، ومنهج الانطلاق والفوضى « كالفرويدية » .

وعلى وسائل الاعلام الدور فى ترشيد الناس بمبادىء الاسلام وكشف سلبيات المناهج البشرية عندما تخلت عن منهج الله ــ وعلى الدعاة ان يتحركوا ويفهموا الناس حقائق الاسلام قياما بدورهم الذى كلفهم الله به ، وعلى الجميع ان يعرفوا ان دين الله جاء لكل زمان ومكان ، وان التعامل معه يكون على هذا الاساس وبالتالى تنتفى من الاذهان الكاذبة ان الدين جاء لفترة مضت ثم انتهى .



الفتاوى

نصاب الزكاة

س : من المواطن/السيد .. .. نجم الدين .

رجال ذهبوا الى البلاد الأجنبية وعملوا فى التجارة والصناعة واصبحوا اثرياء فكيف يخرجون زكاة اموالهم وما مقدار النصاب الشرعى بطريقة ثابتة ؟

وهل يمكن ربط مقدار النصاب الشرعى بقيمة الذهب او الفضة ، لان جميع العملات غير ثابتة ؟

ج :الزكاة تجب فى عروض التجارة اذا بلغت نصابا فائضا عن حاجته الأصلية وحال عليها الحول .

والنصاب بالنسبة للفضة مقداره (٥٩٥ جراما فى سعر الجرام يوم خروج الزكاة ، وبالنسبة للذهب (٨٤٫٨) جرام فى سعر الذهب يوم خروج الزكاة أيضا .

والمزكى حر فى اختيار نصاب الذهب او الفضة فى تقديره لنصاب الزكاة بالنسبة لامواله .

أما فى الصناعة فالآلات والمبانى لا زكاة فيها انما الزكاة فى صافى الايراد اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول .

وقيمة الزكاة (٢٫٥٪) اثنان ونصف فى المائة .

ختان البنات

س : السيد/ م .. .. بدوى

ماحكم ختان البنات ؟

ج : الختان قد اختلف فيه أئمة المسلمين على ثلاثة مذاهب :

الاول : أنه واجب على الرجال والنساء وهو المعتمد عند الشافعية والحنابلة .

الثانى : أنه سنة للرجال مستحب للنساء . وهو رأى الحنفية والمالكية .

والثالث : أنه واجب على الرجال وسنة للنساء . وهو رأى للشافعية والحنابلة .

وكيفية الختان فى الأنثى : أن يقطع شىء يسير من البظر ، ويسن عدم المبالغة فى ذلك .

ليس فى البشعة احتكام

س : من السيد/ع . ع . ع .

فى بعض المجتمعات يعمدون الى عرض المتهم فى جريمة من الجرائم على مايسمى (بالبشعة)وهى وعاء من الحديد يحمى على

اعداد: عبد الحميد السيد شاهين

نار شديدة حتى يتوهج ، ويلحسه المتهم بلسانه ، فان كان بريئا لم يصب بسوء وان كان مذنبا اصيب • ويحكم عليه بناء على ذلك من دفع اموال او خلافه •• فما حكم الاسلام فى ذلك ؟

ج: اتباع هذه الطريقة مخالف للشريعة ، لأن الاسلام قد حدد لاثبات الوقائع والأحكام الشرعية طرقا خاصة وهى :

اقرار المتهم ، أو البينة الشرعية واليمين على من أنكر ، وأجاز بعض الفقهاء القرائن القوية •

فمن عدل عن ذلك الى وسائل أخرى ضارة — تزيد من الشبهات ولاتثبت بها اية واقعة بطريق شرعى سليم — كان آثما — وعلى هذا فالاحتكام الى البشعة لا يجوز شرعا •

الزواج من كتابية

س : من السيد/ م • م •عبد العظيم

انا شاب مسلم مصرى الجنسية • هل يجوز لى الزواج بفتاة مسيحية الديانة بلغارية الجنسية ؟

ج : يجوز للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب (يهودية أو نصرانية) وعلى ذلك فيجوز لهذا الشاب أن يتزوج من هذه الفتاة المسيحية •

ميراث

س : من السيد/محمود سيد أحمد الصداوى •

توفيت امراة عن : ابن ، بنت ، أولاد ابن ذكور واناث ،أولاد بنت ذكور واناث فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن وأولاد البنت المتوفيين قبل أمهما بمقدار ماكان يستحقه أصل كل منهما لوكان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م •

وحيث ان نصيب الابن والبنت المتوفيين يزيد على الثلث فترد الوصية الواجبة الى الثلث • فتقسم التركة تسعة أجزاء :

ثلاثة أجزاء منها وصية واجبة ، يخص أولاد البنت جزء واحد يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، ويخص أولاد الابن جزءان يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى •

والباقى وهو ستة أجزاء هو الميراث للابن والبنت — الموجودين على قيد الحياة — تعصيبا ، يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى • والله أعلم ••

أنباء وآراء

الإمام الأكبر يصرح في الاسماعيلية : الاسلام ليس مجرد صلاة بل عقيدة وشريعة

* صرح فضيلة الامام الاكبر الشيخ ، جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر في مسجد الهداية بمناسبة افتتاحه بالاسماعيلية قال :

ان المساجد لله وانها بيوت الله التي نلجا اليها خمس مرات في اليوم والليلة لكن الاسلام ليس مجرد صلاة بل انه عقيدة وشريعة لنستمع الى ما قاله القرآن في شان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »

ثم هناك اخلاق للاسلام وصفات وصف بها الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى أن نتحلى بها .

* تقرر ضم ثلاثة وعشرين مسجدا في قرى محافظة سوهاج ومراكزها على ان تضع الوزارة يدها على ملحقات هذه المساجد .

* تجرى حاليا بديوان وزارة الاوقاف اختبارات لثلاثة الاف قارىء تقدموا لمسابقة حفظ القرآن الكريم وتلاوته تجريها الوزارة لايفاد القراء بالداخل والخارج في التجويد والحفظ برواية حفص عن عاصم .

مؤسسة أدبية لنشر الثقافة العربية

انشئت في تونس مؤسسة أدبية مهمتها ترجمة الأعمال العربية الأساسية ، وتعريف الحضارات الأخرى بها .. وعقدت المؤسسة أولى دورات مجلسها العلمى ..

وصرح السيد/احمد عبد السلام رئيس المؤسسة : أن المؤسسة الوطنية للترجمة

ووضع النصوص والدراسات ، حددت لنفسها هدفا هو الاسهام في انطلاق الثقافة العربية والاسلامية في الافاق العالمية مع الحفاظ على اصالتها ، ومواكبة كل ما هو حديث .

وتعتزم المؤسسة توسيع نطاق الحوار بين الحضارات ، وخاصة من خلال ترجمة النصوص الجوهرية التى تدعو للتفكير والتأمل من اللغة العربية واليها .

غلق محال الخمور

اصدر الشيخ سلطان بن محمد القاسمى ، حاكم الشارقة ، قرارا باغلاق محال الخمور في الامارة واحالة جميع قضايا شرب الخمر الى المحكمة الشرعية ، لتطبيق الشريعة الاسلامية .



• فضيلة الشيخ جاد الحق

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

الاقتصاد الإسلامي في باكستان

أعلن السيد خواجه محمد صفدار رئيس مجلس الشورى الباكستاني في ختام زيارته لمصر ان باكستان طبقت عددا كبيرا من قوانين الشريعة الاسلامية مثل: قطع يد السارق وتحريم الخمر، وتنفيذ نظام عشر الزكاة، والمحاكم الشرعية .. واضاف رئيس مجلس الشورى ان باكستان تبحث حاليا قانوني: دية القصاص والشهادة الاسلامية امام المحاكم

بجانب اقامة نظام الاقتصاد الاسلامي في البنوك تمهيدا لتطبيق ذلك قريبا .

والمعروف ان الرئيس الباكستاني ضياء الحق يقود حركة تطبيق الشريعة الاسلامية منذ تولى الحكم، ويتميز التطبيق بالتدرج والدراسة المتأنية .

ندوة "اللغة العربية والوعي القومي"

بدعوة من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمجمع العلمي العراقي عقدت في بغداد (ندوة اللغة العربية والوعي القومي) وناقشت الندوة التي استمرت يومين عدة أوراق منها:

- العربية الفصيحة لغة التعليم .
- وسائل الاتصال الجماهيري ودوره في نشر اللغة .
- اللغة ووسائل الاعلام الجماهيرية .
- من خصائص اللغة العربية .
- الاسس النفسية والاجتماعية للغة العربية .

مجمع اللغة العربية الأردني

اسس المجمع سنة ١٩٢٤ وفي عام ١٩٧٦ جدد انشاء المجمع الذي يتطلع الى الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة، وتوحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون، ووضع المعاجم، والى الاهتمام باحياء التراث العربي والاسلامي في المجالات المختلفة، ولتحقيق هذه الاهداف يهتم المجمع بالقيام بالدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية، وتشجيع التأليف والترجمة والنشر، وعقد المؤتمرات اللغوية مع الاهتمام باصدار مجلة باسم مجلة مجمع اللغة العربية الأردني » .

(مجلة اخبار التراث الكويت) .

أنباء وآراء

معهد التراث العلمي العربي

يبدأ معهد التراث العلمي العربي في الحادي عشر من ابريل ١٩٨٤ م المقبل ولمدة يومين المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب ، كما يحتفل بذكرى مرور ثمانية قرون على ميلاد الطبيب ، ومؤرخ الطب العربي (ابن ابي أصيبعة) يهدف المؤتمر الى تقديم أبحاث أصيلة لم تنشر سابقا في موضوعات تاريخ العلوم الأساسية والعلوم الطبية عند العرب . كما يهدف المؤتمر الذي سيعقده المعهد في جامعة حلب بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم الى ابراز مساهمة الحضارة العربية في اغناء الحضارة الانسانية ، وبيان مكانة العلوم العربية ، ومدى ما أسهم به العرب في تقدم العلوم ، اضافة الى القاء الضوء على حياة وأعمال الطبيب والمؤرخ أحمد موفق الدين بن أبي أصيبعة .

لجنة للعناية بشئون التراث العربي الإسلامي

ضمن اهتمامات وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في الكويت بشئون التراث العربي الاسلامي ، شكلت الوزارة مؤخرا لجنة خاصة للعناية بأمور التراث العربي الاسلامي، واحياء منتخبات منه عن طريق تحقيقها ونشرها .

تهدف اللجنة الى تنسيق الجهود في نشر التراث وتأمين وسائل دراسته وفهرسته ووضعه في متناول الباحثين ، وذلك عن طريق اعداد خطة لنشر التراث العربي في الوزارة ، وترشيح كتب للتحقيق أو المراجعة أو الطبع ، مع الاهتمام بدراسة ما تتطلبه العناية بالتراث الاسلامي لاسيما المخطوطات والوقفيات ، ووضع السياسة العامة والوسائل العلمية في هذا المجال .

مؤتمر "الإسلام اليوم"

عقد مؤخرا في اسلام اباد مؤتمر اسلامي تحت عنوان « الاسلام اليوم » وقد ناقش اعضاء المؤتمر « وثيقة للدستور الاسلامي » تحتوي على العناصر الاساسية والاسس اللازمة للحياة الاسلامية . والوثيقة تعتمد كليا على الشريعة الاسلامية التي تجمع بين القرآن والسنة .

المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام

عقد في عمان مؤخرا المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام الذي نظمته الجامعة الأردنية باشراف خبراء مختصين في تاريخ بلاد الشام .

وقد برزت فكرة الدعوة الى هذا المؤتمر عندما لوحظ أن هناك بعض الاتجاهات التي تسعى الى زعزعة الحدث التاريخي ، ومعالجته خارج اطاره الطبيعي واحساسا بمسئولية

الجامعة الأردنية العلمية ، تجاه هذا التحوير ، فقد تبنت اقتراحا بعقد مؤتمرات وندوات متتابعة ، يشارك فيها العلماء المؤهلون والمؤرخون من أجل الكشف عن الحقائق التاريخية والعلمية فى مرحلة أصبحت الحاجة فيها ملحة لكتابة تاريخ بلاد الشام لاسيما بعد قيام الكيان الصهيونى الغريب فى المنطقة .

وكان المؤتمر الاول قد عقد فى الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٤ ، كما عقد المؤتمر الثانى بالتعاون مع جامعة دمشق عام ١٩٧٨ ، وعقد المؤتمر الثالث فى الجامعة الأردنية بالتعاون مع جامعتى دمشق واليرموك سنة ١٩٨٠ م ، وزادت بحوث المؤتمر الثالث على المائة وكان محورها « تاريخ فلسطين » . ورافق عقد هذه المؤتمرات الثلاثة انشاء مركز للوثائق والمخطوطات .

وناقش المشاركون فى المؤتمر الرابع ، كل الابحاث التى خصصت للحياة الدينية والفنية والادبية .

وشارك فى هذا المؤتمر الى جانب الباحثين المسلمين — العديد من الباحثين والمستشرقين من الجامعات الفرنسية والامريكية ودوائر الاثار العربية ، والمعهد الفرنسى للاثار ، والمدرسة البيزنطية فى مدينة القدس والمعهد الألمانى للاثار .

آراء

كتب السيد/عبد العزيز عبد الله محمد — الجيزة — الصف مقترحا زيادة عدد صفحات المجلة .

نحن أمام عدة مقترحات منها اقتراحكم هذا الى اقتراح آخر يرى أن تضم الهدية الى صفحات المجلة فى ملزمة مستقلة يمكن فصلها فى نهاية العام .. الى غير ذلك والمجلة تدرس موضوع طرح هذه الآراء فى استفتاء على القراء .

كتب السيد/مختار مصطفى النزهى — مطوبس — كفر الشيخ — يريد ترجمة مقال الدكتور انس النجار المشرف على القسم الانجليزى ليستفيد به الجميع .

ابلغنا الاستاذ الدكتور بالاقتراح . ونسأل الله التوفيق .

كتب السيد/عز العرب محمد ضيعون — كفر الشيخ — بيلا .

يريد الحصول على أبحاث مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية ، وكتبه .

❋ عليك — يا أستاذ عز العرب — الاتصال بتوريدات الازهر بالعباسية حيث يوجد بها مبيعات .

كتب الأخ/محمد مصطفى سالمان — سوهاج — طهطا .

كلمة تحت عنوان (صوت الضمير وأثره فى الانسان) جاء فيها :

أن الضمير هو الذى يحض الانسان على اتقان العمل سواء أكان هذا العمل لنفسه أم لغيره . وهو النذير الذى يحذر الانسان من الوقوع فى الخطيئة .

فهرس العدد

CONTEMPLATING A SHORT SURA

by: Soliman Barakat

«By Time (through the Ages), verily Man is in loss, Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teachings of Truth and of Patience and Constancy.»

(Surat-Al Asr, C III)

Sura Al Asr is one of three suras which as regards the number of verses, are the shortest in the Holy Qur'an. Each is in three verses; but so brief as they are, they contain momentous purports. The other two Suras, Al-Kawthar and Al-Nasr, are addressed to Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) in his private concern. The former is Allah's answer to those who, out of hatred, taunted him with the death in his old age of his baby-son. The Sura gives the holy Prophet the good tidings of a grace of unfailing abundance bestowed on him by Allah in requital for his devotion and endurance, and puts the divine seal on the complete effacement of all traces of his malicious antagonists. In the latter, that is Al-Nasr, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is reminded of the fact that, having fulfilled his mission, with the help of Allah, to His satisfaction, it is time he joined the Supreme Divine Company.

Al-Asr is addressed to people as a warning and guidance. In Arabic, Asr has two different meanings: time, that immeasurable dimension of continuity on the earth, and late afternoon when a day is doomed to decline. Allah swears by it, which draws attention to the great value it imports. Man's life is not a peaceful current. Both by constitution and by the circumstances encompassing him, man is making for perdition, his progress really drawing him nearer and nearer to his end. Still, the Hereafter is there and he must provide for his everlasting abode in it.

The constituents of mans's salvation are four: faith, good deeds, promulgation of truth, and recommendation of patience. Rather than incline to the earth and follow his lust, man is hereby incited to sublimate his soul and refine upon his methods. It is not worthy that faith always occurs in the Qur'an coupled with good deeds. In Surat Al-Ma'un, wroshippers who abstain from meeting the needs of the distressed are warned of the rejection by Allah of their worship.

Promulgation of truth and recommendation of endurance are no doubt among righteous deeds. However, it is not redundant of the Qur'an to particularize them. They provide the solid foundation of successful society, and good citizenship.

According to a Prophet's Hadith, faith has more than seventy branches, the highest of which is belief in Allah, and the lowest is clearing the path of harm. Good deeds are detailed both in the Qur'an and in Tradition. Essentially, they are adherance to lawful interests, resistance of unseemly persuasions, and voluntary acts of benevolence. As for patience it is the active fortitude and strong allegiance; which none is granted save a man of mighty fortune. True faith is the armour of the Believer which wards off the stress and strain of the material world. The spiritual ascent of man is fundamentally attributed to his positive indulgence in righteous conduct in life, and his positive contribution to that end in the life of others.

Living for one's own self is not self fulfillment. Moral and spiritual behavior must be propagated among mankind; so that Truth and Reality are realised, esteemed and observed in patient hope and unshaken constancy.

sumption of the revelation, emmensely afraid of Allah's rejection. He deeply aspired for the Light and Honour he experienced, to be the Messenger of Allah's message to humanity. The revelation descended again, and the Archangel Gabriel revealed to him the Qura'nic Text:

> O thou wrapped up
> Arise and deliver thy warning
> And thy lord Do thou magnify
> And thy garments keep free from stain —
> And all abomination shun
> Nor expect, in giving any increase for thyself
> But, for thy Lord's cause
> Be patient and constant
> (Surat Al-Muddathir LXXIV,1-7)

In these supreme early verses, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is given a command for a mission and definite precise manners of conduct of worship and unsurpassed esteem and respect to allah. Finally, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is warned and advised to be patient steadfast, and constant in his mission in the cause of Allah.

This Sura was followed by the revalation of the whole Qur'an in protacted fragments over a period of approximately twenty years.



References :

1 — Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhuani Alnadawi.
Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition 1978.
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo.

3 — Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy.
Kilani Library — Cairo — Printed 1980.

4 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5 — The Holly Quran.
Text, Translation and Commentary.
Abdullah Yusuf Ali.

6 — Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th. Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

THE REVELATION

tance eversince man's creation on earth. The Reality that forms the essence and core of all prophetical teachings prior to his time: a Reality that has been masked by human errors and dark ignorance.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) at this phase of physical purity, mental constitution of belief and spiritual elevation was ready to receive the Revelation — the words from Allah — the Message composing the highest order for man's enlightenment and redemption. At a preordained time, the Archangel Gabriel appeared to him during his seclusion at Mount Hira and told him «Read», the Prophet (Preayers and Peace from Allah upon him) answered «I cannot read» — the Archangel pressed him hard then left him and said «Read» — and he said «I cannot read», and the Archangel pressed him a second time then left him and said «Read» — and he said «I cannot read» and the Archangel pressed him a third time then left him and said:

> «Read in the name of thy Lord and Cherisher,
> Who created,
> Created man out of a mere clot
> of congealed blood.
> Read, and thy Lord is most bountiful,
> He who taught the use of the Pen,
> Taught man that which he knew not.
> (Surat Al-Alaq XCVI, 1—5)

This was the first divine commission of the Revelaton to proclaim and announce the message. By worldly measures, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was illiterate and unversed, but with spiritual knowledge he was mentally and spiritually supreme. The words he heard and reapeated were imprinted in his mind and heart. He became filled with fear and perplexity consequent upon this strange, unexpected encounter. He returned home, tired, physically and mentally exhausted, bearing within him the vision and memory of the stressing ordeal and asked his wife Khadija to wrap him in order to overcome his shivering and anxiety. After he regained tranquility and composure, he related to Khadija what was of his encounter with the Archangel, and explained to her his apprehension and concern. She reassured and comforted him with proof that Allah will never abandon or forsake him — he the man with such true piety and outstanding generous character. Accepting her words of reassurance, he reconciled to sleep.

During his sleep, Khadija went in deep thought about the matter, fluctuating in her mind between aspiring hopes and pitifull doubts. She finally resolved to consult one she knew renouned for wisdom and knowledge in such supernatural matters as this.

When the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) awakened, Khadija accompanied him to her cousin Waraqa Ibn Naufal Ibn Assad Ibn Adb-Al-Uzza, who was well learned in Jewish and Christian scriptures. He was old and blind. Khadija asked him to listen to what her husband had to relate. Hearing the details of the event W. Ibn Naufal told Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) that it was a revelation carried to him by the Archangel Gabriel which is akin to that which Moses was favoured with. Waraqa wished he was younger to witness the oncoming consequences and to champion and support him: for his people will surely display enmity and antagonism against that which he the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) will call for. The call to the enlightenment, enrichment, and honourable freedom of all mankind. Waraqa died soon after.

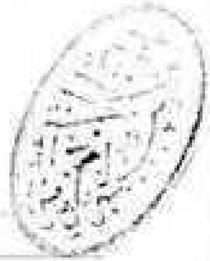
There was a period that followed during which the revelation ceased. That period has been disputed among chroniclers. Some authors give three years, others give six months, some give forty days. Most authors, however, agree more on the shorter periods. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) awaited patiently and with anxious expectancy the re-

THE REVELATION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah

Most Gracious Most Merciful



Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) continued to lead a life of seclusion to achieve spiritual ascent and refinement, to pursue repentence, self discipline, piety and intellectual clarity. He desired to achieve understanding of Reality and Truth of Life's perpetual inherent order and harmony: to attain comprehension of universal intricate and complex coherance What is underlying and what is over-ruling this vast infinite cosmic expanse? What law governs this bewildering profound symmetry and dynamic conforming equilibrium? What is before life and what is beyond death? What thin line separates right from wrong and virtue from evil? Millions of questions pound and throb within the mind of man seeking an answer. Such was the case of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) at the time of his meditative contemplation at Mount Hira. He was in pursuit of Reality, and his thoughtfull assiduous intellect aspired highly to realize and comprehend the truth and reality hidden within the multitude phenomena of nature around him.

At Mount Hira Mohammad (Prayers and Paece from Allah upon him) would remain for several days extending to weeks in continuous worship for guidance and analytical thought. It is documented by most authors that the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) followed in his worship the practice of Ibrahim (Peace be upon him), and also his own personal practice as an outcome of his apprehensive mind: beseeching for light and guidance. After few years in his retreat and seclusion, only coming home to take his needs: he became highly purified and attained a remarkable state of spiritual rank. He sanctified himself from perplexity and comprehended the simple reality of the oneness of the Creator. With clear perception of the intellect and with profound unabated faith, he ascertained with cognizance that reality that has dominated human exis-

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



مسجد السلطان حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدنا صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لأنت – بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم – خير الناس .

يأبى الله الا أن تكون فوقهم علما وخلقا واسوة ، وأن تطوق حسناتك المضيئة رقابهم ، ورقاب آبائهم ، وآباء آبائهم الى عام العشرين من الهجرة ، حين أتيت بالايمان المصفى في عقيدة طاهرة أخرجتنا وابناءنا من الظلمات الى النور على جناحين من عدل وحرية وأى شيء يعدل نعمة الايمان .. ؟!

الجزء السادس السنة السادسة والخمسون
جمادى الآخرة ١٤٠٤ هجرية
مارس ١٩٨٤ ميلادية

سيدى صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لذلك

سيدى ، صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

كان « العالم كريم المعدن من الناس » يعرف فضلك ، ويعلم قدرك ، ويزداد صفاؤه ضوءا بلألائك ، اذ ينطق القرآن العزيز بـ « فيك » ويستشهد بحكمة النبى ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ بـ « لســانك » فيزداد نوراً على نــور :

لايلتوى به القصد ، فيعض يـدا أعدت لـه الايمـان وأنقذته من النار •

ولايضحى بك قربانا لشرق أحمر ، أو غرب أثيم •
فانت أعـز عليـه من أمـه وأبيـه !!

الست امام قبلتــه •• ونــور عينــه ••• وضوء قلبه •• وجلال ايمانه •
اليم ــ فى قلبــه ــ أن يتخــذك غرضــا لدنيــا •

وحقــير ــ فى نفســه ــ ما اكتنزت فى النفض منك والمساومة عليك ذلك ، لأن معدنه الكريم ••• الى علمــه الطاهر ••• كلاهما يطمس ضوءه أدنى غرض آثيم ، فــلا يصلو ــ من بعــده ــ ابــداً •

فشرفه الرفيع ذو مناعة تصــد كل حقــير
ويــده الطــاهرة تحيى جهــادك وتلتمس هــداك

هــذا ــ ســيدى ــ صاحب رســول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ العالم كريم المعــدن منهم •

دكتور عــلى الخطيب

رسالة من الأزهر

إلى جلالة الملك الحسن الثاني

رئيس مؤتمر القمة الإسلامي

الى أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء المسلمين اعضاء هذا المؤتمر : الرباط

قال الله تعالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ».

كونوا هذه الامة التى استمعت الى هذا القول الكريم من الله سبحانه ، وانظروا فى امر جمع كلمة المسلمين والارتفاع فوق الشقاق والخلاف ، فان شعوبكم الاسلامية على اختلاف ألسنتها والوانها ومواقعها على أرض الله تتوق الى وحدة الصف ، واجتماع الكلمة ، فقد تداعت عليهم الامم من حولهم ، بين واثب عليهم ينتقص من ارضهم وأموالهم ، ويقتل ابناءهم ويهدم ديارهم ، ومترقب لمصير هذه الامة التى اضاءت تاريخ الانسانية بوحدتها وعدالتها ، وعلومها وانسانيتها ، لأنها اهتدت بالقرآن الكريم ، واتبعت سنة رسول الله ، فعاشت كما وصفها قوله — صلى الله عليه وسلم — :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

أصحاب الجلالة والفخامة :

لم تجتمع لأمة من الأمم دعائم الوحدة

وعزائم القوة كما جمع الله لأمة الاسلام : فهذا القرآن يتلى فيكم وعليكم ، وهـذه الكعبـة المشرفة قبلة واحدة ، وها نحن فى الصلوات

نقف صفوفا متراصة فى نظام وانتظام ، وأنتم أولياء أمور هذه الأمة، فاجمعوا أمركم ووحدوا

صفكم وانبذوا الخلاف وتجاوزوا أسبابه ، وتصافوا ، وتحابوا ، وكونوا على قلب رجـل

واحد ، فهذه شعوبكم تئن وتشكو الى اللـه هذا التمزق ، وتلك الفرقة ، حتى تخطفهـم

الناس من حولهم ، فهذه « أفغانستان » يجثم فوق أرضها أعداؤها ، ويقاوم أبناؤها غزاتها ،

ولكن الخلافات نشبت بين قادتها ، وهـذه «فلسطين» اقتتل أبناؤها ،وبدلا من أن يعملوا

على استرداد حقوقهم ذهبوا يقتتلون ويخربون أرضهم وديارهم بأيديهم وأيدى أعدائهم .

وهذا لبنان قد غرق فى النزاع والحـروب والتخريب منذ سنوات ، واحتمى كل بفـريق

من الاعداء الذين وقفوا يترقبون ويثيرون الخلافات ، ويشعلون النار اذا خمدت .

يا أصحاب الجلالة والفخامة :

الأزهر يذكركم بأنكم المسئولون أمام

الله عما آلت اليه حال المسلمين ، فأدوا الأمانة التى حملتموها ، وأصـلحوا ما

بينكم يصلح الله بكم أمتكم ، ويضـع عنكم اصركم ، ويرفع لكم ذكركم .

واجيبوا قضـايا شعوبكم بالجـد والحـسـم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم ..

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

شـيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

دراسات قرآنية

لمن الخطاب
في قوله تعالى

الحمد في القرآن الكريم

هل من مجمع لترجمات
تفسير القرآن الكريم

لمن الخطاب في قوله تعالى؟

«فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»

يقول الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ..

(آل عمران ٧) .

محكمات القرآن ما كانت واضحة الدلالة على المراد منها .

ومتشابهاته ما لم يتضح المراد منها ، فاشتبه أمرها على بعض الناس .

وقد دلت الآية على أن محكمات القرآن أصل لأحكامه ، وهذا هو المقصود من كونها (أم الكتاب) فيجب أن يتعرف على معاني المتشابهات وأحكامها عن طريق هذه المحكمات وتلك هي وظيفة الراسخين في العلم ، فهم الذين يردون هذه المتشابهات الى أصولها من المحكمات ، ولا يدعون تأويلها لذوى الضحالة في العلم ، أو الزيغ في العقيدة ، أو الهوى المريض .

ومن هذه الآيات المتشابهة آية سورة يونس :

« فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك » .

فالخطاب فيها لم يعرف من نصها من هو المقصود به ؟ فاشتبه أمرها ووقع فيها من وقع، اما بتأويلها بصورة غير جيدة ، واما بصرفها الى معنى مناسب لأهواء المحادين لله ولرسوله.

وهذه الأخيرة هي تشنشنة بعض أهل الكتاب غير المتصفين ، ممن استحبوا العمى على الهدى ، فحاولوا أن يعكروا الماء الصافي من

لفضيلة الشيخ

مصطفى محمد الطير

دين الاسلام ليصطادوا فيه ، ويأبى الله الا أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ومثل هؤلاء فى حرمانهم من تحقيق ما أرادوه من النيل فى الاسلام « كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » .

لقد زعم هؤلاء الشانئون أن الخطاب فيه للنبى — صلى الله عليه وسلم ، وقالوا كاذبين: أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان يشك فيما يحدث به ، أهو من عند الله فيكون رسولا ، أم ليس من عنده سبحانه بل هو أحاديث شيطان لا تمت الى الحق بصلة فلا يدعو الناس اليها ؛ وأنه طلب منه أن يسأل فى شأنه أهل الكتاب ليبعثوا فى نفسه الطمأنينة من جهته .

« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » .

ونحن نسأل هؤلاء المغرورين الأسئلة التالية

١ — من الذى طلب الى محمد فى الآية أن يسأل أهل الكتاب عما أنزل اليه ؟ أهو الله الذى أرسله ؟ أم هو شيطان التبس أمره عليه ؟ فان كان الذى طلب منه سؤال أهل الكتاب هو الله الذى أرسله ، فمع أن فى هذا اعترافا ضمنيا منكم بأن محمداً رسول من الله وكفرتم به ، فذلك مستحيل ، لأنه سبحانه حينما يختار من عباده رسولا ، فانه يؤهله لهذه الرسالة بالصفاء التام ، والشفافية المطلقة ، واليقين الثابت والآيات البينات ، بحيث لا يعتريه شك فى أنه رسول من عند الله ، ولا يحوجه الى أن يسأل عن صحة رسالته أحدا من البشر — صدقوه أم كذبوه —

والدليل على ذلك ما جاء فى القرآن عن هذه القضية فى أول سورة النجم ، اذ يقول سبحانه «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى » .

فمن هذا النص نعلم أن نبينا محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يشك لحظة فى رسالته ، وما ضل عن الحق فيها وما غوى ،

وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى أوحاه الله إليه ، علمه إياه شديد القوى ، وأنه بلغت ثقته بما أنزل الله عليه الى الدرجة القصوى التى صورتها الآية ، اذ جعله يتحداهم بقوله : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى » .

٢ ــ هذه السورة مكية ، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب يمكن أن يكون حجة فى أمر خطير كهذا، فكيف يكون الخطاب فى الآيةموجها الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٣ ــ كيف يعقل أن يكلف الله رسوله أن يسأل أهل الكتاب عما يؤكد له صحة ما أنزله الله عليه ، وهم خصوم لرسالته ، فانها ناسخة لما بأيديهم من الكتب ، وموجبة للتخلى عن دياناتهم المنسوخة ، والتحلى بشريعة الاسلام الناسخة ، ولاأدل على ذلك من مواقفهم منه بعد الهجرة، فقد كانوا به كافرين، وله مناوئين، فكيف يحوله الحكيم الخبير عليهم ليطمئنوه ويشهدوا بصدقه ، وهم به كافرون ، وله كارهون ، وعلى قتله وقتاله متآمرون !

ولهذا أمره سبحانه بعد أن اظهروا خيانتهم، وبدت البغضاء من أفواههم ــ أمره ــ أن يطهر المدينة ــ مركز الدعوة الاسلامية ــ من سوء جيرتهم ، فقاتل بعضهم وأجلى بعضا آخر منهم ، وصالح البعيدين الذين لا يخشى خطرهم .

وان كان الذى طلب منه ان يسأل أهل الكتاب شيطان يحدثه فهل هم الخصائيون فى أحاديث الشياطين ، لأنهم أولياؤهم ويتمتعون بثقتهم ، فيصدرون الفتوى لصالحهم ، ويجيبون عن السؤال بما يرضيهم ، ثم هل تنزل الشياطين بالتوحيد ، حتى يحال أمر الفصل فى دين التوحيد الى دعاة الشرك والوثنية ، وصدق الله تعالى اذ يقول :

« وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ »

فمن كل ذلك لا يصح أن يكون الخطاب فى قوله تعالى : « فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ .. » **موجها إلى النبى ــ صلى الله** عليه وسلم ــ .

أيها الشانئون :

ان الشاك فى أمر من الأمور لا يستطيع أن يمضى فيه بعزيمة ولا بهمة ، فالشك يحيره ، والتردد يؤخره ولا يقدمه ، ويجذبه ولا يدفعه فكيف يعقل تكليف شاك بعبء الدعوة الى التوحيد فى مشارق الارض ومغاربها ، وكل هؤلاء مجادلون ومقاتلون ومناوئون !!

لقد عرض عليه قومه الرياسة والمال ، بل عرضوا أن يضعوا على رأسه عمامة الملك فى مقابل أن يترك دعوتهم الى عبادة الرحمن بدلا من عبادة الاوثان ، فأبى ذلك على وسطائهم وقال كلمته الحاسمة : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، فلما لم يثنه ذلك عن عزمه ومضيه فى سبيل ربه، عرضوا على بنى عبد مناف دية مضاعفة ويسلمونه ، فأبوا عليهم ذلك ،ثم عرضوا على عمه أبى طالب أن يعطوه سيدا من شبابهم

يتبناه ويسلم لهم ابن أخيه فقال : عجبا لكم . تعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ فلما رأوا ذلك أجمعوا على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلايبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا — صلى الله عليه وسلم — للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، لتكون وثيقة مقدسة ملزمة لكل طرف منهم ، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك فى شعب أبى طالب ، ودخل معهم بنو المطلب مسلمهم ومشركهم ، عدا أبى لهب فانه كان مع قريش ؛ وخذلهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابنى عبد مناف ، فجهد القوم حتى كانوا يأكلون أوراق الشجر ، وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم ، وفى مقدمة المانعين عمه أبو لهب، وظل حصارهم شديدا ثلاث سنين تباعاوهم صابرون ، تأييدا للنبى — صلى الله عليه وسلم — فى قضيته معهم ، فهل يفعل ذلك رجل يشك فيما أنزله الله عليه — كلا أيها الشانئون المغرورون .

الخطاب للمكلف الذى يشك فى الرسالة

ليست كل دعوة الى الحق تقابل من الأمة المدعوة بالتصديق الفورى ، بل الغالب فى أمرهم أن يقابلوها بالاعراض ، نظر لمخالفتها ما نشئوا عليه من العقائد .

ومنهم من يناصبها العداء عن فكر جامد ويبس فى العقيدة وتقليد للآباء .

ومنهم من يتردد فى أمرها ويشك فى صحتها، وهؤلاء هم الذى تهتم بهم الشرائع ، فتتمهل بهم وتوجههم الى سبل الرشاد .

واعلم أن من آيات الاعجاز فى القرآن حديثه عن قصص الانبياء مع أممهم حديث الصدق ، فى حين أنه — صلى الله عليه وسلم — كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، فلا سبيل له الى التعرف عليها من قراءة كتب الانبياء قبله ، وفى ذلك يقول الله سبحانه «وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» .

والله سبحانه يرشد المتحير الشاك فى القرآن الذى أنزل اليه — يرشده — الى أن يسأل أهل الكتاب عن قصصه التى اشتملت عليها سورة يونس ، ليعلم من وجودها لديهم صدق محمد فى نبوته ، وفى حديثه عن مصارع المكذبين بالمرسلين قبله ، فانه لا سبيل له الى علمها الا بوحى من العليم الخبير .

واعلم يا أخى المسلم ان القرآن كما انزل الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وحيا وتبليغا ، انزل الى امته ايضا عملا وتكليفا :

فمن الأول قوله تعالى فى سورة النحل «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» وقوله سبحانه فى سورة النساء : «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» .

ومن الثانى قوله تعالى خطابا للأمة :

«لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ، وقوله سبحانه فى سورة النور : «وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ» ، ومنه أيضا هذه الآية خطابا لمن يشك «فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ

مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ » .

صلة الآية بما قبلها .

كتبنا عن صلة هذه الآية بما قبلها فى التفسير الوسيط فقلنا ما يلى :

بعد أن تحدثت هذه السورة عن قصص المرسلين من أممهم ، وآخرها قصة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام مع فرعون وقومه ، جاءت هذه الآية تطالب من يشك فى صدق هذه القصص التى ساقها الله للعبرة ، وللدلالة على صدق محمد — صلى الله عليه وسلم — فى نبوته — تطالبه — بأن يسأل الذين يقرءون الكتاب من علماء اليهود والنصارى ، ليتأكد من وجودها فى كتبهم ، وليحمله ذلك على الايمان بنبوة نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — ، فالخطاب فى قوله تعالى : « فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ .. » الخ موجه الى من يتعرض للشك من الأمة التى أرسل اليها النبى — صلى الله عليه وسلم — وليس موجها للنبى — عليه الصلاة والسلام — ثم قلنا فيه أيضا ما يلى :

والمعنى : فان كنت أيها المكلف من أمة الدعوة المحمدية ، فى شك من صدق ما أنزلناه من هذه القصص على رسولنا اليك ، لتعرف به صحة نبوته ورسالته — صلى الله عليه وسلم — فاسأل علماء اليهود والنصارى الذين يقرءون كتبهم ، ويعرفون أن هذه القصص قد وردت بها منقولة من جيل الى جيل قبل وجودك ، حتى تعلم من وجودها قديما فى كتبهم ، أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — صادق فى نبوته ، وثقة فى رسالته ، فانه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجالس من قرأها وعلم بها ، فقد نشأ بين قريش الوثنية ، فهذا برهان واضح على أن الله تعالى هو الذى أعلمه بها وأوحاها اليه ، وأنه صادق فيما أبلغكم عن الله ، وأن الايمان بنبوته فيه النجاة ، وأن الكفر بها يستتبع الهلاك .

ثم ختم الله الآية بقوله « لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » ، أى لقد جاءك أيها المكلف الحق من ربك فلا تكونن من أصحاب الشكوك والأوهام ، بل كن من ذوى الايمان الثابت بهذا الحق المبين ، ثم عقب الله هذه الآية بقوله : « وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ » وهذه الآية خير شاهد لما قلناه من أن الخطاب ليس موجها الى الرسول — صلى الله وسلم — بل الى كل مكلف من أمة الدعوة المحمدية ، فان محمدا — صلى الله عليه وسلم — لا يتصور منه أن يكون مكذبا لآيات الله وهو يدعو الناس الى الايمان بربه .

والمعنى : وكما نهيناك أيها المكلف عن الشك فيما أنزلناه اليك على لسان محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ننهاك عن التكذيب بآيات الله ، فلا تكونن من جملة المكذبين بدين الاسلام ، فتكون بذلك التكذيب فى عداد الخاسرين فى الدنيا والآخرة .

فصل الخطاب فى الآية

وفصل الخطاب فى قضية هذه الآية تراه بعد تسع آيات تليها ، اذ يقول الله سبحانه فيها

لنبيه : « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » . فقد جاءت هذه الآيـة فى أعقاب بيان حال المكـذبين ومآلهم ، وتسلية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تكذيبهم ، بأن ذلك من حكمة الله تعالى،وأنه لو شاء لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، وأنه ليس مطلوبا منه أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، فانه ما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعـل الرجس على الذين لا يعقلون ، بل المطلوب منه أن يبلغهم أن ينظروا فى ملكوت السـموات والأرض ـ وقد فعل ـ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ، وأن حالهم يشبه حال من ينتظر أن تصيبه مثل أيام الأمم الخالية ، وأنه لو نزل بهم مثل ذلك فان حقا على الله أن ينجى المؤمنين ، ففى أعقاب ذلك كله أمر الله نبيه أن يدعوهم قائلا :

« قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » وحين يبلغهم فلا تبعة عليه فى بقائهم على شكهم وكفرهم .

فمما سبق تعلم أنه سبحانه خاطب كل شاك على انفراد بقوله تعالى «فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ» .

وأمر نبيه أن يخاطب جميع الشاكين بقوله « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي» الآية .

« وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ».

الاسلام فى هذا العصر :

وبعد فان الاسلام فى هذا العصر يشـق طريقه الى القلوب النقية ، والأرواح الزكية ، دون مشقة ولاعناء ، وبلا حرب ولا قتال ، انه يغزو عقول المثقفين ، ويبهر بصائر المستنيرين ، تلما وصل اليهم نقيا من أباطيـل المبطلين ، وبعيدا عن تزييف المزيفين ، ونظيفا من الحاد الملحدين ، انك ترى اليوم عشرات الملايين من العلماء والفلاسفة ، والرهبان والأسـاقفة ، يخرون سجدا لله رب العالمين ، حينما تتجلى لهم حقائق الاسلام ونقاء سيرة نبى الاسلام وسريرته .

انك تسمع النداء الى الصلاة وتوحيد الديان من مـآذن المـساجد فى طـوكيو ونيويورك وواشنطن كما تسمعه منها فى كثير من العواصم الأوربية والآسيوية ، بين البوذيين والوثنيين وأهل الكتاب .

تنبؤات برناردشو للإسلام :

الفيلسوف الانجليزى برناردشو ، هو من أبرز فلاسفة القرن العشرين ـ ان لم يكـن أبرزهم ـ وقد تنبأ للاسلام بالانتشار سلميا فى أوروبا ، وندد بأراجيف المرجفين حـوله ، وشهد له شهادة تستحق أن نسجل بعضـها فى هذا المقال كما يلى .

يقول برناردشو : كنت فى كل الأحيـان ولازلت أتناول دين محمد (١) فاقدره تقديرا عظيما ، وذلك لروحيته العجيبة ، وحيويتـه

من الخطاب في قوله تعالى

العظيمة ، انه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية البشر ، وملاءمة الأزمنة ، فهو حرى بأن يكون دين الجميع فى كل زمان ، ويجب على العالم أن يرتب أهمية عظمى على ذلك •

لقد تنبأت عن دين محمد — صلى الله عليه وسلم — انه سيكون مقبولا وملائما لأوروبا الوسطى — اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم فى الوقت الحاضر ، ان قساوسة القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الأعمى — قد رسموا الاسلام بألوان سوداء مظلمة ، وكانوا فى الحقيقة قد نشأوا على كره محمد ومقت دينه لأن محمدا كان فى نظرهم ضد المسيحية أما أنا فقد درست الدين الاسلامى وشخصية محمد — صلى الله عليه وسلم — تلك الشخصية العظيمة اللامعة ، فوجدت محمدا — صلى الله عليه وسلم — بعيدا عما يلحقونه به من التهم ، ويجب أن يسمى فى الحقيقة مخلص الانسانية ومنقذها •

اننى أعتقد أن رجلا مثله لو أخذ على نفسه قيادة شعوب العالم المعاصرة ، وكان حاكما مطلقا لتمكن من أن يقودهم أحسن قيادة ، ولتمكن من تسييرهم نحو طريق السعادة والسلام ان أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد ، وتعشق دينه وفلسفته ، كما أنها ستبرىء العقيدة الاسلامية مما اتهمت به من أراجيف رجال أوروبا فى القرون الوسطى ، سيكون دين محمد النظام الذى يؤسس عليه العالم دعائم السلام والسعادة ، ويستند الى فلسفة فى حل المعضلات وفك العقد والمشكلات،

ان كثيرا من مواطنى ومن الأوروبيين يقدسون تعاليم محمد ، ولذلك يمكننى أن أؤكد نبوءتى فأقول : ان بوادر العصر الاسلامى الأوروبى قريبة لا محالة :

تعليقنا على تنبؤاته ••

لقد أنصف هذا الفيلسوف فى حكمه ، وتحقق قدر غير يسير من توقعاته ، وان العالم الآن يموج بالفتن ، ويضطرب بالأرزاء والمحن ، وقد هرب السلام من ربوعه ، ولاينقذه مما هو فيه سوى شريعة الاسلام ، شريعة الحق والعدل والمساواة والسلام •

وان علينا ان نترجم معانى القرآن العظيم الى اللغات الأجنبية ترجمة متينة امينة ، ونعمل على نشرها فى جميع الأقطار ، ليسارع الناس الى دين الله جماعات وأفرادا ، ويدخلوا فيه وحدانا وأفواجا ، حتى ينقذوا أنفسهم من الجحيم الذى يعيشون فيه ، بالرجوع الى مبادئه فى القضاء والمعايشة ، والسلام والمسالمة ، وذلك خير جهاد نبذله اليوم فى سبيل الحق — « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » •

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الحمد فى القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

ــ ٢ ــ

١٩ ــ اعتراف الكفار بأن الله الرزاق المحيى الأرض وأمر الرسول بالحمد :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » العنكبوت ٦٣

فى خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر لنفع العباد ما يشير الى قدرة الله ، وفى بسط الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء لحكمة يراها ما يدل على نفوذ مشيئته وارادته ، وذلك ما بينه فى الآيتين السابقتين .

وقد أفحمهم فى هذه الآية بما لا ينكر وذلك حين يسألون : من الذى نزل الماء من السماء فأحيا به الأرض من بعد موتها وأخرج الزرع والثمر وكل ما تأكلون وتدخرون فى بيوتكم منهما ومن غيرهما لم يكن لهم من جواب : الا : الله ثم ساق أمره لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ « قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون »

والحمد لله اما أن يكون اعتراضا بين كلام متصل : والتقدير : ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله بل أكثرهم لا يعقلون ، وقد ذكر فى أثناء ذلك الكلام المتصل : الحمد لله لبيان تلك النعم التى أنعم بها من انزال الماء من السماء واحياء الأرض .

واما أن يكون الكلام متصلا وأنهم يعرفون أن ذلك من الله وأكثرهم يعترف ولا يعمل بما يعلم فيحمد غير الله على نعمة هى من الله ، أما أنت ومن معك فأنكم تعلمون وتعملون بعلمكم فقل الحمد لله على نعمة العلم والعمل .

٢٠ ــ الأوقات المفضلة للتسبيح والتحميد :

« فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » الروم ١٧ ــ ١٨ .

أمر الله عباده بتنزيهه عن النقص فى قوله

الحمد في القرآن الكريم

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وفي ذلك توجيه لعباده بتسبيحه ، وكأن المعنى : قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

وقال بعض المفسرين : المراد بالتسبيح : الصلاة فمعنى : سبحان الله : صلوا لله حين تمسون الخ .

وقال البعض : المراد بالتسبيح التنزيه .

وعلى ضوء أن المراد بالتسبيح : الصلاة ، سئل ابن عباس — رضي الله عنهما — : هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ فأجاب : نعم وقرأ هاتين الآيتين ، فقوله : تمسون : يراد به: صلاتا المغرب والعشاء .

(وتصبحون) يراد به : صلاة الفجر ، (وعشيا) يراد به صلاة العصر ، (وتظهرون) يراد به صلاة الظهر .

وقوله : وله الحمد في السموات والأرض ، اعتراض يشير الى أن المميزين من أهل السموات والأرض يحمدونه وان التسبيح الذي يسبحه العباد لأنفسهم نفعه فليحمدوا الله على توفيقه لهم بالتسبيح .

(وله الحمد في السموات) حيث ملائكة الله : يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فهم بين قائم وراكع وساجد منذ الخلق حتى يأذن الله ، وكلهم في شغل بتسبيح الله وتحميده على خلقه ونعمه .

وله الحمد في الأرض .. حيث يعيش الانس والجن وتحت سمع وبصر المؤمنين من هؤلاء وأولئك تتوالى نعم الله وما أكثرها ، ويتوالى من مؤمني الثقلين حمد الله كلما ذكروا نعم الله .

فاذا أبصر المؤمن الشمس وأدرك ما تحمله من الخير لسبح لسانه بحمد الله ، واذا شاهد القمر وما يحمل أدرك نعمة الله فحمد الله واذا لاحت لعينه الكواكب وأدرك نعم الله فيها حمد الله ، واذا أبصر الأرض وما عليها وما يسديه باطنها وظاهرها من الخير لمن يعيش فيها وعليها وأبصر رواسي الجبال التي جعلت أوتادا للأرض حتى لا تميد بما عليها ومن عليها وأبصر الأنهار تجري على الأرض وأدرك ما تفيض من الخير حمد الله ، واذا شاهد البحر وقد سخره الله بما يجري لخير الانسان حمد الله « وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ١٤ - النحل

الا ما أعظم نعم الله التي تستوجب حمد من في السموات ومن في الأرض « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » .

٢١ — اعتراف الكفار بان الله خالق السموات والأرض :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » لقمان ٢٥

قدم الله في الآيات السابقة على هذا الدليل على وحدانيته سبحانه ، فبين أنه خلق الأرض، وسخر للانسان ما فيهما وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة .

ثم بين في هذه الآية أن الكفار معترفون بأن الله هو خالق السموات والأرض فان سألتهم

عن خالقهما : قالوا : هو الله وهذا يقتضى منهم أن يكون حمدهم لله ، والا يعبدوا معه غيره مما يعبدون أو يدعون أنهم يتقربون بعبادتها الى الله بل أكثرهم لا يعلمون أن اعترافهم بأن السموات والأرض من خلق الله يلزمهم بحمده وعبادته ، وأنهم اذا وجهوا الى الحقيقة تغافلوا عنها وغفلوا عما يتطلبه اعترافهم من الايمان بالله وعبادتهم له .

وقد سلى الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – فى الآية السابقة بقوله : فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا والمعنى : الذى يربط بين الآيات السابقة وبين هذه الآية أن الله يقول لنبيه : لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يبين عن قريب حين رجوعهم الينا .

وقد يكون ذلك قبل القيامة ، لأنهم معترفون بأنه خالق السموات والأرض وهذا يصدقك فيما جئت به من التوحيد ، ويكشف كذبهم فى الاشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب أعدائك وأكثرهم لا يعلم أى ليس له علم يمنعه من تكذيبك مع اعترافه بما يوجب تصديقك حيث اعترفوا بأن الله خالق السموات والأرض واعترافهم يستوجب أن يوحدوا الله ويعبدوه وحده ويخلصوا العبادة لوجهه .

٣٢ – حمد المؤمنين حين تذكرهم بآيات الله :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » السجدة ١٥ .

يكشف الله عن صورة المجرمين يوم القيامة وهم ناكسو الرءوس ، لأنهم انهمكوا فى دنياهم فى الشهوات ، وألهاهم انهماكهم عن التفكر فى هذه العاقبة ، وحينما يقفون للحساب ينادون : ربنا أبصرنا العذاب ، وسمعنا اليوم ما كنا تصاممنا عن سماعه من قبل ، فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا ، ولم يجدوا ثمت من جواب الا حكما يقطع القلوب : (**ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ**) . وتركناكم تعانون عذاب الخلد بما كنتم تعملون ، فقد أنكرتم كل ما عرض عليكم من الآيات ، ولم تؤمنوا بها (إنما يؤمن بآياتنا) التى قدمناها أولئك الذين اذا ذكرهم مذكر بها تجلت فيهم صفات :

أولا : أنهم خروا سجدا وانقادت قلوبهم وأعضاؤهم لله .

ثانيا : أنهم سبحوا بحمد ربهم ، فانطلقت ألسنتهم بتنزيه الله عن أن يشرك به غيره وقد قرنوا التسبيح بحمد الله على أنه وفقهم لذلك التسبيح .

ثالثا : أنهم لا يستكبرون عن عبادته ، فقلوبهم خاشعة تنتفض لجلاله ، لا تعرف التكبر على الخضوع لعزته ومن لم يستكبر عن عبادته فهو المؤمن الصادق الايمان .

وويل لمن يصر على الاستكبار عن آيات الله ويعرض عنها وكأنه لم يسمعها أو لم يطرق سمعه التذكير بها .

أما المؤمنون بالآيات وهم الذين آتاهم الله العلم بها وحسن التدبر فيما تحمل فانهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا فأولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة العين والفرحة الغامرة بثواب الله .

٣٣ ، ٣٤ –

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » سبأ — ١ .

لقد افتتح الله خمس سور في القرآن بقوله : الحمد لله : في النصف الأول : الأنعام والكهف وفي النصف الثاني سبأ وفاطر وفاتحة الكتاب في أول القرآن ..

وفي هذه الآية يوجه الله الناس في قوله :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » الى الحمد على كل النعم التى له وحده في السموات والأرض مما لا يحصى من نعم الدنيا فهو المحمود على أنه ملأ السموات والأرض بجلائل النعم ، وحمد نعم الدنيا واجب على الناس ؟

لأنهم المنتفعون بما في السموات وما في الأرض مما يدرك بالسمع والبصر والعقل وما لا يدرك مما يعلمه الله فكم فيهما من نعم مرئية محسوسة ونعم غير مرئية لا يحصيها ويعلمها الا الله الحكيم الذى تخفى أسرار حكمته في خلق ما خلق على الكثير ، بل قد تغيب أسرار حكمته عن خلقه فلا يدرك مغزاها الا الله، وذلك الحمد واجب كذلك لأنه طريق يوصل الحامدين الى نعمة الآخرة وهى الثواب : هى الجنة : هى مقام الصدق في رضوان الله .

وتلك النعمة الأخروية محجوبة وراء الغيب عن العالم الدنيوى ، وقد نطق بها كتابه حين وعد بها المؤمنين الصالحين من عباده ، ووعده الحق ، وكم حدث القرآن عن جناته وما فيها « وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ » ونعم الله ليست وقفا على عباده في الدنيا بل تمتد الى الآخرة وأعظم نعم الآخرة رضوانه فله الحمد في الأولى وله الحمد في الآخرة .

وهو الحكيم ، الذى يدبر شئون خلقه في الدنيا ونعيم المؤمنين في الآخرة .

وهو الخبير بعباده في الدنيا وبما تنطوى عليه الأعمال من الصدق أو المراء ، ومن الايمان أو النفاق ، وهو الخبير كذلك بما يسعد المؤمنين في جناته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وهو الخبير كذلك بما يمزق قلوب المشركين ندما على ما فرطوا في جنب الله وما أنكروا من آياته .

٣٥ — الحمد لمبدع السموات والأرض .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فاطر — ١ .

وجه الله عباده الى حمد الله الذى أبدع السموات والأرض فخلق « سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ » وخلق الأرض وجعلها « بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا » وجعل لها الجبال أوتادا فأرساها .

والسموات والأرض من ابداع المبدع الحكيم فله الحمد على ما أبدع فيهما .

وقد يراد بالفطرة الشق ، وقد وصف الله نفسه بأنه فطر السموات وشقها لتنزل الأرواح والملائكة من الأقطار التى شقها ، كما وصف نفسه بأنه فاطر الأرض لخروجه الأجساد منها

يوم القيامة ويدل على ذلك قوله : « جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً » لأن الملائكة تكون رسل الله يوم القيامة يتلقون عباده « وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ » وقد جعل الله الملائكة أصحاب أجنحة : اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة .

وقد روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ، وصور الملائكة من الغيبيات ، وكل ما نص عليه القرآن : انهم أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع أما ما تجاوز أجنحتهم ذلك العدد فمرجعه السنة الصحيحة من حيث العدد والعظم ، فلنقف عندما صح من السنة فى ذلك .

وان الله ليزيد فى الخلق مايشاء ، فيزيد فى حسن الوجه وفى الصوت وفى ملاحة العينين وطول القامة وذلاقة اللسان والجمال ماشاء فهو القادر على الابداع والاحكام .

وهكذا يوجه الله المؤمنين الى حمد فاطر السموات والأرض مبدعهما والذى جعل الملائكة رسلا يتلقون عباده على باب الجنة يقولون لهم: ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود .

٣٦ ــ حمد المؤمنين فى الجنة :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » فاطر ٣٤ ، ٣٥ .

وعد الله السابقين بالخيرات بالفضل الكبير : بجنات عدن التى يحلون فيها بالذهب واللؤلؤ ولباس الحرير ، وحينما يرون وعد الله وقد تحقق لهم به ثواب ما عملوا فى دنياهم يحمدون الله الذى أذهب عنهم الحزن كل الحزن ، وأسباب الحزن وما يجره الحزن من آلام النفس وضجرها ــ وذهاب الحزن يستأهل حمد الله .

وبعد أن يحمدوا الله يذكرون غفرانه لسيئاتهم التى اقترفوها فى دنياهم حيث غفرها لهم فى الآخرة ، وهو الشكور بمعنى المشكور ، لما أعطى من نعمة الغفران ونعمة اذهاب الحزن، ولما وفق به من الحمد فى الدنيا على تلك النعم ، وهو المحمود كذلك لأنه أكرمهم بدار الاقامة الخالدة التى لا يمسهم فيها اعياء ، ولا يمسهم فيها سبب لهذا الاعياء من مرض أو غيره فليست الجنة مظنة التعب والاعياء والكدح ، ولكنها مقام الراحة والنعيم .

٢٧ ــ

« سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الصافات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

أخبر الله فى الآيات السابقة على هذه بنصر رسله فى قوله : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ، ثم خاطب نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمته بما فى هذه الآية فأمر بتسبيحه وتنزيهه عن كل ما يصفونه به من أن له ولدا كما قالت اليهود والنصارى : قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت اليهود : ان الله فقير ونحن أغنياء » وغير ذلك من النقائص فسبح ربك رب العزة عن كل ما لا يليق بجلاله وكبريائه وبصفات الألوهية ،

فهو رب العزة ، والتربية تدل على كمال حكمته ورحمته ، وعزته تدل على كمال قدرته ، وأنه مالك الملك فليس لغيره شيء في ملكه ، ثم وجهه الى السلام على المرسلين ، لأنهم يرشدون خلق الله ، ويهدونهم الى الحق والخير .

ثم وجهه الى حمد رب العالمين على عظائم نعمه على الخلق ، وكونه رب العالمين يدل على أنه غني عن العالمين ، والعالمون فقراء الى رحمته ونعمه الظاهرة والباطنة وتلك النعم تستوجب حمد الله رب العالمين .

والآية تحمل تنبيه المؤمنين الى كيفية تسبيح رب العزة وتحميده والتسليم على رسله الذين بلغوا رسالاته الى البشر لينتشلوهم مما يعبدون من دون الله .

وفي التوجيه الى السلام على المرسلين تشريف للمرسلين وايذان بأنهم سالمون من المكاره فائزون بكل المآرب ، وأعظمها استجابة من هداهم الله الى الدعوة .

٢٨ ــ مثل يفرق بين المسلم والمشرك :

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » الزمر ٢٩ .

هذا مثل ساقه للكشف عن الفرق بين المشرك الذي كثرت آلهته فعبد الكثير من الأصنام كاللات والعزى ومناة وغيرها مما حملت أسماء ومما لم تحمل ولكنها عبدت ، وبين المسلم الذي يعبد الها واحدا .

وكأنما يقول الله لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكل داعية يدعو الى الله : اضرب مثلا للمشركين : ماذا يقولون في رجل قد اشترك في ملكيته شركاء متشاكسون متنازعون مختلفون يتجاذبونه بينهم ، ويتعاورونه في حاجاتهم فبينما هو يقوم بعمل لأحدهم حتى يطلبه الثاني والثالث والرابع ، فهم يتدافعونه وهو حائر في أمره بينهم لا يدري أيهم يرضي وعلى أيهم يعتمد .

ورجل آخر يملكه واحد فهو يقوم بما يطلبه منه ، ويعتمد عليه فيما يصلح أمره .

والمراد بالمثل : بيان الفرق بين الرجلين وبين من يخدم كل منهما من حيث التعدد والوحدة ليتوصل من المثل الى الفرق بين من يعبد آلهة متعددة ، فهو لا يدري أيهم أعظم ليعبده وعلى ربوبية أيهم يعتمد والى أيهم يخلص وممن يطلب رزقه ، وممن يلتمس الرفق ؟؟ وبين من يعبد الها واحدا سلم له أمره ، وأخلص في طاعته وحمل في ثقة تكاليفه ، وعرف ما يرضيه فعمله ، وما يسخطه فاجتنبه ، ذلك هو المسلم والله الواحد الهه ، أما الآخر فهو المشرك وما أكثر أربابه « أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » (هل يستويان مثلا) وصفته ، والمعنى هل يستوي الرجلان اللذان تقدمتهما الآية مثلا وصفة ؟

ولما ثبت عدم مساواة الرجلين بطل الاشراك، وثبت أنه لا اله الا الله الواحد ، وثبت أن له الحمد لا لغيره ، بل أكثرهم لا يعلمون أن الحمد له وأنه مستحق للعبادة لأنه الله الواحد .

وقيل لما قدم الدلائل في هذا المثل لبيان أن المعبود بحق هو الله الواحد الرازق قال :

الحمد لله على ظهور الدلائل البينــة وان كان أكثر الناس لم يعلمها أو لم يفهمها ، ولم يقف على ما حمله المثل من الدلائل .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ــ حمــد أهل الجنــة والملائكة المحيطين بالعرش :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الزمر ٧٤ ، ٧٥ .

قدم في الآية السابقة على هــذه ســوق أهل الجنة اليها ، وقد يكون المراد : سوقهم هم حين يتأخرون لمشــاهدة مواقف الجــلال في الحشر فيساقون الى الجنة ، أو أن الحب الذى جمع الأخلاء منهم في الله يدعو الى الوقوف لانتظار الأخلاء فيساقون الى الجنة .

وقد يراد بالسوق : أنهم تســاق مراكبهم ، والمراد : اسراعهم الى دخول الجنة ، وأبواب مفتحة لهم قبل أن يدخلوها « **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ** » ويسمع أهل الجنة عند دخولها أصوات الملائكة خزنتهـا تـردد لهم الكلمــات الثلاث : (**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**) : حيث يبشرونهم بالسلامة من كل شر بعد ذلك .

(**طِبْتُمْ**) من كل أدناس الدنيا وخطاياها .

(**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) حيث قضى لهم بالخلود في دار الخلود .

وعند ذلك يهتف المؤمنون : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ** » الذى بشرنا به في الدنيا حيث قال في قرآنه : « **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** »

وقد من الله عــلى المؤمنين فأورثهم الأرض : أرض الجنة ، لأنهــا كانت لأبيهم آدم عليــه السلام فلما رجعت الى المؤمنين من بنيه سميت ارثا لهم ، أو لأنه وفقهم في الدنيــا للأعمــال الصالحة التى أورثتهم الجنة ، وكأن لكل واحد من المؤمنين جنة لا يحتاج منها الى جنة غــيره فهو يتبوأ من جنته وينزل منها حيث يشاء .

ويقول الله على لسان ملائكته عندئذ : (**نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) الذين عملوا الصالحات في الدنيا فأثابهم الله بالجنة أجرا لهم في الآخرة .

ثم قدم صورة للملائكة الحــافين المحيطين الطائفين بالعرش وهم كذلك يسبحون بحمــد ربهم فينزهونه عن كل نقص مقرنين تسبيحهم بالتحميد ، وكان تسبيحهم ممتد من عمر الدنيا الى عمر الآخرة ، فهم في عمر الدنيا (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) وهم في حياة الآخرة كذلك مستغرقون في عبادتهم يسبحون ويحمدون وقضى بينهم بالحق على تفاوت درجــاتهم ، ويقول الملائكة عند القضاء بينهم بالحق : الحمد لله رب العالمين ، فهم يحمدون الله لا لانعــامه وانما يحمدونه لأنــه رب العــالمين الذى ربى العالمين ودبر شئونهم في الدنيا والآخرة .

وقد يراد بقوله : وقضى بينهم بالحق : البشر حيث انتصف للمظلوم من الظالم فيحمد المظلوم ربه على نصره في الآخرة ــ وخاتمة ثنائهم على الله بعد أن دخلوا الجنــة وتبوأوا منهــا حيث شاءوا وقضى بينهم بالحق : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وحق لهم أن يحمــدوا رب العــالمين ويثنوا عليه لأنه أنعم عليهم بالجنة .

دكتور محمد محمد خليفة

هل من مجمع لترجمات تفسير

القرآن الكريم

ينتشر الاسلام دون توقف منذ ان بلغ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسالته الى البشرية كافة . ويبلغ المسلمون الآن حوالى المليار نسمة ينتشرون على مساحة متوسطة من العالم تزيد على ربع مساحة المعمورة وتقدر هذه المساحة بـ ٣٧ مليون كم٢ من اصل ١٣٦ مليون كم٢ من اليابسة .

ويعيش ثلث المسلمين على شكل أقليات تحت حكومات شيوعية أووثنية أو مسيحية أو يهودية، ويبلغ ما أمكن حصره من اللغات التى استعملها المسلمون فى ترجمة أو محاولة ترجمة معانى القرآن الكريم حوالى ١٢٤ لغة وهذا العدد لا يمثل الا جزءا بسيطا من اللغات التى يستعملها المسلمون ، حيث أن هناك شعوبا اسلامية كثيرة ليس لديها تفسير مطبوع للقرآن الكريم بلغاتها حتى الآن وان كانت بعض الشعوب الأفريقية لديها تفاسير شفوية غير مكتوبة تتناقلها الألسن مشافهة .

وكان يصاحب انتشار الاسلام فى الصدر الأول انتشار مواز للغة العربية بحيث أن الحاجة الى تفسير للقرآن الكريم بغير العربية كانت قليلة أو غير واردة ولم يبدأ ظهور تفاسير باللغة الفارسية الا فى عام ٣١٠ هـ حيث تم ترجمة تفسير الطبرى .

وفى عام ٧٣٤ هـ تم ترجمة نفس التفسير الى التركية .

أما الأردية وهى لغة أحدث من السابقتين فقد ظهرت بها أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم عام ١١٩٠ هـ والتى قام بها مولانا « شاه رفيع الدين » .

وقد كانت التفاسير وترجمة المعانى تنبع من

الأستاذ الدكتور/حسن المعايرجي

حاجة اسلامية وبأيد اسلامية أمينة على تبليغ رسالة الاسلام ومعاني القرآن الكريم لمن لا يحسن العربية .

وبعد فتوحات المسلمين في أوروبا والأندلس واحتكاك المسلمين والمسيحيين في الحروب الصليبية وغيرها بدأ المسيحيون في ترجمة معاني (القرآن الكريم) في محاولة للتعرف على « كتاب محمد » أو التعرف على « القانون التركي » أو على « قرآن محمد » كما أطلقوا عليه وقد ترجم الى اللاتينية بمعرفة رهبان ديركلوني عام ٥٠٨ هـ .

وحفظت هذه الترجمة لدراسات الرهبان للتعرف على دين المسلمين ولم تطبع الترجمة الا في عام ٩٥٠ هـ ومن هذه الترجمة نقلت ترجمات الى الفرنسية والألمانية والانجليزية وغيرها من اللغات الأوربية حيث ان المترجمين لم يكونوا على علم باللغة العربية فوجدوا الترجمة اللاتينية أقرب منالا . وبعد هذا

التعرف المبدئي بالاسلام عن طريق هذه التراجم اشتد ساعد الأوروبيين في حربهم للاسلام

وظهرت حركات التبشير والاستشراق وانقضوا على تراثنا الاسلامي اما بحرقه في أسبانيا أو بنهبه وحفظه في مكتباتهم وجامعاتهم أو بدراسته واثارة الشبهات كلما أمكنهم ذلك ، وكانت ترجمة معاني القرآن الكريم وسيلتهم لتحريف الكلم عن مواضعه أو لصرف أقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآني الكريم وتحويلهم الى ترجمة ميسرة بلغتهم كما حدث في بلغاريا اذ قام المبشر الألماني « هوبه » A.H. Hoppe وفريق من الدارسين بعمل ترجمة باللغة البلغارية لشعوب البوماك المسلمين وكان حدثا اعتبره المبشرون عيدا ، وكالترجمة التي قام بها القس جودفري ديل بالسواحيلية ووزعها على مراكز التبشير ومدارس الأحد في شرق افريقيا حتى يمكن محاجة المسلمين عن علم ومناقشتهم عن معرفة . وهكذا نجد أن ترجمة معاني القرآن الكريم استعملها غير المسلمين لمحاربة الاسلام .

وظهر في الميدان آخرون يترجمون معاني القرآن الكريم لخدمة أغراضهم ومعتقداتهم وأقصد بهم الأحمدية القديانية التي كان لها

هل من مرجع لترجمات تفسير القرآن الكريم

ومازال نشاط كبير فى الترجمة ، وأوقفوا الأوقاف لهذا الغرض حتى انهم ترجموا معانى القرآن الكريم الى أغلب اللغات الأوربية كما ترجموه الى السواحيلية لأهمية هذه اللغة التى تستعمل فى شرق ووسط افريقيا . وسبقت الترجمات الأحمدية فى بعض اللغات ترجمات أهل السنة ، وامتلأ الميدان بترجمات فاسدة يقوم بها صليبيون أو يهود أو قاديانيون أغلبها مترجم عن غير العربية . فالنسخة البلغارية مثلا هى نسخة مترجمة عن الألمانية والألمانية عن الانجليزية والانجليزية عن اللاتينية واللاتينية عن العربية ولا أدرى كم من المعنى القرآنى الصافى بقى بعد هذه الرحلة الطويلة .

وفى العصر الحديث ظهرت ترجمات بأيد مسلمة من أهل السنة وكانت متأخرة جدا ولكنها سدت فراغا طالما أشفق منه العارفون بخطورة مانحن فيه من اهمال تبليغ رسالة الاسلام الصافية الى المسلمين بألسنتهم المختلفة ، وقد سبقنا بالفضل فى هذا اخواننا من علماء المسلمين من الهند من أمثال « يوسف على» «وابو الاعلى المودودى» فى الانجليزية « وحميد الله » فى الفرنسية وغيرهم فى اللغات الأخرى .

وبينما كانت الترجمات لمعانى القرآن الكريم تترى بكل لغات الأرض الصالح منها والفاسد ، الموجه للتبليغ منها والموجه لحرب الاسلام ، كان المسلمون فى معركة حامية . هل يجوز أن نترجم القرآن ؟ وهل ترجمة القرآن تسمى ترجمة معانى أم ترجمة تفسير ؟.

وفى الوقت الذى أمكن حصر ٤٣٥ ترجمة فى اللغات الأوروبية وحدها ومازالت وفى تزايد ناهيك عن اللغات الآسيوية والافريقية وحيث تناهز الترجمات فى اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث « التركية » « والأردية » «والفارسية» ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة .

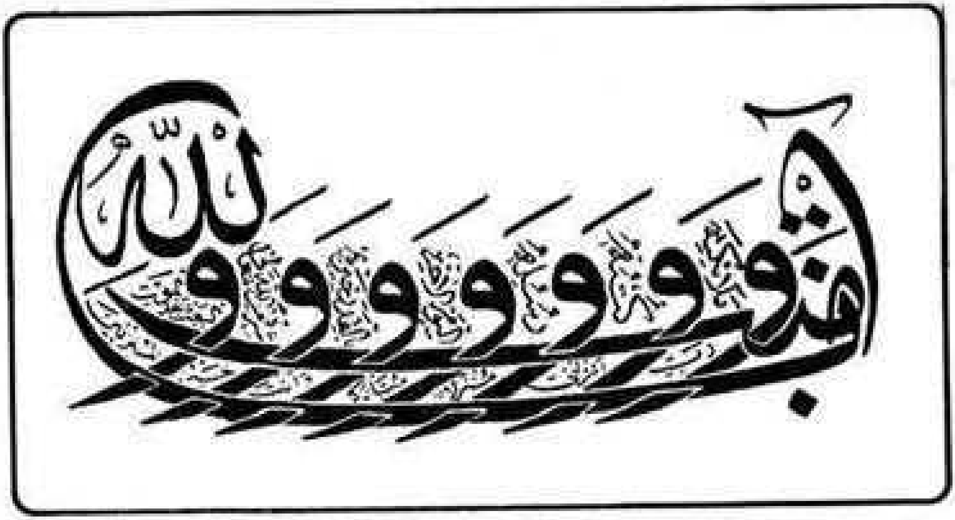
كانت المعركة مستمرة بين أنصار الاباحة ، وأنصار التحريم ، وأنصار الاباحة بشروط ، ومازالت هذه المعركة تعتمل فى النفوس حتى وقتنا الحاضر .

وقد كان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام الأثر الكبير فى تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة وقد قال ابن تيميه « ان اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا باللغة العربية ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » وعن عمر بن الخطاب أنه قال « تعلموا العربية فانها من دينكم » .

فتعلم العربية للمسلم واجب ونشر العربية يجب أن يكون خطا موازيا تماما للدعوة الى الاسلام ومن الجهة المقابلة يقوم واجب الترجمة لمن لا يعرف العربية من المسلمين حتى يعرف تعاليم الاسلام والى أن يتعلم العربية . فالترجمة مرحلة تنتهى بانتشار العربية بين المسلمين .

الأهداف :

١ ــ حصر ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات المختلفة .



٢ ـ جمع نسخ من هذه الترجمات لتكوين مكتبة لها تساعد الباحثين والمحققين والمترجمين .

٣ ـ عمل دليل لهذه الترجمات يبين الجيد منها ويحذر من الترجمات المشبوهة .

٤ ـ اختيار بعض الترجمات الجيدة فى كل لغة وطبعها وتوزيعها على المسلمين .

٥ ـ تكوين لجنة لاختيار تفسير عربى مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين .

١ ـ حصر ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات المختلفة :

قد تم حصر بعض هذه الترجمات فى اللغات المختلفة بجهود فردية متناثرة ، فقد قام الأستاذ « محمد حميد الله » بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية ، وقام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية والآسيوية والافريقية ومازال العمل يحتاج الى جهود أخرى لتعميق هذا الحصر واستكماله ثم متابعة رصد هذه الترجمات وتسجيلها عند ظهورها . والعمل يحتاج الى مختصين فى عمليات الفهرسة واعداد القوائم والاستعانة بالمكتبات والجامعات فى الدول المختلفة .

٢ ـ جمع نسخ من هذه الترجمات :

وهذا العمل ضرورى لحفظ نسخ من كل ترجمة تصدر بأى لغة فى العالم وجمع ماسبق صدوره منها وتصوير المخطوط وتكوين مكتبة من هذه الترجمات لتساعد الباحثين والمحققين والمترجمين كما أنها تحفظ هذه الترجمات من الاندثار والضياع بتصوير هذه الترجمات على « ميكروفيلم » وحفظه .

ويتساوى فى ذلك الترجمات الجيدة والسيئة، وهذا الجمع يحتاج لارسال مختصين لجمع هذه الترجمات من الدول المختلفة والاستعانة بالهيئات الدبلوماسية الممثلة للدولة فى الخارج لجمع ورصد هذه الترجمات . كما أنه عليهم التعرف على المجموعات الخاصة الموجودة لدى الأفراد والهيئات لتصويرها والحصول على

فهارسها أو شرائها ان تيسر ذلك .

٣ ــ عمل دليل للترجمات :

والمقصود من ذلك هو تكوين لجان لدراسة ترجمات كل لغة وتقييم هذه الترجمات ومعرفة الجيد ومعرفة الأخطاء في الفاسد منها ووضع ذلك على شكل دليل يبين الأخطاء الموجودة في الترجمة ان كان بها أخطاء ويحدد مدى دقة هذه الترجمة وهل يمكن الاعتماد عليها . وتصنف هذه الترجمات في عدة مستويات تسهل على مستعملي هذه الترجمات تقييمها ومعرفة الصالح منها والفاسد .

وهذا العمل يحتاج الى محققين باللغات المختلفة على مستوى علمي قرآني رفيع .

٤ ــ اختيار وطبع الجيد من الترجمات :

وعلى ضوء عمل اللجان في المرحلة السابقة يمكن اختيار ترجمة أو ترجمتين من كل لغة لطبعها وتوزيعها على المسلمين ، لحين اتمام المرحلة الخامسة .

٥ ــ تكوين لجنة لاختيار تفسير عربي مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين :

(أ) الاختيــار :

وهذه المرحلة قد سبق تنفيذها ولو جزئيا باصدار التفسير الميسر(١) الذى قامت به لجنة من علماء الأزهر الشريف لهذا الغرض والخطوة التالية هي ترجمة هذا التفسير الى اللغات المختلفة ان كان اختيار هذا التفسير مازال ساريا ومقبولا من علماء التفسير .

(ب) الترجمــة :

وهذه المرحلة تحتاج الى جهود كبيرة ومكثفة وتكوين لجان كثيرة للترجمة ، كل لجنة تختص بأحدى اللغات وتكون الأولوية للغات التى يستعملها الكثرة من المسلمين ثم تنتقل الى اللغات الأقل انتشارا وهكذا .

ولكل لجنة ترجمة تكون هناك لجنة مراجعة .

(ج) الطبــع :

ثم تبدأ عمليات الطبع والاخراج لهذه الترجمات المعتمدة وهى تحتاج الى مطابع

---

(١) التفسير الذى يصدره الازهر ــ مجمع البحوث الاسلامية هو « التفسير الوسيط » فأما التفسير الميسر ، فهو من عمل فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ــ رحمه الله ــ مجلة الازهر .

تستمر في تزويد المسلمين في شتى أنحاء الأرض بما يحتاجونه من تفاسير بكل اللغات ولعل مطبعة المدينة المنورة القرآنية هي من أنسب

الأماكن لهذا العمل .

(د) التوزيع :

وهو من أهم العمليات وأكثرها كلفة وأدقها حيث أن اتقان هذه العملية يؤدي الى وصول التفاسير الى الأيدي التي تحتاجها ، وكثيرا

ماتطبع التفاسير ولا تصل الى مستحقيها في البلدان المختلفة ولعل موسم الحج من أنسب المواسم لوصول هذه التفاسير الى مختلف

الشعوب كما أنه يمكن عمل مراكز في افريقيا وآسيا للتوزيع .

هذه باختصار لمحة عن فكرة المجمع وأهدافه ومهماته وهي لعمري مهمات كثيرة وشاقة وتحتاج الى عمل دائب من رجال تعمل بروح

المجاهدين ، كما تحتاج لسنين طويلة من العمل الجاد المستمر .

وأحمد الله على فضله ، فبجهد فردي أمكن جمع مكتبة كبيرة من الترجمات ومازالت في نمو كما ان ثبتا مكتبيا (ببليوجراف) للترجمات في سبيل الطبع بعد عمل طويل شاق كان الفضل

فيه لمركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون الاسلامية باستانبول ، كما ان رابطة العالم الاسلامي قامت بطبع العديد من الترجمات

الجيدة كالترجمة اليابانية للمرحوم الحاج « عمر ميتا » والترجمة الانجليزية « ليوسف على » وبصدد طبع مليون نسخة من ترجمة تركية هذا علاوة على ترجمة بالصينية واليوربا والهوسا كما ألفت لجنة لعمل ترجمتين جديدتين بالانجليزية والفرنسية . كما ان التفسير الميسر قد طبعه سمو الشيخ « زايد بن سلطان » ويعتبر تفسيرا جيدا جاهزا للترجمة للغات المختلفة ، أى ان هناك أعمالا متناثرة يمكن جمعها في صلب مراحل تنفيذ المشروع ولن نبدأ من فراغ . والى أن تشرق شمس اللغة العربية على أمم المسلمين فلابد من الترجمة والله المستعان وله الفضل من قبل ومن بعد .

قال الله تبارك وتعالى في محكم آياته :

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ » .

٢٢ ــ الروم

« تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا »

الفرقان ــ ١

« وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ »

الشعراء ١٩٢ ــ ١٩٥

الدكتور / حسن المعايرجى


قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
١٣٨٦

دراسات في السنة والتشريع

الخوف والرجاء

حقوق غير المسلمين

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

عن تطبيق الشريعة الإسلامية

الخوف والرجاء

عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (قال الله:يابن آدم ، إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك) (١)

الخوف : انقباض النفس لانتظار ما هو مكروه عند الانسان والخوف من الله متوقف على الصلة بالله ، والشعور بخشيته وخشيته تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف ، وتجعل العبادة والعمل خالصا لله وحده .

والرجاء : ارتياح لانتظار ماهو محبوب عند الانسان ، ورجاء العبد دائر بين ذنب يرجو غفرانه ، وعيب يرجو اصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله ، وتقرب الى الله يرجو أن يحظى به .

والحديث يبين لنا أن المؤمن اذا اتجه الى الله بقلبه ، ورفع أكفه الى السماء فى ضراعة ، فان الله يحقق له الرجاء ولا يرده خائبا ، فعن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « ان الله تعالى ليستحى أن يبسط العبد اليه يده يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين » (٢) .

---

(١) رواه الترمذى

(٢) رواه ابو داود والترمذى .

للشيخ محمد صابر البرديسي

وعن عبادة بن الصامت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو كف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » (١) .

ومجرد الرجاء والدعاء لا يفيد ، بل لابد أن يقترن ذلك بالعمل فالعمل هو الذى تجرى عليه المقاييس عند الله تعالى ، وهو الذى يرد الناس الى ميزان واحد هو اسلام الوجه لله .

وليس الرجاء كلمات تقال أو عبارات تردد، فان من يرجو الله ويطمع فى مغفرته لابد أن يكون صادقا مع الله فقول بلا صدق كذب كبير ومقت .

ولذا لم يترك الله العبد لمجرد رجائه بل جعل الايمان شرطا ضروريا لقبول العمل ، واستجابة الرجاء .

قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٢)

فهذا نص صريح فى اشتراط الايمان لقبول العمل ، فالايمان يجعل العمل الصالح يصدر عن ارادة معينة ، ويجعله حركة طبيعية ايمانية، لا مدخل لهوى شخصى ، ولا استجابة لغرض عاطفى لا يقوم على أساس .

فمن كان يرجو ثواب الله ورضوانه ، ويتطلع الى القرب من الله وجواره فليأخذ الوسيلة والأساس .

الوسيلة التى لا وسيلة سواها وهى العمل الصالح والاساس الذى لا أساس غيره وهو

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) سورة النساء ١٢٣

الخوف والرجاء

الايمان بالله وعدم الاشراك به .

فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (١) .

ولقد يسمو الرجاء فيكون أملا في الاستشهاد ، ورغبة في لقاء الله ويتحمل المسلم في سبيل ذلك كل ما يلاقيه من صعاب وآلام وأثقال من دنياه ، بل ربما وجد في ذلك متعة وراحة يستطيبهما .

« ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسمهفتمزقه فما يحسها الا كأنها قبلات أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه » (٢) .

عن شداد (رضى الله عنه) أن رجلا من الأعراب جاء الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فآمن به واتبعه ثم قال : أهاجر معك ؟ فأوصى به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض أصحابه ، فلما كانت غزاة ، غنم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقسم للجند ، وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ــ فلما جاء دفعوه اليه ، فقال : ما هذا : قالوا : قسم قسمه لك النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخذه فجاء به الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ

فقال : ماهذا ؟ قال : قسمته لك .

قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى الى ها هنا (وأشار الى حلقه) بسهم فأموت فأدخل الجنة .

فقال له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أن تصدق الله يصدقك » فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا الى قتال العدو ، فأتى به الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أهو هو ؟ قالوا نعم .

قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صدق الله فصدقه ثم كفنه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ في جبته التى عليه ثم قدمه فصلى عليه ، وقال في صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك » (٣) .

لقد أعلن هذا الصحابى الجليل بأنه باع نفسه ابتغاء رضوان الله ، وكله أمل ورجاء ، في أن يفوز بالشهادة ، ويدخل الجنة ، وكان صادقا مخلصا في قوله ، فصدقه الله ، وحقق أمنيته وفاز برضوان الله وجنته ، وشهد على ذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم . وهكذا كل انسان ينسجم قوله مع عمله وعقيدته يثيبه الله ، ويعوضه بكرمه ويحقق له رجاءه ، ويدخله الجنة بفضله وكرمه .

لقى أنس بن النضير ، رسول الله ــ صلى

---

(١) سورة الكهف ١١٠

(٢) مصطفى صادق الرافعى .

(٣) رواه النسائى

الله عليه وسلم ــ فقال : يارسول الله غبت عن أول قتال ، قاتلت فيه المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين لَيُرِيَنَّ اللهُ ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون ، فقال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ (رضى الله عنه) فقال : ياسعد بن معاذ (الجنة ورب النضر) انى أجد ريحها دون أحد .

قال سعد : فما استطعت يارسول الله ان أصنع ما صنع .

قال أنس بن مالك :

فوجدنا أنس بن النضر وبه بضعا وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثل به المشركون ، فما عرفه أحد الا أخته ببنانه (أصبعه) . فقال أنس بن مالك : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه ، وفى أشباهه ، «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا » (١) .

رجاء المؤمن فى رحمة الله لا يخيبه الله أبدا ، بل يحققه على طول الطريق اما بالنصر والفوز فى الدنيا ، واما بالشهادة والجنة فى الآخرة وكلاهما خير وكلاهما رحمة .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٢) .

الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والايمان الصادق كالبذر الحى ، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها وسياقة الماء اليها .

فاذا كانت الأرض خصبة ، والبذرة بها حياة وسليمة وأحطناها بالظروف الملائمة لانباتها من تنقية ورى فى وقت الحاجة ، وبحفظها من الآفات المفسدة ، فانها سرعان ما تنبت وتنمو وتؤتى ثمرها ، فانتظار الزارع حينئذ للثمر يسمى رجاء .

والعبد اذا بث الايمان فى قلبه وكان ايمانا صادقا فيه حياة ويقين فى الله وصادف قلبا طيبا خصبا متقبلا لماء الطاعات وسقى بها ، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرذيلة ، فان العبد يجنى ثمرة ايمانه ، من القبول وحسن الخاتمة والمغفرة ودخول الجنة .

وكان انتظاره لذلك يسمى رجاء محمودا ، وكما أن الرجاء طريق يسلكه الراجون للاتصال بالله ، والقرب منه والأمل فى رحمته

---

(١) الاحزاب ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢١٨

ورضوانه ، كذلك الخوف من الله ، فان العبد اذا رق قلبه ، وخشي ربه ، وراقبه في السر والعلانية وصدق الله في كل ما يصدر عنه ، وسار وفق منهج الله وشريعته فان الله يجله ويقدره ، ويتولاه برعايته وتوفيقه ، وعاش هادىء النفس ، مستريح الضمير ، لا يخاف من شيء وكيف يخاف ، ومعه الطمأنينة ؟ لا يضطرب من شيء وكيف يضطرب وعنده الاستقرار ؟ لا يخشى مخلوقا وكيف يخشى ومعه الله ؟

ولهذا كانت الخشية في مقام الاحسان ، وهو « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وكانت الخشية من صفات العلماء : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (١) ومن صفات الأتقياء المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » (٢) .

فخشية الله من الدعائم التي قامت عليها الحياة الروحية التي تسمو بالانسان الى كل خير ، لذلك جاءت الأديان تسعى لغرس هذه النزعة في نفوس الأفراد ، ولولا خشية الله لاسترسل الناس في شرورهم وانكبوا على شهواتهم ، ولما نفعت القوانين والتشريعات التي شرعت للمحافظة على الانسان من العدوان .

وان ما يعانيه العالم اليوم من تدهور في الأخلاق ، وانكباب على الرذائل ، وانتشار للاجرام ، انما ذلك بسبب ماران على قلوبهم من الغلظة والقسوة ، وغفلتهم عن خالقهم ، وعن استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بين الانسان وبين الميل الى الشر .

والاسلام مع ماشرعه من تشريعات وعقوبات تردع الانسان عن اقتراف الشر لم يهمل تذكيره بخشية الله ، والخوف من عقابه ، لأن ذلك ادعى الى طاعته ، وسلوك الطريق المؤدي الى رضائه ، والفوز بنعيمه ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (٣) وقال تعالى : « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » (٤) وخشية الانسان لله تهبه قوة ، وتخلق فيه شجاعة أدبية وهي من محاسن الصفات التي يتحلى بها الانسان قال تعالى : « يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

(١) سورة فاطر ٢٨ .
(٢) سورة البينة ٧ ، ٨ .
(٣) سورة الملك ١٢
(٤) سورة النور ٥٢ .

يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ » (١) .

والعبد لابد له أن يجمع بين الخوف والرجاء ، لأنه ان غلب عليه الخوف حتى فقد رجاء الله فقد وقع في طريق اليأس ، ولاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون .

وان غلب عليه الرجاء حتى فقد الخوف ، وقع في طريق الأمن من مكر الله ، ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .

والمختار للعبد في حال صحته أن يغلب خوفه من الله على رجائه ، حتى يكون أكثر تقربا الى الله وبعيدا عن ارتكاب الآثام .

وقال أهل التوحيد :

وَغَلِّبِ الْخَوفَ على الرجاء
وسر الى مولاك بلا تناء

وتخويف العبد من ربه له حدود لا ينبغي تجاوزها الى اليأس فان التربية التي تقوم على الخوف المطلق تربية فاسدة لأنها تطمس نور القلب ، وتمنع عناصر الخير من النهوض ، ففي كل انسان عواطف وميول للعمل الصالح تشجعها المكافأة الحسنة ، ويحفزها الأمل الباسم ، وينميها الوعد الصادق برحمة الله ورضوانه .

« وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (١) .

والمأثور مما تطمئن اليه النفس أنه حين يمرض الانسان ، أو يحضره الموت أن يغلب جانب الرجاء ، لما ورد عن جابر (رضى الله عنه) أنه سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) ـ قبل موته بثلاثة أيام يقول :

(لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) (٣) وعن حيان أبى النضر قال : خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع ، وهو يريد عيادته ، فدخلنا عليه ، فلما رأى واثلة بسط يده ، وجعل يشير اليه فأقبل واثلة حتى جلس ، فأخذ يزيد بكفى واثلة فجعلهما على وجهه .

فقال له واثلة ، كيف ظنك بالله ؟ قال : ظنى بالله ، والله حسن ، قال : فأبشر فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول قال الله عز وجل : « انا عند ظن عبدى بى إن ظن خيرا فله ، وإن ظن شرا فله » (٤) .

ولما حضرت الامام احمد الوفاة قال لولده عبد الله أذكر لى أحاديث الرجاء .

(وبعد)فان خشية الله المقرونة بالرجاء لهى أقوى المؤثرات فى أعمال الانسان ، لأنها تربى الضمير الانسانى ، وتجعله فردا صالحا فى المجموعة الانسانية وبها يحيا الناس حياة طيبة يعيشون فى صفاء من نعيم النفس ، وراحة القلب .

رب ان الهدى هداك والخير بيدك ، رب اهد الأمة الاسلامية الى محاسن دينك ووفقها لما تحبه وترضاه .

محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة المائدة ٥٤ .
(٢) الأعراف ٥٦ .

(٣) رواه مسلم .
(٤) أخرجه الامام احمد وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى .

سُفراءُ النبيّ صلى الله عليه وسلم

وكتّابه ورسائله

٢

نصوص الرسائل النبوية

١ ــ رسالة النبى الى كسرى (١)

وجه النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ رسالة الى كسرى عظيم الفرس وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا اله الا الله وحده ، لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فانى رسول الله الى الناس كلهم لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .

أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس .

وقد حمل هذا الكتاب العظيم الى كسرى السفير النبوى الكريم عبد الله بن حذافة السهمى ، فلما قرىء على كسرى مزقه ، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال كلمته الخالدة : مزق ملكه .

وقد كان كما نطق النبى الكريم .

وروى فى كتاب الأموال لأبى عبيد عن عمر ابن اسحاق ، قال : بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسالة الى كسرى وأخرى

(١) سبق ان اثبتنا فيما تقدم من الحديث نص الرسالة النبوية الشريفة الى قيصر الروم .

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

الى قيصر ، فلما قرأ كسرى الرسالة النبوية الشريفة مزقها ، ولما قرأ قيصر رسالته عليه الصلاة والسلام طواها ثم رفعها وحفظها ، فقال عليه الصلاة والسلام تعليقا على هاتين الحادثتين :

أما هؤلاء (يعنى الفرس) فيمزقون ، وأما هؤلاء (يعنى الروم) فستكون لهم بقية !

وروى كذلك أنه لما جاءه عليه الصلاة والسلام جواب كسرى قال كما سبق أن ذكرنا ،

— مزق ملكه !

ولما جاءه جواب هرقل قيصر الروم قال :

— ثبت ملكه !

٢ — الرسالة النبوية الى النجاشى

وكتب عليه الصلاة والسلام رسالة الى النجاشى جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة ، أما بعد فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما نفخ آدم بيده ، وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فانى رسول الله ، وانى أدعوك وجنودك الى الله تعالى ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتى .

وقد بعثت فيكم ابن عمى جعفرا ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبع الهدى .

وبعث عليه الصلاة والسلام كتابه الكريم مع عمرو بن أمية الضمرى .

فقال النجاشى عندما تلا الخطاب الشريف :

« أشهد بالله أنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب . وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » !

جواب النجاشى على رسالة النبى

ثم كتب النجاشى جواب الكتاب الكريم الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الى محمد رسول الله — صلى الله عليه

وسلم ــ من النجاشى أصحمة » •

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الله الذى لا اله الا هو الذى هدانى للاسلام•

اما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا (١) انه كما ذكرت •

وقد عرفنا ما بعثت به الينا •

فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لرب العالمين •

وقد بعثت بابنى ، وان شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله •

فانى اشهد أن ما تقوله حق •

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » •

وقد أرسل ابنه مع ستين رجلا فى اثر من أرسلهم مع جعفر بن ابى طالب ، فغرق ابنه ومن معه •

ووافى جعفر بن ابى طالب وأصحابه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكانوا سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف ، منهم اثنان وستون من الحبشة ، وثمانية من أهل الشام •

فقرأ عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سورة يس الكريمة الى آخرها •

فبكوا حين سمعوا القرآن ، وآمنوا ، وقالوا :

ــ ما أشبه هذا بما كان أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام !

وفيهم نزل قول الله تعالى :

(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ • وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (٢) •

٢ ــ رسالة النبى الى المقوقس

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ، ملك مصر والاسكندرية ، رسالة جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله •

الى المقوقس عظيم القبط •

سلام على من اتبع الهدى •

اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم •

يؤتك الله أجرك مرتين •

فان توليت ، فعليك اثم القبط •

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٣)•

---

(١) الثفروق هو ما بين النواة وقمع التمر •

(٢) سورة المائدة/٨٢ ــ ٨٣ •

(٣) آل عمران/٦٤ •

وحمل الرسالة الشريفة السفير النبوى حاطب بن أبى بلتعة ، فأخذ المقوقس كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ، فوضعه فى حق من عاج ، ودفعه لجارية له ، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية ، فكتب الى النبى — صلى الله عليه وسلم — :

نص جواب المقوقس ..

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله .

من مقوقس عظيم القبط .

أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ماذكرته وما تدعو اليه .

وقد علمت أن نبيا بقى ، وقد كنت أظن أن يخرج بالشام .

وقد أكرمت رسولك .

وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام .

ولم يزد المقوقس على ذلك ، ولم يسلم .

٤ — رسالة النبى الى ملك البحرين

وكتب عليه الصلاة والسلام كتابا الى المنذر ابن ساوى ملك البحرين ، يدعوه فيه الى الاسلام ، وبعث الكتاب الشريف مع سفير كريم هو العلاء بن الحضرمى ، فكتب المنذر ابن ساوى الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(أما بعد يا رسول الله — فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى يهود ومجوس ، فأحدث الى فى ذلك امرك!)

فكتب اليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله .

الى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

أما بعد فانى أذكرك . الله عز وجل ، فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه . ومن يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى . ومن ينصح لهم فقد نصح لى .

وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وانى قد شفعتك فى قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه .

وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك من عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية» .

٥ — رسالة النبى الى ملكى عمان

وكتب عليه الصلاة والسلام الى ملكى عمان رسالة بعث بها مع عمرو بن العاص ، جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد عبد الله ورسوله .

الى جيفر وعبد ابنى الجلندى .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام .

أسلما تسلما ، فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على

الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما، وان ابيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما » •

وكان الذي تولى تحرير هذه الرسالة الشريفة الصحابي الجليل أبي بن كعب ، وختم الكتاب ، فأجابا بالاسلام •

وفي ذلك يقول عمرو بن العاص :

(وقد خليا بيني وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عونا على من خالفني !)•

٦ ـ الرسالة النبوية الى صاحب اليمامة

وكتب عليه الصلاة والسلام الى هوذة بن علي صاحب اليمامة رسالة بعث بها مع سليط بن عمرو العامري ، وهي تجري على النسق التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله •
الى هوذة بن علي •
سلام على من اتبع الهدى •
واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر •
فأسلم تسلم •
أجعل لك ما تحت يدك » •

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مختوما أنزله منزلا كريما وحياه وقرأ عليه الكتاب •

فكتب الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

(ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ! والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك) •

وأجاز سليطا مبعوث النبي الكريم بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر ، فقدم بذلك على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقرأ خطابه •

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
ـ لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت ! باد وباد ما في يده !

فلما انصرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الفتح جاء جبريل عليه السلام فقال : ان هوذة قد مات !

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ •
ـ أما اليمامة فسيظهر بها كذاب يتنبأ ، ويقتل بعدي ! فكان كذلك !

٧ ـ رسالة النبي الى الحارث

ابن ابي شمر الغساني

وكتب ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الحارث بن ابي شمر الغساني وكان بغوطة دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله .
الى الحارث بن ابى شمر .
« سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدق .

وانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك » .

وأرسل النبى الكريم رسالته الشريفة مع شجاع بن وهب ، فلم يسلم الحارث ، فقال عليه الصلاة والسلام :
— باد وباد ملكه !
وقد كان !

٨ — رسالة النبى الى تميم بن أوس الدارى

وقدم على النبى — صلى الله عليه وسلم — تميم بن أوس الدارى فى ستة نفر من الداريين فأسلموا جميعا ، وسالوه ، — صلى الله عليه وسلم — أن يعطيهم أرضا من أرض الشام ، فأعطاهم اياها ، وكتب لهم فى ذلك كتابا شريفا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد — صلى الله عليه وسلم — للداريين اذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطون وبيت ابراهيم ومن فيهم الى أبد الأبد » .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب عم النبى وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وهو الذى تولى كتابة الرسالة .

ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام :
— انصرفوا حتى تسمعوا أنى هاجرت (أى رجعت الى المدينة) ، لأن قدومهم كان عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك ، فلما رجع — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة قدموا عليه ، فسألوه أن يجدد لهم كتابا آخر ، فكتب كتابا فيما يلى نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى (١) محمد رسول الله تميما الدارى وأصحابه :

انى قد أعطيتهم بيت عين وحبرون والمرطون وبيت ابراهيم برمتها وجميع ما فيها عطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ، فمن آذاهم فيه آذاه الله » .

وشهد على هذه الرسالة النبوية أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب : أى الخلفاء الراشدون جميعا ، وكان على رضى الله عنه هو الذى تولى تحرير الرسالة بخطه ، فقد كان من كبار كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم .

والحديث عن هذه الرسالة يطول وكذلك شرح ظروفها ويمكن الرجوع الى كتاب (نظام

---

(١) معظم الروايات وردت (أنطى) بمعنى أناط ووهب وأعطى — وقد وردت الرسالة بأساليب مختلفة .

الحكومة النبوية) لمؤلفه الشيخ عبد الحى الكتانى المغربى ، للوقوف على تفاصيل تلك الروايات المختلفة .

٩ ــ رسالة النبى الى صاحب ايلة (بيت المقدس) ..

وكتب عليه الصلاة والسلام ليوحنا بن رؤبة صاحب ايلة (بيت المقدس) لما اتاه بتبوك ، وصالح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واعطاه الجزية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمنة (أى أمان) من الله ، ومحمد النبى رسول الله ليوحنا بن رؤبة واهل ايلة ، أساقفتهم وسيارتهم فى البر والبحر ــ لهم ذمة الله وذمة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس . وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه . ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر .

١٠ ــ رسالة النبى الى اهل جرباء واذرح

وكتب ــ صلى الله عليه وسلم ــ لاهل جرباء واذرح لما اتوه بتبوك واعطوه الجزية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وأذرح انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد .

وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ، ومن لجأ اليهم من المسلمين فى المخافة .

١١ ــ رسالة النبى الى ابن ضميرة

« من محمد رسول الله لابن ضميرة وأهل بيته :

إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلابحق ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا » .

وكانت هذه الرسالة بخط أبى بن كعب رضى الله عنه ــ كاتب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

د. مختار الوكيل

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

الدكتور محمد رجب البيومي

نشرت جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩/٣/١٩٨٢ مانصه :

(لندن فى ١٨ وكالات الأنباء – وقع نحو ٥٠ عضوا من الأعضاء البرلمانيين لحزب المحافظين البريطانى امس على طلب يؤيدون فيه دعوة جهاز البوليس البريطانى لاعادة العمل بعقوبة الاعدام شنقا للمتهمين المدانين فى قضايا القتل مع سبق الاصرار والترصد وذلك فى محاولة للحد من تزايد موجة الجرائم الخطيرة التى زادت بنسبة ١٠٪ فى عام ١٩٨١ لتصل الى رقم قياسى معدله ٢٫٩ مليون جريمة خطيرة .

وكانت مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا قد أعربت عن معارضتها لتعديل القانون واعادة عقوبة الاعدام بالشنق الذى الغى فى بريطانيا فى ١٩٦٥ باستثناء جريمة الخيانة العظمى وأقر مجلس العموم هذا الالغاء عند طرحه للنقاش عام ١٩٧٩) .

وهكذا نجد انجلترا تتراجع فى مسألة الغاء عقوبة الاعدام وليست أول حكومة تفكر فى الغاء عقوبة الاعدام ، فقد سبقتها الى ذلك بعض الدول كالبرتغال واليونان وهولنده والنرويج والهند ورومانيا والكثير من المقاطعات السويسرية ودول أمريكا الجنوبية . وقد كان القرن الثامن عشر يموج بحرب فكرية بين دعاة الالغاء ودعاة الابقاء ، وظلت المناقشة قائمة الى يومنا هذا ، يشترك فى ميدانها أساتذة مصريون وبريطانيون وبلجيكيون وايطاليون ، ولكل فريق أدلته وبراهينه ، ولقد

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

كان لهذه المناقشات المدوية أثرها البعيد ، فامتنعت بعض الدول نهائيا عن عقوبة الاعدام واستبدلت بها الأشغال الشاقة المؤبدة أو الحجز الانفرادى أو النفى الى مجاهل مظلمة ، كما اضطرت بعض الدول التى ترى ابقاء العقوبة الى انقاص عدد الجنايات التى يعاقب مقترفها بالاعدام ، واتخذت بعض الدول وسائل مخففة لتنفيذ الاعدام ، مع أن الموت بالزهر كالموت بالفحم كما يقول أمير الشعراء .

وقد جاءت الشرائع السماوية منادية بتطبيق العقوبة ، وتنفيذها فى حالات خطيرة لا يسد مسدها غير عقوبة الاعدام . فالتوراة تنص على وجوب قتل النفس بالنفس كما قال الله عز وجل : « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ .. » الآية . والشريعة الاسلامية تجعله زجرا للقاتل وحسما للجريمة . فقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ، الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ».

ونحن نعلم أن ميدان الحياة فسيح للتناحر والشجار ، وأن بعض النفوس البشرية يتعذر عليها أن تستجيب لنوازع الخير ، فقد جبلت على القسوة الطاغية ، فأغلقت آذانها عما يتردد من هتاف بالفضيلة والتسامح ومراقبة السماء . وهذه النفوس القاسية التى توغل فى الشر وتندفع الى الدماء ، لابد أن تجد الجزاء العادل الحاسم . واذا اعتقد القاتل أنه سيفلت من القتل بعقوبة ما ، فان الرغبة فى الشر ستتأجج فى جوانبه والاندفاع سيبلغ أبعد مداه . ولهذا كان القتل أنفى للقتل كما يقول المثل العربى . ولعل أصدق شاهد على ذلك أن بعض الدول التى قررت الغاء عقوبة الاعدام كايطاليا ، قد عادت الى تنفيذه وتطبيقه اذ هالها وأزعجها استفحال الشر وتفاقم الخطب . وصدق الله عز وجل حين قال : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » .

ولنستمع الآن الى أدلة القائلين بوجوب الالغاء ، ثم نتبعها بردود معارضيهم ، ليدرك القارىء أى الفريقين أكثر اتزانا ، وأبعد عن العاطفة فى معركة تستهدف الخير والصلاح ؟.

يقول المحبذون للالغاء :

١ ــ ان القانون حين يعاقب على القتل خليق به أن يستأصله من مواده ، فلا يأمر بعقوبة يشدد عليها النكير .

٢ ــ ان اعدام المجرم خسارة ثانية للأمة ، فانها ستفقد اثنين بتنفيذ العقوبة لا واحد فقط . كما أن اعدام القاتل لن يفيد أهل القتيل .

٣ — ان العقوبة اثر من آثار الوحشية والبربرية . وليس من العدالة أن نتمادى فى تنفيذ عقوبة يتألم لها الشعور الانسانى النبيل .

٤ — ان عقوبة الاعدام متى حكم بها ونفذت نهائيا ، فقد أصبح من المحال أن نصحح آثارها الظالمة ، اذا ثبت أن الحكم بها قد بنى على أدلة غير صحيحة وهنا تكون الكارثة كأفدح ماتكون .

٥ — ان عقوبة الاعدام هائلة مريعة ، ومن الامكان أن نستبدل بها عقوبة أخرى ، كالأشغال المؤبدة أو الحجز الانفرادى مدى الحياة ، أو النفى الى مطارح نازحة .

٦ — لقد لوحظ أن البلاد التى ألغت هذه قد قلت بها حوادث القتل والاجرام .
وكان الالغاء نفسه أداة اصلاح .

٧ — ان عقوبة الاعدام تمنع من اصلاح المجرم ، مع أن العقاب فى وضعه الأصلى قد شرع للاصلاح والتهذيب .

هذه هى أدلة القائلين بالالغاء . والرد عليها هين ميسور . وسنوجزه ايجازا يحصل الحجة الملزمة والاقناع المريح فنقول :

١ — أما أن القانون الذى يعاقب على القتل خليق بأن يستأصله من مواده ، فمغالطة واضحة ، لأن القانون بتنفيذه الاعدام يمثل المجتمع ، والقاتل بجريمته الشنعاء يمثل نفسه وحده ، وما يحرم على الفرد لايحرم على المجتمع . فكما له الحق فى المصادرة والغرامة والحبس ، فله الحق فى تنفيذ الاعدام .

٢ — وأما أن اعدام المجرم خسارة ثانية للأمة ، فهو غير معقول ، لأن استئصال المجرم كسب أى كسب . ولو استمرت حياته فلن يؤمن شره . والقول بأن اعدام القاتل لن يفيد أهل القتيل ، يتضمن اغفالا تاما للناحية النفسية لدى هؤلاء ، فلا ريب أن أحزانهم ستهدأ حين يجدون القاتل قد لقى جزاءه العادل . والا فلا مناص من الثأر والتربص ، مما يضطرب معه الأمن أسوأ اضطراب . وقد راعت الشريعة الاسلامية شعور ولى الدم ، فجعلت له الحق فى الاصرار على القصاص أو العفو بمحض ارادته ، كيلا يعتقد عجزه عن ادراك طلبته فتدب فى صدره عقارب الغيظ والانتقام .

٣ — وأما أن العقوبة أثر من آثار الوحشية والبربرية . ومفزعة للشعور الانسانى . فهذا كلام تتطرف العاطفة المتذبذبة ، دون أن يجد مجالا لدى الادراك الصحيح ، فالوحشية تتجسم حين يعتدى القاتل على البرىء المظلوم ولن تكون فى استئصال الشر وبتره ، والعاطفة المستنيرة تؤيد العقل فى محق الاجرام ، ولا تتألم لاقامة الحق . ونحن نقرأ فى الصحف أنباء المشنوقين ونسمع أقوالهم الأخيرة ، فلا نتأوه لمصارعهم العادلة ، اذ كانت فى حقيقتها حسما للداء .

٤ — وأما عقوبة الاعدام اذا نفذت خطأ ، فلن يقدر على ملافاتها بحال ، فهذا قول له وجاهته السطحية ، اذ أن

الخطأ القضائي في هذه العقوبة نادر جدا • وقد تمر أعوام دون أن يسمع به في شتى نواحي العالم • وقد اخذت له الاحتياطات الواقية بالرجوع الى مفتى الجهة وارسال اوراق القضية اليه ، على ان الشريعة الاسلامية لاتجيز الاعدام الا في حالة الثبوت باعتراف المتهم او بشهادة شاهدى الرؤية • وهذا خير من ترك الأمر الى ضمير القاضي واقتناعه كما في قانون العقوبات الذى يعمل به الآن •

٥ ـ وأما أن عقوبة الاعدام هائلة مفزعة ويمكن أن يستبدل بها الأشغال الشاقة المؤبدة مثلا • فهذا فرار من شر الى أشر منه ، بل ان بعض المجرمين ينتحرون خلاصا من الحياة اذا صدموا بالأشغال الشاقة صباح مساء •

٦ ـ وأما أن البلاد التي ألغت هذه العقوبة قد قلت بها حوادث القتل ، فهذا مايصطدم بالحقائق الواقعية ، ولايمكن أن يتقبله عقل بتسليم واذعان • والواقع أن البلاد التي تقل بها حوادث القتل هي التي تبقى العقوبة وليس الأمر بالعكس كما يقول محبذو الالغاء • ولديك الهند مثلا ، فقد ثبت أنها تعدم سنويا ٢٥ شخصا مع أن عدد السكان ٣٦٥ مليونا واذن فقد كان الالغاء وليد الندرة وليست الندرة وليدة الالغاء •



٧ ـ أما القول بأن الاعدام يمنع من اصلاح المجرم ، فمع التسليم به ، ينبغي أن نعلم أن الاشغال المؤبدة نفسها لاتكفل اصلاح المجرم فهل نتركه اذن حرا طليقا يعبث كما يشاء ، أو نلجأ الى شر لابد منه وهو الاعدام •

ولعلنا بعد هذه المناقشة المنصفة ، نستطيع أن ننادى بابقاء هذه العقوبة رغبة في صلاح المجتمع ، وتنفيذا لشريعة السماء • وليعلم المعارضون أن قانون الله لا يخضع لعاطفة جامحة ، أو يتغير بفلسفة مثالية تحتقر الواقع وتتجاهل حقائق الاشياء •

د • محمد رجب البيومى

حقوق غير المسلمين

في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الحلقة الخامسة

للأستاذ عبدالله مبروك

رأينا في المقال السابق أن الشريعة الاسلامية السمحاء تتشدد في أحكامها المحافظة على أموال غير المسلمين .

وفي سبيل تحقيق تلك الغاية قرر الحق سبحانه مبدأ التراضي في التعامل ، حيث لا يجوز للانسان ان يأكل من مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، ولهذا حرم الغرر والغش في التعامل ، ونهى عن الغصب والسرقة، لما تنطوي عليه تلك التصرفات غير المشروعة من امور تمس مبدأ الرضا وتنال منه ، وتجعل اكتساب المال مشوبا بما نهى الله عنه .

وقد استبان لنا أن مبدأ التراضي في التعامل يقوم على أسس قوية من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، واجماع الفقهاء ، وآثار الصحابة ، وان نطاق الدلالة في تلك المصادر لا يقتصر على تقرير المبدأ في التعامل مع المسلمين ، بل يشمل أيضا غير المسلمين .

ومن ثم يكون المسلمون وغير المسلمين أمام شرع الله في تقرير مبدأ الرضائية في التعامل على درجة سواء ، وتلك مفخرة أخرى لشريعة الله الخالدة التي شملت بالحماية والرعاية أموال غير المسلمين ، وقررت لها احتراما لا يقل عن احترام مال المسلم ، من خلال ما قرره الفقهاء لبلوغ الرضا منتهاه كطريق للمحافظة على المال .

ونستكمل اليوم بيان الأمر الثاني في المحافظة على أموال غير المسلمين وهو يتعلق بمبدأ المسئولية عنها .

الامر الثاني - تحديد ضوابط المسئولية عن المال :

وموضوع المسئولية عن المال يعتبر مع

الرضا هو الوجه الثانى لغاية واحدة تستهدف المحافظة على المال .

ولهذا كان ارتباط الأمرين ببعضهما قويا ، لأن مجرد تقرير مبدأ التراضى فى التعامل دون تنظيم لضوابط المسئولية عن المال من خلاله ، ينأى بفكرته عن غايتها ، ويجعل منه أمرا نظريا قد لا يتمشى مع واقع التعامل بين الناس ، ذلك أن أثر قيام المسئولية يكفل للمبدأ الاحترام ، ويضمن له الفعالية فى التطبيق ، ويصل بحفظ المال الى أعلى معدل له .

وتلك غايات يأمل واضعو التقنينات الوضعية فى الوصول الى مثلها ، لما تحققه من آثار مؤكدة فى الارتقاء بنظام التعامل ، ونتائج تعود بالخير على الناس .

وقد كفلتها شريعة الله من خلال ارتباط الأمرين فى نصوص الفقه الاسلامى ، فكشفت عن عمق نظرتها وقوة أساسها ، وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس أجمعين فى كل زمان ومكان والى ما شاء الله ، وسوف نبين فى هذا المقام حقيقة المسئولية وأسبابها وأحكامها ومصادر تلك الأحكام فى الفقه الاسلامى ، وذلك على النحو التالى :

حقيقة المسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى :

المسئولية فى اللغة :

والمسئولية لغة ، مصدر صناعى ، للفعل « سأل » ، يقال : سأله عن كذا . وبكذا (١) ، أى طلب منه ايضاحا لأمر أسند اليه،أو تفسيرا لفعل وقع منه ، وتوجيه السؤال اليه يدل على أنه فى موضع التحمل لتبعة ما يحدث منه أو يناط به ، والمصدر الصناعى يدل على العموم ، ولهذا فان تحقق المساءلة على هذا النحو يستوعب كل فعل يؤدى اليه سواء كان متصلا بجانب المعاملات أم الجنايات ، أو ما يسمى فى فقه القانون بالمسئولية المدنية، والمسئولية الجنائية ، وليس المراد بها فى كلتا الحالتين حقيتهما ، بل المراد بها ما يترتب عليها من الزام يتحمل تبعاتها ، أو عقوبة تترتب عليها ، ولهذا غالبا ما ينصرف الاطلاق اللفظى فيها الى تلك اللوازم الناشئة عنها .

ولهذا يعبر عنها فى الفقه الاسلامى « بالضمان » ، بمعنى التعويض والعقوبة ، يقال ضمنت المال وبالمال، أى التزمته ، وضمنته المال أى ألزمته اياه (٢) ومن ثم كانت كلمة الضمان أو التضمين فى الشريعة الاسلامية أقرب ما يؤدى المعنى المراد من كلمة « مسئولية » فى الفقه الوضعى الحديث (٣) ، ولهذا ينبغى التعريف بها من خلال هذا الاطلاق مع مراعاة أن مدلوله شامل للمال والعقوبة .

وفى اصطلاح الفقهاء :

تعددت تعريفات المسئولية بمفهومها السابق ، فعرفها بعض الفقهاء بأنها « الالتزام

---

(١) القاموس المحيط جـ٣ ــ ص ٤٠٣ .

(٢) مختار الصحاح ص ٣٤٨ ، والمعجم الوسيط جـ١ ص ٥٤٦ ــ طبعة ١٩٦٠ م.

(٣) راجع فى هذا المعنى « الاسلام عقيدة وشريعة » للامام محمود شلتوت ص ٤١٢ ــ دار القلم .

بما يجب أداؤه » (١) ، ومن الواضح أن هذا التعويف يبرز بعض أسباب المسئولية بمقدار ما يبتعد عن بيان حقيقتها .

كما عرفها البعض الآخر من الفقهاء بأنها «لزوم ما التزم به الانسان»(٢) وهذا التعريف وان كان قدأدرك الكثير من حقيقة المسئولية ، الا أنه يقصر بيان حقيقتها على بعض أنوعها ، وهى المسئولية الناشئة عن سبب ارادى كما تفيده كلمة «ما لتزم به» الواردة فى التعريف.

وذهب بعض الفقهاء الى تعريفها بأنها «شغل الذمة بمايجب الوفاء به من مال أو عمل»(٣)

ويرد على هذا التعريف ما ورد على التعريف الأول فهما يتقاربان معنى وان اختلفا فى اللفظ .

وذهب البعض الآخر الى أنها « عبارة عن الحكم على انسان بتعويض الضرر الذى أصاب الغير من جهته » (٤) . ويلاحظ على هذا التعريف أنه غير جامع لكل آثار المسئولية ، حيث يقتصر مدلوله على التعويض عن الضرر مع أنها قد تكون متضمنة للعقوبة فى كثير من الحالات كما فى السرقة .

ولما كانت المسئولية أثرا للالتزام الشرعى ، وهو يعرف بأنه : « ترتيب الشارع شغل الذمة بمايجب أداؤه على سبب ارادى أو جبرى »(٥) فاننا نعرف المسئولية بأنها : « الأثر الناشىء عن ترتيب الشارع شغل الذمة بما يجب أداؤه على سبب ارادى أو جبرى » ، وبذلك نكون قد تلافينا به ما أخذ على تعريفات الفقهاء ، للتضمين من ملاحظات ، مع وضوح طبيعة المسئولية وأسبابها فيه بما يعبر عن حقيقتها ، ويجعلها صالحة للدلالة عليها فى حالة الجناية على المال (٦) .

أسباب المسئولية عن المال :

المسئولية على هذا النحو أثر لما قرره الشارع لشغل ذمة المكلف ، بناء على الأسباب الشرعية التى وضعها الحق سبحانه لتحقيق تلك الغاية ، وهذه الأسباب قد يكون للارادة فيها دور من ناحية اتجاهها للسبب مجردا ، أو للسبب والحكم معا ومن ثم يكون السبب اراديا .

وقد لا يكون للارادة فى حصول تلك الأسباب أى دور حين يقدر الشارع السبب ، ويلزم

---

(١) « مغنى المحتاج » جـ٢ ــ ص ١٩٨ والمغنى والشرح الكبير عليه جـ٥ ص ٧٠ ــ مطبعة المنار .

(٢) « المحلى » لابن حزم الظاهرى ــ جـ٨ ص ١١١ .

(٣) الشيخ على الخفيف ــ « الضمان فى الفقه الاسلامى » ــ ص ٥ ــ طبعة ١٩٧١ م .

(٤) الامام محمود شلتوت ــ المرجع والمكان السابقين .

(٥) راجع مقالنا بمجلة الازهر ــ عدد شوال سنة ١٤٠٢ هـ ، يوليو سنة ١٩٨٢ م ــ ص١٢٦٢

(٦) وقد عرفها الشيخ احمد فهمى ابوسنةبأنها « وجوب رفع الضرر على من لحقه اما برد العين أو العوض او ازالة التعدى او العقوبة » راجع بحثا له بعنوان : « نظرية الحق ــ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الاسلامية فى كتاب الفقه الاسلامى اساس التشريع ــ ص ١٩٧ ــ طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ولو انه عبر بكلمة « عن من لحقه » بدلا من كلمة « على من لحقه » الواردة فى تعريفه لكان افضل .

المكلف بالحكم الناشيء عنه ، وقد يتمخض عن التزام بأداء حق قرره الشارع لمن يستحقه ، ومن ثم يكون سبب المسئولية غير ارادي (١) ، ونشير الى هذين النوعين بشيء من التفصيل :

١ ــ الاسباب الارادية :

وهي التي يتوقف وجودها على اتجاه الارادة في الانسان ، حيث اعتبر الشارع سبحانه مثل هذا العمل الارادي سببا ورتب عليه حكما ، وقد أشار القاضي صدر الشريعة الى هذا المعنى بقوله : « اعلم أن ما يترتب عليه الحكم ان كان بصنع المكلف ولا يدرك العقل تأثيره فان كان غرض الشارع من وضعه ذلك الحكم كالبيع للملك فهو السبب » (٢) . ويقول التفتازاني : « واعلم أن من الاحكام ما هو أثر لأفعال العباد كالملك في البيع والحل في النكاح والحرمة في الطلاق وهذه تسمى الاختصاصات الشرعية . فسببها الأفعال التي هي آثارها وهي التصرفات المشروعة كالايجاب والقبول مثلا (٣) » فالحق سبحانه قد جعل التصرف الارادي سببا للحكم وطريقا يصل بسالكه الى ما رتبه الشارع على سلوكه من نتائج والتزامات ، والربط بين السبب والمسبب يتم بصنع الله وارادته ، حتى لا تذهب الحقوق ضحية تعارض الرغبات وتنازع الأهواء .

مجال الارادة في المسئولية عن المال :

ومجال الارادة في المسئولية عن المال له مدى واسع في الفقه الاسلامي ، حيث لا يقتصر على نشاط الارادة في مجال التعاقد ، بل يتعدى ذلك النطاق ليشمل أيضا دورها في مجال الجناية عليه ، حين تتمخض الجناية عن جريمة محددة تنصب على المال وتنال من مصلحة حمايته ، وفي هذه الحالة تلعب الارادة دورا بارزا في تكوين بنيان الجريمة يتمثل في ركنها المعنوي ، أو ما يطلق عليه في كل من الشريعة والقانون « بالقصد الجنائي » ، الذي لا يتأتى الا من جراء نشاط الارادة وثمرة لتحركها تجاه اتيان الفعل المحرم على المال .

ومجال الارادة في هاتين الحالتين يمثل سببا جعليا من قبل الشارع سبحانه لترتيب آثار المسئولية عليه في التعويض والعقاب ، أو ما يستوعب مسائل كل من المسئولية المدنية والجنائية عن المال في فقه القانون .

مجال الارادة ــ اذن ــ في المسئولية عن المال يتسع ليشمل نشاطها في التعاقد ، ودورها في تكوين القصد الجنائي في التعدى على المال ، وينبغي توضيح ذلك .

---

(١) من المؤكد ان وجود هذا النوع من الاسباب غير الارادية لا يخلو من حكمة بالغة تتوائم وعدم اتجاه ارادة الانسان اليها ، لان القيام بأحكامها في تلك الحالة يدل على امتثال العبد لحكم الله وصدق عبوديته له ، ولهذا فانها تجرى في العبادات وفي المعاملات ، كدخول الوقت للصلاة ، وشهود الشهر لصيام رمضان ، وكما في وجوب النفقة للاقارب ووجوب الدية على العاقلة ، وهي مع حكمة الامتثال تقوم على وضع يعتبره الشارع ويكون المكلف به أحق الناس بالمساءلة عنه .

(٢) « التوضيح » ــ جـ ٢ ص ١٤٥ . مطبعة صبيح .

(٣) « والتلويح على التوضيح » ــ جـ ٢ ص ١٤٤ ــ الطبعة المشار اليها .

(أ) دور الإرادة في التعاقد :

تلعب الارادة دورا رئيسيا في مجال التعاقد كسبب للمسئولية عن المال ، ودورها في هذا المجال يكاد يمثل وسيلة وغاية في حد ذاته،ولهذا عرف الكمال بن الهمام العقد بأنه : « مجموع ايجاب أحد الطرفين مع قبول الآخر وكلام الواحد القائم مقامها » (١) ، ويظهر من خلال هذا التعريف أن الارادة في مجال التعاقد يمكن تحليلها الى ركنين هما : الايجاب ، والقبول .

معنى الايجاب والقبول :

والايجاب لغة : اللزوم والاستحقاق (٢) ، **وفي اصطلاح الفقهاء :** نلمس في تعريفه اختلافا يمكن رده الى قولين :

أولهما : لفقهاء الحنفية ، وحاصل قولهم في تعريفه : « أنه الصيغة الصالحة لافادة العقد بقيد كونها أولا » (٣) .

ثانيهما : لجمهور الفقهاء غير الحنفية ، ومن خلال ما ذكروه في كتبهم ، نجد أنهم يخصون الايجاب بما صدر عن عاقد معين بالذات هو المملك ، ومن ثم يكون تعريفه عندهم : « أنه الصيغة الصالحة لافادة العقد والصادرة من المملك » (٤) .

والقبول لغة : من قبلت العقد (٥) ، وكما اختلف الفقهاء في معنى الايجاب شرعا ، اختلفوا كذلك في معنى القبول على أساس الخلاف المتقدم ، فعرفه الحنفية بأنه : « اللفظ الصادر ثانيا الواقع جوابا للاول » (٦) .

وعرفه الجمهور بأنه : « اللفظ الصادر من المتملك » (٧) .

ومن يتأمل قول الجمهور لا يجد وجها لهذا التخصيص ، اذ الواقع أن كلا منهما ايجاب أي لزوم ، وانما سمي الثاني قبولا تميزا له عن اللزوم الأول ، ولأنه يقع قبولا ورضا بفعل الأول ، ومن ثم يكون المعيار الدقيق للتفرقة بينهما هو الصدور أولا وعدمه .

ويكون قول الحنفية فيهما هو الراجح في نظرنا لهذا الاعتبار .

ولما كان الايجاب والقبول مكونين للعقد ، وهو علامة على التراضي ، فقد وضع الفقهاء لكل منهما شروطا توصل الى هذا المعنى وتضبط حقيقتهما .

منها .

أن يكونا بلفظ الماضي .

وأن يكونا متوافقين .

وان لا يرجع الموجب عن ايجابه قبل قبول المتعاقد الآخر .

وان يتم كل منهما في مجلس العقد .

وفي الرجوع الى كتب الفقهاء ما يغنينا عن تفصيل تلك الشروط في هذا المقام الذي لا يتسع لمثله ، كما يقوم مقام الايجاب والقبول كل فعل يدل على معناهما كالكتابة ، والاشارة المفهمة ،

---

(١) « فتح القدير » ــ جـ ٢ ص ٣٤١ .

(٢) « القاموس المحيط » ــ جـ ١ ص ١٤١ .

(٣) « البحر الرائق » ــ جـ ٥ ــ ص ٢٨٣ وما بعدها .

(٤) « المجموع » للنووي ــ جـ ٩ ــ ص ١٦٥ ، وحاشية « الدسوقي » على الشرح الكبير ــ جـ ٣ ص ٣ ، « وكشاف القناع » ــ جـ ٢ ص ٣ .

(٥) « القاموس المحيط » ــ جـ ٤ ص ٣٦ .

(٦) « البحر الرائق » ــ نفس المكان السابق .

(٧) « المجموع للنووي » ــ نفس المكان السابق « وحاشية الدسوقي » ــ نفس المكان السابق وكشاف القناع ــ نفس المكان السابق .

والتعاطي على النحو الذي قرره الفقهاء في كتب الفروع (١) .

ولا يشترط لكي تؤتى الارادة ثمرتها في هذا الصدد كسبب للمسئولية عن المال أن يرتبط وجودها بارادة أخرى على النحو المعهود في التعاقد ، بل قد يكفي أن يكون الالتزام بارادة واحدة وهو كثير في كل من الشريعة والقانون .

(ب) الارادة وقصد الجناية على المال :

ولا يقتصر دور الارادة في قيام المسئولية عن المال على مجال التعاقد ، بل يتعـــدى ذلك المجال الى مجال الجناية عليـــه ، حيث تلعب الارادة دورا رئيسيا في وجود المسئولية يتوقف عليه ترتب آثارها ، واستحقاق العقوبة التي قررها الشارع لها ، ولما كان نشاط الارادة في الجاني هو الذي يكشف عن خطـورته ، حيث يبرهن وجودها حين الجريمة على أن فعـــل الجاني المؤثم قد جاء وليد تفكير يدل على عزم نيته على ارتكاب الجريمة مع علمه بتحريمها ، وادراكه للآثار الضارة التي ستنجم عنهـــا ومنها قيام حق العقاب عليه ، فقد قرر الفقهاء أن الجاني لابد أن يكون مكلفا مختارا (٢) ، عالما بأن ما يفعله يمثل أمرا محرما يستوجب العقاب .

ولا يمكن أن يتحقق التكليف مع فقـــد الارادة ، لما صح عنه ــ صلى اللـــــه عليه وسلم ــ : « رفع القلم عن ثلاثة : الصبي حتى يحتلم والنائم حتى يصحو ، والمجنون حتى يفيق » (٣) .

وكذلك لا يتحقق التكليف بالنسبة لفاقـــد الادراك ولا المضطر ولا المكره ، لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٤) .

ومن الواضح أن تلك الحـــالات لا يكـــون للارادة فيها دور يمكن أن يكشف عن وجـــود القصد الجنائي لدى الجاني ، ومن ثم تنعدم مسئوليته ، وعدم قيام المسئولية بدونها ، يدل على مدى تأثير الارادة على قيام الجريمة ، حيث تمثل الركن المعنوي لها .

وقد كانت اللجنة العليا لتطوير القوانين وفق أحكام الشريعة الاسلامية موفقة ، حين عبرت عن هذا المعنى للارادة ، فنصت المادة الاولى من مشروع حد السرقة ، في الفقرة (أ) عـــلى أنه : « يكون مرتكبا جريمة السرقة المعاقب عليها حدا كل من أخذ وحده أو مع غيره مـــالا مملوكا للغير مع اجتماع الشروط الآتية :

---

(١) راجع «شرح الحطاب» ــ جـ ٤ ــ ص ٢٢٩ ، والمغني ، لابن قدامة ــ جـ ٤ ــ ص ٥ ، وبدائع الصنائع ــ جـ ٥ ص ١٣٥ .

(٢) راجع « بداية المجتهد » ــ جـ ٢ ص ٤٣٧ ، « ومنتهى الارادات » ــ ص ٣٦٥ وما بعـــدها ، « والهـــداية » شرح بداية المبتدي للمرغناني الحنفي ــ جـ ٢ ص ٩٥ « نهاية المحتاج » ــ جـ ٧ ص ٤٦٢ وما بعدها .

(٣) « سنن الترمذي » ــ جـ ١ ص ٢٦٧ .

(٤) « سبل السلام » ــ جـ ٣ ص ١٤١ .

(أ) أن يكون الجاني بالغا عاقلا مختارا غير مضطر .. الخ » (١) .

وعلى هذا النحو يظهر دور الارادة في قيام المسئولية عن المال في المجالين التعاقدي والجنائي .

٢ ـ الأسباب غير الإرادية :

وهي تلك التي تؤدي الى قيام المسئولية ، والزام المكلف بآثارها ، حتى ولو كان ذلك الالزام منافيا لما تتجه اليه ارادته .

ولهذا المعنى آثرنا تسمية تلك الأسباب بالأسباب غير الارادية ، لأن قيامها قد يكون على غير ما يرغب الانسان وتهوى نفسه ، وهي تتمثل في جعل الشارع شيئا سببا لقيام المسئولية وترتيب آثارها ، وهذا السبب يكون لوضع الشارع سبحانه دون دخل لارادة المكلف في تقديره ، ويكون ذلك عن طريق خطاب الوضع .

ولهذا عرف بعض الاصوليين السبب بأنه كل مادل الشرع على كونه طريقا معرفا للحكم الشرعي ، ولهذا كان أثرا لخطاب الوضع (٢) وهذه الاسباب تؤدي الى قيام المسئولية بناء على وضع يعتبره الشارع ومن شأنه أن يكون المكلف على صلة به تجعله أجدر الناس بتحمل تبعاته .

ومن أمثلة تلك الاسباب غير الارادية القرابة ، « حيث » جعلها الشارع سبحانه سببا يترتب عليه حكم شرعي يتمثل في وجوب النفقة على القريب اذا توافرت شروطها ، قال تعالى « وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (٣) .

وقال تعالى « وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ » (٤)

فهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على وجوب الانفاق على المولود والقريب ، فتكون القرابة هي سبب الوجوب (٥) .

ومن المؤكد أن وجود ذلك السبب لا دخل لارادة الانسان فيه ، ومع ذلك فمن الواجب أن يمتثل الحكم الناشيء عنه ، لأن الله قد أمر به ، يقول الشيخ الخفيف « يلاحظ أن المسئولية في تلك الحالة وأمثالها لا تعدو أن تكون ضمانا أمر به الشارع وألزم به ، لأن الضمان حكم ولا حكم الا للشارع ، فكل التزام تشغل به الذمة مرده الى الزام الشارع غير أن الزام الشارع قد يكون مباشرا أو منصبا على الملتزم به ابتداء .

وقد يكون مترتبا على سبب وعندئذ يضاف الى هذا السبب المباشر وان كان مرده في النهاية الى الزام الشارع وذلك كما في سائر أحوال الضمان ، فان الالزام فيها أوجبه الشارع عند وجود سببه (٦) » .

ومن تطبيقات هذا النوع من الأسباب غير

---

(١) راجع : مشروعات قوانين القصاص والديات والحدود الشرعية ـ ص ٧٣ ـ دار الاعتصام .

(٢) راجع : مذكرة استاذنا الدكتور محمد انيس عبادة ـ أصول الفقه للحنفية ـ ص ١٣٦ ـ الطبعة الاولى ، وانظر ماهية الحكم الشرعي ـ للدكتور عبد المنعم النجار ـ بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بأسيوط لعام ١٩٨٣ م ـ ص ١١٦ .

(٣) البقرة ـ آية ٢٣٣ .

(٤) الاسراء ـ آية : ٢٥ .

(٥) يلاحظ أن القرابة كما تكون سببا لشغل الذمة بالنفقة للاقارب ، فانها تكون سببا لشغل ذمة الاقارب بوجوب حق عليهم يكون القريب سببا في وجوده ، دون اتجاه ارادتهم له ، كما في وجوب الدية على العاقلة .

(٦) الشيخ علي الخفيف ـ « الضمان في الفقه الاسلامي » ـ ص ١٤ .

الارادية فى مجال بحثنا ما قرره صاحب الهداية بقوله : « وتجب النفقة مع اختلاف الدين للزوجة والأبوين والأجداد والجدات والولد وولد الولد ، أما الزوجة فلما ذكرنا أنها واجبة بالعقد لاحتباسها لحق له مقصود ، وهذا لا يتعلق باتحاد الملة .

«أما غيرها فلان الجزئية ثابتة ، وجزء المرء فى معنى نفسه ، فكما لا يمتنع نفقة نفسه لكفره ، لا يمتنع نفقة جزئه (١)» .

ويدخل فى هذا الاطار أيضا ما قرره الفقهاء من تضمين مالك الحيوان اذا أتلف الحيوان زرعا للغير كالراعى يقود غنما قريبا من الزرع بحيث لو شاءت تناولت منه ، فأتلفت منه شيئا فانه يضمن ما أتلفته (٢) .

ومن الواضح أن قيام المسئولية فى تلك الحالات ، لا يتوقف على وجود دور للارادة فى قيامها ، بل يجب امتثالا لحكم الشارع ، الذى يحمى أموال الناس ، لا من التعدى فقط ، بل ومن الاهمال والعبث أيضا ، مع مراعاة الاعتبارات التى قدرها الحق سبحانه والتى أشرنا اليها .

نطاق المسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى :

والمسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى ، لا تقتصر على مجرد قيامها فى ذمة المسئول عنها ، وانما تنسحب آثارها الى ما يملكه من مال ، ليستوفى الدين (٣) منه ، ولهذا كانت المسئولية ذات طبيعة شخصية وعينية فى وقت واحد معا (٤)

ومن خصائص ذلك التوصيف للمسئولية فى الفقه الاسلامى ، أن المدين قد لا يقدر معه على التهرب من وفاء حقوق الناس بالتصرف الصورى فى أمواله توطئة لتضييع فرصة الضمان على دائنيه ، فالفقه الاسلامى يوسع من نطاق المسئولية ليحفظ حقوق الناس ، ويترتب على ذلك الاعتبار الشخصى للمسئولية ، أن حق الدائن يتعلق بذمة المدين وماله ، ومن ثم فانه اذا أخل بمقتضى الأمانة فى التعامل وماطل فى السداد ، فقد أجاز الشارع اتخاذ عدد من الاجراءات ضده فى شخصه ، حثا له على الوفاء ومنعه من التلاعب بحقوق الناس ، كالحبس ، وملازمة الدائن لمدينه والحجر وبيع ماله جبرا عليه ، وقد قامت الأدلة على مشروعية مباشرة تلك الاجراءات ضد المدين الظالم الذى يمتنع عن أداء حقوق الناس ، لما روى أن رسول الله —

(١) « الهداية » — شرح بداية المبتدى للميرغينانى الحنفى — ﺟ ٢ ص ٤٧ — مطبعة صبيح .

(٢) « جامع الفصولين » — ﺟ ٢ ص ٨٦ ، و«الشرح الكبير» — ﺟ ٥ ص ٤٥٥ ، والشرقاوى على التحرير » — ﺟ ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) « وتبيين الحقائق » للزيلعى — ﺟ ٥ ص ٢٤

(٤) راجع فى هذا المعنى : « تبيين الحقائق » للزيلعى — ﺟ ٥ ص ٢٤ ، « مغنى المحتاج » — ﺟ ٧ ص ١٤٤ وما بعدها « المغنى » لابن قدامة — ﺟ ٤ ص ٤٨٦ ، « بداية المجتهد » — ﺟ ٢ ص ٢٨٢ ، « المحلى » لابن حزم الظاهرى جـ٨ ص١٧٤

صلى الله عليه وسلم ــ قال « مطل الغنى ظلم يحل عرضه وعقوبته (١) » .

ولما رواه البيهقى « أن عبدا كان بين رجلين فأعتق أحدهما نصيبه ، فحبسه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى باع غنيمة له (٢) » .

ولما رواه الدار قطنى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر على معاذ ماله وباعه فى دين (٣) » .

ولا شك أن مسلك الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد يتفوق على ما قرره الفقه الوضعى ، حيث ينحصر نطاق المسئولية فيه على مال المدين دون شخصه ، ومن ثم كان نطاق حماية الحق فيه ضعيفا .

وقد حاول القانون أن يتلافى ذلك القصور بعديد من الاجراءات والدعاوى ، ومع ذلك فلم يستطع أن يصل معها الى مثل ما وصل اليه الفقه الاسلامى ، من خلال ذلك التحديد لنطاق المسئولية ، فتلاشى به منذ البداية ما ترتب على مسلك القانون الوضعى من آثار قد تنطوى على كثير من المضار .

أحكام المسئولية ومصادرها :

ومن خلال ما سبق ، يستبين لنا أن المسئولية عن المال قد تتمخض عن تعويض يلتزم به الانسان ، وقد تسفر عن عقوبة تحل به ، والنوع الأول يمكن أن يقابل المسئولية المدنية فى الفقه الوضعى ، والثانى يقابل المسئولية الجنائية ، ولكننا نؤثر تسمية النوع الأول بالمسئولية التضمنية ، مراعاة لاستقلال مسميات الفقه الاسلامى ، وصلاحية الاصطلاح للدلالة على المسئولية الناشئة عن سبب ارادى ، والمسئولية الناشئة عن سبب غير ارادى .

ومن ثم تكون المسئولية عن المال نوعان : مسئولية تضمينية ، ومسئولية جنائية، وسوف نقوم ببيان مصدر هذين النوعين من المسئولية عن أموال غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية.

مصادر المسئولية التضمينية عن مال غير المسلمين :

وهذا النوع من المسئولية يستوجب الوفاء بالعقود مع غير المسلمين اذا كان مصدر المسئولية عقدا من العقود ، أو تعويضهم عن ما أخذ من أموالهم اذا كان مصدر المسئولية واقعة غير العقد كالاتلاف ، أو رد ما أخذ منهم اذا كان قد تم على جهة التعدى والغصب .

وقد قامت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والأثر وذلك على النحو التالى :

١ ــ من الكتاب :

قال الله تعالى: **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »** (٤) ، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه قد أمر بالوفاء بالعقود .

وقد ورد الأمر بالوفاء عاما ليشمل جميع أنواع صوره ، سواء كان بين مسلم ومسلم ، أو بين مسلم وغير مسلم .

وعدم الوفاء بالعقد يعنى الغدر والنكث ،

---

(١) « نيل الأوطار » للشوكانى ــ جـ٥ ص ٢٤٢
(٢) الرجع السابق ــ ص ٢٤٣ .
(٣) المرجع السابق ــ جـ٥ ــ ص ٢٤٥ .
(٤) المائدة ــ آية ١ .

حقوق غير المسلمين

وقد حرم الحق ذلك فى كثير من الآيات .

منها قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » (١) .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (٢) .

وقال جل من قائل : « أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (٣) ، الى غير ذلك من النصوص المتضافرة فى هذا المعنى ، والدالة على وجوب الوفاء بالعقود وتحريم نقضها سواء كانت بين مسلم ومسلم أو بين مسلم وغيره .

ولأن غير المسلم بالذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن ثم فلا مجال للتفرقة بينه وبين المسلم فى هذا الخصوص .

٢ ـ ومن السنة :

(أ) ما رواه أبو داود والدارقطنى من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو حلل حراما » (٤) .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أخبر بأن المسلمين واقفون عند شروطهم ، وهذا الخبر يدل على أنهم يجب عليهم الوفاء بما شرطوه على أنفسهم .

وهذه الدلالة عامة تشمل ما شرطوه على أنفسهم مع المسلمين أو غيرهم ، والأمر الذى يدل على الوفاء بعقود غير المسلمين .

(ب) وبما روى أن رسول ـ الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : وعلى اليد ما أخذت حتى ترد » (٥) ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أخبر بأن على الانسان ما أخذه من مال الغير بيده .

وهو يدل على وجوب ضمان مال الغير سواء كان مسلما أم غير مسلم .

(حـ) وبما روى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان عند بعض نسائه ، فأرسلت بعض أمهات المؤمنين بقصعة فيها طعام ، فضربت بيدها فكسرت القصعة ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طعام بطعام وإناء بإناء »(٦)

---

(١) الرعد ـ آية ٢٥

(٢) الصف ـ الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) البقرة ـ آية ١٠٠

(٤) « سنن أبى داود » جـ٣ ـ ٣٠٤ .

(٥) « سبل السلام » جـ٣ ص ٧٠ .

(٦) المرجع السابق ـ ص ٧١ .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف أنه قد دل على أن من استهلك على غيره شيئا كان مضمونا بمثله وليس فيه ما يدل على اختصاص المسلم بحكم دون غيره، بل المسلم وغير المسلم فى هذا الحكم سواء.

فقد روى الدار قطنى: أن تلك الواقعة قد صارت قضية من النبى صلى الله عليه وسلم أى حكما عاما لكل من وقع له مثل ذلك، فاندفع قول من قال انها قضية عين لا عموم فيها، (١) ولهذا فقد قرر الفقهاء أن الخمر والخنزير يعتبران من الأموال المتقومة فى حق الذمى، ومن ثم يكون على متلفهما الضمان سواء كان مسلما أم ذميا (٢).

لما روى ان عمر — رضى الله عنه — حين سأله عما له: ماذا يصنعون بما يمر به أهل الذمة من الخمر؟ قالوا: نعشر، فقال: لاتفعلوا، ولكن ولوهم بيعها، وخذوا أثمانها (٣)، فقد جعلها فى حقهم مالا متقوما يجرى فيه البيع، وأمر بأخذ العشر من الثمن.

٣ — ومن الأثر:

ما رواه أبو عبيد فى الأموال عن ضمرة عن رجاء مولى أبى سلمة، عن الوليد بن هشام المعيطى قال: ولانى عمر بن عبد العزيز «قنسرين» (٤)، وكانت صلحا فشكا اليه أهل الذمة المسلمين أنهم قد نزلوا منازلهم فكتب الى: أن أنظر من كان فى منازل أولئك الذين كانوا من أهلها حين صولحوا، فأخرج من كان فى منازلهم عنهم.

ووجه الدلالة فى هذا الأثر كما يقول أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز قد حكم لهم بمنازلهم لأنها من حقوقهم التى يجب على المسلمين ردها اليهم، لأن الصلح قد وقع معهم وهذه الاشياء موجودة بأيديهم فجرى عقد الصلح عليها فلا يجوز أخذها منهم (٥).

ولايخفى مافى ذلك من دلالة على احترام أموال غير المسلمين، وقيام المسئولية عنها بما يستتبع قيامها من ضمان ورد وازالة للتعدى اذا وقع عليهم من المسلمين.

ومن خلال ماسبق، نرى ان المسئولية التضمينية عن أموال غير المسلمين وهى التى تقابل المسئولية المدنية فى الفقه الوضعى، تقوم على اساس من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — وذلك الأثر المروى عن عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه —.

أما المسئولية الجنائية عن اموال غير المسلمين، وهى التى تستوجب العقوبة فانها هى الاخرى تقوم على أصول قوية من الكتاب والسنة والاجماع.

وذلك على نحو ما سنبينه فى مقالنا القادم بإذن الله، والله الموفق والمستعان.

عبد الله مبروك النجار

---

(١) المرجع والمكان السابقين.

(٢) راجع «تبين الحقائق» للزيلعى — جـ٥ ص ٢٣٥ «ونهاية المحتاج» — جـ٥ ص ١٦٣، «وكشاف القناع» — جـ ٢ ص ٣٤ ومابعدها، والشرح الكبير للدردير جـ ٣ ص ٤٤٨.

(٣) «المبسوط» للسرخسى — جـ ١٣ ص ١٣٧.

(٤) مدينة قديمة فى سوريا الشمالية وكانت احدى الولايات العسكرية التى قسمت اليها البلاد التى فتحها العرب.

(٥) راجع: أبو عبيد فى الاموال — ص ٢٠١ — طبعة ١٩٧٦ — دار الفكر.

عن تطبيق الشريعة الإسلامية

رسالة إلى الأستاذ أحمد بهجت

اخى الفاضل الاستاذ احمد بهجت ..
تحية من عند الله مباركة طيبة ..

ــ وبعــد :

ــ فان حديثك فى « صندوق الدنيا » من جريدة الاهرام الغراء ــ هو متعة ــ دائما ــ للروح والعقل ــ او يجمع بين حسن العرض وجلاء الفكرة وصــفاء الروح ــ ويذكرنى حديثك عن الصوفية بالوصف الذى اختاره لها شيخنا الجليل الشيخ عبد الحليم محمود ــ رحمة الله ورضوانه عليه ــ من أنها مشتقة مــن الصفاء لا من الصوف .

ــ ولكن أرجو أن تأذن لى ــ فى تعقيــب سريع موجز على حديثك المنشور اليــــوم (٢٦/١٢/١٩٨٣) بجريدة الأهرام عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان الشـقيق ــ وخاصة ماورد به من أن :

« عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أوقف الحدود فى عام المجاعة ادراكا منه لهذا المضمون الداخلى للشريعة ــ وهى أنها لاتنطبق الا اذا توفرت شروط انطباقها وهى وجود المجتمــع الاسلامى » .

١ ــ قد يرى البعض ــ أن نقيم المجتمــع الفاضل أولا قبل أن نطبق الشريعة الغراء ولكن لما كانت الشريعة هى أداة تقويم المجتمع وعلاجه ــ فانه يتعين بداءة أن نطبق الشريعــة أولا حتى يقوم المجتمع الفاضل .

ان الله جلت قدرته وتعالت حكمته ــ لــم يرسل الى الملائكة رسلا ــ لأن الملائكــة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون. ولكنه ــ سبحانه ــ أرســـل الى البشر

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

رسلا مبشرين ومنذرين — مع علمه المسبق بما قالته الملائكة فى حقهم حين قالوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ — فرد عليهم سبحانه بقوله :

« إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

والمريض هو الذى يحتاج للعلاج والدواء - وحدود الله وتعاليمه فيها الدواء الشافى لأمراض المجتمع من كل داء .

ومن المقرر أن العقوبات زواجر قبل الفعل — وجوابر للمعصية بعده — فهى تقيل المذنب من عثرته بعد أن تطهره من اثمه — فالله أكرم من أن يجمع عليه عقوبتين عن نفس الفعل — فى الدنيا والآخرة بعد توبته — الا أن يشرك به فيخرج نفسه من رحمته .

ويرى الامام ابن تيمية أن اقامة الحدود كالجهاد فى سبيل الله — لأن بها يستقيم أمر المجتمع .

٢ — ومن الثابت أن المجتمعات الانسانية تسودها حاليا موجة طاغية من الاجرام — تتخذ أشكالا وصورا تثير الفزع فى النفوس — ويقف منها علم الاجرام موقف المحلل . بينما يحاول علم العقاب أن يجعل من العقوبات أو التدابير الاحترازية — وسائل لتقويم المجرم واصلاحه حتى يترك الجريمة ويتآلف مع المجتمع — وأن يكون العقاب رادعا للمجرم نفسه — وهو مايعرف « بالردع الخاص » — وأن يكون مخيفا لغيره — وهو مايعرف « بالردع العام » — ومهما تعددت النظريات والأساليب فى هذا الشأن فان هناك حقيقة تظل راسخة — هى أن العقاب يجب أن يكون بالقدر الذى يزيد فى ايلام الجانى عن الشعور بالمنفعة الذى عاد عليه من الجريمة — حتى يوازن الشخص بين مايمكن أن يحصل عليه من فائدة اذا باشر السلوك الاجرامى — وبين ما يتعرض له من عقاب — فيجد أن مصلحته دائما أن يبتعد عن الجريمة — ويكون على يقين جازم بأن الجريمة لاتفيد — ولن يصلح حال هذه الانسانية آخر الأمر — الا بما صلح به أوله — وهو العلاج الربانى الذى قرره من خلق هذه النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها .

ومن عجب أن نتقبل رأى الطبيب — وهو بشر قد يخطىء ويصيب — ونسارع الى تنفيذ رأيه اذا رأى وجوب بتر عضو من الأعضاء لانقاذ باقى الجسم من خطر داهم — ثم تجادل رأى الحكيم العليم — الذى يعلم من خلق

وهو اللطيف الخبير — مع أن التجربة الواقعية والاستقراء العملى يقطعان بأنه حتى فى البلد الواحد وفى نفس البيئة السكانية — بصرف النظر عن الغنى والفقير — حين طبقت السعودية حد السرقة — اختفت تماما ظاهرة النهب والسلب — حتى لحجاج بيت الله الحرام — التى كانت تسود هذه البلاد قبل تطبيق حدود الله .

هذا — على حين أن مجتمعا موغلا فى الرفاهية والترف وتدليل المجرمين — كالمجتمع الامريكي بخاصة والغربى بعامة — تتزايد فيه جرائم السرقة والاغتصاب بمعدلات رهيبة تغرى بالمحاكاة — وتنذر بأوخم العواقب على المجتمع نفسه — وليست الرحمة التى يطلبها الاسلام هى الشفقة أو الرأفة بالجانى — انما هى الرحمة بالكافة — وهى توجب تشديد العقوبة — وهى الرحمة بالمجتمع — وهو المجنى عليه فى حقيقة الامر — وحقه أولى بالرعاية — ومن ثم كانت الحدود — فى أساسها — حقا خالصا لله تعالى حماية للعباد وانقاذا للبلاد وليست موقوتة بعصر معين ولابيئة معينة وانما هى صالحة لكل زمان ومكان



وما من شك فى أن الدواء الناجع هو الذى ينتصر على المرض لا الذى ينتصر عليه المرض — وأن العقاب الناجح هو الذى ينتصر على الجريمة لا الذى تنتصر عليه الجريمة .

ثم أن المشرعين الوضعيين لم يستغلظوا عقوبة الاعدام بالنسبة الى بعض الجرائم التى قدروا أنها خطيرة — من ذلك فى مصر مثلا — القرار بالقانون رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ فى شأن مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها — الذى قرر عقوبة الاعدام جزاء لمن صدر أو جلب جواهر مخدرة — ولمن أنتجها أو

استخرجها أو صنعها بقصد الاتجار وليس من شك فإن هذه العقوبة أشد من عقوبة القطع فى السرقة الحدية — فالعبرة اذا هى بالعقوبة المناسبة الفعالة فى مقاومة الجريمة وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع — واليدان للانسان — كما جاء فى كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين — ج ٢ ص ١١٤ ومابعدها — كالجناحان للطائر فى اعانته على الطيران — فعقوبة السارق بالقطع — أبلغ وأردع من عقوبته بالجلد — ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل (كما تفعل بعض الدول الشيوعية حاليا) فكان أليق العقوبات به — ابانة العضو الذى جعله وسيلة الى أذى الناس وأخذ أموالهم .

٣ — أما بالنسبة للضرورة التى تدرأ الحد :

« فقد رأى عمر — رضى الله عنه — أن المجاعة تكون شبهة مانعة من اقامة الحد وان كانت لاتسقطه — اذ أن الحد فى نظره — لم يستوف شروط اقامته — لأن السارقين وقتئذ — كانوا فى حال اضطرار وقرائن الاضطرار كانت قائمة — فالسرقة كانت فى مجاعة — وقد ذبحوا الناقة وأكلوها — وكانوا عبيدا لرجل عرف بأنه يجيع غلمانه فكانت حالة الاضطرار قائمة — والضرورات تبيح المحظورات — فضلا عن أن كلا منهم قد أخذ ما دون النصاب الذى يستوجب الحد .

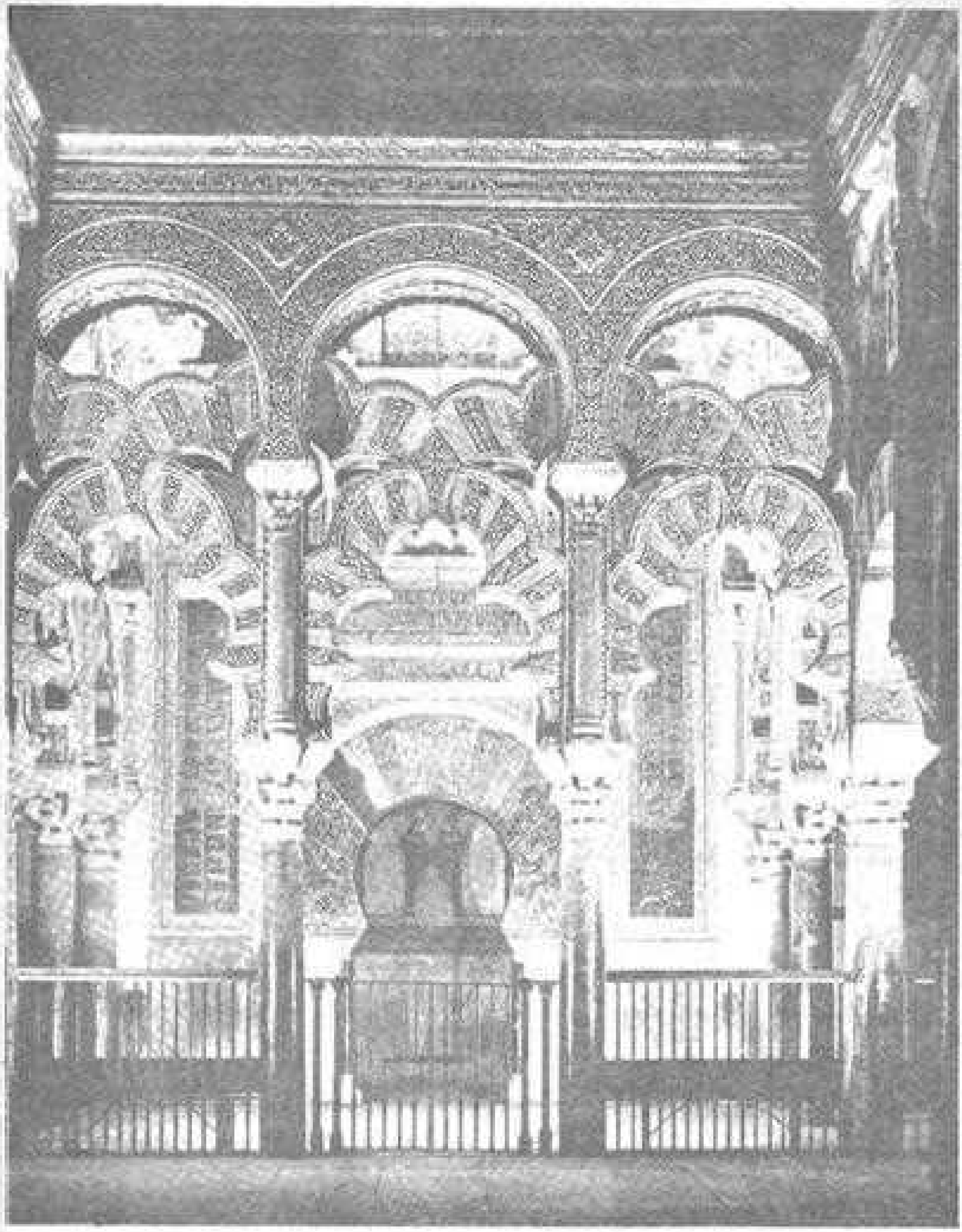
وقد حسب بعض الناس أن عمر أسقط الحد بعد أن توافرت أسباب اقامته وحاشاه وهو من نعرف علما وعدلا — وما كان لأحد أن يسقط حدا من حدود الله — وانما الأمر كما ذكرنا من قبل — من أنه فضلا عن قيام الشبهة الدارئة للحد — فان ركن النصاب لم يتوافر فى حق كل منهم حتى يقام عليه الحد .

وماورد عن السيد المسيح عليه السلام — من أنه لم يشترك فى رجم المجدلية المتهمة بالزنا وثبط الشهود عن رجمها — انما مرده — كما هو واضح — أن أيا من الشهود لم يكن بلا خطيئة — وبالتالى فلا يصح أن يكون شاهدا عدلا يمكن الاعتداد بشهادته فى هذا المقام — وليس فى ذلك اسقاطا لحد واجب من حدود الله .

٤ — ولعلنا الآن على اتفاق — أيها الاخ العزيز — أن تطبيق الشريعة الغراء — بكل حدودها ومقوماتها — قد غدا لزاما — وأن السبيل اليها انما يكون بالحكمة والموعظة الحسنة فان الوسائل فى الشريعة الاسلامية لاتنفصل عن الغايات ومن ثم يجب أن تكون الدعوة اليها على النحو الذى شرعه الله وسار عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو وصحبه الأخيار الراشدون .

وتحية منى معك للسيد الرئيس جعفر نميرى على خطوته الموفقة الرشيدة بتطبيق الشريعة الاسلامية فعلا — ونحن فى مصر — بحمد الله على الدرب سائرون بعد أن أتمت اللجان الفنية المشكلة لتقنين الشريعة الاسلامية مهمتها بتوفيق الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المستشار/السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر



مسقف حرم المسجد الجامع في غرناطة بالاندلس

شعر وشاعر

نماذج بشرية

من وحى الإيمان

محمد فضل اسماعيل

نماذج بشرية

... مغرور ...

« المغرور المتكبر كالرجل فوق الجبل يرى الناس صغارا وهم يرونه صغيرا »

للدكتور حسن جاد

ومارد تخدع الأبصار قامته　　　وكم وراء خداع العين من كذب

شوامخ السرو اذ طالت بلا ثمر　　　ما جاوزت قدر أعواد من الحطب

أعمى الغرور على جهل بصيرته　　　فما يفرق بين الفحم والذهب

حتى تخيل أن الشمس هامته　　　وأن نعليه قد قدا من الشهب

والأنجم الزهر من أنواره اقتبست　　　فمزقت كبد الظلماء والحجب

وكل موعظة من هديه انطلقت　　　فبددت نزغات الشك والريب

وأنه شاعر الدنيا بمفرده　　　وأنه وحده صناجة العرب

قد ادعى كل شىء وهو ليس على　　　شىء من العلم او حظ من الأدب

ويحسب الفن ألفاظا منمقة　　　والعلم ضربا من الأسجاع والخطب

له على كل باب قرع منتجع　　　يستعذب الذل فى الالحاح والطلب

فاعجب لذلك فى عنجهيته　　　ومن جهالته ما شئت من عجب

قد ازدهاه غرورا طول قامته　　　وما درى أنه لوح من الخشب

من وحي الإيمان

شعر : الاستاذ
محمد عبد الفتاح حماده

تقبلت آلامى المريرة طائعا ... ولم اك فى يوم من العمر جازعا

ترانى رغم الجرح ينزف باسما ... وكم بت مهموم الفؤاد ودامعا

ظلمت ولم الجا الى غير خالقى ... وعشت كريم النفس سمحا وقانعا

تقدم من كانوا يسيرون خلفنا ... ويحزننى أنى اداري ضفادعا

فياقدرى عفوا اذا كنت مذنبا ... ورفقا بانسان يناديك ضارعا

لئن ضقت بالدنيا وقفت مصليا ... اطيل سجودى بعد أن كنت راكعا

بقوة ايمانى أصيف كتيبة ... ولو صوبت عمدا الى المدافعا

وكل الذى اخشاه أصبح جاريا ... وفكرت فيه منذ أن كنت يافعا

اردنا ولكن ليس للمرء حيلة ... اذا كان فى بعض الأمانى طامعا

فان شاء ربى كان للخير مانحا ... وان شاء ربى كان للشر مانعا

وقد يرغب الانسان فيما يضره ... وينفر مما يجلب الرزق واسعا

فسبحان من بالنفع والضر عالم ... تنزه رحمانا بصيرا وسامعا

اذا هذه الدنيا اليك تقربت ... وقد لبست ثوبا انيقا ورائعا

فلا تتوقع أن يدوم صفاؤها ... وكن رجلا فى الحق كالسيف قاطعا

الا ان اخلاق الرجال ذخيرة ... وخير امرىء ما كان للناس نافعا

أيشرع الإنسان للإنسان ؟

لا والذى فطر الوجود بلا مثا   ل سابق متعاقب الأطوار
يجرى بقانون تناهى حكمة   خطته من قدم يد الأقدار
ما قامت الدنيا بعقل محدث   لكنها صنع القدير البارى
ما العقل للانسان غير ذبالة   محدودة الاشعاع والابصار
منحت له لتنير حيز جهده   ويعيش عبد الخالق القهار
لا يستقل وان زكا بشريعة   من نسجه تخلو من الأوطار
ما الظن فيه اذا اعترته آفة   او سكرة فى حانة الخمار
ومن الذى ادراه سر جبلة   من دونها فى الناس الف ستار
ايشرع الانسان للانسان ما   ينجى من العثرات والأخطار
ويقوده نحو السلامة فى الحيا   ة ، كثيرة الأشواك والأوضار
كلا ورب الكون ، ذلك بارق   يغرى حلوم الصبية الأغرار
ارأيت يوما عالما متبصرا   ركنت مداركه الى منهار ؟
هل جاء حقا كامل من ناقص   أو جاد جدب قاحل بثمار ؟
كم غازل فى الناس ينقض غزله   من علة تبدو به وعوار
يكفى صنيع الناس نقصا انه   كعديجيه ....من القداسة عار

للأستاذ: محمد عبد الرحمن صان الدين

يغـرى بـه فى غفلـة او يقظـة   زمرا مـن الاخيـار والاشرار
فالعـدل حينئذ خيـال مفـرق   والامـن حلم فى رءوس صـغار

لكن شـرعة خـالق الانسـان نسـج محكم مـن عـالم الأسرار
كفل السلامة فى الحياة لمن تفيـا ظلهـا فى زمـرة الأبـرار

لو كان فى الانسـان عقـل مجزى   ما كـان رسـل الله فى الاعصار
ولما مضى فى الارض يسجد خاشعا   للنجم والحيوان والاحجـار

ولمـا استبد بـه الغـرور فظـن أن يديه تملك قـدرة الجبـار

فمضى يبث قذائفا مـن صنعه   ادهى مـن البركـان والاعصـار
ليرى شعوب الارض قد دانت لـه   وانت تتـوج هـامه بفخـار
وهو الذى يدرى بـان صنيعه   ياتى على العمران والعمـار
ويحول الارض الخصبة جاحما   مـا فـوقها مـن باغم او ضار
ياويحه بيديه يـوبق نفسـه   مثل الفراش يطير فـوق النـار
فرحـا بهـا فـاذا به جوفهـا   قد صـار ذرا فى اظى وسـعار
ومن امتطى اللب الذكى مجـردا   التاه فى مهوى بغـير قـرار
يأيهـا الانسـان انك راحـل   فى سـفرة هى آخـر الاسـفار
ماذا تقول اذا سئلت ومـا الذى   يجديك عنـد اللـه مـن اعذار ؟
ان السـما اوحت اليك بهديهـا   فـابيت الا التيـه فى اصـرار
فاذهب الى ما شاء شيطان الهوى   فى حـيرة مجنـونة وبـوار

محمد فضل اسماعيل

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يمر السادس من اكتوبر كل عام ، فتحل ذكرى رحيل هذا الشاعر الكبير عن دنيانا دون أن يظفر بكلمة من منصف تحيى ذكراه ، أو تشيد بموهبته ، وتترحم عليه، لما قدمه لوطنه من ذوب قلبه ، وهتفات وجدانه ، التى تتمثل فى القصائد التى أبدعها لتشق الطريق ، للسير قدما نحو الغد الأرغد ، والمستقبل الأسعد .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

ولعل رثاء شوقى ، أمير الشعراء ، للمنفلوطى ـ حينما لقى وجه ربه ، فى ذات يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد زغلول ، الذى يستهله بقوله :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحى .. فأوصد دونهم
جرح الرئيس منافذ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع أو حفاوة ساعى
ماضر لو صبرت ركابك ساعة
كيف الوقوف .. اذا أهاب الداعى

لعل هذه الأبيات ، أكثر انطباقا على فضل الذى رحل الى جوار مولاه ، فى السادس من اكتوبر عام ١٩٦٩ ، وظل عدد قليل من الأوفياء لذكراه ، يحتفلون بها سنويا بمقر جمعية الشعراء والزجالين بالاسكندرية ، نذكر منهم الشعراء والأدباء :

عبد العليم القبانى ومحمد رخا والسيد بقلل وادوار سعد وتحمت عامر وكمال أبو النيط ،

وبعض أساتذة الجامعة ، والناقد الكبير الراحل مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، والسيد محمد بدوى الخولى محافظ السويس الأسبق ، (وصاحب اليد الطولى فى ظهور ديوانه بعد ذلك) وآخرين ممن لا تعيهم الذاكرة الآن .

جاء نصر السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فكان خيرا وبركة على الجميع الا .. فضل ! فقد ضاعت ذكراه فى غماره ، فلا يكاد يذكره الذاكرون أثناء الاحتفالات السنوية بعد ذلك بهذا اليوم المجيد ، على الرغم من أن هذا الشاعر المغبون كان من أبرز صناعه ، بما دبج من القصائد الحماسية الملتهبة،استشرافا لفجر هذا اليوم ، كما يتجلى ذلك فى قوله ــ رافضا ومتجاوزا هزيمة الخامس من يونية ١٩٦٧ :

لخط النار مهد لى الطريقا
فلست أهاب فى النار الحريقا
ونيران العدا ليست بشىء
اذا الايمان كان معى رفيقا
و (ابراهيم) مر بها سلاما
وعاد يؤكد العهد الوثيقا
فديت المسجد الأقصى بروحى
وبالدم أفتدى البيت العتيقا (١)

وشاعرنا نجله أسرة رقيقة الحال ببلدة (فاقوس) بمحافظة الشرقية فى الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٨٩٨ ، وكان أكبر

(١) ديوان فضل ص ٧ .



أبنائها . وما أن بلغ الرابعة من عمره ، حتى كان أحد الصبية الذين يترددون على (كتاب) الشيخ اسماعيل ، حيث حفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل به والده الى مدينة السويس . والحقه باحدى مدارسها الابتدائية ، وبعد أن حصل على (الابتدائية) لم يشأ والده ــ رغم ضيق ذات يده ــ أن يكون هذا اليافع موظفا حكوميا ، جريا على العادة المتبعة فى ذلك الوقت ، متمثلة بالقول المأثور المردود : « ان فاتك الميرى ، اتمرغ فى ترابه ! » ، بل أراد أن يهيىء لابنه أفقا متسعا فى العلوم الدينية والفقه ، على يد شيوخ الحلقات بالأزهر الشريف .. وبالفعل تم له ما اراد ، وبقى الفتى فضل عامين كاملين به ، واخبرنى رحمه الله أكثر من مرة ، أن هذين العامين كانا ذوى أثر بعيد فى تكوينه وتوجيهه الى تعشق علوم العربية وتذوق الشعر ، واهتدائه اليه لأول مرة منذ نعومة أظفاره ، بعد أن أتيح له التزود بالعلم الغزير ممن فقه

محمد فضل اسماعيل

ومتون ، وشروح وحواش .

ولم يقنع بدراسة المقررات فحسب ، بل كان يحضر حلقات الصفوف العالية ، في سنه الغضة ، ليشبع تعطشه الشديد للعلم والمعرفة ، ويكتسب خبرة وافية في حقل الدراسات الاسلامية ، وكل مايتعلق بالقرآن والسنة والتفسير ، وماتزخر به الحلقات من أدب وبلاغة ، وقد بلغ من تأثير هذه (الحصوة) اليسيرة نسبيا من علوم الأزهر وآدابه ، أن رغب الى ، حينما وجدني أشمر عن ساعد الجد لتجميع ماتناثر من شعره بذواكر الحفظة ومئات « المسودات » لدى أصدقائه ومريديه ، رغب الى أن أبدأ في ترتيب مادة الديوان بشعره الديني ، الذي نبتت جذوره الأولى في بيئة الأزهر الخصبة .

وقد كان يعزو ما أطلق العنان لشاعريته ، وارفادها بالديباجة الجزلة والأصالة اللغوية ، الى فترة دراسته تلك بالأزهر الشريف ، رغم قصرها نسبيا ، واللبق اللبيب يفيد من العلم القليل ، مالا يفيده القدم الخامل من العلم الغزير ، في السنوات المتطاولة .. وقد لاحظ تأثير الثقافة الدينية على نتاجه الأدبي عضوا لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، اللذان قدما ديوان فضل ، وهما : الدكتور مختار الوكيل والشاعر عامر بحيري ، حينما قالا في تقديمه :

« ان الناظر في شعره يستطيع أن يضع دون تحرج هذه الابتهالات الدينية في صف من عيون الشعر الديني ، ليس في عصرنا المتأخر وحده ، بل وفي عصور سوالفه ، شاعت فيها نفحات الشعر الديني ، وتراتيله الرخيمة » .

**

ومن بواكير شعره في تلك الفترة ، قوله من قصيدة « الى الذات العلية » :

يا مالك الملك يا قيوم سبحانك
قد جل ذنبي .. فهب لي منك غفرانك
اني اتبعت هوى نفسي فواخجلا
ماذا أقول اذا حكمت ميزانك
مهما تعاظم ذنبي أو تملكني
فلا أريد به يارب عصيانك
حسبي بذاتك ايمانا ومعرفة
ان لست أجحد في التوحيد سلطانك

وقوله متهدجا مناجيا المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

جاءنا القرآن يطري أحمدا
بالتجلي في ثناء عطر
يا شفيع الخلق ان جئنا غدا
مالنا فعل حميد الأثر
صلوات الله ما طير شدا
أو تغنى بلبل في السحر
هل لعيني يا حبيبي أن ترى
نور (طه) .. قبل فوت الأجل ؟
واضعا خدي على ذاك الثرى
ممعنا في تربه .. بالقبل (1)

---

(1) ديوان فضل ص ۱۸۰ ، وقد قمنا بتجميعه وتحقيقه ، واصدره المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ۱۹۷۲ .

وقوله فى الهجـرة :

ياليتنى يوم الرحيل شهدته
فنظمت فيه قلائد العقيان
ووقفت عند الغار أحرس بابه
وفديته بجوارحى وجنانى(١)

**

وبعد تلك الفترة من طلب العلم بالأزهر ، أظهر ولعا عظيما بالجندية وحمل السلاح ، ليكون رب السيف والقلم ، كمحمود سامى البارودى ، الذى تتلمذ على شعره .. لهذا طلب اللحاق بالمدرسة الحربية فى القاهرة (الكلية الحربية الآن) ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فلم يوفق لهذا الغرض ، ولكنه استطاع فى آخر الأمر أن يلتحق بالمدرسة الحربية بالخرطوم ، نظرا لأن والده كان من أبناء السودان ، ولما له من عمومة وأنساب فى شتى نواحى السودان .

وكان الطالب العسكرى (محمد فضل اسماعيل) موضع اعجاب رفاقه وزملائه ، فهو شاعرهم ولسانهم الصادق فى ندواتهم ومجتمعاتهم ، الأمر الذى أثار حفيظة قومندان المدرسة (الكولونيل باتيسون) وقتذاك ، وألب عليه مدير المعارف السودانية (المستر كروفت) ووكيله (المستر سجبسون) ، حيث تقرر بعد سنة من لحاقه بتلك المدرسة ، فصله من سلك طلبتها ، وابعاده عن موطن أبيه وأجداده فورا، لما كان يبثه بين الطلاب ، من روح منافية لأوضاع الحكومة السودانية وقوانينها ، فى ذلك الحين (٢) . وبخاصة حينما أنشد الطلاب قصيدته التى يقول فيها ، واصفا ما جرى فى مأساة (دنشواى) :

أمن أجل أفاق يصيد حمامة
تساق الضحايا كالذبائح تنحر
وتشنق بالحبل المهين رجولة
تثور لعرض يستباح ويهدر
ويؤخذ للسجن البرىء تعسفا
ويجلد بالسوط .. الأبى الغضنفر

**

الى أن يقول :

متى كان فى شرع الحضارة عندهم
اهانة شعب للكرامة يثار
وفى الجيش لـ (اسفنكس) أوامر قائد
له مصر والسودان جند وعسكر
وحسبك (كرشو) فى القضاء جناية
على العدل والقانون فى مصر أبتر
وللدين صندوق عليه حراسة
وللرى تفتيش على الماء يحجر(٣)
وللأمن والشرطات والمال فتية
لتركيز الاستعمار فى القطر شمروا

**

وعاد الشاعر أدراجه الى مصر ، حيث التحق بمدرسة « المعلمين العامة » بالزقازيق ، وفيها تخرج مدرسا ، وعمل فى مدارس السويس الابتدائية ، حيث يقيم والده وأسرته عام ١٩١٦ وبقى فى هذه المدارس حوالى أربع سنوات ، كان خلالها يتصل بكثير من رجال الصحف والأدباء والشعراء ، حتى أصبح موضع ثقة الدكتور (يعقوب صروف) ، فعينه وكيلا وكاتبا

---

(١) ديوان فضل ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) أنظر مقدمة قصيدة السودان فى مقدمة المصور بديوانه ص ٨٩ .
(٣) من قصائد الديوان .

محمد فضل إسماعيل

المقطم بالسويس .

**

وفى النهاية ، رأى الشاعر أن يستقل بنفسه فأصدر جريدة الثغر الشرقى بالسويس وصدر العدد الأول منها فى يوم الأحد ١٦ محرم سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٤ م وكان مقرها « بسراى دائرة المرحوم جليدان » بشارع المحافظة بالسويس ، وبصدر العدد مقدمة ، قال فيها مخاطبا الوطن :

« أقف اليوم أمام جلالك ، أتغنى على دوحة مجدك الرائع » .

« أتقدم اليك بهذا القلم الذى أحمله بين أناملى ، فلست أملك سواه من حطام الدنيا ، هذا القلم الذى عرفت اخلاصه من قبل ، سيظل كذلك حتى الموت ، مداده الصدق ، وصريره الحق » .

وقد التزم الشاعر بعهده الذى قطعه على نفسه ، فلم يتوان عن أن يكون جزءا لايتجزأ من ثورة ١٩١٩ ، منذ اليوم الأول الذى نادى فيه (سعد زغلول) بالجلاء ، الى اليوم الأخير الذى قال فيه سعد : « أنا انتهيت » وهو يوم احتضاره .

ومن الطريف أن الشاعر نشر بالعدد الثانى من (الثغر الشرقى) الصادر فى ١٩٢٤/٨/٢٤ الاعلان التالى :

(ديوان فضل تحت الطبع)

وكتب يقول :

« قد شرعنا بعونه تعالى فى طبع الجزء الأول من ديواننا ، حافلا بجميع القصائد والأبيات التى نشرت لنا على صفحات الجرائد والمجلات ، منذ عشر سنوات . وبما أننا قد فقدنا كثيرا من القصائد السياسية المهمة ، فنرجو كل من يعثر على قصيدة لنا أن يتكرم بارسالها لادارة جريدة (الثغر الشرقى) وسنرسل له نسخة من الديوان ، بعد طبعه ، مجانا » .

وقد مضى على نشر هذا الاعلان أكثر من نصف قرن من الزمان ، لم يقم الشاعر خلالها بنشر أى ديوان ، ولم يرشد أحد الى المصادر التى يمكنه الرجوع اليها لتجميع شعره ، نظرا من أن ذلك قد يكون نذيرا بوشك وفاته ! ..

وعلى ذلك فقد عانينا الأمرين فى البحث بدوريات دار الكتب وغيرها ، حتى أمكننا العثور على بعض القصائد والأبيات اتفاقا ، بعد تصفح آلاف الصفحات الأدبية ، بجرائد ومجلات :

الأهرام ، والمحروسة ، ومصر ، ووادى النيل ، والبلاغ ، والبلاغ الأسبوعى ، وكوكب الشرق ، والشبان المسلمين ، والأهالى..الخ) منذ عام ١٩١٤ ، حتى أوائل الخمسينيات ، حيث استقر الشاعر نهائيا بين ظهرانينا بالسويس عند بلوغه السن القانونية فى نوفمبر عام ١٩٥٨ وبعد ذلك كنت أحصل منه على أصول ومسودات قصائده التى دبجها ببراعة فى شتى الأغراض ، تمهيدا لاصدار ديوانه ، الذى أخذت على عاتقى أمر تجميعه ، كما تقدم .

**

وحين اشتدت وطأة الشاعر على الاستعمار ورجاله الذين كانوا يتولون بعض الوظائف

العامة الهامة فى الدولة ، فى ذلك الحين ، بنقداته اللاذعة بـ (الثغر الشرقى) ، قامت السلطات باغلاق صحيفته، واعتقاله وتضييق الخناق عليه فعاد مرة أخرى يزاول مهنة التدريس ، ومكث بها اثنتين وأربعين سنة ، تنقل فيها بين معاهد التعليم المختلفة ، وقضى الشطر الأكبر منها فى مدارس التعليم الحر (الأهلى والشبيه بالحكومى) ، كمدارس جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية ، الى أن نقل الى ديوان الوزارة عام ١٩٤٥ مفتشا للاناشيد بمناطق الوجه البحرى والاسكندرية ، وحين بلغ سن التقاعد قال :

يقولون : المعاش نظير موت
فقلت جهلتمو معنى المعاش
فان الموت يلقى كل حى
كما يلقى ابن آدم وهو ماش
أموت على المكاتب كل يوم
فكيف اليوم أفزع من فراشى
تسبت لقيمتى ستين عاما
كما كسبت لقيمتها « المواشى » !
وداعا يا وظيفة ، حيث انى
خرجت من الممات الى .. المعاش(١)

❋❋

الا أن الشاعر رحمه الله ، كان متفائلا أكثر من اللازم ، فلم يعتمد له (معاش) من الدولة كما تخيل ، اذ لم تحتسب له مدة خدمته بالتعليم الحر ، واقتصر الأمر على صرف مكافأة له عن مدة خدمته (الرسمية) بالحكومة، وبعد أن (تبخرت) هذه المكافأة الضئيلة فى مدة وجيزة ، فى أوجه خير يطول شرحها ، فزع الى نقابة المهن التعليمية بالاسكندرية ، التى كان عضوا بها ، فقررت صرف معاش شهرى له ، قدره أربعة جنيهات فقط لاغير فقال ساخرا ، بمرارة وألم :

أمثلى يعيش على .. اربع ؟!
وما سرت يوما على حافر ؟!
وان كان ذاك .. فمن أين لى
دوانق تدفع للتاجر

الى أن يمس شغاف القلوب ، بقوله مجهشا :

شبابى اهابى ، وزادى الطوى
أليس لذلك من آخر
ولا بيت آوى الى عقره
لدى الحر .. أو يومنا الماطر

ولما لم يجد أية استجابة لزيادة هذا المعاش، لجأ الى مخاطبة السيد/ عبد الرحمن أبو العينين وكيل وزارة الخزانة لشئون المعاشات قائلا :

أبا العينين يا أمل الضعيف
ورب المبدا العالى الشريف
كأنك (يوسف الصديق) .. يحيى
(عجاف الدهر) .. بالحل اللطيف

وعلى أثر ذلك صدر قرار جمهورى ، بصرف معاش استثنائى له ، قدره خمسة جنيهات .

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن شاعرنا سبق أن ظفر قبل خروجه الى المعاش برعاية الدكتور طه حسين وتقديره ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ م أثناء توليه وزارة المعارف العمومية وقد لمس مافيه شاعرنا من غبن شديد ، فاستصدر قرارا من مجلس الوزراء بترقية الشاعر درجتين استثنائيتين (من السادسة الى الرابعة) ، غير أن فرحة شاعرنا لم تتم ، اذ

---

(١) ديوان نضل ص ٦ .

محمد فضل إسماعيل

عمدت الوزارة التى تولت الحكم قبل قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م الى الغاء قرار ترقية الشاعر ، فعاد الى قواعده ، بالدرجة السادسة !

وقد سردت كافة ما تقدم للدكتور طه حسين رحمه الله ، لتجديد عهده وذكرياته عن الشاعر، حينما سعدت بمقابلته بسكناه بفيلا (رامتان) بالجيزة مرتين ، فلم ينكر شيئا مما ذكرته عن واقعة ترقية الشاعر الاستثنائية كما رواها الشاعر لى قبل وفاته ، واكتفى بالابتسام ..

كذلك كان (طه حسين) قد وافق على كتابة مقدمة لديوان فضل ، تحقيقا لرغبة الشاعر الراحل ، الا أن ظروفه الصحية ، لم تمكنه من املاء المقدمة .

وقد ظل الشاعر وفيا للسويس بعد العدوان حتى الرمق الأخير ، ومكث بها ، رغم شيخوخة السبعينيات ، لمدة عام ، يسهم بقصائده النارية فى اذكاء الشعور الوطنى ، فى مرحلتى الصمود والردع ، بروح فتية لاتعرف الكلل . ومن شعره فى هذه المرحلة قوله بمطلع احدى القصائد :

يا ساكن العربى لاتتكلم
بل بالمدافع ، للأمام تقدم

**

وكان يضمر للاسكندرية عشقا مبرحا ، ويذكرها فى كثير من قصائده بشغف شديد ، يثيره فراقه لها ، مرغما ، للاقامة لدى من يعطفون عليه من ذوى قرباه بالقاهرة ، بعد احالته الى المعاش ، وبعد أن صفرت يده من النقود .. فيقول فى نجواها :

اسكندرية مانسيت هواك
هيهات ينسى شاعر ذكراك
علمتنى لغة الهوى فنظمتها
من مهجتى .. لأنال حسن رضاك
ونثرت فيك على الشواطىء أدمعى
يوم الرحيل وما احتملت نواك
لو أن رب الناس صور جنة
فى هذه الدنيا ، فليس سواك (١)

**

وقد كان فضل اسماعيل واحد الآحاد فى فن القاء الشعر ، فى العصر الحديث بلا منازع ، لأن حنجرته القوية ، وتمكنه من طبقات صوته، وبراعته فى الالقاء والايحاء والايماء ، وتمثيل المعانى بالاشارات والانفعالات التى تتبدى بوجهه وحركاته ، المصاحبة لعلو الصوت وانخفاضه وتوسطه ، لأداء المعانى بدقة وايضاح ، كل هذا كان يجعل الجمهور الغفير يحتشد بالحفل الذى يعلم أن فضلا سوف ينشد فيه احدى قصائده ، ولاتكف الأكف فيه عن التصفيق له ، بين الأبيات والوقفات والفقرات مستزيدة مستجيدة مستعيدة .

---

(١) ص ٣١٦ بالديوان .

وفي قصيدة له ذكر فيها طفلا مشردا في ليلة من ليالي الزمهرير بالاسكندرية ثم التفت الى نفسه قائلا :

أتدرى كيف قابلني الشتاء
وكيف تكون فيه القرفصاء
وكيف البرد يفعل بالثنايا
اذا اصطكت .. وجاوبها الفضاء
وكيف نبيت فيه على فراش
يجور عليه في الليل الغطاء
لقد وافى .. وقابلني بوجه
كوجه النذل ، فارقه الحياء !
فان حل الشتاء فادفئوني
فان الشيخ آفته الشتاء ..

**

وتلمس مسغبة الشاعر وما تعرض له في هذه المرحلة المتقدمة من حياته من عوز ، في قوله مخاطبا (أمه) في يوم ذكراها :

يا طالما قلت ان الشعر مذبحة
تودى بصاحبه من غير سكين
والشعر يا أم أغلى ما احتفظت به
ان عشت أو مت .. فهو الدمع يبكيني
تركتني لصروف الدهر فاهتصرت
عودى .. وحسبك أيامي تربيني
خرجت من ظلمات البطن ملتمسا
نورا .. فكان ظلاما ما يغشيني

**

ويبلغ قمة تأثره ، حين يقول :

ولا سبيل لدنيا الناس اطرقه
فمن الى قبرك المجهول يهديني ؟!(1)

ويندم على عهد (ظلمات البطن) ، فيقول من قصيدة أخرى :

قد كنت في ظلمات البطن مضطجعا
في مأمن لا أرى خوفا ولا فزعا
حتى خرجت الى الدنيا .. فادركني
هم بكيت له في حينه تبعا

ثم يقول متحسرا :

هل من رسول الى امي ، يبلغها
أن البناء الذي شادت قد انصدعا

ويعني بالبناء .. نفسه ، وكان في وهن الشيخوخة التي أحنت عوده ، وكفت بصره أو كادت .. وكما يصور هو هيئته في البيتين التاليين ، أنه أصبح :

شيخا أضر به صيف ، وأسلمه
برد الشتاء الى ركن به قبعا (2)

سبعون عاما به مرت فما تركت
من المحاسن الا .. منظرا بشعا ! (3)

**

(1) ديوان فضل ص ٣٣٥
(2) ديوان فضل ص ٣٣٩ .
(3) ديوان فضل ص ٣٤١ .

محمد فضل إسماعيل



وكان آخر ما نظم فضل ، وقد حضرته الوفاة بدار رعاية الشيوخ بالاسكندرية ، التى حمل اليها على أعناق بعض فاعلى الخير ، بعد أن التقطوه من الطريق العام ، منكسرا متضعضعا ، لايجد العلاج والدواء .. وقضى نحبه فيها متأثرا بالجرح الغائر بسلسلته الفقرية ، على أثر تعثره أثناء صعوده سلم الفندق الذى كان يقيم به .. كان آخر ما قاله ، تلك الأبيات عن الموت :

قرأت كتاب الموت من عهد آدم
الى يومنا هذا .. ولما اتمم
وعودت نفسى ، ان قرأت صحيفة
أو احتجت فى بحثى لسفر ومعجم

**

قرأت الى ان يفرغ الصبر كله
وطالعت حتى كل حرف مطلسم
فاعرف ما ترمى اليه سطوره
واخرج بالمغزى على خير مغنم
ولكن سفر الموت خيب فطنتى
وضيع آمالى .. فلم أتفهم

**

الى أن يقول بختام القصيدة :

تحيرت ياربـاه فى الأمر .. انى
امام جلال الموت قد جئت ارتمى
فسبحانك اللهم انت خلقتنا
من الطين فى لحم على بعض أعظم

**

نروح ونغدو فى الحياة .. فان دنت
يد الموت ، لم ننبس ، ولم نتكلم
وعدنا ـ كما كنا ـ ترابا .. مهادنا
صخور .. وفى ضيق من القبر مظلم

**

ولم يبق للدنيا سوى ذكرياتنا
اذا ما فقدنا .. صورة اللحم والدم

يرحمه الله .

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد البنا "بك"

الشيخ

محمد البنا بك

١٨٩٧ م – ١٩٦٩ م

من اعلام الازهر الذين مارسوا عملهم العلمى فى ميدانه الأصيل هدى للناس وتعليما لطلبة العلم فى دراساتهم العليا ، حيث تلقوا – على يديه – محاضراته فى « السياسة الشرعية » فنما هذا الفرع على يديه حتى صار اصلا بأقسام التخصص بكلية « الشريعة والقانون » جامعة الأزهر .

ثم مارس عمله الجليل بالسلك السياسى فى أكثر من قطر من أقطار أوربا ، فزاد مصر جلالا ووقارا ، وترك آثار دينه تشهد بجلال « قومية هذا الدين » بأكثر من بلاط فى أوربا انحنى تقديرا لهذا الدين الذى لمسه فى رجل تمسك به عن ثقة ومارسه عن ايمان .

ولقد يكون لذلك ضريبته لكنها ضريبة تهون أمام الدين وكرامته مادامت حوزته لم تمس ، وكيانه فوق الرءوس .

ذلك هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى فرج البنا (بك) أحد اخوة أربعة نشأوا يريدون لمصر كرامة الاستقلال والخلاص من التبعية فأغضبوا جبهتى الحكم فى مصر : الملك والانجليز .

ولم يكن أمام الاخوة الأربعة الا الاستمرار فى الكفاح حتى بعد أن صدر الحكم باعدام أخيهم محمد الشافعى البنا متهما بقتل جندى انجليزى ... ولم تكن حيثيات الحكم منطقية، ولم يكن القانون عصيا على الشيخ محمد البنا فسعى من أجل أخيه حتى التقى بمسئول كبير فى انجلترا وعرض عليه الامر بحججه ، فلم تملك انجلترا الا تخفيف الحكم على أخيه بسجن مؤبد قضى معظم سنواته حتى أفرج عنه وعين عقب الافراج عنه نائبا لمدير الاذاعة، وعاد الشيخ الى مصر ، وفى يقينه أنه غير ملوم لسعيه من أجل أخيه . وفى الحق ان الأزهريين الذين عملوا بالسلك السياسى استطاعوا أن يقدموا مصر على خير ذخيرتها فى أكثر من بلاط فى أوربا قدرهم أعظم تقدير لما لمسوه فيهم من قومية هذا الدين والاعتزاز به .

للأستاذ محمد كامل البنا



وبعودة الشيخ الى مصر تلقفته وظائف عدة حرص خلالها أن يتلقاها طبيعية ، ويمارسها طبيعية ، ويبقى بهـا ما بقيت طبيعية ، فلم يغامر الشيخ ـ رحمه الله ـ فى اقرار « نسب شريف » لأحد الرجال ، ولم يرض أن يطعن وفاءه لشخص عزيز كريمة يده عنـده ، ولم يقبل ان يؤلف كتابا وينحنى عن مساره العلمى وبعد :

فمجلة الأزهر تترك لشقيقه الاستاذ محمد كامل البنا تقديم أخيه : الشيخ محمد مصطفى فرج البنا (بك) .

فى أواخر القرن التاسـع عشر وقبـل ان يقبل على الكون قرن جديد ، وفى قـرية من قرى مركز منوف التابع لمديرية المنوفية ، فى تلك القرية (شبرا زنجى) ولد للشيخ العالم مصطفى البنا وليـد ابيض الوجـه ، أخضر العينين فأسماه (محمدا) على عادته التى تعودها . وهى أن يسمى كل مولود ذكر يولد له باسم محمد تيمنا باسم أفضل الخلق سيد المرسلين محمد بن عبـد الله عليـه أفضـل الصلوات وأتم التسليم .

امتاز ذلك الوليد عن أخيه الذى ولـد قبله وسمى محمدا بأن لقبه أبوه « بالصـغير » حتى يكـون ثمت فـرق بين الوليـدين وكبر الصغير وترعرع فى أحضان أسرتـه . ثم لم يكد يشب عن الطوق حتى أدخله أبوه مدرسة الزامية فى البلد ليحفظ القرآن ويتعلم بعض مبادىء العلوم .

ولم تكد تمضى سنوات تسـع حتى حفظ الغلام القرآن الكريم وتعلم مبادىء الحساب وبعض تعاليم الدين الحنيف .. وعـرف بين أقرانه ولداته بأنه ذكى قوى الحـافظة ، منظم العقل والفكر ، قليـل الكـلام ، كثير الصمت والنظر الى ما أمامه من فضاء ..

الشيخ محمد البنا بك

ذهب والده ذات يوم الى المدرسة فسره أن قال له معلم ولـده أن مخـايل النجـابة وصفاء الذهن وسعة الأفق تبدو عليه ..

وأدخله والده مع بعض أبناء القرية الأزهر الشريف ، وما كاد يمضى عـامين حتى عقد امتحان للطلبة لاختيار من يتفوق منهم لمنحه مكافأة . فكان أصغر الطلبة الـذين تقـدموا للامتحان ولكنه تفوق عليهم أجمعين وتصـدر قائمة الناجحين من أبناء قريته وغيرهم وقررت له مكافأة مستديمة كانت بعض خبز (الجراية) ومبلغا من المال .

وما أن أتم فى الأزهر أربع سنين حتى تقدم مع عديد من الطلبة للامتحان الذى عقد لدخول مدرسة القضاء الشرعى ورآه ناظر المدرسة (محمد عاطف بركات) نحيلا صغيرا بين أقران يكبرونه سنا وجسما فسأله عن عمره فأجاب أحد عشر عاما فسـكت ولم يتكلم وظهـرت نتيجة امتحان القبول للمدرسـة فكـان ابن الأحد عشر ربيعا أول الناجحين على جميـع المتقدمين .. والتحق بالمدرسة وكانت تعقـد امتحانا كل ثلاثة أشهر تمنح فيه مبلغـا من المال تشجيعا لأوائل الطلبة .. فظـل طيلـة دراسته يحافظ على أولية الفصـل وأوليـة امتحان النقل من سنة الى أخرى ... حتى تخرج فى عـام ١٩٢١ وكـان الأول بتفـوق كبير .

تعيينه مدرسا بالمدرسـة

وطلبت وزارة الحقانية (العدل) من ناظر المدرسة (على الكيـلانى بك) الموافقـة على تعيينه قاضيا بالمحاكم الشرعية ولكنه عارض وقال : انى متمسك بتعيينه مدرسـا فى المدرسة التى نشأ فيها وترعرع . وكـان أن صـدر قرار بتعيينه ، ومن المصادفات أن عهد اليـه بالتدريس لطلبة السنة النهائية . وكـان منهم بعض زملائه الذين أعادوا السنة لرسوبهم فى امتحان الدور الأول .

بين الملك وشيخ الأزهر

كان الشيخ محمد أبو الفضـل الجيزاوى شيخا للأزهر وفى الوقت ذاته رئيس لجنـة امتحان طلبة السنة النهائية بمدرسـة القضاء ، وعقب ظهور نتيجة الامتحان قابل الشـيخ أبو الفضل الملك فؤاد ودار الحديث بينهما عن امتحان القضـاء الشرعى .. فقـال شـيخ الأزهر : لقـد عرض على فى أثناء امتحـان طلبة الشهادة النهائية طالب كـان عجبـا فى ذكائه وسعة اطلاعه ودقته فى الأجوبة على الاسئلة التى توجه اليه واضطرت اللجنة أن تعطيه أعلى الدرجات فى جميع العلـوم التى امتحن فيها . وسـأل الملك عن اسـم هـذا الطالب ولم يكد شيخ الأزهر ينطق باسـمه حتى أظهر الملك عجبه وسأل ما صـلة هـذا الطالب بالشيخ البنا الكبير قال أنه حفيـده . وسكت الملك لأنه كـان لا يحب الأسرة ولا عميدها (١) .. ولكن هذا الحادث كـان لـه أثر فى حياة الطالب العلمية والوظيفيـة كمـا سيأتى .

تعيينه اماما للسفارة المصرية بباريس

ظل الشيخ يدرس فى مدرسة القضاء حتى عام ١٩٢٣ وصدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ يعلن رفع الحماية عن مصر ومنحها الدستور وتبادل التمثيل السياسى بين بعض الدول الكبرى واختير الاستاذ البنا اماما للسفارة المصرية فى فرنسا ولاختياره قصة طريفة تلك أن الملك فؤاد حينما أرادوا تعيين سفراء ووزراء مفوضين لمصر فى بعض العواصم الأوربية رأى أن يكون فى كل سفارة رجل من رجال الدين يسمى اماما وملحقا دينيا ورشحت وزارة الحقانية عددا من رجال الدين ليختار منهم من يريد ولكنه فجأة قال لهم لقد حدثنى شيخ الأزهر عن طالب امتحنه وكان شديد الاعجاب به لقبه « البنا » فقيل له أنه مدرس فى مدرسة القضاء فطلب أن يقابله .

كان الوقت صيفا وكان الأستاذ يقضى أجازته فى بلده فجاءه خطاب من القصر الملكى يحدد له موعدا للتشرف بمقابلة جلالة الملك فحضر الى القاهرة وهو لا يعلم شيئا عما يسمونه (البروتكول) لكن موظفى القصر أخذوا يلقون عليه التعليمات فلم يأبه بشىء منها ودخل على الملك فسلم عليه ولم يقبل يده كما نصحوه وجلس فقدم اليه الخادم قهوة فى فنجان من ذهب فاعتذر ولم يأخذه فأشار الملك الى الخادم اشارة فعاد بقهوة فى « فنجان » غير ذهب فأخذه وتناوله وعندئذ قال له الملك : أنا ممنون منك كثيرا لأنك رفضت أن تشرب القهوة فى فنجان ذهبى ولأجل هذا سأعينك اماما للسفارة المصرية فى باريس مع الأميرة فوقية وزوجها محمود فخرى وآمل أن تحافظ على سمعة مصر وأن تشرفها فقال : أرجو أن أكون عند حسن ظن جلالتك .

بين فرنسا وبلجيكا

وكانت السفارة المصرية فى باريس قد أضيف اليها عمل سفارة مصر فى بلجيكا وقصد السفير ومعه موظفو السفارة لتقديم أوراق الاعتماد للملك « البرت ملك بلجيكا » وكان ذلك فى شهر رمضان وجاء ترتيب الجلوس : السفير المصرى الى جوار الملك والامام الدينى الى جوار الملكة وقدم الشاى والحلوى للحاضرين فاعتذر الاستاذ البنا عن تناول شىء لأنه صائم ، وعد هذا التصرف فى البلاط الملكى خروجا على التقاليد اذ كيف يعتذر موظف رسمى فى حفل رسمى عن تناول الشاى والحلوى .. وكانت أزمة .

استدعاؤه من فرنسا

حينما ذهب سعد زغلول لمفاوضة (مكدونالد) رئيس الوزارة البريطانية مر على باريس واستقبل استقبالا رسميا من السفارة المصرية وعند وصوله سأل السفير : أين الأستاذ البنا ؟ فقدمه له فحدثه طويلا عن مهمته ثم عرج على ذكر أخويه المسجونين السياسيين (محمد الشافعى البنا ، محمد كامل البنا) وقال له : انى مصمم على الافراج عنهما رغم معارضة الانجليز فاطمئن وقر بالا ، وشكر الشيخ لسعد صنيعه ولكن هذه المقابلة أغضبت القصر الملكى فلم تكد وزارة

الشيخ محمد البنا "بك"

سعد تستقيل على اثر مقتل «السير لى ستاك» سردار الجيش المصرى وبدأ أعضاء الهيئة الوفدية يستقيلون منها . حتى استدعى البنا على وجه السرعة منقولا الى وزارة «الحقانية» قاضيا فى الريف وعين سعد اللبان مكانه

ومن العجيب أن سفير مصر « محمود فخرى » كان كلما عرضت عليه مسألة دينية يتصل بالأستاذ البنا ليفتى له فيها ، فأرسل اليه — فى مصر — يستفتيه فى أمير حضرته الوفاة وأراد أن يوصى ، كان الامير قد أرسل الى سفارة مصر بباريس يطلب اليها أن ترسل اليه مندوبا يستمع لوصيته ، الى غير ذلك من الشئون .

انتدابه للتدريس فى كليات الأزهر

ظل الشيخ محمد البنا قاضيا فى المحاكم ينتقل من بلد الى بلد لا يستقر له قرار حتى أنشئت كليات الأزهر . وكان له دور كبير فى تعيين الشيخ المراغى شيخا للأزهر فى عام ١٩٢٨ اذ ساهم هو وبعض العلماء كالشيخ شلتوت وعبد اللطيف دراز وعبد الجليل عيسى وسليمان نوار وغيرهم فى اسداء النصح لرئيس الحكومة اذ ذاك على أن يصر على تعيين المراغى شيخا للأزهر وكان الملك فؤاد شديد المعارضة فى هذا الأمر وقد رفضه أكثر من مرة ..

ولما أنشئت كلية الشريعة انتدب للتدريس بها — وكان قاضيا فى محكمة الزقازيق — وكانت المادة التى اختير للتدريس بها جديدة على الطلبة ، تلك هى مادة (السياسة الشرعية) .

أول مؤلف عصرى

أخذ يلقى على الطلبة محاضرات فى تلك المادة الجديدة حتى اذا انتهى العام الدراسى وتجمعت عدة محاضرات تناولت هذا العلم وتعرضت لأول مؤلف فيه وهو الامام ابن تيمية .. جمع تلك المحاضرات القيمة فى كتاب سماه (السياسة الشرعية) ووزعه على الطلبة وظل يتوسع ويضيف اليه جديدا كل عام حتى صار مؤلفا له قيمته وله وزنه . وكان أول مرجع يرجع اليه الأساتذة والطلاب فى كليات الأزهر . واقتبس منه كثير من أساتذة الأزهر ولكيانه ونسجوا على منواله اذا ألفوا فى هذه المادة .

الوظائف التى تقلدها

فى عام ١٩٣٦ أنشئت فى مجلس الوزراء ادارة باسم الشئون الدينية ، فصدر قرار من رئيس الوزراء بنقل الأستاذ البنا اليها لينظمها ويديرها فأخذ يعمل جاهدا حتى جعلها ادارة كبيرة تنظر فى المسائل الدينية التى تتصل من قريب أو من بعيد بالوزارة سواء أكانت اسلامية أم مسيحية أم يهودية وأخذت الأوامر والتعيينات فى جميع الشئون الدينية فى الوزرارت والهيئات على اختلافها تصدر عن تلك الهيئة ، وغدت همزة الوصل بين الحكومة وبين الجهات الدينية على اختلافها .

ولأول مرة فى تاريخ مصر يعرف الناس أن

لها ادارة دينية كبرى يرجع اليهـا في تعيين الموظفين والرؤساء الدينيين وصبغ الحكومة المدنية بالصبغة الدينية ، ولأول مرة في تاريخ مصر تقام حفلات في المناسبات الدينية الكبرى كرأس السنة الهجرية والمولد النبوى الشريف وغير ذلك .

اول عمل ايجابى

على أثر انشاء الادارة الدينية وقع خلاف حاد بين المملكة السعودية والحكومة المصرية نشأ عن ارسال المحمل والكسوة الشريفة الى الكعبة . وكانت العادة قد جرت أن يحتفل بالمحمل احتفالا رسميا ثم تسافر بعثة مع الكسوة والمحمل الى السعودية ويعيدون الاحتفال ، ورأى الملك عبد العزيز آل سعود — رحمه الله — ان هذه البدعة لا يمكن أن يوافق عليها وتمسكت الحكومة المصرية برأيها في الاحتفال واحتدمت الأزمة بين الحكومتين وتدخل بعض الوسطاء وانتهوا الى تأليف لجنة مصرية سعودية لتبحث الامر وتحاول التوفيق بين الرأيين المتناقضين . وألفت اللجنة المصرية من عبد الحميد بدوى كبير مستشارى مصر ورئيس أقلام قضايا الحكومة ومعه بعض المستشارين ومحمد البنا ممثلا للادارة الدينية ولما طرحت المسألة تمسكت كل جهة برأيها وأصرت على موقفها وكادت الاجتماعات تنتهى دون نتيجة ، فمصر تريد للمحمل والكسوة أن يذهب الى السعودية بالطبول والموسيقى والسعودية تأبى هذا وتوقفت المفاوضات وهنا تقدم الشيخ محمد البنا باقتراح حل الأزمة وأرضى الأطراف جميعا ذلك أن مصر تريد أن تحتفل بالمحمل والكسوة فلنحتفل بها في بلدنا وعلى أرضنا وفي البواخر التى تحملها الى ميناء جده حتى اذا وصلوا الى المملكة السعودية نزل القوم بالكسوة وحدها وبقى عازفو الموسيقى والأناشيد في البواخر حتى انتهاء الموسم ونكون بذلك قد كسونا الكعبة كعادتنا واحتفلنا بالمحمل حسب تقاليدنا » . ووافق الجميع على هذا الاقتراح وانحلت الأزمة وبعث الملك عبد العزيز آل سعود يشكر الحكومة المصرية على هذا الحل الموفق وبعث برسول خاص قابل الأستاذ البنا يحمل رسالة تقدير وشكر من العاهل السعودى اليه .

فصله ثم اعادته الى المحاكم

وفى أول عام ١٩٣٨ أصدرت الحكومة المصرية أمرا بالغاء الادارة الدينية واحالة مديرها الى المعاش وفعلا جمع المدير أوراقه ولزم داره ولكن وزير الحقانية اذ ذاك (احمد زكى ابو السعود) قال لرئيس الحكومة : انى أريد نقل الأستاذ البناء الى القضاء كما كان لأنه من أكفأ وأنزه من عرفت من رجال القانون فضلا عن أنه يجمع بين الثقافتين الدينية والأجنبية مع سعة في الأفق وحسن تصرف وفعلا أعيد الى وزارة الحقانية قاضيا ولكن الحكومة ظلت تطارده مرة أخرى وتنقله من بلد الى بلد وأخيرا اختير مفتشا بالوزارة . وظل بها الى عام ١٩٤٢ وهو طيلة هذه المدة لم ينقطع عن التدريس لطلبة كلية الشريعة في مادته التى تخصص فيها ولم يكن ألف في هذه المادة مؤلفات الا عدد يسير من الأساتذة نذكر منهم الشيخ عبد الوهاب خلاف والشيخ

الشيخ محمد البنا "بك"

السايس ..

وفى عام ١٩٤٢ عين مرة أخرى مديرا عاما لادارة الشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء . وفى هذه المرة جدد فى تلك الادارة وابتكر ووضع تقاليد ظلت تنفذ الى أوائل الخمسينيات .

من تلك التقاليد :

احياء المناسبات الدينية

كانت الحكومة المصرية لا تعطى المناسبات الدينية كالعام الهجرى ومولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وغير ذلك اهتماما ولا تحس البلاد الا بالاجازة الرسمية . ولكن الشيخ البنا تقدم لمجلس الوزراء بمذكرة يطلب فيها أن تحتفل الحكومة رسميا ببدء العام الهجرى وأن تحيى ذكرى مولد سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام بما يليق بها من جلال وكمال واقتراح أن تقام فى كل مناسبة من تلك المناسبات حفلة رسمية فى قصر الزعفران تحت رياسة رئيس مجلس الوزراء يدعى اليها رجال السفارات الاسلامية والعربية ورجال الدين والهيئات والطبقات المختلفة وأن يلقى رئيس الحكومة خطابا مناسبا يشرح فيه الغرض من الاحتفال حتى يعلم الناس عن الاسلام ما لم يعلموا ويعرفوا عن خير المرسلين عليه الصلاة والسلام ما لم يعرفوا وأن تذاع تلك الحفلات على جميع البلاد الاسلامية ، وكذلك يقام حفلان دينيان فى المسجد الحسينى يتلى فى أحدهما كتاب الله الكريم من أشهر القارئين ، وفى الثانية قصة العام الهجرى أو المولد النبوى حسب المقام ... الخ .

يضاف الى هذا كله أن ترصد الحكومة مبلغا كبيرا من المال يوزع فى العام الهجرى على المحتاجين والمعوزين وفى المولد النبوى الشريف على الأيتام الفقراء بمناسبة ميلاد أفضل يتيم ظهر على وجه البسيطة .. ووافقت الحكومة على هذه المذكرة ونفذتها فعلا بجميع (بنودها) وجعلتها تقليدا ظل معمولا به لفترة طويلة .

اتهام واعتذار

فى عام ١٩٥١ قررت الحكومة رصد خمسين ألف جنيه بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لتوزع على الاطفال اليتامى وتألفت لجنة برياسة وكيل وزارة الشئون الدينية والأستاذ البنا وعضوية مفتى الديار المصرية والمدير المالى لمحافظة القاهرة الاستاذ عبد العزيز على ، الذى عين فيما بعد وزيرا للشئون البلدية والقروية فى عهد الثورة .. وكانت مهمة هذه اللجنة أن تضع القواعد والأسس لتوزيع المنحة على الايتام . واتفق على أن لا يصرف لأى أسرة مهما تكن ظروفها أكثر من خمسين جنيها حتى يمكن أن يستفيد اكبر عدد ممكن ووضعت اللجنة شروطا وقيودا وقواعد لتضمن أن يصل ما يقرر الى أصحابه .. وفى اجتماع للجنة عرض عليها

طلب من أرملة تسكن فى بلدة (أبى حمص ، محافظة البحيرة تعول سبعة أطفال صغار ليس لهم من عائل ولا مورد فقررت اللجنة اقصى ما تملك وهو خمسون جنيها ولكن الشيخ (البنا) رأى أن هذا المبلغ ضئيل بالنسبة لحالة تلك الأسرة فأخرج دفتر الشيكات من مكتبه وحرر شيكا بخمسين جنيها أخرى من حسابه الخاص وكلف سكرتير اللجنة بأن يرسل لأم أولئكم الأطفال مائة جنيه وفعل السكرتير وانتهت المسألة لتثار من جديد عند قيام ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وتولى عبد الناصر الحكم فأمر النائب العام أن يحقق فى هذا الأمر .

وفى هذا المبلغ وأين صرف ؟ وكيف صرف ؟ فألف رئيس الحكومة لجنة برئاسة وكيل الشئون الدينية وقصد رئيس نيابة مصر الى مقابلة الأستاذ البنا — بعد أن بعث برسله وأعوانه الى عدد من الذين صرفت لهم المنحة . وكانت أرملة أبى حمص من اللواتى سئلت عن مقدار ما وصلها من اللجنة فأجابت مائة جنيه فعجب المحقق لأن الكشف الذى تحت يده فيه خمسون فقط فأخذ يعيد عليها ويستجوبها وهى تصر على أنها تسلمت مائة كاملة ..

قعد رئيس النيابة ليحقق مع الأستاذ البنا قبل أن تصله التحريات وكان جوابه أنه لم يصرف أى مبلغ الا برأى اللجنة وبايصال البريد ولكن المحقق ظل يلح ويرمى بتعريضات فيها غمز ولمز .. وفيم هو يحقق ويعيد وصلته التحريات فعجب وأوقف التحقيق واستدعى سكرتير اللجنة ليسأله عن الواقعة التى ذكرتها أرملة أبى حمص فقال له ان رئيس اللجنة ناداه وقال له أن المبلغ الذى قرر لتلك الأرملة لا يكفى وناوله شيكا من حسابه الخاص بخمسين جنيها أخرى وأوصاه أن يرسله اليها وأن يظل هذا سرا لا يعرفه أحد ... هنالك ذهب رئيس النيابة ليعتذر للأستاذ البنا وأعلن (حفظ التحقيق) .

مشيخة الأزهر

كانت حكومة ماقبل الثورة قد رشحت الشيخ البنا أكثر من مرة شيخا للأزهر . فكان فاروق الذى ورث كراهية أسرة البنا عن أبيه شديد المعارضة لهذا الأمر ورفض رفضا باتا أن يعينه شيخا للأزهر أو وزيرا للأوقاف وكان قد رشح لهذا المنصب أكثر من مرة . وكانت الاعيب القصر ورجاله ودسائسهم ضد أسرة البنا موضع حديث الناس ، ولم يكن اسم من اسماء أبناء تلك الأسرة يرسل الى القصر فى تعيين فى منصب أو ترقية الى وظيفة الا اعترض الملك عليه وأعاده الى الحكومة مرفوضا .

موقف دينى أخلاقى

كان الملك فاروق قلبا لا يستقر على حال ، يرضى عن انسان يوما ثم لا يلبث أن يغضب عليه ثم يعود الى الرضا عنه ... وهكذا .

وكانت الحكومة قد رشحت له الشيخ البنا ليكون شيخا للأزهر ، وقضى الله فأصدر القصر مرسوما بتعيين « الشيخ عبد المجيد سليم » شيخا له . ولم يكد يمضى على هذا التعيين وقت قصير حتى غضب الملك ، لأن شيخ الأزهر طعن فى القصر ، وقال كلمته المشهورة : « تقتير هنا وتبذير هناك » .

وغضب الملك وأصر على اقالته ، واحتارت الحكومة ورئيسها ، وأحيل الامر الى وكيل الشئون الدينية فأجاب :

ان هذه سابقة خطيرة ، لم تحصل فى تاريخ الأزهر ، ولا يليق بحال من الاحوال أن يجرى هذا التقليد !!

وحاول — كثير من الوزراء اغراءه بأن هذا المنصب كان لك ، لكنه اصر على رأيه ورأى رئيس الحكومة — فى النهاية أمام مخالفة الوضع للدستور واشتداد الخلاف فيعبين الحكومة والقصر — أن يحتكموا الى رئيس أقلام قضايا الحكومة الأستاذ (محمود حسن) فجمع أعضاء لجنته ومستشاريه ، وانتهوا الى فتوى جديدة هى : (أن الملك هو الذى يعين شيخ الأزهر ، ومن يملك التعيين يملك العزل) فصدر — لأول مرة فى تاريخ الأزهر — أمر ملكى باقالة الشيخ عبد المجيد سليم من مشيخة الأزهر ، وتعيين الشيخ أحمد حمروش مكانه ، ولم يدم ذلك طويلا فقد أعاد الملك الشيخ عبد المجيد الى منصبه بعد أن أشير على الشيخ حمروش بالاستقالة، وكان تعليق الشيخ محمد البنا على ذلك أن تمثل بقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « اللهم انى أبرأ اليك مما فعل خالد » .

وظل الشيخ البنا يقوم بتدريس مادة « السياسة الشرعية » لطلبة كلية الشريعة حتى عهد شيخه الامام محمد الخضر حسين الذى ظل متمسكا به .

ثم لزم الشيخ بيته وعكف على العبادة والتأليف .

مجلة لواء الاسلام

فى عام ١٩٤٩ انشأ أحمد حمزة مجلة لواء الاسلام ، وكان محمد البنا من أعمدتها والمشتركين فى التحرير فيها من أول أعدادها ظهورا كتب فيها بحوثا علمية وتاريخية وفقهية لاتزال مرجعا يعتمد عليه كثير من الباحثين ويرجعون اليه .

كتب فى سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وشرح شرحا مستفيضا حياته فى مكة والمدينة فى عشرات من المقالات والبحوث كان يكتب سلسلة متصلة لا تنقطع الا حين تأتى مناسبة دينية كشهر رمضان أو العام الهجرى والمولد النبوى والعيد الأصغر والأكبر .. يكتب فى هذه المناسبات كتابة المتمكن الثبت ثم يعود الى مابدأ من سلسلته حتى أتم ذلك فى أواخر أيامه وقبل أن ينتقل الى جوار ربه الكريم ، ويطلى على أبنائه نعيه.

ندوة لواء الاسلام من تفكيره

كان كامل البنا الشقيق الاصغر للشيخ البنا رئيسا لتحرير مجلة لواء الاسلام وذات يوم حضر اليه مفتى (الصومال من العاصمة مقديشيو) يسأل عن حكم الشريعة الاسلامية فى أهل مقديشيو الذين يظلهم شهر رمضان فى جو من الحرور غير محتمل وهو فى الوقت نفسه موسم الحصاد فان خرج الناس للحصاد صائمين هلكوا ، وان صاموا ولزموا

بيوتهم خشية الهلاك من الحر ماتوا من الجوع فماذا يصنعون ؟؟ واتصل رئيس التحرير بشافيته يسأل عن حكم الشرع في هذا فاقترح عليه أن يدعو عددا من كبار العلماء الذين يكتبون بحوثهم في المجلة ليبدوا رأيهم في هذه المسألة الخطيرة حتى لا يتحمل وحده المسئولية أمام الله وأمام المسلمين . وكان أن اجتمع عدد كبير من العلماء والمفكرين في دار المجلة وقالوا كلمتهم في هذه الفتوى ورأى الأستاذ البنا أن هذا الاجتماع نجح فقال : لم لا يتكرر الاجتماع كل شهر وتعرض عليه المسائل التي يهم المسلمين معرفتها وحكم الشرع فيها ، وكان أن تقرر اجتماع « ندوة لواء الاسلام » في الاسبوع الأول من الشهر العربي لبحث المشاكل الكبرى التي تهم المسلمين وكانت تلك الندوة من أنجح أعمال المجلة واشتهرت المجلة بسببها في جميع البلاد الاسلامية .

مشادة بينه وبين السفير واستقالة

وعادوا الى الفندق فجرت بينه وبين السفير مشادة عنيفة اذ كيف يفعل هذا ولماذا لم يفطر حتى لا يخرق التقاليد ؟ فأجابه في هدوء ماكنت لأغضب الله ابتغاء مرضاتك أو مرضاة ملك أو ملوك الأرض جميعا ، ولما احتدم النقاش ترك الحجرة وعاد الى حجرته وأرسل للسفير خطاب استقالة ذكر فيه الأسباب في صراحة وشجاعة وتدخل بعض موظفي السفارة لتلطيف الجو فأصر على رأيه وصمم على أن يعود الى مصر اثر وصوله الى باريس وتكهرب الجو واشتدت الأزمة ، وجاء الحل من السماء بأمر لم يخطر على بال أحد ..

اعتذار ورجاء ومفاجأة

كان قد بقي على موعد الافطار قرابة نصف ساعة واذا بسكرتير السفير يسارع الى حجرة الأستاذ يدعوه لأمر خطير يريده السفير فاعتذر وقال للرسول قل لسيدك ..

انني لن أحضر ، لأنني أحللت نفسي من الوظيفة وسأعود الى مصر . وعاد الرسول ومعه مستشار السفارة والسكرتير الأول يلحون عليه لأن رسولا من قبل الملكة (اليزابيث) ملكة بلجيكا يريد أن يكلمه في أمر هام وذهب فاذا بكبير الأمناء بالقصر البلجيكي الملكي يقول له ان جلالة الملكة راقها تمسكك بدينك واصرارك على طاعة ربك وقد أعدت افطارا في القصر الملكي وبعثتني لأصحبك الى القصر .. وتقدم السفير المصري معتذرا ومزق خطاب الاستقالة . وذهب الأستاذ الى القصر الملكي وحضر مأدبة الافطار التي أعدت خصيصا له وقدمت اليه الملكة ساعة ذهبية بغطاء وسلسلة تقدر بمئات الجنيهات ولكنه اعتذر عن قبولها لأن الاسلام يحرم على رجاله أن يحملوا الذهب فأبدلت الهدية بطاقم فاخر ليس بذهب مكون من عدة قطع فاخرة فقبله شاكرا .

مشيخة الأزهر مرة أخرى

لما احيل البنا الى المعاش لزم داره وعكف على العبادة والتأليف وكان أن فقد من

الشيخ محمد البنا "بك"

أشقائه : الأكبر منهم محمد مصطفى وكيل دار الكتب المصرية ، والشافعي البنا نائب مدير الاذاعة فأخذت وفاتهما في نفسه الما وسلم الأمر لربه وانطوى على نفسه ومضت ايام فطلب اليه أن يدرس مادة الفقه « لمعهد البحوث العربية » وكان معهدا حديث الانشاء ــ يتبع الجامعة العربية ــ وخصص للطلبة الوافدين الى مصر فأخذ يلقى المحاضرات على الطلبة ثم تدون حتى صارت مؤلفا كبيرا •• وكان اذا تخلف عن المحاضرة لعذر طارىء يحضر الطلبة الى داره في ضاحية مصر الجديدة ليتلقوا عليه محاضرة حتى لا يحرموا من علمه واطلاعه ، ولما تكرر حضور الطلبة اليه كلما غاب كان يتحامل على نفسه ويذهب الى المعهد مهما كان به من تعب أو نصب •

وذات يوم طلب اليه أن يكون شيخا للأزهر •على أثر تعيين شيخه (عبد الرحمن تاج) وزيرا في الوزارة الاتحادية عقب اعلان الوحدة مع سوريا لكنه اعتذر لظروفه الصحية التي لا تسمح له بأن يباشر مهام منصب كبير كهذا

فسئل : فمن ترشح ؟ فأجاب : ثمة ثلاثة من العلماء هم : محمود شلتوت وحسن مأمون وفرج السنهوري • فعين شلتوت شيخا للأزهر كما هو معروف •

آثــاره العلمية

ذكرنا في بداية هذه الكلمة أن له مؤلفا في السياسة الشرعية نسج على منواله كثير ممن جاء وابعده وألفوا في هذه المادة وتحت يد شانيقه نسخة منه • وله غير ذلك مؤلف اسمه الكتاب والسنة وهو الذى ألقاه على طلبة معهد البحوث العربية وقد طبع هذا المؤلف في كثير من البلادالاسلامية بواسطة طلبته الذين تخرجوا على يديه • وبهذه المناسبة لقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء ورجال القانون منهم من تولى الافتاء • وبعض القضاة والمستشارين وأساتذة الكليات الجامعية وكلية الشريعة وأنى قصد الانسان بلدا من البلاد العربية أو الافريقية أو الاسلامية رأى للشيخ تلامذة يحيون ذكره ويقتفون أثره وينشرون مؤلفاته وعلمه وله أكثر من مؤلف لم يطبع في مختلف العلوم أضف الى ذلك اكثر من مائتى بحث نشرتهم مجلة لواء الاسلام على مدى ثلاثين عاما منذ انشائها الى أن انتقل الى جوار ربه الكريم •

أما آثاره في عضوية اللجان التى اشترك فيها سواء في الأزهر أو في وزارة العدل أو في رياسة مجلس الوزراء أو في الاذاعة فهى أجل من أن توصف وأكثر من أن تذكر ولكنا نشير الى آثاره في لجنة تعديل لائحة المحاكم الشرعية قبل الغائها والجهد الذى بذله حتى ظهر قانون «الوصية الواجبة» و «الطلاق المعلق» « والطلاق الثلاث بلفظ واحد » والتقارير الخاصة بتنظيم الشئون الدينة ومجلس الأزهر الاعلى وغير ذلك مما امتلأت به مكتبته

بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا

التي لاتزال محفوظة فى داره وهي تشمل مئات بل آلافا من المؤلفات القديمة والحديثة فى شتى العلوم من فقه وأصول وأدب واقتصاد وسياسة وتقريب بين المذاهب الاسلامية وردود على الشبهات التي يوجهها المستشرقون ضد الاسلام .

وفاته وضريحه

فى عام ١٩٦٩ شعر بآلام فى كبده شخصها الأطباء بأنها التهاب فى المثانة أثر على الكبد

فقرروا اجراء جراحة له ـ وانتقل الى « المستشفى اليونانى » وأجريت له الجراحة فنجحت وخرج معافى لكن لم يطل به الأمد

بل عاوده الألم مرة أخرى وعاده الأطباء فقرروا أن الجراحة كانت خاطئة وأنها أضرت به ... ولزم الفراش مدة من الزمن كانت الآلام فيها مبرحة لاتطاق ولكنه احتملها فى صبر ورضا بقضاء الله . وظل مستيقظ الذهن ، حاضر الفكر لآخر لحظات حياته ويتحدث الذين كانوا الى جواره فى أيامه الأخيرة وقبل أن يلفظ أنفاسه بساعات قليلة ان كريمته الكبرى كانت تقرأ له صحيفة يومية وهو ينصت اليها ويتتبع ما تقرأ فأخطأت فى اللغة العربية وهي تقرأ فأصلح لها الخطأ ونبهها الى الصواب .

ومضت عدة ساعات فاضت بعدها روحه الى بارئها ، وانتشر خبر الوفاة فى ١٧ من ديسمبر ١٩٦٩ ، وباتت الأسرة تعد العدة لتشييع الجنازة الى مثواها الاخير بمقابر « الخفير » ، وشيعت لبضع خطوات من مسجد عمر مكرم الى أول القصر العينى ، ثم سبق المشيعون الى الضريح وهناك رقد ـ رحمه الله ـ الى جوار الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا .

محمد كامل البنا

إلى رحمة الله

إمام النحو والصرف

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة

من الذين فتحوا سجل المعارف أمام الباحثين المحققين الذين وسعوا نطاقها وأناروا بها الأذهان — أستاذنا الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة كان من الثقات في كل فرع من فروع المعرفة تفتحت فيه خصوبة الفكر على آفاق للحياة رحيبة — من الفرسان الذين أمضوا عزيز العمر في ميدان العلم في الأزهر الشريف يشقون عباب بحر عجاج لا يعرف له حد يوقف عنده وحمل قبس علمه الوهاج ونشر لواءه الظليل خارج البلاد ، وازدان به ذلك العصر بجهوده الفذة وبدءوب آلامه وتضحياته .

ظهرت كتبه مكتملة الرواء باسقة الأعواد متعددة الأفنان ثم هو مؤلف موسوعي مستنير يجانب الاندفاع وراء الوثبات الفكرية العارمة وما يتبعها من الاجتراء على الأقداس والحرمات والسخر بمأثور التقاليد ، نفسه توّاقة متطلعة الى استجلاء الخافي وكشف الغامض بيقظة لا تخدع وثقة لا تنالها عاطفة متعجلة — بل معاناة صادقة وكمال استيعاب وعقلية قابلة للتجديد مع التمسك بقيم الماضي الطاهرة عاش للعلم وعاش عليه فلقد أعانت مساعيه الى الاصلاح ونبهت على الجديد فهو عظيم الفواضل غزير المعارف يتبارى الى أبعد الغايات فيحوز بنبوغه قصب السبق ويرجع برفيع الذكر وسابغ اليسر .

نال جائزة الملك فيصل العالمية ولم يكن يسعى — رحمه الله — وراء الشهرة المستفيضة والصيت الذائع ويؤيد ذلك ما قاله في خطبته أمام الملك فهد حينما نال الجائزة « نحن سدنة العلم وخدمة كتاب الله نؤمن أعمق الايمان بأن

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوي

ما لنا من تقدير وتكريم انما يرجع الى تكريم الله لنا بفضل وقوفنا في محراب العلم وملازمتنا له لهذا نعاهد الله على أن نظل في محرابنا لا نتحول عنه ولا نلتفت يمنة ولا يسرة ، والحمد لله والشكر لله على أن مد في أعمارنا وأطال بقاءنا حتى ظفرنا بهذا التقدير الكريم » .

ومكتبة أستاذنا رحمه الله بمنزله بحلوان غاصة وعامرة بأصناف الكتب القيمة والنفائس النادرة وكانت محرابه وزاده يقضي بها معظم أوقاته فيشع بالهدى ويهدى الى الكتاب والسنة .

ولد الشيخ رحمه الله ببلدة قطور مركز طنطا محافظة الغربية في ١٥ من يناير سنة ١٩١٠ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في معهد طنطا الديني — ثم حصل على اجازة في علوم اللغة العربية من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر والتحق بالدراسات العليا وتخرج منها بدرجة امتياز عام ١٩٤٣ وكان موضوع رسالته (أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية) ثم عين مدرسا بكلية اللغة العربية ، وابتعث الى مكة المكرمة في أول بعثة أزهرية الى المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦ فجاور بيت الله الحرام خمس سنوات وكان من ثمرة هذه الفترة أن هداه الله الى البحث في الدراسات القرآنية فعمل موسوعته « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » استغرق في تأليفه خمسا وثلاثين سنة، بدأه عام ١٩٤٧ م وانتهى منه في صيف عام ١٩٨٢(١) ، وهو أستاذ في جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض حتى قبيل وفاته في يناير ١٩٨٤ وقد حاز الأستاذ العالم على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى من الأزهر الشريف .

له عدة مؤلفات في مواضيع اللغة العربية أهمها :

١ — دراسات لأسلوب القرآن الكريم — هو عمل ضخم جليل لم يسبق اليه عرفه المؤلف بأنه معجم نحوي صرفي للقرآن الكريم يقع في أحد عشر مجلدا طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة .

والذي دعاه الى تأليفه عدة أسباب :

يقول الشيخ رحمه الله : « قدمت الى مكة

(١) يبدو ان الكاتب نسي شيئا ذا اهمية ، فان قسم النحو من هذا الكتاب صدر مطبوعا في اوائل السبعينيات وقد حصلنا والحمد لله .. كاملا ، وفيه وعد من الشيخ ان يعمل قسم الصرف ، فلعل الكاتب يقصد هذا الاخير . علي الخطيب .

الى رحمة الله

امام النحو والصرف

المكرمة عام ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٦ م ولم يكن فى ذهنى تخطيط لدراسة ما ، وكنت أقضى معظم الوقت فى بيت الله الحرام حيث ان اعداد الدروس لم يكن يكلفنى وقتا ، لأننا كنا ندرس لطلبة مبتدئين فى النحو فدعوت الله أن يوفقنى الى دراسة لها صلة بالقرآن حتى تناسب هذا المكان المقدس وحتى تكون على صلة بمادتى التى تعبت فى اعدادها وبعد أسبوع واحد خطر ببالى أن أدرس أسلوب الاستثناء فى القرآن الكريم وقلت أن الاستثناء المنقطع فى كتب النحو لا يتجاوز آيتين ومثالا واحدا وهو (قام القوم الا حمارا) وسألت نفسى هل جاء الاستثناء المنقطع فى القرآن قليلا أو كثيرا ؟ هذا أول خاطر خطر ببالى فرجعت الى كتب فهارس ألفاظ القرآن الكريم وعلى رأسها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للمغفور له الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى كما رجعت الى المرشد لآيات القرآن الكريم لمحمد فارس بركات من دمشق والى غيرهما أيضا فلم أجد فى هذه الكتب آيات استثناء (بالا) ووجدت أن هذه الكتب قد أغفلت جميع آيات حروف المعانى ــ كما أغفلت جمع بعض الأسماء والظروف الكثيرة الذكر مثل اذ واذا فقلت من هنا أبدأ دراستى فأحصيت آيات حروف المعانى وبعض الأسماء التى أغفلت هذه الكتب جمعها فجاء ذلك فى مجلد ضخم هو المجلد الأول .

السبب الثانى : رأيت أن أنتفع بكتب اعراب القرآن وكتب التفسير التى اهتمت بأمر النحو كالبحر المحيط لأبى حيان فلخصت أعاريب البحر المحيط واعراب القرآن للعكبرى ، وحاشية الجمل على الجلالين ورتبت هذه التلخيصات على أبواب النحو فجاء ذلك فى مجلدين كبيرين .

السبب الثالث : ثم قلت ان القرآن ليس مقصورا على رواية حفص بل كل ما تواتر فهو قرآن ، ثم ان القراءات الشاذة يحتج بها فى العربية باتفاق العلماء فاتجهت الى كتب القراءات فقرأت شرح الشاطبية لابن القاصح وهى عبارة عن (غيث النفع فى القراءات السبع) و (النشر فى القراءات الأربعة عشر) ، و (المحتسب) لابن جنى و (شواذ القرآن) لابن خالويه .

قرأت هذه الكتب قراءة استقراء ثم لخصت أعاريبها وتوجيهاتها ورتبتها ترتيب أبواب النحو فجاء فى ثلاثة مجلدات .

السبب الرابع : رأيت أن الكتب المؤلفة فى فهرست ألفاظ القرآن لا يتأتى النفع بها لأنها مرتبة ترتيبا هجائيا فاذا احتجنا فى البحث الى أوزان المصادر فى كل صيغة لابد من قراءة هذه الكتب ، وهكذا دواليك ــ فرأيت أن أرتب ألفاظ المصحف بترتيب ألفاظ الصرف والنحو فجاء هذا العمل فى مجلدين .

هذه المجلدات الثمانية انما تمثل مرحلة واحدة من مراحل هذا البحث وهى مرحلة الجمع والاعداد .

وتلى ذلك مرحلة الدراسة .

فى دراسة الحروف والأدوات مثلا كنت أقرأ جميع كتب النحو من سيبويه الى ابن هشام فى كل حرف ثم أرجع الى كتب التفسير فى كل آية من آيات كل حرف وبعد هذا أسجل الظواهر

النحوية التى تفيدها هذه النصوص » .

ويقول الشيخ عليه سحائب الرضوان :

« وكان هدفى من البحث أن أصنع للقرآن الكريم معجما نحويا صرفيا ويكون مرجعا لدارس النحو ، وقد رأيت أن الشعر استبد بجهد النحاة فركنوا اليه وعولوا عليه بل جاوز كثير منهم حده فنسب اللحن الى القراء الأئمة ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية ، وكان تعويل النحويين على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم لأن الشعر روى بروايات مختلفة كما أنه موضع ضرورة لهذا مست الحاجة الى انشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم فى جميع رواياته اذ فى هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس وفيها دفاع عن النحو تعضد قواعده وتدعم شواهده وأنا فضلت هذه الدراسة واعتبرت العمل فيها عبادة أتقرب بها الى الله تعالى فى جوار بيته الكريم وأنا راض عن هذا العمل » .

آراء العلماء فى كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم : يقول الدكتور / عبد الله التركى فى معرض ثنائه على هذا البحث « وقد وافقت الجامعة على هذا البحث : دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمؤلفه الأستاذ / محمد عبد الخالق عضيمة فنال اعجابها واستحق تقديرها ورعايتها لعمق الفكرة وشمول النظرة وبذل اقصى الجهد فى التقصى والبحث فى مجلدات متعددة » .

ويقول الأستاذ / محمود محمد شاكر فى وصف هذا الكتاب « عمل ضخم لم يسبقه اليه أحد ولا أظن أن أحدا من أهل زماننا كان قادرا عليه بمفرده،فان الشيخ قد أوتى جلدا وصبرا ومعرفة وأمانة فى الاطلاع ودقة فى التحرى لم أجدها تتوافر لكثير ممن عرفت » ويقول أيضا :

« ان فى هذه الدراسة استدراكا على النحاة من سيبويه الى ابن هشام ويقول :

والشيخ حفظه الله لم يترك مجالا للاستدراك على عمله العظيم فكل ما أستطيع أن أقوله انما هو ثناء مستخرج من عمل يثنى على نفسه ولكن بقى ما نتهاداه فى هذه الحياة الدنيا وهو أن أدعو الله له بالتوفيق وأن يزيده من فضله » .

ومن مؤلفاته :

٢ ــ المغنى فى تصريف الأفعال سنة ١٣٧٥ هــ نوفمبر سنة ١٩٥٥ الطبعة الأولى.

٣ ــ هادى الطريق فى ذخائر التطبيق طبع القاهرة ١٣٨١ هــ ١٩٦٢ م .

٤ ــ تحقيق المقتضب والتعليق عليه طبع فى أربعة أجزاء بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ ــ ١٣٨٨ هــ

٥ ــ فهارس سيبويه تقع فى ٩١٣ صفحة .

٦ ــ تحقيق كتاب المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى طبع الجزء الأول بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية والثانى معد للطبع .

وكانت حرارة ايمانه وقوة يقينه دافعتين لتفتيت الصعاب واذابة العقبات التى تصادفه فى وطنه أو خارجه نائيا عن خلانه يغامر فى أعوص الموضوعات وأعنفها مسلكا وحسبه أن يهنأ بما استجلاه بعد طول جهد وطويل عناء ، فلا غرو أن تكون منزلته فى نفوس زملائه وتلاميذه ومحبيه أن يعترفوا له بالفضل ويقابلوا معروفه بالبر ــ فهل نضن بالشكر على عمله أو الثناء على فضله ؟رحمه الله رحمة واسعة.

طرائف

طلب العلم

قيل لأبي عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم .

وقال عروة بن الزبير لبنيه : يابني اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم نفعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم .

وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولدا : يابني أكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون في غربة : الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى .

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه : اياكم أن تجلسوا في الأسواق الا عند زراد أو وراق .

بليغ العظات

قال بعض العظماء لحكيم من حكمائه : عظني بعظة تنفى عني الخيلاء ، وتزهدني في الدنيا ، قال : فكر في خلقك ، واذكر مبدأك ومصيرك ، فاذا فعلت ذلك صغرت عند نفسك ، وعظم بصغرها عندك عقلك ، فان العقل أنفعهما لك عظما ، والنفس أزينهما لك صغرا .

قال ذلك العظيم : فان كان شيء يعين على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه .

قال : صفتي دليل ، وفهمك محجة ، والعلم علية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها . فخذ لعقلك ما يزينه من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه الاخلاص ، وأنت أنت قال : صدقت .

أقوال البلغاء في أطيب الكلام

قال أحد البلغاء : أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر اعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

وقال غيره : أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مضيعه .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقال سواهما : ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه ، أو يبسط رهان القول وميدانه، بل هي أن يبلغ أمد المراد ، بألفاظ أعيان ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا في اخلال يفضي الى الفاقة .

ووصف أهل البيان البليغ فقالوا : فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق الى خواطره ، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله .

الى هذا يشير أبو تمام الطائي بقوله :

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتتل

من الصعب

سأل القاضي اللص : هل لديك شركاء في هذه الجريمة ؟

فقال اللص : متأسفا : لا ياسيدي لأنه من الصعب في هذه الأيام الحصول على شريك أمين .

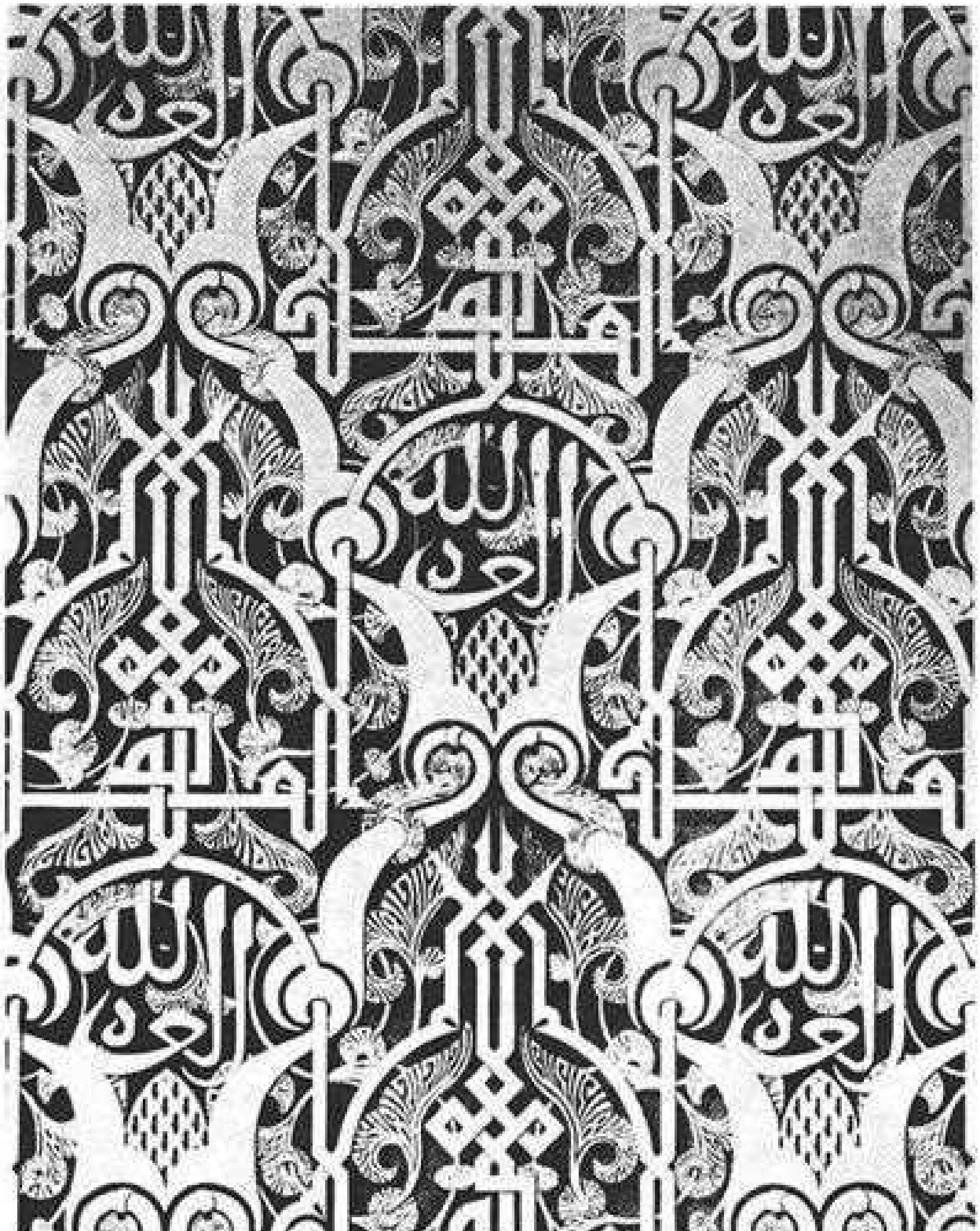
قالوا

*** من المصائب أن يكون الرجل قليل الادراك فلا يعرف كيف يتكلم ، وأن يكون ضعيف الارادة فلا يعرف كيف يصمت .**

*** راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة اللسان في قلة الكلام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة النفس في قلة الآثام .**

دعاء

« رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .



في المجتمع المصري

خبايا أرض مصرية

الشعب المصري
عراقة أصله العربي

مشيخة علماء
الجامع الأحمدي

طابا

أرض مصرية

تمهيد ..

انني من قمة ٦٥ سنة هي عمرى اقف متاملا حكمة الله فى الانسان وانبهر مقرا : ياعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ولكنه هو الله اعلم حيث يجعل رسالته . ولعله لمثل هذه الظروف هدانى الله للاسلام بعد دراسة ذاتية لمدة خمس سنوات من عام ١٩٥٥ حتى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ باحثا عن الرسول النبى الامى الذى وجدته فى التوراة والانجيل وسرعان ما اعلنت اسلامى على الملا فى حفل اقامه اهل الحى بمنزلى .

طرح المستشار محمد عزت الطهطاوى سؤالا هذا نصه : « طابا بارض سيناء .. هل هى جزء من مدين ؟ (١) » .

وأجيب على هذا وقد حبانى الله بدراسة اللاهوت دراسة مستفيضة بلغت بها أرقى المناصب فى كلية اللاهوت بأسيوط فضلا عن دراسة للاسلام فى رؤية مستنيرة وقلب بصير وذهن متوقد وارادة مخلصة لله ولرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — فأقول نعم انها أرض مصرية .

ولن أكتفى بهذا بل أقيم حججى الباهرات

---

(١) مجلة الازهر الغراء الجزء الرابع السنة السادسة والخمسون صفحات ٦٠٢ — ٦٠٨

للأستاذ إبراهيم خليل

من مصدرين أساسيين هما :

١ ــ العهد القديم المتداول بين أيدى اليهود والنصارى ومرادفاته قاموس الكتاب المقدس والتى أستند الى الترجمة العربية البيروتية التى قام بها المراسلون الامريكيون عام ١٨١٦ م .

٢ ــ كتابات علماء الآثار الغربيين أمثال برستد ــ Breasted فى كتابه
a History of the Ancient Egyptians.

وأمثال Sayce فى كتابه :
The Ancient Empi res of the East .

وأمثال Weigall فى كتابه a Short History of. Egypt وغيرها من المراجع لعلماء غربيين

وهذه حجتى أقيمها فى ضوء ماتقدمت لئلا يكون لاسرائيل على « مصر فى حقها فى مثابا » حجة .

والآن سنتدبر نصوص العهد القديم المتداول فى ضوء المنهج العلمى الرشيد والمعارف التاريخية لتحليل قضية خروج موسى من مصر الى أرض (مديان) حيث استقبله « يثرون كاهن مديان » وتولى حمايته ورعايته « فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل . فأعطى موسى صفورة ابنته .فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا فى أرض غريبة »(١) .

وللعلم فان مديان نسبة الى مديان بن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام من زوجته قطورة « وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة . فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا »(٢) .

فلقد جمعهما الاصل الواحد الا وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

لقد شعر موسى ــ بعد أن يلغ الأربعين من عمره وهو ربيب فرعون ــ بحنين جارف الى قومه ــ بنى اسرائيل ــ بعد أن فر عقب وكز المصرى ــ دون قصد ــ فقتله .

وفى (مديان) كان موسى « يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب (٣) ولعل الفعل دليل واضح لاجتياز أرض سيناء ولن يفيد الاستقرار بأرض سيناء وهذه هى مهمة رعاة الأغنام يتنقلون من مكان الى مكان طلبا للماء والمرعى هذا هو السبب الظاهرى .

لكن السبب الحقيقى هو اصطفاء الله له

---

(١) خروج ٢ : ٢١ ، ٢٢
(٢) تكوين ٥ م : ١ ، ٢
(٣) خروج ٣ : ١

طابا أرض مصرية

رسولا نبيا الى بنى اسرائيل وكانت الظاهرة التي جذبت أنظار موسى للاستماع الى صوت الله هي « العليقة التي تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق » .

وذكر الله هذا الأمر في القرآن الكريم(٢) في :

سورة طه : ٩ — ١٤

وسورة النمل : ٦ — ٩

وسورة القصص : ٢٩ — ٣٠

* *

والآن نستقرىء علماء الآثار عن مصر وجيرانها جغرافيا وحضاريا لنتتبع الطريق الذي سلكه موسى عند هروبه من مصر من وجه فرعون الذي طلب أن يقتله .

ونترك جيمس هنرى برستد ليحدثنا عن مصر القديمة فيقول (١) :

« كان المصريون منذ العصور السابقة على التاريخ لا يفتأون يتطلعون بأنظارهم الى المناطق التي تتاخم بلادهم والى ما وراء هذه المناطق ، فكانوا يستخرجون النحاس من صحراء سيناء . وكانوا يستخرجون الذهب من جبال النوبة ، وكانوا لايفتأون يبعثون بالحملات لتأديب القبائل التي تغير على الحدود ويطاردونها الى مسافات بعيدة ، حتى يكفلوا تأمين الطرق الى المناجم والمحاجر كما يكفلوا تأمين طرق التجارة .

وكان ثمة طريق برى يصل كذلك بين مصر وفلسطين عبر صحراء سيناء . وكان الفراعنة منذ اقدم العصور يهتمون أعظم الاهتمام بتأمين ذلك الطريق ، حتى لقد اضطروا في عهد الأسرتين الخامسة والسادسة الى غزو بعض المدن الفلسطينية والاستيلاء عليها لكفالة الطمانينة اللازمة للقوافل المصرية في ذهابها وعودتها .

مكانة مصر في العالم القديم :

وكانت المدن السومرية الواقعة في منطقة ما بين النهرين تتطاحن فيما بينها منذ عام ٢٨٠٠ق.م حتى أمكن للملك (سرجون الأكدى) أن يسيطر عليها في عام ٢٣٥٠ ق.م ، ويؤسس أول امبراطورية سامية في التاريخ .

بيد أن هذه الامبراطورية لم تلبث أن انهارت بعد قرنين من الزمان تحت وطأة الجويتين ، وهم من الشعوب غير السامية التي وفدت من شمال شرقي آسيا ، ومن ثم دخلت الحضارة السومرية في عصرها الثاني .

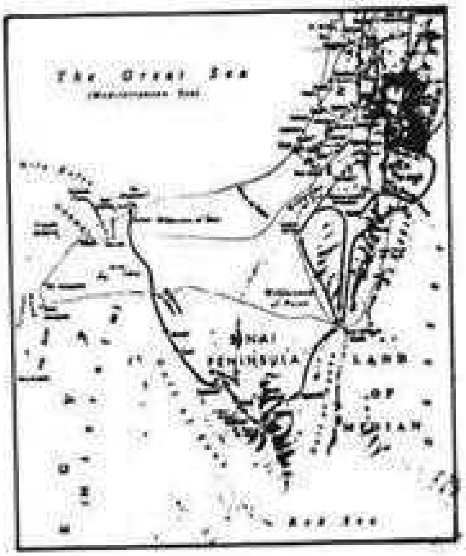
وقد ازدهرت فى ذلك العصر مملكة «أور» (٢)

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور . تأليف جيمس هنرى برستد ، ترجمة الدكتور حسن كمال

(٢) يتحدث العهد عن مدينة « أور » مسقط رأس ابراهيم .. فتقول .. « واخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراى كنته امرأة ابرام ابنه فخرجوا معا من « أور الكلدانيين » ليذهبوا الى ارض كنعان . فأتوا الى حاران واقاموا هناك » تكوين ١١ — ٣١

مجلة الازهر : يتفق الكاتب مع السيد المستشار في أن « طابا » أرض مصرية ليست داخلة في نطاق مدين وان مدين ليست من الاراضي المصرية .



التى كان لها فى تاريخ تلك البلاد شأن عظيم .

بيد أن هذه المملكة لم تلبث أن انهارت بدورها وظهرت فى بلاد ما بين النهرين الأسرة البابلية الأولى عام ١٨٠٣ ق.م ، وقد بلغت ذروة مجدها فى عهد الملك (حمورابى) ، أى فى عام ١٧٢٨ ق.م وكان ذلك فى أواخر عصر الدولة الوسطى فى مصر .

وقد كان للسومريين صلات قديمة بالمدن السورية ومن ثم كانت هذه المدن ملتقى الحضارتين المصرية والسورية .

ظهور مملكة داود عام ١٠٤٨ ق.م :

يقول الله سبحانه بعد اصطفائه لبنى اسرائيل :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ » (الأنبياء ١٠٥) .

ويقول جيمس هنرى برستد مستطردا :

بيد أن الامبراطورية المصرية لم تلبث أن اصطدمت بكثير من المتاعب والمصاعب فى



الداخل والخارج ، فما انتهى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، حتى كانت تعانى كثيرا من التفكك والتصدع ، وقد فقدت كثيرا من البلاد الخاضعة لها ، بل لقد تجرأ كثير من البلاد على مناوأتها والطمع فى غزوها والسيطرة عليها ، ولاسيما بعض الشعوب الأوروبية التى تحالفت مع القبائل الليبية وأغارت على مصر من البر والبحر ، فكان خطرها عليها لا يقل عن خطر الهكسوس ، بل يزيد عليه ، لولا أن تمكن الفراعنة من صدها وقد اشتبك معها رمسيس الثالث فى موقعة حاسمة وهزمها عام ١١٨٧ ق . م .

وقد تمردت على مصر سوريا ولبنان وفلسطين .

استطاع الملك النبى داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى ذلك الحين تكوين مملكة اسرائيل .

بيد أن هذه المملكة التى بلغت ذروتها فى عصر سليمان لم تلبث أن انهارت اثر وفاة

طابا أرض مصرية

سليمان عام ٩٧٥ ق ٠ م الى مملكتين :

مملكة يهوذا فى الجنـوب ٠
ومملكة اسرائيل فى الشمال ٠

وسرعان ما أبيدت مملكة اسرائيل عـــام ٧٢٢ ق ٠ م ٠ تحت وطأة (شلمناصر) ملــك أشـور ٠
وكذلك مملكة يهوذا عـام ٥٨٦ ق ٠ م تحت وطأة (نبوخذ نصر) ملك بابل فزال الكيـــان السياسى الى الأبد من اسرائيل ٠
وبدأت دولة أشور تسيطر على بلاد مابين النهرين ، وتتطلع بأنظارها نحو الأقطـــار الواقعة على حدودها الغربية فاصطدمت بمصر ومن ثم دخلت مصر فى مرحلة عنيفة مـــن التطاحن مع الأشوريين ، ثم مع الفرس ، ثـم مـع اليونــان ، ثم مـع الرومــان ، فتفاعلت حضارتها مع حضارات هذه الأمم جميعا وأثرت فيها وتأثرت بها ، ولكنها احتفظت على الدوام بأسبقيتها وأصالتها ٠

A Dictionary of The Bible, By William Smith, LL. D., seventh printing 1973

المصدر الثانى : وهو فى الـواقع المصـدر الأول المهد القديم وبين يدى قاموس الكتاب المقدس الطبعة السابعة عـام ١٩٧٣ ٠
وأرفق هنـا صفحـة خريطة خـروج بنى اسرائيل من مصر Midian
مديان هـو ــ فيمـا يحكيه العهـد ــ ابن ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ما جـــاء بالعهد « تكوين ٢٥ : ٢ ، أخبـار الأيام الأول ١ : ٣٢ » وهو الجد الأعلى للمديانيين Midiamites أو العرب Arabians الساكنين على الخصوص فى الصحراء شـمال شبه جزيرة العرب ٠ **وتمتد بلاد مديان جنوبا على طول خليج العقبة الشرقى ، وتمتد شمالا على طول تخم فلسطين الشرقية ٠**
ان أرض مديان هى الأرض التى فر اليهـا موسى من وجه ملك مصر الذى يطلب قتلـه « خروج ٢ : ١٥ ، ٢١ » ٠
ثم يتحدث القاموس عن العلاقات العدائية بين المديانيين وبنى اسرائيل أيام موسى عليـه الصلاة والسلام حتى أيام داود عليه الصـلاة والسلام لسنا فى حاجة اليها ذلك لأن هدفنـــا تحديد بلاد مديان وقد بدا بوضوح أن مديان **بـلاد متاخمة للشـاطىء الشرقى من خليج العقبة ٠**

بـلاد أدوم :

ونعتد فى بحثنا الى بلاد متاخمة لشــبه جزيرة سينا الا وهى بلاد أدوم ٠

هذه البلاد ــ بالكلية ــ أراض جبلية ضيقة تشمل رقعـة أرض جبليـة ضيقة حوالى ١٠٠ ميل طولا ، ٢٠ ميل عرضا ٠ وهى تمتـد على طـول الجانب الشرقى للجزيرة العربية من نهاية خليج العقبـة شمالا وتقترب الى نهاية الساحل الجنوبى للبحر الميت والنتيجـة هى ان طابا أرض مصرية بحجج من الكتـاب المقـدس وكتابات علماء الآثار الغربيين ٠

« ابراهيم خليل أحمد »

الشعب المصرى

عراقة أصله العربى

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

مصر مربع الفضلاء ، ومرتع النبلاء ومطلع البدور ، وموضع الصدور ، واهلها اذكياء ازكياء ، يبعد من اقوالهم وأعمالهم العى والعياء » .

بهذا الوصف الجميل الرائع وصفها ووصف شعبها العماد الاصفهانى الكاتب الاديب فى دولة بنى ايوب (١) .

عمارة مصر بعد الطوفان :

يذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى أن أول من عمرها بعد الطوفان كان بيصر بن حام ابن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولما مات جاء بعده ابنه مصر أو مصريم الذى قيل ان البلاد تسمت باسمه فحكم البلاد وعمرها وكثر خيرها ، واستمرت ذرية حام بن نوح فى ادارة حكم البلاد وعمارتها حتى وفد اليها العماليق وهم من العرب البائدة كانوا يقطنون شمال الجزيرة العربية فقبلوا على مصر وحكموها وهم أصل الفراعنة المصريين (٢)

اصالة العروبة فى شعب مصر ..

والشعب المصرى عريق فى عروبته منذ أقدم عصور التاريخ تلك حقيقة أثبتها البحث العلمى النزيه والتقصى التاريخى لمنطقة المشرق العربى ولتاريخ اجناسها ، فلقد انتشر العرب فى هجرات سلمية منذ اجيال سحيقة فى اعماق

(١) كتاب فريدة القصر وجريدة العصر تاليف العماد الاصفهانى الكاتب ــ الجزء الاول .

(٢) كتاب صبح الاعشى لابى العباس احمد القلقشندى الجزء الثالث .

الشعب المصرى عراقة أصله العربى

التاريخ القديم ويؤيد العلماء هذا القول كل فى تخصصه :

١ ــ فعلماء المناخ يؤكدون أن ذبذبات المناخ فى العصور التاريخية القديمة قد دفعت بالعرب من المناطق الجافة الفقيرة فى وسط الجزيرة العربية الى أماكن الغنى والاستقرار فى الشام واليمن وعمان والعراق ووادى النيل .

٢ ــ وعلماء الجغرافيا يؤكدون ان شبه الجزيرة العربية كانت متصلة بافريقية الى أن ظهر البحر الأحمر ظهورا مفاجئا فصل بينهما ، اى أن شرق العرب ومغربهم كانا يكونان وحدة جغرافية واحدة .

٣ ــ وعلماء الأجناس يقولون ان الصفات الجنسيةكشكل الرأس والشعر وأبعاد الأطراف والخصائص الدموية تقوم دليلا على أن سكان المنطقة التى يسكنها العرب فى الوقت الحالى يكونون وحدة جنسية .

٤ ــ وعلماء اللغة يؤكدون أن لغات الشعوب التى استقرت فى المناطق العربية فى العصور القديمة ترجع الى أصل واحد هو الأصل السامى ، فلما جاء الاسلام وتجددت الموجات العربية لم يكن فى ذلك سوى التقاء الفروع بالأصول ــ أصول واحدة ، أجداد وآباء وأحفاد كلهم من العرب (١) .

ولئن كانت مصر قد تعرضت طوال تاريخها للغزو من كثير من الدول الا أن شعبها العريق كان من القدرة على أن يذيب الغزاة فى مجتمعه وأن يحصن نفسه فيحتفظ للمجتمع المصرى بكامل صفاته الأساسية حتى كان الفتح الاسلامى العربى ، ولأول مرة يذوب الشعب المصرى فى هذا النظام الجديد ذوبانا حير علماء التاريخ الذين لم يفطنوا الى الحقيقة الأزلية الا وهى أن مصر عربية أصلا وفصلا ، وقلبا وقالبا حتى من قبل ظهور الاسلام .

ماذا كان يقصد بلفظ (عربى) قديما :

١ ــ ان أقدم نص ورد فيه لفظ (عرب) هو نص آشورى يعود الى الملك شلمنصر الثالث ملك آشور فيما بين سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ قبل الميلاد (٢) .

٢ ــ وكان أهل العراق يقصدون من وراء هذا اللفظ الاشارة الى مشيخة البادية أو مقاطعة البادية المتاخمة للحدود الغربية الآشورية ، وتدريجيا اتسع مفهوم لفظى عرب بحيث تشمل كل البادية الغربية الكائنة غرب نهر الفرات والفاصلة بين العراق والشام بما فيه شبه جزيرة سيناء ، أى كل المنطقة الواقعة فى شمال شبه الجزيرة العربية .

٣ ــ وكان قدماء المصريين يعتبرون المنطقة الممتدة شرق النيل الى غرب الفرات بلدا واحدا بما فيها بلاد العراق وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، وكانوا يطلقون على سكان هذه المنطقة (عامو) .

٤ ــ ولقد أكد المؤرخ اليونانى هيرودوت المتوفى سنة ٤٣٥ قبل الميلاد القول بأن كلمة

---

(١) كتاب مفاهيم المجتمع العربى الجديد تأليف الاستاذ محمد عبد الوهاب زايد .

(٢) آشور مملكة قامت قديما شمال العراق .

(عربية) يقصد بها شبه جزيرة العرب كلها ، مضافا اليها ماهو شرقي بوادى النيل وهـــو المعروف بالصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء وذلك لكثرة من كان مستقرا فى تلك المنطقة من العرب الوافدين اليها فى جمـــــاعات متفرقة ومتتابعـــة .

٥ ــ ثم تطور مفهوم كلمة عرب شيئا فشيئا حتى جرى العرف على التسليم به كعلم على قومية خاصة أو اسم لجنس معين وهم سكان منطقة الشرق الأوسط العربية ، مع ملاحظـة أنه كان يطلق فى الماضى على شبه جزيرة العرب أنها مهد السامية ، وأنها المنبع الذى خرجـت منه الموجات المتلاحقة من الهجرات الساميـة خارج شبه الجزيرة العربية .

٦ ــ وبعد قيام الدولة الاسلامية الكبـرى اندرج تحت اسم العرب كل سكان المناطـــق والبلاد الواقعـة فيمـا بين المحيط الأطلسى والخليج العربى الفارسى وذلك من قبيل غلبة عنصر العرب على باقى العناصر المحلية ثـــم اختلاطها وانصهارها جميعها فى بوتقة التقاليد والتاريخ والمصلحة المشتركة فى المصير والالام والآمال ، فأطلق على تلك البقعة البلاد العربية ولم تكن هناك عوائق تعوق الترحال والانتقال فقامت هجرات واختلاطات واندماج وكل ذلك انصهر فى بوتقة الفتوحات الاسلامية بوحـدة الضمير أو القومية وأصبحت عروبة شـــاملة للانساب بلا عصبية ، وجامعة للاديـان بـلا تعصب (١) .

شبه جزيرة العرب والهجرات السكانية :

مما لا جدال فيه أن شبه الجزيرة العربيـة كانت بمثابة الخزان الهائل للسكان المهاجـرين الى المنطقة المحيطة بها خصــوصا الى وادى النيل وبلاد العراق وبلاد الشام ، وقد حدث هذا قبل ميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضـل الصلاة والسلام بأكثر من ٣٥٠٠ عام وظـل يتكرر دائما على مدى العصور والأجيال حيث كانوا يفدون الى مصر عن طريق باب المنـدب وعن طريق سيناء وعن طريق الثغور العربيـة والمصرية التى كانت موجودة على البحـــر الأحمـــر (٢) .

استقرار العروبة فى مصر منذ أقدم العصور:

وفى ذلك يدلل المرحوم الدكتور عبد الحميد العبادى عميد كلية الآداب الأسبق بقوله :

(ان المصريين والعرب هما فى الحقيقة أبناء بيئة تكاد تكون واحدة فالعلاقات التاريخيـة بينهما منذ فجر التاريخ شبكة متصلة ، ثم ان مصر كانت قد تعربت الى حد ما قبل الفتـح العربى ، فجزيرة سيناء كانت تعمرها قبائـل عربية انضم بعضها الى جيش عمرو بن العاص فى زحفه الى مصر ، وفى الجاهلية عبرت الـى مصر واستقرت على سواحل البحر الأحمر وفى شمال السودان قبائل عربية يذكر ابن خلـدون بعضا منها مما يؤكد أن بداية استعراب وادى النيل سابقة على الفتح العربى بكثير ولما جـاء

---

(١) كتاب مصر عربية للاستاذ محمد فاوى عصر من مطبوعات المجلس الاعلى للشـــئون الاسلامية بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

الشعب المصري عراقة أصله العرقي

الفتح العربي حدث امتزاج بين المصريين وبين القبائل العربية المهاجرة الى مصر خصوصا بعد اعتناق غالبية الشعب المصرى لعقيدة الاسلام واقبالهم على التكلم باللغة العربية حتى غلبت العربية على ماسواها من اللغات ، ومازالت السرعة التى انتشرت بها اللغة العربية عقب الفتوحات الاسلامية لغزا يثير حيرة المفكرين خاصة وأن اللغة العربية ليست باللغة السهلة أو القليلة التعقيد (١) •

المصريون القدماء جاءوا أصلا من شبه جزيرة العرب :

يتفق كثير من المؤرخين والأثريين على أن شبه الجزيرة العربية كانت الموطن الأصلى للمصريين القدماء ، ونسوق فى ذلك أولا شهادة علماء الغرب :

١ ــ يقول العلامة (جونستون) فى كتابه (استعمار افريقيا) •

ان المصريين القدماء قدموا الى وادى النيل من شبه جزيرة العرب ثم اختلطوا بجماعات من الصوماليين والليبيين ، وان جماعات من العرب قد استمرت تفد الى مصر فى عصور مختلفة متعاقبة مهاجرة أو غازية وسرعان ما كانت تندمج فى المجتمع المصرى الكبير الذى ذابت بعض أسسه الأولى على عرائق أسلافها •

٢ ــ ويؤكد العلامة (شوين فورت) أن المصريين القدماء قدموا فى الأصل من بلاد اليمن وحضرموت ويعلل ذلك بظواهر نباتية اذ يرجع كثير من نباتاتهم الأولى الى تلك البلاد مثل القمح والشعير والكتان •

٣ ــ أما الدكتور (ريتر) وهو عالم أمريكى من أصل ألمانى تعلم اللغة الهيروغليفية(٢) فى برلين (وأقام أكثر من ثلاثين سنة فى مصر للتنقيب عن آثارها فى منزل قرب أهرام الجيزة مع أعضاء بعثة أمريكية أوفدتها جامعة هارفارد ومتحف بوسطون) **فيقول فى أبحاثه :**

ان المصريين القدماء كانوا خليطا من العرب والليبيين وان الحروف الخاصة بلغة العرب والتى تعد من سماتها المميزة كحروف الحاء والعين والقاف والصاد والضاد كان لها مثيل فى لغة المصريين القدماء ، وحتى الفرق بين السين والصاد كان واضحا كل الوضوح فى تلك اللغة •

٤ ــ ويقول الدكتور (اسرائيل ولفنستون) فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) ان شمال مصر كان دائم الاتصال بالقبائل العربية قبل الاسلام •

٥ ــ ويقرر العلامة (بروكش بك) فى كتابه (تاريخ مصر تحت حكم الفراعنة) ان أطراف الدلتا الشرقية ومنطقة المنزلة كان يغلب على سكانها العنصر العربى قبل الفتح الاسلامى •

٦ ــ ويذكر المؤرخ (استرابون) ان نصف سكان مدينة (قفط) بجنوب مصر كان من العرب ولعل أقدم القبائل العربية التى أقامت بمصر منذ عهد الفراعنة قبيلة (المازة) التى

(١) المرجع السابق •

(٢) الهيروغليفية كانت لغة المصريين القدماء •

ورد ذكرها في النصوص الهيروغليفية القديمة باسم (مازيو) وكان أفرادها يجلبون البخور من شبه جزيرة العرب الى المعابد المصرية القديمة (١) .

٧ ـ ويقرر المؤرخان الالمانيان أدولف أرمان وهرمان رانكة في كتابهما (مصر والحياة المصرية في العصور القديمة) .

ان المصريين القدماء ينتمون الى أجناس من البدو عاشوا في البلاد المتاخمة لمصر وفي بلاد العرب ، لذلك فقد كان للغات السامية ومنها اللغة العربية أثر ظاهر في اللغة المصرية القديمة .

٨ ـ أما الأستاذ (شارب) فيروى في كتابه مصر تحت حكم الرومان) ان سبب نجاح قمبيز ملك الفرس في غزو مصر يرجع الى استعانته بجنود من العرب فرحب بهم الفلاحون المصريون وأحسنوا استقبالهم لأنهم كانوا يمتون اليهم بصلة القربى ولعلهم كانوا يأملون منهم تخليصهم من استبداد حكامهم الطغاة .

٩ ـ ويؤيد الأستاذ (مالان) في كتابه (الوثائق الأساسية للكنيسة القبطية) ماذكره سلفه ويضيف اليه قوله .

ان كثيرا من أعيان مصر عند الفتح الفارسي كانوا من أصل عربي فرحبوا بأقاربهم الذين كان يضمهم الجيش الفارسي ، الا أن الفرس هزموا وردوا على أعقابهم عندما تمرد جنودهم من العرب وشقوا عصا الطاعة عليهم (٢) .

شهادة علماء المشرق عن أصل المصريين العربي :

١ ـ يقول الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ان بعض قبائل (قضاعة) مثل تنوخ وسليم وبلى كانت تسكن شبه جزيرة سيناء وان ديارها كانت تمتد عند فرع النيل الشرقي كما كانت بعض قبائل (كهلان) مثل طيىء وجذام ولخم تمتد مساكنها من شبه جزيرة سيناء حتى وادى النيل .

٢ ـ ويذكر الدكتور عباس مصطفى عمار في كتابه (المدخل الشرقي لمصر) ان سكان مدينتي رفح والعريش وبعض المدن الأخرى الواقعة شرقي النيل كانوا من العرب المسيحيين وكانت تلك الجماعات تفد الى وادى النيل تباعا ، وتفضل في بادىء الأمر أن تحتفظ بكيانها القبلي ، وملامحها البدوية حتى اذا مارست الزراعة وذاقت ثمارها عافت حياة الترحال وطاب لها الاستقرار وتخلصت من تقاليدها القبلية البدوية المتوارثة كما يحدث الآن عاما بعد عام في أطراف وادى النيل حيث تفد جماعات من البدو الذين أنهكتهم حياة الصحراء وتجذبهم ظلال الريف وخيراته فيختلطون شيئا فشيئا بسكانه الفلاحين الذين قد لا يكونون أقل منهم عروبة وان كانوا أسبق منهم الى التحضر .

٣ ـ وقد تحدث الدكتور ابراهيم نصحي في كتابه (تاريخ مصر في عهد البطالمة) عن هجرات العرب الى مصر وتأثيرهم في الحياة العامة

---

(١) كتاب الدرر الذهبية في أصول أبناء الأمة العربية تأليف الاستاذ محمد أحمد عيد الهاشمي .

(٢) كتاب مصر عربية للاستاذ محمد فارى عمر .

الشعب المصري عراقة أصله العربي

فيها ، وانه كانت توجد قرى مصرية تتناثر في أرجاء البلاد ينتمي سكانها جميعا للعرب الذين آثروا حياة الزراعة والاستقرار ، وقد عثر في احدى تلك القرى وهي قرية بوبيس في محافظة (منف) على خطاب صادر من اثنين من سكانها العرب سنة ١٥٢ قبل الميلاد باللغة الاغريقية حرره لهما شاب يدعى ابولونيس لجهلهما بالقراءة والكتابة .

كما عثر على أوراق أخرى تتضمن أسماء أعراب آخرين كانوا يشتغلون في ذلك العهد القديم برعي الماشية في ضيعة لوزير المالية بالفيوم .

وأزيد من ذلك فانه كانت توجد منذ القدم محافظة باكملها على فرع النيل الشرقي تسمى (ارابيا) أي بلاد العرب ، وقد عرفت فيما بعد باسم أرض (أوينانس) ولعلها من الأماكن التي اندثرت في العصور الأخيرة (١) .

٤ — ويقرر المرحوم عباس العقاد عن أصل المصريين الآتي :

يقول المستعمرون ان المصريين ليسوا عربا وانما هم فراعنة يتوسلون بمساعداتهم للدول العربية لهدف التوسع فقط وهذه الفرية تدحض بمنطق العلم الذي يؤكد أن الفراعنة ينحدرون من أصل عربي ، وقد خلص عالم الآثار العلامة (ألبرت سميث) وهو من أشهر علماء الأجناس أيضا بعد دراسات مضنية الى أن التماثل تام في التكوين الجسماني للعرب المحدثين الذين يسكنون اليمن والحجاز والبدو الرحل الذين يفدون الى مصر من آن لآخر ولا يختلف عن النماذج الجنسية التي عرفت من البقايا العظيمة لسكان مصر في عهد ماقبل الأسرات ، وأنه من الصعب التمييز بين الهياكل البشرية المصرية القديمة والهياكل البشرية العربية الحالية (١) .

٥ — ذكر العالم الأثري المصري الكبير المرحوم احمد كمال باشا في محاضرة ألقاها بمدرسة المعلمين في سنة ١٩١٤ أنه خرج من دراسته للغة المصرية القديمة منذ كان في الثامنة عشرة من عمره حتى بلغ الستين الى اكتشاف نتيجة هامة ، وهي انتماؤها الى نفس الأصل الذي تنتمي اليه اللغة العربية وذلك ان لم تكونتا لغة واحدة تفرقتا بما دخلهما من القلب والابدال كما حدث في كل اللغات القديمة .

وقد لفت نظره الى هذه الملاحظة أنه أثناء دراسته للغة المصرية القديمة على الأسلوب الذي تلقاه من أستاذه (بروكس بك) وجد أن للالفاظ العربية مثيلا في اللغة المصرية القديمة فجعل يدون ملاحظاته وانتهى الى وضع قاموس لغوي أثبت فيه اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة مما يدل على اتحاد هاتين اللغتين في أصليهما (٣) كما لاحظ أن المصريين

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب الدرر الذهبية في اصول ابناء الامة العربية تاليف الاستاذ محمد احمد عيسى الهاشمي .

(٣) المرجع السابق .

القدماء كانوا ينظرون الى شبه جزيرة العرب نظرة احترام وتقديس ويعتبرونها أرضا مقدسة فآلهة العرب القديمة في الجاهلية (اللات والعزى ومناة) كانت من آلهة المصريين القدماء .

(أ) فقد عرف المصريون (اللات) بنفس هذا الاسم وكانت آلهة الحصاد والنمو .

(ب) أما (العزى) فهى المعبودة المصرية (أزى) وكانت احدى (الحاتحورات) السبع (١) .

(د) والمعبودة (مناة) كانت احدى الحاتحورات السبع أيضا ووجدت رسومها في هيكل اسنا (٢) .

٦ ــ ويتساءل الاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح أستاذ الحضارة بجامعة القاهرة في دراساته تحت عنوان (الى أى الأجناس ينتمى شعب مصر القديمة والى أى حد يمكن أن نلمسه في شعب مصر المعاصرة) فيقول : داومت مصر القديمة اتصالاتها بجيرانها الساميين في الشرق عن طريق معبريها الرئيسين شبه جزيرة سيناء والبحر الاحمر وأفضت هذه الاتصالات الى استمرار التجانس في الملامح البشرية وأصول اللغات بين أهلها وبين جيرانها وهو تجانس مازالت تؤيده حقيقة مادية ملموسة تتمثل فيما نعرفه من أن المصريين هم من أقرب الساميين شبها بعرب الأردن وشمال شبه الجزيرة العربية الآن حيث استعد المصريون للامتلاء البدنى أكثر من جيرانهم نتيجة لظروف بيئتهم الزراعية في مقابل بيئة جيرانهم الصحراوية أو شبه الصحراوية .

وعن الحديث عن مدى روابط اللغات القديمة عند المصريين وعند بقية جيرانهم من الساميين تحسن التفرقة بين طرق الكتابة في ناحية وبين اللغات المنطوقة في ناحية أخرى ، فمهما بدا للعين من غرابة تصور الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) الا أن لغتها المنطوقة تضمنت من الأصوات والصيغ والمفردات السامية مالا يمكن معه أن ترد صلتها بالأصول السامية الى مجرد اقتباسات طارئة ، وانما لا سبيل الى تفسير هذه الصلة الا بافتراض أصل مشترك لها ، ويتطلب شرح هذه القضية عقد مقارنة بين خواص اللغة المصرية القديمة وبين خواص اللغة العربية الفصحى طبقا لما يلى :

الخواص المشتركة :

١ ــ أخذت اللغة المصرية القديمة في قواعد نحوها بكثير مما نعرفه عن خواص اللغة العربية

٢ ــ من حيث وجود العين والحاء والقاف بين حروفها وهى حروف اقتصر تداولها على اللغات السامية .

٣ ــ ثم من حيث شيوع الأفعال ذات المصدر الثلاثى فيها وغلبة الأفعال المعتلة الآخر بينهما .

---

(١) الحاتحورات كانت تعنى عند المصريين القدماء المعبودات السماوية .

(٢) المرجع السابق .

الشعب المصرى عراقة أصله العربى

٤ ـ ومن حيث ما أخـــذت به من تركيب عباراتها من سبق الفعل للفاعل والحاق الصفة بالموصوف أو تأكيد الجمل الاسمية ببدئهـــا بحرف (ان) .

٥ ـ ومن حيث استخدام صيغة المثنى ، واضافة تاء التأنيث فى نهاية بعض الأســماء والصفات المؤنثة واستخدام تمييز البعض من الكل .

٦ ـ وكذا اســتخدام (يــاء النسبة) ، واستخدام (ياء الاضافة) للمتكلم .

٧ ـ واستخدام (كاف المخاطب) فى حالة المضاف اليه والمعطى له .

٨ ـ واستخدام (نون الجمـع) و (واو الجماعة) واضافة (ميم المكان) ، و (ميـم الأداة) لتكوين أسماء مركبة وكل ذلك مما لا يتأتى الا عن طريق وحدة الأصل القديم بين المتنين (١) .

وتشهد بعض المفردات المصرية القـديمة، بمثل ماشهدت به قواعدها مع تغيرات طفيفة فى النطق ترتبت على اختلاف اللهجات بيـــن بلد وآخر وبين اقليم وآخر .

١ ـ فكان من الافعال التى نطقها المصريون القدماء ما يشبه نطقها فى لغتنا العربية أفعال (حسب ـ ختم ـ حب ـ خر ـ شد ـ تم ـ وعى ـ وهن ـ هوى ـ عشق ـ حزن ـ نقم) .

٢ ـ وهناك من الأسماء التى نطق المصريون القدماء بمايشبه نطقها الحالى فى اللغة العربية كثير نذكر منها : (ذئب ـ جناح ـ قمح ـ بركة ـ منحة ـ همهمة ـ عين ـ صــباع (اصبع) ـ أيد (يد) ـ ودن (أذن) وكل ذلك الى جانب متشابهات أخرى فى (الضمائر) و (القواعد) .

وينتهى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح فى نهاية دراساته بما لا يدع مجالا لأى شـك فى أن أبناء مصر القديمة هم من أجناس أبناء الجزيرة العربية أصلا ولغة ودينا ، وأنه قديما عندما دخلت المسيحية مصر لم تدخل اليها الا بدين جديد لم يغير شيئا من جنسيتها ، وعندما دخلها الاسلام دخل اليها بدين جديد ســمح كريم ولغة عربية لها بعض الروابط باللغـة المصرية القديمة ثم بدم عربى جدد الـــدم السامى القديم ، ولم يكن مختلفا عنه فى شىء كثير (٢) .

وبعـــد :

فخلاصة القول أن الشعب المصرى فيـــه أصالة السامية وعراقة العروبة وذلك منذ أعمق عصور التاريخ القديم وحتى عصرنا الحديث.

يؤكد هذا المعنى العالم الجغرافى المعاصر الدكتور جمال حمدان فى كتابه .

(شخصية مصر : ودراسة فى عبقـــرية المكان) .

اذ يقـرر :

أن مصر تنتمى الى العالم العربى انتماء جغرافيا وحضاريا وسياسيا واقتصــاديا فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل ، وهـــى

---

(١) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبنـاء الأمة العربية تأليف الأستاذ محمد أحمد عبد الهاشمى .

(٢) المرجع السابق .

بتجانسها ووحدتها تتحرك ككتلة واحدة دون أن تعرف الانقسامات والشظايا ، ولهذا كان الاستقرار السياسي في مصر سمة واضحة لها فهي بمطلق حجمها وبتجانسها المطلق مركز الثقل وقطب القوة في العالم العربي ، ينتشر ظلها وشبه الظل ، بل والصدى بعيدا في آفاقه والتاريخ يسجل أن مصر كانت ملتقى العرب ومجمع الأسرة .

وأحيانا ملجأ وملاذا وخط الدفاع الأخير عن التراث العربي .

ففي العصور الوسطى حين بدأت أخطار الأندلس وقلاقل المغرب تدفق العلماء والصناع على مصر كابن خلدون والامام القرطبي وغيرهم من عرب الأندلس ، ومن العراق مع الطوفان المغولي وبعدهم انتقل العلماء والأدباء والكتاب العرب الى مصر .

وفي العصور الحديثة خاصة القرن الأخير كانت مصر بؤرة تستقطب موجات النازحين ، والمهاجرين من عرب الشام من المثقفين والمضطهدين .

وفي كل الحالات كانت مصر تلعب دور المنار للاسلام ودور المنبر للعروبة ، واذا كان لهذا مغزى فهو ليس أنها تجمع بين الأضداد والمتناقضات وانما هي تجمع بين أطراف متعددة وجوانب كثيرة خصبة ، وبين أبعاد وآفاق واسعة بصورة تؤكد فيها أن مصر مالكة للحد الأوسط مما يجعلها أمة وسطا .

أمة وسطا في الموقع والدور الحضاري والتاريخي ، وفي الموارد والطاقة .

وأمة وسطا في السياسة والحرب وفي النظرة والتفكير ولعل في هذه الموهبة سر صمود شعبها وبقائه وحيويته واحتفاظه بعروبته على مر العصور ورغم مر العصور ».

انتهى كلام الدكتور جمال حمدان (١) .

ولعل فيما ذكره ذلك الباحث الكبير مايفسر لنا سر وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه بمصر وبشعبها فيما يروى عنه اذ يقول (ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما) (٢) :

أما الرحم فان هاجر زوج أبي الأنبياء ابرهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأم اسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أبي العرب مصرية من قرية كان يقال لها (أم العرب) تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالي وتعرف آثارها حاليا بتل الفرما .

وأما الذمة فلأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تزوج مارية المصرية وقد دعتها كتب السيرة النبوية مارية القبطية وكانت من قرية في صعيد مصر بقيت منها أطلال قريبة من مركز ملوى بمحافظة المنيا ، وقد أنجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تلك السيدة المصرية ابنه ابراهيم ـ الذي لم يعش طويلا بل ادركته المنية وهو طفل صغير .

المستشار
محمد عزت الطهطاوي

---

(١) كتاب مصر والمصريين قراءات ودراسات للأستاذ عبد الحميد الكاتب بتصرف .

(٢) صحيح الامام مسلم .

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

تمهيـــد :

قبل حديثنا عن نظام الدراسة والشـيوخ وغير ذلك من الطلاب والأوقاف المرصدة عليهم بالجامع الأحمدى بطنطا ينبغى أن نلم بطرف على الأقل عن السيد احمد البـدوى الـذى ينسب اليه الجامع الذى نحن بصدد الحديث عنه ، وما ينسب اليه من علمـاء وطـلاب ومقارىء للقرآن وما يكون بـه من خلفـاء احمديه ، وكيف أن هذا الجامع الشهير لقـى من السـلاطين والأمراء والأغنياء كل اعتنـاء واهتمـام .

كيف نزل السيد احمد البدوى الى طنطا :

فى أواسط القرن السابع الهجرى ، هبط الى مدينة طنطا السيد أحمد البدوى ــ الذى ولد من البيت العلوى الكريم فى مدينة «فاس» من اقليم « مراكش » فى سنة ٥٩٦ هـ ، ثم هاجرت اسرته بعد ذلك الى الحجاز حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه الاسلامى على مذهب الامام الشافعى ــ وقرأ القرآن بالقـراءات السبع ، وظل يتدرج فى سلوكه الصوفى حتى صفت نفسه ، وتهذبت روحـه ، وأصبح من المتصوفة الكبار الذين يشار اليهم بالبنان .

ثم هاجر الى العراق وتجول فى ربوعها من سنة ٦٣٢ هـ يتعرف على رجال التصوف ، ويدرس أحوال المتصوفين ، وبعد أن زار العراق رجع الى الحجاز . واعتزل الناس .

يتعبد مؤتنسا بربه . فساح فى الأرض . حتى وصل الى مصر .

وليس بغـريب أن ينزح القطب الى مصر فقد وفد اليها أبو الحسن الشاذلى وجاءها أبو العباس المرسى وغيرهما .

وفى سنة ٦٣٨ هـ انتهى المطاف بالسيد احمد البدوى الى مدينة طنطا حيث حل ضـيفا على الشيخ « ركين » أحد تجار طنطا الكبار .

واشتهر أمر سيدى احمد البدوى فى أنحاء المدن والقرى المجاورة وانتهت شهرته فى آخر حيـاته الى السـلطان الظـاهر بيبرس

للدكتور مجاهد توفيق

البندقدارى الذى أرسل اليه يومئذ شيخ الاسلام « ابن دقيق العيد » ليسبر غوره وليختبر غرضه ويعرف حالته ، لكنه اقتنع بعد محاورات بأن السيد البدوى رجل صالح وأنه لا غرض له من حطام الدنيا ومتاعها وأنه بعيد عما يخشاه الظاهر من التيارات والقلاقل السياسية ، ولذلك جاء الظاهر بيبرس لزيارته ــ لما علم بحالته ــ وأهدى تلامذته ومريديه كثيرا من الكساوى والأطعمة .

وقد أخذت مدينة طنطا تنمو وتكبر بسرعة مذهلة ، وأخذ النازحون اليها والراغبون فى الاقامة بها يزدادون فى سرعة مماثلة ، وكلهم راغب فى أن يعيش ويموت بجوار سيدى احمد البدوى صاحب الكرامات .

بقى السيد البدوى بتلك المدينة متمتعا بعبادة ربه واقبال الناس عليه حتى مات الشيخ « ركين » فاستضافه لديه شيخ البلد وقتئذ « ابن شحيط » الكائن بيته بجوار مسجد البورصة ، المعروف الآن بجامع البهى وأقام بهذا البيت عاملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الى أن لقى ربه سنة ٦٦٩ هـ ودفن فى مسجده الشهير المنسوب اليه .

السلطان قايتباى المحمودى يزور مقام وجامع السيد البدوى :

يعتبر الجامع الأحمدى بمدينة طنطا من الجوامع التى حازت شهرة كبيرة فى العصر المملوكى عامة والجركسى خاصة ، لما يتمتع به صاحبه من سمعة طيبة فى الوسط الصوفى وقد اهتم بهذا الجامع سلاطين وأمراء العصر المملوكى الجركسى ، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة عليه ، وحينما تسنح الفرصة لأحدهم لزيارة هذا الجامع لا يتوانى عن ذلك .

وهذا هو السلطان « قايتباى » الذى حكم مصر تسعا وعشرين سنة نراه وهو يتفقد الجسور بأقاليم الغربية سنة ٨٨٨ هـ سنة ١٤٨٣ م يعرج على « طنتدا » لزيارة مقام سيدى احمد البدوى (١) .

وكان هذا الجامع جامعة مصغرة لجامعة النظامية والمستنصرية ببغداد وجامعة الأزهر بالقاهرة ، فلا عجب اذن أن يشد طلاب العلم

(١) عبد الرحمن عبد التواب : قايتباى المحمودى ــ سلسلة الاعلام ــ ص ٥٨ .

والمعرفة الرحال اليه لينهلوا من هذا المورد العذب على يد أعظم الأساتذة واتقاهم .

وقد كان النظام المتبع فى ذلك العصر هو نظام الجامعات ، أى أنه كان هناك الأستاذ الذى يدرس بالجامع وهو من علماء المسلمين الأجلاء ، وكان هناك المعيد المقرى الذى يعيد على الطلبة ما ألقاه عليهم الأستاذ الشيخ المدرس (٢) .

المدرسون والطلاب بالجامع الأحمدى فى العصر المملوكى والعثمانى :

درس ودرس بالجامع الاحمدى بطنطا عدد لا يحصون كثرة فى العصر المملوكى والعثمانى .. ولا نستطيع الاستطراد فى عجالة كهذه ، ولكننا سنذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر ، فمنهم .

١ ـ محمد بن عيسى بن ابراهيم الشمس النواجى (٣) الطنتدائى ثم الأزهرى الشافعى الضرير ولد « بيبزوك » وتحول الى «نواج» حيث نشأ فيها ، ثم تحول قرب البلوغ منها الى طنتدا فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون بالجامع الأحمدى ثم تحول الى الأزهر فأكمل الدراسة به .. مات سنة ٨٧٩ هـ وسنة ١٤٧٠ م .

٢ ـ نور الدين على الشونى الشافعى الصالح ، المجمع على جلالته وعفته ، ولد بشونى قرية بناحية طنتدا من غربية مصر ، نشأ منذ صغره فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى مقام سيدى احمد البدوى فاقام فيه مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلس فى الجامع الأحمدى عشرين سنة ، ثم انتقل الى الأزهر وانتشرت طريقته التى سميت بعد ذلك « بالمحيا » وانتشرت ببركته فى الآفاق مات سنة ٩٤٤ هـ سنة ١٥٣٧م ودفن بزاوية مريده الشيخ عبد الوهاب الشعرانى (٤) .

تبادل العلماء بين الأزهر بالقاهرة والجامع الأحمدى بطنطا :

كان هناك تبادل علمى بين الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع الأحمدى بطنطا .

يحدثنا العلامة السخاوى : عن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان الديمى الأصل الطيناوى (١) ثم القاهرى الأزهرى الشافعى المولود سنة ٨٢١هـ سنة ١٤١٨ م ، حفظ القرآن الكريم بعدة بلاد مجاورة لبلدته منها (بهوت « وديما » و (طينا) ، ثم اشتغل بالزراعة ، ثم فر من الفلاحة سنة ٨٤٢ هـ الى القاهرة حيث درس بالأزهر الى أن نبغ فى علوم كثيرة منها الحديث الشريف .

عينه شيخه العبادى (٢) لتدريس الحديث واسماعه بالجامع الاحمدى بطنتدا فتوجه اليه

---

(٢) فهرس مكتبة القصبى بطنطا ـ ص٥٣ .
(٣) نسبة الى « نواج » احدى قرى مركز طنطا ، وهى قرية مشهورة بالعلم والعلماء .
(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ ٨ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(١) طينا من أعمال سخا من الغربية .
(٢) نسبة « لنية عباد » من أعمال الغربية الضوء اللامع جـ ١١ ص ٢١٤ ، التحفة السنية لابن الجيعان ص ٩٧ .

مرة بعد مرة وذاع صيته (٣) .

وكان ممن درس بالجامع الأحمدى ودرس به أيضا العلامة : ابن حجر الهيتمى (٤) .

وقد أهمل المعهد الأحمدى فى العصر العثمانى ، لكن الدراسة به كانت مستمرة وقد تحسنت أكثر فى عهد الأمير « على بك الكبير » الذى رتب له الأوقاف العظيمة ..

نظام الدراسة وطرق التدريس والكتب :

أصبحت مدرسة الجامع الأحمدى مدرسة مرموقة يؤمها طلاب العلم من المشرق والمغرب يقول على مبارك فى خططه (٥) عن الجامع الأحمدى فى أيامه :

انه صار (له فى تدريس العلوم شبه بالجامع الأزهر) وأن فيه (٢٠٠٠ ألفين من الطلاب غير المدرسين) ، وان له (شيخا كشيخ الجامع الأزهر) ، وأنه (قد تداولت مشيخة العلماء بالجامع الأحمدى قديما وحديثا جملة وافرة من أجلاء العلماء وفضلائهم) .

كانت العلوم التى تدرس بالجامع الأحمدى علوما دينية وعربية كما هو الحال فى جميع المدارس فى أيام العثمانيين ، وهى تشمل بهذا المفهوم علوم : التفسير والحديث والفقه والأصول والقراءات والتوحيد والفرائض والنحو والبيان والبديع والمعانى والعروض ، وتشمل بجانب ذلك أيضا بعض العلوم الدنيوية المتصلة بالعلوم الدينية ، كعلم الحساب وعلم الهيئة ، وعلم الفرائض (المواريث) والطبقات .

أما طريقة التدريس فهى نظام الحلقات والشيخ فى وسط طلابه يشرح لهم وهم ملتفون حوله ، وهو يلقى محاضرته من مخطوط أو مرتجلا ، وفى نهاية الدرس يطلب من طلابه الأسئلة ويفتح لهم بابها . والطلاب يسألون بأدب وذوق عظيمين ، فاذا بقى شىء لم يفهمه بعض الطلاب ، فان المعيد يقوم بشرحه وتوضيح ما كان غامضا منه .

الأوقاف على طلاب وشيوخ الجامع الأحمدى :

نظرا لشهرة الجامع الأحمدى وقيامه بتعليم المسلمين العلوم الدينية والعربية وتصدى علماؤه وطلابه للحملات التبشيرية والتيارات الوافدة ، وجدنا الأمراء والخيرين يقومون برصد الأحباس والأوقاف على الجامع الأحمدى وسنتحدث فقط عن جزء من وقفية على بك الكبير .

كان بالجامع الأحمدى فى أيام « على بك الكبير » عشرة من العلماء الاعلام ، يقومون بالقاء الدروس فى عشر مواد ، ويوقف عليهم سنويا مائة اردب من القمح (١) ..

كما أنه أوقف أيضا ٢١٦٠ نصف فضة (٢) تصرف سنويا (فى معلوم رجل من علماء المسلمين المحدثين ، يقرأ فى المسجد المرقوم فى كل يوم درسا فى حديث البخارى) .

وتنص الوقفية أيضا على أن يعطى لكل

(٣) الضوء اللامع جـ ٥ ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .
(٤) راجع : دليل القيم الثقافية ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ٢٥٠ .
(٥) الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٤٦ .
(١) حجتى وقف على بك الكبير على الجامع الأحمدى بأرشيف وزارة الأوقاف رقم ٧٤٣ .
(٢) النصف فضة . ثلاثون منه تساوى جنيها تقريبا اى ما يعادل اثنتان وسبعون جنيها تقريبا .

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

مجاور ستة أرغفة من الخبز القرصة وفولا نابتا ، بعد صلاة الصبح ، وشربة بر ، وفى رمضان تزيد الجراية ، فيدخل فيها اللحم والأرز والمسلى والبصل والحمص والمصلح (١) .

كذلك خصصت الوقفية أثمانا للكساوى ، تشترى لكافة العلماء والمجاورين والعميان والأيتام بالجامع الأحمدى من بفتة وزعابيط وقماش أبيض كل شخص بما يليق ، وذلك فى حدود ١٨٥ ألف نصف فضة ضمن جميع ما كان يصرف مما تغله أوقاف على بك الكبير على الجامع الأحمدى وتبلغ ٧١٨٫٨٧٥ اردبا من القمح فى الوقفية الأولى وريعا صافيا قدره ٨٤٨٫٥٢٥ نصف فضة فى الثانية ، وهى بلا شك أرقام كبيرة حتى فى أيامنا هذه .

وقد خصصت الوقفية معلوما سنويا لمعيد مقرىء يبلغ ٧٢٠ نصف فضة وشرطت أن يكون عالما فاضلا فقيها شافعيا محدثا مفسرا نحويا أصوليا .

فما بالنا اذن بامام الجامع الذى كان يمنح طلبته درجة العالمية كما كان شيخ الأزهر يفعل قبل القوانين المنظمة للدراسة والامتحانات .

شيوخ الجامع الاحمدي بطنطا :

لا نستطيع حصر شيوخ الجامع الأحمدى من بداية الدراسة على وجه الدقة ولكننا استطعنا بعون الله تعالى ثم بمساعدة فضيلة أستاذنا الشيخ محمد ابو الفتح شاهين شيخه الحالى وفضيلة أستاذنا الشيخ صديق عوض والشيخ الأحمدى ابو جبل والشيخ على حتاتة وكلاء المعهد أن نتعرف من خلال لوحة فى حجرة الشيخ على عدد الشيوخ الذين تولوا مشيخة المعهد وكان أولهم وأقدمهم :

١ ــ **الشيخ / محمد ابو النجا وشهرته مجاهد** وهو شيخ الجامع على عهد على بك الكبير وصاحب القبة الشرقية بالمسجد الحالى .

٢ ــ **السيد امام القصبى (٢)** ابن صاحب زاوية القصبى الشهيرة بجوار الجامع الأحمدى بطنطا والذى تولى التدريس بالجامع الأحمدى عندما شب عن الطوق ، والذى رأى الجامع على يديه الخير كل الخير .

٣ ــ **السيد محمد القصبى** الذى كان له درس لكافة المجاورين بالجامع الاحمدى صباحا ثم يعقد للخاصة من الكبار علماء الجامع الأحمدى ومن الزوار بالمساء مجلسا يناقش فيه ما استعصى عليهم فهمه فى درس الصباح المبسط ، وهو أشبه شيء بما نسميه الآن الدراسات التخصصية أو العليا .

٤ ــ **الشيخ / ابراهيم الظواهرى (٣) :**

---

(١) المصلح هو نوع من ملح الطعام الذى وضع عليه بعض التوابل (يسميه العامة دقة) .
(٢) القصبى نسبة الى بلدة ، القصبات ، بالمغرب العربى والذى ينسب اليها آل القصبى بمصر .
(٣) نسبة الى الظاهرية احدى قرى محافظة الشرقية . وهذا الشيخ مدفون بزاوية الظواهرى بشارع السباعى بطنطا .

وكان أيضا ناظرا على أوقاف الجامع الأحمدي بطنطا .

٥ ـ الشيخ حسنين مخلوف : وفى عهده وضع حجر أساس المعهد الأحمدى الكائن الآن بجوار محطة السكة الحديد بطنطا .

٦ ـ الشيخ / محمد الأحمدى الظواهرى : الذى تولى بعد ذلك مشيخة الجامع الأزهر ، وهو الذى شارك فى تطوير الأزهر بعد توليه مشيخته .

٧ ـ الشيخ / عبد الغنى محمود .

٨ ـ الشيخ / عبد المجيد الشاذلى (٣) .

٩ ـ الشيخ / محمد الديناري .

١٠ ـ الشيخ / سليمان السرتى .

١١ ـ الشيخ / سليمان نوار (٤) .

١٢ ـ الشيخ / ابراهيم الجبالى (٥) .

١٣ ـ الشيخ / محمد عبد الفتاح العنانى .

١٤ ـ الشيخ / احمد حميدة .

١٥ ـ الشيخ / الجهنى .

١٦ ـ الشيخ / الحسينى سلطان .

١٧ ـ الشيخ / مصطفى الشربينى .

١٨ ـ الشيخ / عبد الآخر أبو زيد .

١٩ ـ الشيخ / محمد زغلول .

٢٠ ـ الشيخ / عبد العزيز محمد سمك .

٢١ ـ الشيخ / محمد ابراهيم الحفناوى .

٢٢ ـ الشيخ / زكى حسن سليم .

٢٣ ـ الشيخ / ابراهيم الشيخ عبد السلام .

٢٤ ـ الشيخ / محمد احمد على محمود .

٢٥ ـ الشيخ / محمد ابو الفتح محمد شاهين .

اللوحة التأسيسية للمعهد الاحمدى بطنطا :

لما ضاق الجامع الاحمدي بطنطا وزاد المد التعليمي فى الأزهر ، أراد الخديوى عباس حلمى الثانى أن يخفف على طلاب العلم عناء التعب والارهاق ، بالاضافة الى محاربة البدع والخرافات والوقوف ضد التيارات الوافدة علينا من الغرب ، فوافق على انشاء المعهد الأحمدى ، وقد جاء فى اللائحة التأسيسية هذا المعهد العريق :

« أنشيء هذا المعهد فى عهد الجناب المعظم الحاج عباس باشا حلمى الثانى ، وكان سعادة شفيق باشا مديرا للأوقاف ، وقد تمت عمارته فى زمن ابراهيم بخيت باشا الذى خلفه ، وكان الشيخ حسنين مخلوف شيخا للجامع الأحمدى ، ومحمود فهمى بك باشمهندسا (١) للديوان ، وضع أساسه فى يوم السبت ٢٩ صفر سنة ١٣٢٩ هجرية ١١ فبراير سنة ١٩١١ ميلادية وتم انشاؤه سنة ١٣٣١ هـ وسنة ١٩١٣ م .

---

(٣) من مواليد شبراتنا ـ مركز كفر الزيات، والآن تتبع مركز بسيون ـ غربية .

(٤) كان بعد ذلك عميدا لكلية اللغة العربية ، ونجله هو الاستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار رئيس قسم التاريخ الحديث والمشرف على وحدة الميكروفيلم ودراسات الشرق الاوسط بجامعة عين شمس ، والشيخ سليمان نوار من مواليد كفر شكر قليوبية .

(٥) كان الشيخ الجبالى عميدا لكلية اللغة العربية ، وهو من مواليد محافظة البحيرة ، وله مدرج باسمه بالكلية هو مدرج الشيخ ابراهيم الجبالى .

(١) كذا .

طلبة العلم الشريف بالجامع الأحمدى كانوا يعفون من طلب القرعة العسكرية :

كان كل طالب علم بالجامع الأزهر والجامع الأحمدى وغيرهما يعفون من التجنيد حسب القانون الذى جاء فى المادة السادسة عشرة من الباب الرابع منه والصادر سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م :

« يعفى من الخدمة العسكرية العلماء والمدرسون بالجامع الأزهر أو بغيره بأى بلدة أو مدينة كانت بالقطر المصرى بشرط أن يكون بمقتضى شهادات من حضرة شيخ الجامع الأزهر .

يعفى أيضا من الخدمة العسكرية جميع الطلبة المشتغلين بالعلم الشريف فى الجامع الأزهر وغيره سواء كانوا بمصر المحروسة أو ببلدة أخرى من القطر المصرى بشرط أن يتفرغوا لطلب العلم مدة الخدمة العسكرية ونتحقق جميع هذه الأحوال كمعافاتهم من العسكرية بمقتضى شهادات تعطى لهم من المشايخ أساتذتهم مصدقا عليها من حضرة شيخ الجامع الأزهر وهذه الشهادات يجب أن يقدموها الى مجالس « القرعة » وقت انعقادها بالمديريات والمحافظات للاقرار عليها، والحكم بالمعافاة على مقتضاها .

ويشرط أن يتفرغوا لطلب العلم بلا حرفة ولا صناعة سواء فى المدة المقررة للخدمة العسكرية ، وأن يكون امتحانهم فى العلوم الواجب عليهم تحصيلها للمعافاة بموجبها واجراء الاستعلامات والتحريات اللازمة للوقوف على خلوهم من الحرف والكارات والصنائع .

ويصير تشكيل مجلس علمى فى كل محافظة أو مديرية ، مركب من قاضى ومفتى المحافظة أو المديرية ، ومن يلزم من حضرات مشاهير العلماء ذوى اللياقة بالجهة المذكورة تحت رياسة أحدهم .

ويشترط فى الترخيص لتقديم الانهاء السابق ذكره ... بوصف طلب العلم أن يكون الطالب قد تلقى فى فن الفقه على مذهبه وفى فن النحو عمن يعتبر التلقى عنه من حضرات العلماء مدة سنتين على الأقل .

ويشترط فى قبول الانهاء المذكور للمعافاة بوصف كون الشخص من طلبة العلم أن يكون قد تلقى فى المدة المذكورة من كتب النحو مثل متن الأجرومية ببعض شروحها كشرح الكفراوى أو هو وشرح الشيخ خالد عليها فأزيد على حسب ماتعارفعليه أهل الجهة فى طلب العلم ثم ان كان طالب العلم حنفىالمذهب يشترط فيه زيادة عن تلقيه السابق ذكره فى فن النحو أن يكون قد تلقى من كتب فقه مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان أيضا شرح مراقى الفلاح على متن الايضاح هو وشرح الطائى الصغير على متن الكنز فأكثر .

وان كان شافعى المذهب ... أن يكون قد تلقى من كتب الفن شرح ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع أو هو وشرح الخطيب الشربينى على متن أبى شجاع المذكور فأكثر .

وان كان مالكى المذهب ... أن يكون قد



المعاهد الدينية العلمية الاسلامية

شهادة

سنة ١٣٣٠ – ١٣٣١ دراسية

تلقى من كتب الفن شرح ابن تركى على متن **العشماوية او هو وشرح الزرقانى على متن العزية فاكثر .**

وان كان حنبلى المذهب ... أن يكون قد تلقى من كتب الفن شرح نيل المآرب على متن **دليل الطالب او هو وشرح المقتنع على متن الزاد فاكثر** أو ما شاكل تلك الكتب بحسب ماتعارفه أهل كل جهة . (١)

حلقات العلم بالجامع الاحمدى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر :

كثرت حلقات العلم بالجامع الأحمدى بطنطا حتى صار الجامع كخلية النحل نشاطا وحركة ودقة ونظاما وعلما وفنا ، يؤدى دوره فى خدمة علوم الاسلام وعلوم العربية والعلوم العقلية والفلسفية ، وقد قام هذا الجامع بدور بارز فى صد التيارات والحملات التبشيرية الصليبية المنتشرة على مصر كلها ونلمس ذلك واضحا فى المظاهرات التى قامت بطنطا من طلاب وشيوخ هذا الجامع يكشفون للرأى العام ألاعيب الانجليز وخداعهم فى سبيل نشر المذاهب الهدامة فى الوجه البحرى، ووقف رجال المعهد الأحمدى يلهبون مشاعر الناس ضد الانجليز ، وحينما كانت تشتد

(١) راجع صفحات ١٥ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ من قانون القرعة العسكرية المصرية ط الخامسة المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٥ م .

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

الحرب فى الاسكندرية .. كان الجامع الأحمدى يستضيف طلابها وشيوخها ، فينزلونه مكرمين ، ويجلسون فى حلقات العلم ينهلون من فيضه العميم .

وكان لكل شيخ حلقة من حلقات الجامع ، وبعضهم تخصص فى الحديث الشريف والبعض تخصص فى التفسير ، والآخر تخصص فى الفقه الشافعى أو الحنفى أو المالكى أو أصول الفقه ، حتى اشتهر بعضهم بتدريس شرح كتاب معين هو حاشية كذا على شرح كذا فى فن كذا حسبما نفصله قريبا .

شيوخ العلم بالجامع الأحمدى سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م ودرجتهم فى العالمية ومذهبهم :

استطعنا ــ بفضل الله تعالى وبمساعدة العلماء بطنطا وبما عثرنا عليه من دشت أن نكون فكرة عن نظام الدراسة بالجامع الأحمدى بطنطا ، وفى أوراق مبعثرة متخلفة عن حريق كتب عليها « سجل حصر المجاورين بالجامع الأحمدى » سنة ٣٠٢/٣٠٣ هـ وجدنا أسماء الشيوخ المدرسين ودرجاتهم العلمية ومذهبهم الذين كان لهم حلقات بهذا الجامع:

فمن علماء الدرجة الأولى من الشافعية :

---

١ ــ حضرة (١) السيد محمد القصبى شيخ الجامع الأحمدى .

٢ ــ حضرة الشيخ محمد الجندى .

٣ ــ الشيخ عبد العزيز يحيى .

٤ ــ الشيخ سيد احمد الحويحى .

٥ ــ الشيخ سيد الطوخى .

٦ ــ الشيخ محمد البهى الحويحى .

٧ ــ الشيخ محمد محسن الشبينى .

٨ ــ الشيخ محمد الفقى .

٩ ــ الشيخ على عطا الله البشبيشى .

١٠ــ الشيخ محمد البسيونى أبى رية .

ومن علماء الدرجة الثانية فى العالمية :

١١ــ الشيخ على المليجى .

١٢ ــ الشيخ سيد البشبيشى .

١٣ــ الشيخ موسى عبد ربه .

١٤ــ الشيخ أحمد العريان .

١٥ــ الشيخ ابراهيم هاشم .

١٦ــ الشيخ عثمان بدوى .

١٧ــ الشيخ أحمد أبى ليلة .

١٨ ــ الشيخ سيد محيى الدين .

١٩ــ الشيخ عبد الوهاب بركات .

ومن علماء الدرجة الثالثة فى العالمية :

٢٠ــ الشيخ عبد الرحمن الدماطى .

٢١ــ الشيخ مصطفى الجندى .

٢٢ــ الشيخ يوسف عبد الحافظ .

٢٣ــ الشيخ على الحضرى .

٢٤ــ محمد السحيمى .

٢٥ ــ الشيخ دسوقى الشبينى .

ومن علماء الدرجة الرابعة :

٢٦ــ الشيخ ابراهيم شريف .

---

(١) كلمة السيد هنا ليس اسما ولكنها لقب تشريف وتعظيم .



٢٧ـ الشيخ قطب بكر التلاوى •
٢٨ـ الشيخ محمد عمارة السبرباوى •
٢٩ـ الشيخ عثمان قرة عمر •

ومن علماء الدرجة الخامسة :

٣٠ ـ الشيخ محمد عبد القادر الحبيشى •
٣١ـ الشيخ محمد عبد الرحيم •
٣٢ـ الشيخ محمد الوكيل •
٣٣ـ الشيخ ابراهيم الصواف المحلاوى•

ومن العلماء الحنفية بالجامع الاحمدى :

١ ـ الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى
٢ ـ الشيخ عمر الرافعى • درجة أولى
٣ ـ الشيخ مصطفى حبيب • درجة رابعة
٤ ـ الشيخ فتح الله طايل • درجة خامسة

اما العلماء المالكية فهم :

١ ـ الشيخ محمد المنهراوى •
درجة أولى
٢ ـ الشيخ اسماعيل الدلبشانى •
درجة أولى
٣ ـ الشيخ عبد اللطيف سعد •
درجة أولى

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

٤ ــ الشيخ على المنوفى .

درجة ثانية

٥ ــ الشيخ على كامل .

درجة ثالثة

٦ ــ الشيخ اسماعيل الصباغ .

درجة ثالثة

٧ ــ الشيخ ياسين الجيزاوى .

درجة ثالثة

٨ ــ الشيخ محمد البرعى .

درجة رابعة

٩ ــ الشيخ على أبو دياب .

درجة رابعة

١٠ــ الشيخ محمد سلامة الشبراباصى .

درجة خامسة

١١ــ الشيخ عبد اللطيف عواد .

درجة خامسة

١٢ــ الشيخ فاضلى الشناوى .

درجة خامسة

المجموع تسعة وأربعون شيخا ، وكل شيخ كان له حلقة بالجامع الأحمدى ، وليس معنى هذا أن العدد وقف عند هذا الحد ، بل كانت الحلقات تزيد فى بعض السنين نظرا للأساتذة الزائرين للجامع من البلاد الاسلامية .

وتختلف الحلقات هنا عن حلقات الأزهر بالقاهرة ــ حسب ظنى ــ فالحلقات بالأزهر كانت حرة ، لا يسجل فيها الطلاب ، ومن اراد أن يخرج من هذه الحلقة الى غيرها فليفعل ليس عليه قيد أو شرط ، عكس الجامع الأحمدى الذى كانت حلقاته مقيدة ، فكل شيخ لديه قائمة بعدد الطلاب الذين يحضرون حلقته وبلادهم ومراكزهم ، وكان الشيخ لذلك يعرف طلبته واحدا واحدا ويتابعه اذا غاب عن الحلقة ويعرف درجته العلمية ، وهو الذى يمتحنه ، ثم يبلغ شيخ الجامع الأحمدى الذى يتولى بدوره تبليغ ولى أمر الطالب ببلدته ولدينا خطاب بنتيجة الطالب يونس ابراهيم عبيد بلدة (كفر الحاج داود) مركز السنطة غربية .

وهذا نظام فى رأينا أفضل ، ففيه جدية فى طلب العلم ، فالطلاب كلهم مقيدون فى قائمة والشيخ من ثم يتابع الطالب ، ويعرف قدرته العلمية ويتابع حضوره ، كما يلاحظ سلوكه .

وكل طالب يتخلق بأخلاق العلماء العاملين ، والا قطعت منه بعض درجات سلوكه أو كلها وحرم الجراية ، وعليه بعد تكرر ذلك منه ، أن يحمل عصاه على كتفه ويعود الى بلدته ويكون كمن رجع بخفى حنين .

ومشيخة الجامع الأحمدى تتابع نتيجة امتحان الطلاب وترسل بدورها الى أولياء أمورهم ليعلموا من جانبهم على تشجيع أبنائهم على مذاكرة العلوم وعدم الاشتغال بغير العلم ، فاذا أتم الطالب دراسته بالجامع الأحمدى ، وقد حصل قدرا كبيرا من العلم ينفعه فى دينه ودنياه .

وهذا النظام ان دل فانما يدل على مدى تقدم التربية الاسلامية ورقى العلم والنظم التى سلكتها معاهد المسلمين فى عصورها الزاهرة ، من شحذ همم أذهان الطلاب ومن متابعة للطلاب وأولياء أمورهم لهم بجانب

متابعة المؤسسة العلمية وهو حرص شديد للمشيخة ، نادت به التربية الحديثة فى الشرق والغرب فانشأوا مجالس الآباء لمساعدة المشيخة فى متابعة التلاميذ .

ونقدم هنا نماذج جدولية تبين نظام العمل بالجامع الأحمدى سنة ١٣٠٢ هـ .

١ ــ درس شيخ الجامع وعدد الطلاب وبلادهم :

جاء فى سجل حصر المجاورين بالجامع الأحمدى ص ٢ ، ٣ سطر ٣٤ وما بعده ... ما يأتى :

« مذكورين طلبت (١) علم » بدرس حضرة شيخ الجامع الأحمدى بموجب قائمة وعليها شرح بالاعتماد فى درس التحرير .

١ ــ محمود خيال بن خيال بن نصر من ناحية شنشته بمركز شمنود غربية .

٢ ــ اسماعيل بطيخ بن البهنسى بطيخ ابن سلمان من ناحيـة ميت يزيـد بمـركز سمنود .

٣ ــ احمد نعامة بن عبد المتعال بن عبد المتعال من الناحية المذكورة شرحه .

٤ ــ أحمد شيانة بن أبو الخير بن أحمد شرحه .

٥ ــ أحمد سلامة بن ابراهيم بن أحمد أبشواى الملق بمركز محلة منوف غربية .

٦ ــ محمد محمد ستار بن محمد سفار الميقاتى فى طنطا بمركز محلة منوف غربية .

٧ ــ محمد الخطيب بن محمد بن الشافعى ابن محمد من ناحية ميت يزيد بمركز سمنود غربية .

٨ ــ محمد الفار بن محمد الفار بن السيد أحمد من شبرا النملة بمركز محلة منوف غربية .

٩ ــ مصطفى الجندى بن أحمد بن مصطفى من ناحية قليب ابيار بمركز كفر الزيات غربية .

١٠ ــ محمد أبو راضى السفوة بن محمد ابن أحمد بن أحمد من ناحية ميت حبيش القبلية بمركز الجعفرية .

١١ــ على ابراهيم خطاب بن ابراهيم بن ابراهيم شرحه .

١٢ ــ محمد زايد بن الشحات من ناحية « ميت زامر » بمركز القنايات من مديرية الشرقية .

١٣ ــ محمد أبو العطا بن على بن موسى من ناحية طنطا بمركز محلة منوف غربية .

تابع ما قبله .

الاســم	اسم البلـد	اسم المركز	اسم المديرية
١٤ ــ ابراهيم عثمان بن على بن عثمان .	شبرابيل	الجعفرية	غربية .
١٥ ــ سليمان العسامى بن العسامى بن مسعود .	شبرابيل	الجعفرية	غربية .
١٦ ــ البيومى السعيد بن محمد بن سالم	طبلوها	مليج	منوفية .

(١) كـذا .

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

١٧ ــ محمد عباس بن عبده بن جاد	ابشواى	محلة منوف	غربية
١٨ ــ محمد الشهاوى بن سليمان بن ابراهيم	طنطا	محلة منوف	غربية
١٩ ــ أحمد عجور بن يوسف بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٢٠ ــ على شرشر بن محمد بن صالح	طنطا	محلة منوف	غربية
٢١ ــ ابراهيم ابو عبية بن ابراهيم بن احمد	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٢ ــ الشافعى سعد بن سعد بن سنحالة	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٣ــ أحمد جعيمة بن ابراهيم بن على	قحافة	صالة منوف	غربية
٢٤ ــ ابراهيم شمس الدين بن ابراهيم ابن أحمد	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٥ــ محمد رخا بن محمد رخا بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٢٦ــ أحمد علام بن ابراهيم بن على .	سبرباى	محلة منوف	غربية
٢٧ــ محمد الفراشى بن ابراهيم بن على	طوخ دلكة	تلا	منوفية
٢٨ــ محمد النقلى بن يوسف .	عطف ابو جندى	صلة منوف	غربية
٢٩ــ محمد أبو يوسف بن سليمان بن حبيب	من كفر الهلاوى	محلة منوف	غربية
٣٠ــ حامد سالم بن سالم بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٣١ــ محمد سيد أحمد الشرقاوى بن سيد أحمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٣٢ــ محمد علام	طنطا	محلة منوف	غربية
٣٣ــ « مستجد بورقة » حسن مصطفى بن محمود الصعيدى .	مليج	مليج	منوفية

٢ ـ طلبة العلم بدرس الشيخ محمد الجندى الشافعى :

مذكورين طلبت علم بدرس المنهج على حضرة الشيخ محمد الجندى .

الاسم	البلد	المركز	المديرية	مدة الحضور
١ ـ السيد عبده بن أبو العزم بن محمد	كفر نواى	زفتى	غربية	٢٠
٢ ـ ابراهيم حسنين بن حسين بن حسن	ديا	الجعفرية	غربية	٢٠
٣ ـ على الجروانى بن محمد بن ابراهيم	ديا	الجعفرية	غربية	٢٠
٤ ـ أحمد بدر بن مصطفى بن أحمد	ميت يزيد	سمنود	غربية	٢٠
٥ ـ خضير عبد المعطى بن سليمان بن عبد المعطى	القرشية	الجعفرية	غربية	٢٠
٦ ـ محمد القهوجى بن على بن شهاب الدين	كفر الديب	زفتى	غربية	٢٠
٧ ـ محمد شومان بن على بن محمد	كفر الديب	زفتى	غربية	٢٠
٨ ـ عمر حميدة بن سيد أحمد بن عمر	السملاوية	زفتى	غربية	٢٠
٩ ـ سيد أحمد مطاوع بن على بن مطاوع	سيرباى	محلة منوف	غربية	٢٠
١٠ ـ أبو الفتوح فتح الباب بن فتح الباب بن عبد الرحمن	دماص	ميت غمر	دقهلية	٢٠
١١ ـ محمد رزق بن السيد على بن السيد على	شبرا اليمن	سمنود	غربية	٢٠
١٢ ـ عبد الرحمن شرويده بن يوسف بن سيد أحمد	شبرا اليمن		غربية	٢٠
١٣ ـ السيد النقيب بن أحمد بن النقيب	حانوت	زفتى	غربية	٢٠
١٤ ـ على الشيشينى بن على بن محمد	كفر محلة حسن	سمنود	غربية	٢٠
١٥ ـ محمد العنانى بن على بن على	كفور نجم	الابراهيمة	شرقية	٢٠
١٦ ـ حسن قنديل بن تنديل بن حسن	كفر طبليه	تلا	منوفية	٢٠
١٧ ـ عبد الله البرى بن ابراهيم بن يوسف	نقيبا	الجعفرية	غربية	٢٠

٢ ــ طلبة العلم بدرس الشيخ محمد المنهراوى المالكي :

مذكورين طلبت علم بـدرس الخرشى على حضرة الشيخ المنهراوى بموجب قائمة الختمة(١٠)

الاســم	البلد	المركز	المديرية	مدة الحضور
١ ــ على القطان بن بسيونى بن على	كفر سيجر	تــلا	منوفية	١٢
٢ ــ مصطفى بدير بن على بن محمد	كفر دبيد	تــلا	منوفية	٢١
٣ ــ حسن ابو حلوة بن على بن حسن	كفر سيجر	تــلا	منوفية	٣٠
٤ ــ ابراهيم جامع بن عبد الجواد بن عامر	حصت اكوه	تــلا	منوفية	٢٣
٥ ــ حسنين البتبى بن أحمد بن محمد	جدام	تــلا	منوفية	١٤
٦ ــ أحمد المنهراوى بن الشيخ المنهراوى ابن محمد عويس	طنطا	محلة منوف	غربية	١٠
٧ ــ محمد المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٩
٨ ــ مصطفى المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٨
٩ ــ محمود المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٧
١٠ــ ابراهيم المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٥
١١ــ ابراهيم ابو هيبة بن سليمان بن محمد	ميت شريف	كفر الشيخ	غربية	١٦
١٢ــ على أبو عـايد بن أبى العينين بن حسن	شنشت الانعام	شبرا خيت	بحيرة	١٥
١٣ــ محمود البشبيشى بن عشم بن أحمد	جـدام	تــلا	منوفية	٨
١٤ اسماعيل جامع بن ابراهيم بن عبد الجواد	حصت اكوه	تــلا	منوفية	٩
١٥ــ محمد أبو خلوة بن حسن بن علـى	كفر سيجر	تــلا	منوفية	١٠
١٦ــ عبد القوى بن على بن سالم	قارزاقة	شبرا خيت	بحيرة	٢٠

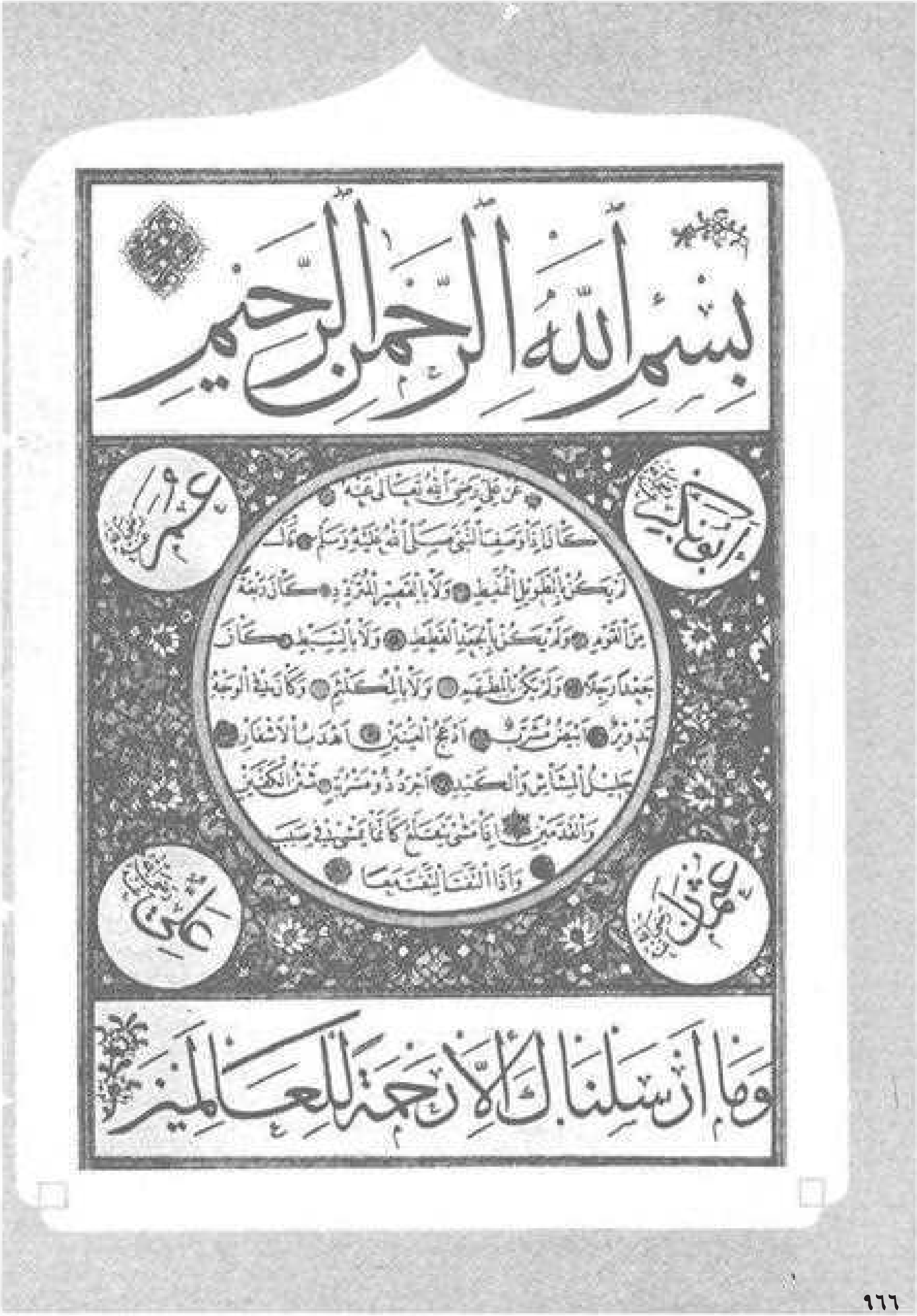
٤ ـ طلبة العلم بدرس الشيخ عبد العزيز يحيى الشافعى : مذكورين طلبت علم فى صحيح البخـارى وشرح المنهج(٢)

الاســـم	اسم البلـد	اسم المركز	المديرية	ايام الحضور
١ ـ عدوى الدرسى حسن بن حسن	ديرس	منية سمنود	دقهلية	٣٠
٢ ـ ابو زيد الصاوى بن حسن بن عمر	دروة	منية سمنود	دقهلية	٣٠
٣ ـ سيد أحمد نصر بن على بن ممدوح	سمرباى	محلة منوف	غربية	٣٠
٤ ـ محمد نوح بن السيد بن نوح	شبشير	محلة منوف	غربية	٢٢
٥ ـ على عرفون بن على بن محمد	قحافة	محلة منوف	غربية	٢٥
٦ ـ أحمد عزام بن سيد أحمد	شرحه	محلة منوف	غربية	٢٢
٧ ـ على القاضى بن عبد الوهاب بن محمد	محلة مرحوم	محلة منوف	غربية	٢٢
٨ ـ على الشيخ بن حسن بن على	ابشواى الملق	محلة منوف	غربية	٢٤
٩ ـ أحمد عابد محمد بن حسن	نواج	محلة منوف	غربية	٢٥
١٠ ـ حموده الحنفيه بن على بن حموده	نفيـا	الجعفرية	غربية	٢٥
١١ ـ محمد صقر بن يوسف بن على	الأنيوطين	الجعفرية	غربية	٢٠
١٢ ـ على خفاجى بن أحمد بن على	بلتـاج	كفر الشيخ	غربية	٢٧
١٣ ـ مصطفى الغمرى بن محمد بن محمد	دلجة	طليج	منوفية	٢٥
١٤ ـ على سلامه بن محمد بن حسن	فيشـا	تـلا	منوفية	٢٥
١٥ ـ عماره سلومه بن عماره بن سيد أحمد	نفيـا	الجعفرية	غربية	٢٥
١٦ ـ (محمد بورقه) على رضـوان بن حسن بن على	كلبشوا	الجعفرية	غربية	١

(١) قائمة الختمة : هى القائمة التى تحتوى على أسماء الطلاب الذين حضروا من أول شرح هذا الكتاب (الفرش) الى ختامه او نهايته ، وكان نظام الدراسة فى المرحلة العالية يعتمد على المطولات او الكتب المبسوطة ، وبالطبع لايستطيع الشيخ والطلاب دراسة كتاب من هذا النوع الذى يتكون عادة من عدة أجزاء قد تصل الى ستة عشر جزءا او اقل او اكثر ، ومن هنا كان الشيخ يقسم هذا الكتاب او ذاك مع طلبته الى عدة سنوات فى كل سنة يدرس جزءين مثلا من الكتاب حتى ينتهى عليه خـلال اربع او خمس سنوات او اكثر او اقل ، وفى كل سـنة يعقد امتحان شفوى فى الجزء الذى انتهت دراسته وهكذا ، وبعد ختم الكتاب يمتحن فيه الطـلاب امتحانا عاما ، ثم يجاز الطالب من شيخه او شيوخه اى يحصل على الاجازة العلميـة فى الافتاء والتدريس او القضاء حسب استعداد الطالب الشخصى وفراسة الشيخ فيه ، ويدخل امتحان الاعادة من رسب .

هذا ، وقد يقسم الكتاب الواحد بين مجموعة من الشيوخ ، يدرس احدهم مثلا باب الطهارة والآخر باب العبادات والثالث باب المعـاملات والرابع باب الجهاد ولواحقه وآخر يدرس باب الميراث مثلا وبه يختم الكتاب .. وهكذا .

(٢) هذا الدرس مشترك بين الحـديث من صحيح البخارى ، وبين الفقه الشافعى من شرح المنهج


بسم الله الرحمن الرحيم
أبو بكر
عمر
عثمان
علي
عن علي رضي الله تعالى عنه
كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال
لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة
من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان
جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه
تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار
جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين
والقدمين إذا مشى يتقلع كأنما يمشي في صبب
وإذا التفت التفت معا
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

دراسات في الإعلام

الأسس الإعلامية
في التصور الإسلامي

الأسس الإعلامية في

التصور الإسلامي

تحتشد مجموعة ضخمة من وسائل الاعلام في العصر الحديث وفي مقدمة هذه الوسائل : الاذاعة المرئية والمسموعة ... بالاضافة الى وكالات الأنباء والصحف والمسارح والمعارض والمؤسسات الاعلامية التي تغذيها بالقوى العاملة والمادة الاعلامية والخبرات الفنية ... الخ ..

وتخضع هذه المجموعات الضخمة من وسائل الاعلام الى اسس ونظريات ... لا تتفق عليها اغلبية المعسكرات لانهم اخرجوا وسائل الاعلام عن طريقها الانساني الذي يجب ان يخدم الانسانية بالصدق ، والوضوح، واحترام مشاعر البشر وعقليتهم ... كما هو مقرر من حقوق فطرية للبشر .

ولكنهم صيروها وسائل تخدم حسب الهوى المتبع والمزاج الخاص ، والمذهب السياسي المعين ... ومن هنا أنشأ كل فريق لمجموعات وسائل الاعلام عنده نظرية وأسسا تعتمد عليها في بث برامجها ، ونشرات أخبارها ، وتوزيع منشوراتها ، فصارت للمعسكرات الشرقية أسس اعلامية ، وعلى الضد قامت للمعسكرات الغربية نظريات وأسس أخرى .

وكلا الفريقين في معسكراته أخضع وسائل الاعلام لهواه ووظفها لخدمة نظرياته ومطامعه وحده .

ومع اختلاف هدف المعسكرات الشرقية والغربية في النظريات فقد اتفقوا على تقسيم العالم تبعا لأطماعهم . فهل ياترى أغفل الاسلام أسلوب الاعلام والدعاية أم أنه عني بهما وحدد الأسس والاطار الذي تستخدم فيه وسائله الاعلامية التي تلبي حاجة الاسلام في توصيل دعوته الى الناس كافة ؟

وهل ياترى هذه الأسس مثل غيرها تبيح الغاية فيها استخدام كل الوسائل ..؟؟

فلننظر : ــ

اولا : الراى العام : ــ

محل التجاذب بين جميع أسس الاعلام في جميع النظريات هي التأثير في الرأى العام وتوجيهه ، فتلك غاية رئيسية لجميع المذاهب

للأستاذ الدكتور
متولى يوسف حسن

ووسائل اعلامها .

ومن أجل التأثير فى الرأى العام استباحت جميع النظريات غير الاسلامية الاستخفاف بالعقول الانسانية .

أما الاسلام الحنيف ـ لأنه يحترم الانسانية ويكرمها ـ فقد حرم جميع الوسائل التى تضلل الرأى العام وتخدعه .

فحرم الكذب ، والغش ، والتحايل ، والخديعة ، والمكر ، وضبط الزينة بضوابط لا تؤثر فى السلوك الاجتماعى أثرا غير حميد .

وفى القرآن الكريم آيتان هما عماد الحركة الاعلامية الأولى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » . الحجرات (٦) .

ففى هذه الآية منع مطلق لاستخدام أية وسيلة من شأنها أن تؤثر فى الرأى العام بأسلوب غير حقيقى .

وتطلب من جماعة المؤمنين أن يتبينوا كل أسلوب يحمل أنباء من شأنها أن تؤثر على الرأى العام سواء كانت هذه الأنباء من داخل المجتمع المسلم أو من خارجه .

والآية الثانية :

« إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » النور (١٩) .

فهذه الآية تمنع استخدام الفنون التطبيقية فى تخدير المجتمع وتحويله الى مجتمع جاثم على أكوام الرذائل وهو أسلوب من أساليب الاعلام والدعاية فى العصر الحديث .

وقد فضحت سورة التوبة أنماطا من الاعلام الفاسد الذى يلجأ اليه خصوم الاسلام .

* **« وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ...»** التوبة (٥٦)
* **« يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ »** التوبة (٦٢) .
* **« وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ؟ »** التوبة (٦٥) .
* **« يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ »** التوبة (٧٤) .
* **« يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ »** التوبة (٩٦) .
* **« وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ »** التوبة (١٠٧) .

وقد حصن النبي – صلى الله عليه وسلم – أفراد المسلمين من استخدام ثالثة السوء فحذرهم ونهاهم وخوفهم من عواقبها ففي الحديث الشريف :

« ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في النار سبعين خريفا » رواه البخاري .

وعلى الجانب الآخر من صفات المحامد للفرد المسلم يدعو – صلى الله عليه وسلم – أبناء الاسلام الى حسن الخلق والابتعاد عن الثرثرة فيقول :

« ان من احبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا . وان من أبغضكم الى وابعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » رواه الترمذى .

وجامعة الأمر ماجاء في حديث البخاري :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

فبهذا يسبق الاسلام بانفراد ذاتي في سلامة توجيه الرأى العام توجيها قائما على الوضوح والحق وكرامة الانسان واحترام عقله ومشاعره .

ثانيا : الاعلام : –

المدرسة الألمانية : ترى ان الاعلام هو : –

« التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها » .

ومعلوم أن المدرسة الألمانية عند علماء « الاتصال » رائدة هذا المجال لشهرة الاعلام الألماني أيام الحرب العالمية الثانية .

والمدرسة الألمانية تركز موضوع الاعلام على عقلية الجماهير تلك العقلية المتفاوتة المختلفة من بيئة الى بيئة ومن نظام الى نظام آخر .

وبعض المدارس يجعل موضوع الاعلام يتشكل بحسب المقصود منه والهدف الذى يراد تحصيله .

* فقد يكون الاعلام : بمعنى الاستعلامات اذا كان المراد نشر المعلومات أو تفسيرها أو ابرازها في اطار معين لتقويم مجموعة من الأخبار لمن يريد أن يحصل على معرفة معينة .

ولهذا تختلف أهداف ووسائل مصلحة الاستعلامات في كل دولة عن الدولة الأخرى .

* وقد يراد من الاعلام : التبشير ونشر المرغبات بموضوع معين فيكون المراد منه مجرد الدعاية .

* وقد يراد منه سياسيا – ولو بشكل ظاهري – اشتراك الجماهير في العمل السياسي لدولة ما .

أما التصور الاسلامي لمفهوم الاعلام فهو : توصيل الحقائق الصادقة الى الناس كافة واشراكهم في تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الايمان بها .

يقول الله تعالى :

«وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ . أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ .

* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ .

* إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ .

(القصص ٥١ ـ ٥٦)

ففى هذا النص ثلاث حقائق .

الحقيقة الاولى : أن توصيل الحقائق الصادقة هو الاعلام الذى تستخدمه الدعوة الاسلامية فى عملية الاتصال وتبليغ الدعوة .

الحقيقة الثانية : أن الذين وصلت اليهم هذه الحقيقة شاركوا فى تذوقها الى درجة :

(أ) أنهم رفضوا اغراء رادى الايمان من الكفار .

(ب) وأنهم كانوا على مستوى الايمان بالحقيقة التى تذوقوها فكان ردهم للأعداء رداً جميلا .

الحقيقة الثالثة : أن غاية الاعلام فى الجو الاسلامى ليس هو القهر والاستخفاف بعقلية الجماهير وانما هو احترام ارادتهم وتقدير تفكيرهم فليس الداعية بمسئول عن ادخال الناس فى الاسلام وانما هو مسئول فقط عن توصيل الحق الأبلج حقا أبلج الى الناس ثم هم بعد ذلك يختارون .

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا » .

فليس الداعية بمسيطر ، انما عليه البلاغ فقط ثم بعد ذلك أمر الناس مفوض الى الله.

« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » النحل (١٢٥) .

عوامل نجاح عملية الاتصال :

والعملية الاعلامية هى عملية اتصال ، والاتصال يقوم على مجموعة من الأسس هى:

* **المصدر .**
* **المستقبل .**
* **الرسالة .**
* **القناة الموصلة .**
* **الفائدة العائدة أو الاستجابة .**
* **المشاركة .**

* وقد وضعوا شروطا لكل أساس من هذه الأسس .

فاشترطوا فى المصدر : أن يكون موثوقا فيه من الجماهير ، وأن يكون قادرا على العطاء والمنع : الثواب والعقاب .

* واشترطوا فى الرسالة أن تكون واضحة فى العرض وفى الهدف المقصود منها وأن تحمل حدى العاطفة : الرجاء والخوف .

* واشترطوا فى القناة الموصلة جودتها وموائمتها للظروف والمناسبات ورأوا أنها كلما كانت ذات اتصال شخصى تكون أكثر جدوى ، وأن تكون مرنة سريعة التأثير .

* وجعلوا بناء على هذه الشروط حتمية الفائدة العائدة أو الاستجابة الحتمية .

تلك شروطهم النظرية التى لا تجد لها فى الواقع المحسوس تطبيقا ولا شاهدا . لكن التصور الاسلامى لشروط هذه الأسس واضح عمليا وواضح دستوريا ، وواضح تطبيقيا .

المصدر فى التصور الاسلامى للدعوة هو ـ المعصوم ، انه القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي

وما يلحق ذلك من أقوال العلماء فلا بد أن يكون مرتكزا على هذه الأسس .

والمصدر في التصور الاسلامي وحده هو القادر على العطاء والمنع ، فالصورة التى دلل بها القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته وجميل عطاياه ، وشديد عقابه ادخل في مفهوم عملية الاتصال من تصور زعيم بشرى يمنى أو يهدد : وذلك قدر متفق عليه من المسلمين والكفار معا .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ » الزخرف (٩) .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » العنكبوت (٦١) .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » العنكبوت (٦٣) .

* والرسالة في التصور الاسلامي هي شهادة التوحيد ، ألوهية واحدة ونبوة خاتمة وهي لم تكن محل تكذيب من القوم :

« فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » الأنعام (٣٣) .

والدليل التاريخي على عدم التكذيب مع وقوع الكفر منهم : أنهم لم يتهموه بالخيانة لفظا . ولم يختاروا غيره أمينا على ودائعهم سواء حتى كانت الهجرة ، وأناب ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ليؤدى عنه الأمانات بعد النقلة الى المدينة المنورة عليه أفضل الصلاة والسلام .

والقرآن مثانى تتعدد فيه الأدلة والبراهين، وتتكرر حيثيات الايمان وحيثيات الكفر ، وتناقش منذ القدم ويستحضر الشاكون ويجيب الوحى ... فليس في تاريخ الاعلام قديما ولا حديثا رسالة اشتملت على شروط النجاح والصدق سوى الرسالة الاسلامية بزيادة عنصر المشاركة تلك التى لا تعرفها نظريات الاعلام الحديث .

* **المستقبل** : لم يحفل به رجال علم الاتصال لأنه المستهدف المراد تغيير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره ... أما في الاسلام فاشترط للمستقبل أن يبلغ مأمنه اذا كان في حالة الحرب .

ومعنى هذا أن الاسلام لا يوصل الرسالة بالارهاب ولا لمن يمنعه مانع ، فالمكره والناسى في الاسلام خارجان عن مغبة الأحكام التنفيذية حتى يرتفع عنه السبب المانع .

ان المستقبل للدعوة في التصور الاسلامي يطلب منه الاسلام .

* الايتقيد بثقافة الكهوف :

« قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » الشعراء (٧٤) .

* والا ينظر الى الادلة بنظرة شخصية عندية .

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » سبأ (٤٦)

* والا يكونوا فى حالة ذعر ورعب :

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا » فاطر (٤٥) .

« اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ » الشورى (١٩) .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا » النساء (١٧٤) .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا ، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ، قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا » نوح (٤ ـ ٢١) .

وقد ركز الاعلام فى الاسلام فى شروطه بالنسبة للمستقبل على عدة أمور منها : ـ

ـ الا يكون خاضعا للجاذبية الاجتماعية خضوعا أعمى .

ـ والاستبداد للمعايير الاجتماعية .

ـ والا يكون مشدودا للاسترخاء العقلى .

* أما فيما يتعلق بقناة الاتصال فان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل لها عديدا من الوسائل :

* فاتخذ الزيارة الشخصية .
* والوليمة .
* والمؤتمرات الدائمة .
* والمؤتمرات الخاصة .
* والسفارة .
* والمعاهدة : صلحا ، أو هد ، او امانا .
* واخيرا المسجد : المنبر وا ذنة .

فسبقت النظرية الاسلامية جم ر مدارس علم الاتصال فيما يتعلق بتعديد وسا ، قنو الاتصال .

وفكرة توصيل الرسالة الى أكثر عدد مكن واوسع مساحة ممكنة هى فكرة المنبر والم نة فالمنبر ليرتفع الداعية فوق فيكثر عـ المستمعين والمئذنة ليعلو فوقها المؤذن فينتشر صوته عبر طبقات الهواء الى آخر مدى يمكن أن يصله الصوت ، وهى نفس فكرة المكبر الصوتى ثم المذياع .

فالفارق بين النظرية الاسلامية وغيرها فى

هذا المجال :

أن الاسلام أسبق فى استخدام فكرة توصيل الرسالة الى عدد أكثر ، وانتشارها فى مساحة أوسع ، وأن الغرب الحديث استخدم هذه النظرية فطورها بعد اكتشاف الكهرباء .... والأثير ... وهذه الاضافة الغربية نتيجة موافقة المسلمين على أن يعيشوا فى تخلف صنعوه لأنفسهم . وليس من تعاليم دينهم !.

* **أما عن الفائدة العائدة :** فهى فى نظر المدارس غير الاسلامية حتمية لأن جهود الاعلام لا تبذل من أجل الاقناع الادارى ولكن من أجل الاستجابة القسرية لما يبث .

أما التصور الاسلامى للفائدة العائدة فلن يكون ثمرة للاعلام بل ثمرة شىء آخر هو المشاركة من المستقبل للرسالة .

والقرآن الكريم حريص كل الحرص على مشاركة المستقبل لمناقشة الرسالة الموجهة اليه، يظهر ذلك فى كثير من الآيات وكثير من المواقف القرآنية :

* أما الآيات فمنها قوله تعالى :

« قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » سبأ (٢٧) .

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » سبأ (٢٤) .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ » فاطر (٣) .

« قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » الانعام (١٣٥) .

« وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ » الأنبياء (٥٠) .

أما عن المواقف القرآنية فمنها :

« وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ».

« أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ »

« وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ »

« قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ » الزخرف (٢٠ — ٢٤) .

فالمشاركة بين الداعية والمستقبل فى موضوع الرسالة هى الحلقة التى يغفل عنها واضعو علم الاتصال بل هى الحلقة غير المرجوة عندهم لأنهم يبنون سياستهم الاعلامية على حتمية الاستجابة حسب المخطط المرسوم لسياساتهم وهذا ما نعنيه بـ (الاستجابة القسرية)

أما فى الاسلام فالاستجابة لابد أن تكون ارادية .

« فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النحل (٨٢) .

« لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » الغاشية (٢٢) .

« إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ » الشورى (٤٨) .

« وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » العنكبوت (١٨) .

« وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ » آل عمران (٢٠) .

« وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النور (٥٤) .

« فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النحل (٣٥) .

« فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » التغابن (١٢) .

اساس عملية الاتصال :

عملية الاتصال التى ذكرناها لها منطلق وأساس تقوم عليه ، وهذا الأساس يختلف فى نظر الشرق الاشتراكى عنه فى نظر الغرب الرأسمالى مع اشتراكهما جميعا فى حتمية الحصول على الفائدة العائدة حسب مخطط كل منهم بناء على نظرته للحياة « وأيديولوجيته » التى يوسع مساحات نفوذها .

* والأساس الذى تقوم عليه عملية الاتصال أو الاعلام فى نظر الاشتراكية هو : السلطة .

أما فى نظر الرأسمالية فأساس نظريتهم : الحرية أو المسئولية الاجتماعية .

ولكن الواقع الذى تعيشه القوتان الأعظم يكذب هذين الأساسين .

فليست القوة الشرقية بقادرة على أن تعطى لواحد من رعاياها الحرية فى التعبير عن رأيه والشاهد على ذلك ، ذلك الهروب السياسى أو اللجوء السياسى الذى حدث من مفكرى روسيا ، وكذلك أحداث بولندا وأحداث كثيرة فى بلدان العالم الشيوعى تكذب التعبير بكلمة الحرية كأساس للاعلام الشيوعى .

وليست الدول الرأسمالية بقادرة على أن تعطى للسود حق المساواة كمواطنين مماثلين للبيض ، والدليل على ذلك التفرقة العنصرية ، والاستبداد الأبيض فى حكومة جنوب أفريقيا العنصرية .

وأكبر الدلالات على فساد نظرية المدرستين ما تمارسه القوتان الأعظم فى العالم كله من ممارسات مشينة فى حق الانسان والبشرية اذ كلتاهما تخطط لامتصاص دماء الشعوب واهدار آدميتهم عن عمد مقصود .

أما أساس النظرية الاعلامية فى الاسلام فهى كرامة الانسان حتى ولو كان غير مسلم : يقول الله تعالى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » الاسراء (٧٠) .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الحجرات (١٣) .

لقد كان الاسلام يعلن هذا التكريم فى اللحظة التى تجمعت فيها جيوب كثيرة لمحاربته

الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي

ولكنه مع هذا : لا يدعو الى طبقية مالية أو اجتماعية أو علمية أو ثقافية .

فالاخاء الاسلامي يجعل من المسلمين جميعا جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكرامة الانسان حق مشروع له حتى ولو كان غير مسلم .

* والاسلام : لا يستخف بعقلية الناس ، لأن الاسلام يهدف الى هداية البشر عن طريق العقل ، ولذلك دعا القرآن الكريم الى استخدام العقل العاقل الفاهم بالمشاركة في الرسالة التي توجه الى المستقبل .

* والاسلام لا يضلل المستمع فالكذب حرام ، والغش والمكر والخديعة في النار .

* والاسلام لا يبيح الجدل على اطلاقه من أجل الغلبة والمراء المفضوح بل جعله مشروطا بالتي هي أحسن أدبا وغاية .

الفوارق الأصلية بين الأسس الاعلامية في التصور الاسلامي وغيره :

مما سلف عرضه يتبين أن هناك فروقا أصلية في أسس الاعلام حسب النظرية الاسلامية والنظرة الأخرى غير الاسلامية على السواء .

وفي مقدمة هذه الفوارق الأصلية ما يلي : —

* أن عملية الاتصال في التصور الاسلامي فطرية تقوم على أساس من احترام الكيان الانساني .

بينما عملية الاتصال في غير هذا التصور يتصور نشاطا حكوميا لغاية ذاتية مهمتها قهر الانسان لحتمية مطلوبة لدى الحكومة المعنية .

* غاية الاتصال في التصور الاسلامي هو التوحيد فاعلم انه لا اله الا الله . وفي غير هذا التصور تتغير الغايات حسب اللون الرسمي في المعسكرات المختلفة بل في المعسكر الواحد بل في التطور في البلد الواحد .

* أن الاسلام وضع ضمانات لحماية العقل والمشاعر من التضليل وليس يحترم استخدام التبرير للوسائل الخسيسة من أجل غاية يدعى أنها نبيلة (فياليتها لم تزن ولم تتصدق) .

* أن رجل الاعلام الاسلامي وهو الداعية يتحتم عليه أن يتمثل دعوته سلوكا وفعلا وأخلاقا .

وهو أمر غير لازم في سلوكيات غير الرجل الاسلامي مادامت القاعدة عنده :

الغاية تبرر الوسيلة .

* الاعلام الاسلامي يصل الدنيا بالآخرة ويقدم زادا صالحا للحياتين وينفع الذرية ففيه استمرار لكمال الشخصية الانسانية .

* والاعلام الآخر ان أعطى زادا للدنيا فانه عاجز عن أن يعطي زادا للآخرة ، وفي ذلك قصور وانحطاط بالقيمة الانسانية والانتهاء بها الى حفرة في التراب الرخيص .

أخطاؤنا

أما بعد :

فما هي أخطاؤنا نحن الدعاة في العصر

الحديث فيما يتعلق بالاعلام وقضايا الاتصال وتبليغ الدعوة ؟

ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد وضع أسسا صحيحة لعملية الاعلام بالدعوة الخاتمة ، واتخذ لذلك عديدا من وسائل الاتصال .

ولم تكن المعاملة اللينة الحسنة التى قابل بها عدى بن حاتم الا واحدة من أساليب عملية الاتصال .

فما هو دورنا نحن الدعاة فى عملية الاتصال والاعلام ؟

نعم نحن نتحدث فى الاذاعات المرئية والمسموعة ؟

❊ لكن كم لنا من رجل داخل هذه الأجهزة ؟

ونحن نشاهد عديدا من المسلسلات الدينية فكم هى جهودنا فى عمل هذه المسلسلات ؟

❊ كم كتابا الف فى الاعلام الاسلامى ؟

❊ وكم ندوة عقدت لتوضيح حقائق الاتصال الاسلامى ؟

❊ وكم مذيعا او مذيعة من المتخرجين فى قسم الدعوة من الجامعات الاسلامية .

❊ وكم اخصائيا اجتماعيا يعمل فى هذا الحقل من العلماء والمشتغلين بالدعوة الى الله ؟

❊ ما اساليبنا فى ترشيد المجتمع الاسلامى فى مجال العمل الاقتصادى ، والعلاقات الاجتماعية وغيرها كثير من اساسيات الحياة .

❊ وما خطتنا فى المحافظة على آخر وسائل الاتصال فى عملية التبليغ وهو المنبر ؟

❊ كم لنا من وكالات أنباء داخل الحلقات الكثيرة من وكالات الانباء العالمية .

❊ كم لنا من مؤسسات صحفية ، وصحفيين محترفين مهنة الصحافة .

❊ كم لنا من مراسل ، وكم لنا من رئيس صحيفة ؟

❊ وكم لنا من محلل اخبارى ؟ وكم لنا من نقابة صحفية ؟

❊ كم لنا من جريدة سياسية ؟ ومتخصصين فى الدراسات السياسية والاستراتيجية ؟

❊ كم لنا من معهد للدراسات « الاستراتيجية » ؟ العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ؟

❊ كم لنا من مركز للمعلومات والبحوث ؟ حتى عن بلدان العالم الاسلامى ؟

❊ كم لنا من جهد فى رعاية اليتامى ، والعجزة والارامل ... ؟

❊ كم لنا فى مجال الآداب والفنون التى يمكن أن تخدم الدعوة ويبيحها الدين ؟

❊ كم لنا من خبراء فى علم الرياضة ، والمعسكرات والمخيمات ، والكشافة ، والسباحة ، وركوب الخيل ، والرمى ، وسباحة الخيل ؟ وأين هى شخصيتنا الرياضية اسلاميا ؟

❊ الم يان لنا ان ندرس ظاهرة التخلف العام فى جميع انحاء العالم الاسلامى مع وجود ملايين المساجد وهى ثروة أصيلة للاعلام السديد منذ بدء الحياة فى الدولة الأولى للدعوة الاسلامية ؟



ــ ألم يدر بخلد واحد من الدعاة أن يحسب الخسارة الفادحة التركة العظيمة التي خلفها لنا سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لأننا لم نتمسك بجدية صادقة بالكتاب والسنة ؟ وهما المصدر الصحيح الوحيد لأعظم رسالة وجهت الى الانسان في كل عصر وحين ؟

نسأل الله التوفيق الى العمل الذى يرضيه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ..

متولى يوسف حسن

المراجع

(١) القرآن الكريم ، وكتب السنة المطهرة ، والدعوة الاسلامية .
(٢) علم الاله . دكتور صلاح جوهر .
(٣) الاعلام والدعاية دكتور عبد اللطيف حمزة (الاعلام في صدر الاسلام ، دكتور عبد القادر حمزة) .
(٤) الرأى العام ، دكتور احمد سويلم .

من التراث

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

ان من أهم واجبات العلم أن يهيء للناس حقائق صحيحة ويدربهم عليها . حتى يتيسر لعامتهم أن يقوموا ـ من الأعمال ـ بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدرة ، معتمدين على قوة هذه العقائد التي يعدونها ثابتة لا تقبل النقض أو الجدل .

فاذا قال العلم : ها نحن عند الاساس . فلنقم عليه صرحا رائعا . فان الدين يقول : هناك الأساس الذي لا يعتوره التغيير ولا التبديل ، الاساس الذي وضعه الله العالم بكل شيء تاما كاملا من الأزل الى الأبد فلنقم عليه صروح الحياة المثلى ، فان أساسه قاطع لامرية فيه .

ان العلم والفلسفة يبدوان بعيدين كل البعد عن متناول عامة الناس ولكن الواقع أنهما ليسا كذلك ، فان أجيالا متعاقبة من بني الانسان تناولوا معضلة الخلود بالبحث وبحثوا غوامض ما وراء الطبيعة والمادة مما يروق العلماء والفلاسفة أن يطلقوا عليها أسماء ضخمة متعددة المقاطع وهم لا يعرفون عنها الا القليل الذي يعرفه عامة الناس .

ولكن ابتكار تلك الأسماء الضخمة تجعلهم يشعرون بالبراعة والعبقرية ويتخذون منها سترا يتقون به النقد ، والحقيقة أنهم لا يحيطون منها الا بالنزر اليسير .

والواقع أن الفرد العادي ليس أقل تفكيرا فيما وراء الطبيعة والمادة من الفيلسوف الكبير، فكلاهما تائه في مهامه هذا التفكير ، فاذا تعمق فيه واندفع الى أقصى حدوده أفضى به في النهاية الى الشك المطلق والاعتقاد بحبوط ما يبذله من مجهود .

ونحن في هذا العصر عصر العلم والتعليم ليس لنا غرض أسمى من التغلب على العامية ،

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسن الزيات

فلابد لكل فرد أن يعرف القراءة والكتابة سواء كانت العقول والعواطف قد هذبت وصقلت ، أو بقيت على خشونتها مما يفضي بأصحابها الى السخف والهذيان .

فالآراء والأفكار المشككة التى تخامر ذوى الحصافة الحقيقية تتدفق بسرعة الى ذوى العقول الضعيفة فتجد فيها مرتعا خصبا حيث يسيئون فهمها ويتخذون منها ذريعة للاستهانة بنظام الوجود ، وقد يأمن ذو العقل الراجح النقاد مغبة الاعتقادات غير الثابتة التى لم يقم عليها دليل ، وله أن يكون متشككا الى حد بعيد ، لأن مثله من يقدر قيمة كل اعتقاد ، ويعرف أن الاعتقادات النظرية لا يجب أن تسيطر على الأعمال ، فهو اذا عمل اتبع الحقائق الثابتة ولم يجر وراء الخيال .

ولكن الأمر بعكس ذلك فى العقول الضعيفة حيث تسيطر العقائد على الأعمال ، وليس لذلك علاج خير من أن يسيطر ذوو العقول الكبيرة على معتقدات العامة ويشكلونها بحيث يجعلونهم يعملون تبعا لعقيدة صحيحة بما يعود على الهيئة الاجتماعية بالخير والاسعاد .

لأن الفرد العادى اذا استسلم للشك أصبح غير أهل للقيام بواجبه نحو المجتمع فلا يعول عليه كأحد أفراده .

والمفكر البحاثة كالعالم الكبير مثلا يقبل تلك العقائد غير الثابتة — التى تستند كأصول العلوم على مجرد فروض يقول انها بديهية — كما يقبل التقاليد الاجتماعية أو آداب الرسميات الدقيقة ، فهى لا تحتاج فى نظره لدليل بل هو يؤمن كل الايمان بالبناء المنطقى الذى يقيمه عليها مع أن هذا البناء لم يقم الا على البحث العقلى المحض الذى قوامه الدليل والبرهان .

فعقائد المفكر البحاثة كما رأيت لا تستند اذن الا على مجرد الفرض ، وهذا الفرض لا يعوزه الدليل فهو مقبول لديه على أنه بديهى وحسب ، ومثله مثل تلك القواعد الأولى التى بنى عليها أقليدس (٢) هندسته المنطقية الطريفة فهى هى وحسب ، وقد تظهر أحيانا وفى حالات معينة أنها تستند على مجموعة قوية من الحقائق الثابتة ، وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تأييدها .

واننا اذا عرضنا آراء العلماء لمحك الاختبار

---

(١) من مقال لسوان هاردينج الكاتب الامريكى بمجلة « open court » المصدر (١) المحرم سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثانى .

(٢) عالم [illegible] ى اشتغل بالهندسة حوالى سنة ٢٨٥ قبل الميلاد .

رأينا أنهم يبدون ظواهر الطبيعة عقب حدوثها فى صور معقولة ليؤيدوا آراءهم بما يتفق وأميالهم العلمية ، فيجعلون من الظواهر مبدأ وأساسا لعلومهم دون أن يفقهوا ما وراء هذه الظواهر من حكم وأسباب ، والواقع أن ما يحتاج اليه اليوم عامة الناس هو الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمادة مما يتسنى لذوى الخبرة والدراية من علماء النفس والحياة أن يهيئوه لهم . وسيظل العلم مقصرا فى أداء واجبه نحو الهيئة الاجتماعية الى أن يبذل السعى فى هذا السبيل والا استحق ما يوجه اليه من اللوم والنقد ، فجميل أن يحيط العلم بنتظ العلاجات الطبية الدقيقة أو يستغرق فى أبحاث عميقة عن الحيوانات الدنيا أو غيرها ، ولكن المعضلة الحقيقية التى تواجهه هى أن يسيطر على المجتمع وعامة الناس بحيث يتيسر له أن يوالى أبحاثه الانسانية ويطبقها على المجتمع بدون أن يصطدم بعقائد أولئك الذين يود أن يمد لهم يد المساعدة .

ومعنى هذا أن واجب العلم الأعلى هو أن يهيىء للناس عقائد صحيحة ويدربهم عليها حتى يتيسر لعامتهم أن يقوموا من الأعمال بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدرة معتمدين على قوة هذه العقائد التى يعدونها ثابتة لا تقبل النقض والجدل ، فان كثيرا من الناس يتخذون اليوم من العلم مقياسا يقيسون به كل شىء حتى الدين ، فاذا أيد عقيدة دينية أصبحت هذه العقيدة أشد رسوخا وأكثر صوابا ، والا فان هذه العقيدة تضعف وتخور .

على أنه يتضح مما ينشر بالجرائد والمجلات الشائعة أن العلم لن يصبح « المهدى المنتظر » لعامة الناس ، والواقع أن فائدته قاصرة من هذه الناحية لأنه يعترف صراحة بأنه يستند على فروض نظرية بحتة ، ولكن الدين فضلا عن أن بناءه منطقى معقول فهو لا يستند على فروض نظرية بل يستند على أساس فوق المعقول هو أساس العلم بكل شىء والقدرة على كل شىء .

فالعلم يقول ها نحن أولاء عند الأساس فهو هو ، فلنتم عليه صرحا رائعا ، ولكن الدين يقول هاك الأساس الذى لا يعتوره التغيير ولا التبديل ، الأساس الذى وضعه الله العالم بكل شىء تاما كاملا من الأزل الى الأبد ، فلنتم عليه صروح الحياة المثلى ، فمهما آل اليه أمره فى النهاية فان أساسه قاطع بات لا مرية فيه .

والواقع أن العلم ما هو الا عقيدة موضوعة بطريقة جازمة ، أو هو عقيدة لأقلية المفكرين من الناس لا لعامتهم ، ويختلف عن الدين فى موقفه ازاء مبادئه العامة تلك المبادىء التى لا تتعدى كونها فروضا بحتة يسلم بها العلم على أنها فروض ولا يعتبرها نهائية بأى حال .

فالعلم يفرض مثلا أننا نصل بالملاحظة واجراء التجارب الى استنباط النواميس الطبيعية باستنتاج معلومات خاصة ، وهذا افتراض فى نفسه ، لأن الملاحظة واجراء التجارب كثيرا ما أنتجا عقائد باطلة كما أنتجا عقائد صحيحة ، ولن يمكن أن نقيم الحجة على

صحة الفرض عقليا فهو هو وحسب ، ومن هذه النقطة ـ لا من قبلها ـ يتابع العلم سيره ، وعلى هذا المنوال يفرض العلم علة الوجود واطراد وقوع ظواهره تبعا للناموس الطبيعي ، كذلك يجابه العلم مبدأ لا يسلم به العقل في افتراضه أن السبب والمسبب هما هما وحسب ، وفي شغفه وهيامه باطراد وقوع الظواهر الطبيعية وانتظامها كفكرة أن الشمس سوف تشرق غدا لأنها أشرقت أمس ، وأنه لن تقع معجزة خارقة لذلك لأن الناموس الطبيعي يأباها ، فالعلم في كل ذلك يفترض فروضا جديدة .

جلس مرة ممثل هزلي الى المعزف (البيانو) وقال : « سأعزف الآن هذه القطعة كما يعزفها بادروسكي (١) لو أنه عزفها كما سأعزفها ».

وهذا هو موقف العالم ازاء الظواهر الكونية ، فنحن نرى القمر وهو الذي يرسل شعاعه الى عيوننا ، وقد نرى شبحا من الجن كما رأينا القمر رؤية مؤكدة فلا يكون في نظر العلم شبحا من الجن بالرغم من رؤيتنا له لأن العلم لا يعترف بوجود الجن ، كذلك القول بعدم امكان وقوع المعجزات وخوارق الطبيعة، فالعلم يقول بعدم امكان وقوعها لأن ذلك لا يتفق ونظام النواميس الطبيعية مع أن العلم هو الذي استنبط هذه النواميس باستنتاج معلومات خاصة من الظواهر الطبيعية . هذا الى أنه لا يمكن أن يدلى بالدليل القاطع على صحتها لأنه من المستحيل على العلم أن يتثبت من كل خاصية على حدتها في أية ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، فلماذا وحتك لا يجيز وقوع الخوارق بين الخواص الكثيرة التي لا يحيط بها ؟؟

ليس لذلك سبب معقول ولكنه يصر على أنها لا تحدث ، فاذا حدثت وقف أمامها باهتا مذهولا .

لماذا لا يقرر العلم وجود خالق هو سبب الوجود الأول ؟ اننا لا نجد لذلك من سبب سوى أن العلم لا يريد أن يجعل ذلك مبدأ له . ولكن ما فائدة مبدأ اطراد الناموس الطبيعي اذا نقضته الطبيعة بخارقة من الخوارق ؟

ولماذا يكون العلم التجريبي المستمد من الاستقصاء والتجربة أعظم قيمة وأجل قدرا من العلم الوجداني الذي يلقى في روعنا ويشعرنا بأنه الحق الصراح ؟

ليس لذلك من سبب سوى أن العلم يقبل الأول ويسلم به ، ويرفض الثاني على أنه لا يعول عليه .

وهنا نجد بعض الالتباس في آراء علماء الطبيعة وعلماء النفس ، فالأولون يقولون ان كل ما في الوجود آلي سواء كان سببا أو مسببا ، والآخرون يقولون انه وجداني وان الوجدان هو الكل في الكل .

على أنه من الممكن أن نجمع بين الرأيين المتفرقين في وحدة كاملة لغرض الدراسة والبحث وبخاصة في هذه الأيام التي أصبح فيها علم الطبيعة أسلس قيادا للبحث العقلي من قبل ، فقد جاء ضمن مقال للورد هالدين بمجلة القرن الصادرة في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أن اينشتين (٢) قد أظهر لنا أن الزمن والفضاء

---

(١) هو المؤلف والموسيقي البولندي المشهور.

(٢) هو العالم الالماني المشهور صاحب النظرية النسبية .

ليسا الا نسبة بين العقل وما نراه من الأشياء ، وأن هذه النسبة تتغير بحسب سرعة العقل الذى يراها . فنرى من ذلك أننا قد رجعنا الى العقل حتى فى علم الطبيعة فليس هناك غير العقل شىء وليس لأى شىء معنى بدون العقل .

كذلك يقولون ان نظرية التطور (النشوء والارتقاء) تستند الى طريقة علمية هى طريقة الاستقصاء والتجربة ، ولكن علام يستند هذان ؟ فالاستقصاء والتجربة قد أنتجا حتى فى نظرية التطور أفكارا وعقائد خاطئة تبينت فيما بعد ، فاذا كان الأمر كذلك فأى عقائد الطبيعيين صحيح اليوم وأيها خاطىء ؟

يقول الطبيعيون انه يستحيل تعيين الخاطىء منها خطأ تاما والخاطىء بعض الخطأ ، ويعتقدون أن التقدم العلمى سوف يحول النظرية (نظرية التطور) الى مبدأ صحيح يسلم به الجميع ، ولكن الطبيعيين يعترفون أن مبادئهم الأساسية ماهى الا فروض وحسب ، فهى اذن لا تستند على طريقة علمية صحيحة . هذا الى أنهم يعترفون بأن طريقة البحث العلمية قد أنتجت — مرارا وتكرارا — أفكارا خاطئة فى دائرة العلم المحدودة التى يدرسونها . وما يدرينا أن اعتمادهم على الطريقة العلمية واعتقادهم بتقدم العلم ليسا من العقائد الخاطئة أيضا ؟

ولنسلم معهم جدلا أن نظرية التطور أصبحت صحيحة فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة أنها تصبح مبدأ قاطعا يسلم به كل انسان غير مستندة فى ذلك الى حقيقة أو استقصاء أو تجربة أو طريقة علمية بل تصبح كذلك لأنها هى هى وحسب ، وبذا تصير نظرية التطور كنظريات العلم الأخرى عرضة للنقد والتجريح اذا بحثناها من أساسها بحثا عقليا .

نعود الآن الى حيث بدأنا فنقول انه لابد لكل انسان من أساس لعقيدته والناس يعتقدون ما يشعرون بصلاحيته وصحته فيتخذون من عقيدتهم ما يقيهم شر الشك والفوضى التى تلحق الفكر من جرائه ويلتمسون منها ملجأ آمنا وأساسا متينا يشيدون عليه صرح عقولهم ويكفون به أنفسهم مؤونة الشعور بعبث الوجود .

والواقع أن ما نراه من النظام فى العالم ليس الا ما تخلعه عليه عقولنا وأننا لا نحيط من أسرار العالم الا بالنزر اليسير .

ولذا كانت المعجزات وخوارق الطبيعة تستند الى سبب أقوى من القوانين العلمية لأنها تشير الى تلك الرغبة الانسانية المعقولة فى وجود رب رحيم يكلؤنا بعنايته ويتولانا برحمته ، على حين أن الناموس الطبيعى لا يعبأ بنا أو يعنى بأمر من أمورنا ، فانه وحده هو المرجع والأساس .

وواجب العلم أن ينظر الى الحياة فى جملتها ، وأن يخفف من غلواء عقائده الجازمة بشىء من الشك ، ويلتمس رضا النفس والعقل بدلا من الجزم بصحة نظرياته فانه لن يحيط من أسرار العالم بكل شىء ..

عبد الفتاح حسين الزيات

من نوادر المخطوطات

مكتبة الأزهر

عرض وتقديم الأستاذ
محمد عميرة على

كتاب

« تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس »(١)

محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المعلم الكبير والانسان العظيم ، صاحب الأمانة والسمو والرفعة ، بهر العالم بعظمته وحكمته ، ولقد آتاه الله من نعمه بالقدر الذى يجعله أهلا لحمل رايته والتحدث باسمه ، بل ويجعله أهلا لأن يكون خاتم رسله ، ومن هذا كان فضل الله عليه عظيما ، ومهما تتبارى القرائح والالهام والاقلام متحدثة عن عظمته فستظل جميعا كأن لم تبرح مكانها ولم تحرك بالقول لسانها وبهذا انسابت اقلام الباحثين والمفكرين والمستشرقين فى سيرة الرسول الكريم فكل لا يوفى الحديث بعض حقه ، ولا تستطيع ان تزعم أنها تقدم سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى القراء مستوفية فضله .

ومن العلماء الذين كتبوا فى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسين ابن محمد بن الحسن الديار بكرى : مؤرخ نسبته الى ديار بكر ، ولى قضاء مكة وتوفى بها سنة ٩٦٦ هـ (سنة ١٥٥٩ م) من مصنفاته « تاريخ الخميس » ، أجمل به السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك و « مساحة الكعبة والمسجد الحرام » .

وكتاب الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس الذى نقدمه لقراء مجلة الأزهر رتبه مؤلفه على مقدمة وثلاثة أركان وخاتمة .

فالمقدمة فى خلق نوره ـ صلى الله عليه

---

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر برقم خاص ٨١٨عام ١٢٩٤٧ مكتبة الشيخ حسونة النواوى .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

وسلم .

والركن الأول في مولده عليه السلام الى البعثة .

الركن الثاني من البعثة الى الهجرة .

والركن الثالث من الهجرة الى الوفاة .

والخاتمة في تاريخ الخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس وغيرهم من السلاطين والأمراء الى جلوس السلطان مراد الثالث . وفرغ من تأليفه سنة ٩٤٠ هـ وقيل سنة ٩٤٦ هـ .

وابتداء بقوله : « الحمد لله الذي خلق نور نبيه قبل كل أوائل ، ثم خلق منه كل شيء من الأعالي والأسافل ، ثم أودعه في الأصلاب الطيبة الحلائل ، ورباه في الأرحام الطاهرة من الرذائل ، وقلبه في الآباء والأمهات الجزائل حتى أظهره من أطهر بيت من خير الشعوب والقبائل .

محمد المخصص بأبين السير وأحسن الشمائل ، المؤيد بأثبت المعجزات وأوضح الدلائل ، — صلى الله عليه وعلى اخوانه المصطفين — أولى أكمل الفضائل ، وعلى آله وأصحابه المقتدين ذوي أجمل الخصائل .

ويقول المستوهب من الله ذي المنن العبد الضعيف الديار بكري هذه مجموعة في سير سيد المرسلين وشمائل خاتم النبيين — صلى الله عليه وسلم — ، انتخبتها من الكتب المعتبرة تحفة للاخوان الكرام البررة وهي : « التفسير الكبير » « والكشاف » وحاشيته للشريف الجرجاني » ، « والكشف والوسيط » « ومعالم التنزيل » و « أنوار التنزيل » « ومدارك التنزيل » وتفسير « القشيري » وبحر اللوم « والنهر » « ولباب التأويل » « وتفسير الحدادي » « وعمدة المعاني » « وزاد المسير لابن الجوزي » وتفسير الينابيع وتيسير الرحمن .. الخ . وسميته « بالخميس في أحوال » « أنفس نفيس » .

قال في المقدمة : انها في الحوادث من أول خلق نوره الى زمان ولادته وظهوره وهي ثلاث طلائع .

(الطليعة الأولى) : في تعريف النبي — صلى الله عليه وسلم — والرسول وأولى العزم والخاتم والفرق بينهم وبين البشر والملك وبين النبي والولي والساحر وفي أول ماخلق الله وما بدا من أنواره قبل وجوده الصوري وخلق طينته قبل طينة آدم وحديث سور الأنبياء وذكر دلائل نبوته وعلامات رسالته من بشائر الكتب القديمة والعلماء المتقدمين وأخبار الجن والكهنة .

(الطليعة الثانية) : في ذكر خلق السماء والأرض ومدة خلقهما وخلق الملائكة والجان وذكر مدة الدنيا وذكر مدة هذه الأمة وابتداء خلق آدم وحواء ، وذكر الروح وذكر عيسى ومريم ويحيى وأخذ الميثاق وكيفية انتقاله من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة وبالعكس وبيان نسبه من الطرفين وذكر مولد ابراهيم وذكر القائه في النار ، وذكر الشام والأرض المقدسة وذكر أولية الكعبة وعدد بنائها ومن تولى بناءها وفيها ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والدجال والخضر ودابة الأرض وبدء ظهور زمزم في زمن

اسماعيل وانطماسها بعده وبقائها منظمة الى زمن عبد المطلب وفيها ذكر يعقوب ويوسف وذكر قتل شعياء وتخريب بختنصر بيت المقدس وقصة قتل زكريا ويحيى وذكر ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثانيا .

(الطليعة الثالثة) : في ولادة عبد الله ونذر عبد المطلب ذبحه وعرض عبد الله عليه وتزوجه آمنة وقصة الخثعمية ووقائع مدة الحمل من وفاة عبد الله وقصة أصحاب الفيل .

وأما الأركان الثلاثة .

(فالركن الأول) : في الحوادث من عام ولادته الى زمان نبوته وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في الوقائع من عام ولادته الى السنة الحادية عشرة من تاريخ ولادته وما وقع حين الولادة وذكر الختان وذكر أسمائه وألقابه وكناه وشمائله وصفاته وخصائصه ومعجزاته وارضاع الأظآر وعددها وما وقع عند حليمة من شق الصدر وغيره وولادة أبي بكر الصديق وفقد حليمة النبي — صلى الله عليه وسلم — في الطريق حين ردته الى أمه ووفاة أمه وولادة عثمان بن عفان وكفالة عبد المطلب ورفده واستسقاء عبد المطلب وحديث سيف بن ذي يزن وذكر سليمان وبلقيس ووفاة عبد المطلب وكفالة أبو طالب وموت حاتم الطائي وموت كسرى أنو شروان وولاية ابنه هرمز السلطنة وخروج أبي طالب عم النبي — صلى الله عليه وسلم — الى الشام وحرب الفجار الاول وشق الصدر على قول .

الباب الثاني :في الحوادث من السنة الثانية عشرة من مولده الى السنة الرابعة والعشرين من ارتحال أبي طالب مع النبي — صلى الله عليه وسلم — الى الشام وذكر رعيه الغنم ومولد عمر بن الخطاب والفجار الثاني وعزم الزبير بن عبد المطلب أو العباس لسفر اليمن وخلع هرمز عن السلطنة وقتله وتولي كسرى برويز السلطنة وحرب الفجار الثاني عند البعض ، وتجارة الشام مع أبي بكر . وحلف الفضول وشكايته الى عمه من آت يأتيه منذ ليال وهدم الكعبة وبنائها في قول بعض العلماء .

الباب الثالث : في الحوادث من السنة الخامسة والعشرين الى السنة الأربعين من مولده — صلى الله عليه وسلم — من خروجه الى الشام مع ميسرة عبد خديجة وقصة نسطور الراهب وتزوج خديجة ووليمته وذكر سائر أزواجه اجمالا وذكر سراريه وأولاده وتزويج بناته وأختانه وولادة علي بن أبي طالب وهدم الكعبة وبنائها وولادة فاطمة وموت زيد ابن عمرو بن نفيل ورؤيته الضوء والنور وقتل كسرى برويز النعمان بن المنذر .

الركن الثاني : في الحوادث من ابتداء نبوته الى زمان هجرته من صفة نزول الوحي ورمي الشياطين بالشهب وانفصام طاق كسرى وأول من أسلم واخفاء الدعوة ووفاة ورقة ابن نوفل واظهار الدعوة وولادة عائشة وهجرة الحبشة وايذاء المشركين ووفاة سمية بنت خياط واسلام حمزة وعمر بن الخطاب ووقعة بعاث وتقاسم قريش على معاداة بني هاشم وبني المطلب ونزول سورة الروم وانشقاق القمر ووفاة أبي طالب وخديجة وذكر ثقيف ووفود الجن وتزوج سودة وعائشة وبدء إسلام

الأنصار وذكر المعراج وفرض الصلوات الخمس وبيعة العقبة الاولى وبيعة العقبة الثانية وهجرة أبي بكر الى الحبشة وبدء هجرة الأصحاب الى المدينة ومشاورة قريش في حبسه أو قتله أو اخراجه — واخبار جبريل اياه بذلك واذنه له بالهجرة .

الركن الثالث : في الحوادث من ابتداء نبوته الى زمان هجرته ووفاته وفيه أحد عشر موطنا — **الموطن الأول :** في وقائع السنة الأولى من الهجرة وفيه فصلان .

الفصل الأول — في خروجه مع أبي بكر من مكة الى الغار ولبثهما فيه ثلاثة أيام وخروجهما من الغار وتوجههما الى المدينة وماوقع لهما في الطريق من ادراك سراقة ومرورهما بخيمتي أم معبد ولقيهما بريدة بن الحصيب ولقيهما طلحة بن عبد الله والزبير ابن العوام في الطريق وموت البراء بن معرور واستقبال أهل المدينة ونزولهما بقباء ولبثهما في بني عمرو بن عوف وتأسيسه مسجد قباء .

الفصل الثاني — في انتقاله من قباء الى باطن المدينة وأول جمعة صليت في الاسلام قبل قدومه باطن المدينة ونزوله على أبي أيوب وسكناه بداره وبناء المسجد وموت كلثوم بن الهدم واسلام عبد الله بن سلام وموت أسعد ابن زراره وابتداء خدمة أنس والزيادة في صلاة الحضر ووعك أبي بكر والصحابة واسلام سلمان والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود وموت العاص بن وائل من مشركي مكة وبعث زيد بن حارثة الى مكة للاتيان بعياله وولادة النعمان بن بشير وولادة عبد الله بن الزبير وذكر فاطمة بنت النعمان وتكلم الذئب وابتداء الغزوات وبعث حمزة بن عبد المطلب الى سيف البحر وسرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ وبعثه بمائتة وبعث سعد بن أبي وقاص الى الحرار وابتداء الأذان . واستطرد شارحا بقية المواطن ، وقال :

ان الخاتمة في كتابه فيها فصلان :

الفصل الاول : في المتفرقات من أرقائه وحرسه وخدمه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه وذكر مواليه وأمرائه ورسله وكتابه ومؤذنيه وخطبائه وشعرائه وحداته وذكر خيله ولقاحه ودوابه وآلات حروبه ولباسه وذكر من وفد عليه .

الفصل الثاني : في ذكر الخلفاء الراشدين وذكر خلفاء بني أمية والعباسيين .

قال رحمه الله في شواهد النبوة :

اعلم أن النبي عبارة عن انسان أنزل عليه شريعة من عند الله بطريق الوحي تتضمن تلك الشريعة بيان كيفية تعبده لله تعالى ، فاذا أمر بتبليغها الى الغير يسمى رسولا وفي (الفتوحات المكية) النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا .

وفي (شرح العقائد العضدية) للشيخ جلال الدين الدواني النبي انسان بعثه الله الى الخلق

لتبليغ ما أوحاه الله اليه والرسول قد يستعمل مرادفا له وقد يختص بمن هو صاحب كتاب فيكون أخص من النبي .

وفى (أنوار التنزيل) الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة محددة يدعو الناس اليها ، والنبى يعمه . ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه النبى — صلى الله عليه وسلم — علماء أمته بهم حيث قال « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » فالنبى أعم من الرسول ويدل عليه أنه سئل — صلى الله عليه وسلم — عن الأنبياء فقال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قيل كم الرسل منهم قال : « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا » وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه ، والنبى غير الرسول من لاكتاب له ، وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى ، والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام .

وفى (العروة الوثقى) كل من كان تصرفه فى ظواهر الخلق فهو سلطان . وكل من كان تصرفه فى ظواهر الخلق وبواطن المؤمنين به مؤيدا من عند الله مستغنيا بنفسه فى التلقى من ربه عن بشر مثله فهو نبى . فالنبى سلطان فى الظاهر ولى فى الباطن مستغن فى ارشاد الخلق عن بشر مثله فاذا اجتمعت السلطنة والولاية فى شخص واحد انتشر العدل فى الظاهر والباطن ويتم أمر معاش الناس ومعادهم على نحو أكمل وأفضل . والرسول عام يطلق على الملك والبشر . والنبى خاص لايطلق الا على البشر .

وفى (معالم التنزيل) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر كما مر ، والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا .

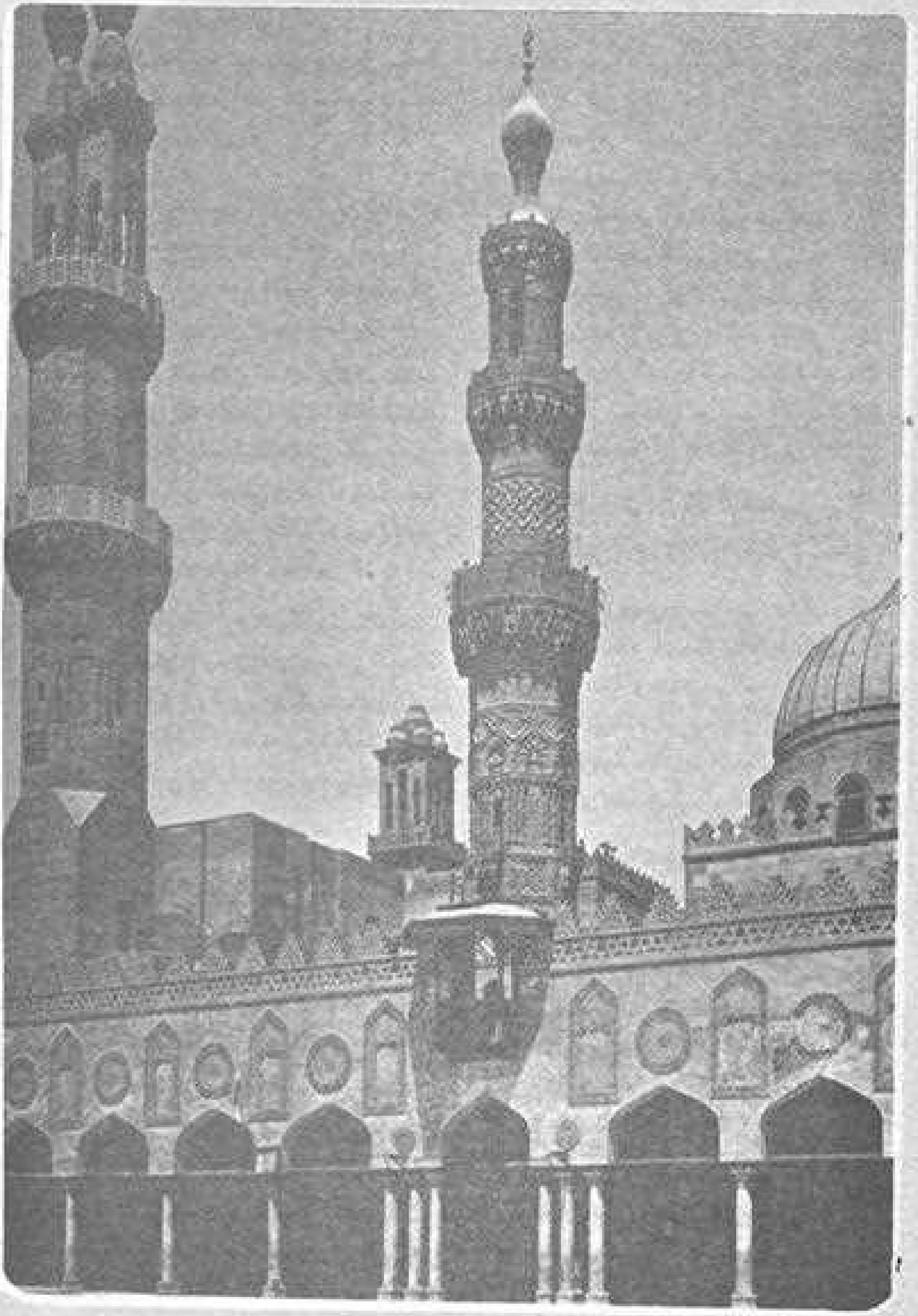
وفى (الينابيع) روى الكلبى عن كعب الأحبار أن عدد الأنبياء ألفا ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفا ، والرسل ثلثمائة وثلاثة عشر ، وفى (العروة) لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن ويؤيده قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ) ..الخ .

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلدين بقلم معتاد ، بخط عبد الرحمن يحيى ابن مسعود سنة ١١٣٤هـ ، والجزء الأول عدد أوراقه ٤٤٧ ورقة والجزء الثانى يقع فى ٢٩٦ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا ، والنسخة بحالة جيدة يمكن قراءتها فى يسر وسهولة .

ومكتبة الأزهر لاتدخر وسعا ولا تألو جهدا فى تقديم وتعريف ما تحويه من المخطوطات النادرة التى تعتبر فريدة فى نوعها لا نظير لها فى المكتبات الأخرى . وعسى أن تجد بين المهتمين باحياء تراثنا القديم من يعنى بنشرها بعد ان ظلت حبيسة الخزائن ومجهولة حتى لبعض الخاصة .

والله ولى التوفيق .

مدير : مكتبة الأزهر
محمد عمره على



اللغة والأدب والنقد

حتى الابتدائية

شوقي بين مجد الإسلام
وعظماء رجاله

في حاشية الأمير

الإسلام على مفترق الطرق

حتى الابتدائية

الاستعمال الثالث لحتى أن تكون حــرف ابتداء ، اى تبتدىء بعده الجمل وتستأنف ، فتدخل على الجملة الاسمية كقــول جرير بن ــ عطية :

فمــا زالت القتلى تمج دمــاءهــا
بدجلـة حتى مــاء دجلة اشــكل

وقول الفرزدق :

فواعجبــا حتى كليب تسبنى
كأن اباهــا نهشــل أو مجاشــع

ويتعين تقدير محذوف قبل حتى فى البيت الثانى يكون مابعد حتى غاية له ، اى : فواعجبا يسبنى الناس حتى كليب تسبنى ، كما تدخــل على الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع كمــا فى الآية الكريمة (وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؟) برفع يقول فى قراءة نافع ، وقول حسان بن ثابت فى مدح آل غسان :

يغشــون حتى ما تهــر كــلابهم
لا يسألون عن الســواد المقبــل

وعلى الجملة الفعلية التى فعلها ماض كقوله سبحانه : (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ، وَقَالُوا .. الخ) وقد دخلت حتى على الجملتين الاسمية والفعلية فى قول امــرىء القيس :

سريت بهم حتى تكــل مطيهم
وحتى الجياد مايقدن بأرســان

حيث روى برفع تكل ، والمعنى : حتى كلت مطيهم ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حــكاية الحال الماضية ، كما روى أيضا بنصب تكل على تقدير أنها جارة ، وعلى النصب لابد من تقدير زمن مضاف الى المصدر المؤول أى الى زمــن كلال مطيهم وقد تجىء حتى فى موضع تصلح فيه لاستعمالاتها الثلاثة (الجــر ، والعطف والابتداء) ويكون الاسم بعدها قابلا لأحوال الاعراب الثلاثة (الجر والنصب والرفع) نحو: أكلت السمكة حتى رأسها ، فيجوز فى رأســها الجر على تقدير أنها حرف جــر مثــل الى ،

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

والنصب على تقدير أنها عاطفة بمعنى الواو ، والمعطوف عليه (السمكة) مفعول به ، كما يجوز الرفع على أنها ابتدائية ، ورأسها حينئذ مبتدأ خبره محذوف يدل عليه جملة أكلت السمكة والتقدير حتى رأسها أكل أو مأكول .

وقد روى بالأوجه الثلاثة قول الشاعر :

عممتهم بالندى حتى غواتهم ..
فكنت مالك ذى غى وذى رشد

وقول الآخر أيضا :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله
والزاد حتى نعله ألقاها

الا أن الرفع فى البيت الأول شاذ لما يستلزمه من وجود مبتدأ بغير خبر فيترتب عليه تهيئة العامل للعمل ثم قطعه عنه بغير سبب ، وأن النصب فى البيت على وجه واحد فقط ، وهو تقدير عامل ناصب يفسره الفعل قبل حتى ، وهو عممتهم بالندى ، أما فى البيت الثانى فالنصب فيه على تأويلين :

أحدهما : اعتبار حتى عاطفة كالواو ، ونعله معطوف على الصحيفة .

والثانى : على اضمار عامل ناصب يفسره العامل المذكور بعد حتى وهو ألقاها والتقدير : حتى ألقى نعله ، ألقاها . أما الجر فى البيتين فعلى تقديرها حرف جر كالى معنى وعملا واذا قلت رجع المهاجرون حتى خالد رجع ، جاز لك فى خالد ، الرفع والجر وامتنع النصب والرفع جائز على أوجه ثلاثة :

الابتداء ، وتكون جملة رجع خبر المبتدأ .

والعطف وتكون جملة رجع الأخيرة مؤكدة للجملة قبل حتى .

والوجه الثالث : اضمار فعل يعمل الرفع فى خالد وتكون رجع الأخيرة مفسرة للعامل المضمر وعلى الجر كذلك تكون الجملة الأخيرة مؤكدة لجملة (رجع المهاجرون) المتقدمة .

وزعم بعضهم ، أنه يمتنع أن تقول : ضربت القوم حتى حافظ ضربته ، بالجر أو بالنصب على العطف ، وانما يجوز الرفع على الابتداء أو النصب باضمار فعل ناصب ، وتكون ضربته مفسرة للعامل المضمر ، لأنه يمتنع حينئذ جعل ضربته توكيدا لضربت القوم ، لاختلاف المعمول فى كلتا الجملتين ، وانما جاز الجر فى حتى نعله ألقاها لأن الضمير فى ألقاها راجع

حتى الابتدائية

للصحيفة ، ولايجوز على الجر أن يقدر أنـه راجع للنعل .

والجملة بعد حتى الابتدائية لا محل لها فى الاعراب خلافا للزجاج وابن درستويه فقد زعما أنها فى محل جر بحتى ، ويمنع ذلك أن حروف الجر لاتكف عن العمل ، وأنها انما تدخل على المفردات أو ما يمكن تأويله بالمفرد كالمصدر المؤول ، واذا وقعت (ان) بعد حتى كسرت همزتها ، نحو : التهبت الأسعار حتى ان كثيرين عجزوا عن شراء الضروريات ، علما بأن القاعدة أن حرف الجر اذا دخل عـلى (ان) فتحت همزتها ، نحو قول الله تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) .

وقوله سبحانه : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقوله : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ، وقوله أيضا : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ) وقوله : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) ، ومثل قول الشاعر :



بكل تداوينـا فلم يشـف ما بنـا
على ان قرب الدار خير من البعـد

ولأن حتى لها كل هذه المعانى المختلفة والاستعمالات المتنوعة ، وان مابعدها ـ اسما كان او فعلا يأتى منصوبا ومرفوعا ومخفوضـا أيضـا اذا كـان اسـما ، لهذا قال الفراء : أموت وفى نفسى شىء من حتى .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

"شوقي"

بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

للأستاذ الدكتور
محمد سلامه صالح

لكم تستخف بالأمة العربية الاسلامية نشوة السعادة كلما اسفر التنقيب فيها عن منجم ذهبى ، أو منبع بترولى ، ولو أدركت تلك الأمة أنها ليست أقل حاجة الى الكشف عن قيمها ، وتاريخها من حاجتها الى الذهب والماس لشرعت تنقب فى ماضيها الغارب عن بناة مجدها ، أولئك الآباء الذين أنبتتهم الصحراء بدوا ، رعاة ابل وشاه ، ثم انتشروا فيها أسودا رعاة أمم وما كان لهم من ثراء الا أصالة القيم المستمدة من مناجم العقيدة.

كان من الصعب على أى انسان أيا كان حظه من الذكاء أن يصدق للوهلة الأولى أن رجلا يمشى نفرا من العبيد البدو المستضعفين فى الأرض بملك كسرى ، وقيصر ، أى بما يعادل حينئذ القوتين السائدتين فى زمننا هذا (أمريكا) و (روسيا) . وربما استبدت السخرية بمن يصغى الى ذلك فاغرب فى الضحك ، كما كان يحدث آنذاك من وجهاء القوم ، وسادتهم ، لكنها العقيدة ، أقوى من أن تصد ، وأعظم من أن يشال من أصحابها .

العقيدة التى تجعل ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، يقول لصاحبه المطارد معه فى ثبات أقوى من الطود « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »[1] واذا ليل المحن ينبثق عن أعظم مشاهد العظمة ، وأجل مواقف الانتصار .

قوة (الله ان تولت ضعيفا
تعبت فى مراسه الأقوياء (٢)

---

(١) سورة التوبة : ٤٠

(٢) الشوقيات : ١/ ١٤ ، و «ديوان شوقى»: ١/ ١٨٤ .

"شوقي" بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

فما للبدو بعد من حاجة الى رعى الابل ، وقد الفوا رعى الأكاسرة والقياصرة .

لقد أمدتهم العقيدة بفيض من نفحاتها ، فاستجابوا لها مذعنين لأهدافها مدافعين عن مبادئها ، حتى أصبحوا مثلا عليا ، ونماذج خالدة للمجد الانسانى ووصفهم القرآن الكريم بأنهم « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » (١) .

ويستبد جهادهم بشاعرية (شوقى) ، وينال وصف القرآن لهم من نفسه . فيقول ، مشيدا بدفاعهم عن العقيدة فى قصيدة (كبار الحوادث) !

وحماها غر كرام أشدا
ء على الخصم بينهم رحماء (٢)

بهؤلاء أسس أعظم العهود ، وبنيت أرقى المدارس فـ « لم يعرف التاريخ عهدا أغنى بنوابغ الرجال من عهد (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ولا مدرسة أخصب من مدرسته التى ظلت بعد هجرته تمد (النبى) العظيم بعبقرى اثر عبقرى .

فشهدنا مدرسة العدل والحقوق تمده برجالات هم مفخرة المثل العليا ، والكمال الخلقى يتزعمها (أبو بكر) وعمر .

وشهدنا المدرسة العسكرية تزدهر بقواد يفخر بهم الفن العسكرى يقودهم خالد بن الوليد ، و أبو عبيدة بن الجراح .

ورأينا مدرسة الفقه ، والبلاغة تزدهى بأمثال (على) و (ابن عباس) وكان نصيب المدرسة السياسية جزلا موفورا بنوابغ من السياسيين (٣) على رأسهم (معاوية بن أبى سفيان) ، و (عمرو بن العاص) ، وغير ذلك كثير .

وبذلك تمت ارادة (الله) عز وجل ، فبنى على يدى (محمد بن عبد الله) ــ صلى الله عليه وسلم ــ منذ أكثر من ألف سنة بيتا يسكنه الى اليوم مئات الملايين ذلك هو الاسلام » (٣) .

ــ ٢ ــ

هذه الأمة الاسلامية بتاريخها العريق ، ومجدها الفريد ، وعظمائها الأفذاذ ، وقادتها الأشاوس ، وحضارتها الانسانية ، ومدينتها الزاهرة قد استبدت باعجاب (شوقى) ، واستحوذت على مشاعره فى كل مناسبة فراح يشيد بتاريخها ، ومواقف أبطالها ، ويزهى بمجد حضارتها مترجما عن مشاعر العرب والمسلمين ، وازدهائهم بتلك المواقف والبطولات ، والحضارة والمدنية .

لقد قرأنا مدائحه النبوية فى (الرسول) الكريم ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، ورأينا كيف أعجب بشخصيته الفذة ، ومواقفه الخالدة ، وجهاده فى سبيل تبليغ دعوة (الله) ونشر رسالته ، واعلاء كلمته ، وما أسسه من

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ .
(٢) الشوقيات : ١٥/١ ، و (ديوان شوقى) : ١٨٥/١ .
(٣) أدب العروبة ــ من مقال (حنفى محمود باشا) تحت عنوان : « الهجرة » : ٥٤ ــ ٥٥ طبع جامعة أدباء العروبة (١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م)

قواعد التوحيد ، والحق ، والخير للبشرية جمعاء .

١ ــ وها هو ذا يشيد بمواقف أصحاب (رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ) في غزوات الفتح ، وتأسيس الدعوة ، ونصرة الحق ، وإرساء أسس حضارة الدولة الاسلامية ، وقوتها ، ومنعتها .

يقول من قصيدته (الهمزية النبوية) :

كم من غـزاة (للرسـول) كريمة
فيها رضى للحـق أو اعـــلاء
كانت لجند (الله) فيهـا شـدة
في اثرهـــا للعـــالمين رخـاء
ضربوا الضـلالة ضربة ذهبت بها
فعلى الجهالة والضـلال عفــاء
دعموا على الحرب والسلام وطالما
حقنت دمـاء في الزمان دماء (١)

٢ ــ ويشيد بالامة الاسلامية ، ومجدها العريق ، وبيانها المعجزة وما حملته للبشرية من هداية ، ورشاد ، وحق ، وعدل حتى يحفز الهمم ويثير العزائم للمحافظة على ذلك المجد ، واستعادة سلطانه ، وعزه .

يقول في قصيدة (كبار الحوادث) :

امة ينتهـي البيـــان اليهـــا
وتـؤول العلـــوم والعلمـــاء
جـــازت النجـم واطمانت بأفق
مطمئن بـــه الســنى والسنـاء
كلمــــا حثت الركـاب لأرض
جـــاور الرشـد أهلهـا والذكاء
وعلا الحق بينهم وسـما الفضـ
ــل ونالت حقـــوقها الضعفاء
تحمل النجم والوسـيلة والميـ
ــزان من دينهـا الى من تشـاء
وتنيـل الوجـود منـه نظـــاما
هو طب الوجـود وهـو الـدواء
يرجع النـاس والعصـور الى ما
سـن والجـاحدون والاعـداء
فيه مـا تشـتهى العزائم ان هــ
ــم ذووهـا ويشتهي الاذكيـاء
فلمن حـــاول النعيـم نعيـم
ولمن آثـر الشـقاء شـقاء
ايرى العجـم من بنى الظـل والما
ء عجيبـــا أن تنجب البيـــداء
وتثير الخيـــام آســاد هيجا
ء تراهـــا آســادها الهيجـاء
ها أنـامت على الســواعد حتى
الأرض طرا في أسـرها والفضاء
تشهد (الصين) و (البحار) و (بغدا
د و (مصر) و (الغرب) و(الحمراء)

ذلك هو ماضى الامة المجيد يستحضره الشاعر عظة للحاضر ، ومن أولى من (شوقي) الشاعر المسلم المؤرخ يبعث ماض غدا حلما من الاحلام لقد كانت « الامة العربية أمة ينتهى اليها البيان ، وتجد فيها العلوم صدورا منشرحة فهى تقبل عليها بطبيعتها وتقيم وزنا للعلماء حيث كانوا ، فكانت كلما استولت على قطر اعتز العلم فيها وربا ونشأ فيه العلماء

---

(١) (المؤيد) ٧ مارس سنة ١٩١٢ ؛ الشوقيات : ٢٨/١ و (ديوان شوقي) : ٦٠٤/١
(٢) الشوقيات ١٥/١ ــ ١٦ ، و (ديوان شوقي) : ١٨٥/١ ــ ١٨٦ ، والحمراء قصر العرب المشهور بالاندلس .

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

الفحول ، وعلت راية الحق ونال كل انسان مايستحقه بعمله ، واضمحلت الطبقات ، وارتفعت الفروق .. فالعرب حملوا العدل الذى فى دينهم ، الى الامم التى استولوا عليها ، وأثاروا فيها حب العمران ، والسعى فى مناكب الارض ، وصار هذا الدين نظاما للوجود ، يرجع الناس اليه فى أمور الدنيا والعقبى .

ولم يكن عجبا أن أبناء الصحراء يفوقون أبناء الظل والماء ، ويستردون منهم ممالكهم ، فطالما كانت الصحارى مواطن الآساد ، فما ثارت هذه الآساد من بادية العرب ، حتى رأينا الأقطار فى ملكهم من (الصين) شرقا الى (المغرب) و (الأندلس) غربا ... (١)

وكيف لا يزهى شاعر الأمة بهؤلاء الأمجاد ، دامغا ببطولتهم مفتريات الاعداء ، فقد تساوى الموت عندهم والحياة ، فما لعدو من سبيل الى النيل منهم :

هكذا المسلمون والعرب الخا
لون لاما يقوله الاعداء
فيهم فى الزمان نلنا الليالى
وبهم فى الورى لنا انباء
ليس للذل حيلة فى نفوس
يستوى الموت عندها والبقاء(٢)

٣ ــ وفى منظومته (دول العرب وعظماء الاسلام) يعتز بما أنجز (الله) لنبيه من وعد بالنصر والفتح ، حتى ساد قومه العالم ، وملكوا الدنيا ، وما يزال دينهم يجابه الأحداث ويتحدى الاعداء ، وما تزال لغتهم قوية متينة ، تنضح بالبيان المعجز ، والبلاغة الآسرة :

وانجز (الله) النبى وعده
وساد قومه الزمان بعده
واتخذوا كل القرى أوطانا
وحاسنوا الأهلين والقطانا
حتى انقضى سلطانهم وزالا
وفضلهم باق ولن يزالا
ودينهم بين الشعوب دينهم
يعيى على الايام من يدينهم
وذلك اللسان باق لم يزل
يمضى عليه من جلا ومن نزل (٣)

٤ ــ ويروعه حال المسلمين اليوم ، وماصاروا اليه من ضلال وضعف ، فيذكرهم بماضى الاسلام ، ومجده التالد ، وبطولة عظمائه ، ومواقفهم الخالدة ، موضحا مآثر الاسلام فى عزة أهله ، ونشر قواعد المساواة والحق والعدل بين أتباعه ، مبينا أن ما أصابهم انما هو من انحرافهم عنه ، وبعدهم عن تعاليمه ، وغفلتهم عن كتابه وسنته .

يقول فى قصيدة (مرحبا بالهلال) عام (١٣٢٩ هـ ــ ١٩١١ م) :

امم الهلال : مقلة من صادق
والصدق اليق بالرجال مقالا

---

(١) (شوقى) أو صداقة اربعين سنة : ١٩٠ ــ ١٩١ .

(٢) الشوقيات : ١٧/١ ، و (ديوان شوقى) ١٨٨/١ .

(٣) دول العرب وعظماء الاسلام : ١٨ .

متلطف في النصح غير مجادل
والنصح اضيع ما يكون جدالا
من عادة الاسلام يرفع عاملا
ويُسَوِّدُ المقدام والفعالا
ظلمته السنة تؤاخذه بكم
وظلمتموه مفرطين كسالى
هذا هلالكم تكفل بالهدى
هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرت الحضارة حقبة في ضوئه
ومشى الزمان بنوره مختالا
وبنى له العرب الاجاود دولة
كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعوا له فوق الشمال دعائما
من علمهم ومن البيان طوالا
(الله) جل ثناؤه بلسانهم
خلق البيان وعلم الامثالا
وتخير الاخلاق احسنها لهم
ومكارم الاخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة
والأسد بأسا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما
ذهبوا يمينا في الورى وشمالا
والعدل في الدولات اس ثابت
يفنى الزمان وينفد الاجيالا
أيام كان الناس في جهلاتهم
مثل البهائم ارسلت ارسالا
من جهلهم بالدين والدنيا معا
عبدوا الأصم واَلَّهُوا التمثالا
ضلوا عتولا بعد عرفان الهدى
والعقل ان هو ضل كان عقالا
حتى اذا انتسموا تقوض ملكهم
والملك ان بطل التعاون زالا (١)

٥ ــ ولكم آثار الخلفاء الراشدون ، ومن سلك مسلكهم من الحكام والولاة اعجاب الشاعر ، فتناولهم جملة وتفصيلا ، مشيدا بقوة ايمانهم ، وصدق بلائهم ، ونصرتهم الحق ، واقامتهم العدل ، كما يقول من قصيدة (نهج البردة) عام ١٩١٠ م :

خلائف (الله) جلوا عن موازنة
فلا تقيسن أملاك الورى بهم
من في البرية (كالفاروق) معدلة ؟
و (كابن عبد العزيز) الخاشع الحشم
وكالامام اذا ما فض مزدحما
بمدمع في مآقي القوم مزدحم
الزاخر العذب في علم وفي أدب
والناصر الندب في حرب وفي سلم
أو (كابن عفان) والقرآن في يده
يحنو عليه كما تحنو على الفطم
ويجمع الآي ترتيبا وينظمها
عقدا بجيد الليالي غير منفصم
جرحان في كبد الاسلام ما التأما :
جرح الشهيد وجرح بالكتاب دمي (٢)
وما بلاء (أبي بكر) بمتهم
بعد الجلائل في الافعال والخدم
بالحزم والعزم حاط الدين في محن
أضلت الحلم من كهل ومحتلم (٣)

---

(١) الشوقيات : ١/٢٢٢ ــ ٢٢٣ ، و (ديوان شوقي) : ١/٦٩٣ ــ ٦٩٤ .

(٢) الشهيد : (عثمان رضي الله عنه) ، وجرح بالكتاب دمي : أي دمي به الكتاب وقلب للمبالغة لانهم حين ضربوه بالسيوف والمصحف في حجره سال الدم عليه .

(٣) الشوقيات : ١/٢٥٦ ، و (ديوان شوقي) : ١/٦٢٢ ــ ٦٢٣ .

شوقي بين مجد الاسلام وعظماء رجاله

٦ ــ وفي المنفى حيث التأمل والفكر بين ماض مجيد ، وحاضر غارب ــ يتحدث عنهم في أرجوزته (دول العرب وعظماء الاسلام) فاذا .

هم النجوم في سماء غالب
ومطلع الهادي المنير الغالب
ما منعوا (الله) ولا نبيه
قياد نفس سمحة أبية
قد كفلوا الاسلام في صباه
فايهم نادى دعا اباه
بالنفس والنفيس ايدوه
وبالقنا والرأى شيدوه
لا يعقدون في الجباه المسجدا
بل التراب المليك سجدا
وتحت اقدامهم التيجان
ينـد بها اللؤلؤ والمرجان
كسرى ببطن عطل المفرق
وقيصر يندب تاج المشرق (١)

ثم يفصل القول عن كل منهم على حده (فابو بكر) رضى (الله) عنه آثره (الرسول) بامامة الدين ، فكان بامامة الدنيا اجدر ، وأيد بالقضاء على فتن المرتدين ، فأعاد للسلم علمها الخفاق ، كما شغف حبا بالفتوح ، فانساحت كتائب (الله) تحت لوائه ، تنشر الدين في ميادين النصر ، فهو السباق الى التصديق ، الرفيق في الغار المعتق للرقيق ، الباذل ماله في سبيل (الله) :

لما اهاب (بالرسول) الداعي
وآذن الجثمان بالتداعي
ولى (ابا بكر) على الصلاة
وتلك عليا رتب الولاة
اصابت الفتنة والحبائل
ونكصت بعد الهدى القبائل
وثاب اقوام الى الأوثان
وقام غاو وتلاه ثان
اعين بالتأييد والتسديد
وفتية بنوا من الحديد
ورفت السلم على الجزيرة
صافية حياضها غزيره
وحبب الفتح الى الامام
لابد للبنيان من تمام
فانساحت الكتائب انسياحا
ارسلها من يرسل الرياحا
فيا اخا الضراء والشدائد
والناس اخوان لدى الفرائد
وسابق الآل الى التصديق
وآوى الغار مع الصديق
ويا رحيما قلبه رقيقا
بماله كم حرر الرقيقا
ومن قضى بعد غنى فقيرا
لم يجدوا في بيته نقيرا
ذهبت بالخير وأتعب (عمر)
يا ويح من بعد (ابى بكر) امر (٢)

و(عمر) رضى (الله) عنه اسلامه عز للدين وهو حصن للحق ، قاد العرب بالعدل ، فمضى

---

(١) دول العرب : ٣٣ ــ ٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥ ــ ٣٧ .

بهم الى أبعد الغايات ، ثم هو رفيق باليتامى ، منصف للسوقة من الملوك ، للحق فتوحه ، والجزل بعض حباته ، وهو اسكندر الخيل استجاب السحاب لاثبات الفتح عنده ، فوصلوا (الكوفة) (بالفسطاط) فتح أبى ، ممتد المدى ، مؤكد للسلام :

اسلامه للدين كان عزا
رنح عطف (المصطفى) وهزا
عابوه بالشدة وهى حسن
فى رجل للحق منه حصن
بالعدل والدرة طار بالعرب
وسار فى الجو بهم وفى السرب (١)
خليفة يعس فى الاعتام
ويطبخ الطعام للأيتام
طريقه فى العدل قط ما سلك
من ذا قضى لسوقة على ملك (٢)
فتوحه للحق فضل البارى
والجزل من حباته الكبار
اسكندر الخيل وان لم يركب
الأرض من أيامه فى موكب
ثوى وساق نجب السحاب
بورك فى البحر وفى السحاب
تعهدوا الفتح بالاختطاط
ووصلوا (الكوفة) (بالفسطاط)
فتح يرى الحوادث الاباء
اذا الفتوح أصبحت هباء
أهدى على الدهر الى الاسلام
ما بين أعلى (النيل) والسلام (٣)

وعن مآثر (عثمان) رضى (الله) عنه يحدثنا الشاعر مهللا بكتائب النصر ، وهى تمضى تحت لوائه ، فاذا البر مطوى بأقدام الجنود ، والبحر خاضع لأعلام السفن ، فأضحى بعيد البر قابيا ، وغدا البحر بحر العرب :

يا حبذا ولاته الاخيار
ورأيه فيهم والاختيار
يضاف مرفوعا الى الامام
اضافة البدر الى التمام
فيتان ملك وبنو خلافة
قد صدقوا الابوة الخلافة
قد فتحوا (قبرس) للامام
بالسفن المزجاة كالغمام
فاصبح العاصى من البر اقترب
وصار بحر الروم لجة العرب
وخفقت كتائب الاسلام
فى البحر أعلاما على أعلام (٤)

وفى حديثه عن الامام (على) كرم (الله) وجهه ــ تناول جهاده فى الحق ، وزهده فى

---

(١) السرب : المسلك فى خفية .

(٢) يشير الى قصة (جبلة الأيهم) آخر ملوك العرب ، الذى وفد ــ مسلما على عمر رضى الله عنه فى اربعين الفا من جيوشه ، وحين لطم اعرابيا وطىء ثوبه اثناء طوافه واستعدى الأعرابى (عمر) ، أمره ان يقتص منه ، فاستبد (بجبلة) كبرياء الملك وتساءل : كيف يقتص منى ، وانا ملك ، وهو سوقة ؟ فقال (عمر) قد سوى الاسلام بينكما ، ولم يحابِ بما كان من ردة الملك وجيوشه تحقيقا لمبدأ مساواة الناس امام العدل الاسلامى . راجع : الشعراء الثلاثة : (شوقى ، بطران) ، (حافظ) ــ تصنيف الاستاذ (حسن السندوبى) : ٤٢١ مطبعة المكتبة التجارية (١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٢) .

(٣) دول العرب : ٣٩ ــ ٤٣ .

(٤) المصدر السابق : ٥١ .



الدنيا ، ومنزلته في القضاء ، والافتاء :

اما الامــام فالاغــر الهادى
حــامى عرين الحــق والجهــاد
وازهــد النــاس وفى الدنيــا يده
واخشع العــالم وهو ســيده
وجامع الآيــات وهــى شــتى
وســدة القضــاء باب الافتــا[1]

وتحقيقا لهدفه هذا تناول بالحديث مختلف الشخصيات الاسلامية التي أثارت شاعريته ، (فخالد بن الوليد) عنده رجل جمع بين بأس السيف ، ونور الهداية ، غذته الجاهلية اقداما ، وسما بالاسلام أدبا ، ســديد الرأى ، عالى الهمة ، بعيد الغاية ، فالتوفيق حليفه ، والنصر رفيقه :

المقتــدي بحــده من مظلمــة
والمهتدي بنــوره في المظلمــة
نفس غذتها الجــاهلية الدمــا
وارضــعتها جــراة ومقــدما
فكــان مــن عنــاية الســلام
به اكتساب ادب الاســـلام

مــوفق الآراء والـــرايات
مطــق الهمــة بالغــايات
اذا غــزا عــن (النبى) او سفر
اقتــرح النجح عليــه والظفــر

فما مضى في مــوطن اوهمــا
الا وكــان اسـما على مســمى
وقــاتل الكذاب في المعــارك
وكــل افــاك لــه شــارك

ايــامه مشــهورة في (فارس)
مسـطورة في صحف الفوارس
خــاض بهــا الوقــائع الكبــارا
وفتح (الحيرة) و (الأنبــارا)

خلى (العراق) وتولى (الشاما)
نجمــا لاهــوال السرى جشــاما

اقبــل ســيف (الله) يزجى جيله
ويل (هــرقل) منــه ثم ويلــه
يــوم (كبدر) في الفتوح منزلــه
امسى (هرقل) بعده لا عز له (1)

---

(1) المصدر السابق : ٥٢ .

في حاشية الأمير

للأستاذ السيد حسن قرون

الشاعر سحيم :

-٢-

الذين عاشوا في حاشية الأمير والذين مازالوا يعيشون فيها من أمثالي يرون أن قصر الأمير بأجنحته أجل وأفسح من قصور « ألف ليلة وليلة » ، وأكثر عطاء من قصور الخلفاء والأمراء في الشرق والغرب ، فقد ضمت جمال الواقع وتهاويل الخيال على السواء ، وقد أعدت في أجنحة القصر وأبهائه دفاتر يوقع فيها كل من زار القصر فالحاشية ــ كما قلت في المقال الاول ــ تعتبر في نظري ، وبعيدا عن المبالغة ــ كتابا أنشىء على « المغنى » فيه عالم يموج بحلو الكلام وطريف الاحاديث وبديع المعاني .

وقد أفرغ الشيخ محمد الأمير الأزهري الكبير كل ماحصله من علم وأدب ونقد وبلاغة ونحو وصرف ، وفقه ورياضيات ، وقد بنى كل أولئك على ماجاء في المغنى من الشواهد والامثلة ، فهو يعلق عليها ويذكر تاريخ صاحبها .

وقد جاءت الشواهد والأمثلة ممثلة لكل من يحتج بشعرهم من العصر الجاهلي والاسلامي ولكل من أتى بعد ذلك من الشعراء والأدباء الى عصر الامير (مطلع القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن التاسع عشر الميلادي) وكذلك فعل مع النحاة ، انه معهم في مواطنهم من البصرة الى الكوفة الى بغداد ، ثم الى القاهرة وشمال افريقية ، ويطيل الوقوف مع نحاة الأندلس على توالي العصور ، ويؤرخ لكل نحوى بايجاز ، ولولا الايجاز لجاءت الحاشية في أسفار لا في سفر واحد ، وايجازه من نوع « ماقل ودل » .

منهج الأمير

ومن خصائص منهجه أنه يهتم بالنص الشعرى وقد يطيل في ايراده فيأتي على معظم القصيدة التي حوت الشاهد أو المثال ، وهو مولع بالطرائف يثبتها ويزيد عليها ماجد من ملح ولطائف انه أديب ذواقة وشاعر مرهف الحس أدركته حرفة النحو ومسالك الفقه ، ولو أتيح له ما أتيح لنا في عصرنا هذا من

احياء التراث وطبعه ، والاتصال بالغرب ومحدثاته فكان له من كل ذلك جولات وجولات يتجلى فيها ذكاؤه اللماح وأداؤه الممتاز ، ولكان لنا من شعره مايشوق ويروق .

ولو كنت أملك صحة وشبابا ومالا لاستخرجت ما كتبه فى الحاشية ، وطبعته كتابا مستقلا منوها بالأساس الذى قام عليه بناؤه حتى يقف الدارس على كل ماجاد به فكره الثرى من آراء وأداء ، ولكن مالايدرك كله يكفينا منه ما يشحذ الذهن ويشرح النفس وينعش الفؤاد وسأختار بعض ما حبب اليه من طرائف وملح ، وما أضافه من معارف ولطائف ، لأن «مجلة الأزهر» مجلة علمية ثقافية وليست كتابا ، ففى ضوء أهدافها تذكر ما تذكر .

مدى التزام المنهج

وعجيب أمر مولانا الأمير ففى مقدمة الكتاب جاءت اشارات مقتضاها حديث عن المغنى ومنهجه وأنه لا يعنى بتفصيلات النحاة ولكن الامر كان غير ذلك ، وكانت شواهد فى البدء تتصل بجرير والفرزدق ، ومعنى هذا أنى ابدأ بطرائف بنى تميم ، ومعروف أن بداية الشعر العربى وقصائده المطولة كانت (لعدى بن ربيعة) أخى كليب ، المشهور بمهلهل ، وعند العامة (الزير سالم) .

وقد احتدم الحوار فى قصر الامير حين عقدت جلسة الأدب .

من له حق الأولوية ؟ .

اعدى أم غيره ؟

لكن حدثت مفاجأة قلبت الأمر تماما ، فقد أعلن الشاعر سحيم بن وثيل الرياحى أنه أحق الشعراء بالبدء به ، فقد نشرت مجلة العربى لكاتب لغوى (١) أن الشاعر سحيما « شاعر حبشى بليغ فى العصر الأموى » كسر نون « الأربعين » الملحقة بجمع المذكر السالم فى قوله :

وماذا يبتغى الشعراء منى .

وقد جاوزت حد الأربعين .

وأنه يحتج على هذا النسب «حبشى» قال : وأطلب من الجمع تصحيح نسبى وبيان عصرى ، فوافق الحاضرون بالاجماع وهنا أعلن الأمير ما دونه فى نسب سحيم وعصره : استشهد المغنى لحذف الموصوف وبقاء الصفة ولو كانت غير مفردة بشطر البيت :

« انا ابن جلا وطلاع الثنايا »

وبين المطلوب بقوله : أى أنا ابن رجل جلا الأمور ومعنى هذا أن « رجل » هو الموصوف المحذوف ، وجملة « جلا الأمور » هى الصفة .

وكان شرح الامير : وقيل معنى « جلا » اشتهر واتضح فهو لازم .

وقيل هو علم محكى منقول من الفعل وضميره مستتر فحذف تنوينه للحكاية على حد قوله الآخر فى رواية ضم (يزيد) .

نبئت أخوالى بنى يزيد

ظلما علينا لهم فديد

ولو نقل الفعل وحده لصرف ، لأنه كحجر

---

(١) صفحة لغة بقلم محمد خليفة التونسى — العدد ٣٠٢ .

وشجر ليس من وزن الفعل بخلاف يزيد .
وهنا انتهى من النحو ودخل فى الطرائف والتعريف بالشاعر فقال : ولبعضهم .

جلا المسواك سن الثغر منه
فجمل بذاك واكتسب المزايا
وانشد قومه تيها وعجبا
« انا ابن جلا وطلاع الثنايا »

وأراد الشاعر أى سحيم الأصل بالثنايا الأمور الصعبة وتمامه :

« متى اضع العمامة تعرفونى »

واليه يشير بعضهم فى التشبيب :

وتنكرنى ليلى وما خلت انه
اذا وضع المرء العمامة ينكر

أراد الأصل وضع العمامة للحرب .

والبيت لسحيم بن وثيل تصغير «الأسحم» وهو الأسود .

و « وثيل » كأمير كما فى القاموس أصله الحبل .

« الرياضى » بالتحتية أى « الياء » شاعر مخضرم .

قال ابن دريد : عاش فى الجاهلية أربعين سنة وفى الاسلام ستين سنة ، وبعد البيت :

وان مكاننا من حميرى
مكان الليث من وسط العرين

ومن أبياتها :

« وماذا تبتغى الشعراء منى » البيت

وأقول وتمامه :

« وقد جاوزت حد الاربعين »

سحيم فى الجاهلية :

والأمير هنا بين لنا أنه مخضرم ــ والمخضرم كما هو معلوم : من يدرك عصرين أو عهدين مأخوذ من الخضرمة وهى الاتساع أدرك الرجل الجاهلية فعاش فيها أربعين سنة وجاء الاسلام فعاش حتى زمن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم عاش الى عهد معاوية رحمه الله .

وقد ذكرت ابن أبى طالب لموقفه من حادثة حدثت للشاعر سحيم ، وسأذكرها بعد أن أذكر نسبه فسحيم ليس حبشيا بل هو عربى قح من ذوائب بنى تميم . وأقرب مرجع عندى « العقد الفريد » لابن عبد ربه ففى الجزء الثالث من العقد « كتاب اليتيمة فى النسب وذكر فضائل العرب » جاء نسب بنى تميم ونص على أبناء (حنظلة بن مالك) فقال : ومنهم يربوع ، ومن ولده رياح بن يربوع ، ومن ولد رياح :

عتاب بن ورقاء الرياحى والى خراسان ، وأحد أجواد العرب .

ومطر بن ناجية الذى غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث .

وسحيم بن وثيل الشاعر .

فسحيم على هذا من يربوع ومن نسل رياح ، فهو من قبيلة مالك بن نويرة .

ويربوع لها تاريخ فى الأحداث الاسلامية أيام أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ ومنهم خوارج دوخوا الدولة الاسلامية .

ومنزلة سحيم فى يربوع منزلة غالب والد الفرزدق فى مجاشع .

وفى الجاهلية كانت لسحيم مواقف حربية عرفنا ذلك من أيام العرب ، ففى معركة « رأس العين » انتصرت يربوع على بكر . فقال سحيم :

أليس الاكرمون بنو رياح
نموني منهم عمى وخالى

هم قتلوا (المجبه) وابن تيم
تنوح عليهما سوء الليالى
وهم قتلوا عميد بني فراس (١)
براس العين في الحجج الخوالى

فانظر الى قوله : بنو رياح نمونى ، فهو ينتسب الى رياح ولا يكتفى بل يبين أن أباه وأمه من القبيلة بقوله « منهم عمى وخالى » فالقول بأنه حبشى خطأ كبير .

وفى « يوم الشعب » غزت تغلب بنى يربوع ، فكانت الهزيمة لبنى يربوع وأسر شاعرها سحيم بن وثيل الرياحى ، ففى ذلك يقول :

أقول لهم « بالشعب » اذ يأسروننى
الم تعلموا انى ابن فارس زهدم ؟

ففدى نفسه ، وكان معه فى الأسر متمم ابن نويرة وهو شاعر مثله ، فأنقذه من الأسر أخوه مالك بن نويرة بحيلة قالوا عنها : انه أنقذه بوسامته وحسن شارته .. وهذا حديث طويل يكفينا ما ذكرته .

سحيم فى الاسلام

أما فى الاسلام وفى زمن على ــ كرم الله وجهه .

فقد حدث ما يأتى ــ حسب رواية ذيل الأمالى لأبى على القالى :

وخلاصة ما ذكره ، وما ذكره رواية عن جماعة من بنى تميم عن آبائهم عن أجدادهم قالوا : أسنت (٢) بنو تميم زمن على بن أبى طالب ــ رضى الله تعالى عنه ــ فانتجعوا أرضا من أرض كلب من طرف السماوة يقال لها صوأر قرب الكوفة فصنع غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق طعاما ونحر نحائر وجفن جفانا ، وجعل يقسمها على أهل المزايا وهم أهل القدر .

وأرسل جفنة منها للشاعر سحيم بن وثيل الرياحى ، فما كان من سحيم الا أن كفأها وضرب الخادم التى أتته بها ، وهنا غضب غالب فعاتب سحيما ، وتطور العتاب الى منازلة تتصل بالسخاء والغالب فيها هو السيد والرئيسي فتداعيا الى « المعاقرة » والمعاقرة : مباراة فى نحر الابل ، فأيهما نحر من ابله أكثر كان الغالب والسيد فى القبيلة ، وجاءت ابل غالب فطفق يعقرها والفتيان من أبناء القبيلة يدفعونها نحوه لينحر ، ومع الفرزدق هراوة يرد بها الابل على أبيه . فيقول غالب : رد أى بنى . فيقول الفرزدق : اعقر أبت حتى نحر سائرها وكانت مائتين . وأقبلت ابل سحيم .. فأوردها كناسة الكوفة وجعل يعقرها وينشد الشعر . فلم ينفعه عقره ، فقد سبقه غالب بالعقر . وتبارى الشعراء فى الاشارة بكرم غالب ومروءته ومنزلته ، ووقف جرير يناضل عن سحيم لأنه من يربوع . وبلغ الخبر على بن أبى طالب الخليفة فقال : « لا تأكلوا منها شيئا فانها مما أهل به لغير الله » .

وهذه الحادثة تعطينا انطباعا عن عادات

---

(١) معاوية بن فراس .

(٢) أسنت : أصابتهم السنة وهى المجاملة .

العرب التى امتدت الى أيام الاسلام وهى المعاقرة التى فيها من الفخار أكثر مما فيها من نفع الفقير ورفع العثار . ومنها نعرف كرم غالب ، لأنه حين أسنت تميم جاء بطعامه ، ونعرف خلق سحيم . قال أبو على : وكان سحيم رجلا فيه شنفيره (١) وأذى للناس، وكان بغيضا الى الناس ، وحسبك أنه أساء الى الخادم وألقى بالطعام المرسل اليه على الأرض كبرا منه ومعاداة لأهل الفضل . ولكنه من ناحية أخرى يعطينا منزلته فى القبيلة وأنه يناوىء أعظم رجل فيها وهو غالب بن صعصعة المجاشعى ، فمن جعله حبشيا محتاج الى مراجعة كتب التراث ومعرفة الرجال .

وقد احتج (٢) على أبى على القالى لوصفه اياه بسوء الخلق ، وأنه فى موقفه من رفض جفنة غالب كان عفيف النفس لا يقبل الاحسان ، وأن له ابلا ينحرها لكل مقرم به اشتهاء للحومها ، وأنه يحافظ على مجد يربوع . وقال :

ألم يرو لى أبو على القالى قولى فى تلك المعاقرة :

لهان بما يجنى عفى وجحدى
ونو السيف قد دنى(٣) لها كل مقرم (٤)
الا لا أبالى أن تعد غرامة
على اذا ما حوضكم لم يهدم

فسبحت فى الظلماء لما رأيتهم
نجيا وما يخفى على الله يعلم
المتنبى

وجاء المتنبى من أقصى المجلس يسعى ويصيح : دونوا له فخره ودعوا خلقه ، واسمحوا لى أن أكون المتحدث عنه بعده واحتج أكثر من شاعر كل يرى من حقه التقديم ، وأعلن المتنبى أنه جاء ذكره فى أول باب من أبواب تصور المغنى وهو باب الألف المراد منه (الهمزة) حيث أقول :

احيا (٥) وايسر ما قاسيت ما قتلا
والبين (٦) جار على ضعفى وما عدلا

وقال الحطيئة ان شعرك لا يحتج به لأنك مولد ، فاستشاط المتنبى غضبا وقال : انى لم أقل شعرا الا بلغة العرب وان كان لى أسلوبى الخاص ، وشخصيتى المتميزة . ثم ان سحيما قدم لأن مجلة عربية أخطأت فى نسبه ، وأنا تناولتنى المجلات والصحف ، ومازال الأستاذ محمود شاكر يقول ويكرر فى كل مناسبة أنه جعل من نسبى نظرية علمية « صارت مذهبا الآن حتى أن بعض العلويين صاروا يعتبرون المتنبى امامهم الثالث عشر » هكذا قالت بعض المجلات فى يناير ١٩٨٤ (٧) ، فمن حقى أن يكون المطروح على المجلس هو شعر المتنبى أو نسبه أو ما دار حوله ، وأنا راض بما به

---

(١) سوء خلق .
(٢) التعبير منا وجعلناه منه لما يفهم من موقفه .
(٣) قرب .
(٤) مقرم : مشته لأكل اللحم .

(٥) احيا : فعل مضارع وقد حذفت همزة الاستفهام المراد منه التعجب .
(٦) الفراق .
(٧) مجلة الهلال ـ أحدث أعضاء المجمع اللغوى بالقاهرة .

تحكمون . والمتنبى محظوظ فكانت الموافقة بالاجماع . وقال أبو الفتح بن جنى ، يحسن أن تحدد ما نتحدث فيه ، فقد أورد مولانا الأمير كثيرا من شعره ، وأرخ له ، والتحديد يسهل الأمر علينا ، وتولى « سكرتارية » الجلسة القاضى عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» واتبع الآتى فى جدول الأعمال :

١ ــ ما دونه الأمير عنه فى حاشيته .
٢ ــ القدماء والمحدثون وموقفهم منه .
٣ ــ الفعل والقول عند المتنبى .
٤ ــ اضافات الجلسة .

وسكت المجلس وقرأ سكرتير الجلسة ما دونهمولانا الأمير ، وبدأ الكلام هكذا « قوله المتنبى » أبو الطيب أحمد بن الحسين ادعى النبوة ثم تاب ، ولد سنة ثلاث وثلثمائة (من الهجرة) فهو مولد ، وقصد المصنف التمثيل لا الاستشهاد ، وقتل سنة أربع وخمسين وثلثمائة من الهجرة ، تعرض له لصوص ، ففر ناجيا ، فقيل له لا يتحدث الناس عنك بالفرار ، وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع وقاتل حتى قتل ، ورثاه بعضهم بقوله :

لا رعى الله عهد هذا الزمان
اذ دهانا بمثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثانى المتنبى
اى ثان يرى البكر الزمان ؟
هو فى شعره نبى ولكن
ظهرت معجزاته فى المعانى

وكان أبوه سقاء ، ولذلك قال فيه بعضهم

اى فضل لشاعر يطلب الفضل
من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع بالكوفة الما
ء وحينا يبيع ماء المحيا (١)

ومدحه المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية وأنشد بعض كلامه ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسى ، فأنشده اى أنشد المعتمد ، مرتجلا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها (٢) تفتح اللها (٣)
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك تروى شعره لتألها

انتهى الى هنا كلام الأمير الذى قرأه صاحب الوساطة .

ثم كان أول المتكلمين أبو الفتح بن جنى . قال : لى ملاحظتان على كلام الأمير أنه جاء

---

(١) الوجه .
(٢) جمع لهو وهى العطية .
(٣) جمع لهاة وهى الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم .

برثـاء للمتنبى ولم يشر الى رثـائى فيـه ، الأخيرة أنه رمى المتنبى بادعـاء النبوة . وقد رثيته بقصيدة مطلعها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب
وصوحت بعـد رى دوحـة الكتب

وقد بينت للناس أن المتنبى لم يدع النبوة وأن الأمر يتصل بالسياسة والأظهر عندى أنه لقب بالمتنبى لقوله :

انا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ونسب المتنبى لم يتحدث عنه أبو الفتح بن جنى وهو تلميذه والمخالط لـه والمعنى بكـل بيت من شعره ، وبكل حـركة من حركـاته ، وحكاية أن أباه كان سقاء تنفيها حياة المتنبى فقد تعلم فى أرقى المدارس فى عصره ، فكان مع أبناء العلويين والعباسيين كما يقول الأستاذ محمود شاكر ، ومن ثم اتجه الى بحثه القيم سنة ١٩٣٦ وهى سنة الاحتفال بعيد المتنبى الألفـى .

وصدر البحث فى المقتطف الـذى خصص العدد له . وله بحثـه فى الوالـد أحمـد بن الحسين ، وأنا لا أنفى ما ذهب اليه ولا أؤيده ولكنى استطرفه ، وأراه بحثا جديرا بالقراءة والنظر فيه ، لأن معاصرى المتنبى لم يبحثوا هذا البحث وما جاء فى أصله من أن الأب كان سقاء يرجع به الى حسد بعض الناس لـه ، وأنه من قبيل الهجاء بالشعر لا أنه من مطالب التاريخ وتحقيق السيرة .

وما حكاه الأمير من أنه فر من أعـدائه ثم رجـع بعد أن ذكر بفخره فقاتل حتى قتـل لا ترضاها شجاعة المتنبى وهو الذى خـاض المعارك مع الأمير سيف الدولة الحمدانى ضد المغيرين من الروم ولم يؤخذ عليه تكـول فى معركة أو احجام فى ميادين القتال وشـعره صدى لفعله وما يعتقده ، وأصح ما يرجـع اليه فى حادث مقتله ما يرويـه معـاصروه ، وما ذكروه يعد من أخبار المراسل الحربى ــ كما نقول فى زماننا الحاضر ــ جاء فى كتـاب « الصبح المنبى » وسأحاول تلخيصه :

قال الخالديان : كتبنا الى أبى نصر محمد الجبلى نسأله عما صـدر لأبى الطيب بعـد مفارقته عضد الـدولة ، وكيف كـان قتله ؟ فأجابنا عن كتابنا جوابا طويلا يقول فى أثنائه .

فكان من جوابه أن مسيره كان من واسـط يوم السبت لثلاث عشر ليلة بقيت من رمضان سنة ثلثمائة وأربع وخمسين فقتل بضيعة تقرب من دير العاقول لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، والذى تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بنى أسد يقال له (فاتك بن أبى جهل) وكان من قول فاتك لما قتله :

« قبحا لهذه اللحية ياقذاف المحصنات » وذلك أن فاتكا هذا هو خال ضـبة بن يزيـد العينى الذى هجاه أبو الطيب فأقذع .

وأبو نصر قابل فاتكا وقابل المتنبى ، ودار حوار بينه وبين فاتك الذى أظهر أنه يريـد عقاب المتنبى ولكن أبا نصر لم يصدقه وحذره قائلا : « كف ــ عافاك الله ــ عن الرجـل ، وارجع الى الله ، فان الرجل شهير الاسـم بعيد الصيت ، ولا يحسن منك قتله على شعر قاله » .

وما مضت الا أيام قلائل حتى قدم المتنبى فمر على أبى نصر ومعه بغـال موقرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والكتب الثمينة ، لأنه كان اذا سافر لا يترك فى منزله درهما ولا شيئا يساويه ، وكان أكثر اشفاقه

في حاشية الأمير

على دفاتره قال أبو نصر فتلقيته وأنزلته في داري ، وسألته عن أخباره وعما لقي في تلك السفرة ، وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة (١) ورغبته في الأدب ... فلما أمسينا قلت له : يا أبا الطيب ، علام أنت مجمع ؟ قال : على أن أتخذ الليل مركبا ، فان السير فيه أخف على . وهنا عرض عليه أبو نصر أن يكون معه رجال يستأنس بهم ، ويحرسونه من الأماكن المخيفة حتى يصل الى بغداد . وهنا غضب المتنبي وقال : أنا والجزاز (٢) في عاتقي ، فما بي حاجة الى مؤنس غيره .

فقال له أبو نصر : ولكن الرأى في الذي أشرت به عليك . ولم يسكت أبو نصر فقد أنبأه أن فاتكا الأسدى يتربص به ومعه عشرون من رجاله من بني عمه هم على رأيه . فقال غلام المتنبي : « الصواب يامولاى ما أشار به أبو نصر » فاغتاظ من غلامه غيظا شديدا ، وقال : والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي . وبعد أخذ ورد قال : يا أبا نصر : أبنجو (٣) الطير تخوفني ؟ ومن عبيد العصا تخاف على ؟ والله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطيء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكرى بهم لحظة عين . قال أبو نصر : قل ان شاء الله ، فقال : هي كلمة مقولة لا تدفع مقضيا ، ولا تستجلب آتيا . ثم ركب فكان آخر العهد به .

هذه الرواية أو الخبر الذى يحمل الصدق في طياته ، ولكن الفرار والتذكير بالشعر من صنع الأدباء الذين يحبون الطرائف ولكن الطرائف هنا تصم المتنبي بصفة هو بريء منها ، فانظر الى ما جرى بينه وبين أبي نصر من الحوار والتخويف لعله يحترس ولكنه مافى في اعتداده بنفسه وسيفه وتحقيرملفاتك وقومه من بني أسد ، وبنو أسد منذ الجاهلية يلقبون « بعبيد العصا »منذ أهانهم حجر والد امرىء القيس ، ولم يمنع هذا اللقب بني أسد من قتل حجر الملك في الجاهلية ، وقتل المتنبي الشاعر في الاسلام . وصار « دير العاقول » مكانا يذكر كلما ذكر المتنبي .

ومن عجيب أمر المتنبي أنه حين كان عند عضد الدولة ألقى قصيدة في مدحه جاء فيها :

وأيا شئت يا طرقى فكوني
اذاة أو نجاة أو هلاكا

فكأن احساسه الداخلي يشير الى ما يلقاه في طريقه .

ولكن مولانا الأمير رأى أن الحديث عن مقتل المتنبي أثار سحابة قاتمة على المجلس فرأى أن يقشع تلك السحابة بدعابة أو شعر رقيق يتصل بالغزل ولاسيما حديث التغليب الذى تعرض له « المغنى » والتغليب أن تثنى الاسم الأشهر والأيسر في النطق كما تقول

---

(١) عضد الدولة بن بويه كان يحكم فارس والجبل .

(٢) السيف .

(٣) النجو : ما يخرج من البطن ومن أجله جاء الاستنجاء .

فى أبى بكر وعمر « العمران » وفى الشمس والقمر « القمران » وانتهز الفرصة فذكر قول المتنبى ، وعلق عليه واستطرد فيما يشبهه من أقوال الشعراء ومنهم المتصوفون . قال المتنبى .

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فأرت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

وأراد المتنبى بالقمرين : الشمس وهو وجهها ، وقمر السماء . قال الأمير : يعنى أن القمر انطبع فى صفاء وجهها كما قال :

واذا نظرت الى محاسن وجهه
ألفيت وجهك فى سناه غريقا

هذا هو الأبلغ ، ويشير له قوله « معا » لا ما يتبادر من أنه نظر لها وللقمر فى محله . ومما يحسن فى البين حديث بيتى الرقمتين ، وقد أفردا بالتأليف — يريد أن كتبا ألفت فى معناهما — وهما .

رأت قمر السماء فأذكرتنى
ليالى وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعينى

ويستطرد الأمير فيقول . قال بعض المتصوفة : هو من اشارات الفناء والبقاء ووحدة الوجود . ومن أحسن ما قالت الأدباء : انه من مبالغة العشاق فادعى أن القمر المعلوم قمر مجازا بالنسبة لها فانها أكمل بهاء — كما قال ابن الفارض :

تهدى بهذا البدر فى جو السما
خلى افتراك فذاك خلى لاننا

وقال :

كملت محاسنه فلو اهدى السنا
للبدر وقت تمامه لم يخسف

فواضح أن البيت الثانى من قول ابن الفارض أوضح وأملح .

ويقول الامير : وما أحسن قول الاديب فتح الله الحلبى الشهير بابن النحاس مضمنا مطلع عينية ابن سيناء :

لا يدعى قمر لوجهك نسبة
فأخاف ان يسود وجه المدعى
والشمس لو علمت بانك دونها
« هبطت اليك من المحل الأرفع »

ويعود مولانا الامير لبيتى الرقمتين فيقول: يعنى ماقمر السماء حقيقة الاوجهها وقد رآها ليلة الوصل بعينه فلتكن هى حيث رأت قمر السماء رأت بعينه ، لكنه لاحظ الحقيقة المتعارفة من أن رائى المحبوب انما رأى القمر المجازى فاعترف أنه رأى قمرا مجازيا لكنه صرفه للكوكب المعلوم .

وقال : رأيت القمر المجازى لكن بعينها لما نظرت هى له . وهذا من جنون العشق .. (قسم) هكذا يقول الشيخ ، ويقول : ويحتمل الاشارة الى انطباع صورتها فى وجهه كما سبق . ومن كلام سلطان العاشقين سيدى عمر شرف الدين فى التائية :

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا
ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وفى الحديث : « كنت بصره الذى يبصر به »



وفيه « تخلقوا بأخلاق الله » (١).

وبديع قول الفاضل :

ترايت ومرآة السماء صقيلة
فأثر فيها وجهها صورة البدر

وذيله الشهاب الخفاجي بقوله :

ولاحت عليها حليها وعقودها
فأثر فيها صورة الأنجم الزهر

ذكره « البيت » في الريحانة . توفي سنة ١٠٦٩ هـ

وقد أعجب الحاضرون بما حوت جعبة الأمير من ريق الشعر وتداعي المعاني وقوة التنظير وحلو الشرح ، وأثنوا عليه . وهنا صاح ابن جني : إن الفضل للمتقدم ولولا ليالي المتنبي وقمراه ماأبدع بعده الشعراء وانفض المجلس على أن يعود للانعقاد في موعد آخر يحدد فيما بعد

السيد حسن قرون

---

(١) وددنا من الكاتب الفاضل لو ذكر مراجع الاحاديث الشريفة التي أوردها ، وهي ثلاث .

الإسلام
على مفترق الطرق

تأليف : محمد أسد
ترجمة
د. عمر فروخ
عرض وتعليق د. طه مصطفى أبو كريشة

« الاسلام على مفترق الطرق » عنوان لكتاب من تاليف المستشرق النمساوى الاصل « ليوبولد فايس » الذى اعتنق الاسلام وتسمى باسم « محمد أسد » وقد نشرت الترجمة العربية « دار العلم للملايين » ببيروت .

وموضوع الكتاب قائم على عرض جواب عن سؤال هو :

ما الموقف الذى يجب أن يتخذه المسلمون تجاه المدنية الأوربية ؟

ويذكر المؤلف من البداية أن ايفاء هذا الموضوع حقه يحتاج الى مجلدات ضخمة ومن هنا فان ما ذكره فى هذا الكتاب ليس الا اشارات موجزة مبسطة تمهد الطريق أمام من يبغى التوسع من الباحثين ..

ومع ذلك فان تعدد طبعات هذا المؤلف الموجز تكشف عن قيمته الكبرى التى لاقت قبولا ورواجا لدى القراء فى كل مكان ، ومن ثم فانه يظل جديدا دائما طالما يعرض لفكرة تتجدد مع تجدد الأجيال الذين يواجههم نفس السؤال .

— ٢ —

وفى المقدمة يقدم المؤلف نفسه لقرائه ، ويكشف عن الظروف والأسباب التى أدت الى اتخاذه الاسلام دينا ، قائلا فى بداية ذلك « يجب أن أقول كلمة عن نفسى ، اذ يحق للمسلمين حينما يخاطبهم رجل مهتد أن يعلموا كيف اعتنق ذلك الرجل الاسلام ، ولماذا اعتنقه ؟ » .

وفى هذا المجال يذكر أنه ترك النمسا سنة ١٩٢٢ ليعمل مراسلا متجولا فى أفريقيا وآسيا لبعض أمهات الصحف الاوربية ، ومنذ ذلك الوقت أصبح يقضى كل أوقاته تقريبا فى الشرق الاسلامى .

وقد لفت نظره من البداية نشوء ميل نحو ادراك للحياة أكثر هدوءا وانسانية اذا قيست

تلك الحياة بطريقة الحياة الآلية المجلى في أوربا .. ومن ثم كانت بداية الخيط الذى قاده الى النظر في أسباب هذا الاختلاف ، متخذا من التعاليم الاسلامية ميدانا لبحثه ودراساته.

وحين أخذ ينظر في هذه التعاليم ، وجد أنه من الممكن عن طريقها تنظيم الحياة الانسانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلى ، وأكبر قدر ممكن من الشعور الأخوى الحقيقى ..

ومع هذا الاكتشاف فان هناك أمرا حيره ، هذا الأمر هو التباعد بين الماضى والحاضر ، أى التباعد بين واقع المسلمين وبين ماضيهم حين كانوا يطبقون الاسلام تطبيقا عمليا .. ومن ثم كان البحث عن السبب الذى دفع المسلمين الى هجر تطبيق التعاليم الاسلامية تطبيقا تاما على الحياة الحقيقية .. وقد ناقش المؤلف ذلك مع كثير من علماء المسلمين ، حتى انتهى به الأمر الى أن يعتنق الاسلام سنة ١٩٢٦ ، وقد وجد أن ذلك هو النتيجة المنطقية الوحيدة لميله الشديد نحو دراسة التعاليم الاسلامية .

ويذكر المؤلف أنه اذا سئل عن سبب خاص معين كان له أثر مباشر في دخول الاسلام ، فان الجواب عن ذلك أنه لايعرف جوابا شافيا يحدد سببا معينا ، ذلك لأنه وجد أن الاسلام كل لايتجزأ وبناء متكامل يشد بعضه بعضا ، وعن هذا يقول « لاأستطيع اليوم أن أقول أى النواحى قد استهوتنى أكثر من غيرها ، فان الاسلام على مايبدو لى بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ، فليس هناك شيء لا حاجة اليه ، وليس هنالك نقص في شيء ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ولعل هذا الشعور من أن جميع مافي الاسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها ، هو الذى كان له أقوى الأثر في نفسى » .

ومنذ ذلك الحين الذى أعتنق فيه المؤلف الاسلام ، سعى الى أن يتعلم من الاسلام كل مايقدر عليه ، فأقبل على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، و « اللغة العربية » و « التاريخ الاسلامى » ، كما قرأ كثيرا مما كتب عن الاسلام أو كتب في الرد عليه .

وقد شفع ذلك باقامة دامت خمس سنوات في الحجاز أكثرها في المدينة المنورة ، حتى يزداد قلبه اطمئنانا بشيء من البيئة الأصلية للدين ، الذى قام النبى العربى بالدعوة اليه فيها .

ثم يختتم المؤلف مقدمته ببيان الهدف والغاية من تأليف هذا الكتاب في موضوعه ، اذ يذكر أن الدراسات والمقارنات التى قام بها خلقت فيه العقيدة الراسخة بأن الاسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخر المسلمين ، أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر .. ومن ثم فقد تجمعت لديه كل الرغبات لكى يشارك في محاولة بعثه من جديد بتقديم هذا الكتاب لأولئك الذين لايزال يحيا في قلوبهم شرارة من ذلك اللهيب الذى كان يضطرم في قلوب صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، ذلك اللهيب الذى جعل الاسلام فيما مضى عظيما بنظامه الاجتماعى ورقيه الثقافى » .

— ٣ —

ثم ينتقل المؤلف الى عرض محتويات

الكتاب ، وتحت عنوان « سبيل الاسلام » يذكر أن هذا العصر الذى نعيشه ، ليس بامكان أحد فيه أن يعيش بمعزل عن الآخرين ، ذلك لأن الحضارة الحديثة قد تغلبت على المسافات ، ومن ثم أصبح انتقال الأمور المادية والفكرية الى اى مكان أمرا ميسورا .

واذا كان الاسلام يمثل فلكا ثقافيا مستقلا ونظاما اجتماعيا واضح الحدود ، فان امتداد اى مدنية أجنبية بشعاعها الينا ، لا ينبغى أن يقابل بالقبول والتسليم ، وانما ينبغي علينا أن نتبين لأنفسنا اذا كان هذا الأثر الأجنبي يجرى فى اتجاه ثقافتنا أو يعارضها ، وهل يفعل فى جسم الثقافة الاسلامية فعل المصل المجدد للقوى أو فعل السم .

وفى سبيل الوصول الى جواب فى مثل هذا المقام ، يذكر المؤلف أن علينا أن نعرف القوى المحركة فى مدنية الاسلام وفى مدنية الغرب الحديث ، وأن نقوم بالبحث لنعرف الحد الذى يجب أن يذهب اليه التعاون بينهما ، ولما كانت الثقافة الاسلامية هى ثقافة دينية فى أساسها ، فانه يجب أن نتبين الدور الذى يقوم به الدين فى الحياة الانسانية .

ان الاتجاه الدينى فى الانسان هو نتاج طبيعى لأحواله العقلية والحيوية ، والانسان لايستطيع أن يكشف لنفسه غوامض الحياة ، والعلوم المادية والطبيعية ، لاتستطيع أن تقدم تفسيرا كاملا لها لأن مجال الغيبيات خارج عن نطاقها ، ومن ثم يبقى الدين وحده هو القادر على تقديم التفسير الكامل للحياة ، لأنه يهدى الانسان فى كثير من الأحيان عن طريق الحدس والوجدان لقبول تفسير الحياة تفسيرا شاملا ، مبنيا على الاعتقاد بأن هناك قوة مبدعة سامية تدير هذا العالم على أمر قد قدر ، ولكن الاحاطة به وراء طاقة الفهم البشرى ، وهذه الهداية تخلق شعورا نفسيا عميقا فى النفس البشرية ، ذلك الشعور هو شعور السكينة والطمأنينة ، والذى يتميز به المؤمن من الجاحد .

واذا كان هذا الوضع أمرا مشتركا فى الأديان كلها مهما اختلفت أسماؤها فان ميزة الاسلام تبدو فى أنه لايصل بالانسان الى هذا الهدف السامى عن طريق رفض الحياة ، أو عن طريق تقشف يفتح به الانسان بابا سريا الى التطهير الروحى ، اذ أن هذا أمر غريب فى الاسلام ، لأن الاسلام نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه ، وهى قوانين توفق وتوازن بين الوجهتين الروحية والمادية فى الحياة الانسانية ، وهما وجهتان لاانفصال بينهما فى الاسلام ، لأنهما تكونان كلا واحدا متسقا ، وهنا يبدو الفارق الكبير بينه وبين بعض التعاليم الروحية التى تدعو الى اماتة النزعات الجسدية ليتحقق الكمال ، ومعنى ذلك أنها تعطل مافى هذه الحياة من ماديات سخرها الله للانسان لكى يعمر بها الدنيا التى ينتقل عبرها الى أخراه ، وهذا مالا يدعو اليه الاسلام وبه كانت ميزته على ما سواه .

واذا كان الاسلام لايلغى المادة من أجل الروح ، فانه من جانب آخر لايجعل هذه المادة هدفا وغاية ، وانما هى واسطة الى غاية فقط ، ان النجاح المادى أمر مرغوب فيه ، ولكنه ليس غاية فى نفسه ، لأن الغاية من كل نشاط مادى عملى هى غاية خلقية تعمل على ترقية الفضائل فى البشر .

— ٤ —

وتحت عنوان « روح الغرب » يوضح المؤلف وجهة نظر الغرب في الحياة الانسانية ، وفي هذا يذكر أن الغرب الحديث قد سيطرت على وجوه نشاطه وجهوده اعتبارات من الانتفاع المادي ، وكان هدفه اكتشاف أسرار الحياة من غير أن ينسب الى تلك الحياة حقيقة أدبية ماق ذاتها .. واذا كان هذا يعني عدم الغاء المادة كما هو في الاسلام ، الا أن الاسلام مع ذلك لايلغي الروح ، أو لاينظر اليها على أنها لا علاقة لها بالجانب المادي في بناء الحياة الانسانية ، ان الرقي المادي والرقي الروحي في نظر الغرب الحديث وجهان من الحياة الانسانية مختلفان تماما ، وليس لأحدهما بالآخر علاقة ما ، لاسلبا ولا ايجابا ، وقد يمكن ان يوجدا أو لايوجدا معا .

ان المادية الغربية الحديثة لاتخضع الا لمقتضيات اقتصادية أو اجتماعية أو قومية ، ومن هنا فان معبودها الحقيقي ليس من نوع روحاني وانما هو مجسد في أي جانب من هذه الجوانب المادية البحتة .

واذا قورنت نظرة الاسلام مع نظرة الغرب الحديث ، فان نتيجة المقارنة تظهر بوضوح أن القوة الباطنة والتماسك الاجتماعي في الاسلام كانا أرقى من كل شيء خبره العالم من طريق التنظيم الاجتماعي ، وليس لنا أن نبحث بعيدا عن تعليل لهذا المشهد الرائع : ان تعاليم « القرآن الكريم » الدينية خلقت هذا الاساس المتين ، و « سنة رسول الله » — صلى الله عليه وسلم — أصبحت اطارا من الفولاذ حول ذلك البناء الاجتماعي العظيم .

ان الغرب الحديث يتسامح في الدين ، وأحيانا يؤكد أنه عرف اجتماعي وهو يترك الأخلاق المطلقة خارج الاعتبارات المادية ، ومع أن المدنية الغربية لاتجحد الله البتة ، الا أنها لاتجعل مكانا للجوانب الروحية في نظامها الفكري .

ومن أجل ذلك فان الأوربي الحديث يميل الى أن ينسب الأهمية المادية فقط الى تلك الأفكار التي تقع في نطاق العلوم التجريبية ، أو تلك التي ينتظر منها على الأقل أن تؤثر في صلات الانسان الاجتماعية بطريقة ملموسة ، ونتيجة لذلك فان الفضائل التي تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية ، مثل الوطنية والشعور القومي والقدرة الفنية — هي اليوم موضع للمديح ، اما الفضائل الخلقية الخالصة كالحب الأبوي والعفاف فانها تخسر من قيمتها بسرعة ، لأنها لاتهب المجتمع فائدة مادية محسوسة ، ففقدت من ثم مشاعر الأبوة والبنوة ، وشاع الانحلال التدريجي في العلاقات الجنسية .

وليس معنى ما تقدم أن يرفض المسلمون كل نشاط مادي قادم من الغرب لأن أسس المدنية الغربية الحديثة لاتوافق الاسلام « ان هذا يجب الا يحول أبدا دون امكان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث في ميدان العلوم المجردة والعلوم التجريبية ، ولكن صلاتهم الثقافية يجب أن تبدأ عند هذا الحد ، وتنتهي عنده أيضا . اما أن يخطو المسلمون الى أبعد من ذلك أو أن يقلدوا المدنية الغربية في

روحها وأسلوب حياتها وفى تنظيمها الاجتماعى فهو المستحيل » .

ـ ٥ ـ

وتحت عنوان « شبح الحروب الصليبية » يقدم المؤلف سببا آخر لعدم تقليد المدنية الغربية الى جانب فقدان التجانس الروحى ، هذا السبب يكمن فى روح العداء الكامنة التى يكنها الغرب للاسلام ، ويؤيد ذلك التجارب التاريخية التى اصطبغت بعداوة غريبة للاسلام ، وفى هذه الشواهد نرى أن موقف الأوربى ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور ، يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد ، وهذا الكره ليس عقليا فقط ، وانما هو كره يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية ، وهذا أمر تظهر دلائله فى كتابات كثير من المستشرقين ، الذين يعرضون لتعاليم الاسلام ، من خلال وضعه فى قفص الاتهام ، وليس من الناحية الموضوعية المجردة .

وكان من أثر ذلك تكوين صورة مشوهة للاسلام وللامور الاسلامية ، تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوربا ، لا فرق بين بلد وآخر ويبدو أنهم ينتشون بشىء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة حقيقية أو خيالية ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد ، فما السبب فى هذا العداء ؟

ان السبب البارز فى هذا العداء ، يرجع الى الاصطدام العنيف الأول بين أوربا المتحدة من جانب ، وبين الاسلام من الجانب الآخر فى تلك الحروب الصليبية التى وافق تاريخها بزوغ فجر المدنية الحديثة أى فى طفولة هذه المدنية ، ومن ثم بقيت آثارها كامنة فى نفسية الشعب الأوربى .. ومن جانب آخر فان الفظائع المروعة التى اقترفها الصليبيون فى البلاد التى اجتاحوها ثم خسروها ، أنبتت البذور السامة لعداوة طويلة الأمد ، ولصلات حرجة بين الشرق والغرب .

ان الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبل كل شىء شرا ثقافيا ، اذ قد نشأ تسميم العقل الأوربى عما شوهه قادة الأوربيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا ، أمام الجموع الجاهلة فى الغرب .

واذا كانت أوربا فى عصر النهضة قد استفادت فائدة كبرى من المصادر الاسلامية والعربية على الأخص ، فانها مع ذلك لم تعترف بهذا الجميل ، وذلك بأن تقلل من بغضائها للاسلام ، بل كان الأمر على العكس ، فان تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة . ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبى كلما ذكرت كلمة مسلم ، وظلت حية بعد جميع أدوار التبدل الثقافى حتى فى تلك العصور التى انقسمت فيها أوربا على نفسها شيعا وأحزابا فانها اتفقت فيما بينها على روح العداء المستمر للاسلام .

ان دخول كثير من الأوربيين اليوم فى الاسلام لاينبغى أن يخدعنا بحال عن هذه الروح التى تسود بينهم ، والتى توقد نار الحرب ضد الاسلام كلما واتت فرصة لذلك .

ـ ٦ ـ

وفى بحث « فى التربية » يشير المؤلف الى أولئك الذين يرون أن المدنية الغربية هى القوة

الوحيدة لاحياء الحضارة الاسلامية الراكدة ، ويؤكد أن هؤلاء يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ، ذلك لأن تنشئة الأجيال الحديثة على هذا الزعم سوف يؤدى بهم حتما الى زعزعة ارادتهم فى أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم ممثلوا الحضارة الخالصة التى جاء بها الاسلام ، ويؤيد هذا أن العقيدة الدينية قد اضمحلت سريعا فى نفوس أولئك الذين نشأوا وتربوا على أسس غربية بحتة .

وليس معنى هذا التحذير أننا نعادى العلم الحديث ، فهذا زعم لاسند له ، وفى « القرآن الكريم » دعوة متكررة الى اعمال العقل والفكر والى التعلم ، وتاريخ الاسلام كله شاهد عدل على تنفيذ مادعا اليه القرآن الكريم ، وأوربا تعلم ذلك حق العلم وهى مدينة فى ثقافتها للاسلام فالاسلام لم يكن يوما فى وجه التقدم والعلم ولكن الشيء الوحيد الذى لايستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ، ويروا الآراء الغربية ، انهم لايستطيعون أن يتمنوا اذا أرادوا أن يظلوا مسلمين ، أن يتبدلوا بحضارة الاسلام الروحية تجارب مادية من أوروبا ولذلك فان الشيء الممكن هو أن ندرس العلوم وأن ندرسها من غير أن نخضع خضوعا يسترقنا للاتجاه العقلى فى الغرب .

وفى هذا المجال العلمى يوضح المؤلف أن الباب ينبغى أن يكون مفتوحا أمام العلوم الطبيعية والرياضيات ، وأن يكون ذلك فى المرتبة الأولى .

أما الأدب الأوربى ، فانه على النحو الذى يدرس به فى البلاد الاسلامية ، يجعل الاسلام غريبا بين أهله خاصة فى عيون الناشئة .

« ان الدور الحاضر الذى يقوم به الأدب الأوروبى فى المدارس الاسلامية يجب أن نتبدل به تدريسا عاقلا بصيرا للأدب الاسلامى ، يتأثر منه الطالب بسعة الثقافة الاسلامية وغناها » .

وما يقال فى الأدب الأوروبى ، يقال فى التاريخ الأوروبى ، اذ أنه يخلق نفس الجو الفكرى الذى يعلى من شأن الغرب ، بينما يهون من شأن سائر الشعوب وهنا تكون الطامة حين يقر فى خلد الدارسين أنهم من الهوان العظيم بمكان .

ان علينا أن نحترس — فى مجال التربية والتثقيف — من الجو الفكرى للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ، اذ بتقليد عادات الغرب وزيه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجيا مضطرين الى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، والى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك .

— ٧ —

وتحت عنوان « فى التقليد » يشير المؤلف الى أن تقليد المسلمين فرادى وجماعات لطريقة الحياة الغربية يعد من أعظم الأخطار التى تستهدف لها الحضارة الاسلامية .

ويذكر المؤلف أن هذا التقليد نشأ بسبب قنوط المسلمين الذين رأوا القوة المادية فى الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة فى بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خاطىء مؤداه أن النظام الاسلامى فى الاجتماع



والاقتصاد لايتفق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من أجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربية ومثل هؤلاء المخدوعين ، لم يروا موقف الاسلام الحقيقي كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ففقدوا كل اهتمام عملي بالشريعة ، وأحالوها الى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة في الكتب ، ثم بدا لهم أن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكك الاسلامي .

ان موطن الخطر في تقليد الغرب لايكمن في الأشياء التي تقلد فحسب ، بل انه يكمن كذلك في أن اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية ، تقطع بالتدريج تلك الصلات التي تربط العالم الاسلامي بماضيه ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب أنه سينتهي الى أن يفقد أساسه الروحي اذا ظل سائرا في طريق التقليد دون وعي .

ويختتم المؤلف هذا الفصل الذي يختتم به موضوع الكتاب بقوله :

« ان المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم

الإسلام على مفترق الطرق

هي مشكلة مسافر وصل الى مفترق طـــرق ، انه يستطيع أن يظل واقفا مكانه ، ولكن هـذا يعنى أنه سيموت جوعا ، وهـو يـستطيع أن يختار الطريق التى تحمل فوقها هذا العنـوان (نحـو المدنية الغربية) ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه الى الأبد أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التى كتب عليها الى حقيقة الاسلام أن هذه الطريق وحدها هي التى تستهيل اولئك الذين يعتقدون بماضيهم ، وباســـتطاعتهم التطور نحو مستقبل حى » ٠

— ٨ —

وبعـد ٠٠٠ فان صاحب هذا الكتاب ، هو ممن عاش المدنية الغربية المعاصرة ، وممن انتمى الى أهلها بنسبه وماضيه ، وهو ممن خبر حاضر القوم هناك عن كثب ، ولقد أبت فطرته ــ بعد أن أطلت عليها روح الاسلام ــ الا أن تدخل فى دين الفطرة عن ايمان عميق تشربه القلب والفؤاد ، وتحول من بعد الى حماس وهـــاج ينافح به عن حوزة الدين ، ولكنه ينافح بـــه هؤلاء المغرورين المخدوعين فى زيف المدنيـــة الحديثة من أبناء الاسلام ، فأبان لهم حقيقـة هذه المدنية وموقفها من الانسان ، وكيف أنهـا لا تؤدى الى بناء الحياة الانسانية بناء سليما ، ومن واقع الرؤية البصيرة أبان لهم أن الاسلام وحده هو الكفيل ببناء هذه الحياة بناء سليما متكاملا فى جانبيه المادى والروحى ٠

ان المؤلف بذلك يحاول أن يكبح جماح كثير من المسلمين الذين وهت صـلاتهم بمنـابع دينهم ، وولوا وجوههم شـطر هـذه المدنية يتعبدونها ، ويخلصون لها الوداد ، بينما يديرون ظهورهم لحضارتهم الاسلامية الموروثة فـى شيء من الازراء أو من الاهمال المقصود أو غير المقصـــود ٠

ان الكتاب شارة انـذار ، وصيحة نذير ، ينذر من مدنية غربية خبر واقعها ، فوجدهـا خواء فى جوهرها ، أما ماديتها ، فقد اختلط فيها الغث بالثمين ، والحــق بالبـاطل ، والزيف بالصحيح ٠ والداء العياء هنـا هـو أن الذين ينادون بالارتماء فى احضـان هـــذه المدنية لايفرقون بين هذه المتناقضات ، ويرونها وجها واحدا ، بل ربما كانوا فى حماسهم أسرع الـى جانبها الضار من جانبها النافع ٠٠ وهنا يأتـى دور اولى البصر الرشيد من العلماء والمفكرين لكى يقدمـوا جوهر الدين الصحيح لأولئـك الحيارى أو الشاردين ، فيردوهم الى حوزتـه راشدين مستبصرين « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » ٠ صدق الله العظيم ٠

« د ٠ طـه مصطفى أبو كريشه »

« مجلة الازهر : ان عبارة المؤلف تحمل شـيئا من الاسى لما عليه قلوب الكثير من المسلمين فى عصرنا من خمود الحماس لهذه العقيدة الصفاة هذا الحماس الذى اضطرم فى قلوب الرعيل الاول فكان ما كان من نشر للدين ومجد للاســلام وللمسلمين والناس اجمعين ٠ فان ما للدين من نظام اجتماعى ورقى ثقاف امر قائم به لا يتخلف عنه ، وانما يتخلف أو يتقدم المسلمون ٠


بسم الله الرحمن الرحيم
أبو بكر
عمر
عثمان
علي
عن علي رضي الله تعالى عنه
كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال
لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة
من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان
جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه
تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار
جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين
والقدمين إذا مشى يتقلع كأنما يمشي في صبب
وإذا التفت التفت معا
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس صدرا وأصدق الناس
لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل وسلم على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله وصحبه أجمعين الطاهرين
كتبه الحاج أحمد كامل المعروف برئيس الخطاطين غفر الله ذنوبه

أنباء وآراء

الى فضيلة الامام الاكبر

مجلس الشورى باسلام اباد

مكتب الرئيس

اول يناير سنة ١٩٨٤ م

صاحب السعادة ..

اننا وفد مجلس الشورى بباكستان الذى زار جمهورية مصر العربية منذ قريب والذى تشرف بمقابلة سعادتكم فى ١ ديسمبر سنة ١٩٨٣ م .

وفى هذه الزيارة لم نكتسب من المعارف السامية فحسب بل اننا ايضا قد حصلنا على اجابات محددة على بعض النقاط التى كانت تدور فى اذهاننا .

ولقد كنتم — سعادتكم — على وفرة من الكرم حينما اعطيتمونا مجموعة من مشروع التشريع الاسلامى الذى وضعه الأزهر بالاضافة الى مجموعة لكل عضو — من الكتب والمطبوعات التى نشرها الازهر وكل مجموعة منها كانت تحتوى على عدد كبير من هذه المطبوعات .

ومن اجل كل هذا فاننى لشديد الامتنان لكم باسم كل عضو من اعضاء الوفد وباسمى شخصيا .

ولهذا فاننى انقل لكم الشكر العميق كما ارجو أن تنقلوا شكرنا الى كل العاملين معكم الذين اسهموا فى أن تكون زيارتنا للأزهر ثمرة .

وتفضلوا سعادتكم بقبول تأكيدى لاسمى تقديرى واحترامى .

المخلص لكم

خواجا محمد سافدار

الى صاحب السعادة الامام الاكبر

جاد الحق على جاد الحق

اجتمع المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعوة بالمدينة المنورة من أجل التضامن الاسلامى وجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .

ومثل الأزهر كل من :—

الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر

الدكتور الحسينى هاشم

امين عام مجمع البحوث الاسلامية

نائبا عن فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر

الدكتور حامد جامع

الامين العام للمجلس الاعلى للأزهر



● فضيلة الشيخ جاد الحق

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

واصدر المؤتمر توصيات عديدة دارت حول الجوانب الآتية : ـ

ـ أهمية الدعوة الاسلامية في ترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس الشباب المسلم واخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى .

ـ دور الحكومات الاسلامية في تعميق هذه الحقيقة الاسلامية .

ـ دور الأسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية في البلاد الاسلامية في تربية وتعليم جيل الشباب المسلم القوى المتمسك بعقيدته وبدينه .

ـ دور المسجد ووسائل الاعلام الاسلامى في تنشئة الشباب المسلم .

ـ وفي الجانب الاقتصادى أوصى المؤتمرون بوجوب أن يكون ايداع أموال المسلمين في مصارف اسلامية ملتزمة بأحكام الشريعة الاسلامية ، وضرورة الاستفادة من الزكاة فيما يعود على الأمة الاسلامية بالخير في حاضرها ومستقبلها ، كما يدعو المؤتمرون الى ضرورة التعاون الاقتصادى بين أقطار العالم الاسلامى بشتى أشكاله لتعزيز قوتهم الاقتصادية وتحقيق التكامل الاقتصادى المنشود .

كما أوصى المؤتمرون بأن تكون الاولوية في مجال التبادل التجارى والصناعي والمشروعات الاستثمارية لأقطار العالم الاسلامى ، والحد من استيراد الكماليات ووسائل الترف من البلاد الأجنبية حفاظا على أموال المسلمين وثرواتهم .

وفي المجال السياسى أكد المؤتمرون بأن القضية الفلسطينية قضية اسلامية وعلى المسلمين واجب الجهاد بكل قدراتهم لاسترداد فلسطين المسلمة والمسجد الأقصى المبارك من أيدى الصهاينة المغتصبين وأكد المؤتمر وقوفه بجانب الشعب الافغانى المسلم في جهاده لدفع العدوان الشيوعى الهمجى على أرضه وشعبه وأوصى المؤتمر بأن يشارك المسلمون جميعا اخوانهم الأفغان في جهادهم حتى يتحقق لهم النصر على عدو الله وعدوهم .

ـ وأوصى المؤتمر بالرعاية والعناية بالأقليات الاسلامية ومساعدتهم في شتى المجالات وحل مشاكلهم حماية لهم ولعقيدتهم وتعزيزا لولائهم لدينهم وانتمائهم لأمتهم الاسلامية .

ـ كما أوصى المؤتمر بمقاومة الفرق الخارجة عن الاسلام والفرق المبتدعة والزائفة حماية للاسلام ونقائه وأن لاتكون الخلافات في الفروع سببا للتفرق والتباعد بين المسلمين ـ والعناية بمن يدخلون في الدين ومساعدتهم بشتى الطرق حتى يتحقق لهم التكيف الواجب في حياتهم الاسلامية تكيفا يزيدهم ايمانا وألفة ومودة .

أنباء وآراء

ـ وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكد المؤتمر على أهميته لتصحيح المسيرة الاسلامية وتطهيرها من كل باطل وشر وتيسير قيام الدعاة بواجبهم وتذليل مايعترضهم من عوائق •

كما أيد المؤتمر ما جاء في توصيات لجنة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة في المؤتمر الطبي السعودي الثامن ويرى ضرورة العناية بأبحاث الاعجاز العلمي التي تقوم على تحقيق الأدلة الشرعية والكونية لأهميته في مجال الدعوة •

وقد أوصى المؤتمر بانشاء (مجلس عالمي للدعوة والدعاة) يعني بشئون الدعوة الاسلامية والدعاة في العالم ويكون من أهم أهدافه :

توجيه سياسة الدعوة الاسلامية في العالم ، وتنسيق جهودهم والجهات المعنية ودراسة مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها وتزويد الدعاة بنتائج هذه الدراسات للاستفادة منها وتطبيقها في مجال الدعوة وتزويد الدعاة بالمراجع المعتمدة والكتب التي تعينهم وتنظيم البرامج التدريبية للدعاة ، وانشاء صندوق دمج المواد الاسلامية في المواد التخصصية يتبع المجلس لتمويل الدعوة •

دمج المواد الاسلامية في المواد التخصصية

أصدر فضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر قرارا يقضي بأن تدمج المواد الاسلامية في المواد التخصصية بحيث تقوم كل كلية بامتحان طلابها وبأسئلة مستقلة وبذلك تكون المواد الاسلامية على رأس قائمة المواد التخصصية وتقضي على الانفصالية التي كانت سائدة حتى العام الماضي •

١٤٠ الف جنيه لطلاب الثانوية والاعدادية

اعتمد فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي وزير الدولة للأوقاف ١٤٠ الف جنيه لدعم فصول التقوية التي تنظمها وزارة الأوقاف لطلبة وطالبات الشهادتين الاعدادية والثانوية العامة ويستمر تقوية الطلاب بهذه الفصول حتى نهاية شهر ابريل القادم •

ويبلغ عدد هذه الفصول حوالي الف فصل على مستوى الجمهورية •

محطة للقرآن الكريم

صرح صفوت الشريف وزير الدولة للاعلام أنه تم الانتهاء من المرحلة الاولى ، لبناء محطة لاذاعة القرآن الكريم ، وبلغت تكاليفها عشرة ملايين جنيه ، وأن المرحلة التالية من بناء المحطة ستنتهي عام ١٩٨٥ م ليغطي ارسالها العالم العربي والاسلامي •

مركز اسلامي في « كارديف » ••

افتتح مؤخرا في مدينة « كارديف » بمقاطعة « ويلز » مركزا اسلاميا ، يضم مسجدا ، به قسم خاص للنساء ولتعليم اللغة العربية والشريعة الاسلامية سيتم افتتاح فصلين دراسيين أحدهما للكبار والآخر للصغار •

الاسلام والمسلمون في سري لانكا ••

انتهت مؤخرا أعمال مؤتمر « تدوين تاريخ

الاسلام والمسلمين فى سرى لانكا » والـــذى عقدته ادارة البحوث الاسلامية والمؤسســة الاسلامية . استمرت أعمال المؤتمر أربعـــة أيام ، وشارك فيها عدد كبير من كبار العلمـاء المختصين . ناقش المؤتمر عدة موضــوعات حول تاريخ المسلمين فى سرى لانكا ، واهـم الشخصيات البارزة فى حقل الدعوة الاسلامية هناك .

جوائز للفن المعمارى الاسلامى ..

وافقت اللجنة الدولية للحفاظ على التــراث الاسلامى على تخصيص مائة الف دولار تمنح كجائزة لأفضل بحث مدروس عن الفن المعمارى الاسلامى ، تقوم به كليات الفنون والعمارة فى الدول الاسلامية ، كما وافقت على اصـــدار عدد خاص عن الفن الاسلامى فى مجلة الصين التى تصدر فى « سويسرا » .

آراء

كتب الأخ/محمود عبد العزيز محمد ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر ــ المنصورة . يقترح بأن تكون الهدية التى تصدر مع المجلة فى سير الصحابة رضى الله عنهم بدءا بأبى بكر ثم عمر .. الخ الصـحابة . ونرجـو من الله أن يوفقكم لما فيه الخير .

*** المجلة تشكرك هذا الاهتمام وسنناقش هذا الامر إن شاء الله والمجلـــة تتمنى لك التوفيق .**

كتب السيد/أحمد ابراهيم أحمد ــ الاردن ــ اربد ــ الطيبة .

نخبرك بأن مجلة (نور الاســلام) غـير تابعة لمجلةالازهر بل هى مجلة تصدرها هيئـة علماء الوعظ والارشاد بالأزهر ولها جهـازها الخاص بها .

وبالنسبة ــ لتفسير الوسيط ــ فانه يصدر كل أول شهر جزء منه .

كتب السيد/محمد مصطفى على ــ كليـــة أصول الدين ــ جامعة الازهـــــر يطلب بأن تخصص المجلة صفحة أو صفحتين لمســـابقة دينية أو ثقافية .

ويكون لها بعض الهدايا ولتكن كتاب اللــه أو كتب دينية تختارها المجلة .

*** المجلة تشكرك هذا الاهتمام والشعور الطيب . وقد نشر مثل هذا الاقتراح فى المجلة بعدد ــ ذى القعدة ــ سنة ١٤٠٢ هـ .**

ونسأل الله أن يوفقك لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .

كتب كل من السادة :

محمد ابراهيم العويد ــ المملكة العـــربية لسعودية القصيم ــ بريدة .

محمد عبد الله أبو اسماعيل ــ كفر الشيخ ــ دســوق ــ الســالمية أبو ايمــانى ــ طهران ــ ايران .

مستفسرين عن كيفية الاشــتراك فى المجلة وقيمته عن سنة كاملة .

عليكم الاتصال بمؤسسة الاهرام عـــلى العنوان التالى :

مؤسسة الأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة وقيمة الاشتراك سنويا بالنسبة لمصر ٢٤٠ قرشا وبالنسبة للسعودية فهو خمســة عشر دولارا او مايعادلها .

الفتاوى

« فى الزكـــاة »

س : من السيد / ا ٠ ع ٠ نجم
شـخص جمـدت ممتلكاته لـدى المستاجرين بامر من جهات مختصة واستمر ذلك عدة اعـوام ، فهـل يجب عليه ان يخرج زكـاة المبالغ المجمدة ؟

ج : هذه ديون له على الجهة التى جمـدت أمواله ، وعلى هذا فيجب على صـاحب المال أن يخرج زكاته وقت زوال تجميده عن السنة الأخيرة فقط عند الامام مالك رضى الله عنه ٠

س : من السيد / ح ٠ غ ٠ المصرى٠
شخص يفتح محلا تجاريا ، يعول نفسه واسرته ويسـد ديونه من دخل هـذا المحل ٠ فهل يجب عليه اخراج زكـاة المـال ٠؟

ج : مال التجارة تجب فيه الزكاة اذا بلـغ نصابا وحال عليه الحول ، والزكاة انما تجب فى الموجود من مال التجارة ٠ أما ما صرفه على نفسه وأسرته فلا شىء عليها ٠

« الصلاة على النبى جهرا بعد الأذان »

س : من السيد / ك ٠ ع ٠ وادى ٠
ما حكم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا بعد الأذان ٠ ؟

ج : ألفاظ الأذان الشرعى هى :« الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ،أشـهد أن لا اله الاالله ٠ أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ٠ أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر،الله أكبر ، لا اله الا الله » ٠

كما ورد أن يقال فى أذان الفجر بعد حى على الفلاح « الصلاة خير من النوم ٠ الصلاة خير من النوم » ٠

والصـلاة على النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ مشروعة بعـد الأذان لقـوله عليه الصلاة والسلام : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صـلوا على » والمخـاطب بذلك هو المؤذن والمستمع على السـواء ٠٠٠ والأفضل أن تكون الصلاة بصوت أقل ارتفاعا ومخالف للصوت الذى يؤذن به ، حتى لا يظن الناس أنه من صيغ الأذان ٠

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

« فى الميراث »

س : من السيد / ع · ع · البسيونى
توفيت امرأة عن : بنت ، أولاد بنت متوفاه ذكور واناث، بنات بنت أخرى متوفاه ، أولاد أخ شقيق ذكور واناث ·
فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنتين بمقدار ما كان يستحقه أصل كلمنهم لو كان على قيد الحياةفىحدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م ·· ولما كان نصيب البنتين يزيد على الثلث · فترد الوصية الواجبة الى الثلث·

والمسألة من ستة أجزاء : منها جزءان وصية واجبة ، جزء لأولاد البنت الأولى يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، وجزء لبنات البنت الثانية يقسم بينهن بالتساوى ·

والباقى أربعة أجزاء هو الميراث : للبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها ، والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث ·

« الحلف على المصحف »

س : من السيد / م · صابر
حلف على المصحف قائلا لزوجته : ما انت مسافرة وسافرت · ثم كفر عن اليمين باطعام عشرة مساكين ·

« فى الطلاق

ومرة ثانية قال لها على الطلاق ما انت آكلة معى طول شهر رمضان · واكلت ·
ومرة ثالثة قال لها انت طالقة طالقة طالقة ·

فما الحكم ؟

ج : عن الأول يلزمك كفارة يمين · وحيث انك كفرت فلا شىء عليك ·

وعن الثانى لا يقع به طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الاسلامية ·

ويقع بالثالث طلقة رجعية ، لك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وتبقى معك على طلقتين ·

والله اعلم

فهرس العدد

by the concept of universality. In this way, Islam had the scene open for a world-wide diffusion.

The intermediate location of the Arab World served as an excellent centre of Islamic propagation. There is a flase, or rather ill-willed, claim that Islam spread with the compulsion of the sword. Next to unbelief and profanity, nothing could be so non-Islamic as coercion and persecution. In addition to the fact that all warfare was either retaliatory or protective, the morality of this noble faith extended therein most admirably. Conversion into Islam, on the other hand, was both individual and collective response to the resistless call of Right.

With the wide-spread of Islam, Muslims came into contact with other cultures. They received with acceptance all that did not contradict the codes of their faith. As a result, they were able to effect a revival of basic truths and retore essentials of wisdom. Consequently with increasing races that entered the faith, the power of Islamic civilisation swelled and the legacy of world culture multiplied.

Though no other religion has ever appeared to invalidate Islam or assume to perfect it, malicious challenge has never ceased. However, it has always been an incentive to power, consideration, solidarity and continuation for Islamic culture. No wonder then, that even in existing hard times of decline for Muslim societies, proselytes into Islam are steadily increasing. The capability of Islam to survive all adverse conditions. Adaptation is but a characteristic complementary to its originality and integrity.

Muslims should comply with the commandments fo Allah, they should learn from the symbol of standing minarets. The objective truth, indestructible faith; Allah is there, unseen but ever-watchful.

TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILL STAND

Islam is a supreme doctrine. It addresses man and society in person and denies the necessity of mediation between man and his Creator. Its patterns of worship, dealings, government and all facets of human concern are plain, practical and systematised.

Islamic doctrine has its guidance and inspiration from the Qur'an and the Sunna. These, in their excellent state of preservations, remain the fountain of the creed and its basic morality.

Islam encompasses seeking both this life and the Hereafter. It is a practical faith appreciative of both matter and soul.

Islam is also a religion of values and moral controls, which cover all fields of human thought and activity. Ordinances, however, are more or less alleviated in accordance with pressing circumstances. Nevertheless, such compromises never infringe on the integrity of morals or transgress the sanctity of tenets.

An intrinsic worth of Islam is that it calls for a connective relationship. It cements fraternity and brotherhood between Muslims.

Islam approves both reason and logic as valid instruments of wise guidance. It welcomes and even invites " Ijtihad " whenever necessary. By "Ijtihad" is meant sagacious and discerning deduction from the Qur'an and the Sunna of opinions on different matters not explicit therein. Islam shuns extremeity of attitude. However, it dictates rightousness and forbids indecency.

When Islam dawned upon Mecca, both conquest and commerce had already brought the larger part of the Old World into contact. Hence, the human conscience had already been fertilised

TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILL STAND

by : Soliman Barakat

Apparently, the political and cultural weight of the Muslim world is in a deplorable state of recession. This is no way an outcome of a defect in any islamic tenet or custom. Rather, it is a blemish to the credit of the undutiful Muslims of these days. They deserve it, and on themselves draw the accountability both for their own deviation and for the coming generations.

Islam is distinct from other religious cults for its perfection and its age-long stand in face of challenge. Furthermore, it is the sole faith that has established and developed its own civilisation. The patterns it has created of thinking, conduct and growth are all dutiful, deep-rooted, far-reaching, widespread and long-lived.

So far, and to eternity, it has been, and will remain, the last heavenly message. For man and society alike, it is capable of affecting the desired change and social evolution needed for human refinement.

The primary seed of this heavenly message is Belief and Faith. This entails a perpetual demand of righteous action and continuous endevour of proper conduct in man's everyday concerns.

THE SUMMONS IN SECRET

At this stage ends the first phase of the call to Islam the summons in secret and cautious privacy, and marks the start of the second phase which was characterised by public announcement only verbally with no armed confrontation. This second phase lasted till the Hijrah and constitutes an unequaled example of the most outrageous tyranny, oppression and persecution inflicted upon humans in the history of mankind. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) was at the centre and core of all the suffering and humility to which Muslims were subjected.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES :

1) Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dal Al Sharook - Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1987
   Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dal Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
   Text, Translation and Commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6) Figh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th. Edition, 1977
   Dar Al - Fikr , Cairo

This concrete reality invoked Muslims to gather as brethern in adherent commitment to their faith.

The summons to Islam in secret was a policy commanded by Allah during the early years. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) strictly adhered to the command of the Revelation. However, the infilteration and diffusion of Islam was gaining strong grounds, and during the three years became the talk of every tongue in Macca. A man from amongst them was receiving heavenly revelation, calling to the worship of Allah, and claiming that he was the messenger of a new faith. The cultural and social impact of the teachings of the new doctrine was tremendous; lighting up and illuminating the hearts and minds that believed, and certainly intriguing those who remained captured within the dark abyss of stupid ignorance of heathenism and idol worship. They antagonised the new faith but remained short of open confrontation and public opposition since the summons and call to Islam was in secret privacy, and did not affect or interfere with their status, dignity or wellfare, and did not so for humiliate or disgrace the idols they worshiped.

By the end of three years, the period of time during which the summons to Islam was in secret, about forty men and women were already coherently and strictly with total self conviction embracing Islam, and accepting its teachings and doctrines. After that period the Revelation came to command the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) to declare publicly what he was calling for in secret. The Qur'an states:-

> *Therefore expound openly*
> *What thou art commanded*
> *And turn away from those*
> *Who join false gods with God*
>
> *(Surat Al-Hijr XV,94)*

THE SUMMONS IN SECRET

Next followed Abu Bakre Ibn Abi Kuhafah a man of high rank and esteem in Kuraysh in lieu of his outstanding wisdom, knowledge and reputable character. Abu Bakre proclaimed Islam and summoned others who accepted to worship Allah, denying the existance of all other gods except Allah, and witnessed that Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was his Messenger. Among those pioneer vanguard were Osman Ibn Affan, Zubayer Ibn Al-Awam, Abdul-Rahman Ibn Aouf, Saad Ibn Abi Wakas, Talha Ibn Ubiedullah. These were followed by others as Abu Ubiedah Ibn Al-Garrah, Alarkam Ibn Abi Alarkam, Osman Ibn Mathoon, Ubiedah Ibn Al-Harith, Said Ibn Zaid, Khabab Ibn Al-Arit, Abdu-Allah Ibn Masoud, Ammar Ibn Yasser, and others including several women. Each of them came to the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) declared Islam and accepted with dignity and concreteness the doctrines of its message.

The summons to Islam in secret continued for three years, during which Muslims concealed their new faith and belief and practiced their prayers away from the eyes of Kuraysh in Macca who certainly hated and antagonized the decline of idol worship with the spread of the true new faith. The wave of Islam was swelling, and the call and summons was spreading - in privacy and secrecy. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) chose the house of Alarkam Ibn Abi Alarkam to meet, to councel, to teach, to instruct and to receive new converts into Islam. In gracious kindness, humble fraternity, confident manhood, eloquent speech, honest sinceroty, perceptive wisdom, peaceful tranquility, and very deep true sanctified piousness, the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) treated his friends the Sahaba. The Revelation continued commanding and directing, formulating the intricate pattern and code of the new faith, providing the doctrines that will liberate and emancipate humanity from the pitch of bitter darkness to the light of honour, reality and justification.

THE SUMMONS IN SECRET

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL.

The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) was ordained by divine command to carry the message of Allah in precise manners of worship, and exact conduct of patience steadfastness, and constancy. The revelation in its initial phrases inherently demanded that the call and summons to Islam be conducted in secrecy and selective restraint. In compliance with such understanding and perception, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) began his summons in absolute dis- creetness and confidential communication with his close kins- men and persons with intimate relationship. The call was to the worship of Allah, the Creator, the most Gracious, the most Merciful, the Exalted, and the One; and to witness that Mohammad(Prayers and Peace from Allah upon him) was his mess- enger and prophet.

The first that embraced Islam were members of the Prophet's family- his wife Khadija Bent Khuwaylid, his cousin Ali Ibn Abi Taleb, and Zaid Ibn Harithah his protege. Both Ali Ibn Abi Taleb, and Zaid Ibn Harithah lived in the home of the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) ; a home that reflected coherence and confidential respect to the Master and Messenger.

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



المسجد الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسراء والمعراج

من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

حين تعاهد الطغيان على مطاردة الايمان والمؤمنين، حين تعاقدت قريش فى صحيفة قرروا فيها وفاقا على مقاطعة رسول الله — صلى الله عليه وسلم —، وحصاره مع من اتبعه من المسلمين، ثلاث سنوات متتابعة احتمى فيها النبى — عليه الصلاة والسلام واهلـه ومن أتبعوه بشعب من شعاب الجبل بظاهر مكة .

الجزء السابع — السنة السادسة والخمسون
ابريل ١٩٨٤ م رجب ١٤٠٤ ه

الإسراء والمعراج

من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

لم يستسلم لهذا الحصار الذى اوقعته فيه قريش ، بل صبر وثابر محتسبا ما يلقى هو وصحبه فى سبيل ابلاغ الدعوة حتى ارعوى بعض قومه عن غيهم ، فتنادوا الى نقض صحيفة المقاطعة واجمعوا امرهم على استدامة الصلة بين قريش واولئك المحاصرين ، ولما هم هؤلاء بتمزيق الصحيفة وجدوا ان الأرضة قد أكلتها الا ما جاء فى افتتاحها من كلمة : (باسمك اللهم) .

وما أن يعود الرسول عليه الصلاة والسلام والمحاصرون معه الى مكة حتى يواصل الدعوة الى دينه تاليا ما أنزل الله عليه من قرآن ،وفى توارد الحوادث وتتابعها .

ولما تمض سوى عدة أشهر على نقض صحيفة الحصار حتى كان موت أبى طالب عم الرسول ، ثم موت زوجه خديجة ، وقد كانا له سندا فى دعوته ، تكاثرت عليه من بعد وفاتهما اساءات قريش وتربصهم به ، حتى طلب النصرة والمنعة من ثقيف بالطائف ، أملا فى اسلامهم ، ولكنهم كجيرانهم قريش ، قست قلوبهم ولووا رءوسهم ، وأغروا به سفهاءهم ، فكانت شكواه لربه وتضرعه فى مناجاته :

(اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين انت رب المستضعفين ، وانت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته امرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ، ولكن عافيتك اوسع لى ، اعوذ بنور



بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة ، من ان تنـزل بى غضبك او تحل على سـخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك) .

فى وسط هذه الأرزاء والأنـواء ، كانت رحمة الله برسوله بهذه الرحلة ، تسرية عنه ، وتثبيتا لقلبه ، وتأييدا لدعوته ، وحفزا لهمته، واستجابة لتضرعه .. وفيهـا كانت دلالات صدق رسالته مع تزكية نفسه واستقامة أمره..

كانت الرحلة الى القدس تقريبا وتكريما له (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ..

هذا الاسراء ، ثم المعراج – لا نعلم أن أحدا قد أعطيه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام – وما أكرمه الله فيهما من امامتـه الأنبياء فى بيت المقدس ، وما أراه من آيـات كبرى فى المعراج وتكليمه ربه سبحانه ورؤيته اياه ، وتجاوزه السماوات السبع حتى سدرة المنتهى ، وسماعه صريف الأقلام ، ولقاؤه بالانبياء ، وما أعطيه من الصـلاة وخواتيم سورة البقرة ومضاعفة الحسنات ، واعتراف الانبياء بنبوته ورسالته وامامته : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) .

٥ الإسراء والمعراج من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

نعم : كانت رحلة الاسراء والمعراج منهجا للحياة ، ووسيلة لتخطي عقبات ، واعانة على الجهاد في ابلاغ الرسالة ، وجهادا للنفس حتى تستقيم ، وتقيم الفرائض ، وتلتزم بالفضائل وتتزكى من أوضار الحياة (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) .

لقد أرضاه ربه واجتباه وزكاه بالاسراء والمعراج ، فاذا دارت الايام ومرت بالمسلمين هذه الذكرى ، كان لزاما عليهم أن يتدارسوا أثرها في اتساع الدعوة وامتدادها ، وتثبيت المؤمنين حتى ازدادوا ايمانا ، فما وهنوا ـ بعد ـ لما أصابهم من أذى وضر ، وما استكانوا لما وقع عليهم من غبن وحيف .

واذا كانت الصلاة قد فرضت في هذه الرحلة فلانها بحق عماد الدين ، كيف لا ؟ وهي آية ظاهرة على وحدة المسلمين اذ يتجهون فيها الى قبلة واحدة . في عبادة موحدة في أوقات محددة .

واذ تمر هذه الذكرى بالمسلمين اليوم وهم في فرقة وتنافر وخصام وتقاتل ، عليهم أن يذكروا المسجد الاقصى ، الاسير الذي كان أول قبلة للمسلمين ، الذي أسرى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليه ، وصلى فيه اماما بالانبياء والمرسلين ، الذي تسلمه عمر ابن الخطاب .

وظل المسلمون في رحابه حراسا له وسدنة لأعتابه ، يعمرونه بالصلاة وترتفع فيه نداءات المؤذن في وقت كل صلاة ، وكم من حلقات للعلم قد انعقدت في جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فيه علوما نافعة في الدين والدنيا .

ليذكر المسلمون القدس وانها دارهم ، وان يجمعوا أمرهم ليستردوا ارضهم وبدلا من هذه الحروب التي أفنت شبابهم ، واستنزفت أموالهم ، يقتل فيها الاخ أخاه وجاره ، عليهم أن يقفوا صفا واحدا فان الأخطار محدقة بهم من كل جانب ، وان أعداءهم يفجرونهم من الداخل حتى يكون بأسهم فيما بينهم شديدا وقلوبهم شتى .

في ذكرى الاسراء علينا نحن المسلمين أن نرتفع فوق الخلافات ، وان نتخذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ، فلا نيأس من روح الله فنزداد فرقة ، بل نثق في وعد الله الذي لا يتخلف : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) . ولن يغلب عسر يسرين

نعم : لن يدافع عن قضاياكم الا جموعكم .. ولن تسترد القدس الا بوحدتكم :

(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

آيات الغيب في عالم اليقين

للدكتور علي أحمد الخضيب

... والغيب هو : العالم غير المنظـور الذي لا تدركه أبصارنا ابتداء مما يحيط بنا من عـوالم لا نراها ، ونهـاية بالملأ الأعلى ، فكل « عالم الغيب » .

هذا العالم الذي حجب الخـالق ـ عز وجل ـ مشـاهده عن خلقـه ... « فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَـدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُـولٍ(١) ... » فأولئـك أهل اليقين الذين صنعهم الله ـ سـبحانه ـ عـلى عينه ، واصطفاهم لنفسه ، وانقذ بهم من شاء من خلقه .

أولئـك يريهم الله من « عالم الغيب » ما شاء ، فيشـاهدونه عـلى حقيقتـه ، ويحيطون به علما ـ صلوات الله وسلامه عليهم .

يشهد الله ـ سبحانه ـ هذا العالم من أرادمنهم ان شاء ببصيرته ، وان شاء به كله :جسدا وروحا ، بصرا وبصيرة فيرى من آيات ربـه فى عطاء سخي بغير حدود .

أرى ـ عز وجل ـ خليله ابراهيم ـ عـلى نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ما شـاء من عالم الغيب فشقت لبصيرته الحجب من أعلى وأدنى حتى أوعب .

---

(١) الآية ٢٦ ـ ٢٧ من سورة الجن .

٥ آيات الغيب في عالم اليقين

« وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ »(١)

قال الامام النسفي ـ رضوان الله عليه :

« أي نرى ببصيرته لطائف خلق السموات والأرض » اهـ .

وليس تنفصل البصيرة عن الروح .

قال مجاهد ـ رضي الله عنه :

« فرجت له السموات السبع الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر الى ما فيهن »

كذلك نقل عن عطاء وسعيد بن جبير ، وغيرهم من أعلام التابعين (٢)

فتلك رؤية شاهد فيها من عالم الغيب ما شاء الله ... « بفؤاده وتحققه وعرفه ، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة ، والدلالات القاطعة كما رواه الامام أحمد ، والترمذي وصححه ، عن معاذ بن جبل في حديث المنام (٣) » .

كل ذلك والخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ لم يفارق بدنه الشريف الأرض وانما هي نقلة سرت فيها البصيرة والروح فشاهدت آيات الغيب في عالم اليقين .

وأسرى الله ـ سبحانه ـ بعبده ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففارق البيت الحرام ببدنه كله منفصلا عن الأرض طائرا ـ على البراق ـ الى المسجد الأقصى بفلسطين يصحبه الأمين جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ، ثم عرج الى أعلى ، ومن

---

(١) الآية ٧٥ من الانعام .

(٢) ومثل ذلك لا ينقله التابعي الثقة عن رأي ، وقد تواترت الرواية هنا عن اكثر من واحد .

(٣) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ١٥٠ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، وانظر في الآية الكريمة تفسير النسفي والألوسي .. رضي الله عنهم .

سماء الى سماء تمددت آيات الله فى عالم اليقين على كل مرقى لرسوله الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى سدرة المنتهى والبيت المعمور قال عليه الصلاة والسلام :

ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف من الأقلام(١) •

ورأى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقص :

فقص عقب الرؤية والعودة •

وتحدث ــ بعد ــ بما شاء الله •

صلى الله وسلم وبارك عليه فى العالمين ، وفقنا على خير ما يحب ويرضى

وكانت رحلة :

حفها استقبال الملائكة والنبيين •

وتواترت فيها مشاهد الغيب من عالم اليقين•

وطرحت أمام ناظريه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقائع « الجزاء » للصالحين والطاغين وختمت بفرض « الصلاة » ، صلة الخلق برب العالمين •
ثم انتهى والنبيون الى المسجد الأقصى فأمهم أجمعين •

وذكر هذه الرحلة فأجاد وأفاد الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » ثم قال :

« وقد تواترت الروايات فى حديث الاسراء عن :

عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن مسعود ، وأبى ذر ، ومالك بن صعصعة ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ، وابن عباس ، وشداد بن أوس ، وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرط

(١) صحيح البخارى •• كتاب الصلاة •• وأنظر تفسير ابن كثير ــ واللفظ له ٣/٩ •

وأبي حبة ، وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبي أيوب ، وأبي أمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي .

وأم هانيء ، وعائشة ، وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق — رضي الله عنهم أجمعين .

منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد (١) » ١٠ هـ .

وحديث الاسراء يعني ما معه من « معراج » لا مجرد الاسراء فقط ، والا ففيما تحدث بـه الكتاب العزيز عن الاسراء الدليل الذى لايحتاج — الى جواره — الى دليل ، فالمعراج تواتر على ألسنة القوم ، لذا يقول الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية :

فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٢) » ا هـ

وظل حديث الاسراء وما تلاه من معراج مصفاة تستبقي المؤمنين الى يوم الدين ، فبقدر ما كان رحلة طيبت فؤاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسرت عنه كانت اختبارا يمحص الله به المؤمنين ويمحق الملحدين :

روى الامام أحمد — رضي الله عنه — بسنده الى ابن عباس — رضي الله عنهما قال : « أسرى برسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم ، فقال الناس :

— نحن لا نصدق محمدا بما يقول .

فارتدوا كفارا ، فضرب الله رقابهم مع أبي جهل » .

ورواه النسائي من حديث أبي يزيد : ثابت بن زيد عن هلال ، وهو ابن حبان بلفظه ، وهو اسناد صحيح(٣) .

فأما أبو بكر — رضوان الله ، تعالى ، عليه — فكان به من الصديقين وكذا شأن المؤمنين .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤ .
(٢) سورة الصف — ٨ —
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٤ ، ١٥

دراسات قرآنية

أزمة خلقية في قصر عزيز مصر

الحمد في القرآن الكريم

أزمة خلقية فى قصر عزيز مصر تثيرها إمرأته

يقول الله سبحانه « وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » الآيات من سورة يوسف

كان لامراة العزيز مع يوسف عليه السلام موقف خال من الكرامة الخلقية ، قابله يوسف بما هو اهله من العزة والاباء والطهر ، ثم انتهى امره الى ولاية شئون مصر نيابة عن الملك .

وقبل ان نتحدث عن فصول تلك العبرة ، نذكر المقدمات التى وصلت به الى قصر عزيز مصر استيفاء لعناصر القصة والعبرة معا ، فنقول وبالله التوفيق :

كان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولدا من أمهات شتى ، آخرهم يوسف وبنيامين من أم واحدة ، وكانا يتمتعان بمزايا جعلت لهما منزلة رفيعة من الحب لدى أبيهما .

فحقد عليهما اخوتهما وكان أكثر حقدهم متجها نحو يوسف عليه السلام لأن حب أبيه له كان اعظم ، لكريم سجاياه وللمستقبل الرفيع الذى كان يتوقعه له بعد أن حدثه برؤياه « إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »

« مؤامرة خطيرة »

لم يكن اخوة يوسف أنبياء — كما زعم بعض الزاعمين — بل كانوا بشرا عاديين يجرى منهم ما يجرى من البشر ، فلا غرابة فى أن تحدث منهم تلك المؤامرة الكبرى على أخيهم يوسف عليه السلام لحكم دبرها العليم الخبير فقد استتبعت تربعه على أريكة الوزارة فى مصر وولاية شئونها الخطيرة . اجتمع هؤلاء الاخوة العشرة — والحقد يملأ صدورهم « إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ

للشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين ، وسموا بذلك لأنهم يحيط بعضهم بعضا برأيه وتأييده كما تحيط العصابة بما تعصب به ، وقد عابوا على ابيهم أنه آثر القلة الصغيرة على الكثرة الكبيرة — مع أن الأخيرة أنفع له فى نظرهم ، وحكموا عليه لذلك بأنه ضل عن الصواب ضلالا مبينا .

فقال قائل منهم « اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ » أى اقتلوه أو اطرحوه فى أرض بعيدة ، حتى يتعذر عليه الرجوع الى أبيه أو تأكله الوحوش الضارية ، وبذلك يخلص لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ، ولاينازعكم أحد فى محبته ، وتكونوا من بعده قوما صالحين بالتوبة من قتله ، أو صالحين مع أبيكم بعذر تنتحلونه ، أو صالحين فى أمور دنياكم حيث يخلو لكم وجه أبيكم .

وقال آخر « لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ » أى لا تقتلوه فان القتل خطير ، ولكن القوة فى جوف الجب الذى يغيبه عن العيون ، ليبقى حيا فيلتقطه بعض الذين يسيرون فى الأرض ، ان كنتم فاعلين التفريق بينه وبين أبيه ، فهذا مع تحقيقه المراد أبعد عن القتل وأسلم ليوسف .

والجب فى اللغة البئر البعيدة القاع ، أو التى وجدت ولم تحفر ، وغيابة الجب طاق فوق الماء يغيب الشىء عن العين — كما قال الهروى .

فاتفق رأيهم على القائه فى هذه الغيابة ، وذهبوا الى أبيهم قائلين : « مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » أى لماذا لا تأمنا على يوسف بل تخاف عليه منا ، مع أننا نشفق عليه ونريد له الخير ونبذل له النصيحة ، أرسله معنا غدا نتمتع فى أكل الفاكهة وغيرها ، ونلعب بالاستباق وسواه من أنواع اللعب المباح ، وانا له لحافظون من كل مكروه ، فلا داعى لخوفك عليه .

لكن يعقوب عليه السلام لم يكن مطمئنا على حفظهم له ، وذلك ماحكاه الله بقوله : « قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ » أى قال يعقوب لبنيه : انى ليحزننى ذهابكم به وفراقه لى ، فأنا لا أطيقه ، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم فى لهوكم ولعبكم ورتعكم غافلون عنه — لقلة اهتمامكم به — والأرض كثيرة الذئاب والوحوش ، فيفترسه بعضها وقد تركتموه وحيدا .

« قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ » قال اخوة يوسف لأبيهم مقسمين : والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة نحيط به ،

٥ أزمة خلقية

اننا حينئذ لخاسرون فى أمورنا ، فلا نصلح لجلب الأرزاق لضعفنا ، ولا لغير ذلك من شئون الحياة لسوء تصرفنا .

فرضى يعقوب عليه السلام بصحبته لهم على كره منه « فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » اى فلما ذهبوا بيوسف وعزموا جميعه على القائه فى غيابة الجب ، نفذوا ماأجمعوا عليه ، وأرسلنا ملكا ليوسف عليه السلام ليطمئنه ويزيل الوحشة عنه .

وقلنا له على لسان الملك : لتنبئن اخوتك بأمرهم هذا وأنت عزيز مصر ، وتخبرهم بما فعلوه بأخ لهم من أبيهم ، وهم لا يشعرون ان الذى يلومهم ويحتل اريكة الوزارة هو اخوهم يوسف الذى ألقوه فى غيابة الجب .

يوسف بعد القائه فى الجب

ثم يحكى اللهما آلاليه آمر يوسف بعدالقائه فى غيابة البئر فيقول « وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » اى وجاءت رفقة من التجار يسيرون متجهين الى مصر — جاءوا بعد عودة اخوة يوسف الى أبيهم ليسووا شأنهم معه — فنزلت الرفقة قريبا من الجب ، فأرسلوا واردهم الذى يرد الماء لهم ويعرف طريقه — أرسلوه — ليستقى لهم وكان معه بعض هؤلاء الرفاق ، ليساعدوه فى جذب الماء من البئر ، وتوصيله الى باقى جماعتهم ، فأدلى هذا الرائد دلوه فى البئر فتعلق يوسف بالدلو « وكان صبيا وقتئذ » فلما قرب خروجه من البئر ورآه الرائد فى حسنه وجماله قال لأصحابه وهو فى أشد العجب والفرح : يا بشرى لنا . هذا غلام جميل كان فى البئر سنبيعه عبدا بمصر .

وكان يوسف عليه السلام غاية فى الحسن ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسراء برواية مسلم « فاذا أنا بيوسف ، اذا هو قد أعطى شطر الحسن » .

وبعد أن بشر الرائد أصحابه به اتفق معهم على أن يخفوا أمره عن باقى رفقتهم حتى لا يشاركوهم فى ثمنه ، فلما رجعوا به مع الماء الى باقى السيارة قالوا لهم قصة تجعل الامر فيه لهم وحدهم ، كقولهم ان أصحاب الماء اعطونا اياه لنبيعه لهم بمصر ونرد لهم الثمن.

قال مجاهد — أسره الرائد ومن معه من الرفقة عن التجار الذين معهم فى السيارة ، وقالوا لهم : هذه بضاعة استبضعناها بعض أهل الشام أو أهل هذا الماء الى مصر ، وانما قالوا لهم هذا خيفة الشركة : انتهى كلامه بتصرف يسير .

ثم ختم الله الآية بقوله « وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » وهذه الجملة اما وعيد لأخوة يوسف على ماصنعوه بشأنه ، من تآمرهم على قتله ثم ابداله بالقائه فى غيابة الجب وتعريضه

للعبودية ، واما بيان لعلمه سبحانه بشأن ما اتفق عليه أولئك الذين استخرجوه من البئر ، وما أدى اليه من العز الذى وصل اليه ، فكل ذلك بعلم الله وتدبيره الحكيم .

« وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ »

كلمة شرى تستعمل تارة بمعنى اشترى ، وأخرى بمعنى باع ، وهى هنا بمعنى باع ، أى وباعوه بثمن قليل ناقص عن قيمة مثله من الأرقاء ، وكان البائعون فى بقائه معهم من الزاهدين ، فلهذا تساهلوا فى ثمنه ، اما لكونه لقطة لم يدفعوا فيه ثمنا ، أو لخوفهم من أن يظهر مستحق له ، فينزعه منهم .

« يوسف فى بيت عزيز مصر »

ويحكى الله قصة يوسف فى بيت عزيز مصر بعد أن اشتراه فيقول « وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

لم تفصح هذه الآية عن شخصية من اشترى يوسف عليه السلام ، وأفصحت عنه آية أخرى هى قوله تعالى :

« وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ » فهى تدل على أنه عزيز مصر ، واختلف فى لقب العزيز فقال الضحاك انه لقب الملك ، فهو لقب ملك مصر عنده ، ويسميه السهيلى قطفيرا ، وقال ابن عباس : انما اشتراه عزيز مصر ، ويرى أن اسمه قطفير أيضا .

ونحن نرجح ما قاله ابن عباس من انه وزير الملك ، كما تفصح عنه قصة استدعاء الملك ليوسف من السجن ، بعد أن عبر له رؤياه الخطيرة ، فقد استدعاه ليستخلصه لنفسه ويستشيره فى أمر ملكه ، فاعتذر عن عدم الحضور حتى يحقق مع النسوة اللاتى قطعن أيديهن حين رأين جماله ، ومع امرأة العزيز ، يتعرف منهن براءة يوسف من دعوى امرأة العزيز أنه حاول اغتصابها .

وتحكى الآية أن عزيز مصر الذى اشتراه قال لامرأته : أكرمى مقامه عندنا وأحسنى اليه فى المعاملة والرعاية لعله ينفعهم فى ضياعهم وأموالهم ومصالحهم ، أو يعتقه ويتبناه ، لما رأى فيه من أمارات النجابة والشرف كما تحكى الآية أيضا أن الله كما مكن ليوسف فى بيت عزيز مصر الذى اشتراه ، جعل له مكانة رفيعة فى أرض مصر بين أهلها ، حيث عرف بأخلاقه الفاضلة وتصرفاته الرشيدة ، الى جانب جاهه العريض بتبعيته للعزيز ، وما ينم عنه مظهره من الوجاهة — جعل الله تعالى له هذه المكانة — ليترتب عليها ماجرى بين امرأة العزيز وبينه قبل أن يسجن ، ولنعلمه بعض تأويل الاحلام وهو سجين ، فتكون سببا فى ظهور براءته من الخيانة التى نسبتها امرأة العزيز اليه ، فينتهى أمره الى الوزارة والسيطرة على

○ أزمة خلقية

خزائن الارض ، والله غالب على أمره لاينازعه فيه منازع ، ولايغلبه فيه غالب ، فهو الذى يقول للشيء كن فيكون ، وكذلك كان أمره تعالى فى قصة يوسف ، فقد أراد له غير ما أراد له اخوته ، فتحقق مراد الله وبطل مرادهم ، ولكن اكثر الناس لايعلمون أن مشيئة الله هى الغالبة .

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ » .

هذه الآية الكريمة تعطينا صورة عن المرحلة التى انتقل اليها فى بيت العزيز ، وهى مرحلة الشباب الحكيم المتزن ، بعد مرحلة الصبا التى كان فيها عند شرائه ، أى ولما بلغ يوسف منتهى قوته الجسدية ، آتيناه حكمة فى القول والعمل ، واصابة فى الحكم بين الناس ، وعلما غزيرا وبصرا بالأمور وحسن تأويل للاحلام ، مثل ذلك الجزاء الحسن نجزى المحسنين فى تصرفاتهم .

« محنة يوسف فى بيت العزيز »

يحكى الله هذه المحنة بقوله « وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » .

المراودة فى اللغة الطلب برفق ولين ، يقال فى الرجل : راودها عن نفسها ، أى طلب أن يواقعها وترفق فى طلبه منها وفى المرأة راودته عن نفسه ، أى طلبت منه ذلك فى رفق ولين ، وهيت اسم فعل أمر معناه أقبل ، واللام فى (لك) للبيان ، أى لك أقول هذا ، كما فى هلم لك .

ويقول أبو عبيد فى (هيت) : قال الكسائى : هى لغة لأهل حوران ، وقعت لأهل الحجاز ، معناه — تعال — قال أبو عبيد : فسألت شيخا عالما من حوران ، فذكر أنها لغتهم ، وبه قال عكرمة — وهذا يقتضى أنها أعجمية دخلها التعريب فصارت عربية .

وقال مجاهد وغيره : هى لغة عربية تدعوه بها الى نفسها ، وهيت به اذا صاح ودعاه .

وقيل انها اسم فعل ماض بمعنى تهيأت لك ، وهى بهذا التأويل تتفق مع قراءة ابن عباس (هئت لك) تتفق معها فى المعنى ، ويطلق الرب على السيد وعلى المربى .

ومعنى الآية : وطلبت من يوسف امرأة العزيز التى هو فى بيتها — طلبت منه — أن يخالطها ، وقد أعجبت بشبابه وجماله ووجاهته وحكمته ، واحتالت لذلك بما وسعها من الملاينة والاغراء والخضوع ، تريد بذلك أن تخدعه عن نفسه ، وأن تغلبه على طبعه ، وغلقت الأبواب التى توصل اليهما حتى لا يفضحها مفاجيء .

وقالت له بصراحة تهيأت لك واعددت نفسى من اجلك ، فوقعت منه هذه المراودة موقع الاباء والرفض ، اذ قال لها : أعوذ بالله معاذا مما تريدين منى ، والجأ اليه فى أن يصرفه

عنى ، وعلل رفضه لطلبها بما عساه أن يصرفها عنه ، ويدعوها الى النظر فى سوء تصرفها ورجوعها عن خيانة زوجها ، حيث قال : « إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ » انه سيدى الذى رباني وأحسن تعهدى ، حيث أمرك باكرامى فكيف أخونه فى أهله .

ويجوز أن يكون الضمير فى قوله « انه ربى » عائداً على الله تعالى ، أى ان الله ربى أحسن مثواى ، حيث أنزلني فى بيت عزيز مصر ، وجعل قلبه يعطف على ، فأكرمني وأمر أهله باكرامى ، فكيف أعصى الله ربى بارتكاب تلك الفاحشة الكبرى مع زوجة من آوانى وأكرمني .

ثم أيد امتناعه عنها بقوله « إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » أى ان الشأن فى سنة الله أن الظالمين لا فلاح لهم فى دنياهم وأخراهم ، فكيف أقدم على ظلم من أحسن الى بالاساءة الى حرمه ، وأتعرض بذلك لنقمة الله .

الساعة الحرجة

ولقد ظن يوسف عليه السلام أن موقفه الحاسم من مراودة امرأة العزيز بقوله لها « مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » ظن أن موقفه هذا يرجعها عن غيها ، وينتشلها عن حمأة الرغبة فى خيانة زوجها ، ولكنها أخلفت ظنه فاتخذت موقفا آخر أشد اغراء وأكثر اصرارا على تنفيذ جريمتها ، وذلك ما حكاه الله بقوله « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ » .

والهم فى اللغة الارادة والعزم ، وهو يفسر فى كل منهما على حسب حاله .

فالهم من امرأة العزيز : اصرارها على مخالطته اياها برغم ممانعته القوية التى تمثلت فى الآية السابقة ، والهم منه عزمه واصراره على ما كان منه من الممانعة والترفع عن خيانة الوزير فى حرمه ، ودفعه لها عن نفسه حتى أوشك أن يؤذيها لشدة اغرائها على الخيانة وجذبها له بعزيمة واصرار ، لولا أن رأى برهان ربه لآذاها للتخلص من جذبها له وحصارها اياه ، فاتجه الى الباب ليفتحه ويخرج من حصارها .

ويدل لهذا المعنى أنهما بعد هذا الموقف الحاسم استبقا الباب ، فهو يتجه اليه ليخرج فرارا من حصارها وتصميمها على استبقائه برغم تحطيمه لكبريائها وغلظته فى ممانعتها ، وهي تجرى خلفه لتمنعه من الخروج وتجذبه من قميصه حتى قدته من خلفه ، وبرهان ربه هو ما ألهمه اياه من أنه لو آذاها وخرج ، لادعت انه هو الذى راودها ، فلما امتنعت ضربها وفر الى الباب ليهرب .

ومعنى الآية على هذا الوجه : ولقد همت امرأة العزيز بيوسف – عليه السلام – تجذبه الى نفسها بعد ممانعته لها ، وتدعوه الى مخالطتها ، ولقد أذلت نفسها له وهو فى نظرها عبد لها ، ولكنه هم بها دفعا لها بقوة

٥ أزمة خلقية

عن نفسه ، وأوشك أن تتطور دفعه إياها الى إيذائها ليتخلص منها ، لولا أن رأى في قرارة نفسه الهام ربه يدعوه الى ترك إيذائها ، حتى لا تدعي أنه هو الذي راودها عن نفسها ، ولما امتنعت من اجابته آذاها — لولا ذلك — لآذاها ليتخلص من جذبها له ، وتلويثه بهذه الخيانة النكراء ، كذلك التثبيت ثبتناه وعصمناه لنصرف عنه السوء وهو إيذاء من أكرمته ، ولنصرف عنه الفحشاء التي دعته اليها ، انه من عبادنا المخلصين الذين أخلصناهم لنا ، وهم آباؤه الأكرمون الذين أخلصهم الله من شوائب النقص .

فقد قال الله فيهم « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ » (١) .

« رأى جيد للامام البيضاوي »

وقال الامام البيضاوي : الهم بالشيء قصده والعزم عليه ، ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء أمضاه ، والهم من امرأة العزيز قصدها مخالطته اياها وعزمها عليه ، والهم من يوسف عليه السلام مجرد ميل طبعه بموجب الجبلة الانسانية من غير أن يكون له اختيار وقصد في ذلك ، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف ، ولا شك أن من يكف عن الفعل عند وجود هذا الميل الذي اقتضته الطبيعة البشرية حقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله : انتهى ما قاله البيضاوي بتصرف يسير لتوضيحه .

وهذا القول جدير بحسن القبول ، فانه لا فضل لمن يمتنع عن حرام لا تميل نفسه اليه ، لأنه لا كسب له في هذا الامتناع ولا اختيار له فيه ، وانما الفضل لمن يكف نفسه عن ميلها بطبعها وبشريتها اليه ، ويصرفها عن الاستجابة له .

وجواب لولا على هذا الرأي محذوف ، والتقدير ، لولا أن رأى برهان ربه على قبح الزنى وسوء عاقبته لخالطها لشدة اغرائها واذلال نفسها له ، وبحكم الطبيعة البشرية ، فهذا البرهان هو العاصم للمتقين عن الاستجابة الى المحرمات ، وهو الذي يحصل به الكف اختيارا عن المعصية ، فان الكسب الاختياري هو أساس الثواب في الطاعة ، وأساس العقاب في المعصية ، وكلما كانت القلوب نقية طاهرة ، كان الاعتصام فيها عن الحرام أقوى وأسرع وأمتع .

وهذا الرأي يتفق مع رأي لنا في الآية ، سجلناه في كتابنا (عقد الجمان في تبيان غريب القرآن) مطبوع في سنة ١٣٥٦ هـ الموافق لسنة ١٩٣٧ م والله ولي التوفيق .

« آراء هابطة مرفوضة »

وهناك آراء مدسوسة على كرام السلف

---

(١) سورة ص الآيات ٤٥ ـ ٤٧ .

الصالح في تفسير قوله تعالى « **ولقد همت بـه وهم بها** » فقد روى عن ابن عباس أن يوسف عليه السلام حل الهميان — أي السراويل — وجلس منها مجلس الخاتن .

وروى عن مجاهد أنه حل السراويل حتى بلغ الاليتين ، ومما روى عن بعضهم أن هم ، يوسف كان معصية ، فانه جلس منها مجلس الرجل مع امرأته قبل أن يرى برهان ربه .

وهذا كله كلام مفتعل علىّ قائليـه ، كما افتعل الوضاعون أحاديثهم على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو أقـاويل هابطـة لا يصح عقلا قبولها ولا التعويل عليها ، لانهم لم يشاهدوا ما زعمـوه حتى يذكـروه ، ولم يسـمعوه من معصـوم حتى يرووه ، ولأنه جرأة منهم على العصمة التي يلزم توفرها في الأنبياء حتى يقتدى بهم ، وغفلـة عن ان الله تعالى اختار أنبياءه بنفسه ، وهـو حسـن الاختيار ، فلا يختار الا من كان حسن السير والسلوك قويا لا يلين عند الشدائد ، عفيفـا لا يميل لهوى النفس ولا لمغريات النسـاء .

وكيف تجاهل هؤلاء الوضاعون كمال طهر يوسف عليه السلام الذى تمثل في قوله « **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّـهُ رَبِّيٓ أَحْسَـنَ مَثْـوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** » وكيف يصح عند ذوى العقول أن يحدث منه ذلك وقد أثنى الله عليه بقوله له :

« **إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** » .

واعترفت امرأة العزيز باستعصامه وهددته بالسجن ان لم يستجب لها ، وكان ذلك امام نسوة من أهل المدينة ، وذلك ما حكاه الله بقوله

« **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَـزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَـا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِـدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَـهُۥ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُۥ لَيُسْـجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّـنَ الصَّاغِرِينَ** » .

ولما عبر يوسف للملك رؤياه طلب احضـاره ليستخلصه لنفسه ، فأبى ان يخرج حتى يحضر الملك النساء ويسألهن عن قصته حتى تظهـر براءته قبل ان يخرج من السـجن ، فلمـا احضرهن قالت النسوة « **حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَـا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَـالَتِ امْـرَأَتُ الْعَـزِيزِ الْـآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِـهِۦ وَإِنَّـهُۥ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ . وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ** » فبعد تلك الآيـات البينات والحجج الواضحات يجب طرح تلك الأقاويل الهابطة ، والله يقول الحق وهو يهدى السـبيل .

الحمد في القرآن الكريم

(٤)

٣٢ ـ حمد حملة العرش واستغفارهم للمؤمنين :

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ غافر ٧ ، ٨ ، ٩ .

ان حملة العرش ثمانية كما حكى القرآن « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ » وهم من أشراف الملائكة ، وان جموعا من الملائكة يغدون ويروحون بالسلام على حملة العرش ، وذلك يدل على فضلهم على غيرهم من الملائكة ، وليس المراد من انهم يحملون العرش أن فوق ذلك العرش اله العالمين ؟ لأنه منزه عن المكان والحدود فهو الله في السماوات وفي الأرض وفي الوجود كله .

أما من حول العرش من الملائكة فهم صنوف والوف وهم الذين ذكرهم الله في قوله : « وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » ، وما أعظم العرش فالسموات والأرض

للدكتور محمد محمد خليفة

بالنسبة للعرش كالحلقة الملقاة فى الصحراء، وعظمه يدل على كثرة الملائكة الحافين به .

وحملة العرش والحافون به من الملائكة حكى القرآن عنهم أنهم :

١ ــ يسبحون بحمد ربهم : وقد حكى القرآن عنهم أنهم برروا أحقيتهم بالاستخلاف فى الأرض بقولهم : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .

٢ ــ أنهم يؤمنون به :

٣ ــ أنهم مشفقون على خلق الله ولذلك فهم :

(أ) يستغفرون للذين آمنوا ، واستغفارهم للمؤمنين يدل على أن الملائكة ليسوا محتاجين الى الاستغفار لأنفسهم ، لأنهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أما البشر فمحتاجون الى أن يستغفروا أو يستغفر لهم حتى الأنبياء منهم وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات فقال « وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » وحكى عن نوح قوله : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ »

(ب) : أنهم ينادون ربهم : « رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ » الخ .

ويلاحظ أن أكثر دعاء فى القرآن جاء عقب نداء الله بلفظ الرب .

فالملائكة هنا نادوا : « رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا » الخ .

وآدم حكى عنه قوله : « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا »

ونوح حكى عنه قوله : « رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » .

وابراهيم حكى عنه قوله : « رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ »

ويوسف حكى عنه قوله : « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

وموسى حكى عنه قوله : « رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي »

وسليمان حكى عنه قوله : « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا »

وعيسى حكى عنه قوله : « رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا

مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ »

ومحمد حكى عنه قوله « وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ » .

وقد وسعت رحمة الله وعلمه كل شيء ، وقدم الملائكة الرحمة على العلم رجاء ايصال الرحمة أولا ، وايصال الرحمة يرجى منه تجاوزه عما علم من ذنوب البشر ، وكمال الرحمة انما يكون بالتجاوز عن الذنوب .

وسعة رحمته وعلمه تدل على شمول رحمته لكل شيء ، وشمول علمه بكل شيء ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقد طلب الملائكة في دعائهم للمؤمنين :

١ ــ **الغفران** : فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقد وصفوا من طلبوا لهم الغفران بأنهم يكونون من التائبين من ذنوبهم لا من المصرين المستمرين في اقتراف الذنوب ، وأن يكون ممن اتبعوا سبيل الله وصراطه المستقيم بعد توبتهم .

٢ ــ **أن يقيهم عذاب الجحيم في الآخرة** : **وقهم عذاب الجحيم** ، وان كان طلب المغفرة يشير الى اسقاط العذاب عنهم ضمنا ، الا أنهم طلبوا صراحة أن يقيهم عذاب الجحيم لتأكيد الغفران .

٣ ــ **ثم اردفوا ذلك بطلب ايصال الثواب اليوم** : رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ » أى وعدت المؤمنين التائبين المتبعين سبيلك منهم حيث وعدت من قال لا اله الا الله محمد رسول الله الا يخلد في النار ، وهذا وعد من الله أن يدخلهم الجنة من غير أن يدخلهم النار أو بعد دخولهم ليعذبوا على معاصيهم ثم يدخلون الجنة وطلبوا كذلك أن يدخل معهم الجنة الصالح من الآباء والأزواج والذرية ، والمراد بالصالح منهم : المؤمن ثم ختموا ماحكاه منهم القرآن بقولهم : « إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ، لأن عزته تدعو الى حصول ما طلبوا منه وحكمته تدعو الى حصول مارجوه وفقا لحكمته .

٣٢ ــ **التحميد في العشى والابكار** :

« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ » غافر ٥٥

أخبر الله في الآيات السابقة أنه ينصر رسله ومن آمن بهم في الدنيا والآخرة ، ثم أخبر أنه أعطى موسى الكتاب هدى وذكرى ، ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فأمره بثلاثة أوامر :

الصبر : فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » أمره بالصبر على ايذاء قومه له ولأتباعه ، وغير ذلك مما يناله في سبيل الدعوة من الطعنات التى سددوها نحوه : من رميه بالسحر والكهانة

والكذب ، وقد وعد الله نبيه بالنصر ، ووعده الحق الذى لا ريب فيه ، والذى لا يتخلف ، وقد قدم مثلا لنصر موسى نبيه على فرعون وقومه ، وكما نصر موسى سينصرك وتبلغ أمتك ودعوتك مشارق الأرض ومغاربها ، فإن العاقبة للمؤمنين .

الاستغفار : فاستغفر لذنبك : فى ترك الأولى والأفضل ، أو على ما كان منك قبل النبوة من صغائر الذنوب أو المراد : استغفر لذنب أمتك فى حقك حين تباطأ بعضهم عن الاستجابة لدعوتك التسبيح والتحميد فى العشى والابكار : **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** » .

والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به ، والتحميد حمده على نعمه .

والمراد بالعشى : النصف الثانى من النهار، **والابكار** : أول النهار الى النصف ، ومعنى ذلك تسبيح الله وتحميده خلال النهار كله .

وقيل المراد : طرفا النهار ، فالطرف الأول عبر عنه بالابكار ، والطرف الثانى عبر عنه بالعشى ، والمراد : المواظبة على ذكر الله وقيل المراد بالتسبيح فى العشى : صلاة العصر ، وفى الابكار : صلاة الفجر .

٣٤ ــ الحمد لرب العالمين :

« **هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » غافر ٦٥

تقدم فى الآية السابقة دلائل وجوده فى أنه جعل الأرض قرارا والسماء بناء ، وأنه صوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، وعقب على ذلك بقوله : « ذلكم الذى فعل كل ذلك هو الله رب العالمين » كثير الخيرات الثابت على العطاء وهو الحى الدائم الحياة ، والحى : صفة من صفاته ، والتعبير بقوله : هو الحى : يفيد الحصر ، أى لا حى تعيش معه صفة الحياة الا هو « **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** » « **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** » ذلك حكم الله على خلقه ، فهو وحده الحى الباقى .

ثم قدم **صفة الوحدانية** : « لا اله الا هو ، ثم أمر العباد بالدعاء : **فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** » فى حاجاتكم وقد يراد بالدعاء العبادة بمعنى : فاعبدوه، مع موافقة العبادة والاخلاص بحيث لا يكون فيها شرك أو رياء .

ولأن الله هو الحى الذى يلجأ العباد الى دعائه فهو لذلك يستحق الحمد كل الحمد لأنه رب العالمين الذى ربى العالمين ودبر مايحتاجون اليه فى حياتهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله ، فليقل على أثرها : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » تنفيذا لما تشير اليه هذه الآية .

٣٥ ــ تسبيح الملائكة :

« **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ**

ألا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » الشورى ٥
تكاد السموات تتفطر وتتشقق من ثقل ما عليها من الملائكة ، وقد جاء في الحديث : أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ، أو تتفطر من هيبة من هو فوقها بالقهر والقدرة ، لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال فوق السموات وهي : العرش والكرسي وصفوف الملائكة الذين هم ملء السبع الطباق ثم انتقل الى ذكر موقف الملائكة فبين أنهم :

يسبحون بحمد ربهم : فهم يواصلون تسبيحهم لله وتنزيههم له عن كل نقص مع مواصلة حمدهم لله على أن جعلهم من النور ووفقهم لعبادته وتسبيحه ولأنه يفيض الخيرات .

ويستغفرون لمن في الأرض : اشفاقا عليهم من معاجلة العقاب لهم ، ويكون الاستغفار لمن في الأرض ويراد للمؤمنين حيث جاء في آية أخرى: ويستغفرون للذين آمنوا فيكون المطلوب الغفران لهم هم الذين آمنوا واتبعوا سبيل الله .

ثم بين أن المغفرة المطلقة لله سبحانه فهو الغفور للسيئات ، وهو الرحيم الرحمة المطلقة التي وسعت كل شيء فهو يرحم من خلقه من طلب رحمته ومن لم يطلب ، وكل مخلوق له نصيب من رحمة الله .

٣٦ ـ حمد رب السموات والأرض :

« فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الجاثية ٣٦

بعد أن حكم الله على الكفار بتركهم في العذاب وجعلهم بمنزلة الشيء المنسي ، لأنهم نسوا لقاء الله ولقاء يوم الآخرة وقد جعل الله مصيرهم النار وليس من ناصر ينصرهم في هذا الموقف ، لأنهم اتخذوا آيات الله هزوا وغرتهم الحياة الدنيا بمغرياتها بعد كل هذا قال سبحانه : «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ» وقد قصر الحمد عليه وحده لا يتجاوزه الى غيره ، لأنه المنعم بجلائل النعم التي لا تحصى ولا تعد ، ثم وصف المستحق للحمد بأنه رب السموات ومن فيها وما فيها ورب الأرض وما فيها ومن فيها ، ثم وصف الربوبية بما هو اعم وأشمل وهو أنه رب العالمين .

والعالمون يشمل كل شيء ما سوى الله : رب العرش العظيم ورب الكرسي ورب اللوح ورب الكائنات ورب الوجود كله بكل ما يشمل مما نعلم ومما لا نعلم من الأرواح والذرات والصفات والمخلوقات كلها ، وربوبيته لكل ذلك توجب على المربوبين من المخلوقات حمده والثناء عليه .

٣٧ ـ أمر الله لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد



« فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ » ق ٣٩

أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على ما يقولون ، وقد يكون القائلون هم المشركون حين أنكروا البعث ، وأنكروا أن الله الذى خلقهم أولا لا يقدر على أن يحيى العظام وهى رميم ويبعثهم كما كانوا ، أو حين عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقد يكون القائلون هم اليهود . وما قالوه هو حديث التعب : الذى قال فيه اليهود : بدأ الله الخلق يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه ، وقد رد الله عليهم فى الآية السابقة : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ »

وقد أمر الله نبيه بالصبر على قولهم هذا أو ذلك ، وقيل : الصبر مأمور به فى كل حال .

ثم أمره بالتسبيح والتحميد : « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ » .

وقيل المراد بالتسبيح : الصلاة « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ »

وقد يحمل التسبيح على ظاهره ، ويراد منه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، ومعنى بحمد ربك أى حال كونك حامدا ربك واذا أريد به الصلاة كان المراد بقوله : قبل طلوع الشمس : صلاة الفجر ، وبقوله : قبل الغروب ، صلاة الظهر والعصر وبقوله : ومن الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

وقد يراد بالتسبيح حين يراد بمعناه الصلاة: صلاة التهجد أو النوافل بعد الصلاة المكتوبة .

وقيل معنى : سبح بحمد ربك أى اجعل

التسبيح مقترنا بحمد ربك ، لأن الباء للمصاحبة وذلك يدل على الأمر بمصاحبة الحمد للتسبيح كأنه قال : قل : سبحان الله والحمد لله ، أى نزهه واقرنه بحمده ، أى سبحه واشكره على توفيقك لتسبيحه .

٣٨ ــ أمر لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد :

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ » الطور ٤٨ ، ٤٩

أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الآيات السابقة أن يترك الكافرين يكيدون كما شاءوا لنبيه ولأمته ولدينه حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ، حيث لا يغنى كيدهم شيئا فى هذا اليوم ، وللظالمين منهم أشد العذاب .

ثم أمره فى هذه الآية بالصبر لحكم ربه وأمره، فانه محفوظ بأعيننا أو لا تدع عليهم بالهلاك فانك مرئى منا أو فاصبر ولا تشك حالك فانك بأعيننا نرعاك .

واللام فى قوله : لحكم : تكون بمعنى الى أى فاصبر الى أن يحكم الله ، أو فاثبت وامتثل الى أن يحكم الله ومعنى قوله : بأعيننا : أى محفوظ بأعيننا أو مرئى بأعيننا ، وقوله : بأعيننا بالجمع يدل على أنه موضع العناية الكاملة ، وكأن كل أعيننا وعنايتنا ورعايتنا تصونك وتحفظك وترعاك .

« **وسبح بحمد ربك حين تقوم** » فى ذلك أمر بمصاحبة تسبيح الله وتنزيهه للتحميد ، بمعنى اقترانهما معا وخصص ذلك التسبيح بقوله : حين تقوم ، والمراد :

حين تقوم من مجلسك ، أى تعزم على القيام، وفى الخبر : من قال : سبحان الله قبل قيامه من مجلسه كتب ذلك كفارة له أو حين القيام من النوم ، وجاء فى الخبر أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم كان يسبح حين القيام من النوم أو حين القيام الى الصلاة ، وفى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى افتتاح الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك .

أو حين تقوم لمجاهدة قومك .

ثم أمره بالتسبيح ثانيا ، وخص ذلك التسبيح بوقتين : الليل ، ويشمل الليل كله فى أى وقت منه ، ثم خص من الليل جزءا منه : حين تدبر النجوم وتغيب وذلك قبيل الصبح حيث ملتقى الكرام الكاتبين ليكون آخر ما يكتب ملائكة الليل تسبيح العبد وأول ما يكتب ملائكة النهار تسبيح العبد .

د. محمد محمد خليفه

في التشريع

شيخ الأزهر

في هذا الحوار

الإسلام لم يسلك سبيلا للتطرف
منذ جهر به الرسول الكريم

مبادئ القانون الدولي في الإسلام

تحقيق عن:
اللحوم المستوردة .. والدول النامية

شرعية الذبح في البلاد غير الإسلامية

تأثير الهرمونات على العنصر الحيواني

حديث فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

لمجلة "أخبار العالم الإسلامي"

• الإسلام لم يسلك سبيلا للتطرف منذ جهر به الرسول الكريم

تشرفت « أخبار العالم الاسلامى » بان اجرت حوارا مع عالم من علمائنا الافذاذ ·
رجل يجلس على قمة المسئولية فى دار للعلم تحمل على اكتافها خبرة الف عام بل اكثر وتخرجت منها جيوش من الدعاة الاسلاميين ·· وحملة لواء الدعوة الاسلامية، جابوا وما يزالون يجوبون انحاء العالم لابلاغ كلمة الله ·
ضيفنا هو سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر · وهو علم ، واشهر من ان اقدمه فى بضعة اسطر ·

ولقد حاولت فى هذا الحوار ان اطرق معه اكثر من موضوع ·· وان اتناول بالتساؤل اكثر من قضية تهم المسلم · باحثا لاسئلتى عن اجابات شافية وقاطعة ومحددة · ففى هذا العصر اختلطت اشياء كثيرة · فكان لابد من البحث عن اجابة ولم يبخل الرجل ·

فالى الحديث ··



مستوى الخريج الأزهرى

*** فضيلة الشيخ .. الصحوة الاسلامية .. أصبحت واقعا يعيشه كل مسلم في العالم ، حتى ان الغرب أصبح يعيد حساباته وفقا لمعطيات تلك الصحوة .. فما هو دور الأزهر في وقت يحاول فيه البعض الالتفات نحو العالم الاسلامى .. باعتبار الأزهر حامل لواء الدعوة ومن واقع تجربته الطويلة في مجال الدعوة ؟ !**

* حقيقة .. لاجدال في أن الشعوب الاسلامية وقد حصلت على استقلالها بعد فترات من الاحتلال الأجنبي لها بدأت تتجه الى ان تكون لها ذاتيتها وخصائصها المستمدة من الاسلام . ولاشك في ذلك .. والأزهر يمد الشعوب الاسلامية بأبنائه من العلماء لتوجيههم الى أحكام الاسلام الصحيحة .. ولبيان تلك الأفكار التي ترد الى المسلمين من خارج بيئتهم .. بل الأفكار التي يصدرها اليهم أعداؤهم أملا في القضاء عليهم وايقاع الفرقة بينهم .. وللأزهر بين شعوب العالم الاسلامى أكثر من خمسة آلاف مبعوث يقومون بالتدريس ، والتعليم والدعوة .

وتحمل مصر عبء هؤلاء الا القليل منهم الذين يعملون في بعض الدول العربية كالمملكة ودول الخليج .. فلا تتكلف مصر مرتباتهم . أما جميع الذين يعملون في آسيا وأفريقيا وفي أمريكا وأوربا وكل قارات العالم من الأزهريين فان الأزهر يتحمل مرتباتهم .

*** قلت له .. بمناسبة الحديث عن الأزهر .. فيقول قائل أو قل يتهم البعض ان ادخال العلوم الحديثة والتخصصات العلمية في مناهج الأزهر قد جاء على حساب تحصيل الخريج أو الطالب الازهرى من العلوم الاسلامية مما أدى الى انخفاض مستوى هذا الطالب .. بمعنى ان خريج الأزهر اليوم لم يعد متمكنا كما كان خريج الأمس ؟ !**

*** يقول فضيلة الامام الأكبر ..**

أوافقك على أن خريج اليوم ليس كخريج

لا أوافق على إجراء حوار بين المسلمين وغيرهم

من أرباب الديانات

لأن الإسلام مختلف

عنها فى عقيدته

الأمس .. ولكن ليس فى الأزهر فقط وانما فى كل فروع ومؤسسات التعليم .. تلك صفة غالبة على خريج الجامعات اليوم .. وليس الأزهر وحده الذى ينفرد بهذه الصفة .

واذا رجعنا الى تاريخ الأزهر وهو يزيد على الالف عام بكثير لوجدنا أنه كان المعهد الوحيد فى مصر .. بل فى الشرق الاسلامى قاطبة وكان يدرس العلوم العربية والشرعية وجميع الفروع الاخرى لها .. فقد كان يدرس الطب والهندسة والفلك فى مستويات تلك العصور .. فليس جديدا على الأزهر حين نظم التعليم العالى فيه واتخذ سمة الجامعات المعاصرة ان يكون من بين كلياته كليات للطب والهندسة وللزراعة والعلوم ولطب الاسنان .. فهذا التنظيم ليس جديدا وانما هو بلورة لما كان فى تاريخ الأزهر .

ولا يرجع سبب انخفاض المستوى الى ادخال هذه الكليات ، وانفرادها فى جامعة الأزهر على غرار مثيلاتها فى الجامعات الاخرى فى مصر وغيرها .. وانما كما قلت فان انخفاض المستوى هو أمر عام يتسم به هذا الجيل من الطلاب ، لشواغل الحياة التى يواجهونها .. وللمصاعب السائدة فى المجتمعات الآن .

*** قلت لفضيلته : انى افهم من هذا ان القول مردود على من أطلقه ؟ !**

*** قال مبتسما : بل الاتهام غير قائم أصلا .**

*** تطبيق الشريعة فى بعض دول العالم ..**

*** أستأذن فضيلتكم فى الانتقال بالحديث الى ظاهرة طيبة .. وهى رجوع بعض الدول الى تحكيم شرع الله فى كل الامور .. ولناخذ السودان مثالا لذلك .. فرغم أن الشعور العام عند الناس كان الرضا التام ، والفرحة بالخطوة .. وترحيبا شديدا .. الا أن وجود بعض الاقليات غير المسلمة ادت الى أن تقود جهات عديدة داخل وخارج السودان ضغوطا قد تؤدى الى تقديم بعض التنازلات (!!) فما الذى يمكن أن تقدموه فى الأزهر لدعم هذه الخطوة لتأمين تطبيق الشريعة كاملا صحيحا ؟!**

يجيب فضيلة الامام الاكبر :

ان تطبيق الشريعة الاسلامية فى نظم الحكم القضائى وغيرها من نواحى الحياة العامة

والخامسة أمر يجب أن يسارع اليه المسلمون فى كل مكان .. لا فى السودان فحسب .. فان ذلك مقتضى خضوعهم لاحكام الله التى أنزلها فى القرآن والسنة والتى جاء بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا أمر واجب.

والقرار بتطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان لاشك أنه أمر يسر له كل المسلمين وأسر به شخصيا . وأدعو الله أن يوفق القائمين على أمور السودان للاستمرار فى تطبيق هذا القرار والتوسع فيه حتى يشمل جميع فروع الشريعة لا فرع الحدود وحدها .

أما عما يقدمه الأزهر .. فان السودان لم يطلب من الأزهر أية معونة فى هذا الخصوص .. والأزهر يشارك فى مصر منذ أربعة أعوام فى اعداد مشاريع القوانين مستقاه من أحكام الشريعة الاسلامية .. وقد أعد الكثير منها .. ولم يصل لعلمى أن الحكومة السودانية قد طلبت مساعدة أو استشارة فى هذا الخصوص من الأزهر !!

*** قاطعته .. ولكن الأزهر كان دائما سباقا للخير ولم ينتظر دعوة بل انه كان يبادر به ؟!**

* يرد الشيخ جاد الحق .. فمثل هذه الامور ينبغى ان يكون هناك التقاء .. يعنى طلب .. ولا يستطيع الأزهر أن يرسل مشاريع قوانين الى خارج مصر دون ان يطلب منه ذلك .. فمثلا لقد زار وفد من باكستان برئاسة رئيس مجلس الشورى هناك مصر وزار الازهر .. وطلب نسخا من هذه المشاريع . لا أذكر أن أحدا طلب من الأزهر على وجه التحديد وقد يكون قد طلب من جهة أخرى لأن الجهة القائمة على اعداد هذه المشاريع رسميا هى مجلس الشعب المصرى .

فلعل هناك اتصال بين السودان ومجلس الشعب فى هذا الشأن .. وأعتقد ان التكامل بين مصر والسودان والتى تجرى خطواته فى جميع المصالح والامور المتعلقة بالسياسة والاقتصاد وغيرها .. أعتقد أن هذا سيجعل التكامل القانونى والتشريعى بين البلدين أمرا واقعا ولكنه قد يحتاج الى بعض الوقت .

التطرف الدينى أو ما يسمونه كذلك !

*** قلت لفضيلة شيخ الأزهر : اذا انتقلنا بالحديث الى موضوع اعتبره حساسا بعض الشيء .. وهو ما يسمونه بالتطرف الدينى .. وهو تعبير مرفوض أصلا .. ترى هل هنالك تطرف بالفعل ؟ ! أم أنها ذريعة لضرب الصحوة الاسلامية التى تعم العالم .**

* يجيب فضيلته .. لقد ظهرت بعض الجماعات فى مصر بالذات والتى اتسمت تصرفاتها بالتطرف تحت اسم الاسلام . والاسلام فى دعوته ومنذ جهر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذه الدعوة لم يسلك سبيلا للتطرف اطلاقا .. أو اذا استبدلنا كلمة « تطرف » « بالعنف » مثلا فالقرآن يقول « **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » .. ويقول للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** » وغير هذا من آيات القرآن

● الأزهر لا يدخل فى تيارات الخصومة مع أحد منذ أكثر

وأحاديث الرسول التى تنير الطريق للداعين الى الله ، والى الاسلام بأحكامه الصريحة .

وقد يكون هناك من يسيء الى المسلمين والى الاسلام أيضا بانشاء مثل هذه الجماعات وتربيتها لأن العالم من حولنا وهو يحس بأن المسلمين وقد نالت أكثر الشعوب استقلالها وبدأت تأخذ ذاتيتها .. يريدون أن يظل المسلمون فى خلافهم واختلافهم سواء بين الدول كدول كما نشاهد اقتتال بعض الدول ، أو ببث الفتن والخلافات بين أفراد الشعب الواحد بالايعاز بانشاء هذه الجماعات التى تأخذ الطابع الدينى لانهم يعرفون ان المسلمين بوجه عام متمسكون بالاسلام وان كل دعوة تأتى باسم الدين تكون مقبولة ودائما فى موضع الرضا .. ولقد شاهدنا أن الكثيرين من أفراد تلك الجماعات وبالحوار معهم بعيدون عن فهم الدين فهما صحيحا . لذلك فان على الشعوب الاسلامية أن تعرف الاسلام صحيحا من مصادره ومن المتخصصين فيه .. لا من أولئك الذين قد يكونون مدفوعين لأغراض أخرى . فان أكثر من ظهروا كانوا يستهدفون الوصول الى الحكم وغير ذلك من الاغراض ، مما يؤكد أنهم مدفوعون دفعا !!

*** تساءلت مقاطعا :**

الا يمكن ان تكون هذه الظاهرة نتيجة طبيعية لتفكك بعض المجتمعات الاسلامية ؟ !

*** يجيب الشيخ جاد الحق :**

قد يكون كذلك .. لكنها ظاهرة غير عاقلة ، انما هى ظاهرة متهورة لم تقم على أساس فهم صحيح للاسلام .. ومعرفة لطرق علاج التفكك الذى ساد بين المسلمين بفعل الاستعمار الذى احتل البلاد الاسلامية فترة طويلة ..

*** ما هى سبل حماية الشباب من هذه الظواهر ؟ !**

* يقول فضيلته .. لاسبيل الى الحماية الا الفهم الصحيح للاسلام وأحكامه .. وهذا ما أوصى به المسئولين فى كل الدول الاسلامية أن يعودوا الى تدريس وتعليم الأولاد منذ الصغر احكام الاسلام وأن يفرضوا عليهم حفظ القرآن أو حتى بعضه حتى ينشأوا على بصيرة ومسلمين اسلاما صحيحا .

*** الحملة ضد الأزهر .. لماذا ؟**

*** قلت لفضيلة شيخ الازهر : الفترة الاخيرة شهدت حملة ضد الأزهر قادتها عدة جهات منها من يدعون « العلمانية » والتحضر .. وتستغلها أيضا بعض الجهات الاخرى لتقويض ماضى الأزهر العريق .. الى اى حد يمكن الرد على هؤلاء .. وأولئك؟ !**

من ألف عام ولا نهتم بالإعلان لأن أعمالنا خالصة لله

❋ .. مبتسما .. يرد الشيخ جاد الحق :

هؤلاء الذين يهاجمون الأزهر هم انما يبتغون بهذا الهجوم صرف المسلمين عن الأزهر وعن دورهم فيما بينهم .. لكن الأزهر بحمد الله قائم برسالته ، ولا يدخل فى تيارات الخصومة اطلاقا مع أحد ، وانما يرعى مسئوليته وواجبه الذى قام به منذ أكثر من ألف عام كما أسلفت .

وأبناؤه بحمد الله ينتشرون فى الشعوب الاسلامية وغيرها .. سواء الذين يوفدهم الأزهر على نفقة مصر كما قلت .. أو أولئك الذين تعلموا فيه من أبناء الشعوب الاسلامية ثم عادوا الى بلادهم مبشرين ومنذرين قائمين بواجبهم خير قيام . ولا ادرى أن أولئك الذين يهاجمون الأزهر الا مرتدين على أعقابهم خاسرين بعون الله . فالأزهر للمسلمين جميعا .. وان كانت مصر تقوم بأعبائه وتحتضنه .

❋ فى الفترة الاخيرة اخذ الأزهر على عاتقه مسئولية تقنين القوانين الاسلامية فى مصر « اذا كانت كلمة تقنين صحيحة!؟» حتى تطبق الدول الشريعة الاسلامية هناك .. النقطة الاولى ترى هل تحتاج القوانين الاسلامية أصلا الى تقنين ؟ ! .. اما النقطة الثانية فهى .. ما المقصود بالتقنين أصلا ؟ ! وهل تتوقع فضيلتكم أن تطبق مصر الشريعة الاسلامية ؟

❋ يجيب فضيلة الامام الاكبر :

لقد مضى على الشريعة كما جاءت فى القرآن والسنة هذه الفترة الطويلة منذ بدء الرسالة أربعة عشر قرنا أو يزيد .. وكان القضاة منذ عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أولئك الذين نزل القرآن بلغتهم يعرفون أهدافه ومراميه .. تلقوها عن صاحب الرسالة . وهكذا توالى القضاة من بعد ذلك حتى انتهى العهد الذى كان فيه المسلمون عربا خلصا .. يعرفون لغة القرآن ويستنبطون الاحكام منه دون حاجة الى معونة .. أما وقد اختلط العرب بغير العرب .. وضعف اللسان بينهم وأصبحوا حتى مجرد التلاوة هم فى حاجة الى تعليمها فليس لهم وهم بهذا الوضع القدرة على أن يقضوا ويستنبطوا حكم القضاء من ذات القرآن أو من ذات السنة ولذلك كان عصر الفقهاء الماضى الذين اجتهدوا وأسسوا مذاهب فقهية كثيرة . وكان من هؤلاء الفقهاء ، القضاة الذين برعوا فى أعمالهم . وقد تأخر بنا الزمن وصار البعد بيننا وبين اللغة السليمة الصحيحة للعربية التى تؤهلنا للفهم انما يكتسبها القليلون منا بالتعليم . فكيف بنا نكل الى قاض من قضاتنا وهو لا يعرف اللغة العربية ولا يحفظ القرآن .. أن نقول له احكم بالقرآن والسنة ؟! اذن لابد أن نترجم له

الأحكام المستفادة من القرآن والسنة فى الصور العصرية التى يزاولها الناس جميعا والتى سميت فى عصرنا هذا بالتقنين أو بالقوانين . فهذا أمر لابد له .. ليكون ذلك واضحا أمام القاضى ومقيدا به .. لو كان القاضى قادرا على الاجتهاد بنفسه لقلنا له : أمامك القرآن والسنة كما كان أسلافنا لكنه والقوانين موضوعة فى صيغ منضبطة يضل القاضى وينسى .. فما بالنا فى القرآن الذى لايحفظه . ولايستطيع قراءته تلاوة .. مجرد التلاوة .. وهو لا يلم بكتب السنة ولا يعرف أين هى !! فهذا أمر تنظيمى، تقتضيه مصلحة القضاء ، ومصلحة التطبيق . هذا عن التقنين والقوانين .

أما عن الأزهر .. فان مجمع البحوث الاسلامية منذ السبعينيات كان قد بدأ فى وضع الاحكام الشرعية فى الصيغ القانونية . ولما تصدى لهذه المهمة مجلس الشعب المصرى منذ عام ١٩٧٨ كانت اللجان التى تقوم بهذا مشتركة من علماء الأزهر ومجلس الشعب ومن أساتذة الحقوق فى الجامعات . وقد انتهت هذه اللجان فعلا من صياغة الكثير من المشروعات . وهى فى طورها الاخير واذا قدر أن تنتهى اللجان منها فمن الجائز جدا أن ينظرها مجلس الشعب الحالى قبل أن تنتهى دورته الحالية .

*** « قلت له » وهل تتوقع بناء على ما قلت أن تطبق الشريعة فعلا فى مصر ؟!**

* أجاب فضيلته «قطعا» اذا انتهت اللجان ونظرها مجلس الشعب وأقرها فهذا يعنى التطبيق ان شاء الله .

*** الحوار بين المسلمين والمسيحيين .. نعم أم لا ؟**

*** قلت لفضيلة شيخ الأزهر .. قيام نوع من الحوار بين المسلمين والمسيحيين فكرة قديمة .. يطرحها البعض .. ويعارضها البعض ويتحفظ منها البعض ولا يبدى رأيا قاطعا ترى ما هو موقف الأزهر من هذه الفكرة ؟ ! وفى حالة قيامها افتراضا ما هى الأسس والقواعد التى يمكن أن يرتكز عليها هذا الحوار ؟ !**

*** يقول فضيلة شيخ الأزهر ..**

انتى أؤيد حضور المسلمين فى أى مؤتمر دولى أو ثقافى يتعرض لبحث الديانات ليكون الاسلام ممثلا بمن يبين وجهته ولا نتخلى عن ذلك .. ولكنى لا أوافق اطلاقا على عقد الحوار بين المسلمين وبين غيرهم من أرباب الديانات الاخرى بقصد الحوار العقائدى لأن الاسلام مختلف عن تلك الديانات فى عقيدته .. ودائما يؤول الأمر الى التوقف حينما تصل الى المسائل العقائدية .. فالمسيحية مثلا تؤمن أو المسيحيون يؤمنون بالتثليث .. والاسلام لا يقول بذلك ولا يقره .. وان اتجهوا الآن الى القول بأنهم يقولون بالتوحيد .. ولكنه قول غير دقيق .

فليس هناك مجال أن ينتهى الحوار الى نتيجة ايجابية اطلاقا مادام الاسلام قد انفرد

في عقيدته بشيء هم غير مؤمنين به .

أما أن نتحاور في أن الاسلام يقر الاخلاق الفاضلة .. أو المسيحية تقر الاخلاق الفاضلة فهذا ليس موضع حوار اطلاقا !

*** المد الأزهري .. لم ينحسر !!**

*** فضيلة الشيخ : في العقدين الرابع والثالث .. وربما الخامس كانت قوافل الأزهر تجوب العالم حاملة لواء الدعوة الاسلامية . ترى لماذا انحسر هذا المد الأزهري الآن ؟!**

* يجيب فضيلته مؤكدا : لقد قلت لك ان للأزهر أكثر من خمسة الاف عالم ومبعوث في الشرق والغرب .. في آسيا .. وفي أفريقيا .. وأمريكا وأوروبا .. فأين هذه الخمسة آلاف مما تقوله في العقدين الرابع والخامس ؟! هذا غير المتخرجين .. لقد وقعت قرارات لا تحصى بابتعاث الأزهريين الى كل قارات العالم .. فالأزهر لم ينحسر نشاطه اطلاقا .. ولكن الأزهر لا يعني بالاعلان الكثير عما يقوم به لأنه يعمل لله . ومصر تنفق عليه لوجه الله تعالى .. لا لشيء آخر . فالأزهر له مبعوثون في كل الجهات لم ينحسر عمل الأزهر اطلاقا ولم يضن بأبنائه على المسلمين .

هذا عدا البعوث التي تفد اليه للتعليم ، فله مدينة للبعوث ، يقيم فيها الآف من الطلاب .. ومن الطالبات . تنفق عليهم الجهات المسئولة في مصر في وزارة الأوقاف والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالأزهر .. كل هذه الجهات تتكفل بالانفاق على هؤلاء الطلاب الذين يفدون الى الأزهر من كل قارات العالم . فالأزهر لم


رسالة الطالب

ينحسر دوره .. ولن ينحسر ان شاء الله .

*** سألت شيخ الأزهر :**

قلتم في أكثر من مناسبة ان الامة الاسلامية تمر بظروف دقيقة وحرجة نتيجة الخلافات والشقاق بينها وبين بعضها . ولا تلقى محاولات رأب الصدع استجابة ! ترى ما هي أسباب هذه الظاهرة ؟! وكيف الخروج منها ؟!

*** يقول سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق :**

هذه الظاهرة جاءت بناء على ما هو واقع الآن من وقوع الفتن بين المسلمين فمن حولنا من غير المسلمين لا يريدون .. ولا يسرهم كما

حديث فضيلة الإمام الأكبر

قلت أن يكون المسلمون وحدة .. وانما اذا رأوا أن المسلمين قد اتجهوا الى أن يكون لهم كلمة ضاعفوا ضغوطهم وفتنهم حتى تقع الفتن بينهم . ولعلنا نذكر جيدا ، حرب أكتوبر ٧٣ حينما وقف العرب بجانب مصر .. وحينما بدأ القتال بين الجيش المصري وبين جيش اسرائيل في سيناء كان العرب .. والمسلمون جميعا مؤيدين لمصر ولاحت بشائر النصر .. فهل تركنا الآخرون ؟ كلا .. فقد تدخلت الدول الكبرى في الحرب .. فهم لا يريدون أن تكون هناك وحدة اسلامية .. ولا يريدون للمسلمين أن يتحدوا .. وعلى المسلمين أن يتنبهوا الى هذا .

هذه الحروب الدائرة بين بعض الدول الاسلامية من يزكيها ؟ !! ومن يلهبها ؟ ومن يمدها ؟ ! كل ذلك انما يزكيه ويؤيده ويمده بأسلحة الدمار والخراب أولئك الذين لايريدون للمسلمين أمة لها شأنها في الحياة فليحذر المسلمون كل ذلك . وليرتفعوا فوق الخلافات ليكون لهم شأنهم في هذه الحياة .

*** قضايا عامة !!**

*** فضيلة الشيخ .. هناك بعض القضايا الاسلامية التي تشغل بال المسلم الفرد .. فهل لنا ان نسمع في كلمات موجزة رأى سماحتكم فيها ؟ !**

*** طفل الأنابيب ؟!**

* قال فضيلته: طفل الانابيبقدم فيه بحث للمؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية الذي عقد في العيد الالفي للأزهر عام ١٩٨٣ .. وأعتقد أن هذا البحث قد انتهى على أن طفل الانابيب طريق علاجي لبعض السيدات المصابات بعقم .. ويعالج بمثل هذا .. ويجوز اذا تأكدنا من ان النطفة والبويضة هما للزوجين فقط لا لغيرهما . اذا أريد بطفل الانابيب علاج عقم الزوجة وأن يكون التلقيح من زوجها فهذا أمر ميسر ، وهو وسيلة للعلاج لا بأس عليه .

*** وفكرة تحديد عدد الحجاج لبيت الله الحرام سواء من دولهم أو من الداخل ؟ !**

* يجيب فضيلته : هذا امر لا أقره .. ان الحج لمن استطاع اليه سبيلا .. **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** ويجب على جميع الدول الاسلامية ان تيسر لشعوبها الحج متى كانت هناك الاستطاعة وعلى المسئولين في المملكة العربية أن يهيئوا الظروف الملائمة لذلك بقدر الاستطاعة وبتسهيل أداء هذه الشعيرة في يسر .

*** وتحديد عدد المرات ؟ !**

* هذا أمر غير ميسور تنفيذه .. واذا لم

يرع الناس ذلك بأنفسهم فتنفيذه عسير .

*** والعمل فى وظيفة فى البنوك الربوية ؟ !**
*** اجاب الشيخ جاد الحق :**

اسالك قبل الاجابة عن هذا السؤال هل عمل البنك كله ربوى ؟! أم أن لديه أعمالا مشروعة ؟ فاذا كانت هناك أعمال مشروعة وأعمال أخرى غير مشروعة فالفقهاء يقولون « ان الدراهم لا تتعين بالتعيين » فهل يأخذون مرتباتهم من الربويات فقط ؟ ! هل لها حصيلة محددة .. أم أن الاعمال كلها تصب فى البنك وفيه المشروع وغير المشروع ؟ !

*** قلت له : اليس هناك احتمال ان يدخل شىء مما هو ليس بمشروع فى جيبى ؟ !**
*** يقول شيخ الأزهر :**

ألم نقل انه غير معين يابنى ؟! فلا شىء فى ذلك اطلاقا .. والذى يتورع فليبحث له عن عمل آخر !

*** ونقل عضو من جسم انسان الى آخر ؟ !**
*** يجيب فضيلة الشيخ :**

هو أيضا طريق للعلاج .. وهو كاستعمال الدواء .. ويجوز . ولكن بشروط .. فيها الا يتسبب نقل عضو من انسان حى الى اصابته هو .. أو اقعاده عن عمله .. والا ينقل الا عضو متكرر . ويضيف مبتسما كأن يكون لشخص ما عين واحدة فتؤخذ منه هذه العين . وهذا أمر من حيث المبدأ جائز كوسيلة للعلاج . على الا يتضرر منه الشخص المنقول منه .

*

ومن ينادون بالفصل بين الدين والدولة ؟..

* الاسلام ليس فيه فصل بين الدين والدولة . يرد فضيلته بسرعة .. ويواصل .. الاسلام دين ودنيا . يواجه السياسة والحياة بكافة فروعها بأحكامه . فكيف يفصل الدين عن الدولة ؟! أو الدين عن الحياة ؟! لا وسيلة الى ذلك . والا كنا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه ! وهذا الكلام مردود الى من يردده ويعمل الى اشاعته .

*** وبعد ..**

كان لقائى هذا بفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر .. لقاء ممتعا بالنسبة له .. وحوارا جميلا تمنيت ألا ينتهى .

فالرجل حقا « موسوعة علمية وفقهية » .. ويتحدث اليك بتركيز شديد وترتيب فى الأفكار قلما يوجد فى هذا الزمان حتى عند بعض العلماء وهو يزن الكلمة بميزان دقيق وهو فوق هذه وتلك متحدث لبق .. وودود .. مقنع فى اجابته الى درجة لا تملك معها الا أن تسلم بما قال .

لقد حاولت ان انقل الحوار بينى وبينه كما هو دون حذف او اضافة لعلمى بقيمته وأهميته فى وقت اصبحت فيه الكلمة مسئولية . وآمل أن أكون قد وفقت .

منى حسن منى

مبادئ القانون الدولى العام في الإسلام

يكاد يتفق علماء التشريع فى الغرب ، ويتابعهم كثير من الشرقيين على أن فكرة « القانون الدولى العام » فكرة حديثة العهد ، ابتدعتها أوروبا فى العصر الأخير .

هذا الحكم صحيح فى الجملة ، ويلوح لنا أنه غير قابل للجدل والمناقشة ما دمنا نبعد بموضوعه عن محيط التاريخ الاسلامى ، فالنظام الدولى فى الحقيقة لم يكن معروفا خارج هذا المحيط ، لا فى العصر القديم اليونانى والرومانى ، ولا فى العصور الدينية الأولى فى اليهودية والمسيحية .

أما العصور الدينية المذكورة فمن الميسور أن نتبين فيها هذا الفراغ ، وأن ندرك أسبابه ، ذلك أنه حين تأسيس هاتين الديانتين لم يكن أمامهما علاقات دولية تتطلب هذا التشريع ، فكان كل نشاطهما مركزا فى بث الدعوة الدينية فى نطاق محلى محدود ، نعم ان نشر الدعوة الموسوية فى بنى اسرائيل لم يلبث أن حمل هذا الشعب على الهجرة ، وجعله يتصل بأمة مجاورة . غير أن هذه الصلة الوقتية لم تكن الا صراعا خاطفا ، انتهى الى استئصال شأفة تلك الأمة وحلوله محلها ، ولم يترك لنا التاريخ بيان القواعد التى بنى عليها هذا الصراع والتحول .

وأما العصور اليونانية والرومانية القديمة فان خلوها من هذا التشريع مرده الى أسباب تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليست المسألة مسألة انقطاع الصلة بين هاتين الدولتين وبين العالم الخارجى ، اذ أن تلك العلاقات الخارجية لم تعوز هاتين الدولتين يوما ما ، ولكن نظرتهما نفسها الى الحياة لم تكن لتسمح لهما بوضع تشريع كهذا .

ذلك أن فكرة القانون الدولى تفترض قبل كل شىء الاعتراف بضرب من المساواة ، واشتراك المصالح ، وتبادل الحقوق والواجبات بين مختلف الأمم .

لفضيلة الأستاذ الدكتور

محمد عبد الله دراز

وهذا لم يكن ليتفق والنظريات اليونانية والرومانية ، فأما قدماء اليونان فانهم ، وان كانوا يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة أو يكادون — على رغم الصراع الدائم بين مملكتي أسبارطة وأثينا — كانوا ينظرون الى الشعوب غير اليونانية نظرتهم الى كائنات حقيرة دنيئة ، حتى ان أرسطو كان يرى أن البرابرة (ويعني بهم الأجانب) ما خلقوا الا ليقرعوا بالعصا ويسلبوا ويستعبدوا ، وكذلك كان الأمر في التشريع الروماني ، فانه لم يكتف بأن وضع نوعين متباينين من القوانين ، أحدهما : القانون المدني للمواطنين ، والآخر قانون الشعوب لسكان البلاد المحتلة ، بل انه لم يكن يعرف في الصلات الخارجية الا قانون القوة الباطشة ، فلم يجعل للأمم الأخرى حقا في دفاعها عن نفسها ، ولا في أمنها ودعتها ، وانما كان دستورها في نظره : « العبودية أو الفناء » واذا كان قد اتفق لروما في بعض الأحيان أن وضعت معاهدات سلمية على وجه دون وجه ، فلم يكن ذلك راجعا الى أن هناك قانونا يقضي بهذا الشرط المعين أو ذاك ، بل كان مصدره محض التفضل ، أو السعي وراء الأغراض والمنافع .

ولو أننا بحثنا فكرة القانون الدولي في أوربا في العصور الحديثة ما وجدنا كبير فرق بينها وبين تلك العصور الأولى ، على رغم التقدم الفعلي في تدوين قواعد هذا التشريع العام ، ذلك أن فكرة تساوي الناس أمام القانون — تلك الفكرة التي طالما طالبت بها الشعوب وتشدقت بها الحكومات — لم تتخذ بعد في نظر الغربيين صبغة القانون العام الشامل :

ألم يقل : « استورات ميل » باستحالة تطبيق القانون على الشعوب الهمجية ؟

أو لم يحدد « لوريمير » على وجه الأرض مناطق ثلاثا تخضع كل منها لقانون مختلف ؟ :

فالعالم المتمدين يجب أن يتمتع في نظره بحقوق سياسية كاملة .

والعالم نصف المتمدين يكفي ان يتمتع بحقوق سياسية جزئية .

بينما الشعوب غير المتحضرة ليس لها الا حقوق عرفية لا تحمل التزاما قانونيا ، وجاء ميثاق « عصبة الأمم » بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقر هذا التقسيم الثلاثي واكسبه سلطة القانون ، بل لقد فرق في قلب المدنيات الأوربية نفسها بين الحقوق السياسية للدول

الكبرى والدول الصغرى . وأيا ما كان فان منظمة السلام هذه لم تحظر غزو منشوريا ، ولا فتح بلاد الحبشة .

وأخيرا شكلت (جمعية الأمم المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية ، فماذا رأينا ؟

أليس روح التفريق وعدم المساواة لا يزال مسيطرا فيها على عقول السادة الذين يتحكمون في مصير الانسانية ؟ انه لا حاجة بنا الى محاولة اقامة البرهان على ذلك ، فهذه الحوادث التى تجرى تحت سمعنا وبصرنا وهذه الحلول العوجاء التى تطبق عليها في أحضان هذه الجمعية الحديثة ، تنطق — بأفصح بيان — بأن الضعفاء والمظلومين الذين كانوا يبنون آمالهم على مثل هذه المؤسسات لم ينلهم حتى الآن الا حسرات تتلوها حسرات .

اذا أردنا أن نظفر بتشريع دولى عام يصطبغ بالصبغة العالمية الحقيقية ، فعلينا أن نصعد بذاكرتنا الى عصر رسول الاسلام .

كلنا نعرف أن محمدا عليه الصلاة والسلام لبث زهاء عشر سنين في اتصال دائم بأمم وديانات مختلفة ، معادية طورا ومسالمة طورا . وطبيعى أن هذه الظروف الخاصة التى جعلت الاسلام سلطانا زمنيا وحكما عالميا — الى جانب كونه عقيدة روحية ، ومبدأ أخلاقيا — كانت تتقاضاه أن يضع تشريعا لقانون السلم والحرب بين الأمم . فماذا فعل ؟

وهل كانت اجابته لهذه الحاجة الملحة شافية لغلة المتشرعين .

مرضية للضمائر السليمة لدى الحكماء وذوى الخلق الكريم ؟

لا شك أن دراسة مستوعبة لهذه الناحية من التشريع الاسلامى تتطلب بحثا عميقا ، لا للعهود والأقضية النبوية وحدها ، بل للمعاهدات التى وضعها الخلفاء والملوك الاسلاميون أيضا في غضون التاريخ ، ولكنه ليس من غرضنا في هذا المقال أن نجعل مجال بحثنا بهذه المثابة من السعة والاستقصاء ، وكل ما يعنينا الآن هو أن نستخلص مافى القرآن والسنة النبوية من المبادىء الأساسية ، والخطوط الرئيسية في هذا الشأن .

— ١ —

تصحيح خطأ مشهور

وقبل كل شىء يجب أن نصحح خطأ ذائعا في الأوساط الأوربية ، وهو زعم أن الشعوب الاسلامية يباح لها — بل يجب عليها امتثالا لدستورها الدينى — أن تحمل السلاح لاكراه الناس على الاسلام ، وسحق الشعوب



الأخرى التى لا تعتنق هذا الدين .

لئن كان هذا الرأى حقا لقد وجب أن تمحى كلمة « القانون الدولى » من التشريع الاسلامى ، اذ لا يبقى لها فيه مدلول تشير اليه ، ولا يبقى لغير المسلمين أمامه حق يطالبون فيه بحرياتهم ولا بحياتهم .

ولكن الرجوع الى نصوص القرآن الكريم يكشف لنا عن الحقيقة التى تخالف هذا الزعم على خط مستقيم :

فالقرآن لا يكتفى بأن يحظر حظرا أدبيا كل محاولة لاكراه الناس على الايمان . (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) سورة ٢ آية ٢٥٦ .

بل يقرر أنه من المستحيل وقوعيا أن يسيطر على العالم دين واحد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) ١١ : ١١٨ (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) ١٢ : ١٠٣ » .

ألا تكون محاولة فرض عقيدة واحدة على الناس — والحالة هذه — ضربا من التناقض والاحالة الظاهرة ؟

ان القرآن لم يفته أن يبرز ماق هذه الغاية الطموحة من غرور خداع ، وذلك حيث يقول : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ١٠ : ٩٩ .

ومن هنا نرى كتاب الاسلام المطهر يحدد رسالة نبيه بأدق ما يكون من عبارات الحصر

والتحديد ، مبينا أن مهمته انما هي الموعظة والتذكير : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) ٨٨ : ٢١ ، ٢٢
بل ان هذه الدعوة السلمية نفسها لم يتركها القرآن حتى رسم حدودها وطريقتها ، وأوجب أن تؤدى بأكرم أسلوب ، ومن ألطف طريق (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ١٦ : ١٢٥ .

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) ٦ : ١٠٨ .

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ٢٩ : ٤٦ .

سيقول قائل : سلمنا أن كل اكراه ديني يجب أن يستبعد من أهداف الاسلام ، فما الذي يمنع أن يكون من بين هذه الأهداف فكرة الفتح والتوسع ، التي يكون المسلمون قد دفعوا اليها بسبب من الأسباب الأخرى : كداعية الثروة الاقتصادية أو الاستعلاء السياسي ، أو غير ذلك ؟

فلندع القرآن يقدم لنا الجواب عن هذا السؤال ، وها هو ذا يقول :

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) ٢٨ — ٨٣ .

هكذا يقضي القرآن في حزم على تلك الروح الاستعمارية الجبروتية ويوجه عام على تلك النزعة المادية المتطرفة التي انتشرت انتشارا وبائيا في عصرنا هذا ، والتي هي المنبع الأول لكل ما نشكو منه الآن .

ولكن هل نأخذ من كل ما تقدم أن الحروب ليس لها وجود قانوني في نظر الاسلام ؟

هيهات :

فها هي النصوص القرآنية لا تجعل الجهاد عملا فاضلا فحسب بل تعده غالبا من الواجبات الأولية .

فالسؤال الذي يجب وضعه — الآن — هو هذا :

ما الأحوال والشروط التي يبرر بها الاسلام اتخاذ تلك المواقف الحربية ويجعلها حقا مشروعا .. ؟

يتبع

شرعية الذبح فى البلاد غير الإسلامية

للدكتور حسين أمين زيتون

دعوة للتمسك بذبح الحيوانات والطيور طبقا للشريعة الاسلامية .

– كيف يتم الذبح فى الدول غير الاسلامية المنتجة للحوم .

– الرد على ادعاءات مستوردى اللحوم بالتهرب من الذبح طبقا للشريعة الاسلامية .

– ما أساليب الغش التجارى التى يلجأ اليها المورّدون لتحقيق مكاسب غير مشروعة .

– ما الحل ؟ كثرت التساؤلات فى هذه الأيام حول مدى شرعية الذبح فى البلاد غير الاسلامية بأساليب الذبح المتبعة فى مجازرها.

ومع كثرة التساؤل وتجنبا للشبهات فاننا ندعو المسلمين جميعا أينما كانوا للتمسك بتطبيق الشريعة الاسلامية عند ذبح الحيوانات والطيور التى يتم استيراد لحومها من الدول غير الاسلامية ضمانا لصحة الانسان المسلم الذى اراد الله سبحانه وتعالى له طيب الطعام فقال تعالى « **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** » (طه : ٨١) .

اننا اذا ما استعرضنا طرق الذبح فى الدول غير الاسلامية نجد أنها تتم :

اما باستخدام مسدس تصوب طلقاته على رأس الحيوان فتخترق الجمجمة وتهتك خلايا المخ وتحدث به نزيفا .

او بضرب الحيوان على رأسه بمطرقة تفقده الوعى .

او بطريقة الوخز في النخاع الشوكى .

او باستخدام الصدمات الكهربائية .

واستخدام اى من هذه الطرق تؤدى بالحيوان الى فقد وعيه وربما نفوقه تماما قبل ذبحه . بعدها يتم تعليق الحيوان من احدى قوائمه الخلفية ويطعن في قلبه لتفريغ ما به من دم .

وهذه الطرق لا تؤدى الى الا دماء (١) الكامل نظرا لأن الحيوان يعد تهتك خلايا مخه بسبب ضربة « بالمسدس » أو المطرقة أو بعد عملية الوخز في النخاع الشوكى أو الصدمات الكهربائية اما ان يكون قد فقد الوعى أو نفق تماما وبالتالى لا يتم الادماء الكامل للذبائح وانما يتم احتجاز جزء كبير من الدم بالذبيحة، وهو ما يتعارض مع جوهر الشريعة الاسلامية اذ يقول الله تعالى في سورة المائدة الآية ٣

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ » .. الآية الكريمة .

كذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة . واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة . وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » فلنتبع ما جاء به الاسلام فليس هناك رحمة بالحيوان عند الذبح أعظم من الرحمة التى سنها الاسلام . وذلك بحد الشفار ، ومواراتها عن البهائم ، واراحة الذبيحة ، فان الحيوان لا يحل أكله الا بتذكية شرعية ماعدا السمك والجراد ـ والذبح المشروع ـ اسلاما : يعنى قطع الودجين والحلقوم والمرىء بعد ذكر اسم الله على الذبيحة وهو مالا يحدث في الدول غير الاسلامية حيث يتم افقاد الحيوان وعيه بأى من الطرق السابق ذكرها ثم طعنه بالسكين في القلب مباشرة لتفريغه مما يحتويه من دم دون قطع الودجين والحلقوم والمرىء مما يتم بالذبح في الرقبة .

امابالنسبة للدواجن فانه يتم صعقها بالتيار الكربى قبل ذبحها مما يؤثر على الجهاز العصبى لها وبالتالى لا يؤدى الى الادماء الكامل واحتجاز جزء كبير من الدم .

ان موردى اللحوم بالبلاد الأجنبية يدعون دائما ان الذبح بالسكين فيه تعذيب للحيوان وان استخدام المسدس أو المطرقة او الوخز أو الصدمة الكهربائية فيه رفق بالحيوان وهذا ادعاء باطل فان غرضهم من ذلك اقتصادى بحت نتيجة :

---

(١) اى نزف ما في الذبيحة من دم نزفا كاملا .

لعدم الادماء الكامل .

واحتجاز جزء كبير من الدم فى الذبائح .

وهذا يحقق لهم مكاسب مادية نتيجة فرق الوزن .

هذا بينما الثابت علميا أن الذبح بالسكين دون أى تأثير سابق على الجهاز العصبى للحيوان (سواء المخ أو النخاع الشوكى) يؤدى بمساعدة الانقباضات العضلية ونبضات القلب وحركات القوائم الى استنزاف الدماء بالكامل . أى ان الابقاء على الجهاز العصبى للحيوان سليما — دون اى تأثير خارجى عليه — يؤدى الى الاستجابة الطبيعية للنبض والتنفس وضخ الدم وانسيابه الى خارج الجسم من مكان الذبح فيتم الادماء .

اما فى حالة استخدام أى من المؤثرات على الجهاز العصبى فان تأثيرها يكون مباشرا على الجهاز العصبى للحيوان ويؤدى الى شلل الجهاز العصبى أو نفوق الحيوان تماما — فيصبح ميتة — قبلأن يطمن فى قلبه لتفريغه مما به من دم . مما يستحيل معه الادماء الكامل ويتبقى جزء كبير من الدم محتجزا بالذبيحة يمثل فروق أوزان لصالح الموردين يتم احتسابها على أنها لحوم فضلا عن أن الدم المحتجز يعتبر بيئة صالحة جدا لتكاثر الميكروبات الضارة بصحة الانسان كما يؤدى الى سرعة تلف اللحوم وتغير خواصها .

كذلك يلجأ الموردون الى كثير من انواع الغش التجارى للتحايل من أجل مكاسب غير مشروعة علاوة عما تقدم فى الدم ، منها على سبيل المثال :

١ — ذبح حيوانات ذكور كبيرة السن تورد لحومها على انها لحوم حيوانات صغيرة .

٢ — ذبح الابقار الكبيرة السن وتورد لحومها على انها ذكور صغيرة السن .

٣ — عدم الالتزام بنسبة الحيوانات الاناث الى نسبة الحيوانات الذكور .

نتيجة لكل هذه الاساليب الى عدم الذبح طبقا للشريعة الاسلامية فانه يتحقق لهم تلك المكاسب غير المشروعة فتصل الى : (٤٠٠) أربعمائة دولار فى كل طن من اللحوم . يتم ذلك كله فى غياب التفتيش الفعلى المحايد على صفقات اللحوم التى تورد للدول الاسلامية .

ما الحل ؟

١ — انشاء مجازر خاصة بالمسلمين فى البلاد التى يراد استيراد اللحوم والدواجن منها للدول الاسلامية على ان يتم فيها الذبح طبقا للشريعة الاسلامية .

٢ — اختيار عمال مسلمين امناء ممارسين مشهورين بمعرفة طريقة التذكية الشرعية ليقوموا بتذكية الحيوانات تذكية شرعية فى تلك المجازر بقدر ما تحتاجه الدول الاسلامية منها .

٣ — اختيار من يحصل به الكفاية من المسلمين الامناء الخبيرين باحكام التذكية الشرعية ليشرفوا على تذكية الحيوانات وعلى مصانع « التشفية » (١) وتعبئة اللحوم التى

---

(١) لفظ يستعمله المصريون يقصدون بـه « اللحم خالصا دون عظم معه » . . المجلة .

تصدر الى البلاد الاسلامية وقد قامت الجمعية التعاونية الانتاجية لاعمال الوزن والمراجعة والخبرة الدولية (١) وهي أول بيت تفتيش عربي مصري على المستوى الدولي بمراجعة العديد من صفقات اللحوم والدواجن التي وردت لمصر من كل من ايرلندا والارجنتين وارجواي والبرازيل بصفة رسمية ، وكان دور مفتشو (كوميسل) من الاطباء البيطريين ينحصر في :

(أ) فحص الحيوانات قبل ذبحها للتأكد من سلامتها وخلوها من الامراض المعدية التي تنتقل للانسان والحيوان .

(ب) متابعة عملية الذبح ذاتها والتأكد من أنها تتم طبقا للشريعة الاسلامية (بقطع الودجين والحلقوم والمرىء) بعد ذكر اسم الله على الذبيحة والحيوان في كامل وعيه وبدون تعرضه لأى من المؤثرات التي تفقده الوعي مثل طلقات المسدس أو الضرب على الرأس أو الوخز في النخاع الشوكي أو الصدمات الكهربائية ورفضوا وباصرار تام أن يتم ذبح الحيوانات والطيور التي تورد لحومها لمصر بالطرق المعتادة في الدول غير الاسلامية والسابق توضيحها .

(جـ) فحص اللحوم بعد الذبح للتأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستهلاك الآدمي وخلوها من الامراض المعدية التي تنتقل للانسان أو الحيوان .

(د) تنفيذ جميع المواصفات المتعاقد عليها واستبعاد غير المطابق منها للمواصفات بكل دقة وحياد تام .

(هـ) الاشراف على تجهيز اللحوم وتشفيتها وتعبئتها وتخزينها طبقا للطرق الفنية الحديثة لحفظ اللحوم لحين تمام شحنها .

(و) فحص البواخر قبل شحن اللحوم عليها والتأكد من صلاحيتها وكفاءة التبريد المطلوب لحفظ اللحوم اثناء الرحلة البحرية .

(ز) الاشراف على شحن اللحوم بالبواخر ورصها داخل عنابر الباخرة بما يضمن سلامة اللحوم وعدم تعرضها للتلف .

(ح) اصدار شهادات المطابقة .

وبذلك يتم الاطمئنان على الغذاء الصحي للانسان الذي اراد الله سبحانه وتعالى له طيب الطعام . بعدم تناوله الدم والميتة وغيرهما مما اثبت العلم الحديث مدى الاضرار الصحية التي تعود على الانسان من تناوله . فلا يحق تحت دعوى الرأفة بالحيوان ـ وهي أمر غير موجود فيما يفعلونه به ـ ان نحيد عن امر الله وبالطبع يجب ان نطيع الامر الالهي حتى ولو لم ندرك حكمته بعقولنا ومعارفنا .

وفقنا الله تعالى للعمل بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

د. حسين أمين زيتون
رئيس قسم التفتيش على اللحم والدواجن (كوميسل)

---

(١) وهي معروفة دوليا باسم COMIBASSAL « كوميسل » .

تحقيق عن

اللحوم المستوردة ... والدول النامية

قصة اللحوم

انصاف - واستخفاف

تزوير فتوى الأزهر

للدكتور علي أحمد الخطيب

آن لمجلة الأزهر أن تنشر دراسة موثقة عن هذا الموضوع، وقد توفرت لها مراجعه ووثائقه ومعرفة بالشخصيات التي جالت - مخلصة بمشيئة الله - في ميدانه باحثة كاشفة حتى وضعت أيديها على الوسائل المختلفة التي يقدم عليها الأوربيون في اعداد لحومهم ونستخدم كلمة (اعداد) دون كلمة (ذبح) لأن الذبح بمعناه الشرعي المفهوم لنا أبعد ما يكون عن أسلوب التوم، وحياتهم. هذا الأسلوب الذي صدروه الى امريكا فاستعاضت به عما كانت تدرج عليه - من قبل - بالذبح بالسكين.

وانه ليسرنا أن نسجل في مطلع هذا التحقيق حرص المسئولين ببلادنا العزيزة على التماس الأمناء من أبنائها لأداء واجبهم الديني والوطني للوقوف على ذبح شرعي ثم تصدير لحومه الى الجمهورية، فعهدت الى «الجمعية التعاونية الانتاجية لأعمال الوزن والمراجعة والخبرة الدولية(١)» - مهمة التفتيش على الدواجن الواردة من البرازيل - حرصا منها على استيراد اللحم حلالا بما تقره الشريعة الاسلامية.

كذلك نسجل لهذه النخبة الطيبة من أبناء مصر البررة - حرصهم على تطبيق عملية الذبح وفقا للشريعة الاسلامية، ولقد كلل الله مساعيهم بالنجاح واستطاعوا أن يصدوا أكثر من مؤامرة انتصارا لله ثم لهذه الأمة فجزاهم الله خير الجزاء.

وحتى نكون منصفين - في بداية هذا

(١) المعروفة - اختصارا - بـ «كوميصل» ومقرها الاسكندرية.

التحقيق — ينبغي أن نقول :

(أ) ليس كل مورد أجنبي يورد لحما للبلاد الاسلامية والنامية عموما يطمح الى الكسب غير المشروع عن طريق الغش والتدليس والافتنان — في ابتداع أكثر من طريقة — لتصدير اللحم غير مطابق للشريعة الاسلامية •

(ب) كذلك فان بعض البلاد المصدرة ليس لديها أية فكرة عن الذبح الاسلامي ، وما لديهـا من معلومات عنه لا يعدو شائعات وردت اليهم بطريق الحديث العفوي مع فئات شتى من المسلمين ، وبسبب ذلك كانت حصيلة احدى الشركات الدانماركية عن هذا الموضوع خليطا متضاربا لا يؤدي الى ضابط ديني محكم •

(جـ) بعض الموردين يجد متاعب ، هي — في واقعها — عقبات تتصدى للمورد — اذا أراد اجراء الذبح على الطريقة الاسلامية ، في مقدمة هذه المتاعب نفرة العمال المسلمين من العمل بمجازر تنأى عن عاصمة البلاد نأيا لا يشجع العمال على الذهاب اليها فينفصلون عن تجمعاتهم بالعاصمة ، فيصعب عليهم التفاهم وتبادل الأخبار والزيارات ••• الخ •

وهذا جانب من احدى المشاكل التي تطرح صعوبة القضية وتعقدها في بعض الجوانب وتستدعي — بذلك — جهدا خاصا من جانب المسئولين في البلاد الاسلامية ليسهموا قدر الطاقة في تيسير بعض الأمور •

(د) كذلك لا يفوتنا أن نسجل أن المورد — حتى غير الأمين — يخضع في النهاية لمطالب المستورد ، وبخاصة اذا اصطدم بأمانته وجده وحرصه على دينه وأمن مواطنيه ، فلهم في مجال الاقتصاد قاعدة مشهورة : « الزبون دائما على حق » وهي — وان كانت — ذات حدين الا أن الأمين دائما يقضي على حدها الفاسد •

ونذكر — ازاء ذلك — كلمة — جاءت في تقرير نشرته مجلة « المجتمع » الكويتية ، عن بعض المستوردين العرب ••• قالت :

« مما سبق يتبين أن المسئول الأول عن هذه المهزلة ليس هو المصدر ، بل هو — بالدرجة الأولى — المستورد العربي(١) » •

(هـ) ليس يدرس المرء أية قضية تعلقت بلحم غير شرعي ، أو بـ « شهادة مزورة » الا يجد فيها طرفا آخر استطاع المورد أن يستميله ، أو يغشه ، فانحاز اليه عن كسب أو غفلة ، ولذا صدرت شهادات من هذا اللون ، بين أصحابها وموقع الذبح نحو (١٨٠٠) ثمانمائة وألف كيلو متر دون مراقبة تامة على الحيوان قبل اعدامه ثم ما يتبع ذلك من اعداده للتصدير •

• •   • •   • •

(١) التقرير نشر بالعدد الصادر يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة ١٣٩٨ هـ ، والمهزلة المقصودة في العبارة هي كلمة « ذبح اسلامي » أو « مذبوح على الطريقة الاسلامية » التي تلصق بالعبوات بعد اعدادها .



القتل باستخدام آلة Cash Knocker

وقد تكشفت الفتنة لأكثر من مسئول بأكثر من بلد عربي شقيق ، فلم يعد من سبيل الى اخفائها ، وفي رسالة للسيد محمد العوضي وزير التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية ــ أخبر فيها دار الافتاء بالمملكة ببيان الوسائل المستخدمة في اعدام الحيوان ، بعضها بالقارة الأمريكية ، والبعض بأوربا منطلق الفتنة ، فذكر سيادته عن أمريكا أن للذبح بها طرقا أربعة :

« كيميائية بواسطة ثاني اكسيد الكربون
ميكانيكية بواسطة آلة حادة
ميكانيكية بواسطة قذيفة نارية
كهربائية بواسطة التيار الكهربائي(١) » .

وتنتشر ــ في أوربا الغربية ــ عملية الصعق الكهربائي ، والغازات الخاصة ، والخنق مع ابقاء الرقبة الا اذا كانت مصدرة الى بلد اسلامي فتقطع .

كذلك استخدام الماء الحار في درجة الغليان :

(أ) فيلقى فيه الحيوان ميكانيكيا عقب ذبحه ، وقبل مفارقة الروح وتمام النزف .

(ب) أو يلقى فيه عقب قطع وريد واحد بنفس الطريقة .

(جـ) أو تلقى فيه حية ابتداء قبل الذبح ــ (طريقة الذبح بوسيلة التدويخ) ــ ثم تتم عملية فصل الرقبة عقب الموت .

وتشير بعض التقارير الى طريقة لم نتأكد بعد

---

(١) شعبان ١٣٩٣ هـ .

في أوربا تقول :

ان الدجاج يلقى في ثلاجات شديدة البرودة حيا كما هو ثم يؤخذ المقدار المطلوب فيلقى في ماء حار ثم تتم عملية التنظيف والاعداد للتصدير .

ولو أن القارىء درس — الآن — قول الغرب « الرفق بالحيوان » لتبين له مدى السخرية من هذا الشعار على أيديهم .

ولسنا ندرى أين الرفق في اطلاق الثور في ممشى لا يزيد عن حجم جسده الا قليلا ، وما أن ينطلق فيه حتى يتلقى ضربة قاسية — ان لم يكن ضربات كما شاهدت في (مصور تسجيلي) — يخر بعدها الحيوان صريعا ، ثم يعلق لتتم عملية الاعدام(١) .

ثم ينطلق الاستخفاف بالعقول الى أبعد مدى ، فيتلقى الأستاذ عزيز باشا الأمين العام لاتحاد الجمعيات الاسلامية في لندن — رسالة من « الجمعية الملكية البريطانية لمنع القسوة على الحيوان » — ترجوه اقناع مسلمي بريطانيا بأكل اللحوم التي تم صعق حيواناتها(٢) .

مهزلة صمتها فورا فتوى بينت أن الصريم موقوذة يحرم أكلها .

تلك طريقة حياتهم ، وهي مخالفة لما عليه المسلمون ، وقد فشلت أمام الأمناء خاصة — أية وسيلة استخدمت للتهرب من شروط المستورد .

ويحدثنا السيد / فرغلي حافظ فرغلي مدير (كوميصل) عن آخر مؤامرة من هذا القبيل رفعها سيادته الى بعض المسئولين في ٢١/٢/١٩٨٤ . كتب يقول :

« ونود الاحاطة أنه أثناء تواجد مندوبينا لتنفيذ هذه الصفقة بالبرازيل ، وبمجرد وصول اللجنة الحكومية قامت شركة (يونيف) المنفذة لعقد المورد سبيسبو بعرض خطاب باللغة العربية لفتوى صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بناء على طلب مواطن يدعى ابراهيم خليل أحمد عن استعمال الصعق الكهربي قبل الذبح . وطلبت الشركة مناقشة هذا الموضوع مع الأطباء البيطريين التابعين — (كوميصل) وموظفي الحكومة المصرية حيث ادعت الشركة في خطابها أن فتوى الأزهر تجيز استعمال الصدمة الكهربائية لذبح الدجاج ومع أن مندوبينا قد رفضوا تفسير الشركة لفتوى الأزهر وأصروا على الذبح بالسكين الحاد طبقا للشريعة الاسلامية الا أننا نلاحظ الآتي على هذه الفتوى :

١ — ان هذه الفتوى بناء على طلب مواطن عادي لا يتعرض لها في حياته العادية ، انما تهم من قد يكون له مصلحة في الحصول عليها

(١) راجع العدد ٣٥٣ ٢١/٧/١٩٨٣ مجلة أكتوبر .

(٢) حدث ذلك عام ١٣٩٧ ، وصدرت في أمرها الفتوى رقم ١٦٦٥ في ٢٢ رمضان سنة ١٣٩٧ بالمملكة العربية السعودية .

ليستطيع بعد ترجمتهـا أن يوهم بغير ما ورد فيهـا .

٢ ــ ان فتوى الأزهر صريحة فى اظهار طريقة الذبح طبقا لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » صدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ومن ذلك يتضـح بأنه ليس هنـاك رحمـة بالحيوان عنـد الذبح أعظم من الرحمـة التى سنها الاسلام حيث أن شروط الذبح الاسلامى هى :

(أ) ان تكون أداة الذبح حادة تماما .

(ب) ان يكون الذبح كاملا اى يقطع الودجين والحلقوم والمرىء ، ولا يقتصر على قطع أيهما .

(جـ) اراحة الذبيحة ، ويدخل فيها :

عدم ارهاقها قبل الذبح .

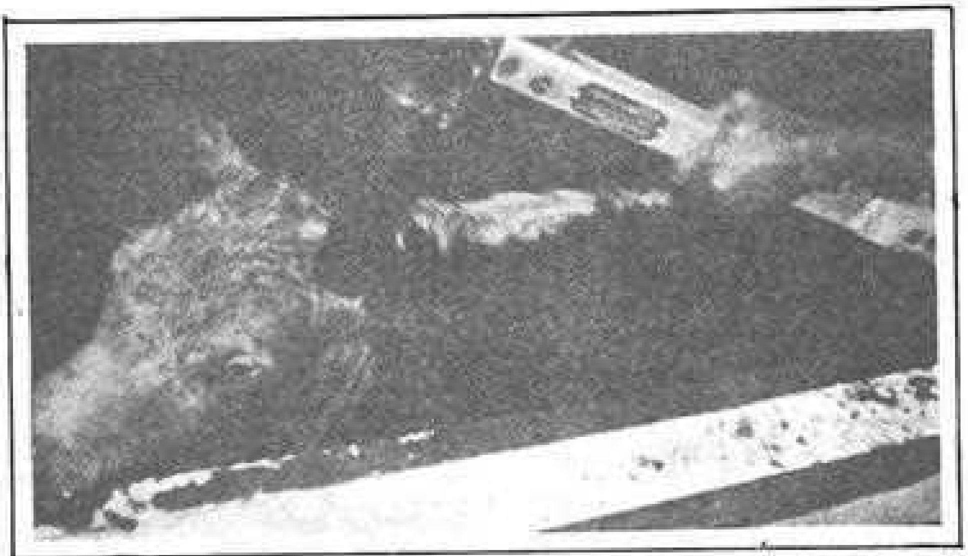
عدم تعرضها لأى مؤثرات خارجية (ومنها الصدمة الكهربائية طبعا) .

ابعاد وسيلة الذبح عن بصرها .

٣ ــ ان الرد على السـؤال فى الفتـوى لم يتعرض لعملية الصعق اذ أورد الأصل الى عملية الذبح(١) دون عداها والا لكان أجاز استعمال الكهرباء .

٤ ــ ان خطاب شركة (يونيف) وترجمتـه باللغة الانجليزية قـد مزج بين السـؤال عن الصعق الكهربائى والرد عليـه ليصـبحا كأنهما موضـوع واحد تجيز الفتـوى فيه اسـتعمال الصدمة الكهربائية عند ذبح الدجاج .

وهذا تزييف للفتوى وامعـان فى المغالطـة للموافقة على أسلوب غير شرعى بالاضافة الى مخالفته لشروط الاعتمـاد المسـتندى ، والى



هكذا يقتلون . تحطيم المخ مما يؤدى الى فقدان الحيوان وعيه وربما نفوقه نهائيا

اللحوم المستوردة .. والدول النامية

ما يتعرض له الاقتصاد القومي وصحة المواطنين من أضرار نتيجة لذلك » .

ونحن اذ نورد هذا المقتطف من رسالة المدير العام لا نشك في أن رسالته محل رعاية المسئولين .

والى القراء صورة فتوى الأزهر التي اصدرها فضيلة الشيخ عبد الله المشد يليها صورة للترجمة المزيفة لها ، وقد حوت تعمية مقصودة باستخدام لفظ « مركز الدراسات الاسلامية بالقاهرة » دون أن تقول « فتوى الأزهر » مترجمة للنسخة المزورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر

لجنة الفتوى

السؤال من السيد / ابراهيم خليل احمد

يقولون : ان من الرحمة بالحيوان قبل الذبح أن يصعق بالكهرباء ثم يذبح ويسيل الدم فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اما بعد فنفيد بأنه ليس هناك رحمة بالحيوان عند الذبح أعظم من الرحمة التي سنها الاسلام اذ يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » فلنتبع ما جاء به الاسلام وهو أنه اذا سال الدم بعد ذبح الحيوان سيلا متدفقا صح الذبح وجاز أكله ـ والله تعالى أعلم .

توقيع أول عضو اللجنة

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

١٤/ ٩ / ١٩٨٣

TRANSLATION OF UNEF'S LETTER

GRUPO
PERDIGAO

To

Perdigao S/A Com. Ind. —
At: Mr. Ricardo Brandalise
Chapeco Avicola S/A —
At: Mr. Milton Lunardi
Frangosul S/A Agro Avic. Indl. — At: Mr. Flavio Walawer

Re: Islamic Rites for Slaughtering

We are enclosing here the copy of the letter from the Islamic studies Center of Cairo, which authorizes the use of eletrical shock for chickens slaughtering.

We kindly advise you all to put a copy of it at Bleeching Arga. It's arabic written and we are providing an official translation of it, which we'll send you all later.

We'd like to suggest the discussion of this subject with Comibassal's Veterinarians and with Egyptian Government employees.

E.A. Martins



الذبح بالسكين طبقا للشريعة الاسلامية وهو ما يتم فى حضور اطباء كوميسل

ترجمة من خطاب يونيف

مجموعة

بيرديجاو

الى شركة بيرديجاو ومسئولها السيد ريكاردو براند اليز

الى شركة شابيكو أفيكولا ومسئولها السيد ملثن لوناردى

الى شركة فرانجو سول ومسئولها السيد فلافيو ولاوير

الطقوس الاسلامية للذبح

نرفق داخله

ـ صورة لخطاب مركز الدراسات الاسلامية بالقاهرة الذى يبيح استعمال الصدمات الكهربائية فى ذبح الدواجن .

ـ ننصح الجميع بوضع صورة منه فى أماكن « التبييض » .

هذا الخطاب مدون بالعربية ، وسوف نمدكم بترجمة رسمية له وسنرسلها لكم فيما بعد .

ونحن نود أن نقترح مناقشة هذا الأمر مع البيطريين من جمعية « كوميسل » ومع موظفى الحكومة المصرية .

ى.أ. مارتنز

تأثير "الهرمونات" على العنصر الحيوانى

كان من نتيجة ما اثير فى بعض الصحف من اختفاء حبوب منع الحمل ، ثم ظهورها فى بعض « مزارع الدواجن » ان طرح العديد من الناس سؤالا عن مدى :

تأثير « الهرمونات » على العنصر الحيوانى

وفى الحق أن تأثير الهرمونات بدا واضحا فى مجال تخصصنا البيطرى على العنصر الحيوانى ، وأعطى ــ فى هذا الميدان ــ نتائج معملية قاطعة .

لقد أثبت جانب من هذه التجارب أن « هرمونات » ــ بعينها ــ تؤدى الى زيادة معدل « التسمين » فى الحيوان ، وقد تم حقن فأر أبيض بـ « هرمون » النمو فزاد وزنه زيادة تقرب من الضعف خلال فترة زمنية لايسمح قصرها بهذا النمو الفاحش .

وقد أغرت هذه النتائج بعض الدول المصدرة للحوم والدواجن فأدخلت « الهرمونات » فى غذاء الدواجن باضافة الى « علفها » ، ولما كانت هذه « الهرمونات » مكونة من :

(أ) « الاستروجين » وهو هرمون سرطانى التركيب بطبيعة .

(ب) ومن « البروجستيرون » بزيارة نسبة « الهرمون » الاول ، فقد أعطى ذلك للموردين ــ الذين ارتضوا لأنفسهم هذا العمل ــ زيادة فى اوزان اللحوم غير طبيعية حققت لهم أرباحا فاحشة على حساب شعوب الدول النامية .

وكانت ألمانيا الغربية من أولى البلاد التى اوقفت عملية « تسمين الدواجن » بهذه الوسيلة بسبب اكتشاف المسئولين بها مدى تأثيرها الضار على الانسان ، وكانت الخسارة جسيمة على الشركة المنتجة .

واذا كان لدى السوق الاوربية المشتركة « جبال من اللحوم وبحور من الالبان » كما تحدث الاستاذ مصطفى أمين ، فلقد وجد الكثير منها طريقه الى بعض البلاد النامية ، لذلك ينبغى أن تخضع هذه المواد لتفتيش دقيق يؤمن ضمان خلو هذه المواد الغذائية من تلك « الهرمونات » .

ونعنى بخلوها من الهرمونات أن تكون خالية تماما مما يزيد على النسبة الطبيعية التى ينتجها الجسم عادة ، فلهذه « الهرمونات الأنثوية » الزائدة تأثير فى الاصابة بامراض السرطان لمن يتناول غذاء يحتويها ، بالاضافة الى مايمكن حدوثه من ظهور صفات الأنوثة فى الذكر اذا زادت فى الجسم عن معدله الطبيعى نسأل الله العافية .

نشأت اسماعيل محمد

في مواجهة الرأي الآخر

آراء .. وآراء

آراء .. وقضايا

آراء وآراء

حول تطبيق الشريعة الإسلامية

١ ــ فى الحديث القيم الذى أدلى به أستاذنا الكبير مصطفى مرعى الى مجلة المصور الغراء والمنشور فيها بتاريخ ١٩٨٤/١/٢٥ ــ حول تطبيق الشريعة الاسلامية ــ أورد الاستاذ المحرر الذى أجرى معه الحديث أن أستاذنا الكبير يطلق رأيه بكل الصراحة التى اعتدناها منه ــ دافعه الأول والأخير غيرته على الاسلام ــ واحترامه للقانون وعشقه لمصر ..

ــ أود ــ بادى الرأى ــ وقد كنت ومازلت أشرف بأنه أستاذ لى ــ سواء فى كلية الحقوق أو المحاماة أو القضاء ــ ومن حقه على تلاميذه الذين يقدرونه على الدوام ــ أن ننصت اليه بامعان حين يتكلم ــ وأن نناقشه الرأى اذا اختلفنا معه فيه .

٢ ــ وليس من شك فى أن مايتطلبه أستاذنا الكبير من أنه يتعين تحديد مبادىء الشريعة الاسلامية وتعيينها قبل العمل بها وتحديد المعين الذى يستقى منه الحكم الشرعى من بين مذاهب الأئمة المتعددة والمتباينة فى القضية الشرعية الواحدة ــ له ما يبرره .

وأرجو أن أطمئن أستاذنا الكبير ــ الى أن اللجان المكلفة باعداد مشروعات القوانين الموافقة للشريعة الاسلامية ــ قد وضعت فى اعتبارها ــ حسبما يبين من مذكراتها الايضاحية ــ وبصدق ــ مبادىء الشريعة الاسلامية وأحكامها الواردة فى الكتاب والسنة ــ وكذلك الاجتهادات المعروفة فى الفقه الاسلامى ــ مستعينة فى ذلك ــ بمشروعات القوانين التى سبق أن أعدتها اللجنة العليا بالأزهر ــ بوزارة العدل والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ــ فضلا عن مشروعات القوانين فى البلاد الاسلامية الأخرى التى كان عمادها الشريعة الاسلامية وفقه شراحها ــ هذا بالاضافة الى القوانين المصرية القائمة ــ فيما لايتعارض

منها مع الأصول المقررة فى الشريعة الاسلامية ـ وذلك مع الاحاطة بالاتجاهات العلمية الحديثة فى قوانين البلاد الأخرى ـ وقد قامت اللجان المشكلة فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمراجعة شاملة للمشروعات التى عرضت عليها ـ وأبدت ماارتأته من ملاحظات عليها .

هذا ـ وقد جاء النص واضحا قاطعا فى مشروع قانون الاصدار على أن تنشر هذه القوانين فى الجريدة الرسمية ويعمل بها اعتبارا من تاريخ لاحق لاصدارها قبل أن تنفذ كقانون من قوانين الدولة .

٣ ـ كما أرجو ان يطمئن استاذنا الكبير الى أن الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ليست وليدة ظرف طارىء هو قرب الانتخابات ـ كما ذهب الى ذلك فى حديثه ـ وأنه قصد بها الى محاولة التقرب الى الجماهير ـ ذلك بأن الثابت بيقين ـ هو أن مصر ظلت أكثر من الف عام تطبق الشريعة الاسلامية وحدها ـ بحكم انتمائها الاسلامى وماتوجبه قيمها ومصالحها الوطنية وتراثها العريق ـ وظل الامر كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبا ـ حين تزايد النفوذ الاجنبى الذى يستهدف القضاء على استقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وصرفها عن أمر ربها ـ وتحت عباءة هذا النفوذ

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

الاجنبى بدأ دخول القوانين الأجنبية الى مصر حين انشئت المحاكم المختلطة ووضعت مجموعات القوانين التى تطبق أمامها ـ وقد استمدت بصفة أساسية من القانون الفرنسى ـ وكان ذلك بداية لاستمداد مجموعات كاملة من القوانين الأساسية كالقانون المدنى وقانون العقوبات من مصدر أجنبى لا يتصل بانتماء البلاد الاسلامية ـ ولا بذاتها الثقافية والوطنية ـ وبدأ تطبيق . هذه القوانين فى مصر منذ سنة ١٨٨٣ ـ اثر احتلال الانجليز لمصر ـ مواكبة لجحافله المستعمرة .

وقد كان هذا الاستعمار القانونى مصدر ايلام نفسى مستمر للمصريين جميعا ـ حاولوا رفع نيره عن كاهلهم ـ فطالبوا بالغاء المحاكم المختلطة أولا ـ ثم بدأ التفكير الجدى فى الأصول الحقيقية للمجتمع المصرى التى ينبغى أن يعكسها القانون الذى يحمى مصالح المجتمع ـ فجاء دستور مصر سنة ١٩٧١ ـ مترجما لارادة الشعب فى تحديد المصدر الرئيسى للتشريع ـ وتلاه التعديل الدستورى الاخير سنة ١٩٨٠ فنص على أن مبادى

آراء ... وآراء

الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع •

— ولم يكن هذا النص الدستورى منشئا لحقيقة اجتماعية — وانما جاء كاشفا لها — ذلك أن مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع — والاسلام دين الدولة وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة — ومن المجافاة للحق والمنطق أن تكون هناك دولة اسلامية بغير قانون اسلامى — وحمدا لله — فقد انزاحت الى غير رجعة تلك الظروف التى كانت تكبل ارادة مصر الحرة فى التعبير عن ذاتيتها التشريعية •

٤ — ولا يخفى على الباحث المنصف — أن التشريع الجنائى الاسلامى — قد تعرض قبل غيره من القوانين الأجنبية — للقواعد والنظريات التى درجت قوانين العقوبات على ادراجها فى القسم العام منها — فقد تطرق الفقه الاسلامى — على أساس من أحكام القرآن والسنة أو الاجتهاد الفقهى — الى مسائل نطاق القانون وتطبيقه فى الزمان والمكان — وكذلك أركان الجرائم وشروط المسئولية الجنائية والاشتراك فى الجريمة وأسباب الاباحة — كما عرض كذلك لأحكام عديدة فى موضوعات العقوبة وتفريدها — واجراءات الحكم بها وتنفيذها — مما يعد فى الواقع — وكحقيقة علمية — سبقا علميا من علماء المسلمين الذين تصدوا لهذه المسائل منذ قرون — وهو ما قررته المؤتمرات العلمية العالمية العديدة — وهو ما حدا بالكثير من المفكرين الاجانب الى الاشادة بالاسلام وما جاء به من تشريعات ناجحة فى علاج أمراض المجتمعات — ومن المقرر أن درجة نجاح التشريع انما تقاس بمدى فاعليته فى علاج أدواء المجتمعات •

ولنا أن نتساءل — هل أفادت هذه القوانين المستوردة فى علاج أمراض المجتمعات التى استوردناها منها — أم أن الجريمة تزداد معدلاتها الرهيبة يوما بعد يوم — وأن سياسة تدليل المجرمين قد انعكست آثارها على المجتمعات التى انصرفت عن تطبيق شرائع الله — فأذاقها الله لباس الجوع والخوف — رغم ثرائهم المادى — وترفهم الثقافى — جزاء بما كانوا يعملون •

وهل أصبح المجتمع المعاصر — شرقا وغربا — مجتمعا فاضلا فى ظل هذه التشريعات الاجنبية — حتى نحذو حذوها — ونعلن تمسكنا بها وعدم الرغبة فى تغييرها — أم أنه لا يحلو لنا الا استيراد مخلفات غيرنا •

٥ — أما القول بأن الاجماع فى الشريعة الاسلامية لا يعدو أن يكون رأى فقهاء لهم تلاميذ — ونحن أيضا — كما يقول أستاذنا الكبير فى حديثه — أساتذة ولنا تلاميذ — فلماذا يكون رأيهم أفضل من رأينا •

فانه مما لاجدال فيه أنه ما من أستاذ عظيم — كأستاذنا الكبير مصطفى مرعى —

الا وله تلاميذ — كما وأنه ما من أستاذ عظيم — الا وكان بدوره تلميذا لأساتذة سبقوه • وعلينا أن نقدر أساتذتنا لا أن نقدسهم •

كما وأن لنا أن ننقدهم ونناقشهم — ولكن ليس لنا أن ننكر فضلهم — فاذا كان من سبقنا من فقهاء المسلمين يحظون بتقدير الاجانب ولايحظون بتقديرنا — فاننا بذلك نكون قد ضيعنا على أنفسنا ثروة علمية جليلة حقا — وفوتنا على أنفسنا الافادة من معين علمهم •

وعلينا أن نبدأ من حيث انتهى فقهاؤنا الأجلاء — قدامى ومحدثون — لتظل مسيرتنا العلمية متتابعة الخطوات فى هدى من كتاب الله وسنة رسوله الثابتة •

والله جل جلاله يقول فى كتابه الكريم : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » كما يقول عز من قائل : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » •

وما من شك فى أن من خلق النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها — أعلم بما يصلح من شأنها فى دينها ودنياها — « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » •

واذا كان لنا اعتراض على تطبيق بعض الناس للشريعة الاسلامية — فانه انما يحاج به هؤلاء الناس — ولاتحاج به الشريعة الاسلامية — التى يتعين أن يكون تطبيقها تطبيقا مستنيرا — فى الوسائل والغايات على حد سواء — فان الله طيب لايقبل الا طيبا •

وكما تقرر المذكرة الايضاحية لمشروع قانون العقوبات المقترح من مجلس الشعب — فان هذا التشريع يتسم بما تتسم به ملامح السياسة الجنائية الاسلامية التى تتميز بأن التشريع فيها يحمى القيم الأخلاقية الاسلامية أساسا — فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الاخلاق • والشريعة الاسلامية لا انفصام فيها بين الدين والدنيا — ولامجال فيها للتفرقة غير الاسلامية بين أحكام كل منهما — فالدنيا مزرعة للآخرة — والايمان متصل فيها بالسلوك الدنيوى بأوثق الوشائج — فالدين المعاملة —

أما القول بأن القرآن جامع لكل شىء فى الدين أما ماعدا ذلك من أمور الدنيا فهو فيه متغير غير ثابت — هذا القول هو مقولة غير صحيحة — حتى ولو قالها أستاذنا الكبير مصطفى مرعى •

فكل ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة القطعية الدلالة والثبوت — من أوامر أو نواه هى من صميم التشريع الاسلامى الواجب الاتباع فكل من عند الله — ولا تبديل لكلمات الله •

٦ — أما ما أشار اليه أستاذنا الكبير فى حديثه من أنه يجب أن يبدأ سن القوانين من السلطة التنفيذية ممثلة فى وزارة العدل — واعتراضه على أن يبدأ التشريع فى البرلمان وينتهى به — وأن هذا يمثل فى رأيه — طغيانا

برلمانيا — وتجاوزا من السلطة التشريعية لحدودها وتجاهلا لسيادة الامة .

فحسبنا في الرد عليه أن نشير الى أن مبدأ الفصل بين السلطات — يجعل التشريع من اول أعمال السلطة التشريعية التي سميت باسمه — وقد نص الدستور الدائم الصادر بتاريخ ١١ من سبتمبر سنة ١٩٧١ — شأنه شأن ماسبقه من دساتير — في المادة (٨٦) من الفصل الثاني الخاص بالسلطة التشريعية — مجلس الشعب — على الآتي : « يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع .. » .

كما جاء نص المادة (١٠٩) من الدستور مؤكداً لهذا المعنى في نفس الباب حين نص على الآتي : « لرئيس الجمهورية — ولكل عضو من أعضاء مجلس الشعب حق اقتراح القوانين » .

فما قامت به السلطة التشريعية من اقتراحات بمشروعات قوانين مطابقة للشريعة الاسلامية شكلت لجانا عدة لدراستها ومراجعتها — قبل مناقشتها في مجلس الشعب واصدارها من السلطة التنفيذية المختصة — هو صميم عمل هذه السلطة التشريعية .

اما أن يقال بعدئذ انه انما يراد بـه تملق الجماهير أو ارضاء الشارع — فهو ان دل على شيء فانما يدل على أن تطبيق هذه القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية — هو مطلب جماهيري أساسي — والله من وراء القصد .

— فاذا كانت هذه المشروعات بقوانين هي استجابة لأوامر الله ورسوله ويرضى عنها الله ورسوله وجماهير الشعب — فان الطغيان حقا هو الا نستجيبلهذا المطلب — ثم نفرض على الناس قوانين ما أنزل الله بها من سلطان — بمقولة أنها قوانين عصرية « مستوردة » أو « وارد الخارج » — رغم ما يعتورها من فساد — وما كشف عنه تطبيقها من انحلال والفساد حتى في البلاد التي نستوردها منها — على حين أن الشريعة الاسلامية أصلحت كل مجتمع طبقت فيه تطبيقا سليما — كما يشهد بذلك التاريخ والواقع .

٧ — بقي بعد ذلك ما ورد في حديث أستاذنا الكبير عن الجرائم التي لم يرد لها ذكر في القرآن والسنة — وهي الجرائم التعزيرية .

فأما هذه فمتروك أمر تقدير العقوبة فيها للحكام في نطاق أصول مقررة للتجريم والعقاب وبما لا يخالف شرع الله أو يجاوزه — ولا خلاف ثمة بشأنها .

وأما عن السرقة من المال العام — وما تخوفه أستاذنا الكبير من أن يحكم بقطع يد السارق في السرقة العادية ولا يحكم بالقطع في سرقة مليون جنيه من المال العام .

فاني أطمئن أستاذنا الكبير الى أن اللجنة قد أخذت الحكم فيها من مذهب الامام مالك وغيره من الأئمة الاعلام — فنصت صراحة في المادة (٨٧) من المشروع المقدم من مجلس الشعب — وأخذا بما ذهب اليه رأى اللجنة العليا بالأزهر — فقررت المبدأ الآتي حرفيا :

« يطبق حد السرقة على كل من سرق مالا مملوكا للدولة — أو لاحدى الهيئات أو المؤسسات العامة — أو الشركات أو المنشآت — اذا كانت الدولة أو احدى الهيئات تساهم في مالها بنصيب — متى اكتملت باقي الشروط المبينة في المادة (٨٥) » — وهي باقي الشروط الواجب توافرها في جريمة السرقة الحدية .

وفي يقيني أن أيدي القطط السمان التي دأبت على أكل مال الشعب الذي تمثله الدولة وهيئاتها ومؤسساتها العامة — ستكف تلقائيا عن أكل هذا السحت — لا تورعا — ولكن خشية من قطع يدها — والحدود زواجر قبل الفعل وجوابر للمعصية بعده كما هو معروف .

وأما ما أورده أستاذنا الكبير في حديثه عن عقوبة الزاني المحصن بالرجم وقوله بأنها كانت خاصة بتطبيق الشريعة اليهودية على المرأة اليهودية الزانية — فانه وان صح ما قال بالنسبة لتطبيق عقوبة الرجم على المرأة اليهودية الزانية تطبيقا للشريعة اليهودية — فان الثابت من سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والخلفاء الراشدين واجماع المسلمين أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أقام حد الرجم على ماعز والغامدية — وكلاهما مسلم وكان الدليل اقرارهما الصريح — وقد أخذت اللجنة بهذا الرأي — ولم تعتد بما ذهب اليه بعض الخوارج وبعض الشيعة وبعض المعتزلة من أنه لا عقوبة في الزنا غير الجلد استنادا من اللجنة الى أن السنة الصحيحة ثبت فيها أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أمر بالرجم بالنسبة للزاني المحصن ونفذ ذلك في حضوره — وكان ذلك بعد نزول سورة النور .

فكان هذا تشريعا وتحديدا لهذه العقوبة — واستمر ذلك من بعده .

ولقد سلفت الاشارة الى قوله تعالى في كتابه الكريم :

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وغيره من نصوص القرآن التي تأمر بالأخذ عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والعمل بفعله وقوله في الأمور التشريعية .

٨ — وأخيرا — وليس آخرا — فان المجال لا يتسع للافاضة في بيان أصول التشريع ومنوعها في الاسلام ومواطن الاجتهاد والتوقف عند النصوص ولكن بالجملة — فانه بالنسبة لنظام الحكم في الاسلام — فانه مادام الامر لم يرد فيه نص قاطع — آمر أو مانع — كان محل الاجتهاد بشروطه وفي نطاق أن يرد الامر فيه الى الله والى الرسول — فقد ترك فينا — صلى الله عليه وسلم — من بعده — ما لو اتبعناه فلن نضل أبدا — كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم .

فاللهم اهدنا جميعا صراطك المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين — آمين .

هذا — وبالله التوفيق ...

المستشار / السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

آراء وقضايا

إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب

كثيرا ما يرتاد الباحثون الغربيون ـ حين يدرسون الاسلام او يكتبون عنه ـ آفاقا تنأى بهم ، وبمن تابعهم عن المقاصد الأولى للمعرفة الدينية ، أو العلم الشرعي .

وكثيرا ما يستدرج المسلمون الى هذه الآفاق البعيدة ليشغلوا فيها بجدل لا يثمر ، ولا ينتهي الى يقين .

هذه ظاهرة نعهدها فيمن يفد من الغربيين الى البلاد الاسلامية بحجة البحث العلمي ، أو التعرف على الاسلام .

ومنذ أيام حضر الى مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية زائر انجليزي مكتهل ، عرف بنفسه ، ودراسته في الآثار ، وتاريخ الأمم ، والأجناس البشرية .

وأنه يعمل في مصر منذ سنين ، وقد شغل بالقرآن ، وعكف على قراءته ـ أي ترجمة معانيه بالانجليزية ـ والمقارنة بينه وبين كتب العهدين : القديم والجديد ـ التوراة والانجيل فاكتشف أن القرآن تحدث عن « عاد » قوم هود « وثمود » قوم صالح بدون كتب العهد القديم .

واهتم بالبحث عن مواطن هؤلاء الأقوام ، ليتعرف على حضارتهم من الحفريات والآثار ، وليؤكد وجودهم تاريخيا ، فيبرهن بهذا على صدق القرآن الكريم .

وأضاف أن البحث انتهى به الى « أن عادا » « وثمود » عاشا على أرض سيناء ، واستدل لنظريته هذه بمصورات ، وخرائط جغرافية قديمة ، عليها أسماء قال : انها محرفة صوتيا عن كلمتي « عاد » «وثمود » .

وذكر أن الآثار والحفريات الحديثة في سيناء تؤيد رأيه من وجوه عديدة .

وأن نظريته هذه لابد وأن تنال اهتمام الهيئات العلمية المصرية ورجال الأزهر ، لما يترتب عليها من اقبال الأوربيين على القرآن ، والانتباه الى صدق أخباره .

للشيخ محمد حسام الدين

فأجبته بأن الأمر على العكس من هذا ، فان ربط المفاهيم والدلالات القرآنية بالآراء والنظريات العلمية — أيا كان مستواها من الصدق ظاهريا — يفتح الباب للنقاش فى هذه الدلالات ، وبخاصة عندما تتغير النظريات ، وما أكثر ما تتغير .

فلا يكون هذا العمل داعية لثبات الايمان ، أو استقرار اليقين .

والقرآن الكريم حين يقص علينا أخبار الماضين مع أنبيائهم ، انما يعنى ببيان ما دعا اليه النبيون ، وما لاقوه من أقوامهم ، وماجرت به سنة فى الذين خلوا من قبل عقابا ، أو ثوابا ، وخذلانا ، أو نصرا .

ليكون فى هذا القصص عبرة لنا ، وتثبيت لقلب النبى — صلى الله عليه وسلم — وقلوب المؤمنين من حوله .

قال الله سبحانه : « لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَابِ(١) »

« وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ(٢) »

« تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ »(٣) .

وليس من مقاصد القرآن الكريم تحديد الزمان أو المكان لأحداث القصص فيه — وان وردت الاشارة أحيانا الى بعض الأماكن — وانما المقصود النظر فى الأحداث ، والعبرة بالوقائع الماضية ، والاهتداء الى سنن الله فى الأولين .

وربما كان السبب — والله أعلم بمراده — فى

(١) ١١١ من سورة يوسف .
(٢) ١٢٠ من سورة هود .
(٣) ٤٩ من سورة هود .

أن كتب العهد القديم لم تشتمل على ذكر «عاد» «وثمود» أن « هودا » ، « وصالحا » من أنبياء العرب ، وليسا من أنبياء بنى اسرائيل ·

ولقد وردت الاشارة فى القرآن الكريم الى موطن « عاد » فى قوله تعالى : « وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ »

والأحقاف : هى كثبان الرمال ، وجمهور المفسرين على أنها التى تقع فى جنوب الجزيرة العربية ، بأرض اليمن ، أو حضرموت ·

وجمهورهم كذلك على أن ديار « ثمود » تقع فى الحجر شمال وادى القرى بالجزيرة العربية·

ويؤيد هذا الرأى ماثبت فى الصحيح أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما مر بالحجر ــ فى طريقه الى تبوك ــ قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، الا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه ، وأسرع السير حتى أجاز الوادى »(١)·

كذلك ما ورد أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى أصحابه أن يردوا آبار هذا المكان(٢) ·

وهذا يكشف عن أن ديار « عاد » « وثمود » وآثارهم كانت باقية ماثلة لأهل الجزيرة العربية على عهد الوحى ·

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الديار أكثر من مرة : يقول سبحانه فى بيان ما نزل بهم من عذاب : « تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ(٣) »

وقال « وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ(٤) »

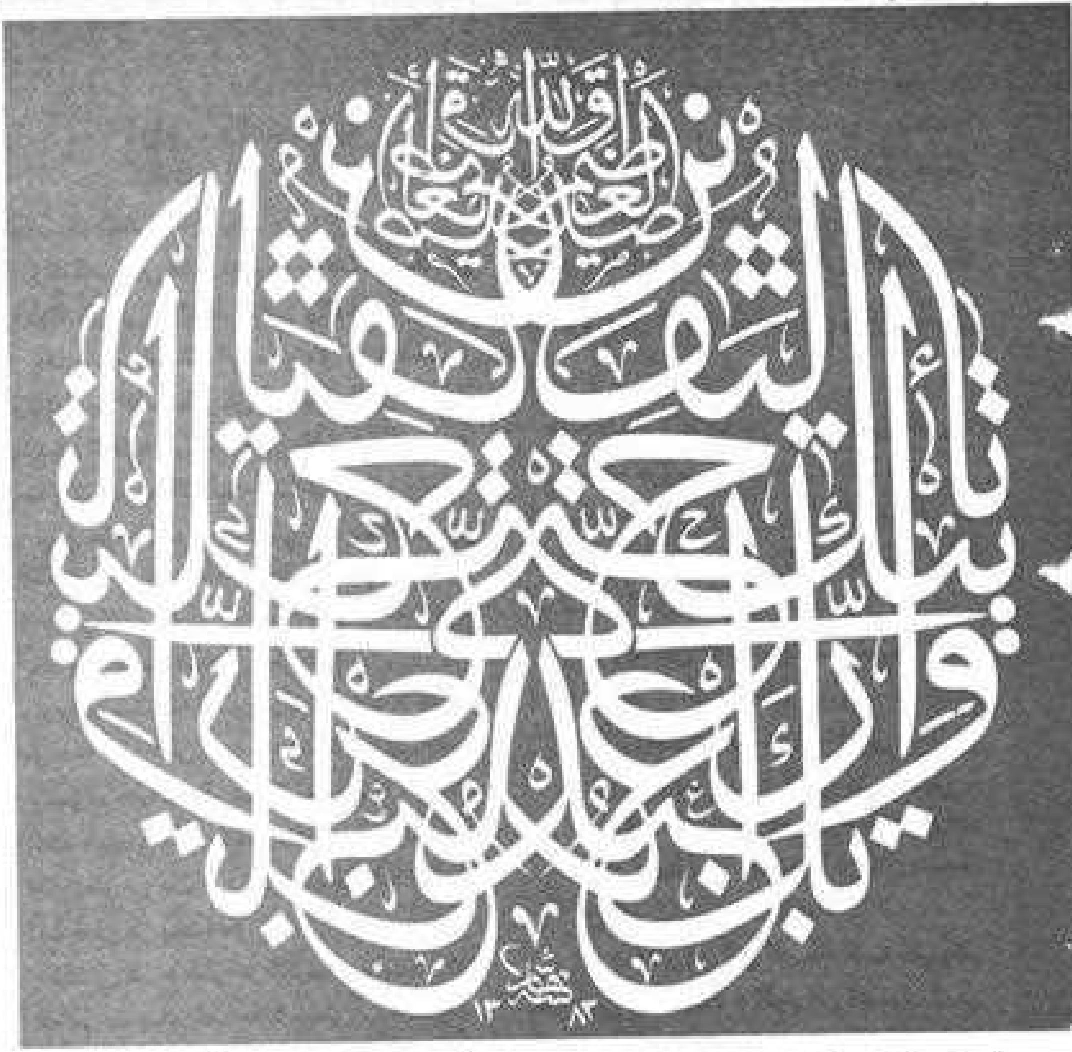
ان هذه الدلالات القرآنية ، ومعها دلالات السنة لا تسمح بالالتفات عنها الى دلالة حفريات ، وآثار وبحوث جديدة مهما يكن شأنها ·

ولا يحق للعلماء المسلمين أن يشغلوا بالرد على مثل هذه النظريات الجديدة ، أو الدخول معها فى جدال ·

وانصرف الرجل ، وهالنى ما ينصبه الغربيون للمسلمين من أحابيل وشراك يصرفونهم بها عن

(١) الحديث فى الصحيحين وهذا لفظ البخارى ·
(٢) القصة واردة ايضا فى الصحيحين وغيرهما

(٣) ٢٥ من سورة الاحقاف ·
(٤) ٣٨ من سورة العنكبوت ·



العمل ، والبحث النافع ، الى الجدل العقيم .

فأى جدوى عملية ينتجها البحث فى أن القوم وقع عليهم العذاب هنا أو هناك ؟

قد يكون هذا مما يشغف به رجال الآثار ، والحفريات ، والحضارات ، لكن لا الزام بما ينتهون اليه من رأى ، فهو رأى قائم على ظن ، لا يلتفت اليه فى المجال الدينى .

لقد فتح المسلمون ـ فى العصر العباسى الأول ـ أبوابهم للفكر الهلينى وتوابعه من الفكر الكنسى وغيره ، فكان اساءة الى الفكر الاسلامى ، وجناية عليه لا تزال آثارها باقية الى اليوم .

ان من طبيعة الخطاب الشرعى أن يلتفت الى ما يفيد عملا ـ عملا للقلب أو عملا للجوارح ـ

٥

ويصرف النظر عما لا يفيد .

وللنظر الى قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »

فقد صرف السائل الى ما يتعلق بـه العمل ، وترتبط به الشعائر من أحوال القمر ، دون طبيعته الفلكية ، ومنزلته بين الأجرام السماوية مما لا ترتبط به التكاليف الشرعية مباشرة .

ومن هذا النوع قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا »

فقد خوطب – صلى الله عليه وسلم – باستفهام انكارى : « فيم أنت من ذكراها » .

ومعناه – والله أعلم بمراده – انك لا تعرف موعدها ، أو : ان ذكر موعدها لا جدوى منه ، فالسؤال عنها سؤال عما لا يفيد عملا ، ويكفى العلم اليقينى بأنها واقعة حتما ، لما يترتب على هذا العلم من عمل . « إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ، إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا(١) »

ذلك أن شرح الظواهر الكونية ، وأسباب فناء العالم عند قيام الساعة لا يتعلق بـه تكليف ، وان كان البحث العلمي المجرد مأذونا فيه للخاصة ، بعيدا عن مجال الخطاب التكليفي .

لقد سأل جبريل عليه السلام النبى – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة ؟

فأجابه بقوله : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وهذا يعنى أن بيان موعدها ليس من مهمة الأنبياء ، وأن على المسلمين أن يتفطنوا الى هذه الحقيقة ، فقد ختم الحديث بأن جبريل عليه السلام جاء ليعلمهم دينهم(٢) .

ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٣) »

هذه الآيات وأمثالها من النصوص الشرعية تأتى بمثابة دروس يتعلم منها المسلمون أن لا يستدرج علماؤهم الى مجالات لا ثمرة فيها الا الجدل ، أو الى شئون لا تترتب عليها فائدة فى الدنيا ، أو فى الآخرة .

وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – اعرف الناس بدينهم ، واوعاهم له ، وابعدهم عن هذه المزالق ، وما اثر عن اعلامهم فى هذا الباب كثير مشهور . ومنه ما أثر عن عمر ، وعلى – رضى الله عنهما – . وتاديبهما لمن كان يسال فى القرآن تعنتا لا تفقها.

وما اثر عن ابى الدرداء انـه كان يكثر من هذا الدعاء « اللهم انى اعوذ بك من من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع(٤) » .

محمد حسام الدين

أمين عام مساعد – مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) ٤٢ – ٤٥ من سورة النازعات .

(٢) الحديث مشهور ثابت فى الصحيحين وغيرهما

(٣) ٨٥ من سورة الاسراء

(٤) هذا لفظ حديث رواه الحاكم فى المستدرك وأحمد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، مع تفاوت فى اللفظ .

شعر وشاعر

في ذكرى الإسراء والمعراج — حديث القمر

من وحي الإسراء والمعراج

الشعر الجديد — الشاعر محمود أبو الوفا

ليلة الإسراء

للشاعر عبد العليم القباني

يا ليلــــة بين الليــــالي غــــراء رائعــــة الجـــلال
هــاتي من الصـــور الغــوالي واروي حــــديث محمـــد
لمـــا تجلى في عـــلاه
.. .. ..

نــور عـــلى نـــور سري بين الثـــريا والثـــرى
في الليـــل من أم القـــرى حتى دنـــا من مســـجد
الله بارك في حمـــاه
.. .. ..

وهنـــاك أم المرســـلين خففـــوا وقـــد رفـــع الجبين
يـــا نورهـــم دنيـــا ودين أنت المشـــفع في غـــد
والكل ضـــاق به رجاه
.. .. ..

ثم اعتـــلى متن البـــراق وهـــو المشـــوق الى التلاق
ثم ارتقى الســـبع الطبـــاق حتى دنـــا من مشـــهد
القلب يخشـــع من سناه
.. .. ..

وهنـــاك قـــربه الالـــه كرمـــا وحف به رضــــاه
شرفـــا وعلمـــه الصـــلاه يـــاذا المقـــام الأوحـــد
هذا التجلي ما مـــداه ؟

فى ذكرى الإسراء والمعراج

شعر عبد الفتاح القاهر

ابتاه (1) هذى ليلة الاسراء … والقوم فى شوق وفى اصغاء
وكانهم جاءوا اليك ليسمعوا … عذب الحديث واعجب الانباء
عن ليلة فيها النبى محمد … اسرى به الرحمن فى الظلماء
من مكة للمسجد الاقصى بدا … نور يحوط بسيد الشفعاء
ليبدد الليل البهيم عن الدنا … ويزيل صرح الكفر والبلواء
من بعد جهل فى العقول وقسوة … ملأت نفوس الخلق بالبغضاء
من بعد ما بذر الفساد بذوره … وغدا الخلائق فى جحيم شقاء
لكن اراد الله احمد منقذا … للعالمين بشرعة سمحاء
يا من عرجت الى السموات العلا … حظيت جسدا وروحا فى اجل رواء
قد نلت دون العالمين مكانة … ما نالها احد بلا استثناء
ودنا لك التكريم من رب الورى … ولقد حظيت باعظم الآلاء
فالله قد فرض الصلاة طهارة … لنفوسنا لكن بغير عناء
وحباك ربك بالفضائل كلها … ورايت اعجب مايراه الرائى
واتيت تعلن فى الصباح على الملا … ما قد شهدت ودونما غلواء
فاذا بمن كتب الشقاء عليهمو … قد كذبوك لعلة البغضاء
واتوا الى الصديق يحكم بينهم … فاجابهم فى حكمة ومضاء
صدق الرسول وليس ثمة كاذب … الا كمو يا معشر الجهلاء
والله ينصر دينه يوما ومن … ساروا على هدى من السمحاء
رباه مالى فى الورى سند ولا … يرجى سواك لكشف كل بلاء
فاجب دعائى يا الهى اننى … بك استعين فانت انت رجائى

---

(1) ابتاه : كانتى الخاطب المغفور له والـدى الذى بدا يخطب فى الجماهير فى ليلة الاسراء وما ان تلا قوله تعالى .. « سبحان الذى اسرى بعبده » حتى توقف عنده بعبده وكرر – صلى الله عليه وسلم – مرات ثم فاضت روحه الطاهرة فى رجب سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

حديث القمر

يشع بقلبى سناك الأغر ... فاشرق على مهجتى يا قمر
لكم فيك من متعة للنفوس ... وكم فيك من بهجة للبصر
بعثت الى الروض ساق اللجين ... فنقط ازهاره والثمر
ومر على صفحات الغدير ... شعاعك فاستل منه الكدر
ورصعت بالدر زرع الحقول ... وتوجت بالاقحوان الشجر
وارسلت فى الليل جيش الضياء ... فمزق ظلمته وانتصر
تبارك من صور الحسن فيك ... مثالا يشوق حسان البشر

***

الا ايهذا السمير الحبيب ... نديم العشى نجى السحر
تحدث الى فيا طالما ... رويت الحديث وسقت الخبر
شعاعك يلمع فى ناظرى ... كما لمعت فى العقول الفكر
وتعاودنى ذكريات الهوى ... اذا ما اطلت اليك النظر
فكم ليلة من ليالى المنى ... صحبتك فيها وطال السهر
وكم ليلة من ليالى النوى ... سمعت شكاتى ممن هجر
وكم ضقت ذرعا بغدر الزمان ... فكنت عزائى عمن غدر
وكم جئت اسكب حر الدموع ... واشكو اليك صروف القدر

للأستاذ الدكتور حسن جاد

فكنت انيسي في وحشتي ... وكنت نصيري عند الغير
وجدت عن الناس فيك الغناء ... فانت الصديق الوفي الأبر

* * *

تجنى عليك غزاة الفضاء ... وقد شوهوا فيك ما قد بهر
وقالوا : خرافة اهل الخيال ... تغنى بها بدوهم والحضر
ولم يتغنوا بغير هضاب ... الصخر او بتلال الحجر

وكم خدع الوهم من شاعر ... جموح الخيال شرود الأثر
حذارك يا ديدبان السماء ... فقد يدفع النائبات الحذر

لقد دنسوا الأرض من رجسهم ... فضاقت بشرهم المستعر
ولم يكفهم انهم روعوها ... فلا امن فيها ولا مستقر

فراموا سماك كي يفسدوها ... بما حملوا من اذاة وشر
فردهم عن حماك الأمين ... واحرقهم بشواظ الشرر

هو العلم ان لم يقد ربه ... الى الخير كان سلاح الخطر
ومن ليس يعصمه عاصم ... من الدين ضل به وانتحر

مثال الجمال ورمز الصفاء ... على رغمهم انت انت القمر
وان الحقيقة حينا تسوء ... فيصرف عنها خيال يسر

تمهل فللعين منك الضياء ... وللروح نجوى المنى والسمر
وللناس فيك حساب الشهور ... ولي فيكَ شتى الرؤى والصور

د. حسن جاد

من وحي الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود شاور ربيع

من مكة سار « البراق »   اسمى من الخيل العتاق
وهناك « بالأقصى » جئنا   وببابه شد الوثاق
ورأى النبى « محمد »   اخوانه خير الرفاق
فهو الامام المصطفى   وبنوره يمحى المحاق
وعلا « بمعراج » العلا   واجتاز اجواز الطباق
وهناك عند « المنتهى »   « جبريل » كف عن اللحاق
خض يا محمد فى السنا   من غير ان تخشى احتراق
ودنا النبى مقتربا   ومحييا عند التلاق
ورأى هنالك ما رأى   « ولجنة المأوى » ائتلاق
حمل « الصلاة » هداية   وبها الى الله انعتاق
وبها السعادة والمنى   وبها الهناءة والوفاق
قص « النبى » حديثه   للقوم فانفجر الشقاق
قد جئت بالأمر الذى   لايستساغ ولا يطاق
وأتى « أبو بكر » له   جاءت به زمر النفاق
وهناك صدق قوله   وعليه من نور نطاق
انى اصدق قوله   فى الوحى يا خير الرفاق
ماذا عليه لو ارتقى   لله من فوق الطباق
الله كرم عبده   اسرى به فوق « البراق »
فمضى سراجا هاديا   وسعى على قدم وساق

الشعر الجديد

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

الشعر الجديد شعر يخرج على قيود الشعر العربى فى الوزن فى كل الاحيان وفى القافية فى كثير من الاحيان ، ويحطم عمود الشعر العربى تحطيما ، هذا الذى لم يطق النقاد صبرا ، فهاجموا من حاولوا الخروج عليه ، من المصطنعين للبديع والحكمة ، ومن المجددين فى بعض الاخيلة والمعانى والصور . ولم يكونوا يتصورون أن سيجىء جيل عربى يخرج على عمود الشعر جملة .. فى الوزن والقافية وفى الصور والمعانى والاخيلة .

والشعر فى أساسه فن ، والفنون هى القيود ، وفى المثل الفرنسى :

لا تحيا الفنون بلا قيود ، ويقول نيتشة : « الفن هو الرقص بالقيود والأغلال » .

— ٢ —

وعمر الشعر الحر ربع قرن : اصطنعه لفيف من شعراء الشباب فى العالم العربى ، بدعوى التجديد فى الشكل الفنى للقصيدة ، ولكن للتجديد طريقه المرسوم فى اطار العمودية . يقول الشاعر الانجليزى المشهور اليوت : اذا أردت أن تجدد فى الشعر ، فيجب أن تكون جذورك عميقة فى الماضى ..

هذا هو الطريق الصحيحة للتجديد ..

ويقول د. محمد احمد الغمراوى : « التجديد فى الأدب كالتجديد فى العلم لا يمكن أن يقوم الا على أساس من تعاون الماضى والحاضر » .

واسمه مشكلة : سموه شعرا حرا ، والشعر المطلق ، والشعر الجديد ، وشعر اليوم ، وشعر التفعيلة .. الى غير ذلك من الأسماء .

وتحديد مبتكره فى شعرنا المعاصر مشكلة أيضا :

فقد ادعى نحو عشرة شعراء ان كلا منهم

٥

هو الذى ابتكره : منهم السياب ونازك الملائكة — ولويس عوض — على أحمد باكثير — محمد فريد أبو حديد — وخليل شيبوب .. وغيرهم .

وقد يكون الدكتور احمد زكى ابو شادى وحسن كامل الصيرفى ، ممن كتبوا شعرا حرا من قبل .

ولا ننسى انه قد صاحب نشأته دعوات كثيرة لتحطيم عمود الشعر كتبها شعوبيون من مثل شبلى ملاط ، ونقولا حداد ، وسلامة موسى ، ولويس عوض ، وكتبها أدباء مخدوعون ، مثل أحمد أمين ، وغيره .

ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل أن يظهر عندنا ظهر فى أوربا فى شعر كثيرين :

من مثل اليوت وزميله باند واون — ما يكوفسكى — شعراء مدرسة التعبيريين الذين أخرجوا مجموعة شعرية ، سموها « فجر الانسانية » ، وامتلأت بصيحات للغضب والهدم والتحطيم .

— ٢ —

والشعر الحر لا يثير القارىء ، ولا السامع ، لأنه يفقد الموسيقى الخارجية والداخلية فى كثير من الأحيان ، ويفقد التوائم النفسى كذلك . وقد سماه العقاد وعزيز أباظة والزيات وصالح جودت ووديع فلسطين « الشعر المنثور » .

ان أرسطو فى كتابه « الشعر » يقرر أن الفنون الشعرية الكبرى أى الجيدة تستخدم كل أدوات المحاكاة ، وهى : الايقاع — والانسجام — والوزن .

وتنبأ عزيز أباظة فى المقدمة التى كتبها لديوان « أصداء الحرية » للشاعر عبد الله شمس الدين بالفناء والانقراض .. وعادت نازك الملائكة فى ديوانها الأخير الرابع « شجرة القمر » الصادر عام ١٩٦٨ .. تقول فى مقدمته : « انى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سوف يتوقف فى يوم غير بعيد ، وسيرجع الشعراء الى الأوزان الشعرية ، بعد أن خاضوا فى الخروج عليها وفى الاستهانة بها » .

ونحن مع عزيز أباظة ونازك فى أن الشعر الحر بناء منهار ، لأنه لا أساس له من الذوق الفنى ، ان تعصب قائليه له ، وضعف أذواق النقاد ، ودفاع بعض الشعوبيين والمخدوعين والجاهلين عنه ، لا يؤدى الى احياء شىء ميت ، ويحاول شعراء الشعر الحر أن يكون لهم شعر عمودى ليكسبوا أذواق الجماهير ، ويقص علينا بعض الأدباء أن السياب جلس هو وبعض أصدقائه فى مقهى من مقاهى بغداد ، ولفقوا قصيدة حرة ، وتوخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع اخترعوه وهو « سميرة أحمد العانى » ، ولم تلبث القصيدة أن نشرت فى مكان بارز فى المجلة ، وجاء بعض أدعياء النقد بعد ذلك فنوه فى المجلة بهذه الشاعرة ، وعدها فى جملة

المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لها بمستقبل مرموق .

وممن دافع عن الشعر الحر : أبو شادى ، والسحرتى ولفيف من المجددين .

واذا صرفنا النظر عن الشكل الفنى لقصيدة الشعر الحر ، نجد مضمونها غير عربى النزعة ، والا فما معنى أن يملأ شعراء الشعر الحر قصائدهم بالرموز المسيحية كالصليب . والأجراس ، والمذبح ، والهيكل والمعبد والكنيسة ، ونجد أنه يسير فى تيار التبعية ، والتيه الشيوعى « والأيديولوجيات » المنحرفة ، والمذاهب الهدامة .. وقد أسرف كثير من دعاة الشعر الحر فى مهاجمة التراث الشعرى والقصيدة العمودية ، هجوما غريبا ، وقد قرأنا لشاعر فلسطينى هو معين بسيسو يقول :

أخيرا فى صحفية كبيرة : ان الشاعر العمودى يرتطم صوته وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا ..

ويقول د. عيسى الناعورى :

« ان الشعر فقد عنصر المعاناة الحقة فى صناعة الجمال . وفى تكاليف العمل الفنى الجميل » .

قد نعذر الغربيين فى هربهم من تكاليف الشعر الصعبة المقيدة ، ومن الأوزان الموسيقية المحدودة ، طلبا للغنى فى الحرية الواسعة ، ولكن ما عذرنا نحن ، وعندنا ستة عشر بحرا لكل بحر منها مجزوءاته وتقسيماته الموسيقية حتى يصل بنا العدد الى أكثر من مائة وزن موسيقى ..

نحن تقليدا منا للآخرين هربنا ، لا من الفقر الى الغنى كالغربيين بل عكسنا الآية الى نقيضها تماما ، اذ هربنا من الغنى الدافق الى الفقر المدقع .

لقد هجرنا عشرات الأوزان ، الكاملة والمجزوءة ، وقنعنا بالنظم على أربعة بحور أو خمسة ، أو لتكن سبعة بحور ، كما يزعم بعض شعراء مايدعونه بالشعر الحر . هذه البحور هى : الرمل . والبسيط ، والسريع ، والمتقارب على الاكثر ، وخذوا كل دواوين الشعر الحر ، من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب الى من شئتم من شعراء الشعر الحر، وحاولوا أن تجدوا غير هذه الاوزان اليتيمة ـ ان صح أنها تصل الى سبعة أوزان ، كما يزعمون ـ وتساءلوا معى : أين ذهبت أوزان الشعر العربى كلها ؟ وأين ذهبت الموسيقى ، وجمال الهندسة العربية فى البناء الشعرى ؟

وليس هذا فقط . لقد أصبح الشعر بهلوانية وقفزا على الحبال ، أو شقلبة فى الهواء لقد أصبح غمغمة ومعميات وطلسمات تحتاج الى منجم أو فاتح بـ (المندل) لشرحها حتى لأصحابها . ولنتابع معا هذه المقطوعة من قصيدة بعنوان « الجحيم » لشاعر اردنى :

الشعر الجديد

الطفل ان غفا

تهطل امطار من الكبريت

وان صحا واسحفا

يزحف شيء يشبه التابوت
يهدم جسر الود والصفا
هل تسقط الأحلام
والنور والحب ؟
اعمارنا كانت لها طعام
حين تعرت المدينة
رأيت كل ما في الشجرة
دودا
لحاء
وعظاما نخرة
تنتهك الاحذية والقطار
يزحف بالاشلاء
العابرون في غير انتظار
كالواقفين وقفة بلهاء
مسافرون في الصحراء

ماذا فهمتم من هذه الألفاظ المتشحة على أكتاف الشعر ، وليست منه ؟أما انا فأعترف لكم بأنني لم أفهم ماذا يريد الشاعر أن يقول.

وما أكثر أصدقائي الشعراء الذين لا أفهم — وأحيانا لا أطيق — ما يقولون .

ونتساءل : ما وجه التجديد والحداثة في هذا الذي يدعونه الشعر الحر . والذي أصبح موضة العصر ، والذي خلط بين من يعرفون الشعر ومن لا يعرفونه ؟

التجديد فيه أولا أنه لم ينبع من الروح العربية بل هو تقليد للشعر الغربي المعاصر الذي هرب من الفقر الموسيقي الى حرية التعبير والتقليد ليس أصالة ومادامت الاصالة غير موجودة فلا معنى للبحث عن الجديد .

والتجديد فيه ، ثانيا ، فيما يزعمونه من أن هذا الشعر يعتمد على التفعيلة الواحدة ، لا مجموعة التفعيلات لكل بحر . ومعنى هذا أن البحور الشعرية الغيت .

ولكن ، هل صحيح أن شعراء اليوم هم أول من اعتمد على التفعيلة الواحدة ؟

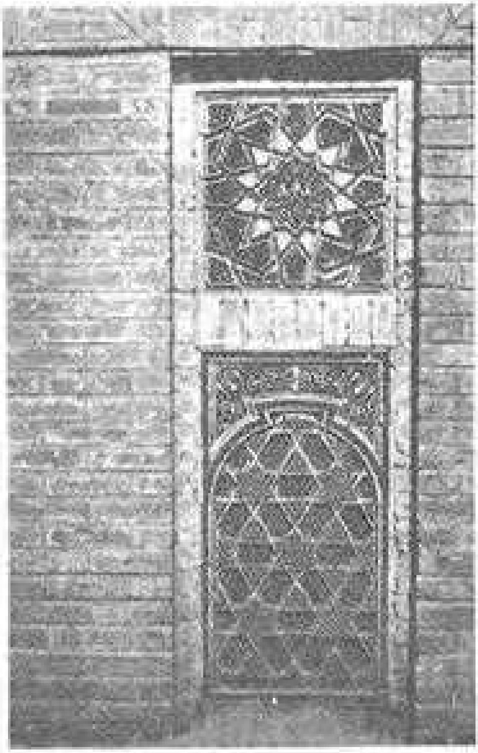
لنرجع قليلا الى الوراء ولنتذكر الموشحات الأندلسية ، وما دخل فيها من جديد في الموسيقى الشعرية والبناء ، لأجل مناسبة الغناء والمرح . لقد اعتمد شعراء الموشحات على التفعيلة الواحدة في بعض شعرهم ، دون أن يخرجوا على أصالة الموسيقى الشعرية العربية . واليكم مثالا على ذلك من قصيدة للشاعر الأندلسي أحمد بن علي اللخمي الغرناطي ، تبدأ هكذا :

حياك بالافراح داعى الصباح
قم لاصطبــاح
فالنوم فى شرع الهوى لا يباح
والصبح قد جرد منه حسام
بادى القســام
تضحى وجوه الزهر منه وسام
ذات ابتسام

ونحن نلاحظ هنا أن « قم لاصطباح » و « بادى القسام » و « ذات ابتسام » قد جاء كل منهـا تفعيلة واحــدة ، اعتبرت شــطرة كاملة ، أو عجزا كاملا للبيت

ويقول شعراء الشعر الحـر كلاما كثيرا فى الدفاع عن شعرهم ، كله هذر وباطل وهراء ، من مثل : أنه يعيد صلة الشعر بالحياة ، وأنه ينأى عن التقليد الى مجال التجربة الذاتيــة للشاعر ، وأنه أقدر على مخاطبة النــاس فى عصرنا ، وأنه يحافظ على وحدة الموضوع .. الخ . وليس الــرد على دعــاويهم البــاطلة بالعسير .

ان الشــعر العمودي هو تراثنا وشخصيتنا وتاريخ أجيالنا ، والقصيدة العمودية هى بنت بيئتنــا منذ المهلهل وامرىء القيس الى اليوم، ونحن يجب أن نعى العلاقة بين الــدعوة الى الشعر الحر ودعوات ســبقته وعــاصرته ولا يزال يجهر بها بيننـــا دعاة التبعية والتغرب، حيث ينادوننا ناصـــحين كمــا يقولون لنترك تراثنــا وثقافتنا وأدبنا الى ثقافة الغرب وأدب العصر كما يقولون .



يجب أن نعرف أننــا اذا ما تركنا الشــعر العمودى فسوف يجىء علينا يوم نعجز فيــه عن فهمه وعن معرفة أسرار بلاغته ، وبالتالى نصبح جاهلين ببلاغة القرآن الكريم واعجازه .. وعندئذ نكون طعمة للآكلين ، ونعود أشباحا يتخطفنا الانحلال ولو بعد حين .

د. محمد عبد المنعم خفاجى

من شعراء الأزهر

الشاعر

محمود أبو الوفا

شدنى بعمق ، لأول مرة أتعرف فيها على شاعريته ، قوله بغلاف ديوانه : (أنفاس محترقة) :

أمشى .. وقلبى على كفى ، أقول : الا
من راغب فى فؤاد صادق حان ؟
يحب ، حتى كأن الأرض ليس بها ..
الا زنابق .. من آس وسوسان
وليس فى الأرض من بغض ولا احن
وليس فى الأرض من ظلم وطغيان
وليس من فوقها الا سواسية
من الصحاب .. وخن أخدان أخدان
.. فلا وربك ، هذا القلب ما التفتت
عين اليه .. فيا للبائس العانى !
حقا .. يالبائس العانى ! ..

آ الى هذا الحد بلغت رقة وصفاء نفس هذا الشاعر الوجدانى المرهف الاحساس ؟ آ الى هذا الحد .. لم يلق ما كان يأمل أن يلقاه من مودة وحنان .. رغم تفرده بهذه الشاعرية المحلقة ، ورغم موهبته الفنية الرفيعة ؟

لقد شعرت بأسى عميق ، حينما علمت من الصديق الشاعر الدكتور كمال اسماعيل أن الشاعر أبا الوفا كان قد ألقى عصا التسيار ، بمسكن متواضع ، يجاور مسكنى الحالى بمدينة نصر بالقاهرة ، أى أن المسافة بينى وبينه كانت يسيرة للغاية ، وبرغم ذلك لم أعلم بقربى من مقر سكنه ، الا بعد انتقاله الى العالم الآخر ، فى السابع والعشرين من يناير عام ١٩٧٩ .

ولو علمت ـ لسارعت الى لقائه وامتاع نفسى بالتعرف عليه ، والنهل من منابعه ، واصفائه الود والمشاركة الوجدانية .. خاصة وأنا أهفو ـ فى عزلتى وغربتى الروحية بمنطقتنا النائية ، الى .. (تراب صديق) .. كما يقول الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ، باحدى قصائده الفريدة .

بقلم الأستاذ
أحمد مصطفى حافظ

❀❀❀

خاصة وأن أبا الوفا كان يتحدث فى شئون الدين الحنيف موضحا حقائقه بأستاذية واقتدار ، لنهله من منابعه ، وتعمقه فى التفهم والتدبر كما يتحدث فى أمور الفلسفة وعلم النفس ، يقرر ذلك تلميذه سمير رجب (١) الذى كان يلازم أبا الوفا ملازمة الابن لأبيه ، منذ التقى به ، مع مجموعة من أقرانه من شباب الأدباء ، كأستاذ موجه لهم جميعا .

ويهزنا أبو الوفا من الأعماق ، حينما يقول بعد ذلك ، فى فلتة شعورية أخرى ، موجزا قمة معاناته مع الحياة والناس :

احب اضحك للدنيا ، فيمنعنى
ان عاقبتنى ، على بعض ابتساماتى
هاج الجواد ، فعضته شكيمته
فظلت اندفل صناع الشكيمات

❀❀❀

كما أشجانا الشاعر من قبل ، بقصيدته : « عندما يأتى المساء » ، التى يصور فيها وحشته بأحزان وحدته ، بقوله :



الشاعر محمود أبو الوفا

عندما يأتى المساء
ونجوم الليل تنثر
اسألوا الليل عن نجـ
مى .. متى نجمى يظهر

ويستثير أسانا بعد ذلك ، حينما يقول ببساطة آسرة :

كلما وجهت عينى
نحو لماح المحيا
لم اجد فى الافق نجما
واحدا .. يرنو اليا !

وقد بلغ من اعجاب (شوقى) أمير الشعراء بشعر أبى الوفا ، ما جعله يقول عنه فى حفل تكريمه بحديقة الأزبكية الذى أقامته رابطة الأدب الجديد ، قبيل وفاة (شوقى) عام ١٩٣٢ :

(١) بعدد مجلة الثقافة الصادر فى العاشر من يناير سنة ١٩٨٠

الشاعر محمود أبو الوفا

البلبل المغرد الذى هز الربا
وشجى الغصون وحرك الأوراقا
فى القيد .. ممتنع الخطى ، وخياله
يطوى البلاد وينشر الآفاقا
سباق غايات البيان ، جرى بلا
ساق .. فكيف اذا استرد الساقا ؟!
لو يعلم الطب الصناع بيانه
او لو يسيغ لما يقول .. مذاقا
.. غالى بقيمته ، فلم يصنع له
الا الجناح .. محلقا خفاقا

وكانت هذه القصيدة ، كما يقول المرحوم الأستاذ محمد سعيد العريان ، محقق الجزء الرابع من الشوقيات : « سببا الى عناية الحكومة المصرية وتقتذ بالشاعر أبى الوفاء ـ وتسفيره الى أوربا لعمل رجل صناعية ، بدل ساقه المبتورة . » وذلك لأن الشاعر كان قد أصيب فى ساقه ، ووجد من مواساة الشعراء والأدباء له ، ما جعله يقول بقصيدته : (شكر) ، التى أنشدها بالحفل المشار اليه ، بقوله :

(مرهم) الأصدقاء جرحا بقلب
حار طب الأساة فى أسيانه

وقد وفى الشاعر لشوقى بعد ذلك ، بقيامه بتحقيق الجزء الثالث من الشوقيات ، كما حقق من قبل ، الجزء الثانى من ديوان الهذليين .

وقد أشار صديقنا الشاعر الراحل عبد اللطيف النشار الى اصابة أبى الوفاء ، بقصيدته . (مرحبا بالعرج) بقوله ـ حينما أصيب بدوره فى ساقه :

نحو الثمانين ولا ابطى
بطء .. هل فلكم يعقل ؟!
مادامت الأرؤس فى صحة
فهين ان تبطى الأرجل
(ابو الوفا) و (المازنى) قبله
كلاهما ، فى مشيه ، يحجل

الى أن يقول بتظرف وخفة ظل ، البيت الطريف التالى :

ولى صديق « أعرج » واسمه
فى بحر هذا الشعر .. لا يدخل ! (١)

***

وقد أنصف العقاد شاعرنا أيما انصاف ، بعد مهاجمة الدكتور طه حسين لأول أعماله الشعرية (أنفاس محترقة) عام ١٩٣٢ (٢) ، فذكر العقاد أن الشاعر يسمعنا صوت نفسه بأصالة واقتدار ، لأنه (وحى السليقة الذى تمليه عليه حياته ، وبواعث وجدانه .. من آثار الحياة ، وآثار عوارض الحياة (٣)) .

---

(١) ديوان النشار ص ٣٩٩ جـ ٢ الذى قمت بتجميعه وطبعته ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٢) حديث الاربعاء جـ ٣ ص ١٨٦ .
(٣) دراسات فى المذاهب الادبية والاجتماعية للعقاد ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وقد أبدى العقاد هذا الرأى ، بعد صدور ديوان الشاعر الذى يحمل عنوان :
(شعرى) .

أما الرافعى فكتب يقول بعد ظهور ديوان **(الأعشاب)** لأبى الوفاء : « أبو الوفا شاعر ملء نفسه ، حتى أنه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربى بهم ، وهم قليل فى زمننا » .

كما قال هيكل عن **(الأنفاس المحترقة)** ، أن فيه من عيون الشعر ، ما يفخر به الشعر ، وما يقف الى جانب خير ما ظهر من الشعر فى هذا الزمن الأخير .

.. ونلاحظ أن أبا الوفا كان يكثر من الالتفات فى شعره الى العلة التى ابتلى بها ، وكان لها تأثير كبير على نفسيته القلقة المعذبة ، لأنها بلا شك قد حدت من انطلاقه ونشدان فرصته المتاحة فى الحياة ، والسعى فى مناكب الأرض .

***

كما كان يستريح الى الليل وسكونه ، ويكثر من نجواه ، حيث الطمأنينة والهدوء ، فيقول له :

أفضى اليك بسرى
أفضى اليك بروحى
ياليل .. هل من مداو
ياليل .. يشفى جروحى ؟

وقوله له بقصيدة : (فى انتظار الصباح) :
لم يجد فيك اصطبارى
وليس يجدى نواحى

وقوله بقصيدة : (من الأعماق) :
ياليل هل ترثى لواجد
ياليل أنت على شاهد

ثم يقول بعد ذلك ، مصورا أبدع تصوير ، تقلبه على قتاد السهد والأرق :
أشكو الوسائد للمرا
قد ، والمراقد للوسائد !

الى أن يذكر الليل ــ وكأنه يكن له عشقا خاصا ــ مرة أخرى ، فى ثنايا هذه القصيدة ، بقوله :

من ذا تنادى فى دجى الليل البهيم .. ومن تناشد ،

***

ولد الشاعر محمود أبو الوفاء فى قرية صغيرة من أعماق مركز (أجا) دقهلية ، هى قرية (بالديرس) ، سنة ١٩٠٢ وأتم حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية فى سن العاشرة ، وبذلك استكمل شروط الالتحاق بمعهد دمياط الدينى ، واستوفى تعلمه به ، ثم عمل مدرسا بمدرسة(شمس الفتوح) لصاحبها الشاعر الدمياطى على العزبى ، الذى كانت تجمعه به صلة وجدانية ، ثم شخص الى القاهرة بعد ذلك لاستكمال دراسته فى

الأزهر ، « واستأجر دكانا صغيرا فى أحد الأزقة يجعل منه متجرا ومكتبا ومسكنا ، واستطاع أن يستبضع بعض ما يحتاج اليه سكان المنطقة ، فكان ذلك يدر عليه قروشا ترد عنه غائلة الجوع ، وتقيم القلم فى يده ، ليرسل أشجى أنغامه » كما يقول صديقه الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا (١) .

وان كانت حاجته الماسة الى الارتزاق قد حالت دون انتظامه فى الدراسة ، فانها لم تحل بينه وبين تثقيف نفسه والتلمذ على شوامخ الكتب والدواوين الشعرية للفحول من الشعراء ، كيف شاء ، ومداومة اطلاعه على الصحافة الأدبية المزدهرة فى زمانه ، وخاصة بمجلتى (الهلال) و (المقتطف) اللتين كانتا تنشران البحوث الأدبية والعلمية الضافية .. وعمل بعد ذلك مراجعا فى مصدر اشعاعى ثقافى كبير له شأنه ، هو دار الكتب ، وفى أخرياته « منحته الدولة جائزة الجدارة ومعها ألف جنيه ورتبت له معاشا ثابتا يأتيه كل شهر (٢) » .

ولشاعرنا نقدات اجتماعية فى أيامه تنفذ الى الصميم ، استقاها من طول رحلته مع الحياة والناس التى ناهزت ثمانين عاما ، كقوله فى بيتيه بعنوان (كفاية) :

قالوا فلان ترقى
من غير أدنى كفايه

فقلت : لا تظلموه
فكم له من وشايه !

وتبلغ مرارته ذروتها ، حينما يقول فى قصيدته : (رثاء نفسى) ، متحسرا :

كأننى فكرة فى غير بيئتها
بحت ، فلم تلق فيها أى اقبال

ومن بواكير شعر أبى الوفاء ، وفى مرحلة النضج والرضاء بالقضاء والقدر ، نجده يقول بقصيدته « الايمان » :

قوة لم تتح لقلب جبان
تلك فى المرء قوة الايمان

تتجلى فى جميع قوى الكو
ن..شيوع الأرواح فى الأبدان

لكأنى أرى الحياة وأيا
ها سيين .. أو هما : توأمان

كما يجمل رسالته فى الحياة بهذه الأبيات :

لم أقل غير ما حسبت مفيدا
ليت شعرى .. هل قلت شيئا مفيدا

فاذا عشت ، عشت حرا ضميرى
مستريحا ، لما صنعت ، سعيدا

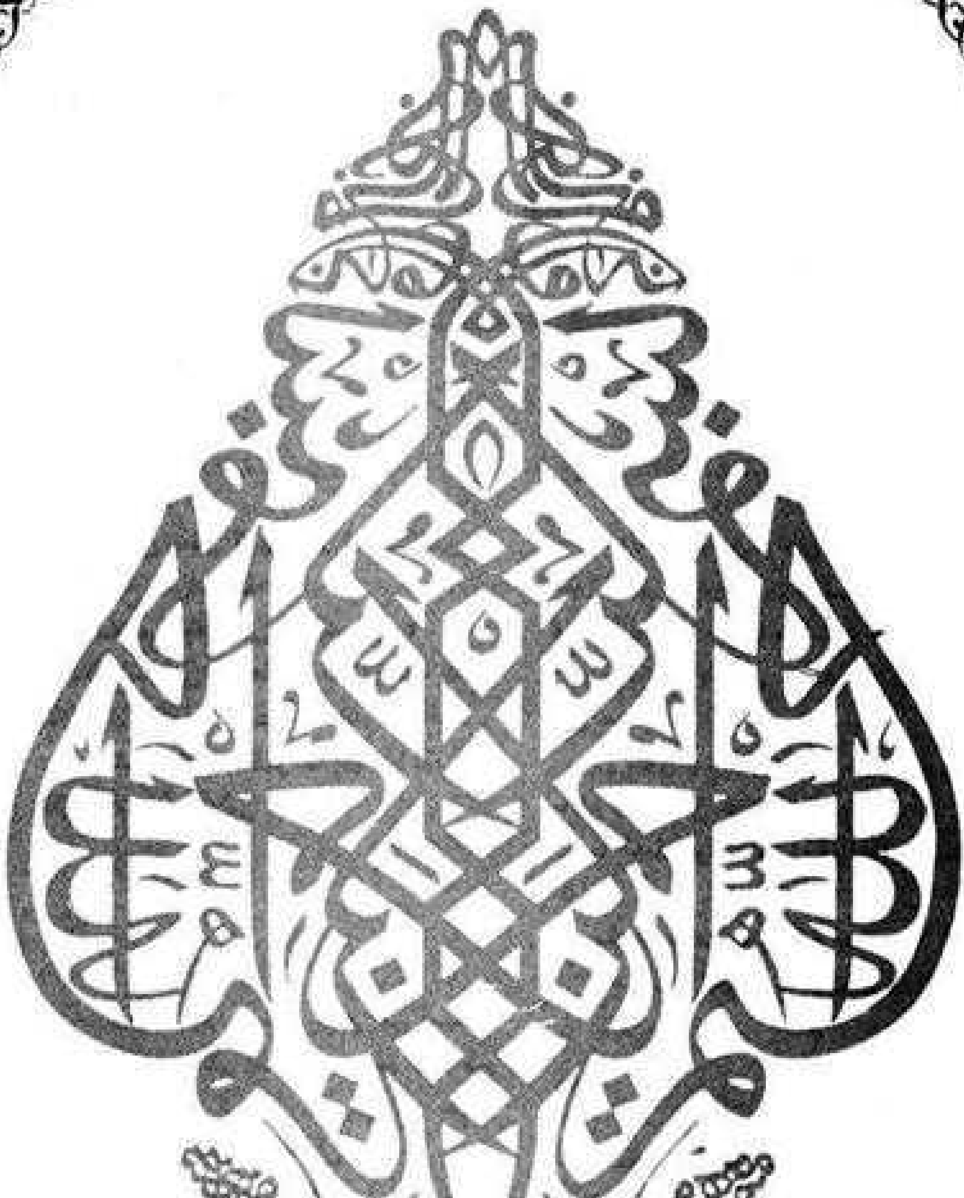
واذا مت ، مت حرا .. لأنى
لم أضف للحياة .. قيدا جديدا

رحم الله شاعرنا أبا الوفا رحمة واسعة .

---

(١) بمقال له بمجلة الثقافة عدد ١٠ يناير سنة ١٩٨١ عن أبى الوفا .

(٢) المصدر السابق .



طرائف

جواب مسكت

قيل : ان بعض اليهود قال لسيدنا على بن ابى طالب ــ رضى الله عنه ..

ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ؟ .

فقال ــ رضى الله عنه ــ انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم « اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » .

حقيقة

اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاعلم انه زنديق ، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندنا حق ، والقرآن حق .

وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة .

« أبو زرعة الرازى »

حقا

الصداقة والصدق توأمان ، فلا توجد صداقة بغير صدق ، ولن يكون الانسان صادقا مع غيره ما لم يكن صادقا مع نفسه .

ولن يكون الانسان صادقا مع نفسه ما لم يكن صادقا مع ربه عز وجل ..

ولن يكون صادقا مع الله ــ عز وجل ــ ما لم يتحرر من عبودية ما سواه .

وما أجمل قول بعض العارفين فى هذا المعنى :

تمسك ان ظفرت بذيل حر
فان الحر فى الدنيا قليل

قالوا

* خف الله تأمن غيره .
* اشد الذنوب ما استخف به صاحبه .
* الدنيا خلقت لغيرها ، ولم تخلق لنفسها
* من شكا الحاجة الى مؤمن فكأنه شكاها الى الله ، ومن شكاها الى كافر فكأنما شكا الله .

مواقف

إعداد:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

● شر الناس من لا يبالى أن يراه الناس مسيئا .

● صمتك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت .

● من لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان .

● اذا أقبلت الدنيا على انسان أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

للصبر عشرة أقسام

الصبر عن شهوة البطن يسمى « قناعة » وضده « الشره » .

والصبر عن شهوة الجسد يسمى « عفة » وضده « الشبق » .

والصبر على المصية يسمى « صبرا » وضده « الجزع » .

والصبر على الغناء يسمى « ضبط النفس » وضده « البطر » .

والصبر عند القتال يسمى « الشجاعة » وضده « الجبن » .

والصبر عند الغضب يسمى « حلما » وضده « الحمق » .

والصبر عند النوائب يسمى « سعة الصدر » وضده « الضجر » .

والصبر على حفظ السر يسمى « الكتمان » وضده « الخرق » .

والصبر عن فضول المعيشة يسمى « الزهد » وضده « الحرص » .

والصبر عند توقع الأمور يسمى « التودد » وضده « الطيش » .

قال الشاعر :

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير
وكل أمر له وقت وتدبير
وللمهيمن فى حالاتنا نظر
وفوق تدبيرنا لله تدبير

نصيحة

ما عاش من عاش مذموما خصائله
ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

دعاء

« رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ » .

سفراء النبي

عليه الصلاة والسلام - وكتابه

— ٤ —

في ثنايا حديثنا عن رسائله — عليه الصلاة والسلام — ذكرنا بعض أسماء رسله أو سفرائه وقد كان — عليه الصلاة والسلام — يختارهم بنفسه من بين صحابته الأقربين •

وكانوا جميعا من الشباب المؤمنين الذين يكفيهم شرفا وفخارا أن يكونوا من صنع النبي الأعظم — عليه الصلاة والسلام — •

كانوا يتحلون بالسجايا الكريمة والخصال الشريفة وجمال الصورة ونقاء السريرة • فضلا عن توقد الذكاء واللماحية الشفافة والبديهة الحاضرة والحجة الباهرة • ولا غرو فهم يمثلون ذلك الرعيل الأول من تلك المدرسة الالهية العظمى التي غزت الدنيا بأسرها في أعوام معدودات • وحققت النصر المبين لدين الله القويم الذي انتشر في الآفاق وغير وجه الدنيا بأسرها ، وكتب التاريخ البشرى من جديد كتابة أذهلت العالم • وطبعت الحضارة بالطابع المحمدى العظيم في بضع سنين •

اول السفراء
عمرو بن أمية الضمرى

وكان أول سفرائه — عليه الصلاة والسلام — عمرو بن أمية الضمرى ، وقد سبق أن أوردنا أنه أرسل الى النجاشى ملك الحبشة الذى استجاب لدعوة الاسلام •

السفير دحية الكلبى

ثم بعث — عليه الصلاة والسلام — دحية ابن خليفة الكلبى الى قيصر كما قدمنا • وكان شابا جميل الصورة والخلق ، الى درجة جعلت الناس يروون عنه القصص والأساطير وذلك لفرط جماله !

وقيل : ان النبى ذكر في بعض أحاديثه الشريفة أن دحية كان قريب الشبه بالصورة التى كان يبدو عليها جبريل كلما ظهر للنبى الكريم •

الدكتور مختار الوكيل

ولقد كان لجمال دحية أثر عظيم في نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملا رسالة النبي الكريم ، فضلا عن رجاحة عقله وسرعة بديهته وهيبته الشخصية الطاغية .

السفيران عبد الله السهمي ... ... وحاطب بن أبي بلتعة

وهذا الكلام ينصرف وينطبق على عبد الله السهمي الذي أوفده — عليه الصلاة والسلام — الى كسرى ، وحاطب بن أبي بلتعة رسوله الى المقوقس .

وكان عبد الله السهمي القرشي من صحابة النبي الكريم ، وكانوا يلقبونه بالمبرق وروى عنه أنه قال :

اذا أنا لم أبرق فلا يسعنني
من الأرض بر أو فضاء ولا بحر

وتقول بعض الروايات انه قتل باليمامة ، وتفيد روايات أخرى أنه قتل بالطائف (شهيد جهاد) .

أما حاطب بن أبي بلتعة اللخمي فهو صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان من أشد الرماة في الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، وقد بعثه النبي — عليه الصلاة والسلام — برسالته الخالدة الى المقوقس صاحب الاسكندرية .

مات بالمدينة المنورة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية .

فريق من أمجد السفراء

وأوفد — عليه الصلاة والسلام — شجاع ابن وهب الى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني .

وسليط بن عمرو العامري الى هوذة وثمامة ابني أثال الحنفي .

كما أرسل عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان .

وأوفد العلاء الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين .

وبعث عليه الصلاة والسلام المهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن .

وكذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك .

ثم أوفد الى اليمن كذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

كما أفد جرير بن عبد الله البجلي الى ذي كراع وعمرو بن أمية الضمري الى مسيلمة الكذاب .

وبعث عليه الصلاة والسلام الى فروة بن عمرو الجذامي ، وكان عاملا لقيصر في معان يدعوه الى سلام ، فأسلم وكتب الى النبي — صلى الله عليه وسلم — باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد ، وهي بغلة شهباء

سفراء النبي

صلى الله عليه وسلم

يقال لها فضة ، وفرس يقال لها الظرب ، وحمار يقال له يعفور ، وبعث كذلك أثوابا وقباء سندسيا مذهبا فقبلت هديته ، ووهب لمسعود اثنتي عشرة أوقية .

تلك صورة سريعة لبعض سفراء النبي الكريم عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، ومنها يتجلى لنا بما لايقبل الشك او المناقشة انه عليه السلام كان اول من اوفد السفراء فوق العادة ، يحملون الرسائل الكريمة ، مهورة بخاتمه الشريف الذى سبق ان اشرنا الى انه كان يتألف من ثلاثة سطور فى احدها محمد ، وفى الثانى رسول ، وفى الثالث اسم الله : وهو اعلى هذه السطور الثلاثة .

واعتقد أن التاريخ البشرى الذى حفظ لنا أسماء بعض الملوك والقادة وأسماء من بعثوا من الرسل يحملون من قبلهم رسائلهم الى غيرهم من الأمم — لم يسجل لنا وبهذه الصورة الرائعة الآسرة نصوص تلك الرسائل ، كما فعل مع الرسائل النبوية الشريفة الخالدة التى شاء الله العلى القدير أن تبقى ثابتة متواترة على مدى الدهور خالدة بنصها وروحها فى ثنايا السطور الباهرة وفى أعماق القلوب الواعية الذاكرة .

كتاب النبي عليه الصلاة والسلام

لاشك أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين ، هم طليعة كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ويليهم الكثير من صحابته من المهاجرين والأنصار .

وسنحاول فى السطور التالية أن نثبت فى عبارة موجزة بعض المعلومات المختصرة عن المشهورين من كتابه عليه السلام ، مستثنين من ذلك البيان الخلفاء الأربعة الراشدين .

١ — ابى بن كعب :

يعتبره المؤرخون من أعلم الصحابة بكتاب الله الكريم ، وهو من أسبق الناس الى الاسلام وأجودهم تلاوة للقرآن .

وروى أن النبى عليه الصلاة والسلام قال له :

— ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن .

فقال أبى :

— الله سمانى لك ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— الله سماك لى !

فانطلق أبى باكيا !

وهو من أشهر كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وأرسخهم قدما ، وكان هو أول من كتب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — عندما قدم المدينة المنورة .

وهو من الأنصار ، وينتمى لبيت بنى النجار رضى الله تعالى عنه .

٢ — الزبير بن العوام :

هو ابن عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحواريه ، أسلم رضى الله عنه وهو حدث ابن ثمانى سنين .

وكان قد أشيع أن النبى عليه الصلاة والسلام قد أخذه الكفار ، وذهبوا به الى أعلى مكة ، فخرج الزبير — وهو ابن اثنتى عشرة سنة — وقد شهر سيفه فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال له :

— مالك يا زبير ؟

فقال :

— أتيت أضرب بسيفى من أخذك !

وفى يوم بدر كان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فارسان : الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة .

وأعطاه النبى عليه الصلاة والسلام لواء سعد بن عبادة رضى الله عنه يوم فتح مكة ، فدخل الزبير مكة بلواءين ، ثم اشترك فى جميع الغزوات التى غزاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . وعنه قال النبى عليه الصلاة والسلام « لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » !

٣ — زيد بن ثابت :

وهو من الأنصار ، كان — رضى الله عنه — فى الحادية عشرة من عمره عندما قدم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة .

وفى أول لقاء له مع النبى الكريم قرأ عليه القرآن ، وكان قد حفظ منه سبع عشرة سورة فأعجب النبى بتلاوته .

وهو — الى جانب حفظه للقرآن — من كتاب الوحى .

كما أمره النبى العظيم بتعلم اللغة العبرانية فأجادها وأتقنها فى أسبوعين ، وكان يكتب رسائل النبى الى اليهود بتلك اللغة ، وينقل له عليه الصلاة والسلام ما يأتيه من رسائلهم كما كان يكتب رسائل النبى الى الملوك .

وكان الرسول الكريم يستدعيه لكتابة القرآن وروى البراء ابن عازب رضى الله عنه لما نزلت الآية الكريمة :

(لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) (١) .

قال النبى — صلى الله عليه وسلم — « ادع لى زيدا . وليجىء باللوح والدواة والكتف » .

ولقد جمع زيد القرآن مع آخرين ونسخ المصاحف المعروفة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ ولذلك فهو ورفاقه لهم بهذه الميزة فضل عظيم على الأمة الاسلامية الى يوم الدين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

٤ — شرحبيل بن حسنة :

من المسلمين الأوائل ومن الذين هاجروا الى الحبشة رضى الله عنهم .

وقد سيره أبو بكر فى فتوح الشام ثم ولاه عمر رضى الله عنه على ربع من أرباع الشام .

وهو — رضى الله عنه — من أهم كتاب النبى الكريم باجماع المؤرخين ، بل ان كثيرا منهم يقولون : انه أول من كتب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وقد وفد الداريون من الشام على رسول

(١) النساء ٩٥ .

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرة قبل الهجرة ومرة بعدها ، وفي المرة الأولى سألوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلام ــ أرضا فدعا بقطعة من أدم ، وكتب لهم كتابا ، كان كاتبه شرحبيل بن حسنة .

٥ ــ عامر بن فهيرة :

من أوائل المسلمين الذين تلقوا الاسلام عن النبي عليه الصلاة والسلام . وكان رضي الله عنه عبدا مملوكا للطفيل بن سخبرة .

وهو من أولئك الذين نالهم العذاب الشديد الرهيب لدخولهم في الاسلام ، فسما بذلك التعذيب سموا عظيما .

وقد اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه ، وبذلك زال عنه الكرب والهوان .

ومن المعروف عنه أنه عندما اعتصم النبي الكريم بغار ثور هو وصاحبه الصديق ــ كان عامر يتوجه الى الغار بالغنم التي كان يرعاها فيحتلبها الرسول الكريم وصفيه الصديق .

ومن مفاخره التي يشدو بها الزمان أنه رافق رسول الله وصفيه الصديق في الهجرة الى المدينة .

وهو من أبطال معركة بدر الخالدة .

وكان له شرف كتابة رسالة الأمان لسراقة ابن مالك بأمر من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفي ذلك روى عن سراقة قوله :

ــ انى سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به ، فأمر عمر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم !

٦ ــ عبد الله بن الأرقم :

قد أجمع المؤرخون الثقات وفي طليعتهم البخاري والطبري وابن اسحاق أنه رضي الله عنه من كتاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ــ ومما يروى عنه أن كتابا ورد على النبي ــ صلى الله عليه وسلم فقال :

ــ من يجيب عني ؟

فقال عبد الله بن الأرقم :

ــ أنا يا رسول الله .

فأجاب عنه .

وعرض كتابه على الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :

ــ أصبت وأحسنت . اللهم وفقه !

فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ مازال استحسان الرسول الكريم لرده في نفسي حتى جعلته على بيت المال .

٧ ــ عبد الله بن رواحة :

وكان شاعرا مجيدا يعرف القراءة والكتابة منذ الجاهلية ، وهو ــ رضي الله عنه ــ من شعراء النبي الكريم ، وروى ثابت عن أنس بن مالك أن النبي عندما دخل مكة في عمرة القضاء ــ كان ابن رواحة بين يديه فيقول :

خلوا ــ بني الكفار ــ عن سبيله
نحن ضربناكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله !

فقال عمر بن الخطاب :
يابن رواحة ، آفي حرم الله وبين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تقول هذا الشعر !
فقال النبي الكريم — عليه الصلاة والسلام — — خل عنه يا عمر ، فو الذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ! وهو من كتاب النبي الكريم باجماع المؤرخين •

٨ — عمرو بن العاص :

وهو من دهاة العرب وفرسانهم وقد هاجر رضي الله عنه — الى المدينة وبايع النبي الكريم •
وقد اشتهر في السياسة والحرب ، وفتح مصر زمن عمر بن الخطاب •
وعندما استتب الأمر لمعاوية أعاده أميرا على مصر مرة أخرى •
وهو من كتاب النبي عليه الصلاة والسلام •

٩ — معاذ بن جبل :

كان من أصبح الصحابة وجها ، طويل القامة حسن الشعر ، جميل العينين •
وهو — رضي الله عنه — من السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، رضوان الله تعالى عليهم •
وقد آخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بينه وبين ابن مسعود ، رضي الله عنهما •
شهد المعارك النبوية كلها • وجمع القرآن في عهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم •
وقال عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •
« خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وسالم مولى أبى حذيفة » •
وكذلك قال عنه النبي الكريم — صلى الله عليه وسلم •
(أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل)•

١٠ — معيقب بن أبي فاطمة الدوسى :

من المسلمين الأوائل في مكة ، ومن مهاجرى المسلمين الى الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم رضي الله عنه على النبي الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — في المدينة المنورة ، وشهد بيعة الرضوان وما بعدها من المشاهد •
وكان هو حامل خاتم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •
وقد استعمله الشيخان ، أبو بكر الصديق وعمر على بيت المال •
وهو من كتاب النبي — صلى الله عليه وسلم — كما أكد جمهرة المؤرخين •

نجتزىء بهذا البيان عن طائفة من كتاب النبي عليه الصلاة والسلام وقد ذكر القرطبي في تفسيره أن عددهم ستة وعشرون كاتبا ، وأوصلهم العراقي الى اثنين واربعين كاتبا ، ونظم في ذلك ارجوزة لطيفة معروفة •

د مختار الوكيل

الشيخ عبد الرحيم فوده

للأستاذ السيد حسن قرون

الفتى الأزهرى

نحن الجنـــود ولكن لا لطـــائفة

بل للمعالى كى يحمى بنـا الدنيا

جمع حاشد ثائر امام جريدة البلاغ وصاحب الجريدة واقف بين المتظاهرين وفتى يلبس الزى الأزهرى ينشد شعرا بداه بهذا البيت الذى ذكرته . كان ذلك فى الأيام الأخيرة من سنة ١٩٣٧ حين كانت الحزبية على اشدها والخلاف بين الحكومة والقصر فتبلغ صداه ، والأزهريون تتخذ منهم الحكومة أعداء فتؤذيهم بالاعتداء والاعتقال وخطف العمائم . وسألت عن الشاعر فقيل لى : انه عبد الرحيم فودة الطالب بكلية اللغة العربية . وفى الصباح قبيل دق الجرس سألت عنه مرة أخرى ، فقال الزملاء : انه معك فى الفصل ، والتقينا فكنا صديقين .

والأصدقاء من السهل عليهم أن يتعرف بعضهم على بعض ، فتتكشف الأسرار ، وتعرف الأسر ، وتظهر الميول ، وكلما اقتربوا وتمايشوا زادت المعرفة وتوثقت الصلات ، وتحدثوا عن البلاد والمواليد وطبائع الأحياء والأشياء .

وكان أن عرفت صديقى عبد الرحيم مولدا ومنشأ ، فقد ولد فى أشهر قرية من قرى مصر هى دنشواى من أعمال المنوفية وشهرة دنشواى معروفة فقد قاومت المحتل الانجليزى حين ظن أن مصر لا حياة فيها ، وهال المعتمد البريطانى (كرومر) أن تهزأ بسلطانه قرية فصب عليها غضبه وحاكم فلاحيها وصدرت أحكام الاعدام والسجن والجلد وشاهد سكان القرية تنفيذ الحكم بأعينهم فلم يزدهم ما رأوا الا وطنية وشهامة وصمودا لما تأتى به الأيام . وكان مولد عبد الرحيم فودة بعد تلك الحادثة بثمانية أعوام ، فقد كانت الحادثة سنة ١٩٠٦ وكان ميلاده سنة ١٩١٤ وفى ١٢ من يناير من هذا العام ، ولابد أن يكون عبد الرحيم

حين وعى قد عرف ما جرى فترك في نفسه دوافع تبغضه في المستعمر وتدفعه لمحاربته يوم يملك شيئا يحوبه اليه ، وكثيرا ما كان ينشد قول شوقي في وداع كرومر :

لما رحلت عن البلاد تنفست

فكأنك الداء العياء رحيلا

والحقبة التي أتحدث عنها من مولده الى أن التقيت به علمناها من أترابه ومنه ، وهي حقبة كان لها أثرها في تكوينه حفظ القرآن في القرية ، ثم رحل الى القاهرة فدخل المعهد الديني فنال الشهادة الابتدائية ثم الشهادة الثانوية منه أي معهد القاهرة الديني، وفي المرحلة الثانوية ظهر ميله الى الأدب فقرض الشعر وخطب في المجتمعات ، واشترك في المناظرات وأخرج ديوان شعر قدمه له الشاعر الكبير السيد حسن القاياتي ببيتين يتنبأ له فيهما بمستقبل زاه زاهر .

وكان كما قدمت أول معرفتي به عن طريق الشعر في يوم ثائر فائر .

دخلنا كلية اللغة العربية في العام الذي خرجت فيه أول دفعة ١٩٣٧ ، وكانت هي وكلية الشريعة في مبنى واحد بشارع البرموني قرب عابدين ، أما كلية أصول الدين فكانت بحي شبرا ، ولم تكن الكليات تسير على النسق الذي نعرفه اليوم ، فالحرية مطلقة لحاملي الشهادة الثانوية الأزهرية في اختيار اى من الكليات الثلاث ، وكانت كلية اللغة تنفرد بتقليد هو امتحان المتقدمين لها كتابيا وشفويا.

وكان يتولى عمادة هذه الكليات الثلاث شيوخ لهم مكانتهم وقدرهم ، ولكل منهم



سماته التي تميزه ، وكان الشيخ ابراهيم حمروش شيخنا شديدا مظهره لينا مخبره يضربنا اذا تأخرنا دقائق عن مواعيد الدراسة ، ولكنه يستمع الينا باسما اذا ناقشناه ، واذا شكونا حل المشكلة في أناة ، واذا أخطأنا عاقب ثم عفا ، ويسأل : لم تمتحن المستجدين وقد نجحوا في الثانوية الأزهرية ؟ فيقول : انهم بضاعتي التي أنزل بها الى السوق ولابد أن تكون جيدة ، ومن هنا كانت الشدة في الامتحان ، والجد في تلقي الدروس ، والحفاظ على الزي الأزهري .

وكانت الكليات الثلاث في ود لا ينقطع فاذا كان الاضراب والتظاهر وجدت كلية أصول الدين معنا ، وكأننا على ميعاد ، ولا فرق عندنا بين شيخ وشيخ فكنا نحب الشيخ مأمون الشناوي عميد كلية الشريعة والشيخ عبد المجيد اللبان كما نحب الشيخ حمروش ، وكثيرا ما يجد طلاب الشريعة من شيوخهم اهتماما بالنحو والبلاغة عند دراسة التفسير

مـن أعـلام الأزهـر

والحديث فيقولون : ماذا أبقينا لكلية اللغة ؟ ونجعل هذا من حديثنا اذا تجمعنا . واثنان منهما توليا مشيخة الأزهر :

الشيخ الشناوى والشيخ حمروش .

كانت كلية اللغة فتية وفى نهضة بارعة والأساتذة على اختلاف تخصصاتهم جادون يمرغون طلابهم طالبا طالبا ، وكان الشيخ حمروش يهتم بالطالب عبد الرحيم فودة اهتماما كبيرا على الرغم من اشتغاله بالسياسة ، انه ثائر على الظلم والطغيان ومجافاة الدستور وسيطرة المستعمر ــ كما كان يتصور ــ فما ان يخرج من قاعة الدرس آخر النهار حتى يكون من أعلام الخطابة وقادة الرأى فى الأندية ومواطن التجمع ، ويقتضى هذا أن يكون تحت سمع الشرطة وبصرها ، ومن حين الى آخر نسمع عن اعتقاله ، وحين يطلق سراحه يقف بيننا خطيبا منددا بأخطاء الحكومة والمحسوبية الحزبية وفساد الحكم مما كان يقال فى ذلك الزمان .

والواقع أن المظاهرات واتجاه الطلاب اليها فى الجامعة والأزهر ودار العلوم وفى المدارس أيضا يرجع الى الموروث عن ثورة ١٩١٩ حيث كان الطلاب يسقطون الحكومات ــ كما كانت تقول الصحف ــ ويقص علينا شيوخنا قصة طالب كان فى الرابعة عشرة من عمره سمعوه ابان الثورة وقد صعد منبر الأزهر يندد بالاستعمار ويصور بشاعته ويصرخ فيبكى الشيوخ ويندفع الشباب نحو المقاومة والتصدى لحراب الانجليز ورصاصهم .

وقد وصل هذا الطالب فيما بعد الى الصدارة فكان وزيرا للخارجية فى آخر وزارة للوفد . فكان هذا القصص وأمثاله يغرى الطلاب بالزعامة ويدفعهم الى القول ، وكانت الصحف بحزبيتها توقد النار وتعمق البغض بذكر مساوىء الاستعمار . وكانت معاهدة ١٩٣٦ قريبة العهد ينهال عليها النقد من كل قائل ، فى البرلمان بمجلسيه ، فى الصحف المعارضة للحكومة ، وكان انشقاق حزب الوفد دافعا الى المظاهرات ، فبشائر حزب جديد فى الأفق ولابد له من أنصار ، ويجب أن يكون الأنصار من الشباب ، وكانت جريدة البلاغ وكاتبها عباس محمود العقاد موئل الثوار فى ذلك العهد . وطبيعة عبد الرحيم فودة تتلاءم مع المعارضة فكان من الثوار .

وكأنه كان يود الثأر لدنشواى . فهو يخطب ويشترك فى المظاهرات ويحل ضيفا على المعتقلات .

أما مذهبه السياسى فلم أتبينه حينذاك ، وخيل الى فى وقت أنه من جماعة السعديين ثم تبين لى فيما بعد أنه لا حزب له ، وأنه من جنود المراغى أو قل من جنود الأزهر ، وان كانت ميوله تتصل بالزعيم مصطفى كامل .

وجاء حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فرج مصر رجا عنيفا ، وكان أن قبض على عبد الرحيم فودة وقد تعودت مجيئه الى صباح كل يوم

لنذهب معا الى الدراسة التخصصية ، غاب يوما فيوما وسألت عنه فقيل لى لقد قبض عليه ولم أجد لذلك سببا فلم تحدث مظاهرات معادية كالتى كانت قبل الوزارة الجديدة ، وانتهى هتاف « تقدم يا رومبل » وتداولت الأمر مع زميلى سيد سليمان النخيلى ، ثم مع زميلى على قشاشة وكان سكرتير رئيس الوزراء الخاص ، واتفقت معه على أنى أكتب لرفعة الرئيس وعليه أن يعضد رسالتى بعد قراءتها ، وكتبت وبنيت رسالتى على أن الأزهر هو الشعب والشعب كله وفدى ، وانما عبد الرحيم من زعماء الطلبة والمنافسة بين الطلاب تدعو الى الدس والوقيعة وكلام لا أذكره ووصلت الرسالة وقرأها على قشاشة على الرئيس وعضدها وبين أن كلية اللغة لا حزبية فيها وأن فودة خطيب من خطبائها ، واستجاب الرئيس للرسالة وأمر مدير الأمن بالافراج عنه .. وحين بلغه مدير الأمن قرار الافراج هتف بسقوط الوفد ورئيسه .. فما كان من مدير الأمن الا أن رده الى السجن .

ومرت الأيام وسألت وعلمت بما حدث ، فقلت الأمر سهل نكتب مرة أخرى ، وكتبت وقلت : كيف لا يهتف بما هتف به ؟ وكيف يستساغ فى المعقول أن يقبض رئيس الحزب على أعضاء حزبه وينتظر الهتاف المؤيد منهم ؟ الى كلام فيه قوة واقناع لا أعرفه اليوم ، ونجحت الرسالة الأخيرة وأفرج عنه مع المراقبة .. وذهبت اليه فى منزله وكان يسكن بالقلعة .

فلما شرحت له الأمر .. قال : والله لأرجعن الى المعتقل .. ثم لا أسجد الا لله .

وهذه الحقبة — وان كان دور السياسة أبرزها — تتسم بوثبة رائعة فى الأدب والعلم والفن تطالع كل يوم كتابات الرواد العظام أمثال العقاد وطه حسين والمازنى والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك .. فنتقبل عليها بالقراءة والدرس والحفظ والنقد والمجادلة كما تقضى الميول اذ لكل منا أديبه المفضل ، وكان عبد الرحيم فودة يقرأ لهؤلاء ولغيرهم ولكنه يفضل الزيات صاحب الرسالة على الأدباء جميعا ، وكان نشيطا دائم التجول ويحضر الاجتماعات ويناظر ويكتب وينشر ، وتحسبه لذلك أنه ضل الطريق ، ضل عن درسه ومستقبله ، فهو اما فى الأندية أو فى المعتقل فكيف يتسنى له تحصيل العلم ؟ ولكنك اذا عاشرته وصحبته من قريب رأيت طالبا أزهريا يعكف على المصنفات دارسا وفاحصا ومتعمقا فى الفهم ، وله مع شروح التلخيص مواقف محدودة ، يغضب عليها حينا ، وحينا يرضى ، فيقول عن المصنفين .. ما أصبرهم على التأليف والتصنيف ! وكان يسخر بمن يرجع فى اجراء الاستعارة الى البلاغة الواضحة « للجارم » ويقول : العلم هنا يشير الى شروح التلخيص .. وكانت صلته بمدرسيه صلة التلميذ المعجب بالأستاذ الممتاز ، يحترمهم ويلهج بذكرهم ، ولا يشاركنا فى عد هفواتهم ، وكنا نقول عنه : انه لا وقت عنده للتعرف عليهم وعلى علمهم ، وقد نكون صادقين فى

من أعلام الأزهر

بعضهم وقد نكون واهمين .. المهم أنه يودهم ولا يداخله شك فى علمهم وقدرتهم على العطاء فأبرز صفاته الوفاء ، ولم أجده فى حديث ما نسى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز أو الشيخ أحمد حسن الباقورى أو صديقه رياض هلال ، ولقد بقى الى آخر أيامه يلهج برياض هلال وقد كتب عنه عقب وفاته فى حادث اليم ، ويقول لى : لقد رأيته فى منامى وسألته عن الموت فلم يجب .

ولا أحب الدخول فى تفصيلات قد لا تهم القارىء فأقص ما جرى خلال ست سنوات حفلت بدراسة جادة أثمرت ثمرا جنيا ، فكانت بضاعة اعتز بها الشيخ ابراهيم حمروش رحمه الله ، وكان الشيخ يمر علينا أثناء أداء الامتحان ، وفى مرة منها نظر فوجد الطالب عبد الرحيم فودة يتفصد عرقا . فقال : ما بال فودة ؟

قلنا : انه مشرق . فقال : لا ، انه محترق . حياة اجتماعية طيبة فيها الرعاية والعناية وتفهم أمانى الطلاب .

الحرب العالمية الثانية :

وجاءت سنوات الحرب العجاف فأظلمت القاهرة وترددت صفارات الانذار تبلو الأجسام والأفهام وكم كانت المخابىء مخيفة ومزعجة ندخلها فزعين ونخرج منها ساخطين ، وقراءة القرآن فيها بصوت مرتفع كانت تلاقى معارضة يحتدم من أجلها النقاش . وكم كان لعبد الرحيم فودة من تعليقات تدين أوربة وحضارتها ويصف أهلها بأنهم شر البرية . ثم أهملنا المخابىء واتكلنا على الله فالموت يأتى بكل مكان ، والنزول والهرولة كل ليلة جعلت العذاب مضاعفا ، فليكن ما يكون . ولم يمنع هذا الظلام الدائم من السيطرة على النفس والجد فى مراجعة الكتب ، وقد انتصرنا عليها وتخرجنا عام ١٩٤٣ قبل أن تضع الحرب أوزارها ... ولم يعكر علينا صفو الفرح بالتخرج الا أننا سنفترق ، ونستقبل أيام لا ندرى ماكنها ، وذهب كل الى طريق ، وعملت الحياة عملها فينا ، فبعضنا عاش بعيدا عن مركز القيادة ، وبعضنا بلغ منصب الوزارة . أما عبد الرحيم فودة فعرف الطرق جميعا : احتضنته وزارة المعارف ، ثم جذبه الأزهر اليه فدرس فى معاهده وكلياته ثم استقر آخر الأمر مديرا لمجلة الأزهر الغراء .

الأديب الألمعى :

اختلف سكرتير مجلة الأزهر عبد الرحيم فودة مع رئيس تحريرها أحمد حسن الزيات حول مقال عده السكرتير تملقا وعارض فى نشره ، وأصر رئيس التحرير على النشر ، ثم افترقا . وفكر السكرتير فى أمر الزيات ، لقد كان مثله الأعلى انه صاحب مقال « فلاحون وأمراء » به تحدى الأسرة المالكة فى عز سلطانها فكيف يجامل اليوم حتى يصل الى نشر الرياء ؟ واتهم نفسه فى فهم الرجل . وذهب الى منزله غاضبا ومد يده الى مجلدات « الرسالة » التى يحتفظ بها مزمعا التخلص

منها باحراقها أو القائها فى الشارع ، وأمسك بمجلد منها ، فقرأ موضوعا ثم آخر ثم ثالثا . وراح فى تفكير عميق ، وأجل مشروعه ونام،

وفى الصباح أقبل على الأستاذ الزيات مبتسما وقال له : افعل ماشئت فلك من ادبك شفيع لا يرد ، فقد زال غضبه حين استباه أدبه .

وأنا أذكر تلك النادرة لأبين مدى اعجاب عبد الرحيم فودة بالكلمة البليغة ومكانة الأدباء ، انه أديب ذواقة يسحره الأثر الأدبى ، ويستولى على لبه وقلبه ، وكانت له حافظة واعية لا يخرج منها ما دخل فيها وانه ليسمعنا القصائد الطوال ذات الألفاظ الغريبة والتراكيب الجاهلية مما يعسر حفظه ، ويند عن الذاكرة ذكره . وكان له بصر بمعرفة الجيد والردىء ، وله محفوظة من الشعر والنثر على اختلاف العصور يضاف الى ذلك موهبة أدبية قادرة على التعبير بلغة مضر ، كما يقول ابن خلدون ، وأنت تعلم أن اللغة العربية فى عصرنا بعد العهد بها عن صحرائها ، فنحن نتعلمها تعليما ، ونحصلها تحصيلا ، وقد حفت بالمكاره : من العامية بأزجالها وتمثيلياتها ولغة التخاطب بها ، ومن اللغات الأجنبية التى تزاحمها ، وما يترجم منها بأسلوب سقيم له أثره فى فساد اللسان العربى ، لكن عبد الرحيم فودة تنكب عن كل هذا جانبا ، لم يعط أذنه للعامية ، بل حرص على الجيد من عيون الشعر والبليغ من مختار النثر وهو كثير وجده فى الأدب القديم والأدب الحديث فلزمه طويلا وحمى نفسه من الشعر الفلسفى عملا بنصيحة البحترى فله مختاراته ومحفوظاته ، وقد اختار من العصر الحديث شاعرا هو شوقى وناثرا هو الزيات ، وليس معنى هذا أنه حبس نفسه عليهما وانما معناه أنه اتخذهما رفيقين وغيرهما معارف .. ولكننى حين أنظر الى شعره ونثره أرى له شخصية متميزة ... فتأليف العبارة عنده موسيقى دائما ، وليس ذلك من صنيع السجع والازدواج والتجنيس ، انما يرجع فنه الى مجىء التعبير على توقيع انفعالاته ولحن فؤاده ، وانطلاق نفسه على سجيتها فلا اكراه للفظ ولا غوص على معنى لا يقتضيه المقام وأغلب الظن أنه حفظ القرآن وأطال النظر فيه والتأمل فى معانيه فطبع أسلوبه هذا الطابع ذا الأداء الأوحدى الذى هو فى الشعر أنغام وألحان ، وفى النثر زقزقة عصفور جذلان . وقد أقلقنى حين ترك نظم الشعر فسألته أن يعود اليه فكان جوابه : الشعر دالت دولته وان كان رواده ، فعصر العلم والكشوف ومعطيات الديمقراطية جعلت للنثر الأولوية ، وهو رأى قد تخالفه فيه وقد تصغى اليه ، ولكنه — هذا الرأى — من مقتضيات العصر .

ولو نظرت الى شعره لرأيته من هذا الطراز الرائق الأخاذ ، ومن الخسارة الا يجمع فى ديوان يقف بجانب ديوانه الأول ، وهذه قصيدة من شعره أضعها بين يديك لتقرأها وسترى فيها مصداق ما قدمت . ومناسبة هذه القصيدة تفهمها من أبياتها فمن قيلت فيها كانت طلبته لتكون شريكة حياته ، ولكن تطلعاتها نحو الجاه والمال حالت بينها وبينه ..

من أعلام الأزهر

وقد نظمها وطواها كما طوى حبه ، ولكنى أخذتها على غير علم منه ونشرتها بمجلة الصباح (١٣ فبراير ١٩٤٢) وحين قرأها لم يرض ولم يسخط كأنه لا شأن له بها . قال :

سأنساها وأبحث عن سواها
فلست بطالب ذهبا وجاها
بذلت لها الهوى صفوا فضنت
على ، وباعدت عنى هواها
وصورت الحياة كما أراها
فصورت الحياة كما تراها
مناها من تطلبها نضار
تجمعه وتكثر من حلاها
ومهوى نفسها قصر منيف
تشيده ليسكنه سواها
فلا تعجب اذا أغضيت عنها
ولا تعجب اذا قلبى سلاها
فقد كانت كما (أحببت ليلى)
ترى فى حبها (قيسا) غناها
وكنت أريدها زوجا وحسبى
من التعليم — لو علمت — نهاها
فقص رأيها رأى جديد
وكدر صفوها نجع زهاها
ولجت فى تحررها وخلت
ديار الحب تنعى من بناها

وهذا الشعر يصلح نموذجا لما يطلبه النقد فى العصر الحديث ، ففيه التجربة والوحدة الفنية والأداء النفسى وصدق العاطفة ، ولا أريد أن أحللها فحسبى أن تقرأها معى ، وحسبى أن أشير الى كلمة « تحررها » فقد جاءت دقيقة فى موضعها ، فقد تقول كان ينبغى أن يقول « تمردها » ولكن بقليل من التأمل تدرك أن الشاعر وضع الكلمة فى مكانها ، لأن ضياع حبها جاء من مفهوم الحرية التى سيطرت على عقول الفتيات بعد أن تعلمن وقرأن الروايات والقصة وشاهدن ما يعرض على شاشة « خيالة » ، وطغت عليهن الحياة المادية ، فتمردن وظنن التمرد تحررا .
وقد تزوج سواها كريمة الشيخ على محفوظ فولدت له ست بنات استقبل ميلاد كل منهن بمقالة متفائلة .

أما نثره فيرجع الى نتاج ظهرت سماته فى الادباء الذين تخرجوا فى الازهر والذين طبعتهم الدراسة الأزهرية على النهج الجميل حين أشربت نفوسهم حب الادب وتمرسوا بالكتابة فكانوا رواد الأدب الحديث ، نذكر منهم على سبيل المثال : مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد العزيز البشرى وأحمد حسن الزيات وطه حسين فاشراقاتهم راجعة الى تأثرهم بالقرآن الكريم ومعرفة أساليبه ، ولكل منهم أسلوبه الفريد فى بابه ، وطريقة كل منهم تختلف عن الآخر — وان جمعتهم النغمات الاشراقية والترجيعات العفوية — وأديبنا عبد الرحيم فودة لم يبك كما بكى المنفلوطى ، ولم يمزح كما مزح البشرى ، ولم يلتزم هندسة الاسلوب كما هندسه الزيات ولم يكرر كما كرر طه حسين وانما كان الجد سبيله ، والكلمة تستقل بمقامها

وتأبى الترادف ، ولا يجعل للزينة سيطرة على قلمه ، وأنا أفسر ذلك بطول اشتغاله بالصحافة وكتابة المقال الأدبي حسب تطوره الحديث وأبرز سماته الايجاز ، وينسحب مانقوله على المقال الصحفي والاجتماعي لان الكاتب يجزىء موضوعه الى أفكار يجعل لكل فكرة مقالا . ولك أن ترجع الى كتاباته في مجلة الازهر أو في غيرها لتجد نماذج لما أشرت اليه .

المفكر الاسلامي

هناك عالم اسلامي ، وهناك مفكر اسلامي ، ولكل منهما مجاله وعطاؤه ، وتسألني عن مميزات هذا وذاك والأمر — كما هو معهود — لايحتاج الى كثير من التأمل ، فالعالم الاسلامي غالبا انسان تخصص في الشريعة ، وتعمق في دراسة الكتاب والسنة وما جاء نتيجة لهما من العلوم كالتفسير وتمحيص الاحاديث وبيان الصحيح وغير الصحيح ، وكأصول الفقه الذي ظهر على يد الامام الشافعي ، ولكنه قيد نفسه بما حصله من كل أولئك فهو يردد اقوال من سبقوه من أصحاب المذاهب الفقهية ويعتز بها ، واني لأذكر لأول عهدي بطلب العلم في العقد الثالث من قرننا هذا أن شيخ المعهد واسمه (عبد الحكم عطا) كان يعلن أنه لوضاع مذهب مالك لجمعه من صدره . وهو جهد يشكر عليه ويثاب على نيته فيه ، ولكنه لا يعد مفكرا اسلاميا ، لأن المفكر الاسلامي يجمع الى التجرد للعلم والتبحر فيه بعث الحركة في معطيات الدين وجلاء ما خفي على معاصريه حتى ليعدونه مجردا وهو دائما يتطلع الى آفاق جديدة ، فيه من القلق والتوتر مايدفعه الى منازلة خصومه بروح البطل الواثق بنفسه وسلاحه ، وله من دينه السمح وكتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد — صلى الله عليه وسلم — وما سنه الرسول — عليه الصلاة والسلام — وما رواه عن السلف الصالح ذخيرة يغلب بها المكابرين ، ولا يلتفت الى قولهم : ان باب الاجتهاد قد سد فالعقول التى وهبها الله للمتقدمين لا يبخل بها على المتأخرين والمشاهد لنا في محيط العلم أن الأفكار تستنير من جيل الى جيل ، والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ، ولا ينضب معينه ، ولم يصل فيه أحد من المفسرين الى تفسير يقال فيه : انه وصل الى مراد الله فيه . وكلما نضجت العقول وتفتحت الأذهان أتت بجديد ، ولكل عصر أعلامه ، ومن الموروث أن لكل قرن علمه الذي يجدد ويبعث الحياة في النفوس والقلوب والعقول فيعود الاهتمام بالشريعة ، ويقبل المؤمنون على العبادة وينهض الناهضون للذود عنه والموت في سبيله بعيدين عن الأوهام والخرافات وكأنهم عادوا الى صدر الاسلام بايمانهم القوي وقدرتهم الرائدة .

وفي عصرنا هذا ظهر مفكرون كان لهم الاثر الطيب ، والمنهج الحميد في الاصلاح من العقيدة الى التشريع وفرق كبير بين « الخريدة » « ورسالة التوحيد » للامام محمد عبده فالأولى « أكاديمية » لا تخرج عن قاعة الدرس « ورسالة التوحيد » صالحة لقاعة الدرس كما هي صالحة للثقافة العامة .

من أعلام الأزهر

وأين موضع الشيخ عبد الرحيم فودة من هذين الصنفين ؟ أنا لا أتكلف الاجابة عن هذا السؤال ولكنى أحاول أن أضعه فى موضعه كان الشيخ فودة يسر سرورا عظيما حين يجد من طلابه تفهما لدرسه ولكنه فى الوقت نفسه يريد أن يرى نفسه فى مجتمعه وأمته موجها يهدى الى سواء السبيل ، ومن هنا ظهرت له مقالات فى الصحف تحت عنوان : « مع الناس » أو « السلام عليكم » وهى تشير الى أنه لا يكتفى بدروسه بين طلابه ولا بالكتب المقررة عليهم ، دائرته أوسع ، ومهماته أكبر ، ومن ثم كان اعجابه بالشيخ أحمد الدردير من علماء القرن الثامن عشر الميلادى ، والامام محمد عبده وتلميذه الامام محمد مصطفى المراغى ، لأنهم فى نظره أولو عطاء جديد وتفكير اسلامى مفيد ينال الطلاب فى صحن الأزهر كما ينال العالم الاسلامى فى آفاقه الواسعة ، فلا عجب أن صاح فى شبابه نحن جنود المراغى لا لغيره ، ومعنى هذا أنه أعد نفسه ليكون على طرازهم يفكر ويعلن تفكيره ويتخذ من القرآن والأحاديث الصحيحة طريقة الى بعث الحياة فى ضوء ما وصل اليه من استنباط وأفكار عملية فما من قضية من قضايا الفكر أو قضايا المجتمع الا شارك فيها فرأيناه فى مجلسه وفى الاذاعة والتليفزيون وفى الصحف والمجلات يبدى الرأى مؤمنا بما يراه متخذا سبيل المصلح بجانب العالم الدينى المفكر ، فهو يحاور ويكتب بروح بعيدة عن التعصب وتبنى الرأى المثير .

وقد ظهرت فى هذا العصر مذاهب اقتصادية وعقلانية وفلسفية تقف من الدين الاسلامى موقفا عدائيا فكان على ذوى الرأى النير من العلماء المسلمين أن يبدوا رأيهم بالبرهان الساطع حتى لا يضل الشباب أمام الافكار الوافدة أو المستوردة . ومن الآراء التى نهض الشيخ فودة للرد عليها وبيان الخطل فيها دعوة اسرائيل فى حقهم نحو فلسطين العربية فألف كتاب « العرب واليهود فى القرآن » وانك لتراه يقف موقف الذى يتحرى الحقيقة ويلتزم الصدق ، فمن كلماته فى هذا الكتاب عن منهجه : « وقد توخيت فى هذه الكلمة هذا الصراط المستقيم ، وهذا النهج القويم ، فلم أمدح العرب لأنهم عرب ، ولم أذم اليهود لأنهم يهود ، وانما ذكرت بعض مايمدح به العرب ومايذم به اليهود مستنبطا من كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ليعرف العرب واجبهم تجاه ربهم ، وواجبهم تجاه عدوهم وواجبهم تجاه تاريخهم الذى شرفوا به ، وواجبهم نحو مصيرهم الذى أشرفوا عليه » وانظر اليه كيف يبطل الاوهام الشائعة من تميز اليهود عن غيرهم بالمواهب العقلية ، وأن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود ... كما يدفع وهم الواهم الذى يقول : ان العقل الآرى يمتاز عن العقل السامى بخصائص العمق فى البحث والاستقراء ، وأن



العقل السامى سطحى البحث ، ضحل القرار يقف عند ظواهر الاشياء فيقول :

« والصحيح أن كلتا الفكرتين مجرد زعم كاذب ، ووهم خاطىء وأن الظروف الاجتماعية والمادية والتوجيه العلمى والشعور بالحاجة وما الى ذلك من مختلف العوامل هى التى تعمل على ايقاظ المواهب أو تعمل على اخمادها واطفاء نورها ، وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الاوربية غارقين فى ظلام الجهل والذل دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا ، وعاش الأوربيون كذلك آلاف السنين ذنابا .. الثابت الذى لا شك فيه أن هذه المنطقة من العالم (الشرق الاوسط) عرفت الحضارات قبل أن يعرف أولئك وهؤلاء طريق الحياة » ويدحض نظرية الآرية وتميزها عن السامية بقوله « هذه النظرية — ان صحت — تهدم ما يقال عن مواهب اليهود ، لأنهم ساميون ، وان صح أن عقلية اليهود كما يقال كان ذلك دليلا على خطأ النظرية التى تشيد بالعقلية الآرية » وهكذا تراه يعرض الرأى ويدحضه فى

من أعلام الأزهر

عبارة واضحة مقنعة وهكذا عرض للاشتراكية والديمقراطية والحرية فكتب وألف وأبان رأى الدين فيها .

وكتبه التى بين أيدينا لها عطاء يشبه المقدمات والنتائج أعنى أن البحث الأول يوصل الى البحث الثانى ويرتبط به وهكذا حتى يجئ آخر الكتاب نتائج لما تقدم ، وكل بحث يمكنك أن تقف عنده ويكفيك ما تريد .

ومن مؤلفاته :

١ ـ مشاعل على الطريق .

٢ ـ الاسلام والقومية العربية .

٣ ـ الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام

٤ ـ قصة بنى اسرائيل .

٥ ـ من معانى القرآن .

٦ ـ العرب واليهود فى القرآن .

٧ ـ كلمات قرآنية .

٨ ـ احاديث مختارة ١ ، ٢ .

٩ ـ شرح عبقريات العقاد .

وله مقالات كثيرة فى الصحف والمجلات ومجلة الأزهر يحسن بالأزهر جمعها وطبعها ونشرها على القراء لفائدتها ونفعها ـ يضاف الى ذلك ديوان شعر نوهت عنه فيما سبق ، حبذا لو جمع شعره وأعيد طبعه فى مجلد واحد مع الديوان الأول .

خاتمة

فى غرة ربيع الأول ١٣٩٦ ـ الموافق ٢ من مارس ١٩٧٦ رحل عنا الشيخ عبد الرحيم فودة الى دار البقاء حيث دفن فى « الجمعية الشرعية » عن اثنين وستين عاما قضاها فى اسداء البر والخير ، والبحث والمعرفة وفى دراسة الكتاب والسنة ونشر المعرفة فى كل مكان ، عرفته المحافظات فى مصر محاضرا وداعيا ومثقفا كما عرفته بعض الدول الاسلامية فى حواضرها خطيبا ومحاضرا ، ومفكرا اسلاميا لامعا .

واننا لنذكر أن آخر ما أدى أنه كتب مقالة لجريدة الجمعة بالأخبار تحية للمولد النبوى الشريف ، فكانت آخر ما كتب بعنوان : « مكانة النبى » وقد كتبت المقالة يوم الاثنين وشيعت جنازته يوم الثلاثاء .

رحم الله عبد الرحيم فودة ثواب ما أدى لامته فى كتبه وخطبه ومقالاته واحاديثه ، وافسح له فى جناته جزاء ايمانه وصلاته وطول عبادته ومناجاته . ولنا من تراثه ما يجعله معنا ، وسلام عليه فى الخالدين .

السيد حسن قرون

من التراث

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

التعليم الديني في مدارس الحكومة*

ان الاسلام دين يغذي العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكم اخرجت مدارسه رجالا لا يخافون في الحق لومة لائم. يخفضون اجنحتهم تواضعا للمستضعفين . ويرفعون رءوسهم عزة على الطغاة والجبارين وتحتل عقول او قلوب فيصفون الدواء عدلا كأنه القسطاس المستقيم وسخاء كأنه الغيث العميم .

والامة في حاجة الى نشء ترتبط قلوبهم بالتعاطف وتمتلىء نفوسهم بالغيرة على حقوق الوطن . والدين يفجر ينبوع التعاطف ، ويجعل الغيرة على الحقوق، حامية .

والتعليم الديني لو كان آخذا حقه في جميع مدارسنا لم نر مانراه الآن من تجاف بين أفراد تربوا في مدارس دينية ، وآخرين نشئوا في مدارس ليس للدين فيها نصيب . وما انحرف البعض بفهم خاص لاعلاقة له بسماحة الدين ولعل ادخال العلوم الحديثة في المعاهد الأزهرية يذهب بجانب من هذا التجافي . فاذا عنيت وزارة التربية والتعليم بدراسة علوم الدين درسا جديا لاتحد ابناؤنا في أمل التربية ولخرجوا الى معترك الحياة بعقل سليم وفكر مستقيم ووحدة شاملة .

يشعر كل من يطلع على ما ينشر في الصحف

*الجزء السادس ، جمادى الاخرة سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثاني .

لصاحب الفضيلة الشيخ

محمد الخضر حسين

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

أو يشهد مجلس طوائف من الناس مختلفة أن انحرافا غريبا طرأ على الأخلاق، وأخذ يدب في نفوس النشء دبيب السم الناقع في جسم اللسيع، ويمتاز هذا الانحراف بأنه ناشئ عن زيغ العقيدة، لا عن مجرد الأهواء الغالبة، وزيغ العقيدة مصدر الأخلاق المرذولة في كل حين، الا أن الدعاية الى القبائح لم تبلغ في علانيتها ما بلغته اليوم، ألم يبلغ الحال أن ينادي المنادي مثلا — الى ما يمزق رداء العفاف والكرامة مخادعا الشباب باسم الحرية أو الفن الجميل، ولا جمال الا مع الفضيلة، ولا حرية الا لمن يلقى الناس بعرض سليم!

والانحراف الناشئ عن زيغ العقيدة أصعب علاجا من الانحراف الناشئ عن طغيان الشهوات، فان زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب، بزعم أنها ليست من الحسن في شيء، ويخرج عن حدود المكارم بدعوى أن هذه الحدود رسمت على غير حكمة.

والمغلوب للشهوة وحدها قد ينحرف عن الحسنة معترفا بأنه أقبل على سيئة، وينتهك حرمة الحق غير منازع في أنه ارتكب جرما، واذا احتجت في تهذيب أخلاق الأول الى اصلاح عقيدته بالحجة، فانه يكفيك في تقويم أخلاق هذا شيء من الموعظة، وتأثير الموعظة في زجر من يعرف الحق حقا، والباطل باطلا، أيسر من تأثير الحجة فيمن يبصر الباطل حقا، أو الحق باطلا.

وقد يندى جبين المغلوب لأهوائه اذا أنبته، ويعرف لك فضل النصيحة اذا ذكرته، أما زائغ العقيدة فانه يحمل بين حاجبيه وناصيته ما هو أشد قسوة من الحجارة ويرى ارشادك له لغوا في القول، فلا يحرك فؤادا صاغيا الا أن تبقى فيه للانصاف وحرية النظر بقية.

ولا مرية في أن انحراف الزائغين أظهر فسادا وأشد فتنة من انحراف الشاعرين بقبح ما يفعلون، فان الزائغ يندفع فيما لا يليق الا أن يرهب قانونا حازما، ولا يبالي أن يبصر به من لا يملك للقانون نفاذا، أما الشاعر بقبح ما سيفعل فشأنه أن يجتهد في التستر عن أعين الناس حتى في حال أمنه من أن يناله القانون بأذى، فاذا قست الجاحد بأمثاله في التعلم أو الأمية، وجدت لخروجه عن مكارم الأخلاق مواطن أكثر، وشاهد أظهر تفتكون جنايته في الناس أكبر وأفظع، فلا شبهة في أن اصلاح العقائد أساس لتهذيب الأخلاق، وأن الأخلاق الكريمة لاتستقيم الا على العقيدة السليمة.

لم يتفش زيغ العقيدة فيما سلف تفشيه اليوم، لأن وسائل ساعدت على سريان وبائه لم توجد قبل، وأمهات هذه الوسائل ثلاثة أمور:

(احدها) هذه المدارس التى يفتحها الأجانب فى أوطاننا باسم العلم ، ويغفل بعض المسلمين عن سريرتها ، فتأخذهم بظاهرها ، حتى يسلموا أطفالهم وهم على الفطرة الى من يصبغ هذه الفطر بسواد ، وينزع منها روح الأدب الذى يجعلهم أولياء لعشيرتهم نصحاء لأمتهم ·

(ثانيها) ، تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم، اذ يرسلون الناشىء الى معاهد العلم بأوربا قبل أن يتلقن من علوم الدين ما يجعل عقيدته مطمئنة ، فيلاقى فى أثناء الدراسة هنالك أو فى بعض المحادثات شبها لا يجد فى نفسه من الحجج ما يدفعها ، واذا تواردت الشبه على الناشىء رانت على قلبه ، وأصبح يبصر وجه الحق أسود قاتما ، فيعود الى وطنه وهو يحمل لأبويه عقيدة أنهما فى ضلال قديم ، وذلك جزاء من يستهين بهدى الله ولا يهمه الا أن يكون لابنه مورد رزق واسع ، أو منصب فى أحد الدواوين وجيه ·

(ثالثها) أن كثيرا من الحكومات الاسلامية ضعف فيها روح الاعتزاز بالدين الحنيف ، فاستباح واضعو برامج التعليم العام فى مدارسها أن لا يضربوا لعلوم الدين بسهم ، ومن يضرب لها ، فبسهم لا يغنى من جهل ، والتعليم الذى يهضم فيه جانب العلوم الدينية، لا يرجى منه تهيئة نشء تتساقط عليهم الشبه فيطردونها ، أو توسوس اليهم الشياطين فيستعيذون منها ·

واذا كان سوء الأخلاق الذى هو علة اختلال النظام ، ينشأ من زيغ العقيدة تارة ، ومن طغيان الشهوات تارة أخرى ، فان الاسلام دين ينير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكم أخرجت مدارسه أو مجالس القوامين على هدايته من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها ، ويجارون الرياح فيسبقونها ، يخفضون أجنحتهم تواضعا للمستضعفين ، ويرفعون رءوسهم عزة على الجبارين ، تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها ، وتعتل قلوب أو عقول فيضعون الدواء موضع عللها ، عدل كأنه القسطاس المستقيم ، وسخاء كأنه الغيث النافع العميم ، وجد فى طلب العلم وان كان بمناط الثريا ، وطموح الى المعالى وان انتبذت وراء الفلك الدوار مكانا قصيا ، الى ما يشاكل هذا من الخصال التى ترفع بعض الأمم على بعض درجات ·

والأمة فى حاجة الى نشء ترتبط قلوبهم بالتعاطف ، وتمتلىء صدورهم بالغيرة على حقوق الوطن ، والاخلاص فى كفاح من يروم اغتصابها ، والدين يفجر ينبوع التعاطف ، ويجعل الغيرة على الحقوق حامية ، ويبعث فى النفوس اخلاصا تسقط أمامه المنافع الخاصة جملة ·

والتاريخ يملأ آذاننا بأسماء رجال أحرزوا بعلمهم الزاخر مكانة تكفيهم لأن يعيشوا بين الناس فى مهابة واجلال ، ولكن ما يبذره الدين فى نفوسهم من غيرة واخلاص يأبى لهم أن يقضوا حياتهم بين جدران المدارس أو المساجد

دون أن ينفقوا منها في تعرف الشئون العامة والجهاد في نجاة الأمة قسطا وافرا ، ولو أخذنا نضرب الأمثال على أن التعليم الديني يطبع النفوس على خصال الشرف ، ويملؤها همما لا تقف عند حد ، وغيرة لا تلهو عن حق ، لملأنا صحفا كثيرة أو أسفارا ، ولكن المقام للتذكرة ، ومن مقامات التذكرة ما يغني فيه الايجاز عن الاسهاب .

واذا رأينا في بعض المتلقين لعلوم الدين عوجا ، فتلك سنة الله في الخليقة أن لاتخلص الطوائف الكثيرة من أفراد يشربون بكأسها ، ويظهرون في زيها ، ثم هم يشذون عنها ، ويسيرون في غير وجهتها ، لعوارض تجد في نفوسهم من الاستعداد للهو أكثر من الاستعداد للجد ، ويكفي شاهدا على استقامة الطريق أن يبلغ أكثر سالكيه غاية الفلاح ، فان قعد في منتصفه ذو همة خامدة ، أو التوى عنه ذو هوى غالب ، فالطريق لا يزال طريق رشد وفلاح ، والوزر على رقبة من قعد في منتصفه لاهيا ، أو التوى عنه قبل أن يدرك من الاهتداء به حظا كافيا .

فسماحة الدين وما له من الأثر الخطير في اعداد أمة روحها البطولة ، وزينتها التقوى ، وغايتها السيادة ، من أشد ما يبعث أولي الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا ، ويقرروا لها في جميع المدارس وفي كل سني الدراسة ما فيه الكفاية .

ومما يقضي عليهم بأن يعنوا بها عناية ضافية أن الأمة مسلمة ، والأمة المسلمة لا ترضى الا أن يكون أبناؤها مطمئنين بحجج الدين الحنيف ، سائرين في ضوء حكمته الغراء ، فمن سلك في تعليم أبنائها طريقا لا يأتي بهم على هذه الحجج ، ولايدخل بهم في نهار من ضوء هذه الحكمة ، فقد تصرف في شئونها تصرف من لايرعى ذمتها ، ولا يحترم وكالته على أمرها ، واذا وجد في الناس من لا يؤله أن يكون ولده في ظلام من الغي ، فأمثال هؤلاء على قلتهم طائفة استهواهم زخرف الحياة غرورا ، ولم يهتدوا الى خير أبنائهم سبيلا ، وما كان للحكومة الرشيدة الا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير النشء ، وما يرتضيه أهل العلم والعقل ، ويكون قسط تلك الطائفة من هذه السياسة تقويم عوجهم ، واصلاح ما فسد من أخلاقهم، واذ أهملت التعليم الديني حكومة بافي الالحاد في أدمغة رؤسائها وفرخ ، فأعلنوا نفورهم عن الدين في غير استحياء ، فان حكومة يكون على رأسها ملك يعتز عرشه الرفيع بعزة الدين الحنيف ، وينص في دستورها على أن دينها الرسمي الاسلام ، لجديرة بأن يكون للتعليم الديني في مدارسها شأن لا يقل عن شأن غيره من العلوم النافعة في الحياة .

ولا يكفي في تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر وما يتصل به من معاهد ، فان قصره على الأزهر والمعاهد الدينية يجعل تربيته العالية في طائفة من الناس خاصة ، والخير في أن تكون روح الدين سارية في نفوس الأمة قاطبة ، وبثها في جميع الأفراد مدعاة الى الائتلاف والاتحاد الذي هو أساس كل نهضة ، وكل عمل اجتماعي يقام على غير هذا الأساس ،

ينقلب الى فساد .

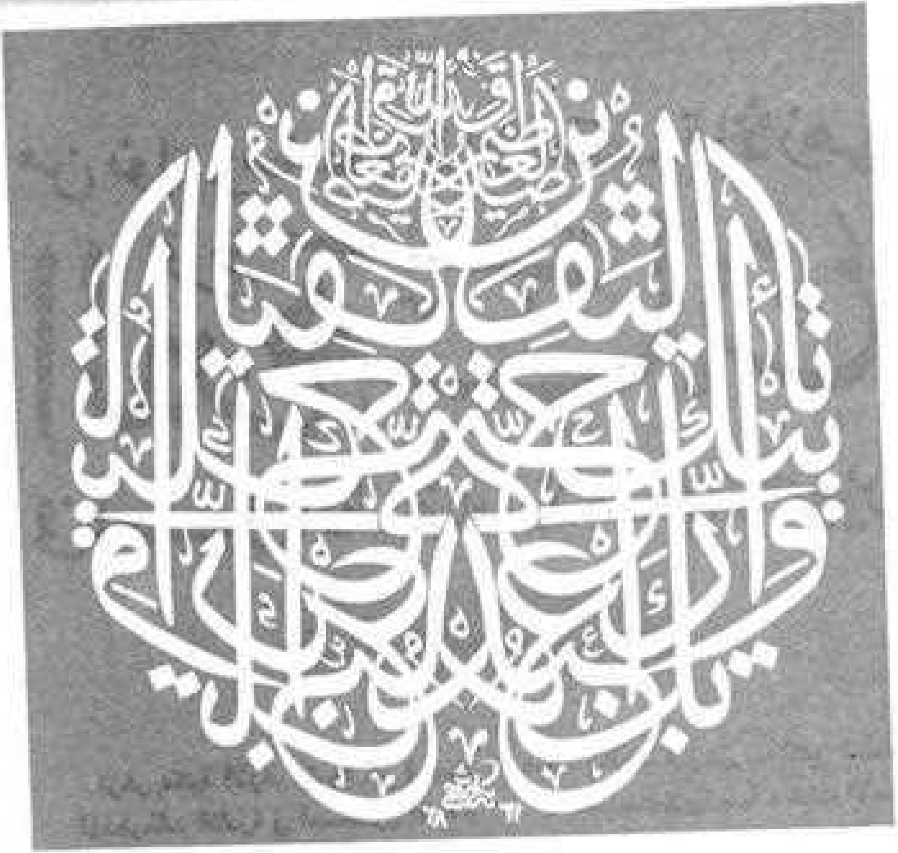
ولو كان التعليم الديني آخذا حقه في جميع مدارسنا ، لم ير الناس ما يرونه من التجافي بين أفراد نشئوا في مدارس دينية ، وآخرين نشئوا في مدارس ليس للدين فيها من نصيب ، ولا منشأ لهذا التجافي الا بعد ما بين النشأتين، وادخال العلوم الحديثة في المعاهد الدينية يذهب بجانب من هذا التجافي ، فاذا عنيت وزارة المعارف بدراسة علوم الدين درسا جديا ، اتحد أبناؤنا في أصل التربية ، فيكون فضل المعاهد الدينية والمدارس الرسمية على الشرق في اخراجهما نشئا يتقارب شعورهم وتتدانى عواطفهم،فيتسابقون الى أعباء الحياة بكواهل ملتئمة ، ويرمون في وجوه المظالم عن قوس واحدة .

لا يغيب عنا أن في بعض الأمم التي لا تعنى وزارات معارفها بدرس علوم الدين شيئا من خصال الكمال ، ونقول مع هذا : ان الأمم التي يقوم تعليمها على روح دينية قوية تبلغ من العظمة ما لا تبلغه أمة تساويها في غير هذه الروح من وسائل الحياة .

فاذا تقدمت فرنسا — مثلا — على بعض الشعوب الشرقية ، وكانت أبسط منه سلطانا وأنعم بالا ، فانما فضلته بالقوة المادية ، ثم بجانب من الأخلاق التي ينتظم بها شأن الاجتماع في بلادها ، ويجعلها قوية أمام خصومها ، ولو جاراها ذلك الشعب الشرقي في وسائل الحياة المادية ، واستتار في تقويم أخلاقه بحكمة الدين ، لكان أسعد منها حالا ، وأرسخ في السيادة قدما ، وأعلى يوم ينادي المنادي علما .

وليس في اعطاء علوم الدين بمدارس الحكومة حقها مايجحف بحق دراسة العلوم الأخرى ، لأنا لا نرجو من وزارة المعارف أن تغذي التلاميذ من علوم الدين بمقدار ما يتغذى به طلاب العلم بالمعاهد الدينية ، وانما نرجو منها أن تقرر من هذه العلوم ما يستنير به التلميذ في كل سنة من سني الدراسة ، وتجعله مادة أساسية في امتحاني النقل والشهادة ، وأن تسن لهذه العلوم مناهج حكيمة ، ولا تغمض في كفاية من يعهد اليهم بتدريسها .

وقد دلنا التاريخ والمشاهدات على أن وزارات المعارف في بعض الشعوب الاسلامية ، قد تستخف بالتعليم الديني متى ألقى أمرها الى من نشأ في غفلة عن آداب الدين ، وقصر في السياسة شأوه ، فليس له بصيرة يحس بها فضل الدين ومحاسنه ، ولا بعد نظر في السياسة يفقه به أن خير ما تتألف به الأمم الاسلامية رعاية دينها ، وجعله روحا في تربية أبنائها ، ومن أشد ما تبلى به المصالح العامة أن يصرفها من لا يدري كنهها ولا يتدبر العواقب في تصريفها ، واذا انتهز أولئك الخاطئون غفلة الأمة فرصة لاهتضام حق الدين في التعليم والتربية ، فانها اليوم في يقظة تميز



بها المهوشين من المصلحين ، فتقابل المهوش باستخفاف وتنديد، وتلاقى المصلح باقبال وتأييد ، ورجاؤنا فى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يكون الرجل الذى يؤثر اقبال الأمة على استخفافها ، وتأييدها على تنديدها، بل صلاحها على فسادها ، وسعادتها على شقوتها، فيوفى للتعليم الدينى حقه ، حتى تصبح مدارسنا منبع العلم ومطلع الهداية .

ومن فائدة الشرق أن تكون له عاصمة تلتقى فيها آراء المصلحين ، ويتدفق منها الشعور السامى الى سائر الأقطار ، وموقع مصر فى البلاد يستدعى أن تكون مصر هى ملتقى تلك الآراء ، ومصدر ذلك الشعور ، ولا يكفيها لهذه الزعامة انهارها التى تجرى من تحتها ، والعلوم والفنون المالئة ما بين جوانبها ، وانما تحن لها القلوب ، وتمتلىء بمهابتها العيون اذا اضافت الى هذه الأنهار والمدارس تربية دينية عامة ، حتى يقول كل زائر لها فاضل ــ مثل ما قال العلامة ابو عبد الله المقرى ــ حين زارها وعاد الى المغرب فى اثناء المائة الثامنة « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام »

محمد الخضر حسين

الجزء السادس
جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠
المجلد الثانى .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

البرهان

فى أصول الفقه - لإمام الحرمين

للأستاذ محمد عميرة على

تزخر مكتبة الأزهر بثروة كبيرة من المخطوطات النادرة فى أصول الفقه، وتبارى فى الكتابة كثير من العلماء ..

ومن الأئمة الأعلام فى هذا المجال الذين عنوا بتفريع الأحكام الفقهية وتخريج الوقائع والحوادث الوقتية على دعائم تبنى عليها وتؤخذ منها ..

ومن الذين توفرت لديهم هذه الدعائم الامام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى، أبو المعالى، ركن الدين، الملقب بامام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعى. ولد فى « جوين » من نواحى « نيسابور » ورحل الى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب الى المدينة فأفتى ودرس جامعا طرق المذاهب. ثم عاد الى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك « المدرسة النظامية » فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء.

له مصنفات كثيرة منها « غياث الامم والتياث الظلم » و « العقيدة النظمية فى الأركان الاسلامية » و « البرهان فى أصول الفقه » و « نهاية المطلب فى دراية المذهب » فى فقه الشافعية اثنى عشر مجلدا و « الشامل فى أصول الدين » على مذهب الاشاعرة و « الارشاد » فى أصول الدين .. الخ.

ولد سنة ٤١٩ هـ سنة ١٠٢٨ م وتوفى بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ سنة ١٠٨٥ م

قال الباخرزى فى الدمية يصفه .. الفقه فقه الشافعى، والأدب أدب الأصمعى، وفى الوعظ حسن البصرى.

قالت عنه وفيات الأعيان : انه رزق من التوسع فى العبادة مالم يعهد من غيره، وكان يذكر دروسا يقع كل واحد منها فى عدة أوراق

ولا يتلعثم فى كلمة منها وتفقه فى صباه على والده أبى محمد وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الاقبال فأتى على جميع مصنفات والده وتصرف فيها حتى زاد عليه فى التحقيق والتدقيق ، ولما توفى والده قعد مكانه للتدريس .

واذا فرغ منه مضى الى الأستاذ أبى القاسم الاسكاف الاسفرايني بمدرسة البيهقى حتى حصل عليه علم الأصول .

قال أبو جعفر الحافظ سمعت الشيخ أبا اسحاق الشيرازى يقول لامام الحرمين . يا مفيد أهل المشرق والمغرب أنت اليوم امام الأئمة ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة من علمائه . وله اجازة من الحافظ أبى نعيم الأصبهانى صاحب « حلية الأولياء » ، وكان اذا شرع فى علوم الصوفية وشرح الأقوال أبكى الحاضرين ولم يزل على طريقة حميدة مرضية من أول عمره الى آخره .

وقال أيضا صاحب « وفيات الأعيان » ان والده اشترى جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضا الى أن حملت بامام الحرمين ، وهو مستمر على تربيتها بكسب الحل فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحدا من ارضاعه ، فاتفق أنه دخل عليها يوما وهى متألمة والصغير يبكى وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا ، فلما رآه شق عليه وأخذه اليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول يسهل على أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ، وحين وفاته أغلقت الأسواق وكثرت فيه المراثى ومما رثى به :

قلوب العالمين على المقالى
وأيام الورى شبه الليالى
أيثمر غصن أهل العلم يوما
وقد مات الامام أبو المعالى

والمخطوط الذى نقدمه هو « البرهان » فى أصول الفقه للشيخ الامام أبى المعالى امام الحرمين .

قال فى مقدمته : « الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله ، قال الشيخ الامام أبو المعالى امام الحرمين رضى الله عنه : حق على كل من يحاول الخوض فى فن من فنون العلوم أن يحيط بالمقصود منه وبالمواد التى منها يستمد الفن وبحقيقته وحده ان أمكنت عبارة سديدة على صناعة الحد . وان عثر أن يحاول الدرك لمسالك التقاسيم والغرض من ذلك أن يكون الاقدام على تعلمه مع حظ من العلم الجملى بالعلم الذى يحاول الخوض فيه ، فأصول الفقه مستمدة من الكلام والعربية والفقه .

والكلام نعنى به معرفة العالم وأقسامه وحقائقه وحدثه ، والعلم بمحدثه وما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه وما يجوز فى حكمه ، والعلم بالنبوات وتمييزها بالمعجزات عن دعاوى المبطلين وأحكام النبوات والقول فيما يجوز ويمتنع من كليات الشرائع ولا يندرج المطلوب من الكلام تحت حد وهو يستمد من الاحاطة بالميز بين العلم وما عداه من الاعتقادات ، والعلم بالفرق بين البراهين والشبهات ودرك مسالك النظر .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

ومن مواد أصول الفقه العربية فانـه يتعلق طرف صالح منه بالكلام على مقتضى الألفاظ ، وأن يكون المرء منه على ثقة من هذا الطـرف حتى يكون محققا مستقلا باللغة والعربية .

ومن مواد الأصول الفقه فانه مدلول الأصول ولا يتصـور درك الدليل دون درك المدلول ثم يكتفى الأصولى بأمثلة من الفقه فى كل باب من أصول الفقه ، فان قيل : فما الفقـه ؟ قلنـا : هو فى اصطلاح علمـاء الشريعة العلم بأحكام التكليف .

فان قيل معظم متضمن مسائل الشريعة ظنون قلنا ليست الظنـون فقهـا وانما الفقه العلم بوجوب العمل عند قيام الظنون .

ولذلك قال المحققون أخبار الآحاد وأقيسـة الفقه لا توجب عملا لذواتها وانما يجب العمل بما يجب به العلم بالعمل وهى الأدلة القاطعـة على وجوب العمـل عند رواية أخبـار الآحاد واجراء الأقيسـة .

فان قيل : فما أصول الفقه ؟ قلنا هى أدلتـه وأدلة الفقه هى الأدلة السمعية وأقسامها بنص الكتاب ونص السنة المتواترة والاجماع ومستند جميعها قول الله تعالى ، ومن هذه الجملة تستمد أصول الفقه من الكلام ، فان قيل : تفصـيل أخبار الآحاد والأقيسة لا يلفى الا فى أصـول الفقه وليست قواطع قلنا حظ الأصـول ابانـة القاطع فى العمل بها ولكن لابد من ذكرها ليتبين المدلول ويرتبط الدليل به ... الخ .

ورتب المؤلف كتابه فى عدة فصول متدرجة تحتها مسائل نذكر منها نموذجا عـلى سـبيل المثال :

« فصل يجمع قول الأصحاب فى مراتب العلوم وما نختار من ذلك » قال الأئمة : مراتب العلوم فى التقسيم الكلى عشرة :

الأولى ــ علم الانسان بنفسه ويلتحق بذلك علمه بما يجده ضروريا من صفاته كألمه ولذاته .

الثانية ــ تحـوى العلوم الضرورية كالعلم باستحالة المستحيلات وهذا دون الدرجة الأولى من حيث انه يستند العلم فيه الى فكر فى ذوات المتضادات وتضادها .

الثالثة ــ تجمع العلوم بالمحسوسات وهذه الرتبة دون الثانية لأن الحواس عرضة الآفات والتخيلات .

الرابعة ــ تحـوى العلم بصدق المخبرين تواترا وهذا دون العلم بالمحسوسات لما يتطرق الى أخبار المخبرين من انكار التواطىء وان كثر الجمع فلابد من نوع من الفكر ولذلك الحـق الكعبى هذا القسم بالنظريات .

الخامسة ــ العلم بالحرف والصناعات وهى مخطوطة عما تقدم لما فيها من المعاناة والمقاساة وتوقع الغلطات .

السادسة ــ فى العلوم المستندة الى قرائن الأحوال كالعلم بخجل الخجل ووجل الوجـل وغضب الغضبان وانما استأخرت هذه المرتبـة لتعارض الاحتمـالات فى محـامل الأحـوال وخروجها عن الضبط .

السابعة ــ العلوم الحاصـلة بأدلة العقـول وهى مستأخرة لا محالة عن الضروريات المذكورة

فى المراتب السابقة .

الثامنة ــ العلم بجواز النبوات وابتعاث الرسل وجواز ورود الشرائع .

التاسعة ــ فى العلم بالمعجزات اذا وقعت .

العاشرة ــ فى العلم بوقوع السمعيات الكلية ومستندها الكتاب والسنة والاجماع ، ثم فى بعض الأقسام التى ذكروها مواقع خلاف على ما نشير اليها . فمن الجملة التى اختلف فيها الخائضون فى التقسيم المحسوسات .

فقال قائلون كلها فى درجة واحدة ، وقال آخرون السمع والبصر مقدمان على ما سواهما . ثم من هؤلاء من قدم البصر على السمع لتعلقه بجميع الموجودات بزعمه ، ومنهم من سوى بينهما .

وذهب بعض أصحاب الأوائل الى تقديم السمع على البصر لوجهين :

احدهما : أن السمع لا يحتاج الى الأشعة المتعرضة للحركات والتعريجات والآخر أن السمع لا يختص فى دركه بجهة بخلاف البصر .

وذكر العينى هذا واختاره وذكر أن البارى تعالى قدم السمع على البصر فقال : « **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ** » ثم قال « **وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ** » وجمع من هذا كثيرا وهو ولاج هجوم على ما لا يحسنه ، ومما قاله ان الله لم يبتعث أصم وفى الأنبياء عميان ، ومما خاض فيه الخائضون أنا قدمنا ما يدرك بالحواس على ما يدرك بالعقل ، وهو اختيار شيخنا أبى الحسن وقدم القلانسى المعقولات بالأدلة النظرية على المحسوسات من حيث ان العقل مرجع المعقولات ومحلها ومرجع المحسوسات الى الحواس وهى عرضة الآفات فهذه جمل من المقالات والحق عندنا بعيد نازح عن هذه المسالك .

وما أرى المقسمين بنوا تقاسيمهم الا على الرضا والقناعة لعقود ظاهرة لا تبلغ الثلج ومسلك اليقين ، ومن أحاط بحقيقة العلم واعتقد العلوم كلها ضرورية لم يتخيل فيها تقديما وتأخيرا نعم الطرق اليها قد يتخيل أن فيها ترتيبا فى تعرضها للزلل ، فأما العلوم فى أنفسها اذا حملت على حقيقتها فيستحيل اعتقاد ترتيبها .

وختم المؤلف كتابه (فى الفرق بين النسخ والتخصيص) قال الفقهاء النسخ تخصيص فى الأزمان دون المسميات المندرجة تحت ظاهر اللفظ ، والمعتزلة يقرب مأخذ كلامهم من مأخذ كلام الفقهاء ، فان النسخ عند هؤلاء بيان معنى اللفظ .

وأما القاضى فانه يقول التخصيص بيان المراد باللفظ العام والنسخ رفع الحكم بعد ثبوته ، والمختار عندنا أن التخصيص بيان المراد باللفظ والنسخ لا يتعلق بمقتضى ولا يتضمن رفع حكم ثابت ولكنه اظهار ما ينافى شرط استمرار الحكم الأول كما سبق تقديره .

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلد بقلم نسخ بخط محمد أبى العينين عطيه سنة ١٣٣٩ هـ فى ٣١٨ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا وتعتبر نسخة فريدة بالمكتبة وحالتها جيدة تقرا بيسر وسهولة .

الفتاوى

« حكم التبنى فى الاسلام »

س : من السيد/على دردير محمد ـ امبابة

ما راى الاسلام فى التبنى وكتابة اسم المتبنى باسم الزوج والزوجة واستخراج شهادة باسمهما ، وما راى الدين فى القرار الوزارى رقم ٥٦ صحة لسنة ١٩٧٤ الذى ينص على : « ان مركز رعاية الطفل يقطع صلته بالطفل تماما بعد تسليمه للمتبنى ، وتقتضى السرية التامة فى شان التبنى الذى يعتمده النظام القانونى للدولة بعدم اذاعة بيانات تتعلق بالموضوع لاى طالب ولو كان ذا حق فى الطلب ، واخيرا تعطى شهادة سلبية او كتاب سلبى ... ؟

« وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ » وبذلك فالتبنى بمعنى نسبة ولد ليس من مائه ولا من صلبه اليه حرام بنص القرآن الكريم سواء كان معروف النسب أو مجهوله قال تعالى « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » وبذلك فلا توارث بين الابن المتبنى ومن نسبه اليه .

اما رعاية الطفل وحسن تربيته والعطف عليه

جـ ـ فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه من ماله بما لا يضر الورثة فذلك ما يرغب فيه الاسلام .

« نبش القبور »

س : من السيد/صديق حسن المزارفى ـ الشويك جيزة .

توجد بقريتنا مقابر خاصة بها من زمن بعيد ندفن فيها موتانا حتى الآن ، وتوجد بجوار مقابرنا مقابر لقرية اخرى مجاورة قام اهلها بنبش قبورنا واخراج العظام منها وبناء مقابر جديدة على أرض المقابر المنبوشة .. فما الحكم ؟

جـ : لقد كرم الله تعالى الانسان فى حياته وبعد مماته قال تعالى : «ولقد كرمنا بنى آدم» وهذا يقتضى المحافظة على أجسام الموتى فى قبورهم وعدم نبشها فان نبشها امتهان للموتى واعتداء عليهم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كسر عظم الميت ككسره حيا فى الاثم » .

وأرض المقبرة موقوفة لله تعالى ينتفع بها العباد فى دفن موتاهم ، فاذا اختص أحد بالانتفاع بمكان منها لايجوز لآخر أن ينتفع به الا بعد أن تبلى الاجسام المدفونة بها ويتنازل أصحابها عنها أو تترك دون دفن فيها .

اعداد: عبد الحميد السيد شاهين

فاذا كان هناك اعتداء من الغير على المقابر المدفون بها الموتى وجب رده وعودة الانتفاع لأصحابه .

« عدة المطلقة بهجر الزوج لها ! »

س : من السيد/عبد الله ابراهيم البحراوى .

امرأة هجرها زوجها لمدة تزيد عن احد عشر شهرا متصلة وطلقت بامر المحكمة، فهل لها الحق فى الزواج من تاريخ العقد أم لابد لها من قضاء العدة ؟

جـ : اذا طلقت المرأة بامر القاضى بعد هجر زوجها لها مدة طويلة فان العدة تبدأ من تاريخ طلاق القاضى ولا عبرة بهجر زوجها لها قبل الطلاق مدة طويلة .

« فى الميراث »

س : من السيد/ محمود عبدالعزيز .

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، اب ، اخوة اشقاء ذكور واناث فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها ، والباقى للأب تعصيبا ، ولا شىء للاخوة الاشقاء جميعا لحجبهم بالاب .

س : من السيد/ على الحاق .

توفيت عن : ابن ، ابناء بنت متوفاة فى حياة الام . فمن يرث وما نصيبه ؟

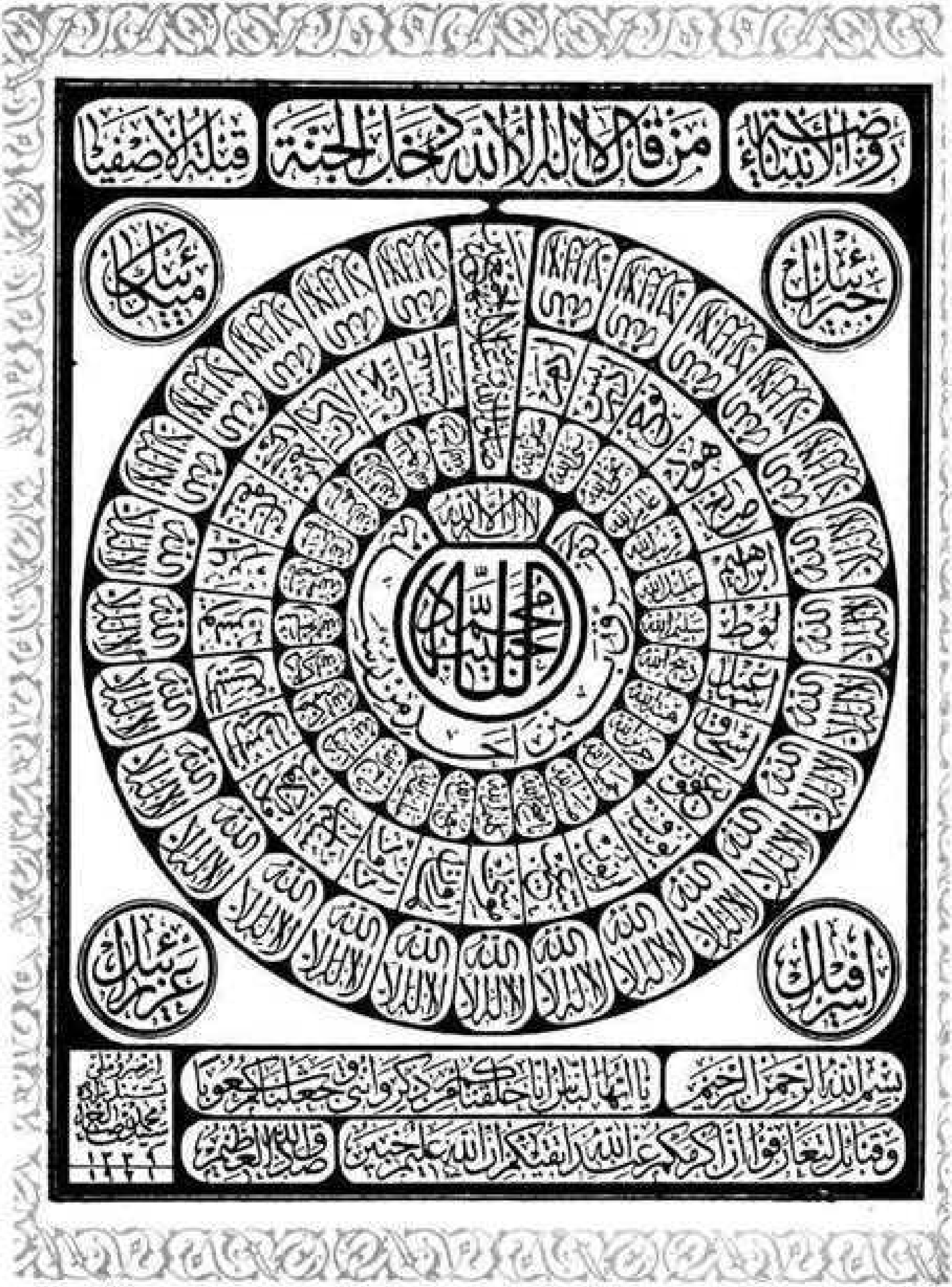
جـ : فى تركة المتوفاة وصية واجبة لابناء البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ .

والمسألة من ثلاثة اجزاء :

منها جزء لأبناء البنت المتوفاة يقسم بينهم بالتساوى .

والباقى جزءان هو الميراث للابن الذى على قيد الحياة تعصيبا .

والله اعلم ..


روضة الأنبياء
من قال لا اله الا الله دخل الجنة
قبلة الأصفياء
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير
صدق الله العظيم

اللغة والأدب والنقد

مصادر العقد

شوقي بين مجد الإسلام
وعظماء رجاله

مع روجيه جارودي

السينما والدين

كل وكلما

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

كل اسم موضوع لشمول أفراد النكرة ، نحو قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وقوله سبحانه : (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) وقوله جل شانه (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) ، وقول الشاعر : وكل اناء بالذى فيه ينضح .

وكذلك شمول أفراد الجمع المعروف كقوله تعالى : (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) ، وقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع : (كلكم لآدم ، وآدم من تراب) ، وأيضا أجزاء المفرد المعرف ، نحو : كل الكتاب مفيد ، وكل المنزل صالح للسكنى . واذا كانت (كل) مضافة الى مفرد مقطوع عن الاضافة أفادت عموم الأفراد ، نحو ، « قرأت كل كتاب للعقاد » ، فهى هنا تفيد أنك قد استوعبت كل كتب العقاد قراءة ، فاذا أضيف الكتاب الى صاحبه أفادت عموم أجزاء المفرد ، نحو « قرأت كل كتاب سيبويه » ، فهنا أفادت أنك قد استوعبت قراءة الكتاب جميعه ومن ثم وجب فى قراءة السبع غير أبى عمرو ، وابن ذكوان فى قوله تعالى فى سورة (غافر) : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) ترك تنوين قلب، وتقدير كل أخرى بعد قلب ، ليعم كل أفراد القلوب كما عم من قبل أجزاء القلب الواحد .

ولكل باعتبار ما قبلها وما بعدها ثلاثة استعمالات ، فأما استعمالاتها باعتبار ما قبلها فهى ثلاثة :

أولها : أن تكون نعتا لنكرة أو معرفة فتدل على كمال المنعوت فى جنسه لأنها مؤولة بالمشتق أى الكامل ، وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يوافقه لفظا ومعنى ، نحو « أكرمنا شهما كل شهم » « وأطعمنا شاة كل شاة » ، ومثل قول الشاعر :

وان الذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد

ثانيهما : أن تكون توكيدا لمعرفة أو لنكرة محدودة في مذهب الاخفش والكوفيين ، فتفيد العموم ، ويجب اضافتها الى مضمر ، نحو « فرح عن المتنقلين كلهم » . وقوله تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وقد ينوب عنه الظاهر في رأي ابن مالك كقوله :

كم قد ذكرتك لو اجزى بذكركم
يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وخالفه أبو حيان زاعما أن كلا في البيت نعت مثلها في أطعمنا شاة كل شاة ، وليست توكيدا وقوله هذا غير سديد ، لأن التي ينعت بها تدل على كمال المنعوت كما ذكرنا قبل لا على عموم الأفراد ، كما في البيت .

ومن توكيد النكرة بها قول المرجي :

فلبث حولا كاملا كله
لانلتقى الا على منهج

وقول شاعر آخر :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب
ياليت عدة حول كله رجب

وقد أجاز الفراء والزمخشري قطع كل ، المؤكدة عن الاضافة لفظا تمسكا بقراءة بعضهم (انا كلا فيها) بنصب (كلا) على انها توكيد لاسم ان ، وليس هذا من التوكيد بكل لان شرط استعمالها توكيدا هو اضافتها الى الضمير أو ما ينوب عنه ، وخرجها ابن مالك على أن كلا حال من الضمير المستتر في الظرف (فيها) ، وفيه ضعف من وجهين .

أحدهما : تنكير كل بقطعها عن الاضافة لفظا ومعنى لتصير نكرة وتصلح أن تكون حالا .

وثانيهما تقديم الحال على عاملها الظرف وهو غير جائز ، والاجود أن تقدر كل في الآية بدل كل من اسم ان وهو ضمير للحاضر ، وانما ساغ ابدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل كل ، لأنه يفيد الاحاطة والشمول . ولا يؤكد بكل الا الجمع ، نحو « حضر المدعوون كلهم » « انصرفت الممرضات كلهن » أو المفرد الذي له أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه في نسبة الحكم اليه سواء على وجه ارادة البعض من لفظ الكل على سبيل المجاز المرسل ، أو على اسناد ما للبعض الى الكل على المجاز العقلي أو رفع احتمال تقدير (بعض) مضافة الى متبوعها نحو « رجع الجيش كله » و « روينا الحديقة كلها » ، و « خرجت البلدة كلها لاستقبال الرئيس » .

ثالثها : أن لا تكون تابعة لا نعتا ولا توكيدا فتتأثر بالعوامل المختلفة ، وتجيء مضافة الى الظاهر ، نحو « **صافحت كل الضيوف** » ، ونحو « **وكل لبيب بالاشارة يفهم** » ، انصرف كل عمال المصنع ، وقد تقطع عن الاضافة ، نحو قوله تعالى : (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ) ، وقوله أيضا : (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) . أما استعمالاتها باعتبار ما بعدها فهي ثلاثة أيضا .

اولها : أن تضاف الى الظاهر فتؤثر فيها جميع العوامل كما سلف ، نحو « نحن مصممون على استعادة كل حقوق العرب » ، « كافأت المدرسة كل النابهين فيها » وقوله تعالى :

كل - كلما

(يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) ، ونحو « يحرص كل العقلاء على اتقان العمل » .

ثانيها : أن يحذف ما تضاف اليه وهو ضمير وحكمها حكم ما قبلها لأنهما سيان فى امتناع التوكيد بهما .

ثالثها : أن تضاف الى ضمير ملفوظ به ، فلا يعمل فيها الا الابتداء غالبا نحو قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) فيمن رفع كلا ، وقوله سبحانه : (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) .

وقول البوصيرى رحمه الله فى وصف الصحابة رضوان الله عليهم :

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر او رشفا من الديم

ومن تأثرها بعامل غير الابتداء قول الشاعر :

تميد اذا مادت عليهم ولاؤهم
فيصدر عنها كلها وهو ناثل

فان كلها فاعل للفعل يصدر كما هو واضح .

حكم (كل) من حيث المعنى واللفظ

لفظ كل هذا حكمه الافراد والتذكير دائما وأما معناه فبحسب ما يضاف اليه ، فان أضيفت الى نكرة وجب مراعاة معناها ، لهذا جاء الضمير مفردا مذكر فى قوله تعالى : (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)

وقول الحكم بن نهشل ، وقد تمثل به أبو بكر رضي الله عنه حين أصابته حمى المدينة :

كل امرىء مصبح فى اهله
والموت ادنى من شراك نعله

وقول أبي نواس :

فواعجبا !! كيف يعصى الاله
ام كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية تدل على انه الواحد .

وقول المتنبى :

وكل امرىء يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

وقول البارودى :

أسير على نهج برى الناس غيره
لكل امرىء فيما يحاول مذهب

وقول لبيد فيما قيل : **انه اصدق بيت قالته** العرب :

الاكل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقول كعب بن زهير فى قصيدته المشهورة (بانت سعاد) :

كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

وقول كثير عزة فى الغزل والعتاب :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

وقول السموأل بن عادياء اليهودى :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وجاء الضمير مفردا مؤنثا فى قوله سبحانه :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ونحو : كل فتاة بأبيها معجبة :
وجاء جمعا مذكرا في قوله تعالى : كل حزب بما لديهم فرحون) ونحو ، كل العمال منهمكون في عملهم .

وقول لبيد :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الأنامل

وجاء جمعا مؤنثا في قول قيس ذريح :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

كما جاء مثنى مذكرا في قول الفرزدق :

وكل رفيقى كل رحل وان هما
تعاطى القنا قوما هما اخوان

وهذا البيت مشكل لفظا ومعنى واعرابا ، ونحاول هنا كشف بعض غوامضه والقاء الضوء عليها فبالنسبة للفظه فان كل الثانية زائدة ، وتعاطى أصله تعاطيا حذفت منه الف الاثنين للضرورة أو أن الألف في تعاطى هي لام الفعل، ووحد الضمير لأن الرفيقين ليسا اثنين معينين بل كثير ، أو أنه وحده مراعاة للفظ كل ، ولاحاجة لملاحظة أن الرفيقين كثير وليسا باثنين معينين لان هذا مفهوم بداهة من كل اما بالنسبة لاعرابه فان كل مبتدأ خبره جملة هما أخوان ، وقوما ، اما بدل اشتمال من القنا ، أى أن تقاوم الرفيقين من سبب القنا من حيث تعاطيهما والطعن بها لأن المطلوب أن يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة وارتباط بغير الجزئية وعائد المبدل منه محذوف تقديره تقاوم بها ، أو مفعول لأجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومة كل منهما الآخر أو مفعول مطلق لعامل محذوف مناسب للمقام لدلالته عليه .

أما معناه فهو بايجاز : ان كل الرفقاء في السفر اذا ائتلفوا رفيقين رفيقين فهما كالأخوين لاجتماعهما في السفر والصحبة ، وان حمل كل منهما السلاح ضد صاحبه لمقاومته والتغلب عليه .

والقول بوجوب مراعاة المعنى عند اضافة كل الى النكرة هو رأى ابن مالك ، ورده أبو حيان محتجا بقول عنترة :

جادت عليه كل عين ثرة
فتركن كل قرارة كالدرهم

حيث قال : تركن ، مع أن المضاف اليه (عين) مفرد مؤنث فكان المناسب أن يقول : تركت لاتركن ، فدل قوله هذا على انه يجوز أن تقول كل رجل قائم أو قائمون لكن التحقيق خلاف قولى ابن مالك وأبو حيان ، وهو أن المضافة الى المفرد النكرة اذا أريد بها نسبة الحكم الى كل واحد من جنس المفرد وجب افراد الضمير نحو ، كل فارس يغنيه جواد ، وان أريد نسبة الحكم الى المجموع وجب جمع الضمير كما في بيت عنترة ، فان المراد منه ، أن كل فرد من الأعين جاد ، وأن مجموع الأعين تركن كل قرارة كالدرهم وعلى هذا فيمكن أن تقول : « جاد على كل محسن فأغنانى » ، أو جاد كل محسن فأغنونى بحسب المعنى الذى تريده وليس من هذا الباب قوله تعالى :

(وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ) ولا قوله : (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) فان مجيء الضمير جمعا هنا باعتبار معنى الأمة ، فان مدلول الأمة هو مجموع الافراد المكونة منهم ، وليس منه كذلك قول الله جل شأنه : (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) فان ضامرا ، وان كان مفردا لفظا فانه جمع معنى لأنه اسم جمع كالجامل والباقر ، وهو قسيم الجمع في قوله : (يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أو هو صفة لجمع محذوف تقديره على كل نوع ضامر ونظيره قوله سبحانه : (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) فان كافر نعت لاسم محذوف مفرد لفظا جمع معنى ، أى أول فريق كافر به ، ولولا ذلك لما قال : كافر بالافراد وانما كان يقول : (أول كافرين به) .

فان أضيفت كل الى معرفة فقيل يجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى ، نحو ، كل المدعوين حاضر أو حاضرون وقد اجتمعا في قوله تعالى : (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا . لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) ، والصحيح أن ضمير خبرها لا يعود اليها : الا مفردا مذكرا مراعاة للفظها ، نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا .

وقد يعود الضمير عليها من الخبر جمعا على قلة كما جاء في حديث البخارى في باب الاقتداء بسنن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » فالضمير

وقول الرسول فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه : (يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم .. الخ ..) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ونحو (كلنا لك صديق مخلص أمين) .

وقول المتنبى :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) وفى هذه الآية حذف مضاف ، وتقدير ضمير راجع لما دل عليه المعنى لا اللفظ ، أى أن كل أفعال هذه الجوارح كان المكلف مسئولا عنه ، وسبب تقدير المضاف المحذوف هو أن السؤال عن أفعال هذه الحواس لا عن الحواس نفسها لأن المرء لا يسأل عن شيء زوده الله به ولا ارادة له في الاستمتاع به أو الحرمان منه ، وانما لم يقدر ضمير كان راجعا الى كل ، لأن مسئولا اسم مفعول يحتاج الى نائب فاعل هو الضمير المستتر فيه والعائد على المكلف ، ولولا ذلك لاعتبر مسئولا مسندا الى الجار والمجرور (عنه) وهو غير جائز لأن الفاعل وكذلك النائب عنه لا يتقدمان على عاملهما



هنا واو الجماعة عائد على كـــل » فـاذا قطعت كـل عـن الاضافة لفظا فمذهب ابي حيان أنه يجوز فيها مراعاة اللفظ ، كقوله تعالى:

(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)(فكلا اخذنا بذنبه) ويجوز مراعاة المعنى ، نحو قوله تعـــالى :

(وكل كانوا ظالمين) والصواب أن المضاف اليه المقدر اذا قدر مفردا نكرة وجب افراد الضمير كما لو كان منطوقا به ، نحو قـــوله سـبحانه :

(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) وقوله (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) فان التقدير فى تلك الآيات السالفة وأمثالها : كل واحد من أفراد هــذه الأجناس ، واذا قدر جمعا معرفا وجب الجمع نحو : (وكل كانوا ظالمين ، وكل فيها خالدون ، وكل لمقانتون) ونحو (وكل فى فلك يسبحون ، وكل اتوه داخرين) فان التقدير هنا كلهم .

اجتماع (كل) مع النفى واثره

اذا اجتمعت كل مع النفي فى جملة ، فـاذا دخلت فى حيز النفى ، أى تأخرت عن أداته لفظا أورتبة :

نحو ما كل ما يتمنى المـرء يدركه
تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

ومثل : ماكل رأى الفتى يدعو الى رشد وكالمثل المعروف ماكل بيضاء شحمة ، ولاكل سـوداء فحمة ، ونحـــو ماجاء كـل السـباحين ، وما تعـــاون كـل اللاعبيـن ولم آخـذ كل النقود ، وكـل النقـود لم آخـذ ، ولـم أوزع كل التمر ، وكل الكتاب لم أقرأ والمدعوين كلهم لم أصافح كان النفى حينئذ موجهـا الى الشمول ، ودل على سلب العموم ، وأفــاد

كل - كلما

بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الأفراد أما اذا وقع النفى فى حيزها بأن تقدمت على أداته لفظا أورتبة أفاد ذلك شمول جميع الأفراد ، ودل على عموم السلب ، وانتفى الفعل عن كل واحد من الأفراد ، نحو كل الكتائب لم تتحرك من مواقعها ، وكل الرسائل لم تصل الى أصحابها

وكقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — لذى اليدين ، وقد سأله : أنسيت أم قصرت الصلاة يارسول الله ، قال : كل ذلك لم يكن ، ولهذا كان الرد من ذى اليدين : بل بعض ذلك كان : ونحو قول أبى النجم العجلى يلوم زوجته :

قد أصبحت أم الخيار تدعى
على ذنبا كله لم أصنع

وربما يحدث اشكال على الاعتبار الأول ، وهو وقوع كل فى حيز النفى وافادته سلب العموم فى مثل قوله تعالى : (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) وقوله (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) وقوله أيضا : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) وقد رد السعد على هذا الاشكال بأن القاعدة أغلبية ، وليست مطردة فى جميع مايرد من أساليب وعبارات هذا النوع ، وكذلك فان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند انتفاء المعارض وهو هنا ثابت وملحوظ ، اذ قد قام الدليل القاطع على تحريم الاختيال والفخر ، وعلى بشاعة الكفر والاصرار عليه ، وعلى انكار الخضوع لرغبات الانسان الكثير الحلف، المحتقر ومجاراته فى سلوكه وتصرفاته .

كل ، وأثر التعريف فيها

كل هذه لفظ مبهم غامض موغل فى الغموض والابهام ، كبعض ، وحين ، وأبد ، وأزل ، ودهر ، ومثل ، وغيرها فلا يلحقها تعريف البتة لا باضافة أو بغيرها من وسائل التعريف ، ولهذا فاتصالها بأل غير فصيح ، ولا مستساغ ، وهو قليل فى كلام الصفوة من الفصحاء الخلص وأساطين البلاغة والبيان ، ومن هذا القليل قول أبى فراس الحمدانى يعاتب سيف الدولة، وقد تباطأ عن فكاكه من أسر الروم :

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

وقول شاعر آخر :

أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

ولهذا لم ترد قط مقترنة بأل فى القرآن الكريم ، وهو — ولاريب — معدن السمو والفصاحة ، ومنبع البيان والحكمة والبلاغة ، فيجدر بنا أن نتبع سبيله ونسترشد بهداه وننهج نهجه ، وننسج على منواله ، فذلك هو السبيل الممهد المأمون الى البيان السهل المشرق ، والفصاحة الساطعة المنشودة ، ولنا فى مواكب الرواد من أسلافنا الماضين خير مثال ، وأحسن أسوة فى هذا المجال ، والله الموفق .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

مصادر العقد

وطريقة ابن عبد ربه في الرواية والصياغة

للدكتور احمد محمد النجار

— ٢ —

ثم نمضى فى صحبة مؤلف العقد فنجد ان ما تضمنه هذا الكتاب الجامع من آيات التنزيل كان كثيرا زينت به كتبه وابوابه وموضوعاته ، وكذلك تضمن مئات من الاحاديث النبوية معتمدا على ما رواه ابن ابى شيبة والموطا ، وما نقل من احاديث وردت فى (غريب الحديث) لأبى عبيد ، كما ورد بعضها فى (البيان والتبيين) للجاحظ «والكامل» للمبرد ، و (عيون الاخبار) لابن قتيبة ، وروى بعضها الآخر عن اساتذته : بقى بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، ثم ما رواه زياد اللخمى عن الامام مالك ، وطاهر بن عبد العزيز ، ويحيى بن عبد العزيز وغيرهم وقد احصى (فهرس العقد) ما اشتمل عليه من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

وكان صنيعه فى الحذف والاختصار ، والزيادة ، والتقديم والتأخير ، والتغيير ، سبيله فى رواية ما نقل عن الرواة ، قياسا على ما ذكرناه .

بقى الحديث عن رواية (الشارقة) فقد كانوا هم الرواة السابقون ممن أكثر النقل عنهم هنا أو هناك ، كالجاحظ والمبرد وابن قتيبة ، ونراه يذكر العتبى وحده ، أو ابا الحسن ، أو الشيبانى ، أو العتابى ، أو البغدادى ويسوق ما رواه لا يتجاوز تلك النسبة الا قليلا كان يقول : (قال ابو الحسن) أو (العتبى قال) أو (سفيان الثورى قال) ثم يذكر النصوص .. وأحيانا كان يقول : يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان .. الخ

وأحيانا أخرى كان يقول : وأملى على بن محمد ــ ويقصد به أبا الحسن المدائنى ــ عن مسلمة ابن محارب عن داود عن أبى هند عن أبى حرب عن أبى الأسود عن أبيه قال : خرجت مع عمران بن حصين . الخ .

ولكنه يغلب اختصار هذا السند بذكر واحد فقط فى هذه التواريخ المروية من أخبار ، وأقوال ، وحكم ، وقصص ، ونوادر وفكاهات ..

ولابد أنه كان يأخذ مما روى ويدع ، ويجرى فيه قلمه بما شاء من اختصار أو تنقيح أو اضافة أو تغيير ..

ثم تبين لنا أنه نقل عمن نزل من الرواة بلاد المغرب أو زار الأندلس مثل ابراهيم بن محمد الشيبانى البغدادى ، وابنه محمد بن براهيم ، واسحاق بن عمران الاسرائيلى البغدادى الطبيب المعروف بـ (سم ساعة) فقد أطال النقل عن الأول ، وروى عن ابنه مرة ، ونقل رسالة اسحاق فى الطب الى بعض اخوانه ، كما نقلها (ابن جلجل) فى كتاب (الأطباء ، والحكماء) فى ترجمة اسحاق وذكر أنها فى خمس صفحات أوردها صاحب العقد الفريد (١) .

أما رواته الأندلسيون فقد كانوا ذوى عدد نذكر منهم : أبان بن عيسى ، وأيوب بن سليمان ، وبقى بن مخلد والخشنى ، وابن وضاح ، وطاهر بن عبد العزيز ، ويحيى ابن يحيى ، وفرج بن سلام ، وزيادا اللخمى شبطون ، ومحمد بن الغاز ، وعثمان بن المثنى، ويحيى بن عبد العزيز فيما رواه عن بعض علماء مصر مثل محمد بن عبد الحكم ، وابنه عبد الله فقيه مصر كما وصف فى العقد .

وكان المؤلف يعتمد على ذاكرته ومحفوظه فى بعض الأحيان كان يقول : قلت : انما المحفوظ أن عمر شك فى العتاق والهجن .. فى معرض الكلام عن صفات جياد الخيل ، وقد دار القول بين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وبين عمرو بن معد يكرب فى معرفة عراب الخيل (٢) ..

كما نظن ظنا أنه حرر بقلمه فصله فى (تدبير الصحة) بعد أن استوى له علمه ، وكذلك فعل فيما صح عنه فى فصله (تفاضل البلدان) ، وما اختصره من كتابى الخليل بن احمد : (العروض) (والمقال) فالأسلوب أسلوبه وضمير المتكلم له يدلان عليه .

عبث النساخ بالعقد :

بينما عبث النساخ بالعقد فأرادوا ، أو أريد منهم ، أن يتزيدوا فيه ، ويضيفوا اليه ، وظنوا أنهم بفعلهم يكملون جواهره ، ويستدركون على المؤلف ما توهموه من (تمام

(١) طبقات الاطباء لابن جلجل ص ٨٤ فى الحاشية .

(٢) العقد ١/١٥٤ .

الفائدة) مثل الذي أضافوه من (بـاب من أخبار الدولة العباسية) وما عقبوا بقـولهم (فرش : ذكر خلفاء بنى العباس وصـفاتهم ووزرائهم وحجابهم) بادئين بخبر أبي العباس السفاح ثم من جاء بعده من أولئك الخلفـاء ، ظانين أن (كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة) قد أخل بذكر الأخبار العباسـيـة التى يقع فى الظـن أنهم أضافوها . وربما أضافوها استجابة لرغبـة سياسية فى كتاب جامع كالعقـد له شـهرته والاعتداد بمـا فيه ، وغاب عنهم أن نظـام العقد قد سلك موضوعات محددة فى نظامه كما نص عليها مؤلفه ، والتزم بها منهجه ، ثم ان ذكر كلمة (فرش) هنا تدل على أن النـاسخ كان يتوهم ما لم يكن من صنيع ابن عبد ربه أن يذكره .

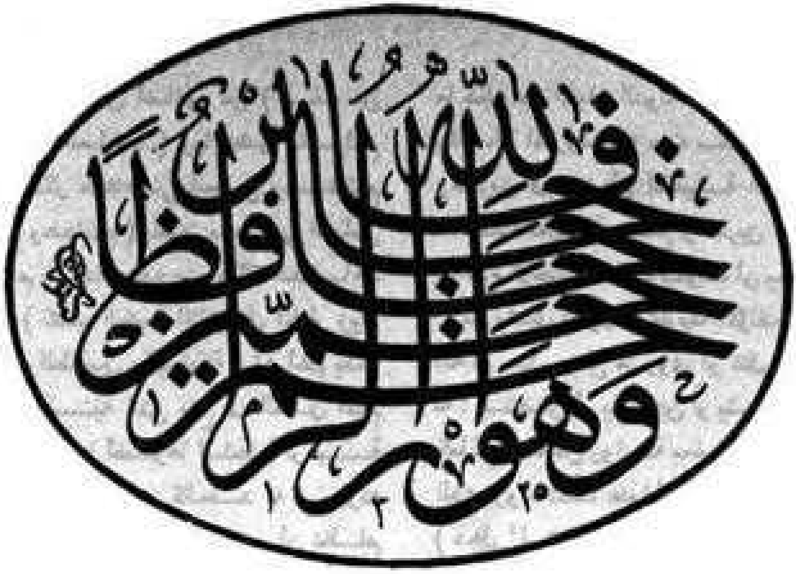
ثم ان طريقة المؤلف قد تحددت للقارىء فى (ذكر أخبار بنى أمية فى الأندلس) فأسلوبه أسلوب أديب عنى بالصياغة وجمال العرض ، ودقة التعبير عن معانيه فيما عرف به ابن عبـد ربه فى فرشه وغيرها ، تلك الصياغـة التى لا تقل فى جمالها ودقتهـا عن أسـلوب كـاتب (مشـاورة المهـدى لأهـل بيته فى حـرب خراسـان) (١) أو تلك التى صاغها فى (بـاب أخبار الأزارقة) من جـوهرة (الفـريدة فى الحروب) (٢) ..

هذا من المظنون ، أما المقطوع باضافته فهو ما ذكر من أخبار الدولة العباسية بعد سـنة وفاته؛اذ المعروف أنه مات سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين فى حين أن الخليفـة الراضى مثـلا مات سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين على ما ذكر فى هذه الأخبار ، فكيف للمؤلف أن يخبر عنه ..

ثم يتصل القول فى طريقة المؤلف عندما نرى أنه لم يخل بعض ما روى أو نقل مـن تعليق له : يستحسن أو يستهجن أو يشرح أو يوازن ، كما لم يخله من روايـة بعض الأوهـام مثل الذى رواه تحت عنوان (كبر السـن) من أنه (دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية بن أبى سفيان وهو ابن ثلاثمائة سنة فقال : كيف تجدك يا مستوغر .. الخ وقد روى الخبر فى عيون الأخبار (٣٢١/٢) ودار الحديث بين عبد الملك والعريان بن الهيثم (وصـحته الهيثم بن الأسود بن العريـان) كما روى فى البيـان والتبيين (٣) هكذا : (دخل الهيثم بن الأسود ابن العريان ، وكان خطيبا شاعرا على عبد الملك ابن مروان ، فقال : كيف تجدك ، ومثله ورد فى (الفاضل) المنسوب الى المبرد دون اشارة الى هذه السـن العالية ، مع اختلاف وقع فى رواية الأسماء ، وربما كـانت حجتـه فى ذلـك أن همه روايـة الأخبـار الممتعـة والنوادر وعـرض نمـاذج ممـا كـان يـدور بين الناس ، وما رواه الرواة . وقد نزعت بابن عبد ربه هذا المنزع روحه الفنية ، فسلكت بـه سبيل الجاحظ فى (بيانه) اذ كان غير متأثم من

(١ ، ٢) انظر الجزء الاول من العقد ص٢٢٤ و ص ٢٥٣ وماتلاهما تحقيق احمد امين وزميليه

(٣) البيان والتبيين (٢٩٩/١) .



مصادر العقد

رواية ما ينكره الدين ، أو يرفضه العلم أو يزدريه النظر كالأساطير والخرافات وما اليهما، وغايته من وراء ذلك غاية فنية ترمى الى الامتاع بواضحاك السن ، وتهذيب الذوق ، ونراه سلك هذا المسلك فيما اختار من شعر ،

اذ كان يعتمد على الجاحظ والمبرد وابن قتيبة فى كثير مما رواه من الشعر الذى تضمنته كتبهم ، ثم ما تناقله الرواة ، وقليلا ما كان يلجأ الى دواوين الشعراء ومجموعات الأشعار ، وأقل منه ما كان يعتمد فيه على ما حفظ من قصائد ومقطوعات ، ولم يقف فى النقل والرواية عند المشهور من كبار الشعراء ،

فقد روى لبعض الشعراء الذين أغفل الفحول ذكرهم مثل ابن يامين ، والأخطل الصغير ، وان يكن قد أولى أساتذته من الشعراء الكبار ذكرا محمودا ، وآثارا مشهورة من أمثال أبى تمام وأبى العتاهية ، ومسلم بن الوليد ،

وأبى نواس ، ومحمود الوراق فى الأغراض التى جادت فيها صنعته كالمدح ، والوصف ،

والغزل ، والحكمة ، والرثاء ، واحتفاله بشعرهم ، ومحاولته السير فى ركابهم تدل على أنه كان يسلك أحيانا سبيل محاكاتهم ، وأحيانا أخرى سبيل المناقضة والمساماة .. والأمر الذى يلفت النظر اهماله شأن شاعر كبير هو ابن الرومى ، فلم يرو له بيتا واحدا ، وبذلك يكون قد سبق أبا الفرج صاحب الأغانى فى اغفال ذكر ذلك الشاعر الكبير ..

وعندما تقصينا ما اختاره من شعر الأندلسيين . وجدنا أنه لم يحظ منهم بفضل اختيار الا الشاعر يحيى ابن حكم الغزال ومؤمن بن سعيد وابن الشمر ، وعباس بن

قرناس وفرج بن سـلام ، وان يكن قد روى بضعة أبيـات لكـل من الخليفـة الأموى عبد الرحمن الداخل ، والخليفة الحكم الربضى على قلة ما روى لهؤلاء الشعراء .. وكأن قد خلت بلاد الأندلس من الشعراء المجيدين ، ولم يكن له عذر فى ذلك مادام قد قـال : (أن يعلم النـاظر فى كتابنا هذا أن بمغربنـا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور) ، ولعله قد منح نفسه حق تمثيـل بلاده بما حلى به عقـده من غرائب أشـعاره التى قرنها بشعر كبـار الشعراء .

ولكن حسب ابن عبد ربه أن كتـابه أوفى الكتب الأدبية السابقة عليه ، وأكثرها احتفالا بفنون الأدب وضروب المعرفة ، وأعظمها حظا من التنسيق والتنظيم ، وأذهبها فى سـبيل الاعتدال حين يعرض المـذاهب والمسـائل والآراء .

مصـادره :

هذا عن طريقتـه فى الأخـذ والتنـاول والصياغة . أما تحديد مصادره فقد ظهر لنـا بالاستقراء والمتابعة ، أنه تتعين مصـادره بالكتب التى ذكرها وصرح بأسماء مؤلفيها ، ككتاب التـاج لأبى عبيـدة ، والأشربة لابن قتيبة ، والروضة للمبرد ، والموطأ للامام مالك، والأمثال لأبى عبيـد ، والأدب ، والمـوالى والعرب ، وفخر قحطان على عدنان للجاحظ ، ومسند ابن أبى شيبة الى آخره ..

وكذلك تتعين تلك المصـادر بالكتب التى لم يصرح بها ولكنه ذكر أسماء مؤلفيها كالشـعر والشعراء ، والكامل ، والبيان والتبيين .. الخ

وقد أثبتت المراجعة والمقابلة نقله عنها ، على الرغم من أنه كان يذهب الى حذف الأسـانيـد فى أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف .

ومن مصادره أيضا ما لم يصرح فيه باسم المؤلف ولا باسم الكتاب ، ولكن ليس له مصدر سـواه فى موضـوعه ، كالكامل للمبرد فى بـاب الخـوارج .

وقد يشترك كتابان أو أكثر فى ايراد ما نقل فى العقد ، ويتعين أحدهما مصدرا له اذا تمت الموافقة بين العقد وبينه أو كادت تتم ، وقـد علمنا أن ابن عبد ربه كان يتداخل بقلمـه فى صياغة بعض الأخبار ، تشنيفا لها وتقريظـا فيما كان يقال ، وأخذا بمبـدأ الاختصـار .

وهذا وقد ظلت بعض مصـادره مجهـولا بسبب ما انتهجه من ترك الاسـناد وذكـر المصادر ، وليس لدينا مصدر معتمد لما أخذ فى مثل « كتاب التوقيعات » من كتب العقد .

ثم ان ما رواه الرواة الأندلسيون يعـد مصدرا من مصادره الأصلية وكذلك ما نقلـه عن رواد المغرب من رواة المشرق كابراهيم بن محمد الشيبانى .

وأخيرا يعتبر المؤلف نفسه أقدم معـروف فى رواية أخبـار الأنـدلس وشـعر بعض شعرائها فى عصره أو قبله كمـا يعتبر العقـد مصـدرا لكثير مما لم يرد ذكـره فى كتـاب سواه ..

د. أحمد محمد النجار

حاجتنا إلى

فن أدبي إسلامي

حين يمضي المسلم مع خطـــوات القـرن الخامس عشر الهجرى فى الربـع الأخيـر من القرن العشرين ينظـر فـيرى كثيرا من القيم الدينية قد نالها كثر من الاهتزاز ، فى غمـرة خضوع العالم من حوله لطابع مادى تبرز فيه أسماء « دارون » ، و« فرويد » و « كـارل ماركس » ، و « سـارتر » ، وأضرابهم ، وفى وسط هذا الخضم الهائل من تصـارع الآراء والاتجاهات والفلسفات والنظريات فى الاقتصاد والسياسة والفلسفة ... يبدو الفن الأدبى فى حيرة من أمره ، ويبدو معه الكتاب والقراء حائرين على حد سواء فى تيه مظلم ، وفراغ موحش قاتل ، وضلال سائد مخيف .

ومن جراء ذلك شهد الأدب العالمى موجات من النتاج الفنى بعضها منحل ســاقط خلقيـا وما أظنه الا كذلك فنيا .

وبعضها موغل فى الالحاد مسرف فى الضلال يقود كاتبه وقارئه ـــ معا ـــ الى هوة سحيقة مدمرة تقود الركب الانسـانى الى جـاهلية القرن العشرين على نحو لم تشهد له البشرية مثالا سابقا أو بادرة سالفة من اسـفـاف ، وكشـف ، وسـقوط ، وتعرية .

* * *

ومن عجب أن هـــذا الأدب أو ذاك يلقى تشجيعا ورواجا هائلا ، وتتلقفه أيدى الناشئة بشوق وشغف فى غياب الوازع الـديـنى ، أو المرشـد الأبوى ، أو المربى المـدرسى ، أو الرباط المتدى .

* * *

ووسط هذه الأنواء العاصفة والتيـــارات الصاخبة نلتفت فى الساحة الاسلامية الأدبية حائرين مشوقين فتصرعنا المفاجأة المرة ، وهى غياب الأقلام الجادة المؤمنة التى تنشىء للأجيال أدبا فنيا رفيعا يلتزم بروح عقيدتنا الاسلامية السمحة .

*** غابت أو ضـاعت القصـة والـروايـة الاســلامية !**

بقلم د. يوسف نوفل

* وغابت او ضاعت المسرحية الاسلامية !
* وغابت او ضاعت القصيدة والمسرحية الشعرية الاسلامية !
* وغابت او ضاعت التمثيلية الاسلامية !
* وغابت او ضاعت الأغنية الاسلامية !

ماذا نقول ؟

هل هي ازمة نشر من نوع جديد ؟
هل هي ازمة ثقة بين الكتاب والمجلات ودور النشر ؟

هل هي ازمة ثقة بين الكتاب والقراء ؟
أم هي ازمة ثقة متبادلة بين جميع الأطراف ؟

أم ان الكاتب المسلم عانى من حرفة الأدب (١) خشية أن تتحول ويتحول معها الى حرقة (٢) الأدب !! .

تلك التي أشار اليها الشعراء فيما قالوا :

* اذا غنيت بشيء خلت اني قد
أدركته أدركتني حرفة الأدب

* عفت القريض فلا أسمو له أبدا
حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب
هجرت نظمي له لا من مهانته
لكنها خيفة من حرفة الأدب

* عيون جاهك عني غير نائمة
وانما أنا أخشى حرفة الأدب

فلنقول مع من قالوا :

« حرفة الأدب آفة الأدباء ! » ؟

لا ...

فالمجال متسع امام القصاصين والروائيين والمسرحيين والشعراء وكتاب المقال ، والتمثيلية « والسيناريو » ليشيدوا مجدا عليا بانشاء فن أدبي يلتزم بالقيم الخلقية والروحية ، ويقود البشرية الى سلام وعدل وايمان وحب ، وبذلك يحقق هذا الأدب خصائص الدين الاسلامي ، ويقود البشرية الى امنها وخيرها وصلاح دينها ودنياها في معركة مادية رهيبة لا تدرى البشرية مصيرها فيها .

د. يوسف نوفل

---

(١) حرفة بالفاء .

(٢) حرقة بالقاف .

١

الاستغناء في اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ٠

« وبعد »

فهذا بحث أقدمه بمشيئة الله لقراء العربية ، وموضوعه « الاستغناء في اللغة العربية » والاستغناء باب واسع فكثيرا ما استغنت العرب عن لفظ بلفظ كاستغنائهم بـ (ترك وتارك) عن (وذر وواذر) ٠ وبقولهم : (رجل آلى) (١) عن قولهم : (رجل أعجز) ، وبقولهم : (امرأة عجزاء) عن قولهم (امرأة الياء) في أشهر اللغات (٢) ٠

ومن ثم قال سيبويه : « اعلم أن العرب قد تستغني بالشيء عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطا من كلامهم البتة » (٣) ٠ وقال المبرد : « ومن كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء حتى يكون المستغنى عنه مسقطا » (٤) ٠

وعندما تتبعت هذه الظاهرة وجدتها وقعت في الأسماء والأفعال والمصادر والحروف ، كما وجدتها في المجموع أكثر من أن تحصى ، وأعني بذلك أنه قد يستغنى ببناء الكثرة عن القلة وبالعكس ، وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بعض ، كذلك قد يستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بعض ، وقد يستغنى بجمع التكسير عن جمع المؤنث السالم وبالعكس ، كذلك قد يستغنى بجمع المؤنث السالم عن جمع المذكر السالم وبالعكس ، هذا ما سوف أوضحه بمشيئة الله في هذا البحث ، وسوف أبدأ بالحديث عن الاستغناء في الأسماء ، وقد وقع في أبواب أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ٠

(أ) **التثنية** ـ

(ب) **الجمع** ـ (ج) **التصغير** ٠

---

(١) آلى : أي كبير الألية ٠

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٥ ص١١١

(٣) الخصائص لابن جنى ١/٢٦٦ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٠

(٤) المقتضب للمبرد ج ٢ ص ٢٠١ تحقيق د٠ محمد عبد الخالق عضيمة ٠

للدكتور حمدى عبد الحميد المقدم

اولا : التثنية

استغنت العرب بتثنية (سى) عن تثنية (سواء) فقالوا : (سيان) ولم يقولوا : (سواءان) ، ومن ثم قال ابن هشام (١) : (سى) اسم بمنزلة « مثل » وزنا ومعنى ، وتثنيته (سيان) واستغنوا بتثنيته عن تثنية (سواء) فلم يقولوا : سواءان الا شاذا ، كقول قيس بن معاذ .

فيارب ان لم تقسم الحب بيننا
سواءين فاجعلنى على حبها جلدا

ومن ذلك استغناؤهم بتثنية (ضبع) ـ بفتح الفاء وضم العين ـ اسم المؤنث عن تثنية (ضبعان) ـ بكسر الفاء وسكون العين ـ اسم المذكر ، فقالوا : (ضبعان) ، ولم يقولوا (ضبعانان) . ومن ثم يقول ابن عصفور فى شرحه لجمل الزجاجي : « ولا يجوز تغليب المؤنث على المذكر الا فى (ضبع) للمؤنث ، وضبعان للمذكر فانك تقول فيهما : (ضبعان) فتغلب لفظ المؤنث على المذكر ، لانه أخف منه لقلة حروفه ، وربما جاءوا به على الاصل فقالوا : (ضبعانان) بتغليب المذكر على المؤنث » (٢) .

ومن الاسماء فى التثنية استغناؤهم ب (كلاوكلتا) عن تثنية أجمع وجمعاء ، فلاتقول على رأى جمهور البصريين : (جاء الزيدان أجمعان) ولا (جاءت الفاطمتان جمعاوان) وانما تقول : (جاء الزيدان كلاهما وجاءت الفاطمتان كلتاهما) . وقد وافقهم ابن هشام فى « أوضحه » حيث يقول :

« ولا يجوز تثنية (أجمع ولا جمعاء) استغناء ب (كلا وكلتا) كما استغنوا بتثنية (سى) عن تثنية (سواء) » (٣) .

كذلك وافقهم ابن عصفور حيث يقول فى شرحه لجمل الزجاجي : « ولم يثن أجمع وجمعاء ، لانه استغنى عن تثنيتهما ب (كلا وكلتا) ، ثم قال فى موضع آخر : (وأهل الكوفة وبغداد يثنون (أجمع وجمعاء) والصحيح أنه لا يجوز ذلك لا فى المذكر ولا فى المؤنث ، لاستغناء العرب عنه ب (كلا وكلتا) » (٤) .

(١) انظر مغنى اللبيب لابن هشام ص ١٤٨ ـ ١٤٩ تحقيق د. مازن المبارك وآخرين . لسان العرب مادة (سوا) .

(٢) شرح الجمل ج ١ ص ١٤٤ تحقيق د. صاحب ابو جناح ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

(٣) اوضح المسالك لابن هشام ج ٣ ص ٣٣٢ تحقيق العلامة محمد محيى الدين عبد الحميد ط : الخامسة .

(٤) شرح الجمل ج ١ ص ١٣٨ ، ٢٦٥ .

ومن وافق جمهور البصريين ابن مالك حيث يقول في ألفيته :

واغن بكلتا في مثنى وكلا
عن وزن فعلاء ووزن أفعلا

وأجاز الكوفيون والأخفش من البصريين — ذلك ، أي تثنية (أجمع وجمعاء) فتقول على رأيهم : (جاء الزيدان أجمعان) بتثنية (أجمع)، (والهندان جمعاوان) بتثنية (جمعاء) .

قال ابن خروف : « ومن منع تثنيتهما فقد تكلف وادعى ما لا دليل عليه » وهذا الخلاف جار فيما وازنهما نحو (أكتع كتعاء) (١) .

وقد أعجبني رأي اللقاني حيث يقول في حاشية « يس » على التصريح :

« إنما يصح الاستغناء بذلك إن قصد شمول الأفراد كما في (جاء الزيدان ، أو المرأتان) . أما إذا قصد شمول أجزاء الأفراد كما في (اشتريت العبدين أو الأمتين) فإن كلا وكلتا لا تفيده » (٢) .

ومن الاستغناء في التثنية : استغناؤهم (باثنين) عن (وَاحِدَيْنِ) و (بستة) عن (ثَلاثَتَيْنِ) و (بعشرة) عن (خَمْسَتَيْنِ) و (بعشرين) عن (عَشْرَتَيْنِ) وما جرى هذا المجرى (٣) . واستغنوا عن تثنية (عشرين) بأربعين ، ومن ثم قال سيبويه : « وإنما امتنعوا أن يثنوا (عشرين) حيث لم يجيزوا : (عشرونان) واستغنوا عنها بأربعين » (٤) .

ثانيا : الاستغناء في الجموع

قبل أن أتحدث عن الاستغناء في الجموع أود أن أشير بعبارة موجزة الى أن الاستغناء في الجموع إما أن يكون في الوضع ، أو في الاستعمال .

وأعني بالوضع أن تكون العرب قد وضعت أحد البناءين صالحا للقلة والكثرة واستغنت به عن وضع الآخر (كأرجل) جمع رجل — بكسر الراء وسكون الجيم — (وأعناق) جمع (عنق) ، و (أفئدة) جمع (فؤاد) قال الله تعالى : « وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (٥) وقال : «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ » (٦) وقال : « لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ » (٧) فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لأنها لم يستعمل لها بناء كثرة .

وأعني بالاستعمال : أن تكون العرب قد وضعتهما معا ولكنها استغنت في بعض المواضع

---

(١) انظر شرح الألفية لابن الناظم ص ١٩٩ ، وشرح التوضيح على التصريح للشيخ خالد الأزهري ٢/١٢٤ .
(٢) حاشية يس على التصريح ٢/١٢٤ .
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٥٢ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .
(٤) الكتاب ج ٣/٢٩٣ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
(٥) المائدة ٦ .
(٦) الأنفال ١٢ .
(٧) ابراهيم ٤٣ .

عن أحدهما بالآخر مجازا لقرينة مثل (أقلام) في قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ » (١) والمقام مقام مبالغة وتكثير قطعا وقد استعمل فيه وزن القلة مع أنه سمع للقلم جمع كثرة وهو (قلام) .

وقد يعكس فيستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بناء القلة وضعا ، نحو (رجال) جمع (رجل) — بفتح الفاء وضم العين — ، (وقلوب) جمع (قلب) ، (وصردان) — بكسر الصاد وتسكين الراء — جمع (صرد) (٢) — بضم الصاد وفتح الراء — ، وقد جاء في التنزيل قوله تعالى :« يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ » (٣) وقوله « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا » (٤) وتقول : « رأيت خمسة رجال بخمسة قلوب معهم خمسة صردان » فيستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة لعدم وضعه .

والقسم الثاني ، وهو ما وضعت له العرب بناء قلة ولكنها استغنت ببناء الكثرة عنه كقوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ » (٤) فقد فسر ثلاثة بجمع الكثرة مع وجود جمع القلة، كقوله صلى الله عليه وسلم: « دعي الصلاة أيام أقرائك » . وبعد هذا العرض الموجز أعود فأتناول الاستغناء في الجموع بشيء من التفصيل فأقول — وبالله التوفيق :

اولا : بعض ما استغنى فيه ببناء الكثرة عن القلة

استغنت العرب بقولهم :(ثلاثة شسوع) (٥) عن أشساع . ومن ثم قال المبرد : « وقد يكون البناء للاكثر فيشركه الأقل ، كما تقول : شسوع » (٦) .

وقال سيبويه : « وقالوا : (ثلاثة شسوع) فاستغنوا بها عن أشساع (٧) .

استغناؤهم : بقردة عن أقراد . قال الله تعالى : « وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » (٨) . ومن ثم قال سيبويه : « فأما القردة فاستغنى بها عن (أقراد) » (٩) وقال الفارسي : « وقد كسر على (فعلة) —

(١) لقمان ٢٧ .
(٢) صرد : اسم طائر .
(٣) النور ٣٦ .
(٤) البقرة ٢٢٨ .
(٥) جاء في اللسان مادة شسع = شسع النعل قبالها الذي يشد الى زمامها .

(٦) المقتضب ٢٠١/٢ .
(٧) الكتاب ٥٧٥/٣ . والتكملة للفارسي ص ٤٠٩ تحقيق د. كاظم بحر المرجان .
(٨) المائدة ٦٠ .

(٩) الكتاب ٥٧٥/٣ .

بكسر الفاء وفتح العين — وذلك نحو قرد وقردة ، واستغنى بها عن أقراد » (١) •

استغناؤهم : (بثلاثة قروء) عن (أقرء) •

قال سيبويه : (وقالوا : ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أقرء » (٢) •

استغنت العرب بقولهم:جروح ولم يقولوا: اجراح • قال سيبويه : « وقالوا ، جرح وجروح ، ولم يقولوا : أجراح ، كما لم يقولوا: أقراد » (٣) •

وانشد أبو زيد لعبدة بن الطبيب :

ولى وصر عن من حيث التبسن به
مضرجات بأجراح ومقتول

استشهد به على أن (جرحا) جمع على (اجراح) فيجوز أن يكون قد جاء في الشعر للضرورة ، ولم يستعمل في الكلام ، كما جاء في الشعر فك الادغام في قول القائل :

(الحمد لله العلي الأجلل)

وهذا مرفوض في الكلام المنثور (٤) •

استغنت العرب في جمع (خرج) — بضم الخاء — بخرجة — بكسر الفاء وفتح العين — عن أخراج قال سيبويه : وقالوا خرج وخرجة ، ولم يقولوا : (أخراج) ، كما لم يقولوا : أجراح » (٥) ولكن جاء في لسان العرب مادة (خرج) والجمع (أخراج وخرجة)

وتعليقنا على ذلك أن سيبويه يتحدث عن لغة جمهرة العرب •

استغناؤهم بفعال عن افعال حيث قالوا : رجل ورجال ولم يقولوا : أرجال ، وقد قالوا : ثلاثة رجلة استغنوا بها عن أرجال (٦) •

استغناؤهم بجمع الكثرة عن جمع القلة في نحو (صرد وصردان وجعل (٧) وجعلان)

ومن ثم قال سيبويه : « ان كانت الكلمة على وزن (فعل) — بضم الفاء وفتح العين — فان العرب تكسره على (فعلان) — بكسر الفاء وسكون العين — وان أرادوا أدنى العدد لم يجاوزوه ، واستغنوا به كما استغنوا بأفعال لم يجاوزوه في القليل والكثير ، وقد أجرت العرب شيئا منه على (افعال) كقولهم : ربع (٨) وأرباع ورطب وأرطاب » (٩) •

---

(١) التكملة ص ٤٠٩ ، وابن يعيش ١٩/٥ •

(٢) الكتاب ٥٧٥/٣ •

(٣) الكتاب ٥٧٦/٣ •

(٤) التكملة ص ٤١١ بتصرف ، والصحاح مادة جرح •

(٥) الكتاب ٥٧٧/٣ •

(٦) الكتاب ٥٧٤/٣ ، وابن يعيش ١٩/٥ ، والمقتضب ٢٠١/٢ •

(٧) الجعل : دابة سوداء من دواب الارض ، قيل : هو ابو جعران — بفتح الجيم —

(٨) الربع من الابل : ما نتج في الربيع •

(٩) الكتاب ٥٧٤/٣ بتصرف وابن يعيش ٢٠/٥ والتكملة ص ٤٠٨ •

ثانيا : بعض ما استغنى فيه ببناء القلة عن الكثرة

قالت العرب : قتب (١) واقتاب ، ورسن (٢) وأرسان .

قال سيبويه : « وربما جاء (الأفعال) يستغنى به أن يكسر الاسم على البناء الذى هو لأكثر العدد فيعنى به ما عنى بذلك البناء من العدد . وذلك نحو قتب وأقتاب ورسن وأرسان » (٣) وقال المبرد : « وقد يكون البناء فى الأصل للاقل فيشركه فيه الأكثر ، كما تقول : أرسان وأقتاب فلا يكون جمع غيره » (٤) .

وقالوا فى جمع (رجل) ـ بكسر الفاء وسكون العين (أرجل) ، وجاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » (٥) . قال سيبويه : «لايجاوزون الأفعل كما أنهم لم يجاوزوا الأكف » (٦) .

قال أبو على : « ومما استغنى فيه بأفعال قولهم فى جمع (باب وباع ومال) (أبواب وأبواع وأموال » (٧) .

قال سيبويه : « وقد يلزمون الأفعال فلا يجاوزونها وذلك نحو لوح وألواح » ، وجوز وأجواز » (٨) جاء فى لسان العرب مادة (جوز) وجوز كل شىء وسطه ، والجمع (أجواز) قال زهير :

مقورة تتبارى لاشوارلها
الا القطوع على الاجواز والورك (٩)

ومما استغنى فيه بأفعل قولهم فى جمع ذراع : أذرع حيث كانت مؤنثة ، ولا يجاوز بها هذا البناء وان عنوا الأكثر ، كما فعل ذلك فى الأكف والأرجل (١٠) .

ومما استغنى فيه بأفعلة عن (فعل) ـ بضم الفاء والعين قولهم فى جمع (عنان وكنان) : أعنة واكنة .ومن ثم قال سيبويه : « واما ما كان من (فعال) ـ بكسر الفاء مضاعفا فانهم لم يجاوزوا ادنى العدد وان عنوا الكثير تركوا ذلك كراهية التضعيف » ـ وقال ابن يعيش : « وان عنوا الكثير استغنوا باكنة واعنة عن ان يقولوا : (كنن وعنن) فيكرروا النون من غير ادغام ، كانهم استثقلوا ذلك وكان عنه مندوحة وهو الاجتزاء ببناء القلة » .

حمدى عبد الحميد المقدم
أستاذ اللغويات المساعد ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

---

(١) القتب : اكاف البعير وقد يؤنث والتذكير أعم .
(٢) الرسن : الحبل .
(٣) الكتاب ٣/ ٥٧٠ والتكملة ص ٤٠٤ .
(٤) المقتضب ٢/ ٢٠١ .
(٥) النور ٣١ .
(٦) الكتاب ٣/ ٥٧٥ . واللسان مادة رجل
(٧) الباع والبوع : المسافة بين الكفين اذا بسطتهما .
(٨) الكتاب ٣/ ٥٨٧ والتكملة ص ٤٠٦ .
(٩) المرجع السابق ٢/ ٦٠٦ .
(١٠) مقورة : ضامرة ـ تتبارى = يعارض بعضها بعضا فى السير ـ الشوار : المتاع ـ القطوع = الطنافس التى يوطأ بها الرحل .

"شوقي"

بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

للأستاذ الدكتور
محمد سلامه صالح

— ٢ —

٧ — وممن أعجب بهم (شوقي) من عظماء الاسلام (عمرو بن العاص) فله الى جهوده في فتح (مصر) مواقف خالدة ، كموقفه حين امتحن المسلمون(١) بعام الرمادة ، فقد وجه الى المدينة المدد الوافر من خيرات (وادي النيل) استجابة لطلب (عمر رضي الله عنه) . يقول في قصيدة « كبار الحوادث » :

من كعمرو البلاد والضاد مما
شاد فيها والملة الغراء

شاد للمسلمين ركنا جساما
ضارق الظل رابه الايواء

طالما قامت الخلافة فيه
فاطمأنت وقامت الخلفاء

وانتهى الدين بالرجاء اليه
وبنو الدين اذ هم ضعفاء

فابك (عمرا) ان كنت منصف (عمرو)
ان (عمرا) لنير وضاء

جاد للمسلمين (بالنيل) ، (النيل)
لمن يقتنيه افريقاء(٢)

---

(١) رحم الله شوقي فقد تناول هذا الموضوع عن غير دراسة فالثابت أن جيوش المسلمين طرقت أبواب مصر في نهاية العام التاسع عشر الهجري ودخلت الى قلبها في العام العشرين ، بينما عام الرمادة كان العام الثامن عشر فلم يحدث هذا المدد ، وانما هو أمر تناوله القصاص .. تماما كما تأثر حافظ — رحمه الله — برواية رؤية رسول كسرى لعمر بن الخطاب نائما بالمسجد .. وكلا الامرين لا واقع له ... مجلة الأزهر .

(٢) الشوقيات : ١/١٦ ، و (ديوان شوقي) : ١/١٨٦ .

وفي قصيدة « أيها النيل » يكرر الحديث عن عمرو منوها بسمو الفتح الاسلامي وما تضمنته ودائع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — من دين ولواء ، ولغة ، ويتحدث عن القائمين بالفتح فاذا هم جند من الملائكة ، وأصحاب بدر طويت بهم البلاد ، فهم جيش من الأخلاق ، ثم هم رسل هداية ، ودعاة حق وانصاف ، واذا عمرو في عدله ، وتواضعه مناط اعجاب به ، وتساؤل عنه من أرباب الملل الأخرى ، يقول :

ودائع (الفاروق) عندك دينه
ولواؤه وبيانه والمنطق
بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق ما يحيي العقول ويفيق
فتح الفتوح من الملائك رزدق
فيه ومن (أصحاب بدر) رزدق(١)
يبنون « لله » « الكنانة » بالقنا
« والله » من حول البناء موفق
أحلاس خيل بيد أن حسامهم
في السلم من حذر الحوادث مقلق(٢)
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم
جيش من الأخلاق غاز مورق(٣)
في الحق سل وفيه أغمد سيفهم
سيف الكريم من الجهالة يفرق
والفتح بغي لا يهون وقعه
الا العفيف حسامه المترفق
ما كانت « الفسطاط » الا حائطا
يأوي الضعيف لركنه والمرهق
وبه تلوذ الطير في طلب الكرى
ويبيت « قيصر » وهو منه مؤرق
« عمرو » على شطب الحصير معصب
بقلادة « الله » العلي مطوق(٤)
يدعو له « الحاخام » في صلواته
«موسى» ويسألفيه «عيسى» البطرق(٥)

وفي «دول العرب» يمضي الشاعر مع «عمرو» في قصة الفتح فيعرض صورا حربية ، يتحرك خلالها تاريخ النصر ، وهو في ذلك مأخوذ بقوة ارادة « عمرو » القائد ، وبعبقريته الحربية ، وسداد رأيه ، وبفئة محدودة العدد ، مزودة بسلاح الايمان طاش بها رشد الروم ، فاندفعت تنتزع النصر ، وبين خطاها اليمن والسعد :

« عمرو » القنا والرأي والجدود
رمى به « الفاروق » في الحدود

...

سما الى « مصر » بطرف وطمح
ولم يزل « بمصر » حتى سمح

...

(١) الرزدق : الصف من الناس ، والمراد جماعة .
(٢) أحلاس : أي ملازمين ظهورها ، وأحلاس : جمع : حلس ، ومقلق : غير مستقر .
(٣) مورق : قائم .

(٤) الشطب : الأخضر من جريد النخل ، ومعصب : متوج .
(٥) الشوقيات : ٢/٨٦ ، و (ديوان شوقي) : ١/٢٤٢ — ٢٤٣ .

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

وجهـــه فهب والفـــزاة
كمـــا أطـــار الصـــيد البزاة

...

ومـــا النجـــوم الزهــر حفت بالقمـــر
أروع من « عمرو » على خيل « عمـــر »

...

كتيبـــة قليلـــة العـــديد
كثيـــرة بدينهـــا الجديد

...

طوت الى « مصر » القفـــار طيـــا
وركبت رياحهـــا مطيـــا

...

واخترقـــوا التخـــوم والحـــدودا
ســـبحان من يـــداول الجـــدودا

...

فضـــاع رشـــد الروم والصـــواب
وفتحت من نفســـها الأبـــواب
تبـــارك اللـــه وجـــلت العـــرب
لـــم يثنهم جـــو ولـــم يعـــق سرب

...

وانـــدفعت خيـــل الامـــام تعـــدو
يقدمهـــا اليمن ويحـــدو السعد(١)

٨ ـــ ومن عظماء الاسلام ، ورجاله الأفـــذاذ الذين جاهدوا في ســـبيله ، وحموا مقدســـاته (صلاح الدين الأيوبي) ، ذلك الذي تصـــدى للصليبيين ، وانتصر عليهم ، وحمى (المسجد الأقصى) من شرهم . يقول في قصيدته (كبـــار الحوادث) :

يعرف الدين من (صـــلاح) ويدري
مـــن هـــو المـــجدان والاسراء
انـــه حصـــنه الذي كـــان حصـــنا
وحمـــاه الذي بـــه الاحتمـــــاء
يـــوم ســـار الصليب والحـــاملوه
ومشى الغرب قومه والنســـــاء
بنفوس تجـــول فيهـــا الامـــاني
وقلوب تثـــور فيهـــا الدمـــاء
يضمرون الدمـــار للحـــق والنـــا
س ودين الذين بالحـــق جـــاءوا
ويهـــدون بالتـــلاوة والصلـــ
ـــبان ما شـــاء بالقنـــا البنـــاء
فيلقتهمـــو عـــزائم صـــدق
نص بينهـــن خبـــــاء (٢)
مزقت جمعهم عـــلى كـــل ارض
مثلمـــا مـــزق الظـــلام الضـــياء
وسبت أمـــرد الملوك فردتـــ
ـــه وما فيـــه للرعايا رجـــاء (٣)
ولـــو ان المليـــك هيب أذاه
لـــم يخلصـــه من أذاه الفداء (٤)

---

(١) دول العرب : ٦٣ ـ ٦٧ ، في الاصـــل (ويقدمها)

(٢) نص : رفع ، والخباء الخيمة ولعله يريد الملجـــأ .

(٣) (لويس التاســـع) ملك فرنسا أسره (توران شـــاه) في (موقعة المنصـــورة) سنة ١٢٥٠ م وافتدى نفسه ومن معه بعشرة ملايين فرنك .

(٤) الشـــوقيات : ١٧/١ ، و (ديـــوان شوقي) : ١/١٨٧ ـ ١٨٨ .

وحين بدا من (غليوم الثانى) فى حديثه أمام قبر (صلاح الدين) مالا يفصح عن اجلال ، أو ازدراء ، وكان (الامبراطور) متسما بالصلف والكبرياء مع تظاهر بالعطف على المسلمين ـ انبرى (شوقى) يرده الى ساحة الاعتدال فى قصيدة تتأجج وطنية وحماسا ، نسجها بعد الزيارة بقليل أى سنة ١٨٩٨ (١) .

يقول تحت عنوان (تحية غليوم الثانى لصلاح الدين فى القبر) :

عظيم الناس من يبكى العظاما
ويندبهم ولو كانوا عظاما
اتدرى اى سلطان تحيى
واى مملك تهدى السلاما !
دعوت اجل اهل الأرض حربا
واشرفهم اذا سكتوا سلاما
وقفت بـه تذكـره ملوكـا
تعود أن يلاقوه قياما !
وكم جمعتهمو حرب فكانوا
حدايدها وكان هو الحساما
كلام للبرية داميات
وانت اليوم من ضمد الكلاما
فلما قلت ما قد قلت عنه
واسمعت الممالك والأناما
تساءلت البرية وهى كلمى
احبا كان ذاك أم انتقاما ؟!
وانت اجل ان تزرى بميت
وانت ابر ان تؤذى عظاما
فلو كان الدوام نصيب ملك
لنال بحد صارمه الدواما (٢)

وفى تعقيب الامير (شكيب أرسلان) على هذه القصيدة يقول :

« ولقد ترجمت من عهد غير بعيد هذه الابيات لجلالة (الامبراطور غليوم الثانى) وذكرت له من (شوقى) فى العالم العربى ، وأنه كان أشعر شعرائنا ، فارتاح جدا لهذه الابيات ، وترحم على قائلها ... ثم يتبع ، ولو لم يكن (لشوقى) الا ما قاله فى هذه القصيدة عن الحرب الصليبية ـ لكان ذلك كافيا له حتى يلقب بالشاعر الاسلامى ، وهى الصفة التى استمالت له قلوب المسلمين شرقا وغربا ـ فكيف ، وله فى هذا الباب يتائم تتقلد بها جيد الدهر »(٣) .

٩ ـ وممن أشاد بهم الشاعر (السلطان محمد الفاتح) فى قصيدته (مسجد آيا صوفيا) وقد كان كنيسة من أعظم نماذج الفن المعمارى البيزنطى ، ثم صارت مسجدا بعد الفتح العثمانى سنة ١٤٥٣ م ، وأضيفت اليها مآذنها الأربع ، واتخذت نموذجا معماريا لعدة مساجد

(١) انظر (شوقى) أو صداقة اربعين سنة : ٢٠١ .

(٢) (المؤيد) ١٤ اكتوبر سنة ١٨٩٩ ، والشوقيات القديمة : ٢٤٠ ، والجزء الرابع من الشوقيات : ٤٠ ط سنة ١٩٤٣ و (ديوان شوقى) : ٢٤٧/١ وما بعدها .

(٣) (شوقى) أو صداقة اربعين سنة : ٢٠٢

● شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

تركية عظيمة شيدت (بالآستانة) (١).

وفي هذه القصيدة يشيد (بالفاتح) الشجاع العفيف في حروبه مع الروم ، وانتصاره عليهم وعفوه عنهم . يقول :

قد جاءها (الفاتح) في عصبة
من الاسود الركع السجد
رمى بهم بنيانها مثلما
يصطدم الجلمد بالجلمد
وماتوا في الروم يغذونها
والسيف في المقدى والمقتدى
فخلتها من قيصر سعده
وايدت بالقيصر الاسعد
(بفاتح) غاز عفيف القنا
لا يحمل الحقد ولا يعتدى
اجار من القى مقاليده
منهم واصفى الامن للمرتدى
وناب عما كان من زخرف
جلالة المعبود في المعبد
فيا لثار بيننا بعده
اثام لم يقرب ولم يبعد
باق كثار (القدس) من قبله
لا تنتهى منه ولا يبتدى
فلا يغرنك سكون الملا
فالشر حول الصارم المغمد
فكن لنا اللهم في امسنا
وكن لنا اليوم وكن في غد (٢)

١٠ ــ ولمزيد اعجاب الشاعر (بصلاح الدين) و (الفاتح) تناولهما نثرا ، ناعيا على الكتاب المعاصرين اغفال الحديث عنهما ، ضاربا المثل بالغربيين في مدى عنايتهم بعظمائهم ، وحرصهم على تجديد ذكراهم . يقول :

« فلما فرغت من الانشاد ، واستحسنه الدرويش ، واستجار . وقال : ليس بعد الخلفاء الراشدين أفضل من (محمد الفاتح) و (صلاح الدين) . فأما (الايوبى) فدرع الاسلام ، ووقاه ، وعرينه وحماه ، وسيفه الذى انتضاه فنجاه من الغم ، وكفاه البلاء الجم ، وجعله مهيبا في ماضيه ، رهيبا في نفوس أعاديه .

وأما (الفاتح) فحياته المنبعثة ، ووجدانه المتجدد ، وشبابه العائد ، ودولتـه الكبرى ، ولواؤه الاعلى ، سمك بنيانه ، وشيد أركانه ، وأعلى مكانه ، وأظهر عزه وامكانه ، وأيد ملكه وسلطانه ، وكلا الملكين أبى همام ، كريم في الولاء والخصام ، عظيم في الحرب والسلام رءوف بصنوف الانام ، شريف القناة عفيف الحسام . وانى أعجب للكتاب الحاضرين والشعراء المعاصرين ، كيف غفلوا عن تجديد ذكرهما ، وقعدوا عن تأبيد فخرهما ؟ وفي ذلك ما يوقظ راقد الهمم .

ويحيى موات هذه الأمم ، ويدعو الى التعلق

---

(١) راجع (ديوان شوقى) : ١/٨٠ وما بعدها .

(٢) (المؤيد) اكتوبر سنة ١٨٩٩ ، والشوقيات القديمة : ٢٣٦ ــ ٢٣٧ ، والشوقيات : ٢/٢٧ ــ ٢٩ و (ديوان شوقى) : ٨٠ ــ ٨٢ .

بكبير الآمال ، ويحمل على التشبه بمشاهير الرجال . حين ترى غابر الملوك الغربيين ، وموتى الاقيال الأوربيين ، مذكورين بكل لسان ، أحياء ، وان مضى بهم الزمان ، لكثرة ماشحنت بأسمائهم الآثار ، وامتلأت من وقائعهم الاسمار ، وسرت بهم الأحاديث ، وسارت الأخبار . هذا (نابليون) ملك ملك ، ثم خانه الفلك ، ثم هلك ، وذكره لايزال يسير مسير الشمس والبدر ، ويهب هبوب الريح في البر والبحر ، فما من غربي الا ويحفظ نادرة عن نادر ذكائه ، بل ما من شرقي الا ويروى شيئًا عن مدهش اقدامه ، وعجيب دهائه ، يستوى في ذلك النساء والرجال ، ويشترك فيه الشيوخ والاطفال ، وتعدو عليه الأعصر وتروح الاجيال وليس الفضل في بعث هذا المجد حيا ، وبقائه بعد الممات مثالا للامم عليا ، الا لقومه الفرنسويين ، وبنى جلدته الشارفين به المتفخرين (١) فانك لاتقرأ لهم جريدة الا وفيها نادرة عنه جديدة ، أو طرفة من غرائب سيرته المجيدة ، وكلما تقد الوطاب (٢) ، وأظمأت الكتابة الكتاب ، وصفوا الغريب ، واختلقوا العجيب ، وأدخلوا على الناس الأكاذيب »(٣).

١١ — و (شوقي) — في اعجابه بعظماء الاسلام — لم يهمل الاشادة بمن عاصروه من هؤلاء العظماء ، فحين استبدت بالوزير الفرنسى المؤرخ (جبرائيل هانوتو) : نزوة التعصب المزرية ، وتناول الاسلام بالطعن في مقالات جارحة أثارت حمية امام العصر (الشيخ محمد عبده) فانبعث بالرد عليه بثلاث رسائل(٤) فياضة بمنطق الحق ، وقوة الاقناع ، وقد أثارت هذه الرسائل اعجاب الشاعر بالامام ، لشدة غيرته على دينه ، فأشاد — بلسان الأمة — بموقفه الحق ، وبعلمه الجم ، ومنطقه العضب ، وما اتسم به من قرب في الولاء ، واباء في الخصومة ، ومن تقى وجد ، في زمن عز فيه التقاة ، وكثر الهازلون يقول مخاطبا الامام :

(محمد) ما اخلفتنا ما وعدتنا
صدقت وقال الحق فيك ضمير

**

فأنت خصم العلم حال سكونه
وانت خصم العلم حين تثور
وانت امير الحفظ والقول والنهى
اذا لم ينل تلك الثلاث امير

**

ففوق عليم القوم منك معلم
وفوق وزير القوم منك وزير
اذا جهلت يوما علينا خصومنا
فانك من جهل الخصوم مجير

---

(١) تفخر الرجل : تعظم وتكبر .
(٢) الوطاب : جمع وطب : سقاء اللبن .
(٣) (المؤيد) ١٤ أكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم الشوقيات المجهولة : ١/١٨٢ — ١٨٣ .
(٤) نشرت (بالمؤيد) في ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ابريل سنة ١٩٠٠ م .

«شوقي» بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

وان جردوا الاقلام جرت اثرها
يراعا لـه فى الخافقين صرير (١)

* *

اذا صال لاتى ضيغم القوم ضيغما
لـه فى نفوس الشانئين زئير
وانت قريب فى الولاء مؤمـل
وانت ابى فى الخصام كبير
ويعجبنى منك التقى حين لاتقى
وجدك حين الهازلون كثير (٢)

وقد مهد (المؤيد) لتلك القصيدة بقوله :

« ان ذلك العالم المفضال ، والامام العظيم الذى رد على (مسيو هانوتو) قد كتب أعلى ما يكتب الفيلسوف ، وأشد ما يحتج به المنطقى وأبلغ ما يسطر البليغ ، ولذلك امتدحه شاعر من أبلغ شعراء هذا العصر ، يعشق كبار الاعمال ، وأعمال الكبار » (٣) .

وعلق عليها الدكتور (محمد صبرى) الذى أعاد نشرها بقوله :

« ان (شوقى) على الرغم من ولائه الشديد (للخديو عباس) الذى كان يرى فى (محمد عبده) خصما لدودا له ــ كان أشد ولاء لحرية الرأى والعقيدة . فكانت لاتخلو قصائد المديح (الرسمية) من الغمزات ، والجهر بالحقائق صراحة أو تلميحا ، وفى هذه الأبيات التى يخاطب بها (محمد عبده) ــ وضع الشاعر ممدوحه فى مرتبة أعلى من مرتبة الأمير ، والعالم ، والوزير » (٤) .

* *

هكذا كان (شوقى) مصورا لمجد الاسلام ، معجبا بعظماء رجاله ، مشيدا بمواقفهم البطولية ، مسجلا مآثرهم المجيدة ، فى نشر الاسلام ، والدفاع عنه ، والتصدى لأعدائه ، مفاخرا بما أسسوه من دولة شامخة سادت العالم ، ونشرت العدل والأمن ، والحق والسلام فى ربوع الأرض .

وما من شك فى أنه كان فى ذلك معبرا صادقا عن مشاعره الجياشة نحو الاسلام ورجاله ، مترجما عما تجيش بـه نفوس أبناء الأمه الاسلامية من اعتزاز بماض مجيد ، وسلطان تليد ، وحضارة عريقة ، ومدنية زاهرة .

ولقد كان فى اشادته بهذا المجد ، وبهؤلاء العظماء يهدف الى تنبيه الأذهان لما انتهى اليه المسلمون فى عصره من ضعف ، وتخاذل ، وفرقة والى شحذ العزائم ، واستنهاض الهمم لاسترجاع الماضى ، واستعادة عزه ، ومجده وسلطانه . كما يقول :

حتى اراد (اللـه) ان نظمت
من سير الرجال ما استعظمت
علما بما يبعث فى الاحداث
جلائل الاعمال والاحداث (٥)

والأمة فعلا فى مسيس الحاجة التى تحقيق

---

(١) الخافقان : افق المشرق ، وافق المغرب .
(٢) (المؤيد) : عدد ٢ مايو سنة ١٩٠٠ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الشوقيات المجهولة : ١/١٩٨ .
(٥) دول العرب : ٦٠ .

هدفه هذا ، وهو بعينه ما نفهمه من رأى المستشرق الفرنسى (جارديه) الذى يرى أن نهضة المسلمين ليست فى مجرد التغلب على مشكلاتهم ، وتطورهم فنيا أو أدبيا فحسب ، بل ببعث القيم الكامنة فى قلوب شعوبهم (١) .

وفى احياء ذكرى العظماء اقتداء بالسلف ، وتحريك للهمم ، وتطلع الى معالى الأمور ، وليس أقتل لأمة من الأمم ، من مرض النسيان اذا استبد بأبنائها ، فشغلهم بحاضرهم عن مجد ماضيهم ، وبأحيائهم عن ذكريات الأفذاذ من موتاهم .

ويرى (العقاد) أن « ايتاء العظمة حقها لازم فى كل آونة ، وبين كل قبيل .

ولكنه فى هذا الزمن ، وفى عالمنا هذا ألزم منه فى أزمنة أخرى لسببين متقاربين لا لسبب واحد :

أحدهما : أن العالم اليوم أحوج ما كان الى المصلحين النافعين لشعوبهم ، وللشعوب كافة ، ولن يتاح لمصلح أن يهدى قومه ، وهو مغموط الحق ، معرض للجفوة والكنود .

والسبب الآخر : أن الناس قد اجترأوا على العظمة فى زمننا بقدر حاجتهم الى هدايتها ، فان شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناسا من صغار النفوس بانكار الحقوق الخاصة : حقوق العلية النادرين الذين يتصفهم التمييز ، وتظلمهم المساواة .. والمساواة هى شرعة السواد الغالبة فى العصر الحديث .

ولقد جار هذا الفهم الخاطىء للمساواة على حقوق العظماء السابقين ، كما جار على حقوق العظماء من الأحياء والمعاصرين .

ويقرر أن « هذه الآفة » خطة تهبط بالخلق الانسانى الى الحضيض ، وتهبط بالرجاء فى اصلاح العيوب الخلقية والنفسية الى مادون الحضيض .

فماذا يساوى انسان ، لايساوى الانسان العظيم شيئا لديه ؟

وأى معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء ، اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف ؟ واذا ضاع العظيم بين أناس ، فكيف لايضيع بينهم الصغير ؟! »(٢) .

وهكذا تتجلى لنا عناية الشاعر بالتنقيب فى منجم الاسلام ، وسير أعلامه ، لابراز قيم الدين ، وجهود العظماء ، وبعث حضارة الأمة .

و (شوقى) فى منهجه هذا متفق مع رجال الفكر من شرقيين وغربيين فى حاجة الأمة الملحة الى بعث قيمها ، ومجد ماضيها ، استنهاضا لهمم أبنائها ، وقد أضاف الى مجد السابقين تنويهه بمآثر المعاصرين ، وهو فى ذلك كله ترجمان الأمة فى ماضيها المجيد ، وحاضرها المتوثب .

---

(١) النص الفرنسى :

«Humanisme musulman de demain?

Il s'agit de bien autre chose que de solutions abstraites. Il ne s'agit point seulement de grandes oeuvres littréraires ou artistiques à promouvoir, et non plus seulement d'une prise en main de la technique moderne. Il s'agit d' une revivilication et d'un élargissement de valeurs séculaires, invétértes au Coeur du peuple»

La cité musulmane vie soale et politique par Louis Gardet page 322 — Paris 1954.

(٢) عبقرية (محمد) : ١٢ ــ ١٤ .

في كتابه

مع روجيه جارودي

مايعد به الاسلام

عرض وتعليم
د. طه مصطفى أبو كريشه

— ١ —

« ما يعد به الاسلام » عنوان الكتاب الذى صدر فى طبعته الثانية لمؤلفه « روجيه جارودى » .

وقد قام بترجمته الى العربية عن النص الفرنسى كل من : قصى أتاسى وميشيل واكيم .

وقدم له محمد البجاوى ممثل الجزائر فى هيئة الأمم المتحدة ومحمد ياسر شرف عضو اتحاد الكتاب فى سوريا ، وقامت بنشره دار الوثبة فى دمشق .

والمؤلف « روجيه جارودى » ليس غريبا عن القارىء ، فلقد عرف الناس قريبا قصة اسلامه بعد دراسات متصلة عن الاسلام ، أدت به فى النهاية الى ارتضائه دينا يعتقده ويدين به ، ويدافع عنه ، ويقدمه لغيره من أولئك الذين يبحثون عن منبع هداية ، ومصدر يقين تطمئن اليه القلوب ، وتقتنع به الألباب .

والكتاب قائم على عدة موضوعات تتناول هذه العناوين : (الصوفية ملحمة الايمان — عقيدة وسياسة — العلوم والحكمة — فلسفة الكشف والالهام — كل الفنون تصب فى المسجد — شعر الاستشراف والتشوف) ، ويسبق ذلك مدخل للدراسة .

— ٢ —

أما المدخل ص ٣٣ فان المؤلف يعرض فيه للوضع القائم فى الغرب ، ومن وجهة نظره فان الغرب ليس الا حدثا تاريخيا طارئا ، اذ أن ثقافته منتزعة من ثقافات سابقة عليها ، وان بدا أن هناك من يحاول أن ينكر الجذور الشرقية التى اغتذت منها الحضارة الغربية .

ويعرض المؤلف فى هذا المدخل الى الهدف الرئيسى الذى يود اظهاره فى هذا الكتاب .

فيوضح أن ذلك متمثل فى بيان أن «الاسلام لم يكتف بادخال أعرق وأوثق الثقافات

واخصابها ونشرها من بحر الصين الى الأطلسي .. ثقافات الصين والهند والفرس واليونان ، ثقافات الاسكندرية وبيزنطة .. وانما بث في امبراطوريات وحضارات روحا لحياة جديدة ، وأعاد الى الناس ومجتمعاتهم أبعادا انسانية والهية نوعية ، تأخذ بالتسامي والروح الجماعية ، انطلاقا من عقيدة متينة ، أدت الى تجديد العلوم والفنون ، والشرائع والفلسفة » .

ويلتفت المؤلف الى العصر الذى كان فيه الاسلام في بلاد الأندلس فيذكر أن الحرب التي شنت على الاسلام والمسلمين ، كانت حربا ضد الحضارة والنهضة التي كان يمكن أن تكون عالمية .

وقد أدى ذلك الى أن ينزلق الغرب نحو أنماط انتحارية في التنمية والتمدن ، مما أدى بالتاريخ الى مزيد من انعدام الانسانية والتقهقر ، وهذا واضح كل الوضوح قديما وحديثا في سجل الاستعمار وسجل الحروب العالمية .

واذا كان العالم العربى يعانى الآن من صراع عقيدى وسياسى واقتصادى ، وهو صراع يكشف عن بؤس روحى ، فانه لا منجاة له من هذا البؤس الا أن يقيم حوارا مع غيره من الحضارات .

وفي مقدمة ذلك الاسلام ، الذى هو ليس بالصورة التي رسمها الصليبيون والمستعمرون



حين ألصقوا به من الصفات ما هو براء منها .

ولقد سبق للاسلام أن أنقذ امبراطوريات كبرى متهافتة من الفناء في القرن السابع الميلادى ، وهذا من شأنه أن يطرح سؤالا : اذا كان قد صنع ذلك في الماضي « فهل بمقدوره

مع روجيه جارودى

اليوم أن يأتى بحلول لهـــذا القلق ، ولتلك المشكلات التى تعانى منها حضارة غربية ، لم تنجح على مدى قرون أربعة الا فى أن تحفر قبرا للعالم كله » ؟

ويجيب المؤلف « تلك هى القضية التى ان لم يحلها هذا الكتاب فحسبه أنه يطرحها » •

ثم يضيف الى ذلك ما يؤكد ايجابية الجواب بأن الاسلام دين وروح جماعية مشتركة ، وهو عقيدة وطريقة للحياة فى آن معا ، وهذا مايكفل له ايجاد الحلول لما يعانيه البشر •

ولعل فى ظاهرة انتشاره السريع بعد ظهوره ما يؤكد تلاقى جوهره مع ما يبحث عنه الناس من معالم الهداية ، وانتصار الاسلام على هذا النحو لا يمكن فهمه الا على أنه عقيدة وروح جماعية مشتركة تقوم على هذه العقيدة •

وربما كان ما يشير اليه المؤلف هنا ، ملتقيا فى مضمونه مع ما نعلمه من أن الاســلام دين الفطرة ، «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» •

وهنا يرد المؤلف على أولئك الذين يفسرون ظاهرة انتشار الاســلام بعــوامل خارجيــة كالضعف البالغ أو الانحلال الذى أصــاب الامبراطوريات المهزومة ، فينفى ذلك التفسير وينكره عليهم ، كما ينكــر تفســير الظــاهرة بعوامل عسكرية صرفة ، وتبقى بعــد ذلك الأسباب الحقيقية الكامنة فى جوهر الاســلام وروحه ، وعلى رأس هذه الأسباب الالحــاح على اعلاء كلمة الله ، وذلك باعادة النظــر فى كل سلطة ، ويطرح مبدأ المساواة بين البشر •

والى جانب ما سبق فان المؤلف يعرض فى هذا المدخل الى أركان الاسلام ، معرفا بهــا ، مشيرا الى أهدافها ومراميها ، وكذلك يقــدم شيئا من تاريخ الفتوحات الاسلامية فى الشرق والغرب مشيدا بصــنيع المسلمين فى هــذه الفتوح من واقع ما سجله التاريخ عنهم •

— ٣ —

وتحت عنوان « الصوفية ملحمة الايمــان ص ٧٧ » يذكر المؤلف أن التصوف بعد من أبعاد العقيدة الاسلامية ، مفسرا ذلك بأنه لون من الوان الروحانية فى لاسلام ، وهــو التوازن الأســاسى بين الجهاد الأكبر ، جهاد النفس ، وبين الجهاد الأصغر ، جهاد المجتمع •

واذا كانت ممارسة الزهد والتنسك ممــا يوجد شبها بين التصوف الاسلامى وبين بعض العقائد والمذاهب الأخرى ، فان ذلك لا يؤدى الى نسيان الطابع الخاص للتصوف الاسلامى الذى يتجلى فى التقوى ، أى فى تلك اللحظــة من التأمل الداخلى التى تهــدف الى انجاز ما تأمر به الشريعة فى سبيل المجتمع الانسانى•

ويلفت المؤلف النظــر الى أنه لاينبغى أن ينظر الى الاســلام من خــلال بعض غــلاة الصوفية ، وانما من خــلال القــرآن الكريم والسنة النبوية ، اذ هما المصدران الأساسيان لكل سلوك قويم •

ويبدو أن المؤلف متأثر بقراءات ذاتيــة فى هذا الميدان ، وكان أولى به أن يقدم الاسلام من خلال معنى الاسلام ، وليس من خــلال سمات مذهبية ، قد لا تتسع الا لفــريق دون

فريق ، ممن ينضوى تحت مذهب معين لايؤثر سواه ، هذا فضلا عن أن هـذه الصفات والمسميات طارئة بعد فترة من الزمان منظهور الاسلام .

وبعد موازنة بين خصائص الاسلام وخصائص غيره ، ينهى المؤلف هذا الفصل طارحا هذا السؤال :

« والآن ما الذى يستطيع أنيقدمه الاسلام اليوم ، ليهيئنا لتحمل المسئوليات الجسيمة التى تطرحها الطاقات العلمية على البشرية ؟»

ثم يجيب : الا ان المشكلة كونية ، والحل لن يكون الا حلا كونيا .

وبذلك يمهد للحديث عن الحلول الاسلامية للمشكلات البشرية على النحو الذى يعرض له فى الموضوعات التالية .

— ٤ —

ومن هذه الموضوعات ما جاء تحت عنوان « عقيدة وسياسة ص ٩٥ » وفيه يتعرض المؤلف — كما ذكر — لمسيرة الاسلام ، دون فصل بين قضايا العقيدة وقضايا الحياة المدنية، مع الاحتفاظ بتلك الوحدة بين الايمان وبناء المجتمع المتعاون ، وبين التوحيد وممارساته العملية .

وفى البداية يتساءل المؤلف عن الانجازات التاريخية والاجتماعية التى أنجزها الاسلام على صعيد الاقتصاد والتشريع والسياسة ، انطلاقا من المبادىء الاسلامية الأساسية ، التى يمكن ايجازها فى أن الله وحده مالك كل شىء ، وأن الله وحده هو الذى يشرع ، وأنه وحده الآمر الناهى .

أما فى مجال الاقتصاد ، فان نسبة ملك كل شىء لله تعالى ، يجعل من يكون فى حوزته المال ، قائما بوظيفة اجتماعية ، دون أن يكون ذلك امتيازا لفرد أو جماعة أو دولة ، وعلى كل مالك (بالاستخلاف) سواء كان فردا أو جماعة او دولة أن يقدم تقريرا عما يملك الى المجتمع لأنه ليس الا مسئولا فقط عن ادارة ملكيته وتسيير أمورها .

وفى هذا المجال يشير المؤلف الى كثير من الآيات التى تحذر من اكتناز المال ، وعدم انفاقه فى سبيل الله .

كما يشير المؤلف الى ما فى تعاليم الاسلام من كراهية الظلم والظالمين ، والى ما فيه من النهى عن الاحتكار والاستغلال والغصب .

ويقف عند « التجارة » ويبين كيف أنها أمر مشروع فى الاسلام ، اذ تلبى الحاجات الضرورية ، مادامت تهتدى فى ممارساتها بتعاليم الاسلام .

كذلك يقف المؤلف عند « الزكاة » ، مشيرا الى كونها ركنا من أركان الاسلام الخمسة ، والى أنها ليست فريضة تفرض على الأرباح فحسب ، بل تتناول رأس المال ، وتعمل على خلق توازن داخل المجتمع .

وهذا أمر سبق الاسلام به كثيرا من النظم التى تبحث عن أمثل وسيلة للضمان الاجتماعى.

ويضرب لذلك مثلا بما قامت به فرنسا فى منتصف القرن العشرين بعد صراع طبقى استمر أجيالا .

◄

مع روجيه جارودي

ومن خلال هذه الأسس يرى المؤلف في « الاقتصاد الاسلامي » نظاما متميزا عن غيره من نظم الاقتصاد الغربية والشرقية .

وفي مجال « التشريع » يبين المؤلف أنه اذا كان الله وحده المالك فهو وحده المشرع ، وهذا مبدأ أساسي في الاسلام ، انطلاقا من عقيدة التوحيد ، فالمجتمع لا يقوم على أساس من اعلان حقوق الانسان ، وانما يقوم على تعاليم سماوية ، هي وحدها التي تحدد واجبات الانسان .

ثم يأخذ المؤلف في بيان الأسس العامة التي يتضمنها التشريع الاسلامي ، ومن ذلك نظرة الاسلام الى الانسان ، وكونه جزءا من كل أكبر ، أي هو فرد داخل جماعة ، وهذه الجماعة ينبغي أن تتوجه نحو أهداف وغايات سامية ، تسمو على غاياتها نفسها ، وهذا التسامي في العلاقة بين الجماعة والانسان ، يجنب المجتمع الوقوع في مزالق اضطهاد الانسان للانسان .

ومن هذه المبادىء مبدأ « المساواة والحرية » اذ هما في الاسلام مختلفان اختلافا جذريا عن مفهومنا نحن ، فالمساواة والحرية في المنظور الاسلامي لا علاقة لهما بالانسان من حيث هو فرد مستقل ، بل هما مظهران من مظاهر ارتباط الانسان بخالقه ، ونتيجة للحضور الالهي في وجدان الانسان وهذا من شأنه أن يتيح له اتخاذ موقف المحايد الناقد تجاه الأنظمة القائمة وتجاه كل محاولة للسيطرة على البشر .

ويشير المؤلف الى ما في هذا العصر من أمواج متلاطمة ، تبغي السيطرة على الانسان من قبل الدول العظمى ، ومن قبل مظاهر العنف المختلفة في جميع المستويات ، وهي سيطرة تعمل على زيادة حدة سيطرة الأقلية ، كما تعمل على زيادة وتعميق بؤس الأكثرية .

وفي مجال هذه المبادىء يبين المؤلف موقف الاسلام من « المرأة » ، من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهو موقف نلمس فيه تقدما ملحوظا لا شك فيه بالقياس الى تشريعات أثينا وروما حيث كانت المرأة في مرتبة دنيا .

ثم يوضح المؤلف الحقوق التي كفلها الاسلام « للمرأة » ، ومنها حق التصرف فيما تملك ، وحق طلب الطلاق عند توافر شروط معينة .

أما في جانب « السياسة » فان المؤلف يذكر أنه انطلاقا من مبدأ المساواة بين المسلمين ، فان الاسلام يرفض أي نظام فردي يهدف الى تحقيق أهدافه وغاياته الخاصة دون الاهتمام بغايات المجتمع وأهدافه .

فالمجتمع الاسلامي أمة تحمل سمة الشمولية ، لأن الصلة بين أفرادها صلة تسمو فوق الجنس والزمان والمكان والتاريخ ، ولأن الرباط الذي يوحد بين هؤلاء انما هو رباط الايمان المشترك بوحدانية سامية منزهة .

ويفرق المؤلف بين النظم البرلمانية الديمقراطية ، وبين مبدأ « الشورى في الاسلام » .

فالناس تحت ظل الشورى لا تحكمهم علاقة

المناهضة كما في تلك النظم ، وانما تحكمهم تلك العلاقة المباشرة مع الله الواحد .

وينتهى المؤلف من هذا الفصل مشيرا الى أن تجارب العصر السياسية تؤكد — من واقع فشلها — أنه لا بديل عن الغايات الانسانية السامية ، وهى غايات لا توفرها الا السلطة فى الاسلام ، حيث تأتمر بـأمر غـايات تتجاوزها وتسمو عليها .

— ٥ —

ومن العقيدة والسياسة ينتقل المؤلف الى « العلوم والحكمة ص ١١٣ » وتحت هذا العنوان يعرض المؤلف للتفوق الذى بلغه العصر فى مجال العلوم ، مشيرا الى دور العلم فى حل مشكلات وقضايا الانسان ، ذاهبا الى أن « الاعتقاد بقدرة العلوم الموضوعية على حل مشكلاتنا .

والقول بأن مفتاح جميع القضايا الانسانية فى يد هذه العلوم — ان هذا الاعتقاد وهم خراف فتاك » . ويكفى أن ننظر فى عواقب التفوق قديما وحديثا لنرى كيف كان ذلك فى كثير من الاحيان حربا موجهة ضد الانسان .

ومن ذلك ما صنعه تيمورلنك فى القديم ، وما صنعته قنبلة « هيروشيما » فى الحديث .

ومن هذا المنطلق بين المؤلف دور العلوم الاسلامية ، ضاربا صفحا عن هؤلاء الذين لم يروا فى العلوم الاسلامية الا ناقلا للعلوم اليونانية والهندية والفارسية ، والا سلسلة من الاكتشافات لا دور لها سوى أنها مهدت الطريق أمام العلوم الحديثة .

ويبين المؤلف ما فى العلوم الاسلامية من ميزة الايمان الذى كان روح هذه العلوم وجوهرها ، اذ أن كل ما فى الطبيعة شاهد على وجود الله ، لذا كانت كل معرفة للطبيعة عن طريق العلم ، نوعا من العبادة ، ولونا من ألوان التقرب الى الله .

وهنا يذكر المؤلف كيف حث « القرآن الكريم » « والحديث النبوى » الشريف على البحث العلمى ، وأشادا به ، وشجعا عليه ، وأمرا بطلبة حتى لدى الناس من غير المسلمين ، وهذا ما يفسر الدور البناء الذى قام به الاسلام ، كما يفسر البحث العلمى الذى انتشر فى مختلف أقطاره .

هذا فى الوقت الذى كانت الحضارات الأخرى تفرغه بذلك الحاجز بين الله وبين الطبيعة والانسان ، كما حدث فى الحضارة الاغريقية .

وفى هذا المجال يشير المؤلف الى جهود المسلمين التى قاموا بها فى سبيل العلم حين استطاعوا أن يستوعبوا عن طريق الترجمة كل علوم الحضارات الأخرى ، وأن يهضموها ويتمثلوها فى ظل ثقافتهم الاصيلة .

وقد قام الخلفاء المسلمون بتشجيع العلم والعلماء فى كل عصر .

وعن طريق المقارنة يقدم المؤلف أمثلة من التعصب الأعمى ضد العلم فى القرون السابقة عند الغرب ، وهو تعصب ظهر فى احراق كثير من المخطوطات ، مما أدى الى ركود دام عدة

مع روجيه جارودي

قرون ، على حين كان المسلمون المتحضرون بدل أن يهدموا يعرفون كيف يستقبلون حضارة الآخرين وينتفعون بها ، ولهذا عرفت ثقافتهم ازدهارها واشراقها ، تلك الثقافة التي تستهدي في كل جوانبها بمذهب التوحيد ويذكر المؤلف أن من خصائص العلوم العربية أنها متداخلة متصل بعضها ببعض بسبب من مبدأ الوحدة ، اذ لا تفريق بين علم الطبيعة والمرئيات من جانب ، وبين علوم الدين من جانب آخر ، وهذا ما يفسر ظهور عباقرة موسوعيين أفرزتهم الثقافة الاسلامية ، وهم في الاسلام كثيرون ، بينما يعدون بعدد الاصابع في العلوم الغربية.

ومن هنا كانت الروح التي جعلت من العلوم العربية علوما ذات أصالة وابداع وعطاء ، وليست مجرد همزة وصل بين العلوم اليونانية والعلوم المعاصرة ، وذلك مايجعلها صالحة للمستقبل كما صلحت في الماضي .

ويخلص من ذلك الى أننا حين نعي العلوم العربية في روحها وجوهرها لا في منجزاتها التاريخية فحسب ، فاننا نرى أنها تهبنا الطريقة والمنهج وتسعفنا في الانعتاق من تلك النزعة العلمية التي تفصل بين العلوم والحكمة ، وتسخر الفكر والعقل لخدمة غايات مرسومة وتزعم أنها تجعل من العلم الممزق المجرد من أبعاده أداة لتفتح الشخصية الانسانية .

ثم يسوق المؤلف في أعقاب ذلك أمثلة من النبوغ الاسلامي في مختلف العلوم العملية مثل الرياضة والفلك والجغرافية والطب والزراعة، وغيرها ، مضيفا في اظهار دور الايمان في الاهتداء الى أمثل الطرق وأنجحها التي أدت الى نجاح المسلمين في هذه العلوم نجاحا عظيما، كان له الفضل كل الفضل على العلماء الغربيين البارزين في مختلف المجالات . فالغرب المعاصر ليس الا وليد الحضارة الاسلامية التي كانت على مقربة منه في اسبانيا وصقلية .

— ٦ —

وتحت عنوان « فلسفة الكشف والالهام » ص ١٤٩ يعرض المؤلف للفلسفة الاسلامية وعلمائها ، ممهدا لذلك بحديث عن الفلسفة اليونانية وأعلامها ، وموقف المسلمين منها ، مضيفا الى ذلك ماقدمه علماء المسلمين من آراء تجاه القضايا الالهية والانسانية ، اذ بحث هؤلاء قضية علاقة الانسان بخالقه وحريته في التوجه اليه توجها قائما على نداء الفطرة ونداء العقل معا في آن واحد ، ويدخل في نطاق هذه القضايا ما درسوه في علم التوحيد من مباحث حول صفات الله .

وفي هذا المجال يتتبع المؤلف المدارس الفلسفية ودورها ، واقفا عند أبرز الفلاسفة المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد عارضا لآرائهم في قضايا كانت ومازالت موضع خلاف بين وجهات النظر المتعددة .

وفي ثنايا عرض الآراء تشير الى ماانزلق اليه

المؤلف من خطأ حين قال عن ابراهيم عليه السلام انه « لم يكن يهوديا ولا مسيحيا ولا مسلما ، وانما كان صورة للنموذج الأمثل للانسان والعقيدة ص ١٧٢ » فالمعروف أن نص القرآن الكريم في ذلك هو قوله تعالى « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » آل عمران ٦٧

ويبدو أن المؤلف قرأ الآية من خلال ترجمة محرفة فبنى عليها ما أشار اليه .

ونشير الى أن المؤلف في هذا الفصل لم يستطع أن ينجو من مزالق الفلاسفة التي تبدو في كثير من الأحايين بعيدة عن روح الاسلام وجوهر تعاليمه الواضحة ، البعيدة عن متاهة الفكر الفلسفي الذي استظل بظل أفكار فلسفية نقلت الى ثقافة المسلمين ، وبهذا لم يكن في هذا الفصل شيء غير تحصيل حاصل دار في مناقشات الفلاسفة المسلمين .

— ٧ —

وبعد ذلك يعرض المؤلف لموضوعين هما . (كل الفنون تصب في المسجد والمسجد يدعو الى العبادة — وشعر الاستشراف والتشوف) وفي الموضوع الأول ص ١٨١ يتناول الفن الاسلامي الذي برز في بناء المساجد ونقوشها وزخارفها وهو فن تبدو فيه وحدة الطابع الذي يعكس وحدة اليد التي كانت وراءه ، وهنا يسجل المؤلف انطباعه الشخصي بقوله : « حينما أرى روائع الفن الاسلامي أحس أن رجلا واحدا قام ببنائها مدفوعا بدافع ايمانه بالله واحد من الجامع الكبير في قرطبة الى فسيفساء المساجد في تلمسان ، وفي جامع القرويين بفاس وجامع ابن طولون في القاهرة الى مساجد استامبول الفخمة ، ومن قباب أصفهان الساحرة الى المئذنة البسيطة الجبارة الحلزونية في سامراء ، ومن قصور الحمراء بغرناطة الى قصور وروائع أصفهان .



مع روجيه جارودى

ان الفن الاسلامى يعبر عن رؤية للعالم توحى فى الوقت نفسه بوظيفته وموضوعاته وأساليبه التشكيلية وأساليبه المعمارية .

ويعرض المؤلف لتفسير بناء المساجد على نظامها الموحد الذى تبدو عليه ، والذى تتخذ فيه نظام المسجد النبوى قدوة لها فى التنظيم الهندسى كما يشير الى عدم احتواء المحاريب فى المساجد على أى صورة أو تمثال مما يوحى بفكرة الاله الذى لا يرى لكنه حاضر موجود فى كل مكان ، هذا فضلا عن أن الايمان فى جوهره يقتضى أن ينشغل المؤمن عن تفكره وتدبره كما يقتضى أن ينصرف عن شواغل العالم المادى واغراءاته ، وفيما عدا ذلك فان كل مظاهر الفن الاسلامى فى المساجد توحى بالجلال والمهابة والخشوع .

أما الموضوع الثانى ص ١٩٧ فان المؤلف يقدم فيه نماذج من الشعر الصوفى القائم على التأمل فى الكون والحياة ، على الترجمة عما يكنه القلب من حب فى الله . وهنا يبين المؤلف من واقع المقابلة بين النماذج — اثر الأدب الاسلامى فى الآداب العالمية .

ويرى أن هذا الجانب بالذات كان له أبلغ الأثر فى الشعراء الوجدانيين .

وتأتى بعد ذلك خاتمة المؤلف ص ٢٣١ التى يقول فيها ان كتابه « ليس كتابا فى التاريخ بل هو معايشة جديدة للاسلام عن كثب ، ومن ثم اقتراب مما يسمى بالعالم الثالث حين يجرى التلاعب هناك بمصير الانسانية »

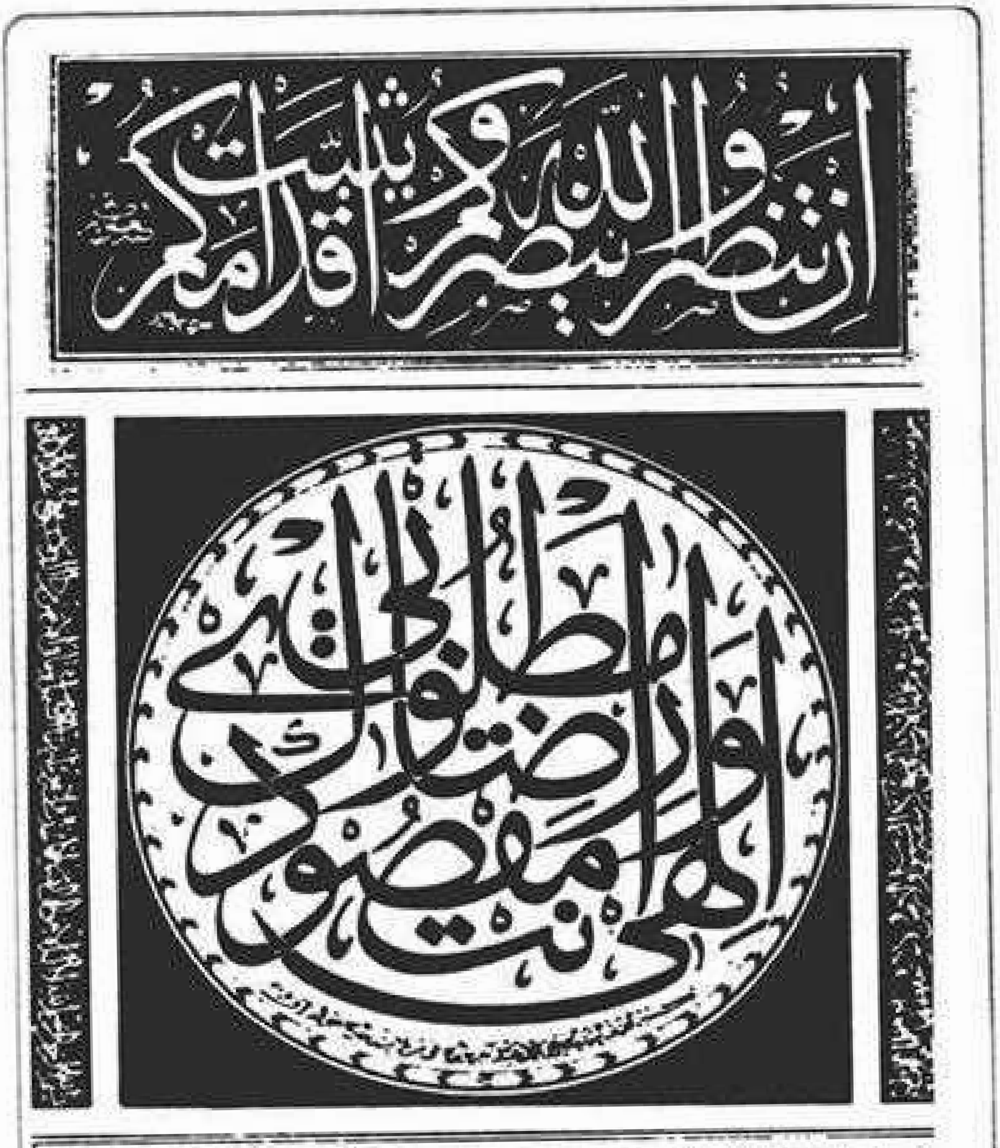
ويوجز المؤلف خلاصة ما هدف اليه من هذا الكتاب ، وهى أبراز أن الاسلام قوة حية ليس فى ماضيه فحسب ، بل فى كل ما يمكن أن يسهم به لخلق مستقبل مشرق .

ويشير المؤلف الى أن العقبة الكئود التى تعترض سبيل ذلك هى نظرة الغرب الى الاسلام منذ أكثر من ألف عام ، وهى نظرة الخوف ، والخوف أسوأ مرشد كما يقول المثل .

والكتاب بذلك محاولة من المؤلف لتبديد هذا الخوف ، بغية تقريب تلك القلوب النافرة الى منابع الهداية والارشاد ، على شريطة التخلى عن أخطاء القرون الوسطى تلك الأخطاء الفكرية والدينية التى صورت الاسلام عدوا ، الى جانب تلك الأضاليل التى أبرزت الاسلام صورة للجهل والظلام ضاربة عرض الحائط بكل ما فى الحقيقة والفكر من أبعاد سامية رفيعة

وبعد فقد كان ذلك كله كلام المؤلف قبل أن يشهر اسلامه ، وهو وغيره من مؤلفاته مما أدى به الى الدخول فى الاسلام عن ايمان واقتناع بعد أن طوف فى الأديان والمذاهب المختلفة ، فلعل فى رحلته الايمانية ما يكون نبراسا لأولئك الحيارى من أبناء جلدته « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » يونس ٥٧ .

د . طه مصطفى أبو كريشه


إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون

البلاد

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
: عبد الفتاح السيد عبد السلام
: صفوت عبد الجواد

رسالة من ملك المغرب لفضيلة الإمام الأكبر



تلقى فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رسالة من مستشار جلالة الملك الحسن ملك المغرب أعرب فيها باسم جلالة الملك عن شكره وتقديره الكبير لفضيلة الامام الاكبر على حسن عنايته وعظيم اهتمامه وما تقدم به من نصائح قيمة بصفته شيخ الجامع الأزهر الى مؤتمر القمة الاسلامي الذى عقد أخيرا فى الدار البيضاء .

من مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى الى سماحة الاستاذ الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر

الموضوع : حول كتابكم الى صاحب الجلالة فى موضوع القمة الاسلامية الرابعة بالدار البيضاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد توصل الديوان الملكى بكتابكم القيم ، الموجه الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب ، والى اخوانه ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية ، فى مؤتمر القمة الاسلامية المنعقد فى الشهر المنصرم ، بمدينة الدار البيضاء .

وانه ليشرفنى ياصاحب الفضيلة ، أن أنهى الى سماحتكم باسم صاحب الجلالة ، شكره وتقديره الكبير لكم ، على حسن عنايتكم ، وعظيم اهتمامكم ، وما تقدمتم به من نصائح قيمة ، بصفتكم أحد أئمة المسلمين وعلمائهم، وشيخ الجامع الأزهر الذى يعتبر مركز اشعاع دينى وثقافى ، من أهم المراكز التى اضطلعت بدور هام فى البلاد الاسلامية .

وان المغرب الذى تشرف دوما بخدمة الاسلام والمسلمين ووفقه الله بالأمس القريب

منذ عقد ونصف من السنين الى دعم أخوانه الملوك والأمراء والرؤساء في الدول الاسلامية، الى عقد قمة اسلامية في العصر الحديث ، ليحمد الله ملكا وشعبا على نعمة التوفيق في خدمة الاسلام وقضاياه ، في جهود متواصلة منه ومن بقية الدول الاسلامية الشقيقة ، حتى تحقق الأهداف المنشودة ، من صادق الأعمال المبذولة .

ثم ان المحاور الاسلامية التي ركز عليها كتابكم المشار اليه ، من جمع لكلمة المسلمين ، ونبذ للخلاف وأسبابه ، ونصرة لقضيتي أفغانستان وفلسطين ، نالت بحمد الله نصيبها الأوفى من عناية المؤتمر واهتمامه .

وتجدون صحبة هذه الرسالة الجوابية ، نسخة من الميثاق المصادق عليه في هذا المؤتمر الذي كان ايجابيا ، وتيسرت فيه سبل التفاهم والعمل .

وتفضلوا سماحتكم بقبول وافر التحية والاحترام ، والسلام .

الجلسة الثانية للجنة العليا للدعوة الإسلامية

عقدت اللجنة العليا للدعوة الاسلامية اجتماعها الثاني بقاعة الاجتماعات بادارة الأزهر . برئاسة الامام الاكبر شيخ الازهر وكان في مقدمة الموضوعات التي ناقشتها اللجنة الاقتراحات المقدمة من الاستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمي شملت كثيرا من القضايا الهامة التي تتصل بالعمل الاسلامي في مصر والعالم الاسلامي .

كما ناقشت اللجنة في اجتماعها وسائل النهوض بالتربية الاسلامية في معاهد التعليم والمساجد وغيرها من الاندية الثقافية والرياضية .

وكان من اهم المقترحات المقدمة الى اللجنة ضرورة الاهتمام بالمساجد الاهلية وضرورة تعيين ائمة وخطباء من خريجي الأزهر .

كما ناقشت اللجنة أيضا . الاقتراح الذي قدمه الاستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي بشأن تعيين ملحق ديني في كل سفارة وبخاصة في البلاد الناطقة بغير اللغة العربية في أوربا وامريكا وافريقيا . وآسيا .

وقد صرح الدكتور عبد الودود شلبي الامين العام للجنة العليا .

بأن مقترحات اخرى على جانب كبير من الاهمية سوف تناقش في جلسة اخرى مقبلة ومن اهمها انشاء معهد الاعداد والتدريب والتوجيه الذي يعود بصورة جديدة في حدة التطورات الجارية في العالم الاسلامي .



توزيع جوائز الشيخ صالح عبدالله كامل بجامعة الأزهر •



أقامت كلية التجارة بجامعة الأزهر احتفالا لتشجيع أبحاث الاقتصاد الاسلامى وتوزيع جائزة الشيخ صالح عبد الله كامل على الفائزين • بلغت الجوائز واحدا وخمسين جائزة • وقد ألقى فضيلة رئيس الجامعة كلمة بهذه المناسبة التى حضرها نواب رئيس الجامعة وعميد كلية التجارة وعمداء الكليات المختلفة جاء فى كلمة رئيس الجامعة •

... ليس غريبا على الأزهر ولا على جامعة الأزهر أن تشارك فى بحوث الاقتصاد والمعاملات الاسلامية فهو أمر مقرر فى الفقه الاسلامى والذين يدرسون الفقه الاسلامى يعرفون أن هناك بابا كبيرا من أبواب الفقه يتناول المعاملات ، فالدراسة فى الاقتصاد والمعاملات ليس جديدا بل هو أمر مقرر منذ ظهر الفقه الاسلامى فى القرن الاول من الهجرة بل منذ ظهر الاسلام نفسه وعلى هذا فاننا سعداء أن يتفضل الشيخ صالح عبد الله كامل بتخصيص جوائز سواء كانت للرسائل العلمية أو ما يعلن عنه فى الصحف وأجهزة الاعلام •

اننا نحب أن نؤكد على ماجاء فى الاسلام أن المال فى الاسلام وسيلة وليس هدفا ولذلك فان أجيالنا بحاجة الى أن تتعرف على وجهة نظر الاسلام فى كثير من الامور والشئون التى نتسامع بها اليوم ويحلو لبعضنا أن يقول اننا نستورد من الغرب أو نستورد من الشرق اقتصادا موظفا أو اقتصادا مؤمما أو اقتصادا موجها الخ الكلمات التى يحلو لهم أن يصفوها أمام أعيننا محاولين أن يفهمونا •

وهى محاولات مقضى عليها ان شاء الله •

أنهم هم الذين يصطنعون هذه الامور والحق الذى يجب أن يعرفه الجميع أن الاقتصاد فى الاسلام أمر مقرر منذ أول لحظة نزل فيها دين الله فى الارض •

طالبة مسلمة من ماليزيا تفوز بالمركز الأول مع مرتبة الشرف !!

اعتمد فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر نتيجة امتحان بكالوريوس طب بنات الازهر فازت بالمركز الاول الطالبة بلقيس هانوم بنت محمد الماليزيه مع مرتبة الشرف بلغ عدد الناجحات ١٢٩ طالبة •

جائزة ماليزيا العالمية لجامعة الأزهر



عاد وفد جامعة الازهر برئاسة فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر والدكتور احمد عمر هاشم عميد كلية اصول الدين بالزقازيق والشيخ محمد بركات ، تسلم فضيلة رئيس جامعة الازهر جائزة . (تون عبد الرزاق) العالمية لجامعة الازهر ، وقد مكث الوفد عشرة ايام بين كوالا لامبور ومقاطعات ماليزيا حيث تم اقامة مؤتمرات وندوات ولقاءات بين رئيس الوزراء والوزراء والسفراء ، وزيارة الجامعات الاسلامية والمدارس والمعاهد .. كان للزيارة أكبر الاثر فى توطيد العلاقات بين مصر وماليزيا وبين جامعة الأزهر والجامعات الاخرى .

الدرجات للعاملين باجر نظير عمل بالازهر .

وافق الجهاز المركزى للتنظيم والادارة على طلب الامانة العامة للمجلس الاعلى للازهر الخاص باعتماد الدرجات اللازمة لتثبيت المعينين باجر نظير عمل فى الازهر على الدرجات المناسبة لكل منهم حتى تستقر حالته الوظيفية وتقبل بكل جهده على العمل والانتاج .

فى حقل الدعوة والامامة

تبدأ خلال شهر رمضان وشوال دورات تدريبية للعاملين فى حقل الدعوة والامامة والخطابة من أبناء الفلبين وغينيا . ويشرف على هذه الدورات ــ التى ستجرى فى جنوب الفلبين وكوناكرى عاصمة غينيا ــ المجلس العالمى للمساجد ، والاتحاد العالمى للمدارس العربية والاسلامية . وتأتى فى اطار الدورات التى يقوم بها الجانبان فى الأقطار الاسلامية غير العربية ، لتدريب معلمى اللغة العربية ، والثقافة الاسلامية فى هذه البلدان .

مدة كل دورة شهر ، وعدد المشتركين فيها من مائة الى مائتى طالب يدرسون فيها المواد الاسلامية التى تؤهلهم للدعوة والامامة والخطابة بالاضافة الى المواد التربوية والعلمية ، حتى يتمكن الخريج من القيام بواجب الدعوة ونشر لغة القرآن الكريم .

ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية

صدر قرار دستورى من المحكمة العليا الاتحادية فى دولة الامارات العربية المتحدة باعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الأسمى لكل القوانين . وأنه لو صدر قانون خاص بوقف تطبيق الحدود الشرعية يكون غير دستورى لتعطيله حدود الله وأن كل عقوبة تعزيرية

أنبـــاء ... وآراء

لا تتعارض مع تطبيق حد الشرب الواجب التطبيق فهى دستورية .

وقد صدر هذا القرار بناء على توجيهات سمو رئيس الدولة بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية فى جميع الأحكام . وستكون لهذا القرار صفة الالزام ، بحيث يكون على كل ذى سلطة أن يبادر بتصحيح ما يخالف القرار المذكور .

١٣٤ يشهرون اسلامهم

ذكرت احصائية صادرة عن دائرة القضاء الشرعى أن مائة وأربعة وثلاثين قد أشهروا اسلامهم فى الأيام الأخيرة فى دولة الامارات العربية المتحدة . وهم من جنسيات مختلفة منهم الهندى والبريطانى والفرنسى والأمريكى واليابانى . وقد اختار معظمهم أسماء عربية بعد اسلامهم .

مجلس عالمى للدعوة الاسلامية

أصدر المؤتمر العالمى الاسلامى الثانى للدعوة والدعاة ، الذى عقد فى المدينة المنورة أخيرا ، قرارا بانشاء مجلس عالمى للدعوة الاسلامية . كما أوصى بضرورة ايداع أموال المسلمين فى مصارف اسلامية ملتزمة بأحكام الشريعة الاسلامية .

وقرر المؤتمر اعتبار قضية فلسطين قضية اسلامية ، وأن على المسلمين واجب الجهاد لاسترداد فلسطين والمسجد الأقصى من أيدى المغتصبين ، ووقوف المسلمين بجانب الشعب الأفغانى المسلم فى جهاده ضد العدوان الشيوعى .

مركز اسلامى بمدينة « مالو »

بعد احدى وعشرين سنة من الاعداد لاقامة مركز اسلامى بمدينة « مالو » بالسويد . بدأ تنفيذ المرحلة الأولى لبناء المسجد ومنارته التى يبلغ ارتفاعها أربعين مترا . وفى المرحلة الثانية يتم بناء مكتبة ومحل لبيع اللحوم المذبوحة وفقا للشريعة الاسلامية ، ومأوى للعجزة ، ودار للحضانة ، ومدرسة ، ومدفن للمسلمين .

يتم الانتهاء من بناء المركز الاسلامى بعد ثلاث سنوات ، ويتكلف المشروع نحو خمسة وعشرين الى ثلاثين مليون « كراون » ساهمت فيها حكومة السويد والمملكة العربية السعودية ومن المنتظر أن يكون لهذا المركز الاسلامى شأن عظيم فى منطقة أوروبا الشمالية .

نشرات بالعربية فى باكستان

بدأت الباكستان فى نشر الأخبار باللغة العربية . ويرى المراقبون أن هذا يعد خطوة

جادة لجذب الاهتمام باللغة العربية فى المنطقة الآسيوية واعترافا بأهميتها ومكانتها ، واهتمام باكستان باللغة العربية نابع من الروح الاسلامية القوية التى تسود المجتمع الباكستانى ، وتجعل منه قلعة من قلاع الاسلام .

(عكاظ ٢٦ فبراير)

وثيقة لاصلاح التعليم

شكلت ندوة الثقافة التى نظمتها « المنظمة الاسلامية » للتربية والثقافة والعلوم — لجنة صياغة للنظر فى وثيقة عمل حول تكريس الجهود للبحث فى وسائل اصلاح ما يعانيه العالم الاسلامى فى مجال التربية والتعليم .. وتتضمن الوثيقة عددا من المقترحات عن كيفية جعل التعليم اسلاميا فى كل مراحله .

وذكرت وكالات الأنباء « تونس افريقيا » أن الندوة صدقت على اقتراح يهدف الى جعل الثقافة الاسلامية محور مناهج التعليم ، وذلك بمساعدة خبراء فى التربية والتعليم والاعلام .

البدء فى بناء مسجد روما

قالت مصادر رسمية فى بلدية « روما » ان العمل فى بناء مسجد روما سيبدأ قريبا بعد منازعات استمرت سبعة أعوام . وسيقوم عمال البلدية بهدم منزل قديم فى منطقة « مونتى نيينى » الواقعة فى حى « باريولى » المعروف . لأن المنزل القديم داخل القطعة التى تبرعت بها بلدية العاصمة للجالية الاسلامية والتى تبلغ مساحتها خمسين ألف متر مكعب .

وبعد استكمال هدم المنشآت القائمة فى هذه القطعة . يبدأ العمل فى مسجد روما الذى شهد منذ عام ١٩٧٧ حملة شعواء ضد وجوده فى هذه المنطقة على يد منظمة تدعى « ايطاليا لنا » « ايتاليا نوسترا » يشك فى اخلاص ونقاء مبرراتها المعارضة لبناء مركز عبادة دائم لأكثر من مائة ألف مسلم يعيشون فى العاصمة الايطالية .

مسجد جديد بـ « ويلز »

تم افتتاح مسجد جديد بمقاطعة « ويلز » فى بريطانيا تكلف ستمائة وخمسين ألف دولار . ويضم مدرسة وعدة مبان لاقامة الصلاة .

معهد للشئون الاسلامية بامريكا

أقيم مؤخرا احتفال بالعاصمة الأمريكية لتحويل لجنة الاحتفال بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى الى معهد دائم للدراسات الاسلامية .

كانت لجنة الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا

أنبـاء ... وآراء

على الهجرة النبوية تأسست سنة ١٩٧٩ م • وقامت منذ ذلك الحين بدور كبير وفعال في التعريف بالاسلام وبالتراث الاسلامي في الولايات المتحدة ، وعن طريق عقد الندوات والمعارض والمحاضرات المتعلقة بالاسلام والتاريخ الاسلامي في الجامعات والمؤسسات والمعاهد العلمية والمكتبات في كثير من الولايات الأمريكية •

وقد أعلن « كريستوفر خان هولين » مدير المعهد الجديد ، في تصريح أدلى به بأن المعهد سوف يسير على النهج الذى سارت عليه لجنة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى ، ولا سيما بالنسبة للتعريف بالاسلام والتاريخ والتراث الاسلامي في الغرب •

دار القرآن الكريم بحيدر أباد

تم تأسيس دار للقرآن الكريم لنشر الدعوة الاسلامية بحيدر أباد بالهندلطلابها ومحبيها • وتتبع دار القرآن الكريم منظمة « الخدمة الاسلامية » • وجدير بالذكر أن أهم مشروعات منظمة الخدمة الاسلامية تنحصر في الأعمال العالمية والدينية وتقدم تفاصيلها للناس • وستحظى دار القرآن الكريم • وهي أحد مشروعات الخدمة الاسلامية بخدمات علماء حيدر أباد وأصحاب الآراء المسلمين • ويعتزم المشرفون على الدار القيام بنشر تعليم القرآن الكريم بين الناس وترغيبهم في ممارسة السلوك بالخلق الاسلامي •

اكاديمية اسلامية

تم في مدينة « كيمبردج » بانجلترا انشاء مؤسسة للأبحاث العلمية والدراسات باسم الأكاديمية الاسلامية • بهدف اعداد المناهج والمقررات الدراسية وشتى فروع المعرفة •

وقال الأمين العام للمؤسسة الدكتور سيد على : ان الهدف من وراء انشاء الأكاديمية هو القيام بصياغة المفاهيم الاسلامية لكل فرع من فروع المعرفة على أساس القرآن والسنة في مواجهة المفاهيم العلمانية السائدة الآن • كما أن الضرورة تقتضى قيام مؤسسة للأبحاث يستطيع العلماء من خلالها تنفيذ هذا البرنامج •

ويقول الأمين العام : ان هذه المؤسسة ستكون بمنأى عن النفوذ والسيطرة المباشرة لأى بلد ، حتى يمكنها تقديم الأبحاث بتجرد وحياد ، وهذا هو السبب في اقامتها في قطر غربى حر مثل انجلترا •

معهد للترجمة الاسلامية

بدأت اقامة معهد الترجمة الاسلامى الذى يتبع منظمة المؤتمر الاسلامى • والغرض منه

تنظيم وتكثيف نشاط الترجمة بعد أن كانت مجهودات فردية . وهدفه اعداد متخصصين في ترجمة الفكر والتراث الاسلامي من اللغة العربية الى اللغات الأوروبية والافريقية والآسيوية والعكس ، حتى نأخذ بالمعارف والعلوم العصرية الحديثة . ونمد الجماعات الاسلامية غير الناطقة بالعربية بما تحتاجه من معرفة بأصول دينها وفروعه .

آراء

اعداد/عبد الفتاح السيد عبد السلام

كتب السيد/ربيع السيد احمد ــ الصف ــ جيزة ..

مقترحا أن تنشر المجلة في باب دراسات في السنة مقالا شافيا يوضح فيه الكاتب كيفية الفرق بين الاحاديث الصحيحة والاحاديث الضعيفة لكي نعرف الفرق بينهما ووفقكم الله الى ما فيه الخير .

المجلة تشكر لك هذا الاهتمام وستعمل ان شاء الله على هذا ونسأل الله ان يوفقكم ويوفقنا لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .

كتب السيد/عبد القادر السيد محمد ــ السيدة زينب ــ القاهرة ..

يقول نرجو متابعة قصص الانبياء حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لأننا استفدنا كثيرا من قصة سيدنا شعيب عليه السلام ونحن في حاجة ماسة الى هذه القصص لعدم وجودها في أسواق الكتب بمثل هذه الجودة التى رأيناها .

● المجلة تشكر لك هذا الشعور الطيب محاولة تنفيذ ذلك ووفقكم الله .

ردود خاصة الى السيد/عبد الرحمن على رجب ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر :

الكتابة في المجلة ليست قاصرة على أفراد معينين ولكن لمجلة الأزهر طابعها الخاص بها وهى ترحب بالبحوث العلمية المبتكرة . وفقك الله الى مايحبه ويرضاه .

حظى الاستاذ/كمال الدين كامل محمد حسن الثقافى .

وكيل مدرسة حلوان الثانوية للبنات ــ وزارة التربية والتعليم بلقب « المعلم المثالى » لجمهورية مصر العربية .

الاستاذ خريج كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر .

لفضيلة الاستاذ الدكتور/محمد عبد الخالق عضيمة « رحمه الله » موسوعة : « دراسات في مسائل القرآن الكريم » .

تقع الموسوعة في احد عشر جزءا تعتبر « معجما نحويا صرفيا للقرآن الكريم » .

انتهى ــ رحمه الله ــ من تاليفها عام ١٩٨١

فهرس العدد

earth, Director of forces and fates, founder of causes and courses. Such is the nature framed by Allah by which He has created man.

Promise and warning, both in this life and in the Hereafter. According to the Qur'an, the righteous are promised in this life establishment in the land and inheritance of power; whereas adverse consequences and dreadful inflictions that no one can repel await the infidels who deny the Reality. Concerning the Hereafter, the Qur'an portrays the endless and unalloyed delight of the Garden, which allures man into seeking the pleasure of the Creator. On the other hand, the Qur'an portrays the terrors of Doomsday and points out the un-inevitable abasement into ceaseless punishment of the unbelievers.

These are the objects of the Holy Qur'an and the way it teaches. It is therefore a must that we turn towards it to recite it of listen to its recital. We have also to make out its ordinances and follow its requirements. This will surely make it easy for us to find our right way and broaden our understanding of this blessed Book. We will certainly apply its teachings on ourselves as well as on our folk. In this way, we attain the pleasure of Allah and His requital for it, both in this life and in the Hereafter.

As to those who hold fast by the Book
And establish regular prayer, never
Shall we suffer the reward
Of the righteous to perish

(Surat Al-A'raf VII, 170)

* Translation from :

To the Glorious Qur'an
Imam Mahmoud Shaltout
Pulications of Administration of Islamic Culture
Azhar University
Cairo - 1962

the employer and the workman, the landlord and the tenant, man and neighbour, property and mortgage, ruler and subject, crime and punishment, peace and war, covenants and immunity, retaliation and absolution, inland and abroad, and all that governs man's life and society.

The Qur'an also points out the sources of Islamic Law. These are : the Qur'an , the Tradition and the well-founded conclusion of the learned and thinking Imams, drawing on the Qur'an and the Tradition. As for government, the Qur'an ordains it to be based on "Counsel" , which has to be a peculiarity of Muslims.

Such are the mainlines of the objects of the Glorious Qur'an. The Qur'anic call to such objects has its manifestations in the following :

1. Drawing men's attention to consider the dominion of the heavens and the earth and what Allah has created. This will persuade man to look at the prints of Allah's mercy and omnipotence. The hearts will then be swollen with faith in His existence and greatness. Rather than limitation or invention, such faith will be based on solid grounds of personal findings and conviction. For Allah has honoured man's intellect and opened for it the door to research in all fields.
2. Narratives of the history of mankind, of individuals and nations, good and bad. The Qur'an provides different moving parables and examples which hammer consideration into minds and hearts, and show Allah's means of requiting man. In doing this, the Qur'an does not follow patterns of history books concerned with times, lands and people, arranged chronologically nor does it aim to exhibit wonders and abnormities as fables.
3. Awakening man's inner feelings to inquire into his origin, substance, constitution, life and fate. This will guide him to the acknowledgement of Allah, God of the heavens and the

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

Creed purifies the heart from all traces of atheism, and polytheism. It brings man in spirit, into contact with the Holy unseen Reality. It encompasses all that man has to embrace as regards the attributes of Allah (Exalted be He), the Angels, the Apostles, the Holy Scriptures, Resurrection and Requital on the Last Day.

Morality polishes man's character and refines his manners. It elevates both individuals and society, and strenghens the ties of fraternity and co-operation. It constitutes sincerity, steadfastness. Loyality, fidelity, clemency and sympathy. Morality is both the necessary soil and the blessed fruit of man's faith.

Law is all that Allah(Exalted be HE) has decreed or pointed to in His Book and made incumbent on man. Almost on the same footing it embraces man's attitude both towards his Maker and towards his fellow creatures. It demonstrates the acts of worship that must be observed; namely, prayers, almsgiving, fasting, pilgrimage, oath-taking, and in fact all that nourishes faith in the heart and hleps it bear its admirable fruits. It also embraces all that can be labelled

"Personal Statute Law", "Commercial Law","Penal Law", " Military Law", "International Law" and so on. It cares about marriage and divorce, child and parent, the present and the missing, the well-off and the needy, the dead and the living, the seller and the buyer, the creditor and the debtor

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

The Holy Qur'an is the last and unsucceeded heavenly Book which Allah (Exalted be He) has sent down for the guidance of the entire mankind. Allah (Exalted be He) reveals:-

A.L.R. A Book which we have revealed
Unto thee, in order that Thou mightest
Lead mankind out of the depths of darkness
Into light- by the leave of their Lord - to the
Way of (Him) the Exalted in power,
Worthy of all Praise.

(Surat Ibrahim, XIV, 1)

Verily this Qur'an Doth guide to that
Which is most right, and giveth the glad
Tidings to the Believers who work
Deeds of righteousness, that they
Shall have a magnificent reward

(Surat Bani Isra-il,XVII,9)

From this, it is quite clear that the Qur'anic objects have three themes of subject matter; namely creed, morality and law.

THE SUMMONS IN PUBLIC

The tyrannical oppression and cruel antagonism continued from Koraysh to Muslims in resolute pitiless and bitter severity. Amidst this were instances of negotiative approaches and challenges.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

References:

1) Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohamed Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commerical Library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
   Mohammd Hussein Heikal
   Dar Al- Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Qur'an
   Text , Translation and Commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6) Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th. Edition, 1977
   Dar Al Fikr , Cairo

It is revealed to me by revelation that
Your God is one God : so stand true to Him,
And ask for His forgiveness. And woe to those

Who join other gods with God.

(Surat Fussilat, XLI, 1-6)

Then the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) told Utbah " You have heard, and I leave you to that". When Utbah returned to Koraysh he told them " I have heard words, never have I heard the like, it is not poetry, it is not witchcraft, neither it is sorcery nor delusion.

Leave the man to his concern, I have heard words that will have dominant renown". Koraysh then suggested to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to participate in their creed of worship, and they will participate in his creed of worship; that suggestion was utterly refused, and in this the Qur'an states

Say : O ye that refject faith
I worship not that which ye worship,
Nor will ye worship that,which I worship
And I will not worship that which
Ye have been want to worship
Nor will ye worship that which I worship
To you be your way , and to me mine.

(Surat Kafirun, CIX , 1-6)

ed other patterns of policy, that of negotation and dialoge. They deligated as their envoy Utbah Ibn Rabieah Alabshamy from Bani Abd-Shams to meet and talk with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). Utbah said " Nephew, you are amongst us of high esteem, and you came to us with a matter that has disturbed their ideas, abolished their beliefs, denied their gods, and caused great commotion in their society.

Listen to me offer you ideas for your choice. If it is wealth you seek, we will provide you to make you the richest; if you seek rank, we will nominate you leader and king; and if you are bedeviled or bewitched, we will spend for your cure". The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) said "if you have finished, now listen to me, and recited from the Qur'an

Ha-M.A revelation from the Most Gracious, the Most Merciful.
A book, whereof, the Verses are explain in detail;
A Qur'an in Arabic, for people who understand;

Giving Good news and Admonition, yet most
Of them turn away, and so they hear not.
They say : Our hearts are under veils concealed
From that to which thou dost invite us, and
In our ears is a deafness, and between us

And ther is a screen : so do thou what thou wilt.
For us, we shall do what we will.
Say thou , I am but a man like you,

humility. Even the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) himself, and several followers including Abu Bakre who belonged to high ranking clans of Kuraysh; did not escape the fierce, violent, blind, brutal and coercive conduct of Koraysh towards muslims. Examples of Bilal Ibn Rabah, Ammar Ibn Yaser and his parents, Musaab Ibn Umair, Khabbab Ibn Alberet, are but very few representative models of the numerous other muslims that experienced the relentless obstinate ruthless cruelty and torture which Koraysh inflicted upon muslims. The Prophet himself (Prayers and Peace from Allah upon him) was beaten, ridiculed, atrociously contempted and humiliated; always confronted with scornful sarcasm and satiric derisive actions and speech. However, inspite of all the intense pitiless and unyielding oppression and despotic enmity of Koraysh; the muslim minority stood their grounds with patience, steadfastness, firm conviction, true faith, and absolute belief that Allah (Exalted be He)will vindicate and champion them both in this life and in the Hereafter.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was once struck and cursed by Abu Jahle(Amr Ibn Hisham) in public. The incident was related to Hamza Ibn Abdel Mutaleb who became violently angry and outraged, and went directly to where Abu Jahle sat among men of Koraysh and with full intention struck Abu Jahle with his bow to wound his scalp and said " How dare you beat and insult my nephew when I follow his creed, spead as he speaks, and think and believe as he thinks and believes".This was the Islam of Hamza whose bravery and compelling personality gave him the high ranking honour and prestige in the defence and propagation of Islam.

Together with tyranny and persecution, Koraysh tri-

THE SUMMONS IN PUBLIC

The opposition and contradiction of Kuraysh to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) escalated into tyranny, oppresion, humility, and inflicting harm upon him and his followers. The Prophet (Pryaers and Peace from Allah upon him) was protected by his uncle Abu Taleb as chieftain of Bani Hashim. Some men from Koraysh spoke to Abu Taleb compalining that his nephew ridiculed their creed , and mentioned their gods with cantempt and derision; and asked him to stop his nephew from such action, or to lift his protection and allow them to deal with him. Once again they came to Abu Taleb, this time they were severe in words and impatient in demand, they threatened open confrontation. Abu Taleb mentioned the matter to his nephew the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) who replied with the famous statement " Uncle, I vouch by Allah, if they place the sun in my right hand and the moon in my left hand to leave that matter, I shall not; untill Allah exposes it or I cease to exist". Abu Taleb in reply to this statement affirmed his protection to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him), who continued with conviction and steadfastness the call and public summons to the new faith of Islam and its doctrines as directed and commanded by the continuing revelation.

The opposition and antagonism of Kuraysh was fierce; and the tyranny, oppression,humility, cruelty, torture, and severe torment which they inflicted on muslims was beyond measure. Inprisonment, chain binding, carnal pain, hunger, thirst, flog with whip and lash were all common daily paractices. No muslim escaped the opposition and antagonism of Kuraysh; and very few escaped the intense severe carnal cruelty, torture and torment; and all muslims experienced the tyranny,oppression and

to grace justification, purification, consecration, salvation, and devout reverence.

The call to atonement, restitution and redemption; the call to worship Allah the One god, the Creator, the Almighty, the Omnipotent, the Eternal, the Absolute, the Infinite....; the call to belief in the Revelation, in the Messenger, in the Unseen, and in the reward and punishment in the Hereafter.

The reaction of Kuraysh to the call of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was absolute denial and rejection to the call. They abjured and disdained with incredulity and skepticism the doctrines of the belief he presented. They justified their reaction with the allegation and pretext that they cannot conceive to denounce and condemn the faith they inherited from their fore-fathers which is ideographic of their identity and representational of their creedal system. In answer to their allegation, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) exploited their logic and reasoning, and addressed their minds as to the basic need and necessity to liberate their thoughts and beliefs, and emancipate themeselves from bigotry and chauvinism. The gods they worshipped were worthless stone idols incapable of benefit or harm; and that following their fore-fathers in their creedal system was no justification; and that simulation with repetitive imitation of feudalism of worship should be discarded. These imitative traditions are parasitic patterns of human conduct that spontaneously grow to cover and engulf the normal law and logic of human behavior and mind. The people of Kuraysh remained to reject and refuse, they unanimously decided to oppose and contradict the message of the new faith.

THE SUMMONS IN PUBLIC

In conformity with the divine command, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) started to summon call to Islam by public announcement, first to his Kinsmen and then to the inhabitants of Macca at large. He ascended the Safa and called all the clans of Kuraysh by name to gather and hear his words. He asked them " Would you believe me if I tell you that from where I stand, I see horses along that valley yonder ready to raid upon you ?". The audiance from all the clans of Kuraysh Knowing him as the honest and truthful , and accepting that by standing on the Safa, could have wider and more clear vision than below the Safa- They answered "We believe you , we vever knew you to lie". The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) said " I am indeed he that warns you openly, and without ambiguity - I am the Messenger of Allah to you and to all mankind. You will be judged in the Hereafter, rewarded for good deeds, and punished for evil ones - it is paradise or hell". All attendants remained silent except his uncle Abu Lahab who said in denying hostile repugnance " Is that all you summoned us for?".

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) with confident belief and conviction obeyed the divine command to admonish his nearest Kinsmen, and publicly call for the worship of Allah and that Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was the Messenger of Allah. The performance of the command was undertaken in frank open simple and direct straightforward manners. There was no mincing of words or compromises with contradictions. The mannerism by which the divine command was executed indicates the sagacity and wisdom of speaker, and designates the status of prophethood. The call to freedom from paganism and idolatry, from profanity and heathenism; the call

THE SUMMONS IN PUBLIC

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The summons to Islam in secret lasted for three years from the start of the Revelation. The second phase of the call to Islam started by divine command from Allah to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to expound his call openly in public and to advice and warn his nearest Kinsmen.

Therefore expound openly what thou art commanded,
And turn away from those who join false gods with God.
(Surat Al-Hijr,XV,94)

So call not on any other god with God,
Or thou wilt be among those under the penalty,
And admonish thy nearest Kinsmen, and lower
Thy wing to the Believers who follow thee.
Then if they disobey thee,
Say, " I am free from what ye do !
And put thy trust on the Exalted
In Might - The Merciful.
(Surat Shu'araa,XXVI,214 - 216)

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٤ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



التقيت به في رحلة مباركة :

كان هو الصديق العالم د / فانيام مبادى عبد الرحيم .

أعرف فيه — ولا أزكى على الله أحدا الحرص على الدين ، والاهتمام بالأزهر الشريف خاصة ، فقد حمل منه أرفع درجاته العلمية في اللغويات .

سألني — في احتجاج مصحوب بأسف أليم :

كيف سمح الأزهر لنفسه أن يشرف وليم ويلكوكس على مجلة الأزهر ، وتخرج المجلة الى المسلمين حاملة اسم هذا الرجل ؟ .

قلت : ذلك لم يحدث أبدا . قال : هذا هو الدليل .

ثم أخرج كتابا أورد بإحدى صفحاته فقرة عن اللغة العامية مصدرها مجلة الأزهر التي يشرف عليها وليم ويلكوكس المستعمر سالف الذكر ، والتي صدرت في القرن الماضي داعية الى استعمال العامية ونبذ الفصحى لأن الفصحى سبب تأخر المصريين ، وأشتد بذلك في دعوته .

الجزء الثامن — السنة السادسة والخمسون
مايو ١٩٨٤ ميلادية — شعبان ١٤٠٤ هجرية

قلت : هى ليست مجلة الأزهر الصادرة عن مشيخته ، وانما هذه مجلـة اطلق عليها صاحب امتيازها اسم مجلة الازهر .

قال : ليس يعلم ذلك كل أحد . قلت : صحيح !!

وعلمت بذلك واجبى ، فاذا كنـا ـ نحن فى مصر ـ ندرك هـذه الحقيقة ، فان المسلم فى بقاع العالم الاسلامى تشرد عنه ، فما أن عدت الى أرض الوطن حتى اسـتعنت بالله وكلفت زميلا بتقديم دراسـة وافيـة عن هـذه المجلة اثباتا للحقيقة ، وعثـر الزميـل على مجلتين لا واحدة تحمل اسم الأزهر ولم تصدرا عنه ،وابتداء من هذا العدد يجد القارىء دراسـة مستوفية عنهما .

فأما مجلتنا هذه ... مجلة الأزهر الصادرة عن مشيخته ، فقد قدم اقتراح بانشـائها الى المجلس الأعلى للأزهر فى جلسته المنعقدة فى ٣ من جمادى الآخرة عـام ١٣٤٥ المـوافق ٨ ديسمبر ١٩٢٦ ثم عرض الموضـوع عـام ١٩٢٧ م فشكلت لجنة من الشيخ أحمد هرون المـدير العام للمعاهـد ، والشـيخ محمـد عبد اللطيف الفحام وكيل الجـامع الأزهـر ، والشيخ عبد الغنى محمود شيخ معهد طنطـا رحمهم الله أجمعين .

ثم أدرج لها ميزانيـة تخصـها فى عـام ١٩٢٩ م ، واهتم الامام الأكبر الشيخ محمـد الأحمدى الظواهرى بها وتوجهت عنايته اليها حتى صدر أول أعدادها فى المحـرم ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣١ باسم « نور الاسـلام » ثم حملت اسم مجلة الأزهر ابتداء من منتصف عام ١٣٥٤ الهجرى وكتب رئيس تحريرها .. بهذا العدد يقـول :

« رأى حضرة صاحب الفضـيلة الأسـتاذ الأكبر أن يغير اسم هذه المجلة فيجعلـه (مجلة الأزهر) بدل (نور الاسـلام) وهو عمل حكيم ، فان هذه التسمية الجديدة دلالة ذاتيـة على مصدر المجلة وبيانا لوجهتها وغايتهـا خـلافا للاسم القديم ، فـانه لا يفـرق بينهـا وبين ما يصدره الأفراد من المجلات فتحتاج معهـا الى التعريف والتمييز .

وقد ظهرت هذه المجلة من أول هذا العدد بهذا الاسم الجامع ، فنرجو الله أن يجعلـه فاتحة عهد جديد لها تنال فيه غاية ما قدر لهـا من ذيوع وانتشار وتؤدى للعالم الاسـلامى كله ما يتطلـع اليـه من غـذاء عقلى وروحى وما يرمى اليه من ثقافة عامة وارتقاء فكـرى محمد فريد وجدى » .

ولئن كـان هنـاك عبـرة تطرحهـا الاحـداث ، فانما هى كلمـة تقال لكـل مسلم : انك على ثغرة من ثغر الاسـلام فاحذر أن يؤتى الاسلام من قبلك .

الدكتور أحمد على الخطيب

دراسات قرآنية

دراسة قرآنية

نظرات قرآنية

الحمد فى القرآن الكريم

دراسة قرآنية

إيمان إبراهيم عليه السلام

لاشك فيه ..

قال الله تعالى فى سورة البقرة « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » الآية ٢٦٠

ابراهيم — عليه السلام — رسول الله وخليله ، كما انه أبو الأنبياء والمرسلين ، فولداه اسماعيل واسحاق رسولان .

ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين من ولد اسماعيل — عليهما الصلاة والسلام — ، ويعقوب — عليه السلام — رسول وهو من ولد اسحاق بن ابراهيم ، وكما يسمى يعقوب يسمى اسرائيل واليه ينتهى أنبياء بنى اسرائيل ورسلهم .

ومع مكانة ابراهيم وعراقته فى الخلة والرسالة وأبوته للمرسلين ، تجده فى هذه الآية الكريمة يسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فيقول له ربه « أَوَلَمْ تُؤْمِن » فيجيبه بقوله : « بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » أى نعم آمنت ولكن ليطمئن قلبى .

وجوابه هذا يشعر أنه غير مطمئن القلب ، ومن كان كذلك فكيف يكون مؤمنا ، وكيف يجيب بقوله : بلى آمنت ، مع أن أساس الايمان طمأنينة القلب ، وكيف وصل الى الرسالة والخلة وهو غير مطمئن القلب .

هذه أسئلة تمر بعقل من يقرأ هذه الآية الكريمة ومن يسمعها ، ومن أجل ذلك كان لابد من الجواب عليها ، لتنتفى عن النفس تلك الخواطر التى تعتمل فيها نحو رسول الله وخليله وأبى الأنبياء والمرسلين — عليهم الصلاة والسلام — .

الجواب

اذا تأمل القارىء أو السامع صورة السؤال يشك فى ايمان ابراهيم — عليه السلام — بأن الله تعالى يحيى الموتى وقت توجيهه له السؤال ، فانه لم يقل : أأنت تحيى الموتى ، بل قال : كيف تحيى الموتى ؟ وهذا يدل على أنه مؤمن بأن الله تعالى يحييهم ، ولكنه يريد أن يعرف طريقة احيائه اياهم وكيفيته ، فكأنه يقول عرفنى طريقة احيائك الموتى ، وهذا كمن يقول لمن اخترع آلة لصنع الخبز — وهو يعلم أنه مخترعها — أرنى كيف صنعتها ، أى عرفنى

للشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

الخطوات التى اتبعتها فى صنعها ، فسؤاله هذا ليس فيه شائبة الشك فى أنه صانعها، بل الغرض منه أن يعرفه طريقة صنعها .

فالسؤال بكيف يكون عن كيفية شيء مقرر الوجود عند السائل والمسئول جميعا ، فان قيل: لو كان ابراهيم ـ عليه السلام ـ مؤمنا بأن الله تعالى يحيي الموتى ، وأنه يريد أن يتعرف طريقة فى احيائهم ، لما قال له سبحانه : أو لم تؤمن .

فالجواب أن المراد بقوله تعالى «أَوَ لَمْ تُؤْمِن» أنك آمنت باحيائى لها وهذا يكفيك ، فانك تعلم أن من قدر على الابداع قدر على الاعادة ، فأى داع لطلبك معرفة كيفية احيائها .

فالاستفهام فى قوله « أَوَ لَمْ تُؤْمِن » انكارى بمعنى النفى ، وهو مسلط على النفى بعده ، ونفى النفى اثبات ، أى انك تؤمن فلماذا تسأل ؟

وقد أجاب ابراهيم ـ عليه السلام ـ ربه بأنه مع كونه آمن بأنه يحيي الموتى ، له غرض آخر من طلبه من الله تعالى أن يريه كيف يحييها وهو أن يطمئن قلبه .

وقد كنى بطمأنينة القلب عن العلم والمعرفة ، فهو من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ، ولاشك أن العلم بالمجهول يجعل القلب مطمئنا الى ماعلم بعد أن كان قبل علمه تواقا الى المعرفة طالبا لها، غير مطمئن القلب الى حالة الجهل التى تلف فؤاده وتكتنفه فطالب المعرفة يدعوه قلبه الى أن يتعرف ما جهل ، لا شكا بل تعلما ، ولا يستقر فؤاده حتى يبلغ ما يريد من المعرفة .

النبى ينفى الشك عن ابراهيم

ولقد نفى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشك عن جده ابراهيم بأروع أسلوب من التواضع فى تقرير الحق حيث قال « نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي(1) » يعنى أنه لو كان ابراهيم ـ عليه السلام يشك فى قدرة الله على احياء الموتى ، لكنا نحن الأنبياء أحق بالشك منه ، واذا كنا لا نشك فى احياء الله للموتى ، فأبونا ابراهيم أولى منا بأنه لا يخالجه شك فى قدرة الله على ذلك .

ما يقوله المفسرون فى الآية

يقول المفسرون : انه سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين الى مرتبة عين اليقين ، وليس الأمر كما قالوا ، فانه يفتح أبواب الشر ، فانه اذا كان الأنبياء لا يكتفون بعلم اليقين الناشيء عن آيات الله ، بل يريدون يقينا نابعا من المشاهدة ، فان غيرهم يكون معذورا ان طلب مثل ما طلبوا فان لم يجابوا فلا حرج عليهم ان ظلوا فى حيرة واضطراب ، وهذا ـ بلا شك ـ يفتح باب الشك والعذر لمن لا يجد المشاهدات

(1) من حديث اخرجه الامام البخارى بسنده فى كتاب بدء الخلق .

دراسة قرآنية

التي توصله الى عين اليقين .

والذي أراه أن ابراهيم — عليه السلام — ، طلب أن يعرف ذلك لينتقل عنه الى الناس عبر الاجيال ، حتى يكون حجة من الله على خلقه ، اذ لم يكن هو بحاجة الى معرفته ، لمكانته عند الله نبوة وخلة .

فاذا كان الأنبياء لا يجوز عقلا أن يختارهم الله الا من أصحاب اليقين الذى لا غاية وراءه ، فكيف يكون خليل الله وأبو الأنبياء محتاجا الى عين اليقين ليثبت به فؤاده .

فالحق أن قصة ابراهيم هنا تصويرية وتعليمية للناس ، اذ فرض نفسه فيها غير مطمئن القلب الى احياء الموتى ، وطلب الدليل الحسى الذى يوصل الى الطمأنينة ، لغرض هداية الحيارى والمتشككين .

كما كان شأنه مع عباد الكواكب ، فقد فرض نفسه أمامهم جاهلا بالخالق سبحانه وتعالى ، ثم جعل يتعرف عليه . «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ» وهكذا ظل يشير الى أمارات بطلان عبادتها ، حتى انتهى الى قوله « يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . كل ذلك حدث وهو عارف بربه ، عالم بأنه خالق الأرض والسماء ، ولكنه أسلوب تجاهل العارف ، لغرض هداية من لا يعرف ، وستفرد لذلك مقالا ان شاء الله تعالى وحسبك دليلا على يقين ابراهيم عليه السلام باحياء الله للموتى وبعثهم ، ما نقله الله تعالى عنه فى قوله « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ » الآية

ووجوب الايمان بالبعث قدر مشترك بين جميع الناس ، فكيف بالأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — أما ما قيل‌رويا عن الحسن وقتادة وغيرهما ، من أن ابراهيم ، رأى جيفة نصفها فى البر تتنازعه السباع ، ونصفها فى البحر تتنازعه الأسماك ، فلما رأى تفرقهما أحب أن يرى انضمامها ، فسأل ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق ، فلا تعول عليه لأنه لم يرفع الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — بسند ضعيف أو قوى ، فضلا عن أنه لا يرفع الاشكال الناشىء من أنه طلب ذلك ليطمئن قلبه :

نعم روى عن محمد بن اسحاق بن يسار ، أن سبب السؤال منازعة النمروذ اياه فى الاحياء ، فقد قال ابراهيم « رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ » قال نمروذ « أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ » وجاء ببعض المسجونين فأبقى عليهم وسمى هذا احياء ، وقتل بعضهم ، فلما قال ابراهيم ان العفو عن المسجونين لا يكون احياء ، بل الاحياء هو الذى يكون بعد الموت ، فطلب منه نمروذ أن يريه

كيف يحيي ربه الموتى ، وتوعده بالقتل ان لم يفعل ، فدعا ربه حينئذ .

وهذا الذي روى لو صح يكون خير بيان لسبب طلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، ويكون معنى قوله « وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » ولكن ليستريح فؤادي بافحام الله لعدوي النمروذ ونصري عليه .

كيفية احياء الطيور الأربعة

استجاب الله دعاء ابراهيم — عليه السلام — وعرفه السبيل الى تحقيق دعائه ، وذلك في قوله تعالى حكاية لأمره له « قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ(1) ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا » أى بعد أن تذبحها وتقطعها « ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

وكانت هذه الطيور الأربعة من أنواع متعددة، ذكر ابن اسحاق أنها الديك والطاووس والحمام والغراب . وروى هذا عن مجاهد وعطاء بن يسار وابن زيد ، وكذا عن ابن عباس ما عدا الرابع ، فانه الكركي فيما روى عنه .

فأخذ ابراهيم عليه السلام هذه الطيور وذبحها ، ثم قطعها قطعا صغيرة ، بريشها وعظامها ، ثم خلط بعضها ببعض ، وضم الى الخليط الدم السائل من ذبحها ، ثم جعل على كل جبل جزءا من هذا الخليط ، ووقف على مكان يشرف منه على هذا الخليط الموزع على الجبال ، ثم أمسك رءوس الطير في يده ، ثم قال : تعالين باذن الله ، فتمايزت تلك الأجزاء ، وتجمع لحم كل طائر على جبل وانحاز الى لحمه على باقى الجبال ، وكذلك فعل الريش والعظام والدماء ، حتى التأمت كما كانت أولا ، وبقيت بلا رءوس ، ثم كرر النداء فجاءته سعيا على أرجلهن ، وكان اذا قرب الى أحدها رأسا غير رأسه تباعد عنه ، واذا قرب اليه رأسه التحم به ، ولما تم التحامها طارت باذن الله تعالى ، قاله ابن كثير وغيره .

ولم يذكر في الآية أن ابراهيم عليه السلام نفذ ما أمره ربه ، وأنه قد ترتب على التنفيذ آثاره ، لأن ذلك معلوم بالضرورة ، فلا يحتاج الى تنصيص .

وفي الآية دليل على مكانة ابراهيم — عليه السلام — عند ربه ، حيث أجابه الى دعائه من غير مهلة : لما يعلمه الله منه من حبه لنشر دينه .

سبحانك اللهم ، خلقتنا من تراب ثم من نطفة ، وجعلتنا في أحسن تقويم ،ووعدتنا على ألسنة رسلك الأكرمين بالبعث للحساب والجزاء عدلا وفضلا ، بذلك آمنا ، وبقلوبنا صدقنا ، فمن قدر على الابداع ، فهو قادر على الاعادة ، تعاليت ياربنا فانت العزيز الحكيم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

(1) أى ضمهن اليك .

من أصحاب الأعراف

تختلف آراء المفسرين في تحديد بعض المعاني والالفاظ اختلافا يمتد ويتسع دون ضابط حتى ليطلق اللفظ على الشيء ونقيضه في بعض الأحيان لتبريرات عقلية تقوم لدى أصحابها مقام الأدلة الواضحة .

وقد يجد هؤلاء من الآثار الضعيفة ما يتشبثون به ، وأظنه قد آن الاوان لكي نحصر ما اختلف فيه المختلفون ثم نحاول أن نرجح ما يهدي اليه المنطق الصريح ضاربين صفحا بما تزدحم به بعض الشروح من أقوال لا تكاد تنهض على أساس وطيد .

وإذا كان النظر في المتن والاسناد ديدن من ينظرون الى الأحاديث المروية في كتب الصحاح تحت باب التفسير، وقد وفق فضلاؤهم الى خير كثير فاننا نجد ضرورة تلجئنا الى التفسير البياني اذ يحتم مراعاة السياق ويراعي ايحاء الموقف وصلة السابق باللاحق على نحو متعانق لنجعل من ذلك كله أشعة تكشف المراد .

وقد ضربنا أمثلة لذلك في بعض ما كتبناه من قبل ونريد اليوم أن نقدم مثالا آخر حين نجيب عن هذا السؤال ، من أصحاب الأعراف ؟

نزول الاعراف وبعض مشاهد القيامة

ونحن نعلم من تاريخ النزول القرآني أن سورة الاعراف قد نزلت بعد سورة (ص) وأن بعض مشاهد القيامة قد جاء في السورة السابقة حين تحدثت عن أصحاب الجنة وأصحاب النار في موقف حواري رائع ، يزخر بالأحاسيس ويفيض بشتى المشاعر اذ يقول الله عز وجل : (هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ، وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ، هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ، هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ، وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ، هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ، قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ،

أ . د . محمد رجب البيومي

قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار . وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار . أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار . إن ذلك لحق تخاصم أهل النار(١)) .

هذا الحوار الجدلي العنيف ـ على ايجازه ـ في تخاصم أهل النار ، لانجد ابرع منه في تصوير النزعات ورصد المشاعر اذ يقتحم فوج كاره بغيض على فوج كاره بغيض في أتعس مكان يتلاقى فيه البغضاء فتشتد الازمة القابضة اشتدادا ينفرج عن جحيم مشتعلة تصورها الكلمات بحروف من لهيب ، ثم جاءت بعد سورة ص سورة الاعراف لتتسع في عرض مشاهد القيامة اذ تلعن كل أمة أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، وترد الاولى متذمرة ناقمة ناقمة ، ثم تتتابع ثلاثة مشاهد رائعة حين ينعم أهل الجنة بما يشهدون فيقولون : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

ثم ينادون أصحاب النار : (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » .

والمشهد الثاني : خاص بأصحاب الاعراف وهو لب حديثنا اليوم .

أما المشهد الثالث : فخاص بأصحاب النار حين يستصرخون مستغيثين يقولون لأهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيجابون بمن يقول ان الله حرمهما على الكافرين .

يتوسط مشهد أصحاب الاعراف هذين المشهدين ، وهو بنصه كما قال الله عز وجل : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون(٢)) .

هذا هو النص القرآني الخاص بأصحاب الاعراف نقرأه ثم نرجع الى كتب التفسير لنعرف من هؤلاء ، فنجد من يقول والتلخيص

(١) سورة ص ٦١ ـ ٦٤ .

(٢) سورة الأعراف ٤٦ ـ ٤٩ .

نظـرات قـرآنيـة

عن تفسير ابن كثير (١) ـ انهم ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار فى رأى .

أو انهم قوم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم فى رأى ثان أو انهم قوم قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعوا من الجنة لعصيانهم آباءهم . ومنعوا من النار لاستشهادهم فى سبيل الله فى رأى ثالث أو انهم أولاد الزنا فى رأى رابع أو انهم مؤمنو الجن فى رأى خامس ثم نجد من يقول انهم الشهداء أو فضلاء المؤمنين أو الملائكة أو الأنبياء رضوان الله عليهم .

نظرة فى ضوء ما تقدم :

وفى هذه الأقوال ما هو مرفوض قطعا اذ كيف يمنع رجل استشهد فى سبيل الله من الجنة لأنه عصى والده . وكيف يكون هؤلاء من أهل الذنوب وهم يخاطبون أصحاب الذنوب فى النار مبكتين لائمين على ما اقترفوه من آثام ؟ وما الفرق بين الجماعتين اذن ؟ وكيف يكون مؤمنو الجن بعيدين عن الجنة وهم والانس سواء أمام عدالة الله ؟ وما الذى صنعه ولد الزنا المؤمن العابد حتى تحرم عليه الجنة لمعصية قد اقترفها أبواه وليس له بها شأن ، والله عز وجل يقول : « أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٢) » !!

اننا حين ننظر الى منطق أصحاب الاعراف نجدهم أصحاب سطوة وجهارة وتحد واستعلاء .

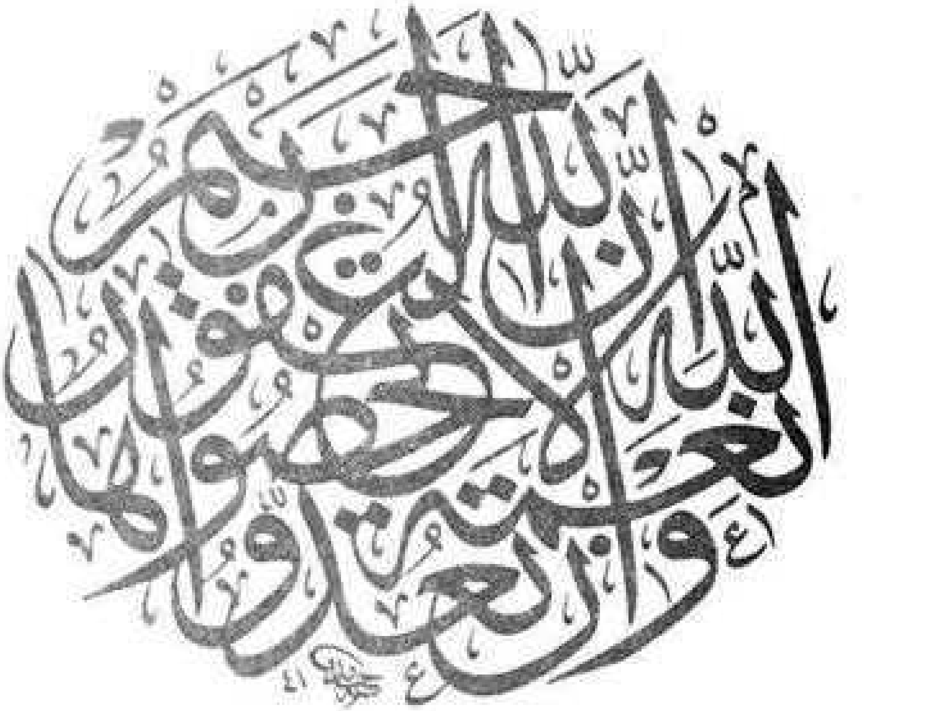
فهم يتوجهون الى أهل الجنة بالسلام ، والسلام على أهل الجنة لن يكون الا من مصدر طاهر كريم رفيع الدرجات عند الله فاذا انتهوا من تحية أهل الجنة وصرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار انقضت صدورهم ، واشمأزت نفوسهم وقالوا فى وجل : (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

ولو كان هؤلاء الداعون من أصحاب الذنوب كما تقول بعض الروايات لكانوا من القوم الظالمين فعلا فى يوم لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا اذ يضع الله الموازين بالقسط حتى اذا فرغوا من دعائهم توجهوا الى أصحاب النار بالتقريع ولن يقوم بهذه المجابهة السافرة الا من ارتفع عن مستوى المعصية وأصبح فى مقام من يؤاخذ المذنب ويبكت المسيء ، انهم يشيرون الى أصحاب الجنة فى اعتزاز حين يسائلون أصحاب النار متهكمين : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ وليت شعرى من يملك سطوة التقريع غير شهيد أو نبى أو ملك أو نفر ممن اجتبى الله واختار ؟

ان الواقع الذى يمليه سياق المحاورة يوحى بارتفاع مكانة أصحاب الاعراف وبارتقاء

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٦ ط الحلبى

(٢) سورة النجم .



منزلتهم لدى فاطر الارض والسموات ، فليسوا اذن من العصاة أصحاب الذنوب، واذا ازدحمت كتب التفسير بآراء تنتمي الى هذا الوجه فانها تتطلب المعاودة والتعقيب ونحن نعلم ان الانسان يوم القيامة ــ أي انسان ــ يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التي تؤويه ومن فى الأرض جميعا حتى يحكم الله فى أمره ويعرف مكانه النهائي من الجنة أو النار فكيف يكون أصحاب الاعراف عصاة مذنبين ثم لا يشغلهم ما قدموه من ذنب عن محاجة أهل الجنة والنار ، ومالهم لا يلومون أنفسهم كما يلومون المذنبين اذ يقولون لهم :

« مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ »!!

أصحاب الاعراف :

ان النص القرآني الكريم بجوه وسياقه وايحائه يمنع أن يكون أصحاب الاعراف من أهل الذنوب ويرجح أن يكونوا من ذوى المستوى الرفيع عند الله من الملائكة أو النبيين أو الشهداء وحسن أولئك رفيقا وقد يجد الباحث نفسه فى حاجة الى معرفة المراد من قول الله عز وجل عن أصحاب الاعراف **(لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)** .

اذ كانت الآية فى ظاهرها تكأة لمن يذهبون الى أن هؤلاء قد استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم لم يدخلوا الجنة بما أسلفوا من سيئات ،

نظـرات قـرآنيـة

ولكنهم لم يفقدوا الامل فى دخولها لما قدموا من حسنات فهم يطمعون فيها ملتمسين الرجاء من واهب الخير والاحسان .

والذين يتجهون هذا المتجه يقفون عندما يتبادر للذهن لاول وهلة من مدلول كلمة (يطمعون) التى تفيد الرجاء المرغوب ، ولكن سياق العربية فى فصاحتها الذائعة لا يمنع أن تقول لصديقك أطمع أن تفعل كذا وأنت متأكد انه سيفعل ، ولكنك لا تريد له الا الزاما بالطلب الصريح يقول الامام القرطبى ولم يدخلوها بعد وهم يطمعون على هذا التأويل بمعنى وهم يعلمون أنهم يدخلونها وذلك معروف فى اللغة أن يكون طمع بمعنى علم ، ذكره النحاس (١) .

وهناك أقوال أخرى تتجه بالطبع الى قوم آخرين غير أصحاب الاعراف ، ومكانها كتب التفسير ، اذ لا تعنينا الآن مناقشتها فليرجع اليها من يرى الاستيفاء .

على أن مما يؤكد هذا المنحى اننا نجد فى كتاب الله ما يدل على قيام الأنبياء بالشهادة على أممهم يوم القيامة اذ يقول الله عز وجل : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٢) ويقول تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٣) .

ويقول : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٤) .

ففى الآيتين الاوليين ما يدل على أن الانبياء شهداء على الناس يوم القيامة .

وتتسع الآية الثالثة فى سورة البقرة لتجعل المؤمنين من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهداء على الناس جميعا وجائز جدا أن تكون الشهادة على الاعراف فى حيز أقيم بين أهل الجنة والنار .

ولعلنا بعد هذا العرض الهادىء نرى أن التفسير البيانى يقدم الجديد حين يحتكم الى موقع النص وسياقه وايحائه ، وحين يرجح ما يراه مناسبا للسياق العام ، رافضا مالا يجد سنده من القول الملفق والتخريج الغريب .

اما موضع اصحاب الاعراف ووصف السور الذى ضرب بين الجنة والنار فليس من شأننا فى هذا النطاق وما اكثر ما قيل .

الاستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة
جامعة الأزهر

(١) تفسير القرطبى عن الآية الكريمة .
(٢) سورة النساء ٤١ .
(٣) سورة النحل ٨٩ .
(٤) سورة البقرة ١٤٣ .

الحمد في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

٣٩ ــ الملك والحمد لله :

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

التغابن ١ .

اخبر الله بأن ما في السموات وما في الأرض من كل ما فيهما يسبح لله بلغة يعلمها الله ويسمعها الله : لغة لا تدرك البشرية كنهها ، ولا تعلم منها الا تنزيهه تعالى عن كل نقص .

وتقديم الجار والمجرور في قوله : « لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ » يدل على اختصاصه بالملك وان ملكية ذلك الملك لله عز وجل لا تتجاوزه الى غيره فهو مالك السموات والأرض وما فيهما ومالك الوجود كله بكل ما فيه لا يشركه فيه رب غيره ، لأنه مبدع الوجود والمنعم به على ما فيه ومن فيه .

وله الحمد ، وهو مختص به لأنه المنعم الذي تشمل نعمه كل شيء وكلها من فيض يده ولذلك كان الحمد لله لا لغيره (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) فاذا سبح له كل شيء في السموات والأرض ، ونزهه كل شيء ففي ذلك اقرار بأنه منزه عن النقص والمنزه عن النقص خليق بأن يكون المالك المتصرف في ملكه القادر على تدبير هذا الملك .

وله الحمد ، على أن وفق كل شيء الى تسبيحه وتحميده والثناء عليه .

«وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» «إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

الحمد في القرآن الكريم

أن يقول له كن فيكون » يفعل ما يشاء بارادته وحكمته .

١٠ ـ امره لنبيه بالتسبيح والتحميد والاستغفار :

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) النصر ١ ـ ٣ .

النصر : الظهور على العدو ، والفتح : فتح البلاد ، والمعنى : أن الله نصر رسوله على العرب ، وفتح له مكة .

وقيل : نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم .

وقد فتح الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ، وحين دخلها وقف على باب الكعبة وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وقد أمكنه الله من رقابهم ، ثم أطلقهم ، فسموا الطلقاء ، وبايعوه على الاسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا وكانوا من قبل يسلمون واحدا واحدا أو اثنين اثنين ، أما فتح مكة فقد دخلوا بطونا وعشائر وقبائل مجتمعة ، وجاء أهل اليمن يعلنون اسلامهم .

روى أبو هريرة رضي الله عنه : أنه لما نزلت هذه السورة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن : قوم رقيقة قلوبهم : الايمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية .

وعن الحسن : لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا : أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان ، فكان الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات .

وقد أضاف الله الاسلام الى نفسه في قوله : دين الله ، ولم تعرف ملة غير الاسلام أضافها الله الى نفسه (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ثم أمر الله نبيه حين دخل الناس في دين الله أفواجا :

بالتسبيح بحمده : ومعنى ذلك أن يسبح الله وينزهه ويقرن ذلك التسبيح بالتحميد على نعمة النصر والفتح والدخول في دين الله أفواجا (وفي ذلك طاعة) .

وبالاستغفار : وفي ذلك محو المعصية ، وهو عبادة في نفسه ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : **اني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة** .

موقف الصحابة والأهل

بعد نزول هذه السورة :

روى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما نزلت قرأها على أصحابه ، فاستبشرو وبكى العباس ، فسأله الرسول : ما يبكيك



يا عم ؟ فقال : نعيت اليك نفسك ، قال النبى : انها لكما تقول .

وقيل : ان ابن عباس هو الذى قال ذلك ، فقال الرسول : لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت به خطب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه ، فاختار لقاء الله فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا .

وروى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — دعا فاطمة فقال : يابنتاه ، انه نعيت الى نفسى ، فبكت فقال : لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى .

وقد ختم الله السورة بقوله : انه كان توابا أى كان كذلك فى الماضى ، فكم تاب على من اقترف فى الماضى خطاياه فليتوقع كل مقترف لخطيئة أن الله يتوب على من تاب ، ويغفر له ماجنى من الذنوب اذا ندم واستغفر وعزم الا يعود الى ارتكاب الخطايا .

٤١-تسبيح الرعد بحمده :

(هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) الرعد ١٣ .

يخاطب الله منكرى البعث من الكفار وكأنما يقول لهم : ان الله الذى تنكرون قدرته على البعث هو الله الذى يريكم البرق حال كونه خوفا وطمعا فى نفسه ، أو ذا خوف وطمع ، أو حال كونكم خائفين وطامعين .

والبرق يكون خوفا أو يخافون منه أن يحمل اليهم الصواعق ، ويكون طمعا أو يطمعون فيه لأنه بشير بالأمطار ، وكما أنه يريكم البرق على تلك الصورة فهو الذى ينشئ السحاب الثقال بالماء ، وان الرعد ليسبح بحمده ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : سبحان من يسبح الرعد بحمده .

وكان يقول اذا اشتد الرعد : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك .

وكما أن الرعد يسبح لله فهو يسبح بحمده (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ولغة الرعد فى تسبيحه وتحميده يعلمها الله .

وملائكة الله يسبحون من خيفته (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) فتنطلق ألسنتهم وأعمالهم تسبح رب الملائكة والروح وتحمده لنعمه .

وانه سبحانه ليرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء ، وقد سأل أحد الكفار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد ؟ فأرسل الله عليه صاعقة أهلكته .

وانهم ليجادلون فى الله ، حيث ينكرون على رسوله ما يصف به الله من القدرة على البعث والاحياء ، ويقولون : ان الملائكة بنات الله (سبحانه ان يتخذ ولدا) .

(وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) والمحال : المماحلة وشدة المكر ، وقد شاكل الله بين جدالهم ومماحاتهم وبين محاله ومماحلته (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) فهم يكيدون والله من ورائهم محيط .

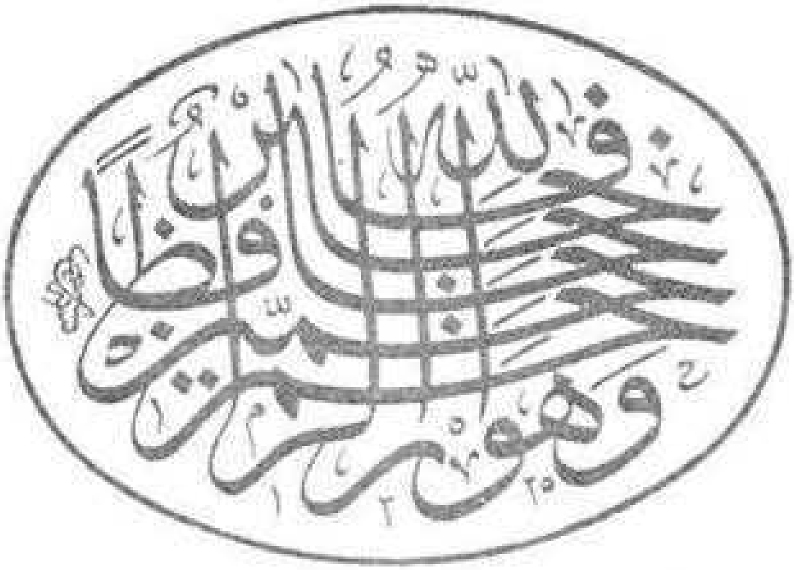
وقيل المراد بالمحال : الشدائد ، ومنه تسمى السنة الشديدة : سنة المحل أى الشدة .

وقد قدم الله فى البرق الذى يريه للناس دليلا على قدرته حين يرسل البرق يشق السحاب بما تحمل من أمواه ثقال فتتطلع الأبصار الى ما وراءه من خير ، وكم من طامع يطمع فيما وراءه .

٤٢- تسبيح السموات والارض وكل شيء .

« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا »

الاسراء ٤٤ .



ان تسبيح من في السموات والارض من الملائكة والثقلين ظاهر ، وتسبيح الطير والحيوان والجماد والنبات انما هو بلغة لا نفقهها كما يشير عجز الآية (وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) .

وأما تسبيح نفس السموات والأرض فقيل : انها تسبح بلسان الحال حيث أنها تدل على الصانع المبدع ، وكأن لسان حالهما ينادى : سبحان الله الذى خلق فأبدع ، وفي كل ماتحمل السماء وما تقل الارض ما يدل على أنه الصانع القادر .

فكأن كل ما خلق الله يسبحه باللسان أو بدلالة الاحوال ، فالجمادات تسبح الله بطريق الحال ، وقد أكد الله بعد تسبيح السموات والارض ومن فيهما أن كل شىء يسبح بحمده فقال : وان من شىء الا يسبح بحمده اى يرسل التسبيح مقرنا بالحمد ، فينزه الله عن النقص ، ويحمده على النعم .

وقيل : المراد بقوله : ولكن لا تفقهون تسبيحهم : هم الكفار بمعنى أنهم لا يفقهون ذلك ، ويتفكرون في أنواع الدلائل التى ساقها الله مما يدل على قدرته في أن السموات والارض تسبح بحمده .

أو أنهم غافلون عن أكثر الدلائل التى تدل على توحيد الله وقدرته ، ولما كان عدم تفقههم لكل ما يدل عليه التسبيح من قدرة الله بل كمال تلك القدرة جرم ذيل الآية بقوله : « إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » فما أشد حلمه على خلقه بعامة وعلى من لا يسبحونه ، ومن لا يفقهون تسبيح كل شىء من خلقه بخاصة ، فهو الحليم بحيث لا يعجل لهم العذاب .

وهو الغفور لكل من أخطأ وتاب ، أو رجع عما كان يقول : من أن مع الله الها آخر أو آلهة أخرى ، (سبحانه وتعالى عما يقولون) وما أكثر مايقول الكفار ، وخاضوا وطعنوا في الكثير

مما جاءهم به رسول الله .

٤٣ – ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الاسراء ٥٢ .

لقد أنكر الكفار البعث وقالوا (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا) أى أننا اذا صرنا عظاما بالية ورفاتا : أى أجزاء متفتتة أئنا لمبعوثون خلقا جديدا .

وشبهتهم : أن الانسان اذا مات جفت أعضاؤه على مر الزمن وتفرقت فى العالم فاختلطت بأجزاء العالم واختلطت الاجزاء المائية فى البدن بالأجزاء المائية فى العالم واختلطت الأجزاء الترابية من البدن بالأجزاء الترابية فى العالم فكيف يعقل بعد عودة حياة (فلان) بكل أعيانها وما كانت عليه فى دنياها ؟

وجواب هذه الشبهة : أن أجزاء البدن مهما اختلطت بغيرها فهى متميزة فى كمال علم الله وكمال قدرته ، وعلمه وقدرته قادران على اعادة بدنذلك الانسان كما كان فلاتعجز قدرتهوعلمه عن اعادة بدن كل انسان كما كان مهما اختلطت وتباعدت أجزاؤه ولما استبعد القوم أن يردهم كما كانوا قال لهم على لسان أمره لنبيه (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) أو خلقا آخر أبعد من أن تمتد اليه الحياة أى لو كنتم كذلك لما أعجز الله عن الاعادة (فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى الذى خلقكم أول مرة هو الذى سيعيدكم كما كنتم فسينغضون اليك رءوسهم ، وذلك عندما تخبرهم يامحمد بأن الذى سيعيدكم سيحركون الرءوس الى أعلى وأسفل وهم بهذه الحركة يعلنون كذبك لما أخبرت به

ويعودون فيسألون : متى هو ؟ وعندئذ يكون الجواب : عسى أن يكون قريبا ، والتعبير بعسى من الله واجب الحصول وان رسوله لا يعلم من أمر الساعة شيئا حتى يحددها (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ) (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) فان قالوا : كيف يكون قريبا وقد انقضى بعد النزول الكثير من الاعوام ولم يجىء الوقت الذى تقوم فيه الساعة قيل : انه قريب بالنظر الى ما مضى من عمر الزمان .

ثم بين ذلك القرب بأنه : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) والاستجابة موافاة المدعو للداعي وقال سعيد بن جبير : يومئذ ينغضون رءوسهم ، ويقولون : سبحانك وبحمدك حيث لا ينفعهم التسبيح والتحميد أو تستجيبون بحمده اى بطاعته ، وكانتسبيحهم وتحميدهم هنا اشارة الى طاعتهم .

او تستجيبون حامدين وهذا مبالغةفى انقيادهم . (وَتَظُنُّونَ) أنكم لم تلبثوا غير قليل من الزمن ، والمعنى تقريب وقت البعث او استقلال لبثهم فى البرزخة وقال بعض المفسرين : ان موقف الكفار ينتهى عند قوله : عسى أن يكون قريبا واما قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، خطاب مع المؤمنين – والاولى أن يكون الخطاب متصلا بالكافرين ، وهذا هو المشهور من اقوال المفسرين .

د . محمد محمد خليفة

دِرَاسَات إسْلاميّة

من مؤلفات الإمام البخارى

الانتماء فى توجيهات الاسلام

الاسلام والتعايش السلمى

القيادة الادارية فى الإسلام

من مؤلفات

الإمام البخاري

وهو كما عرفه الامام البخارى ــ رضى الله عنه ــ :

كتاب مختصر من تاريخ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم باحسان ومن بعدهم ووفـاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه .

وابتدأ الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ومن مات فى خلافة أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى ــ والحافظ قال : أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة علية سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو محمد بن محمد النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير

ابتداء مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف .

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه .

ابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة المدنى الأنصارى الأشهلى عن داود بن الحصين ــ منكر الحديث .

وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء ببيان من اسمه اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء . قال أبو بكر بن عبد الله ابن أبى سيره المدنى ــ ضعيف ــ أبو الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ منكر الحديث

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

عنده عجائب . أبو ماجد الحنفي عن ابن مسعود ويقال العجلي قال الحميدي عن ابن عيينة عن يحيى — (هو منكر الحديث) .

« كتاب الكنى »

وقد ذكر البخاري فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم ذكر فيه .

أولا : باب أبو أمية بن الأخنس قال قبيصة عن أبي سلمة بن شقيق المخزومي عن أبي أمية بن الأخنس عن عمر في الموضحة قال انا لا نتعاقل المضغ بيننا .

ثانيا : أبو أمية المخزومي أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرقت ؟ . قال : بلى . قال ما أخالك سرقت ؟ مرتين أو ثلاثة قال : بلى . قال : اقطعوه : ثم جيء به فقال استغفر الله وتب اليه فقال أستغفر الله وأتوب اليه . قال : اللهم تب عليه . قال : موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي المنذر مولى أبي ذر ، وقال حبان أنبأنا همام سمع اسحاق عن أبي المنذر والبراد عن أبي أمية رجل من الأنصار عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ونحوه .

وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره . ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانة اسمه عبد الله وذكر فيه في الرجال ٩٩٣ رجلا .

وفي آخره الكنى من النساء واسم أم هانىء بنت أبي طالب هند وقال بعضهم اسمها فاختة واسم أم سلمة هند بنت أبي أمية — وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبة رملة وفي آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفي آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

« تصنيف أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله »

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للامام البخاري بقلم الأستاذ الناقد في الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني المعلمي .

ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالامام مسلم ابن الحجاج وابن أبي حاتم والحاكم وابن عبد البر في تاريخ الرجال على الامام البخاري، كما يتبين منه صلة كتاب الكنية بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخاري .

من مؤلفات الإمام البخاري

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة المعارف العثمانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه في الخزانة الآصفية بحيدر آباد الدكن فسارعت الى استنساخه ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن في بعض مكاتب استانبول نسخة من الكتاب . وفي المكتبة المصرية نسخة أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستانبولية ووجد في آخر المجلد الرابع من النسخة الآصفية زيادة مشتملة على الكنية لا توجد في الاسلامبولية مع أن في آخر الاسلامبولية ما لفظه « كمل جميع كتاب التاريخ الكبير » وذلك صريح في أن أبواب الكنى المتصلة بآخر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ .

ولكن الذي تبين بامعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنية تأليف البخاري قطعا وانه ان لم يكن قطعة من التاريخ فهو تتمة له .

فان ابن أبي حاتم مع اقتفائه في ترتيب كتابه أثر البخاري في التاريخ غالبا قال في أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عرف بالكنى ولا يسمى) ثم اقتفى في الترتيب أثر البخاري في هذا الجزء غالبا وربما سماه (أي البخاري) كقوله أبو المعلى بن رؤبة كما قال البخاري في كتابه .

وبالمراجعة وجد ذلك في الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخاري ووجدنا ابن عبد البر في الكنى من الاستيعاب ربما نقل عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله في الترجمة (أبو خالد ذكره البخاري قال وقال وكيع عن الأعمش عن مالك ابن الحارث عن أبي خالد وكانت له صحبة قال وفدنا الى عمر رضي الله عنه ففضل أهل الشام) .

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير في الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء ١٠ هـ ، وقد رجعت اليها كما أرشد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عند البخاري على الوجه الآتي : ٢٢٣ . أبو خالد له صحبه وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد العبسي حدثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد وكانت له صحبة قال وفدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا في الجائزة ١ . هـ ، وهكذا كل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا .

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر في كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة .. وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخاري فقط ويظهر من مواضع في كلامه انه وقف على هذا الكلام وفي مواضع أنه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبي أحمد كأنه كان في نسخته نقص .

وقد عد في مقدمة الفتح تصانيف البخاري الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره للحاكم أبو أحمد ونقل منه » .

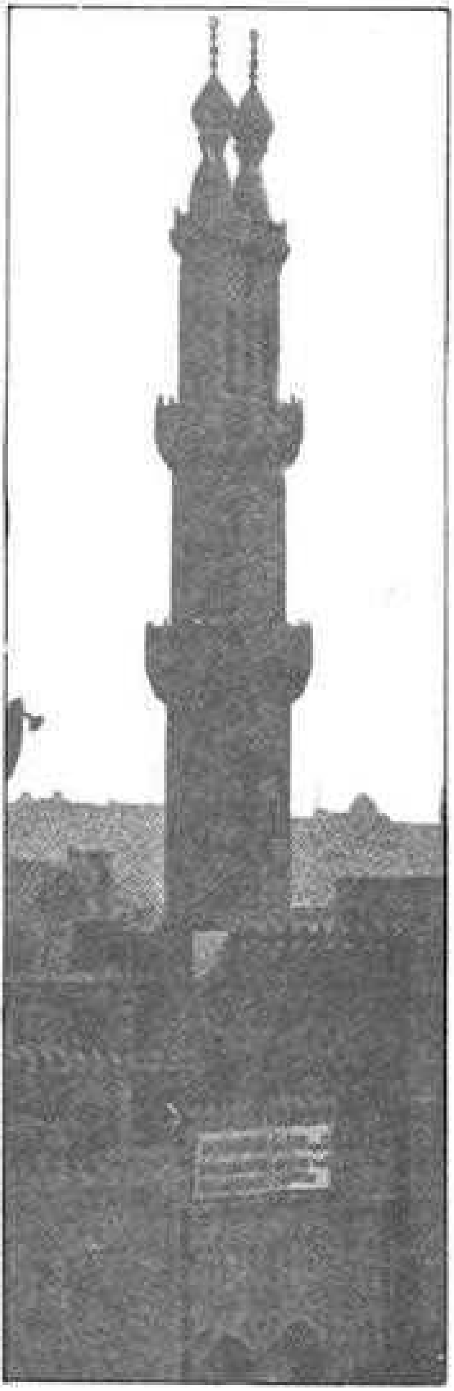
قال أحمد الحاكم في الكنى ، قال مسلم

ابو بشر ــ يعنى بالمعجمة ــ وقال وقد بينا أن ذلك خطأ أخطأ فيه مسلم وغيره وخليق أن يكون محمد يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالته فما نقله مسلم من كتابه تابعة عليه ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد حزو القذة وتجلد فى نقله حق الجلادة اذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله .

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى أراد بكتاب البخارى فى التاريخمع هذا الجزء ــ نقل مسلم كنى من عرفت أسماؤهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماؤهم من هذا الجزء . وقد علمت تسمية الحافظ بن حجر لهذا الجزء (الكنى المفردة) أو (الكنى المجردة) والاسم الأول يقتضى أنها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفردة عن التاريخ كما سموا الأدب للمؤلف (الأدب المفرد) يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغالب .

وبالجملة فعبارة الحاكم ابى احمد (علم أنه منقول من كتاب محمد الخ) واراد ما يشمل اصل التاريخ ، وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع ابن أبى حاتم كما تقدم ظاهر فى ان هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو تتمة له . والله اعلم .

« د. الحسينى هاشم »



الانتماء

في توجيهات الإسلام

الانتماء ، وحب الوطن والاعتزاز به والولاء له ، من القضايا التى تعنى بها امتنا فى هذا العصر ، لانقاذ ابنائها من العمليات التى تستهدف تخريب شخصية الانسان ، وتفريغها من كل الحوافز النفسية التى تدفعه الى العمل والانتاج وبناء وطنه والنهوض به بكل الاخلاص والايجابية .

والحق أنها قضية ينبغى أن تكون على رأس ما يشتغل به فكر المفكرين والمصلحين والدعاة والمربين ؛ لأن الغفلة عن خطر هذه العمليات ، وعدم التصدى لها ، يهدد بالهدم كل محاولاتهم للبناء ، فقد قال الشاعر :

فلن يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

توجيهات الاسلام :

وكل الدول تعمل على تنمية دافع «الوطنية» فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم لكى تملأ قلوبهم بالعاطفة الوطنية التى تدفعهم الى العمل الجاد فى السلم والى الاستبسال فى القتال فى الحرب دفاعا عن الوطن وردا للعدوان عليه ، مضحين بالأرواح فى سبيله .

ولقد اعتدنا ونحن نطلب العلم على التعبير عن حب الوطن « بصور جمالية » وعاطفية عن أرضنا الخضراء المنبسطة ، وسمائنا الصافية ، ونيلنا العذب ، وهوائنا العليل ، الى غير ذلك مما كانت تمتلىء به « كراسات » الانشاء والتعبير ، ومع تقديرنا لما لصور الجمال من آثار طيبة على عواطف الفرد ووجدانه ، الا أن توجيهات الاسلام فى هذا المجال تتجاوز تلك الصور ، وتتميز بالأصالة والقوة والعمق ، وتحقق الأهداف المرجوة على أكمل وجه .

١ ــ الربط بين حب الوطن والخطر الذى يهدده :

فان أول ما يسترعى الانتباه ، عناية الاسلام بالربط بين « حب الوطن » وبين « تجسيد الخطر المحدق به » .

انه أسلوب فى التوجيه يعتمد على بعث الحوافز المعنوية والدوافع النفسية فى النفس الانسانية ، فالانسان اذا أحب شيئا ، ثم أحس بأن هذا الشىء الذى يحبه مهدد

لـلواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

بالخطر ، تراه يندفع بكل قواه لدفع هذا الخطر .

انظر الى الأم حين ترى وحشا يريد أن يفترس وليدها .. انها ـ على ما في المرأة من ضعف ـ تنقض على الوحش انقضاض الصاعقة لكى تنقذ وليدها ، وتدفع الخطر عنه ، غير مبالية بما يصيبها من جراح قد تودي بحياتها .

*** أسس الانتماء والتزاماته :**

فلو تأملنا قول الله تعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ، يمكن أن نستخلص كثيرا من المعانى السامية التى نذكر منها ما يلى :

١ ـ اعتزاز المسلم بأمته لا يقوم على أسس عنصرية أو عصبية ، بل يقوم على دعائم الرسالة الاسلامية السمحة من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق فاضلة .

٢ ـ « التزام » المسلم بالمحافظة على تلك المكانة العالية : « خير أمة » التى أرادها الله تعالى لأمته ، وبأن يبذل فى سبيل ذلك كل طاقاته المادية والمعنوية .

٣ ـ ادراكه بأن تفريطه فى واجبه ، ينزل أمته من مكانتها العالية التى حطه الله أمانتها ، فيبوء بغضب الله ومقته .

٤ ـ اعتقاده بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله هو الذى يحل أمته تلك الدرجة الرفيعة العالية بين الأمم .

*** تجسيد الخطر المحدق :**

ثم يفتح الاسلام عيوننا على الخطر المحدق بهذه الأمة من أعدائها المتربصين فيقول جل شأنه : « وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً » .

انظر الى تصوير القرآن لنتائج الغفلة عن الخطر (فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً) ، انه لا يجسد الخطر فحسب ، بل يجعل الأمر بالنسبة للأمة مسألة « حياة أو موت » .

كما يعرفنا الاسلام بأعدائنا ، ويوجه أنظارنا الى أننا لا نواجه عدوا واحدا ، بل ثلاثة أعداء : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » .

١ ـ « عدو الله » واضح ، وهو كل خوان أثيم يتعدى على حرمات الله ويجاهر بمعصيته .

٢ ـ و « عدوكم » واضح ، وهو عدو المسلمين ، وهو كل من يسىء الى عقيدتهم أو

الى أوطانهم أو الى حقوقهم المقدسة .

٣ ـ وأما الفئة الثالثة (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) فقد فسرها السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، الا أنها تنطوى بلغة العصر ، على كل القوى المضادة التى تحقد على الأمة وتنفث سمومها فى الخفاء وتروج الشائعات ، وتثير الفتنة ، وتغرى بالسلبية وعدم المبالاة والفساد وتقتل الارادة والايجابية .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الاسلامية ، وبين صفوف أبنائها ، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكرى الهدام .

٢ ـ ضرورة الحذر والحيطة :

وتوجيهات الاسلام لا تتوقف عند حد توضيح محتويات الانتماء والتزاماته ، وتجسيد الخطر المحدق بالأمة ، بل تتناول أيضا « الجانب العملى » فتحدد لأبناء الأمة واجبهم فى دفع هذا الخطر ، لكى يعيشوا فى أمان واستقرار ، ولكى تظل أعلامهم مرفوعة على الدوام .. ومن ذلك الحث على الحذر واتخاذ الحيطة والاستعداد والتأهب ، الى حد أن المسلمين مطالبون بذلك وهم فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه : « وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ... » (الآية ١٠٢ سورة النساء بشأن الصلاة فى الحرب) .

كما يقول جل شأنه :

ـ « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ » (النساء ٧١) .

ـ « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا » (المائدة ٩٢) .

ـ « وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » (التوبة ١٢٢) .

٣ ـ اعداد القوة الرادعة :

وقد أوجب الله تعالى على الأمة « اعداد القوة التى تردع الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، فقال جل شأنه : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ... » (الآية ٦٠ من سورة الانفال) .

ولابد لنا من ايضاح مفهوم « القوة الرادعة » التى أشارت اليها الآية الكريمة : فليس من صواب الرأى أن نتصور أن اعداد القوة الرادعة ينحصر فى القوات المسلحة فحسب ، وأبلغ دليل على ذلك أن لفظ « قوة »

فى الآية ورد مطلقا دون تحديد ، ليرشد الى أن القوة المقصودة هى « القوة الشاملة » التى تجمع كل مصادر القوة كالقوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية الى غيرها من القوى التى تشكل حقا « القوة الرادعة » جنبا الى جنب مع القوة المسلحة .. فهذه القوى المجتمعة هى التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم .

وقد نتساءل على سبيل المثال : كيف ترهب القوة الاقتصادية الأعداء ؟

والجواب أن الجيوش لا تستطيع أن تحارب ما لم يكن وراءها اقتصاد قوى ، فاذا عرف العدو — الذى يفكر فى العدوان — أنه سوف يواجه جيشا قويا وراءه قاعدة اقتصادية قوية وقادرة على تلبية احتياجاته مهما طال أمد الحرب ، فسوف يتخلى عن فكرة العدوان تحسبا للنتائج التى لن تكون فى صالحه .. وهكذا يكون للاقتصاد المتين « قوة الردع » .

وبالمثل ، وعلى نفس المنوال ، نجد « قوة الردع » لدى الشعب المؤمن المتحد المنتج المتأهب القادر على تحمل أعباء الصراع ماديا ومعنويا مهما طال أمده ، ونجدها كذلك فى القوة السياسية والاجتماعية .. الخ .

فينبغى أن يدرك أبناء الأمة أن قيامهم بواجبهم باخلاص وايجابية على تعدد مواقعهم واختلاف مراكزهم ، هو « التعبير العملى » عن الانتماء ، وهو فى الوقت نفسه ، الطريق الصحيح لصنع الحياة الحرة الكريمة على أرضهم ، فليس الايمان بالتمنى أو التحلى ،

قال الله تعالى فى كتابه الكريم

والأرض فرشناها فنعم الماهدون

ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

٤ — المحافظة على الشخصية المستقلة للمسلمين :

ولعل أخطر ما يهدد روح الانتماء والولاء تلك الدعوى الهدامة التى تنطلق فى بعض أجوائنا منادية بأن الطريق الى التقدم انما هو فى تصفية التراث القديم والانصهار الكامل فى بوتقة المدينة الغربية ، وتقليد الغرب تقليدا أعمى فى كثير من مظاهر حياته وعاداته وتقاليده ، وهو اتجاه خطير يقود الامة الى التبعية ويمحو شخصية أبنائها ، وهو ما نراه الآن حولنا فى بعض المجتمعات الاسلامية التى

تعيش عيشة بعيدة عن الاسلام وتقاليده ولغته وآدابه ، ويصبح المسلم حينئذ انسانا تافه الشخصية ، لا وزن له فى المجتمع المسلم ولا تقدير ، لا يحترمه حتى الذين يقلدهم ويفنى فيهم ، فقد قال الشاعر :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا

من أجل ذلك يهاجم الاسلام هذا الاتجاه ، ويسخر من المقلدين ويجعلهم كالحيوانات التى لا ارادة لها ولا ادراك فيقول عنهم :

الانتماء في توجيهات الإسلام

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ • وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » •

(١٧١ — ١٧٢) •

ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كل الحرص على ابراز الشخصية المستقلة للمسلمين وهو يكون أول مجتمع اسلامى فى المدينة ، ولم يتركهم يذوبون فى المحيط المشرك أو اليهودى الذى يعيشون معه ، فكان يتتبع خطواتهم وتصرفاتهم بالتعديل ، وينقلهم شيئا فشيئا الى معالم الشخصية الجديدة للمجتمع الاسلامى الجديد ، ويخلصهم من آثار الجاهلية أو اليهودية ، سواء كان ذلك فى العبادة أو مظاهر الحياة الأخرى •

من ذلك أن أهل المدينة — حين دخلها الاسلام — كانوا يحتفلون بعيدين من أعياد الطبيعة ، فمنع الرسول — صلى الله عليه وسلم — المسلمين من الاستمرار فى الاحتفال بهما وقال لهم : « ان الله تبارك وتعالى — قد أبدلكما بهما خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر » ، ثم وضع للمسلمين قاعدة اجتماعية كلية • وتحذيرا عاما لهم عن التشبه بغيرهم والذوبان فيهم فقال « من تشبه بقوم فهو منهم » •

كما قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله جواد يحب الجود ، نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » (١) •

ثم يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تبنى شخصيتنا المستقلة ، ولا تكون امعات تابعين لغيرنا ، ولا اسرى لتقاليد باطلة ، فيقول : « لا يكن أحدكم امعة ، يقول ان احسن الناس أحسنت ، وان اساءوا اسات ، ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم » (٢) •

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) حديث « ان الله جواد ••• »

الحديث بتحفة الاحوذى — شرح جامع الترمذى للمباركفورى — كتاب الاستئذان رقم ٢٩٥١ • ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكريم ، جواد يحب الجواد ، فنظفوا — أراه قال : افنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود " فى بعض رواته خالد بن اليا قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وخالد بن اليا ، ويقال : ابن اياس يضعف وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك الحديث •

(الباجورى)

(٢) حديث « لا يكن احدكم امعة » •• الحديث : لا يكن احدكم امعة •• بنفس المصدر فى كتاب البر ٦/١٤٥ رقم ٢٠٧٥ •• عن حذيفة قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا امعة ان احسن الناس احسنا ، وان ظلموا ظلمنا وطنوا انفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا فلا تظلموا » •

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

(الباجورى)

آراء وقضايا

لا اجتهاد مع النص

للشيخ محمد حسام الدين

رايان طالعتنا بهما صحيفة « الاهرام » منذ اسابيع فى هذه المقولة : « لا اجتهاد مع النص » .

احدهما ينفى ثباتها ، أو اطرادها على الدوام ، مقررا أن الاجتهاد يجرى مع النص كثيرا .

والآخر يعارضه ، ويؤكد ثباتها . واستقرار مدلولها ، وانه « لا اجتهاد مع النص » رايا فاصلا .

وجرى النقاش بين الرايين دون تنقيح لموضع الخلاف ، اى دون تحرير للمراد من كلمة اجتهاد .

ولقد يلزم للنظر فى الموضوع أن نحدد المقصود من مصطلح « اجتهاد » لدى أئمة الفقه الذين أصدروا هذا الحكم : « لا اجتهاد مع النص » .

ذلك أن « الاجتهاد » يرد فى عبارات الفقهاء والأصوليين بمعنيين : عام ، وخاص ، تبعا للمجال الذى يجرى فيه عمله .

فتارة يرد بمدلول عام ، وهو : بذل الجهد والوسع لتحقيق المناط ، واستنباط الحكم من الدليل ، نصا كان أو غير نص .

وبهذا المدلول ورد قول الغزالى : « هو بذل الوسع فى طلب العلم بأحكام الشريعة » (١) .

وقول الآمدى : « هو فى الاصطلاح : استفراغ الوسع فى طلب الظن بشىء من الأحكام الشرعية » (٢) .

وقول ابن قدامة المقدسى : « هو بذل الجهد فى العلم بأحكام الشرع » (٣) .

١ ــ المستصفى للغزالى ص ٣٧٨ ط الجندى سنة ١٩٧١ .

٢ ــ ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٥٠ ط دار الفكر بيروت .

٣ ــ روضة الناظر ص ١٩٠ ط السلفية ١٣٩٧هـ

فالاجتهاد بهـذا المعنى العـام يجـرى فى النصوص ، وغيرها من الادلة ، « والمجتهد فيه « بالبناء للمجهول » هو : كل حكم شرعى ليس فيه دليل قاطع ، واحترز بالشرعى عن العقليات، ومسائل الكلام ، وبقولنا : ليس فيـه دليـل قاطع ، عن وجوب الصلوات الخمس ، والزكاة، وما اتفقت عليه الأئمة من جليـات الشرع » قاله الرازى فى المحصـول (١) ، والغزالى فى المستصفى (٢) .

وتـارة يرد الاجتهاد بمدلول خـاص ، وهو : استنباط الحكم بالدليل الرابع من الادلة الشرعية بعد الكتاب والسـنة والاجماع ، أى استنباط الحكم بالقياس أو الرأى عموما .

قال الشافعى : كل مانزل بمسلم ففيـه حكم لازم ، أو ــ على سبيل الحق ــ فيه دلالة موجودة .

وعليه اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، واذا لم يكن بعينه ، طلب الدلالة على سبيل الحـق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد : القياس »(٣) .

وقال ابو بكر الرازى : الاجتهاد يقع عـلى ثلاثة معان :

أحدها : القياس الشرعى ...

والثانى : مايغلب على الظن مـن غـير علة ، كالاجتهاد فى الوقت والقبلة والتقويم (٤) .

والثالث : الاسـتدلال بالأصول (٥) .

فاذا أخذنا الاجتهاد بمعناه العـام ، ونظر الفقيـه فى النصـوص لاسـتنباط الأحكـام الشرعية منها ، ثم أمعـن النظر فى الأسانيد ، والدلالات ،ومناط الحكم ،والناسخ والمنسوخ والاطلاق والتقييد ، والتعارض بين الأدلة ... وهكذا ، ثم خرج من هذه الأدلـة بأحكـام فى المسائل ، كان عمله اجتهادا ، ولا خلاف فيه .

لكن هل يكون هذا النوع من الاجتهاد هـو مقصود الفقهاء من قولهم : « لا اجتهاد مـع النص » ؟؟ .

الجواب : لا .....وانما المقصود بهـذه العبارة الاجتهاد بمعناه الخاص أى : استنباط الحكم بطريق القياس أو الرأى عموما .

وقصر العبارة على هذا المعنى يسانده حديث معاذ بن جبل وهو حديث مشهور تلقته الامـة بالقبول .

قال له ــ صلى اللـه عليه وسـلم : « كيف تقضى اذا عرض لك قضـاء ؟ . قـال : أقضى بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ . قال : أقضى بسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ، ولا فى كتاب الله ؟ . قال : أجتهد برأيى ولا آلـو (٦) فقد جاء الاجتهاد بالرأى ــ فى الحديث ــ بعد ان لم يجد النصوص .

وقد صاغ الفقهاء هذه العبارة : « لا اجتهاد مـع النص » متفقين ــ مـاعدا أهل الظـاهر

---

١ ــ ارشاد الفحول ص ٢٥٢ .
٢ ــ المستصفى ص ٤٨٢ .
٣ ــ الرسالة للشافعى ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٦ .
٤ ــ اى تقدير القيمة فى المتلفات . وارش ــ الجنايات . وجزاء الصيد فى الحرم .
٥ــ ارشاد الفحول ص ٢٥٠ .
٦ ــ الحديث اخرجه ابو داود والترمذى .

منهم ــ على أن الاجتهاد بالرأى لا يكــون الا عند فقد النص .

قال موفق الدين ابن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ان الصحابة رضــوان الله عليهم كانوا لايصيرون الى قياس مع ظفرهم بالخبر ، فانهم كانوا يجتمعون لطلب الاخبار ، ثم بعد حصول اليأس كانوا يعدلون الى القياس ، وقد أخر معاذ رضى الله عنه العمل به ــ أى العمل بالرأى ــ عن السنة فصوبه النبى ــ صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال ايضا : أجمع الصحابة رضوان اللــه منهم على الحــكم بالرأى فى الوقائع الخالية عن النص (٢) .

وهذه حكاية لاجماع الصحابة فى المسألة .

وقــال الامــام السرخسى الحنفى المتوفى ٤٩٠ هـ : « ان العمل بالقياس يكون بعد النص، وفى الحكم الثابت بالنص لا مدخل للقياس فى التغيير ، كما لا مدخل له فى الابطـــال ، ولا معتبر بالقياس فى معارضة النص (٣) .

وقال : « النص مقدم على القياس بلفظــه ومعناه ، فكما لا يعتبر القيــاس فى معارضـــة النص بابطال حكمــه ، لا يعتبر فى معارضــته بابطال لفظه » (٤) .

وقــد أشار ابن نجيم المصرى ــ المتــوفى سنة ٩٧٠ هـ ــ فى شرح المنــار الى أن بعض الحنفية أجازوا وجود القياس مع النص على أن يكون معاضدا له ، لامعارضا .

قال صاحب المنار أبو البركات عبد الله بــن أحمد المعروف بحافظ الــدين (٥) النســفى المتوفى سنة ٧١٠ هـ فى شروط القياس : « وأن يتعدى ــ أى القياس ــ الحكم الشرعى الثابت بالنص بعينه الى فرع هــو نظــيره ، ولا نص فيه » .

قــال ابن نجيم فى شرح هــذه العبــارة : « ولانص فيه ، أى فى الفرع لأنه ان كان موافقا ــ أى للنص ــ فلا حاجة اليه ، وان كان مخالفا يبطل . كذا فى التوضيح ، واعترض بأن وجود النص لا ينافى صحة القياس ، ولذا لم يشترطه مشايخ سمرقند وكثير . قــال فى التلويح : والاستدلال به قصــدا الى تعاضــد الأدلـــة كالاجماع عن قاطع (٦) ، ولهذا ذهب كثير مــن المشايخ وكثر فى كتب الفروع الاســتدلال فى مسألة واحدة بالنص والاجمــاع والقيــاس انتهى » (٧) هذا هو تقرير المســألة كما حرره الفقهاء .

واذا كانت هذه العبارة : « لا اجتهاد مــع النص » مــن المقــررات الأصــولية ، التى استقرت ، وتحددت مقاصدها ومعانيها .

فــان نقضها اليــوم ، ونقض المقــررات والأصول الاسلامية التى استند اليها فقــه الاسلام لأجيال عديدة هو أمر فى غاية الخطورة فى هذا العصر الذى تجــرى فيه عملية التغيير الاجتماعى والفكرى ، بل والعقدى للمجتمعات الاسلامية .

١ ــ روضة الناظر ص ١٨٢ .
٢ ــ المرجع السابق ص ١٤٨ .
٣ ــ اصول السرخسى جـ٢ ص ١٥٠ ط دار المعرفة ببيروت .
(٤) ــ المرجع السابق ص ١٥١ .
(٥) ــ هو غير صاحب التفسير نجم الدين عمر ابن محمد المتوفى سنة ٥٣٧ هـ .
(٦) ــ اى الاجماع على حــكم ورد فيه دليل قاطع .
(٧) ــ شرح المنار جـ٢ ص ٦ مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٦ م .

وقد يعرض هنا سؤال :

ماهى الأهداف العملية من اثارة النقاش — أصلا — فى هذه المسألة ؟ ، ربما كان الهدف هو الرغبة فى احداث اجتهاد جديد ينظر فى الأدلة بوجه عام ، سواء منها النصية ، وغيرها ، للخروج بأحكام تعالج شئون العصر معالجة جديدة — على حد التعبير الذى يتردد كثيرا هذه الأيام — .

اذا كان هذا هو الهدف فلابد من النظر الى عدة اعتبارات .

أولا : أن الاجتهاد بالرأى فيما ورد فيه نص أمر لا مساغ له ، وقد حكم عليه بالتحريم — على مانص به الشافعى (١) — .

ذلك أنه اجتراء بالتشريع فيما شرع فيه الوحى .

فضلا عن أن هذا النوع من الاجتهاد — اذا حدث — لا جدوى منه ، لأنه ان خالف النص فهو باطل ، وان وافقه كان عديم الأثر ، فان الدلالة النصية أقوى من دلالته .

ثانيا : أن الأئمة والفقهاء السابقين قد نظروا فى المسائل التى عرضت لهم ، وأفتوا أجيالهم ، وعصورهم فى نظرها ، وخرجوا فيها بآراء ، لا يجوز لنا أن نزيد فيها اليوم ، أو نخالفها بنظرنا .

والجمهور على هذا المنع ، واستقر هذا الرأى أجيالا ، بما يدخل فى حساب الاجماع .

قالوا :

ان « الامة اذا اختلفوا » فى حكم مسألة « على أقوال » فى عصر من الأعصار « كان اجماعا منهم على أن ماعداها » من الأقوال « باطل » ولايجوز لمن بعدهم احداث قول آخر .

هذا ما نص عليه ابن نجيم فى شرح المنار (٢) ، والقرافى فى شرح تنقيح الفصول (٣) والرازى فى المحصول ، وقد حكاه الشوكانى فى ارشاد الفحول (٤) ، وكذلك نص عليه تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى فى جمع الجوامع (٥) .

وهو ما يطلق عليه اليوم : اغلاق باب الاجتهاد فيما اجتهد فيه السابقون . والحق أنه كان توفيقا من الله لهذه الأمة ، وحفظا منه لشريعته ، وقد تعهد سبحانه بحفظ كتابه :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

والشريعة لكتاب الله تبع .

ولنا أن نتصور كيف يكون الكم هائلا من

---

١ — الرسالة للشافعى ط الحلبى ١٩٦٩ ص ٢٦٢ .

٢ — شرح المنار جـ٢ ص ٧ مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٦ .

(٣) ص ٣٢٨ — دار الطباعة الفنية ١٩٧٣ م

(٤) ص ٧٦ — دار الفكر بيروت .

(٥) جـ ٢ ص ١٩٧ ط مصطفى الحلبى .

الآراء والفتاوى فى كل مسألة ، وكيف يكون الاختلاف ، لو أنه أجيز للفقهاء ، والمفتين ، والقضاة فى مختلف الاعصار والامصار أن ينفرد كل منهم برأى حسبما يؤدى اليه اجتهاده فى كل مسألة . ؟

أفكان من الممكن عندئذ ضبط الأحكام ، وتحديد معالم الأصول الشرعية من خلال هذا الكم الرهيب . من الخلاف ، ومن الآراء؟.
وكان من الممكن ضمان أهلية الاجتهاد ، والتجرد للرأى خالصا للدين فيمن يجتهدون فى كل يوم ، وفى كل مكان ؟.

سبحانك اللهم ، ولك الحمد : « إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » (١) .

لقد كان من فضل الله على الأمة أن اكتمل جمع الحديث النبوى ، وتم تخريجه ـ تقريبا فى القرن الثانى الهجرى ، وعليه اعتمد الفقه فى تحرى مقاصد التشريع القرآنى ، ثم برز دور الاجماع فى وقف الخلاف ، وبخاصة بين الأعصر المتتالية ، كما وضح من هذا الحكم الذى أوردنا آنفا .

كان لكل هذا أثره فى ثبات الفقه الاسلامى، ووحدة الأمة الاسلامية فى أحكامها الشرعية من أقصى الشرق فى اندونيسيا الى أقصى الغرب المطل على المحيط من بلاد المغرب .

ولقد تنبه الاوربيون ـ أعنى غير المسلمين منهم ـ الى هذه الحقيقة ، وأشاروا اليها (٢)، ولذا فانهم يمكرون بالاسلام على أساس من المعرفة بحقائق قوته ، وثبات عقائده ، وأحكامه .

وهم يجتهدون لاغراء المسلمين باعادة النظر فيما استقر من الاحكام ، بحجة ملاءمة احتياجات العصر .

وباعادة فحص السنة ، واخضاعها للنقد العقلى والتاريخى ، ثم بطرح الاجماع جانبا ، وبهذا يتغير بناء الشريعة .

والمسألة ذات أبعاد أسأل الله أن يعين على متابعتها ، والنصح للأمة فى أمرها . وقد وضح شىء من خطوط هذا التدبير فى كتاب جوليوم : « الاسلام » (٣) Islam. ومما قال فيه : «واننا اذا أعدنا فحص السنة على هذا الأساس انتقض بناء الشريعة ، واذا أعدنا النظر فى الأحكام الفقهية على أساس النقد الغربى ـ المسيحى ـ انقسم العالم الاسلامى ـ كما حدث فى أوربا بالنسبة للاصلاح المسيحى ـ الى فرق : احداها تتمسك بالقديم، وأخرى تتجه الى المعاصرة والاستحداث ، وثالثة تقع بين بين ... وهكذا ... » (٤)

ثالثا : أن الاجتهاد فى الوقائع الجديدة الحادثة فى عصرنا ، سواء بالنظر فى النصوص ، أو الأدلة الأخرى ، أمر لم يمنعه أحد .

بل انه فرض كفاية على الأمة فى علمائها ،

◄

(١) الآية ١٠٠ من سورة يوسف .
(٢) Encyclopoedia Britanica — 1977 — V. 9 p. 913.
(٣) ALFRED Guillaume — Islam — 1954 — p. 163-166.
(٤) P.165. والنص بالانجليزية . وهذا مضمونه ، فى ترجمتنا له .

وذلك حتى لاتتعطل الشريعة ، وقد نص الفقهاء على هذا .

كما أن رأى الأكثرين منهم على أن الزمان لا يخلو من مجتهد ......

وهذا مايؤيده الواقع ، فانه لا توجد مسألة الا وللفقهاء فيها رأى وفتوى . الا أن تعرض ظروف خاصة تحول دونها .

« وبعد » فلنعد الى أصل المســألة ، وهى : « لا اجتهاد مع النص » . ولم أجد مــن حرر القول فى موضوعها مثل الشافعى رضى الله عنه قال فى عبارة تجرى على وجه الحوار :

قال : « أى الســائل للشـــافعى » فمن أين
قلت : يقال بالقياس فيما لا كتاب فيه ، ولا سنة ، ولا اجماع ؟ أفا لقياس نص خبر لازم ؟
قلت : لوكان القياس نص كتاب ، أو سنـــة **قيل فى كل ما كان نص كتاب** : هذا حكم الله . **وفى كل ما كان نص السنة** : هذا حكم رســول الله . ولم نقل له : قياس .

قال : فما القياس ؟ . أهو الاجتهاد ؟ . أم هما مفترقان ؟ .

قلت : هما اسمان لمعنى واحد .

قال : فما جماعهما ؟ .

قلت : كل مانزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو ــ على سبيل الحق ــ فيه دلالة موجودة .

وعليه (١) اذا كــان فيه (٢) بعينـــه حكم اتباعه (٣) ، واذا لم يكن بعينـــه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهـــاد القياس » (٥) .

قال : فقد حكمت بالكتاب والســنة ، فكيف حكمت بالاجماع ثم حكمت بالقياس ، فأقمتهما مع كتاب ، أو سنة ؟ .

قلت : انى وان حكمت بهمـــا (٦) كما أحكم بالكتاب والسنة ، فأصل ما أحكم به منهما (٦) مفترق .

قال : أفيجوز أن تكــون أصــول مفرقـــة الأسباب يحكم (٧) فيها حكما واحدا ؟

قلت : نعــم : يحكم بالكتـــاب ، والســنة المجتمع عليها ، الذى لا اختلاف فيها ، فنقول لهذا : حكمنا بالحق فى الظاهر والباطن .

ويحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد، لا يجتمع الناس عليها ، فنقول حكمنا بالحق فى الظاهر ، لأنه قــد يمكــن الغلط فيمــن روى الحديث .

ونحكم بالاجماع ثم القياس ، وهــو (٨) أضعف من هذا ، ولكنها منزلة ضرورة ، لأنــه لا يحل القياس والخبر موجود . (٩)

---

(١) أى المسلم .
(٢) أى فيما نزل بالمسلم .
(٣) أى علمية اتباعه .
٤ الرسالة للشافعى طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .
(٥) فى بعض الأصول للرسالة « بها » .
(٦) فى بعض الاصول : « منها » .
(٧) يحكم ــ بالبناء للمجهــول ــ وفى بعض النسخ : تحكم ــ بالتاء .
(٨) أى القياس ــ فيما يبدو من ظاهر العبارة
(٩) الرسالة للشافعى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

الإسلام والتعايش السلمى

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

شاء الله أن يكون الاسلام ختام رسالات السماء الى الارض ، وأن يبقى مع الزمن الى نهاية الخلود لانه دين الازل والابد فقد استوعب كافة ما فى الرسالات الأولى من أصول ثابتة بعد أن نفى عنها ما علق بها من خرافات الجهلة من الاتباع وأكاذيب الدجالين المنسوبين الى رجال الدين من الكهنوت والأحبار .

بدأ اشراق الاسلام فى مكة المكرمة ، وبعد مرحلة تأسيس دامت عشر سنوات فى المدينة المنورة فى جمع الملايين من أهل جزيرة العرب على سعة أطرافها وتباين نزعاتها جمع الاسلام شمل قبائل تلك الجزيرة ولم شعثهم وجعل منهم أمة واحدة قضت وقتئذ على دولتى العالم الفارسية ، والرومانية فى فارس والعراق ومصر وبلاد الشام .

ثم غزا الاسلام بعقائده العالم فى كل مكان من أقصى الشرق الى أقصى الغرب لأنه الصورة العامة الأخيرة للوحى الالهى التى تستغرق الأجناس كلها وتتناول الأجيال التى تسكن الارض حتى قيام الساعة .

وهكذا انتشر الاسلام بسرعة لم يعهد التاريخ لها مثيلا فى تاريخ الأديان مما حير العلماء والمؤرخين فى تفسير هذه السرعة التى لم يعرفوا لها نظيرا .

السر فى انتشار الاسلام :

سر ذلك أن الاسلام دعوة الى الحياة على أسس جديدة تكفل الحياة فى أمن وسلام بعد أن سئم المفكرون فى البحث عن هذه الأسس يقول الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**) (١) .

(١) سورة الانفال ٢٤ .

الإسلام والتعايش السلمي

ايمان المسلمين والتعايش السلمي :

ان ايمان المسلمين بعقيدة التوحيد لله رب العالمين وبرسالة النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد وسع كل من أرسله الله من الأنبياء والمرسلين لذلك لم يشعر المسلمون بأي غضاضة من أن يعيش معهم مواطنوهم أهل الديانات الأخرى كاليهود والنصارى والمجوس وأن يسود السلام بينهم وبين جيرانهم الذين يخالفونهم في عقيدتهم الدينية ، وأن يمتد بينهم طريق المعايشة السلمية ، ولقد تجاوز الدين في مفهوم الاسلام تلك الحدود ، من صلة الانسان مع قوى الغيب العلوية الى حدود أخرى أعطاها نفس الاهتمام الا وهي (صلات الانسان مع أخيه الانسان) .

التعايش السلمي هو اهم مشاكل الانسانية منذ القدم :

لقد كان من آثار التطور الاجتماعي أن انقسم العالم الى جماعات من الأفراد تسكن كل جماعة منها اقليما محددا ، وتخضع لهيئة حاكمة تسيطر عليه وعلى كل ما هو موجود به من أشخاص وأشياء هذه الجماعات هي التي تعارف الناس على تسميتها بالدول ، ولقد نشأ بين تلك الجماعات علاقات مختلفة كنتيجة حتمية لوجودها جنبا الى جنب وعدم امكان الواحدة منها أن تستغني عن الأخرى (١) ، ولما خرجت تلك الجماعات منذ أواخر القرون الأولى ومطالع القرون الوسطى عن عزلتها واحتكت ببعضها خصوصا في مجال التجارة أورث ذلك الاحتكاك أحقادا وحروبا دامية دائمة طغى فيها القوى على الضعيف وتنكر الانسان لأخيه الانسان ، واتخذ بعض الناس أنفسهم أربابا من دون الله على الآخرين ونزلوا بغيرهم الى أدنى الطبقات ، وجردوهم من الحياة الكريمة حتى أصبحت حياة الافراد والمجتمع في جحيم مقيم.

ومع تقدم الحضارات ورقي المدنية وتشابك المصالح زاد احتكاك الشعوب فيما بينها مما دعا الى المناداة بما سبق أن نادى به الاسلام من ضرورة التعايش السلمي بين الأمم والدول والرغبة في السلام ما بين أبناء الانسان في كل مكان وبين جميع الأقوام ومختلف العقائد والنظم والأديان ، لكنها تعارفت فيما بينها على مفهوم لذلك التعايش السلمي على خلاف ما نادى به الاسلام .

مبادىء التعايش السلمي الخمسة في العصر الحديث (٢) :

رغم أن روح التعايش السلمي لم تتبلور بعد ، ولم يشعر بجديتها أحد حتى الآن ولم يتمكن أحد من صوغها في مبدأ حيوي ايجابي الا أن الشعوب تعارفت فيما بينها على مبادىء خمسة للتعايش السلمي هي :

١ ــ مبدأ عدم الاعتداء .

٢ ــ تجنب التدخل في الشئون الداخلية

(١) كتاب القانون الدولي العام تأليف دكتور محمود سامي جنينه استاذ القانون الدولي العام بكلية الحقوق جامعة القاهرة سابقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ .

(٢) كتاب مبادئ الاسلام الدستورية في نواحي الحياة تأليف محمد معروف الدواليبي مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٥ صفر سنة ١٣٨١ هـ ــ ٢٨ يوليو سنة ١٩٦١ م

للدول الأخرى .

٣ ـ الاحتـــــرام المتبادل للســـيادة والاستقلال .

٤ ـ مبدأ المساواة والنفع المتبادل .

٥ ـ المعايشة فيما بينها فى سلام .

وقد كثر الاعتراض عـــــلى تلك المبادىء السابقة لسلبيتها ولغموض فكرتها وخاصـــة فى المعايشة فيما بينها بعكس الحال بالنسبة لمبادىء الاسلام فى التعايش السلمى .

مبادىء التعايش السلمى فى الاسلام :

ان السلام هو المقصد الاصلى فى علاقـــة المسلمين بغيرهم وكانوا لا يلجأون الى الحرب الا باختيار عدوهم ، فهم لا يبغون الا العمل على نشر الاسلام وتعاليمه بالطرق السلمية فى شتى المدن والبلاد فيخيروا أهلها بين الاسلام أو أن يتعاهدوا معهم على العيش فى سلام

ولقد نادى الاسلام بذلك المبدأ منذ أربعـة عشر قرنا دون أن يطوقه بحدود فيمـــا بين الأقـوياء ودون أن يقصره على فـريق من الشعوب أو على جمع فقط من أهل الأديـــان وقد تناول فيه جميع نواحى حياة الانســـان منفردا ومجتمعا ، وما اسم الاسلام الا كلمة مشتقة من مادة السلم والسلام ، ولذلك اتخذ الاسلام (السلام) تحية له وشعارا يقول تعالى

(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (١) .

قواعد الاسلام الخمسة فى التعايش السلمى :

وهذه القواعد الخمسة تقوم عـــلى روح السلام فى جميع نواحى الحياة طبقا لما يلى :

اولا : السلام فى العقيدة :

١ ـ ففى مجال العقيدة فرض نظام الاسلام السلام ما بين العلم والعقـــل من جهة وبين العقيدة من جهة أخرى فاختص فى خطابه الذين يعلمون والذين يعقلون قال تعالى :

(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّـــهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢) .

(وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٣) .

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَـا لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤) .

٢ ـ كذلك فرض الاسلام السلام فى العقيدة فيما بين أصحاب الأديان فقال الله تعالى :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْـــدُ مِنَ الْغَيِّ) (٥) .

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْــتَ عَلَيْهِــمْ بِمُصَيْطِرٍ) (٦) .

وهذا منتهى ما وصلت اليـــه البشرية فى دساتيرها الراقية الحرة فى سبيل حماية حرية المعتقدات وقد سبقها الاسلام فى ذلك قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .

(١) سورة آل عمران ١٩ .
(٢) سورة يوسف ١٠٨ .
(٣) سورة المؤمنون ٨٠
(٤) سورة الحشر ٢١ .
(٥) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٦) سورة الغاشية ٢١ .

الإسلام والتعايش السلمى

(أ) فليس فى طبيعة الدعوة الاسلامية من التعقيد والغموض والمشقة العقلية ما تحتاج معه الى اكراه جلي بالقوة المادية كضغط الدولة بسلطانها وجبروتها وحديدها ونارها ، أو اكراه خفي كالخوارق الحسية التى تخضع لها الأعناق .

(ب) ان شريعة الاسلام أخذا من كتاب الله لا تغاير أو تخالف سنة الله الكونية التى جعلها أساسا لايمان من يؤمن وكفر من يكفر وهى ترك الناس وما يختارونه لأنفسهم عن طريق النظر والاقتناع .

(حـ) ان شريعة الاسلام لاتبيح نصوصها المحكمة الواضحة اتخاذ الاكراه وسيلة من وسائل الدعوة الى الله .

(٠) ان صاحب الدعوة الاسلامية ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ليس مسئولا امام ربه الا عن مهمة الرسالة التى بينها القرآن الكريم وهى التبليغ والانذار وليس مطالبا بايمان الناس حتى يسمح له باكراههم .

(هـ) فضلا عن ذلك فان كتاب الله مصدر الدعوة الاسلامية لايحترم ايمان المكره ولايرتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء فكيف يأمر بالاكراه ، ويبيح اتخاذه وسيلة من وسائل الايمان بدعوة الاسلام (١) .

ثانيا ـ السلام فى الحياة الخاصة :

ذلك أن الاسلام فرض السلام ما بين رغبات الانسان ومطالبه فى الحياة ، وما بين فكرة الانسان وما يصله بها الى تلك الرغبات قال تعالى :

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢) .

فلم يشترط الاسلام فى وصول الانسان الى الطيبات وزينة الحياة غير الطرق المشروعة والعمل الصالح ، أما مايتجاوز هذه الحدود فقد منعه الاسلام لأنه يخرج بالانسان من نطاق السلام الى نطاق العدوان والفساد قال تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) (٣) وقوله جل شأنه (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (٤) .

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (٥) .

وبذلك احتفظ الاسلام للانسان بمكانه فى الوجود كانسان وأباح له ما شاء من حظوظ وما أوتى من ملك بشرطين اثنين هما :

---

(١) كتاب الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب لفضيلة الاستاذ الاكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت مطبعة الازهر شوال سنة ١٣٧٠هـ يوليو ١٩٥١ م .

(٢) سورة الاعراف ٣٢ .
(٣) سورة البقرة ١٨٨ .
(٤) سورة القصص ٧٧ .
(٥) سورة الحديد ٧ .

١ ـ الاحسان .

٢ ـ عدم الفساد .

ثالثا ـ السلام فى الصلات فيما بين الناس :

فقد جعلهم الله شعوبا وقبائل لتسهيل التعارف والتقارب فيما بينهم وليس وسيلة لكى يرتفع بعضهم على بعض أو يتخذ بعضهم من انفسهم آلهة من دون الله فوق الآخرين قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١) .

ويرتبط بصلات المسلمين بغيرهم من الناس علاقاتهم التجارية مع غيرهم وكما قدمنا آنفا فان العلاقة التى تربط المسلمين بغيرهم انما تقوم فى أصولها على الود والسلام ، لذلك فان الاسلام لايدعو فقط المسلمين أن يسعوا فى الارض بل شجع غير المسلمين الى دخول دار الاسلام للاتجار فيها وله الأمان أربعه شهور قابله للتجديد اذا لم تنته تجارته خلالها . كما أن له أن يطلب البقاء فى دار الاسلام عاما على أن يدفع الجزية كذمى وله عندئذ الانتقال فى سائر ديار الاسلام بحرية كاملة فيما عدا الأماكن المقدسة (٢) .

رابعا ـ السلام فى النظام العام :

ذلك أن الاسلام فرض السلام ما بين الانسان وأخيه الانسان فلا طبقية ولا عرقية ولا أجناس فيما بين الناس بل قرر المساواة بين جميع البشر فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع التى جعلها دستورا للمسلمين من بعده (أيها الناس ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) (٣) فاستل بذلك من نفوس المسلمين ما رسخ فى نفوس الأقدمين وكثير من الحديثين الزعم برجحان جنس على جنس أو شعب على شعب فى الحقوق والكرامة وتجريد الكثير من الناس من حقوقهم الطبيعية.

خامسا ـ السلام فى الحكم :

فرض الاسلام السلام فيما بين الناس فى الحكم لأنه جعل العدل والمساواة فى الحقوق لجميع ما يسوده نظام الاسلام بحمايته ولو لم يكن عربيا أو مسلما كأهل الذمة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وذلك تطبيقا لما يروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشأن الذميين اذ يقول لأحد مبعوثيه : (فاذا قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) (٤) .

ويقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) وفى مسائل العقوبات سوى الاسلام بين المسلم والذمى

---

(١) سورة الحجرات .

(٢) بحث العلاقات الدولية فى الاسلام للاستاذ عامر الخطيب بمجلة الفيصل السعودية العدد ٨١ السنة السابعة ديسمبر ١٩٨٣ .

(٣) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار ، وكتاب حقوق الانسان فى الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى نشر ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية بدون تاريخ .

(٤) ذكره الامام الكاسانى فى بدائعه .

فى أحكام الديات ، والضمان ، والتعاذير وحماية الاسلام لأهل الذمة ينصب على الاعتداء الخارجى والظلم الداخلى وذلك فى دمائهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم على التفصيل الذى أورده علماء الاسلام فى كتب الفقه المختلفة ، يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة) (١) .

كما فرض الاسلام للذميين حظا فى ضمان الاسلام الاجتماعى يرقى على كثير من التشريعات المعاصرة فى عالم اليوم يشهد بذلك كتاب خالد بن الوليد رضى الله عنه الى أهل الحيرة فقد جاء فيه (للنصارى) أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار **الاسلام (٢)** .

لكن هل كانت نظرة أعداء الاسلام الى المسلمين بمثل مبادىء المسلمين السامية ؟

الواقع أن رجال الحرب والسياسة والقانون فى الدول غير الاسلامية كانوا ينظرون الى المسلمين ببغضاء شديدة ، فقد كانت العائلة الدولية فى العصور الحديثة تستبعد دار الاسلام من حظيرتها ، فمنذ نشأة القانون الدولى الحديث بمفاهيمه الأوروبية عمل فقهاؤه على اعتبار الاسلام خارج نطاق العلاقات الدولية وعدم الاعتراف بتمتع الشعوب الاسلامية بالحقوق التى يقررها هذا القانون مما يشير الى تقرير عدم التعايش السلمى معهم طبقا لما يلى .

اولا — (جروسيوس) والذى يدعى فى أوروبا أبو القانون الدولى قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية ، ومع أنه يرى القانون الطبيعى مجيزا لعقد معاهدات مع أعداء الدين المسيحى الا أنه نادى بتكتل الأمراء المسيحيين ضد أعداء المسيحية (ويقصد بكلامه هذا المسلمين) .

ثانيا : وبناء على ما قرره ذلك الفقيه وغيره من الفقهاء الأوروبيين لم تقم الدول الأوروبية باشراك الدولة العثمانية فى مؤتمر وستفاليا سنة ١٦٤٨ ميلادية حينما وضعت أسس القانون الدولى الحديث .

ثالثا : وفى القرن الثامن عشر لم تر تلك الدول الأوروبية أن تمنح الدولة العثمانية الحقوق المقررة للدول فى القانون الدولى العام لأن الدول الأوروبية فى تعاملها مع الشعوب الاسلامية كانت تنظر اليها كجماعات غير جديرة

(١) رواه ابو داود والبيهقى .
(٢) بحث العلاقات الدولية فى الاسلام للاستاذ عامر الخطيب بمجلة الفيصل السعودية العدد ٨١ ديسمبر ١٩٨٣ .

بالتمتع حتى بقواعد قانون الحرب لذلك كانت تعتبر الاستيلاء على أراضى المسلمين واستبعادهم عملا فاضلا يدعو تلك الدول الأوروبية الى الفخر .

رابعا : وبعد انتهاء حروب نابليون وانعقاد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ م لم تدع اليه الدولة العثمانية وبقيت خارج الجماعة الدولية .

خامسا : واستمر استبعاد الدولة العثمانية (بوصفها دولة مسلمة) من العائلة الدولية حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر ونشوب حرب القرم سنة ١٨٥٤ – سنة ١٨٥٦ م بين الروسيا وتركيا وانعقاد مؤتمر صلح باريس منحها مزايا القانون الدولى ومع ذلك لم يشفع لها ذلك أمام تلك الدول الأوروبية فلم تعاملها على قدم المساواة مع باقى أفراد العائلة الدولية بل تواطأت فيما بينها على نهش جسدها والتهام أملاكها ثم القضاء عليها وهذا ماحدث فعلا بعد ذلك (١) .

فأين هذا مما قرره الاسلام وعرضناه سابقا فى هذا المقال ، ولم يكتف بذلك بل زاد عليه فيما قرره من حض على البر بأبناء الاديان الأخرى مهما كانت عقائدهم مالم يقاتلونا فى الدين ومالم يخرجونا من ديارنا فيقول تعالى :

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٢) .

وقوله تعالى : **(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) (٣) .**

وما قرره الرسول – صلى الله عليه وسلم – من مبادىء سامية فى حجة الوداع تعتبر ذروة ما تنشده الانسانية اليوم ومفكروها . ومنتهى ما تعمل على ادخاله فى دساتيرها من حقوق طبيعية للانسان مما يشهد للاسلام بروح السمو التى يحملها فى علاقته بغير معتنقيه ، فهو لم يدع الى التعايش السلمى معهم فقط بل تجاوز ذلك الى نواحى البر والقسط والتعاون والمؤاكلة والمصاهرة وهى علاقة يتضاءل أمام روعتها وانسانيتها أحدث مبدأ عرفه العقل البشرى فى العلاقات الدولية.

المستشار محمد عزت الطهطاوى

---

(١) كتاب القانون الدولى العام تأليف الاستاذ الدكتور محمود سامى جنينه ، وكتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالى مطبعة دار التأليف سنة ١٩٨٢ .

(٢) سورة الممتحنة ٨ .

(٣) سورة المائدة ٥ .

القيادة الإدارية في الإسلام

١ ــ مفهوم القيادة الادارية :

« القيادة بمفهومها العام تعنى فن استخدام الأفراد ، وتنسيق جهودهم لتحقيق أهداف محددة ومعينة » .

وهى فن ، لما تتطلبه من تأثير فى الأفراد ، وتطويعهم مختارين الى طاعة القائد ، وليس جبرا أو قسرا .

لذلك كانت القيادة فنا يتوقف على عوامل وصفات لا تتوفر عند كل الناس . والقائد لا يستطيع ان يكون نشيطا ما لم يتوفر لديه نظام للاتصال جيد وفعال .

٢ ــ القيادة فى الاسلام :

تتميز القيادة فى الاسلام بأنها قيادة روحية وسياسية فى وقت واحد ، كما أنها تتميز بأنها تقوم على مبادىء :

كمبدأ الشورى والقدوة الحسنة ، فالقائد فى الاسلام مثله كمثل الأب الرحيم يرعى أسرته وأبناءه ، ويكفل لهم سبل الراحة الطمأنينة ، ويرشدهم فى لين ، ويوجههم فى صبر ، يخشاه الناس ولا يخافونه ، يسعون اليه ولا يتفرقون منه ، فهو القوى فى غير عنف ، الرحيم فى غير ضعف .

٣ ــ حتمية القيادة فى الاسلام :

الاسلام يؤكد حتمية القيادة كضرورة اجتماعية يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض الا أمروا عليهم أحدهم) (١) ويقول :

(اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم) (٢) .

يقول الامام الشوكانى تعليقا على هذين الحديثين :

« ان فيهما دليلا على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعدا أن يؤمروا عليهم أحدهم ، لأن فى ذلك السلامة من الخلاف الذى يؤدى الى الاختلاف ، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ، ومع التأمير يقل الاختلاف ، وتجتمع الكلمة .. ويستطرد فيقول : « واذا شرع هذا لثلاثة

---

(١) روى بلفظ (واذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم) لأبو هريرة مرفوعا وسنده حسن .

(٢) رواه أبو داود باسناد حسن عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون ، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ، ويحتاجون لدفع المظالم أولى وأحرى .

ومن أجل وحدة الأمة وأن يصان كيانها ، وتحمى أطرافها لابد لها من قيادة موجهة رشيدة ، وتكون في يد ولاة الأمور الذين تختارهم الأمة ويتولون الحكم ، وفيمن يختارون للاشراف على مختلف مرافق الدولة ويديرون ادارتها .

هذه القيادة ليست من الأمور السهلة فهي تتطلب مقومات لابد أن تتوافر فيمن يتولى عملا ، أو يشرف على ناحية ، أو يرأس ادارة ؛ وليس ولي الأمر الأعلى وحده هو المسئول عن رعاية الأمة بل كل في موقعه مسئول ، يقول (صلى الله عليه وسلم) (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) الحديث (١) .

٤ ــ المجتمع الاسلامي مجتمع فاضل :

العلاقات الاجتماعية في المجتمع الاسلامي تقوم على الروابط المعنوية والأدبية من تواد وتراحم لا على أساس من العلاقات المادية فقط .

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢) والعلاقات التي تقوم على المودة والرحمة هي العلاقات التي يقوم عليها بنيان الجماعات الانسانية : علاقات تربط الناس بعضهم ببعض برباط وثيق لا ينهار .

وهي علاقات تقوم على أساس التوجيه الديني الذي وضعه الاسلام بالقرآن والسنة ، والذي يغذي النفوس ، نفوس الآحاد لتجتمع ، ونفوس الجماعات لتتآلف ، ونفوس الحكام ليعدلوا في دولتهم ، ونفوس القادة لينهضوا بمؤسساتهم واداراتهم ، وليكونوا في تصرفاتهم مع كل انسان ، ملاحظين المعاني الانسانية من غير نظر الى اختلاف الأجناس والألوان .

وقد عمل الاسلام على اقامة ذلك المجتمع الفاضل بتربيته للنفوس وتربيته للجماعات ليتكون من ذلك مجتمع انساني متآلف متحاب ، يكون الفرد فيه مؤتلفا مع الجماعة ملتقيا معها ، يؤثرها على نفسه ، ولو كانت به خصاصة ، مستجيبا لها يعمل لمصلحتها ، منتميا اليها ، يكون ممن قال فيهم النبي (صلى الله عليه وسلم) .

« ان لله عبادا ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ،

(١) عن ابن عمر ، أخرجه الخمسة ، ورواه البخاري حـ ٣ ص ١٥٧ و ص ١٩٦

(٢) رواه مسلم وأحمد .

القيادة الادارية فى الاسلام

يغبطهم الانبياء والشهداء ، لمكانهم من الله تعالى يوم القيامة .

قيل : ومن يارسول الله ؟

قال : « قوم تحابوا بروح من الله على غير أرحام تربطهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله انهم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يحزنون اذا حزن الناس ، ولا يخافون اذا خاف الناس » .

(أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) » (١)

كفاية التشريع الاسلامى وصلاحه لأى مجتمع :

لقد وسعت الشريعة الاسلامية بمبادئها السامية ، وقواعدها الأصيلة مصالح الناس على اختلافهم ، فمع امتداد الدولة الاسلامية فى عصورها الذهبية .

ما ضاقت القوانين الشرعية الاسلامية عن حاجة ولا وقفت عقبة فى سبيل مصلحة أحد : مسلم أو يهودى أو نصرانى — بل عاش جميعهم فى ظل عدالتها وتسامحها عيشة راضية .

والتشريعات الاسلامية التى كانت تطبق آنذاك سبقت المدنية الحاضرة بكثير واشتملت على كل ما يتطلبه المجتمع المتحضر وقد اعترف بذلك علماء الغرب يقول أحدهم (٢) .

(ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعاتهم المدنية ان لم نقل ان ما فيه يكفى الانسانية كلها) .

ونخلص من ذلك الى أن نظام الاسلام قد عالج بنجاح مصالح الدولة الاسلامية فى أوج توسعاتها ، وأقامت الشريعة الاسلامية صرح نظم ومؤسسات متعددة ومختلفة ، وما ذلك الا لمتانة أصولها وشمولها وعمومها .

(ب) اهم مقومات القيادة الادارية فى الاسلام :

يهتم الاسلام بالمجتمع ويضع الأسس الثابتة التى يقوم عليها بنيانه والخطوط العريضة التى تصون كيانه وتحفظه من التصدع :

واهم مقومات القيادة الادارية فى الاسلام هى :

١ — الشورى :

فالقائد الجدير بالقيادة من اذا واجهه موقف وله أكثر من حل ، وكل حل فى ذاته صحيح ، جعل المشورة طريقا لاختيار أفضل الحلول ، وقد جاء النص القرآنى الكريم بوجوب الشورى فى أساس الحكم وفى فروعه

---

(١) الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ من سورة يونس .

(٢) وددنا — والله — أن نعلم القائل ، ويبدو أن الكاتب نسي ادراج اسمه فقد رقم له ولم يعط عنه بيانا ، ونرجو أن يتداركه فى العدد القادم
مجلة الازهر

قال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين فى ايمانهم :

(وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (١) .

فحكم المسلمين يجب أن يكون بالشورى الجامعة ، لا بالاستبداد المفرق .

ولقد ابتدأ عمر ينظم الشورى فكان له منها الشورى الخاصة (٢) . وفيها يستشير كبار العلماء من الصحابة كعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت وغيرهم من كبار الصحابة ، فكان يستشيرهم فى أمور الدولة ، وما يلزمها من أحكام .

والقسم الثانى من الشورى : وهى : الشورى العامة ، وهى يحتاج فيها الى تقرير مبدأ ، أو يكون الأمر فيها خطيرا . هذا وكان يستشيرهم فيما يتعلق بشخصه اذا اتصل بمصلحة عامة فانه يروى : « أنه لما تكاثفت جيوش الفرس على الجيش الاسلامى خشى الفاروق على المسلمين ، فأراد أن يخرج الى الفرس بنفسه ، فاستشار كبار الصحابة فى ذلك ولننقل مشورة على رضى الله عنه ، ورأيه فيما دار من مناقشة بين عمر (رضى الله عنه) وبعض الصحابة فى أمر خروجه بنفسه . قال الامام على موجها الكلام الى الامام عمر .

(ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولاقلة وهو دين الله الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمده ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعد من الله والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكان القيم من الامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ، فاذا انقطع النظام تفرق الخرز ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا ، والعرب اليوم ، وان كانوا قليلا ، هم كثيرون بالاسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكن قطبا ، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك بالحرب فانك ان شخصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى تكون ماتدع وراءك من العورات أهم اليك مما بين يديك ، ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا أصل العرب ، فاذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك . فأما ما ذكرت من سير القوم الى قتال المسلمين ، فان الله سبحانه وتعالى أكره لمسيرهم منك . وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة) (٣)

والله سبحانه قد أوجب الشورى على نبيه عليه الصلاة والسلام وهو المعصوم الذى نزل عليه الوحى ، فالمشورة على من بعده ومن دونه من الأئمة والحكام من باب أولى وفيهم تكون أوجب وألزم ، ولذلك جرى عليها الخلفاء من بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) فكان أبو بكر (رضى الله عنه) اذا نزلت به نازلة ، نظر فى كتاب الله ، فان وجد فيه شيئا قضى به ، وان لم يجد نظر فى سنة رسول الله، فان وجد فيها شيئا قضى به فان لم يجد سنة جمع الناس ، وقال لهم : أفيكم من يحفظ فى

(١) سورة الشورى ـ اية ٣٨ .

(٢) نظمت الشورى من عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كغيرها من الامور مثل الدواوين وغيرها .

(٣) نهج البلاغة جـ ١ ص ٢٨٢ شرح الاستاذ الامام محمد عبده .

هذا شيئا عن رسول الله ، فان وجد قضى به ، والا جمع رءوس الناس وخيارهم ، وقال: أشيروا على أيها الناس ، فيقضى ويبرم ما يجمعون عليه ، أو يتفقون عليه .

كذلك كان عمر ، وكان يقول (لا خير فى أمر أبرم من غير شورى) كما قال أيضا (حق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم ، وبين ذوى الرأى فيهم)

فالاسلام لا يستبعد السيادة الشعبية ، ولا ينكر الحكم عن طريق الاغلبية ، وانما هو يفرق بين مجالين ، مجال النص الصريح القطعى الواضح ، ومجال النص المحتمل أو عدم وجود النص ، فاذا كان فى الامر نص واضح من القرآن أو السنة ، أو اجماع من المسلمين على أن هذا الامر من السنة ، ومتفق معها فليس للاغلبية أو الاجماع المخالف للسنة من سبيل ، فالله تعالى ــ وهو الذى أنزل هذا النص ، وأوحى الى رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ به ، ووجهه اليه ــ أعرف من الجماعة بمواضع المصلحة ، ومظان العدل ، قال تعالى : (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) .

ويقول فى الذين يترددون فى حكم الله والأخذ به (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) (٢)

أما فى المجال الآخر حيث يكون النص محتمل التأويل ، وحيث لا يعالج المسألة نص من القرآن والسنة المؤكدة ، فان الاسلام يجعل الوزن الاكبر لرأى الجماعة ، جاعلا منه دليلا على الحق وشاهدا له عند انعدام المعيار الموضوعى الذى يكشف عن الحق فى ذاته المستمد من النص القطعى ، وفى ذلك يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (يد الله مع الجماعة) (٣) ، ويقول : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) (٤) ويقول :

(لا تجتمع أمتى على ضلالة) (٥) .

فالاجماع على أمر من الامور حجة عند جمهرة المسلمين يجب العمل به ، ولا يجوز الخروج عليه ، ولقد بدا لعلى (كرم الله وجهه) فى مسألة وقع فيها الاجماع فى عهدى الخليفتين الأولين (أبى بكر وعمر) « رضى الله عنهما) بدا له أن يرجع عن هذا الرأى ، فقال له أحد أتباعه :

(رأيك مع الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك) ونزل على (رضى الله عنه) على رأيهم اقتناعا بأن رأى الجماعة أوفق من رأى الفرد .

٢ ــ اصطفاء المستشارين :

لابد أن يختار الانسان من يستشيره بأن يكون على جانب من الذكاء وأن يكون أمينا ملما بما يستشار فيه معروفا بالشجاعة فى الرأى وحسن الخلق .

وفى ذلك يقول الامام على كرم الله وجهه : (ولا تدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدل بالفقر ، ولا جبانا يضعفك

(١) سورة البقرة ــ آية ٢١٦ .
(٢) سورة النور ــ آية ٥٠ .

(٣) رواه الترمذى ص ٢١٦٦ .
(٤) كشف الخفاء ٢/٢٦٣ .
(٥) المستدرك ١/١١٥ .

عن الأمور ، ولا حريصا يزين لك الشدة بالجور ، فان البخل والجبن ، والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

٣ ــ القدوة الحسنة :

وذلك بأن يكون القائد قدوة حسنة لغيره فكرا ، وسلوكا ولكى يكون كذلك فكرا ينبغى أن يكون على علم بكل دقائق العمل ، ولكى يكون قدوة فى سلوكه ينبغى أن يكون عالما حكيما ، صبورا حليما ، يجيب سائلهم ، ويهتم بأمورهم ، يعطف عليهم ، ويسأل عنهم لا يعبس ، ولا ينفر ، وأن يكون صادقا أمينا عادلا وقورا .

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد اجتمعت فيه صفات القيادة الحقه ، فكان (صلوات الله وسلامه عليه) حسن الاصغاء الى من يحدثه ، لا يلوى عن أحد وجهه ، ولا يكتفى بالقاء السمع الى من يحدثه ، بل يلتفت اليه بكل جسمه ، وكان قليل الكلام ، كثير الانصات ميالا للجد من القول ، لا يقول الا حقا ، وكان مزاحه حقا ، طلبت منه امرأة عجوز أن يسأل الله لها الجنة ، فقال لها : ان الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكى ، فقال لها مهدئا ومطمئنا :

ان الله يقول : (**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا**) (١) فضحكت العجوز واستبشرت وكان (صلى الله عليه وسلم) حليما لا يغضب ، واذا غضب لا يظهر غضبه الا من نفرة عرق بين حاجبيه ، وكل من يراه يهابه ، ومن يخالطه يحبه ، يقول الله تعالى : (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**) (٢) .

وكان الرسول قدوة لمن جاء بعده أيضا من الخلفاء ، فهذا أبو بكر أول من آمن به من أصحابه ، لازم الرسول ، وتخلق بخلقه أحب الخير فعطف على الناس ، وقاد الأمة لما فيه صلاحها وفلاحها ثم جاء من بعده عمر (رضى الله عنه) فقام بأمر الخلافة على خير وجه ، بما عرف عنه من قوة الشخصية ، وما اتصف به من حزم ووداعة ، يتفقد أحوال الرعية بنفسه ، ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ، ويعطى المحتاج ، يهابه الناس لشخصيته ويحبونه لعدله ، ثم يخلفه عثمان (رضى الله عنه) وهو الشيخ التقى الورع الذى تغلب عليه الطيبة والتسامح ، فتراه يغدق العطايا ، ويكثر من المنح والتوسعة على الناس ، مما أثار عليه القائمين على بيت المال ، فكان رده عليهم ، (**منع عمر لله ، وأنا أعطى الله**) فلم يتهم عمر فى المنع ، ولم يتهم نفسه فى العطاء .

وهكذا تختلف الصفات من قائد الى آخر ، فقد تتغلب الصفات الذاتية على المكتسبة ، والعكس ، فتكون شخصية القائد ، والكل يتصرف فى نطاق تقديره للأمور ، فى ايمان كامل بصحة عمله وسلامة تصرفه ، لا يرعى

---

(١) سورة الواقعة ــ آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ومعنى عربا أترابا (متحببات الى أزواجهن ومستويات فى السن) .

(٢) سورة الاحزاب آية ٢١ .

الا الله ، ولا يفعل الا ما يعتقد صحته وسلامته .

٤ ـ الاخاء :

الاسلام كما يهتم بالمجتمع يهتم بالفرد ، لأنه لبنة فيه فاذا صلح صلح المجتمع كله ، ومن هنا ربط المسلمين جميعا برباط هو أوثق الروابط ، وهو رباط الأخوة الاسلامية التى تنمحى أمامها جميع الفوارق ، من نسب عريق ، ومال وفير وجاه عريض .

وهذا الاخاء يقتضى تبعات وحقوقا ، وليس اخاء مجردا لا ثمرة فيه ، ولا أثر له فى الواقع ، بل هو اخاء يقتضى التآلف ، والتعاون ، والعمل الدائب فى سبيل رفعة الآخرين ، ويقتضى حسن الرعاية ومن الأخوة أن يشعر القائد أو المدير للادارة أنه أخ لمن يعمل معه ، وواجبات الأخوة توجب عليه النصح لمن معه يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ما من عبد استرعاه الله فلم يحطها بنصحه الا لم يجد رائحة الجنة) (١) .

وتوجب الحب والرحمة ، وتستهدف تحقيق الخلق العالى ، والأدب الرفيع ، واشاعة البر والرحمة .

ومن أجل هذا المعنى تجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الاسلام وتشريعاته وتوجيهاته ، وبين معانى الأخوة والحب ، والتضحية والعمل لبناء خير الجماعة ، وخير الانسانية كلها ، وكل تشريعاته وتوجيهاته تعمل على تهذيب النفس ، واقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة الاسلامية من شأنها أن توقظ حواس الخير وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وتتناى بالانسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

يقول الامام على (رضى الله عنه) :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكن سبعا ضاريا يغتنم أكلهم » .

والبر والرحمة صفتان من شأنهما جذب القلوب ، وتأليف النفوس ، ومحو كل أثر للحقد والعداوة ، وقد يغفر الله للمذنب الدنس اذا تفجر فى قلبه نبع الرحمة ، وتولد فيه البر .

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

(بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج ، فاذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى ، فسقى الكلب فشكر

(١) أخرجه البخارى .

الله له فغفر له ، قالوا : يارسول الله وان لنا في البهائم أجرا ، قال : في كل كبد رطبة أجر) (١) .

فالرحمة بالانسان ، بل وبالحيوان عاطفة نبيلة ، وخلق شريف من أفضل الأعمال وأزكاها .

ولقد مدح الله بها رسوله (صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه في وصف رسوله (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (٢) .

والرحمة فضيلة والقسوة رذيلة ، وقد عاقب الله بها اليهود ، لما نقضوا العهود ، اذ يقول جل وعلا : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (٣) .

ويقول سبحانه لرسوله (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (٤) .

ومن رحمة القائد أن يعلم من يعمل معه ما يقدرون عليه مما ينفعهم ، ويأخذ بهم عن اللمم ، الى سبيل النفع الأعم ، ويعمل لعزهم ، ودفع المذلة عنهم ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، وهذا من كمال الخلق ، بل كمال الايمان ، يقول الرسول ، عليه الصلاة والسلام :



(ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم والقائم) (٥) .

ويقول : (أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا) (٦) .

ومن الاخاء مقابلة أخيك بالبشر وطلاقة الوجه ، وتخاطبه بالكلمة الطيبة ، فكلمة طيبة ، تؤلف بين القلوب ، وتجذب الناس الى الخير ، وتدفعهم الى العمل ، وتنسيهم الهموم والآلام .

والشخصية الفاضلة والقيادة الحكيمة هي

---

(١) اخرجه البخاري .
(٢) آية ١٢٨ من سورة التوبة .
(٣) آية ١٣ من سورة المائدة .
(٤) آية ١٥٩ سورة آل عمران .
(٥) رواه ابو داود .
(٦) رواه الترمذي باسناد حسن عن ابي هريرة (رضي الله عنه) .

القيادة الادارية فى الإسلام

التى تنطلق عن سجيتها وتبعث السرور فى نفوس الناس ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (١) .

ونار الله المؤقدة الشديد الأوار (٢) وقودها الناس والحجارة انما تطفئها نصف تمرة أو كلمة طيبة تقولها :

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة) (٣) .

٥ ــ الايثـــار :

من مقومات القيادة الايثار ، وهو أن يقدم الانسان لأخيه عن رضى ما هو فى حاجة اليه .

ولم يعرف تاريخ البشرية ايثارا كايثار النبى ــ صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم « ايثار الأنصار للمهاجرين » من مثل هذا الحب الكريم ، والبذل السخى ، والمشاركة الرضية ، والتسابق الى الاطعام ، والايواء ، واحتمال الأعباء .

والايثار على النفس مع الحاجة قمة عليا ، وقد بلغ اليها الأنصار بما لم تشهد له البشرية نظيرا ، وكانوا كذلك فى كل حـالة ، بصـورة خارقة لمألوف البشر قديما وحـديثا . وليس بعد الايثار شىء يربط القلـوب ، ويبعث على التفانى فى العمل .

واذا اتسمت بها القيادة فقد بلغت الذروة من النجاح ، والغاية القصـوى التى تنشـدها الادارة ، وقليل من يصل اليهـا ، وليس ذلك على من تجرد من الأنانية ، وأحب العمل ابتغاء وجه الله ، واتصف بالانتماء ، ليس ذلك عليـه ببعيـد ، ولا شاق ، بل يجد فيه متعة ولـذة .

محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة ابراهيم اية ٢٤ .

(٢) شديدة الحر .
(٣) رواه البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم .

● أورده الحاكم فى كتاب البر والصلة جـ ٤ ص ١٧٠

بزيادة وبعض مغايرة فى اللفظ وهو بتمامه عنده بلفظ عن ابن عمـر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شـهداء يغبطهم الشـهداء والنبيون يوم القيامـة لقربهم من الله تعـالى ومجلسهم منه .

فجثا اعرابى على ركبتيه فقال يا رسول الله : صفهم لنا وحلهم لنا قال قوم من أمناء النـاس من نزاع القبائل تصادقوا فى الله وتحابوا فيه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل لاخوف عليهم ولا هم يحزنون قال الحاكم هـذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

حاشية جمع الجوامع
٢ / ٢٣٦٠ ، ٢٣٦١

العمل فى ضوء الكتاب والسنة

بقلم المستشار توفيق على وهبة

الاسلام دين ودنيا ، فكما جاءت دعـوة الاسلام تدعو الى عبادة الله وحده جـاءت ايضا بنظام كامل لبناء المجتمـع وكان اول ما ركز عليه « العمل » لكونه قيمـة من قيم الاسلام لبناء المجتمع .

فبعد استقرار المسلمين فى المدينة المنورة بعد الهجرة بداوا يعملون ليعيشوا مـن ثمرة عملهم ، ومن عرق جبينهم واصبح العمل هـو مصدر رزق الكثير من المهاجرين الذين تركـوا أرضهم وديارهم وعاشوا بعيدا عن وطنهم فى المدينة المنورة .

ومن شدة اهتمام الاسـلام بالعمل ورد بالقرآن ٣٦٠ آية تتحدث عن العمل ، ١٠٩ آيات تتحدث عن الفعل .

والانسان حر فى التصرف فى اجره الذى يتقاضاه عن عمله بشرط ان يكون انفاقه فى الاوجه المشروعة التى يحددها الاسلام كأن ينفق على نفسه أو اسرته أو فى مصـالح المسلمين أو يدخره لحين الحاجة اليه على الا يؤدى هذا الادخار الى حبس المال عن التداول لأن فى حبسه اضرارا بمصالح الناس .

العمل فى القرآن :

ولقد قرن القرآن العمل بالايمان فى كثير من الآيات بقوله سبحانه وتعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً » (١) وقوله : « وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » (٢) .

(١) الكهف ٣٠ (٢) النساء ١٢٤

العمل في ضوء الكتاب والسنة

ويقول سبحانه : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .

العمل في السنة النبوية :

يقول سيدنا رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » (٢) ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان النبي داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٣) ، ويقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « افضل الأعمال الكسب من الحلال (٤) ، وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما من رجل يغرس غرسا فيأكل منه انسان أو بهيمة الا كان له صدقة » (٥) .

ويروى ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى . فقالوا ويح هذا ، أو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أوفتية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان (رواه الطبراني بسند ضعيف) .

تكريم الاسلام للعامل :

لقد كفل الاسلام للعامل حياة حرة كريمة مستقرة فحارب التعطل في كل صورة وحارب الفقر بكل وسيلة فلم يسمح للفرد بالتعطل بدعوى انه قد كتب عليه ان يعيش فقيرا بل حبب الانسان في العمل ودعا اليه حتى يستطيع الفرد ان يكسب من عمل يديه . ولا عذر لأحد في ترك العمل لأن الفقر مرض اجتماعي يجب درؤه وليس بقدر مقدر على الانسان فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالسعي والعمل يقول جل وعلا : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (الملك ١٥) .

ويقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة » (٦) .

ومما يدل على نفرة الاسلام من التعطيل الذي يؤدي الى الفقر أن الرسول ــ صلى الله

---

(١) النحل ٩٧

(٢) الحديث أخرجه السيوطي في الصغير رقم ١٨٦١ من رواية البيهقي في شعب الايمان من عائشة رضى الله عنها . قال المناوى : أخرجه ابو يعلى وابن عساكر وغيرهما وفيه (بشر بن السرى)تكلم فيه من جهة (تجهمه) .

(٣) أخرجه البخاري في البيوع ٣/٧٤ ط الشعب .

(٤) أخرجه السيوطي في الصغير رقم ١٢٣٨ من رواية ابن لال عن ابى سعد الخدري ــ وهو ضعيف، فيه اسماعيل بن عمر وهو شيخ لايعرف وعطية العوفي اورده الذهبي في الضعفاء .

(٥) أخرجه البخاري في اكثر من موضع .

(٦) الحديث في الجامع الصغير بلفظ «ان من الذنوب » من رواية ابى نعيم في الحلية ، وهو ضعيف .

عليه وسلم — يقول فى دعائه :

« اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل وأعوذ بك من الفقر والكفر »[1] .

ومن قوله — عليه الصلاة والسلام — كاد الفقر أن يكون كفرا [2] .

ويقول — صلوات الله وسلامه عليه — لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » [3] .

فضل العمل فى رأى عمر :

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى فضل العمل والسعى على الرزق : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى » .

ويقول : « لأن أموت بين شعبى رحل اسعى فى الارض أبتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب الى من أن أموت غازيا » ومن قوله المشهور : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

الامام أحمد ينتقد تارك العمل :

قال الامام أحمد بن حنبل — رحمه الله — فى رجل قعد فى بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى : « هذا رجل جهل العلم ، ولقد كان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم » .

ومنه قول النابغة الجعدى فى الدعوة الى العمل :

اذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه … شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى … تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

المبادىء العامة التى وضعها الاسلام للعمل والعمال :

١ — يجب أن يكون العمل بشرف وأمانة وان يحترف كل مسلم حرفة يتعيش منها فقد روى عن سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله يحب العبد المؤمن المحترف أى صاحب الحرفة أو المتهنة » [4] .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد . انظر الجامع الصغير للسيوطى الأرقام : ١٥٥٣ — ١٥٥٥ — ١٥٥٦ — ١٥٥٨ .

(٢) الحديث فى الصغير للسيوطى برقم ٦١٩٩ من رواية أبى نعيم فى الحلية عن أنس ، وهو ضعيف ... فيه يزيد بن الرقاشى قال الذهبى فى الميزان : تالف .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ج ٢ ص ١٥٢ من رواية الزبير بن العوام .

(٤) الحديث أخرجه الامام السيوطى فى الصغير برقم ١٨٥٣ وعزاه للطبرانى فى الكبير والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والبيهقى فى الشعب : عن ابن عمر وهو ضعيف لضعف عاصم بن عبد الله . ا هـ مناوى .

٢ ــ العمل نعمة من الله على الانسان : يقول سبحانه وتعالى : « لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ » يس ٣٥ .

٣ ــ كل عامل مسئول عن عمله واصلاحه فيه ؛ يقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » (١) .

٤ ــ رب العمل مسئول عن عماله يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢) .

٥ ــ الاجر بقدر العمل ، يقول المولى عز وجل : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » (التوبة ١٠٥) .

ويقول سبحانه : « وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (الاحقاف ١٩) .

٦ ــ الاجر حق للعامل وليس منة ، يقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » (٣) .

٧ ــ الدولة تحمى حق العامل في الاجر ، يقول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : « اعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه » (٤).

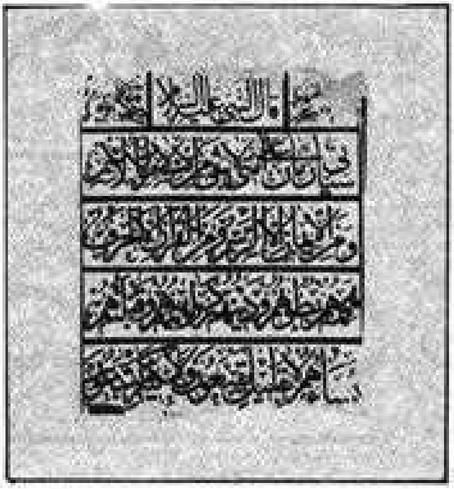
٨ ــ لكل عامل ان يأخذ اجرا على ما عمل . يروى سعيد الخدرى ان سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نهى عن استئجار العامل حتى يتبين له اجره (٥) .

٩ ــ العمل على قدر الطاقة : يقول المولى سبحانه وتعالى : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » (البقرة ٢٨٦) .

١٠ ــ حق العامل في تأمين نفقته : على

(١) سبق تخريجه فى المقال .
(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة : باب الجمعة فى القرى والمدن ج ٢ ص ٦ عن ابن عمر .
(٣) الحديث اخرجه ابن ماجة فى سننه (كتاب التجارات ...) ٧٢٣/٢ رقم ٢١٣٨ .
(٤) الحديث اخرجه ابن ماجة فى سننه فى كتاب الرهون باب أجر الاجراء ٨١٧/٢ رقم ٢٤٤٣ بلفظة الى ابن عمر .

(٥) الحديث فى مجمع الزوائد كتاب البيوع باب بيان الاجر ٩٧/٤ بلفظ (عن ابى سعيد ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن استئجار الاجير حتى يتبين اجره) قال الهيثمى رواه احمد ورجال احمد رجال الصحيح الا ان النخعى لم يسمع من ابى سعيد فيما احسب .



الدولة أن تضمن للعامل حياة حرة كريمة وتمده بالمال اللازم له اذا لم يكفه أجره .

١١ ــ يجب أن يأخذ العامل قسطا من الراحة ويقوم بالعبادة الواجبة عليه ، يقول تبارك وتعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (القصص ٧٧) .

١٢ ــ تقتضى قوانين التكافل الاجتماعى فى الاسلام بضرورة حق العامل فى تأمين معيشته والحفاظ على كرامته وضرورة ايجاد العمل المناسب اذا تعطل ولم يجد عملا .

ومجالات العمل التى يستطيع الفرد مزاولة نشاطه فيها كثيرة فى الزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من الطرق المشروعة التى لا يحرمها الاسلام فكما يقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (الحلال بين والحرام بين) (١) فيجب على الانسان ان يختار اوجه العمل الحلال ليعمل فيها ويتجنب الحرام أو ما يشتبه فى حرمته حتى يأمن لدينه ودنياه .

هذا هو موقف الاسلام من العمل كما توضحه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة فهو دين وعمل وجد واجتهاد يكره الكسل ويمقت التعطل . فهل آن لأعداء الاسلام الذين يدعون انه يحارب العمل والعمال وانه ضد الطبقة العاملة (١٢) هل آن لهؤلاء ان يخرسوا لان تجارتهم قد بارت بعد أن عرف الشباب المسلم زيفها وتضليلها وان ما ينشر عنه وسط الشباب ليبتعدوا عن دينهم لن يجدى وسيبقى الاسلام دائما قويا ظاهرا ليتم وعد الله سبحانه وتعالى .

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٢)

ويقول سبحانه « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (٣) .

صدق الله العظيم

المستشار توفيق على وهبه

خرج الأحاديث أحمد عبد الله باجور

---

(١) الحديث جزء من حديث اخرجه البخارى فى كتاب البيوع باب الحلال والحرام ج ٣ ص ١٦ ط الشعب من رواية النعمان بن بشير .

(٢) الحجر (٩)
(٣) الصف ٨

من أعلام الأزهر

محمد أبو زهرة

شيخ الفقهاء المعاصرين

قال أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله تعالى عنه « موت ألف عابد ، قائم الليل ، صائم النهار ، أهون من موت عالم ، بصير بحلال الله وحرامه » .

وان العالم اذا مات اهتز له عرش الرحمن لمنزلته عند الله ، وتقديرا للرسالة التى حملها ، اذ هو من ورثة الأنبياء ، ومن اتى القرآن ، فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لم يوح اليه .

والعلماء أحياء بما تركوه من علم نافع ، وتراث خالد ، وسيرة حميدة تهدى الخلق الى سبيل الحق ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ يقول : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

ومن أبرز العلماء ، الذين تركوا ثراء عريضا وتراثا خالدا للأجيال ، رجل جمع بين العلم والشجاعة ، احتاز من علم الدين كثيرا ، ذلكم الرجل هو الامام الحجة ، الثبت ، الفقيه المتمكن المفسر الملتزم ، الخطيب المصقع ، المحاضر المقنع ، العالم المصرى :

محمد أبو زهرة .

مولده ..

ولد ـ رحمه الله ، وطيب ثراه ـ بمدينة المحلة الكبرى ـ احدى مدن محافظة الغربية ، بمصر ، فى التاسع والعشرين من شهر مارس عام ثمان وتسعين ، وثمانمائة ، وألف ميلادية من أسرة دينية ، وجده الشيخ مصطفى أبوزهرة الشتشاوى ـ رحمه الله ـ ممن عرف بالصلاح والتقوى ، له مسجد باسمه فى هذه المدينة .

نشأته :

كان أحمد والد شيخنا ـ رحمهما الله ـ ممن

بقلم عبد المعز عبد الحميد الجزار

عرف بالتدين ، والتمسك بآداب الدين الحنيف والتمسك بمكارم الأخلاق ، ووسط هذه البيئة الريفية الكريمة نشأ أبو زهرة ، ولما بلغ سن التمييز أرسل الى كتاب القرية ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالمكاتب الراقية ، وكان منهاجها كمنهاج المدارس الابتدائية القديمة ، لولا أنها ينقصها اللغة الانجليزية ، ولكنه استعيض عنها بدراسات دينية عربية .

وبعد أن استوعب القرآن ، وبعض الثقافات الأولية فى هذه السن المبكرة أرسل الى طنطا فدخل الجامع الأحمدى عام ثلاث عشرة وتسعمائة وألف ، وعرف بجده واجتهاده حتى كان مرموقاً من شيوخه ، ومن شيخ المعهد : الأحمدى الظواهرى .

مدرسة القضاء الشرعى :

وفى عام ألف وتسعمائة وستة عشر ميلادية دخل مدرسة القضاء الشرعى ، ومما يذكر ان أكثر مدرسى هذه المدرسة — حينئذ — كان من تلاميذ الأستاذ الامام محمد عبده ، وكان على رأسهم عميدها وناظرها الأستاذ / محمد عاطف بركات « باشا » .

واستمر يتلقى العلم من مشايخه الأجلاء ، وأساتذته العظام ، وهم مجموعة من العلماء الأفذاذ ومنهم فضيلة المرحوم الشيخ على الخفيف ، وفضيلة المرحوم الشيخ عبد الجليل عيسى — حتى نال شهادة العالمية من درجة أستاذ عام خمس وعشرين وتسعمائة وألف بدرجة ممتاز .



وكان من زملاء شيخنا فى سنى الدراسة بهذه المدرسة فضيلة الأستاذ الشيخ على حسب الله ، وفضيلة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد الزفزاف ، والشيخ حسن الخطيب والشيخ على الشورى ، والشيخ اسحاق الحداد وغير هؤلاء كثير من جلة العلماء والأعلام الذين تبوءوا مكانة مرموقة فى العلم .

لما قامت ثوره سنة ألف وتسعمائه وتسعة عشر كان رحمه الله تعالى — فى مقدمة شبابها،

من أعلام الأزهر

ثورة ١٩١٩ :

وقد ساعدته الظروف ــ حينذاك ــ أن يقف على دقائق كثير من أحداثها ووقائعها ، التى كانت تشغل الرأى العام ، ورأى فى شخصية الزعيم الوطنى : سعد زغلول ــ بغيته ، فأحبه عن قرب ، وتعلق به ، ولم يترك شيخنا فرصة سنحت له بالالتقاء بسعد الا اغتنمها ، وحرص على حفظ خطبه وترددها .

وبفضل الذاكرة الواعية لشيخنا أصبح بحق مؤرخ أدق أسرار هذه الثورة ، فكان يحدثنا عن كثير مما غاب عن مؤرخيها ، وما تركته مناسبة ورد فيها ذكر سعد زغلول الا اندفع فى الثناء عليه ، وألقى بعض كلماته ، ويتبعها بمناسباتها ويفصلها تفصيلا كأن الحدث مشاهد الآن ، وكان بهذا يصل حاضرنا بماضينا القومى القريب .

فى مدرسة دار العلوم :

وفى عام سبع وعشرين وتسعمائة وألف حصل على شهادة دار العلوم العليا من الخارج وتلقى العلم فى هذه المدرسة على نخبة ممتازة من العلماء منهم على سبيل المثال :

الأستاذ الكبير المرحوم/ عبد الحميد حسن عضو مجمع البحوث الاسلامية ، وكان شيخنا يثنى عليه كثيرا لدماثة خلقه ، وقد تلقى عليه مادة التربية .

وحدثنى شيخنا ذات يوم عن نظرية من النظريات التى تعلمها من هذا العالم وهى نظرية (الأوزة) فطلبت منه تفسيرها فأجاب انه اذا أردت أن تمسك أوزة بين جمع من نظرائها فحدد ماتريده واستمر فى مطاردة من حددت ، وحتما ستحظى بها دون أن يأخذك الاعياء . وتستفيد من هذه النظرية أن تحديد الهدف المقصود فى كل شىء لابد أن يوصل الى نتيجة مشرفة .

وبعد أن تخرج من دار العلوم عين مدرسا للشريعة الاسلامية والتفسير ، والعلوم الدينية، واللغة العربية بمدرسة تجهيزية دار العلوم ، وقد ارتوى من معين فيضه فى هذه الدار جيل كبير من التلاميذ النجباء منهم على سبيل المثال الأستاذ عمر الدسوقى ، والأستاذ عبد المنعم خلاف ، والدكتور عبد العزيز عتيق، والأستاذ سيد قطب ، والأستاذ الكبير على عبد العظيم أطال الله حياته واستمر مدرسا بها ثلاث سنوات انتقل بعدها الى المدارس الثانوية العامة نظرا لالغاء مدرسة التجهيزية بالتدريج ودرس بالمدارس حتى آخر شهر ديسمبر من عام ثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية .

فى الأزهر الشريف :

وفى اليوم الأول من يناير عام ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف نقل الى الازهر الشريف حيث يجد مكانه فى كلية أصول الدين مدرسا لتاريخ الخطابة ، ثم مادة الجدل ، وتاريخ المذاهب الاعتقادية ، والملل والنحل ، بقسم الوعظ والارشاد وارتوى من معين شيخنا جيل عريض من طلبة هذه الكلية ممن أصبح لهم القدم المعلى

فى تربية جيلنا ومنهم على سبيل المثال الدكتور المرحوم عبد العظيم الغباشى عميد كلية أصول الدين الأسبق والأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان ، وفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الطير أطال الله حياته وفضيلة الأستاذ :المرحوم الشيخ محمد سليم زيدان رحمه الله وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الساكت الخ العديد من هؤلاء التلاميذ النجباء الذين حملوا ويحملون مشعل النور والهداية .

فى كلية الحقوق :

استمر شيخنا يعمل فى كلية أصول الدين ، وكان يرتدى الزى المدنى الى أن نقل الى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فارتدى الزى الأزهرى ، حيث كان من مستلزمات هذه الوظيفةالجديدة .

وقد قدم شيخنا كتابه « تاريخ الخطابة » كمرشح لالتحاقه فى هذا المنصب ، ووقع عليه اختيار الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم رئيس قسم الشريعة – آنذاك – للقيام بالتدريس فيها وظل أستاذنا مندوبا لتدريس المواد السابقة الى عام ١٩٤٢ بالقسم الاعدادى بها.

ثم حول الى قسم الشريعة ، وتدرج فى التدريس بها من مدرس ، الى أستاذ مساعد ، الى أستاذ ذى كرسى ، الى رئيس لقسم الشريعة ، واستمر – رحمه الله – رئيسا لقسم الشريعة بكلية الحقوق ، الى أن اختاره اخوانه وكيلا للكلية مدة خمس سنوات انتهت ببلوغه سن التقاعد عام ثمان وخمسين وتسعمائة وألف .

وقد تخرج على يديه جيل قانونى كبير منهم على سبيل المثال الأستاذه الدكتورة مفيدة عبد الرحمن .

واستمر يقوم بالتدريس بالندب فى هذه الكلية بعد سن التقاعد – ومختلف الكليات الحقوقية وغيرها حتى رحل الى الرفيق الأعلى.

فى معهد الدراسات الاسلامية :

بجانب عمله فى التدريس بالكليات المختلفة اختير رئيسا لقسم الشريعة الاسلامية بمعهد الدراسات الاسلامية ؛ فدرس فيه : تاريخ المذاهب الفقهية ، والأصول والفقه ، وألقى محاضرات فى : التكافل الاجتماعى فى الاسلام والمجتمع الانسانى فى ظل الاسلام .

وكان من حسن حظى أن كنت أحد تلاميذه فى هذا المعهد وتعلمت منه الكثير حتى نلت دبلوم المعهد عام ١٩٦٤ .

ولاحظت فى أثناء تلقى العلم على يديه أنه كان يمزج فى محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة ، ويشيع فيها المرح ، وكانت تجرى على لسانه أحاديث متنوعة ؛ فى السياسة المصرية ووقائعها ، بنفس الدقة والغزارة التى تجرىبها أحكام الفقه والشريعة ونصوصها .

فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر :

ولما صدر قانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الخاص باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها أنشئت « هيئة عليا للبحوث الاسلامية لدراسة كل مايتصل بالبحوث الاسلامية ، والعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتحريرها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسى والمذهبى

من أعلام الأزهر

وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص » ، كان شيخنا أبو زهرة فى مقدمة من يتولون حمل تنفيذ هذه الرسالة لما عرف عنه من علم وجهاد وورع فى ماضيه وحاضره .

وفى ظل المجمع قام أستاذنا بنشاط دينى واسع ، وبذل جهدا مشكورا فى سبيل الدفاع عن الاسلام وقضاياه .

ونظرا لما كان يتمتع به من سعة اطلاع ، ووفرة انتاج ، وحيوية متدفقة ، وبعد نظر فى الأحداث الجارية ، يكلل هذا شجاعة منقطعة النظير اختاره زملاؤه فى المجمع مقررا للجنة بحوث القرآن . واضطلعت بوضع كيفية تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمرات المجمع ومتابعة تنفيذها .

وقد أصدرت اللجنة عدة قرارات فى موضوعات مختلفة كقرار الالتزام عند كتابة المصحف بالرسم العثمانى ، وتلحين القرآن ، وحكم الجمع بين القراءات فى مجلس واحد . وترتيب الآيات والسور للقرآن الكريم .

وكان مقررا للجنة التفسير الوسيط فوجه وأشرف على أعمال هذه اللجنة فى جد متواصل ثم لجنة تنسيق التفسير ثم عندما انتشرت بعض الأبحاث الصادرة عن بيروت تحت سلسلتى : دروس قرآنية .. وفى سبيل الحوار الاسلامى المسيحى باسم الأستاذ الحداد وكانتا تتعرضان لتشويه المفاهيم الاسلامية شكلت لجنة برئاسته للرد على هذه الافتراءات .

ثم تولى لجنة المتابعة ولجنة السنة المطهرة ثم اختير شيخنا مقررا فى لجان التقنين للمذهبين الحنفى والشافعى وأمكن بفضل جهوده أن تواصل هذه اللجان عملها وتقدم انتاجها .

مجالات اخرى :

اختير شيخنا عضوا بمجلس جامعة الأزهر وكان له نشاط ملحوظ وجهد مشكور ثم اختير عضوا فى معهد البحوث الجنائية والاجتماعية ، ثم عضوا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وساهم فضيلته فى جميع هذه الأنشطة ، والمساعدة فى أداء رسالتها على الوجه الأكمل حتى وافاه الأجل المحتوم .

بعض مميزاته :

صفته :

كان رحمه الله متوسط الطول ، ممتلىء الجسم ، أبيض اللون ، مشربا بحمرة جهير الصوت ، واضح النبرات ، شديد الايمان بما يقول ، حلو الحديث ، جميل الشمائل ، حاضر النكتة ، ناصع الظرف ، كيس العقل ، حر الفكر ، مستقل الرأى ، يمزج فى محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة .

اسلوبه :

سلس العبارة مع سلامتها وجزالتها ومتانتها خال من شوائب الهجنة مبرءا من العى واللكنة .

سعة علمه :

قد يجد الانسان عالما متبحرا فى الفقه

وأصوله ، أو أستاذا فى علوم القرآن وتفسيره، أو متخصصا فى مقارنة الأديان ، أو متكلما فى علم الكلام والجدل أو فيلسوفا فى المنطق والفلسفة ، ولكن اذا بحثنا عن وعاء جامع لكل هذه العلوم لعز ذلك الا ان شيخنا أبا زهرة قد جمع بين كل هذه العلوم والفنون ، فكنت تراه خطيبا مصقعا أو فقيها متمكنا ، وطورا أصوليا متعمقا ، وحينا متكلما مجادلا ، لايشق له غبار ، يقرع الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق ، واذا قرأ المرء تفسيره يجده بحرا زخارا وفيضا فياضا ومن هنا كثر رواده وعظم قصاده .

ذو مبدأ :

الناس امام الحياة على انماط ثلاث :

اما رجل يعيش حياته لنفسه ولا شيء بعد هذا فموته وحياته سواء .

أو رجل يعيش لنفسه ثم يسخر الناس لمصلحته ويتعالى عليهم فان هذا يكون موته خاتمة لحياته ، ونقطة تحول فيه ينطفى سراجه وينكشف القناع عن زيفه اما النمط الثالث من الرجال ، فرجل يعيش لمبدأ ، وينافح من أجله، ويناضل لعقيدة يحيا فيها ، ويعيش فى رياضها، ويعلن رأيه ، يقول قوله ، ويجمع الناس عليه ، وهذا النوع لايكون موته موتا ، بل فترة تنفصل به فيه عن جسمه ، وتشرق به النفس ومصباحا ينير كل طريق .

ومن هذا الصنف أستاذنا أبو زهرة كان — رحمه الله — فقيها فى مقدمة الفقهاء ووفيا ساعة يتوارى من الناس الوفاء ، ورائدا يتقدم القافلة ، وقد تشابهت أمامها السبل المتباينة ، واستحكم فى النفوس الأهواء فكان رائدا لايكذب أهله عاش حياته حاملا اللواء الى ان احتضنته يد القضاء .

وقد نعاه المرحوم الشيخ صالح الجعفرى بقوله : جزاك الله أبا زهرة عما قدمت فى سبيل العلم ولقد تميزت بخصلتين : العلم والشجاعة.

هيبته :

كان أستاذنا أستاذا بالطبيعة والتكوين بالفهم والتحصيل ، موسوعة شاملة لاتغيب عنها شاردة ولا واردة ، يلتزم النص ولايحيد عنه ، يعتد برأيه ، يدافع عنه بأقصى ما يملك معتقدا أنه بذلك يخدم عقيدته ودينه ، وكان اعرف الناس بقيمة الدين وأحرصهم على الربط بين العلم والعمل وهكذا العلماء . وصدق الشافعى اذ يقول : ما أحد أرعى لحقه من الفقهاء .. وفى رواية « ان لم يكن الفقهاء أولياء لله فى الآخرة فليس لله ولى » .

ومن هنا أخذ شيخنا العلم بحقه فهابه الناس .

« انتاجه العلمى »

كان استاذنا دائم الدرس والتحصيل ، وقد ترك لنا ثروة قيمة من المؤلفات العلمية القيمة منها الكتب والابحاث التالية .

١ — الخطابة : أصولها ، وتاريخها فى ازهر عصورها عند العرب .

٢ — خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

٣ — القرآن المعجزة الكبرى .

٤ — تفسير القرآن الكريم ، من اول القرآن الى آية : رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

من أعلام الأزهر

«... أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» سورة النمل .

٥ ـ تاريخ الجدل .
٦ ـ محاضرات فى الديانات القديمة .
٧ ـ أهل الكتاب .
٨ ـ الوحدة الاسلامية .
٩ ـ محاضرات فى النصرانية
١٠ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية .
١١ ـ الملكية ونظرية العقد .
١٢ ـ مذكرة فى الوقف .
١٣ ـ شرح قانون الوصية .
١٤ ـ الأحوال الشخصية .
١٥ ـ احكام التركات والمواريث .
١٦ ـ الميراث فى الفقه الجعفرى .
١٧ ـ أصول الفقه الجعفرى .
١٨ ـ عقد الزواج وآثاره .
١٩ ـ كتاب الوقف .
٢٠ ـ الجريمة فى الفقه الاسلامى .
٢١ ـ العقوبة فى الفقه الاسلامى .
٢٢ ـ فلسفة العقوبة فى الفقه الاسلامى .
٢٣ ـ مصادر الفقه الاسلامى من النصوص .
٢٤ ـ أصول الفقه .
٢٥ ـ ابو حنيفة : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه .
٢٦ ـ مالك : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه
٢٧ ـ الشافعى : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه .
٢٨ ـ ابن حنبل : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه .
٢٩ ـ الامام زيد : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه .
٣٠ ـ الامام الصادق حياته وعصره ، وآراؤه ، وفقه .
٣١ ـ ابن حزم حياته وعصره ، آراؤه وفقهه .
٣٢ ـ ابن تيمية حياته ، وعصره ، آراؤه ، وفقهه .
٣٣ ـ تاريخ المذاهب الفقهية .
٣٤ ـ تنظيم الاسلام للمجتمع .
٣٥ ـ مجموعة الفتاوى .
٣٦ ـ الحديث والمحدثون .
٣٧ ـ الحرب فى الاسلام .
٣٨ ـ شريعة القرآن وقانون الرومان .
٣٩ ـ شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله .
٤٠ ـ الربـا .
٤١ ـ التكافل الاجتماعى فى الزكاة .
٤٢ ـ العلاقات الدولية فى الاسلام .
٤٣ ـ التكافل الاجتماعى فى الاسلام .
٤٤ ـ مشكلة الوقف .
٤٥ ـ نظرات فى قانون الاسرة .
٤٦ ـ الحكـر .
٤٧ ـ نقد لمشروع قانون الوقف .
٤٨ ـ نقد لمشروع قانون الوصية .
٤٩ ـ نقد لمشروع قانون تقييد الطلاق وتعدد الزوجات .
٥٠ ـ عرض لقانون الوصية الجديد .

٥١ ــ الاستحقاق الواجب فى قانون الوقف الصادر سنة ١٩٤٦ ٠
٥٢ ــ الوقف فى حاضره وماضيه ٠
٥٣ ــ المصالح المرسلة فى الفقه الاسلامى ٠
٥٤ ــ الذرائع ٠
٥٥ ــ اصلاح الاسرة ٠
٥٦ ــ اساءة استعمال الحق ٠
٥٧ ــ الاجماع ٠
٥٨ ــ الاجتهاد ٠
٥٩ ــ ديوان المظالم ٠
٦٠ ــ الغزالى الفقيه ٠
٦١ ــ ابن خلدون الفقيه ٠
٦٢ ــ الولاية على النفس وعلاقتها بالمجتمع الاسلامى ٠
٦٣ ــ الجزائر المسلمة ٠
٦٤ ــ قواعد العقوبة فى الفقه الاسلامى ٠
٦٥ ــ الزكاة والخراج ٠
٦٦ ــ تنظيم الاسرة للمجتمع الصغير ٠
٦٧ ــ الملكية بالخلافة ٠
٦٨ ــ التوبة وأثرها فى الحدود فى الفقه الاسلامى ٠
٦٩ ــ القانون الدولى الاسلامى ٠
٧٠ ــ العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ٠
٧١ ــ تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ٠
٧٢ ــ الجهـــاد ٠
٧٣ ــ الزمخشرى صاحب الكشاف فى تفسير القرآن ٠
٧٤ ــ ابن جرير الطبرى ٠
٧٥ ــ الفخر الرازى ٠
٧٦ ــ ابن حزم :



٧٧ ــ الحسن البصرى ٠
٧٨ ــ ابو الحسن الأشعرى ٠
٧٩ ــ الرد على مشروع وزارة الشئون الاجتماعية فى الاسرة ٠

الى غير ذلك من الأبحاث والرسائل القيمة شارك فى وضع المنتخب فى تفسير القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية هذا بجانب كتاباته العديدة فى المجلات الاسلامية العربية فى داخل البلاد وخارجها ٠

وكان يذيع الأحاديث الدينية فى الاذاعات العربية ، ويتلقى طوفانا من الاسئلة من داخل البلاد وخارجها فيجيب عنها ، وكان يقظـــا

من أعلام الأزهر

كل اليقظة لما يمس الشريعة الاسلامية فيثور كالبركان . وكان صريحا كل الصراحة يفيض ما فى قلبه على لسانه ، ومن أكرم مواقفه الأخيرة موقفه فى مناقشة مشروع قانون الأحوال الشخصية .

وكان فى طليعة العاملين فى تقنين الشريعة الاسلامية ، والدعوة الى أن تكون مصدر التقنين فى البلاد الاسلامية وله كتاب ضخم فى القانون الجنائى اسمه : الجريمة والعقوبات فى الشريعة الاسلامية .

ولا نستطيع أن نلخص جوانب حياته ـ رحمه الله تعالى ـ فى هذه العجالة الوجيزة على صفحات مجلة انما هى تحية لشيخنا فى ذكراه ، ويا حبذا لو كرم هذا العالم الفذ بأن يطلق اسمه على أحد المدرجات فى كليات الشريعة وأصول الدين والحقوق وأن يطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة وأن تجمع آثاره وتطبع فى نطاق مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية وأن يقام حفل تأبين له فى قاعة الامام محمد عبده وأن تقام مكتبة دينية فى مسجده ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم . وأن تنشأ جائزة باسمه للمتفوقين فى الشريعة الاسلامية فى مراحل الازهر المختلفة وفى كليات الحقوق .

وفاته :

توفى رحمه الله فى منتصف الثامنة من مساء يوم الجمعة ١٩ من شهر ربيع الاول عام أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، ووافق الثانى عشر من ابريل عام أربع وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية بمنزله بالزيتون شارع طمانباى عن ست وسبعين سنة .

ولما أذيع نبأ وفاته ارتجت القاهرة والعالم الاسلامى بالبكاء ، وتأسف عليه المسلمون العارفون لقدره ، وصلى عليه يوم السبت صلاة الجنازة بالجامع الازهر وأم المصلين فضيلة الامام المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر . ثم رثاه المرحوم الشيخ صالح الجعفرى بقوله : رحمك الله يا أبا زهرة رحمة واسعة فقد تحليت بخصلتين: العلم والشجاعة، أما العلم فحزت فيه قصب السبق وأما الشجاعة فكنت فيها القدوة ، فرفعك الله بالعلم درجة وبالشجاعة أخرى ، وألهم المسلمين الشجاعة وجزاك أفضل ما يجزى به عالم عن جهاده » .

ثم حملت جنازته على الأعناق فى صمت مهيب وحشد حافل ودموع تذرف وقد تقبل العزاء عليه أبناؤه ومحبوه والسيد رئيس الجمهورية الأسبق محمد نجيب فى السرادق الذى اقامه شيخنا عند بيته حيث كان معدا لمناقشة قضايا العصر فصار سرادق العزاء فيه أسكن الله فقيدنا فسيح جناته وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم آمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار
رئيس المكتب الفنى لوكيل الازهر

دراسة صحفية

"جريدة الأزهر" أو "مجلة الأزهر"
١٨٨٩ - ١٨٩٣

للاستاذ عاطف زهران

صدرت بمصر جريدتان (مجلتان) تحمل كل منهما اسم الازهر لم تكن لمشيخة الازهر علاقة ما بأى منهما ، وصدرت كلتاهما حين كان من الممكن ان تسمى اية صحيفة او مجلة بما شئت من اسماء ، ولو كان للاسم طابعا قوميا خاصا .

صدرت أولى الجريدتين أو المجلتين فى نهاية القرن الماضى ، وهى ماتعنينا بالدراسة فى هذا المقال ، والذى يليه ، قبل أن نشرع فى دراسة الثانية ، وفى هذه الدراسة نعنى ببيان سياسة المجلتين وخطتهما فى العمل ، ونذكر مع كل السبب الذى دعا منشىء كل منهما الى تسميتها باسم « الأزهر » هذا المعهد العتيق مفخرة مصر الفذة الذى أراد الله لمصر أن تعيش به الى ما شاء سبحانه .

والمجلة التى نحن بصددها لم تحمل اسم الأزهر فور صدور أول أعدادها ، فقد صدر أول أعدادها باسم « الصحة » فى أول أغسطس سنة ١٨٨٧ م الموافق ذى القعدة سنة ١٣٠٤ (كذا) لمنشئيها : حسن بك رفقى المفتش بمصالح الصحة العمومية ، وابراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية .

وحمل الغلاف أسماء لجنة تحريرها ، وأسماء الذين التزموا المساعدة فى التحرير وتكونت لجنة محرريها من ستة نفر ، منهم المسيو بريس ، بينما كان مساعدو التحرير سبعة منهم الدكتور ميلتون ، والمسيو ليتل دافيد ، والمسيو والترابنس .

لذا ستنقسم دراستنا لهذه المجلة قسمين يضم كل منهما مرحلةمن تاريخها تبعا لامتيازها:

٥

جريدة الأزهر

. المرحلة الاولى : وتبدا من أغسطس ١٨٨٧ الى ديسمبر ١٨٩٢ لصاحبيها : حسن بك رفقى وابراهيم بك مصطفى .

المرحلة الثانية من ١٨٩٣ الى انتهاء صدورها لصاحبيها ويليم ولكوكس واحمد الأزهرى .

وصدرت ـ كما تقدم ـ أولا باسم « الصحة » وبقيت تحمل هذا الاسم أكثر من سنتين .

وهى مجلة طبية كما يبدو من اسمها تصدر كل شهر .

الهدف منها معالجة الموضوعات الصحية والوقائية لأهميتها فى حياة الاسر والافراد وقد أفصح منشئاها عن مقصدهما هذا فى افتتاحية العدد الاول ، فقد جاء فيه قولهما :

.. ولم نر لنا جريدة فى علم قواعد الصحة والتدبير الواقية .. أى العلم الذى يقى به الانسان نفسه من هموم الداء .. ولذلك رأينا مع اعترافنا بالقصور أن نصل أبناء ديارنا بفوائد هذا العلم فاستمنحنا حكومتنا السنيةفى انشاء جريدة يجد فيها الناس عموما والاطباء خصوصا أخبار هذا العلم المفيدة واكتشافاته الجديدة وما يحصل فيه من المباحث وما يطرأ على وسائله من التحسين فسمحت لنا ـ أيدها الله ـ ورخصت لنا فى تسميتها (الصحة) وسنقوم بها ـ ان شاء الله ـ ناقلين ما يهم من هذا القبيل عن الجمعيات العلمية والكتب والجرائد المنشورة لهذا الموضوع .

وصدرت فعلا مجلة الصحة فى ملزمتين من القطع المتوسطة ملتزمة بالخطة التى رسمت الى أبعد الحدود :

مقالات عن الامراض ومعالجتها مترجمة عن لغات أجنبية فى معظم الأحيان .

وبعض الاخبار الطبية وأسماء الادوية والكتب الجديدة فى الطب .

وكانت تطبع فى المطبعة الاميرية ببولاق .

وتصدر أعدادا مسلسلة فى ترقيم الصفحات بداية من أول رقم حتى نهاية العام . ثم يستأنف الترقيم بداية كل عام . مما يسر جمعها فى مجلدات سنوية .

وطبيعى أن يكون غالب المشاركين فى تحريرها من المشتغلين بالطب ـ ان لم يكن كلهم ـ تدريسا أو ممارسة . الا أن تغيرا مفاجئا حدث فى العدد الخامس من المجلة يعتبر خروجا عن خطتها . فقد نشرت ملحقا فى أربع صفحات بحجم المجلة عن (الذراع والقيراط الشرعى)

ويبدو أن ذلك كان ارهاصا بالتحول الذى سيحدث بعد عدة أشهر فى سياسة الجريدة وخطتها وتنوع موضوعاتها وعمومها بدل تخصصها .

تغير الاسم وسببه :

فماذا حدا بصاحبى الامتياز أن يغيرا اسم هذه الجريدة أو المجلة وقد تعود عليها القارىء بذلك الاسم ؟

ولماذا اختير اسم الازهر بالذات ؟


الصحة


الصحة

لا شك أن جريدة الصحة كانت مقصورة على قارئ معين هو المشتغل بالطب أو طلبة المدرسة الطبية . فتوالت الرسائل من القراء تطلب من صاحبي الامتياز تغيير مادتها ولو شيئا . فاستجابا لذلك وأعلنا — في افتتاحية العدد الأول من السنة الثالثة (أغسطس ١٨٨٩) والعدد الثاني أي سبتمبر من نفس السنة :

انه تمشيا مع طلبات القراء قررا تنوع المادة وعدم اقتصارها على الموضوعات الطبية . وعليه رأيا — انه تمشيا مع هذه الخطة الجديدة — أن يغيرا الاسم الى اسم آخر يتمشى مع ما انتوياه في العهد الجديد للجريدة . مادامت ستنطلق في تعميم موضوعاتها بعد التخصص . فاختارا لها اسم (الأزهر) لما له من باع طويل وتاريخ مديد مجيد في خدمة المعرفة .

ونقرأ قولهما في عدد سبتمبر وهو العدد الأخير من جريدة الصحة يعلنان عن تغيير الاسم والخطة فيقولان :

الا يخفى على القراء الكرام أن المسلك الذى سلكناه بجريدة الصحة وهو تعميم موضوعها بعد التخصيص ، واطلاق عنانها تجرى في أي موضوع يستوجب أن يكون اسمها غير منوه بفن مخصوص ولا مشعر بمبحث معين ضرورة أن يكون الاسم على مسماه وترجمان ينبئ بمغزاه ومن أجل ذلك استبدلنا باسم (الصحة) اسم (الأزهر)

عنوانا لهذه الجريدة تضمه علينا من العدد القادم ان شاء الله (الثالث) فليكن ذلك معلوما لمن كتب الينا في أمر يتعلق بالجريدة ومن يرد عليه العدد بهذا العنوان (١)) .

ونلاحظ أن صاحبى الامتياز يسميان عملهما هذا (جريدة) ويتكرر ذلك في كلامهما . ولكنها من ناحية الموضوعات والحجم وزمن الصدور أقرب الى المجلة من الجريدة . والى هذا يذهب كثير من مؤرخى الصحافة فيسمونها (مجلة الأزهر) ويفضلون ، وهذا ما تؤيده ـ هذه التسمية . فالقارئ لها يراها خالية من المواد الرئيسية في الجريدة من الأعمال التحريرية ـ أو الأحداث والتحقيقات الصحفية وتحليلات للأحداث والتقريرات وغير ذلك .

هذا الى جانب مراعاة التسلسل في ترقيم الصفحات في أعدادها السنوية . الى جانب منهجها العلمى التخصصى (٢) .

وبهذا العدد ختم عهد تسميتها مجلة الصحة . وانتقلت الى عهد آخر باسم جديد في خطة جديدة الى حد ما .

مجلة الأزهر :

ولا زلنا ـ في المرحلة الأولى لتاريخ هذه المجلة باعتبار استمرار ملكيتها لمنشئيها الأصليين ـ وقد مضى القسم الأول من هذه المرحلة ، وهى طبية ـ وهذا هو القسم الثانى لهذه المرحلة ، قبل انتقال ملكيتها :

يحتوى هذا الزمن من الدراسة عهد المجلة الجديد لنفس المنشئين يبدأ من اكتوبر ١٨٨٩ حتى ديسمبر ١٨٩٢ . وهو أكثر من ثلاث سنوات استمرت مجلة الأزهر تبلغ رسالتها وتصل الى قرائها أول كل شهر .

وهى مجلة علمية أدبية .

تصدر عن نفس المطبعة ، وبنفس التغليف والورق والحجم .

غالبة ما هنالك زيادة بعض موضوعات علمية عامة بعيدة عن الطب .

ولكن الصبغة الطبية ظلت ملازمة للمجلة بقدر أدنى مما قبل ـ لاسيما أن تأهيل صاحبى امتيازها طبى .

وكان العدد الأول من مجلة الأزهر هو العدد الثالث من مجلة الصحة في عام ١٨٨٩ وفعلا كتب على غلافه (العدد الثالث) وتوالت أرقام صفحاته مع أرقام صفحات العدد السابق له من مجلة الصحة . مباشرة .

٢ ـ صورة العدد الأخير من مجلة الصحة (غلاف) .

---

(١) مجلة الصحة العدد الثانى السنة الثالثة ص ٣٢ .

(٢) يطلق عليها اسم (مجلة) الدكتور سامى عزيز رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة على سبيل المثال في كتابه (الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى) .





٣ ـ صورة العدد الأول من مجلة الأزهر (غلاف) .

ومما عرفنا أن صاحبي المجلة تخيرا (الأزهر) اسما لمجلتهما لما له من أثر في شتى نواحي المعرفة .

يضاف الى ذلك سبب آخر نقرؤه في العدد الأول من الأزهر في المقال الافتتاحي وتحت عنوان (الأزهر) .

انهما اختارا هذا الاسم تيمنا بالجامع الأزهر . ثم نقرأ معهما ذلك المقال الأدبي الرائع في فضل الأزهر وأثره :

(المكان الأول والجامع الذي جمع ضروب الفنون وأنواع العلوم .. فمن هذا الجامع المصابيح التي بها يستصبح ، والمفاتيح التي بها يستفتح ، واليه كم شدت رحال ، وتقاطرت رجال ، ومنه خرج الفقيه والمحدث والمفسر والكلامي والمنطقي والنحوي واللغوي والفرضي والحاسب والفلكي وغير هؤلاء من حملة العلوم وأساة المنطوق منها والمفهوم ومنه استقضى القاضي ، واستفتى المفتي ، واستكتب الكاتب (١) ..) وهي قطعة أدبية نكتفي بايراد هذه الفقرة منها وليطلع عليها من يشاء في المجلة .

(١) الأزهر في اكتوبر ١٨٨٩ ص ٦٥ من الافتتاحية

جريدة الأزهر

اعتاد صاحبا المجلة أن ينشرا فى الغلاف الداخلى منها بيانا بمحتويات العددين .. الحالى والسابق . وهى عادة دامت ملازمة للمجلة فى سنى صدورها كلها .

ولو أوردنا هنا (فهرس) العدد الأول لأمكن للقارئ أن يكون فكرة عن مضمون المجلة .

(الأزهر ـ الصوم والحرمان ـ منتجات صناعية ـ الرحل القطبية ـ الفسدى فى السجون) .. وتستغرق هذه الموضوعات (٢٣) صفحة . وباقى المواد عبارة عن أخبار وطرف ومعلومات وتعليمات وهى كالآتى : (زلزلة فى بلاد اليونان ـ ارتفاع فى أرض النرويج ـ حجم الماء المنصرف من النياجرا ـ قوة الأمواج ـ تنوير عربات السكك الحديدية) .. ثم يختم العدد بالاعلان عن (مؤلفات جديدة) يعرض فيها لبعض الكتب الجديدة وكانت كالتالى :

(الدستور المرعى فى الطب الشرعى ـ الوسائل الجلية للدروس الطبيعية ـ رسائل اخوان الصفا) .

ومع أنهما جعلا شعار المجلة أو خطتها (علمية ادبية) فلم نعثر فيها على مادة أدبية من قصة أو مسرحية (١) أو شعر . اللهم الا بيتا من الشعر هنا أو هناك يستدل به الكاتب ، وبعض ما نراه أحيانا من التحرير بالأسلوب الأدبى لبعض موضوعاتها العلمية .

وظل الطب صاحب القدر الأوفى من موادها . ففى العدد السادس نقرأ عن (مشاهدة فى الالتهاب البريتونى) وفى العدد السابع نقرأ عن (الميكروب المضيىء ، مشاهدة طبية ، بيض الدجاج ومنافعه) الى غير ذلك .

وبعد صدور العدد التاسع من المجلة فى السنة الثالثة (السادس من مجلة الأزهر) يعلن مؤسساها عن أن ملزمة طبية ستضاف من العدد التالى عبارة عن دروس فى الطب للدارسين والمشتغلين . (دروس اكلينيكية طبية لبعض الأطباء ليستفيد منها الأطباء) (٢) حتى الاعلانات التى كانت تنشرها المجلة كانت عن الكتب الطبية والمؤتمرات وما شاكل ذلك .

وفى عدد يوليو ١٨٩٠ مثلا نجد هذه الدروس :

(اكلينيك الجراحة . د/ محمد بك درى ، اكلينيك امراض باطنة .

د/ حسن باشا محمود) .

وبهذا الأسلوب صدرت مجلة الأزهر هذه حتى ديسمبر ١٨٩٢ وهو العدد الأخير الذى أصدراه . وبعده انتقل الامتياز .

الحديث موصول

(١) فات الكاتب واقع القرن الماضى فى تعليقه هذا .. مجلة الازهر .
(٢) الأزهر العدد التاسع الافتتاحية .

سيكوتورى

الرجل والمبادئ

دكتور عبد الودود شلبى

* فى القاهرة اذاعت رئاســـة الجمهورية بيانا اعلنت فيه ان الرئيس حسنى مبارك تلقى ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة المغفور له (١) ، الرئيس احمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا بعد حياة حافلة كرسها لخدمة وطنه والأمــة الاسلامية وكافة الشعوب الافريقية ٠

* وان مصر التى اعتزت دائما بالزعيــم الراحل مفكرا عظيما وبطلا من ابطال النضــال الانسانى فى سبيل الحق والمبدا لواثقة من ان سيرته ستظل نبراسا يهدى الأجيال المتعاقبــة من ابناء شعوب العالم الثالث فى مسيرتها على طريق الحق والكرامة والسلام ٠

* وسوف يظل شعب مصر الوفى يذكــر للفقيد العظيم مواقفه البطولية التى وقفهــا دفاعا عن الحق والمبدأ وتجسيدا لقيم الاسلام واخلاقياته الرفيعة وسيظل كل مصرى ومصرية

---

(١) انتقل الزعيم احمد سيكوتورى الى رحمة الله فى يوم ٢٣ من جمادى الآخر ١٤٠٤ هـــ ٢٦ مارس ١٩٨٤ م ٠

سيكوتورى الرجل والمبادئ

يعتز بالانتساب مع الرئيس سيكوتوري الى خير أمة أخرجت للناس .

* ولد الرئيس الغينى أحمد سيكوتورى فى ٩ يناير ١٩٢٢ م فى قرية تسمى « فاراناه » وهى واحدة من بقاع غينيا التى يصل عدد سكانها الى خمسة ملايين تسعة منهم ٩٨٪ من المسلمين . وقد ولد أحمد سيكوتورى لأبوين من العمال حرصا على تعليمه القرآن الكريم واللغة العربية فى فصول تشبه « الكتاتيب » المصرية القديمة وكانت هذه الفصول الغينية من نشاطات الدعوة الاسلامية للتنوير . شأنها فى ذلك شأن « الزوايا » السنوسية فى الجزائر وليبيا .

* وبعد مرحلة تعلم مبادىء القرآن الكريم بدأ سيكوتوري الدراسة فى مدرسة قرية « كورانكى » ثم التحق بمدرسة صناعية فرنسية وكان يواصل دراسته الثانوية ثم العالية بالمراسلة وبعد انتهاء الدراسة التحق كاتبا بشركة فرنسية . وعندما بلغ الثامنة عشرة حصل على اجازة تؤهله للعمل فى مصلحة البريد والبرق وساعده هذا العمل على تثقيف نفسه وانتقل بعد ذلك الى مصلحة الخزانة ثم ابستقال لينضم الى التنظيمات العمالية حيث كان مؤسسا ورائدا لها ثم اختير رئيسا لفرع اتحاد العمال العالمى فى غينيا وأتاح له هذا الموقع أن يسافر فى الخمسينيات الى فرنسا وسويسرا والمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا .

* وفى عام ١٩٥١ انتخب ممثلا لبلاده فى الجمعية الوطنية الفرنسية وقد أعيد انتخابه عام ١٩٥٤ ضمن ممثلى مجموعة دول (الفرانكفون) المسماة مجموعة « الأوكام » أى الدول الافريقية المتحدثة بالفرنسية والمرتبطة بفرنسا .

* وقد انتخب سيكوتورى عمدة لمدينة كوناكرى فى عام ١٩٥٦ ثم عين نائبا لرئيس الحكومة المحلية فى عام ١٩٥٧ حتى كان اصراره على استقلال بلاده فى عام ١٩٥٨ .

* وقد ذاع صيت هذا الزعيم المسلم بعد رفضه شروط الجنرال ديجول الذى حاول احتواء المستعمرات الفرنسية بعد الاستقلال فى اطار مايسمى بـ « المجموعة الفرنسية » أو رابطة المتكلمين بهذه اللغة نظير مساعدات مالية وثقافية وعلمية تقدمها فرنسا لهذه المستعمرات بعد استقلالها . لقد رأى الزعيم

سيكوتورى أن هذه محاولة لدخول فرنسا الى المستعمرات من النافذة بعد أن طردت من الباب بعد فترة جهاد طويلة فرفض كل هذه الاغراءات بقوة وآثر لنفسه وشعبه الحرمان والجوع على التساهل قيد أنملة فى الكرامة الوطنية وقال كلمته المشهورة :

* « اننا نفضل الفقر مع الحرية على الغنى مع الذل والعبودية » ..

* وكان هذا الموقف الأبى من الزعيم المسلم صفعة لفرنسا .. فبدأت تشن حملاتها الدعائية ضده وتلصق بحركته ودعوته أشنع تهمة ، فكان اتهامه بالشيوعية جزءا لا يتجزأ من حملة العداء والكراهية .

* وبعد عامين أو أقل من نشوب هذه الحملة الاعلامية قام الرئيس أحمد سيكوتورى بزيارة للولايات المتحدة وكان ذلك — على ما أذكر — فى عهد رئيسها الراحل « دوايت ايزنهاور » .

* ففوجئت بزيارة الرئيس الغينى للمركز الاسلامى الثقافى ، ومسجده الكبير فى واشنطن وكان مما أثار دهشة الصحفيين فى هذه الزيارة أن الرئيس سيكوتورى حين خلع حذاءه استعدادا لدخول المسجد ، ظهر جوربه ممزقا من خلف قدمه والتقط الصحفيون صورة هذا الجورب الممزق ثم أذاعوها على العالم بشتى وسائل الاعلام الملفق .

* لقد أحسست منذ هذه اللحظة أن الرجل



كان صادقا مع نفسه .. وأن موقفه من فرنسا تجسد فى صورة هذا الجورب الممزق من خلف قدمه .

* ومن أقوال سيكوتورى فى هذا الشأن : « متى توقف المرء عن اقامة العدل لم يعد مسلما » .

* « الحكومة المسلمة تنادى بالاستقلال وترفض الاستعمار وتعمل من أجل الحرية وتطبيق العدالة ومكافحة الفساد » .

* وفى مجال الفكر السياسى كان للزعيم الراحل أحمد سيكوتورى اجتهادات عديدة تعبر عن نظريته فى الثورة والعمل السياسى والاحزاب والسياسات الاقتصادية والعلاقات الدولية . كان سيكوتورى نموذجا لرجل الدولة المنشغل بالتفكير وكان يردد نفس المعنى الذى

سيكوتورى الرجل والمبادئ

ذهب اليه المفكر العربى الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد من أن التفكير فريضة اسلامية .

* وكانت أفكار سيكوتورى تدور حول نقطة واحدة أو محور واحد هو « جماعية الاسلام » فليس المسلم فردا . بل عضوا فى جماعة .

* وتأخذ فكرة الجماعة هذه مكانها كالركيزة فى فكر سيكوتورى فهو يراها فى فاتحة القرآن الكريم اعلانا من المسلم بانضمامه لجماعة المسلمين حين يتلو قوله تعالى « **اياك نعبد واياك نستعين** » فذلك اعلان جماعى يلغى كل احساس بالذات فى اطار المجموع ويجدها فى كل عبادات الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج ، ففى جميعها يقترب المسلم من أخيه بجسده وفكره بعواطفه وحسه . وهكذا يرى سيكوتورى المسلم من خلال الصورة الرائعة التى رسمها نبى الاسلام – صلى الله عليه وسلم – فى حديثه الكريم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وهو ما يجعله يقف هذه الوقفة الصريحة الى جانب « الجماعة » وان كان لا يستخدم كلمة الجماعة كثيرا ويفضل استخدام لفظ « الشعب » فالشعب فى نظره أكثر تحديدا ووضوحا وشيوعا من كلمة « الجماعة » أو « المجتمع » وان كانت كل منها تؤدى معنى الاخرى . فهو لا يرى فى الاسلام « فردية » تبيح لفرد تميزا على آخر ، بل « جماعية » يظفر فيها كل فرد بنفس الحقوق ويلتزم بنفس الواجبات فهى « جماعية » كل فرد ، وليست « فردية » بعض الأفراد .

* ويقول « سيكوتورى » فى مقدمة كتابه « الاسلام دين الجماعة » :

منذ تأسيس المجلس الاسلامى الوطنى وتصديه لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الاسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده فى أرجاء غينيا ، وفى أنحاء أفريقيا والعالم كله ، وأنا أتأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه ، ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقا الا عن الشيء الذى يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه وما يعرف الا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحب الاسلام حبا صادقا دون أن يعرفه ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته .

* ولكن كيف يستطيع الانسان أن يعرف ذاته ؟؟

* اننى أتصور أن عليه أن يوجه لنفسه عددا من الاسئلة التى تضىء أمامه الطريق .

* عليه أن يتساءل عما اذا كان يعرف أسرته والمحيط الاجتماعى الذى يحيا وسطه ..؟

وطبيعة المنطقة التى يعيش على أرضها والقوانين التى تحكم بلاده ؟.

والتقاليد التى تشكل ملامحه الخاصة وعناصر الطبيعة الجغرافية من حوله ..؟

* فبالاجابة على هذه الأسئلة يهتدى الانسان الى معرفة ذاته التى تتطلب تحديد مكانه فى المجتمع وتبيين موقعه الجغرافى ، أى معرفته من خلال معرفة المحيطين به ومعرفة بلاده ، بل وأحيانا معرفة سلالته العرقية وعقيدته الدينية ، كما تتطلب معرفة سلوكه النفسى وأوجه نشاطه المختلفة ، فليس فى الكون من ينفرد بالوحدانية سوى الله الذى يعرفه الناس فردا أحدا لا شريك له . بينما لا يمكن معرفة الانسان وحيدا منبت الصلة عما عداه . ومن هنا تبدأ معرفة الاسلام .

* تتطلب معرفة الاسلام (فى ايجاز) الاعتراف بوحدانية الله الفرد الأحد والتسليم بأن الانسان كائن مركب من عناصر متغايرة تجعل وجوده على الأرض رحلة قصيرة المدى ، فالانسان متعدد العناصر المتنوعة بين معلومة ومجهولة . فى حين أن الله تعالى أحد باق منزه عن كل شبه بالمخلوقات .

* ويعنى هذا أن الله منزه عن المتناقضات وهو أحد باق لا يوصف بأن له عمرا أو حجما أو وزنا .

بينما يجتمع فى الانسان كل ما يمكن أن يتطرق له الخيال . ففيه من الثرى والماء والشجر وفيه تكمن ينابيع الخير والحق والذكاء ولكن الشيطان يسكنه أيضا ، اى انه يطوى بين حناياه الشر والزيف والدنس (فالانسان يضم المتناقضات ، ولما كان المجتمع يتشكل من مجموع الافراد الذين يطوى كل منهم صدره على تناقضه الذاتى فمن المحتوم أن يتضمن المجتمع كل تناقضات أفراده) .

*** وهكذا يبدأ الانسان معرفة الاسلام بمعرفته بذاته وبشعبه وبالطبيعة المادية حوله وبالتسليم لله بالقدرة على خلق كل ما عرفه ، فيجب لمعرفة الاسلام معرفة الله عبر مظاهر قدرته وخلقه .**

* على أن المعرفة الحقة بالاسلام تكشف عن دوره الهائل فى توحيد الجماعة وتثقيفها وهدايتها ، فقد جاء الاسلام ليتيح للانسان أداء جميع واجباته على الأرض تجاه الله ، وتجاه مجتمعه .

* ويستطيع المرء بسهولة أن يدرك انه لايوجد دين للشجر ولا للحيوان ، وأن الدين لم يخلق الا لأفراد الجنس البشرى .. وليست حياة النباتات ، والحيوانات الا جزءا من حياة الطبيعة خاضعا لها ، فى حين أن حياة البشر ، وان كانت تعتمد هى الاخرى على حياة الطبيعة، الا أنها تتجاوزها مع ذلك فقد غرس الله فى الانسان ذلك الوجدان الذى يتيح له ــ رغم احتوائه داخل الكون الطبيعى ــ أن ينفذ خارج اطاره هذا حتى يرى ذلك الكون الذى يحتويه، بل ليحتوى بفكره هذا الكون الذى يحتوى جسده .

*** لقد انفرد الجنس البشرى اذن بوجود دين له . لأن البشر هم الذين كرمهم الله وفضلهم على جميع المخلوقات لانهم وحدهم الذين يتملكون « الوجدان ــ الوعى » . وها نحن هنا حبيسون داخل هذا البيت ، غير انه لا شىء حبيسا هنا حقيقة الا اجسادنا اى كل ما اخذناه من التراب والماء ، من الكون الطبيعى ، اما ما خصنا الله به مما هو اعظم من كل هذا وهو (الوعى) ، وهو الوجدان ، فهذا مالا يمكن سجنه .**

وكانت شهادة الدكتوراه الفخرية التى منحها الأزهر الى الزعيم أحمد سيكوتورى تتويجا لجهاده الذى لم يتوقف لحظة واحدة طوال اثنتين وستين عاما هى كل حياته .

وفى كلمته التى ألقاها فى قاعة الامام محمد عبده يقول « سيكوتورى » موجها كلامه الى شيوخ الأزهر وعلمائه :

* اننا مدينون بالاعتراف بأن « جامعة الأزهر » وهى واحدة من أقدم وأشهر جامعات العالم قد ساهمت بطريقة دائمة ومثمرة فى

سيكوتورى الرجل والمبادئ

تشكيل مئات الآلاف من المثقفين فى جميع الفروع ، والذين عملوا وسط عديد من الشعوب على دعم القيم الاسلامية والتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لكثرة من الأمم • وسنظل معترفين بهذا الشرف الذى يفوق كل تقدير والذى تمنحه لنا هذه الجامعة العظمى ذات الاشعاع العالمى حين تعدنا بين أولئك الذين يحظون الشارة الفخرية لدعمها وثقتها •

* ان جامعتكم التى تعد بحق واحدة من أكثر جامعات العالم هيبة وجلالا ، وليس فى العالم الاسلامى وحده ، وتسكن المسجد الذى تحمل اسمه ، والذى أسس عام سبعين وتسعمائة على يد مهندسين أكفاء سجلوا عبقرية الفن الاسلامى •

* هذا يعنى أن واجبكم هو أن تذكروا المشاعر التى حفزت هؤلاء البناة لكى يجعلوا من الحضارة الاسلامية واحدة من ركائز الازدهار الجمالى والثقافى للاسلام •

* وعليكم أن تتشربوا هذا التعليم ، وأن تجعلوا منه وسائل اشعاع لمصر على امتداد الأمة الاسلامية ، وأن تتصدوا للقمع والقهر والعدوان الثقافى الخبيث المخطط والمندس فى أعمال مسموعة ومرئية من خلال نزعة المتاجرة المادية التى تخرب المبادىء الخلقية التى يدافع عنها الاسلام •

ان كون المرء طالبا فى الأزهر هو ميزة هائلة غير أننا نعرف أنكم لن تتخذوا موقفا سلبيا بالحصول على معارف لا يفيد منها الشعب •

أننا ندعو الله أن تظل جامعة الأزهر تنعم بفضائلها الخاصة فى كل مسجد وبخاصة هذا المسجد الذى يأوى الجامعة ، ذلك المكان العلوى للتعليم ونشر الثقافة للجميع ، وهو المكان المتميز بالتركيز على المشاكل التى تشغل البشر فى وجودهم المادى من أجل تحديد الطرق الجديدة والتحولات السعيدة فى حياتهم •

اننا ندعو الله العلى القدير أن يمكن جميع العلماء والأساتذة الأجلاء فى جامعة الأزهر المهيبة من مواصلة رسالتهم فى نشر الاسلام بين ربوع العالم • وأن ينعموا بما منحوا من فطنة وذكاء • ذلك الذكاء الذى يتيح لهم نفع الآخرين بقدر ما يحقق لهم من ثواب يوم القيامة ، هم به جديرون •

وسيكوتورى هو أحد أحفاد الامبراطور « ساموري تورى » الذى قاد حملة الجهاد ضد الغزو الفرنسى الذى حاول فرض سيطرته على أقطار الاسلام فى غرب أفريقيا •

لقد ظل هذا الامبراطور المسلم ستة عشر عاما فى جهاد وحرب ضد جحافل «التتر الجدد» من أبناء أوربا •• ستة عشر عاما من الجهاد بأسلحة بدائية فى مواجهة أحدث وسائل الدمار والقتل التى لم تستطع اخماد جذوة الايمان والكفاح حتى فنى المجاهدون شهيدا بعد شهيد فى أحراش افريقيا •

غير أن هذه الشعلة بقيت متوهجة فى قلوب مسلمى « غينيا » حتى جاء يوم «الثأر المقدس» للانتقام من همجية أوربا •• فكانت صيحة سيكوتورى — التى تردد صداها فى ارجاء العالم — مرحبا بالحرية مع الفقر على الرخاء والثراء مع العبودية والذل •

د/عبد الودود شلبى

شعر وشاعر

شاعر الاسلام - محمد اقبال

الجمرة

شاعر الإسلام

محمد إقبال

- ١ -

شاقه الخلد رونقا وجلالا   وشجاه خمائلا وظلالا

تطبيه ربا الفراديس أيكا   عبقري الرؤى سنا وجمالا

يطلق الروح في سماه فتطوي   في مداها الآباد والآزالا

والذرا الحالمات تلهمه الشدو نبيي قوافيا وخيالا

شاعر هام بالخلود فغناه دعاء وصبوة ، وابتهالا

وشدا بالجمال فوق رباه   نغما ساحر الصدى سلسالا

عزفته قيثارة الروح لحنا   باكي الجرس أنة وانفعالا

هز سمع الوجود أرضا وأفقا   وسماء وأنجما ، وهلالا

وسرى في عوالم الروح نجوى   بانت سدرة الجلال مقالا

نغم خالد الصدى سوف يبقى   سرمديا يحرك الأجيالا

للدكتور حسن جاد

كلما طاف بالعشية ساقيه تصبى الغدو ، والآصالا
هاته الأريحى شف نداماه ، ورقوا شمائلا وخصالا
وصلوا بالقرب فاعطوا الشمس بساطا والفرقدين مجالا

وتساقوا من كرمة الله كأسا كرمت عنصرا ، وطابت خلالا
كان فى العرب جدها فارضيا وأبوها فى الروم كان جلالا (١)

يا نديم الأرواح هات أسقنيها واتلنى من راحتيك نوالا
تنهل الروح من سناها فيجلو عن سناها الحجاب والأسدالا

وإذا النفس بأكرتها تجلى الحق فيها سبحانه وتعالى
مالك يصطفى من الملك ماشاء بما شاء قادرا فعالا
يقسم الحظ فى المدائن كالناس ويجريه حكمة لا ارتجالا
حسب (باكستان) العظيمة مجدا وفخارا أن انجبت (اقبالا)

للقصيدة بقية

---

(١) كان اقبال يعتز بالشاعر الفارسى جلال الدين الرومى ويعترف بفضله عليه وهو فى حبه الألهى متأثر بابن الفارض .

الجمرة

فى فؤادى لا يديا — او سعتنى العمر كيا
فى زمان تطوى فى — ليله الأعناق ليا
غابت الاقمار فيه — واختفى ضوء الثريا
لم اجد لى فى مجال الـ — عيش خلا اريحيا
او ظهيرا عند فصل الـ — قول لماحا ابيا
صرت امشى فى طريق — موحش فردا شجيا
كالذى يمشى بقفر — لا يرى فيها نجيا
غير ذؤبان ورقط — تبتغى لحما طريا
كلما يممت شطرا — جمرتى زادت صليا
بيد انى لست ارضى — عن لظاها الحلو شيا
لذعتنى ، نعمتنى — من عطاياها مليا
فهى نار ذات روح — ينفح الأرواح ريا
ذاك ومض البرق نار — خالطت ماء رويا
انها الايمان يسرى — فى كيانى كالحميا
نشوة فى صحوة ما — زالتا دفئا وريا
انها الاسلام دينى — ارحب الاديان فيا
كان لى حصنا ورشدا — كان لى تاجا سنيا
كان فى الطوفان فلكا — آمنا ابقى عليا

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

كيف أنأى عنه يوما ... كيف لا أرضاه زيا ؟
والذى من غير دين ... ليس انسانا سويا

انه جرم عليل ... قد حوى داء خفيا
حائر فى التيه تطوى ... عمره الأوهام طيا

كم نصيح قال : دعها ... لا تكن غرا غبيا
الهها كالناس وانشد ... مثلهم عيشا رخيا

هذه الدنيا تنادى ... تلك أقداحى فهيا
وارتشف منها رحيقا ... سائغا حلوا شهيا

لا تقل هذا حرام ... انه غنم تهيا
من تحاماه ابتداء ... عاش محروما شقيا

قلت يامفتون دعنى ... ليس طيب العيش غيا
وانتبذ فى الاثم ركنا ... نائيا عنى قصيا

ان غذا الاسلام قلبا ... كان بالتقوى حريا
لست من دنياك ابغى ... متعة تغرى غويا

كل لذات تلاشى ... كيفما كانت وأيا
ان زهر الورد يزهى ... بكرة يذوى عشيا

انما ابغى نعيما ... عند ربى سرمديا
جمرة الايمان احلى ... فى فؤادى او يديا

سوف ابقيها بقلبى ... جاهدا مادمت حيا
علنى القى بها ربى ... على عهدى نقيا

من شعراء الأزهر

أحمد الزين

الشاعر الراوية

لقاؤنا اليوم ، مع شاعر كبير ، لاقى من عنت الأيام وبلواء الحياة ، ما جعله ينصهر فى بوتقة ، ولكن .. ليصبح معدنه بعد ذلك أكثر صلابة ونفاسة ، حتى لكأنه كان يناجي نفسه متأسيا ، بقوله لوالد فقد ولده :

عـزاء .. فمثلك أن يمتحن
تكشف عن جوهر منتخب
لـه فى عقيدته مفزع
ومن حسن ايمانه محتسب
فأى الليالى صفت من عناء
وأى صفاء بها .. لم يشب (١)

وقوله ، فى مرثية أخرى :

أقول لعين لاتمل بكاءها
لك الله .. ما تجدى عليك المدامع ؟
ومن عرف الأيام معرفتى .. رأى
منتاياه عن تلك المنى وهى وازع
تبينت قبرى فى القبور .. ومن رأى
بعينى، رأى اللذات وهى مصارع(٢)

فأصبح ، كما نرى كالحزين الذى يأوى لحزنه ، راضيا بالقضاء والقدر .. فرضى الله تعالى عنه ، وعوضه عن عاهته ، بفقد بصره ، بموهبة شعرية متوهجة ، قلما تتاح لغيره ، جعلته فى الطليعة الملحوظة من شعرائنا المعاصرين .

والخطوط العريضة لحياة أحمد الزين ، التى استطاع الأستاذ عبد الرحمن خليل ابراهيم أن يرسمها لنا فى كتابه القيم (المجتمع فى شعر أحمد الزين) (٣) . استقاها من أسرة الشاعر ،

---

(١) ديوان احمد الزين ص ١٠٧ .
(٢) ديوان أحمد الزين ص ١٢٥ .
(٣) ط ١٩٦٤ .

بقلم أحمد مصطفى حافظ

ومن صديق الزين الشيخ محمد عبد العظيم بدر ، وبالرجوع للمذكرات التى أملاها عليه .. ومنها نعلم أن الزين حرم نعمة الابصار بعد ثلاثة أيام من مولده سنة ١٨٩٨ بقرية (ميت ثابت) مركز السنطة ، بمحافظة الغربية من أسرة تعمل بالزراعة ، وكان والده من أعيان قريته . وكان من أثر علته .. شحذ قوة ذاكرته، لدرجة أنه حفظ القرآن الكريم فى مدة تسعة أشهر بكتاب القرية ، فى سن التاسعة ، وأتم تجويده وعرف أحكامه فى هذه السن الغضة ، الأمر الذى حدا بوالده ــ الذى لم ينل أى قسط من التعليم ــ أن يلحقه بالأزهر ليستكمل تعليمه مع شقيقه المرحوم محمد الزين ، الذى كان شاعرا بدوره ، وطالبا بمدرسة القضاء الشرعى .

حفظ شاعرنا المتون الأزهرية ، كألفيه ابن مالك ، والكافى فى العروض والقوافى وغيرها وأثر ذلك ظهرت موهبته فى قرض الشعر فى سن الحادية عشرة ، وظهر ديوانه الاول سنة ١٩١٧ بعنوان : (القطوف الدانية) مشتملا على بواكير الصبا ، من المدائح والتهانى ، وتخميس معلقة امرىء القيس .. وأتبعه بديوان آخر عام ١٩١٨ ، بعنوان : (الأراجيز الأخلاقية) ، ضم الكثير من شعر الحكم ، وظفر هذا الديوان بتقريظ شيخ الشعراء : « اسماعيل صبرى » ، الذى يقول فيه :

اذاكنت يازين .. زين الأدب
فـان كتـابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيان
بهن .. وحليت جيد العرب

كما ظفر بمقدمة من الاستاذ محمد فريد وجدى ، قال فى ختامها : « هذا غيض من فيض أسوقه بين ما أنا فيه الساعة من النظر فى أرجوزة الأخلاق ، الموسومة بقلائد الحكمة ، للشاعر المطبوع أحمد الزين ، فقد جمعت فى أقل من ألف بيت ، ما تشتت من شمل الكلم ، وتفرق من درر الحكم .. » (١) .

وحصل الزين على (العالمية) من الازهر عام ١٩٢٤ ، وقيد اسمه فى جدول المحامين الشرعيين فى ذات العام ، وبعد اتمام فترة التمرين بمكتب أحد كبار المحامين بالقاهرة ، لم يستطع المضى قدما فى مهنة المحاماة ، لما اعتورها من عقابيل ، فتركها ليتفرغ للأدب ، وليعمل فى ذات الوقت مصححا باليومية فى دار الكتب ، الى أن أدركه الانصاف فترقى الى الدرجة السادسة ! ، كما يقول زميله الشيخ

(١) مجلة الأزهر سنة ١٣٦٧ هـ ص ١٧ ، المجلد التاسع عشر .

عبد الجواد رمضان الذى كان يعمل بالأزهر ، ثم يضيف : « وزرت القسم الأدبى (بدار الكتب) بعد ذلك بأسابيع ، فسألت عنه — (أى عن الزين) ، فقيل لى انه نقل الى وزارة المعارف ، قلت : عجبا .. وما يصنع الزين فى وزارة المعارف ؟ قيل : نقل لأن التنسيق أحله للدرجة الخامسة ، ولما لم يكن فى الدار ميزانية، فقد نقل الى قسم الثقافة بالوزارة ، فشدانا للدرجة ، قلت : خير .. وأخذت أنظر فى ترقيات الوزارة على اسمه ، ففاجأنى .. خبر نعيه فى الجرائد .. » .

وهكذا انتقل الزين الى رحمة الله تعالى سنة ١٩٤٧ متأثرا بقرحة فى المعدة ، قبل أن يكمل الخمسين من عمره ، مثله فى ذلك كمثل الأديب الجهير مصطفى لطفى المنفلوطى .. ولم يترك الزين لامرأته وابنه شيئا من حطام الدنيا .

وترات الأديب فى الشرق حزن لبنيه .. وثروة للرواة

مما تقدم من وقائع سيرة حياة الزين ، التى لم توضح لنا يوم ميلاده أو حتى يوم وفاته على وجه التحديد ، نتبين مدى الغبن الشديد الذى تجرع غصصه فى حياته العملية ، بعد أن شب عن الطوق .. وفى أثناء طفولته المعذبة الشقية ، بعد فقد بصره ، وتعرضه للمهانة بسبب ما لقيه من لداته ، أو بعضهم ، فى (كتاب القرية) .. من التعريض به ، والسخرية منه .. الا أن ذلك كله لم يفت فى عضده ، بل زاده ثقة بالنفس وتجلدا على المصائب ، واعتزازا بالرأى ، حتى قال :

سأحمل فى الرأى عض الألم
واصبر للخطب اما ألم
واحمل نفسى على مرها
اذا ضامها مايضيم الكرم
ولا اشترى كل هذا الوجود
ولا العيش فيه .. ببعض الشمم(١)

وقوله بقصيدته (الضمير) :

لا تسلنى عن صاحبى ونصيرى
لم أجد لى فى الدهر غير ضميرى
هو صوت السماء فى عالم الار
ض .. وروح من اللطيف الخبير
هو روح من الملائك يسمو
بسليل الثرى .. لعالم نور
هو ان شئت .. كان جنة خلد
واذا شئت .. كان نار السعير (٢)

ويبلغ الذروة فى درة شعره كله فى اعتقادنا التى تحمل عنوان : « غربة النبوغ » اذ يفصح فيها عن تجربته الشعورية العميقة ، ويطلق العنان لشاعريته المحلقة ، لتصور مدى ما تعرض له فى حياته الشقية وما تجرع من غصص وآلام رهيبة ، جعلته يشعر بالغربة بين قومه ، ويتحسر على ما لقيه من غبن وتضييع ،

---

(١) ديوان الزين ص ٦ .

(٢) ديوان الزين ص ٨

رغم موهبته الأدبية الكبيرة ، فيتحدث عن نفسه بضمير الغائب ، قائلا :

من لشاو فى الاهل .. يشكو اغترابه
سئم العيش عذبه وعذابه
ود لو تطفىء المنون وميضا
من حياة بروقها .. خلا به
راح فى الليل يعقد الامل الضخـ
ـم فلما بدا الضياء اذابه

ثم يصور خيبة أمله ، لكدح لا يلاقيه ، وأمنيات تبددت كقصور بناها فى الخيال ، بعد ارتطامه بالمتناقضات وواقع الحياة المرير فى عهده ، بقوله :

جحدوا عنده المواهب حتى
لم يبالوا ان يجحدوا وهابه
يرسل النور فى عيون الخفافيش
فتأبى العيون الا احتجابه
ويسوق اللحن الشجى الى الصم
فتأبى الاسماع الا نعابه
ويفيض العذب الشهى على افوا
ه مرضى .. لا تستسيغ شرابه

ثم يتحسر على نفسه بأبيات تكاد تكون قطرات الدموع تنساب بين فقراتها ، فيقول :

يالجهد قد كان يذكو التهابا
اخمد الغبن والعقوق التهابه
ولفؤاد قد كان مهد الامانى
صار لحدا .. تسقى الدموع ترابه

الى ان يجأر فى وجوه شانئيه وجاحدى موهبته ، ببلاغة المحامى المفوه ، الذى يعوض نكوصه عن مجال القضايا الشرعية ، بتصديه للدفاع عن قضيته الشخصية ، يقول :

كم دعى قلدتموه خطير الامـ
ـر فيكم وتدتم اربابه
وغبى يحيا سعيدا ويعزو
ن اليه .. من كل فن لبابه
.. حين يمضى أخو الذكاء ويطوى
فيكم العمر .. حاملا اوصابه !

ثم يختتم قصيدته ، أو (سيمفونيته) ، محذرا ومنذرا ، بقوله :

ان سفك الدماء اوهى حسابا
من دم الفضل تحملون حسابه
انما العبقرى روى من اللـ
ـه أمين يوحى اليكم كتابه
ان قتل النبوغ قتل لشعب
وعناد لله فيمن اثابه

وقد فاء الزين بعد ذلك الى السلوى والعزاء ، مما لقى من حفاوة واحتفاء كبار الشعراء والأدباء من معاصريه ، به وبشعره ، وبخاصة الأستاذ « أحمد حسن الزيات » صاحب مجلة (الرسالة) ، الذى كان ينشر قصائد الزين فى أبرز مكان ، ويطلق عليه لقب : (الشاعر العالم الراوية) ، وكذلك لقى ذات الاحتفاء من الأستاذ أحمد أمين رئيس تحرير مجلة (الثقافة) الذى وافق على طبع ديوان الزين ، بعد وفاته ، على نفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى كان يرأسها .

شعر الزين

وكان الزين فى أول أمره يعمد فى بواكيره الى احتذاء الفحول وتقليد البلغاء ، قائلا :

من لم يقوم بالقديم لسانه
فبيانه — مهما يجده — مهيل
كنز من الأدب الرفيع ، مضيع
بحش النواظر .. دره المجهول (١)

الا أنه ارتقى باحتذائه وتقليده عن مضبة افناء شخصيته فيمن يقلده ، لأنه كان لديه ما يقوله ، بل مالا يملك الا أن يقوله .. بعد أن استكمل عدته اللغوية ، وأداته البيانية ، وخلص الى سجيته النقية ، وطبعه السخى ، فأمتع

وأبدع وأجاد ، بالشعر الخالص ، الذى سكب فيه ذات نفسه ، وبثها فى تضاعيفه ، مع نبض مشاعره ، وحرارة احساسه واتقاد وجدانه.. فكان الحال معه ، بعكس الحال مع أبى نواس ، الذى يصف الزين عنه الشعرى فى احدى مقالاته التى تحمل عنوان : « من أحسن ما يروى » بقوله عنه أنه : « لا يتسع فى خيال، ولا يغرب فى معنى من معانيه ، ولا يولد معنى من معنى آخر ، ولا يبتكر جديدا .. ولكنه يصف كل شىء كما هو ، ويصوره بحقيقته التى يشعر بها ، لا يزيد على ذلك ولاينقص .. فاذا رأيت فى معانيه شيئا من الجدة والطرافة ، فذلك لجدة الموصوف وحده وطرافته ، لا أنه ابتكر جديدا ، أو أجهد فكره فى الاتيان بطريف .. » (٢) فنرى الزين ، حينما تهدى اليه « طاقة زهر » ، ينفعل بها وبطيب رياها، فيأتى بالعجب العجاب لما توحيه اليه من معان وأخيلة ورؤى ببصيرته ، أو بالنور الذى يصفه لنا (أبو القاسم الشابى) ، بقوله :

النور فى قلبى ، وبين جوانحى
فعلام أخشى السير فى الظلماء ؟

فيقول الزين واصفا (طاقة الزهر) أبدع وصف ، وكأنه يراها رأى العين :

رقت رسائلها (٣) فى الكون ، فاتخذت
من النسيم بريدا ، شاع فى الأفق
وما رأيت بريدا خف محملة
مثل النسيم ، حكى المغنى .. بلا ورق

الى أن يقول :

وكم على صفحات الزهر من كتب
فى الشوق يعيابها نو المنطق الذلق
وللأزاهى لطف فى سفارتها
كم ألفت ، فى هواها ، كل مفترق

---

(١) من قصيدته (فى ذكرى تيمور باشا) ص ١٣٢ بديوانه .
(٢) عدد مجلة (الثقافة) الصادر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ ص ٣٩ .
(٣) أى طاقة الزهر .

وهذه الأبيات الجميلة ، تفوق فى روعتها ، قول الكاتبة الانجليزية المشهورة (مارى كوريللى) فى وصف الزهور :

Flowers are like visible messages from God Messages written in all the brightest and loveliest colours.

I never gather one, without finding out that it has something to say to me.

A flower gives pleasure to a person in sorrow.

وترجمتها والزهور كأنها رسائل مرئية جلية من لدن الله .

رسائل كتبت بأزهى وأحب الألوان .

ولم يتفق لى قطف واحدة منها ، دون أن أشعر ..

بأن لديها شيئا ، تريد قوله لى ..

وان الزهرة لتبعث سلوا للانسان الحزين ..

وكم يشجى ويمتع بقصيدته التى تحمل عنوان : (الذكرى) ، وكأنها أنشودة تهمس بها نفسك أنت ، حينما تجتر ذكريات الماضى ، وتقارنها بلفحات ومنغصات الحاضر ، يقول بسلاسة آسرة :

انكارا ، بعد ما ولى الشباب
ومن الذكرى نعيم .. وعذاب

لا تقل تعزية عن فائت
كم عزاء .. فى ثناياه المصاب

واذا الدار جفاها أنسها
فمغانيها — مع الترب — تراب

الى أن يقول بلوعة وتبريح :

واذا ما الزهر ولى حسنه
فبقاياه .. عبوس واكتئاب

واحمرار الشمس فى مغربها
دمعها القانى .. أو القلب المذاب

.. انما الذكرى شجون وجوى
يسكن القلب لها وهى خراب

رب نفس عشقت مصرعها
كفراش النار .. يغريه الشهاب
ولكم أنس وفيه وحشة
واقتراب .. هو نأى واغتراب

الى أن يختتم هذه القصيدة ذات الموسيقى العذبة بهذا البيت المذيب :

لم يدع لى اليأس ما أحيا به
غير قد كنا .. وقد كان .. الشباب

ونراه بخريدته : (وصف القلب) يعطينا ما يشبه السيرة الذاتية الباطنية لما اعتمل فى فؤاده ، حين يقول :

٩

من شعراء الأزهر

من لقلب ، بين الجوانح ، عان
جمع اليأس والمنى في مكان

باكيا تشجوه ، وآنا تراه
يتغنى بأعذب الألحان

فهو كالعود في يد الدهر يشدو
بالذي شاء دهره من أغاني

قطع العيش بين خوف وأمن
ورجاء ناء ، وآخر دان

الى أن يبلغ مداه في دقة الوصف وطرافته ، بقوله في القلب أنه .

مضغة في الضلوع يؤلمها اللـ
ـمس .. غدت نهبة لصرف الزمان

فوق موج الآلام تذهب حيرى
كسفين تمرى . بلا ربان

.. جل من صاغها ميولا وأهوا
ء .. ولم يعد طينة الانسان

فهي بين الضلوع لا تملأ الكف
وفيها .. صحيفة الأكوان

ولو مضينا في اقتطاف ما يروق ويشوق من شعره لأتينا بمعظمه ، ولم نستطع كبح جماح القلم ، ولذا نقتصر بعد ذلك على بيان باقي آثاره الأدبية الأخرى ، التي تتمثل في عدة مقالات نشرها بمجلة الثقافة بعنوان : « من أحسن ما يروى » تشى بذوقه الرفيع وتنم عن طول باعه وواسع اطلاعه على ذخائر الشعر العربي في شتى عصوره ، وله مقالات أخرى تظهر حسه النقدي الدقيق المرهف ، نشرها بالرسالة والثقافة بعنوان « النقد والمثال » ، وهذه المقالات جميعها ، بالاضافة الى المقالات التي نشرها في جريدة الأهرام بعنوان « النقد الأدبي » ، جديرة بأن تجمع بين دفتي كتاب ، يخلد اسم الزين ويجمع تراثه المبعثر ، وينصفه ميتا ، بعد أن فاتنا انصافه حيا .

آثاره العلمية والأدبية

ومن آثاره أثناء عمله بدار الكتب ، تحقيقه الأجزاء : السابع والثامن والتاسع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، بادئا كل جزء بمقدمة له ، من يراعه . كما صحح الجزء الأول من ديوان الهذليين ، بمقدمة ممتعة له ، كما صحح بعض ملازم الجزء الثاني من هذا الديوان .

وصحح خارج نطاق عمله بدار الكتب ، ديوان شاعر النيل حافظ ابراهيم بجزئيه ، وكذلك ديوان الوزير محمد رضا ، وديوان أستاذه الشاعر الكبير (اسماعيل صبري) بمقدمة نفيسة له ، كما صحح الجزء الأول من كتاب (الامتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي ، وبعض أجزاء من العقد الفريد

لابن عبد ربه ، بمشاركة الأستاذين : أحمد أمين وابراهيم الأبيارى .

ويروى صاحب كتاب (المجتمع فى شعر أحمد الزين) ، عن الأستاذ عبد المغنى المنشاوى المفتش العام بوزارة المعارف سابقا ، والذى تبنى طبع ديوان أحمد الزين ، أن الزين كان داهية فى الأدب ، جيد التصوير فى الالقاء (١) ، وذكر عنه الحادثة التالية : وذلك أنه أثناء قيامه بالتصحيح فى دار الكتب عثر على عبارة « وكان غبيا بين أبيناء » ، وكان معه الأستاذ أحمد أمين ، فتحيرا فى معنى العبارة ، وأخذ الزين يبحث عن صحتها ، حتى وجدها .. فجاء الى الأستاذ أحمد أمين متهللا ، وقال : « لقد عثرت عليها .. » فقال الأستاذ أحمد أمين : فما هى ؟ قال الزين : كان عيا بين أبيناء . » (٢) .

وهذه الواقعة تظهر بجلاء ووضوح ما كان عليه الزين من ذكاء وفطنة ، فى بحوثه واستدلالاته ، وشعره ونتاجه الأدبى ، سواء بسواء ، وبخاصة فى شعره الاجتماعى ، الذى تقول عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بعدد جريدة الأهرام الصادر فى ١٩/١٠/١٩٥٣ — ولعل هذا التاريخ يطابق أو يقارب ذكرى وفاته — :

« ان الشاعر أحمد الزين أقوى ما تبدو شاعريته فى اجتماعياته ، اذ تسمعه يصف حال مجتمعنا المريض ، وصفا بارع النكتة لاذع الفكاهة ، مرير السخرية .. ولعلى لم أقرأ فيما طالعت من شعر حديث مايفوق شعر الزين الاجتماعى ، دقة تحليل ولطف حس وقوة انفعال وبساطة أداء ، بل أكاد أشك فى استطاعة النثر — مع تحرره من قيود النظم — أن يبلغ ما بلغه الزين فى هذا المجال ، وبحسبى ها هنا أن أنقل أبياتا من قصيدته : « خدعة الثناء » :

كلهم فى الهوى يزين دينه
الف مفت ومالك بالمدينة
جهلوا لجة البحار ومسرى
ريحها .. وادعوا قياد السفينة

رحم الله أحمد الزين رحمة واسعة ، والهم المتصلين أن يقوموا بجمع ونشر ما لم يصدر فى كتب بعد من نتاجه ، صونا له من الضياع ، واستنقاذا من يد التشتت والتبديد . والله ولى التوفيق .

« أحمد مصطفى حافظ »

---

(١) ذكرت الأهرام بعددها الصادر فى ١٥-٦-١٩٣٦ ص ٩ تحت عنوان (موسم الشعر فى جمعية الشبان المسلمين) أن « جماعة الشعراء » هى التى نظمت حفل موسم الشعر ودعت اليه ، وأن الاستاذ الزين حين جاء دوره للالقاء وقف متكئا على عصا ، فأعاد للناس سيرة خطباء العرب بوقفته ، ونقلهم بشعره الجزل الى صدر الاسلام ، واستولى بقصيدته (صرعى الاغراض) على الالباب واستعاد الحاضرون ابياتها مرارا وقال احد الحاضرين من زملائه الشعراء ان الزين يلقى الهوم بالسيخ !

(٢) المجتمع فى شعر احمد الزين للاستاذ عبد الرحمن خليل ابراهيم ص ٥٨ .

الله والعقل

أراد أن يدرك ذات الله سبحانه وتعالى فكانت هذه القصة

للأستاذ عبد الحليم القباني

سعى ليدرك ذات الله عن كثب
حتى اذا لم يجد فى بحثه املا

راى غلاما بشط البحر مشتغلا
فقال : ويحك ، ماذا تبتغى ؟ قرنا

وقال : انى اريد البحر انقله
فقال : ويحك هذا البحر تنقله

فقال : حسبك يا من جئت ترشدنى
ا انت اكبر ، ام رب الوجود هدى

فاوغل السير فى سهل وفى جبل
واوشك العقل أن يختل من كلل

يحفر بئر بلا يأس ولا ملل
اليه فى ثقة كبرى وفى امل

لهذه البئر ؟ هلا زدت فى عملى ؟
لهذه البئر ؟ هذا منتهى الخبل

لقد تماديت فى لومى وفى جدلى
حتى ترى نقله فى راسك النمل ؟؟

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب شرح الزوزني

على "لباب الإعراب"

من المعلوم أن علم النحو هو دعامة أساسية لمعرفة وتجلية مسائل العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه ونواحي فروع التشريعات الاسلامية .

ولن تجد علما من العلوم يستقل بنفسه عن النحو أو يستغنى عن معاونته أو يسير بغير نوره وهداه .

وهذه (١) العلوم النقلية ، على عظيم شأنها لاسبيل الى استخلاص حقائقها ، والنفاذ الى أسرارها ، بغير هذا العلم ، فهل ندرك كلام الله تعالى ، ونفهم دقائق التفسير ، وأحاديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — ، وأصول العقائد ، وأدلة الأحكام وما يتبع ذلك من مسائل فقهية ، وبحوث شرعية مختلفة قد ترقى بصاحبها الى مراتب الأئمة ، وتسمو به الى منازل المجتهدين — الا بالهام النحو وارشاده ؟

ولامر ما قالوا : « ان الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط فى رتبة الاجتهاد ، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم (النحو)(٢) فيعرف به المعانى التى لاسبيل لمعرفتها بغيره ، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه ، لاتتم الا به » .

وهذه اللغة التى نتخذها — معاشر المستعربين — أداة طيعة للتفاهم ، ونسخرها

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١١٢٢ رقم عام ١١١٢٠ فى علم النحو .

(٢) النحو الوافى — للاستاذ عباس حسن .

للأستاذ محمد عميرة على

مركبا ذلولا للابانة عن أغراضنا ، والكشف عما فى نفوسنا ، ما الذى هيأ لنا ، وأقدرنا على استخدامها قدرة الأولين من العرب عليها ، ومكن لنا من نظمها ونثرها تمكنهم منها ، وأطلق لساننا فى العصور المختلفة صحيحا فصيحا كما أطلق لسانهم ، وأجرى كلامنا فى حدود مضبوطة سليمة كالتى يجرى فيها كلامهم وان كان ذلك منهم طبيعة ، ومنا تطبع ؟

انه النحو وسيلة المستعرب وسلاح اللغوى وعماد البلاغى ، وأداة المشرع والمجتهد ، والمدخل الى العلوم العربية والاسلامية جميعا .

ونشير أولا الى كتاب (اللباب فى النحو) كما جاء فى كشف الظنون (١) للعلامة الامام تاج الدين محمد بن محمد بن احمد بن السيف المعروف بالفاضل الاسفراينى المتوفى سنة ٦٨٤ هجرية ورتبه على مقدمة وأربعة أقسام :

الأول : فى الاعراب .
والثانى : فى المعرب .
والثالث : فى العوامل .
والرابع : فى المقتضى للاعراب .

أوله : أحمد الله على ما تناسقت من كعوب (كعوب) أياديه .. الخ ، قال جمال الدين فى شرحه هو مشتمل على ملخص أبحاث المتقدمين فى ألفاظ بليغة عذبة جارية محتويا على لطائف عميقة لاتوجد فى جل كلام الاولين بالغ درجات الكمال لكنه أصعب الكتب المؤلفة فى هذا الفن وأوعرها لاشتماله على مباحث غريبة ومسائل عميقة .

وعليه شروح منها (العباب) للسيد جمال الدين عبد الله بن محمد الحسينى المعروف بنقره كار المتوفى سنة ٧٧٦ هـ فرغ من تأليفه سنة ٧٣٥ هـ .

أوله : الحمد لله الذى له الكلمة العليا .

وليحيى بن القاسم المعروف بالفاضل اليمنى المتوفى بعد سنة ٧٥٠ هـ .

ولقطب الدين محمد بن مسعود بن محمود السيراق الفالى فى مجلد أوله : الحمد لله الذى هدانا الى معرفة اعجاز القرآن .. الخ .

وللشيخ علاء الدين على بن محمد الشهير بمصنفك المتوفى سنة ٨٧١ هـ وكان فراغه سنة ٨٢٨ هـ وهو شرح كبير ذكر فيه من قواعد النحو ومسائل العربية شيئا كثيرا والنسخة المكتوبة

(١) جـ ٢ ص ١٥٤٢ .

بخطه فى مجلدين ، أوله : ان أحق ما يضمر قبل الذكر فى فض الافتتاح بالختام .. الخ ، وقال فى آخره ، اتفق نقله الى البياض بقونية ـ بوادى مرام سنة ٨٥٩ هـ .

ولمحمد بن عثمان الزوزنى أتمه فى ربيع الأول سنة ٧١٢ هـ بشيراز يذكر فيه أنه استفاد كثيرا من الاسفراينى .

وكتاب اليوم الذى نقدمه هو (شرح المولى المعظم فخر العلماء الأعلام محمد بن عثمان بن محمد بن أبى على المشهور بالامام الزوزنى على (لباب الاعراب للاسفراينى) ، والامام الزوزنى عالم نحوى بيانى توفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) (١) ومن آثاره : « شرح تلخيص المفتاح » للقزوينى فى المعانى والبيان و « شرح لب الألباب .

قال المصنف فى مقدمة كتابه : الحمد لله رب العالمين وشرائف صلواته على محمد وآله أجمعين وأصحابه المهتدين ، يقول المفتقر الى الله الغنى محمد بن عثمان بن محمد بن أبى على الزوزنى رحم الله أسلافه وتجاوز عن سيئاته جمعت حواشى للامام العلامة أفضل المتأخرين تاج الملة والدين محمد بن محمد بن أحمد بن السيف الأسفراينى المعروف بالفاضل شكر الله سعيه على كتابه المسمى « باللباب » وتعليقه عليه وفوائد أخرى من مصنفاته كاعراب الفاتحة وغيره ومن غير مصنفاته لايضاح مواضع من الكتاب يحتاج الى حلها وأكثر كتابى هذا من شرح الفاضل الكامل العلامة نجم الملة والدين الرضى تغمده الله برضوانه للكافية والشافية .

وكلما جرى ذكر الشرح فالمراد شرحه هذا ، وكانما اياى خاطب فى هذا التاليف البديع الهمزانى بقوله :

أراك على شفا خطر مهول
بما أودعت رأسك من فضول

ولكن المرجو من المحصلين أن يغمضوا عن اجتراء من يرتجى عفو الاخوان ، وأن يتخلقوا بأخلاق الله فى رفع الخطأ والنسيان ومن البارى المتعالى الهام الصواب والرحمة والرضوان .. الخ .

قال الامام الزوزنى ان كتاب « اللباب » بناه مؤلفه على مقدمة وأربعة أقسام (أما المقدمة فهى أن الكلمة من اللفظ الموضوع للمعنى مفردا) فى التطبيق اللفظ أولى من اللفظة لأنه أخصر وأدفع للاجمال اما انه أخصر فظاهر وأما بيان الاجمالى فى اللفظة فهو أنه لو قال : الكلمة اللفظة الموضوعة لكان المعنى أن الكلمة لفظة واحدة . وضعت تلك اللفظة الواحدة ، كما أن معنى الضربة ضرب واحد ، فان أراد باللفظة الوحدة التى يطرأها الوضع أقلها يطلق عليه اللفظ فهو فاسد . لأن أقله حرف واحد فيلزم أن يكون نحو همزة الاستفهام من الكلمات

---

(١) معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ٢٨٥

الموضوعة على حرف واحد كلمة دون غيرها لأن مؤدى التعريف أن الكلمة حرف واحد موضوع .

وان أراد عددا مخصوصا ينتهى اليه . بأن اراد باللفظة ماهو على حرفين مثلا ورد عليه ما فوقه بأن لايكون كلمة . لأن مؤدى التعريف أن الكلمة حرفان وضعا . وان أراد ما هو على عشرة أحرف مثلا ورد عليه مادونه . وان أراد المتوسط بينهما ورد عليه ما فوقه وما دونه جميعا فبان فى اللفظة اجمال ليس فى اللفظ فيكون هو أدفع للاجمال عن المعرف من اللفظة لوضوح المراد به دون المراد بها كما بينا .

ثم قال اللفظ ما يتلفظ به سواء كان مستعملا أو مهملا قليلا كان أو كثيرا فهو بمنزلة الجنس القريب للكلمة والبعيد هو الصوت وغيره ، ولعل مراده بالغير المقولة الداخل تحتها الصوت ، وفى الشرح احترز بقوله اللفظ عن نحو الخط والعقد والنصبة والاشارة فانها ربما دلت بالوضع على معنى وليست بكلمات ، ويجوز الاحتراز بالجنس أيضا اذا كان أخص من الفصل بوجه لأن الموضوع للمعنى قد يكون لفظا وقد لايكون اذ الوضع تخصيص الشيء ليفهم الثانى عند ادراك الأول .

ثم قال والموضوع للمعنى بمنزلة الفصل ويخرج به المهملات والمحرفات والدوال بالطبع (كاح) على السعال لكن عقلا لا وضع ولا يكون كلمة .

ثم قال وقد حصل الغنية به أى بالموضوع



عن ذكر الدلالة لأن الموضوع للمعنى مأخوذ من الدلالة ، لأن وضع اللفظ تعيين اللفظ بنفسه للدلالة على معنى وقوله بنفسه احتراز عن تعيين اللفظ بقرينة للدلالة على معنى ، أعنى المجاز نحو رأيت بدرا يتكلم فان ذلك التعيين لايسمى وضعا ودخل المشترك فى الحد لأن عدم دلالته على أحد معنيين بنفسه لعارض الاشتراك لاينافى تعيينه بنفسه للدلالة عليه .

ثم قال والمفرد صفة اللفظ دون المعنى لأن المعنى المفرد ينتقض بالفعل ، وأسماء الأفعال وأسماء الجموع عكسا والعكس هو أنه اذا عدم الحد عدم المحدود . وقد عدم الحد أعنى اللفظ الموضوع للمعنى المفرد فى كل منها لدلالة الفعل ، وأسماء الأفعال على معنيين حدث وزمان ودلالة نحو رجال وركب على أكثر من شخص واحد ولم يعدم المحدود عنها لاطلاق الكلمة

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

عليها باتفاق ولا يصدق عكس الحد مع اشتراطه .

واستطرد المصنف فى كتابه وقال فى الخاتمة القسم الرابع فى المقتضى للاعراب : وهو توارد المعانى المختلفة على الكلم بسبب الترتيب فانها تستدعى ما ينتصب دليلا على ثبوتها . قوله على الكلم وقوله بسبب الترتيب يتعلقان بالتوارد أى توارد المعانى على الكلمة انما حصل بسبب التركيب . اذ الكلم فى خال تعدادها لا يتوارد شىء من المعانى عليها .

والفاء . من قوله فانها للسببية وانتصب دليلا على الحال من المستكن فى ينتصب أى توارد المعانى على الكلمة صار سببا لنصب دليل يدل على ثبوت تلك المعانى فى الكلم ، وذكر أولا الكلم مطلقا ثم بين أن تلك الكلم التى هى محل توارد المعانى من الاسماء دون الافعال والحروف بقوله ، والحروف بمعزل عنها أى عن تلك المعانى المختلفة فى الشرح الحروف لا يطرأ على معانيها شىء من المعانى بل معانى ألفاظ أخر ، وكذا الأفعال بمعزل عن المعانى لدلالة صيغها ، أى صيغ الأفعال على معانيها أى معانى الأفعال . قيل لما جعل العرب الأفعال محلا لبعض من المعانى وهو المضى والاستقبال والحال وكونها أمرا ونهيا الى غير ذلك لم يجعلوها محلا لبعض آخر من المعانى وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، وهى تدل على معانيها بصيغها فلا تحتاج فى دلالتها عليها الى نصب دليل عارض يفهم به المعانى منها كما نصب فى الاسم .

وانما محل المعانى المقتضية للاعراب هو للاسم ، ومن ثمة أى من أن محل المعانى المقتضية للاعراب هو الاسم ، حكم له بأصالة الاعراب وأصول تلك المعانى بحكم الاستقراء بلغة الفاعلية وهى المقتضية للرفع والمفعولية وهى المقتضية للنصب وللاضافة وهى المقتضية للجر فى الشرح ... الخ .

والنسخة موجودة بمكتبة الأزهر نوعية فريدة وليس لها نظير بالمكتبة بقلم تعليق قديم كتبها العلامة أبو بكر النيسابورى من نسخة المؤلف فى سنة ٧٤٠ هـ وانتهى منها مؤلفه سنة ٧٣٦ هـ فيكون الفرق بينهما أربع سنين ، وقرأ هذه النسخة على المؤلف وغيره كما يظهر من الهوامش فان هذه النسخة أحسن النسخ وأصحها ، بهامش بعض أوراقها حواش وتقع فى ٢١٩ ورقة ومسطرتها مختلفة ، وكتاب « اللباب » الذى شرحه المؤلف مدون بداخل النسخة بالمداد الأحمر . كما أنه يلاحظ بين السطور بعض التصحيحات عليها .

وخدمة للقراء والعلماء وأصحاب البحث فان المكتبة توالى ان شاء الله تعريف ماهو غال ونفيس من مكنونات العلم وذخائره خدمة للاسلام والمسلمين واسهاما فى احياء التراث الذى أفنى فيه علماء المسلمين الأوائل أعمارهم جزاهم الله عنا خير ما يجزى به عباده الصالحين .

مدير
مكتبة الأزهر
محمد عميره على

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

ضلالة فصل الدين عن السياسة

لصاحب الفضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سبقت مجلة الازهر الى كلمة فاصلة فى هذا الموضوع من أكثر من نصف قرن فى غير مزايدة ، أو استخدام لاطار جماعة أو حزب ، ذلك لانها تعبر « علميا » عن الاسلام الذى سبق الى تقرير هذا الجانب منذ أكثر من اربعة عشر قرنا . فانه دين وشريعة نزل من عند الله هدايه للبشر فى كل شئونهم فعالج ـ حياة الانسان الروحية ـ بمناهج ... وارسى ـ لحياته الاجتماعية ـ موازين ... ذلك ليصلح شأنه فى الحالين وكان بدهيا أن تلزمه سلطة :

فانه حتى فى جانب مناهج العبادة ارسى احكاما وأصولا تنال من يخل بها ، فقضى عليه بعقوبة ... ان ترك الصلاة ... او الزكاة وما من شك فى ان ممارسة أمرها تحتاج الى « سلطة » لها حق الحكم ... واخرى لها حق

التنفيذ ... وذلك بدهي للغاية .

كذلك فإن له أحكامه وأصوله في حياة الانسان الاجتماعية وعلاقاته المادية بدءا باقراره ... وانتهاء برأس حكومته فقرر الحقوق والواجبات للمرءوس والرئيس فيما بينه وبين شعبه ... أو فيما بينه وبين دولة أخرى من علاقات دولية فكيف يقال : للدين ميدان ... وللسياسة آخر .

لذا أوجب الازهر على نفسه أمر تقنين الشريعة ، وهو متم واجبه في ذلك .

أن الحق لامرية فيه ... وهو احق ان يتبع، وان الدين يصعد بالأمم حتى شاءت الصعود .. والناس في حاجة الى الدين ماشاءوا لانفسهم الخير ... وفي الاسلام الخير كله .

قال الشيخ ــ رحمه الله :

ضلالة فصل الدين عن السياسة

مازال الرسل عليهم السلام يرمون في الدعوة الى أصول الايمان بالله عن قوس واحدة ، ولكل رسول بعد هذا شريعة يراعى في أمرها ونهيها حال من يرسل اليهم خاصة ، حتى حضر الوقت الذى تهيأ فيه البشر على اختلاف بيئاتهم للانتظام في شريعة واحدة ، فبعث الله المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحنيفية السمحة ، وجعله خاتم النبيين ، وقضى بأن تكون شريعته خاتمة الشرائع ، ولعموم رسالته ، سواء الشاهد فيها والغائب والعربى والعجمى ، أقام على صدقه آيات باقيات ما نظر فيها ذو فطرة صافية أو بصيرة نافذة الا أسلم وجهه لله قانتا ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ ولخلود شريعته جعلها أبلغ الشرائع حكمة ، وأوفاها أصولا ، وأوسعها للمصالح رعاية .

ثلاث حقائق كل واحدة منها شطر من الاسلام : عموم رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ واشتمال شريعته بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع ، وكون هذه الشريعة أحكم ما تساس به الأمم ، وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح أو التنازع في الحقوق .

أجمع علماء المسلمين على هذه الحقائق وعرفها عامتهم ، فمن أنكر واحدة منها فقد ابتغى في غير هداية الاسلام سبيلا ، ومثل من يمارى في شيء منها ، ثم يدعى أنه لا يزال مخلصا للاسلام مثل من يضرب بمعوله في أساس صرح شامخ ، ثم يزعم أنه حريص على سلامته ، عامل على رفع قواعده .

فتنت مدنية الشهوات أشخاصا ينتمون الى الاسلام فانحرفت بهم عن المحجة ، وأدركوا أن مجاهرتهم بانكار رسالة المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تسقطهم من حساب المسلمين دفعة ، فلا يبلغون من فتنة لأمة مأربا ، فبيتوا أن يبقوا ثوب الاسلام على أكتافهم ، ويحركوا بمدحه في بعض المجالس ألسنتهم ، أو في بعض الصحف أقلامهم لكي يركن الغافلون من المسلمين الى أقوالهم ، فيقذفوا من وراء ريائهم وثقة بعض الناس بهم ما شاءوا من آراء خاسرة ،

ويزعموا أن هذه الآراء من هداية الاسلام أو أن الاسلام لا ينكرها .

والواقع أن هـذا الصنف من المنحرفين قد أحدث في بعض البـلاد الاسلامية آثـار فساد لم يحدث مشارها النابذون الى الدين على سواء ، وكم أرتنا الأيام في هذا الصـنف من عجائب : دلتنا على أن هناك معارات يأتمرون بالدين بين حيطانها ، ولغة اذا حضرهم بعض المسلمين يجنحون الى التخاطب بها ، وضروب من الاغواء يجهدون أنفسهم في تمويهها .

منذ عهـد قـريب أخـذ بعض الكـاتبين يتشبهون بمن يؤلف على طريق البحث العلمي، فقالوا ما شاءوا أن يقولوا ، وخرجوا بغـير مناسبة منطقية الى انكار أن يكون للاسـلام مدخل في الشئون القضائية والمعاملات المدنية، جـال هذا الصـوت جولة البـاطل ثم ذهب كصيحة في واد ، ولم يبق له صدى الا في آذان رهط لا يسمعون رشدا ، ولا يفقهون حجة ، وان شئت فقل : صـادف ذلك الصـوت أفئدة هواء ، فجعلوا يحاكونه في بعض ما يكتبون ، ويوقظون فتنا لو أقبل كـل على ما يحسـن أن يتحدث فيه لكانوا عنها في شغل .

ما كدنا ننتهي من اماطة أذى ذلك الذى ادعى أنه يفسر القرآن ، حتى خرجت احدى المجلات تحمل مقالا تحت عنوان « داء الشرق ودواؤه » وفي هذا المقال دعاية الى فصـل الـدين عـن السياسة ، وبلغ بكاتبه الحال أن زعم أن سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم للدين عن السياسة.

ونحن نود والله يعلم أن يقبل كل من بيده قلم على ما فيه خير للناس ، والموضوعـات العلمية والأدبية والسياسية مترامية الأطراف ، وانصراف نفس الكاتب عن البحث في أمثال هذه الموضوعات ليس بعذر يبيح له أن يخوض بقلمه في الحديث عن الدين خوض من يقولون ما لا يتدبرون .

ونود والله يعلم أن نقبل على شأننا ، ونمضي في سبيلنا ، وليس في فطرتنا الولوع بأن ننقد لكاتب رأيا ، أو نبطل لباحث قولا ، ولكن القوم أصبحوا يتساقطون على طمس معالم الحقيقة والفضـيلة تسـاقط الفراش على السراج ، والسكوت عنهم تفـريط في جنب الله ، ومـن فرط في جنب الله خسر الدنيا قبل الآخرة .

قال صـاحب المقـال في ذكـر أهم النقط الجوهرية التى ترجع اليها أسـباب ضـعف الشرق : « الثانية عدم التفريق بنظام قـانوني بين السلطتين الدينية والدنيوية ، فكان هذا من جملة المسببات لتأخر المسـلمين اذ أن جمع السلطتين في شخص واحد بدون تحديد لهمـا كان من أبعد الأمور الى اختلال النظـام واذا كان هذا أفاد المسلمين في صدر التاريخ الاسلامي وأمر العـالم لهم كما قدمنا ، الا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك وفرق وشيع ومذاهب وأحزاب ووجود دول أخـرى تنـازعهم السـيـادة على العالم ، وقد عـاد اجتماع هاتين السلطتين بلاء عليهم اذ أصبحت الرياسة الدينية والدنيوية في الواقع في قبضـة تلك الدول التى نازعتهم كما هو مشاهد الآن ».

نعرف من قبل أن يظهر هذا المقال أن الذين يدعون الى فصل الدين عن السياسة فريقان : فريق يعترفون بأن للدين أحكاما وأصولا تتصل

بالقضاء والسياسة ، ولكنهم ينكرون أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح آخذة بالسياسة الى أحسن العواقب ، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن فى أحكام الدين وأصوله وقبلوا أن يسميهم المسلمون ملاحدة ، لأنهم مقرون بأنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بمن نزل عليه القرآن .

ورأى فريق أن الاعتراف بأن فى الدين أصولا قضائية وأخرى سياسية ، ثم الطعن فى صلاحها ، ايذان بالانفصال عن الدين ، واذا دعا المنفصل عن الدين الى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحا وسعيه خائبا ، فاخترع هؤلاء طريقا حسبوه أقرب الى نجاحهم وهو أن يدعوا أن الاسلام توحيد وعبادات ، ويجحدوا أن يكون فى حقائقه ما له مدخل فى القضاء والسياسة ، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه لعلهم يجدون فى الناس جهالة أو غباوة ، فيتم لهم ما بيتوا .

هذان مسلكان لمن ينادى بفصل الدين عن السياسة ، وكلاهما يبتغى من أصحاب السلطان أن يضعوا للأمة الاسلامية قوانين تناقض شريعتها ، ويسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله فى اصلاحها ، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات ، وقصور النظر عما لشريعة الاسلام من حكم بالغات .

اما أن الاسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية ، ووضع فى علم السياسة لجاما من الحكمة ، فانما ينكره من تجاهل القرآن والسنة ولم يحفل بسيرة الخلفاء الراشدين اذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة ، ويرجعون عند الاختلاف الى كتاب الله أو سنة رسول الله .

فى القرآن شواهد كثيرة على أن دعوته تدخل فى المعاملات المدنية ، وتتولى ارشاد السلطة السياسية قال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وكل حكم يخالف شرع الله فهو من فصيلة أحكام الجاهلية ، وفى قوله تعالى : (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ايماء الى أن غير الموقنين قد ينازعون فى حسن أحكام رب البرية ، وتهوى أنفسهم تبدلها بمثل أحكام الجاهلية ، ذلك لأنهم فى غطاء من تقليد قوم كبروا فى أعينهم ولم يستطيعوا أن يميزوا سيئاتهم من حسناتهم ، وقال تعالى : (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) فرض فى هذه الآية أن يكون فصل القضايا على مقتضى كتاب الله ، ونبه على أن من لم يدخل الايمان فى قلوبهم يبتغون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم ، وأردف هذا بتحذير الحاكم من أن يفتنه أسرى الشهوات عن بعض ما أنزل الله وفتنتهم له فى أن يسمع لقولهم ، ويضع مكان حكم الله حكما يلائم بغيتهم ، قال تعالى : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وفى آية : (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وفى آية ثالثة :(فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .

وفى القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات ، كأحكام البيع والربا والرهن والدين والاشهاد ، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث ، وأحكام القصاص والدية وقطع السارق وجلد الزانى وقاذف المحصنات، وجزاء الساعى فى الارض فسادا ، بل فى القرآن آيات حربية فيها ما يرشد الى وسائل الانتصار كقوله تعالى، مرشدا الى القوة المادية : (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) وقوله تعالى مرشدا الى القوة المعنوية : (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقوله تعالى منبها على خطة هى من أنفع الخطط الحربية : (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ) والكفار هنا المحاربون ففى الآية ارشاد الى أن يكون ما بينهم وبين ديارهم أمنا ، ولا يدعوا من ورائهم من يخشون منه ان ينهض الى اموالهم وأهليهم من بعدهم، أو يجلب عليهم بخيله ورجله ليطمن فى ظهورهم وقد أقبلوا على العدو الذى تجاوزوا اليه بوجوههم ، وفى الآيات الحربية ما يتعلق بالصلح كقولة تعالى : (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) وقوله تعالى : (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وفيها مايتعلق بالمعاهدات كقوله : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) .

وفى السنة الصحيحة أحكام مفصلة فى أبواب من المعاملات والجنايات الى نحو هذا مما يدلك على أن من يدعو الى فصل الدين عن السياسة انما تصور دينا آخر وسماه الاسلام .

وفى سيرة أصحاب رسول الله — وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة — ما يدل دلالة قاطعة على أن للدين سلطانا على السياسة ، فانهم كانوا يأخذون على الخليفة عند مبايعته شرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

ولولا علمهم بأن السياسة لا تنفصل عن الدين لبايعوه على أن يسوسهم بما يراه أو يراه مجلس شوراه مصلحة ، وفى صحيح البخارى « كانت الأئمة بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبى — صلى الله عليه وسلم — » .

ومن شواهد هذا محاورة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب فى قتال مانعى الزكاة ، فانها كانت تدور على التفقه فى حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » فعمر ابن الخطاب يستدل على عدم قتالهم بقوله فى الحديث : « فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم » وأبو بكر الصديق يحتج بقوله فى الحديث « الا بحقها » ويقول الزكاة من حق الأموال ، ولو لم يكونوا على يقين من أن السياسة لا يسوغ لها أن تخطو خطوة الا أن يأذن لها الدين بأن تخطوها ، ما أورد عمر بن الخطاب هذا الحديث ، أو لوجد أبو بكر عندما احتج عمر بالحديث فسحة فى أن يقول له : ذلك حديث رسول الله ، وقتال مانعى الزكاة من شئون السياسة .

ومن شواهد أن ربط السياسة بالدين أمر عرفه خاصة الصحابة وعامتهم ، قصة عمر بن الخطاب اذ بداله أن يضع لمهور النساء حدا ،

فتلت عليه امرأة قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ فما زاد على أن قال: رجل أخطأ وامرأة أصابت، ونبذ رأيه وراء ظهره، ولم يقل لها: ذلك دين وهذه السياسة.

وكتب السنة والآثار مملوءة بأمثال هذه الشواهد، ولم يوجد حتى في الأمراء المعروفين بالفجور من حاول أن يمس اتصال السياسة بالدين من الوجهة العلمية وان جروا في كثير من تصرفاتهم على غير ما يأذن به الله، جهالة منهم أو طغيانا، أراد الحجاج أن يأخذ رجلا بجريمة بعض أقاربه، فذكره الرجل بقوله تعالى: (ولاتزر وازرة وزر اخرى) فتركه ولم يخطر على باله وهو ذلك الطاغية أن يقول له ما تلوته دين وما سأفعله سياسة.

وأما قيام أحكام الشريعة على أساس العدل، ورسمها للسياسة خططا محكمة الوضع فسيحة ما بين الجوانب، فذلك مالا أستطيع تفصيل الحديث عنه في هذا المقال، وفيما كتبناه ونكتبه ان شاء الله تعالى تحت عنوان «الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ما يساعد على الالمام بأصول الشريعة ومعرفة اتساعها لكل ما يحدث من الوقائع، والذى نقوله في هذا المقام أن السياسة لا تجد في الدين ما يقف دون مصلحة، ولاتجد منه مايحط على اتيان مفسدة، لا تجد فيه هذا ولا ذاك متى وزنت المصالح والمفاسد بميزان العقل الراجح، وكان القابضون على زمامها من حصافة الرأى في منعة من أن يطيش بهم التقليد أو ارضاء طائفة خاصة الى أن يروا الفساد صلاحا فيشرعوه، أويروا الصلاح في لون الفساد فينصرفوا عنه، وليس من شأن الدين أن يراعى فيما يشرع الأهواء الجامحة وان كانت أهواء الملا الذين استكبروا، أوأهواء من في الارض جميعا.

والرؤساء الذين لم يحافظوا في سياسة شعوبهم الاسلامية على أحكام الشريعة وآدابها، فوضعوا لهم قوانين جائرة، وأذنوا بمظاهر غير صالحة، انما أتوا من ناحية جهلهم بسماحة شرع الاسلام وسعة قواعده وسمو مقاصده، واذا كان على غير هؤلاء الرؤساء تبعة فعلى أولى الحل والعقد من فضلاء الأمة وعلمائها اذا أهملوا علاجهم، ولم يبذلوا في دعوتهم الى الاستقامة جهدهم.

أما الأحداث وأشباه الأحداث الذين لا يهدأ لهم بال ما داموا يسمعون اسم الدين يجرى في لسان بعض الدول باحترام، فان من نشأ في غير جد، وأسرف في حب اللهو، لا يألف شريعة تأمر بالعدل، وتضع دون الأهواء الجامحة حاجزا، فلا عجب أن يتآمروا بها، ويشيروا على السياسة بأن تبتعد منها، واذا بلغ هؤلاء مآربهم في سياسة وقع زمامها في يد زائغ عن سبيل الرشد، فستذهب آمالهم خائبة في كل قطر يسوسه رئيس يقدر الاسلام قدره، ويجد من حوله علماء درسوا الشريعة بنباهة، ولا يخفى عليهم قصد من يتغنون بمدح الاسلام، و.بل أن تستريح خناجرهم يطعنونه في الصميم.

يقول الكاتب: «ان جمع السلطتين في شخص واحد بدون تحديد لهما كان من أدعى

الأمور الى اختلال النظام » .

ليس فى الاسلام سلطة دينية الا على معنى أن الأمير ينفذ أحكام الشريعة المتصلة فى الكتاب والسنة ، أو المندرجة فى الأصول المأخوذة منهما . وقاعدة الشورى التى قررها القرآن الكريم ، وجرى عليها الخلفاء الراشدون كافلة بصحة الاجتهاد فى الأحكام المستنبطة من الأصول ، أما النظم التى تقوم بها الشورى على وجهها الصحيح فموكولة الى الآراء الراجحة وما تقتضيه مصالح الأمم أو العصور ، فالاسلام لم يترك السلطة التى وضعها فى أيدى الأمراء مطلقة عن التقيد ، واذا استهان بعض الأمراء بقاعدة الشورى فان التشريع تام ، والوزر على من لم يأخذ نفسه بما قرره الشرع العزيز .

واذا كان بعض الأمراء الذين خرجوا عما حده الاسلام لسلطتهم الدينية ، فحكمة الكاتب متى كان مسلما أن يقرر الحد الذى رسمه الاسلام ، ويبين للناس كيف تعداه أولو الأمر ، ليطالبوهم بالوقوف عنده ، لا أن يقول كلاما مبهما ، ويبنى عليه المناداة الى شهوة هى فصل الدين عن السياسة .

ويقول صاحب المقال : « وقد عاد اجتماع السلطتين بلاء عليهم اذ أصبحت الرياسة الدينية والدنيوية فى الواقع فى قبضة تلك الدول التى نازعتهم كما هو مشاهد الآن » .

لسقوط الشعوب الاسلامية فى قبضة تلك الدول التى نازعتهم أسبابه ليس الجمع بين السلطتين منها فى شىء ، ومن طبيعة سيطرة تلك الدول عليهم أن تتصرف فى شئونهم على طرق لا تحفظ حقوقهم ولا تراعى فيها مصالحهم ، وهل ينقص هذا البلاء لو أن المسلمين أعلنوا فصل سياستهم عن الدين قبل أن يسقطوا فى أيدى هذه الدول المنازعة لهم ؟!

حرص الكاتب على شهوة فصل الدين عن السياسة جعله يورد فى معرض التشويق اليها ما ليس بحق ولا يشبه أن يكون حقا ، بأى طريق عرف الكاتب أن تلك الدول اذا وجدت السياسة فى يد والدين فى يد أخرى ، سلبت ماف اليد الأولى من سياسة وتركت اليد الأخرى تعمل فى حدود سلطتها بحرية !

ويقول الكاتب : « واذا كان هذا أفاد المسلمين فى صدر التاريخ الاسلامى وأمر العالم لهم كما قدمنا ، الا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك وفرق وشيع ومذاهب وأحزاب ، ووجود دول أخرى تنازعهم السيادة على العالم » .

قد عرفت أن الأمير المسلم ليس عنده فى الواقع سوى سلطة واحدة هى تدبير شئون الأمة على مقتضى القوانين الشرعية والنظم التى لا تخالف شيئا من أصولها ، فتجريد الأمير من السلطة الدينية هو عزل له عن الامارة فى نظر الشريعة ، ومن لم يكن أميرا فى نظر شارع الاسلام ، فليس بأمير فى نظر المسلمين ، فالمسلمون لا يستطيعون أن يتصوروا أميرا مجردا من السلطة الدينية فضلا عن أن يجردوه منها بالفعل ويرضوا بعد تجريده منها بالاستماع اليه والطاعة له . ولم تكن السلطة الدينية بيد الأمراء فى يوم من الأيام بلاء على المسلمين ، وانما بلاء المسلمين فى عدم قيام بعض أمرائهم بما توجبه هذه السلطة من نحو العدل والشورى والمساواة واعداد القوة

٥

لتقرير الأمن وكف العدو الذي يبسط اليهم يده بالسوء .

قال صاحب المقال : فكل مملكة اختصت مذهبا في العقائد والفروع لتبقى وحدها منفصلة عن الممالك الأخرى ، فبعد الانقسام أصبح كل أمير منهم اماما دينيا وحاكما سياسيا لقطره ، فكانت النتيجة من هذا الجمع الاخلال بالنظام العام وزالت الوحدة المقصودة من روح التشريع الاسلامي فتعددت الخلافة واختلت أحكامها ، بعكس الأمم الأخرى التي تنبهت الى حكمة الفصل بين السلطتين فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها من التلاشي والانهيار فام يضرها اختلاف الدول فيها لوجود الرياسة الدينية قائمة في حدود سلطتها وتخصصها ، ولذلك بقيت وحدتها خالدة في عصمة من الانشقاق والتدهور اللذين أصابا الوحدة الاسلامية » .

وقع تفرق في الممالك الاسلامية ، وأصبح كل أمير مستقلا بالنظر في أمور قطره فكانت النتيجة من استقلال كل أمير بمملكة مع تقاطع هذه الممالك وتدابرها انحلال الرابطة الاسلامية وزوال الوحدة المقصودة من التشريع الاسلامي .

فسبب اختلال النظام العام أو أحكام الخلافة انقسام الامم الاسلامية الى دول انقساما غير مصحوب بشيء من التحالف والتعاطف ، أما أن كل أمير يرجع اليه النظر في شئون رعيته الدينية فذلك من لوازم الامارة في الاسلام ، فلم يكن لحد الأمير المستقل نفسه حارسا للدين في مملكته الخاصة دخل في اختلال النظام ، فوهن المسلمين جاء من جهة استقلال كل أمير بطائفة من المسلمين استقلالا يقطع بينها وبين الدولة العظمى صلة التناصر والتعاون ، لا من جهة أن رعاية الدين داخلة في سياسة كل دولة .

ويقول الكاتب : « بعكس الأمم الأخرى التي تنبهت الى حكمة الفصل بين السلطتين ، فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها الخ » وهذا صريح في أن الكاتب يريد من الدول الاسلامية أن تفعلا ما فعلته الدول الغربية من تجريد السياسة من الدين ، وهو راى لا يصدر الا ممن يكن في صدره أن ليس للدين من سلطان على السياسة ، وهذا ما بيته فئة يريدون أن ينقصوا حقيقة الاسلام من أطرافها حتى تكون بمقدار الديانة المسيحية ، ثم يصبغوا هذا المقدار من بعد بأي صبغة أرادوا ، فيذهب الاسلام ، فلا القرآن نزل ولا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ، ولا الخلفاء الراشدون جاهدوا في الله حق جهاده ، ولا الراسخون في العلم سهروا في تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها .

يضرب الكاتب المثل بالأمم الأخرى ويزعم أن فصلها الدين عن السياسة كان مصدر فائدة الأمة وحمايتها من التلاشي والانهيار ، ومن أجل فصلها الدين عن السياسة ووجود الرياسة الدينية قائمة في حدود سلطتها لم يضرها اختلاف الدول فيها .

وضرب المثل على هذا الوجه أثر نظرة متسرعة ، اذ ليس للرياسة الدينية في الاسلام حد تنتهي اليه ثم يكون للافراد أو الجماعات

أن تفعل بعده ما تشاء ، ولو كان فى دين تلك الدول قوانين مدنية ونظم سياسية ، وقامت كل دولة على تنفيذ تلك القوانين والنظم داخل حدودها ، أفيكون مجرد رعايتها لما جاء به دينها سببا لانتشار مرض التقاطع بينهما .

ليس فى طبيعة ربط السياسة بالدين التقهقر والتنازع الا أن يكون فى تعاليم الدين ما يسير بالناس الى وراء ، أو ما يغرى بينهم العداوة والبغضاء ، وليس فى دين الاسلام الا ما يصعد بالأمم متى شاءت الصعود الى السماء ، وليس فيه الا ما يدعو الى الائتلاف والتعاون على أن تكون كلمة الحق هى العليا .

قال صاحب المقال : « ولنضرب لذلك مثلا وحدة الكنيسة الكاثوليكية فانها على الرغم من اختلاف الدول الكاثوليكية بقيت لها زعامتها وشعورها بقوة فكرتها وقد رأينا أثرها فى الحروب الصليبية المستمرة بلوق كل الحوادث التى تلتها والتى تألبت فيها أوربا على الأمم الاسلامية ، فان للكنيسة والجمعيات الدينية المختلفة التى تستمد سلطتها منها أثرها الفعال فى بقاء وانتشار المسيحية وتأثيرها فى سياسة العالم » .

ليس فى الاسلام سلطة دينية تشبه السلطة الكاثوليكية ، والسلطة الدينية فى الاسلام لكتاب الله وسنة رسول الله (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

وعلى العلماء البيان وعلى الأمراء التنفيذ ، فان أراد الكاتب من السلطة البيان ، فالبيان حق لكل عالم تفقه فى أصول الشريعة ومقاصدها ، فلا يختص به عالم دون آخر ، ولا يعد بيان العالم الذى تعينه الأمة للبيان أرجح من بيان غيره الا أن تكون حجته أقوى ، واذا كان الأمر للحجة ، فما معنى تعيين شخص ليكون مصدر البيان فى كل حال ، فان أراد من السلطة التنفيذ فليس له معنى سوى أن تكل الأمة الى شخص القيام بتنفيذ أحكام الدين على أن تكون هى يده التى ينفذ بها ، وسلاحه الذى يدافع به من يعارض فى التنفيذ ، وذلك معنى الخلافة المعروفة فى الاسلام .

قال صاحب المقال : « ولو رزق المسلمون رجالا ينظرون بعين الناقد البصير — من قبل قرنين — وفصلوا الدين عن السياسة لكان للاسلام اليوم من الشأن والسيادة فى الممالك التى اغتصبتها الدول الأوربية مالا يقل عما للفاتيكان ، وما كان خطر الاستيلاء الأجنبى عليهم عظيما » .

كلام يروج ولكن فى غير هذا الوادى ، ويتقبل ولكن بعقول لم تستنر بهداية ، يأسف صاحب المقال على الشأن والسيادة اللذين فاتا المسلمين لعدم فصلهم الدين عن السياسة من قبل قرنين ، ويرى أن ابقاءهم الدين فى جانب السياسة كان سببا فى أن صار خطر الأجنبى عليهم عظيما .

فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون الا بعد أن يكونوا غير مسلمين ، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدى به الأجنبى على الدين اذا جاس خلال الديار ، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن ، ورأينا كيف كان بعض المبتلين بالاستعمار الأجنبى أقرب الى الحرية فى الدين

ممن أصيبوا بسلطانهم ، ونحن على ثقة من أن الفئة التى ترتاح لمثل مقال الكاتب لو ملكت قوة لألغت محاكم يقضى فيها بأصول الاسلام ، وقلبت معاهد تدرس فيها علوم شريعته الغراء الى معاهد لهو ومجون ، بل لم يجدوا فى أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف فى مساجد يذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو لله وقارا .

يقول الكاتب : « لو فصلوا الدين عن السياسة ما كان خطر الاستيلاء الأجنبى عليهم عظيما » ، يقول هذا كأنه لا يدرى أن السياسة الطاغية لا تهاب الا حديدا أشد بأسا من حديدها ، ونارا أشد حرا من نارها ، فليس من المعقول أن تردها عن قصدها سلطة دينية ليس فى كنانتها سهم ، ولا فى كفها حسام ، أما قياسه حال السلطة الدينية الاسلامية ــ على فرض صحة اقامتها ــ بحال السلطة الكاثوليكية فى احترام مؤسساتها واطلاق يدها فى عمل يرفع اهل ملتها فمغالطة أو غفلة عن الفرق بين سلطة دينية يجد فيها الاستعمار مؤازرة أو موافقة على أى حال ، وسلطة دينية قد يكون فى بعض أصولها مالايلائم طبيعة الاستعمار .

ولو ربط المسلمون سياستهم بالدين من قبل قرنين ربطا محكما ، لم تجد يد الغاصب للعبث بحقوقهم مدخلا ، ولو أعلنوا فصل الدين عن السياسة لظلوا بغير دين ، ولو جد فيهم الغاصب من الفشل أكثر مما وجد ، فليست مصيبة المسلمين فى تركهم السياسة مربوطة بالدين كما زعم الكاتب ، وانما هى ذهولهم عن تعاليم دين لم يدع وسيلة من وسائل النجاة الا وصفها ، ولا قاعدة من قواعد العدل الا رفعها .

قال صاحب المقال : « فان أعظم ما أصاب المسلمين من المصائب انما هو فقد الرياسة الدينية بعد أن فقد منهم الاستقلال وحرمانهم من بقائها درعا حاميا وسدا منيعا من تسرب المستعمرين باسم السياسة الى السيطرة على شعور وضمائر الأمم الاسلامية حتى كاد يختل بناء الدين ، ويتنكر المسلمون تعاليمه الحقة » .

حقيقة فقد الرياسة الدينية من أعظم ما أصاب المسلمين ، وهى الرياسة التى فى احدى يديها هداية ، وفى أخراهما قوة ، أما الرياسة التى لا يتعدى صاحبها أن يكون واعظا عاما ، يدعو الناس الى الصلاة والصيام والحج ان استطاعوا اليه سبيلا ، فلم تفقد بعد ولم يحرم المسلمون منها ، ولا تزال باقية ولكن فى أشخاص متفرقين فى البلاد لا فى شخص واحد كما يرغب صاحب المقال ، ولم نذكر الزكاة فى قبيل ما يدخل فى الوعظ مخافة أن يكون الكاتب قد انتزعها من أحضان الدين وجعلها فى قسمة السياسة .

يربط الكاتب الوقائع ولكن بغير أسبابها ، ويصل النتائج ولكن بغير مقدماتها ، لنفرض أن المسلمين اتفقوا على ضلالة فصل الدين عن السياسة ، وأقاموا رياسة دينية لا جند لها ولا سلاح ، أمن المعقول أن تكون هذه الرياسة درعا حاميا ، وسدا يمنع من تسرب المستعمرين الى السيطرة على شعور الأمم الاسلامية وضمائرها .

اذا سيطر المستعمر على الشعور والضمائر فان أكبر مساعد له على هذه السيطرة

تبضه على زمام التعليم العام حيث يسير بـه على منهج يخرج به الناشيء مزلزل العقيدة غائبا عن سماحة الدين وحكمة التشريع ، ومعظم النشء مأخوذون بحاجات أو دواع الى أن يترددوا على مدارس الحكومة •

فان أراد الكاتب أن يكون لتلك السلطة الدينية فضل اقامة مؤسسات تغني عن مدارس التبشير ومستشفياتهم التي يتخذونها وسائل للسيطرة على شعور المسلمين وضمائرهم ، قلنا : في يد المسلمين أن يقيموا مؤسسات تحاكي تلك المؤسسات ، فينقذوا أبناءهم من شر مؤسسات الأجنبي ، ولا شيء يضطرهم الى موبقة فصل الدين عن السياسة ، وابتداع رياسة دينية لم ينزل الله بها من سلطان •

بسط صاحب المقال لسانه في « الفقهاء المسلمين » كما بسطه فيهم من لم يطالع كتبهم فملأ في وصفهم بالجمود ، حتى زعم أنهم « لم يقولوا لنا كيف يجتهد الفقيه » وتمادى في هذه المزاعم الى أن قال « ووجد من الفقهاء المزيفين من جوز امامة المتغلب الذي يتولى ولاية الأمة بغير رغبتها وارادتها » •

يقول الفقهاء : تنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس ، وهذا هو الأصل الذي ينبغي أن تكون عليه الامامة في كل حال ، وأجازوا للامام متى خشي التنازع في الامامة من بعده ورأى في أحد رجاله الكفاية أن يعهد اليه بها قطعا للفتنة ، ولم يجيزوا لأحد أن يتولى أمرها دون أن يبايعه أهل الحل والعقد ، أو يعهد اليه بها الامام ، وان قام مسلم ذو قوة فتولاها بالقهر والغلبة ، فان كان جامعا لشروط الولاية من نحو العلم والعدل والاستقامة كان اقراره أسلم عاقبة من منازعته ، وليس في اقراره من بأس ما تحققت فيه شروط الولاية ، فالفقهاء يجيزون ولاية المتغلب على معنى أنه بعد القهر والغلبة يعد اماما لتحقق شروط الامامة فيه ، ولأن منازعته تفضي الى فتنة ليسوا في حاجة الى اثارتها •

فان فقد منه بعض شروط الولاية منتخبا كان او معهودا اليه ، او متغلبا ، فمن الشروط ما يكون فقده مسقطا للولاية بنفسه كالارتداد عن الدين ، واختلال العقل ، ومنها ما يستحق به العزل باجماع كالفسق ، ومن الفقهاء غير المزيفين من يعد الفسق في الشروط التي تسقط ولايته بنفسها ، ولا تحتاج الى اعلان أهل الحل والعقد بخلعه ، اما القيام على الفاسق وابعاده من مقر الولاية باليد ، فموكول الى اجتهاد اهل الحل والعقد وهم الذين يسلكون ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه مصلحة الأمة •

هذا ما يقوله الفقهاء اخذا من أصول الشريعة ورعاية لمقاصدها في الاستنباط ، وليس فيه تفريط في المصلحة العامة ، ولا مايمس مقام الولاية العظمى بسوء •

محمد الخضر حسين

مجلة نور الاسلام

الجزء الخامس جمادى الاولى سنة ١٣٥٠
المجلد الثاني

مبادئ القانون الدولى العام فى الإسلام

- ٢ -

تعريف الحرب المشروعة

ليس من غرضنا قط ان نعمل الفكر والقياس الدقيق للتوفيق بين هاتين المجموعتين من النصوص القرآنية المتعارضة فى الظاهر : فالدستور القرآنى نفسه يعفينا من هذه المهمة بما يقدمه لنا من الصيغ المحددة للمقصود ، تمييزا بين الحرب المشروعة ، وغير المشروعة ، واليك طائفة من هذه النصوص :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٢ : ١٩٠) .

« فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ » (٢ : ١٩٢ ــ ١٩٣) .

« فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا » (٤ : ٩٠) .

« لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (٦٠ : ٨ ــ ٩) .

واقرأ على الخصوص آية براءة التالية ، فان تحديدها لأهداف الاسلام فى هذا الشأن أوضح وأصرح :

« أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد الله دراز

بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » (٩ : ١٣) .

من هذه النصوص التي سردناها ، ومن نصوص كثيرة أخرى يخلص لنا تعريف « الحرب المشروعة » في الاسلام وأنها هي « الحرب الدفاعية » .

ويجمل بنا أن نشير الى أن كلمة الدفاع ينطوى تحتها نوعان قد أشار القرآن الى كليهما .

(١) الدفاع عن النفس . وفيه يقول الكتاب المجيد :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » (٢٢ : ٣٩ – ٤٠) .

(٢) الاغاثة الواجبة لشعب مسلم أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه . وهذا هو ما حث عليه القرآن في قوله : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .
(٤ : ٧٥) .

وغنى عن البيان أن المفروض في كلتا الحالين ، أن يكون العدو قد اتخذ بالفعل موقفا عدائيا ، وأن يكون في حالة هجوم أو تأهب للهجوم . فالمظاهر غير الودية ، والاساءات الأدبية ، والمقاومات العنيدة لأمانينا المشروعة ، كل ذلك لا يسوغ لنا أن نتخذه ذريعة لاعلان الحرب . وانه لمن أكبر مفاخر الاسلام أن يكون القرآن نفسه هو الذى وضع هذا التحديد في صراحة حيث يقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » (٥ : ٢) .

– ٢ –

الصلح المجحف خير من الانتصار الدامى

من هنا نرى أن الحروب في نظر الاسلام شر لا يلجأ اليه الا المضطر . فلأن ينتهى

المسلمون بالمفاوضة الى صلح مجحف بشىء من حقوقهم ، ولكنه فى الوقت نفسه يحقن الدماء ، خير من انتصار باهر للحق تزهق فيه الأرواح.

وان لنا فى موقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة الحديبية لنموذجا حسنا لهذا الروح العالى فى التسامح والصفح تحرصا على السلام من جانب الطرف الأقوى ، فهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكتف بالرجوع مع جيشه من حيث أتوا ، وبتأجيل ما كانوا أجمعوا على أدائه فى ذلك العام من المناسك « زيارة الاماكن المقدسة » ، ولم يكتف بأن رضى بتجريد اسمه فى نصوص الهدنة من كل لقب تشريفى هو أهله ، ولكنه فوق ذلك كله قبل مختارا مقترحات الهدنة التى لا يعامل فيها الطرفان على قدم المساواة بل تخول الأعداء حقوقا لا تخولها المسلمين . ناهيك بالشرط الذى يلزم المسلمين باعادة من يلجأ اليهم فرارا من معسكر قريش بينما يجعل للمهاجرين من معسكر المسلمين حق البقاء فى معسكر قريش دون ازعاج ولا رد ، ونحن نعرف كم كان هذا الموقف البالغ الحد فى المسالمة مثيرا لاستغرابات الصحابة واعتراضاتهم . ولكن كل هذه المآخذ لم تكن لترجح كفة الحرب فى نظر قائدهم الأعلى ، ولم تكن لتعدل به عن طريق السلام الذى يحفظ به دماء الناس وأرواحهم . ولنستمع له حين يقول مصمما فى جواب السائلين له عن السر فى هذا العدول عن دخول مكة .

« والله لا تدعونى قريش الى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم . الا أعطيتهم اياها » .

ــ ٤ ــ

قواعد الحرب

هكذا يوصينا الاسلام بالمصابرة ما بقى فى قوس الصبر منزع ، ولا يخولنا حق الالتجاء الى القتال ، الا حيث يفرضه علينا العدو فرضا، وحيث يكون القعود معناه الالقاء باليد الى التهلكة .

لكنه ــ حتى فى هذه الحال المشروعة ــ لا يبيح لأحد أن يخوض غمار الحرب انقيادا لسورة الغضب ، أو اندفاعا مع غريزة الانتقام، دون تعقل ولا عاطفة انسانية ، بل يوجب أن يسير فيها الجيشان ، وفق قانون معين يضبط هذه الانفعالات وينظمها .

فلنعرف الآن بعض تلك التعاليم التى أراد الاسلام ــ لا اقول أن يمحو بها الى الابد تلك الكارثة العالمية ، فذلك مالا يمكن تحقيقه ما بقى على الارض شريرون لا يقمع نشاطهم الاجرامى الا بالقوة ــ ولكن أراد الاسلام بها تضييق مجال الحروب ، وتخفيف عواقبها الوخيمة الى أقصى حد ممكن .

(أ) الأهداف الحربية :

رأينا كيف أن القرآن حين أباح الحرب الدفاعية المشروعة قد ميز تمييزا واضحا بين المحاربين وغير المحاربين ، فأمر بالا يقاتل ، الا المقاتل ولابد أن نفهم من كلمة المقاتلين : أنهم الذين يحضرون ميدان القتال بالفعل

ويستخدمون فيه قوتهم العدوانية .

ولقد استرشد التشريع الاسلامي بتعاليم النبوة في هذا الشأن فحدد هذا الشرط على وجه يزيل كل لبس ، ويكفل ابعاد شرور الحرب عن الضعفاء ، ويجنب المدنيين كل ويلاتها : فالأطفال ، والشيوخ ، والنساء ، والمرضى والمعتوهون ، بل حتى الفلاحون في حرثهم ، والرهبان في معابدهم (١) كل أولئك معصومون بحصانة القانون من أخطار الحروب .

والذي يلفت نظرنا بوجه خاص في هذا المقام هو حرص الاسلام ، لا على حماية هؤلاء الضعفاء من الاضرار المادية فحسب ، بل على حمايتهم أيضا من التعرض لكل ألم نفسي يبدو لنا ذلك جليا بتأمل المثال التالي ، الذي ترويه لنا الآثار عن واقعة خيبر ، ذلك أنه حين انتهى حصار هذه المدينة بنصر المسلمين ، وقعت امرأتان يهوديتان في أسر بلال ، فمضى بهما بلال الى مركز القيادة ، مارا بميدان المعركة حيث سقطت جثث القتلى من اليهود ، وكان لهذا المشهد أثره العميق في نفس احدى الأسيرتين ، فصاحت وأجهشت بالبكاء ، وما ان علم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بسلوك بلال هذا ، حتى استنكر فعلته ، ووجه اليه اللوم العنيف قائلا له : « هل نزعت منك الرحمة يابلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ » .

وينساق بنا الحديث في هذا المعنى الى التنويه بالقاعدة الاسلامية المتعلقة بأسرى الحرب والتي تحرم الفصل بين المرأة الأسيرة وأبنائها ، وتوجب الجمع بينهم في مكان واحد، غيالها من عناية رحيمة حتى في معمعة البأس .

(ب) النهي عن حبس الطعام عن المدن :

ويظهر أن الاسلام لا يستحسن ــ بل لا يبيح ــ فرض حصار يرمي الى حبس الطعام عن مدن الأعداء ، أو أن هذا على الاقل هو ما تدل عليه حادثة ثمامة (أحد أشراف بني حنيفة)

فقد صمم هذا الرجل وهو في حداثة اسلامه ، وأقسم مندفعا بحرارة ايمانه الغض ، على منع تموين مكة بالحبوب التي تنتجها بلاده (اليمامة) ما لم ينهه النبي عن ذلك نهيا صريحا ، فلما عاني أهل مكة ما عانوا من بأس هذا الحصار وجهوا الى النبي رسالة موجزة يقولون فيها : « انك تأمر بصلة الرحم ، ولكنك قطعت أرحامنا فقتلت الآباء ، وجوعت الأبناء » . فبعث النبي على الفور الى ثمامة يأمره برفع هذا الحظر ، وبأن يدع أهل مكة يتمتعون بمواردهم العادية

(جـ) تقييد مرمى الأسلحة :

ومن ثمرات القاعدة التي توجب حصر العمليات الحربية في الاهداف العسكرية النهي عن استعمال الأسلحة البعيدة المدى ، وخاصة كل وسيلة عامة للتدمير كالتغريق والتحريق .

(١) هذا أحد الادلة الساطعة على أن هدف الحرب الاسلامية ليس هو محو الديانات الاخرى فها نحن أولاء نراه على العكس من ذلك يحرص على تحصين ابناء تلك الديانات وحماية رؤسائها ــ الذين هم ابرز من يمثلها ــ من كل عدوان ماداموا بعيدين عن اشعال نار الحرب .

مبادئ القانون الدولى

(د) حظر وسائل الانتقام الوحشية :

يستنكر القرآن فى غير موضع تلك العادة الهمجية التى يشيع استعمالها فى أثناء الحروب، ألا وهى تعذيب الأعداء ومعاملتهم بالقسوة والخشونة ، وانه ليصل فى استنكار هذه الفعلة الى حد أن يعد تعذيب العدو أشد جرما من القتل : (**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**) ٢ : ١٩١ (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**) ٢ : ٢١٧ .

ثم اننا نجد تعاليم الرسول — صلى الله عليه وسلم — التى كان يوجهها الى قواد حملاته الحربية زاخرة بنصائحه لهم على التزام النظام وحسن السلوك فى قتالهم . ومن بين هذه النصائح تحذيره المتكرر لهم من: السلب ، والنهب ، والقتل غدرا ، والتمثيل بجثث القتلى. نعم انه ذات مرة اشتد غضبه من أهل مكة ، لتمثيلهم بجثة عمه حمزة الذى استشهد فى غزوة أحد ، وحمله ذلك الغضب على التفكير فى مضاعفة الانتقام منهم فى واقعة مقبلة ، ولكن القرآن لم يلبث أن نفره من هذه المحاولة ، محذرا اياه من مجاوزة الحد فى الانتقام مرغبا له فى الصبر والصفح « **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** » (١٦ : ١٢٦ ، ١٢٧) فلم يسع النبى عليه



الصلاة والسلام الا العدول عن هذه الفكرة ، واختار ما هو أليق بخلقه الكريم ، فشمل مجرى الحرب هؤلاء بكرمه وصفحه .

ولقد بلغت دقة تطبيقه لحكم القرآن الذى يأمر بالعفو عن الأعداء متى انتهوا عن عدوانهم أن نهى عن تعقب من يفر منهم من الحرب ، فما بالك بمن يلقى سلاحه ويتقدم الينا فى صراحة بعبارات السلام والاستسلام ؟.

ان القرآن ليحرم علينا أى ذاه تحريما قاطعا ، حتى لو كان ذلك بحجة الشك فى صدق ايمانه « **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** » (٤ : ٩٤) .

تلك كلها أدلة ملموسة على أن الاسلام لا يرمى قط الى القضاء على أعدائه ولا الى الاستيلاء عليهم بالقهر ، ولكن الى تجنب خطرهم ، فمتى تحقق هذا الغرض لم يبق للصراع فى نظره مبرر ٠

(هـ)الهدنة الاجبارية فى الأشهر الحرم :

وهذا أسلوب آخر من أساليب تخفيف ويلات الحرب فنحن نعرف مدى ما ستنفده الحروب الطويلة الأمد من جهود الشعوب وقواهم ، وكيف أنها تصيب نشاطهم التعميرى بالجمود والشلل ، وعلاجا لهذه الحال سن القرآن ، أو بالاحرى أحيا سنة النبوة الأولى : عدم استمرار الحروب حولا بأكمله والتزام هدنة جبرية فى أثنائه تعود فيها العلاقات السليمة سيرتها الأولى ، وتأخذ الحياة مجراها الطبيعى بين الأمم ٠ فى مدة أقلها أربعة أشهر ٠ هذا الوضع الذى تكف به أعمال الحرب جبرا خلال ثلث العام لا تنحصر مزيته فى اشعار المتحاربين بلذة السلم فى هذه المدة فحسب ، بل انه بما يتركه من الأثر فى نفوس الجماهير يثبطهم عن الحرب ، ويغريهم باطالة أمد الصلح وقد يدعوه الى تحويله من هدنة مؤقتة الى هدنة حقيقية أو الى سلم دائم ٠

(و) التسلح :

من أنواع العلاج الواقى الذى يوصى به ساسة الغرب فى العصور الحديثة منعا لنشوب الصراع بين الدول ٠ مشروع منع التسلح أو تقييده ٠ غير أن هذا العلاج لم يتخذ قط حتى الآن صفة القانون الدولى ، ولم تطبق مبادئه تطبيقا عادلا على الجميع ، وانما كان يفرض على المغلوب وحده ، بل يمكن القول بأن تطبيق هذا المبدأ الذى يتعارض وغريزة البقاء سيظل دائما حلما مستحيل التحقق ٠

أما القرآن فان نظرته الواقعية النفاذة جعلته على العكس من ذلك ، يحضنا على أن نعد للطاغين كل ما استطعنا من قوة غير أن تلك النظرة الواقعية الى الوسائل التى يجب اتخاذها لم تكن لتحول دون نظرته المثالية الى الغايات التى يهدف اليها من وراء هذا الاستعداد الحربى ، وهى غاية تختلف كل الاختلاف عن الغايات التى يسعى اليها الغزاة الطامحون ، فالمسألة فى نظر القرآن ليست مسألة اعداد للهجوم على الأعداء ، بل للتحصن من شرهم ، وانذارهم بالقوة الباطشة التى تنتظرهم اذا لم يقفوا عند حدهم (٨ : ٦٠) ٠

ها هنا يكمن انجع علاج فى نظرنا لآلام الانسانية الحاضرة ، فليس الشأن فى أن نقلل من مقادير عتادنا الحربى أو نغير من طبيعته وانما الأمر فى أن نعدل أسلوبنا الفكرى من أساسه ٠ علينا أن ننظر الى الحياة نظرة جديدة تخضع فيها المادة للروح ، وتسمو فيها المعنويات على الجثمانيات ٠ وكل حل ينقصه هذا العنصر ، انما هو حل سطحى واه ، لا بقاء له ٠

د/محمد عبد الله دراز

طرائف

فضل العلم

قيل للخليل بن احمد : ايهما افضل العلم او المـال ؟

قال : العلم

قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك ؟ والملوك لا يزدحمون على ابواب العلماء .

قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء .

قال بعضهم :

العلم يحيي قلـوب الميتين كـما
تحيا البلاد اذا مسـها المطـــر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كمـا يجلي سـواد الظلمة القمر

قـالـوا

* من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده اهدم .

* ما اسهل الموت على من أيقن بما بعده ، واصعبه على من شك فيما بعده .

* الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك ، فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فاصبر .

* اذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ، ومنعهم العمل .

* لا فقر افقر من الجهـل ، ولا صـاحب اكيس من الشورى .

* من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته .

رمي اللسان

قال سـفيان الثـورى : لان ارمى عدوى بسهمي خير له مـن أن ارميـه بلساني ، لان رمي اللسـان لا يخطيء ، ورمي السيف يصيب ويخطيء .

وقال ابن مسعود : لسانك سيف قاطع بيدا بك ، وكلامك سهم نافذ يرجع عليك ، فاقتصر في المقال ، وإياك وما يوغر صدور الرجال .

تطلبني ثمانيـة

قيل للامام الشافعي ــ رضى الله عنـه ــ كيف اصبحت ؟

ومواقف

إعداد :

عبد الحميد محمد عبد الحليم

قال : أصبحت تطلبنى ثمانية :

الله — تعالى — بالفرض ، ورسول — صلى الله عليه وسلم — بالسنة ، والدهر بصروفه ، والعيال بقوتهم ، والحفظة بما ينطق به لسانى ، والشيطان بالمعاصى ، والنفس بالشهوات ، وملك الموت بقبض الروح .

من المروءة

انشد ابو بكر الاسماعيلى :

واذا جلست وكان مثلك قائما
فمن المروءة ان تقوم وان ابى
واذا اتكات وكان مثلك جالسا
فمن المروءة ان تزيل المتكا
واذا ركبت وكان مثلك ماشيا
فمن المروءة ان مشيت كما مشى

جئتك مستجديا

اعترض بعض الأعراب المامون ، فقال يالمير المؤمنين : انا رجل من الأعراب .

قال : لا عجب .

قال : انى اريد الحج .

قال : الطريق واسعة .

قال : ليس معى نفقة .

قال : سقط عنك الحج .

قال : ايها الامير جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك المامون وامر له بجائزة .

حقا

من خاف من الله خافه كل شىء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شىء .

نعمة العقل

سئل حكيم عن اولى الناس بالسعادة ؟

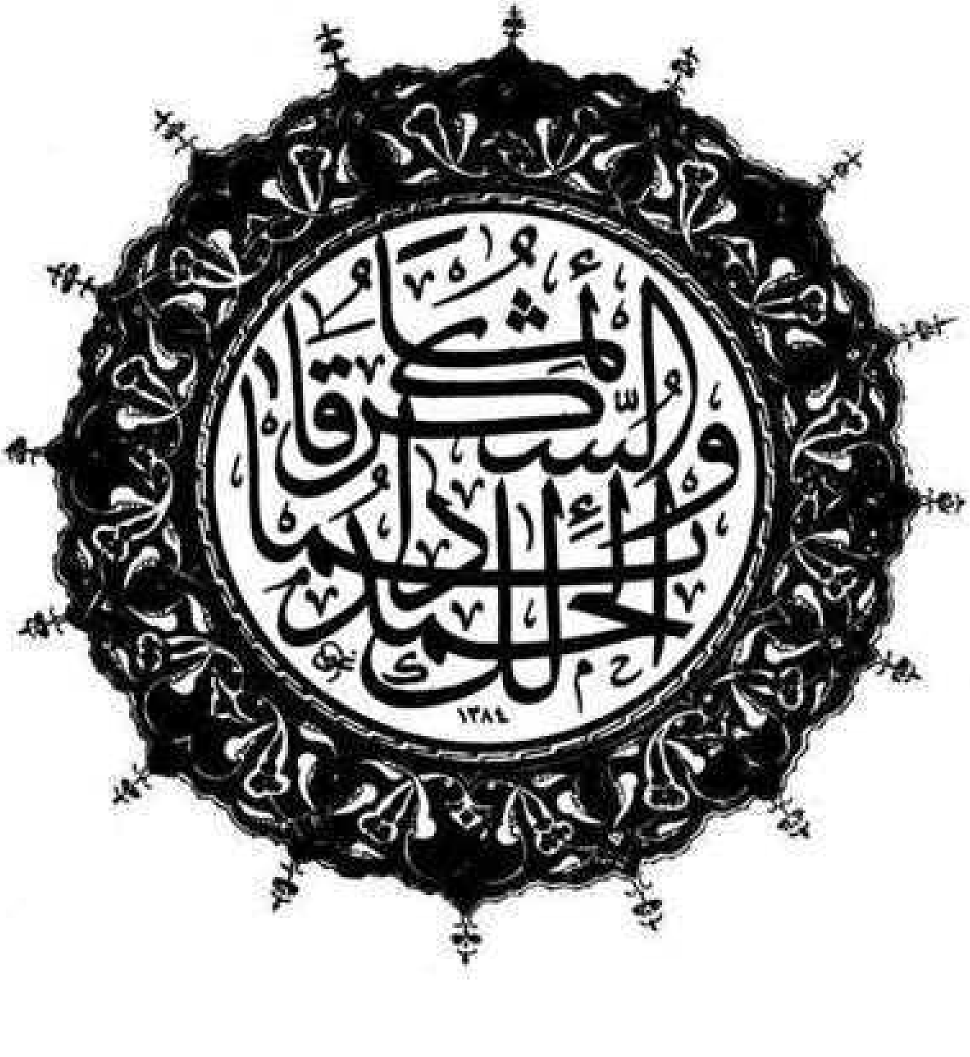
فقال : انقصهم ذنوبا .

فقيل له : ومن انقصهم ذنوبا ؟

قال : أتمهم عقلا .

دعاء

اللهم اصلح ولاة امورنا بالعدل والسداد واقامة الحق فى كل حال وناد .


١٣٨٤

لغة وأدب ونقد

قياسية المصادر

في حاشية الأمير
مع "دليل المسلم"

القرآن الكريم
في التوراة والإنجيل والعلم

كلما

كلمة هى (كل) زيدت عليها (ما) فى آخرها فغيرت رسمها واثرت فى تصرفها واعرابها فلم يعد لها حينئذ الا اعراب واحد باتفاق هو النصب على الظرفية ، وناصبها هو الفعل الذى هو جواب لها فى المعنى مثل قالوا فى قوله تعالى : (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) وقد اكتسبت الظرفية من (ما) التى تحتمل وجهين .

اولهما : أن تكون حرفا مصدريا والجملة بعده صلة فلا محل لها فى الاعراب ، والأصل كل رزق ثم عبر عن معنى المصدر بما والفعل ثم أنيبا عن الزمان ، أى كل وقت رزق كما أنيب عنه المصدر الصريح فى نحو (جئتك خفوق النجم ، وسطوع القمر) .

والثانى : أن تكون اسما نكرة بمعنى وقت ، فلا تحتاج الى تقدير لفظ وقت والجملة فى محل جر صفة فتحتاج الى تقدير عائد على (ما) من جملة الصفة أى كل وقت رزقوا فيه ولكن يضعف هذا التأويل ، ويزهد فى قبوله ادعاء حذف الصفة فيه وجوبا حيث لم يرد مصرحا به فى أى مثل من أمثلة هذا التركيب أما الوجه الأول فيقويه ويدعمه ويقربه من الاستساغة والقبول أمران .

اولهما : كثرة مجىء الماضى بعدها كما يتبين من الأمثلة الآتية ، قال الله تعالى : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) وقال سبحانه : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ) وقال عز شأنه : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) وقال أيضا : (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) وقال جل علاه : (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) وقال : (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) وقال سبحانه : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) ، وقال أيضا : (وَنَحْشُرُهُمْ

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) .

ثانيهما : أن (ما) المصدرية الظرفية فى حكم أداة الشرط فى المعنى ، ولهذا تحتاج الى جملتين احداهما مرتبطة بالاخرى ارتباط الجواب بالشرط ، الا أنها ليست شرطية مثلها فى نحو قولك : (ما تقرأ ، وما تبغض أبغض ، وما تفعل من خير تنل جزاءه) ذلك لأن ما فى هذه الأمثلة تفيد العموم ، فلا يجوز أن تدخل عليها أداة تفيد العموم مثلها هى كل ، ولأنها أيضا لا تأتى بمعنى الزمان على أرجح الأقوال .

لكن بعضهم أجاز دخول أداة دالة على العموم على أداة عموم مثلها تأكيدا لها أو مغايرة بين العمومين ، نحو قوله تعالى : (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**) . وقول الشاعر :

وكل الذى فوق التراب تراب

وقول شاعر آخر :

كل من فى الوجود يطلب صيدا ..
غير أن الشباك مختلفات

وقول الشاعر أيضا :

كل من فى الكون يشكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

لأن من ، وما ، والذى ، وكذلك التى من الموصولات العامة ، وقد دخلت عليها كل كما ترى فى هذه الأمثلة واذا أعقبت كلما جملة شرطية اتصلت أداة الشرط فيها بالفاء مثل : كلما رأيتك فان لقيتنى بوجه طلق فقرسى هدية لك ، فكل فى هذه العبارة منصوبة أيضا على الظرفية ، ولكن ناصبها محذوف دل عليه لفظ (هدية) المذكور فى جواب الشرط ، وليس ناصبها فعل الشرط (لقيتنى) لوقوعه بعد أداة الشرط (ان) والفاء ، وهما مانعان من عمل ما بعدهما فيما قبلهما . وقد شط بعض النحاة وجانبه الصواب ، فزعم أن كلا فى هذه العبارة وأمثالها مرفوعة بالابتداء ، وأن جملتى الشرط والجواب خبرها ، وأن الفاء فى (فان لقيتنى) دخلت فى الخبر ، مثلها فى نحو قولنا : كل رجل يأتينى فله درهم ، وقدر فى الكلام ضميرين محذوفين ، أى كلما رأيتك فيه فان لقيتنى بوجه طلق بعده أى بعد وقت الرؤية ، لترتبط الصفة بموصوفها والخبر بمبتدئه .

وما قالوه مردود ، اذ لم تأت كل فى هذه العبارة وأشباهها الا منصوبة كما يتضح جليا فى الآيات الكريمة آنفة الذكر ، وكما فى قوله تعالى : (**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**) .

وقول الشاعر

او كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا الى عريفهم يتوسم

وقول عمرو بن الأطنابة :

وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى

فكل فى تلك الأمثلة وسواها لم ترد الا منصوبة كما ترى ومن قال غير ذلك لا يعول على قوله ؟

قياسية المصادر

من أقسام الكلمة العربية الاسم ، وهو قسمان : جامد ومشتق .

فالجامد : مالم يؤخذ من غيره ، فهو قد وضع على صورته الحالية ابتداء ، فليس له أصل يرجع اليه ، وهو : اما ذات واما معنى .

فالذات : ما تقوم بنفسها ، أي تدل على جسم محسوس ، وذلك كأسماء الأجناس مثل : رجل — جمل — شجر — بيت .

والدال على الذات هو اسم العين والمعنى : مايقوم بغيره ، لانه يدل على شيء معنوي محض ، لا وجود له في غير الذهن ، ويدركه العقل ، وذلك مثل : النصر — الضرب — الفتح — الفرح — والدال على المعنى هو المصدر . ومنه يكون الاشتقاق ، وقد يجيء من أسماء الأجناس المحسوسة .

والمشتق : ما أخذ من غيره ودل على ذات وحدث ، فهو يدل على شيئين ، وله أصل ينتسب اليه يقاربه في المعنى ويشاركه في الحروف الأصلية ، كالضارب والمضروب .. الخ .

فالمصدر قسم من قسمي الجامد ، اذ هو اسم المعنى الذي هو أحد قسمي الجامد ، اذن فالمصدر جامد .

وضابطه : هو كل اسم دال على الحدث — اي المعنى المجرد — جار على فعله ، فلا دلالة له على ذات أوزمان أو مكان أو تذكير او تأنيث او تثنية او جمع او علمية ، فلا شيء أكثر من هذا المعنى المجرد ، وهذا هو الغالب الأعم ، لأنه قد يدل على المرة مثل : جال جولة ، قال تعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) — الحاقة ١٣ — أو الهيئة مثل ، جلسة المعتدل مريحة ، قال — صلى الله عليه وسلم — « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » — الترمذي الديات ١٤ ، والنسائي الضحايا ١٢ ، ٢٣ .

والمراد بالحدث : الذي لايستقل ، بل يكون معنى قائما بغيره ، ومعنى جريانه على الفعل : اشتماله على حروف فعله ، لفظا مثل : اكرام ، أو تقديرا بدون تعويض مثل : قتال ، فان ألف الفعل لهذا المصدر — وهو قاتل — وان نقصت منه الا أنها موجودة تقديرا ، بدليل ظهورها أحيانا مقلوبة « ياء » لوقوعها بعد الكسرة — قيتال في نطق لبعض قبائل العرب — وهذا لغة أهل اليمن — أو تقديرا مع التعويض ، مثل : زنة ، فالتاء عوض عن فاء الفعل ، الذي

للدكتور محمد زين العابدين حسن

هو « وزن » ، ومثل : تقديس ، فالتاء عوض عن الدال المكررة في الفعل وهو « قدس » .

والمصادر لها أبنية معروفة في علم الصرف ، ولكن هل هذه الأبنية لها قياس مطرد لا تخرج عنه ولاتحيد ، أو هي سماعية المعول فيها على السماع وممنوع الخروج عليه .

اتفق على أن مصادر الفعل غير الثلاثي — الرباعي والخماسي والسداسي — تسير على نظام معين مستقر ، لايتغير ولايتبدل ، فلها ضوابط قياسية ثابتة لاتحيد عنها ، فمثلا اذا قيل : كل فعل رباعي على « أفعل » مصدره « الافعال » فاننا نرى جميعها مثل : أكرم وأوعد وأفاد وأعطى ، لايخرج مصدرها عن الافعال ، مع قلب أو حذف وتعويض أو ابدال في بعضها ، وكذا اذا قيل : « تفعل » مصدره « تفعل » .

أما مصادر الفعل الثلاثي فقد اختلف العلماء في قياسيتها ، وفي معنى هذا القياس على ثلاثة مذاهب :

(قياسية المصادر)

١ — يرى بعض العلماء أن مصادر الثلاثي لم تجر على أوزان معينة ، بل وردت على أوزان شتى متباينة ، لا ضابط لها ولا قياس يجمعها فهي اذن سماعية نتيجة لهذا ، ويجب أن نقف عند المسموع ، فلو وجد فعل وأردنا معرفة مصدره ، نقف عند نطق العرب فيه ، اذا نطقوا بمصدر له . ولكن اذا ورد فعل وأردنا مصدره، ولم يعلم كيف نطق العرب بمصدره ، فلا مصدر له . ولا يجوز النطق بمصدر له على قياس أمثاله .

ولايخفى ما يستلزمه هذا من التعويق والتعنت ، والوقوف أمام بلوغ اللغة درجة الكمال ، والوفاء بحاجات الانسان المتجددة ، وتعطيل الكثير من الكلمات التى يجوز لنا أن نحصل عليها بالقياس على أمثالها ، وذلك لكثرة أفعال هذا النوع كثرة يتبعها الكثير من المصادر .

٢ — ويرى سيبويه — وتبعه الأخفش — أن مصدر الثلاثي قياسي ، فله ضوابط يخضع لها ولكن هذه الضوابط لايصح استخدامها قياسا مطردا قبل الرجوع الى السماع في مظانه ؛ ويجب الاقتصار على المسموع وحده بعد البحث عنه والعثور عليه ويوقف عنده ، فان لم يوجد سماع تستخدم الضوابط والأقيسة للحصول على المصدر ، بمعنى أنه اذا ورد فعل وسمع له مصدر أخذ به ، لأننا مقيدون بالمصدر الذى نطقت به العرب ، وعرفناه عنهم ، ولا داعى معه لايجاد مصدر جديد لم تنطق به العرب نصا ، أما اذا لم يعلم لهذا الفعل مصدر ، فاننا نأتى بمصدره على الوزن الغالب المقرر في أمثاله لأن كثرة استعمال بناء أى مصدر لأى فعل

قياسية المصادر

مصححة للقياس عليه ، قال سيبويه : « ولكن الأكثر يقاس عليه » ــ الكتاب ٢/٢١٥ .

وقال بذلك ابن مالك ، وذكره الشيخ خالد ــ التصريح ٢/٧٣ ــ والأشمونى ــ حاشية الصبان ٢/٣٠٤ ــ فى كتبهم ، وهذا الرأى هو الذى جرى عليه علماء الصرف واعتمدوه فى كتبهم ..

وتطبيقا لهذا الرأى فالفعل مثلا « علم » لا يأتى مصدره على « فعل » ــ فتح الفاء وسكون العين ــ فيقال : « علم » ، كما هو مقتضى قياس أمثاله ــ وهى الفعل الثلاثى المتعدى ــ لأنه قد سمع فيه « علم » فيؤخذ بهذا المصدر المسموع فى هذا الفعل ، بدون قياس على الوزن الغالب وهو « فعل » .

٢ ــ **ويرى الفراء** : أن مصادر الأفعال الثلاثية قياسية ، ومعنى القياس عنده : أنه يجوز القياس على الكثير الشائع ، سواء أورد السماع به أم بخلافه ، أى يسوغ لنا فى كل فعل ثلاثى أن نأتى بمصدره على الوزن الغالب فى أمثاله ، وان سمع له مصدر على خلاف هذا الوزن ، لأن ماقيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، ويجوز لك استعمال أى المصدرين شئت ، القياسى أو السماعى ان عرفته .

فمثلا « علم » فعل ثلاثى متعد ، وقياس مصدر مثله أن يكون على « فعل » ، فلك أن تقول فى مصدره « علم » ــ بفتح العين وسكون اللام ــ وان كان قد سمع له مصدر آخر هو « علم » بكسر العين وسكون اللام ، ولا يهمل هذا المسموع بل أنت بالخيار فى استعمال القياسى أو السماعى . وتسهيلا وتيسيرا مع كثرة النفع ، ما أجدر الأخذ برأى الفراء لما يأتى :

١ ــ الفراء امام كبير له مكانته اللغوية والنحوية ، يقول فيه ثعلب ــ امام الكوفة فى عصره ــ « لولا الفراء ماكانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها » ــ أنباء الرواه ٤/١٧١ وقيل أيضا : « الفراء أمير المؤمنين فى النحو » ــ المرجع السابق ــ وقيل أيضا : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية الا الكسائى والفراء لكان بهما الافتخار على جميع الناس ــ المرجع السابق وكذلك افتخر به أهل الكوفة ــ المرجع السابق ــ وكذلك قيل فيه « كان ثقة اماما » ــ المرجع السابق ــ وقال فيه الفقيه محمد بن الحسن ــ صاحب أبى حنيفة ــ بعد مناقشة علمية « ما ظننت آدميا يلد مثلك » ــ المرجع السابق ــ وأخيرا قال فيه أستاذه الكسائى ــ رأس المدرسة الكوفية ومؤسسها ــ «الفراء أحسن عقلا ، وأنفذ فكرا وأعلم بما يخرج من رأسه » ــ المرجع السابق ــ وغير ذلك كثير ــ المرجع السابق .

وامام هذه العقلية التى أخذ صاحبها هذه النعوت، والتى ورثت علم الكسائى وأصبح امام الكوفيين بعده ــ لا ضير ولاتثريب اذا أخذ بمذهبه فى قياسية مصدر الثلاثى ، بخاصة اذا كان فى هذا الرأى مايفيد اللغة ومتعلم اللغة .

٢ ــ ما قال به الفراء مستنبط من أكثر الكلام العربى فصاحة وصحة وشيوعا فالعمل بما استنبطه انما هو تطبيق صحيح على ذلك الكثير المسموع ومجاراة سليمة للشائع الوارد عن العرب ، ومحاكاة سائغة لصحيح نطقهم .

وهذا هو معنى القاعدة ، فهي حكم عام مستنبط من الكثير الوارد عن العرب منتزع من الغالب الذى استعملوه ، وعلى ذلك فلا يمتنع عن القياس على ذلك الكثير حين يوجد مايخالفه وأن نقتصر على ذلك المخالف وحده دون استخدام القياس الذى يجرى على نهج المخالفة له ؟ أليس من الاولى أن نعتبره شاذا خارجا عن الكثرة ؟ كما نصف الفاعل حين يكون منصوبا .

٣ ـ قصر القياس على الأفعال التى لم يرد لها مصادر مسموعة ، يقتضينا أن نرجع لكل المظان المختلفة ، ونطيل البحث ، وذلك حتى نطمئن الى عدم وجود مصدر سماعي للفعل كى نستبيح استعمال المصدر القياسى ، وفى هذا من الجهد المضنى والوقت الطويل مالايقدر عليه خاصة الناس ، فكيف الحال مع الذى يطلب تعلم اللغة ؟ ولو أخذنا به قبل استعمال كل مصدر لحملنا أنفسنا مالا نطيق ، ودفعناها دفعا الى الانصراف عن لغتنا ، حتى مع وجود المعاجم هناك جهد ووقت وبخاصة مع المتعلم ، وليس كل مبتدىء أو شاد فى اللغة يملك معاجم أو أحدها ، وليست المعاجم هى مظان السماع وحدها بل هناك الكلام العربى القديم والمأثورات وغير ذلك ، يضاف الى ذلك : أن هذا العمل جهد ضائع وعمل مكرر ، فلقد استنفد ثقات الأئمة والعلماء جهدهم فى استنباط قواعدهم ، وانتزاع أحكامهم من غالب كلام العرب الفصيح فى دقة وأمانة ، وحرص وتمحيص ، فلامكان لايجاب الرجوع الى المسموع قبل استعمال الضوابط والقواعد ، لأن فى الرجوع اضاعة للجهد والوقت ، وتعجيزنا لغير المتفرغين المشتغلين باللغويات ، واهمالا لرأى الثقات من العلميين المتخصصين المتفرغين اهمالا يستحيل معه أن تستقيم أمور اللغة أو يستقر لها وضع صالح واضح .

فدفعا لهذا يؤخذ بما استنبطه ثقات العلماء ويستند اليه ، من غير بحث فى كلام عربى ، أو فى مرجع لغوى أو غيره ولو كان البحث لايكلفنا جهدا ولا وقتا .

وهذا ما درجنا عليه فى التعليم والتعلم، يذكر الفعل وتطبق عليه القاعدة للحصول على مصدره بدون رجوع الى مظان السماع ، تطبيقا لرأى الفراء ، ولم يكن لرأى سيبويه من نصيب سوى السطور التى تكتب تبيانا لرأيه .

٤ ـ لم يقتصر الأمر على الفراء بل جاء بعده غيره ممن له مكانته وقال بمثل ذلك .

كابن جنى ، فهو القائل « ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » ـ والقائل: « ليس كل مايجوز فى القياس يخرج به سماع يجب عليه أن يورد فى ذلك سماعا ، ولا أن فاذا أخذ انسان على مثالهم وأم مذهبهم لم يروبه راوية . » أنظر الخصائص ١/٣٦٢ ، ٣٦٧ .

وقال بقياسية مصدر الثلاثى أيضا الزمخشرى ومكانته معروفة ـ النحو الوافى ٣/١٩٠ .

ونقل عن أبى حيان أنه قال : « انما نبنى المقاييس العربية على وجود الكثرة » ـ الهمع ٢/٢١٧ .

وعلى ذلك تصاغ مصادر الفعل الثلاثى على النهج الغالب فى كلام العرب ، وقد يكون هذا المصدر الذى لم ينطق العرب بلفظه نصا غريبا عن الأسماع ، ولكن هذه الغرابة وتلك الوحشة تزولان بالاستعمال .

ولايتحتم استعمال هذا القليل ، بل يعتبر من

قياسية المصادر

النادر في كلامهم الذى لايقاس عليه ويسمى : مصادر سماعية ، مصادر شاذة ، مصادر قليلة الاستعمال ، أو غير ذلك من الأسماء الدالة على قلتها وندرتها .

ولذلك نظير في مصادر الأفعال الرباعية التى قال الصرفيون بقياسيتها ، فقد قالوا : فاعل مصدره « المفاعلة » و « الفعال » والثانى قليل بالنسبة الى الأول ، ويتعين تركه فيما فاؤه ياء مثل : « ياسر ويامن » ـ أخذ بيساره أو بيمينه ـ وتجب فيه « المفاعلة » فنقول : ميامنة ومياسرة ، ويمتنع أن نقول في مصدره على الوزن الثانى : يمان ويسار بكسر الياء فيهما ـ لثقل الكسرة على الياء في أول الكلمة شذ : ياومه يواما ـ المعاملة بالأيام ـ حكاه ابن سيده ، وحكى مياومة على القياس ـ التصريح ٢/٧٦ .

فنقول في مصدر الثلاثى أيضا : علم مصدره « علم » وشذ « علم » على أنه يجوز استعمال هذا المصدر المسموع مع المصدر القياسى ، فمن شاء استعمال المسموع أو القياسى فله ماشاء، فان استعمال أحدهما مباح ، فورود السماع لا يلغى القياس ، ولايمنع استخدام القاعدة المخالفة له .

ولعل ماسبق كان في ذهن أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فلقد أصدر قرارات في قياسية مصادر الثلاثى فقال : للافعال الثلاثية مصادر تأتى على أوزان شتى ، منها الكثير المشهور ، ومنها القليل المهجور ، فجعل بعض النحويين كثير الورود قياسيا ، وجعل بعضهم جميع المصادر الثلاثية سماعية ، فاختار المجمع المذهب الاول ، وهو مذهب سيبويه والاخفش وابن مالك وكثير ممن تابعهم ، ومنهم الفراء ـ وهو يجيز القياس على جميع المصادر الثلاثية القياسية ولو سمع غيرها من وزن آخر ـ الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها للاستاذ عبد الحميد حسن ص ٢٦ ومابعدها .

ويقول في موطن آخر في تكملة مادة لغوية لم تذكر بقيتها ، كاذا لم تذكر من مادة لغوية في المعجمات ونحوها الا ألفاظها ، كالمصدر أو الفعل او أحد المشتقات الأخرى .

وكل ما تقدم جائز مالم ينص على أن الفعل ممات أو محظور ، ومالم يسمع عن العرب مايخالفه ، فان سمع عملنا بالمسموع فقط ، او عملنا بالمسموع والقياس ـ المرجع السابق ٢٤ ـ ٢٥ .

ويقول الأستاذ عبد الحميد حسن في كتابه « الألفاظ اللغوية ـ خصائصها وأنواعها : فماذا يمنعنا من زيادة أوزان وصيغ نرتضيها في عصرنا وفي عصور قادمة ، مادامت جارية على سمت مانطق به العرب ، ومقيسة على كلامهم (١) » ـ السابق ص ٢٣ .

د/محمد زين العابدين حسن سلامة

---

(١) الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها للأستاذ عبد الحميد حسن .

(٢) تصريف الأسماء للدكتور محمد زين العابدين حسن سلامة .

ينابيع الثقافتين الإسلامية والعربية فى الأندلس قبل العقد

للأستاذ الدكتور احمد النجار

قال لى صاحبى : قد بان لنا مماجمعت فاوعيت من مصادر ومراجع اعتقد منها احمد بن محمد ابن عبد ربه جواهر كتابه ، ونظمها فى سلكه ، استقصاؤك جهد الوسع لاستيعابها ، وتحريك لما اخذ منها ، فتستشرف النفس ما كان من تراث دينى وعقلى وادبى كان للأندلسيين الى عهد تاليفه ، فهلا القيت على تلك الفترة ضوءا تستبين به بعض ملامح هذا الوجه المشرق من الحضارة الاسلامية فى المغرب ؟

فقلت : لعله يكفيك من ذلك الذى طلبت ما أسجله لك ، على قدرى ، مما أعده تعبيرا عن واقع الحضارة الأندلسية فى زمان ابن عبد ربه وما قبله ، وهى حضارة قامت أصلا على مواريث الاسلام والعروبة :

أما الاسلام فقد عنى بتربية المسلم وتهذيبه، وخلف فى نفسه آثارا ثقافية كانت تمتلىء بها جنبات العالم الاسلامى فى شتى المراكز الدينية فى مكة والمدينة ، وخراسان ، والشام ، ومصر والعراق ، وتموج بها نفوس الدارسين من طلاب العلم ، ويملاون الحياة حركة دءوبا فى الجمع والتحصيل والتحرى ، وما ان استقر الأمر للمسلمين بالأندلس ــ وان كانت دائما تغلى غليانا يقصر أو يطول ــ حتى أقبل الأندلسيون يغترفون من معين الثقافة الدينية أول ما اغترفوا ، فالقوم قريبو عهد بما كان عليه الحال فى الشرق ، ولم يزل بهم المنزع الدينى يوجه سلوكهم فى الحياة ، كما لم يزل بينهم من التابعين وأصحاب الأئمة ، وبخاصة أصحاب الامام مالك ، من يعمل على بسط سلطان الفقه تشريعا للدولة الفتية ، والاستعانة بالفقهاء فى مشاركة أولى الأمر توجيه دفة الحكم ماداموا يتمتعون بثقة الناس الذين كانوا يخلعون عليهم وعلى سائر المثقفين وصف (فقيه) ماداموا قد نبغوا فى الفقه وسائر فروع العلم والأدب ،

وكان على الأمراء أن يستمعوا لهم ، وأن يذعنوا لما يفتون به ، خشية ثورة هؤلاء الذين غلب عليهم اقامة الحدود ، وانكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة فى ذلك بانكار التهاون من أصحاب السلطان بخاصة ، ونعلم أنه قد يلج السلطان فى شىء ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعبأون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم ، وهذا كثير فى أخبارهم على ما ذكر المقرى فى كتابه نفح الطيب(١) .

وفى أخبار هشام بن عبد الرحمن ومحمد ابن عبد الرحمن ، وعبد الله بن محمد ما يشهد بقوة سلطانهم وتداخلهم فى كثير مما يتصل بسياسة الدولة ، وخضوع الحكام لهم فى كثير من الشئون الا ما كان من ثورة الحكم الربضى عليهم .

نشاط الحركة الدينية

وقد حفل الأندلس فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بنشاط الحركة الدينية على أيدى أعلام منهم : أبان بن عيسى بن دينار ، وبقى ابن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، ومحمد بن عبد السلام الخشنى ، ويحيى بن عبد العزيز وعبد الله بن يحيى بن يحيى ، ومطرف بن قطيس ومحمد بن عمر بن لبابه ، وأحمد بن خالد ، وقاسم بن أصبغ وغيرهم كثير ممن ملأوا الأندلس فقها وعلما وتحديثا ، محاضرين ومؤلفين ، وقد استعان بهم الأمير محمد ، وعظم شأنهم فى عهد ابنه عبد الله « الذى كان مجلسه قبل الخلافة وبعدها أعمر مجالس الملوك بالفضائل ، وأنزهها من الرذائل وأجمعها لطبقات أهل الآداب والتعالم »(٢) .

وقد ذكر محمد بن وضاح فضل ذلك الأمير فيمن أثنى عليهم وقال عنه : « كان الأمير عبدالله من الصالحين المتقين ، العالمين العاملين ، روى الحديث كثيرا ، وطالع الرأى ، وأبصر العلم ، وتفقه ونظر فى السنن »(٣) وشجع العلماء على ارتياد مناهل الشريعة والدين ، التى ما رغب فيه هؤلاء العلماء أنفسهم من الارتواء منها الى حد الامتلاء ، فشدوا الرحال فى طلب العلم الى مكة والمدينة وبغداد والشام ومصر وبلاد افريقية ، وحرصوا على أن ينقلوا ما علموه ، فجلبوا الى الأندلس كتبا كثيرة تعتبر أصولا فى علوم الدين ، وكان مما حملوه معهم فى عودتهم « الموطأ » للامام مالك ، وكان منهم من يحفظه ، ونقلوا صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند أحمد ، ومسند أبى بكر بن أبى شيبة الذى أثار ثائرة الفقهاء على ناقله « بقى بن مخلد » وهو العالم الذى ملأ الأندلس حديثا ورواية ، فقد حدثوا أن أصحابه الأندلسيين الذين كانوا يتعصبون لرأى الامام مالك الذائع بالأندلس — أنكروا عليه ما أدخله من كتب الاختلاف ،

(١) نفح الطيب ١٠٥/٢ .
(٢) المقتبس ص ٢٤٠ .
(٣) المقتبس ص ٣٦ .

وغرائب الحديث ، حتى انهم أغروا به السلطان وأخافوه به ، ولكن الله أظهره عليهم وعصمه منهم ، فنشر حديثه ، وقرأ للناس روايته ، ومن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس ، وكان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه .

ما انفرد به بقى بن مخلد

وكان مما انفرد به بقى بن مخلد ولم يدخله سواه كتاب فى الفقه للامام الشافعى ، كما وضع بقى أيضا تفسيرا للقرآن الكريم ، وهو الذى قال عنه ابن حزم فى رسالته :

هو الكتاب الذى اقطع قطعا لا استثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره .

وله فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على اسماء الصحابة ، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وأبواب الأحكام ، فهو مصنف ومسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه .

ومصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى اربى فيه على مصنف أبى بكر بن ابى شيبة ، فصارت تاليف هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام لا نظير لها(١) .

شأن التحديث بالأندلس

ثم عظم شأن التحديث بالأندلس أيضا بـ « محمد بن وضاح » الذى شأى شأو بقى بن مخلد فى هذا العلم ، فقد حدث بالأندلس مدة طويلة ، وانتشر عنه به علم جم ، وروى عنه من أهل جماعة مشهورون لهم مكانة وذكر من امثال وهب بن مسرة ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد ابن خالد . وكان قد رحل الى المشرق مرتين ، وطوف فى البلاد طلبا للعلم ، حتى بلغ عدد الرجال الذين سمع منهم فى الأمصار مائة وخمسة وسبعين رجلا ما بين بغداديين ومكيين وشاميين ومصريين وقرويين ، وكان شديد التدقيق فيما يقبل من الأحاديث فى قول ابن الفرضى : « وكان ابن وضاح عالما بالحديث بصيرا بطرقه متكلما على علله ، محتسبا فى نشر علمه ، سمع منه الناس كثيرا ، ونفع الله به أهل الأندلس ، وكان لا يقدم على ابن وضاح أحد فى رأى أحمد بن خالد ، وعرف عنه كذلك أنه كان ممن لا علم له بالفقه ولا بالعربية »(٢) .

نقل التراث النادر الى المغرب

ولم تقتصر عليهما حركة النقل عن المشارقة والرحلة فى تلك الفترة التى صحبت زمان ابن عبد ربه وما قبله ، وانما نشطت أعظم نشاط بهمة طائفة أخرى من العلماء نقلوا ــ فيما نقلوا ــ كتب ابن قتيبة فى علوم الدين ، وكان من أدعية العلم ، وكانوا يتحدثون بفضله ، ويمتدحون بنقل كتبه وروايتها حتى قيل : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة .. وكانوا يقولون : « كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه »(٣) ولهذا اشتهر لديهم

(١) نفح الطيب ١٢٧/٢ الطبعة الازهرية .
(٢) تاريخ علماء الاندلس ٣١٧/١ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٥٧/١١ .

كتابه « تأويل مختلف الحديث » وكتابه « المعارف » وكتابه « الأشربة » وغير أولئك من مصنفاته . كما حملوا معهم الى الأندلس « مسند على بن عبد العزيز » صاحب « أبى عبيد القاسم بن سلام » وهو الذى أخذ عنه « طاهر بن عبد العزيز الرعينى » محدث قرطبة كتبه فى مكة .

كما عرفوا مذهب الطبرى وتفسيره ، ومذهب داود بن خلف الظاهرى وسائر المذاهب التى كان لها بالمشرق صدى عميق ، وأحدثت ألوانا من الصراع الفكرى نجا منه الأندلس الى حينئذ ، ونجد الفكر الفقهى لدى بعض المثقفين قد تحرر من الثبوت عند مذهب الامام مالك الذى ظلت له الدولة والانتشار فى البلاد منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، فقد عرفت كتب الامامين الشافعى وابن حنبل — وكان بقى بن مخلد من كبار أصحابه — ومنذ ذلك العهد رأينا الخلافات التى وقعت بين الفقهاء فى المشرق ، وألفت فيها الكتب تنتقل الى الأندلس ، حتى صار شأن الأندلسيين فى ذلك شأن المشارقة ، فازدهرت الثقافة الدينية ، وعلا شأن رجال الدين حتى قال المقرى فى ذلك :

« وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم ، وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه « بالفقيه » ، وكانوا يقولون للكاتب والنحوى واللغوى « فقيه » لأنها عندهم أرفع السمات »(١) .

وظاهر أن حكم الأمير عبد الله بن محمد ، وهو الفقيه العالم ، وحكم الخليفة الناصر لدين الله، كانا شباب هذه الحركة الدينية ومصدر قوتها وانطلاقها الى آفاق بعيدة .

وقد أعان عليها شيوع الرغبة عند كثير من علماء الأندلس فى الرحلة الى المشرق طلبا للعلم ونقلا للآثار المختلفة فى جميع فروع الثقافة والمعرفة ، حتى وجدنا المكتبات العامة والخاصة تزخر بهذه الكتب وبخاصة فى قرطبة « حيث كانت أفقهم الواسع .. وكانت أكثر بلاد الله كتبا ، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة ، يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب، ليس الا أن يقال : فلان عنده خزانة كتب وما أشبه الليلة بالبارحة » ، والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذى بخط فلان قد حصله وظفر به »(٢) .

كما كان مسجدها الجامع جامعتها الكبرى التى التقت فيها جموع غفيرة من الطلاب من كل جنس وصقع ، وكانت عندهم حرما آمنا يحج الناس اليه ، ولم يكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم

(١) نفح الطيب ١٠٨/٢ .

(٢) المصدر السابق ١٠٢/٤ .



في المساجد بأجرة(١) .

وإذ عظم احترام الدين في النفوس ، وغذيت العقول بمعرفة ما يتصل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — واحتاج الناس الى رجل الدين لحل مشكلاتهم كانت خطة القضاء في الأندلس أعظم الخطط ، ويخضع لها الخفير والأمير بحيث لو توجه الى الأخير حكم حضر بين يدى القاضي — هذا وصفها في زمان بني أمية ..

دراسة التصوف

ثم كان من الظواهر الثقافية المستحدثة في بلاد الأندلس اقبال بعضهم على دراسة التصوف فظهر « ابن مسرة القرطبي » وكان له نشاط فكرى واسع حتى قيل انه باذر بذور التعاليم الافلاطونية الحديثة ممزوجة بتعاليم الاسلام ، واعتزل — وكان الاعتزال في الناس قليلا ، وغير مرغوب فيه ، ومعروف أن المعتزلة كانوا يتسلحون بعلم الفلسفة والمنطق دفاعا عن الاسلام ودحض شبهات المفترين عليه ، ولذلك أقبل على معارفهم ، ودرس مذاهبهم ، ثم تحنث بأخرة واعتزل الناس ، ولكنه لم ينج من اتهامه بالالحاد ، وهو المحدث المشهور وأحد أعلام تلاميذ ابن وضاح ، ومع ذلك ذاعت شهرة « وهب بن مسرة » كمتفلسف ومتصوف بين أهل الأندلس كافة ، وقد قدر لهذه البذرة التى بذرها أن تنمو وتثمر مع الزمان .

وهكذا صارت الأندلس تستضيء بأنوار الهداية الدينية المنبعثة من الشرق ، هناك من مكة وسائر المراكز الثقافية التى دأبوا على الرحيل اليها ، حتى أصبحت تنافسها في بث هذه الأشعة الهادية بالمغرب والمشرق .

يتبع

احمد محمد النجار

(١) المصدر السابق ١٠٦/٢ .

فى حاشية الأمير

— ٣ —

عـدى بن زيد العبادى

اذا اردت أن تزور احدا من حاشية الامير او بطانته فمن اليسير ان تصل الى ماربك فلقصر الامير ابـواب معلومة ولكـل بـاب اسم خـاص بـه ، وقـد كـان طلبنـا (عـدى ابن زيد) وهـو شـاعر جاهلى لـه منزلـة عظيمة يود النـاس لقـاءه والرواية عنـه ، والبـاب الذى حـواه هـو باب « الفاء » ولـه بـاب آخر يمكنك ان تراه فيه هـو باب « لو » .

وقد اخذنا « ابن سلام الجمحى » الى باب الفاء ، فاذا بنا نرى صاحب المغنى يقرر أن من مسائل الفاء « أن تكون زائدة دخولها فى الكلام كخروجها ، وهـذا لا يثبتـه سيبويه ، واجاز الاخفش زيادتها فى الخبر مطلقا وحكى اخوك فوجد ، وقيد « الفراء ، والاعلم » وجمـاعة الجواز بكون الخبر امرا او نهيا كقوله « خولان فانكح فتاتهم » وقوله :

ارواح مـودع ام بكـور
انت فانظـر لأى ذاك تصير ؟ »

وهنا تدخل مولانا محمد الأمير صـاحب الحاشية فقال : « أرواح مودع أم بكور » هو على حد عيشة راضية أى مـودع صـاحبه ، وأنشد السيوطى تتمته « لك فاعمـد لأى ذاك تصير » وعرفنا الأمير بقائل الشـعر على هذا النحو : وهو لعدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب جاهلى فى زمن النعمان كان نصرانيا هو وأهله وليس معدودا من الفحول ، عيب عليـه أشياء .

وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدى بن زيد فى الشـعراء بمنزلة سـهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها . وكذلك عندهم أمية ابـن أبى الصـلت ، ومثلهما عنـدهم مـن الاسلاميين الكميت والطرماح .

وجد عدى أول من سمى من العرب (أيوب) وجده (حماد) أول من كتب من العرب ؛ لأنـه نزل الحيرة فتعلم الكتابة منها . وذكره الجمحى فى الطبقة الرابعة من شـعراء الجاهلية .

وقال هم أربعة فحول شـعراء موضعهم مـن

للأستاذ السيد حسن قرون

الأوائل ، وانما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة : طرفة ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد .

ولابأس على مولانا الامير اذا لم يذكر تاريخ الكتابة هنا ، فقد ذكره فى مكان آخر ، وانما كنا نرجو منه أن يذكر قبيلة الشاعر، وتدنسبته أنا فقلت « العبادى » ولكن هذا يقتضى توضيحا .

وعدى بن زيد نسبه ابن اسحاق الى الحيرة، قال : وكان أحد بنى تميم .

قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس ابن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العباد من أهل الحيرة . وقد ذكره الطبرى بهذا النسب مع اختلاف فى سلسلة النسب . ويرى بعض النساب أنه من ربيعة من (عبد القيس) وعللوا التسمية بالعباد بأنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله توعبد ياليل ففى كل اسم « عبد » وكانوا قدموا على ملك فتسموا له . فقال : أنتم العباد فسموا بذلك . والرأى الأول هو المشهور وأنهم من بنى تميم سكنوا الحيرة (٢) .

ويؤرخ له مولانا الأمير عند الحديث عن « لو » فيقول : انه أول عربى قتل خنقا ، حبسه النعمان بن المنذر فقال عدى :

ابلغ النعمان حنى مالكا
أنه قد طال حبسى وانتظارى

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ولكن النعمان خنقه ، فما كان من ابنه زيد بن عدى الا الانتقام منه فوشى لكسرى بأن النعمان عنده بنات حسان ، فخطب كسرى احداهن فتحيل النعمان فى الرد ، فكتب اليه كسرى أن اقبل ... ورماه تحت أرجل الفيلة فقتله .

ومقتل النعمان كان له أثر سىء فى العلاقة بين كسرى والعرب . والمالكة : الرسالة ، والاعتصار : ازالة الغصة بالماء قليلا قليلا هكذا شرح الشيخ الغصة .

وكان سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ اذا جاءته الاساءة من رجل أحسن اليه وقومه ينشد : لو بغير الماء حلقى شرق .. البيت يعنى أن الغصة تزال بالماء فاذا غص بالماء فكيف يتصرف ؟

ثم نعود الى ماكنا فيه أولا فنقرأ للشيخ الأمير — وقد ذكرنا البيت . أرواح مودع أم بكور ... ؟ — قوله : ومن القصيدة :

ايها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور؟

---

(١) نستميح الكاتب عذرا ، فان الاولية فى هذه الامور غير مقطوع بها . ويكاد يستحيل الوصول اليها اصلا ..

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ .

في حاشية الأمير

ام لديك العهد الوثيق من الايا
م ام انت جاهل مغرور ؟
من رأيت المنون خلد ام من
ذا عليه من أن يضام خفير ؟
اين كسرى : كسرى الملوك انو شر
وان ام اين قبله سابور ؟
وبنو الاصفر الكرام ملوك الرو
م لم يبق منهم مذكور؟
واخو الحضر اذ بناه واذ
دجلة تجبى اليه والخابور
لم يهبه ريب المنون فباد
الملك عنه فبابه مهجور
ثم اضحوا كأنهم ورق جف
فالوت به الصبا والدبور

قال الشيخ : والحضر كان قصرا بحيال تكريت بين دجلة والفرات وأخوه صاحبه « الضيزن بن معاوية » كان ملك تلك الناحية وبلغ ملكه الشام ثم تغلب عليه سابورذو الأكتاف وقتله .

وابن هشام في السيرة النبوية يتوسع في تلك القصة قصة الحضر وصاحبه فيقول في الحديث عن نسب النعمان بن المنذر انه من ولد (ساطرون) والساطرون : الملك بالسريانية ، والحضر : حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قوله :

واخو الحضر اذ بناه واذا دجلة
تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور

والبيت الثاني من الأبيات الثلاثة لم يذكره الشيخ .

وقال الشيخ « فباد » وقال ابن هشام « فبان » وهذا من اختلاف الرواة .

قال ابن هشام : وكان سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين ، فاشرفت بنت ساطرون يوما ، فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست اليه . أتتزوجني ان فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه . وسار بها معه فتزوجها . فبينما هي نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم . قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخ ، ويسقيني الخمر . قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت الى بذلك أسرع . ثم أمر بقتلها وانتهى أمرها .

وهناك روايات فيمن قتلها

خالد بن صفوان

على أن هذه القصة أخذت مكانها في أدبنا الحديث بقصة « ورقة الآس » وقد مثلت ، ولم تنته قصة الحضر وصاحبه عند هذا الحد ،

فيستطرد الشيخ الأكبر راويا عن الأغاني أن خالد بن صفوان (التميمي) توفي سنة ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م وفد على هشام بن عبد الملك توفي سنة ١٢٥ هـ وقد خرج متنزها بقرابته وحشمه وحاشيته وجلسائه وندمائه ونزل في أرض صحصاح في عام قد كثر خيره ، وأخرجت الأرض زينتها من اختلاف ألوانها ، وضرب له سرادق مزخرفة ، وفرشت له ألوان الفرش ، وزينت بأحسن الزينة ، فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، ان ملكا من الملوك خرج في مثل عامنا هذا الى الخورنق والسدير (١) ، وكان قد أعطى بسطة في الملك مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأنفذ النظر فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك . قال : فهل رأيتم أحدا أعطى مثل ما أعطيت ؟ وكان عنده رجل من جلة الحجة ولم تخل الأرض من قائم لله بحجته في عباده .

فقال : أيها الملك ، انك قد سألت عن أمر فتأذن لي في الجواب عنه ؟

قال : نعم . قال :

أرأيت ما أنت فيه : أشيء لم تزل فيه أم صار اليك ميراثا وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ؟

قال : كذلك هو .

قال : فلا أراك عجبت بشيء يسير لا تكون فيه الا قليلا وتنقل عنه طويلا ، فيكون غدا عليك حسابا .

فقال : ويحك فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ وأخذته القشعريرة .

فقال : اما أن تقيم في ملكك لتعمل فيه بطاعة الله تعالى على ما ساءك وسرك ، واما أن تنخلع عن ملكك وتضع تاجك وتلقى عليك أطمارك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك .

فقال : اني متفكر الليلة وأوافيك في السحر فأخبرك احدى المنزلتين .

فلما كان في السحر قرع عليه بابه وقد لبس مسوحه ووضع تاجه ، ولزما الجبل حتى أتاهما أجلهما . وفي مثل ذلك قال عدي : « أيها الشامت ... » الأبيات . فبكى هشام حتى اخضلت لحيته .

وما من شك في أن خالد بن صفوان قصد بما قصه على الخليفة العظة والاعتبار ، وكان ديدنه أن يخوف الحاكم من المصير المجهول ، بل كان يتعرض أحيانا بغمز الولاة حتى يحفظهم عليه ، ويثير نحره ومن ذلك ما وقع له مع (بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) كان اذا مر بلال وهو في المسجد يسأل عن صاحب الموكب ، فيقال له الأمير بلال ، فيقول :

« سحابة صيف عن قليل تقشع » .

وبلغ بلالا ما يقوله ، فأجلس معه من يأتيه بخبره ، ثم مر بلال فردد خالد مقاله ، فقيل ذلك لبلال ، فأقبل على خالد فقال له :

« لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد ، فضربه مائتي سوط ، وقال بعضهم : بل أمر به فديس بطنه . وما قاله خالد حدث وأقصى بلال عن عمله .

وخالد يعد ممن يولعون بكثرة الكلام . قال

(١) الخورنق = قصر بالعراق بناه النعمان، والسدير قصر ايضا والقصة لا تتحدث عن النعمان .

له رجل : انك لتكثر ، فقال : أكثر لضربين : أحدهما فيما لاتغنى فيه القلة ، والآخر لتمرين اللسان ، فان حبسه يورث العقلة .

ويقول : لا تكـونن بليغـا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك ، فانما اللسان عضو اذا مرنته مرن ، واذا أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل اذا عـودت المشي مشت .

والكلام عن خالد بن صفوان قطع حـديث الأمير ، ولذلك عاد يقول : وقال أبو القاسم الزجاجي في أماليه ، حدثني أبو الحسن قال : كان الحجاج بن يوسف (الثقفي) تخوف أن يعـزل عـن العـراق فيتولاه خـالد بن عبد الله بن أسيد ، فلما مات خالد بلغ الحجاج موته ، فقال لسعيد بن عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد وهو عنده : أعلمت أن خالدا قد مات ؟ قال سعيد ـ وهو ابن عم خالد : فأخذني من ذلك ما الله به عالم لتركه بعده وشماتته بموته فلم يلبث أن اخذ في حديث ثم اقبل علي فقال : أي العرب أشعر ؟ فقلت الذي يقول :

أيها الشامت المعير بالمو
ت أ أنت المبرا الموفور ؟

فغضب الحجاج وقال : والله انك لـردىء الجواب . قال يونس : لـو تمنيت ان اقـول الشعر لما تمنيت أن أقول الا مثل قول عدي بن زيد .. « أيها الشامت ... » الأبيات وشـعر عدي بن زيد كان مطلب الخلفاء والأمراء والمتأدبين في العصر الأمـوي وما بعـده حتى عصرنا هـذا وكان المنفلـوطي في قصصه أو وصفه يستخدم قول عدي :

شاده مرمرا وجلله كلسا
فللطير في ذراه وكور

وحسبنا أن الخليفة هشام بن عبد الملك دار في خلده بيت لعدي وهو لا يـدري قـائله ، والبيت :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

فبحث عن راوية يخبره بقائل هذا البيت فدل على حماد الراوية وكان له كارها لانقطاعه الى يزيد بن عبد الملك فأرسل في طلبه من العراق دون أن يفزع ونفقات السفر على الخليفة فلما حضر قال له هشام من قـائل : « فدعوا بالصبوح ... » البيت ؟ فقال لـه : يقوله عدي بن زيد في قصيدة لـه . قـال : فانشدنيها ، فأنشده :

بكر العاذلون في وضح الصبح يقـولون لي أما تستفيق ؟

الى أن قال :

فدعـوا بالصبوح يومـا فجـاءت
قينة في يمينها ابـريق
قـدمته على عقـار كعين الد
يـك صفى سلافها الراووق
ثم كـان المـزاج مـاء سـماء
غير مـا آجن ولا مطـروق

وكان أن أنعم عليه بعشرة بدر وجاريتين ، فاذا عد عدي مع أمية بن أبي الصلت والطرماح والكميت ، واذا عده ابن سـلام الجمحي في الطبقة الرابعة فذلك لا ينزل من قـدره ، لأن شعره يكتب ويحفظ ويروى ويتمثل به ولو نشأ

فى بيئة الشعر نجد والحجاز لأتى بالعجب العجاب ، وقد أطلنا فى الحديث عنه لأن الأمير أراد ذلك ونحن فى خدمة الأمير .

(العرجى الشاعر)

وقال أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى :

أنا اقودكم الى باب آخر من الحاشية وسترون منظرا أنيقا ومجلسا رشيقا فيه المساجلة وتبادل أطراف الحديث فى حذق ولباقة ، فهيا بنا نحو مجلس الخليفة الواثق بالله .

وهنا صاح ابن السكيت : دعونا من الواثق وخذوا فى الحديث عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فحديثه أشهى .

فقال أبو الفرج : أنت يا يعقوب لم تنس ما جرى لك من بنى العباس فسيكون لك ولابن رواحة مجلس آخر .

واختلف الأئمة واختلافهم رحمة ، واستقر الأمر على رأى أبى الفرج ، وقالوا : ماذا عند الواثق ؟ ودخلوا الباب (١) فى رغبة ورهبة ، وهنا قال مولانا الأمير : الحكاية تتصل بقول العرجى :

أظلوم ان مصابكم رجلا
رد السلام تحية ظلم

غنته جارية بحضرة الواثق ، فاختلف الحاضرون فى نصب « رجل » ورفعه ، وقال اليزيدى بالرفع كما حكى المغنى وأصرت الجارية على النصب ، وزعمت أنها قرأته على أبى عثمان المازنى (النحوى) كذلك ، فأمر الواثق باشخاصه من البصرة ، فلما حضر أوجب النصب ، وشرحه بأن « مصابكم » بمعنى اصابتكم « ورجلا » مفعول له و «ظلم» الخبر ولا يتم المعنى الا به ، واستحسن الجواب الواثق ثم أمر له بألف دينار ورده مكرما .

ولم يكتف الأمير بما ذكر ، فعرفنا بالواثق بأنه هو أبو جعفر هرون بن محمد المعتصم ابن هرون الرشيد ــ بويع بالخلافة بعد موت أبيه وسنه ست وثلاثون سنة ، وكان شجاعا مسرفا فى التمتع بالنساء حتى أنه أكل لذلك لحم الأسد فولد له أمراضا تلف منها ، أديبا من شعره فى واقعة حال :

حياك بالنرجس والورد
معتدل القامة والقد
فالهبت عيناه نار الجوى
وزاد فى اللوعة والوجد
تكلت بالملك وصالا له
فصار ملكى سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده
فانصفوا المولى من العبد

فأقام خليفة خمس سنين وتسعة أشهر ومات يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذ واستل عينيه وأكلهما ، فسبحان العزيز المتعال الذى بيده الملك لا يزول ولا يزال ،

(١) الباب الخامس من الكتاب فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على العرب من وجهتها .

كذا في تاريخ الاسحاقي .

وخبر أكل الجرز عينيه لم اقراهما الا في الحاشية لأني لم أقرأ تاريخ الاسحاقي .

وابن عبد ربه في « العقد الفريد » يروى عنه أنه كان مولعا بأكل الباذنجان يطلبه ولا يسأمه . وحكاية أنه أكل لحم الأسد غريبة ، والواثق قيلت فيه حكايات كما قيلت في جده هرون الرشيد وهو براء منها .

ويهمنا ما جرى منه لأبي عثمان المازني فقد قدر العلم وفضله ، ونحن في حاجة اليوم لتشجيع القائمين بدراسة اللغة العربية في المدارس ، فالضعف ظاهر فيها وقد يصل ذلك الى طلبة الأزهر .

يقول الأمير : في السيوطي انه قال لأبي عثمان : ألك ولد ؟ فقال : بنية ليس غير . قال : فما قالت حين ودعتها . قال : أنشدت قول الأعشى :

تقول ابنتي حين جد الرحيل
أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا
فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلاد
نجفى وتقطع منا الرحم

قال الواثق فما قلت لها ؟ قال : قلت ما قال جرير (يمدح عبد الملك بن مروان) :

ثقي بالله ليس له شريك
ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : ثق بالنجاح ان شاء الله تعالى . ان ههنا قوما ما يختلفون الى أولادنا فامتحنهم ، فمن كان منهم عالما ينتفع به ألزمناه اياهم ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه ، قال أبو عثمان : فجمعوا الى فامتحنتهم فما وجدت طائلا ، فحذروا ناحيتي . فقلت : لا بأس على أحد . فلما رجعت ، قال : كيف رأيتهم ؟ فقلت : يفضل بعضهم بعضا وكل يحتاج اليه ، فقال لي : اني خاطبت منهم أحدا فكان في نهاية الجهل في خطابه . فقلت : يا أمير المؤمنين : أكثر من تقوم منهم بهذه الصفة ، ولقد أنشدت فيهم :

ان المعلم لا يزال ضعيفا
ولو ارتقى فوق السماء بلواد
من علم الصبيان أصبوا عقله
حتى بنى الأمراء والخلفاء

وهذا رأي في معلم الصبيان أكثر منه الجاحظ حتى جعله لا تقبل شهادته ، وان كنا نخالفه لحاجة النشء اليهم .

قالوا لقد حدثتنا عن الجارية وأبي عثمان والواثق ولم تحدثنا عن القاتل . وهنا أومأ مولانا الأمير الى ما سجله قبلا في الجزء الأول في الكلام عن (كل) قال صاحب المغني ومن توكيد الفكرة بها قوله :

تلبث حولا كاملا كله
لا تلتقي الا على منهج

قال الأمير : « منهج » أي طريق مارين ، فهو عتاب ، وصدر القصيدة :

عوجي علينا ربة الهودج
انك ان لم تفعلي تحرجي

وهو للعرجي ، وهو عبد الله بن عمرو الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يكنى

أبا عمرو وأبا عثمان (١) توفي سنة ١٢٠ هـ لقب بالعرجي ، لأنه كان يسكن (عرج الطائف) وقيل : لمال كان له بالعرج ، وكان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل ، ونحا نحو ابن أبي ربيعة مشغوفا باللهو والصيد غير مبال ، فلم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر جميل الوجه من الفرسان المحدودين .

ذكر أن حبشية كانت بمكة ظريفة فلما أتاهم نعي ابن أبي ربيعة اشتد جزعها وجعلت تبكي وتقول : من لنساء مكة يصف حسنهن وجمالهن فقيل لها : خفضي عليك فقد نشأ فتى من ولد فتى يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت أنشدوني من شعره فأنشدوها (فقالت : الحمد لله الذي لم يضيع حرمه ومسحت عينيها .

وقيل كانت العرب تفضل قريشا في كل شيء الا الشعر ، فلما ظهر فيهم عمر بن أبي ربيعة (المخزومي) والعرجي (الأموي) وعبد الله بن قيس (الرقيات العامري) والحارث بن خالد المخزومي وأبو دهبل (الجمحي) أقرت لها العرب بالشعر أيضا .

أخرجه في الأغاني عن يعقوب بن اسحاق (السكيت) .

وختم كلامه عن العرجي بنادرة يعف القلم عن ذكرها .

وما سجله الأمير سجله شارح « الحماسة » لأبي تمام حين روى شعرا للعرجي ، والأمير وشارح الحماسة متماثلان في تدوين سيرة الرجل ، ولا أدري كيف يكون من الفرسان المحدودين ثم يكون خاملا في قومه لا نباهة له ، وفي رأيي أن قومه بني أمية سبب خموله فقد آذوه حتى قال :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر ؟
كأني لم أكن فيهم وسيطا
ولم تك نسبتي في آل عمرو

وتاريخ أبناء عثمان رضي الله عنه وأحفاده مليء بالتنكر لهم سواء على عهد خلافة بني أمية أو خلافة بني العباس الشعر الذي جاء في المغني وعلق عليه الأمير له قصة ذكرها المبرد في الكامل قال :

لقي ابن أبجد عطاء بن رباح وهو يطوف فقال : اسمع صوتا للغريض ، فقال له عطاء : أفي هذا الموضع ؟ فقال ابن أبجر : ورب هذه البنية (الكعبة) لتسمعنه خفية أو لأشيدن به ، فوقف له ، فتغنى :

عوجي علينا ربة الهودج
انك ان لا تفعلي تحرجي
اني أتيحت لنا يمانية
احدى بنات الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله
لا نلتقي الا على منهج
في الحج ان حجت وماذا منى
وأهله ان هي لم تحجج

فقال له عطاء : الكثير الطيب ياخبيث .

وهذا يعطينا دليلا ناصعا على منزلة شعر العرجي ، وأنه مقروء يغنى به ، ويتمثل ببعضه في المواقف الجليلة وانتهت جولة الأدباء والشعراء واتفقوا على القيام بجولة أخرى في موعد يحدد قريبا .

---

(١) جاء في « شرح الحماسة » هو عبد الله ابن عثمان بن عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو الصحيح .

القرآن الكريم

والتوراة والانجيل والعلم

— ١ —

« القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » عنوان لكتاب الفه الطبيب الفرنسى « موريس بوكاى » Maurice Bucaille أحد الذين عنوا بالدراسات العلمية ومقابلتها بالكتب المقدسة . وقد ترجم الكتاب الى عدة لغات عن النص الفرنسى وقامت دار المعارف بمصر بنشر الترجمة العربية التى بين ايدينا .

والكتاب يهدف — كما كتب تحت عنوانه — الى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة .

وقد احتوى على مقدمة تلتها دراسة عن التوراة ، ثم دراسة عن الأناجيل الأربعة ، وشغلت كل من هاتين الدراستين مع المقدمة الى ص ١٣١ . وجاء باقى الكتاب دراسة عن القرآن الكريم والعلم الحديث حتى ص ٢٨٦ ، ومن ثم فان الحديث عن القرآن الكريم وحده قد شغل الجانب الأكبر من الكتاب ، وهو الجانب الذى سوف يكون موضع وقوفنا مع المؤلف فيما عرض له من أفكار ، مع ما قد نجد فى الدراستين الأخريين مما يتصل بالقرآن الكريم .

— ٢ —

أما المقدمة فان المؤلف يعرض فيها لموقف أصحاب كل دين من بقية الأديان ، من حيث الاعتراف بالرسالة الأخرى ، وفى هذا يذكر أن اليهودية تنكر كل وحى بعدها ، فلا تؤمن بالمسيحية ولا بالاسلام ، أما المسيحية فانها قد اعتمدت التوراة العبرية ، وان كانت قد زادت عليها بعض الاضافات ، لكنها لا تعترف باى وحى جاء بعد المسيح ، ولذلك فهى تستبعد القرآن .. اما الاسلام وقد جاء بعد المسيح بستة قرون فانه يذكر التوراة والانجيل والقرآن يوصى كل مسلم بالايمان بالكتب

تأليف: موريس بوكاى

عرض وتعليق

أ.د. طه مصطفى أبو كريشة

السابقة ، مؤكدا المكانة البارزة التى يحتلها رسل الله فى تاريخ التنزيل مثل نوح وابراهيم وموسى والأنبياء خاصة المسيح الذى يحتل مكانة بارزة بينهم .

ويعترف المؤلف بأن كثيرا من المعارف التى جاء بها القرآن الكريم عن التوراة والانجيل وسائر الرسالات السابقة ، مجهولة عموما فى البلاد الغربية ، ومرد ذلك الى الطريقة التى اتبعت فى تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الانسان ، حيث فرض عليهم الجهل فى كل ما يمس الاسلام .

ومن أمثلة المعارف الخاطئة التى تكونت نتيجة لهذا الجهل المفروض اطلاق الغربيين على الاسلام اسم « الدين المحمدى » ، وعلى المسلمين اسم « المحمديون » وذلك حتى تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطىء بأن معتقدات الاسلام هى معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل ، وليست وحيا من عند الله .

كذلك يسجل المؤلف مظهرا من مظاهر العصبية الموجودة لدى بعض الأوساط المسيحية ، وهو ما يتمثل فى احتقار المسلمين ، وعدم التسليم بقبول اجراء أى حوار حول عدد من الأخبار المذكورة فى القرآن والتوراة معا فى موضوع واحد ، كان الرجوع فى ذلك الى القرآن يعنى الاعتماد على الشيطان .

ومع هذا فان المؤلف يشير الى بعض المحاولات التى بذلت من قبل جهات معينة فى الغرب لتصحيح الأفكار الخاصة عن الاسلام ، ولتخفيف حد التعصب التى بنيت على مفاهيم مغلوطة لا شك فيها .

ويتوقف المؤلف عند توثيق النصوص الخاصة بكتب كل من الأديان الثلاثة ، وفى هذا المجال يذكر أن هناك فرقا جوهريا بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، مشيرا الى فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية فى حين أن الاسلام لديه القرآن الذى هو وحى منزل وثابت معا .

فالقرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — عن طريق جبريل ، وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان ، وقد رتب فى سور بأمر من محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وجمعت هذه السور بعد وفاة النبى عليه الصلاة السلام وفى خلافة عثمان رضى الله عنه ، ذلك لتصبح النص الذى نعرفه اليوم .

اما الكتاب المسيحى المقدس فان المؤلف يذكر انه يختلف بشكل بين عما حدث فى الاسلام ، فالانجيل يعتمد على شهادات

● القرآن الكريم

بشرية متعددة ، وغير مباشرة ، ولا توجد شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهذا خلافا لما يتصوره كثير من لمسيحين ، كذلك يذكر أن الكنيسة قد صنعت منذ قرونها الأولى وبشكل نهائى بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيل فى كثير من النقاط .

أما عن النظر فى الكتب المقدسة ، ومقابلة نصوصها بحقائق العلوم الحديثة فان المؤلف يسجل أن النتائج التى انتهت اليها هذه الدراسة أثبتت أن القرآن الكريم يشير وقائع ذات صفة علمية ، وهى وقائع كثيرة جدا خلافا لقلتها فى التوراة ، اذ ليس هناك أى وجه للمقارنة بين القليل جدا لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية ، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية فى القرآن ، وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية .

ويقدم المؤلف هنا توضيحا لما يقصده بحقائق العلم ، اذ يؤكد أننا عندما نتحدث عن حقائق العلم فاننا نعنى بها كل ما ثبت منها بشكل نهائى ، مع استبعاد كل نظريات الشرح التى قد تفيد فى عصر ما لشرح ظاهرة ، ولكنها قد تلغى بعد ذلك تاركة المكان لنظريات أخرى أكثر ملاءمة للتطور العلمى .

كذلك فانه يحدد اطار دراسته ، اذ يخصه بالظاهرات الطبيعية المتنوعة الكثيرة ، دون محاولة الاقتراب من القضايا ذات الصبغة الدينية البحتة .

وفيما يخص التوراة والانجيل والحقائق العلمية ، فانه يذكر أنه من خلال دراسة موضوعية لسفر التكوين وجد مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا .

كذلك وجد الأمر فيما يتصل بالاناجيل .

وهنا يشير الى أن هذه الأمور المتناقضة تقع المسئولية فيها على البشر ، اذ لا يستطيع أحد أن يقول :

كيف كانت النصوص الأصلية ؟

وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها ؟ .

أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص ؟ .

أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة ؟ .

وذلك أمر يتجاهله المتخصصون فى دراسة النصوص .

ويخلص المؤلف فى مقدمته الى الاشارة الى عناية الاسلام بالعلم حيث اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان ، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التى أمر بها الاسلام ، وأن تطبيق هذا الأمر أدى الى ذلك الازدهار العظيم للعلوم فى عصر الحضارة الاسلامية ، التى اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة فى أوربا .

— ٢ —

ونعبر حديث المؤلف التفصيلى عن التوراة والانجيل بعد المقدمة لنتعرض حديثه عن القرآن والعلم الحديث اذ أن هذا هو الذى

قصدنا اليه من البداية وهو ما يعنينا فى المقام الأول .

يبدأ المؤلف حديثه عن ذلك بافتتاحية يقدم فيها لمحة عن الاسلام الذى طالما أسىء فهمه فى بلاد الغرب نتيجة للجهل حينا وللتسفيه العامد حينا آخر ، ذلك الذى يقدم الواقع بشكل ينافى الحقيقة ، وهو أمر يصيب الانسان بالذهول خاصة عندما يقرأ فى أكثر المؤلفات جدية أكاذيب صارخة من مؤلفين مشهود لهم بأنهم مؤلفون أكفاء .

ومن أمثلة التشويه المتعمد عند هؤلاء المؤلفين ما ذكروه عن القرآن حين اعتبروه سيرة ذاتية !!

ويرد المؤلف على هذا التضليل بقوله : « لا صلة بين القرآن وبين ما يسمى بالسيرة الذاتية ، ولو كان القائل بذلك قد استعان حتى بأسوأ ترجمة للقرآن لتبث له أن القرآن رسالة .. ان نشر أكاذيب من هذا النوع يساهم فى اعطاء صورة زائفة عن القرآن والاسلام » (١٣٦) .

ومما قدمه المؤلف فى التعريف بالاسلام موقفه من العلم .

فموقفه موقف فريد بين أتباع الأديان ، اذ أن هناك من العلماء من لاقوا مصاعب جمة من السلطات الدينية لبعض الأديان ، وقد اتخذت هذه السلطات ضد هؤلاء العلماء اجراءات متشددة ، أدت ببعضهم الى المنفى تلافيا للموت حرقا ، أو الى طلب المغفرة بتعديل مواقفهم وبالتماس العفو .

أما فى الاسلام فقد كان الموقف مختلفا ، اذ ليس هناك أوضح من الحديث الشهير للنبى — صلى الله عليه وسلم — الذى يقول ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (١) .

والقرآن الكريم يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم .

وفوق هذا فانه يحتوى على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية ، وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث ، وليس هناك ما يعادل ذلك فى التوراة والانجيل .

وفى مجال الواقع التطبيقى يذكر المؤلف أنه فى عصر عظمة الدولة الاسلامية فيما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الاسلامية ، حيث كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة ، ومن شواهد ذلك ما كان فى قرطبة من نشاط علمى عظيم أدى الى أن يسافر اليها كثير من طلاب العلم من مختلف بلاد أوربا مثلما يحدث فى عصرنا من السفر الى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات .

ثم يعقب المؤلف ما عرضه من أوجه النشاط العلمى بقوله :

« كم هى كثيرة تلك المخطوطات القديمة التى وصلت الينا بواسطة الأدباء العرب ، ناقلة بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحة . ولكم نحن مدينون للثقافة العربية فى الرياضيات وعلم الفلك والبصريات والجيولوجيا وعلم النباتات والطب .

(١) كذا .. ولم يقع لنا فى الصحيح زيادة « ومسلمة » مجلة الأزهر .

القرآن الكريم

لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الاسلامية ، في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا ، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين » (١٤١) .

أما العالم المسيحي في تلك الفترة من القرون الوسطى فقد كان في ركود وتزمت مطلق ، حيث توقف البحث العلمي بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل .

وفي هذه الافتتاحية يتعرض المؤلف للأفكار الخاطئة عن الاسلام لدى الغرب ، ويذكر الأسباب التي أدت اليها ، ويتوقف فيها عند دور الترجمات المغلوطة للقرآن الكريم ، مشيرا الى أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة ما كان مرتبطا بمعطيات العلم ، قد ترجم بشكل سيء ، أو علق عليها بحيث يكون من حق العالم أن يوجه انتقادات لا يستحقها القرآن في الواقع ، ثم يتساءل عن السبب في أخطاء تلك التراجم ، ويجيب بأنها ترجع الى أن المترجمين المحدثين يستعطون في أحيان كثيرة ودون روح نقدية تفسيرات لمعلقين قدامى ، لم يستطيعوا في عصرهم أن يعطوا المعنى اللفظي للكلمة أو الجملة ، فهناك من المعاني ما لم يظهر الا في أيامنا بفضل معارفنا العلمية .

ويسجل المؤلف تجربته الخاصة مع القرآن الكريم فيمايتصل بالجانب العلمي ، ويذكر أن دهشته كانت عميقة لما اكتشفه في القرآن الكريم من الجوانب العلمية ، اذ لم يعتقد قط أنه من الامكان اكتشاف عدد كبير الى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماما للمعارف الحديثة ، وذلك في نص كتاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . كما يذكر أنه قد درس هذه النصوص القرآنية بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة ، وقد أذهلته دقة بعض التفاصيل الخاصة بالظواهر الكونية ، من حيث مطابقتها للمفاهيم المعروفة عن نفس هذه الظواهر اليوم ، والتي لم يكن ممكنا لأي انسان في عصر محمد — صلى الله عليه وسلم — أن يكون عنها أدنى فكرة ، وهنا يخرج المؤلف بتساؤل يقرر فيه حقيقة مصدر القرآن الكريم :

« لو كان كاتب القرآن انسانا ، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟ ليس هناك أي مجال للشك ، فنص القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو نفس النص الأول ... واذن فليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض المعلومات » (١٤٥) .

ويدفع المؤلف تلك الشبهة التي تثار والتي سجلها القرآن الكريم ، وهي أن يكون محمد — صلى الله عليه وسلم — قد استلهم الكتب السابقة وفي سبيل دفعها يقول .

« ان اليهود والمسيحيين والملحدين في الغرب يجمعون على الزعم — وذلك دون أدنى

دليل ـ بأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب أو استكتب القرآن محاكيا التوراة ،

ويزعم البعض ان هناك أقوالا قرآنية في التاريخ الديني تعيد أقوال التوراة والانجيل ، فمثل هذا الموقف لا يقل استخفافا عن ذلك الذي يقود الى القول بأن المسيح أيضا قد استلهم العهد القديم في أثناء تبشيره ، فكل انجيل حتى يعتمد على تلك الاستمرارية مع العهد القديم ، فمن ذا الذي تعن له فكرة أن ينزع عن المسيح صفته كرسول لله لنفس السبب ؟ ، ومع ذلك فهكذا يحكم في الغرب على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غالب الاحيان يزعمون أنه لم يفعل أكثر من أن نقل التوراة والانجيل !!

ومن الغريب انهم حين يزعمون ذلك ينسون أو يتناسون أن هناك اختلافا في الروايات عن نفس الحدث الواحد ، ثم ينكرون انها متماثلة مؤكدين ما يذهبون اليه من شبهة النقل » (١٤٩) .

ويعود المؤلف بعد ذلك ليؤكد صحة القرآن التي لا تقبل الجدل ، مما يعطيه مكانة خاصة بين كتب التنزيل .

ولايشترك مع القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد .

فالعهد القديم تعدد كتاب روايته بالاضافة الى تعدد المراجعات .

وأما فيما يخص الاناجيل فلا يستطيع أن يجزم بأنها تحتوى دائما على رواية أمينة لرسالة المسيح أو على رواية تامة لأعماله تتفق بدقة تامة مع الواقع ، وزيادة على ذلك فكتاب هذه النصوص ليسوا شهود عيان .

ويختلف الامر بالنسبة للقرآن ففور تنزيله أولا بأول ، كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يحفظونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة من صحبه يدونونه ، واذن فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصرى الصحة هذين اللذين لا تتمتع بهما الاناجيل .

ويتتبع المؤلف النصوص التي تؤكد تدوين القرآن الكريم ومراجعته ، كذلك يتتبع المراحل التي ، انتهت بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد على النحو الذى بقى عليه الى اليوم ونظامه هو النظام الذى اتبعه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تلاوته الكاملة له أيام شهر رمضان .

ـ ٤ ـ

ويأخذ المؤلف بعد ذلك في عرض الظواهر الكونية التي عرض لها القرآن الكريم مقارنا في بعضها بين مايأتي في القرآن الكريم وماجاء في التوراة ومن ذلك خلق السموات والارض ومراحل الخلق ، ويستعرض في سبيل ذلك كثيرا من الآيات القرآنية التي يعقب عليها في نهاية العرض بأنها تعلمنا ـ فيما يتعلق بالخلق وجود ست مراحل للخلق عموما ، وتداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الارض ، وان الكون خلق ابتداء من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة ، هذا مع تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الارض ، ووجود خلق وسيط بين السماوات والأرض .

ثم يأخذ في سرد ما وصلت اليه مكتشفات العلم الحديث سواء ما كان منها على جهة

اليقين أو على جهة الحدس والتخمين ، وينتهى من ذلك الى تأكيد انه لا يوجد على أى حال أقل تعارض بين المعطيات الخاصـة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون ، وذلك أمـر يستحق الالتفات اليه فيما يخص القـرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم قد أعطى هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلميـة .. ومثل هذا الاختلاف بين رواية التوراة وبين المعطيات القرآنية عن الخلق جـدير بالتنـويه أمام الاتهامات التى تقول ان محمـدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد نقل روايات التوراة ، وهى اتهامات لا تتمتع بأى أساس ، فالقرآن يعطى عن الخلق رواية تختلف تماما عن رواية التوراة»

ــ ٥ ــ

وينتقل الكتاب من تلك البداية الســابقة الى العرض المستفيض للآيات القرآنية التى تدعو الى التأمل فى خلق السموات والأرض .

(أ) فمن ذلك التأملات العامة فى السماء ، فى مثل قوله تعالى « أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ» (ق ٦) وقوله تعالى « وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (الحج ٦٥) ويعقب على هذه الآية بقوله « كلما تباعدت الاجرام وهنت قوة جذب كل منها للاخـرى ، وكلمـا تقاربت كان لكل منها تأثير على الاخرى ، وتلك حالة القمر ، فهو لقربه من الارض يؤثر بقوة الجاذبية على موقع الماء فى البحار ومن هنـا تجىء ظاهرة المد والجـزر ، وان التقـارب الشديد بين جرمين سماويين يؤدى لا محالة الى اصطدامها ، ومن ثم فالقرآن كثيرا مايذكر خشوع السماوات لأمر الله » (١٧٩) .

(ب) ويتوقف عند الآيات الخاصة بالشمس والقمر والتى تفرق بين طبيعة كل منهما ، ومن ذلك قول الله تعالى « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا » (نوح ١٥ ــ ١٦) .

ويعقب على وصف كل منهما بالصفة المذكورة بقـوله « المعـروف أن الشـمس نجم ينتج باحتراقه الداخلى حرارة شديدة وضوءا ، على حين أن القمر ليس مضيئا بذاتـه ، بـل هـو يعكس الضوء الذى يستقبله من الشمس ، كما انه كوكب خامل .. واذن لا شىء فى القـرآن يناقض كـل ما تعـرف عن هـذين الجرمين السماويين » (١٨٠) .

(جـ) أما النجوم فان القرآن الكريم يصفها بكلمة « ثاقب » فى قول الله تعالى « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ » (الطارق ١ ــ ٢ ــ ٣) وهو وصـف يدل على ما يلتهب ويحترق وينفذ عبر شىء وهو ظلمات الليل (١٨٠) .

(د) والكواكب ليست منيرة بذاتها ، انهـا تدور حول الشمس وأرضنا جزء منها ، وتعريف الكوكب يمكن أن يؤخذ من دلالة الآية الكريمة « اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ » (النـور ٣٥) فالمقصـود هنا فعلا سقوط ضوء على جسم

يعكسه الزجاج ، ويعطيه بريق الدر ، مثل الكوكب الذى تضيئه الشمس ، وذلك هو التفصيل الوحيد الخاص بكلمة الكوكب ، والذى يمكن أن نجده فى القرآن (١٨١) .

(هـ) وعن النظام الشمسى يذكر المؤلف أن هناك آيتين فى غاية الأهمية ، تخصان مدارى الشمس والقمر وهما قوله تعالى « وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (الانبياء ٣٣) .

وقوله تعالى « لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (يس ٤٠) .

فالقرآن يذكر بوضوح أمرا جوهريا وهو وجود مدار لكل من الشمس والقمر كما يشير الى تنقل هذين الجرمين فى الفضاء كل بحركة خاصة ويذكر المؤلف أن كلمة فلك قد حيرت المفسرين القدامى فى المراد بمعناها وذلك يوضح الى أى حد كان الناس عاجزين عن تمثل فكرة المدار الشمسى والمدار القمرى وعلى هذا نرى أن القرآن الكريم قد قدم فى عصر نزوله مفهوما جديدا لم يتضح تمام الوضوح الا بعد قرون عدة (١٨٤) .

(و) وفى ظاهرة تعاقب الليل والنهار يذكر المؤلف من الآيات قوله الله تعالى : « يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا » (الأعراف ٥٤) وقوله تعالى : « وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » (يس ٣٧) .

وقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ » (لقمان ٢٩) .

وقوله تعالى « يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ » (الزمر ٥) ويتوقف عند هاتين الآيتين الأخيرتين بالتعليق فيقول « القرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التى لا تكف أبدا للنهار والليل وهى اليوم يسيرة على الادراك الانسانى ، فنحن نملك اليوم خبرة فكرية عن الثبوت النسبى للشمس التى هى مضيئة دائما ، وعن دوران الأرض ، هذه العملية الدائمة فى التكور مع الولوج المستمر لقطاع فى آخر ، يعبر القرآن عنها وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم فى عصر تنزيل القرآن وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد ١٨٩ .

(ز) وتحت عنوان « تطور العالم السماوى يقف المؤلف عند قول الله تعالى : « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » (يس ٣٨) وقوله تعالى « وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » (الرعد ٢) وقد تكرر ذلك فى آيات كثيرة ، ويعقب المؤلف بأن القرآن هنا يعطى حدا لتطور الشمس ومكانا لوصولها وهو يحدد أيضا نهاية شوط القمر ، ثم يتساءل : كيف تبدو المقابلة بين ما أثبته القرآن وبين المعطيات التى أقرها العلم الحديث ؟ ويجيب بأن المعطيات الحديثة تسمح بالتنبؤ بأنه بعد عدة مليارات من السنوات لن تكون ظروف النظام الشمسى على ما هى عليه اليوم ، قياسا على التحولات الماضية التى حدثت فى تكوين

القرآن الكريم

الشمس . وكما حدث بالنسبة لنجوم أخرى سجلت تحولاتها حتى المرحلة الأخيرة فانه يمكن توقع نهاية للشمس .

وفيما يتصل بكون «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» يذكر المؤلف أن علم الفلك الحديث يحدد بشكل كامل هذا المكان ، بل لقد أعطاه اسم « مستقر الشمس » . Apex Solair

والواقع أن النظام الشمسى يتحرك فى الفضاء نحو نقطة فى فلك ، وقد أمكن تحديد سرعة هذه الحركة وهى تقريبا ١٩ كم ثانية . ان تلك الآيتين تتطابقان تماما فيما يتضح مع المعطيات العلمية الحديثة . (١٩٢) .

(ح) وعن توسعات الكون يورد المؤلف قول الله تعالى « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » (الذاريات ٤٧) مرجحا احتمال تفسير التوسعة بما وصل اليه العلم الحديث من خلال دراسات طيف المجرات ، حيث لوحظ الانتقال المنهجى نحو اللون الأحمر من الطيف ، وهذا يجد تعليلا له فى تنحى المجرات كل عن الأخرى ، وعلى ذلك فامتداد الكون لا يكف عن الكبر ، وهذا الاتساع على أهمية كبرى خاصة وأن المجرات تبتعد عنا .

(ط) وعند قول الله تعالى « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ » الرحمن ٣٣ .

وقوله تعالى « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » (الحجر ١٤ ـ ١٥) يشير المؤلف الى ما تم من انجازات فى غزو الفضاء نتيجة للتقدم العلمى الذى حول الأحلام الى حقائق .. وفيما يتصل بالآية الأولى فان المؤلف يذكر أن هذه الآية تشير الى امكانية البشر ذات يوم بأن يحققوا ما نسميه فى عصرنا ـ ربما بشكل غير محدد ـ بغزو الفضاء ، مع ملاحظة أن النص القرآنى لا يتنبأ فقط بالنفاذ عبر السموات فقط ، وانما يتحدث أيضا عن النفاذ عبر مناطق الأرض حيث استكشاف الأعماق .

أما آيتا الحجر فانهما تشيران الى حدث لن يشهده من كفر بمكة ، ولكن هناك آخرين سيعيشون هذا الحدث ، كما تبين الآية الثانية منها وصف رد الفعل الانسانى أمام المشهد غير المنتظر الذى سيوهب لمسافرى الفضاء نظرات مضطربة وشعور بالانسحار ، وهو ما عاشه تماما رواد الفضاء فى تلك المغامرة الخارقة منذ عام ١٩٦١ ، فالمعروف أننا عندما نكون خارج طبقة الجو المحيطة بالأرض لا تبدو السماء مطلقا فى صورتها اللازوردية الموهوبة لسكان الأرض ، انما تبدو السماء سوداء ، بينما تكون الأرض محاطة بهالة لونية زرقاوية بسبب ظاهرات الامتصاص الضوئى ، وهنا يكون المشهد الذى يراه الانسان فى الفضاء مشهدا جديدا تماما .

وأمام هذا الاعجاز يعقب المؤلف بقوله « وهنا عندما نقابل نص القرآن بالمعطيات العلمية الحديثة ، كيف لا ننبهر بتلك التحديدات الدقيقة التى لا يمكن افتراض أنها صدرت عن فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا

تقريبا » (١٩٥) .

ـ ٥ ـ

هذا عن آيات الله في السماء كما عبر عنها القرآن الكريم ، أما الآيات الكونية في الأرض فان للمؤلف وقفات أخرى عند الآيات القرآنية التي عبرت عنها ومن ذلك :

(ا) تلك الآيات التي تتحدث عن الأرض بصفة عامة من حيث خلقها صالحة لمعيشة الانسان عليها ، من ذلك قوله تعالى « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ • وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ • وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » (الحجر ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١) وقوله تعالى « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ • كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ • إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ » طه ٥٣ ، ٥٤) وغير ذلك من الآيات التي ترددت في القرآن الكريم ، ويقف المؤلف عند دلالة تكرار ذكر الماء ، ويذكر أنه بصرف النظر عن الفائدة الجغرافية التي تجعل خصوبة التربة مترتبة على وجود الماء ، فان الآيات تبرز ثراء الكوكب بالماء ، وتلك ميزة فريدة في النظام الشمسي على حسب أحسن معطيات المعارف الحديثة ثبوتا ، فلولا الماء لكانت الأرض كوكبا ميتا مثل القمر (١٩٨) .

(ب) وعن دورة الماء والبحار يورد المؤلف قول الله تعالى « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »(الحجر ٢٢) وقوله تعالى « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ، فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ النُّشُورُ » (فاطر ٩) .

هذا الى جانب حشد كبير من الآيات القرآنية في نفس المعنى ، وتصديرا لهذه الآيات يذكر المؤلف أننا في عصرنا عندما نقرأ المرة بعد الأخرى الآيات القرآنية الخاصة بدور المياه في حياة الانسان ، فانها تبدو لنا معبرة عن أفكار واضحة تماما ، بسبب أننا عرفنا كيف تتم دورة المياه في الطبيعة أما اذا أخذنا في اعتبارنا ما كان عليه مختلف المفاهيم القديمة في هذا الموضوع فاننا ندرك أن المعطيات القرآنية لا تحتوى على عناصر نابعة من المفاهيم الأسطورية التي كانت سائدة في ذلك العصر ، والتي كان للتفكير النظرى فيها دور أكبر من معطيات الملاحظة (١٩٨) .

(جـ) وعن البحار يذكر المؤلف قول الله تعالى « وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ » (ابراهيم ٣٢) .

وقوله تعالى « وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا » (الفرقان ٥٣) كما يذكر آيات أخرى ، وفيها يقول ما قاله فيما يخص الماء من أنه ليس هناك جملة قرآنية واحدة عائدة على البحار تدعو الى المقابلة مع المعطيات العلمية بحصر المعنى ،

القرآن الكريم

ومع ذلك فلا يقلل هذا من ضرورة التأكيد على أنه ليس في القرآن أية جملة عن البحار تحتوى على مرجع الى معتقدات أو أساطير أو خرافات كانت سائدة في عصره (٢٠٤)

(د) وعن تضاريس الأرض ومكوناتها يورد المؤلف قول الله تعالى « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا » (نوح ١٩ ــ ٢٠) وقوله تعالى « وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ » (الذاريات ٤٨)

وقوله تعالى « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا • وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » (النبأ ٦ ــ ٧) • ويعقب على هذه الآية بقوله « يصف علماء الجيولوجيا الحديثون تعرجات الأرض بأنها تثبت الأجزاء البارزة التى تتنوع أبعادها ، ومن ظاهرة التعرج هذه ينتج ثبات القشرة الأرضية •• أما الطريقة التى خلقت بها الجبال فانها موائمة للثبات ، وذلك يتفق تماما مع معطيات علم الجيولوجيا •

(هـ) وعن الظواهر الجوية المحيطة بالأرض ، يتحدث المؤلف عن اختلاف الضغط الجوى في مجال الآية الكريمة « فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » (الأنعام ١٢٥) وعن الكهرباء ونتائجها من الصواعق والبرد في مجال قوله تعالى « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ • وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ » (الرعد ١٢ ــ ١٣)

وكذلك يتحدث عن ظاهرة الظل وانتقاله مع قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا • ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا » (الفرقان ٤٥ ــ ٤٦) • وفي بداية حديث المؤلف عن كل ذلك يؤكد أن المقابلة بمعطيات العلم الحديث لا توجد تناقضا بين ما يقول القرآن الكريم وبين المعارف الحديثة التى نملكها اليوم عن الظاهرات المذكورة •

(و) ولم يغفل المؤلف الحديث عن عالم النبات والحيوان من خلال الآيات القرآنية التى أورد كثيرا من نصوصها ، وفيما يتصل بأصل الحياة يذكر قول الله تعالى « وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ » (طه ٥٣) •

وقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » (النور ٤٥) ، وفيما يتعلق بالحديث عن النبات يستشهد فيما يستشهد بقوله تعالى « وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ، فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ • وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ • رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ

الْخُرُوجُ » (ق ٩ ــ ١٠ ــ ١١) كمــا يذكــر الآيات التى تشير الى تنوع المأكل والى تناسل النبات ، ومن ذلك قوله تعالى « فَأَنبَتْنَا فِيهَــا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » (لقمــان ١٠) وقــوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى » الأنعام ٩٥ ٠٠ وكل ذلك يؤكد فيه المؤلف من خــلال المقابلة مع المعارف الحديثة بأنه لا يجــد فى القرآن تنافرا مع علم اليوم (٢١٦) ٠

(ز) ومع عالم الحيوان يقف يتحدث المؤلف عند التناسل فى عــالم الحيــوان مع قــوله تعالى « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى » (النجم ٤٥ ــ ٤٦) ٠

وعند تسجيل القرآن الكريم وجود الجماعات الحيوانية من خلال قوله تعالى « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيــرُ بِجَنَاحَيْــهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ، مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ » (الأنعام ٣٨) ٠

وهنا يقف فى تأمل خاص عند حديث القرآن الكريم عن النحل فى قوله تعالى « وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِــنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِــفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل ٦٨ ــ ٦٩) ٠

كمــا يقف عند أصول مكونات لبن الحيوان من خلال قوله تعالى « وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًــا خَالِصًا سَــائِغًا لِّلشَّارِبِينَ » (النحل ٦٦) ٠

(ح) ويختم المؤلف حديثه عن آيات الله فى الارض كما عبر عنها القرآن الكريم بحــديث مطول عن التناسل الانسانى ، ومن الجــوانب التى تحدث عنها القرآن تمام الاخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جدا ، والى هذا تشــير الآية الكريمة « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِــن نُّطْفَــةٍ » (النحل ٤) ٠ ومنها الاشــارة الى طبيعة هذا العــائل المخصــب ، فهو أمشــاج مخــاليط « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَــانَ مِن نُّطْفَــةٍ أَمْشَــاجٍ » (الانسان ٢) ومنها الاشارة الى مكان البويضة المخصبة « وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » (الحج ٥) مع بيان تطور الجنين فى الرحم ، فى قوله تعالى « ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَــامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا » (المؤمنون ١٤) ٠

القرآن الكريم

ويعقب المؤلف بعد هذا العرض بقوله « وبناء على كل هذه فالمقولات الخاصة بالتناسل ، والتوجيهات العملية التى يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الازواج الجنسية ، تلاحظ أنه ليس هناك أى مقولة من المقولات التى سقناها تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ، ولامع ما يمكن أن يخرج منطقيا عنها » (٢٣٧) .

— ٦ —

ويختم المؤلف كتابه بحديثين قارن فى أولهما بين القرآن الكريم وبين التوراة فيما ورد فيهما عن الطوفان وخروج موسى من مصر . أما الحديث الثانى فكان عن الاحاديث النبوية وما جاء فى بعضها عن بعض ظواهر العلم خاصة فى مجال الطب وهذان الموضوعان خارج الدائرة التى قصدنا الوقوف عندها فى هذا الكتاب وبعد هذين الامرين ينتهى حديث المؤلف الذى ختمه بقوله « لا يستطيع الانسان تصور أن كثيرا من المقولات ذات السمة العلمية ، كانت من تأليف بشر وهذا بسبب حالة المعارف فى عصر محمد — صلى الله عليه وسلم — لذا فمن المشروع تماما أن ينظر الى القرآن الكريم على انه تعبير الوحى من الله ، وأن تعطى له مكانة خاصة جدا ، حيث ان صحته أمر لا يمكن الشك فيه ، وحيث ان احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو كأنها تتحدى أى تفسير وضعى » (٢٨٩) .

— ٧ —

وبعد . فان هذا الكتاب فيه بلاغ لطائفتين من الناس :

الطائفة الاولى : أولئك الذين حاربوا الاسلام طويلا عن حقد أعمى وتعصب ممقوت، وليس عن دراسة موضوعية محايدة لتعاليم الاسلام ، ذلك لانهم قاموا بمثل هذه الدراسة لاهتدوا الى مثل ما اهتدى اليه هذا العالم الطبيب الذى شتشر فى كتابته الايمان والخشوع الظاهرين ، فى حماس يحرزه الوعى العلمى الصادق والفهم الثاقب ، فلعل ظهور هذا الكتاب فى لغته وفى اللغات الاخرى التى ترجم اليها فى الغرب ما يكون معينا لأولئك المعرضين الصادين عن سبيل الله لكى يعيدوا النظر فيما يعتقدون ، وبالتالى لا يجدون حرجا حين يسرعون الى الدخول فى دين الله أفواجا .

أما الطائفة الثانية : فهم أولئك الشاردون التائهون من أبناء أمتنا ، العازفون عن كتاب الله حتى أصبحوا غرباء عنه ، ولا نستثنى من ذلك العلماء فى مجال المادة ، ان هذه الطائفة تمثل جانبا كبيرا من أبناء الاسلام فقدوا الحماس لدينهم حين فقدوا الاتصال بكتاب ربهم ففقدوا بذلك التأمل فى آياته وفى آيات الكون .

ترى هل نقول لهؤلاء الذين يفتحون آذانهم لكل فكر مستورد ، هيا افتحوها الآن مع شهادة قادمة من الغرب ولكن مع قلوب خاشعة وعقول متدبرة واعية ، ونية صادقة فى الايمان بكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » (ق ٣٧)

د . طه مصطفى أبو كريشة

مع "دليل المسلم"

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

للأستاذ عبد القاهر عبد الكريم

عندما تناولت « دليل المسلم الحزين ، الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين .. منيت نفسى بمغنم علمى دينى ، بايحاء عنوانه الطويل المسجوع ، لكنى — بعد قراءته — لم اظفر من ذلك بشىء ، ولو أن للعقل أثرا فى أمورنا العلمية والثقافية ، وسلطانا فى حياتنا الدينية والاجتماعية لما تحقق لهذا الكتاب النشر وهو على هذه الصورة ، فان النصوص التى فيه تحتاج — فى الأعم — الى توثيق بإسنادها الى مصادرها التى أخذت منها ، ودعك من النظر فى صدقها وكذبها ، أو ضعفها وقوتها .

وغالبا لا توضع أمام القارىء ليأخذ منها عقله ما يتقبله أو يرتضيه ، وانما تحاط بتأويل ماكر جىء به عن عمد ، ليخدم هدفا مرسوما بدقة ، مغلفا بغلاف من الغيرة المصطنعة ، كى يقى صاحبه من المؤاخذة ، ويجعله بمنجاة من الملام والعتاب .

وربما دخلها التحريف ، ليعطى للهدف ما عجز عنه التأويل الخبيث .

وربما جىء بنص مقطوع ببطلانه — حتى عند المؤلف — لتكون له معاونة فى توهين الرأى المقابل ، أو مؤازرة فى تقوية الفكرة المتبناة ، فان للالحاح والتكرار تأثيرا ولو مع البطلان .

وأحيانا تعوزه النقول على أمور متمكنة فى النفس ، فتسعفه الفروض الجامحة التى تستعين بروافد مشبوهة ، لتعطى ما لله لقيصر ، ولتخلع على المادة ما للروح ، ولتفسر بها ما

مع دليل المسلم

نحن فى غنى عن تفسيره •

وربما سيقت مقرونة بكم هائل من السخرية ، ومن النعت بأقبح الصفات •

وتبرز الغاية أو الغرض من تأليف هذا الكتاب — بعد السير فى الدروب والمنحنيات — فاذا هو وضع العوائق امام تطبيق الشريعة الاسلامية بادعاء أن احكامها لم تعد مناسبة لعصرنا الذى نعيش فيه ، وان كانت صالحة لما مضى من الأزمان ، وعلينا ان نحل الاحكام الوضعية محلها ، وان نعمل بما نراه مصلحا لما فى مجتمعنا من فساد •

ولايسبق الى وهمك أن الاحكام التى يكثر من حولها الكلام ، ويشتد فيها الجدل ، هى الأحكام التى استنبطها العلماء فلو كان الأمر كذلك لقلنا :

ان أى اجتهاد يغنى عنه اجتهاد آخر أو يسد مسده وانما هى الأحكام التى نص عليها القرآن ، وحددتها آياته الكريمة •

ولست فى عجلة من أمرى لأبادر بالحديث عن هذه الاحكام التى تقام أمامها العراقيل ، والتى يظن كثير من الناس أن التعرض لها بهذه الكيفية ، وعلى تلك الصورة مما تضيق له الصدور ، أو يبعث التوتر فى الاعصاب • لكنى سأعرض امامك نصا — كيفما اتفق — من نصوصه الكثيرة ، التى سنعرضها عليك فى مقالاتنا المقبلة ، لترى بنفسك مصداق ماذكرناه لك ، فاستمع اليه فى ص ٣٩ ، ٤٠ يتحدث فى ص ٣٩ ، ٤٠ عن هجرة المسلمين الى الحبشة ، وعن قيام حلف « الفضول » و « الأحلاف » بمكة ، وعن مقاطعة قريش لبنى هاشم والمطلب ، وعن صمودهما أمام هذه المقاطعة ، ثم انهيارها أخيرا • وسنذكره كاملا مرقما ثم نناقش كل جزء على حدة — دون استقصاء أو اشتطاط •

قال ، هدانا الله واياه :

« أدت المصالح التجارية المشتركة الى قيام روابط جديدة بين تجار قريش ، وسرعان ما ظهرت فى مكة جماعتان رئيسيتان ، متنافرتا المطامح :

فأما بنو هاشم — وهم الاقل ثراء — فتراسوا حلفا يعرف بحلف الفضول ، من تلك الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلما • وكان هذا الحلف على عداء مع ما يعرف « بالأحلاف » ، وهو تنظيم أقامه أثرياء التجار ممن سعوا الى فرض نوع من الاحتكار •

٢ — وربما كان من بين البواعث التى حدت بالنبى — عليه الصلاة والسلام — الى أن يوجه اكثر من نصف عدد المسلمين وقتها الى الهجرة الى الحبشة (رغم ما قيل من أن الاضطهاد الذى تعرضوا له ، هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة) رغبة فى السعى الى كسر هذا الاحتكار ، بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة ، غير خاضع لسيطرة كبار التجار من قريش •

ومما يدعم هذا الافتراض أمران :

الاول : أن جل مهاجرة الحبشة كانوا من أفراد الجماعات الداخلة فى حلف الفضول •

والثانى : أن عددا منهم بقى فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى والمسلمين الى المدينة ، وانقضاء ذلك الاضطهاد فلم يتركها الى الحجاز

حتى العام السابع من الهجرة .

٣ — وبعد حوالى عام من تلك الهجرة الى الحبشة اجتمعت كلمة بطون قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ذوى الصلات الوثيقة ببني هاشم ، وحظرت التعامل التجاري معهم ، أو الزواج منهم .

وكان السبب الظاهر لهذه المقاطعة رفض أبي طالب أن يسقط الحماية عن ابن أخيه ، أو أن يقنعه بالعدول عن الدعوة الى الدين الجديد .

وبالرغم من أن العرب كانوا يرون عارا عظيما في أن تتخلى العشيرة عن حماية أفرادها لمجرد أن العشائر الأخرى هددتها بالعقاب ان هي لم تفعل ، فقد كان من السهل على أبي‌طالب أن ينتحل عذرا أو آخر للتخلي عن ابن أخيه ، لو أنه كان حقا راغبا في تجنب مقاطعة بطون قريش لبني هاشم .

والواقع أن استمرار تحدى بني هاشم لهذه المقاطعة على مدى ثلاث سنوات دليل على أنه كان لبني هاشم مصلحة حقيقية في موضوع الخلاف ، ودليل على أنه قد ظل باستطاعتهم النهوض ببعض النشاط التجاري، ولو على نطاق أضيق من ذى قبل .

٤ — وقد انهارت المقاطعة في النهاية حين انسحب منها بعض البطون ، وذلك حين أدركت أن نجاحها انما سيؤدى الى تعاظم قوة أغنياء التجار ممن دشنها على نحو يتعدى الحدود التي كانوا يأملون في الوقوف عندها .

وأنت عندما تسمع هذا النص ، أو تقع عليه عيناك تعرف أنه يتكون من أربعة أقسام أو أجزاء ، ففى كم منها ترى أنه صدق ، أو أنه أصاب ؟ .

والخطأ الذى يسرى في أوصالها جميعا جعل الرغبة في الحصول على المال هي التفسير الوحيد لكل ما كان من تصرفات القوم ، والباعث المتفرد الذى حملهم على مباشرة الافعال أو الابتعاد عنها ، دون استثناء لأحد ، حتى لكبار النفوس .

ففى القسم الاول حملت هذه الرغبة كبار التجار من قريش على اقامة حلف «الأحلاف» ليحتكروا — عن طريقه — سوق التجارة ، وينفردوا بحصول المغانم والارباح .

وهي نفسها التي دفعت بني هاشم الى أن ينشئوا حلف « الفضول » من الجماعات التي عجزت عن تنظيم قوافل تجارية مستقلة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلما . وبسبب من هذه الرغبة كان العداء بين الحلفين .

ونحن — عندما نرجع الى التاريخ — لانجد من ذلك شيئا ، فحلف « الاحلاف » لم ينشئه كبار التجار في قريش ولم ينشأ من أجل احتكار التجارة والارباح ، ولم يكن بينه وبين حلف « الفضول » تنافس في شيء حتى يكون بينهما عداء ، وبين وجودهما كان كثير من السنين ، فحلف الفضول نشأ بعد وفاة عبد المطلب باثنى عشر عاما وقبل بعثة النبي — عليه الصلاة والسلام — بعشرين سنة . وحلف «الأحلاف» كان بعد وفاة عبد مناف جد عبد المطلب ، وفي حياة أبنائه : هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب .

وكانت أسباب انشائهما مختلفة ، ومهمة كل منهما تغاير مهمة الآخر . وكذلك موقع كل منهما في النفوس . فلحلف الفضول في نفوس

العرب موقع ليس لصاحبه ولا لغيره من الأحلاف ، ولذلك وصفوه بأنه أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب.

وسببه : أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ، وكان ذا قدر وشرف في قريش ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى الزبيدي عليه الأحلاف ... فأبوا أن يعينوه على العاص ، وانتهروه فأوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم حول الكعبة ، وصرخ بظلامته ، فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك .

واجتمعت هاشم وأسد وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان التيمي ، وتعاقدوا قياما في شهر حرام هو « ذو القعدة » ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدى اليه حقه » ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي ، فدفعوها اليه.

وعرف العرب هذا الحلف ومكانته فكان الذى يظلم بمكة يذهب الى أهله القائمين به ، فيأخذون له حقه من ظالميه . وكانت تصرفاته محل الرضا والتقدير من القرشيين جميعا .

ولم يمت كما مات غيره من الأحلاف بمجىء الاسلام ، ودخول الناس فيه ، فان رد الحقوق الى أربابها ودفع الظلم عنهم مما يتفق وتعاليم الاسلام . وحادثة الحسين بن علي — في عهد معاوية — مع والى المدينة : الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وتهديده بالدعوة الى حلف « الفضول » واستجابة عبد الله بن الزبير الأسدى ، والمسور بن مخرمة الزهرى ، وعبد الرحمن بن عثمان التيمى دليل قوى على بقائه فعالا الى ذلك الوقت .

ومن أجل هذه المعانى النبيلة التى كان يؤديها في الجاهلية يقول الرسول الكريم تنويها بشأنه — كما يحدثنا ابن اسحاق ، وابن سعد والبيهقي : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به في الاسلام لأجبت .

وبما سقناه يتضح لك السبب في انشائه ، والغرض الذى حمل عليه ، والزمن الذى وجد فيه ، والبطون التى قامت به والرضا بالأعمال التى كانت تصدر عنه ، من كل العرب والقرشيين .

ونعرج على حلف « الأحلاف » فنرى أن سبب انشائه أمر لا يتصل بالمال ، وأن الغرض الذى قام من أجله ليس هو الاحتكار والأرباح وأن من أقاموا هيكله كانوا غير التجار ، وأن الغرض منه استنفد عن قريب .

ذلك أن قصى بن كلاب جد هاشم بن عبد مناف — كان قد جعل كل ما في يده من المكرمات لابنه عبد الدار اذ كان بكره ، وكان اخوته قد تقدموا عليه شرفا ، فقال له أبوه : أما والله لألحقنك بالقوم ، وان كانوا شرفوا عليك .

فلما انقضت حياة أبناء قصى ، وآل ما كان في يد عبد الدار الى أبنائه أجمع أبناء عبد مناف: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . على أن يأخذوا ما بأيدى أبناء عمهم عبد الدار ، لشرفهم عليهم ، ولفضلهم في قومهم ، فتفرقت قريش عند ذلك ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف ، يرون أنهم أحق بهذه المكارم من بنى عبد الدار لمكانتهم في قريش . وكانت

طائفة مع بنى عبد الدار ، يرون ألا ينزع منهم ما كان قصى جعله لأبيهم عبد الدار .

وعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على الا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا . ثم تداعى القوم الى الصلح فأعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وتركوا الحجابة والندوة واللواء لبنى عبد الدار . والمؤرخون يسمون حلف بنى عبد مناف بالمطيبين ، وحلف بنى عبد الدار بالأحلاف . وخرجت عن هذين الحلفين عامر بن لؤى ، ومحارب بن فهر ، فلم يكونوا مع أحد من الفريقين .

وكل ما قلناه فى هذا هو ماذكره كتاب السيرة ومؤرخو الاسلام ، فهل تجد بينه وبين ما قاله « دليل المسلم » شيئا من اشتراك أو وفاق .

ولعلك — قارئى — تحاول أن تعتذر عنه بأنه أخطأ — وكل بنى آدم خطاء — فوضع حلف « الفضول » موضع حلف « المطيبين » الذى يقابل — فى الحقيقة — حلف « الأحلاف » فهو الذى يمكن أن يقال فيه — مع التسامح — انه كان يعادى « الأحلاف » لكن هذا لا يجديك ولا ينفعه ، فانك لا تستطيع أن تتقبل — تاريخيا أن هذه الاحلاف أنشأتها التجار أو كبارهم سعيا وراء الربح والاحتكار ، وأن الفضول أو المطيبين وقع عليه ظلم لعجزه عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليه بالربح ، ولا تستطيع أن تحدد من الذى ظلمه ، ولا بأى شىء ظلمه . وان حاولت شيئا من ذلك فالخصومة لن تكون بينى وبينك ، وانما هى بينك وبين التاريخ الذى سيأبى عليك أن يمدك بشاهد عدل يؤيد ما تقول ، فانتقل بنا الى الفقرة الثانية أو القسم الثانى من النص ، فلعل حظنا مما يكون أسعد علميا .

وعندما نفعل ذلك ، نجد — كما وجدنا سابقا ، وكما سنجد لاحقا — تحريفا للتاريخ أو تحريفا فى التاريخ فان النبى — عليه الصلاة والسلام — لم يأذن لأصحابه فى الهجرة الى الحبشة ، أو لم يهجرهم اليها من أجل انقاذهم من اضطهاد قريش أو تخفيف العذاب الواقع عليهم بدنيا ونفسيا ، أو للحفاظ على دينهم خوف الفتنة فان هذا مرفوض من « دليل المسلم الحزين » وان قال به كل العلماء . أو على الأقل لا يصلح أن يكون سببا وحيدا ، أو حتى أساسيا . والذى يصلح لذلك ، وله عمل الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وبه عنى هو السعى الى كسر سلاح الاحتكار ، بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار التجار .

ولست أقف طويلا أمام ماتوحى به الفروض أو التراكيب التى أخرجتنا من جو الهجرة الدينى العالى النبيل الى الجو التجارى الدنى الذى صورت فيه النبى — عليه الصلاة والسلام — بصورة السياسى الدنيوى ، الذى يعنى بالمال وطرق التجارة ، وبانتصار حلف الفضول المشرك على حلف الأحلاف — أكثر أو قبل عنايته بدينه وبأصحابه والذين آمنوا به واتبعوه . هذه الصورة التى تجعله — صلوات الله وسلامه عليه — أقرب الى ذى الوجهين منه الى ذى الوجه الواضح الصريح ، فانه قال أمام المسلمين : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه — كما فى سيرة ابن هشام — متظاهرا أنه انما أخرجهم

أو أذن لهم به ليخلصهم من ظلم قريش وعدوانها عليهم ، فى الوقت الذى يتفق فيه — مع هذه البعثة التجارية — على أن تعمل على اكتشاف طريق آخر للتجارة لا يخضع لسيطرة حلف الأحلاف أو كبار التجار .

لا أقف طويلا أمام هذه الايحاءات وأمثالها، ولكن أشير اشارة تاريخية خفيفة أضعها أمام هذا الفرض ، فقد علم كل من شدا شيئا من التاريخ أن قريشا عرضت عليه — صلى الله عليه وسلم — أن تجعله ملكا عليها ، أو تعطيه من الأموال ما يجعله أغنى الناس بمكة ، أو أن تصنع له مايريد ، ويبقى علىمابينهوبينها فأبى، وكلمه فى شىء من ذلك عمه فقال : والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله ، أو تنفرد سالفتى . فلو أن الامر أمر المال أو السلطان لأغناه عرض قريش عن تهجير أصحابه ، ومفارقتهم له ، وتعريضهم للمشاق والغربة ، واكتشاف الطرق ، وتذليل الصعاب .... ونتجه الى صاحب الفرض فنقول له :

لم عدلت فى الهجرة الى الحبشة عن تعليل معقول ، قال به كل المؤرخين الى فرض لم يقله قبلك انسان فيما نعلم ، والفروض لا يلجأ اليها العقلاء الا عندما يجدون أن مابين أيديهم قاصر أو غير صالح ، فمأوجه القصور فى تعليل المؤرخين ، أو عدم الصلاحية ؟

واذا كان باب الفروض أمامك مفتوحا على مصراعية ، فما سر اختيارك لهذا الفرض ؟ وكنا ننتظر منك أن تحدثنا عن فشل سياسته التجارية أو نجاحها ، فلماذا سكت؟ واذا كانت هجرة الحبشة وقعت مرتين فمع أى منهما رسم سياسته التجارية ؟ وذلك شأن المحققين . وهل ذكر احد من المؤرخين أن مهاجرى الحبشة ، ارسلوا ، ولو قافلة واحدة اليه ، من الطريق القديم أو الجديد الذى هاجروا خصيصا لاكتشافه ؟

وهل تعلل الهجرة الى المدينة بنفس ماعللت به الهجرة الى الحبشة ، والتاريخ ضدك فى الايجاب ، فان الهجرة الى غيرها من البلاد العربية لم تكن متاحة فى ذلك الأوان . والعقل يطالبك بسند التفرقة بين الهجرتين ، ان اخترت السلب فى الجواب ؟

واذا كان معروفا — تاريخيا — أن بعض الأنبياء قد هاجر فهل تستطيع أن تعلل هجرته بما عللت به الهجرة الى الأحباش ؟

ويبدو أن صاحب الفرض لم يذكره لاقتناعه به ، أو لتصديقه بما احتواه ، وانما ذكره لحاجة فى نفس يعقوب ، فانه نقل فى ص ٦٤ — دون تعقيب — عن بعض المستشرقين — أثناء حديثه عن مهاجرى الحبشة — انهم كانوا رجالا ذوى عقيدة دينية قوية ، اعتنقها بعضهم حتى قبل ظهور الاسلام ، وأن اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ، ليهاجروا الى الحبشة ، وهو السر فى أن الكثيرين منهم بقوا بها ، ولم يلحقوا

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

بالمسلمين في المدينة حتى العام السابع الهجري .

وفي ص ٦٣ يقول : وقد كان النبي — صلى الله عليه وسلم شديد الخشية من أن يحدث هؤلاء النفر في الدين ماليس منه ، واذن فان تهجير النبي اياهم الى الحبشة كان خوفا من أن يحدثوا في الدين الاسلامي ما ليس منه ، اي كان المقصود ابعادهم عن المسلمين ونفيهم عن المجتمع الاسلامي بمكة حرصا على سلامة الدين ولهذا تركوا بالحبشة ولم يلحقوا بالمسلمين في المدينة حتى العام السابع الهجري .

واذن فان بقاءهم بالحبشة — عند هذا المستشرق — كان لمعنى يغاير المعنى الذي ذكره صاحب الفرض تدعيما لفرضه ، واذا قارنت بينهما عرفت من منهما نقل عن أخيه ، واستغل رأي صاحبه أو قوله . ولم يشر اليه . ولعل هذه هي الأمانه عند باحثي القرن العشرين .

وكما ذكر الفرض لحاجة في نفس يعقوب تتعلق بالنبي ، فقد ذكر هذا النص أيضا لحاجة في النفس تتعلق بأصحاب الرسول . ولنا — ان شاء الله — عودة الى نص هذا المستشرق فيما تستقبل من الايام .

وليس من الصدق أن جل المهاجرون الى الحبشة كانوا من حلف الفضول ، فان دليل المسلم وعددا من المؤرخين يقولون ان عددهم كان ٨٣ فردا ، فعلى فرض أنه كان كذلك ، ولم يكن أكثر كما يدعي بعض كتاب السيرة فاننا نجد — اذا بحثنا — أن القلة كانت من حلف الفضول .

ذلك أن حلف الفضول كان يتكون من بطون هاشم والمطلب وأسد وزهرة وتيم ، ولم يكن من بني المطلب أحد في هؤلاء المهاجرين وكان من بني هاشم جعفر بن أبي طالب وزوجه

◄

مع دليل المسلم

أسماء بنت عميس ، وكان من بني أسد أربعة نفر ، ومثلهم من بني زهرة ، وثلاثة من بني تيم ومجموعهم كما ترى ثلاثة عشر شخصا رجالا ونساء ، وهو أقل من عدد بني سهم الذين هم من حلف « الأحلاف » اذ كان أربعة عشر شخصا ، فاذا أضفت اليهم أحد عشر من بني جمح ، وثمانية من مخزوم ، وخمسة من بني عدي ، وخمسة من بني عبد الدار ، وواحدا من بني عبد بن قصي — وهم الذين يتكون منهم حلف الاحلاف — وجدت أنهم أربعة واربعون مهاجرا ، واذا نسبت هذا العدد الى العدد الكلي للمهاجرين تبين لك أن الكثرة في جانب حلف الأحلاف لا حلف الفضول ، وتبينت لك الامانة في البحث وعرض الحقائق التاريخية .

وهنا ألمح على شفتيك — قارئي — كلمة دفاع عن « دليل المسلم » بأن كلمة « جل » في النص ، محرفة تحريفا مطبعيا عن « قل » وكثيرا ما يحدث ذلك .

أقول لك كما قلت سابقا : هذا لا يجديك ولا ينفعه ، فان المقام يأبى عليك ذلك ، والنص سيق لتقوية الفرض ، « وقل » لا تاتي عن طريقها تقوية ، وهو بعد ذلك توجيه للقول بما لا يرضاه صاحبه ، فدع « دليل المسلم » يضرب في بيداء البحث كيفما شاء فعله في النهاية يصل الى طريق لاحب أمين .فان أبيت الا ذلك فاجبني بصدق وأمانة .

كان حلف « الاحلاف » يمتلك طريق القوافل التجارية فهو بذلك يمنع الحلف المناوىء من السير فيه ؟

أم كان يضع يده عليه بالايجار فيستطيع أن يفرض على الحلف الآخر ضرائب ثقيلة تقلل من الارباح ؟

واذا لم يكن ذلك فما معنى أن يطلب النبى صلى الله عليه وسلم من أصحابه المسلمين البحث عن طريق آخر ؟

وعلى فرض أنهم وجدوه فهل يملكون الاختصاص به ؟

وما الضمان أن حلف الأحلاف لا يسلكه ، ويتخذه معبرا لتجارته .

وانن فما الداعي للبحث عن طريق جديد لا يحل مشكلة ولا يقدم خدمة لمن فكر فيه ولا لاهله ، ولا يمتاز بشيء عن الطريق القديم ؟ وعجز الفضول عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليه بربح لا اظن انه ينقلب الى قدرة بواسطة الطريق الجديد . ومسالة التنظيم المستقل تحتاج الى شواهد من التاريخ ، فانها مخالفة لمنهج القوافل التجارية للبطون القرشية ، وهو منهج لم يكن عليه اعتراض لبطن من البطون ، فضلا عن حلف يضم عددا من هذه البطون .

ولست اورد عليك ما هو اكثر من ذلك فهلم بنا الى القسمين :

الثالث والرابع .

يتبع

عبد الظاهر عبد الكريم

السينما والدين

للأستاذ / مجدى صلاح

تمهيـــد :

ليس من العســير على المتتبــع للظواهر الاجتماعية ان يدرك الى اى مـدى سـاهمت وتساهم « السـينما » فى تغير شـكل « الانماط السلوكية » بل وتسـاهم فى تكوين الاتجاهات tendencies سلبية كانت او ايجابية عـلى المدى الطويل . ولعله من المعـروف ان اهم ما يميـز التغييرات الاجتماعية هـو حركتهـا البطيئة غير المحسوسة والتى تستغرق عشرات السنوات حتى تتضح معالمها .

لهذا كانت عملية « رصد » هذه التغييرات فى نفوسـنا وحولنا ـ بل واكتشاف عمليـة زرع خلايا فكرية سرطانية فى أعمـال « دراميــة » تؤدى فيما بعد دورا خطيرا فى تشكيل وجدان وعقـل المجتمع الاسـلامى ـ لهـو أمر بالغ الصعوبة ، ويسـتدعى منا درجـة عاليــة من الحساسية واليقظة الفكرية .

وقد يتخيل البعض منا أنه فى غنى عن قراءة هذه الدراسة اما لاتخـاذه موقفا مسـبقا من السينما أو لاعتقاده بأنه بمنأى عن « السـينما » وآثارها السلبية ، ولكن الحقيقة ان « الافلام السينمائية » لم تعد قابعة هناك فى دور العرض السـينمائى تكلفك عناء الذهاب اليها .. لكنهـا اخترقت الحواجز والحوائط الى منزلك .. تطل عليك من شـاشات « التليفزيون » .. ومـن أجهزة « الفيديو » المنتشرة فى كل مكان .

وتهدف هذه الدراسة الى ازاحة الستار عن بعض الاساليب المستخدمة فى بث عـدم الثقة والازدراء بالاسلام وسحب الاجيال المسـلمة تدريجيا بعيدا عن نقاء الاسلام .. وان كنـا قد حاولنا الامساك بالخيوط ـ المتناثرة داخل الاعمال الدرامية وربطها ـ بعضها الى بعض ـ لقراءة مايحاك للاسلام فى غفلة منا ـ الا ان هذا المجهود المتواضع لايمكن الادعاء ـ بأى حال من الاحوال ـ بأنه يغطى مايدور عـلى الساحة السينمائية ، لكنه الخـوف من كتمان

السينما والدين

انعلم وعملا بقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « رب مبلغ أوعى من سامع (١) »

هل السينما حرام ..؟

« السينما » .. اختراع علمي ينتمي الى الفيزياء في تركيب عدساتها وتنظيم أنوارها ، وتنتمي الى الكيمياء في حساسية « الفيلم » الخام الذي تكتب عليه الاحداث المقدمة الى آلة التصوير السينمائي: أي «الكاميرا ... من هذه الصبغة العلمية البحتة نشأت السينما (١) ومن البديهي ان السينما كأداة ليست محرمة ــ في حد ذاتها ــ ولكن ما يقدم من خلالها من مضامين قد يصدق عليه التحريم ، فاذا ما قدمت أعمالا تدعو الى الفضيلة والى نشر الثقافة الاسلامية فهي اذن خير عون في مجال الدعوة الاسلامية .

« انها حلال طيب ، وقد تستحب وتطلب اذا توفرت لها الشروط الآتية : ــ

اولا : أن تتنزه موضوعاتها التي تعرض فيها عن المجون والفسق وكل ماينافي عقائد الاسلام وشرائعه وآدابه ، فأما الروايات التي تثير الغرائز الدنيا ، أو تحرض على الاثم أو تغري بالجريمة أو تدعو لأفكار منحرفة ، أو تروج لعقائد باطلة .. الى آخر مانعرف فهي حرام لايحل لمسلم أن يشاهدها أو يشجعها .

ثانيا : ــ الا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي وفي طليعة الواجبات الصلوات الخمس التي فرضها الله كل يوم على المسلم ، فلا يجوز للمسلم أن يضيع صلاة مكتوبة كصلاة المغرب من أجل رواية يشاهدها ، قال تعالى :

« **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** » سورة الماعون ، الآية ٤ ، ٥ . وفسر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها ..

ثالثا : أن تتم المشاهدة في اطار اسلامي خالص يتعرض الملايين من المسلمين لافلام السينما من خلال ثلاثة منافذ هي :

١ ــ دار العرض السينمائي .

٢ ــ أجهزة التليفزيون .

٣ ــ أجهزة الفيديو .. وسيأتي شرحها فيما بعد ، اذ ان ذلك الحجم الهائل من الجمهور ــ الذي تصله « السينما » من خلال المنافذ الثلاثة السابقة الذكر ــ يعد مسرحا للاحداث حيث تجرى له عملية تشكيل وجداني .. وعقلي » .. أهم ما يميزها انها غير ملموسة ولكنها مخفاة تحت أقنعة درامية في الافلام الدرامية الروائية » التي تحاول هذه

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للامام العسقلاني جـ ١ ص ١٤٥ .

(١) النقد السينمائي . خميس خياطي . سلسلة كتابك . دار المعارف ص ٦ .

الدراسة فيما يلي تحليل آثارها .

السينما كوسيلة اتصال :

فالسينما ــ كما يطلق عليها اسم الفن السابع ــ تتركب من « **مرسل** » و « **رسالة** » و « **مستقبل** » ، لذا كان لزاما علينا التعرف على « مرسل » العملية السينمائية وهم مايطلق عليهم :

١ ــ صانعو العملية السينمائية (المرسل) : ــ

وهم بدءا بالمؤلف السينمائي للقصة و « السيناريست » وصانع الحوار ، فالمنتج والمخرج والممثلون والمصورون والفنيون واخصائيو « الديكور والماكياج » والاضاءة والصوت .. كل هؤلاء يتآلفون تحت مسئولية المخرج الذى ــ ومن المفروض أن يعبر عن مجتمعه ــ يساهم أيضا فى تنمية الانسان .. ولكن من الضرورى الا تكون تلك التنمية غرسا لأفكار مضادة للاسلام !! وان لم تكن فى صورة مباشرة ــ الا أنها تنمو فيما بعد ــ وعلى المدى البعيد ــ نموا سرطانيا مضادا .

وصناعة السينما ــ نشأت بين احضان أوروبا « .. وكانت مصر من أوائل بلاد العالم التى عرفت السينما كعروض ، فالمعروف أن أول عرض سينمائى تجارى فى العالم كان فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ م فى الصالون الهندى بالمقهى الكبير فى شارع كابوسين بباريس ، وكان أول عرض سينمائى فى مصر فى مقهى زوانى بالاسكندرية فى أوائل يناير ١٨٩٦ م(١)

ونظرا لنشأة السينما « الاوروبية » كان لزاما على من أراد تعلم هذا الفن أن يسافر الى أوروبا ــ او أن يتعلمه فى مصر على أيدى أوروبيين مما صبغ الكثير من صانعى السينما ــ شكلا ومضمونا ــ بأنماط سلوكية غربية تأصلت فى نفوسهم فصارت فكرا وسلوكا ، وروجوا لها من خلال أعمالهم الفنية التى غالبا ما تمجد روح الغرب ، فقد بهرتهم المدنية الاوروبية ــ ولا أقول الحضارة الاوروبية التى هى أبعد ما تكون عنها .

٢ ــ الرسالة : ــ

وهى المحتوى أو المضمون الفكرى الذى يتخذ شكلا دراميا ــ حيث تنصب هذه الدراسة على الأفلام الروائية التى تعتقد بأهمية دورها فى تشكيل العقل والوجدان الاسلامى العام .. ونظرا لخلو الساحة الادبية من الادباء الاسلاميين ذوى الادراك والفهم لابعاد الدين الاسلامى والحضارة الاسلامية ممن يجيدون فنون الكتابة الشيقة والابداع الفنى والادبى ، وممن يجيدون تصوير وتجسيد شخصية المسلم السوي فى سلوكياته وأسلوب تفكيره وتفاعله مع المجتمع(١) .. نظرا لهذا كله باتت السينما ــ كصناعة للاتجاهات ــ حكرا على عناصر معينة سواء فى مجال الكتابة للسينما وحتى ..

(١) هذا رأى الكاتب .. مجلة الأزهر .

اخراج « الفيلم » ـ وباتت مقدراتنا الفكرية للامة الاسلامية فى أيدى تلك الحفنة التى ارتوت من بريق الفكر الغربى للدرجة التى خلطوا فيها بين أسباب التقدم المادى الاوربى من ناحية ـ هذا التقدم الذى تساهم فى صنعه عوامل تاريخية وسياسية وتكنولوجية ـ وبين المظاهر السطحية التى كانت انعكاسا لنشوء علاقات جديدة فى المجتمع الغربى وأخذوا من تلك المظاهر السطحية « الشكل والأنماط السلوكية » التى رجع الغرب عنها بعد أن اكتشف زيفها وعدمها للمجتمع الاوروبى : كمحاربة الخمر والتدخين والعلاقات الجنسية المحرمة ، والعودة الى الدين لملء الفراغ الروحى الذى لن تستطيع المادية اشباعه !!

من هنا كانت الرسالة التى توجه لنا من خلال الأعمال الدرامية السينمائية انعكاسا لما رسخ فى نفوس هؤلاء القائمين على أمر السينما من مبادىء مادية وكما ان فاقد الشىء لا يعطيه ، فانه ليس من المجدى مطالبتهم بالعدول أو الكف عن هذا التخريب فهم يظنون بأنفسهم « التقدمية » ! • وبالقيم السامية الاسلامية •• « الرجعية »!!

يقول الله عز وجل « الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (١) •

بل ما نراه حيويا هو « الدعوة الى وضع ••• استراتيجية ثقافية (اسلامية) تعيد بناء التصاميم الذهنية الاسلامية •• لتنتهى بذلك مرحلة الرسم بالفراغ التى ورثناها وساهم فى تكريسها الغزو الثقافى الذى لا نزال نعانى من آثاره على أكثر المستويات » (٢) •

وان يصبح فى اطار تلك الاستراتيجية صناعة سينما اسلامية من الألف الى الياء •

٢ ـ جمهور السينما (المستقبل) : ـ

من خلال قراءة الواقع نجد أن السينما « كأفلام » تصل تأثيراتها الى قطاع كبير من افراد المجتمع ، فهى ـ كما سبق القول ـ تطل عليهم من خلال منافذ ثلاثة : ـ

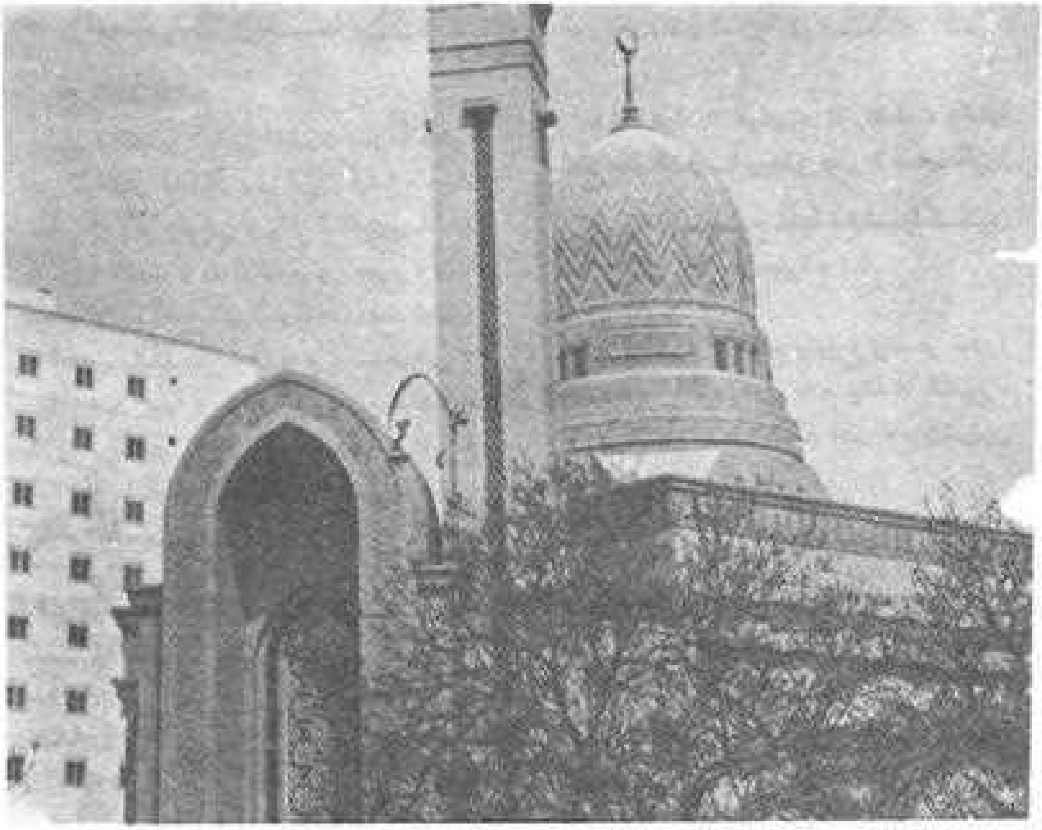
* المنفذ الأول :

دور العرض السينمائى : وتلك الدور المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تستقطب عددا كبيرا ـ أكثرهم من الشباب المراهق ـ وفى احصاء عن سنة ١٩٦٩ م وجد فى مصر ١٦٥

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠٤ •

(٢) حول اعادة تشكيل العقل المسلم د• عماد الدين خليل ، كتاب الامة ، ص ٨ •



دارا لعرض الأفلام مقاس ٣٥ مم ، وداران لعرض الأفلام مقاس ١٦ مم فيهما ١٥٠ الف مقعد .. أى أن قرابة ستين مليون شخص يدخلون السينما فى مصر كل عام (١) .

- المنفذ الثانى :

التليفزيون : لا يكاد يخلو بيت فى مصر من جهاز تليفزيون - بل حتى المحلات التجارية وبائعى الفاكهة وأكشاك السجائر أصبحت هى الأخرى تحتوى على جهاز تليفزيون ، وتشير الاحصاءات التى أجريت قبل مرحلة الانفتاح الاقتصادى فى مصر ١٩٧٠ الى وجود ٤٧٥ الف جهاز (٢) ، الا ان هذا الرقم قد تضاعف بسرعة مذهلة حتى وصل الى ما يقرب من ١٠ ملايين جهاز فى مصر فى بداية الثمانينيات .

وليس بخاف على أحد ما للأفلام العربية - التى تعرض من خلال شاشات « التليفزيون » - من شعبية جارفة ، خاصة فى الأوساط الشعبية أو التى تنخفض فيها نسبة التعليم والوعى .

(١) ، (٢) الاعلام ولغة الحضارة . د. عبد العزيز شرف ، ص ٤٥ .

● المنفذ الثالث :

أجهزة الفيديو : التى انتشرت بسرعة عجيبة ليس فى المدن فقط بل وفى الريف أيضا ، حيث تنتشر فى : « المقاهى » و « الكافيتريات » الصغيرة المتناثرة فى الاقاليم والنجوع ، وقد أثبتت الاحصاءات التى أجريت أن عدد أجهزة « الفيديو كاسيت » فى مصر وصل الى ٢ مليون جهاز منها ٧٥٠ ألف جهاز فقط دخلت بطريقة رسمية . وهى نسبة مرتفعة جدا اذا ما قورنت بنظيرتها فى أوربا والوطن العربى .

شريعة هوليوود الموجهة : ــ

« تغوص السينما فى أغوار الغريزة ودهاليز النفس الانسانية ، وتضرب فى الأرض من من مكان الى مكان ، وفى غيابات الزمان من حقبة لحقبة ، ومن ثقافة لثقافة مستثيرة الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكويننا .. » (١) ولا يقف تأثيرها عند حد الاستثارة بل انه يتعداها الى وسم جماهير المسلمين بسمات هدامة لا يمكن وصف هذه السمات بأنها غير مقصودة ، لا .. ، خاصة اذا عرفنا أن مركز السينما العالمية فى « هوليوود » بأمريكا ، حيث يسيطر على الحياة الثقافية والمالية والسياسية جماعات الضغط الصهيونية ، التى مازالت تنفذ بروتوكولاتهم السرية فى استعباد العالم .

« فما تراه « هوليوود » وتفعله ، وكيفية تنفذ هذا الفعل ــ ويحذو حذوها السينمائيون فى كل مكان ــ يصبح نهجا معيشيا لملايين الناس على نطاق المعمورة » ؟ !

ان هوليوود لا تنتج وتوزع وتصدر صورا فحسب .. الصور والافلام يتلقاها الناس ، لكنهم يتشربون منها شيئا آخر .. يتشربون فلسفتها . !

وطرز الزى والأناقة . ! من تسريحة الشعر حتى الحذاء .. وأساليب السلوك : كيف يحضن .. كيف يجامل .. كيف يقبل .. وكيف يتصرف فى شتى المواقف ... (٢) » انه تخطيط كامل لعقل الانسان !! لقد عرفت الجهات المعادية أخيرا كيف تنفذ الى العقل الاسلامى والى الوجدان الاسلامى . !

فبعد أن فشلت أساليب الغزو العسكرية الصريحة وحركات الاستشراق التى واجهت حساسية دينية من علماء الدين .. اتجهت الى تجنيد تلك القوة الجبارة الخفية وهى السينما التى أطلق عليها اسم « مصنع الاحلام فى المجتمع (٣) » .

كيف تنفذ السينما الى داخلنا : ــ

ان الهدف الأول للسينما هو النفاذ الى أعماق النفس الانسانية قفزا من فوق العقل

---

(١) ، (٢) ، (٣) السينما .. مصنع الاحلام فى المجتمع ، محمد فتحى ، مجلة الدوحة يوليو ١٩٨٢ .

الواعي الذي يتعامل مع الاشياء بمنطقية ووصولها الى العقل الباطن أو اللا شعور unconscious «حتى ان أكبر شركة عالمية للانتاج السينمائي (الميترو) طلبت من عالم النفس « فرويد » أن يعمل معها مقابل مائة ألف دولار ، ذلك لأنها تعرف العلاقة بين هذا الفن وعلم النفس (١) » .

وما يحدث بالضبط ، يمكن أن نطلق عليه ، عملية « بذر معلومات » في ذهن المتلقى أما كيف تحدث عملية بذر المعلومات هذه : فهي :

اولا : عملية غير مرئية وغير محسوسة لأن ما يزرع في الذهن ــ يكون في الغالب ــ مقدمات منطقية خاطئة ، ما تلبث أن تنمو داخل الذهن وتختمر داخل شخصية المتلقى ، فتتلون بلون الشخصية المزروع فيها المعلومات مما يجعل « المتلقى » لا يفطن الى أن هناك أيدي بذرت داخل عقله ووجدانه « معلومات بذرية » في شكل مقدمات منطقية قد تظل « كامنة » في غيابات العقل الباطن لسنوات عديدة ولكنها لا تلبث أن تظهر فى صورة سلوك واضح كما لو كانت تنبع من داخله !! وليست من صنع أشخاص آخرين قاموا « ببرمجة » عقله ووجدانه !!

وقد يتساءل البعض : **كيف تتم عملية البرمجة أو « بذر المعلومات » فى عقلى ووجدانى وانا اجلس امام « الفيلم » ــ فى كامل قواى العقلية الادراكية ؟ فأين عقلى الذن !؟ .**

اود أن أقول : ان السينما تقفز فوق حواجز العقل لتصل الى العقل الباطن أو اللا شعور ، ولعل من المناسب تذكر جملة « المنتج السينمائى الايطالى كارلو بونتى : « يجب أن تصل السينما الى أحشاء المتفرج ، أما اذا وصلت الى دماغه (عقله) فذلك يعنى أن الفيلم سيء فالانسان الذى يريد تثقيف نفسه لا يذهب الى السينما ، وانما يأخذ كتابا (٢) » !! ، ومن هنا وفى كلام المنتج الايطالى المشهور نجد فلسفة السينما واضحة فى كلماته القليلة السابقة .

وخاصية النفاذ أو الاختراق لدى السينما يمارسها صانعو السينما فى شكل أشبه ما يكون « بالتنويم المغناطيسى » فالجو المظلم استعدادا لتشغيل الفيلم ، وتوزيع الاضاءة ، والتمثيل الطبيعى ، والمؤثرات الصوتية والماكياج والديكور اللذان يقنعانك بأن ما يحدث حقيقى مائة فى المائة بالاضافة الى استخدام « الكاميرا » بعدا وقربا ومن زوايا مختلفة .. كل هذا الى استخدام « المونتاج » والحيل السينمائية يولد لدى المشاهد حالة نفسية عقلية يمكن أن نطلق عليها « حالة تداعي القوى المنطقية » .. اذ أن « الفيلم » يوحيك بنمو بطل الفيلم من الطفولة وحتى الكهولة فى زمن لا يتعدى بضع

---

(١) النقد السينمائى . خميس خياطى . ص ٣٩ .

(٢) النقد السينمائى . خميس خياطى ص ٦٠ .

السينما والدين

دقائق ، كما يستطيع الانتقال بك من مشهد تجرى أحداثه فى القاهرة الى مشهد آخر تجرى أحداثه فى نيويورك أو باريس ، ينتقل بك فى زمن لا يتعدى ثلاث ثوان • ! وأنت حينئذ تجلس أمام شاشة العرض فى ذلك الجو الساحر الذى يلفه الظلام والغموض ومشاعر هى أقرب لعالم الاحلام منها للواقع •• تأسرك الشاشة المضيئة فتندمج فى أحداثها كأنك جزء من تلك الأحداث ، وتساهم خاصية « التقمص الوجدانى » (*) فى ذلك الاندماج •• فتغضب من شخصية وتحبس أنفاسك هلعا على شخصية أخرى كأن ما يحدث هو الحقيقة بعينها ، حينئذ **يختلط الخيال بالواقع وتضعف القدرة التمييزية العقل الواعى حتى يصل الى حالة « تداعى القوى المنطقية » التى تجعل أعماق الانسان وغيابات نفسه مفتوحة على مصراعيها لزرع افكار فى صورة شخصيات تتحرك من خلال الحدث الدرامى بطريقة تجعلك تكره تلك الشخصية (الشريرة)** ، الا انهاتنطبع على جدران العقل الباطن ثم ما تلبث أن تجد نفسك تكره الشخصيات (الحقيقية) التى تطابق ملامح وشكل الشخصية (الدرامية) ••

وهذه الكراهية أو التعاطف أو الحب لشخصيات الفيلم : (فى حالة حدوثها نتيجة للبناء الدرامى للفيلم قد لا تجد لها مبررا عقليا منطقيا فى الواقع • !

الا ان تلك المشاعر الوجدانية سرعان ما يبحث الانسان لها عن قناع منطقى يخفى وراءه تلك المشاعر ، وهذا القناع قد يكون ـ على الأرجح ـ قناعا منطقيا سوفسطائيا • !

وهذا قد يفسر « التعصب » الأعمى لفلسفة ما أو لمذهب معين دون سند عقلى سليم • !

ويرغم ان العلاقة بين التمثيل (الذى هو اب الافلام الروائية) وبين الدين علاقة قديمة ـ « قد عبر فيها الممثل الكاهن عن طقوس العبادة (وليقرب الى اذهان العامة فكرة الالوهية) منذ عهد يرجع الى اربعة آلاف عام (١) » الا ان استخدام التمثيل فى اطاره السينمائى فى عصرنا الحديث يشوبه الكثير من النوايا السيئة التى تهدف الى اذابة الاديان جميعا وعلى راسها « الاسلام » •• والسينمائيون المسلمون انفسهم قد ساهموا فى ذلك ـ بقصد أو بدون قصد !؟ وهذا ما سنحاول القاء نظرة فاحصة عليه فى اللقاءات القادمة ان شاء الله •

مجدى صلاح

(*) التقمص الوجدانى : هو نوع خاص من الشعور الذى يشمل قدرة الفرد على ان يحل محل فرد آخر من الناحية العاطفية وان يتعاطف مع مشاعر الآخرين •

المصدر : التنشئة الاجتماعية والسياسية والنمو الاخلاقى ، تأليف : ريتشارد ويلسون ، ترجمة : د• نايف خيرى ، مجلة الثقافة العالمية عدد ١٠ مايو ١٩٨٣ ص ٩٤ •

(١) فن التمثيل المسرحى ، احمد زكى دار المعارف ص ١٢ •

تعقيب على

الأسس الإعلامية فى

التصور الإسلامى

للدكتور رءوف شلبى - متولى يوسف حسن

بقلم : حسن على العنيبسى

من بدهيات البحث العلمى أن يحدد الباحث مصطلحاته قبل المضى فى بحثه ، كذلك يتحاشى استخدام اللفظ الفضفاض حتى لا يخرجه عن مقصده من بحثه وغايته التى يسعى اليها .

وقد قدمت « مجلة الأزهر » بحثا بعنوان « الأسس الاعلامية فى التصور الاسلامى » ، وفى الحق ، فان ما قدمته المجلة دراسة جادة نحو « اسلام الاعلام » الا أنه قد حوى – فى ضوء الدراسات العلمية فى الاعلام – على بعض الهنات نشير اليها :

* استهل الكاتب بحثه بمقدمة يحدثنا فيها عن نظريات الاعلام ووسائله وأسسه وكنت أتمنى أن يشير بشىء من التوضيح الى كل نظرية من هذه النظريات ، ثم يكشف لنا بأسلوب علمى – عيوب كل نظرية ثم يقدم لنا البديل فى الاعلام الاسلامى .

* كذلك من الطبيعى جدا أن تستخدم هذه الأنظمة غير الاسلامية الاعلام فى خدمة مصالحها دون النظر الى مدى أخلاقية الوسيلة .. ، ومن الضرورى جدا أن يكون للنظام الاعلامى فلسفة نابعة من فلسفة النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لهذه البلاد

٩

التصور الإسلامى

اذ المعروف أن الاعلام يعكس مجتمعه بدرجات متفاوتة .. !

ومن هنا كان الأولى أن يكشف لنا الكاتب زيف هذه النظريات وعدم ملاءمتها لبلاد العالم الاسلامى ثم يقدم لنا البديل فى اعلام اسلامى قوى ..

* والكاتب حين يجعل « المصدر » Source أى القائم بالاتصال هو القرآن الكريم (١) والسنة .. يتجاوز تحديد « المصدر » فى مفهوم الاعلام العلمى فان « المصدر » فى أى عملية اتصالية اعلامية هو الجهة التى ترسل المعلومات أو تبدأ فى الحديث بصفة عامة وبشكل مطلق ، فأنت حين تكتب هذا المقال فأنت « مصدر » أو « مرسل » والقارىء « متلق » .

ولكن ربما كان الكاتب يقصد بهذا القول أن منطلق النظام الاعلامى فى الاسلام أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية أما أن يجعل القرآن الكريم هو « المصدر » فى الاعلام الاسلامى فانه قد تجنب ما حدده « الاعلام » من مفهوم لكلمة « المصدر » أو للعملية الاتصالية بصفة عامة .

ولهذا يمكن القول أن الخطيب فى الاعلام الاسلامى هو « المصدر » والصحفى فى الصحافة الاسلامية هو « المصدر » و « المذيع » أيضا « مصدر » ، ومن هنا يمكن القول أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الاطار العام والدستور الشامل المنظم لسير العمل الاعلامى فى الاسلام .

صحيح أن القرآن الكريم هو « الكتاب الوحيد الذى يعتبر (رسالة ووسيلة) فهو رسالة اعلامية من الخالق الى عباده وهو أيضا وسيلة الاتصال بين الناس وخالقهم .. ، ثمة نظرية اعلامية ترى أن الرسالة الاعلامية هى الوسيلة كذلك (٢) .

ورأى الكاتب فى مفهوم كلمة « المصدر » جره الى تصور آخر مخالف حين (٣) تحدث عن « المصدر » بأنه وحده القادر على المنع والعطاء .

نعم توجد فى الدراسات الاعلامية نظرية اصطلح على تسميتها « حراس البوابات » ويطلق هذا المصطلح على العاملين فى الاعلام حيث ينشر أو يذاع أو يقال ما يريدونه هم ولا ينشر أو يذاع مالا يريدونه مثال « المذيعون »: حين يحددون ما يذاع — وفق تعليمات معينة — ومالا يذاع ، ورئيس التحرير فى صحيفة أو مجلة يسمح بنشر كذا ولا يسمح بكذا .. الخ فليس « المصدر » فى التصور الاسلامى وحده هو القادر على العطاء والمنع وانما هذا فى كل النظم الاعلامية خصوصا ذات الصفة الجماهيرية .

* والكاتب يجعل « الرسالة » (٤) فى

---

١ — راجع المقال ، ص ٩٧١ عدد جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ .

٢ — وصاحب هذه النظرية العالم الاعلامى مارشال ماكلوهان .

٣ — مجلة الأزهر ص ٩٧٢ .

٤ — الرسالة هى أحد أركان العملية الاتصالية فى أى موقف اتصالى يتم بين اثنين .

التصور الاسلامى هى شهادة التوحيد وهذا أيضا فيه تحديد للعملية الاتصالية فليست « الرسالة الاعلامية » هى شهادة التوحيد وحسب .

فان معنى « الرسالة » Message فى العملية الاعلامية : كل ما يصدر عن القائم بالاتصال أو ما يسمى بالمصدر الى المتلقى Receiver .

« خطبة الجمعة » رسالة ، ونشرة الاخبار .. رسالة وهذا المقال رسالة ، « والاعلان » الموجود فى الشارع .. رسالة ، ولافتات المحال رسالة .

وقد تكون الرسالة الاعلامية رمزا أو كلمة أو ضوءا .

وشهادة التوحيد فى النظام الاعلامى الاسلامى ليست رسالة وانما هى أساس الالتزام بأخلاق الاسلام وأعماله فى الاعلام ولكنها ليست « الرسالة » وانما هى « رسالة » من الرسائل المراد توصيلها للناس أما أن يقصر الكاتب « الرسالة » الاعلامية على شهادة التوحيد فهذا مخالف لواقع ما سيقدمه المصدر الاعلامى عن الاسلام عقيدة مرة ، وشريعة أخرى وسلوك .. وغير ذلك .

● والكاتب حين يرى أن « المستقبل » (١) أو « المتلقى » لم يحفل به رجال علم الاتصال اتفق مع نفسه وهو يقول بعدها : لأنه المستهدف المراد تغير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره (٢) » .

ان كل الدراسات والبحوث الاعلامية فى العالم ما قامت الا من أجل «المستقبل» لافهامه ولمحاولة توجيهه وفقا لما يريد « المصدر » أو « القائم بالاتصال » والقول بأن الاعلام لا « يغير » عقلا ولا اتجاها ولا شعورا نظرية قديمة ثبت علميا مدى الخطأ الذى وقع فيه من قال بها .. ، وانما الاعلام « يعدل » السلوك و « يدعم » الاتجاهات وحتى هذا التعديل أو ذاك التدعيم يتم فى فترات طويلة المدى وليس بين يوم وليلة .. فأثر الاعلام « تراكمى » وليس مباشرا .. !!

● وبصدد قول الكاتب « بأن المشاركة بين الداعية والمستقبل فى موضوع الرسالة هى الحلقة التى يغفل عنها واضعو علم الاتصال وهى الحلقة غير المرجوة عندهم » أرجو أن يقرأ نظرية « ولبورشرام » : الجزء الخاص « باطار الدلالة المشترك » (٣) .

● ثم هناك بعض الأقوال أطلقها الكاتب وتحتاج الى مناقشة مثل قوله : ان الاتصال أو عملية الاتصال فى الاسلام فطرية وأنا أقول له: من قال بذلك ؟

وما معنى (فطرية) عندك ؟

● **وأخيرا أرجو أن يكون لدى أخى كاتب المقال من سعة الصدر ما يتقبل به مناقشتى وانى لأشكر له حسن النية واهتمامه بهذا المجال الاعلامى واحساسه بخطورته رغم اغفال المسلمين له وانشغالهم عنه .**

وبالله تعالى وحده التوفيق ..

حسن على العنيسى

---

١ ــ بصيغة اسم الفاعل .

٢ ــ مجلة الأزهر ص ٩٧٢ .

٣ ــ وليرجع ــ ان شاء ــ الى الاسس العلمية لنظريات الاعلام : د. جيهان رشتى ، دار الفكر العربى .

الفتاوى

توزيع التركة

س : من السيد عبد العزيز عطية .

رجل يريد أن يوزع تركته وهو على قيد الحياة ، ويريد أن يميز بعض أولاده الذين لم يتعلموا حتى يتساووا باخوتهم الذين تعلموا . فهل يجوز له ذلك شرعا ؟

ج : يجوز للوالد ان يوزع تركته على اولاده وهو على قيد الحياة ، ولا مانع من ان يميز اولاده الذين لم يتعلموا حتى يتساووا باخوتهم الذين تعلموا .

فى الطلاق

س : من السيد / أحمد محمد عرابى

أنا مريض مرضا نفسيا وأعالج عند أحد الأطباء المتخصصين ، وعندما أغضب تأتينى حالة أخرج بها عن حالتى الطبيعية ولا استطيع التحكم فى أعصابى نتيجة هذا المرض . وأثناء هذا أتلفظ بكلمة « أنت طالق » وقد تكرر منى هذا اللفظ وفى نفس الحالة .. علما بأننى عندما أهدأ أندم على ماحصل منى فما الحكم ؟

ج : هذه الطلقات التى صدرت من الحالف لا يقع بها طلاق ، حيث ان المذكور مريض مرضا نفسيا لا يستطيع معه التحكم فى اعصابه وهو مازال يعالج منه حتى الآن . وهذا على رأى ابن القيم الجوزية .

فى الزكاة

س : من السيد /حسنى محمد خليل .

هل يجوز دفع الزكاة لترميم منزل أملكه، نظرا لفقر المستأجرين وعدم استطاعتهم ذلك.

ج : الترميم واجب بحكم القانون على المالك واذن فلا يجوز ان يدفع من الزكاة شىء لترميم المنزل ، ولكن يجب ان تدفع الزكاة لمصارفها من الفقراء والمساكين وغيرهم فان كان السكان فقراء او مساكين فيجوز ان ياخذوا الزكاة وهم بعد ذلك مخيرون فى ان يساعدوا فى الترميم او لا .. حسب رغبتهم .

فى الميراث

س : من السيد / عبد الرحمن عبدالحميد سعودى .

توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ،أخمين لأب ، عم لأب .. فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث . وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها.

إعداد : عبد الحميد شاهين
يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها او يحجبها • والباقى للأخوة والاخوات لأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى •

س : من السيد / فكرى عبد العظيم نصار

توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ، أختين لأم ، أولاد أخ شقيق •• فمن يرث وما نصيبه؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث •

وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أويحجبها •

وللأختين لأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى •

والمسألة من اثنى عشر جزءا وتعول الى ثلاثة عشر جزءا توزع كما يأتى : —

للزوجة : ثلاثة أجزاء ، وللأخت الشقيقة ستة أجزاء ، وللأختين لأم أربعة أجزاء •

ولا شىء لأولاد الأخ الذكور لاستغراق الفروض التركة ، كما لاشىء للاناث من أولاد الأخ لانهن من ذوى الأرحام المؤخرين عن أصحاب الفروض والعصبات •

والله اعلم

حكم التبنى فى الإسلام

س : من السيد/على دردير محمد — امبابة

ما راى الاسلام فى التبنى وكتابة اسم المتبنى باسم الزوج والزوجة واستخراج شهادة باسمهما ، وما راى الدين فى القرار الوزارى رقم ٥٦ صحة لسنة ١٩٧٤ الذى ينص على : « أن مركز رعاية الطفل يقطع صلته بالطفل تماما بعد تسليمه للمتبنى ، وتقتضى السرية التامة فى شأن التبنى الذى يعتمده النظام القانونى للدولة بعدم اذاعة بيانات تتعلق بالموضوع لأى طالب ولو كان ذا حق فى الطلب ، واخيرا تعطى شهادة سلبية او كتاب سلبى ••• ؟

ج — فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه « وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ » وبذلك فالتبنى بمعنى نسبة ولد ليس من مائه ولا من صلبه اليه حرام بنص القرآن الكريم سواء كان معروف النسب أو مجهوله فالتعالى « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » وبذلك فلا توارث بين الابن المتبنى ومن نسبه اليه •

أما رعاية الطفل وحسن تربيته والعطف عليه من ماله بما لا يضر الورثة فذلك ما يرغب فيه الاسلام •

أنباء وآراء

* الرئيس حسنى مبارك يستقبل فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر

*استقبل الرئيس محمد حسنى مبارك فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر .

من الموضوعات التى دارت فى المقابلة . استضافة مصر وفود المؤتمر العالمى للسيرة النبوية الشريفة فى نوفمبر القادم .

من المنتظر ان يعلن فضيلة الامام الاكبر عن تشكيل الامانة العامة واللجنة التحضيرية للمؤتمر من كبار علماء واساتذة السيرة النبوية !!

*اول مصحف كريم يطبع على مطابع الأزهر فى شهر شعبان .

تبدأ مطابع الأزهر الشريف فى طباعة اول مصحف على مطابع الأزهر الشريف فى شهر شعبان — ان شاء الله — صرح بهذا فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

*افتتح فضيلة الدكتور السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر مبنى كلية البنات الاسلامية ، والمدينة الجامعية وبعض المشروعات الاسلامية بمدينة اسيوط .

جامعة

الملك فيصل

اعلن الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر انه تم اعتماد ١٢ مليون جنيه لاستكمال باقى منشئات جامعة الملك فيصل الأزهرية باسيوط والتى ستتكلف ٣٦ مليون

جنيه . وتعد اكبر جامعة اسلامية متكاملة بالمحافظات .

ومن المنتظر ان تبدأ الدراسة العام القادم فى [illegible] كلية طب ازهرية بالصعيد تكاليف الانشاءات التى تمت فى الجامعة حتى الآن بلغت ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات ، وسيبدأ العمل من الآن فى انشاء كليتى طب الأسنان والصيدلة بهذه الجامعة الجديدة .

التامين وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية

اوصى المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية خلال اجتماعه برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بضرورة تركيز الجهود للتغلب على مظاهر ضعف سوق التامين ومستوى الوعى التاميني ، واصدار قانون خاص ينظم عقد التامين وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية ..

القوانين الغربية فى حاجة الى الشريعة الاسلامية

قال الدكتور كونراد دلجر أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة « هامبورج » الألمانية : ان

إعداد :

أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

ادخال القانون الاسلامى فى المحاكم والدراسات القانونية فى الدول الغربية ، حاجة ملحة فى الوقت الحالى . وقد استجدت دوافع نفسية ومادية ، تدفع الاوربيين الى دراسة القانون الاسلامى والاستعانة به . وأضاف فى المحاضرة التى ألقاها بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف : أن ملاحظة بعض القضايا التى حدثت فى المحاكم الألمانية تؤكد أن النظم الاجتماعية الغربية فى حاجة الى اعادة نظر لتؤكد على الصيغة الاجتماعية التى يجب أن تكون عليها الأوضاع الأسرية .

ان المعاهد العلمية القانونية فى ألمانيا وكثير من الدول الأوربية تقوم بدراسة التراث الفقهى الاسلامى . وان أسماء الأئمة أبو حنيفة والشافعى ومالك معروفة للجميع . كما لا ننسى أن المستشرقين منذ العديد من القرون قاموا بدراسة التراث الفقهى الاسلامى

وهناك نفر تأثروا بالفقهاء ..

وطالب الدكتور « كونراد دلجر » بضرورة أن تعمل الجهات العلمية في مصر على نقل القوانين الشرعية والتعريف بها في دول أوربا، ويجب في هذا المقام تبادل الزيارات العلمية بين الجامعات العربية والجامعات الاسلامية .

أربعون ألف مخطوط إسلامي

أعلن المستشرق الروسي مظفر خيوبيتش مدير معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم بروسيا : أن المسلمين لهم في الاتحاد السوفيتي أربعون ألف مخطوط اسلامي نادر يرجع بعضها الى العصور الاسلامية الأولى وأنها وغيرها تعتبر المصدر الأول للثقافة الاسلامية واللغة العربية وانتشارها في الجمهوريات السوفيتية .

مسجد ومدرسة إسلامية

تم افتتاح مسجد ومدرسة اسلامية جديدة في بلدة « ووتر تاون » الواقعة على الحدود الكندية الامريكية . وكان للاخوة القائمين على تسيير وادارة المركز الاسلامي لشمال ولاية « نيويورك » مساع حميدة في هذا العمل الاسلامي النبيل .

والمسجد والمدرسة ضمن بناية واقعة على مساحة من الارض تبلغ حوالي سبع (هكتارات) تم شراؤها مؤخرا من أجل انشاء مركز تجمع اسلامي يمارس فيه مسلمو المنطقة شعائرهم الدينية ونشاطاتهم الاسلامية . بالاضافة الى عقد المؤتمرات والندوات الاسلامية .

واشارت صحيفة « ووتر تاون ديلي تايمز » اليومية الى افتتاح المسجد والمدرسة الاسلامية في أحد أعدادها قائلة : بأن بناء أول بيت لله في منطقة شمال ولاية نيويورك يعتبر عملا طيبا لاقى القبول والاستحسان من سكان المنطقة غير المسلمين ..

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن تعداد العائلات الاسلامية في المدينة نحو عشرين الى خمس وعشرين عائلة اسلامية .

منظمة للطب الإسلامي

وافق مجلس الأمة الكويتي على مشروع انشاء منظمة للطب الاسلامي

بالكويت تهتم بالعلوم الاسلامية والابحاث فى هذا المجال واحياء التراث الاسلامى وفق منهج علمى حديث ..

جامعة الخرطوم

اقر مجلس جامعة الخرطوم اقتراح الاستاذ عبد الله احمد عبد الله رئيس المجلس بتعريب مناهج التعليم فى الجامعة لتكون اللغة العربية هى اللغة الاولى بالجامعة مع الاهتمام بالانجليزية لغة ثانية . كما يتم التداول داخل مؤسساتها باللغة العربية الآن .

آراء

كتب السيد / رشاد اسماعيل ـ الزقازيق مقترحا . بأن يكون فى المجلة (خطبة جمعة) تسهيلا على الدعاة .

● نشكر لك هذا الاهتمام وأولى به مجلة أسبوعية كذلك يجب على الوعاظ والدعاة ، ونقصد ـ هنا ـ حملة المؤهلات العلمية المتخصصة ـ أن يلوذوا بكتاب الله وسنة رسوله وشروحهما وفى ذلك الكفاية والله الهادى الى سواء السبيل .



كتب السيد / عبد الله احمد رفاعى ـ كلية التجارة ـ جامعة الازهر مقترحا . أن تخصص المجلة بابا يعنى بالاقتصاد الاسلامى ينشر فيه كل ما يخص هذا اللون الكريم من المعاملات الى جانب معاملات البنوك الاسلامية وفى الاسلامية .

ردود خاصة

الأخ / سلامة خضر جمعة ـ المنصورة

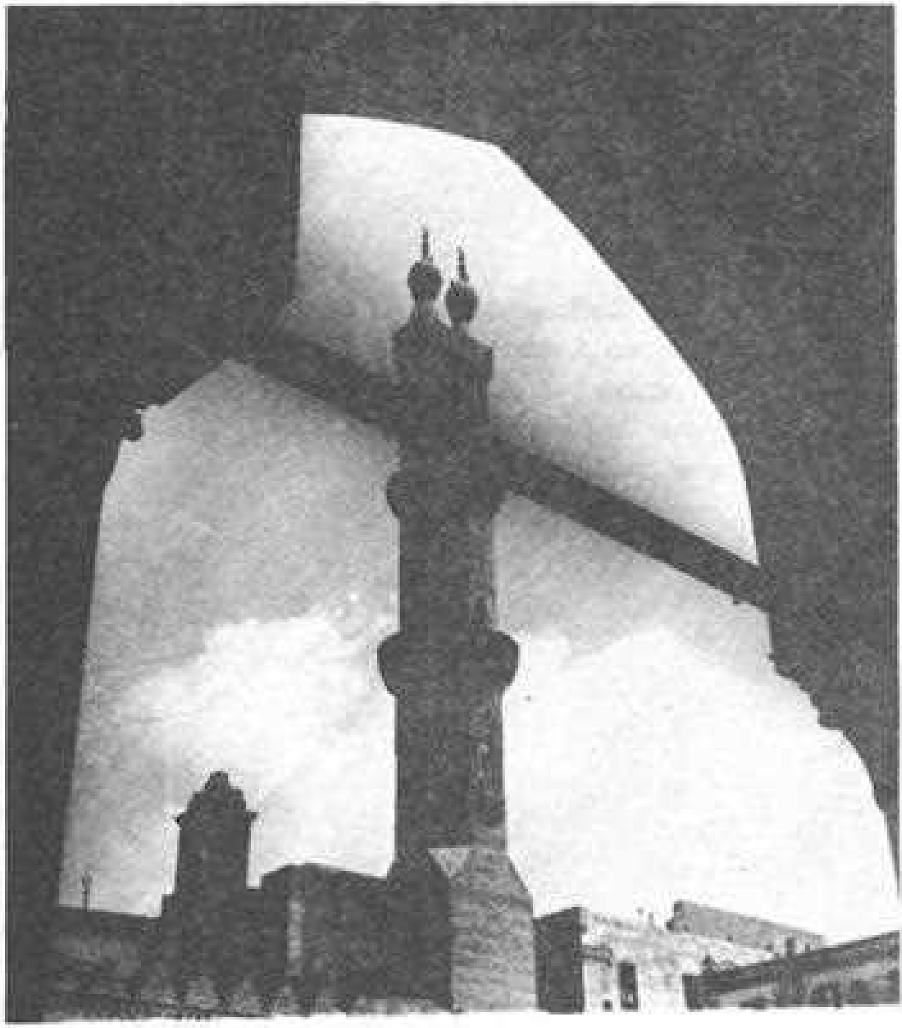
الكهف ـ هو النقب المتسع فى الجبل واذا لم يكن متسعا فهو غار (١) .

(١) مع اعلام المفسرين ـ تفسير سورة الكهف ـ ص ١٠ للشيخ محمد على الصابونى .

فهرس العدد

الموضـــوع	الصـــفحة

الموضوع	الصفحة



الجامع الأزهر

conviction and true faith and do righteousness are promised the felicity of the garden of paradise to enjoy in everlasting bliss.

(To be continued)

Translations from :

To the Glorious Qur'an
Imam Mahmoud Shaltoot
Publications of Administration of Islamic Culture
Al-Azhar University
Cairom 1962.

When it lighted all around him,
God took away their light
And left them in utter darkness
So they could not see.

(Surat Al-Baqara II, 17)

Or (another similitude)
Is that of a rain-laden cloud.
From the sky : in it are zones
of darkness, and thunder and lightning:
They press their fingers in their ears
To keep out the stunning thunder-claps
The while they are in terror of death
But God is ever round
The rejectors of Faith.

(Surat Al-Baqara II, 18)

The Sura proceeds to direct mankind to worship the Creator, the Exalted, and to grant with full conviction the belief in the Message conveyed to them by Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him). Allah has bestowed upon mankind the favours of creation and teaching, and has subdued to their service and exploitation the earth and its uses, and the heavens and the sustenance its water secures. So mankind should realise Reality and Truth and should not set up rivals and false gods with God.

Allah defies and challenges those who doubt the truth of the Revelation to produce a word of its like. Such is utterly impossible to attain. This is stated in brief and decisive words. Those are warned of Fire whose fuel is men and stones prepared for those who reject Faith. Those that believe with

Those that believe that all Revelations are from Allah; and thefore believed, and had assurance of the Hereafter. Men as such are rightly guided by their God and assured of prosperity.

Another group of people is portrayed, those who are belligerent and stubborn, obstinate in disposition, and blind to the signs of Reality and deaf to the voice of Right. The path to their rescue is blocked; and Allah (Exalted be He) describes them to the Prophet (Prayers and Peace From Allah upon him) by the verses.

As to those who reject Faith
It is the same to them
Whether thou warn them,
Or do not warn them
They will not believe
God has set a seal on their
Hearts and on their hearing
And on their eyes a veil;
Great is the penalty they incur

(Surat Al-Baqara II, 6,7)

Then a third class of people is described who were the hypocrites, the most evil and bitter. Similar to the infidels, they inwardly disregarded the call for Truth. However, unlike the bold antagonists, they kept up appearances among the faithful by false compromise and double faced deceit and pretext. The Sura describes those hypocrites in thirteen verses to expose their malice, arrogance, duplicity, Cynicism and evil nature. These verses stigmatises them with much disgrace and discredit. They are those who trade away guidance for error. However, their traffic will not profit ; and they will never be guided. Two similitudes are given to show the accursed doom that awaits them.

Their similitude is that of a man
Who kindled a fire;

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

" The way of those on whom Thou have bestowed Thy Grace, whose portion is not wrath, and who go not astray". These verses show that Those men are three types before the Law of Allah :

1 - Those who abide by the straight path and are distinguished by the attribute of Allah's Grace.

2 - Those who rejected God's Signs out of iniquity and arrogance, and are given the attribute of those who have earned God's anger.

3 - Those who are hesitant between apparent faith and hidden infidelity, and are described as " going astray ".

Comprehensively, " Alfatiha " has fulfilled the essence of the creed during life and after death, giving man the achievement of knowledge. It has also marked the path to grace and righteous conduct, giving man the achievement of self discipline and self government. It encompasses all meanings detailed in the Holy Qur'an.

Sura Al - Baqara

Next to "Al-Fatiha" comes "Al-Baqara" the longest Sura in the Qur'an. It is the first Madina Sura. Its early verses comprise definition of various human catagories as regards the impact of Qur'an upon them. Addressing mankind with the elements of the creed, and drawing attention to various manifestation of Unity in Belief.

It opens with concrete affirmation of the undoubted reality of the Book; and it affirms both its Divine source and its blessed value as a guide of the Righteous and Godfearing. Those who are not enslaved by blind materialism nor by fanatical racism. The men of this class have firm belief in Allah and in the Unseen; and in recognition they are steadfast in prayer;

and spend out from what Allah has provided for them.

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

Sura " ALFATIHA ", the opening sura of the Holy Qur'an, also named the 'Substance of the Book starts with " Praise be to Allah"; so does four other suras namely Al-Anaam, Al-Kahf, Saba and Fatir. Alfatiha comprises seven verses which are rightly placed at the beginning of the Qur'an summing up in comprehensive words man's relation to Allah.

"Al-Fatiha " sums up all that has been detailed throughout the Qur'an. It covers creed, acts and law.

The verses " In the Name of Allah " "Praise be to Allah God of the worlds ", The Most Gracious and Merciful ", all affirm the Unity of Allah, the Sole Creator, Sustainer and Cherisher of all that was, has been and will ever be.

" Master of the Day of Judgement " confirms Resurrection on Doomsday, when man is requited for his deeds.

" Thee do we worship, and Thine aid we seek " displays man's incessant need of his God's succour and sustenance, and excludes any guidance or divinty to whosoever other than Allah.

" Show us the straight way " calls man to search for and follow the directions that Allah has ordained; recommended or prohibited.

THE EGRESS AND THE PROHIBITION

References :

1) Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th, Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commerical Library, Cairo.

3) Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dal Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6) Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

to seek knowledge and wisely inquire into this new creed of faith that has appeared and gained an integral and challenging form in their society. Al-Tofail Ibn Amre Al-Dawsy cheiftain of the tribe of Daws came to Mecca to meet and listen to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him), after which he proclaimed islam, and summoned his people to follow the call of Truth. Also, a delegation of twenty Christians from Negran came to Mecca for the same purpose. After listening to the demands and teachings of islamic creed, and understanding throught their honest Christian faith the Truth and Reality of the new religion, they announced their islam. So continued the slow but steadfast tide of Islam to propagate in subtle propensity among the clans of Koraysh in Mecca and among the Arab tribes at large.

In succession of events, came the death of Khadija Bent Khuwaylid faithful wife of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) ; and so ends the source of sentiment, support and reconciliation. Soon after her death, his uncle Abu Taleb died; and so ends the social support and patronage accorded to him before their death.

This was the year of grief and sorrow. Through divine will, the death of Khadija and Abu-Taleb came at this very crucial phase; and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and all muslims realising with concrete conviction that Allah (Exalted be He) is the Sole Power and Supporter of All.

The summons to Islam continued, and the torch of True belief propagated to light the path to Reality . However, Koraysh remained blinded in darkness of their dire animosity and hatred, continued to inflict the Muslims with abject humility and berating insolent derision; more severe and cruel than ever before.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

THE EGRESS AND THE PROHIBITION

Accordingly, Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb Muslims and non-muslims alike were seriously besieged in the valley of Bani Hashim. The muslims because of their faith, and the non-muslims because they refused to surrender the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) - a man of their clan to the other clans of Koraysh. Only Abu Lahab Ibn Abd Al-Mutaleb took sides with Koraysh. The stringent implementation of the prohibition caused severe distress and dire affliction to those under the impact of the prohibition. Their situation was so grievous and disastrous that they resorted to shrubs and plant leaves for food. This concrete prohibition lasted for three years from the seventh to the tenth year from the start of prophethood.

The termination of the prohibition started by the decision of five men from Koraysh to renounce the document, after perceiving the indignity and disgrace implicated in the continuation of such unwarranted profanity on the part of Koraysh. Their speaker was Zuhair Ibn Umayah who with determined words spoke to the clans of Koraysh insisting to reject the document and terminate the prohibition. He was fully supported and seconded by the other four men, and finally Mutaam Ibn Adii got hold of the document to tear it. The document was moth eaten except for the word " Allah " that remained; a fact that was related by the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to his uncle Abu Taleb before it was discovered. So ended the prohibition, and Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb returned to their homes in Mecca together with the muslims amongst them. The conflict and antagonism of Koraysh towards the muslims, however, continued with relentless adamant acuity.

In the meantime the Qur'an and the doctrines of Islam were steadily propagating among the tribes, it certainly induced people with deep seated wisdom, clarity of thought and freedom of spirit

ordered the envoys of Koraysh to depart, and accepted the Muslims to remain in Ethiopia in safe conduct enjoying his kind protectorship where they remained till the Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to Al-Madina.

The ultimate success of the Muslim egress from Mecca caused great anger and perturbance in the ranks of Koraysh. They finally resoluted to assassinate Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him). With austere insolence and defiance, they consulted Bani Hashim, and Bani Al-Mutaleb the parent clans of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to surrender him to them. Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb refused the request and in challenge insisted to protect the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) against the other clans of Koraysh.

In the course of these stirring circumstances, came the islam of Omar Ibn Al-Khattab; an event that had a pounding and bitter effect on the moral of Koraysh, adding to their mordancy and acrimony. This episode materialised on the hands of his sister Fatimah Bent Al-Khattab, her husband Said Ibn Zayd and their teacher Khabbab Ibn Al-Erit. After a conflicting discourse with them, Omar Ibn Al-Khattab guided by Ibn Al-Erit went to the presence of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to announce his islam. Subsequent to this event, the Muslims convened publicly in the courtyard of the Kabaa. The islam of Hamza Ibn Abdel-Mutaleb, and now Omar Ibn Al-Khattab certainly promoted the position of Muslims, and deprecated that of Koraysh.

The clans of Koraysh resolved to challenge the Muslims and all those who protected them from Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb. They decreed in a written document to prohibit and boycott all social and economic relations with them. The ostracism must strictly be enforced until the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is surrendered to them. The militant clans of Koraysh posted up the document inside the Kabaa as sign of ascertained coalition and resolute determination.

women; nominating as their leader Osman Ibn Mathoon. They remained in Ethiopia for three months under the kind guardianship of the good Christian Ethiopian king Al-Nagashi. They heard news from Mecca that relations between Koraysh and Muslims had improved and that Koraysh embraced Islam. They returned to Mecca and discovered the falseness and fakery of what had reached them of news, and that conditions were more atrocious and turbulent with vehement fierceness. Those that entered Mecca experienced severe hostility and mortification on the hands of Koraysh. Some re-turned to Ethiopia followed by other Muslims conforming with the conciliation of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). This was the second Muslim egress from Mecca to Ethiopia of a total number of eighty three men and eighteen women, including Gafar Ibn Abi Taleb and his wife, Abdullah Ibn Massood, Abdullah Ibn Gahshe, and some Muslims from Yemen Abu Moussa Al-Aashary and several of his clan.

The exodus of these Muslims from Mecca caused severe agitation and anger to the leaders of Koraysh. They decided to send Abdullah Ibn Abi Rabieah and Amre Ibn Al-Aas to Ethiopia in pursuit of Muslims, to meet with Al-Nagashi in an endevour to alienate and antagonise the existing good relations and kind guardianship to the Muslims.

Ibn Al-Aas and Ibn Abi Rahieah contrived in guile cunning strategum; however, Al-Nagashi gifted with honest wisdom and clear provident thought, gathered the Muslims and the envoys of Koraysh in confrontation. Gafar Ibn Abi-Taleb spoke on behalf of the Muslims denying and discarding the words of the envoys, and exposed the falseness and pretext in the words spoken by Ibn Al-Aas and his friend. On the request of Al-Nagashi, Gafar recited verses of the Qur'an from Surat Mariam, in response to which Al-Nagashi shed tears and said " This and that which Jesus Christ spoke, both originate from the same source of Light ". He

THE EGRESS AND THE PROHITION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

IN the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The tyrannical oppression, cruelty and fierce antagonism on the part of Koraysh towards the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Muslims continued relentlessly with bitter hatred. The Muslim minority amidst the expansive majority of the clans of Koraysh in Mecca were helpless with absolutely no means or power to protect themselves. There was yet no divine command by Revelation to resort to armed challenge even for self defence. They remained passive, patient, bearing, unyielding, fully confident, and self supported by the belief in the faith that illuminated their souls. The tyrannical oppression of Koraysh only added to their strength, resoluteness, endurance and constancy.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) witnessed the atrocious cruelty inflicted upon the Muslims and perceived no capacity or provision for their protection, and therefore commended them to depart to Ethiopia, a land of truth and justice; until a time Allah provides for them what He wills. Upon this commendation, the first Muslim egress from Mecca to Ethiopia started; among who departed were Osman Ibn Affan and his wife Rukayah (Daughter of the Prophet - Prayers and Peace from Allah upon him), Abdul Rahman Ibn Aouf, Osman Ibn Mathoon, Musab Ibn Umair, Zubair Ibn Al-Awam, and others, to make a total number of ten men and five

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

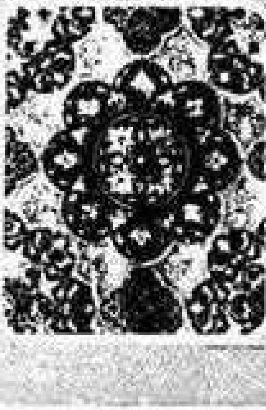
د. محمد الطيب النجار

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر – القاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان
شهر الصفاء والنقاء

هذا شهر رمضان ، غرة الزمان ، ومتجر أهل الايمان ، قد اختصه الله بانزال القرآن وفرض فيه على المؤمنين الصيام ، وجعله أحد أركان الاسلام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١) .

(١) البقرة : ١٨٥ .

* رمضان ١٤٠٤ هجرية * يونيو ١٩٨٤ ميلادية

السنة السادسة والخمسون — الجزء التاسع

رمضان

اليس هذا تنويها من الله سبحانه بفضل شهر رمضان الذى وجب على المسلمين صومه ؟ واليس تنويها بفضل القرآن الذى انزله الله هدى للناس على رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى جاءت رسالته للهداية العامة لجميع الأنام ؟

(وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (١) ٠

وفى شان هذا الشهر وفضله روى ابن خزيمة فى صحيحه عن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال :

(انه قد اظلكم شهر مبارك : شهر كتب الله عليكم صيامه ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وكان له مثل اجره من غير أن ينقص من اجر الصائم شىء) ٠

---

(١) النمل : ٧٧ ٠



شهر الصفاء والنقاء

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

أرأيت أنه شهر الصبر على طاعة الله ، والاستسلام لأمر الله ، والبعد بالصوم عما حرم الله ، ومآل المسلم فيه وبه الى الصفاء والنقاء :

الصفاء من نوازع الشر والآثام .
والنقاء عن اللغو والرياء .

وذلك باعتبار أن الصوم عبادة ورياضة ، وتهذيب لبنى الانسان وتعويد على الصبر والالتزام بطاعة الله والابتعاد عما حرم الله وبه يصبح الصائم مالكا لأمر نفسه ، قويا فى دينه ودنياه ومن هنا كانت تسمية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) .

والصوم نوع من الجهاد فى سبيل الله ، اذ المجاهد هو من جاهد نفسه والزمها الوفاء بطاعة الله والكف عما حرم الله ، وهذا النوع من المجاهدين قد وعدهم الله أجزل المثوبة (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا

﴿إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) .

فى رمضان ينبغى أن تصفو النفوس وتتطهر القلوب من الغل والبغضاء ، ففيه ينادى مناد :

(يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر اقصر) .

وفيه تنزل رحمة الله ويستجيب الله الدعاء ويغفر الخطايا .

حبذا لو انعقدت فيه الندوات والحلقات لتدارس القرآن وسنة خير الآنام ، بل ان على كل أسرة أن تتذاكر أمور دينها وأن تجعل من وقتها ما تستمطر به رحمة ربها وخيراته التى بها تطمئن القلوب وتصفو الأنفس وتسخو الأيدى بالبر والخير والعطاء ، فتنتشر المودة والألفة ، وتندفع الحاجة وتتوثق أواصر المجتمع الاسلامى ، بل والانسانى .

وهكذا كان احياء رمضان بالعبادة وتلاوة القرآن ومداومة الاحسان سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه .

ان الصوم سر بين المسلم وربه ، فهو عبادة لا يدخلها الرياء ومن ثم كان على ما وصفه الحديث القدسى الذى ثبت فى البخارى ومسلم :

(قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فان سابه أحد أو شاتمه فليقل : انى صائم) .

هذا الصوم وقاية من الآثام والاجرام قولا وفعلا ، فهو حصن للمسلم ، وهو وسيلته الى اعتياد الاستقامة والترفع عن الدنايا .

هو رياضة بدنية ونفسية وتربية خلقية ، وهو قوة تدعو الى الحزم والى الحسم .

---

(١) التوبة : ١٢٠ .

تعالوا أيها المسلمون ونحن في غرة هذا الشهر المبارك نتعهد القرآن بالحفظ والتلاوة والتدبر في آياته ، والعمل بأحكامه والجلوس الى مائدة الله التي لا ينفد خيرها .

تعالوا نتخذه شهرا لوقف الاسراف في الطعام والشراب ، ولا نجعله موسما للموائد الزاخرة بما يثقل البطون ويمرض الأجساد ويتلف الأموال .

تعالوا : نتخذه موسما لعلاج السرف والترف ، فنوفر لبلادنا ولأنفسنا الكثير من المنافع والمرافق ونرفع عن كاهلنا عبء هذه الديون التي قد استمرأناها واسترسلنا فيها .

ها هو ذا شهر رمضان اتخذوه موسما للاقلاع عن سيء العادات ، وصوموه احتسابا لربكم ، وقوموه احسانا لعاقبتكم ، وتوادوا فيه ، وتحابوا واكتسبوا فيه بعبادتكم الصفاء والنقاء ، فان الله طيب لا يقبل الا طيبا .

تعالوا نستمع الى وصية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه لنأخذ أنفسنا بها في هذا الشهر المبارك أملا في رضوان الله وهدايته قال — عليه الصلاة والسلام :

« الا أدلك على أبواب الخير ؟
قلت بلى يارسول الله .
قال : الصوم جنة ، الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا :

(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

---

(١) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

من روائع التشريع

صيام نوح عليه الصلاة والسلام

نوح — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — من أولى العزم من الرسل ، ورسالته — صلوات الله وسلامه عليه — فى أصول عقيدتها ، وفى شىء من تشريعها كانت وحيا عاما لكل ما تلاها من رسالات .

ويذكر الرواة فى صيامه وقومه ، آثارا نعطيها ما تستحقه من دراسة ، بعون الله :

أ — جاء فى مسند الامام احمد بن حنبل — رضى الله عنه : « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ثنا أبو جعفر . ثنا عبد الصمد ، عن أبيه عن شبيل ، عن أبى هريرة قال :

مر النبى — صلى الله عليه وسلم — بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى .

فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — :

أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم . فأمر أصحابه بالصوم (١) .

هذا الحديث — الذى رواه أحمد — أدرجه الامام الحافظ ابن حجر ، فى شرحه لصحيح البخارى ، دون تعقيب عليه (٢) .

واذا سكت ابن حجر عن « الحديث » فى « فتح البارى » دل ذلك على «حسن الحديث» أو « صحته » ، كما بين ذلك فى مقدمته ، حين عرض لمنهجه فى ذكر شرح الكتاب .. فقال : عما يقدمه بين يدى هذا الشرح النفيس :

« .. منتزعا كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك » (٣) .

---

(١) الامام احمد بن حنبل — المسند ٢٥٩/٢ — الطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ .

(٢) انظر للحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى — فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى — ٢٤٧/٤ — المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة القاهرة (١٣٨٠) .

(٣) الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى — هدى السارى مقدمة فتح البارى ص (٤) المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة — القاهرة .

للدكتور علي الخطيب

ثم نص الشيخ الساعاتي — في تخريجه لأحاديث المسند على أن « سنده جيد » فقال — عن الحديث :

« لم أقف عليه لغير الامام أحمد ، وسنده جيد (١) » .

لكن بعض الدارسين يعل الحديث بوالد « عبد الصمد » وهو « حبيب بن عبد الله الأزدي » لأنه مجهول ، لا علم لأحد بمكانته من التحديث : هل هو ثقة ، أو صدوق ، أو ضعيف ، أو متروك ولما كان الحكم بـ «وضع» الحديث — في هذه الحال — غير جائز ولا مقبول ، رأى أنه « ضعيف (٢) » فقط .

قلت : ولكن الحديث استشهد به ابن حجر ، وهو نفسه صاحب « تهذيب التهذيب » وصاحب « التقريب » الذي بين فيهما أن حبيبا « مجهول » فكيف سكت عنه في «الفتح» وأورده بحيث يفهم منه أنه « حسن (٣) » ان لم يكن « صحيحا » ، وهو العالم بالرجال ، صاحب التآليف فيهم ؟

انما كان الأمر كذلك ، لأن للحديث شاهدا آخر — عند ابن حجر — قد أورده — بدوره — في « فتح الباري » أيضا ، وهو من رواية ابن عباس — رضي الله عنهما — قال ابن حجر :

« وقد أخرج أحمد — من وجه آخر — عن ابن عباس — زيادة في سبب صيام اليهود له ، وحاصلها أن السفينة استوت على الجودي فيه فصامه نوح وموسى شكرا (٤) » .

فللحديث اذن روايتان ، تشهد كل منهما للاخرى ، ولا على ابن حجر من سبيل اذا أورده بشرطه في « فتح الباري » . وقال — رضي الله عنه — معقبا :

« وكأن ذكر موسى دون غيره ، هنا لمشاركته لنوح في النجاة ، وغرق أعدائهما (٥) » .

روى الامام محمد بن جرير الطبري ، قال :

« حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي (٦) ، عن قتادة قال :

هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم

---

(١) الشيخ احمد بن عبد الرحمن البنا — الشهير بالساعاتي — الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني — ١٠/١٧٧ — ١٧٨ — ط اولى ٣٥٧ مطبعة الفتح الرباني .

(٢) هذا رأي بعض الاساتذة الزملاء بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) راجع حرف « الحاء » المهملة بكلا المصنفين لابن حجر .

(٤) ابن حجر — فتح الباري ٤/٢٤٨ .

(٥) نفس المرجع بنفس المقام .

(٦) الرواة في هذا الخبر هم : القاسم بن الحسن ، عن الحسين بن داود الملقب بـ : سنيد « مصغرا » ، عن الحجاج بن محمد المصيصي ، عن أبي جعفر : عيسى بن أبي عيسى ماهان الرازي عن قتادة بن دعامة ابن قتادة السدوسي البصري » .

فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطرا فليصم (١).

ومثل هذه الأخبار لا يتحدث بها التابعى الثقة عن رأى .

وما ورد لنا فى صيام نوح يمكن أن نستنتج منه أن الصيام كان بشريعته فرضا ونفلا ، اذ

كان فى قومه يوم « الجودى » مفطرون ، ولو كان صيامه فى هذا اليوم فرضا ما كان بحاجة الى تنبيه المفطر أن يصوم .

فأما ما أورده (ابن ماجه) بشأن صيام نوح الدهر ، فحديث ضعيف وان كان لاسبيل الى الطعن فيه بكذب ، قال رضى الله عنه :

« حدثنا سهل بن أبى سهل ، ثنا سعيد بن أبى مريم ، عن ابن لهيعة (٢) ، عن جعفر بن

ربيعة ، عن أبى فراس ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله — صلى الله

عليه وسلم — يقول : « صام نوح الدهر الا يوم الفطر ويوم الأضحى » .

ورجال هذا الحديث جميعا ثقات الا ابن لهيعة ، فهو صدوق وهم ، مات عام أربع

وسبعين ومائة من الهجرة ، واحترقت كتبه سنة سبعين ومائة ، ولا دلالة — بين أيدينا —

تقطع بأن الحديث من روايته قبل احتراق كتبه، وقد قال الامام الذهبى فيه :

(العمل على تضعيف حديثه (٣)) .

واذا كان الحديث لدى المحدثين ضعيفا ، ولا دليل على أنه كذب ، فان دلالته « التاريخية » ليست بعيدة عن واقع الأمور :

فقد تحرينا فى صيامه : الفرض والنفل .

فأى مانع يمنع أن ينتهى صيام الفرض فى شريعته بـ « عيد » للفطر ؟

و « القربان » أمر مقرر فى الشرائع القديمة من عهد آدم — عليه الصلاة والسلام — وهو

من وجه يماثل « الأضحيه » فى الاسلام ، فما يمنع أن يكون لهم أضحية أو عيد للقربان ؟.

ليس ما يمنع وجود العيدين ، بل ذلك هو الأقرب فى سنن التشريع وهو الأقرب أيضا فى تحريم الصيام فى هذين اليومين .

---

(١) راجع بتفسير الطبرى — تفسيره للآية رقم (٤٤) من سورة هود .

(٢) بزنه كريمه .

(٣) الامام الذهبى — الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ١٢٢/٢ مطبعة دار التاليف بالمالية بمصر ١٩٧٢ . وراجع لابن حجر — تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥ — ٣٧٧ .

وقد أورد ابن كثير – رضى الله عنه – بتفسيره رأيا يرى أن المراد : بـ « الذين من قبلكم » فى آية الصيام – هم قوم نوح ومن بعدهم فقد روى : « ان الصيام كان أولا (أى فى الاسلام) كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر : ثلاثة أيام – عن معاذ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، زاد :

« لم يزل ذلك مشروعا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان (١) ».

كيفية الصيام فى شريعته – صلى الله عليه وسلم : –

تقدمت لنا أصول رسالة تامة ، كانت – كما ذكرت – وحيا عاما لما تلاها من رسالات فى أصولها وبعض تشريعها مما يجعل أصحابها أهل كتاب سماوى خالص ، وتلاوتنا لسورة « نوح » تهدينا الى أصول هذه الرسالة فى عقيدة « الوحدانية » المصفاة التى بعث بها نوح – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وهذه الدراسة تقدم شيئا من تشريع الصيام فى تلك الرسالة .



لذلك نستطيع أن نستأنس لكيفية الصيام فى هذه الشريعة بما رواه الامام مسلم فى صحيحه – قال – رضى الله عنه :

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث عن موسى بن على عن أبيه عن أبى قيس – مولى عمرو بن العاص ، عن عمرو بن العاص ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

« فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » (٢) فكان هذا الصيام – والله أعلم :

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ٢١٣/١ دار احياء الكتب العربية .

(٢) صحيح مسلم ٣/١٣٠ ، ١٣١ مؤسسة الطباعة دار التحرير للطبع والنشر .

من بواكير التشريع

كف عن المطعم والمشرب والمنكح النهار كله ومعظم الليل وانما ورد التخفيف في شريعة رسولنا — صلى الله عليه وسلم — في قوله تعالى :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » (١) .

التحريم الأبدى في شريعته عليه الصلاة والسلام .

ونعنى بالأبدى : الكف عن نوع أو أكثر من الطعام أو الشراب على سبيل التحريم الدائم.

ويبدو أن هذا اللون من التحريم لم يرد في شريعته — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

قال ابن كثير :

« ان نوحا — عليه السلام — لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها » (٢) .

والقرآن الكريم يصدق ذلك ، قال تعالى :

« كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ » (٣) .

وابن كثير — رضوان الله عليه — دارس للعهد القديم دراسة مستفيضة ، يعلم ذلك من عكف على تفسيره ، ودرس منهجه في مقدمة كتابه الجليل « تفسير القرآن العظيم » فقد صرح في هذا المنهج بتصديقه للأخبار الاسرائيلية التي يصدقها الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة » أو كلاهما .

وقد ورد في العهد — بصدد نوح — عليه السلام :

« كل دابة حية تكون لكم طعاما ، كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع » (٤) اى شريطة ذكاة مايذكى منه .

وقد كان يعقوب — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ممتعا بتلك الاباحة حتى حرم هو على نفسه لحم الابل أو عروقها وألبانها .

د/على الخطيب

---

(١) البقرة ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ١/٣٨٢
(٣) آل عمران الآية ٩٣
(٤) التكوين ٩/٤و٥

دراسات قرآنية

رؤية الهلال
والحساب الفلكى

القرآن الكريم
كيف نزل من السماء
فى رمضان ؟

غزوة بدر الكبرى
ومقومات النصر
على العدو المتفوق

رُؤيَةِ الهلال والحساب الفلكى

البيـــان

شرف الله شهر رمضان بانزال القرآن الكريم فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، ليكون هاديا للناس وبينات من جنس الهدى الالهى والفرقان السماوى الذى يفرق بين الحق والباطل؛ ومن اجل ذلك جعل الله هذا الشهر موسما لركن من اهم اركان الاسلام هو الصيام .

ولما كانت الشهور القمرية التى يدور أمر الصيام عليها تكون تارة تسعة وعشرين يوما ، وأخرى ثلاثين يوما ، فلهذا أوجب الله صيامه على أساس العلم بهلاله ، وذلك بقوله سبحانه « **فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** » فالمراد بشهود الشهر العلم بمجيء رمضان ، وذلك اما باستكمال شعبان ثلاثين يوما ، واما برؤية هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه الأئمة « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » ولفظ البخارى « الشهر تسع وعشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » رواه ابن عمر .

ويحكم القاضى بثبوت الرؤية اذا شهد بها عنده عدلان او اكثر ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم « فان شهد ذوا عدل فصوموا وأفطروا » .

وقال الامام ابن حجر : ان الشهادة بها ليست محض شهادة ، بل فيها شوائب من الرواية التى تقبل من عدل واحد ، فلهذا يحكم بثبوت الهلال بشهادة عدل واحد ، وذلك فى هلال رمضان ، أما هلال شوال فلا يثبت الا بشهادة عدلين اثنين احتياطا للصوم فى كليهما .

واذا غم الهلال ليلة الثلاثين من شعبان وجب فطره عند الشافعية ، ولا يصح صومه الا قضاء عن فائت أو أن يوافق عادة له ، كمن اعتاد صيام الاثنين فوافق الثلاثين من شعبان ، وأجاز أبو حنيفة وأصحابه صيامه تطوعا ،

قال الله تعالى: "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه" الآية ٨٥ من سورة البقرة

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وبه قال الليث بن سعد وأحمد ومالك فى المشهور عنه :

ويرى بعض الحنفية صحة صيامه عن رمضان مع الكراهة ، وفى المسألة أقوال عديدة ذكرها الامام العينى فى كتابه عمدة القارى .

والصواب ما ذهب اليه الشافعية ، فقد صح عن عمار بن ياسر أنه قال « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ــ صلى الله عليه وسلم ــ » والصحابى لا يقول ذلك من قبل رأيه ، فله حكم المرفوع .

اختلاف الأقاليم فى الرؤية

اذا رؤى الهلال فى بلد ولم ير فى بلد آخر ، فان كانا متقاربين وجب على أهل البلدين الصوم ، وان كانا متباعدين وجب الصوم على أهل البلد الذى رأوه ، ولم يجب على من لم يروه ، لما رواه الامام مسلم عن كريب قال « قدمت الشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة فقال عبد الله بن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيت ؟ قلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية .

فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل العدة أو نراه ، قلت : أولا نكتفى برؤية معاوية ؟ قال : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

هذا ما قاله أبو اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى فى كتابه المهذب ، وعلق عليه الامام النووى فى المجموع شرح المهذب فقال (١) **(المسألة الثالثة)** اذا رأوا الهلال فى رمضان فى بلد ولم يروه فى غيره ، فان تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد ، ويلزم أهل البلد الآخر الصوم بلا خلاف ، وان تباعدا فوجهان مشهوران :

(أحدهما) لا يجب الصوم على أهل البد

(١) جـ ٦ ص ٢٨٣ طبع منير الدمشقى .

رؤيـة الهـلال

الآخر ، وبهذا قطع المصنف والشيخ أبو حامد الغزالى والبندنيجي وآخرون وصـــححه العبدرى والرافعى والأكثرون .

(والثانى) يجب وبه قـال الصـيمرى .. الخ ثم قال الامام النووى : والصحيح الأول .

وقد عقبه بقوله : وفيما يعتبر بــه البعـد والقرب ثلاثة أوجه (أصحها) وبه قطع جمهور العراقيين والصيدلانى وغيرهم أن التباعد يختلف باختلاف المطالع كالحجاز والعراق وخراسان ، والتقارب أن لا يختلف كبغداد والكوفة ـــ ثم قال ـــ (والثانى) الاعتبار باتحـاد الأقـاليم واختلافها ، فان اتحدت فمتقـــاربان ، والا فمتباعدان ـــ ثم قال ـــ (والثالث) أن التباعد مسافة قصر الى آخر ما قال .

مصر ورؤية الهلال

وقد كانت مصر الى وقت قريب هى صاحبة القرار فى اثبات الرؤية لهلال رمضان أو نفيها ، فلا تعتمد فى رؤيته على قطر آخر قرب أو بعد ، وهذا حقها الشرعى وحقها القيادى ، ولكنهـا منذ وقت غير بعيد ، جعلت تعتمـد فى رؤيـة الهلال على سواها بطريقة التبعية والتقليد .

وتظل تنتظر أخبار الأقطـار الاســلامية القريبة ، حتى تحكم بمقتضاها ، وربما تضارب الحكم فى ليلة واحدة كالذى حدث فى العــام الماضى ، وترتب عليه ما ترتب من افطار بعض المسلمين وصيام البعض الآخر ، حتى اكتشف المفطرون تغير القرار فأمسكوا .

وما كلفنا الاسلام بذلك ، فان أهل الحجاز صاموا بعد أن أتموا شعبان ثـلاثين يـوما ، لأن الهلال لم يروه ليلة الثلاثين من شـعبان ، وأهل الشام رأوه ليلة الثلاثين فأصـبحوا صائمين ، ولما علم ابن عباس بما حـدث فى الشام رفض هو وأهل الحجـاز أن يـأخذوا برؤيتهم ، كما تقدم فى حديث كـريب ، وأفتى بأن لكل قطر حكمه فى الرؤية ، فهل مصر أعلم بفقه السنة من عبـد الله بن عبـاس وأهـل المدينة .

ان اقليم الحجاز مجـاور للشـــام ، ولم يأخذوا برؤية أهل الشام ، فلمـاذا يتـوقف الصيام فى مصر على الرؤية فى السعودية مـع انها ليست مجاورة لنا ، ولماذا لا يعود الحكم فى الرؤية الينا نحن كما كان لنا من قبل وكمـا تمنحه لنا السنة .

لقد مضى القول الأصح بأن العراق لا يأخذ برؤية الحجاز ولا العكس لاختلاف المطالع ، وانما تأخذ بغداد برؤية أهل الكوفة ، وتأخذ الكوفة برؤية أهل بغداد لأنهما من اقليم واحد ومطلعهما واحد بل لقد قال بعض الفقهـاء ان مسافة القصر لا توجب التبعية فى رؤية الهـلال فكيف بالبعد الاقليمى والاختلاف فى المطالع .

لماذا تنفرد مصر بظاهرة التردد فى الحكم برؤية الهلال فى رمضان ، ولا يحدث مثله فى جميـع الدول الاسلامية ، فكلها تعتمد على رؤية الهلال فى بلادها ـــ كما فعل أهل المدينة وعلى رأسهم ابن عباس ـــ ولا يجدون حرجا فى أن يتقدموا أو يتأخروا عن سـواهم .

شهر واحد لا يصح الاختـلاف فى هلاله

وبعدما تقدم نقول ان شهرا واحدا يجب فيه اجماع المسلمين على هلاله ، وهـو شـهر ذى

الحجة لأن مناسك الحج تكون فيه ، والوقوف بعرفات فى تاسعه ، ويوم النحر عيد المسلمين فى عاشره ، فالقول فى هلاله لأهل الحجاز الذى تقع مناسك الحج فيه ، فلا يخالفهم أحد فى الحكم برؤية هلاله وعلى المسلمين فى بقاع الأرض أن يجعلوا عيد النحر لديهم مرتبطا بعيد النحر فى أرض المناسك توحيدا لميقاته مع ميقات أهل الحرم عمارا وزوارا .

هل يعمل بالحساب عند الغيم

قال القرطبى فى المسألة الثالثة فى تفسير هذه الآية — موضوع المقال — : (وقد ذهب مطرف ابن عبد الله — وهو من كبار التابعين — وابن قتيبة من اللغويين فقالا : يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها فى صوم رمضان ، بحيث لو كان صحو لرئى الهلال .

لقوله صلى الله عليه وسلم « فإن غم عليكم فاقدروا له » أى فاستدلوا عليه بمنازله ، وقد روا اتمام الشهر بحسابه) .

وقال ابن سريج ان غم الهلال وعرفه رجل بالحساب ومنازل القمر دخول رمضان يلزمه الصوم ، لأنه عرف الشهر بدليله ، فكان كمن عرفه بالبينة .

وفسر قوله — صلى الله عليه وسلم « فان غم عليكم فاقدروا له » بمعنى فاحسبوا له ، وجمع بين هذه الرواية وبين رواية « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » بأن الأولى لمن يعرف منازل القمر وحساب النجوم ، والأخيرة لمن لا يعرف — نقله صاحب المهذب .

وجاء فى الكفاية ما نصه « وعن الشيخ أبى حامد الغزالى أنه ذكر فى التعليق وجها آخر ، وهو أن ذلك بمنزلة الشهادة على الرؤية ، فيتعدى الوجوب ممن عرفه بالحساب الى من لم يعرفه » وبهذا الرأى قال جماعة من العلماء ، وخلاصته أن الحاسب وغيره ممن علم بحسابه ، اذا أثبت أن يوم الثلاثين من شعبان هو أول رمضان ، وجب عليهم صيامه ، لقيام الحساب مقام الرؤية ولا يشترطون عند الغيم تعددا ، وانما يشترطون أن يكون الحاسب ثقة فى فنه ، كما يشترط فى رائى الهلال أن يكون عدلا .

وكما يؤخذ بحسابه عند الغيم يؤخذ به عند الصحو اذا دق الهلال وتعذرت رؤيته بالعين المجردة ، كما يؤخذ بقول الراصد بآلات الرصد الحديثة ، فانها أولى من العين المجردة ، لبعد مداها ودقتها ، وتعظيمها للجرم الصغير حتى يرى .

اذا تعارضت الرؤية والحساب

اذا أثبت الشهود فى الصحو الهلال ، ودل الحساب على خطأ هؤلاء الشهود ، فان بعض العلماء يقدمون الرؤية على الحساب ، وهذا هو رأى الجمهور ، ولعله ناشىء من عدم وصول الحساب وقتئذ الى الدرجة التى يرجح فيها على الرؤية ، أما وقد وصل الآن الى أدق درجة وأصحها ، فانه أولى بأن يقدم على الرؤية .

ولهذا قال ابن السبكى ما ملخصه: محل قبول شهادة العدل بل العدلين ، اذا دل الحساب على امكان الرؤية ، فان دل على عدم امكانها — وهو يدرك بمقدمات قطعية لم تقبل : أ هـ نقله ابن حجر فى الاتحاف .

رؤيــة الهــلال

وفي هذا المعنى يقول القليوبي في حاشيته على الخطيب ، عند قوله « وتثبت رؤيته بعدل » ما نصه : أي ان لم يدل الحساب القطعي على عدم رؤيته ، والا لم يعمل بقول العدل وان تعدد بل يحكم بكذبه ـ كما قال العبادي : وهو مما لا يجوز القول بخلافه .

وقال ابن عوض ما ملخصه : ذكر في الكواكب الدرية ، أن الحساب مؤسس على آلات رصدية محسوسة ، يتوصل بها الى معرفة مقادير حركات الكواكب وغيرها ، فان تلك الآلات اذا وضعت على وضعها المخصوص عند أهل هذه الصناعة ، أفادت بواسطة معظمة ـ أي آلة معظمة ـ حركات الكواكب ومقاديرها ومواضعها وأبعادها بعضها عن بعض بالحس والمشاهدة ، وعلى ذلك أسست الأزياج التي أثبتت مقادير حركات الكواكب وما ينشأ عنها من حساب الأهلة وغيرها ، ولهذا تكون قطعية الدلالة ـ كما قال ابن السبكي .

واشترط ابن حجر لايثار الحساب والرصد المذكورين على الشهادة، أن يكونا من عدد يؤمن معه الخطأ ، كما ذكروه في التواتر ، وليس لذلك عدد معين ، واقله خمسة على الراجح .

فمما سبق يمكن الاعتماد في اثبات رمضان على الحساب المذكور ، لمنع الاضطراب الذي يحصل من تضارب الحكم بثبوت الهلال مرة ونفيه أخرى ، كما يمكن به اثبات هلال شوال وسائر الشهور ، كما يمكن به توحيد المواسم في البلاد الاسلامية ان أخذت به عملا بفتوى هؤلاء الائمة .

تنبيهان هامان

١ ـ يشير كلام ابن حجر في التحفة ، الى أن لأئمتنا الشافعية ثلاثة أقوال :

فيما اذا دل الحساب القطعي على استحالة الرؤية (احدها) رد الشهادة مطلقا ، وهو عليه السبكي وهو الأدق في النظر ، لأن وجود الهلال الشرعي ـ وهو الذي تمكن رؤيته حقيقة لا يمنعه الحساب القطعي ، وحيث منحه دل على استحالة رؤيته ، لأن قواعد الحساب مؤسسة على آلات رصدية مضبوطة ، دقيقة ، يتوصل بها الى معرفة مقادير حركات الكواكب ، فالاخبار عما ينشأ عنها من حساب الأهلة ، اخبار عن أمر قطعي ، مع ما في ذلك من استصحاب أصل محقق ، وهو بقاء الشهر .

(وثانيها) قبول الشهادة مطلقا وهو ما عليه الرملي

(وثالثها) التفصيل وهو ما عليه ابن حجر وهو أقواها ، لاعتباره تعدد الحساب المقوى لرد الشهادة ـ وقد مر بيانه .

٢ ـ يرى المالكية :

انه لا يؤخذ بقول الحساب في اثبات الهلال ولا يعمل به وان وقع في القلب صدقه ، لأن الشارع حصر الثبوت في الرؤية أو اكمال العدة .

الصيام في البلاد التي لا هلال فيها

يوجد بعض الاقطار لا يطلع فيها هلال ، ويأتي عليها زمن يكون وقتها كله نهارا أو ليلا كالبلاد القطبية ، فهؤلاء لا سبيل لهم الى رؤية الأهلة حتى يعرفوا أوائل الشهور القمرية جميعا ومنها شهر رمضان ، فكيف يعرفون قدومه ، وكيف

يصومون ؟ والجواب على ذلك أنهم يعرفون قدوم شهر رمضان من أقرب البلاد التي يوجد فيها مسلمون ويظهر فيها الهلال ويكون النهار فيها معتدل الزمان ، فاذا كان هؤلاء يصومون ست عشرة ساعة من طلوع فجرهم الى غروب شمسهم مثلا ، فعلى أولئك الذين يدوم نهارهم أن يصوموا منه ست عشرة ساعة ويفطروا ثماني ساعات .

ويجعلوا لهم يوما اعتباريا مقداره أربع وعشرون ساعة ، ويمضون في صومهم وفطرهم على هذا النحو حتى ينتهي رمضان عند الذين لهم ليل ونهار وشروق وغروب ، فينتهي صيامهم معهم ، ويصلون صلاة عيد الفطر في أول شوال عند غيرهم في يوم اعتباري جديد عندهم . وعلى من يدوم الليل عندهم أن يفعلوا مثل ذلك في ليلهم ، فيقدرون فيه أياما اعتبارية يصومون بعضها ويفطرون بعضها على النحو السابق .

صلاة التراويح وعددها ودليلها

يختص شهر رمضان دون باقي الشهور بصلاة تسمى صلاة التراويح ، وتكون بعد صلاة العشاء والاصل فيها ما أخرجه الامام البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فصلى فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد فانه لم يخف على مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها ، فتوفي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والامر على ذلك »

ولم يفصح هذا الحديث عن صلاة الصحابة بصلاة الرسول : أكانت على سبيل الجماعة ، أم كانت أسوة بما يفعله رسول الله ، دون أن يرتبطوا معه بنية الجماعة .

وكانت صلاته هذه لا تزيد على احدى عشرة ركعة بوترها ، فقدروى الامام البخاري بسنده عن أبي أسامة بن عبد الرحمن ، أنه سأل عائشة رضي الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في رمضان ؟

فقالت : ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلاتسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثا .
فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟

قال : يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي .

وظل الناس يصلونها فرادى بعد أن تخلف عنهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكان الامر كذلك في خلافة أبي بكر وصدر خلافة عمر رضي الله عنهما ، ثم جمع عمر الرجال على قارىء واحد يؤمهم ، أخرج الامام البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القاري انه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان الى المسجد ، فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط .

○ رؤية الهلال

فقال عمر : انى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتى ينامون أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله » .

ومعنى الجملة الأخيرة من كلام عمر رضى الله عنه أن التراويح فى آخر الليل أفضل منها فى أوله ، فلو قاموا أوله وصلوا القيام آخره لكان أفضل .

وروى سعيد بن منصور من طريق عروة (أن عمر جمع الناس على أبى بن كعب ، فكان يصلى بالرجال وكان تميم الدارى يصلى بالنساء) ورواه محمد بن نصر فى كتاب قيام الليل له من هذا الوجه فقال سليمان بن أبى حثمة بدل تميم الدارى ، ولعل ذلك كان فى وقت ، وهذا كان فى وقت آخر .

ولم يأت فى هذا الحديث العدد الذى جمعهم عليه عمر رضى الله عنه .

وذكر عبد الرازق فى المصنف بسنده عن السائب بن يزيد (أن عمر بن الخطاب جمع الناس فى رمضان على أبى بن كعب وعلى تميم الدارى على احدى وعشرين ركعة يقومون بالمئين ، وينصرفون فى بزوغ الفجر) قال ابن عبد البر هو محمول على أن الواحدة للوتر .

وفى رواية أخرى عن السائب أنه جمعهم على ثلاث وعشرين ـ وتلك الرواية محمولة على أن الثلاث للوتر ، والباقيات للتراويح .

وروى الامام مالك فى الموطأ بسنده عن السائب بن يزيد أنه قال (أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميما الدارى أن يقوما للناس باحدى وعشرين ركعة ، قال : وقد كان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف الا فى بزوغة الفجر) وهو اختيار الامام مالك لنفسه واختاره أبو بكر العربى .

وهذا هو الموافق لفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما سبق ذكره فى حديث البخارى عن عائشة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره عن احدى عشرة ركعة وسميت صلاة التراويح لأنهم كانوا يستريحون بعد كل أربع ركعات ، وهذه الركعات الأربع تسمى ترويحة مجازا .

وهذه التراويح هى قيام رمضان الذى رغب فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم بقوله .

« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

وحسبنا الله وكفى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

القرآن الكريم

كيف نزل من السماء في رمضان؟

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

القرآن ورمضان :

القرآن اسم كتاب الله خاصة ، ولا يسمى به شيء من سائر الكتب غيره وانما سمى قرآنا لانه يجمع السور فيضمها وتفسير ذلك في آية من القرآن الكريم قال الله جل ثناؤه : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) ، ولقد اختار الله شهر رمضان ليكون مظهرا لرحمته بعباده واصطفاه على سائر الشهور ليفيض فيه منته العظمى ونعمته الكبرى على الناس وهى القرآن الكريم حاملا هداية السماء الاخيرة الى اهل الأرض ، وبتعاليم هذا الكتاب سما العقل الانسانى على الوثنية المظلمة والخضوع لغير الله الى التوحيد الخالص النقى فاصبح الانسان لا يعرف الا ربا واحدا تعنو له الوجوه واليه تنيب القلوب.

القرآن الكريم :

هو كلام الله تعالى المنزل على النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ المتعبد بتلاوته والمنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل مبرأ من التغيير والتبديل حفظا في الصدور وتسجيلا في السطور ، يتصل هديه وارشاده الى جميع الأمم في جميع العصور غير محدود بزمان ولا محصور في مكان يشتمل على مائة وأربع عشرة سورة عجز العظماء والبلغاء من العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله مع أنهم فرسان ميدان الفصاحة ومالكو أزمة البلاغة مما يقطع بأنه ليس من عمل البشر وانما هو قول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين .

ذلكم هو جبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم نزله بلسان عربى مبين على قلب النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتلقنه منه كما يتلقن

التلميذ من أستاذه نصا من النصوص فلا صنعة فيه للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا لأحد من الخلق ، وانما هو نزل من عند الله بلفظه ومعناه (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) .

فلا مراء ولا غرابة بعد ذلك أن تساقطت أساليب العرب حوله وانحنت جباههم اكبارا لبلاغته وتقديرا لفصاحته ، وقد حوى من المعرفة كنوزها ومن التوجيه والارشاد أسمى المبادىء وأنبل الغايات عصمة للانسانية من أن يستهويها الشطط واللجج .

ولقد أتى القرآن الكريم بكل جديد وباكثر وباكبر مما أتى ويأتي به أي جديد ، وان جدته حقيقة وجدت ولا تزال موجودة حتى اليوم ومستمرة الوجود كما شاء الله رب العالمين ، كما كان جديدا على عقل انسان القرون الاولى لنزوله فانه بفكره المشرق المضيء وبما أتى به في مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم هو جديد أبدا وسيظل هو الجديد دائما على مر العصور والأجيال والأحقاب ، فهو خلاصة لكل ما في الحياة من حقائق ومعارف وعلوم وثقافات ومنهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية فهو كتاب الانسانية كلها وصحيفة البشرية قاطبة .

(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

كيف نزل القرآن الكريم من السماء .

مما لا خلاف فيه أن القرآن كان مسجلا أساسا في اللوح المحفوظ ثم نزل بعد ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان في بداية البعثة المحمدية الى بيت العزة في السماء الدنيا قال تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) .

وقال جل شأنه :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) .

وقال سبحانه :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

لكن العلماء اختلفوا في كيفية انزاله من اللوح المحفوظ على عدة أقوال

أحدها : نزل الى السماء الدنيا في عشرين « ليلة قدر » أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة وهذا القول ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال (يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى مثلها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم توقف) .

ثانيها : أن القرآن ابتدىء انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي .

ثالث هذه الاقوال: ما حكاه الماوردي من أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل ملك الوحي في عشرين ليلة وان جبريل نجمه على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في عشرين سنة ، ويقول الامام جلال الدين السيوطي أن هذا القول الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق

الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة).

القول الرابع : وهو الأصح الأشهر ، أن القرآن الكريم نزل الى بيت العزة فى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجما فى عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف فى مدة اقامته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة المكرمة بعد البعثة ومما يقوى هذا الرأى ويجعله أقرب الى القبول ما يأتى :

١ ـ ما ذكره ابن عباس رضى الله عنه قال (نزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ،وكان الله ينزله على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعضه فى اثر بعض) .

٢ ـ كما ورد عن ابن عباس انه قال (انزل القرآن فى ليلة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ قوله تعالى (**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**) سورة الفرقان ٣٣ وقوله جل شأنه :

« **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** » سورة الاسراء ١٠٦

٣ ـ وعن ابن عباس قال (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ



٤ ـ وعن ابن عباس انه سأله عطية بن الأسود فقال (اوقع فى قلبى الشك قوله تعالى (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**) وقوله (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) وهذا نزل فى شوال وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة وفى المحرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس انه انزل فى رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم انزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والأيام .

رسلا تعنى رفقا

وعلى مواقع النجوم تعنى على مثل مساقطها يريد أن القرآن انزل مفرقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق .

٥ ـ حكى الاجماع على انه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا قاله ابن كثير .

٦ ـ يقول ابن حجر فى شرح البخارى (ان هذا الرأى هو الصحيح المعتمد) .

السر فى انزال القرآن جملة الى السماء :

يقول أبو شامة فى المرشد الوجيز (سر ذلك هو تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك باعلام سكان السماوات السبع ان هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم المرسلين — صلى الله عليه وسلم — لأشرف الأمم — ولولا أن الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به الى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين : انزاله جملة ، ثم انزاله مفرقا و وذلك تشريفا للمنزل عليه .

وقال السخاوى فى جمال القراء (فى نزوله الى السماء جملة تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام ، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبريل باملائه على السفرة الكرام ، وانساخهم اياه وتلاوتهم له :

قال : وفيه أيضا التسوية بين نبينا — صلى الله عليه وسلم — وبين موسى عليه السلام فى انزاله كتابه جملة والتفضيل لمحمد — صلى الله عليه وسلم — فى انزاله منجما ليحفظه) .

السر فى نزول القرآن الكريم منجما :

لقد تولى الله سبحانه وتعالى الاجابة عن هذا السؤال فى قوله (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**) يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل وأجابهم الله بقوله **(كَذَٰلِكَ)** أى أنزلناه مفرقا (**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**) (١) أى لنقوى به قلبك فان الوحى اذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى بقلب المرسل اليه واشد عناية به ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) متفق عليه .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

غزوة بدر الكبرى

ومقومات النصر على العدو المتفوق

لواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

من بين الدروس التى تستخلص من غزوة بدر الكبرى ، درس كبير وثيق الصلة بواقع المسلمين اليوم ، عليهم أن يتدبروه بكل الوعى والاهتمام ، وهو كيف يمكن احراز النصر على العدو المتفوق ؟ .

ففى بدر كانت موازين القوى من جميع جوانبها فى صالح المشركين على أساس الحسابات المعمول بها فى العلم العسكرى ، وهى حسابات كفيلة باقناع اى قائد حربى بالعدول عن دخول مثل تلك المعركة التى تنطوى على مجازفة غير محمودة العواقب ، ولا لوم عليه ان فعل ذلك .

ويزيد من قيمة هذا الدرس أن نعرف ان للنصر فى الحروب مقياسا علميا مقررا فى العلم العسكرى ، يحكم به على نتائجها وتقوم به أعمال قادتها ثم يدون ذلك فى سجلات التاريخ .

المقياس العلمى للنصر .

والمقياس العلمى للنصر : هو أن يكون هذا النصر : « بدون » أو بأقل قدر من الخسائر

غـــزوة بـــدر

في الأرواح وفي المعدات ، وفي أقل وقت » ، من ذلك يتضح :

١ ـ أن قمة النصر ، أن يتم احرازه بلا خسائر على الاطلاق سواء في الأرواح أو في المعدات ، وذلك منتهى أمل كل قائد .

وقد تحقق هذا النوع في بعض الحروب قديما وحديثا ومن ذلك اجتياح جيوش «هتلر» في بداية الحرب العالمية الثانية لبعض البلاد الأوربية دون اطلاق طلقة واحدة تقريبا .

٢ ـ وأنه اذا لم يمكن تحقيق هذا المستوى من النصر ، فلابد أن يكون احرازه « بأقل ثمن » وفي « أقصر وقت » ، اى أن النصر الذى يخسر فيه الجيش أرواحا ومعدات أكثر من اللازم ، ويستنفد في احرازه وقتا أطول من اللازم ، لا يعد نصرا حقيقيا بالمقياس العلمي .

واقع المسلمين :

ولو نظرنا الى وضع المسلمين اليوم في موازين القوى العالمية ، لوجدنا أن التفوق ليس في جانبهم ، وهو وضع يفرض عليهم البحث عن طريق لبناء قدراتهم الدفاعية القادرة على مواجهته .

واذا كان الحصول على النصر بأقل الخسائر ـ كما قدمنا ـ هو هدف القيادة في الدول المتقدمة التى بلغت اعلى المستويات في التقدم العلمي والفني واسلحة القتال وفنونه ، فهو ـ من باب اولي ـ يعد بالنسبة للدول محدودة القدرات والامكانات ، اهم واكبر اهدافها ، وذلك حتى لا تستنزف مواردها وقواها من اثر الحرب .

والأمر يزيد اهمية وخطورة لو حكمت ظروف الدولة بان تتصدى لعدو متفوق عليها في القوة ، اذ يصبح حصولها على النصر باقل التكاليف وبمواردها المحدودة قضية « حياة او موت » ، ولابد لهذه الدولة أن تضع هذا الأمر على قمة « أهدافها الاستراتيجية » ، وأن تسخر كل طاقاتها المادية والمعنوية لتحقيقه .

ذلك ما ينبغي على المسلمين تدبره ليحققوا لانفسهم السلامة والأمن في هذا العالم ، وعليهم أن يستوعبوا دروس تاريخهم وينتفعوا بها في هذا المجال .

دروس بـدر :

لقد حقق المسلمون في بدر ـ بالمقاييس العلمية ـ نصرا حقيقيا ، يزيد من عظمته أنه تحقق في مواجهة عدو متفوق بنسبة أكبر من ثلاثة الى واحد في الرجال ، وبنسبة مائة الى واحد في الخيل (مائتا فرس مقابل فرسين) وبنسبة ساحقة في السلاح اذا ما قارنا بين ما يحمله كل من الطرفين من السهام والقسى والرماح .

ومع ذلك استشهد منهم أربعة عشر رجلا فقط بينما قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، ولم تستغرق المعركة أكثر من يوم واحد ، وبمعنى آخر فقد انتصر المسلمون على العدو المتفوق بأقل الخسائر وفي أقصر وقت .

ولو عرض موقف الطرفين قبل المعركة على اى محلل عسكرى خبير بفن الحرب والقتال لكى يقدم توقعاته عن النتائج التى سوف تسفر عنها لقال لنا : ان المسلمين سوف يدفعون ثمنا باهظا من الأرواح والمعدات لكى يحصلوا على

النصر ، هذا اذا لم يتوقع أن ينهزموا أصلا .

مقومات النصر الاسلامي :

من أجل ذلك « ينفرد » الاسلام بمقومات للنصر تتجاوز المقاييس التي وضعتها عقول خبراء الحروب ، وتعد « نظرية متكاملة وأصيلة في ادارة المعركة في مواجهة عدو متفوق » ، وهو ما نحاول عرضه فيما يلي : ـ

اولا ـ قوة الايمان وارادة القتال :

١ ـ تزويد المقاتل بأقوى الدوافع النفسية :

❋ لقد كان الاسلام حريصا على أن يزود المسلمين بأقوى الدوافع النفسية التي تملأ نفوسهم حمية واستبسالا ، فكانت هذه الدوافع الصادقة « تحارب » الى جانب أصحابها كما يحارب الجندي الى جانب صاحبه ، **ولهذا كان حساب المسلمين في موازين القوى حسابا خاصا لا يتسامى اليه غيرهم .**

فلقد كان حساب المقاتل المجاهد في الحرب مقدرا بما في قلبه من ايمان وعقيدة ، وبما في نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه الى خوض هذه الحرب .

وهذا ما نجده في قول الله تعالى : **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾** (الأنفال ٦٥) .

وذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حرموا « الفقه » الذي كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التي يقاتلون عليها ، والمثل التي يدافعون عنها ... ومن حرم هذا الفقه في مجال الحرب ، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

وها هو ذا قائد عسكري مشهور هو المشير « مونتجمري » ، يدرك هذا المعنى ويشير اليه حين يقول : « ان التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت ، أمور سوف يواجهها الجندي المقاتل بقلب جسور اذا كان على علم وايمان بالغرض الذي يقاتل من أجله » .. وقد أثبتت الدراسات التي أجريت عقب الحرب العالمية الثانية حول سلوك المحاربين الذين اشتركوا فيها ، أن أغلب الذين كانوا يتمتعون بروح عالية هم الذين كانوا يؤمنون بالغرض من الحرب .

❋ ولقد ضرب المسلمون في هذا المجال أمثلة لا نظير لها في تاريخ الحروب على مر العصور ، حسبنا أن نذكر أن أبا عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ قتل أباه في معركة بدر .

وأن عبد الرحمن بن أبي بكر كان مع المشركين ، فقال لأبيه أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه بعد اسلامه : « لقد صدفت لي يوم بدر فلم أقتلك » .

فقال أبو بكر : « والله لو صدفت لي لقتلتك » ، فما الذي يدعو الى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه ، غير الايمان والعقيدة ! .

❋ بهذه الحسابات الاسلامية ، أراد الله تعالى من المؤمنين أن يحققوا في أنفسهم

ما يجعلهم أهلا لتلك الغلبة الفذة والانتصار الفريد ، من التربية الخلقية والعسكرية ، والاقدام على التضحية ، واتقان الجهاد ، والثبات فى مواطن اليأس ، والتمسك بمبادىء الفروسية الاسلامية التى لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو فى الوقت نفسه ، لا يضل ولا يطغى .

٢ ــ خطاب القائد :

ويوجب الاسلام على القائد المسلم أن ينصح جنده ، ويذكرهم بالله ويحرضهم على القتال ، وهذا ما يرشد اليه قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح لهم الا لم يدخل الجنة » (رواه مسلم) .

وقد خطب الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم بدر فقال : « أما بعد فانى أحثكم على ما حثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، فان الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ويحب الصدق ، ويعطى على الخير أهله أعلى منازلهم عنده ، به يذكرون ، وبه يتفاضلون ... وانكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق ، لا يقبل الله فيه من أحد ، الا ما ابتغى به وجهه ، وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجى به من الغم ، وتدرك به النجاة فى الآخرة .. فيكم نبى الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم ان يطلع الله على شىء من أمركم يمقتكم عليه ، فان الله يقول : (**لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**) .

انظروا الى الذى أمركم به من كتابه ، وأراكم من آيته ، وما أعزكم به بعد الذلة ، فاستمسكوا به ، يرض ربكم عنكم ، وأبلوا فى هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذى وعدكم من رحمته ومغفرته ، فان وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد ، وانما أنا وأنتم بالله الحى القيوم ، اليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، واليه المصير ، يغفر الله لى وللمسلمين » .

وفى العصر الحديث نرى القادة يوجهون الى قواتهم التى تستعد للمعركة ما يطلقون عليه « أمر قيادة » ، وهو خطاب حماسى يستهدف رفع الروح المعنوية واذكاء الروح الوطنية وارادة القتال .

٣ ــ التعبئة المعنوية قبل القتال واثناءه :

ويعنى الاسلام « بالتعبئة المعنوية » قبل القتال وأثناءه لرفع الروح المعنوية للمقاتلين الى أقصى حد ، ومن ذلك قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر :

« والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .

وقد ألهب هذا الحديث حماسة المسلمين للقتال وزاد فى قوتهم المعنوية حتى ان عمير بن الحمام حين سمع حديث النبى ــ وكانت فى يده بعض التمرات يأكلها ــ قال : أما بينى

وبين ان أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ؟ .. وقذف بالتمرات من يده ، وأخذ سيفه ، ومازال يقاتل حتى استشهد — رضى الله عنه — .

٤ — ذكر الله فى ساحة المعركة :

* ويوجه الاسلام المجاهدين الى ذكر الله فى ساحة المعركة بعد أن يأخذوا بأسباب القوة والتجهيز للقتال كما يشير اليه قوله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الأنفال ٤٥) .

وكما يفهم من قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : (١) « واطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث » ، وقوله : « ثنتان لا تردان ، أو قلما تردان ، الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » (٢) .

وفى بدر ، وبعد أن أتم الرسول — صلى الله عليه وسلم — الاستعداد للمعركة ، استقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آتنى ما وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض » ومازال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه .

فقال أبو بكر — رضى الله عنه : « يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك » .. وقد خفق (٣) رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع » (٤) .

* **وهنا يطمئنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — انه ليس فى الاسلام ذلك التواكل العاجز الذى يدع الأخذ بالأسباب ، وينتظر النصر منحة من القدر ، وهبة من السماء ، وقد جرت سنته — عليه الصلاة والسلام — على احكام امر الجهاد من الناحية المادية احكاما دقيقا من حيث تجهيز الجيش واستطلاع أحوال العدو واعداد الخطة وانتخاب افضل موضع للمعركة واصدار أمر القتال ثم يأخذ هو والمحاربون فى الدعاء والتضرع واستنجاز الله وعده .**

٥ — هتاف المقاتلين :

ويوجه الاسلام المسلمين الى اتخاذ الشعارات والهتافات عند الالتحام بالعدو لاثارة انفعالات الشجاعة والحماسة فى نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف

---

(١) الحديث اخرجه الامام السيوطى فى الجامع الكبير وعزاه الى الامام الشافعى والبيهقى فى المعرفة من مكحول مرسلا (الباجورى) .

(٢) الحديث اخرجه ابو داود وفى سننه فى كتاب الجهاد باب الدعاء عند اللقاء ج ٣ ص ٤٥ من رواية سهل بن سعد .
الباجورى

(٣) خفق : نام نوما يسيرا .

(٤) ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٢٧ — والنقع : الغبار .

فى قلبه فى الوقت نفسه . ففى غزوة بدر كان هتاف المسلمين : « أحد ، أحد » ، وفى غـزوة أحد كان هتافهم : « أمت أمت » ، وفى غزوة ذى قرد والخندق وبنى قريظة كان هتـافهم « حم ، لا ينصرون » .

ثانيا ــ التخطيط العلمى الجيد :

ومن مقومات النصر الاسلامى بعد قـوة الايمان وارادة القتـال ، التخطيط العلمى الجيد ، وهو جوهر الأخذ بالأسـباب واهم مظاهره ، ولقد برزت فى بدر بكل وضوح أركان التخطيط الجيد فى نظر الاسـلام كمـا يتبين مما يلى : ــ

١ ــ السرية والأمن :

من المبادىء المعروفة أن الأمم التى تحافظ على أسرارهـا هى الأمم التى تنتصر ، وأن الأمم التى لا تحافظ على أسرارها لا يمكنهـا احراز النصر ، وقد عنى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذا المبدأ كل العناية ومن ذلك ما يلى : ــ

* قال عليه الصلاة والسلام : « استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود » (أخرجه ابن عـدى فى الكـامل ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الايمان) (١) .

* وفى سـبيل المحـافظة على الأسرار استخدم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسلوب الخداع فى الحرب ، فعن كعب بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « ولم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها » (رواه البخارى) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنـه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : « الحرب خدعة » (رواه الخمسة) .

* وفى غزوة بدر ، حينما اقتـرب الجيش من بدر ، انطلق الرسول ــ صـلى الله عليـه وسلم ــ أمام قواته وبصحبته أبو بكـر ــ رضى الله عنـه ، حتى وقف على شـيخ من العرب .

فسـأله عن قريش وعن محمد وأصـحابه وما بلغـه عنهم .

قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟

قال النبى صلى الله عليه وسـلم : « اذا أخبرتنا ، أخبرناك » .. وعلم عليه ــ الصلاة والسلام ــ من رد الشيخ أن عير قـريش قريبة منه .

فقال له : « نحن من ماء » !!

انظر كيف حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على اخفاء هويته وأمر المسلمين عن الشيخ حتى لا تعلم قريش بهم ، فهو حين التقى به لم يسـاله عن قريش فقط ، بل سأله عن الطرفين (عن قريش وعن محمد) ، وحين طلب الشيخ أن يعرف هوية الرسول وصاحبه (ممن أنتما) ، استطاع الرسول « تأجيـل الرد » حتى يقول الشيخ ما عنده أولا ، وفى

(١) أنظر السخاوى فى « المقاصـد الحسنة » رقم ١٠٢ ، والحديث ضعيف جملة « الباجورى » .

النهاية حين أراد أن يجيب الشيخ عن هويته قال : نحن من مـاء ، وهو رد صحيح (أى من ماء دافق وهو المنى) لكنه لا يكشف سر المسلمين •

❊ وفى سير الاقتـراب من بـدر راعى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكون تشكيل المسير فى هيئة مقدمة محدودة تقـوم بالاستطلاع والوقاية ، يليها القوة الرئيسـية للجيش ، ثم مؤخـرة بامـرة قيس بن أبى صعصعة لوقاية ظهر الجيش •

❊ وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، حتى لا يسمع لها صـوت •

٢ ــ التخطيط على أحدث المعلومات :

ومن أركان التخطيط الاسلامى أن يكـون على أساس أحدث المعلومات والبيانات وذلك من أهم المطالب الحيـوية للتخطيط الجيد عامة وللتخطيط الحربى بخاصة • فحين اقتـرب المسلمون من بدر ، أرسل الرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مفرزتى استطلاع للحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها :

❊ المفرزة الأولى :

مؤلفة من على بن أبى طـالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقـاص فى نفـر من أصحابه ، استطاعت الوصول الى مـاء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهمـا الرسول فعلم منهما أن قريشـا وراء الكثيب « بالعدوة القصوى » ، ولمـا أجابا بأنهمـا لا يعرفان عدد رجال قريش سألهما ، « كم ينحرون يوميا ؟ » فأجابا : « يوما تسـعا ويوما عشرا » ، فاستنبط من ذلك أنهم « بين التسعمائة والألف » ، وعرف من الغـلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال •

❊ المفرزة الثانية :

مؤلفة من رجلين من المسلمين وصـلا ماء بدر فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « انما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك » • فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا •

❊ استطلاع القائد بنفسـه :

اضف الى ذلك حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على استطلاع أحـوال العـدو بنفسه حينما انطلق امام الجيش ومعه ابو بكر ولقيا شيخ العرب كما ذكرنا •

« للبحث بقية »

لواء محمد جمال الدين محفوظ
عضو المجلس الاعلى للشئون الاسـلامية

ذكر الله

عن أبى موسى الأشعرى ــ رضى الله تعالى عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ »

رواه البخارى

راوى الحديث : هو الصحابى الجليل ، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الاشعر ابن ادد بن زيد بن تشجب أبو موسى الاشعرى واسم الأشعر : نبت . وأمه ظبية بنت وهب أسلمت وماتت بالمدينة .

وكان عامل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على زبيد ، وعدن واستعمله عمر على البصرة . واستعمله عثمان ــ رضى الله عنه ــ على الكوفة حتى قتل عثمان .

وقال فيه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » .

روى عنه أولاده : ابراهيم وابو بردة وابو بكر وموسى وانس بن مالك وسعيد بن المسيب وخلق .

مات سنة اربع واربعين بالكوفة وقيل بمكة وله نيف وستون سنة .

الشرح

الاسلام الحنيف جاء لاصلاح نفوس البشر ، وتزكيتها ، والعلو بها الى منتهى الكمال الممكن لها ، وقد أوضح للانسانية جمعاء الغاية القصوى ، وحدا بها نحو المثل الأعلى . وكان هذا المثل هو : « قدس الله جل وعلا » والله يقول : (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) .

واذا عرف المسلم هذا فلا يستغرب بعد أن يكون ذاكرا الله على كل حال ولا شك فى أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة أفضل من ذكر الله ؛ فان الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا ووقتا وزمانا ، بعكس الذكر ، فانه غير مؤقت ، اذ العبد مأمور به فى كل الأوقات ، اما فرضا ، واما ندبا ، والصلاة وان كانت عمود الدين فقد لا تجوز فى بعض الاوقات ، بينما الذكر باللسان ، وبالقلب مستحب فى جميع الحالات .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...) وقال تعالى

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

وكفى أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جازى عباده عن ذكرهم له بذكره لهم فقال (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وقد ذكر العلماء فى هذه الآية عشرين قولا :

قيل : « اذكرونى بإخلاص ، اذكركم بالاختصاص » .

وقيل : « اذكرونى بالحضور ، اذكركم بتيسير الأمور » .

وقيل : « اذكرونى بالنية ، اذكركم بجزيل العطية » .

وقيل : « اذكرونى بالصفا ، اذكركم بغفران الجفا » .

وقيل : « اذكرونى بالقلوب ، اذكركم بغفران الذنوب » .

وقيل : « اذكرونى بالضمائر ، اذكركم بدفع الغرائر » .

وقيل : « اذكرونى بالأصوات ، اذكركم بتيسير الأقوات » .

وقيل : « اذكرونى فى الخلوات ، اذكركم بالرحمة والصلوات » .

وقيل : « اذكرونى بلا نسيان ، اذكركم بمغفرة العصيان » .

وقيل : « اذكرونى فى المساء والصباح ، اذكركم باللطف والصلاح » .

وقيل : « اذكرونى فى السجود ، اذكركم بالنعمة والجود » .

وقيل : « اذكرونى بالمعذرة ، اذكركم بالمغفرة » .

وقيل : « اذكرونى بأداء الفريضة ، اذكركم بالرحمة العريضة » .

وقيل : « اذكرونى بالاستغفار ، اذكركم بالنواهد والأبكار » .

وقيل : « اذكرونى بالأسحار ، اذكركم بغرس الأشجار » .

وقيل : « اذكرونى فى الأيام القلائل ، اذكركم بلبس الحلل والغلائل » .

وقيل : « اذكرونى بالصبر على البلاء ، اذكركم بالدرجات العلا » .

وقيل : « اذكرونى بالشوق والحب ، اذكركم بالدنو والقرب » .

وقيل : « اذكرونى بالألباب ، اذكركم بزوال

الحجـاب » .

وقيل : « **اذكرونى على التوالى ، اذكركم بفضلى ونوالى »** .

وليس العجب من قوله : (فاذكرونى) انما العجب من قوله (اذكركم) .

ولس العجب من قوله : (ويحبونه) انما العجب من قوله : (يحبهم) . وليس العجب من فقير يحب محسنا انما العجب من محسن يحب فقيرا .

نزل جبريل عليه السلام على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له : ان الله يقول لك : أعطيت أمتك ما لم أعطه أحدا من الأمم .

قال : « وما هو ؟ » .

قال : « **قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)** .

ولقد أجزل العطاء والموهبة ، من خلال بهذه المنقبة حيث خلق الفلك ، والملك ، والنور ، والحلك ، والعلوى ، والسفلى ، والعرش ، والكرسى ، والبهائم ، والهوام ، والوحش والأنعام ، فلم يقل لصنف منهـا : اذكرونى أذكركم الا لك ، فمتى تؤدى شكر مولاك على ما أنعم عليك وأولاك » .

وقال أبو سعيد الخدرى — رضى الله تعالى عنه — سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أى العباد أفضل عند الله درجة يوم القيامة ؟

قال : الذاكرون الله كثيرا ».

قال : قلت يارسول الله : ومن الغازى فى سبيل الله ؟ .

قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينحنى ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة » . رواه الترمذى .

وقال عبد الله بن بشر : قال رجل يارسول الله ان شرائع الله قد كثرت على فمرنى بأمر أتشبث به . قال لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى . رواه الترمذى وقال أبو الدرداء — رضى الله تعالى عنه — قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : الا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وماذاك يارسول الله قال ذكر الله .

وقال أبو هريرة — رضى الله تعالى عنه — قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا ، تقربت منه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هروله .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « سبق المفردون » قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : « **الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ** » .

وقال جابر بن عبد الله — رضى الله تعالى عنه خرج علينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونحن فى مسجد المدينة فقال : ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف فى مجالس الذكر

فى الارض ، فاذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : مجالس الذكر . اغدوا وروحوا فى ذكر الله من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان

لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا،قال : فيسألهم ربهم — وهو

أعلم بهم — ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك

فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا ، والله ماراوك قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ قال :

يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر تسبيحا قال :

فيقول : فما يسألوننى ؟ قال : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون :

لا والله يارب ما رأوها قال : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو انهم روأها كانوا

أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون :

من النار قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها . قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول : ملك من الملائكة : فيهم فلان ، ليس منهم ، انما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

ويشير هذا الحديث على فضل بنى آدم وفضل مجالس الذكر والعبادة وحضورها من دراسة علم ومذاكرته وقراءة قرآن وذكر وتهليل فهى مجالس النور والحياة .

وذكر الله تعالى يقى المرء من الأهوال الا ترى أن يعقوب عليه السلام حين وجه يوسف مع اخوته لم يزد على أن قال : ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فعوقب على ذلك بطول البين وأبعد من قرة العين ، ولما سأله أولاده توجيه بنيامين قال : فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . فلما قدم ذكر هؤلاء أنعم عليه برجوع الابنين اليه وهما ولداه .

وذاكر الله : يكون على طهارة من الحدث والخبث وأن يستقبل القبلة ان كان وحده ، والا تحلقوا وأن يكون مفرغا لقلبه مما سوى الله حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولاثوابا ولا ارتقاء ، وانما يذكر الله حبا فى الله لانه

ذكر الله

أسرع فى تنوير القلب وان يخفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمة الكاملة ومراعاة الاماكن والاوقات وان الذكر الخفى أفضل من الجهر حتى قال عبد الوهاب الشعرانى : أجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الله تعالى جماعة فى المساجد وغيرها من غير نكير بشرط أمن من الرياء ، ومن تأذى نحو مصل ، فحينئذ تمنع الجماعة فى الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة فى ذاتها وقد شبه الامام الغزالى ــ رحمه الله ذكر الانسان وحده ، وذكر الجماعة بأذان المنفرد ، وأذان الجماعة ، فان أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد وكذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا فى رفع الحجب ، فان الله شبه القلوب بالحجارة . ومعلوم أن الحجر لا ينكسر الا بقوة جماعة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد .

وأفضل الذكر : لا اله الا الله . اذ هى كلمة الاخلاص وما أعظم بركاتها ، وعلى المسلم أن يرطب لسانه بها كى ينال بركة احسانها ، ويظفر بحلاوة امتنانها .

ومن الذكر الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولها فوائد كثيرة منها أنها سبب لكفاية المهمات فى الدنيا والآخرة . حكى أن العلماء اتفقوا على أن جميع الاعمال منها المقبول ومنها المردود الا الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانه مقطوع بقبولها اكراما له ــ صلى الله عليه وسلم .

قال العينى : وجه الشبه بين الذكر والحى : الاعتداد والنفع والنضرة ونحوها ، وبين تارك الذكر والميت : التحطيل فى الظاهر والبطلان فى الباطن .

ذكر الله علم الايمان ، وبراءة من النفاق ، وحصن من الشيطان ، وحرز من النيران ، وعلامة حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله . وذكر الله كالمصباح فى يد الذاكر يستضىء به وتحصل الواردات فى قلبه بقدر ذكره .

الذكر يزود المسلم بشحنة ايمانية تدفعه على الانطلاق فى أعمال الحياة بهمة وعزيمة ونشاط ، وفى ذكر الله تجديد لأسلوب الحياة ، ومراقبة ساهرة للمولى ــ عز وجل ــ واخلاص صادق فى عبادته ، وتحصين منيع يحصنه ، ولجوء قوى الى كنف الله وحماه ، وفيه حلاوة القرب ، ولذة الوصال .

اللهم لا تحينا على غفلة ، ولا تأخذنا على غرة ، واجعل آخر كلامنا يامولانا من الدنيا قول : لا اله الا الله محمد رسول الله وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وارحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان الى الجنة ونعيمها وصلى الله على خاتم النبيين وآله واصحابه الكرام البررة وسلم تسليما كثيرا والحمد لله اولا وآخرا .

عبد المعز عبد الحميد الجزار
رئيس المكتب الفنى لوكيل الأزهر

مما يوجب الكفارة في رمضان

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جــاء رجل الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قــال وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق به رقبة ؟ قال : لا ، قال فهل تســتطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال : لا ثم جلس ، فأتى النبى ــ صلى الله عليه وسلم بعرق « مكيال يسع خمسة عشر صاعا » فيــه تمر ، قال للرجل : تصدق بهذا ، فقال الرجل : على أفقر منا يا رسول الله ، فما بين لابتيهــا أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى بدت نواجذه وقال للرجل اذهب فأطعمه أهلك .

رواه الجماعة

كلما أقبل شهر رمضان صام المسلمون ... وامتنعوا عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لينطلقوا فى آفاق الصفاء الروحى ، والضياء النفسى شــهرا من كل عام ، يتذوقون فيــه حــلاوة الطــاعة ، ويتزودون من معانى الخير لعامهــــم كلــه ، فالصوم مدرسة تهذب السلوك ، وتزكى الأخلاق وتصون النفس من عبث الشهوات والصــوم مدرسة نتعلم فيها معنى الصبر والمقــاومة ، والارادة . وأدنى مراتب الصوم : الامســاك

٥

مما يوجب الكفارة في رمضان

عن الطعام والشراب والشهوة مع النية الا أن بعض الناس قد تغلب عليهم رغباتهم ، وتنتصر عليهم شهواتهم . والحديث الشريف يوضح قصة واحد من هؤلاء انتصرت عليه نفسه ، وغلبته شهوته فجامع زوجته في نهار رمضان ، ثم أحس بكبير ذنبه ، وعظيم جرمه .

قيل : انه سلمان أو سلمة بن صخر البياضي — قال ابن عبد البر : انه ظاهر من زوجته ، فترتب على ذلك الكفارة ، وقال ابن حجر يحتمل وقوع الأمرين له . هذا الرجل عندما شعر بخطورة ما أقدم عليه جاء الى الرسول مقرا بذنبه قائلا : هلكت وأهلكت أي فعلت ما هو سبب لهلاكي وهلاك غيري يعني زوجه ، وفي رواية السيدة عائشة عن البخاري أنه قال احترقت وفي اللفظ ما يفيد عمق الندم والاحساس بالذنب فلم يعاقبه النبي — صلى الله عليه وسلم — حتى لا يحجم الناس عن الاستفتاء :

فسأله الرسول — صلى الله عليه وسلم : هل تجد ما تعتق به رقبة ؟

قال الرجل : لا والذي بعثك بالحق ما ملكت رقبة قط ، قال الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال الرجل : لا ، وهل لقيت مالقيت الا من الصوم .

قال النبي — صلى الله عليه وسلم : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ والحديث يشترط ستين مسكينا — وهو كذلك عند المالكية والشافعية والحنابلة .

وقال الأحناف : يجوز أن يطعم عشرة لمدة ستة أيام ، أو ستة لمدة عشرة أيام ، أو فردا لمدة ستين يوما .

قال العلماء في تعليل هذه الأحكام من المناسبة :

ان من انتهك حرمة الصوم بالجماع — أو الأكل عمدا — قد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يعتق رقبة فيفدي نفسه ، وقد صح أن « من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار » .

وأما الصيام فمناسبته ظاهرة لأنه كالمقاصة بجنس الجناية — أي أنه قابل العمل بآخر من نوعه .

وأما كونه شهرين ، فلأنه لما أمر بمصابرة النفس في حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء فأفسد منه يوما ، كان كمن أفسد الشهر كله من حيث أنه عبادة واحدة بالنوع فكلف صيام شهرين مضاعفة على سبيل المقابلة لنقيض مقصوده .

وأما الاطعام فمناسبته ظاهرة ، لأنه مقابلة كل يوم باطعام مسكين .. ثم ان هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله بالصوم وحق الأحرار بالاطعام ، وحق الأرقاء بالاعتاق ، وحق الجاني بثواب الامتثال .

الكفارة من حيث الترتيب والتخيير

وهل الكفارة تؤدى على الترتيب ام على التخيير ؟

قال جمهور العلماء هي على الترتيب فلايصح الانتقال الى الصوم الا عند عدم وجود رقبة

إن الحسنات يذهبن السيئات

مملوكة ، ولا يصح الانتقال الى الاطعام الا عند عدم استطاعة الصوم .

قال الشوكاني : قد وقع فى بعض الروايات ما يدل على الترتيب والتخيير والذين رووا الترتيب أكثر ، وجمع بعضهم بين الأمرين بحمل الترتيب على الأولوية والتخيير على الجواز .

قال الشافعية ، وبعض المالكية : ان الكفارة على الترتيب .

وقال جمهور المالكيةوالأحناف هى على التخيير .

ونقل عن بعض متأخرى المالكية أن الكفارة تختلف باختلاف الأوقات : ففى وقت الشدة تكون بالاطعام ، وفى غيره تكون بالعتق أو الصوم .

ومنهممنقال : الافطار بالجماعيكفر باحدى الخصال الثلاث والافطار بغير الجماع لا يكفر الا بالاطعام .

قال ابن جرير الطبرى : هو مخير بين العتق والصوم ولا يطعم الا عند العجز عنهما .

فأما عن الصحابى — رضى الله عنه — فقد أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — بعرق — « بفتح العين والراء » وهو المكتل الذى يضفر من الخوص (١) . ويسع خمسة عشر صاعا ، أو أكثر — فيه تمر .

وفى رواية : فجاء رجلبصدقة يحملها ، فقال النبى للاعرابى تصدق بهذا .

فقال : أعلى أفقر منا فما بين لابيتها . أهل بيت أحوج اليه منا — فقصد المدينة المنورة — حيث تقع بين لابتين أى حرتين من حجارة سود — يريد أن يقول انه لا يوجد بالمدينة

(١) يطلق عليه . الزنبيل ، والقفة والوعاء .

● مما يوجب الكفارة فى رمضان

من هو أفقر منا ــ فضحك النبى حتى بــدت نواجذه . تعجبا من امر رجل جاء أولا هالــكا خائفا على نفسه راغبا فى فدائها بكل ما يمكنه فلما وجد الرخصة طمع فى أن يحوز ما أعطيه للكفارة ، أو ضحك من ذكاء الرجل وفطنتـــه . حيث كان دقيقا فى ألفاظه متلطفا فى خطابه .. فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ للاعرابى اذهب فأطعمه أهلك .. أو عيالك . قيل : ان هــذا الحكم خاص بهذا الرجل حيث سوغ لــه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يأكل من صدقته .

وقيل هذا الحكم منسوخ .

وقيل : أعطاها له لا على جهة الكفارة ــ بل هى باقية فى ذمته ــ مع القضاء .

وأما المرأة فاذا مكنت زوجها طائعة غــير مكرهة . فهل عليها كفارة ؟

قال الشافعية بوجوبها فى قول وفى آخـر بعدم الوجوب ؛ لأن النبى لم يعلمها بوجــوب الكفارة عليها .

وقال المالكية : بوجوب الكفارة ، وهو مذهب الأحناف أيضا ، وأصح الروايتين عن أحمد ، واذا وجبت عليها الكفارة : فهل من مالهــا أو من مال الرجل ؟

فى ذلك آراء ..

واذا تقررت الكفارة على أى مفطر بالاطعام فما مقدارها على ضوء المذاهب . قال المالكية ــ هو مد بمد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لكل مسكين ــ ويشمل الفقير .

والمد ملء اليدين المتوسطتين ، من غــالب القوت والصــــاع أربعة أمداد فيكون مقدار الكفارة خمسة عشر صاعا .

وعند الشافعية مد أو مدان ، وعند الأحناف نصف صاع من بر ، أو صــــاع من التمر ــ وتجزى القيمة .

وعند الحنابلة مد من بر أى ربع صـــاع أو نصف صاع من تمر أو شعير .

ويرى ــ بعض العلماء أنه تكفى وجبتان لكل مسكين أو فقير عن كل يوم .

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أحكاما كثيرة :

منها : أن من ارتكب معصية لاحــد فيها ، وجاء مستفتيا لا يعاقب كما فعل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع هذا الصــحابى رضى الله عنه لان العقاب يكون سببا فى أحجـام الناس عن الاستفتاء ، وفى هذا مفســـدة عظيمة .

ومنها : السؤال عنحكم مايفعله المرء مخالفا للشرع .

ومنه الرفق بالمتعلم .

ومنها التلطف فى التعليم .

ومنها التأليف بالتيسير على السائل .

ومنها الندم على المعصية .

ومنها استشعار الخوف من اللــه الى غير ذلك .. فاما الذين ينتهكون حرمة شهرالصيام بالفطر عمدا من غير عذر .. فنسوق لهم حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة لقى الله بــه وان صام الدهر كله ان شاء غفر وان شـــاء عذبه .

صدق رسول الله .

على حامد عبد الرحيم

أيرى النبي صلى الله عليه وسلم "يقظة"

للأستاذ سليمان الصغير

تكلم (١) كثير من العلماء قديما وحديثا بما يفيد ان رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – في اليقظة بعد وفاته ممكنة وليست بمستحيلة وقال بعضهم انها غير ممكنة ·

ومع القول بانها ممكنة فليست في مقدور كثير من الناس ، وانما هي لقليل من الذين اتقوا ربهم واخذوا انفسهم بعزائم الطاعات وصانوها عن تناول المحرمات والوقوع في الشبهات حتى قوى استعدادهم وزال حجابهم فابصروا وادركوا ما لم يحط به غيرهم ممن ليسوا على خلالهم ففي الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه) رواه البخاري ·

والحديث الذي رواه البخاري ومسلم (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة

---

(١) حدث في هذا الموضوع – اخيرا – كلام في غير مقامه ، وغير ما ينبغي لهذا المقام من جلال العلم وقدسية الموضوع ، وخاض فيه من خاض ، مما دفع كاتب المقال ان يقدم فيه جهده العلمي في هذه الكلمة التي لا تعتبرها المجلة آخر الحديث في الموضوع ، وانما هي فاتحة ، فمن شاء ان يقول في الموضوع شيئا فان المجلة تتقبله شريطة أن يقوم على صيغة علمية بحتة سداها ولحمتها الحكم متوطا بالدليل ·
مجلة الأزهر

ولا يتمثل الشيطان بى) يدل على أن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — ممكنة بعد وفاته وليست مستحيلة والقول بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — غير ممكنة فى الدنيا بعد وفاته وأنها لا تكون يقظة الا فى الآخرة يتعارض ولفظ الحديث والقول بأن الرائى لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقظة بعد وفاته يعتبر صحابيا والصحبة انتهت بوفاته وبأن العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى — صلى الله عليه وسلم — فى دار البقاء والرائى له فى دار الفناء والفناء والبقاء لا يجتمعان •

يجاب عنه بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا تثبت بها صحبة للرائى لأن الصحبة لا تثبت الا لمن رآه فى حياته مؤمنا به وانما تعتبر رؤيته — صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته كرامة يكرم الله بها من شاء من عباده •

ولولا أن الرائى له — صلى الله عليه وسلم — جاهد نفسه حتى قهرها وتخلص من سيطرتها عليه ووصل بها الى رتبة الشهداء والصديقين ما استطاع أن يرى فى اليقظة ما لم ير غيره ممن لم يصل الى ما وصل اليه مما يعتبر من كرامات الرائى •

ورؤية الصحابة للملائكة فى غزوة بدر الكبرى ورؤيتهم لأمين الوحى جبريل عليه السلام يسأل النبى — صلى الله عليه وسلم — عن أمور الدين والنبى يجيبه • ورؤية عمران بن الحصين رضى الله عنه للملائكة واستماعه لسلامهم ومصافحته لهم دليل على قدرة الله تعالى وسعة فضله على من شاء تكريما له وتثبيتا •

ورؤية النبى — صلى الله عليه وسلم — يقظة بعد وفاته تعتبر كرامة للرائى كرؤية الصحابة للملائكة على أن لرؤية النبى — صلى الله عليه وسلم يقظة شروطا لا بد منها فى الرائى •

منها :

١ — عدالة الرائى •

٢ — تقواه •

٣ — مسارعته فى تحصيل مرضاة الله بما يجعله أهلا لثقة العلماء وأهل الفضل فيه •

٤ — استمتاعه بقواه العقلية •

٥ — تنبهه مما رأى وسمع •

٦ — الا يخالف ما أتى به نصا من نصوص الكتاب والسنة •

٧ — أن يتفق ما تكلم به مع اجماع الأمة •

وقوله صلى الله عليه وسلم (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) جملة شرطية اتحد فيها الشرط والجزاء فدلت على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حق وأنها ممكنة كرؤيته مناما يختص الله بها من يشاء من عباده كرامة له •

والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد من يشاء من أوليائه تثبيتا له وتأييدا وتنبيها لغيره على أنه فى معية الله وأن الله يراه ويتولاه ولا يتركه لأحد سواه•

قال صاحب الجوهرة :

« واثبتن للأوليا الكرامة
ومن نفاها فانبذن كلامه »

ومن جملة الكرامات ما أكرم الله به مريم

عليها السلام من ايجاد الارزاق لديها معها جعل نبي الله زكريا عليه السلام يسألها قائلا (يَامَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا) فتجيبه بما أخبر الله عنها (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) « آل عمران ٣٧ » .

ومن الكرامات ما كان من نقل عرش بلقيس في أقرب من لمح البصر بصدق توجه آصف بن برخيا الى الله الذى آتاه من علم الكتاب ما آتاه (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) .

وصدق الله القائل (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

ويرى الامام الغزالى أن بعض المنقطعين لله تعالى يرون في اليقظة الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق .

ويرى أبو بكر المالكى أن رؤية الأنبياء والملائكة في اليقظة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة .

وفي المدخل لابن الحاج : رؤيته — صلى الله عليه وسلم — في اليقظة ليست الا للقليل من الناس جدا . ولا يقع ذلك الا لمن كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان .

ويرى جلال الدين السيوطى وابن حجر الهيتمى وابن أبى جمرة أن رؤية النبى — صلى الله عليه وسلم — ممكنة في اليقظة لمن هم أهل لها من المتيمين للكتاب والسنة لا لغيرهم ومن يدعى أن الرؤية مخصوصة بيوم القيامة بدون تخصيص منه — صلى الله عليه وسلم — فقد تصف باعتقاده استحالة الممكن وبانكاره لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسنة قال الحافظ للسنة المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى في شرحه لمؤلفه زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم (والذى يتحصل من كلام المحققين) أن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — في اليقظة ممكنة شرعا وعقلا ولا حاجة الى انكارها ولا تخصيصها برؤية المثال مع أن نصوص الأحاديث تدل على امكانها ووقوعها لمن خصه الله تعالى بها .

قال ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه : كنت أرى النبى — صلى الله عليه وسلم — مناما في بدء سلوكي وكنت أخبر أمي بما أرى فتقول لي كل الناس يرونه مناما حتى النساء والأطفال والعصاة ليهتدوا . ياولدى انما الرجل من يجتمع به في اليقظة ويشاوره في أموره : فلما اجتمعت به في اليقظة وأخبرتها سرت وقالت الآن بدأت تشرع في مقام الرجولية .

ورؤيا اليقظة تكون لمن رآه مناما ولو عند الموت تحقيقا لوعده الشريف وبشارة بحسن الخاتمة ولا يجوز أن يفهم من رؤيا المنام أو اليقظة أي حكم شرعي خلاف ما جاء به ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن الشريعة كملت واستقرت وأنزل الله عز وجل (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

وبوفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انتهى وحي التشريع فلا وحي بعده .

غاية ما يمكن أن يكون من أمر الرؤيا تنبيه الرائي الى ما قد يجهله من بعض الاحكام الشرعية ، والى الأخذ بالعزائم وترك الرخص لأن كثرة الأخذ بالرخص يوهن الدين .

والذي يتتبع الرخص ويأخذ بها ليس له في مقام الرجال حال .

قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت ٦٩) .

فالتأسي برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لابد منه لمن أراد العناية والولاية والمعية التي لا تنال الا بالعزيمة القوية والهمة العلية .

قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل) (١) .

لما تقدم اتضح للذين يقولون انهم يرون النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مناما أو يقظة أن يعرضوا ما لديهم على الاثبات من العلماء المشهود لهم بالصلاح والتقى ليوجهوهم الى ما ينبغي فهمه وفعله .

والذي يرى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مناما أو يقظة لايضيع وقته في الاعلان عن نفسه بأنه هو الذي يرى اعجابا بنفسه لأن حبه لله تعالى ولرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يملك كل وقته وان بحثت عنه فلن تجده وان وجدته فلن تجد منه الا ما لابد منه مما ينبغي فهمه وفعله ولا يسوغ تركه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فكثر صمتهم وقل كلامهم الا ما كان من ذكر الله على الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني » متفق عليه .

قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

سليمان امام الصفي

---

(١) انظر للامام النووي ــ رياض الصالحين

مع "دليل المسلم"

— ٢ —

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

— ٢ —

للأستاذ عبد الظاهر عبد الكريم

يرى « دليل المسلم الحزين » في الفقرتين : الثالثة والرابعة من نصه الذى ذكرناه في مقالتنا الأولى ٠

١ ــ أن بطون قريش كلها ، قد اجتمعت كلمتها ــ بعد حوالى عام من الهجرة الى الحبشة ــ على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، وحظرت التعامل التجارى معهم والزواج منهم ٠

٢ ــ ويرى ايضا ان بنى هاشم كانت لهم مصلحة حقيقية في موضوع الخلاف ، وان ابا طالب كانت له رغبة في هذه المقاطعة ، اذ كان من السهل عليه أن ينتحل عذرا أو آخر ، للتخلى عن ابن اخيه ، واسقاط الحماية عنه ، او يقنعه بالعدول عن الدعوة الى الدين الجديد ، لو كان حقا راغبا في تجنب المقاطعة القرشية له ولأهله ٠

٣ ــ ويرى أن هذا هو السبب الظاهر الذى تذرعت به قريش ففرضت المقاطعة على بنى هاشم مدة (لا تقل عن سنتين عند المقلل من المؤرخين) ٠

٤ ــ وفي النهاية يرى ان المقاطعة انهارت لانسحاب بعض البطون التى ادركت أن نجاحها سيؤدى الى تعاظم القوة لأغنياء التجار على نحو يتعدى الحدود التى كانوا يأملون في الوقوف عندها ٠

مع دليل المسلم

والمسألة الأولى : لا اختلاف عليها ولا نزاع فيها بين المؤرخين . ولكن .. من حق القارىء على كاتبه أن يعرف السر في هذا الاجماع أو الاجتماع ، على مقاطعة بطنين من قريش ، لم يبغيا أو يطغيا .

ولهما قرابة قريبة ورحم ماسة بكل البطون المقاطعة مع أن قريشا لم يعرف عنها ذلك الاجتماع أو الاجماع إلا في أمور محدودة أو محدودة . لاسيما أن « دليل المسلم » أعطاه أن هنا سببا باطنا سوى السبب الظاهر الذى اتخذه أهل مكة ذريعة فقاموا بفرض المقاطعة على اخوتهم وبنى عمومتهم الذين كانوا أقل منهم ثراء — كما قال دليل المسلم — وأقل منهم عددا .

وأظن أن من حق القارىء على كاتبه — مادام يقوم بالكتابة من أجله ولفائدته — أن يكون معه واضحا ، دقيقا أمينا ، فلا يطرح عليه ضبابا يحمله على أن يضرب في بوادى الظنون ، أو تلفه متاهات الأمهام وان شئت — الأوهام . ثم هو — بعد اللتيا والتى — لا يدرى أخرج من ذلك بخفى حنين ، أم بما حمله تأبط شرا ؟ .

فان هو اتجه في تعليل هذا الاجماع المكى ، الى الدين والتمسك به ، أو الحفاظ عليه ، رده عن ذلك دليل المسلم الذى يقول : ان قريشا لم تكن — كما يعتقد الكثيرون — شديدة التمسك بآلهتها ، ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور ، وانما استمرت عبادتها للأوثان من قبيل التقليد المحض لسنة أسلافها ونتيجة للافتقار — حتى ظهور الاسلام — الى أية معارضة منظمة لهذه العبادة .

ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثيرين منهم في الجاهلية بهذه الآلهة ، ودعوة الحنفاء الى عبادة اله واحد ، وتسفيههم لعقيدة قومهم ، دون أن يلحقهم أذى أو اضطهاد ، ثم ما نعلمه عن ذلك التقبل السهل المذهل من جانب قريش ، وبعد فتح مكة لهدم أوثانها ، دون أن يصيبهم شىء من لواعج الأسف أو الحيرة أو الانزعاج ص ٤١ .

ودليل المسلم — بذلك — يبعده عن التعليل بالدين والتمسك بقضاياه ، ويحمله على أن يلتمس علة أخرى ، فان هو اتجه التعليل بالسياسة ، وصائل الاقتصاد ، وموازين القوى العشائرية — كما صرح به في ص ٤١ ، ٤٢ حال دون قبوله ذلك أن بطون أسد وتيم وزهرة — التى كانت سابقا مع بنى هاشم والمطلب في حلف المطيبين ، وبعده في حلف الفضول الى أن فرضت المقاطعة — والتى زعم دليل المسلم أن النبى هجر أصحابه من مكة الى الحبشة من أجل اكتشاف طريق جديد لصالحها ولصالح تجارتها رغبة في كسر سلاح الاحتكار الذى كان يقوم الأحلاف به ضد بنى هاشم وهذه البطون — صارت الآن مع قريش ضد بنى هاشم . وكانت السياسة وموازين القوى العشائرية — فضلا عن الوفاء الذى اشتهرت به العرب — تقضى بأن تكون مع النبى ومع بنى هاشم لا مع قريش .

وأيضا فان بنى عامر بن لؤى ، وبنى محارب ابن فهر كانوا مع قريش في المقاطعة ، وهم الذين أبوا أن يدخلوا معهم — في السابق —

حلف الأحلاف ، كما لم يدخلوا حلف المطيبين ولا الفضول .

وكان مع قريش أيضا بنو الحارث بن فهر ابن مالك بن النضر ، وهم أحلاف بنى هاشم فى المطيبين ، فأين السياسة ؟ وأين موازين القوى العشائرية ؟ ولم انضم هؤلاء جميعا الى قريش فى المقاطعة ان لم يكن من أجل الدين ؟ ولم انفض عن بنى هاشم حلفاؤهم ان لم يكن من أجل الدين القديم ، ونفورا من الدين الجديد ؟ ولم ترك أبو لهب أهله وأخوته وانضم الى قريش فى مقاطعتها الجائرة ؟ أكان ذلك من أجل الدين ؟ أم مراعاة لموازين القوى العشائرية التى كانت توجب عليه البقاء فى صفوف أخوته وبنى أبيه ؟

ولماذا كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يعادى الرسول ويهجوه ، وهما ابنا عم ، وبينهما مودة ومصافاة قبل مبعث الرسول وأخوة من الرضاع ؟ أكان ذلك من أجل الدين ؟ أم من أجل المال والسياسة وما سماه بالموازين ؟ وكلها — مهما تفتن التالى فى أسمائها . وصفاتها وتعدادها كانت تقضى بغير الذى كان من أبى سفيان .

وأبو طالب الذى تحمل فى نصرته — صلى الله عليه وسلم — ما تنوء به الجبال ، مات على دين قريش الذى نشأ عليه ، مع حبه لابن أخيه ودفاعه عنه ، وعداوته لقومه من أجله ، أفكان ذلك رغبة فى الدين ؟ أم رغبة عن الدين ؟

وبنو هاشم تأخر اسلام الكثيرين منهم بل الأكثر ، بل لم تؤمن منهم أعداد ، فهل كان ذلك منهم تمسكا بالدين ؟ أم انفلاتا من السياسة والموازين التى كانت قوانينها تقضى بأن يكونوا من المؤمنين ؟

● وأبناء أبى لهب الذين كفروا بالرسول وجحدوا نبوته ; وطلق اثنان منهم ابنتيه — عليه الصلاة والسلام — بعد البعثة ، بم يفسر أصحاب هذه النظرية منهم تلك التصرفات ؟

وأبو لهب ، والدهم ، آذى الرسول ايذاء لم يصل اليه من الأجانب ، وحاصر دعوته حتى لا تنتشر ، بصورة لم يسلكها معه أعدى أعدائه ، اذ كان يتبعه ، ويلقى عليه الحجارة ، ويقول للقبائل التى يدعوها : لا تصدقوه فانه ... فتقول القبائل : قوم الرجل أعرف به ، أو لو كان صادقا لآمن به أهله ، فلم كان يصنع كل ذلك أبو لهب ، مع أنه كان يعلم تماما أن عز محمد عز له هو ، وأن فى رفعته ارتفاعه ؟ أكان ذلك منه خضوعا لقوانين السياسة وموازين القوى العشائرية ؟ أم تمردا على تلك الأشياء وخضوعا للدين ؟

ان التعليل بالدين — فى نظر القارىء — مطرد ، يشمل هؤلاء وهؤلاء وأولئك وجميع المناوئين للدعوة ولكن دليل المسلم يرفضه ، ويصده عن تقلده واعتناقه . والتعليل بالمال والسياسة والحسد وموازين القوى العشائرية وحدها يمنعه من قبوله بعض ما سمع فكيف بكل ما قيل ، وما يمكن أن يقال ؟ فما التعليل اذن ياقارئى ؟

والحق أنى أراك فى حيرة ، فسل « دليل المسلم » الذى رماك فيها أن يقدم لك شيئا يساعدك على أن تخرج من مأزقها . وأظن أنك

مع دليل المسلم

ستقول : وأنت أيضا قد شاركت ـ بما قدمت ـ فى هذه البلبلة ، فقدم لى من «الساعدة ، كفاء ما قدمت من نصيبك فيها ، وحدد لى موقفك من تأثير الأشياء التى ذكرها وجعلها من أسباب معارضة قريش دعوة الرسول ، فقد أصبحت مقتنعا بتأثير الدين وأن له نصيبا كبيرا فيها فهل تنكر أن للأشياء الأخرى تأثيرا ؟

قلت : لا أنكر تأثيرها ولكنى أنكر انفرادها ، أو أن لها النصيب الأوفى ، لأنها ان صح أن تتوافر فى القادة والأغنياء . فانها لا تتوافر فى القاعدة العريضة من المدعوين للدين الجديد، ولا أستطيع أن أجرد كل سادة قريش وقادتها من عصبيتهم للدين .

ومما يستدل به على وجودها عندهم ـ سوى ما قدمناه ـ ما ورد عن ابن اسحاق ـ كما فى سيرة ابن هشام أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة ـ حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا ـ فقال : يابنت عتبة هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة .

واذا وجد التمسك به عند القادة فكيف بالقاعدة العريضة من الشعب والأتباع وسائر الناس ؟ فادعاء أن قريشا (هكذا جملة) كانت فاترة الدين ضعيفة العناية به فى محل المنع ، كيف وهم الموصوفون عند العرب وعند أنفسهم بالحمس (أى المتشددين فى الدين وما يتصل به) وكثيرا ما كان الرسول يخالفهم فيه لدى مواسم الحج ويصنع ما يصنعه غيرهم من القبائل العربية .

والحق أن هذا القول وأشباهه لا يصدر فى زماننا هذا الا من مستشرق يتظاهر بالبحث العلمى ، فيلوى الكلام ليا ليأخذ منه ما يصبو اليه من تهجم على الرسالة ، وتهوين شأن الرسول . أو مسلم مخدوع تربى على مائدته ، فاعتقد أنه أخلص للعلم ، وأعمق فى الفهم ، وأقدر على البحث ، وأقوى على الاستنباط . أو يسارى لا يرضى عن الأديان ، ولا عن انسان ينتسب الى الأديان . ودع عنك أنبياء الله ورسله الهداة .

ان معنى هذا الكلام أن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم ينجح فى دعوته لامتياز فى مسلكه ، ولا لقوة فى دينه وشريعته ، وانما نجح لأن قريشا كانت ضعيفة فى دينها ، لا يهمها أن تتمسك به أو تدافع عنه ، ولو كانت قويه فيه لرد على عقبيه خائبا ، وكان أمره كأمر الأنبياء الذين تحدث هو عنهم ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

بأن بعضهم يجىء يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ومالا يزيد عن ذلك كثيرا .

ان معنى هذا الادعاء أن شأن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته الى الدين ، وشأن الجهد الذى بذله ، والمشقة التى تصدى لها ونالته كانت أهون مما تصدى له غيره من الأنبياء أولى العزم الكبار ، لضعف الدين فى قومه وعدم تمسكهم باعتناقه ، فلم يكن أمره فى هذا كأمر موسى ـ عليه السلام ـ مثلا الذى أرسل الى قوم يدينون بدين ، له فى نفوسهم موقع ، ولهم بتعاليمه تمسك ، ولقضاياه اتباع ، فبذل جهدا ، وغلب سحرتهم به ، واستطاع أن يحرر بنى اسرائيل من

عبودية فرعون وقومه ، وعن طريقه كانت لهم — بعده — دولة وسلطان ...

وهذا كلام ليس بالجديد المخترع في عصرنا هذا ، وانما هو قديم ... قديم ... قيل به منذ زمان ... وزمان ..

وقد رده العلماء وبينوا ما فيه من ادعاءات تخالف الواقع .. وممن أسهم في ذلك القاضي عبد الجبار المتوفى في عام ٤١٥ هـ عن سن عالية فاستمع اليه يتحدث في ص ٨ — ٩ — من الجزء الأول من كتابه : « تثبيت دلائل النبوة » عن العرب والرسول فيقول : جاءهم مجيئا ما جاء نبي قبله في مثل حاله ، فان موسى — صلى الله عليه وسلم — أتى قومه من بني اسرائيل ، وهم أولاد الأنبياء ، قد اعتقدوا الربوبية ، وعرفوا الطريق اليها ، واعتقدوا النبوة ، وعرفوا الأنبياء قبل موسى ، كآدم ونوح ، ثم الى ابراهيم واسحاق ويعقوب والأسباط ، وألفوا عبادة الله ، واعتقدوا المعاد وعرفوه . ثم جاءهم وهم في ذل وأسر وقهر في أيدي الجبابرة من القبط والفراعنة ، يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، ويمنعونهم الصنائع الشريفة ، ويقصرونهم على ضرب اللبن وقطع الأحطاب والأعمال الشاقة المؤلمة ، فجاءهم موسى عليه السلام بما يعتقدون من الربوبية والنبوة ، ثم أخرجهم من الذل الى العز ومن الشقاء الى الرفاهية والدعة ، ومن الفقر الى الغنى .

ثم جاءهم من بعد موسى عليه السلام من الأنبياء بما جاءهم به موسى عليه السلام ، الى أن انتهت النبوة الى المسيح عيسى ابن مريم — صلى الله عليه وسلم — فأتى بني اسرائيل بسنن موسى عليه السلام وشرائع التوراة .

فقدم هو والأنبياء قبله على أمر ممهد مألوف معروف وعلى قوم قد ألفوا وعرفوا ، وجاء محمد — صلى الله عليه وسلم — قوما لا يعرفون الربوبية ، ويعبدون الأصنام ، وينكرون البعث والمعاد أشد الانكار ، لا يعرفون نبوة ولا طهارة ، ولا صلاة ولا صياما ولا زكاة ، أشد الناس نخوة وجبرية وأنفة ، قساة جفاة ، معاشهم من شن الغارات ، يسفكون دماءهم ويئدون ذريتهم فرارا من العار .

ودعاهم — صلى الله عليه وسلم — الى الربوبية ، والى الاقرار بالنبوة والبعث والقيامة ، وأخذهم بالصدق والوفاء وأداء الأمانة والخضوع للحق ، وبالطهارة والصلاة والصيام والاعتكاف والزكاة ، وصلات الأرحام ، وقطع السارق ، وجلد القاذف والزاني وشارب الخمر ، ومساواة الموالي والفقراء والأعاجم والضعفاء في الدماء ، وأخذهم بالبراءة منهم ، وببذل أموالهم وأخذهم بالبراءة من آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ومن آبائهم ومن أديانهم ، وبالاقرار بضلالهم والتدين بالبراءة منهم ، وببذل أموالهم ودمائهم في طاعته ، وبمجاهدة الأمم ومعاداة الجبابرة والملوك في طاعته ، فأخذهم بكل شدة وأخرجهم من الراحة الى الكد ومن المسالمة الى العداوة ، وألزمهم مالم يكونوا ألفوا ولا عهدوا وألزمهم الكلف والمؤن فأجابوه بهذه الشرائط . وهم أشد الناس حقدا وأنفة وجبرية ، وطلبا بطائلة ، لا يقارون من عاب

٩

مع "دليل المسلم"

خيولهم وجمالهم فكيف بمن عاب آلهتهم وآباءهم وعقولهم وضلل أديانهم ؟ » ومثل هذا المجيء لم يجئه غيره من الأنبياء ، ولكن المبغض والمقلد لا بد له من مقال .

وما عجبت من شيء عجبي مما ساقه دليلا على دعواه أن قريشا كانت ضعيفة التدين ، وهو :

١ ـ علمه باستخفاف الكثيرين منهم في الجاهلية بهذه الآلهة .

٢ ـ بدعوة الحنفاء الى عبادة الله واحدة ، وتسفيههم لعقيدة قومهم ، دون أن يلحقهم أذى أو اضطهاد .

٣ ـ ثم علمه بالتقبل السهل المذهل من جانب قريش ـ بعد فتح مكة ـ لهدم أوثانها ، دون أن يصيبها شيء من لواعج الأسف أو الحيرة أو الانزعاج .

وعلى فرض أن الاستخفاف من بعضهم أو الكثيرين منهم ، ان شاء ، كان واقعا ، فهل ينسحب هذا على القبيلة كلها ؟ .

وبأي منطق يتقبل الناس أن ينسحب حكم بعض الأشياء على كلها دون استقراء ؟

واذا صح هذا في قريش (الحمس) فانه يصدق في جميع العرب من باب أولى ، وفيمن اذن كان قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ » ، وقوله عز وجل : « وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ » ومن القائل : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » « أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » ومن الذى كان يلبى في موسم الحج ويقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك .

وفيم كانت عناية القرآن اذن ، وتوجيهه نظر العرب ، في عشرات السور ومئات الآيات ، بل كل القرآن ، الى أن الآلهة التى عبدوها من دون الله ، عاجزة ، لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيى ولا تميت ، ولا تبصر ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ؟ ولمن كانت توجه هذه الآى ؟ ألقوم بأصنامهم يتعلقون ، ولها يتعبدون واليها يتقربون ؟ أم لقوم بها يستهزئون ، وبعبادتها يستخفون ، ولألوهيتها لا يخضعون ؟

ولم كان القرآن يعيد ويبدىء في هذا الشأن ، الأن العرب كانت بهذه الآلهة ساخرة ، ولها محتقرة ؟ أم لضد هذا كان تكرار القرآن الحكيم ؟

وقد أقام النبى بضعة عشر عاما في مكة ، وشرعه يكاد يكون مقصورا على الدعوة الى وحدانية الله ، ونبذ عبادة الأصنام ، فعلام يدل هذا ؟

ان قيمة هذا الدليل في موازين العقول هي بالضبط القيمة لعبث عابث أو لجهل جاهل يقول : ان المصريين أو الناس جميعا مغمورون أو لصوص ، فقد قبض البوليس على كثير منهم متلبسا بالجريمة ، أو ان طلاب الثانوية نجحوا

فى الامتحان فان ابنى قد نجح وكذلك أخى ، وابن عمى !

ومن حق القارىء أن يطالب كاتبه هنا بابراز عشر حالات فقط من حالات الكثيرين الذين كانوا يستخفون بهذه الآلهة ، لا على طريقة القرآن الكريم ، شريطة أن يكونوا من قريش الجاهلية لا الاسلام فانه يعرف بعض الساخرين من القبائل العربية ، ولكنه لا يعرف الساخرين بالآلهة من قريش .

ودليله الثالث لا يبعد عن هذا التقدير فان القارىء لا يدرى لماذا كان « دليل المسلم الحزين » ينتظر لواعج الاسف من قريش والحيرة والانزعاج لتحطيم الأصنام ، وهم تركوا عبادتها ، ورأوها على حقيقتها حجارة ..... مجرد حجارة لا تنفع ولا تشفع ، وقالوا لها : كنا منك فى غرور ، كما عبرت بذلك هند بنت عتبة بن ربيعة .

وكان ينبغى ــ ان كان للاسف موضع ــ أن يكون على الزمان الذى أضاعوه فى تعظيمها وعبادتها ، وعلى قلة العقل والضلال الذى كانوا غارقين فيه ، وعليه مات آباؤهم الأقربون والأبعدون ، وعن طريقها صاروا الى الجحيم .

وأما دليله الثانى فانه يتكون من جزئيات ثلاث : الأولى أن الحنفاء دعوا الى عبادة اله واحد .

والثانية أنهم سفهوا عقيدة قومهم .

والثالثة أن قريشا لم تلحق بهم أذى أو اضطهاد .

فلنلق نظرة على هذه القضايا بالتعرف ما فيها من خطأ أوصواب ، مستندين الى سيرة ابن هشام التى تقول ــ بعد أن ذكرت أسماء أربعة وذكرت تشككهم فى الوثنية .

وقال ابن اسحاق : اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، فخلص منهم أربعة نفرنجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . فقال بعضهم : تعلموا . والله ما قومكم على شىء ، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم ، فانكم والله ما أنتم على شىء . فتفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .

وكان هؤلاء الأربعة ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وكلاهما عشيرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ــ رضى الله عنها .

والثالث : عبيد الله بن جحش من بنى أسد ابن خزيمة أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش ــ رضى الله عنها وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

والرابع : زيد بن عمرو بن نفيل من بنى عدى من عشيرة عمر بن الخطاب ، وهو والد سعيد ابن زيد من العشرة ، وأخو الخطاب لأمه وابن أخيه فى نفس الوقت .

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من اهل الكتاب . (وأقام فى مكة لا يهيج ولا يهاج ، حتى جاء الاسلام ، وعرضت عليه خديجة أمر الرسول وقال له ما هو معروف فى كتب

مع "دليل المسلم"

الحديث والسيرة والتاريخ) .

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر .. حتى هلك هنالك نصرانيا .. وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده .

قال السهيلي : وكان يقال له البطريق ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو ابن جفنة الغساني الملك .

وأنت ـ يا قارئي ـ عندما تريد أن تطبق جزئياته الثلاث التي تكون دليله ، على رجاله الثلاثة هؤلاء لا تجد جزئية واحدة ، حتى الثالثة لعدم دواعيها تنطبق على فرد واحد ودع عنك الجميع ، فالذي أقام في مكة متحيرا كيف يدعو الى التوحيد وهو لم يهتد اليه ؟ وكيف يسفه عقيدة قوم يطمئنون اليها وليست له عقيدة تبعث على الاطمئنان ، ومن أجل أي شيء كانت قريش تؤذيه ؟

وعثمان تنصر ومكث في الشام ومات هناك فكيف تنطبق عليه تلك الجزئيات ؟ وورقة بن نوفل استحكم في النصرانية .

وعلى فرض أنها موحدة فقريش ليست في حاجة الى هذه الدعوة فأمامها علماء النصارى وأحبار اليهود ، فليست في حاجة الى تلميذ من تلامذتهم يتلقون عنه ، وورقة من أعظم الناس بقومه فلا يقدم عليهم بما يغضبهم ، فكيف تقدم اليه الأذية ، وهو لم يقدم اليها أذية ؟

وأما زيد بن عمرو وبن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعيب ماهم عليه .

وكان يسند ظهره الى الكعبة أحيانا ويقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم على دين ابراهيم غيرى ثم يقول : اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه .. وهذا هو الوحيد الذي يمكن أن تقبل فيه ـ بتسامح ـ الجزئيتان الاولى والثانية ، وأما الثالثة فلا ولا ثم لا ، ولا .. الى ما شئت من مكراتها حتى تشعر أنك في حاجة الى التقاط الانفاس .

ذلك أن زيد لما فارق دين قومه ، وعابه آذاه الخطاب حتى أخرجه الى أعلى ، فنزل حراء ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، وقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه ، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه (وضم هذا الى الأدلة السابقة في تمسك قريش بدينها ، وكذلك قول الأربعة : وليكتم بعضكم على بعض) فقال ، وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل :

لا هم اني محرم لا حله وأن بيتي أوسط المحله عند الصفا ليس بذي مضله

وكان الخطاب قد وكل به صفية بنت الحضرمي زوجه ، وقال لها : اذا رأيته قد هم بأمر فآذنيني به ، فكانت كلما رأته تهيأ للخروج

ليضرب في الارض ، يطلب الحنيفية دين ابراهيم — صلى الله عليه وسلم — آذنت به الخطاب ابن نفيل .. الذى كان يؤذيه ويعاتبه على فراق دين قومه ، وفي عتابها وعتابه يقول زيد :

لا تحبسيني في الهوا
ن ، صفى ، ما دابي ودابه
انى اذا خفت الهوا
ن ، مشيع ذلل ركابه
واخى ابن أمى ثم عمى ،
لا يواتيني خطابه
واذا يعاتبنى بسو
ء ، قلت : أعياني جوابه
ولو اشاء لقلت ما
عندي مفاتحه وبابه . (١)

ثم خرج يطلب دين ابراهيم — عليه السلام — حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا منهما ، وخرج يريد العودة الى مكة ، حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه . اهـ .

هذا هو حال الاربعة ، وحال قضاياه الثلاث، فانظر ، كم قضية منها صادقة ، وكم قضية منها بعدت عن الصواب ، ولا أقول شيئا أكثر من ذلك ، فانى أحب أن أعود به . أو أعود معك من قريب الى ما زعمه من أن لبنى هاشم مصلحة حقيقية في موضوع النزاع ، وأن بأبى طالب رغبة عن تجنب المقاطعة القرشية ، أى رغبة في المقاطعة ، فقد كان من السهل عليه أن ينتحل عذرا أو آخر للتخلى عن ابن أخيه ، أو اسقاط الحماية عنه .. الخ ما قال .. والذى يتخيل ذلك لايعرف الطباع العربية ، ولا الطبائع الهاشمية ..

ومن حق القارىء هنا أن يسأل الكاتب عن المصدر الموثوق به الذى نقل عنه هذا الكلام الغريب ، وأن يسأل عن السر الذى حدا به الى اخفاء هذه المصلحة عنه ، مادام يكتب له رغبة في افادته وتثقيفه .

والقارىء يعرف من المؤرخين القدامى والجدد ومن كتاب السيرة أن النبى وأصحابه ، وبنى هاشم والمطلب — مسلمين وكفارا ، احتموا في شعب من شعاب الجبل بظاهر مكة سنتين أو ثلاثا متوالية ، يعانون الحرمان ألوانا ، ولا يجدون — أحيانا كثيرة — من الطعام ما يدفعون به جوعهم ، أو يسدون به رمقهم ، ولم يكن يتاح لهم فيها الاختلاط بالناس والتحدث اليهم الا في الأشهر الحرم ، حين يفد العرب الى مكة حاجين ، وحين تضع الخصومات أوزارها — كما يقول د. هيكل — في حياة محمد — وسواء ، وكل هذا يعطى أنه لا مصلحة لبنى هاشم في المقاطعة ، ولا مصلحة لأبى طالب في التضييق عليه وعلى أهله ، ومحاصرتهم جميعا في شعبه .

ولقائل أن يقول : لماذا — اذن — فرحوا

(١) فى البيت خزم ، وهو اسقاط الحرف الاول من الجزء الاول ، فيما هو مبنى على الأوتاد المجموعة ، وقد ذكر علماء العروض انه يكون فى الطويل ، والوافر والهزج ، والمضارع ، والمقتضب ولا يكون فى الكامل ، لكنه وجد فى هذا البيت ، وفى بيت قبله فى هذه القصيدة ، وكذلك وجد فى شعر ابن الزبعرى ، ارجع الى القوافى لأبى يعلى التنوخى ص ٨٥ بتحقيق د. عونى عبد الرءوف و ص ٧٧ ، ٢٦١ من الروض الأنف للسهيلى جـ ١ بتحقيق طه عبد الرءوف سعد .

مع "دليل المسلم"

جميعا بانتهاء المقاطعة ، وتركوا شعب أبي طالب ورجعوا الى منازلهم التى تركوها ، أو أرغموا على أن يتركوها ؟

وهل وصل الغباء ببطون قريش اجمعين أن يجمعوا على عمل فيه مصلحة لأبى طالب وبنى هاشم ، وفيم كان تعوذه بالبيت الحرام ؟ ولم كان يعتب على قادة عبد شمس ونوفل ، ويكاد يتملقهم ، ويستجد بهم نصرته على باقى بطون قريش ؟

واستمع لما يقوله ابن هشام فى سيرته لتعرف الحقيقة ، وفى أى اتجاه تتجه ؟ : لما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة ، وبمكانتــه منها ، وتودد أشراف قومه وهو مع ذلك يخبرهم وغيرهم ــ فى ذلك من شعره ــ أنه غير مسلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلك دونه. ولولا خوف الاطالة لذكرت لك شيئا من شعره الناطق بحاله وحال اخوته وأهله ، وتودده لبنى أمية ، وبنى عبد شمس ، وبنى نوفل ، وتودده حتى لأخيــه أبى لهب الذى كان ضدهم مع قريش ، فهل يــدل ذلك كله على رغبة فى المقاطعة ؟ أم على رغبــة فى ضدها ؟

وهل يعطينا ذلك اللهفة على الصلح مع قومه أم التوق الى العداء ؟ واترك لك ــ ياقارئى ــ الفصل فى هذا الموضوع، وانتظمك الى الزعم الاخير من مزاعمه التى احتوى عليها نصــه السابق .. وهو أن المقاطعة انهارت لانسحاب بعض البطون منها ، وعلل انسحابها بأنهــا ادركت أن نجاحها سيؤدى الى تعــاظم قوة الاغنياء التى تعدت الحدود التى كانوا يأملون الوقوف عندها . ونتساءل عن هذه البطون التى انسحبت ، ولماذا لم يحددها ويعرفنا بها ؟ فان التاريخ يجهلها ، ولذلك يذكر خمسة أشخاص عند التعرض لهذه الحادثة ، ولا يذكر بطونا ، ويذكر لنا أن هؤلاء الخمسة اتفقوا مع بعضهم دون أن يشاركهم فى هذا الاتفاق أحد ، أو يعلم به ، أو يساعدهم فيه ، أو يضم اليهم صوته .

واليك ــ يا قــارئى ــ كلمة عن هــؤلاء الأشخاص ، وعن الصورة التى تجمعوا بها ، والكلام الذى دار بينهم ومن تدرك السبب الذى حملهم على نقض هذه الصحيفة الظالمة ، ومقدار الأمانة فى كتابة التاريخ .

وأول هؤلاء ، وأكبرهم أثرا فيها هشام بن عمرو بن ربيعة ــ من بنى عامر بن لؤى ، وكان واصلا لبنى هاشم أثناء المقاطعــة فكان يأتى بالبعير ، قد أوقره طعاما ، ليلا ، حتى اذا أقبل الى فم الشعب خلع خطامه من رأسه فضرب به على جنبه ، فيدخل عليهم الشعب فيأخــذونه ، وهكذا ، حملته على ذلك الرحم والقرابة فانــه ابن أخى فضلة بن هاشم لأمــه .. فمشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة من بنى مخــزوم وهو أخو أم سلمة أم المؤمنين ، واختــاره ، لأن أبا طالب ، واخوته أخواله ، فان أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، ولذلك أتاه من هذه الناحيــة وقال له : يازهير ، قد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما انى أحلف باللــه أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ــ يعنى



أبا جهل ـــ ثم دعوته الى ما دعاك منهم ماأجابك اليه أبدا .. قال : ويحك يا هشام انما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها ، حتى أنقضها ، قال هشام : قد وجدت رجلا . قال : فمن هو ؟ قال : أنا . قال زهير : فابلغنا ثالثا ، فذهب الى المطعم بن عدى ـــ من بنى نوفل بن عبد مناف أخى هاشم جد أبى طالب فهما أبناء عم ، وهو الذى كان أبو طالب يعاتبه كثيرا ويتودد اليه فى شعره ليجذبه الى ناحيته ومن قوله له لما اشتدت عليه المقاطعة وأضرت به وبأهله :

أمطعم لم أخذلك فى يـــوم نجـدة
ولا معظم عند الأمـــور الجـــلائل

امطعم ان القوم ساموك خطـــة
وانى متى أوكل فلست بـــوائل

ومن هذه الناحية أتاه هشام فقال لـــــه . يا مطعم ، أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنهم اليها منكم سراعا .. قالويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ انما أنا رجل واحد ، قال قد وجـدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنـــا ثالثا ، قال قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبى أمية ، قال : أبغنا رابعـــا ، فذهب الى

مع دليل المسلم

أبى البختري بن هشام ومن بعده الى زمعة ابن الاسود ، وهما من بنى أسد بن عبد العزى عشيرة خديجة أم المؤمنين ، وهى العشيرة التى كانت صفية بنت عبد المطلب متزوجة فيها ، ولها ابنان من العوام أحد رجالاتها هذه هما الزبيروأخوه السائب ، وكانت أسدحليفة لهاشم وبنيه من بعده فى حلف الطيبين والفضول ،فقال لهما نحوا مما قال لمن سبقهما فاستجابا له .. واتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة ــ حتى ينقضوها .. فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية وعليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى ، لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد ، حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل : كذبت والله لا تشق ، وكان فى ناحية المسجد ، فقال زمعة : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت ، قال أبو البختري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم ابن عدى كذاك قبحا وكذبا ، من قال غير ذلك ، نبرأ الى الله منها ، ومما كتب فيها ، وقال هشام ابن عمر نحوا من ذلك ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، تشوور فيه بغير هذا المكان . فقام المطعم الى الصحيفةليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها ...... الخ .

هذه هى قصة نقض الصحيفة كما ذكرها ابن هشام ولا يختلف عنه مؤرخ مسلم أو أحد من كتاب السيرة ، فهل ترى فيها انسحابيبطون أم ترى أفرادا عن الظلم يتكلمون ؟ ولكن لعل دليل المسلم الحزين يعتبر الفرد بطنا ، وهو ــ مع عدم معقوليته ــ لا يسلم له ، فان زهيرا من بنيمخزوم ، وأبا جهل منبنى مخزوم فعلى هذا تكون مخزوم منسحبة وغير منسحبة فى الوقت نفسه

وفى هؤلاء الأفراد ــ لا البطون ــ يقول صاحب الهمزية :

فتية بيتوا على فعل خير ... حمد الصبح أمره والمساء

يا لامر أتاه بعد هشام ... زمعة انه الفتى الاتاء .

وزهير والمطعم بن عدى ... وابو البختري من حيث شاءوا

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد ... ت عليه من العدوى الأنداد .

ويقول بعض شراحها توضيحا لفعل الخير الذى أتوه فى البيت الأول : هو نقضهما (الصحيفة) والمخاطرة دونه بالنفوس ، لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم ــ وفى البيت الأخير : نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه .

واذا لم تكن هناك بطون انسحبت ، فعليك ــ يا قارئى ــ ان تنظر قيمة تعليله الذى لم تدركه هذه البطون الذكية الا بعد ثلاث سنوات والحقيقة ان انضمام هذه البطون فى المقاطعة الى قريش ، ثم انفصالها عنها بعدثلاث سنوات او سنتين امر غير معقول ان لم يكن هناك تعليل غير تعاليله التى يشغلك بها ، فخذ بنا فى شىء آخر ، علنا نظفر بما هو ادنى الى التعقل ، وأقرب الى الحقيقة .

يتبع

عبد الظاهر عبد الكريم

المستشرقون والسنة

واقع .. أمل .. ومنهج

للأستاذ / محمد أحمد بدوي

تحتاج كتب التراث بعامة ، وكتب السنة بخاصة الى المضى بهمة أكبر ، وبمنهج واضح فى اعادة مراجعتها مراجعة شاملة وعميقة ، واستلهام روح العصر ومنجزاته العلمية والفنية فى اعادة عرضها ميسرة ومفهرسة ، وفى استخراج كنوزها ، وتيسير توظيفها فى حياتنا ، على أن تستخدم لذلك أشد المناهج صرامة ، وأبعثها على الاطمئنان • ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ — لما انتهى الحوار الفكرى المعاصر الى رفع التقابل والتضاد بين الأصالة والمعاصرة ، استقام المنهج على الأصالة والمعاصرة معا والأخذ منهما لكل ما هو صحيح ومفيد ، والترك منهما لما هو غير صحيح ولا مفيد •

٢ — وجوب اكتشاف المنطلقات الباهرة فى تراثنا لآفاق العلم والمعرفة ، وتمجيد ما أدى وظيفته فى عصره بكفاءة يجب الا نغمطها حقها من الاعتراف ، اذا كان بمقاييس عصره ، قمة العلم بالنسبة للحضارات الأخرى •

٣ — ضرورة تناول تراثنا بأيدينا من المستشرقين الذين أخذوا المبادرة فى تناوله فى أطر من أغراضهم ومناهجهم ، فأبرزوا ما لو تناولناه لاتسع المنهج العلمى لشرحه والاعتذار عما فيه من قصور ، وغضوا مما لو تناولناه لاتسع المنهج العلمى لابرازه وتنميته والانطلاق منه ، وقد خلصوا الى أخص ما يخصنا وهو نشر كتب السنة وخدمتها وترقيمها وتبويبها وفهرستها فهرسة ألفاظ وفهرسة معان •

٤ — يقتضى العصر الحديث أن يكون العلم وبخاصة العلم الدينى شعبيا بالمعنى الأعم لكلمة شعبى التى لا تعنى فقط رخص الثمن ، ولكن أيضا التبسيط وتسهيل التناول لعامة الشعب •

٥ — معرفة المستشرقين باللغة العربية

◄

المستشرقون والسنة

مهما كانت كبيرة فانها تقصر عن فهم دقائق التراث وروحه وبخاصة التراث الديني .

أغراض المستشرقين في الدراسات الاسلامية ومناهجهم

وجد الاستشراق كأحد نتائج الحروب الصليبية في ابتعاث النهضة الأوربية ، وباشر نشاطه في أثنائها وبعد انتهائها ، وقد تم في القرنين أعمال ظهر بعضها الى الضوء ، وبعضها الى الآن لا تستبين ماهيته . وان بدا من آثاره ما يشم منه العارفون روائح ما عطوا فيها ، لكننا لا نستطيع تكوين فكرة متكاملة عنه ، وربما كشفت عنه الأيام .

ويبدو للنظر غير المدقق أن الحروب الصليبية فشلت من كل وجه ، ولم تؤد أي غرض من أغراضها المعلنة على الأقل ، وذلك من نظرة ضيقة الى أهدافها وحصرها في الغرض العسكري واحتلال الأرض . ولكنها حققت نتائج على أعظم جانب من الخطورة ، فقد نقلت الغرب من ظلام العصور الوسطى الى عصر التنوير ثم عصر النهضة ثم عصر التفوق والتفرد فيه ؛ ومن نتائجها التعديل في مناهج التطويع للشرق بترك الوسائل العسكرية الى الغزو السلمي والثقافي .

الاستشراق والغزو السلمي

كانت الأغراض الأولى للاستشراق منبعثة من خلفية هي مزيج من التعصب الصليبي وخدمته ، ومن الانبعاث للرقي الذي ولده الاحتكاك بالحضارة الاسلامية . ثم تطورت له أغراض أخرى وتشعبت ، فمنها :

١ ــ معرفة كل شيء ممكن عن الشرق يوفر من فرص الانتصار عليه وتطويعه بقدر كبير .

٢ ــ نقل المعركة الى داخل المجتمعات الشرقية والى حياتها يتم بتلمس مواطن الهجوم على تراثه وتشكيك أهله فيه ، وتعبئة الشعور الغربي ضده وضد أهله .

٣ ــ اثارة ضباب وشكوك قد يجدون لها مداخل ، ويركزون انتباه الشرقيين عليها ، ويبثون كثيرا مما يريدون بثه من سموم كصلمات لا ينتبه اليها الناس ، كما يدوس اللص على قدمك في السيارة العامة لكي يسرق محفظتك .

٤ ــ يستخدمون معرفتهم بالقوانين الاجتماعية التي تحكم سلوك الشعوب المتأخرة ازاء الأفكار الواردة من المتغلبين الأقوياء في تيسير نقل ثقافاتهم الى المسلمين ليجدوا في استقبالها الفئات التالية :

(أ) محبو التقليد للغالب .

(ب) محبو الظهور بمخالفة أفكار قومهم ومعتقداتهم ، والتعالي عليهم .

(ج) العملاء ، الظاهر منهم والخفي ، فقد وجد لكل ما أثار المستشرقون من شبهات من يرددها في العالم الاسلامي .

(د) المغترون فعلا بأفكار المستشرقين ويعتقدونها عن اقتناع .

٥ ــ تناولهم لموضوعات اسلامية بمنهج ظاهره علمي محايد ليعطي انطباعا بأن ما كتبوا فيه لم يترك شاردة ولا واردة الا أتى

بها . وبذلك يسدون الطريق على المسلمين للاقتراب منه ، بينما يسع المنهج العلمى تناول ما تناولوه بوجهات نظر علمية بحتة ومن زوايا مختلفة .

٦ ــ يخافون أن يستقيم لنا منهج فى احياء تراثنا ، فنختار أحسن ما فيه وننشره ونخدمه ونفهرسه ونغفل أسوأ ما فيه أو نشرح ونعلق ونصوب ، فأسرعوا بنشر ما لم تكن له أولوية من وجهة نظرنا ، وما لايسعدنا نشره على نطاق واسع .

٧ ــ اهتمامهم الذى يظهر محايدا بالملحدين والشعوبيين ، وأعداء الاسلام ، ونشر كتبهم بل وترجمتها الى اللغات الأجنبية ، وابراز ما فيهم من النواحى التى تروق للقارئين ، واغفال ما عندهم من انحراف ، وما فى كتبهم من شرور ليكسبوا تعاطف القراء معهم ، حتى اذا كشف من انحرافهم شىء ، فاما ألا يصدق القارىء ما قيل ضدهم ، واما أن يعتذر عنه .

٨ ــ العمل على هدم الذين لهم فى قلوب المسلمين مكانة علمية ، بتلمس الأخطاء لهم واثارة الشكوك حولهم .

٩ ــ بطء التأنى وحسن التأدى ، فيكفى أن يبث واحد منهم دسيسة مخبلة أو فكرة مخربة يكون قد قام بواجبه ، وصار عندهم من القديسين . ويصوم اليهود الى هذه الأيام ثلاثة أيام كل عام لاستير صاحبة السفر الشهير فى العهد القديم .

١٠ ــ اغفال التاريخ الهجرى ــ كمبدأ مقرر وابراز الأوربى حتى لما لم يؤرخه الافرنج . ولم يعرف له تاريخ الا من العرب ، ولو كلفهم ذلك التماس التاريخ الافرنجى للحادثة العربية من كتب مقارنة التواريخ ، وعندنا منها كتاب اللواء محمد مختار باشا . وقد أكمله أحد العلماء العرب المعاصرين الى نهاية القرن الخامس عشر الهجرى .

١١ ــ مالا يستطيعون مناهضته ولا الوقوف فى سبيله ينخرطون فى سلك المتحمسين له لدرجة تؤهلهم لقيادة الطابور أو ركوب الموجه ، لكى يعملوا على تفريغه من محتواه ، وحشوه بمعان لا تمت اليه بصلة مثل تفريغ التدين الحق من محتواه من العمل الجاد والعلم ، فيحيلونه موالد وغناء ورقصا باسم الدين .

١٢ ــ اغراق أسواق القراء بالقصص وأسواق المشاهدة بالمسرحيات والأفلام ، وهى من أفعل الوسائل فى العقول اذ تطبعها بما يوحى به فيها ، وهى احدى وسائل (بروتوكولات) حكماء صهيون .

١٣ ــ من القواعد فى الاستراتيجية العامة العمل على ابقاء القوى المتصارعة فى الفكر الاسلامى متكافئة القوى أو على الأقل متقاربة ليظل الصراع قائما ، وذلك بنجدة القوى التى تتهاوى ، حتى تقوى وتستأنف الصراع ، ومثل ذلك يعملونه فى السياسة الدولية كما يفعلون مع ايران والعراق ، وفى الموضوعات التى التقى فيها الناس على كلمة سواء يدأبون على اثارتها من جديد كما تثار الآن من آن الى آخر مسألة المعاصرة أو التراث .

١٤ ــ اقامة محطات غير منظورة لرصد

المستشرقون والسنة

المقالات والاتجاهات ، والعمل على ترويج بعضها واهمال البعض الآخر .

الحرب الثقافية التي شنت على العالم الاسلامي

وصف الأستاذ محمود شاكر هذه الحرب في تقديمه للظاهرة القرآنية للاستاذ مالك بن نبي فقال :

لم تكن المعركة بين العالم الاوربي وبين العالم الاسلامي معركة في ميدان واحد بل كانت في ميدانين :

ميدان الحرب وميدان الثقافة ، وكانت معركة الثقافة أخطر المعركتين ، وكان خصمنا يعلم من خباياها مالا نعلم ، ويدرك من أسرارها ووسائلها مالا نعلم . وكما بقيت معارك الحرب المتتابعة سرا مكتوما لا يتدارسه قادة الجيوش الاسلامية وجندها بقيت أيضا معارك الثقافة على تطاولها سرا خافيا لا يتدارسه قادة الثقافة الاسلامية أ هـ .

وانه لما يثير العجب ـ كما يقول الدكتور مالك بن نبي ـ أن نرى كثيرا من الشباب المثقف يتلقون اليوم عناصر ثقافية تتصل بمعتقداتهم الدينية،وأحيانا بدوافعهم الروحية من كتابات المتخصصين الاوربيين .

عندما بدأت كتابات المستشرقين عن الاسلام لم تكن بحوثا علمية تتوخى حقائق التاريخ ، وتميزت الكتب التي صدرت خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر بكثير من التهور والاندفاع ، وقد أعلن القس بيتر أن نقطة البداية في حرب الاسلام هي القرآن ، ويظهر أن الرأي الرسمي في أوربا قد اعتنق هذا المبدأ مددا طويلة ، واستمر هذا العداء هو الطابع الغالب على كتابات المستشرقين حتى عهد قريب . قال الدكتور محمد حسين هيكل في (حياة محمد) : جاء في موسوعة لاروس خلال العرض لآراء كتاب المسيحية الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ما يأتي : بقى محمد مع ذلك ساحرا ممعنا في فساد الأخلاق كردينالا لم ينجح في الوصول الى كرسي البابوية ، فاخترع دينا لينتقم من زملائه .

كان هذا هو الطابع الغالب ، لكن كثرة من المنصفين وجدت بين هؤلاء المستشرقين ، قال جب من المحدثين في كتابه : (حيث يكون الاسلام) : .. ولكن الاسلام مازال في قدرته أن يقدم للانسانية خدمة جليلة فليس هنا اي هيئة سواء يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة .

السنة وخدمتها قبل المستشرقين

من الافكار التي روجت بقصد في الفكر الحديث أن تدوين السنة لم يبدأ الا في القرن

الثانى الهجرى وقد ركز على هذا بعض المستشرقين ومن تاثر بآرائهم ممن يريدون التشكيك فى السنة بجملتها وفى حجيتها وان حجية السنة فى التشريع الاسلامى امر فوق الشبهات ، ولا يمكن أن ينال منها غبار يثار ثم يهبط ، فتطور التدوين ابتداء من حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — وانتقاله من حال الى حال حتى وصل الى صورته الأخيرة لا ينال من هذه الحجية اذ أن العناية بحفظ السنة كتابة وعن ظهر قلب لهى امر مجمع عليه من جميع المفكرين مسلمين وغير مسلمين وقد فاق توثيق السنة — بما لا يقاس — توثيق كتب الأديان الاخرى .

ان تدوين السنة قد بدا مبكرا ، وفى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، فقد روى البخارى فى ٣٩ — باب كتابة العلم من ٣ — كتاب العلم فوق عبد الله بن عمرو بن العاص أبا هريرة فى كثرة الحفظ عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بأنه كان يكتب وكان أبو هريرة لا يكتب ، وروى الشيخان : البخارى فى الباب السابق ومسلم فى ٨٢ — باب تحريم مكة من ١٥ — كتاب الحج ان أبا شاه طلب الى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يكتبوا له خطبة النبى — صلى الله عليه وسلم — فى فتح مكة ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : اكتبوا لأبى شاه . وروى مسلم فى ٨٥ — باب فضل المدينة من ١٥ — كتاب الحج ، ان رافع بن خديج قال لمروان : ... ولم تذكر المدينة وحرمتها ، وقد حرم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ، وذلك عندنا فى أديم خولانى ان شئت اقرأتكه ، وأخبار كتابة الحديث النبوى فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ، ولا يعنى عدم العثور على ما كتب فى هذا العهد فقدان محتويات صحفه ، وانما فقدت الصحائف بعد أن أفرغت محتوياتها فيما تلاها من مجموعات .

ان تدوين السنة فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يحكمه بصفة عامة نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — عن كتابة شىء غير القرآن وورد ذلك فى الحديث رقم ٥٩ من ٥٣ — كتاب الزهد من مسلم ، وهو عند الامام أحمد والدارمى أيضا وذلك كما قال ابن عبد البر فى (مختصر جامع العلم وفضله) ان من كره كتابة العلم انما كرهه لوجهين : أحدهما : الا يتخذ من القرآن كتاب يضاهى به ، ولئلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ .

وقد بدأ التدوين المقصود وبنوع من التنظيم فى القرن الثانى بقصد تخليص السنة الصحيحة من الموضوعة .

قال الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى كتابه تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : مما أكد الحاجة الى التدوين شيوع رواية الحديث ، وقلة الثقة ببعض الرواة ، وظهور الكذب فى الحديث لأسباب سياسية ومذهبية وتضافت النزعة الى خطر التدوين .

ولم يصل الينا مما الف في هذا العصر الا موطأ مالك ، واندثرت الكتب والصحائف بعد أن غرفت فيما الف بعد ذلك في القرن الثالث (١) .

التدوين بعد المائتين

أخذ التدوين صورة أخرى بأن يفرد حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أن كان ممتزجا بما ليس بحديث من أقوال الصحابة ، فصنفت المسانيد وكانت للحديث وحده ، وكانت تجمع من الصحيح وغيره مثل مسند الامام أحمد ومسند الحميدى .

ثم جاء عصر البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهذا هو الطور الرابع طور التنقيح والاختيار ، وبه اختتمت أطوار التدوين .

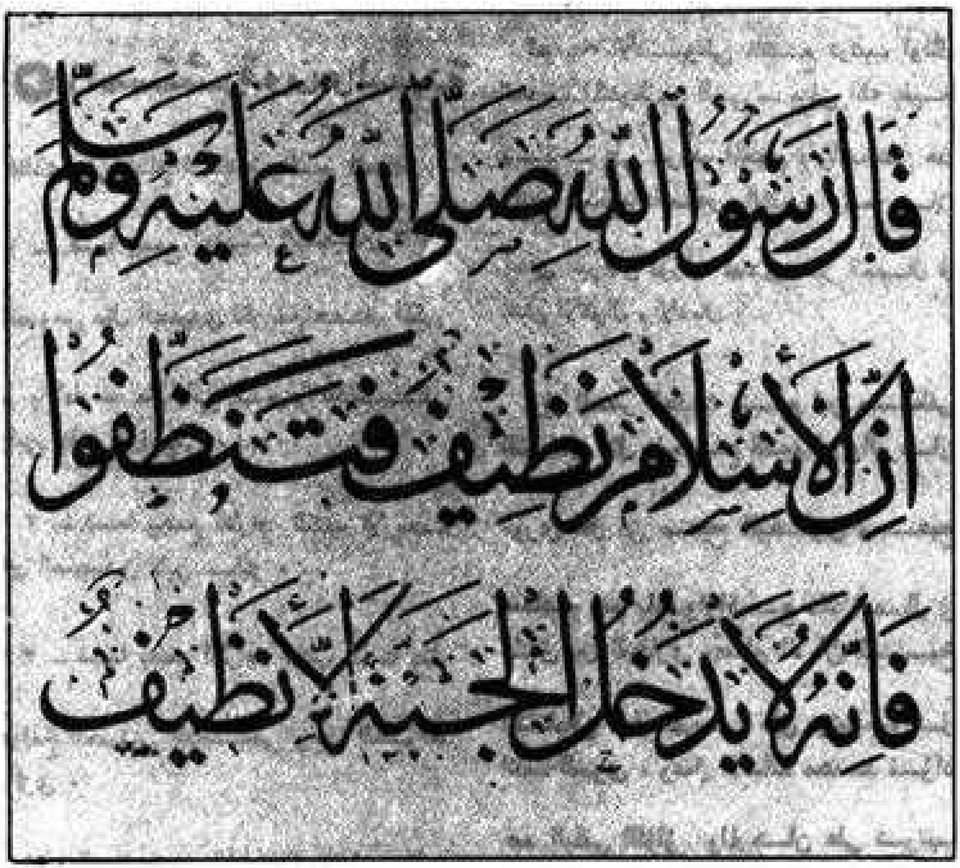
ونخلص لنا من خلال مجهودات هؤلاء الأئمة أوثق الأخبار عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى اختار من مئات آلافها الامامان البخارى ومسلم أعلاها واضبطها مفهرسة على أبواب الفقه وغيره ، وتمتاز فهرسة البخارى بتغطية جميع أبواب الفقه وتضمنها لأنواع من التبويب سبق بها عصره ليعيش معنا بها عصرنا هذا .

وفى القرن الرابع والخامس ظهرت المستخرجات والمستدركات على كتب السنة .

وفى القرن السادس والسابع ظهرت الجوامع ، وهى مصنفات تجمع أحاديث الصحيحين أو تجمعهما مع غيرهما ، وهى اما على نظام المسانيد بافراد أحاديث كل صحابى على حدة تامة المتون ، ويلتحق بها كتب الأطراف التى تجمع أحاديث كل صحابى مع الاكتفاء بطرف من الحديث ، واما على نظام الموضوعات بجمع الاحاديث فى الموضوع الواحد تحت عنوان واحد .

وتجدر الاشارة هنا الى التأكد بأن الصحيحين لم يجمعا جمعا كاملا على نظام الموضوعات قبل كتاب (كفاية المسلم فى الجمع بين البخارى ومسلم) فضلا عن جمعها على ترتيب البخارى فى هذا الكتاب .

(١) راجع الرسالة القيمة : السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب .



ثم جاء العهد الموسوعي عهد النووي وابن حجر ونور الدين الهيثمي ، وفيه شرحت السنة بالشروح الطوال مثل فتح البـاري وعمدة القاري وارشاد الساري .

فهرسة السنة

كـانت أول فهرسة للسنة الشريفة على يد أصحاب المسانيد اذ فهرسـوها بحسب الصحابة وما روى كل واحد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم تلتها خطوة الفهرسة على نظام الموضوعات من كتب وأبواب على يد الأئمة مثل الصحيحين والسنن والموطأ ، ثم تلتهـا خطوة الفهرسة بالتجميع الذي له مظهران :

تجميع نظام المسانيد .

وتجميع على نظام الموضوعات .

المستشرقون والسنة

فالذى على نظام المسانيد ينقسم أقساما :

١ ــ قسما يجمع أحاديث الصحيحين تامة النصوص مثل الحميدى لكن مع حذف المكرر

أو بالأطراف مثل أبى مسعود الدمشقى وأبى خلف الواسطى .

٢ ــ قسما يجمع أطراف الكتب الأربعة غير الصحيحين لابن عساكر .

٣ ــ قسما يجمع أطراف الكتب الستة مثل جوامع الحسينى الدمشقى وابن الخراط والمزى .

٤ ــ قسما يجمع الأطراف العشرة لابن حجر .

أما الذى على نظام الموضوعات فمنها ما يجمع الصحيحين كجمع الأشبيلى والجوزقى وأبى نعيم الأصبهانى والموصلى ،

ومنها ما يجمع الكتب الستة لرزين بن معاوية العبدرى السرقسطى .

ثم وجد التجمع بالاختيار من كتب السنة تحت أبواب من صنع مؤلفيها مثل جامع الأصول لابن الأثير الجزرى .

ثم جاء السيوطى فاتبع ترتيب أوائل الحديث الملفوظ من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على حروف المعجم ، وألف على هذا المنهج معجمية الصغير والكبير ، وتبعه علاء الدين البرهان نورى الهندى بكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .

وفى العصر الحديث صنع ابن مصطفى التوقادى مثل ما صنع السيوطى والبرهان نورى لكل من صحيح البخارى وصحيح مسلم ، وتم بالموازاة مع ذلك اعمال فى المتفق بين البخارى ومسلم الا ان الشيخ الشنقيطى عمل فهرسه على ترتيب أوائل اللفظ النبوى ، وعمل الأساتذ محمد فؤاد عبد الباقى اللؤلؤ والمرجان على ترتيب موضوعات مسلم .

ولم تكن الفهرسة على نظام المسانيد التامة او المكتفية بالأطراف ولا الفهارس المؤلفة على أوائل اللفظ النبوى بذات فائدة تذكر للقارىء العادى .

اما الفهرسة على نظام الجمع فهى بغية جميع الناس .

يتبع

في التشريع

الشريعة .. مايراد لـهـا

حرم ربكم عليكم الميتة

حجاب المـــرأة

الشريعة

... هكذا يراد لها

تواجه الشريعة — منذ اواخر القرن الثامن عشر الميلادى — تحديا يهدف الى امرين :

عزلها عن الحياة العامة ، وعن نظم التعامل فى المجتمعات الاسلامية .

وتطويعها لتقبل النظم الغربية فى المجال المالى والاجتماعى .

وقد نجح هذا المخطط الى حد كبير فى تحقيق اهدافه ، فقد غاب سلطان الشريعة عن الحياة العامة ، وقواعد التعامل ، ونظمه ، ولم يبق فى سلطانها الا قليل جدا من بلاد الاسلام وقليل من شئون الحياة العامة .

والغريب فى الأمر أن هذه الظاهرة التى أطبقت على جنبات العالم الاسلامى لم تظفر منا — نحن المسلمين — بالدراسة الكافية ، التى تستقصى أسبابها ، ونتائجها القريبة ، والبعيدة.

فى حين أن بعضا من كتاب الغرب كشفوا عما يرونه من نتائج هذه الظاهرة ، ومنهم « كالفيرلى » (١) الامريكى ، وقد كتب : « انه يجب أن يلاحظ التحول الذى يجرى فى العالم الاسلامى من أمة ذات حضارة تربط أطرافها تشريعات دينية واحدة ، الى أمم وشعوب متباينة مختلفة ، تزيد تباينا واختلافا

---

(١) هو : د. ادوين كالفيرلى ، عمل استاذا بجامعة هارفارد الامريكية ، ومحررا لمجلة « العالم الاسلامى » بالولايات المتحدة ، ثم عمل بعد احالته الى المعاش استاذا زائرا فى الدراسات الاسلامية بالجامعة الامريكية بالقاهرة من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٦ م ، ثم مستشارا لشركات النفط الامريكية بالمملكة العربية السعودية .

للشيخ محمد حسام الدين

فى ظل الأحكام « الزمنية » الوضعية (١) .

والغريب أيضا أن بعضا من علمائنا حين تزعوا ، ونهضوا لمواجهة هذا التيار المعادى أخذت تجرى على ألسنتهم وأقلامهم شعارات وعبارات تكاد تستقر فى وجدان الناس ، وضمائرهم ــ لكثرة ترددادها ــ وهى فى ابحاثها ونتائجها مما يجرى فى مجال المخطط الغربى .

ان بعضا من كتابنا يرفع هذا الشعار : « الأحكام تتغير بتغير الزمان » تنبيها الى مرونة الشريعة الاسلامية ، وصلاحيتها لرعاية المتغيرات الاجتماعية .

وينسب هذه العبارة الى السابقين من الفقهاء الأجلاء .

والحق أن العبارة ليست هكذا قيلت ، وأن معناها ، ومقاصدها لدى السابقين الأجلاء يختلف عما يتبادر من لفظها الحالى ، وعما تستغل له الآن .

لقد شغلت الصحافة ، وشغل الرأى العام فى مصر هذه الأيام بما يكتب عن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، تأييدا ، أو معارضة له .

وأفصحت بعض الكتابات عن خطأ فى المفاهيم يستوجب المناقشة والتوضيح ، قياما بالواجب ، وتقريرا للصحيح .

فقد جاء فى مقال (٢) ينازع فى تطبيق الأحكام الشرعية فى القوانين المصرية :

« ان هناك فارقا كبيرا بين الدين والشريعة الاسلامية ...

لأن ما فى القرآن والسنة خاصا بالدين الاسلامى هو من قبيل الأحكام التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

أما ما جاء فى القرآن أو الحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين ، فهذه تتغير بتغير الزمان ، والمكان » .

ومن المؤكد أن صاحب المقال قد درس القوانين المصرية « المطبقة حاليا » ودرس معها القوانين الأوربية ، وتعرف على ما بين هذه ، وتلك من قرابة ، وصلة .

ومما لا ريب فيه أنه طالع القوانين الكنسية ، وتابع نشأتها وتطورها ، وأنه قرأ عن الدين فى أوربا ، وعلاقته سلبا ، أو ايجابا ــ بالقوانين المدنية .

لابد أنه تأثر بهذه القراءات ، ولم يضع فى اعتباره تلك الفروق الدقيقة بين المصطلحات

◄

---

(١) P.77 «Islam An Introduction» Calverely — Cairo 1974.

(٢) مقال نشرته مجلة « المصور » فى ٢٥ ــ ١ ــ ١٩٨٤ للأستاذ مصطفى مرعى ، ثم أعادت صحيفة « الجمهورية » نشره مرة أخرى وتناوله العلماء بالرد والتفنيد .

في التعبيرات الاسلامية ، وما يقابلها لغويا في التعبير الأوربي .

لم يضع في اعتباره الفرق بين مفهوم كلمة « دين » وكلمة «Religion».وهي المقابل اللغوى هناك .

ولم يضع في اعتباره الفرق الدقيق بين مفهوم كلمة : « شريعة » وكلمة : « Law أو «Deroit» .

من هنا جاء اللبس ، وجاء هذا الرأى الغريب الذى فرق بين الدين الاسلامي ، والشريعة الاسلامية .

علما بأن الغالب من دوائر المعارف الغربية ، ومن كتب المستشرقين ، نبه الى حقيقة مفهوم « الشريعة » ، ، والى الفوارق في المدلول بين المصطلحات الاسلامية : دين ، وشريعة ، وبين ما يقابلهما من ألفاظ في اللغات الأوربية تجرى الترجمة اليها ضرورة .

ومن الذين نبهوا الى هذه الفروق د. جوزيف شاخت (١) في تقديمه لكتاب : «The Legacy of Islam» (٢) تراث الاسلام — وقال :

« ان الاسلام ليس مجرد دين بالمعنى الغربى للكلمة ، وانما هو نمط للمجتمع » .

ومنهم « كالفيرلى » في كتابه : « مقدمة عن الاسلام » «Islam An Introduction»

* * *

ففي حديثه عن تركيا بعد أن أوقفت العمل بالشريعة في قوانينها ، وأحلت محلها القوانين الوضعية الأوربية ، قال : « لقد أصبح الاسلام في تركيا وفي بلاد اسلامية أخرى — أى بعد تطبيق القوانين الوضعية — دينا بالمفهوم الغربى لكلمة « دين » بمعنى جانب الحياة الذى يتعلق بالايمان بقوة سامية فوق الطبيعة — أى بالله — وبالعبادة وباخضاع السلوك لسلطان الروح (٣) » .

هذا هو مفهوم الدين في المحيط الغربى ، وهناك فصل تام بين الدين والقانون ، لاختلاف مجال كل منهما في حياة الناس هناك : ولأن التشريعات هناك — بما فيها التشريعات الكنسية — تعتمد على مصادر بشرية بحتة.

اما في الاسلام فان الشريعة هى الدين بكامل

---

(١) هو : د. جوزيف شاخت ، مستشرق ألماني ، عاش بين عامى ١٩٠٢ ، ١٩٦٩ م ، تخرج من جامعات ألمانيا ، وعمل استاذا بها ، وبعدد آخر من الجامعات الاوروبية ، والامريكية وكذلك بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٤ .

وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات ونواد كثيرة ، منها المجمع العلمي العربى في دمشق . وله شهرة واسعة في دراسة الشريعة الاسلامية، وقد اصدر فيمجالها العديد من الكتب والمقالات بالانجليزية ، والالمانية . راجع «المستشرقون» لنجيب العقيقى ج ٢ .

(٢) كتاب : « تراث الاسلام » «The Legacy of Islam» واحد من كتابين وضعهما المستشرقون تحت هذا الاسم ، لكنهما يختلفان وصدر في مانشستر بانجلترا سنة ١٩٧٣ ، وله طبعة ثانية سنة ١٩٧٩ ، وصدرت له ترجمة في ثلاثة اجزاء في سنة ١٩٧٨ وما بعدها — سلسلة عالم المعرفة باشراف المجلس الوطنى للثقافة ، والفنون والآداب بالكويت .

(٣) وقد سبق التعريف به

P.77 «Islam An Introduction» Calverely — Cairo 1974.

تعاليمه ، انها هى الدين بعقائده ، ومبادئه الروحية والأخلاقية ، وأوامره ، ونواهيه فى شئون الدنيا والآخرة .

قال تعالى : « ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (١) .

والأمر فى هذه الآية باتباع الشريعة هو الأمر باتباع الوحى فى قوله سبحانه : « اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٢) » وفى مثلها من الآيات .

فالشريعة فى الأصل هى الوحى ، وهى الدين يقول الله عز وجل : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .... الآية » (٣) .

أما ما اصطلح عليه المتأخرون من اطلاق كلمه : « شريعة » على الأحكام الفرعية العملية ، التى يختص بها علم الفقه » فهو اصطلاح خاص ، وهو استعمال مجازى من باب تسمية الجزء باسم الكل .

وهذا الاصطلاح الخاص لا يحجب المعنى الأصلى لكلمة : « شريعة » .

قال الزمخشرى (٤) فى أساس البلاغة : « الشريعة هى الدين » .

وقال التهانوى (٥) : « الشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التى جاء بها نبى من الأنبياء صلى الله عليهم ، وعلى نبينا وسلم ، سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ؛ وتسمى فرعية وعملية ، ودون لها علم الفقه .

أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ؛ ودون لها علم الكلام ، ويسمى الشرع أيضا بالدين والملة .

فان تلك الأحكام من حيث انها تطاع : دين . ومن حيث انها تملى وتكتب : ملة . ومن حيث انها مشروعة : شرع .

فالتفاوت بينهما بحسب الاعتبار ، لا بالذات .

وقد يخص الشرع بالأحكام العملية الفرعية ، واليه يشير ما فى شرح العقائد النسفية : « العلم المتعلق بالأحكام الفرعية يسمى علم الشرائع والأحكام .

وبالأحكام الأصلية يسمى علم التوحيد والصفات . انتهى » (٦) .

وعلى هذا فان عبارة الكاتب: « ان هناك فارقا كبيرا بين الدين والشريعة الاسلامية » مقولة غير صحيحة ، ولا تستند الى أساس صحيح .

أما الفقرة الثانية من مقولته التى أوردناها بتمامها ، وهى : « أما ما جاء فى القرآن ، أو الحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين فهى تتغير بتغير الزمان والمكان » .

---

(١) الآية ١٨ من سورة الجاثية .
(٢) الآية ١٠٦ من سورة الانعام .
(٣) الآية ١٣ من سورة الشورى .
(٤) جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
(٥) محمد بن على الفاروقى التهانوى المتوفى فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وينسب الى تهانه ــ موطنه ــ بالهند .
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون .

هذه الفترة الخطأ فيها أكثر وضوحا .

ذلك أن النصوص التشريعية سواء كـانت من كلام الله رب العالمين ، أو من كلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تتغير مهما تغير الزمان أو المكان . فالنصوص لا تتغير بداهة .

واذا تجاوزنا عن هذا الخطـأ الظـاهر ، وحملنا العبارة على مايتكرر القول به اليـوم من أن « الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان » وجدناها خطأ كذلك .

ان الشريعة الاسلامية ثابتة ، وأحكامهـا التفصيلية ثابتة أيضا ، كلية كانت هذه الأحكام أو جزئية فردية بحسب الوقائع .

لكنها يترك للامام فى التعزيرات ، والسياسة الشرعيـة ، وللقاضى فى احـكامه وللمفتى فى فتاواه أن ينظر فى المسائل ، فيطبـق فى كـل مسألة ما تقتضيه من الأحكام .

فاذا تعددت الوقائع وتغيرت شروطهـا ، وأسبابها ، وملابساتها أخذت كل مسألة منها حكمها الخاص ، ولا يقال : ان الأحكام قـد تغيرت بتغير شروط المسألة ، ولكن الوقائع هى التى تغيرت بتغير الملابسات .

انهم ينسبون أصل هذه العبارة الى الامام ابن القيم ، والحق أن عبارته تختلف تماما عن هذه التى يرددونها تختلف عنهـا فى لفظهـا ، ومقاصدها .

فقد جاء فى أعلام الموقعين :

« فصل : فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة ، والأمكنة ، والأحوال ، والنيات ، والعوائد » .

ولا ادرى كيف ساغ تحريف هذه العبارة الى ما ينسبونه اليه اليوم « الأحكام تتغـير بتغير الزمان والمكان » .

ومهما يكن من أمر فان مقصد ابن القيم أن الفتوى يجب أن تراعي المقاصد والنيات التى يتوخاها الناس فى عقـودهم ، وأيمـانهم ، واقراراتهم ، وسائر معاملاتهم .

وأن تعبيرهم ينبغى أن يفسر بما تعارفوا عليه من المعانى فى شأنه فلا يؤخذون بالمدلول اللغوى العام أو المشتهر ان كان لهم عرف خاص فى هذه التعبيرات .

فلو أقر انسان لآخر بألف دينار ـ مثلا ـ

واختلفت الدنانير في القيمة ، كان الحساب بدينار صاحب الاقرار .

ومن هذا الباب ما يحكى أن قائدا اسلاميا قال لجنوده ، في ليلة شاتية : « دافئوا أسراكم .. » . فقتلوهم جميعا .

وكانت كلمة « دافئوا » تعني التدفئة بلغة قريش ، وتعني القتل بلغة قبيلة أخرى ، وكان الجنود من أبناء هذه القبيلة .

فهل نحاسب القائد عن هذه الواقعة ، بوصفه جانيا ؟

أم ننظر الى مقصده ، وعرف قبيلته في التعبير بهذه اللفظة : « دافئوا » ؟ .

من الواضح أن المفتي والقاضي في حاجة الى رعاية المقاصد ، والنيات ، التي يتوخاها الناس في تعبيراتهم ، وعقودهم ، وأيمانهم ..

والزم ما تكون هذه الرعاية عند النظر في كنايات الزواج ، والطلاق ، وتعبيرات الوصايا ، والأوقاف ، وما ماثلها .

ومن هنا يختلف القضاء ، وتختلف الفتوى في المسائل ، وفقا لما تشف عنه التعبيرات ، والأحوال من مقاصد ونوايا .

اما ما يقال اليوم بصيغة التعميم من أن « أحكام الشريعة تتغير بتغير الزمان والمكان » فهو قول باطل ، ولا يقول به فقيه يعتد بقوله .

ذلك أن احكام الشريعة ــ وقد اكتملت بكمال الدين وتمام الوحي ــ ثابتة ، لا يعرض لها نسخ ، ولا تخصيص ، ولا تقييد ولا تزول ، ولا تتبدل .

وكل واقعة تحدث في حياة المسلم لها حكم خاص بها في ظروفها ، وملابساتها . وشروطها، وأسبابها .

فاذا تغيرت الشروط والأسباب والملابسات اختلفت الواقعة عن سابقتها ، واستوجبت الحكم الخاص بها في شكلها الجديد .

فلا يقال ان الحكم قد تغير ، ذلك أن الواقعة هي التي تغيرت ، أو هي واقعة أخرى تقتضي حكما خاصا بها .

أما اذا تكررت الواقعة بنفس شروطها ، وأسبابها ، وملابساتها ــ سواء كان هذا التكرار في زمانها ، ومكانها ، أو في زمان ومكان آخر ــ فان حكمها هو هو لا يتغير .

ولا يعترض علينا باختلاف الرأي بين الفقهاء في المسائل ، فهذا موضوع آخر .

كذلك فان ثبات الأحكام الشرعية لا يضر بمرونة الشريعة ، انها مرنة ، ومرونتها تأتي من وجوه عديدة ، ليس منها أن تكون في أيدي الخلق ، يغيرون منها ما يشاءون .

ولو أن الأحكام تتغير بتغير الزمان ، والمكان ، لكانت الشريعة تابعة لهما ، محكومة بهما ، ولتبدلت ، وبطل حكمها على

المجتمعات .

وحاشا لشريعة الله التى جاءت لصلاح العالمين : للناس كافة ، الى آخر الزمان ، أن يكون لها هذا الوصف .

لو كانت الشريعة كما يقولون لوقعت فى مجال نظرية ماركس : « التفسير المادى للتاريخ » .

ومؤدى هذه النظرية الباطلة أن البيئات والأزمان والظروف الاقتصادية هى التى تشكل عقائد الناس ، وأفكارهم ، وقوانينهم ، وعواطفهم ، ومبادئهم ، وسلوكهم .

وأن الظروف المادية هى التى توجه تيار التاريخ بين الأمم ، حضارة ، وسلما ، أو حربا .

لو كانت الشريعة كما يقولون لكان فيها قدر كبير من نتاج الأعراف ، والبيئات والظروف المادية ، وهو ما يردده أعداء الاسلام ، وقد كذبوا .

انما يؤثر فى تيار التاريخ للأمم عقائدها ومعنوياتها ، فتكون حضارتها وثيقة الصلة بهذه العقائد .

فاذا صلحت القيم ، والمبادىء ، وقويت رعايتها صلحت الحضارة وقويت الجماعة .

واذا اختلت القيم والمبادىء أو ضعفت رعايتها فسدت الحضارة ، وضعفت الجماعة .

يقول الله سبحانه : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١) » .

ان ثبات الشريعة ، وحكمها للاحداث ، وضبطها للسلوك ، والعادات ، والأعراف ، فى مختلف الأزمان ، والأماكن هو سر صلاحها ، وهو السر فى كونها مصلحة تحفظ المجتمعات ، وتضبط النوازع البشرية ، وتمسكها عن الجموح .

وان هؤلاء الذين يغرون المسلمين بهذه العبارة « الاحكام تتغير بتغير الزمان والمكان » يستدرجونهم إلى مزالق ، ويبيتون للشريعة ، ويدبرون لها ، ويمكرون .

« وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢) » .

محمد حسام الدين

الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية

(١) الآية ١١ من سورة الرعد .

(٢) ٢١ من سورة يوسف .

حرم ربكم عليكم الميتة

بقلم الدكتور الطبيب
عمر عثمان والى

قال الله — عز وجل — فى كتابه العزيز

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١) » .

وقال — سبحانه :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا » (٢) .

من أجل ذلك حرم الله : الميتة والدم ولحم الخنزير كما حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى :

« إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ » (٣) .

وقال تعالى :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ » الآية (٤) .

ذلك أن الله — سبحانه وتعالى — طيب فلا يحل الا طيبا .

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

(١) البقرة ١٧٢ .
(٢) البقرة ١٦٨ .
(٣) البقرة ١٧٣ .
(٤) المائدة ٣ .

⑤ حرم ربكم عليكم الميتة

« أيها الناس :

ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين :

فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وقال :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم » الحديث (١) .

ونحن نتناول — فى تلك الكلمة : الميتة .

وهى من أول ما حرم الله ، فيجب الايمان بما شرع ولو ندرك سر التحريم فحسبنا أن الله العليم الحكيم شرع فينبغى أن نؤمن بأن ما شرعه حق .

ولقد ندرك من أسرار التشريع شيئا فى مستوى ادراكنا البشرى كالذى نسوقه فى الميتة فنكتشف — بما أدركنا ، وهو ليس كل شىء — مدى رحمة الله بنا اذ حرم ما حرم

يعزى العلم الموت الى ثلاثة أسباب ، أو توقف أحد أجهزة ثلاثة :

(ا) الجهاز العصبى .

(ب) الجهاز الدورى « توقف القلب » .

(ج)الجهاز التنفسى .

فتوقف جهاز من هذه الأجهزة يؤدى الى الموت ؛ ومعنى أن تقول : « هذا الحيوان ميت » يعنى ذلك أن دمه بكامل حجمه قابع فى جسده لم يخرج منه — عكس الذبيحة (٢) — أو خرج منه جزء ضئيل للغاية لا يحتل نسبة تذكر أمام كتلة حجمه .

هذا الدم القابع داخل جسد الحيوان الميت بأوعيته الدموية من أوردة وشرايين قد تخلل جميع الأنسجة اللحمية ، ولم يخرج منها نتيجة توقف الحياة فتوقف الدورة الدموية .

كذلك تعرف أن الدم فى الجسد الحى هو الناقل لنواتج « الأيض »(٣) فى الخلايا الجسدية كما أنه ناقل للسموم التى تدخل الجسم كذلك . والدم هو الذى يحمل « النواتج » ويحمل « السموم » لتصير على الكبد ليتخلص الجسد منها اما بتكسير أثرها ،

أو بتحويله الى صورة أخرى غير سامة ، ثم تنتقل بعد ذلك عبر الدم الى « الكلية» مصفاة الجسم فيتم تخلص الجسم منها بخروجها « بولا » .

كذلك تخرج هذه السموم عن طريق « العرق » أو عن طريق « الرئتين » أثناء التنفس .

ذلك ما يعمله الدم فى الجسد الحى .

فأما اذا حدث الموت فان الجهاز الدورى

---

(١) رواه مسلم : انظر الجامع الصحيح ٣/٨٥ مؤسسة الطباعة لدار التحرير — القاهرة ١٣٨٣ .

(٢) فانها — حين يتم الذبح على مقتضى الشريعة يستصفى دمها كاملا فلا يتبقى منه داخل الأوعية الدموية شىء .

(٣) الأيض فى اللغة : مصدر الفعل آض بزنة ضرب بمعنى : الرجوع ، والتحول ، وهو هنا اصطلاح لعملية البناء والهدم ليتم للجسم تمثل الطاقة اللازمة لحيويته ونشاطه .

يتوقف تماما فتبقى السموم كلها داخل الجسد ويؤدي احتباسها الى المظاهر التالية :

(أ) ملء البطين الأيسر بالدماء .

(ب) يصير لحم الحيوان داكن اللون

(جـ) تحتقن الأجهزة الداخلية ، وخصوصا : الكبد والرئة .

(د) يتشبع الجهاز « الليمفاوى » بالدماء .

(هـ) تمتلئ الأوردة السطحية ــ الموجودة تحت الجلد ــ بالدماء .

ونتيجة ذلك مباشرة تغير نوع اللحم من طيب الى خبيث ، فان كلا من اللون والطعم والرائحة قد تأثر بالموت ، وساعد ذلك على بداية عملية التعفن ، هذا التعفن الذى تبدأ عملياته بمجرد موت الحيوان ، وبدرجة سريعة جدا .

فاذا أضفنا ــ الى ما تقدم ــ امكان أن يكون الحيوان قد مات نتيجة مرضه بمرض معد ترك بجسده (بكتريا) هذا المرض ، أو (فيروسه) ، فان هذا الفيروس ، أو البكتريا ممكن أن ينتقل ، أوتنتقل لجسد الآدمى آكل هذه الميتة .

وبذلك تصير الميتة مصدرا للعدوى ، وثمة أمراض كثيرة جدا تنتقل من الحيوان الى الانسان مثل : السل الرئوى ، والحمى الفحمية ، ومرض الصفراء .. الخ .

والأمر كذلك اذا كان التسمم هو السبب فى موت الحيوان نتيجة أكله نباتا به سم أو تناوله سما بطريق ما ، فان هذا السم يقبع بجسد الميتة ويفعل مفعوله فيمن يأكلها .

ثم بعد ، فليس للميتة قيمة غذائية ذلك انه بموت الحيوان تبدأ « أنزيمات » التحلل الجسدى عملها ، وهى موجودة داخل الخلايا فتحلل الأنسجة العضلية وغير العضلية فتقضى بذلك على كل قيمة غذائية بها .

وهنا تتجلى حكمة الخبير فى تحريم الميتة ، فلا قيمة غذائية بها ، ولا وقاية منها بما يمكن ان تبثه فى جسد آكلها من سموم .

فليس الا الذبح الذى شرعه القانون الالهى على ما ارتضاه ــ سبحانه ــ هو الذى يعطى لحما طيبا هنيئا فانه يؤدى الى الادماء الكامل نتيجة حركة القلب والرئتين والعضلات فى الحيوان المذبوح لطرد الدماء خارج جسده ، وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :
ان الله كتب الاحسان على كل شىء : اذا اقتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

د / عمر عثمان والى رئيس قسم اللحوم والمجمدات (كوميصل) .

حجاب المرأة

عودة للتمسك بالدين والعفة والفضيلة

خطاب مفتوح الى :

أخى الاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

لقد (١) لاحظت ان نغمة التشاؤم تسرى فى مقالاتك التى توجهها الى الشعب المصرى عن طريق جريدة الاهرام ، فانت لا ترى الا نواحى الضعف ، وما تبقى من علامات التخلف الذى لا مجال لتقصى اسبابه فى هذه العجالة . وقد لا حظت كذلك ان هذا التشاؤم قد ازداد ونما واقترن به عامل الغضب فى حديثك بعنوان: « ردة فى عالم المرأة » وانك حاولت ان تستر هذا الغضب ، بين الحين والحين ، باللجوء الى بعض العبارات مثل قولك « تعالوا نناقش الأمر فيما هو اهدأ من الهدوء . تعالوا نناقشه باعصاب محكومة لعلنا نميز الحق من الباطل » واعتقد أن ذلك التشاؤم وهذا الغضب قد اثارا الدهشة فى نفوس الكثير من اخوانك ومحبيك ، ويسعدنى ان اكون واحدا منهم ، وذلك لانهما اجتمعا معا فى ثورة عارمة على الرغم مما اصبح يلوح فى الافق من بوادر توحى بكثير من الامل، وتشجع على الرضى وعن عديد من عوامل الاصلاح التى تبعث على الرجاء فى مستقبل اخذت تبدو للعيان فيه طلائع النهوض والازدهار ، وهذا هو ما يؤكده لفيف من كبار كتابنا المعاصرين ، وانكر من بينهم ، على سبيل المثال : الاستاذ / مصطفى امين الذى لا ينفك يلتمس قبسا من امل فينفخ فيه ، ثم يتابع النفخ فى صبر واناة حتى تشتد حرارته فيبزغ منه النور ، فاذا توصل الى اصلاح بعض ما طمع فى اصلاحه تلمس قبسا آخر واخذ ينفخ فيه .

وقد سول لك الغضب يا أخى أن تجور على المرأة المصرية المعاصرة ، فترميها بكثير مما ليس فيها وأشهد أن الكثيرين ممن أعرفهم من

(١) عالج الكاتب فيما عالج من هذا المقال ـ شئونا اجتماعية سجل عنها رأيه ، وعليه المسئولية وحده .. مجلة الازهر .



للاستاذ
عبد المنعم عمر

اخوانك ومحبيك قد فوجئوا بهذه الثورة الغاضبة وقد كانوا بالأمس يعهدون فيك هدوء الطبع ووفرة الحلم ، ولاأكتمك أن ذلك التشاؤم وهذا الغضب وتلك الثورة العارمة وماسطرته من جور على الفتاة المصرية المعاصرة ، كل ذلك قد أخرجنى عن صمتى الطويل الذى لزمته منذ اعتزلت الخدمة فى دار الكتب ووزارة الثقافة ، ولذلك رأيت أن أكتب اليك عن طريق الاهرام ، عاتبا حينا ، وراجيا أن تنبذ ذلك الغضب وهذا التشاؤم حينا آخر وأن ترجع الى ما عهدناه فيك من حلم وصبر وأناة ، فان الشعوب لا تتغير بين غمضة عين وانتباهتها .

وأحب أن أطمئنك أن مصر سائرة باذن الله على درب الاصلاح ، ومن سار على الدرب وصل ، ولذلك أرجو أيها الاخ الكريم أن أسوق حديثى اليك بالترتيب الذى التزمته فى مقالك مستعيرا بعض عناوين ذلك المقال ، وعلى الله التوفيق والسداد .

المرحلة الاولى : عن تعليم المرأة وعملها :

انت تعلم يا أخى ان الدولة تبذل اقصى ما تستطيع من جهد ومال لنشر التعليم بالمجان فى أرجاء الجمهورية بين البنات والبنين ، وأن الشعب المصرى أصبح يؤمن بذلك ، وتتسابق الاسر المصرية فى ارسال بناتها وأولادها الى المدارس فى مختلف المستويات التعليمية حتى ضاقت بهم تلك المدارس على كثرتها ، ولذلك عمدت وزارة التربية والتعليم الى ارسال التلاميذ الى تلك المدارس على فترتين أو ثلاث فى بعض الأحيان ، وفتحت أبواب الجامعات القديمة والجديدة بالمجان كذلك أمام الطالبات والطلاب ، فأقبلوا جميعا عليها ، وهكذا أمكن تنفيذ الدستور ، وأصبح المجال مفتوحا أمام المواطنات والمواطنين جميعا حتى يحصل كل منهم على أكبر قدر مستطاع من التعليم حسب ظروفه وقدراته فى النصف الثانى من القرن العشرين وهو ما لم تستطع مصر تنفيذه فى النصف الاول منه .

وفى النصف الثانى : أيضا من هذا القرن فتح باب العمل على مصراعيه أمام الشبان والشابات ، فاقتحموه جميعا ، وقد أدى نشاط

⓫ حجاب المرأة

الشابات في التحصيل أثناء الدراسة ، واخلاصهن في العمل بعد التخرج ، الى نجاحهن الكبير في مختلف مجالات الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية مما لا يمكن الاحاطة به في هذه العجالة ، ولكن يكفي أن نشير الى بعض المجالات ، والى أن الكثير منها استحدث في هذه الفترة الزمنية ، فقد اشتركن في حمل أعباء المعيشة وفي العمل في أكاديمية العلوم ، وأكاديمية الفنون ومجالات الاعمال الهندسية وفي الصحافة وأعمال التمريض في مستوياته الراقية ، وفي العلاج الطبيعي ، وأقبلن على العمل زرافات في مجال الطب والمحاماة ، وزاد اقبالهن على النهوض بالتدريس في مختلف مستوياته وبخاصة الجامعية وفي أغراضه الحديثة مثل التربية الرياضية والرسم والموسيقى .

الا ترى يا أخي أن في هذا النشاط وهذا النجاح استمرارا لطموح المرأة وأنك ظلمتها بقولك « ان عزيمتها قد فترت وما حسبناها تفتر بهذه السرعة الخاطفة » ؟

المرحلة الثانية : عن المرأة زوجة واما لأطفال :

وهنا « كما ذكرت في مقالك : » تنشأ المشكلة المحيرة حقا ، فكيف توفق المرأة بين واجباتها في العمل وواجبات الرعاية لأطفالها الصغار ؟ ولا يستطيع أحد الا أن يتفق معك في هذه المقدمة فهي مشكلة عسيرة ولكن شدة عسرها لا تمنع من العمل الجاد لحلها ، ثم استطردت يا أخي بعد ذلك فقلت : « هذه هي المشكلة التي يحتج بها من يريدون للمرأة أن تنسحب من ميادين العمل التي من أجلها تعلمت لتنحصر في دارها» ؟ فمن هم يا أخي هؤلاء الذين يريدون ذلك ؟ هل سمعت أحدا من المسئولين في الدولة أو من غيرهم يدعو لمثل ذلك ؟ أرجو أن ترشد عنهم لنحاربهم معك .

وقد استطردت فقلت « والرأى عندى هو أن يترك لكل امرأة على حدة حق الاختيار لنفسها في ضوء ظروفها » فهل انكر عليها أحد هذا الحق حتى انبريت لتقريره والدفاع عنه ؟ ثم رتبت على تقريرك لهذا الحق الذى لا ينكره أحد قولك : « فاذا اختارت ميدان العمل فواجب الدولة أن تيسر لها السبل التي تكفل الرعاية للطفل اذ لا يجوز أن ننسى أن الطفل مواطن له على الدولة ما لسائر المواطنين من حق الرعاية » .

والغريب في أمر هذا المبدأ الذى تقرره ، وكأنه شيء غير موجود ، وأنك تنشط للدعوة له ، الغريب أن الدولة والشعب يؤمنان به فالدولة لا تتوانى عن انشاء كل ما تقدر عليه من دور الحضانة ورعاية الطفولة وغيرها من الجهات التي ترعى الحوامل ، كما تعنى بالطفل وتطعيمه بالمجان ضد الأمراض المختلفة ، وتحتفل وزارة الصحة بأيام الطفل ، وتبذل الجمعيات النسائية كل ما تستطيع ، وتشجعها الحكومة في هذا النشاط النسوى النابع من الشعب ولعلك استمعت يا أخي الى وزيرة الشئون الاجتماعية وهي تدلى ببيانها عما تم انشاؤه وما تعتزم الدولة أن تنشئه من هذه المؤسسات في الخطة الخمسية .

ومن الغريب يا أخي أنك عدت ثانية ،

« فأعدت بأسلوب جميل » تلك المقدمات التى أشرنا اليها فتكلمت ثانية عن حق المرأة فى أن تتعلم ، وحقها فى أن يكون لها تبعا لذلك مكانا فى دنيا العمل وبنيت على اعادة هذه المقدمات نتيجة لا تؤدى تلك المقدمات اليها ، فقد قلت « ليست المأساة هى فى أن أحدا يتدخل فى شئون حياتها ، فيحد من حقها فى التعليم وحقها فى العمل ، أو يحد من حرية اختيارها لميدان نشاطها : أيكون فى دنيا العمل العام أم يكون فى أسرتها الخاصة ؟ بل المأساة أنها هى التى أخذت ترتاب فى جدوى التعليم بالنسبة اليها — والتعليم المهنى بصفة خاصة — ثم زادت طينتها بلة بأن أخذت تشك كذلك فى مشروعية حقوقها الانسانية من حيث هى مواطنة » .

وهنا لابد لى أن أتوقف لأسأل : هل تؤدى تلك المقدمات التى ذكرتها ، ثم أعدت ذكرها الى النتائج التى ذكرتها فى هذه الفقرة ؟ .

أما ان للمرأة حقوقا قررت أنت فى بداية هذه الفقرة أن أحدا لم يتدخل ليحد من حقها فى التعلم ولا من حقها فى العمل ، وأما أنها هى نفسها أخذت ترتاب فى جدوى التعليم ، وأنها أصبحت تشك فى مشروعية حقوقها الانسانية فهاتان قضيتان أخريان على جانب كبير من الخطورة وهما فى حاجة كبيرة الى البرهان ، فأين نجد ذلك فى مقالك ؟ ان الامر فى حاجة ملحة الى ذكر الأساس الذى بنيت عليه العديد من أمثال هذه الآراء المتشائمة .

وهنا أرجو أن أوجه النظر الى النواحى الآتية :

هل حقيقة قل اقبال المرأة على التعليم كما ذكرت ؟ ان الاحصاءات التى تنشر فى مستهل كل عام دارسى تؤكد أن اقبالهن على التعليم المهنى وغير المهنى فى تزايد مستمر عاما بعد عام ، فما هى المصادر التى استقيت منها هذه المعلومات ؟ ثم ألا تعمل المرأة التى تخرجت فى التعليم المهنى جنبا الى جنب مع زميلها الذى تخرج فى نفس هذا التعليم ؟ وألم تهاجر المرأة المتعلمة التى تخرجت فى جميع التخصصات المهنية وغير المهنية الى البلاد العربية بحثا عن عمل يدر عليها عائدا أكثر مما تحصل عليه فى مصر ؟ فاذا أضفنا الى ذلك ما هو ثابت من تزايد اقبالها على جميع أنواع الدراسة فكيف بربك قررت هذه الآراء وكأنها نظريات مسلم بها وليست فى حاجة الى برهان ؟؟؟؟

وهناك يا أخى دليل آخر يثبت فساد ما ذهبت اليه : فقد أباحت الدولة للمتزوجات العاملات أن يطلبن اجازة قدرها عامان يتفرغن فيها لرعاية كل مولود فهل أقبلت النساء على استعمال هذا الحق ، وعدن الى المنزل مدفوعات بما تسميه « بالموجة الرجعية العاتية التى تغرق حياتنا الفكرية كلها اليوم ؟ وان هذه الموجة هى التى نثرت رذاذها فى كل اتجاه حتى أصاب المرأة ما أصابها ؟ » .

وهل تجد فى هذا التساؤل شيئا من الهدوء الذى وعدت به القراء فى مستهل مقالك وطالبتهن أن يتبعوه أسوة بك ؟

ولقد سقت فى مقالك بعد ذلك موضوعا آخر أطلت فيه الحديث والشرح : هو موضوع الخلاف والاتفاق بين الرجل والمرأة فى الطبائع والمميزات ... الخ وأنت يا أخى أول من يعلم

● حجاب المــرأة

أن العلماء والفلاسفة قد فرغوا منذ زمان بعيد من بيان هذه الأمور ، واتفقوا على أن لكل من الجنسين مميزاته التى حباه الله بها ، وأعتقد يا أخى أن الله سبحانه قد خلقهم كذلك حتى يكمل كل منهما الآخر ، فيعاون كل منهما الآخر فى عمارة هذه الأرض التى استخلف الله الانسان فيها ، ولعلك تؤمن مثلى أن الغالبية العظمى من المصريين تؤمن اليوم بذلك فليس من حق جنس من الجنسين أن يعلى وليس على الجنس الآخر أن يذعن أو يطيع ، وان الاكثرية العظمى من قومنا الآن لم تعد تحكم بالتفوق لأحد الجنسين على الجنس الآخر ، والدليل على ما أقول هو التعاون الوثيق بين الرجل والمرأة اليوم فى حياة الأسرة ، وبخاصة بين الشبان الذين تزوجوا وكونوا أسرا تكد وتكدح مقتحمة مختلف الميادين فى مصر وخارج مصر فى سبيل ارساء سعادتها وسعادة أبنائها على أسس صحيحة ناجحة ، ولذلك فانى أرى أن لا حاجة بى الى مناقشة ما أثرته فى هذا الموضوع ، ولا أن أتحدث عن مختلف الآراء التى قالها القدماء والفلاسفة فى عصور سابقة مثل آراء شوبنهور ، فانها جميعا أصبحت غير صالحة للأخذ بها عند دراسة الانسان وصفاته ومميزاته فى أواخر القرن العشرين ولذلك فانى أستسمحك فى الانتقال الى مناقشة الموضوعات الأخرى التى وردت فى مقالك .

الموضوع الاول : هو قولك : «أن المرأة اليوم تتبرع سلفا لحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج » ان هذا الموضوع ، كما تعلم يا أخى جد خطير لأنه يتعلق بحقوق الانسان وضرورة الاعتراف بحقه فى ممارستها والتمتع بها مادامت لا تحد من حقوق الآخرين .

وهنا لا اجد مندوحة لى من ان اتساءل :

١ ــ ألسنا نعيش فى قرن تعهدت فيه أكثر الشعوب المتحضرة باحترام حقوق الانسان ، وأن أكثر دول العالم قد وقعت فيما بينها اتفاقيات تتعهد فيها بحماية هذه الحقوق ؟

٢ ــ الا يتمتع عدد كبير من الناس فى غرب أوربا وفى أمريكا بهذه الحقوق ؟

٣ ــ أليس من حق المرأة اذن أن تسبغ على نفسها من اللباس ما تشاء فتغطى ما تشاء من شعرها أو من وجهها دون تحكم من أب أو زوج أو دون اعتراض من أحد كبار علمائها ؟

٤ ــ ألم تستعمل المرأة فى كثير من بلاد العالم حقها وحريتها كاملة ، فأسفرت عن رأسها ووجهها وذراعيها ، ثم اختارت فى فترة من فترات هذا القرن لبس «الميني جيب» فكشفت عن ساقيها وعن جزء فوق ركبتيها ، كما كشفت فى سهراتها عن صدرها وعن جزء كبير من ظهرها غير عابئة بنقد ناقد أو نصيحة ناصح ؟ فهل تعرض لها أحد ؟ فلماذا تترك هناك حرة وتثور أنت على ذلك اذا تصرفت ؟ فى اطار حقوقها ؟ .

٥ ــ ألم ترجع المرأة بعد ذلك مختارة عن كل أو بعض هذا العرى الذى كانت تسير به فى الطرقات وتذهب به الى أماكن العمل وفى سهراتها الخاصة ، ولكنها عدلت من تلقاء نفسها عن ذلك وأسبغت على نفسها من اللباس الذى تطور الى أن أصبحت تجر ذيله على

الأرض ، وذلك دون أن يحاول أحد منعها ؟

٦ ــ ألم يفتتح قبل ذلك في كثير من العواصم الأوربية الكبرى وفي أمريكا نوادٍ للعراة يعيش فيها النساء والرجال وقد طرحوا كل ما كان يسترهم من اللباس ، ولم يغط أحد منهم سوأته ولو بورقة من ورق التوت ؟ وهل تدخل أحد هناك لمنعهم ؟

٧ ــ هذا هو يا أخي بعض ما حدث في بعض المدن الكبرى في أوربا وأمريكا دون أن يغضب الغاضبون أو يتدخل لمنعهم المسئولون فلماذا يشد بك الغضب يا أخي اذا عمدت قلة من فتياتنا الى تغطية رؤوسهن بمحض اختيارهن ، أو اذا اختارت قلة قليلة من بينهن تغطية وجوههن دون ان يرغمهن على ذلك والد أو زوج ؟

٨ ــ ولماذا تظهر الأسى والأسف محاولا تقييد حرية المرأة المصرية المعاصرة ، وأن تمنعها من اختيار الزي الذي تريده ، فتغطي اذا شاءت رأسها أو وجهها ، أو تغطيها معا ، أو تكشف عنهما معا مادامت تفعل ذلك دون أن يفرض أحد عليها شيئا ؟

الموضوع الثاني : لقد حملك الغضب يا أخي عندما حجبت المرأة وجهها فوصفتها بقولك « فكأنها بذلك الحجاب الطوعي تقف على مئذنة لتصيح في الناس :ها هي ذي سلعة من عهود الحريم لمن يشتري !! فاسمح لي يا أخي أن اذكر لك أن الغضب كان قد استبد بك وأنت تكتب هذه الفقرة ، فقلبت الأوضاع رأسا على عقب ، فانك تعلم حق العلم أن من المسلم به في عالم التجارة ، وفي قانون العرض والطلب ، أن على أصحاب السلع أن يحسنوا عرضها على الناس ، فيكشفوا عنها حتى يتعرف المشترون على مزاياها ، والأمر هنا مختلف جد الاختلاف ، اذ أن المرأة في حالتنا هذه ، تخفي مفاتنها ، فتحجب عن الناس رؤية وجهها وهو من أجمل أجزاء جسمها،فهي اذن لم تحاول عرض نفسها كسلعة تباع وتشتري ، ولم تناد من فوق مئذنة بصوت خفيض أو جهوري لأنها أكرم على نفسها من كل ماذكرت ، فلعلك يا أخي تراجع نفسك عندما يتخلى عنك الغضب حتى تدرك أن الامر أجل وأخطر من الصياح من فوق مئذنة لعرض سلعة للبيع مما ألحقته بالمرأة المصرية من مهانة ، ولكنه يا أخي صحوة مباركة جعلت المرأة بعد أن عثرت على ذاتها التي ضاعت في أوقات لاداعي لشرح ما كان فيها فلما عادت اليها حقوقها أدركت بعقلها وسليقتها حاجتها الى أن تحتمي بنور الايمان فأسبغت على نفسها ملابسها وغطت رأسها ، وبذلك عادت اليها روحها الأصيلة وهي راضية ، حيث رجعت من تلقاء نفسها الى طاعة ربها ، قبل أن يأمرها بذلك أب أو زوج ، وهذا هو السمو الخلقي والروحي الذي لا سمو يعلو عليه ، ولا يضيرها في هذا المجال أن قلة قليلة من بنات جنسها قد تغالين وأسرفن في الحجاب فأسبغن على وجوههن الأقنعة .

واضح يا أخي مما أسلفت أنه ليس فيما صنعت المرأة المصرية الحديثة ردة للحريم ، ولا يوجد في هذا الأمر قليل ولا كثير من الشك في رغبة المرأة المصرية المعاصرة في مشاركة الرجل مشاركة الأنداد في كل شيء ، وأنها

حجاب المـــرأة

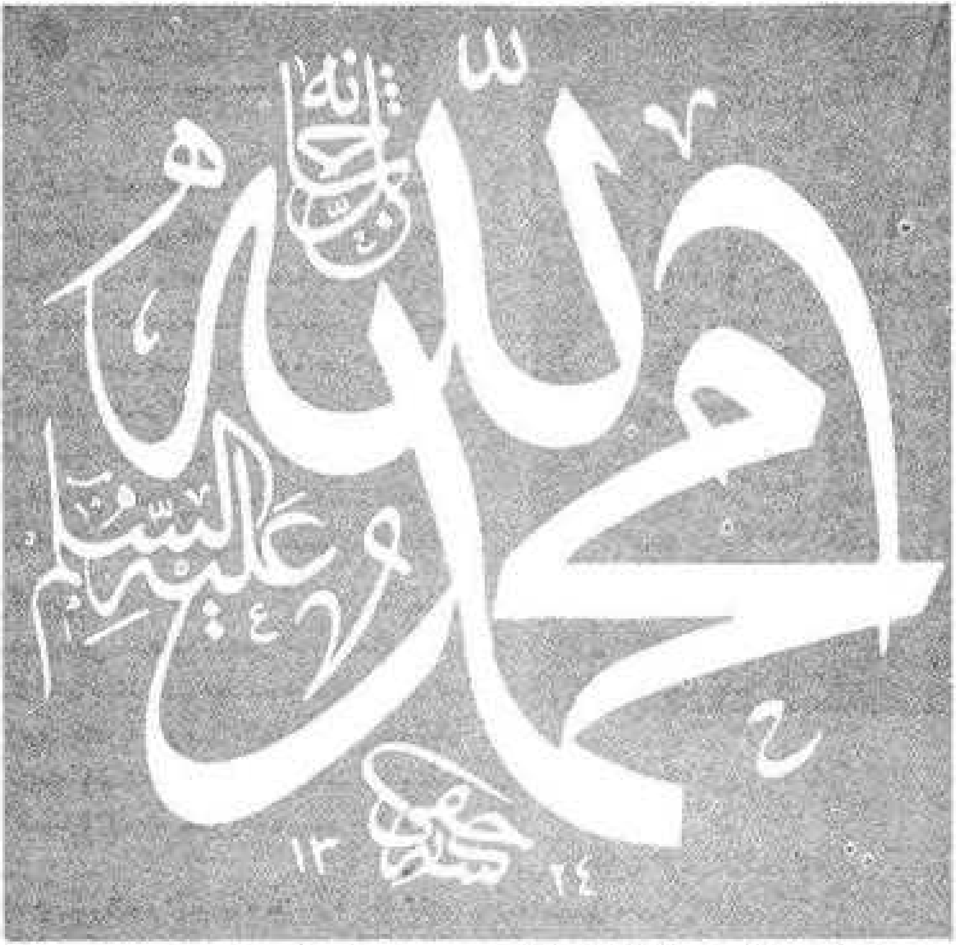
لا تشترك معه فقط ولكنها تتعاون معــه تعاونا جادا مثمرا فى جميع المجالات .

الموضوع الثالث :

تطرقت بعد ذلك الى التساؤل : « هل تدرى المرأة – ياترى – بأية سرعة سريعة يتحــول حجاب الوجه حجابا للفكر ؟ انها اذا لم تكــن تعلم ذلك فهى اذن لا تعلم شــيئا عن تــأثير الظاهر فى الباطن . فالأمر فى هــذا الصدد لا يقتصر على أن يتتبع حجــاب الوجــه حجابا للروح كما يستتبع سفور الوجه سفورا للروح بل يجاوز ذلك الى كل ظاهر وباطن ! » .

فهل تعتقــــد حقيقة يا أخى أن الرجل أو المرأة اذا حجب أحدهما وجهه سرعان ماتحول ذلك الى حجاب الفكر أم أن هذه القـــاعدة التى ناديتبها لاتنطبق الا على المرأة وحدها ؟ لقد أثار هذا القول فى نفسى الدهشـــة فأنت تعلم ياأخى أن الفلاسفة والمتصوفين اختلفوا منذ القدم فى اتباع الطـــرق المؤدية الى طلب العلم والوصول الى المعرفة فمنهم كما يقــول (ابن الأكفانى) فى كتاب « ارشـــاد القاصد الى أسمى المقاصد » : من رام ادراكه (أى ادراك العلم) بالبحث والنظر ، ويقيم عــلى ما يظهر له الدليل والبرهان ، وهؤلاء هم زمرة الحكماء والباحثين ورئيسهم أرسطوطاليس . ومن المجتهدين من سلك طريق تصفية النفس بالرياضة ، هؤلاء هم النساك .. ونساك أمتنا [illegible]م الصوفية ، ولهم آدابشرعية واصطلاحية . ومن المجتهدين من ابتدأ أمره بالبحث والنظر وانتهى الى التجريد وتصفية النفس ، فجمع من الفضيلتين وحاز كلتا الحسنيين » . وقــد توســع فى شرح ذلك « طاش كبــرى زاده » فى موسوعته الكبرى : « مفتاح الســعادة ، ومصباح السيادة فى موضوع العلوم » فذكر الآلاف من كبار الكتاب والباحثين من النســاء والرجال فى مختلف العلوم والفنون وبين طرق البحث التى اتبعها كل منهم ، كما ذكر المؤلفات التى شاركوا بها فى بناء الحضارة الاسلامية . واسمح لى يا أخى أن أذكر لك أننى لم أسمع أو اقرأ أن أحدا من الفلاسفة أو المتصــوفين قال ان غطاء وجه المرأة أو الرجل يتحـــول بسرعة سريعة الى حجاب للفكر والروح وذلك بتأثير الظــاهر فى البــاطن ، فلعلك تتفضــل ياأخى فترشدنا أنا وأمثالى ممن أثار هـــذا الكلام فى نفوسهم الدهشة حتى نستطيع أن ندرس هذه النظرية لأنك فاجأتنا بذكرها دون أن تقدم من المقدمات ما يســوق الفكــر الى الايمان بها ، وأنت القائل على لسان التوحيدى فى مقال آخر : « ان الحديث الجيــد والنافع معناه أن تجيء الأجزاء مرتبة على نحو يكون فيه الجزء اللاحق قائما على بينات وردت فى الأجزاء السابقة ، ومثل هـــذا التسلسل مؤد حتما الى نتيجة يخرج بها السامع اما أن يأخذ بها واما أن يعترض عليها ... » .

وهناك أمر آخر أرجو أن أحدثك فيه هو : لماذا نجرى وراء الأفكار القديمة أو الحــديثة فقط ولا نتخذ لأنفسنا عظة نسترشد بهــا من



بين تجارب أمتنا طوال تاريخها الحضاري الذي وصفته بقولك فى حديث آخر : « وكنا فى طليعة الطليعة على مدى قرون من الزمان » ، وذلك بشرط عدم إهمال الحقائق العلمية التى أظهرها العلم الحديث .

ولذلك أرجو أن تسمح لى يا أخى أن أضرب بعض الأمثلة التى أخترها من تاريخنا الحضارى لعلها توضح للقراء وجهة نظرى فى هذا الذى أثار فى نفسى الدهشة :

١ — كان السيد أحمد البدوى ، وهو أحد أقطاب المتصوفين ، يغطى وجهه دائما باللثام ورغم ذلك فقد فتح الله عليه وأنار له السبيل فكان له من التعاليم وآداب السلوك ما حبب فيه آلاف المريدين ، فسلكوا طريق التصوف الذى انتهجه فى خشوع مؤمنين بأنه يهدى الى الصراط المستقيم .

حجاب المـرأة

٢ ـ كانت السيدة سكينة بنت الحسين ابن على بن أبى طالب ، سليلة بيت النبوة ، شاعرة مجيدة واعترف لهـا تاريخ الادب ، كما قالت الدكتورة بنت الشاطىء والدكتـور على ابراهيم حسن بالسيطرة على عصرها فى مجال النقـد الأدبى ، فاحتكم اليهـا فحول شـعراء القرن الاول الهجـرى ، مثل جرير والفرزدق وجميل ، وكثير ، فكانت تسمح لهم بالدخول الى منزلها ولكنها كانت تصدر حكمها الأدبى من وراء حجاب ، ولم تسمح لنفسها أن تنطق هى بالحكم ولكنها كانت ترسل احدى جواريها لتبلغ كل واحد منهم حكم سيدتها ثم تقوم الجارية بتوصيل الجائزة التى خصصتها سيدتها لكل شاعر منهم ، وقد ظلت تتمتع بهذه السيطرة الأدبية حتى وفاتها سنة ١٧٧ هـ .

٣ ـ وكانت السـيدة نفيسـة بنت حسن الأنور من نسـل الحسـن بن على بن أبى طالب من فاطمة الزهراء ،كانت من ربائب العبادة والعلاج والزهد والعلم ، قابلها الامام أحمـد ابن جميل فى بغداد وهى تعود العالم المتصوف بشر بن الحارث المشهور بالحافى ، وكـانت متحجبة فلما سأل وعرف من هى أبدى احترامه لها ولعلمها وورعها ، وقد قدمت مصر وأقامت بها حتى وفاتها سنة ٢٠٨ هـ فكانت بيتها مقصد العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الامام الشافعى وعبد الله بن الحكم ، وقد سمع عليها الشـافعى الحديث من وراء حجاب ، وكانت فوق تقواها



وورعها كثيرة الاحســان للفقـراء والمرضى المصريين .

ولما كثر ظلم أحمـد بن طولون للمصريين ، استجاروا بهـا ، فاعترضـت طريقه ، وكانت كعادتها متحجبة ، ونادت عليه فعرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها رقعة كانت قد كتبتها جاء فى آخرها « فمحال أن يموت المظلومون ويبقى الظالم ، اعملوا ماشئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا الى الله مستجيرون ، واظلمـوا فانا الى الله متظلمون ، وسـيعلم الذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبون » فلما قـرأ الرقعـة سـكنت موعظتها فى قلبه ، وأعجب بشجاعتها وفصاحتها ،

وعدل عن ظلم الرعية (تاريخ ابن خلكان ، خطط المقريزى ، وأعلام النساء لعمر رضا كحاله) .

ولست أريد أن أشق عليك يا أخى فان الأمثلة كثيرة جدا ، ولكنى أرى أن من حق نساء مصر علينا أن نتحدث عن شىء من تاريخهن ، كانت النساء فى عصر المماليك متحجبات فكن كما يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، يخفين وجوههن بحجاب أو برقع أسود اللون ، تصنعه المرأة لا يمكن أحدا من رؤية وجهها فى حين يمكنها من رؤية كل ما يحيط بها .. « ولكن ذلك لم يمنعهن من المساهمة بنصيبكبير فىالحياة العامة بالقاهرة» « فمنهن من كن يتدخلن فى شئون الحكم ، وكان لهن نفوذ كبير ، والكثيرات منهن شاركن فى الحياة العلمية والثقافية والدينية ، فقد نظم الكثيرات منهن الشعر ، وتفوقن فى النحو وفى الفقه والحديث وغير ذلك » وقد أورد السخاوى فى كتابه «الضوء اللامع» جزءا كاملا ذكر فيه ما يزيد على الالف ترجمة لنساء توفين فى القرن التاسع الهجرى « ولم يأنف كثير من فقهاء القاهرة فى عصر المماليك من الاعتراف بأنهم سمعوا من بعض المسندات الشهيرات اللاتى أجزن لهم،ويذكر السخاوى كيف تزاحم طلب العلم فى عصره على احدى المحدثات » كما يذكر أسماء كثيرات ممن تعلم على أيديهن مثل آمنة بنت الشمس المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ــ ١٤٣٠ وأم هانىء التقى المتوفاة سنة ٨٨٥ هـ ــ ١٤٨٠م « ولولا خوف الاطالة لذكرت للقراء أسماء غيرهن من المتحجبات اللاتى أخذ عنهن فى ذلك العصر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فقد ذكرهن بالخير واثنى على ما كن يمتزن به من علم وتقوى فى كثير من مؤلفاته فى كتابه « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة وفى غير هذا من مؤلفاته » .

ومن الانصاف لك يا أخى فانى أرجو أن لا تظن أننى من الذين يدعون الى أن تسير المرأة فى الطرقات أو تشترك فى المجتمعات وقد غطت وجهها وذلك لأن الاسلام لم يأمر بذلك ، ومن المشهور عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه نصح لأسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) بقوله أنه اذا بلغت المرأة المحيض لم يحل لها أن يرى منها الا وجهها وكفيها ، ولذلك فقد حرصت كثيرات من أجمل نساء القرنين الأول والثانى من بنات الصحابة على أن لا يغطين وجوههن وذلك بالرغم عن غيرة أزواجهن وعتابهن لهن ورجائهن أن يحجبن وجوههن ، ومن الأمثلة المشهورة فى ذلك السيدة عائشة بنت طلحة بن عبد الله أحد الرواد الأوائل الذين دخلوا فى الاسلام ، وأحد الذين أسهموا مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أكثر غزواته ، وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق فقد كانت من أجمل نساء عصرها وكانت مشهورة بالعفة والحرص على التدين ، والعلم بأخبار العرب وأشعارها وأيامها وفى النجوم ، ولكنها كانت لا تحتجب من الرجال ، فكانت تجلس وتأذن لهم بالدخول عليها ، فلما تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام وهو ابن خالتها أسماء ذات

○ حجاب المرأة

النطاقين ، وأحبها حبا عظيما ، واشتدت غيرته عليها فعاتبها وطلب اليها أن تسدل الستار على وجهها ، ولكنها رفضت وأبت أن يتدخل أى انسان فى حريتها فيحرمها من رخصة أحلها الله لها ، فلما عجز عن اقناعها برأيه أذعن لمشيئتها .

فالأمر اذن يا أخى هو أن أمر المرأة بيدها فى حدود الحرية التى أباحها الله لها ولذلك أرى أن لها أن تسفر عن وجهها ولها أن تحجبه عن الناس فهذا شأن من أخص شئونها سواء فى ذلك رضيت أنت وأنا أو لم يرض أحدنا غير اننا لا نملك الا أن نقول أن حجبها للوجه تطرف لم يطالب به الدين الاسلامى ، ولعله يا أخى أثر مباشر أو غير مباشر لانحراف الكثيرات غيرهن فى كافة أرجاء العالم ، ذلك الانحراف الذى وصل الى مصر منه الشىء الكثير .

الموضوع الرابع :

وقد اختتمت بحثك يا أخى بقولك : « ألا ما أبعد الفرق فى حياة المرأة المصرية بين الليلة والبارحة ففى بارحتها ألقت بحجابها فى مياه البحر عند شواطىء الاسكندرية ايذانا بدخولها عصر النور ، وأما فى ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجابا يرد عنها ضوء النهار » .. وأرجو أن تسمح لى يا أخى أن أعقب على ذلك فأقول : ان المرأة المصرية حين ألقت بحجابها فى بداية القرن العشرين فى مياه البحر عند الاسكندرية انما ألقته عندما كان البحر الابيض المتوسط فى حالة الجزر ، فانحسرت الأمواج عن شواطىء الاسكندرية وهى تحمله فوق زبدها ، فلما أسبل الليل سدوله ، انتشر الظلام ، وهبت الريح العاتية ، وخضع البحر لعوامل المد ، فزحف الموج عائدا الى الشاطىء حاملا مع ما فوقه من الزبد « الميني جيب » . فالتقطه قلة من المصريات ، وفرحن به فارتدينه أسوة بأخوات لهن فى أوربا وأمريكا ، فكشفت كل واحدة منهن عن ساقيها وسرن بهذا اللباس فى الطرقات ، وذهبن به الى بعض أماكن العمل، ثم دار الزمان دورة أخرى ، وجاء ليل مظلم آخر ، وسيطر على البحر عامل المد مرة ثانية ، وزحف الموج كعادته عندما يعم الظلام قاصدا شواطىء الاسكندرية ، وحاملا « المايوه البكينى » فوق زبد الموج الزاحف، فهرعت اليه قلة قليلة من فتياتنا وأعجبن به ..

كما اعجبت به من قبل أخوات لهن فى أوربا وأمريكا فارتدينه ، وسرن به شبه عاريات على بعض شواطىء الاسكندرية ، واستمر سيرهن على هذه الحال حتى ألهم الله رجال الأمن فى مصر الى تدارك الأمر ، فأعادوهن الى بعض الصواب والاحتشام . وصدق الله العظيم حيث يقول : « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد المنعم محمد عمر

شعر وشاعر

شاعر الاسلام - محمد اقبال

الصيام

رمضان الفتح الأكبر

دعاء الفجر

من آلاء الله في

رمضان

الفتح الأكبر

لمن الحشود تموج موج الأبحر حول الحمى فى خفية وتستر

نيرانها فى خلل فج حولت ليل الفلاة الى صباح مسفر
هل شقت الغبراء عنها ؟ بل عيو ن القوم قد عشيت فلا من مبصر

ياويح مكة اى غاز رامها اجيوش كسرى ام جحافل قيصر ؟
هل فى رحاب المشرقين سواهما جيش يخوض الوعر دون تعثر ؟

واللات والعزى لقد باتت قريش على خطب فى الأمور محير
هذا ابو سفيان أقبل صائحا وعلى محياه مرامة منذر

يا آل مكة أغمدوا اسيافكم فالأمر اعظم من لجاجة ممتر
انى شهدت محمدا قد جاءكم فى هالة مثلى واقوى عسكر

فدعوا العناد فقد دابت سوارها لا تتقى بالدرع او بالمغفر
من أ مدارى صار فيه مؤمنا اولاذ بالبيت الحرام فقد برى

وتدفق الجيش المظفر من فجا ج أم القرى كالعارض المتحدر

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

وطريدها بالأمس يدخل فاتحا كالبدر بين مهلل ومكابر

والساحر الكذاب عند الجاحد ين غدا الكريم ابن الكريم العنصر
ما أعجب الانسان يقسو حين يملك قدرة ويلين أن لم يقدر !

والخير في الدنيا يموت وينزوى ان لم يقف للشر وقفة قسور

يتصارع الأمران مذ كان ابن آ دم فوق ظهر الارض عبر الأعصر
تقضى المطامع فى الحياة بأنه لا حق بين الناس غير مؤزر

فالفارس المبهور ليس بفارس والخير المظلول ليس بخير
خضعت قريش وخر اعتى معقل للشرك والحقد العنيد المسعر

وغدت مقاليد الامور بكف من هجر الحمى بدم مباح مهدر
ماذا تراه اليوم يفعل فى الألى نبذوه فى البيداء نبذ المنكر ؟

ايقطع الاعناق ام يبقى عليهـــــــا فى المهانة والعذاب الاكبر ؟
ايصادر الأموال حتى يغتدى أربابها فى حيرة وتحسر؟

كلا ومرسله سراجا رحمة للعالمين على هدى وتبصر
بل رحمة وتسامح وتخشع لله ليس به غرور مظفر

ذاك الذى ملك المشاعر والذى جعل القلوب تلين بعد تحجر
نمضت به الأجيال نشوى من رحيـــــــق الذكر فى رمضان بدر الأشهر

شاعر الإسلام

محمد إقبال

ايه ياشاعر الحياة ، تسنمت ذراها تأملا والتقالا ..
مستثيرا دفائن النفس ، مرتادا خفايا آفاقها جوالا

فانشد للنفس والحياة ورقرق — لحنك العذب دافقا سيالا
واعد فى مسامعى شدو ناى — أنت أفعمته جوى واشتعالا

وحديثا للروح قد شف همسا — وسرى فى النفوس سحرا حلالا
ولحونا صوفية ضاق عنها — وترعى عن مداها كلالا

قد كشفت المكنون من كل سر — وحطمت القيود والأغلالا .
ورأيت الحياة فى سيرها الدائب مجدا وقوة ونضالا .

انما اليأس والتشاؤم ضعف — فاغتنمها بشاشة وافتتالا
فاز من واجه الحياة قويا لا يبالى الصعاب والأهوالا

فتخط العقاب واقتحم الصعب، وحقق لذاتك استقلالا
قوة الذات للجماعة درع — تتحامى به وتقوى صيالا

انها قوة الكيان ، وليس الضعف الا — تفتتا وانخذالا
فيها تصبح الرمال جبالا — وبه تصبح الجبال رمالا

للدكتور حسن جاد

قطرة الماء ماسة حين تقوى ... فدع الضعف واطرح الاتكالا
واسم بالنفس أن تذل سؤالا ... آفة النفس أن تذل سؤالا
ما ارتقت أمة بضعف بنيها ... تعست أمة بنوها كسالى
كنت يا شاعر الحقيقة والحق ... شعارا وقدوة ومثالا
قد عبرت الحياة لم تبغ جاها ... من غرور الدنيا ولا رمت مالا
ليس من يرفع الشعار كلاما ... مثل من يرفع الشعار فعالا

منطق الحق لم يعد منطق العصر ، فخاطب بالقوة الأنذالا
شاعر الشرق كم تغنيت بالشرق وباهيت باسمه مختالا
لا ترى في حضارة الغرب الاخلبا خادع الوميض وآلا
دمية تخدع الغرير بمرآها ... وتغري بزيفها الجهالا
لم يقدها الى الهدى ألق الروح فضلت تمزقا وانحلالا

اصبحت من ضراوة العلم غابا ... وغدت من سعاره أدغالا
ومن العلم ما يكون حراما ... ومن العلم ما يكون حلالا
واذا العلم لم يسانده دين ... كان جهلا ونقمة وضلالا

ولقد يعمر الحياة وقد يغدو سلاحا مخربا قتالا
واذا العلم كان سيف غرور ... حول الارض كلها اطلالا
ومتى كانت الحضارة غدرا ... وانتهابا وخدعة واحتيالا !
واعتداء على الشعوب وبطشا ... وانتهاكا لحقها واغتيالا !

بهدى الحق والنبوة كان الشرق أسمى حضارة ومجالا
وعلى الروح وهي سر هداه ... أنجب المصلحين والأبطالا

« للقصيدة بقية »

الصيام

للأستاذ [illegible]

رويدا .. رويدا .. انا صائم   وللصوم فى عالمى عالم
ويطوى كيانى على سره   بسر .. ولم يدره الحالم

فلا الجوع جوع .. ولاتو صدى   بصاد .. ولا طاعم طاعم
فدع عنك ذكر آفانينه   وخذ منه ما ياخذ الهائم

مسابح للروح فى افقه   وسر على أمره قائم
وقوة نفس على ضعفها   وضعف لأهوائها حاكم

اذا كنت فيه على طينتى   ينازعنى الظلم والظالم
فللروح فيه الهيبة   تعالى بطينتها الآدم

عرفت مكانى .. ولما اكن   عرفت مكانى .. انا صائم
انا صائم .. قد غلبت الهوى   صيامى بسر له هائم

وسر الصيام وراء الصيام   هو المرء من سره ناجم

ومـن صـام صـام فجاز المدى ... وجـــاوزه الاثـم والآثـم

وللصـائمات بمـرعى الفـــلا ... مـراح يسـوم بـه السـائم
فـــلا تملك النفس ·· الا هوى ... ولا رد جامحهـــــا لاجـم

فقـل لى ·· وأنت امرؤ ذو حجى ... ومـا انت يـاذا الحجى راغـم
اتمنع نفســك مـن شـهوة ... ويشـهد منـك لـك العـاجم

اتقـوى عـلى النفس ان راودت ... وللمرء من نفســه خـاصم
شكيمة نفســك فى غيهـــا ... اذا شـئت عـزم لهـا شـاكم

اذا شـبت النفس عن طوقهـــا ... ففى الطوق منهـــا لهـا فـاطم
ومعنى مـن الصـبر ترتاضـــه ... وحـزم عـــلى امرها حـازم

عرفت مكـــانى ·· ولـــا اكـن ... عرفت مكـــانى ·· انـا صـائم
انـا صـائم ·· قد غلبت الهوى ... انـا غـالب للهـوى هـازم

انـا مسلم ·· قد هدانى الهدى ... وديـن الحقيقـة لى عـــاصم
ودين الحقيقـــة لى وحـــد ... هـو الحـق ·· والحـق بى قائم

انـا الخلق ·· واللـه فى مهجتى ... هو النـور فى عـــالى ساجم
حيـــاتى مـن سره مظهـــر ... وســـر الخليقـة لى نـــاظم

ومنـه وجـودى ·· وفيه فنائى ... وسـلطانه قـــائم دائـم
ورحمته وســـعت خلقـــه ... فسـبحانه الغـــافر الراحم

فياليت شـعرى ·· وبين يـدى ... صلاتى وصـومى ·· من الغـانم
ايشـفع لى اننى طـــائع ... وانى برحمتـــــه عـــالم

وما هى منى ســوى سـبحة ... الى اللـــه يعـلو لى العـالم
وهـذا الصيـــام بـــه رحلتى ... اليه ·· وانى امرؤ صـــائم

الربيع الغزالى

دعاء الفجر

يارب اعط اليائس المحزون اسباب السرور
وامنح لكل مشرد ركنا مونسا بالحرير
اطفئ، وقود الحرب في الدول المؤججة السعير
وامح الضغينة من فؤاد المذنب للحمل الصغير
وعلى جبين الكون ضع قبل المحبة والضمير
يارب هب للروض بهجته وللزهر العبير
والعش للعصفور والهمس المنغم للغدير
وعلى فراش الأم اطلق ضحكة الطفل النضير
امنح جميع الكون اسباب السعادة والسرور
وانا ! انا يارب جزءا من هواك ومن سناه
مادمت انت تحبني ماذا أريد من الحياة .... ؟
يارب انك سيدى .. لك تنحني كل الجباه
عرفتك روحي في الضياء وفي الجمال وفي شذاه
عرفتك ربا كاملا فوق الكمال وما علاه
يارب انك قدرة هي وحدها قلب الحياة
لاكن كجذع ثابت في روض خلقك ، في رباه
لاكن هشيما محرقا من نار حبك ، من لظاه
لاكن كخشب غارق وسط الغدير وفي المياه
تغنيه كثرة مائه ويعيشني حب الاله
فمادمت انت تحبني ماذا أريد من الحياة ؟
يارب ان شئت ابتلاء لي وان رمت البلاء
اني على الحالين راضية .. بما حكم القضاء
ماذا يهم اذا انا اشقى على ارض الفناء
مادام راسي قد تطاول خلف سجني في اباء
وراك ربا ساهرا حمل التعزى والرجاء
امنح جميع الكون اسباب السعادة والهناء
وانا ! انا يارب جزءا من هواك ومن سناه
مادمت انت تحبني ماذا أريد من الحياة ؟؟

تاريخ وحضارة

القيادة الإدارية فى الاسلام

نظام الإدارة والقضاء

الحضارة والمدنية فى معيار الاسلام

نظام الادارة والقضاء

الأتابكي والأرتقي في بلاد الجزيرة الفراتية عبر القرن السادس الهجري

للدكتورة سوسن محمد نصر

تقديم

تعتبر الجوانب الادارية والقضائية من الموضوعات التي تمثل جوانب حيوية من الخبرة التاريخية وهذا البحث محاولة لتقديم خلاصة تحليلية للنظم الادارية والقضائية في منطقة الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري ، وهي فترة من أشد الفترات التاريخية تحرجا في المشرق الاسلامي ، حيث كانت جحافل الصليبيين تجوس ديار المسلمين في بلاد الشام والجزيرة من أجل الاستيلاء على بيت المقدس وتنظيم حملات صليبية مستمرة لتهديد مصر وسوريا وقيام امارات صليبية في سوريا وفلسطين وبلاد الجزيرة ٠

ان دراسة النظم الادارية والقضائية في بلاد الجزيرة الفراتية بنيت على اساس ان هذه البلاد تكون وحدة متجانسة متكاملة ، لها خصائصها المميزة على الرغم من تفاعلها مع النظم المجاورة ـ فضلا عن أن هذه البلاد ، مؤلفة من امارات عديدة ، تخضع احيانا لقيادة سياسية موحدة أو يستقل بعضها عن الآخر في أحيان كثيرة ٠

وفي هذا البحث اوضحت الأساس الذي قامت عليه النظم الادارية الأتابكية والأرتقية ـ التي كانت تمثل مظهرا عاما للادارة السلجوقية كما اوضحت طبيعة الوظائف وصلاحيات الموظفين الاداريين والقضاة ومسئولياتهم وواجباتهم وتعيينهم ونقلهم وعزلهم ،ثم قدمت صورة عن الأحوال الادارية العامة لهذه البلاد خلال القرن السادس الهجري ٠

كانت النظم الادارية التي وضعها الولاة السلاجقة ٤٨٩ ـ ٥٢١ هـ / ١٠٩٥ ـ ١١٢٧ م لامارات بلاد المشرق والشام والعراق واقليم أذربيجان واقليم فارس واقليم الجزيرة الفراتية تتمشى مع ما كان سائدا في الدولة السلجوقية الكبرى ، حيث انهم لم يستطيعوا حكمها مباشرة أو ادارتها ما لم يحاولوا امرائهم وقوادهم وحجابهم ومقربوهم ، ولذا أسندوا اليهم ولا يتها وقد سمي هؤلاء بالأتابكة

ولذلك تعد ادارة الامارات الأتابكية والأرتقية فيما بعد مظهرا للادارة السلجوقية لأنه لم يؤد تحول الامارات ـ من عهد ولاة السلاجقة الى عهد الأتابكة ـ الى ظهور نظم ادارية جديدة ، بل بقي أكثرها موجودا مع استحداث قليل من المناصب التي اقتضتها الظروف العسكرية والسياسية الجديدة .

هذا الى أنهم اقتبسوا بعض التنظيمات الادارية من الدولتين الأيوبية والمملوكية .

كان الأتابكة والأراتقة ، يحكمون دويلاتهم وامــاراتهم في الجزيرة الفراتية بادارات بسيطة ذات وظائف محدودة وكان مجموعة من الموظفين الذين منحوهم سلطات في ممارسة شئونهم الادارية ، مسئولين أمام « الأتابك » وتحت اشرافه ومراقبته ، وكان تنفيذهم لواجباتهم تستهدف أولا دعم السلطة الفردية الاقطاعية للأتابك التي كانت تقوم في معظم الأحيان على القوة .

وكان هؤلاء الموظفون يشغلون مناصب الوزارة والدواوين والنيابة والولاية والأعمال . وكان اشغال هذه الوظائف يمثل جميع السلطات الادارية ، ولكل منها صلاحيات معينة ومحددة أحيانا وغير محدودة في أحيان أخر .

ولابد من استعراض أهم الوظائف المدنية لنتبين طبيعة الادارة الأتابكية والأرتقية خلال القرن السادس الهجري .

١ ـ النائب : ـ

وهو موظف اداري ، يمثل رئيس وحدة ادارية ، أهم واجباته الاشراف العام على المدن التي تعهد اليه أو المدن المحتلة عسكريا نيابة عن الامير (١) . ويقابل هذا المنصب حاليا في العراق « مدير الناحية » أو « المحافظ » أو « القائمقام » .

ويبدو أن النائب كان يصاحب الجيوش في تنقلاتها قبل تولية منصبه ، فاذا احتل احدى المدن ، تولى الاشراف على ادارتها . ولقد ورد في بعض المراجع ما يؤكد وجود هذه الوظيفة في معظم الامارات الأتابكية والأرتقية مما يدل على استخدام النواب بنطاق واسع وقد أطلقت عليه لقب النيابة أو (دزدارية) القلاع (٢) .

وكان على النائب أن ينوب عن الأمير في

(١) ابن الاثير ـ الكامل ح ١٢ ص ١٨٣ ـ ص ١٨٤ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق (تحقيق آمدروز ـ بيروت سنة ١٩٠٨) ص ٦٣ ، ص ٢٧٠ ابن خلكان : وفيات الاعيان ح ١ ص ٣١٥ .

ابن العديم : زبدة الحلب ح ٢ ص ١٩٤ . الفارقي تاريخ آمد . مخطوطة الورقة ١٢٧ أ ـ ١٢٨ أ .

باني ـ بعد سطور ـ تعريف بـ (الدزدار) ـ مجلة الأزهر .

نظام الإدارة والقضاء

ادارة شئون الامارة ، وأن يكاتب السلطان السلجوقي والخليفة العباسي عن أحوالها العامة ، خلال تغيب الأمير ولقد أشار ابن خلكان الى بعض المهام التفصيلية التي كان يمارسها النائب مثل :

جمع الضرائب وجباية الاموال والاشراف المستمر على التحصينات والأسوار وتعميق الخنادق (١) ، بالاضافة الى أعماله العسكرية التوسعية (٢) .

كما كان من بين مهام نواب الأراتقة وولاتهم ، تلقى المكاتبات من الخارج ، وحفظ القلاع ، والاعتناء بغلق أبوابها وفتحها ، وتفقد أحوال سكانها والتعرف على أحوال مجاوريها من الأعداء فضلا عن مهماته المالية (٣) .

ويبدو أن هذه السلطات التي كان يمارسها النائب كانت واسعة في شتى المجالات الادارية والمالية والعمرانية والعسكرية ، ينطبق عليها ما كان يمارسه النائب في العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر وبلاد الشام حيث كان هو « القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها » (٤) .

وبمقارنة منصب النائب في تنظيمات الأيوبيين والمماليك في بلاد مصر والشام ، نجد أن لقب « الدزدار » هو متولى القلعة « ونائب الأمير » اللذان كانا يطلقان على نائب الأتابكيين والأراتقة ، يكونان مفهومين منفصلين عن بعضهما في هذين العهدين .

فالنائب ، يشترك مع السلطان في منح لقب الامارة والاقطاعات وتعيين الموظفين وتوقيع المراسيم وتنفيذ بعض القوانين ورئاسة اجتماعات ديوان الجيش والرد على مكاتبات المدن (٥) وبذلك يكون نائب الأيوبيين والمماليك قد جمع لديه السلطات العسكرية والمالية والادارية .

أما (نائب القلعة) أو « الدزدار » فهو غير نائب السلطنة اذ أن اختصاصات الأول تتمثل في الاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم ، وتفقد الأسوار والمنافذ وصيانتها واصلاحها ، والفصل فيما يقع بين العامة من لخصومات ، وبذلك يكون قد تمتع باستقلال واضح عن النائب (٦) .

ويؤكد هذا الكلام دور النائب في الادارة الاتابكية — عن عماد الدين زنكي صاحب الموصل في بداية القرن السادس الهجري

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ص ٣١٥ — ص ٣١٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ١١ ص ٥ — ص ٦ . الباهر ص ٦٤ .

(٣) الفارقي وتاريخ آمد ، الورقة ١٣٨ أ ، القلقشندي : صبح الاعشى ١١/٩٢ .

(٤) القلقشندي : حـ ٤ ص ١٦ ، المقريزي : الخطط حـ ٢ ص ٢١٤ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى حـ) ص ١٦ ، المقريزي الخطط حـ ٢ ص ٢١٤ ، ص ٢١٥ .

(٦) القلقشندي : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٢٢ — ص ٢٣ ، على ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية (مكتبة النهضة المصرية ، حـ ٢١ القاهرة — ١٩٤٨ م ، ص ٢٣١ عن Van Berohem; Garpu, Egypte, Vol 1, P. 210—211.

حيث كان يجمع بيده سلطات ثلاث هي : النيابة ، ودزدارية القلعة ، ومهمة الوالي ، وذلك بعد اثبات خبرته ومدى قدرته على معرفة نظم العصرين : الأيوبي والمملوكي في الشام ومصر (١) .

كذلك كانت علاقة النائب يشوبها الغموض ، وذلك لعدم وجود تفصيلات عنها في المراجع من جهة ، وفيما يتعلق بتحديد الاختصاصات بين المؤسسات الادارية من جهة أخرى . هذا بالاضافة الى أن هذه المراجع تجعل العمل الادارى الواحد مشتركا بين عدة مؤسسات أو موظفين ، مما زاد في صعوبة التوصل الى اختصاص كل موظف .

أدى التداخل بين المؤسسات الادارية وعدم وجود خطوط واضحة للتخصص الى صعوبة الكشف عن طبيعة النظم الادارية وتحديد معالم كل وظيفة ، ولكن يعزو وضوح سلطة بعض الوظائف الى شخصية شاغليها ، عندما تظهر مواهب أحدهم ويقوى نفوذه ، يطغى على اختصاص غيره (٢) .

وكما أن السلطات الادارية الوسعة التي كان يمارسها نائب عماد الدين زنكي صاحب الموصل ، تتطلب جهازا اداريا واسعا ، لتنفيذ القرارات (٣) . كان ذلك ينطبق أيضا على نواب الأتابكين الذين خلفوه وعلى نواب الأراتقة (٤) ، حيث يحتم بالضرورة وجود عدد من الموظفين الذين كانوا يمثلون الجهاز الحكومي الذي تكون له صفة تنفيذية . ويمكن بذلك ان نصل الى طبيعة العلاقة بين النائب وهؤلاء الموظفين التنفيذيين ونستنتج ما هو مفيد .

٢ ــ الدواوين (٥) :

كانت الدواوين في البلاد الاسلامية ، تمثل أهم مظهر من مظاهر التنظيم الادارى ، وقد اتخذت أكثر الدول والامارات والممالك الاسلامية دواوين لها ، تشرف على ادارتها العامة اقتداء ببغداد حاضرة الخلافة

---

(١) على ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية (مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ــ القاهرة ــ ١٩٤٨ م ، ص ٢٣١ عن
Vah Berahem: Cakpus. Egypt. Vol. 1. P. 210-211.

(٢) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك ص ٢٦٠ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ٢٣٨ .

(٣) عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي ص٢٣٨

(٤) كان نواب الاراتقة يلقبون « بالحجاب » ، وذلك اما انهم شغلوا وظيفة الحجابة سابقا ، او ان التقاليد كانت تقتضي تسمية كل نائب او وال باسم الحاجب .
الفارقي : تاريخ آمد ــ الورقة ١٠٥ أ ــ ١٠٥ ب ــ ١٣٢ أ .
ابن شداد : الاعلاق الورقة ١٠٢ ب .

(٥) اتخذت الادارة الاسلامية كلمة « ديوان » لتدل على سجلات الدخل والصادرات واطلقت فيما بعد على المكان الذى يعمل فيه ارباب الوظائف المالية . واخيرا اطلقت على جميع فروع الادارة الاسلامية ، سواء المدنية او العسكرية او الادارية : انظر :
Encyclopaedia of Islam P. 323. Art Diwan (A.A.Dur.)

نظام الإدارة والقضاء

العباسية حيث كانت مركزا لدواوين عديدة (١) .

وقد ورث الأتابكيون والأراتقة في الجزيرة الفراتية ، هذا النوع من التنظيم الادارى فأوجدوا لهم في كل امارة ديوانا واحدا عرف بـ (ديوان الجند) أو الجيش كما هو الحال في الدولة العباسية أو الدواوين التى شهدها العصران الايوبى والمملوكى في مصر وبلاد الشام (٢) .

وليس لدينا معلومات عما اذا كان ديوان الجند أو الجيش صار يسمى بمرور الزمن باسم المدينة التى يرجع اليها أو الامارة ، كما لم يرد في المراجع ما يساعدنا على ادراك التطور الذى طرأ على هذا الديوان من حيث طبيعة العمل الادارى الذى كان يقوم به وعدد الموظفين والاشخاص الذين كانوا يشغلون الوظائف فيه :

فقد جاء عن ديوان الموصل (٣) انه كان على غرار ديوان الانشاء في الدولة العباسية (٤) ، حيث وضعت أسسه في الموصل منذ عهد عماد الدين زنكى بعد توليها من قبل السلاجقة ، وقد ورد ذكره على اعتبار أن له اهمية كبيرة ، بحيث جعل جمال الدين الأصفهانى الذى كان يتقلد منصب الوزارة ، مشرفا له . كما أشار ابن الاثير الى هذا الديوان الذى أوجده عماد الدين زنكى والذى كان يقاس بدواوين السلاطين لكثرة التجمل ونفاذ الأمر وعظيم الحاشية (٥) .

وهذا يؤكد اهمية ذلك الديوان وبلوغه مرحلة متقدمة من الاتساع والنمو وكثرة الموظفين .

ويبدو أن ديوان الموصل كان يمثل اختصاصات ديوان الجيش ، وكان يضم أسماء القواد ومناصبهم والجند وطوائفهم ورواتبهم واعطياتهم وكل ما يتعلق بأحوالهم المختلفة وكان على رأس ديوان الموصل ، موظف يسمى « نائب الديوان » (٦) حيث كان يقوم بادارة الديوان والمراسلات ويسمى أحيانا (صاحب الديوان) كما هو الحال في الدولة العباسية في عهودها الأخيرة ، حيث أشار ابن الاثير الى أن ديوان) الموصل كان يتولاه (صاحب الديوان) (٧) الذى صار يسمى فيما بعد « رئيس الديوان » أو « متولى الديوان » أو « كاتب الديوان » وكان يمارس صلاحيات

---

(١) أهمها : « ديوان الاشام » ، « وديوان الانشاء » ، وديوان « الجدال » ، وديوان « عرض الجيش » « وديوان المقاطعات » « وديوان التركات « وديوان الابنية والعقار » .

(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٦٩ .

(٣) أبو البركات المتوفى : تاريخ اربل ، كما جاء في وفيات الاعيان حـ ٣ ص ٢٩٧ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى حـ ١ ص ٨٤ .

(٤) ويسمى احيانا « ديوان الرسائل » : مقدمة مصطفى مراد للكتاب تاج الدين المعروف بابن الساعى ، الجامع المختصر .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ١٩٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ .

(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ ــ ٨٦ ، ١١٨ ــ ١١٩ ، ١٢٧ ــ ١٢٨ .

(٧) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ .

تشبه الى حد ما ، صلاحيات صاحب الديوان في الدولة العباسية (١) ، حيث يكون لـه حـق التصرف المطلق في الولاية فيعين كبار الموظفين ويعزلهم وله حق العطاء والمنح (٢) .

وهناك دواوين أخرى ، غير ديوان الموصل ، كديوان أتابكية الجـزيرة (أي جـزيرة ابن عمر) ، وديوان أتابكية سنجار (٣) ولابد أن تكون للامـارات والمـدن الأخـرى دواوين مشابهة . وكانت تشرف على الادارة العـامة كما أن جانبا مهما من نشاطها كان ينصب على الأمور العسكرية .

أما دواوين الأمراء الأراتقة ، فقد ذكـر بعضها ومنها ما أشار اليـه « ابن شـداد » باسم « الديوان » الذي كان قد تولاه سـنة ٥٢٧ هـ / سنة ١١٣٢ م علي بن أحمد الاموي في مدينة آمد ، فسمي ناظر الديوان (٤) الذي أصبح مسئولا عن القضايا المالية وعن كـل ما يتم في « معاملة » من خلال امـام الامـير الأرتقي ، وكان له عدد من النظار على الجهات المحلية الأخرى (٥) .

ويبدو أن ديـوانا آخـر باسـم ديـوان « الاستيفاء » وليه المـؤيد ابو الحسـن ابن محمـد سنة ٥٢٨ هـ / سـنة ١١٣٣ م كـان موجودا في مدينة (ميافارقين) وقـد عمـل المستوفي الذي كان يتولاه على ضبط الاموال المتعلقة بالجيش وادارة ديوان الاستيفاء (٦) .

وفي سنة ٥٤٥ هـ / سـنة ١١٥٠ م قـام « حسام الدين تمرتاش » صاحب (ميافارقين) بتعيين المؤيد أبو الحسن بن محمد وشـخص آخـر لقب « بالمهـذب » بالديـوان (٧) ، مما يدل على اشغال أكثـر من مشرف واحـد فيه . وعين الأراتقة عددا من المشرفين عـلى دواوينهم المحليـة (٨) ، التـي كـانت تعنى بالاشراف على ضبط الحسابات والصـادرات والواردات والموازنة بينهما ، وقد نقلـوا ذلك عن السـلاجقة حيث كانت وظيفـة الاشراف عندهم تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بادارته (٩) .

وبهذا يمكن القول بأن ديوانا آخر باسـم (ديوان الأشراف) (١٠) كان موجودا لـدى الأراتقة في هذه الفترة .

٣ ـ البريـد :

اتخذ الأتابكة البريـد ، فـمـا لـورود

---

(١) ابن الصابوني : تكملة اكمال الاكمـال (تحقيق مصطفى جواد ـ سنة ١٩٥٧) ص ١٥٤ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٠ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٠٠ ـ جعفر خصباك : العراق في عهد المغول ص ٦٨ .

(٣) ياقوت : معجم الادباء جـ ٦ ص ٢٣٨ . ابن الساعي : الجامـع المختصر جـ ٩ ص ٢٥٧ ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ـ مخطوطـة الجزيرة ـ الورقة ١٠٣ أ ، ب .

الفارقي : تاريخ آمد ـ مخطوطـة ـ الـورقة ١٠٩ أ ، ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في المائة الثامنة جـ ٣ ص ٢٦٤ ـ ص ٢٦٥ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٦٥ .

(٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ـ مخطوطة ـ الورقة ١٠٣ أ ، ب .

(٧) الفارقي : تاريخ آمد ـ مخطوطة ـ الورقة ١٢٤ ب .

(٨) اليونيني : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ١٣) .

(٩) الفارقي : تاريخ آمد ـ مخطوطة الورقة ١٣٩ أ .

(١٠) الفارقي : تاريخ آمد ـ مخطوطـة الورقة ١٣٩ أ .

واصدار المكاتبات التى كانت تجرى بين اماراتهم فى الجزيرة الفراتية أو بين البلاد القريبة والبعيدة ، عنهم فأمنت الطرق ورتب فيها الرجال لحمل الخرائط وبنيت الخانات والأبراج عليها ، وهو استمرار لما كانت عليه فى القرنين الرابع والخامس الهجريين حيث « جعلت رسما للبريد » (١) وقد بدا الاهتمام بنظام البريد منذ عهد عماد الدين زنكى فى الموصل حيث طرأ تقدم واضح فى هذا النظام لاسيما بعد الذى أصابه من الاضطراب اثر الحروب التى نشبت بين السلاجقة (٢) ، وكان هؤلاء قد اقتصروا على الخيل والبغال فى نقل البريد (٣) .

كما استخدم الأتابكيون نوعا من الحمام كان يطلق عليه اسم « الحمام الهوادى » (٤). يرسل فى حالة ما اذا تعرضت الطرق لخطر اللصوص فيأخذ الناس حذرهم ، كما استخدم نوع آخر منه فى نقل الرسائل بسرعة وانتظام بين مدينة وأخرى . وقد أشار ابن الأثير الى انه كان فى كل ثغر من ثغور الدولة الأتابكية فى الشام والعراق رجال يقومون بتربية عدد معين من الحمام يستخدمونه فى البريد ، ففى كل مدينة ينقل الحمام الرسائل الى المدينة المجاورة لها وقد يتعداها لمدينة أخرى (٥) .

وذكر القلقشندى أن الملوك الأتابكة اعدوا لنقل البريد الخيول والجمال السريعة العدو التى هى أسرع من الخيل وأصبر على السير منها وكذلك الرجال العدائين (٦) الذين كانوا يقطعون مسافات بعيدة مشيا على الأقدام ، كل ذلك اتخذه الأتابكة لاتساع مملكتهم وترامى أطرافها (٧) .

ومما يجدر ذكره أن الحمام الذى عرف استخدامه فى بلاد مصر والشام فى هذه الفترة وما أعقبها ، كان قد نقل من الموصل وأن أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل هو نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى عام ٥٦٥ هـ (٨) .

وقد سار الأراتقة على نفس النظام الذى اتبعه الأتابكيون فى البريد فكانت لهم الخيول والجمال السريعة العدو لنقل ما يستجد بين مدنهم . كما أمنوا الطرق الرئيسية التى تصل بين المدن وفروعها ، ووضعوا عليها الخفراء والرجال الذين يقومون بحراستها ، فضلا عن اقامتهم للخانات والأبراج ومحطات القوافل التجارية .

(يتبع)

د / سوسن محمد نصر

استاذ التاريخ المساعد
كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ـ بنها

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتابة ص ٢٢٥ ص ٢٢٧ ، ص ٢٢٩ .
(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٧٤ .
(٣) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٤ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .
(٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٧١ .
(٥) ابن الاثير الباهر ص ١٧١ ، ص ١٥٩ .
(٦) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٣٧ .
(٧) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٩ .
(٨) القلقشندى : جـ ٤ ص ٣٧ .

الحضارة والمدنية في معيار الإسلام

للدكتور مصطفى علوش

منذ أن خلق الانسان .. والله سبحانه وتعالى يعطيه من التكريم والرفعة ما لم يعطه لغيره من المخلوقات . ويتجلى لنا ذلك لو أننا :

١ ـ استحضرنا قول الله تعالى للملائكة : (إِنِّي (١) جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله عز وجل : (اسْجُدُوا (٢) لِآدَمَ) . وقوله : (وَعَلَّمَ آدَمَ (٣) الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وقوله : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (٤) .

٢ ـ واستحضرنا أن . رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، جاءوا (بشرا) أسوياء من نفس نوع (الانسان) . تكريما لنوعه . وتضامن في الاصطفاء فقط ... وأن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالذات ـ اتسمت : بكون المعجزة فيها تستهدف الوجدان والبصيرة ـ القرآن الكريم ـ وليست مستهدفة (البصر) كالمعجزات التي لوحظت عند : موسى ، وعيسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

٣ ـ ولو أمعنا النظر في أهداف الوحي والنبوات منذ آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام الى خاتم النبيين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدناها جاءت بنية : صلاح الانسان واصلاحه . ومنهجها

(١) البقرة (٣٠) .
(٢) البقرة (٣٤) .
(٣) البقرة (٣١) .
(٤) الاسراء (٧٠) .

الحضارة والمدنيــة

في ذلك : الأخذ بيد الانســان من : وهــدة الانحطاط البشري والعقائدي الى درجــة رفيعة من : السمو والايثار .

ولسنا الآن بصدد : متابعة مناهج الرسل، أو حتى منهج رسالة الاسلام في هذا المنشط، لكنا بصدد أن نلحظ حياة العرب قبل الاسلام وحياة العرب بعد الاسلام . لنصل في قناعة الى : دور الاسـلام الحقيقي في (اعــادة صياغة الانسان) .

فاننا لو ألقينا نظـرة على : الفلسـفات والعقـائد ، التي تبتعد عن الاسلام قديمـا وحديثا ، لنتفهم دورها في (اعادة صـياغة الانسان) لوجدنا أنها تتسم بما يأتي : ـــ

(أ) اعتبرت هذه الفلسفات الانســان (وجودا) في (مجتمع ودولـة) فقط فلم تحفل به في غير هذا الاطار . ولم تلق بــالا الى (ذاتيته) . ولعـل هــذا يفسر لنـا : لم احتاج الناس الى : النقابات والأنـدية والروابط الفئوية التي تدافع عن مصالح كل فئة ؟ .

(ب) قصرت هذه الفلسفات نظرتها الى الانسان باعتبار : أنه مادة تكونت من (شحم ولحم) . فقدمت لـه ما يرضـيه في هــذا المضمار . ولم تقدم الزاد الوجداني .

(جـ) أثارت هذه الفلسـفات والعقـائد الانسانية لدى الانسان : التفاخر والاعتزاز بالعرق والجنس وتراث الأقدمين وآثـارهم الوثنية انطلاقا . من : وضـع (وجـدان) الانسانية في قالب (حسي) .

ونحن لا ننكر : أنـه في عصـور عـديدة استطاع الانسان من خلال هذه المجتمعات : أن يحقق لنفسه رقيا اجتماعيا . تمثل في : المسكن والملبس والمأكل .... الخ من الأمور المادية .

ولكننا مع هذا نشير الى ما صـاحب ذلك الرقي الاجتماعي ، مع انحطاط أخـلاقي ، فنجد هذه الشـعوب تقـاتل غيرها وتفتك بضعفاء البشر .. وتنتهب ثروات الآخرين ، ووجدنا بلادا تعيش في (تخمة) بينما الغير يموت جوعا ، وقد وضـح ذلك في (حروب) بداية هذا القرن الميلادي ، والتي تعرض لهـا الشرق الاسلامي من دول أوربا المستعمرة . وفي الحروب التي تطحن شعب افغانسـتان وغيره .

وظهرت الأخلاق والآداب التي تشجع على هذا الاتجاه المـادي في مدنيـة الانســان المعاصر .

وللأسف : نجد في دراستنا المعـاصرة عن هذه الشـعوب ، أنهـا تدرس تحت عنـوان (الحضارات) .

ونحن يزعجنـــا هنـا : أن نعتبر هــذه الأخلاقيات : (حضارة) .

ولذلك نرى لزاما علينـا : أن نفـرق بين أمرين :

١ ــ الحضارة .

٢ ــ المدنيــة .

أولا ــ الحضارة :

❋ نعني بالحضارة : (الارتقاء الروحي للانسان في جانب الأخلاق الاجتمـاعية والعقائدية) بحيث تجده : يصدر في كـل ..علاقاته العامة والخاصة . عن : قيمة أخلاقية

ومثل أعلى . وهدى روحى . وهذا السلوك الحضارى يلازم الانسان المتحضر .. سواء عاش فى قنن الجبال ، أم فى الحدائق وسواء كان فقيرا أم غنيا .. وسواء نال أرقى الشهادات الدراسية أم لم ينلها .

* فالتحضر هنا هو : (اعلاء الذات .. وصبغها بصبغة التسامى الأخلاقى) ولا يمكن تحقق ذلك باخلاص الا اذا كان : مستندا الى (وحى) الهى . وأرقاه على الأرض رسالة الاسلام التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا ـ المدنية :

* ونعنى بالمدنية : (الأخذ بوسائل العيش الراقية . فى البيئة المتمدينة المتطورة التى تأخذ بأسباب العصر) . فان ركوب الطائرة والسيارة المتطورة : مدنية .

والاستفادة من مخترعات العصر فى الاتصال والصناعة والمعيشة .... الخ مدنية .

وهى ـ أى المدنية ـ دوما : بنت المال والصناعة وغايتها : تقديم المتعة والراحة للانسان فى جانبه : المادى والحسى .

موقف الاسلام منهما : ـ

* وهنا نعتبر أنفسنا قد وصلنا الى : تساؤل هام :

ما موقف الاسلام من الحضارة ؟ .
وما موقفه من المدنية ؟ .

١ ـ اذا بدأنا بموقف الاسلام فى (المدنية) .. فاننا نجده : يحرض المسلم على الأخذ بأسباب الحياة وتطورها فى سبيل العيش والمنزلة الأكرم .. حتى ما تعتبره من قبيل (الزينة) .

قال الله تعالى (يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (١) .

وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (٢) .

وقوله : (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (٣) .

وقال تعالى فى معرض الحديث عن البحر :

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) (٤) .

وبين مناط الاستعمال فقال : (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)(٥) ..

توقفنا هذه النصوص وغيرها على : ان الاسلام لا يحرم على الانسان أن يأخذ بطيبات الحياة . ومنها ـ بالطبع ـ ما تهيئة وسائل (المدنية) فى حياة الانسان وطرائق معيشته .

٢ ـ أما موقف الاسلام من (الحضارة) . فانه : موقف متوافق مترابط يحملنا على الجزم : بأن الاسلام ما جاء الا ليعمق فى

(١) الاعراف (٣١) .
(٢) الاعراف (٣٢) .
(٣) طه (٨١) .
(٤) الرحمن (٢٢) .
(٥) النحل (١٤) .

● الحضارة والمدنية

نفس الانسانية معنى (الحضارة) . بهذا المفهوم .

* فقد جاء الاسلام مستهدفا الانسان فى ذاته .. فولج قلبه فى رفق وانحصر اهتمامه – ابتداء فى زرع المعانى السامية والمبادىء الرفيعة والعقيدة السماوية فى نفس (الانسان) .

* ووضح من خلال الأفراد الذين كانوا باكورة الاسلام التطبيقى : أن منهج الاسلام يشعرنا بعنايته بالانسان كقيمة وخلق وجوانب روحية ويحاول تنقية وجدانه وبصيرته . وينشىء فيه (بصيرة) تراقب الله – عز وجل – فى الخفاء .. وفيافى الجبال وفى السر والعلنية .

* وتجمع انسان الاسلام الجديد (١) .. وقد صيغ على هذا الشكل وفى اطار معانى : الأخوة والترابط .. فتكون (المجتمع) الاسلامى الحضارى (تلقائيا) وصار فى حقيقته الحضارية (شخصا) واحدا مسلما يرقب الله ويرعاه .. وبذلك نفهم معنى الحديث الشريف (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ....) .

* واذا أردنا أن نضرب مثلا نعين به على فهم الفرق بين : الحضارة والمدنية فان لنا أن نتصور : رجلا يقود (سيارته) الفارهة فى طريق ملىء بماء المطر . ولا يحفل هذا الرجل بما تنثره سيارته على المارة من رذاذ الماء الملوث بالتراب .

وهذه الصورة عند تحليلها نجدها كالآتى :

(أ) ركوب السيارة الفارهة : مدنية لا يرفضها الاسلام .

(ب) سرعته التى تسبب ايذاء الناس : سلوك يرفضه الاسلام ولا يعبر هذا السلوك عن علاقة هذا الرجل بالحضارة .

* فاذا ما أراد هذا الرجل أن يكون : متمدينا ومتحضرا فى نفس الوقت فعليه استعمال (وسائل) المدنية . بأسلوب (حضارى) أخلاقى .. لا يؤذى به مشاعر الناس .

* وعلى ذلك : فالحضارة قيمة وخلق .. والمدنية سلوك واستهلاك . والاسلام لا يمنعنا أن نعيش (مدنية) عصرنا .. ولكن يشترط علينا أن يكون تناولها فى اطار (حضارى) والذى تبدت أزهى صوره فى اطار : حضارة الاسلام ، اذ الانسان الذى يعيش حضارة الاسلام .. يعايش (المدنية) بمنهج الاسلام فلا يعتدى .. ولا يفسد فى الأرض بعد اصلاحها .

* أما من يعايش (المدنية) بمنهج بعيد عن حضارة الاسلام فانه من الممكن أن يعتدى .. ويؤذى الضعفاء .. ويستعلى على البشر بوسائل هذه المدنية ويتخذها وسيلة للاذلال والاستعمار .

* ويكفى هنا : أن نتصور (الحروب)

(١) الجديد : صفة للانسان وليس للاسلام اى الانسان الذى صار صوغا جديدا بالاسلام ..

البشعة التى تعانيها الشعوب الفقيرة المستعمرة من أول العالم (المتمدين) .. وأن نتصور موقف احدى الدول الكبرى

(المتمدينة) التى ترمى كل عام : بملايين الأطنان من (من القمح والبطاطس) فى مياه المحيط . حتى تحافظ على (السعر) للزراع . بينما ملايين البشر يهددهم الجوع والحرمان.

* هذه هى (مدنية) العصر الحديث .. عندما تبتعد عن (حضارة الاسلام) انها مدنية .. آلية جافة ممزقة مبتورة .. وكلها بنيت على : الفلسفات الانسانية والاتحاد الفكرى وأشعة فلسفة (المنفعة) (البراجماتزم) . (الذرائع) .

* ويوما (ما) سيحق على هذه المدنية الآلية . قانون الله فى غضبه الذى أعده (للمدنيات) البعيدة عن اطار الخلق الالهى .

والذى تمثل فى قوله الله تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) . القصص ٥٨ . وقوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) القصص ٥٩ .

* ولن تجد فى القصص القرآنى الصادق . ما يعيننا على فهم ما نقصده ..

أكثر من (قصة قارون) فقد أوتى وسائل (المدنية) ولكن تباعد بنفسه عن طريق (النبوة) الذى يوصله الى (الحضارة) حتى فتن الناس (بمدنية) قارون . وحتى قال الضعفاء : (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) القصص ٧٩ .

ولكن الذين لامست الحضارة الروحية قلوبهم لم يضعفوا :

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) القصص ٨٠ .

وبين هاتين الصورتين جاء قانون الله على المفسدين (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) القصص ٨١ .

وهكذا نجد الاهلاك انما هو محصلة التعلق (بالمدنية) البشرية وحدها : قال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) . والترف هو : الأخذ بأقصى أسباب المدنية وحدها .

وعليه : فالاسلام يهيب بالمسلمين ان يكونوا أصحاب (حضارة) .. وأن يجعلوها فى قلوبهم وعقولهم وأخلاقهم .. أما (المدنية) فهى (مشروعة) طالما هى فى خدمة (الحضارة الاسلامية) . والله الموفق .

د. مصطفى غلوش

القيادة الإدارية في الإسلام

الإحسان ؟

والاحسان غاية من الغايات التي يريدهـا الاسلام ، وقد رغب الاسلام فى الاحسان فى كثير من آيات القرآن ، ووعد المحسنين بأرفع ما تصبو اليه النفس ، وذلك لأن المحسنين ذووا احساس مرهف ، وضمير حى ، حتى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينمى فيهم هـذا الاحساس فيطالبهم بالاحسان الى الحيوان فيقول : « ان الله كتب الاحسان على نفسه فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (١) .

فالاحسان الفعل الحسن .

« والافعال الحسنة تشمل كل خير وكل معاملة ترقى وترفع من شأن الانسانية ، وتهذب نفسية الانسان ، وتقربه من خالقه ، وفى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن فى الدعوة الى الاحسان والترغيب فى اتيانه .

وقد عالج القرآن الاحسان بما يؤثر فى الشخصية الانسانية من ناحية دوافع العمل وتحقيق المثل العليا التى يدعو اليها دعاة الاصلاح .

وقد بين القرآن أن الاحسان ، هو الواجب الطبيعى الذى ينبغى أن يكون عليه الانسان ، وأن الله كما أحسن اليه بنعمه ، عليه أن يحسن الى الخلق . قال تعالى :

« وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » (٢)

---

(١) رواه مسلم عن ابي يعلى . ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٢) آية ٧٧ من سورة القصص .

للأستاذ صابر البرديسي

وقد بين القرآن ان الاحسان تعود منفعته على المحسن قال تعالى « إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا » • وهذا حق فان المحسنين يشعرون بطمأنينة لايشعر بها غيرهم ، ويكفى ما يقابلون به من الذين يحسنون اليهم ، من الود والمحبة والتقدير ، مما يدخل السعادة فى نفوسهم ؛ بينما الاساءة تجعل صاحبها منبوذا محتقرا لا يهنأ له عيش، ولايقر له قرار ؛ « وقد أمر الله بالاحسان فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ) (١) والاحسان كما يكون فى معاملة الناس يكون فى العبادة لله ، ومعنى الاحسان فى العبادة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك •

ومتى أحسن الانسان عمله وأتقنه وأحسن الى الناس فى معاملتهم ، وراقب ربه ، عاش سعيدا ، وأسعد من حوله ، وكانت ادارته للاعمال ناجحة ، وحقق الخير لنفسه ولمن يتعامل معه •

٧ ـ اقامة العدل :

العدل : ضد الجور ، وهو الاعتدال والاستقامة ، والميل الى الحق •

وشرعا :

هو الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور دينا ، فالعدالة تقتضي استواء احوال المرء فى دينه ، واعتدال أقواله وأفعاله •

وهى من أجل الفضائل ، من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها فى نفسه وفى غيره •

ومن مزية العدل ان الجائرين يستطيبونه فيما بينهم فلو أن لصوصا تشارطوا فيما بينهم شرطا، فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم أمرهم ، وتنازعوا فيما بينهم •

ومن فضائله أن كل نفس تتلذذ بسماعه حتى الجائر يستحسن عدل غيره اذا رآه أو سمعه •

والعدل يدعو الى الألفة والمحبة، ويبعث على الطاعة ، ويعمر البلاد ، وتنمو الأموال، ويأمن

(١) آية ٩٠ من سورة النحل •

الافراد ، وتستقر أوضاع الادارات .

وقد قال المرزبان ، رئيس المجوس لعمر (رضي الله عنه) لما رآه نائما لاحارس له : (عدلت فأمنت فنمت ياعمر)

وفي ذلك يقول الشاعر حافظ ابراهيم في عمريته المشهورة :

وراع صاحب كسرى ان راى عمرا
بين الرعية عطلا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس ان لها
سورا من الجند والاحراس يحميها

رآه مستغرقا في نومه فرأى
فيه الجلالة في أسمى معانيها

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان في عينه ما كان يكبره
من الاكاسر والدنيا بايديها

وقال قولة حق أصبحت مثلا
واصبح الجيل بعد الجيل يرويها

امنت لما اقمت العدل بينهمو
فنمت نوم قرير العين هانيها

والقائد ينبغي منه أن يكون عادلا مع من يدير شئونهم ويتولى امرهم ، وذلك باتباع الميسور لهم ، وترك التسلط والقهر بالقوة ، ويقيم العدل فيهم ، قريبهم وبعيدهم ، غنيهم وفقيرهم ، وأن يكونوا عنده في هذا سواء . ويكون لهم مثلا أعلى في معاملته لهم ، فيعاملهم بالانصاف فهو كالقلب من الجسد اذا صلح صلح من يعمل معه .

وعن يزيد بن أبي سفيان ، قال : قال لي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حين بعثني الى الشام ، : يايزيد ، ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم ، بالامارة . وذلك اكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم)(١)

وليس من العدل أن يتولى المرء أمرا من الامور ثم هو لا يتعرف دقائق هذا العمل ، ولا يحيط بظروف العاملين معه ، فمنهم من تلم به ملمة أو تنزل به نازلة فهو يحتاج الى أن يعينه عليه ، ومن الظلم أن نترك الناس ، وقد تولينا أمورهم ، يعيشون في ضيق ، ويعطون تحت ظروف اليأس والقلق والاضطراب ، فمن العدل أن تتعرف على أدوائهم ، وتوفر لهم ما يخفف آلامهم وتمحو بقدر الاستطاعة بؤسهم وشقاءهم :

ومن اغاث البائس الملهوفا
أغاثه الله اذا أخيفا

قد قضت العقول أن الشفقة
على العدو والصديق صدقه

قالوا : انه لما رجع (عمر) « رضى الله عنه » من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ، ليتعرف ويتفقد أحوال الرعية ، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها ، فقالت له : ياهذا ما فعل عمر قال : قد أقبل من الشام سالما ، فقالت : لا جزاه الله خيرا قال : ولم ؟ قالت ؛ لأنه والله ما نالني

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

من عطائه منذ تولى أمر المسلمين دينار ولا درهم . قال : وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع .

فقالت : سبحان الله ، والله ماظننت أن احدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها ، فبكى عمر (رضى الله عنه).

وقال واعمراه « كل أحد أفقه منك ياعمر حتى العجائز » .

ثم قال لها : ياأمة الله ، بكم تبيعيني ظلامتك من عمر ، فانى أرحمه من النار ؟

فقالت لا تستهزىء بنا يرحمك الله .

فقال : لست بهزاء ، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا ، فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود (رضى الله عنهما) .

فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت العجوز يدها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه .

فقال لها عمر : ما عليك يرحمك الله ، ثم طلب رقعة جلد يكتب بها ، فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته ، وكتب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما اشترى به عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عند وقوفه فى الحشر بين يدى الله تعالى فعمر منه برىء ، شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفع الكتاب اليهما ، وقال : ان مت فليجعل فى كفنى ، ألقى به ربى عز وجل .

هكذا يكون العدل ، وهكذا يكون العلماء العاملون .

قال الله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (١) .

* والقرآن يقرر أن من غايات انزال الكتب وارسال الرسل ، هو اقامة العدل والحق فى الأرض قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » (٢) .

قال قتادة ومجاهد : الميزان : العدل ، وسمى العدل ميزانا لأن الميزان آلة الانصاف والتسوية ، وعبر عن العدالة بالميزان لأن العدالة من أثرها الانصاف والتسوية ، ومن لا ينصف يظلم ، ومن ظلم فقد خسر الدنيا والآخرة .

يقول الامام على (رضى الله عنه) (أنصف الله ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فانك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان الله حربا عليه حتى ينزع أو يتوب » .

وفى العدل رضا الجماعة ، يقول على كرم الله وجهه » .

(وليكن أحب الأمور اليك أوسطها فى الحق ، وأعمها فى العدل ، وأجمعها لرضا الرعية ، فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وان سخط

(١) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) آية ٢٥ من سورة الحديد .

الخاصة يمتزج مع رضا الجماعة » .

٨ ــ المناقشة والحوار :

على القائد أن يفتح صدره للعاملين معه ، ولا يلقى اليهم الأوامر ، ويفرض عليهم الأمور دون مناقشة أو ابداء رأى بل لابد له في بعض الأمور التى لا تكون واضحة أو تحتمل أكثر من وجه ، من أن تعرض على بساط المناقشة والحوار المبنيين على الاقتناع بالحسنى : قال تعالى :

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١) .

والقائد الناجح يخصص وقتا للاجتماع بالعاملين معه ، يناقشهم في الأمور التى يرى أنها تهم العمل ، وتهم العاملين ، يجلس اليهم ، ويستمع منهم ، ويستمعون اليه ، يناقشهم في حوار مفتوح ، يجلسون على بساط المودة والمرة ، يبحثون جميعا عن الحل الأمثل ، والرأى الأفضل ، من غير نظر الى صاحبه ، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها اينما وجدها .

ولا يوحى القائد برأى معين ، ولا يحيط مجلسه بجو من الرهبة ولا يحول المناقشة الى مجاملة أو مداهنة ، فان ذلك مفسدة للرأى ، ومضيعة للحقيقة ، ويجعل الآراء الحرة حبيسة .

والأب في بيته قائد أسرة ، يدير أحوالها ، ويسوس أمورها فينبغى أن يخصص جزءا من وقته لمناقشة أولاده ، واجراء حوار معهم ، فيما يعترضهم من مشكلات ، ويخامرهم من أفكار فان الأبناء « وهم فلذ قلوبنا » في حاجة الى هذا الحوار .

وتلك المناقشة ، تنمى فيهم الفكرة ، وتدربهم على حسن التعبير وتربى فيهم القدرة على ابداء الرأى ، وتعطيهم فرصة لعرض مشكلاتهم على من يحسنون التوجيه عن طريق الاقناع عن حب ورضى وارتياح .

ومن المناقشة والحوار ، المطبوع بالحب والعطف والتوجيه ، يجد الأبناء حلا لمشكلاتهم ، التى لو تركت للجأ الأبناء الى مناقشتها مع الزملاء الذين تنقصهم الخبرة ، فيسلكون بهم الطريق المعوج ، ويوجهونهم توجيها غير مرضى فيتعرضون للانحراف ، ويتفاقم الأمر ، ويقع الأبناء مع الآباء في منازعات ومحاورات لا جدوى منها ، وقد تؤدى الى كثير من الأضرار .

ان اغلاق الأبواب أمام الأبناء ، أو ترك الحبل على الغارب وما يبديه بعض الآباء من الغلظة والقسوة باستمرار والظهور أمام الأولاد دائما بمظهر الآمر الناهى ، لا محل لمناقشته ، ولا مجال لمجالسته ؛ لأن ذلك في رأيه ينقص من هيبته ، ويقلل من سيطرته ، ويفقده سلطانه .

وبعض الآباء يتعللون بأنهم مشغولون بالعمل ، وأنهم مجهدون وأن أعباء الحياة أصبحت ثقيلة ، وليس عندهم من الفراغ

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

ما يمكنهم من الجلوس مع أولادهم بعض الوقت يقضونه فى المحاورة والمناقشة وحل المشكلات وعرض الحلول والتوجيهات .

ولعل الآباء (وهم عادة مسئولون عن أولادهم) أن يدركوا أن ما يقضونه مع أولادهم ، ليس من الوقت الضائع ، بل هو أثمن هدية يقدمها الآباء للأبناء ، ولعل ما يقضونه من وقت مع أولادهم فى المناقشة والحوار يوفر عليهم كثيرا من الأوقات التى تضيع فى التفكير والهم من اهمال الأبناء .

والقائد الذى تتوافر فيه هذه الصفات له حق الطاعة على الجماعة فقد شمل العاملين بكل ما تستلزمه القيادة من رعاية ، ومن كان شأنه ذلك وجبت طاعته ، ومن لزم الطاعة حقت له الرعاية قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**) (١) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لا نبى بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون » قالوا فما تأمرنا . فوبيعتهم (٢) الأول فالأول ، ثم أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم) (٣) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « من يرى منكم من أميره شيئا فكرهه ، فليصبر ، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » (٤) وفى رواية أخرى (من فارق الجماعة قدر شبر ، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه) (٥) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » (٦) .

وبجانب ذلك توجد مقومات لقيادة وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، كما دعا اليها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أكثر من حديث ، وكلها توضح طبيعة العلاقة بين الراعى والرعية ، والقائد ومرؤوسيه وهى تقوم على أساس اسلام الوجه لله ، والمساواة بين الناس فى الحقوق والوجبات ، وتحث على العمل والنفع العام .

وهناك « مجموعة الوثائق السياسية » (٧) التى تضم العهود التى عقدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتوجيهاته لرسله الى مختلف الجماعات الاسلامية ورسائله الى رؤساء القبائل العربية ، وعظماء الممالك الأجنبية المجاورة « من فرس وروم وغيرهما » كما تضم طائفة من وثائق عصر الخلفاء الراشدين.

(جـ) وثيقتان فى تاريخ الادارة الاسلامية :

ومن الوثائق الهامة كتابان مشهوران فى تاريخ الادارة الاسلامية :

أولها : ما كتب به الامام على (رضى الله عنه) الى « مالك بن الحارث الأشتر النخعى » حين أرسله واليا على مصر ، وقد جاء به

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) فو = اى : وفوابها .
(٣) رواه احمد .
(٤) اخرجه البخارى عن ابن عباس .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه مسلم عن عرفجة .
(٧) فى سنة ١٩٤١ نشر الباحث الهندى

تفصيل لمقومات القيادة في الاسلام (١) .

وثانيهما : ما كتبه « أبو الطيب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون (الرقة ، ومصر وما بينهما) فكتب اليه أبوه « طاهر » كتابه المشهور عهد اليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه » (٢) .

وبما أن الوثيقتين (الكتابين) متشابهان في موضوعهما ، فكلتاهما عهد موجه الى وال على عمالة كبيرة من عمالات الدول الاسلامية وكلتاهما تحاول أن ترسم منهجا للوالي في سلوكه الشخصي ، ونظامه في الادارة والحكم ، واختياره لأعوانه ، وصلاته بوظائف الرعية ، لذلك سنقتصر على أهم ما ورد في الوثيقة الأولى وعلى ما يتصل بموضوع القيادة اتصالا وثيقا .

الوثيقة الأولى :

منشىء الرسالة : هو الامام على (كرم الله وجهه) أحد الخلفاء الراشدين ، وابن عم الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) ، وزوج ابنته ، وأحد كتاب وحيه ، شب في حجر الدعوة ، فثقف أسرارها وأهدافها ، وروى من معينها الصافي منذ صباه ، وشهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) مواقع الحروب في الاسلام ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان نموذجا في بلاغته كما كان نموذجا في بطولته .

ومما ورد في كتابه بعد أن حدد في مستهله معالم المهمة التي عهد بها الى واليه الجديد على مصر رسم الخطوط الرئيسية لشخصية الوالي المسلم ، وسلوكه وصلاته بالناس يقول :

(أملك هواك ، وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم واللطف بهم) ويقول :

(واياك ومساواة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فانه يذل كل جبار ، وأنصف الله وأنصف الناس من نفسك ثم يقول :

(وانما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الامة ، فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس ، وأطلق من الناس عقدة كل حقد ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فان الساعي غاش ، وان تشبه بالناصحين .

ويقول : (ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء واعلم أنه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم ، وتخفيفه المؤونة عنهم) .

بهذا يحدد الامام صفات الوالي النموذجي في شخصه .

= (محمد حميد الله الحيدر آباد) في القاهرة كتابان بهذا العنوان .

(١) هذه الوثيقة وذلك الكتاب وارد بنصه في كتاب نهج البلاغة الذى جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا الامام على كرم الله وجهه .

(٢) هذه الوثيقة أوردها (ابن خلدون) في مقدمته في الفصل الذى عقده للكلام على أن العمران البشري لابد له من سياسة ينتظم بها أمره .

وما يجب أن يكون عليه موقفه من الرعية عامة ، والصفات التى ينبغى أن يتطلبها فى أعوانه ومستشاريه ، والامام يؤيد كل توجيه بايراد سره وحكمته من طبائع النفوس وظواهر الاجتماع .

ويوجه الامام عناية خاصة الى الفقراء والضعفاء ، ويدعو الى « سياسة الباب المفتوح » والاتصال بالرعية ، ورعاية الفئة المحدودة المورد ، أو العاجزة عن الكسب ، فيقول :

(وافرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم ، وحالاتهم اليك ، لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم ، وأكثر الاذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم حواسك ، واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ، وألن لهم فى المسألة ، واعطف عليهم بجودك وفضلك .

« وأما بعد » فلا تطيلن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور .

ويدعو الى تقدير الأمور وعدم العجلة فيها فيقول :

واياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، والتسلط فيها عند امكانها ، واللجاجة فيها اذا تنكرت ، أو الوهن عنها اذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل عمل موقعه .

والقسم الرئيسى من رسالة الامام الى عامله يتناول أمورا عامة تعين العامل على النجاح . منها :

فورية الانجاز بأن يحرص على اصدار حاجات الناس يوم ورودها ، وأن يمضى لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه .

وأن يحول بين بطانته وخاصته وبين ما يتحرفون اليه من استئثار وتطاول وقلة انصاف فى المعاملة .

وأن يظهر للرعية بعذره ان ظنوا به حيفا ، والا يدفعن صلحا دعاه اليه عدوه ولله فيه رضا .

يقول (رضى الله عنه) وافرغ عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فان فى الغد أمورا ، وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه ، واذا أخرت عمله ، اجتمع عليك أمر يومين ، فيشغلك ذلك حين تعرض له ، فاذا امضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك ، وبذلك أحكمت أمور سلطانك .

هذه الرسالة فى الحكم والادارة وما ماثلها من توجيهات للامام وللصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين ، كلها نبع من المعين الأول ، الذى فجرته آيات القرآن الكريم وسنة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه وعلى

آله وصحبه أجمعين .

وهى تكشف عن الاتجاه الاسلامى العام فى سياسة الرعية وعلى وجوب تحلى القائد بالصفات النبيلة التى دعا اليها الاسلام ، وهذه الصفات لو تجمعت فى قائد لارتقت ادارته أو منظمته أو المجتمع الذى يرعاه ويشرف عليه لأدى الى نجاح منقطع النظير ، والى هذه المقومات فى القيادة الاسلامية يرجع السر فى النجاح الذى حققته البشرية فى عصورها الذهبية والذى يمكن أن تحققه فى تاريخها الحديث اذا حافظت عليها واستمسكت بها.

* ونرجو أن يعطى هذا الجانب من البحث فكرة عن القيادة الحقيقية التى رسمها الاسلام لتكون ضوءا يستضاء به فى تربية الشباب وعونا لمن يعدون ويدربون لتولى الشئون العامة ، والاشراف عليها ووضعها موضع التطبيق الفعلى فى سياسة الأفراد ، وقيادة الجماعات ، حتى تصل الأمة الى ما يرجوه لها كل مخلص لدينه وأمته .

(د) الاسلام أكثر تفهما لمعنى الشخصية القيادية :

ان الاسلام أكثر تفهما لمعنى الشخصية ذات القيادة الادارية وقد ذكرنا أهم مقومات القيادة الصالحة ، والادارة الناجحة فى الاسلام وربما تبدو الصعوبة فى تحقيقها ، وقد يكون حملها ثقيلا ، ولكن الرجال المؤمنين هم الذين يتحملون الصعاب ، ويؤمنون بالمستقبل ويقبلون على العمل بصدر رحب ، لا يخافون من شىء ، وكيف يخافون وعندهم الطمأنينة ، ولديهم كتاب الله فيه الهدى والرشاد ؟ . لا يخشون فى سبيل الواجب أحدا وكيف يخشون ومعهم الله ؟

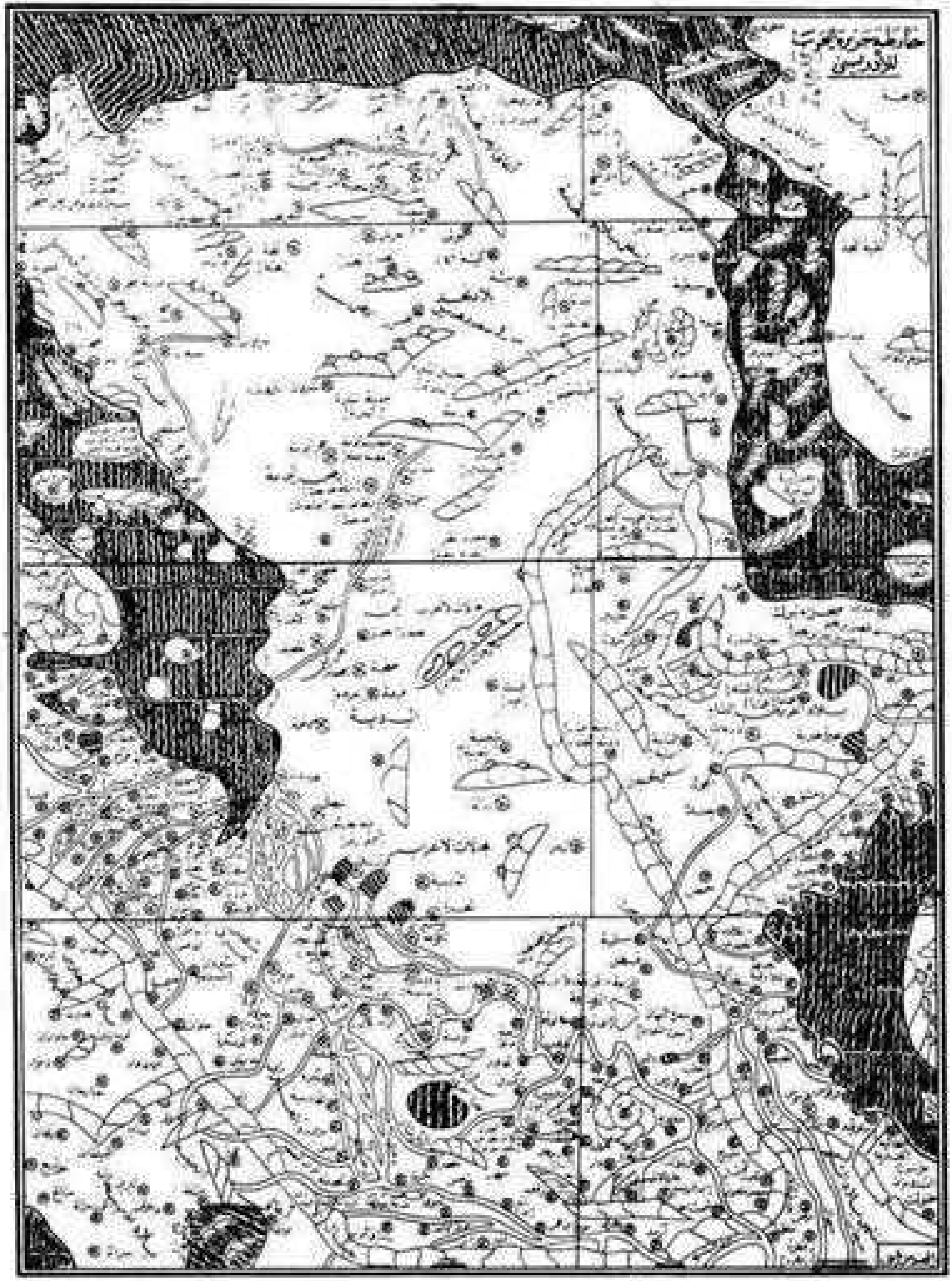
انهم يندفعون الى العمل ، وهم على يقين أنهم سينتصرون رغم ما يلاقون من نصب وجهد وألم !! ، انه نصب وجهد وألم ، ولكنه شهادة على الثقة فى الله ، وبيان عن أصالة الجوهر ، ودليل على صفاء الطوية ، وبرهان على أن المسلم لا تكون أثقاله من دنياه أثقالا على نفسه ، بل تكون له أسباب قوة ، وزيادة يقين وايمان ، وطريقا الى أسمى غاية وهى النصر (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ) .

هذه هى أهم مقومات القيادة فى ضوء تعاليم الاسلام ، عل من يتدبرها ممن يتصدون للقيادة أن يجد فيها ما ينير له الطريق ، ويأخذ بيده الى قيادة أفضل ، ويحقق له ولمجتمعه النجاح .

ولعلى فى هذه العجالة اكون قد أوضحت الفكرة التى قصدت اليها وهى أن الاسلام أكثر تفهما للشخصية السوية ، وأسبق تعرفا على القيادة الرشيدة فى مجال الحكم والسياسة والنواحى الادارية .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب ..

محمد صابر البرديسى
مجمع البحوث الاسلامية



خارطة جزيرة العرب : خارطة الشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ١١٦٤ م نقلت من الخارطة الاصلية التي جمع أجزاءها المفرقة العالم المستشرق الالماني (كونراد ملر) وقد روعي في النقل الامانة والمحافظة على شكلها الاصلي المقلوب على الطريقة العربية القديمة . ان الشمال فيها يقع اسفل الخريطة والجنوب اعلاها .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الشيخ

كامل محمد حسن

وكيل كلية اللغة العربية السابق

لست بسبيل التعريف بفضيلة الاستاذ الشيخ كامل محمد حسن فهو غنى عن ان اذكيه بكلمة ، وليس بين رجال الازهر وطلابه فى رحاب العلم الواسعة من يجهل اسم استاذنا أو من لم يقرأ له مقالا أو فصلا من فصول المعرفة ، وفى قاعات الازهر ومحافله له نصيب وافر وسهم نافذ .

غير أنى لا أجد مندوحة عن الم بأطراف حياته بما يقرب تناوله ويطيب جناه بقدر ما يسمح به المقام .

ولد — رحمه الله — فى السادس من يونيو عام ١٨٩٦ م فى قرية السعودية مركز العياط محافظة الجيزة ، وتلقى تعليمه فى الازهر وتخرج فيه عام ١٩٢٥ .

ونال الشهادة الأولية وكان ترتيبه فيها الثانى .

والشهادة الثانوية وكان ترتيبه فيها السابع والشهادة العالمية وكان ترتيبه فيها الثالث .

وكان قد تقدم لمسابقة العلوم الحديثة ونجح فيها وقام بتدريس الحساب والعلوم والجغرافيا . وألف كتابا فى الوضع لطلبة كلية اللغة العربية ، وأهداه لهم بلا مقابل .

مناصبه العلمية :

عين فى معهد طنطا الدينى فور تخرجه عام ١٩٢٥ — ثم نقل الى معهد دسوق عام ١٩٣٢ وظل ينتقل فى سلك التدريس حتى صار وكيلا لكلية اللغة العربية — جامعة الازهر عام ١٩٤٩



للأستاذ /
محمود عبد الرازق عقباوي

وظل يشغل هذا المنصب الى سن التقاعد في ١٦ من يونيو ١٩٦٠ ، ووافاه أجله في أول رمضان ١٣٨٩ هـ الموافق للحادي عشر من نوفمبر ١٩٦٩ .

مجالسه العلمية :

وكانت له مجالس علمية ، ومنها مجلس حظيت فيه بنادرة ، فقد كنت بزيارته بمنزله بحدائق حلوان فسألته عن فتوى الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في جواز التعامل مع البنوك وأخذ أرباحها فقال لي أستاذنا الشيخ كامل : لقد قلت له : يامولانا هذه الفتوى في عنقك وستتحملها أمام الله يوم القيامة فقال لي : ياشيخ كامل « انا ألغيت هذه الفتوى وأرسلت الى الصحف بذلك وكان ذلك قبل انشاء البنوك الاسلامية (١) .

موقفـــه

كانت حياته تمتلىء بمظاهر الانتماء الى الازهر الشريف معقل الدين وحصن اللغة ذلك المعهد الذي أذاب فيه حياته وأفنى عمره خادما لمتفانيا في سبيل رقيه والعمل على انهاضه يدفع عنه ظلمة ويدرأ عادية ويقهر عدوا ، يتحدث بعاطفة صادقة ملتهبة اذا رأى مايخالف الدين ولو كان في ذلك حتفه . ويثور اذا ما رأى باطلا أو فرية دخيلة على الدين .

وكتب مقالا في مجلة الاعتصام عدد جمادى

٩

---

(١) اشهد الله انى سمعت مباشرة من الشيخ عبد الرحيم فوده ـــ رحمه الله ـــ برجوع فضيلة الامام الاكبر الشيخ شلتوت عن فتوى له فى الربا فى واقعة زيارة له ويعلم بذلك فضيلة الشيخ فوزى بركات ـ رحمه الله ـ ايضا وان الامام ـ رحمه الله ـ ابدى رغبته صريحة فى رفعها من كتابه ؟ على الخطيب

من أعلام الأزهر

الأولى سنة ١٣٨٨ هـ ــ أكتوبر سنة ١٩٦١ ص ٣ بعنوان (هل ينتقل الأزهر الشريف الى وطن آخر غير مصر) ؟

جاء فيه :

« للأزهر ماض مجيد عزت به مصر دهرا طويلا ، وقد شاء الله أن يعمر فيها أكثر من الف سنة ، وهو يؤدى للعالم الاسلامى رسالته الدينية وما يتصل بها من دراسات عميقة فى الثقافة العربية التى تخدم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وبذلك كان الازهر للعالم الاسلامى كالماء يسوقه الله الى الارض الجرز فتحيا به بعد موتها وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

ولقد كسبت مصر فى ظل الازهر زعامة البلاد الاسلامية وهو الذى جعلها موضع الانظار فيما أفادته من المعارف الدينية والخدمات الوطنية وتوثيق الروابط بينهما وبين جميع الاقطار الاسلامية عن طريق البعثات التى يرسلها والتى تفد اليه للتزود من علومه ومعارفه عن رغبة ملحة ليتفقهوا فى دينهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، تلك المكاسب الدينية والاجتماعية هى التى رفعت من شأن مصر حتى انطلق بعض ذوى الشأن فى بلاد الحجاز بالقول المأثور « ان فى بلادنا الكعبة المشرفة والقبر النبوى ولم نكسب ماكسبته مصر فى ظل الازهر .... وقديما كانت الصلة قوية بين الحكام والعلماء وكان ما يتصل بالدين موضع العناية والرعاية من الجميع فتجاوب ولاة الأمور مع علمائهم ومكن لرجال الدين فى ظل سلطانهم وبذلك صلحت المجتمعات وطبقت مبادىء الدين القويمة بين الافراد والجماعات ومصداق ذلك قول الرسول الحكيم ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ

« صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس كلهم واذا فسدا فسد الناس كلهم : العلماء والامراء » .

هكذا كان الازهر فى ماضيه فكسبت مصر زعامتها فى ظله وهكذا امتد به الزمن الطويل وهو يؤدى رسالته حتى شهدت له قضية البقاء للأصلح فصمد قويا لم تضعف هيبته أمام التيارات الالحادية ــ بل عاش للدين والدنيا وكان للعالم عنوان الهداية والرشاد وكان للعلماء صولة وجهاد وكانت لهم الكلمة المسموعة النافذة فى كل واد »

اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة

وان دعوا قالت الأيام آمينا

حقا ما قاله أستاذنا فمن نعم الله سبحانه وتعالى على الأجيال أن تفيض لها علماء مصلحين ينشرون الدين بالمقال والحال وهؤلاء هم خلفاء الله فى أرضه والدعاة لدينه وهم لازمون لعلاج أدواء الروح لزوم الأطباء لعلاج أدواء الجسد وموقعهم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها على الأعداء يبطشون .

والحمد لله حفظ الله للازهر مكانته وصبغته حتى بقى هذا العهد الجديد شمسا زاهية وضاءة تبعث الحياة الروحية فى قلوب المسلمين ويبقى لمصر الاسلام والعزة والفخار بين العالمين .

وقال من محاضرة القاها فضيلته بقاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى (١) تحت عنوان (أهداف الرسالة الاسلامية وبيان الصلة بين رسالة الأزهر ورسالة نبى الاسلام) .

« ثلاث وعشرون قضاها نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه فى جهاد وجلاد فى سبيل الدعوة الى الله وقد بدأ تاريخ هذا الجهاد النبوى من يوم أن وجه الله الخطاب لنبيه بقوله « يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ولم يزل يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وقد أتم الله عليه وعلى المسلمين نعمة الايمان والاسلام وامتن عليهم فى نهاية الامر بقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١) وان من يستعرض سيرة رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يلتمس فيها أهداف رسالته التى بعث من أجلها وقد حققها الله له بعد جهاد طويل أمكنه أن يحصرها فى أمور ثلاثة .

أ ـ اصلاح العباد فيما بينهم وبين ربهم .

ب ـ اصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه

جـ ـ اصلاح حال المجتمع الاسلامى .

وواجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذى يعيش فيه تلك أهداف ثلاثة يرتبط بعضها ببعض ، وأولها يعتبر أساسا لثانيها ، وثالثها وسعادة العبد فى دنياه وآخرته لا تتم الا بتحقيق هذه الاهداف .

واذا كان الاسلام دين قوة وعزة فان مظهر تلك القوة وهذه العزة متصل تمام الاتصال بقوة المجتمع وعزته ومبلغ تمسكه بمبادىء دينه .

وعن الهدف الاول يقول رحمه الله .

(واذا أراد المسلم أن يعرف من أين يبدأ عمله فان له برسول الله أسوة حسنة ، فقد بدأ عمله بتحقيق الهدف الاول وهو : اصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم وذلك بتصحيح عقائدهم أولا وتطهير قلوبهم من دنس الشرك وظلام الالحاد والوثنية حتى يؤمنوا بالله عن بينة ويصدروا أعمالهم عن ايمان صادق وتوحيد خالص وعقيدة ثابتة تقوم بالاشراف على أعمالهم حتى تصادف المنهج النبوى ، فان القلوب اذا أخلصت والنفوس اذا صفت زال عنها الحجب وصلحت للمدد الالهى وكان الله لأصحاب تلك القلوب عونا فى كل شدة وآخذا بيدهم عند المحنة وهاديا لهم الى سواء السبيل .

وعن الهدف الثانى يقول « واذا عرف المسلم من أين يبدأ العمل وعرف أن الاساس الذى

◄

(١) القيت مساء الثلاثاء غرة جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ الاول من ديسمبر ١٩٥٩ م الدورة الاولى الموسم الثقافى الثانى للمحاضرات العامة ١٣٧٩ ـ ١٩٦٠ وطبعتها « مطبعة الازهر » .

(١) المائدة ٣ .

من أعلام الأزهر

تبنى عليه الاعمال هو اصلاح القلوب وتطهير النفوس وصدق الايمان أدرك أن القلوب المؤمنة ينبعث منها نور العقلية الانسانية الراجحة ، وأن النفوس الصافية تنبت فى ظلها شجرة الضمائر الاسلامية الواعية وأن القلوب اذا عمرت بالايمان قامت منها رقابة دينية على ضمير الانسان تقف به عند حدود الله ، فان الرقابة الدينية أوسع مدى من رقابة القوانين الوضعية لأنها تربط القلوب بعلام الغيوب الذى يعلم السر والنجوى .

الهدف الثالث وهو اصلاح المجتمع وواجب كل فرد فى المجتمع الذى يعيش فيه اذ عنى الاسلام باصلاح المجتمع ، لأن قوة الاسلام وعزته يرتبط مظهرهما بقوة المجتمع وعزته ، فالمجتمع القوى المتماسك بمبادىء دينه يستطيع المناضلة عن وطنه والدفاع عن شرف الأمة الاسلامية ويحقق التعاون المنشود فى السياسة الدينية والشئون الاقتصادية وحسن الانتاج فيما يتطلبه الاعداد المطلوب فى قول الله عز وجل « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** » (١) والمجتمع المتأرجح بين القوة والضعف يهيء بضعفه الفرص السيئة للمتربصين من أعداء الدين .

لذا عنى الاسلام بما يحفظ للمجتمع الاسلامى قوته وعزته وتضافر الكتاب والسنة على وضع المبادىء والآداب الاجتماعية وحث المسلمين على رعايتها والتمسك بها كوسيلة لتوثيق الروابط بين الأفراد والجماعات .

ورثة الرسالة الاسلامية

لقد ورث المسلمون عن نبى الاسلام أعظم رسالة دينية رسمت لهم من مبادىء دينهم ما يصلح شأنهم فى كل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة وأول من استخلفه الله على هذه الرسالة بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه هم الخلفاء الراشدون فكانوا خير من تمسك بها (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (٢) ثم اختار الله لهذه الرسالة فى كل عصر صفوة العلماء ليكونوا حراسا عليها أمناء على تبليغها قائمين على أمرها حتى طلعت شمس هذه الرسالة فى سماء الازهر الشريف فكان هذا المعهد العتيد حصنا للشريعة الاسلامية ومصنا قياما للبلاغة العربية وقد مضى عليه اكثر من ألف عام وهو يضطلع بهذه الرسالة حتى شع نورها على العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها ، وبذلك صار الأزهر كعبة يقصد اليه طلاب البحوث الاسلامية من كل فج .

الصلة بين رسالة الازهر ورسالة نبى الاسلام:

ويقول رحمه الله تعالى « من ذلك ترون أن رسالة الازهر هى رسالة نبى الاسلام ولا ينجح علماء الازهر فى أداء هذه الرسالة الا بما نجح به نبى الاسلام ، والمتتبع للجهاد النبوى والمسلك الذى سلكه فى دعوة الناس الى ربهم، وكيف نجح فى تبليغ دعوته وأداء رسالته يجد قيامها على عاملين هما :

---

(١) الانفال ٦٠ .

(٢) الزمر .

الدعوة القائمة على البيان والارشاد والاقناع أولا .

ثم عامل الجهاد ثانيا .

فقد بدأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسالته بدعوة الناس الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتوجيههم الى النظر في الآيات والآفاق حتى استطاع بحكمته السامية وحجته الباهرة أن يستخلص من الجاهلية الجهلاء أمة اسلامية كانت خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون — وبهذا البيان أخرج الناس من الظلمات الى النور وأوضح لهم معالم الحلال والحرام — وبهذا البيان آمن بالله من آمن عن بينة وحي من حي عن بينة ولكن مع ذلك كله وجد في الناس ما يوجد في كل مجتمع من شذوذ فمنهم من سمع وعرف الحق وعرف الرسول كما يعرفون آباءهم وأبناءهم ولكنهم تخلفوا عن الايمان ولم يتذوقوا حلاوته ولم يكن لهم نصيب من هدى النبوة ومن بين هؤلاء المخالفين قامت طائفة معارضة للدعوة الاسلامية وقفت وراء الحجاب ولم تستجب لله ولرسوله عاندوا وتآمروا على وضع العقبات في سبيل هذه الرسالة وقلب النظام الذى جاء به محمد رسول الاسلام ، وكادت فتنتهم تزلزل هذه الدعوة لولا أن أسعف الله نبيه بالعامل الثانى وهو عامل الجهاد والسلطان فهو الذى يعالج به من لا يخضع للحق ولا يأبه للاقناع بالحجة والبيان لذلك أمر رسول الله بالجهاد ليحمى دعوته من العبث وليؤمن المسلمين على أنفسهم واستقرارهم في أوطانهم وبذلك الجهاد أسعد الله الناس بنعمة الاسلام برغم أنوفهم ولو كره الكافرون .

قام الأزهر اذن لحمل رسالة نبى الاسلام فأدى الامانة العظمى كاملة وكان المشعل القوى الذى يهدى المسلمين الى الصراط السوى .

العوامل التى وقفت عقبة في سبيل رسالة الازهر :

سياسة الاستعمار قام الازهر ضد المستعمرين بثوراته الوطنية القوية المشهورة وبرغم أن الأزهريين عزل من السلاح فقد كانت عقيدتهم الدينية أمضى من سلاح المستعمرين فأتعبوا المستعمر الفرنسى ودوخوا من بعده المستعمر الانجليزى — وكان للازهريين موقفهم المشهور في ثورة ١٩١٩ ومن ذلك التاريخ أيقن المستعمرون أن العقيدة الدينية هى أقوى العوامل في مقاومة الاستعمار اذ أن مبادىء الدين الاسلامى لا تتفق ومبادىء الاستعمار لذا عنى الانجليز بدراسة الازهر فوضعوا التقارير التى ترسم الخطط لتغيير نظام الازهر حتى يخضعوه وقد جاء في بعض تقاريرهم .

« أن تدم انجلترا لا تستقر في مصر مادام الأزهر يدرس هذا الكتاب » يعنى القرآن الكريم وقد ربط اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة » ثبات الاحتلال وتنفيذ سياسة الاستعمار باضعاف الازهر وتغيير نظامه حتى يطغى عليه نظام التعليم المدنى وينصرف الناس عنه ورسم بعض كبار الانجليز خطة لاضعاف الأزهر بحجة توحيد التعليم فيه تحت وصاية المستشار الانجليزى وكأنه استبعد تحقيق هذا

من أعلام الأزهر

الهدف فقال بعد هذا في تقريره « فإذا تعذر هذا الاندماج من جانب الأزهر فيجب رعايته».

الاقلام المأجورة المهجورة

ومما ساعد المستعمر بعض ذوى الاقلام المهجورة فقد كان للاستعمار عملاء يستخدم أقلامهم في كل فرصة للحط من شأن الازهر والنيل من كرامة أهله حتى يهونوا على المجتمع ومحاولة بعضهم توحيد التعليم في بلادنا ولو تم لهم ماأرادوا من توحيد التعليم لألزموا أطفالنا بالتقدم الى مرحلة التعليم الأولى وهم فيما بين السادسة والثامنة وحينئذ لا يوجد واحد من أبناء المسلمين يتفرغ لحفظ القرآن الكريم .

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »

ومن العوامل التى تنفث سمومها ضد الأزهر ومبادىء الدين ما يقوم به بعض المحررين في ذلك العهد في الصحف والمجلات من نشر المقالات المشككة في العقيدة ليضلوا بها أذهان الشباب والعوام الذين يجهلون سر الشريعة وليس لهم من علم يدفعون به الشبهات فينتهزون الفرص لنشر مقالات تشكك في وجود الله وتسألهم من الشباب الجاهل هل تعتقد صحة البعث والحساب ؟ وأنك تحيا بعد ان تموت ؟ وكثيرا مايدعو بعض المحررين الى الاختلاط ونشر الصور العارية المغرية على الفساد ، ومن المؤلم أن هذه الصحف وتلك المجلات تعرض عن نشر المقالات الدينية الداعية الى التمسك بمبادىء الشريعة وتفسح صدرها للهدامين فأصبحت بعض المجلات الدينية هي المجال لمن أراد أن يكتب من العلماء وهى قليلة وقراؤها من الجمهور قليلون — ومن هنا كثر اللوم على العلماء كلما رأى الناس هذه المنكرات منتشرة في كل مكان ولكن لهذه العوامل ولغيرها نجد أن لوم العلماء لا محل له فإن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن وان كان على العلماء أن يضاعفوا من جهودهم في سبيل الله والدعوة الى الفضائل .

رحم الله أستاذنا فما فرط في جلاده عن الازهر يوما ولا تسمح فترة في أن ينال منه أحد منالا ولا فترت له في الدفاع عنه همة وقد جهر بكلمته ليوقظ رجال الازهر لرفع الغشاوة عن عيونهم ليكون الازهر داعى العلم ورائد الرقى وحبث الحركة فهو النفيسة والكنز الثمين فان أضعنا الفائدة منه كنا كمن رجع بصفقة المغبون .

ادى شيخنا الرسالة الواجبة عليه في دوائر العلم بحصيلة عظيمة من الثقافة العالية التى ألم بها في سن مبكرة ببصيرته النافذة التى تقول : هذا حلال وهذا حرام وتبنى على ضوئها الاحكام وبماينشده من يقظة شاملة وبديهة واعية عن نفس عازفة عن ضجيج الاعلان وطنطنة الظهور — وبهذا عاش في أزهرنا معزز المكانة أثير المحل وبقيت أعماله زادا وعتادا .

محمود عبد الرازق عقباوى

الفلسفة والإعلام

وسائل الإعلام

المجتمع الإسلامي

في التليفزيون

وسائل الاعلام :

المجتمع الاسلامي في التليفزيون

لئن كان الاستعمار والصهيونية ، وجميع القوى المعادية للاسلام ـ قد سخروا وسائل الاعلام لحرب الاسلام .

ولئن كانت هذه الدوائر المعادية للاسلام قد استخدمت « السينما والتليفزيون » استخداما خبيثا حتى ان برامج الأطفال فى « التليفزيون » لم تسلم من عبثهم .

لئن كانوا جميعا يفعلون هذا كله .. ، فان من واجبنا ـ نحن المسلمين ـ ان ننبه لهذا اللون من الدعايات وان ننتبه لهذه المداخل التى ينفثون سمومهم من خلالها ، وان نحفظ وسائل الاعلام العاملة فى المجتمع الاسلامى من شرور هذه الدوائر المعادية للمسلمين والاسلام .. !

ومن واجبنا أن نشغل أنفسنا باصلاح وسائل اعلامنا ووضعها على الطريق السوى الذى يفيدها ويفيد المجتمع .. بدلا من كونها فى واد وواقع حياة المجتمعات الاسلامية فى واد آخر .. !

ونحن نسأل .. أليس من واجب المسلمين ـ وهم على حالتهم التى نراها ـ أن ينتبهوا الى أهمية « الفيلم » التليفزيونى « والبرنامج الدرامى » ، ويستخدموه كسلاح من أجل اسلامهم ؟

ان اليهودية تدافع عن نفسها بشتى الطرق .

والصليبية تفعل نفس الشيء .. ولعلنا نذكر أفلاما لهم مثل « الرداء » و « الوصايا

للأستاذ حسن علي العنيسي

العشر » و « بن هور » ٠٠ !

واذا نظرنا الى ما نفعله نحن بتاريخنا الاسلامي في المسلسلات لوجدنا عجبا ٠٠ وتزويرا وتشويها لا يجرؤ أعداء الاسلام على فعله ، كما نفعل ٠٠ !! ولهذا نقدم هذه الدراسة تشتمل على الاطار التالي : —

١ — لمحة سريعة عن تاريخ دخول « التليفزيون » بلاد المسلمين ٠

٢ — واقع المجتمع الاسلامي وحاجته الى التليفزيون ٠

٣ — المضمون الاعلامي الذي يقدمه التليفزيون ومدى ملاءمته لواقع المجتمع الاسلامي ٠

٤ — تليفزيون يعبر عن واقع المجتمع الاسلامي ٠٠ كيف ؟ ولماذا ؟

٥ — خاتمة ٠

دخول التليفزيون الوطن الاسلامي : —

بداية أود أن أشير الى انتشار التليفزيون في كافة أنحاء العالم ، ثم بعد ذلك أقدم الوطن الاسلامي على وجه الخصوص لتكتمل الصورة أمام القارىء ٠

١ — ينتشر التليفزيون — الآن في جميع بلاد العالم تقريبا خلا بعض بلاد أفريقيا ودويلات في آسيا ، بينما يبسط ارساله الآن على حوالي (١٣٣) دولة من دول العالم ٠٠ وقد وصل عدد أجهزة الاستقبال — حسب آخر الاحصاءات في العالم — نحو ٣٦٦ مليون جهاز استقبال ، بمعدل ١١٧ جهاز لكل ١٠٠٠ ألف نسمة ويوجد الآن جهاز تليفزيون لكل ٤ أشخاص في دول أوربا والاتحاد السوفيتي ، وجهاز واحد لكل ١٢ شخصا في أمريكا ، وجهاز واحد لكل ٤٠ شخصا في البلاد العربية وآسيا ، وجهاز واحد لكل ٥٠٠ شخص في أفريقيا (١) ٠

هذه الأرقام تؤكد لنا حقيقة هامة وبخاصة في مدى اعتماد الدول التي ترتكز في سياساتها على أساس (أيديولوجي) ففي الاتحاد السوفيتي لكل أربعة أفراد جهاز تليفزيوني فضلا عن نوادي الاستماع والمشاهدة الجماعية وذلك لتأكيد مبادىء الشيوعية وحمل رجل الشارع العادي على الاعتقاد بها ٠

٢ — واذا ما انتقلنا الى بلاد العالم الاسلامي — نجد أن أول دولة بدأ بها « البث التليفزيوني » كانت الجزائر في عام ١٩٥٦ ثم تلتها العراق في ١٩٥٨ ثم مصر وسوريا في عهد الوحدة عام ١٩٦٠ ٠٠ (١) ثم بقية بلاد

(١) الفن الاذاعي — العدد ٩٦ ، السنة ٢٦ — يناير ١٩٨٢ ، ص ٩ ٠

(١) ماجي الحلواني — الاذاعات العربية — القاهرة ١٩٨٠ ٠

العالم العربي ففي ١٩٦٢ أقامته السودان وفي ١٩٦٤ أنشأه اليمن فالسعودية عام ١٩٦٥ وهكذا حتى كانت آخر الدول العربية امارة عمان في نوفمبر ١٩٧٤ ونظرا لأن تكاليف اعداد « التليفزيون » بأية دولة باهظة جدا .. فقد جاء متأخرا عن « الراديو » بكثير فانه يحتاج الى استوديوهات ضخمة في « الدراما » على وجه الخصوص ،ويحتاج الى معدات مكلفة ، الى جانب غلاء ثمن أجهزة الاستقبال . ومعظم بلاد المسلمين تقع في عداد الدول الفقيرة . وبالتالي فان متوسط دخل الفرد لم يكن يساعده على شراء جهاز استقبال « تليفزيوني » (١) .

هذا . فضلا عن تكاليف الصيانة لهذه الأجهزة ، وتكاليف البرامج ، الى جانب التشغيل وادارة محطات الارسال مما يحتاج الى (كوادر) مؤهلة سواء في الجانب الفني أم الاعلامي وهو ما لم يكن متوفرا في بلاد المسلمين — آنذاك .

واذا كان عدد أجهزة الاستقبال في العالم الآن نحو ٣٦٦ مليون جهاز تقريبا فان عدد أجهزة « التليفزيون » في البلاد الاسلامية جمعاء نحو ٤٠ مليون جهاز أو أكثر قليلا يشاهده حوالي مليار مسلم وهو عدد المسلمين في العالم (٢) .

ولما كان معظم بلاد المسلمين يقع في قارتي آسيا وأفريقيا فان متوسط عدد الأجهزة في آسيا والبلاد العربية جهاز واحد لكل ٤٠ شخصا وهي نسبة تبدو معقولة اذا توافر الى جانبها نوادي المشاهدة الجماعية ، كذلك يوجد في بلاد العالم الاسلامي حوالي (٢٣٩) محطة ارسال تليفزيوني ، وحوالي ٧٨ محطة تقوية (٣) منتشرة في أرجاء الوطن الاسلامي.

وينتشر هذا الكم من أجهزة الارسال والاستقبال في أرجاء هذا الوطن على مساحة قدرها ١٥,٠٠٠ كم تقريبا ممتدة من روسيا والصين شرقا حتى المحيط الاطلنطي غربا وتوجه ارسالها الى مليار مسلم في الوطن الاسلامي .

ولكـــن ..

الى أي مدى يحتاج المجتمع الاسلامي الى هذا الكم من أجهزة الارسال والاستقبال؟ وهل يلائم واقع المسلمين ما تقدمه أجهزة التليفزيون الى المسلمين .. ؟!

وما مدى حاجة المجتمع الاسلامي الى هذه الأجهزة .

هذه الاستفهامات وما توالد منها تطرح نفسها أمام الباحث .. !!

---

(١) المعروف أن الارسال التليفزيوني بدأ في العالم عقب الحرب العالمية الثانية ، وانتشر قبل ذلك على نطاق ضيق في لندن في ١٩٣٦ بينما أول دول عربية دخلها كان في ١٩٥٦ أي بعد مضي عشرين سنة على ظهور التليفزيون في العالم .. !

(٢) ماجي الحلواني — المرجع السابق .

(٣) ماجي الحلواني — نفس المصدر .

* واقع المجتمع الاسلامي .. والبث « التليفزيوني » : ـ

في الحق ان واقع المجتمع الاسلامي لايسر، ولا يرضى أى مسلم يعلم علم اليقين أن العزة

جزء من عقيدته وكيانه .. والحديث عن واقع المجتمع المسلم في أى شيء يثير القلق .

* ان اشارة الى بعض هذا الواقع المتصل بالجانب الاعلامي توضح الصورة أمام من يريد الاصلاح ، أو يرغب في التقويم .. واليك هذه الصورة : ـ

* وسائل الاعلام الحديثة وبالتحديد « الراديو » و « التليفزيون » و « السينما » و « المسرح » و « الفيديو » و « الكاسيت » .. الخ .

كل هذه وسائل لم نصنعها .. وانما أتت الينا ..

فهل أحسنا استخدامها ؟

أم حققنا للغرب ما يريده لنا من امدادنا بهذه الوسائل .. !!

هذه واحدة ..

* اما الثانية .. فان بلاد المسلمين على اتساع رقعتها واهمية موقعها ، مازال سوقا لتصريف هذه المنتجات بلا ضوابط او قيود او رقابة ومن هنا ياتى الغزو الفكرى لنا في عقر دارنا بل وبايدينا .. !!

* اما الثالثة وهى قاتلة حقا .. فانه مع زيادة انتشار التليفزيون واتساعه وجدت الدول الاسلامية نفسها مضطرة للاعتماد على استيراد مواد تدريبية لملء ساعات الارسال بها ، اذ انها ليست قادرة على تغطية ساعات الارسال بها بمواد من الانتاج المحلى وذلك لان المجتمع الاسلامي في معظم بلاده يفتقر الى رأس المال والى الخبرة في مجالات الانتاج والتشغيل .

* ثم اذا نظرنا الى تكاليف استيراد البرامج التليفزيونية لوجدناه اقل بكثير ـ في معظم الاحيان ـ من تكاليف انتاج هذه البرامج محليا مما يغرى وحده باستيرادها ، فعلى سبيل المثال نجد البرنامج الذى يتكلف ١٠٠ الف دولار يباع في الدول النامية على اقصى تقدير بحوالى ٥٠٠ دولار (١) .

ومن هنا تندفع دول العالم الاسلامي الى شراء البرامج بدلا من انتاج ما يملأ الفراغ محليا .. وناهيك مما لهذه البرامج من آثار سيئة على النشء في بلاد المسلمين . وسبق أن قدمنا بحثا في هذا الشأن بهذه المجلة (٢) .

ولقد وجدت الدول الكبرى ضالتها المنشودة في تصدير برامجها الى الدول الصغيرة وهو ما نحذر منه فتم في أحيان كثيرة عن طريق اطار رسمى تحت ستار التعاون الاعلامي فتم غزو بلاد المسلمين بأموالهم انفسهم !!

الحق .. ان واقع الاعلام في مجتمعنا الاسلامي مثير للقلق والأسف مما ونحن من

---

(١) راجع Hifizi Topuz: Courier Magazine. Unesco. Pares. April — 1977. P. 16.

(٢) راجع مجلة الازهر عدد رمضان ١٤٠٣ هـ

هذا المكان .. من منبر اعلام الأزهـر .. مطالبين دول العـالم الاسلامى وبخاصة أن مؤتمرا اسلاميا عالميا سوف يعقد بديارنا قريبا ننبه العالم الاسلامى أن يأخذ بعين الحـذر ما يتقدم له من برامج سـواء منها ما كان عـلى سبيل الهدايا أو المنح أو ما كـان فى صـورة تبادل برامج .. الخ !!

كذلك فان واقع المجتمع الاسلامى يسـمح بمخطط اعلامى محدود الحركة جدا .. نظرا لما يسود هـذا الـوطن من أحـوال يألم لها المسلمون ورغبة فى عدم بسط الشـقاق فيما بينه ؟

لقد استخدمت دول العالم هذه الوسـائل الاعلامية لتنمية وتطـوير شـعوبها ولتثقيف أبنائها وتأكيد القيم والمثل العليـا الموجـودة لديهم .. وكم نرجو أن تحذو بـلاد المسلمين حذوهم (١) فهل استخدم بلد مسلم التليفزيون فى محو الأمية مثلا .. ؟!

لا أريد أن أواصل الحديث عن واقع الاعلام فى المجتمع الاسلامى وأولى بنا أن نسـتأنف الحديث حول بعض ما تقدمه أجهزة التليفزيون للمسلمين لتكتمل الصورة ولنقف مـع النفس هنيهة .. لنعلم الى أين نحن سائرون .. !

مضـمون البرامج التى يقدمها التليفزيون فى المجتمع الاسلامى : ــ

ان الاعلام مرآة المجتمع يعكس مافيه مـن قوة وضـعف ، كذلك فانه يسـهم فى تجنب مواطن الضعف ويدعم مواطن القوة .

هكذا دائما وظيفة الاعلام القيم فى كل دول العالم .

ورأينا فى السطور السابقة حال المجتمـع الاسلامى .. على ما فيه من أمية تزيـد على ٨٥٪ فى كثير من الدول الاسلامية ولا تقل عن ٥٢,٨٪ فى أحسنها حالا .. هذا الى ما فيه من ضعف مستوى المعيشة وانخفاضها .. وما فيه من مشـاكل أخر نأمـل أن يطرحهـا المولى ــ سبحانه ــ عنه ومن هنا فان من المنتظر أن يكون لمعالجة هذه القضـايا جـانب كبير فى « التليفزيون » وأن تسهم كل وسائل الاعـلام الأخرى بجهودها فى حل هذه الأزمات . ، بينما واقع الحال .. من خلال خرائط البرامج التى وصـلتنى مـن بعض محطـات التليفزيون العربية ، ومما هو منشور فى الصحف العربية والاسلامية ــ يرينا عجبا .

عجبا يثير الحيرة والدهشة معا .

لماذا يكون اعلام المسلمين بهذا الوضع . ؟

فمن واقع خريطة البرامج لدولة ما تجد أن المضمون المقدم للمشاهد فى واد والواقع الفعلى فى واد آخـر .. ولنقلب معـا بعض هـذه الوريقات .. !!

اولا : بالنسبة للمسلسلات التاريخية :

يلاحظ أن بعض كاتبى هذه المسلسلات غير متخصصين ، وبالتالى لا علم لهم ولا درايـة بأسلوب مؤرخى هذه العصور الذين يكتبـون الأحداث عـن روايـات مختلفة تحتـاج الى متخصص يعلم صدق الخبر من كذبه ونوازع نفس الراوى وعلاقته بالحدث وأصحابه ، قـد يوجد منهم قلة ذات درايـة ما بموضـوع

(١) تصل مساحة الارسـال المخصص للبرامج الدينية وتليفزيونات بعض الدول العربية الاسلامية الى ٥٪من مجموع ساعات الارسال .

التاريخ لكنها ليست دائما صاحبة الشأن فيما يكتب وليتهم — اذ يكتبون ما يكتبون يتفضلون بعرضه على متخصص لتستقيم المادة ويخرج « السيناريو » على أحسن ما يكون .

والأمر فى « الاخراج » نظير أخيه فى « الكتابة » — ومعروف دور المخرج فى الاعمال « الدرامية » — وجل المخرجين على غير حظ من الثقافة الاسلامية ان لم تكن معدومة لدى البعض مما يجعل محيط معرفتهم بالتاريخ الاسلامى ضئيلا للغاية فبسبب ذلك فى عدم وضوح الرؤية فتقع المسلسلات فى الأخطاء والاغاليط والتشويهات وذلك اما من أخطاء كاتب « السيناريو » أو أخطاء فى الاخراج « والديكورات » والملابس .. الى غير هذه الاشياء مما يستخدم عادة .

أيضا لاتزال النظرة الى « الأفلام السينمائية » الاسلامية أسيرة الخوف أو التخوف حين تأخذ مادتها من التاريخ الاسلامى وهذا الخوف ناتج اما عن غير معرفة كما أسلفنا آنفا أو حساسية زائدة لا مبرر لها .

وبسبب هذا الخوف يظهر الممثل دائما متجهم الوجه مقطب الجبين ، وكأن المسلمين لا يعرفون البسمة والبشاشة وطلاقة الوجه، والغريب أنه على مدى تاريخ « السينما » الدينية بالذات لم نشهد « فيلما » يقدم لنا المجتمع العربى فى الجاهلية بصدق وكذلك المقدمات التى صاحبت بعثة النبى — صلى الله عليه وسلم .. !!

ولست أدرى لماذا تقدم « أفلامنا » فى « التليفزيون » المسلمين الأوائل وكأن الاسلام قد منعهم من ممارسة الحياة الطيبة.

وأين « الفيلم الذى يصور لنا مثلا مجتمع مكة ذا الطبقية المنيفة) ؟

وأين مجتمع المدينة الذى أسسه النبى — صلى الله عليه وسلم —

ثم كيف كان سكان مجتمع المدينة يتعايشون؟ ويحصلون على أقواتهم .. ؟ ومعاملاتهم ؟

انه يجب أن نلتفت الى « الفيلم » أداة للتعريف بشخصيات اسلامية قدمت للاسلام جلائل الأعمال .. ، وأن نهتم بتطوير هذا اللون من « الأفلام » تطويرا يخدم قضايا المسلمين فى العالم المعاصر فى أسلوب يحافظ على القيم الاسلامية عن حب لها وتقدير لأحكامها فلا يخرج على مارسمت من حدود ، ولا على مادعت من آداب لتظهر الشخصية الاسلامية واضحة »

ولست أقصد من توجيه اللوم الى البرامج الدرامية والمسلسلات « والأفلام » فى التليفزيون العربى عموما وفى الدول الاسلامية خصوصا — لست أقصد من وراء هذا أننا لم تقدم « أفلاما » جيدة أو أن لا توجد بعض « الأفلام » ذات المستوى المعقول .. كلا .. فان هناك بعض الجيد ولا شك .

وأخيرا نتمنى أن يقدم الفيلم فى التليفزيون العربى الشخصية الاسلامية السوية المعاصرة حياتها — بيتها ، كيف تتصدى لمشاكل العصر الحديث جنبا الى جنب مع « الافلام » والمسلسلات التاريخية التى تقدم لنا نموذج الشخصية الاسلامية كقدوة ومثل أعلى يحتذى به الشباب فى حياتهم .

ثانيا وحتى نكون منصفين :

فان الذى يطلبه جمهور الناس فى العادة ـ هو سلاسل البرامج الترفيهية . مثل «أفلام» رعاة البقر ، « وأفلام » الجريمة البوليسية ، « والدراما » ، « والكوميديات » ، والمنوعات الرياضية .. ، وكم نأسف اذ نجد معظم تليفزيونات العالم الاسلامى لا تزيد عن هذه الأشياء فيما تقدمه .. !

ولكـــن ..

فرق كبير بين أن أقدم للجمهور ماتريده .. وبين أن اقدم له مايحتاج اليه ثم أطعمه بمـا يريده .. ، لذا أميل الى « المسئولية » فى ادارة التليفزيون لترعى الصالح العـام .. وتحمى البرامج الجادة ، وتسخر هذا الجهاز لحـل المشكلات الواقعية فى المجتمع ، وكم نرجـو أن يكون هـدفها « خلق المواطن الصـالح » فتنظر الى مقومات وجوده وتطرحهـا برامج « تليفزيونية » ناجحة .

من هنا فاننى أسأل ما حاجة مجتمع يبحث أفراده عن لقمة خبز الى أفلام رعـاة البقـر مثلا .. ! ؟

وما قيمة أفـلام الجريمة فى مجتمع أفراده ما تزال الامية تسيطر عليهم .. ؟!

فهـل ترانى مخطئـا اذا قلت « ان برامج التليفزيون فى بلاد المسلمين فى واد والواقع فى واد آخر .. ؟!

ان استخدام ساعة أو ساعتين فى اليـوم لارسال « فيلم » هابط ، أو برنامج لا يفيد ، انما هو مضيعه لهذه الوسيلة الباهظة التكاليف، وهى التى تمول بأموال المسلمين .

فما الحل .. ؟ واين الطريق .. ؟!

رابعـا :

« تليفزيـون » يعبر عـن واقـع المجتمع الاسلامى ..

واقع المجتمع الاسلامى هو الذى يحدد لى كيف أعالج قضايا المجتمع الاسلامى من خلال التليفزيون .. ! ، ثم ان الامر يحتاج قبـل أى شىء الى صدق النفس ورغبة الاصلاح .. ثم يكون ما يلى :

أ ـ حصر مشكلات المجتمع الاسـلامى الذى يبث الارسال « التليفزيونى » فيه ، لدولة مـا خلال فترة زمنية محددة .

ب ـ تقديم برامج تحمل أفكارا معبرة عن هذه القضايا ، على أن يراعى المخطط الاعلامى ـ لهذه الاجهزة ـ ذلك فى خريطة البرامج.

ثم لنـا أن نسأل :

ـ ماذا لو أننا استخـدمنا « التليفزيون » بكامل طاقته فى مؤازرة التنمية الاقتصادية ؟!

ـ وماذا لوا استخدمناه فى معاونة المدارس على تنمية النظام التعليمى ؟ ونستغل هنا مـا « للتليفزيون » من جـاذبية وسـهولة وحب الأطفال لـه .

ـ وماذا لو استخدمنا قدرة « التليفزيون » على الاقناع والتعليم فى محاربة القيم الهابطة والأفكار الخاطئة ؟

ـ ثم تصفية الأمية .. ان حل هذه القضية

لن يكون الا عـن طـريق « التليفزيون » ٠٠ وايطاليا نموذج يحتذى فى هذا المقام فلنستفد من التجربة الايطالية فى هذا الشأن بدلا مـن استيراد (أفلام) رعاة البقر ٠٠ ؟!

ونأتى بعد هـذا الى أهميـة « الكوادر » الاعلامية القائمة على التنفيذ ومدى جديتهـا ورغبتها فى النهوض بمجتمعها فهى أمر أساسى للنجاح فى هذه المهمة ٠ ان أمـام التليفزيون فرصة كبيرة فى حل مشكلات المجتمع الاسلامى أو على الاقل المعاونة بالرأى فى حـل هـذه القضايا (١) ، اما أن يأتى بسيل من الأفـلام الغربية عن مجتمعنا أو الافـلام الهابطة من الانتاج المحلى ثم يقدمها مضيعا بذلك سـاعات الارسال الثمينة ٠٠ فان هذا ما لا يقبله عقل ولا يرضاه انسان يحب وطنه ٠٠ ؟!

ثالثا :

اما عن البرامج الدينية فى التليفزيون فلن أتناولها بالنقد أو الدراسـة هنا حتى لا أضيف الى الهموم هموما ٠٠ وحسبى فى هذا ان أقول أنها لا تعبر عن واقع المسلمين ولا عن الاسلام بل انهـا لاتركز الا على جوانب العبـادات وتتناسى المعاملات وكأن الاسـلام ليس الا آيات تقرأ فى بداية الارسـال ونهايته ٠٠ !!

ولهذا فانه لا توجد برامج دينية بالمفهوم الصحيح فى تليفزيون العـالم الاسلامى أو معظمها ٠

وقد تظل مشكلة العمل التليفزيونى فى بلاد المسلمين منوطة بنقص الكفاءات المتخصصـة فى هذا الفن الى جانب استيعابها للفكر الاسلامى جيدا ولذا قد تجد المتفهم للاسلام ولكنه على غير وعى بفن الاعلام أو العكس ونادرا مـا يجتمع الفهم للاسـلام وللفن الاعلامى ٠٠ وهذا أمر خطير يجب تداركه ٠٠ !

وختاما :

أود أن أقول ٠٠ ان وسائل الاعلام هى أمل الدولة ـ أى دولة ـ لسـد ثغرات التخلف ، وللمحافظة على الجدول الزمنى للتنمية الوطنية

وليست هى وسائل ترفيه فقط ربما انحدر فى بعضها فصار أبواقا للسب والقذف ٠٠ !!

ومـن هنا يتعين على المسـلمين أن يتفحصوا بدقة وعناية مدى الاستفادة من هذه الأدوات العصرية ٠٠ ، وليس سرا ان نقول : ان بلاد العالم الاسـلامى بحاجة الى عملية جرد واعادة ترتيب لهذه الوسائل ٠٠ فلنسأل :

لماذا الاعلام ؟

وماذا هى فاعلة به

وبالله تعالى التوفيق والسداد ٠

حسن على العنيسى

---

(١) فى نيودلهى يتلقى اكثر من ٢٠,٠٠٠ طالب دروسهم عن طريق التليفزيون، وفى المغرب حوالى ١٢٠,٠٠٠ تلميذ .

طرائف

المرء على دين خليله

قال عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من احب » وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ما من شيء ادل على شيء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردى

أحب الشهور إلى الله

قال ابن الجوزى : ـ رحمه الله ـ مثل الشهور الاثنى عشر كمثل يعقوب ـ عليه السلام ـ فكما أن يوسف ـ عليه السلام ـ احب اولاد يعقوب اليه ، فكذلك رمضان أحب الشهور الى الله ، فيغفر الله لهم بدعوة واحد منهم وهو يوسف ـ عليه السلام ـ كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرا ببركة رمضان.

مواقف

فقال : حفظتها في صغرى فحفظها الله في كبرى .

المعصية تكون

قال الرازى في تفسيره : لا تكون المعصية الا من الأعضاء السبعة وهى : الأذنان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان ، وأبواب جهنم سبعة « ولا اله الا الله محمد رسول الله » سبع كلمات فكل كلمة تكفر معصية عضو ، وتسد بابا من أبواب جهنم بفضل الله.

وقيل للقاضى : أبى الطيب : قد كبر سنك ولم تتغير أعضاؤك .

موقفنا من السائل

قال أسماء بن خارجه : ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة ، فانه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونه أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال بعضهم : من سالك لم يكرم نفسه عن مسالتك فاكرم وجهك عن رده .

لا أدرى

قيل للشعبى : أما تستحى من كثرة ما تسأل فتقول لا أدرى ؟

فقال : لكن ملائكة الله المقربين لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا : « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » .

قالوا

* قال الفضل بن عياض

« لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة ، وانما أدرك بسخاء النفس ، وسلامة الصدر ، والنصح للأمة .

* قال الشيخ شقيق البلخى ؟

الزاهد الذى يقيم زهده بفعله ، والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه .

* قال المرحوم مصطفى صادق الرافعى :
الله أكبر . بين ساعات وساعات فى اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف أيها المؤمن : ان كنت أصبت فى الساعات التى مضت فاجتهد للساعات التى تتلو ، وان كنت أخطأت فكفّر ، وامح ساعة بساعة . الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل فى رحمة الله .

وقفة اعتبار

قال ميمون بن مهران — رحمه الله — خرجت مع عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — الى المقبرة ، فلما نظر الى القبور بكى

وقال : ياميمون ، هذه قبور آبائى كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، وأصابت الهوام من أبدانهم .. ثم بكى .

وقال : والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

« دعاء لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — »
اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير .

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

كتاب

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

اتحاف أهل الاسلام فى خصائص الصيام

لابن حجر الهيتمى

اعتـادت مكتبة الأزهر الشريف على تقديم مخطوط من مخطوطاتها النـادرة شهريا فى مجلة الأزهر ، ويسرها ويشرفها أن تهنىء المسلمين فى مشـارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان المبارك .

وفى هذا الشهر الميمون الذى يتحدث فيـه العلماء والباحثون عن فضـائله التى تسـعد البشرية بأسرها تقدم كتـاب « اتحاف أهـل الاسلام ، فى فضائل الصيـام » للعلامـة أحمد بن محمد بن على بن حجـر الهيتمى السعدى الأنصـارى ، شـهاب الدين شيخ الاسلام ، أبو العباس :

فقيه باحث مصرى .

مولده فى محـلة أبى الهيتم (من اقليم الغربية بمصر) واليها نسبته ٩٠٩ هـ (١٥٠٤م)

والسعدى نسبة الى بنى سعد من عـرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم فى الأزهر ، وله تصانيف كثيرة ، منها :

«مبلغ الأرب فى فضائل العرب» و«الجوهر المنظم » « رحلة الى المدينة » ، و « الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » ، و « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » فى فقـه

للأستاذ محمد عميرة صالح

الشافعية ، و « الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان » . وتوفي بمكة سنة ٩٧٤ هـ (سنة ١٥٦٧ م) .

قالت عنه دائرة المعارف الاسلامية لما توفي أبوه في حداثته ، تكفل بتربيته وتعليمه شيخا أبيه : شمس الدين بن أبي الحمائل وهو متصوف معروف ، وشمس الدين محمد الشناوي تلميذ الأخير . ولقد ألحقه الشناوي بمقام السيد أحمد البدوي ، ولما أتم ابن حجر دروسه الأولية ، بعث به عام ٩٢٤ هجرية الى الجامع الأزهر لاتمام دراسته . وقد درس رغم حداثته على أكابر شيوخ عصره مثل زكريا الأنصاري ، وعبد الحق السنباطي ، وناصر الدين الطبلاوي وغيرهم كثير ، ولما كان ابن حجر مبرزا في أصول الدين والفقه ، فقد نال — ولما يناهز العشرين من عمره — اجازة اصدار الفتاوي والقيام بالتدريس ، وبعد أن زوجه الشناوي باحدى قريباته عام ٩٣٢ هـ حج الى مكة عام ٩٣٣ هـ .

وهناك بدأ الكتابة في الفقه واستمر فيها بعد عودته الى مصر ، وحج مرة ثانية ، وعند أداء الثالثة استقر نهائيا في مكة حيث وقف حياته على التأليف والتعليم ، وكان يرجع اليه في الفتاوي من كل حدب وصوب .

قال الامام ابن حجر مفتتحا كتابه بقوله : « الحمد لله الذي جعل الصوم حصنا حصينا لأوليائه ، وتولى جزاءه وأضافه اليه دون غيره اعلاما للكافة بباهر فضله وعظيم جزائه ، وخصه من الفضائل والحكم والأحكام بما تقصر العقول عن الاحاطة بطي كماله وعليائه ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أتأهل بها لمشاهدة جلاله تعالى وكبريائه .. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي اختصه الله تعالى من وصل وصاله في صومه بما امتن به على سائر أنبيائه وأحبائه — صلى الله وسلم عليه وعليهم صلاة وسلاما دائمين بدوام كرمه وبقائه آمين .

أما بعد فقد سنح لي في مستهل شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة أن أألف كتابا في الصوم ان شاء الله تعالى نافعا ، وأجمع مجموعا يقرر أحكامه وفضائله جامعا ليكون وسيلة لي الى النجاة من الله تعالى من سوء ما اقترفت وقبيح ما قدمت وما أخرت انه بكل خير كفيل وهو حسبي ونعم الوكيل» .

والكتاب يشتمل على ابواب اربعة :

الباب الأول : في فضائل الصوم وفيه فصول نذكر منها على سبيل المثال ، الفصل الأول في فضائل مطلق الصوم . أخرج أحمد والشيخان البخاري ومسلم — رحمهما الله تعالى — عن

سهل بن سعد — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون ؟ فيقومون فيدخلون فان ادخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » . وأخرج النسائى عنه أيضا « للصائمين باب فى الجنة يقال له الريان لا يدخل فيه غيرهم أحد فاذا دخل آخرهم أغلق من دخل فيه شرب منه شربة ومن شرب منه شربة ، لم يظمأ أبدا » .

وأخرج البخارى عنه أيضا « فى الجنة ثمانية أبواب ، باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . يقول الله عز وجل انما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى فالصيام لى وأنا أجزى به » .

ووجه اضافة جزاء الصوم الى الله تعالى دون سائر العبادات أنه لم يتقرب الى غير الله بالصوم لذاته ، فلا يرد صوم أصحاب الهياكل والاستخدامات للنجوم لأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها .. فصومهم فى الحقيقة لربها ، او أن فى الصوم اشارة الى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات ، أو لأن الاستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى ، والصوم فيه نوع يوافقها فلذا أضافه تعالى اليه (ثم قال القرطبى) معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم الا الصوم لأنه مناسب لصفة من صفات الحق ، فكأنه تعالى يقول : ان الصائم يتقرب الى بأمر هو من صفاتى ، أو ان الاخلاص فيه أتم وأسول ، أو لكونه كصفة من صفات الملائكة ، أو لأنه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره ، فانه تعالى يظهر بعض خلقه على سر مقدار ثوابه ، ولذا قال ، « وأنا أجزى به » .

الباب الثانى : فى أحكام الصوم وما يتعلق به وفيه فصول ذكر فى الفصل الاول قول الله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ » وهو معلوم من الدين بالضرورة ، فمن تركه جاحدا وجوبه كفر ومن تركه كسلا وجب على الامام أونائبه حينئذ أن يمنعه الطعام والشراب بحبسه نهارا ليحصل له صورة الصوم ولأنه اذا عرف أنه يماطل بذلك نوى من الليل ، ومما يحتاج اليه الكلام على بعض معانى هذه الآية ليتضح المراد منها فنقول : بدأ الله تعالى بذكر المكتوب عليه وهو عليكم مع ان الأصل تأخيره وآخر المكتوب وهو « الصيام » . مع أن الأصل تقديمه لأنه نائب الفاعل فهو عمدة ذلك ، لأن الأول هو الأهم اذ هو المتبوع والمقصود بالذات ومن حيث أنه المقصود بذلك المكتوب والمخاطب به فحسب تقديمه اشعارا بتلك التبعية « وكتب » يأتى بمعنى فرض وهو المراد هنا .. وبمعنى قضى ومنه « كتب الله لأغلبن » . « قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » وبمعنى جعل ومنه « ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ

لَتْمَّهاى جعـل لكم » « كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ » أي جعله . وبمعنى أمرونه « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ » اى أمرناهم وقال فى التشبيه الذى فى قوله تعالى « كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » قولان :

أحدهما : أنه عـائد الحاصل ايجاز الصوم عليه تكون هذه العبارة مكتوبة على سـائر الأنبياء وأممهم قبلنا من لدن آدم الى آخـر الدهر .

ثانيهما : أنه عائد الى وقت الصوم وقدره . ثم اختلف القائلون بذلك فقال مجاهد كتب الله رمضان على كل أمة وظاهره حتى من قبـل نوح ، وبه يعلم ما فى قول القرطبى .

وقال أهل التاريخ أول من صام رمضـان نوح ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما خـرج من السفينة .

وقال سعيد بن جبير كان الصوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام الى آخر ما ذكره العلماء فى شروحهم .

الباب الثالث : فى رخص الفطر وفى القضاء والفدية وتوابع ذلك وفيه فصول ذكر فى الفصل الاول ما يبيح الفطر قال : أخرج الديلمى عن أنس ستة يفطرون فى شهر رمضان : المسافر والمريض والحبلى اذا خافت أن تضـع ما فى بطنها والمرضع اذا خافت الفساد على ولدهـا والشيخ الفانى الذى لا يطيق الصوم والـذى يدركه الجوع والعطش أى لو تركهما مات . والخطيب عن ابن عمر من أصـابه جهـد فى رمضان فلم يفطر دخل النار « وعلم من هـذا الحديث أن مبيح الفطر أنواع » النوع الاول السفر المبيح للقصر ثم تارة يختـار الفطـر ويذم القصر وتارة يخير بينهما مـع ترجيح الصوم وقسمه أقسام :

القسم الاول : فيما يختار فيه الفطر ويذم الصوم.

والقسـم الثانى : فى التخيير بين الصـوم والفطـر.

والقسم الثالث : فى اباحة الافطار مطلقا ..

الباب الرابع : فى حكم صوم غير رمضـان استحبابا وكراهة وتحريما وغيرها وفيه فصول

قال الفصل الاول فى الايام التى يحرم صومها وهى نوعان :

النوع الاول : يوما عيد الفطر والنحر وأيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر قال أبو قزعـة سمعت عن أبى سعيد حديثا فأعجبنى فقلت له

أنت سمعت هذا من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأقول على رسول الله ــ صـلى الله عليه وسلم ــ مالم أسمع .. قال سمعته يقول : « لا يصح الصيام فى يومين . يـوم الفطر ويوم الاضحى » وفى رواية أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن صيام يومين . يوم الفطر ويوم النحر .. أخرجـه مسلم .. وروى الديلمى عن أبى هريرة سـتة أيام من الدهر يكره صيامهن آخـر يوم من

شعبان أن يوصل برمضان ويوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق فانها أيام أكل وشرب .

النوع الثانى : يوم الشك وما بعد النصف من شعبان بشرطهما الآتى .. أخرج البيهقى عن أبى هريرة نهى عن صيام يوم قبل رمضان والأضحى والفطر .. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « اذا انتصف شعبان فلاتصوموا حتى يكون رمضان» .

والفصل الثانى : فى الايام التى يكره صومها منها أفراد يوم الجمعة والسبت والأحد .. أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا يوما قبله أو بعده » ومسلم عنه « لا يصوم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده » .

والفصل الثالث : فى الأيام التى يستحب أو يتأكد صومها والأصل فى صوم التطوع قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « من صام يوما فى سبيل الله باعد الله وجهه من النار سبعين خريفا » رواه الشيخان وغيرهما .

وختم المصنف رحمه الله كتابه بأحاديث تتعلق بزكاة الفطر وبالعيد يقول أردنا التبرك بالختم بها . أخرج أحمد وابو داود وعن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « صدقة الفطر صاع تمرا وصاع شعير عن كل رأس أو صاع بر أو صاع قمح بين أثنين صغيرا وكبيرا ، وحرا وعبدا ذكرا وأنثى ، غنيا أو فقيرا ، أما غنيكم فيباركه الله ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطاه » .

وروى الدارقطنى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلد بقلم نسخ بخط عبد الفتاح البنهاوى سنة ١٠٧٥ هـ فى ٢٢١ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا . ونسخة أخرى فى مجلد بقلم معتاد بخط محمد ابن سليم الشنوانى سنة ١٠٨٦ هـ فى ١٨١ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا .

هذه خلاصة عاجلة « لكتاب اتحاف أهل الاسلام » تحتاج الى مزيد من الايضاح نضعها بين أيدى القراء ورجال الفكر والبحث ، وتضمنت المقالة تعريفا شاملا بالمصنفات التى ألفها العالم الفقيه « ابن حجر الهيتمى » أجزل الله له الثواب جزاء ما تركه تراثا اسلاميا خالدا ما بقى الزمن .

مدير
مكتبة الازهر
محمد عمره على

اللغة والأدب والنقد

الاتجاه الشمولي

في حاشية الأمير

الاستغناء في اللغة العربية

دور اللغة في ترابط شخصية الأمة

دور اللغة

فى ترابط شخصية الأمة

لقد كان من اكبر العوامل التى دفعت ابن منظور لتاليف لسان العرب ما ذكره بنفسه فى المقدمة حين قال « وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الاعجمية و تفاصحوا فى غير اللغة العربية فجمعت هذا الكتاب فى زمن اهله بغير لغته يفخرون وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون » (١)

تلك هى مكانة اللغة فى عصره التى أملت عليه القيام بواجبه نحوها ، الواجب الذى دفعه الى الحرص على تقريب الناس اليها وتقريبها هى اليهم . أليس هذا هو واجب أبناء العربية اليوم،ولا شك أن مساهمتى هذه المتواضعة تدخل ضمن هذا الاطار وتهدف الى مايهدف اليه ابن منظور فى زمانه . ولمزيد من الايضاح أستطيع ضبط الغاية من هذا البحث فى هدفين رئيسيين : —

(١) اللغة والوضع الحضارى للأمم بصورة عامة .

وبيان دور اللغة الحقيقى فى المجتمع من خلال النظريات التى حددت العناصر المقومة لكيان الأمة .

(٢) اللغة العربية وما أصابها من انتكاسات، وعوامل ذلك .

والاتجاهات التى حاولت على حد زعمها النهوض بالبلاد التى تتكلمها وكيف حكم عليها التاريخ .

ومقابلة ذلك بأقوال غيرهم من الذين رأوا فى العربية مميزات وخصائص قد لا توجد حتى فى اللغات الحية المعاصرة .

اللغة والتمييز العنصرى .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١/١٣ طبعة دار المعارف فى ترتيبه الجديد على الأبجدية المادية .

د. محمد عبد الحفيظ العريان

يعتقد الباحثون في اللغات وتاريخها وصلاتها بعضها ببعض أن اللغات السامية الثلاث العربية والآرامية والعبرية انحدرت من أسرة لغوية واحدة (١) بحيث كانت لهن أم واحدة ، ويعتقد بعضهم أن الآرامية أقرب الى تلك الام نسبا وأن العربية أكثر بها شبها (٢) . لقد عملت عوامل التاريخ مفعولها في تطوير هذه اللغات فأصبحت لهجات ثم أضحت اللهجات لغات مستقلة كما هو الامر بالنسبة للعربية في عصرنا اذ تفرعت الى لهجات متعددة ومتباينة ولولا أن العرب حافظوا على الفصحى ـ وهو دور القرآن تاريخيا ـ كتابة وأدبا وثقافة لتعذر التفاهم بينهموتغلبت اللهجات وانفصلت لذلك الروابط الثقافية والفكرية بين أبناء البلاد العربية (٣) لأن اللغة الواحدة لها أكبر دور في بلورة الفكر والاحساس والوعي الموحد بين الناطقين بها كما سيأتي بيان ذلك .

ان ما نريد ذكره الآن هو أن البحوث اللغوية في القرن الماضي قد أفضت في الغرب الى بناء نظريات عنصرية تستند الى العرق والسلالات البشريه ونالت صدى عميقا بين رجال الفكر والسياسة .

لقد غال علماء الغرب بوجود جنس (آرى) وآخر (سامى)لكل منهما خصائصه النفسية والاجتماعية والتاريخية التى تنتقل من جيل الى جيل بالوراثة وهى لثباتها فيه فانها تتحكم في حاضر ومستقبله .

يقول عميد مجمع الخالدينملخصا هاته النظرة الغربية«ان هناك نفسا سامية فطرت تدينا على التوحيد وفنا ولغة ومدنية على البساطة بينما أن النفس الآرية مفطورة في عقيدتها على التعدد وفي علمها وفنها على انسجام التاليف»(٤) وقد برزت في ميدان الدراسات الفلسفية مثلا كثير من الآراء والتحليلات والتعليلات التى تنفى عن الجنس السامى كل امكانية للتفلسف بحكم طبيعة تلك السامية ، منها دراسات أرنست رينان Renan وتنمان Tenneman وليون جوتيي وغيرهم من أصحاب الدراسات ذات الطابع العنصرى السخيف .

---

(١) د . وافي/فقه اللغة/٧ وعلم اللغة/٢٠١ ط ٧. والطبعة الثامنة لفقه اللغة .

(٢) نفسه/١٥ وعلم اللغة/١٦٩ ـ ١٩٤ ط٧.

(٣) عبد الحق فاضل : مغامرات لغويه : دار العلم للملايين/٩ ـ ١٠ وللمؤلف نظرية جديدة ملخصها ان العربية هى ام اللغات الآرية بالاضافة الى السامية والحامية وقد برهن عليها في هذا الكتاب .

(٤) د . ابراهيم مدكور : في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق ـ دار المعارف . ط ٢ .

دور اللغة

ويقول أحد الباحثين في الميدان اللغوي « ان فكرة الجنس الآري تولدت من التدقيقات اللغوية لوجود تشابه بين اللغة السنسكريتية وبين سائر اللغات الأوربية فاستدل الأوربيون على وجود نسب وقرابة بين الأقوام الهندية والأوربية وهو الشعب الهندأوربي واختصروا ذلك في كلمة « آريانا » المذكورة في الكتاب المقدس القديم « آفستا » ـ الكتاب المقدس للديانة الزراد شتية ـ وهي البلاد المخلوقة من قبل هرمز (١).

أما العالم الفرنسي « دفيرجر » فقد قال « بأن العالم اللغوي « جونز »لا حظ تشابها بين السنسكريتية واليونانية واللاتينية والألمانية والسلتية فأرجع ذلك الى أصل مشترك لهذه اللغات وذلك سنة ١٧٨٨ وفي سنة ١٨١٣ أطلق العالم (توماس يونج) على هذا الأصل الأم « الهندأوربية » وسمى (آري) الشعب الذى يتكلمها ، وقد فند العالم الألماني المشهور « ماكس مولر » هذه المزاعم الواهية سنة ١٨٦١ (٢) .

ان هذه النظريات العنصرية المبنية على الافتراض والحدس يفسر ظهورها المرحلة التاريخية التى مرت بها الرأسمالية الغربية في القرن الماضي . فقد بلغت مستوى من التقدم والتطور يحتم عليها البحث في العالم عن مواد الثروة من المواد الخام لتشغيل مصانعها والزيادة في الأرباح كما يحتمها البحث عن الاسواق لتصريف تلك المنتجات الصناعية . ولكن هذه الأمور لن تتم الا بمساعدة خلق « أيديولوجيات » ترمى الى تبرير حركة الاستعمار أمام الشعوب المستعمرة ، ومن ثم كانت رسالة الرجل الأبيض في تطوير هذه المخلوقات الضعيفة المطوية على أمرها اذ لا سبيل أمامها للنهضة والوصول الى ماوصل اليه هذا الابيض الا بأن تقلده وتأخذ عنه كل شيء لغته ، أساليب حياته ، طرق تفكيره أنماط سلوكه ، قيمه ومثله ... الخ وهكذا يبدأ في التنازل عن ذاته وشخصيته شيئا فشيئا حتى يفقدها فينمحي من الوجود . واستطاعت هذه الأفكار باسم العلم و « العلمية » المزيفة أن تجذب اليها كثيرا من المثقفين في البلاد العربية مثلا . فانخدع الاستاذ سلامة موسى بنظرية الجنس الآري والسامي على أنها كشف علمي باهر يجب أن لا يفرط فيه في اثبات أن المصريين والسوريين والعراقيين من الآريين فاهم يكسبون تأشيرة الدخول الى الحضارة الحديثة فقال ما نصه :

* « فاننا نحن ـ أى المصريون ـ والسوريون والعراقيون من حيث الدم سلالات آرية أى غربية لا تمت بصلة الى الصينيين أو اليابانيين » ثم يقول « عندما قام في أذهانهم ـ أى الصينيين ـ أن ينهضوا أو يجاروا أوربا في التقدم والرقى عمدوا الى ماضيهم فأنكروه »

---

(١) ابحاث في القومية العربية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ م ـ ص ١٠٩ .

(٢) مجلة الفكر : العدد /١٠٤/ص/١٦ ـ تونس ـ عام ١٩٧١ م مقال للاستاذ/دفيرجر عن اللغة العربية واللغات الحية .

ويضيف قائلا : « أما اليابان فارتقاؤها لا يرجع الى سبب آخر سوى تفرنجها أى تخلصها من تاريخها وعاداتها . وأن هذه الامم الشرقية لا تتقدم بتعلقها بالسلف واحترامه بل بتركه والانضمام قلبا وقالبا الى أوربا واصطناع الحضارة الغربية » (١) .

● أما عميد الأدب العربى هو الآخر فقد اعتبر قضية التمسك باللغة أمرا تافها بل ان مجرد الحديث عنها لا يفيد شيئا ليصل من ذلك الى امكانية تعويض العربية فى مصر بغيرها من اللغات الراقية بمقال عام ١٩٣٨ : « لا تنخدعوا لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال » (٢) .

الا أنه بات من الواضح علميا أن لا وجود لأجناس من البشر نقية يتميز بعضها عن بعض بخصائص ثابتة تضيف فضائل خاصة أو ذكاء خاصا الى جنس من الأجناس .

يقول ماكس مولر : « ان العالم الانثولوجى الذى يبحث عن عرق آرى ودم آرى وعيون آرية وشعر آرى يرتكب هرطقة لا تقل سخافتها عن سخافة العالم اللغوى الذى يجرؤ على التكلم عن قاموس مستطيل الرأس ونحو قصير الرأس » .

ويقول الفيلسوف الانجليزى (جون ميل) « ان رد الفروق التى تشاهد بين الأمم الى ماقى طبائعها من اختلاف انما هو نوع من التهرب ، هو تهرب من درس الاحوال الاجتماعية ومن تحرى عواملها الاساسية »(٣)

اتجاهات فى الاصلاح اللغوى

لقد قامت محاولات عديدة قام بها بعض المستشرقين وتلامذتهم من المثقفين العرب لمسخ اللغة العربية وأصدادها كتابة ونطقا وتنتظم هذه المحاولات فى اتجاهات ثلاثة (٤) .

(أ) استشراقى : —

أصدر العالم الانجليزى « ولمور » ١٩٠٢ كتابا عن اللهجة المحلية المصرية ووضع لها قواعد وجعل منها اللهجة القاهرية تحل محل الفصحى . ودعا الانجليزى (وليام ولكوكس) الى جعل اللهجة العامية المصرية هى اللغة الفصحى وترجم الانجيل اليها وترتكز هذه الدعوة على تسكين أواخر الكلمات للتخلص من الاعراب والقصد من هذه المحاولة تدعيم الفوارق بين الشعوب العربية واذا تم انهيار اللغة انهار الأساس الثقافى والفكرى . وقد قامت فى المغرب العربى مثل هذه المحاولات وخاصة بالجزائر نذكر منها محاولات المستشرق الفرنسى (وليام مرسى) وقد حاولت هذه الدعوة أن تجدد نشاطها فى تونس فى السنوات ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ولكن الدعوة لم تجد صدى فلاذ روادها بالصمت .

---

(١) ابحاث فى القومية العربية/ ١١٠ .
(٢) مجلة تراث الانسانية/المجلد الثانى/عدد ٣ . مقال للدكتور طه حسين/١٢ .
(٣) ابحاث فى القومية العربية/١١٢ .
(٤) رجاء النقاش/ادباء ومواقف/المكتبة العصرية بيروت .

(٢) عربى متفرنج : ـ

طالب أصحاب هذا الاتجاه اما بالتخلى عن العربية أو باصلاحها(٦)بتيسير قواعدها لتكون مثل اللغات الأوربية لتسهل نهضة العرب ومن هؤلاء محرر المرأة قاسم أمين الذى نادى الى التخلص من الاعراب بتسكين أواخر الكلمات يقول قاسم أمين « هذه الطريقة هى طريقة جميع اللغات الافرنجية والتركية أيضا ، يمكن حذف النواصب والجوازم والحال والاشتغال الى آخره بدون أن يترتب على ذلك اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هى » ووصلت هذه الدعوة أقصى درجة لها عند عبد العزيز باشا فهمى الذى نادى سنة ١٩٤٣ فى مجمع اللغة العربية بكتابة العربية بأحرف لاتينية مثل الأتراك ونادى مثله سلامة موسى كما نادى حديثا الشاعر اللبنانى سعيد عقل باصلاح اللغة العربية ليتخلص العرب من تخلفهم الحضارى ، ينطلق الشاعر سعيد عقل من فكرة فلسفية تبرر لديه ادخال تغيير جذرى على العربية ، هذه الفكرة ملخصها أن الحياة الاجتماعية أساسها الانسان والمؤسسة ، الانسان مقدس بينما المؤسسة ليست كذلك والحرف العربى من المؤسسات فيجب أن يتغير ولو خالف ذلك ما تواضع عليه المجتمع العربى ، ويظل تقدم العرب استنادا الى هذه الفكرة ، فهو يقدس الانسان لا المؤسسة ولذا استطاع أن يقلب ويغير كثيرا من التصورات والقيم والمؤسسات خدمة للانسان ، أضف الى ذلك أن الحروف العربية ليست دقيقة والشعب الذى لا يعرف الدقة لا يعرف الحضارة الديكفى ما نلاحظه من أمراض فى هذه اللغة حتى نسعى الى اصلاحها ، وأمراض لغتنا تتمثل فى : ـ

(أ) الكتابة والنطق يختلفان هذا ـ هاذا .

(ب) توجد صوتيات ونطقيات وعند الكتابة نحذف رموز الصوتيات وهى رموز صغيرة (الشكل) .

(جـ) يمكن تعويض الصوتيات بحروف أساسية فى الكلمة .

(د) هناك صور للحرف الواحد فى الكتابة نحذف رموز الصوتيات وهى رموز وضعه ـ ع ـ ـعـ ـ ع ـ ـع ـ فى الكلمة .

(جـ) يمكن تعويض الصوتيات بحروف الى الخطأ (خرب) (حزب) أن تزحزح النقطة من الخاء الى الزاى يعطى معنى آخر مغايرا للأول . وقد تفطن سيبويه الى ذلك من قبل .

(و) تفاوت الحروف العربية فى الحجم .

(ز) ليس هناك فى العربية حرف (كابيتال) لأن ذلك فى اللغات الأخرى الأوربية يجعلهم يميزون بين أسماء الأعلام من ناحية وبدايات الكلام من ناحية أخرى أما فى العربية فانك لو وجدت كلمة (وردة) مكتوبة لما علمت هل هى فتاة أم زهرة ؟ ثم بعد كل ذلك أليست سنة الحياة هى التطور فى كل شىء ؟ فلم لا نطور الكتابة العربية ؟

(٦)كذا ـ فى زعمهم .

ان الأبجدية من ابتكار الفينيقيين الذين وضعوا اثنين وعشرين حرفا هي أصل الحروف اللاتينية واليونانية والعربية فحرف (Y) الفينيقي نقل كما هو الى اللاتينية وأصبح — واوا — في العربية بتغيير طفيف في رسمها كما أنه يمكن ملاحظة التشابه بين (ل) و (L) اللاتينية .

٢ — عربي وطني : —

اقترنت في مصر مثلا دعوة الأستاذ لطفي السيد بأن مصر للمصريين بالدعوة الى استعمال العامية للكتابة ١٨٨٩ واحياء القومية المصرية ونسى لطفي السيد ارتباط مصر الأصيل بالثقافة العربية الاسلامية وحصر اهتمامه في بناء الشخصية المصرية بالتخلص من الترك والانجليز وهي دعوة قد تجاوزتها مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وربما قبل ذلك بقليل حينما اشتد ساعد الاتجاه العربي الاسلامي في الحكم ، فتغيرت تبعا لذلك طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها .

مناقشة هذه الاتجاهات :

ان دراسة الأمم المتطورة والمتخلفة في مراحل تطورها المختلفة يوضح بجلاء أن لا علاقة بين النهضة والتقدم الحضاري وبين اللغة ولنوضح ذلك بالأمثلة التي تظهر الحقيقة وتجعلها واضحة لكل ذي عينين : —

— في آسيا :

ناخذ اليابان : وكلنا يعرف أن اللغة اليابانية تعد من اللغات المعقدة كتابة وحروفا ولكن هذا لم يمنع اليابان من التقدم قبل الحرب العالمية الثانية حتى فاقت الدول الأوربية ، ثم أصابها الخراب والدمار من جراء تلك الحرب ولكنها استجمعت قواها وعادت الى مكانتها الدولية في الاقتصاد والصناعة والعلم والثقافة فأين هي قضية اللغة ؟

— تركيا :

تركت — كما هو معروف — الحروف العربية وأبدلتها بحروف لاتينية ١٩٢٨ فحقق كمال أتاتورك ارتباط تركيا شكليا بالغرب وفشل من ناحية المضمون فهي مازالت دولة من الدول النامية يسيطر عليها نظام رأسمالي متخلف لا علاقة له حتى بالرأسمالية الغربية العصرية .

ولم تصبح دولة صناعية حتى من درجة متوسطة بل تتفشى فيها البطالة ويعتمد اقتصادها على الاعانات الخارجية وعلى الزراعة والسياحة رغم أن ثورتها قامت سنة ١٩٢٢ فلا يفصلها زمان طويل عن الثورة الروسية سنة ١٩١٧ اما اذا قارناها بالصين فيبدو البون شاسعا لأن ثورة الصين لم تنتصر الا سنة ١٩٤٩ .

ولم تنشأ في تركيا حركة فنية أو فكرية كبرى تلفت الأنظار كما أن المسخ الحضاري وصل فيها الى درجة الاعدام والقضاء التام على تراثها فهذا أستاذ تركي (برتف بروتاف) يقول « بأنه في بحوث قام بها في

مدن وقرى تركية سمع من الناس مباشرة أنه عقب الاصلاح اللغوى الذى تم سنة ١٩٢٨ أن أشخاصا كانوا يملكون مخطوطات قديمة مكتوبة بالعربية قضوا عليها خوفا من العقاب، وفى سنة ١٩٣٩ وفى جلسة من جلسات وزارة التربية التركية اقترح صحفى لامع مراجعة النصوص القصصية للأطفال لأنها ــ على حد رأيه ــ تظهر الأمراء والأميرات والباشوات فى مظهر يتعاطف معه الطفل مما قد يدفع بالأجيال الجديدة الى الحنين الى الماضى (١) .

فى الصين :

وهذه اللغة الصينية رغم صعوبتها وكثرة حروفها وتخلفها كتابة ، احتلت مكانة اللغة المعاصرة بعد نجاح ثورتها ١٩٤٩ وأصبحت لغة قادرة على التعبير عن الفكر والفن والعلم والتكنولوجيا وما سمعنا أو قرأنا أن صينيا يتألم من الوضع الذى عليه لغته أو يشعر بغربة لغته عن عصره .

* وهذه اللغة العبرية فى اسرائيل المزعومة (فلسطين المحتلة) تلك اللغة التى دفنها التاريخ وليس لها من تراث غير العهد القديم ، تعود حية تسعى لتحتل مكانة ذات قدرة على احتضان فنون العصر كلها فى علمه وثقافته وفنه وتكنولوجيته . وكان أول ما اتجه اليه اليهود عند احتلالهم لأرض فلسطين هو بعث اللغة العبرية من جديد والتفتيش عن تراث يهودى لاحيائه حتى ولو كان خرافيا ــ وهو كذلك لا محالة ــ فبعثت أمجادهم المختلفة وحفرياتهم الوهمية وانتصبت اللغة العبرية لغة للتعليم والدرس بالجامعة العبرية بالقدس ويتشدق زعماء الصهاينة بأنهم استطاعوا بعث لغتهم وتأسيس جامعتهم العبرية بالقدس فى زمن قصير لا يتعدى الخمس سنوات بالاضافة الى جعلهم كل الجيش اليهودى القادم بلغات مختلفة من جميع انحاء العالم يكتب العبرية وينطقها . يقول (لوى ماسينيون) المستشرق الشهير .

« ان الشعوبية المترمتة شعوبية دولة اسرائيل الجديدة لا تؤمن بشىء قدر ايمانها بلغتها العبرية ، وان مدارسها الأولية تعلم العبرية وفقا للاعراب العبرى التقليدى المنقول عن اللغة العربية ووفقا للأبجدية القديمة » (٢) .

اما فى اوربا :ــ

فيكفى أن ننظر الى اللغة الايطالية فقد أصبحت من اللغات الحية منذ (دانتى) . وهى الآن لغة جميع العلوم والفنون والآداب ببلادها ويسعى الايطاليون لحمايتها والاعلاء من قيمتها بين لغات العالم الحية .

وهذه اليونانية المعاصرة تشبه مع بعض الخلاف اليونانية القديمة . ولا يجهل أبسط مثقف منا مكانة اليونان فى تاريخ الفكر الانسانى فى مختلف ميادين نشاطه أدب ، فن ،

(١) دوريات جريدة الاهرام/اكتوبر ١٩٧٣ ، العدد الخاص بمناسبة مرور خمسين سنة على قيام الجمهورية التركية .

(٢) د . عثمان امين/فلسفة اللغة العربية ــ سلسلة المكتبة الثقافية عدد/١١٤/ص/٩ .

فلسفة ، علوم رياضيات ومازالت الانسانية الى اليوم تجد كنوزا فى التراث اليونانى ومصدرا خصبا تتغذى منه ولكن حينما نقارن بين يونان اليوم ويونان الأمس لا نجد مجالا للمقارنة على وجه الاطلاق .

والنتيجة ؟

النتيجة التى نصل اليها بعد هذا العرض هى أن اللغة برغم أهميتها الكبرى كوسيلة للتفاهم بين بنى البشر ليست ـ كما رأينا ـ هى المتحكمة فى النهضة الحضارية أو ركودها لأنها ليست هى الأساس فى التقدم فهناك شعوب تتقدم ـ كما رأينا ـ رغم تخلف لغتها وهناك شعوب تتخلف رغم تقدم لغتها كاليونان والعرب فى عصرنا هذا .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فليست العربية هى وحدها التى تظهر فيها الصعوبات (١) والمشاكل ، فحتى اللغات الأوربية الحية فيها من المشاكل والصعوبات ما فيها . خذ مثلا حرف (X) تجده ينطق فى الانجليزية بخمسة أصوات تقريبا كما تجد صوتا واحدا لحرفين (ch) ينطق (ش) فى العربية وينطق بنفس النطق بتغيير طفيف فى الانجليزية (sh) ثم بأى قانون سماوى تكتب (Brebis) هكذا دون النطق بحرف (S) أو (puits) النطق بالحرفين الأخيرين وهما (T . S) ثم أليست هناك مشكلة فى التفريق بين (puits . puis) عندما يملى علينا كتابة أحدهما : قد يكون الجواب ان سياق الكلام هو الذى يمكننا من ذلك ولكن الا ينطبق هذا أيضا على التفريق بين (وردة) كاسم لبنت وبين كونها زهرة وهى المشكلة التى أثارها الشاعر سعيد عقل وكيف نستطيع أن نفرق بين كلمة تكتب بـ (F) وكلمة أخرى تكتب بـ (ph) وهما يمثلان نفس النطق (ف) . لماذا نكتب مثلا (Apostrophe) هكذا دون كتابتها (Apostrofe)

واذا كان تلافى الصعوبات فى العربية كما يدعى سعيد عقل يجعله قادرا على الغاء الأمية فى نصف ساعة فى البلاد العربية فيجب ألا نقع فى هذا الوهم والمغالطة لأن الأمية نتجت عن التجهيل المقصود بالعربية والفقر . لأن هذا هو الأساس لكل ما نعتقد أنه ناتج عن صعوبات لغوية .

ولا شك أن اللغة التى تترك الفم تموت ولكن هذا لا يرجع الى منافسة العامية للغة العربية لأن العامية كما نلاحظ قابلة للتطور الى الفصحى المرسلة من القيود بتعلم الفرد والاتصال بوسائل الثقافة المختلفة من صحافة واذاعة وتلفزة ونواد ثقافية ، بل يرجع الى منافسة لغات أجنبية أخرى لها فى الاستيلاء على الألسنة كالفرنسية فى بلاد المغرب العربى ولبنان .

ثم اننا لو حاولنا بعث العاميات فى الوطن العربى :

فماذا يكون مآل تراث فكرى بكامله بالنسبة للأجيال القادمة ؟

---

(١) لم تعرف دعوى صعوبة اللغة العربية المتعلمة لابن عصر وبلفوكس اواخر القرن الماضى .

وماذا يكون مآل القرآن الكريم ؟ هل نضطر الى ترجمته ؟

وهل يمكن ترجمته :

وان ترجمناه فالى كم لهجة عامية يجب ان يترجم في البلاد العربية ؟ اذ ليس يخفى أن العاميات كثيرة وتختلف من بلد الى آخر وحتى بالنسبة للقطر الواحد فاننا نجد ألوانا وأشكالا من العامية .

كلمة أخيرة أقولها لسعيد عقل وأمثاله من دعاة العامية .

اننا اذا سرنا معكم ـ لا قدر الله ـ في هذا الاتجاه فاننا نهدم القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين كما نهدم لغتنا أهم مقومات حياتنا والعمود الفقري لتراثنا الديني واللغوي بل ان شئت فقل تراثنا الثقافي كله . اعتقد أن الأجوبة على هذه الأسئلة هي التي دفعت بدعاة العامية الى السكوت في أيامنا هذه في مختلف البلاد العربية الا من كان شاذا والشاذ ليس محل قياس . !!

ان اللغة العربية لم تتجمد في يوم من الأيام بل كانت دائما قادرة على مواكبة التطور الحضاري ، فقد برهنت على هذا قديما عند احتكاكها بحضارات أخرى كاليونانية والهندية والفارسية . يقول (سارطون) صاحب المؤلف العظيم « تاريخ العلم » : « انه لعمل عظيم أن ينقل العرب علوم اليونان وفلسفتهم ، وأن يزيدوا عليها حتى أوصلوها الى درجة مرموقة من النمو والارتقاء » (١) ولما قامت النهضة الأوربية كانت بفضل المجهود الذي قدمه أبناء اللغة العربية يقول (سيديو) :

« ان العرب كانوا أساتذة أوربا كلها في جميع فروع المعرفة فقد انتشرت علومهم في مصر وسوريا ابان الحرب الصليبية ، كما انتشرت من صقلية ونورمانديا وجنوبي ايطاليا في عهد بني الأغالب وانتشرت من الأندلس وهي أكبر مركز للتصدير ، بواسطة التراجمة والرواد الذين أموها من بلاد الغرب ينهلون العلم من مناهله الثرية الدفقة في ظلال الحكم العربي السمح ، وألمع هؤلاء الرواد (جوبير) المولود في أوفيرنيا والذي رقي فيما بعد لرتبة البابوية باسم (سلفستر الثاني) وذلك لطول باعه في العلم الذي أخذه عن العرب في الأندلس ، وهو الذي نقل الأرقام العربية الى أوربا وسهل بذلك علم الحساب والجبر والفلك » (٢) .

وكانت بلاد الأندلس (قرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيلية) منائر تتألق بالعلم في غضون الحكم العربي .

وحينما سقط الفردوس المفقود « كان

(١) د . موسى اتبال/دراسات في التاريخ والحضارة ـ ٥٤ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين
(٢) د . موسى اتبال/دراسات في التاريخ والحضارة/٧٧ بيروت ـ دار العلم للملايين .

أسقف طليطلة بجمع العلماء في قصر الزهراء لترجمة الكتب العربية تمهيدا لتدريسها والافادة منها .

فقد نقل (ليونارد) كتب الجبر والطبيعة .

وامر (روجه الأول) في صقلية ان تكون كتب الادريسي المرجع العلمي المعتمد .

وحينما أفل نجم العرب عن صقلية وحكمها النورمانديون ، وجدوا أن لا مناص لهم من تعلم اللغة العربية ، وقربوا العلماء العرب للانتفاع بمعارفهم وحافظوا على آثارهم .

ودعا حاكم صقلية بعدئذ (روجه الثاني) الشريف الادريسي هذا للتأليف في الفلك فوضع له كتابه الشهير (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

وحث الامبراطور (فردريك الثاني) على دراسة علوم العرب ، حتى كان ابناء الفيلسوف (ابن رشد) يقيمون في بلاط الامبراطور ، ليعلموه دروس النبات والحيوان (١) .

هذا ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن اللغة التي كانت تلقى بها هذه الدروس ، وتعليقنا على هذا الامر ان المسألة لا تعدو أن تكون احد امرين : فاما ان تكون هذه



الدروس قد اعطيت باللغة العربية ، وهذه مناسبة قوية للتدليل على فضل اللغة العربية واضطرار الغربيين لتعلمها ليستطيعوا دراسة العلوم العربية ، واما أن تكون قد اعطيت باللغة الأجنبية وهذا دليل آخر على ان اللغة العربية مرنة كريمة معطاءة تأخذ وتمنح وتتطور ولا تعجز عن نقل ما فيها الى لغات غيرها كما لم تعجز من قبل عن نقل ما عند الآخرين اليها .

واللغة العربية اليوم تحاول عن طريق مجامعها العلمية ومؤتمراتها مواكبة هذا العصر تشهد بذلك الجلسات التي يعقدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وغيره من المجامع العلمية في العالم العربي .

يتبع

د / محمد عبد الحفيظ العريان
كلية اللغة العربية جامعة الازهر

(١) نفسه/ ٩٠ ــ ٩٣ بتصرف .

الاستغناء فى اللغة العربية

- ٢ -

ثالثاً : مما يستغنى فيه ببعض أبنية الكثرة عن بعض .

استغناؤهم (بفعلة) ـ بضم الفاء وفتح العين ـ عن (فعال) ـ بكسر الفاء ـ وعن (فعالى) ـ بفتح الفاء ـ حيث قالوا فى جمع (عريان) . (عراة) ولم يقولوا . عراء ولا عرايا . قال سيبويه . « ولم يقولوا فى عريان . عراء ولا عرايا ، استغنوا بعراة ، لأنهم مما يستغنون بالشىء عن الشىء حتى لا يدخلوه فى كلامهم » (١) .

وقال الفارسى . « وقالوا فى تكسير عريان ، عراة ، ولم يقولوا . عراء كخماص ، ولا عرايا كحيارى ، استغنوا بعراة » (٢) .

استغناؤهم بفعال ـ بكسر الفاء ـ عن فعلاء ـ بضم الفاء وفتح العين ـ وعن أفعلاء ، كقولهم فى جمع طويل : طوال وفى جمع قويم : قوام . ومن ثم قال سيبويه : « وأما ما كان من بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن عينات فانه لم يكسر على فعلاء ولا أفعلاء واستغنى عنهما بفعال » (٣) .

ومن الاستغناء بفعال عن فعلاء قولهم : صغير وصغار (٤) ولا يقولون صغراء وقالوا : سمين وسمان ولا يقولون سمناء . قال سيبويه: « وقد يدعون فعلاء استغناء بغيرها » ثم مثل بما مثلت به (٥) .

قال ابن يعيش : « وقد يستغنون بفعال عن فعائل ، قالوا : سمينة وسمان ، وصغيرة وصغار ، وكبيرة وكبار ، ولم يقولوا : سمائن ولا صغائر ولاكبائر فى السن ، وانما جاز ذلك فى الذنوب » (٦) جاء فى التنزيل : « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ »(٧)

استغناؤهم بأفعلاء عن فعلاء ـ بضم الفاء وفتح العين ـ قال سيبويه : « وقالوا هين وأهوناء فكسروه على أفعلاء ، ولم يقولوا : هوناء ، كراهية الضمة مع الواو ، فقالوا . ذا كما قالوا : أغنياء حين فروا من غنياء » (٨).

قال ابن عصفور : « ومما استغنى فيه

---

(١) الكتاب ٣/٦٤٦ .
(٢) التكملة ص ٤٨٥ .
(٣) الكتاب ٣/٦٣٥ .
(٤) جاء فى لسان العرب مادة صغر : الصغر ضد الكبر والجمع صغار ، وقد جمع فى الشعر على صغراء ، أنشد أبو عمرو :

وللكبراء أكل حيث شاؤوا وللصغراء أكل واقتثام

(٥) الكتاب ٣/٦٣٦ .
(٦) شرح المفصل لابن يعيش ٥/٤٣ .
(٧) النجم / ٣٢ .
(٨) الكتاب ٣/٦٤٣ .

بأفعلاء عن فعلاء ــ بضم الفاء وفتح العين ــ قولهم في جمع غني وسري : أغنياء وأسرياء وهو الفاضل ، وقد شذ منه شيء فجمع على فعلاء نحو تقي وتقواء ، فشذوا فيه شذوذين، جمعوه على فعلاء وأبدلوا واوا من ياء ، ولا يحفظ البصريون غيره • وحكى الفراء : سري وسرواء » (١) استغناؤهم بفعائل عن فعل ــ بضم الفاء والعين ــ وكذلك استغناؤهم بفعل عن فعائل • قال سيبويه : « وقد يستغنى ببعض هذا عن بعض ، وذلك قولك : صعائد ولا يقال : صعد ، ويقال : عجل (٢) ، ولا يقال : عجائل» (٣) •

رابعا : مما يستغنى فيه ببعض أبنية القلة عن بعض •

استغنوا بقولهم : أدور عن أن يقولوا : أفعال ، ومن ثم قال المبرد « فأما دار فانهم استغنوا بقولهم : أدور عن أن يقولوا : أفعال، لأنهما لأدنى العدد » (٤) •

يستغنى في الغلام بقولهم . غلمة عن أغلمة، ومن ثم قال سيبويه : « ولم يقولوا : أغلمة ، استغنوا بقولهم : ثلاثة غلمة ، كما استغنوا بفتية عن أن يقولوا : أفتاء » وفي التنزيل قال الله تعالى : « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ » (٥) • وقال المبرد : فأما غلام فيستغنى أن يقال فيه أغلمة بقولهم : غلمة ، لأنهما لأدنى العدد » •

استغنوا بقولهم : صبية عن أن يقولوا : أصبية • قال الفارسي : « وقالوا في القليل : صبية ولم يقولوا : أصبية » (٦) •

خامسا : بعض ما استغنى فيه بجمع التكسير عن جمع المؤنث السالم

قالوا : شفة وشفاه وشاة وشياه • قال سيبويه : « واستغنوا عن التاء حيث عنوا بها أدنى العدد وان كانت من أبنية الكثرة ، كما استغنوا بثلاثة جروح عن أجراح » (٧) وقال الفارسي : « وأما ما كسر فرد اليه ماحذف فنحو

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٢/٥٢٢ واللسان مادة وتي •

(٢) المجهول : الواله •

(٣) الكتاب ٣/٦٣٧ •

(٤) المقتضب ٢/٢٠٤ •

(٥) الكتاب ٣/٦٠٣ والمقتضب ٢/٢١١ والتكملة ص ٤٣٦ •

(٦) الكهف / ١٣ •

(٧) الكتاب ٣/٦٠٥ والتكملة ص ٤٣٨ •

(٨) الكتاب ٣/٥٩٨ •

شاة وشياه وشفة وشفاه ، واستغنوا عن الألف والتاء ببناء الكثير كما استغنوا به في ثلاثة شسوع » (١) .

وقالوا : فراسن (٢) ولم يقولوا : فرسنات، وقالوا : خناصر (٣) ولم يقولوا : خنصرات ، وقالوا : مجالح (٤) ومحاليج ولم يقولوا : محلجات ، وقالوا : (٥) جواليق ولم يقولوا : جوالقات (٦) .

سادسا : بعض ما استغنى فيه بجمع المؤنث السالم عن جمع التكسير

استغنى في جمع (حبارى)(٧) بقولهم : حباريات عن حبائر وحبارى . قال أبو على : « وما كانت الألف فيه خاصة فانه يجمع بالألف والتاء ، وذلك نحو حبارى وحباريات ، ولم يقولوا : حبائر ولاحبارى » (٨). وقال سيبويه : « أماما كان على فعالى ـ بضم الفاء ـ فانه يجمع بالتاء . وذلك نحو حبارى وحباريات ، ولم يقولوا : حبائر »(٩). قال سيبويه : « وقالوا : سماوات فاستغنوا بهذا ، أرادوا جمع سماء لا من المطر ، وجعلوا التاء بدلا من التكسير »(١٠) وهذا الذى قاله سيبويه يدل على أن (السمى) في قول الراجز:

(تلفه الأرواح والسمى)

وقول أبو نخيلة السعدى **(كنهور كان من أعقاب السمى)** .

الكنهور : السحاب المتراكم بعضه على بعض .

جمع سماء التى هى المطر ، لا التى تظل الأرض . ومن ثم قال أبو على : « فأما المظلة للأرض فلا تكسر ، استغنى عن التكسير بالألف والتاء في السماوات (١١) .

ومما استغنى فيه بجمع المؤنث السالم عن جمع التكسير قولهم في جمع حلوة : حلوات . قال ابن عصفور : « وأما مؤنثه ، أى مؤنث فعل ـ بضم الفاء وسكون العين ـ فلا يجوز فيه الا الجمع بالألف والتاء نحو حلوات (١٢) . وقال ابن منظور في لسان العرب مادة (حلا) « والأنثى حلوة والجمع حلوات ولا يكسر ». وكذلك استغناؤهم فجمع سرادق وحمام في الأسماء ، وسبحل (١٣) وسيطر (١٤) في الصفات بجمع المؤنث السالم مع أنها مذكرات

(١) التكملة ص ٤٣٢ .
(٢) جاء في اللسان والفرسن ـ فرسن البعير .
(٣) الخنصر ـ بكسر الخاء والصاد ـ الاصبع الصغرى ، وقيل ـ الوسطى .
(٤) المحلج والمحلجة ـ الذى يحلج عليه وهى الخشبة أو الحجر .
(٥) الجوالق ـ بكسر اللام وفتحها ـ وعاء معروف معرب .
(٦) الكتاب ٦١٥/٣ .
(٧) الحبارى ـ طائر ـ وفي الصحاح أنه يقع على الذكر والانثى واحدها وجمعها سواء .
(٨) التكملة ص ٤٤٧ .
(٩) الكتاب ٦١٧/٣ .
(١٠) المرجع السابق ٦٠٠/٣ .
(١١) التكملة ص ٤٤٠ .
(١٢) شرح الجمل ٥٢٧/٢ بتصرف .
(١٣) يقال ـ جمل سبحل ـ أى عظيم .
(١٤) يقال ـ جمل سيطر وجمال سيطرات سريعة لا تكسر .

وانما قصر جمعها على ذلك استغناء به عن جمع التكسير (١) .

سابعا : بعض ما استغنى فيه بجمع المذكر السالم عن جمع التكسير .

قالوا : رجل (٢) صنع وقوم صنعون ــ بفتح الفاء والعين ــ فى المفرد والجمع .

وقالوا: رجل رجل (٦) وقوم رجلون ، استغنى عن تكسيرهما بجمع السالم وذلك لقوة الجمع السالم فى الصفة (٣) . وقالوا : رجل شلل وهو الخفيف فى الحاجة فلا يجاوزون شللون (٤) .

وقالوا : رجل حلو وقوم حلوون (٥) .

وقالوا : رجل جد للعظيم الجد فلا يجمعونه الا بالواو والنون كما لم يجمعوا صنع ــ بكسر الفاء ــ الا كذلك يقولون : جدون .

ثامنا : بعض ما استغنى فيه بجمع المؤنث السالم عن جمع المذكر .

قالوا : ظبات وشيات ولم يقولوا : ظبون ولا شيون . قال سيبويه : « ولو سميت رجلا بشية أو ظبة لم تجاوز شيات ولا ظبات ، لأن هذا الاسم لم تجمعه العرب الا هكذا ، وقال فى موضع آخر : « وقد يجمعون الشيء بالتاء ولا يجاوزون به ذلك استغناء ، وذلك ظبة وظبات ، وشية وشيات » (٦) .

قال ابن يعيش : « كأنهم استغنوا بالألف والتاء ، وفى ذلك دليل على أن الجمع بالألف والتاء هو الأصل فى هذه الأسماء ، لأنك تجمع بالألف والتاء كل ما تجمعه بالواو والنون ، ولست تجمع بالواو والنون كل ما تجمعه بالألف والتاء منها » (٧) .

قال أبو على : « لقد قال سيبويه فى ظبة ما تراه ، ولكنا نرى الكميت يقول .

يرى الراؤون بالشرفات منها
كنار ابى حباحب والظبينا

فلعله يجعل ذلك مما جاء فى الشعر دون غيره للضرورة » (٨) .

ثالثا : الاستغناء فى التصغير

ذهب سيبويه الى أن (اللاتى) لا تحقر استغناء بجمع (التى) المحقرة بالألف والتاء كما فى دراهم ودريهمات ، فتقول : اللتيات . ومن ثم قال سيبويه : « واللاتى لا تحقر استغنوا بجمع الواحد اذا حقر عنه ، وهو قولهم : (اللتيات) فلما استغنوا عنه صار مسقطا » (٩) .

وممن وافق سيبويه ابن يعيش حيث يقول : « وأما اللاتى فلا يحقر على لفظه ، لأنه جمع

---

(١) الكتاب ٣/٦١٥ بتصرف .
(٢) يقال رجل صنع ، أى حاذق الصنعة .
(٣) الرجل هو الرجل الشعر .
(٤) الكتاب ٣/٦٢٩ وابن يعيش ٥/٢٦ .. والتكملة ص ٦٠) .
(٥) التكملة ص ٦١) والكتاب ٣/٦٢٩ .
(٦) جاء فى لسان العرب مادة (حلا) والحلو من الرجال = الذى يستخفه الناس ويستحلونه وتستحليه العين ، والجمع حلوون ، ولا يكسر ، وابن يعيش ٥/٢٥ .
(٧) الكتاب ٣/٤٠٠ ، ٥٩٨ . ابن يعيش ٥/٣٧ .
(٨) التكملة ص ٣٠) بتصرف .
(٩) الكتاب ٣/٨٩) .

كثرة فردوه الى الواحد وصغروه ثم جمعوه بالألف والتاء ، لأنه مؤنث كما يفعل بالجمع من غير المبهم نحو قولهم في جفان وقصاع (جفينات وقصيعات) (١) .

وكذلك وافقه ابن هشام حيث يقول : « واذا أردت تصغير (اللاتي) صغرت (التي) فقلت (اللتيا) ثم جمعت بالألف والتاء فقلت (اللتيات) واستغنوا بذلك عن تصغير اللاتي واللائي على الأصح » (٢) .

وكان الأخفش يصغر اللاتي واللائي على لفظهما ويقلب الألف واوا ، لأنهما صارا حين حقرا بمنزلة ضارب اذا أجرى عليهما حكمه ، ويحذف الياء التي هي لامهما ، لأن ألف التصغير تزاد فيبقى الاسم على خمسة سوى ياء التصغير ، وانما كانت الياء هي المحذوفة لأنها طرف فتقول : (اللويتا) (٣) .

وممن وافق الأخفش ابن عصفور حيث يقول : « وتقول في تصغير اللاتي اللويتيا . تبقى الأول على حركته وتقلب الألف واوا ، لأن (اللاتي) بمنزلة ضارب فكما تقلبها في ضارب واوا كذلك تقلبها في (اللاتي) وتزيد الياء ثالثة وتحذف الياء من اللاتي ، لئلا تخرج عن نظائرها من الأسماء المصغرة اذا زدت في آخرها ألفا في كونه على خمسة أحرف وليس قبل آخره حرف مد ولين ، فكذلك تقول : اللويتيا .

ثم يقول : ومن العرب من لا يصغر اللاتي واللائي استغنوا عن ذلك بتصغير التي لأنها في معناها » (٤) . وهو بهذه العبارة الأخيرة يشير الى رأي سيبويه دون أن يوافقه ومن الاستغناء في التصغير استغناؤهم بتصغير (الذي) عن تصغير (من) .

قال سيبويه : « ولا تحقر من ولا أي اذا صارا بمنزلة الذي ، لأنهما من حروف الاستفهام ، فمن لم يلزمه تحقير كما يلزم الذي لأنه انما يريد به معنى الذي ، وقد استغنى عنه بتحقير الذي ، ثم قال : « فهذه الأسماء لما لم يكن حالها في التحقير حال غيرها من الأسماء المبهمة ، صارت يستغني ببعضها عن بعض ، كما استغنوا بقولهم : أتانا مسيانا وعشيانا عن تحقير القصر في قولهم : أتانا قصرا ، وهو العشي » (٥) .

ومنه استغناؤهم بتصغير (تا) عن تصغير (ذه أو ذي) . قال المبرد : « فان حقرت (ذه) أو (ذي) قلت : (تيا) . وانما منعك أن تقول : (ذيا) كراهة التباس المذكر بالمؤنث ، فقلت : (تيا) لأنك تقول : (تا) في معنى (ذه) و (تي) كما تقول : (ذي) فصغرت (تا) لئلا يقع لبس ، فاستغنيت به عن تصغير (ذه) أو (ذي) على لفظها » (٦) .

(١) ابن يعيش ٥/١٤١ والتكملة ص ٥٠٧ .
(٢) التصريح ٢/٣٢٦ .
(٣) المرجع السابق ٢/٣٢٦ .
(٤) شرح جمل الزجاجي ٢/٣٠٧ ، ٣٠٨ .
(٥) الكتاب ٢/٨٩ .
(٦) المقتضب ٢/٢٨٨ .

ومنه الاستغناء بلفظ المصغر عن المكبر ، فمن ذلك قولهم : جميل وهو طائر صغير شبيه بالعصفور ، وكميت وهو البلبل ، وكحيل : القطران . وقد تحدث سيبويه عن ذلك في باب التصغير حيث قال : هذا باب ما جرى في الكلام مصغرا وترك تكبيره ، لأنه عندهم مستصغر فاستغنى بتصغيره عن تكبيره » (١).

الاستغناء في الأفعال

اعلم وفقني الله وإياك أن الاستغناء وقع في الأفعال كما وقع في الأسماء ، فمن ذلك استغناؤهم : بـ (ترك) عن (وذر وودع) ، ومن ثم يقول ابن جنى : (٢) .

« ومن ذلك امتناعك من (وذر وودع) لأنهم لم يقولوهما ، فأما قول أبي الأسود

ليت شعري عن خليلي ماالذى
غاله في الحب حتى ودعه

فشاذ . وكذلك قراءة بعضهم : « **ماودعك ربك وما قلى** » (٣) بالتخفيف . فأما قولهم : ودع الشيء — يدع — إذا سكن — فاتدع فمسموع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق .

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال الا مسحت او مجلف

فمعنى لم يدع — بكسر الدال — أى لم يتدع ولم يثبت (٤) .

ومنه الاستغناء بمطاوع بعض الافعال عن بعض نحو « أنخته فبرك » ولم يقولوا : فناخ (٥).

وهناك ألفاظ استغنت العرب عن التعجب منها بأشد وما في معناها ، نحو قال من القائلة فلم يقولوا : ما أقيله استغناء عنه بـ (ما أكثر قائلته) .

يقول ابن الحاجب : « ووجه ذلك أنه لما كثر وقوع هذا المعنى والتعبير عنه بما أكثر قائلته فلو كان (ما أقيله) جاريا في كلامهم على القياس في هذا الباب لكان واقعا في لغتهم ، ولما لم يقع في لغتهم دل على أنه مستثنى عندهم ، فهذه طريقة سيبويه في استثناء (ما أقيله) من هذا الباب » (٦) . ولذا قال سيبويه « واعلم أنهم لا يقولون : ما أقيله استغناء عنه بما أكثر قائلته ، كما استغنوا بتركت عن وذرت » . ومنها (سكر وقعد وجلس) فانهم لا يقولون (ما أسكره وأقعده وأجلسه) استغناء بقولهم : (ما أشد سكره وأكثر قعوده وجلوسه) (٧) . وقال ابن عصفور : « ولم يقولوا : (ما أقعده) ، لئلا يلتبس بـ (ماأقعده من أب) ، ولم يقولوا : ما أجلسه حملا على ما أقعده ، لأنه في معناه ، أو حملا على ما أقومه لأنه نقيضه ، ولم يقولوا ما أسكره ، لئلا يلتبس بقولهم : ماأسكر التمر ، إذاكان فيه السكر » (٨).

---

(١) الكتاب ٤٧٧/٣ ، والمزهر ٢٥٣/٢ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
(٢) الخصائص ٩٩/١ .
(٣) الضحا /٣
(٤) الخصائص ٩٩/١ .
(٥) الاشباه والنظائر ٥٢/١ .
(٦) الايضاح في شرح المفصل ١٠٨/٢ . تحقيق د/ موسى بناى العليلى .
(٧) التصريح على التوضيح ٩٣/٢ .
(٨) شرح الجمل ٥٨١/١ .

الاستغناء فى الحروف

الحرف قسيم للاسم والفعل وكما وقع الاستغناء فى أخويه وقع فيه ، فمن ذلك استغناؤهم ب (اليه) عن (حتاه) ، ومن ثم قال ابن عصفور : ولا يجوز فى (سرت حتى الصباح) (حتاه) لاستغنائهم عنه ب (اليه) وقال فى موضع آخر : « وأما حتاك وحتاه وحتاى » فاستغنوا عنها ب (اليه واليك والى) لأنها فى معناها » (١) .

ومنه استغناؤهم ب (مثله ومثلك ومثلى) عن (كه وكك وكى) ، ولذا قال ابن الحاجب :

« ولا تدخل كاف الجر على الضمير ، لأنها لو دخلت على الضمير لأدى الى مثل قولهم :

(كك) ولا يخفى تهجينه فرفضوا دخولها على المضمرات بأسرها ، لأنه باب واحد أدى الى ما يستهجن مع الاستغناء عنه بمثل ، فاستعملوا (مثل) مع المظهر والمضمر جميعا ولم يستعملوا الكاف الا مع المظهر الا ماشذ » (٢).

وقال ابن عصفور : « ولا يجوز : زيد كه ، لاستغناء العرب عنه بمثله » وقال فى موضع آخر : « وأما كه وكك وكى فاستغنوا عن ذلك بمثله ومثلك ومثلى »(٣) .

ومنه استغناؤهم عن (مذه) بمذ ذاك .
وكان أبو العباس المبرد يرى اضافة ما تقدم الى الضمير ولا يمنع منها ويقول : اذا كان ما بعد حتى منصوبا اياه ؛ واذا كان مرفوعا : حتى هو ، واذا كان مجرورا : حتاه وحتاك ، ويقول فى (مذ ذاك) اذا كان مرفوعا : مذهو ، واذا كان مجرورا مذه ومذك . وكان سيبويه يمنع ذلك . يقول ابن يعيش : « والصحيح ما ذهب اليه سيبويه لموافقته كلام العرب »(٤) وربما جاء فى الشعر بعض ذلك مضمرا ، وهذا شاذ أو ضرورة ، كقوله .

(كام او عال كها او اقربا)

وقوله :

فلا والله لا يلفى اناس
فتى حتاك يابن ابى زياد

ومنه استغناؤهم عن جر هاء التنبيه وهمزة الاستفهام وقطع الف الوصل وواو القسم للضمير بباء القسم نحو : (بك وبه وبى) ، لأن الباء فى معناها (٥) ومنه استغناؤهم عن جر واو رب للضمير برب (٦) .

وبعد فهذا آخر ما من الله به على فى الحديث عن الاستغناء فى اللغة العربية ، والله اسأل ان ينفع به انه نعم المولى ونعم النصير .

د / حمدى عبد الحميد المقدم

---

(١) شرح الجمل ٢٦٥/١ ، ٤٧٤ .
(٢) الايضاح شرح المفصل ١٥٧/٢ .
(٣) شرح الجمل ٢٧٥/١ ، ٤٧٥ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٦/٨ .
(٥) شرح الجمل ٤٧٤/١ .
(٦) المرجع السابق ٤٧٤/١ .

الاتجاه الشمولى فى دراسة الأدب العربى

للدكتور يوسف حسن نوفل

فى المفهوم :

من الباحثين من اختاروا الاتجاه الشمولى طريقا الى محاولة الاحاطة بدرس الأدب العربى الحديث ، ونعنى بالشمولى هنا تناولهم لظاهرة أدبية او تيار فنى ، او حديثهم عن جنس أدبى من خلال نماذج من بيئات عربية شتى ، اذ لم يقتصروا فى دراستهم على نتاج بيئة بعينها او بيئات متجاورة بعينها ايضا . بل حاولوا القاء نظرة أدبية شاملة على الأدب العربى المعاصر .

وانما أطلقنا على هذا الاتجاه سمة الشمول ، نظرا لما فيه من طموح الى تجاوز الدائرة البيئية المحدودة لاقليم ما ، وان كان من الحق ان نقرر ان الشمول هنا ليس تاما ، وان هذا الطموح لم يحلق بعيدا ، ولكى تتضح الصورة نلتقى ببعض النماذج التى حاول أصحابها دراسة الأدب العربى الحديث من منطلق يتجاوز حدود البيئة الخاصة ، ويمكن القول : ان نماذج هذا الاتجاه تراوحت بين الوجوه التالية :

- القاء النظرة العامة .
- تناول جنس أدبى .
- دراسة تيار او ظاهرة .

ذلك أن من يطمح الى تناول الأدب العربى المعاصر فى اطاره العام ، وفى منطلقه الشامل يتحتم عليه أن يكون ملما بتياراته ، وظواهره ،

٩

ومدارسه الأدبية ، ونمو أجناسه الأدبيـة ، وتعاقب الأجيال فيه ، والصلات الفنية الوثيقة بين أجيال كل بيئة من ناحية ، وأجيال البيئات الأخرى من ناحية ثانية .

واذا حاول دارس أن يزعم لنفسه أنه مطبق لهذا الاتجاه ، الاتجاه الشمولى فقـد يجـد نفسه فى حاجة ماسة الى أن يضم فى دراسـة واحدة عن الشعر أفرادا من جيـل واحـد ـ تقريبا ـ تناءت بهم الدار وبعدت الشـقة ، فيضع فى باقة البـارودى مثـلا (١٨٣٨ ـ ١٩٠٤ م) كلا من : أحمد فارس الشـدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) ووردة اليازجية (١٨٣٨ ـ ١٩٢٤) من لبنان ومحمد بن عبد الله بـن عثيمـين (١٢٦٠ هـ ـ ١٣٦٣ هـ) من نجـد بالسعودية وابراهيم الأسكوبى (١٢٦٩ هـ ـ ١٣٣٢ هـ) من المدينة المنورة بالسعودية وأبى بكر العلوى (١٨٤٦ ـ ١٩٢٣) من اليمن ، وعبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٩ ـ ١٩٠٢) من سوريا ، ويوسف النبهانى (١٨٤٥ ـ ١٩٣٢) من شمال فلسطين ، وكان هذا الشاعر قد رحل الى مصر سنة ١٨٦٦ ، وقال عنه « شـكيب أرسلان » انه من أشهر شـعراء العصر (١) ، وقد يضم بعضهم وآخرين غيرهم الى حديقة «شوقى» من أمثال الزهاوى (١٨٦٣ ـ ١٩٣٦)، والرصافى (١٨٧٥ ـ ١٩٤٥) بالعراق ، وأحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨ ـ ١٩٦١) بليبيـا ، وشكيب أرسلان (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦) بلبنان ، وفؤاد شاكر من السعودية .

وقد يجـد فى نطـاق مدرسة أبوللـو (٢) أن الشاعر ابراهيم ناجى (١٨٩٦ ـ ١٩٥٣) قد أنشأ هو ومجموعة من الأدبـاء المصريين ما سموه (رابطة الأدباء) (٣) وانضم اليهـا من بعض البيئات العربية من أمثال :

محمود مسعود من كندا ، وزكى قنصل من المهجر ، وعبد الله زكريا الأنصارى من الكويت وعبـد اللـه عبـد الجبـار ، ومحمـد سعيد العامودى ، ومحمد العـامر الرميح ، وابراهيم هاشم فـلالى ، وكلهم من المملكـة العربية السعودية وأحمد الملائكة ، وعدنـان الراوى ، وروكس بن زائد العزيزى وهو من شرقى الأردن ، ومجيد الخفاجى من بغداد ، وأبـو القاسـم كـرو من تـونس ، وزكى المحاسنى من سوريا ، ومصطفى الدباغ مـن الأردن ، وهارون هاشم رشـيد من غـزه ... الخ .

---

(١) أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربى الحديث دمشق ١٩٧٠ ، ص ٣٨ وغيرها .

(٢) بدأ انتاج بعض شعرائها منذ ١٩١١ كأبى شادى ، ويعتبر عام ١٩٢٧ تاريخ الظهور هـذا الاتجاه بظهور « الشفق الباكى » لأبى شـادى . وتدفقت دواوين أعضاء الجماعة سنة ١٩٢٤ ، وظهرت مجلة (أبوللو) سنة ١٩٣٢ ، وهكـذا كان شعر على محمود طه ، والهمشرى ، وخليل وصالح جودت ، والصيرفى .

انظر عبد العزيز الدسوقى جماعة أبوللـو القاهرة ١٩٦٠ ، والدكتور أحمد هيكل ، تطـور الأدب الحديث القاهرة ط ٣ ص ٢٩٧ ـ ٣٦٣ .

(٣) أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربى الحديث ص ٢٤٨ (وهى رابطة الأدب الحديث) .

وفي ذلك يتاح للباحث أن يحيط بالظاهرة الأدبية من جميع وجوهها ، فيقف على الصلات التي تربط أديبا شاميا بآخر من الجزيرة ، وأديبا عراقيا بآخر مغربي ، فيصل الى ميلاد الظاهرة وامتدادها ، ولا تقوم أحكامه على التعميم .

كما أن دراسة أي وجه من وجوه النشاط الأدبي في العالم العربي المعاصر ترتبط فيها البيئات ارتباطا كبيرا ، نذكر من ذلك — على سبيل المثال — حركة الترجمة التي وضع أسسها محمد على في مصر ، لقد كان معظم المترجمين آنذاك من المغاربة والسوريين والمصريين والأرمن من أمثال :

روفائيل زاخور ، ويوسف فرعون ، ومحمد عمر التونسي ، ورفاعة الطهطاوي .

ويختلف الأمر هنا عما نراه في الجهد العظيم لعلماء « البيليوجرافيا » ، حين يهتمون بحصر

رءوس الموضوعات على نحو ما زاد به محمود الشنيطي هذا المجال بدراسته (تصنيف

الموضوعات في المكتبات العربية واعداد جدول قياسي لعناوين الموضوعات ونظام تصنيف موجز باللغة العربية) سنة ١٩٦٢ ثم أحمد أنور

عمر في رءوس الموضوعات في الفهارس (١) سنة ١٩٦٧ ، ثم جلال الدباغ في (رءوس

الموضوعات لكتابة الأبحاث : دراسة منهجية في الكشف عن المعلومات واعداد رءوس الموضوعات للمكتبة العربية) (٢) وما صدر عن مؤتمر الاعداد البيليوجرافي للكتاب العربي(٣)

بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمدينة الرياض (٤) ، ثم جهود كل من محمد أمان ، ومحمد محمد الهادي ، وزاهدة

ابراهيم ، ومحمد فتحي عبد الهادي ، وابراهيم أحمد الخازندار ، ومحمود حشاد ويحيى

ساعاتي ، وأمثالهم (٥) . ويهمنا منها — بطبيعة الحال — ما يتصل بالأدب العربي

الحديث ، وقد قلنا : ان الأمر مختلف في هذه الأعمال عما نراه في الدراسات الأدبية ، التي

تتجاوز الحصر والتصنيف الى الدراسة والتحليل والتنظير والتطبيق ، ولعل اتصال

جهود الباحثين في المجالين يؤدي الى ما نسميه « البيلوجرافية » الأدبية القومية (٦) .

وقد قلنا ان وجوه التناول تراوحت بين : النظرة العامة ، أو تناول الجنس الأدبي أو التيار والظاهرة .

---

(١) بغداد ، جامعة بغداد ١٩٦٨ .
(٢) بغداد ١٩٦٩ .
(٣) الرياض ١٣٩٣ هـ .
(٤) بين ٢٩ من شوال ، و ٧ من ذي القعدة ١٣٩٣ هـ (٤ نوفمبر — ١ ديسمبر ١٩٧٣) .
(٥) انظر في ذلك مقالات حول رءوس الموضوعات بمجلة عالم الكتب ، السعودية العدد ٢ — ١٩٨١ .
(٦) انظر بحثا لنا بحولية كلية البنات — جامعة عين شمس .

في حاشية الأمير

قضايا فكرية وأدبية واجتماعية

في مغاني « المغنى » تهيأ الجمع الحاشد للاجتماع ، وكانت الاعلام مرفوعة ، ومصابيح العلوم والآداب والفنون مضيئة ، واتجه سعداء الحظ من اهل الفكر والشعر والفن الى قاعة الاجتماعات ، وماهي الا دقائق حتى كانوا على مقاعدهم يستشرفون طلعة الامير وخاصته، واهل عليهم ببسمة حانية ، ثم جلس ، فوقف « سكرتير » الجلسة السابقة يعلن اخلاء المكان لغيره ... واهل الخلود لهم حسهم الكاشف ، فاتجهت انظارهم الى « ابن الشجرى » ليقوم بتلك المهمة العظيمة .

وابن الشجرى كما هو مثبت في الحاشية « الشريف أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد ، من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب ، ناب في الكرخ عن الطالبيين في النقابة . امام مفرد في علوم الأدب ، صنف الأمالى والانتصار لنفسه على ابن الخشاب . قرأ على « الخطيب التبريزى » واقرأ النحو سبعين سنة ، أخذ عنه التاج الكندى . قال ياقوت : نسب الى بنت الشجرى من قبل أمه . وقال بعضهم : كان في بيته شجرة وليس في البلد غيرها . ولد في رمضان سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة ومات في سادس رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة » وتنحى له القاضى عبد العزيز الجرجانى عن مقعده ، فاقبل ابن الشجرى وجلس وهو ينشد :

كـانت منازلنـا التى كنـابها
شـتى فـألف بيننـا دوار

فضجت القاعة بالضحك ، فالحاضرون يعلمون أن «دوارا» هذا كان «سجن اليمامة» وقائل الشعر لص اسمه « جحدر » فقال ابن الشجرى : لئن جمع دوار وهو سجن اللصوص من كل صقع فقد جمعنا « المغنى » من كل قبر ، وهو مجمع الخالدين من كل قطر . قال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى : لابأس في ذلك، فالأديب يوجد علاقة بين الشىء وضده فيكون المعنى جميلا نبيلا . قال ابن الشجرى : أود أن تكون جلستنا اليوم معنية بالموضوع عنايتها بالشخص ، ليكون مجال القول ذا سعة وحتى لا نحرج أحدا .

للأستاذ السيد حسن قرون

وسأتقدم بالموضوعات واحدا تلو الآخر دون تحديد حتى يكون الوقت وقوة الاحتمال هما الحد الفاصل لرفع الجلسة . مواقق الجمع السعيد . وبدأ طرح الأفكار ، على أن السكرتير مقيد بما في الحاشية ، فليس له أن طرق موضوعا لم يكن من موضوعاتها ، ولا أن يذكر اسما لم يدون في دفتر التشريفات ، والسكرتير على علم تام بتلك القيود . وقد جعل همه الاقدم فالأقدم في سيره بالحوار وعرض المسائل .

ابن رواحة :

وكان أن أعلن : هل للرجل أن يكذب على أهل بيته ؟ وتبارى الحاضرون في ابداء الرأى . وهنا قدم لهم ترجمة دونها مولانا الأمير عن الصحابي الشهيد « ابن رواحة » ذاكرا المراجع التي اعتمد عليها غير أنه سها عن سنة استشهاده ، فذكر أن « عبد الله بن رواحة » مات سنة سبع من الهجرة ، والصواب أنه ستشهد في غزوة « مؤتة » في جمادي الاولى سنة ثمان من الهجرة — حسب رواية ابن اسحاق — وفي هذه الغزوة استعمل النبي — صلى الله عليه سلم — « زيد بن حارثة » وقال : ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، وكل أخباره كما أثبتها الأمير صحيحة قال عنه : شهد بدرا والعقبة وهو أحد النقباء ، وشهد أحدا والحديبية وعمرة القضاء والخندق وخيبر ، استخلفه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على المدينة حين خرج الى بدر الصغرى .

اخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعبد الله ابن رواحة لو حركت الركائب . قال لقد تركت قولى (يريد الشعر والرجز) فقال له عمر : اسمع وأطع فقال الأبيات التي منها الشاهد :

« ونحن عن فضلك ما استغنينا »

فعند النحاة أن « ما » لها الصدر مطلقا وأن ما جاء في قول ابن رواحة خاص بالشعر مع الظرف للتوسع كأن الكلام ينبغي أن يكون « ونحن ما استغنينا عن فضلك » فقال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت ، ولم يعقب : أى ليس له ولد ، وعنه أنه قال : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ. روى عنه ابن عباس وأنس وأسامة وكان أخا أبي الدرداء لأمه ، وخال النعمان بن بشير ، وكان يكتب في الجاهلية ، وكانت الكتابة في العرب قليلة ، وعن حسن بن على رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعبد الله بن رواحة : ما الشعر ؟ فقال: شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه

٧

شعراء، وأنشد فى النبى شعرا فلقبه بسيد الشعراء . وسنذكر هذا الشعر فيما بعد .

وعن محمد بن سيرين قال : كان شعراء النبى – صلى الله عليه وسلم – : عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك. وروى أبو يعلى عن أنس قال دخل النبى – صلى الله عليه وسلم مكة فى « عمرة القضاء » فى السنة السابعة من الهجرة – وابن رواحة بين يديه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يابن رواحة ، حرم الله وبين يدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تقول الشعر ؟ فقال النبى : خل عنه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وأخرج الزبير بن بكار عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ما سمعت بأحد أجرأ ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة يوم يقول له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك ثم أبده بصره ، فانبعث ابن رواحة يقول :

انى تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم ما ان خاننى بصر
انت النبى ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أودى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
كالمرسلين ونصرا كالذى نصروا

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –
« وانت فثبتك الله »

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عروة قال: لما نزلت : « وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ » قال عبد الله بن رواحة : قد علم الله أنى منهم . فأنزل : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ » الآية الأخيرة من سورة الشعراء .

هذه هى حياته الجادة تقابلها حياة مرحة أخرج ابن عساكر عن عبد العزيز ابن أخى الماجشون . قال : بلغنا أنه كان لعبد الله بن رواحة جارية يستسرها سرا عن زوجته الحرة ، فبصرت به يوما قد خلا بها ، فقالت : لقد اخترت أمتك على حرتك ، فجاحدها ذلك . قالت : فان كنت صادقا فاقرأ آية من القرآن. فقال :

شهدت بأن وعد الله حق
وأن النار مثوى الكافرينا

قالت : فزدنى آية أخرى . فقال :

وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا

فقالت : زدنى آية أخرى . فقال :

وتحمله ملائكة كرام
ملائكة الاله مقربينا

فقالت : آمنت بالله وكذبت البصر ، فأتى ابن رواحة النبى – صلى الله عليه وسلم – فحدثه فضحك ولم يغير عليه .

ولا يقتصر الأمير على تلك الرواية فيشفعها

برواية أخرى في هذا الشأن فيقول : وأخرج ابن عساكر عن عكرمة مولى ابن عباس أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعا الى جنب امرأته فخرج الى حجرة لجارية له فكان لـه معها ما يكون بين الزوجين ، فاستيقظت زوجته الحرة ولم تجده بجوارها فخرجت فاذا هو في فراش الجارية فرجعت وأخذت الشفرة . فقال لها : مهيم مهيم ؟ فقالت : مهيم ! أما أني لو وجدتك حيث كنت لوجأتك بها . قال : وأين كنت ؟ قالت على فراش الجارية . قال : ما كنت قالت : بلى . قال فان : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى أن يقرأ احدنا القرآن وهو جنب . قالت : فاقرأه فقال :

أتانا رسـول الله يتلو كتـابه
كمـا لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهـدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن مـا قال واقـع
يبيت يجافي جنبه عـن فراشـه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فحدث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك فضحك حتى رد يده على فيه . وقال : هذا من معاريض الكلام ، يغفر الله لك يابن رواحة ان خياركم خيركم لنسائه . فأخبرني ما الذي ردت عليك حيث قلت ما قلت ؟ قال : قالت لي أما اذا قرأت القرآن فاني أتهم ظني وأصدقك . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لقد وجدتها ذات فقه في الدين (١)، على أن ابن رواحة كان موضع ثقة من زوجته وتراه في الرعيل الأول من أهـل التقـوى . ويروى مولانا الأمير في الترجمة رواية ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة فقال لها : أتدرين لم تزوجتك لتخبريني عن صنيع عبد الله ابن رواحة في بيته ؟ فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته ــ صلى ركعتين ، واذا دخل داره صلى ركعتين . لايدع ذلك أبـدا . وأخرج البيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحـة أتى النبي ــ صلى اللـه عليه وسـلم ــ وهـو يخطب فسمعه وهو يقول : اجلسوا ، فجلس مكانـه خارجا من المسجد حتى فرغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من خطبته فبلغ ذلك النبي فقال زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعيـة رسوله .

ولقد استقصيت ما كتبه مولانا الأمير في ترجمة عبد الله بن رواحة رضي اللـه عنـه لأعطيك معي صورة عن صنيع صاحب الحاشية ومدى اطلاعه ، ولكنا نحن حين نترجم لانسلك مسلكه فهـو ينص على المـراجع ويستخرج الأخبار استخراجه للأحاديث الشريفة ، ولأمر كان معه لا معنا أن ما ذكره يتصل بصورة أو

---

(١) في الشرح الصغير للشيخ احمد الدردير ان الكذب تعتريه الاحكام ، فيكون واجبا لانقاذ نفس معصومة أو مال معصوم من ظالم ولو حلف لا كفارة عليه عند التتائي ، وعليه الكفارة عنـد الناصر . وقسم حرام تكفره التوبة كالاخبار عن شيء وبغير ما هو عليه لغـير ضرورة ، ومـن الكذب الحرام الثناء على شخص بغير ما هو فيه ، ويكون مندوبا كالاخبار الكفار بقوة المسلمين وليس فيهم قوة . ويكون مكروها كالكـذب للزوجة وقيل مباح كالكذب للاصـلاح بين متشاحنين .

بأخرى بسيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم.

وقد سجل ابن الشجري ما قاله الحاضرون، فقد ارتضوا مسلك ابن رواحة في جده ولعبه، وأجازوا الكذبة البيضاء على الزوجة مادامت لا تحل حراما، ولا تحرم حلالا. وقد لاحظ الأعضاء ما دونه الأمير من الروايتين، وكان يمكن الاستغناء بواحدة منهما عن الأخرى.

وأنا أميل الى الأخذ بالرواية الأولى، لأنها تحتوى على شعر به قواف نونية تشبه رءوس الآيات: الكافرين العالمين. المقربين ولا أدرى لم جاءت « المقربين » منصوبة مع أنها صفة لمرفوع ؟ ولعلها نصبت لقصد المدح.

وحياة ابن رواحة جديرة بالكتابة عنها فهو مثال المؤمن المجاهد الصادق وكفاه ذكرا استشهاده في ميدان القتال في غزوة مؤتة وكأنه دعانا للكتابة عنه بقوله قبل أن ينازل الأعداء، فقد رد على دعاء المسلمين للجيش: « صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين » وكان رده شعرا قال:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا (١)
او طعنة بيدى حران (٢) مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى
ارشده الله من غاز وقد رشدا

والشاهد البيت الأخير، فنحن نذكره ونقول: « أرشده الله من غاز وقد رشدا » رضى الله عنه وأنزله منازل الشهداء والصديقين.

جرير

واعلن سكرتير الجلسة شكوى جرير من كثرة عياله، فقد قرأ ما جاء في المغنى وحاشية الأمير في صوت واضح، ونبرة متعجبة بقول صاحب المغنى ان « أو » تأتى للاضراب مطلقا محتجا بقول جرير راويا عن الكوفيين وأبى على وأبى الفتح وابن برهان:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم
لم أحص عدتهم الا بعداد ؟
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لولا رجاؤك قد قتلت أولادى !

علق مولانا الأمير هكذا: « قوله جرير » أى يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك، والعيال جمع عيل بوزن سيد، ويجمع أيضا على عيائل وهو من عاله يعوله اذاقام بمصالحه وبرمت تعبت وزنا ومعنى.

شرح مولانا الأمير معنى « العيال » ومعنى « برم » ولم يتحدث عن مدى ضيق الشاعر ولا عن الأمير الممدوح وكان أعضاء المجلس في حاجة الى رأيه.

قال « مربع » راوى شعر جرير: لم اخترتم الحديث عن عيال جرير وقد سجل له مولانا الأمير كثيرا من المواقف والشعر الذى يستشهد به ؟ قال ابن الشجرى: لم يغب عنا ما تقول يامربع غير أننا نظرنا فوجدناه يشكو من كثرة

---

(١) ذات فرغ المراد اتساع وتقذف الزبد ترمى بالدماء الغزيرة.

(٢) حران = مغيظ

عياله ، ولم ينظر الى ماجرى له من جده « الخطفى » فقد ولد جرير بن عطية باليمامة ، وكان أبوه راعى أعنز له ، وكان جده الخطفى ذا ابل ومال فلما ولد جرير وهب له ذلك الجد بعضا من ابله وماله ثم ولد لذلك الجد بنون فرجع فيما وهب لجرير ، وقد عاتبه جرير بشعر يقطر ألما وأسى منه :

فانت ابى ما لم تكن لى حاجة
فان عرضت ايقنت ان لا ابا ليا
باى سنان تطعن القوم بعدما
نزعت سنانا من قناتك ماضيا

فكان عليه أن يرعى حاله ولا يكون له ذلك العدد الضخم الذى يحتاج الى عداد ، كانوا ثمانين بل زادوا ثمانية ، ولو استخدمت «أو» للشك كان ملوما لأنه لا يعرف عدد أولاده .

ولأن المتحدث عنه قبله وهو ابن رواحة مات شهيدا ولم يعقب ولداولا بنتا ولم يشك يوما عيلة ولا فقرا ، بل كان مع جهاده وورعه يأخذ من الدنيا بشاشتها لا عبوسها ، وحلوها لا مرها .

قال قائل : ويخيل الى أن الامام الشافعى فسر « ألا تعولوا » من قوله تعالى فى سورة النساء « **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** » أن لا تكثر عيالكم — مع أن معظم المفسرين ومنهم السيدة عائشة فسروا « ألا تعولوا » ألا تجوروا — بروايته شعر جرير . وأغلب الظن أن الأمير معاوية بن هشام كان عند حسن الظن به فأسنى الجوائز لجرير مادحه ، وقد تعود جرير الشكوى من الفقر منذ شبابه ، ولجده أثر فى عادته ، ولقد وجدناه يقول للحجاج :

انى لمرتقب لما خولتنى
والفضل سيبك يابن يوسف راجى

فهو مرتقب لما تعهده به ، ومنتظر فضل عطائه ، وأوضح من هذا فى السؤال وذلة الطلب قوله للخليفة عبد الملك بن مروان :

أغثنى يافداك ابى وامى
بسيب منك انك ذو ارتياح

يطلب الاغاثة بسيب وهو العطاء والتعليل انك ذو ارتياح وسرور بما تعطيه . والعجيب أننا نعتذر عنه بأن عصره كان لايذم هذا السلوك وأميره الذى شكا اليه حاله محظوظ بشعره فلولا شعر جرير ما نوه به رجال الأدب ، لأنه لم يل شئون المسلمين بعد أبيه هشام بل مات فى عهده على أثر حادث أليم فقد ركب حصانه وجرى به فى حديقة كثيرة الشجر متعانقة الأغصان ، أسرع الحصان واستبكت به الأغصان فسقط على الأرض فكانت القاضية . وقد ترك أولادا صغارا كان الوالد هشام الخليفة كلما نظر اليهم بكى وتذكر ابنه . وقد بلغ نسيان التاريخ له أن ابنه « عبد الرحمن » صقر قريش والملقب بالداخل الذى هرب من العباسيين وركب الوعر من الجبال وذاق مشقة الخوف والسهر ثم عدى البحر الى الأندلس فأسس دولة عاشت أربعة قرون ، حتىيكتب المؤرخ تاريخه ينسى معاوية ويضع مكانه اسما آخر .

قال المبرد : أنا لا اعرف له هذا العدد من الأولاد ، كانت عنده الزوجة الحرة ، وعنده

الأمة . وأشهر أمة أعطاها له الحجاج اسمها « أمامة » وله فيها شعر . فأولدها حكيما وبلالا وحزرة هؤلاء من أذكر من ولدها هكذا يذكر المبرد . ويقول في موضع آخر :

وأنشد لبلال بن جرير وبلغه أن موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه . لأنه ابن أم ولد . فيقول قال ابن أم حكيم فقال بلال :

يارب خال لي أغر أبلجـــا

مــن آل كسرى يفتدى متوجا

ليس كخال لك يــدعى عشنجـا

والعشنج المتقبض الوجــه السيء المنظر . باب ٣٦ ــ الكامل . الجزء الاول

وتذكر كتب الادب ومنها مذكرات في تتمة منهاج الأدب العربي وتاريخه للسنة الثانية من كلية اللغة العربية « ١٩٣٦تأليف « عبد الباقي ابراهيم ومحمد البيلي الفار » أن لجرير أخوين أحدهما يســمى « عمــرا » ويســمى الآخر « أبا الورد » وله أولاد ثمانية ذكور . وكــان أفضلهم وأشعرهم يــدعى « بلالا » فمــن نصدق ؟ أنصدق المؤرخين أم شعر جرير ؟ لقد عاش جرير عمرا طويلا . فمن الجائز أن يكون هؤلاء الأبناء قد تزوجوا وكثر نسلهم . فمنذ عهد « يزيد بن معاوية بن ابي سفيان » الــى عهد « هشام بن عبد الملك بن مروان » وهــو يمدح الخلفاء والأمراء والولاة والقــادة فلعله ينطق عن حق ويعبر عن واقع .

وقد وصفه مؤرخوه بالدين والخلق الطيب والفطرة السليمة ومثل هذا لا يكــذب . واذا كان قد هجا فاقذع فانما أكثره على الهجــاء اكراها . فالهجاء في عهد بني أمية كان مقصــودا لذاته . ليلهوا النــاس به عن الاهتمام بأمور الدولة ومايحدث في ربوع البــلاد ولأن بعض الشعراء لهم طبيعة العدوان المتمثل في الطعن باللسان بدل السنان . ومنهم الأخطل والفرزدق الراعي النميرى . وجرير يقول عــن نفســه : « انا لا أبتدى ولكن أعتدى » مات جرير سنة ١١٠ هـ في خلافة هشام بعــد وفاة خصــمه المناكس الفرزدق بستة أشــهر . وترك لنــا ديوان شعر به ستةآلاف بيت من سقى الشعر وفاخره،وشعر النقائض به رده على الفرزدق، حوى شعره وشعر الفرزدق معا . وأنا لست مع القائلين بأن جرير عاش طوال حياته في هم ونكد من شظف العيش من جهة . ومن هجــوم الشعراء عليه من جهة أخرى . وأنا أعتقد انه سعيد بموقفه من الشعراء ولأن عيشه باتصاله بالحجاج وعبد الملك وأولاده . وكيف لا يسعد وقد هاجاه نحو ثمانين شاعرا فعلبهم وأسكتهم ولم يثبت له الا شــاعران : الأخطل والفرزدق، وكانت كفته راجحة عليهما لسهولة شعره ورقة نسيبه . ومصداق ذلك أن جريرا هجا الراعي النميرى بالبصرة وفي مجتمع « المربد » والمربد في الاسلام مثل عكاظ في الجاهلية له خطره وأثره في ميدان الشعر ورواته . فحين سمــع الراعي الشعر فزع وترك البصرة ومعه ابنه جندل فما حط رحاله في مكان الا ســمع شــعر جرير ومنه قوله :

فغض الطــرف انــك من نمير

فلا كعبــا بلغت ولا كــلابا

ولمكانته الشعرية سعى اليه بنو « يربوع » ابرزل البصرة حتى يكون تجاه الشعراء الذين

يتنازلونه وفي مقدمتهم الفرزدق . وأسكنوه منزلا خاصا به وفيه نظم هجاء الراعي النميري والمربد في البصرة جعل منه الشعر صرحا يؤمه عشاق الشعر واللغة وطلاب الاخبار والانساب وارتفعت « يربوع » بشعره . فقد ذكر مآثرهم ومفاخرهم في الجاهلية والاسلام . أما ما تراه في شعره من شكوى فذلك راجع الى عادة سقطت على قلبه من موقف جده منه . وجرير في نظري يضارع شعره في العصر الأموي شعر البحتري في العصر العباسي . فكلاهما يغترف من بحر لا ينضب . وكلاهما يمثل الشعر العربي في منهجه ووضوحه وسمو خياله .

وقد كان المبرد توفي سنة ٢٨٥ هـ معاصرا وصديقا « لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير »

وروى له شعرا كثيرا في كتابه « الكامل » وجعله علامة على التفوق وان كان من المحدثين قال : وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب . ولكن يعطى كل ما يستحق . الا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده .

تبحثتم سخطي فغير بحثكم

نخيلة نفس كان نصحا ضميرها

ولن يلبث التخشين نفسا كريمة

عريكتها أن يستمر مريرها

وما النفس الا نطفة بقرارة

اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وهذا شعر اجتماعي في الطبقة العليا . شديد الأسر شريف المعنى ويجدر بمن كان حفيد جرير أن يكون في الشعر من الفحول . والحمد لله على أن جرير . لم يعرف تحديد النسل والا فاتنا رائع شعره وبارع أدبه .

وهنا رفعت الجلسة للاستراحة .

عادت الجلسة الى الانعقاد . وينبغي لنا أن ندرك أن الحاضرين ليسوا في حاجة الى طعام وشراب . فطعامهم رواية الشعر والنظر في معانيه ومراميه . وتقليب تراث الآباء من أدب وعلم وفن . وهم حين يستريحون يديرون في رؤوسهم ما حفظوا من منتخب القول وبارع الآداب .

« فتحت الجلسة » هكذا نطق سكرتيرها ابن الشجري . واشرأبت الأعناق للسماع . فأعلن ابن الشجري انه سيقرأ ما دبجه يراع مولانا الأمير في ترجمة حياة اللغوي الاديب « ابن السكيت » .

ابن السكيت

كان حديث « المغني » عن « بيد » وهو اسم ملازم للاضافة الى ان وصلتها وله معنيان أحدهما « غير » والاخر « من أجل » وذكر من أمثلة الأول : « هو كثير المال بيد انه بخيل » وفي المحكم أن هذا المثال حكاه « ابن السكيت » وهنا قال مولانا الأمير :

« قوله ابن السكيت » بالمهملة المكسورة كالكاف بعدها . أبو يوسف يعقوب . مصنف كتاب « اصلاح المنطق » من شعره :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه

وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته بالقول تذهب راسه

وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

ومن الحكايات الغريبة أنه رحمه الله أنشد ولدي المتوكل : المعتز والمؤيد وهو يعلمهما هذين البيتين ، ثم جلس بعد ذلك بيسير مع المتوكل فأقبل ولداه المذكوران ، فقال المتوكل يا يعقوب ، أيما أحب اليك ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله ان قنبرا خادم على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه خير عندى منك ومن ابنيك . فقال المتوكل للأتراك : سلوا لسانه من قفاه . ففعلوا ، فمات في ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومائتين (٢٤٤ هـ) رحمة الله تعالى عليه . انتهى كلام الأمير .

وطلب الكلام أكثر من واحد ، وكان من المتحدثين أبو زكريا الخطيب التبريزى ، وابن خلكان ، وصديق لابن السكيت وغيرهم من المفكرين بعضهم تعرض لحياته ، وبعضهم تحدث عن كتابه ، وبعضهم نعى عليه موقفه من الخليفة العباسي المتوكل وولديه ، وذكر بعضهم

طرفا من شبابه وسعيه للتكسب واثبت ابن الشجرى ملخص ما قيل على النحو الآتى :

أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت كان من اكابر النحاة واللغويين والسكيت لقب ابيه

اسحق ، أخذ عن أبي عمرو والشيباني والفراء وابن الاعرابي . وكان يؤدب مع ابيه صبيان العامة ببغداد في درب القنطرة حتى احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو واللغة ويختلف الى العلماء في هذا الشأن ، وكان أبوه رجلا

صالحا من أصحاب الكسائي حسن المعرفة بالعربية فحج وطاف ، وطلب من الله تعالى أن يعلم ولده النحو واللغة ، فأجيبت دعوته . فدرس لأهل القنطرة . ثم التحق بابن طاهر فكان راتبه « ألف درهم » ثم ترقت به الحال فصار مؤدب المعتز والمؤيد ابنى المتوكل .

وكان له صديق اسمه « عبيد الله بن عبد العزيز نهاه أن يكون مؤدبا لأبناء الخلفاء وقال فيه شعرا بعد مانكب هو :

نهيتك يايعقوب عن قرب شادن
اذا ماسطا أربى على كل ضيغم(١)
فذق واحس ما استحسيته لا أقول
اذ عثرت « لعا » بل لليدين وللفم

قال أبو الحسن الطوسى : كنا في مجلس « أبى حسن على اللحيانى » وكان عازما على أن يملى نوادره ضعف ما أملى ، فقال يوما تقول العرب : « مثقل استعان بذقنه » فقام اليه ابن السكيتوهو حدث فقال : يا أبا الحسن انما هو « مثقل استعان بد فيه » يريدون الجمل اذا نهض بحمله استعان بجنبيه ، فقطع أبو حسن الاملاء ، فلما كان المجلس الثانى أملى فقال : تقول العرب « هو جارى مكاشرى » فقام اليه ابن السكيت فقال : أعزك الله ومامعنى « مكاشرى » ؟ انما هو « مكاسرى » أى كسر بيتى الى كسر بيته .

---

(١) الشادن الغزال اذا قوى واستغنى عن امه . وسطا بطش والضيغم من اسماء الاسد .



فانقطع اللحيانى عن الاملاء فما أملى بعد ذلك شيئا .

وشكا أحد الأدباء الى ابن السكيت ضائقة فقال له : هل قلت شيئا ؟ قال : لا قال : فأقول انا وأنشد :

نفسى تروم أمورا لست مدركها
مادمت أحذر ما يأتى بـه القدر
ليس ارتحالك فى كسب الغنى سفرا
لكن مقامك فى ضر هو السفر

هذا له . أما الذى عليه فهو . قال أبوعثمان المازنى اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات (وزير على عهد المعتصم والواثق والمتوكل) فقال الوزير : سل أبا يوسف عن مسألة فكرهت ذلك وجعلت أتباطأ مخافة أن أوحشه لأنه كان صديقا لى فألح على الوزير وقال: لم لا تسأله ؟ فاجتهدت فى اختيار مسألة سهلة لأقارب ابن السكيت فقلت له : ماوزن « نكتل » من الفعل من قول الله تعالى **« فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ »**(١) فقال لى : « نفعل » قلت : ينبغى أن يكون ماضيه « كتل » فقال : لا ليس هذا وزنه انما هو « نفتعل » فقلت « نفتعل » خمسة حروف « ونكتل » أربعة حروف أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف ؟ فانقطع وخجل وسكت . فقال محمد الوزير : فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على أنك لا تحسن وزن « نكتل » قال أبو عثمان المازنى : فلما خرجنا قال لى : هل تدرى ما صنعت ؟ فقلت له والله لقد قاربتك جهدى ومالى فى هذا ذنب قال بعضهم : ان هذا حدث بين يدى المتوكل .

وسواء حدث ما حدث بين يدى المتوكل أو فى مجلس ابن الزيات فان الأمر شائن لابن السكيت وهو اللغوى النحوى الكبير . ولكن

(١) من آية ٦٣ سورة يوسف .

عالم هفوة . وأبو عثمان لم يذكر الوزن وراوي الخبر لم يزن الفعل « نكتل » ونكتـل فعـل مضارع مجزوم في جواب الأمر وحذفت عين الفعل لأن اكتال مزيد بالهمزة والتاء وثلاثية « كال » الأجوف والألف فيه منقلبة عن الياء . وعلى ذلك فوزن « نكتل » «نفتل » .

وقرأت في كتاب لا أذكره زمن الصـبا أن بعض الناس سئل عن معنى « نكتـل » فقال : اسم رجل .

وقد أطلت في هذا الامـر وكان حقـه أن يوجز ، ولكن موقف ابن السكيت من اللحياني أغراني بذكر حكاية أبي عثمان المازني وسؤاله والتعليق عليه .

ونأتي الى حكاية المأساة التي أودت بحياة ابن السكيت ، وفيها أكثر من رواية لكنني أوثر ما ذكره مولانا الأمير ، لأن كل الكتب ذكرته . قال الرواة الكاتبون : كان المتوكل قد ألزمـه تأديب ولده المعتز بالله ، فلما جلس عنده قال له : بأي شيء يحب الأمير أن نبدأ (يريد مـن العلـوم) فقـال المعتز بالانصراف . قال ابن السكيت : فأقوم ؟ قال المعتز : فأنا أخف منك نهوضا ، فقام مستعجلا فعثر بسراويله فسقط والتفت الى ابن السكيت خجـلا وقـد احمر وجهه ، فأنشده :

« يصاب الفتى من عثرة بلسانه » البيتين .

فلما كان من الغد دخل المتوكل فاخبره بمـا جرى فأمر له بخمسين ألف درهم وقال : قـد بلغني البيتان (١) .

ثم جاءت حكايـة المعتز والمـؤيد والحسـن والحسـين والأمر بقتله واختلفوا في تـاريخ وفاته وأنا آخذ برواية الأمير وهو سنة ٢٤٤ هـ والمتوكل قبل ذلك بعام تسبب في وفاة وزيره الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات في « تنوره » وإراقة الدماء جرأت جنده الاتراك عليه فقتل منهم سنة ٢٤٧ هـ وهو ابتداء ضـعف الدولة العباسية .

وقد ترك لنا ــ كما قدمت ــ كتابا كان محط أنظار علماء اللغة ، شرحوه وهذبوه ، وكانوا يقولون : « اصـلاح المنـطق » لابن السـكيت كتاب بلا خطبة أي مقدمة « وأدب الكاتب » لابن قتيبة خطبة بلا كتاب ، لأنه طول الخطبـة وأورد فيها فرائد . توفي ان قتيبة سنة ٢٧٦ هـ وممـن اهتم « باصـلاح المنطق » الـوزير أبو القاسم المعروف بابن المغربي وقد هذبـه أبو زكريا ابن الخطيب التبريذي المتوفى سـنة ٥٦٢ هـ وعرف كتابه باسم « تهذيب اصـلاح المنطق » .

وأعود الى مقتل ابن السكيت فأقـول : ان معظم الذين تحدثوا عنه ــ مع عطفهم عليه ــ

(١) روايه الشيخ الامير ان الامر حدث في اليوم نفسـه وهي رواية مذكورة اعقبها ارسـال المتوكل ديته لابنه .

عابوا موقفه من المتوكل ، فالسؤال محدد عن أحب الفريقين اليه : الحسن والحسين أم المعتز والمؤيد ؟ فما الذى دفعه الى ذكر «قنبر» خادم على رضى الله عنه ؟ ولم أدخل المتوكل فى مقابلة قنبر مع ولديه ؟ ولم لم ينظر الى نفسه وهو يتقاضى أجره ممن يخاطبه ؟ وما هكذا يكون خطاب الملوك وأرباب الدولة ولم يكن ممن نيط بهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . لقد كان موقفه موقف « مالك الحزين »

فى كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع ، موقف الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه ، لقد كدت آخذ برواية من قال : ان ماحدث بين المتوكل وابن السكيت كان هزلا انقلب الى جد،

لأن الرجل الذى يروى عن الأعراب « جارى مكاسرى» لا يعزب عن باله وقع الكلمة السيئة على رجل مثل المتوكل يعتز بميراث ضخم منذ العباس عم النبى — صلى الله عليه وسلم — الى أبيه الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد الا يروى ما وقع لغيره مع الخلفاء وكيف تصرفوا ؟ ومما كان يروى أن معاوية بن أبى سفيان قعد بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن أبى طالب فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوص به خيرا وكان ابن السكيت فى امكانه أن يقول : أنتم آل البيت نترحم على موتاكم وندعو بالتوفيق لأحيائكم ، ولا يأثم اذا قال ذلك ومثله ولا يخرجه عن تشيعه ، والمتوكل نفسه نسى ما حفظه عن آبائه وأجداده فقد كانوا يحلمون على من تصدى لهم بالقول السيء ، ولكنه كان « شادنا » يفترس افتراس « الضيغم » كما وصفه صديق ابن السكيت .

والبيتان اللذان أنشدهما ابن السكيت للمعتز ونالا اعجاب المتوكل أرى أنهما ليسا من انشائه ، فقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى بالجزء الثانى تحت عنوان « باب الصمت » وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وقد يكون جعفر الملقب « بالصادق » متمثلا ، وارجو ان أحقق ذلك ما وجدت اليه سبيلا . واذا كان ابن السكيت خانه التوفيق عند المتوكل فقد حالفه التوفيق فى خدمة لغة العرب ، فقد أدى لها فوائد ذات فرائد تجدها فى كتبه التى تضاف الى « اصلاح المنطق » وهى على ما ذكروا : كتاب الزبرج ، وكتاب الالفاظ ، وكتاب الامثال ، وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الأجناس ، وكتاب الفرق ، وكتاب السرج واللجام ، وكتاب الوحوش ، وكتاب الابل وكتاب النوادر ، وكتاب معانى الشعر الكبير ، وكتاب معانى الشعر الصغير ، وكتاب سرقات الشعراء وكتاب فعل وافعل ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الاصوات ، وكتاب الاضداد ، وكتاب الشجر والنبات ، قالوا وله غيرها . ونحن نردد ما قاله مولانا الأمير فى الدعاء له بالرحمة وحسن الثواب . رفعت الجلسة ولنا عودة .

السيد حسن قرون

أنباء وآراء

جامعة إسلامية فى الجزائر

تقرر انشاء جامعة اسلامية فى الجزائر فى مدينة قسطنطينة . وستحمل الجامعة اسم الامير عبد القادر الجزائرى .

وتقرر أن تكون الدراسة فيها داخلية وتتسع لألفى طالب — والهدف من انشاء الجامعة تثقيف الشباب الجزائرى ثقافة دينية معتدلة نقية ، لا تدفع الى افراط أو تفريط . ومن الجدير بالذكر أن الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد يولى فكرة اقامة الجامعة الاسلامية كل اهتمامه .

صرح الشاذلى بن جديد أن هذه الجامعة سوف تكون صورة صادقة للاسلام وللفكر الاسلامى .

مؤتمر الحضارة الاسلامية

اختتم المؤتمر السنوى الثالث للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بالأردن ناقش المؤتمر القضايا والمشكلات والتحديات المعاصرة التى تواجه الاسلام والمسلمين .

صرح الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بأن من أهداف هذا المؤتمر : ابراز تصور اسلامى معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه مع استشراف المستقبل وارتياد آفاقه ومواجهة قضاياه وتحدياته المتجددة بمواقف وحلول علمية واسلامية من هدى الكتاب والسنة .

وكان من أبرز القضايا التى ناقشها المؤتمر : الخطة الثانية للمجمع الملكى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ضوء تعاليم الاسلام . وحماية البيئة والفهرس الشامل للفنون العربية الاسلامية ، وترميم المخطوطات فى بيت المقدس وفهرستها وتصويرها . وقد اشترك فى المؤتمر أكثر من مائة عالم من كبار علماء المسلمين فى العالم .

والمؤتمر يسعى الى اقامة الروابط الفكرية وتبادل وجهات النظر بين جميع العلماء وتحقيق التعاون والتنسيق مع مراكز البحوث والهيئات العلمية المتخصصة فى مختلف أنحاء العالم .

التربية الإسلامية في أمريكا الشمالية

إعداد:
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام

اقام الاتحاد الاسلامى فى أمريكا الشمالية دورة تربوية للمدرسين المسلمين فى أمريكا ·

شارك فى الدورة — التى ناقشت موضوع التربية الاسلامية والنظريات التربوية المعاصرة — بعض رؤساء الجمعيات والمراكز الاسلامية ورجال التربية والتعليم فى الولايات الامريكية ·

وصرح الدكتور محمد فخرى عميد قسم التربية بالكلية الاسلامية الامريكية بأن الدورة تهدف الى ادخال احدث الطرق التربوية الى المناهج فى العالم الاسلامى فى اطار اسلامى خالص ·

وقال : أن المجتمعين قرروا القيام بحملة توعية بين صفوف الآباء والأمهات ليساهموا فى تحقيق برامج التربية بمفهومها الاسلامى ·

المركز الإسلامي الأفريقي

قرر مجلس أمناء المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم عقد اجتماعه القادم بالقاهرة فى شهر أكتوبر من سنة ١٩٨٤ م · وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية الدول السبع المشتركة فى تأسيس المركز ·

واتخذ مجلس أمناء المركز عدة قرارات أهمها انشاء كلية للدعوة والتربية الاسلامية تضاف الى كليات المركز فى العام القادم ، وقبول مائتين وخمسين طالبا من الدول الاسلامية فى العام الدراسى القادم ·

كما قرر المركز الاسلامى اقامة معسكرات للدعوة فى أوغندا وكينيا وتنزانيا لخدمة التجمعات الاسلامية فى هذه الدول ·

وقرر المركز مد نشاطه ليغطى مكاتب تحفيظ القرآن التى تجمع حافظى القرآن من أبناء القبائل والمناطق النائية فى دول القارة الافريقية ·

مؤتمر الزيتونة واللغة العربية

أصدر المؤتمر الثالث للجامعات الاسلامية الذى عقد بكلية أصول الدين بالزيتونة بتونس عدة توصيات أهمها :

— تدريس الكتب والمراجع الاسلامية فى العلوم الشرعية باللغة العربية الفصحى ·

— اعداد شخصية عضو هيئة التدريس علميا وتربويا ليكون قدوة صالحة ·

— ضرورة تعميق الصلة بين الطالب وأستاذه فيما يحقق أهداف الجامعات الاسلامية ·

— العناية بتدريس اللغات التى تحتاج اليها طبيعة التخصص والبيئة ·

— عقد لقاءات بين عمداء كليات الشريعة والدراسات الاسلامية والعربية لوضع مناهج جديدة للدراسة بكليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الاسلامية والعربية ·

الفتاوى

إعداد : عبدالحميد شاهين
يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

تعدد الجمعة

س : من السيد / يوسف يونس ..
نجع الشيخ مبارك البحرى .

أقمنا بقريتنا مسجدا جديدا وأدينا فيه الجماعات وأقمنا صلاة الجمعة .. وكنا قبل اقامة هذا المسجد نؤدى صلاة الجمعة فى مسجد يبعد عنا نحو كيلومتر أو اقل .

فهل يجوز صلاة الجمعة فى هذا المسجد الجديد علما بأن كل مسجد منهما يصلى فيه أكثر من اربعمائة مصل ؟

حيث أن بعض الناس يقول أن صلاة الجمعة لا تصح فيه بحجة هجر المسجد الاول .

ج : لا يصح تعدد الجمعة فى البلد الواحد الا لحاجة ، كأن ضاق المسجد بالمصلين .. أو كان هناك ضرر من اجتماع الجميع فى مكان واحد بسبب نزاعات بينهم .

وبذلك يصح أن تتعدد الجمعة للحاجة ، فصلاة الناس فى المسجد الجديد جائزة بجانب اقامة الجمعة فى المسجد القديم .

التعامل مع البنوك

س : من السيد / م . ع . عبد الكريم ..
مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية .

ما حكم الاسلام فى التعامل مع البنوك الأجنبية التى تتعامل بالربا .. ونحن نعمل كمسلمين فى أمريكا ولا توجد بنوك اسلامية هناك .. فهل يجوز لنا أخذ الفوائد أم نتركها ؟

ج : ايداع المسلم أمواله فى مصارف أجنبية مع امكان ايداعها فى مصارف وطنية حرام لما يؤدى اليه من اضعاف الاقتصاد الاسلامى وتقوية الاقتصاد غير الاسلامى الذى ينافسه وهو حرام .

وايداع المسلم أمواله بفائدة حرام ، لأنها زيادة فى أحد العوضين دون مقابل .. سواء كان الايداع فى مصرف أجنبى أم مصرف وطنى لأنه عين الربا .. أما ما قررته تلك المصارف أجنبية او وطنية من فائدة مشروطة عند التعاقد فلا يحل للانسان الانتفاع بها خاصة .

غير أن الامام أحمد رضى الله عنه أجاز أخذها وصرفها فى المنافع العامة للمسلمين كالملاجىء والمستشفيات . وفى الجهاد فى سبيل الله وغيرها من أنواع البر .. وبه يفتى .

فهرس العدد

THEY ARE, NEXT, REMINDED OF ALLAH'S DELIVERING THEM FROM PHARAOH, WHO EXTOLLED HIMSELF TO DEITY AND ILL-USED THEM MOST RUTHLESSLY. BEFORE THEIR VERY ASTONISHED EYES, WHEN THEIR HEARTS HAD SUNK WITH TERROR AND DESPAIR OF RESCUE, ALLAH DIVIDED THE SEA, LED THEM TO SAFETY, AND DRAGGED THEIR OPPRESSOR TOGETHER WITH HIS LEGIONS TO BE SWALLOWED UP BY THOUGH IT IS BEYOND IMAGINATION, THOSE PEOPLE WHO HAD ENDURED TYRANNICAL BONDAGE FOR GENERAT-IONS UNDER PHARAOIC RULE TURNED IMPATIENT WITH MOSES AND AARON THEY COMMITTED THE MOST GRIEVOUS ERROR OF MAKING A CALF OF MELTED GOLD AND TAKING IT FOR WORSHIP DURING MOSES'ABSENCE ON MOUNT SINAI. THEY COMMITTED SACRILOGE AND DRUNKEN ADULTORY.

MOSES, WHO HAD JUST RECEIVED THE TORAH CONTAINING GUIDANCE AND CRITERION, TOLD THEM IN ANGER TO TURN IN REPENTANCE TO THEIR MAKER AND THEN SLAY THE CULPRITS. A BUTCHERY FOLLOWED IN EXECUTION OF MOSES ORDER, BUT ALLAH FORGAVE THEM AT HIS ARDENT AND APOLOGETIC PRAYER.

TRANSLATIONS FROM:
TO THE GLORIOUS QUR AN
IMAM MAHMOUD SHALTOOT
PUBLICATIONS OF ADMINSTRATION OF ISLAMIC CULTURE
AL-AZHAR UNIVERSITY   CAIRO,1962

WITH EXTINCTION THE GREAT PRIVILEGES OF THEIR RABBIES. SO, RATHER THAN THE FIRST PEOPLE TO BELIEVE , THEY WERE THE FIRST TO REJECT THE FAITH. THEY IN NO TIME TOOK THE INITIATIVE OF OFFENCE WITH SILL WHOSE LINE WAS INTRIGUE. INFLAMED WITH MALICIOUS PASSION, THEY SEEMED TO FIND OUT THE ELIXIR FOR ALL THEIR ILLS IN THE TIRELESS WARRING AGAINST THE EMEGRENT COMMUNITY THEY STILL CONSIDERING THEMSELVES GOD'S PECULIAR PEOPLE, WHO THE FIRE WOULD NOT TOUCH FOR MORE THAN A FEW DAYS. RATHER, IT WOULD BE AGAINST THE NATURE OF THINGS THAT SUCH A SORT OF PEOPLE, WHO INCESSANTLY DISOBEYED GOD, MIGHT OBEY MAN. WOULD IT WERE THEY ONLY DISOBEYED GOD; THEY WENT TO THE FURTHEST EXTREME OF REBELLION AGAINST HIM AND KILLING, OR FAILURE TO KILL, HIS APOSTLES.

THE QUR'AN, WHICH ALWAYS BANS AGGRESSION AND COERCION, ADDRESSES THEM WITH WISDOM AND KIND EXHORTATION, REMINDING THEM OF THE SPECIAL FAVOURS ALLAH HAS BESTOWED. THEY WERE LINKS OF A FAR-REACHING CHAIN OF OFFSPRING OF A GREAT APOSTOLIC HOUSE; AND IT WOULD NOT BEFIT THEM TO HESITATE ABOUT ANSWERING THE CALL TO ALLAH. THE UMBRELLA OF DISTINCTION ALLAH HAD CONFERRED ON THEIR FOREFATHERS WAS STILL THERE TO SHIELD THEM: AND THERE WOULD BE NO POINT IN THEIR REFUSING FAITH. THE REVELATIONS WITH MUHAMMAD, PRAYER & PEACE FROM ALLAH UPON HIM CONFIRMED THE TORAH; AND AS A A RESULT IT WAS INCUMBENT ON THEIR PRIESTS TO SUPPORT HIS CLAIM, NOT TO COUNTERACT IT WITHOUT A RESERVE OF RIGHT.

IN FACT, THEIR RABBIES MISLED THEM, EVEN IN CONNECTION WITH CREED, AND WERE NOT THEMSELVES GOOD EXAMPLES TO FOLLOW IN PRIVATE LIVES. IN RETURN FOR THE FAVOUR OF ALLAH'S EXALTING THEM IN PREFERENCE TO OTHER RACES, THEY OUGHT TO TAKE DOOMSDAY IN THEIR CONSIDERATION.

Baqara now turns to the children of Israel to show how they deserved to be dethroned from their rank in the order of guidance. Al-Baqara was revealed after the Muslims had moved to Medina and taken to the development of their persisting community. There, the Jews had been living in clans for generations. Prominent and weighty was their economical power, and cunning their aptitude to stir the neighbouring Arabs into fiery hostility for sheer Jewish ends.

In his call to Allah, Muhammad, be on him prayer and peace from Allah, could never have ignored them. He was sent to all mankind, and those people had to be guided and guarded against. He had a Book confirming both the Torah and the Gospel in the original. On the other hand, there was mention of him, and obligation to hear and follow him, in those two heavenly Scriptures, which bound him and those men altogether. A good time before he spoke out his religious mission at Mecca, there had been a prevalent strong conviction among the people of the Book that the advent of the expected Prophet was at hand. Long had the Jews of Medina prayed in ardent urge to hurry on that advent, but with an eye to gaining superiority and supremacy over the idolaters.

Surprisingly, when the call reached their ears, they declined to embrace the new faith, and even stored evil for it. They loathed a descendant of Ismail to aspire after teaching them and reducing them to the rank of his disciples. In no way were they ready to relinquish the life-long sense they had cherished of distinction.
He recognized Jesus to be a Prophet created by the Word of Allah, and elevated Mary so high above all women.
He referred to Gabriel, who they held in animosity, as the Archangel entrusted with Revelation. He threatened

HEART-BURNT WITH ENVY, AND PERSISTENT IN MALICE, THE EVIL ONE DID NOT STOP UNTIL HE HAD LURED THEM AWAY FROM THEIR CONVENANT WITH ALLAH, TO THEIR BANISHMENT FROM THE GARDEN, THROUGH EATING OF THE FORBIDDEN TREE. DOWN TO THE EARTH, THEN, WENT ADAM AND EVE, AND SATAN, TOO. IN NO WAY DID ADAM BELITTLE HIS SIN; AND AS SUCH, HE WAS DIFFERENT FROM THE DEVIL. IN HIS REMORSE, HE LEARNT FROM ALLAH, IN ANSWER TO WHICH, ALLAH TURNED TO HIM WITH MERCY. ALLAH TOLD ADAM THAT :

A- THE EARTH IS INFERIOR TO THE GARDEN, SO THAT HIS TRANSFER FROM THE LATTER TO THE FORMER IS BUT A DESCENT;

B- LIFE ON THE EARTH IS STICKEN WITH HOSTILITY OF INTERESTS;

C-THE EARTH WILL BE THE DWELLING PLACE OF MAN AND DEVIL FOR AN APPOINTED TERM OF TIME, DURING WHICH SUSTENANCE AND ENJOYMENT ARE AVAILABLE TO BOTH;

D-GUIDANCE FROM ALLAH WILL BE SENT TO THEM SO THAT THOSE WHO FOLLOW IT WILL HAVE NOTHING TO FEAR OR GRIEVE OVER, WHEREAS THE ETERNAL ABODE OF GEHENNAM WILL BE THE FATE OF THOSE WHO REJECT FAITH.

SO, BY THE NATURE ALLAH HAS SET IN HIM, MAN IS TEACHABLE, MASTERFUL, ASPIRING, SELECTIVE, AND CAPABLE OF BOTH DEVELOPMENT AND DECLINE. WHATEVER RESTRICTS HIS POWERS, HE IS ACCOUNTABLE FOR HIS FREE ACTS. BOTH GOOD AND EVIL APPEAL TO HIM, AND HE HAS BEEN TAUGHT WHAT TO EXPECT FROM A PATH HE TAKES AND AN INTENTION HE NOURISHES. ALL THE APOSTLES KNOWN TO HIM OR HEARD OF BY HIM, ALLAH HAS SENT WITH REVELATION IN CALL TO HIM AND WARNING AGAINST HIS WRATH. THEY ALL ACKNOWLEDGE HIM TO BE ONE AND DENY WHOMSOEVER ELSE THE ATTRIBUTE OF DIVINITY. IN CONTINUITY OF THE STORY OF THE CREATION OF MAN FOR THE ROLE OF AN ACCOUNTABLE VICEGERENT ON THE EARTH, AL-

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

IN BRIEF COMES THE STORY OF THE CREATION OF ADAM, THE REMARKABLE RANK ALLOTTED TO HIM, HIS FALL AND THE TRUST HELD OUT TO HIM. THE ANGELS WHO AT FIRST WONDERED WHY ALLAH MIGHT PLACE SUCH A PASSIONATE KIND - CAPABLE AS IT IS OF CORRUPTED AND BLOOD SHED, AS VICEGERENT ON THE EARTH, ADMITTED THEIR INFERIORITY TO MAN IN VIEW OF HIS KNOWLEDGE WHICH EXCEEDED THEIRS BY FAR, AND OF THE PROBATION OF THE TRUST GIVEN TO HIM, WHICH THEY ARE EXEMPTED FROM.

SO, AT A WORD OF ALLAH, THEY BOWED THEMSELVES TO ADAM IN GREAT ESTEEM, WHEN ALLAH FASHIONED HIM AND BREATHED INTO HIM OF HIS SPIRIT. SATAN, WHO ACCORDING TO THE QUR'AN IS A JINN AND NOT AN ANGEL, STUCK TO PRIDE AND ENVY, SO THAT HE REJECTED FAITH AND REFRAINED FROM PAYING THE HOMAGE ALLAH ORDAINED TO ADAM.

FROM ADAM, ALLAH CREATED EVE TO BE HIS WIFE, AND HE ALLOWED THEM TO LIVE TOGETHER IN THE GARDEN, ENJOYED TO THEIR HEARTS' CONTENT BOTH THE FELICITY OF LOVE AND THE FRUITS OF PARADISE. HOWEVER, HE FORBADE THEM TO APPROACH A CERTAIN TREE, AND WARNED THEM AGAINST THE TRANSGRESSION THEIR APPROACHING IT WOULD INVOLVE.

REFERENCES

1. ALSIRA ALNABAWIAH
   3RD.EDITION 1981
   ABU ALHASSAN ALY ALHUSNI ALNADAWI
   PUBLISHER, DAR AL-SHAROOK , JEDDAH

2. NUR ALYAKIN FI SIRAT SAYED ALMURSALEEN
   24TH.EDITION 1978
   SHEIKH MOHAMMAD ALKHODARY BEY
   PUBLISHER, GREAT COMMERCIAL LIBRARY, CAIRO

3. MASHAHID MIN ALSIRA ALATIRAH
   DR.MOHAMMAD ABDEL MONEM KHAFAGY
   KILANI LIBRARY - CAIRO PRINTED 1980

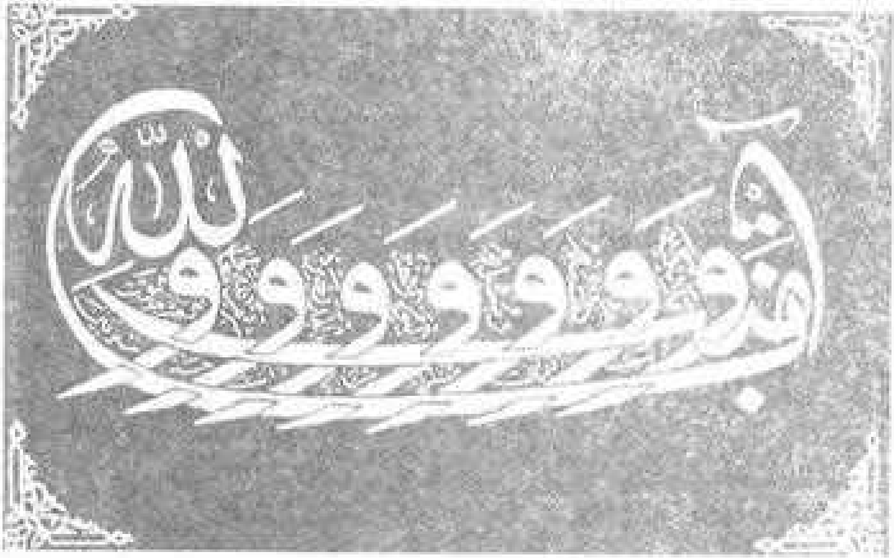
4. HAYYAT MOHAMMAD
   MOHAMMAD HUSSEIN HEIKAL
   DAR AL-MARRIF , 1977 CAIRO

5. THE HOLLY QUR'AN
   TEXT, TRANSLATION AND COMMENTARY
   ABDULLAH YUSUF ALI

6. FIQH ALSIRA
   DR.MOHAMMAD RAMADAN ALBOOTY
   7TH. EDITION, 1977
   DAR AL-FIKR, CAIRO

7. AL-SIRA AL-NABAWIAH
   IMAN ISMAIL IBN KATHEER
   REVISED BY MUSTAFA ABDEL-WAHID
   VOL.2, 1983 EDITION
   DAR AL-MAARIFA , BEIRUT

8. AL-AZHAR MAGAZINE
   VOL. 7, RAJAB 14 03 , MAY 1982



Ibn Al-Harith, Rafie Ibn Malek, Qutbah Ibn Amer, Oqbah ibn Amer, and Gaber Ibn Abdullah. He invoked them to Islam and solicited their assistance and protection to propagate the Message of Allah. They accepted and acknowledged and promised to meet with him the following year. This was the prelude to the diffusion of Islam among the Arab tribes of Yathrib, and the precursor of events that finally materialised into the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Mecca to Al-Madina.

This was the most crucial and outstanding milestone in Islamic history. Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

P.S. The treatise on the Hijrah has been discussed in the Muharam issue of Al-Azhar magazine Volume 1 , 1404, October 1983.

IEVE HIM IN THE WORDS OF THE REVELATION, HOW CAN I DENY HIM IN A MATTER OF LESSER ELEMENT) . THE ANSWER OF ABU BAKRE REFLECTS THE DEEP WISDOM, THE TRUE GENUINE BELIEF THE CLEAR INSIGHT OF A MAN WITH CONFIDENT REALISM AND COHERENT MASTERY OF HIS PERSONALITY AND CHARACTER.

DURING THE INCIDENCE OF AL-ISIRA AND AL-MIRAJ, THE FIVE DAILY PRAYERS SALAT WERE PRESCRIBED UPON MUSLIMS. ON THE DAY FOLLOWING THE INCIDENCE, THE ARCHANGEL GABRIEL CAME TO THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) TO INSTRUCT HIM IN THE TIMING AND CONDUCT OF THE SALAT (THE PRESCRIBED PRAYERS).

THIS IS SHORT RESUME OF THE MIRACLE OF THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION WHICH HAS BEEN EXTENSIVELY AND ELABORATELY RELATED AND DOCUMENTED WITH PRECISION IN THE LITERATURE OF THE HONOURABLE HADITH AND CHRONICLES.

THE MIRACLE HERALDS COMFORT AND SUPPORT TO THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) AND SOLIDIFIES HIS ZEAL AND EFFORTS IN THE SUMMONS AND CALL TO THE TEACHINGS OF THE MESSAGE OF ISLAM. IT CONCRETES THE CONVICTION THAT ALLAH IS THE SUPREME SUPPORTER, THE SOLE POWER, THE OMNIPOTENT. IT TRANSMITS THE UNDERSTANDING THAT THE HOUR OF SALVATION AND VICTORY WAS NEARING.

THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINED WITH ADAMANT CONVICTION TO SUMMON THE TRIBES TO THE MESSAGE OF ALLAH, TO CHAMIOPN HIM AND PROTECT HIM TO DELIVER THE MESSAGE. SOME ARGUED AND DISCUSSED, AND OTHERS REFUTED IN HIDEOUS LANGUAGE. THE ELEMENTS OF VICTORY CAME WHEN HE MET WITH SIX MEN FROM THE TRIBE OF KHAZRAJ FROM YATHRIB(AL-MADINA).THESE MEN WERE ASAAD IBN ZERARAH, AOUF

Prophets and Apostles(peace be upon them all). He then ascended through the seven heavens where he witnessed the infinite vastness of creation, the expance of heavens, the signs of celestial domain, the assembly of equinoctial equilibrium, and the realms of divinity and deity. He was initiated into the spiritual mysteries of the human soul struggling in space and time as a fitting analogy of its spiritual growth in life.

The miraculous incidence of Al-Isira and Al-Miraj was conferred upon Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) by Divine power and purpose in support of the message and revelation, in substantiation of his Prophethood, and in confirmation of his unyielding efforts in propagating and summoning for the worship of Allah through the divine doctrines of Islam. The incidence was expediently mediated through the grand office of the Archangel Gabriel. It took place during the night of Rajab 27th.,Twelve years after the Revelation, one year before the Hijrah, in the year 621 AD.

The following morning after Al Isira and Al-Miraj, the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) went to the Kabaa and announced publicly the details of his night journey and ascension. They disbelieved him, and denied any truth in his words.even some muslims doubted and denied and reverted from belief in Islam. The miracle was too great and majestic for them to conceive and comprehend its reality, and their belief was shallow and insecure unable to realise and ascertain the stoic and infallible property of prophethood. The return journey from Mecca to Jerusalem takes two months, how is it possible to take only one night. They hurried to Abu Bakre who said (If Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) announced that himshelf, I believe him. I bel-

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

*IN ORDER THAT WE MIGHT SHOW HIM
SOME OF OUR SIGNS; FOR HE IS
THE ONE WHO HEARETH AND SEETH.*

*(SURAT AL-ISIRA(Bani Israil)-
, xvII,])*

THE LATTER (ALMIRAJ) IS THE ASCENSION OF THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) THROUGH THE SEVEN HEAVENS EVEN TO REACH THE SUBLIME INFINITE THRONE. THIS IS REFERRED TO IN THE QUR'AN MAINLY IN SURAT AL-NAJM, AND IS EVIDENCED AND IMPLICIT BY THE HONOURABLE HADITH.

*WHILE HE WAS IN THE HIGHEST PART OF THE JORIZON
THEN HE APPROACHED AND CAME CLOSER,
AND WAS AT A DISTANCE OF BUT TWO
BOW-LENGTHS OR (EVEN) NEARER*

(SURAT AL-NAJM, LIII, 7-9)

THE SURA CONTINUES TO INDICATE THAT THE ASCENSION OF THE PROPHET(PRYAERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) REACHED CLOSE TO THE SUBLIME INFINITE THRONE, AND THAT HE TRUELY WITNESSED THE GREAT SIGNS OF GOD.

THE MAJORITY OF AUTHORITATIVE COMMENTATORS ACCEPT THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION LITERALLY BOTH BODILY AND SPIRITUALLY, AND IT IS FIRMLY CONCEDED THAT THE MIRACULOUS NATURE OF THIS INCIDENCE IS INHERENT IN THE TRANSFORMATION OF THE BODY INTO SPIRITUAL FINENESS TO QUALIFY AND CONFORM WITH THE NATURE OF THE JOURNEY AND ASCENSION. THE STUDY OF THE HONOURABLE HADITH LITERATURE OFFERS DETAILS OF THE INCIDENCE AND ELUCIDATES ITS MYSTIC MEANINGS. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) WAS FIRST TRANSPORTED TO THE SEAT OF EARLIER REVELATIONS IN JERUSALEM WHERE HE CONVENED IN PRAYER WITH HIS PREDECESSORS OF

CALL WITH RELENTLESS COURAGE AND UNFAILING STRENGTH. HE CALLED THEM TO WORSHIP ALLAH THE ONE GOD, AND TO WITNESS THAT MOHAMMAD(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) IS THE MESSENGER AND PROPHET. HE CALLED THEM TO BELIEVE IN HIM, HONOUR HIM, CHAMPION HIM, SUPPORT HIS CAUSE, AND OFFER HIM PHYSICAL PROTECTION. HIS UNCLE ABU LAHAB-ABDEL UZZA IBN ABDEL MUTALEB FOLLOWED HIM WHEREVER HE WENT AND SPOKE CONTRARY AND IN CONTRADICTION TO WHAT THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) SPOKE. THIS WAS IN EFFORT TO DENY THE WORDS OF TRUTH, AND TO ENSURE THAT NONE OF THE TRIBES WOULD LEND A TENDER LISTENING EAR TO THE WORDS SPOKEN FOR THE CALL TO ALLAH. THE SUMMONS CONTINUED AT MARKET PLACES, DURING TRADITIONAL SEASONS, IN THE DWELLINGS AND HOMES OF TRIBES, AND AT EVERY OCCASION POSSIBLE; THE SUMMONS CONTINUED WITH PATIENCE AND PERSISTANT CONFIDENT BELIEF. HOWEVER, ALL THE TRIBES REJECTED TO BELIEVE IN THE NEW CREED, AND REFUSED TO OFFER PHYSYICAL PROTECTION TO THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM). THE HONOUR AND TRIBUTE OF BELIEF EVENTUALLY WAS TO THE CREDIT OF AL-ANSAR, THE TRIBES OF AWS AND KHAZRAJ FROM YATHRIB(AL-MADINA) AS WILL BE DISCUSSED LATER IN FUTURE TREATISE ON THE SUBJECT.

DURING THE COURSE OF THESE EVENTS, CAME THE VERY FAMOUS INCIDENCE OF THE JOURNEY BY NIGHT AND THE ASCENSION (AL-ISIRA AND AL-MIRAJ). THE FORMER (AL-ISIRA) THE JOURNEY BY NIGHT IS THE TRANSPORT OF THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) FROM MECCA TO BEIT AL-MAQDIS (JERUSALEM) BY NIGHT AND HIS RETURN ON THE SAME NIGHT. THIS IS SPECIFICALLY STATED IN THE QUR'AN.

> *GLORY TO (GOD) WHO DID TAKE HIS SERVANT*
> *FOR A JOURNEY BY NIGHT, FROM THE SACRED*
> *MOSQUE TO THE FARTHEST MOSQUE,*
> *WHOSE PRECINCTS WE DID BLESS,*

CHRISTIAN FAITH. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) RETURNED TO MECCA DENIED AND REFUTED THE SUPPORT OF BANI THAQEEF; TO FACE THE FIERCE AND OUTRAGEOUS ENMITY OF KORAYSH THAT BECAME HIGHLY INTENSIFIED. HE ENTERED MECCA UNDER THE PROTECTORSHIP OF MUTAAM IBN ADII.

THESE EVENTS, HOWEVER, DID NOT INDISPOSE OR DETER THE RESOLUTE DETERMINED INTENTION FOR THE SUMMONS TO ISLAM. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINUED WITH PATIENT PERSEVERANCE AND WITH STEADFAST CONSTANCY TO SUMMON AND CALL ALL TRIBES TO ISLAM. HE CONTACTED THEM AS THEY VISITED MECCA DURING TRANDITIONAL PILGRIMAGE SEASONS; AND WENT OUT TO THEIR HOMES TO SPEAK AND CONVERSE WITH THEM, TO CALL THEM TO THE NEW CREED. DURING THAT PERIOD, THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM)HONOURED IN MARRAIGE SAWADAH BENT ZAMAAH ALAMRYIAH WIDOW OF AN ETHIOPIAN MUSLIM EMIGRANT. SHE HAD ACCEPTED ISLAM CONTRARY TO THE DESIRE OF HER CLAIN, AND EMIGRATED WITH HER HUSBAND. THE PROOPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM)ALSO BETROTHED AYSHAH BENT ABI BAKRE TO CONFER RESPECT AND PRESTIGE UPON HER FATHER. HE MARRIED HER AT AL-MADINA FEW YEARS AFTER THE HIJRAH.

THE SUMMONS TO ISLAM CONTINUED BY DIRECT CONTACT WITH THE TRIBES WITH NEGATIVE RESPONSE. THE SOCIAL INFRASTRUCTURE OF THESE TRIBES, AND THE ECONOMIC INTER-RELATIONS WITH OTHER TRIBES AND PARTICULARLY WITH KORAYSH MADE THE NEW CREED OF ISLAM VERY UNACCEPTABLE AND CONTRARY TO THEIR FALSE INTERESTS.
HOWEVER, DESPITE THESE ADVERSE CONDITIONS, AND INSPITE OF THE STUBBORN REJECTION TO THE NEW FAITH BY THE TRIBES; THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINUED WITH PATIENT RESOLUTE PERSEVERANCE TO SUMMON AND

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

By, Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

IN THE NAME OF ALLĀH MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL.

KORAYSH CONTINUED WITH BLIND ANIMOSITY AND HATRED TO INFLICT MUSLIMS WITH DEPLORING HUMILITY AND DEFIANT ARROGANCE THE DEATH OF KHADIJA BENT KHUWAYLID AND ABU-TALEB IBN ABDEL-MUTALEB INDUCED KORAYSH TO BE FLAGRANT AND FERVENT IN THEIR DESPOTISM AND CRUEL BITTER ENMITY TOWARDS MUSLIMS.

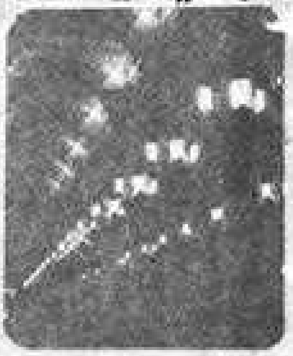
THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) DECIDED TO SUMMON BANI THAQEFF TO ISLAM AND GAIN THEIR SUPPORT AGAINST KORAYSH. HE WENT TO AL-TAIF WHERE THEY RESIDED. THEIR RESPONSE WAS CONTRARY TO WHAT HE HAD HOPED; AND WITH ADAMANT INSOLENCE REJECTED HIS WORDS. THEY ENCOURAGED THEIR VULGARS AND CHILDREN TO STONE HIM AND ADDRESS HIM WITH OBSCENE INDECENT MANNER. TIRED, DESOLATE AND ABJECTLY HUMILIATED, THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) TOOK REFUGE BY A VINE TREE; FEELING DESPONDENT AND IN DESPAIR, HE ADDRESSED ALLAH IN SUBMISSIVE COMPLAIN. THE OWNERS OF THE VINEYARD WITNESSING HIS CONDITION SENT SOME GRAPES TO HIM WITH A CHRISTIAN DEPENDANT WORKING FOR THEM NAMED ADDAS.

DURING THE BRIEF DISCOURSE WITH THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FORM ALLAH UPON HIM), ADDAS VERY WILLINGLY ACCEPTED ISLAM THROUGH HONEST AND PURE UNDERSTANDING OF THE

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد حسن الطحان
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا يوم الجائزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

وبعد :

فإن الله تعالى اختتم الآية الثالثة من آيات الصوم في سورة البقرة (١٨٥) بقوله سبحانه :

« وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وهذا القول من ربنا جل جلاله إنما هو دعوة الى عباده ليشكروه أن هداهم للإيمان والإسلام ، ووفقهم الى اداء ركن من اركانه الخمسة ، وقد منحهم جائزة كبرى على هذه الطاعة التى هى صوم شهر رمضان وكف النفس عن هواها ، والجسم

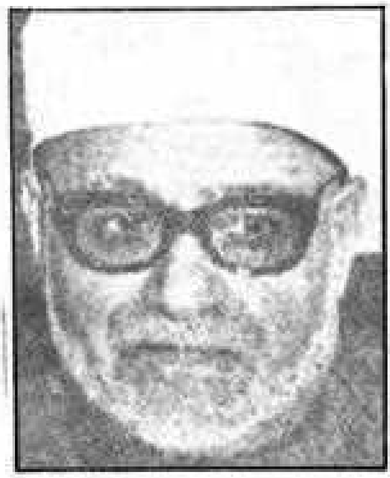
الجزء العاشر السنة السادسة والخمسون

شوال ١٤٠٢ هجرية

يوليو ١٩٨٢ ميلادية

هذا يوم الجائزة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق
"شيخ الأزهر"



عن رغباته وشهواته ، وقيام ليله بالذكر ومدارسة العلم وتلاوة القرآن .

هذه الجائزة هى عيد الفطر

ان لهذا اليوم حرمته واحكامه فى الاسلام ، فقد حرم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صوم عيد الفطر فهو من خصوصيات المسلمين كما يشير الى ذلك حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى رواه ابو داود والنسائى عن انس . قال : قدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ــ صلى الله عيه وسلم ــ :

« ان الله قد ابدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ، ويوم الفطر » .

فهما يوما ذكر وشكر وفرح بنعمة التوفيق للطاعة بدلا من يومى اللعب واللهو والصخب .

فهذان اليومان جائزة من الله لمن اتقاه ،وأدى العبادة التى كلف بها ..

ونحن نستقبل اليوم عيد الفطر المبارك ..أقدم فيه التهنئة الى الأمة الاسلامية فى كل مكان على أرض الله ، باعتباره يوما استكملوا قبله فرضا من فرائض الاسلام ، فهو يوم البشرى والسرور بفضل الله وتوفيقه بصيام شهر رمضان الذى وصفه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله :

« شهر كتب الله عليكم صيامه ، وَسَنَنْتُ لكم قيامه ، فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا

خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

هذا العيد يوم يتروح فيه المسلمون بعدتمام فريضة الصوم تعم فيه الفرحة جميع المسلمين ، الصغير والكبير والغنى والفقير .

وهو يوم صدقة الفطر ، ويوم عطف واحسان .. يخرج فيه الغنى بصدقته ساعيا الى أخيه الفقير لا يبتغى الا ثواب الله ورضوانه .

يوم تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام ، ويلتقى فيه المسلمون على صفاء القلوب ونقاء الضمائر ..

هذا يوم ينبغى لنا أن نجدد فيه الأمل ،ونفتح باب الرجاء فى الله تجاه أحداث الأمة الاسلامية ، وهى احداث جسام : فهذه أفغانستان ، وهذا لبنان يدور فيهما قتال محمر به فى الأولى قوة باغية ، استضعفت شعبا مسلما فبطشت به ، ولكنه لم يرض بالهوان ولم يستسلم طلبا للسلامة ،وتصدى أبناؤه للعدوان ومازالوا لم تلن لهم قناة . وتغافل عنهم المسلمون ، وأشعلوا نيران الحرب فيما بينهم وأوقدوا الخلافات والفتن التى شغلتهم عن أرضهم التى تنتقص من أطرافها .

فمتى يستيقظ المسلمون ؟

ومتى تتوحد كلمتهم، كما توحدت قبلتهم ؟

وهذا لبنان ثارت فيه الفتن أو استثيرت فاشتعلت نارا علا أوارها ، واتسع نطاقها ولما تنطفىء بعد .

ولعل الشعب الشقيق يرعى الله فى بلده ،ويكف عن عوامل التخريب والتمزيق والقتل والتدمير ، ويعلم انه لا عاصم له ولا نجاة الا بوحدة الكلمة الرشيدة .

وهذه الحرب التى تدور بين ايران والعراق ، تجرى المحاولات لايقافها بعد أن امتدت لسنوات أكلت فيها الأموال والأولاد .

ان الرجاء فى الله أن يرفع عن المسلمين مانزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الاخاء والتناصر ، ويأخذ بأيديهم الى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

هذا يوم الجائزة



ان المحنة تلد المنحة ، وان الله تعالى يدعونا فى مثل هذه المواقف الى الأمل والعمل ..

الأمل فى الله مهما عظم الخطب أو كثرت النوائب .
لنقرأ قول الله سبحانه :

« هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ . وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » .

.. فلكم الأمل ..

اما العمل فهو لما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وجماع ذلك كلمة التقوى فى قول الله عز شأنه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

ولنأخذ من عباداتنا المفروضة الوسيلة الى الوحدة ، وحدة الهدف ، ووحدة العمل حتى يتحقق فينا وصف القرآن وما طلبه منا ربنا في قوله :

« وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » .

ولنأخذ من شهر رمضان طهرة لقلوبنا من البغضاء والأحقاد ، ونعي ما حاق بنا بتفرقنا فقد تخطفتنا الأمم من حولنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

باسم الله وكتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا اليوم ـ يوم عيد الفطر ـ أدعو المسلمين حكاما ومحكومين أن يفيئوا الى أمر الله ، وأن يحتكموا الى كتاب الله وسنة رسوله حتى تجتمع كلمتهم ، ويرتد العدوان عن أمتهم ، وكفى ما نحن فيه من اختلاف وفرقة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

فليكن هذا العيد بشير أمل ورجاء في الله سبحانه نعتصم فيه بأمره ، وليكن بداية عهد نلتمس منه سبيل العمل لما يورث العز للمسلمين في الدنيا والآخرة .

« فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

اسأل الله الكريم رب العرش العظيم ، ان يفيض على المسلمين من رحمته ، وينزل عليهم سكينته ، ويجمعهم على الهدى وان يكشف عنهم ما نزل بهم ، ويؤلف بين قلوبهم انه سميع مجيب .

وتهنئة من الأزهر الى المسلمين في جميع أقطار الأرض ملوكهم ورؤسائهم وامرائهم وشعوبهم على اختلاف السنتهم والوانهم بعيد الفطر المبارك ، تهنئة تصحبها الدعوة الى الأمل والعمل الجاد المثمر لرفع ما حاق ويحيق بأوطان المسلمين ، ولنتمثل قول الله سبحانه

« قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » .

فضيلة الامام الأكبر جاد الحق
علي جاد الحق شيخ الأزهر

ما لهذا الحجاب ؟

ما لهذا الحجاب لا يغادر سخيمة الا ابداها ، ولا بَلَاها إلاّ انتشرت حقدا على هذا الدين : أوامره ونواهيه ، وكراهية لحرية أبنائه وبناته ؟ !

ما لهذا الرداء الذى اتشحت به المسلمات صار اشعة تحت الحمراء تكشف ما استتر من ظلمات القلوب ، وتسجل ما أطلقت من نفثات السنتها المتحللة من كل خلق جميل ، وستر نبيل ، وحياء كريم ... ؟ !!!

ما لهذا الرداء جمرة تقض مضاجع أباة الحرية ، ودعاة مصارع السوء ؟ !!

ألن حسرت المسلمة عن ذراعيها ، وكشفت عن ساقيها ، وأبدت نحرها وعطفيها ، ونثرت شتى الألوان على وجهها ، وفاح العطر من أردانها ، وتركت لكل جزء من جسدها أن يعلن عن نفسه ، وتمثلت كل غواية طارئة ، واشربت كل علة نازحة — فرح واستبشر الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

وان هى أطاعت الرحمن فسدلت الرداء ، وأخفت النحر والساق وأبدت ما أُذِنَ لها أن تبديه ، وورات الفتنة ومشت على استحياء ، تكتم عطرها ، وتتجنب شياطين الانس والجان — اشمأزت قلوبهم ، وفقدوا حتى أدنى مدارج اللياقة فى اللفظ ، والكياسة فى الرأى !!

وما الكسب الذى تربحه نساؤنا اذا استبدلن العُرْىَ بالكساء ؟ والقحة بالحياء ؟ والتبرج بالفضيلة ... ؟

نسى هؤلاء الدعاة أصحاب « المنطق الوضعى » انهم شَذُّوا فضاقوا بأجمل رداء يحترمه العالمُ كله على اختلاف أديانه ومختلف مشاربه — فأبدوا حججا وأخفوا شهوات :

هذه هى الفلاحة المصرية لها نفس الرداء لا يظهر منها الا الوجه والكفان وما منعها ذلك أن تقاسم زوجها — ذا الفضل الأول

للدكتور على الخطيب



على مصر ــ جهاده من الفجر الى الغــروب

دواما بلا كلل ولا ملل ، وتؤدى لمصر فــوق

ما تطالبها به مصر من واجبات قائمة بــأدنى

الحقوق . وما عاقها رداؤها الطاهر عن عمل ،

ولا قصر بها عن جهاد .

* * *

ها هو «فنان» مصر مختار ــ رحمه الله :

قدم تحفته الرائعة « نهضة مصر » ممثلة فى
هذه الفلاحة بهذا الرداء توقظ « أبا الهول »

والعالم كله يجمع على روعة هــذه التحفــة
وجلالها ، فما قَدَّمَ مختارٌ لايقاظ أبى الهــول

سيدة صالون ، ولا راقصة باليه ، انما قدمها
فلاحة مصرية بحجابها وقد اكتملت لها معانى

الأنوثة ووظيفتها ناطقة بالطهر والعفاف والجد
والعمــل :

ما لهذا الحجاب

ماذا فعل مختار ... ؟

لقد اخذ من ذاته الاصيلة فلم يستورد .

ومن دينه القويم فلم يبتذل .

ومن تاريخه التليد فلم يتنكر .

ونجح مختار .

* * *

ها هن الراهبات فى مشارق الأرض ومغاربها عليهن نفس الرداء لا يكشفن عن ساق ، ولا يبدين فتنة ، ويقمن بمختلف الأعمال وأشقها ، ويتخصصن تخصصات دقيقة يَعْيَا عنها أصحاب المنطق الوضعى الذين فقدوا العطاء ، وليس ينال هؤلاء الراهبات الا كل اجلال واكبار فى اى مكان حللن فيه من أهل دينهن ومن غيرهم على سواء .

* * *

ها هو « الحزام الانجيلى » بالولايات المتحدة نفسها يشقها من الغرب الى الشرق من شمال « نورث كارولينا » حتى جنوب « يوتا » .

حزام معروف مشهور .

لاهله تقاليد صارمة :

ليس فى ديارهم محل الخمور أو شرابها ، وأهل الحزام لا يرقصون فى محفل ، ولا يأكلون الخنزير ، ولا يشاهدون التليفزيون ، ولا يلعبون الميسر ، ولا يختلط نساؤهم بالرجال فى الحفلات .

بل منهم من لا يركب سيارة .

واحترم المجتمع الأمريكى كله تقاليدهم ، وانحنى لها ، وحرص الأفراد على اتباعها اذا نزلوا بديارهم ، وما نبغ عليهم نابح بنضيح وعاثه « وَتَنِّيَاتِ » أمكاره .

فما بال الشيخوخة القاحلة تنعق على الفضيلة لتزرى بالحق وتستر الحياء لتطن الرذيلة .

الا أن نساءنا ـ من قبل ومن بعد ـ أصحاب الحق الأول والأخير فى اختيار دين الله وممارسة فضيلته ، والتنعم بحجابه يُظِلُّهُنَّ قول الله ـ عز وجل ـ لنبيه الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » الأحزاب ٥٩

للدكتور على الخطيب

دراسات قرآنية

قصة الصرف

الحمد في القرآن الكريم

منهج ابراهيم

منهج إبراهيم

فى الدعوة إلى الحق

المقـــال الاول

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

الآيات من ســورة الانعام

التفسيــر

نشأ ابراهيم — عليه السلام — منذ صباه على سنة المرسلين ، مطمئن الفؤاد موقنا بان للكون الها واحدا لا شريك له فيه ، وكان يبدو عجيبا ان ينشأ مستقيم العقيدة بين اســرة وثنية وامة مشركة ،تعكف علىالاصنام وتقدس عبادة الكواكب ، حتى اذا استقام عــوده ، واكتمل الصفاء لروحه وفكره وارادته وبلــغ بذلك اشده ، ارسله الله سبحانــه الى قــومه الناكبين عن الصراط السوى لهدايتهم اليه .

والحق انه لا غرابة فى ان ينشىء الله فتى على التوحيـد بين اسرة وامــة وثنيتين ، وان يختاره بعد ان يبلغ اشده رسولا الى قومه ليحيي به مواتهم ، فتلك هى ســنة الله فى خلقه .

فهو الذى يخرج الحى من الميت ، ويخلق الورد الفواح العبير من بين الاشواك ، ويبدع من الشجر المر ، الثمر الشهى الحلو ، وينبت الزرع النضير من بين التراب والسرجين .

مسلكه فى الدعوة الى الله

سلك ابراهيم — عليه السلام — فى دعوته الى الله مسلكين .

(احدهما) صريح متفق مع عقيدته — وكان يسلكه مع اهله .

(وثانيهما) استدراجى على خلاف عقيدته، يصل منه فى النهاية الى مشكاة الهدى وشمس الحق ، وكان يسلكه مع قومه لمزيد عنادهم .. وعنيد اصرارهم على الباطل ، ومجافاتهم لكل ما يمس معبوداتهم المقدسة بسوء من قريب أو بعيد .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

ومن الأسلوب الأول ما سلكه في سورة الأنعام مع أبيه آزر . وإليك بيانه وما يتصل به .

من هو آزر ؟

صرحت الآية الكريمة التي صدرنا بها المقال بأن آزر كان أبا لإبراهيم — عليه السلام — لكن المؤرخين أجمعوا على أن اسم أبيه تارح ، قال الزجاج : ليس بين النسابين خلاف في أن اسم أبيه تارح — بتاء فوقية وألف بعدها راء مفتوحة ، وحاء مهملة . ويروى بالخاء المعجمة . ولعل مصدرهم في ذلك كتب أهل الكتاب .

وممن ذهب إلى كون آزر ليس اسما لأبيه مجاهد وسعيد بن المسيب ومعظم أهل السنة . وبعض القائلين بذلك يرى أنه عمه . ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لا مانع من اطلاق القرآن لفظ الأب على العم . فهذا عرف قرآني؛ قال تعالى : « أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ » (١) فقد أطلق لفظ الأب على اسماعيل مع أنه عم ليعقوب . وأطلق أيضا على جده ابراهيم . والعرب يفعلون ذلك .

وقد حمل أصحاب هذا الرأي على تأويل الأب هنا بالعم ، أنه لا يليق بنبي أن يكون أبوه أو أحد أصوله مشركا ، ولذا قال — صلى الله عليه وسلم — « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات » (٢) .

والمشركون نجس فلا يصلح أحدهم أن يكون في أصول نبي . فلذا أولوا الأب في الآية بالعم ، لأنه أقرب الآباء بعد الأب والجد .

لكنني أرى أنه لا داعي لتأويل ظاهر القرآن الكريم بما لا نص فيه في شريعتنا ، ولا ضرورة تدعو إليه ، وعلى فرض صحة أن أباه كان اسمه تارح ، فليكن آزر لقبا له ، وقد ذكره القرآن بلقبه .

وأي مانع من أن يكون أبوه كافرا وهو

---

(١) سورة البقرة — ١٣٣ .

(٢) أخرج أبو نعيم من طرق عن ابن عباس قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة ... الخ . الخصائص الكبرى للإمام السيوطي . تحقيق الدكتور محمد خليل هراس ج ١ ص ٩٣ باب اختصاصه — صلى الله عليه وسلم — بطهارة نسبه ... الخ . الباجوري .

منهـــج ابراهـــيم

رسول من سلالته . أفليس هذا دليلا على قوة داعي الحق عنده ، مع وفرة دواعي الباطل حوله في أهله وأسرته وأمته . أليس من سنن الله تعالى أن يخرج الورد من الشوك . والنور الساطع من النار المحرقة . والعسل الشهي من النحل اللاسع . وغير ذلك مما جاء فيه الفرع مخالفا لأصله نفعا وضرا . وخيرا وشرا .

أما قوله — صلى الله عليه وسلم — « لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات » فالمقصود منه نظافة أصوله من سفاح الجاهلية .

صراحة ابراهيم مع أبيه

لقد كان ابراهيم عليه السلام صريحا مع أبيه آزر المشرك ، اذ قال له « أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » .

قال قائلون : أليس هذا جفاء وخشونة في النصح لا يليقان مع الغرباء . فكيف يحدثان من رسول في خطابه لأبيه وقد قال تعالى لموسى وهرون في شأن دعوتهما لفرعون « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ » (١) فقد أوصاهما باللين في مخاطبته . وبين لهما أن حسن الأثر مرجو في الملاينة . لأن المخاشنة توجب النفرة .

وقال في الوصية للوالدين « فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا » (٢) وقال «وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » (٣) والخشونة في النصح أشد ايذاء من التأفف . ومباينة للصحبة بالمعروف . فكيف صدرت من ابراهيم عليه السلام لأبيه ؟

والجواب أن ذلك لابد أنه صادر عنه بعد مزيد من النصح اللين . ويدل لذلك ما يحكيه الله تعالى عنه في سورة مريم اذ قال :

« يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا » (٤) .

فهذا بلا شك أرق وألين ما يكون في النصح . ولكنه أصر على كفره وهدده بالايذاء . وطلب أن يعتزله ويهجره فقال :

« أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا » (٥) .

فلاينه وسأله قائلا :

(١) سورة طه — ٤٤ .
(٢) سورة الاسراء — ٢٣ .
(٣) سورة لقمان — ١٥ .
(٤) سورة مريم — ٢ — ٥ .
(٥) سورة مريم — ٤٦ .

« سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا » (١) .

فمن هذا يتضح أن ابراهيم عليه السلام بدأ أمره مع أبيه بالملاينة فى الدعوة الى الحق . وكيف لا وقد وصفه الله بقوله :

« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ » (٢) .

فقد شهد له ربه بالحلم ، فلابد أن يكون هذا أول أمره معه ، فلما أوغل فى مجافاة الحق والقسوة على ابراهيم ، اضطر الى القسوة عليه لعله يزدجر قال أبو تمام :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

وبالجملة : فالمقامات تختلف ، ففى مقام يحسن اللين ، وفى مقام آخر تحسن الخشونة ، ولذا قال الله لرسوله مرة :

« وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (٣) .

وقال له أخرى :

« وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » (٤) .

ليستعمل كلا منهما فى مقامه .

على أننى بعد كل هذا لا أرى فيما قاله ابراهيم — عليه السلام — لأبيه : أى نوع من الخشونة ، فقوله : « أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً » انكار لاتخاذه الاصنام معبودات بأخف أسلوب وأرقه ، مع أنه ارتكب أكبر الكبائر وهو الاشراك بالله ، ومع ظهور الأدلة على فساده .

وقوله : « إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » لا خشونة فيه أيضا ، فهو أسلوب لغوى برئ من الجفاء ، فان الضلال هو البعد عن الطريق الموصل الى الغاية ، والمبين معناه البين الواضح ، ولا شك أن عبادة أبيه وقومه للأوثان أبعدتهم عن الطريق السوى الموصل الى الحق ، فالعرف اللغوى لا يرى فى هذا جفاء أو خشونة ، والسائل الذى يصف هذا الأسلوب بالخشونة غير منصف أرأيت لو أن رجلا ترك سبيلا واضح المعالم موصلا الى مدينة يقصدها ، واتخذ سبيلا آخر لا يوصل اليها ، فلما علمت حاله قلت له : لقد ضللت السبيل اليها ضلالا واضحا ، فخذ السبيل الآخر : أتكون بذلك خشنا فى خطابه بهذا التعبير المطابق لمقتضى الحال ، فاذا قلت : كلا ، قلت فكذلك ما قاله الله تعالى حكاية عن ابراهيم فى حديثه لأبيه بلغته ، فانه لما رآه ضل السبيل الى الحق ، أخبره بذلك ليعدل عنه الى السبيل الأقوم ، وهذا ما فعله الله تعالى مع نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — ، كما حكاه فى قوله :

« وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ » (٥) .

أصل عبادة الأوثان والكواكب فى العالم

ذكر الامام الرازى نقلا عن جعفر بن محمد المنجم البلخى أن كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يعترفون بالله وبالملائكة ، الا انهم يعتقدون أنه سبحانه جسم ذو صورة حسنة هى أعلى درجات الحسن ، وأن الملائكة أجسام لهم صورة حسنة أيضا ، وأنهم جميعا فى السموات ، فلهذا اتخذوا صورا وتماثيل حسنة

---

(١) سورة مريم — ٤٧ .
(٢) سورة التوبة — ١١٤ .
(٣) سورة النحل — ١٢٥ .
(٤) سورة التوبة — ٧٣ .
(٥) سورة الضحى — ٧ .

منهج ابراهيم

الرداء والهيكل . وجعلوا أحسنها لله — تعالى عن التجسيد والتمثيل علوا كبيرا — وجعلوا ما دونه منها للملائكة . وواظبوا على عبادة تلك الصور والتماثيل . قاصدين الزلفى من الله تعالى والملائكة .

وذكر الامام الرازى رأيا آخر فى أصل عبادتها خلاصته أن الناس لما رأوا تغيرات الأحوال فى هذا العالم الأسفل مرتبطة بتغيرات أحوال الكواكب . زعموا ارتباط السعادة والنحس بكيفية وقوعها فى الطوالع . ثم غلب على ظن أكثر الخلق ان مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم . هو الاتصالات الفلكية . والمناسبات الكوكبية . فبالغوا فى تعظيم الكواكب . ثم منهم من اعتقدوها واجبة الوجود لذاتها . ومنهم من اعتقد حدوثها وأنها مخلوقة للاله الأكبر . الا أنهم قالوا مع ذلك انها هى المدبرة لأحوال العالم .

وعلى كلا التقديرين اشتغلوا بعبادتها . ولما رأوها قد تغيب عن الأبصار اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه بزعمهم، وأقبلوا على عبادته . وغرضهم من ذلك عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها . ولهذا أقام الأنبياء الأدلة على أن الكواكب لا تأثير لها البتة فى أحوال هذا العالم . وأن الأمر كله لله كما قال سبحانه :

« أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »

بعد أن بين أن الكواكب والنجوم مسخرات بأمره .

على أنها لو قدر صدور فعل عنها وتأثير لها فى هذا العالم . فذلك بجعل الله وربطه المسببات بالأسباب . وليس ذاتيا لها . فهى حادثة ومخلوقة ودلائل ذلك واضحة . فيكون الاشتغال بعبادة الفرع دون عبادة الأصل ضلالا محضا . ويرشد الى أن حاصل دين عبادة الأوثان ما ذكر . أنه سبحانه بعد أن حكى توبيخ ابراهيم لأبيه على اتخاذها . أقام الدليل على أن الكواكب والقمر لا يصلح شىء منها للالوهية : انتهى بتصرف يسير .

اصل عبادة الأوثان فى بلاد العرب

قال الألوسى تعليقا على ما قاله الامام الرازى : وأنا أقول : لعل هذا سبب فى عبادة الأصنام أولا . وأما سبب عبادة العرب لها فغير ذلك .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ان عمرو بن لحى — وهو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام — خرج من مكة الى الشام فى بعض أسفاره . فلما قدم الى أرض البلقاء — وبها يومئذ العمالقة أولاد عملاق أو عمليق ابن لاود بن سام بن نوح عليه السلام — رآهم يعبدون الأصنام . فقال لهم : ما هذه التى أراكم تعبدون ؟ فقالوا هذه الأصنام نعبدها ونستمطر بها فتمطرنا . ونستنصر بها فتنصرنا . فقال لهم : الا تعطوننى منها صنما فأسير به الى أرض العرب فيعبدونه . فأعطوه صنما يقال له هبل . فقدم به مكة . فنصبه وأمر الناس بعبادته .. انتهى كلام الألوسى .

أقول : ويؤكد هذا ما ذكره هشام بن محمد ابن السائب الكلبي في كتابه الأصنام ، تحقيق العلامة المؤرخ أحمد زكي باشا صاحب (الخزانة الزكية) أن عمرو بن لحي هذا أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامية ، وهو الذي طرد جرهما عن ولاية الكعبة ، بعد أن قاتلهم ببني اسماعيل وانتصر عليهم ونفاهم من مكة ، وولي حماية البيت بعدهم .

ويقول الكلبي : ان عمرا هذا مرض مرضا شديدا ، فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حمة (١) ان أتيتها برأت من مرضك ، فأتاها فاستحم بمائها فبرأ من مرضه ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا نستسقي بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، وذكر رواية أخرى لا تتعارض مع ما سبق ، لامكان تعدد الأسباب ، فقال في أول كتابه : ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام — لما سكن مكة ، وولد له بها أولاد كثير ملئوا مكة ، ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد التماسا للمعاش ، وكان الذي سلخ (٢) بهم الى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها ، وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

ثم سلخ بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم ، وانتجثوا — أي استخرجوا — ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها ، على ارث ما بقي فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها ، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة ، والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن ، والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت نزار تقول اذا ما أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريك هو لك ، تملكه وما ملك .

(١) أي عينا ساخنة .

(٢) أي مضى .

منهج ابراهيم

ويوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » أي ما يوحدونني بمعرفة حقي الا جعلوا معي شريكا من خلقي : انتهى .

أقول : ومما جعلهم يمضون في عبادتها أن الشياطين كانوا يتكلمون من أجوافها او يعللون الناس بالأماني الباطلة ، ويخبرونهم بما استمعوه من الملائكة من أخبار الغيب ، ويضيفون اليه ما يشاءون من الكذبات ، كما هو معروف من الكتاب والسنة ، ومن استراقهم السمع واضافة الأكاذيب الى ما يسترقون ، وكانوا يسمعون من أجوافها همهمة ، ويرون أشباحها .

فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : كانت العزى (١) شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح النبى — صلى الله عليه وسلم — مكة بعث خالد بن الوليد قائلا له « ايت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد (٢) الأولى » فأتاها فعضدها ، ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم فقال : « هل رأيت شيئا » ؟ قال لا : قال : « فاعضد الثانية » فأتاها فعضدها ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : هل رأيت شيئا »؟ قال لا : قال : « فاعضد الثالثة » فأتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها دبية السلمى — وكان سادنها — فلما نظر الى خالد قال :

أعزاء شدى شدة لا تكذبى
على خالد الق الخمار وشمرى
فانك ان لا تقتلى اليوم خالدا
تبوئى بذل عاجلا وتنصرى

فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك
انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ، فاذا هى حممة (٣) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ، ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما انها لن تعبد بعد اليوم » .

وفي بعض الروايات أن خالدا لما هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه ، فعوده النبى — صلى الله عليه وسلم — .

وقد علمت مما سبق أن عمرو بن لحى هو أول من ادخل عبادة الأصنام في بلاد العرب ، اذ جاء بها من البلقاء ، ونصبها حول الكعبة . قال

---

(١) من معبودات الجاهلية ، سميت باسم شيطانة فيها .

(٢) سمرات جمع سمرة نوع من الشجر ، واعضد بمعنى : اقطع .

(٣) الحممة كل ما احترق من النار . انظر لابن الكلبى — الاصنام .

الكلبي : فلما صنع عمرو هذا دانت العرب للأصنام وعبدوها :

أقول : وكانت مكة مليئة بالأصنام ، فكان لأهل كل دار منها صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول ما يصنعه اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا . فلما بعث الله نبيه محمدا — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد عجبوا وقالوا : **« اجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب » (١) .**

ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى دانت مكة للنبي — صلى الله عليه وسلم — فأمر بهدمها ، فهدمت وحطمت ولم تستطع أن تدافع عن نفسها . ولو كانت آلهة كما زعموا لاستعصت على من أرادها بسوء . ولجازته بالانتقام الشديد . وصدق الله تعالى اذ يقول فيها **« وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (٢) .**

ولسوف يلقى عمرو الذي تسبب في عبادة العرب لها أسوأ عقاب .

روى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال النبي — صلى الله عليه وسلم « رفعت لي النار فرأيت عمرا رجلا قصيرا أحمر أزرق يجر قصبته في النار ، قلت من هذا ؟ قيل هذا عمرو بن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة ، وسيب السائبة ، وحمى الحامي ، وغير دين ابراهيم ، ودعا العرب الى عبادة الأوثان .

قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : أشبه بنيه به قطن بن عبد العزى ، فوثب قطن فقال : يارسول الله ، أيضرني شبهه شيئا ؟ قال : لا أنت مسلم وهو كافر .. » (٣) الحديث .

وبعد فهذه إلمامة كافية بأسباب عبادة الأوثان في العالم وعند العرب ، وهي أسباب واهية هبطت بالعقل البشرى الى الحضيض فعبدها ، فبعث الله رسله لانقاذ عقائد الناس من الباطل وردهم الى الحق ، وتحرير أفئدتهم ونفوسهم من الجهالة العمياء .

ولقد كان لنبي الله ابراهيم — عليه السلام — دور هام في ذلك ، ففي العدد التالي حتى ترى فيه اسلوبه الثاني الذي يتظاهر فيه بأنه على عقيدة أهل الباطل ، ثم يبرهن لهم على فسادها ، بأسلوب رجل كان يبحث عن الحق ، فلما عرفه آمن به ، ورفض ما كان مخالفا له مما تظاهر به ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

(١) سورة ص ٥ .
(٢) سورة الحج ٧٣ .
(٣) انظر تفسير ابن كثير سورة المائدة ج ٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ طبعة الشعب — الباجوري .

الحمد فى القرآن الكريم

٤٤ـ التوكل على الله والحمد .

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا » الفرقان ٥٨ .

لما بين الله فى الآيات السابقة أن الكفار متظاهرون على ايذاء الرسول امره أن يتوكل على الحى الذى لا يموت فى دفع كل ضر عنه وفى جلب المنافع اليه ، وان من يتوكل على الحى الذى يموت فانه يضيع عندما يموت من يتوكل عليه ، اما المتوكل على الحى الذى لا يموت فانه لا يضيع ، لانه مع الحى الباقى .

وقوله : وسبح بحمده : اما أن يكون المراد بذلك : التنزيه ، أى تنزيه الله تعالى عن كل نقص ، واقتران ذلك التنزيه بالتحميد على نعم الله .

واما أن يراد بالتسبيح : الصلاة ثم أمره بالحمد .

وحسبك الله وحده ، فلا تحتاج معه الى غيره ، لأنه الخبير بالناس وبما يقترفون من الذنوب ، وهو قادر على الجزاء وفى ذلك وعيد للكفار وتهديد لهم بأن الله مطلع على اقوالهم واعمالهم وهو مجازيهم على كل ذلك ، وسيعاقبهم بما يستحقون .

* * *

٤٥ ـ « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » التوبة ١١٢ .

فى هذه الآية بين الله أوصاف المؤمنين الذين اشترى منه أنفسهم وأموالهم بالجنة ، والتقدير : هم التائبون أو التائبون العابدون الخ من أهل الجنة .

وقد تضمنت الآية تسعة أوصاف لأولئك المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم :

الأول : التائبون : من الشرك أو من

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

الشرك والنفاق أو من كل معصية . وشروط التوبة :

١ ــ التألم لحصول المعصية .
٢ ــ الندم .
٣ ــ العزم على الترك .
٤ ــ أن يكون الدافع لها طلب رضوان الله .

الثاني : العابدون : هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء ، ويرون عبادة الله واجبة عليهم .

الثالث : الحامدون : هم الذين يشكرون الله تعالى على نعمه الدنيوية والأخروية فيسبحون ويهللون ويكبرون ولا يغفلون عن ذكر الله وحمده على ما أنعم به .

الرابع : السائحون : قيل هم الصائمون . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ذكر في القرآن من السياحة ، فهو الصيام . فالصائم اذا امتنع عن الأكل والشرب سد على نفسه أبواب الشهوات ، وانفتحت عليه أبواب الحكمة وتجلت له أنوار عالم الجلال

وقيل : ان السائحين : هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم .

الخامس والسادس : الراكعون الساجدون : هم المصلون ، وخص الركوع والسجود من أعمال الصلاة بالذكر هنا ، لأنهما يدلان على التواضع والعبودية ليشير الى أن المطلوب في الصلاة انما هو خضوع العبد وتذلله لربه .

السابع والثامن : الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ورأس المعروف : الايمان بالله ، ورأس المنكر : الكفر بالله .

التاسع : الحافظون لحدود الله ، والمراد : تكاليفه من عبادات ومعاملات وسلوكيات .

وبعد ذكر تلك الأوصاف قال : وبشر المؤمنين ، وهم المقصودون في قوله تعالى في الآية السابقة على هذه : **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ** ، وكأن البشارة هنا وهناك لا تشمل غير المؤمنين الذين وصفوا بتلك الصفات .

وقد جاء من بين هذه الأوصاف : الحامدون وهو مشتق من الحمد ــ الذي هو موضوع هذا البحث ــ على أنه صفة من الصفات التسع التي ذكرها الله للمؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة والذين بشرهم الله بالبيع الذي بايعوه .

٤٦ ــ صاحب المقام المحمود :

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا • وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) الاسراء ٧٨ ، ٧٩ •

ان أشرف الطاعات بعد الايمان : الصلاة ، وقد أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بأداء أفضل الطاعات والتقرب الى ربه بالصلاة بعد قوله : (وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) يعنى من مكة ، وفى اخراجه من بلده التى ولد ونشأ فيها ما تضيق نفسه به ، فأمره الله فى هذا الموقف أن يفزع الى الصلاة ، ويداوم عليها آناء الليل وأطراف النهار ليدفع شرهم •

والمراد بقوله : لدلوك الشمس : غروبها ، وقيل : هو زوالها عن كبد السماء :

والمقصود : طلب المداومة على الصلاة من وقت زوال الشمس الى غسق الليل ، وفى هذا الوقت يكون وقت الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال : وقرآن الفجر ، والمراد منه : صلاة الصبح ، وقد وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا ، لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح ، فصلاة الصبح مشهودة للملائكة ، وحين يفرغ مصلى الصبح من صلاته ترجع ملائكة الليل فيقولون : يارب انا تركنا عبدك يصلى لك ، وتقول ملائكة النهار : ياربنا انا أتينا عبادك وهم يصلون لك •

ويدخل وقت الصبح فى قوله : وقرآن الفجر ، لأن المراد وقرآن صلاة الفجر ، ويكون الأمر باقامة الصلاة والمداومة عليها فى أوقات الصلوات الخمس قد تضمنته الآية •

والمراد بغسق الليل : سواده وظلمته •

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) •

التهجد : صلاة الليل ، وتهجد به ، أى بالقرآن ، والهاجد المصلى بالليل ، والهجود، الرقاد ، وقال بعضهم : التهجد :

الصلاة بعد الرقاد ، وكان — عليه الصلاة والسلام : يصلى ويرقد ، ويصلى ويرقد ، ويفعل ذلك فى الليل أكثر من مرة وهذا هو تهجده أى صلاته بعد رقاده •

والنافلة : ما كان زيادة على الأصل ، والأصل : الفرائض ، وما أدى بعد الفرائض، فهو النفل (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) •

اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب ، فالله تعالى اكرم من ان يطمع أحدا فى شىء ثم لا يعطيه ما طمع فيه •

والمقام المحمود الذى يطمع فيه هو :

الشفاعة : وقد قال النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تفسير المقام المحمود : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى •

والحمد انما يكون على الانعام والمقام المحمود هو الذى ينعم فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أمته ، فيحمد على ذلك الانعام وأى انعام فى يوم الحشر أعظم من تقدم رسول الرحمة بين يدى ربه ليشفع لأمته فيحمد ويشكر على مقامه المحمود هذا ، (ومحمودا) اسم مفعول من الحمد موضع البحث •

• • •

٤٧ ــ الله الغنى الحميد :

« حميد » احدى الصيغ المشتقة من الحمد ، وتدل على الكثرة ، وقد تكون بمعنى محمود .

قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » البقرة ٢٦٧ .

حث الله على الانفاق فى الآيات السابقة ، وقسم الانفاق الى قسمين : (انفاق يتبعه المن ، وانفاق لا يتبعه المن والانفاق اما أن يكون من مال طيب ، واما أن يكون من مال خبيث .

وقد نادى الله المؤمنين المنفقين فى هذه الآية ليأمرهم فى حالة الانفاق أن ينفقوا من طيبات أموالهم التى كسبوها واختلف فى الانفاق المراد فى هذه الآية : أهو الزكاة المفروضة أم هو الصدقة المتطوع بها او الاثنان جميعا ، واذا كان المراد ، الزكاة المفروضة فهى فى كل ما يكسبه الانسان ، ويدخل فيه زكاة التجارة والذهب والفضة والحيوانات الأهلية كالابل والغنم والبقر وزكاة الزروع والثمار الى غير ذلك مما بينت كتب الفقه وحددت أنصبته واختلف فى بيان الطيب المطلوب الانفاق منه ، فقيل : الجيد من المال ويقابله : الخبيث والزيف والردىء والعفن من الثمار والضعيف من الحيوان أو ما به عيب .

وقيل : المراد بالطيب : الحلال ويقابله الحرام ــ ولا تيمموا : أى لا تقصدوا والمراد بالاغماض فى قوله : الا أن تغمضوا فيه : المسامحة ، وترك الاستقصاء ، أى : ولستم بآخذيه فى حقوقكم وأنتم تعلمون خبثه ورداءته أو انه حرام الا أن ترخصوا لأنفسكم أخذه بعيبه .

وعن الحسن رضى الله عنه : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه .

ثم ختم الآية بقوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) .

ان العطاء وان وقع فى يد الفقير لكنه لله ، وحيث انه كذلك وجب أن يكون من الطيب ، لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا أبيتم الا الانفاق من الخبيث فلتعلموا أن الله غنى عن تلك الصدقات الخبيثة التى يحمل خبثها عدم رضاكم عن الانفاق الذى أمرتم به .

والغنى : صفة من صفات الله فهو غنى عن العالمين بكل مافى حوزتهم وما يملكون ، لأنه هو مالك السموات والأرض ومالك السموات والأرض وما فيهما ليس محتاجا الى أن تقدموا له خبيث أموالكم .

ثم أردف صفة الغنى بصفة أخرى وهى أنه حميد بمعنى محمود على ما أنعم به على خلقه من الأموال سواء أنفقوا أو غلت أيديهم ، أو حميد بمعنى حامد على ما تفعلون

من الخير وما تقدمون من طيب المال (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) .

* * *

٤٨- الحميد المجيد :

« قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) هود ٧٣ .

بين الله في الآية السابقة مجيء رسله الى ابراهيم ، وقد ذكر هؤلاء الرسل في الذاريات في قوله تعالى : « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ » وفي الحجر في قوله تعالى : « وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ » وفي سورة هود : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الرسل هم جبريل وميكائيل واسرافيل .

وقد بينوا لابراهيم أنهم أرسلوا الى قوم لوط للايقاع بهم جزاء تكذيبهم لوطا ، وقد بشروا ابراهيم بسلامة لوط ومن آمن معه ، ثم بشروا امرأة ابراهيم باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب .

وقد نظرت امرأة ابراهيم الى نفسها وهي عجوز والى بعلها وهو شيخ ثم أرسلت الاستفهام التعجبي : ياويلتا .

(أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا)

والويل والخزي — وتعجبها مرجعه الى العرف والعادة لا بحسب قدرة الله فليس بمعروف أن يولد لمن في سنهما ، وان كانت قدرة الله فوق المتعارف والمعتاد .

وقالت الملائكة : أتعجبين من أمر الله ، ومعنى ذلك أنهم تعجبوا من تعجبها (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) .

ثم قالوا : (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) والمعنى : ان رحمة الله متوالية متكاثرة متعاقبة عليكم أهل البيت : ورحمة الله ونعمه عليهم : كانت في النبوة والمعجزات العظيمة ثم في هذا الانجاب في الشيخوخة ، وأهل البيت : منادى محذوف الأداة ، وفي ذلك النداء مدح لأهل البيت .

انه حميد مجيد ، والحميد : هو المحمود ، وهو ما تحمد أفعاله ونعمه ، والمجيد : الماجد : وهو ذو الشرف والكرامة .

واذا كان الله حميدا مجيدا فلا مبرر للتعجب من أننا نبشرك باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب والله قادر على كل شيء .

٤٩ — العزيز الحميد :

(الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ابراهيم ١ .

هنالك أقوال كثيرة في السورة المبدوءة بحروف المعجم مثل : ص — ن — ق — حم — طسم — الم — الر وغيرها ومن تلك الأقوال : أنها أسماء للسور ف « ص » اسم للسورة وكذلك « الر » .

ومن بينها كذلك : أن القرآن الذي عجز

العرب عن الاتيان بمثله وهم أرباب الفصاحة والبيان ليس مؤلفا الا من الحروف التى تنطقون بها أ ل ر ، ن ، ق ــ فنظمه كله لم يخرج عن حروف المعجم التى يتحدثون بها ، وينظمون أشعارهم ، ويدبجون خطبهم ، ولكنه النظم المفحم الذى عجزتم عن الاتيان بمثله أو بعشر سور من مثله ، بل بآية من مثله .

وقد دلت الآية على أن القرآن منزل من عند الله لتخرج به الناس ــ والخطاب لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الظلمات الى النور ، وشبه الكفر بالظلمات ، لأن فى كليهما حيرة ، ففى الكفر حيرة العقول وعدم اهتدائها الى الطريق الموصل الى الحق وفى الظلمات حيرة لا يستطيع السارى معها أن يصل الى ما يريد .

وأضاف الاخراج من الظلمات الى النور الى الرسول ، والحقيقة أن الله هو المؤثر والهادى الى ذلك الاخراج ، وبينت الآية أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ انما يخرجهم من الكفر بالكتاب بمعنى : أنه يتلوه عليهم ليتدبروا وينظروا ليصلوا من وراء التدبر والنظر الى الاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته ، والله هو هادى العقول التى يريد لها الهدى الى التدبر وهو المؤثر فيها بهداه .

فالاخراج من الظلمات الى النور ، أو من الكفر الى الايمان انما يكون باذن الله ومشيئته (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) واخراجهم الى الايمان انما هو اخراج الى صراط الله العزيز الحميد .

والصراط : الطريق ، وأضافه الى العزيز لتشريفه وبيان أن الصراط المستقيم هو صراط العزيز وهو صراط الاسلام وما جاء به (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) والعزيز اشارة الى كمال قدرته ، والحميد : اشارة الى أنه مستحق للحمد فى كل أفعاله .

والصراط المستقيم صراط العزيز الذى يذل لعزته كل شىء وهو صراط الحميد الذى له ملك السموات والأرض وما فيهما من نعم فهو محمود على آلائه ونعمه التى ينعم بها خلقه .

٥٠ ــ « وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) ابراهيم ٨ .

لقد حكى القرآن قول موسى لقومه : اذكروا نعمة الله وحكى قوله : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) بمعنى آذن ووعد وقال : « لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) والشكر : هو الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه ، فهو المتفضل ، وهو ولى الاحسان ، وأما الكفر فالمراد منه : كفر النعمة وجحودها .

وبهذا كان وعد الله على زيادة النعم عند الشكر ، وتوعده بالعذاب الشديد عند الكفر والجحود .

ثم حكى الله قول موسى لقومه : « إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) ، وتدل الآية التى قبلها على أن نفع الشكر يعود على الشاكر لا على المشكور ،

وضرر الكفر يعود على الجاحد لا على المعبود ؟ فالله متعال عن الانتفاع بالشكر ، وعن التضرر من الكفر ، فان تكفروا ويكفر معكم اهل الأرض جميعا سواء حمل الكفر على ما يتابل الايمان أو على الجحود (فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عن العالمين ، لأنه مالك السموات والأرض ، ومالكهما بكل ما فيهما غنى عن كل ما فيهما ومن فيهما ، وهو (حميد) بمعنى محمود ومستحق للحمد لذاته ، ومستوجب الحمد لكثرة نعمه على من حمده وعلى من لم يحمده ، وهو لا يزداد كمالا بشكر الشاكرين ، ولا ينقص بكفر الكافرين .

٥١ ــ صراط الحميد :

« وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ » الحج ٢٤ .

بين الله في الآية السابقة على هذه ما أعد للكافرين من العذاب : حيث تقطع لهم ثياب من النار ، وأنهم يصب من فوق رءوسهم الحميم وهو الماء المغلى ، ويصهر به ما في بطونهم وجلودهم ، ولهم مقامع من حديد يضربون بها ، وأنهم كلما أرادوا الخروج من النار أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب الحريق .

ثم قابل بين تلك الصورة وصورة المؤمنين الذين يعملون الصالحات حين يدخلهم الله الجنة ويحلون فيها بأساور الذهب واللؤلؤ ، ويلبسون الحرير .

ثم بين في هذه الآية أنهم قد هدوا بهداية الله الى الطيب من القول ، وقد قيل ان الطيب من القول هو :

شهادة أن لااله الا الله ، (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) وليس أطيب من لا اله الا الله

وقيل : القرآن : وهو طيب القول بما اشتمل عليه من التوحيد والشريعة التي جاء بها خاتم الرسل .

وقيل : الحمد لله الذى صدقنا وعده وهذا قولهم الذى اهتدوا اليه في الآخرة حين يشهدون النعيم وما أعده الله للمؤمنين وهدوا الى جانب ذلك : الى صراط الحميد أى الى ما أوصلهم الى صراط الحميد الذى تحمد نعمه وآلاؤه حيث ظهرت لهم الأنوار الالهية ، فربطوا أرواحهم البشرية بعالم القدس ، وكان ذلك الرباط الذى سلكوه الى نعيم الخلود هو صراط الحميد الذى يحمد له فضله .

٥٢ ــ « لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) الحج ٦٤ .

بين الله في الآيه السابقة على هذه أنه ينزل من السماء ماء فتخضر به الأرض حيث يبقى أثر الماء فيها زمنا ينبت فيه البذر أو يخرج الساق حيث يصير وجه الأرض مخضرا بما نبت فيها ، وهو لطيف بعباده ورحيم بهم وبكل خلقه مما ينتفع بما تنبت الأرض ، وهو خبير

بما يحتاج اليه الخلق فى الحياة .

ثم قدم فى هذه الآية دليلا على قدرته ، وهو أن له ماقى السموات وماقى الأرض جميعا ، فهو مالك ذلك الملك الواسع وحده وهو المدبر لكل ما فيه ، وان ذلك الملك بما فيه ومن فيه منقاد لارادته وحكمته ، ولذلك فهو الغنى بما يملك ليس فى حاجة الى شىء من أحد ، بل هو غنى عن حمد الحامدين لأنه غنى بذاته عن كل ما سواه وانعامه يخلو عن كل غرض يعود اليه . فلهذا كان مستحقا للحمد .

ولأنه كان غنيا لم يفعل ما فعل من انزال الماء من السماء لتخضر به الأرض الا للاحسان وحده ، ومن كان محسنا للاحسان نفسه لا لغرض آخر وجب أن يكون حميدا محمود الأفعال مشكورا على نعمه .

٥٣ ـ « وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) لقمان ١٢ .

قيل : لقمان الذى ورد فى الآية هو لقمان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : من أولاد آزر .

وقد أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وقيل : كان قاضيا فى بنى اسرائيل .

وأكثر الأقوال : انه كان حكيما ولم يكن نبيا .

وقيل : لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا .

وقال عكرمة : كان لقمان نبيا ، وقيل : خير بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة .

والحكمة : توفيق العمل بالعلم ، ومن أوتى توفيق العمل بالعلم فقد أوتى الحكمة .

(وأن) بمعنى أى فى قوله أن اشكر لله أى أن الله أمره بعد أن آتاه الحكمة أن يشكر الله على ما آتاه من موافقة عمله لعلمه ثم بين أن الشكر ينفع الشاكر وحده فقال : « وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » أى يعود نفع شكره على نفسه لا على غيره .

(وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) ومن كفر وجحد نعمة الله عليه فليعلم أن الله غير محتاج الى شكره بحيث يتضرر لجحود الجاحد وكفر النعم التى أنعم الله عليه بها فهو الغنى عن حمد الحامدين . أو أنه حميد ومحمود فى ذاته من غير حمدهم ، وانما الحامد ترتفع منزلته لكونه حامدا الله تعالى .

٥٤ ـ (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) لقمان ٢٦ .

ان كل ماقى السموات والأرض من الموجودات لمالك السموات والأرض يتصرف فى كل ما فيهما كيف يشاء ، واذا كان كذلك كان الحمد مستحقا له سبحانه .

ومعنى أن كل ماقى السموات والأرض لله أنه غير محتاج وغير منتفع بما فيهما ، فهو غنى لعدم احتياجه الى شىء على حين أن كل خلقه محتاج اليه ، وهو مستغن عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص لكفران الجاحدين وهو حميد مشكور ، لأنه يعطى من يشاء بقدر ما يشاء ، ولأنه محمود فى نفسه وفى فعله وعلى نعمه .

٥٥ ـ (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سبأ ٦ .

لما بين الله في الآية السابقة على هذه حال الذين يسعون في آيات الله بالابطال ، وهم يريدون التعجيز ، ويظنون أنهم يفوتون الله وعقابه ، بين في هذه الآية موقف الذين أوتوا العلم في أن علمهم افادهم في معرفة أن ما نزل الى محمد هو الحق كل الحق ، وقوله : هو الحق : يفيد الحصر ، بمعنى انه ليس الحق الا ذاك الذي جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — ثم بين ذلك الحق الذي جاء به بأنه يهدي الى صراط العزيز الحميد .

أو أنه يجمع بين شيئين : كونه حقا وكونه هاديا الى الوصول الى صراط الله .

وقوله : العزيز الحميد : يدل على الرهبة والرغبة فهو عزيز ذو انتقام تحل نقمته عاجلا أو آجلا بمن يسعى في تكذيب الحق .

وهو الحميد : أي يحمد ويشكر من يصدق بما جاء من الحق ، وفي ذلك ترغيب للاقبال على تصديق ما نزل من الحق فالقرآن يهدي للتي هي أقوم : يبشر المؤمنين ويرغبهم في الصالحات ، وينذر الكافرين ويحذرهم بسوء العاقبة .

٥٦ — (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فاطر ١٥ .

ما أكثر ما دعا النبي — صلى الله عليه وسلم — الكفار الى الله ، وما أكثر اصرار الكفار على رفض دعوته ، حتى لقد قالوا : لعل الله يحتاج الى عبادتنا فيتمادى نبيه في دعوتنا الى الايمان بما جاء به ، بل انه ليهدد ويتوعد على انصرافنا عن تلك الدعوة .

فقال الله ردا على ما قالوه ولاكته ألسنتهم يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ فانه لم يأمركم بعبادته لاحتياجه الى تلك العبادة ، فهو الغني عنكم وعن عبادتكم اياه ، وانما يدعوكم اشفاقا عليكم قبل أن تحل عليكم نقمته (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) .

وان الناس مفتقرون الى الله ، وهذا يستوجب عبادته لا عبادة غيره مما لا يحتاج اليه ، بل مما لا يحيي ولا ينفع ولا يضر من مثل تلك الأصنام التي تعبد من دون الله .

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) ومع استغنائه فانه يدعوكم ويرسل رسله لدعوتكم رسولا بعد رسول للكفار في مختلف الأحقاب والأقطار والناس مع احتياجهم اليه لا يستجيبون لما يدعو له رسل الله وهو (الحميد) المحمود ، لأنه يقضي حوائج الخلق الدنيوية كما أنه حميد محمود في الانعام على المؤمنين في الآخرة .

٥٧ — (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ

لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت ٤١ ، ٤٢ •

الالحاد : الميل عن الاستقامة ، والملحد : المنحرف ، واختص بالمنحرف عن الحق الى الباطل ، وقد هدد الله الملحدين المنحرفين عن الحق بقوله : لا يخفون علينا فهو يعلمهم ويعلم ما يقولون فى آياته ، وقد ادخر لهم حسابهم على موقفهم وعقابهم الى الآخرة

ثم ساق تهديدا آخر فى قوله : افمن يلقى فى النار خير ؟ والاستفهام تقريرى والغرض منه : التنبيه على أن الذين يلحدون فى آيات الله يلقون فى النار •

أما المؤمنون فانهم يأتون يوم القيامة آمنين على أنفسهم من شر الحساب والعقاب •

ثم ساق تهديدا ثالثا للملحدين هو قوله : (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وهو يحمل من الوعيد الشديد ما يحمل فالله بصير بما يعملون من الالحاد فى آياته ولهم عقابهم فى الآخرة •

ثم ساق تهديدا رابعا فى قوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) والذكر : القرآن ، وجوابه محذوف •

تقديره : يجازون بكفرهم او يكون جوابه : أولئك ينادون من مكان بعيد ، الذى جاء فى الآية التى بعد هذه وهى قوله : (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) ومن دعى من مكان بعيد لم يسمع ، وان سمع لم يفهم فكذلك حال هؤلاء •

وانه لكتاب عزيز غالب قاهر بقوة حجته وبيانه ، أو عزيز لا ينال ، وليس له نظير اذ عجزوا عن الاتيان بآية من مثله ، وهو منيع محمى بحماية الله •

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، بمعنى : لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور ولا يأتى كتاب بعده يكذب ما جاء فيه •

او ان ما قضى القرآن بانه حق فهو حق لا ياتيه الباطل ، وما قضى بانه باطل فهو باطل لا يصير حقا وهو محفوظ من النقص والزيادة والتحريف •

تنزيل من حكيم حميد انزله الحكيم الذى ضمنه ما ضمنه من التوحيد والتشريع وهو الى جانب ذلك كتاب حكمة لانه ابداع حكيم والحكيم اسم من اسمائه •

ووصف المنزل نفسه كذلك بانه حميد محمود لكثرة انعامه على خلقه •

يتبع

د• محمد محمد خليفة

في الأسرار العلمية للآيات الكونية

انزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون خاتما لكتبه المنزلة للبشر وليكون هداية لحياتهم ومحققا لخير آخرتهم ، انزله سبحانه على قلب رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنص القول الحكيم « الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ » (آل عمران ١ ــ ٣) ، وانزل الله هذا الكتاب الجامع للناس كافة بالنص الكريم « قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الاعراف / ١٥٨) ، كما ان هذا القرآن محفوظ من الله لا يعتريه تحريف او تبديل وذلك بالنص الالهي « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (الحجر / ٩) .

ومن ثم كان القرآن ــ ولم يزل ــ معجزا فى كل ما أتى به وكل ما احتواه ، معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه ، معجزا بما قصه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين ، معجزا بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر فى كل مكان وزمان تكميلا لفطرتهم وضمانا لسعادتهم ، معجزا بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم الحديث بوسائله البحثية المتقدمة التى أساسها الخبرة والتجربة والمشاهدة فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ، ولم تتعارض حقائقه معها فى شىء ما .

للأستاذ كاظم السيد غنيم

الغرض من ورود الآيات الكونية في القرآن الكريم :

اذا كان القرآن الكريم منزل لهداية البشر وبيان عرى ارتباطهم بخالقهم في كل شئون حياتهم وأمور آخرتهم فيخرجون في الدنيا من ظلمات الجهالة والبغي وعبادة الأوثان ـ قديما وحديثا ـ الى نور الايمان واليقين « الٓر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (ابراهيم / ١) واذا كان يدعو الناس الى تدبر آياته وتفهم معانيه « كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (ص / ٢٩) ، فانه جاء يدعو الناس الى التدبر والتأمل في بديع صنع الله وعظيم خلقه « أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ » (الشعراء / ٧) .

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ » (الأعراف / ١٨٥) ، « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ » (الزمر / ٢١) .

كانت دعوته هذه الى استعراض آفاق الحياة الكونية والتفكر فيها بقصد التعرف على آلاء الله وسننه في كونه الفسيح وعندئذ تهتدى النفوس الى الواحد الخالق الواهب الاله الأوحد ، أو تزداد هذه النفوس ايمانا على ايمانها وتزداد خشية لله في أعماقها . وان نظرة في الآيات القرآنية الآتية لتوضح بجلاء أن كل ما خلقه الله في هذا الكون ما هو الا مقدمات لنتيجة مطلوبة هي معرفة الله والعلم به .

فهو سبحانه حينما يوجه نظر الانسان في هذه الآيات « إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (الأنعام / ٩٥ ، ٩٩) هـذه هي المقدمات فالنتائج ؟ انها ما يلي :

« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (الأنعام / ١٠٢) •

ودعوة القرآن الى دراسة الظواهر الكونية دعوة صريحة واضحة ، أفاض العلماء قديما وحديثا في عرض خصائصها وأبعادها ولكننا نورد ــ للاختصار ــ قولا واحدا لأحد الأئمة الأعلام هو الامام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) حيث يقول : (القرآن مصدر كامل لعلوم الروح والدين والطبيعيات والفلكيات والنباتات وعلوم الآلات بسائر أنواعها ، فاذا قال القرآن « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » وقال « قدره ــ أى القمر ــ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » وقال « وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » ، « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » ، فلا يعرف حقيقة الشمس وسيرها ، وأبراجها ، ومنازل القمر ودورانه ، وخسوفهما ، وولوج الليل في النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض ، وهو علم تتفرع منه علوم) •

مفهوم الكون ومصطلحاته :

حينما نتكلم عن الآيات الكونية التي وردت في القرآن الكريم وضرورة فهمها واستنباط أهدافها ودور ذلك في النهضة الاسلامية الشاملة ، فانه لحرى بنا أن نتعرف على بعض المصطلحات كالكون والطبيعة والبيئة ، وان كانت كلها مرادفات لبعضها ، فالكون Ecosystem هو المحتوى لكل كائن في الحياة الدنيا من أرض وسماء ونبات وحيوان وماء وهواء وجماد وكبير ودقيق الى غير ذلك مما لم تصل اليه حواسنا وآلاتنا الحديثة من موجودات كثيرة ، ويطلق علماء الغرب على هذا الكون لفظ « الطبيعة » Nature كما استعمله اليونان قديما في كتبهم وفلسفتهم ، كما ان لفظ « البيئة » Environment يستخدم أحيانا ليدل على ما يدل عليه كلا اللفظين « الكون » ، « الطبيعة » الا أنه من الأفضل أن نسمى ذلك في اصطلاحنا الاسلامى (عالم الشهادة) ذلك لأنه يوجد عالمين أحدهما مشاهد ــ بكل وسائل الحس والقياس ــ وهو « عالم الشهادة » ، والآخر مغيب عنا وهو « عالم الغيب » وهذا لا يلغى استخدام لفظ « الكون »

الذى ورد فى الكتب القديمة ، كما أن فى القرآن اشارة اليه فى قوله تعالى « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (النحل / ٤٠) فالكون هو ما كونه الله وخلقه وقدر أموره وهو قائم على شئونه الى يوم القيامة .

طبيعة ورود الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

تأتى الآيات الكونية فى أوائل السور القرآنية ، وقد تأتى فى أواسطها أو فى أواخرها ، أو بين هذا وذاك ، فمن خلق الانسان ومنحه ملكة الادراك والعلم تبدأ سورة العلق « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق / ١ ـ ٥) ، بينما نراها تأتى فى سورة نوح « مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا • أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا • وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا • ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا • لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا » (نوح / ١٣ ـ ٢٠) ، ونراها واردة فى أواخر سورة الطلاق « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا » (الطلاق / ١٢) ، ثم قد ترد السورة القرآنية كلها أو جلها مؤلفة من الآيات الكونية ، كسورة الفيل وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة وسورة الواقعة ، وسورة يس ، ومعظم سور جزء (عم) وجزء (تبارك) .

وشاء الله العلى الحكيم أن تشيع الآيات الكونية فى كل القرآن ولم يحصرها فى سورة خاصة دون غيرها ، وذلك لحكم عديدة منها :

١ ـ الأسلوب المتبع فى القرآن فى بيان الأصول أو الفروع هو ايرادها فى آيات متفرقة فى السور ممزوجة بغيرها من أنواع المسائل ، وليست فى مكان واحد .

٢ ـ لما كانت هذه المظاهر الكونية أدلة على وحدانية الخالق ومطلق قدراته فى خلقه ، والاستدلال على امكانية البعث بعد الموت ، كان من اللائق ايراد هذه الآيات مع سياق آيات التوحيد والبعث فى مواضعها .

٣ ـ اذا جمعت الآيات الكونية كلها فى موضع واحد تشرح جميع أطوار التكوين والخلق والايجاد ، لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحوث العلمية والاستقصاءات العقلية .

خصائص العرض القرآنى للظواهر الكونية :

هى كثيرة وعديدة أبرزها ما يلى :

١ ـ الشمول والاحاطة :

حينما يتناول القرآن كلاما عن الكون فانه يضم أنواع النباتات كلها وأنواع الحيوانات كلها وأنواع البحار كلها وأنواع الظواهر الفلكية كلها وأنواع الأشكال الجيولوجية

في الأسرار العلمية

والأرضية كلها ، في ذلك ما وصلنا اليه وما لم نصل اليه حتى الآن :

ففى عالم النبات والمزروعات يقول الله تعالى « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل / ١٠ ، ١١) .

فمن « كل الثمرات » تشمل كل ما يعرفه الناس في منطقة جغرافية ما وكل ما غاب عنهم ووجده غيرهم في منطقة أخرى ، وهكذا حتى تشمل كل ما خلقه الله في أرجاء الأرض ، وفي عالم الحيوان نرى النص القرآني « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (النحل / ٨) .

وذلك يشمل كل ما يجد اكتشافه من مخلوقات على ظهر وبطن الأرض ، حتى لنضم اليها ما يصطنعه الانسان بيديه من سيارات وطائرات ووسائل أخرى ، ذلك لأن الذى خلق هذا الانسان ووهبه آلة التفكير وملكة الاختراع هو الله عز وجل .

٢ ـ الديناميكية الدائبة :

يقرر القرآن الكريم أن كل شيء في هذا الكون الفسيح دائب الحركة متواصل الديناميكية ، فالأفلاك تدور وتتحرك « كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (الأنبياء / ٣٣) والأرض (التربة Soil) في حركة واهتزاز واضطراب ويلمح ذلك من النصوص « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » (الحج / ٥) .

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا » (الرعد / ٤١) . « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » (الذاريات / ٤٧) ، « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » (النمل / ٨٨) ، والاشارة الى الديناميكية امتدت الى كل شيء في الكون حتى الكهارب في الذرة أو حتى الموجودات في أدق الوحدات البنائية التى اكتشفت حديثا ونعنى أن الذرة هى أصغر ما في الوجود أو أدق وحداته .

٣ ـ نظام السببية :

يشير القرآن الى توالى حوادث الكون بانتظام دقيق تبعا لنواميس وضعها الخالق سبحانه وتعالى لتسير عليها ظواهر الوجود وأغيار الدنيا « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس / ٣٨) ، ولقد أوضح القرآن نظام الترتيب فكل شيء يترتب على شيء سابق له في الحدوث ومؤثر في ظهوره ، فحينما يقول الله في القرآن .

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ » (الروم / ٤٨) .

« وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ » (البقرة / ٢٢) (ابراهيم / ٣٢) .

كل حادثة تتلوها أخرى ، وهكذا تكون أجزاء الكون مترابطة ، صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وسنن الله الكونية التى اقتضاها فى كونه الفسيح ، وكل شىء يجرى تبعا لهذه السنن — أو القوانين — الا أن الله أحيانا تشاء حكمته فتخرق هذه النواميس لأمور يريد الله ابداءها أو اثباتها أو تأكيدها ، وذلك كما حدث فى معجزات الأنبياء والرسل أو ربما تحدث فى عالمنا الحالى على سبيل ايقاظ الانسان من غفوته المادية وخلوده الى دنيا الترف والمتع ، فيظهر الله خرقا لأحد نواميس كونه حتى يتنبه الانسان ويرجع الى ربه العظيم .

٤ — ترشيد النظرة الانسانية الى الكون :

وذلك باقصاء الخرافات والخزعبلات عن نظرة الانسان المسلم لظواهر الكون وحوادثه ، فثار الاسلام على ضروب الكهانة والعرافة والتنجيم ، وعدها من أبواب الشرك ، يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافا فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما (١)) ، وحيث نفى الاسلام النظرة الخانعة الكسولة الى الكون فانه دعانا الى التعامل مع نواميسه ونظمه على أساس العلم والبحث والتقصى بعيدا عن الاعتباط والجهل والضلال . وعلينا أن نعلم جيدا أن الاسلام حينما دعانا الى ذلك فانه حدد العالم الذى دفعنا الى البحث فى جوانبه ألا وهو عالم الشهادة ، فلا نقلب القول فى عالم الغيب ذلك الذى لا نشهده مهما أوتينا من أجهزة وآلات حديثة فى البحوث والدراسات ، فلا شأن لبحوثنا بعالم الجن أو عالم الروح أو عالم الملائكة أو غيرها من المغيبات عنا .

وختاما فان الله سبحانه حينما يقول « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (فاطر / ٢٨) فانه يحصر الخشية فى العلماء ، العالمين بأسرار الوجود وعجائب الخلق كما قال بذلك ابن رشد لان هذه الآية لم ترد فى سياق الكلام عن أمر يتعلق بالعبادات وانما وردت فى سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته فى انزال المطر وخلق النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها . فلننظر ولنتدبر ولنتأمل ولنفكر حتى نعد من أولى الألباب ونكتب من العالمين بجوانب عظمة الخالق فى خلقه وحكمته فى كائناته وجلاله فى موجوداته ، وعلى الله قصد السبيل .

كارم السيد غنيم

مدرس مساعد بكلية العلوم جامعة الأزهر

---

(١) الرواية — فى مسند احمد طبع الميمنية ٥/٣٨٠ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما . وفى بعض الروايات بمسند أحمد ٢/٤٢٩ نفس الطبعة .. فقد كفر بما انزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) وانظر صحيح مسلم — السلام ١٢٥ ، ومسند احمد ٤/٦٨ . مجلة الأزهر .

قصة الصرفة

كانت حصيلة ما قيل في الاعجاز في عصر الجاحظ « النظم » الذى قال به الجاحظ « والصرفة » « والاخبار بالغيب » اللذين قال بهما النظام .

وظلت هذه الثلاثة تدور عند أهل العلم مع ما شققوه منها ، ووسعوه من وجوه يرجع بعضها الى بعض كالوجوه السبعة التى ذكرها الرمانى ولن نتابع هذه الأقوال وانما نمضى مع قصة الصرفة .

ومن أبرز ما يواجه الباحث في أمر الصرفة أن بعض أهل العلم الذين يؤكدون أن القرآن معجز ببلاغته يذكرون الصرفة على حد ماذكرها النظام وليس ذلك من باب استيفاء الأوجه المذكورة عند من سبقوهم كما يذكر بعض الباحثين ، وذلك لأننا نجد لهم تعليقات على هذا الوجه تفيد قبولهم له ، وأنه مقنع من وجه ، وليس ذكره لمجرد الاستقصاء .

كذلك فاننا نتردد في قبول القول بأن القول بالصرفة عند البعض راجع الى أنها مقالة شيعية من المعتزلة ، وذلك لأن هؤلاء العلماء ليسوا شخوصا في مذاهب تردده وتقوم به ، وقد رأينا الجاحظ ــ وهو لسان المعتزلة يرد مقالة النظام ردا قاطعا لا مواربة فيه ، مع أننا لم نجد من أكبر أبا اسحاق كما أكبره الجاحظ .

اذا فما وجه الجمع بين الصرفة والبلاغة عند هؤلاء ؟

تذكر حمد بن ابراهيم الخطابى البستى ــ وهو من أجل علماء أهل السنة علما وفقها وغزارة وورعا ، ومقالته في الاعجاز البلاغى من أسطع وأخصب وأدق ، لأنه فطن الى أمر مهم جدا وهو باختصار شديد توفر الكمال المطلق في بلاغة القرآن ، وهذا يعنى انه لم يصدر عن نفس بشرية ، والنفس البشرية ، بثباتها وملامحها ، وغرائزها ، وكمالها ونقصها مفرغة لا محالة في نتاجها القولى ، فلو فتشت أى كلام بشرى وجدت فيه هذه النفس بملامحها الحية المتشخصة والمتميزة والتى لا تشتبه بغيرها ، ثم انك اذا فتشت عن هذه النفس البشرية وراء كلمات القرآن وتراكيبه ومعانيه ، لا تجدها البتة ، وانما تجد وراء الكلمات والتراكيب والمعانى كمالا مطلقا لا يشوبه كدر من أكدار النقص .

وهذا الكمال المطلق لابد أن يكون وراءه علم محيط كامل مطلق ليس من طوق البشر ، وهذا يعنى لا محالة أن القرآن لم تنبثق عنه نفس بشرية ، وليست مصدرا له .

للدكتور محمد محمد أبو موسى

هكذا يقول هذا الشيخ الجليل ــ رحمه الله وأثابه ــ ، وكأنه كان يخاطب عصرنا ، وكأنه كان يلوح الى الطريق الذى مضى فيه مالك بن نبى رحمه الله حيث وجه همه فى كتابه الظاهرة القرآنية الى تحقيق استحالة صدور القرآن عن نفس بشرية .

والمهم أن من يرى فى بلاغة القرآن هذا الرأى الناضج اللامع يعرض مذهب الصرفة ، ويفسره ، ثم يعقب عليه بقوله : (وهذا أيضا وجه قريب الا أن الآية تشهد بخلافه وهو قوله سبحانه «قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » فأشار فى ذلك الى أمر طريقة التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها والله أعلم) (١) انتهى كلام الخطابى .

وهذا رد للصرفة لا يقبل الجدل لأنه لو كان الحق سلبهم القوى ماذكر تساندهم وتعاونهم وتظاهرهم ، لأن المصروفين عن الفعل لا قيمة لتعاونهم ولو ألف أعمى على رؤيته شىء ما استطاعوا وهذا الوجه لقوته تناقله أهل العلم ، وشاع فى الكتب ، ولم أقرأ من فطن الى دفع الصرفة بهذا الوجه قبل الخطابى .

والاشكال هو كيف يقول عن الصرفة وهذا أيضا وجه قريب مع نقضه بالذى قاله ؟ ومع مصادمته لبلاغة القرآن التى ليست من معدن كلام الناس ؟

هل كان قوله هذا من باب المجاراة وارخاء العنان ليضرب المذهب ضربته القاضية ؟ أم أنها طريقة أهل العلم التى تهدم من الخطأ ما تهدم من غير ضجيج ولا صخب ولا تعالم كما يفعل الفارغون ؟ ولماذا لم يسلك الجاحظ هذا المسلك فى رفض المذهب وكان قمينا به لتلك اللحمة التى بينه وبين النظام ؟ وانما رأيناه يجابه ويكفح .

والذى يترجح عندى أن هذا الرأى كان له فى زمن الخطابى شيعته من أهل العلم الذين رأوه طريقا مختصرا وواضحا فى اثبات المعجزة ، وبرهان النبوة وأن الاحتجاج به نافع مع أهل الجدل من المخالفين ، والمضلين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أهل النظر ، وأن الدخول معهم فى مسألة النظم يفتح باب اللجاجة ، والشغب والمدافعة بالباطل ، لأنه باب يضيق مجال الحجة فيه ، على حد ما ذكرنا فى التماس علة ذهاب النظام الى هذا الوجه ــ وهو هو بلاغة ولسنا ــ فقول الخطابى « وهو وجه قريب » يعنى فى اثبات النبوة ، واقامة الحجة ، وأن من يقول به يصير من أهل القبلة .

(١) بيان اعجاز القرآن ص ٢٣ .

● قصة الصرفة

والذى يترجح بـه هـذا الكلام أن الرمانى وكان صاحب ذوق رهف فى فهم الأدب ، وبنائه ، وصوره ، ونغمه وقد يلغ فى بعض ذلك مراقى لم يبلغها كثير ممن كانوا أوسع منـه شـهرة ، وأسير ذكرا وحسبك ما نقله عنه أهل العلم من تحليلات وشـواهد ، وكان من الحكمـة والنفاذ والتركيز بحيث أثر هـذا الأثـر الواسـع فى الدراسة البلاغية برسالة صغيرة جدا ، وقد قال هذا العـالم الأديب الحكيم فى الصرفة « وأما الصرفة فهى صرف الهمم عن المعارضة ، وعـلى ذلك كان يعتمـد بعض أهل العلم فى أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة ، وذلك خارج عن العادة ، كخروج سائر المعجزات التى دلت على النبوة ، وهذا عندنا أحد وجوه الاعجاز التى يظهر منها للعقول »(١) .

انظر الى قوله يظهر منها للعقول تراه يحـدد وجه صلاح هذا المذهب وأنه ظاهر للعقـول ، وصالح للاحتجاج ، وبين فى الاقناع ، وليس هو الوجـه الذى يراه الرمانى فى القرآن ، لأنـه احتشد لبيان وجوه البلاغة المعجزة فى القرآن الكريم ، وهذا الاقتناع باعجاز البلاغة القرآنية لا يجتمع فى العقل مع الصرفة ، التى لولاهـا لجاءوا بمثله ، وهذا واضح .

ولا يصح أن يقال ان الرمانى يقول بالصرفة مشايعة لشيعته من المعتزلة لأن هـذا تصـور ساذج لمواقف العلماء من المذاهب التى ينتمون اليها ، وكأنهم كانوا يغرسون ألسنتهم فى أفئدة شيعتهم ليقولوا ما تراه هذه الشيعة لا مايرونه هم .

نعم كانت هناك أساسيات فى مـسـائل معينة جمعت من جمعت فى نحلة ، ودافعوا عنهـا ، وهى ليست كثيرة ، أما ماعدا ذلك مما تقلبـه عقول أهل العلم من مسائل وقضايا فقد كان كل واحد منهم فى ذلك عالما برأيـه هو لا برأى غيره .

وينبغى الا يتجاوز فهم الخلافات بين الفرق هـذه الحدود حتى يصـح تصـور التكامل ، والتجانس ، والتواصل فى الجوانب الفكرية فى حياة الأمة .

وليس من الصـواب أن نقول ان علماءنا فى اللغـة والأدب كانـوا متشـيعين للفرق التى ينسبون اليها ، وأنهم ليس لهم مـصدر الا من هـذا الباب لأن ذلك يؤدى بنـا الى تصـور التباين فى الحياة اللغوية والأدبيـة بمقـدار التباين فى الفرق ، وقضـايا الخلاف ، وهـذا لا وجود له فى واقع التراث . بل الذى نراه أن تحليل أصول البيان ، وبناء الأسـاليب يجرى عند المعتزلة كما يجرى عند الأشـاعرة ، وأهل السنة والجماعة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ترى الكل يتكلم فى التقديم ، والتأخير والتعريف والتنكير ، والايجاز ، والاطنـاب ، والخبر والانشاء وأصـول النحو والتصريف ، وغـير ذلك من طرائق بناء اللسـان بلسـان واحـد لا نستطيع أن نجد فرقا فى صميم بحث هـذه المسائل نرجع به الى الخلافات المذهبية .

<u>والخلاصة</u> : أنه من الوهم ، أن نتحذلق ونقول ان بلاغة العلوى فى الطراز بلاغـة شـيعية ، وبلاغة الزمخشرى فى الكشاف بلاغة اعتزالية ،

---

(١) النكت فى اعجاز القرآن ص ١١٠ .

وبلاغة عبد القاهر بلاغة أشعرية ، وأن بحوث الفارسي وابن جنى في اللغة ، والتصريف بحوث اعتزالية ، وماكان لنا أن نشير الى ذلك لولا شيوعه وطراقة مضمه عند بعض الباحثين .

بينا أن هناك من جمع بين القول بالصرفة والقول بالبلاغة وأنهم كان لهم في ذلك وجه ، وأن من علمائنا من كان في هذا الشأن ينافح بما يسكت أهل اللجاجة ولو كانوا غير مقتنعين هم أنفسهم بهذه الحجج المسكتة على حد ما رأينا عند الرازى الذى أرشد الى أنه يقال في قصار السور ان الاعجاز فيها بالصرفة لأننا لا نستطيع أن نقنع بوجه اعجازها البلاغي من يتماحك ويكابد ويشغب وقد صرح ابن كثير وهو أحد شيوخ المحدثين بأن القول بالصرفة يصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق ، مع أنها غير مرضية وعبارته هي (وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا الا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق) وبهذه الطريقة أجاب الرازى في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر و « إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » (١) .

ونقف الآن مع القائلين بالصرفة وحدها ، وقد كانوا فيما نرى فريقين :

فريق ذكر القول بالصرفة من غير أن يحتج لوجهه ، وفريق احتج لاثبات الصرفة ونفى الاعجاز من جهة البلاغة .

اما الفريق الأول : فيمثله ابن سنان الخفاجى الذى ذكر في مقدمة كتابه سر الفصاحة أن الحاجة ماسة الى دراسة حقيقة الفصاحة ، والعلم بسرها ، وأن لذلك ثمرة جليلة في العلوم الدينية والأدبية .

اما العلوم الأدبية فانها تدور حول امرين :

الأول : نظم الكلام وتأليفه ، وهما الزبدة والنكتة .

والثانى : نقد الكلام ومعرفة ما يختار منه ، وما يكره ، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة .

أما العلوم الشرعية فان معجزة النبى — صلى الله عليه وسلم — هى القرآن وقد ذهب الناس في وجه اعجازه مذهبين قول يقول بأن فصاحته معجزة ، وجارية مجرى قلب الفصاحية ، والذين يقولون بهذا لا غنى لهم عن معرفة حقيقته والعلم بسرها ليثبتوا ذلك .

وقول آخر : يقول ان فصاحة القرآن من جنس ما في أفواه العرب وما هو تحت ألسنتهم ولولا أن الله صرفهم عن المعارضة لجاءوا بمثله ، وهذا القول أيضا محتاج الى معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها ، حتى يتبين لقائله أن فصاحة القرآن من طبقة فصاحة الناس .

ثم مضى يعالج الفصاحة مبتدئا بالأصوات ثم الكلمات ثم التأليف ، وهذا تدرج دقيق ، ومصيب .

وقد كان في رحلته يصيب أحيانا ، ويقع على دقائق ، ويضعف أحيانا فيقع في وهم ، وذلك حظ كل كاتب .

ولكنه لم ينس أن يذكر دائما حاجة من لا دربة له الى كتابه حتى يميز صنوف الكلام ، وكذلك حاجة من له طبع .

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦١ مكتبة التراث الاسلامى .

قصة الصرفة

ثم أمضى به الكلام الى التأليف فأشار الى تأليف الحروف وتلاؤمها ، ثم ذكر كلام الرمانى المتعلق بتلاؤم الكلمات فى القرآن تلاؤما خارقا من حيث امتزاج أصواتها ، وتوزيعات مداتها ، وغناتها ، وجهدها ، وهمسها ، وأن الفرق بين القرآن وأعدل الكلام فى هذا كالفرق بين الشعر والنثر ، وأن ذلك مما لا يشترك فى معرفته الناس ، وانما هو خاص بأهل الطبع ، الى آخر ما قال وهو كلام بصير ونافذ لأنه ادرك ما استخرجه القرآن من لحون العربية الا أن أبا محمد لم يرض ذلك ، ولم يقع عليه فى القرآن ، وانما رأى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار فى هذه المسألة .

« ومتى رجع الانسان الى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد فى كلام العرب ما يضاهى القرآن فى تأليفه » .

ثم انتقل الى ما هو أبعد من ذلك فقال : «واذا عدنا الى التحقيق وجدنا وجه اعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بان سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكنون من المعارضة فى وقت مرادهم ذلك»(١) .

وهذه العبارة توشك أن تكون عبارة الشريف المرتضى التى نقلها الشهرستانى فى الملل والنحل وهى « بل صرفهم الله بأن سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة فهذا الصرف خارق للعادة ، فصار كسائر المعجزات »(٢) .

وكان الشريف المرتضى حفيا بأبى اسحاق النظام الا أنه كان ينبه الى شناعاته ، وتخليطاته ، ومذاهبه الفاسدة ، ويذكر أن الذى قاده الى ذلك تدقيقه وتغلغله ، ولعله أراد الأمور الالهية لأن التدقيق والتغلغل لا يؤدى الى الباطل الا فيما لا ينكشف الى العقل .

والمهم فى سياقنا أن عبارة ابن سنان مقتبسة من عبارة الشريف المرتضى ، وكان الأمير الخفاجى رحمه الله وأثابه قليل التدقيق والتأنى ، وفى كتابه تجاوزات كثيرة ، مرجعها غالبا الى واحد من أمرين السرعة المؤدية الى عدم احكام مقالة أهل العلم ، أو ضعف سليقة الرجل ، واحساسه بالفروق بين طبقات الكلام ، وهذا لا يدفع أن الرجل قد هدى الى كثير من الدقائق .

ثم ان عبارة المرتضى التى اقتبسها الأمير فيها زيادة غريبة وعجيبة لم يقل بها أبو اسحاق فالذى روى عنه أن القرآن « **معجز من جهة صرف الدواعى عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا ، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما** »(٣) .

فالصرف هنا معناه صرف الدواعى والاهتمام جبرا وتعجيزا فلو دفع هذا واتجهت الهمم ، وتجردت العزائم للمعارضة لجاءوا بمثله بلاغة وفصاحة ونظما ، وهذا وان كان باطلا من محض الباطل غير ما قاله المرتضى ، اذ الصرفة عنده تعنى سلب العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، ولا أدرى المراد بهذه العلوم التى

---

(١) سر الفصاحة ص ٨٩ .
(٢) الملل والنحل على هامش الفصل حـ ١ ص ٦٧
(٣) المرجع السابق .

يحتاج اليها في بناء الكلام الفصيح ؟ وهل كانت للعرب علوم تعينهم على بلاغة الكلام ؟ أم أنه لم يكن لديهم الا سلائق أنفسهم ، وصحة طباعهم تمدهم بما يشاءون من البيان ماداموا قد صرفوا هممهم نحو الغايات .

وهذا الكلام الذى ذكره المرتضى يلتقى مع كلام معاصره القاضى عبد الجبار وهو يستخرج الاحتجاجات التى يمكن أن تكون مرادة بالصرفة لينقضها واحدة واحدة ، قال :

« فان قال امتنع عليهم ذلك بأن اعدمهم الله تعالى العلوم التى معها يكون الكلام الفصيح فصار ذلك ممتنعا عليهم لفقد العلم ... » ثم ذكر أن هذه العلوم يمكن أن تكون كانت قائمة قبل القرآن ، فمنعوا منها ، بعد ظهوره ، وحينئذ يكون القرآن فى طبقة كلامهم الذى قالوه قبل المنع ، ويكون المعجز هو المنع ، وهذا مناف لما كان منه عليه السلام حيث تحداهم بالقرآن وجعله العمدة ، واما أن تكون هذه العلوم كانت غير حاصلة وكان حصولها ضروريا لمعارضة القرآن ، يعنى أنهم كان يمكنهم أن يعارضوا لو علمهم الله العلوم التى بها يعارضون القرآن ، ويعقب القاضى على هذا الاحتمال بأنه اقرار بالمزايا البلاغية التى يتفوق بها القرآن لأن القول بالاعجاز البلاغي يعنى **« ان للقرآن مزية من الفصاحة من حيث يحتاج الى قدر من العلم لم تجر العادة بمثله ان يفعله تعالى فيهم »(١)** .

وهذا الذى ذكره القاضى عبد الجبار ليدفعه كما دفع غيره من احتمالات هو ما قبله الشريف المرتضى .

وفى كلام أبى بكر بن الطيب وقد كان فى زمانهم ما يشير الى هذه التنويعات فى مفهوم الصرفة فقد عرض القول بالصرفة قائلا :

« وانما يصرفهم الله عنه ضربا من الصرف أو يمنعه من الاتيان بمثله ضربا من المنع ، أو تقصر دواعيه اليه دونه مع قدرته »(٢) .

وهذه الوجوه وان كانت من بحر واحد الا أنها تتمايز ، فهناك صرف ، وهناك منع ، وهناك تقصير دواع ، ثم ذكر الباقلانى بعد ذلك — وهومهم — كلاما يعجب منه ويعجب غيره ، وهو أنهم تأخروا عن المعارضة لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه »(٣) .

وهذه التغليبات التى شققت الصرفة ، واستخرجت منها هذه الاحتمالات دعت المتأخرين الى الوقوف عندها وتلخيص تفسيراتها فذكر الأمير العلوى أن لها تفسيرات ثلاثة :

الأول : أن يكون المراد أن الله سبحانه سلب دواعيهم الى المعارضة مع توفر الأسباب وهذا أصلها عند النظام .

والثانى : أن يكون المراد أن الله سلبهم العلوم التى لابد منها فى الاتيان بمثله — وهذا ما قاله القاضى ، والمرتضى ، ثم ذكر العلوى أن ذلك يحتمل أمرين الأول أن تكون هذه العلوم كانت حاصلة لهم فأزالها الله عن أفئدتهم ، وهذا ما ذكره القاضى ، والثانى أنها كانت غير حاصلة « خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن

---

(١) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل جـ ١٦ ص ٢٢٥ .

(٢) اعجاز القرآن ص ٢٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٣١ .

قصة الصرفة

تجديدها مخافة أن تحصل المعارضة »(١) وقول العلوى « صرف دواعيهم عن تجديدها » عبارة

ملبسة وهى محرفة من كلام القاضى عبد الجبار وأصلها فيه « المنع من ذلك مستمر غير متجدد »

والتفسير الثالث : أن يـراد بالصرفة المنع بالالجاء والقسر عن المعارضة ، وهذا ليس بعيدا

عن الأول ، الذى هو صرف الدواعى بل انهمـا كانا شيئا واحـدا فى كلام النظـام « صرف

الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام بها جبرا » .

والمهم أن الخفاجى بـدل أن يناقش هـذه الأفكار ويستخرج صوابها وخطأها ، رضـيها ودفع بها الصواب الثابت وهو الاعجاز البلاغى

ولم أعرف واحدا ممن احتفل بدراسة الفصاحة وأسرار الكلام أنكر الاعجاز البلاغى ، ورضى

مذهب الصرفة الا ابن سنان ، وهذا الرأى عنده غميزة فى أساس فقهه فى هذا الباب ، لأنه ليس

من الخطأ الذى يصـدر عن غفلة ، أو عـدم استيعاب الآراء فى المسألة ، وانما هو قادح فى

الاحساس والطبع ، وفرق بين أبى اسـحاق النظام وهو فى حومة الصراع يرمى بما يحسم للشيعة ويسكت أهل الشعب وبين ابن سـنان وهو يكتب فى أسرار البيان .

نعم كانت للشريف المرتضى تخريجات بلاغية تذكر فى تاريخ البلاغة ولكن من المجازفة أن نعد دراسة من الدراسـات التى تتصـدى لبحث أسرار بلاغة الكلام ، وانما كانت تـدور حول الآيات والأحاديث التى فيها مقالة لأهل الفرق ، وهذا باب آخر .

وكان يبدو فى أكثر مقالاته شديد الذكاء سريع الخاطر بارعا من التقاط المعانى الغريبـة التى يوجه اليها الآيات والأحاديث حتى لا تصـادم ما يعتقده ، وهذا شىء وادراك الأسرار البلاغية التى تتواق عـلى النفس من الآيـة الكريمـة والحديث الشريف شىء آخر .

وربما كانت طول الممارسة والدربة فى التخريجات البعيدة من الآيات والاحاديث التى جرى خلاف فى معانيها مما يستهلك القدرة على التذوق الذى يسـتطعم كل ما يترامى الى القلب من كلام الله وكلام رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

اما من احتج للصرفة واجتهد فى توهين القول بتفوق القرآن فى نظمه وبلاغتـه فسوف يكون موضـوع المقـال اللاحق ان شاء الله .

أ٠د٠ محمد محمد ابو موسى

(١) الطراز حـ ٣ ص ٣٩١ .

دراسات فى السنة

شيخ أدباء مصر

الأمانة سر الفلاح

انتفاع الميت

المستشرقون والسنة

المستشرقون والسنّة

— ٢ —

اعمال المستشرقين فى السنة :

يقول الدكتور محمد احمد الغمراوى فى كتابه مرشد المتعلم : اما الحديث فلا نعرف احدا وضع له مفتاحا الا المستشرق (فنسنك)

وقال الشيخ احمد شاكر : ان فن الفهارس عموما ، والفهارس لكتب الحديث على الخصوص لم تثبت قواعده الى الآن ، والقولان فى مقدمة مفتاح كنوز السنة ، وهذا التعميم ليس على اطلاقه وهو قابل للمناقشة .

ان القارىء العادى بل وكل قارىء يحتاج من الفهرسة الى ثلاثة امور :

١ — معرفة نص الحديث اذا كان عارفا لبعض الفاظه ، والفهرسة التى توفر هذا هى التى لم يعتن المسلمون بها ، وان كانوا قد اعتنوا بهذا النوع من الفهرسة فى اللغة ، وسبقوا جميع الامم فى هذا ما عدا الصين ، فلم يفهرس احد كتابا ولا مجموعة كتب من السنة فهرسة لفظية معجمية قبل المستشرقين .

٢ — معرفة نص الحديث اذا كان عارفا لأول ملفوظ النبى — صلى الله عليه وسلم — منه ، وعدد المحتاجين الى هذا اقل عددا من الأولين ، وقد سبق الى تلك الفهرسة السيوطى والبرهان نورى والتوقادى .

٣ — معرفة معنى من المعانى أيا كان المعنى وفى أى ميدان من ميادين المعرفة ويريد أن يعرف هل تناوله حديث من الأحاديث فى أى كتاب من كتب السنة أم لم تتناوله الأحاديث قط ، وهذه حاجة الأغلبية العظمى من القراء ، وهذه الفهرسة قائمة منذ عصر البخارى وبقية الأئمة ، اذ وضع كل مؤلف فهرسا لمصنفه . أما وضع فهرس عام لمعانى الأحاديث فى أكثر من مصنف فقد سبق اليه الأشبيلى والأصبهانى ورزين وابن الأثير الجزرى وعمر بن بدر الموصلى .

مفتاح كنوز السنة

أما وضع فهرس شامل لمعظم كتب السنة فلم يحاوله أحد قبل المستشرقين فى مفتاح كنوز السنة «للمستشرق فنسنك فقد فهرس لأربعة عشر كتابا هى :

الصحيحان والسنن الأربعة وسنن الدارمى

واقع وأمل ومنهج

للأستاذ محمد أحمد بدوى

ومسند الامام أحمد وهذه الثمانية هى أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها ثم موطأ مالك ومسند أبى داود الطيالسى وهما من أقدم الكتب المؤلفة فى الحديث ثم سيرة ابن هشام ثم كتاب المغازى للواقدى ثم كتاب الطبقات لمحمد بن سعد ، والرابع عشر المسند المنسوب الى الامام زيد بن على ، لكن نسبته الى زيد مشكوك فى صحتها بل مجزوم بكذبها ، وقد نقل « المفتاح » الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى الى العربية من الانجليزية رحمه الله .

وهذا المفتاح لا يدلك على موضع الأحاديث التى تحفظ منها كلمة أو جملة أو أوائلها كما يفعل المعجم المفهرس ، وانما يدلك على ماورد منها فى كل موضوع ، وقد عبر كبار الباحثين فى السنة عن سرورهم بكتاب مفتاح كنوز السنة .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

يدل هذا المعجم الباحث على مواضع الأحاديث التى يحفظ منها كلمة أو جملة ، وهناك يستطيع أن يرى كثيرا مما يدور حوله الحديث ، وقد جعله مؤلفوه فهرسا لكتب ثمانية هى :

الصحيحان والسنن الأربعة (الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجة) والموطأ ومسند ابن حنبل ، وقد بدأه المستشرق فنسنك قبل سنة ٣٢ ، ورعى المشروع الاتحاد الأممى للمجامع العلمية وأنفق عليه منذ بدئه ، وتولت الأكاديمية الملكية بأمستردام الادارة المالية للمشروع ، وساعد فيه جهات كثيرة من مختلف دول أوروبا ، وقد توفى (فنسنك) قبل ظهور المجلد الثانى فقام عليه علماء آخرون .

الموقف الآن

والموقف الآن فى الساحة الدينية بالنسبة لخدمة السنة لا يتحرك التحرك السريع الواجب ، ولم ترقم كتب « مصنفات السنة »

٥

ولا أبوابها ولا أحاديثها الا قريبا وعلى أيدى المستشرقين ، مثل شرح الكرمانى للبخارى ، وقد طبع فتح البارى ما يزيد على عشر طبعات فى أقل من عشر سنين بدون تقدم يذكر الا مواضع الأحاديث المكررة من عمل الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى لطبعة السلفية لفتح البارى ، وقام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية باخراج طبعة للبخارى بخدمة جيدة، كما قام باصدار ثلاثة عشر مجلدا من منتخبات من السنة الشريفة ، كما يقوم مجمع البحوث الاسلامية باعادة طبع « الجامع الكبير للسيوطى » مع تخريج أحاديثه ، والحاجة ماسة الآن الى أمور ثلاثة ؟

اولا ــ اعادة تاليف بعض الكتب

أصبح العود على جميع ما تناوله المستشرقون ومن لف لفهم فى جميع الدراسات العربية بعامة وفى السنة بخاصة ، بالدراسات مجددا ضرورة لازمة ومنها اعادة طبع كتب السنة التى رقموا أبوابها وكتبها ، ومنها فهرسة جديدة لألفاظ الحديث النبوى ، وفهرسة جديدة لمعانى الأحاديث كما هى موزعة فى كتبها الحالية والفهرستان الموجودتان للمستشرقين عليهما ملاحظات كثيرة .

ثانيا ــ تجميع الأحاديث الصحيحة

يتعاظم الشعور لدى جماهير المسلمين فى الآونة الأخيرة بضرورة الاقتصار على الأحاديث الصحيحة فى حياة المسلمين (١) ، وتبذل الآن محاولات جادة ومخلصة من جهات علمية على أعلى مستوى مطلوب لفرز الأحاديث الصحيحة من غيرها تمهيدا لجمعها ، ولكن للأسف بدون أى تنسيق أو تواصل حتى بالبريد لتبادل الخبرات ، وتقسيم العمل والتقريب بين المناهج وتحديد الأهداف .

ومن هذه الجهات .

كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف ، فهى توكل الى طلبة « الماجستير والدكتوراه » تخريج أحاديث مسند الامام أحمد .

ومنها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ومنها مركز بحوث السنة بجامعة قطر ، والتى هى بصدد التخطيط لموسوعة فى السنة الصحيحة ، الى جانب بعض الجهود الفردية .

وأرى وأقترح أن تقوم الجهات المعنية بالسنة بالدعوة لعقد ملتقى أو مؤتمر لبحث هذا الموضوع الخطير ، كما أن مجمع البحوث الاسلامية بما يحتشد فيه من كبار علماء العالم الاسلامى مدعو الى تخصيص أحد مؤتمراته العامة الموسعة لهذا العمل .

وبادىء ذى بدء لا يكون الجمع على نظام

---

(١) سبق ان بينت المجلة الراى العلمى لهذا الاتجاه ، بتقسيمها للأحاديث اقساما ثلاثة : صحيح وحاجتنا اليه ضرورة معروفة ، ومكذوب وهو مطروح لا نعول عليه ، وضعيف لم يثبت وضعه وينبغى الحفاظ عليه .

المسانيد لا التامة النصوص ولا المكتفية بالأطراف لأنها لا تفيد الا المتخصصين ولا تستفيد منها الجمهرة العظمى من القراء.

كما لا يكون على الترتيب الألفبائي لأوائل الأحاديث الملفوظة من النبي — صلى الله عليه وسلم — لأن فهمها يقتضى اعادة ذكر ما ساقه الأئمة فى خلاله من قصة أو مناسبة أو استفتاء فلم يبق الا أن يكون الجمع على ترتيب الكتب والأبواب .

البخارى محور الاحاديث الصحيحة

يحوز البخارى المؤهلات الفريدة التى تؤهله الى أن يكون — بلغة الهندسة — الهيكل الانشائى لذلك البناء الشامخ من السنة الصحيحة ، ومنها :

١ — تبويب البخارى أوسع تبويب للسنة فى كل العصور اذ يبلغ عدد كتبه تبعا لترقيم المستشرقين ٩٧ كتابا ، ويبلغ عدد ما فيها من أبواب ما يقرب من أربعة آلاف باب بينما يتراوح عدد الأبواب فى الدواوين الأخرى بين ١٢١٣ عند الدارمى وبين ٢٤٢٧ عند النسائى .

٢ — تمتاز ترجمات البخارى بما لا يوجد فى غيره من ابراز اهتمامات لم تبرزها كتب السنة الأخرى مع استيفاء الاهتمامات التقليدية ، فقد أبرز البخارى موضوعات (حياتية) واجتماعية واقتصادية وسياسية ودولية وصناعية وزراعية كأنه يعيش معنا المستوى الحضارى الذى نعيشه الآن .

٣ — تبويب كتب السنة الأخرى مشمول فى البخارى لا يفلت منه شىء .

٤ — يمتاز البخارى بوعى واضح بسائر الأطر الشكلية الاجتماعية فى مضموناتها الاجتماعية بالتبويب لمثل الثياب والزينة وتسمية الحيوان وعادات الطعام والشراب والصيد والسفر .. الخ .

٥ — تضمين تراجمه وتحليل أحاديثه بآثار وآيات قرآنية ، وتوقيعات منه مختصرة، وتعليقات تتضمن متنطفات مما هو على شرطه من الأحاديث ، وسبق له ايراده موصولا ، ومما ليس على شرطه من كتب السنة الأخرى ، وقد تكون من كل ذلك شرح لطيف مختصر من صنيعه وصياغته .

٧ — جرت الدواوين الأخرى على تجميع الأحاديث وطرقها تحت أهم ما فيها من معان فقهية تقليدية بينما يبرز البخارى كثيرا من المعانى المبتكرة مما يضفى على صحيحه التطابق الدقيق بين اسمه ومسماه ، اذ سماه الصحيح المختصر المسند من سنن الرسول وأيامه ، فهو التاريخ الاجتماعى لحياةالرسول — صلى الله عليه وسلم — الموثق بأقوى الأسانيد مما لم يتوفر لأى كتاب فى التاريخ بعد القرآن فى جميع العصور .

٧ — يحقق الجمع على ترتيب البخارى القاء أضواء ترجماته التى حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار كما قال ابن حجر على الأحاديث الأخرى التى ليست من صحيحه كما تضيف هذه الأحاديث غنى وثراء لهذه الترجمات .

٨ — سبق البخارى الى الفهرسة الحديثة ، فهو جدير بأن يشار اليه كمبتكر وسابق الى الفهرسة الحديثة فى التاريخ كله ، وذلك

بتكراره للأحاديث المختلفة ، واجترائه منها فى مواضع تحتاجها ، فهو يفتح بالحديث الواحد أبوابا من العلم فى مواضع مختلفة مناسبة ، ولولا أنه ألزم نفسه بعدم تكرار الحديث الا بعدد ما يجد له من أسانيد ، ولو أنه أباح لنفسه التكرار بعدد المعانى لأرانا من سعة علمه العجب العجاب .

٩ ــ انى لا أرى وجاهة الزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى كما يرى المغاربة من قديم لأنه ليس فى مسلم الا الحديث المجرد ، ولسهولة البحث فيه عن حديث من الأحاديث ، اذ عند التحليل يتبين أن السببين فى صالح البخارى ، لأنه بما فيه من غير الأحاديث التى ليست على شرطه ومن الآثار الصالحة للاستشهاد ومن الآيات القرآنية الكريمة يفوق مسلما بغزارة ما فيه من علم واستنتاجات ، ولأن سهولة العثور على الحديث فى مسلم يرجع الى تجميع الطرق تحت أبواب تقليدية قليلة العدد مما يجعل مظان وجود الحديث محصورة وسهلة التوارد على الخاطر ، لكن التعرف الدقيق على منهج البخارى العالى كفيل بتذليل صعوبة البحث فى صحيحه عن الأحاديث وقد قال فى ذلك الأستاذ الشيخ أحمد شاكر :

ولذلك أجدنى بعد مرورى على الفهارس أيسر على أن أبحث عن حديث فى البخارى من أن أبحث عنه فى غيره من الصحاح والسنن ، لأنى أجد فى الأكثر الحديث فى أى معنى من المعانى التى يصلح للدلالة عليها .

يقتضى الأمر الاتفاق على الصحيح الذى يودع فى هذا الجامع .

وأولها : فيما يسدولى ولكثير لا يحصى ــ ما رواه الصحيحان باتفاق ، ثم ما انفرد به البخارى ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرط الشيخين أو أحدهما ، ولم يخرجاه ، وكان يلزمهما اخراجه لو وصل اليهما .

وثانيها : ماصححه غيرهما من أئمة الحديث فى الكتب التى سيتم منها الاختيار ، ولم يخالفهم غيرهم ولم تظهر فيه علة خفية ، وما سكتوا عنه يبحث بمناهج البخارى ومسلم ، فمناهجهما مع شدتها هى ما يتطلبه العصر الحديث .

ويستعان فى هذا بتخريجات الأئمة الذين ألفوا مجموعات من الحديث مثل .

السيوطى ومثل الهيثمى فى مجمع الزوائد ومثل الشيخ أحمد شاكر ثم الدكتور الحسينى هاشم أمد الله فى حياته ثم كلية أصول الدين فى مسند الامام أحمد ومثل الشيخ ناصر الدين الألبانى مع مراعاة حال كل منهم من حيث التساهل والتشديد ، فان الهيثمى والسيوطى والحاكم كانوا من المتساهلين ، وما اختلف فى صحته عند الأئمة أو سكتوا عنه يبحث مجددا .

وفى نظرى أنه يبدأ فى الباب بالمتفق عليه بين الأئمة جميعا وبالنص الأوفى للحديث من البخارى مع التعقيب بكل اختلاف بين رواية البخارى المبدوء بها وبين باقى رواياتها فى جميع الكتب ، ثم يثنى بما انفرد به البخارى ثم بما انفرد به مسلم ، ثم بما انفرد به كل مصنف

على الترتيب الذى يرتبه القائمون على العمل من اى موضع من هذه الكتب ، وهى :

الكتب الستة وسنن الدارمى ومسند أحمد وصحيحا ابن خزيمه وابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أبى يعلى والبزار ومعاجم الطبرانى الثلاثة ، ويثبت فى الذيل بأرقام من المتن مواضع هذه الأحاديث فى المصنفات بحيث يسهل الاستدلال عليها مهما اختلفت الطبعات ، على أن ترقم المصنفات التى لم يتناولها الترقيم الى الآن ، وأن يعدل من التراقيم السابقة ما يحتاج الى التعديل فى المصنفات التى رقمها المستشرقون فهى بحاجة كبيرة الى اعادة ترقيم .

ثالثا ــ فهرسة علمية شاملة لجامع الصحاح

لا يؤتى هذا العمل ثمرته كاملة ليستفيد منه كل فرد مسلم وكل عالم مسلم ، ولكل من يريد الاطلاع على الاسلام وشموله للحياة الحديثة الا بعمل فهرسة علمية شاملة له ، فبعد أن يتم التجميع وحتى فى أثنائه وبالتوازى معه يتولى باحثون على أعلى مستوى بعملية هذه الفهرسة ، ويتم ذلك بدراسة كل حديث واستخراج المعانى والاستنتاجات التى يتضمنها ، ويوضع كل معنى فى (كرت) (٢) يذكر فيه المعنى وعنوان أو عنوانان أو ثلاثة بحسب الاحوال تتدرج صعودا فى العمومية ، ومكان وجود المعنى فى الجامع بطريقة لا تتأثر بتوالى الطبعات فى المستقبل ، فاذا انتهى تفريغ المعانى من الجامع تبدأ مرحلة التصنيف والتوزيع للكروت (٣) على تقسيمات تتم على مراحل :

اولا ــ تقسيم كبير يتم فى أول العمل وقبل البدء فى ملء الكروت (٢) ، ويمكن أن يكون هكذا :

١ ــ العبادات العقدية

٢ ــ العبادات المالية

٣ ــ العبادات الجسمية

٤ ــ العبادات فى السياسة الداخلية

٥ ــ العبادات فى العلاقات الخارجية

٦ ــ العلم

٧ ــ السعى

٨ ــ الطبيعيات من جغرافية ومناخية ونبات وحيوان وعلوم وزراعة وصناعات .

ثانيا ــ تقسم هذه الفروع الى أقسام تؤخذ من تقسيمات الائمة وتكمل بمراعاة الاهتمامات المعاصرة

ثالثا ــ تقسيم يتم ويتعدل اثناء توزيع الكروت (٢) لوضعها تحت العناوين المباشرة لها ، على أن تكون العلاقة بين كل قسم ومحتوياته الادنى علاقة منطقيةمشهورة يتادى اليها العقل بالمنهج لا بالتخمين .

ويستعان بمفتاح كنوز السنة وبمنهج الشيخ احمد شاكر .

وقد بدأت فهرسة الكفاية ، ووصلت فى تفريغ معانى نصفه فى كروت (٢) ، واسأل الله العلى القدير العون على اكماله فهو لبنة صلبة فى بناء سيشمخ ان شاء الله ،

والله الموفق

للأستاذ محمد احمد بدوى

(١) فى هذا الرأى اخذ ورد . . . مجلة الأزهر .

(٢) بطاقة .

(٣) للبطاقات .

الأمانة سر الفلاح

عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر :

حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة .

وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت . ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل .. كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا ، وليس فيه شىء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة ، فيقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا .

ويقال للرجل:ما أعقله .. وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان . ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما رده على الإسلام ، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا :"متفق عليه".

الأمانة كلمة جليلة فى معناها جميلة فى مبناها وهى خلق كريم .

وصفة حميدة من أهم الأسس التى يرتكز عليها الأمن والسلام فى الدنيا والفوز والفلاح فى الآخرة .

وهى من الغرائز الفطرية فتكون كالنواة التى إذا أصلحها صاحبها بالإنبات وتعهدها بالسقى كانت شجرة تؤتى أكلها . وإذا تركت فسدت وبطل النفع بها .

وقد قال علماء النفس : إن الفضائل متلازمة فإذا نمت غريزة الأمانة بسبب التعاليم الشرعية وظهرت قوتها فى الشخص دلت على حصول جميع الفضائل الإنسانية التى يتأصل بها الإسلام والإيمان والتقوى والإخلاص .. فيتقوى إيمان الشخص من هذه الناحية وتتجلى هذه الصفات فى بيعه وشرائه وجميع معاملاته.

معانى الأمانة :

الأمانة جاءت فى لسان الشرع على معان :

الأول : أنها أمانات الناس المعروفة أى الأشياء المادية التى يضعها صاحبها عند غيره ليستردها عند الحاجة إليها ، ومن ذلك قوله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

لفضيلة الدكتور
محمد محمود شعبان

أَهْلِهَا » (١) .. وذلك لما أخذ النبي — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الكعبة من عثمان بن مظعون وأراد العباس عم النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يأخذه ليضم الى نفسه « سدانة الكعبة » مع « سقاية الحاج » فنزلت الآية الكريمة فسلم النبي — صلى الله عليه وسلم — المفتاح الى عثمان فكان ذلك سببا فى اسلامه.

وقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم : فهو فى ذريته حتى اليوم ونزلت هذه الآية الكريمة تسجل أن الأمانة حق لصاحبها مهما يكن لونه ودينه ، ولذلك قال — صلى الله عليه وسلم :

« أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك» .

متفق عليه .

المعنى الثانى : انها الحقوق والواجبات المتعلقة بذمم المكلفين سواء أكانت لله تعالى أم للعباد ، وسواء أكانت فعلية أم قولية أم اعتقادية أم مادية .

ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ان الأمانة هى الفرائض .

وروى عن على — رضى الله عنه : أنه كان اذا دخل وقت الصلاة اصفر وجهه ، فسئل عن ذلك فقال : انه دخل على وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقد حملتها مع ضعفى.

وروى زيد بن أسلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الأمانة ثلاث .. الصلاة — والصيام — والغسل من الجنابة » .

رواه عبد الرزاق فى مسنده .

وروى مسلم فى صحيحه أن الأمانة هى الامارة فعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال :

قلت : يا رسول الله الا تستعملنى ؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

وقال ابن العربى : انها الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر .

وقال أبو حيان : انها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن ودين ودنيا .

وقال آخرون : انها الطاعة كما فى قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » الاحزاب — ٧٢ .

(١) النساء ٥٨ .

٥ الأمانة سر الفلاح

والمراد بحمل الأمانة . الخيانة فيها : يقال فلان حامل للأمانة ومحتمل لها أى لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته .. اذ الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال : راكبة الديوان : ولي عليه حق ، فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها والمعنى اذن على هذا، أن هذه الاجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال تعالى :

« ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ »(١) وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع ... وهذا معنى قوله .. « فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا » أى أبين الخيانة فيها وان لا يؤدينها وخفن من الخيانة فيها : وحملها الانسان .. أى خان فيها وأبى أن لا يؤديها .

المعنى الثالث : أنها ضد الخيانة وهى صفة مريزية يتصف بها الشخص الأمين فتحمله على تأدية الحقوق لذويها مادية كانت أو معنوية للخالق أو للمخلوق .

وهى من أهم الصفات التي أمر بها الاسلام وحث على القيام بها ووصف بها الصفوة المختارة لله تعالى من الخلق والزمان والمكان .

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » .. النساء .

وقال تعالى : « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ » الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤

وقال تعالى« ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ » التكوير ٢٠ ــ ٢١ .

وقال تعالى فى شأن هود عليه السلام :

« إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » الشعراء ١٢٥ .

وقال تعالى فى شأن صالح « إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » الشعراء ١٤٣ .

وقال تعالى فى شأن لوط « إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » الشعراء ١٦٢ .

وقال تعالى فى شأن شعيب « إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » الشعرا ١٧٨ .

وقال تعالى فى شأن شعيب « إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » الدخان ١٨ .

---

(١) فصلت ١١ .

وقال تعالى فى شأن موسى « إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » القصص ٢٦ .

وقال تعالى فى شأن نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

ولقد كان — صلى الله عليه وسلم — يلقب قبل الرسالة بالصادق الأمين .

وقال تعالى فى شأن المكان « وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ » التين ٣ .

« وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » آل عمران ٩٧ .

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا » العنكبوت آية ٦٧ .

« أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا » القصص ٥٧ .

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ » الدخان ٥١ .

ولهذا حرص الاسلام على تحلى المنتسبين اليه بهذه الصفة الجليلة ليرفع شأنهم ويعلى قدرهم ويسود الأمن والأمان فيما بينهم والثقة والاحترام .. وتتوطد دعائم الألفة والمحبة بين الأنام ويتحقق بها الهدوء والسلام ، ويستأصل بها داء الشرور والآثام والجرائم والفساد .. لذلك ظهرت هذه الفضيلة فى القرون الأولى من صدر الاسلام ، لما نزلت الامانة فى جذر قلوبهم وخلقت فى أصل أنفسهم وزرعوها فى ضمائرهم وسقوها بماء الشرع من القرآن والسنة ولم يفسدوا شجرتها بالترك حتى صاروا لاتستعبدهم المطامع الشهوية ولا الأعراض الدنيوية لذلك قال فيهم — صلى الله عليه وسلم — أفضل قول وأثنى عليهم الثناء المستطاب الجميل :

خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم : متفق عليه .

وأما الجزاء فى الآخرة فقد بينه رب العزة بقوله تعالى « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ .. الى أن قال تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » المؤمنون آية ١ — ١١ .

وقد بين لنا الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — ان الامانة أشد شىء فى هذا الدين فهى كبيرة الا على الخاشعين ، وذلك أنها صفة لا تكون الا فى قلب سليم وضمير طاهر ونفس زاكية . فان المؤتمن مالك لأمر ما ائتمن عليه فان لم يكن له وازع من ضمير سليم استهواه الشيطان فغدر ، ولذلك قال على رضى الله عنه :

« كنا جلوسا عند النبى — صلى الله عليه وسلم — فطلع علينا رجل من أهل العالية فقال يا رسول الله أخبرنى بأشد شىء فى هذا الدين والينه فقال : صلى الله عليه وسلم — « الينه

٥ الأمانة سر الفلاح

أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وأشده ـ يا أخا العالية ـ الأمانة لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له» رواه البخاري .

وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحلف بالأمانة فقال :

« من حلف بالأمانة فليس منا » . رواه أبو داود .

وضدها الخيانة : فعدم التوحيد خيانة ... وترك الصلاة خيانة . والافطار في رمضان بدون عذر خيانة . وترك التكاليف الشرعية خيانة . ومطل الوفاء بالديون خيانة . والكذب خيانة . والقتل بغير حقه خيانة . والسرقة والغش والتدليس والنصب والنهب خيانة . والاعتداء على الحرمات خيانة . وعدم تعظيم حرمات الله خيانة . وعدم تصديق رسولنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم . خيانة .

ولهذا نهى الله تبارك وتعالى عن الخيانة فقال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » الانفال ٢٧ .

وقد طرد من رحمته الخائنين فقال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » الانفال ٥٨ .

وقال « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ » الحج ٣٨ .

وقال « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا » النساء ١٠٧ .

وقال « وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » يوسف ٥٢ .

وحذر المؤمنين جميعا من الدفاع عن الخائن فقال تعالى « وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا » .. النساء ١٠٥ .

« وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ » . النساء ١٠٧ .

ولقد بين الله عز وجل أن الخيانة من صفات الكفار المجرمين الذين لا مأوى لهم الا جهنم فقال تعالى :

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ » التحريم ١٠ .

والخائن لابد أن يفتضح أمره وينكشف سره ويمكن الله منه .. قال تعالى : « وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ » . الانفال ٧١ .

وبين الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الخائن فيه خصلة من النفاق فقال :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه خصلة من خصال النفاق حتى يدعها :

اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا

عاهد غدر ، ، واذا خاصم فجر «متفق عليه» .

والمنافق فى الدرك الاسفل من النار قال تعالى « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا » النساء .

ويعرف يوم القيامة بالغادر . قال ــ صلى الله عليه وسلم : اذا جمع الله تعالى الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فقيل : هذه غدرة فلان ابن فلان . رواه البخارى .

ولقد أخبرنا الصادق المصدوق ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث ان الخيانة ستفشو آخر الزمان فعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن : متفق عليه .

لذا ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس .

انه متى قويت الأمانة فى مجتمع انتظمت أموره وحسنت معاملاته ، واذا شاعت الخيانة ظهر الفساد فى كل شىء .

روى مسلم فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انى رأيته فى النار فى بردة غلها .. أو عباءة

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى فقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت الى أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة .. فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال : اللهم هل بلغت متفق عليه .. وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال ــ قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما : رواه البخارى .

وعن خولة بنت عامر الانصارى قالت: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يقول : «ان رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » رواه البخارى .

فاللهم لا تجعلنا من الخائنين أو المنافقين ولكن اجعلنا من الذين وفقتهم لحفظ دينك وامانتك واجعلنا من الآمنين يوم القيامة .. آمين .

« د . محمد محمود شعبان »

انتفاع الميت بسعي غيره من الأحياء

يقول الله تعالى :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

صدق الله العظيم

قانون العصمة فى الجدل :

آية كريمة من قرآن كريم معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، ترشدنا أن نسلك فى الدعوة طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، فان الله تعالى اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب ، كما هو اعلم سبحانه بحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه خير جبلى ، فما شرعه الله فى الدعوة ، هو الذى تقتضيه الحكمة ، فانه كاف فى هداية المهتدين ، وازالة عذر الضالين المضلين .

كما حثت الآية الكريمة على الانصاف فى المناظرة واتباع الحق ، والرفق والمداراة على وجه يظهر منه أن القصد اثبات الحق ، وازهاق الباطل ، وأن الغرض هو ذاك لا شىء سواه .

بيد أن الناس معادن : فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ، لهذا بقى الجدل بينهم ما بقى الاختلاف فيهم .

والذى ظهر ويظهر أنه يحلو لكثير من الناس الجدال المذموم ، والنقاش الحاد المحتدم ، حتى تتعدد الآراء ، وتختلف العقول ، وتتشعب المسائل فتقل الحيلة ، ويرتفع أوار السفسطة ، وتخاض المعارك ، ويقع الخصام بين كل فريق منهم وبين الفريق الآخر .

ولو سألت عن وجه الحقيقة ، وتعيين الأمر الذى من أجله قام الجدال ، واحتدم الخلاف ، لرأيت عجبا لا تقره العقول ، ولا تقبله القلوب ولا تبيحه الشرائع .

انك لا ترى بينهم الا الجدال المذموم الذى يطول مداه ويتفاعل أثره ، بين أبناء الاسلام ،

للأستاذ الشيخ
موسى محمد على

وهذا الجدال الذى نقصده ، لم يكن جدلا من أجل الغيرة على دين الله سبحانه وتعالى ، حتى نسلم به ، كما أنه لم يكن كذلك جدلا من أجل احقاق حق ، أو ابطال باطل فنستجيب له ، انه لو كان لهذا ، أو لذلك ، لما صح لنا أن نقول عنه : إنه الجدال ، أو الجدل المذموم ، فإن الحق لا يذم قط ، ومن باب أولى احقاقه لايذم ولا يترك أبدا .

الجدل حول انتفاع الميت بسعى الحى :

وصورة الجدال الذى نقصده ونهدف اليه ، أن أولئك المتشدقين بالمفتريات والخزعبلات التي طالما اختلقوها اختلاقا كاد أن يقضى على الفئة التى لازال الايمان متغلغلا فى قلوبها ، ويجرى مع الدم حيث جرى فى العروق .

تلكم الصورة ، أو هذه المسألة التى نقصدها هى اثارة الاختلاف فى مسألة انتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

فمن قائل يقول : بعدم انتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

وآخر يجهل ويفسق من يقول بانتفاع الميت بسعى غيره .

وثالث لا يجوز الانتفاع أصلا ....

وهكذا دون أن يرى للشرع حرمة ، ولا يعرف لهذه المسألة حكما ، ولا يدرك للعلم والعلماء منزلة وقدرا .

يا سبحان الله

ما الضرر الذى يلحق بالأمة لو قلنا بانتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء ؟ .

ما خطورة القول بصحة الانتفاع ؟ .

وما هى المخالفة المذمومة التى تقع على من قال بانتفاع الميت بسعى غيره ؟ اذا زكت النفوس ، وصدقت النيات ، وخلصت القلوب .

لا شىء اللهم الا ما يراه أهل الأهواء المغرضة ، من حظ النفس ومرض القلوب .

وجــه الحقيقة

ولبيان وجه الحقيقة ، وتوضيح رأى الدين فى هذه المسألة ، نكتفى بما ذكره فى هذا الشأن، شيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى من الأدلة الشرعية ، فى فتاويه واليك نصه :

« ظن قوم أن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى ينافى قوله تعالى :

انتفاع الميت بسعي غيره

« وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ »

فليس الأمر كذلك ، فإن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة الى الآية ، كانتفاعه بالعبادات المالية ، ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الآخر ، فقوله ظاهر الفساد ، بل ذلك بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة ، وفي غير هذا الموضع أكثر من ثلاثين دليلا شرعيا ، يبين انتفاع الانسان بسعي غيره .

والصحيح أن الميت ينتفع بجميع العبادات البدنية ، من الصلاة ، والصوم ، والقراءة ، كما ينتفع بالعبادات المالية من الصدقة ونحوها، باتفاق الأئمة ، كما لو دعا له ، واستغفر له ، ومن اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة :

أحدها : أن الانسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير ،

ثانيها : أن النبي — صلى الله عليه وسلم — يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها .

ثالثها : لأهل الكبائر في الخروج من النار ، وهو انتفاع بسعي الغير .

رابعها : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض ، وذلك منفعة بعمل الغير .

خامسها : أن الله تعالى يخرج من النار : من لم يعمل خيرا قط ، بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير .

سابعها : قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: « وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما .

ثامنها : أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق، بنص السنة والاجماع ، وهو من عمل الغير .

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير .

عاشرها : أن الحج المنذور ، أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير .

حادي عشرها : المدين قد امتنع — صلى الله عليه وسلم — من الصلاة عليه ، حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب ، وانتفع بصلاة النبي — صلى الله عليه وسلم — ، وهو من عمل الغير .

ثاني عشرها : أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال لمن صلى وحده « الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

ثالث عشرها : أن الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

رابع عشرها : أن من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

خامس عشرها : أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات ، كما جاء في الأثر ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم ، وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس لذلك ، بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات ، فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها : الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة ، انتفاع للميت بصلاة الحي عليه ، وهو عمل غيره .

ثامن عشرها : أن الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذلك الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع للبعض بالبعض .

تاسع عشرها : أن الله تعالى قال لنبيه — صلى الله عليه وسلم .

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ »(١)

وقال تعالى :

« وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ » (٢)

وقال تعالى :

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ »(٣)

فقد يرفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

عشرونها : أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ، ممن يمونه الرجل ، فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعى له فيها .

حادى عشرينها : أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ، ويثاب على ذلك ولا سعى له .

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة ، على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الأمة ؟ » اهـ .

ها هو الامام ابن تيمية شيخ الاسلام ، وهذه حقيقة عقيدته ، بل وفهمه الدقيق للآية القرآنية الكريمة :

« وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ »

فهل يتأتى لقائل بعد هذه الأدلة الشرعية الواضحة ، أن يقول بانكار انتفاع الميت بعمل غيره من الأحياء ، ويستدل هذا الانكار بكلام الامام ابن تيمية ، وابن تيمية — كما وضح من هذا الخلط براء .

ان الحق واضح قوى ، غير أن تقريره واظهاره ، يحتاج الى رجال يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله سبحانه .

بقى أن نقول : كنا نود أن نقف عند حد ما ذكره الامام ابن تيمية من هذه الأدلة الشرعية ، ولكن رأينا — زيادة في الايضاح — أن نشفع هذه الأدلة التيمية ، ببعض النصوص القاطعة ، من السنة ، وأقوال الأئمة وسلف الأمة ، تدعيما لصحة القول بانتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

جاء في « فتح القدير » للامام الكمال بن الهمام رضى الله عنه :

« ان ما في الكتاب العزيز ، من الأمر بالدعاء للوالدين ، ومن الاخبار باستغفار الملائكة ، للمؤمنين ، قطعى في حصول النفع لهم أمواتا وأحياء » .

وفي « شرح المنهج » من كتب السادة الشافعية :

« والظاهر أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع

---

(١) سورة الانفال الآية ٣٣ .
(٢) سورة الفتح الآية ٢٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

انتفاع الميت بسعي غيره

الميت والحي ، والقريب والبعيد، بوصية وغيرها ، بل كان أفضل الدعاءأن يدعو المؤمن لأخيه بظهر الغيب » .

وذكر ابن قدامة رحمه الله تعالى ، في كتابه « المغنى » وهو من أنفس كتب السادة الحنابلة:
« سأل رجل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « يارسول الله ، ان أمي ماتت أفينفعها ان تصدقت عنها ؟

قال نعم » .
وهذا الحديث أخرجه ايضا أبو داود في سننه ، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه —
ويؤكد صحته ، ما أخرجه الامام البخاري ، والامام مسلم ، في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا قال للنبي — صلى الله عليه وسلم —

« ان أمي ماتت فجأة وأراها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها من أجر ان تصدقت عنها ؟ قال : نعم » .

ويستطرد ابن قدامة رضي الله عنه أيضا في كتاب «المغني» فيقول :

« لا خلاف بين العلماء في الدعاء ، والاستغفار للميت ، والصدقة عنه ، وأن ذلك ينفعه ويصل اليه ثوابه بايضاح ، سواء أكان ذلك من الأولاد ، أم من الأقارب ، أم من غيرهم من المسلمين والأول : عبادة بدنية محضه ، كالصلاة ، والصوم ، والتلاوة ، والثالث عبادة ماليه محضة ، كالزكاة والكفارة » .

وجاء في كتاب « الهداية » لابن عابدين رحمه الله تعالى :

« ان كل من أتى بعبادة سواء أكانت صلاة ، أوصوما ، أو صدقة ، أو قراءة قرآن ، أو ذكرا ، أو طوافا ، أو حجا ، أو عمرة أو غير ذلك من أنواع البر ، أن يجعل ثوابها لغيره من الأحياء ، أو الأموات ، يصل ثوابها اليه »

وذكر الامام ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » :

عن أنس — رضي الله عنه — ، أن النبي — صلى الله عليه وسلم — سئل فقال السائل يارسول الله ، انا نتصدق عن أمواتنا ، ونحج عنهم ، وندعو لهم هل يصل ذلك اليهم ؟

فقال — صلى الله عليه وسلم — : نعم ، إنه ليصل اليهم ، وانهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق يهدى اليه » .

ونقل الاجماع غير واحد ، على جواز نيابة الأحياء عن الأموات في الزكاة والصدقة ، والصيام ، والحج وغير ذلك ، كالوصية ، والتطوع ، ووردت في ذلك أحاديث صحيحة ثابتة ، بل ومتفق على صحتها ، ولم ينكر أحد عليهم .

كما نقل الاجماع غير واحد أيضا : على أن الدعاء ينفع الميت ، ودليله من القرآن الكريم، قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ »(١)

وقوله سبحانه :

«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » (٢) .

وقوله عز وجل : « رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » (٣).

وغير هذا كثير من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الأحاديث الصحيحة ، وأقوال الأئمة ، وسلف الأمة .

وبعد : فقد شرعت الصلاة على الميت ، وهى دعاء له ، بل وخصص الفقهاء بابا للصلاة على الميت بابا كاملا فى جميع كتبهم المعتمدة أطلقوا عليها : كتاب الجنائز ، أو باب صلاة الجنازة ، وبينوا جميعا فى هذا دليل مشروعيتها، وكيفيتها ، وحكم أدائها ، وغير ذلك ، ولم يختلف منهم أحد على ذلك ، بل ولم يختلف عليهم أحد بالقول بعدم مشروعيتها .

فما فائدة صلاة الجنائز ــ وهى دعاء اذا لم ينتفع بها الميت ، ولم يصل ثوابها له ؟ فالصلاة على الميت ــ كما هو واضح ــ دعاء واستغفار، وشفاعة له ينتفع بها الميت فى قبره ، دليل قاطع على صحة وصول الثواب للميت .

ولهذا كانت حكمة السبب فى نهى الله تبارك وتعالى لرسوله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ عن الصلاة على من مات من المنافقين والكافرين، والنهى عن الوقوف على قبورهم ، يقول تعالى:

« وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » (٤) .

فعلة النهى فى الآية : انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، فلا يستحقون الصلاة عليهم ، ولا الشفاعة لهم ، ولا الترحم عليهم ، فهم ليسوا للرحمة أهلا .

هذا وبالله التوفيق

موسى محمد على

---

(١) سورة الحشرة الآية ١٠ .
(٢) سورة نوح الآية ٢٨ .
(٣) سورة ابراهيم الآية ٤١ .
(٤) سورة التوبة الآية ٨٤ .

من أعلام الأزهر

شيخ أدباء عصره

سيد بن على المرصفى

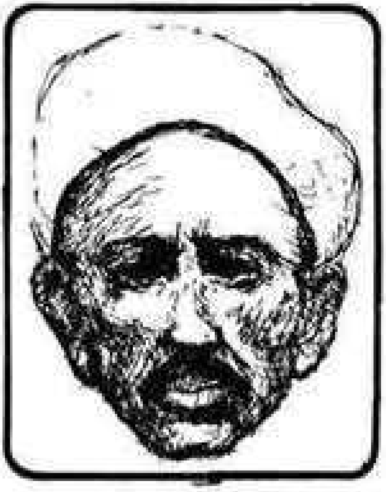
«والشـيخ المرصفى فى نفوسـنا منزلة ،وحين أذن الله فتوليت ـ بفضله ـ رئاسـة تحرير هذه المجلـة : مجلـة الأزهر شـاء سبحانه أن أضع نصب عينى بابايتحدث عن اعلام الازهر فكان أول هـؤلاء الأعـلام الشيخ سيد بن على المرصفى . كتب عنـه تلميذه الشيخ حسن بطة من ابناء فلسطين ،ولم تكن الكتابة بشافية ولكنها شارة عـلى الطريق ، ووددت أن تعهد لشقه وسبر غوره حتى كان فضـيلة الشـيخ سـيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى ، فقدم عطاء أكثـر يسعدنا أن نقدمه للقراء فيعلمون : كم مـن خير يقدمه الأزهـر ليس لمصر وحـدها بل للعالم الاسـلامى» . يقول الأستاذ سيف النصر:

ان شخصية « سـيد بن على المرصفى » من الشخصيات المرموقـة ، وفكـره الأدبى واللغوى من المعالم الثابتة فى تاريخ الفكـر بالجامع الأزهر .

وقد أشار الى صحة فكره ، وسلامة ذوقه ، وصدق رأيه فى الأدب ، وكثرة روايته لشعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، كثير من تلامذته ، وفى مقدمتهم « طه حسين » فقد تحدث عـن أستاذه فى تقديمه « لذكرى أبى العلاء » فقال : «أستاذنا الجليل سـيد بن على المرصفى ، أسمح مـن عرفت بمصر ، فقهـا فى اللغـة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيـا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولا سيمـا شعر الجاهلية وصدر الاسلام» !

وقرية (مرصفا) التى ينتسب اليها سيد بن على ، واحدة من ريف مصر ، وتقع بالقرب من مدينة بنها محافظة القليوبية ، فى جنوبهـا الشرقى ، وتتمتع بما يتمتع به ريف مصر مـن خضرة وجمال ، وأهلها لهم عناية زائدة بالعلم يعلمون أولادهم القراءة والكتـابة فى كتـاب

للأستاذ كازم السيد غنيم



القريه ، ثم يلتحق الكثير منهم بالأزهر .

وقد نبغ كثير من اهل مرصفا فى الأزهـر ، وكان منهم مشاركون فى ريادة النهضة الأدبية، وفى الثقافــة العصرية ، ومـن تراثهم العلمى الخالد :

الوسيلة الأدبية لحسين المرصفى .

ورغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد بن على المرصفى .

مولـده ونشأته :

وقد ولد سيد بن على فى بـدايه النصـف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتعلم فى كتاب والده « الشيخ على » القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وسجل اسمه فى أحد أروقة الجامع الأزهر بعد امتحان اجتـازه بنجـاح فى القراءة والكتابة وحفظ القـرآن الكريم : وجلس الى أحد أعمدة الجامع الأزهـر يتلقى دروس العلم المختلفة .

فهذا درس التفسير والحديث قبـل شروق الشمس .

وهذا درس الفقه بعد الشروق .

وهذا درس النحو والصرف بعد الظهر .

ومارس عادات الطلبة ، وتقاليد المجاورين ، فكان يقرا الدرس مع أقرانه قبل حضور درس الشيخ ، وأخذ يطالع لاخوانه ، وهم ينصتون لقراءته ، أو يكون مع المنصتين لقـراءة بعض زملائه .

وكان من عاداتهم أنهم اذا ختم الشيخ قراءة كتاب ، أتوا فى حلقة الدرس بالمباخر والقماقم الملآنـة بالطيب والعطريات ، والبعض يأتى بالفواكه الجافة ، وبعد الختم يقـرأ البعض شيئا من القرآن ، ثم يرش عليهم ماء الورد ، وينثر عليهم من الفواكه كاللـوز والتمر ، ثم يقبلون يد الشيـخ .

وتدرج « سيد بن على » بين حلقات الدروس وانتفع بكتب الأزهر ، وأخذ ينقب فيها ، وأخذ نفسه بالجد والتحصيل والمثابرة فقرأ كثيرا من كتب الأزهر التى كانت تدرس آنذاك .

ثورة واعتقال

وبينما « الشيخ سيد » فى العقد الثالث من عمره ، اذ هبت فى أرجـاء مصر ريـاح ثورة

عازمة ، ضد سياسة الخديو واستبداده ، والسخرة ، وفرض الضرائب الباهظة على المصريين ، وتدخل الأجنبي في شئون البلاد وتمتعه بخيراتها ، في حين يسام المصريون العذاب من قانون السخرة و «المترمين» .

وقام « سيد بن على » بين شباب الأزهر وعلمائه ، يتقدم الصفوف ، وينشد الجماهير ، منبها الى الخطر الذى أحدق بمصر ، ومايجب على المصريين ازاءه ، فأنشأ قصيدته المرصفية في مدح أحمد عرابى باشا ، ومما جاء فيها قوله :

يا آل مصر تنبهوا فمن الذى
يرضى بذل في الخليقة أنكد
يا آل مصر علمتمو ما حل في
هند وتونس من بلاء سرمد

وانتهت الثورة العرابية بهزيمة الثورة ، واعتقل « سيد بن على » مع من اعتقل من الثائرين ، وخرج من السجن يؤثر العزلة والتوجه للقراءة والاطلاع .

اجازة علمية

وظل يتلقى العلم في الجامع الأزهر ، حتى نضج فكره ، وآنس من نفسه القدرة العلمية ، فطلب من شيخه (الشيخ الشربينى) أن يمنحه اجازة لنشر العلم وتدريسه ، فأجازه شيخه بذلك عام ١٣١٠ هـ وقد جاء في هذه الاجازة :

« ... طلب منى الامام الكامل ، والهمام الفاضل ، اللوذعى الأريب ، والألمعى الأديب ، وادنا الشيخ سيد على المرصفى : اجازة ليتصل بسند سادتى سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، فأجبته ــ وان لم أكن لذلك أهلا ــ رجاء أن ينشر العلم ، وأنال من الله فضلا ، وأنجو في القيامة مما للكاتمين من الضرر ، فقلت أجزته بما تجوز لى روايته ، أو تصح عنى درايته ، من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن الأئمة السادة ، والأكابر القادة سددى العزائم في استخراج الدرر ...» الخ

الوظائف التى شغلها :

بعد أن حصل الشيخ « سيد بن على » على اجازة شيخه الشربينى عام ١٣١٠ هـ ، عمل مدرسا بمدرسة « عباس باشا الابتدائية » ببولاق ، فقام بتدريس اللغة العربية ، واطلع في هذه الاثناء على نظم التعليم بالمدارس ، وأعجب بما كانت تقوم عليه من نظام وتنسيق فقال : ذهبنا الى المدارس فوجدناها نظاما بلا علم ، ثم عمل بالتدريس بمدرسة السلحدار الابتدائية ولما تقدم لامتحان الشهادة العالمية ، حصل عليها بتقدير الدرجة الاولى الممتازة ، منحه الشيخ الانبابى شيخ الجامع الأزهر مرتب التدريس بالجامع الأزهر على ان يلقى درسا بين المغرب والعشاء في جامع الزاهد بجهة باب البحر ثم مرض الشيخ « الانبابى » فجاء وكيلا للأزهر الشيخ « حسونة النواوى » وانضم الى مجلس ادارة الأزهر الشيخ « محمد عبده » ١٨٩٥ م ــ ١٣١٣ هـ ووضع اصلاح الأزهر ، وادخال العلوم الحديثة فيه،



صورة تذكارية لأعضاء هذا المجمع في مجلة المصور في عددها رقم ٣٦ الصادر في يونيو ١٩٢٥ وهم ·

الجلوس من « اليمين » الأساتذة علي حامد افندي ، رفيع مشكي افندي ، نور الدين مصطفى بك ، السيد رشيد رضا ، عطوفة ادريس راغب باشا ، الشيخ سيد علي المرصفي ابراهيم رمزي بك محمد امين واصف بك صالح جودت بك ، الوقوف « من اليمين » الأساتذة : عبد الله امين افندي ، الشيخ محمد علي الدسوقي ، صادق عنبر افندي ، محمد كامل حجاج افندي ، عبد القادر فؤاد المتاسترلي افندي ، الشيخ احمد حسن الزيات ، عبد الفتاح عبادة افندي ، يوسف احمد افندي ، الشيخ عمرو ·

طلب الاستاذ الامام من ديوان الأوقاف مبلغا من المال لترقية التعليم في علوم اللغة العربية فأجيب الى طلبه ، وقدر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض ·

محمد عبده والمرصفي :

والتمس الشيخ « محمد عبده » نبهاء الأزهر ، ليعهد بتدريس الكامل للمبرد الى أحدهم ، وكان « سيد بن علي » قد اشتهر بالتمكن من الأدب العربي ، وسعة الاطلاع على علوم اللغة العربية ، فعهد اليه بتدريس ذلك الكتاب مع ذخيرة من التراث العربي ،

◄

كالحماسة لأبى تمام والأمالى لأبى على القالى وغيرها ، وزيد مرتبه جنيهين عن غيره من المدرسين .

وكان درس الشيخ « سيد المرصفى » يلقى فى الضحى بالرواق العباسى ، وكان الطلاب يحرصون على حضور الدرس ، فهو أثر جديد من آثار الاصلاح أقامه الشيخ محمد عبده وغيره من المصلحين ، وكان محمد عبده يقربه منه ويحتفى به .

وكانت حلقة درس الأدب فى الرواق العباسى بالجامع الأزهر ، مهرجانا يضم الأدباء والشعراء على اختلاف بيئاتهم وألوانهم فلم تكن مقصورة على الأزهريين وحدهم ـ بل كانت ندوة يؤمها عشاق الأدب جميعا .

وقد بدأت دروسه بشرح (حماسة أبى تمام) ، وتنسيقها ، وتبويبها تبويبا جديدا ، ودراسة نصوصها دراسة مفيدة للطالب ، موضحا جمال العبارة ، وحسن الاستعارة ، ولطف الاشارة ثم اهتم بكتاب (الكامل للمبرد) فأتم درسه بروح الشجاعة والحرية فى النقد والشرح والتحليل .

فى دار الكتب :

وفى عام ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م اشتغل « سيد ابن على » بالتصحيح بدار الكتب المصرية ، فصحح كتاب أساس البلاغة للزمخشرى ، والطراز فى البلاغة ، ونسخ بخطه الجميل بعض الكتب والمخطوطات حين أراد اقتناءها لنفسه .

عضوا بهيئة كبار العلماء :

ولما عين الشاعر العالم « الشيخ عبد الرحمن قراعة » مديرا للمعاهد الدينية بالأزهر ، سعى جاهدا لمنح الشيخ « سيد بن على المرصفى » عضوية هيئة كبار العلماء ، وفى اليوم السادس من أكتوبر من عام أربعة وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد أختير الشيخ سيد بن على عضوا بتلك الهيئة .

بذور مجمع اللغة العربية :

وفى هيئة كبار العلماء ، اتسع للأدب كرسى بها ، وأعطى لصاحبه قدره من الاجلال والتكريم ، فعرفه رجال الأدب والفكر ، وعرفه رجال السياسة ، فاتصل بنسيم باشا ، والتقى بمجمع ادريس راغب باشا اللغوى الذى تأسس فى خريف ١٩٢١ م وكان من دواعى تأسيسه ، ترقية اللغة العربية ، واحياء ما تدعو اليه الحاجة ، خصوصا ما اندثر من مفرداتها ، وجمع المواد اللازمة لوضع معجم حسن الترتيب ، شامل للالفاظ المدونة فى المعاجم المتداولة ، ووضع كلمات للمسميات الحديثة ، والمصطلحات العلمية والفنية ونحوها مما تقتضيه حالة العمران وانتشار الحضارة .

وفى جلسة ٨ ديسمبر ١٩٢٢ م تألفت لجان المجمع ، واشترك فى عملها « سيد بن على » وكان الاجتماع فى بيت ادريس راغب ، ثم فى المكتبة النورية بدرب الجماميز ، وكان يعاضد ذلك المجمع العلماء والمستشرقون ، وتلقى فيه

المحاضرات عن اللغة وآدابها .

مؤلفات سيد بن على المرصفى :

للمرصفى مؤلفات منظومة :

منها « القصيدة المرصفية » فى مدح أحمد عرابى باشا .

ومنها « تحفة العهد الجديد فى الفقه والتوحيد » وقد بدأها بالكلام فى علم التوحيد، فتحدث عما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله تعالى وفى حق رسله الكرام ، ثم تكلم عن مباحث فى الفقه على مذهب الامام الشافعى فتحدث عن أركان الوضوء وسننه ونواقضه ، وتكلم عن الاستنجاء وموجبات الغسل وسننه ، وذكر الصلاة المفروضة وأركانها .

ومن مؤلفاته الهامة فى النظم : « الدر الذى انسجم على لامية العجم » فهو فيها شاعر يحاكى القدماء ويطاولهم ، ويفخر بنفسه .

لم يصب عقلى يعان اللحظ من يمن
ولا سبانى غصن البان من يزن
أسمى وفكرى الى العليا يبعثنى
... ... الــــخ

كذلك يبدو فيه المرصفى رقيق الحاشية ، مرهف الحس ، يحب الجمال :

أرواحنا يهوى الغزلان ما بقيت
تشكو من الوجد والتبريح ما بقيت
فسر بنا بنفوس طالما شقيت
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت
نصالها بمياه الغنج والكحل

وللمرصفى أشعار قالها فى مناسبات مختلفة منها قصيدته فى مدح الخديو « عباس الثانى » ومن شعره قصيدته التى سماها « شامخة المعلقات » فى تهنئة شيخه الشربينى حين تولى مشيخة الجامع الأزهر .

ومن مؤلفاته الدراسية اسرار الحماسة

و « **رغبة الآمل من كتاب الكامل** » وقد برزت الحماسة على يديه فى ثوب جديد بما أضفى عليها من روحه وفكره ، وترقيه بها نحو التذوق الأدبى ، والترتيب الزمنى ، فحين عمد اليها بالدراسة ، رأى أن ديوان الحماسة قد عبثت أيدى رواته بجمعه ، فوضعوه على غير وضعه، فمنهم من ابتدأه بشعر قيس بن الخطيم الأنصارى ، ومنهم من افتتحه بشعر قريط بن أنيف العنبرى ، على أنهم كثيرا ما يفرقون بين أشعار القبائل ، ويذكرون الأواخر أثناء أشعار الأوائل ، وربما فرقوا بين كلمتين قيلتا فى حادثة واحدة لشاعر واحد ، وباعدوا بين أنساب العمائر وأحساب العشائر ، فأقام خطته للنهوض بالحماسة ، ورأى أن تقسم أشعار الحماسة الى موضوعات أدبية ، وشعراء الوقائع الجاهلية والاسلام ، وقد تم طبع الجزء الأول من أسرار الحماسة ١٣٣٠ هـ ــ ١٩١٢ م .

رغبة الآمل من كتاب الكامل :

والمؤلف الثانى أذاع صيت صاحبه ، واشتهر به بين أبناء عصره ، فقيل صاحب رغبة الآمل ، كما قيل لنصير اللغة سيد المرصفى ، وقد طبع فى ثمانية أجزاء ، ظهر الجزء الأول منها عام

شيخ أدباء مصر

١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م والجزء الثامن عام ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م ، والمرصفي في مقدمته لهذا الكتاب يقول : « وقد سبرنا غور فكره ، وقصصنا بعيد أثره ـ يعني كتاب الكامل للمبرد ـ أيام مطالعتي كتابه بالأزهر الشريف، في عهد الامام العليم ، والفيلسوف الحكيم ، أستاذ مصره في عصره « محمد عبده » غفر الله له ، وكان قد فحص نبهاء ذلك المعهد الكبير ، فوقع اختياره على وسلم زمامه الى .. فأحببنا أن نبين للناس ما فيه بحسن التنبيه ، في شرح لطيف ، لا يمل مطالعه ، ولا يسأم سامعه ، وقد أسميته « رغبة الآمل من كتاب الكامل » مهتما فيه ببيان ماحاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب ، من خطأ في الرواية ، وخطل في الدراية .

« وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

هذا وقد أردنا اذا ذكر أبو العباس شاهدا من شعر العرب أن نورد قصيدته ، مع ضبط كلماتها ، وبيان مبهماتها .

وكتاب الكامل من الكتب المعتبرة عند أرباب الصناعة ورجال الادب ، وكانتصحبة المرصفي له منذ ١٨٩٥ : ١٩٣٠ م مدة ست وثلاثين سنة ، اتصل خلالها بالكثير من الكتب الأدبية واللغوية والتاريخية وغيرها من الكتب ليحقق أخباره ، ويكمل ما نقص ، وينبه على أغاليط الرواة ، وقد تم له طبع الجزء الثامن والأخير قبل وفاته بعام .

تلامذة المرصفي :

لقد تحقق للمرصفي عدد وفير من التلاميذ الذين نشأوا على مثاله ، وبرعوا في جميع الميادين ، فبرز منهم الكاتب الأديب صاحب الأسلوب العذب ، مثل :

احمد حسن الزيات ، ومصطفى لطفي المنفلوطي .

وكان منهم المحقق الأديب مثل :

محمود محمد شاكر .

والقلم المصور للانفعالات النفسية في حبها وحياتها ، وشروحها للادب مثل :

زكي مبارك ، طه حسين .

ومن تلامذته :

محمد نائل المرصفي ، ومحمد حسن زناتي ، وأحمد محد شاكر ، وحسن السندوبي ، ومحمد المهياوي .

وفي مجال الشعر ظهر من تلامذته : حسن القاياتي ، وأحمد الزين ، وأحمد شفيع السيد، وابراهيم الدباغ ، وعلي الجارم .

وأستاذ كالمرصفي يترك مثل هذه المؤلفات الحية تنشر معارفه ، وتذكر فضله وعلمه وأدبه خليق بالتقدير والخلود .

بقلم
سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوي

راجع : المرصفي وحياته ومنهجه رسالة ماجستير للمؤلف بمعهد البحوث والدراسات العربية . وراجع شيخ ادباء مصر سيد بن علي المرصفي للمؤلف طبع مطبعة السعادة ١٤٠٤ هـ .

فضل الحج المبرور

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

عن عائشة : أم المؤمنين ــ رضى الله تعالى عنها ــ انها قالت يارسول الله : نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : « لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور » .

رواه البخارى ٢/١٦٤ ورواه النسائى فى الحج وكذا ابن ماجه .

راوى الحديث :

أم المؤمنين عائشة الصديقية ، بنت أبى بكر الصديق ، وزوج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان عمرها فيما يروى ست سنين ، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع ، وكانت أحب نسائه اليه ، ولم يتزوج بكرا غيرها .

وأمها : أم رومان ، واسمها زينب ، أسلمت وبايعت وهاجرت ، ولما دليت فى قبرها قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من سره أن ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى أم رومان » .

وكانت عائشة فقيهة جدا ، وكانت عالمة بكل العلوم .

قال عطاء بن أبى رباح : « كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا فى العامة » .

وقال عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ، ولا بحرام ، ولا بحلال ولا بفقه ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ، ولا نسب من عائشة وكانت فصيحة .

قال معاوية : « والله مارأيت خطيبا قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة » .

وروى لها ألفان ومائتا حديث وعشرة . اتفق الشيخان على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخارى : بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين .

وكانت عارفة بأيام العرب ، وأشعارها ، وكانت زاهدة ، كثيرة الكرم والصدقة ، وكان فقهاء الصحابة يرجعون اليها ٠

وحدث عنها كثير من الصحابة والتابعين وأكثر الناس رواية عنها أهل بيتها : عروة بن الزبير : ابن اختها ، والقاسم بن محمد وهو ابن أخيها ٠ توفيت سنة ٥٧ من الهجرة ودفنت بالبقيع ليلا — وصلى عليها أبو هريرة — رضي الله تعالى عنه — (١) ٠

سببه : أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قالت له — صلى الله عليه وسلم — نرى الجهاد أفضل العمل : أي نعتقده كذلك ، لما أتى به الكتاب المبين من فضائله ، في غير ما آية ، والسنة في غيرها حديث ٠ أفلا نجاهد ؟ فقال : الخير (٢) ٠

المفردات : الجهاد : هو قتال الكفار لاعلاء كلمة الله ، والقتال للدفاع عن الأوطان ، والأهل والولد٠

لكن : للاكثر — بضم الكاف — خطاب للنساء ٠ وللحموى لكن حرف استدراك قال ابن حجر : والاول أكثر فائدة ، لأنه يشتمل على اثبات فضل الحج ، وعلى جواب سؤالها على الجهاد ٠

المبرور : الذى لا يخالطه اثم ، ولا رياء فيه ٠

الشرح : الحج المبرور أفضل العمل في الاسلام ، بعد الجهاد في سبيل الله ، لأنه دعامة من دعائم الدين ، وأحد الأركان الخمسة، التي لا يستقيم الاسلام اذا قصر المرء في واحد منها ، وهو عبادة العمر ، وفي هذه الفريضة ابلغ امتحان لصدق الايمان ، وقوة اليقين ، وهو واجب على كل مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر مستطيع ، واجد للزاد والراحلة ، وأن تكون المرأة برفقة محرم لها ٠

ومن عزم على أداء هذه الفريضة أن يبادر بتوبة خالصة من جميع المعاصي والمكروهات ، بأن يندم على ما فرط ، ويقلع عن معاصيه ، ويصمم على عدم العودة اليها مرة أخرى ؛ ويسترشد بالحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٣) وأن يخلص حجه لله تبارك وتعالى والتقرب به اليه سبحانه ثم يقضي ما عليه من دين حال ويرد الودائع الى أصحابها ويتحلل كل من كان بينه وبينه معاملة في شيء ، وأن يزيل الشحناء بينهما ، ولا ينسى أن يكتب وصيته بحقوق المولى عز وجل ، وحقوق الآدميين ، والاشهاد عليها (٤) ، وأن يجتهد في ارضاء أصوله ، ومشايخه ، وأرحامه، وأن يعد المؤونة الواجبة عليه لمن لهم النفقة حتى يعود ٠ وفي الحديث الشريف : « كفى

(١) تاريخ التشريع للشيخ محمد الخضرى ١٤١ . المواهب اللدنية للزرقاني ٢/٢٢٩ — ٢٣٦ ٠
(٢) هداية البارى الى ترتيب صحيح البخارى للاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر ٢/١٣٨ ٠
(٣) الحديث اخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر التوبة ج ٢ ص ١٤٢٠ رقم ٤٢٥٠ بلفظه من رواية ابى عبيدة بن عبد الله عن ابيه قال السندى : الحديث ذكره صاحب الزوائد في زوائده وقال : اسناده صحيح رجاله ثقات ٠٠ الخ٠
(٤) حاشية ابن الهيثمى على مناسك النووى ٢٢ ٠

بالمرء اثما أن يضيع من يعول » (١) . وأن تكون نفقة حجه ، وجميع أمتعته من الحلال الخالص من أية شبهة ، فعن عمر — رضى الله تعالى عنه — « من كرم المرء طيب زاده فى سفره ، وبذله لأصحابه » . وأن الطيب هو الجيد المستلذ طعمه . ولكن طيب النفس بما يخرجه ، بأن يفرح بذلك ، ليكون أقرب الى القبول ، مزيدا به وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة .

ويستحب له أن يترك المماكسة ، والمماحكة، والمشاحنة فيما يشتريه لأى سفر من أسفار الطاعات ، وأن يودع أهله ، وجيرانه ، وقرابته ومعارفه ويصافحهم ، ويتحلل منهم ويطيب قلوبهم ، ويلتمس منهم الدعاء ، وأن يتصدق عند خروجه حتى قال بعض العلماء : « ينبغى للمسافر أن يشترى سلامته من الله تعالى — بما تيسر من الصدقة ، يأخذها بيده .

ويقول : « اللهم انى اشتريت سلامتى وسلامة من معى ، ويسميهم ، وسلامة ما معى — ويعدده شيئا فشيئا — منك يامولاى بهذه الصدقة ، فبعنيه ، وسلمنى ، ثم يتصدق به على أول من يستقبله من الفقراء ، ويقول : « خرجت بحول الله ، وقوته ، بغير حول منى ولا قوة . اللهم انى اسألك بركة يومى هذا وبره ، وبركة أهله » .

ثم يلتزم بالآداب الشرعية فى حله وترحاله ، حتى يكون حجه مبرورا ، وذنبه مغفورا ، وعوده حميدا (٢) .

لم شرع الحج ؟ شرع الحج الى بيت الله الحرام لحكم جليلة ، ومعان نبيلة ، يجل عنها الوصف ، ومنها أنه اظهار العبودية لله تعالى بما يتخلل أعمال الحج من التذلل للمعبود ، وابداء مظاهر الشعث والتقشف ، وترك أسباب التجمل ومن وقوف الحاج موقف المتضرع الحامد لمولاه ، المثنى عليه المستغفر له من الزلات ، الملازم لأبواب رحمته واحسانه ، اللائذ بجنابه وحماه العائذ بعفوه وغفرانه (٣)

كما انه شرع اظهارا لحق الشكر على أن المولى عز وجل قد أنعم عليه بنعمتى الصحة ، والمال اللتين هما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما عبادة الحج .

وهكذا نرى أن الحج انما هو حلول بحضرة المعبود ، ووقوف بساحة الجود ، ومشاهدة لذلك المشهد العلى الرحمانى ، والملم بمعهد المهد الربانى ، وأن القصد منه التقرب اليه سبحانه ، فاذا أخلص فيه ، وعمل بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « اعبد الله كأنك تراه » كان بمنزلة من حل فى حضرته ، لأنه حيث صور نفسه كالرائى له اتصف بتلك الصفة ، وأن الوقوف بساحة كرمه يمكن شبهه بمال كثير بفضاء واسع ممن

---

(١) الحديث أخرجه فى سننه فى كتاب الزكاة باب فى صلة الرحم ج ٢ ص ٣٢١ رقم ١٦٩٢ بلفظه : غير أنه ذكر يقوت بدل يعول ، من رواية عبد الله ابن عمرو بن العاص . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال .. الخ ج ٢ ص ٦٩٢ رقم ٤٠ بلفظ : كفى بالمرء اثما أن يحبس، عمن يملك قوته من عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) الاحياء للغزالى ٢٤٨/١ . حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى ٥) .

(٣) حاشية ابن حجر الهيتمى ٤١٤ .

دخله تمكن من أخذ ما شاء منه .

والقصد أن المخلص به ، فكان حجه مبرورا يصل الى مراده ، من شمول الرحمة العامة المقتضية لغفران ذنوبه فضلا منه سبحانه .

ولا يخفى أن نفس الكون الوجود والحلول بتلك الأماكن شرف وعلو للحال فيها ، وأن التردد في تلك المواطن فخار وسمو وارتفاع ؛ فان المحال المحترمة لم تزل تفرغ ، وتصب على الحال فيها من أدلاء مملوءة وصفها بفيض غامر .

ولذا فانه ينبغي للعبد أن يهتم بالحج ، ويبادر اليه ، ويحرك عزمه الفاتر انهاضا يحثه عليه بالاجتهاد في أسبابه ، والسعي اليه ، وان بعدت المسافة ، ونالته مشقة ، ولا ينبغي له أن يتوانى أو يتكاسل في طرح سيئات العمر بطلب المغفرة ، بالحج المبرور ، الذي يغسلها ، فيزيل أثرها ، كما يزيل الصابون أثر الأوساخ الحسية كما لا يحق له أن يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عمياء المجازفة ، بركوب المخاطرة التي هي كالناقة العمياء في أن من تلبس بها وقع في الهلاك ، كما أن الراكب للناقة العمياء يقع بواسطة سيرها ، كيف اتفق في الطرق الصعبة المؤدية الى هلاكه : روى عن ابن عباس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **« من أراد الحج فليتعجل » (١) .**

بم يكون الحج مبرورا ؟

قال ابن خالويه : الحج المبرور : المقبول ، وقال غيره : هو الذي لا يخالطه شيء من الاثم ، وقد رجحه النووي .

وقال القرطبي : « ان الأقوال في تفسيره متقاربة المعنى » وحاصلها : أنه الحج الذي وفيت أحكامه ، ووقع موقعا ـ لما طلب من المكلف ـ على الوجه الأكمل (٢) وعلى أي فان مغفرة الذنوب بالحج ، وترتب الجزاء بالجنة عليه ، منوطان بكون الحج مبرورا ، وفي الوقت نفسه لا يكون الحج مبرورا الا اذا اجتمعت فيه من أعمال البر الكثيرة التي منها :

١ ـ الاحسان في معاملة الناس سواء بالقول أم بالفعل ، وأن يتلطف في مخالطتهم ، ومعاشرتهم ، وأن يطعم الطعام ، ويفشي السلام على من عرف ومن لم يعرف ، وأن يطيب كلامه .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لاتحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقى ، ولو أن تعطى صلة الحبل ، ولو أن تعطى شسع النعل ، ولو أن تنحى الشيء من طريق الناس ، يؤذيهم ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منطلق ، ولو أن تلقى أخاك المسلم ، فتسلم عليه ، ولو أن تؤنس الوحشان في الأرض » (٣) .

وقيل : « المروءة في السفر : بذل الزاد وقلة الخلاف بين الأصحاب ، وكثرة المزاح ، في غير

---

(١) رواه ابو داود واحمد والحاكم والبيهقي وقال الحاكم : صحيح ، وابو صفوان مهران راويه عن ابن عباس لم يجرح لكن قال ابن بطال انه مجهول وتبعه الذهبي في المهذب والحافظ في التقريب ـ المواهب اللدنية ١٤٢/٨ .

(٢) شرح صحيح البخاري للشيخ زروق الفاسي ١١/٤ تحقيق الاستاذين موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية .

(٣) الحديث اخرجه احمد في مسنده ج ٤٨٢/٣ ج ٦٣/٥ ، ٦٤ ، طبع المكتب الاسلامي بيروت .

مساخط الله ، والمخالطة بالمعروف ، والصبر على الأذى ، فخير الناس أنفعهم للناس » .

٢ ــ أن يفعل الطاعات كلها ، وقد بين الله عز وجل البر في قوله تبارك وتعالى :

« لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (١) .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنواع البر في الطاعات ، فمن استكملها في حجه ، فقد استكمل أنواع البر جميعها .

٣ ــ ومن أعمال البر أن تكون نفقة الحج طيبة ، وأن تكون من كسب حلال :

« اذا خرج الرجل حاجا ، بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك »(٢) ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور ، غير مأزور ، واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لا لبيك ، ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور » .

٤ ــ ومنها كثرة ذكر الله تبارك وتعالى في الحج ، لأن الله قد أمر بكثرته في اقامة المناسك مرة بعد أخرى ، وخصوصا في أثناء الاحرام ، ويكون بالتلبية والتكبير والتهليل وجاء في الحديث النبوي الشريف حينما سئل ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أى الحاج افضل قال : « اكثرهم لله ذكرا » . وقال عليه السلام : افضل الحج : العج والثج (٣) والعج : رفع الصوت بالتلبية والثج : نحر البدن .

وأن الانسان اذا ناداه انسان جليل القدر أجابه بالتلبية ، وحسن الكلام ، فكيف بمن ناداه مولاه الملك العلام ؟ ودعاه الى جنابه ليكفر عنه الذنوب والآثام وأن العبد اذا قال : لبيك يقول الله تعالى : ها أنا دان اليك ، ومتجل عليك ، فسل ما تريد ، فأنا أقرب اليك من حبل الوريد .

ضيف الرحمن : اجعل التقوى زادك ، والآخرة مرادك ، والزهد والورع مطيتك ، والانقطاع الى الله تعالى سجيتك ، وارم هذه الدنيا من قلبك فهو سبب الرجوع الى ربك ، واسلك طريق المذنبين تكتب في ديوان

٩

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٧ .

(٢) الحديث أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب الحج باب الترغيب في النفقة في الحج .. الخ ج ٢ ص ١٨٠ رقم ٧ طبع دار احياء التراث العربي ببيروت وعزاه للطبراني في الأوسط والاصبهاني من حديث اسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلا مختصرا . و (الغرز) ركاب من جلد . ابو منذري .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الحج باب ما جاء في فضل التلبية والنحر ج ٣ ص ١٨٠ رقم ٨٢٧ طبع الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

الموحدين ، وتلقى الله وليس بينك وبينه حجاب ولا يردك عنه بواب ، يارب ياقابل التائبين تقبل توبتنا وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

علامات الحج المبرور :

ــ ان يرجع صاحبه زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة ، وأن يترك سىء ما كان عليه من العمل .

قيل للحسن : ما الحج المبرور ؟ قال : **ان ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة » .**

وعن عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« ما من يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا او امة من النار من يوم عرفة ، وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : « ما أراد هؤلاء ؟ فيقولون يارينا يريدون العفو والمغفرة » فيقول الله تعالى : **« ياملائكتى اشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم » (١) .**

والحج المبرور : يغفر الذنوب صغائرها وكبائرها حتى التبعات على المعتمد اذا مات فيه أو بعده وقبل تمكنه من آدائها (٢) .

فنى عرفات يهبط الله ــ تعالى ــ الى سماء الدنيا ، ليباهى بالحجاج ملائكته فيقول :

« عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، او كزبد البحر لغفرتها ، افيضوا مغفورا لكم » (٣) .

ــ وأن تكون حالة الحاج فى طاعاته ومعاملاته ، ومخالطاته بعد حجه خيرا منها قبل الحج ، فان من علامة قبول الطاعة أن توصل بعدها بالتوفيق والاحسان ، ومن علامة ردها أن توصل بالمخالفة والعصيان .

ومن هنا رغبت السنة النبوية المطهرة فى تلقى الحاج ، والسلام عليه ومصافحته ، وطلب الدعاء ، والاستغفار منه ، لأن الحاج اذا كان حجه مبرورا غفر له ، ولمن استغفر له ، واستجيب دعاؤه ، ففى صحيح مسلم انه ــ صلى الله عليه وسلم : كان اذا قدم من سفر تلقى من أهل المدينة » .

وعن ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : « **لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق ، لأتوهم حين يقدمون ، حتى يقبلوا رواحلهم ، لانهم وفد الله فى جميع**

---

(١) الحديث فى الترغيب والترهيب للمنذرى ج٢ ص ٢٠٤ رقم ١٠ بلفظه من عائشة وعزاه المنذرى لمسلم والنسائى وابن ماجه وزاد رزين فى جامعه فيه : اشهدوا ملائكتى انى قد غفرت لهم .

(٢) بغية المسترشدين لباعلوى ١١٤ .

(٣) الحديث اخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب فى كتاب الحج باب ماجاء فى فضل الحج ج ٢ ص ١٧٠ رقم ٣٢ طبع دار احياء التراث العربى ببيروت وقال : رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له ، وقال : وقد روى من وجوه ولانعلم له احسن من هذا الطريق ، ابو منذرى .

الناس » (١) . ان سألوه أعطاهم ، وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوه استجاب لهم، وان شفعوا شفعوا ، وان الله تبارك وتعالى يختم على عمل الحاج بطابع من نور . فاياك

يا أخي أن تفك ذلك الختم بمعصية الله عز وجل .

وفي الحديث : « اذا مات المحرم فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » (٢) .

قال الخواص — رحمه الله تعالى — من علامات قبول حج العبد ، وأنه خلع عليه خلعة الرضا عنه ، أنه يرجع من الحج ، وهو متخلق بالأخلاق المحمدية ، لا يكاد يقع في ذنب ولا يرى نفسه علا احدا من خلق الله ، ولا يزاحم على شيء من أمور الدنيا حتى يموت .

وعلامة عدم قبول حجه أن يرجع على ماكان عليه قبل الحج .

كما أن من علامات مقته أن يرجع وهو يرى أن مثل حجه أولى بالقبول من حج غيره لما وقع فيه من الكمال في تأدية المناسك ، وخروجه فيها من خلاف العلماء ، لكن لا يدرك هذا المقت الا أهل الكشف » (٣) .

وان الحديث صريح في أن النساء لا يجب عليهن الجهاد مثل الرجال ، أما اذا أردن ادراك فضيلة الجهاد فيقوم مقامه الحج المبرور .

ومحل ذلك : اذا لم تدع الحاجة اليهن ، فان دعت اليهن ، بأن دخل الكفار المحاربون بلاد المسلمين فيكون واجبا على كل مسلم ومسلمة قادر عليه ، أما من لا يقوى على الجهاد لعذر شرعي فيحصل له بالحج ثواب المجاهدين اذا أخلص في عمله .

فعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الحج جهاد كل ضعيف » (٤) .

وبعد : فنسألك اللهم ايمانا كاملا ، ويقينا صادقا ، ورزقا واسعا ، وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا ، وحلالا طيبا ، وتوبة نصوحا ، وتوبة قبل الموت ، وراحة عند الموت ، ومغفرة ورحمة بعد الموت ، والعفو عند الحساب ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار برحمتك يا عزيز ياغفار واغفر لوالدينا ومشايخنا وكل من له حق علينا يارب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ — الباجوري .
(٢) حديث البخاري ومسلم عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : بينما رجل واقف مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعرفة اذ وقع عن راحلته فأقصعته فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اغسلوه . . فانه يبعث يوم القيامة ملبيا — (ه الترغيب والترهيب كتاب الحج ج ص ١٧٩ طبع دار احياء التراث بيروت — الباجوري .
(٣) بغية المسترشدين لباعلوى ص ١١٤ ، ١١٥
(٤) رواه الامام احمد في مسنده وابن ماجه في سننه ورجاله ثقات .

لِيَهنِكَ العِلمُ

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا أبا المنذر : أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : يا أبا المنذر ، أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) .
قال : فضرب فى صدرى ، وقال:والله ليهنك العلم أبا المنذر) (١) .

البيان

القرآن هداية ونور :

القرآن هداية ونور ، شفاء للصدور ، وسرور للقلوب ، غذاء للأرواح ، يحيى النفوس ، ويوقظ العقول ، إن هذا القرآن يشرق ويضىء على النفوس والقلوب المظلمة السابحة فى ظلمة الشبهات والشهوات ، فينقلها الى النور ، نور الإيمان بالله وبالقيم والأخلاق ، وبذلك يتضح الهدف ، وتستقيم النفس ، وتجمل الحياة .

«قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٢) .

والقرآن الكريم أساس الشريعة الاسلامية، ومنه تستمد الأحكام الشرعية ، والمسائل الفقهية ، فهو عمادنا فى أمر ديننا ودنيانا .
عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال قلت يارسول الله ، أوصنى ، قال : عليك بتقوى الله ، فانه رأس الأمر كله قلت يا رسول الله زدنى قال : عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » (٣) .

فالذى يقرأ القرآن ، ويعمل به ، تفتح له

---

(١) رواه مسلم .
(٢) المائدة . آية ١٦ .
(٣) رواه ابن حبان

للشيخ محمد صابر البرديسى

أبواب الخير ، ويمده الله بإحسانه وتوفيقه ، ويعيش فى صفاء من نعيم النفس ، ويحظى بسعادة القلب فى الدنيا والآخرة .

وهذه هى القاعدة الأصيلة فى العمل والجزاء ، ايمان وعمل ، فعلى الايمان والعمل يقام البناء .

« وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » (١) .

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » (٢) .

وقال تعالى :

ان الذى يقرأ القرآن ويعمل بتعليمه يهديه الله للخير ، ويعظم له الأجر ، يهديه للخير فى أى زمان أو مكان ، يهديه للعقيدة الواضحة ومطابقة عمله لعقيدته ، وسلوكه لمشاعره ، وتصير كل أعماله عبادة ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة ، وهذه بشرى يبشر بها القرآن ، لو اتبعتها البشرية كلها وسارت على نهج القرآن ، لعاشت فى سعادة ومحبة ووئام .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » (٣) .

والبررة هم : الطائعون ، الممتثلون لأوامر الله ، والسفرة هم الملائكة الذين يقرءون كتاب الله فى عالم الملكوت .

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

(من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين

---

(١) سورة النساء آية ١٢٤ .
(٢) سورة الاسراء آية ٩ .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

جَنْبَيْهِ غير أنه لا يوحى اليه ..) (١) .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » (٢) .

فضل بعض السور والآيات :

(القرآن كله فضل وهدى وشفاء للمؤمنين : (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) (٣) .

وقد اختص الله بعض السور والآيات بمميزات لأسرار أودعها الله فيها ، ولمعان انفردت بها .

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن ، قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

تعدل ثلث القرآن (٤) .

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ .

« أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » ؟ (٥) .

وقد ورد فى سورة الفاتحة أحاديث تدل على ما يميزها ويشهد لما احتوته من فضائل لا تعد ولا تحصى : من ذلك أنها تسمى أم الكتاب ، وأم القرآن ، لاشتمالها على مقاصد القرآن من الثناء على الله والتعبير بأمره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده ، وتسمى المثانى ، لأنها تثنى فى الصلاة .

ويقال لها الشفاء لما روى عن أبى سعيد مرفوعا (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) (٦) .

ويقال لها الرقية ، لحديث أبى سعيد فى الصحيح حين رقى بها الرجل السليم (٧) .

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (وما يدريك أنها رقية) ؟ .

وسماها يحيى بن كثير الكافية ، لأنها تكفى عما عداها ، ولا يكفى عنها ما سواها .

وقد ورد فى فضل سورة البقرة أحاديث

(١) رواه الحاكم .
(٢) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن .
(٣) سورة فصلت آية ٤٤ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البيهقى .
(٦) رواه الدارمى عن أبى سعيد مرفوعا .
(٧) المريض .

كثيرة ، ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم (أن أسيد بن حضير (رضي الله عنه) بينما هو يقرأ في مربده اذ جالت (١) فرسه فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ثم جالت أخرى أيضا ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ « يحيى » (٢) فقمت اليها ، فاذا مثل الظلة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو (٣) حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت : « يارسول الله ، بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في « مربدي » (٤) اذ جالت فرسي ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضا ، ثمقال رسول الله (صلى الله (عليه وسلم) اقرأ ابن حضير ، قال : فانصرفت ، وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظله فيها أمثال السرج(٥)،

عرجت في الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « تلك الملائكة تستمع اليك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » .

ان من يقرأ القرآن مرتلا له ، ومستحضرا بقلبه جلال الله وعظمته ، وكانت القراءة بصوت حسن ، تحفه الملائكة ، وتنزل لسماع صوته ، كما حدث لأسيد بن حضير ، ففي رواية للحديث قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لأسيد (تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى) (٦) .

والرسول (صلى الله عليه وسلم) يشير على أسيد قائلا له ، : كان ينبغي أن تستمر في القراءة ولو أنه استمر في القراءة لاستمرت الملائكة تظله ولكنه ما كان يعلم بأمر الملائكة ويخاف على ابنه من الفرس وقد جالت فقام الى ابنه فصعدت الملائكة في الجو والحديث الذي معنا وما نحن بصدد شرحه يدل على فضل سورة البقرة وعلى عظمة آية الكرسي ، ويؤكد نفعها لمن يقرأها ، ويدرك ما حوته من معان جليلة الشأن عظيمة القدر ، فان أبا المنذر أدرك بما وهبه الله من بعد نظر ، ودقة ادراك ، ومما منحه الله من علم نافع أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي .

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لكل شيء سنام » (٧) وان سنام القرآن البقرة ، وفيها آية هي سيدة (٨) أي القرآن آية الكرسي) (٩) .

(١) نفرت .
(٢) يحيى ابنه .
(٣) عرجت = صعدت .
(٤) المكان الذي فيه التمر .
(٥) المصابيح .
(٦) هذه الرواية للبخاري .
(٧) سنام كل شيء أعلاه تشبيها بسنام البعير ، والمراد تعظيم سورة البقرة .
(٨) المراد من سيدة آي القرآن التي هي آية الكرسي ، بريدانها فاضلة .
(٩) أخرجه الترمذي .

العلم علمان :

لقد سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا المنذر عن أعظم آية في القرآن فلم يستطع أبا المنذر أن يجيب على السؤال أول الأمر ، وحينما كرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) سؤاله اليه أدرك في الحال جواب سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فقال : (الله لا اله الا هو الحي القيوم) .

ومن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال غير من وهبه الله علما نافعا ، وادراكا ثابتا ، والهاما موفقا ؟

كثير من الناس لا يدركون المعاني البعيدة ، والأمور الخفية ، فمن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : (يا أهل السوق ما أعجزكم (١) قالوا وماذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقسم وأنتم ها هنا ، الا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟

قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا سراعا (٢) ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم : ، مالكم (٣) ؟ فقالوا يا أبا هريرة ، قد أتينا المسجد ، فدخلنا فيه ، فلم نر فيه شيئا يقسم ، فقال لهم أبو هريرة، وما رأيتم في المسجد أحدا ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوما يصلون ، وقوما يقرءون القرآن ، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد (صلى الله عليه وسلم) (٤) .

وعن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (العلم علمان علم في القلب ، فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان (٥) فذاك حجة الله على ابن آدم) (٦) .

وروى عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ان من العلم كهيئة المكنون (٧) لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى ،

فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة (٨) بالله عز وجل (٩) .

والعلماء بالله تعالى هم الذين أجرى الله الحق على لسانهم ، وفقههم في دينهم لكثرة

---

(١) اى شيء منعكم من كسب الخيرات .
(٢) اى مسرعين .
(٣) اى اى شيء تريدون ؟
(٤) رواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن
(٥) يعني الذين تعلموا العلم ويعظون الناس ولا يتعظون ، ويقولون ما لا يفعلون .
(٦) رواه الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخه باسناد حسن .
(٧) الدر المستور .
(٨) الغفلة .
(٩) رواه ابو منصور الديلمي في المسند .



تقواهم ، وأهل الغرة : هم اهل الغفلة الذين ركنوا الى الدنيا فغرتهم بزخارفها ، وعصوا الله واتبعوا شهواتهم وتركوا أوامر الله ورسوله ، وهجروا الدين قال الامام الشافعى (رضى الله عنه) :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فارشدني الى ترك المعاصي

واخبرني بان العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصي

وحديث أبي المنذر يعجب فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من فطنة أبي المنذر وكياسته، واستنباطه ما هو أعظم فيقول له: (ليهنك العلم أبا المنذر) أي هنيئا لك ما اوتيت (١) وليكن العلم هنيئا لك، أي سهلا ميسرا، لاتعب فيه ولا مشقة، والمعنى لتطب نفسا بما وهبك الله من العلم.

وهذه شهادة في العلم، يمنحها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبعض أصحابه ممن أوتوا حظا وافرا من العلم النافع الذي كهيئة الدر المكنون، والله سبحانه يقول:

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (٢).

فمن أوتي البصيرة المستنيرة التي تهدي للرأي الصائب؟ والهدى الراشد والحق الواضح، فانه لا يضل في تقدير الأمور.

وهذه الحكمة، يؤتيها الله من يشاء من عباده، فهي معقودة بمشيئة الله سبحانه.

وان طريق الحكمة لمفتوح لمن اراده، فمن اتجه الى الله، واراد لنفسه الهداية، وسعى لها سعيها، وجاهد فيها، فان الله بمشيئته يؤتيه الحكمة، ولا يحرمه منها، بل يعينه عليها.

فليطمئن كل من يتجه الى هدى الله أن مشيئته تعالى ستقسم له الهدى، وتؤتيه الحكمة، وتمنحه ذلك الخير الكثير.

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٣).

محمد صابر البرديسي

(١) اعطيت.
(٢) سورة البقرة — آية ٢٦٩.
(٣) سورة العنكبوت — آية ٦٩.

مِنَ الشَّرِيعَة

مبادئ القانون
الدولي في الإسلام

الشريعة وما يراد لها
في الرأي الغربي

غزوة بدر الكبرى

مبادئ القانون الدولي العام

في الإسلام

٣

العلاقات السياسية

رأينا في الأسطر القليلة السابقة كيف نظم الاسلام حالة الحرب . فلننظر الآن (كيف نظم علائق السلم) وأول ما يعنينا من ذلك طريقة معاملته لمبعوثي أعدائه ، وحاملي رسائلهم ، وممثليهم السياسيين وهي معاملة يحق لنا أن نقول فيها انها سديدة مستقيمة ، فالاسلام فوق ما يكفله لهم من صيانة وأمن على الأرواح (١) يمنحهم نوعا من الحصانة الاجتماعية التي تخولهم حرية العودة الى أوطانهم متى شاءوا ، ولا يدع سبيلا الى حجزهم في بلادنا بحجة انهم من قوم عدو لنا .

يلي ذلك طريقته في الاستماع لهؤلاء المفاوضين ، وحسن استعداده للتفاهم والتعاقد معهم ، فالقرآن يحض الرسول — صلى الله عليه وسلم — على قبول مبدأ الصلح متى وجد من العدو ميلا اليه « وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا » (٨ : ٦١) .

أما شرائط الصلح وطرائقه ، فقد رأينا بصدد هدنة الحديبية ، كيف أن روح المسالمة التي تعمر قلب رسول الاسلام — عليه الصلاة والسلام — ، قد جعلته يضحي بكثير من التفاصيل المتعلقة بألقابه الأدبية ، وبالسمعة الحربية لجيشه ، وببعض الحقوق الفردية لاتباعه على أنه ليس معنى ذلك أنه يوجب قبول كل اقتراح من جانب الأعداء مهما كان شاذا ، أو ضارا بحقوق الأمة والأجيال المقبلة ، فقد رأينا هذا الرسول الرحيم نفسه ،

(١) أنظر قول الرسول لمبعوثي مسيلمة الكذاب « والله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما » .

للأستاذ الدكتور المغفور له
محمد عبد الله دراز

حين عرض عليه مسيلمة الكذاب تقسيم « الأرض » بينه وبينه ، يرفض تلك العرض رفضا صارما ، ويجيبه بتلك الجملة الحكيمة التي يقتبسها من القرآن : «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» (٧ : ١٢٨) .

فاذا نحن درسنا الوثائق التي تركتها لنا السير عن العلاقات السياسية النبوية استطعنا أن نتبين فيها أنواعا مختلفة من المواثيق :

(أ) اعلان الأمن والحماية :

لعل أبسط العقود السياسية هو التصريح الذي يصدر من جانب واحد ، ولا يلزم الا الطرف الذي أصدره ، كاعلان دولة ما : أنها تلتزم الأمن والحماية لدولة أخرى . واننا لنجد من هذا النوع مثالا واضحا في ذلك العهد الذي أعطاه النبي لأهل سوريا ومن معهم في أثناء غزوة تبوك ، وضمن لهم فيه حرية انتقالهم وأمن قوافلهم البرية والبحرية ، وحرية استعمالهم للطرق ومجاري المياه ، على شريطة واحدة ، وهي الا يثيروا على المدنيين شغبا .

(ب) ميثاق عدم الاعتداء من الجانبين :

لكن المعاهدة بالمعنى الصحيح تتطلب اتفاقا وتبادلا للمنافع يقبله طرفا العقد جميعا . وان أقل ما يتحقق فيه هذا النوع من العهود ، هو التعاقد الذي لا يتضمن الا التزامات سلبية تنحصر في امتناع كلا الطرفين عن كل فعل ضار بالآخر . وقد نقل لنا المؤرخون أمثلة لمواثيق من هذا النوع عقدها النبي — صلى الله عليه وسلم — والتزم فيها الطرفان — اما لمدة غير محصورة ، واما الى أجل معلوم — ألا يهاجم أحدهما الآخر ، ولا يحالف عدوا له ، ولايساعد معتديا عليه فمن هذا القبيل ميثاقه الى أجل غير مسمى مع (بني ضمرة) في السنة الثانية من الهجرة ، ومنه أيضا ميثاق الهدنة التي عقدها مع قريش في السنة السادسة من الهجرة لمدة عشرة أعوام .

(ج) المحالفة :

على أن الحقوق والواجبات المتبادلة انما تبرز في أكمل مظاهرها في عهود الحلف ، ومن أمثلة هذه العهود في حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، تانك المحالفتان اللتان مهد لهما صلح الحديبية حيث خول كلا من الفريقين أن يختار حليفا له من بين القبائل العربية

فاختارت « خزاعة » أن تحالف محمدا ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ واختارت « بنو بكر » ان تحالف قريشا ولقد كان من نتائج هاتين المحالفتين أن نهض المسلمون في السنة الثامنة لنجدة خزاعة حين نقضت قريش عهدها بازائها ، وينبغي أن يلاحظ أن هذا النقض لم يكن بقتال مباشر موجه علانية لخزاعة ، وانما كان معاونة سرية بالمال والسلاح لبني بكر عليها ، ومن هنا تعرف وجهة نظر الاسلام في هذه النقطة القانونية .

(د) الاعارة والتأجير :

وهذا مثال طريف لنوع من المواثيق لا نجده بعد الا في العصر الحديث :

ذلك هو العهد الذي أعطاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنصارى نجران باليمن ، وهو وان كان عهدا مليا أكثر منه عهدا دوليا ، الا أن فيه شرطا يذكرنا بميثاق الاعارة والتأجير الذي عقدته الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا لتموين الجيوش الانجليزية في الحرب العالمية الثانية .

فهذا العهد النبوي اذا نظرنا اليه من وجهتيه الاجتماعية والدينية ، نراه يلتزم للنجرانيين حرية عقيدتهم وعبادتهم ، وسلامة معابدهم ، وعدم المساس بمساكن كهنتهم مادامو لا يحدثون اضطرابا ولكن الناحية الاقتصادية لهذا العهد أكثر طرافة فانه ينص على ضرورة تقديم مساعدة مادية معينة منهم للمسلمين في حال حدوث نزاع بين المسلمين وبين طرف ثالث في اليمن ، ومن بين هذه المساعدات اعارة جيش المسلمين ثلاثين وحدة من كل صنف من أصناف السلاح ، على أن يقوم المسلمون برد هذه الأسلحة الى حلفائهم النجرانيين بمجرد انتهاء الحرب .

ـ ٦ ـ

الوفاء بالعهود

وبعد : فان من المقرر المعترف به عند الجميع أنه يجب على طرفي العقد ـ مهما كان نوع المعاهدة التي بينهما ـ أن يحافظا بدقة وأمانة على تنفيذ كل شروط الميثاق بنصها وروحها .

غير أن هذا الالتزام يأخذ في نصوص القرآن طابعا خاصا من التشديد ومن القدسية يجعله فرضا دينيا بالمعنى الحقيقي ، فالميثاق الذي يعقده المسلم لا يرتبط به أمام الناس فحسب ، بل أنه ينعقد في الوقت نفسه بينه وبين الله تعالى اذ يجعل المسلم ربه شهيدا وكفيلا على عقوده والتزاماته ، ومن هنا يصبح احترام هذه الالتزامات أمرا متغلغلا في النفوس ، متصلا أوثق اتصال بعقد الايمان ، بحيث لا يبقى لقوة في الأرض أن تحلله منه ، سواء في ذلك دوافع المنفعة أو طلب النفوذ ، أو زيادة الرخاء ، أو المجال الحيوي ، أو التوسع الاقتصادي ، أو التوازن السياسي ، أو غير ذلك .

والى هذا كله يشير القرآن حيث يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء

صدق الله العلي العظيم

٣ : ٣٨

(ولاَ تنقضُوا الأَيمانَ بعدَ توكيدِها وقدْ جعلتمُ اللهَ عليكمْ كفيــلاً إنَّ اللهَ يعلمُ ما تفعلــونَ . ولاَ تكونُوا كالَّتى نقضتْ غزلَها مِن بعدِ قــوَّةٍ أنكاثاً تتخذُونَ أيمانَكمْ دخلاً بينَكمْ أن تكــونَ أمةٌ هِيَ أربَى مِنْ أمةٍ ، إنَّما يبلُــوكمُ اللهُ بهِ)

١٦ : ٩١ ، ٩٢ .

فاذا نحن رجعنا الى السنة النبوية وجدناها قد بلغت من الدقة فى تطبيقها لهذه التعليمات القرآنية مبلغا يكفى فى وصفه أن نورد بعض أمثلة منه :

كان أبو جندل من المسلمين المحصورين فى مكة فبينما كانت تكتب شروط صلح الحديبية أقبل يرسف فى قيوده ليقيم مع المسلمين ، واذ كانت المعاهدة لم توقع بعد ، كان من الممكن الا يطبق عليه شرط رد اللاجئين ، ولكن ممثل قريش عارض فى ذلك بحجة أن الاتفاق الشفوى قد تم آنفا قبل قدوم هذا اللاجىء ،

فصدقه النبى عليه الصلاة والسلام ، وتركه يأخذبتلابيب المهاجر ليرده الى مكة ، ولم يكن صياح أبى جندل وشكواه واعلان خوفه من أن يفتنه المشركون عن دينه اذا رجع اليهم ، ولا الألم النفسى الذى أصاب المسلمين بسبب هذا التنازل — لم يكن كل ذلك — ليغير من موقف النبى — صلى الله عليه وسلم — وما زاد على أن قال : (يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، ولكننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، واننا لا نغدر بهم — أو — وانه لا يصلح فى ديننا الغدر) ولقد تكرر مثل هذا الحادث بعد فى شأن أسير آخر وهو أبو بصير ، وكان الحل هو الحل .

واليك مثالا من نوع آخر كان القادم فيه

من المشركين لا من المسلمين وجاء مبعوثا لا هاربا ذلك هو أبو رافع الذى قدم برسالة من قريش الى النبى فما هو الا أن رأى النبى حتى وقع فى قلبه الاسلام ، وأراد الا يرجع الى قومه ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — : « أنا لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد » .

بل هناك ما هو أعظم من ذلك دلالة على قدسية العهود والمواثيق فى نظر رسول الاسلام ، وأنه لم يكن حرصه على الوفاء بعهوده أشد منه على وفاء أتباعه بعهودهم الشخصية ، ولو شقت على نفوس المؤمنين . ومن أطرف الأمثلة فى ذلك وأشدها غرابة حادثة حذيفة وأبيه فقد كانا قطعا على نفسيهما لبعض الأعداء عهدا — بدون استئذان الرسول — الا يقاتلاهم ، فلما جاء وقت القتال استفتيا فى ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما كان جوابه الا ان قال : « انصرفا نفيا لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم » .

قطع العلائق السياسية

— ٧ —

شرطان لابد منهما فى نظر القرآن لاباحة نقض حلف سابق .

١ — هذا النقض لا يصح أن يحدث اعتباطا وابتكارا من قبلنا تحت تأثير الأغراض والمنافع ، أو بباعث الهوى والعاطفة ، بل لابد أن يكون مسبوقا باستفزاز من قبل الخصم وبأمارات تدل على أنه ينوى خيانة العهد .

٢ — ولا يصح أن يكون قطع العلائق عمليا فقط ، وبدون سابق انذار ، والا لكان غسلا للخيانة بالخيانة ، بل لابد أن يكون نبذا للمعاهدة صريحا واضحا وأن يصل الى علم الخصم فى الوقت المناسب ليكون على بينة من نيتنا نحوه حتى نكون واياه سواء فى ذلك ، هذا هو صريح نص القرآن (٨ : ٥٨) .

— ٨ —

الخلاصة

هكذا نرى أن التشريع الدولى فى الاسلام لا يكتفى بأن يستوحى فى كل خطوة من خطواته روح العدالة والمساواة بين الناس امام القانون ، بل انه يستمد من ينابيع اشد عمقا من ذلك كله . يستمد من منابع الايمان الصحيح ، والخلق الكامل .

ونستطيع ان نقول — ووثائق التاريخ بين أيدينا — : ان هذا التشريع الدولى العام بمعناه الصحيح لم يكن له وجود قبل الاسلام ، ولم يصل اليه تشريع آخر بعد الاسلام الى يومنا هذا .

دكتور محمد عبد الله دراز

الشريعة

وما يراد لها .. فى الرأى الغربى

دائرة المعارف البريطانية

للشيخ محمد حسام الدين

كلمة أولى : ـ

منذ بداية القرن التاسع عشر تواجه الشريعة الاسلامية عنتا شديدا ، وعملا دائبا ، يهدف الى تغيير بنائها ، وتنحيتها عن وظيفتها القيادية ، الحاكمة فى المجتمعات الاسلامية .

وفى منتصف ذلك القرن بدأت هذه الأهداف تأخذ طريقها الى الواقع ، خطوة ، فخطوة .

وكان المسلمون فى أجيالهم المعاصرة لهذا التغيير على مواقف مختلفة منه .

فكان منهم مؤيد له ، ومنهم معارض او متحفظ .

وقد أردنا أن نعرض من الكتابات الغربية ما يوضح الرأى الأوربى ـ فى عمومه ـ تجاه الشريعة ، والأهداف التى يستهدفها نحوها .

ثم نعرض بعضا من الكتابات الاسلامية ، مما يعبر عن مواقف المسلمين تجاه هذا التيار .

ولا يفوت القارىء أن ايراد هذه الآراء ، وبخاصة الأوربى منها ، لا يعنى الموافقة عليها ، أو تأييد ما فيها . بل ان الأمر قد يكون على العكس من هذا وأننا نعارضها جملة ، أو نعارض شيئا من تفصيلاتها .

وقد عزمنا ـ والعون من الله ـ أن نورد الآراء فى حياد ، فلا نتدخل فى سياقها برأى

الشريعة ومايراد لها

لنا ، لنظل هذه الآراء على طبيعتها • موحية بأهدافها •

ولنا بعد كل هذا تعقيبات عليها — حسبما ييسر الله — •

محمد حسام الدين

تتفاوت الكتابة الغربية فى نقدها للشريعة الاسلامية ، والتحامل عليها ، ويتصل هذا بشخصية الكاتب ، والظروف المؤثرة فيه ، كما يتصل بالمؤسسة الاستشراقية التى ينتمى اليها ، وبالظروف السياسية لبلاده تجاه المسلمين •

وأكثر ما نقرؤه من الكتابات الغربية — وبخاصة المبكرة منها — يصف الشريعة بأنها متأثرة بأعراف جاهلية ، وأعراف بيئية ، وأنها مناقضة فى أحكامها للحضارة المعاصرة ، ومقتضياتها ، ومن ثم فانها فى حاجة الى اعادة النظر فيها لتفى بحاجات الناس فى هذا العصر•

وأحيانا ما نجد بين الكتاب الغربيين من ينصف الشريعة ، بعد أن تنتهى به دراسته العميقة الى التعرف على أحكامها ، وصفائها ، ونقائها من كل شائبة ، وبراءتها من كل دخيل ، والى ادراك مقدار الجمال والدقة ، والسعة ، والرحمة فى موازين العدل بها ، والى وفائها بالحاجات البشرية •

وتختلف دوائر المعارف الغربية فيما بينها ، فيما تقرره عن الشريعة الاسلامية ، تبعا لموقف بلادها من الاسلام ، والمسلمين •

ثم تختلف طبعات كل دائرة منها على حدة تبعا لتغير الزمن ؛ فالطبعات الحديثة أقل حدة على الشريعة — من حيث الجملة — وأبعد عن قسوة التجريح لها •

ولعل السبب فى هذا هو الرغبة فى انتهاج الأسلوب الحضارى فى النقد ، أو الميل الى الالتزام العلمى ، أو تحسن العلاقات السياسية بين الغرب ، والبلاد الاسلامية •

وقد آثرت أن أستهل هذا الموضوع بما كتبته دائرة المعارف البريطانية ، من باب حسن الاستهلال ، ولأنها من أكثر دوائر المعارف اتزانا ، واعتدالا فى الرأى ، واستيثاقا للبحث •

مما هيأ لها مكانة علمية يطمأن اليها ، وجعلها موضع الثقة عالميا •

وفى الطبعة التى اخترناها ، وهى الطبعة الصادرة فى سنة ١٩٧٣ م تحدثت الدائرة عن الشريعة الاسلامية باتساع ، وان كانت قد قصرت حديثها على جانب الأحوال الشخصية ، دون الجوانب المدنية ، والتجارية ، والسياسية، والثقافية ، وقواعد العقوبات فى حياة المسلمين•

ولعل السبب فى هذا أن كاتب « هذه المادة » رأى أن الشريعة الاسلامية قد تخلت بالفعل عن حكم هذه الجوانب فى المجتمعات الاسلامية ، لتتولاها قوانين أخرى ، فقصر حديثه على متابعة التطور فى قوانين الأحوال الشخصية •

كتبت دائرة المعارف البريطانية (١) ــ طبعة ١٩٧٣ ــ فى مادة «Islam» الاسلام . وتحت عنوان : « القانون الاسلامى المعاصر » .... تقول : ــ

« كان للحضارة الغربية أثر كبير فى حياة المسلمين الاجتماعية ، خلال القرن التاسع عشر ، فقد حدثت تغييرات جوهرية فى ميدان القوانين المدنية ، والتجارية ، وقوانين العقوبات .

وقد أدرك رجال الشريعة الاسلامية أنهم لا يستطيعون أن يباشروا هذه الجوانب القانونية بسبب منهجهم التقليدى فى الفكر القانونى ، وفى طرق الاثبات ، وتحليل الأحكام فى قواعد الفقه ذاتها .

ونتيجة لهذا العجز صرفت معظم الأقطار الاسلامية نظرها عن الشريعة فى أحكام الجنايات ، والحدود ، والقواعد المدنية العامة ، واستبدلت بها مجموعات قانونية جديدة ، تتفق مع مناهج القوانين الأوربية ، وتستند الى نظام جديد ، وتطبقها محاكم خاصة .....

هذا فيما عدا شبه الجزيرة العربية ، فانها لا تزال تطبق الشريعة الاسلامية بكامل فروعها وبصفة رسمية .

ومنذ بدأ القرن العشرين أصبح تطبيق أحكام الشريعة مقتصرا على أحكامها المتعلقة بشئون الأسرة ، بمايشمل قانون المواريث ونظم الوقف ......

ومع هذا فانها لا تطبق بشكلها التقليدى ، فى هذا النطاق المحدود من المسائل ، ولكنها صيغت فى شكل مجموعات قانونية حديثة ، فى بلدان الشرق الأوسط ، بصفة عامة .

وسبب تضييق نطاق عملها فى حدود الأحوال الشخصية يرجع الى افتقاد مشروع تفصيلى يضم مجموعات للقوانين ، وأحكاما شرعية ، تعتمد رسميا كمرجع للقانون فى جميع فروعه .

ففى الهند وباكستان نجد كثيرا من أحكام الأسرة قد أخذت شكلا تشريعيا مقننا .

لكنه لما كان القانون هناك يعتمد على نظام السوابق القضائية Case Law ، فان أحكام القضاء تعتبر مرجعا قانونيا ، ولها السيادة على هذه المجموعات القانونية التى تمسك نظام الأسرة .

والأمر كذلك فى غالب بلدان الشرق الأوسط . فان أحكام القضاء لا يزال لها أثر فى التشريع ، وبخاصة بعد أن أعيد تنظيم الهيئات القضائية ، بما يكفل لها أن تجمع مهمة

---

(1) Encyclopaedia Britanica — Copyright 1973-1974 — Vol — 9 «The Islam» .... «Law in contemporary Islam» P. 942.

ترجمنا الى اللغة العربية هذه الفقرات التى نقلناها عن دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها لسنة ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤ م .

وقد كتب « المادة » فيها المستشرق ن. ج. كولسن N — J — Coulson. وهو من المستشرقين الانجليز المعاصرين ، الذين تخصصوا فى الشريعة الاسلامية .

وله كتاب فى « تاريخ التشريع الاسلامى » History of Islamic Law.

التشريع الى جانب وظيفة الفصل فى القضايا ، واصدار الأحكام .

أما فى مصر وتونس فقد ألغى القضاء الشرعى — وكان له وجود مستقل من قبل — فأصبحت قواعد الشريعة تطبق مع غيرها من القواعد القانونية عن طريق القضاء الموحد فى الدولة .

والأمر كذلك فى الهند منذ انفصلت باكستان عنها ، فان المسائل الشرعية تنظرها هيئات القضاء التى تنظر مسائل القانون المدنى العام ومسائل الجنايات .

وفى الآونة الأخيرة صدرت مجموعات قانونية تنظم الاجراءات القضائية ، وقواعد الاثبات فى المجالات التى تطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية .

وميزة هذه الاجراءات الجديدة أنها تفسح لقاضى آفاق الحرية فى التماس البينة أكثر مما كان له فى ظل النظام القديم .

ففى الهند وباكستان يطبق القضاء قواعد الاثبات للقانون المدنى على المسائل التى تطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية .

وهى قواعد ترجع الى نظام القانون الانجليزى ، وقد صدرت بقانون فى الهند سنة ١٨٧٢ م .

الاصلاح فى القوانين الشرعية
Reform of Shari'ah Law

فى مطلع القرن العشرين كان من نتيجة الظروف التى جدت فى الأقطار الاسلامية ، وبخاصة المتحضرة منها أن حدث تعارض واضح بين الظروف المتغيرة للحياة الحديثة وبين القواعد القانونية الشرعية القديمة .

ذلك أن أحكام الشريعة لم تستطع أن تجد لها تعليلا — (عقليا) مقبولا ، وكان من نتيجة هذا أن طبقت القواعد القانونية الغربية على المسائل المدنية ، والجنائية .

ولقد بدا لتركيا أن الحل الوحيد هو أن تهجر أحكام الشريعة الاسلامية بكاملها ، وذلك فى سنة ١٩٢٦ م ، وأن تستبدل بها قانون الأسرة السويسرى .

ولا نجد قطرا اسلاميا واحدا تبع تركيا فى هذا العمل حتى الآن . لكن هذه الأقطار طبقت القانون الشرعى القديم فى مجال الأحوال الشخصية ، بوجوه ، وبطرق مختلفة تلائم حاجاتها الاجتماعية المعاصرة .

ومنذ سيطرت هذه الفكرة — فكرة الاصلاح التشريعى — على الشرق الأوسط ، كانت هناك مسألة مهمة ، وهى البحث عن قواعد تشريعية تسمح بالتطلعات الاجتماعية، وترضى متطلباتها،

قال صلى الله تعالى عليه وسلم * لا يدخل الجنة إلا مؤمن * اللهم صل على شفيع الأمم محمد وآله وصحبه الطاهرين آمين * كتبه أضعف الكتاب مهدي الخطاط المعروف بالجبوري

وتمنحها صفة الشرعية ، فى حدود القواعد الاسلامية ، وفى نطاق نظرياتها الأصولية .

ومن ثم وضعت اصلاحات وقواعد قانونية فى مظهرها ، وان كانت تنتمى الى آراء قديمة واردة فى الشريعة .

وفى المرحلة الأولى من مراحل الاصلاح التشريعى ، كان التقليد ، واتباع آراء الفقهاء السابقين لا يزال موضع الاحترام لدى الفقهاء الرسميين .

من أجل هذا صدرت قواعد الاصلاح التشريعى عن السلطة السياسية والحكومية .

فقد عمدت الدول الى تخويل السلطة التنفيذية والسياسية — وليست فى الحقيقة من الهيئات التشريعية — خولتها أن تصدر قرارات تنفيذية ، لتنظيم نوعين أساسيين من القوانين .

النوع الاول : يتعلق بالاجراءات وطرق الاثبات ، وتحديد اختصاص القضاء ، بحيث لا ينظر من الحالات الا ما كان صحيح الشكل تام الاجراءات .

ومن هذا النوع : القانون المصرى الصادر فى سنة ١٩٣١ م ، والذى ينص على أنه) لا يصح النظر فى دعوى الزواج ما لم يكن مثبتا بشهادة رسمية مسجلة ، وهذه الشهادة لايصح أن تصدر اذا كانت الزوجة دون ستة عشر عاما ، أو كان الزوج دون ثمانية عشر عاما فى تاريخ العقد .

وبمقتضى هذا القانون فان زواج الصغير بناء على عقد يجريه وليه ، وان كان زواجا له احترامه ، وجوازه شرعا ، لكنه عند النزاع عليه لا يكون محل نظر القضاء .

وعلى هذا فانه لا تعارض — من الناحية

الشريعة ومايراد لها

النظرية — بين هذا القانون وأحكام الفقه الاسلامى ، لكن الأمر من الناحية العملية يبدو كما لو كان محاولة لالغاء زواج الصغير .

والنوع الثانى : — الذى اتجه اليه الاصلاح بقرارات تنفيذية — يتمثل فى اختيار أحكام شرعية من بين الآراء ، والمذاهب الاسلامية المختلفة ، وجعلها واجبة التطبيق .

كما جاء فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية . فقد صدرت هذه اللائحة عن السلطة التنفيذية، والسياسية ، ومارست فيها حق الاختيار من آراء المذاهب الفقهية المختلفة ، واختارت ما رأته مناسبا للظروف الاجتماعية المعاصرة .

وعلى سبيل المثال فان المذهب الحنفى المتبع « رسميا » فى مصر لا يسمح للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها بسبب اهانته لها .

وقد نتج عن هذا الرأى مشكلات كثيرة ، ومتاعب للزوجات ، وكذلك فى ظروف هجر الزوجة ، أو سوء المعاملة لها .

فى حين أن المذهب المالكى يقر للزوجة بحق فسخ النكاح فى حالات قسوة الزوج ، أو عجزه عن النفقة الشرعية ، أو فى حالة هجره للزوجة.

ومن هنا صدر القانون المصرى سنة ١٩٢٠ م مقررا وجوب تطبيق أحكام المذهب المالكى فى هذه الحالات، وذلك من تاريخ صدور القانون.

وفى مجال المواجهة ، بين قواعد القوانين الشرعية القديمة ، وقواعد القوانين الجديدة نجد أن الاصلاح فى مسائل زواج الصغير ، وفى الطلاق — الذى صدر به قانون أقره البرلمان فى شبه القارة الهندية — قد أصبح له السيادة على أحكام القانون الحنفى .

فقد صدر قانون فى سنه ١٩٢٩ م فى شأن زواج الصغير يمنع زواج البنت قبل أربعة عشر عاما ، والولد قبل ستة عشر عاما ، ورتب على مخالفة القانون عقوبات بدنية .

كما صدر قانون فى سنة ١٩٣٩ م فى شأن فسخ الزواج بين المسلمين ، احتذى نمط قانون حقوق الزواج الانجليزى ، وخول للزوجة — الحنفية — أن تطلب فسخ الزواج لأسباب القسوة ، والهجر ، واعسار الزوج ... الخ .

وفى سنة ١٩٥٠ م انتهى عهد السلطة التنفيذية ، والسياسية فى اصدار قوانين الاصلاحات التشريعية فى بلدان الشرق الأوسط .

ذلك أن مبدأ « التقليد » أصبح فى وضع سىء ، تنفر منه الناس نفورا شديدا ، بسبب اعتماد الفقهاء المقلدين على الكتب المؤلفة فى العصور الوسطى ، وادعائهم أنها تمثل التفسيرات ، والآراء الشرعية التى وردت عن فقهاء الصدر الاول ، وأنها تعتمد على القرآن والسنة .

لم يتماسك مبدأ « التقليد » اذن . ولم يحتفظ لنفسه بالسيادة مدى طويلا ، ولم

يحتفظ لأصحابه بالمكانة التشريعية المتميزة .

ذلك لأن فقهاء التشريع المعاصرين طالبوا بطرح الآراء القديمة عليبدأ الاستنباط من جديد مستقلا عما سبق ، رجوعا الى المصادر الأصلية للوحى الالهى ، فى ضوء الظروف الاجتماعية الجديدة .

وباختصار : انهم دعوا الى فتح باب الاجتهاد ، وقد كان مغلقا منذ القرن العاشر الميلادى .

ان تطور الاجتهاد فى مجال الاصلاح التشريعى الاسلامى يمكن ان يتضح من المقارنة بين القانون السورى للأحوال الشخصية الصادر فى سنة ١٩٥٣ م ، وبين قواعد القانون التونسى الصادر فى سنة ١٩٥٧ م ، فيما يتعلق بموضوعين : —

أولهما : تعدد الزوجات .

وثانيهما : الطلاق عن يمين .

فقد رجح المصلحون السوريون — فيما يتعلق بتعدد الزوجات — أن القرآن نفسه قد دعا الزوج أن لا يعدد الزوجات ، ما لم يكن مستطيعا — من الناحية المالية — أن ينفق عليهن ، بما يناسب مستواهن من النفقات : الضرورية والحاجية .

وكانت الآراء الفقهية (التقليدية) المحافظة ترى أن المراد من الأمر فى الآية (١) هو الاستحباب الأخلاقى ، وأن الوفاء به متعلق بضمير الفرد ودينه .

لكن المصلحين السوريين تمسكوا بأن المراد بالأمر هنا الوجوب ، فالقدرة على الانفاق شرط شرعي واجب لابد وأن يسبق الاقدام على تعديد الزوجات ، وهو أمر يرعاه القضاء .

فهناك ارتباط فى سوريا بين هذا التفسير الجديد ، وبين اللوائح التنظيمية ، والتنفيذية التى تنص على ان تسجيل مثل هذا الزواج لا يتم الا بعد الحصول على اذن من القاضى .

فقد جاء فى القانون السورى انه « للقاضى ان لا يأذن للرجل المتزوج فى ان يضم الى زوجته زوجة أخرى ، ما لم يثبت لديه انه فى وضع مالى يسمح له بالانفاق على الزوجتين كلتيهما » .

الحديث موصول .. وبالله التوفيق .

---

(١) لعل الكاتب يعنى قوله تعالى « لينفق **ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ..** » الآية ٧ من سورة الطلاق ، والآية وان كانتنزلت فى النفقه فى عدة الطلاق الا ان المطلقة تأخذ حكم الزوجة فى النفقة فى فترة العدة .

او لعله يريد راى الامام مالك وهو الذى يرى اعتبار حال المرأة فى النفقة الواجبة لها مستدلا بقوله تعالى : « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ..** » الآية ٢٣٣ من سورة البقرة . وقوله — صلى الله عليه وسلم — : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » والحديث اخرجه الجماعة الا الترمذى .

غزوة بدر الكبرى

ومقومات النصر على العدو المتفوق

— ٢ —

للاسلام حسابات خاصة ترجح بها كفة المسلمين المجاهدين فى موازين القوى الى حد الانتصار على العدو المتفوق بأقل الخسائر وفى اقصر وقت ، وقد تناولنا فى المقال السابق مقومات النصر الاسلامى وذكرنا منها قوة الايمان وارادة القتال ، والتخطيط العلمى .

الشورى فى التخطيط :

والركن الثالث الذى يقرره الاسلام للتخطيط العلمى بعد ركنى السرية وتأسيس التخطيط على احدث المعلومات والبيانات كما ذكرنا هو الشورى ..

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يشأ ان يبت فى امر الدخول فى معركة مع المشركين حتى يستشير اصحابه ، فوجد منهم استعدادا للقتال رغم تفوق العدو ، فقرر دخول المعركة ، وأخذ بمشورة الحباب بن المنذر فانتقل بالجيش الى حيث أشار .

وقد جرت سنته — صلى الله عليه وسلم — على تطبيق قاعدة الشورى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » (١) .

وفى مجال القيادة والادارة واتخاذ القرارات يعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة يقترن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع ، وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام .

ويعلمنا الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — ان القيادة الرشيدة هى التى لا تستأثر بصنع القرار واصدار التعليمات التى يتعين على المرءوسين تنفيذها ، بل هى التى تحرص على أن يشترك معها فى تقدير

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ — الباجورى .

اللواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ
عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

المواقف وصنع القرار أكبر عدد ممكن من أصحاب الرأى والمختصين ، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ما ندم من استشار » (١) .

ثالثا : القيادة الموحدة ووحدة الهدف والصف:

ومن مقومات النصر الاسلامى القيادة الموحدة ووحدة الهدف والصف ، وقد ظهر ذلك جليا فى أول معركة حاسمة بين المسلمين وأعدائهم ، ففى غزوة بدر كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين ، وكان المسلمون يقاتلون كرجل واحد لغاية واحدة .. أما على الجانب الآخر فلم تتوفر هذه المقومات .

فلم يكن للمشركين قائد واحد أو قيادة موحدة ، فقد كان أكثر سراة قريش مع الجيش ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وأبو جهل ، ولم يكن لهما رأى واحد اذ أنهما اختلفا حول مبدأ البقاء لقتال المسلمين .. فأبو جهل أراد البقاء وقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

« أما عتبة فقد أصابه التردد ، اذ أنه مال الى الأخذ بما نصحه به بعض قومه أن يرجع بالناس ، فرماه أبو جهل بالجبن ، فأخذته الحمية وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدى» .

على هذه الحال من التردد والتضارب فى الآراء، وطغيان الأنانية الفردية على المصلحة العامة ، وجاهلية الهدف (النحر والخمر والقيان) خرجت قريش للقتال .

أما عن وحدة الصف فقد توفرت للمسلمين معنويا وماديا ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن ينمى الرسول فى المسلمين هذا المبدأ الحيوى بحرصه الشديد على أن تكون صفوف

---

(١) الحديث فى مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الادب باب ما جاء فى المشاورة ج ٨ ص ٩٦ طبع دار الكتاب العربى ـ بيروت الطبعة الثالثة بلفظ : عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ... الحديث، وقال : رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير من طريق عبد السلام بن عبد القدوس ، وكلاهما ضعيف جدا ـ الباجورى .

غزوة بدر الكبرى

الجيش فى بدر على أعلى درجة من النظام والتنسيق ، وذلك بأن يمر عليها ويعيد من كان خارجا عن الصف الى موضعه الصحيح .

فيعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — بذلك كيف تكون وحدة الصف ، لكى نتدبر مغزاها وأثرها العظيم فى تحقيق الأهداف المرجوة ، ولكى نحظى بنصر الله وحبه :

« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

(الصف ٤) .

رابعا — الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة :

ويوجه الاسلام المسلمين — لكى يحصلوا على النصر على العدو المتفوق — الى الاستغلال الأمثل لمواردهم المتاحة بحيث يفيدون مما يملكون ومما فى أيديهم الى أقصى حد بطريقة اقتصادية ، فلا يفقدون من هذه الموارد مثقال ذرة .

وفى بدر يعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — هذا الدرس العظيم ويرشدنا الى عناصره وأركانه وأهمها : السيطرة المحكمة على الموارد ، وتطبيق مبدأ « الاقتصاد فى القوى » وهو ما نوضحه فيما يلى :

١ — احكام السيطرة على الموارد :

لقد أحكم الرسول — صلى الله عليه وسلم — سيطرته على جيشه المحدود الذى يواجه قوة تعادل ثلاثة أمثاله على النحو التالى :

* فقد نظم الجيش فى كتيبتين ، كتيبة المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب ، وكتيبة الأنصار بقيادة سعد بن معاذ .

* واتخذ لنفسه مركز قيادة محددا (العريش) يشرف على أرض المعركة ويستطيع منه ادارتها باحكام .

* ولم يقاتل المسلمون بأسلوب الكر والفر وهو الأسلوب المعتاد عند العرب والذى كانت تقاتل به قريش ، بل اتبعوا أسلوب القتال بالصفوف ، وهو أسلوب يضمن للقائد احكام السيطرة على رجاله ، كما أنه يؤمن له احتياطيا للطوارىء يعالج به المواقف التى ليست بالحسبان مما يحقق « استمرار » السيطرة .

أما أسلوب الكر والفر فيجعل سيطرة القائد صعبة ولا يؤمن له أى احتياط للطوارىء .

* وأخيرا وليس آخرا فقد استكمل الرسول القائد — صلى الله عليه وسلم — سيطرته على جيشه بأن أصدر « أمر قتال » جاءت محتوياته بكل ما يحقق السيطرة التامة على أعمال الجيش فى مراحل القتال المختلفة وعلى ما يجعل المسلمين لا يقومون بأى عمل الا بأمر منه ، وقد وردت لأمر القتال عدة روايات :

١ — « اذا أكثبوكم (أى اقتربوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم » .

(البخارى — جـ ٧ ص ٢٤٥)

٢ — « ان اكتنفكم القوم فانضحوهم

عنكم بالنبل » .

(ابن هشام جـ ٢ ص ٢٦٦)

٣ ــ « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وان اكتنفوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

(الواقدى ــ مغازى رسول الله ، ص ٤٨)

وبتحليل هذه التعليمات نستطيع أن نستخلص نتائج تنفيذها كما يلي : ــ

استغلال طاقات كل سلاح الى أقصى حد :

* فيبدأ المسلمون أولا بقذف النبال (فارموهم ــ فانضحوهم عنكم بالنبال) والنبال هى السلاح « بعيد المدى » .

* وبعد أن يستغل المسلمون طاقات السلاح بعيد المدى الى أقصى حد الى أن يقترب العدو الى حد الالتحام ، يتحولون الى السيف وهو سلاح الالتحام (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) .

* بهذا الوضوح فى تحديد وقت وظروف استخدام كل سلاح ، لا يحدث خلط بين السلاحين يضيع معه جانب من طاقات كل منهما هباء .

٢ ــ الاقتصاد الشديد فى « الذخيرة » :

* فان معنى « اذا أكثبوكم ــ ان اكتنفكم القوم » ، تأخير اطلاق السهام حتى «يقترب» الأعداء جدا .

* ومعنى « واستبقوا نبلكم » ــ فضلا عن تأخير اطلاقها ــ عدم التسرع فى اطلاقها، فالسهام عددها محدود أصلا لقلة عدد الجيش ، فاذا بدأ المسلمون فى اطلاقها والعدو بعيد ، أو تسرعوا فى اطلاقها قبل التأكد من أنها مصوبة جيدا ، فسوف يطيش من سهامهم الكثير ، لعدم دقة التصويب على البعد .

* وهكذا يحقق تنفيذ هذه التعليمات هدفين فى وقت واحد ، الاقتصاد فى استهلاك « الذخيرة المحدودة » وضمان دقة الاصابة .

* والمدهش أن هذا الأمر ينطوى على قاعدة يعرفها العسكريون اليوم ويسمونها (كبت النيران) فى الدفاع ، فالرصاص الذى تطلقه البندقية الحديثة يمكن أن يصل الى مدى ١٠٠٠ ياردة على الأقل ، لكن أصول الرمى فى الدفاع تقضى بأن « يحبس » المدافعون نيران بنادقهم الى أن يصل العدو المهاجم الى مسافة ٢٠٠ ياردة ــ أو ربما أقل ــ من مواقعهم ، فيطلقون رصاصهم ، وذلك حتى يضمنوا دقة الاصابة مع الاقتصاد فى استهلاك الذخيرة فى الوقت نفسه .. ويكون فى ذلك تطبيق لمبدأ « الاقتصاد فى القوى وتحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية وبأقل التكاليف » وهو من أهم مبادىء علم

الادارة عامة ، والعلم العسكرى وفن الحرب بخاصة .

* وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد ذلك ، فقد ورد فى شرح القسطلانى جـ ٥ ص ٩٤ وعيون الأخبار جـ ١ ص ١٠٧ ما يلى :

« ان العدو اذا زحف ، أمهله رماة المسلمين حتى يكون فى متناول السهام ، ثم أمطروه بوابل من سهامهم وهم جاثون على ركبهم جماعات جماعات ، بحيث تخرج سهامهم مجتمعة كأنها صادرة عن قوس واحدة » .

خامسا ــ الاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو :

* ومن مقومات النصر على العدو المتفوق فى توجيهات الاسلام أن يسعى المسلمون الى احداث الخلل والاضطراب فى التوازن النفسى والمادى للعدو ، وقد أجمع رجال الاستراتيجية العسكرية على أن ذلك من أقوى أسباب النصر ، وهم يحللون الآثار المادية والمعنوية للاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو فيما يلى (١) : ــ

١ ــ احداث انطباع مفاجىء فى أذهان القادة بأنهم يواجهون موقفا سيئا .

٢ ــ فرض حالة من التشتت والتمزق النفسى تنبع من احساس قادة العدو بوقوعهم فى « فخ » يصعب التخلص منه .

٣ ــ خلق الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة الطرف الآخر .

وفى التاريخ أمثلة كثيرة لقوات أو شعوب محدودة الموارد والقوة تمكنت من قهر قوى أكبر منها ومتفوقة عليها ، وحرمانها من تحقيق أهدافها فى العدوان ، وذلك بفضل نجاحها فى الاخلال بتوازنها النفسى والمادى ومن ذلك حروب التحرير المختلفة .

* وفى بدر استطاع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ افقاد أعدائه توازنهم النفسى والمادى من خلال عدة أمور نذكر منها ما يلى :ــ

١ ــ اصابة العدو بالصدمة النفسية من اللحظة الأولى :

ففى مرحلة المبارزة التى سبقت المعركة ــ كما كانت عادة العرب فى ذلك الوقت ــ حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن « يختار » ذوى الكفاءة العالية فى القتال والمبارزة ، ومن يتصفون بالشجاعة الفائقة ، وذلك ليكون نجاحهم على رجالات قريش وصناديدها أكيدا (٢) .

---

(١) ذكر الخبير الحربى ، ليدل هارت ، فى كتابه عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر ما يلى : « يثبتنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، ان الاخلال بتوازن العدو نفسيا وماديا هو المقدمة التى لا محيص منها للقضاء عليه » .

(٢) فى البداية خرج للمبارزة فتية من الأنصار، لكن الرسول أعادهم ومن بدلهم عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ــ رضى الله عنهم ــ .

وقد تحقق له صلوات الله وسلامه عليه ما أراد ، فقد قتل مبارزو قريش جميعا (عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة) فكان ذلك بالنسبة لقريش بداية سيئة صدمتهم وهزت معنوياتهم « قبل » أن تبدأ المعركة الفعلية ، فضلا عن ماله من أثر فى رفع معنويات المسلمين .

٢ ــ المباغتة بأسلوب جديد فى القتال :

ان مفهوم المباغتة فى العلم العسكرى هو « احداث موقف لا يكون العدو مستعدا له » .

وللمباغتة : آثار مادية ومعنوية تزعزع الكفاءة القتالية للجيش الذى يتعرض لها ، وتتخذ المباغتة أشكالا متعددة ، فقد تكون فى « وقت » الهجوم أو « مكانه » وقد تكون فى « الأسلوب » وهو ما فعله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة بدر ، بالقتال بأسلوب الصف ، وهو ما لم تتوقعه قريش التى كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر ، فكان للمباغتة أثرها على نتائج المعركة .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بالدرس الذى يعلمنا اياه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو أن التغيير والتطوير فى الأسلوب ، آية من آيات القيادة الفذة التى لا تجمد فكرها على الأساليب المعروفة أو الموروثة ، بل تبحث دائما عن الجديد وعن الأفضل .

وفى هذا يقول ونترنجهام فى كتابه (الأسلحة والتكتيكات) :

« ان بعض الجماعات الانسانية بطيئة التغير ، وهى تنتظم على سنن فحواها أن التغيير لا ينبغى ، وأن العادات المأثورة كلها حسنة قويمة ، وأن كل ما يعمل الآن ، خليق أن يعمل كما قد عمل منذ أزمان ، فاذا برزت جماعات من هذا القبيل للقتال ، برزت وفى رءوس قوادها وجنودها فكرة عتيقة عن الحرب وحقيقتها ولم يغيروا خططهم وآراءهم للانتفاع بسلاح جديد أو معرفة جديدة ، ورسخت عندهم أصول رجعية للحرب ، أو لم تكن لهم فيها أصول على الاطلاق ، ولكنهم يمضون بحكم العادة وفاقا للترتيب الذى وضع منذ عهد بعيد ، **وان هذه الجماعات لتخرج جيوشا ليس أسهل من تحطيمها بجيوش الأمم التى يسهل عليها اتخاذ الأساليب الجديدة ومواجهة الغير والطوارىء** » .

٢ ــ تكبيد العدو أكبر الخسائر فى أقصر وقت :

وهو أمر يتحقق بالتأكيد نتيجة اتباع تعليمات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فتأخير قذف السهام ، وضمان التصويب الدقيق يحققان نتائج باهرة وهى الا يطيش من سهام المسلمين سهم ، بل يكون كل سهم برجل ، كما أن سيطرة القائد المحكمة على الرمى من حيث التوقيت ، تؤدى الى انطلاق السهام « بأكبر حشد » كأنها صادرة عن قوس واحدة وفى لحظة واحدة تقريبا .

كل ذلك يؤدى بلا شك الى تساقط أعداد كبيرة من العدو صرعى فى أقصر وقت .. ومن اليسير علينا أن نتصور ما لذلك من وقع على

توازن العدو النفسى ، وخاصة أنه جاء الى المعركة مزهوا بقوته وبتفوقه الساحق والظاهر .

ويجمع خبراء الحرب على أن تكبيد العدو خسائر كبيرة فى وقت قصير يشكل ضربة مدمرة لتوازنه النفسى » .

يقول شارنهورست فى كتابه (التكتيك) : « ان عشرة رجال » « يسقطون معا » فى ميدان المعركة ، يجبرون فوجا (أى حوالى الف جندى) على التراجع بصورة مؤكدة ، أكثر من خمسين جريحا يسقطون « تدريجيا » فى أماكن مختلفة » .

٤ ــ اصطياد قادة العدو :

فى أثناء المعركة أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض المسلمين بتوجيه كل همهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم ، (وهو ما يعرف بأعمال القناصة) لكى تحدث بقتلهم صدمة وارتباك فى صفوف الأعداء .

واذا كانت القاعدة الحديثة فى اختيار القناصة هى توفر المهارة فى الرماية ودقة الملاحظة ، فان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أضاف الى ذلك عاملا جديدا هو « الدافع الذاتى » الذى هو أقوى الدوافع ، فقد اختار بلالا لاصطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن فى تعذيبه بسبب اعتناقه الاسلام فى أيام ظهوره ، فكان يأخذه الى الصحراء فى القيظ ويضجعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن اسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قولته المشهورة « أحد أحد » ، وكذلك اختار الرسول ابن الصفراء لقتل أبى جهل لمثل ذلك .

٥ ــ سيطرة المسلمين على الماء :

ولقد كسب المسلمون قبل أن تبدأ المعركة « نقطة تفوق » على عدوهم باتخاذهم موقعا يسيطر على الماء ، وهو أمر بالغ الأهمية فى حروب الصحراء ، ثم ان من أهم ما يسعى اليه القائد المحنك ، أن يجر عدوه الى الدخول معه فى معركة فوق أرض من اختياره هو ، وبذلك يوقعه فى حالة من التشتت والتمزق النفسى .

وقد عبر عن هذه الحالة اندفاع الأسود ابن عبد الأسد وهجومه على الحوض الذى بناه المسلمون على بئر بدر وهو يقول : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !!

وبعد فلقد كانت بدر ميدانا عمليا لظهور النظرية الاسلامية فى النصر على عدو متفوق ، ومقومات النصر بمقاييس الاسلام ، فاثبت لنا الرسول القائد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن القوة المحدودة الموارد والقدرات تستطيع بقوة الايمان والعقيدة الراسخة مع الادارة العلمية والتخطيط الجيد أن تقهر القوة المتفوقة عليها والتى تفتقر الى هذه المقومات .

(تم البحث)

شعر وشاعر

محمد اقبال

الفتح الأكبر

محمد فضل اسماعيل

طرائف

شاعر الإسلام

محمد إقبال

- ٣ -

فيلسوف الاسلام ، ضوات مغناه ، وجددت بالسنا الآمالا

وعلى دربه حديث الحيارى وفتحت الأبواب والاقفالا

وجلوت الفكر المغبر حتى عاد كالسيف جلوة وصقالا

راعك المسلمون حين اضاعوا المجد لما تقطعوا اوصالا

طوردوا كالجراد فى كل ارض بعد عز ، وعانوا الاذلالا

اين ايام باسهم فزع الدنيا صداه ، فاجفلت اجفالا ؟

وخطاهم قد رجت الارض رجفا : قدسيا ، فزلزلت زلزالا ؟

وهتاف مجلجل ضج بالتكبير فتحا وللسماء تعالى ؟

كم الى الاتحاد ناديت لما لم تجد كالشتات داء عضالا (1)

ودعاء التوحيد فى أذن الشرق أذان تشدو به اهلالا

ضج فى سمعهم فاصغوا خشوعا وراوا فيك من جديد (بلالا)

اى دنيا لمن يضيع دينا وبه تبلغ النفوس الكمالا ؟

---

(1) كان اقبال يدعو الى الاتحاد ، ويرى أن التوحيد وسيلة الوحدة والقوة ، وفى ظلاله يستوى الناس ، وبه تتحقق الآمال .

للدكتور حسن جاد

يستوى الكل فيه سودا وبيضا ... لا عبيدا وسادة أقيالا
اخوة فى الحقوق مهما تناءوا ... عنصرا أو تباينوا أشكالا

وهو الله فوق كل البرايا ... واحد جل قدرة ومحالا
وسع الخلق رحمة منه عمت ... كل شىء ، وقدر الآجالا

ما على المسلمين لو وحدوا الصف فنالوا المنى وراضوا المحالا ؟
واستردوا بالاتحاد المرجى ... وطنا غالنا ، ومجدا مدالا

ينعب اليوم فى حمى المسجد الأقصى ، وفى القدس مندبات الثكالى
والقداسات دنستها خطا الرجس هوانا ، وأوطأتها النعالا

وكأن المآذن الشم أيد ... ضارعات شكاية وسؤالا
معولات وما لهن مصيخ ... ليت شعرى من يسمع الأعوالا
عصبة فى الحمى تعيث ذئابا ... وعلى أرضه تدب صلالا

شاعر الحق والجمال رأيت الشعر حقا وقوة وجمالا
وصلاة روحية تتسامى ... ليس بالشعر ما يكون ابتذالا

انما الشعر نفحة من عبير الروح تهفو قداسة وجلالا
وسمو يرقى الى الله بالشاعر حتى يدنيه منه اتصالا

شاعر الخلد كم صبوت اليه ... فاغنم الخلد منزلا ومآلا

الفتح الأكبر

اذهبوا فأنتم الطلقاء "الرسول الكريم"

يوم اغر ومهرجان مشرق ... ضاح عليه من الجلالة رونق
الأرض فيه والسماء ازدانتا ... بأجل ما يهب الربيع ويغدق

واهتزت الصحراء فهي خميلة ... تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
فى كل صبح نظرة حلم يرى ... ومنى تتاح وفرحة تترقرق

والغار والجبل المقدس شاقه ... نور على نور السما يتالق ...
والبيت ذو الأستار يهفو فرحة ... حتى يكاد من التشوق ينطق

والروح يدنو والملائك تلتقى ... زمرا على ركب النبى تحلق

أم المدائن لم اقل ام القرى ... « بغداد » تعرف ما أقول «وجلق»

منك استمد الغرب اشعاع الهدى ... وطوى الضلوع على سناك المشرق

لولاك فى الصحراء ظلت قفرة ... تودى باعمار الرجال وتحرق

ارايت كيف اعتز من عرف الهدى ... وهوى فالصق بالتراب الاحمق

اين الجبابر فى رحابك ؟ راعهم ... صدق النذير فآمنوا ؟ أم اشفقوا ؟

للأستاذ عبد العليم القباني

صفر الوجوه عليهم سمة الأسى ... والذل تعتصر الوجوه وترهق

عاد الرسول اليك يزجى فيلقا ... تعنو لعزته الجبال وتطرق

بيمينه من وحى ربك معجز ... اعيا البيان ، وحار فيه المنطق

دانت لدعوته العقول فاشرقت ... والليل يجلوه الصباح فيشرق

يوم النبوة لو شهدت جلاله ... لدرت عيون الشعر كيف تنسق

والجاهلية فى التراب مهانة ... ترنو الى الق السيوف وتفرق

وجنودها بالقاع بين مصفد ... ترب الرداء ، ومطلق يتملق

حتى اذا اشاق الرجاء وزلزلت ... الباب قوم واستبيح المغلق

وبدا الفضاء لهم كان صفاءه ... جدران سجن تشمخر وتطبق

طلع الرسول فثبتت ابصارهم ... لا تستبين سواء فيما ترمق

واذ الرسول يطل من عليائه ... ويقول والمهج الخواشع تخفق

« ماذا ترون اليوم انى فاعل ... بكم » وكلكم امرء موثق

« قالوا الكريم ابن الكريم » اجل من ... ان يستبد به الخصام فيحنق

« قال اذهبوا » جمعا فان شمائلى ... تأبى مؤاخذة السفيه وتسمق

من أبناء عبقر

عبد الحليم القباني في ديوانه "لله وللرسول"

"العزف على الوتر الأخير"

- ١ -

نبت هذا الشاعر في عمق أعماق الشعب، ودرج بين ظهرانيه، فشرب من منابعه، وصدر عن آماله وآلامه، وشق طريقه بين الوعور وصلد الصخور، ليصبح واحدا من أكبر شعرائنا المعاصرين، الذين أثروا حركة الشعر العربي الحديث، بإضافات خصبة أصيلة .. وعلى الرغم من ذلك لم نقرأ عنه بعد الدراسة المستوعبة التي تلم بشتى جوانبه ومناحيه، وما قدم للمكتبة العربية من مؤلفات قيمة عديدة، في الشعر والأدب والسير .

ويرجع تاريخ ميلاده الأدبي الفعلي، الى مهرجان الفنون والآداب الكبير، الذي أقيم بدار الأوبرا عام ١٩٤٨، للاشادة بالفائزين في المباريات العديدة التي أجريت بين شباب مصر، في الشعر والزجل والخطابة والقصة القصيرة والتمثيليات الاذاعية، والتصوير والنحت والأشغال الزخرفية الخ .. وكشف هذا المهرجان عن أدباء وشعراء موهوبين، يقبعون في الظل، في انتظار الفرصة الملائمة للذيوع والانتشار.

وكان «عبد الحليم محمد القباني» الترزي العربي بـ «باب سدرة» بالاسكندرية، هو الفائز الأول بجائزة الشعر، بقصائده الأربع التي تقدم بها لهذا المهرجان واختير منها ثلاث قصائد، واستبعدت القصيدة الرابعة، التي كانت أشبه ما تكون بإرهاص أو تنبؤ، بثورة يوليو، التي قامت بعد ذلك بأربع سنوات، عام ١٩٥٢، وفيها يقول :

اخشى على الشرق المسالم ثورة
شماء تعصف بالبناء وتحدق
انى لالمح في الرماد وميضها
وتكاد السنة الحوادث تنطق

وكان هذا العام — عام ١٩٤٨ — قد شهد حرب فلسطين، وما حفلت به من أحداث جسام، مثل قضية الأسلحة الفاسدة وغيرها .

بقلم أحمد مصطفى حافظ

اما الفائز الثانى بهذه الجائزة فكان الشاعر « كمال النجمى » ـ رئيس تحرير مجلة الهلال حاليا ـ عن قصيدة بعنوان : (سراب) .. وفاز بالجائزة الثالثة الشاعر الريفى « عبد المنعم قنديل » الذى كان يقيم ببلدة « أبو طوالة » ، من اعمال مركز منيا القمح .

المنابع الرائدة :

وكان ميلاد شاعرنا عبد العليم القبانى بقرية (مطوبس) بمحافظة كفر الشيخ فى اليوم الثانى من شهر أغسطس عام ١٩١٨ ، وانتقل مع والده ، الذى كان يعمل خياطا بلديا ، الى الاسكندرية سنة ١٩٢٢ ، لأن أغلب فروع العائلة كان مقيما بالاسكندرية منذ زهاء قرن ونصف من الزمان .

وفى سن السابعة ادخله والده احد « الكتاتيب » ، حيث تعلم مبادىء القراءة والكتابة ، وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم . وحين بلغ العاشرة أخرجه والده من (الكتاب) ، وضمه اليه ، ليعمل صبيا فى دكان الخياطة .. وكان والده يحب الاستماع الى سيرة عنترة العبسى ، وهى مليئة بالشعر الحماسى الذى يتخلل صفحاتها ، وهى تقع فى خمسين جزءا .. وجاء وقت كلف الوالد نجله عبد العليم بالقراءة له فيها .. واستوقف نظر عبد العليم وسمعه هذه الترنيمات والايقاعات ذات القافية المتواترة والنغم الرتيب ، التى يسمونها : شعرا .. فتعلق بها فؤاده ، ووجد صدى عميقا لها فى أعماق وجدانه .

وكان عبد العليم أكبر أبناء والده ، وله أخ واحد وأختان .. وعلى الرغم من أن أخاه هذا لم يتخرج من مدرسة أو معهد عال ، الا أنه كان ذا موهبة كبيرة فى الرسم ، جعلت الكثير من المعارض فى أمريكا وفرنسا تقتنى لوحاته وتحتفل بها بعد ذلك ، أى أن (عبد العليم) كان يرسم بالكلمة ، وكان شقيقه الأصغر (محمد) يرسم بالقلم والفرشاة والطباشير .. وكان فارق السن بينهما ـ وقدره ثمانية أعوام ـ سببا فى افلات (محمد) من براثن الخياطة .. ليس لاستكمال العلم بالمدرسة الأولية ، وانما للالتحاق بشركة الغزل الأهلية ، التى استمر فى العمل بها حتى سوى معاشه منها فى سن الثانية والخمسين ، ليخلص للفن ، الذى حلق فيه وأجاد ، وكانت آخر

من أبناء عبقر

وظيفة له بشركة الغزل هى وظيفة (كبير مصممى نقوش الأقمشة) .. وله شهرة عالمية فى هذا المجال بأوربا وأمريكا ، حيث توجد مقتنيات من أعماله بها ، وأقام الكثير من المعارض بقصور الثقافة ومعهد (جوتة) بالاسكندرية والقاهرة .

ونرجع الى شاعرنا ، لنعلم أن رواد محل الخياطة كانوا من المشايخ الذين يتلون كتاب الله فى المحافل ، ومن طلبة وأساتذة المعهد الدينى بالاسكندرية ، ومن ثم أفاد الصبى من احتكاكه وتعامله مع هؤلاء الطلبة والأساتذة والمشايخ ، ومن هذا المنبع الدينى الثر ، ثلبت الفصحى على تعبيره ونتاجه ، والا فقد كان من المنتظر أن يصبح زجالا ، خاصة وأنه كان قد نظم قليلا من الأزجال الاجتماعية فى بدايته .

وفى هذه الأثناء ، لفت نظر : (مأذون الحى) ، وكان يحمل عالمية الأزهر ، واسمه الشيخ (أحمد البصار) ، وكان هذا المأذون يقرض الشعر ، وذا بصر وباع طويل فيه ولهذا رحب بانتاج الصبى الصاعد ، وأخذ يرشده الى السبيل السوى لتجنب بعض المآخذ .. وكان فضل هذا الرجل كبيرا على شاعرنا ، اذ كان نقده له موضوعيا .

ولعل من أحسن توجيهاته له ، قوله : « اننى أريد أن يكون شعرك وجدانيا أصيلا ، بحيث لو ترجم الى لغة أخرى ، لما فقد شيئا من مضمونه الشعرى .. » .

وكانت طريقته فى النقد فذة حقا ، اذ يدع الصبى الشاعر يلقى قصيدته أمامه ، واذا جاء بيت ليس كما يجب أن يكون ، استوقفه ليسأله عن معناه ، ولا يزال يسأله ، حتى تبدو ركاكته، للأذن وعين الشاعر نفسه ، دون أن يوجه اليه لوما مباشرا ، أو عتابا قارصا .. واعتاد الشاعر عبد العليم ، أن يقرأ عليه القصيدة ، بعد ذلك ، حتى اذا أحس أن بيتا ما يلوح ضعيفا فى السياق ، تخطاه من تلقاء نفسه ، ويحس الشيخ — المأذون — أن عبد العليم قد تخطى شيئا .. فيحمد انه قد أدرك الأمر بنفسه . ولكنه كان يقول : « كنت أود لو أنك وفقت الى الا تشعرنى بأنك تخطيت أى شىء .. » ومن هنا كان الأساس لوحدة القصيدة عند عبد العليم القبانى : هذه الوحدة التى تبدو متلاحمة متماسكة تماما فى شعره . ولعل ابرز ما يكون ذلك فى قصيدته (الله والعقل) بآخر دواوينه : (لله وللرسول) ، التى يضيف بها بعدا جديدا لما أورده الكاتب الكبير « مصطفى محمود » بكتابه (حوار مع صديقى الملحد) .. وذلك ان أحد الأشخاص ، كما يقول القبانى فى مقدمة القصيدة ، أراد أن يدرك ذات الله سبحانه وتعالى .. فكانت هذه الأبيات :

سعى ليدرك ذات الله عن كثب
فاوغل السير فى سهل وفى جبل
حتى اذا لم يجد فى بحثه املا
واوشك العقل أن يختل من كلل
راى غلاما بشط البحر مشتغلا
بحفر بئر .. بلا ياس ولا ملل

فقال : ويحك ، مـاذا تبتغى ؟ فـرنا
اليـه فى ثقـة كبـرى ، وفى امـل
وقـال : انى اريـد البحـر انقلـه
لهذه البئر .. هلا زدت فى عملى ؟
فقال : ويحك هـذا البحـر تنقلـه
لهذه البئر ؟ هـذا منتهى الخبـل
فقال : حسبك يا من جئت ترشـدنى
لقد تماديت فى لومى وفى جـدلى
أ أنت اكبر .. ام رب الوجود ، مدى
حتى ترى نقله .. فى راسك الثمل ؟؟

هذا وان كان قد ورد فى الحديث القدسى ، قوله تعالى :

« لم تسـعنى سـمائى ولا ارضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن (١) » .

اهم الروافـد :

وقد تأثر عبد العليم القبانى أول ما تـأثر بشعر الأقدمين ، وفى مقدمتهم عنتره العبسى ، من قراءاته المتكررة لسيرته كما تقـدم ، ثم تأثر بالمتنبى وشوقى وحـافظ ، من واقـع ما اهداه له المشايخ بالمعهد الدينى السكندرى، من دواوين .

ثم تأثر بأبى القاسم الشابى واليـاس أبى شبكة من قراءاته لمجلة (أبوللو) . وافتتن افتتانا كبيرا بعلى محمود طه ، كما يبـدو فى قصيدة : (ليالى البحيرة) . متأثرا بصـياغة قصيدة (الجندول) لعلى محمود طه .

هجرة جبرية :

وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية ، هاجر الى الريف بعد جحيم القنابـل التى صبتها الطائرات المغيرة على الاسكندرية ، واسـتقر بقرية (أبو مندور) ، ثم بقرية (مطوبس) ، مسقط رأسه ، حيث وصـف بعض حـالات ومشـاهد الريف ، وأثر الغـارات على الاسكندرية .

الشـاعر يلتقى بمجـده :

وفى منتصف ديسمبر سنة ١٩٤٧ م ، حينما اعلنت الادارة العامة للثقافة بوزارة (المعارف) عن المسابقة الأدبية والفنية التى تقدم ذكرها ، ظل عبد العليم القبانى ــ الذى لم يتجـاوز عمره الثلاثين عاما كشرط المسابقة ــ ظـل يرتقب النتيجة ، بعد تقدمه لهذه المسـابقة بأربع قصائد مختلفة الأغراض ، كما ذكرنا من قبل .. ويحسن أن نصف تفاصيل ما حـدث

●

---

(١) حديث : لم تسعنى سـمائى ولا ارضى .. الخ رقم ٢٢٥٦ .
ذكره العجلونى فى كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٣ طبع مكتبة التراث الاسلامى بلفظ : (ما وسعنى سمائى ولا ارضى ، ولكن وسعنى قلب عبـدى المؤمن) وقال : ذكره الغزالى فى الاحياء بلفظ : قال الله : لم يسعنى سمائى ولا ارضى ، ووسـعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع .. قال العراقى فى تخريجه لم ار له اصلا ووافقه تبعا للزركشى ، ثم قال العراقى : وفى حديث ابى عتبة عند الطبرانى بعد قوله : وآنية ربكم قلوب عباده الصـالحين ، واحبها اليه الينها وارقها . ا هـ .
وقال ابن تيمية : هو مذكور فى الاسرائيليات ، وليس له اسناد معروف عن النبى ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ ومعناه فى المقاصد تبعا لشيخه فى اللآلئ، ليس له اسناد معروف عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ا هـ « الباجورى » .

للقارىء ، ليدرك مدى طرافته .. فقد فوجىء الشاعر عبد العليم القباني قبيل الظهر من يوم الثلاثاء ــ الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٤٨ ــ بسيارة فخمة تقف أمام دكانه المتواضع ، وكان هو صاحب المحل في ذلك الوقت ، بعد وفاة والده سنة ١٩٤٢ وهبط من السيارة رجلان مهيبان ، وبعد أن تطلعا الى لافتة الدكان ، سأله أحدهما أن يدله على الشاعر « عبد العليم القباني » ، فلما أجابه بأنه هو .. عبد العليم القباني علت جبهتي الرجلين تقطيبة الدهشة .. بينما اتسعت نظراتهما ، لتضم الجلباب البلدى الذى يرتديه ، و « الكاكولا » التي يتدثر بها ، والمنضدة التي يقف وراءها ، وقطعة القماش التي لم يجر فيها المقص بعد .. وأجزاء من كتب وبقية من ورق أعد للكتابة .

وسأله أحدهما عما اذا كان قد اشترك في مسابقة وزارة المعارف ؟ فأجابه بالايجاب .

وأخرج الرجل القصائد ــ التي اشترك بها عبد العليم ــ من حافظته ، وسأله : ــ أهذه هي القصائد ؟ قال : نعم .

ثم وجه نظرهما الى أنه قد جمع بين أوراق القصائد بالابرة والخيط ، وليس بالدبابيس كالمعتاد ! .. وفي ذلك اشارة للمهنة التي أوضحها في كتابه ، وأنكروها عليه في اللجنة ، تلك اللجنة التي كانت مكونة من الأساطين : عباس محمود العقاد ، وابراهيم ناجى ، وعلى الجارم .. فشكوا في نسبة القصائد اليه (١) وقدم المندوبان نفسيهما له ، بأنهما : « محمد فريد أبو حديد ، مدير عام الادارة العامة للثقافة بوزارة (المعارف) ، وزميله الأستاذ عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب بالاسكندرية .

وأبدى الشاعر سروره الشديد بتشريفهما ولما كان الشاعر قد نشر بعض أعماله الشعرية في مجلة الثقافة ، التي كان يشرف عليها (أحمد أمين) و (فريد أبو حديد) في ذلك الوقت ، فقد ذكرهما بما نشر ..

وقد كانت ذاكرة الشاعر قوية جدا ، لدرجة أنه استعرض لأبى حديد ما علق بذاكرته من مقطوعات كاملة من ملحمة (سهراب ورستم)، التي ترجمها أبو حديد شعرا مرسلا ، عن « ماثيو أرنولد » ، ونشرها بمجلة الثقافة قبل ذلك بأعوام مضت .

وقد ترك هذا اللقاء انطباعا حسنا في نفس أبى حديد ، عبر عنه فيما بعد بقوله ، بالدراسة الملحقة بديوان : (بقايا سراب) للقباني : « أن القباني مثال للأديب الذى جردته الظروف من كل زخرف ومن كل بهرج ، ولا أظنه يأنف أو يغضب حين أقول هذا عنه وقد عرفت حينما تقدم ببعض شعره الى المهرجان الذى أقامته ادارة الثقافة سنة ١٩٤٨، وفاز بالجائزة الأولى ، وأرادت الوزارة أن تدعوه لحضور المهرجان ، فبحثت عنه طويلا ، حتى كادت تظن أنه اسم مجرد لا يدل على حقيقة ، وتطوعت أنا بالذهاب للبحث عنه ، حتى عثرت عليه آخر الأمر في أعماق أحد الأحياء الشعبية بالاسكندرية ، وكان أول ما طالعنى منه ، صفحة وجه متهلل، تشرق عليه ابتسامة رضا ، فوق صبغة من حمرة الخجل . كان وجهه يشى بأنه يجد في شعره

علاقة حياته ، وبأن كل ماق الحياة من مباهج ومن ثراء ومن مجد ، لا يعنى عنده شيئا الى جانب الصور التى يناجيها فى شعره ، والأحلام ذات الأضواء العجيبة ، التى ينقلها الى عالمه .. » (٢) .

وقام الشاعر بالقاء قصيدته الفائزة : (ليالى البحيرة) بدار (الأوبرا) بالقاهرة وتسلم الجائزة من عبد الرزاق السنهورى ، وزير المعارف فى هذا الوقت .

ومن عجب أن اللجنة عهدت فى أول الأمر بالقصيدة الى الفائز الأول فى التمثيل ، فالفائز الأول فى الخطابة ، ثم .. الى الشاعر عبد العليم القبانى نفسه وبعد استعراض الالقاء لدى الثلاثة ، اختارت الشاعر عبد العليم لأنه كان أكثر احساسا بمعانى الكلمات ، وبالتالى .. لتجسيدها بالصوت الملائم والنبرة المعبرة . ولعل من أستاذية فريد أبو حديد وأبوته الصادقة أن حاول بث الثقة فى نفس الشاعر بشتى الوسائل لاسيما أن هذه هى المرة الأولى بالنسبة له ، التى يواجه فيها جمهورا عريضا من هذا الطراز ، ذى المستوى الرفيع . كان يقول أبو حديد للشاعر : ــ لاتهمك هذه الرءوس العالية التى تراها ، لأنها لأناس مثلى ومثلك ، رفعتهم الظروف .. » بل لعل أبا حديد كان يحاول اضحاكه ، حين استطرد قائلا بسخرية خفيفة : « لا تخيفك هذه الرءوس لتجمعها ، فليس بينها وبين رءوس الحجاج ، الا أنها لم تجد (حجاجها) بعد ! .

وقام الشاعر ــ بزيه البلدى ــ بالقاء قصيدته واستقبله الجمهور استقبالا حافلا ، لم يتخيله قط ، وكانت اذاعة القاهرة تنقل هذه الاذاعة على الهواء مباشرة .

وعاد الشاعر الى الاسكندرية وقد تفتحت آفاقه ، وارتفعت معنوياته ، وانطلق الى عالم الشعر الرحيب بكل ما يملك من طاقة .. وكان أبو حديد قد وعده باهداء مؤلفاته اليه ، عندما لم يجد كتبا بالقدر الكافى عنده .. ومرت عشرة أيام ، بعث الشاعر الى أبى حديد بعدها بأبيات يقول فيها :

أوليتنى منن الكريم وزدتنى
شرفا ، وانبعت الجميل جميلا
وجعلتنى فى كل ناد غنوة
تشدو بفضلك بكرة وأصيلا
وأنا ابن عطفك .. لو كشفت جوانحى
لوجدت رسمك فى الفؤاد دليلا
أحييت آمالى .. وكنت وأدتها
وبعثتها ظلا على ظليلا
ووعدتنى الكتب الحسان .. فهل ترى
وجد السلو لما وعدت سبيلا ؟!

الى آخر القصيدة .. فكان أن أرسل أبو حديد الى الشاعر عشرة كتب من مؤلفاته .

وكان من صدى حصول الشاعر على الجائزة الأولى للشعر ، قول الدكتور عبد اللطيف حمزة تعقيبا على ذلك :

« عجب الناس فى مصر ، حين حملت اليهم الصحف نبأ الجائزة التى فاز بها فى الشعر أحد سكان الاسكندرية ، وهو ترزى بلدى ، وذهب اليه مدير عام الثقافة بوزارة المعارف يهنئه ويتعرف عليه ، أما نحن فلم نعجب لهذا النبأ ، لاعتقادنا ان الشعر مخلوق ديمقراطى .»

واختتم الدكتور حمزة مقاله ، بقوله « ولعل هذا المقال أن يكون تحية لفتى الاسكندرية الشاعر . »

طرائف

مفاتيح خير

مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح الاجابة الدعاء .

المرأة المسلمة

اهدى احد ابناء اسماء بنت ابى بكر — رضى الله عنها — لها ثيابا رقاقا — ، وكانت قد عميت — فلما لمستها ردتها .

فقال لها ابنها : انها لا تشف ! .

فقالت : ان لم تشف فانها تصف ! .

غريب

قال الشاعر :

غريب الدار ليس له صديق
جميع سؤاله : اين الطريق ؟
تعلق بالسؤال لكل شيء
كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتى
على حالاته سعة وضيق

« حقا »

افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه .

متنبئ

لما ادعى المختار بن ابى عبيد الثقفى نزول الوحى عليه فى آخر زمان الصحابة قيل لابن عباس :

— ان المختار يزعم أنه يوحى اليه .

فقال حبر الأمة :

— صدق

فقالوا : وكيف ذلك ؟

فقال : قال الله تعالى :

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم .

قالوا في العلم

* رتبة العلم أعلى الرتب .
* ردع الغضب بالحلم ثمرة العلم .
* دليل عقل المرء فعله ، ودليل علمه قوله .
* العلم وطن في الغربة ، والجهل غربة في الوطن .

وقال ابن قتيبة : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

وقال بعض الحكماء لابنه : خذ العلم من أفواه الرجال فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون .

قال الشاعر :

العلم يحيي قلوب الميتين كما
تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلي سواد الظلمة القمر

هل تعلم ؟

* أن أول من اغتاب ابليس اغتاب سيدنا آدم — عليه السلام — بقوله : « **خلقته من طين** » قاله على سبيل التعبير .
* وأن أول كلمة قالها سيدنا ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — حين ألقي في النار « **حسبي الله ونعم الوكيل** » .

وجرت كالمثل عند نزول المحن .

* وأن أول من بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — فانه بعد الصحابة أول الأبرار ، وعلى رأس المائة الثانية المأمون بن هارون الرشيد ، وكان أعلم الخلفاء العباسيين .

دعاء

يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه الحاح الملحين ، أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك .

محمد فضل اسماعيل

عندما يهل فصل الصيف على القاهرة ، حاملا معه تلك الحرارة المشبعة بالرطوبة ، فتطفىء النفس بالخمول والكسل ، ويخترق اعصابنا « فيروس » الملل هذا العدو الأكبر للفنان ... عندما يأتى الصيف بنهاره الطويل ، باعثا فينا مشاعر الكآبة والوحشة.. تمر بنا ساعات مديدة يحس الفرد منا بضرورة قطعى فى التسلية والترفيه عن النفس ، بعمل آخر غير أعماله اليومية الرتيبة وقد يكون الفرد رب أسرة له من الأبناء ما يشغل فراغ وقته ولكن المثل يقول « لكل جديد زهوة » .

فى هذه الساعات المملة ، يتوق الانسان الى الخروج من حيز نفسه ومجال تفكيره لينطلق . ولكن الى أين ؟ . والشارع خال الا من الوجوه العابسة الغارقة فى عرقها الكادح .

الى أين والشارع يكلف النفس فوق طاقتها من ملبس ثقيل وحرارة جو أثقل . عندئذ تستهوى الانسان فكرة . فينهض من مقعده خفيفا ، نافضا عنه أعباء ملله ثم يدق باب الشقة المجاورة حيث يفتح له جاره الباب على مصراعيه ، مستقبلا اياه بالبشاشة والترحاب ، وحيث يلتف حوله أبناء الجار من كل سن وجنس ، يصيحون ، ويصرخون ، ويضحكون ويتسابقون نحوه ، فيهرع الزائر الى ضم هذا وتقبيل ذاك والربت على كتف هذه وعناق تلك .

وتمر الساعة بل الساعات ، ويعود الزائر الى شقته وقد نسى ملله واكتسب قوة جديدة يدفع بها عن نفسه جبروت ساعة أخرى مملة وهكذا الشاعر مع الشاعر فهما جاران متجاوران فى المبنى الواحد ... يحس كل منهما بحنين واحتياج الى زيارة الاخر ، والجلوس معه ، والتحدث اليه فى غير ما كلفة أو حرج .

وهذا ما فعلته أنا ، حين طرقت الباب الكبير لديوان شاعر وادى النيل الراحل محمد فضل اسماعيل ، رحبت بأبنائه القصائد ورحبوا هم بى ، عانقتهم فى حب واعزاز فالتفوا حولى وقضيت معهم ومع أبيهم أمسية رائعة قل أن يظفر بها « فنان أو يصادفها شاعر ، أجل قضيت هذه الأمسية فى شقة هذا الجار الكريم ، قدم لى كأس أشعاره الصافية



المحتفة ، فاذا بى أحلق معه بجناحى الضعيفين فى أرجاء فضائه الواسع .

واذا بى أحث الخطى خلفه فى دروب حياته المليئة بالزهور والأشواك جذبتنى خطواته الجريئة نحو كهوف مغاراته وهزنى مجدافه القوى الراقص فوق أمواج سبحاته حتى اذا ما أفقت وعدت الى نفسى وجدتنى وقد ملأت ساعاتى الموحشة التى تتخلل حياتى ، ملأتها بأجمل ما يوحى الى النفس بالبهجة والغبطة وبأعمق ما يشحن العقل بالمعرفة والخبرة ..وبأدق وأشف ما يبعث فى القلب من أحاسيس وذكريات وهكذا تحديت الملل .
وتلك هى رسالة الشاعر فى الحياة ، وبالها من رسالة ، فالشاعر الأصيل هو الذى يمنح قارئه من القوة ما يدفعه الى مصارعة أحداث زمانه ومن النور ما يجلو به دياجير مكانه ومن المشاعر النقية العارمة ما يغسل بها صدأ وجدانه .

ان الشاعر الأصيل يبلغ أسمى درجات **الانسانية الشماء فهو قبل أن يولد قد** وشحته الأقدار وعندما ولد كلل النور جبينه وأحرقت النار مهجته فهو فى بعض أبيات قصيدتى « أغنية شاعر »

أنا من عشت ظمآنا وليس لغلتى منقع
وهذى الكأس كأسكمو بكل هوى الدنى تترع
قذفت بها وراء الظهر فارغة ولم أشبع
فخمرى من دنى أخرى ونورى من سنا أبدع
وخلف جبينى المحموم كون آخر أوسع

ان الشاعر الأصيل يمتلك الدنيا بأسرها ، يصنع بها ومنها ما يشاء حتى اذا جاءها ليحقق لنفسه حلمه المنتظر وجدها وهما وسرابا ..

أنا كم غرست النور والآمال فى قلب الشجر
وأقمت أفراح النجوم لكى يباركها القمر
وخطبت أسراب الرياح والعاشقات الى المطر
أنا كم زففت الكلمة النشوى الى حضن الوتر
وفشلت حين أردت أن أحظى بحلمى المنتظر

تلك هى اذن رسالة الشاعر ، يظمأ ليروى ويملك ليعطى ويرسل من خلال نافذته

محمد فضل اسماعيل

الواسعة المطلة على جناته نسمات روحه الرطبية حينا والدفيئة أحيانا يرسلها الى اللاجئين والمقرورين فى كل صيف وشتاء وهكذا فعل شاعرنا الراحل محمد فضل اسماعيل . كان شاعرا بمعنى الكلمة حياته ، حركاته ، تصرفاته ، تمرده وعصيانه ، فأما حياته فقد تجلت واضحة صادقة من خلال قصائده المشحونة بالانفعال السائد سواء كانت تلك القصائد دينية أم وطنية ، مثال ذلك فى قصيدة « أبا الزهراء » .

أبا الزهراء ان الأرض ضاقت
وصار الرأى فيها للجبان
ودب اليأس فى كل النواحى
وخيم فوقها شبح الهوان

واصبح كل ذى حق غريبا
من الدنيا .. يعانى ما يعانى

سلاسة فى اللغة وجمال فى التعبير مع وضوح فى المعنى وموسيقى متغمة .. كل ذلك مع انفعال قلبى صادق .

وأما الوطنية الحماسية ففى قصيدته « لا تيأسوا » .

ما الفرق بين المرء يصبح جاهلا
غرا .. وبين خصائل الحيوان
المجد كل المجد أن تتقدموا
الشر كل الشر فى التوانى

وأما تصرفاته الشخصية فقد أوفاها الشاعر والصديق الحميم لصاحب الديوان الأستاذ أحمد مصطفى حافظ حقها فى الديوان ونحن نراها أو نرى بعضا منها فى قصائد الحرمان حين يعجز عن تحقيق مآربه الخاصة فيقول وقد بلغ سن التقاعد .

أموت على المكاتب كل يوم
فكيف اليوم افزع من فراشى
كسبت لقيمتى ستين عاما
كما كسبت لقيمتها « المواشى »

وأما عصيانه وتمرده على أوضاعه فى ظروف معينة معروفة فقد حولها الشاعر الى دعابات ونكات وتلك هى طبيعة الانسان المصرى السودانى حين يلم به ظلم ويحوق به هوان ، ولأنه شاعر قدير فقد أبدع فى نظم هذا النوع من القصائد مثل « مجهل لا مدرس» و « الى طفيلى » او « الى دعى » وهى عامة قصائد تنم عن اعتداد بالنفس وكبرياء وشامخة كل الشموخ .. أبية كل الاباء ، فمن أين اكتسب شاعرنا الجليل محمد فضل اسماعيل هذا الشمم النبيل ؟ وهذه النفس المنطلقة التى لا تحدها حدود ، من أين اكتسب هذه الروح الفنية المغامرة التى تهزأ بالالم وتسخر بالأحداث ؟ من أين اكتسب حب الفروسية وحمل السلاح ؟ ربما ورثها عن أجداده الفراعنة القدامى .. أو ربما عن آبائه السودانيين العظام ، ربما كان « هذا وذاك .. فهو رغم وجوده بمصر أكثر من نصف عمره لم ينس قط وطنه الأول ومغانى صباه فى السودان حين يقول .

منابع النيل طالت فيك اشجانى
وطال للصحب فى واديك تحنانى
سقيتنى فى صباى الحب فامتزجت
بالحب نفسى ولم تنزع لسلوان

كم عشت فيك خلال الدور مغتبطا
وكم ظفرت بأحباب وخـــلان
الى ان يقول بقصيدته « السودان فى عجبــة المصور » .
ما لى اذا ذكر السوادن عــاودنى
طيب الحياة كأنى جد نشــوان
فكم نثرت شبابى فى خمــــائله
وكم نظمت بــه فى المهد الحــانى
سل الأحبة عن « حلفا » وجارتهـا
وسل رفاق الهوى فى « ام درمان»
وسل جزيرة « ارجو » وهى قائمة
فى منظر من جلال النيل فتـــان
وسل اذا شئت فى«العطبور» عن سفرى
وكيف كان لدى«الخرطوم» تحنانى
دور لعمرى لغير الطهر ما خلقت
يا بارك اللــه فى دور وسكـــان
سقيت فيها رحيق الحب من صغرى
وكنت فيها فتيا طوع ابــــانى
ويسترسل فى قصيدته تلك مصورا ذكريات صباه وشبابه بالســـودان التى يلقى جـامع الديوان ضـــوءا كاشــفا عليها حين يقــول فى مقدمته :

« طلب الشاعر اللحاق بالمدرسة الحربيــة فى القاهرة وهو فى السادسة عشرة مـــن عمره فلم يوفق لهذا الغرض ولكنه استطاع فى آخر الأمر أن يلتحق بالمدرسة الحربيــة بالخرطوم نظرا لأن والده من أبناء الســوادن ولما له مــن عمومة وأنساب فى شتى نواحى الســودان ، وكان الطالب العسكرى محمد فضل اسماعيل موضع اعجاب رفاقه وزملائه فهو شـــاعرهم ولســـانهم الصــادق فى ندواتهم ومجتمعاتهم الأمر الذى أثار حفيظه « قومندان » المدرسة « الكولونيل باتيسون » وقتئذ وألب عليه مدير المعارف السودانية « المستر كروفت » ووكيله المستر « سمبسون » حيث تقرر بعد سنة مــن لحاقه بتلك المدرسة فصله مــن ســلك طلبتها وابعاده عن موطن أبيه وأجداده فورا لماكان بيثه بين الطلاب ــ بقصائده الوطنية الحماسية من روح منافية لأوضاع الحكومة السودانية وقوانينها » .

ويظهر أيضا اباء شاعرنا الراحلواضحا جليا فى قصائده « الهيات » حين يخاطب الله عز وجل فى خشوع وصدق .
الهى انت تعــلم مـــا بنفسى
وتعــلم كــل خــافية بحسى
فمن عــن كــل مخلوق ابــائى
ورض نفسى عــلى ادب التــاسى
عــزيز انت فـاجعلنى عـــزيزا
اذا ما عشــت أو جــاورت رمسى
فلم ار غير بــابك مــن سـبيل
ولا لســواك قــد طاطات راسى
وعاش الشــــاعر محمــد فضل فى مصر . تتجاذبه مدينتان هما السويس والاسكندريـــة انهما الحبان الكبيران فى حياته وقد حمل لكل منهما أغلى الذكريات حيث يقول :
انـــــها الاسكندريـــة
هى مهـــــد العبقريـــة
وهى لــى دار واهــــل
وهى ذات الاريحيــــــه
ويمجد تاريخها .

محمد فضل اسماعيل

اسكندرية قلعة الثوار
ومدينة التاريخ والآثار

هى كعبة الحسن وهى خميلة
للفن حف باكرم الاسوار

فيها قضيت من الشباب ربيعه
وبعثت فى ليل الهوى اشعارى

انه يحبها كل الحب . غير ان الحنين يعود به الى السويس مدينته المفضلة وهو الذى نظم فيها ما يقرب من عشرين قصيدة فيقول مزهوا :

على السويس تطل الشمس والقمر
فالنور فى برها والبحر منتشر

وللقناة بها عيد يجدده
يوم بتاميمها ما كان ينتظر

وللسويس يد فى كل مزرعة
لا الزرع يجحد ما اسدت ولا الثمر

وللسياحة فى اطلالها عجب
عيون موسى وعند الشط لو خبروا

انه يتغنى بالسويس مرحا منطلقا فقد احبها الحب الذى جعله يذوب شوقا اليها ويبدع فيها أروع قصائده .

وصفوة القول . ان شعر محمد فضل تعبير خالص عن الوجدان الفردى للشاعر ، عن خلجات قلبه وأحاسيسه ، وهى فى الوقت نفسه تبدو قصائد وصفية موضوعية ، تعبر عن انطباعات النفس أمام الشكل الخارجى الواقعى العام ، فالشاعر لم يكن يوما منفصلا عن بيئته ووطنه وأخوته فى العروبة .

انه يخضع لمبدأ الالتزام :

لا لأنه ملتزم به والاكان شعره افتعالا ومبالغة واسرافا .

ولا لأنه مجرد وسيلة للتعبير عن آرائه شعرا ولكنه يقوم على احساسه بما كتب أولا ، ونفاذه الى صميم الأحداث الجارية على أرضه وبينه وبين أصدقائه .

انه شعر حى عاطفى يجمع بين عمق التعبير الفنى والتصوير الجمالى ، أما عنصر الموسيقى فيه فهو بالغ الاهمية عند الشاعر وهو يقف مع المعانى والصور الشعرية فى صف واحد واخيرا وليس آخرا . ان حياة الشاعر محمد فضل مليئة وسمة ، وديوانه الذى قام المجلس الأعلى للثقافة باصداره عام ١٩٧٢ يعد ثروة شعرية ضخمة جديرة بالدراسة الشاملة لطلاب الدراسات العليا وهو حصيلة طيبة لأبناء الجيل الحاضر إنه وحده خميلة وارفة مزدهرة فى روضة شعرنا العربى المعاصر .

جليلة رضا

في التاريخ والفكر

نظام الادارة والقضاء

من مزاعم المستشرقين

مخطوطات مكتبة الأزهر

نظام الإدارة والقضاء

"الأتابكى والأرتقى" فى بلاد الجزيرة الفراتية عبر القرن السادس الهجرى

- ٢ -

ثانيا ـ القضاء :

اهتم الأتابكيون والأراتقة بالقضاء وببعض المناصب التى كانت ترتبط به كالقاضى والخطيب والمفتى . فقد أشار ابن الأثير الى أن الأتابكيين كانوا « يجلسون بدار العدل للانصاف والاشراف والأخذ من الأقوياء للضعفاء » ، وكانوا يحكمون بما تقضى به الشريعة الاسلامية فيأمرون القاضى بتدوين اللوائح ضد الأشخاص الذين يدانون ، وبكتابة الاثبات لأصحاب الحق والاشهاد على الجميع (١) .

حظيت وظيفة القاضى ، وهى من الوظائف الجليلة التى ذكرها القلقشندى ضمن أرباب الوظائف الدينية ، باهتمام كبير لدى الأتابكة ، فكانوا يقلدون هذا المنصب لمن يرغبون أو يحجبوه عن آخرين وذلك على الرغم من أن قاضى القضاة فى بغداد هو الذى كان يقوم بتعيين القضاة فى امارات الجزيرة الفراتية فى هذه الفترة (٢) .

وكان القاضى يقوم بالفصل بين الخصوم وحل المنازعات بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وكان له عدد من العدول يختارهم بنفسه من بين الأشخاص المعروفين بالتقوى وحسن الخلق ، حيث يقومون بمساعدته بالشهادة بين يديه أو تزكية الشهود (٣) ، وكثيرا ما كان القاضى يحتاج الى خدماتهم لمعاونته فى مهمته .

---

(١) ابن الأثير : ص ١٨٨ ، ص ٢٠٣ .

(٢) وموضوع قاضى القضاة القيام بالأوامر الشرعية والفصل بين الخصوم ونصبه النواب للتحدث فيما كان عليه مباشرته بنفسه ، وهى أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا وأجلها رتبة ـ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٤ ، ص٣٥ .

(٣) ويطلق عليهم اسم « الشهود العدول » وكان القاضى يتصفح أحوالهم ويراقبهم ويعاقب من يسىء استعمال السلطة ، وكانوا يتولون أحيانا الفصل فى المنازعات نيابة عن القاضى .

ابن الأثير : الباهر ص ١٢٩ ، جعفر حسين خصباك : العراق فى عهد المغول الايلخانيين ص ٧١ .

للدكتورة سوسن محمد نصر

ويعقد « مجلس الحكم » فى مكان معين للاجتماع بالمتخاصمين ، وهو مكون من القاضى والشهود العدول والموقعين (١) ، ويرجح كذلك اشتراك صاحب الشرطة فيه ، فينظرون فى القضايا المعروضة بين أيديهم . وكانت الجوامع هى المكان الذى يعقد فيه مجلس الحكم فى أغلب الأحيان . وكان قاضى الموصل أيام الأتابكة يسمى « الحاكم » ويقيم بدار العدل (٢) .

وأول من تقلد هذا المنصب فى الموصل بهاء الدين أبو الحسن على بن الشهرزورى الذى عينه عماد الدين زنكى قاضى قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد ، وقد أصبحت له منزلة كبيرة .

كذلك تولى كمال الدين محمد بن الشهرزورى منصب قاضى قضاة الموصل فى عهد سيف الدين غازى الاول ٥٤١ ــ ٥٤٤ هـ ١١٤٦ م ــ ١١٤٩ م ، غير أن هذا الامير عزله واعتقله وفوض أمر القضاء فى الموصل واعمالها بعده الى القاضى نجم الدين أبى على الحسن بن بهاء الدين الشهرزورى .

أما فى عهد الأتابك عز الدين مسعود ٥٧٦ ــ ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ م ــ ١١٩٣ م فقد تولى القضاء أبو حامد محمد بن القاضى كمال الدين الشهرزورى الذى كانت له منزلة رفيعة لدى الأتابك (٣) .

أما وظيفة « قاضى العسكر » التى كانت من الوظائف الدينية الجليلة التى عرفت لدى المماليك وقدمت المصادر عنها معلومات جيدة فاننا لا نجد فى هذه المصادر ما يشير الى وجودها فى أتابكيات الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى (٤) .

ومن المحتمل أن قاضى المدينة ، كان يقوم بمقاضاة العسكر (٥) . ومن قضاة الموصل الذى مارس مقاضاة الجند ، عماد الدين محمد بن يونس الموصلى الذى تولى منصبه

(١) لم تشر المراجع الى طبيعة عمل الموقعين ، والمعتقد بانهم يقومون بمهمة من ندعوهم الآن (بشهود الاثبات) امام المحاكم .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٢٠٣ . وانظر الى ان الملوك الاتابكة كانوا يجلسون فى دار العدل لمباشرة القضايا بانفسهم .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ٣ ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٩ .

(٤) محمود بن محمد عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، وجاء فيه : كاتبه يحضر الى دار العدل مع القضاة ويسافر مع السلطان اثناء تنقله ويصاحب العسكر ا هـ المطبعة الاهلية المصرية الحديثة ــ القاهرة ص ٨٠ .

(٥) واغلب الظن ان الاراتقة اتخذوا القضاة العسكر خلافا للاتابكيين .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٦ .

هذا فى عهد الأتابك نور الدين أرسلان شاه ابن مسعود ٥٨٩ ـ ٦٠٧ هـ / ١١٩٣ م ـ ١٢١٠ م (١) .

وكان للقضاة من أسرة بنى نباتة خلال القرن السادس الهجرى ، منزلة رفيعة لدى الامراء الأراتقة ، ففى ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ولى البلغارى بن أرتق صاحب امارة حصن « كيفا » ، علم الدين أبو الحسن بن نباته ، قاضيا فى مدينة (ميافارقين) ، كما ولى ابنه أبا الفتوح رتبة قضاء (ماردين) ، حيث مكث فيها الى ما بعد منتصف القرن السادس الهجرى .

وممن تولى قضاء (ماردين) فى أواخر هذا القرن ، القاضى عبد السلام المقدسى الماردينى كما ذكر القفطى أن والد هذا القاضى وهو عبد الرحمن المقدسى كان قاضيا على (دنيسر) (٢) .

أما قاضى (خرتبرت) فكان الحكيم شمعون الخرتبرتى الذى اشتهر باتقان فن الخط العربى (٣) .

نظم الأراتقة القضاء فى اماراتهم ، فأوجدوا منصب قاضى القضاة وجعلوا مدينة (ماردين) مقرا له (٤) .

وكان الأمير الأرتقى هو الذى يعين قاضى القضاة مباشرة ويودعه صلاحيات كثيرة ، منها : أن يتولى تعيين نواب له فى المدن والمناطق التابعة للامارات ويراقب أعمالهم وتصرفاتهم فيكافئهم ويرقيهم أو ينقلهم أو يعزلهم (٥) .

وخصص الأراتقة لقاضى القضاة ونوابه مرتبات كبيرة ، وكانوا أحيانا يقطعونهم اقطاعا . ويزاولون النظر فى قضايا (الأحوال الشخصية) وممارسة القضايا المتعلقة بامامة المسلمين فى الصلاة والاشراف على دار ضرب النقود والأوقاف وأموال المواريث (٦) .

وتشير المراجع الى دور قاضى قضاة الأراتقة فى الحياة السياسية ، حيث كان يقوم بالمفاوضات مع ممثلى الامارات والدول الاخرى ، وعقد الاحلاف ، فضلا عن نشاطه فى مهمة السفارات (٧) .

التقسيمات الادارية فى بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى

كانت السلطة التى منحها السلاجقة للامراء

---

(١) محمود بن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ص ١٩٩ .
الفارقى : تاريخ آمد . مخطوطه ـ الورقة ١٠٢ أ ب .
(٢) القفطى : تاريخ الحكماء ص ١٨٩ ـ ص ١٩٠ .
(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٤ .
(٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ـ مخطوطه ـ الورقة ١٣٥ أ .
(٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة حـ ٢ ص ٢٩٠ .
(٦) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٤ ـ ص ٣٥ .
(٧) كما أسهم قاضى القضاة فى تقرير الصفة الشرعية لامراء الأراتقة ، وتمتع بعضهم بصلاحيات القائد الاعلى للحرب والادارة والاشراف على الامور العمرانية ـ الفارقى : تاريخ آمد ، الورقة ١٣٨ ـ ١٣٩ ب ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ـ الورقة ١٣٥ أ .

في الجزيرة الفراتية ، قد ساعدت على ظهور مجموعتين من الامارات .

الاولى : الامارات المحلية التي كان يحكمها الأمراء حكما وراثيا طويل المدى . والمجموعة الثانية هي امارات المدن التي استأثر بحكم كل منها أمير مستقل ، وقد تميزت عن المجموعة الأولى بكون صاحبها لم يكن يملك الا حكم المدينة وحدها وما يحيط بها — أحيانا — من أراض ومناطق محدودة (١) .

وقد سعى عماد الدين زنكي بعد توليه الموصل من قبل السلاجقة الى توحيد منطقة الجزيرة الفراتية في دولة موحدة ، وكانت الظروف آنذاك مواتية له لتحقيق هدفه هذا . فقد بدأ وكأنه يستهدف من وراء ذلك تعزيز الارتباط السياسي والاداري بالسلاجقة . فاحتل أغلب المدن والقلاع والمناطق (٢) . وهدد الامارات الأرتقية في الشمال الشرقي لبلاد الجزيرة الفراتية (٣) كما بدأ باخضاع حصن الأكراد القريب من الموصل (٤) .

ويتضح من ذلك أن المناطق التي تؤلف الجزيرة الفراتية في القرن السادس الهجري أصبحت مكونة من الاقسام الادارية الآتية : —

اولا : الامارات المحلية التي كانت تتألف من أكثر من مدينة أو قرية أو منطقة واحدة ترتبط كل منها بالمدينة الرئيسية التي تديرها وفيها مقر الأمير أو النائب أو الحاشية والموظفين وأرباب الدولة والجيش ، كما أن فيها المؤسسات الحكومية والادارية وتمثل هذه الامارات في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري ، الامارات الأتابكية والامارات الأرتقية .

ثانيا : امارات المدن التي لا تتعدى حدود المدينة والمناطق المجاورة أحيانا وكانت تدار بصورة مباشرة من الأمير وأعوانه من الموظفين . وتغلب على ادارتها الادارة العسكرية .

(١) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ٦٩ .

(٢) احتل (جزيرة ابن عمر) سنة ٥٢١ هـ / سنة ١١٢٧ م واستولى على (سنجار) وبعض المناطق المجاورة لها واخضع (حران) ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م . وهاجم (اربل) سنة ٥٢٦ هـ/١١٣١ م التي كانت بمثابة الباب الشرقي الذي يصل امارات الجزيرة الفراتية ببلاد فارس والمشرق عامة وفي سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م ضم (مدينة الرقة) اليه ثم سقطت بيده (دقوقا) سنة ٥٣١ هـ/١١٣٦ م و (شهرزور) سنة ٥٣٤ هـ/١١٣٦ و (الحديثة وعانا) سنة ٥٣٦ هـ/١١٤١ م .
ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٣٦ ، الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ٢٤٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب جـ ١ ص ٩٧ .

(٣) بدا « بامارة ماردين » فاحتل (نصيبين) التابعة لها واتخذها قاعدة عسكرية سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م للهجوم على المناطق المجاورة وفي سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م اخضع الحصون الواقعة اقاصي (دياربكر) ثم قام بترتيب اوضاعها الادارية ووضع في كل منها حامية عسكرية تدافع عنها وفي سنة ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م استولى على أكثر المناطق التابعة لامارة (حصن كيفا) ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع ان ينهي الوجود الارتقي في المنطقة .
عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ٨٥ : ص ٩٨ .

(٤) استطاع ان يضع يده على اكثر ممتلكات الاكراد وقواعدهم المهمة ويخضعها لسيطرته في فترة قصيرة : عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ١٠١ — ص ١١٦ .

ثالثا : مدن الأكراد (١) وقلاعهم وحصونهم ، التي كانت تتوزع في مناطق تضم قبائلهم وطوائفهم وقد انقسموا الى قسمين : ـ

الأول : لم يكن يخضع لسلطة منظمة وهو يتألف من الأفراد والقبائل (٢) .

اما الثاني : فهو الامارات التي تختلف في نظمها وأحجامها ، فمنها الواسعة ، التي كانت تحكم بالوراثة ومنها الصغيرة وهي التي تنفرد وتخضع لحكم الأمير القوى (٣) .

ولقد ورد في بعض المراجع كلمات ، « القصبة » « والضياع » « والاعمال » « والولاية » ، وهي اصطلاحات وردت بما يفيد أنها تقسيمات ادارية شاعت في بلاد الجزيرة الفراتية . وقد ترددت في المراجع منذ القرن الرابع الهجرى خلال القرون التالية :

فالقصبة على ما يبدو ، هي المدينة الرئيسية التي تدير مدنا ومناطق وذكر الأصطخرى ، أن الثغور لا قصبة لها وكل مدينة قائمة بنفسها (٤) مما يدل على أن المدن الأخرى التي لها قصبة لا يمكن أن تنفرد هي بادارة شئونها بل تستمد ذلك من قصبتها . وقد أشار (ابن حوقل) الى التفريق بين القصبة والضياع التابعة لها من حيث متحصلاتها من الموارد المالية (٥) .

وأكد أبو الفدا ، أن القصبة هي مركز المنطقة بقوله : « وأما ديار بكر فقصبتها (الرقة) ، ومن مدنها (المحترقة) (والرافقة) (٦) .

وخلال القرن السادس الهجرى ذكر ياقوت ان مدينة حران هي قصبة ديار مضر (٧) .

اما الأعمال ، فقد وردت في أغلب المراجع ، وتعني كل ما يدخل ضمن الامارة من مدن وممتلكات وقلاع ومزارع وأراضى وغيرها .

وجاء عن (الولاية) انها هي الامارة أو

---

(١) كان الاكراد في القرن السادس الهجرى ينقسمون الى قبائل وطوائف ولقد ذكر ياقوت في (معجم البلدان) ذلك في حـ ١ ص ٤٧٧ ، حـ ٢ ص ١٥١ ، ٢٧٧ ، ٥٣٨ ، ٩٥٦ ، ٩٦٠ ، حـ ٤ ص ٣٠٥ كما ذكر ذلك ايضا المقريزى في (السلوك لمعرفة دول الملوك) حـ ١ ص ١ ـ ٤ وذكر القلقشندى في (صبح الاعشى) حـ ٤ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٩ أن الاكراد عشرين طائفة موضحا مناطق كل من هذه الطوائف وعدد محاربيها وذكر كذلك خمسا وعشرين موضعا آخر يقطنها الاكراد الذين كانوا يتخذون القلاع مراكز ينطلقون منها .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ١٠ ص ٢٣٠ .

(٣) امين زكى : انظر خلاصة تاريخ الكرد وكردستان وتاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامى .

(٤) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٦٧ .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٣ ـ ص ١٩٤ .

(٦) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٧ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٢٣٠ ـ ص ٢٣١ .

المدينة التي كان السلاجقة يقررون توليتها للاتابكة أو الأرتقة أو لغيرهم ، أو أن هؤلاء أنفسهم كانوا يولونها أمراءهم وقوادهم .

ان دراسة التقسيمات الادارية التي كان يسير عليها الأيوبيون والمماليك – من بعدهم – في مصر وبلاد الشام (١) . لا توضح ما كان عليه الوضع الادارى في امارات الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى والسبب في ذلك يرجع الى عدم الاستقرار السياسي ونشوب الحروب ووجود المشكلات التي كانت تحول دون اتاحة المجال لاجراء الاصلاحات الادارية وفق تنظيم معين ، وكان يكتفى الأمير أو (الأتابك) بتعيين من يثق به على المدينة أو الموقع ، وكانت المدن والقلاع المفتوحة تقطع في أحيان كثيرة لبعض القواد والمقربين مما لا يوفر كذلك مجالا لادخال الاصلاحات المذكورة (٢) .

ويلاحظ أن كثيرا من الأصول الادارية والملوكية ، قد ساد العمل بها في امارات الجزيرة الفراتية خلال القرن السابع الهجرى والقرون التالية .

المحتسب :

وهو صاحب وظيفة « الحسبة » وموضوعها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته » (٣).

وكانت واجباتها مهمة ، تقابل على أقرب تقدير الكثير مما تقوم به في عصرنا الحالي مؤسسات الشئون الاجتماعية والصحية والبلديات (٤).

---

(١) كانوا يقسمون دولتهم الى اقاليم أو نيابات تضم كل منها مجموعة من المدن والحصون حيث كان النائب هو المسئول الاعلى في نيابته وممثل السلطان الشخصي الذى يرتبط به ويتلقى الاوامر منه ، كما كان السلطان يعين نوابا آخرين على القلاع فيصدر مرسوما سلطانيا يكتب بديوان الانشاء وكان نائب المدينة أو القلعة مستقلا في معظم الاحيان عن نائب السلطنة في الاقليم . وهو يتبع الحكومة المركزية مباشرة ، وكان من اهم واجبات نائب القلعة فضلا عما سبق أن «يتولى حفظ القلعة وصونها ، ولايسلم مفتاحها لاحد الا لمن يتولاها مكانه ، أو لمن يامره السلطان بتسليمه له» القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ١٨٥ هذا التقسيم الادارى كان في بلاد الشام ، أما في مصر ، فكانت الادارة المحلية تتمثل في الوالى ، حيث كان يشرف على كل مجموعة من الاعمال فئة من الموظفين وعلى رأسهم والي الاقليم الذى كانت مهمته الاولى العمل على الامن والنظام والمحافظة على أموال الناس وأرواحهم .

عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٤٧ ، على ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٤٧ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٣٧ .

(٤) جعفر خصباك : العراق في عهد المغول الايلخانيين ص ٧٢ .

وقد أخذ أمراء الجزيرة الفراتية فى القرن السادس الهجرى بنظام (الحسبة) وطبقوه فى اماراتهم ، كما هو متبع فى البلاد الاسلامية • فى (الأتابكيات) كان القاضى ، يجمع ما بين القضاء والحسبة ، كما تدل الاشارات القليلة المتوفرة ، ان هناك محتسبين مستقلين بوظائفهم لا يخضعون فيها للقضاة فى أغلب المدن والامارات •

غير أن عدم وجود خطوط واضحة للتخصص بين الوظائف الادارية عموما فى (أتابكيات) الجزيرة الفراتية ، جعل من غير الممكن تحديد سلطة هذه الوظائف ومنها وظيفة المحتسب ، وخاصة فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، وأن أغلب الوظائف يتوقف اشغالها الى حد كبير ، على شخصية من يشغلها وكثيرا ما يطغى اختصاص موظف يتمتع بالقوة والنفوذ على اختصاص غيره ، مما لا يجعل هناك حدودا واضحة بين الموظفين •

أما دور المحتسب فى الامارات الأرتقية ، فيبدو أكثر وضوحا ، فقد أوجد الأراتقة محتسبا فى كل بلد من بلدانهم ، (١) فكان ينظر فى الأمور المتعلقة بالنظام العام وفى الجنايات وحسمها عن طريق السرعة ومراقبة مراعاة الآداب العامة وتطبيق أحكام الشرع وتفتيش الاسواق والمؤسسات التجارية والاشراف عليها والاطلاع على المرافق التى تحتاج الى اعمار واصلاح (٢) •

كما كان يؤدى دورا مهما فى ضبط الأمن الداخلى والمحافظة عليه « وتسكين الناس » خلال فترات الاضطراب وحوادث العصيان والثورات أو عند وفاة الأمير •

ويشير الفارقى الى دور المحتسب فى سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م عندما ساد الاضطراب بين أهالى (ميافارقين) لوفاة الأمير حسام الدين تمرتاش صاحب (ماردين) حيث ركب المحتسب وتوجه مسرعا اليهم وسكنهم « فاطمانوا وطابت نفوسهم » (٣) •

وأشار القلقشندى الى وجود نواب المحتسب ، يطوفون الأسواق والمحلات العامة ويساعدون فى تنفيذ تعليماته (٤) ، ومن المحتمل ان مثل هؤلاء النواب كانوا موجودين فى مدن الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى •

تم

د / سوسن محمد نصر
استاذ مساعد بآداب الزقازيق
بنها

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٢٥ الفارقى : تاريخ آمد ــ الورقة ١٣٨ أ ب ــ ١٣٨ ب •

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار جـ ١ ص ٣٦٤ •

(٣) الفارقى : تاريخ آمد : مخطوطه الورقة ١٣٨ أ ــ ١٣٨ ب •

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩٣ على ابراهيم حسن : المماليك البحرية ص ٣٠٤ ــ ص ٣٠٥ •

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

الإسلام والعلم

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

ان الاسلام يفتح الطريق رحبا امام العقل البشرى فى المجال الذى يبدع فيه وهو الكون الفسيح وقوانينه وما تقوم عليه من مبادىء واسس .

وهذا هو المجال الحقيقى لنشاط العقل وابداع العلم . والاسلام حين يعزل العقل الذى هو أداة العلم الاولى عن التفكير فى ذات الله من جهة استيعاب حقيقتها وكنهها انما يضعه فى مكانه . ومكانته التى تليق به سيدا للكون محاولا سبر أغواره ويهيب به أن يتخذ من هذا الميدان « ميدان الطبيعة » طريقه الى الايمان بالقوة الالهية الحاكمة والمدبرة والعالمة عن طريق ما انبث فى الانفس والآفاق من آيات شاهدات ودلائل واضحات « **وَفِى الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** »

فهو يهيب بكل ذى لب أن يتصفح الكون حتى تسفر هذه الآيات الدالة عن وجهها الوضاء فتقوده الى حظيرة الايمان بالله . وخشيته التى تدعمها حركة العقل فى الكون . لأنه كلما ازداد الانسان معرفة بخالق الكون وصفاته من قدرة وعلم وهيمنة ازداد خشية لله . هذه الخشية التى تؤدى تلقائيا الى الالتزام بالمنهج الالهى فتستقيم للناس حياتهم بعد أن تستقيم عقيدتهم .

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ • (سورة فاطر آية ٢٨) •

والآية الكريمة صدرت بهذا الاستفهام الملفت فى حث جميل على اجالة النظر فى هذه الآيات الباهرات • ومحاولة الوقوف على ما أتيح من أسرارها • وماتدل عليه من اتقان ونظام وترتيب دقيق • للخالق سبحانه وتعالى ثم هى تنطوى على اعلام الهى بتكريم العلماء هؤلاء الذين ضمهم الله تعالى • الى الملائكة فى الشهادة بوحدانيته وقرن كلا بذاته قال تعالى « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ــ آل عمران ١٨ •

ومهما أرجف المستشرقون واتهموا الاسلام بمعاداة العلم والمدنية فان واجهة الاسلام الحقيقية انما هى القرآن الكريم ولو أخذ هؤلاء أنفسهم الىأول قبس من كتاب الله تعالى هبط به الروح الامين على قلب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأدركوا أمرا فى غاية الأهمية فيما يتعلق بموقف الاسلام من العلم • هو أن الاسلام والعلم قرنا معا فى لحظة واحدة • لأن أول قبس الهى قرآنى كان قوله تعالى :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » هكذا كانت البداية ومن الجدير بالتنبيه اليه هنا أن « اقرأ » انما هى مفتاح العلم • ويتعدى معناها القراءة من الصحيفة فما كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى يوم من الايام بقارىء أو كاتب •

وفى اقرأ معنى الاستقراء الذى هو طريق الكشف عن أسرار الكون حتى يحقق الانسان مع « كمال السيادة » على هذا الكون « كمال العبودية » لمكون الكون ومنظم نظمه ومحول أحواله سبحانه وتعالى :

والامر فى « اقْرَأْ » يلفت النظر الى الخلق « الَّذِي خَلَقَ » هكذا بشكل عام • تفكروا فى خلق • « وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون » •

ثم يلفت النظر الى نمط من أنماط الخلق أو نموذج من نماذجه هو أقرب ما يكون الى الانسان وهو « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ » « وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » •

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ » •

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ »

هذه المقدمات تؤدى الى نتيجة عقدية تنزيهية « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » ثم نتيجة

ايمانية غيبية « ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » •

هكذا أعطتنا « اقْرَأْ » هذا العطاء الايمانى العلمى ـــ الكبير فى باكورة الاسلام وأول عهد الانسان به « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » لا تحمل الينا العلم فقط وانما هى تحمل العلمَ الموجه الى الخير العلمى والعملى • الدينى والخلقى ـــ

من حيث انها تكشف عن سمة عامة من سمات العلم فى المفهوم الاسلامى • وهى أن يكون العلم ـــ أن تكون القراءة باسم الله تعالى • أى لأجله وابتغاء مرضاته •

ومعنى هذا ببساطة شديدة هو انضواء العلم ونشاطه تحت لواء الايمان وما يلزمه من خلق يحكم النشاط الانسانى بما فيه نشاطه العلمى أيضا •

وذلك أن العلم ونشاطه اذا كان معزولا عن تناول عالم الالهيات والغيبيات من حيث معرفة الكنه ـــ لا من حيث الاستدلال كما سبق لنا أن قدمنا فى دراستنا عن الاسلام والعقل فهو أيضا معزول عن التوجيه الأخلاقى •

ذلك لأنه لا يملك شرعية هذا التوجيه ولا يملك أهلية التشريع فى مجال الاخلاق كتقرير الأصول والمبادىء الاخلاقية ومن ثم فهو بعيد كل البعد عن أن يتخذ معيارا للتوجيه الأخلاقى • بل ان العلم نشاط انسانى يخضع لخلق صاحبه ومن ثم يخضع للتوجيه الدينى الاخلاقى •

وهذه قضية أخرى خطيرة فى حياة الناس • ذلك أن تحديد الخير والشر فى سلوك الانسان وتنظيم طريقة عمل هذا الجهاز الانسانى المعقد يجب الا يرجع فيه الى غير خالقه وصانعه ، لأنه أخبر به وأعلم بما يحتاج اليه وما تستقيم به حياته ومن ثم كانت تشريعات الاسلام الأخلاقية مستوعبة لكل أنماط العلاقات التى تربط بين الانسان والانسان • وتحديد الخير والشر • والغريب أن الناس ينفذون مقتضى هذه القاعدة الهامة فى مختلف شئون حياتهم •

فاذا ما جاءوا الى ميدان الاخلاق وتحديد سلوك الانسان أعجبوا بعقولهم • وأرادو أن يجعلوها مقاييس لكل شىء •

ولنفرض مثلا : ان جهازا معينا أردت أن أشتريه من الاجهزة المعقدة والمفروض أننى لا أعلم طريقة تشغيله الا من خلال البيان الذى يدلى به صانع هذا الجهاز سواء كان فردا أو شركة أو دولة • وتشغيل الجهاز أو محاولة تشغيله بطريقة عشوائية قد تقضى على هذا الجهاز نفسه وتحول دون تحقيق الهدف من وجوده أصلا •

ولكل جهاز صانع ولا يمكن أن يحصل نوع من التبادل . فاذا ما عطل جهاز التليفزيون فانني بالطبع لا أعطيه للنجار أو للحداد ــ وانما أعطيه لمن اختص باصلاحه والأ علم بما يصلحه وييسره ويحقق الغرض من وجوده .

فاذا ما أردنا ان ننقل هذه القضية الى مجال الأخلاق الانسانية وعلاقتها بالاسلام على اعتبار أن مصدر الاسلام وصانع الانسان هو الله الواحد . عجزت عقول الناس عن الربط واذا كل حزب بما لديهم فرحون .

على أن هناك أمرا آخر فى غاية الاهمية فيما يتعلق بهذا الموضوع وهو علاقة العلم بالأخلاق وهو أن كل ما يصدر عن الانسان من تشريعات أخلاقية انما تحمل فى طياتها سمة العقل البشرى من القصور وعدم الاستيعاب من حيث هو ملكةبشرية ومن ثم تأتى قاصرة . مما يترتب عليه أمر آخر هو الشعور بالحاجة الدائمة الى التمرد عليها نتيجة فشلها فى تحقيق التوازن فى حياة الانسان الأخلاقية .

والحق أنه ليس أجرأ على العقل من العقل، وهنا تدور المسألة فى حلقة مفرغة فليس العقل البشرى المشرع بأولى من العقل المشرع لــه والعكس صحيح . وهذا يفسر لنا ظاهرة عدم الاستقرار فى مفهوم الفضائل والرذائل عبر تاريخ الفكر الأخلاقى الانسانى . فكل متحجب بعقله . لان عنصر الالزام السماوى غير موجود . أو عنصر عصمة مصدر التشريع الأخلاقى (١) .

وهناك عنصر هام فى الالتزام الاخلاقى الناتج عن الالزام السماوى . وهو عنصر المراقبة التى لا تغيب عينها . وهذا أمر لا يمكن أن يكفله تشريع العقل الاخلاقى ولا يمكن للعلم أن يضبطه وهذا ما يعبر عنه اسلاميا « بمقام الاحسان » وهو أن « تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والعلم لا يستطيع أن يحسم المسألة الأخلاقية . بل العلم سلوك ومن ثم فهو يخضع لخلق صاحبه سيئا كان أم حسنا . فهو خاضع « كسلوك » للتقويم الاخلاقى ومن ثم فهو يرتبط بالأخلاق . وفى المنظور الاسلامى هو مرتبط بالدين أيضا لان الدين مصدر الاخلاق المعصوم وليس غيره على أن هناك صلة مباشرة بين الدين والعلم عدا ذلك هى أن العلم هو طريق الى الايمان بالله وحده . والايمان الناتج عن العلم ليس ايمانا تقليديا. وانما هو ايمان يستند الى مابث فى هذا العالم من مظاهر الاتقان والعناية الالهية .

والدين والأخلاق هما صمام الأمان بالنسبة للعلم حيث يتوجه « كسلوك » بتوجيهاتهما .

وهذا كله مضمن بشكل او بآخر فى « اقرأ

---

(١) لذا يقول سقانداال : ان خط عرضى واحد كاف بأن يجعل الفضيلة رذيلة .



بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ » .

وارتباط العلم بالايمان والخلق هو الذى يضمن للحركة العلمية سلامتها ، حتى لا تضل أو تذل ، وبالتالى يمكن أن تترتب عليه ثمرته المرجوة منه وهو اسعاد البشرية سعادة حقيقية روحية ومادية .

وذلك لأن العلم فى وضعه الصحيح يصل الطبيعة بما وراءها ويزكى الايمان بخالقها وبارئها وكل جناية من العلم على حياة الناس وأمنهم وطمأنينتهم انما ترجع فى الاساس الى انفلات العلم من الدين وتحرره من تعاليمه مما يترتب عليه فى ذات الوقت انفلات العلم من الموجه الرشيد فى ناحية الاخلاق لان الدين هو مصدر الاخلاق المعصوم .

وارتباط العلم — كنشاط بشرى — بالدين والخلق سمة لازمة للعلم من منظور الاسلام وهى التى تميزه بشكل حاسم ، عن العلم بالمفهوم الاوربى للعلم بوجه عام هذا المفهوم العاق للدين ، والرافض له فى اتجاهاته المادية المفرطة فى الانكار والتعالى ، وتلك مشكلة لها جذورها التاريخية عندهم .

ومن الواضح أن هذه الصفة لا تتعلق بالعلم من حيث كنه النشاط العلمى نفسه ، وانما حادث من حيث أنه قد حكمته الغرائز الانسانية الجامحة بمقتضياتها المدمرة بدلا من أن يتوجه بأمر الدين المعصوم .

وذلك لأن • الطاقة – والاشعاع • والذرة – مثلا – كلها بحسب طبيعتها المحضة عوامل هدم وبناء – وحرب وسلام • وسيادة واستعباد •

وترجيح أى جانب على الآخر من هذه الجوانب يحتاج الى دفعة أخلاقية دينية يفتقدها أكثر من يملكون هذه القوى فى عالمنا المعاصر •

فأحد الاطراف لا يملك الايمان بالله أصلا•• والآخر قد عزل الدين عن شئون الحياة من زمان بعيد • لذلك أفسح المجال للغرائز والميول والأهواء لتعمل عملها •

فهم وان ملكوا الأداة الا انهم فقدوا التوجيه السديد من الدين لانهم سدوا عليه الطريق وأقاموا فى وجهه العقبات واتهموه ظلما بأنه عدو الانسان • وعدو للنشاط العلمى • على أن فى هذا المقام ملاحظة لابد من ابدائها وهى أن العلم ومناهجه من حيث طبيعتهما ليسا من أعداء القيم الاخلاقية أو الدين بل ان أمرهما على العكس من ذلك تماما •

لأن مناهج العلم الصحيح أقرب فى روحها الى القيم الأخلاقية السامية • وذلك من حيث أن هذه المناهج فى ذاتها تحبذ الصدق وتحرى الحقيقة والموضوعية والحياد والرقة فى تناول الامور والصبر والتثبت وكل هذه فضائل أخلاقية لا يقوم العلم الصحيح الا بها • ولا يستحق الانسان وصف العالم على وجه الحقيقة الا بتحصيلها ولكن العلماء الذين رفضوا الدين بما يترتب عليه • لم يستفيدوا تربويا من مثل هذه الصفات ولو تنبهوا الى مقتضى الدقة والتثبت ما انحرفوا الى انكار الدين ولما وقعوا ضحية للتعميم الشائن كما سوف نرى فى مسألة الصراع بين الدين والعلم، والذى نشأ كرد فعل أعمى • لفعل هو أعمى أيضا ••• هكذا يبرز لنا الفرق بين العلم فى التصور الاسلامى والعلم فى صورته الراهنة ولكن • فى بعض اتجاهاته المنكرة والملحدة •

اذا كانت هذه هى وظيفة العلم فى التصور الدينى الصحيح وبها يتميز العلم الاسلامى على غيره •

واذا كان مقتضى هذه النظرة أن يكون كل جهد للعقل وكل مجهود للعلم ابتغاء وجه الله وباسمه وفى سبيل مرضاته •

فمن اين اذن أتى ذلك الصراع المدعى بين الدين والعلم • أو بين الدين والمدنية ؟ وكيف نشأ هذا الصراع ؟ ولماذا نشأ ؟

وما هى المبررات التى ادت الى المناداة بفصل الدين عن شئون الحياة كقائد وموجه أمين ورشيد ؟ ذلك كله ما سوف يأتى •

يتبع

د• محمود عبد المعطى بركات

حقوق غير المسلمين ..

فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد الله مبروك النجار

— ٦ —

انتهينا فى المقال السابق من بيان حقيقة المسئولية التضمينية عن اموال غير المسلمين ، وهى التى تقابل فى نظرنا مسائل المسئولية المدنية فى القانون الوضعى ، ورأينا ان شريعة الله الخالدة قد كفلت الحماية التامة لغير المسلمين فى اموالهم كما كفلتها للمسلمين دون أدنى تفرقة بينهم فى هذا الخصوص حسبما تدل عليه مصادر الشريعة الغراء ، وعلى نحو ما استبان لنا من الدراسة .

وقد رأينا ان المسئولية التضمينية عن اموال غير المسلمين تقوم على اساس ثابت من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — واجماع الفقهاء وآثار الصحابة ، وأن قيامها على هذا النحو يستوجب الوفاء بالعقود والالتزامات مع غير المسلمين اذا وقعت بينهم وبين المسلمين ، كما أن نطاقها لا يقتصر على هذا المدى ، بل يتعداه الى وجوب رد ما أخذ منهم على سبيل القهر والاغتصاب اذا تم حصوله بغير رضاهم ، أو تعويضهم عن ما أخذ منهم من مال اذا كان رد العين غير ممكن لفواتها بالهلاك والضياع وذلك على النحو الذى فصله الفقهاء فى كتب الفروع (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ، أن شريعة الله الخالدة قد عالجت مسائل هذا

◄

(١) راجع الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاتنا فى هذا الموضوع . والمنشورة بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ — ص ٨٨٥ وما بعدها .

حقوق غير المسلمين

الموضوع المهم بالقدر الذى يكفى لحماية أموال الناس، دون تفرقة بينهم بسبب اختلاف العقيدة ، وبما يكشف عن ثراء الفقه الاسلامى وقدرته الفائقة على حكم المشاكل القانونية فى حياتنا المعاصرة ويغنى عن أى تشريع وضعى لأداء تلك المهمة ، بعد ان كشفت الايام للناس أن مثل تلك التقنينات لم تعد كافية لما يرجونه لأموالهم من حماية ولحياتهم من أمن واستقرار ومن ثم أصبح الرجوع الى شريعة الله للاحتكام اليها والسير على منوالها ، أمنية بات الجميع يحرصون على تحقيقها ايمانا منهم بأن ما ينشدونه من خير فى هذا المضمار موجود فى مصادر تلك الشريعة الثراء ، ونبين فى هذا المقال ضوابط المسئولية الجنائية عن مال غير المسلمين •

المسئولية الجنائية عن مال غير المسلمين :

وكلمة «المسئولية» تفيد بحكم وضعها اللغوى معنى المساءلة ، لانها مصدر صناعى للفعل « سأل » الذى يدل على وجود شخص المسئول فى وضع يستوجب توجيه السؤال اليه لفعل وقع منه أو امر انيط به ، وغالبا ما يراد بها عند الاطلاق ، ما يترتب على المساءلة من اثر وهو التعويض أو العقاب الذى تؤدى اليه (١) ، لان المصدر الصناعى يدل على العموم ، ومن ثم فانه يصلح للدلالة على آثار كل من المساءلة فى جانبها المدنى والجنائى ، أو ما يستوعب القضايا التى تترتب على وجود المسئولية المدنية والجنائية فى الفقه الوضعى ، والمسئولية على هذا الاطلاق تستدعى بيان ضوابطها وتحديد أركانها •

أركان المسئولية الجنائية :

والمسئولية الجنائية عن اموال غير المسلمين تستلزم قيام موجبها ، وهذا الموجب يتمثل فى فعل يصدر من المكلف ويتضمن اعتداء على مصلحة المال ، وسلب اموال الناس على سبيل الخفية والاستمرار على النحو الذى بينه الشارع فى جريمة السرقة وغيرها من الجرائم التى تتوخى تحقيق نتائجها كالحرابة والاختلاس والنهب ، حيث تنطوى تلك الجرائم على أفعال من شأنها انها تضيع مصلحة المال ، ولهذا حرمها الشارع سبحانه ووضع لها العقوبات التى تمنع وقوعها وتحمى أموال الناس من الضياع •

وجريمة السرقة تعتبر من أكبر نماذج التعدى على المال ، لشيوعها بين الناس وكثرة وقوعها ، ولأنها تكشف عن خسة الجانى وحقارة يده ، حيث لم يشأ أن يحيا شريفا بين الناس ، يعمل كما يعملون ، ويكدح كما يكدحون ، بل آثر أن يعيش فى مجتمعه عيش المتطفلين الذين لا يعملون ويكرهون أن يعمل غيرهم ومن ثم فانه لا يدخر وسعا فى السطو على مال الناس وبث الخوف والفزع بينهم ولهذا كان بما ارتكبه من فعل وبما اقترفه من اثم ، جديرا بما حكم الله به عليه ، وكانت جريمة السرقة من اخطر موجبات قيام

(١) راجع مقالنا السابق بمجلة الأزهر ــ ص ٨٨٦ •

المسئولية الجنائية عن المال ولهذا فاننا سوف نوضح حقيقتها ، ثم نبين اركان المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين من خلالها .

حقيقة السرقة فى الفقه الاسلامى :

والسرقة فى اللغة : أخذ مال الغير خفية من حرز (١) ، والسارق هو الذى يجىء مستترا الى حرز فيأخذ مالا لغيره (٢).

وفى اصطلاح الفقهاء : تعددت تعريفات السرقة :

١ ـ **فعرفها الحنفية** : بأنها اخذ مكلف ناطق بصير عشرة دراهم جياد أو مقدارها مقصورة ظاهرة الاخراج من صاحب يد صحيحة بمالا يتسارع اليه الفساد فى دار العدل بلا شبهة ولا تأويل (٣) .

٢ ـ **وعند المالكية** : تعرف السرقة بأنها أخذ مكلف حرا لا يعقل لصغره أو مالا محترما لغيره نصابا اخرجه من حرز بقصد واحد خفية لا شبهة له فيه .(٤)

٣ ـ **وعرفها الشافعية** : بأنها أخذ المال خفية ظلما من حرز مثله بشروط (٥) .

٤ ـ **وعند الحنابلة** : تعرف السرقة بأنها أخذ مال محترم لغيره ، واخراجه من حرز مثله عادة ، لا شبهة له فيه على وجه الاختفاء (٦) .

ومن خلال تعريفات الفقهاء للسرقة نجد ان تعريفاتهم وان اختلفت فى مبناها الا انها تتفق فى معناها على ان السارق لابد ان يكون مكلفا مختارا ، وان المسروق لابد ان يكون مالا ، ولم يخالف فى ذلك غير المالكية ، حيث يجوز عندهم ان يكون المسروق مالا أو صغيرا لا يعقل ، وهم على هذا النحو يعتبرون سرقة الاطفال جريمة تستوجب قطع اليد ، كما تقطع فى المال ، ووجهتهم فى ذلك ان الطفل غير المميز يشبه العبد وبالتالى يكون كالمال ، وتكون سرقته موجبة للقطع على هذا النحو (٧) ، ويمكن تحليل عناصر المسئولية الجنائية عن المال من خلال تعريف السرقة الى ركنين هما الركن المادى ، والركن المعنوى .

١ ـ الركن المادى للسرقة :

وهو يتمثل فى حركة عضوية ارادته من الجانى تنتهى الى أخذ مال مملوك للغير على سبيل الخفية والاستتار ، فالفعل الصادر من الجانى ينبغى ان يتسلط على مال يقبل النقل بطبيعته ، لأن السرقة هى أخذ الشىء خفية من حرز ، وان هذا الاخذ يقتضى اخراج الشىء ونقله من حيازة مالكه الى حيازة الجانى ، وهذا الأخراج والنقل لا يكون الا فى المنقولات غالبا (٨) .

كما ينبغى ان يكون المنقول ماديا ، وان يتوافر فيه شرط التقوم بأن يكون المال

(١) راجع تاج العروس ـ جـ ٦ ص ٣٧٩ .
(٢) لسان العرب ـ جـ ١٢ ـ ص ٢١ .
(٣) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ ٤ ص ٨٢ .
(٤) شرح الخرشى ـ جـ ٨ ص ٩١
(٥) الاقناع ـ جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٦) كشاف القناع ـ جـ ٦ ص ١٢٨ .
(٧) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ ص ٣٣٣ .
(٨) راجع : دكتور محمود المكازى ـ جريمة السرقة الموجبة للقطع ـ ص ٨٥ ـ الطبعة الاولى

محترما له قيمة يجوز تملكه لها ، ويلاحظ أن المعيار فى ذلك ، هو تعارف الناس أن هذا الشيء مرغوب فيه ومنتفع به أو عدم تعارفهم ذلك ، ولاشك أن هذا أمر يتجدد على مر العصور واختلاف الأمكنة ذلك أن كثيرا من الاشياء لم يكن لها فى القديم فائدة فكانت محقرة بين الناس ، ثم اثبتت التجارب أو الكشف العلمى ان له منافع فى الطعام أو فى الطب أو فى الصناعة والزراعة والحرب فتموله الناس وقابلوه بالأثمان ، ولهذا تثبت المالية بتمول الناس كافة أو بتمول البعض (١) .

ويشترط ان يكون المال محرزا ، والحرز لغة هو الموضع الحصين (٢) ، وعند الفقهاء نلمس فى تعريفه اختلافا يمكن رده الى قولين .

اولهما : للحنفية : وحاصل قولهم ، أن الحرز هو كل بقعة معدة للاحراز ممنوعة من الدخول الا بأذن كالدور والحوانيت والخزائن والصناديق (٣) .

وثانيهما : لجمهور الفقها غير الحنفية ، وحاصل قولهم ، ان الحرز فكل شيء بحسبه ، ويرجع فى تحديده للعرف (٤)

ونحن نميل الى ترجيح رأى الجمهور ، وان كنا لانرى اختلافا حقيقيا بين القولين ، لأن ما ورد عليه تعريف الحنفية لا يعدو أن يكون توصيفا لما جرى العرف به ، ومن ثم يكون الخلاف بين الفقهاء فى تعريف الحرز انما هو خلاف ظاهرى .

كما يشترط أن يبلغ المال المسروق نصاب السرقة ، لما روى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا، لا تقطع اليد الا فى ربع دينار فصاعدا (٥) .

٢ ــ الركن المعنوى للسرقة :

وهو يتمثل فى كون السارق أهلا لتعلق خطاب الشارع بفعله ، ويتحقق ذلك حين يتوافر فيه شرطان :

اولهما أهلية التكليف بأن يكون السارق أهلا لما كلف به ، وأن يتوافر فيه عنصر الاختيار ، فتتجه نفسه الى ارتكاب الفعل المحرم ، وهو حر الارادة مطلق الحركة يفعل ما يشاء من غير ارغام له على فعل شيء ، ودون تسلط من أحد عليه ، فاذا ما ورد على هذا الأصل ما يخل به بأن وقع على المكلف اكراه يعدم ارادته ، ويجعله كالآلة فى يد المكره فلا قطع عليه ، وكذلك الأمر بالنسبة لحالة الضرورة الملجئة اذا توافرت شروطها ، ولفاقد العقل والادراك .

ثانيهما : العلم بالجريمة بأن يكون الجانى عالما بجريمته علما تنتفى معه الجهالة ، والعلم بالجريمة يقتضى احاطة الجانى علما بمصادر التحريم ، وادراكه التام لخطورة ما يرتكبه من

---

(١) راجع : رسالة الشيخ احمد ابو سنة ــ العرف والعادة فى رأى الفقهاء ــ ص ١٣٦ وما بعدها ــ مطبعة الازهر سنة ١٩٤٨ م .

(٢) مختار الصحاح ــ ص ١٤٧ .

(٣) بدائع الصنائع ــ جـ ٧ ص ٧٢ .

(٤) راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ جـ ٤ ــ ص ٣٥٨ ، ومغنى المحتاج ــ جـ ٤ ص ١٦٤ والمغنى لامن قدامة ــ جـ ٨ ص ٢٤٩ .

(٥) البخارى مع فتح البارى ــ جـ ١٢ ص ٩٦ .

ناحية التحريم وخروجه على أحكام الله وانتهاكه لحقوق الناس ، ويتمثل ذلك فى علم الجانى بأن ما يرتكبه جريمة ، وانه محرم شرعا ، فالعلم بالجريمة صفة ذات شقين ، علم بالتحريم وعلم بالجريمة .

أ ــ العلم بالتحريم :

والعلم بالتحريم ، يعنى أن يكون الجانى عالما بحرمة ما يرتكبه ، حيث لا يؤاخذ الجانى على الفعل المحرم الا اذا كان عالما بالتحريم علما لايدع ادنى شك فى ردء آثار المسئولية الجنائية عنه ، ويكفى لتحقيق العلم بالتحريم ان يرجع الجيد الى نصوص الشريعة فى مصادرها ليقف على مواطن الحرمة فيها فاذا لم يعط القدرة على الرجوع الى نصوص الشريعة فعليه بسؤال أهل الذكر ، امتثالا لقول الحق جل فى علاه : «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (١) ، ومن ثم يكون العلم بالتحريم امرا مفترضا ، فلا يستساغ من أحد ان يتذرع بعدم العلم بالتحريم ، ولا يقبل فى دار الاسلام ذلك (٢) .

والعلم بالتحريم لا يقتضى تحقق العلم فعلا ، بل يعتبر النص المحرم معلوما للكافة مادام العلم به ممكنا بالرجوع الى النص أو السؤال عنه على نحو ما سلف ، والا فان ترك باب الادعاء بجهل احكام التحريم على مصراعيه سيؤدى الى تعطيل حدود الله ، واهمال نصوص الشريعة .

فاذا لم يتيسر العلم بالتحريم فى حالات معينة كمن يعيش فى البادية ، أو كان حديث عهد بالاسلام ، فقد اعتبر الفقهاء ذلك عذرا ، يمثل شبهة تدرأ العقوبة وتمنع تطبيقها ، ويكون ادعاء الجهل بالتحريم فى مثل تلك الحالات الخاصة مدعما لجانب الصدق فى الادعاء ، لأن العلم بالامر الذى كلف الشارع به عباده شرط فى قيام المسئولية ، والتكليف بالمجهول تكليف بما لا يطاق (٣) ، وهو مخالف لقواعد الشريعة، التى تتسم باليسر وتتصف بالسماحة ، قال تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (٤) ، وقال عز من قائل :

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (٥) ، على أن قبول ادعاء الجهل بالتحريم حينئذ لا يترتب عليه ضياع المال المسروق على صاحبه لأن المسئولية التضمينية مع ذلك القبول لا تسقط ، ومن ثم يلزم السارق رد المسروق عينا ، أو مثله أو قيمته اذا تلف ، لأن حقوق العباد لا تسقط بسقوط العقوبة للشبهة.

ب ــ العلم بالجريمة :

والعلم بالجريمة يعنى ان يقترن ارتكابها بالعلم بها من ناحية الافعال المكتسبة للجانى والتى تتسلط على مال الغير ، ومن ثم ينبغى أن يكون الجانى عالما بأن يده حين شرعت فى اختلاس مال الغير خفية ، قد ارتكبت فعلا يدخل فى بيان جريمة السرقة ويمثل ركنا من

(١) سورة النحل ــ آية ٤٣ .

(٢) راجع فى هذا المعنى : دكتور محمود المغازى ــ المرجع السابق ــ ص ٦٥ .

(٣) الموافقات للشاطبى ــ جـ ١ ص ٩٩ .

(٤) البقرة ــ آية ١٨٥ .

(٥) الحج ــ آية ٧٨ .

اركانها ، كما ينبغي ان يكون الجاني عالما بأن فعله هذا يتسلط على مال غير مملوك له ، وليست له في ملكيته أية شبهة يمكن ان يتذرع بها لتبرير مثل ذلك الصنيع المحرم على مال الغير ، فاذا انتفى العلم بالجريمة على هذا النحو فلا جريمة ولا عقوبة ، كمن يحمل ثوبا مملوكا له ثم يفاجأ بأن فيه مقدارا من المال غير مملوك له ، ويكفي في العلم بالجريمة هذا القدر ، فاذا ما تعدى مجال العلم هذا النطاق فلا يعفى الجاني من المسئولية ، كمن يدعي عدم معرفته قدر النصاب أو مقدار ما سرق أو يدعي الجهل بالحرز (١) ، فمثل تلك الادعاءات لا تقبل ، ولا تعفى صاحبها من انزال حكم الله به .

ولا شك في نظرنا ، أن تكوين الركن المعنوى للجريمة انما يمثل في مجموعة قصد ارتكاب الجناية ، لأن القصد الجنائي يتمخض في النهاية عن اتجاه ارادة الجاني مع علمه بجريمته ، والقصد هو الاساس في تحريك آثار المسئولية لما صح عنه — صلى الله عليه وسلم — « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى» (٢)، وعلى هذا النحو تتحدد اركان المسئولية الجنائية عن المال في الفقه الاسلامي .

احكام المسئولية الجنائية :

اذا تحققت أركان المسئولية على نحو ما رأينا في جانبيها المادى والمعنوى ، فان قيام تلك الاركان يترتب عليه حكمه ، حيث جعل الشارع وجود الجريمة سببا للعقاب ، وعلة له ، والعقاب في جريمة السرقة يتمثل في اقامة حد الله على السارق ، وهو قطع اليد ، اذا كانت الجريمة في صورتها العادية وهي « السرقة الصغرى » ، فاذا ما تجاوزت حدود الجريمة ذلك النطاق بان اتخذت شكل الاشتراك مع التمرد على النظام والخروج على المجتمع ، كما هو معهود في السرقة الكبرى وهي «الحرابة» فان العقوبة تزيد ايضا بمقدار جسامة تلك الجريمة وخطورتها على أمن المجتمع واستقراره ، وعلى حياة الناس وأموالهم ؛ حتى تصل الى قتل الجناة والستئصال شأفتهم من المجتمع ، امتثالا لقول الله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (٣) ، ومن ثم فان حكم قيام المسئولية في جرائم التعدى على المال يبدأ بقطع اليد ، ثم يتدرج في شدته حتى ينتهي الى القتل ، الأمر الذى يدل على مواءمة العقوبة للجريمة ، ويبرز جانبا من جوانب الأحكام في شريعة الله

كيفية تنفيذ العقوبة :

ويتمثل تنفيذ العقوبة في اقامة الحد ، وهو

(١) راجع : فتح القدير — جـ ٥ ص ٣٦٩ ، والمغنى لابن قدامة — جـ ٨ ص ٢٧٤ ومغنى المحتاج — جـ ٤ ص ١٥٩ ، ومنح الجليل — جـ ٤ — ص ٥٥٢ .
(٢) البخارى مع فتح البارى — جـ ١ ص ٩ .
(٣) سورة المائدة — آية ٣٣

قطع اليد اليمنى في السرقة الأولى بان تبتر من الزند وهو مفصل الرسغ ، ثم يحسم الزند بعد القطع ، والحسم لغة ، القطع من باب ضرب (٢) ، وقد اختلف الفقهاء في معناه الى قولين :

اولهما : للحنفية والمالكية والشافعية في قول ، وحاصل قولهم أن المراد بالحسم هو كى محل القطع بالنار (٢) .

وثانيهما : للشافعية وبعض الحنابلة ، وحاصل قولهم : ان المقصود به غمس محل القطع في زيت مغلى (٣) .

وفي تصوري ان الخلاف في تلك المسألة خلاف غير جوهري اذ المقصود من الحسم هو العمل على وقف سيلان الدم باية وسيلة ، حتى لا يؤدي سيلانه الى ازهاق روح الجاني من جراء اقامة حد القطع عليه .

فاذا عاد الجاني لارتكاب جريمة السرقة مرة ثانية ، قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم أى من الكعب ، حيث قال بذلك جمهور الفقهاء وتحقق الاجماع عليه (٤) .

ضمانات تنفيذ العقوبة :

وقد تقول بعض ممن تفطرت قلوبهم شفقة على المجرمين بأن عقوبة القطع على النحو الذى قرره الفقهاء ، عقوبة قاسية ، تخلف عددا من المشوهين في المجتمع ، حيث لا يستطيعون الانتاج بيد واحدة ، ومن ثم يصبحون عالة عليه ، وقد استمرأ البعض منهم القول على الله بغير الحق ، فراح يقرر معنى في القطع أملاه عليه هواه ، دونما خوف من الله وحياء من عقابه ، فذهب الى أن المراد بالقطع في اللغة ، مطلق المنع فيكون المراد به مجرد منع الجاني من السرقة دون قطع يده (٥) ، ولا شك أن هذا القول الضعيف قد غاب عن فهمه أن المعاني الشرعية لا يعول فيها الا على اصطلاحات الفقهاء ، وان دلالة اللغة على المعنى الاصطلاحي قد لاتؤدي المعنى المراد به شرعا ومن ثم يضبطه اصطلاح الفقهاء ويكون هو الدال عليه شرعا وقد قرر الفقهاء في القطع هذا المعنى ، والقول بأن تنفيذ الحد سيخلف عددا من العاطلين في المجتمع ، ينطوى على مجافاة لأبسط واجبات الايمان بالله ، والامتثال لاحكامه ، اذ لا يليق بواجب العبودية لله ولا آدابها ، أن يرد العبد على الله حكما ، لمجرد غرور عقله وزيوغ فكره ، قال تعالى :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (٦) ، ولست أدرى ما هى المنفعة التى سيفقدها المجتمع من قطع الأيدى التى

٩

---

(١) مختار الصحاح — ص ١٥٣ .
(٢) فتح القدير — حـ ٥ ص ٣٩٤ ، والام — حـ ٦ ص ١٣٨ ، وحاشية الدسوقى — حـ ٤ ص ٣٣٢
(٣) مغنى المحتاج — حـ ٤ ص ١٧٨ . ومنح الجليل حـ ٤ ص ٥١٧ ، وكشاف القناع حـ ٦ ص ١٤٥ .
(٤) راجع : فتح القدير — حـ ٥ ص ٥٩٥ ، ومغنى المحتاج — حـ ٤ ص ١٧٨ ، والاحكام السلطانية — ص ٢٢٦ ، والمغنى لابن قدامة — حـ ٨ ص ٢٦٠ .
(٥) راجع : الجنايات المتحدة فى الشريعة والقانون — للاستاذ رضوان المتعال ص ٧٧ — طبعة ١٣٤٩ هـ — مشار اليه فى كتاب السرقة — للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى — ص ١٠ .
(٦) سورة الاحزاب — آية ٣٦ .

دأبت على العبث بأمنه ، واتعدى على أموال الناس فيه ، والعيش عالة على ما ينتجه أبناؤه العاملون الشرفاء ؟ .

التقليل من توقيع العقوبة :

ولا شك ان الشريعة الاسلامية حين قررت القطع عقوبة للسارق ، وضعت له ضمانات الدفاع عن نفسه ودرء الاتهام عنه ، بما يعد مفخرة للباحثين عن حقوق الانسان واتاحة الفرصة له لتبرئة ساحته مما نسب اليه من افعال مشينة ، فالجريمة لا تثبت الا بشهادة رجلين عدلين ، أو اقرار الجاني على نفسه ، اقرارا متكررا في مجالس مختلفة فان عدل عن اقراره في مرة منها أطلق سبيله ، لما روى عن أبي أمية المخزومي ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع ، فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم ما أخالك سرقت ؟ قال بلى يارسول الله ، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا ، ثم أمر به فقطع » (١) ، ومن يستقرىء الشروط التي وضعها الفقهاء لاقامة الحد يجد أنها تتجاوز التسعة شروط (٢) ، كل شرط منها يعطي للجاني فرصة للدفاع ، ونظرا لمنع توقيع العقاب عليه .

ومن قبل عمدت الشريعة الغراء الى سد منافذ الجريمة والعمل على تقليل ارتكابها فهيأت في المجتمع المناخ الصالح الذي يقتل في النفس نزعاتها الشاذة للمال الحرام . وأوجدت فرص العمل الشريف ، ودعت الى السعي في مناكب الأرض بالعمل المثمر في الصناعة والزراعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشري ، فسدت بذلك أبواب البطالة والعوز ، وأكدت حقوق الفقراء لدى الأغنياء ، وأرست مبادىء التكافل الاجتماعي في المجتمع الاسلامي على النحو الذي يجعل مرتكب للجريمة فيه حريا بعقاب الله وجديرا باستحقاقه .

مصادر المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين :

والشريعة الاسلامية حين قررت وجوب قطع يد السارق لم يفرق بين جان بعينه ، أو مجني عليه ، فكل من سرق واستوفى شروط القطع تقطع يده ، سواء كان السارق مسلما أو غير مسلم ، وسواء كان المسروق منه أيضا مسلما أو غير مسلم ، فالمسلم والذمي أمام شرع الله في وجوب القطع عند الجناية على درجة سواء ، والشريعة الاسلامية لا تقر جناية المسلم على مال غير المسلم ، فاذا

---

(١) سنن ابن ماجه — ج ٢ ص ٨٦٦ .

(٢) راجع في هذا المعنى : دكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي — المرجع السابق — ص ٦٩ . وبحثا للشيخ محمد ابو زهرة بموضوعه : نظرة الى العقوبة في الاسلام — منشور في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر — ص ٢٠٥ وما بعدها .

ما خالف أحكامها فى ذلك ، تقطع يده كما لو جنى على مال المسلم ، وعلى هذا النحو تتحدد معالم المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين ، حيث تقوم مستندة على كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم والجماع الفقهاء ، والأثر والمعقول .

١ — من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (١) .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الحق سبحانه قد أوجب تطبيق حد الحرابة على الجناة الذين يقترفونها ، حسب جسامة الفعل الذى ارتكبه كل منهم ، وقد يكون العقاب هو القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أو النفى من الأرض (٢) ، والدلالة فى الآية عامة تشمل الجناة من المسلمين وغيرهم ، كما أنها ليس فيها ما يدل على اختصاص العقاب بحالة ما اذا سرق مال المسلم أو أخذ بالحرابة ، الأمر الذى يدل على شمول الحماية التى كفلتها الآية الكريمة لأموال غير المسلمين ، يقول الامام ابن كثير ، والصحيح أن هذه الآية عامة فى المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات » (٣) .

(ب) ويقول الله تعالى :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١)» .

ووجه الدلالة فى هذه الآية :

أن الحق سبحانه وتعالى ، قد أوجب قطع يد السارق ، وقد أضيف الحكم فى الآية الكريمة الى السرقة ، لأن اضافة الحكم الى أمر مشتق يدل على علية مامنه الاشتقاق ، فتكون السرقة هى علة القطع ، ولفظ السارق عام يشمل المسلم وغيره ، ومن ثم فان المسلم اذا سرق مال غير المسلم تقطع يده ، وليس فى الآية الكريمة ما يدل على اختصاص مال المسلم بحكم دون مال غيره .

٢ — ومن السنة :

(أ) ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه الا أسامة حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله عليه السلام ، فقال اتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ ثم قام خطيبا، فقال: «أيها الناس ، انما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (٤) .

(١) سورة المائدة آية ٣٣ .
(٢) راجع تفسير النسفى — حـ ١ ص ٢٨٢ .
(٣) مختصر تفسير ابن كثير — حـ ١ ص ٥١٠ .

(سورة المائدة — آية ٣٨ .
(٤) البخارى على هامش فتح البارى — حـ ١٢ ص ٧٨ . وسبل السلام — حـ ٤ ص ٢٠ .

وجه الدلالة في الحديث الشريف :

انه قد دل على وجوب قطع يد السارق مهما كان مركزه الاجتماعي ومهما كانت مكانته في الاسلام ، وليس في الحديث ما يدل على تخصيص السرقة بمال معين هو مال المسلم ، بل مال المسلم وغير المسلم في الحكم سواء .

(ب) وبما أخرجه البخاري من حديث ابى هريرة أنه قال « صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (١) .

وجه الدلالة في هذا القول الشريف :

انه قد يدل على أن السارق ملعون ، واللعنة لا تكون الا على أمر محرم فتكون السرقة حراما ، ثم بين حكم السرقة وهو وجوب قطع اليد ، وليس فيه ما يدل على اختصاص مال المسلم عن غيره في حكم السرقة ، ومن ثم فان المسلم اذا سرق من غير المسلم مالا فانه تقطع يده .

٣ ــ ومن الاجماع :

فقد اجمع الفقهاء على أن المسلم اذا سرق مال غير المسلم فانه تقطع يده وقد حكى هذا الاجماع صاحب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢) .

(١) سبل السلام ــ نفس المكان السابق .
(٢) راجع : بداية المجتهد ــ حـ ٢ ص ٢٨٢ .

٤ ــ ومن الاثر :

ما رواه أبو يوسف قال ، في المسلم يسرق من الذمي ، انه يلزمه ما يلزم السارق المسلم ، ثم قال حدثنا أشعث عن الحسن قال من سرق من يهودي أو نصراني أو أخذ من أهل الذمة من غيرهما قطع (١) .

٥ ــ ومن المعقول :

ان أهل الذمة بموجب العهد يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما كانت السرقة من مال المسلم توجب قطع يد السارق بصرف النظر عن كونه مسلما أو غير مسلم ، فوجب أن يتساوى مال غير المسلم في هذا الحكم ، ومن ثم فانه اذا سرقه مسلم فان يده تقطع به .

وعلى هذا النحو تقوم المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين ، على أساس ثابت من كتاب الله الكريم وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، والاجماع ، والاثر والمعقول ، وبذلك نكون قد انتهينا من بيان منهج الشريعة الاسلامية الغراء في حفظها وحمايتها لأموال غير المسلمين .

اما موضوع حماية الاسلام لأعراضهم ، فاننا سوف نقوم ببيانه في مقالنا القادم بإذن الله ، والله الموفق والمستعان .

دكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

(١) الخراج ــ لابي يوسف ــ ص ١٩١ وما بعدها .

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

جـريـدة الأزهـر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

"محاكاة المسلمين للأجانب"

من الظواهر الطبيعية التى نراها فى كل عصر وبيئة من زمان او مكان • ظاهرة التقليد او المحاكاة •

واذا كان لكل ظاهرة سبب او اسباب تظهر بظهورها وتذهب بذهابها • فان السبب الأول للتقليد فى رأينا — هو الاجتماع •

ومع اننا امة لها تاريخها وتقاليدها وعاداتها المستمدة من اصول شريعتها الجامعة الا اننا افرطنا فى تقليد غيرنا تقليدا انسانا حقيقتنا احيانا مع اننا (خير امة اخرجت للناس) •

ان من البلاء المبين اننا لم نقف فى تقليدنا للغرب عند حد ، ولم نقتصر على النافع بل اخذنا كل شىء قضية مسلمة وطبقناه فى عامة شئوننا وفى ادق امورنا وفى هذا اهدار لما نحرص عليه من دين ولغة وتاريخ وتقاليد تخصنا • ان التقليد ليس شرا كله وليس خيرا كله • ولكنه يشمل الجانبين معا • والعاقل من تناول خيره ولفظ شره •

ان من الواجب ان نرفع الصوت ونقول بان كل من تقدمنا — فى الحياة — ما عدا الانبياء والمرسلين يصيبون ويخطئون • فلا معنى اذا للتقليد الاعمى لكل شىء •

قال الشيخ :

---

(١) قد يوجد فى أفراد البشر من يولد فى بيئة عفاف وحكمة ، وتتولاه يد التربية الحازمة بالتنبيه لمواقع الهنات ، فتكون سيرته

كالسبيكة الخالصة لا يجد فيها الناقد مغمزا ، وليس على وجه المعمورة اليوم أمة استوفت خصال الكمال وبلغت فى رقيها المدنى أن يفتح الناقد الألمعى فيها عينه فلا يرى الا أعمالا مرضية ، أو عادات مقبولة ، فاذا وجد فى الأفراد من يفضل ببراءته من العيوب جملة ، فان الأمم انما تفضل بغلبة خيرها على شرها ، ورجحان محامدها على مذامها ، واذا وجد فى

---

(١) مجلة (نور الاسلام — مجلة الازهر) ج ٦ المجلد الثالث .

لصاحب الفضيلة : الشيخ محمد الخضر حسين
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

الأفراد من يأذن لك أساتذة التربيــة في أن تقتدي بسيرته على الاطلاق ، فليس في الأمم أمة يقول الرجل الحكيم لشعبه النــاهض : خض خوضها في كل واد ، وشابهها مشابهة الغراب للغراب .

هذه حقيقة قد تغيب عن أذهــان فئــة من الشعوب الآخذة في النهوض ، فاذا رأوا أمــة ذات معارف وسطوة ، تهافتوا على محاكاتهــا في غير تدبر واحتراس ، وربما ســبقوا الى ما يعد من سقط متاعها ومستهجن عاداتهــا ، فصبوا هممهم في تقليدها فيه ، فزادوا شعبهم وهنا على وهن ، وكانوا كالعثرات تعترضــه فتعوقه عن السير ، أو تجعل سيره في الأقــل بطيئا .

ومتى كثر في الشعب أمثال هــؤلاء الــذين لا يميزون في محاكاتهم السيئة من الحسنة ، فقد الشعب هدايته الدينيــة ، وتجــرد من مميزاته القومية ، ولا يفلح شعب نكث يده من الدين الحق ، ولا يعتز شــعب نظر الى قوميته بازدراء .

وقد تعرض ابن خلدون في مقدمته لهــذه المحاكاة من حيث انها طبيعة اجتماعية فقال : « ان المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي ، انما هو لكمال الغالب » ثم قال : « ولذلك ترى المغلــوب يتشبه أبدا بالغــالب في ملبســه ومركبــه وسلاحه ، في اتخاذها وأشكالها ، بل في سائر أحواله » ثم قال : « وانظر الى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحــامية وجند السلطان في الأكثر ، لأنهم الغالبون لهم، حتى اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها يسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو في الأندلس لهذا العهد مــع أمم الجلالقة ، فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير مــن عــوائدهم وأحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله » .

وهذا الذي قرره ابن خلدون طبيعة مــن

طبائع الأمم الضعيفة حيث توجد بجوار أمة قوية ، ولكنها طبيعة عرفت علتها ، فيمكن لزعماء الأمة الضعيفة أن يعالجوا العلة ، فتسلم الأمة من هذه الطبيعة ، ويمكنها أن تتحفظ من الاقتداء بالغالب الا فيما كان من وسائل الرقي والسيادة . يذكر ابن خلدون أن العلة في هذا التقليد اما ما وقر في صدر الأمة من تعظيم الغالب ، واما ما تغالط به من أن غلب الغالب ليس بعصبية ولا قوة بأس ، وانما هو بما انتحله من المذاهب والعوائد ، وكلتا العلتين انما تتفشى في الأمة التي حبلها على عاتقها ، تمشي على غير بصيرة ، ولا تقصد الى غاية نبيلة . فاذا قيض الله للأمة المغلوبة رجالا يعالجون ما عساه أن يطغى في صدرها من تعظيم شأن الغالب ، أو يوقظونها الى ما تغالط به من أن غلب الغالب بما انتحله من المذاهب والعوائد ، انقذوها من عماية التقليد الذي تتجرد به من الآداب الدينية والمميزات القومية . والناشيء الذي يدرس تاريخ الاسلام ، وما كان لرجاله من مجد شامخ وسلطان كريم ، لا يكبر في عينه سلطان الغالب الى أن ينحدر في التشبه به في كل حال.

يذكر الكتاب والخطباء تقليد المسلمين للأجانب ، ومنهم المسرفون في الدعوة الى التقليد ، ومنهم الراشدون ، واليك كلمة تعرض عليك الرأي الذي يقف عند حدود الدين ، ويرعى حق القومية ، ويقدر المصالح ، ويحرص على أن لا يفوت الأمة منها مثقال ذرة :

محاكاة المسلمين للأجانب تظهر في خمسة وجوه ؟

(أحدها) محاكاتهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ، ولا يخالف حكما شرعيا وأدبا دينيا ، وهذا مما تأذن الشريعة في الأخذ به ، ويتأكد العمل به على قدر مافيه من مصلحة ، وليس من المعقول أن تنهى الشريعة عما فيه خير لمجرد أن قوما من غير المسلمين سبقوا اليه ، ويدخل في هذا مجاراتهم في العلوم والصنائع ، ووسائل الدفاع ، والمرافق التي يخف بها جانب عظيم من عناء هذه الحياة ، ومن شواهد هذا ما فعله النبي — صلى الله عليه وسلم — من حفر الخندق حول المدينة المنورة وقد أشار به سلمان الفارسي ، وهو من مكايد الفرس في حروبها .

وفي أوربا اليوم نظم ادارية تزنها بقاعدة رعاية المصالح ، فترى اجراءها في بلادنا من قبيل اصلاح الادارة ، كنت أرسلت من برلين برقية لصديق لي في جنيف ، فجاءني خطاب من ادارة البرقيات يقول لي : لم نهتد الى معرفة المبعوث اليه بالبرقية ، وبعد ساعات وصلتني برقية من صديقي جوابا عن البرقية التي بعثت بها اليه ، وبعد ساعات جاءني خطاب من تلك الادارة تقول فيه : اهتدينا الى معرفة صاحبك بعد وأبلغناه البرقية . فمن ذا ينكر فائدة مجاراة الأجانب في مثل هذه النظم المريحة للنفوس ، وأذكر من أبيات للأستاذ محمد بن عبد الكريم المقيلي في الرد على من أنكر تعلم علم المنطق قوله :

خذ العلم حتى من كفور ولا تقم
دليلا على شيء بمذهب أهله

ولا أسوق في هذا الوجه محاكاتهم في بعض أخلاق انتظمت بها مدنيتهم ، وارتفعت بها على كثير من البلاد رايتهم ، كالصبر على المكاره ، والاقدام على العظائم ، وقوة رابطة الاتحاد والتعاون بين أفرادهم وجماعاتهم ، فان الاسلام قد أرشد الى جميع الأخلاق التى تزدهر بها المدنية ، وتستحكم بها عرى السيادة ، فاذا ظهر المسلمون بخلق عظيم ، فانما يقتبسونه من حكمة دينهم وسيرة عظمائهم .

(ثانيها) محاكاتهم في شيء من شعائر دينهم ، وهذه المحاكاة ان كانت عن رضا دلت على نبذ الاسلام ، ولاسيما محاكاة تقع منه مرة بعد أخرى ، فان قامت قرينة على أنه يقصد الاستهزاء بمن يقلدهم ، فهى سفاهة وعصيان ، فالذين يرسلون أبناءهم لمدارس أجنبية تحتم على كل تلميذ الاشتراك في القيام بشعائرها الدينية ، انما يلقون بافلاذ أكبادهم في حفرة من النار .

وقد وصل ببعضهم الشغف بالانحطاط في هوى الأجانب ، والانغماس في التشبه بهم أن اقترح في غير خجل قلب هيئة المساجد الى هيئة كنائس ، وتغيير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود الى حال الصلوات التى تؤدى في الكنائس ، وهذا الاقتراح شاهد على أن في الناس من يحمل تحت ناصيته جبينا هو في حاجة الى أن توضع فيه قطرة من الحياء .

(ثالثها) محاكاتهم في شيء لم يكن من شعائر دينهم ، ولكنه مما نهى عنه الاسلام على وجه الحرمة ، كتقليدهم في اختلاط الرجال بالنساء ورقص الفتيان مع الفتيات ، أو نهى عنه على وجه الكراهة ، كتقليدهم في تناول الطعام باليد الشمال (١) أو اطالة بعض الأظفار ، والمحاكاة التى توقع في محرم فسوق عن أمر الله ، والتى توقع في مكروه يخسر بها صاحبها قسطا من ثواب الله ، هذا اذا كانت المحاكاة عن مجرد هوى ، فان كانت عن اعتقاد أن ما يفعله الأجنبى أحكم وأليق ، زلزلت أصل الايمان ، والتحقت بمحاكاته فيما هو من شعائر ملته ، وعلى هذا الوجه يجرى حكم استبدال قوانينهم الوضعية بأحكام الشريعة الغراء نحو القوانين المبيحة لما حرم الله من الربا .

ومن الأمراض التى سرت الى المسلمين على طريق التقليد للأجانب موبقة الانتحار ، فقد يتخيل صغير العقل حيث يقع في بلاء أن الانتحار طريق يصح أن يسلك للتخلص من البلاء ، متكئا في هذا الخيال على أن كثيرا من رجال الدول أو الأمم الغالبة يرتكبونه وسيلة الى الخلاص من مكاره تصيبهم ، أو مكاره يخشون اصابتها .

ومن هذا الباب محاكاتهم في اغلاق محال التجار في يوم الأحد أو السبت ، فقد ثبت أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قصد

---

(١) ليس من الصعب على من يريد المحافظة على أدب اسلامى أن يعود يسراه قطع اللحم ونحوه بالسكين ، ويعود يمناه تناوله بالشوكة . وقد عزم على هذا قوم يعز عليهم أن يستخفوا بأدب دينى فوجدوه أمرا ميسورا .

الى صوم يوم السبت والأحد ليخالف أهل الكتاب فى جعلهما يومى عيد ، لأن صوم اليوم يبعده من أن يكون عيدا ، نقرأ فى سنن أبى داود أنه — صلى الله عليه وسلم — كان يصوم يوم السبت والأحد ، يتحرى ذلك ويقول : (انهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم) وأخرج الامام أحمد والنسائى أنه ما مات — صلى الله عليه وسلم — حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد .

فاغلاق المسلم لمحل تجارته يوم الأحد أو السبت يناقض قصد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى صوم هذين اليومين لأن اغلاق محل التجارة أو الصناعة فى يوم معين لا يلتزمه الا من شأنه أن يعتقد أن ذلك اليوم حقيق بأن يتخذ عيدا .

ومن محاكاتهم فيما يحرمه الشرع وينبذه العقل انشاء مكتب يستأذنه فاسدات الأخلاق فى التجارة بأعراضهن فلا يجد فى صدره حرجا أن يأذن لهن ، وقد تيقظ كثير من رجال دولتنا الرشيدة الى ما فى هذه المحاكاة من شر مستطير ، فأخذوا يجاهدون فى تطهير البلاد من هذه الخبائث ، وسيلقون على هذا الجهاد شكرا صادقا ، وذكرا طيبا ، وما عند الله خير وأبقى .

(رابعها) محاكاتهم فيما لم يتعرض له الدين بنص خاص ، ولكن رعاية جلب المصالح أو درء المفاسد تقضى بترك هذه المحاكاة ، والمصالح كالمفاسد تتفاوت فى شدتها فيفصل الحكم على حسب هذا التفاوت ، ومن أمثلة هذا النوع اتخاذ بعض الأزياء الظاهرة فى الاختصاص بهم كالقبعة ، فان وضع المسلم لها على رأسه بين قوم مسلمين يدل على ميله وترجيحه لجانب من يلبسها ، ويوقع فى اعتقاد الناظرين اليه أنه من طائفة المخالفين ، والمسلم المطمئن لدينه يتحامى ما يدل على أنه يميل الى غير أمته أكثر مما يميل الى أمته ، ويتألم من أن يصفه أحد بأنه من قوم غير مسلمين ، وقد حاول بعض المفتونين بتقليد الغالب فيما لا أثر له فى قوة سلطانه أن يحملوا أبناء المسلمين فى مصر على لبسها فخاب سعيهم ، ولم يكن جند صلاح الدين الأيوبى الذى انتصر على جيوش الأوربيين فى حطين حيث كانت الواقعة الفاصلة ، يرضى بأن يتخذ فى شعاره القبعات ، ولم ينفع أعداءه المنهزمين أن كان على رأس كل واحد منهم قبعة .

ويدخل فى هذا القبيل اتخاذ نحو الملابس وأثاث البيوت من مصنوعاتهم وفى المصنوعات القومية ما يغنى غناءها ، وفى الاقبال على المصنوعات القومية فتح باب عظيم من أبواب الثروة العامة ، وارتقاء الشعوب على قدر يسارها .

ومما يثير الأسف البالغ أن يقتصر المسلم فى رسائله أو عند ذكر الحوادث على ما يؤرخ به المسيحيون ، وهو التاريخ القائم على ميلاد المسيح عليه السلام ، وقد فشت هذه المحاكاة، حتى أصابت أقلاما شأنها أن تنهى عن مثل هذا التشبه ، وفى الاعتماد على التاريخ الهجرى محافظة على ذكرى مبدأ علو الاسلام وظهوره على الدين كله ، وكان صاحبنا العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله تعالى يقتصر فى مراسلاته على التاريخ الهجرى متعمدا هذا

الاقتصار حتى فى مخاطبة الجمعيات أو الشركات الأجنبية .

(خامسها) محاكاتهم فى أمور لم يرد فيها عن الشارع نهى خاص ، ولم تكن فى نفس موافقتهم فيها مصلحة أو مفسدة ، ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء الى ملتهم ، ولا حرج فى هذه المحاكاة الا من جهة الاحتفاظ بالتقاليد القومية فصغار النفوس أو العقول يسارعون الى التخلى عن المعروف بين الأمم الأجنبية ، ولا داعى لهم الى هذه المحاكاة الا الافتنان بكل شأن من شئون أولى الشوكة والسلطان ، أما أولو الأحلام الراجحة فلا ينتقلون عن المعهود فى بيئتهم الا الى ما هو أفضل ، ولا يفضل عرف على عرف لمجرد أنه يجرى بين قوم لهم القوة والغلبة ، ومن أمثلة هذا محاكاتهم فى لون خاص يلتزمونه فى حفلات خاصة ، فليس للون الخاص فى الحفلات مصلحة أو مدخل فى نهوض القوم ، وانما هى عادة جرت بينهم ، وألفتها أذواقهم ، فاذا لم يعتد قوم مسلمون التزام ذلك اللون فى مثل تلك الحفلات وأبوا تقليد الأجانب فى هذا العرف ، دلوا بهذه الاباية على الاعتزاز بقوميتهم ، ونبهوا على أنهم لا يريدون أن يكونوا أتباعا حتى فيما لا يقدمهم خطوة ، ولا يسد من حاجاتهم خلة .

فان خطر على بال أحد أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يسدل شعر رأسه موافقة لأهل الكتاب ، قلنا : كان عليه الصلاة والسلام بين فريقين : عباد الأوثان وأهل الكتاب ، وأهل الكتاب أقرب الى الدين الحنيف من عباد الأوثان ، فهم بالموافقة يومئذ أحق من عباد الأوثان ، ولكن بعد أن دخل عباد الأوثان فى الاسلام ، وأصبح فرق الشعر شعار فريق كبير من المسلمين ، عاد — صلى الله عليه وسلم — ففرق شعر رأسه ، وكان الفرق آخر حالتيه .

وان تعجب فعجب لذلك الذى وضعت صولة الغالب على بصيرته غشاوة ، فقام يدعو المسلمين الى تقليد الأجانب بدون قيد ولا استثناء ، وذهب يذكر فى وجه هذا التقليد المطلق غاية هى العمل لاتحاد العالم ، ولا نطيل فى وصف انحراف هذا الرأى فان العالم فى حاجة الى الاتحاد فى معرفة واجبات الانسانية ، وفى احترام الأقوياء لحقوق الضعفاء ، ومتى ظفر بهذا الاتحاد لم يضره اختلاف شعوبه فى بعض مظاهر الحياة ، ثم ما بال هذا الكاتب يسعى لاتحاد العالم من ناحية دعوة المسلمين الى موافقة الغربيين فى كل شىء ، ولم ينتظر المتدبر الرصين فيدعو الغربيين الى موافقة المسلمين فى آداب هى أشد انطباقا على ما تقتضيه الانسانية وترتضيه الأذواق السليمة ! .

هذه كلمة نوجهها الى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، لعلهم يجدون فيها تحقيق الفرق بين محاكاة الأجنبى المحمودة ومحاكاته المنبوذة ، فيسلكوا طريقا وسطا يكفل لهم سعادتى الأولى والآخرة ، (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

شرح الوجيز

فى فقه الإمام أحمد بن حنبل - للزركشى(١)

الامام احمد بن حنبل انعقد اجماع المسلمين على انه من الرجال الصالحين ، قال بعضهم لو قصد الشام ونواحيها لقالوا : احمد بن حنبل رجل صالح ، وكذلك لو قصد العراق ونواحيها لقالوا : احمد بن حنبل رجل صالح ، وتسايرت الركبان بذكر صلاحه وتقواه وورعه وقوة ايمانه

وزهده ، واذا كان الاجماع حجه فقد قامت الحجة على صلاح احمد ليس فى ذلك من ريب ولا مجال للشك فيه ، اختبر احمد بالدنيا

وزينتها فصرف عنها وان كانت له نفس تطلب طيبات الحياة ، ولكنه كبحها عن شهواتها ،

وفطمها عن الترف ، طلبته الملاذ فردها وذايلها فلم يطق به شىء من طارف الحياة (٢) اختبره خلفاء اربعة ، فخرج من الاختبار رجلا صالحا ، وقد تنوعت طرائق الاختبار .

اختبره المأمون بالقيد ، فسيق اليه مقيدا مغلولا يثقله الحديد مع بعد الشقة وعظم المشقة ، واختبره المعتصم بالحبس والضرب ، واختبره الواثق بالمنع والتضييق ، فما نهنهوا من نفسه وما يعتقد ، وبعد تلك البلايا ابتلى بالبلاء الأكبر فساق اليه المتوكل النعم ، فردها وهو عيوف النفس ، وكان يشد على بطنه من الجوع ولا يتناول مما يشك فى حله أو يتورع عنه ، ثم ابتلى احمد بعد كل هذا بأعظم بلاء ينزل بالنفس البشرية ، وهو اعجاب الناس ، فما أورثه ذلك عجبا ولا دلاء بغرور .

وكان رحمه الله يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لى ذكر » .

ويقول : « أريد أن اكون فى بعض الشعاب مكة ، حتى لا أعرف: قد بليت بالشهرة انى لأتمنى الموت ، صباح مساء » .

ان صلاح الامام احمد بن حنبل كان يمنعه من السير فى فقهه الى أقصى مداه ، كان يتوقف حيث يسير غيره ويتردد حيث يجزم سواه يجمجم بالمعنى حيث ينطق غيره ، ويسكت عن الفتيا حيث يسارع سواه ولذلك

---

(١) الكتاب فى مكتبة الأزهر فى الفقه الحنبلى برقم خاص ٦١ ورقم عام ١٠٦٤٢ .

(٢) ابن حنبل حياته وعصره ـــ محمد ابو زهرة

للأستاذ محمد عميره على

طغت على فقهه نزعته الى التحديث ووقوفه عند الأثر ، حتى لقد حسبه بعض العلماء السابقين محدثا ، وليس فقيها ، فنرى ابن جرير الطبرى لم يذكر مذهبه فى اختلاف الفقهاء ، وكان يقول عنه انه رجل حديث ، لا رجل فقه وامتحن لذلك .

وان مكتبة الأزهر لتذخر بكثير من كتب فقه الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه ومنها نموذج فريد لمخطوطه فى شرح « الوجيز » للامام محمد بن عبد الله بن محمد الزركشى المصرى الحنبلى « شمس الدين » أبو عبد الله توفى بالقاهرة سنة ٨٧٧٢هـ (سنة ١٣٧٠ م) (١) من آثاره : شرح قطعة من المحرر ، وشرح الخرقى ، وشرح قطعة من الوجيز ، قيل عن الامام الزركشى فى « شذرات الذهب » ج ٦ ص ٣٢٤ :

أنه كان اماما فى المذهب له تصانيف مفيدة أشهرها شرح الخرقى لم يسبق الى مثله وكلامه فيه يدل على فقه نفسى وتصرف فى كلام الأصحاب ، أخذ الفقه عن قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحجاوى قاضى الديار المصرية .

وابتدأ المؤلف كلامه فى شرح قطعة من الوجيز الموجودة بمكتبة الأزهر والتى أشار اليها « معجم المؤلفين » بكتاب العتق وعدة أبواب أخرى .

الباب الأول : العتق : قال أهل اللغة العتق الحرية تقال منه عتق يعتق عتقا ، وعتقا بكسر العين وفتحها ، وأعتقته أنا ، قال الأزهرى هو مشتق من قولهم عتق الفرس اذا سبق ونجا ، وعتق الفرخ اذا طار واستقل ، لأن العبد تخلص بالعتق ويذهب حيث شاء ، وقال فى المغنى العتق فى اللغة الخلوص . ومنه عتاق الطير وعتاق الطير أي خالصها . قال : وسمى البيت الحرام عتيقا لخلوصه من أيدى الجبابرة . قال : وفى الشرع عتق الرقبة تخليصها من الرق ، والأصل فيه قوله سبحانه « فتحرير رقبة » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه » متفق عليه .

وأجمع المسلمون على صحة العتق وحصول القدية به فى الجملة قال وهو أفضل القرب .

---

(١) معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ٢٣٩ .

وفى الشرع هو قربة عظيمة وذلك لما تقدم من حديث أبى هريرة .

وروى أبو ذر رضى الله عنه أى الأعمال أفضل قال الايمان ، وجهاد فى سبيل الله قال : قلت أى الرقاب أفضل قال أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمنا متفق عليه أيضا . ولأن الله سبحانه وتعالى جعله كفارة للقتل والوطء فى رمضان والأيمان ولأن فيه تخليص ملك الآدمى المعصوم من ضرر الرق يملك نفسه ومنافعه .

(اشكال) اطلاق الأصحاب بأن العتق قربة مشكل . لأن القربة من شرطها النية والعتق يصح من غير نية وقد صرح الأصحاب بصحة اعتاق الكافر مع أن نيته غير صحيحة فينبغى أن يقال العتق على ضربين :

قربة وهو ما اقترنت به النية المعتبرة .

وغير قربة وهو ما عدمت به النية .

قال المصنف وعتق العبد أفضل من عتق الأمة قال الشارح هذا الذى قطع به أبو محمد فى المغنى ونقله بن منصور عن أحمد وذلك لما روى سالم بن ابى الجعدى عن ابى امامة وغيره من أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم يمنى عن النبى — صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرىء مسلم أعتق امرا مسلما كان فكاكه من النار فجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار ويجزى كل عضو منهما عضوا منه رواه الترمذى وصححه .

ولأحمد وأبى داود معناه من رواية كعب بن مرة أو مرة بن كعب السلمى وزاد فيه : « وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار ويجزى كل عضو من أعضائهما عضوا من أعضائها » .

باب التدبير :

وهو تعليق العتق بالموت قال الشارح التدبير مصدر دبر العبد أو الأمة تدبيرا اذا علق عتقه بموته ، لأنه يعتق بعد ما يدبر سيده والممات دبر الحياة قال بن عقيل هو مشتق من ادباره من الدنيا . والأصل فيه ما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا أعتق غلاما له عن دبر فاحتاج فأخذه النبى — صلى الله عليه وسلم فقال : من يشتريه منى فاشتراه نعيم بن عبد الله بكذا وكذا فدفعه اليه وأجمع المسلمون على صحة التدبير فى الجملة .

قال : المصنف وهو فى الصحة من الثلث قال الشارح هذا منصوص أحمد فى رواية المروزى وصالح وحرب وأبى طالب وعليه الأصحاب .

وذلك لأنه تبرع بعد الموت فاعتبر من الثلث كسائر الوصايا .

قال المصنف ويصح ممن تصح وصيته ، قال الشارح وذلك لأنه تصرف بعد الموت أشبه الوصية . قال وصريحه لفظ العتق والحرية المعلقين بالموت ولفظ التدبير وما تصرف منه كانت حر أو محرر بعد موتى أو معتق أو عتيق بعد موتى أو دبرتك أو أنت مدبر وذلك لأن جميع ذلك لا يحتمل غير التدبير ولأن هذا اللفظ موضوع له فكان صريحا فيه فلفظ العتق ، ويرد على هذا المضارع والأمر ، كما قال فى العتق .

باب الكتابة : قال : وهو بيع العبد نفسه بمال مؤجل فى ذمته ، والكتابة اسم مصدر لمعنى المكاتبة وأصلها من الكتب وهو الجمع لأنها تجمع على نحو ما . ومنه سمى الخراز كاتبا قال الحريرى .

وكــاتبين ومـا خطت أنـاملهم
حـرفا ولاقـروا ما خط فى الكتب

وقيل لأن السيد يكتب عنه ومنه كتـابا بما اتفق عليه .

ومعناها فى الشرع ما قاله المصنف وهو ابن حمدان فى الرعاية . ولابد فى المال من أن يكون

معلوما . وفى المؤجل أن يكون منجما وسيأتى ذلك والأصل فيها الكتاب والسنة والاجماع .

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى « وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا » (١) .
وأما السنة فقوله عليه السلام « المكاتب

عبد ما بقى عليه من كتابته درهم » رواه أبو داود وغير ذلك من الأحاديث ، وأجمع المسلمون على جواز الكتابة فى الجملة . قال

ولا يصح كتابة مرهون ، لأن الكتابة بيع العبد نفسه كما تقدم وبيع المرهـون لا يصح .. الخ .

كتاب النكاح . النكاح فى كلام العرب الوطء قاله الأزهرى وسمى التزويج نكاحا لأنه سبب الوطء .

وعن الزجاجى : النكاح فى كلام العرب بمعنى الوطء والعقد جميعا .

وموضوع نكح فى كلامهم للـزوم الشىء والشىء راكب عليه قال ، ابن جنى عن الفارسى فرقت العرب فرقا لطيفا يعرف به فى موضع

العقد من الوطء ، فـاذا قالوا : نكح فلانه أو بنت فلان أرادوا تزوجها ، واذا قـالوا نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا الا المجامعة .

وقال الجوهرى : النكاح الوطء وقد يكـون العقد ، وهو فى الشرع العقد فعند الاطـلاق ينصرف اليه اختاره أبو محمد وابن عقيل وابن البنا وذلك لأنه الأشهر فى الكتاب والسنة .

وكلام أهل العرف وليس فى الكتـاب لفظ نكاح بمعنى الوطء الا قوله تعالى :
« حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ » .
على خـلاف فيه .

ولأنه يصح بعده عن الوطء فيقال هذا سفاح وليس بنكاح الى آخر ما ذكر فى هذا الباب .

باب الشروط والعيوب فيه أى فى النكـاح : والشروط والعيوب جميعا شرط وعيب كفلس

(١) النور ٣٣ .

وفلوس . والأصل فى صحة الشروط فى النكاح ما روى عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

« احق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج » رواه الجماعة .

فجعل الوفاء بالشروط التى يستحل بها الفرج أحق منه بغيرها . وروى عمرو بن عوف رضى الله عنهما قال :

« المسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وقد أمر الله سبحانه بالوفاء بالعقود ومدح من وفى بالعهد وذم من نقضه قال اذا شرطت المرأة طلاق ضرتها أو أن لا يتسرى ولا يتزوج

عليها أو لا يخرجها من دارها أو بلدها أو شرطت مهرا معينا أو زيادة فى مهرها صح . فان خالفه فلها الفسخ . أما كون جميع ما ذكر

يصح شرطه عدا اشتراط طلاق ضرتها . وقد نص احمد رحمه الله على ذلك فى رواية

ابن منصور وأبى الحارث اذا شرطت عليه أن لا يخرجها من بلدها أو دارها فلا يخرجها الا برضاها ، واذا أعطته مالا وشرطت عليه أن

لا يتزوج فتزوج يرد ما أخذه على هذا الشرط فانه تزوجها على أن لا يتزوج عليها أو لا

يتسرى ، فان تزوج أو تسرى فهى مخيرة ان شاءت أقامت وان شاءت فارقته ، وعلى ذلك الأصحاب .

وختم كتابه بباب الهبة وقال فى آخرها والمسألة اربعة أقوال الثالث الحكم فى البيع ، الحكم فى الصداق فلو باع عبدا وأبراه من

ثمنه فوجد به المشترى عيبا فرده وطالب بثمنه أو أمسكه وطالب الأرش فهل له ذلك ؟

على وجهين بناء على ما تقدم قاله فى الثانى والله اعلم . هذا آخر ما وجد من شرح الوجيز فى الفقه على مذهب الربانى احمد بن حنبل

الشيبانى قدس الله روحه تأليف الشيخ العلامة شمس الدين الزركشى طاب ثراه ووافق الفراغ من نسخه فى العشر الآخر من جمادى الآخرة لسنة أربع وسبعين ، وسبعمائة كتبه

عبد الحق بن ادريس الانبارى ، عفا الله عنه والحمد لله والصلوات على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر بقلم معتاد قديم بها أكل ارضه وتلويث على هامشها وبين سطورها هوامش وتصحيحات فى ١٣٠ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

محمد عمره على
مدير مكتبة الأزهر

جريدة الأزهر لولكوكس

ودورها في الدعوة إلى العامية

يناير ١٨٩٣ ـ ديسمبر ١٨٩٣

(١)

بقلم عاطف زهران

ـ ٢ ـ

بينا فى المقال السابق من هذه الدراسة (٢) ان هذه المجلة التى حملت فى القرن الماضى اسم « الأزهر » لم تصدر عن مشيخة الأزهر، وانما أصدرها : ابراهيم مصطفى وحسن رفقى « ١٨٨٧ ـ ١٨٩٢ » صاحبا امتيازها، ومرت أثناء ملكيتهما لها بمرحلتين : سميت فى الأولى منهما « الصحة » وفى الثانية « الأزهر » ثم أعلن صاحباها نقل امتيازها الى المهندس الانجليزى « وليم ويلكوكس » فى العدد الاخير ديسمبر ١٨٩٢ .

وفى هذا العدد نفسه أعلن « ويلكوكس » أيضا عن انتقال امتياز المجلة اليه ابتداء من يناير ١٨٩٣ م وحملت شعارا جديدا لها وسايرت فى ذلك العهد نفس الهدف الذى خدمته صحافة ضالة زاملتها فدعت بدورها الى الحث على تعلم اللغات الاجنبية (٣) ثم تصدرت هى الدعوة الى نبذ الفصحى والاقبال على العامية، وكان هذا الاتجاه فى خدمة المستعمر بأكثر مما يرجو المستعمر نفسه

*** امتياز ويلكوكس**

فديسمبر سنة ١٨٩٢ أعلن ويلكوكس عن انتقال امتياز مجلة الأزهر اليه من بداية العام الجديد « يناير ١٨٩٣ » وطالب المهندسين بأن يشاركوا فى تحريرها وحافظ على اسمها

(١) هى معروفة بسجل الوثائق بـ « جريدة الأزهر » وتسميتها بمجلة الأزهر يراها بعض اساتذة الصحافة لصدورها فى شكل مجلة .

(٢) مجلة الازهر ـ شعبان ١٤٠٤ ص ١٢٧٥ .

(٣) د . سامى عزيز ـ الصحافة الانجليزية وموقفها من الاحتلال ص ٢٨٠ .

● جريدة الأزهر لولكوكس

وموعد صدورها وحجم ورقها وعلى شعارها (علمية أدبية)..فهو لم يرد أن يفجأ القارئ، بأدنى تغيير في الشكل . حتى ينطلى عليه المضمون الجديد هذا المضمون الذى أولى الرياضيات أهمية كبرى .

وهو لا يريد أن يفقد بعض القراء الذين ارتبطوا بالمجلة طوال سنى صدورها .

وليس من صالحه أن يبحل فله رسالة وهو صاحب دعوة يسعى الى تحقيقها وتبليغها . ودعوته تلح عليه وتؤرقه ، فقط عليه أن يحول الاتجاه من المحتوى العلمى الى الرياضيات وهو العلم الذى يجيده . ودليلا على هذا النهج أضاف رسم (الفرجار) الى جانب اسم المجلة رمزا لعلم الرياضيات وشعارا جديدا مميزا لعهده .

وشاركه الاستاذ أحمد الازهرى (امتياز المجلة) وظلت المجلة فى ذلك العهد على مدى عشرة أشهر تصدر بنفس صورة الغلاف فى العدد الأول الاسم (الأزهر) وبجواره الفرجار وأسفلهما عبارة لـ « ميلتون » اختارها ويلكوكس لتخدم خطته ولتمهد الأرض لما سيجهر به من دعوة .

وأعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم وأتباحث حسب مامنحته من الذمة وأعطيته من الحرية».

١ ــ (صورة غلاف العدد الأول)

وهى عبارة تترجم عما ينتويه ، وتطالب بالحرية فى التعبير .. فى القول والبحث، والتعلم ، الحرية فيما يقول وفيما يجول . فهو صادع بدعوته بعد صفحه واحدة . لا يطيق صبرا عنها ولا كتمانا لها .

※ العدد الاول

أصدر ويلكوكس مع أحمد الأزهرى ما أسماه مجلة « الأزهر » من يناير ١٨٩٣ حتى نهاية هذا العام نفسه .

وفى العدد الاول يشير ويلكوكس الى الموافقة الخديوية على اصدار جريدته ويرسم خطة عمله فى العهد الجديد فيقول :

جعلنا أكثر مواضيع هذه الجريدة علمية ، وسنبذل الجهد فى تحريرها ، ونحن نقدمها لجنابه (١) العالى حيث تشرفنا باجازته الشريفة .

وبعد عدة أسطر من الصفحة الأولى استغرقها هذا التنبيه . نرى مقالا كبيرا له يستغرق حوالى عشر صفحات من المجلة هو ترجمة عربية لمحاضرة ألقاها قبل حين فى حفل أقيم بـ (كلوب الازبكية) أفصح فيه عن مراده . وأعلن عن دعوته .. (وأد العربية الفصحى واحلال العامية المصرية محلها) ليتحقق كما يقول للمصريين الخير العميم !

وهو ان كان صرح بذلك فى حفل سمعه العشرات ، فلابد من نشر دعوته على أوسع مستوى . والصحافة أقدر على ذلك وأبقى فالمحاضرة لا تلبث أن تذهب مع الرياح .

(١) جناب الخديوى .

والصحافة أحرى بحفظها وأسرع في نشرها وعليه فقد نشرها في العدد الاول من المجلة .

كانت محاضرته بعنوان :

(لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن) .

بدأها بحديث عن قدماء المصريين وآثارهم العجيبة التى خلفوها مما يدل على يدهم الطولى في الاختراع ، ويأسف لما أصاب الخلف من بعدهم من تأخر في الاختراع . ويقرر في البداية انه محب للمصريين أشد الحب مما جعله يبحث عن سر تأخرهم وينقب عن الداء العضال قال :

« وما أوقفنى هذا الموقف الا حبى لخدمة الانسانية ورغبتى في انتشار المعارف ، وما اجده في نفسى من الميل اليكم (يعنى المصريين)

الدال على ميلكم الى كما قيل : سلوا عن مودات الرجال قلوبكم (١) ثم يمهد لضربته .

(فالاختراع هبة وهدية لكل رجل ذكى ، ولكن أناسا كثيرين وضعوا امام عقولهم حجابا منعهم عن نظر الاشياء ، والتفقه في معانيها كما ينبغى لكل من منح هذه القوة الشريفة . وهو حجاب أسود كثيف ..(٢))

ثم يستطرد فيقول :

« انه يوجد فكيم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم لم تتحصلوا على شيء واضمتم أعمالكم سدى . فالكتب العلمية الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال ، وفي آخر الامر لا يلذ [illegible] الكلام الصعب الا قارئا صغيرا . وما نشأ ذلك الا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة . فبمجرد وضع الأفكار في الكتب تموت ولم تعد تحياء فكأنهم يكفنونها في الورق ، ويدفنونها في جلود الكتب .

واللغة العربية الأصلية كانت قوية جدا مشحونة بالألفاظ الشهيرة كما أنها كانت مشتملة على ألفاظ كثيرة ضعيفة (٣) ، وعلى مر الزمان غلبت القوية الضعيفة ، وكونت لغة قوية حية (٤) .

ولكنكم أيها المصريون أصبحتم تقولون انها لغة دارجة لا ينبغى اتباعها ، وجنحتم في مؤلفاتكم الى اللغة الضعيفة الخفية التى ماتت منذ زمن بسبب مزاحمة القوية لها .

واقول لكم : اذا جنحتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا .. »

هذا هو السبب الاكبر عند ويلكوكس في تأخر المصريين وتخلفهم بعد تقدم ولا سبب سواه ، فلابد من أن ينفض المصريون عنهم هذا الثقل وليهبوا الى اللغة الدارجة ، يأخذون عنها ويكتبون بها . اذا أرادوا أن يسيروا في الطريق الصحيح ساعتها وساعتها فقط سيرتقون في زعمه في سلم الحضارة ،

---

(١) العدد الاول ١٨٩٣ .
(٢) نفس العدد ص ٣ .
(٣) بداية الالباس في العبارة ليمهد لدعواه ان العامية اقوى من الفصحى .
(٤) يقصد اللغة العامية .

جريدة الأزهر لولكوكس

وسيأخذون بأسباب التقدم ، ويسعون كما سعت الامم قبلهم الى الامام بخطى سريعة !!

وفي ص ٧ من مجلته يوصي المصريين بقوله :

« اذا جنحتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا بسبب أن اللغة التي تتكلمون بها هي قلب اللغة ، والتي تكتبونها كالملابس لها » .

ثم استمر في نصحه الى أبعد مدى فطالب القراء أن يتجاوبوا مع دعوته ، ونشر اعلانا — في ختام المقال يغري فيه القراء بمكافأة قيمتها أربع جنيهات افرنكية لمن يكتب هذه الخطبة باللغة الدارجة (ص ١٠) يناير ١٨٩٣ .

وظن أو اعتقد أن الرسائل ستنهال عليه ملبية دعوته ، لكن أحدا لم يستجب له ، وفوجيء بسيل من الرسائل تنقده وتكشف عن زيفه .

وفي الحق أنه وجد صحافة وعددا من الرجال شد من أزره ، وترددت « المقتطف » في حمأته وارتوت من مستنقعه ، ثم ظهر من بعده « سلامة موسى » يؤيد منحاه مقتنعا بدعوته .

ولقد عنيت د/ نفوسة زكريا سعيد باعطاء تفصيل كبير للاحداث والأشخاص الذين كرعوا من حياض ويلكوكس (١) .

ولقد تصدت لهذه المناصر الهدامة صحافة ورجال أبانت وأبانوا عن خبث الدعوة ، وكشفوا عن هدفها ، ولولا أن الدراسة هدفها أن تحيط القاريء في العالم الاسلامي بعدم ملكية الازهر الشريف لهذه « المجلة » لذهبنا في دراسة موضوع العامية والدعوة اليه حتى نضع أمام القاريء المؤامرة بكل خيوطها ،

لا سيما أنه لازالت تطل من حين لآخر رءوس موجهة من خارج عقيدتها وقوميتها ووطنيتها تدعو بأساليب شتى لنفس الهدف الخبيث

صريحا تارة ومغلفا أخرى والهدف فصل الامة عن قرآنها المجيد ، المصدر الوحيد بلغته الذي يربط أفرادها وجماعاتها ، ويحفظ لسانها .

وواضح جدا أثره في وحدة المسلمين ، ويوم تنجح هذه الدعوة وأشباهها — لا قدر الله — يوم تتفجر الفجوة بين العرب والمسلمين وتتفتت وحدة قلوبهم وأرواحهم ، فيتم القضاء على أبدانهم .

لقد تصدت صحافة وطنية ذات أقلام تأخذ من فكر أصحابها المستمد من عقيدتهم وايمانهم بالله ثم بالوطن امثال : « البرهان » و « الاستاذ » و « الآداب » فكشفت عن زيف الدخلاء والأدعياء ومآربهم الخبيثة .

ولم يتراجع (وليم ويلكوكس) حتى بعد افلاس جريدته عن دعوته فألف بعد أكثر من عشر سنوات كتابا دعا فيه الى الموضوع نفسه .

---

(١) د . نفوسة زكريا سعيد — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر — دار المعارف .

— ٢ —

عرضنا فى الحديث السابق لمحاضرة ولهم ولكوكس مهندس الرى الانجليزى وصاحب امتياز مجلة الأزهر التى اصدرها رجلان لا يمتان لمشيخة الأزهر بصلة ، وهى المحاضرة التى نشرها فى العدد الاول حين آل اليه امتيازها واوجزنا اهم النقاط التى تعرض لها فى حديثه . وبان لنا انه يدعو فى صراحة الى هجر الفصحى واستبدالها بالعامية . وبينا ان المحاضرة اثارت نقاشا حادا فى الأوساط المختلفة . ولقيت نقدا شديدا من الغيورين على لغة القرآن الكريم .

هبت الاقلام تكشف عما وراء هذه الدعوة من اغراض.ولم تكن جريدة ويلكوكس بمنأى عن المناقشات . اذ جاءته رسائل عديدة ترد عليه وتبطل دعوته نشر منها ثلاث رسائل فى العدد الثانى من المجلة (فبراير ١٨٩٣) :

الأولى : من ابراهيم مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم الخديوية واحد مؤسسى مجلة الأزهر فى مرحلتها الاولى .

والثانية : من أحمد افندى سليمان .

والثالثة : من السيد أفندى الزمزمى .

واستغرقت خمسا وعشرين صفحة من العدد . فلماذا نشرها صاحب المجلة ؟ هل رضى بما حوته واقتنع بأن الصواب قد جانبه فى دعوته ؟ أم انه آمن بما فى تلك الرسائل من أفكار ؟

انه أراد أن يتظاهر بالحيدة التامة لكيلا يتهم بالتعصب لفكرته ، وليوهم أن الباب مفتوح للمناقشة ولعرض وجهات النظر فى حرية تامة كما انه أراد احتواء هذه الرسائل التى تعارضه . وهنا يستفيد من ناحيتين . فيضمن عدم نشرها فى صحف أخرى بصورة (تشوش) عليه ، ويأمل فى استدراج أصحاب تلك الرسائل ايمانا منه بأنهم عما قريب سيؤمنون بدعوته . وهذا ماصرح به فى موضع آخر من المجلة بعد حين .

● رد ابراهيم مصطفى

لا يتسع المجال لايراد هذه الرسائل . وحسبنا أن نشير الى فقرة من رد ابراهيم مصطفى . ومن أراد المزيد فليرجع الى المجلة

يقول فى بيان ما امتازت به العربية عما سواها : « .. اذا قابلنا اللغة العربية باللغات الاشتقاقية — الانجليزية والفرنسية — نجد أنها قد امتازت عن غيرها بخصائص معها لا يكون للريب محل فى أنها أليق اللغات واكفلها بحاجة العلوم — فمن ذلك سعتها . فعدد كلمات اللغة الفرنساوية (٢٥) ألف كلمة . وعدد كلمات الانجليزية (١٠٠) ألف كلمة . على أن معظم هذا العدد الأخير مصطلحات صناعية أما اللغة العربية فعدد موادها الواردة فى القواميس غير المطبوعة حتى الآن على قول بعض المطلعين (٤٠٠) ألف مادة . فاذا لم نعتمد الا على ما كان واردا فى القواميس المطبوعة حتى لا يكون محلا للريب فلسان العرب يحتوى على (٨٠) ألف مادة — مادة لا كلمة — ومعلوم أن معظم مواد اللغة العربية يؤخذ منها عدة كلمات التى تشتق من المواد المدونة فى لسان العرب ، وعليه فهى نصف مليون كلمة على

● جريدة الأزهر لولكوكس

الأكمل ، وليس لغة اشتقاق أخرى غنية الى هذا الحد (١) .

وكانت الردود تنصب على عدة أمور منها :

ا ـ خطر الدعوة على الدين .

ب ـ خطرها فى التفرقة بين المصريين وجيرانهم من الدول الاسلامية والعربية .

د ـ عدم جدوى العامية فى التاليف .

وقد نشرها ولكوكس ليدحضها ، ويأتى عليها من القواعد ، وأعد تعقيبا على تلك الرسائل ونشره فى العدد التالى .

● موقف الصحافة من الدعوة

حدث ما كان يخشاه ولكوكس . وفتحت بعض الصحف الابواب للرد على المهندس الانجليزى .. وكيف تسكت على هذا الخطر الذى بات يهدد الفصحى ، أملا فى وأدها .

وكان عبد الله النديم أول وأسرع من تصدى لهذه الدعوة على صفحات جريدة الأستاذ فى ٣ يناير ١٨٩٣ . وكشف عن الهدف الذى يسعى اليه صاحب مجلة الأزهر ، قال :

« والقرآن الكريم هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين ، فهو الداعى الى حب اللغة العربية الصحيحة وهو المقصود لكل محارب ساع فى أماتتها . » .

ومع ظهور الدعوات الى العامية كانت هناك دعوات موازية لها تشجع تعلم اللغات الأجنبية بين فئات الشعب المصرى . ومن هنا تزداد خطورة الدعوة الى العامية حيث يؤدى الى نتيجة مرة هى ضياع اللغة العربية الفصحى ، وانتشار العامية حتى يسهل التخلص منها واحلال الانجليزية محلها لغة للمصريين (٢) .

ولم تهدأ الدعوات الى العامية . ولم ينس الناس دعوة ولكوكس . حتى أن مصطفى كامل كتب معارضا لها فى جريدة اللواء بعد حوالى عشرين سنة من نشر محاضرة ولكوكس . فكتب فى ٢ فبراير ١٩٠٢ يقول :

« ومن السذاجة أن تعجب اذا سمعنا آنا بعد آن كاتبا من الانجليز أو مهندسا منهم ينصحنا بتبديل لغتنا .. فانما الغربيون مهاجمون ونحن مدافعون .. (٣)

وامتدت أصداء الدعوة أوسع من ذلك . واتجهت هذه المرة وجهة عملية للرد على صاحب هذه المجلة . فقال بعض المهندسين المصريين المعتزين بلغتهم بالرد العملى على ويلكوكس . فأصدروا مجلة علمية تسمى (المهندس) للابحاث الرياضية والعلمية ، ليثبتوا عمليا امكان معالجة هذه المسائل ، بالفصحى . فأضاعوا بذلك جهود ويلكوكس التى كان يبذلها فى نشر دعوته متخذا من مجلته

---

(١) مجلة الازهر فى فبراير ١٨٩٣ ص ٣٩ .

(٢) راجع الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال د. سامى عزيز ص ٢٩٥ .

(٣) راجع فى ذلك كتاب د. سامى عزيز مرجع سابق ص ٢٩٥ .

مسرحا للقيام بمختلف الحيل والوسائل التى اعتقد أنها تساعد على نجاحها (١) .

لم تنطل على المصريين كلمات ولكوكس الثقافة النزلية فيهم ، ولم تنل دعوته ما كان يأمله من رضا لديهم . فقد أحسوا أن المسألة جد خطيرة . فهى مسألة خيار صعب .. اما حياة للفصحى « واما ممات لم يصف بممات »! قرأ الرجل ما كتبته الصحافة عن دعوته من هجوم عليها . وناقش بعض ما أثير حول خطر هذه الدعوة . فماذا يفعل ؟ هل يحفظ مجلته خالصة لخدمة العلم وكفاه خوضا فى هذا الجدل ؟ أم يستمر فى طريقه حتى نهاية الشوط ولربما انضم اليه من يناصره فينجح فيما أسندته انجلترا اليه من عمل .

*** وفاؤه لدعوته**

كان لغير ولكوكس أن يضيق بالنقد الذى وجه الى دعوته . وكان لغيره أن يكف عن الحديث ولو حصا فى هذه القضية . أما هو فوفاؤه لدعوته قوى وتصميمه على السير فى الطريق أكيد . وهو كما قلنا ــ صاحب رسالة لا يعبأ بما يناله فى سبيلها .

فنشر مقالا فى العدد الثالث من المجلة عن « اللغة الدارجة » يرد فيه على معارضيه، ويأتى بما يزيد من وضوح دعوته وما يفيد أنه مؤمن بهدفه وخادم وفى لأمته عامل بوصية وزارة المستعمرات فيها .

ففى مقال يستغرق ثمانى صفحات من المجلة يقول فيه بعد الرد على معارضيه مبينا ما يمكن أن يتحقق من كسب مادى اذا استخدمت اللغة الدارجة فى الصحافة والكتب :

(.. واذا كانت اللغة الدارجة مستعملة فى البلاد ، وكانت الجرائد محررة بها تروج تجارتها ، وتجلب الثروة العظيمة بسبب أنها حررت باللغة المعلومة المنتشرة فى أنحاء القطر المصرى ، وكان الناس يقبلون عليها فتشحذ أذهانهم ، وتسموا مداركهم ، ولم يزالوا يترقون حتى يستحوذوا على التقدم فيبلغوا أوج الكمال (٢) .

ونلاحظ هنا أنه يسوق ألفاظه بأسلوب ركيك أقرب الى اللغة الدارجة كما نلاحظ أنه يدق على نفس الوتر : رقى المصريين وسمو مداركهم ، ويزيد على هذين كسبا ماديا يتحقق من وراء بيع الصحف والكتب التى كتبت باللغة العامية . وهكذا لا يزال يؤمل أن يستجيب له الناس .. ولكن هيهات !

*** ويلكوكس يترجم الى العامية**

عرض المهندس الانجليزى فكرته كما يريد ، ودافع عنها ورد على معارضيها ولم يبق أمامه الا أن يقدم أمثلة تطبيقية ، ومقطوعات باللغة العامية التى يحلم بها لغة للكتابة والقراءة . وحسبه ما قال عنها . ويبقى أن يقدم أمثلة فليكتب بعض الموضوعات بتلك اللغة ليبرز لمعارضيه فكرته عمليا ، وأمله لم ينقطع ولن ينقطع فى ضرورة استبدال العربية بالعامية.

---

(١) راجع كتاب تاريخ الدعوة الى العامية فى مصر وآثارها د. نفوسة زكريا ص ١٠٧ .

(٢) الأزهر فى مارس ١٨٩٣ .

جريدة الأزهر لولكوكس

انكب على قطعة من مسرحية لشكسبير وترجمها الى العامية فى عددين من المجلة الخامس والسادس . قال فيهما على لسان (سرجيون) (١) وهو يناجى نفسه.

(اذا قطعتونى بالمنشار أربع حتت لكانت كل حته أكبر من القاضى واللى رفيع زى العصاية، وانا بتعجب كتير ازاى القاضى وخدامينه زى بعض .. (٢)

ويكفينا ذلك فالكلام قد خلا حتى من الذوق مما يجعلنا نمسك عنه وبعد عدة أشهر نشر خطابا للمستر « ولترن » عن طرق التعليم باللغة الدارجة جاء فيه :

(أنا شفت ناس كتير رجاله ونسوان عندهم شغف بقراية الجرانيل ولكن بعد ما يقروهـا مايفقاش فى مخهم حاجة من اللى شافوها فيها ودا جه من سوء التربية الأولنيه ، فاشوف انه يلزمنى اعلمكو التربية الناجحة) (٣) .

فالرجل يعمل ، ولا يهدأ الا ليفكر ثانية ، ولا يسكت الا ليفكر فى سبيل أخرى ينفذ منها ، أو حيلة تجدى فى نشر فكرته ونصرتها ، وأخاله لم ينم ليلة الا وحلم بانتحار الفصحى — معاذ الله — ولا أظن غاية أخرى شغلته كما شغلته تلك الغاية ، ولا حلما أقض مضجعه كهذا الحلم . ! وخطاب (ولترن) الذى أخذنا عنه تلك العبارة خير دليل على ما نقول من أن الرجل لم يدع فرصة تمر دون أن يستغلها لخدمة فكرته .

*** اعلان النهاية :**

وعلى الرغم من تلك الجهود التى بذلها ويلكوكس لنشر دعوته وتأييدها،فلم يقف أحد الى جواره . وكلما أصر على رأيه وكرر القول فيها كلما أصر المعارضون على آرائهم وعلى كشف نواياه السيئة وراء ذلك الكلام المعسول. وصمت الآذان تجاه دعوته بالرغم من صبره الذى طال على مدى عشرة أشهر من صدور مجلته .

انقطع خيط الأمل الذى كان يتشبث به ، والذى سعى من اجله للحصول على أمتياز المجلة . فهو لم يسع — ذلك خدمة للعلم أو للرياضيات وانما لهدف اكبر هو القضاء على لغة القرآن .

يئس الرجل لهذه النتيجة التى توصل اليها لما لم تجد دعوته صدى . ورأى أن ليس ثمت ما يدعو لاصدار مجلة الأزهر بعد ذلك . فلا فائدة ترجى منها وهو يدور فى دائرة مفرغة . فليوفر تلك الجهود التى تضيع سدى — فالمصريون لم يهتدوا ولم ينتصحوا ، والمجلة لم ولن تؤدى دورها الذى من أجله سهر عليها. وصرح هو بذلك فى العدد العاشر من المجلة (ديسمبر ١٨٩٣) فى كلمة له بعنوان (لما تانفع يسمى لبيب) تمثل فيها بقول الشاعر العربى :

---

(١) هو فى المسرحية ضابط فى الجيش والحبيب الاول للبرنس هنرى .

(٢) الازهر فى مايو ١٨٩٣ .

(٣) مجلة الازهر لويلكوكس فى ديسمبر ١٩٨٣ .

لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن
لشيء قليل نفعه الدهر ساعيا

قال فيها : (حملني حب نشر العلوم ، وحب تنوير المصريين أن أسير في هذه المجلة سيرا معتبرا عاما . لذلك افتتحتها بمقالة تطالب المصريين وخصوصا المهندسين على وضع أفكارهم (كذا في الأصل) في اللغة الحية المستعملة رغبة في فائدة العموم ، وحبا في انتشار هذه العلوم ، فأبوا أن يترجموا عن أفكارهم بلغة غير مشهورة ، وأخذوا يرسلون بها الرسائل .. وحيث أنهم استمروا على الطريقة الأولى ، ولم يهتدوا الى الطريقة المعتبرة العامة فلا حاجة للاستمرار في اصدار الجريدة . اذ أن الفائدة قاصرة على القليلين الذين يعلمون هذه اللغة التي استولى حبها على عرش قلب المؤلفين (يقصد العامية) (١).

وهو يعني بالمؤلفين هو والأستاذ أحمد الأزهري

واعتقد أن فيما سبق ما يكفي لبيان ماذهبنا اليه من أن الرجل كان صاحب غاية ، سخر مجلته لخدمتها . وحين لم يجد فائدة أعلن عن توقف المجلة . ولكنه رأى الا يدع آخر فرصة تفلت من يده ، فأعاد نشر المقالين اللذين تضمنا خلاصة دعوته .

أولهما : المقال الافتتاحي للعدد الأول (لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين ؟) .

وثانيهما : مقالة عن (اللغة الدارجة) الذى نشر بعده بأشهر . بحجة أن البعض ربما لم يتح لهم الاطلاع على المقالين أو أحدهما .

فنشرها في آخر صفحات المجلة وعقب مقالة الختامى (لما نافع يسعى لبيب) .

وبعدها توقفت المجلة . ولكن الرجل لم يكف عن دعوته ، فقد ترجم الانجيل المتداول بأيد النصارى الى العامية ، وألف رسالة بعد عدة سنوات تفيد أن مصر وبعض البلاد العربية الأخرى لا تتحدث العربية الفصحى . وانما تتحدث لغة أخرى هي البونية . كل ذلك بغرض اقصاء الفصحى عن الحياة وعن الكتابة والتأليف .

(١) العدد العاشر من مجلة الازهر لويلكوكس ديسمبر ١٨٩٣ .

اعتـــذار

تعتذر مؤسسة روز اليوسف عما حدث في تجليد بعض النسخ من

اخطاء في عدد رمضان واحدة بعدم تكرار ذلك مرة أخرى

« مؤسسة روز اليوسف »

● جريدة الأزهر لويلكوكس

● مضمون المجلة :

لا يفوتنا أن نتحدث عن محتوى هذه المجلة « الأزهر » فى عهد ويلكوكس . فلم تكن كلها مقالات فى الدعوة الى العامية وان كان ذلك هو الهدف الأكبر الذى أولاه صاحبها جل اهتمامه أما المحتوى الحقيقى للمجلة فكان علميا رياضيا وذلك ما اعلن عنه فى العدد الأول .. انها مجلة رياضية تعنى بعلوم الرياضيات .

وطالب المهندسين أن يشاركوه فى تحرير المادة الرياضية . وحين تتصفحها تلمس ذلك جليا ، وتشعر بأنك تقلب صفحات أحد كتب الرياضيات .. مسائل فى الحساب والهندسة ومعادلات ورسوم هندسية . حتى أنها كانت تنشر دروسا مسلسلة فى هذه العلوم . خذ مثلا علم الميكانيكا التطبيقية . تنشر دروسه :

فى (٤٣) صفحة من العدد الثالث (٤٠) صفحة فى العدد الرابع (١٥) صفحة فى العدد الخامس .

وقس على ذلك سائر الاعداد . فالصيغة الرياضية لم تتخلف عنها فى عدد من أعدادها، وما سقناه مجرد مثال فقط . وهذه كلمة عن مضمون المجلة لم نشأ ان نغفلها .

● ما بال أصحاب الحق !!

رأينا كيف تفانى الرجل فى خدمة دعوته وهى الباطل بعينه . وما أريد أن أقوله فى نهاية هذه الدراسة : لو كان ويلكوكس جادا وصادقا فى حبه للمصريين وارادة الخير لهم لأعمل عقله فى اى مشروع يعود خيره البين عليهم .. بناء مصنع أو مدرسة . أو كشف عن طرق جديدة لرى بعض أراضى صحراء مصر الشاسعة . وهو مهندس فى الرى .

فالأعمال النافعة كثيرة ، والمشروعات الانتاجية البينة الصلاح الاكيدة الفائدة لا تحصى ، فلم يجهد نفسه فى تلك الدعوة بالذات الا ابتغاء المثوبة من حكومته ؟

وخطر ببالى سؤال : اذا كان هذا هو شأن أصحاب الباطل فى الدعوة الى باطلهم . فماذا فعل أصحاب الحق .. ؟!

وما أريد تأكيده هنا . ان (ويلكوكس) ان كان قد مات . فان دعوته لم تمت . فقد خلف وراءه عشرات يتبنون فكرته ويسعون مسعاه ، منهم من يعيش بين أظهرنا ، والا فكيف نفسر ما نسمعه فى هذا الصدد من حين لآخر ؟

وما فعلناه هو اننا سلطنا الضوء على أحد العمد فى هذا الميدان لتقرأ احدى صفحات الدعوة الى العامية . التى لا تفتأ تتكرر بأسلوب لا يختلف كثيرا عن أسلوب ويلكوكس استاذهم .

عاطف زهران

يتبع ..

اللغة والأدب والنقد

تعدى الفعل ولزومه

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

في حاشية الأمير

ماهكذا تورد ياسعد الابل

تعدى الفعل ولزومه

الفعل التام الذى يحتاج الى فاعل لوقوع الحدث ، المتصرف ، الذى يأتى منه أنواع الفعل الثلاثة : الماضى والمضارع والأمر، الفعل بهذه الأوصاف ، ينقسم الى لازم ، ومتعد ، وواسطة بينهما .

فاللازم هو الذى لا ينصب المفعول به بنفسه نحو : وقف ، جلس ، ورجع ، وخرج ، وسلم ، وغامر ، ونفر ، وهلل ، ويسمى قاصرا لقصوره عن المفعول به ، ويسمى ايضا غير متجاوز لعدم تجاوزه الفاعل الى المفعول به .

افعال دائمة اللزوم حتمية القصور

هناك أفعال لزومها ثابت مطرد ، وقصورها حتمى لا تزايله ولا تخرج عنه الى التعدى الا أنواع محدودة منها ، وفى حالات قليلة ، وهى أنواع عديدة منها :

١ ــ أفعال السجايا ، والسجية الطبيعة والسليقة التى ليست حركة جسم من معنى قائم بالفاعل لازم له حسيا كان أو معنويا نحو : ظرف وشرف ، وشجع ، وجبن ، وبخل ، وكرم ، وطال وقصر .

٢ ــ اذا دل الفعل على عرض ، وهو ما ليس حركة جسم من وصف قائم بالفاعل غير ثابت فيه دائما ، مثل ، مرض وكسل ، وحزن ، وفرح ، وأشر ، وبطر ، ونشط .

٣ ــ اذا دل على نظافة ، نحو نظف ، وطهر ، ووضؤ بضم العين فيهن ، ويجوز فتح عين طهر فقط .

٤ ــ اذا دل الفعل على نقيض النظافة (دنس) نحو ، نجس ، ورجس وقذر بضم العين وكسرها فيهن .

٥ ــ أو دل على لون كاحمر واخضر واسود ، وادم ، واحمار ، واخضار وابياض واسواد .

٦ ــ أو دل على حلية أو عيب ، نحو دعج وكحل وحور وشنب وسمن وعمى وعور وعمش وهزل .

٧ ــ ان يكون على وزن (افعلل) بفتح اللام الأولى وتشديد الثانية ، نحو ، اطمأن واشمأز ، واقشعر ، واكفهر .

٨ ــ أن يكون موازنا لما الحق بافعلل ، كافوعل ، بسكون الفاء ، وفتح الواو والعين وتشديد اللام ، نحو اكوهد الفرخ اذا ارتعد لأمة لتزقه ، واكوال الرجل ، أى قصر .

٩ ــ أن يكون على وزن (افعنلل) بسكون الفاء والنون ، وفتح العين واللام ، والنون

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

فيه زائدة بعدها حرفان أصليان نحو احرنجم، واقرنقع .

١٠ ــ ان يكون موازنا لما ألحق بافعنلل ، وهو ضربان .

الأول ما كان فيه بعد النون الزائدة حرفان أحدهما زائد بالتضعيف كافعنلل بزيادة احدى اللامين مثل اقعنسس الجمل اذا ابى أن ينقاد .

والثانى ما كان فيه بعد النون حرفان أيضا أحدهما من حروف سألتمونيها كافعنلى ، بسكون الفاء والنون وفتح العين ، وزيادة الألف اللينة فى آخره ، وهى من حروف سألتمونيها نحو (احرنبى) الديك ، بسكون الحاء والنون ، وفتح الراء والباء الموحدة اذا تحفز وتهيأ للقتال (واسلنقى) الرجل نام على ظهره ، وقد جاء منه المتعدى شذوذا ، نحو ، اسرندى ، واغرندى ، بمعنى علا وتمكن فى قول الشاعر :

قد جعل النعاس يسرنديني

ادفعه عني ويغرنديني

١١ ــ مطاوع المتعدى لمفعول واحد ، نحو فتحت الباب فانفتح ، وكسرت الغصن فانكسر ، ومددت الحبل فامتد وأزعجت اللص فانزعج . والمطاوع لا يلزم وزن (انفعل) بل يأتى على أوزان أخرى مثل ضاعفت الجزاء فتضاعف ، وأدبت الصبى فتأدب ، وعلمته اللغة فتعلمها ، والمطاوع بالكسر ينقص عن المطاوع بالفتح درجة فى التعدى دائما فان كان المطاوع متعديا لاثنين تعدى مطاوعه لواحد نحو ألبسته الثوب فلبسه وان كان المطاوع متعديا لواحد فقط صار مطاوعه قاصرا . نحو أخرجته فخرج ، وأجلسته فجلس . وأصلحت الأمر فانصلح وزعم ابن برى أن الفعل ومطاوعه قد يتفقان فى التعدى لاثنين ، نحو استخبرته الخبر فأخبرنى الخبر واستفهمته الحديث فأفهمنى الحديث ، واستعطيته درهما فأعطانى درهما . وفى التعدى لواحد أيضا ، نحو استفتيته فأفتانى ، واستنصحته فنصحنى، لكن الصحيح أن المطاوع لا يوافق مطاوعه فى التعدى بل ينقص عنه درجة كما سلف ، وما ذكره ابن برى ليس من المطاوعة : بل من باب الطلب والاباحة .

لأن حقيقة المطاوعة هى قبول فاعل فعل أثر فاعل آخر .

١٢ ــ كون الفعل على فعل بفتح العين أو فعل بكسرها والوصف منه على فعيل فقط نحو ذل وقل فالوصف منهما على ذليل وقليل لا غير ، ونحو قوى فوصفه قوى فقط على وزن فعيل ، أما ان كان وصفه على فعيل وفاعل فانه يتعدى نحو علم فوصفه عالم وعليم ، ورحم فهو

تعدي الفعل ولزومه

راحم ورحيم ، وسمع ، فوصفه سامع وسميع .

١٣ ــ صوغ الفعل على (أفعل) لافادة أنه صار ذا وصف معيز نحو أغد البعير صار ذا غدة ، وأحصد الزرع صار ذا حصاد .

١٤ ــ مجيء الفعل على وزن (انفعل) من كل ثلاثي مزيد بالهمزة والنون نحو ، انطلق الثور من قيده ، انكسر النصل ، انفصل الشركاء في رضا وهدوء ، ويختلف هذا النوع عن المطاوع في أن علامته لفظية ، وعلامة المطاوع معنوية ، كما أن المطاوع لا يلزم وزن (انفعل) بل يأتي على أوزان أخرى غيرها كما سلفت الاشارة الى ذلك ، نحو ضاعفت الأجر فتضاعف ، وأدبت الغلام فتأدب وعلمته اللغة فتعلمها .

تعدية الفعل اللازم

الفعل اللازم يمكن نقله الى متعد بوسائل وطرق عديدة منها :

١ ــ زيادة همزة أفعل نحو أخلص على النية أحضر حقائبه استعدادا للسفر ، أخرج العمال البضاعة من مستودعاتها ، أرجع الشرطي المسروقات الى أصحابها ، ومن ذلك قول الله تعالى : ((أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا))

وقوله سبحانه : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) وقوله عز شانه : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) وقوله أيضا : (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) . والمتعدي لواحد بنفسه قد ينقل بالهمزة الى متعد الى اثنين نحو : أبلغت الصديق مواده وألبست الخادم ثوبا قشيبا . وأعطيته منحة ، وأفهمت الطالب المسألة ، ولم ينقل فعل متعد الى اثنين الى ثلاثة بالهمزة الا في فعلين فقط هما رأى وعلم ، لكن الأخفش قاسه في أخواتهما القلبية وهي : ظن وحسب وزعم . وتعدى الفعل بالهمزة الى مفعول واحد بالنسبة للقاصر أو أكثر بالنسبة لغيره كله سماعي ، وقيل قياسي في القاصر والمتعدي لواحد سماعي في غيره ، والحقيقة أنه قياسي في القاصر فقط سماعي في غيره .

٢ ــ تضعيف عين الفعل ، نحو : قدم الخدم الشراب للضيوف ، اننا نحكم العقل في سياستنا ، ونحو فرحت الطفل بلعبة جميلة .

ومنه قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) وقوله سبحانه : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)وقوله جل شانه : (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) الا أن المفعول هنا محذوف لتناسب الفواصل كما سيأتي .

٣ ــ زيادة حرف الجر سواء الباء أو غيرها نحو : سرت بعثمان ، وصفحت عن المسيء ، وغضبت على المهمل ومنه قوله تعالى : (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) . وقول الشاعر :

اذا نزل السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

والثلاثي اللازم قد يتعدى الى واحد بحرف الجر أو بالهمزة أو التضعيف بحسب السماع

وقد يعدى بالثلاثة جميعا مثل نزل : تقول : نزلت بديار الأمن ، ومنه قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ) .

وقوله سبحانه : (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) وقوله : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ).

وتقول : أنزلت العصفور من عشه ، ومن ذلك قول العلي الحكيم : وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وقوله عز شأنه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

وقوله أيضا : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً) .

وقد اجتمع النقل بالهمزة والتضعيف في قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) .

٤ ــ زيادة ألف المفاعلة ، نحو ، جالس الأمير العلماء ، وماشيت الضيف ، وجالسته ، ونازلت الخصم وقاومته وسالم العرب أعداءهم ، ونادم هشام المثقفين والظرفاء .

٥ ــ زيادة الهمزة والسين والتاء للدلالة على الطلب ، نحو ، استخرج العمال الذهب من المناجم الجديدة ، واستنكر العالم العدوان على السودان ، أو للنسبة الى الشيء ، نحو استحسنت رأى المتكلم ، واستقبح العقلاء موقف أمريكا في الشرق الأوسط ، وقد ينقل المتعدى الى واحد من هذه الصيغة الى متعد لاثنين ، نحو استكتب الغلام الرسالة واستغفرت الله الذنب . وقول الشاعر :

استغفر الله ذنبا لست أحصيه .

ولا يجوز . أستغفر اللـه من الذنب بجر المفعول الثاني بمن الا على تضمين استغفرت معنى (استتبت) أما اذا بقي مستعملا على أصله دون تضمين امتنع دخول الجار ، وقد لا ينقل ، ويبقى معتد بالواحد فقط ، نحو استفهمت الخبر ، أى طلبت فهمه ، ومثل استفعل في النقل الى مفعولين وعدمه ، التضعيف ، فقد ينقل الفعل بالتضعيف الى اثنين كما في علم ، نحو علمت الغلام آداب الحديث ، وقد لا ينقل كما في كسر مثلا نحو كسرت القدح وكسرته سيان في التعدى الى واحد فقط ، فالتضعيف في هذا المثال لم يغير من وضع الفعل ولم يؤثر في بقائه على حاله قبل التضعيف .

٦ ــ التضمين النحوى ، وهو أن يشرب لفظ معنى لفظ آخر ، فيتعدى مثله ويعطى حكمة لتؤدى الكلمة مؤدى كلمتين : نحو قوله تعالى: (وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) ضمن تعزموا معنى تنووا فتعدى الى واحد مثله لأن عزم لا يتعدى الا بعلى ، ومن ذلك قولهم : رحبتكم الطاعة ، وطلع بشر اليمن بضم العين فيهما ، فقد ضمن رحبتكم معنى وسعتكم ، وطلع معنى بلغ ، وليس في اللغة العربية فعل مضموم العين تعدى الى المفعول بالتضمين غير هذين الفعلين ، ويختلف

● تعدى الفعل ولزومه

التضمين عن وسائل التعدية الأخرى في أنه

قد يؤدي الى تعدية الفعل القاصر الى أكثر من مفعول واحد كالفعل (ألوت) بقصر الهمزة ، بمعنى قصرت فقد تعدى الى مفعولين بعد أن كان قاصرا كقولهم : أنا لا آلـوك نصـحا ، ولا آلوك عطفا ومودة ، ولا آلوك عونا وتأييدا، اذ قد ضمن معنى لا أمنعك ومنه قـوله تعالى

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) كما عـدى أخبر وخبر ، وأنبأ ونبأ وحـدث الى ثـلاثة مفاعيل لتضمنها معنى أعلم وأرى بعد أن كانت متعدية لواحد بنفسها والى ثان بحرف الجر ، نحـو قـوله تعـالى : (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. الخ! وقوله ــــبحانه : (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

٧ ـ اسقاط حرف الجر توسعا نحو ، ذهبت المسجد ، ومررت الحديقة ، وجلست الأريكة ، فالحرف المحذوف هنا هو الى ، والباء ، وعلى بالتوالي ، ومنه قوله تعالى : (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) أى عن أمر ربكم ، وقوله ــبحانه : (واقعدوا لهم كل مرصد) أى على كل مرصد ، وقول الشاعر :

لـدن بهـز الكف يعسـل متنـه
فيـه كمـا عسـل الطريق الثعلب

أى في الطريق . والزعم بأنهما (كل مرصد ، الطريق) منصوبان على الظرفية مردود لعدم الابهام الذي هو شرط في نصب اسـم المكان على الظرفية ، فالابهام منتف في الاثنين ، لأن المرصد خاص بمكان الرصد ، والطريق اسم للمكان المستطرق كمـا أكد ذلك ابن هشـام ،

ومنه أيضا قوله تعالى : (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى على الله ورسوله ، وقوله جـل شـانه : (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ،

أى بربهم . ويحتمل أن الفعل هنا تعدى الـى المفعول بالتضمين أى تضـمين كفـروا معنى جحدوا . وفي الآية حذف مضاف ، والتقـدير جحدوا نعمة ربهم ، أو تضمينه معنى عصوا ، أى عصـوا ربهم ، وحينئذ فـلا حـذف .

والمعنى على هذا التقدير واضح مسـتقيم لا غبار عليه ، وفوق كل ذي علم عليم .

٨ ـ صوغ الفعل على فعلت بالفتح أفعل بالضم فيصير من باب (نصر ينصر) لافـادة الغلبة ، ما لم يكن الفعل واوى الفـاء نحـو وقف ، ووفد ، ووهن ، أو يائي العين أو اللام

نحو ، سار ، وحاد ، وجرى ورمى ومشى فانه يدل على الغلبة منه من باب (ضرب يضرب) المفتوح العين في الماضي مكسورها في المضارع ،

ومتى كان الفعل للدلالة على الغلبة كان متعديا وان كان أصله لازما وكان من باب نصر أو ضرب

من أى باب كان نحو قعدته أقعده اى أسبقه في القعود ، وكرمت حسينا أكرمه اى أفوقه في الكرم ، ووثبته فأنا اثبه اى أزيد عليه في

الوثوب . وسرت صالحا أسيره ، أى أغلبه في السير ورميته فأنا أرميه ، أى أعلو عليه

في الرمى ، وقضيت طارقا أقضيه اى أسبقه في القضاء .

٩ ــ تغيير حركة عين الفعل ، نحو ، كسى خالد بوزن فرح فهو حينئذ قاصر ، فاذا

فتحت السين أفاد معنى ستر وغطى وتعدى لمفعول واحد نحو . كسا المحسن الفقراء من ذوى قرباه ، وعليه قول الشاعر .

وأركب في الروع خيفانة
كسا وجهها سعف منتشر

أو بمعنى أعطى كسوة وهو الغالب فيتعدى الى اثنين ، نحو كسوت عمران حلة ، ومنه

أيضا شترت عينه بكسر التاء انقلب جفنها فهو قاصر ، وشتر الله عينه بفتح التاء أى قلبها فصار متعديا .

ويرى ابن هشام أن هذا النوع لم ينتقل الى التعدية بسبب تغيير حركة العين كما يدعى الكوفيون ، وانما هو من باب المطاوعة ، يقال :

شتره فشتر وثرمه فثرم ، وثلمه فثلم ، وكسوت مالكا الثوب فكسيه أى لبسه ، ومنه أيضا البيت السابق ، ولكن المفعول فيه حذف

ومن الأفعال ما يستعمل لازما كثيرا ، ويستعمل متعديا أيضا ، ومن هذه الأفعال : جاء ، ووقف ، وزاد ، ونقص نحو ، جاء المودعون ، وجاء

عمال الصيانة ، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) .

وقوله سبحانه : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) .

وقوله : (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ) .

وقوله : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) .
وقوله جل شأنه : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) .

فالفعل في هذه الأمثلة جميعها قاصر كما ترى ، ولك ان تقول : جئت المدينة ، وجاء العمال المصنع ، ويجيء الموظفون ديوان

● تعدى الفعل ولزومه

الحمل في الشامخة صباحا ، ومن ذلك قوله تعالى : (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) .

وقوله سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) ،

وقوله جل شأنه : (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ؟) .

وقوله تعالى : (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ .. الخ) .

وقوله أيضا : (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ) فالفعل هنا تعدى الى المفعول ، ونحو ، وقف القتال بين المتحاربين ، وقول حافظ ابراهيم :

وقف الخلق ينظـرون جميعـا
كيف أبني قواعـد المجد وحدي

فاستعمل الفعـل قاصرا ، ويقـال : وقف الجيش القتال ، وقف المهندسون العمـل في المشروع ، ومن ذلك قول الله تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) فجاء الفعل متعديا ، ونحو ، نقص الانتـــاج في بعض المصـانع ، ونقص محصول القصب ونقص المال عن النصـاب . فالفعل هنا لازم كما ترى ، ويمكننا أن نقول : نقص الفنيون مقدار الفاقد من النسـيج في مصانع كثيرة ، واستخدام طرق الري الحديثة نقص كثيرا كميات المياه المطلوبة لري كثير من الحقول ، ومنه قول العلي الحكيم : (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ... الخ) .

فتعدى الفعل كما هو واضـح وفي الفعـل

(زاد) نقول مثـلا ، زاد التـوتر والعنف في منطقتنا ، وإذا زاد القول على العمـل تأخـر المجتمع ، ويزيد سكان مصر بمعدل يتجـاوز المليون نسمة سنويا ، فالفعل في الأمثلة السالفة

قاصر ، وبوسعنا أن نقول : زاد محمد نصيبه في رأس مال الشركة ، وتزيد مصر مسـاعدتها العسكرية للعراق الشقيق باطراد ، وعليه قول الله تعالى : (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .

وقوله جل شأنه : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) .

وقوله سبحانه : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

وقوله : (أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) .

وقوله أيضا : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

وقد صنف المتقدمون هذا النوع بقولهم : (فعل الشيء ، وفعلت الشيء) .

اما المتأخرون فقد وصفوه بعبارة (يتعدى ولا يتعدى) او (يستعمل لازما ، ومتعديا) .

يتبع

دور اللغة العربية
في ترابط شخصية الأمة

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

— ٢ —

لماذا الدفاع عن العربية ؟

ما كان الدفاع أو عدمه ليوجد لولا وجود التحدى ، هذا التحدى الذى يجعل منه (أرنولد توينبى) القانون الطبيعى الخالق للحضارات (١) .

ان التحدى هو الذى يشعرنا اليوم بضرورة القيام بواجبنا العلمى الموضوعى نحو العربية دون تعصب اعمى أو تغافل عن الواقع وهو ما فعلناه فى الأسطر الماضية .

يبقى علينا الآن ان نضيف ان الامة يتحدد كيانها كامة مستقلة عن غيرها بلغتها وتاريخها وتراثها . فنحن اذا استعرضنا مختلف النظريات القومية التى تحاول تحديد مفهوم الأمة بالعناصر المكونة لها نجدها تكاد لا تختلف عن اعطاء اللغة مكانتها الكبرى بين تلك العناصر ولنستعرض باختصار هذه النظريات : —

١ — النظرية الالمانية :

ان هذه النظرية بداية من (فخته) تعتبر اللغة المقوم الأساسى للشعب الألمانى ووحدته، فقد ألقى أربعة عشرة خطبة فى قاعة من قاعات جامعة برلين امتدت من آخر شهر من سنة ١٨٠٧ الى بداية الشهر الثالث من ١٨٠٨ أمام جمهور من المستمعين اندس بين صفوفه جواسيس الفرنسيين — فقد كانت آلمانيا اذ ذاك تحت احتلال الجيوش البونابرتية . يرى (فخته) أن كل الذين يتكلمون اللغة الألمانية

(١) أنور عبد الملك/دراسات فى الثقافة الوطنية ٨٣ دار الطليعة بيروت /ط ١/١٩٦٧ م .

دور اللغة العربية

يكونون أمة واحدة فيترتب عليهم طرح كل ما يفرق بين الألمان ويعرض رأيه صراحة فى أول خطبة فيقول «عندما أخاطبكم بأنتم المجتمعين أمامى هنا ، يتوجه ذهنى من ورائكم ، ومن وراء جدران هذه القاعة الى جميع الذين يتكلمون الألمانية » (١) .

وهو يرى أن اللغة جهاز الاجتماع فى الانسان وأن اللغة والأمة أمران متلازمان متعادلان . وأن المتكلمين بلغة واحدة يكونون كلا واحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية .

وهذا (ماكس نوردو) يؤكد بدوره على أن الفرد يندمج فى المجتمع باللغة وبها يستطيع أن يصبح عضوا فيه وبها يتلقى تراث الأمة الفكرى والشعورى والأخلاقى والاجتماعى القديم والمعاصر ، وان حرمان شعب من الشعوب من لغته يجعله يشعر بالذل والمهانة(٢)

(٢) النظرية الايطالية :

لقد كان (مانسنى) « أول واضع للنظرية الايطالية فى مفهوم الأمة » (٣) فقد جعل موضوع درسه الافتتاحى الذى ألقاه فى جامعة (تورينو) فى ٢٢ فبراير ١٨٥١ تحت عنوان (الأمة كأساس لحقوق الدول) وعرف الأمة بأنها « مجتمع طبيعى من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأمل والعادات واللغة من جراء الاشتراك فى الحياة وفى الشعور الاجتماعى (٤) .

فها نحن نرى مكانة اللغة فى النظرية الايطالية كما رأيناها فى النظرية الألمانية .

(٣) النظرية الفرنسية :

ان النظرية الفرنسية كما ظهرت فى كتابات (أرنست رينان) ترتكز « على المشيئة والارادة » (٥) فى بناء الأمة وليس هذا بصعب التعليل لماذا كانت النظرية الفرنسية بهذه الصورة ؟

ولندع الجواب هنا للدكتور « عزة ميردن » فى مجلة العربى اذ يقول :

ان فرنسا حققت وحدتها الوطنية القومية قبل ألمانيا وايطاليا بزمان طويل ولم تعد تخاف مما كان يصيب أوربا اذ ذاك من تصدع وقد كانت امبراطورية عظيمة تملك ماتملك من القوة والمهابة أضف الى ذلك أنها استولت على البلاد التى لايتكلم أهلوها الفرنسية كالجزائر فى المغرب العربى ثم ان لفرنسا طموحا قديما نحو توسيع حدودها نحو الشمال بغية الوصول الى حدود طبيعية هى نهر الراين والشعوب القاطنة هناك ألمانية اللغة » (٦) .

فالتسليم بالنظرية الايطالية أو الألمانية يقع مانعا دون تحقيق فرنسا لأهدافها التوسعية،

---

(١) محمد المرزوقى/الحياة الثقافية فى أوربا/ ٢٤ ــ ٢٧ بتصرف/تونس/١٩٧٤ م .
(٢) نفسه/٤٨ .
(٣) محمد الشابى/اللغة العالمية/٩، منشورات الحياة الثقافية ــ دمشق/١٩٧١ م .
(٤) نفسه/٥١ .
(٥) فلسفة اللغة العربية/٧ .
(٦) مجلة العربى/عدد ابريل ١٩٧٤ م الأصل فى تعليم العرب أن يكون بالعربية .

وفى تقرير للاهرام عـن موريتانيا نجـد أن خمسا وسبعين فى المائة من سكان موريتانيـا يتكلمون العربية ولكـن فرنسـا حاولت بكل الضغوط الممكنة محوها على اعتبار أنها لغـة لم تتطور منذ نزول القرآن فلا تصلح للعلوم الحديثة فقـامت موجـة لمحاربتهـا بدعوة المستشرقين لالقاء المحاضرات طعنا فيها (١) ونشرت البحوث العلمية عن جمـود اللغـة العربية .

وقد ورد فى افتتاحية مجلة « الفكر » بقلم الأستاذ « محمد مزالى » أن السيد (فوشى) الذى كان وزيرا للتربية فى الحكومة الفرنسية صرح قائـلا « لقـد خسرنـا امبراطورية استعمارية فيجب أن نتدارك ذلـك بتشـييد صرح امبراطورية ثقافية » (٤) ألا يدل هـذا صراحة ، على ماللغة من أهمية فى نظر الفكـر الفرنسى بالرغم مـن أن النظرية الفرنسية لا تعطيها قيمـة على صـعيد التنظير من حيث اعتبارها مقوما هاما فى تحديد شخصية الأمة ، ومع هذا يمكن العثور فى بعض كتابات المفكرين الفرنسيين على ما للغـة مـن دور فى بنـاء الشـخصية فهذه مـدام (ستيل) قـد كتبت العبارات التالية سنة ١٨١٥ :

ان اختـلاف اللغـات والحـدود الطبيعية وذكريات التاريخ المشترك كل ذلك يتضافر بين الناس ــ على تكوين هذه الأشخاص الكبيرة التى تعرف باسم الأمم » (٢) .

٤) النظرية الماركسية :

لم تكن المشـكلة القومية بصـورة عامة أو نظرية الأمة مـن هموم (ماركس) وصـديقه (أنجلز) بل كان كل اهتمامهما يتجه نحو تجاوز القوميات ونظرياتها باعتبار أنها ذات خلفيـة أيديولوجية رأسمالية قصدها محو النضـال الطبقى أو اخفائه ونـاديا بالاتحـاد العالمى البروليتارى (٤) ذلك هو جوهر الفكر الماركسى الحقيقى ولكن حين اصطدمت النظرية الماركسية بالتطبيق فى الاتحاد السوفيتى الذى يشمل ــ كما هو معروف ــ قوميات كثيرة ذات تقاليـد ولغات مختلفة وجدت الماركسية نفسها مضطرة لوضع نظرية فى مفهوم الأمة فنشر فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢٩ كتـاب بقلم (ستالين) يحمل عنوان (اللينينية والمسألة القومية) مقسم الى أربعة فصول ، والفصل الأول منـه يحمل عنوان مفهوم الأمة (٥) ومن المعلوم أن لينين قبله قد أعطى لكل القوميات ضمن الاتحاد حرية استعمال لغاتها وبعث ثقافاتها .

حدد (ستالين) مفهوم الأمة بأنها « جماعة مستقرة من الناس تكونت تاريخيا ونشأت على أساس اشتراك العلائق والمقومات الأربـع الأساسية التالية : اللغة ، الأرض ، الحيـاة الاقتصادية والتكوين النفسانى الذى يتجلى

---

(١) جريدة الاهرام الصادرة ١٩٦٥/٤/١٤ .
(٢) مجلة الفكر/عدد فبراير ١٩٧١ تصدر فى تونس ص ٤ .
(٣) ابحاث فى القومية العربية ١١٥ .
(٤) دراسات فى الثقافة الوطنية ٥) بتصرف .
(٥) د . عثمان امين ــ مجلة تراث الانسانية

دور اللغة العربية

فى الخصائص التى تسمى الثقافة القومية » (٢) .

(ه) النظرية الانجليزية :

وهنا نجد أن الفكر الانجليزى تجريبى بالدرجة الأولى وليس نظريا مثل الفكر

الفرنسى أو الألمانى خاصة«فهو فكر يميل الى التجريبية وما يفيد عمليا دون التفرغ لبناء

النظريات والتفكير المجرد » (١) ولكن بالرغم من ذلك فقد ارتكزت سياسته التعليمية فى

مستعمراته على التجهيل باللغة القومية ونشر لغته . فقد أورد عمر الدسوقى عن سياسة

(دنلوب) ـ الذى دعاه المستر (كرومر) كمستشار فى وزارة المعارف العمومية بمصر ١٩٠٦ ـ ما يلى :

(أ) مناهضة الثقافة الفرنسية واللغة العربية فى المدارس واحلال الانجليزية محلها .

(ب) اعداد موظفين لأعمال الكتابة الادارية والفنية المتواضعة (٢) .

وقد رأينا من قبل محاولات المستشرقين الانجليز بعث العامية فى مصر والقضاء على العربية قضاء مبرما .

بعد هذا الدفاع عن لغة الضاد من خلال النظريات اللغوية ، الا يمكننا تحديد وظيفة

اللغة من الناحية الاجتماعية ، ويمكننا تحديد وظيفتها فى تلك الناحية فيما يلى: (٣)

(١) تجعل اللغة للمعارف والأفكار البشرية قيما اجتماعية فهى فى أى مجتمع انسانى تعبر عن تجاربه ومشاكل حياته وآماله وثقافته .

(٢) تحفظ اللغة التراث الثقافى والتقاليد

الاجتماعية من التلاشى فهى قنطرة تصل بين مختلف الأجيال .

(٣) مادامت اللغة وسيلة لتعليم الفرد فهى وسيلة لتكييف سلوكه مع الجماعة ، فهى أعظم قوة من القوى التى تجعل الفرد كائنا اجتماعيا .

وخلاصة القول فان اللغة هى طريقنا الى اكتشاف جوهر وخصائص الأمة التى تتكلمها وهذا يدل على أن اللغة ليست فقط وسيلة

المجلد الأول عدد ٢ ص ١٠٩ .

(١) نفسه ٩٨ .

(٢) دراسات فى الثقافة الوطنية ٥٤ .

(٣) فلسفة اللغة العربية ١٧ ـ ١٨ .

للتفاهم ولكنها هى الفكر نفسه فلا فكر بدون لغة ولا لغة بدون فكر ، ومن البدهى ان « التفكير كلام صامت » .

واختتم هذا البحث بكلمة أخيرة عن لغتنا العربية تلك اللغة الشاعرة ، يقول العقاد :

« ان الحملة على اللغة فى الأقطار الأخرى انما هى حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال . ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شىء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير فى ضربة واحدة ، لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه عن سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا ايمان » (١) .

وهذا « لوى ماسينيون » يرى أن « اللغة العربية لغة وعى ولغة شهادة ، وينبغى انقاذها سليمة بأى ثمن — للتأثير فى اللغة الدولية المستقبلة واللغة العربية بوجه خاص هى شهادة دولية يرجع تاريخها الى ثلاثة عشر قرنا » (٢) .

كذلك يصف العربية بأن لها « بفضل تركيبها الداخلى وطراز الخلوة التى توحى به ، قدرة خاصة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية » (٣) .

وبعد :

أفلا يكون من السخافة او التجاهل ان يتجه أبناء العربية الى انكار فضل لغتهم واحتقارها بل الافتخار بعدم معرفتها احيانا . ان العربية مرت عليها قرون وهى تكافح من اجل بقائها وسوف تنتصر حتما بفضل المخلصين من ابنائها ومحبيها من غير ابنائها وها هى اليوم يعترف بها من اللغات الدولية الرسمية فى الامم المتحدة ومجلس الأمن الى جانب الفرنسية والانجليزية والاسبانية والروسية والصينية كلغات رسمية .

وقد لا يمضى وقت طويل حتى يمكن للبلاد العربية التى تخلصت من الاستعمار السياسى المباشر ان تتخلص من جميع ألوان الاستعمار الحديث بما فى ذلك الاستعمار الثقافى ، ودعاته .

محمد عبد الحفيظ العريان

(١) عباس العقاد اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ٤٢ .

(٢، ٣) كلا القولين مأخوذين من كتاب فلسفة اللغة العربية ٦ — ٩ .

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

د. محمد عبد المنعم خفاجي

فى الأصالة ترجع الأمة الى شخصيتها وذاتيتها التى كونتها الأحداث والأجيال الطويلة والمؤثرات الأصيلة فى حياتها من الدين واللغة والآمال والآلام والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعقلية المتعددة .

وفى المعاصرة تلوذ الأمة بحاضرها أكثر مما تلوذ بماضيها وتتأثر بالمؤثرات المعاصرة المختلفة وفى مقدمتها التأثر بالحضارات والثقافات السائدة والوافدة وان كان هناك من يجعل المعاصرة أخذ الأمة كل تيار قديم أو حديث ومزج ذلك بروحها وبذاتها (وحين يقول الأستاذ الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى (مجلة الثقافة عدد مايو ١٩٧٤) المصرية — وهى بالطبع موافقة للمعاصرة — استقطاب ما ينبثق فى العصر الحاضر من أفكار نيرة وتقاليد قومية صالحة وعادات حميدة ومبادىء رفيعة ، على رأسها حب الحرية والعدالة والمساواة والنزوع الى المحبة والسلام والى الطهارة والعفة ..) ، فيرجع بالمعاصرة الى المعنى الأول الذى ذكرته وهو اللواذ بالحاضر أكثر من الماضى نجد هناك كتابا يفهمون المعاصرة على معنى الاستفادة من الحاضر والماضى فى بناء وجدان الأمة وروحها ، وان المعاصرة لا تعنى الانسلاخ عن التراث والتخلى عن الماضى ، وانما تعنى مواكبة التطور الفكرى والعلمى من أجل الحفاظ على تداولة القيم والتمسك بها .

وأن الحاضر هو تراث الماضى مضافا اليه اجتهاد اليوم وفى الأصالة يقول بعض كتابنا ، مثل الدكتور بدوى طبانة (الأسبوع الثقافى — عدد الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ مفهوم الأصالة عند أمة من الأمم فى ناحية من النواحى هو عراقتها فى تلك الناحية وصحة نسبتها اليها ، بمعنى أنها من ابتكارها وحدها وأنها لم تأخذها عن غيرها من الأمم أو تقلدها فيها ومفهوم التجديد هو الاضافة والتعديل بالزيادة أو الحذف مجاراة لتطور

الأمة وتقدمها في الحياة وأخذها بأسباب الحضارة ، وتبدو الأصالة في ذلك التراث الضخم الحافل الذي خلفته الأمة العربية في كثير من مجالات الثقافة العلمية والفكرية والفنية .

ويقول كاتب آخر (المصدر السابق نفسه) (غالبا ما يعنون بالأصالة الارتباط بتراثنا القديم بكل ما فيه مع الاعراض عن الحاضر وما فيه ، وبالمعاصرة الاكتفاء بالجديد المحدث والانفصال الكامل عن كل قديم ، وهذا النوع من الفهم سقيم ، فالأصالة تعني الشيء العريق والرأي المحكم والشيء الأصيل هو ذو الأصل الضارب في الأعماق .. فالأمة ذات الأصالة هي ذات التاريخ والماضي الرائع ، وذات الجذور القوية العميقة المتصلة بذلك التاريخ وبذلك الماضي ، ليس بكل الماضي بما فيه من غث وسمين ، بل الارتباط الوثيق بما فيه من عناصر الحقيقة والصواب والخير والجمال والسمو والقوة . فالأصالة هي في الانتقاء من الماضي والمعاصرة هي القدرة على الانتقاء من الحاضر) ويتابع ذلك الكاتب كلامه فيقول : وهناك من يرى أن الأصالة الحقيقية تكمن في المزج الذكي بين تراثنا وما يقدمه اليوم العقل الانساني من ابداعات .

وفي الملتقى الثامن للفكر الاسلامي الذي عقد في الجزائر منذ شهور بحث أعلام الملتقى موضوع الأصالة والتفتح ، واختلفوا حولها : فمن الناس من ينادي بالانحصار في التراث وحده ، ومنهم من ينادي بالانفتاح الكامل على الحضارة الغربية ، بحيث تكون هي الأساس ، وبحيث تكون حضارتنا الاسلامية مجرد تراث نقرؤه . ومنهم من نادى بأن تستمر المسيرة في طريقها تأخذ من الحضارة الاسلامية ومن الحضارة الغربية (راجع المصور عدد ١٩/٤/١٩٧٤) .

وأنا أقول : لنختلف ما شئنا حول تعريف الأصالة والمعاصرة،ولكن الشيء الذي لانختلف فيه أبدا ، ولا يصح الاختلاف فيه بحال من الأحوال ، هو أننا يجب علينا الاعتزاز بتراثنا اعتزازا كاملا لأنه قطعة حية من حياتنا وتاريخنا وكياننا الروحي والوطني والقومي ، تراثنا الروحي المتمثل في عقيدتنا وشريعتنا وسلوكنا ، وتراثنا العقلي المتمثل في كل ما أنتجه العقل الاسلامي من آراء وأفكار وعلوم ومؤلفات ، وتراثنا الحضاري المتمثل في كل ما أبدعه الفكر الاسلامي من مقومات الحضارة وأصولها ، هذه الحضارة الاسلامية التي امتازت بروحانيتها وباشراقها وانسانيتها تميزا كاملا .. وأن من الواجب علينا في حياتنا المعاصرة ، ونحن نبني بلادنا ، بعد تحررها من الاستعمار ، بناء كاملا ، أن نجعل هذا التراث هو كل شيء في حياتنا نأخذ منه ، ونستمد كل مقومات حياتنا من منبعه .

ان تلامذة المستعمرين والصليبيين والصهيونيين ينادون اليوم بيننا ، وفي غير استحياء ، بأن ننفصل عن الماضي كله وأن نعيش في الحاضر وحده ، وذلك جهل وظلم وجحود شديد .

ولقد عمل الاستعمار ما عمل في بلادنا من تخريب وهدم وتحريف لتراثنا ، وطعن في

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

تاريخنا وحضارتنا ، وتربية جيل من شبابنا على أفكاره ونظمه ومذاهبه ، وأصبح هؤلاء هم الذين يجأرون نيابة عن الاستعمار بالدعوة الى الحضارة والثقافة الغربية والأخذ عنهما والرجوع اليهما فى كل شىء ، وترك الثقافة والحضارة الاسلامية تركا تاما ، وهؤلاء هم الأخسرون عملا الذين ضلوا وأضلوا .. وقد أخلدوا الى الأرض ، فلم يرفعوا بالعزة والأصالة رأسا .

اننا ننادى بالأصالة فنعيش مع الماضى والتراث ، ومع الدين والقرآن الكريم ، ومع اللغة والعلوم الاسلامية والعربية ، ومع حضارة أمتنا الاسلامية وتاريخها المجيد ، عيشة كاملة نتذوق كل مافى كنوز التراث من جلال وجمال وروعة وسحر ، ونعيش كذلك معاصرين لكل جديد نافع من واقعنا ومن واقع غيرنا ، نأخذه وننتفع به ، ونثرى به حصيلتنا من المعرفة والعلم .

ننادى بأن نعيش فى الأصالة والمعاصرة جميعا ، نشعر بعزتنا ومجدنا وجلال تراثنا ، ونشعر بحاضرنا ونعيشه وننتفع بالجديد النافع منه .

لقد أبدع العقل الاسلامى كل ثمين فى المعرفة وهداه الدين واستظل به ، فسار أشواطا بعيدة فى الكشف عن مجاهل الكون ، وسبر أغواره .

وأبدع كذلك فى كل جوانب العقل والعلم ابداعا أصيلا مميزا قدره ولا يزال يقدره رواد العلوم وأئمة الفكر الانسانى تقديرا كبيرا .

وتراثنا الفكرى والعقلى تراث جليل خالد شامخ يجب علينا أن نعيشه ونتمثله ، لأنه هو الذى أضاء للانسانية طريقها أجيالا وقرونا طوالا ..

فلدينا ديننا العظيم ، وشريعتنا الكاملة الخالدة الغنية بكل كنوز الفكر التشريعى المضىء الذى أخذت البشرية عنه كل قوانينها ونظمها وتشريعاتها ، فعاشت فى ظلالها عشرة قرون فى أمن وعدل ورخاء وسعادة ، ثم جاء الاستعمار الغربى لبلاد الاسلام فحارب قوانين السماء ، واستبدل بها قوانين الأرض ، وخرب فى الحياة الاسلامية تخريبا شديدا بكل ما كان فى استطاعته من قوة ومن حقد ومن كراهية لكل تقدم اسلامى عظيم .

والحضارة الاسلامية الرفيعة التى أظلت العالم عشرة قرون كانت منارا مضيئا للانسان والانسانية ردحا طويلا ، مما هو فى غنى عن الاشادة به والتنويه بمفاخره .

ان أصالة الأمة الاسلامية ، وأصالة حضارتها وتراثها وأصالة ثقافتها ، كل ذلك من مفاخرنا الجليلة الخالدة ، التى يجب على أجيال المسلمين الاعتزاز بها ، والاهتداء بهديها والاستضاءة بضوئها أبد الآباد .

ولن تعود للامة الاسلامية عزتها وجلالها ومفاخرها الا اذا عادت لنبع هذه الأصالة ، ونهلت من موردها ، واستظلت بظلها ، ونعمت بالحياة فى نورها .

الأصالة والمعاصرة يجب أن يكونا جميعا شعار المسلمين المعاصرين فى الحياة .. نأخذ من ماضينا ونرجع اليه فى كل شىء ، ونضيف اليه من جديدنا وجديد غيرنا كل مفيد نافع ، وجليل ثمين

في حاشية الأمير

"١" عشاق الحاشية

للأستاذ/السيد حسن قرون

لو نظرنا في كتب النحويين منذ الف « سيبويه » كتابه لوجدنا الشواهد تكاد تكون واحدة او متقاربة ، ولكننا في غير الشواهد نجد امثلة من اقوال البلغاء والشعراء تتنقل كل العصور التي تسبق مؤلف كل عصر ، ونجد النحاة يرفهون عن انفسهم باستخدام شعر الغزل ويدخل في ذلك التشبيب والنسيب وما اليه مما يتصل بالرجل والمرأة والمجتمع . والأدب العربي مع نموه وفقا لما يجد بقي قادرا على الالهام والعطاء ، سواء للمنشئين اولى الابداع ، أو النقاد الذين يزنون الابداع .

ومن الغريب أنهم لا ينسون الأول كما أنهم لا يهملون الأخير ، فعيونهم مفتوحة على جميع النتاج ، وينشأ ناشىء الأدباء منهم على اتباع طرائق السابقين وان بدا لهم التجديد وأوما اليهم الكون أن ينظروا فيه ويتأملوا نواحيه ، ولكن القديم يواكبهم فكأنه يجرى في مجرى دمائهم من هؤلاء شيخنا الأمير في « حاشيته » فحافظته طافحة بكل ما قيل على مدى العصور التي سبقته، فهو لا يملك نفسه أمام كل شاهد ، ولا يكتفي به وبصاحبه ولا بطرائفه ، بل يضيف من محفوظاته ما يعد استطرادا ، ولكنه استطراد مشروع ينقلنا من عالمنا الى عوالم أخرى ولا نشعر بما فعل الا اذا قصدنا ذلك قصدا ، وأضرب لك مثلا واحدا يدلك على صنيعه ، ويقنعك بطريقته ، تحمد له ما أدى ، لأنك متعت واستفدت .

جاء ذكر زهير بن أبي سلمى في «المغني» ببيت من شعره ، فاذا به يؤرخ له ويمثل لأغراض شعره ، فيذكر « المعلقة » ورأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها وهو « أشعر

٩

الناس الذي يقول ومن ومن » ولو كان غيره لوقف عند ما ذكره ولكنه يأتي على غيرها فيقول ومما يستحسن من شعره :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر

ويستمر في ايراد بعض قصائده فيذكر الأبيات التي منها :

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق والباطل

ويذكر الشاعر الذي زاد على هذا الشعر الناصح . ويقفز الى القرن السابع الهجرى فيذكر شعرا للبهاء زهير ، لأنه سمي الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى ولا يتركه حتى يذكر شيئا من ملامحه . والبهاء زهير عربي ينسب الى المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، ولد بوادي نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ونشأ بمصر ، وصار وزير « الصالح نجم الدين أيوب » من ملوك الدولة الأيوبية وتوفي في شوال سنة ٦٥٦ هـ سنة سقوط بغداد ، فيقول عنه الأمير في الحاشية : ومن لطائف زهير المولد كاتب الملك الصالح قوله مشيرا لزهير هذا « زهير بن أبي سلمى » من قبيلة « مزينة » بماذا أشار ؟ أشار بقوله :

بنفسي من اسميها « بستي »
فتنظر لي النحاة بعين مقت
وتزعم أنني قد قلت « لحنا »
وكيف وأنني لزهير وقتي ؟
ولكن غادة ملكت جهاتي
فلست بلا حن ان قلت ستي

وكلمة « ستي » نعدها دخيلة على لغة العرب ولكن شيخنا يقدمها لنا ببحثه عنها قائلا « وفي القاموس : وستي للمرأة أي ياست جهاتي ، أو لحن ، والصواب سيدتي ، وبنت أبي عثمان الصابوني محدثة ، وستيتة كجهينة جماعة محدثات » أرأيت كيف سار بنا الأمير خارج لأكثر من شاعر واستشهد بشعرهم ، وعرج بنا الى الطرائف ؟

وأنا أعتبره رائدا في هذا الفن ، فالشاعر على الجارم حين ألف « البلاغة الواضحة » نحا نحوه ، فزيل مؤلفه بفهرس يحوي أسماء من استشهد بأقوالهم من الشعراء والخطباء والكتاب ذاكرا بايجاز نبذة عن تاريخ حياتهم ووفاتهم .

وأنا لم أترك ما أورده الشيخ دون المراجعة ، فقد وجدت « الوسيط في الأدب العربي وتاريخه » لمؤلفيه : الشيخ أحمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عناني ينسب الشعر الذي أوله :

« **لو كنت أعجب من شيء لأعجبني** »

والشعر الذي منه :

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

لسيدنا « كعب بن زهير » وهو الصحيح ، لأن أكثر الكتب الأدبية نصت على ذلك . وهذا لا يقدح في علم الشيخ وتحريه في ايراد النص الأدبي ، لكن المتأخرين أتيحت لهم فرصة أكبر بطبع التراث العربي كله فصحت المراجعة ووضح المأثور .

ولقد كان البهاء زهير ممن يحسن استخدام التراث ويجعله فى شعره « تورية » أو تضمينا من ذلك قوله يمدح :

أنـا ذا زهـيرك ليس الا
جـود كفك لى مزينـه
أهـوى جميـل الـذكر
عنـك كأنما هو لى بثينه
فاسأل ضميرك عـن ودا
دى انـه فيـه جهينـه

فالبيت الأول اشارة الى زهـير بـن أبى سلمى المزنى الجاهلى مادح هرم بن سنان ، وانظر الى مزينة القبيلة جعلها فى البيت « المطر الصافى » تصغير « مزنة » والبيت الثانى اشارة الى جميل الشاعر صاحب بثنية ، فهو يحب الممدوح حب جميل بثينة فيجيد الشعر فيه ، والبيت الثالث يشير الى جهينة المضروب به المثل فى تعرف الأخبار ، والمعنى أن الممدوح يسأل ضميره على صدق وداده .

ولما كان البهاء زهير قد حظى بتسجيل اسمه ووصفه ولمحة من شعره اختار مجلس الحاشية البهاء زهير ليتولى سكرتارية الجلسة ، وقد كان رقيق الحس متوقد العاطفة يهوى الشعر الرائق الفائق ، وقد جعل همه عرض حياة العشاق الذين عنيت بهم مضابط حاشية الأمير .

وأعلن البهاء زهير أن الحديث يبدأ بمن عاش للحب ومات فى سبيله « مجنون ليلى » واذا اتسع الوقت فليبحثن مأساة «قيس ولبنى» فكانت الموافقة وبدأت أعمال الجلسة .

مجنون ليلى

ونبئت ليلى أرسـلت بشـفاعة
الى فهـلا نفس ليلى شـفيعها ؟
أأكرم من ليـلى على فتزتجى (١)
به الجاه أم كنت امرا لاأطيعهـا ؟

قال الأمير هنا لقيس بن الملوح ــ وهــو المجنـون ــ روى البيت الأول ابن هشـام صاحب المغنى شاهدا على أن « هلا » حرف للتحضيض مختص بالجمل الفعلية ، و « هلا نفس ليلى ... » يكون الكلام باضمار فعل بعد هلا . قدره فهلا كان هو أى انسان أو هلا شفعت نفس ليلى . والبيت الثانى أضافه شيخنا الأمير . على أن «الحماسة» لم تنسبهما لأحد ، والأمـير هنـا أحق بالروايـة ، لأنه عنى بحياة مجنون ليلى عناية ملحوظة حين استشهد المغنى بقوله :

ولـو ان واش باليمـامة داره
ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

على اسكان « ياء واش » وهــو منقوص ينصب برد المحذوف ، ولكنه سكن الياء وحذفها لالتقاء الساكنين ، والتسكين للضرورة . وكم للشعر من ضرورات . يقول الأمير :

قال السيوطى : هذا من قصيدة لمجنون ليلى « قيس بن الملوح بن مزاحم » قال فى الأغانى: وهى من أشهر أشعاره وبعده :

٥

(١) رواية الحماسة فتبتغى .

وماذا لهم لا أحسن الله حظهم
من الحظ تصريم (١) ليلى حباليا ؟
فأنت التي لو شئت أشقيت عيشتي
وان شئت بعد الله انعمت باليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
وأشبهه او كان منه مدانيا
هي السحر الا ان للسحر رقية
واني لا ألقى لنفسي راقيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة
وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
أراني اذا صليت يممت نحوها
بوجهي، وان كان المصلى ورائيا (٢)
وملبي اشراك ولكن حبها
كعظم الشجا (٣) اعيا الطبيب المداويا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا ؟

أخرج في الأغاني عن « ابن الكلبي » قال : لما قال مجنون بني عامر هذا البيت (الأخير) نودي في الليل أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ، فاختلس عقله وتوله منذ الليلة ، وذهب مع الوحش على وجهه . الى هنا والكلام على أن مجنون ليلى شخصية حقيقية مارس حظه في الحياة ، ولقى ما لقى ولكن ...

قال الامير أو قال « عوانة » المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب ، قيل :من قال هذه الأشعار ؟ قال : فتى من « أمية » كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ، فوضع حديث المجنون وقال الشعر ونسبه له .. وقال : « أيوب بن عناية » سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه .. وقال « الجاحظ » : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه للمجنون ، ولا شعرا هذه سبيله قيل في « لبنى » الا نسبوه « لقيس ابن ذريح » وقيل : اسم المجنون « قيس بن معاذ » وقيل « مهدي بن الملوح » وقيل « البحتري بن جعد » وقيل « الأقرع بن معاذ » وصاحبته « ليلى بنت سعد بن مهدي ابن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » أقول ويتصل هذا النسب بقيس عيلان بن مضر .

وهذا البحث الذي أداره شيخنا الامير عن حقيقة المجنون وعن اسمه وأقوال بني عامر فيه ــ في أغلب الظن ــ هو الذي أوحى الى الدكتور طه حسين أن ينكر وجود المجنون وأن يلعب بما جاء من أمره فيما كان ينشره من « حديث الاربعاء » لأن قومه بني عامر لم يعترفوا به ، واسمه تارة قيس ، وتارة أخرى مهدي ، وثالثة الاقرع ، واسم أبيه كذلك يجيء على أسماء متغايرة مثل اسمه ، فكان من هذا كله مندوحة لانكار وجوده أو التشكيك فيه وفي شعره .

وقد قرأت لابراهيم عبد القادر المازني مقالا يرد فيه على الدكتور طه نحا فيه المنحى

(١) تصريم = تقطيع .
(٢) ورائيا = امامي .
(٣) الشجا = ما ينشب في الحلق من عظم وغيره .

الذي اتخذه الدكتور ، فهو يورد الرد على هذا النحو .. والذي سيتولى البحث أديب يجيء في الأجيال القادمة :

تقرأ في الصحف في القرن الماضي وكذلك في الكتب مقالات تنسبه لشخصية ، تذكر تارة بتوقيع الشيخ طه حسين ومعنى هذا أنه من شيوخ الأزهر ولهم زي خاص ، وتجيء تارة بقلم طه حسين أفندي ، وتقرأ أيضا للدكتور طه حسين ، وتارة يقول قرأت وكتبت فهو مبصر وأحيانا يقول أمليت فصولا في كذا فهو كفيف . والذي يظهر لي أن هذا الاسم لا مسمى له حقيقة انما هو شعار اتخذه جماعة من الأدباء ليكتبوا وينقدوا ويلهوا الناس بما يكتبون . وعلى ذلك فطه حسين لا وجود له . وأنا أكتب هذا من الذاكرة وقد أحصل على مقالة ومقال الدكتور طه فأتيه على خير ما جاء في المقالين .

لكن المعتمد عندي وأنا ممن لا يهتمون بأمر المجنون الأخذ بقول القائل ان المجنون شخصية حقيقية ، نكبته الحياة في حبه ، ونكبته ذكراه برفضه ، ولقد كانت حياته وشعره وما جرى له ملهمة للشعراء والأدباء أن يكتبوا عنه ، ويرووا كثيرا من شعره وأمير الشعراء أحمد شوقي أنشأ قصة أدبية تمثل هي « مجنون ليلى » فكان هذا ردا لاعتباره . وأدباء العصر العباسي ورواة الشعر عنوا به وبأدبه . ففي الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد جاء عنه في الجزء الأول :

وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون .. وحدثني عبد الصمد بن المعذل .

قال سمعت الأصمعي يثبته ويقول : لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري وهو من أشعر الناس ومن شعره :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة
بيطن منى ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به
من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر
مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

الا انما غادرت يا أم مالك
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

والبيت الأخير من أعجب ما قيل في النحافة .
ومن الافراط في وصف النحافة قوله أيضا :

فلو أن ما أبقيت مني معلق
بعود ثمام ما تأود عودها

« الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة » « وتأود تموج » .
ومما يستجاد له :

وأخرج من بين الجلوس لعلني
أحدث عنك النفس في السر خاليا

واني لأستغشي وما بي نعسة
لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر :

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة
رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه . هكذا يقول المبرد ، ولم يتعرض لانكار وجوده ، ولم يذكر له غير الاسم الذي ذكره في كتابه .. والثلاثة

الذين تحدثوا عنه : المبرد وابن المفضل والأصمعي رواة يتحرون القول ويدققون في الرواية .

وما جاء على لسان بني عامر لا يعتد به فهو في نظرهم عار ينفضونه عن أنفسهم ، وحكاية الأموي لا يرضى بها منكر . فمتى كان الأمويون يتحرزون من القول ؟ أو يخشون القيل والقال ؟ اقرأ حياة « الوليد بن يزيد بن عبد الملك » وموقفه من بنات عمه من بني عثمان ابن عفان ، أو اقرأ حياة « العرجي » وتعرضه للمواقف المخجلة . واقرأ تلك النادرة :

سمع عبد الله بن أبي عتيق ــ وهو من نسل أبي بكر الصديق قول عمر بن أبي ربيعة وهو من بني مخزوم :

من رسولي الى الثريا بأني
ضقت ذرعا بهجرها والكتاب ؟

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب «الثريا» فاستأذن عليها فقالت : والله ما كنت لنا زواراء فقال : أجل ، ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك (عمر بن أبي ربيعة) « ضقت ذرعا بهجرك والكتاب » فلامه عمر ، فقال له ابن أبي عتيق : انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر . والثريا من بني أمية الأصغر والأصغر بن الأكبر والجميع من قريش ، ولم نر غضبا من الخليفة وهو من بني أمية . فكيف يخاف عاشقهم ؟

وسأضرب صفحا عن حكاية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وزوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وقصتها مع وضاح اليمن فاني أكذبها وان احتفل بها أبو الفرج بالأغاني وكتب عنها الأستاذ أحمد حسن الزيات في الرسالة ، فكيف يسوغ في العقل أن يدفن « الوليد » « وضاح اليمن » وهو في « صندوق زوجه » ولا يعكر صفوها ولو بكلمة واحدة ؟ وكيف يقع هذا من زوج خليفة وأخت خليفة هو عمر بن عبد العزيز ؟

وقصارى القول أن ماذكره الأمير عن فتى أمية وحبه لا يحكم بأن انسانا لم يولد ولم يمش وقد ملأ البادية والحاضرة بشعره . ومولانا الأمير في موضع آخر من الحاشية يذكر لقاء حدث بين المجنون وغريمه « ورد الثقفي » زوج ليلى العامرية فيورد الحادثة على طريقته في ايراد الخبر .

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها ؟
وهل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الأقحوانة في نداها ؟

خاطب به ــ أي الشعر ــ زوجها وهو يصطلي في يوم شات . فقال : اللهم اذ حلفتني فنعم . فقبض المجنون على النار وخر مغشيا عليه . أبعد هذا اعتراف بوجوده ؟

لكن مولانا الأمير موسوعة ، ومن حق الموسوعة أن تتسع لجميع الأقوال والروايات حتى يكون لنا المجال الواسع في الاختيار واتخاذ القرار .

ومن لطائف مجنون ليلى أنه ألهم أيضا الدكتور زكي مبارك أن ينشر لنا مقالات ممتعة يصدرها بقوله :



يقولون ليلى بالعراق مريضة
فيا ليتنى كنت الطبيب المداويا

ولئن جعلها زكى مبارك تمرض فقد جعلها شوقى تموت ، فيرثيها باكيا على لسان المجنون بشعر منه :

عرفت القبور بعرف الرياح
ودل على نفسه الموضع

كثكلى تلمس قبر ابنها
الى القبر من نفسها تدفع

هداها خيال ابنها فاهتدت
وليلى الخيال الذى اتبع

اعيني هذا مكان البكاء
وهذا مسيلك يا ادمع

هنا جسم ليلى ، هنا رسمها
هنا رمقى فى الثرى المودع

ويخاطب نفسه :

طريد الحياة ألا تستقر؟
الا تستريح ؟ الا تهجع ؟

بلى ، قد بلغت الى مفزع
وهذا التراب هو المفزع !

ويصيح من أقصى القاعة صائح ينشد :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا
ليلاى منكن ام ليلى من البشر ؟

ويقول « العينى » أيها الصائح ان ليلى التى ذكرت فى هذا البيت ليست ليلى صاحبة المجنون ، انها ليلى صاحبة العرجى وهنا يقول الأمير مؤيدا العينى فيما ذهب اليه ، هذا ومعه أبيات فى الشواهد الكبرى للعرجى وقد شطرتمنها البيت الذى سمعته القاعة . فقلت :

« بالله ياظبيات القاع قلن لنا »
قولا يزل حيرتى فى ريبة الحور ؟
بالشعب بالشيخ بالاعشاب انشدكم

«ليلاى منكن ام ليلى من البشر»؟
فهتفت القاعة للأمير ، وصاح واحد :
لم لم تشطر بيتا من شعر المجنون ؟ قال البهاء زهير . رفعت الجلسة .

السيد حسن قرون

مشارع الثقافة العربية

في الأندلس قبل العقد

ثم قال صاحبي : الم تر انى بحاجة الى فضل بيان تجلو به وجه الأندلس في تلك الفترة التى امتدت حتى ادركت تاليف « العقد » ، فقد عرفنا بضع صفحات من الوان الثقافة الاسلامية ، وبقى ان نستقبل صفحات اخرى تشتمل على الوان من الثقافة العربية .

فقلت : لك ما طلبت ، فان الأندلسيين حينئذ أخذوا يعبون من معين هذه الثقافة العربية أدبية ولغوية وتاريخية وفلسفية وسائر مايدخل في اطار ثقافة الأديب ، وقد أثروا هذا النشاط منذ اتجهت اليه هممهم ، وبذلوا في سبيله كل جهد ومال ومخاطرة ، فاذاهم يرحلون في طلبه من مصادره المشرقية ، وينقلونه الى بلادهم الفسيحة يغرسون بذرته ، ويتعهدونها سقيا ورعيا حتى آتت أكلها ، والقوم عرب يهتزون للفصيح ويطربون للانشاد ، ويسعرون بلطيف الأسمار والأخبار والأشعار ، فتجرى ألسنتهم بعذب الكلام نظما ونثرا ، يستوى في ذلك الخليفة والأمير والوزير والفقيه والقاضي والكاتب والشاعر ، حتى لتحسب أن كل من في الأندلس من الفاتحين كان يتغنى بالشعر ، ويهتف بفصيح القول ، مما يدل على أثر البعوث المتصلة بين الشرق والغرب ، يمدون بينهما حبال تلك الثقافة المشتركة ، ورأينا منهم من رحل الى مكة حاجا أو طالب علم ، ووجدنا منهم من أخذ علم أبى عبيد القاسم بن سلام من طريق تلميذه وصديقه طاهر بن عبد العزيز ، فعرفوا في الأندلس كتاب «الأمثال» كما عرفوا من كتبه ايضا «غريب الحديث » ، ورأينا منهم من رحل الى بغداد والبصرة ، وصدر عنهما

بشتى ألوان الثقافة والفكر والفن والأدب مما يضيق باحصائه مقالة أو مقالتان ، ونكتفى بالقول : انهم نقلوا علم الخليل في اللغة

والعروض فعرفوا كتاب (العين) في اللغة وكتابى (الفرش ، والمثال) اللذين استغلهما ابن عبد ربه في « الجوهرة الثانية في أعاريض

للدكتور أحمد محمد النجار

الشعر وعلل القوافى » (١) ، كما نقلوا علم سيبويه فى (الكتاب) ، وعلم ابن قتيبة فى الأدب واللغة والتاريخ ، مثلما فعلوا عندما نقلوا علمه فى الدين ، فنقلوا « عيون الأخبار » و « المعارف » و « أدب الكاتب » أو الكتاب وغيرها من آثاره المشهورة . وتمكنوا من آثار الجاحظ فى كتبه ، والمبرد ، وابن سلام ، وكتب الطبرى ، والزبير بن بكار وهشام بن الكلبى والهيثم بن عدى وأبى عبيدة معمر بن المثنى فى التاريخ والنسب والأخبار والقصص ورواية الشعر الى آخر ما امتلأت به خزائن كتبهم فى المساجد والقصور والدور وما تذاكروه من علم مشرقى خالص ، وأدب عربى صرف أو ممزوج بآثار هندية أو فارسية وغيرهما ..

وقد قوى الطلب منتصف المائة الثالثة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ولما كان عهد عبد الرحمن الناصر طمحت نفسه الى منافسة قرطبة لبغداد فيما قوى به العباسيون أسس دولتهم ، وعمد حضارتهم ، وأعلوا من مكانتها ، واشتهروا بها ، فكانت محاولات عبد الرحمن الناصر فى جذب المعلمين الكبار ينشرون الثقافة الاسلامية والعربية فى دولته ، كما أوفد البعوث الكثيرة وشجع على التأليف فى اللغة والأدب على مثال ما عرف عنهم فى الدين ، حتى رأينا الزبيدى الأندلسى يضع قسما خاصا فى كتابه « طبقات النحويين واللغويين » لنحاة الأندلس ولغوييها ورتبهم فى طبقات ، وذكر منهم الغازى ابن قيس ، وأبا عبد الله الشمر بن نمير الشاعر نديم الأمير عبد الرحمن الأوسط وعبد الله بن رافع ، وعبد الملك بن حبيب السلمى ، والشاعر عباس بن ناصح الجزيرى ، وأحمد بن نميم ، وعثمان بن المثنى الذى رحل الى المشرق ولقى الشاعر أبا تمام وقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس ، ولقى جماعة منهم ابن الأعرابى ، وأدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وأولاد ابنه محمد وتوفى سنة ٢٧٣ هـ (٢) . كما ذكر منهم محمد بن عبد الله الغازى الذى رحل هو الآخر الى المشرق ولقى الرياشى وأبا حاتم وغيرهما ، وجلب الى الأندلس كثيرا من الشعر والغريب والعربية والأخبار ، ورويت عنه الأشعار المشروحة كلها ، ومات بطنجة سنة ٢٩٦ هـ . كذلك روى أن الخشنى محمد بن عبد السلام

(١) العقد جـ ٥ ص ٤٢ .

(٢) طبقات الزبيدى ص ٢٨٤ و ص ٢٨٨ .

رحل الى المشرق قبل سنة أربعين ومائتين ، فحج ودخل البصرة فلقي أبا حاتم السجستاني والرياشي والزيادي وأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية عن الأصمعي وغيره ، ودخل بغداد وسمع بها عن غير واحد ، وكتب بها كتب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وسمع بمكة ومصر ، وادخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلي رواية . وكان فصيح اللسان (ولم يكن — على ما قال ابن الفرضي — له كبير علم بالفقه ، وانما كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث ، وكان في ذلك ثقة مأمونا) (١) وقيل انه كان يتعصب للعرب

ولما أقام خمسا وعشرين سنة مغتربا تذكر مقامه في الغربة فقال :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة
اذا كان من بعد الفراق تلاق
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي
ولم تمر كف الشوق ماء مآق
ولم أزر الاعراب في خبت دارهم
بجنب اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح في البيد من قهوة الندى
بكأس سقايتها الفراق دهاق

وعرفنا ممن رحل أيضا عباس بن فرناس الشاعر المشهور بحدة ذكائه فقد روى أنه « جلب بعض التجار كتاب (المثال) في العروض للخليل ، فصار به الى الأمير عبد الرحمن ، وقد كان ذلك مما يتلاهى به في القصر ، حتى أن بعض الغلمان كان يقول لبعض : صير الله عقلك كعقل الذي ملأ كتابه من « مما » ، « مما » فبلغ الخبر ابن فرناس ، فرفع الى الأمير يسأله اخراج الكتاب اليه ففعل ، فأدرك عنه علم العروض وقال : هذا كتاب قبله ما يفسره ، فوجه الأمير الى المشرق في ذلك فأتي بكتاب « الفرش » فوصله بثلاثمائة دينار وكساه ، وكان مع ذلك يحسن علم الموسيقا ويضرب العود ويغني عليه) (٢) وكان ممن اشتغل بعلم العربية واشتهر بالحديث طاهر بن عبد العزيز . وصالح بن معافى وكان ذا فضل في الدين ، وكان من البارعين أيضا في علم العربية الشاعر الهجاء القلفاط محمد بن يحيى غريم ابن عبد ربه المهاجى له . هؤلاء الذين روينا طرفا من أخبارهم قليل من كثير زخرت به كتب التاريخ والطبقات ، مما يدل على عناية وجلب الذخائر النفيسة من الكتب ، والأخذ عن الأئمة المشهورين ليؤسسوا صرح الثقافة في بلاد الأندلس في محاولة بعض هؤلاء الخلفاء أن يحاكوا النهضة المشرقية وأن تضارع قرطبة بغداد ، وأن يسامي الخلفاء من بني أمية الخلفاء من بني العباس . كل في جهته ومملكته .

على أن الأدب بمعناه العام يشمل الثقافة التاريخية والجغرافية التي أولع بها الأندلسيون منذ أول كتاب صنف في تاريخ الأندلس وبقي حتى الآن وينسب الى عبد الملك ابن حبيب السلمي ساكن البيرة وقرطبة ، وقد جاء بعده تلميذه ابن أبي الرقاع الذي ينسب

(١) تاريخ علماء الأندلس ١ — ٢١٦ .

(٢) طبقات الزبيدي ص ٣٠٤ .

اليه كتاب بن حبيب ، ولعله هو الذي اتمه حتى عام (٢٧٥ هـ) اذ المعروف أن ابن حبيب مات سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ (١) .. وكان من أشهر المؤرخين أحمد بن محمد الرازى التاريخى ، فقد ألف كتبا كثيرة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وخواص كل بلد فيها ، وان فقد هذا الكتاب الا أنه بقى بعضه فى مقتبسات ابن حيان وابن عذارى وابن الأثير فى الكامل ، كما ألف أيضا فى صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتابا يناظر ما بدأ به ابن طيفور فى أخبار بغداد .

وفى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر صنف فقيه من أسرة بنى أمية فى قرطبة ، لم يعرف اسمه ، أخبارا احتوى عليها كتاب (أخبار مجموعة) فى فتح الأندلس .

وقد أغرم بهذه الثقافة التاريخية من شعراء ذلك العصر يحيى بن حكم الملقب بالغزال الذى قيل انه نظم أرجوزة فى فتح الأندلس قال عنها ابن حيان : انها كانت جميلة طويلة عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التى جرت بين المسلمين والنصارى ، وأطال الحديث عن الأمراء فأجاد وتقصى) (٢) . وكانت شائعة متداولة فى أيدى الناس فى ذلك الحين .

كما نظم « تمام بن عامر الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ » أرجوزته المشهورة فى ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها ووصف حروبها من وقت دخول طارق الأندلس حتى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، ذكر ذلك ابن حيان ، ويكون عمله هذا نظير عمل يحيى بن حكم الغزال ، وقد استغله ابن القوطية فى كتابه (افتتاح الأندلس) ثم انه جرى ابن عبد ربه فى ذلك المضمار بنظمه أرجوزته فى غزوات الناصر لدين الله .

وكما عرف الأندلسيون كتب التاريخ العام عرفوا كتب السيرة والمغازى مثل السيرة النبوية لابن هشام والطبقات الكبرى لابن سعد ، وكتب المروانية والعثمانية والامامية ، وأخبار الأصمعى والعتبى والشيبانى والمدائنى والبغدادى وغيرهم ، ووقفوا على نوادر الطفيليين « والممرورين » والبخلاء وحكايات الأعراب والجوارى وملح أصحاب الفكاهة والمجون والظرفاء مما رواه الجاحظ وغيره ، وقد سار ذلك فى الأندلس وملأها بأريج مشرقى خالص .

وقارىء التاريخ الأندلسى لا يفتقد أثر الأندلسيين فيه اذ يتملكه الاعجاب بنسيجه الأدبى وتصويره لبيئتهم ، كما يذكر بصدق عواطفهم نحو بلادهم ، وقدرتهم على الجمع والاستيعاب ، ورغبتهم فى الاشادة والتباهى برجالهم الاعلام .

هذا ولا تنفصل الجغرافيا عن التاريخ فيما كتبوا ، اذ وجدناهم يعرضون لذكر أوصاف البلدان والثغور ، والحصون والوديان والسهول

---

(١) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ .

(٢) نفح الطيب ٢ـ٢٤٢ .

والأنهار والفلات الى آخر ما أنشأوه أو ورثوه عن أهله الأصليين في شتى الاصقاع والنواحي.

قال لي صاحبي : فما بال ما كان يسمى بعلوم الأوائل في تشييد هذا الصرح الثقافي ؟

قلت : انه كان لابد أن تتوجه بعض الهمم الى نقل علوم الأولين والعكوف على درسها والبحث فيها استكمالا لبناء هذا الصرح ، فوجدنا عباس بن ناصح الشاعر مبعوثا للأمير عبد الرحمن بن الحكم الى المشرق يلتمس له تلك الكتب القديمة ، فجاء (بالسند هند) وغيره ، (وكان أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها ونظر هو فيها) (١) .

ولما كان عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن تحرك أفراد من الناس الى طلب هذه العلوم ، وعرفنا منهم من كان يعنى بالحساب والنجوم كأبي عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، وكان من أهل العلم بحركات الكواكب ، ورحل الى المشرق وسمع بمكة من علي بن العزيز الفقه والحديث ، وسمع بمصر من المزني والمرادي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وغيرهم .

كما ظهرت بواكير الدراسة الفلسفية عند (وهب بن مسرة) ، ثم نمت حتى اكتملت فيما تلا ذلك من قرون .

اما دراسة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا لحق بأحد من المتقدمين فيها ، لأنهم لم يقرءوا أصوله في كتب بقراط وجالينوس ، وانما قرءوا بعض فروعه استعجالا لثمرته الا أفرادا منهم رغبوا عن ذلك الغرض وطلبوا الدراسة لذاتها حتى انهم قرءوا أصولها وفروعها واستوعبوها وتمثلوها ، وقد ذكر ابن جلجل ، وهو أول أندلسي ألف في طبقات الأطباء والحكماء، أنه كان يعول في الطب بالأندلس على كتاب مترجم يقال له « الابريشم » وهو الكتاب المشهور لأبقراط ، وقد ترجم الى اللاتينية ومنها الى العربية . ووجدنا من برع في الطب على عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن « حمدين بن أبا » و « أحمد ابن اياس » من أهل قرطبة ، وكان قد وفد على الأندلس الطبيب الحراني « يونس بن أحمد » في أيام ذلك الأمير ، واستقر هناك ، واشتهر بالطب أيضا « خالد بن يزيد » و « ابن ملوكة » الذي أدرك عهد الأمير عبد الله بن محمد وأول دولة عبد الرحمن الناصر ، وفي أيام عبد الله أيضا نبغ «اسحاق الطبيب» . وكانت له تجارب وصناعة في الطب فاق بها جميع أهل عصره . ثم ظهرت دولة الناصر فدخلت الكتب الطبية وغيرها من المشرق ، وتحفزت لها الهمم ، وظهر المشهورون في الطب من أمثال (عمران بن أبي عمر) وكان ممن حظي لدى الخليفة الناصر وتوفي سنة ٣٢٠ هـ . وقد سكن المغرب من الأطباء (اسحاق بن عمران الملقب بسم ساعة) ونقل عنه ابن عبد ربه رسالة في الطب (٢) وكان من أهل بغداد . ثم دخل القيروان في دولة (زيادة الله ابن الأغلب الثالث) سنة ٢٩٠ هـ الى سنة

(١) المغرب ١ـ٤٥ .

(٢) العقد ٦ـ٢٣٢

٢٩٦ هـ وبه ظهر الطب في المغرب وعرفت الفلسفة لأنه (كان طبيبا حاذقا مميزا بتأليف الأدوية المركبة ، وكان أشبه بالأوائل في علمه وجودة نظره ، واستوطن القيروان حينا ، وألف كتبا منها كتاب (نزهة النفس) وكتاب في (الفصد) وكتاب في (النبض) وقد تتلمذ عليه (اسحاق بن سليمان) الاسرائيلي المصري الذي خدم عبيد الله الشيعي ، واشتهر بكتابه

في (الحميات) وكتابه في (الغذاء والدواء) كما اشتهر بكتب له في الفلسفة والمنطق .

ثم عرفنا أحمد بن عبد ربه صاحب العقد بمتطبب آخر لم يذكره أحد غيره وغير ابن الفرضي في ترجمة يسيرة هي (أنه الطبيب الشاعر فرج بن سلام ، وأصله من أهل قرطبة وكان يعنى بالاخبار والاشعار ، وكان يتطبب ، وممن رحل الى المشرق ودخل العراق ولقي الجاحظ وأخذ منه كتبه وأدخلها الأندلس رواية عنه) (١) ، ولعله كان صديقا لابن عبد ربه ، فقد أشاد به ونوه عنه في أكثر من موضع من كتابه (العقد) واختار جملة من أقواله ومروياته وأشعاره في الطب وغيره .

على أن بعض هذه العلوم التي تنسب الى الأوائل ــ وخاصة ما يتصل بالتنجيم والفلك ــ لقيت معارضة وتهجينا في أول الأمر ، واستوحش منها العامة ، ومن أجل ذلك ضاق نطاق البحث والنظر فيها الا الطب والرياضة للحاجة اليهما وفي ذلك يقول صاحب (نفح الطيب) :

« وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم (زنديق) وقيدت عليه أنفاسه ، ولهذا سكن أكثر من تحرك طلبا لهذه العلوم حتى انتهت دولة بني أمية » (٢) .

وكان طبيعيا أن تتخلف هذه العلوم فترة طويلة ، وألا يظهر لدراسة الفلسفة أثر فيما أنشدوا من شعر وما كتبوا من نثر حتى ذلك العهد الذي كان فيه ابن عبد ربه قد نظم قصيدة يتهكم فيها من مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، وفيها يقول :

زعمت (بهرام) أو (بيذخت) ترزقنا
لا بل (عطارد) أو (برجيس) أو (زحلا)
وقلت ان جميع الخلق في فلك
بهم محيط وفيهم يقسم الاجلا
والأرض كروية حف السماء بها
فوقا وتحتا ، وصارت نقطة مثلا

واذا كان ابن عبد ربه قد أسرف في مهاجمة المشتغلين بالفلك والحساب اذ لم يكن على حق دائما ، فانا نراه قد تأثر بالموقف الذي وقفه من قبل ابن قتيبة من المناطقة في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) ، كما يذكرنا هذا بالموقف الذي وقفه البحتري الشاعر من هؤلاء المشتغلين بالفلسفة والمنطق ، وما ينكر أحد ــ الا قليلا ــ فضل الثقافة الفلسفية على تنمية الأفكار وتعمق المعاني وترتيبها في الشعر وغيره من فنون القول .

---

(١) طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ٨٤ بتصرف .

(٢) نفح الطيب ٢ـ١٠٦ .

الأدب العربي

بين الاتجاه الخاص والعام

١ ــ الاتجاه البيئي الخاص في المفهوم ٠

نقصد بالاتجاه البيئي الخاص ، ذلك النوع من الدراسات الأدبية الذي يعنى فيه الباحث برصد حركة الأدب الحديث في بيئة خاصة بعينها لا يتجاوزها الى غيرها ، (فهي دائرة أضيق من الدائرتين السابقتين) سواء أكانت متناولة لتلك البيئة بوجه عام أو ازدادت الدائرة ضيقاً فتناولت الدراسة جزءاً من تلك البيئة ، مثال ذلك أن تجد دارس الأدب في المملكة العربية السعودية ، ــ مثلا ــ ينطلق في دراسته في اطار هذا العنوان السابق ، فهو حينئذ قد اختار بيئة خاصة من بيئات الأدب العربي المعاصر ، وقد تجد دارسا آخر يختار جزءاً من ذلك الأدب ، فيختار (ادب الحجاز) ، اى المنطقة الغربية او (ادب نجد) اى المنطقة الوسطى ، او ادب الشمال او الجنوب او المنطقة الشرقية ، او تجد دارس الأدب السوري يدرس ادب حلب ، او دمشق او اللاذقية ٠

وتظفر بهذا اللون من الدراسات ــ بطبيعة الحال ــ في تلك البيئات الجغرافية الواسعة ، اذ يتيح الاتساع الجغرافي للباحث تصور وجود شخصيات متميزة للآداب في جنبات تلك البيئة فنجد في البيئة الخاصة بيئات فرعية تتدرج فيها ، وسنجد أن هذا المنحى لا يؤتي ثمرات فنية محددة ، اذ لا تقوم الظواهر الفنية منعزلة عما عداها في بيئات محدودة متقاربة كهذه ، فضلا عن أن الأديب قد يتنقل في هذه البيئات المتجاورة في وطنه ، ومن الصعب ــ حينئذ ــ قصر انتسابه على بيئة منها دون غيرها ٠ فلا نصدق حين نقول عن اديب انه حجازي وقد قضى حياته في نجد ! أو دمشقي وقد قضى حياته في حلب ٠٠٠٠ الخ

ويرتبط الاتجاه البيئي الخاص ببيئة سياسية وجغرافية هي في عرف تاريخ الأدب الحديث بيئة أدبية حسب التقسيم المدرسي الذي عرفناه مع ممارستنا لتاريخ الأدب على أيدي المستشرقين ، وقد درج الباحثون على تقسيم الأدب الى عصور ، كان الدكتور طه حسين

للدكتور يوسف حسن نوفل

قد حمل في كتابه (في الأدب الجاهلي) على المقياس السياسي في درس الأدب وتاريخه.

والحق أن هذا النوع من الدراسات هو أغلب ما نظفر به في مكتبة الدراسات الأدبية وهو نتيجة متوقعة لانشغال كل باحث بقضايا بلده ، ومنها قضايا الأدب ، وقل أن تجد كاتبا يقرن الى انشغاله بقضايا بلده انشغالا يضيف الى بيئته بيئة أخرى ، واذا حدث هذا ، جاءت نظرته الى غير بيئته على عجل ،

ومن هنا كانت الكثرة الغالبة في الدراسات هي من النوع الذي يهتم فيه كل باحث بأدب بلده على نحو يجعله يتفرغ له تفرغا تاما

أو على نحو آخر يجعله يضيف الى ذلك نوعا من الموازنات الفنية ، أو ربطا بين الظواهر والتيارات الأدبية .

ومما يذكر في الحديث عن البيئة الأدبية الخاصة — على نحو ما حددناها — أن كثيرا من البيئات الخاصة أو المحلية أو الاقليمية قد طواها النسيان أو غمرها التجاهل فنسيها

الدارسون أو تناسوها ، ورجع ذلك التجاهل أو النسيان الى طغيان شهرة بيئة على شهرة بيئة أخرى ، واتجاه أنظار الدارسين اليها دون غيرها ، من ذلك — على سبيل المثال

اهتمام دارسي الأدب ببيئتي : مصر والشام ، نظرا للسبق الأدبي البين لهاتين البيئتين، وتميزهما الفني بالنسبة للبيئات الأدبية الأخرى ، بحكم سبقهما الفني والحضاري ، والتفاعل مع البيئات الأدبية العالمية ، ولقد أشار أحد نقادنا الى هذه الظاهرة ، اذ نوه الدكتور شكري عياد بذلك في مقدمة كتاب (الشعر الحديث في الحجاز) لعبد الرحيم أبو بكر ، فذكر أن كل من كتبوا في الدراسات الأدبية أعطوا مصر والشام النصيب الأكبر وأهملوا أدب الحجاز .

ولعل هذا من الأسباب التي توجب العناية بأدب بعض البيئات الأدبية المجهولة أو الناشئة وتجلية قضاياها ، والابانة عن أوجه نشاطها ، ومجالات التفاعل الفني بينها وبين غيرها من البيئات .

(ب) الاتجاه البيئي العام في المفهوم :

ونقصد به ذلك النوع من الدراسات التي تتخذ مجال بحثها بيئة بعينها ، ولكنها لا تقتصر على بيئة واحدة بل تجمع ببيئتين فأكثر بحكم التقارب الجغرافي ، أو بحكم تقارب السمات الفنية ، أو التقارب الزمني في ظهور التيارات

○ الأدب العـــربي

الفنية في تلك البيئات التي اختارها الباحث لبحثه مثلما نجد دراسة في أدب الجزيرة ، أو أدب الخليـج ، أو أدب الشـــام ، أو أدب المغرب .

وسواء أكان الجامع في هـذه الدراسـة : التقارب الجغرافي ، أو التقـارب الفني ، أو التقارب الزمني فان العوامل الفنية هي التي كونت ذلك التجميع البيئي ، فاذا بدأنا مثـلا من المملكة العربية السعودية وجدناها قد تدخل بأدبها في تلك المسارات التجميعية الثلاثة ، اذ يحدها شـمالا كل مـن : الأردن والعـراق والكويت .

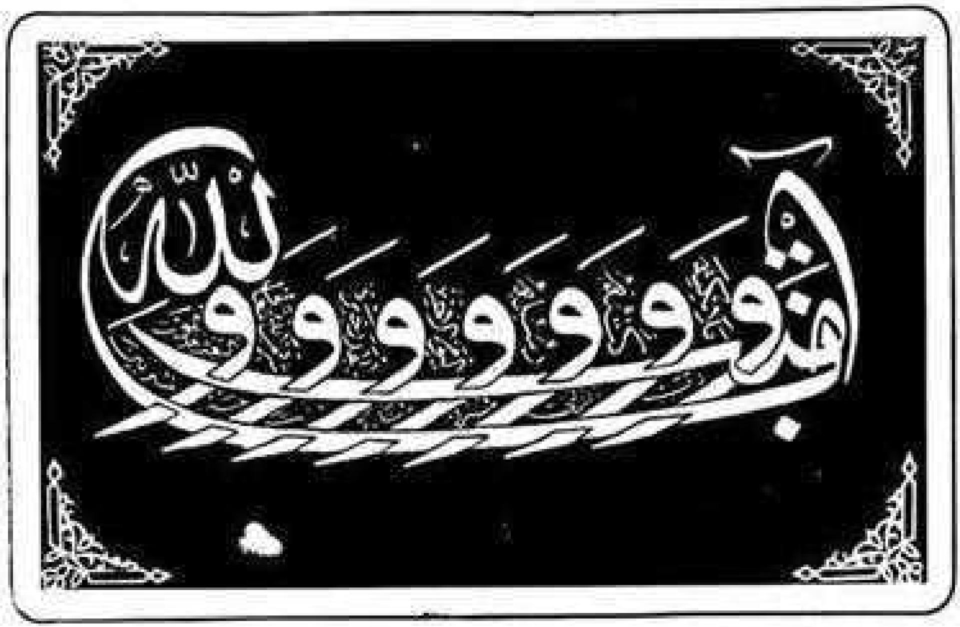
ويحدها شرقا كل من : قطـر والامـارات العربية المتحدة ، وسلطنة عمـان . ويحـدها غربا : البحر الأحمر .

ويحدها جنوبا : اليمن وسلطنة عمان .
وهي ـ بذلك ـ قـد تكون ضـمن (أدب الجزيرة) ، وضمن (أدب الخليج) في الاتجاه البيئي العام .

وفي دائرة الاتجاه البيئي العام نجد ضيقا عن دائرة الشـمول التي تناولناها في البـاب السـابق ، وكما رأينا الشمول في الدائرة الأولى لا يتحقق فنيا بالدرجة التامة ، نقول هنـــا ان العموم لا يتم بالصورة الكـاملة أيضـا ، وسنجد في الحالتين تطبيقـات فنيـة عجلى ، واشارات سريعة ، ونماذج عامة . بل ان من الكتاب الباحثين من لا يقتصر على تلك البيئـة العامة التي ذكرناها فيضم اليها بيئة أو أكثر

من ذلك ماكتبه سـعد ميخائيل بعنوان (شعراء الشام والعراق ومصر) دون وجود مبرر فني يجمع بين هذه البيئات ، ولسـنا نـدري ما الجامع بين شعراء مـن هـذه البيئات دون غـيرها من البيئات الأخـرى ؟ وما الذي يميز السمات الفنية في شعرهم عن شعر غيرهم من شعراء البيئات الأخرى ؟

ولعل نظرة الباحثين في هذه البيئة العـامة تخلو من التوسع الشديد الملحـوظ في التناول البيئي الشمولي ، الذي تحدثنا عنه فيما سلف، كما تنأى عن التضييق الشديد الذي قد يقـع فيه دارسـو التناول البيئي الخـاص ، الذي سنتحدث عنه فيما يلي ، أي أن هذا التنـاول البيئي العام لا يصل في اتساع بيئاته الى مـا يصل اليه التناول البيئي الشمولي على مستوى العالم العربي . بل يكتفي مـن طمـوحه ، فيختار دائرة أضيق من الـدائرة السـابقة ، ويختار جملة بيئات متجاورة جغرافيا ، فيتخذ من الاقتراب في المكان اقترابا ـ بالضرورة ـ في السمات الفنية ، ولسنا ندري هـل يولـد هذا الاتجاه دوائر أخرى تشترك فيها كل بيئة مع غيرها مـن البيئات ؟



كما أن هذا التناول لا يبلغ فى تحديد مجاله ، وتضييق نطاقه الى مايرسمه التناول البيئى الخاص من اطار محدد ، وحدود مرسومة لبيئة أدبية بعينها .

بهذا يكون هذا الاتجاه حلقة وسطى بين الحلقتين : السابقة ، وهى التناول البيئى الشمولى ، واللاحقة ، وهى التناول البيئى الخاص .

ومن المتوقع فى هذا التناول الفنى ، أن يكون الباحث منتميا الى احدى هذه البيئات مولدا ، ونشأة ، وثقافة ، وقد ينعكس ذلك على دراسته ، فنجده أكثر ميلا الى بيئته ، أو أعمق فهما لها بحكم المولد والنشأة والثقافة ، كما قلنا .

وحجة أصحاب هذا الاتجاه تتمثل فى أن البيئات المدروسة فى كيان أدبى واحد — كما قلنا — مثل بيئة الجزيرة ، أو الخليج ، أو الشام .. الخ يجمعها توحد جغرافى ، وتاريخى وتيارات ثقافية واجتماعية وحضارية متشابهة مما يحمل الدارس على اعتبارها منطقة واحدة على الرغم من انقسامها الى دول مختلفة .

على أن من جوانب هذا الاتجاه مايقتصر على جزء من تلك البيئات ، فلا يدرس أدب الجزيرة العربية كلها ، بل يدرس مثلا شرقيها ، كما رأينا فى كتاب (أدب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية) (١) للدكتور عبد الله آل مبارك .

---

(١) ط ١٤١٠ ، ١٩٧٠ م

صورتا الغلاف الأول والأخير

لجريدة الأزهر لويلكوكس

(انظر المقال صفحة ١٧٤٧)



صورة غلاف العدد الاول لويلكوكس انظر المقال

ص ١٧٤٧ .



غلاف العدد الاخير من المجلة انظر المقال

ص ١٧٤٧ .

مع المغفور له الرئيس
أحمد سيكوتوري في كتابه
الإسلام دين الجماعة

ترجمة : محمد البخاري   عرض د. طه مصطفى أبوكريشة

من مآثر المغفور له الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا الراحل ، هذا الكتاب ، الذى ألفه وجعل عنوانه « الاسلام دين الجماعة » . وهو كتاب يقع فى مائة وخمس وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، ونراه ان شاء الله تعالى من العلم الباقى الذى ينتفع به ، ويستمر به عمل الرجل بعد وفاته دون ينقطع .

والكتاب مجموعة من الأبواب تحمل هذه العناوين متتابعة (العمل ركيزة الاسلام ـ قواعد الاسلام الخمسة ـ دور المسلم فى تحقيق السعادة للشعب ـ اكتساب العلم فريضة اجتماعية ـ الاسلام أداة فى خدمة الشعب ـ الفاتحة طريق قهر الشيطان ـ الوجدان قيمة الانسان) ويلى ذلك الخاتمة التى ينتهى بها الكتاب .



والاسلوب فى هذه الابواب يتسم بسمة التركيز الشديد ، لكن مع الوضوح الذى أملته

عاطفة دينية قوية ، وحماس ايمانى متدفق ، يعكس مدى حب صاحبه لدينه .

وتلك علامة بارزة فى الكتاب ، يلتقى بها القارىء محددة معالم شخصية صاحبها ، وهى شخصية فرضت نفسها فى صفحات التاريخ المعاصر ، فى مجال الفكر الى جانب مجال السياسة .

— ٢ —

أما الباب الأول « العمل ركيزة الاسلام » (١٥ — ٢٧) فانه يصدره بالاشارة الى تلك العاطفه — عاطفه حب الدين — التى المحنا اليها فيقول « منذ تأسيس المجلس الاسلامى الوطنى وتصديه لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الاسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده فى أرجاء غينيا ، وفى أنحاء أفريقيا والعالم كله ، وأنا أتأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه .

ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقا الا عن الشىء الذى يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه وما يعرف الا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحب الاسلام حبا صادقا دون أن يعرفه ، ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته » .

ومن هذا التصدير يطرح هذا السؤال : كيف يستطيع الانسان أن يعرف ذاته ؟

ويجيب على ذلك بأن الانسان يستطيع أن يعرف ذاته اذا أجاب عن أسئلة يوجهها الى نفسه ، يعرف من خلالها تحديد مكانه فى المجتمع وتعيين موقعه الجغرافى ، ومعرفة سلوكه النفسى ، وجميع أوجه نشاطه ، ذلك لأن الانسان ليس منبت الصلة عما عداه ، وهنا تكون البداية لمعرفة الاسلام .

ومعرفة الاسلام تتطلب الاعتراف بوحدانية الله الفرد الأحد المنزه عن المتناقضات ، وهو اعتراف يتجسد فى وجدان الانسان من خلال كل مايراه من أدق الأشياء صغرا الى أكبرها حجما ، ومن خلال كل مايسمعه ويحسه ويحيط به ، ان على الانسان أن يتأمل مخلوقات الله ويصغى اليها ، فبهذا يدرك الله ، ويستشعر وجوده داخل وعيه ، دون أن يجعل لله حجما أو شكلا او لونا محددا لأنه تعالى ليس كمثله شىء .

أما أن العمل ركيزة الاسلام ، فذلك لأن الاسلام يصر على ضرورة العمل ، وهو الدين الذى يقود الانسان الى الوفاء بديونه ، فالانسان مدين لله الذى خلقه ، لكنه لا يملك ما يقدمه لله غير أن يبقى مؤمنا وعارفا به ، والانسان مدين للمجتمع الذى أنبته وأتاح له أن يولد على أرضه ، وان يتغذى ويكتسى ويتعلم ، وهو لا يستطيع الوفاء للمجتمع ان لم يعمل .

ولهذا فمن واجبه أن يعمل حتى يؤدى للمجتمع ديونه ، وأن يبقى دائم الاعتراف بالله الذى وهبه الحياة ، ذلك هو أساس الاسلام ، فهو دين الواجب والاعتراف بالواجب ، وأداء الواجب المفروض على الانسان تجاه ربه وتجاه مجتمعه .

ومن هنا فان المؤمن الحق ليس فى حاجة لأن يقول انه مؤمن ، فحماسته فى العمل من أجل

المجتمع تكشف عن صدق ايمانه كما أن سلوكه الشريف وتمسكه بالكرامة والعدالة والمسئولية ، مما يؤكد عمق ايمانه .

واذا كان المؤمن — وهو يعظ — يتعرض بشكل متصل للاغراءات الشريرة ، فان عليه أن يصارع الشيطان ، وأن يجاهد نفسه ، فاذا توقف المرء عن محاربة الشيطان والتصدى له توقف عن أن يكون مسلما حقا .

كذلك فانه اذا كان من الواجب معرفة الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ، فان على المسلم الاختيار الحاسم لطريق الخير ومعاداة طريق الشر ، وذلك هو ما يطالب به الاسلام .

— ٣ —

وفي الباب الثاني « قواعد الاسلام الخمسة » (٢٩ — ٤٠) يذكر اننا في حاجة الى الاسلام لأن علينا أن نعترف بوجود الله الها واحدا خالقا يسبغ رعايته على كل المخلوقات ، وان نعترف بوجوده من خلال خلقه ، فاذا اعتقدنا ذلك فان علينا أن نترجم العقيدة الاسلامية في سلوك عملي من خلال قواعد الاسلام الخمس : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

وفيما يتصل بالشهادة ، فان شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا نبيه ورسوله ، هي قاعدة الاسلام وهي الشرط الاول لدخول الاسلام ، فليس يكفى أن يقر المرء بوجود الله وبوحدانيته دون أن يعترف بنبوة محمد ورسالته وهذا هو الانتماء الأساسي للاسلام ، وهو انتماء يجعل المسلم يعلن الحرب الدائمة على الشيطان ، ويجعله لا يقول ولا يرى ولا يسمع ولا يقبل شيئا يتعارض مع الحق أو العدل ، ولا يقر أى شيء يكون الشيطان وراءه .

أما الصلاة فانها ثانية قواعد الاسلام ، وهي تعنى اتجاه المسلم الى الهه وربه وخالقه العلى العظيم ، وتتضمن اعترافا منه بفضل الله حين من عليه بحيز المكان وبحيز الزمان .

فكأن المؤمن حين يصلى يقول « يا الهى لقد مننت على بالمكان واعترافا منى بفضلك ، فانني أشغل هذا الحيز المحدود مسلما نفسي لك مقرا بعظمتك .

لقد وهبتني الزمان واعترافا بك فانني أشغل هذا الوقت الخاطف في خشوع لك » وهكذا يلوذ الانسان بربه خلال الصلاة ، وهو يشغل حيزا محدودا من الزمان والمكان .

والقاعدة الثالثة في الاسلام هى « الزكاة » ذلك الحق المعلوم الذى فرضه الله للفقراء في أموال الأغنياء ، ان للزكاة معنيين .

اولهما : انه اذا كان هناك فقراء فذلك لأن هناك أغنياء ، واذا كان هناك أغنياء فلأن هناك فقراء ، ولو كانت جميع الخيرات والثروات موزعة بمساواة وعدالة لما كان في العالم كله فقراء وأغنياء ولصار الجميع كما هم متساوين لحظة الميلاد واذا كان هناك اعتراف حقا بأن كل شيء ملك لله ، فان الزائد عن الحاجة يجب أن يعود الى المجتمع ، وحينئذ يعود اليه ما يخصه .

أما المعنى الثاني : فان سعادة الانسان في الآخرة هي على قدر ما يفعله من خير في الدنيا

ومنه ما يقدمه للغير من عون ومساعدة ، فهناك اذن سبب عاجل وهو أن يكون الانسان عادلا فى المجتمع ، وسبب آجل وهو اعداد المستقبل عن طريق تقديم العون للمجتمع ، وذلك هو تفسير معنى الزكاة •

والقاعدة الرابعة للاسلام وهى « الصوم » تنطوى على التميز الانسانى ، وهو الفكر الذى يسيطر على الطبيعة من حوله ، فكأن الانسان حين يصوم فانه يقول بلسان الحال « اننى فى حاجة الى الطعام وغيره غير أنى أرفض تناول ذلك بجهد من ارادتى ، وسأتقبل عن طواعية كل الآلام فى سبيل أن انتصر على جسدى وأتقرب الى الله » •

من هنا كان الفكر هو الذى يقرب الانسان الى الله ، بينما يقرب الجسد الانسان من الحيوان والتراب ، ان الصوم يتيح للانسان أن يسمو ، وللفكر أن يسيطر على الجسد ، وللانسان أن يسود الطبيعة ، وذلك هو أساس الصوم •

والقاعدة الخامسة للاسلام هى حج بيت الله الحرام فى مكة المكرمة وذلك لمن استطاع السبيل الى ذلك ، ويمثل الحج المؤتمر العالمى السنوى للاسلام ، حيث يلتقى المسلمون القادمون من كل بلاد العالم ، فيتبادلون المعلومات عن أوضاع بلادهم وعن المكانة التى يحتلها الاسلام فى العالم وعن التقدم الذى يحرزه الاسلام أو الصعوبات التى تعترض طريقه • (١)

ثم يعقب على ذلك بأن قواعد الاسلام الخمسة تمثل فى حقيقتها جهدا فكريا حاضرا ، فالايمان بالله وبرسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، هو من عمل الفكر وبهذه العقيدة يجب أن يعيش المرء نابض الفكر فى كل لحظة ، بل فى كل مكان وزمان •

وكذلك فان الصلاة لا تكون صلاة كاملة ما لم تكن مصحوبة بحضور القلب والفكر ، وبغير ذلك تكون مجرد قيام وركوع وسجود أقرب الى التدريب الرياضى •

والزكاة أيضا جهد فكرى ، لأن أداء المرء للواجب نحو التآزر الاجتماعى واسعاد الغير يمثل عصيانا للشيطان الذى يوسوس للانسان بالأثرة والأنانية •

والصوم كذلك يأخذ قيمته من الفكر الكامن فى ممارسته ، حين يقبل الانسان عليه ، ويلتزم به فى السر كما يلتزم به فى العلانية •

والامر كذلك بالنسبة للحج اذ ينبغى أن يتجرد عن الرياء وعن المنفعة الشخصية ، وأن تكون وجهة الحاج أن يبتغى فضلا من الله ورضوانا ••• واذن فالفكر وحده هو الذى ينبغى أن يتسلم القياد فى كل تحرك فعلى داخل المجتمع ، حتى تأتى أفعال المسلم فى تعارض واع وحاسم مع الشيطان ، وفى تعانق حى ودائم مع الخط الذى رسمه • القرآن الكريم للافراد والجماعات •

---

(١) يبدو ــ والله أعلم ــ ان المؤلف يريد بقوله : « جهدا فكريا •• الخ ما يجب على المسلم أن يبذ له من جهد فى استحضار عقله وقلبه ليكون على التزام دائم بما يقتضيه اسلامه من عقيدة وسلوك ولكى تكون العبادة مقبولة فى ميزان الثواب •

وفى الباب الثالث « دور المسلم فى تحقيق السعادة للشعب » (٤١ — ٥٣) يتحدث المؤلف عن علاقة الانسان بالمجتمع خلال التزامه بشعائر الدين اذ لا يمكن أن يعيش منعزلا بعبادته بينما المجتمع من حوله ينوء بكثير من

الوان الظلم والقهر ، ومن هنا كان معنى الجهاد فى الاسلام ، ومعنى مكافحة المنكرات حفاظا على العقل وسلامة الفكر وصحة الجسد . فلا ينبغى أن يقول أحد اننى مسلم

ثم يكتفى بهذا « فليس الاسلام لقبا ، والجهاد هو الذى يصنع المسلم ، وبالعمل يصبح المرء مسلما ، والسلوك هو الذى يشكل المسلم ، ان نفع الانسان لمجتمعه هو الذى يجعل منه مسلما » .

ان السلوك الشخصى حينئذ يكون ترجمة للاعتقاد ، فاذا كان سلوك المرء يعادى كل ما يتناقض مع مبادىء الاسلام فهو اذن على الطريق المستقيم ، والمسلم القوى الايمان هو الذى يعارض بحسم كل ماهو اثم وشيطانى ويناصر فى حسم كل مايتفق مع الاسلام ، اى كل ما هو عدل وخير .

والعبادات كلها فى مضمونها وجوهرها تدريب عملى على مطاردة الشيطان ، وعدم الانقياد له ، مع اعلاء الارادة والتسامى بالفكر .. وبهذا كله يعمل المسلم على اشاعة جو من الأمن والرضا والاطمئنان والخير فى مجتمعه الذى يعيش فيه وبذلك يقوم بدور فعال فى تحقيق السعادة للآخرين .

والباب الرابع عنوانه « اكتساب العلم فريضة اجتماعية » (٥٥ — ٦٤) وفيه يتحدث المؤلف عن موقف الاسلام من العلم ، ويبين

ذلك بأن الاسلام يفرض على كل مسلم تحصيل العلم وتعميق المعرفة والتربية الصالحة ونشر العلم على نطاق المجتمع كله .

فالعلم هو الذى تتحقق بواسطته سعادة البشر ، ولن تتحقق هذه السعادة الا اذا تبادل الناس المعرفة فيما بينهم عن طريق التعلم ، والبخل بالعلم هنا يشكل جريمة أكبر من رفض مد الجائعين بالغذاء ، ذلك لأن العلوم والمعارف يجب أن تكون ملكا للبشرية جمعاء ، فهى الميراث المشترك بين جميع البشر .

واذا كان الاسلام هو الدين الذى ينادى بالمساواة بين الناس دون تمييز بسبب اللون أو القومية أو السن أو النوع ، فانه يجب تسخير الثروة والعلم من أجل الارتقاء الدائم بمستوى مجموع الأفراد .

وفى الباب الخامس نجد له هذا العنوان « الاسلام أداة فى خدمة الشعب » (٦٥ — ٨١) وربما تكون الترجمة عن الأصل غير دقيقة ، أو تكون العبارة فى الأصل غير دقيقة فى التعبير عن المعنى المراد الذى قصد اليه المؤلف ، اذ أنه يقصد كما هو واضح فى العرض أن الاسلام بتعاليمه يهيىء وسائل السعادة وسبلها للناس أفرادا وجماعات ، ومن هنا فان القائمين على المؤسسات الاسلامية التى تدعو للاسلام : ينبغى أن تضع نصب عينيها هذا الهدف .

وفى هذا الباب يتحدث عن ضرورة تنظيم الأفراد فى اطار الأخوة الاسلامية لأنها هى الأمر الجامع بين الناس .

فالاسلام دين واحد لكل الأجناس ، ولكل العصور ، ولكل البلاد ، فلا يخص جنسا واحدا ، ولا لون بشرة معينا ، ولا بلدا دون غيره ، فحيثما كان المسلمون على اختلاف أصولهم العرقية ، يجب أن يشكلوا كتلة واحدة لا تتجزأ طالما أن الاسلام وحدة لا تتجزأ . وهذا هو الشرط الأول لتقدم الاسلام .

ثم تأتى بعد ذلك الخطوة التالية وهى العمل على أن يضيىء القرآن الكريم ضمير الشعوب حتى تكون جميع ممارساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية متفقة مع تعاليم الله التى ألزم بها البشر ، ذلك لأن القرآن يقدم حلا لجميع المعضلات التى تشغل الانسان .

أما الاسباب الداعية الى تنظيم العالم الاسلامى فان ذلك لأجل اقامة وحدة حقيقية لا شكلية بين المسلمين ، اذ يجب أن تكون وحدتهم بهدف اتباع هدى القرآن وحده .

واذا قام هذا التنظيم فانه يستطيع أن ينقذ البشرية التى تتجه اليوم شيئا فشيئا نحو عبادة المال دون أن تتلقى تربية خلقية ودينية جادة . ويجب على هذا التنظيم بعد قيامه أن يتطور بشكل ثابت ليزداد اكتمالا ، وليكون قادرا على أن يثبت تفوق الاسلام فى واقع عملى .

وفى هذا الباب يتحدث المؤلف كذلك عن تجربة بلاده فى سبيل نشر الاسلام بين الأفراد والجماعات ، وفى العمل به فى مختلف المؤسسات ، ويذكر من ذلك ما ألزمت به كل قرية من هدم ما بها من أوثان ، وتحطيم ما لديها من تمائم وتعاويذ ، وأن تقيم مسجدا ، وأن تربى الناشئة حسب القواعد القرآنية .

وبذلك تم القضاء على الوثنية والشعوذة ولم يعد أحد فى بلاده يقدس الأحجار أو الأشجار أو التمائم : هذا الى جانب تحريم الخمور والفجور ، وتنظيم القضاء على أساس الهدى القرآنى والغاء جميع أنواع التفرقة التى كانت قائمة على أساس الجنس ، وذلك من أجل تدعيم أواصر الوحدة بين المسلمين .

— ٧ —

ويأتى الباب السادس تحت عنوان « الفاتحة » سبيل قهر الشيطان (٨٣ — ١٠٣) ويذكر المؤلف فى التمهيد لحديثه أن الفاتحة واحدة من أقصر سور القرآن ، لكنها عميقة المعانى ، اذ تجمع على ايجازها كل الهدى الاسلامى ، وذلك ما جعلها فاتحة القرآن الكريم .

ثم يقدم بعد ذلك خواطره فى تفسير « سورة الفاتحة » ، فيذكر أن المسلم حين يقرأ هذه السورة فانه يحمد لله قدرته ورحمته وعفوه وكرمه غير النهائى ، ويقر بوحدانية الله وبعلو صفاته وعظمته التى لا حدود لها ، وخيره العميم الذى يغمر به جميع مخلوقاته .

كذلك فان الانسان يدرك فى « الفاتحة » وجود طريقين : طريق الاستقامة وطريق الضلال ، ويدرك وجود الخير والشر ، وبعد

بسلوك الصراط المستقيم سائلا الله عونه الدائم الكريم ، حتى يستطيع أن يظل دائما على طريق النجاة .

وحين يختار الانسان الطريق القويم فانه يدين بقراءته الفاتحة طريق الضالين ، ويحدد موقفه منهم ، وعلى رأسهم الشيطان ، وهو بهذا الدعاء « **اهدنا الصراط المستقيم** » يدين السلوك الاجتماعى السىء ، ويرفض طريق الشر والضلال طريق الشيطان .

ان « سورة الفاتحة » لا تتضمن ضمير المتكلم المفرد ، بل تتحدث بلفظ المتكلم الجمع « اهدنا » ولهذا فان على المسلم الذى يريد احترام « سورة الفاتحة » وترجمتها ترجمة

عملية صحيحة :أن يدين جميع من يمارسون الأنانية والظلم ، وعليه أن يخدم المجتمع فى أمانة وصدق ، وذلك هو ما تفرضه « سورة الفاتحة » على سلوك الفرد .

وهنا يتحدث المؤلف عن الترجمة العملية لـ « سورة الفاتحة » ، وكيف تكون واقعا فى سلوك الأفراد والجماعات ، فيذكر أن علينا أن نقود فى حسم تلك المعركة التى تتعارض فيها العدالة مع الظلم والتقدم مع التخلف ، وأن نختار الخير ونقصى الشر المتمثل فى قوى الاستغلال والقهر من جانب ، وقوى الذين يعانون من الاستغلال والامتهان من جانب آخر .

واذا كانت محاربة الشيطان تتطلب القضاء على الشر وأسبابه ، فان « سورة الفاتحة » تقضى بإقصاء الفردية والأنانية والخيانة وما اليها .

ومن هنا كان الاسلام دين جهاد من أجل انتصار الخير واختفاء الشر بجميع أسبابه ، وليس للجهاد المقدس الذى حدده القرآن من هدف سوى حماية الجماعة واقصاء من يجرون الفاقة والبؤس على المجتمع .

ان طريق الاسلام يتطلب عملا جادا يقيم حياة انسانية أكثر ازدهارا وخصوبة وشرفا وكرامة ، وعلى المرء الذى يؤمن ايمانا حقا بأنه ملتزم بسلوك هذا الطريق أن يعمل على أن يستمتع بعقل سليم وجسد سليم ، وبيئة اجتماعية وطبيعية سليمة .

ان الاسلام دين العمل والتنظيم الاجتماعى .. دين التواضع من أجل تحقيق النفع الدائم للقريب والجار والجماعه كلها . أو ليس من وصايا الاسلام أن يجتمع مسلمو كل قرية وكل

حى ليصلوا معا وليبنوا لهم مسجدا فى حدود امكاناتهم ؟

أوليس المسلمون مطالبين يوم الجمعة بحضور صلاة الجماعة ؟ تلك كلها ملامح التنظيم الاجتماعى .

اذن من الخطأ اهمال تنظيم المجتمع ، ذلك التنظيم الذى يتيح لأعضائه أن يناقشوا بحرية جميع المشكلات التى تواجه حياتهم ، والتى تواجه ازدهار الاسلام ، والذى يعينهم على اتخاذ قرارات مشتركة ، وتنفيذها بطريقة مشتركة ، ومن يهمل هذا الجانب من الحياة الاجتماعية هو من لم يفهم الفاتحة حق الفهم.

٩

● سيكوتوري

— ٨ —

ويأتى الباب السابع والأخير تحت عنوان « الوجدان قيمة الانسان » • (١٠٥ — ١٤٧) وفيه يذكر المؤلف بعد حديث عن المادة ، أن الشيء الذي يحويه الانسان ، والذي تفوق قيمته قيمة المادة ، هو وجدانه الذي يمثل قيمته الحقة ، وبدونه يكون أقرب ما يكون الى الحيوانات الأخرى •

وكما تحوى الطبيعة متمثلة فى الأرض عناصر مختلفة ، بل متعارضة فان الانسان الذي سواه الله من الطبيعة يحوى عنصرين مختلفين هما : المادة والفكر •

وعنصر المادة فى الانسان هو الذي يجعله قادرا على ارتكاب جميع الحماقات التى ترتكبها الحيوانات ، غير أنه حين يستخدم ذكاءه وضميره يستطيع أن يكبح جماح امتداد الطبيعة فى كيانه ، بل يستطيع أن يسيطر على الأرض نفسها وأن يسخر الطبيعة لتحقيق السعادة للمجتمع •

ثم ان الانسان هو ملتقى المتناقضات ، لأنه فى المقام الأول حيوان بوصفه امتدادا للطبيعة •• قدمه وعظامه وأجزاء جسده كلها تتشكل من نفس العناصر التى تتشكل منها أجزاء أجساد الحيوان ، غير أنه يعد مع ذلك حيوانا أسمى بفضل ذكائه وضميره اللذين زوده الله بهما ، فهو لايستطيع فقط أن يدرك ، بل أن يريد ويختار ويقرر •

ثم هو يتمتع بذاكرة تتيح له استعادة الماضى ، ويتيح له ذكاؤه أن يرى ببصيرة أكثر اكتمالا ودقة ونفاذا من عينيه وأن يستمتع بحسه بأدق مما تسمع أذناه ، أى أن ذكاءه يتيح له اثراء حواسه ، وحين ينمى الانسان ذكاءه ، ويصقل ملكاته وقدراته البشرية ، ويبيح لكفاءاته أن تزدهر وتتألق ، فانه يتبع النهج الايجابى فى تطويق عناصره الحيوانية ، بأسوار سجن يحول بينها وبين تدنيس وجوده •

لكن اذا كانت طبيعة الانسان المادية تطلب من الأرض عناصرها الغذائية الضرورية لنمائه •• فمن أين يستمد هذا الوجدان غذاءه وريه ؟

ان المجتمع هو الذي يرعى الكائن البشرى كما ترعى الأرض جذور الشجرة ، فهو يحتضنه دائما بهدف تطوير ملكاته وقدراته ، ومن هنا يصبح الانسان مدينا للمجتمع بالعلوم والمعارف بفكره ووجدانه وبكل ما يجعله كائنا أسمى . فالمجتمع هو الذي يفرز العناصر الغذائية الضرورية لنمو الفكر وتطويره ، وهو الذي يحملها الى الانسان •

لكن أهم دين يثقل عنق الانسان هو دينه نحو الله ، الذي يوجهنا نحو تحصيل مزيد من المعارف عن الفرد والجماعة لصقل معرفتنا بالكائن البشرى ، وبالمصير الذي يجب أن يتجه

اليه وبكل ما يسمو أو يهبط به . والانسان دائم الاعتراف من النعم التي يدين بهما لله تعالى ، ولأن المسلم يدرك هذه الحقيقة ، فهو يحمد الله كل يوم ، ويقر له بالوحدانية ، ويتبع هديه الذي تجلى في رسالة النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — .

ان الانسان يفي بالدين الذي في عنقه لله حين يقر بوجود الله ويسلك مع أفراد مجتمعه على النحو الذي رسمه النبيمحمد — صلوات الله وسلامه عليه — . كما أن الفرد يفي

بديونه تجاه مجتمعه حين يتجنب الكذب وارتكاب أي عدوان على مصالح الجماعة أو أي فرد منها ، ولا يتحرر المرء من ديونه الاجتماعية الا اذا كان نافعا لمجتمعه ، الا اذا قدم للمجتمع قبل موته عوضا عما استهلكه من خيرات المجتمع التي أنتجتها أيدي الآخرين .

ولن يكون ذلك الا عن طريق العمل الصالح في كل مجال ، والدين هو الذي يرشد الى العمل الذي يقود الى الخير ، بينما لا يفتأ الشيطان عن التأثير على الانسان في كل مكان

ليزج به في طريق الشر ، وأمام هذين الطريقين يجب على المسلم أن يتجنب ما حرم عليه القرآن فعله وأن يحترم تعاليم القرآن طول عمره ، فبذلك يستطيع الانسان أن يسيطر على طبيعته الجسدية من أجل اعلاء طبيعته الثانية التي زوده الله بها دون الحيوان تفضيلا له ، والتي تتمثل في تلك الملكات التي تتيح للانسان أن يتأمل ويفهم ، وفي هذا الوجدان الواعي

الذي يتيح له أن يعرف الله ، وأن يسجد خاشعا أمام جبروته .

— ٩ —

وفي خاتمة الكتاب يتحدث المؤلفعن تكوين « رابطة العالم الاسلامي » ، وأن ذلك كان استجابة لأمنية عزيزة على كثير من المسلمين

الذين يرون في توثيق الصلات بين شعوبهم طريق ازدهار الاسلام وسيادة قيمه ومبادئه السامية ، ولن يكون ذلك الا على أيدي جنود يدافعون عنه في ايمان عميق وفي حماسة واخلاص .

كذلك يتحدث عن منهج الاسلام بين المناهج الأخرى التي تسود العالم ، وكيف أنه أقوى وأصلب من أن تنال منه اتهامات أعداء الاسلام ، الذين يرمونه بالجمود والتخلف ومعاداة كل ما هو عصري ومتطور .

كما يشير الى أن من واجبات المسلمين أن يعنوا بتربية الناشئة على هدى من منهج الاسلام ، حتى يطرحوا كثيرا من تلك

الخزعبلات التي غرستها التربية المعاصرة البعيدة عن القيم الدينية ، وتلك السموم التي بثها العدو في كل مكان لافقاد المسلمين ثقتهم في أنفسهم وفي تراثهم الدينيوالفكري . وبهذا نعيد شباب المسلمين الى الاعتزاز بانتمائهم للاسلام ،الى الاعتراف من تبعة

الروحى ، والى الارتقاء الى ما يمثله الاسلام من سمو العقيدة والسلوك . وان نظرة الى الوراء مع بداية مجىء الاسلام جديرة بأن تمد المسلمين بالثقة فى أنفسهم ، لأن الاسلام فى ذلك الوقت نشر أشعته عبر العالم الذى كانت تجثم الامبراطورية الرومانية والفارسية على أنفاسه ، فاذا بالاسلام يأتيه بالقيم السامية ، التى تربط الانسان بخالقه ، وتجعل البشر أمام الله سواء دون تفرقة بين الأفراد والشعوب على أساس من اللون أو الجنس . وهذه الثقة سوف تخلع عنا أية عقدة نقص أمام أصحاب الفلسفات والنظريات الأخرى ، ذلك لأن الاسلام كان أسبق من اى فكر آخر فى المناداة بالعدالة والسلام والمساواة بين البشر والاخوة بين الأفراد .

ويختم المؤلف خاتمته بقوله : « ان أكبر عبء من مسئولية الارتقاء بوعى المسلمين لا يقع بالضرورة على كاهل الملوك والرؤساء بقدر ما يتحمله العلماء ، فالاسلام يعطى السلطة للعلم والمعرفة ، قبل أن يعطيها للقوة المادية والمظاهر الخارجية .. ذلك لأن مسئولية الأفراد تتزايد كلما تزايدت معارفهم ، وكلما نضجت عقولهم ونما وعيهم » .

وبعد .. فتلك بعض الملامح البارزة فى هذا الكتاب ، وهو كتاب نرى أنه كان بمثابة ورقة عمل ، أو خطة دعوة الى الاسلام ، وضعها وقام بتنفيذها هذا العالم السياسى الداعية ، بين قومه وفى الوسط الافريقى المحيط به .

وقد عنى هذا الكتاب ــ مع تركيزه ــ بكثير من الشرح والتوضيح وضرب الأمثلة ، فى محاولة صادقة للوصول الى الاقناع والقبول والتسليم . وتلك أمور تجعلنا نتخيل الأثر الكبير الذى أحدثه الكتاب بين أولئك القوم الذين نشر بينهم أولا باللغة التى يتحدثونها .

ولعلنا بذلك نكون قد ألقينا مزيدا من الضوء على الجانب الآخر من فكر الرجل (١) الذى كان له دور بارز وملموس فى ميدان السياسة ، لكنه من غير شك لم يكن أقل من ذلك فى ميدان العمل من أجل نشر الاسلام فى تلك الأوساط التى تموج بكثير من وفود الارساليات والتبشير .

وعلى قدر ما قام به فى هذا الميدان ، نحسبه من المجاهدين العاملين ، الذين أخلصوا العمل ابتغاء مرضاة الله ، وهو سبحانه لن يضيع أجر من أحسن عملا « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

(يونس ٢٦)

دكتور طه مصطفى أبو كريشة

(١) فى عدد شعبان الماضى مقال عن الرئيس أحمد سيكوتورى للدكتور عبد الودود شلبى بعنوان « سيكوتورى : الرجل والمبادىء » ص ١٢٨١ .

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

« في الميراث »

س : من السيد / على ابراهيم الموجى — باب الشعرية ..

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ابن ، عمين شقيقين وعمة ، أولاد عم . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث .

ولبنت الابن النصف فرضا لعدم من يحجبها أو يعصبها .

والباقى للعمين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى .

ولا شىء للعمة لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات . كما لا شىء لأولاد العم لحجبهم بالعمين .

نأسف لما وقع من خطأ فى اسم كاتب مقال من اعلام الازهر ص ١٦٥٢

وكاتب المقال هو الاستاذ سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى كما هو مدون فى نهاية المقال .

توفى رجل عن : زوجة ، اولاد الاخوة أشقاء ذكور واناث ، أولاد اخوات فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث .

والباقى للذكور من أولاد الاخوة الأشقاء تعصيبا ، يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء رجل واحد .

ولا شىء للاناث من أولاد الاخوة الاشقاء ، ولا لأولاد الأخوات ، لأنهم من ذوى الارحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

« فى الزكـاة »

ما كيفية اخراج الزكاة عن الأرض الفضاء ؟ وكيف نخرج الزكاة عن العقار المبنى الذى يدر ريعا ؟

ج : اذا اشتريت الارض الفضاء بقصد الاتجار بها وجبت الزكاة فى قيمتها كل عام عند الجمهور ، وعن العام الأخير فقط عند المالكية .

أما اذا اشتريت قصدا لبناء فلا زكاة فيها انما الزكاة فى ايراداتها اذا بلغت نصابا فائضا عن حاجته وحال عليه الحول .

أما العقار المبنى فتكون الزكاة فى ايرادات المبنى اذا بلغت نصابا وحال عليه الحول بعد ابستنزال ضروراته وحاجياته . **والله أعلم**

أنباء وآراء

برقية رئيس لجنة انقاذ القدس الى الامام الأكبر

الاشرافية ١٤٠ ــ ٤ ــ ١٥٠٠

فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفظه الله القاهرة :

لقد اثلجتم صدر كل مؤمن فى بيانكم الرحيم بمناسبة شهر الصيام بالدعوة الى انقاذ القدس بكل الوسائل ، واعادتها الى سابق عهدها اسلامية وعربية ، ورفضكم تدويلها من الواجبات الاسلامية نحو بلد الاسراء والمعراج .

ومناشدتكم ايران والعراق ضرورة وقف الحرب العراقية الايرانية فيها استجابة للقرآن ، وصيانة للنفس والأموال .

نشكركم على موقفكم وتؤيدكم ، ونرجو الاستمرار على تبصير المؤمنين بواجباتهم الى ان تتحقق أمنياتنا جميعا باستعادة القدس وتحريرها وتجنيد كل القوى الاسلامية والعربية لمقاومة الصهيونية العالمية التى هى العدو الاكبر للمسلمين والعرب .

ادامكم الله نصرا للمسلمين والعرب .

عبد الحميد السائح

رئيس لجنة انقاذ القدس

٧ من رمضان ١٤٠٤ هـ

٧ /٦/ ١٩٨٤ م

مركز اسلامى لاسهامات المسلمين فى الحضارة

❋ صرح فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عقب عودته من الدوحة عاصمة قطر بعد زيارة استغرقت ثلاثة ايام تلبية للدعوة الموجهة لفضيلته لحضور الأجتماع التاسيسى « لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة » .

بأنه تم اختيار بعض المصنفات من التراث فى العلوم الشرعية والعربية وسائر العلوم وترجمتها الى اللغة الانجليزية بصفة مبدئية لاطلاع العالم غير الناطق بالعربية على مشاركة المسلمين فى بناء الحضارة الانسانية وهذا

المركز مسجل بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية وسيكون مقره الدوحة وله مكاتب فى جهات أخرى وسيدعى المتخصصون من علماء المسلمين للمشاركة فى هذه البحوث وترجمتها واختيار الكتب التى تترجم لهذا الغرض وستوجه رسائل الى ملوك الدول ورؤسائها للمشاركة فى تمويل هذا المشروع وقد تولى السيد محمد ابراهيم كاظم رئاسة مجلس الادارة وهو يشغل منصب مدير جامعة قطر ويعمل ـ اصلا ـ استاذا بكلية التربية ـ جامعة الأزهر ·

اما رئيس مجلس الامناء فهو السيد محمد ابن حميد آل ثان وزير التربية والتعليم ·

*رسالة ماجستير فى النقد البلاغى

بين القاهر الجرجانى وضياء الدين بن الأثير

ناقشت كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر رسالة الماجستير المقدمة من الطالب عبد الله على محمد حسن بعنوان النقد البلاغى بين الامام عبد القاهر الجرجانى وضياء الدين بن الأثير ·

تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة

الدكتور / محمد رجب البيومى مشرفا

الدكتور / على البدرى

الدكتور / يوسف البيومى اعضاء

٢٥ دولة تقيم مسابقة لتلاوة وتجويد القرآن

وجهت حكومة ماليزيا الدعوة الى الشيخ على بركات والشيخ عبد المتعال منصور وكيل شئون القرآن بالازهر والشيخ عبد الباسط عبد الصمد لحضور المسابقة التى تستمر اسبوعا وتقيمها اللجنة الوطنية للمسابقات الدولية لتلاوة القرآن وتجويده فى ماليزيا يشارك فى المسابقة متسابقون من السعودية ومصر وتشاد والهند وايران والعراق والكويت وليبيا والمغرب وسلطنة عمان وبنجلاديش وسلطة بروناى واندونيسيا وماليزيا ومالى وباكستان والصين وسنغافورة وسريلانكا واوغندا ·

تعاون علمى بين جامعة القاهرة والجامعة الاسلامية ·

تم توقيع اول اتفاقية للتعاون العلمى بين جامعة القاهرة ، ولجنة المنح الجامعية الباكستانية ··· جاءت الاتفاقية نتيجة لدور مصر البارز فى دعم الجامعة الاسلامية باسلام اباد فى بداية نشأتها والوقوف الى

اعداد

أحمد عبد الرحيم السايح

عبد الفتاح السيد عبد السلام

صفوت عبد الجواد

أنباء وآراء

جانبها ، وتضمنت الاتفاقية عدة بنود منهـا :

تبـادل اعضـاء هيئة التدريس والخبرات والأبحاث فى مجـالات التربيـة والتدريس وتخصيص منح لاعداد اعضاء هيئـة تدريس جدد وطلاب دراسات عليا بالجامعة الاسلامية .

وصرح الدكتور حسن حمدى رئيس جامعة القاهرة بعد عودته مـن باكستان حيث راس الوفد الجامعى المصرى : انه شعر بالرضا عن المستويات التى حققتها جامعة اسلام اباد من حيث خطط ومناهج الجامعة ومعاهدها .

ولتحقيق مزيد من الدعم العلمى لازدهـار الجامعة الاسلامية . تم توقيع هذه الاتفاقية التى تضمنت بعض هذه البنود العمل المستمر بين الجامعتين لتطوير المعـرفة فى المجـالات التربوية والعلمية والفنية وخاصة فى العلـوم العربية والاسلامية .

انتشار الاسلام بين نساء امريكا

اعلن رئيس اتحـاد المسـلمين فى امريكـا الشمالية بان الاسلام ينتشر اكثر بين النساء فى امريكا وكندا .

ولهذا السبب تم اختيار مسـلمة امريكية نائبة لمدير التعليم الاسـلامى حيث تقـوم بتنظيم برامج دراسية للأخوات المسلمات فى كـافة الفروع الاسـلامية وتعليمهن اللغـة العربية .

واضاف سيد سعيد رئيس اتحاد المسلمين فى امريكا الشمالية ــ وهو من كشمير ــ ان حقيقة انتشار الاسلام السريع بين النسـاء فى امريكا الشـمالية عرفت منذ تأسيس مركز التعليم الاسلامى عام ١٩٧٣ لنشر الاسلام بين الامريكين والكنديين وتدريب من يصلح منهم للقيادة .

دورة تربــوية

انتهت مؤخرا بمركز الجـالية الاسـلامية بمدينة «جاردن جروف» بمقاطعة « اورانج كاونتى » بأمريكا الشمالية الدورة التربويـة التدريبية التى أقامهـا الاتحـاد الاسـلامى استمرت يومين لكافة المدرسين المسلمين لدى سائر الجاليات الاسلامية فى الساحل الغربى للولايات المتحدة الأمريكية .

كان موضوع الدورة الرئيسى « نحو تربيـة اسلامية فى امريكا الشمالية » .

وقد شارك فى هذه الدورة التربوية العديد من العاملين فى حقل التربية والتعليم الاسلامى فى المنطقـة ، كمـا حضرهـا بعض رؤسـاء الجمعيات ومديرى المراكز الاسلامية ورجال التربية والتعليم من مناطق متفرقة فى الولايات المتحدة الامريكية .

انشاء أول مسجد فى روما

أصدرت المحاكم الايطالية حكما بالسماح للجالية الاسلامية فى روما بانشاء أول مسـجد

فى العاصمة الايطالية . يأتى هذا الحكم بعد عشر سنوات من الانتظار والمشاكل القانونية. كانت الحكومة الايطالية قد أهدت الدول الاسلامية قطعة أرض لبناء مسجد عليها فى حى « فونتى اتينى » أرقى وأجمل أحياء روما عام ١٩٧٣ م وعلى الفور بدأت اللجنة المختصة بتنفيذ مشروع المسجد اجتماعاتها ، وأسندت عملية انشائه الى احدى الشركات الايطالية التى رصدت لتنفيذه مبلغ ثلاثة وثلاثين مليون دولار .

من المقرر أن يلحق بمبنى المسجد مكتبة اسلامية وقاعة محاضرات بالاضافة الى فصل للرجال وآخر للسيدات .

وصرح أبو القاسم أمين مدير المركز الاسلامى فى روما بأن اللجنة المشرفة على بناء المشروع ، بدأت اتصالاتها بالدول العربية والاسلامية لجمع التبرعات لاتمام المسجد .

معهد عال للدعوة فى المغرب

أعلن فى الرباط مؤخرا أنه تقرر تأسيس معهد عال للدعوة الاسلامية فى المغرب ، يهدف الى تخريج دعاة لنشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية والتصدى لحملات التنصير والافكار الهدامة التى تنشرها القاديانية والاحمدية والبهائية .

معهد اسلامى فى أروقة الأقصى

تقرر اقامة معهد اسلامى عال فى مدينة القدس يعنى بدراسات علوم الشريعة والدراسات الفقهية والاسلامية .

قالت صحيفة الدستور الاردنية : ان المعهد سوف يتخذ من أروقة المسجد الأقصى مقرا له.

٣٥ مسجدا فى مدينة ليون

قامت الجمعية الدينية الاسلامية بمدينة ليون الفرنسية بانشاء خمسة وثلاثين مسجدا وقاعة صلاة فى ليون وضواحيها . وتقام صلاة الجمعة فى عشرة مراكز تشرف عليها الجمعية وتقوم بأعمال صيانتها وامدادها بالوعاظ والكتب الدينية .

أنشأت الجمعية ثمانية فصول لتعليم اللغة العربية للأطفال والكبار وبلغ عدد الطلاب بها مائتين وأربعة وخمسين طالبا .

تصدر الجمعية مواقيت الصلاة لمدينة ليون وضواحيها وامساكية شهر رمضان وتنظيم لزيارة بيت الله الحرام كما تقوم بعقد الزواج للراغبين من المسلمين والمسلمات كما تهتم بالجنازات والدعوة للاسلام بين الفرنسيين .

كلية للدعوة فى الخرطوم

تقرر انشاء كلية للدعوة والتربية الاسلامية فى الخرطوم ، وقبول طلبة من الدول الاسلامية فيها . كما تقرر اقامة معسكرات للدعوة فى اوغندة وكينيا وتنزانيا ومد نشاط المركز الاسلامى الافريقى ليغطى مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى كافة مناطق افريقيا .

أنبـاء وآراء

مشروعات معهد المخطوطات العربية

وافق المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على برنامج مشروعات معهد المخطوطات العربيـة العـام ١٩٨٤/١٩٨٥ م والتي تتلخص فيما يلي :

– ايفـاد متخصصين وخبـراء للبحث والكشف عن واقع المخطوطـات العربيـة في العالم .

– تصوير المخطوطات العربية .

– فهرسـة مخطوطات المعهـد المصـورة ونشرها .

– اعداد فهرس شامل للمخطوطات العربية الموجودة في العالم .

– التنسيق بين مراكز التراث في العـالم العربي .

– اعداد فهرس شامل وكامل لما تم طبعـه من كتب التراث العربي .

– المشـاركة في الاجتماعـات الـدولية والعربية .

– تزويد مكتبة المعهد بالمصادر والمراجع . تأمين احتياجات قسم التصوير .

– الاستمرار في اصدار نشرة أخبار التراث العربي ومجلة معهد المخطوطات العربية .

– كذلك وافق المعهد على ثلاثة مشروعات أخرى بتمويل من دولة الكويت هي :

فهرسـة المكتبـات التي لم تفهـرس مخطوطاتها ، وايفاد مبعوثين لدراسة وترميم المخطوطات وصيانتها ، والاهتمام بنشر كتب التراث العربي .

الندوة ٢٢ من شعبان ١٤٠٤ هـ

زيادة عدد المسلمين ...

ذكرت صحيفة صنداي تلجراف البريطانية الاسـبوعية ان عـدد المسـلمين المقيمين في بريطانيا قـد زاد بنسـبة مائتين وخمسين في المائة « ٢٥٠٪ » خـلال العشر سـنوات الماضية .

ندوة في باريس عن البنوك الاسلامية

نظمت غرفة التجارة العربية الفرنسـية في باريس ندوة حول البنوك الاسلامية وطريقـة عملها وتمويلها وامكانية التعاون بينهـا وبين البنوك الغربية . وشـارك في هـذه النـدوة أساتذة الجامعات ورجال البنوك الاسـلامية .

الاقتصاد الاسلامي

أكد وزير مالية باكستان أن اضفاء الطـابع الاسلامي على بلاده لم يثر أي تصـدع في الاقتصاد الوطني .

وركز الوزير الباكسـتاني على الطـابع التدريجي الذي يتسـم به الطابع الاسلامي في بلاده ، وهو يوجه الحـديث الى منـدوبي خمس عشرة دولة اسلامية يشتركون في ندوة عن « الاسلام والمصارف » أقامهـا الاتحـاد

الدولي للبنوك الاسلامية وأوضح أن باكستان مثلها فى ذلك مثل العديد من الدول الاسلامية الأخرى نقلت حرفيا المفاهيم والمؤسسات الاقتصادية من المجتمعات غير الاسلامية سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية .

وأضاف الوزير : أنه يتعين التوصل الى قدر كبير من الاتفاق ودرجة معينة من المرونة لادخال مبادىء الاسلام فى الاقتصاد خلال المرحلة الانتقالية التي تجتازها البلدان الاسلامية التي تسعى لتطبيق مبادىء القرآن الكريم فى حياتها الاجتماعية .

مسلمو الهند

ذكرت وكالة الأنباء الهندية : ان عدد المسلمين فى الهند يتجاوز حاليا مائة مليون مسلم .

وأشارت الوكالة الى أن المؤتمر السابع للتعليم الخاص بالمسلمين الهنود الذى عقد اخيرا ناقش تقريرا يوضح أن الاحصاء الذى اجرى عام ١٩٨١ م كشف عن عدد المسلمين الذى وصل فى ذلك الحين الى ثلاثة وثمانين مليون واضاف التقرير : ان ولايات شمال الهند التي يتركز فيها المسلمون شهدت خلال العقد الماضي زيادة لم يسبق لها مثيل فى الكثافة السكانية .

وكل رفيقي كل رَحْلٍ وان همـا
تعاطى القَنَا قَوْمَاهُمَا اخـوان

السيد الاستاذ / أحمد حسن هلالى

تحية وشكرا لكم وبعد ..

فانى احب ان اعرف راى سيادتكم فيما لو وجه معنى البيت المذكور على ان كل رفيقى سفر اخوان . وان كان بين قوميهما نزاع او حرب . الا يصح هذا المعنى والواقع يقر ذلك فقد يجلس العراقي بجانب الايرانى الآن فى السفروفى الدرس كاخوين يجرى بينهما الحديث ويتبادلان التحية ... الخ .

وبذلك ينقشع الاشكال ..

اخوك ومن قومك
محمد طـه احمد
نادى الادباء ببني سويف

رد الاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى

الاخ الفاضل . والزميل الكريم الاستاذ محمد طه احمد .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. تحية مباركة طيبة . وعرفانا تاما واعيا بجهدكم وشدة عنايتكم بالبحث عن الحقيقة ، والسعى الدائب لتحرى الدقة واقرار الصواب .. وانى اشكر لسيادتكم ملحوظتكم القيمة ، واهتمامكم الواضح بالبحث الواعى المنصف للوصول الى ما نتوخاه جميعا من اجلاء الحقيقة بينة ساطعة . وابراز الصواب مشرقا لالاء .

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن اعجابى الشديد وسرورى البالغ بما لمسته فى رسالتكم الوجيزة من ذكاء لماح ، وأفق واسع وقريحة متوقدة وبصر نافذ وفطنة نيرة باهرة ، وآمل

أنبــاء وآراء

أن تهيىء لنا هذه المناسبة فرصــــة التعارف والتلاقى على كل ما يرفع من شأن لغتنا الجميلة لغة الذكر الحكيم .. ويعلى من قدرها بين قوم هانت عليهم لغتهم واستخفوا بها . وغضوا من شأنها وطمسوا معالم جمالها .

ويسعدنى كثيرا أن تعرف أنى قــد التزمت بمنهج واضح ثابت لا أحيد عنه هو ايثار الدقة وتبنى الحقيقة .. والاعتذار عن الخطأ ان وقع ولابد أن يقع ما دمنا بشرا ولسنا ملائكة .

اما بشأن استدراك سيادتكم على معنى بيت الفرزدق الوارد فى موضوع « كل ــ كلمــا » المنشور بمجلة الازهر بعدد شهر رجب ١٤٠٤هـ أبريل ١٩٨٤ م ، فاننى أفيد بأن المعنى الــذى أشرت اليه فى رسالتكم هو معنى واضح بين ، وصحيح سليم ، وسائغ مقبول ، على اعتبار أن (قوماهما) مثنى قوم مضافا الى ضمير الاثنين وهو فاعل الفعل (تعاطى) والقنا مفعول بــه مقدم .. وأخوان فى آخر البيت خبر كل فى أوله وهو خبر مفرد ، وليست جملة (هما أخوان) هى الخبر كما ذكر ابن هشام ، ويكون المعنى على هذا : ان كل رفيقين فى السفر هما أخوان وان كان قوماهما أعداء متناحرين يحمل كل منهم السلاح ضد الآخر ويقاتل بعضهم بعضا .

والمعنى بهذه الصورة واضح جــلى ميسور الفهم لا عسر فيه ولا تعقيد ولا يحتــاج الى تأويل أو تقدير محذوف .. ومالا يحتاج الى تأويل أولى بالايثار والقبول مما يحتــاج الى تأويل وأصارحكم ــ أخى القول ــ والصراحة فى هذا المقام واجبة ــ أننى استرشدت فى تحليل هذا البيت معنى واعرابا برأى ابن هشــام ــ سامحه الله وغفر له ــ فى المغنى . وقد اتضح لى بعد فوات الأوان . وافلات الفرصة أنــه تنكب الطريق ، والذى أوقعه فى هــذه العثرة وجره الى هذا المنزلق أمر هين هو عدم التثبت من ضبط البيت ، وبخاصة لفظ (قوما) ، فقد بنى تحليله للبيت معنى واعرابا على أن «قوما» منون ، وهو بهذه الصيغة مصدر أو اسم مصدر للفعل « قاوم » وزن « فاعل » وتصــف فى اعرابه . مرة بدل اشتمال وأخرى مفعولا لأجله وثالثة مفعول مطلق لعامل محذوف مناســب للمقام لدلالته عليه فى حين أنه لا ضرورة لكل هــذا .

ولقد طغى على حسن الظن وسلامة النيــة مجاريته فى هذا التحليل وسلكت نهجه فيه ثقة به وحسن ظن فيه . فهو كما نعلم من كبــار علماء النحو واللغة وثقافتهم ، معترف له بالتقدم والسبق مشهود له بالتطول والفضل عــلى اللغة وطلابها ومؤلفاته فى اللغة نحوا وصرفــا وفى سائر فروعها تفوق الحصر ، الا انه فى هذه المسألة بالذات جافاه الصواب .. لسبب تافه هو الاستهانة بضبط ألفاظ البيت كما ســلف . وما كان أحد يتخيل أو يدور بخلــده أن ابــن هشام ــ هذا العملاق اللغوى العظيم يقع فى هــذا الخطــأ ، ولكــن لا عجب ولا محــل للدهشة . فلكل جواد كبوة . ولكل صارم نبوة ولكل عالم هفوة .. وليس أحد من خلق ــ خلا



المصطفين الأخيار مبرأ من الخطأ أو معصوما من الزلل فالكمال لله تعالى وحده ، والعصمة للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ولسنا منهم وفوق كل ذي علم عليم .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ولعلي بهذا أكون قد لبيت رغبتك .. وشفيت غلتك ، وأرضيت تطلعك الى الصواب واصابة كبد الحقيقة مع الاعتذار الصادق الجازم عن تلك الهفوة ، والوعد بعدم تكرارها ان شاء الله وهانذا قد تحملت الوزر ، وأقررت بالذنب وأعلنت التوبة والندم ايمانا وتصديقا بالقول المأثور الرجوع الى الحق فضيلة ، وهو خير وأفضل كثيرا من التمادي في نقيضه والاصرار عليه .. ومن تاب من ذنبه قبل الله توبته ، أفلا يقبلها الانسان الذي حمل الأمانة التي أبت حملها السموات والارض فكان ظلوما جهولا ألا يكفي هذا التبرئة ساحتي وقبول عذري واعفائي من العذل واللوم أرجو ذلك .

كما أرجو أن يكون رائدنا وامامنا التسامح والاغضاء عن هفوات المقصرين مادامت متسمة بحسن النية وصفاء الطوية . مسترشدين بقول الشاعر الحكيم :

تأن ولا تعجل بلوم لصاحب
لعل له عذرا وأنت تلوم

مع رجاء التفضل بقبول عظيم التقدير ، ووافر الاحترام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أحمد حسن عبد العواض هلالي

● أنبــاء وآراء

آراء

كتب السيد / حسين سلامة محمد ســلامة ـــ الشرقية ـــ سعود القتيلة •

مقترحا ، بأن تخصص المجلة صــفحة مــن كل شهر تقدم فيها مسابقة وتكون على هيئــة

بحوث اسلامية او ادبية • ونســـال الله لكم التــوفيق •

*** نشكر لكم هذا الاقتراح وسنعمل ان شاء الله على ذلك وجزاكم الله عنــا خيرا •**

كتب السيد / سعيد محمد سعيد ـــ القاهرة ـــ السيدة زينب •

مستفهما لماذا لم يصــدر الملحق الخــاص بعدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ عن المعجزة الخالدة (الاسراء والمعراج) فنحن فى اشد الحــاجة لمثل هذه الكتيبات •

*** المجلة تشكر لك هذا الاهتمـــام وتلاحظ أن بها اكثــر من مقــال عــن الاسراء والمعراج فيه ما يكفى ويؤدى مهمة الملحق •**

كتب السيد / عثمان خليل محمد ـــ أسيوط •

رأينا على صفحات عــدد رجب تحقيقــا صحفيا عن اللحوم المستوردة والدول النامية ـــ وكم أسعدنا هذا التحقيق فى هذا الموضوع لأننا كنا فى حــيرة كبرى من هــذا الأمــر • ونسأل الله لكم التوفيق ـــ ونرجو من سيادتكم الكثير من التحقيقات فى مثل هذه الأمور •

*** المجلة تشكر لك هذا الشـــعور الطيب ونسأل الله أن يوفقنــا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •**

ردود خاصــة ••

السيد محمود محمد عبده مستشار قانونى ـــ الرياض ـــ البطحاء :

عن موضوع خطورة الاعلام وتأثيره علــى « المتلقى » قدمت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن هذا الموضوع وعلاقته المباشرة بالتأثير على الاطفال ودفع بعضهم الى ارتكاب المخالفات ـــ فى عدد رمضان ١٤٠٣ هـ مدعمــا بالأدلة • وبالمجلة فى هذا العدد بحثا مماثلا يعالج شأنا آخــر •

لذا يجد الأخ السائل أن المجلة لم تقصر فى هذا الميدان ، وانما تسهم فيه مساهمة تكــاد تكون دورية من شهر لآخر •

وليس يفوت الأخ ـــ وهو قانونى ـــ مدى مسئولية الأزهر فى هذا الشأن •

نسأل الله التوفيق لنا جميعا • وشكرا •

فهرس العدد

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم مهنا

their prayers, and to give alms. However, what actually happened was that they broke the covenant heedlessly. By another covenant they were forbidden blood shed and expelling their own people from their homes. All such covenants were real laws and religious obligations. Nevertheless, they not only slew among themselves and sinfully backed the fighters of their own kinsfolk to turn them out of their homes, still worse, they ransomed those who came to them as captives. They abandoned themselves to the lusts of the flesh and forsook interest in the Hereafter, they believed in parts of the Scriptures and rejected the rest. Whatever goals and gains they attained or might attain; that would not avail them against disgrace in this life and of grievous penalty on the Day of Resurrection.

Translations From :

To the Glorious Quran
Imam Mahmoud Shaltoot
Publications of Adminstration of Islamic Culture
Al-Azhar University Cairo, 1982

In future issues of the English Section of the Al-Azhar Magazine, commentaries will be included in respect to Islamic periodicals published abroad.

The Editor

faith. A party of those people knowingly perverted the Word of Allah which they heard with their own ears. When they came to face Muslims, they said they believed, too; but once in private with their sort, they cautioned or reproved one another for disclosing any piece of knowledge of their Scriptures, lest Muslims should use it in argument. How stupid of them it was to do that, in secrecy or in public. There were also people among them whose knowledge of the Scriptures was but fancies and conjectures, based on false prompts of their rabbies. Allah threatens with terrible chastisement such priests as might attribute their untruths to Him for the paltry price of worldly gains.

Allah confutes their claim that Hell shall not touch them for more than a few numbered days. He had not made them such a promise; and it was not for them either to interfere with the regulation of His Dominion.

Rather than arrogance, it would suit them to learn that sinners would go to Hell, and to remain therein for eternity if they were engrossed in evil. It is the believers and doers of righteous works that shall inherit the everlasting abode of the Garden. Rather than the so-called exemption from punishment, Allah virtually made a covenant with the Children of Israel to worship Him alone, show kindness to parents, kindred, orphans and the destitute, to speak fair to people, to attend to

worldy interests or activities. Yet, a Jewish community living in a town on the sea developed the persistent bad habit of breaking that holy bond. They used to besiege the fish which floated in security exclusively on that particular day.
In punishment, they were abased to the malformation or obscenity of apes.

It was an example to the people of the time, as much as to all the following generations of all faiths, that Allah told of the fate of those Children of Israel.

Al-Baqara proceeds to tell the parable of the Cow, well known in Jewish tradition. A man had been murdered, and the murderer had to be found out. Moses told his people that Allah orders them to sacrifice a cow. Feigning sincere response, they went on asking him to beseech his God to make plain to them what age, colour, breed and so on, it was. At last, they did the act, almost unwillingly. They bore themselves with false exactitude, only to forfeit the broad expanse of ease. A portion of the slain cow was ordained to strike the dead man with, and he was brought to life. Having disclosed the mystery of his murder, the man fell back, dead.

Al-Baqara proceeds, their hearts thenceforth grew hard as rock, or still harder. Anyway, Allah is not distracted from their deeds.

Allah reveals to Mohammed, prayer and peace from Allah be upon him, to tell Muslims not to entertain hope that the Jews might believe in their

The OBJECTS of The Holy QUR'AN (Continued).

it. At His command, Moses struck the rock with his staff, twelve springs gushed forth, one for each tribe. Allah asked them to eat and drink of His sustenance and refrain from corrupting the land with evil. They complained to Moses they had grown weary of that monotonous diet and asked him to beseech his God to produce for them such earthly plants as pulse, cucumbers, garlic and onions. In answer to their choice, he told them to go to (Misr) and they would find all that they had asked for.

At Moses' reproach, they left Egypt and marched on to the Promised Land. There, however, during the life of Moses and after, they continued to rebel against Allah. Eversince, they have incurred upon themselves their reputed national disaster.

Al-Baqara proceeds to point out that success, even for a prominent Prophet stems from obediance of ordenances and reward for true confident faith. It is belief, coupled with righteous works that counts. The favours of Allah bestowed on Israel's Children are repeatedly mentioned. At the foot of Mount Sinai, a unanimous Covenant was taken from them that they would do all that Allah had ordained. They must obey all Divine commandments. Among the Sings which ca awe on their feelings was the raising above them of the Mount, so that they might take the Covenant earnestly and hold to it strongly. They were ordained never to defile the Sabbath. Death awaited him who profaned it with

The OBJECTS of The Holy QUR'AN (Continued).

By Soliman Barakat

Moses chose seventy men to commune Allah in prayer on Mount Sinai. They told him " Moses, we shall not believe in you until we see God manifestly." Audacious was their claim, they were struck by a thunderbolt while they were looking on in expectation. Allah, then raised them from death; which should have inspired their gratitude; but it only nourished their conceit and selfimportance.

In Sinai, He caused the clouds to shade over them, and mann and quails to be sent down to them, that they might eat of His good grace. He then ordained them to enter the Town and eat therein, wherever they would and as they wished, provided that they made their way reverently through its gate, saying they repented. He promised them forgiveness of their sins, and abundance to the good-doers. Nevertheless, transgressors from among them perverted Allah's Words; on those He sent down a scourge from heaven.

They wanted water, and Moses prayed Allah for

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3RD. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook , Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th, Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and Commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th. Edition, 1977
   Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

disciplines were prescribed by Quranic Revelation. The first was the Fasting during the month of Ramadan from dawn to sunset. The second was the institution of the fiscal system of Zakat. The third was the permission for armed confrontation. Both disciplines of Fasting of the month of Ramadan, and the fiscal system of Zakat are perpetual life-time disciplines that every Muslim has to perform who becomes subject to their codes and limitations as dictated by the Sharia'ah. Armed confrontation accords to circumstantial conditions pertaining to the defence and security of the Muslim community, and the integrity of its structure. Consequent upon the Divine permission and command for armed confrontation , Muslims were engaged in several minor and major armed combat with various enemy groups. Such combat operations and campaigns took place starting during the latter third of the second year after the Hijrah. These early encounters were against the premier enemy of Islam, namely Koraysh. Details of such encounters will be discussed in the following treatise on the subject.

Prayers and Peace from Allah upon our Magnanimous Prophet.

P.S. The first year after the Hijrah has been discussed in the Safar Issue of Al-Azhar Magazine Volume 2, 1404; November 1983.

and contradicting and full of enmity and hatred to that new faith that originates from the same source of Light as their own, and follows the same direction of human conduct and behaviour. Yet, they rejected, fiercely and with adamant objection; they intrigued against Islam in all possible means, and allied themselves with all forces opposing Islam, even with Arab tribes of Koraysh and others who were contrary to Jewish faith Idol worshippers. Inspite of this bitter animosity to Islam, several of Jewish high ranking characters truely and devotedly embraced Islam including Abdu Allah Ibn Salaam a chieftain of Banu Qaynuqaa. Some others entered Islam with deceit and hypocracy including Saad Ibn Hunayf and Zayd Ibn Allussayt. The Muslim - Jewish conflict continued till the Muslim conquest of Khaybar during the seventh year after the Hijrah. Particular incidents of this conflict will be discussed later in the course of events.

The Muslim community at Al-Madina was growing in strength and sturcture, and its stability was solidifying in harmony and coherence. The formulation of their social codes of practice and rituals of worship were derived from the Tradition of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) as dictated by Quranic Revelation. They followed the teachings of their faith with sincere conviction, adherent obediance and honest unfaltering belief. They were steadfast, confident, and invulnerable to hesitation or reluctance. During that period of time three very important and salient

lationsships, espionage and demoralisation. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) adopted the policy of caution and patient resilience,knowing that they will eventually sequesterate and be exposed and expelled from the cementing structure of the growing strength of Islamic community.

The Jewish clans at Al-Madina formed a second facet of Muslim antagonists. At the early phase after Hijrah, they claimed neutral attitudes, and agreed to document a working agreement with the Muslims aiming at peaceful coexistance. This agreement constituted every aspect of Muslim-Jewish relationships, limitations of conduct, possessions, conflict with enemies, support and neutrality during wars, recognition of material belongings, territorial occupancy, and most important was freedom of belief and faith. This document is extensively documented in the literature. The clauses of this agreement was, however, repeatedly infringed by the Jews with vulgar actions, deceitful contrivance and dishonest betrayal. They apposed the new creed of Islam with stubborn minds, eristic argumentative attitude, envy and jelousy. Quranic Revelation exposed the malicious nature of the Jews, their unorthodox deviated beliefs and practices, their support of evil, their devious and dishonest policies of financial transactions, and their diabolic ways of initiating feuds and conflicts. They developed frank enmity to Islam and declared open confrontation to the growing juvinille community of Muslims and to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). Considering that the Jews were guardians of the Taurah and followers of the Ten Commandments - whose teachings corresponded to those brought about by Islam; it is strange that they stand opposing

is everywhere independent of time and place. What really matters is the sence of discipline and obedience to follow what the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) directs and choses through Divine Revelation. Quibbling and disapproving in such matters is a sign of untrue faith and shallow belief.

The majority of Al-Madina residents at the time of the Hijrah were the Arab tribes of Al-Aws and Al-Khazraj, and the Jewish clans of Banu Qaynuqaa, Qurayzah, and Al-Nadeer. Both groups together formed a complex matrix of divergent social classes, religous cults, tribal disputes, and individual glory of superiority and domination. The new creed of Islam gained ground and settled at Al-Madina, it collected requirements demanded for its stability, growth, evolution, propagation and solidity. At this stage appeared the phenomenon of deceit and hypocricy among some Arab individuals whose personal interest only decided the trend they followed. These hypocrites were very potentially vicious and dangerous to Islam and Muslims through their concealed hidden enmity and personal benefit. They remained outwardly supporting Islam, but in reality they acted against Islam in vile conspiracy and immoral intrigue. The outstanding characters among the hypocrites were Abdu Allah Ibn Ubai Ibn Salool from the Khazraj, and Gollas Ibn Sowayed Ibn Al-Samet from the Aws and several others from both tribes. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was rapeatedly informed by Quranic Revelation in Surat Al-Baqara and Surat Al-Tawba of precise knowledge of incidents of intrigue and conspiracy, dishonest dealings and corrupt re-

THE SECOND YEAR AFTER THE HIJRAH

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The events that took place at Al-Madina during the first year after the Hijrah of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) were discussed in a previous treatise. These early events centered around three major accomplishments; namely, the building of the Mosque, the establishment of a solid fraternal order between Muslims, and formulating a working agreement between the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and the Jews resident at Al-Madina.

The Mosque was constructed during the first year after Hijrah with the Qibla directed towards Beit Al-Maqdis in Jerusalem. During the second year, the direction of the Qibla was changed to face the Kaba in Mecca. This was commanded by Quranic Revelation instructing that Muslims must face the direction of the Kaba during their Prayers (Salat) wherever they may be. The Qibla towards Beit Al-Maqdis was strange to the Arabs, and the change to face the Kaba was also strange after they became accustomed to the former. In reality, the direction is of no importance; and Allah's presence

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

وتلك مجلة أخرى :

.. ووفاء بوعدنا نقدم دراسة فى هذا العدد عن مجلة أخرى صدرت تحمل اسم « الأزهر » وليس لمشيخة الأزهر أدنى صلة بها وبذلك نكون قد وضعنا للقارىء حقيقة هذه المجلات التى تطرق الى ذهن بعض القارئين لها ــ خارج مصر ــ أنها صادرة عن مشيخة الأزهر ، فتألم أن يجد بها من الموضوعات ، ومن الأساليب ما ينبغى الا يصدر عن الأزهر الشريف .

وبذلك يخلص لقارىء مجلة الأزهر معرفة تامة بمجلته الصادرة عن مشيخة الأزهر وحدها .

د/ على أحمد الخطيب

الجزء الحادى عشر السنة السادسة والخمسون

ذى القعدة ١٤٠٤ هجرية

اغسطس ١٩٨٤ ميلادية

حوار حول عديد من قضايا الساعة

مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

*** * سؤال : العنف والمؤامرات والقتل الجماعي والتمزق والمناورات والحروب والصراعات التى تجتاح منطقتنا الآن قد ينظر اليها على انها مؤشرات تنذر بنهاية العالم وتحدو بالكثيرين الى القول بانها تشكل احدى علامات الساعة ؟**

ــ فضيلة الامام الاكبر : ان هذه الحال التى نرى عليها العالم اجمع لا شك انها حال مؤسفة ومحزنة ، فالقوى يحاول دائما أن يجهز على الضعيف • والانسان كانسان لم تعد بينه وبين أخيه تلك العلاقة الانسانية التى يجب أن تسود • وأعتقد أن التصوير الذى خطه السؤال للعالم هو أشبه ما يكون بالجسم المريض الذى حل به المرض من كل ناحية ولذا فان على الاطباء أن يحاولوا الكثير لابرائه ــ وذلك لا يكون بمجرد الاسعاف فقط وانما يتعداه الى العلاج من خلال التوصل الى جذور وصول هذه الأمراض المهلكة التى تنتاب الجسد الانسانى ككل ومن هنا يأتى دور المصلحين الذين ينبغى أن يدقوا ناقوس الخطر معلنا بأن على التجمعات الانسانية أن تواجه هذه المشاكل بحسم وحزم كل فى موقعه • وانه حرى برجال السياسة بصفة خاصة أن يعلموا بأن تفجير المواقف واشاعة الخلاف والحروب بين الدول أمر من شأنه أن يجهز على الانسانية وحضارتها ، وانهم مسئولون عن ذلك مسئولية تامة فى هذه الحياة وفيما بعد هذه الحياة • وكما يقول الناس مسئولية تاريخية سيذكرون بها ذكرا حسنا أو ذكرا لا يرضونه •

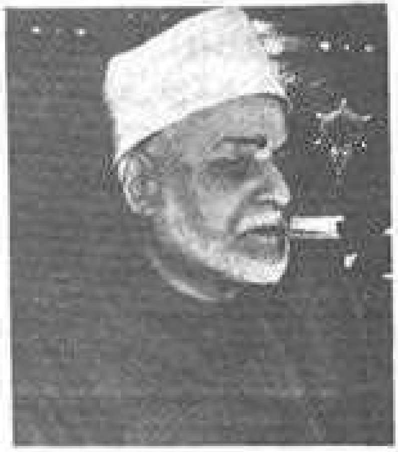
حكم الله

*** * سؤال : على صعيد الاحداث**

أجرى الحوار : سناء السعيد

نتناول الحرب العراقية الايرانية التى دخلت الآن عامها الرابع ونتساءل — مع هذه الحرب وهى حرب بين المسلمين تبدو نظرية الحياد ضربا من المستحيل.

— فضيلة الامام الاكبر : ان الله حكم فى هذه القضية فى قوله تعالى « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » هذا المبدأ الذى قرره القرآن لم يسلكه المسلمون الى الآن فى هذه الحرب . وعليه فان على المسلمين أن يتجمعوا سواء كان ذلك من خلال تجمع الحكومات والمسئولين بطرقهم التى يملكونها وقوتهم السياسية او من خلال تجمع الشعوب بالضغط على هذه الحكومات التى تسترسل فى الحرب والهلاك والدمار . ولا شك أن الواضح الآن أن ايران هى التى تدفع بالحرب نحو الاستمرار دائما لا سيما وأن العراق قد أعلنت أكثر من مرة على لسان المسئولين فيها بأنها على استعداد لايقاف الحرب والجلوس الى مائدة المفاوضات . بل ان العراق انسحبت من الأراضى الايرانية التى



كانت تحتلها منذ يونيو سنة ١٩٨٢ وهذا ما يدعونى الى أن أوجه النداء مرة أخرى الى المسئولين فى ايران أولا والعراق ثانيا بأن يتقوا الله فى شعوبهم وأموال هذه الشعوب ، فان شعب ايران والعراق والمسلمين جميعا فى كافة أنحاء الارض فى أمس الحاجة الى هذه الأموال التى تهلك وتستنزف فى هذه الحرب الضروس التى لا طائل وراءها ولا مصلحة للشعبين خاصة ولا للمسلمين والانسانية عامة فى هذه الحرب . التى قد تكون نذير شر وضرر خطير لا على هذه المنطقة فحسب بل على العالم كله ، ولهذا فان على المجتمع الانسانى أن يحاصرها وأن ينتهى منها ويوقفها بكل الطرق التى تمكنه من ايقافها .

على العرب انقاذ أمتهم

• • سؤال : الاحداث للأسف تشير

وتتصاعد الى حد يؤذن بدخول القوى الأجنبية ــ وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان شعار الوحدة العربية شعار متعذر التطبيق ولا يمكن ابدا أن يتحقق فى يوم من الايام ؟

ــ **فضيلة الامام الاكبر** : ان شعار الوحدة العربية كان حقيقة واقعية . ولقد تحقق بالفعل فمازلنا نذكر كيف كان الموقف فى رمضان ــ اكتوبر سنة ١٩٧٣ . حينما وقف العرب والمسلمون بجانب مصر فى حربها . فبعد أن خاض الجيش المصرى الحرب بشجاعة واسترد الارض كان هذا الموقف ايذانا بعودة الوحدة الحية الى الصفوف العربية ــ ولكن بكل أسف فان ما جاء وتفتق بعد ذلك كان سوء تقدير للمواقف ترتبت عليه هذه الفرقة وهذا الشتات بل وهذا الضعف فقد كانت جامعة الدول العربية موقع وحدة بين العرب تجمع حولها المسلمون .. اما اليوم فلقد تغير الموقف حيث لم يعد للجامعة العربية صوت فى هذه الاحداث التى تمر بها المنطقة وهذا هو الامر المؤسف المحزن المؤلم والمستغرب ولهذا اقول بأن على قادة الامة العربية أن يرتفعوا فوق هذه الخلافات التى لا طائل من ورائها وأن ينقذوا أمتهم ووطنهم من العار الذى ينتظرهم حتما اذا ما استمروا فى هذه الفرقة وذلك الشتات .

*** * سؤال : هناك من ينظر الى الثورة الشيعية من منظور انها قد تحقق نجاحا جديدا فى العالم الاسلامى .**

والمخاطر والمخاوف ترتفع مع ثورة ايران الشيعية ذات الصبغة الخومينية والتى قد تختلف من حيث المضمون بالنسبة لاية ثورات اخرى فهى عملية ذات ابعاد جغرافية وسياسية واجتماعية والتساؤل هل تشكل خطرا بالفعل على الامة الاسلامية ؟

ــ **فضيلة الامام الاكبر** : أعتقد بأنه اذا كانت هناك خطورة لهذه الثورة فهى كخطورة أى مذهب اجتماعى ساد فى الماضى وباد بعد ذلك . فنحن لا ننسى الفترة التى كان فيها المد الشيوعى فى منطقة الشرق وبين العرب ــ وبحمد الله انحسر وعادت أمور العرب والمسلمين اليهم ثانية ولم يبق من اتباعه الا قلة نادرة ــ ذلك لأن هذه المذاهب الاجتماعية انما تقوم على غير أساس أو على أسس لا تتفق أو تتوافق مع بيئتنا والثورة الايرانية بمفهومها الذى تمارسه فى حربها على مرأى من الجميع لا تشكل عنصر ترغيب لأحد وبالتالى لا يمكن أن تكون مثار جذب للاخرين حتى يعمدوا الى مصادقتها أو الاتفاق معها .

الاســلام واحـد

*** * سؤال : مازال التخرج المذهبى قائما فى الاسلام ، بمعنى اننا ننظر دائما الى المذاهب بحساسية مفرطة . فنحن**

اذا ما أتينا للتحدث عن المذاهب فى الاسلام شعرنا بالحرج من مجابهة هذا الموضوع ولا أدرى علام ؟ هل هو التخوف من أن نغرق فى دوامات الفرقة والتشتت ؟

فضيلة الامام الاكبر : ان الاسلام واحد . وليس فى الاسلام مذاهب تختلف فى عقيدتها — وانما تختلف المذاهب فى فروع اجتهادية فى الجملة . وان كان المذهب الشيعى بفروعه يختلف عن مذهب أهل السنة فى بعض الامور المتعلقة بالعقيدة ولا أقول فى العقيدة ذاتها فهذا أمر لا يمنع من أنهم من الامة الاسلامية لهم ما لها وعليهم ما عليها — ولا ينبغى اطلاقا أن تكون هذه الخلافات المذهبية — وهى كما قلت خلافات فى مسائل اجتهادية وليست متصلة بأصول العقيدة اتصالا وثيقا — مثار فرقة بين المسلمين .. فقد عاشت هذه المذاهب مع بعضها البعض فى الدولة الاسلامية فى عصورها المختلفة ..وكانت الدولة وحدة واحدة متحدة لا تفرقها هذه المذاهب .. ومازلت أردد أن أعداء الامة الاسلامية يوغرون الصدور ويثيرون هذه الفتنة ويظهرون هذه الفروق والفرق المذهبية أملا فى القضاء على الامة الاسلامية وانتهائها .. وهذا ما احذر منه المسلمين على خلاف طوائفهم .

لماذا نسى المسلمون قضاياهم

*** سؤال :** من الاحداث التى قد نلتقطها خلال العملية التقييمية التى يتعرض لها الآن افغانستان والتى يشكل الاتحاد السوفيتى كابوسا يجثم عليها . ما الذى يمكن أن نفعله بالنسبة لافغانستان حتى تتحرر من هذا القيد ومن هذا الاحتلال ؟ وماذا عن دور الأزهر ؟

— **فضيلة الامام الاكبر :** ان الامر يعود الى الامة الاسلامية وليس الى الأزهر فقط — فالامة الاسلامية بدلا من أن تلتفت الى مجابهةمن يهاجمها جزءا جزءا انتهت الىالتقاتل فيما بينها ، فنسى المسلمون ان هناك حربا فى افغانستان وان الاتحاد السوفيتى يحتله ويحاول القضاء على شعبه ونسى المسلمون والعرب أن هناك الفلسطينيين لا مأوى لهم وأنهم مطاردون فى كل مكان . ونسوا لبنان وأنها رازحة تحت الضغوط والاحتلال وقتال ممتد استمر حتى الآن تسع سنوات . والغريب أن كل هذا لا يلتفت اليه المسلمون والعرب وبدلا من ذلك يغرقون فى خلافات واختلافات فيما بينهم ، لقد انعقد مؤتمر لعلماء المسلمين فى بغداد أملا فى احراز تسوية للخلاف بين العراق وايران . الا ان المؤتمر لم يستطع الوصول الى نتيجة ما لا لشىء الا لأن السياسة بدت وكأنها شىء بعيد عن الدين وعلمائه — ولأن الساسة الذين بيدهم زمام الامور يحركون هذه الحروب ولا يستمعون الى النصح الذى يوجه اليهم من العلماء !

القدس عربية اسلامية

** سؤال : موضوع القدس ظهر ثانية الى حيز الوجود منذ ابريل الماضى عندما تحركت بعض الدول لنقل سفاراتها من تل ابيب الى القدس • التساؤل هنا حول ما دعا اليه بابا الفاتيكان من منح القدس مركزا دوليا خاصا حيث ان المقصود بها جميع الأديان فهى تراث مقدس للجميع ــ وهى الدعوة التى رحبت بها بعض الجهات بينما استاءت اسرائيل ورفضتها بحجة ان القدس عاصمة ابدية لها ــ ما هى وجهة نظركم بالنسبة لدعوة تدويل القدس ؟

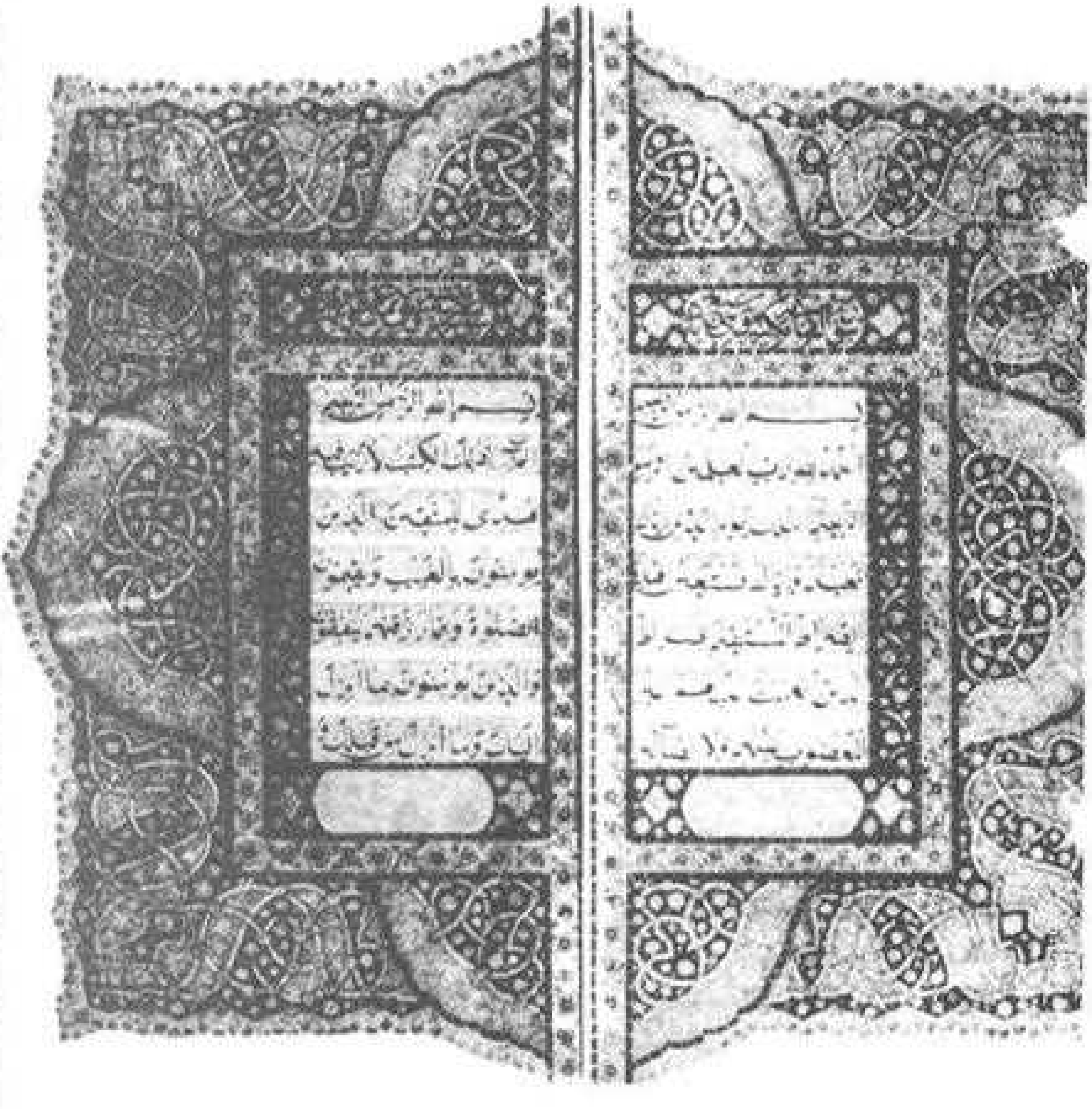
ــ فضيلة الامام الاكبر : القدس عربية اسلامية وانها فى عنق المسلمين جميعا • ان القدس بها أولى القبلتين وثانى الحرمين ــ انها أمانة على المسلمين أن يحفظوها ويرعوها •والا يفرطوا فيها ــ بل عليهم اذا لزم الأمر أن يقاتلوا دونها حتى تعود اليهم ويعودوا اليها ان عليهم أن يحموا بيت المقدس لأنه قدسهم وموطن صلى فيه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنه كان معراجه • ان دعوة التدويل أمر فى غاية الخطورة على العرب والمسلمين بتدويل القدس أو بتركها لاسرائيل ــ فكلاهما خطر مبين • ولذا فان عليهم أن يعملوا بكل جهودهم على أن تكون القدس كما كانت طوال تاريخها عربية مسلمة تتعايش فيها كافة الاديان الثلاثة فى حماية المسلمين وتحت مظلتهم •

التدويل خطر على المسلمين

** سؤال : لماذا كان التدويل يشكل خطرا على المسلم ؟

فضيلة الامام الاكبر : ذلك لأن التدويل خطوة للفصل والانفصال وهذا ما نخشاه ومن أجل ذلك نرفضه • ان اليهود لم يأتوا الى فلسطين الا باتفاقهم مع المستعمرين حينئذ ــ ذلك أنهم كانوا يبحثون عن أرض أخرى طوال تاريخهم • فلما تهيأت لهم الفرصة فى ظل الاستعمار البريطانى وفى ظل وعد بلفور المشهور شكل هذا كله عنصر سوء ساعد على ازدياد سوئه فرقة العرب واختلافهم فيما بينهم حتى ضاعت منهم فلسطين أو كادت أن تضيع ــ وعليه فان التدويل هو الخطوة الاولى للفصل بين القدس وبين المسلمين والعرب •

** سؤال : ولكن ماذا عن وضعية القدس الآن خاصة وان اسرائيل ترفض اعطاء اية تنازلات خاصة باجراء تعديلات حتى فى الحدود بالنسبة للأراضى العربية التى تحتلها والتى تضم القدس والضفة ــ ان المخاوف تزداد لدى العرب فى فى المنطقة خاصة أن القدس باتت مطوقة بمستعمرات يهودية ضخمة بالاضافة الى



المحاولات المتزايدة للقضاء على الطـابع الاسلامى للقدس واضـفاء الطـابع اليهودى على المدينة المقدسة · ماذا نحن فاعلون ؟

ـ فضيلة الامام الأكبر : هـل ينتظـر

المسلمون والعرب أن تسلم لهم اسرائيل بحقوقهم ؟ أو أن ترد اليهم أرضهم وقدسهم. ان لنا تجربة — لقد احتلت اسرائيل سيناء — فهل تركتها راضية أم تركتها مرغمة . لقد أرغمت على أن تتخلى عنها بحرب أولا ثم انتهت بالتسليم الكامل سلما . ان الحقوق لابد أن تؤخذ — ولعل ما قيل فيما قيل كان يمثل عين الصواب ومؤداه أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ؛ ينبغى أن نذكر هذه العبارة وأن يجتمع المسلمون والعرب لاسترداد القدس وحماية العرب فى فلسطين — لأن هذا ليس واجب العرب وحدهم وانما واجب المسلمين جميعا .

نداء لكل المسئولين

*** سؤال : دور الأزهر حيال هذا . هل يمكن للأزهر الشريف ان يتخذ مبادرة ترتكز على الدعوة لمؤتمر اسلامى موسع يعقد أساسا حول القدس ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لقد أصدر الأزهر نداءات وتوجيهات الى الأمة الاسلامية فى مناسبات مختلفة بشأن القدس . لكن الأمر يحتاج أساسا الى تحرك من أولى الأمر الذين بيدهم الدعوة الفعلية وعقد المؤتمرات .. وبكل أسف فان فرقة العرب هى التى تجعل من المتعذر عليهم أن يجتمعوا أو أن يبحثوا أمرهم بعيدا عن خلافاتهم التى ربما كانت فى كثير من الأحيان خلافات شخصية ذاتية .

*** سؤال : ولكن القدس قضية تمثل عاملا مشتركا بين المسلمين والعرب قاطبة ولا ينبغى أن تنعكس عليها أية خلافات أو اختلافات — فهى قضية مائة الف مليون مسلم ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لو أن أحدا من أولى الأمر دعا الى عقد مؤتمر حول القدس لعقد .

*** سؤال : عندما تقولون أولى الأمر .. من تعنون ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : أعنى الحكام الآن . هؤلاء هم الذين بيدهم مقاليد الأمور وبيدهم حق الدعوة .

*** سؤال : هل تعنون السعودية بصفة خاصة ؟ ..**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لا أعنى جهة ما .. ولكنى أوجه ندائى الى كل المسئولين فى العالم الاسلامى ، والعربى على وجه الخصوص لأن المشكلة فى الأصل تخص العالم العربى وان كانت بصفة عامة تمتد الى العالم الاسلامى . فلو أن أولى الأمر اجتمعوا وبحثوا هذه المشاكل فيما بينهم لوضحت لهم سبل حلها .. مازلت أذكر حتى الآن ما حدث فى رمضان — أكتوبر ١٩٧٣ حين اجتمعت كلمة العرب والمسلمين فقد تبدت قوتهم وظهرت .. وانى لأتساءل اليوم أين نحن الآن مما كان فى سنة ١٩٧٣ ؟

سناء السعيد

دراسة قرآنية

منهج ابراهيم عليه السلام

إقرأ باسم ربك

اداء الامانات في الاسلام

منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الحق

-٢-

المقال الثاني

ذكرنا في المقال السابق منهج ابراهيم — عليه السلام في دعوة أبيه آزر الى الحق ، حيث التزم فيه المواجهة الصريحة ، وبينا أصل عبادة الأوثان في العالم وعند العرب .

واليوم نتحدث عن منهجه الاستدراجي الذي يتظاهر فيه بأنه على عقيدة قومه أهل الباطل ، ثم يبين لهم انه هجرها بسبب ما تبين له من فسادها ، ويدعوهم الى ما وصل اليه من الحق الذي اقام عليه الدليل ، فنقول وبالله التوفيق:

يقول الله تعالى «وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ»

والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ، ومعناه الملك والسلطان القاهر ، والمعنى الاجمالي للآية : ومثل ذلك التبصير نبصر ابراهيم بربوبية الله وسلطانه القاهر الشامل للسموات والارض وما فيهما ، وبأن الكل مقهور له داخل تحت ملكوته ، مفتقر اليه في وجوده ، وذلك بنظره الآيات الكونية الموصلة للعلم بسلطانه المطلق ، ولأجل أن يكون من الراسخين الواصلين الى أكمل درجات اليقين في ذلك بصرناه بعظمته تعالى .

وقيل المراد بالملكوت هنا الآيات والعجائب التي في السموات والأرض ، فقد فرجت له السموات حتى انتهى بصره الى العرش ، وفرجت له الأرض فرأى ما فيهن .

ومرد هذا القول الى الاول ، فانه ما رأى عجائب السموات والارض الا ليستدل بها على شئونه تعالى وعظمته ، وأن الكل محتاج اليه في منشئه وبقائه ، سواء فرجت له السموات والارض أو لم تفرج ، ولهذا جعل الله غاية هذه الاراءة أن يكون من الموقنين ،

قال تعالى: "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين"

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

ى الراسخين الكاملين فى الايقان بشئونه جل وعلا، ولا تقتضى هذه الآية سبق الشك عند ابراهيم عليه السلام ، فان الانسان يولد على الفطرة المستعدة لقبول الحق ، وبممارسته الأسباب الموصلة الى المعرفة والعلم ، ينتهى هذا الاستعداد الى غاية من اليقين والعقيدة الراسخة ، فالله تعالى لا يعرف بنظر العيون الى ذاته ، ولكن يعرف بالنظر فى آياته .

وبما أن فطرة ابراهيم — عليه السلام — من أكمل الفطر ، فلهذا اتجه تفكيره منذ بدايته الى النظر والاستدلال بآياته على شئونه تعالى ، بلوغا بهذا الاستعداد الى اليقين الراسخ ، وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فانهم بكمال فطرتهم يمارسون دائما التطلع الى عجائب الكون لا يعتريهم فيه نزعة شيطان أو خطرة ردئية من النفس ، حتى يصلوا الى أكمل درجات اليقين ، ثم يفاجئهم الحق تبارك وتعالى بالتكليف بالنبوة والرسالة، بعد تمام استعدادهم لذلك.

انظر الى نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — ، فانه نشأ معتقدا أن الأصنام لا تصلح للألوهية ، وأنها فى جملة الكون مخلوقة لإله واحد ، وكان يزكى هذه الفطرة باختلائه فى غار حراء ، والتعبد بما بقى من شريعة ابراهيم عليه السلام ، أو بالتفكير فى ملكوت الله العظيم ، ليزداد صلابة فى عقيدته ، بما يتجلى له دائما من عظمة آياته الدالة على عظم جلاله ، وتفرده بالربوبية والسلطان القاهر ، واتصافه بسائر الصفات اللائقة به سبحانه ؛ وظل الرسول يمارس هذه العبادة الفكرية والباقية من شريعة إبراهيم ، حتى جاءه سفير الوحى جبريل وكذلك كان شأن إبراهيم عليه السلام ، أراه الله ملكوت السموات والأرض ليملأ بآياته أرجاء نفسه ، وليثبت بدلائله جوانب فؤاده ، حتى إذا أتم الله عليه النعمة بوصوله الى أعلى درجات اليقين ، كلفه بتبليغ الرسالة لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب .

٥

ولا يصح أن يطلق على المرحلة السابقة لعين اليقين وكماله أنها مرحلة الشك — بل مرحلة التوثيق لعقيدة عرفها وآمن بها ، فإن المحققين قالوا : لا يجوز ان يبعث الله رسولا هو عليه وقت لم يكن عارفا بربه .

أما قول بعض المفسرين : انه لم يكن عارفا بربه وقت الطفولة نظرا لظاهر الآية ، وان ذلك لا يعد كفرا ، فلا ينبغي أن يصار اليه بعد أن عرفت أن معنى « وليكون من الموقنين » وليكون من اكمل الموقنين ببلوغه عين اليقين ، فان اليقين يتفاوت فى حياة المؤمن ويزداد كلما طرأت عليه أدلته وآياته — كما يتفاوت الايمان بين المؤمنين — فايمان أبى بكر فوق ايمان جميع الناس — والكل مؤمن — ولذا قال صلى الله عليه وسلم : «لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الأمة لرجح ايمان أبى بكر» .

ولقد بينا فى المقال السابق احد الطريقين اللذين سلكهما ابراهيم عليه السلام فى دعوة قومه ، وهو طريق الصراحة بالنسبة لعبادة الأصنام مع أهله ، اذ قال لأبيه آزر « أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »

واليوم نتكلم عن الطريق الثانى غير الصريح مع أمته فى شأن عبادة الكواكب ، فقد سايرهم ظاهرا ، وانتقل بعد هذه المسايرة الى ابطال الوهيتها ، بما نبههم اليه من أمارات نقصها ، وسيأتى بيان ذلك فى هذا المقال .

قال الألوسى :

ولعل سلوك هذه الطريقة — أى طريقة التدرج فى بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة ربوبية الأصنام ، من باب الترقى من الخفى الى الأخفى ، وقيل ان القوم كانوا يعبدون الكواكب ، فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة اليها ، كالذهب للشمس ، والفضة للقمر ، ليتقربوا اليها ، فكان الصنم كالقبلة لهم، فأنكر أولا عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر ، ثم أبطل منشأها وما نسبت اليه من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك أيضا ، ولعلهم كانوا يعتقدون تأثيرها استقلالا دون تأثير الأصنام ، ولهذا تعرض لبطلان الالهية فى الأصنام والربوبية فيها — انتهى كلام الألوسى

أقول : ولعلك تدرك أيها القارىء الكريم الحكمة فى تقديم قوله تعالى « وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ » على قوله « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا .. » الآيات وتلمس أن فيه ايذانا بأنه تعالى أهله أولا بدراسة ملكوت السموات والارض ، حتى استحكم يقينه ليبعثه رسولا، فيبطل الوهية الكواكب على النحو الذى سيذكره عنه ، ولهذا أتى بالفاء المفيدة للتفريع والتسبب فقال : « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا .. » الخ ، فكأنه قال :

وعرفنا ابراهيم ملكوت السموات والارض ودلالة على ربوبيته تعالى دون سواه ، فترتب على تلك المعرفة أنه لما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : (هذا ربى) مسايرة لقومه فى قولهم بالوهيته ثم أبطل هذه الألوهية بما عرفه

من أسباب يقينه بالله تعالى ، وكذلك الشأن في ألوهية القمر والشمس .

الآيات وشرحها

« فَلَمَّا جَنَّ (١) عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ » .

أى فلما أقبل عليه الليل ساترا بظلامه ، رأى كوكبا يتلألأ في السماء ، قال مشيرا له ، هذا ربى ، روى عن ابن عباس أنه قال هو : المشترى ، وروى عن قتادة انه هو : الزهرة ، وهذا قطعا من باب الاجتهاد ، اذ لم يرد نص في أحدهما ، ولايعنينا تعيين ذاته ، فالغرض واحد بالنسبة لكل كوكب ، وهو أنه حكم بربوبيته مجاراة لقومه ومسايرة لهم ، تمهيدا لبيان فساده ، فان المستدل على فساد قول يحكيه كما هو ، ثم يكر عليه بالابطال .

واختار هذا الأسلوب لأنه عرف من تقليد قومه لأسلافهم ، وبعد طباعهم عن قبول الدلائل ، أنه لوصرح بالدعوة الى الله تعالى لم يقبلوا ، فمال الى طريق يستدرجهم به الى استماع الحق وحججه ، بأن يقول بقولهم ظاهرا ، مع أن قلبه مطمئن بالايمان بالله ، وذلك ليتمكن من ذكر الدليل على بطلانه ، .

قال الإمام الرازى :

انه لما لم يجد الى الدعوة التى أمر بها طريقا سوى هذا ، كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، فانه يجوز له النطق بها ظاهرا مع انكار قلبه ، وذلك ليتيسر له أن يورد الدليل المبطل لقولهم وهم مستمعون له فاذا جازت كلمة الكفر لبقاء شخص واحد ، فلأن تجوز لتخليص عالم من العقلاء من باب أولى .

ثم قال الرازى :

ومما يقوى هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر ، وهو قوله تعالى « فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ » أى عليل مريض ، وذلك لان القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حدوث الحوادث المستقبلة ، فوافقهم في الظاهر ، مع أنه كان بريئا عنه في الباطن ، ليتوصل الى كسر الأصنام ، فمتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلم لا تجوز في مسألتنا لمثل ذلك : انتهى كلام الرازى .

فلما أفل هذا الكوكب — أى غرب — قال ابراهيم في مواجهة قومه : لا أحب الآلهة الغاربين المنتقلين من مكان الى مكان ، المتغيرين من حال الى حال ، المحتجبين عن عابديهم ، والاله لا يغيب عن العابدين .

قد يقول قائل :

ان الله تعالى محتجب عنا ، فالاحتجاب لاينافى الالوهية .

قلت : انه تعالى وان احتجب عن أبصار

(١) مأخوذ من الجن بفتح الجيم وهو الستر . تقول : جنه الليل وجن عليه وأجنه أى ستره بظلامه

العابدين ، فهو موجود معهم بعلمه وقدرته ، ويستحيل أن يغيب عن كونه وامداده بأسباب وجوده « وهو معكم أينما كنتم » والكوكب بخلاف ذلك ، اذ حرم نصف الكرة من سناه ، والاهتداء بهداه ، وترك هذا لغيره من الكواكب وبهذا ظهر عجزه عن الاستمرار فى أداء مهمته وأنه مسير بقدرة غيره ، والرب لا يكون كذلك .

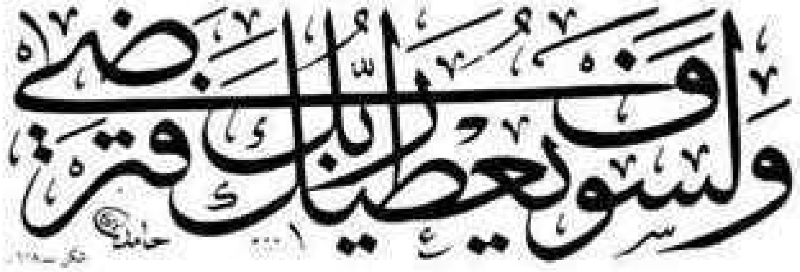
« فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ » فلما رأى ابراهيم القمر عند طلوعه ظاهرا بعد غروب الشمس قال مسايرا لقومه : هذا القمر ربى ، وراقبه حتى غرب وأفل ، فلما غرب أدرك أنه مثل الكوكب السابق فقال : لئن لم يهدنى ربى الجدير بالربوبية لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل ، لان ما رأيته الآن لا يصلح مثل سابقه للربوبية

« فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ » فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال مشيرا اليها : هذا الجوهر المضىء ربى هذا أكبر من الكوكب ومن القمر ، فهو أحق منهما بالربوبية ، فلما غربت الشمس كما غرب الكوكب والقمر ، قال لقومه جاهرا بالحق : انى برىء مما تشركون بالله من الأجرام المحدثة المتغيرة من حال الى حال .

وانما احتج بالأفول دون البزوغ ، مع أن فيه حركة حادثة ، وانتقالا متجددا — وكل حادث لابد له من محدث — لان البزوغ لما كان مقتضيا لظهور الآثار والأحكام ، ملائما لتوهم الاستحقاق فى الجملة ، رتب حكم عدم استحقاق الالوهية على الغروب دونه ، لبطلان آثار الكوكب حين غروبه ، ومنافاته للربوبية أمر لا يقبل المكابرة ، وقد كان من الممكن أن ينكر ربوبية جميع الكواكب ، ومنها الشمس والقمر بمجرد غروب الكوكب الاول ، لانها جميعا متشابهة فى ذلك ، ولكنه أراد أن يظهر غاية الانصاف ، بالمسايرة معهم من الكوكب الضعيف النور ، الى المتوسط وهو القمر ، الى الباهر وهو الشمس ، وقد جعلها نماذج لمختلف الكواكب ، على تمايز أحجامها وأضوائها ، فان ما يجرى على أحد المثلين يجرى على الآخر .

وبعد هذه المسايرة الاستدراجية لقومه ، التى انتهت بالحكم بفساد عبادة الكواكب ، قال لهم : « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » اى وجهت وجهى فى العبادة لله الذى أبدع السموات والأرض على غير مثال سبق ، وحرك كواكبها طلوعا وغروبا ، مائلا بعقيدتى هذه عن الأديان الزائفة كلها ، وما أنا من المشركين بعبادة سواه ، فقد انبلج الحق وظهر جليا أنه لا مستحق للالوهية سوى خالق السموات والارض .

« وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ



«وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ» .

أى وجادله قومه بأدلة باطلة على معتقداتهم ليصرفوه عما أظهرلهم أنه انتهى اليـه ، مـن ربوبية الله دون الكواكب ، قـال ردا عليهم :

أتجادلونني فى شأن الله وقد هداني الى اقامة الدليل على ربوبيته ووحدانيته ، ولا أخـاف آلهتكم التى تشركونها بالله ، فلن تمسنى وأنا على الحق بسوء ، الا أن يشاء الله ربى شيئا فيصيبنى هو بسوء لأى عارض من العوارض ، لا بارادة الكواكب ، وسع ربى كل شىء علما ، أما هذه الآلهة فلا علم لها بشىء ، أفلا تتذكرون أنها غير قادرة على الاضرار بى وكيف أخاف شركائكم ولا قدرة لها على ، ولا حجة عـلى الوهتيها ، ولاتخافون أنكم أشركتم بالله آلهة ضعيفة مصنوعة ، لم ينزل الله بعبادتها سلطانا وحجة ، فاى الفريقين أنا وأنتم أحق بالأمن ، ان كنتم من أهـل العلم والعقـل فأخبروني بجواب هذا السؤال .

ثم تولى عنهم الاجابة لانهم ليسـوا من أهل العلم فقال : الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ، أولئك لهم الامن وهم مهتدون الى الحق ، ومن عداهم فى ضلال مبين ، ثم ختم الله نقاشـه مـع قومه ببيان قيام حجته عليهم ، وذلك فى قولهتعالى «وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ»

وفق الله عباده الى الحق عقيدة وعمـلا ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

اقرأ باسم ربك

للأستاذ الدكتور
على محمد حسن العمارى

١ ـ ينتهى هذا البحث الى سر عظيم من اسرار القرآن الكريم ، وهو أن هذه الآية الكريمة وهى اول ما نزل انسب آية لأن تكون (عنوانا) للقرآن اذا اريد ان يوضع لهذا الكتاب الكريم عنوان ويعبر القدماء عن كلمة عنوان بكلمة (ترجمة) .

فهذه الآية ترجمة القرآن .

٢ ـ يمكن ان يقسم البحث عند النشر قسمين أو ثلاثة .

اقرا باسم ربك

قال الحافظ أبو طاهر السلفى (١) : سمعت أبا الكرم النحوى ببغداد ، وسئل : كل كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟

فقال : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به» (٢)

قال الزركشى : (أما تسميته ـ يريد القرآن ـ (بلاغا) فلانه لم يصل اليهم حال اخبار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وابلاغه اليهم الا به) (٣) .

وذكر الألوسى أن الاشارة فى الآية : (الى القرآن ، وهو المروى عن ابن زيد (٤) ، وقيل الى السورة ، وقيل : الى بعض آياتها .

أقول : ولو سئلت هذا السؤال لأجبت : ترجمة كتاب الله تعالى هذه الآيات :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

---

(١) ونسبته الى جده ابراهيم سلفه ـ بكسر السين المهملة ، وفتح اللام ، والفاء ، وفى آخره هاء ، وهو لفظ اعجمى (وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٠٧ ، ط بيروت) .
وانما نبهت على هذا لأن كثيرا من الدارسين يظنونه منسوبا الى السلف ـ بفتح السين .

(٢) من الآية ٥٢ من سورة ابراهيم ، والنقل من (البرهان فى علوم القرآن) جـ ١ ، ص ٢٨٢ .

(٣) البرهان جـ ١ ، ص ٢٧٩ .

(٤) روح المعانى جـ ١٣ ص ٢٥٨ .

وهى أول ما نزل من القرآن على ما يرى جمهور العلماء ، وبها بدأت الرسالة المحمدية ، والمتأمل فيها يجدها أجملت كل حياة الانسان ، وأشارت الى كل ما تضمنه القرآن ، وألمحت الى أن هذا القرآن كتاب السماء .

فقد تضمنت هذه الآيات عقيدة التوحيد ، وخلق الانسان ، والأصل الذى خلق منه ، وبعثة الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم والتنويه بمكانة العلم ، وبمنزلة القلم .

١ — وصف الله — سبحانه — نفسه فى هذه الآيات بأربع صفات : أنه رب محمد ، وأنه خلق كل كائن ، وبخاصة الانسان ، وأنه الأكرم وأنه علم الانسان ، وعلمه بالقلم .

وكل صفة من هذه الصفات ترشد العقل السليم الى الايمان بالله وحده ، فهو رب محمد ، رباه وكمله ، وشرفه بهذه الاضافة ، وفى ذلك ما يشير الى نبوته — عليه الصلاة والسلام — ، لأن غاية الكمالات أن تضاف صفة الربوبية الى من أنزل عليه هذا القرآن .

ووصف الله نفسه — فى هذا المقام — بأنه الخالق يدل على أنه لا خالق سواه ، — كما يقول أهل السنة — :

(قالوا : لأنه — سبحانه — جعل الخالقية صفة مميزة لذات الله — تعالى — عن سائر الذوات ، وكل صفة هذا شأنها فانه يستحيل وقوع الشركة فيها ، قالوا : وبهذا الطريق عرفنا أن خاصية الالهية هى القدرة على الاختراع) .

(ثم لما صارت الالهية موقوفة على الخالقية حصل القطع بأن من لم يخلق لم يكن الها ، فلهذا قال تعالى : « أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ » (١) .

وكيف لا يكون قادرا وقد بعث الحياة فى دم متجمد لا حياة فيه ؟ !!

والله — عز وجل — الأكرم ، فهو — وحده — المتصف بهذه الصفة ، وقد يكون فى الخلق الكريم ، ولكن « الأكرم » الذى يعطى ما ينفع ، ولا ينتظر عليه عوضا هو الله وحده .

وهو — سبحانه — الذى علم وهب الحياة لهذا الكائن الذى خلقه من عدم ، وكونه من علق ، ثم وهبه أشرف ما فى الحياة ، وهو العلم « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

ومن عجيب مالاحظه العلم فى أمر الانسان (أن النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات، الا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من قشر البيضة يميز بين العدو والصديق ، فيهرب من الهر ، ويلتجىء الى الأم ، ويميز بين الغذاء الذى يوافقه ، والغذاء الذى لا يوافقه ، وأما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الأم لا يميز — البتة — بين العدو والصديق ، ولا بين الضار والنافع » (٢) .

وذلك يدل على أن انتقال الانسان من هذا الجهل المفرط فى الجهالة الى العلم الواسع لا يمكن أن يكون عن طريق المصادفة ،

---

(١) من تفسير الفخر الرازى (مفاتيح الغيب) لسورة العلق .

(٢) مفاتيح الغيب جـ ١٦ ، ص ٢٢٦ .

أوتناشئا عن الطبع ، بل لابد لذلك من تدبير اله مختار قادر حكيم ، ينقل الأنفس من نقصانها الى كمالاتها ، ومن جهالاتها الى معارفها .

وهذه الآيات الكريمة التي بدىء بها نزول القرآن الكريم ، وبدئت بها الرسالة المحمدية ربطت خلق الانسان بأمرين : العقيدة الصحيحة ، والعلم ، والمراد به العلم النافع ، أو الذي ينبغي أن يستخدمه الانسان فيما ينفع البشرية .

ويدلنا هذا الربط على أن لا انسانية للانسان الا بهذين : العقيدة والعلم والذي يتجرد منهما ، أو من أحدهما نصف انسان بل هو الى الحيوانية أقرب قال تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » (٧) .

وقال سبحانه :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » (٨) .

وقال — عز وجل :

«أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (٩) .

فالأنعام لا هم لها الا ان تأكل وتشرب وتتمتع ، وأولئك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لاهم لهم الا الدنيا ، بل هم أضل من الأنعام ، لأن هذه لم تعط ما أعطوا من العقل والعلم ، ولأنها لا تضر كما يضرون . هم غافلون عما ينفعهم ، وينفع أممهم النفع الحقيقي ، ولذلك لا يبالون أن يفتكوا بالانسانية ، وأن يضحوا بكل قيم الحياة في سبيل مطامعهم ، وهم أضل من الأنعام لأنهم لم يستعملوا عقولهم في البحث عن الخالق ، ولا حواسهم في ادراك ما يؤديهم الى الايمان .

ولبعض علمائنا — هنا — كلمة لطيفة صادقة ، يقول : ان الحمار اذا ضرب التفت ، لأنه لا يتصور أن يوجد ضرب بلا ضارب ، فمن تصور أن يوجد أثر بلا مؤثر ، ونظام بلا منظم ، وأشياء متقنة كل الاتقان بلا صانع حكيم فهو أجهل من الحمار ! .

فالانسان بلا عقيدة ، ولا علم أضل من الأنعام ، والانسان العالم بلا عقيدة فساد في الأرض ، وخطر على الانسانية ، وكارثة تصيب كل القيم الصالحة في الحياة .

والانسان المؤمن بلا علم على شفاجرف من الضياع ، فالعقيدة ما لم يحرسها العلم تضر أكثر مما تنفع .

ولست أريد بالعلم الذي يحرس العقيدة الا العلم بالله وصفاته ، وبالشريعة وأحكامها ، وبسنن الله في الكون ، وفي الأنفس .

فالجاهل — بكل هذه — يعبد الله ، ولكنه لا يأمن على نفسه أن يشرك به من حيث لا

(٧) سورة محمد ، الآية ١٢ .
(٨) سورة الاعراف ، الآية ١٧٩ .
(٩) الفرقان ٤٣ — ٤٤ .

يدرى ، ولا على سلوكه أن يضل الطريق السوى .

وطالما رأينا أصحاب الأهواء ممن يدعون العلم والتقوى والورع ، يطمعون بالجهال ، ويوردونهم موارد الهلكة ، وينحرفون بهم عن الدين الصحيح ، والعقيدة السليمة ، ويبتزون أموالهم ، ويحملونهم على الاعتقاد فيهم بأن لديهم مفاتيح الجنة ، وعلم المغيبات !!!

وفي هذه الآيات الكريمة نجد الأمر الموجه للنبى — صلى الله عليه وسلم — بالقراءة ذكر مرتين ، كما ذكر فيها التعليم بالقلم .

ومن البعيد — كل البعد — أن ينبه رجل أمى فى أول ما يذكر من قرآن — لو كان القرآن من عنده — الى فضيلتين لم يكونا له .

فمحمد — صلى الله عليه وسلم — كان أميا ، لا يقرأ ولا يكتب ، ومن بعض ما يدل على ذلك قوله تعالى : «وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ » (١٠)

ويتكرر فى القرآن الكريم الربط بين خلق الانسان وعقيدة التوحيد ، والعلم ، يقول تبارك وتعالى : « الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » .

ونلاحظ فى هذه الآيات أن الله سبحانه قدم التعليم على خلق الانسان ، ثم أعاده ثانيا ، فجاء خلق الانسان مكتنفا بالتعليم ، سبقه ولحقه ، كما نلاحظ أن العلم الأول تعلق بالقرآن ، والقرآن فيه التوحيد والنبوة والعلم

والثانى تعلق بالبيان ، وبالبيان امتاز الانسان عن غيره من الحيوانات ، فهو نعمة لا تقل عن نعمة الخلق ، بل لا قيمة للانسان ما لم يكن قادرا على البيان ، والابانة عما فى نفسه .

ويقول — سبحانه — وقد قضى أن يستخلف الانسان فى الأرض : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ـ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ـ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ » (١١) .

فجعل — سبحانه — العلم هو السر فى استخلاف الانسان فى الأرض ، وتحميله مسئولية تعميرها ، والأخذ بالأسباب التى تصلحها ، وتقيم حياة سعيدة فيها .

وقد يلفت النظر أن مادة (العلم) وردت فى هذه الآيات سبع مرات ، ولعل لذلك دلالته على مكانة العلم ، وصلته القوية باستخلاف الانسان فى الأرض

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ترفع من قدر العلم والعلماء وهذا مادعا المسلمين الى أن يبذلوا غاية جهدهم فى تحصيل العلم ، وقد

(١٠) سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ .
(١١) سورة البقرة ٣٠ — ٣٣ .

وصلوا من ذلك ابان نهضتهم الى مالم تصل اليه أمة قبلهم ، بل فى الوقت الذى كانت فيه كل الأمم من حولهم تخبط فى ظلمات الجهل ، وتعيش على الخرافات والأوهام التى يزينها لهم رجال الدين ، أو على التقليد الذى يرغمهم عليه أصحاب السلطان .

وكانت علوم العرب ومعارفهم هى النبراس الذى أضاء لقافلة البشرية الطريق فى عصور النهضة ، فقد ظلت أوربا عالة على علوم العرب ، تدرسها فى جامعاتها الى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وبذلك اعترف المنصفون من كبار العلماء والباحثين الغربيين .

يقول دكاريتسكى : (ان الأبحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا فى ظلمات القرون الوسطى).

وتقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه : (أن هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى ، فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها ، وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه المعجزات العقلية الجبارة ، وان أوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات للعرب لكبير جدا).

وقد كان ذلك بفضل توجيه القرآن الكريم للانسان ، وحثه على طلب العلم ، واشادته بفضل العلماء : «**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**» (١) .

ولا يفوتنا — هنا — أن ننبه الى خطأ كبير وقع فيه فريق من سدنة العلم ، حيث ادعوا التناقض بين العلم والدين ، وعبدوا العقل والمادة ، وزعموا أن العالم الحق لا يكون متدينا ، وأن المتدين لا يكون عالما ، ومع الأسف ردد هذا بعض شعرائنا ، فقد نسب الى أبى العلاء المعرى هذا البيت :

اثنان اهل الأرض : ذو عقل بلا
دين ، وآخر دين لا عقل له

فى القرآن الكريم ما يفند هذا الزعم ، ويبطل هذه الفرية فقد جمع فى الآيات التى أوردتها ، وفى غيرها بين العلم والدين ، وهو يتحدث عن خلق الانسان ، وتاريخ الأمة الاسلامية فى ازهى عصورها اعدل شاهد على أن العلم الصحيح ينشأ فى ظلال التدين العميق الصافى .

على أن اكثر العلماء الغربيين الآن ينكرون ما كان يقوله بعض علماء القرن التاسع عشر من العداوة بين العلم والدين .

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

وإذا كانت أول آية نزلت من القرآن تحدثت عن خلق الانسان ، وأنه مخلوق من علق فليس من قبيل المصادفة أن تكون آخر آية نزلت ، أو من أواخر ما نزل تشير الى نهاية الانسان ، وتبين أن مصيره الى الله ، وأن الانسان سيوفى حسابه كاملا على ما عمل فى حياته الدنيا :

«وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (١) .

وفيما بين هاتين الآيتين نزلت آيات كثيرة تتحدث عن الانسان بدءا ونهاية ، ويمكن القول بأنه قل أن تخلو آية من ذكر الانسان ، تذكره بلفظه ، أو بلفظ يدل عليه ، أو بضميره أو بالكناية عنه ، أو تكون تمهيدا للحديث عن شأن من شئونه .

ومن هنا تتضح لنا عناية القرآن بالانسان حتى ليصح القول بأن القرآن هو كتاب الانسانية بمعناها الشامل .

ولا غرو أن يكون الانسان محور حديث القرآن ، والله سبحانه قد استخلفه فى الأرض ووكل اليه عمارتها وخلق لمنفعته كل ما فى الأرض : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا » (٢) . من حيوان ونبات وجبال ومعادن ، وكل ما يمكن أن يصل اليه العقل البشرى من مخترعات وصناعات . :

« وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ » (٣) .

بل دبر سبحانه كثيرا من الكائنات لمنفعة الانسان ، وجعل الانتفاع بها ميسرا له : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (٤) .

وآيات القرآن فى بيان ما سخر الله للانسان وما خلق وقدر لمنافعه كثيرة لعل هذه الآية الأخيرة من أشملها ، فان الله ذكر فيها كل النعم التى اشتمل عليها الكون ، والنعم التى اشتملت عليها النفس .

ومن الآيات الجامعة ــ أيضا ــ قوله تعالى: « وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ » (٥) .

وقبل هاتين الآيتين وبعدهما ذكر الله سبحانه نعما كثيرة امتن بها على عباده ، ثم ختم هذه الآيات بقوله : « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » .

يتبع

د / على العمارى

---

(١) سورة البقرة ٢٨١ . وكان بين نزول هذه الآية وبين وفاة الرسول واحد وعشرون يوما أو تسع أو سبع ليال .
(٢) البقرة ٢٩ .
(٣) الزخرف ١٢ .
(٤) لقمان ٢٠ .
(٥) النحل ١٢ ، ١٣ .

أداء الأمانات في الإسلام

قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (النساء ٤/٥٨) ٠

الأمانة بوجه عام هي حمل المسئولية في كل عمل يؤديه المسلم في علاقاته بالله والناس ٠

ومن ثم فالأمانات تشمل اداء حقوق الله وحقوق العباد ٠ وحقوق الله هي الايمان به وعبادته وحده والعمل بكتابه وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم —

وحقوق العباد — واداؤها يعتبر اداء لحقوق الله — تشمل :

في دائرة الأسرة : حقوق الوالدين، وحقوق الزوجية ، وحقوق الأولاد ، وحقوق الأقارب ٠

وفي دائرة المجتمع المسلم : حقوق الجيران، وحقوق المسلمين ، وحقوق غير المسلمين ٠

وفي دائرة الانسانية : حقوق الناس جميعا ٠

وفي دائرة البيئة الطبيعية : حقوق الطبيعة وحقوق الحيوان ٠

وفيما يلي تعرض هذه الحقوق بايجاز :

حقوق الوالدين : على الأولاد حبهما وطاعتهما (الا في معصية) ، وبرهما بكل صور البر والاحسان ، في الحديث والصحبة والخدمة والانفاق والافتداء بالنفس والمال ٠ (وحقوق الأم في كل هذا اكبر من حقوق الأب) ٠

قال تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (الاسراء ١٧/٢٣ — ٢٤) ٠

بقلم د. أحمد عبد الحميد غراب

وقال تعالى :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ » (لقمان ١٤/٣١) .

وقد أكد الرسول — صلى الله عليه وسلم — ثلاث مرات أن أحق الناس بحسن صحبة الابن أمه ، ثم أبوه . (في حديث متفق عليه) .

وعقوق الوالدين يعد من أكبر الكبائر في الاسلام ، حتى لقد قرنه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالشرك وقتل النفس وشهادة الزور . (في حديث البخاري) .

حقوق الأولاد : وأهمها تربيتهم منذ طفولتهم على الاسلام .

ويجب على الوالد الاعداد لذلك باختيار الزوجة الصالحة ، أي الأم التي تقع على عاتقها هذه المسئولية وبخاصة في السنوات الأولى من الطفولة ، بل وأثناء الحمل حيث تكون عادات الأم الصالحة في العبادة والطعام والشراب والنوم من أهم العوامل التي تؤثر تأثيرا حسنا على الصحة الجسمية والنفسية للطفل قبل ولادته .

ومن حقوق الأولاد على الوالدين القيام بالانفاق عليهم ورعايتهم ومعاملتهم معاملة حسنة تقوم على الرفق ، ولا يلجأ فيها الى العنف (أي العقوبات الجسدية والنفسية) الا عند الضرورة القصوى . والأسوة الحسنة في ذلك هو الرسول — صلى الله عليه وسلم — الذي ما ضرب أحدا قط لا امرأة ولا طفلا ولا خادما .. ولم يكن أحد أحب للعيال منه ، وهو الذي قال : « الرفق خير كله وان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولاينزع من شيء الا شانه » (مسلم) .

ومن حقوق الأولاد أن يعاملهم الوالدان بالعدل كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لمن أراد أن يشهده على أنه يريد أن يخص بعض أولاده بهدية دون الباقين : « لا تشهدني على جور . اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » (الشيخان وأبو داود) .

ومن العدل الا يفضل البنين على البنات . بل عليه أن يزيد في ملاطفة البنات واكرامهن ، وذلك لضعفهن ، وقد أوصى الرسول — صلى الله عليه وسلم بالضعفاء وبخاصة النساء واليتامى والبنات وقال عليه السلام :

« من عال جاريتين (أي بنتين) حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضم أصابعه (مسلم).

وقال : « اللهم انى أحرج (اى أؤثم من ضيع) حق الضعيفين اليتيم والمرأة » (النسائي) .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا رأى

◄

فاطمة قد أقبلت رحب بها ثم قام اليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه (البخاري) .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين كانوا يئدون البنات وذلك في قوله تعالى :

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (النحل ١٦/٥٨ — ٥٩) .

حقوق الزوجية : تقدم العلاقة الزوجية في الاسلام على المودة والمحبة والرحمة ، وبذلك تكون علاقة وثيقة ، يقوم عليها سلام البيت وسكينة النفس كما قال تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً »

(الروم ٣٠/٢٠) .

ومن ثم فالزوج المسلم مأمور أن يعاشر زوجته معاشرة طيبة ، وأن يعاملها معاملة كريمة وحتى لو كره منها شيئا فعليه أن ينظر الى مزاياها ولا يركز على عيوبها ، كما قال — صلى الله عليه وسلم :

« لا يفرك مؤمن مؤمنه (أي لا يبغضها) ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر » (مسلم) .

وقال الله تعالى :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

النساء ٤/١٩

والزوج المسئول عن الرعاية المالية لزوجته ، وذلك بالانفاق عليها في جميع ما تحتاج اليه حسب استطاعته .

وهي مسئولة عن رعاية شئون بيته ، بحيث تجعله مأوى يلوذ به من عناء الحياة وعنت الأحياء .

وهذه العلاقة الجميلة تتوطد بتقوى الله وعبادته ، كما تتوطد بتعاون الزوجين على البر والتقوى ، ومشاركتهما في تربية الأولاد تربية اسلامية .

ولأن الاسلام قد أقام الزواج على أساس متين من علاقات الفطرة التي تتشابك فيها مشاعر الحب والرحمة ، مع ملذات الجنس المحدودة بمسئوليات الانجاب والتربية ، فان هدم هذا البناء هو عمل يبغضه الاسلام ويبغضه الله أشد البغض * كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(*) اذا كان الطلاق من حق الرجل عند الضرورة القصوى — فان الخلع من حق المرأة عند الضرورة القصوى كذلك ، وهي الا تطيق زوجها بغضا ، وفي هذه الحالة يجب ان ترد اليه مهرها . والاصل في ذلك ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجة ثابت بن قيس حيث امرها ان ترد عليه حديقته وأن يطلقها . (الشيخان) .

« أبغض الحلال الى الله الطلاق » (أبو داود والحاكم) .

صلة الرحم : هي أداء حقوق الأقارب ، لقوله تعالى :

« وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ » (الاسراء ٢٦/١٧) .

وقد قرن الله الأمر بعبادته وحده بالأمر بالاحسان الى الوالدين وذوى القربى وكل من يستحقون الصلة من الفقراء والضعفاء فقال تعالى :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »

(النساء ٣٦/٤) .

وفى سورة الرعد وصف الله المؤمنين بصفات جميلة فقال تعالى :

« الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ »

(الرعد ١٣/٢٠ ــ ٢٢) .

وهى صفات متكاملة ، يرتبط فيها الوفاء بالعهد بحسن الصلة بالله والناس ، ووجوب التعبير العملى عن هذه الصلة بالانفاق والتسامح .

ووصف الكافرين بعكس هذه الصفات فقال تعالى :

« وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ »

(الرعد ٢٥/١٣) .

وقد أكدت السنة أن الايمان الصادق ينبغى أن ينعكس فى صلة ذوى الأرحام .

فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » (متفق عليه) . وبر ذوى القربى هو بر يضاعف له الأجر كما قال صلى الله عليه وسلم :

« الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوى القربى صدقة وصلة » (الترمذى) . والمسلم مأمور بصلة ذوى القربى جميعا حتى ولو كانوا كفارا . فعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قدمت على أمى وهى مشركة ، فاستفتيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقلت : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال : « نعم صلى أمك » (متفق عليه).

حقوق الجوار : وردت الوصيه بالجار فى القرآن الكريم كما سبق فى آية النساء . وأكدت السنة النبوية هذه الوصية فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

« مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (متفق عليه) . كما أكدت السنة أن اكرام الجار هو ثمرة من ثمرات الايمان ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (متفق عليه) . ومن واجبات المسلم نحو جاره أن يعينه في الضراء ، ويوده في السراء ، ويجنبه كل أذى .

قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« والله لا يؤمن . والله لا يؤمن » قالوا : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » (متفق عليه) .

والبوائق هي الشرور التي تصيب الجيران في أموالهم ، أو أولادهم ، أو أعراضهم ، أو أى سلوك يتسبب عنه أذى لمشاعرهم ، أو اقلاق لراحتهم ، ولا سيما عن طريق الضجيج والضوضاء ، كما هو شائع الآن من الاستعمال الفظ لمكبرات الصوت والمذياع ... الخ . الخ ان ايذاء الجار بأية صورة من الصور يتنافى مع مفهوم العبادة في الاسلام .

فالعبادة الحقة هي التي يترتب عليها سلوك حسن ومعاملة طيبة للناس جميعا ، ولا سيما للجيران . وبدون ذلك لا معنى للعبادة ولا قيمة لها . ولما أخبر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى جيرانها قال : « هي في النار » (أحمد والحاكم) .

وحقوق الجار في الاسلام تشمل المسلم وغير المسلم . فاذا كان للمسلم جار نصراني مثلا فعليه أن يعامله معاملة طيبة .

واذا كان الجار مسلما فله حق الاسلام وحق الجوار .

واذا كان مسلما ذا رحم فله ثلاثة حقوق : حق الاسلام ، وحق الجوار ، وحق القرابة .

حقوق المسلمين : قال الله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات ٤٩/١٠)

ومن حقوق هؤلاء الاخوة مودتهم وموالاتهم لقوله تعالى :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » (التوبة ٩/٧١) .

ومن أجل تأكيد صلات الأخوة بين المؤمنين أوجب الاسلام على كل مسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » (مسلم) .

كما أوجب على كل مسلم أن يعين أخاه في وقت الشدة ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » (الشيخان) . وأن ينصحه ، لأن الدين النصيحة .

وأن يشاوره ، لأن المؤمنين « أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » (الشورى ٤٢/٣٨) .

وأن ينصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه ، وينصره ظالما بأن يكفه عن الظلم .

وأن يتعاون معه على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .

وأن يوده ويدعوه ويجيب دعوته ولا يقاطعه أو يهجره فوق ثلاث .

وأن يتجنب كل مايسيء اليه أو يضره في حياته أو ماله أو عرضه ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » (متفق عليه) .

كما يتجنب كل سلوك يؤدي الى بذر العداوة بين المسلمين أو استفحالها ، أو يؤدي الى اضعاف قوتهم ، وتفرقة جماعتهم ، ولا سيما الغيبة ، والنميمة ، والسخرية ، وسوء الظن ، والتجسس ، واللمز ، والتنابز بالألقاب ، وهي الرذائل التي حرمها الله تعالى على المؤمنين في قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ »

(الحجرات ٤٩/١١ – ١٣) .

ومن حقوق المسلمين أن يهتم المسلم بقضاياهم ، ويشعر بآلامهم ويحمل همومهم ، لأنه واحد منهم . وقد قال – صلى الله عليه وسلم :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »(١)

حقوق غير المسلمين :

اذا كانوا مسالمين ، أي لا يعتدون على المسلمين ، ولا يقاتلونهم في دينهم ، ولايخرجونهم من ديارهم – فيجب على المسلمين معاملتهم ليس بالعدل فحسب ، بل بالبر والاحسان كذلك . وهذا الحكم يشمل غير المسلمين جميعا حتى المشركين والوثنيين والأصل فيه قوله تعالى :

« لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

(الممتحنة ٦٠/٨) .

أما أهل الكتاب فان الاسلام يعاملهم معاملة خاصة ، فيسميهم ، أهل الكتاب ، اشارة الى أنهم أقرب الى المسلمين من غيرهم ، لأنهم يؤمنون بكتب منزلة من عند الله ، كانت في أصولها – أي قبل تحريفها – تدعو الى

---

(١) حديث من لم يهتم بأمر المسلمين ... الخ أخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٨٢ حديث رقم ٦٠ طبع مطبعة السنة المحمدية الطبعة الاولى . أخرجه بلفظه وقال : قال في المختصر : ضعيف .
قال المحقق : ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وقال : انه من .. يق وهب بن راشد ، عن فرقد ، عن أنس ، وهذا سند واه جدا وان كان المعنى صحيحا . (الباجوري)

التوحيد . والمسلمون مطالبون بالايمان بالكتب الموحى بها ، وكذلك برسل الله جميعا .

وقد أباح الاسلام للمسلمين صورا شتى من مودة أهل الكتاب ، منها مؤاكلتهم ، وأكل ذبائحهم ، ومصاهرتهم ، أى التزوج بنسائهم

فاذا كانوا يقيمون فى ظل الدولة الاسلامية، فانهم فى هذه الحالة يعاملون كمواطنين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، الا فيما يخص الدين ، فانهم لا يكرهون على الاسلام ، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون .

كما يجب على الدولة الاسلامية حماية أزواجهم وأموالهم وأعراضهم ، ويجب على كل مسلم أن يتجنب كل ما فيه أذى لهم أو اضرار بهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

« من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » (الطبرانى) .

« من ظلم معاهدا ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة » (أبو داود) .

حقوق الرعية :

يرى ابن تيمية (١) أن الآية الكريمة :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ »

(النساء ٤/٥٨)

تشير الى مسئولية الولاة بوجه خاص .

والولاية عنده تشمل كل عمل عام يمس حقوق الناس لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (الشيخان) .

وولاة المسلمين مأمورون من الله بأداء الأمانات الى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل .

وأداء الأمانات عنده نوعان : فى الولايات وفى الأموال . ففى الولايات يجب على كل رئيس فى أى مجال من مجالات العمل العامة فى المجتمع أن يولى على كل عمل أصلح من يجده لذلك العمل ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم :

« من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله » وفى رواية « وخان المؤمنين » (الحاكم) .

أما فى الأموال فان يأخذ المال من حله (أى من مصادره المشروعة) ، ويعطى منه لكل ذى حق حقه . فان لم يفعل فقد ارتكب كذلك خيانة لله ورسوله والمؤمنين .

ويرى الماوردى (٢) أن حقوق الأمة الاسلامية على الامام (أى واجباته نحوها) هى :

١ ــ حفظ الاسلام على أصوله وحمايته من البدع والشبهات .

٢ ــ نشر العدل .

---

(١) السياسة الشرعية ص ٦ ، ٢٧ .

(٢) الاحكام السلطانية ص ١٥ ــ ١٧ .

٣ ـ حفظ الأمن .

٤ ـ اقامة الحدود (العقوبات المقررة فى الشريعة) .

٥ ـ تحصين الثغور (أى حماية الدولة الاسلامية بكل وسائل الدفاع) .

٦ ـ الجهاد لنشر الاسلام .

٧ ـ جباية الموارد المالية للدولة .

٨ ـ صرف الرواتب والمكافآت لمستحقيها .

٩ ـ تولية ذوى الكفاءة والأمانة فى شتى مناصب الدولة .

١٠ ـ الاشراف العام بنفسه على شئون الدولة بحيث لا يتكل على تفويض غيره .

فاذا أدى الامام هذه الحقوق وجب له على الأمة حقان :

الطاعة والنصرة .

حقوق البيئة الطبيعية :

وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى الأرض وما فيها من ثروات طبيعية ومناظر جميلة ، وبخاصة ما فيها من أنهار وبحار وأودية وجبال ، وزروع ناضرة وحدائق ذات بهجة ، وحيوانات تجمع بين النفع والجمال .

وبالاضافة الى أن هذه الآيات توقظ فى وجدان المسلم الاحساس بجمال الطبيعة ـ فهى تدعوه كذلك الى اعتبار هذا الجمال من أجل نعم الله على الانسان .

وأقل ما يقتضيه شكر هذه النعمة المحافظة عليها ، وعدم تعريضها للتخريب والفساد .

ولذلك فان اهلاك الحرث والنسل يعد فى القرآن الكريم من أقبح صور الفساد التى يبغضها الله .

وشكر نعمة الله فى الزروع والثمار يتخذ فى القرآن صورة عملية جميلة ، قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأنعام ١٤١/٦) .

وانظر الى دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل مسلم أن ـ حتى فى أشد الأوقات حرجا ـ يبذل فيها كل جهد يستطيعه ليجعلها جميلة خضراء :

« ان قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها » (البخارى) .

بل انظر الى دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل مسلم أن يجعل زروعه وثماره متاحة ليس للانسان فحسب ، بل وللحيوانات والطيور كذلك : « لا يغرس مسلم غرسا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طير الا كان له صدقة الى يوم القيامة » (الشيخان) .

اما حقوق الحيوان فيكفى أن نعرض هذه الصور من السنة :

ــ قال صلى الله عليه وسلم : بينا رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى . فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

قالوا : « وان لنا فى البهائم أجرا يارسول الله ؟ » فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » (الشيخان) .

* وقال صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت ، فلاهى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (البخارى) .

* وعن عبد الله بن مسعود : كنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر ، فرأينا حمرة (طائر مثل العصفور) معها فرخان فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرش (ترفرف).

فلما جاء ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها » (أبو داود) .

*مر عبد الله بن عمر بفتيان من قريش وقد نصبوا طيرا واتخذوه غرضا (أى هدفا يتعلمون عليه الرمى بالسهام) فقال : ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » (الشيخان وأبو داود) .

* وقال عبد الله بن عباس : « نهى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن التحريش بين البهائم » (أبو داود والترمذى) .

والتحريش بينها هو اغراء بعضها ببعض لتتقاتل .

* **وقد حث ــ صلى الله عليه وسلم ــ على العناية بالحيوان وبكل ذى حياة فى قوله : « فى كل كبد رطبة أجر » . كما نهى عن تعذيب الحيوان ، وتحميله ما لا يطيق ، وتعذيب الذبيحة ، وان يذبح حيوان امام آخر .**

* **وكان عمر بن الخطاب وهو حاكم لاكبر دولة على ظهر الارض يشعر بمسئوليته تجاه الحيوان فيقول : « لو ان بغلة عثرت بأرض العراق لظننت ان الله سائلنى عنها لم لم أسو لها الطريق .**

* **ومما سبق يتضح انه يجب على كل مسلم ان يكون رحيما بالحيوان : فيطعمه ويسقيه واذا مرض يعالجه . وبالجملة يعتنى به كل العناية .**

« وانما يرحم الله من عباده الرحماء »

د . أحمد غراب

حرم ربكم عليكم

الدم

للدكتور عمر عثمان والى

قال تعالى :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(المائدة ـ ٣)

والدم (١) ـ فى الآية الكريمة ـ هو ثانى ما حرم الله سبحانه وتعالى .

وفى السنة تخصيص لعموم القرآن الكريم ◄

---

(١) الدم ـ وهو السائل الاحمر المعروف ويتألف اساسا :

(أ) من محلول مائى مائل الى الاصفرار يشكل قرابة ٧٠٪ من حجم الدم ، ويحتوى على المواد الغذائية الذائبة ، ويسمى هذا المحلول، البلازما ، وتقوم البلازما بحركة دورية مستمرة تمكنها من نقل الغذاء الى جميع اعضاء الجسم .

(ب) ومن « كريات الدم الحمراء » وهى كروية الشكل ، ولا تحتوى على نواة ، « وسيتوبلازم » هذه الكريات غنية بمادة حمراء تعرف بـ « الهيموجلوبين » الذى له دور رئيسى فى نقل الاكسجين وثانى اكسيد الكربون من الرئتين واليهما ، ويتراوح عدد كريات الدم الحمراء من ٤ر٥ الى ٥ ملايين كرية فى المليمتر المكعب الواحد من الدم .

(جـ) ومن « كريات الدم البيضاء » وتتألف خليتها من غشاء سيتوبلازمى ، وسيتوبلازم ، ونواة ، وهذه الكريات عدة انواع - منها ماتتألف النواة فيها من قسم واحد ، ومنها ما تتألف فيه من قسمين او اكثر .

ففى سنن ابن ماجة ـ رضى الله عنه ـ :

حدثنا أبو مصعب ـ ثنا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **(احلت لكم ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد(١) ، وأما الدمان فالكبد والطحال (٢) »** .

ونوضح هنا بعض المواد التى ينقلها الدم :

ينقل الدم :

١ ـ ثانى أكسيد الكربون .

٢ ـ الهرمونات .

٣ ـ جميع السموم التى تدخل الجسم .

٤ ـ ناتج الأيض (٣) .

٥ ـ بعض المواد الأخرى مثل اليوريا وحمض البوليك .

ومن هذا يتضح أن الدم يحتوى على جميع نواتج عمليات الهدم والبناء داخل الجسم ، ويقوم ـ بدوره ـ بنقل هذه النواتج الى الأجهزة الخاصة بالتخلص من السموم مثل الكلى والكبد والرئة ، وغيرها من الأجهزة .

ومن المعروف أن الدم وسط ملائم جدا لنمو جميع أنواع البكتريا التى قد تصيب الانسان ، والحيوان ـ على سواء ـ بأمراض مختلفة ، وذلك لاحتواء الدم على المواد الغذائية اللازمة لنمو البكتريا ونشاطها وانتشارها .

كذلك يساعد أيضا ـ على ذلك ـ وجود الوسط القلوى المناسب .

لذلك يعتبر الدم مصدرا أساسيا للعدوى (٤) .

من هنا تتضح لنا ـ تماما ـ الحكمة فى تحريم الدم على الانسان الذى أراد الله له طيب الطعام .

الاتجار بالدم

ونحن نعلم أن شعوب الدول الاسلامية لا تأكل الدم طبقا لأحكام هذا التحريم .

أما الدول غير الاسلامية فانها تأكل الدماء فى صورتين :

الأولى : هى أكل الدم ذاته ، حيث يجمع ويعد بعد قتل الحيوان .

الثانية : بقتل الحيوان بطريقة لايسيل منها الدم ويبقى مختزنا بجسد الحيوان ، وذلك بدل ذبحه ـ كما فى الشريعة الاسلامية ـ وعلى ضوء ما سبق من ألوان القتل التى تحدثت عنها المجلة (٥) .

ولأن الدول الاسلامية ـ عادة ـ ماتستورد لحوما من دول غير اسلامية ، وهذه ـ بدورها ـ لا تهتم بتنفيذ الذبح بالطريقة الاسلامية .

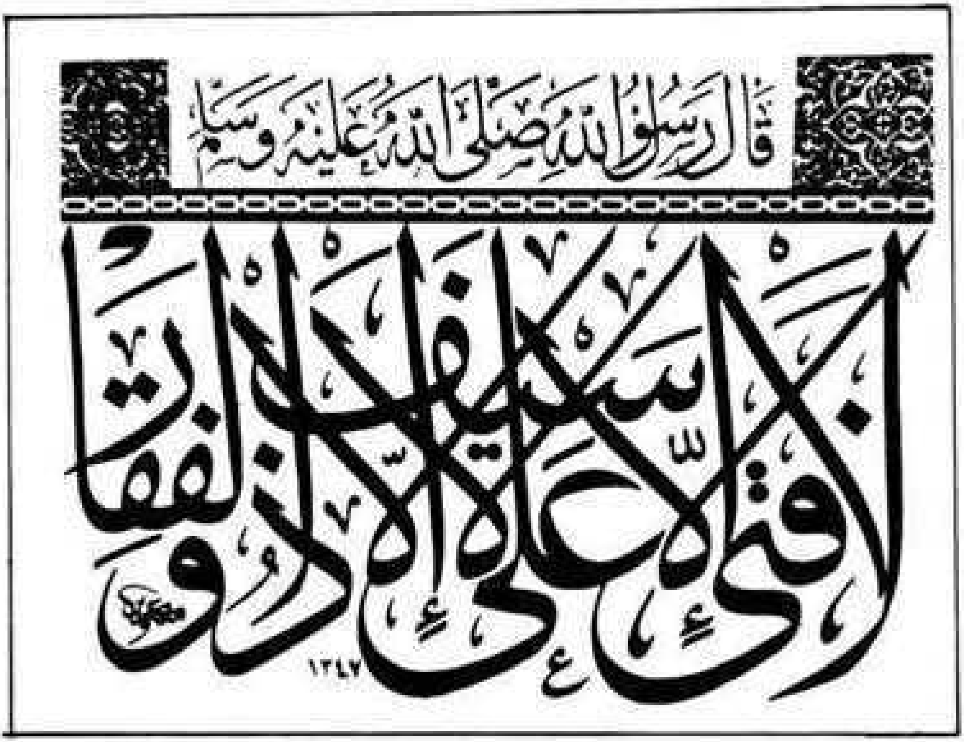
ثم من واقع الممارسة العملية فى هذه الدول

(١) هو السمك .

(٢) سنن ابن ماجه ١١٠١/٢ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٣ ، ٤) راجع مجلة الازهر ـ عدد رمضان ١٤٠٤ ص ١٤٧٢ .

(٥) انظر مجلة الازهر ـ عدد رجب ١٤٠٤ ص ١٠٧٧ ـ ١٠٨٨ .



أثناء قيامنا بعمليات التفتيش على اللحــوم اتضح لنا أمران فى غاية الأهمية :

أولا : عدم وجود التفتيش الجاد من جانب الدول الاسلامية واحدة واحدة ـ على طريقة الذبح ومعايشتها بداية ونهاية ، فلا يقوم بهذا الدور الا دول تعد على الأصابع .

ثانيا : ولأسباب اقتصادية بحتة لزيادة وزن الحيوان الذى لم يذبح ذبحا شرعيا عما ذبح على الطريقة الاسلامية ، فانه ـ فى حال ذبح الحيوان على الطريقة الاسلامية ـ تخرج أكبر كمية من الدم عموما واذا كانت كميـة الدم داخل جسم الحيوان تمثل $\frac{1}{13}$ من وزنه فان الذبح الاسلامى يطرد ـ على الأقـل ـ ٪ كميـة الـدم الموجـودة داخـل جسـم الحيوان .

وهذان الثلثان النازفان من الذبيحة الشرعية متبران « إدماء كاملا » لأن هذه الكمية هى لتى تحمل « السموم ونواتج الأيض » المتجمع فى الشرايين والأوردة الكبيرة ، وبالتالى فانها تخرج مع الدم المسفوح خارج جسد الذبيحة

حرم ربكم عليكم : "الـدم"

الشرعية . وما بقي بعد ذلك لا يحمل سموما داخل الذبيحة . وبالتالي لايؤذى آكلا .

ويختلف الأمر ــ في حال قتل الحيوان بطريقة يحتبس معها دمه ــ إذ في هذه الحال لايخرج من الدم ــ اذا خرج ــ الا ¼ الكمية الموجودة بجسده على أقصى تقدير ، وتبقى الكمية الاكبر مرتعا خصبا لكل أنواع البكتريا كما سبق شرحه . مضافا ــ الى ذلك سرعة التحلل نتيجة موت الحيوان .

لكن المورد يربح نتيجة ذلك ، فاذا افترضنا أن وزن الحيوان « ٤٠٠ » أربعمائة كيلو جرام فان كمية الدم الموجودة داخل جسده تمثل

٤٠٠ × $\frac{1}{13}$ = ٣٠ ك ج تقريبا

بينما كمية الدم المستنزفة طبقا للذبح لاسلامى =

٣٠ × ⅔ = ٢٠ ك ج تقريبا

وان كمية الدم المستنزفة بالطرق الأخرى=

٣٠ × ¼ = ٨ ك ج تقريبا

فيكون الفارق المختزن بجسد الحيوان في حال عدم ذبحه بالطريقة الاسلامية =

٢٠ ــ ٨ = ١٢ ك ج تقريبا

وحيث إن اللحوم المصدرة للدول الاسلامية يمثل ــ فيها كل ثمانية حيوانات نحو طن اذا خلت من العظام . واذا هي لم تخل منها يحتوى الطن على نحو خمسة حيوانات .

اذن يكون فارق الدم في كل طن =

١٢ × ٨ = ٩٦ ك ج

في حال اللحوم خالية العظم . و١٢ × ٥ = ٦٠ ك ج في حال اللحوم بعظامها .

فاذا وضعنا في الاعتبار أن الصفقة تمثل خمسة الاف طن مثلا ــ وهذه أبسط واقل الصفقات التى تستوردها دولة اسلامية يكون :

فارق الدم في اللحوم خالية العظم = ٩٦ × ٥٠٠٠ = ٤٨٠ر٠٠ طن

وفارق الدم في اللحوم ذات العظم = ٦٠ × ٥٠٠٠ = ٣٠٠ر٠٠ طن

وحيث ان سعر الطن العالمي للحوم خالية العظم هو (١٧٠٠) ألف وسبعمائة دولار امريكى ، و (١٥٠٠) ألف وخمسمائة دولار للحوم ذات العظم = اذن :

فارق الدولارات فيحال اللحوم خالية العظم = ٤٨٠ × ١٧٠٠ = ٨١٦٠٠٠ دولار

وفارق الدولارات في حال اللحوم ذات العظم = ٣٠٠ × ١٥٠٠ = ٤٥٠٠٠٠ دولار

يتضح من ذلك قيمة الكسب الفاحش غير المشروع الناتج عن احتباس الدم بجسد الحيوان حيث يترجم الى (دولارات) تؤخذ في غير مقابل فضلا عما يحتويه جسد الحيوان من سموم وأضرار عافانا منها الذبح الاسلامى وتحريم الدم على المسلمين

عمر عثمان والى

رئيس قسم اللحوم والمجمدات (كوميصل)

دراسات في السنة

أيرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ؟!

ماهكذا تورد ياسعد الابل

فتوى الاستمرار

أيرى النبي صلى الله عليه وسلم "يقظة ؟!"

كثر السؤال بين العامة والخاصة عن رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – في اليقظة . وذلك بعد مشاهدة الجماهير لحلقات «ندوة للرأى» والتى أعلنت عن أحد المواطنين أنه يرى النبي – صلى الله عليه وسلم – في اليقظة والحق يقال . إن السادة العلماء ضيوف الحلقة لم يعطوا الفرصة لضيف الندوة لكى يعلن لنا ماذا يدور بينه وبين سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما يلتقيا . وماذا يقول له . وهل الرسول أمره بتبليغ شيء ؟ أو أخبره بشيء ؟ أو ماذا يقول له عند اللقاء . لأن لقاء مثل هذا بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – لابد وأن يكون ذا أهمية كبرى لأن اللقاء جد خطير .

ولو أعطى الضيف الفرصة وتحدث إلينا بحريته لأمكننا أن نحكم عليه . إما بالصدق أو بالكذب .. لأن صدق الرؤيا ينبيء عن صدق رائيها . وكذبها ينبيء عن كذب رائيها .

إن فائدة حصول ذلك إنما تعود غالبا على الرائى فقط . ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعى كائنا ماكان ندبا كان أو غيره من سائر الأحكام الشرعية كما تمليه قواعد الشرع المعلومة .

---

(١) قدم الكاتب – جزاه الله خيرا – مقاله بعنوان « القول الصحيح حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة » ولما كان هذا العنوان يوحى بأنه الكلمة الأخيرة في الموضوع ، آثرنا الرجوع إلى العنوان الأول ليظل الباب مفتوحا لمن أراد أن يسهم فيه بعلم ودليل . ونقدم هذا البحث الموعب على حلقتين في عددين متتاليين بمشيئة الله . قال صاحب البحث في تقديمه للمجلة :

كنت أبحث موضوع "رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة" وذلك بعد حلقات التليفزيون (ندوة للرأى) وما قيل فيها وخاض فيه من خاض ، حتى قرأت الموضوع في مجلة الأزهر عدد شهر رمضان ، ووجدت أن المجلة مشكورة على استعداد لنشر ما يكتب في هذا الموضوع مما دفعنى أن أرسل بهذا البحث لعله ينال شرف نشره بمجلة الأزهر الغراء ، ليُعرَفَ رأى الدين في هذا الموضوع وماقيل فيه . وقد اعتمدت في بحثى هذا على أمهات الكتب الإسلامية وقد بينت مراجع البحث الحقيقية في آخر صفحة من البحث . وذلك ليرجع إليها من يريد بسهولة .

صلاح الدين

ويقول ابن حجر فى فتح البارى :

وكذلك يقال فى كلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وماخالفها فالخلل فى سمع الرائى فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو فى سمع الرائى أو بصره .

وقال : وهذا خير ماسمعته فى ذلك ثم حكى القاضى عياض عن بعضهم فقال :

خص الله نبيه بعموم رؤيته كلها ومنع الشيطان أن يتصور فى صورته لئلا يتذرع بالكذب على لسانه فى النوم . ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم فى اليقظة واستحال تصور الشيطان على صورته فى اليقظة ولا على صفة مضادة لحاله اذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبى للنبى عن تمثيل بذلك لتصح رؤياه فى الوجهين ويكون طريقا الى علم صحيح لا ريب فيه ، ولم يختلف العلماء فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام فقد جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقا ولم يجروا فيها الخلاف كما فى رؤيا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

ثم قال ابن حجر : ان النائم لو رأى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمره بشىء لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر . فان وافقه قبل وكان الشرع هو الحجة . وان خالفه فهو مردود ككل الهام خالف الشرع ولا يقال مثل هذا ان كانت رؤيته فى النوم لا ان كانت فى اليقظة على فرض تجويز حصولها وامكانها لمن خصه الله بها من أكابر الأولياء لأنه قد علم أن الشرع الثابت من طريق النقل برواية العدول . هو الذى يجب التمسك به وترجى النجاة لمن وفقه الله تعالى للعمل به .

نعم ــ لا ننكر أن الولى يتقوى هو فى نفسه باخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالشىء النافع له ويكمل نشاطه للعمل به ويتبين له أنه صادق فى محبة رسول الله ومحبة اتباع شرعه . وأما اثبات الأحكام ــ بغير طريق النقل الثابت شرعا فلا قائل به ممن يعتد به من حملة الشريعة المطهرة البيضاء .

وانتهت الحلقات الثلاث دون الوقوف على حقيقة أمر الشيخ أكان صادقا أم كان كاذبا . وأصبح الموضوع منذ تلك الساعة حديث العامة والخاصة من الناس وهم بين مصدق ومكذب، مما دفعنى الى البحث فى هذا الموضوع ليعرف رأى الدين فى هذه القضية . وتستريح نفوس الباحثين عن . حقيقة رؤية النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى اليقظة .

أخرج البخارى ومسلم وأبوداود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

أترى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ؟!

« من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى » .

وقال الحافظ ابن حجر : ووقع عند الاسماعيلى « فقد رآنى فى اليقظة » بدل قوله « فسيرانى » ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذى من حديث ابن مسعود .

وفى رواية ابى قتادة عند مسلم أيضا « من رآنى فقد رأى الحق » .

وله أيضا من حديث جابر « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » .

وفى رواية « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى » .

وفى حديث أبى سعيد عند البخارى « فان الشيطان لا يتكوننى » أى لا يتكون كونى فحذف المضاف ووصل المضاف اليه بالفعل .

وفى حديث أبى قتادة عند البخارى « لايتراءى بى » بالراء . بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع أن يتمثل بى يعنى أن الله تعالى وان أمكنه من التصور فى اى صورة أراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى — صلى الله عليه وسلم — .

ويقول الامام السيوطى فى كتابه الحاوى : قال العلماء : اختلفوا فى معنى قوله « فسيرانى فى اليقظة » فقيل :

معناه — فسيرانى فى القيامة — وتعقب بأنه لا فائدة فى هذا التخصص . لأن كل أمته يرونه يوم القيامة . من رآه منهم ومن لم يره .

وقيل : المراد من آمن به فى حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه فيكون مبشرا له أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته .

وقال قوم : هو على ظاهره فمن رآه فى النوم فلابد أن يراه فى اليقظة : يعنى — بعينى رأسه — وقيل : بعين فى قلبه . حكاه القاضى أبو بكر بن العربى وقال أبو جمرة فى تعليقه على الأحاديث التى انتقاها من صحيح البخارى :

هذا الحديث يدل على أنه . من رآه — صلى الله عليه وسلم — فى النوم فسيراه فى اليقظة وهل هذا على عمومه فى حياته وبعد مماته . أو هذا كان فى حياته ؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام ؟ اللفظ يعطى العموم ومن يدعى الخصوص فيه بغير مخصص منه — صلى الله عليه وسلم — فمتعسف .

وقال : وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه ، وقال على ما أعطاه عقله : وكيف يكون من قد مات يراه الحى فى عالم الشاهد ؟ قال : وفى هذا القول من المحذور وجهان خطران .

أحدهما : عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذى لا ينطق عن الهوى .

والثانى : الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يقرأ فى كتاب الله عن قصة البقرة وكيف قال تعالى :

« اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ » الآية ٧٣ من سورة البقرة .

وقصة سيدنا ابراهيم عليه السلام فى الأربع من الطير . وقصة عزير ، فالذى جعل

ضرب الميت ببعض البقرة سببا لحياته ، وجعل دعاء سيدنا ابراهيم سببا لاحياء الطيور بعد تقطيعها ، وجعل تعجبه عزير سببا لموته وموت حماره ثم لاحيائهما بعد مائة سنة قادر أن يجعل رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى النوم سببا لرؤيته فى اليقظة .

الحاوى للسيوطى جـ ٢

والمنكر لهذا لا يخلو :

اما أن يصدق بكرامات الأولياء أو يكذب بها . فان كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما أثبتته السنة المطهرة بالدلائل الواضحة . وان كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل . لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة أشياء فى العالمين العلوى والسفلى عديدة . فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك ا . هـ .

« من كلام أبى جمرة فى الحاوى » .

ويقول القسطلانى فى المواهب :

وقد شذ بعض القدرية فقال : الرؤية لا حقيقة لها أصلا قال . وقوله « فسيرانى » معناه فسيرى تفسير ماراى لأنه حق وغيب وأما قوله « فكأنما رآنى » فهو تشبيه ومعناه أنه لو رآنى فى اليقظة لطابق مارآه فى المنام فيكون الأول حقا وحقيقة والثانى حقا وتمثيلا قال . وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهى أمثال . فان رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائى وعلى العكس فبالعكس .

وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بقوله « رآنى » أو « فقد راى الحق » أن من رآه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل .

وتعقبه النووى فقال :

هذا ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها ا . هـ .

فتعقبه شيخ الاسلام ابن حجر فقال

لم يظهر لى من كلام القاضى عياض ماينافى ذلك بل ظاهر قوله « أنه يراه حقيقة فى الحالين » لكن فى الأولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير ، والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم : معناه « أن من رآه على صورته التى كان عليها » ويلزم من قول من قال : أنه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من أضغاث الأحلام ، ومن المعلوم أنه يرى فى النوم على حالة بخلاف حالته فى الدنيا من الأحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشىء مما كان عليه أو ينسب اليه لعارض عموم قوله : « فان الشيطان لا يتمثل بى » فالأولى أن تنزه رؤياه وكذا رؤيا شىء منه أو مما ينسب اليه عن ذلك فانه أبلغ فى الحرمة وأليق فى العصمة كما عصم من الشيطان فى يقظته .

فالصحيح فى تأويل هذا الحديث : أن مقصوده أن رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثا بل هى حق فى نفسها ولورؤى على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضى ابى بكر بن الطيب .

ويؤيده قوله « فقد راى الحق » أشار اليه القرطبى .

وقال ابن بطال : قوله « فسيرانى فى

أترى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ؟!

اليقظة » يريد تصديق تلك الرؤية في اليقظة وصحتها وخروجها (١) على الحق وليس المراد أنه يراه في الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة جميع أمته . من رآه في النوم ومن لم يره .

قال المازرى : ان كان المحفوظ «فكأنما رآني في اليقظة » فمعناه ظاهر .

وان كان المحفوظ : « فسيراني في اليقظة » احتمل ان يكون اراد أهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة . وأوحى الله بذلك اليه — صلى الله عليه وسلم —

وقيل معناه فسيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها .

وأجاب القاضي عياض — باحتمال أن يكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في « الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال، ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه — صلى الله عليه وسلم — مدة .

وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس أو غيره أنه رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — في النوم فبقى بعد اليقظة متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي — صلى الله عليه وسلم — فنظر فيها صورة النبي — صلى الله عليه وسلم — ولم يـر صورة نفسه . كذا في فتح البارى جـ ١٢ .

ونقل عن جماعة من الصالحين انهم رأوا النبي — صلى الله عليه وسلم — في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم الى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك .

ويقول ابن حجر : بعد هذا الكلام : « وهذا مشكل جدا . ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة الخ » .

وأنكر ذلك جماعة منهم الامام بدر الدين الأهدل اليمنى احد فقهاء الشافعية في كتاب الرؤيا . ومنهم صاحب فتح البارى ومنهم القرطبي شيخ القرطبي المفسر وقول ابن حجر: « لو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة » غير مسلم ، لأن شرط الصحابة بالمعنى المعروف شرعا رؤيته عليه الصلاة والسلام في عالم الملك لا رؤيته في عالم الملكوت فلا تحصل بها الصحبة لمن رآه مؤمنا به كما صرح به ابن حجر الهيثمي في فتاويه الحديثيه والا : لثبتت لجميع أمته . ولفظه في فتاويه « ولا يلزم من ذلك ان الرائي صحابي لأن شرط الصحبة الرؤية في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت وهي لاتفيد صحبة والا لثبتت لجميع أمته لأنهم عرضوا عليه في ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت الأحاديث .

(١) أي حصولها على حق لا باطل فيه ..
مجلة الأزهر .

يتبع

صلاح الدين عبد الحميد الهادى

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

لفضيلة الشيخ
عبد الظاهر عبد الكريم

— ٢ —

القرآن هو الأصل الأول للدين الاسلامى ، وحوله تدور كل الدلائل والأصول ، كما تدور النجوم بالشموس . ولو حل فيه شك أو تحريف ، فلا اسلام ولا ضياء ، وانما هو الظلام الدامس ، يلف بتراكمه ــ كل مسلم ومسلمة فى الوجود .

والسنة هى الأصل الثانى ــ بعد القرآن ــ تبين مجمله ، وتوضح مبهمه ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتفصل احكامه .. الخ ، فان لم تسلم ، عميت السبل ، واشتبهت المسالك على كل مسلم ومسلمة فى الوجود .

وأصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورضى عنهم جميعا ــ هم الواسطة فى تبليغ الدين بكل فروعه وأسسه ، فان علقت بهم تهمة التحريف ، أو ثبت عليهم الكذب فقدت الثقة بكل الدين .

وذليل المسلم الحزين له اتجاه .. تحبه طائفة ، وينفر منه أصناف أضعاف أضعاف

..... هؤلاء من المسلمين والمتمتلين من الباحثين . يحمده له من كان على شاكلته ... ويذمه عليه من لا يطمئن اليه .

وهذه المقالة تدور رحاها على نصوص، تشترك كلها فى بعدها عن الحقيقة، وفى الشطط، ولم تكن هناك ضرورة تدعو لحشرها فى المكان الذى وضعت فيه ، أو لذكرها رأسا ، فان المقام لا يستدعيها أو يتطلب تسجيلها ــ على الأقل بعضها .

ولكن للالحاح والتكرار تأثيرا ولو مع البطلان ــ كما قلنا سابقا . أو كما تقول العامة : (الميار اللى ما يصيب يدوش) .

وها أنذا أورد عليك النص الأول فانظر فيه . يقول فى ص ٣٨ : « ان القرآن لم يورد من أسماء معاصرى النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ غير اسمين اثنين لا غير ، أحدهما لمسلم ، وهو زيد بن حارثه . والآخر لكافر ، وهو

أبو لهب ، فما علة نزول سورة فيه بالذات ؟

وهذا استفهام وارد ومعقول ، لكن كان من المنتظر أن يشمل الاثنين : المسلم والكافر ، فما سبب الاقتصار على أحدهما فيه وفي الجواب ؟

اترك لك — يا قارئي — التفكير فيه ، لمعرفة الباعث عليه ، وأظن أنه ليس من الصعب عليك أن تتوصل اليه .

وكان المنتظر أيضا أن تأتي الاجابة عن هذا التساؤل تالية له مباشرة ، لكن — لأمر ما — فصل بين الاجابة والسؤال ، وحشر ما يلي :

صحيح أننا نعلم أن الصحابي عبد الله بن مسعود — وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار في القرآن — ذهب الى أن نسخة القرآن التي أقرها الخليفة : عثمان بن عفان ، — رضي الله عنه ، محرفة غير كاملة ، واتهم زيد بن ثابت وأصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الأمويين .

غير أن هذا الاتهام غير مقبول ، فقد كان علي بن أبي طالب ، والكثيرون غيره من الصحابة أحياء وقت قيام زيد بمهمته ولم نسمع أن أحدهم أيد زعم ابن مسعود ، واحتج على استبعاد آيات .

وقد ردد هذا النص مرة أخرى بصورة فيها حذف ، وفيها اتساع ... اتساع في أمثلة التهمة وحذف لما هو في الظاهر دفاع .

قال في ص ٤٨ : وقد اتهمه — يريد عثمان — هؤلاء الخصوم بأنه قد حذف من مصحفه خمسمائة كلمة ، أوردتها مصاحف أخرى — كمصحف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .. منها « ان عليا لهو الهدى » وزعموا أنه حذف اسم عمر ، واستبدل به « فلانا » في الآية الثلاثين من سورة الفرقان : « يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا » . وأنه أخفى سورة قصيرة كاملة على غرار سورة المسد ، تلعن قريبه أبا سفيان .

والملاحظ أن حيلة هؤلاء المحرفين لم تكن واسعة ، وأن موقفهم بحسب هذين النصين كان الى السلبية أقرب ، فانهم لم يزيدوا عن أنهم استبدلوا بعمر فلانا ، وأسقطوا سورة أبي سفيان ، وخمسمائة كلمة ، منها ان عليا لهو الهدى ، وان شئت فاجعلها خارجة عن هذا العدد ، فما الذي منعهم أن يضعوا فيه زيادة ، ولو بضع كلمات ترفع أناسا وتخفض آخرين؟

ولعلك يا قارئي — تقول : ان القرآن بليغ لا يقدر البشر ان يجيئوا بما يساويه أو يقاربه، فلو زادوا فيه لانكشف بها من زاد ، فلذلك حدث الاكتفاء بالاسقاط وتبديل اسم عمر ..

وأقول : أيعجز العربي البليغ أن يضع مثل : ان عليا لهو الهدى ، وهو عند المدعي قرآن ثابت ساقط ؟

ويلاحظ — ثانيا — أن النص الأول ذكر — دون ضرورة — ووضع في دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك في القرن العشرين ، فما صلته بالسلوك ؟ ، ومثله الثاني . وأن عبد الله ابن مسعود ذكر في النصين منعوتا — غالبا — بنعوت يستحقها ، وترك آخرون ، وهم في التبجيل والتقدير سواء .

(و) ثالثا — هو يقول هذا الاتهام غير مقبول ، ومن حق القارئ أن يقول له : فلم ذكرته وأنت تقر أنه غير مقبول ؟ ثم لماذا

كرته ، وأنت تعلم أنه غير مقبول ؟ ثم ٠٠ ثم ٠٠ لماذا أسقطت من النص الثاني ما ظاهره أنه دفاع في النص الأول ٠

(و) رابعا — علمه بالتحريف ، وباتهام زيد وصحبه، له مصدر ، فلماذا أخفاه عن القارىء ، مع معرفته أنه قد يحتاج اليه ، فربما استجلى به بعض الغموض ، وربما توسع في بعض الجوانب ؟

(و) خامسا : زعم أنه علم بأن هذه التهمة صدرت من عبد الله بن مسعود ، وهذا ما يقطع الناس عليه أنه ليس علما ، فان العلم لا يكون الا مطابقا للمعلوم ، والمعلوم الواقع عن ابن مسعود غير هذا ، فان المؤرخين الذين عرضوا لهذا الموضوع ذكروا أنه غضب ، اذا لم يؤخذ رئيسا للجنة جمع القرآن ، أو على الأقل عضوا من أعضائها ، وقال — مقارنا بينه وبين زيد —: **والله لقد أسلمت ، وان زيدا لفى صلب رجل كافر ، ولقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب مع الصبيان** ، وأين هذا من تهمة التحريف والاسقاط التى لم يتكرم دليل المسلم فيحدثنا عن رد فعلها في نفس زيد وصحبه وأمير المؤمنين زيد وصحبه وأمير المؤمنين وحزبه ٠

ولست أدرى بم يجيب لو قال له القارىء : انى أعلم أنك لا تعلم بأن هذا الاتهام صدر من ابن مسعود ، فقد قرأنا ما ذكره الناس والمؤرخون في هذا — مثل ما قرأت ، وربما أكثر ، ونعلم من أنفسنا أنا لا نعلم بصدور هذا الاتهام من ابن مسعود ، بل أزيدك شيئا وراء ذلك هو أنا نعلم أن ابن مسعود لم يتهم بذلك زيدا ولا عثمان ، وأنه شىء لم يكن له وجود أو كيان ، ويقال أيضا : لماذا لم يطلب ابن مسعود محاكمة زيد الى الصحف التى جمعها زيد نفسه في عهد أبى بكر ؟

على أن مسألة الغضب أيضا فيها نظر ، فلماذا غضب في عهد عثمان وجمعه ، ولم يغضب في جمع أبى بكر ، وزيد في ذلك الوقت كان أصغر سنا ، وابن مسعود كان أكثر نشاطا ٠

(و) سادسا — علل عدم قبول الاتهام بأن على بن أبى طالب وكثيرين غيره من الصحابة كانوا أحياء وقت قيام زيد بمهمته ، وقال : لم نسمع أن احدهم أيد زعم ابن مسعود ، واحتج على استبعاد آيات ٠

وهذا التعليل الضعيف ربما يشير الى قبول الاتهام — زيادة مع العلم السابق — اذ أن الكاتب لم يسمع أنهم أيدوا زعم ابن مسعود ، فظل ابن مسعود وحده حاملا علم الاتهام أو الزعم ٠ ومن الممكن أن يقول نابغة من نوابغ القرن العشرين : اننا لانجزم بأنهم لم يؤيدوه في اتهامه ، وكل ما نستطيعه هو أننا لم نسمع بهذا التأييد ، ومن يدرينا فلعلهم أيدوه ، ولم يصل الينا هذا التأييد لأمر ما ٠

واذن فان كلمة « لم نسمع » وضعت هنا ليكون لها فعلها ، عن عمد وبقصد ٠ ومما يدلنا على ذلك التكرار لهذا النص ٠ والابتعاد في الاحتجاج عن الآية الكريمة :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ٠

والاحتجاج بعدم السماح الذى لا ينهض

حجة على عدم الوجـود . ففى هـذا التعبير ما يعطى شيئا من التراجع عن عدم القبول ، أو اضعافا له . فلماذا لم يحتج بالآية الكريمة وتغاضى عنها . ولست جازما بأنه كان يجهلها ، أو أنه كان غافـلا عنهـا ، وهى فيصـل فى الموضوع .

(و) سابعا : أن مؤاخذى عثمان — رضى الله عنه — عاتبوه على أشياء كان يرى أن له أن يفعلها ، وكانوا يرون أنه ينبغى أن يتنـزه عنها كما تنزه عنها صاحباه فهل عاتبه أحد فى هذا التحريف ؟

وما عاتبوه عليه لا يعتد به بالقياس الـى الاقدام على تغيير القرآن .

(و) ثامنا : لماذا نسب التحـريف الى مصحف عثمان الذى قرأته الأمـة سـابقا ، وتقرؤه حاضرا ، وستقرؤه مـستقبلا ولم ينسب الى مصحف ابن مسعود الذى لم يقرأه من الأمة اثنان ؟ ولماذا ابن مسعود — وحده — هو الذى يقول بذلك دون غيره من الصحابة وحفاظ القرآن وما سر تـتـرك على من أعطائك هذا التحديد خمسمائة كلمة ؟

(و) تاسعا : اذا كان التحريف سـهلا الى هذا الحد ، فلماذا لم يرفع عمر اسمه ، ويضع مكانه ما شاء ان كانت الآية كما يقال ؟

لماذا لم يرفعه عمر ؟ .

ولماذا لم يرفعه من قبلـه أبو بكر ؟ وكيف قدمه على كل أصحاب الرسول فى الخلافة ؟ وكيف رضوا به وبايعوه ، وخضعوا له ، ونفذوا احكامه ، وتولوا من قبله الولايات ؟ وأخذوا منه العطاء ، وهم يرون جميعا أنه مـذموم فى القرآن ؟ وفى هذا اتهام لكل الصـحابة حتى لسعد بن عبادة . وما مكسب عثمان من تغيير اسم عمر ووضع فلان مكانه ؟

(و) عاشرا : قد يستطيع القارىء أن يفهم الداعى الى حذف السـورة التى كـانت تلعن أبا سفيان قريب عثمان ، وحذف الآيـة التى ترفع من شأن على : ان عليا لهو الهدى ، ولكنه لا يفهم الداعى الى بقاء المحذوف محذوفا — فى عهد على وعهد ابنه الحسن ، والأمة كلهـا تحت يده ماعدا الشام ، وكان الـدين والموقف الحربى والسياسى ، والنزاع بينه وبين معاوية وبنى أمية يستدعى الاثبات والارجاع .

وعبد الله بن الزبير ظل حاكما على البـلاد الاسـلامية — ما عدا الشام — عددا من السنين تقارب العشر ، وكان بنو أمية يناوئون فى حكمه

فلماذا لم يحاول استرجاع السورة التى فيها لعن أبى سفيان ، والآيات التى تلعن بنى أمية ومنهم بنو مروان ؟

واذا كان عبد الملك بن مروان يقدم بالباطل — عن طريق ، الفقيه التقى الصالح بن شهاب الزهرى — على وضع أحاديث تجعل الحج الى بيت المقدس بمثابة الحج الى مكة ، ليصـد الناس عن الحج اليها خشية أن يجبر عـدوه عبد الله بن الزبير الحجـاج الوافدين مـن الشام على مبايعته خليفة للمسـلمين ص ٤٦ فكيف ينكص عبد الله بن الزبير عن استرجاع سـورة من القـرآن تلعن زعيم بنى أمية ، والآيات التى تلعنهم أجمعين ؟ فبم تعلل هذا الموقف الغريب ؟

وفي النهاية أقول : ياهذا ان المسلمين قتلوا الخليفة الثالث عثمان من أجل شيء تافه اتهم به ، وهو محاباة بعض أهله من بني أمية في الولاية ، وفي شيء من المال ، فكيف سكتوا عن تحريف القرآن ووافقوا عليه ؟

والله لو أن عليا وعثمان وعمر وأبا بكر — رضي الله عنهم وحاشاهم — مجتمعين ، حاولوا تحريف القرآن والزيادة فيه أو النقص منه لضربت أعناقهم جميعا ، فدعنا يا قارئي من هذه الترهات التي تنقل عن أعداء الدين في الماضي والحاضر ، والتي ليس فيها من جديد ، واتجه بنا الى شيء آخر أو نص آخر ، ولا تسل عن السبب في أن النص الأول يعم بني أمية حتى عثمان ، والثاني يخص أبا سفيان ، فان العقل ، والدين ، والتاريخ ، كل هذا يقضي بأن شيئا من ذلك ما كان .

وان أحببت أن تعرف هذا التحريف ، أو تتوغل في ذلك التخريف فعليك بما قاله الروافض في القديم وفي الحديث .. فاقرأه مقرونا بالرد عليه من الأساتذة البحور ، والنقد له من الأشياخ الصدور ولله في وفيك أمر هو بالغه ، وتقدير هو منفذه ، فادع لنا جميعا بالهداية والتوفيق والسداد . وألمح بوجهك أنك ستفعل — ان شاء الله — وبجوار هذا اللمح نظراتك أنك تقتضيني وعدا قد سبق مني اليك وأنك تطالبني بتنفيذه ، وبذلك ستصرفني عن اتمام ما قصدت اليه ، فأعود بك الى نص المستشرق الذي عرضنا له في المقال الأول ، والذي نقله في ص ٦٤ ونصه : يرى بعض المستشرقين أن عثمان هذا — يريد عثمان بن مظعون — وعبيد الله بن جحش وغيرهما ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة كانوا رجالا ذوي عقيدة دينية قوية اعتنقها بعضهم حتى قبل ظهور الاسلام ، وأن اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر في انتقاء الرسول لهم ليهاجروا الى الحبشة ، وهو السر في أن الكثيرين منهم بقوا بها ، ولم يلحقوا بالمسلمين في المدينة حتى السابع الهجري .

وعهدنا بدليل المسلم أنه لا يرضى عن جمال الدين الأفغاني ولا محمد عبده ومن لف لفهما بزعم أن محاولاتهم التي قاموا بها ، وتصديهم للمستعمرين ، ولمن طعن في الدين ، تغلب عليها نزعة عقلية هي نزعة أوربية محضة ، وأن أفكارهم تأثرت بالتيارات الفكرية السائدة في المدنية الغربية ، وأن القيم التي تبنوها — كلها أو جلها — من قيم الغربيين المستعمرين ص ٥٩ . فما باله يرضى وعن نفسه ولنفسه أن ينقل الفكرة والمعنى واللفظ عن الغربيين طورا ، وطورا بعض ذلك ؟ مع أن لمحمد عبده وجمال الدين من العذر ما ليس له .

وفي اطار هذه التبعية يقول في ص ٦٣ — ٦٤ : كان النبي شديد الخشية من أن يحدث هؤلاء النفر في الدين ما ليس منه وكان يعلم مدى تأثرهم بالنصرانية وبنمط عيشي رهبانها في زمن الجاهلية ، فكتب السيرة تحدثنا مثلا عن أربعة هم ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو ابن نفيل ، كفروا في الجاهلية بعبادة الأصنام ، والتمسوا لأنفسهم دينا يؤمنون

فأما ورقة فاعتنق المسيحية واستحكم فيها ،

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الحيرة حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ، فلما قدمها فارق الاسلام وهلك هناك نصرانيا . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده ، وأما زيد فلم يدخل فى يهودية أو نصرانية ، وفارق دين قومه ، واعتزل الأوثان والميتة والدم ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم .

وربما كان عثمان بن مظعون أحد هؤلاء المسمين بالحنفاء ، فكتب السيرة تذكر أنه أحد من حرم الخمر فى الجاهلية . وتلمح الى أنه تطرف فى الزهد والتقشف تطرفا عابه النبى عليه .

ويقال لدليل المسلم : ان عثمان بن مظعون لا يمكن أن يدخل فى عداد الحنفاء الذين كانوا فى الجاهلية فالحنيفى من تخلى عن عبادة الأوثان ، ودان بالوحدانية لله . ومن هذا المنطلق كانت الاشارة فى المقال الثانى الى أن هؤلاء الذين ذكرهم هنا لا يدخلون فى هذه الدائرة ، والى أن قريشا لم يكن فيها هذا العنصر . وتحريم الخمر له دواع لا تنحصر فى التدين ، وليس كل من حرم الخمر كان حنيفيا .

وكلام أستاذك الذى فتح لك الباب كلام غامض ، غير واف ولا محصول له .

أما أنه غير واف فلأنه لم يتعرض لعقيدة اللاتى هاجرن مع هؤلاء الرجال ، وأما أنه غامض ولا محصول له ، فلأنه يتحدث عن عقيدة دينية قوية ولا يفصح عن المراد بها ، فهل هى الاستعداد للتدين ؟ وهو أمر فطرى مركوز فى جبلة الخلائق من بنى الانسان ، وهم فيه مشتركون .

هل هى العقيدة التى كانوا عليها فى الجاهلية ؟ فلماذا اضطهدوا وغادروا أرض الحجاز ، ونسبوا الى من جاء بالتشريع فقيل : أصحاب رسول الله .

هل هى العقيدة الاسلامية التى بسببها تركوا مكة وهاجروا الى القطر الحبشى ، فكيف اعتنقها بعضهم قبل ظهور الاسلام ؟

ثم من هو البعض الذى اعتنق هذه العقيدة قبل الاسلام ؟

ان من كان له تفكير فى هذا الميدان ، من هؤلاء المهاجرين والمهاجرات ، هو عبيد الله بن جحش ، وظل متحيرا ، لا يعرف عقيدة ، ولا يعتنق دينا حتى جاء الاسلام فأسلم ، ولما هاجر الى الحبشة تنصر ، وهلك هناك نصرانيا ، فهل يوصف مثل هذا فى تقلبه وتنقله من الوثنية الى التحير ، الى الاسلام ، الى النصرانية بأنه صاحب عقيدة دينية قوية ؟ وان صح أن يوصف المتقلب بهذا ، فبم يوصف الثابتون ؟

واذا تأملت كلامه — يا قارئى — وجدته غير منطبق بحذافيره على أحد ، فأين محصوله الذى يحتوى عليه ؟

وربما كان قوله : « اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليسافروا الى الحبشة .. دليل على أن المراد بالعقيدة الاسلامية ، ولكن كيف يختلفون فيها عن سائر المسلمين ؟ ألهم عقيدة

فى الاله ، وفى النبى . والتزام فى الفرائض والتكاليف تغاير عقيدة المسلمين والتزامهم ؟ وكيف يحسبون — اذن — من المسلمين ؟ وهل يختلف جعفر بن أبى طالب المهاجر الى الحبشة عن أخيه على بن أبى طالب المقيم فى مكة فى شىء من هـذا ؟

هل تختلف أسماء بنت عميس المهاجرة عن أختها التى كانت تقيم فى مكة فى كثير أو قليل من هذه الشئون ؟

الهؤلاء المهاجرين حماس للدين الاسلامى ، وتعلق بتعاليمه ، وقيام بتكاليفه وارتباط أكثر وأقوى من تعلق من بقى ؟ وكيف وفى الباقين أبو بكر وحمزة وعلى ، وعمار وبلال ، وصهيب وخباب ومن على شاكلتهم ، وهم — ان لم يزيدوا عن هؤلاء فى هـذه المعانى — لا ينقصون ؟ وهم — قطعا — أعظم منهم احتمالا للعذاب ، وصبرا على ما ينوب .

وزعم الأستاذ أن اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هـو السر فى انتقاء الرسول لهم ليهاجروا الى الحبشة ، يخالف زعم التلميذ سابقا أنه هجرهم من أجل اكتشاف طريق التجارة يكسر به حلف الفضول احتكار سلاح التجارة لحلف الأحلاف فمن يتابع القارىء ؟ الأستاذ ؟ أم التلميذ ؟ أم التاريخ الذى يمى ما يقول ؟ وفى الوقت نفسه يخالف المعروف من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يختار المهاجرين ، وانما كانوا يستأذنون فيأذن لهم : أو يمنع ويشير الى هذا أن أبا بكر أراد أن يهاجر الى المدينة قبيل هجرته فاستأذن فلم يأذن له الرسول ، فبقى بمكة حتى هاجرا معا ، اطاعة لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ » .

وقد استأذنه قبلها فأذن له ، ولكن ابن الدغنة أجاره بعد فرجع .

واذا كان اختلاف عقيدتهم عن عقيدة المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليهاجروا ، فلماذا قبلهم عندما رجعوا اليه فى مكة ؟ ولماذا فرح بهم عندما جاءوا اليه فى المدينة ؟

لعلك — يا قارئى — ترى أن الاختلاف بين عقيدتهم وعقيدة باقى المسلمين قد زال .

واقول : بم والأحباش لم يقوموا لهم بغسيل مخ ، ولم ينوموهم تنويما مغناطيسيا ؟ والرسول لم يرسل اليهم من يحاول التوفيق بينهم وبين باقى المسلمين بتنازل عن بعضها من هؤلاء ، أو أولئك أو منهما معا ؟

واذا كان اختلاف العقيدة هو السر أيضا فى بقاء الكثيرين منهم هناك الى العام السابع الهجرى ، فما سر رجوع من رجع واختلاف العقيدتين مازال قائما ؟

ومن حق القارىء على دليل المسلم وأستاذه العلامة أن يطالب بابراز الدليل التاريخى على اختلاف العقيدة بين الطائفتين ، ومظاهر هـذا الاختلاف ، وعلى أنه هو السر فى انتقائهم للهجرة ، وأنه السر أيضا فى بقاء من بقى هناك ، وبيبان السر فى رجوع من رجع على أساس الاختلاف المزعوم .

وهذا ياقارئى — دينك الذى تقاضيتنى اياه، بذلته لك ووفيتك فعد بنا الى شىء آخر فى

هذا الفصل لننتهى منه ، عد بنا الى رأيـــه فى « سورة المسد » والى مخالفته كـل المفسرين أو جلهم ــ كما يقول فى ص ٣٤ ٠

يرى دليل المسلم الحزين أن «سورة المسد» مدنية ويغمز المفسرين الذين ذكـروا أنهـا مكية فيقول : الغالب فى رأينا أن السورة انمـا نزلت عقب ورود الخبر بوفاة أبى لهب بعـــد وقعة بدر عام ٢ هـ /٦٢٤ م بزمن قليل (قبل سبعة أيام كما يروى ابن هشام) ٠٠٠ أمـا ما ورد فى التفاسير من أن آية « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » هى من قبيل الاجابة على قول أبى لهب للنبى : تبا لك : فكثيرا ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها ٠ ص ٣٥

وفى ص ٣٧ يقول : على أى حال فان القول بأنه « سيصلى نار ذات لهب » ربما كان فيه دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكية ، وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبى لهب حـين انقضـت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار ٠

واقول : يعنى العلماء بمعرفة المكى والمدنى ــ سورا وآيات ــ لما يترتب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من الاحكـام ، ولادراك تدرجها واستقرارها ، وما أشبه ، فليس هـذا من قبيل الترف العقلى ، ولا من الباب الذى يقال فيه بالرأى ، وانما المرجع فيه الى النقل الصحيح ٠

وقد اختلفوا فى آيات وفى أكثر من سورة ، فما السر فى أن دليل المسلم اختار هذه السورة وأخرجها من باب المكى وأدخلها فى باب المدنى ولم يتحدث عن غلط المفسرين ــ ان كان رأيهم غلطا ــ فى غيرها من السور أو الآيات ؟

السر فى هذا أن علماء التفسير والحـديث والكلام ذهبوا الى أن هذه السورة آية دالـة على صدق الرسول وعلى ثبوت نبوته من حيث وقوع الشىء الذى أخبر بوقوعه طبقا لما أخبر بـــه ٠

ودليل المسلم لا يحب الاكثار من ذكر هذه الآيات ، ولذلك لا يعـول على عيـون الأثر والمواهب اللدنية والسيرة الشامية والحلبية ٠٠ ولا على كتابات ابن خياط وابـن حـزم وابن الجوزى وأبى الفدا والنويرى والذهبى وابن كثير وابن خلدون والمقريزى والديـار بكرى وابن العماد وتاريخ ابن الأثير ، وان عول على الاغانى والاشتقاق والكامل ، والاصنام ٠٠٠ الخ ٠٠ ص ٢٣ ، ٢٤ ومن هذا المنطلق يفضل كتابة المتقدمين فى السيرة لأن الصدق فيهـا أوفر ، وحديث المعجزات فيها أقل ٠

ص ٢١ وفى ص ٢٦يتحدث عن مؤلفـات المسلمين فى هذا القرن ، فيمدحها بقلة نسبة المعجزات والخرافات فيها وان عابها من جهـة أخرى ٠٠ ويقول فى ص ٢٤ : بمرور الزمن على وفاة النبى تضاءلت فى الكتب والاذهـان ملامح الصورة الواقعية الحية لنبى بشر من لحم ودم ، ونمت الخـرافات التى لا يقبلهـا عقل ، وقصص المعجزات التى لم ينسبها النبى الى نفسه ، ولا الصحابة اليه ، ولا تحدث عنها القرآن الذى لم يترك فى سبيل اقناع خصوم الدين بصدقه ــ دليلا من دلائل نبوة محمد لم يذكره ٠٠ أ ٠ هـ ٠٠

هذا هو السبب الذي حمله على ما قال ، فإن أحببت أن تعرف طريقة علماء المسلمين في تدليلهم فاستمع لما يقوله صاحب تثبيت دلائل النبوة في ص ٣٦ وما بعدها عند ما عرض لأشياء نزل القرآن بها قبل كونها :

فمن ذلك قصة أبي لهب،وقد كان من المؤذين لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمجردين في مكروهه ، وطلب نفسه ، وفي الصد عن اتباعه ، فبشره الله بأن ذلك لا يضيره — صلى الله عليه وسلم — ولايغني عن أبي لهب فيما قصد ما كسب من جاه ومال وأهل وولد وصداقة واخوان ، وأنه يخسر ذلك كله ، وأنه وامرأته يموتان على الكفر به ويصيران الى النار ، نزل ذلك بمكة وهما حيان سليمان ، فكان ذلك كله على ما قال وعلى ما أخبر وكما فصل وفسره .

وهذه غيوب كثيرة لا يكون مثلها بالاتفاق ولا بالحدس ولا بالزرق (الخداع) ولا يتفق لحذاق المنجمين أقل القليل من هذا .

ومن عجيب الأمور أنها نزلت بمكة ، وتلاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسمعها أبو لهب وجميع أعداء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قريش والعرب وغيرهم،وهم أعوان أبي لهب ، فهاجهم هذا القول في عداوته . وزاد في غيظهم وحنقهم ، وأذكرهم بنفسه وهو معهم وفي أيديهم وفي قبضتهم ، فما ضره . ولا تم لهم أمر في الظفر بقتله ، ولا على زلة يتبين فيها كذبه وسقوط قوله . وهذا لا يقدم عليه العاقل الا وهو على غاية الثقة بما يقول . ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — ممن لا يدفع عدوه عقله .

ومنذ نزلت هذه السورة والى هذه الغاية يحرص أعداء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يجدوا في ذلك مطعنا فما وجدوا ، وقد رجع بعضهم الى بعض في ذلك وتشاوروا وتعاضدوا وتعاونوا ، فكان عليه (غاية) ما انتهى اليه كيدهم أن قالوا : لما رأى عمه وامرأته قد صمما في تكذيبه وعداوته قال ذلك فيهما .

قيل لهم . قبل كل شيء قد تم ما قال على ما فسر وشرح ، وحصل ذلك على وجه انتقضت العادة به ، وظنونكم هذه لن تقدح في هذا العلم ، وهذا كاف في جوابكم .. الخ .

وابن هشام في سيرته لم يكتف باثبات أنها مكية ، ومضى لسبيله ، بل أضاف الى ذلك شيئا يؤكد هذا المعنى أكثر . قال في ص ١٥٤ ج ٢ : قال ابن اسحاق : فذكر أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلا ترى الا أبا بكر .

فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني أنه يهجوني ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله اني لشاعرة ثم قالت :

مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا

ثم انصرفت .

فقال أبو بكر : يارسول الله ، أما تراها

رأتك ؟ فقال : لقد أخذ الله بصرها عنى • قال ابن هشام « ودينه قليتا .. عن غير ابن اسحاق

وابن اسحاق الذى نقل ابن هشام كلامه امام فى المغازى والسير •

قال ابن شهاب : : من أراد المغازى فعليهبابن اسحاق • وروى عن الشافعى قريب من هذا ، وكان أصحاب الزهرى يلجئون الى ابن اسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى . وقد ولد فى سنة ٨٥ هـ وتوفى فى ١٥١ هـ •

ولا أظن انه يتهم فى هذه الحادثة باختراع أو اختلاق المناسبات كما اتهم بذلك المفسرون فلا تفسير هنا ولا مناسبات • وهو ـ عنده ـ من الأربعة الذين لا مطعن على مؤلفاتهم فى السيرة ص ٢٣ •

وقول الدليل : ان القول بانه « **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** » ربما كان فيه دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكية وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبى لهب حتى انتفضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار . قول تشتم منه رائحة غير طيبة • قول يشتم منه أن صاحبه ممن يزعمون أن القرآن من عند محمد وليس من عند الله يشتم منه أن محمدا غير صادق فى أن هذا كتاب أنزله الله وحيا اليه ، فانته رسوله ونبيه • يشتم منه أن محمدا انتظر حتى مات عمه ، وقال فيه ذلك ، لأنه أمن أن يكذبه ويتظاهر بالدخول فى الاسلام . أمام الناس فان محمدا لا يعلم الغيب •

لكن ان كان محمد لا يعلم الغيب فهل يكون ربه مثله فى ذلك ؟ وهل يخشى أن ينزل سورة « المسد » فى مكة ، وأبو لهب حى فيعلن اسلامه أمام قريش ليقيم الدليل على أن ما قيل فى هذه السورة لا يمكن أن يكون صادقا ؟ أو صادرا من صادق ، ويكفيك هذا لتعرف شناعة ذلك الاتجاه •

« **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** » للاستقبال بدلالة السين . فالمعقول بحسب اللغة أن يكون ذلك قبل موته لا بعد موته فان النار له بالمرصاد بعد الممات : « **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** » • « **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** » •

وأنت عندما تتوجه اليه لسؤاله عما اعتمد عليه فى مدنية هذه السورة يجيبك :

أقوى دليل على صحة ماتذهب اليه هو ماورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ــ وهو ثقه من انه حين توفى أبو طالب . وخلفه أخوه أبو لهب فى زعامة بنى هاشم لزم النبى بيته . وأقل الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه •

واذ بلغ ذلك أبا لهب جاء الى النبى فقال : يامحمد امض لما أردت . وماكنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت ص ٣٥ •

هذه القصة فى الطبقات لا يمكن تصور حدوثها ان كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة . اذ ليس من المعقول أن يصر أبو لهب على حماية النبى بعد وفاة أبى طالب عام ٦١٩ « قبل الهجرة بثلاث سنوات فحسب » ولا أن يقبل النبى منه هذه الحماية . وقد جاء فى القرآن بشأنه وشأن امرأته ما جاء ص ٣٦ •

هذا دليه فالام يرجع ؟

يرجع الى استنباط من واقعه لا يقطع

بصحتها ذكرها ابن سعد . فهبه كان مصرحا بأنها مدنية فماذا يكون ؟ أظن أن قواعد التحقيق العلمي لا ترضى أن يوضع كل المفسرين وعلماء الكلام ومن يحتج بأنها آية على نبوة الرسول في كفة ، ويوضع ابن سعد — وحده — في كفة ، مقابلا لهم ، ثم يحكم برجحان كلامه على كلامهم جميعا ، وأظن أيضا أنه لا يقبل اتهام كل المفسرين بأنهم يخترعون القصص ويختلقون المناسبات من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها . الا اذا كان باحثو القرن العشرين وضعوا قواعد في مثل هذه الأمور خارجة عن مجال المعقول .

على أن هذا الخبر الموجود في الطبقات لم يقل به كل كتاب السيرة ، ومعنى ذلك واضح لكل ذي عينين . وعلى فرض ثبوته فانه لا يصلح دليلا على أن السورة مدنية فقد ذكرت أنت أن ابا طالب توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات . وقطعا لم تكن حماية أبي لهب لابن أخيه مستغرقة لها كلها . فقد ذكرت في ص ٣٦ أن رسول الله مكث أياما يذهب ويأتي لا يعترض له أحد من قريش . وهبوا أبا لهب . وذكرت في ص ٤٠ ، ٤١ انه بعد عام أو بعض عام ... سعت قريش الى أن تشترى ذمة أبي لهب وكلل سعيها بالنجاح . فعلى أقل تقدير كان بين تخلي أبي لهب عن حمايته للنبي وهجرته سنتان . أفما كان هذا الزمن كافيا لا تزال سورة المسد على الرسول . ويصدق عليها حينئذ أنها مكية بكل الاعتبارات في المكي والمدني . ولست أظن أن هذا داخل في عداد المستحيلات .

على أني لا أدري بماذا تجيب لو أن شخصا قلب عليك دليلك الذي استندت اليه فقال : ان خبر بن سعد غير صحيح فليس من المعقول أن يصر أبو لهب على حماية النبي بعد وفاة أبي طالب . ولا أن تتركه ام جميل يقوم بهذه الحماية . ولا أن يقبل النبي أن يدخل في رعايته وتحت حمايته . وقد جاء في القرآن بشأنه وشأن امرأته ما جاء .

والحقيقة الواضحة من مواقف أبي لهب تدعونا الى طرح ما جاء عن ابن سعد ، فان أبا لهب لم يقف مع بني هاشم في جاهلية ولا اسلام الا في موطن واحد — ان صح ولا كان بنو هاشم ينظرون اليه نظرتهم الى شخص قريب القرابة يجدونه عند الشدة أو يتحملون به عند الضيق . ويتجلى لك هذا فيما يلي :

١ — كان أبو طالب فقيرا كثير العيال ، مع فقره كان سيد بني هاشم بعد موت أبيه .

ويقول المؤرخون : لم يسد فقير قط الا ابو طالب وعقبة بن ربيعة . وكان أبو لهب غنيا ، وأصابت قريش مجاعة . فذهب النبي الى عمه العباس وقال له : ان أخاك أبا طالب كثير العيال ، قليل المتاع ، وقد أصاب قريشا ما تعلم فلنخفف عنه حتى تنجلي هذه الضائقة. فذهبوا اليه ، وأخذ النبي عليا ، وأخذ العباس جعفرا ، ويقال ان حمزة أخذ ثالثا . فهل ذكروه معهم أو قام ، وهو الغني ، بمثل ماقام به هؤلاء ؟

٢ — كان للنبي عندما بعث أربعة أعمام ، لم يؤذه منهم الا أبو لهب ، فخالف بذلك سيرة اخوته مع ابن أخيهم

٣ — عندما غضبت قريش على النبي أمر

إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ

هُمُ الْكَٰذِبُونَ

أبو لهب ابنيه بطلاق ابنتى النبى — عليه السلام — وكان هذا مما يكرهه النبى وباقى أعمامه .

٤ — عندما انحاز بنو هاشم وبنو المطلب — مسلمين وكفارا — الى أبى طالب فى نصرة النبى ودخلوا معه فى شعبه خرج من بينهم أبو لهب وظاهر قريشا على اخوته وبنى اخوته ، وبنى عمومتهم .

٥ — لما أضرت مقاطعة قريش ببنى هاشم وبنى المطلب كان من قريش من يرسل اليهم الطعام والملابس والبر ليلا خفية من قريش كحكيم بن حزام الأسدى وهشام بن عمرو العامرى ، ولم يصنع أبو لهب الهاشمى شيئا من ذلك وهذا يدعونا الى رفض حماية أبى لهب — بعد وفاة أبى طالب — للنبى ، والى رفض زعامته لبنى هاشم ، فالمعقول أنهم لا يرضون به زعيما ، وقد رفض أن يكون معهم فى بلوى ، أو يخفف عنهم فى شدة ، أو يشاركهم فى بأساء ، أو نتوقف — على الأقل فى شأنه فلا نبنى عليه أحكاما .

وعندما نتأمل ماقلناه يتضح لك أن قوله فى فى ص ٤٠ ، ٤١ : أدركت الأحلاف أنه لن يكون بوسعها ممارسة الضغط على النبى وعلى بنى

هاشم الا أن جاء الضغط من داخل رهط بنى هاشم أنفسهم ، وبالتالى فقد سعت ، وكلل سعيها بالنجاح الى أن تشترى ذمة أبى لهب وأن تحوله عن انتهاج السياسة التقليدية لبنى هاشم . بل وعن مراعاة المصالح الاقتصادية لعشيرته ، الى خيانة هذه المصالح فى سبيل

نفع شخصى ، فالأرجح – اذن انها أغرته بحصة من أرباحها ، أو بالاشتراك معها فى عملياتها التجارية واحتكارها . كلام لا يخرج عن دائرة الفروض ، وما هكذا يكون البحث والتحقيق .

وتصويره أن هذه العملية قام بها الأحلاف خطأ علمى تاريخى ، ذلك ان اكبر معارضى النبى فى ذلك الحين كانوا بنى امية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وكان بنو عبد شمس جميعا من حلف المطيبين الذى هو ضد حلف الأحلاف وادعاؤه أن الأحلاف سعت الى ان تشترى ذمة أبى لهب ... الخ تفسير للامور لايستقيم الا فى ذهن طائفة مخصوصة ، ولو قيل : ان الأحلاف لم تكن بهم حاجة الى شىء من هذا كله لكان الى الصواب اقرب ، وفى المعقول ادخل .. فان أبا لهب معهم على بنى هاشم وعلى النبى على طول الخط ، وسوابقه تدل على انه معهم بدون شىء ، والا فهل نستطيع أن نقول: انهم اشتروه أيضا عند المقاطعة ، وعند الأذية للرسول بالاضافة الى أن بنى هاشم كانوا قد ... وا بعد وفاة أبى طالب ، بدليل أن النبى لم يستطع أن يدخل مكة الا فى جوار المطعم ابن عدى ، وبدليل ضرب على فى مكة بعد أن اكتشفوا أن النبى هاجر ، وبدليل انهم أكرهوا

على أن يخرجوا فى غزوة بدر لمقاتلة النبى مع كراهيتهم لذلك ورغبتهم فى البقاء ولكن أبا جهل أصر على خروجهم فخرجوا مكرهين ، ومن أجل هذا الاكراه قال طالب بن أبى طالب ما قال ، وفعل ما فعل .. قال :

يارب اما خرجوا بطالب
فى مقنب من تلكم المقانب

فاجعلهم المغلوب غير الغالب
واجعلهم المسلوب غير السالب

ثم انسل فضرب فى الأرض فلم يعرف له خبر .

وبدليل ما قاله أبو جهل للعباس فى شأن رؤيا عاتكة قبل موقعة بدر .

ومثل هذه الفروض التى يجىء بها ولا تتصف بالقبول فرضه الآتى : ان كان النبى قد دخل فيما بعد فى جوار المطعم بن عدى ، سيد بنى نوفل ، فالغالب ان يكون المطعم قد اشترط على على النبى صلى الله عليه وسلم ان يحد بعض الشىء من نطاق الدعوة وفرض بعض القيود على حريته فيها . وكنا ننتظر شواهد على هذا الفرض لكنه ابى ان يقدم لك يا قارئى ما أنت فى شوق اليه لتعجم عود المفكرين فى القرن العشرين ، والى لقاء قريب فى فصل جديد ان شاء الله .

يتبع

عبد الظاهر عبد الكريم

قوة الاستمرار

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

« ان احب الاعمال الى اللــه مــادام وان قل » (١) .

« ١ » الارادة وقوة الاستمرار

كثير من اليائسين والمحزونين ، علتهم في انفسهم ، وهي ضعف الارادة ، لايعرفون كيف يكافحون ولا يستطيعون أن يقفوا في صفوف الجهاد طويلا ، بل تجدون في الدعة والراحة ما يظنونه نعيما وعيشــا رغيدا ، فــلا يعملون ولا يســعون في الارض كما يسعى المكافحون اولو العزم ، ورضوا بالعيش الهنيء ، والحيــاة السهلة ، وهم يحسبون انهم يحســنون صنعا .

ولو عقل هؤلاء سبب بؤسهم وشقائهم أن ما سلكوا هذا الطريق .

والاشقياء في الدنيا كثيرا وفي استطاعتهم أن يمحوا بؤسهم وشقاءهم . وذلك بالارادة الشجاعة ، وهي التي يحفظ الانسان بهــا كرامته ويصير انسانا . فاذا تجرد عن الارادة فهو ليس بانسان ، لانه تنازل عن ارادته . وهي القوة التي تدفعه باستمرار الى العمل والكفاح ، والتجافي عن اللذات والشهوات . والتي مـن حقوقها القوة والثقة .

ان الارادة القوية تجعل المسلم يداوم على العمل ، ويحاول التجربة ولا يرهب الصعاب من بعيد . بل كلما اقترب منها صغرت في عينيه ، وربما انمحت واختفت . ولطالما تحمل الانسان الجسام مادام يعتقد قدرته على الأعمال .

ان مما يزيد في عظمة الرجل قــوة عزيمته وهذه تاتي من ايمانه ، وصحة عقيدته . وللارادة مكــان عظيم في الحيــاة . لأن قيمة الرجل بعزيمته .

ان الذكاء والعبقرية مــن أكبــر النعم على

---

(١) اخرجه البخارى عن عائشة (رضى الله عنها)

الشيخ محمد صابر البرديسي

الانسان ، ولكن خيرا من ذلك القلب اليقظ ، الواسع التجربة ، القوى الارادة العزيز الجانب .

قد يكون الرجل محدود الفكر ، متوسط الذكاء ، ولكنه بتجاربه وقوة ارادته ، والمداومة فى عمله ، يفرض احترام الناس له ويستحق الاكبار والاعظام ، ويصل الى غايته .

والرجل الضعيف الذى يرهب الصعاب ساقط جدير بالاحتقار ، ولو كان اذكى الناس .

والارادة الجديرة بالاحترام هى التى يضع صاحبها الشىء فى موضعه فيقدم على الفعل حين تدعو الحاجة اليه ، ويتركه حين لا ضرورة تقتضيه . وأن تكون ارادته وفقا لما أمره به الله ونهاه .

واذا اشكل على المسلم السبيل ، فواجبه أن يسأل غيره ممن تحلوا بالعلم والخبرة .

« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (١) .

فان الاستفادة من رأى الناس ونصائحهم تزيد الانسان معرفة وخبرة .

والقاعدة التى لا تخطىء أن المؤمن يقوم بواجبه قدر طاقته لا يجهد نفسه فيعرضها للتهلكة « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » (٢) فان المنبت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا أبقى (٣)

ولايتلكأ فى تلبية الواجب ، ولا يتلمس المعاذير ، ولا يرجو العوائق التى تحول بينه وبين أداء الواجب .

ان الطريق الى الله واضحة ، فما يتردد الا الذى يضل الطريق ، أو يعرفها ، ولكنه خائر العزيمة .

فعلى المسلمين ان يجتنبوا أصحاب الارادة الضعيفة ، والعزيمة الواهية ، فان القلوب الخائرة ، والنفوس الحائرة تشيع الفتنة ، وتعمل على الاضطراب والفوضى ، وتمزق الوحدة ، وتضعف الصفوف ، وتلك صفة المنافقين ، وقد حذرنا الله منهم وتوعدهم بالخذلان والهلاك ، وتكفل سبحانه بنصر

---

(١) سورة النحل ٤٣ .
(٢) سورة البقرة ١٩٥ .
(٣) مثل يضرب لمن يجهد نفسه ويحملها فوق طاقتها ، فلا هو بلغ غايته ولا هو أبقى على نفسه ، وتشير بعض المراجع كامثال الميدانى الى انه حديث شريف والله أعلم .

استمرار

المؤمنين .

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ »

لقد كان أولئك المتخلفون ذوى قدرة على الخروج مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للحرب ، ولديهم وسائله ، وعندهم عدته ، وكانوا أشرافا فى قومهم أثرياء « وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ » لما يعلمه من طبيعة نفاقهم وضعف ارادتهم ، وسوء نواياهم المنطوية على السوء ، فثبطهم الله ، ولم يبعث فيهم الهمة للخروج « وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» وتخلفوا مع العجائز والنساء والاطفال ، فهذا مكانهم اللائق بهم فهم أصحاب الهمم الساقطة ، والقلوب المرتابة ، والنفوس الخاوية والخالية من اليقين .

وهكذا لا يدعو المنهج الاسلامى الى الاستسلام لبوادر الضعف والذلة والمسكنة ، ولا الى المسارعة فى الأخذ بالأمور دون ارادة مبنية على التريث والتعقل والرغبة فى العمل الصالح ، وانما يدعو الى أن تتقى بوادر هذه الأمور .

ن الناس يملكون أن يتجهوا وأن يريدوا الخير ، ويحاولوا فعله والله يستجيب لهم ويوفق ، وقدر الله هو الذى يحقق ما يقع فى حياة الناس . فمن أراد ان يعيش لهذه الدنيا وحدها ، فان الله يعجل له حظه فيها .

« مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا » (١) .

والذى يريد الآخرة ، ويؤدى تكاليفها ، وينهض بتبعاتها ويقيم سعيه على الايمان فان الله يتولاه برعايته ، ويمده بتوفيقه ، ويتلقى التكريم فى الملأ الأعلى جزاء الارادة الكريمة ، والتطلع الى الأفق البعيد الوضىء .

« وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (٢) .

فمن أراد الخير لنفسه فليتجه بنية صادق ، وارادة قوية الى الآخرة ، ففيها جنة عرضها السموات والأرض ، فسيحة الأمداد لا يعلم حدودها الا الله .

تلك الآخرة لاتزن الدنيا فيها جناح بعوضة « وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » « وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » والله الموفق . «يتبع»

---

(١) الاسراء آية ــ ١٨

(٢) الاسراء آية ١٩ .

في الدعوة

المفكر الفرنسي المسلم "جارودي"

الشريعة .. وما يراد لها

الأخلاق في شريعة الإسلام

من أعلام الأزهر

المفكر الفرنسى المسلم

جارودى يطرح تساؤلا:

كيف ندعو

إلى الإسلام؟

اقرر بادئ ذى بدء ان الدعوة الى الاسلام لم تعد خطبا تقال ، ولا اسلوب مدح منمق فى ديننا الخالد ، ولا بلاغة تسحر باسلوبها دون أن تكون لها مضامين عميقة فى جذور الفكر الانسانى.

ان انسان العصر المثقف الواعى بما حوله الواقف على تطورات الحياة والعصر ، يريد أن يسمع من الدعاة الاسلاميين فكرا جديدا ، ومنطقا مقنعا ، وبحثا موصولا بالأسانيد ومن عجب أن علماءنا السالفين بهروا ولا يزالون يبهرون بثقافتهم الواسعة ، وفكرهم المضىء وآرائهم الجديدة ، ونظرياتهم المتفتحة . فاذا ما قرأنا ابن قدامة فى « المغنى » ، أو ابن حزم فى « المحلى » ، أو ابن رشد فى « بداية المجتهد » أو الغزالى فى الاحياء ، او ابن تيمية أو ابن القيم فى كتبهما مثلا ، أو غيرهم من جلة العلماء وأساطين الدعاة الاسلاميين ، هالنا منهم اتساع ثقافتهم ، وقوة منطقهم ، وعلو حجتهم ، ونصاعة أسلوبهم ، وجدة تفكيرهم وراعنا منهم هذا الا كباب على العلم دون غاية الا رضاء الله وحده . لو قرأنا السيوطى مثلا فى موسوعاته ، سوف نذهل ، كما نذهل عندما نقرأ « الرسالة » « والام » للشافعى ، أو عندما نقرأ الجاحظ أو التوحيدى أو غيرهم من ائمة الاسلام .

والدعوة الى الاسلام تحتاج الى المثل والشاهد والانسان الذى تتجمع فى ثيابه حقيقة الشىء الجديد الذى يمكن أن يتولـه للناس .

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

والشاهد والمثل ضروريان فى الدعوة الى دين الله .

ويأتى هذا الشاهد والمثل اليوم من مفكر غربى . ومن كتاب جديد صدر عندنا عن هذا المفكر الغربى هذه الايام .

أما المفكر الغربى فهو « رجاء جارودى » الذى صار مثلا فريدا فى رحلته الفكرية التى بدأت بالشك ، وانتهت الى سكينة الايمان ، وكان قد عرف فى أول حياته بأنه كاثوليكى متعصب . ثم صار بعد ذلك ماديا ماركسيا ، وعضوا فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى . ثم صار بعد ذلك مسلما يؤمن بالله وبرسالة محمد خاتم الأنبياء . ومن أجل ذلك فصل من عضوية الحزب الشيوعى . وأضرب هو عن اعادة نشر رسالته للدكتوراه « النظرية المادية فى المعرفة » .

ومن ثم وجدناه ينقد الماركسية المتحجرة على نفسها فى كتبه :

- حوار الحضارات .
- ماركسية القرن العشرين .
- نظرات حول الانسان .
- عود الاسلام .
- الاسلام دين المستقبل .
- نداء الى الأحياء .
- التحول الكبير وغيرها .

كما نقد الوجودية فى كتبه التى كتبها بفكر مستنير ، ويتلخص موقفه من المذهب الوجودى فى التعبير الذى كتبه «جون كانابا » فى كتابه « الوجودية ليست فلسفة انسانية » حين قال: ان الوجودية رائعة حقا اذا شوهدت عن بعد غير أنها تبدو على حقيقتها حين نقترب منها فنكتشف أنها ليست الا بناء من ورق .

ان جارودى يؤكد أن الاسلام هو الحل الوحيد لكل تناقضات الحضارة المعاصرة ، ولكل تناقضات حضارة المستقبل ، كما كان فى الماضى صانع الحضارة الانسانية .

ويقول : ان الاسلام هو الذى فى مقدوره أن يعالج تناقضات العصر ، التى فشلت فى معالجتها المذاهب الاجتماعية والفلسفية . وانه الحل الوحيد لكل مشكلات الحياة ، وأزمات الحضارة ، ولكل المحن التى نزلت بانسان العصر .

وفى محاضرة جارودى التاريخية فى الأزهر الشريف أثناء الاحتفال بالعيد الالفى لهذه الجامعة الاسلامية العريقة قال هذا المفكر الفرنسى الكبير : ان المنهاج الغربى الحضارى حقق فشلا تاريخيا ذريعا ، وان الاسلام وحده بين بقية الاديان هو القادر على منح الامل من جديد لكافة المجتمعات الغربية التى فككها النظام التكنوقراطى للحضارة ..وهذه النتيجة

التى توصـــل اليها جارودى عبر رحلتـه الفكرية الطويلة ، والتى تمثلت الحضـارات الانسانية تمثلا نقديا ، تؤكـد فهمـه العميق لطبيعة الاسلام كمنهج للحياة ، لـه تصـوره الشامل لحقيقة الوجود ، والانسان والحضارة، ولمستقبل الحياة .

وجارودى فى عرضـه لمختلف النظريـات والمذاهب والأفكار ، وفى نقده لها ، بل فى نقده لمختلف الحضارات ، يرى — عن ايمان عميق — أن الاسلام هو دين اليوم ، والغد ، وما بعـد الغد ، وأنه الحل الوحيد لانقاذ البشرية التى تقف اليوم على المنحنى الخطر فى مواجهـــة المشكلة الحضارية الجوهرية التى تفرض نفسها على كل فرد منا فى نهاية القرن العشرين .. كما يؤكد أن الحضارة الغربية ســائرة فى طريق الدمار والموت ، لا لأنها تفقد الأســاليب لكى تحيا ، بل لأنها تفتقر الى الغايات التى تحيـا من أجلها .

ويرى فى الاسلام أنه الدين الوحيد ، الذى نادى بسلطان العقل وجاهر بسيادة العـلم .. وهو ، بعد طوافه الطويـل بين المذاهب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يصل عن اقتناع الى شاطىء اليقين ، ليعلـن للانسانية كلها أن القرن العشرين سينتهى بما استحدث من مذاهب ونظريات وأيديولوجيات، ولن ينتهى أبدا ما تتعلمه الانسانية كلها مـن كتاب الاسلام « القرآن الكريم »..

ويقول جارودى : ان الاسلام فى مقدوره وحده أن يعالج تناقضات العصر ، التى فشلت فى علاجها كل المذاهب الفلسفية والاجتماعية وهذا ما جعله يردد : أن الانسان فى الاسـلام وفى القرآن الكريم هو الانسان الكامل ، الذى يوقظ فيه دينه الوعى الأسمى بصلاته بالله ومع الله ومع الكون والوجود والحياة ، ومع الحضارة .

الاسلام عنده هـو الأول وهو الآخر وهو البدء وهو النهاية للبشرية كلها .

وهذا الفكر المضىء لمفكر غربى فرنسى كبير مثل « رجاء جارودى » قـد بعث أستاذيـن فاضلين من أدبائنا الى اصـدار كتاب عـن جارودى أما الكاتبان فهما :

— الاستاذة أمينة الصاوى .

— الدكتور عبد العزيز شرف .

وأما الكتاب فعنوانه « رجـاء جـارودى وحضارة الاسلام » الذى صدر هذه الأيام فى أكثر من ثلاثمائة وعشرين صفحة ، وقدم له الأستاذ الجليل أحمد حسـن الباقورى ، وكتب له المؤلفان مقدمة جميلة ، كما كتبا له خاتمة أجمل بعنوان « المحور هو الانسان »

واشتمل الكتاب على سبعة أبواب :

الفكر الغربى وعبقرية الاسلام .

الماركسية ونقد الماركسية .

جارودى والحقيقة كلها .

جارودى يكشف أضاليل الصهيونية .

الاسلام هو الحل الوحيد .

الاسلام ومستقبل الحضارة .

من الشك الى سكينة اليقين .

تحية للمؤلفين الغيورين ، وتحيـــة لكتابهما الممتع الرائع المثير .

محمد عبد المنعم خفاجى

الشريعة .. وما يراد لها

في الرأى الغربى

دائرة المعارف البريطانية - ٢ -

للشيخ محمد حسام الدين

لا نزال مع دائرة المعارف البريطانية ، وهى تعرض رأيها ، وما تريده للشريعة الاسلامية حاضرا ، ومستقبلا .

لا نزال معها وهى تتحدث عن التغيرات فى مجال التشريع للأحوال الشخصية بمختلف الاقطار الاسلامية .

وفى الجزء الذى نشر من قبل من حديثها أوضحت الدائرة أن تطور الاجتهاد فى مجال الاصلاح (١) أو التغيير التشريعى الاسلامى يمكن أن يتضح من المقارنة بين قواعد القانون السورى للاحوال الشخصية ، الصادر فى سنة ١٩٥٣ م ، وبين قواعد القانون التونسى الصادر فى سنة ١٩٥٧ م ، فيما يتعلق بموضوعين :

اولهما : تعدد الزوجات .

والثانى : الطلاق عن يمين .

وانتهى المقال بما عرضته الدائرة عن القانون السورى ، وانه خول « للقاضى أن لا يأذن للرجل المتزوج فى أن يضم الى زوجته أخرى

---

(١) هذا المقال تتمة لما تحدثت به دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها لسنة ١٩٧٢ م عن الشريعة الاسلامية .

وقد أوضحنا فى مقدمة هذه المقالات اننا ـ تجاه هذا الموضوع ـ انما نعرض الاراء الغربية على طبيعتها ، وفى صوابها ، وخطئها ، لتكون موضع النظر والدراسة من حيث الجملة ، ومن حيث تحديد التيار العام للرأى الغربى فى هذا المجال .

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم اننى انقل عن دائرة المعارف البريطانية فى تعبيراتها الانجليزية، ملتزما بهذه التعبيرات أداء للأمانة ، فى صياغة عربية ، ومصطلحات اسلامية .

ومن ثم فان ايراد هذه العبارات ، أو الاراء لا يعنى الموافقة عليها ، أو إقرارها .

ما لم يثبت لديه أنه فى وضع مالى يسمح لــه بالانفاق على الزوجتين كلتيهما ». •

وفى مقال اليوم تتابع الــدائرة حــديثها فى الموضوع فتقول : « أما القانون التونسى فانه يمضى الى مدى أبعد ، وان بدا قريبــا مــن القانون السورى : لقد دال المشرعون فى تونس الى أن القدرة المالية للزوج على الانفاق شرط لاجازة تعدد الزوجات ، فضلا عما أمر بــه « القرآن الكريم » من العــدل ، والتســوية الكاملة بين الزوجات فى المعاملة •

هذا الأمر القرآنى ــ بالعدل بين الزوجات ــ يجب أن يحمل على الوجوب ، وعلى أنه شرط ، وأمر تشريعى ، يسبق الاذن بتعدد الزوجات •

ولا يصح أن يحمل على الندب أو على أنــه أمر أخلاقى يوكل الى ضمير الزوج وحده •

وعلى هذا فانــه لا يصــح الاذن بتعــدد الزوجات ما لم يثبت بالبينة الواضــحة امكان التسوية الحقيقية الكاملة بينهن فى المعاملة •

واذا كانت التسوية مســتحيلة الآن عمليا ، نظرا للظروف الاجتماعية ، والاقتصــادية الحاضرة ، كان هذا الشرط مما لا يمكن الوفاء به اليوم •

ومن أجل هــذا نص القــانون التونسى فى ايجاز على أن : « تعدد الزوجات محظور » •

اما التطليق بيمين :

فان القانون السورى نص على : أن الزوجة اذا طلقت بغير وجه حق كان للقاضى أن يفرض لها على مطلقها تعويضا ، بما لا يجاوز نفقة سنة •

هذا الاصلاح يتجه ــ مرة أخــرى ــ الى اعطــاء النص القــرآنى (١) أثره التطبيقى العملى ، وقد كان يفسر من قبل لدى الفقهــاء القدامى على أن الأمــر الوارد فيه ، يراد به النــدب ، ومجــرد الاســتحباب الأخلاقى ، لا الوجوب الشرعى المفروض بالآيات القرآنية التى تنص على الانفاق على المطلقات •

لقد كان من مقتضى القانون السورى بايجاب التعويض المطلقات اذا وقع الطلاق بغير حق، كان من مقتضى هذا القانون أن تخضع أسباب الطلاق لنظــر القــاضى ، وأن تكون هــذه الأسباب موجبة للعقاب ــ وان كان محدودا ــ اذا أساء الزوج استعمال الحق •

ونعود مرة أخــرى الى تونس لننظــر فى اجتهادها فيما يتعلق بالطلاق ، ولنجد نتــائج هذا الاجتهاد أبعد عمقا ، وأكثر أصالة •

فقد رأى المصــلح التونسى أن « القــرآن

---

(١) لعل الكاتب يريد بالنص القــرآنى قوله تعالى : « وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّــا عَلَى الْمُتَّقِينَ » الآية ٢٤١ من ســورة البقرة ــ وقوله ســبحانه : « وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ » ٢٣٦ سورة البقرة •

الكريم » يأمر بتعيين حكمين في حالة حدوث شقاق بين الزوجين .

ومن الواضح أن تلفظ الزوج بالطلاق ، وإصدار اليمين به يعني حدوث الشقاق بين الزوجين .

ومن الواضح كذلك أن القاضي المختص هو أفضل من يقوم بمهمة الحكم «بفتح الحاء والكاف » بين الزوجين : وهي المهمة الواجبة ، والمفروضة بمقتضى النص القرآني (١) .

لقد اعتمد القانون التونسي على هذه القاعدة الثابتة ـ قاعدة الحكمين ـ الغاء حق الزوج أن يوقع الطلاق على زوجته خارج مجلس القضاء فنص القانون على أن « الطلاق خارج المحكمة لا أثر له » .

وان كان قد أوجب على القاضي أن يفسخ الزواج اذا أصر الزوج على ايقاع الطلاق . وخول القاضي أن يمنح الزوجة تعويضا عما أصابها من ضرر فضلا عن النفقة المقررة للمطلقات .

هذا : وان كان الحكم بالتعويض لا يتم الا في حالات قليلة ، يحتاط لها .

وبناء على ماتقدم فان تونس باعادة تفسيرها « للقرآن الكريم » ، في بابي تعدد الزوجات والطلاق قد أحدثت تغييرات جوهرية في القانون تقترب بها مما حققته تركيا منذ مايزيد عن ثلاثين عاما ، حين مضت الى تطبيق القانون السويسري .

أما في باكستان فقد أعلن عن تفسير جديد لنصوص القرآن والسنة ، اتخذته باكستان أساسا لاصلاحات أجريت في قوانين الأحوال الشخصية التي صدرت سنة ١٩٦١ ، والمتعلقة بشئون الأسرة .

ولو أن ما جاءت به هذه القوانين من تعديلات هو أقل بكثير مما جاءت به اصلاحات دول الشرق الأوسط من تغييرات جوهرية في مجالات الطلاق ، وتعدد الزوجات ذلك لأن الزواج بالزوجة الثانية في باكستان مرهون بموافقة مجلس تحكيم ، أما ايقاع الطلاق بيمين من الزوج : فقد قرر القانون الباكستاني ايقافه فقط لمدة ثلاثة شهور ، رجاء أن تسنح الفرصة فيها للاصلاح بين الزوجين .

وقد جعلت باكستان لأحكام القضاء مكانة تشريعية ، وحجية في الاستنباط من القرآن « الكريم » ، وفي تفسيره تفسيرا مستقلا .

وعلى سبيل المثال فان مجلس القضاء الأعلى هناك قرر في سنة ١٩٦٧ م أن المرأة المسلمة تستطيع أن تحصل على الطلاق باجراء بسيط ، وهو أن تدفع لزوجها تعويضا مناسبا (٢) .

هذا القرار يستند الى تفسير المجلس لآية من الوحي القرآني (٣) .

(١) المراد قوله تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا » ٣٥ من سورة النساء .

(٢) المقصود بهذا القرار : أنه يصح للقاضي أن يفسخ عقد الزواج ، خلعا ، بناء على طلب الزوجة ، ويشروطه ، دون انتظار لموافقة الزوج .

(٣) لعل المراد قوله تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ » الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

لكن هذا النوع من الطلاق المعروف بالخلع هو فى رأى الفقهاء التقليديين عقد بين الزوجين يعتمد اعتمادا كاملا على الارادة الحرة للزوج .

هذه أمثلة قليلة من بين الكثير الذى يصور مدى ما بلغته التغييرات فى قانون الأسرة الاسلامى .

لكن اصدار قانون كامل بالاصلاح التشريعى ، وعلى المستوى الذى تطورت اليه القوانين العالمية لاتزال تكتنفه مصاعب كثيرة من حيث المبدأ ، ومن حيث التطبيق الواقعى .

ذلك لأن جماعات كبيرة ، وقوية بين المسلمين لا تزال تنكر فى صلابة صحة القوانين والتعديلات الجديدة .

هذه الجماعات ترى أن القوانين الجديدة تستند الى تأويل للنصوص تأويلا غير سائغ ، وترى أن هذه التأويلات تعارض مبادىء الاسلام العامة ، وتخالف المقاصد الصحيحة للنصوص الدينية .

وتقرر هذه الجماعات أيضا انه ليس لأحد أن يشرع أو يستحدث فى دين الله ، فالله وحده هو المشرع .

ولقد كان من نتائج هذه الاصلاحات التشريعية — فى عديد من الاقطار الاسلامية — وجود فجوة اجتماعية عميقة ، وواسعة بين القلة المتحضرة ، المتأثرة بالثقافة الغربية ، وبين الكتل الجماهيرية المحافظة من المسلمين .

لقد استهدفت هذه الاصلاحات ارضاء المجتمعات المتقدمة الراقية ، وتحقيق تطلعاتها بأكبر قدر ممكن .

لكنها لم تقدم شيئا ذا قيمةكبيرة للمجتمعات التقليدية بالمناطق الريفية والزراعية . وغالبا ما يظهر أثر هذا الاحساس فى موقف القضاة لدى تطبيق القانون ، ذلك لأن ثقافتهم وممارستهم للقضاء بين المجتمعات التقليدية جعلتهم لا يتعاطفون تعاطفا كاملا مع ما استهدفه المشرعون المتحضرون .

هذه مشكلات منطقية متوقعة ، وهى أمور لا يمكن تفاديها فى مرحلة انتقالية فى التطور الاجتماعى الاسلامى .

وان أعظم انجاز تشريعى خلال هذه العقود الزمنية القليلة الماضية هو ظهور الاتجاه الاجتهادى المخطط ، الذى يرمى الى أن تؤدى القوانين الشرعية دورها فى المجتمع .

لقد أزال الفقه الجديد حجة التقليد ، وسنده الذى استند اليه منذ العصور الوسطى المبكرة .

واليوم يتقدم هذا الفقه الجديد ليحل مشكلات المجتمع المعاصر ، وهى المشكلات التى نجمت عن الركود الفكرى الطويل .

ولقد اتجه الفقه الجديد مرة أخرى الى تطبيق مناهج فقهاء الصدر الأول فى الاستنباط ، من أجل عمل يربط بين التعاليم السماوية ، والبيئة الاجتماعية .

وهذا هو السبيل الى احياء الشريعة فى العصور الحديثة ، لتكون على نظام يصلح للتطبيق القانونى .

هذا هو المنهج الوحيد الذى يحقق الأهداف ، ويرضى التطلعات الى المستقبل .... » أ هـ .

وبعد هذا العرض نستطيع أن نستخلص من

آراء دائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما يلي : ـ

١ ـ أنه كان للحضارة الغربية أثر كبير في حياة المسلمين الاجتماعية ، خلال القرن التاسع عشر ، وفي مطالع القرن العشرين ، فقد حدث تعارض واضح بين الظروف الجديدة المتغيرة للحياة الحديثة ، وبين القواعد القانونية الشرعية القديمة .

ومن أجل هذا حدثت تغييرات جوهرية في ميدان القوانين المدنية ، والتجارية ، وقوانين العقوبات في معظم الأقطار الاسلامية .

وأصبح تطبيق الشريعة مقتصرا على أحكامها المتعلقة بشئون الأسرة .

٢ ـ أن من أهم التغييرات في مجال القوانين الشرعية ، ماحدث في قواعد الاثبات ، وقوانين الاجراءات القضائية .

٣ ـ أن اجراءات التعديل للقوانين الشرعية ـ في المسائل الباقية في اختصاص الشريعة الاسلامية ـ قد تخلى عنه سلطان الفقهاء .

فقد صدرت هذه التعديلات في أول الأمر عن السلطة السياسية ، والتنفيذية ، في صورة لوائح واصلاحات تنفيذية ، ثم خولت للهيئات البرلمانية ، ثم تولتها الآن هيئات قضائية عامة .

٤ ـ أن الفقه التشريعي المعاصر يطالب بطرح الاستنباطات القديمة من النصوص الشرعية ، ليبدأ النظر في هذه النصوص من جديد ، وليجرى الاستنباط منها استقلالا ، في ضوء الظروف الاجتماعية المعاصرة ، مستندا الى اجتهاد وتفسير جديد للنصوص ، كما حدث في تونس ، وسوريا ، وباكستان .

٥ ـ ترى دائرة المعارف البريطانية أن اصدار قانون باصلاح تشريعي شامل في مجال الاحوال الشخصية ، لا تزال تكتنفه مصاعب عديدة ، من الناحيتين : المبدئية والعملية .

ذلك لأن جماعات اسلامية قوية ، تستمسك بالآراء التقليدية القديمة ، لا تزال تنكر في صلابة صحة الاصلاحات التي تعتمد على تأويلات للنصوص الشرعية ، بحيث تخضع معانيها لأهداف مسبقة ، يقصدها المشرعون المحدثون .

ويرى هؤلاء الفقهاء ـ الذين تسميهم الدائرة بالتقليديين ـ أن هذه التأويلات تعارض مبادىء الاسلام العامة ، وتخالف المقاصد الشرعية ، فضلا عن أنها تقول بغير حق في دين الله ، من أجل تحقيق رغبات اجتماعية معينة .

٦ ـ اهتمت الدائرة وأشادت بالقوانين التي صدرت في سوريا ، وتونس وباكستان ..... بتقييد أو حظر تعدد الزوجات ، وبتقييد الطلاق .

٧ ـ لا حظت الدائرة أن هذه الاصلاحات التشريعية قد أحدثت فجوة واسعة بين القلة المتحضرة ، المتأثرة بالثقافة الغربية ، وبين الكتل الجماهيرية المحافظة .

٨ ـ ترى الدائرة أن اتجاه الفقهاء المعاصرين الى تطبيق مناهج فقهاء الصدر الاول في الاجتهاد ، والاستنباط لحل مشكلات المجتمع المعاصر ، هو السبيل الى احياء الشريعة في الصور الحديثة (١) ، وصياغة احكامها في شكل قانوني يحقق الاهداف ؟

---

(١) قد أوضحنا من قبل أن ايراد آراء دائرة المعارف البريطانية ، لايعني الموافقة عليها .

الأخلاق

في شريعة الإسلام

لئن كان المجتمع الانساني فى حاجة الى العلم والمعرفة فهو الى الأخلاق أحوج .

لأن ما يصيبه من الظلم ، وما يفشو بين أفراده من الاجرام منشؤه نقص الاخلاق أكثر من أن يكون منشؤه نقص العلم .

فان العلم يخدم الفضيلة والرذيلة على حد سواء ، أما علم الاخلاق فظهير الفضيلة وخصيم الرذيلة .

الحاجة تزداد الى علم الاخلاق وتهذيب النفوس وصقلها مهما انتشرت المفاسد فهو طبها وواصف أدوائها وسر شفائها لذلك كان الخلق الحسن سمة النبيين وصفة المرسلين وحلية الصديقين والصالحين (١) .

ما هو الخلق ؟

عرفه ابن مسكويه الفيلسوف الاسلامى بقوله : الخلق : حال للنفس داعية لها الى أداء أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال : —

اما أن تكون طبيعية من أصل المزاج كالغضب لأوهى الأسباب ، والفزع من أدنى الأصوات والحزن على تافه الأشياء .

واما أن تكون مستفادة بالعادة والتدريب حتى صارت ملكة وخلقا كشجاعة البدو وبأسهم نتيجة تفردهم عن المجتمع ، ومساكنتهم الوحوش والضوارى (١) .

أما حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالى فيقول عنه : الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية : —

فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا .

وأن كان الصادر منها الأفعال القبيحة

---

(١) كتاب «الخلق الكامل» تاليف محمد أحمد جاد المولى بك .

(٢) كتاب «تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق» لاحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

سميت الهيئة التى هى المصدر : خلقا سيئا أما من تصدر منه الأفعال نادرا ولحاجة عارضة فليس ذا خلق وانما هو متكلف له كمن يتكلف بذل المال فلا يقال عنه خلقه السخاء (١) .

ويزيد الامام الغزالى أمر الخلق وضوحا فيقول : « الخلق هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة » (٢) وهذا التفسير هو الذى تميل اليه وذلك لبساطته ووضوحه .

الفرق بين الدين والأخلاق :

ان الدين بكونه معرفة الحق الأعلى وهو الله وعبادته وتوقيره هو فضيلة فطرية .

أما الأخلاق من حيث أنها قوة النزوع الى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى فهى فضيلة عملية ، غير أنهما يؤديان الى نتيجة واحدة هى أن كلا منهما يوصل لمبدأ العدالة الانسانية ومنبع كل منهما مبادئه .

أما عند علماء الغرب فانه لا رابطة بين الدين والأخلاق من حيث النشأة للفرد وفى دور التكوين ، اذ أن الشعور الأخلاقى يسبق الشعور الدينى عند الطفل .

وأما فى المجتمع فان امتزاج القوانين الأخلاقية لا يجرى على سنن واحد فى العصور والبيئات مع القوانين الدينية ، وهذا الافتراق فى نظر علماء الغرب راجع الى التفرقة بين مصدر الدين ومصدر الأخلاق عند هؤلاء الناس (٣) .

مصدر الأخلاق عند الغربيين :

اذا كان مصدر الدين مثار نقاش بين العلماء هناك فان مصدر الأخلاق عندهم هو عادات المجتمع وتقاليده ، فالدين والاخلاق فى الفكر الغربى من الناحية التجريبية مستقلان وان أمكن لتاؤهما فى الغاية ، ومن الناحية العملية الواقعية يسبق الشعور الأخلاقى الشعور الدينى فى نفس الطفل ، وعدم امكان امتزاج القوانين الدينية فى المجتمع (٤) .

مصدر الاخلاق فى الاسلام :

ان مصدر الاخلاق فى الاسلام هو الدين ، وهو وحى معصوم ، يحدد السلوك ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأحكام شريعة الاسلام عموما تستند الى الأخلاق لأن الأخلاق هى المعتصم والصمام الذى يتمسك

(١) كتاب « احياء علوم الدين » للامام أبى حامد الغزالى الجزء الثامن باب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) كتاب «آلهة فى الاسواق» تأليف الدكتور رءوف شلبى .
(٤) المرجع السابق .

به من أراد أن يكون مسلما فهى انفعال النفس وتأثرها بما ينبغى أن تكون عليه من حسن الفضائل فتتحلى به ، وان تعلمْ حقيقة الرذائل فتتخلى عنها ومن هنا كانت عناية الاسلام بالأخلاق عناية تفوق كل عناية قال تعالى : ـ

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »(١)

ويقول جل شأنه :

« قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٢)

أما فى السنة المطهرة فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) ومن أقواله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » (٤) ، « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » (٥) .

ومما يرويه جابر رضى الله عنه قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » (٦) ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر الدعاء فيقول : (اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق »(٧) .

التناسق فى الاسلام بين عقائده وأخلاقه :

مما يلفت النظر فى الاسلام هذا التناسق العجيب بين عقائده وأخلاقه المتعددة والتى يحمدها من المسلم وتجمعها وحدتها الاسلامية. ومجمل الرأى فيها أن المجتمع يقاس بالدين وليس الدين يقاس بالمجتمع ، فقد يسدل المجتمع فتتفق فيه الآراء والأهواء على أخلاق يأباها الدين ويحسبها مضرة أو مفسدة يؤنب المجتمع من أجلها كما يؤنب الأفراد ٨) قال تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (٩) .

لذلك كان لابد من الفضائل الالهية فى تعليم الانسان مكارم الأخلاق ، وما اكتسب الانسان أفضل أخلاقه الا من الايمان بمصدر سماوى يعلو به عن طبيعته الأرضية ، فمقاييسها الأدنى

---

(١) سورة الاسراء ٩ .
(٢) سورة الاعراف ٣٣ .
(٣) أخرجه البخارى فى الادب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .
(٤) أخرجه أبو داود بمعناه والترمذى .
(٥) رواه أحمد وأبو داود .
(٦) أخرجه الترمذى .
(٧) أخرجه الخرايطى فى مكارم الاخلاق .
(٨) كتاب حقائق الاسلام وأباطيل خصومه المرحوم عباس العقاد .
(٩) سورة الاسراء ١٦ .

أنها أخلاق كاملة ، وأن الكمال اقتراب من الله فهو المثل الأعلى . وكل صفة من صفات الله الحسنى مذكورة فى القرآن الكريم يترسمها المسلم ليبلغ فيها غاية المستطاع فى طاقة المخلوق . ولا يتكلف فيها الا وسعه قال تعالى « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (١) .

الخلق الاسلامى مقياسه الاعتدال والتوسط :

وملاك الاعتدال والتوسط فى الخلق الأسلامى أن المسلم يؤمر بالعمل لدنياه كما يعمل لدينه ، ويؤمر بصلاح الجسد كما يؤمر بصلاح الروح فلا يكون فى هذه الدنيا روحا محضا ولا يكون فيها جسدا محضا تطبيقا لقوله تعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (٢) .

ولعل هذا هو ما يوضحه قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « خير الأمور أوساطها » (٣) فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور .

والعفة وسط بين الشره والجمود

وكذلك سائر الأخلاق

خير للمجتمع أن تقاس أخلاقه بمقياس الدين

حقا انه خير للمجتمع الانسانى أن تقاس الأخلاق فيه بمقياس الدين ولا تقاس بمنفعة قد تفسد بفساد المجتمع نفسه ، وتنحرف مع انحراف نظرته الى منافعه ومضاره ، فان المجتمع قد يصاب بآفات الشرك والذل والعجز والضعف والبخل والسوء والقسوة والبغضاء وسائر الآفات الموبقة من نقائض الأخلاق الالهية فلا يصلحها الا ترياق الدين بعدم التمادى فيها أو الاقلاع عنها . وفى القرآن الكريم من ذلك الكثير ونكتفى بذكر بعض الآيات على سبيل المثال قال تعالى : —

« لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا » (٤) .

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا » (٥) .

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » (٦)

« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا » (٧)

« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (٨) .

« وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » (٩) .

(١) سورة البقرة ٢٨٦ .
(٢) سورة القصص ٧٧ .
(٣) رواه البيهقى فى شعب الايمان .
(٤) سورة الاسراء ٢٢ .
(٥) سورة الاسراء ٢٦ .
(٦) سورة الاسراء ٢٩ .
(٧) سورة الاسراء ٣١ .
(٨) سورة الاسراء ٣٢ .
(٩) سورة الاسراء ٣٣ .

« وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ » (١) .

« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » (٢)

« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » (٣) .

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » (٤) .

« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا » (٥) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » (٦) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا » (٧) .

الأخلاق التي يهتدي اليها المسلم بهدى أسماء الله الحسنى .

هذه الأخلاق كثيرة وافية بخير ما يتحراه الانسان في مراتب العلو المطلوبة وذلك لكمالها مع عموم نفعها في حياة الفرد والجماعة فمن هذه الأخلاق القوة والكرم العزة والاحسان والرحمة والصبر والعفو والعدل والصدق والحكمة والرشد والحلم واللطف والسلام الى آخره .

وكلها منشودة لأن التخلق بها كمال لا يقاس الا بمقياس الكمال ولا تستوعبها أفكار من تلك الأفكار المتفرقة كما يستوعبها فكر الاسلام لأن الله يحب من عباده أن يكونوا على صفته .

وما الاسلام الا عقيدة نقية وقلوب وفية ونفس سخية وأخلاق ربانية ، فلا غل ولا حقد ولا حسد ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ولا جبن ولا أثرة .

واما في المعاملات فلا غش ولا خديعة ولا مخاصمة ولا احتيال ولا أكل أموال الناس بالباطل ولا نكوص عن العهد ولا كذب ولا تشويه للحقيقة ولا خيانة للامانة (٨) ، ولا نجد ما يصور لنا حقيقة الجمع بين التدين الصحيح وحسن الخلق ويبرز أوصاف أهله كقول الله تعالى « لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى

(١) سورة الاسراء ٣٤ .
(٢) سورة الاسراء ٣٤ .
(٣) سورة الاسراء ٣٥ .
(٤) سورة الاسراء ٣٦ .
(٥) سورة الاسراء ٣٧ .
(٦) سورة الحجرات ١١ .
(٧) سورة الحجرات ١٢ .
(٨) كتاب « من توجيهات الاسلام » لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت باب الاخلاق .

* شاركت مجلة « المجاهد » فى العمل بحقل الدعوة وطرحت للجمهور بداية من شهر « شوال » ١٤٠٤ هـ ــ يوليو ١٩٨٤ ·

تصدر « المجاهد » عن الشئون الدينية بادارة الشئون المعنويــة للقوات المسلحة وبها من الأبواب الثابتة :

التفسير ، والفتاوى ، وشخصيات اسلامية ، الى جانب عديد من المقالات واللقاءات النافعة ·

نهنىء الزميلة راجين لها كل نفــع وازدهار فى ميــدان الــدعوة الخالصة لله ورسوله والمؤمنين ·

الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (١) ·

القــاعدة التى تقــوم عليهــا الأخلاق فى الاســلام :

مما تقدم يتبين ان الأخــلاق فى مفهــوم الاسلام انما تقوم على قــاعدة التقوى وهى بذلك تختلف عن مفهوم الأخلاق فى الفلسفات اليونانية وغيرها التى تقوم فيها الأخلاق على مفهوم السعادة والحب وما شاكل ذلك ·

والتقوى التى هى الأســاس الأول فى مفهوم الأخلاق الاســلامية تعنى الاتقــاء والامتناع عن كل ما حرمه الله ، وهى تحمل معنى الكظم واجتناب كل خطأ يؤدى الى تجاوز الضوابط والحدود ، وهى فى نفس الوقت عمل ايجابى ينبعث عنه الايمان بالله والصــلاة والصــيام والزكاة والحج والجهاد وسائر الطاعات (٢) ·

الأخلاق فى الاســلام تتفق مــع طبيعة البشر وفطرتهم :

ذلك أن الاســلام يبيح الرغبات والشهوات النفسية ويجعلها مشروعة مالم يكن فيها عدوان على أحد ولا ارتكاب لمحرم ، فالمسلم اذا مــا أحس الحاجة الى المرأة فالطريق اليهــا هــو الزواج ، فاذا عجز عن الاستطاعة أجل تنفيذ

(١) سورة البقرة ١٧٧ ·

(٢) كتاب « النصرانية والاسلام » ـ ، عالية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة » لكاتب هــذا المقال ــ الباب السادس ــ الفصل الرابع ·

الرغبة الى أن يتيسر له ذلك دون أن يخل ذلك باقتناعه النفسي بأن الدين يبيح لـه تحقيق رغبته .

فالاسلام يعترف بالرغبـات ولا يدعو الى كبتها ، وانما يدعو الى ضبطها ، ويحول فى نفس الوقت دون خطر الاسـراف فيها على الكيـان الانسانى والمجتمع البشرى .

فتحريم الزنا فى الاسلام لا ينبعث مـن كراهية الجنس بل من احترام الجنس وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عـن أن تكون أداة لمتعة ساقطة وفى كل هذا تطبيق لقاعدة التوازن بين مختلف القوى فى الانسان، بين الرغبات والضوابط وبين الروح والجسد ، وبين العقـل والقلب ، فيحـول دون الكبت والانطلاق ، وبين الترف والحرمـان ، وبين الاباحة والتجمد ، فهو لا يقر المادية المفرطة ولا الروحانية المطلقة ، وانما يوفق بينهما فى تناسـق وتوازن ومواءمـة تجعلهما متصلتين بالانسان نفسه من حيث جسمه المادى وروحه العلوية (١) .

آثار التحلى بالأخلاق الفاضلة :

ان التحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالقيم الحميدة يتضح أثره على النفوس ، فتطهير الباطن أساس كل صلاح ظاهرى لذلك كانت آثار الأخلاق الفاضلة على النفوس المتحلية بها هى تطهيرها من أمراضها النفسية المستعصية كالحقد والحسـد والنفـاق والجبن والكذب والخيانة وجميع ما تعارف عليه الناس مـن سوء الأخلاق ومفاسدها وآثارها الظاهرة قال تعالى « ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢) »

وقد أشار النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى ذلك بقوله « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسـد الجسد كله الا وهى القلب » (٣) .

ومتى صلحت القلوب استقام المجتمع فقام افراده بتحقيق الرسالة التى حملها الله للانسان وهى أن يكون خليفتـه فى الأرض ، وذلك بالاهتمـام بالانتـاج والتعمير واستغـلال الأرض بالزراعـة والصناعة وما فى جوفها من منابع للثروة تدر النماء والرخاء ومنحه الله البركة ، ومتى اجتمعت البركة مع النماء والرخاء فى المجتمع سار قدما فى حياته وتحققت له العزة والكرامة والعـدالة قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ »

محمد عزت الطهطاوى

(١) المرجع السابق .
(٢) سورة الشعراء ٨٩ .
(٣) صحيح البخارى .

من أعلام الأزهر

الشيخ علي البولاقي

للأستاذ الطاهر محمد الطاهر

ان حضارة الامم ورقيهـا ، وكذلك تخلفها وانحدارها ليس لهما وقت بعينه يمثل ساعة الصفر لبداية الرقى او الانحدار ، لكن عوامل هذه الحضارة ، ومثلها عوامل التخلف كلاهما ينشأ نشأة الجنين ، ويظل يكتسب يوميا عوامل نموه حتى تأتى ساعته ، فاذا الامة فى أوج رقيها او فى سفح تخلفها ، ولسنا نشك على كلا الاحتمالين أن موت العالم مثل تخلف الناس عن العلم ، كل سبب للتخلف .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعا من صدور العلماء ، وانما يقبضه بموت العلماء ، فاذا لم يبق من عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا » (١) .

وهنا المأساة .

ضلوا عن الحق حين ركبوا مطية الجهل فالغرور ، واضلوا من تبعوهم على جهلهم وساروا عليه .

هذه بعض مشاعر غمرت خاطرى حين نعى الناعى صاحب الفضيلة الشيخ على حسن حسن النجشوشنجى البولاقى .

كان « يوم الأحد » مولده وكان يوم وفاته .

(١) راجع صحيح البخارى باب العلم ، وصحيح مسلم باب العلم . ومقدمة ابن ماجة والدارمى مسند احمد ٢/١٦٢ و ١٩٠ . « الباجورى »

ولد « الأحد » ٢١ من ذي القعدة عـــام ١٣٢١ هـ الموافق ٧ من فبراير ١٩٠٤ م وتوفى « الأحد » ١٢ من جمادى الآخرة عام ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٥ من مارس ١٩٨٤ م ولنتمر سريعـا بحياته ــ رحمه الله

ــ فى عام ١٩١٧ أتم حفظ القرآن وتجويده وحصل على الشهادة الأولية منمدرسة الأربعين الأولية ببولاق وكان أول الناجحين .

ــ فى عام ١٩٢٦ م حصل على شهادة العالمية من الخارج «فيما يعرف بنظـام الانتسـاب الآن » فكان أول الناجحين .

ــ فى عـام ١٩٣١ حصـل على شـهادة التخصص فى أصول الفقه وكان أول الناجحين.

ــ فى عام ١٩٣٣ تم تعيينه مدرسا بمعهـد الزقازيق الدينى وظل به حتى عام ١٩٤٢ .

ثم سافر الى دولة الكويت مبعوثا للأزهـر الشريف وأنشأ بها معهدا ، وظل شيخا للمعهد طوال سبع سنوات هى مدة أقامته بالكويت .

ــ فى عام ١٩٥٤ عاد للعمل بالتدريس بمعهد القاهرة وظل به حتى عام ١٩٦٨ وفى هذه الفترة شرفت بمعرفته رحمة الله عليه .

ــ فى عام ١٩٦٨ طلبته الكويت ليكون عضوا فى هيئة تحرير « الموسوعة الفقهية » فأشرف ــ رحمه الله ــ على اخراجها ــ الى جـانب ما عمل من بحوث ، أو مراجعة لبحوث تتعلق بتلك الموسوعة .

ثم عاد الى مصر .

أعماله العلمية والاجتماعية :

١ ــ « امتاع الأسماع بحجية الاجماع » وهى أولى رسائله التى نال بها درجة التخصص فى أصول الفقه عام ١٩٣١ .

٢ ــ « مذكرة فى أحوال الوارثين وحساب المواريث » .

ــ فى عام ١٩٣٩ أنشـأ جمعيـة « إحيـاء المساجد » فى حى شبرا وقد أنشأت هـــذه الجمعية مسجدا بجوار شارع احمد بدوى.

وكان أمينا لجمعية النشر والتأليف بالأزهر » التى نشرت كثيرا من كتب التراث .

وكان عضوا بجمعية الهداية الاسلامية التى كان يرأسها صاحب الفضيلة محمد الخضـــر حسين شيخ الأزهر واختاره فضيلة الشـيخ مصطفى عبد الرازق عضـوا بلجنـة تقنين الشريعة الاسلامية .

ثم اختير عضوا فى لجنة التفسير بالمؤتمـر الاسلامى اختاره فضيلة الشيخ عبد الرحمـن تاج شيخ الازهر ليكون عضوا بلجنة البحث فى أحكام المعاملات الحديثة بالبنوك والتأمينات

وخلال هذه الفترة الزاخرة كانت له مقـالات وفتاوى كثيرة نشرت بمجلة "الهداية الاسلامية"

و"الشرف المصرى" و"مجلة الاسلام" و"الاعتصام" و"الازهر" و"الوعى الاسلامى".

واسهم بجهد وافر فى اعداد الموسوعـة الفقهية بمصر .

واسند اليه مجمع البحوث الاسلامية مهمة القيام بفحص الكتب التى ترد الى المجمـع تتقييمها علميا والفصل فيها .

قالوا عنـه :

قال عنه فضيلة الشيخ محمد مرسى وهـو من كبار علماء الأزهر « يكاد أن يكون الشيخ البولاقى أكبر عالم فى مصر » .

فى مقال نشر بجريدة الأساس قال عنـه المرحوم الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية

اللغة العربية الأسبق ان الشيخ البولاقى يصلح لأن يكون أستاذا جامعيا فريدا .

* تقدم فى أوائل الخمسينيات بمذكرة الى المجلس الاعلى للازهر طالب فيها :

(ا) بتعديل المناهج بالأزهر وتبسيطها .

(ب) وأن يخصص لطلبـة الأزهر مكافآت

يتنازل لها المدرسون عن قليل من مـواردهم المضافة الى المرتبات .



الى جانب اعفائهم من أمور أخرى قد تكون عائقا لهم عن متابعة الدرس وكان منطلقه ـــ فى ذلك ـــ استشعاره الخوف من تبسـيط المناهج بالمدارس الأخرى فخشى أن يكون ذلك سببا فى انصراف الطلاب عن الأزهر .

ولقد كانت المعاهد الدينية فى ربوع مصـر هى منارة العلم ، وكان المعهـد فى كـل اقليم يعتبره الناس دار الافتاء يهرعون اليه فى طلب الفتيا من علمائه الأجلاء ، وهكذا كان معهـد الزقازيق الدينى يحمل لقب « دار الافتاء » فى محافظة الشرقية فكانت كل الرسائل التى ترد الى البريد تحمل اسم دار الافتاء بالشرقيـة

يحولها البريد الى المعهد وكان البولاقى رحمه الله يعمل بالتدريس فى معهد الزقازيق الدينى

وكان المرحوم العلامة الشيخ أبو العيون شيخا للمعهد آنذاك فألقى بأمانة الفتيا والرد

على الرسائل الى الشيخ البولاقى فكان خير أمين يفتى عن علم ويعطى الرخصة عن ثقة

لا تساهلا فى الدين أوجهلا بأصول الاحكام وكان رحمه الله يقول : يرجع الفضل فى تكوين

مكتبتى الى رسائل القراء ، فقد تكونت لديه مكتبة جامعة تضم العديد من المراجع فى

مختلف فروع الثقافة ولا تعجب اذا قلت لك ان مكتبة البولاقى تضم مراجع فى علم الفلك

والرياضيات وقد أفرد لهذه المكتبة حجرتين فى منزله • وقد ظل بيته مفتوحا حتى آخر أيام

حياته لكل طالب علم ومريد فتيا لا يبخل بعلمه ونصحه وتوجيهه •

أم منزله كثير من الدارسين وراجع كثيرا من رسائل « الماجستير » « والدكتوراه » كل ذلك لوجه الله تعالى من منطلق عقيدته أن العلم منة من الله تعالى على المسلم أن ينشره ويذيعه بين الناس وكتمانه اثم •

حرص على المطالعة والكتابة حتى كف بصره من كثرة المطالعة والدرس فكان يحرص على

سماع ما تقدمه « الاذاعة والتليفزيون من المواد الدينية وكان غيورا فاذا وجد خطأ

سارع بكتابة رسالة الى المسئول عن برامج الاذاعة أو التليفزيون مصححا الخطأ اذا كان

المتحدث معروفا لديه اتصل به وصحح له ما جاء بحديثه •

ألقى درسا بصفة دائمة فى المسجد المجاور لمنزله حسبة لله تعالى •

وكان رحمه الله مثل كل جيله من أبناء الأزهر يحفظ القرآن الكريم وامتاز بالمحافظة على حفظه حتى وفاته وكان شديد التعلق بكتاب الله تعالى يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، ولما كف بصره سجل القرآن كله بصوته فآنا يسمع وآنا آخر يقرأ •

يعرفه القراء فى مصر جميعا لأنه كان كثيرا ما يسدى اليهم النصح والتوجيه والتصحيح •

وكان يقول: « الشيخ على محمود هو القارىء الذى لم اسمعه يخطىء قط » •

رحم الله ـ سبحانه ـ العلامة البولاقى ورحم الله جيله كله جيل العلماء العمالقة والزهاد المخلصين •

وجزاه الله وجزاهم عن الامة خير الجزاء •

الطاهر محمد الطاهر

شعر وشاعر

هل تغني النذور؟

حصاد الألم

من أسناء عبقر

"شوقي" بين مجد الماضي
وحاضر الشرق والعروبة

هل تغنى النذور؟

اعزفى يازوابع الغضب الجبـــار لحن النهاية المحتومه

واقلعى الجذر ليس فيه حياة   تورق الخير للربى المحرومه

وأميدى الجبال ترقص لحن الر   وع للكون تستثير أديمه

واقصفى يارعود ما صورت للنـــاس يوما أوهامها المحمومه

وانفثى غيظك المعربد يا أر   ض هشيرا وان ظهرت كتومه

حمما تصهر الوجود بما فيــه ومن فيه وهى غير رحيمه

واغيضى من الينابع عذبا   واتركى الصاب يجرعون حميمه

اوفكونى القبر الذى يشد العا   صين ٠٠ كونى على الغشوم غشومه

انت يا أرض ٠٠ انت زخرفك اللــه وخط الانسان فيك رسومه

وظننا ـ ونحن منك ـ غرورا   أن غدونا فى قوة وشكيمه

فاذا باطن البسيطة سهل   مستباح لنا وفيه غنيمه

وغزونا الفضاء نرسل فيه   من بنى الناس من يشق غيومه

سابحا يخضع الظواهر للعقــل وللعقل لو تأمل قيمه

كان أولى الا يروع انسا   ن أخاه ٠٠ ولا يكون غريمه

شعر: شوقي محمود أبو ناجي

كان أولى الا يشوه انسا ... ن على الأرض لوحة مرسومه

كان أولى أن يستجيب لداعي الـ ... حب والخير في دنى محرومه
يرسم البسمة الرقيقة تطو ... ثغر طفل لم يدر بعد همومه

كان أولى بالعلم يحمل نفعا ... لا دمارا في صورة مشئومه

كان أولى بالأفق يملؤه البلـ ... ـبل شدوا ولا تولول بومه
فاذا العقم قد تسلل لـلاد ... راك اذ شله وراش صميمه
واذا نحن ما نزال كما كنـ ... ـا أفاع كل يشيع سمومه

واذا بالشرور تمتلا دنيـ ... ـنا فتغدو كئيبة ونميمه
واننا من ان يحل بيانا ... بأس ربي وقد يصب جحيمه

وتوالى النذير تلو نذير ... والبرايا على الضلال مقيمه
علنا نعرف الطريق الى الحـ ... ـق سلوكا ·· وخطة ·· وعزيمه
ننشد الأمن والكمال ونرقى ... بحياة جميلة وكريمه

مطلب المصلحين لو يلغوه ... لم نفزع من علة وجريمه
ويضيء السلام ·· يغدق نورا ... ينهل الناس خيره ونعيمه

شوقي محمود أبو ناجي
أبو تيج

في ٨٢/٣/١٤ خسفت منطقة أرض بـيرو الى جوار غابات الاريزونا وابتلعت من عليها

حصاد الألم

للشاعرة جليلة رضا

عجيب أن أعيش وأن أغني   وقد نال الفناء مناه مني
عجيب أن أرى الأضواء تزهو   وأن أصغى الى صوتى المرن
فقد مرت على قلبى هموم   لو انقسمت على الأحياء تفنى
ولست ألوم من سئموا فولوا   ومن واسوا على حرص وضن
ولست ألوم من صمتوا كموتى   وكانوا يسألون النجم عنى
نبش فيقبلون فإن حزنا   فقد قلبوا لنا ظهر المجن
ولكنى حصدت ثمار حزنى   وحنكنى الأسى فجلوت ذهنى
وبت أرى الحياة بعين قلبى   وكنت أرى زواياها بعينى
عرفت مشاعر الأفراد سفرا   حوى صور الجهود بكل لون
ولكن اذ عرفت فتحت قلبى   وبالحب الكبير شملت كونى
وقلت برغم اخفاقى ساحيا   أصون على المدى من لم يصنى
فقلبى اذ سما فى ظل روحى   تساوى الأخذ والاعطاء منى
ويسر لى الأسى صلتى بربى   وناجيت الطبيعة فى تأن
رأيت الله فى ليلى وصمتى   وفى نوم الوجود المطمئن
رأيت يدا مضواة تجلت   لتحتضن الورى من كل ركن
فمرت فوق أفئدة اليتامى   وكفكفت الدموع بكل عين
وطافت بالجبال ثرى وهاما   وحول خطى النمال بكل كن
فقلت : حنانك اللهم عفوا   جهلتك يارحيم وأنت عونى
جهلت حنانك الفياض يطفى   على بحر التمرد والتجنى
فهب قلبى عيونا من ضياء   يصد بها غبار اليأس عنى
وزد مقدار حبك فى فؤادى   لأملأ ما استطعت فراغ دنى
لأنى اذ أحبك يا الهى   أحب الناس أجمعهم .. وكونى

عبد العليم القباني في ديوانه

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

- ٢ -

للشاعر عبد العليم القباني كتاب بعنوان : (مع الشعراء أصحاب الحرف) ، نشرته الهيئة العامة للكتاب بسلسلة : (مذاهب وشخصيات) (١) تحدث فيه عن شعراء مثل : ظافر (الحداد) بنهاية العصر الفاطمي بالاسكندرية . وأبو الحسين (الجزار) والسراج (الوراق) بالعصر المملوكي الأول بالقاهرة وابن دانيال (الكحال) طبيب العيون، الذي كان يقوم بتكحيل عيون الناس ، بذات العصر (المملوكي) . والنصير (الحمامي) ، صاحب (حمام) بلدي ، مثل حمام (الملاطيلي) بالقاهرة . وزين الدين الرعاد (الخياط) بالمحلة الكبرى ، وهو مملوكي ، مهنته كانت مثل مهنة شاعرنا .

وتدور الأيام ، وتكر الأعوام ، ويتجه كثير من أهل المدينة بالاسكندرية الى الأخذ بأساليب ومظاهر المدنية الحديثة ، فيما يرتدونه من زي ، فحلت (البدلة) محل (الجلباب) ، وأبطأت عجلة صناعة الملابس البلدية وحياكتها فلجأ الشاعر مرة أخرى الى الأستاذ محمد فريد أبو حديد يشكو اليه حاله فكتب أبو حديد خطاب توصية الى الأستاذ بشير حامد مدير عام التعليم بالاسكندرية ، يوصيه فيه بايجاد فرصة عمل مناسب للشاع

---

(١) ما بين القوسين اقتباس من شعر كثير عزة .

من أبناء عبقر

وكان أن ألحقه بإحدى مدارس البنات ، ومكث بالمدرسة خمسة أيام كاملة ، ثم ترك العمل ضيقا بقيود هذه الوظيفة الصغيرة ، التى كادت بأعبائها الثقيلة ومكاتباتها الروتينية العديدة ، أن تصرفه عن قراءاته وكتاباته . ثم التحق الشاعر بعد ذلك بشركة النقل والهندسة، فترة توقف خلالها عن نظم الشعر كلية ، لقسوة العمل واستنفاده لكل طاقته وعافيته .

وبعد ذلك قام الشاعر بنشر مقال طريف بعنوان :

« ترزى غربى للبيع » عام ١٩٥٦ ، ذكر فيه مؤهلاته الأدبية والفنية ، وطلب عملا من أى نوع .. فكتب الأستاذ « فؤاد دوارة » بمجلة الاذاعة « ريبورتاج » من ثلاث صفحات رسم فيه صورة الشاعر بماكينة خياطته من ورق شفاف ، يطلب فيه ــ بعنوان : « مطلوب من من وزير التربية والتعليم شراء هذا الترزى ! » وكان أن اتصل الاستاذ محمد خلف الله أحمد بالشاعر ، وطلب اليه العمل بالكلية التى يعمل عميدا لها ، وهى كلية الآداب بالاسكندرية ؛ والتحق الشاعر بالعمل كاتبا باليومية بمتحف الكلية .. واغتنم فرصة وجوده بهذا العمل وحصل على الاعدادية « من المنزل » ، ولم يدع مناقشة رسالة ما جستير أو دكتوراه فى الأدب العربى أو الفلسفة أو التاريخ أو الجغرافيا ــ فيما عدا اللغة الانجليزية أو الفرنسية بطبيعة الحال ؛ لأنه لم يتمكن من اجادة لغة أجنبية ــ الا حضرها وأفاد من مناقشاتها ، مماكون لديه الاحساس العلمى ، الذى أعانه على كتابة بحوثه المستفيضة ودراساته القيمة فيما بعد ، وتكونت منها كتبه ودواوينه :

شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية ، مع مقدمة بقلم الدكتور محمد طه الحاجرى سنة ١٩٦٤ .

٢ ــ أشعار قومية : (ديوان شعر) حصل به على جائزة أحمد شوقى من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كأحسن ديوان من الشعر القومى على مستوى البلاد العربية ، سنة ١٩٦٤ .

٣ ــ مع الشعراء أصحاب الحرف سنة ١٩٦٧ .

٤ ــ محمود بيرم التونسى وشعره الفصيح مع ملامح المجتمع المصرى فى عهده سنة ١٩٦٩ .

٥ ــ رواد الشعر السكندرى فى العصر الحديث ، سلسلة « المكتبة الثقافية » سنة ١٩٧٢ .

٦ ــ فخرى أبو السعود ــ حياته وشعره وملامح من عصره ، سلسلة المكتبة العربية سنة ١٩٧٣ .

٧ ــ ايليا أبو ماضى : حياته وشعره بالاسكندرية سنة ١٩٧٤ .

٨ ــ نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية ١٨٧٣ ــ ١٨٨٢ سنة ١٩٧٣ .

٩ ــ طه حسين فى الضحى من شبابه ١٩٠٨ ــ ١٩١٣ سنة ١٩٧٦ .

١٠ ــ البوصيرى : حياته وشعره .

١١ ــ بقايا سراب « ديوان شعر » .

هذا بالاضافة الى بحوثه ومقالاتـه بشتى الصحف والمجلات ، بمصر والـدول العربية ، والبرامج الثقافية التى ألفها وأذاعها البرنامج الثانى باذاعة القاهرة ، واذاعة الاسكندريـة المحلية ؛ ونشاطه الثقافي الشخصي ، اذ عمل كمحاضر مركزي بالثقافة الجماهيرية بالقاهرة ، وطاف بعديد من محافظات الجمهورية لالقاء محاضراته العامة فى حقلى الصحافة والثقافـة والأدب ، وعضويته لكل مـن : لجنـة قصص الأغانى ولجنة التراث بالاسكندرية ، واتحاد الكتاب وهيئة الفنون والآداب ، ومشاركته فى النـدوات والمحـاضرات بقصـور الثقـافة بالاسكندرية منـذ أن كـانت تحت اسـم (الجامعة الشعبية) الى الآن ، وكذلك مشاركته فى (المهرجانات) التى أقامتها كليـة الآداب والأندية الخاصة والعامة ، والمحافل الأدبيـة والاجتماعية بالاسكندرية وخارجها ، وكذلك مهرجانات المجلس الأعلى للآداب والفنـون ، بالقاهرة والاسكندرية وغزة .

وفى أثناء ذلك كله قام بقراءة كل ما استطاع قراءته بمكتبة كلية الآداب من كتب ، وكان قد فعل الشيء نفسه بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، وحينما طال الأمد على شاعرنا وهو فى وظيفته الصغيرة باليومية المؤقتة ، خشى أن يفصل منها فى أى وقت لنفاذ (البند) ، أو للاستغناء عن خدماته فى يوم ما ، لأى سبب من الأسباب .

فكتب الى العميد الاستـاذ محمـد أحمـد خلف الله يقول :

ايرضـيك أنى هنـا ريشـة
أخاف النسـيم وأخشى البلـل
أرى الصبح ــ أمنية الحـائرين
وأخشى بـه أن يكـون الزلل
وأنت العليم بـأنى امـرؤ
تجمـد فى طـاقة مـن خجل !

الى آخر أبيات القصيدة ، وكان أن أقيمت مسابقة خاصة لشغل منصب مسـاعد أمين المتحف ، وفاز بها شاعرنا .

ومن محاسن الصـدف ، أن غرفـة عمـل الشاعر كانت تجاور غرفة العميـد ، ولكـن ، حينما انتقلت الكلية الى مبناها الجديد ، وجد الشاعر أن الغرفة التى خصصت ، له تقع فى (البدروم) .. فلم يرضه هـذا .. وأقيمت حفلة فى اليوم التالى بالكلية ، ودعى الشاعر ليلقى قصيدة بها ، فأنشد قصيدة أخرى غـير المطلوبة يحتج فيهـا على هـذا الوضـع (البدرومى) !

وفيها يقول متوجهـا بالخطـاب للسـيد الاستاذ العميد :

أغثنى .. لك الخير الذى أنت أهله
وبلغت ما ترجوه ، فى كل وجهـة
وهنت ، فما لى بالسراديب طـاقة
وقد ضقت بالدنيا..فكيف بـ(تربة)!
وما كنت (دانيالا)، ولا كنت (يوسفا)
وأين مقامى ..من مقام النبوة ؟!
« أبا خلف » أحدى يديك تلمست
مدى الجرح وارتاحت اليها سريرتى

فلا تجعل الأخرى على ضنينة
وقد وقفت ترنو اليك قبيلتى

وكان من نتيجة انشاد هذه القصيد ، أن نقل الشاعر فى الحال ، من الجب الى .. السطح ! وحصل الشاعر بعد ذلك على منحة التفرغ من سنة ١٩٦٨ الى ١٩٧١ ، أنجز خلالها (ملحمة الثورة العرابية) وبعض الدراسات والكتب التى تقدم ذكرها .

وقد مر الشاعر فى شيخوخته بمحنة اليمة كان لها تأثيرها البالغ عليه ، ولولا أن أعانه الله سبحانه وتعالى على احتمالها .. اذ فقد بكر أبنائه (محمد) ، وهو فى سن الخامسة والثلاثين ، وكان يعمل أمينا بمكتبة كلية الآداب بالاسكندرية وبعدها بأشهر قليلة فقد كريمته (سهير) ، ذات الثلاثين ربيعا ، وكانت تعمل معيدة بمعهد البحوث الطبية ، بعد حصولها على بكالوريوس العلوم ، والدبلوم الذى يؤهل للحصول على « الدكتوراه » .. وقد دهمها مرض (السرطان) الوبيل ، حتى قضت نحبها به وقد رثاهما الشاعر تباعا بقصيدتين من أروع شعر المراثى ، ونشرهما بآخر دواوينه الذى يحمل عنوان : (لله وللرسول — العزف على الوتر الأخير ، وقد جمع فى هذا الديوان

خلاصة ما نظمه من الشعر الدينى ..

ومما يشجينا من قصائد هذا الديوان الآسية ، قوله فى رثاء ابنه :

وليدى — وما قولى وليدى .. بهين
اليس وجودى فيك سر البنوة

ثلاثون عاما ، بل ثلاثون عالما
اضيئت وغامت .. ثم زيدت بخمسة

صحبتك فيها منذ أن كنت فكرة
تطل فتدنو منك بالغيب شرفتى

واذ أنت ملء العين تهفو لك المنى
وتتبعك الآمال فى كل خطوة

اجل .. تلك احلامى وهذى رغائبى
وتلك أغاريدى .. وهذى فتوتى

الى أن يقول بالتياع مذيب :
وتختلف الايام يسرا وشدة

وتمضى سراعا ، بين نوم ويقظة
واذ أنت فى ناب السقام فريسة

تقوم — ولا تدرى — مقام الضحية
واذ أنت تهذى بالجراح وباللظى

وأنت لناب .. من لقاء المنية
واذ أنت فى حضنى أحسك نائما

وأنت من الاخرى على باب هوة
واذ بك تصحو .. ثم ترتد ساكنا

كأن المنايا قد ونت .. فاستحثت
واذ بى « انادى صخرة فى مفازة

من العصم ان ترقى لها الطير زلت »(١)
الى أن يقول وقد شارف قمة أساه :

---

(١) ديوان ، لله وللرسول ، — قصيدة (مالك الملك) من ص ١٧ الى ص ٢٠ .

وعدت الى نفسى ، وبى صعقة الذى
لوت ركنه الأسرار لما تجلت

أناديك مقهور الكيان ، كأنما
على كاهلى ألقوا .. بوزر الخليقة

وتتابع النداءات فى أبيات هذه القصيدة يصور لنا مدى اللهفة والانفعال والحسرة لدى الشاعر .. بأن يتوجه بالنداء قائلا : (أخى) و (صديقى) و (ابن عمرى) و (ساعدى) و (أول احساسى بعز الأبوة) .

ويمتد نفس الشاعر فى القصيدة ، الى أن يقول :

وعدت الى أوراقى الصفر ، والتى
جمعت بها شعرى وسودت صفحتى

وأغلقت كتبى ، وانتعلت مشاعرى
أمر عليها .. كالسراب بقيعة

أضعت بها عمرى .. كما ضاع كل من
تشامخ قبلى .. ثم أضحى بحفرة

..وياولدى ــ ان فاتك الشعر راثيا
تعلل فيه الدمع فى كل شطرة

فانك تدرى الآن ، أى فجيعة
بفقدك طافت بالمعانى فجفت

وما خفقات القلب ما أنت سامع
ولكنها الآمال هانت .. فدكت !

أما قصيدته ، فى رثاء ابنته غالية قبل اقتطاف بعض أبياتها من تقديم نموذج من أبياته عنها التى تصور مدى ما كانت عليه منزلتها لديه ، بقوله :

« سهير ابنتى .. طفلة ماكره
وأنعم بها .. طفلة ماكره
وانى أحب ابتسام الربيع
فكانت لى الوردة الناضره
وانى أجن هوى بالجمال
فكانت هى .. الفتنة الآسره
وانى الى الشعر الفن العنان
فراحت تتمتم .. كالشاعرة

الى أن يقول :

تلاحقنى بالحنان الوديع
وتغمرنى بالمنى الساحره
وتسكرنى بالحديث الودود
له نفحة الظل فى الهاجره

ولكنه فوجىء بعد ذلك بالسرطان اللعين ، كما يقول ، وهو يسلط أنيابه القاسية على جسدها الغض ، الى أن انقذتها منيتها من براثنه فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٨١ وكان يوما مشهودا ، دفنت فيه بجوار أخيها (محمد) فى مقبرة (عمود السوارى) بالاسكندرية ، مع زفرات الشاعر الحارة ، وعبراته المنظومة ، التى منها قوله :

يا ابنة العمر فى صراع شديد
يتناءى .. الى صراع شديد
بين همس الرضى وبسمة عينيـ
ـك عرفت الصباح سمح الورود
واستعدت الرضى وعشت بقصر
شامخ .. فوق كوخى المهدود

من أبناء عبقر

الى أن يقول بختام قصيدته :

يا ابنتى ‥ يا ابنة الضحى من شبابى
كيف اصبحت فى قيود القيود
اين « بابا » التى ترفرف حلما
فى سمائى ‥ وفرحة فى وريدى ؟
اين « بابا » التى تمر بحزنى
فاذا بى ‥ فى مهرجان العيد ؟
اين « بابا » التى تمس بسمعى
وترا ليس مثله فى الوجود ؟
لميكن يا « سهير » يومك عندى
بقريب ، بل كان بعد ‥ البعيد
لم اكن اجترى الفكر فيه
كان فوق الخيال ، فوق الحدود

كان الله فى عون هذا الشاعر الصابر المحتسب ، الذى فاء الى الرضاء بقضاء الله وقدره ، وقال فى تبتله وخشوعه لله تعالى :

يا من له فى كل شىء آيه
وبامره ، تتكون الاشياء
واذا اراد ، فلا مرد لحكمه
ولو ان اسباب السماء وقاء

هب لى رضاك ، فكل ما انا صانع
لولا رضاك ـ توهم وهباء

الى أن يقول بترتيل رخيم :

يارب ـ واسمك كلما رددته
نضرت به ‥ ايامى الجرداء
وتوائبت بين الضلوع حشاشة
ذابت مع الأيام فهى ذماء
هى وعدك الأعلى ، بعفوك للذى
قد تاب ، مهما اشتدت الظلماء
وانا بظل رضاك تغمرنى المنى
ومن احتمى بحماك ‥ كيف يساء ؟

ونختتم هذا البحث الموجز ، برجاء نتوجه به الى المسئولين عن حركة الثقافة ، للتعجيل بنشر اعمال الشاعر التى اتم تاليفها ، ومازالت تنتظر الفرصة للظهور مثل ملحمته عن الثورة العرابية وتقع فى ٤٠٠٠) أربعة آلاف بيت من الشعر ، تضمها ثلاثة مجلدات ، هى : «عصراسماعيل» و « يوم قصر النيل » و « الاسكندرية » و « حكايات من قصر السلطان » (١) ، و «ضحكات مقتضبة» (٢) و «أصداء شرقية» وغريبة » (٣) و « الملك والراعية » (٤) و « اليقظة » (٥) و « ليال شرقية » (٦) و « شهداء الكلمة فى الاسلام » و « الشعراء السكندريون المنتمون الى اصول مغربية ، وهم عبد الرحمن شكرى » و « زكريا جزارين » و « حمزة فتح الله » و « احمد ابو على » و « يوسف فهمى الجزايرلى » و « عبد العزيز جاويش » ‥ الى غير ذلك من المؤلفات القيمة.

احمد مصطفى حافظ

---

(١) ديوان شعر .
(٢) ديوان شعر .
(٣) ديوان شعر .
(٤) اوبرا شعرية عن نشيد الانشاد .
(٥) مسرحيتان شعريتان من فصل واحد وبمثلان يقظة مصر فى العصرين : القديم والحديث .
(٦) ديوان شعر .

شوقي

بين مجد الماضي وحاضر الشرق والعروبة

للدكتور محمد سلامه صالح

الآثار التاريخية

— ١ —

كان « شـوقي » دائم الفخر بالفـراعين ، وحضارتهم ، وآثارهم ، فكثيرا ما ردد في شعره الاشـادة بهذه الآثار ، والاعتزاز بهـذه الحضارة القديمة التي تمثل تـاريخ (مصر) العريق ومجدها الباذخ التليد .

وهو في كل ذلك يترجم عن فخر المصريين بهذه الآثار التي لا تزال ماثلة الى الآن ، يفد اليها وفود العالم من اقطار الأرض لتشاهـد معجزة منها فتشهد (لمصر) بعراقة حضارتها ، وامتدادها في جذور التاريخ .

وهو في تمجيده لتلك الحضارة والآثـار ، واعتزازه بهما ، يتناول ذلك جملة أحيـانا ، وتفصيلا لكل أثر أحيانا أخرى .

١ — لقد أصابوا — بالرغم من جهل الزمان — سر الحقيقة ، فالوجود عنـدهم سـعادة الخلود ، ومنازلهم الدنيوية أكـواخ بدائيـة خربة ، لكنهم أعدوا للآخـرة منـازل شـم القصور ، ففي قصـيدة (أيها النيل) يقول :

بلغوا الحقيقة من حيـاة علمهـا
حجب مكثفـة وسر مغـلق
وتبينوا معنى الوجـود فلم يروا
دون الخـلود سـعادة تتحقق

يبنون للدنيـــا كمـــا تبنى لهم
خـربا غراب البين فيهـــا ينعق
فقصـــورهم كـــوخ وبيت بداوة
وقبورهم صرح أشم وجوسق (١)
رفعـوا لها من جنـدل وصفائح
عمـدا فكانت حائطا لا ينتق (٢)

٢ ــ وقد دفعه الفخـر بالقدماء الى تقليب النظر في عامة آثارهم مبديا اعجابه بعبقرية صانعيها ، ففي (معبد الكرنك) ، وأطـــلال (طيبة) تتراءى دعائم خالدة الرونق ، متأبية على الدهر ، بارعة الجمال والحسن ، والدقة في الرسم ، حتى لتوشـك أن تدب الحيــاة في أوصالها ، وان لم تحظ بلمسة من روح ، فالفن الخالص عنده منبع وحي ، ومصدر الهام ، وهو فيض من جمال العقول .

يقول في قصيدة (تمثال نهضة مصر) :

فمن يبلغ (الكرنك) الأقصـــرى
وينبىء (طيبـــة) اطلالهـــا ؟
ويســمع ثم (بــوادى الملوك)
مـــلوك الديـار واقيـــالها ؟
وكـــل مخـــلدة في الدمى
هنـــاك لم تحص احـــوالها ؟
عليهـــا من الوحى ديبـــاجة
الح الزمـــان فما ازدالهـــا (٣)
تكـــاد وان هى لم تتصـــل
بروح تحـــرك أوصـــــالها
وما الفن الا الصريح الجميـــل
اذا خـــالط النفس اوحى لهـــا
وما هـــو الا جمـــال العقـول
اذا هى اولتـــه اجمالهـــا (٤)

٣ ــ وكم جاب بنظره مختلف آثارهم ، وقد انتظمت بين الأرض والسماء ، فبدت أدنيه في سمو الثريا ، منها مشيد كالبروج ، وأشم دون هامته السحاب ، وهي ــ على قدمها ــ جديدة كأول عهدها ، بعضها ضخم ينوء كاهل الدنيـا بثقله ، ويضيق عنه وجه الأرض على سعته وهو عال متمكن في علوه ، مستعص على الزوال فما للبلى من سبيل للنيل منه ، ففي قصيدة (أيها النيل) نمضي الى قوله :

ولن يــمس تدعـ لا الثاني بهـا
بين الثريـــا و ثرى تتنســـق
منهـــا المشـــيد كالبروج وبعضها
كالطـــود مضطجع أشم منطق (٥)
جدد كأول عهـــدها وحيالهـــا
تتقادم الأرض الفضـــاء وتعتـــق

(١) الجوسق : القصر .
(٢) الشـــوقيات ط ٢ جـ٢ : ٧٩ ، و (ديوان شوقي) ١٠/٢٣٥ وما بعدها ، وينتق يتـــزعزع أو يرفع ويهتز .
(٣) ديباجة : جمال نشرة

(٤) الشـــوقيات : ٢/٢٣٢ ، و (ديوان شـــوقي) : ١/١٢٠ وما بعدها ، واجمالها : تحسينها .
(٥) منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب راسه

من كل تقل ، كاهـــل الدنيـا به
تعب ووجه الأرض عنه ضـيق
عال على باع البـلى لا يهتــدى
ما يعتـلى منـه وما يتسـلق
متمكن كالطود اصـلا فى الثرى
والفرع فى حرم السماء محلق (١)

٤ ـ ويبــدو تمجيد الشاعر (للاهرام) واضـحا فى تحيته للطيـارين الفرنسيين :

(فدرين) و (بونيه) حين وفدا الى (القاهرة) طائرين من (باريس) سـنة ١٩١٤ ، فهـو يسائلهما عن نسر فرنسا (نابليون بونابرت) ، وكيف استمد عظمته من شموخ (الأهرام) ، لكنه ـ وان تبوأ صهوة المجد ، وانعقـد بين الأفلاك لواؤه ـ أخذ بلعنة الفراعنة ، اذ أصاب (الأهرام) فى كبريائها ، فانتصـفت منـه ، وجرعته مر الهزيمة فى (واترلو) فبات يرسف فى اغلال الأسر ، وان تكن (الأهرام) قد ودت لو احتوت اعظمه بين الأباة الشم ، ممن ضمتهم من بنى الشموس العظماء ، يقول من قصيدة (آية العصر فى سماء مصر) :

اين نسر قـد تلقى قبـلكم
عظة الأجيـال من اعلى بنـاء
لو شـهدتم عصره اضحى له
عـالم الافـلاك معقـود اللواء
جرح (الأهــرام) فى عزتهـا
فمشى القبـر مجـروح الاباء
اخـذت تاجـا بتـاج ثارهـا
وجـزت من صـلف بالكبـرياء
وتمنت لو حـوت اعظمـه
بين ابناء الشموس العظماء (٢)

وحين وقف الشاعر على قبر نابليون تمثل تاريخه فوجه اليه التمسح ـ فى كبرياء وفخر ـ بأن ينهض الى (الأهرام) خاشعا ، وئيد الخطو، تاركا زهو الفاتحين ، ويستعيده كلماته الاربع : « أيها الجنود : ان أربعين قرنا تنظر اليكم من قمة الأهرام » (٣) .

ويأسف الشاعر لعظة غفل عنها قومه ، وهم بها أولى ، ففى قصيدة (على قبر نابليـون) نمضى الى قوله :

قم الى (الأهرام) واخشع واطرح
خيلة الصـيد وزهو الفـاتحين
وتمهـل انمـا تمشى الى
حرم الدهر ومحراب القـرون
وتسـنم منبـرا من حجـر
لم يكن قبلـك حـظ الخاطبين
وادع اجيـالا تولت يسـمعوا
لـك وابعث فى الأوالى حـاشرين
واعـدها كلمـات اربعـا
قد أحـاطت بالقـرون الأربعين
الهبت خيـلا وحضت فيلقـا
واحالت عـلا صـاب المتون

(١) الشوقيات : ٢٨٠/٢ و (ديوان شوقى) : ٢٣٦ .

(٢) مجلة (سركيس) فبراير سنة ١٩١٤ .

والشوقيات ٢/٢ . و (ديوان شوقى) : ٤٢/١ ـ ٤٣ .

(٣) الشوقيات ١ هامش ص ١١٧ .

قد عرضت الدهر والجيش معا
غاية قصر عنها الفاتحون

عظة قومي بها اولى وان
بعد العهد ، فهل يعتبرون ؟
هذه (الاهرام) تاريخهمو
كيف من تاريخهم لا يستحون ! (١)

ومن (أسبانيا) يمتطى متن الخيال الى مشاهد وطنه ، فيستحضر (اهرام مصر) . وقد جاوز عمرها اربعة آلاف عام . فكأنما نهضت يد الدهر ببنائها ، فهى ثابتة ما تريم . ولكم يسمو الخيال بـ (شوقى) . فاذا (الأهرام) والرمال مترامية حولها منخفضة مرتفعة سفينة غرقى تلاطمت بها الأمواج ، فوارتها ، فلم يبد منها الا سواريها . فاذا لفها رأد الضحى بوميض أشعته بدت ذهبا كأنها كنوز (فرعون) تكدست ، فغطت الموازين . فمن قصيدة (أندلسية) نصغى الى قوله :

كأن (اهرام مصر) حائط نهضت
به يد الدهر لا بنيان فانينا
ايوانه الفخم من عليا مقاصره
يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا
كأنها رمالا حولها التطمت
سفينة غرقت الا أساطينا (٢)

كأنها تحت لألاء الضحى ذهبا
كنوز (فرعون) غطين الموازينا (٣)

ومن (أسبانيا) أيضا يتخيل (الأهرام) ميزان (فرعون) تدور به الدائرة على الجبابرة الطغاة ، أو قناطير أموال من أجود ما جمعت أيدى الجباة ، ثم هى فى الضحى روعة تأخذ بمجامع القلوب ، فاذا أحيطت بستر الليل ، بدت كأنها ملاعب جن ، يقول فى قصيدة (الرحلة الى الأندلس) :

وكأن (الاهرام) ميزان فرعو
ن) بيوم على الجبابر نحس
او قناطيره تانق فيها
الف جاب والف صاحب مكس (٤)
روعة فى الضحى ملاعب جن
حين يغشى الترجى حماها ويغسى (٥)

وحين يفد الى (مصر) الأستاذ (امين الريحانى) فى فبراير ١٩٢٢ م ، ويخف بعض الأدباء لاقامة حفل تكريم له فى (سفح الأهرام) يشاركهم (شوقى) تكريمه بقصيدة يناجى فيها (الأهرام) ، معتزا بعظمتها وجلالها .

٥ ــ اما (أبو الهول) فانه تمثال خيالى التكوين ، يربض .. بجوار (معبد الوادى لهرم الملك خفرع) . ومازال الناظر اليه أبد الدهر يستوحيه سره المكنون ، ولكنه به ضنين

(١) الشوقيات : ١/٢١٧ .
(٢) الاساطين : جمع اسطوانة وهى السارية
(٣) الشوقيات : ٢/١٢٢ . و (ديوان شوقى) : ١/١٥٢ .

(٤) جاب : جامع الخراج . ومكس : ضريبة كانت تؤخذ من بائعى السلع فى أسواق الجاهلية
(٥) الشوقيات : ٢/٥٦ . و (ديوان شوقى) : ١/٢٠٦ ــ ٢٠٧ . ويغسى : يظلم .

ويرجح أن رأس هذا التمثال من صنع المالك (خفرع) لأنه على هيئة وجهه ، ولقربه من معبده ، ومن الطريق الموصل لهرمه ، يقابل الزائر عندما يتخطى (معبد الوادى) ، وكأنه صورة الملك ، جاثما ومولّيا وجهه ناحية الشرق (١) .

(وشوقى) يتمثله فى منفاه رابضا (رهين الرمال) أفطس الأنف ، لكنه صنع جنة مهرة ، شم الأنوف ، غير فطس ، وصورته تسفر — لدى الشاعر — عما جبلت عليه النفوس البشرية ، من شر وفتك ، فهو أسد يكمن فى انسان ، ولكم تستبد بالناس غرائز الوحوش .

يقول من قصيدة (الرحلة الى الأندلس) :

و (رهين الرمال) أفطس الا
نه صنع جنة غير فطس
تتجلى حقيقة الناس فيه
سبع الخلق فى أسارير انس

وفى ثورة الشاعر على الجمود ، يهيب بالجموع أن تتحرك ، رمزا (بأبى الهول) أن يخف من ركود الموت بالحركة والحياة :

فلم يبق غيرك من لم يخف
ـف ولم يبق غيرك من لم يطر
تحرك (أبا الهول) هذا الزما
ن تحرك ما فيه ، حتى الحجر (١)

وفى نهاية هذه القصيدة الرائية من البحر المتقارب ، ينظم الشاعر نشيدا ملحقا بها من البحر المتدارك ، يردد فيه على لسان فتى وفتاة انشق عنهما صدر (أبى الهول) ، مغزى قصيدة من ضرب الأمثلة بعظماء الملوك ، وابراز كفاح (مصر) ضد الغزو الخارجى ، الى التذكير بمعالم الحضارة نشدانا للحرية ، وبعثا لمحاسن الماضى ، وتشييدا لعز وطن ينبغى أنْ يفدى بأبنائه .

ثم هو يستثير هممهم ، ويوقظ فيهم دوافع الحماس بوسائل أبياته المختلفة ، فللعصر عيون تراهم ، وتراقب أعمالهم ، وآثار الآباء يقظة تلحظهم ، ثم يستنهض هممهم ، ويحدوهم بشد وعذب جميل ، لينتهى بهم الى الغاية التى مهد لها ، وساق اليها (مصر) ، فأعز مالدى الشاعر من رجاء أن تكون هى الدنيا :

اليوم نسود بوادينا
ونعيد محاسن ماضينا
ويشيد العز بأيدينا
وطن نفديه ويفدينا

و (شوقى) بنهجه هذا قد أضاف جديدا الى أدبنا العربى فـ : « هذه المناجاة التاريخية الحضارية السياسية فى أرفع مستويات الأدب والفكر ، ويمكن أن تشبه (بأسطورة العصور)

(١) الاستاذ (محمد صابر) — (مصر) تحت ظلال الفراعنة : ١٠٧ م ، الرسالة (د ، ت) — نشر مكتبة الانجلو المصرية .

(١) (الهلال) اول اكتوبر سنة ١٩٢١ ، والشوقيات : ١/١٥٧ وما بعدها ، و (ديوان شوقى) ١/١٩٢ وما بعدها .

لـ (فكتور هوجو) التي عرض فيها لتطور الحضارات ، وقيام الأمم ، وزوال الممالك منذ الانسانية الأولى) (١) .

وفي ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ أقيم احتفال بازاحة الستار عن (تمثال نهضة مصر) الذي صنعه (محمود مختار) من (أبي الهول) ، وبجانبه فتاة فلاحة تنهضه » (٢) .

وما لاحت تلك المناسبة (لشوقي) حتى ابتدر المحتفلين بقصيدة وصف فيها هذا التمثال وصفا بليغا فياضا بقوة التصوير ، انتهى فيه من الاشادة بقدرة المثال في خلع الحركة على الجماد ، والباسه ثوب الحياة ليصف الفلاحة — وهي تدنو منه — كأنها أم رءوم هاج خواطرها ، وأثار شجوها مقعد مشلول ، قد غط في سبات عميق ، والقى على الرمل يجمع أثقاله ، وأقام حتى طال فيه مقامه ، فبدا الطول الطراقة (سطيحا) كاهن (غسان) ، وضارب رمالها لاستكناه الغيب ، وما كادت الفتاة تشير عليه بالتحرك حتى هم كأنما وعى قولها .

يقول تحت عنوان (تمثال نهضة مصر) :

لقد بعث (الله) عهد الفنون
واخرجت الأرض مثالها
تعالوا نرى كيف سوى الصفاة
فتاة تلملم سربالها
دنت من (أبي الهول) مشي الرءوم
الى مقعد هاج بلبالها
وقد جاب في سكرات الكرى
عروض الليالي وأطوالها
والقى على الرمل أرواقه
وأرسى على الأرض أثقالها
يخال لاطراقه في الرمال
سطيح العصور ورمالها (٣)
فقالت : تحرك فهم الجماد
كأن الجماد وعى قالها (٤)

٦ — وحيد أسفر البحث والتنقيب عن كنز (مصر) العتيق (توت عنخ آمون) الذي اكتشف مقبرته (هوارد كارتر) و (لورد كارنار فون) في عام ١٩٢٢ م — تلفت التاريخ المعاصر الى ماحوت مقابر القدماء من نفائس لبثت في أعماق الثرى أحقابا ، ثم بدت فأفشت أسرار

حضارة ، طاشت بأحلام المعاصرين ، وأثرت بنفائسها متاحف الفن : ودور الآثار ، بما اشتملت عليه من « صناديق جميلة مطعمة بالعاج والأبنوس ، ومطلية برقائق الذهب الوهاج .

نقش على بعضها مناظر الصيد ، والحرب ، وأواني مرمرية بديعة جذابة للغاية ، من بينها

(١) أدب (شوقي) في السياسة والاجتماع : ١٤٣ .

Et voir «La Legende des siecles» par V. Hugo tome 2 : L'Abime

(٢) (ديوان شوقي) : ١ هامش ص ١٢٩ .

(٣) سطيح : كاهن عربي من (غسان) مات بمشارف الشام سنة ٧٥٢ م ، والسطيح أيضا البطيء القيام لضعف أو زمانة .

(٤) الشوقيات : ٢/٢٢٢ — ٢٢٣ ، و (ديوان شوقي) : ١/١٣١ .

مصباح صور بداخله الملك والملكة . وعدد من الكراسي ، منها كرسي العرش المطعم بالزجاج الملون ... كما وجد تمثالان للملك ، من الخشب المدهون بالقار ... وأربعة مقاصير ، كانت جميعها متداخلة بعضها في بعض ... صنعت من الخشب المغطى من الداخل والخارج برقائق من الذهب عليها صور ونقوش ... وكان داخل المقصورة الرابعة تابوت جميل من الحجر الرملي الأصفر المتبلور ... ضم (المومياء).

التي وضع عليها قناع من الذهب يحمل صورة ناطقة (لتوت عنخ آمون) حيث وجدت داخل تابوت رائع من الذهب الخالص المرصع ببعض الأحجار الثمينة » (١) .

وما كان (لشوقي) الا يتيه فخرا يكشف لفت العالم الى كنز من الحضارة دفين . وقد رصد من شعره مرآة تعكس مجد القدماء . استنهاضا لهمم المعاصرين . فما بداله الملك العتيق . حتى حظي منه بما لم يحظ من شاعرة (بنتاءور) فقد اختصه بثلاث قصائد :

وأهم ما يعنينا من قصيدته الأولى (توت عنخ آمون) تغنيه بمعالم حضارة . كم استضاء بها الرومان ! وكم قبس اليونان :

فكانت دليلا على عظمة شأن أصحابها ، وحسبهم ما شهدت به صم الحجارة ، وما دلت عليه مآثرهم من دقة الاتقان ، ومتانة الاخلاق واتباعه ذلك بما يعزز رأيه في احراز الخلود من حكم .

ثم تعرضه بالحديث عما أشيع من سرقة اللورد (كارنارفون) لتحف الملكة وجواهرها . فقد « ذكرت الأنباء في اثبات ذلك أن اللورد (كارنارفون) أهدى الى (ابنة ملك الانجليز) عقدا مصريا قديما له قيمة عظيمة . وأنها لما علمت بوفاته . وأن بعوضة من القبر عضته . نزعت من عنقها العقد خوفا من انتقام (توت عنخ آمون) «٢» .

وأوقف « شوقي » اللورد (كارنارفون) على مدى اعتزاز المصريين بتراث الآباء . وغيرتهم عليه . وتناوله بقوارص التأنيب . لايثاره صمتا لو كان بريئا ما لاذ به . وذكره بأنه بريطاني . ممن سرقوا الخليفة حيا . أفيعف عن سرقة الموتى . وهذه من تلك أيسر ؟! وهو بذلك يشير الى ما كان من أمر الانجليز في نقل السلطان (وحيد الدين) من قصره في الأستانة حماية لهمن الكماليين ، حيث أبحرت به المدرعة البريطانية الى (مالطة) في ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ بعد أن انتهت حرب اليونان ، و (تركيا) ، واتسق الأمر لحكومة (أنقرة) . (٣)

فمن تمجيده للفراعنة قوله :

فكانوا الشهب حين الأرض ليل
وحين الناس جد مضللينا

(١) (مصر) تحت ظلال الفراعنة : الصفحات ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ .

(٢) الشوقيات : هامش ص ٢٣٦ .

(٣) ــ راجع تفاصيل ذلك في (شوقي) أو صداقة أربعين سنة : ٢٢١ وما بعدها ، وانظر الشوقيات ج ١ هامش ص ٢٣٦ .

وعلى الله فليتوكل المتوكلون

مشت بمنارهم فى الأرض (روما)
ومن أنوارهم قبست (أثينا)
ملوك الدهر (بالوادى) أقاموا
على (وادى الملوك) محجبينا
فرب مصفد منهم وكانت
تساق له الملوك مصفدينا
اذا عمدوا لمأثرة أعدوا
لها الاتقان والخلق المبينا

وفى تقريعه (للورد كارنارفون) يلتفت اليه قائلا :

(أخا اللوردات) مثلك من تحلى
بحلية آله المتطولينا
لك الأصل الذى نبتت عليه
فروع المجد من (كرنورفونا)
ومالك لا يعد وكل مال
سيفنى أو سيفنى المالكينا
رأيت تنكرا وسمعت عتبا
فعذرا للغضاب المحنقينا
أبوتنا وأعظمهم تراث
نحاذر أن يؤول لآخرينا
ونأبى أن يحل عليه ضيم
ويذهب نهبة للناهبينا

سكت فحام حولك كل ظن
ولو صرحت لم تثر الظنونا
يقول الناس فى سر وجهر
ومالك حيلة فى المرجفينا
أمن سرق الخليفة وهو حى
يعف عن الملوك مكفنينا ؟!!

ويستوقفنى الدكتور (طه حسين) بطريف مداعبته (لشوقى) ، اذ تناوله فى قصيدته تلك بطيب الثناء ، ولاذع المأخذ ، وهو فى الحالتين يؤثر النقد المنصف على الحمد المسرف ، ويقرر أنه « قد لا يسهل نقد هذه القصيدة ، وقد يضطر الناقد الى أن يتلمس فيها العيب ، ويبحث فيها عن مواضع الضعف ، وقد لا يجد شيئا بعد طول التلمس والبحث ، فيقف من (شوقى) لا موقف الناقد ، بل موقف المداعب» ويقول عنها : « انها قصيدة من قصائد (شوقى) فيها الكثير الجيد ، وليست تخلو من الردىء ».

ويرى أنها ليست « مقياسا لشاعرية (شوقى) وحسن غوصه ، وفوزه بالمعنى الجيد ، وحسن أدائه فى اللفظ «الرشيق» فما هى « آية من آيات (شوقى) ، وانما هى قصيدة من قصائده

الجيدة ، وسر ذلك عنده أنه « لم يتكلف في هذه القصيدة لفظا ، ولا معنى ، وانما شعر وأحس وجرى قلمه بما أحس ، وما شعر ، وليس هذا بالشيء القليل ، ولعل هـذا هو كل شيء » ..

وقد أخذ عليه ما في القصيدة من عسر الهضم بتوارد كثير من الأسماء الأعجمية ، لكنه عنده قد « أجاد اللفظ والمعنى في قوله :

تعـالى (الله) كان السحر فيهم
أليسوا للحجـارة منطقينـا ؟!!

كما أنه أحسن وصف الخلود ، وأجاد التعبير عنه ، ولاسيما حيث يقول :

واخذك في فم الدنيـا ثنـاء
وتركك في مسـامعها طنينـا

غير انه لا يستطيب لفظ (الطنين) اذ يراه « قلقا في موضعه ، ضعيفا كل الضعف ، غير ملائم لصدر البيت » ويقول : « أنظر الى هذا الصدر تجده فخما ضخما واسعا رائعا (وأخذك في فم الدنيا ثناء) ثم أنظر الى عجز هذا البيت تجده خاملا ضئيلا نحيفا ، وهل تستطيع أن تضع (الطنين) بإزاء هذا الثناء الذي ينطق به فم الدنيا ؟ وأين يقع الطنين هذا الصوت النحيل من هذا الثناء ، ثناء الدنيا الذي لا حد له ؟ » ... ويرى أن قوله (أخا اللـوردات) ليس من (شوقى) في شيء ، كذلك وضعه الاسم الأعجمي (كارنارفون) موضع القافية ، واعتذار (شـوقى) الى اللورد من غضب الغاضبين لدى الناقد الكبير « يعـدل آلاف المرات ما كتب الكتاب الى اللورد (كارنارفون) من لوم ، ومن شكر ، واعتذار ... أما قوله للانجليز :

أمن سـرق الخليفـة وهـو حي
يعف عـن الملـوك مكفنينـا ؟!!

فهو عنده (سهم أصاب منهم المقتل ، وأحسن الدفاع عن المصريين في لطف ، وخفة روح » غير أن كلمة (مكفنينا) لم تعجبه .. (1) .

ولمحـات الدكتور طه حسين النقدية فوق تعقيب مثلى عليها ، ولكن (لشوقى) — دون شك — عذر في ايراد الأسماء الأعجميـة ، اذ لا يملك لها تبديلا ، ولا تحريفا ، فقد اقتضتها مناسبة القصيدة ، ولم يكن بد من ذكرها ، على أن (شوقى) تصرف فيها بما يتفق مع موسيقى القصيدة وجوها ، اما حديثه عن الجودة وعدمها فقد يبدو أنه حديث غير محدد ولا واضـح ، واما ايراد (كارنارفون) في القـافية فأوقع ليحدث الأثر النفسى الذى قصده الشـاعر ، وجعله توطئة للحديث عن السرقة ، فهو ربيب مجد ، ولاسم أسرته صداه ، فكيف سافت له السرقة ؟!!

يتبـع

« محمد سلامة صالح »

(1) راجع كتاب (حافظ وشوقى) من ص ٩٣ الى ص ١٠٣ .

بلد اسلامي

تركيا ودورها في الاسلام

للاستاذ ادريس مصطفى دونر

كلمة « الترك » صينية الأصل بمعنى الرجل القوى شديد البأس ، وقد تعرف المسلمون على الاتراك في اقاليم « آذربيجان » قبل ان يحتكوا بهم ويجاوروهم في بلاد ما وراء النهر ــ نهر سيحون ــ ومن الواضح أن قوافل تجار المسلمين التى كانت تذرع مسالك آسيا الوسطى وطرقها منذ القرن التاسع الميلادى هى التى عرفت جماعات الترك بمبادىء الاسلام » (١) .

وتشد المسلمون ــ منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ــ فتح اقليم ما وراء النهر الذى كان يسكن فيه معظم الاتراك فأرسلوا اليه غزوات عدة وكان الاقليم مقسما الى عدة وحدات سياسية مثل « سمرقند » « وبخارى » وعلى رأس كل منها ملك من الترك وهم أشبه بالقبائل يحارب بعضها بعضا وقد تم فتح هذا الاقليم على يد «قتيبة بن مسلم » وكان الحجاج قد ولاه خراسان .

واستولى قتيبة بن مسلم على بخارى في سنة ٨٩ هـ بعد عناء شديد وفي عام ٩٣ هـ استولى على خوارزم ثم فتح سمرقند بعد قتال شديد وبفتحها وطد مركزه في بلاد ما وراء النهر (٢).

وهكذا أصبح هذا الاقليم كله تحت سلطان الدولة الاسلامية ، وسلك المسلمون العرب في معاملة أهل هذا الاقليم نفس السبيل التى سلكوها في الأقاليم الأخرى التى فتحوها من المعاملة الحسنة فشجعوا أهله على اعتناق

---

(١) ص : ١٨١ ــ ١٨٢ المختار محمد عالم الفكر (١) دراسات اسلامية ــ وزارة الاعلام الكويت ١٩٨٤ .

(٢) ص (٣٠٦) التاريخ الاسلامى العام لعلى ابراهيم حسن ــ مكتبة دار النهضة المصرية .

الاسلام فاعتنقه كثير من الأتراك وتتضح أهمية هذا الاقليم اذا علمنا أن كثيرين من علماء المسلمين من امثال « البخارى » « والفارابى » « والزندى » « والخوارزمى » قد ظهروا فيه (١) . وتقدم الاتراك الى الاقليم المعروف حاليا بتركيا بعد انتصارهم فى معركة — ملازغرت — فى عام ١٠٧١ م على البيزانطيين سكانه الأصليين فاستولوا عليه منذ ذلك الحين .

ظهر الأتراك فى مسرح السياسة العربية من عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ — ٨٣٣ — ٨٤٢ م) الذى اعتمد ، ومن تلاه عليهم اعتمادا كليا ، ولا عجب فى ذلك اذ كانت أمه تركية (٤) ولما أقاموا دولة السلاجقة قاوموا هجمات صليبية دفاعا عن الاسلام والمسلمين وبعد ما أسسوا الدولة العثمانية واصلوا الفتح الاسلامى حتى وسط أوربا ونشروا الدين الحنيف فى كل بلد فتحوه ، وكان الاتراك فى عهد الدولة العثمانية يفضلون لغة القرآن على لغتهم الأصلية وهى اللغة التركية فكان كثير من الشعراء والادباء الاتراك يكتبون باللغة العربية

ويقوم الهيكل التعليمى الدينى فى تركيا التى تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٩٪ من سكانها البالغ تعدادهم خمسين مليون نسمة تقريبا — على مؤسسة دينية ترعى شئون المسلمين وتوجد فى تركيا حاليا ثمانى كليات دينية تابعة لجامعات مختلفة يدخل هذه الكليات خريجو مدارس الأئمة والخطباء أى المدارس الثانوية الدينية وعددها ٣٧٤ مدرسة موزعة بأنحاء الجمهورية وخريجو الكليات يعينون فى المدن والمراكز بوظائف الافتاء والوعظ فى حين يعين خريجو مدارس الأئمة للقيام بأعمال الامامة والأذان فى المساجد .

والى جانب التعليم الدينى الرسمى تقوم الجمعيات الخيرية بانشاء مدارس أهلية فى مستوى « الاعدادية » تعترف بها الدولة وتصدق على شهاداتها ، وفيها يحفظ الطالب القرآن الكريم ويدرس بعض العلوم الاسلامية ويعين خريجو هذه المدارس أئمة أو مؤذنين فى المساجد بعد المامهم بالعلوم الدنيوية .

ومؤسسة رياسة الشئون الدينية هى التى تعين الخريجين سواء كانوا من الكليات أم من المدارس الحكومية والأهلية ، وللمؤسسة قسمان :

قسم ادارى   **وقسم علمى**

القسم الادارى :

يقوم بتلبية مطالب المسلمين الادارية مثل تعيين امام أو واعظ .

اما القسم العلمى : فهو يقوم بدور الافتاء فى المسائل الاسلامية وله مجلس يتكون من عدة علماء بارزين ويسمى « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » ومعظم أعضاء هذا المجلس تلقوا دراساتهم بالأزهر

والشعب التركى المسلم متمسك بدينه وتقاليده الاسلامية حسب امكانياته المحدودة والمطلوب من الازهر ان يمد يده نحوه بشكل اكثر .

ادريس مصطفى دونر

(١) ص ٤٦٤ نفس المصدر .

طرائف

القرآن الكريم

معجزة مستمرة خالدة

بين الدكتور موريس بوكاى والكابتن جاقوس كوستيو

أفاد الدكتور موريس بوكاى وهو مسلم بارز حديث عهد بالاسلام ، تعرف على القرآن الكريم عندما كان يعالج عاهل المملكة العربية السعودية الملك فيصل رحمه الله (١) .

بأن الكابتن جاقوس كوستيو قد اعتنق الاسلام فى الآونة الأخيرة .

لقد شاهد الكثيرون ، وبالدهشة ، على الشاشة الصور التى التقطها تحت الماء فريق من الباحثين العاملين باشراف الكابتن «كوستيو» وتاثروا بالاختبارات المتعددة التى أجراها فى بحار العالم ونال كاستيو شهرة لا تقل عن شهرة الرئيس الفرنسى ، يقول :

« كنا مشغولين بفحص نتائج بعض الباحثين الذين أصروا على أنه هناك حواجز تفصل بين البحار بعضها عن البعض . أثبتت نتائج بحوثنا **أن البحر المتوسط له ظروف متميزة من حيث درجات الحرارة ونسبة كمية الاملاح وكثافة المياه الخاصة به .**

وبعد ذلك بحثنا فى المحيط الاطلنطى ووجدنا ظروفه مختلفة جدا عما عليه البحر المتوسط بالرغم من أن كلا البحرين متصلان عن طريق مضيق « جبل طارق » هذا فى حين كان من المنطقى التصور أن يكون البحران متماثلين من حيث الكثافة ، الا أنه ليس ذلك صادقا بأى حال من الأحوال .

كل البحار لها ميزاتها الخاصة بها . كانت دهشتى عظيمة .

هل من اللازم أن تتواجد حواجز عند نقاط اتصال مختلف البحار .

---

(١) وهو صاحب المؤلف : « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » وقد قامت دار المعارف ـ فى مصر ـ بنشر ترجمة عربية كاملة عنه .

إعداد: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

وكذلك فان جماعة من علماء ألمان وصلت الى نفس النتيجة . اذ اجروا فى ١٩٦٢ م بحوثا عند مخرج البحر الاحمر بقرب خليج عدن . ذلك على أن هذه الحواجز موجودة عند كل نقطة اتصال حيث يلتقى البحران .

صارح الكابتن « كوستيو » صديقه الدكتور موريس بوكاى » بنتائج بحوثه .

فأجابه الدكتور م. بوكاى « بأن هذه البحوث لا جديد فيها ، فان « القرآن الكريم » صرح بذلك ، فمن شاء طالعه وأمعن النظر فيه .

وطالع الكابتن « كوستيو » « القرآن الكريم » واستولت عليه دهشة شديدة .

وقال ــ بكلمات بسيطة :

اعلن أن هذا القرآن ليس الا وحيا خالصا من عند الله ، وما علومنا المعاصرة الا مصدقة لما فى القرآن الكريم الذى أنزله الله سبحانه للبشرية منذ أربعة عشر قرنا مضت .

وها هى الآيات القرآنية التى سبقت تلك البحوث يقول ــ تعالى :

« وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا » . الفرقان ٥٣

« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » . الرحمن ١٩ ــ ٢٠

عن مجلة « اليقين » الباكستانية
نقلا عن الـ « ديد يانس »
التى تصدر بالانجليزية بدهلى الجديدة
عدد يوليو ــ أغسطس ١٩٨٣

حقا

قال ابن معين :
كان أبو مسهر ينشد :

ولا خير فى الدنيا لمن لم يكن له
من الله فى دار المقام نصيب
فان تعجب الدنيا رجالا فانها
متاع قليل والزوال قريب

« دعاء »

اللهم لا تشمت بى عدوى ، ولا تسىء بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا اكبر همى ، ولا تسلط على من لا يرحمنى ياحى ياقيوم .

(١) سُورَةُ الفَاتِحَةِ

مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

مجلة الأزهر

الفتاوى

حكم الله في التبرج

للأستاذ طه حبيب

مما لا شك فيه أن الحفاظ على سمو المستوى الاخلاقى فى الأمة واجب مقدس ، لأنه المثل الأعلى الذى تدعو اليه كل الأديان السماوية . وفى ذلك يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)

ومن الاصول المقررة فى كل دين : الامر باحتشام المرأة ، ورعاية أخلاقها واحترامها ، لأنها الراعية الاولى لبناتها واولادها . ولكن الاسلام انفرد من بين سائر الاديان بالتأكيد على هذه الناحية . تأكيدا يصل الى درجة الالزام . (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ) وان تعجب فعجب قول بعضهم : ان عودة المرأة الى الحجاب ردة . وان سفورها تقدم ، مع أن هناك قاعدة تقول : ان كل ما فيه فتنة او ساعد على فتنة محظور شرعا وعلى كل مكلف انكار ذلك . اما باليد وذلك للحاكم « لان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . او باللسان وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن . امتثالا لقوله تعالى : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

قال الكاتب (١) :

س ــ ما حكم الله تعالى فى حضور المسلمات حفلات السينما والملاهى التى

---

(١) مجلة (نور الاسلام = مجلة الازهر) المجلد الرابع الجزء الاول .

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

تبعث في القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التي لا تخلو من نظر الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟ وما الحكم ايضا في ذهاب المسلمات الى حوانيت الحلاقين لقص الشعر بيد الرجال، او بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن ، فهل يفترض منع جميع ذلك في دين الاسلام ؟

الجـــواب

ظهور السيدة خارج منزلها :

خروج السيدة من منزلها متبرجة يأباه الدين وتأباه الكرامة باجماع المسلمين ، ولا يرضى به الا من هو بعيد عن الخلق والدين . فاذا خرجت المرأة لمقتضى فلا يباح لها الخروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال . قال الله تعالى : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ » .

وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة الا وجهها وكفيها . فلا يجوز لها أن تبدى شيئا في الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة لا يجوز اظهارها . أما الوجه فانما يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة أما من لا يأمنها **فلا يجوز له النظر ، ولو أن الوجه غير عورة ، لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه ، اذ جواز النظر منوط بعدم خشية الفتنة .**

وصفوة القول :

أنه اذا خرجت السيدة لما يقتضي الخروج فينبغي أن يكون خروجها في حشمة ووقار ، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظار المارة من الرجال والشبان .

وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليلا أو نهارا لمثل ما جاء في السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السينما التي تقول انها تبعث في القلوب ينابيع الشر ، وانها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن ، لا يجوز ، لما في ذلك من الفتنة ، ولما فيه من الوقوع في المحرم فعلا ، كنظر الرجال الى أعناق السيدات وشعورهن ، وغير ذلك مما لا يجوز النظر اليه.

والقاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محظور غير جائز ، لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع . ولا شك أن ذهاب المسلمة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها ،

بيد رجل أو بيد امرأة ، مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء واعناقهن ، أمر غير جائز ، لأنه فضلا عما فيه من كشف الشعر والعنق — وهما عورتان — هو تبرج ممقوت .

السفور :

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد في السؤال لا يجوز شرعا . وقد التبس الأمر على كثير من الناس ، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سافرة ، مهما ترتب على ذلك من فتنة ، كما ظن هؤلاء أنه مادام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه ، وكلا الأمرين غير صحيح . والأساس الذى يجب السير عليه هو خشية الفتنة ، فمتى وجدت لا يجوز الخروج ، كما لا يجوز النظر لمن لا يأمن الفتنة .

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطئ أن تورط الناس في ذلك تورطا فاحشا ، فأصبحت بعض السيدات تمشي الطرقات دون حاجة ، وتختلف الى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر اليهن ، ولا تخرج احداهن الا متزينة بأبهى زينة ، سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر ، دون حياء أو مبالاة بخلق أو دين . وقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يبالين بالأخلاق الفاضلة ، وفقدن خلق الحياء بالمرة ، وأصبحن كالنساء في الجاهلية الأولى . وقد نعى الله على أصحابها في القرآن ، وأمر النساء بترك التبرج .

الداعون الى السفور :

وكأني بأصحاب الدعوة الى السفور يندبون الأخلاق لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يترتب على ما قاموا به من دعوة الى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن ، لأن دعوتهم لم تكن الا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار ، حتى انهم نعوا حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لا يحجب ما وراءه ويدعو الى النظر .

وما كان ذلك الا لأنهم يرون أن جواز كشف السيدة وجهها يجب أن يكون مصحوبا بغير تبرج ، كما يجب أن يكون مصحوبا بترك الزينة التي تجلب الأنظار . ولقد كانت دعوتهم الى ابداء الوجه واليدين اعتمادا منهم الى أن ذلك أدعى الى عدم التبرج وترك المهازل التي كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر لا يغيب ما وراءها ، بل تكون داعية الى تحديق النظر أكثر مما لو كان الوجه عاريا والزينة متروكة .

تلك كانت دعوتهم ، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح ، فوقعنا فيما نراه الآن :

من انهيار الأخلاق ، وضياع الحشمة والوقار ، بل وضياع المروءة في بعض النساء ، حتى أصبحن يبرزن للناس بوجه ليس فيه حياء ، تكاد الواحدة منهن تخرج عارية . وان لك فيما تراه من الصور التي تنشرها جرائد الصباح والمساء لأكبر العبر فيما وصل اليه الحال الآن .

التبرج والشكوى منه :

ولقد راقني ما قرأته لبعض الكتاب في جريدة الأهرام الصادرة في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ تحت عنوان « ما قل ودل » ، فقد جاء في هذا المقال ما نصه : « الاسكندرية في أوجها ، « ستانلي باي » صباح الأحد هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر مئات المتلهفين على رؤيته ، الذين تتقصهم الموارد ، والناس يجذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير في يده ، يلتقط عن يمينه وشماله ، ويجتهد في الحصول على الصور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكار دائم» الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القدير من قوله :

« ولكن جزعي ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات ، ولكن جزعي هو من أجل المستقبل . أخشى عشر السنين القادمة ، أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستهتار » ! الى أن قال : فاننا يجب أن ننفخ في صور الفضائل، ونمجد اللواتي يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال ، يدرسن ويبذلن شبابهن في خدمة المجتمع ، فهؤلاء هن اللواتي يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة الكريمة ، لا اللواتي يقتبسن آخر أزياء البجامات من شاطىء « ستانلي باي » .

صور النساء :

راقتني منه الكلمة حقا ، وبقدر ما راقني هذا الأسلوب البديع للدعوة الى الأخلاق الفاضلة وترك التبرج الممقوت (و) ساءني والله ما رأيته في احدى جرائد الصباح من رسم لثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتاتين بثياب البحر تلعبان مع صديق لهما يقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب على شواطىء البحر ، التي سمتها الجريدة « لذة الخروف » فان هذه الرسوم التي تنشرها جرائدنا على اختلافها ليس اظهارها من صالح مجتمعنا ، ولا هي تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا في هذا ، وهو ما ينافي أخلاقنا وديننا .

ساءني هذا ، كما ساءني غيره من كثير مما أراه من الرسوم في صحيفة الصور التي تنشر في جرائد الصباح والمساء ، وقلت :

حبذا لو أن كتابنا وجهوا عنايتهم واقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصنيع الممقوت ، الذي لم يقف عند النساء ، بل تعداهن الى الشبان ، فان منهم — والحسرة تملأ القلب — من يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها ، فهذا والله داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأباه الفضيلة ، ويدعو الخلق الى تغييره . وانه لما يدمى له القلب ويضيق له الصدر أن يترك القوم أوامر دينهم التي يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليها الفضيلة . فالام نبقى على تلك الحال السيئة ؟!

وأين الآباء والأزواج ؟!

انهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا .

ألا قاتل الله التمدين اذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه !

لقد اعتدنا والأسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار ونترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين نقلد بعضهم ، لما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فهانحن أولا نسمع أن بعض الدول العظمى قد بلغت أسمى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التي كانت لها في العصور الوسطى .

أما نحن فمع أننا لم نبلغ شأوا في الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنا ، وكثرت فينا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صار القبيح المجمع على قبحه حسنا في نظر البعض ، يحبذه ويدعو اليه .

ولك مما تنشره بعض الجرائد الأسبوعية في تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا ننسل من الأخلاق الفاضلة .

واليك مثلا أنت الحكم فيه بعد سماعه :

نشرت احدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مباراة بين الممثلات ، لابسات ملابس البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم لبعضهم في أي الفتيات أحسن ، فحكموا لاحداهن ، وقد رسمتها هذه المجلة بملابس البحر ! فهل رأيت أو سمعت مثل هذا في بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟

انى لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور يبلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ، ولو سمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ، لأن هذا الضرب من التهتك بل الجنون في التهتك انتحار لأخلاقنا !

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن، والدعوة الى ما ينافى الفضيلة . ولا أدرى أى نفس تلك التي تستحسن تحبيذ هذا الفعل القبيح وهو خزى في الدنيا والآخرة ، ومعصية تأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأفتها ومحو جرثومتها ؟!

وما جاءنا هذا الا من اتباع الهوى ، وعدم تحكيم العقل والتقليد الأعمى في كل ضار ،

وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يدعو الى خلق حسن وعادة قومية ويثنى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يصبون عليه جام غضبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق ، مهما كان من أمره . ولو درى الأثمى يعمل هذا وعلم الذين يدفعون عنهن بأن الكل بهذا قد ذهب بخلق الأمة وهدم قوميتها ، وارتكب محظور دينه — لو علم هؤلاء ذلك وتفطنوا له ، لثابوا الى رشدهم ، وحالوا بين الأمة وما هى فيه من سوء الأدب .

ولكن ما الحيلة ؟! وقد ابتعد الناس عن الدين والخلق المتين ، حتى كاد ينقض من

الأساسي ، وأصبحت تسمع ممن تنصحه الغراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذي أنت فيه : جيل التجديد والمجددين !

التجديد وبراءة المجددين من امثال هذه المفاسد :

وانى أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد أن المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق والتمسك بأهداب الفضيلة . ومن الذى يقول : ان التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق ، أو الحط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه . وانما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية . وهو فى كل شىء بحسبه وبما يلائمه ، ولايكون التجديد الا فيما يقبله .

ومن البدهيات ان الأديان لا تقبل التجديد ، لانها عقائد واحكام يجب على اهلها التمسك بها ، ولا يمكنهم الخروج عنها ، الا اذا خرجوا عن الدين والاخلاق الفاضلة ، فلا يمكن التجديد فيها ، الا بكثرة الدعوة اليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة » . والمحظورات الدينية لا يمكن تغيرها ، ولا المساس بجوهرها ، ولا القول باباحتها . فاذا حظر الشارع امرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن افعله ، بل فعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين

وليس هذا من التجديد فى شىء ، بل هو محو وهدم لا يقول به أحد ، اذ لا يمكن القول بأن ما اتفقت العقول والفطر السليمة على انه خلق حسن ، ونصت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه .

أما ما يقبل التجديد فاننا ان لم نجدد فيه ونقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقصود والركب سائر ، وهذا مالا يقول به أحد . ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناه الحقائق العلمية منها .

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين أيدينا نص عليها : يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية ولا ينبو عنها . ولاشك أن هذا تجديد . وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) .

والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن ، بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه سبيلا اليه .

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه . اما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من ان معناه ترك القديم ولو دينا ، فهذا مالا يقول به من له مسكة من العقل . وها نحن

اولاء ترى علماء أوربا قد جددوا واستفادوا وافادوا ، ومع ذلك لم يقل احد منهم لواحد من قومه : لا تذهب الى محل عبادتك ، وللدين عندهم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام فى نظر ملوك اوربا واتباعه ما هو معلوم ، فهو اذا دعا الى امر دينى تلقته اتباعه بالقبول . ومما لفت نظرى فى اوامره انه امر بان النساء اللاتى يكن عاريات الذراع والمعصم لايباح لهن دخول المعابد .

راقنى هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت فى الأديان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليها الدين نظرة قبول ، ولا هى حرية بدخول معابده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من أتباعه قال : ان هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصل ، لأن الديانات ليست محل تجديد كما قدمت لك وهذه الدعوة التى دعا اليها البابا دعا اليها الدين الاسلامى من أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . ولكن بعض المسلمين — كما شرحنا لك — قد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى الا ترك تعاليم الدين ، وفعل ما لا يتفق والخلق الحسن .

ولايفوتنى أن ألفت نظر المسلمين الى ان ما دعا اليه ديننا الحنيف انما هو الخير كل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضيلة ، وكل خلق نهى عنه هو الرذيلة . وما نراه الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص فى ديننا . فهذه جرائدنا نقلت على سبيل الاستحسان ما امر به زعيم ايطاليا من حظر الرقص على الضباط اشفاقا على رجولتهم .

فهذا الذى استحسنته جرائدنا — وهو حسن فى ذاته — دعا اليه ديننا من قبل ثلاثة عشر قرنا . ولكن غفلتنا عن حكم الدين او قعتنا فى الشرور من حيث لا ندرى ، والا فأى مسلم هذا الذى لا يتقطع قلبه حين يرى بعض الشبان يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحاجب ، ويحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! انها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالا يتركون رجولتهم ، ويأبون الا أن يرتكبوا ما حظره الدين على النساء فى الطرقات !

ولست أبالغ اذا قلت : ان الحالة فى حاجة الى سن قانون يقضى بعقاب كل شاب يلاحظ عليه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجة تتزيا بأزياء الجاهلية ، وتتبرج تبرجهن . ففى سن هذا القانون قطع للرزيلة ومحولها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التى عليها الحال الآن فى الطرقات والمسارح والملاهى .

فحبذا لو أن حكومتنا عملت هذا او ما يقرب منه ، كوضع عقوبة لأولياء الأمور من آباء وأزواج ، والا فقد طفح الكيل وبلغ السيل الربى . فلا حول ولا قوة الا بالله .

طه حبيب

دراسة عن مجلة الأزهر

لصاحبها

أحمد السعيد نعمان

بقلم الأستاذ
عاطف زهران

عرضنا فيما سبق لمجلة سميت جريدة الأزهر ، وسماها الدارسون مجلة الأزهر ولم تصدر عن مشيخة الأزهر وكان ذلك فى نهاية القرن السالف ١٨٨٩ ــ ١٨٩٣ · وبسطنا القول عنها فى سنتها الأخيرة ١٨٩٣ · تلك التى أشرف عليها مهندس الرى الانجليزى « وليم ولكوكس » · وهى اخطر مرحلة اذ اتخذها صاحبها بوقا للدعوة الى اللغة العامية ، وكان مثار العجب أن تصدر هذه الدعوة عن مجلة تسمت بذلك الاسم العريق ·

واليوم نعرض لمجلة ثانية تسمت بذات الاسم « الأزهر » ولكنها لم تصدر عنه أيضا وصدرت بعد ربع قرن من صدور المجلة الأولى · وكانت حريصة على لون معين من الثقافة · فهى دينية أدبية علمية جامعة · وظلت ملتزمة بهذا الخط حتى أغلقت اللهم الا بعض الهنات التى سنذكرها فى حينها ·

وصاحب هذه المجلة (أحمد السعيد نعمان) صدر العدد الاول منها فى ٤ فبراير ١٩٢٨ · وصدرت اسبوعية بعض الوقت ثم توقفت حينا ثم أعيد صدورها نصف شهرية الى أن توقفت· وكان شعارها (مجلة علمية أدبية مصورة) بعد أن نضجت واتضح خطها · وان كان شعارها أول أعدادها (مجلة جامعة مصورة)· وسنقسم هذه الدراسة الى قسمين يشمل كل قسم مرحلة من عمر المجلة ·

(المرحلة الأولى)

ونبدأ بالعدد الأول · يوم صدرت المجلة اسبوعية فى عشرين صفحة من الحجم الكبير عن ادارة بحى « الظاهر » ·

مجلة الأزهر

وفى العدد الأول والثانى من المجلة يرسم المسئول عنها سياسة المجلة ومن البدهى أن أية مجلة أو صحيفة تخطط لنفسها خطة تلتزم بهـا وتسير فى ضوئها . وهذه السياسة بمثابـة الصبغة التى تميزها عن سواها . والذى يضع هذه السياسة هم القائمون عليها :

رئيس التحرير أو صاحب الامتياز .

وهكذا .وندر أن تشذ عن هذه الخطـة المرسومة سلفا ويعلن عنها فى افتتاحية العدد الأول .

وفى العدد الأول من هذه المجلة حدد « أحمد السعيد نعمان » ذلك الخط . فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله — صلى الله عليه وسلم —

« وبعد فهذه مجلة الأزهر نخرجها للأمة ، ولا نريد من اخراجها الا أن نساهم بنصيبنا فى الجهاد العلمى القـائم ، والآن ننشر تعاليم الاسلام الصحيحة فى وقت أخذت تتحيفها فيه الألسنة اللاغطة ، ومجلة الأزهر ليست للأزهر وحده بل هى مجلة الجميع يطالعون فيها من طريف الموضوعات وتليدها ما يلذ ويفيد ، وفقنا الله الى خدمة الأمة » (١) .

وكانت المجلة فى بدء صدورها تغفل التاريخ الهجرى ، وتركز على التاريخ الميلادى فقط . وان كانت تداركت هذا الأمر بعد حين ، كمـا أن مادتها حوت ما لا يتفق مع اسمها أحيانـا مما سنعرض له فى حينه . وفى العدد الثانى من المجلة زاد صاحبها الأمر ايضاحا وأكـد على خطته التى سيختارها للمجله فقال بعد أن شكر القراء لاقبالهم على العدد الأول :

« .. امتلأت عزمـا وأمـلا ، وتحركت فى نفسى عوامل التقدير والشكر لهذه العاطفـة التى حبوتمونى بها « يخاطب القراء » والتى دفعتكم الى الاقبال على هذه المجلة الوليدة ، وليس شكرى وتقديرى كلاما أسـطره على الصفحة ثم أتركه ، بل هو عمل أقدمه اليكم تتبينونه فى التحسينات التى انتوينا أن ندخلها تباعا على هذه المجلة .. وستجدون فى مجلـة الأزهر دائما تجديدا وأبحاثا فى كل ناحية مـن نواحى الحياة » (٢) .

رحلة فى المحتوى

من خلال هاتين الافتتاحيتين يبرز لنا خط المجلة كما يرسمه صاحبها ومديرها . فهو يريدهـا عامة لا خاصة شأن أى صحيفة ، ولكن عناية المجلة العظمى كانت للدين وللأدب كما يقول وان لم تهمل غيرهما مـن سـائر الفنـون . وسنحاول أن نقدم صـورة أو نمـاذج لمـا احتوت عليه من مواضيع حسـبما تمكنا مـن الحصول عليه من أعدادها .

فقد تعذر علينا الحصول على كل أعدادها . ولكن حصلنا على مجلدين يحوى أولهما ستة أعداد منها (المرحلـة الأولى) عـن فبراير

١ — انظر افتتاحية العدد الاول فى فبـــراير ١٩٢٨ م .

٣ — افتتاحية العدد الثانى فى ١١ فبـــراير ١٩٢٨ م .

ومارس ١٩٢٨ ، ويحوى ثانيهما عددين عن نوفمبر وديسمبر من نفس العام .

وسنكتفى بالمجلد الأول فى تقديم محتوياته للقارئ، وقد يعطيه ذلك فكرة عامة عن بقية الأعداد ، وهذه بعض الموضوعات التى نشرت فى الأعداد الاول :

ظهور الفلسفة العربية (فلسفة) .
من هو الصديق ؟ (ادب) .
شئون الأزهر (اخبار) وهو باب ثابت فى كل عدد .
الى الشباب (شعر) .
متفرقات (طرف وحكم) وهو باب ثابت .
مصر فى عهد نابليون أو حكومة العلماء (موضوع بالصور) وهو دراسة تاريخية .
أمثلة من احترام حرية الراى فى عهد السلف الصالح .
رحلة الدكتور جوليفر (ترجمة) وهى قصة نشرت فى حلقات .

وفى العدد الثانى نرى بابا للفكاهات ، وآخر للفنون والآداب وثالثا للأبحاث الاجتماعية ، ثم للقصة ولرسائل القراء .

ولأن المجلة مصورة كما أعلن صاحبها فقد برزت هذه الصبغة على أغلفة المجلة . وكان الغلاف الاول والأخير يشغلان بصورتين لاثنين من المشاهير فى الدين أو فى السياسة : فقد نشرت صورة الشيخ محمد الشرقاوى رئيس الديوان العمومى فى عهد نابليون على غلاف العدد الأول . وعادة ما تكون صورة الغلاف ذات صلة بموضوع داخل العدد ويلزمنا بعد ذلك تعريف القارئ ببعض كتاب المجلة فى ذلك العهد :

محمود جبر ، الصاوى شعلان ، عبد العظيم أبو العز ، الشيخ محمود أبو العيون ، زكى النجار ، عبد المتعال الصعيدى ، زكى نعمان البرديسى ، عبد اللطيف السبكى ، آنسة ايزيس رزق الله ، الشيخ محمود شلتوت ، محمد محمود فرج .. وغيرهم .

ومن هنا نرى أن المجلة كانت تنشر لكبار كتاب العصر . كما كانت تفسح الطريق للطلاب من الأزهر ومن خارجه لنشر بعض الموضوعات بهـا .

الدارجة .. لماذا ؟

قلنا فيما مضى ان المجلة كانت محتفظة بطابعها وبخطها الذى يتناسب مع الاسم . ويفيد العلم والدين والأدب ، والمثقف عامة . يطالع فيها الفلسفة والتاريخ والقصة والطرفة والخبر والمعلومة والقصيدة والصورة . وغير ذلك مما لاتشوبه شائبة ولا يعلق بـه غبار .

ولكن القارئ للمجلة فى المرحلة الأولى سيجد قصة بعنوان (أمل فى السراب) للآنسة ايزيس رزق الله نشرت فى العدد الثالث من المجلة . امتزجت فيها العامية بالفصحى . وقد نبه المسئول عن المجلة على ذلك وعلل لنشرها بما فيها من فكاهة ودعابة لا بأس بهما . وكان من الأجدى أن ترفض مثل هذه الأساليب (١) .

١ ـ انظر المجلة العدد الثالث ص ١٥ .

وكان للمجلة من الأدب العربي أو الأجنبي في الفكاهة مايثنيها أو يزيد . فهذه بلا شك احدى صفات المجلة . وان لم تتكرر فيما بين أيدينا من الأعداد . والكمال لله وحده .

(المرحلة الثانية)

وتتمثل في المجلد الثاني من المجلة والذي يضم عددين متتابعين أولهما في أواخر شهر نوفمبر ١٩٢٨ وثانيهما في بداية ديسمبر من نفس السنة .

وبين العدد الأخير من المجلد الأول (مارس) والعدد الأول من المجلد الثاني (نوفمبر) فجوة تستمر ثمانية أشهر لم نحصل فيها على أعداد من المجلة ولم يتوفر لنا ما يفيد ان كانت قد توقفت أم أنها قد فقدت أعدادها .. قد يكون هذا أو ذاك .

وفي المقال الافتتاحي للعدد الأول الصادر في ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ نقرأ ما يفيد أن المجلة قد توقفت زمنا لم يحدده مديرها في حديثه .
قال أحمد السعيد نعمان :

« وبعد فهذه مجلة الأزهر نعيد اصدارها لتؤدي لأبناء هذا الوطن العزيز ما في استطاعتنا تأديته من خدمات في سبيل الدين والعلم والأدب . ومما سنعنى به شئون الأزهر » (١) .

ثم انه شرح خطة المجلة في تلك المرحلة الجديدة فقال : (٢) .

« وسنحرص على أن تكون المجلة متمشية في بعض موضوعاتها مع ميول جمهور القراء في مصر ، فتوفر فيها بجانب البحوث المفيدة ما يألفه القراء في المجلات الأخرى من الموضوعات العادية . »

فهو يريد أن يوسع قاعدة القراء وينطلق في الموضوعات العامة التي تخاطب الجمهور الكبير وتستولي على اهتمامه .

وراعينا أن نطلق على هذه الفترة المرحلة الثانية لما وجدناه من فروق بينها وبين الاعداد الأولى . فهنا أصبحت المجلة تصدر نصف شهرية ، وكانت أسبوعية . وهي تصدر في (٣٢) صحيفة بعد أن كانت تصدر في عشرين . وهي تكتب التاريخ الهجري بيومه وشهره وسنته مقدما على الميلادي وكان فيما سبق يهمل كليا او جزئيا .

واستحدثت أبوابا لم توجد فيما سبق من أعداد . فنقرأ فيها أبوابا للأدب الخفيف ، والمعلومات العامة (من الصحف والمجلات) .

ومشاهدات وملاحظات ، كما نقرأ فيها لأعلام من أمثال الشيخ طنطاوي الجوهري ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، وأمين عفيفي ، ومحمد البربري ، وعبد اللطيف ثابت وغيرهم من كتاب العصر .

---

١ ، ٢ ـ افتتاحية المجلة في نوفمبر ١٩٢٨ م .



وجـــود الله

وأظن القارىء فى شوق لمطالعة صفحة من المجـلة يرى فيهـــا خط المجلة وسياســتها ومستواها .

وهذه قطعة ترجمها أمين عفيفى من علمـاء الأزهر عن الفرنسية بعنوان (وجود اللـــه) نكتفى بجزء منها .. قال :

« .. تأخذ العقل حيرة الشك ، وفى ظلمـة شكه تشرق عليه أنوار الحقيقة مــن أعمـاق النفس ناطقة باسم اللـــه الخـالق العظيم . فالنفوس بطبيعتها تنزع الى الايمان .. بغير الأيمان بالله وعدله والخنوع لقضائه وقدره تكون الحياة مظهرا جافا أليما . فانا اذا لـم نعتقد أن فوق الظالم قوة تأخذه بظلمه ، ووراء المظلوم يدا تنصره على ظالمـــه . ونعـرف أن للانسان نهاية يسأل فيها كل انسان عما قدمت يداه فانا لا نطمئن الى نظم الحياة ولا نجـد فيها بهجة ولا سموا .
نرى القوة تسـحق الحق ، والقــوى يبطش بالضعيف ، أفليس للحق ساعة يسمو فيها على القوة ، وللضعيف يوم يصبح فيه قويا ، أو هى الحياة نهب للناهبين وغنيمة للقادرين ؟ فوق الانـسان قوة الله ، ووراء ظلم الانسان أخاه عدل الله بغير هذه الحقيقة السامية تعيد الحياة عبثا فاسدا ولهوا أعمى . نفوسنا لا تطمئـن لحظة واحدة للحياة الا اذا عرفت أنها مسيرة حسب نظام الهى وحكمة سرمدية . فالانسانية من العهد الأول الى اليوم تؤمن بالعدل الالهى الذى سيؤخذ به العالم يوما باذن الله (١) .

واعتذر ان أطلت فى الأخـذ عـن المجلـة فالاسلوب جيد والحديث شيق . وعذرى الا أبتر الحديث فأخل به ، وحسبى أن اسـتدل بهذه الفقرة من هذا الموضـوع . فالمجال يضيق عن سرد أمثلة أخرى .

سقطة ثانية :

على الرغم من جمال العبـارة ، وطـلاوة الأسلوب فى الغالب الأعم من موضوعات المجلة فلم يمنعها ذلك من سـقطات .

وذلك هو شأن البشر يسـعى للكمـال فلا

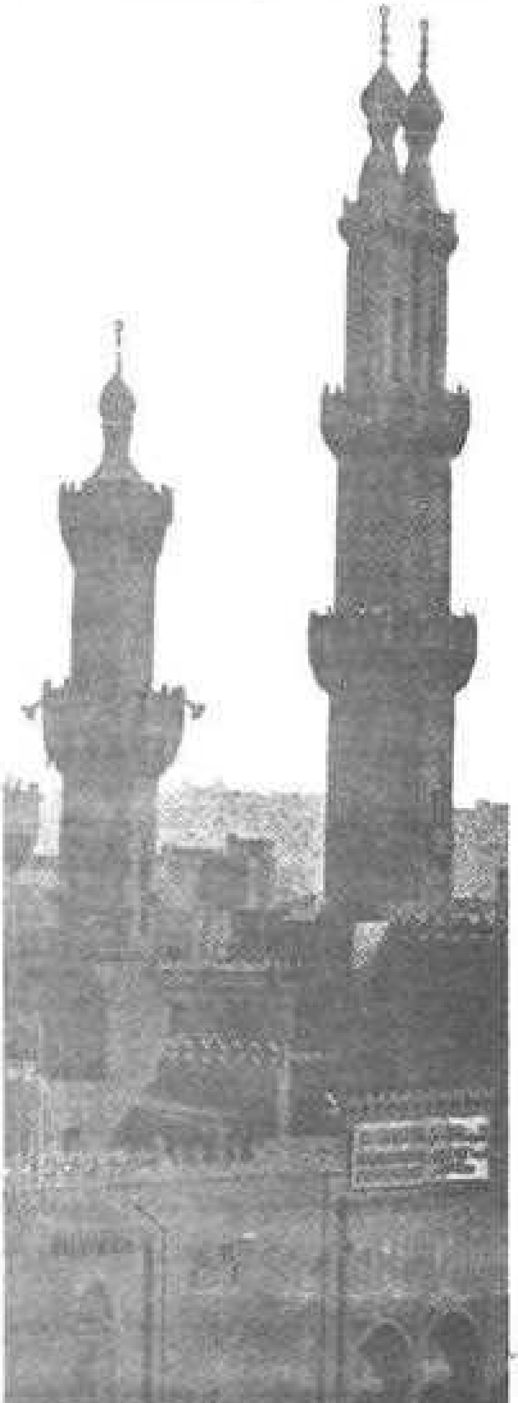
---

١ ـــ مجلة الأزهر لاحمد نحلان فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ ص ١٥ .





الافتتاحية العدد الأول



يحوزه ، والاذواق تتباين مما تراه أنت نافعا وصالحا قد يراه غيرك ضارا ومفسدا . بذلك قضى الله .

ولا يزالون مختلفين .. مختلفين فى الاذواق والعقول وغيرهما .

ولقد ختم العدد الأول من هذا المجلد بمقال عن (المسرح المصرى) ويبدو أن المجلة قد خصصت ركنا منها فى تلك المرحلة لهذا اللون من الأحاديث عن المسرح والمسرحيات والتمثيل والممثلات وعن الفرق المسرحية وأربابها فى أسلوب ضعيف هو للعامية أقرب منه الى الفصحى . وهذا الموضوع كان عبارة عن تقييم ونقد ومتابعة للأعمال المسرحية . وتشعر وأنت تقرأ المجلة بأن هذا الموضوع قلق فى ركنه هذا لأنه وضع فى مكان غير لائق به ، وانما مكانه هناك فى صحف الفن ومجلاته المتخصصة فى هذا اللون و العامة التى تأخذ من كل فن بطرف لترضى شتى الأذواق . وتخاطب أوسع قاعدة من القراء .

أما مجلة كهذه . وقد سخرت نفسها لخدمة العلم والدين والأدب فكنا نود الا تولى هذه الموضوعات أى اهتمام . لتحتفظ بالقارىء ، الذى يؤثرها عن سواها . والذى لا يسمى ولا يهتم بأخبار المسرح المصرى وفرقته ، ومسرح رمسيس وانجازاته ، ولا يضره ـ بحال ان جهل أخبار فاطمة رشدى وأخواتها .... الخ

ومن غير المقبول أن يوجد موضوع كهذا وسط هذه اللآلىء . وهو لا يتناسب معها لا فى الشكل ولا فى النفاسة واذا كان عذر القائمين على أمر المجلة اجتذاب أو ارضاء لون معين من القراء فذلك أمر غير مقبول بحال .

* العدد الأخير

أطلنا الوقوف مع العدد الأول من المجلد الثانى والصادر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ .

مركزين عليه لنقدم فكرة أقرب الى الصواب عن المجلة فى فترة تمثل أنضج عهد لهذه المجلة .

وهذا العدد هو أحد عددى المجلد الثانى أما العدد الثانى من نفس المجلد فقد صدر بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٢٨ بعد أكثر من عشرين يوما من صدور العدد الأول . وهو العدد الأخير الذى حصلنا عليه . ولا يعنى ذلك قطعا أنه آخر عدد صدر من المجلة فى هذه الفترة . حيث لم نحصل على ما يفيد ذلك . فلم نقرأ تنبيها أو اعلانا عن توقف المجلة بعد ذلك أو احتجابها لحين ، خصوصا أنه يوجد من العدد الثانى ثمانى عشرة صفحة (١٨) فقط فلم نجده كاملا حتى يتسنى لنا أن نقرأ فى خاتمته اى ملاحظة تفيدنا فى هذا الشأن .

وكان يهمنا أن نعرف سياسة المجلة وزمنها والجهة الصادرة عنها ، والمشاركين فى تحريرها وما عالجته من موضوعات . وقد حاولنا ذلك جهدنا .

والله الموفق والمعين

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ف . عبد الاله
ما حكم الاسلام في صلاة النساء في المسجد ، وهل يجوز للامام أن يعطيهن درسا ، وهل يحصلن على ثواب مثل الرجال ؟

ج : لا مانع من صلاة النساء في المساجد مادمن غير متبرجات ولكن الأفضل لهن أن يصلين في بيوتهن .

كما يجوز للامام أن يعطيهن دروسا ويعظهن ويكون ثوابهن مثل ثواب الرجال .

س : من السيد ع . ابراهيم .
تزوجت ابنتي برجل ودخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج وانجب منها أولادا ، وقد قام بتجهيز عش الزوجية نظير مقدم المهر ، ثم توفي ، فما حكم المنقولات التي اشتراها من ماله نظير مقدم المهر للزوجة .

ج : المنقولات تعد ملكا خالصا للزوجة لا يشاركها أحد من الورثة فيه ، لأن الزوج أحضر هذه المنقولات نظير مقدم المهر للزوجة.

س : من السيد ع . ص . ابراهيم

ما هو مقدار زكاة الفطر للفرد هذا العام ؟

ج : قيمة زكاة الفطر للفرد هذا العام هي (٦٢م) قرشا كحد أدنى عند الجمهور ، وعند أبي حنيفة (٤١م) قرش كحد أدنى .

س : من السيد / س . ث عبيد
رجل كان مسيحيا ونطق بالشهادتين أمام أحد العلماء . فهل يكون مسلما شرعا ؟

ج : بنطقه بالشهادتين أمام أحد العلماء صار مسلما شرعا ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من صلاة وصوم وزكاة .. وهذا من الناحية الشرعية ..

ولكن يجب عليه العمل فورا باتخاذ الاجراءات القانونية لاشهار وتوثيق الشهادتين أمام الجهات المختصة حتى يكون مسلما شرعا وقانونا فيستطيع الزواج بالمسلمة ■

اللغة والأدب والنقد

حذف الجار مع الفعل المعدى به

في حاشية الأمير "عشاق الحاشية"

السرعة وبلاغة العمل الأدبي

أنبـاء وآراء

حذف الجار مع الفعل المعدى به

الفعل اللازم قد يعدى احيانا بحرف الجر ، نحو ذهبت بسعد « وخرجت بعلى » ، « وغضبت على اسحاق » « وعطفت على صالح » ، « وبحثت عن حاتم » .

وهذا الحرف يجوز حذفه سماعا او قياسا مطردا ، ومتى حذف الجار سماعا او قياسا وجب نصب المجرور به ، والناصب له هو الفعل عند البصريين ، وحذف الجار عند الكوفيين وشذ بقاؤه مجرورا بعد حذف حرف الجر ، كقول الفرزدق يخاطب جريرا ، ويهجو قومه :

اذا قيل اى النـاس شر قبيلة

اشارت كليب بالاكف الاصابع

بجر كليب ، والأصل ، أشارت الى كليب فأسقط الجار وأبقى عمله شذوذا ، اذ كان حقه النصب .

وحذف الجار مع الفعل المعدى به على قسمين :

جائز سماعا فقط .

وجائز قياسا مطردا .

كما سبق فحذفه سماعا على وجهين :

الأول : وارد في السعة مع الفصاحة والكثرة، نحو « شكرت عامرا ونصحته » ، « ونظرت داود وسمعته » ، « وكلت وائلا ووزنته » ، « وتوجهت مكة » ، «ومطرنا السهل والجبل»، « وضربت الغلام الظهر والبطن » ، « وذهب الشام » ، وحذف الجار مع ذهب خاص بالشام فان ذكر بعدها لفظ غير الشام لم يحذف حرف الجر اختيارا فلا يجوز « ذهبت المسجد أو الدار مثلا » لكن الأكثر ذكر اللام الجارة مع هذه الافعال نحو قوله تعالى : (وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) ، وقوله أيضا : (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) ، ونحو « كلت له » ، « ووزنت له » .

للأستاذ
أحمد حسن عبد العواض هلالي

وقد قال التفتازاني : ان اللام في هذه الأمثلة وأشباهها زائدة ، لأن معنى نصحت زيدا ونصحت له مستويان ، وجاء في التنزيل :

(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)

بدون ذكر اللام ، ولذا فالتمثيل لحذف الجار ونصب المجرور بعد حذفه بنصحته وشكرته غير دقيق ، ومجاف للصواب ، فانهما يتعديان بأنفسهما فاذا نصب المفعول بعدهما فلا يقال : انه نصب بعد حذف الحرف الجار ، ووارد في السعة أيضا مع الفصاحة والندرة كقوله تعالى :

« لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ »

أى على صراطك ، ووارد في السعة مع الضعف والندرة ، فقد سمع « مررت زيدا » .

والوجه الثاني : خاص بالضرورة ، فلا يجوز استعماله في النثر ولو في منصوبه المسموع ، كقول المتلمس : آليت حب العراق الدهر أطعمه ، أى حلفت على حب العراق لا أطعمه فحذف حرف الجر للضرورة ونصب المجرور وقول ساعدة بن جوية الهذلي :

لدن بهز الكف يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب

أى ، كما عسل في الطريق الثعلب ، فحذف حرف الجر ضرورة ونصب الطريق توسعا اجراء للازم مجرى المتعدى وهو خاص بالضرورة كما تقدم ، فلا يجوز استعماله في النثر ، ولو في منصوبه المسموع .

ويجوز حذف الجار قياسا مطردا مع المصدر المؤول من أن المصدرية والفعل ماضيا كان أو مضارعا ، وأن المؤكدة ، وكي المصدرية المقدرة قبلها لام التعليل ، بشرط أمن اللبس ، نحو « عجبت أن أفي بوعدي » ، « وأسفت أن سافر صديقي دون أن أودعه » ، « وندمت أن قصرت في الواجب » ، « وتأكد القاضي أن المتهم برىء » ، ونحو « جئت كي أصحبك الى الندوة » ، أى على أن أفي ، ولأن سافر صديقي وعلى أن قصرت ، ومن أن المتهم برىء ولكي أصحبك ، ومن ذلك قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ) أى لأن جاءكم ذكر وقوله سبحانه : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » أى بأنه لا اله الا هو ، وقوله جل شأنه : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » أى بأن لا تعبدوا . ويطرد حذف الجار أيضا في نحو ، « ودخلت المسجد » ، « واعتكفت يوم الجمعة » ، «ونهضت اكراما للزائر » ، وقوله تعالى : « فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا » ، « وليت شعرى ، هل قام الحارث» ، مما علق فيه العامل عن الجملة والتقدير ، فلينظر في جواب أيها أزكى طعاما ، وليت شعرى في جواب هل قام والبعض يرى أن الحذف في القسم الأخير واجب ونقل عن ابن عصفور ، أن الأخفش الأصغر وابن الطراوة يجيزان في الفعل المتعدى

٩

الى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ، حذف حرف الجر ، ان تعين الجار وتعين موضوعه بطول الفصل بالمفعولين ، فيجوز أن تقول : « بريت القلم السكين » « وقبضت الدراهم زيدا » ، ومنه قوله تعالى : « وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا » ، ويحتمل أن قومه المفعول ، وسبعين بدل منه والمجرور محذوف تقديره : من بنى اسرائيل ، ويكون المراد بقومه نخبة قومه فان خيف اللبس امتنع حذف الجار ، نحو « رغب جارى فى أن يسكن الريف » ، « ورغب الفدائى عن أن يتخلف عن ركب المجاهدين » ، وذلك لعدم فهم المراد بعد الحذف ، لأن رغب تتعدى بكلا الحرفين : فى ، وعن وأما قوله تعالى : « وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ » فان الحذف فيه لقرينة كانت قائمة عند نزول الآية تمنع اللبس ويفهم منها المراد ، وتدل على الحرف المحذوف وهو (فى) عند القائلين أن سبب النزول يدل على معنى فى فقط (وعن) عند القائلين انه يدل على معنى عن فقط .

وقيل : ان المقول فيهم كانوا فريقين : فريق يرغب فيهن لمالهن وجمالهن ، وفريق يرغب عنهن لدمامتهن وفقرهن ، وأن الحذف هنا للاجمال ليرتدع من يرغب فيهن ، ومن يرغب عنهن على حد سواء وانما اطرد حذف الجار مع أن ، وأن لطولهما بالصلة ولعدم استساغة دخول الحرف على الحرف فى الظاهر وقد اختلفوا فى محل أن ، وأن بعد الحذف ، فذهب سيبويه والفراء الى أن محلهما جر استنادا الى قول الفرزدق يمدح المطلب بن عبد الله المخزومى :

ومازرت ليلى أن تكون حبيبة
ولا دين بها انا طالبه

بجر دين عطفا على أن تكون حبيبة فهى فى محل جر باللام المحذوفة ، أى ما زرت ليلى لأن تكون حبيبة لى ولا دين أطالبها به قياسا على مجرور (رب) فانه يبقى مجرورا بعد حذفها ، مع أن بعض النحاة يجعل الجر عند حذف رب بواو رب ، لا برب نفسها .

وذهب الخليل والكسائى الى أنهما فى موضع نصب ، وهو الأرجح قياسا لأنه مقيس على ما اذا كان الحرف المحذوف داخلا على لفظ غير ان وأن فانه ينتصب عند الحذف لضعف حرف الجر أن يعمل وهو محذوف .

الفعل المتعدى

الفعل المتعدى ، ويسمى واقعا لوقوعه على المفعول به ، ويسمى أيضا متجاوزا ، لأنه يتجاوز الفاعل الى المفعول به بنفسه فينصبه ان لم ينب عن الفاعل أو يضمن معنى فعل لازم كما سيأتى ، نحو « حفظ محمد الدرس » « وسقى البستانى الأشجار » ، « حصد الزراع حقول القمح » ، « وزع الرئيس الجوائز على الفائزين » « وباع الفلاحون قطنهم بأسعار مجزية » ، وعلامته أن تتصل به هاء تعود على غير المصدر ، نحو « القطن باعه الفلاحون بأسعار مرتفعة » ، « الانسان خلقه الله من تراب » وقوله تعالى : « وَالْأَرْضَ



وَضَعَهَا لِلأَنَامِ » ، وان يصاغ منه اسم مفعول تام أى غير مقترن بحرف جر أو ظرف ، نحـو « اللص مكبل بالأغلال » ، « الجبان مسلوب الارادة » ، « الحصان مربوط داخل الحظيرة» « والجيش المصرى مجهز بأحدث الاسلحة » .

والفعل المتعدى ثلاثة أنواع :

اولهـا : ما يتعدى الى مفعول واحد ، نحو « حفظ مروان الـدرس » ، « وفهم احمـد المسألة » ، « ونشر المؤلف كتابه الجديد » ، « وجمع الصبية الثمار من الحديقة » ، « وبنى المنصور بغداد فى القرن الثانى من الهجرة » ، واكثر الأفعال المتعدية من هذا النوع ، والفعل المتعدي لواحد بنفسه « نحو بلغ قاسم مراده » **يمكن تعديته لاثنين بالهمزة نحو أبلغت** قاسما مراده أو بالتضعيف نحو بلغته مراده ، وذلك حسب السماع .

ثانيهـا : ما يتعدى الى مفعولين ، وهـو ضربان .

احدهما : ما يتعـدى الى مفعولين أصلهما عمدة ، أى المبتدأ والخبر وهو ظن وأخواتها ،

ثانيهما : ما يتعدى الى مفعولين ليس أصلهما ، المبتدأ والخبر ، وهو أعطى وأخواتها ومنهـا سـأل ، ومنع ، وكسا ، وألبس ، ومنها أيضا ، حرم ، وعود ، وكفى ، وجزى ، وكلف .

ثالثها : ما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل ، وهو سبعة أفعال، أعلم وأرى بزيادة الهمزة فى علم ورأى ، ثم أنبأ ، ونبأ وأخبر ، وخبر ، وحدث ، وليس ثم أفعال متعدية الى ثلاثة مفعولات غير هذه الأفعال السبعة .

حذف مفعول الفعـل المتعدي

الفعل المتعدي بنفسه لمفعول واحد أو اكثر يجوز حذف مفعوله اختصارا واقتصارا عدا

مفعولى ظن وأخواتها مما ليس عمدة اذا لم يؤد حذفه الى ضرر بافساد المعنى أو الاخلال به أو ايهام غير المراد ، ويكون ذلك الحذف لحكمة وغرض ، اما لفظى كتناسب الفواصل فى قوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ، اى ، وما قلاك ، فحذف المفعول ، وهو ضمير الخطاب ليناسب التى قبلها والتى بعدها (سجى ، الأولى) وقوله سبحانه :

« أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » اى بعثه وقوله جل شأنه : « طه ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى » والأصل ، لمن يخشاه ، اى القرآن ، ويحتمل الا يكون ثم حذف ، وأن المفعول هو (تنزيل) من قوله « تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا » والمعنى لمن يخشى تنزيل العلى القدير ، وقد قال فى الكشاف : وهو معنى حسن ، واعراب بين .

وكالاختصار فى قوله تعالى : « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ، وَلَن تَفْعَلُوا » . والاصل ، فان لم تفعلوه ولن تفعلوه اى الاتيان بسورة من مثله وكتصحيح النظم ، وهو كثير ، واما لغرض معنوى ، كاحتقاره والاستهانة به فى نحو قوله تعالى : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » اى لأغلبن الكافرين ، فحذف المفعول احتقارا له واستهانة بشأنه ، أو استقباح التصريح به ، كقول عائشة رضى الله عنها : « مارأيت منه ، ولا رأى منى » تقصد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فحذف المفعول لاستقباح ذكره اى ، ما رأى أحدنا عورة الآخر ، وكالعلم به أو الجهل به أو تعظيمه أو الخوف منه أو الخوف عليه ، وبالجملة فان المفعول يحذف لما يحذف له الفاعل من الأغراض اللفظية والمعنوية .

فان أضر حذفه بالمعنى امتنع الحذف ، كالمفعول الذى يؤتى به مع الفعل والفاعل جوابا لسؤال سائل ، وكان المفعول هو الركن الأساسى فى الجواب بحيث اذا حذف لم يكن للجواب معنى ، كقولك : «شاهدت الرئيس »، « وأكلت تمرا » ، « وقرأت تفسير الكشاف »، جوابا لمن سألك : من شاهدت ، وماذا أكلت ، وماذا قرأت من كتب التفسير ، لأن المطلوب تعيينه لا يجوز حذفه .

او ان يكون محصورا فيه نحو « ما عاقبت الا المهمل » ، « وما ساعدت الا المحتاج » انما نثيب المجد المتقن ، انما يقرب الرئيس الناصحين المخلصين لأن الحذف ينافى الحصر ، كما يمتنع حذف المفعول ايضا فى باب الاشتغال نحو ، « على اكرمته ، » والتنازع فى العمل ، نحو « شكرنى وشكرته سعد » ، أو اذا حذف عامله وجوبا او جوازا نحو « اياك والأسد » ، اذ لا يجوز حذف العامل والمعمول معا فهو حينئذ حذف للجملة برمتها .

يتبع

احمد حسن عبد العواض هلالى

في حاشية الأمير

ب - عشاق الحاشية

للأستاذ السيد حسن قرون

أضيئت أنوار قاعة الاجتماعات بنور ربانى ، فلم تطق المصابيح ولم تطل عليها أنوار القمر ولا ضوء الشمس ، فالأنوار كاشفة ولكنك لا تدرى مصادرها ، وهبت فى جوها روائح زكية ساطعة لم تبلغ مبلغها العطور ولا أنواع الأزهار وجلس الحاضرون على أرائك من نور تبدو على وجوههم نضرة النعيم ، وجلس الأمير على منصته ، وجلس قريبا منه سكرتير الجلسة البهاء زهير الذى أعلن افتتاح الجلسة .

طلب « أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ » الكلمة فأعطيت له . فقال : ان أحدكم أخذ على مولانا الأمير أنه شطر بيتا « للعرجى » ولم يشطر بيتا لغيره من شعراء الحاشية ، وهذه المؤاخذة لا تصادف قبولا لدى النقد الأدبى ، لأن الشاعر ليس كالعالم يقصد الى ما يريده قصدا ، انما هو يلهم ما يقوله وتحكمه اللحظة الجامعة فى ساعة النشاط وفراغ البال فتقع عينه على منظر حسن أو تسمع أذنا قولا بليغا فهش لما يرى ولما يسمع ، فتجيش المعانى فى نفسه ويخفق بها قلبه ، فاذا لسانه يتحرك وقلمه ينطلق ، فتكون اللحظة الجامعة « أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع » وذلك ماكان من مولانا الأمير فانه كان صافى الذهن منشرح الصدر مرتاح البال حين قرأ شعر العرجى فألهمه من التشطير ما قرأناه وعرفنا جماله ، والأمير لا يؤاخذ فى اختياره ، لأن الذين تناول نتاجهم كثيرون ، ولو شطر لغير العرجى

لجاءت تلك المقولة ، وحسبه ما أداه لنا من ذكر وما فصله من ثناء .. ولو كان كل أمر يذكر يعترض عليه لاعترضنا على « البهاء زهير » في تفضيله مجنون ليلى على قيس بن ذريح ، وجميل بثينة وابن الصمة القشيري وابن الدمنية ، وتوبة صاحب ليلى الأخيلية الى كثير من شعراء الحاشية .

وجلس الجاحظ فقال البهاء زهير : الأمر كما ذكرت ، ولكنى رأيت مأساة المجنون ومأساة ابن ذريح أولى بالتقديم لغاية الأمير .. وأنا متبع لا مبتدع ، ومعذرة لجميع الشعراء ولاسيما شعراء الحب والوفاء . والآن أرجو أن نأخذ في الحديث عن .

قيس بن ذريح

وهأنذا أقرأ عليكم مادبجه يراع الأمير في مأساة قيس بن ذريح فقد سايرت كل عصر حتى وضع فيها عزيز أباظه قصة تمثل بعنوان « قيس ولبنى » ولا مانع عندي من الموازنة بين تناول الأمير وتناول الشاعر عزيز أباظه ، وفي كل نرى أدبا وبيانا .

قال محمد الأمير ــ وهو من شيوخ الأزهر الأجلاء : ــ والكلام كان من المغني بصدد لفظ « كل » وأنها بحسب ماتضاف اليه في المعنى وقد مثل لتأنيث الضمير العائد اليها مستشهدا بقول الشاعر :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

« قوله « وكل مصيبات الزمان .. الخ » هو لقيس بن ذريح بن شبية بن حذافة بن طريف الليثي .. كان يسكن بادية الحجاز أخرج في الأغاني عن ابن الكلبي أنه كان رضيع « الحسين بن علي بن أبي طالب » رضي الله تعالى عنه ، أرضعتهما أم قيس وأخرج من طرق عدة أن قيسا مر في بعض حاجته بخيام « بني كعب بن خزاعة » والحي خلوف أي لا أحد موجود من رجال القبيلة ، فوقف على خيمة « للبنى بنت الحباب الكعبية » فاستسقى ماء فسقته ، وخرجت اليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء : أي يشوب سواد عينها زرقة .

حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتبرد (١) عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حر لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروى . ثم أتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فظهرت له وردت سلامه ، ولحقت به فشكا اليها ما يجد من حبها فبكت وشكت اليه مثل ذلك ، وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه ، وانصرف الى أبيه فأعلمه حاله وسأله أن يزوجه اياها ، فأبى عليه ، وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهي أحق بك ــ وكان ذريح كثير المال موسرا فأحب الا يخرج ابنه الى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه

(١) تستظل من الحر

ما خاطبه به أبوه ، فأتى أمه فشـكا اليهـا واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يحب •• فأتى الحسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ فشكا اليه ما به وما رد عليه أبواه • فقـال : أنا أكفيك ، فمشى معه الى أبى لبنى ، فلما بصر به أعظم ووثب اليه وقال : يابن رسول الله ، ما كنا لنعصى لك أمرا ، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن لو خطبها أبوه فيكون ذلك عن أمره لئلا يكون سبة وعارا •• فأتى الحسين ذريحا وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا اليه اعظاما له • فقال لذريح : أقسمت عليك الا خطبت لبنى على قيس • فقال : السمع والطاعة لأمرك ، فخرج فى وجوه قومه حتى أتى حى لبنى وخطبهـا لابنه • فأقام معها مدة ، وكان أبر الناس لأمه فألهته لبنى وعكوفه عليهـا عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها ، وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابنى عن برى ، ولم تر للكلام فى ذلك موضعا حتى مرض قيس مرضا شديدا • فلما برىء (١) ، قالت لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفا وقد حرم الولد من هـذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة (٢) فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا ، وألحت عليه فعرض ذلك ذريح على قيس • فقـال : لست متزوجا غيرها أبدا ولا أسوءها بشىء أبدا • قال : فانى أقسم عليك الا طلقتهـا ، فأبى وقال : الموت عندى أسهل من ذلك • قال: لا أرضى أو تطلقها ، وحلف أن لا يكنه سـقف أبدا حتى يطلق لبنى ، فكان يخرج فيقف فى حر الشمس فيجىء قيس فيقف الى جانبه فيظـله بردائه ويصلى هـو حر الشمس حتى يفىء الفىء فينصرف عنه • ويدخل الى لبنى فيعانقها ويبكى وتبكى معه وتقول له : ياقيس لاتطع أباك فتهلك وتهلكنى ، فيقول : ماكنت لأطيع فيك أحدا أبدا • فيقال انه مكث كذلك سنة ثم طلقها •• فلما بانت تزوجها رجل من قومهـا فأغشى على قيس ولم يأخذ بعدها قرارا • فقال له طبيب : مما يسليك عنها تذكر مساويها وعيوبها وما بها من قذر بنى آدم مما تعافه العين والنفس فأنشد :

اذا عبتها شبهتها البدر طالعـا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

ثم ماتت فأكب على قبرها يبكى حتى وقع مغشيا عليه • ثم مات بعـد أيام ودفن الى جنبها •

وقارىء هذا القصص بأسلوب الأمير يعجب من نواح مختلفة ، انه يكتب حاشيته فى النحو والمنتظر أن يكون النظر فى القواعد هو المهم ، ولكن الأمير لم يغلبه النحو على أدبه ، ومعنى هذا أن الأزهر لم يهمل دراسة الأدب وتاريخه، ومن الجائز أن يدرس الأدب دون أن يكون من طلبة الأزهر واهتماماته ، ولكن الوقوف على كل أدب العصور وأدبائه يعطينا صورة جلية على عناية الأزهر بذلك الفن ومذاهبه ، وأن

---

(١) فيها لغتان برىء وتبرأ •
(٢) المراد الى غير ولدك •

ما ذكره « المنفلوطى » فى النظرات لا يحمل كل الصدق ، فالأمير بما أداه ووفاه حقه فى هذا الشأن شاهد على أن الأزهر حامل مشعل اللغة العربية ، كما أنه حافظ للشريعة الاسلامية .

وتعليقات الشيخ فكرا ولغة تدل على فقه وتذوق للشعر ومراميه ، ونقده والتأليف فيه ، وأسلوبه فى الأداء طبيعى لا تكلف فيه ، فلا سجع ولا ازدواج ولا محسنات لفظية الا ما جاء عفو الخاطر وهو منشود للأديب .

والبيت :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

يصفع وجوه الذين ينكرون على العربى الأداء النفسى ، لأنهم يجعلون كل ما قاله فى الوجد والحب والصبابة والغرام والهيام لايمت الى التصوير للاعج الشوق وألم النوى ، انما هو قشرة خارج المراد . واقرأ معى البيت مرة أخرى انك تحس وقع فرقة الأحباب على فؤاد قيس ، وضغطه على نفسه ، مصيبات الزمان كثيرة تتمثل فى الفقر والمرض وبوار التجارة وقصور الانسان عن بلوغ المنى فى السيادة والوجاهة ، أو القعود عن الدفاع عن الوطن وقد دعا الى الجهاد ، أو التقصير فى أداء العبادات وما الى ذلك مما يجعل الانسان مهموما مسهد الليل مفزع النهار ، لكن قيسا فى سبيل لبنى جعل الخطب العظيم الذى يبلو السرائر ويحرق الأفئدة وينغص العيش ويبعث على اليأس هو « فرقة الأحباب » .

واقرأ بقية البيت مبدوءا ببيت « المغنى » ، انك تجد حزنا قاصما ، وثورة جامحة ، وزفرة زافرة وطاقة مهدرة يقول :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب
وقلت لقلبى حين لج به الهوى
وكلفنى ما لاأطيق من الحب
الا أيها القلب الذى قاده الهوى
أفق لا أقر عينك من قلب

أليس هذا يصور الأداء النفسى تصويرا رائعا يترك القارىء فى متاهات من الحزن والحيرة أمام التكليف وعدم الاطاقة ، وطلب الافاقة ؟ . ولم كل ذلك ؟ لأن فرقة الأحباب عظيمة الخطر ، جسيمة الخطب ، صراع عنيف مخيف بين الشاعر وقلبه .

هذه هى قصة قيس ولبنى كما نقلها الينا مولانا الأمير . وسأعرض عليك نبذة عن صنيع الشاعر عزيز أباظة ، وسترى لكل وجهة نظر ، لكن صلب القصة لا يتغير وهو الحب العظيم عند « قيس ولبنى » .

قيس ولبنى من المسرحيات التاريخية

وقعت أحداثها فى بادية الحجاز قريبا من المدينة المنورة حيث خيام بنى كعب بن خزاعة قوم « لبنى » بنت الحباب ، وخيام ليث بن بكر قوم « قيس » بن ذريح . وخيام بنى كعب تذكرنا بـ « أم معبد » التى تضيفها النبى فى طريق هجرته .

وللعمل القصصى المسرحى أتى الشاعر عزيز أباظة بشخوص غير التى ذكرها الأمير ، فنرى فى شعر عزيز أباظة التمثيلى « عزة » صديقة لبنى التى تبدى رأيها فى أبى لبنى وحبيبها قيس ، ومعاوية بن أبى سفيان الذى يحمل الناس على ولاية العهد لابنه يزيد ، وهكذا دخلنا فى السياسة ونقد بنى أمية ، ولكن لذلك فائدة هو بيان زمان المسرحية .

ومولانا الأمير جعل الساعى الى أبى لبنى لتزويج قيس لابنته الحسين ـ رضى الله عنه ـ . أما عزيز أباظة فقد جعله « عبد الله ابن أبى عتيق » ولم يجعله ساعيا بالأصالة عن نفسه انما هو رسول الحسين لخطبة لبنى.

عز على شاعرنا أن يقوم الحسين بهذا الأمر ، لكن لا يعيب الحسين أن يخطب لبنى لأخيه من الرضاع كما نوه بذلك الأمير ، وللحسين مواقف مماثلة فى هذا الشأن ذكرتها كتب الأدب والتاريخ فى قصة عبد الله بن سلام الذى أحب زوجته يزيد بن معاوية ، واحتال معاوية لطلاق تلك الزوجة ونجح ، ولكن الحسين أفسد الخطة بزواجه منها ، والاحتفاظ بها لزوجها الأول ، كما انه اشترك فى تخفيف الأمر على « هدبة ابن خشرم » المتهم بالقتل . لكن عزيز أباظة له وجهة نظر مقبولة على أن ابن أبى عتيق له مكانته فى الدولة الاسلامية فهو حفيد الخليفة الأول « أبى بكر الصديق » .

يتم الزواج ، ولكن لبنى لم تنجب ، ويصرح بالسبب بأنه وحيد والديه ، أما شيخنا الأمير فيكون التطويح سببه بالا يئول مال ذريح الى الكلالة . لم يذكر الأمير موقف الخليفة من قيس ، ولكن عزيز أباظة جعله يهدر دمه لتشبيبه بلبنى بعد طلاقها ثم يعفو عنه ... وتقول عزة :

> قيل قيس قد عفا
> عنه أمير المؤمنينا
> قال : لا تهدر فى عهـ
> دى دماء النابغينا

وأى نبوغ لقيس ؟ لم نعرف عنه مشاركة فى رواية الحديث ولا فى الجهاد فى سبيل الله ، ولا مهارة فى تنمية مال أبيه الكثير ، فنبوغه اذن محصور فى قول الشعر ، والشعر الموقوف على « لبنى » ولهذا كان العفو عنه من الخليفة بعد اهدار دمه ، والخليفة له موقف مماثل ذكره الأمير فى حاشيته بتوسع فقد اتهم « هدبة ابن خشرم العذرى » بقتل ابن عمه « زيادة ابن زيد العذرى » ، فرفع الأمر الى سعيد ابن العاص الأموى والى المدينة أخو القتيل « عبد الرحمن بن زيد » فكره سعيد الحكم فى هذه القضية ، فرفعت الى الخليفة معاوية ابن أبى سفيان ، فطلبهما ، فلما صار هدبة بين يديه سأله عن جريمته فاعترف بها شعرا ونثرا . فقال معاوية له : أراك قد أقررت يا هدبة . قال عبد الرحمن « أقدنى » فكره ذلك معاوية وضن بهدبة عن القتل ، فقال : الزيادة ولد ؟ قال عبد الرحمن : نعم ، وانه صغير . قال معاوية : يحبس هدبة الى أن يبلغ ابن زيادة ، فأرسله الى المدينة فحبس سبع

سنين ، فلما صار ابن زيادة رجلا عرض عليه عشر ديات فأبى الا القود ، وكان ممن عرض عليه الديات الحسن بن على ، وعبد الله ابن جعفر .. والمبرد ذكر الحسين ولم يذكر الحسن، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم .. ولما دنا قتله أنشد شعرا ذكره الأمير ، وهو شعر جاء حسب الموقف ، قاله لامرأة من المدينة، ولعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، ولابن القتيل ، فقد أقبل عليه يقول له : أثبت تدميك وأجد الضربة ، فانى قد أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة ، وسأل فك قيوده .. ففكت فذلك حيث يقول :

فان تقتلونى فى الحديد فاننى
قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد

ثم ضربت عنقه . قال ابن دريد : وهو أول من أقيد بالحجاز . أى نفذ فيه « القصاص ».

واخرج الدارقطنى عن ابن المنكدر أن هدبة العذرى أصاب دما فأرسل الى أم سلمة زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — أن استغفرى لى ، فقالت : ان قتل استغفرت له . وقد دون له الأمير فى الحاشية ٢٩ بيتا من الشعر ، ومما دونه قوله :

أقلى على اللوم يا أم بوزعا
ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا

فان يك انفى بان منه جماله (١)
فما حسبى فى الصالحين بأجدعا

ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا (٢)

سمعت امرأته هذا الشعر ، فسألت القوم أن يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فأخذت منه مدية فجدعت أنفها ، ثم أتته مجدوعة الأنف فقالت أهذا فعل من له فى الرجال حاجة ؟ فقال : الآن طاب الموت . ومن العجيب أن المبرد فى الكامل يروى له هذين البيتين الآتيين :

ولما دخلت السجن يا أم مالك
ذكرتك والأطراف فى حلق سمر

وعند سعيد غير أن لم أبح به
ذكرتك ، ان الأمر يذكر بالأمر

قال هذا حين مثل أمام الأمير سعيد ابن العاص ، فسئل عن الأمر الذى لم يبح به، فقال : لما رأيت ثغر سعيد ، وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها . والأعجب من ذلك أنهم يروون — والرواية للمبرد — : أنه قال : ما أجزع من الموت وآية ذلك أنى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا . وقد أراحنى المبرد بتعقيبه : « وهو باطل موضوع » .

وقد سقت اليك قصة هدبة وهى مذكورة برمتها فى الحاشية لأبين لك مدى منزلة الشاعر عند العرب فى ذلك العهد ، وأن عزيز أباظة وظف التاريخ توظيفا موفقا فى قوله « ... لا تهدر فى عهدى دماء النابغينا » يريد دماء

(١) أصيب أنفه فى بعض الحروب .
(٢) ينهاها عن الزواج من الغبى .

قيس بن ذريح ، والبيت الذى استشهد به المغنى وهو :

وبعد غد يا لهف قلبى من غد
اذا راح أصحابى ولست برائح

على أن « اذا » فى موضع جر بدلا من «غد» جاء ضمن أبيات ذكرها الأمير ، وأولها :

الا عللانى قبل نوح النوائح
وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

وهذا الكلام يدلك على فزعه من الموت ، وحبه البقاء ، لا أنه من « الجفاة عند الموت » كما يقولون ، والأبيات المروية له تراها فى معظم كتب الأدب ، وقد وزعها صاحب«العقد الفريد» فى مؤلفه حسب الأبواب . ولم يحظ « هدبة » بتأليف قصة شعرية عنه فى هذا العصر الذى حظى فيه « مجنون ليلى » و «قيس بن ذريح» بالتأليف ، و « قيس ولبنى » عرض التليفزيون تمثيلية نثرية عنهما .

ونحن ننظر للعمل الفنى ولا سيما التاريخى سواء أكان تأليفا أم نقدا على أنه بعث للحياة فى ماض قد رقد على رفوف المكتبات أو دار المحفوظات ، فاذا بعثت الحياة فيه وتحرك تحركت معه اللغة وهبت المعلومات وتكاثرت وتوهجت ملامح القدوة . وصنيع مولانا الأمير يدخل فى باب الذكريات العربية التى تنفع الدارسين وشداة الادب وطلاب المعرفة .

وهناك سؤال يطرح نفسه ــ كما تقول اليوم ــ هل للقاص شاعرا أو كاتبا أن يخرج عن مسيرة التاريخ اذا اتخذ التاريخ مادته فى تأليف القصة أو المسرحية ؟

القصص التاريخى

ان نقاد الادب ومؤلفى تاريخه لا يجيزون للاديب أن يزيف التاريخ ، فلكل عصر خصائصه ورجاله وأحداثه ولابد له من ذكر المكان والزمان ، وطبائع الحكم ونوع العدالة فيه وما الى ذلك مما يشغل الناس من مطالب العيش .. ويجيزون له أن يخلق أشخاصا خياليين بهم يتم البناء القصصى .. ولقد كان « ولتر سكوت » القاص الانجليزى يخرج على التاريخ أحيانا لكى يزيد قصته قوة .. ولا بأس بهذا ما دام القارىء لا يتخذ الرواية القصصية وسيلة لدراسة التاريخ .

والقارىء العربى لا يرى غضاضة فى أن ينهى عزيز أباظة مسرحية قيس ولبنى يجمعهما تحت سقف واحد ليعيشا سعيدين بعد أن ذاقا الأمرين ، وأن يجعل الختام بيت الشعر الخالد :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وأن يخلق أشخاصا من وحى خياله مثل « عزة » تزين العمل ولا تشينه ، كما أنه وضع ابن أبى عتيق بدل الحسين بن على ــ وان جعله مندوب الحسين . وكان يمكن لعزيز أباظة أن يستغل العداوة بين القبيلتين وقد ذكر السادة بارجاعها الى العصر الجاهلى ، لان قبيلة قيس مضرية وليث بن بكر .. لهما عداوة بخزاعة ولاسيما كعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة لاعتداء بنى بكر على خزاعة ، وكانت قريش ضدخزاعة ، وبنو كعب بن خزاعة دخلوا فى عقد محمد (صلى الله عليه وسلم) عام

الحديبية ، ولهم حلف في الجاهلية مع بني هاشم وهذا يطور الحدث ويطيل في المسرحية وليس هذا طمعا في عمل الشاعر الفني ، فلكل رؤيته في الفن .

أما مولانا الأمير فحسبه أن قدم لنا الأثر الأدبي كما ورد عن القدماء ، وقد يحكم عقله فيرفض الرأي الغريب ، وقد ينساق وراء الخبر لطرافته من ذلك مارواه عن « توبة بن الحمير » وصاحبته « ليلى الأخيلية » وهما من قبيلة « عامر » التي منها مجنون ليلى ، وقدم للقصة بيتين من الشعر قالهما توبة وهما :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وعلق مولانا الأمير على الشعر كعادته : « قوله توبة » بوزن مصدر « تاب » ابن الحمير بصيغة تصغير حمار الخفاجي « مجنون بني عامر » مات سنة خمس وسبعين من الهجرة .. والجندل الحجر ، والصفائح العراض منه و « أو » من قوله « أو زقا » عاطفة على سلمت ، « وزقا » بزاي وقاف من باب دعا أي صاح والصدى هنا طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح « اسقوني ، اسقوني » حتى يؤخذ بثأر .
وحكى السيوطي هنا ما اشتهر أنها سلمت عليه بأمر زوجها (توبة دفين في القبر) وقال : هذا قبر الكذاب ــ يشيرالى شعره الذي قدمناه ــ أو هي التي قالت : السلام عليك يا أخا العشاق ، ويا قتيل الأشواق . وقالت :

ما عهدت عليه كذبة قبل اليوم .. فاتفق أنه كان بجنب القبر طائر فزع من الصوت وحركة الهودج ، فنفرت بها الناقة ، فسقطت ميتة ، ودفنت بجنبه ، فخرج من كل قبر شجرة والتفتا ، أي تشابكت أغصانهما .. والعلم عند الله .

ولا جدال في أن عشاق العصر الأموي من عذريين وغير عذريين كانوا مخلصين لفنهم ، ملئوا قصور الخلفاء والأمراء ، وصارت حكاياتهم وأشعارهم من أحاديث الحياةاليومية ، وتناقلتها الأنديةفي البادية والحضر وسارت بها الركبان . وأوحت الى الخياليين والباحثين عن الغرائب أن يتزيدوا في الرواية ويأتوا بمثل ما ذكره السيوطي ونقله الأمير .. وقد عني به الخلفاء بجانب عنايتهم بالشعر القبلي ليلهوا الناس به عن مجريات الأمور في في شئون الدولة ، ولكن حديث العشاق ترك أمرين لهما شأن أي شأن ، الأول المثالية في الحب بالارتفاع الى مناط العفة والشرف والوفاء ، والآخر تزويد اللغة الشاعرة بأجمل المعاني وأرق الألفاظ ، ولذلك اعتنى مولانا الأمير بهم ونحن سرنا على نهجه .

« السيد حسن قرون »

السرعة وبلاغة العمل الأدبى

للدكتور فتحى عبد القادر فريد

الحمد لله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد — صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان •

وبعد

فحيث تعد السرعة أوضح معالم عصرنا ، وأبرز سماته ، وأضرارها على الأعمال عموما وعلى العمل الأدبى خصوصا تفوق منافعها :

لاقلالها من قدره ، واضعافها من شأنه وانقاصها من بلاغته جاءت تلك الصفحات لتنبه أصحاب اللسان والقلم وأهل البيان والأدب الى فضل الروية والتأنى ، وتحذرهم من عواقب العجلة والتسرع فيما يقولون وما يكتبون عسى أن تعيد للعمل الأدبى مجدا سابقا وبلاغة سالفة •

« وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ »

العمل الأدبى والصناعات المختلفة

ان الدور التى نسكنها ونقيم فيها لم ترتفع ذلك الارتفاع بين يوم وليلة ، بل مرت بمراحل متعددة من الاعداد والتجهيز حتى وصلت الى ما وصلت اليه وأصبحت صالحة للسكنى والاقامة ، وقام على تنفيذ تلك المراحل أعداد لا حصر لها من العمال والحرفيين ويمكن تلخيص تلك المراحل المتعددة فى : تحديد الموقع واختياره — تصميم شكل المبنى وصورته — توفير المواد اللازمة للبناء — ثم سهر العمال والحرفيين على اعداد المبنى واتمامه •

وتستغرق كل مرحلة من المراحل الـ [illegible] بعه قدرا من الوقت وتأخذ طاقة من الجهد لتنفيذها على الوجه السليم ، وعلى قدر الجهود المبذولة فى اتمام كل المراحل تتحدد قيمة المبنى المادية والمعنوية ، ومدة صلاحيته واستمراره ، وكثيرا

ما يحدث أن تسقط أبنية بعد الانتهاء منها بفترة وجيزة وفي مقدمة أسباب ذلك :

التسرع والعجلة وعدم التأني في تنفيذ المراحل السالفة ، وعدم الوفاء بما تحتاج اليه من مواد وجهود ؛ ويسرى ذلك على كل الأعمال وجميع الصناعات .

والعمل الأدبي (١) من لحظة البدء فيه الى حيث اتمامه والانتهاء منه ، أو من لحظة كونه فكرة عابرة الى أن يصبح ثمرة ناضجة لا يختلف عن أي عمل ، ولا يفترق عن أية صنعة ، حيث يعتمد على عناصر ، ويمر بمراحل لابد أن ينال كل منها حقه الأوفى ونصيبه الأوفر من العناية والاهتمام بصبر وترو حتى يبلغ درجة النضج ، ويحظى بمنزلة من البلاغة .

لذلك كان « ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ محسنا غاية الاحسان عندما حصر المراحل التي يمر بها كل عمل من الأعمال ومنها العمل الأدبي في خمس مراحل :

الموضوع ، والصانع ، والصورة ، والآلة ، والغرض .

فقد قرر رحمه الله أن أية صناعة لا تبلغ درجة اكتمالها الا اذا تمثلت فيها الأمور السابقة آخذة نصيبها من العناية ومستوفية حقها من الرعاية .

ووضح ــ رحمه الله ــ قيمة كل عنصر مما سبق وأثره في العمل الذي يقع في دائرته وذلك تمثيلا بصناعة النجارة . فذكر أن :

الموضوع : يماثل الخشب في صناعة النجارة .

وأن **الصانع يماثل** : النجار .

وأن الصورة تماثل : مكان الجلوس ان كان المصنوع كرسيا .

وأن الآلة تماثل : المنشار والقدوم وما يجرى مجراهما .

وأن الغرض يماثل : الغاية التي صنع من أجلها الكرسي وهو الجلوس عليه .

وبين « ابن سنان » منزلة تلك العناصر من العمل الأدبي قياسا على ما سبق :

فموضوع الكلام والكتابة : الألفاظ المؤلفة من أصوات وحروف .

وصانع الكلام هو : المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما .

والصورة : كالفصل للكاتب والبيت للشاعر وما جرى مجراهما .

والآلة هي : طبع هذا الناظم والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، حيث لا يستطيع أحد أن يعلم الشعر من لا طبع له وان جهد في ذلك ؛ لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة لمخلوق،

(١) وهو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية ــ سيد قطب ــ النقد الادبي اصوله ومناهجه ط رابعة بيروت ١٩٦٦ م .

ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج اليه من آلاتها .

واما الغرض : فبحسب الكلام المؤلف ، فان كان مدحا كان الغرض به قولا ينبيء عن عظم حال الممدوح ، وان كان هجوا فبالضد ، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف (١) .

فندرك من كلام « ابن سنان » أن العمل الأدبي مثله مثل كل الأعمال لا يبلغ نضجه ، ولا يوصف بالبلاغة الا اذا اعتمد على الأمور السابقة مستوفية حظها من التحقيق والتدقيق بصبر وأناة .

*** * مع بشر بن المعتمر وأبي هلال العسكري**

ولأهمية الصبر والتروي في صناعة الأدب وبالغ أثرهما في تحقيقه لأهدافه ، وبلوغه غاياته نجد علماء الأدب والبلاغة يرسمون السبل ويحددون الضوابط التي يحتذيها أرباب اللسان والقلم من الشعراء والخطباء والكتاب وغيرهم حتى يكتمل عطاهم ، ويخلو من المعايب والمآخذ ، ويقع من البلاغة موقعا مقبولا ، فهذا «بشر بن المعتمر » (٢) في وصيته المعروفة لأهل الأدب يحدد ثلاث منازل لمن يقبل على الكتابة تحمد كلها على التثبت والتروي وعدم التسرع :

المنزلة الأولى : أن يمضي الكاتب في كتابته عند حضور المعاني في ذهنه ظاهرة مكشوفة وقريبة معروفة ، وانقياد الألفاظ له شريفة عذبة وفخمة سهلة .

المنزلة الثانية : أن يؤجل الكتابة الى ساعات ينقدح فيها فكره ، ويتفتح ذهنه ، فتواتيه الفكر طائعة ، وتقبل عليه الألفاظ راضية وذلك عندما يجد نفسه مندفعا للكتابة متكلفا لمعانيها متمهلا لألفاظها .

المنزلة الثالثة : أن يتوجه الى صنعة أخرى غير صنعة الكتابة يفرغ فيها جهده ويعطيها وقته واهتمامه اذا لم تسعفه القريحة ، ولم تواته السابقة في وقت يشعر فيه بالراحة والهدوء جسميا ونفسيا .

فلو تأمل أرباب اللسان والقلم المنازل السابقة وحاولوا السير على هديها من الصبر والتروي في اعداد ما يكتبون وما يقولون لجاء نتاجهم الأدبي في معظمه بالغا أهدافه محققا أغراضه .

كذلك تبدو فضيلة الصبر على معالجة الكتابة واضحة في وصية « بشر » في الفقرة التي يحذر فيها الكتاب من الشروع في الكتابة عند الشعور بالتعب والاحساس بالم ، وتأجيل ذلك الى أوقات يكون البال فيها مرتاحا والفكر صافيا « خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور ، وأسلم من

(١) انظر - ابن سنان الخفاجي — سر الفصاحة ص ٨٢ وما بعدها تحقيق عبد المتعال الصعيدي مطبعة صبيح ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

(٢) المتوفى سنة ٢١٠ هـ .

فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وتمرة : من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة (١) .

كذلك نجد الروية والتأنى فى صنع العمل الأدبي المحور الذي يدور حوله كلام « أبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ فى الباب الذى تحدث فيه عن : « صنعة الكلام وترتيب الألفاظ » حيث خصص فصلا تحدث فيه عن « فضيلة الشعر وما ينبغى مراعاته عند تأليفه » .

فبالنسبة للكتابة يدعو الكتاب الى :

استحضار المعانى فى الذهن ، واختيار الألفاظ المناسبة لها ، والاقبال على الكتابة عند النشاط وراحة الجسم والنفس ، والامساك عنها عند التعب والملل ، وأن يراجع الكاتب ماكتبه عبارة عبارة ، فاذا بداله لفظ أحسن من لفظ ، أو معنى بديع التقطه بسرعة قبل أن يفلت منه :

« اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك ، وتنوق(٢) له كرائم اللفظ ، واجعلها على ذكر منك ، ليقرب عليك تناولها ، ولا يتعبك تطلبها ، واعمله مادمت فى شباب نشاطك ، فاذا غشيك الفتور ، وتخونك الملال فأمسك ، فان الكثير مع الملال قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء ، فتجد حاجتك من الرى وتنال أربك من المنفعة ، فاذا أكثرت عليها نضبت ماؤها وقل عنك غناؤها ، وينبغى أن تجرى مع الكلام معارضة ، فاذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته ، أو معنى بديع تعلقت بذيله ، وتحذر أن يسبقك فانه ان سبقك تعبت فى تتبعه ، ونصبت فى تطلبه ، ولعلك لا تلحقه على طول الطلب ، ومواصلة الدأب ، وقد قال الشاعر :

اذا ضيعت أول كل أمر ... أبت أعجازه الا التواء(٣)

كذلك بالنسبة للشعر يدعو « أبو هلال » الشعراء الى مراعاة الضوابط السابقة :

« واذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعانى التى تريد نظمها فكرك ، وأخطرها على قلبك ، واطلب لها وزنا يتأتى فيه ايرادها ، وقافية يحتملها ، فمن المعانى ما تتمكن من نظمه فى قافية ولا تتمكن منه فى أخرى ، أو تكون فى هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه فى تلك ، ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزا فجا ، ومتجعدا جلفا ، فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها بالقاء ما غث من أبياتها ورث ورذل ، والاقتصار على ماحسن وفخم بابدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوى أجزاؤها ، وتتضارع هواديها وأعجازها »

(١) انظر : البيان والتبيين ــ الجاحظ تحقيق : عبد السلام هارون ط رابعة ــ القاهرة : ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥ م جـ ١ ص : ١٣٥ وما بعدها .

(٢) اى تخير من : تنوق فى الامر : تأنق فيه .

(٣) ابو هلال العسكرى : الصناعتين ص : ١٣٩ تحقيق : على البجاوى ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ط عيسى الحلبى .

ويذكر « أبو هلال » أن عددا من الشعراء قد احتذوا ذلك المنهاج ، ونفذوا تلك الضوابط فجاءت أشعارهم خالية من المعايب والمآخذ الا في النادر أمثال : زهير ، والحطيئة وأبي نواس، والبحتري ، ومن حذا حذوهم ممن عرفوا بعبيد الشعر « وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء منهم :

زهير ــ كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ، ويهذبها في ستة أشهر ثم يظهرها ، فتسمى قصائده الحوليات لذلك ، وقال بعضهم : خير الشعر الحولي المنقح .

وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر ، وينظر فيها ثلاثة أشهر ، ثم يبرزها .

وكان « أبو نواس » يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها ويقتصر على العيون منها ، فلهذا قصر أكثر قصائده .

وكان البحتري يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا .

وكان « أبو تمام » لا يفعل هذا الفعل ، وكان يرضى بأول خاطر فنعي عليه عيب كثير » .

وهكذا نرى أن الضوابط السابقة لأهل الأدب من الكتاب والشعراء تعتمد في تنفيذها على الروية والتأني وتعهد العمل الأدبي بالنظر والمراجعة ، والعودة اليه من لحظة لأخرى بالتهذيب والتنقيح حتى يبلغ درجة النضج ، ويحقق الغرض الذي صنع من أجله مما يجعله جديرا بدخول دائرة البلاغة التي عرفها « أبو هلال العسكري » بأنها : ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (١) وعرفها الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ بأنها :

« مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » (٢) .

مع أحمد حسن الزيات

ولما كان للصبر على صناعة العمل الأدبي آثار حميدة يترتب عليها الباسه كسوة البلاغة، وللتسرع وعدم التروي عواقب وخيمة تنتهي الى ضآلة قيمته وقلة افادته فقد كان الأديب المرحوم « أحمد حسن الزيات » مصيبا شاكلة الصواب عندما ذهب الى أن السرعة ومعها الصحافة ، والتطفل تعد ثلاثتها من أسباب التنكر للبلاغة ، وذلك في مطلع كتابه : « دفاع عن البلاغة » تحت عنوان : « أسباب التنكر للبلاغة » اذ يقول : « السرعة ، والصحافة ، والتطفل هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في هذا العصر » (٣) .

وأوضح « الزيات » أن خطورة السرعة كان على الفكر بصفة عامة وعلى البلاغة بصفة

(١) المرجع السابق ص : ١٦ .

(٢) عبد المتعال الصعيدي ــ بغية الايضاح ١ : ٢٦ ط سادسة .

(٣) أحمد حسن الزيات ــ دفاع عن البلاغة ص : ٥ مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .

خاصة ، فكانت جريرتها على الفكر أن استحال تقدير القيم التى يحتاج وزنها الى الروية والتأمل ، أو الى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطيب ، ودخل الردىء فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وأما جريرتها على البلاغة فانها أصابت الأذهان فلم تعد تملك الاحاطة بالأطراف ، ولا الغوص الى الأعماق ، فجاء لذلك أكثر انتاجها من الغثاء الذى لا رجع منه ، أو من الزبد الذى لا بقاء له ، كما أصابت الأفهام فلم تعد تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان من ذلك انكبابها على الأدب الخفيف الذى لاغناء فيه ولاوزن له ، وأصابت الأذواق كذلك ، فلم تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو بالمر ، والتبس الفج بالناضج • (١)

وختم « الزيات » حديثه عن السرعة بأنها قد تقع خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطا فى حسن الانتاج ، وربما عابوا الكاتب المروى بالابطاء ، وغمزوه بالتجويد ، وسفهوا قول الحكيم :

« لاتطلب سرعة العمل ، واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون فى كم فرغ ؟ وانما يسألون عن جودته واتقانه » •

أما عن « الصحافة » ودورها فى أسباب التنكر للبلاغة فلأنها تقوم بعرض الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ، وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والاسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها • وأما « التطفل » فانه يتمثل فى من يدعون صناعة الأدب ، ويضعون أنفسهم فى صفوف الأدباء بدون أن يطبعوا على الأدب ، أو يأخذوا بأسبابه » (٢) وواضح أن الأمور الثلاثة السابقة التى يعود اليها تدهور البلاغة فى العصر الحديث عند الأستاذ « الزيات » وهى السرعة ، والتطفل والصحافة لم تخرج عما ذكره البلاغيون والنقاد العرب ، وان كان وضعها تحت عناوين محدثة يوهم أنها اضافات جديدة ، فمشكلة عدم التروى فى صنع العمل الأدبى عبر عنها بالسرعة ، ومشكلة ممارسة أفراد لصناعة الأدب من غير استعداد وتهيؤ لها عبر عنها بالتطفل — ومشكلة دنو الأساليب وانحطاط شأنها عبر عنها بالصحافة — واذا كانت الامور السابقة قد وردت عند السابقين مع أمور كثيرة ، فقد عدها « الزيات » وحدها المسئولة عن تدهور البلاغة فى العصر الحديث •

وواضح كذلك أنه لا يقصد البلاغة كعلم وقواعد ، وانما يقصد الأعمال الأدبية التى

---

(١) الفج — بكسر الفاء — : البطيخ الشامى الذى يسميه الفرس الهندى . وكل شىء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج — بالكسر — . الرازى : مختار الصحاح ص : ٤٩١ مادة : فج ج • ط أولى بيروت ١٩٦٧ م .

(٢) راجع : دفاع عن البلاغة ص : ٥ وما بعدها •

تعد البلاغه سمي غاياتها وأبعد مراميها .

الخـــــاتمة :

ولما كان الصبر على صناعة العمل الأدبي يحقق له سمو المكانة وعميق الاحترام مما يهيء له طول البقــاء ، ويزيد من افادة الدارسين منه وكثرة رجوعهم اليه فان التسرع والعجلة يضعان من مكانته ويقللان من هيبته مما يجعله قصير العمر وقليل الافادة وضعيف التأثير .

ولخطورة السرعة من الآثار ما يعد أشـــد مما سبق ، وذلك هو : ركــود البحث الأدبي وجموده ، حيث يتحاشى البـاحثون تنــاول موضـوعــات ســبقت دراستهــا ، وان كانت دراستها السابقة لم تضف جديدا ولم يقــدم شيئا ذابال ، وبذلك لا يفيد السابق ولا يترك فرصة الابتكار للاحق ، وأعتقد أن جريرة ذلك على الفكر خطيرة ، وعلى البحث شديدة .

واذا كان صاحب العمــل المتقن يلقى تقدير الناس وحبهم ، ويحظى باحترامهم وثنائهم ، فانه فوق ذلك يحظى بثواب الله وينال أجره وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله :

« ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » (١) .

المراجـــع

١ ـــ ابن سنان الخفاجي ـــ

سر الفصاحة تحقيق : عبد المتعال الصعيدي مطبعة صبيح بالقــاهرة ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٦٩ م

٢ ـــ ابو هــلال العسكرى

الصناعتين تحقيق : على البجــاوى ومحمــد أبو الفضل ط عيسى الحلبى بالقاهرة .

٣ ـــ احمــد حســن الزيات

دفاع عن البلاغه ـــ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .

٤ ـــ الرازى

مختار الصحاح ط أولى بيروت ١٩٦٧ م .

٥ ـــ الجـــاحظ

البيان والتبيين تحقيق : عبد السلام محمــد هارون ط رابعة القاهرة : ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م.

٦ ـــ بــدوى طبــانة (د)

البيان العربى ط رابعة ـــ مكتبــة الانجلــو المصرية ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م .

٧ ـــ ســيد قطب

النقد الأدبي : أصوله ومناهجه ط رابعة بيروت ١٩٦٦ م .

٨ ـــ عبد المتعال الصعيدى

بغية الايضاح ط سادسة ـــ القاهرة .

د /فتحى عبد القادر فريد

---

(١) الحديث : « ان الله تعالى يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه .

أخرجه الامام السيوطى في الجامع الصــغير رقم ١٨٦١ المطبعة التجارية ، وعزاه للبيهقى في « شعب الايمان » من رواية عائشة رضى اللــه عنها ، ورمز له بالضعف ،

قال الامام المناوى : فيه ـــ اى في سنده ـــ بشر ابن السرى ، تكلم فيه من جهة تجهمه أ هـ . الباجورى .

تعقيب على كلمة الأستاذ الدكتور خفاجي :

للشعر الجديد

دفاع عن الشعر الحر وعن كل شعر

نشرت مجلة الأزهر الغراء فى عدد رجب ١٤٠٤ ابريل ١٩٨٤ مقالا للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى بعنوان « الشعر الجديد » .

وانما أراد سيادته ، بغير شك ، النتاج العربى من ذلك النوع الأدبى ، لا مطلق الشعر الحر عند العرب وغيرهم .

ان رجال الأزهر الشريف حفظة التراث بحق ، ووسيلة استمراره وتجدده ، وهذه مأثرة قومية نحمدها لهم ، ونحرص على حماية مسارهم ونقاء بضاعتهم .

لكن من حقنا أن نعترض على المتشدد فى رفض الجديد والغريب ، والاصرار على تصعيد الخلاف الثقافى الى درجة الشقاق .

ونقول بادىء ذى بدء ان فى اختيار سيادته لاسم « الجديد » علما على هذا الشكل الأدبى نظر ... !!

فلا هو جديد ولا ثمة ما يستمر جديدا ، ثم ان من الأسماء الأخرى المتداولة له ما هو أليق به من اسم الجديد .

ولا مفر من القول بأن مصطلحا بعينه يجب أن يتفق عليه اسما جامعا مانعا لهذا الأدب ، حتى وان تعذر أن يكون بالغ الدقة .

وليس فى المقال الوصل اللازم بين الأصل العربى المقلد والنوع العربى المولد ، كما غاب عنه الفصل الواجب بين المسمى العام والمسمى الخاص ، وبين المعنى الكلى والمعنى الجزئى ، وبين المقصود التجريدى والمقصود المادى ، وحتى بين الأدب المتاح أو المدعوم والأدب

بقلم الأستاذ السيد عبد الله سليمان

المنوع المحروم .

كأنى بالمقال تلميح للباحثين أو كفاية للعوام ، يستمد من قناعة نفسية وموقف فكرى مسبق لدى الأستاذ الجليل ، أكثر منه درسا مركزا يعتمد على أرضية فسيحة من الموضوعية أو يحتلب ذاكرة قوية حاضرة مسعفة .

ففى المقال استهانة جلية بذلك الأدب ، يستغرب معها تكلف الأستاذ الجليل التنازل بالكتابة عنه .

وفيه تصميم شديد على طرد هذا المقتحم الغريب ، الدعى المريب ، من أسرة الشعر العربى الخالصة أرومتها ، الراسخ التزامها ، الرائع انتظامها .

وفيه اتهام لهذا الفن فى ذاته ونسبه ، ودأبه ونسله ، وسبيله وغايته ، وتحذير شديد منه

ويكاد الأستاذ الجليل يأمر بتحرير شهادة وفاة لهذا الأدب عن ربع قرن عمرا ، كيما يمهرها بتوقيعه ، وانه لحى ينبض ، وانه لأبعد جذورا فى أرض الادب العربى مما قدره له .

ومع ذلك ففى المقال تناقض ، من أبرز أمثلته :

١ ــ استخدام مصطلح « الشعر » اسما لأدب يدور المقال كله حول عدم جدارته به .

٢ ــ القول بفراغ هذا الأدب من المضمون ، مع نسبة سدانته وحضانته الى أعلام وقادة للادب العربى والفكر العربى ، مع احاطة « محسوساتهم » فيه بالريب ، مما يدعونا الى أن نفسر « الفراغ » المذكور بالتهافت .

ان شعر الشطرة الواحدة والعروض الناقص ، الذى يرفضه أستاذنا الجليل وينفر منه ، لا ينفرد بساحة ولا يحاول التسيد عليها ، وليس من أغراضه طمس حقائق أو غمط حقوق .

وانما هو بضاعة فى سوق ، ولسان ضمن ألسنة ، ولون بين ألوان ، وصاحبه وافد على قوم ولسنا نفهم كيف يتشفع للموشحات بداعية الغناء والطرب ، وللمقطعات بدعوى التوليد والتجديد ، ولا تقبل فى هذا المارق المخير بأسمائه شفاعة من غاية أو تأثر ، بحجة تطرفه فيما تصرف فيه .

ولقد أورد الأستاذ الجليل مثالا للشعر المذكور ، فى امتعاض شديد ، يدلل به على مثالب هذا الأدب فى الشكل والمحتوى .

وردنا أن وجود عيب فى نموذج أو طور لا يمكن أن يقدح فى حق الفن بعامة أو يبرر الغاء الصناعة بالكلية ، أو ينسينا حركة التطور كظاهرة .

فان الكثير من نواتج هذا الفن الأدبى تضم ، وربما تقتحم ، مضامين جادة وقضايا هامة ، مكنية عنها بالايحاء الفنى الجميل ، بينما لم يتعرض الشعر العمودى لهذه القضايا الا على الوجه الخطابى التقليدى ، وتابعا لأغانيها .

ويعيب أستاذنا الجليل على شعر هذه المدرسة صفتين ، يعتبرهما وهنا في أساسه وشرخا في جداره ، ومبررا قويا لوسمه بالتسيب المدمر :

اولاهما : مباينته الصارخة لتراث الهندسة الشعرية العربية الباهر .

وثانيتهما : اهداره الامكانيات الجمالية الفائقة التى يتيحها العروض العربى .

فأما أن الشعرين متباينان فما من مراء ، وأما أنهما نقيضان لا تسعهما الأرض معا فذلك تعسف غير موضوعى .

ان من الشعر أحادى الشطرات ما يعطل عن القافية ، ومنه ما تتعدد قوافيه بنظام أو بغير نظام .

لكنه لا يجحد الأوزان ، وهو اذا تخفف من تمام البحر فهو يعترف بالتفعيلة والوتد والسبب والفاصلة أدوات لحرفته ، ويستفيد من الزحاف وان هجر العلة .

وبدلا من ركونه الى نمطية موسيقى البحر فى القصيدة بيتا بيتا ، فهو يبنى على موسيقى الكلمة والعبارة ، فاذا بها موسيقى المعنى والموقف والشعور .

وان قصيدة عروضية ملتزمة لتزداد جمالا فوق جمال وجلاء على جلاء ، اذا قسمت أبياتها أسطرا ، على نهج ذياك الشعر ، بحسب وحدات معانيها ومبانيها .

فتحرر هذا الشعر ، اذن ، مصحوب وليس متسيبا ، ولا مبرر لفرض ثنائية الشطرات عليه ، لعدم تساوى الشطرات من ناحية ، ولغياب القافية أو عدم انتظامها من ناحية أخرى .

وان الشعر لأكبر من شكل القصيدة وطباعة الحروف .

وان من ناثرينا لمن يرف أديه بوجدان لا يكون الا لشعر .

وان من متشاعرينا لمن يملك ناصية العروض والقوافى ، وربما اقتدر على لزوم ما لا يلزم، وهو مع ذلك لا يخرج علينا الا بمتكلف الصريخ بما كان يحسن اخراجه نثرا صريحا ، أو هو يفتقر الى ملكة اعلاء التجربة الشخصية المغلقة الى أفق القيمة الانسانية المطلقة .

فسواء صح أو لم يصح أن سجيتنا الفنية ، كعرب ، مفطورة على السجع مفطومة على القافية ، عاشقة لمثاليات العروض ، فالشعر التقليدى أدب والشعر المستحدث أدب ، ليست المفاضلة بينهما حتما مقضيا ، ولا داعى للالحاح على عقدها بغية تثبيت أحدهما وعزل الآخر .

وان اقتدار اللغة العربية على اشتقاق المعانى والأوزان انما هو صفة فذة خاصة بها ، وهو الذى أتاح لها دون جميع اللغات قاطبة أن تخرج مثل هذا الشعر العمودى الذى تبلغ القصيدة فيه ما تبلغ فلا يؤودها وزن ولا تعيها قافية ولا يشق عليها ابتكار .

فأيا كان الذى بين الشعر الحر العربى والشعر الغربى ، تشابها أو تشبها ، فالشعر العربى لا يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وانما هو يتمثل بصفة انسانية حضارية

يجرى التعامل معها ويستطاب مذاقها من قدم في امم أخرى ، فهو يأخذ منها ليثرى سجاياها الفنية .

ان الشعر المتحرر - بحساب وشروط فنية - أداة الانطلاق في فنون لم يعرفها أو لم يعترف بها الخليل بن أحمد

ومريدوه ، ولا يسعنا انكارها أو استنكارها أو الاقتصار على العلم بوجودها .

وان هذا التحرر المحسوب ليفتح له أبواب الصدق الموضوعي ويفسح له آفاق الصدق الفني ويؤتيه يسرا ورشاقة في الأداء والاختيار .

وما برحت المذاهب الفنية والمدارس الأدبية على طول التاريخ تلوذ من حين الى حين بلون

من حرية وجرأة ، معقول أو مستغرب ، فلا تغلق دونها أبواب الاعتراف ولاتصدر في حقها صكوك الحرمان .

وأما قول أستاذنا الجليل أن أنماط هذا الشعر ضيقة ومحدودة وبحور العروض وسيعة ومعدودة ، فمن ذم الصنعة وترك الصانع .

وأما اهدار القيم الجمالية في هندسة بناء الشعر العربي ، فربما لم يهدرها أحد كأوليائها بتفريطهم في أمر غرسها ونشرها بين الناشئة المرجوة ، ولم يبتذلها كالذين استهلكوها في سوق التوسل وسوء التكلف .

وأما قول الأستاذ الدكتور ان الشعر المستحدث من مواليد الستينيات ، فغير صحيح فلقد عرف العالم العربي الشعر الحر العربي قبل الخمسينيات ، مقلدا أو مولدا ، وعلى وجه الخصوص في ترجمات الأشعار الغنائية والملحمية والمسرحية لشعراء أوربا وأمريكا ، القدامى والمعاصرين .

ونكتفي هنا بترجمة محمد فريد أبو حديد لمسرح شكسبير ، شعرا واثقا واعيا ، تجرى حبات دره ، للغرابة ، أسطرا كأنها النثر ، يساعدها على هذا غياب القافية وعدم تساوى الشطرات مائة في المائة ، وان موازين الخليل ابن أحمد لتنطبق عليها أيما انطباق .

فهل آثر أبو حديد التستر اتقاء الزوبعة وان عطه لمن عيون الأدب ؟

وقليلا ما كان الوزن والقافية يواتيانه معا ، ويحرص عليهما حرصا ، وصفا لملة أو تعريبا لنص مشهور ، فربما وهم البعض أن ليس في الترجمة شعر غير تلك الأبيات القليلة المتناثرة .

كما أعنت عامر بحيرى نفسه ، في ترجمته القديرة أعمال نفس شاعر المسرح الانجليزى العظيم ، بالالتزام بالشعر العمودى والقافية على قلة ما اضطر اليه من زيادة أو نقص في تفعيلة أو جزء منها .

فهكذا كانا وغيرهما من رجال ذلك الزمان ، يبدعون بالترجمة أو الاقتفاء أدبا جديدا ،

تستقبله الطليعة المثقفة ، قبلة الاعجاب بين قومها ، بالرضا والتشجيع .

فهل كان للشعر المستحدث وقتها من طرافته ، أو من دوره كموصل أدبى ، أو من مكانة أصحابه ما جعل مدرسة المحافظين تمضى بشأنه عن قول لا أو نعم ؟

لقد كانت ارهاصات التغير السياسى القادم تقتحم الحياة اقتحاما ، فكان حريا بالأدب فى شتى مدارسه وفنونه أن يكون له حضور وتفاعل ، وأن يتوزع طرائق قددا ، منه الصالح ومنه دون ذلك .

ذلك أن قوى التأثير ، الوطنية والدخيلة ، لم تكن لتدع ريحا تعبر البلاد دون أن تجتلى صورتها لتجلى صهوتها ، وأن تتسلل الى أعطافها لتتخلل منعطفاتها .

ولم تكن الفرص المتاحة لمختلف الاتجاهات متكافئة ، بل كان الغالب أن من لا يملك يعطى من لا يستحق .

وكان جل الأدباء والمفكرين موظفين ، كما لا يزالون فلم يكن بد من أن يفرز هذا كله آثارا .

وحينما قامت الثورة ، كان لابد لها من هوية أدبية تستظل بمظلتها السياسية ، فكان ثمة أدب يسربل بالقومية المحمومة وأدب يتشبذ بالاشتراكية المحتومة .

كلتا الجماعتين اتخذ شعراؤها الشعر الحر ، باعتباره تجديدا ، جهازا لشحن الجماهير ، منفردة بساحة النشيد والنشيج ، متوحدة فى دائرة الضوء والسوء ، مكفولة لها الحظوة ، ممنوعة عنها المنافسة والمشاركة .

ثم كان ما كان من توالى فصول مأساة التهاون العربى والتعاون الاستعمارى ، التى بلغت ذروتها ، وقتها ، بالنكسة السوداء .

نكاد نجزم أن تلك هى الشريحة أو المدرسة المعينة للشعر الحر العربى التى عناها أستاذنا الجليل .

غير أننا نقول انها بالذات ، وهى فحسب دون باقى مدرسة الشعر المستحدث ، ضاعت فى أقدام الحادثات ، غير مأسوف عليها ولا مستبدلة مظلتها .

وأما مطلق الشعر أحادى الشطرة ، فلم يدفن مع صلاح عبد الصبور ولم يتبدل مع عبد الرحمن الشرقاوى .

لكن ازمته جزء من أزمة الانسان العربى والبيان العربى .

فليت أزمة الثقافة تنفرج ، ويورق الأدب ويزهر ، مع كل الرياض ، من كل نوع فبدلا من أن تناوئوا هذا الفن اعينوه ، وقاوموا منحرفه أو قوموه وبدلا من اتهامه عينوا ملامحوجهه وقننوا ابعاد هريته .

فلا تحرموا المدرسة العمودية من روضة الى جوارها ولا تحرموا العربية من اداةجديدة .

« وَلَاأَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا » .

السيد عبد الله سليمان

أنباء وآراء

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

صرح الدكتور الاحمدى ابو النور وزير الأوقاف عقب زيارته للأزهر الشريف ولجامعة الأزهر :

انه سيعمل بالتعاون مع فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وجامع الأزهر على تطبيق الأسلوب الامثل فى تطوير التعليم الدينى ، والعمل على تحقيق الاستفادة المثلى من تدريسه وقال اننا جميعا خداما للدعوة الاسلامية واننا والأزهر الشريف والمهتمين بالشئون الدينية نعمل بروح الفريق الواحد .

حقوق وواجبات غير المسلمين فى ضوء القرآن والسنة .

* ناقشت كلية الدراسات الاسلامية والعربية رسالة الماجستير المقدمة من الطالبة هدية عطية زايد وموضوعها حقوق وواجبات غير المسلمين فى ضوء القرآن والسنة .

تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة .

د / الاحمدى أبو النور . د / محمد رشاد خليفه د / محمد محمد جبر نصار .

نتيجة المناقشة : امتياز مع مرتبة الشرف

* وجهت نقابة الأطباء بالقاهرة الدعوة لعقد مؤتمر دولى بالقاهرة لبحث الاعجاز الطبى فى القرآن وسيشارك فى المؤتمر وفود من جميع أنحاء العالم كذلك سيشارك الجهات والهيئات العلمية .

* الارتباط بين العلاج الاجتماعى لحالات الاضطرابات الشخصية وبين التقدم فى العلاج .

موضوع رسالة الدكتوراه التى تناقشها كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان المقدمة من الطالبة اقبال مخلوف .

وللرسالة أهمية كبرى من حيث القائها الضوء على حالات الاضطرابات الشخصية المصاحبة للتقدم والتطور في المجتمعات الصناعية .

لجنة المناقشة مكونة من الأساتذة د / صلاح جوتر د / عبد الباسط محمد على حسن د / عبد العزيز فهمى .

نتيجة المناقشة : جيد جدا .

طالب نيجيرى يفوز بالمركز الأول بصحافة الأزهر .

اعلنت نتيجة كلية اللغة العربية قسم الصحافة بجامعة الأزهر وقد فاز بالمركز الأول الطالب « الحاج لادى عتيق » وحصل على تقدير جيد جدا .

صرح الدكتور على البدرى عميد الكلية بان نسبة النجاح بالنسبة لطلاب الدول الأفريقية والعربية تعتبر عالية جدا وهذا بفضل ما يحصلون عليه من امتيازات علمية وثقافية واجتماعية من جامعة الأزهر .

مشروع لانشاء مجمع اسلامى

بعد تزايد الجالية الاسلامية فى مدينة « دبلن » عاصمة جمهورية « ايرلندا » الشمالية وبعد ضيق المكان المخصص لاقامة صلاة الجمعة والعيدين بجانب الصلوات الخمس . سعت الجماعات الاسلامية هناك لاقامة « مجمع اسلامى » فى وسط المدينة على قطعة أرض مساحتها ثلاثة أرباع فدان ثمنها حوالى ربع مليون جنيه . وتبلغ تكاليف هذا المشروع مليونين وربعا مع الجنيهات ، ويتكون من جزئين . الأول : ويشمل انشاء بهو واسع للصلاة ومكان للوضوء ومكان خاص للسيدات. والثانى يشمل بناء ملحقات بالمسجد من مكتبة اسلامية ومدرسة لأطفال المسلمين ، ومكان لغسل وتكفين الموتى ، وشقة ومكتب مجهز لامام الجامع .

بناء مركز اسلامى فى بنجلاديش

وافق مركز مديرى المركز الاسلامى الدولى للتدريب الفنى والمهنى والأبحاث على ميزانية العام المالى القادم والتى تبلغ خمسة ملايين دولار .

وقد أعرب المجلس عن أسفه لتأخر الدول الأعضاء فى المجلس عن دفع مساهمتهم النقدية وتبلغ اربعة ملايين دولار . وقد استعرض المجلس التقدم الذى تم احرازه فى تشييد المركز الاسلامى الذى يقام على بعد عشرين كيلو مترا من « داكا » . ويعد هذا المركز أحد مشروعات منظمة المؤتمر الاسلامى .

تكوين رابطة اسلامية

انشأت مجموعة تضم أربعين من الأئمة المسلمين الفرنسيين مؤخرا رابطة دينية اسلامية فرنسية ، وذلك لتولى المشاكل الدينية الطائفة الاسلامية الكبرى فى فرنسا والتى

يقدر عددها بنحو ثلاثة ملايين مسلم فرنسى وأجنبى .

وصرح الامام محمد بلمكى رئيس الرابطة بأن الهدف من وراء تكوين هذه الرابطة هو تشجيع التقارب الثقافى للمسلمين ، وتكوين حلقة اتصال بين الطائفة الاسلامية وبين المجتمع الفرنسى بالاضافة الى فرض رقابة على ذبح اللحوم المصدرة الى الدول الاسلامية .

وأعلن الامام محمد بلمكى بأن هدف الرابطة دينى صرف وانها لا تأخذ فى أعمالها الاعتبارات السياسية والعرقية .

وأضاف الامام : أن الرابطة تساندها عدة جمعيات اسلامية فى فرنسا وخاصة المؤتمر الوطنى للمسلمين الفرنسيين والجبهة الوطنية لأتباع الاسلام .

الكونجرس والعلوم عند العرب

تنظم مكتبة الكونجرس الامريكية مؤتمرا عن تاريخ العلوم عند العرب يشارك فيه عدد من مؤرخى العلوم عند العرب فى امريكا وأوربا والعالم العربى . وذلك بالاشتراك مع جامعة الدول العربية .

وقال الدكتور جورج عطية رئيس قسم الشرق الاوسط فى مكتبة الكونجرس ان هذا المؤتمر سيبحث فى مختلف العلوم عند العرب ومنها العلوم الطبية والكيمياء والرياضيات. وسيحضر المؤتمر عدد من الباحثين الامريكيين المهتمين بالعلوم العربية .

تقنين الشريعة الاسلامية

زار القاهرة وفد من رجال القضاء بدولة الامارات العربية المتحدة برئاسة المستشار على الهاشمى ، وصرح المستشار على الهاشمى بانه بحث مع المسئولين فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ووزارة العدل امكان الاستفادة بقوانين الشريعة الاسلامية التى تم تقنينها فى مصر ومحاولة تطبيقها فى دولة الامارات العربية المتحدة .

الاستفادة من الشريعة الاسلامية فى دول أوربا

يقوم معهد الشرق التابع لجامعة « نابولى » بايطاليا بنشر ملخص الدراسات التى أجراها عن الشريعة الاسلامية وقوانينها ومدى امكانية الاستفادة من هذه القوانين فى دول أوربا .

ومن المنتظر أن تطبع هذه الدراسات وتوزع على الجهات الراغبة فى الاطلاع عليها .

وكان المعهد قد نظم عددا من المحاضرات للمتخصصين فى الدراسات الشرقية لتوضيح أسس الشريعة الاسلامية وتعاملها مع الحياة اليومية للأفراد والمجتمع .

اثبتت معظم المحاضرات التى القاها أساتذة العلوم الشرقية فى جامعات أوربا جهل الغرب بخصوصيات العلاقة بين الشريعة

الاسلامية ونظام الدولة فى العالم الاسلامى . وقد قام هؤلاء المحاضرون بتوضيح هذه العلاقة وتصحيح الفهم الخاطىء لدى الأوربيين عنها .

قســم للحديث بكلية القرآن الكــريم

تقرر انشاء قسم للحديث بكلية القرآن الكريم بام درمان . وذلك بعد اجتماع عقد بين الدكتور يوسف الخليفة رئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالسودان . وعثمان سيد احمد وزير التربية والتوجيههناك . كما تناول البحث دعم رسالة المسجد ، وانشاء العديد من رياض الاطفال الملحقة بالمساجد ، وتطوير الخلوات واعداد مناهج دراسية خاصة بهـــا .

حجاب الطالبات المسلمات بتركيــا

وافق المجلس الاعلى للتعليم فى تركيا على السماح للطالبات بتغطية رءوسهن اثناء حضور المحاضرات فى الجامعات . وكان نحو ألف طالبة مسلمة قد قمن بمقاطعة المحاضرات فى جامعة انقرة احتجاجا على رفض السلطات التركية السماح لهن بارتداء الزى الاسلامى ومن المعروف أن تركيا يوجد بها خمسة واربعون مليون مسلم .

مجلة للطفل المســلم

أصدر الاتحاد الثقافى الاسلامى بباريس العدد الاول من مجلة « اروى » تهدف الى تنشئة الطفل تنشئة اسلامية، وتأمين حصول الطفل المسلم على المعرفة والعلم المفيد وتعاليمه بعض الآداب الاسلامية .

قرر المسئولون عن المجلة اصدارها بعد توقف مجلة «اشراق» على أثر الضغوط التى تعرضت لها من بعض خصوم الاسلام فى فرنسا .

تعليق على رد

تعليقا على الحوار الذى دار بين الأستاذين الفاضلين ــ فى عدد شوال من مجلة الأزهر الغراء ــ حول البيت : وكل رفيقى كل رحل . والذى انتهى الى اعتذار الأستاذ أحمد حسن هلالى اعتذارا حارا بلغ حد اعلان التوبة وكأنه وقع فى معصية وهو أمر لا نرى مبررا له فان الشأن فى البحث العلمى أن يكون صاحبه حسن القصد .

وهو ما اتصف به ولا شك الأستاذ هلالى ــ أقول تعليقا على هذا الحوار :

يبدو أن الأستاذ (هلالى) لم يطلع على البيت موضوع النقاش فى الطبعة المحققة من كتاب

« مغنى اللبيب » والتى قام بنشرها المرحوم الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد عميد

كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فقد كتب الأستاذ المحقق البيت بطريقة تتفق والرأى السليم الذى اتجه اليه الاستاذ محمد طه ، فان الأستاذ محيى الدين قد وضع عبارة « وان هما تعاطى القنا قوما هما » بين شرطتين باعتبارها جملة معترضة وبهذه الطريقة حسم الأستاذ المحقق الموقف وأبدى رأيه ضمنا فى الفهم السليم الذى يجب أن يفهم به البيت ، والذى لا يحتاج معه الى تأويل أو كلام طويل ، وقد كان يحسن بالمحقق — رحمه الله — أن يبدى رأيه صراحة فيما قاله « ابن هشام » ، واليكم الطريقة التى كتب بها البيت فى النسخة المحققة :

وكل رفيقى كل رحل — وان هما
تعاطى القنا قوما هما — اخوان

وهى طريقة نفت الغموض عن معنى البيت

فشكرا للأساتذين المتحاورين، وثناء على جهد الشيخ العلامة محيى الدين، ومغفرة لابن هشام ، والكمال لله وحده .

احمد قاسم احمد
مدير دشنا التعليمية

كتاب « خديجة أم المؤمنين » نظرات فى اشراق فجر الاسلام

تاليف الاستاذ عبد المنعم محمد عمر
وكيل وزارة الثقافة الاسبق

يفتتح المؤلف السيرة النبوية العطرة برسم صورة خديجة بنت خويلد الزوجة الصالحة التى تتفانى فى الاخلاص لزوجها فتعوضه عن حنان الام التى فقدها فى الصغر ، وتغمره بحنان الزوجة التى تسهر على راحته ، كما يرسم صورة للزوج الكريم الذى لا يدخر وسعا فى السعى لكسب الرزق والعمل على اسعاد اسرته ، ومد يد العون لذوى القربى والمحتاجين ، ويبرز لنا حياة الزوجين الكريمين وقد غمرتها السعادة ورضيا عما وهبتهما السماء من رزق وذرية من البنات والبنين ، واستسلما للقضاء والقدر ، ورضيا عما نزل بهما عن فقد الصبيين .

فاذا نزلت الرسالة السماوية الكبرى نرى صورة لاخلاص الزوجة لدين الوحدانية ، وكفاحها بجوار النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى تشير عليه بعقلها الراجح فى الساعات العصيبة فى فجر الدعوة ؛ ومساندتها له بمالها وجاهها عندما أسرف المشركون فى التصدى للدين الجديد ، ودور الزوجة الحنون التى تبذل كل ما تستطيع لتسرى عن زوجها فى ساعات الشدة .

ويرسم الاستاذ عبد المنعم عمر صورة واضحة الملامح لجهاد النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تبليغ الرسالة الالهية ، ولدور الصحابة وثباتهم مع الرسول الكريم ، وبذلك يتسع مجال البحث ليشمل الجوانب المختلفة للسيرة النبوية الشريفة منذ بداية المبعث حتى أشرق فجر الاسلام ، راويا ذلك فى أسلوب

◄

أنبـاء وآراء

قصصي ممتع لا يقتصر فيه على ذكر الحوادث متتابعة ولكن يعنى بذكر أسبابها وبيان نتائجها بأسلوب سهل يتسم بالوضوح ويتنقل بالقارىء بين أحداث السيرة العطرة فى سلسل يجذب القراء ، وبخاصة الشبان منهم ، ويغريهم بالمتابعة طوال خمسة عشر فصلا فى ٤١٢ صفحة .

ويلتزم الاستاذ عبد المنعم عمر باستقاء المعلومات من أوثق المصادر وفى مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف المستقى من كتب الصحاح ، مستعينا بكتب التفسير وكتب أسباب النزول ، مع العناية ببحث الروايات المختلفة فى كتب السيرة وكتب تراجم الصحابة وكتب التاريخ ، والمقارنة بينها لاختيار أصحها مع الاكتفاء بذكر عيون الأخبار وتوثيقها .

فاذا اضفنا الى ذلك عناية المؤلف بالتقديم للكتاب بنبذة مختصرة عن تاريخ جمع الحديث الشريف وتدوينه ، وكتابة السيرة النبوية الكريمة ندرك مدى ما بذله الاستاذ عبد المنعم محمد عمر من جهد فى التخطيط لكتابة هذا الجزء من السيرة النبوية العطرة فى ثوب عصري وأسلوب سهل متميز بالمستوى الرفيع فى المنهج والمادة جزاه الله تعالى أحسن الجزاء على ماقدم للمسلمين وللتاريخ الاسلامى .

أحمد حلمى محمد عبد الرحمن
مراقب عام دار الكتب القومية
والخبير بمجمع اللغة العربية

كتب السيد / فتوح أحمد عبد الرحمن — المراغة — المريدية .

مقترحا : بأن تركز المجلة فى النشر على عدة موضوعات خاصة بالمعاملات الاسلامية مثل معاملة الجيران — كيفية المشاركة فى الأفراح وغيرها من المعاملات وذلك لأن كثيرا من الكتب الاسلامية التى تغمر السوق تتحدث عن العبادات وتاركة المعاملات .

— المجلة تشكر لك هذا الاهتمام ونسأل الله أن يوفقكم ويوفقنا لما فيه الخير للاسلام والمسلمين . وما اقتراحكم مقدم الى الكتاب .

كتب السيد / فتحى عبد الحكيم أحمد — العياط — الجيزة .

تريد أن تنشر المجلة باب « كيف ترد الشبهات عن دينك » لفضيلة الشيخ محمد مصطفى الطير — الذى كان ينشر فى مجلة رسالة الأزهر سابقا . لأننا فى حاجة شديدة لهذا الباب لما فيه من الافادة التامة .

المجلة : نرفع معكم الأمر لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الحديدى الطير والله الموفق

ردود خاصة .

السيد / يوسف صابر رجب — أسيوط
لا يوجد بالمجلة هدايا غير التى تصدر مصاحبة للعدد من الممكن أن تصلك عن طريق الاشتراك فاتصل بالعنوان التالى :
القاهرة — ادارة توزيع الأهرام — شارع الجلاء .

فهرس العدد

alone and closed to all other peoples. They would certainly exceed all mankind in their greed of and longing for life. With all his wicked deeds, each one of them would wish to live a thousand years. However, even a thousand year lifetime could not dislodge him away of the scourge Allah prepared for him.

After the manner of " You follow your way and we follow ours ", the Jews of Medina said that Mickael was the Prince Angel in charge of them, whereas Gabriel inspired fear and was duly hateful to them. In refutation of such pedantry, Allah said that hatred of an Angel of His, implied objection against Him. As much, it was hate of Him, His Angels and His Apostles.

As for Gabriel, peace be upon him, Allah affirms that he brought the Qur'an down upon His Prophet's heart by His leave, even though they detested it.

He added, it was typical of perverse unbelievers and convenant breakers to affect such distinctions to absolve themselves from their duties and follow their own evil ways.

For a party of them cast off the Book of Allah behind their backs and pursued the blasphemies ascribed by devils to the Kingdom of Solomon, with a view to learn magic and black art. In no way was Solomon an unbeliever or did angels persuade men out of their piety.

So far from that, those men should have stuck to fidelity, to the principles and morals of the faith, and then, Allah would have guranteed to recompense them with a much more availing reward.

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN (CONTINUED)

BY : SOLIMAN BARAKAT

It was Muhammad alone, be upon him prayer and peace from Allah, that the Jews antagonized; such was their habit with all Prophets, even those among them who Allah strenghthened with the Holy Spirit. Puffed up with pride, they scorned any Apsotle whose message did not suit their fancies, so that they charged some with imposture and slew others.

In arrogance, they said that their hearts were sealed up so that they would neither let out their own treasure of knowledge nor let in any knocking call. At the root of their disowning the Mission of Muhammad, be upon him prayer and peace from Allah there coiled the serpent of envy. So, When they were required to believe in the Revelation of Allah, they played false with their own light. They restricted the universal message of Allah to their Scriptures which they usually violated, and to their Jewish Prophets who they almost always distressed and often put to death.

Allah told Muhammad, be upon him prayer and peace, it was their like to be short of true faith but inflated with hollow pride.
He challenged them to entertain the wish to die if their claim had been true that Paradise would be open to them

References

1 Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2 Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3 Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

then said "Then it is best to move further on to reach the distant other side of the water wells, trench round the wells and wall in the waters, that we may possess the water to use and the enemy cannot". The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) highly praised the opinion and the muslim legion moved according to the instructions of Al-Hubab, and occupied the site between the wells and the army of Koraysh, having the water wells within their domian.

Then Saad Ibn Ma-az suggested that a shelter should be erected which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) could use in case of need. This was also done on top of a ridge overlooking the field.

Both sides appeared to see each other on the evening of Thursday the seventeenth of Ramadan during the second year of Hijrah. The following day of Friday was the great confrontation of the battle of Badre.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deliberated with his companions and asked their council. Men from the Muhagereen spoke in full support of what was commanded and revealed to him from Allah. On further request for council, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was waiting for the words of Al-Ansar. Realising that, Saad Ibn Ma-az from the Al-Ansar spoke in full support and in true obediance of what was decided and commanded by the Prophet(prayers and peace from Allah upon him), as was ordained by Allah. The muslim legion moved on to reach Badre and camped at the near east side of the valley away from the water wells. The rains came in heavy showers and made the earth solid and firm where the muslim legion was camped and allowed them liberty and freedom of movement; whereas,the rains caused thick mud where the army of Koraysh camped restricting and impeding their movement.

The muslim legion moved forward nearer to the wells. There, Al-Hubab Ibn Al-Munther Al-Ansari said to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)"Is this a place that has been chosen for you by Allah that we cannot discuss or change, or is it battle manouvre and strategy that we can take part in opinion".

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered " But it is battle manouvre and strategy. Al-Hubab

safe and there was no purpose for their futher challenge. However, the leaders of Koraysh particularly Al-Hakam Ibn Hisham (Abu Gahle)vowed that there will be no return till they reached the wells of Badre, stayed three nights in full celebration and festival; so that all Arab clans and tribes hear of their march and gathering and remian to respect and dignify Koryash as the most eminent authoritative Arab tribe. They marched from Mecca to Badre in battle dress, one thousand men including eight hundred mounts. All celebreties of Koraysh marched; Al-Hakam Ibn Hisham, Umayah Ibn Khalaf, Suhayl Ibn Amre, Shaybah Ibn Rabee-ah Utbah Ibn Rabee-ah, Hakim Ibn Hizam, Al-Harith Ibn Amer, Al-Nadre Ibn Al-Harith and several other men of rank. They marched to reach Badre and camped at the distant west side of the valley.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the legion of muslims left Al-Madina to retrieve the convoy. They were not out for battle, and were unaware that Koraysh was out in masses. When the muslim legion reached Al-Rawha, news came from muslim scouts that Koraysh was on the march of reach Badre soon. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) consulted his companions, realising that the situation was different, it was no more a matter of camel convoy, now it was a matter of armed confrontation against Koraysh in battle with uncomparable numbers in men and mounts.

and primitively armed and equiped, with only two horses and seventy camels. They were few in number, many muslims remained behind at Al-Madina; the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was not out for battle; he was out to intersect the convoy and to retrive as their possessions part of muslims wealth left behind in Mecca when they forcibly left for the Hijrah to Al-Madina.

The camel convoy of Koraysh was headed by Abu Sufyan Ibn Harb an outstanding chieftain and a classical bitter enemy to Islam. On the return journey from Damascus to Mecca; on nearing Al-Madina, Abu Sufyan scouted his way, and received news that muslims were out from Al-Madina with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to confront the camel convoy of Koraysh. Abu Sufyan waged Dumdum Ibn Amre Al-Ghaffary to speed to Mecca and conjure the clans of Koraysh to save their camel convoy from the muslims. Abu Sufyan carefully proceeded on his way to reach the water wells of Badre; there he was informed of recent presence of two strangers at the wells. Abu Sufyan examining the dung of their camels,recognised it to be from fodder of Al-Madina. Abu Sufyan quickly skewed his route of travel leaving Badre to his left and heading south by the sea coast speeding to reach Mecca. When he rescued the convoy ana was in safety, Abu Sufyan sent a message to Koraysh to return, the convoy was

were certainly necessary to prove their cause and purpose, to gain confidence in their ability to organize and draw strategy, to develop experience in armed confrontation, and above all to test and evaluate the depth of their belief, and their adherence to the words of Allah and their obediance to the commands of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). To the clans of Koraysh, these muslim moves were looked upon with neglect, arrogant superiority and conceit. It was when the great Battle of Badre was on and over that the clans of Koraysh perceived and realised that muslims could affect mortal blows to the core and integrity of Korayshian structure.

During the month of Ramadan of the second year after the Hijrah was the great battle of Badre. This is recognised as certainly the most crucial and emergent encounter in islamic history; the first confrontation and certainly the most deciding.

The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) received news of the great camel convoy on its return journey from Damascus to Mecca; that he had previously missed at Al-Ashirah. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) summoned his companions to intersect the convoy and left Al-Madina on the 3rd. of Ramadan with three hundred and thirteen men, two hundred of the Ansaars and the rest of Muhagereen. The banner was entrusted to Musab Ibn Umayer Al-Abdary. Al-Madina was entrusted to the ministership of Abdullah Ibn Um Maktoom. The legion of muslims leaving Al-Madina were poorly

ent chroniclers. However, it is mostly agreed that the first assignment headed by the Prophet himself(prayers and peace from Allah upon him) was that of Waddan(or Al-Abwaa).

During the month of Rajab of the second year after the Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) chose Abdullah Ibn Gahshe Al-Asadii to head a group of eight men all from the Muhagereen, with written instructions to be disclosed two days after departure. When Ibn Gahshe read the instructions, he was ordered to proceed to Nakhla, to bring news of Koraysh, and not to oblige any of his companions. He informed them of these instructions and they all agreed to follow. At Nakhla, They met a small camel convoy for Koraysh with four men. One man from Koraysh was killed, one man fled to Mecca and two were taken prisoners. At Al-Madina, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) did not justify killing in the sacred month of Rajab when killing was traditionally prohibited. Abdullah Ibn Gahshe and his companions repented their action, however, they were forgiven by Qur'anic Revelation. One of the prisoners was returned to Koraysh and the second Al-Hakam Ibn Kaysan declared Islam and remained at Al-Madina.

All these inceidents were of no great impact on Muslim-Koraysh relationship. To the muslims at Al-Madina such missions

ion and decided to approach the trade routes and interrupt the convoys on their go and return journeys. This policy aimed essentially at blunting the thorn of Koraysh and inducing embarrasing disturbance to their financial structure which was essentially dependant on trade convoys.

The first deployment to interrsect the convoys of Koraysh was assigned under the leadership of Hamza Ibn Abd-el-Mutaleb and comprising only Muhagereen. They met the camels of Koraysh at Al-Aees on the sea coast. Magdi Ibn Amre Algehny stood between the opponents and prevented combat.

The second contingent was assigned under the leadership of Ubaidah Ibn Al-Harith, comprising only Muhagereen. They encountered the convoy of Koraysh in the valley of Rabegh. Few throws were exchanged and the Korayshians retreated from fear of ambush.

The following four assignments were headed by the Prophet himself (prayers and peace from Allah upon him). These were in consecutive order the assignments of Waddan, Al-Bouwat,Al-Ashirah, and Minor Badre. In all four,no armed confrontation took place. However, the outcome of these assignments was manifested by the fact that Muslims could manouvre, move, and organise substantial opposition to face the well-manned trade convoys of Koraysh.

The exact order of all these assignments and their dates is subject to some disagreement among the differ-

The Great Badre (Part 1)

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful. By Divine permission and command revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), muslims were permitted, for the first time since the start of the Revelation, to take up arms and confront their enemies and antagonists in conflict if necessary. This new legislation of " Jihad " was provisioned in defence and security of the growing muslim community and to safeguard its structural integrity and propagation. This "Jihad" should be essentially and purely in the cause of Allah, and to establish the Divine words of Allah in the summit and surmounting all others.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) endowed with wisdon of prophethood and statesmanship recognised the deeply rooted enmity of Koraysh and acurrately balanced its consequences. The clans of Koraysh as traditional traders convoyed their trade routes from Mecca north to Damascus by way of Al-Madina or through neighbouring territory. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) perceived the strategic advantage of the situat-

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

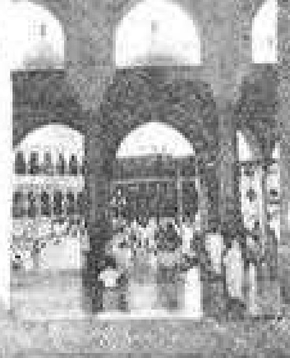
سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد [illegible]

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

فضل العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله عز وجل من هذه الأيام : يعنى أيام العشر » .

قالوا : يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ .

قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشىء » .

رواه البخارى وغيره من أصحاب السنن .

ها نحن قد أطلت علينا الأيام المباركة التى عناها رسول الله ﷺ بهذا الحديث الشريف .

الجزء الثانى عشر السنة السادسة والخمسون

❋ ذى الحجة ١٤٠٤ هجرية ❋

❋ سبتمبر ١٩٨٤ ميلادية ❋

فضل العمل الصالح

ها نحن قد طلع علينا هلال شهر ذى الحجة الحرام ، شـــهر الحج .

وهذه الأيام العشر التي أقسم الله سبحانه بها في قوله تعالى :
(وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ .. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ...) .

نعم هي هذه التي فرض فيها خامس أركان الاســلام ، الحج الى بيت الله الحرام .

ولقد كان للعلماء فى تفسير هذه الآيات أقوال :

فمن أصحاب الرســـول من قال : ان الفجر هنا : « انفجار الظلمة عـــن النهار فى كل يوم » .

وعن ابن عباس « أنه فجر يـــوم المحرم » باعتبار أن به تنفجر الســـنة أى تبدأ .

وقد روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : (والفجر . وليال عشر ..) قال : عشر الأضحى ، فهى ليال عشر باعتبار أن ليلة النحـــر داخلة فيها . إذ قد خصـــها الله بأن جعلهـــا موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة .

وقد قيل أيضـــا : انهـــا العشر الأواخر من شهر رمضان ، وقيل : انها العشر الأول من شـــهر المحـــرم التي عاشِرُها عاشوراء .

وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبى ﷺ : (والفجر . وليال عشر) هو الصبح وعشر النحر ، والوتر يـــوم عرفة ، والشفع يوم النحـــر ...

ولقد حث رسول الله ﷺ . على العمل الصالح فى هذه العشر الأول من ذى الحجة ورغب فيـــه ، حتى فضـــل صالح الأعمال فيهـــا على الجهـــاد فى سبيل الله ، على ما جاء بهذا الحـــديث الشريف على مختلف رواياته ، وتفضيل هذه الأيام بالجزاء الأوفى على العمـــل الصالح فيها جار على سنن اللهسبحانه فى تفضـــيل بعض الأزمنـــة ، وبعض الأمكنة ، كما اصطفى من الملائكة ، ومن البشر .

والعمـــل الصـــالح كل ما يؤديه الانسان المسلم ابتغاء وجه الله ، مـــن صدقة ، وصلاة وصوم ، وكلمة طيبـــة تثمر معروفا ، أو صلحا بين متخاصمين ،

أو هداية للضالين أو اغاثة للملهوفين، أو كشفا لكربات المكروبين ، أو تسبيحا ، وتحميدا ، وتهليلا أو تلاوة للقرآن الكريم ومدارسته ، عظة وفقها يرشد به المسلمين ، ويحثهم على الاستمساك بدينهم ، والعمل بكتاب ربهم .

ويكون العمل الصالح بقول كلمة الحق يرد بها ظلما ، أو يدفع بها ضرا ، وبالشهادة على وجهها ، ويكون بالتواضع بين الناس ، وحسن الخلق في التعامل ، وبأداء الأعمال خالصة مخلصة لله رب العالمين .

فان رب الناس قد دعاهم الى موسم الطاعات وعمل الصالحات ووعدهم الجزاء الأوفى والعطاء الجزيل .

ففي رواية البيهقي لهذا الحديث قال : « ما من عمل أزكى عند الله ، ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الأضحى » .

قيل : ولا الجهاد في سبيل الله ؟

قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء » .

قال : فكان سعيد بن جبير اذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يقدر عليه .

هذا . ولابد أن نذكر دائما أن خير العمل أداء الفرائض كاملة غير منقوصة وفي مواقيتها ، وأن الدعاء عبادة رغب فيها القرآن **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ . أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** .

ولقد حكى القرآن الكريم لنا دعاء الأنبياء معلما إيانا كيف ندعو ربنا من قلوبنا خاشعين ، خاضعين ، وذلك خير الدعاء كما نقلت لنا كتب السنة ادعية الرسول ﷺ .

إن علينا أن نعطي هذه الأيام التي باركها الله وفضلها ، حقها من الفضل ، فنجد في الطاعات ، ونفارق المعاصي والعصاة ، ونتقرب الى الله بما أمرنا به ودعانا اليه ، صلاحا لنفوسنا وهداية لقلوبنا ، واصلاحا لأجسادنا .

ان علينا أن نقبل على الله حتى يتقبل منا صالح أعمالنا ويتجاوز عنا خطايانا **(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** .

وكل مُصِرّ على كبيرة من الكبائر عالما بها أو جاهلا فهو معتد ، وقد أخبر الله أنه لا يحب المعتدين . فكيف يستجيب له ؟

فى هذه الأيام العشر على المسلمين أن يتوبوا الى الله ، وأن يعملوا صالحا ، وما التوبة الا نقد ذاتى ، ومراجعة لموقف الفرد والجماعة من الله .

اذ التوبة ندم على ما فرط وعمل يكفر الذنوب ، ويمحو الخطايا ، ويُبعد عن المحرمات .

ولقد قيل لبعض الصالحين : ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا ؟

قال : « لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء .

فقيل له : وما هى ؟

فقال : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به ، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار ولم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه ، ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس ، وتركتم عيوبكم » .

أفلا نعود الى ربنا ونتوب اليه ، ونستغفره فى هذه الأيام التى أقسم بفضلها ؟ .

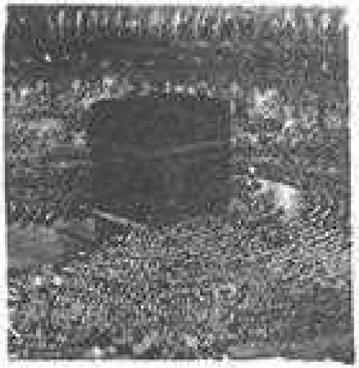
نسأل الله كما علمنا :إياك نعبد ، وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

حج النبي صلى الله عليه وسلم

قبل الجهر بالدعوة

د. على أحمد الخطيب



... وحديثنا هذا لِحَجٍّ منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل الجهر بالدعوة .

بل ، قد يكون ذلك الحج قبل ان يُبعث ـ عليه الصلاة والسلام .

فان الحج الذى نسوق حديثه ـ اليوم ـ كان على اى حال ـ قبل أن تسلط الاضواء على نبينا الحبيب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقبل ان يُكَلَّم له ـ صلى الله عليه وسلم ـ شَأْنٌ خاص فوق كونه : « محمد بن عبد الله » فقط الهاشمى القرشى ـ صلوات الله وسلامه عليه .

ثم هو ايضا حَجّ قبل ان يفرض الحج فى الاسلام ، وهو لم يفرض — بحال — قبل العام الخامس من الهجرة ٠

هو من قبل ذلك كله حين كـانت قبيلته — عليه الصلاة والسلام — تدين كلها بالوثنية ، وتعكف عليهـا خالصة لها مخلصة فيها ٠

بل لقد كانت قبيلتُهُ الاحمسـيةَ الاولى صاحبة مذهب « الحُمْس » احد المذاهب الوثنية الثـلاثة التى دان لها العرب قبل الاسلام ٠

واعتنق هذه الأَحْمَسِـيَّةَ — اجماعا — قريش ، ومن جاور مكة من العرب ، ومن صاهر الى قريش فتزوج من بيوتها فقد كانوا يلزمونه أن يكـون وَلَـدُهُ مـن بناتهم أَحْمَسِيًّا مثلهم ٠

وبذلك انتشر المذهب — فى غير قريش ومن جاورت — فى بطون من قبائل أُخَـرَ فى الشمال والجنوب رَضِـيَتْهُ شريطـة قريش مغتبطة ٠

هذا المذهب يمنى ما يحمـل لَفْظُهُ مـن الحماسة لأمراى « التشـدد فيه » فهم الوثنيون المتشددون فى ممارسة شـعائر دينهم وطريقة تطبيقهم المتخذون لأنفسهم مَيْزَةً دينية على الناس لم يتخذها الحِلَّة[1] ولا الطُّلْس وهما أصـحاب المـذهبين الآخَرَيْن من المذاهب الثلاثة ٠

وتميز الحمس ، أو ميزوا أنفسـهم — اذا مارسوا شعيرة مـن حج أو عمـرة الا يَسْلَئُوا سَمْنًا ، ولا يطبخوا أَقِطًا ولا يدخروا لبنا ، ولا يحركوا شعرا ولا

ظفرا ولا يبيتون فى حجهم شـعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا ولا يأكلون لحما، ولا يمسون دهنا ، ولا يلبسون الا جديدا ولا يطـوفون بالكعبة الا فى أحذيتهم

(١) الحلة — بكسر الحاء وفتح اللام مشددة ، الطلس : بضم الطاء ، كذا فى ضبط الكتاب . انظر " المحبر " الآكل ٠

وثيابهم ، لا يمسون المسجد باقدامهم تعظيما — فى رأيهم — لبقعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها .

ولايقفون — اذا حجوا — يوم عرفة بأرض عرفة لأنها ليست من الارض الحرام ، ويقفون — بدلا منها — بمزدلفة فان مزدلفة من الارض الحرام يقولون : نحن الحمس ، أهل الله ، وبنو ابراهيم خليل الله وولاة البيت ، وسُكّان حرمه ، وقُطّانه ، فليس لاحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا ، فلا نخرج من الحرم .

فاذا انتهى وقوفهم بمزدلفة أفاضوا منها الى مِنًى بينما أفاض غيرهم — الى منى — من عرفة (١) ... الخ

وغيرهم ليس إلا الحِلَّةَ والطُّلْسَ فما من عربى الا كان على واحد من هذه المذاهب التى اشتركت جميعا فى تغيير وتبديل إرث ابراهيم خليل الرحمن — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ومادام محمد ﷺ — لم يعرف بعد برسالة فهو عند الناس جميعا — بلا أدنى تفكير : قرشى أحمسى وهنا يتجلى توفيق الله الدائم لمحمد ﷺ .

ويتجلى حفظه — سبحانه وتعالى — له .

والتالى للآيات الكريمة :

« وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » .

يرى حتما عناية الله الكريم الجليل برسوله ﷺ من يوم مولده ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى .

أليس — سبحانه — القائل :

« فانك باعيننا » (٢)

وشأن الآية الكريمة مطابق لدعائه ﷺ :

« برحمتك أستغيث

أصلح لى شأنى كله

(١) انظر للامام الازرقى — اخبار مكة شرفها الله وما جاء بها من الآثار ص ١٣٠ ط اولى حجر ، وراجع لابن حبيب البغدادى — المحبر ص ١٧٨ .

(٢) الطور — ٤٨ .

ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك » فما سجد محمد ﷺ لوثن قط .

وكان حجه ﷺ في الجاهلية ، وقبل اعلان الدعوة على ميراث ابراهيم أبيه خليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام.

وفي احدى هذه الحجات ، انطلق ﷺ بتوفيق من ربه — يوم عرفة ، فوقف بعرفة ، بينما كان قومه الحمس — وقد عَيَّوا وَتَذَلَّوا — يقفون بـ « مزدلفة » وجُبَيْر بن مطعم القرشي الأحمسي الذي لم يسمع بالاسلام بعد ، ولا سمع به أحد جهاراً يُلازم مع قومه موقفهم في الحج بمزدلفة .

وبينما جبير — في موقفه — إذْ أضَلَّ بعيره ، فلم يجدْهُ بمزدلفة فانطلق يطلبه قِبَلَ الناس في عرفة ، فاذا هو بمحمد ﷺ فَمَلَكتْهُ دهشة الى استنكار واستغراب ، فقال — تلقائيا :

هذا — والله — من الْحُمْس ، فما شأنه ههنا (١)

ثم — بعد حين — يشرق الاسلام ، وينبسط ويمتد ويُسْلِم جبير بن مطعم بن عدي القرشي — بعد عام الحديبية أي بعد العام السادس من الهجرة ، ثم يسمع ويروي مقالة ابن مِرْبَع الانصاري الى الحجيج يقول لهم :

إني رسولُ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — اليكم ، يقول : كونوا على مشاعركم ؛ فانكم على إرْثٍ من ارث ابراهيم (٢)

يقول جبير — رضي الله عنه — بشأن وقوف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعرفة :

فلما أسلمت علمت أن الله وفقه لذلك (٣) .

د/ علي أحمد الخطيب

---

(١) راجع صحيح البخاري باب الوقوف بعرفة .

(٢) انظر الجامع الصحيح للترمذي ٢٢١/٣ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٣) راجع فتح الباري لابن حجر ٤١٢/٣ طبعة اولى المصرية ١٣٠٠ هجرية .

ليس لهؤلاء جزاء إلا الجنة

للأستاذ طه عبد الرؤوف

اى حاكم فى الأرض ـ مهما بلغت سطوته ـ واى قانون عليها ـ مهما كانت قوته ـ لا يمكنه ان يجمع هذا العدد من المسلمين كل عام .. فى زمان واحد ، ومكان واحد ، يقومون بعمل واحد .. رداؤهم متحد .. ودعوتهم ـ ايضا ـ واحدة .. جاءوا مستجيبين لأمره تعالى حين طلب ـ سبحانه وتعالى ـ من خليله ابراهيم عليه السلام ان يدعو الخلق لزيارة بيته المعظم «وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» . (١)

فحين يترك كل منا ماله وأغراضه وعياله تاركا الدنيا خلف ظهره حاملا على كاهله ذنوبه وأوزاره ، ليقف بين يدى الله تعالى معترفا بآثامه وخطاياه .. طالبا منه العفو والمغفرة .. فانما يتذكر يوم العرض الأكبر «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٢) .

وحين يقف العبد ـ لحظة حجه ـ بين يدى الله تائبا من معاصيه ، راجيا عفو خالقه ـ يضع الله بين يديه سلطة القضاء والتنفيذ فيجعله يحاسب نفسه فيقاضيها ثم يصدر هو الحكم ويقوم بعد ذلك بتنفيذه .

ذلك أن البشر هم الضعف النفسى بعينه ، فقد يخطىء الحاج هنا فيحكم على شخصه وينفذ الحكم بنفسه بدفع صدقة أو يهرق دما أو يصوم أياما . فيالها من تربية الهية ما أعظمها تربية .

(١) الآية ٢٧ من سورة الحج .

(٢) الآية ٨٩ من سورة الشعراء .

افضـــل جهــاد

موقف يباهى به الله ملائكته يقول تعالى :

« انظروا الى عبـادى ، اتونى شعثا غبرا ضاحين .. جاءوا من كل فج عميق . يرجون رحمتى ، اشهدوا ياملائكتى أنى قـد غفـرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم .. »

موقف لا يعدله موقف فى الأرض .. وجهـاد لا يدانيه جهاد فى الـدنيا .. جهـاد للنفس والمال والبدن فى آن واحد .

فالصلاة تجهد الجسد دون المال .
والصوم ايضا جهاد للنفس والبـدن
والزكاة انفاق للمال فقط .

أما الحج فهو يجمع بين كل مظاهر الجهاد .. ليصبح من أفضل العبادات التى فرضت على المسلمين لمن استطاع أداءهـا والذين يتقربون بفعلها الى خالقهم الأعظم .

اكبر المنـــافع

لم تشرع الأديان السماوية فريضـة مـن الفرائض الا وكانت ذات منفعة للفرد والجماعة اذا ما التزموا بها وقاموا بأدائها خير قيـام .

وللحج منافع دينية ودنيوية

فحين يتجرد الحـاج مـن المخيط ويرتدى المحيط فانما يتذكر اليوم الذى يقابل ربه فيه كيوم ولدته أمه فيدخر لهذا اليوم من طيبات أعماله .

وعندما يسلك الى مناسكه طرق المخـاوف ويجتاز الصعاب والمشاق ليصل الى مطلبـه ويبلغ مأمنه .. فهو يشبه الراحـل الى اللـه التـارك دنياه لا أهل ولا ولـد الا ما ادخره من صالح الأعمال . « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ » (١) .

* وما اجتماع الحجيج وتلبيتهم بصوت يكاد يصعد بالقلوب الى عنان السـماء ففيـه يغلب وجدانهم على وجودهم وتطغى روحانيتهم عـلى جسمانيتهم حتى كأنهم ــ وهم فى زيهم الموحد الجميل ــ مـلائكة أبرار ــ يرددون الابتهالات الى الملك الواحد المعبود ..

تفر من عيونهم الدموع .. وتخشع داخل صدورهم القلوب طمعا فى رحمة الله وغفرانه وقبوله .. يرجون عظم كرمه واحسانه .

موقنين مـن قبـول دعوتهم فى أطهـــر سـاحة أمـام الواحـد القهار الرحمـن الرحيم مالـك يـوم الـدين .

* أمـا طوافهم بالبيت فتكريم له وتشريف لكونه مرفوعـا عـلى القواعد التى بنـاها

---

(١) الآية ٣٦ من سورة عبس .

ابراهيم ولأنــــه أول بيت وضـــع للنــاس « وَإِذْ يَرْفَـعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِـدَ مِـنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّـا إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ » .

* وسعيهم بين الصفا والمروة يذكرهم بما قامت به جدتهم السيدة « هاجر » حين هرعت تبحث عن الماء لصغيرها اسماعيل الذى جـاء من صلبه خاتم الرسـل .. محمـد ــ عليه الصـلاة والسلام ــ .

* ووقوفهم بعرفات كوقوفهم يـوم العرض الأكبر بين يدى خالقهم منهم المقبـول ومنهم المطرود .. يتعرضـون لحـرارة الشـمس كتعرضهم للهيبها يوم الحشر .

أما انفضاضهم من عـرفات ــ ومنهم مـن تقبل منه فكانفضاضهم من الموقف بعد الحساب يوم القيامة .

ورميهم للجمار يذكرهم بقصة أبيهم ابراهيم عندما عرض له الشيطان ثـلاث مرات وهـو يؤدى مناسكه فرماه كل مرة بحصيات سبع .

وما ذبح الهدايا الا تجديد لذكرى عظيمة.. حين افتدى الله اسماعيل بذبح عظيم .

الرهبـة منـه وحـده

وهكذا يجد الحاج نفسه مولودا جديدا على ظهر هذه الدنيا اكتسب من المنافع الدينيـــة والدنيوية مالا يمكنه اكتسابه ولو طال عمـره أمـد الدهر .

اذا كانت كل هذه المنافع الدينية قد وهبهـا الله لوفوده (الحجيج) فهو لم ينسهم أيضا من المنافع الدنيوية التى ينالها هـؤلاء الذين جاءوا من كل فج عميق .

ففى احرام الحاج وامتناعه عـن مبـاهج الدنيا وزينتها فطام عن الشهوات وتعود عـلى الخشونة .

وفى تلبيته مع آلاف الحجيج احساس بأنه أقوى من كل قوى وأعظم من كل عظيم فـــلا يخاف أحدا الا الله ولا يرهب الا خالقه جـل فى علاه ولا يرجو سواه الى منـافع أخـرى دنيوية كثيرة « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ .. »

انمـا الظلم منـا

ان مئات الألوف من المسـلمين بتجمعهم العظيم هذا ــ من مشارق الأرض ومغاربها ــ على اختلاف لغاتهم وتباين ألوانهم وأشكالهم انما يتهيئـون لحل مشـاكلهم فى جو مفعم بالروحانية والقدسية والشفافية .

ومشاكل المسلمين على كثرتها قـد تتمثـل أولا فى النواحى الروحية بعد هذه الموجـات الهائلة من زيف المبـادىء والابتعــاد عن توجيهات الدين الحنيف .

* وقد تتمثل أيضـا ــ فى المشــاكل المادية ــ وذلك بتحويل العدل الالهى الى ظلم يروح ضحيته ملايين البشر . فبينما ينزل الله

من السماء رزقا يكفي سائر خلقه يحول الخلق هذا الحفل الالهي الى ظلم بجشعهم واهمالهم وسوء تصرفهم .

اثمن الوصايا

ولأن لكل سلوك في هذه الدنيا آدابا وأخلاقا كان للحج أيضا آدابه وأخلاقه ..وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك : « أفضل الأعمال ايمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيل الله .. ثم حج مبرور » .

والحج المبرور هو ما ذكره الله تعالى حين قال :

« الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » (١) .

يقول الرسول ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .. قالوا وما بر الحج ؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وطيب الكلام » (٢) .

ومن بر الحج أن يتحلى الحاج بالورع فيناى عن الشبهات ويتجمل بالحلم فيكف به غضبه عن عباد الله ويتصف بحسن الصحبة لن يرافقهم من خلقه .

يقول الرسول ﷺ في احدى وصاياه : « لا تَحْقِرَن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي . ولو أن تعطي صلة الحبل . ولو أن تعطي شِسْعَ النعل . ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم .. ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منطلق » (٣) .

تلك وصية من وصايا خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ما أحوجنا اليها في رحلتنا المباركة الى بيت الله الحرام .

كلكم خير منه

ان حسن الخلق في السفر يفوق الكثير من العبادات فعن أبي قلابة — رضي الله عنه — .. أنهم أثنوا على صاحب لهم في السفر قائلين ما رأينا مثله قط .. ما كان في مسير الا كان في قراءة . وما نزلنا منزلا الا كان في صلاة .. ويسألهم : من كان يكفيه ضيعته ؟ من كان يفعل له كذا وكذا ؟ . حتى ذكر : من كان يعلف دابته ؟ .

قالوا : نحن .

قال : فكلكم خير منه .

لذلك أوصي الحاج بما أوصى به الرسول ﷺ معاذا حين سفره : « اتق الله حيثما كنت. وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »

وحتى يتم بر الحاج ويحقق من رحلته هذه ما يدخره ليوم الحساب .. فعليه الا يقصد بحجه رياء أو مباهاة أو فخرا ولا يقصد بحجه الا وجه الله فالله أغنى الشركاء عن الشريك .

هل علمتم — اذن — لماذا كان الحج المبرور .. ليس له جزاء الا الجنة ؟!

طـه عبد الرءوف سعد

---

(١) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .
(٢) أخرجه أحمد
(٣) رواه أحمد

من وحي الحج

في الشعر الإسلامي الحديث

للدكتور طه مصطفى أبو كريشة

من آيات الله البينات عن بيت الله الحرام ، ما ورد في القرآن الكريم من مناجاة ابراهيم عليه السلام ودعائه لربه « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » ابراهيم ٣٧ .

واستجاب الله تعالى لنبيه دعاءه ، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » الحج ٢٧ .

ومنذ ذلك الوقت ، والقلوب يستبد بها هوى جارف ، وحنين طاغ ، وشوق لهيف ، الى بيت الله الحرام .. وفي كل عصر وآن ، كلما أحست النفوس من ذلك ريا ، اذا بها يستولي عليها ظمأ شديد ، وعطش غلاب ، يطالبها بمزيد من الرى ، وبأضعاف من الارتشاف .

والذين رزقهم الله موهبة التعبير عن مكنون أنفسهم بالشعر ، رزقهم مع الموهبة رهافة الاحساس ، ورقة الشعور ، وشفافية العاطفة ومن أجل هذا فانهم لم يقفوا جامدين أمام حظهم ، من ذلك الهوى القلبي والعشق النفسي ، وانما ترجموه بشعرهم ، وعبروا عنه في قصائدهم ، فكان من وراء ذلك فيض من الشعر الاسلامي ، لو تتبعنا في دواوينهم لوجدنا من وراء ذلك رصيدا كبيرا ، جديرا بالدراسة والنظر اذا ضم بعضه الى بعض .

ولسنا هنا في مقام الاحصاء والاستقصاء ، فان لهذا مكانا غير هذا المكان وانما سنكتفي بالنظر في شعر شاعر واحد ، كانت له خواطر أوحى بها الحج ، حين أظل الناس زمانه ، واستشرفوا مناسكه وشعائره .

هذا الشاعر هو أمير الشعراء أحمد شوقى ، الذى سجل بشعره كثيرا من خواطره في المناسبات الاسلامية ، فكان شعره رقيقا حانيا ، يمس شغاف القلوب ويصل منها الى الاعماق ، ويجعلها تحلق في جو عبق من أريج الذكريات ، يعيدها الى الماضى الحبيب ، ويجتاز بها الآماد الى حيث العصر ، الذى تنزل فيه الوحى من عند الله على نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم .

** ولأحمد شوقى قصيدتان تتصلان بالحج اتصالا مباشرا ، وهو لم يصنعهما من وحى أدائه للفريضة ، وانما قالهما من وحى أداء غيره فكل منهما قيل في توديع ذاهب الى بيت الله الحرام ، واذا تجاوزنا عن هذه المناسبة الشخصية الخاصة ، فاننا نستطيع أن نعد كلا من القصيدتين تعبيرا عن خواطر الشاعر الذاتية نحو بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة .

أما أولى القصيدتين فقد قالها أحمد شوقى حين حج « الخديوى عباس حلمى الثانى » ، ويتصدرها هذا الدعاء الضارع الذى لا يملك الانسان الا أن يوجهه الى كل قاصد بيت الله الحرام :

الى عرفات الله ياخير زائر
عليك سلام الله في عرفات

فاذا كانت الزيارة انتقالا من مكان الى مكان ، فان زائر البيت الحرام هو خير زائر الى خير مكان حقا .

واذا كان للزوار مستقبلون ، يترقبون مقدمهم ، ويحتفون بهم اذا وصلوا اليهم ، فان أحمد شوقى يصور موكب الاستقبال لكل حاج بقوله :

ويوم تولىّ وجهة البيت ناضرا
وسيم مجال البشر والقسمات
على كل افق بالحجاز ملائك
تَزُفّ تحايا الله والبركات
لدى الباب جبريل الامين براحه
رسائلُ رحمانيةُ النفحات
وفي الكعبة الغراء ركن مركّب
بكعبة قُصّادٍ وركن عُفاة
وما سكب الميزابُ ماءً وانما
افاض عليك الأجر والرحمات

والشاعر يصور هنا ما يعلو وجه الحاج من دلائل الفرحة والبهجة ، وما يعلو قسماته من البشر والسرور ، ثم يرنو ببصره الى هناك في آفاق الحجاز ، فتبدو له هذه الآفاق من خلال رؤاه الروحانية وقد امتلأت بأفواج الملائكة يلوحون للحجيج ، ويزفون اليهم تحيات من عند الله مباركة طيبة . أما عند الوصول الى بيت الله الحرام ، فان جبريل عليه السلام

يستقبلهم عند الباب برسائل الرحمة ونفحات المغفرة والرضوان من رب العالمين ، وليس هذا فحسب ، بل ان الكعبة نفسها بأركانها ترحب بقصاد بيت الله الحرام الذين جاءوا من كل فج عميق يبتغون عطاء ربهم ، ويمدون أيديهم في ضراعة طالبين عفوه ورضاه .

وتمتد بالشاعر رؤاه الروحانية فيلتفت الى الميزاب الذي يعلو سقف الكعبة ، فلا يراه وسيلة ينسكب الماء من خلالها ، وانما يراه مجرى يفيض منه الأجر ، وتنساب منه الرحمات على من استغاثوا بالله رب العالمين الرحمن الرحيم .

ويتأمل الشاعر ذلك الجمع المحشود من البشر ، الذي أقبل من كل صوب ، ومثل كل جنس ولغة ، وحوى من كل طبقة ولون ، ويخرج من تأملاته بأن الله وحده هو القادر على جمع هذا الحشد في هذا المكان مع هذا الشوق الذي ليس له حدود : ـ

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
ارى الناس أصنافاً ومن كل بقعة
اليك انتهوْا من غربة وشتات
تساووا ، فلا الانساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

انه الدين الواحد الذي أظل الجميع فأقبلوا تحت لوائه ، ناسين كل وجه من وجوه الاختلاف في الانساب والاقدار .

ويرتد الشاعر الى ذاته ، مستحضرا ما تقدم من ذنوبه ، وما حفلت به صحيفته من سيئات ، فيناجي ربه متسائلا ، ليس تساؤل المستبعد وانما تساؤل الخائف المقشعر من حجم ذنوبه ، الذي يطمع في رحمة الله الواسعة :

ويارب هل تغني عن العبد حجة
وفي العمر ما فيه من الهفوات

ثم يتابع النجوى ذاكرا جانبه الآخر من الحسنات التي يرجو أن تكون له شفيعا الى جانب ما تقدم من هفوات :

وتشهدُ ما آذيتُ نفسا ولم أضرَّ
ولم أبغِ في جهري ولا خطراتي
ولا غَلَبَتني شقوة أو سعادة
على حكمة آتيتني وأناة
ولا جالَ الا الخيرُ بين سرائري
لدى سُدَّة خيريَّة الرَّغبات
ولا بتُّ الا كابن مريم مشفقا
على حُسَّدي مستغفرا لعداتي
ولا حُمِّلتُ نفسٌ هوى لبلادها
كنفسي في فعلي وفي نفثاتي
واني،ولا مَنٌّ عليك بطاعة،
أُجِلُّ وَأُغلي في الفروض زكاتي
ابالغ فيها وهي عدل ورحمة
ويتركها النساك في الخلوات
وانت ولي العفو فامحُ بناصعٍ
من الصفح ما سوَّدتُ من صفحاتي

ان الشاعر في مناجاته يستنجد بنصيبه من الطاعة ، من غير أن يمن بذلك ، فان الفضل لله فيما وفقه اليه من طاعة ، انها صيحة من يرى

من وحى الحج فى الشعر

انه قد احكم من حوله الخناق ، ولم يبق أمامه الا طلب العفو الذى يمحو ما سطر فى صحيفته من سىء الأعمال . وهو عفو يتعلق بـه حتى فى ظل ما يظن من عمل صالح قدمه .

وينتقل الشاعر بنجواه من المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة الى المدينة المنورة حيث المسجد النبوى الذى يضم مثوى النبى ﷺ ويستحضر الشاعر جموع المسلمين وهى تقف هناك خاشعة مبتهلة ، تذرف دموع الحب والتوقير والهيبة لخاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ، وليخرج الناس من الظلمات الى النور . وفى هذا الاستحضار يحمل كل زائر رسالة الى النبى ﷺ يبلغه فيها ما آل اليه المسلمون فى حاضرهم ، كيف تفرقوا بعد توحد ، وكيف ناموا بعد يقظة ، بل كيف ماتوا بعد حياة ، وكيف أحاطت بهم الظلمات بعد أن غرطوا فى النور الذى بين أيديهم ، نور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

اذا زرتَ (يا مولاى) قبرَ محمد
وقبّلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت مع الدمع العيون مهابةً
لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنيةٍ
وضاع أريجٌ تحت كل حصاة
لمظهر دين الله فوق تنوفةٍ
وبانى صروح المجد فوق فلاة

فقل لرسول الله ياخير مرسل
أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات ؟

ثم يتوجه الشاعر فى نهاية هذه المناجاة الى المسلمين يستنهض فيهم الهمم ، ويستثير منهم العزائم ، مذكرا لهم بماضى المجد والفخار الذى يجب عليهم أن يعملوا على احيائه فى حاضرهم من أجل مستقبلهم ذلك لأن الزمان الذى نحن فيه هو زمان العاملين لا الخاملين ، زمان الأحياء حقا لا الذين يعدون فى عداد الأموات :

وذلك ماضى مجدهم وفخارهم
فما ضرّهم لو يعملون لآتى
وهذا زمانٌ أرضه وسماؤه
مجالٌ لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم فى السماء وانشاوا
بوارج فى الأبراج ممتنعات
فقل ربّ وفّق للعظائم أمتى
وزيّن لها الأفعالَ والعزمات

وهكذا كان الختام اشارة الى الغاية التى ينبغى أن يحرص على تحقيقها المسلمون ، حين يلتقون كل عام فى هذا المؤتمر السنوى الكبير .

** أما القصيدة الثانية فقد قالها حين حج أحد أصدقائه المقربين اليه ، وفى بدايتها يتوجه الى هذا الصديق بالحديث ، ذاكرا له

ذلك المكان ، الذي له الوقع الحسن على أذن كل حاج يقصد بيت الله الحرام ، وهو « الحجاز »

(محجـــوب) ان جئت الحجـــا
ز وفي جوانحك الهــــوى لَـــهْ

شوقـــا وحبـــــا بالرســــو
ل وآلـــــه ازكى ســـُــــلاله

فلمحت نضرة (بــــــانه)
وشــممت كالريحـــان (ضاله)

وهنا يشير الشاعر الى الهـوى والشــوق والحب الذي يملأ جوانح كل متجه الى حج بيت الله الحـرام والى زيـارة النبي ﷺ ، تلك المشاعر القلبية التي تجعل العيـون ترى كـل شيء حولها بهيجا ناضرا ذاعبق طيب ورائحـة زكية .

ثم يتابع الشاعر المسير مع هذا الحاج متنقلا معه الى حيث الأماكن المقدسة فيقول :

وعلى العَتيـق مشـيتَ تَتـ
كَّر فيــه نَشْئك وانهمــــا لَــه

ومضى السُّرى بـك حيث كـــا
ن الـــروح يَبْرى والرســـــاله

وبلغت بيتـــــا بالحجـــــا
زيــــارك البـــارى حِبــــا لَه

اللّــه ميــه جَـلاَ الحـــرا
م لخلقـــــه وجلا حـــلا لـــه

فهناك طبُّ الروح طـــــــــ
ـــب العـالمين من الجهـــاله

انه ينتقل معه الى البيت العتيق ، والى كل مكان سرى فيه الروح الامين بالرسالة القرآنية التي أحلت الحلال ، وحرمت الحرام في جلاء ووضـوح ، لا مجال فيك لشك أو ريب . وهنا يأتي التذكير بالنفع والثمرة المنتظرة بعد أداء الفريضة ، انها الثمرة التي تشفى بها الأرواح من مرضى ، وتهدى بها العقول من بعد ضلالة ، انه الطب الناجع في الشـفاء لأنـه طب رب العالمين ، الذي خلق فسوى والذى قدر فهدى .

ويتابع الشاعر التذكير بكل شيء يجده الحاج من كل ما يتصل بما فيه مكانا وثقافة وذكريات غالية :

وهنــاك أطـــلالُ الفصـــا
حــة والبلاغة والنَّبَـــــا له

وهنـــــاك إزكى مســــجد
ازكى البريـــــة قدْ مَشَى له

وهنـــــاك عُذْرِى الهـــوى
وحـــديث قيس والغــزاله

وهنـــاك مُجْرى الخيل يجـرى
في اعنتهـــــا خيـــــاله

من وحى الحج فى الشعر

وهنـــاك مـــن جمـع السمـــا
حـة والرجاحـــة والبســـاله

وهنـــاك خَيَمت النهـــى
والعلم قـــد ألقى رحـــاله

وهنـــاك سـَرَحُ حضــــارة
اللـــــه فَيّأنــــا ظـــلاله

انها دعوة الى استحضار الماضى بكل امجاده ومفاخره ، اذ لا انفصال للحاضر عن الماضى فى تاريخ كل أمـة تعتز بنفسها وتريد أن يكون لها شأن بين الأمم .

ان هذا الماضى هو الذى يوقد عزائم الحاضر لكى تشعر فى داخلها أنها جديرة حقا بأن تصنع شيئا . من هنا كانت هذه الاشارة المكررة فى أبيات الشاعر (وهنـاك) تلك الاشــارة التى تعنى التذكير والتعظيم ، والاعلاء والاكبار لكل ما هو مرصود مذخور فى تاريخ هذه الامـة .

ان كل ذلك يمثل حضارة أنعم الله بها عليها وجعلها تتفيأ ظلالها ، ومن ثم فهى نعمة يجب أن تشكر ، وأول دلائل الشكر أن يحافظ عليها، وحفظها باحيائها والتمسـك بهـا والعمـل على منوالها ، فى تجديد موصول ، لاتنفصم فيه العرى ، ولا تتقطع بين أطرافه الأسباب .

* .. وبعـــد :

فذلك مثل من أمثلة الخواطر التى تجيش بها قرائح الشعراء حول فريضة الحج وما توحيه اليهم من قول ، انها خواطر مبعثها هذا الهوى المستكن فى الأفئدة ، اجابة لدعاء أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام .

وهى خواطر مهما كانت لن تبلغ مـن وصف البحر الزاخر الا ما تبلغه من وصف قطرة ماء تنفصل من المـوج الخضـم المتلاطم ومن ثم يبقى الحج دائما مجالا يتسع للمزيد مـن القول أمـام هتـاف الشعراء ، حـين يرون باعينهم امواج الحجيج فى كل عام ، تتجه وتبعث ونشور قاصدة بيت الله الحـرام ، تؤدى مـا افترض عليها ، وتبغى ميلادا جديدا فى حياتها ميلادا بعد ميلادها الاول ، ميلادا يعود الذاهبون فيـه مـن ذنوبهم كيوم ولدتهم امهاتهم .

أ . د . طه مصطفى ابو كريشة

دراسات في القرآن

التزين للصلاة والاعتدال في الطعام

اقرأ باسم ربك

الحمد في القرآن الكريم

التزين للصلاة والاعتدال في الطعام

قال الله تعالى في سورة الأعراف « يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) » .

البيـــان

دعانا الكبير المتعال الى أن نأخذ زينتنا عند التوجه الى المساجد ، وأن نعتدل في تناول الطعام وكذا الشراب :

والزينة ما يتجمل به الانسان ويزدان أمام سواه ، والمراد من المسجد مكان الصلاة بصفة عامة ، فيشمل أى مكان يمثل فيه المرء أمام الكبير المتعال للصلاة ، سواء أكان موقوفا على الصلاة كالمساجد المعروفة ، أم كان سواه كالبيت والفضاء .

ويدل لذلك قوله ﷺ « جعلت لى الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان » (١) وقوله أيضا : « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء » (٢) .

فالآية تحثنا على أن نتجمل بالثوب الجميل عندما نريد أداء الصلاة أمام الله تعالى في أى مكان طاهر ، فاذا كنا نهتم بالتزين عندما نريد لقاء ملك أو أمير أو حاكم ، فالله أحق بالتزين منهم عندما نريد المثول بين يديه في الصلاة .

واذا كان هذا مندوبا في كل زمان ومكان ، فانه في المساجد الجامعة أكثر ندبا ، وبخاصة المساجد التى تشد اليها الرحال ، وهى : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، حيث يزدحم العابدون الراكعون الساجدون .

والتزين للصلاة سنة وليس بواجب ، اذ الواجب للصلاة ستر العورة فيها بأى ساتر ،

---

١ — من حديث أخرجه الامام مسلم بسنده من جابر بن عبد الله الانصارى — كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

٢ — المصدر السابق عن ربعى بن حذيفة .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وما عداه فهو سنة .

والزينة شاملة للثياب الجميلة والتمشط والتطيب ونحوهما مما جاء فى السنة وشمله اللفظ بغير اسراف .

واعلم أن التجمل بالثياب الفاخرة مباح فى الصلاة وغيرها ، لقوله تعالى :

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ » .
الأعراف ٣٢ .

وقيل لبعض من يبيح التجمل بالثياب الفاخرة ، ويرى أنه من قبيل اظهار نعمة الله على عبده — قيل له — أليس عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كان يلبس قميصا مرقعا بعدد من الرقع ، فقال : انه كان يفعل ذلك لأنه كان أمير المؤمنين ، ويريد أن يقتدى به عماله ، فربما لم يكن لهم مال ، فتمتد أيديهم الى أموال المسلمين ، ليلبسوا فاخر الثياب .

ومما يؤكد اباحة التجمل بذلك ، أن النبى ﷺ خرج يوما وعليه رداء ثمنه ألف درهم (١) ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك الا قليلا لبيان الجواز ، فقد كان غالب حاله التقشف والزهد وكان ابو حنيفة — رضى الله عنه — يرتدى بردا قيمته أربعمائة دينار ، وكان يأمر أصحابه بذلك ، وكان محمد بن الحسن من أصحابه يلبس الثياب النفيسة ويقول :

ان لى نساء وجوارى ، فأزين نفسى حتى لا ينظرن لغيرى .

وجاء فرقد الى الحسن البصرى — وكان فرقد يلبس ثوبا خشنا تقشفا منه وزهدا — فأخذ الحسن البصرى برداء فرقد فمده اليه ، فقال الحسن — يافرقد ابن أم فريقد : ان البر ليس فى هذا الكساء ، ان البر فيما وقر فى الصدر وصدقه العمل .

طريقة السلف فى اختيار الثياب

كان كثير من السلف الصالح على نحو ما قدمنا من أنهم كانوا يحبون اظهار نعمة الله عليهم ، ولا يرون بأسا فى التجمل بثياب قيمة ، ويرون أن قوله تعالى :

« وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ » .

لا يمنع من ذلك ولهذا كانوا مع تجملهم

---

١ — ذكره الالوسى — ولعلها جبة الديباج التى دخل الذهب فى نسيجها ، وكان اكيدر دومة قد اهداه اياها كما رواه الترمذى وصححه ولعله لبسها قبل تحريم لبس الذهب والحرير على الرجال ، او هى الحلة الحمراء التى كان يرى فيها النبى احسن شىء كما رواه الشيخان عن البراء .

بها على أرفع درجات التقوى ، وانما يكون لباس التقوى خيرا من لباس الزينة ، اذا كان التجمل بلباس الزينة خاليا من التقوى ، ولذا وقعت المفاضلة بينهما ، أما مع التقوى فلا مفاضلة ، اذ التقوى حاصلة عند الصالحين — من تجمل منهم بالثياب ومن لم يتجمل — ولا شك أن التقوى مع التجمل خير منها مع عدم التجمل ، لأن التقى المتجمل استطاع أن يضبط نفسه مع وجود ما يصرفه عن التقوى ، بخلاف التقى غير المتجمل فانه لم يستطع أن يصرفها الى التقوى وأن يضبطها الا بالتقشف ، ومن هنا قالوا ان الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر ، والمطيع مع وجود الصارف عن الطاعة ، خير من المطيع مع عدم وجود الصارف عنها .

ومع هذا فقد كان الغالب في السلف الصالح لبس الثياب المتوسطة .

قال أبو الفرج : كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة — لا المرتفعة ولا الدون — ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الاخوان ، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحا ، أما الذى كان يزرى بصاحبه فانه يتضمن اظهار الزهد والفقر ، وكأنه يشكو من الله تعالى بلسان حاله ، ويوجب احتقار اللابس ، وكل ذلك منهى عنه .

روى مكحول عن عائشة قالت : (كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب وفي الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ويسوى لحيته وشعره ، فخرج يريدهم .

فقلت يارسول ، وأنت تفعل هذا ؟

قال نعم ، اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيىء من نفسه ، فان الله جميل يحب الجمال » نقله القرطبى

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود (أن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : ان الله جميل يحب الجمال » وجمال الله في ذاته وصفاته وأفعاله ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » .

أى وكلوا واشربوا مما طاب لكم ، ولا تسرفوا بتجاوز الحلال الى الحرام أو بتحريم الحلال ، كما حرم أهل الجاهلية الدسم ومازاد على القوت الضرورى أثناء حجهم تعظيما للحج بزعمهم ، أو بالافراط في الطعام والشراب والشره فيهما ، فان في ذلك أضرارا كثيرة ، أخرج أبو نعيم في الحلية عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال : « اياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فانه أصلح للجسد ، وأبعد عن السرف ، وان الله ليبغض الحبر السمين ، وان الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه » .

وقال ابن عباس : أحل الله فى هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة »(١) فأما ما تدعو اليه الحاجة ــ وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ ــ فمندوب اليه شرعا ، لما فيه من حفظ النفس والحواس ، ولذلك ورد الشرع بالنهى عن الوصال (٢) ، لأنه يضعف الجسد ويميت النفس ، ويضعف عن العبادة ، وذلك يمنع منه الشرع ، ويدفعه العقل ، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة من بر ، ولا نصيب من زهد .

وقد أجمع الأطباء قديما وحديثا على أن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وأن الدواء قلما ينفع مع عدم الحمية ، وكثيرا ما اعتمد حكماء الهند على حمية المريض أياما ، فيصح جسمه بدون علاج آخر .

وقد اختلف فى القدر الزائد عن الحاجة ، فقيل:حرام وقيل:مكروه ــ قال ابن العربى: وهو الصحيح ــ وقدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والزمان والسن والأشخاص .

وبالجملة فالأفضل الاقلال من الطعام فان فيه السلامة ، قال ﷺ « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » أخرجه الترمذى من حديث المقداد بن معد يكرب مرفوعا ، قال بعض العلماء تعليقا على هذا الحديث : لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة .

واعلم أن الأكل الكثير يورث التخمة ونتن الفم والجشاء ، لتخمر الطعام وفساده ، وذلك يستتبع شتى العلل ، وقد يموت المرء بسكتة قلبية بسبب امتلاء بطنه وضغطه على القلب ، فلهذا ينبغى اتباع هذا الطب النبوى لتجنب المعاطب .

وقد ختم الله هذه الآية بقوله :
« إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » .

لتكون قاعدة عامة فى النهى عن الاسراف فى كل شىء ، ومعنى أنه تعالى :
« لا يحب المسرفين » .

أنه لا يرضى عنهم لاسرافهم واضاعتهم المال فيما لا خير فيه .

وتعتبر هذه الآية قمة فى البلاغة وأصول الأحكام على قصرها ، باشتمالها على الأمر والنهى والاباحة والخبر ، كما جمعت أصول الطب والحكمة ، وحببت الينا التجمل وحسن الحال .

السنة تنهى عن الشراهة فى الطعام

أخرج الامام البخارى عن نافع قال : (كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه ، فأدخلت رجلا يأكل معه فأكل كثيرا ، فقال : يانافع لا تدخل هذا على ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » والمقصود من الحديث أن من شأن المؤمن

١ ــ المخيلة الكبر .
٢ ــ الوصال هو صوم الليل مع النهار .



جبل الرماة بأحد ـ المدينة المنورة

التقلل في طعامه ، لأن همه أخراه لا دنياه ، أما الكافر فأمره على العكس منه ، والمعى في المؤمن والكافر واحد ، وجعله سبعة في الكافر للمبالغة في أمره وتقبيح حاله ، وقد يكون الكافر غير مكثر مخالفا بذلك ما هو الشأن فيه ، امتثالا لأمر طبيب أو بعدا عن أزمات يخشاها ، والحديث انما يتحدث عما هو القاعدة في كليهما ، ولكل قاعدة شواذها .

ولما أهدى المقوقس رسول الله ﷺ مارية القبطية وطبيبا وفرسا ، قبل الهدية ماعدا الطبيب ، فقد رده قائلا « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » وهذا الحديث الشريف جمع أصول الحكمة والسلامة في البدن ، فعليك صلوات الله وسلامه يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الحكماء أجمعين .

من روائع الحكم

قال لقمان لابنه : لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك أن تنبذه للكلب خير من أن تأكله ، وسأل سمرة بن جندب عن ابنه وقد مرض : ما فعل ؟ قالوا بشم البارحة (١) ، قال : بشم؟ قالوا : نعم ، قال : أما انه لو مات ما صليت عليه ـ كأنه يرى أن الموت من كثرة الأكل في حكم الانتحار ، فكأنه قتل نفسه ، فلهذا لا يصلى عليه .

وروى أسد بن موسى من حديث عوف بن أبى جحيفة عن أبيه أنه ﷺ قال « فـان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة» فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فـارق الدنيا ، وكان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى) .

وقد كانت العرب تمدح بقلة الأكل وتـذم بكثرته ، قال قائلهم :

تكفيه فلـذة كبـد ان الم بهـا
من الشواء ويروى شربه الغمر(٢)

وقال حاتم الطائى يذم كثرة الأكـل .

فانك ان اعطيت بطنك ســؤله
وفرجك نـالا منتهى الذم اجمعا

وقال بعض الحكماء : معـالجة المـريض نصفان ، نصف دواء ونصف حميـة ، فـان اجتمعا صح المريض وبرأ .

من آداب الطعام

يستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، لقوله ﷺ : « الوضوء قبل الطعام وبعـده بركة » والمقصود من الوضوء غسل اليدين ، كما تستحب التسمية قبل الأكـل ، والأكـل باليمين ، وأن تأكل مما يليك ، أخرج الامـام البخارى عن عمر بن أبى سـلمة قال « كنت غلاما فى حجر رسول الله (٣) ﷺ ، وكانت يدى تطيش (٤) فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : « ياغلام . سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » فمازالت تلك طعمتى بعد .

وأقل التسمية بسم الله ، وأكملها بسم الله الرحمن الرحيم ، ومعنى قوله : فمـازالت تلك طعمتى بعد أنه امتثل أمر الرسـول ﷺ فى طريقة تناوله طعامه ، فكان يسـمى الله تعالى ويأكل بيمينه ويأكل من الموضع المقـابل فى الصحفة طول حياته .

ومن فاتته التسمية أول الطعام وذكرهـا أثناءه فليقل بسم الله أوله وآخره .

ويستحب أن لا يأكل الانسان من الطعـام الحار ، فانه يؤذى الجهاز الهضمى ، فعليك ان تنتظـر حتى يبـرد ، قال ﷺ « أبردوا بالطعام ، فان الحار غير ذى بركـة » روتـه الصحاح ، ويستحب تصغير اللقمة واجـادة مضغها ، وأن يحمد الله فى آخـر طعـامه ، وينبغى أن لا يرفع صوته بالحمد ان كان لـه جلسـاء لم يفرغوا من الأكل ، فان فى رفـع الصوت منعا لهم من الأكل ، وفى هذا القـدر كفاية والله ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث

---

١ ــ اى اصيب بتخمة من الطعام .
٢ ــ الغمر بضم الغين وفتح الميم القـدح الصغير ، وهذا البيت من قصيدة لأعشى باهلة يرثى أخاه بها ــ ويمدحه فى هذا البيت بأنه كـان قليل الطعام والشراب .
٣ ــ اى فى كفالته ورعايته ، لانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تزوج امه (ام سلمة) بعد أبيه ، فكان يرعاه ويعلمه مكارم الاخلاق .
٤ ــ اى تنتقل من موضع الى آخر .

اقرأ باسم ربك

٢

ولقد عرض القرآن الكريم شئونا كثيرة تتعلق بالانسان منذ تكوينه جنينا الى ان يفارق الحياة ، ولم يعرضها لتكون ضوابط علمية ، او كليات منطقية ، وانما كان يهدف دائما ــ والله أعلم بمراده ــ الى موضع العبرة والعظة ، او الى دلالتها على الخالق القادر ــ ، او الى توجيه الانسان الى خير ليفعله ، او تنبيهه الى شر ليجتنبه .

من ذلك مثلا الحديث عن (خلق الانسان) ، وهو ما جاء فى هذه الآيات الكريمة التى اتفق جمهور العلماء على أنها أول ما نزل من القرآن .

فقد عنى القرآن بالحديث عن خلق الانسان للاستدلال بهذا الخلق على قدرة الله تعالى ، ولبيان امكان البعث ، ولتنبيه الانسان الى أصله الذى خلق منه ، وأحواله العظيمة التى صار اليها بعد هذا الأصل الذى لا تربطه بما يصير اليه الانسان من علم وحضارة الا قدرة الله تعالى .

القرآن يحدثنا عن (آدم) ، وأنه خلق من تراب :

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » (١٨) .

والعلماء يحدثوننا : أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء ، وذلك من حيث كيفيته ، فانه بارد يابس ، والحياة بالحرارة والرطوبة ، ومن حيث لونه ، فانه كدر والروح نير ، ومن حيث فعله فانه ثقيل والأرواح التى بها الحياة خفيفة ، ومن حيث السكون فانه بعيد عن الحركة ، والحيوان يتحرك يمنة ويسرة ، والى خلف والى قدام والى فوق والى أسفل ، وبالجملة فالتراب أبعد

---

١٨ ــ آل عمران ٥٩ .

للأستاذ الدكتور
علي محمد حسن العماري

من قبول الحياة عن سائر الاجسام) (١٩) .

ولذلك كان خلق الانسان من آيات الله الكبرى ، ومن الدلائل القاطعة على وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (٢٠) .

وفى هذه الآية دقيقة من الدقائق أشار اليها العلماء ، ففى لفظة واحدة منها ما يبطل مذهبا انتشر انتشارا واسعا فى العصر الحديث ، وهكذا شأن القرآن الكريم ، يفقه العارفون باللغة العربية ، ويعرف الفاقهون لأسرار القرآن من اللفظة الواحدة معانى كثيرة .

أما الدقيقة التى فى هذه الآية ففى التعبير بلفظ (اذا) ، ومعروف فى العربية أن هذا اللفظ يفيد المفاجأة ، تقول : خرجت فاذا الجو بارد ، والفته فاذا هو كتاب رائع ، أى انك فوجئت عند أول لحظة من خروجك ببرودة الجو ، وعند انتهائك من تأليف الكتاب بروعته .

وقياسا على هذا يكون معنى :
« إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » .
أنكم فاجأتكم وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الأرض ، ومعنى ذلك أن مجيئكم بشرا كان نتيجة مباشرة لخلقكم من تراب ، فالانسان خلق ـ بادىء ذى بدء ـ انسانا .

والعلماء الذين تنبهوا لهذه الدقيقة كالزمخشرى والفخر ، وغيرهما لم يكونوا يعلمون أنه سيجىء بعد قرون من ينكر هذه الحقيقة ، ويزعم أن الانسان كان فى الاصل قردا ثم تطور ، ويجعل ذلك نظرية يسميها : (أصل الأنواع) .

فالآية ، بل لفظة واحدة منها تبطل مذهب (دارون) ، هذا المذهب الذى انتشر حينا ، ووجد له أنصارا ومؤيدين .

وربما أكد هذا الاستخراج الذى استخرجته من الآية قول الله تعالى :
« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .
وذلك أن (أحسن تقويم) مرتبط مباشرة بخلق الانسان ، فليس بينهما زمن أو أزمنة يكون فيها هذا المخلوق قردا ثم يصير انسانا .

والقرآن الكريم حين يذكر الانسان بأصله لا يقصد ما يقصده علماء التشريح من البحث

١٩ ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) جـ ٢٥ ص ١٠٨ .

٢٠ ـ سورة الروم ـ الآية ٢٠ .

فى جسد الانسان وتركيبه ، وانما يقصد معنى أسمى من ذلك .

فمثلا : هذه الآيات الكريمة التى ختمت بها سورة (القيامة) :

« أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى » .

فيها أقوى الدلالة على قدرة الله تعالى الذى خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ، كما أنها تدل على القدرة التى تحيى الموتى ، وتبعثهم من قبورهم ، وتعرضهم للحساب والجزاء .

وقد بدئت السورة الكريمة بالاشارة الى أن من الناس من ينكر البعث :

« أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ » .

فالذى خلق من هذه النطفة التى تراق بشرا وحوله من خلية صغيرة الى انسان يتحرك ويعمل ويعقل قادر — ولا شك — على أن يعيده مرة أخرى ، كما قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢١) .

فلا شك أن اعادة الشىء الذى تخترعه على غير مثال أهون عليك — فى نظرك — من بدئه . وهذا مثل ضربه الله لنا ، والا فلا هين ولا اهون أمام قدرته تعالى فله المثل الأعلى .

وفى آيات (القيامة) التى بدئت بها السورة دقيقة فى قوله تعالى :

« بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ » :

فقد قال المفسرون : انما خص البنان — وهى أطراف الأصابع — لأنها آخر ما يخلق فى الانسان ، ولأنها صغار يطاف ، فالذى يقدر على اعادتها ، وتسويتها يقدر على اعادة ما هو أكبر منها ، وأكثر تعقيدا .

ولكن الذى فى الآية ليس اعادة البنان ولكن (تسويتها) ، وان كانت التسوية تستلزم الاعادة ، فلا جرم أن يكون وراء التعبير بالتسوية سر عظيم ، لا يكون وراء لفظ الاعادة ، وهذا ما يشف عنه العلم الحديث .

فقد أشارت الأبحاث الحديثة الى هذه الدقيقة فى الآية الكريمة اذ أثبت البحث

---

٢١ — سورة الروم ، الآية ٢٧

الحديث أن كل أعضاء الانسان يمكن أن تتشابه ، فيكون عضو فى شخص يشبه عضوا فى شخص آخر ، أو فى أناس آخرين ماعدا البنان ، فان بنان انسان تختلف اختلافا ما عن بنان سائر الناس ، ولذلك أقيم رسم البنان مقام (التوقيع) على الصكوك والوثائق والاشهادات ، واعتمد البحث الجنائى اعتمادا كبيرا على (بصمات الأصابع) ، وبخاصة بصمة ابهام اليد .

فالله ــ سبحانه ــ قادر على أن يسوى لكل انسان بنانه الخاصة به ، واذا كان هذا ــ ولا شك ــ فى قدرته ، فاعادة الأعضاء التى تتشابه أدخل فى القدرة ــ على ما تدركه عقولنا ، من المفاضلة بين دقيق وجليل .

وهذا الانسان الذى خلق من طين ، ومن ماء مهين خلقه الله فى أحسن تقويم ، كما صرحت بذلك آية (التين) .

فالانسان فى أحسن هيئة جسمية ، اذ خلق الله كل ذى روح مكبا على وجهه الا الانسان، فان الله ــ جلت قدرته ــ خلقه مديد القامة ، يتناول شرابه وطعامه بيده ، وليس بخاف أن تناسب أعضاء الانسان يجعل له صورة جميلة ، وهذا مصداق قوله تعالى :

« خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ » (٣٢) .

والانسان أكمل المخلوقات بما وهبه الله من قوى باطنية : قلب يعقل به ، وضمير يحاسبه ، ويهديه الطريق ، وعاطفة تجعله يشعر بمتع الحياة ، وغرائز تساعده ــ ان اعتدلت ــ على اصلاح شئونه ، وادراك مطالبه .

وقد منحه الله لسانا ناطقا يبين به عما فى نفسه من مطالب الحياة ، ويعبر به عما يجيش به صدره من معان انسانية .

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن الأطوار التى يمر بها الانسان فى بطن أمه ، وعن الأطوار التى يمر بها بعد أن يستقبل هذه الحياة :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (٣٣) .

ولقد كانت هذه الأطوار مجهولة كل الجهل فى عهد نزول القرآن ، ولم يعرفها العلم الا بعد زمن طويل ، وهذا يدل على أن القرآن من عند الله تعالى ؛ لأنه لم يكن لبشر فى ذلك

٣٢ ــ سورة التغابن ، الآية ٣ .
٣٣ ــ المؤمنون ١٢ ــ ١٤

التاريخ أن يحدث بهذا الذى كشفه العلم بعد تقدم فن التشريح .

وقد وصف الله رحم الأم فى هـذه الآيات بأنه :

« قَرَارٍ مَكِينٍ » .

كما جاء فى آية أخرى أن الجنين يتخلق فى

« ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ » :

« خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ »

والظلمات الثلاث هى : البطن ، والرحم ، والمشيمة، وهى الكيس الذى تغلف به الجنين.

والقرار المكين هو الرحم ، وهو محصن تحصينا محكما داخل الحوض الذى أعده الله تعالى لحفظه .

ويؤخذ من كلام الأطباء فى وصف الرحم أن الله تعالى حاطه بكل أسباب الراحة ، وحصنه بأقوى وسائل الوقاية .

وتلك الحقائق العلمية التى تضمنتها هاتان الكلمتان : (ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) .

و (قرار مكين) لا يمكن أن يهتدى اليها ــ فى عهد الرسالة المحمدية ــ بشر ، فهما تنفيان أن يكون القرآن من صنع محمد ، كما يقول بعض الجاهلين ، وكما يفترى بعض الحاقدين على الاسلام ورسوله ، وعلى المسلمين .

وأما أطوار الانسان فى الحياة ، وبعد أن ان ينقضى الأمد الذى حدد له فى بطن أمــه ، فهى وان كانت معلومة الا ان القرآن يذكرها لينبه الانسان ــ دائما ــ الى أنه لا يبقى على حال واحدة ، وأن له نهاية هى اليقين الــذى يشبه الشك ، وليذكره أن البعث حق :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » (٢٥) .

و (اما بعد)

فهذا بيان موجز لكلمة واحـدة من هـذه الكلمات الكريمة التى بدىء بها نزول القرآن :

« خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ » .

ولو أنى أطلت نفس القول ، ووفيت المقام حقه فى شرح هذه الآية الكريمة ، ولـو أنى

(٢٤) الزمر ٦ .

٢٥ ــ سورة الحج ، الآية ٥ .



مسجد سيدنا حمزة بأحد ـ المدينة المنورة

وقفت مع كل كلمة من كلمات هذه الآيات لكان من ذلك كتاب بعيد ما بين الدفتين .

أفلا يحق لنا أن نقول ـ بعد ذلك ـ لو سئلنا السؤال الذي وجه لأبي الكرم النحوي: ما ترجمة كتاب الله ؟ أن نقول ونجيب بأن ترجمة كتاب الله هي هذه الآيات الكريمة التي كانت أول القرآن نزولا .

وكلمة (ترجمة) هنا هي ما يطلق عليه الكاتبون كلمة (عنوان) ، ولكني لا أحب استعمال هذه الكلمة الأخيرة مع كتاب الله تعالى .

هذا

وبعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث ، وأعددته للنشر ، ووضعت عليه توقيعي ، أي والله ، فوجئت بنص أدهشني وسرني ، وأعاد الى ذهني ما كان يقوله العرب : قد يقع الحافر على الحافر ، وما نقوله نحن : كثيرا ما تتلاقى الأفكار .

ذلك أن المصادفة (٢٦) وحدها أتاحت لي المطالعة في أحد كتب البلاغة بعد الانتهاء من اعداد هذا البحث مباشرة .

يتحدث صاحب الكتاب عن (براعة الاستهلال) فيكون مما قاله : (والقلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فانها مشتملة على جميع مقاصده) .

ثم ينقل عن (شعب الايمان) للبيهقي قولا ينتهي بسنده الى الحسن ـ رحمه الله ـ وخلاصته أن العلوم التي احتوى عليها

◄

٢٦ ـ هذه هي الكلمة الصحيحة في هذه المادة ، وكثير من الناس يستعملون كلمة (الصدفة) حتى لقد جعلها بعض الكاتبين عنوانا لبحث نشره في احدى المجلات ، ولا يعرف لها في العربية وجه صحيح ـ فيما أعرف .

القرآن ، وقامت بها الأديان أربعة هى :

معرفة الله وصفاته ، ومعرفة النبوات ، ومعرفة المعاد ، وعلم العبادات ، وعلم السلوك ، وعلم القصص .

قال : وكلها اشتملت عليها سورة الفاتحة فجمعت بذلك كل مقاصد القرآن وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال .

ثم قال — وهذا هو موضع العجب والسرور معا — : (وكذا تأول سورة (اقرأ) فانها نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال ، لكونها أول ما نزل من القرآن ، فان فيها الأمر بالقراءة ، والبدء فيها باسم الله ، وفيه الاشارة الى علم الأحكام ، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب ، واثبات ذلك ، وصفاته من صفة ذات ، وصفة فعل ، وفى هذه الاشارة الى أصول الدين ، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله :

« عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

ولهذا قيل : انها جديرة أن تسمى : (عنوان القرآن) ، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله) (٢٧) .

وهنا أمور أرى من الضرورى التنبيه اليها .

١ — اختلط على كلام المؤلف ، فلم أدر هل هذه العبارات الأخيرة من قوله أو من قول البيهقى ؟ .

وقد بحثت عن كتاب (شعب الايمان) لأتحقق من ذلك فلم أظفر به ، وعلمت أنه لم يطبع منه الا جزء يسير .

٢ — ماجاء فى العبارة : (ولهذا قيل) يدل على أن هذا القول قديم ، قد يكون قبل البيهقى ، وقد يكون قبل (ابن معصوم) .

٣ — فى ذلك عبرة لمن يسارعون بالاتهام حين يجدون مشابهة بين قائل متأخر وقائل متقدم ، ما لم يكن قول المتقدم مشهورا .

ومع الأسف لم يقتصر ذلك على الجزئيات بل تعداه الى علوم بأكملها فزعم زاعمون أن العرب أخذوا فقههم عن الرومان ، ونحوهم عن السريان ، وبلاغتهم عن الأغريق .

٤ — انما اثبت هذا النقل لأمرين :

اولا : أن أدعم به الرأى الذى ذهبت اليه .

ثانيا : تبركا بمضمون هذه الكلمة الرائعة الجميلة : من بركة العلم نسبة كل قول الى قائله .

والله الهادى الى سواء السبيل

د / على محمد حسن العمارى

---

٢٧ — السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى « ١٠٥٦ — ١١٢٠ هـ » فى كتابه : (انوار الربيع فى انواع البديع .

الحمد في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)

الشورى ٢٧ ، ٢٨ .

اخبر الله في الآيات السابقة أنه يستجيب دعاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولما كان الواقع ان الكثير من المؤمنين يعانون الكثير من الفقر والفاقة قدم الله هذه الآية للرد على ما عسى ان يكون من تناقض بين الآيات السابقة وبين الواقع الملموس فقال : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » ، وانتهبتهم المعاصي ، ولهذا فانه لا يعطي المؤمن ما يطلب من المال حتى لا يطغيه الرزق فيكون وبالا عليه في الاخرة ، والله الخبير بنفوس العباد لا يرضى ان يسلم المؤمن من عباده الى الفساد وقيل : ان هذه الآية خاصة بالعرب ، لانهم اذا اتسعت ارزاقهم اشتد طمعهم فاقبلوا على الغارة والنهب ، والانسان بعامة اذا اتسع رزقه يغلب ان يدفعه الرزق الكثير الى التكبر والطغيان ، واذا اصابته شدة في ماله انكسر وعرف طاعة الله .

وقيل : انها نزلت في فقراء المدينة من المسلمين حين تطلعوا الى أموال «بني قريظة» « وبني النضير » وغيرهم من اليهود فتمنوا أن يكون لهم مثل هذا الرزق فنزلت الآية .

(وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) .

أي ينزل من الرزق بتقدير .

(انه بعباده خبير بصير) .

وخبرته بأحوال العباد وطباعهم وما تحمل نفوسهم من الغرائز وبصره بما ينفع عباده هذا وذلك يتطلب أن يكون العطاء قدر الحاجة حتى لا تطغى النفوس وتتغير وتنحرف ، وحتى لا تطمع في زيادة قد يكون ضررها شديدا وعاقبتها وخيمة .

ثم بين أنهم اذا احتاجوا الرزق أمدهم به فقال :

(وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) .

وانزال الغيث سبيل الى انبات الأرض واخراج الزرع والثمر ، فالغيث رزق ، لأنه يتسبب عنه الرزق ونشر رحمته وبركاته في ذلك الغيث حين يخصب به الأرض فينتفع بخصبه الانسان والحيوان وانزال الغيث ونشر رحمة الله بعد اليأس أوجب للشكر على النعمة .

وقد يراد بانزال الغيث : الرحمة الخاصة بالانبات وما يترتب على الغيث من خصوبة ، ثم أراد بقوله :

وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ : الرحمة الواسعة التى تشمل كل أنواع الرحمات :

(وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) .

فهو الذى يتولى عباده وحده ويدبر شئونهم ومعاشهم وما ينفعهم .

(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) .

وهو الحميد المحمود على كل ما يوصله لخلقه من الرحمات .

٥٩ ـ الغنى الحميد :

« وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » .

الحديد ٢٣ ، ٢٤ .

أخبر الله في الآيات السابقة : أن المفاخرة والمسابقة والمسارعة يجب أن تكون في طلب الآخرة ، وذلك في قوله : « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة » ثم أخبر أن جنته أعدت لرسل الله ومن آمن بهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأخبر أنه ما أصاب أحدا من مصيبة في الأرض ولا في النفس الا وقد كتبها الله في كتاب ، ثم نهى عن الحزن على مافات حزنا يهلك النفوس ، ونهى عن الفرح الشديد الذى يطغى ويبطر ، ويدعو الى الاختيال والتكبر ، ثم ذيل الآية بقوله : « والله لا يحب كل مختال فخور » .

وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أنه قال : ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير شكرا .

وبعد أن ذكر الله قوله : « والله لا يحب كل مختال فخور » أبدل منه : الذين يبخلون الخ ومعنى ذلك : أن الله لا يحب المختالين ولا يحب الذين يبخلون ويجمعون الى بخلهم أنهم يأمرون الناس بالبخل وذلك نتيجة بطرهم .

وقيل : الذين يبخلون ... كلام مستأنف جديد ، وهو في صفة اليهود الذين كتموا ما عرفوا من صفات محمد وأمروا غيرهم بكتمان ذلك .

ومن يتول ويعرض عن أوامر الله ويتورط في النواهي فلم ينته عما نهى الله عنه (فان الله هو الغنى) عنه فلا يعود عليه ضرر البخيل .

وهو (الحميد) المحمود المستحق الحمد على عطاياه ونعمه ، فاذا كفر العبد بتلك النعم فوبال كفره على نفسه .

٦٠ « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »

الممتحنة ٥ ، ٦ .

قوله : ربنا لا تجعلنا فتنة قد يكون بقية دعاء ابراهيم عليه السلام ثم اتجه الخطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام :

« لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة » .

وقد يكون قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة » دعاء أمة محمد — عليه الصلاة والسلام ، وكأنه قيل لأصحاب محمد : « قولوا : ربنا لا تجعلنا فتنة الخ » .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : ان معنى : لا تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا أنهم على الحق .

وقال مجاهد : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك .

وقيل : لا تبسط لهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم .

وقيل : لا تجعلنا فتنة أى سببا يعذب به الكفرة .

ثم طلبوا غفران الله ، ثم أعاد ذكر الأسوة فقال : « لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة » أى في ابراهيم ومن معه وفي هذا حث على الائتساء بابراهيم وقومه .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا يبغضون من خالف الله ، ويحبون من أحب الله .

وقوله : « لمن كان يرجو الله » بدل من قوله : لكم فالمراد بقوله : لكم ، أى لمن كان يرجو الله ويخافه منكم الأسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه .

(ومن يتول) فيعرض عن الائتساء ويميل الى محبة الكفار ومودتهم (فان الله هو الغنى) عن مخالفة الاعداء الحميد الى أوليائه .

(والحميد) اما بمعنى المحمود أى المستحق للحمد من خلقه الذين انعم الله عليهم .

واما بمعنى : الحامد أى يحمد الخلق ويشكرهم ويجزيهم بالكثير من الثواب على القليل من الاعمال .

٦١ — « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ

كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » .

التغابن ٥ ، ٦ .

ان الخطاب فى قوله :ألم يأتكم لكفار مكة ، والنبأ : الخبر الذى حملته الأيام اليكم عن الذين كفروا برسل الله وما جاءوا الى الأمم السابقة : كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن أرسل الله اليهم رسله ، فذاقوا وبال أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل — والوبال — الثقل والشدة والعذاب ، وقد أذاقهم الله ما استدعاه كفرهم فى الدنيا حين أهلك من لم يؤمن من قوم نوح بالطوفان ، ومن لم يؤمن من ثمود بالطاغية ، ومن لم يؤمن من عاد بالريح الصرصر العاتية « سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ » ومازالت خرائب ثمود باقية على الزمن تحكى للأجيال مصارعهم ، ولهم فى الآخرة عذاب أليم لا يعلم كنهه الا الله ، وذلك الذى ذكره من العذاب بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فقالوا أبشر يهدوننا ، وأنكروا أن يكون رسول الله اليهم من الجنس البشرى ، وقد حكى الله ما قالت ثمود : « أبشرا منا واحدا نتبعه » ؟ .

وقد أجمل فأسند القول الى جميع الأقوام ، فكفروا بالرسل (وتولوا) وأعرضوا عن التدبر فيما جاءهم من الآيات والمعجزات التى أيد الله بها رسله .

(واستغنى الله) عنهم وعن ايمانهم وطاعتهم . .

وهو(حميد) يحمده كل الخلق بلسان الحال أو المقال ، وهو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد أو هو(حميد) بمعنى حامد فهو يحمد ويشكر ويجازى بالثواب العظيم من يحمد نعمه .

٦٢ — « وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

البروج ٨ .

وردت هذه الآية فى سورة « البروج » فى قصة أصحاب الأخدود ، وقد ذكر المفسرون قصصا مختلفة دارت حول أصحاب الأخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود » وقد لعن الله أولئك الكفار حين أحرقوا بالنار فى مكان مشرف عليها قريب من حافات الأخدود — والأخدود : الخد والشق فى الأرض .

وقد أقسم الله بالسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ، وجواب القسم : قتل أصحاب الأخدود أى لعنوا ، والمعنى : ان كفار مكة بسبب تكذيبهم للرسول ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود حيث عذبوا المؤمنين ممن عاصروهم فألقوهم فى ذلك الأخدود وهو يتلهب نارا .

وفى ذكر القصة تثبيت للمؤمنين من أتباع

محمد ﷺ وتصبيرهم على أذى الكفار لهم ، وتذكيرهم بما جرى لأصحاب الأخدود ليصبروا على التعذيب مثل صبرهم ، وقد لقى أتباع محمد ﷺ فى مكة وبخاصة الذين كانوا عبيدا منهم مثل بلال وياسر وعمار وسمية وصهيب من ألوان التعذيب مثلمالاقى أصحاب الأخدود ، وليعلم المعذبون من أتباع محمد — عليه الصلاة والسلام — أن لهم منزلة عند الله كمنزلة المؤمنين الذين عذبوا فى الأخدود فى الزمن الغابر الذين حكى القرآن قصتهم فى هذه السورة .

وما نقموا منهم ، أى لم يعيبوا وينكروا منهم « الا أن يؤمنوا بالعزيز الحميد » أى لم يعيبوا الا ايمانهم وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم (وهو أسلوب بلاغى جميل) .

ثم ذكر الأوصاف التى يستحق الله بها أن يعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا قاهرا يخشى عقابه وكونه حميدا يستحق الحمد والثناء من عباده المؤمنين بألسنتهم ومن الخلق بلسان الحال .

« وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » .

٦٣ « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) .

النساء — ١٣١ .

أمر الله فى الآيات السابقة بالاحسان الى اليتامى والمساكين ، ثم بين فى هذه الآية انه لم يأمر بذلك لاحتياجه الى أعمال العباد لأن له مافى السموات ومافى الأرض .

أو انه حول موضوع الزوجين ان افترقا ان الله يغنى كلا من سعته ، ثم ساق هذه الآية للاشارة الى سعة قدرته وعلمه ورحمته فقال : « ولله مافى السموات ومافى الأرض » .

ثم بين أن الأمر بتقوى الله لم يكن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام — وحدها ، بل ذلك أمر أوصى به الله من قبلكم ممن أوتوا الكتاب — وأراد جنس الكتاب السماوى ، فكل من آتاهم من رسل الله كتبا جاءت فى هذه الكتب وصية العباد بتقوى الله فالوصية بالتقوى هى وصية الله للأولين والآخرين جميعا .

وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض ، والمعنى : أمرناهم بتقوى الله وأمرناكم بها وقلنا لكم وقلنا لهم : ان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض ، فهو خالق كل شىء ، والمنعم على ما خلق ومن خلق ، وخليق بالمخلوقين الذين أنعم عليهم أن يكونوا منقادين لأمر الله وارشاده .

وان لله فى السموات من الملائكة وفى الأرض من الثقلين من يعبد الله ويتقيه ، وهو غنى عن عبادة خلقه ، وخلقه هم المحتاجون اليه ، واحتياجهم يتطلب منهم أن يتقربوا اليه بالعبادة والله مستحق أن يحمد لذاته ويحمد بذاته فهو منزه عن احتياجه لطاعة المطيعين ، ولا ينقص من جلاله عصيان العاصين ، انه لا يزداد جلاله بطاعة أحد ولا ينقص بعصيان أحد .

وتكرير قوله : لله ما في السموات وما في الأرض ، تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه ، لأن التقوى أساس الخير في الدارين .

٦٤ ــ وجاء الحمد على صيغة أفعل مرة واحدة في القرآن حين بشر عيسى بأحمد عليه الصلاة والسلام .

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» .

الصف ٦ .

ذكر الله في الآية السابقة : وإذ قال موسى لقومه ، لأن له قوما هم بنو اسرائيل ، وهنا : وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل فلم يقل : ياقوم أو لقومه وانما قال يابني اسرائيل لأنه لا نسب له في أحد الا من جهة الأم ، والنسب المعتد به في القومية انما يكون من جهة الأب ، وعيسى لا أب له ومن ثم فهو ليس له قوم ، وتقدير الكلام : واذكروا اذ قال عيسى ابن مريم الخ .

والمعنى انى أرسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به في التوراة ، وإنى مصدق بالتوراة ، وبالكتب التى أنزلها الله على رسله ومصدق بكل رسل الله من تقدم ومن تأخر ، وانى مبشر برسول يصدق كما صدقت بتلك الكتب والرسل ، ويصدق بى وبكتابى يأتى من بعدى اسمه (أحمد) .

وروى عن كعب : أن الحواريين قالوا لعيسى : ياروح الله ، هل بعدنا من أمة ؟ قال : نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وأحمد يعنى أنه أكثر حمدا لله من غيره ، أو أنه يحمد بما فيه من الاخلاص والأخلاق أكثر ما يحمد غيره .

فلما جاءهم بالبينات ، قيل المراد بقوله : من جاءهم : عيسى عليه السلام وقيل محمد عليهما الصلاة والسلام (قالوا هذا سحر مبين) أى ساحر مبين ، والآيات التى جاءهم بها عيسى أو محمد هى المعجزات التى أيده الله بها .

وقد كانت معجزات عيسى عليه السلام : الكلام في المهد وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله واخبارهم بما ادخروه في بيوتهم والمائدة التى استجاب الله دعاءه حين طلب انزال مائدة من السماء فأنزل الله المائدة وكانت احدى معجزاته .

أما معجزة محمد عليه الصلاة والسلام فكانت القرآن وما أعظمه من معجزة .

٦٥ ــ واليكم الآيات التى ذكر فيها (محمد) في القرآن وذلك الاسم مشتق من الحمد وقد جاء في القاموس : التحميد : حمد الله مرة بعد مرة وانه لحماد لله عز وجل ومنه محمد كأنه حمد مرة بعد مرة فهو محمد ومحمود .

قال تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » آل عمران ١٤٤ .

روت كتب السيرة أن النبي ﷺ لما نزل بأحد أقام على الجبل الرماة ، وأمرهم الا يبرحوا مواقعهم سواء كان الأمر للمسلمين أو عليهم ، ولما دارت المعركة شد المسلمون على المشركين فانهزموا ، وفروا من أرض المعركة تاركين ورائهم الكثير من العتاد والغذاء ، فاقبل المسلمون على الغنائم يجمعونها ، وأبصر الرماة ذلك فخالفوا أمر الرسول ، ونزلوا ليجمعوا نصيبهم ، وعندئذ دار خالد بن الوليد وكان على ميمنة الكفار حول الجبل ، وحمل على المسلمين ، وصاح بالمشركين فعادوا الى أرض المعركة ، وحصر المسلمون بين المشركين من قريش وبين فرسان خالد ، وكثر القتل في المسلمين ، ورمى عبد الله ابن قميئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر فكسرت رباعيته وشج وجهه ، وأقبل يريد قتله فدافع عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يوم أحد وبدر حتى قتل ابن قميئة مصعب ابن عمير وهو يظن أنه قتل رسول الله ، وصاح في الناس : قتلت محمدا ، وفشا الخبر في الناس ، وقال بعض المنافقين : لو كان نبيا لما قتل : ارجعوا الى اخوانكم ودينكم .

وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : ان كان قد قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ ، قاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه ، ثم قال : « اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء،وسل سيفه فقاتل حتى قتل » .

ومر بعض المهاجرين بأنصارى يتشحط في دمه فقال ، يافلان : أشعرت أن محمدا قد قتل ؟ فقال : ان كان قد قتل فقد بلغ ، قاتلوا على دينكم .

وقد احتضن طلحة بن عبيد الله رسول الله ﷺ حين كسرت رباعيته ، ودافع عنه أبو بكر وعلى ــ رضى الله عنهما ــ ونادى رسول الله ﷺ : الى عباد الله ، حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه ، فلامهم على الفرار فقالوا : يارسول الله : فديناك بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا ، أتانا خبر قتلك فاستولى علينا الرعب فولينا مدبرين أما معنى الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، فانهم مضوا الى جوار ربهم ، ومحمد سيخلو ويمضى حيث مضوا ، وكما أن أتباعهم بقوا بعدهم متمسكين بدينهم فعليكم أن تتمسكوا بدينكم بعد موت محمد ، والمراد من الرسول في قوله : الا رسول : مرسل ، أى وما محمد الا مرسل .

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن محمدا سيموت ولا يقتل في قوله تعالى :

« انك ميت وانهم ميتون » ، وقوله : « والله يعصمك من الناس » فلم عبر في هذه الآية

بالقتل في قوله : أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ويجاب عن هذا : بأن الموت لا يوجب رجوع الأمة عن دينه فكذلك القتل وجب ألا يوجب الرجوع عن دينه ، لأنه لا فارق بين الموت والقتل ففي كل منهما انقضاء وذهاب عن الدنيا ، وان موته أو قتله لا يستوجب الضعف في الدين ، لأن الأنبياء ماتوا قبله وبقي مع أتباعهم دينهم ، ولأن الحاجة الى الرسول انما هي تبليغ الدين ، وقد بلغ محمد دين الله .

والانقلاب الى العقبين يراد منه : الرجوع الى الكفر ، وذلك لقول بعض المنافقين لبعض ضعاف المسلمين : ان كان محمد قتل فارجعوا الى دينكم أي الذي كنتم عليه قبل الاسلام ، ورد بعض الأنصار : ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد .

« ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » بل لا يضر الا نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) قال علي : المراد بالشاكرين : الذين سيجزيهم الله على حسن بلائهم : أبو بكر والنفر الذين دافعوا عن رسول الله كمصعب وأنس بن النضر .

٦٦ — « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » الأحزاب ٤٠ .

جاءت هذه الآية في أعقاب قصة زيد بن حارثة وتبني النبي ﷺ له ، وكان الولد المتبنى في الجاهلية يأخذ جميع حقوق الابن الحقيقي، وقد تبنى النبي ﷺ زيدا وخطب له زينب بنت جحش بنت عمة الرسول ، فأنكرت وأنكر أخوها تلك الخطبة ونزل القرآن : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » فخضعا لأمر الله ، وتزوج زيد زينب حينا ، ثم نزل الوحي يخبر محمدا أن زيدا سيطلق زينب ، ثم يتزوجها الرسول ليطبق بذلك حكما شرعه الله ليبطل ما تعارفت عليه الجاهلية : وهو أن زوجة الابن المتبنى يجوز لمن تبناه أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها ، وذلك ما حكاه القرآن في قوله : « واذ تقول للذي أنعم الله عليه » بالاسلام «وأنعمت عليه»بتخليصه من رق العبودية فأصبح يتقلب في نعمتين : الاسلام والحرية (أمسك عليك زوجك واتق الله) فيما تقوله عن زينب انها تتعالى عليك (وتخفي في نفسك) يا محمد ما أمرت به من أنه سيطلقها وتتزوجها ، والله مبدي ما أخفيته (وتخشى الناس) أي مقالة الناس : ان محمدا طلق زينب من زيد ليتزوجها حيث هو معجب بها (والله أحق أن تخشاه) في عدم تنفيذ ذلكم الحكم الشرعي — وتستمر القصة حتى يقول الله :

« مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ » ، فتنتفي أن يكون محمد أبا أحد من رجالكم فيثبت لهذا الرجل ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن رسول الله)

ويوصف أنه رسول الله فهو أب لأمته كلها في توقيره وتعظيمه ، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأبناء حقيقيين له ، فحكمه حكمكم ، والادعاء والتبنى انما هو من باب تقريبه فحسب .

أما الطيب والقاسم وابراهيم فقد أخرجوا بقوله : من رجالكم ، وقد ماتوا جميعا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال وأما الحسن والحسين فلم يكونا رجلين حين نزلت الآية أو يقال : ان المقصود : الولد لا ولد الولد ، وقد تجاوز الحسن والحسين سن النبوة ، ولم يقل أحد : انهما نبيان لأنهما حفيدا النبى ﷺ .

والوصف الثانى لمحمد أنه خاتم النبيين ولو كان له ولد بلغ مبلغ الرجال لكان الولد نبيا ولم يكن محمد خاتم النبيين وقد روى أن النبى ﷺ قال في ابراهيم حين توفى « لو عاش لكان نبيا » (1) .

ولو كان للابن المتبنى (الدعى) حقوق البنوة الحقيقية لكان لزيد الحق في أن يكون نبيا ولم يكن محمد خاتم النبيين أما عن عيسى ونزوله آخر الزمان فلا يطعن في أن محمدا خاتم النبيين ، لأن عيسى نبى قبل محمد ، وأنه حين ينزل يعمل بشريعة محمد ﷺ ويصلى الى قبلته كأنه بعض أمته .

وكان الله بكل شيء عليما وقد دخل في علمه بكل شيء أنه لا نبى بعد محمد ﷺ ، وكان من بين علم الله بكل شيء تزويج محمد ﷺ بزينب بنت جحش ليعلن بذلك حكما شرعيا وهو حل زواج زوجة الابن الدعى لمن يتبناه فلا تحرم عليه كحرمة زوجة الابن الحقيقى .

٦٧ ــ جزاء المؤمنين بما نزل على محمد :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ » .

محمد ٢ .

لقد سمى الله هذه السورة من القرآن باسم محمد تشريفا لنبيه ﷺ وذكرى له حتى يعيش اسمه مخلدا عنوانا لهذه السورة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد بدأ الله السورة بذكر الكافرين الصادين عن سبيل الله وعن سبيل الايمان برسول ليقضى عليهم ببطلان أعمالهم ، وكثيرا ما يقابل في القرآن بين الكافرين وجزائهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات وجزائهم ليقارن بين عقاب الكافرين الذى أعده لهم وبين ثواب المؤمنين وما ادخره لهم في الآخرة .

وكثيرا كذلك ما ذكر القرآن الايمان والعمل الصالح ورتب عليهما الجزاء من حيث المغفرة أو الأجر من مثل قوله تعالى « فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » وقوله : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ » .

وهنا أضاف العمل الصالح الى الايمان وزاد ثالثا وهو الايمان بما نزل على محمد

---

(1) الحديث ضعفه السيوطى ، وفي المقاصد الحسنة للسخاوى دراسة وافية في الحديث أورد له فيها طرقا يقوى بعضها بعضا ، وله شواهد عند البخارى . البلجورى .

وهو القرآن ، ورتب على اجتماع الثلاثة أمرين : تكفير السيئات واصلاح البال .

والمراد بقوله : آمنوا بما نزل على محمد : بكل ما جاء به القرآن من عقيدة وتشريع وارشاد وعمل وسلوك (وهو الحق من ربهم) هذا اعتراض بين الايمان والعمل الصالح والايمان بما نزل على محمد وبين الجزاء الذى أعد لهم وهو تكفير السيئات واصلاح الحال وهذا الاعتراض سيق لغرض وهو تقرير أن ذلك المنزل حق لا مرية فيه وأن هذا الحق من عند الله وليس من عند بشر أعجمى أو عربى .

وقوله : من ربهم خبر بعد خبر وتقدير الكلام : وهو الحق وهو من ربهم .

كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك هو جزاء الايمان والعمل الصالح والايمان بما نزل على محمد ، انه ستر عنهم سيئاتهم

وكفرهم ومعاصيهم بذلك الايمان والعمل والايمان بالقرآن فلم تعد سيئاتهم لاصقة بهم بل سترت عنهم وانمحت آثارها عنهم ،

وقد أصلح الله بالهم وشئونهم بالتوفيق فى الأمور الدينية وبالنصر والتأييد فى الأمور الدنيوية وقيل المراد بقوله : الذين آمنوا أناس من قريش ، وقيل من الأنصار ، وقيل : هم مؤمنو أهل الكتاب ، وقيل : هو عام يشمل

المؤمنين جميعا الذين يجمعون بين الايمان والعمل الصالح والايمان بالقرآن وما جاء به.

٦٨ ــ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

الفتح ٢٩ .

محمد رسول الله : مبتدأ وخبر ، أو محمد خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو محمد ورسول الله عطف بيان أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف عليه والخبر : أشداء على الكفار رحماء بينهم وكأنه قال : محمد والذين معه جميعهم أشداء على الكفار الخ حيث ان وصف الشدة والرحمة فيهم جميعا فالرحمة والشدة فى المؤمنين جاءت فى قوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والشدة والرحمة فى رحمة فى رسول الله جاءت فى قوله « واغلظ عليهم » أو فى قوله : « بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وعن الحسن رضى الله عنه : بلغ من

تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلتزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنـه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه .

والحكاية في قوله : « تراهم » ، لكل من تتأتى منه الرؤية فكل راء يراهم ركعا سجدا يبتغون بركوعهم وسجودهم فضل الله ورضاه على ما يقدمون من عمل لوجهه سبحانه ، وكان حياتهم كلها ركوع وسجود وخضوع وانقياد لله (أولئك هم أصحاب رسول الله ﷺ) فهلا اقتدينا بهم ليكون لنا أجرهم ؟! .

(سيماهم) وعلاماتهم (في وجوههم) من أثر السجود ، قيل ذلك يكون يوم القيامة كما قال تعالى : « يوم تبيض وجوه » ..

وقيل ذلك يكون في الدنيا بما يظهر في الجباه من أثر من كثرة السجود .

ذلك مثلهم في التـوراة ومثلهم في الانجيل كزرع الخ .

اما أن يكون ذلك مبتدأ ومثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل خبر وقوله : كزرع أخرج شطأه خبر لمبتدأ محذوف تقـديره ومثلهم في التوراة والانجيل كزرع .

أو ذلك مثلهم في التوراة : مبتدأ أو خبر ، ومثلهم في الانجيل مبتدأ أو كزرع خبره .

والمعنى قد يكون ذلك الوصـف مثلهم أى وصفهم في الكتابين جميعا ثم ابتـدأ كزرع ، ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قـوله ذلك مثلهم في التوراة أى وصفهم في التـوراة : انهم أشداء على الكفار رحمـاء بينهم ، ثم ابتدأ ومثلهم في الانجيل كزرع الخ أخـرج شطأه أى فراخه ، فآزره ، عاونه (فاستغلظ) وانتقل من الدقة الى الغلظ (فاسـتوى على سـوقه) أى فاستقام على قصبه .

وقيل مكتوب في الانجيل : سيخرج قـوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) وهذا تعليل لما دل على تشبههم بالزرع مـن النماء والترقى في الزيادة وقد قدم الله صورة للمؤمنين شـبههم في بدء ايمـانهم ثم في نموهم وترقيتهم حتى يصـلوا الى درجـة الكمال بالزرع حينما ينبت فيكون ضعيفا ، ثم تخرج على جوانبه فراخه فيقوى ، ثم يغلظ وتشتد سوقه .

والمؤمنون في هذه الحالة الأخيـرة تعجبهم قوتهم وشدتهم وذلك مما يغيظ الكفار حينمـا يرون في قـوة ايمـان المـؤمنين مالا تهزه العواصف ولا تؤثر فيه رياح الكائدين ، بـل تكون طاقات ايمانهم أثبت على الحياة مـن شوامخ الجبال .

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

وهذا وعد من الله ـ ولن يخلف الله وعده ـ لقـد وعد المـؤمنين الـذين يعطـون من الصالحات بالمغفرة والأجر العظيم وهو الجنة وأى جزاء أعظم من نعيم خالد بين جنـات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » .

تم البحث

محمد محمد خليفة

قصة الصرفة

المقالة الرابعة

لم اقرأ فى قضية الاعجاز كلاما مضطربا ضعيفا مختلا كالذى قرأته لابن حزم ، ولم اقرأ لابن حزم كلاما ضعيفا متهافتا كالذى قرأته له فى قضية الاعجاز .

ولم اعرف احدا من اهل العلم احتج للصرفة احتجاجا يتسع فيه كلامه الا ابن حزم فى كتابه « الفصل » ، وذلك لأن القول بالصرفة قول لا يتسع للتشقيق والاحتمالات والاحتجاج ، وانما هو احالة الى امر الهى جرى من الأقوام كما يزعمون ، ولهذا بقى هذا القول من لدن النظام الذى عاش فى القرن الثانى الى القرن الثامن ولم يتقاطر منه ما يوسع الكلام فيه الا تلك التشقيقات التى عرفنا خبرها .

واحتجاج ابن حزم كان متجها الى توهين القول بتفوق القرآن فى النظم والبلاغة، وهذا شىء فريد فى بابه .

ويتبادر الى من يطالع ابن حزم أنه — فى بعض جوانبه — يقول غير الذى يقوله النظام، وفى بعضها تلتبس مقالته بمقالة النظام ، ولذلك يمكن أن نزعم أن الرجل كان يعالج فى نفسه مذهبا للصرفة ملبسا غير المذهب المعروف .

ويقع فى نفس قارئه أيضا أنه — رحمه الله لم يتبين لنفسه وجها ، وأن موضوع الاعجاز عنده كان غير متقن ، ويؤكد ذلك ايراده مقالة أهل العلمناقصةمشوهة ، وايراده الاعتراضات عليها ، على طريقة (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) .

ونحسن به الظن حين نقول انه لم يتقن مقالة العلماء فى هذا الشأن ، ولو لم نقل هذا لقلنا — مضطرين — انه كان يحذف من مقالتهم عامدا ما يدفع اعتراضه عليهم ، وهذه عند أهل العلم كريهة شنعاء أيسر منها عدم اتقان المقالة ، وسوف نبين ذلك وغيره ان شاء الله .

ذكر ابن حزم أن بعض أهل الكلام ذهبوا الى أن القرآن معجز بما فيه من اخبار بالغيب،

للأستاذ الدكتور
محمد محمد أبو موسى

وأوهن أن يكون هذا هو الوجه بما أوهنه به غيره من أن الاخبار بالغيب لا يجرى فى السور كلها ، والاعجاز جار فيها ، فهو اعجاز فيما ورد فيه بلا خلاف .

ثم ذكر ما ذهب اليه جمهور علماء الاسلام من أن القرآن أعجز بنظمه ، وبما فيه من الاخبار بالغيب ، وعقب على ذلك بقوله « وهذا هو الحق الذى ما خالفه فهو ضلال »[1] .

وواضح أنه فى هذامخالف للنظام وماض على ما عليه جمهرة العلماء قبله . الا أنه حين انتقل الى بيان وجه الاعجاز فى النظم دفع القول المشهور الذى قرره العلماء ، وهو بلوغ النظم فى القرآن مرقبا يبين البينونة « التى لا يعرض معها شك لواحد منهم أنه لا يستطيعه ، ولا يهتدى لكنه أمره حتى يكونوا فى استشعار اليأس من أن يقدروا على مثله وما يجرى المثل على صورة واحدة » (٢) .

وذكر كلاما يقارب النظام وليس هو حيث يقول فان قالوا فقولوا أنتم هل القرآن : موصوف بأنه فى أعلى درج البلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله التوفيق ان كنتم تريدون أن الله قد بلغ ما أراد فنعم ، هو فى هذا المعنى فى الغاية التى لا شىء أبلغ منها ، وان كنتم تريدون هل هو أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ؟ فلا لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين ، لا من أعلاه ، ولا من أدناه ، ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أن انسانا لو أدخل فى رسالة أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله تعالى منع الخلق عن مثله ، وكساه الاعجاز ، وسلبه جميع كلام الخلق » (٣) .

وهذا الكلام تجب مراجعته ، وفى الجواب فيه حيد عن السؤال لأنه لا تعلق لبلوغ الله مراده بكتابه بمسألة بلاغة النظم ، فقد بلغ الله ما اراد بالتوراة والانجيل وغيرهما من كتبه ، وليس نظمها معجزا ثم ان الوصف بأعلى درج لبلاغة شىء متعلق بنظمه ونحته وسبكه ، وأن بناء هذا النحت ، ونسيج هذا السبك ، يشبه فى دقته واحكام علاقاته ، وتصريفها فى معانيها ، ومجاريها ، بناء الأجسام فى الأحياء من حيث دقتها ، وتلاؤم وظائفها ، وتناسقها ، لأن هذا النظم آية بينة

---

١ ـ الفصل جـ ٣ ص ١٦ .
٢ ـ الرسالة الشافية ص ١٣٣
٣ ـ الفصل جـ ٣ ص ١٨ ، ١٩ .

قصـة الصـرفـة

كخلق تلك الكوائن الحية ، والعجز عنه كالعجز عنها .

وهذا هو صريح كلام العلماء فى بيان أعلى درج البلاغة فى القرآن « فكما أنه محـال أن يكون ههنا احياء ميت لا من فعل الله فهذا هـو » (١) .

فالسؤال لا يحتمل ماحاد به اليه .

ومثل هذا فى صرف الكلام عن وجهه صرفه الاحتمال الثانى الى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ، فلم يقل أحد من القائلين بأن وجه الاعجاز هو النظم .

ان القرآن فى أعلى درج البلاغة فى كـلام المخلوقين ، لأن أعلى درج البلاغة فى كـلام المخلوقين غير معجز بلا ريب ، وانما قالوا انه فى درج البلاغة التى تجاوزت حدود قـدرات المخلوقين وفاتتها فوتا يبهر ويقهـر ، « حتى تنقطع الاطماع عـن المعارضـة ، وتخرس الألسن ، عن دعوى المداناه وحتى لا تحدث نفس صاحبها بأن يتصدى » (٢) .

وهذا شيء وأعلى درج البلاغة فى كـلام المخلوقين شيء آخر ، لأنه لا يبهر ، ولا يقهر، وانما يعارض ويحتذى ، ويدرك أو يقارب ، فلم تنقطع أطماع الشعراء عـن معارضـة أبرزهم ومماتنة أمتنهم .

ولو أن ابن حزم اكتفى بقوله ان الله تعـالى منع الخلق عن مثله لكانت طريقته هى طريقة النظام ، ولعله أراد أن يجمع بين القول بأنـه معجز بنظمه ، وبأن الله صرف الناس عنه على غير ما قاله العلماء أ استنبطناه من كلامهم فى توجيه القول بالصرفة جهـة قطـع الشـغب والمجاجة فتنافرت بين يديه المسـألة .

وتأمل قوله « منع الخلق عن مثله ، وكساه الاعجاز » تجده كلاما لا يلتئم لأنه لا معنى لأن يكسوه الله الاعجاز اذا كان عجـز البشر عنه منعا منه سبحانه ، ومادام الوجـه هو منع الخلق فلا يوصف النظم بالاعجـاز لأن المعجز هو منع الخلق ، واضح أن هذين كالضدين لا يجتمعان .

أما ما احتج به فى دفع أن يكون القرآن فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ، وهـو ما ظن أن القوم قالوه ، فليس بسديد وفيـه زيغ متعمده وذلك أن الخطباء والكتاب وغيرهم من المبينين بكلام بليغ يقتبسون من القرآن ، ويجرون كلامه فى كلامهم فيكون ما اقتبسـوه ظاهرا ، لا يلتبس بغيره ، ويكـون دالا على نفسه ، وأنه من غير جنس الكلام الذى جـرى فيه ، وهذه واحدة من بـلاغاته التى عـدها العلماء .

وقالوا انها كأنها للقـرآن سياج حصـين يحفظه من مداخلة غيره ، فان الجملة البشرية لو رمينا بها فى المصحف كانت واضحة وضوح

١ ـ الرسالة الشافية ص ١٥٦ .

٢ ـ المرجع السابق .

الجملة القرآنية حين نجريها في كلامنا حيث تراها ذات لون وطبع ليس هو لون ولا طبع ما جرت فيه ، ومن هنا بقي المصحف على مر هذه القرون لا تداخله كلمة واحدة من كلام البشر لأنها لا تلتئم على سبكه ، وهذا بخلاف حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الموصوف بأنه في أعلى درج البلاغة من كلام المخلوقين ، ولذلك لا مسته ألسنتهم ببعض ما نبغوا فيه من حر الكلام وخاصه ، فالتبس بكلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولهذا درس علماؤنا الرواية واستقاضي كلامهم في علوم الحديث ومعرفة الرجال لتمييز كلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كلام غيره .

ولم يحدث هذا في المصحف ولا يمكن أن يحدث لأن الجملة فيه كما قلت فيها ما في خلق الكائن الحي ، وكلام البشر كله كلام ، وهذا واضح في كلام أهل العلم ، فلماذا اختار الشيخ ابن حزم ــ رحمه الله ضرب المثل باقتباس فواتح السور مثل الم ، وحميم ، وكهيعص . وهو يعلم أنه مما اختلف علماؤنا في بيان المراد منه . وأن المشهور بينهم فيه ، أنه اما أن يكون من أسماء السور على حد قولنا قرأت كهيعص ، ــ وهذا لا يقتبس ، واما أن يكون من وسائل التنبيه واللفت الخاصة بالقرآن ليحضر القارىء والسامع قلبه للذى يقرؤه ، ويجمع له نفسه ، وأن هذا التنبيه جاء على غير طريقتهم فنداء الصاحب ، واستيقافه واستبكائه ، وغير ذلك مما بدأ به قصيدهم فكيف يستساغ اقتباسه !!

ان أهل الأدب جعلوا قدرة الكاتب على اقتباس جملة المصحف وتهيئته مجراها في مجارى كلامه دليل اقتداره ، وحنكته ، وحذقه في سياسة الكلام فكيف يذهب ابن حزم الى ما ذهب اليه ؟ !!

وذكر ابن حزم برهانا آخر يحتج به على أن المعجز في النظم ليس هو بلاغته الفائقة التى تبهر وتقهر ، وتقطع الأطماع ، وانما هو المنع ، وخلاصة هذا الوجه أن في القرآن حكايات عن الأقوام ومحاورات بينهم وبين أنبيائهم ، من مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ » (1) .

ويذكر ابن حزم أن هذا كلام الناس صيره الله كلامه ،وصار بذلك معجزا ، ومنع الخلق عن مماثلته وقبل أن يجريه الله في كلامه لم

1 ــ الاسراء آية ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

يكن معجزا ، لأنه لم يقل أحد ان كلام البشر معجز .

وهذا كلام غريب ، وملبس ، ومردود ، لأن الأمة اجمعت على أن هذا مما يحكيه الله عنهم ، ويقوله على ألسنتهم ، وأن اللفظ والنظم فيه ليس لهم ، وأن حال ذلك كحال ما يرويه القرآن عن آدم ، وولديه ، قابيل وهابيل ، وكذا مقالات نوح ولوط وما يشبه ذلك من تلك المقاولات التى جرت قبل أن تجرى ينابيع العربية فى لسان اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى أبيه وولده ، كل ذلك حكاية معان، واللفظ والنظم فيها كلام الله ، وهذا ما انعقد عليه كلام الكافة والآية التى ذكرها ابن حزم كلام القديم جرى به العلم قبل أن نخلق فى الذر ، ومثله فى ذلك ما يحكيه القرآن من مقالة أهل الجنة والنار وما ينطق به الخلق يوم يلاقى الناس حسابهم ،من مثل قولهتعالى

« وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ » .

ومثل قوله :

«وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ».

وليس هذا كلام الناس صيره الله كلامه لانهم لم يقولوه وسيقولوه قطعا .

وهذا ما احتج به ابن حزم لنفى البلاغة الخارقة عن نظم القرآن وليثبت قولا واهيا متنافرا ، وهو أن نظم القرآن معجز لأن الله منع الخلق عنه ، وقد ذكرنا أن المنع يخلع صفة الاعجاز عن النظم ، وينقلها الى المنع .

أما ما دفع به مقالة أهل العلم من أن وجه الاعجاز هو بلاغة نظم القرآن وبينونته على حد ما وصفنا فهو أضعف مما ذكره فى الاحتجاج لمقالته .

ووجه ذلك أنه سلك مسلكا غريبا لا أدرى كيف اقتنع به ، فقد ترك ما احتجوا به لبيان توفر الكمال المطلق فى نظم القرآن وأن هذا الكمال المطلق لم يتوفر ولن يتوفر فيما يصدر عن البشر . وغير ذلك مما قاله أئمتنا من كلام مبسوط ومستفيض كشفوا فيه جوانب كثيرة من هذه الحقيقة ، أقول ترك ابن حزم هذا التراث الحافل فى هذه القضية ووقف عند نقطتين من النقاط التى يراها القارىء فى كلامهم تائهة لشموخ غيرها .

وهما أنهم ذكروا فى سياق الاستشهاد لبلاغة القرآن آيات مثل قوله تعالى « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » فذهب ابن حزم الى أن هذا ممايستعاذ بالله منه ، لأنه يوهم أن المعجز منه هو الآيات التى ساقوها فقط ، وهذا مما لم يتبادر الى أحد غير ابن حزم ، وانما ساقوا ما ساقوا لأنه أظهر من الاستشهاد للمسألة التى هم بصددها .

وأى خطأ وقع فيه من قال ان الايجاز فى القرآن وجه من وجوه بلاغته المعجزة وعرض هذه القضية بما توفر لديه من فهم لها ، ثم ذكر

آية (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (١) ووازنهـا بأدق ما صاغه بيانهم في معناها ليكتشف ما تنطوى عليه الجملة القرآنية من كمال يحيط بمعناها ومبناها ، وليكتشف ما تنطوى عليه الجملة البشرية من نقص يشوبها ، اذا ما وضعت بازاء الآية ، أو قل كيف يصير كمال بلاغة الناس نقصا اذا وضع بازاء الكمال المطلق الماثل في كلام الله .. وهذه واحدة .

والثانية أنه ذكر آية « وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا » . النساء ١٦٣

ليقول انه ليس فيها من النظم ما يعجز لأنها سرد أسماء وسرد الأسماء ليس مما تتوفر فيه خصائص النظم ، ولا يصح أن يقال انه ليس بمعجز لأن كل كلام الله معجز ، وانما يقال أن نظمه معجز وليس لبلاغته وانما لأن الله منع الناس أن يأتوا بمثله لوكان الاعجاز .

وقد عرض العلماء الى هذا وذكروا آيات تشبه هذه الآية منها قوله تعالى.

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ » (٢) .

وقالوا ان هذا ليس من القبيل الذى تظهر فيه براعة النظم على الحد الذى نراه في قوله تعالى « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ » (٣) . لأن طبيعة المعنى هنا غير طبيعة المعنى هناك ، وليست البلاغة أن تتكلف البراعة والتفنن فيما لا يقتضى الحال فيه براعة ولا تفننا ، وطلب اظهار البراعة في مثله « ضرب من الجهالة » على أن هذا حين يقع في المصحف يجيء على صورته التى لا يمكن للسان أن يوقعه على ما يقاربها ، ثم انه منطو على دقائق أخرى كأنها بدائل لدقائق خصوصيات النظم ، ونرى ذلك في أنه ابتدأ بما ابتدأ به ثم ألحقه ثانية ، وثالثة ، وهكذا ووراء هذا الترتيب من لطف الملاحظة في اعتبار السياق والمعانى والأحداث والاحوال ما يبهر ويقهر ، وانما يطلب ذلك في علم التفسير الذى يقوم على الكشف والتنقير عن هذه اللطائف ، والفهم الثاقب لمقاصد الشريعة في الباب الذى ورد فيه » (٤) .

وبقى في كلامنا عن ابن حزم بيان موقفه مما دفع به العلماء مذهب الصرفة ، وقد ذكر أهل العلم في نقض القول بالصرفة أنه لو كان

---

١ ـ البقرة آية ١٧٩ .
٢ ـ النساء آية ٢٣ .
٣ ـ سورة هود آية ٤٤ .
٤ ـ ينظر اعجاز القرآن ص ٢٠٥ .



الاعجاز راجعا اليها لكان يكون الاعجاز أظهر كلما كانت درجة بلاغة القرآن وفصاحته أقل وأقرب الى أفواه الناس لأن الناس حين يعجزون صرفا عن معارضة كلام جرت به عادة سوادهم فضلا عن خاصتهم يكون ذلك أظهر فى الآية ، لانه من المتقرر — والحال كذلك — أن هذا الكلام الذى عجزوا عنه جرت ألسنتهم جميعا بمثله ، وجرت ألسنة شعرائهم وخطبائهم بأفضل منه ، فكيف يعجزون عن معارضته ٠

وهذا احتجاج معقول الا أن ابن حزم عده شغبا ، وحمقا وصاغ كلامهم صياغة فيها غير ما فى كلامهم ، فقد قال فى تصوير هذا الرأى « لو كان كما تقولون من أن الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ » (١) ٠

وهم لم يقولوا « أغث ما يمكن أن يكون » وانما قالوا « لكان مهما حط من رتبة البلاغة

١ — الفصل جـ ٣ ص ١٦ ٠

فيه ومنع من مقدار الفصاحة فى نظمه كان أبلغ فى الاعجوبة اذا صرفوا » (١) .

فقد جاء فى كلام ابن حزم وصف الكلام بالغثاثة ، والذى فى كلامهم وصف رتبته البلاغية ، ووصف الكلام شيء ، ورتبته البلاغية شيء آخر ، فرق بين أن تقول ان رتبة بلاغة الانجيل الذى أنزله الله ليست عاليه وان أصف الكلام نفسه بالغثاثة — ومعاذ الله — وهذه الفروق فى الكلام لابد من اعتبارها فى مناقشة الآراء لأنها تلقى ظلالا مختلفة .

ثم علق على هذا بقوله « وهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه .

احدها : أنه قول بلا برهان، لأنه يعكس قوله عليه بنفسه ، فيقال له لو كان اعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه ، لأن هذا يكون فى كل من كان فى أعلى طبقة ، وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود .

وثانيها : أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ، ولا يقال له لم أعجزت بهذا النظم دون غيره ؟ ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره ؟ ولم قلبت عصا موسى حية دون أن تقلبها أسدا ، وهذا كله حمق ممن جاء به » (٢) وهذا الكلام مبنى على الخطأ الذى نبهنا اليه وهو فهم ابن حزم مراد العلماء بقولهم (أعلى طبقة) فقد فهم أنها أعلى طبقة فى بلاغة المخلوقين ، لأنه يرى أن أعلى طبقة هذه يشارك القرآن غيره فيها ، وهذا ظاهر فى كلامه هذا ثم انه ذكر أن كلام الحسن وسهل والجاحظ ، وقبلهم امرؤ القيس ، فى أعلى طبقة وأنه يلزم هذا أن يكون قد سوى بين القرآن وكلام هؤلاء ، وبذلك لا يكون حجة لأن آيات الأنبياء خارقة خارجة عن المألوف ، ومراد العلماء بأعلى طبقة ليس هو هذا وانما ما يفوت قدرات الخلق فوتا يبهر ويقهر ، ولا يلتبس .

ويغلب على من يقرأ تراث ابن حزم فى هذه القضية الاعتقاد بأن الرجل رحمه الله وأثابه لم يتقن مقالة أهل العلم فيها ، ويترجح أنه لم يقرأ حول موضوع الاعجاز الا كتاب الباقلانى لأن حواره الذى أداره فى الموضوع لا تخرج مادته العلمية عن الكتاب المذكور ، ثم انه قرأه ليدحضه لاليتبين ما عساه يكون منطويا فيه من سداد ، وآية ذلك أنه كان يأخذ بعض الكلام الذى يجد فى نفسه حوله دفعا ومناقضة ويسكت عن مالا يستطيع دفعه ، فقد ذكر الباقلانى أيضا أنهم لو صرفوا عن المعارضة لطلبوا ما يساويه فى كلامهم الذى قالوه قبل الصرفة أو الذى قاله الجيل قبلهم ، وكانت صدورهم أناجيلهم ، ولكن ابن حزم يترك هذا مع أنه ملتبس بالنص الذى شغب حوله لأن ذلك لا وجه لدفعه .

---

١ — اعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٩ .

٢ — اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦٤ .

قصــة الصــرفــة

أما قوله ان الله سبحانه لا يسأل عما يفعل، فذلك مالا مدفع له من مسلم ، وانما الأمر أمر مناقشة وافتراض ما لم يقع وأنه لو وقع لكان يكون على صورة كذا بناء على ما يستلهم من الحكمة الالهية فى تنزل الأشياء على أحوال ، هذا تقليب للكلام على مقتضيات المعقول ، فالذى يقول لو كان الاعجاز بالصرفة لكان الأظهر فيه أن تكون مرتبته البلاغية قريبة من العامة لا يسأل الله عمايفعل ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا ظاهر ، ورحم الله ابن حزم .

وله فى عنقنا ان ندفع عنه مقالتين :

الاولى : مقالةمصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فقد أشار الى قول ابن حزم فى الآيات التى تحكى ما قاله الناس وأن الله لما جعل ذلك كلامهأصاره معجزا ، ومنع من مماثلته ثم استخف الرافعى بهذا وقال ان ابن حزم لما قال هذا جعله رأيا أصاره كافيا لا يحتاج الى غيره ، ثم قال « وهل يراد من اثبات الاعجاز للقرآن الا اثبات أنه كلام الله تعالى » (١) .

وهذه الأخيرة لا ترد على ابن حزم لان الاعجاز عنده ثابت بغير الصرفة ، ثابت بالاخبار بالغيب أو بالنظم ، وهو الحق الذى ما خالفه فهو ضلال ، فكون القرآن كلام الله ثابت بهذا وانما الصرف لبيان وجه اعجازه بالنظم وأنه ليس راجعا الى شىء معجز فى النظم وانما الى صرف الله الناس عنه ، وهذا ما قلنا انه مذهب غريب ، ثم ان اثبات الاعجاز الذى تقوم به الحجة شىء ، وبيان وجهه شىء آخر وهذه دقيقة .

والمقالة الثانية : مقالة الشيخ أبى زهرة رحمه الله ، فقد قال فى تعليقه على رأى ابن حزم (ان المتأمل فيه يجده سائرا على مذهبه فى نفى الرأى ، والحكم بظاهر القول من غير تعليل ، فالاتجاه الى تعليل الاعجاز بأن السبب فيه بلاغته التى علت عن طاقة العرب والتى جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مراء ولا جدال ، يعد تعليلا ، وهو من باب الرأى الذى ينفيه والتعليل الذى يجافيه فلابد أن يبحث عن سبب غير ما ذكره الله فيه » (١)

وقوله فلابد أن يبحث عن سبب غير ماذكره الله فيه ، كبيرة لا نرمى بها ابن حزم ، ولوكان فى القرآن آية تحدد وجه اعجازه ما اختلف فيه العلماء ، وانما هو الاجتهاد والرأى والله من وراء القصد .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم باحسان

محمد محمد أبو موسى

---

١ ــ المعجزة الكبرى للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ .

دراسات في السنة

أيرى النبي صلى الله عليه وسلم

صورة من البحث في : أبي هريرة

الايمان والعمل الصالح

الاخلاص وقوة الاستمرار

أيرى النبى صلى الله عليه وسلم "يقظة"

حياة الأنبياء فى قبورهم :

النبى ﷺ حى فى قبره حياة برزخية وكذلك سائر الانبياء من قبله فى قبورهم معلومة قطعا ثابتة أصلا . لا يرتاب فيها من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا ..

معلومة قطعا لما قام به الدليل وأثبته البرهان وأيده اليقين وتواترت به الأخبار . ومن الأخبار الصحيحة الدالة على حياة الأنبياء فى قبورهم ـ ما أخرجه مسلم عن أنس ان رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر بموسى عليه السلام وهو قائم يصلى فى قبره .. وذكر البيهقى بأسانيده الصحيحة ان رسول الله ﷺ قال : (قد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء . فاذا موسى قائم يصلى واذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة . واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى . واذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم . يعنى نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لى : يا محمد .. هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام) ..

وفى دلائل النبوة للبيهقى قال : (الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء .. وقال فى كتاب الاعتقاد :

الأنبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .. وأن نبينا ﷺ حى بعد وفاته وأنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصى العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلى عليه من أمته ..

وان الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض من اجسادهم شيئا ..

بل وصل الينا من الثقات أن ثابت البنانى وجد فى قبره يصلى . ولما سألوا ابنته . ما كان عمل أبيك ثابت .

قالت . وما رأيتم فأخبروها . فقالت كان

بقلم الأستاذ
صلاح الدين عبد الحميد الهادى

يقوم الليل خمسين سنة فاذا كان السحر قال فى دعائه : (اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء) « أبو نعيم فى الحلية » .

اللقـاء بالخليل عليه السـلام :

نقل الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته، والشيخ عفيف الـدين اليافعى فى روض الرياحين عن الشيخ الكبير قدوة العارفين أبى عبد الله القرشى قال : لما جـاء الغـلاء الكبير الى ديار مصر توجهت لأن أدعو فقيل لى لا تدع فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء . فسافرت الى الشام فلما وصلت قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقـانى الخليـل فقلت يارسول الله اجعل ضـيافتى عنـدك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم ..

فقال اليافعى : فقوله تلقانى الخليل قـول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة مـا يرد عليهم من الأحوال التى يشـاهدون فيهـا ملكـوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحيـاء غير أموات . كما نظـر النبى الى جمـاعة من الأنبياء فى السماء وسمع خطابهم وقد تقرر . أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى .. آ . هـ زاد المسلم جـ ٣ والحجج البينات والزرقانى جـ ٥ ص ٢٩٩ .

مصـافحة الملائكة لعمران بن حصين :

وفى صحيح مسلم عن عمـران بن حصـين رضى الله عنه أن الملائكة كانت تسلم عليـه اكراما له لصبره على ألم البواسير فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه . فلما ترك الكى أى برىء كما فى رواية صحيحة عاد سلامهم عليه، « مسلم فى الحج جـ ٣ » شرح النووى .

وفى رواية البيهقى : كانت الملائكة تصافحه فلما كوى تنحت عنـه . « زاد المسـلم جـ ٣ ص ١٨٦ » .

والقارىء لكتاب الروح للامـام بن القيم يجده يقول : (ولما مات رجاء بن حيوة رأتـه امرأة عابدة فقالت : يا أبا المقدام الام . رتم ؟ قال الى خير ...) وقال (لما ماتت رابعـة رأتها امرأة من أصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس وكانت كفنت فى جبة وخمار من صوف . فقالت لها ما فعلت الجبـة التى كفنتك فيها وخمار الصوف ؟ قالت : والله انـه نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترين على ..) الخ وكلام كهذا لـلامام ابن القيم لا يستهان به آ . هـ .

الصـوفية وعالم المثال :

وفى الزرقانى على المواهب قال أبو حـامد الغزالى : (ليس معنى قوله • فقد رآنى أنه رأى جسمى وبدنى – حقيقة – وانما المراد أنه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بهـا المعنى الذى فى نفسى اليه وكـذلك قـوله – فسيرانى فى اليقظة ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى – بل المثال) وقال والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس أى الذات – غير المثال يرى التخيل فمارآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه • بل هو مثـال له على التحقيق •

وقـال الغزالى : ومثـل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفـاته تعـالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نو أو غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا فى كونه واسـطة فى التعريف •فيقول الرائى رأيت الله عز وجل فى المنام • لا يعنى أنى رأيت ذات الله تعالى كما يقول فى حق غيره • وقال الغزالى أيضـا فى بعض فتاويه – من رأى الرسول يعنى فى المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينـة •

وانما رأى مثاله لا شخصه • ثم قـال وذلك المثال مثال روحـه المقدسـة عن الصـورة والشكل •• أهـ زرقانى جـ ٥ ص ٢٩٣ وانظـر السراج المنير شرح الجامع الصـغير الجـزء الثالث •

وفى كتاب المنقذ من الضلال قال أبو حامـد الغزالى : بعد مدح أرباب القلوب انهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبيـاء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسـون منهم فوائد : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال الى درجات يضيق عنهـا نطـاق الناطق •• أهـ الزرقانى جـ ٥ وزاد المسلم جـ ٣ •

وفى مشارق الأنوار يقـول الشـيخ حسـن العدوى الحمزاوى :

ان للأولياء فى البرزخ الانطلاق والسراح لأرواحهم بل ولأشباحهم كما حققـه عـدة المحدثين وليث العارفين الـذى كـان يجتمع بالنبى ﷺ يقظة • المحقق سيدى عبد الله بن أبى جمرة • أفاد تلك الشهادة الأستاذ الحفنى فى رسالته •• واذا كان هذا للأوليـاء عمـوما فما بالك ببضعة رسـول الله ﷺ ولفظ ابن أبى جمرة الذى عليه المحققون من الصـوفية أن الأمر فى عالم البرزخ والآخرة على خـلاف عالم الدنيا فينحصر الانسان فى طورة واحدة – يعنى فى عالم الدنيا المسمى بعالم الشهادة الا الأولياء كمـا نقل عن قضيب البـان أنه رؤى فى صور مختلفة وسر ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم فجاز أن تظهـر فى صـور كثيرة •

ثم يقـول الشـيخ العدوى : وقـد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين الأجساد والأرواح سموه عالم المثال وقالوا : هو ألطف من عـالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنـوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة

من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى في سورة مريم « فتمثل لها بشرا سويا » فتكون الروح كروح جبريل مثلا في وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثالي فاذا جاز تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من العالم المثالي في عالم الدنيا وفي عالم البرزخ أولى وعلى هذا فالذي يخرج من القبر الشبح المثالي .. أ هـ .

ويقول الشيخ العدوي : وفي المواهب نقلا عن العز بن عبد السلام : فان قلت اذا لقي جبريل النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي فأين تكون روح جبريل ، فان كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي أتى حينئذ لا روح جبريل ولا جسده . وان كانت في هذه الذي في صورة دحية . فهل يموت الجسد العظيم أو يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه جسد دحية ..

ويقول الامام العيني في شرحه على صحيح البخاري :

انه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبا لموته فيبقى الجسد الأول حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه للجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء الى أجواف طير خضر وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلا بل بعادة أجراها الله في بني آدم فلا تلزم في غيره ..

ويقول الشيخ العدوي :

وقال سيدي محمد الزرقاني شارح المواهب . عن السراج البلقيني . يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل . ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال . وقال في فتح الباري . الحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه . والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط ..

ويقول الزرقاني :

والذي اختاره . ما أجاب به الامام القزويني بقوله : يجوز أن الله خصه بقوة ملكية بحيث تكون روحه في جسده الأصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الأثر قال . وقد قيل : انما سمي الأبدال أبدالا لأنهم قد يدخلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلي بدلا عنه قال وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد والأرواح سموه عالم المثال .. أقول : واذا أمعنت النظر وجدت ما اختاره الشارح موافقا لما أجاب به الامام العيني حيث قال : ويكون انتقال روحه للجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء .. الخ لأنه لاخفاء في حياة الشهداء جسما وروحا . لا روحا فقط فكونها

فى جوف طير خضر لا ينافى اتصالها بالجسد الأصلى أ هـ من مشارق الأنوار بتصرف .

ويقول الشيخ زكريا الأنصارى :

والمشهور أنها رؤيا حقيقية ان رآه على صورته كان ادراكه لذاته الشريفة أو على غيرها كان ادراكه لمثاله وتغير الهيئة انما هو من جهة الرائى ..

ونقل القسطلانى عن ابن العربى قال . قال ابن العربى : ورؤيته ﷺ بصفته المعلومة ادراك للحقيقة . ورؤيته على غيرها ادراك للمثال . فان الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال .. زاد المسلم جـ ٣ ص ١٨١ .

على أى صورة يرى النبى ﷺ ؟

لقد نقلنا ما قاله الامام الغزالى عن عالم المثال . فى حين وجدناه يقول فى كتابه المنقذ من الضلال :

« أن أرباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد : ثم يترقى الحال لهم من مشاهدة الصورة والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق ... » اذا فهناك درجة أعلى بعد رؤية المثال لم ينطق بها الغزالى خوفا على العامة .. وهى حقيقة اللقاء يقظة .. ومما يوضح ما قلناه قول الامام السواحلى فى كتابه بغية السالك :

أنه يجوز انطباع صورة النبى الشريفة فى نفوس الرائين الصادقين . ولكن الأعلى درجة يراه (بعين رأسه عيانا فى عالم الحس) واعتبرها من الكرامات الجائزة والممكنة أ . هـ .

والعجيب أن علماء السادة الصوفية اختلفوا فيما بينهم ــ هل تقع الرؤية حقيقة بذاته الشريفة ﷺ وروحه الطاهرة ؟ أم تقع بمثاله ؟ ــ وقد بين لنا هذا ابن العربى بقوله وقد مر فى البحث : أن رؤيته ﷺ بصفته المعلومة ادراك للحقيقة ــ ورؤيته على غيرها ادراك للمثال ..

ولم يستحسن بعض علماء الصوفية ومن سايرهم من العلماء المحققين القول بالمثال . لوقوع شبه بينه وبين مثال أفلاطون؛ فى اللفظ فقط . وهم لا يؤمنون بالمصطلحات الفلسفية لاسيما الصوفية السنيون . لأنهم وجدوا أن رؤية المثال هذه لا تريح قلب المشتاق المحب . ولا يجعل الرائى مستريحا لما ينقل عن المثال من معرفة أو أجوبة ــ على عكس رؤية الحقيقة فانها تثلج الصدور وتشرحه وتجعل الرائى مطمئنا لكل ما يرد على سمعه وقلبه من معارف نبوية تجد له أثناء اللقاء المحمدى ــ وكذلك فان رؤية النبى فى اليقظة تتناسب مع جلاء الكرامة ووضوحها للرائى ..

وقال العلماء : ومن فوائد رؤيته ﷺ :

تسكين تشوق الرائي لكونه صادقا فى محبته ليعمل على مشاهدته .. ولذلك نجد أن شيخ المالكية أبا الحسن الأجهورى متمسك على أن الرؤية للنبى بالحقيقة . لا بالمثال ..

وخلاصة القول الصحيح :

هو أن رؤية النبى ﷺ فى اليقظة ممكنة شرعا وعقلا ولا وجه لانكارها ولا تخصيصها برؤية المثال كما قال الامام الغزالى والقرافى . لأن ظواهر نصوص الأحاديث النبوية تدل على امكانها ووقوعها لمن خصه الله تعالى بها ..

ولقد أمتعنا الامام السيوطى فى رسالته تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك ..

حيث قال فى آخرها . فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث . أن النبى ﷺ حى بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ولم يتبدل منه شىء . وأنه مغيب عن الأبصار كما غيب الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم . فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ولا مانع من ذلك ولا داعى الى التخصيص برؤية المثال .. أ هـ .

لا تشريع جديد :

قال تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

سورة المائدة الآية ٣ ..

اذا لا تشريع بعد ذلك واثبات أى حكم بعد وفاة النبى ﷺ بغير دليل شرعى يسمى تشريعا فهو غير معتبر شرعا ولا ينافى ذلك صدق الرائى فى رؤيته للنبى ﷺ ان كان أهلا لذلك . ولكن قد قررنا لك فى أول البحث أنه لا يثبت بذلك الا ما وافق الشرع فهو الحجة فى اثبات الأحكام ـ فلم يبق ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعلماء الشريعة فى كل عصر وفى كل طبقة الا اتباع النصوص فى القرآن الكريم وما صح من السنة المطهرة أو فيهما . أو اتباع ما أجمع عليه المجتهدون مما استند على دليل منهما أو استنبط من أدلتهما أو قيس قياسا لاقادح فيه على بعض نصوصهما أو جزئية ادخلت تحت عموم كلية تشملها . هذا ما عليه محققو علماء السنة المطهرة من الصدر الأول الى زماننا هذا وبه تعلم أنه لا يعتمد بما يذكر بعض الصالحين أنه تلقاه من رسول الله اللهم الا ان كان ذلك فى خاصة نفسه وأما تعليمه للناس وأمرهم به فلا يجوز . لأنه أمر يعتبر زائدا على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل .. ومن أمر الناس بشىء زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلفهم شططا كما صرح به الامام الشعرانى فى أول كتابه تنبيه المغترين . وكما صرح به غيره من الأئمة المجتهدين وعلماء الأصول المحققين والحفظة .

وكما قال ابن السمعانى : وانكار الالهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه

به • ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كلما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول والا فمردود اذ قد يقع من حديث النفس وسوسة الشيطان•

ثم قال ابن السمعاني : ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوى به رأيه — وانما ننكر أن يرجع الى قلبه بقول لا يعرف أصله ولا نزعم انه حجة شرعية وانما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده فان والحق الشرع كان الشرع هو الحجة •• ثم حقق الحافظ ابن حجر بعد نقله لكلام ابن السمعاني هذا أن النائم لو رأى النبي ﷺ يأمره بشيء لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر • أي فان وافقه قبل وكان الشرع هو الحجة • وان خالفه فهو مردود ككل الهام خالف الشرع • ولا يقال محل هذا ان كانت رؤيته في النوم لا ان كانت في اليقظة على فرض تجويز حصولها وامكانها لمن خصه الله بها من اكابر الأولياء لأنه قد علم أن الشرع ثابت (١) من طريق النقل برواية العدول هو الذي يجب التمسك به وترجى النجاة لمن وفقه الله تعالى للعمل به ••

وصلى الله على سيدنا محمد الحاضر على الدوام والمشاهد بلا حجاب ولا مثال •

فبأى آلاء ربكما تكذبان

مراجع البحث الهامة :

١ — فتح البارى لابن حجر •

٢ — مسلم شرح النووى •

٣ — زاد المسلم للشنقيطي ص ٣ •

٤ — الفتح الربانى للساعاتى جـ ١٧ •

٥ — السراج المنير شرح الجامع الصغير جـ ٣ •

٦ — الزرقانى على المواهب اللدنية •

٧ — المواهب اللدنية للعسقلانى •

٨ — الحاوى للفتا والسيوطى جـ ٢ •

٩ — مشارق الأنوار للعدوى •

١٠ — سعادة الدارين للنبهانى •

١١ — حجة الله على العالمين للنبهانى •

١٢ — المدخل لابن الحاج •

١٣ — نسيم الرياض شرح الشفاء لعياض •

١٤ — حقيقة التوسل للشيخ موسى محمد على •

١٥ — مكارم الاخلاق للطبرسى •

١٦ — الحجج البينات عبد الله الصديق •

١٧ — الروح لابن القيم •

١٨ — العظة والاعتبار للعارف بالله الشيخ احمد محمد حجاب •

بقلم

صلاح الدين عبد الحميد الهادى

مدرسة الجمعية الاعدادية بطنطا

صورة من آخر ما وصل إليه البحث في أبي هريرة

للأستاذ عبد المنعم حافظ فوده

ورحم الله ورضى عن سيدنا أبى هريرة فان معاول هدم تلقفتها ايد من قومنا تحركها عقول من غيرنا ارادت ان تمحو تراث هذا الصحابى الجليل ، فان لم تستطع فلا أقل من ان تذبذب مراكز الثقة به فى نفوس المسلمين ·

وليس عجبا أن يُخيّب الله ــ جل وعلا ــ الهدف فى جانبيه ، ويبقى ابو هريرة ــ رضى الله عنه ــ صرحا شامخا ، نذكره متادبين على يديه منتفعين بعلمه مترحمين عليه عملا بقول ربنا ــ عز وجل :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (١) ·

وقد يكون ــ فى حياته رضوان الله عليه اكثر من طرفة :

كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يستبقى من أسماء صحابته ــ رضوان الله عليهم ــ ما أضيف أو لحق بمعبود جاهلى ، فكان ــ صلوات الله وسلامه عليه يغير تلك الأسماء بأخرى اسلامية، وفى اسمه خلاف كبير لعله أكبر خلاف فى اسم صحابى رضوان الله عليهم فلم يبق الا « ابو هريرة » اللفظ الذى لم يقع فيه خلاف (٢) ·

(١) الحشر ــ ١٠ ــ

(٢ ــ ٢) عز الدين بن الاثير الجزرى ــ أسد الغابة ٦/٢١٩ ·

قال ابن اسحاق :

قال لى بعض أصحابنا عن أبى هريرة : كان اسمى في الجاهلية عبدشمس ، فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وانما كنيت بـ « أبى هريرة » لأنى وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لى :

أنت أبو هريرة (٣) .

قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه :

لما قدمت على رسول الله ﷺ قلت في الطريق :

ياليلة من طولها وعنائها
على أنها من دارة الكفر نجت

قال ـ رضى الله عنه :

وأبق منى غلام لى في الطريق ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته ، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لى رسول الله ﷺ :

يا أبا هريرة ، هذا غلامك .

قلت : هو لوجه الله تعالى .. فأعتقته (١).

وأسلم ـ رضى الله عنه ـ عام خيبر ، أى في السنة ـ السابعة من الهجرة ، والتقى في خيبر برسول الله ﷺ ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه جاء خيبر بعد انتهاء أمرها وسقوطها بيد المسلمين (٢) ، وحضوره خيبر مؤكد ، فقد تحدث فيها إلى أبان بن سعيد رضى الله عنه أمام رسول الله ﷺ في (٣) شأن سهامها .

وما مر على أبى هريرة من أحداث دنياه لم يكن بجانب ايمانه بشىء ، حتى لقد استخف به ، وترك فيه دعابة ـ رضوان الله عليه .

روايته عن رسول الله ﷺ

روى الترمذي ـ بسند حسن ـ عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة :

أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه .

الا ما أروع أدب ابن عمر ، وايمانه بصدق أبى هريرة وكثرة حديثه .

نعم الأدب ممن أدبهم رسول الله ﷺ .

وبئس ما صنع قوم أخرجهم الدهر على محبة السوء وأيدى السوء لينالوا من أبى هريرة ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين .

قال أبو هريرة :

كان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق ، وكانت الانصار يشغلهم القيام على أموالهم ، وقال رسول الله ﷺ :

من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى. فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضممته الى فما نسيت شيئا سمعته بعد.» أخرجه البخاري باسناده الى الزهرى بنحوه ـ كتاب

(١) راجع مسند احمد ٢٨٦/٢ ، واسد الغابة ٤٤٧/٦ مطبعة الشعب .
(٢) راجع لابن كثير ـ السيرة النبوية ٣/ ٣٩١ ، ٣٩٢ مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥ القاهرة .
(٣) نفس المرجع .

العلم باب حفظ العلم ، وكذلك أخرجه مسلم باسناده الى زهير بن حرب في فضائل أبي هريرة . وفي مسند أحمد ٢/٢٤٠ و٢٧٤ » .

وكان ـ رضي الله عنه ـ شديد الحفظ والضبط ، فاجلة مروان بن الحكم ، وجعل يسأله ، وأوصى مولاه سالم أن يكتب كل مايقول أبو هريرة .

وأكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ فترك لنا تراثا هو تراث رسول الله ﷺ هذا التراث الذي عز على قوم أن يكون للمسلمين فودوا لو أهدروه ، وليس عجيبا أن يصدر ذلك منهم فهم مفرطون لكل ما بأيدينا من تراث له قيمته الحضارية في شتى صنوف حياتنا .

آخر كتفا العلم .

وعلى كثرة ما روى أبو هريرة من حديث أثبت البحث العلمي حديثا ـ في شأنه ـ أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه لم ينفرد بحديث واحد عن رسول الله ﷺ فأين الهدامون ... ؟

سوف يخفون أنفسهم كالعادة ، وتبقى الحقيقة ساطعة جلية .

ناقش فضيلة الدكتور عبد الوهاب البحيري رسالة في الحديث الشريف بجامعة مكة المكرمة كانت في لب هذا الموضوع ، وعني فيها « الطالب » أن يبين ـ في بحثه ـ أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه لم ينفرد بحديث ، فكان يأتي بالحديث مرويا عن أبي هريرة ... ثم هو هو مرويا عن صحابي آخر ونضرب لذلك بعض الأمثلة ، فإن المقال يضيق بالحصر .

حديث أبي هريرة في نجاة نوح يوم عاشوراء رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهم (١) .

وحديث بعث رسول الله ﷺ أميرا على خيبر من الأنصار ، قال البخاري : وقال الدراوردي عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه ـ أي بـه .

حديث : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » رواه أبو هريرة وعبد الله بن عمر ، وأبو موسى الأشعري .

حديث « اطعام الخادم » رواه أبو هريرة وعبد الله وهكذا !

فليس هناك حديث واحد انفرد به أبو هريرة وقد أكد هذه الحقيقة شيخنا الأستاذ محمد علي أحمدين ـ رحمه الله .

روايته ـ رضي الله عنه ، ووفاته :

روى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة ـ رضي الله عنهم .

وروى عن أبي هريرة خلق كثير نحو ثمانمائة رجل بين صاحب وتابع وتوفي رضي الله تعالى عنه بالعقيق قريبا من المدينة المنورة وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

وحمل الى المدينة وصلى عليه الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان أمير المدينة وقد يعني ذلك أنه دفن بالبقيع ـ رضي الله تعالى عنه .

عبد المنعم حافظ فودة

---

(١) راجع لابن حجر ـ فتح الباري ٤/٢٤٧ ، ٢٤٨ الطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠ .

الايمان والعمل الصالح

ان الايمان : نور ربانى ، وضوء يشع فى جنبات القلوب ، فيحيى مواتها ، ويجدد عزيمتها ، ويمدها بطاقة من الحيوية والقوة ، ويفيض عليها : حب الله وحب رسوله ، والجهاد فى سبيله والتمسك بدينه ، قال الله تعالى :

« أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا » .

الأنعام : ١٢٢ .

وقال جل شأنه :

« قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » التوبة : ٢٤ .

ان جوهر الايمان : هو معرفة صادقة ، واقتناع خاشع ، يتخلل كيان الانسان ، ويستقر فى وجدانه ، ليصير قوة دافعة : الى الاستقامة والعمل الصالح ، وطاقة هائلة : تنظمها ارادة خيرة ، وبصيرة نيرة ، وعقل مستنير .

روى مسلم عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؟ قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

وعندئذ تكون النفس مؤمنة مستعدة لتحمل المسئوليات والتضحيات ، تجتاز بنجاح : الكثير من : الاختبارات والامتحانات ، قال تعالى :

« الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ »

العنكبوت : ١ ــ ٣ .

وعلى قدر قوة ايمان المرء : يكون ثباته أمام المصاب ، وتغلبه على الشدائد والعقبات ،

بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام للدعوة والإعلام الديني بالأزهر

قال تعالى : « قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ». التوبة : ٥١ .

وفد قوم على رسول الله ﷺ ، فقال لهم : « ما أنتم ؟ قالوا مؤمنون . قال : ان لكل قول حقيقة . فما حقيقة قولكم وايمانكم ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء ، فقال : حكماء علماء : كادوا من فقههم : أن يكونوا أنبياء »(١)

الايمـان : هو ما وقر في القلب وصدقه العمل : وهو تعريف جامع لمعاني الايمان بأنه : قول وعمل واعتقاد ، وقال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » الأنفال : ٢-٤

وروى الامام أحمد في مسنده عن عمرو بن عنبسة قال « جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . قال : فأي الاسلام أفضل ؟ قال : الايمان . قال : وما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : فأي الاعمال أفضل ؟ قال : الهجرة . قال فما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء . قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد » .

ان الايمان : أشبه ما يكون بشجرة كبيرة مباركة : أصلها ثابت وفرعها في السماء .

جذور هذه الشجرة وأصولها الضاربة في باطن الارض ، والتي تعطيها : النماء والقوة والحيوية : هي العلم والبحث والنظر والتأمل والتفكير ، روى في الصحيح : « أن بلالا رضي الله عنه جاء يؤذن النبي ﷺ بصلاة الصبح ، فوجده يبكي ، فسأله عن سبب بكائه ؟ فقال : وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله على في هذه الليلة :

---

(١) حديث علماء حكماء الخ اخرجه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف - ابن حجر احياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ طبع دار احياء الكتب العربية الحلبي .

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »

آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

ثم قال :

ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » (١) .

وقال تعالى :

« أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ » ق ٦ — ٨

وثمار هذه الشجرة الطيبة : هي العمل الصالح : الذي يتمثل في السلوك الحميد ، واللسان العف والقلب النظيف ، والضمير الحي ، والسمعة الطيبة ، والمعاملة الحسنة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان .

ان تشبيه الايمان بالشجرة الثابتة الجذور ، الباسقة الفروع ، الدانية الثمرات : تنطق به الآية الكريمة :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »

ابراهيم ٢٤ ، ٢٥ .

العمل الصالح

وأما العمل الصالح : فانه يشمل كل طاعة ، وكل عبادة ، وقد حث الشرع عليه ورغب في المسارعة اليه قبل حلول المعوقات ، قال تعالى: **« فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً »** البقرة : ١٤٨ . وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ، ويصبح كافرا : يبيع دينه بعرض من الدنيا »وقال رسول الله ﷺ : « الأعمال محصاة : لن يهمل منها صغيرة، ولا كبيرة ، فاكثروا من صالح العمل » (٢) .

وقال ﷺ : « ان الله يحب صالح الأعمال ، ويكره سفسافها » (٣) .

(١) الحديث اخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء .. الشرح اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين للزبيدي ج ٩ ص ٤٧ طبع دار احياء التراث العربي — بيروت .

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ — الباجوري

وقال تعالى على لسان خليل الرحمن ابراهيم على نبينا أفضل الصلاة والسلام : « رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » الشعراء : ٨٣ . وقال في معرض التبشير باسحاق : « وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » الصافات : ١١٢ .. وقال على لسان يوسف عليه السلام : « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي من تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » .

يوسف : ١٠١

وبين أن صلاح الآباء والاجداد : ينفع الذرية والاحفاد ، قال تعالى : « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ »

الكهف : ٨٢ .

وهذا نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام مع علو شأنه ، وسمو منزلته ، ورفعة قدره : يطلب من الله عز وجل : أن يجعله مداوما على الشكر له ، والثناء عليه ، كما يطلب منه أن يجعله مداوما على العمل الصالح : الذى يحبه ويرضاه ، ولم يغتر بعمله بل طلب من ربه : الزيادة والمعونة والفضل ، حتى يدخل فى عداد الصالحين ، قال تعالى :

« حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » النمل ١٨ ، ١٩ .

ان الحياة جهاد : ولا مفر من العمل ، ومن لم يعمل لسعادته : سخر لشقائه ، ومن لم يملك هواه : ملكه فأرداه ، والأرض لا يرثها : الا الصالحون لعمارتها ، وقيام العدل فيها والرحمة بأهلها ، قال تعالى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » الأنبياء ١٠٥ .

وقد وعد الله المؤمنين الصالحين : بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم، وانالهم مآربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » النور ٥٥ .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

---

(٣) الحديث اخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب الايمان ج ١ ص ٤٨ طبع دار الفكر بلفظ : ان الله كريم يحب الكرم ، ومعالى الأخلاق ، ويكره سفسافها .. وحكم عليه بالصحة ووافقه الذهبى . الباجورى .

الإخلاص وقوة الاستمرار

٢

الاخلاص من الصفات الروحية التى ترفع من شأن الانسان ، وتجعل له مكانة سامية ، ترضى عنه الله ، ويحبه الناس .

وهو يزج بصاحبه الى ميادين الخير والبر ، ويدفعه الى مداومة العمل واتقانه والاستمرار فيه .

ان الأمة الاسلامية كوحدة ، يعمل أفرادها فى سبيل خيرها واسعادها ورقيها ، وبعث أمجادها ، وهى مطالبة بالاخلاص لتحقيق الأهداف التى تعمل من أجلها .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رجلا قال : يارسول الله : رجل يريد الجهاد ، وهو يريد عرضا من عرض الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ لا أجر له ، فأعادها عليه ثلاثا والنبى ﷺ يقول : لا أجر له) (١) .

وعن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله،الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن قاتل فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)(٢) وكفى بالاخلاص فضلا ، وشرفا ، أنه يتوج صاحبه بتاج المهابة والوقار ، ويدمجه فى سلك المؤمنين الأخيار ، قال تعالى :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

١ ــ رواه أبو داود .

٢ ــ رواه البخارى ومسلم .

للشيخ محمد صابر البرديسى

الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (١) .

واذا كان الإخلاص خير سبيل لخلاص صاحبه ونجاته من النار فى الآخرة فهو أعظم وسيلة فى الدنيا للحيلولة بينه وبين مصائبه ، ونيران فتنتها ، وبدونه لا يكون للاعمال قيمة ، ولا للجهاد ثمرة .

عن ثوبان (رضى الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء) (٢) .

وقد أقسم الشيطان أن يغوى كل انسان ، لكنه باء بخسر مع المخلصين ، وقد ساق المولى — عز وجل — قسمه وبين غوايته :

« قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » (٣) .

فأولئك الذين ليس للشيطان عليهم سبيل « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » (٤).

ان الاخلاص روح العمل ، فاذا أخلص المسلم فى عمله ، كان فى عمله بركة ومكنه الله من المداومة عليه ، وهو مع المداومة يعظم ثوابه وان قل ، والقليل الى القليل كثير .

وهذا سر من الأسرار تجلى للمصطفى عليه الصلاة والسلام فلزمه ودعا اليه ، ففى البخاري من كتاب « الرقاق » .

« أن عائشة « رضى الله عنها » سئلت ، أى العمل كان أحب الى النبى ﷺ ؟ .

قالت : الدائم * وقالت كان أحب العمل الى رسول الله ﷺ الذى يدوم عليه صاحبه .

(جـ) الصبر وقوة الاستمرار :

الصبر هو حبس النفس عن الجزع ، ومنعها من محارم الله ، أو هو ثبات القوة المضادة للشهوة فى مقاومتها .

وهو من الفضائل الخلقية ، وهو النفحة الروحية التى يعتصم بها المؤمن ، فتخفف من بأسائه ، وتدخل قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسما لجراحاته التى يتألم منها .

---

١ — النساء — ١٤٦ .
٢ — الجامع الصغير للامام السيوطى — ٥٢٨٦
٣ — سورة ص — ٨٣ .
٤ — الحجر — ٤٢ .

لهذا أحب الله الصابرين ، وزادهم من فضله ، قال تعالى :

« وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .

وقال تعالى :

« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » (٢) .

والصابرون مؤيدون بمعونة من الله ، قال تعالى :

« وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (٣) .

وقد يكون الصبر حلوا فقد يبتلى الله المؤمن ، ويمتحن صبره فتحطيه قوة ايمانه من الرجاء به ما تخالط حلاوته مرارة البلوى حتى تغلبها ، وقد يأنس بالمصيبة لعظم رجائه وصبره .

عن أبي سعيد انه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة ، فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك يارسول الله ، قال : إنّا كذلك يشدد علينا البلاء ، ويضاعف لنا الأجر . ثم قال : يارسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال العلماء قال : ثم من ؟ قال : الصالحون » الى أن قال : (ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء) (٤) .

والمسلم لا يكون مسلما حقا الا اذا بلغ درجة اليقين من الايمان ومتى بلغ المسلم هذه الدرجة من الصبر كان ذلك ايذانا بالاعزاز الربانى ، والعناية الالهية ، والانس الحبيب ، الذى يمسح على مشقات الطريق مسحا ، ويجعل الصبر عليها أمرا محببا .

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا »

وهذا التعبير فيه اعزاز خاص . وأنس خاص . وهو مقام يعلو كل مقام .

هذه لمحات من قوى الاستمرار : الارادة ... والاخلاص .. والصبر فيها العزاء للقلوب ، والشفاء للنفوس ، وفيها النجاح فى هذه الحياة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

محمد صابر البرديسى

---

١ ــ النحل آية ٩٦ .
٢ ــ الزمر آية ١٠ .
٣ ــ هود ــ ١١٥ .

٤ ــ رواه ابن ماجه وابن ابى الدنيا والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم ــ سورة الطور آية ٤٨ .

في الشريعة

الشريعة وما يراد لها

حقوق غير المسلمين في ظل
تقنين الشريعة الإسلامية

من أعلام الأزهر

الشريعة

وقارئها في الرأي الغربي

دائرة المعارف الأمريكية

اتيح لى ان اراجع مادة « اسلام » Islam

بدائرة المعارف الامريكية ، فى طبعتين من طبعاتها : احداهما : طبعة سنة ١٩٦٠ م (١) ، والاخرى : طبعة سنة ١٩٧٢ م (٢) .

وقد اختلفت الكتابة فيهما عن الاسلام — وعن الشريعة الاسلامية — اختلافا بينا .

وربما كان السبب فى اختلاف نبرة الحديث بينهما هو اختلاف النظر أو الرأى بين كاتب وآخر ، أو هو اتجاه الهيئة المشرفة على هذه الموسوعة الى تحرى الحق ، وصواب الرأى ، والانصاف فى الحكم على الشعوب الشرقية .

أو أنه منهج السياسة العالمية الحاضرة التى تباعد نزعات التعصب ، وتهيىء أجواء التقارب ، وتستهدف تحسين العلاقات ، وتحقيق المصالح المشتركة بين الأقطار .

لقد كتب المادة فى دائرة المعارف الأمريكية

---

(١) Encyclopeadia Americana — Copyrights 1960 - vol. 15.

(٢) لاتزال المادة على ما هى عليه من هذه الموسوعة ، لم تتغير فى الطبعات التالية لطبعة سنة ١٩٧٢ ، وحتى طبعة ١٩٨٣ م .

لسنة ١٩٦٠ المستشرق فيليب (١) حتى في سياق غير منتظم ، يدفع القضايا به مرسلة بغير دليل ، ويطلق الأحكام عارية عن قيودها ، ميلا الى الطعن في الاسلام أو التعريض به .

ومن هذا ما تحدث به الكاتب تحت عنوان : « قانون الزواج » فقال : « ان الاسلام أباح تعدد الزوجات ، والتسرى بالاماء .. » ، وان المجتمعات الاسلامية المتحضرة تتجه الآن في التشريع اتجاها قويا نحو منع تعدد الزوجات » .

وأضاف : « أن الشريعة توجب على الرجل أن يعدل بين زوجاته ، ويسوى بينهن ، وان المرأة ترضى بوضعها الأدنى من وضع الرجل ، وانها مخصصة للمتعة ، وهذا أمر يتصل بنظام الحريم السابق للاسلام » .

وأضاف أيضا : « ان حق الطلاق في الشريعة الاسلامية حق مطلق للزوج ، وان المرأة قد أعطيت — مؤخرا — حق طلب فسخ الزواج في ظل ظروف معينة ، وهذا حق لم تكن تتمتع به من قبل » (٢) .

وتحت عنوان : التشريع الجنائي : —

ذكرت — الموسوعة — لسنة ١٩٦٠ أن التشريع الجنائي في القرآن قد تبع في أحكامه اتجاه الساميين في العقوبات ، وهي أحكام تختلف باختلاف الحالات ، ولا تشكل قاعدة شاملة منتظمة .

واستشهدت الموسوعة بقوله تعالى في سورة المائدة :

« وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ » .

وقوله سبحانه في سورة المائدة أيضا :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ » .

وأضافت الموسوعة : « لقد طبقت المجتمعات الاسلامية اليوم — في كل مكان — قوانين أكثر تحررا ، قوانين مستمدة من النظم

---

(١) الدكتور فيليب حتى ولد PHILIP — K — HITTI. في لبنان عام ١٨٨٦ م فهو لبناني الاصل . امريكي الجنسية . تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٠٨ م
ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩١٥ وعين مدرسا بقسمها الشرقي من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩١٩ . ثم استاذا بالجامعة الامريكية في بيروت حتى سنة ١٩٢٥ .
وتقلد عدة مناصب بالجامعات الامريكية ، استاذا مساعدا للآداب السامية ، فاستاذا ، واستاذ كرسي للغات الشرقية ، ثم رئيسا لقسم اللغات والآداب الشرقية ، ثم احيل الى التقاعد ، فاشتغل بعدئذ استاذا زائرا بجامعة هارفارد ، وعضوا بمجلس أمناء الجامعة الامريكية ببيروت .

(٢) من الواضح اننا نحكي دعاوى الكاتب — مترجمة — ومن الواضح أن هذه الدعاوى في عمومها لا تمثل الحقيقة .

الأوربية ، وأوضح الأمثلة لهذه المجتمعات تركيا الحديثة .

وتحت عنوان : مصادر التشريع غير القرآنية : ـ

تحدثت الموسوعة عن السنة ، وأنها المصدر الثاني للتشريع ، ثم قالت : « وتأتي بعد ذلك العادات المستقرة في المجتمعات الاسلامية ، وهي التي أحدثت التطور الاجتماعي ، والسياسي للاسلام حيثما حل ، وهي التي أمدته بالعناصر الجديدة في بنائه الاجتماعي والسياسي .. ..

وهي عادات قديمة ، مارسها العبريون والآراميون ، وعناصر أخرى من الساميين (١) .

وتحت عنوان : تطبيق القوانين المحلية :

قالت الموسوعة : « لقد خرج المجتمع الاسلامي الصغير من المدينة ـ (أي المدينة المنورة) ـ وامتدت به الآفاق حتى غطى الجزيرة العربية بكاملها ، ثم نما هذا المجتمع ، وواصل زحفه متجها الى الشمال ، فسيطر على شمال أفريقيا ، وجنوب شرق أوربا ، وغرب ، ووسط آسيا .

وأصبح واضحا أن الشريعة لا تستطيع أن تعمل هنا بسبب عدم كفايتها لمواجهة المشكلات الضخمة والعديدة في الجوانب السياسية ، والاقتصادية التي واجهت دولة الخلافة في أطرافها البعيدة المتناثرة .

وكان من الطبيعي في الولايات الاسلامية الجديدة ، أن يستكمل النقص في الشريعة (٢) بتطبيق كثير من تنظيمات البلاد المفتوحة ، وما قد يحتاج اليه من القوانين المحلية ، ومناهج التشريع فيها .

وعندما انتقلت الخلافة الى سوريا احتفظ المسلمون بمجموعات من الموظفين المسيحيين من أهل هذا البلد .

هذه المجموعات ظلت تعمل على النظام البيزنطي ، واستمرت لبعض الوقت تكتب سجلاتها باليونانية في الشئون الادارية ، والضرائبية ، وظل هذا المنهج سائدا ، لم يتغير الا في قليل من المقاطعات .

فلما انتقل الحكم الى العراق طبقت القواعد الفارسية ، ونظام حكم الوزراء وحكام المقاطعات .

وورث الحكم العثماني قوانين بيزنطية ، واتخذ النماذج السياسية البيزنطية .

(١) هذه دعاوى باطلة يرددها المستشرقون اليهود ، ومن يجري في فلكهم ، او ينقل عنهم ، والمقام لا يحتمل تفنيدها ، وقد أوضحنا أننا بسبيل عرض الرأي الغربي كما ورد في مصادره دون أن نتدخل فيه ، ومهمتنا الآن هي جمع الآراء الغربية لتكتمل بها الصورة التي تراد للشريعة لدى القوم.

(٢) ستقرأ فيما كتبته دائرة المعارف الامريكية طبعة ١٩٧٢ م ما يكذب هذه المزاعم الفاسدة .

وقد أخذت نظم الحكم والادارة طريقا طويلا ، عبر أجيال متتابعة ، حتى وصلت الى الحكومات الاسلامية المعاصرة فى آسيا ، وأفريقيا ، وأوربا .

هذا الطريق الطويل لم يحدد القرآن أو السنة معالمه بمقدار كبير ، ولكن ضغط الأحداث فى المواقع الجديدة هى التى رسمته ، وحددت معالمه (١) .

أما دائرة المعارف الأمريكية طبعة سنة ١٩٧٢ (٢) وما وليها من سنوات حتى سنة ١٩٨٣ فقد كتب « المادة » فيها المستشرق : تشارلز ـ ج ـ آدمز (٣) ، فجاء الحديث فيها عن الاسلام هذه المرة غاية فى الدقة ، والنظام ، وسمو العبارة ، وعفتها . لم يعمد الكاتب فيها الى تجريح الاسلام ، أو التعريض به ، أو الغض من شأن المسلمين ، بل كان الأمر على العكس من هذا ، فقد تحدث الكاتب عن الاسلام برأى واضح ، وبصر نافذ ، وعبارة رشيقة عفة ، توحى بالاحترام ، واحترام نبى الاسلام ﷺ على وجه الخصوص .

كذلك نبه الكاتب الى أهمية شأن المسلمين اليوم ، وأبدى اعجابه بهم فى يقظتهم الحاضرة ، وفى ثبات عقيدتهم ، وحميتهم الدينية .

والحق أن ما كتبته دائرة المعارف الأمريكية عن الاسلام فى طبعاتها لسنة ١٩٧٢ ، والسنوات التالية لها حتى الآن ، هو من أفضل ، وأدق ما كتبته الموسوعات الغربية ، بل والموسوعات عامة فى الموضوع .

لقد جعلت الموسوعة حديثها عن القانون مدخلا للحديث عن الشريعة ، فربطت بينه وبين الشريعة فى الاسلام ، ثم ميزت بينهما ورفعت قدر الشريعة ، وتسامت بها عنه فى مفهومه الغربى ... وقالت : ـ

---

(١) ان الأخذ من التراث الحضارى الانسانى فى الشئون الادارية والضرائبية ، والتنظيمية ، وشئون الحكم ، هو أمر أباحته الشريعة ، ما لم يعارض أصلا اسلاميا ، وهذه الشئون فى قواعدها لا تنسب الى الشريعة الا من جهة كونها واقعة تحت حكم الاباحة ، من مثل طرائق الزراعة والصناعة ، وما اليهما .. مثلا .. ولا يعاب على الأصول الشرعية أن لم تنص على هذه الشئون تفصيلا .. بل ان هذا يعد من مفاخر التشريع الاسلامى .. ولكن .. ماذا نقول لغفلات الهوى المتعصب .. ؟؟

(٢)
(1) Encyclopeadia Americana — Copyrights 1972 and so on... Till 1983.

(٣) المستشرق : تشارلز ادمز من جامعة ماكجيل بالولايات المتحدة الامريكية ولد فى عام ١٨٨٣ فى بلدة من أعمال ولاية بنسلفانيا ، وتلقى دروسه الجامعية فى كلية « وست منستر » ثم قدم الى مصر ، وأقام فيها من سنة ١٩٠٩ حتى ١٩١٥ . ولما رجع الى الولايات المتحدة أكب على دراسة اللغة العربية فى جامعة هارت فورد ، على يد ماكدونالد ، ثم تخرج فيها ، وفى العلوم الاسلامية من جامعة شيكاغو ، على يد سبرنج لنج ، ثم عين مديرا للمدرسة اللاهوتية بالعباسية بمصر ، ثم انتدب عميدا لمعهد الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ، وتقلب فى مناصب التدريس ، حتى اختير مديرا لمعهد الدراسات الأسيوية بجامعة ماكجيل سنة ١٩٦٣ .
وأهم كتبه : « الاسلام والتجديد فى مصر » وله دراسات أخرى عن الاسلام .
Islam in The Modern World

ان القانون يقع بمنزلة القلب من الموضوعات ، والمباحث الاسلامية ذات الأهمية ، ذلك أن الاسلام طريق عملي للحياة السامية ، ومن ثم فان المسلمين يستلهمون من دينهم التوجيه في جميع أعمالهم في هذه الحياة ، طلبا لرضا الله في الدنيا ، وأملا في الفوز بالآخرة .

والقانون الاسلامي هو مجموعات من القواعد التي استنبطها المسلمون من المصادر الأساسية الارشادية ، سواء ما أمر به الاسلام أو ما نهى عنه .

والاسم المستعمل للقانون الاسلامي هو : الشريعة . وتعني لغويا الطريق .

وعلى هذا يمكن تعريف الشريعة على هذا الأساس اللغوي بأنها « الطريق الذي يريد الله للانسان أن يسلكه في حياته » .

ان أحكام الشريعة نزلت من عند الله ، أي أن ارادة الله هي التي حددتها في الأزل . والشريعة تحدد بدقة الصواب والخطأ في السلوك البشري في جميع الشئون ، وتحدد قيمة كل سلوك انساني .

فما من عمل انساني الا ويقع تحت حكم من أحكام الشريعة ، دون استثناء ، أو تخلف لهذه القاعدة العامة .

والأعمال مرتبة في درجاتها بين فرض ، ومندوب ، ومباح ، ومكروه ، وحرام ولا نجد جهودا — (بشرية أو تقنينية) — استطاعت أن تصل في تحديد مراتب العمل الانساني الى أكثر مما حددته الشريعة الاسلامية .

والشريعة تقوم على أساس أن الانسان غير مهيأ — اذا لم يجد العون من الله — أن يميز بعقله — المجرد — تمييزا دقيقا ، وكاملا بين الحسن والقبيح ، ومن أجل هذا أرسل الله الرسل لهداية الناس ، ومن أجل هذا أيضا كان التشريع في الأصل لله ، وكانت أحكام الشريعة تعبدية ، لا تخضع خضوعا كاملا للنقد أو للتحليل العقلي ، أو لمثل محاولات المعتزلة في تعليل الأحكام .

ان الشريعة تجمع العنصرين : عنصر الوحي السماوي ، والعنصر القانوني العملي ، ومن ثم فانها أبدية خالدة ، وهي — دائما بموضع الثقة الكاملة ، بوصفها القاعدة الأساسية لحضارة الاسلامية في مختلف العصور .

وهذا يفسر الدقة ، والثقة ، والأمان الذي يشعر به المسلمون ويطمئنون به الى الحق في طريق الحياة .

ان مضمون الشريعة أوسع بكثير من مضمون القانون بمعناه الحديث ، انها تشمل أحكام العبادات ، وتنظم الشئون السياسية والاجتماعية ، وكذلك الحياة الخاصة .

وتشمل العقيدة في اطارها العام ، وان كان علم الكلام قد استقل ، وانفرد ببحث خاص .

ومن بين ما تشمله الشريعة مما يقع تحت أحكام الطلب ، أو الاباحة ، أو النهي بها أنواع الطعام والثياب . وأنماط السلوك . مما يظن اليوم أنه خارج عن نطاق القانون .

والمسلمون عادة ما يقسمون الشريعة الاسلامية الى عبادات ، ومعاملات ، فالعبادات هى الواجبات على الناس لله من طرائق العبادة ، وما يدخل فى مفهومها ، والمعاملات هى الواجبات ذات الطابع العملى تجاه الناس وتجاه المجتمع .

وليس هناك جانب من هذين ــ أى العبادات والمعاملات ــ أهم من الآخر ، فكلاهما قد جاء الأمر به من الله .

ان الشريعة تمتاز عن القانون بمفهومه الحديث ، وتختلف عنه اختلافا كبيرا .

فان القانون تضعه الدولة عادة ، وتطبقه الأجهزة السياسية والتنفيذية ، ويأتى تطبيقه فى نطاق حدود الوطن .

لكن هذه الحقائق والخصائص القانونية لا يصح نسبتها الى الشريعة ، فان الشريعة لا توضع من جهة الدولة ، فضلا عن أن الناس يخاطبون بأحكامها دون حدود أرضية ، كذلك فانهم مسئولون عن تطبيقها أفرادا ، وأمام الله مباشرة .

ثم تحدثت الموسوعة عن المذاهب الأربعة ، وأئمتها ، والفوارق بينها ، ــ فى اجمال ــ وعن مواطن انتشار هذه المذاهب فى أقطار العالم .

وأضافت : « انه بعد ظهور المذاهب الأربعة ساد اعتقاد بين المسلمين أن باب الاجتهاد فى تفسير النصوص الشرعية قد أغلق ، فلجأوا الى التقليد بدلا منه .

واستمر التقليد الى عهد حديث جدا ، فكان معظم المسلمين يوافقون على أن حق الاجتهاد قد سحب من رجال القانون ، ومن كبار العلماء والفقهاء أيضا .

لكن المحدثين ــ بتسكين الحاء وفتح الدال ــ والمتحضرين من المسلمين يهاجمون اليوم هذا الرأى الذى يرجع الى العصور الوسطى ، وينادون بأنه يحق لمن تأهل للاجتهاد أن يعود الى مصادر الشريعة فيفحصها ، ويستنبط منها .

وفى وقتنا الحاضر نرى نفوذ الشريعة ، وسلطانها قد تراجع فى معظم الأقطار الاسلامية ، ونرى الدول الاسلامية الحديثة تطبق مجموعات قانونية تعتمد غالبا على النماذج الاوربية ، بدلا من الشريعة الاسلامية .

فاذا احتفظت هذه الدول للشريعة بمكان جعلته ضعيف الشأن ، وخصته بالأحوال الشخصية وحدها .

واذا كانت الشريعة لاتزال تحكم فى شئون الزواج والطلاق ، فان جهودا ضخمة تبذل الآن فى سبيل التغيير ، ولايجاد الطرق الملائمة لتطبيق الشريعة فى العصر الحديث .

وتحت عنوان : الاسلام فى العالم الحديث
Islam in The Modern World.

قالت الموسوعة : « ان أعظم الحقائق أهمية فى حياة الشعوب الاسلامية فى العصر الحديث هى نهضة المسلمين ، وبعثهم من جديد ثقافيا ،

وسياسيا ، بعد أن سيطرت عليهم القوى الاستعمارية الأوربية ، وبعد أن تمزقوا أمام تأثير الحضارة الغربية الشاملة .

ففي القرن الثامن عشر كانت هناك ثلاث امبراطوريات اسلامية كبرى : امبراطورية الأتراك العثمانيين في الشرق الأوسط ، وحوض البحر الأبيض المتوسط ، والامبراطورية الصفوية في ايران ، وامبراطورية المغول في الهند .

وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت هذه الامبراطوريات الثلاث قد دمرت ، أو أصابها الضعف الى حد كبير .

ذلك أن القوى الأوربية استطاعت أن تحتل اجزاء كبيرة من أرضها ، وأن تسيطر عليها عسكريا ، واقتصاديا .

وفي منتصف القرن العشرين ظهر عكس هذا الاتجاه ، فقد أختفى الاستعمار — بمعناه الدقيق — من رقعة العالم الاسلامي ، وتفجرت سلسلة من حركات الاستقلال في البلاد الاسلامية ، عبر منطقة استراتيجية مهمة في العالم ، فهي تمتد من اندونيسيا حتى المحيط الأطلنطي ، ولا نجد اليوم جماعات اسلامية كبيرة تخضع لسيطرة ، أو سياسة استعمارية، أو قوى خارجة عنها .

لقد كان تحقيق الاستقلال السياسي ، ونمو الشعور القومي بين المسلمين مصاحبا لنهضة ثقافية .

ولقد رجع المسلمون مرة أخرى الى ماضيهم ، وتراثهم العريق ، بحثا عن ذاتيتهم ، وعما يرشدهم في محاولاتهم لمواجهة الظروف الجديدة في العالم الحديث ، وذلك بعد أن أمضوا عدة قرون من الركود بدوا فيها كما لو كانوا قد فقدوا نشاط الحياة .

ان الاسلام يقف اليوم على مشارف النهضة ، وان المسلمين — وهم يشكلون سبع ، أو أكثر من سبع سكان العالم — يتزايدون كل يوم تعدادا ، وأهمية ، وثروة .

وان الحيوية الجديدة للمسلمين أدت كذلك الى يقظة دينية بينهم ، بدافع من أحاسيس الضعف الداخلي ، والضغط الخارجي ، فاستشرفوا لتجديد ، وتنقية جوانب من تراثهم الديني ، واصلاح جوانب أخرى .

وان أعظم ما يلاحظ ويسجل اليوم ما نراه لدى المسلمين في القرن العشرين من اخلاص عميق للاسلام ، في وقت ضعف فيه الاحتفال بالأديان عموما .

ان الاسلام يستعيد قوته ، وحيويته ، وانه هو أكبر دافع للمسلمين أن يحققوا لأنفسهم مكانة أفضل بين الناس في العالم .

وان الاسلام ليبدي في عصرنا الحديث رغبة شديدة في الدفاع عن نفسه ، تجاه النقد ، والنقد الموجه اليه من الغرب بصفة خاصة . ومن ثم فاننا نرى آلافا من الكتب التي

صدرت في هذا العصر ، لتثبت عظمة النبي ﷺ ولتثبت تفوق الاسلام بصفة عـامة — على ما عداه من نظم الحياة ٠

ولقد تفجرت في كل قطر اسلامي حركات منظمة للبحث ، واحياء القيم ، والمبادىء الاسلامية ، وهي حركات تشهد باهتمام المسلمين بتراثهم الديني من جديد » ٠ أ هـ

وفي تعقيبنا على ما كتبته دائرة المعارف الامريكية نلحظ فارقا كبيرا بين ما جاء بها عن الشريعة الاسلامية في طبعتها لسنة ١٩٦٠ ، وطبعاتها لسنة ١٩٧٣ ، وما بعدها ٠

وسوف لا نلتفت الى ما جاء عن الشريعة في طبعة سنة ١٩٦٠ ، فانه — على سطحيته ، وفقره الى التدقيق العلمي — لا يخرج عن كونه ترديدا لمزاعم القدامى من المتعصبين الغربيين ضد الاسلام ٠

انما يعنينا الآن أن نركز النظر في فقرات وردت بمقالة هذه الموسوعة في طبعتها لسنة ١٩٧٣ ، وهي فقرات تتصل بموضوعنا — أي بما يراد للشريعة في الرأى الغربي — ومن بينها : —

١ — أن باب الاجتهاد في تفسير النصوص الشرعية قد أغلق منذ اكتملت المذاهب الأربعة ، وأن التقليد ساد الى عهد حديث جدا ٠

وأن المحدثين المتحضرين من المسلمين ينادون بأنه يحق لمن تأهل للاجتهاد أن يعود لمصادر الشريعة ، فيفحصها ، ويستنبط منها ٠

٢ — أن سلطان الشريعة ، ونفوذها في معظم الأقطار الاسلامية قد تراجع ، وأن الدول الاسلامية تطبق اليوم مجموعات قانونية ، تعتمد غالبا على النماذج الاوربية ٠

فاذا احتفظت هذه الدول للشريعة بمكان ، جعلته ضعيف الشأن ، قاصرا على نطاق الأحوال الشخصية وحدها ٠

واذا كانت الشريعة لاتزال تحكم في شئون الزواج ، والطلاق فان جهودا ضخمة تبذل الآن في سبيل التغيير ، ولايجاد الطرق الملائمة لتطبيق الشريعة في العصر الحديث ٠

ولا يفوتنا أن نلفت النظر الى ما أشادت به الموسوعة ، وأشارت اليه ، من حركات الاحياء والبعث الاسلامية ٠

وأن الاسلام يقف اليوم على مشارف النهضة ، وأن المسلمين يزدادون كل يوم تعدادا ، وأهمية ، وثروة ٠

وأن الحيوية الاسلامية الجديدة — سياسية ، وثقافية — أدت الى يقظة دينية لدى المسلمين ، بدافع من أحاسيس الضعف الداخلي ، والضغط الخارجي ، فهم يستشرفون اليوم لتجديد ، وتنقية جوانب من تراثهم الديني ، ولاصلاح جوانب أخرى ٠

وبالله التوفيق ٠٠

الشيخ محمد حسام الدين

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

انتهينا فى سلسة مقالاتنا السابقة من بيان مدى ما كفلته الشريعة الاسلامية الغراء لغير المسلمين تأكيدا لحرية العقيدة ، وحماية لدمائهم ، وحفظا لأموالهم .

ونود فى هذا المقام ان نبين الحق الرابع من مجموعة الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين ، والتى تكشف عن سمو تلك الشريعة وعدالتها ، وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس اجمعين فى كل زمان ومكان والى ما شاء الله .

وذلك الحق موضوع هذا المقام هو ما يتعلق بحماية الشريعة الاسلامية لاعراض غير المسلمين .

رابعا : حماية اعراض غير المسلمين :

والعرض : مصلحة شرعية ، بل هو من أخطر المصالح التى قررها الشارع سبحانه ، حيث يعتبر واحدا من الضرورات الخمس التى كفلتها الشريعة الاسلامية ، وضمنت لها أبلغ الحماية ، تأكيدا لجلالها عند الله ، وبيانا لخطرها فى حياة الناس ، وقد أشرنا فى مقال سلف (١) بايجاز الى تلك الضرورات الخمس ، أو ما يؤثر كثير من الفقهاء تسميتها «بالكليات الخمس » .

وهى : الدين والنفس ، والعقل ، والمال والعرض ، لان كل واحدة منهما تمثل فى حد ذاتها ضرورة تتوقف عليها حياة الناس فى الدنيا والآخرة ، وبفواتها كلية ، أو ضياع واحدة منها لا يستقيم معنى الحياة (٢) ، ومن ثم فقد كفل الشارع سبحانه لتلك الضرورات ومنها « العرض » ، ما يحفظ قيامها ، ويضمن وجودها فى حياة الناس ليستقيم معناها على منهاج الله ، ويستقر أمرها على طريق الصلاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، ذلك ان مقصود الشارع من الخلق أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ودفعها

(١) راجع مقالنا بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤٠٤ هـ اكتوبر ١٩٨٣ م — ص ٢٧ .

(٢) الموافقات للشاطبى — جـ ٢ ص ٦ .

مصلحة ، وهذه الاصول حفظها واقع فى مرتبة الضرورة : فهى أقوى المراتب فى المصالح التى اعتبرها الشارع (١)، ولهذا كانت تلك الاصول مقررة فى جميع شرائع السماء ، يقول الامام الغزالى « وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها يستحيل الا تشتمل عليه ملة من الملل ، وشريعة من الشرائع التى أريد بها اصلاح الخلق ، ولذا لم تختلف الشرائع فى تحريم الكفر والقتل والزنى والسرقة وشرب الخمر » (٢) ، ومما تجدر الاشارة اليه أن المراد بالمصلحة فى نظر الشريعة ، جلب المنفعة ورفع المضرة فى حدود المحافظة على الاحكام الشرعية ، فاذا ما تعارض تقدير المصلحة مع حكم من احكام الله فلا اعتبار له ، اذ المعول عليه هو الموافقة لحكم الشارع ، فاذا ما وقع الأمر مخالفا له فلن يستأهل وصف المصلحة مهما ظهر من وجوه النفع فيه ، ومن ثم فان ادراك المصلحة فى أمر لا يكون الا لمزاول للشرع واقف على مراميه من شرعية الاحكام ، وعالم بالحلال والحرام ، حتى يستطيع أن يتبين اعتبار الشرع للمصلحة وصلاحيتها لترتيب الحكم على وفقها ، أو عدم اعتباره .

العرض ووجه المصلحة فيه ..

والعرض كما يقرر علماء اللغة : هو جانب الرجل الذى يصونه من نفسه وحسبه ار ينتقص ويثلب ، وسواء كان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره ، أو موضع المدح والذم منه ، أو ما يفتخر به من حسب وشرف ، وقد يراد به الآباء والاجداد والخليقة المحمودة (٣) .

وعند فقهاء الشريعة :

لم اقرأ له تعريفا يوضح ما هيته ، ويمكن تعريفه بأنه : ما قرره الشارع سبحانه لحماية موضع الشرف فى الانسان ، ومن المؤكد أن معناه يرتبط بمكان التناسل من أهله ومحارمه ، ليصان عن التعدى والعبث ، ويرتفع عن اللعب والدنس ، ويكون مولدا للذرية الطاهرة والنسل الشريف ، فيهنأ كل فرد فى أسرته ، ويطمئن كل انسان على ولده ، من ثم تتجلى نعمة الله على البشرية فى أسمى صورها وأرقى معانيها حين جعل الولد من اعظم النعم على الانسان ، ولا يمكن ان تستقيم حياة الناس فى مجتمع يستحل كل واحد فيه عرض أخيه ،

(١) الامام الغزالى المستصفى ـ جـ ١ ص ٢٨٧

(٢) نفس المرجع والمكان السابقين .

(٣) القاموس المحيط ـ جـ ٢ ص ٣٤٧ .

فيستبيح لنفسه العبث بشرف المحرمات العفيفات ، فان من يستمرئ مثل هذا العمل القبيح يرتكب أمرا محرما شرعا نهى الله عنه، وشرع العقوبات الزاجرة له ، ومن شأن هذا الصنيع الذميم ، انه يضيع الحقوق حين يولد وليد فينسب الى رجل لا صلة له به ، وتؤدي الى انتشار العداوة والبغضاء والتقاتل ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (١) .

أى وبئس طريقا وطريقة ومسلكا (٢) .

ولا يخفى ما وراء تقرير كل ذلك من تحقيق الخير للناس واستقرار حياتهم على طريق السعادة فى الدنيا والآخرة ، حين تصان الاعراض ويحفظ النسل ، ولهذا كان العرض مصلحة ، وهذه المصلحة على نحو ما رأينا تقوم على أساس ثابت من شرع الله ، لاستنادها الى المنقول والمعقول فيه .

مقومات حماية الأعراض :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية فى حماية أعراض الناس مسلكا يعكس خطورة المصلحة الكامنة فيه ، وما تكفله من سعادة حقيقية للناس فى دنياهم وأخراهم ، فجاء أسلوب تلك الحماية فى الفقه الاسلامى كاملا متكاملا ، ليحقق أمرين :

أولهما : احترام أعراض الناس على نحو يجسد تلك المقاصد الجليلة فى حياتهم ، ليصون موضع العفة والشرف منها ، ويحمى الحقوق التى تنشأ عنها ، والتى تحتل مكانة مقدسة فى قلوب الناس ، لورود مصدرها عن الشرع القويم ، وموائمة أحكامها للطبع السليم ، وقد جاء هذا المعنى من خلال ماشرعه الله من حل النكاح وتحريم السفاح ، ليكون الزواج هو الطريق الشرعى لاستحلال العرض وصيانة النسب .

ثانيهما : تقرير العقوبة التى تدرأ الاعتداء على أعراض الناس وتمنع وقوعه .

ولا شك أن حماية العرض دون وضع للعقوبة التى تكفل تلك الحماية يجعل منها أمرا نظريا قد لا يتمشى مع ما فطر عليه الطبع عند كثير من الناس ، كما ينأى بفكرته عن غايتها ، ويؤدى الى التطاول عليه ، والاجتراء على انتهاك حرماته .

ويلاحظ من هذين الأمرين أن مقومات حماية العرض يمكن ردها الى اصلين ، سوف نشير اليهما ، ثم نقوم ببيانهما على النحو الذى تقتضيه تلك الدراسة .

الأصل الأول : تشريع وسائل حماية الاعراض :

(١) الاسراء ــ آية ٣٢ .

(٢) تفسير النسفى ــ جـ ٢ ص ٣١٣ ومختصر تفسير كثير ــ جـ ٢ ص ٣٧٦ .

لم يشأ الحق سبحانه ، وقد خلق الانسان لتعمير الكون مدى الحيـــاة والى أن تنتهى الدنيا ، أن يتركه مجـــردا من المبادىء التى تصل به الى تحقيق ذلك الهدف فجاءت أحكام شرعه الحكيم محققة لتلك الغاية وموصـــلة اليها ، وكما شرع الله المعاملات لحفظ الحياة ، شرع لعباده النكاح ليكون وسيلة لبقاء النوع الانسانى ، وطريقا للتناسل والتوالد ، وسبيلا لظهور جيل بعد جيل يعمر الحياة ، ويسعى فى مناكب الأرض بالخير والاصلاح ، والنكاح مع كل تلك المقاصد الجليلة » يهـذب الغريزة ، ويرتقى بالطبع ، ويصل بالنفس الانســـانية الى أقصى آدميتها ، ليكون الانسان به أهلا لشرف الخلافة عن الله عز وجل .

ولهذا كان شأن الزواج خطيرا لأنه هـــو البديل الشرعى للوطء الحرام وهـــو الوجـــه الذى يبغضه الشارع وينهى عنه ، وكـــان فى تشريعه اتمام لتكريم الله للانســـان (١) ، النكاح ـــ اذا ـــ هو مناط الأصـــل الأول فى حماية الأعراض ، ولهذا ينبغى التعريف بـــه بالقدر الذى يبرز هذا المعنى فيه .

تعريف النكاح وبيان آثاره :

والنكاح لغة : هو الضم والجمع (٢) ، ومنه تناكحت الاشجار ، أى تمايلت وانضم بعضها الى بعض ، وقد نقل العلماء فى معنى هـــذا اللفظ أقوالا أربعة ، وهى أن النكاح حقيقة فى العقد مجاز فى الوطء ، لقوله تعالى :

« فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ » (٣) .

والـــوطء لا يجـــوز الا بالأذن ، وقيـــل بالعكس ، أى انه حقيقة فى الوطء مجـــاز فى العقد ، لقوله ﷺ تناكحوا تكثـــروا » (٤) ، وقيل انه مشترك لفظى فيهما ، وقيـــل انـــه بمعنى الضم مطلقا ، والوطء فرد من أفراد الضم ، لأن الضم يشمل ضم الاجســـام الى الاجسام أو ضم الأقوال الى الأقوال ، الأول فى الوطء ، والثانى فى العقد ، ولم يرد النكاح فى القرآن الكريم الا فى العقـــد (٥) .

وفى اصطلاح الفقهاء :

يعرف النكاح بأنه : عقد يفيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخـــر على الـــوجه المشروع (٦) ، وكلمة « عقد » تشمل العقود كلها التى أحلها الله لعباده ، وجملة « يفيـــد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر » ، تخرج غير عقد الزواج من العقـــود الأخرى المتعددة التى شملتها كلمة عقد الســـابقة ، وذلك مثل عقد البيع وعقد الاجـــارة وعقـــد الرهن وغير ذلك من انواع العقود ، وتقييـــد الاستمتاع بعبارة « على الوجـــه المشروع »

(١) راجع فى هذا المعنى « تنظـــيم الاسرة فى الاسلام » للدكتور محمد انيس عبارة ـــ ص ١٨ .
(٢) « القاموس المحيط » ـــ هـ ٢ ـــ ص ٢٦٣ .
(٣) النساء آية ٢٥ .
(٤) « نيل الاوطار » ـــ جـ ٦ ص ١١٥ .
(٥) « سبل السلام » ـــ للصنعانى ـــ جـ ٣ ص ١٠٩ ، « ونيل الأوطار » المرجع والمكان السابقين .
(٦) دكتور محمود الطنطاوى « الاحـــوال الشخصية » ـــ ص ٢٦ ـــ الطبعة الثانية .

يفيدأن الاستمتاع ينبغي أن يكون محدودا بما أمرت به الشريعة ، اذ الاستمتاع المشروع هو الذى تدعو اليه الفطرة السليمة ، وهو بالنسبة للرجل مقصور عليه وحده دون سواه ، فيتمتع بزوجته على الوجه المشروع الذى بينه قول الحق سبحانه وتعالى :

« نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ » (١) .

أما بالنسبة للمرأة فليس الرجل مقصورا عليها وحدها ، بل يجوز له أن يعدد زوجاته على النحو الذى بينه الحق فى كتابه ، ومن ثم فيجوز أن يتمتع بها ويتمتع بزوجة أخرى له غيرها ، تشاركها فى التمتع بهذا الزوج (٢) .

والعقد ، هو مجموع ايجاب احد المتكلمين مع قبول الآخر ، كقول الرجل : زوجتك ابنتى ، فهذا ايجاب ، فاذا قال الآخر : قبلت فهو قبول .

آثار عقد النكاح :

ولا شك أن عقد النكاح اذا تم صحيحا فانه تترتب عليه آثاره فى حل المتعة ، واستحلال العرض ، وبالتالى يكون الطريق الشرعى للمحافظة عليه بالنسبة للمسلمين وغيرهم ، وينبغى أن يكون العقد صحيحا ، والعقد الصحيح هو الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية ، مثل أن يزوج الرجل ابنته لمن خطبها منه ، فيقول زوجتك ابنتى ، ويقول الآخر : قبلت بحيث يسمع كل منهما كلام الآخر ، مع حضور الشهود وسماعهم الكلام الصادر من العاقدين ، ويكون العاقد أهلا باسلامه وبلوغه وعقله ، وأن تكون المرأة التى يرد عليها عقد الزواج حلالا لمن يريد زواجها والا يوجد مانع شرعى ، فبذلك يكون العقد صحيحا ويفيد الحقوق والواجبات التى جعلها الشارع مقصودة من الزواج ، وبذلك تستحق الزوجة المهر والنفقة ، ويملك الزوج حل الاستمتاع بها ويثبت نسب الأولاد ، كما تثبت حرمة المصاهرة ، فلا يحل للرجل أن يتزوج بأمها ولا بينتها وغير ذلك (٣) .

خصائص عقد النكاح :

ولما كان النكاح هو سبيل حماية العرض ، فقد اتسم بمجموعة من السمات التى تبرز فيه هذا المعنى ، ومن ذلك أن الله رغب فيه .

* كذلك يسر طريق الوصول اليه ، وقرنه بالوصف الشرعى ، ومهد له بمقدمات تحقق مقصده ، وينبغى الاشارة الى تلك الخصائص بشىء من التفصيل .

١ ــ قيامه على اليسر والترغيب :

النكاح بديل شرعى لأمر قد نهى الحق سبحانه وتعالى عنه ، ليكون فى رحلة حماية

---

(١) سورة البقرة آية ــ ٢٢٣ .

(٢) دكتور الطنطاوى ــ المرجع والمكان السابقين .

(٣) دكتور محمد انيس عبادة ــ المرجع السابق ــ ص ١٣ .

للاعراض . ولما كان كذلك ، فقد أقام الشارع أمره على اليسر والتسهيل ، ليشبع في النفس حاجة الغريزة التى تحركها لارتكاب الجريمة والتعدى على الأعراض ، فيسر طريق الوصول اليه ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدان ويتم العقد وتتحقق آثاره ، ومنها حل الاستمتاع بالعرض وحفظه من العبث والضياع ، لم يجعل الشارع من سلطان المادة وقصر ذات اليد عائقا يمنع من تحقيقه ، فأرشد الى أن آثاره المالية ينبغى أن تقوم على اليسر والتسامح .

يقول رسول الله ﷺ : « خير الصداق أيسره (١) » ، وقال لمن أراد الزواج ولم يكن عنده مال : « التمس ولو خاتما من حديد ، ولما لم يجد سأله : هل معك من القرآن شيء ؟ قال : نعم ، وسمى سورا يحفظها ، فقال له النبى ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » (٢) ، وعلى النحو سهل الشارع سبحانه طريق الوصول الى هذا الاصل الحلال ، ليكون في يسر الوصول اليه حماية لتلك المصلحة الشرعية المقصودة .

* ولهذا رغب الشارع سبحانه في الزواج وحث عليه في أكثر من موضع في الكتاب والسنة ، قال تعالى :

« وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ » (٣) .

وقال ﷺ « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » (٤) ، ومن ثم وعد الحق سبحانه الذين يرغبون في الزواج طلبا للعفة والتماسا للاحصان أن يعينهم ويوسع عليهم ، وقد صح عنه ﷺ أنه قال : ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح الذى يريد العفاف ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والغازى في سبيل الله »(٥) .

ولا شك أن الحث على الزواج والترغيب فيه والوعد من الله بالمعونة عليه يدل على هذا المعنى .

٢ ــ اقترانه بالوصف الشرعي :

ولم يقتصر الأمر في النكاح عند حد الترغيب فيه والتيسير في أمره ، بل تعدى ذلك النطاق الى حد التوصيف الشرعي من الله سبحانه وتعالى لذلك العقد ، وفي هذا الصدد يقرر الفقهاء أن الزواج يوصف بالأحكام الشرعية التكليفية ويوصف بها ، ومن ثم قد يكون فرضا أو واجبا ، وقد يكون مندوبا أو مباحا أو حراما أو مكروها ، والزواج يكون فرضا اذا كان الشخص قادرا على مؤنته من المهر والنفقة وحقوق الزوجية ، ويتأكد أنه سيقع في الحرام ان لم يتزوج ، في هذه الحالة يكون الزواج فرضا ويكون تركه حراما ، لأنه

(١) سبيل السلام ــ جـ ٣ ص ١٥٢ .
(٢) نيل الاوطار ــ جـ ٦ ص ١٩٢ .
(٣) سورة النور ــ آية ٣٢ .
(٤) نيل الاوطار ــ جـ ٦ ص ١١٢ .
(٥) مشكاة المصابيح ــ جـ ٢ ص ١٦٠ ، ونيل الاوطار ــ جـ ٦ ــ ص ١١٤ .

حقوق غير المسلمين

سيؤدى الى الزنا وهو حرام ، وما يؤدى الى الحرام يكون حراما ، ويكون الزواج واجبا اذا خاف الشخص على نفسه من الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج مع القدرة على مؤن الزواج وعلى حقوق الزوجية ، ويكون الزواج سنة فى حالة الشخص العادى المعتدل الذى لا يخشى من الوقوع فى المعصية ولا يخاف الوقوع فى الظلم ، فاذا ما تيقن الرجل أنه سيظلم اذا تزوج أو كان غير قادر على الزواج يكون أمره حراما بالنسبة له ، فان كان يخاف الظلم فان الزواج يكون بالنسبة له مكروها .

ويظهر من خلال ذلك التوصيف لعقد النكاح ، أنه قد يكون مطلوبا على سبيل الجزم من الله ، حين يكون فرضا أو واجبا ، فاذا ما فعله العبد يكون قد فعل واجبا يثاب عليه ، واذا تركه يكون قد أثم فى أمر يستوجب العقاب ، وفى ذلك ما يدل على ضرورة حسن الاستقامة فيه وتحمل مسئولياته من الصبر على الزوجة وجميل عشرتها والانفاق عليها وعلى ولده منها على النحو الذى أمر به الشارع سبحانه ، ليحقق الزواج رسالته ويكون كما أراد الله وسيلة لحفظ الأعراض وصيانة الأنساب .

٢ ـ اختصاصه بمقدمات تحقق مقصده :

ونظرا لأهمية عقد الزواج وخطورة آثاره فقد اختصه الشارع سبحانه بمقدمات تمهد له ، وتؤدى الى تحقيق مقصده فى حماية العرض ، وصيانة النسب ، فشرع الخطبة لتكون أسلوبا مقننا للمودة والتعارف حتى يتم عقد الزواج على أساس من الألفة والتراحم ، وحتى لا يستبيح الرجل لنفسه التلصص على عورات الناس مستهدفا أمورا تمس العرض والشرف ، أو تتوخى أغراضا لا تتفق مع ما شرعه الله فى علاقة الرجل بالمرأة ، فهى بحدودها الشرعية تكفل للرجل أن يطلب التزوج بالمرأة ، وتعصمهما من فساد الخلوة ، وتحمى الأسرة من الاختلاط المريب والتصرف العابث حتى يتم الزواج على أساس من الطهر والعفة امتثالا بما أمر به الشارع وأرشد اليه .

ومن قبل أمر المؤمنين بغض البصر وحفظ الفرج ، كما أمر المؤمنات بذلك ، ونهى عن التبرج وابداء الزينة ، وجاء أمره لذلك قبل أمره بطلب النكاح ، كما أمر الذين لايجدون نكاحا بالتعفف من الحرام ، قال تعالى :

« وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ » (١) .

---

(١) سورة النور ـ آية ٣٣ .

فربط بين الاجتهاد في طلب العفة والزواج ربطا يعصم من الفتنة ، ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غض البصر ثم بالنكاح المغنى عن الحرام المحصن للدين ، ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يقدر الرجل عليه (١) ، ولا يخفى ما في الأمر بذلك من حماية الأعراض وطهارة الأنساب .

شمول الحماية لأعراض غير المسلمين :

والحق سبحانه حين شرع النكاح وجعله اداة لحفظ العرض وشرف النسب لم يشأ أن يجعله مقتصرا على المسلمين وحدهم ، بل ان نطاق الحماية فيه يمتد ليشمل بالحفظ والرعاية أعراض غير المسلمين ، ليتعين النكاح طريقا لحفظ أعراضهم ، فلا يجوز لمسلم أن يأتى عضلا ينال منها ، وهو ان أراد الاستمتاع فلا سبيل له الا أمانة الله ، ولا طريق أمامه الا كلمة الله في ميثاق غليظ ، يحفظ العرض ، ويصون الحق ، فلا تبذل المرأة موضع العفة منها الا في اطار من الاجلال والتكريم ، فالنكاح هو الطريق لاستحلال أعراض غير المسلمين من أهل الكتاب ، وقد قام الدليل على ذلك من الكتاب والاجماع وآثار الصحابة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى :

« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢) .

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة :

انها قد دلت على التزوج بالمحصنات ، أى العفيفات من المؤمنات والمحصنات من أهل الكتاب ، وفي هذا ما يشير الى أن المرأة الكتابية كالمرأة المسلمة في حل العرض ، فيكون الزواج هو الطريق لذلك ، ولا شك أن المرأة الكتابية تختلف في هذا الحكم عن المشركة التى لا تدين بدين سماوى فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بالأخيرة ، لقوله تعالى :

« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ » (٣) .

ولقوله تعالى :

« وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ » (٤) .

(١) راجع : تفسير النسفى ــ جـ ٣ ــ ص١٤٢ ، ومختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ٢ ص ٦٠٣ .

(٢) سورة المائدة ــ آية ٥ .

(٣) سورة البقرة ــ آية ٢٢١ .

(٤) سورة الممتحنة ــ آية ١٠ .

وقد روى ابن هشام فى سيرته أن النبى ﷺ تزوج من صفية بنت حيى وكانت قبل بنائه بها يهودية وتزوج أيضا من السيدة مارية القبطية (١) ، وفى ذلك ما يدل على مشروعية النكاح بالكتابيات .

٢ ـ ومن الاجماع :

فقد أجمع الفقهاء على جواز نكاح المرأة الكتابية ، فيكون النكاح هو طريق استحلال عرضها ، وحكى هذا الاجماع محمد بن رشد فقال « اتفقوا على أنه يجوز أن ينكح الكتابية الحرة » (٢) .

٣ ـ ومن آثار الصحابة :

ما روى أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ تزوج من نائلة بنت الفرافصة وهى نصرانية وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية ، وأن حذيفة تزوج يهودية » ، ومن المؤكد أن هذه الآثار تدل على جواز نكاح الكتابية ، وفى هذا أبلغ التكريم لها ، لأن الله قد جعل القوامة عليها لرجل مسلم يؤمن برسالة محمد ﷺ ويسير على هديها فى الحياة ، وهو مع ذلك لا ينكر رسالة موسى ولا رسالة عيسى عليهما السلام لأن المسلم يؤمن بأنبياء الله ورسله جميعا ويتبع سيدنا محمد ﷺ وحده فى هديه وتعاليمه التى تقرر حرية العقيدة ، وهذا أمر من شأنه أنه يكفل للمرأة الكتابية فى بيت المسلم الأمان على دينها ، واستقامة الحياة مع زوجها ، والأمر مختلف بالنسبة لزواج المسلمة من غير المسلم ولهذا حرمه الشارع بقوله تعالى :

« فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ » (٣) .

وانعقد الاجماع على عدم جواز المسلمة من غير المسلم سواء كان كتابيا أم غير كتابى(٤) ، وبهذا يتحقق الأصل الأول فى حماية أعراض غير المسلمين .

الأصل الثانى : تقرير العقوبة لحماية الأعراض :

ولم يقتصر الأمر فى حماية الأعراض على مجرد تشريع الوسائل التى تحقق تلك الغاية بل تعداه الى تقرير العقوبات التى تدرأ وقوع التعدى على العرض ، وتمنع حدوثه ، ذلك أن كثيرا من الناس قد لا يأبهون بما شرعه الله لعفة النفس وطهر المجتمع ، وقد

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ القسم الثانى ـ ص ٣٣١ ومابعدها ـ الطبعة الثانية .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ ج ٢ ص ٤٣ .

(٣) سورة الممتحنة ـ آية ١٠ .

(٤) حكى هذا الاجماع ابن المنذر ، راجع المغنى لابن قدامة ـ ج٦ ص ٧٢) .

تضعف نخوة الايمان فيهم ، فيساقون لداعي النفس ، ويرتكبون أبشع جريمة تنال من طهر المجتمع وعفافه ، وتنطوي على استخفاف صارخ بكل معاني الشرف فيه ، وتتضمن اعتداء سافرا على العرض وهو من أخطر مصالح الناس التي اعتبرها الحق سبحانه ، ولهذا شرع الله حد الزنى وأمر باقامته تطهيرا للمجتمع من عناصر الفساد وحماية لمبادئ الاخلاق والفضيلة ، وصونا للامة من عوامل السوء والانحلال ، اذ لا قوة لأمة يتفشى فيها هذا المرض اللعين ، ويستبيح فيها عدد من الناس انتهاك حرمة العرض والاعتداء على الشرف والفضيلة .

والحدود هي العقوبات المقررة في الكتاب والسنة حماية لحق الله تعالى (١) ، وهي كما يقول الماوردي : « زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر ، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الله في الآخرة لعاجل اللذة ، فجعل الله من زواجر الحدود ما يردع به الجناة ، حذرا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا ، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم » (٢) ، وقد حمى الحق سبحانه العرض بعقوبة حدية ، ثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة واجماع الأمة .

جريمة التعدي على العرض :

* والتعدي على العرض جريمة تستوجب العقاب بحد الله ، وهي تستأهل ذلك حين يصل خطرها الى حد معين قرره الفقهاء ويتمثل في النموذج الكامل لجريمة الزنا ، فالذي يوجب الحد هو تلك الجريمة البشعة التي تنطوي على أخطر صور التعدي على العرض ، والزنا ، هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين (٣) ، أو هو وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهته (٤) ، ويظهر من خلال تعريف الزنا أنه جريمة تتحقق بالوطء في غير نكاح ولا شبهته ، ومن ثم كان الحظر فيه على العرض عاما لا يقتصر على عرض المسلم ، بل يشمل مطلق الوطء في غير نكاح بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين .

عقوبة جريمة العرض :

ولما كانت جريمة الزنا تمثل أقصى درجات التعدي على العرض ، فقد وضع الله لها العقوبة التي تتوائم مع الخطر الناشيء عنها ، وهي حد الزنا ، بأن يرجم الزاني بالحجارة حتى يموت اذا كان محصنا أي متزوجا وعلى هذا اجماع الصحابة (٥) ،

---

(١) « نيل الاوطار » للشوكاني — جـ ٧ ص ٩٨ ، وسبل السلام — جـ ٤ ص ٣ ، « والهداية شرح بداية المبتدي — للمرغيناني الحنفي — جـ ٢ ص ٩٤ .
(٢) « الاحكام السلطانية » — أول باب الحدود

(٣) « بداية المجتهد » — جـ ٢ ص ٣٢٤ .
(٤) « الهداية » شرح بداية المبتدي — جـ ٢ ص ٩٦ .
(٥) المرجع والمكان السابقين .

يخرجه الامام الى أرض فضاء ويبتدىء الشهود برجمه ثم الامام ثم النــاس ، ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ، فان لم يكن متزوجا وكان حرا فجلده مــائة جلــدة يأمر الامام بضربه بسوط لا ثمرة له ضربا متوسطا بين المبرح وغير المؤلم ، وتنزع ثيابه ويفـرق الضرب على أعضاء جسده الا رأسه ووجهـه وفرجه ويضرب الرجال فى الحـدود قيـاما والنساء قعودا ، ويحفر للمـــرأة فى الـرجم ولا يحفر للرجل (١) ، وهناك عقـوبة اضافية مع الجلد هى الامساك فى البيـوت بالنسـبة للمرأة ، وتغريب عام بالنسبة للرجل وذلك بعد توقيع الجلد عليهما (٢) ، والجانى يستحق هذه العقوبة اذا ارتكب جريمة الزنا سـواء زنى بمسلمة أم كتابية ، مما يدل على شـمول الحماية التى تكفلها عقـوبة الزنا لاعـراض غير المسلمين ، وقد جاءت عقوبة الـرجم فى التوراة ، فورد فى سفر التثنيـة ما نصـه :

« واذا كانت فتاة عذراء مخطـوبة لرجـل ، فوجدها رجل بالمدينـة فاضـطجع معهـا فأخرجوهما كليهما من المدينـه وارجمـوهما بالحجارة حتى يموتا (٣) » •

مصـادر حماية اعراض غير المسلمين :

وحق غير المسلمين فى الحماية من الاعتـداء الذى يقع على أعراض نسـائهم على نحـو ما رأينـا ، يستند الى كتاب الله الكـريم ، وسنة نبيه ﷺ وآثار الصحابة والمعقـول ، وذلك على النحو الآتى :

١ ــ من الكتـاب :

يقول الله تعالى :

« ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » •

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

ان الحق سـبحانه قـد أمر بجلد الزانى والزانية ، واللفظ عام يشمل الزانى مطلقـا سواء زنى بمسلمة أم غير مسـلمة ، وقد بينت السنة ، وأجمع الفقهاء (٤) • على أن حد الزانى المحصن أى المتزوج الـرجم ، فيكون الجلد للزانى غير المحصن ، وفى هـذا دلالة على شمول الحماية التى كفلتها العقوبة لأعراض غير المسلمين •

---

(١) المرجع والمكان السابقين •

(٢) راجع بحثا للامام محمد ابو زهرة ــ « نظرة الى العقوبة فى الاسلام » ــ منشور بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ــ ص ١٨٣ •

(٣) مشار اليه بالمرجع السابق ــ ص ١٨٧ •

(٤) حكى الاجماع صاحب الهداية ــ جـ ٢ ص ٩٦ ، وصاحب بداية المجتهد ــ جـ ٢ ص ٤٢٦ •

٢ ــ ومن السنة :

(أ) ما روى عن جابر بن عبد الله : « أن رجلا زنى بامرأة ، فأمر به النبى ﷺ فجلد الحد ، ثم أخبر أنه محصن فأمر به فرجم »

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أنه قد دل على جلد الزانى اذا كان غير محصن ، ورجمه اذا كان محصنا ، والدلالة فيه عامة تشمل الزانى مطلقا سواء اجترم مع مسلمة أم كتابية .

(ب) وبما روى عن عبادة بن الصامت قال : « قال رسول الله ﷺ خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » (١) .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن رسول الله ﷺ قد جعل حد البكر أى التى لم تتزوج جلد مائة وجعل حد الثيب جلد مائة والرجم ، ودلالة الحديث عامة لم تفرق بين بكر وبكر ، ولا بين ثيب وثيب اذا زنيا ، والبكر هى التى لم تتزوج ، ويأخذ الرجل حكمها اذا لم يتزوج ، والثيب هى التى تزوجت ، ويأخذ حكمها الرجل المحصن ، فاذا زنى بامرأة فانه يحد سواء كانت المرأة مسلمة أم كتابية ، وفى هذا ما يدل على المطلوب .

٣ ــ ومن آثار الصحابة :

ما روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : وكان مما أنزل على رسول الله ﷺ آية الرجم فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول ﷺ ورجمنا بعده (٢) » فقول عمر بن الخطاب ورجمنا بعده ، يدل على تقييد ما فعله بفعل النبى ﷺ فى الرجم ، ولم يكن عليه السلام يفرق بين زان وزان فى اقامة الحد بالجلد أو الرجم ، وفى هذا دلالة على شمول الحماية لأعراض غير المسلمين .

٤ ــ ومن المعقول :

ان اقامة الحد على الزانى اذا زنى بغير مسلمة ، يتوائم مع آثار عقد الجزية اذ بمقتضاه يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولا يليق بمشرع حكيم أن يعاقب

(١) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٧ ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ــ ص ١٠٢ .

على الزنا اذا وقع من مسلم على مسلمة ، ثم ثم يعفى من العقاب اذا وقع على غير مسلمة ، وهذا يدل على شمول العقوبة للفعل مطلقا سواء وقع على مسلمة أم غير مسلمة ، ويمثل هذا التشريع المحكم حفظ الشارع الحكيم سبحانه الاعراض بالنسبة للمسلمين وغيرهم .

نهاية البداية :

ذلك ما وفقنى الله لصياغته فى هذا الموضوع المهم ، وبختام هذا المقال أكون قد أشرت الى الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين وهى كثيرة ، تناولت منها بالدراسة على صفحات هذه المجلة الغراء :

حرية العقيدة .

وحق الحياة .

وحماية الاموال والاعراض .

وانه لجهد المقل ، لا أدعى أننى قد كشفت فيه عن كل مسائل الموضوع ، لأنه أكبر من أن يحيط به مثلى ، وأرجو أن أكون قد فتحت الباب أمام غيرى لمواصلة تأصيله ودراسته ، لأنه يكشف عن سمو الشريعة الاسلامية وسماحتها ، وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ، كما أنه يمسح بيد الامن والطمأنينة على قلوب الذين يخافون من تطبيق شرع الله ، ظنا منهم أن مثل هذا العمل العظيم سوف ينال من المراكز القانونية لغير المسلمين ، مع أن شريعة الله هى التى كفلت هذه الحقوق للناس أجمعين .

ولا اخفى القارىء ان هذا الظن هو الذى دفعنى دفعا للكتابة فى هذا الموضوع ، ويعلم الله كم بذلت من جهد ، وأخلصت من سعى ، رجاء ان يحالفنى توفيق الله فيما قصدت ، ولن يفتر لسانى عن طلب الصفح والمغفرة من الله ، عما يكون قد صدر منى من سوء الفهم وخطأ التعبير ، وادعوه سبحانه أن يتقبله منى خالصا لوجهه ، وأن يوفقنى لاعادة صياغته على النحو الذى يزيد النفع به . .

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

دكتور عبد الله مبروك النجار

الرحمة وأثرها في المجتمع

للدكتور محمد عبد السميع

الرحمـة : الرقة والتعطف ..

ولها عـدة معان بحسب وقوعها في الكلام .

ومن أسماء الله تعالى الرحيم . ويدل على عظيم رحمته سبحانه بخلقه قوله عز وجل :

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ » (١) . ولقد وصف الله تعالى نفسه في كثير من الآيات القرآنية بالرحمة والمغفـرة والرأفة حتى لا يقنط الناس من رحمته ، كمـا وصـف نفسـه بأنه شديد العقاب ليحضهم على طاعته وقال تعـالى : « إِنَّ اللَّـهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٢) وقـال سبحانه « اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٣) .

ولقد امتدح الله نبيه محمدا صلوات الله وتسليماته عليه بالرأفة والرحمة .

فقال عز وجل : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٤) .

وان سيرة النبي ﷺ مع الناس بمثـابة أنموذج للرقة واللطف والسماحة والعطف .

---

(١) الاعراف : الآية ١٥٦ .

(٢) الحج : الآية ٦٥ .

(٣) المائدة : الآية ٩٨ .

(٤) التوبة : الآية ١٢٨ .

الرحمة وأثرها

قال تعالى « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » .

ومدح الله نبيه محمدا ﷺ وأصحابه بقوله جل شأنه : —

« مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » .

أجل ان الرجل قد يهش لأصحابه حين يلقاهم ، وقد يرق لأولاده حين يراهم ، وذلك أمر يشيع بين الكثير ، بيد أن المفروض في المؤمن أن تكون دائرة رحمته أوسع ، فهو يبدي بشاشته ، ويظهر مودته ورحمته لعامة من يلقى فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يرحم لا يرحم » وسبب هذا الحديث كما رواه جرير بن عبد الله البجلي — أن النبي ﷺ قبل الحسن والحسين ، فقال الأقرع بن حابس : لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فنظر اليه ﷺ وقال : « من لا يرحم لا يرحم » .

قال عيسى عليه السلام : — « لا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب ، أنظروا فيها كأنكم عبيد ، انما الناس مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية (١) وفائدة الرحمة : اللطف بالمبتلى والضعيف ، وكشف ضره والاحسان اليه ، وقال ابن عطاء الله السكندري : من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتخلق بالرحمة الالهية ، فاطلاعه فتنة عليه وسبب لجر الوبال عليه .

ولقد وصف الله المجتمع المسلم بأنه متماسك بهذا العطف المتبادل . فقال عن أهله : —

« أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ »(٢)

وان رسالة الاسلام خير وسلام وعطف على البشرية جميعها فقال في شأن خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (٣) . وسور القرآن مفتتحة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال رسول الله ﷺ : « جعل الله الرحمة مائة

---

(١) الحديث أخرجه الامام مالك في الموطأ في كتاب الكلام "باب مايكره من الكلام بغير ذكر الله" جـ ٢ ص ٩٨٦ رقم ٨ طبعة عيسى الحلبي وشركاه بلفظ :

وحدثني مالك انه بلغه : ان عيسى ابن مريم كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فتقسوا قلوبكم ، فان القلب القاسي بعيد من الله ، ولكن لاتعلمون ، ولاتنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد . فانما الناس مبتلى ومعافى . فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

وهو حديث مرسل . وقد وصله العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه ، عن أبي هريرة . الباجوري .

(٢) المائدة الآية ٥٤ .

(٣) الأنبياء الآية ١٠٧ .

جزء ، وأنزل في الارض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » (١) .

وجعل الله المودة والرحمة بين الزوجين فقال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٢) .

ونبه الاسلام الى أن هناك اقواما مخصوصين ينبغي أن يحظوا بنصيب موفور من الرحمة والعناية في مقدمتهم الوالدان ثم الأولاد ثم الأقرباء ثم سائر الناس . فرحمة الولد بوالديه مظهرها بره بهما لأنهما سبب وجوده في الحياة . قال تعالى :

« وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (٣) .

ثم الرحمة بالأولاد . فمن البراء بن عازب — رضي الله عنه قال : أتى أبو بكر عائشة — رضي الله عنهما — وقد أصابتها الحمى — فقال :

كيف أنت يابنية — وقبل خدها » رواه البخاري .

ثم الرحمة بالأقرباء لذلك قرن الله الأمر برعاية حقوق الأقارب والأرحام بالأمر برعاية تقواه . قال تعالى :

« وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » (٤) .

ومن هذا المنطلق لا يسوغ للمسلم أن يوصد بيته وقلبه دون أقاربه ، وأن يبتر علائقهم فيحيا بعيدا عنهم ، لا يواسيهم في ألم ، ولا يسدي اليهم عونا . ان هذه القطيعة تحرم الانسان من بركة الله ، وتعرضه لسخطه ، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الرحم شجنة من الرحمة ، تقول : يارب اني قطعت . يارب اني أسيء الي ، يارب اني ظلمت . يارب . يارب . فيجيبها الا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك » رواه أحمد في مسنده .

وفي الحديث الشريف أيضا : « من أراد أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٥) ومن تجب الرحمة بهم اليتامى فان الاحسان اليهم ، والبر بهم وكفالة معيشتهم ، وصيانة مستقبلهم من أزكى القربات ، فمن

٩

(١) أخرجه البخاري في كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته جـ ٨ ص ٩ ط الشعب .

(٢) الروم الآية ٢١ .

(٣) الاسراء الآية ٢٥ .

(٤) النساء الآية ١ .

(٥) حديث : من اراد ان يبسط له رزقه .. الخ الحديث:اخرجه البخاري في كتاب الادب:باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم جـ ٨ص٦ ط الشعب من رواية ابي هريرة .

الرحمة وأثرها

أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رجلا شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال : امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين . وفى رواية أن رجلا جاء يشكو قسوة قلبه فقال له : أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك » .

وتجمل الرحمة مع المرضى وذوى العاهات ، فان أولئك المصابين يستقبلون الحياة بوسائل منقوصة تعجزهم عن المسير فيها ، وادراك لبناتهم منها ، وقد عذرهم الله عز وجل . فلا يجوز أن نؤاخذهم بما أعفاهم الله منه « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ » لأن المريض شخص قيدته العلة ، وتغصه حر الداء ومر الدواء .

استدراك

* فى الخطأ والصواب:

(فى مجلة) سطر ٦ ص ٢٤ صوابه (فى مجلد) .

(تغروقا) سطر ٦ ص ٨٧٦ صوابه (تغروقا)

(هل تغنى النذور) ص ١٩٠١ ، ١٩٠٢ صوابه:(هل تغنى النُّذُر؟) .

*سقوط أسماء بعض الكتاب أو الخطأ فيها :

منهج الاسلام فى معالجة دوافع السوك ص ٨٢١ عرض الأستاذ عبد العزيز أحمد جيره .

سيد بن على المرصفى (من أعلام الأزهر) المقال للاستاذ سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى كما هو مدون بآخر المقال ص ١٦٥٨ عدد شوال

* عناوين ناقصة :

لمن الخطاب فى قوله تعالى ص ٨٤٥ .

صوابه : لمن الخطاب فى قوله تعالى : فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك .

* التقديم والتأخير فى الفقر :

جاء ص ٩١٩ مقال "من اعلام الأزهر" فصل فى ترتيب الفقرات فبعد نهاية الفقرة : (بين فرنسا وبلجيكا) تأتى مباشرة الفقرة (مشادة بينه وبين السفير) ص ٩٢٥ ثم يلى ذلك الفقرة : (استدعاؤه من فرنسا) ... الخ

الاحاديث:

الحديث : لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا على (١٨٥٧) وتكرر : وارو عن الحسن بن عرفه .

الحديث : ان الاسلام نظيف فتنظفوا . الخ ص (١٤٦١) وتكرر : لم نطلع عليه بهذا النص وروى معنى جزئه الاول .

ومن مواطن الرحمة أن نحسن معاملة الخدم ، وأن نرفق معهم فيما نكلفهم به من أعمال وأن نتجاوز عن هفواتهم ، وأن لا نستهين بهم . فعن أبي مسعود البدري — رضي الله عنه — قال : كنت أضرب غلاما لي بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفي يقول : اعلم أبا مسعود . فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني اذا هو رسول الله ﷺ فاذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود : أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار » (١) وجاءه رجل يسأله كم أعفو عن الخادم ؟

قال ﷺ « كل يوم سبعين مرة » (٢) .

والاسلام لم يقتصر في الرحمة على الآدميين فحسب بل تعداها الى الحيوانات المجملوات فلقد رأى عمر — رضي الله عنه — رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال : ويلك قدها الى الموت قودا جميلا .

وقد بين الاسلام ان الانسان على عظم قدره يدخل النار في اساءة يرتكبها مع دابة عجماء . قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » (٣) .

كما بين الاسلام أن كبائر المعاصي تمحوها نزعة رحمة تعمر القلب ، ولو بسقى كلب . فقال رسول الله ﷺ : —

« بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل ، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا في البهائم أجرا ؟ فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر » (٤) .

وجملة القول : أن للرحمة آثارا للفرد والمجتمع حبذا لو تخلقنا بهذا الخلق الحسن وتواصينا بالصبر وتواصينا بالمرحمة .

اللهم انا نسألك رحمة من عندك تهدى بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وصلى الله على نبي الملحمة ونبي المرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. محمد عبد السميع جاد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب صحبة المماليك ، وكفارة من لطم عبده جـ ٣ ص ١٢٧٨ رقم ٢٩ . طبعة عيسى الحلبي .

(٢) حديث كل يوم سبعين .
انظر تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري جـ ١ ص ٨١ رقم ٢٠١٥ نشر محمد عبد المحسن الكتبي المكتبة السلفية المدينة المنورة وقال الترمذي ، حديث حسن غريب .

(٣) حديث دخلت امرأة .
أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم جـ ٤ ص ١٥٧ من رواية ابن عمر .

(٤) ابن حجر — فتح الباري ٤٣٨/١ كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسنين مخلوف

مفتى الديار المصرية الأسبق

ولد فضيلته منذ ما يزيد عن تسعين عاما . والف اول رسالة منذ أكثر من سبعين سنة .

ومن يومئذ وهو يؤلف ويعلم ويعطى للعلم جل وقته .. قارئا ومعلما . ألف العديد من الكتب والرسائل ذات الأثر الطيب .

ونال أكثر من وسام من ارفع اوسمة مصر تقديرا لجهوده العلمية الفذة .

عليه مهابة العلماء وصوته الخافت يترجم عن سنه الكبير . بجواره الكتب والقلم وقبلهما كتاب الله .

مازال ملء السمع والبصر بحمد الله لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى والاسلامى .

جلست اليه قريبا من ساعتين . وهو يتذكر ويتحدث .

***النشأة والشيوخ**

*** قلت : فضيلة الشيخ .نرجو اعطائنا لمحة سريعة عن نشأة فضيلتكم .**

*** قال فضيلته** : ولدت بالقاهرة ، فى شارع باب الفتوح فى السادس من مايو سنة ١٨٩٠ م والتحقت بالأزهر الشريف فى الحادية عشرة من عمرى حيث حفظت القرآن كله بالأزهر ، وتعلمت التجويد على الامام الشيخ بكر الحداد شيخ القراء بالديار المصرية آنذاك .

وقرأت عليه القرآن الكريم مجودا ثم بدأت الدراسة العلمية بالأزهر . وتلقيت الدروس فى مسجد محمد بك أبو الذهب وفى الأزهر على مشايخ عدة أجلاء منهم :

الشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد الفتاح المكاوى والشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية فى ذلك الوقت والشيخ الدجوى والشيخ محمد راضى البحيرى والشيخ عبد الحكم عطا

أجرى الحديث :
عاطف زهران



والشيخ على ادريس العدوى وغيرهم كثير رحمهم الله وأجزل مثوبتهم .

وكان والدى الشيخ محمد حسنين مخلوف مديراً للأزهر والمعاهد الدينية ، ووكيلا لمشيخة الجامع الأزهر ، وعنه تلقيت كثيرا من الدروس فى الأزهر .

كان يدرس التوحيد والمنطق والفلسفة والاصول والتفسير بمسجد أبى الذهب ، وكان آخر كتاب درسه فى الأزهر هو تفسير الامام البيضاوى للقرآن الكريم ، وبينما هو يقرؤه طرأ عليه مرض دام معه شهرا ثم لقى ربه فى المحرم سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م . وقد ترك مؤلفات طيبة منها .

التبيان فى حكم زكاة الأثمان ، وتعليقات على رسالة العاملى فى علمى الجبر والحساب ، الحاشية الكبرى على المقولات الحكمية فى الفلسفة ، والفصول الوافيات فى احكام المعاملات ، والقول المبين فى حكم المعاملة بين الاجانب والمسلمين ... الخ

*** فى القضاء والشرعى**

**** متى بدأت صلة فضيلتكم بالقضاء الشرعى ؟**

* التحقت بمدرسة القضاء الشرعى بشارع البرمونى - وهى تابعة لوزارة الحقانية آنذاك .

ودرست فيها - لمدة أربع سنوات - العلوم الفقهية والعربية والرياضية ، وحصلت منها على شهادة العالمية بامتحان أمام لجنة من علماء الأزهر برئاسة الامام الشيخ سليم البشرى ، ومنحت العالمية من الدرجة الأولى من هذه المدرسة ، ثم رشحت للتدريس بالأزهر زمنا وبعده التحقت بالقضاء الشرعى فى يونية ١٩١٦ قاضيا شرعيا بالمحاكم المصرية فى محكمة مريوط الشرعية فمحكمة القشن ثم محكمة مصر وطنطا وغيرهما . ومازلت أرقى حتى عينت رئيسا لمحكمة الاسكندرية الشرعية ١٩٤١ م ثم عينت رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة العدل . وأسند الى التدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى ، ثم صدر أمر بتعيينى نائبا بالمحكمة العليا الشرعية .

* مفتى الديار

** أظن أن آخر عمل اسند الى فضيلتكم هو مفتى الديار المصرية .

فمتى وليتم هذا المنصب ؟

وما طبيعة العمل فيه ؟

* قال فضيلته : عينت مفتيا للديار المصرية سنة ١٩٤٥ حتى ١٥ مايو ١٩٥٠ حيث انتهت خدمتى القانونية .

والمفتى عادة يقوم بالاجابة على كل مايعين للمسلمين من مسائل فى الدين ، كما أنه يبحث عن اجابات لما تسأل عنه الحكومة من أحكام دينية للعمل بها شرعا ، وللبعد عما يخالف الاسلام من أعمال . ولذا كان لوظيفة الافتاء أثر خطير فى الدول الاسلامية . فيناط بالمفتى احكام الاسلام فى الواجبات والمحرمات ، وفى الاعمال والتى يباشرها العامة والخاصة من حيث الجواز وعدمه .

* مأتم وذكرى الاربعين

وكمثال للفتاوى التى أصدرها فضيلته ذكر لنا فتوى عن (ذكرى الأربعين كانت ردا عن استفسار نشر بجريدة الأهرام سنة ١٩٤٧ عن « حكم احياء ليلة الأربعين » .

فاجاب فضيلته :

ان عامة الناس يحرصون الآن على اقامة مأتم الأربعين(بشكل) لا يختلف عن المأتم يوم الوفاة فيعلنون عنه فى الصحف ، ويقيمون له السرادقات ويدعون القراء وقد ينحرون الذبائح .. ويقيم السيدات بجانب ذلك مأتما بالمنزل للنحيب والبكاء وتجديد الأسى والعزاء.

ولا سند لشيء من ذلك من الشريعة الغراء ، فلم يكن من هدى النبى ﷺ ولا من عمل الصحابة ولا من المأثور عن التابعين اقامة هذه المآتم ، بل لم يكن معروفا عند جمهور المسلمين فى بلادنا بهذه الصورة الراهنة الى عهد غير بعيد ، وانما هو أمر استحدث أخيرا ، وفيه من الابتداع ما نهى عنه شرعا ، وفيه اضاعة الأموال فى غير سبيلها المشروع . وفيه تجديد الحزن وتكرير العزاء، وهو مكروه شرعا.

مما يجعلنا نهيب بالمسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة الذميمة ، التى لا ينال الميت منها رحمة ولا مثوبة بل لا ينال الحى منها سوى المضرة وخاصة اذا كان القصد باقامتها مجرد التفاخر والسمعة أو دفع الملامة والمعرة . فليعلم الناس أنه لا أصل فى الدين لهذه العادة وأنها بدعة سيئة (١) .

(١) للشيخ حسنين مخلوف رسالة مفصلة فى حكم مأتم ليلة الأربعين وفيما يعمله الاحياء للأموات صدرت سنة ١٩٤٧ فى ٧٠ صحيفة لبرجع اليها من شاء .

* الآثـار العلمية

* * علمنا أن أول رسالة ألفتموها كانت عن الرفق بالحيوان فى عام ١٩١٢ م ٠

فكانت بفضل الله أول الغيث ، ثم توالى بعدها القطر ٠ ونأمل أن نلم ببعض آثاركم العلمية

* قال مفتى مصر الأسبق :

ألفت العديد من الكتب أذكر منها على سبيل المثال :

(أ) كلمات القرآن : تفسير وبيان ٠ وقد طبع مرارا بمصر ومكة المكرمة وكثير من البلاد العربية ٠ ولازال يطبع والحمد لله ٠ فسرت فيه كلمات القرآن التى تحتاج الى التفسير بأسلوب مختصر مفيد ٠

(ب) صفوة البيان فى تفسير القرآن : وهو جزآن كبيران عنيت فيه بتفسير القرآن لغة وتاريخا وأحكاما ٠ وثمرات الطاعات والاحكام وطبع مرارا وانتشر فى بلاد الاسلام ، وقد طبع أخيرا فى « أبو ظبى » ، طبعته الجمعية العلمية طبعة فاخرة ٠

(د) كتاب الفتاوى الشرعيـة فى جزئين :

وهو مجموعة فتاوى أصدرتها لا فى خصـوص



دار الافتاء بل فى حياتى العلمية والفقهية ٠ وقد طبع فى مصر ثم نفدت طبعته وأعيد طبعه ٠

(د) كتاب المواريث الشرعية : وقام بطبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى مصر ٠ حيث تولت لجنة التعريف بالاسلام نشره ٠

(هـ) وقمت بتحقيق شرح الشـفاء للقاضى عياض فى خمسة أجزاء : وألفت غير ذلك رسائل كثيرة أذكر منها ٠

رسالة فى الرفق بالحيوان (١) ٠

رسالة فى فضل القرآن وتلاوته ٠

رسالة فى شرح أسماء الله الحسنى ٠

رسالة فى دعاء يوم عرفة ٠

رسالة فى تفسير آية الكرسى وسـورة الاخلاص وسورة الضحى ٠

---

(١) صدرت الطبعة الثالثة منها هدية لمجلة الأزهر فى رجب ١٤٠٢ هـ ٠

رسالة فى تفسير سورة القدر .

رسالة فى ختم القرآن الكريم ووجوب بر الوالدين .

رسالة فى شرح صفات عباد الرحمن .

رسالة الوصايا النبوية ، وشرح وصايا الامام على .

رسالة فى أخطار المعاصى والاثام .

واعنى الآن بجمع الفتاوى التى أصدرتها فى دار الافتاء المصرية مدة قيامى بأعبائها ، وهى كثيرة جدا . وفيها قمت بالبحث عما يحتاج اليه العالم الاسلامى فى هذه الظروف للعمل بما هو جائز شرعا وترك مالا يجوز .

ما بعد الافتاء

تركتم دار الافتاء سنة ١٩٥٠ أى منذ أكثر من ثلاثين عاما فماذا أنجزتم فى هذه السنوات المباركة من عمركم المديد ــ ان شاء الله ؟

قال فضيلته :

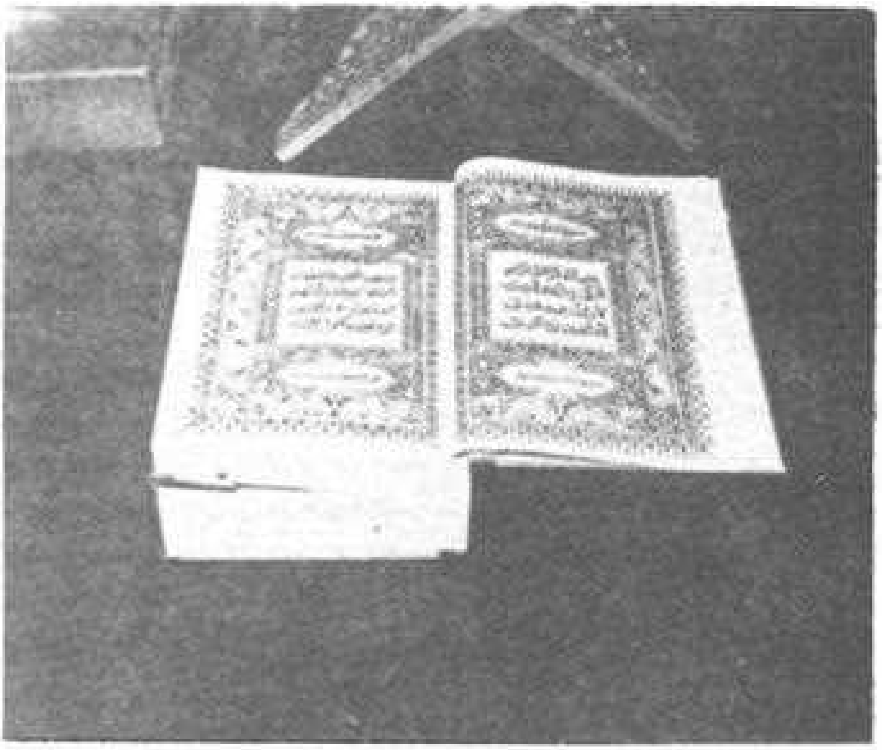
لما أحلت الى المعاش ظللت أعمل مدرسا بالجامع الأزهر لمدة طويلة . درست فيه العلوم الشرعية وعلم المنطق والفلسفة ودرست بعض كتب الاصول فى الفقه . وبعض الكتب الحكمية كالمقولات والهداية .

وقد تم اختيارى فى هيئة كبار العلماء بالازهر سنة ١٩٤٨ . كما وقع اختيارى عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

وماذا عن رحلاتكم العلمية خارج القطر ؟

كانت لى رحلات علمية عدة الى البلاد الشقيقة ، فقد زرت الاراضى الحجازية عدة مرات ، وزرت رابطة العالم الاسلامى فانى عضو بها منذ انشائها قبل خمس وعشرين سنة وقصدت ليبيا فى عهدها الملكى وعقدت فيها ندوات ودراسات علمية فى منتدياتها اعزازا للاسلام . وزرت مراكش للغرض نفسه واجتمعت بسادتها العلماء والدعاة الاسلاميين للبحث والتشاور فيما يهم المسلمين ويصحح اتجاهاتهم ، كما زرت البحرين « وابوظبى » للاجتماع بالعلماء والدعاة للمناقشة والتشاور فى أمر الدعوة .

من طبيعة عمل المفتى أن يتعرض لمسائل مستحدثة لم ينظر فيها من قبل ليفتى فيها ولابد فيها من اجتهاد . فما الشروط الواجب توافرها فى المجتهد ؟ حتى يصبح مؤهلا للاجتهاد فى الدين ؟



* فأجاب فضيلته قائلا : ليس الاجتهاد أمرا يمد اليه من يشاء . ولكن له شروط وآداب، لايجوز لمن لم تتحقق فيه هذه الشروط أن يجتهد في أحكام الشريعة ، وهذه الشروط منصوص عليها في كتب الاصول مثل كتاب جمع الجوامع ، وكتاب التوضيح ، وكتاب سلم الثبوت وغيرها من كتب الاصول (١) .

** سألت فضيلته عن الجوائز العلمية التى حصل عليها . فهم أن يعتذر عن التحدث في هذا الأمر . ولكنني طلبت منه لمحة موجزة .

*فقال : منحت كسوة التشريف مرتين ، وحصلت على جائزة الملك فيصل في العام الماضى كما منحت وسام العلوم والفنون من الطبقة

(١) من هذه الشروط : العلم بالعربية ، والعلم بالقرآن ناسخة ومنسوخة ؛ والعلم بالسنة ، ومعرفة مواضع الاجماع ومواضع الاختلاف ، ومعرفة القياس ومعرفة مقاصد الاحكام ، وصحة الفهم وحسن التقدير ، وصحة النية وسلامة الاعتقاد .

الأولى فى احتفالات العيد الألفى للأزهر ••

ونحن فى غنية عن كل ما يقدم لنا فى هذا الشأن • فان ما نريد هو رضا الله ، وعفوه أولا ، ولا نريد جزاء ولا ثوابا عن عمل صالح إلا من الله تعالى •

كلمات •• وكلمات

*** * فضيلة الشيخ •• الشباب هم أمل الامة ، وكثير منهم يعيش فى قلق على الحاضر وتشاؤم من المستقبل بسبب ابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف • وتأمل ان يسمع الشباب كلمة منكم تنصحونه : ماذا يفعل ؟**

* **قال الشيخ حسنين مخلوف :** أقول لأبنائى : اقرأوا وردا يوميا من القرآن الكريم• مع محاولة لفهم ما تتلونه عن طريق كتب التفسير الميسرة ، وعن طريق سؤال العلماء

والمدرسين (**فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**) •

وأوصيهم أن يحافظوا على قراءة أسماء الله الحسنى كل صباح •

وليحرصوا على أداء الفرائض واجتناب المحرمات •

كذلك أخص النساء بكلمة فأقول لهن : التزمن باللباس الاسلامى الذى يستر العورات سترا كاملا ، واعلمن أن شعر المرأة عورة يحرم على الرجل لمسه أو النظر اليه ، ولذلك فقد أصدرت فتوى تقضى بحرمة ذهاب المرأة الى (الكوافير) • بناء على هذه القاعدة •

*** * فضيلة الشيخ • يحدث أحيانا أن يصطدم الشباب بعوامل أخرى ربما هدمت ما بناه العلماء والدعاة والمربون • مثل ما يصدر عن بعض وسائل الاعلام • فهل من نصيحة تسدونها للمسئولين عن هذه الاجهزة •**

* **فقال :** على المؤلفين والكتاب وأرباب الصحف والاذاعات المسموعة والمرئية • أن ينشروا كلمات الحق والهدى ، وأن يمنعوا نشر كل ما يخالف الاسلام وأحكامه ودعوته وآدابه حماية للامة ، وقياما بالواجب نحو هذه الأمة •

*** * للعلماء شأن خطير فى توجيه الشباب خصوصا والرأى العام عموما،وختاما هل من كلمة لعلمائنا الأجلاء ؟**

*** قال فضيلته : ان واجب العلماء ان ينصحوا الامة ويقوموا من افرادها مقام الأب والوالى الحكيم نصحا وارشادا وبيانا صادقا ليكون لهم الثواب الجزيل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر • وأخيرا نسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق • وأن يوفقنا لتجنب المحرمات ، وللقيام بالطاعات والله تعالى قدير •**

عاطف زهران

شعر وشاعر

موكب الحجيج

إلى الشاطئ المحجب

في موكب الحجيج

موكب الحجيج

للشاعر: محمد على حسن الدشناوى

سار الحجيج فمن يبدد حيرتى ... يوم الرحيل وما دعيت لحجة

وغزا النشيد رغيبة فى خاطرى ... فتراقص الدمع العصى بمقلتى

وتحركت بين الضلوع مشاعرى ... ملتاعة تشكو لهيب الجذوة

والركب من حولى تمايل جمعه ... نشوان قد جد المسير لغاية

عينى له والقلب ياسى ليتنى ... ادعى لبيتك والصفا والمروة

فاجيب دعوتك التى ترضى بها ... عنى فتمحو يا الهى شقوتى

بالله ياركب الحبيب محمد ... عند الطواف ضراعة لمخلتى

فعسى انال بحقها عند الكريم على يديك مقاصدى وسعادتى

رباه لا تحرم مشوقا يبتغى ... عرفات والحرمين اعظم بغيتى

طوبى لمن اسعدته بالحج مقبولا لديك وللحبيب بزورة

***

إلى الشاطئ المحجب

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

يا برزخ الأرواح انى قـــادم ... كدحا اليك وقد شددت رحالى
من غربة الدنيا التى قد اثخنت ... قلبى وأوهت بالاسى سربالي
ومعى حصاد العمر احمل وزره ... ناسى فى وهن وفرط كلال
أواه من عمر تسرب من يدى ... أواه من وزرى ومن احمالى

***

يا برزخ الأرواح هاأنذا على ... شط الحياة أخب فى بلبالى
وسفينة الموت المحتم قد دنت ... وشراعها المنشور صار حيالى !
فى غمضة أو شهقة اغدو بها ... فى الراحلين أجر فى اسمالى
واصير فى واديك اعزل مفردا ... وارى يقينا متعدى ومآلى !!
اترى بمقرى فيك جدب قاتل ... ام انه فى روضة وظلال ؟
أيكون من فوق الأراك مضجعى ... ام فوق جمر محرق وصلال ؟
واحل فى انس يسكن روعتى ... ام فى ظلام جاثى الأهوال ؟
ويحى اذا دنت المنون وقصرت ... ربى عن صعود المرتقى اعمالى

***

رباه انى من لقائك مشفق ... وجل تكاد تخور بى أوصالى
ويكاد يسكتنى الحياء مصليا ... ويتوه عن بث الضراعة بالى
لكن رجائى فيك يارحمن قد ... ابقى على مرفرف الآمال
فانا – وان قصرت - عبد مؤمن ... بك تائب من سورة الصلصال
خذنى بفضلك فى عبادك آمنا ... مما اخاف مطهر الأثقال

في موكب الحجيج

شعر: أحمد مصطفى حافظ

من كل فج عميق ٠٠ مـــاج بالنغم ... يأتى الحجيج ٠٠ بحشد سال كالديم
لبــوا نــداء الــه لا شريك لــه ... فى الملك ٠٠ مَنْ ابدع الاكوان من عدم
وفى ازار ســنا الاحرام قد نبذوا ... سراب دنيــا ٠٠ تدس السم فى الدسم

***

تجرى الســفين بهم والقلب يغبطهم ... وقد تعاظم وجــد ٠٠ جد مضطرم
والطــائرات بافواج قد انطلقت ... تئز فى افقها ٠٠ من توقهـــا العرم

يســتبطئون بساط الريح ٠٠ مركبة ... تقــل ــ قبل ارتداد الطــرف ــ للحرم
والدمع فــاض من الاعماق تحسبه ... نهرا يطهر ارواحــا من الســقم

***

وخير زاد لهم ، تقــوى الالــه ، وهم ... يرنــون الكعبـــة الغــراء من امم
ثم الطــواف بهــا ســبعا ، ليعقبــه ... سعى بوادى (الصفا)٠٠يشفى من الغمم

وفى (منى) حصيات ٠٠ يرجمون بها ... وكـــرا لابليس اس الشــر والنقم
وفى ربــا (عرفات) ٠٠ الكل قد خشعوا ... بمشهد ٠٠ بجــلال الله ٠٠ متسم

***

ياشــعر حسبك ، كنت العمر لى سندا ... تمــر بحـورك ترجى آنفس الـكلم
اذا وقفت باعتــاب الرســول ، وبى ... جــوى تأجج فى الاضــلاع كالضرم

من الفكر إلى التاريخ

من مزاعم المستشرقين

مشيخة علماء الجامع الأحمدي

مسألة الصراع بين الدين والعلم

الدين والعلم أخوان فى الوضع السليم : الدين مرشد وموجه ، والعلم عامل جاء من حقله ــ وهو الكون ــ يؤدى دورا « ميتافيزيقيا » هاما فى ترسيخ العقائد الايمانية عن طريق الدلائل الكونية التى يكتشفها العلم وهو يحاول سبر اغوار الكون والدين حارس أمين لهذا النشاط من أن ينحرف الى مهاوى الهلاك والاهلاك والصراع بينهما لا يتصور الا بخروج أى منهما عن مجاله والتدخل فى مجال الآخر بدون أهلية لذلك . هنا ينشأ الصراع .

ومن الواجب العلمى علينا فى هذا الصدد أن ننبه أن مشكلة الصراع بين الدين والعلم بعيدة تماما عن الاسلام وساحة الاسلام بريئة تماما من التورط فى مثل هذا الصراع .

وان كانت نتيجة هذا الصراع . قد نالت بآثارها الاسلام نتيجة تعميم أو سوء فهم أو قصد والتاريخ يحدثنا أن مشكلة الصراع هذه نشأت فى أوربا وكانت لها أسبابها التى كان من اللازم أن تؤدى الى نتائجها من المناداة ــ هناك ــ بفصل الدين عن الحياة . باعتباره عدوا للعلم والمدنية والتقدم .

ومن الانصاف أن نقول ــ فى أسف ــ ان السبب الأساسى فى اثارة هذه المشكلة هناك هو ما سمى بالدين . أعنى مسلك اللاهوت الذى يسجل فى الواقع خروجا عن مقتضى الدين أى دين متى كان هذا الدين الهى المصدر معصوم المنبع .

وذلك أن اللاهوت هناك فيما قبل عصر النهضة قد تورط فى أمر خطير هو أن رجال اللاهوت بدأوا يتحكمون فى رقاب الناس بأن وضعوا جملة معارف تتعلق بالكون ونظامه ادعت استنادها الى الكتاب المقدس . لا يجوز لأحد الخروج عليها . وهذه المعارف الموهومة والمزعومة تتعلق بالطبيعة وتفسير ظواهرها تفسيرا غير معقول وخطورة هذا الأمر تكمن ــ فى اعتبار أن من يخرج على هذه التفسيرات يعتبر كافرا فالويل كل الويل لمن تسول له نفسه أو يؤدى به بحثه الى ما يخالف ما جاء

للدكتور عبد المعطى بركات

عن الكهنوت بشأن ظاهرة ما من الظواهر التى يمكن أن يتناولها العلم •

وذلك كله انطلاقا من ايمانهم بأن الكتاب المقدس المتداول بأيديهم قد حوى بين دفتيه كل ما يحتاجه الانسان فى الدنيا والآخرة وأنه ينبغى أن يكون وحده أساس النظريات والعقائد بما فى ذلكتفصيلات الحقائق الكونية •

وأن لرجال اللاهوت وحدهم حق تفسير نصوصه وعلى الناس أن يتقبلوا كل ذلك دون مقاومة أو مناقشة بل دون ما تفكير أو تعقل، مما ترتب عليه اعتبار أن كل ما سوى هذا الكتاب باطل لا يجوز للوقوف عنده أو مدارسته مادام رجال اللاهوت هم الممثلين لله فى الأرض ولهم الحق فى تعذيب من يقاوم هذه الأفكار « الفكر الاسلامى منابعه وآثاره ص ٢٨ ــ ٢٩ » هذه هى بداية الشرارة التى أوقدت نار الصراع •

وانني كمسلم • أرى أن الحق يقتضى هنا أن أقرر أن هذه التصرفات من جانب رجال اللاهوت لاتمثل دين الله تمثيلا صادقا فلايعقل أن يبلغ دين صحيح هذا المدى من الحجر على العقول ــ سيما اذا تأملنا المسيحية فى سماحتها الأولى فلقد كان ابن مريم وأمه عليهما السلام آية وكانت له معجزات باهرة وهذه الآيات كلها من شأنها أن تستوقف الذهن وتحرك نشاط العقل والا اصبحت عديمة الجدوى •

ومن ناحية أخرى ــ فلنفرض جدلا أن هذه المعلومات المودعة فى الكتاب المقدس هى من عند الله فعلا • ما كان يمكن أن يؤدي بحث أى باحث الى مناقضتها لأنها على هذا الفرض تستند الى تقرير العليم الخبير •

فلوشاء الله تعالى أن يودع الكتاب المقدس بعض حقائق الكون ما كان يمكن أن يظهر للبحث العلمي خلافها •

لكننا نعلم من خلال دراستنا عن الاسلام والعقل أن الاسلام ترك مجال الكون لعمل العقل ولم يضع عليه قيودا فى هذا المجال الا قيودا خلقية حتى يتجه العلم الى خير الانسان وعلى كل حال فقد ترتب على هذا الموقف الكهنوتى • ان قاوم رجال اللاهوت كل فكر حر فى مجال العلم • وحرموا الطب والرياضة والفلك فأعدمت بعض كتبها وألقت بعضا آخر فى مغارات لا يطلع عليها أحد •

وأصدرت الكنيسة قرارا بتكفير من قال بدوران الأرض (نفس المصدر) وكان لرجال اللاهوت مواقف مضحكة مبكية حقا •

فعندما قال العالم ــ دومنيس •

ان "قوس قزح" ليس قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد – كما هو تعليل اللاهوت للظاهرة – بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء جلب هذا الرجل الى روما وحبس حتى مات ولم يكتفوا بذلك بل حاكموا جثته وكتبه فحكم عليها والقيت في النار .

وعندما نشر كتاب « كوبر نيقوس » الذي يثبت به دورة الأرض حول الشمس ثم زاد جاليليو بواسطةتليسكوبهاثباتاقمار المريخ واثبات دورة الارض حول نفسها هبوا لمقاومته وقرر المكتب المقدس أن مذهب كوبر نيقوس سخيف وبمقارنته بما جاء في وصية المسيح يعد كفرا والجدير بالذكر هنا أن القول بكروية الأرض ظهر عند المسلمين في خلافة العباسيين ولم يتحرك له ساكن في حين اعتبر كشف كولومبس لأمريكا مخالفا لأصول الدين عندهم .

ثم جاءت محاكم التفتيش فاعتبرت العلماء والمفكرين مجرمين وجدت في طلبهم وأوقعت من الرعب في قلوب الأوربيين ما خيل معه الى كل مفكر أن السلاسل والاغلال أسبق الى أحدهم من ورود الفكرة العلمية الى خاطره « الاسلام والنصرانية » .

ويقال ان روما حرمت تعليم نظام المجموعة الشمسية الى ما بعد منتصف القرن الثامن عشرالغ هذه الأمور التى توجها اللاهوت بصكوك الغفران واصدار قرارات الحرمان والتحالف مع السلطة الزمنية الاستبدادية .

مما ضيق الخلاق على الناس عامة والعلماء خاصة . فغلت النفوس وامتلات القلوب بمفجرات الحرب الوشيكة الاندلاع ضد الدين ورجاله والاستبداد واهله .

ويمكن أن نحلل هذا الموقف من مواقف الصراع من الناحية النفسية فالتفكير عمل القوة العاقلة . التى ما لم تحترم يكون لها من الضغط على الانسان ما للغرائز العضوية الفسيولوجية اذا ما منعت حقها وحرمت التعبير عن نفسها فالتفكير غريزة أو كالغريزة وقد تعامل الاسلام معه على هذا الأساس فاحترم هذه القوة الضاغطة وترك لها الكون كلا مباحا كما تقدم بل احترم فيها أمرا آخر وهو حب استطلاع الغيب فأعطاها العقائد محروسة بسندها العقلي وأخذ بيدها الى الاستدلال حتى يكون الايمان بها عن الاقتناع الكامل .

وحتى يتوفر جهدها الخلاق لما خلقت له لذلك كان أقسى ما في هذا الموقف الكهنوتى محاربة غريزة الفكر على غير أساس من العلم بل محاربتها بتقرير أمور باطلة لا تزيد العقل الا حماسا واصرارا على البحث مهما كانت النتيجة .... نتيجة لالحاح ملكة الفكر وضغطها لتأخذ حقها في التعبير عن نفسها على كل حال .

لما كان لكل فعل رد فعل مساو في القوة ومضاد في الاتجاه فان رد الفعل كان شديدا جدا وكان له من قوة الانفجار ما للضغط من قوة الحبس وانطلقت الثورة ضد الاستبداد . وضد رجال الدين . أو ضد الدين . هذا الذى

عذبهم وهد كيانهم العلمي ــ وكانت ثـورة علمية سياسية .

وكان لابد من رفض الدين . لأنـه أخـذ عندهم مفهوم . الجهل ومعاداة العلم وعداوة التقدم . لأنهم رأوا فيه عائقا عن السير نحو التقدم وفصلوه عن أمور الحياة وقصروه على الشعائر . ومنعوه من الهيمنة على شـئونهم وانطلقوا من عقالهم هـاجمين على الكـون بعقولهم . فأسـفرت لها بعض حقـائقه عن وجهها وأحصوا وقتها معظم حرم الكهنـوت فى حرمانهم من الامساك بزمام الكون وتسخيره لخدمة الانسان .

ولم يكتفوا بعزل الدين فى معبده بل كروا عليه . وكأنهم أرادوا القصاص من حقـائق الدين نفسها فانحرف العلم فى بعض اتجاهاته الى الالحاد ودفعهم حقد دفين على اللاهوت وأهله الى اعلان أنه لا وجود الا للمحسوس . وتطـرق الى انكـار وجـود الله . وزعموا أن قيادة المادة محتواة فيها والى هذا الحـد نرى أن الكنيسة أزكت شرارة الفكر المـادى الملحـد عن طـريق رد الفعل العنيف الذى أحدثه الاضطهاد عند العلماء .

وفى نفس الوقت خيل لهم أنهم لم يتقدموا الا بعد الاجهاز على الدين لأنه عدو التقـدم وفى الحق أن ما دعوه دينا ليس من دين الله فى شىء .

وكانت الطامة أن لقموا بهـذه النظـرية عقول المـتصغرين من أبناء الشرق الذين نادوا بدورهم الى أن الانسـانية لن تتقـدم الا باستدبار الدين . وأخـذوا يضـلون ويضربون المثل بأوربا .

ولكن الشىء الذى عمى عنه الاوربيون وهم فى ثورتهم الغامرة هو أن المناهج العلمية التى ساعدتهم على التنبه الى جهل معطيات الكهنوت فى مجال العلم هذه المناهج نشأت وترعرعت فى ظل دين سماوى هو الاسـلام .

فهذه المناهج نقلت الى الغرب عبر معـابر مختلفة ــ عبر الاندلس الاسلامية حينـذاك وصقليه وغيرهما . وهذه الحركة العلمية التى نقلت اليهم هذا التراث العلمى أصـحابها مسلمون يدينون بدين سماوى هو الاسلام .

وكان عليهم أن يتنبهوا الى ذلك ولا يقعوا فى هذا التعميم الشائن وهو رفض الدين جملـة وتفصيلا وكان عليهم أن يميـزوا بين دين هم عليه ودين هو مبعث حضارة علمية رائعة شهد لها بعض المنصفين من أبناء الغرب أنفسهم .

وعمى المستغربون عن هذه الحقيقة نفسها وعموا عن حقيقة أخرى هى أن الاسلام لم يتورط يوما ما فى مثل ما تورط فيه الكهنـوت وانما وظف الكون مـادة للفـكر العلمى ولم يتعرض قط لاملاء حقائق مفصلة فيما يتعلق بنظام الكون ولقد نشأت العلوم الاسـلامية التجريبية فى ظل الاسـلام . وكانت امتثـالا لأمر الهى :

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ » (١) .

« وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (٢) .

ولم يحدث أن كفر أحد العلماء باسم العلم .

والطريف أن فلاسفة الاسلام قد كفرهم بعض المسلمين نتيجة لخطئهم في جانب العقيدة . كما فعل الغزالى مع ابن سينا وغيرهم . لكن الملفت للنظر انه لم يكفره مثلا بكتاب القانون في الطب ولا في آرائه العلمية .

ونقل تراث هؤلاء الى أوربا وساهم في ارساء قواعد حضارتها العلمية ــ ومنهم ابن سينا والرازى وجابر بن حيان والبغدادى وغيرهم كثير ومهما كان من أمر فان مبررات فصل الدين عن الحياة هناك ليست موجودة عندنا هنا وقد برىء الاسلام تماما من كل ذلك الذى استبعد من أجله الدين هناك وأننى أسوق هذا الأثر الكريم الذى روى عن رسول الله ﷺ . حينما مات ولده ابراهيم وكسفت الشمس يومها فقال بعض الناس : كسفت الشمس لموت ابراهيم » فلم يسكت الرسول على هذه الدعوى ، لأن سكوته يعتبر تقديرا لها وهى خطأ ، فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا » (٣) ولذلك فانه ﷺ بقوله هذا حال دون وقوع كارثة . كان سوف يترتب عليها تكفير من قال بغير ذلك تعليلا للظاهرة أو اعتباره مخالفا على الأقل .

على أن فى قوله ﷺ .

« آيتان من آيات الله » .

لفتة كريمة للعقل الانسانى الى هاتين الآيتين . . . . وتعليلهما .

ولو شاء الله أن يكشف لرسوله ﷺ عن حقيقة السبب لفعل ولكنه لم يشأ . لأن ذلك متروك للعقل .

وهناك أمر جدير بالتنبيه اليه . هو أن وجود الاسلام الحقيقى انما يتمثل فى القرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله ﷺ .

ومن ثم حفظ الله كتابه « القرآن » عن أيدى البشر . حتى عن أيدى المفسرين أنفسهم فاجتهاداتهم انما هى حول هذا الكتاب الكريم وبقيت بجانبه ليفرق القارىء دائما بين النص الالهى والانتاج البشرى الذى لا يمكن أن ينصب على هذا الكتاب .

نقول هذا حتى لا يعترض علينا بما جاء عن بعض المفسرين بشأن تعرضهم لاقحام بعض المعارف العلمية التى ثبت خطؤها فى تفسيرهم أو شروحهم وهذه ميزة انفرد بها

(١) يونس ــ ١٠١

(٢) الذاريات (٢٠ ، ٢١) .

(٣) راجع صحيح البخارى فى الكسوف وبدء الخلق ، ومسلم فى الكسوف .

القرآن الكريم بإزاء ما يسمى بالكتاب المقدس ، الذى تناولته الايدى بالتأليف والتحريف ، ولم يعرفه الناس الا من خلال روايات كاتبيه ولذلك لم يعرف فيه حد فاصل بين المعصوم والمطعون ، ولا كذلك القرآن الكريم ، لأنه محفوظ بنصه الالهى حتى هذه اللحظة والى ما شاء الله تعالى ومن هنا كان هناك فرق بين دائما بين نصوص الاسلام الصحيحة وعمل المسلمين والحجة قائمة بالأدلة على كل حال فلم يكتف الغربيون بتصدير المفاهيم المشوهة عن ضرورة فصل الدين عن الحياة كعائق عن التقدم بل أنكروا على المسلمين فضلهم الحضارى والتاريخى على حضارة أوروبا بل وزادوا على ذلك بأن طرحوا الشكوك حول جهود المسلمين العلمية وكان ذلك امتدادا لحملة الاستشراق على الثقافة الاسلامية ومن هذه الشكوك ما أثاره :

المستشرق جوستاف آغون جروينباوم ، حول جهود المسلمين العلمية ومحاولة تجريدهم من الأهلية العلمية .

والشبهة التى يطرحها جروينباوم ، تتعلق بصلة العلم فى الاسلام بما يتعلق به اعتقاد كل مسلم من أن الله فعال فى أعماق الكون .

وقد أخذ جروينباوم على المسلمين اعتقادهم بأن العلوم فى جوهرها حقائق ثابتة انزلت على الانسان من أعلى .

ويطعن فى نسبة العلم الى المسلمين بناء على عقيدتهم ويرى أن نسبة العلم اليهم لا تخلو من تضليل .

يقول جروينباوم ، فى كتابه « حضارة الاسلام » .

« من الانصاف أن نحكم على ما اضطلع به المسلمون من جلائل الاعمال العلمية ، بميزان المواهب البارزة لحفنة من أفذاذ الرجال البارزين ، ولكن هذا الحكم لا يخلو من تضليل ، هو حكم عادل ، لأن مساهماتهم غير العادية قد أثرت ولن تبرح تؤثر فى أجيال مترامية .

وهو مضلل من حيث موقف الباحث المسلم العادى ازاء عمله ، فانه كان يرى العلوم فى جوهرها مجموعة ثابتة من الحقائق الشكلية والمادية أنزلت على الانسان ليصونها فيما قد نسميه بأزمنة ما قبل التاريخ » « حضارة الاسلام ص ١١٧ » .

ثم ينقل بعد ذلك كدليل على ما يدعيه ، عن ابن القفطى حديثه عن الخلاف فى أول من تكلم فى الحكمة وفروعها من الرياضى .. والمنطق والطبيعى والالهى ، وقوله ان كل أمة تذكر الأول عندها وليس هو الأول باطلاق ثم انتهاؤه « ابن القفطى » الى أن خلاصة النظر فى هذه المسألة انتهت الى أن ذلك كان نبوة انزلت على ادريس عليه السلام .

وكل الأوائل المذكورة عند العالم هى من قوله أو من قول تلاميذه .

ثم يقتبس جروينباوم ، من ابن حزم قوله ، ان العلوم والصناعات لا يمكن أبدا

أن يهتدى اليها أحد بطبعه كالطب ومعرفة الأمراض والطبائع وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الى تجربتها . كلها فى عشرات الآلاف من السنين ومشاهدة كل مريض فى العالم . وما يصدق على الطب يصدق على الفلك . والغرض الذى من أجله وهب الله الناس هذا العلم هو أنه يجعلهم يدركون عظمته متجلية فى عجائب الطبيعة « نفس المصدر » .

ثم يقول . جروينباوم :

ومن ثم فان الغاية القصوى من البحث مقدرة منذ الأزل . فالدراسات التى تتم بروح خاطئة . أو التى تؤدى الى نتائج ميتافيزيقية غير متوقعة كانت توصم بالزندقة . وليس من المستطاع أن يكون المخلصون للمثل الأعلى الاغريقى فى البحث عن الحقيقة وفيرى العدد فى نظام يعتمد ثباته وبقاؤه على الانتصار أبدا للحقائق الموحاة « نفس المصدر ٤١٨ » .

هذه هى دعوى هذا المستشرق بأسانيدها .

وهو يرى أن نسبة العلم الى المسلمين نسبة مضللة من حيث أن المسلم أو الباحث المسلم يؤمن بأن العلوم فى جوهرها مجموعة ثابتة من الحقائق أنزلت على الانسان ليصونها :

وتصوير أمر الباحث المسلم على هذا النحو تصوير مضحك حقا ولا يظفر بأى تأييد حتى وان كان ذلك مستندا الى ما زعمه القفطى أو غيره .

فالمسلم يأخذ عقيدته من القرآن الكريم وما صح قطعا من سنة رسول الله ﷺ لا من ابن القفطى ولا من ابن حزم فابن القفطى يصور رأيه . هو . وهو حتى فى هذا التصوير انما يتحدث فيما نقل عنه جروينباوم عن أول المعرفة . وأول من تكلم فى فروعها ــ لا فى المعرفة مطلقا من حيث كونها معرفة .

ومن ثم فان هذا النص لا يسند دعوى هذا المستشرق . علاوة على أنه لا ابن القفطى ولا ابن حزم يعتبر مصدرا لما يمكن أن يراه الباحث المسلم أو يعتقده بهذا التعميم الذى بدا فى معالجة الرجل لهذه القضية على هذا النحو .

ويخيل الى أن كلام ابن حزم جاء فى معرض التحدث عن الهداية الالهية وهى أمر هام فى المنهج العلمى ــ واستبعاد اهتداء الانسان بطبعه الى هذه الامور لأن ذلك سوف تقضى دونه آلاف السنين .

ثم يبين الحكمة من هذه الهداية وهى ادراك عظمة الله المتجلية فى الكون . وهذا الادراك لعظمة الله هذه التى تتجلى فى الكون متجدد عبر الزمان وتوالى الأعصار فحركة العقل عبر العصور التى تحاول سبر أغوار هذا الكون تزكى هذا الادراك تزكية لا يمكن ان يحدثها ايحاء هذه العلوم طفرة واحدة عبر جيل واحد يمكن أن يضل ما بعده من أجيال أو ينسى مصدر المعرفة الأول .

وكان المفروض على هذا المستشرق علميا

وهو بصدد تقرير أمر كهذا أن يتناول القرآن والسنة الصحيحة . وما كان يمكن أن يؤديه بحثه الى هذه النتيجة .

لأن هذا القرآن قد خاطب المسلمين يقول الله تعالى .

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ »

والاستفهام هنا له مغزاه العميق واذا كان كلام ابن القفطي يعطي ما فهمه هذا المستشرق فمعنى ذلك أن المعارف الطبيعية جميعا أنزلت وحينئذ يكون لا معنى لأمر المسلم من قبل القرآن بأعمال النظر في الكون . ولماذا اذن مادامت حقائق الكون كلها قد هبطت .

ان قبول ذلك معناه المصادرة على حركة العقل في الكون . كما يقتضي أن تظهر حقائق الكون كلها مرة واحدة وهو خلاف الواقع لأن هذه الظواهر تتجاوب مع حركة العقل في الكون وتتناسب مع حركته الواعية تناسبا طرديا . والحقائق الموحاة التي يتحدث عنها هذا المستشرق ليست تتعلق بتفصيلات ما يمكن أن يكشف عنه النقاب للعقل من ظواهر الكون .

وانما تتعلق بجوانب العقائد الميتافيزيقية علاوة على أن هذه الحقائق الموحاة لا تصادم فكرا بل هي موحاة على نحو متعقل يقتنع به العقل ويؤخذ بيده الى مواطن الاستدلال عليها ، كما بيناه في دراستنا عن الاسلام في ميزان العقل . في تقرير الاسلام للعقائد كلها على نحو متعقل او مفلسف وحديثه عن الدراسات التي تؤدي الى نتائج « ميتافيزيقية » غير متوقعة ووصفها بالزندقة فهو مبني على سوء فهم لموقف العقل من « الميتافيزيقا » فهي بطبيعتها لا يحسمها العقل وقد بينا ذلك في حديثنا عن حدود العقل ومداه في الاسلام .

ومادام الأمر خارجا عن نطاق العقل . وقد قررها الاسلام . وأقام دعائمها وأقنع بها المخاطبين بها .

واذا ثبت وجودها بالعقل مسترشدا بالوحي . فان العودة الى انكارها بالعقل خطأ جسيم واستعمال للملكات في غير ماخلقت له . وتبديد لطاقة الفكر ان المسلم يتجه بامكاناته العقلية والعلمية نحو الكون وبين جنبيه عقيدة ميتافيزيقية متعقلة هامة . هي أن الله تبارك وتعالى . هو وحده مكون الكون ومقنن قوانينه ومنظم نظمه ومحول أحواله . وهذه القوانين والنظم والاحوال حقائق ثابتة كما يقول الرجل وهذا أمر لا شيء فيه . لا دينيا . ولا فلسفيا . ولا علميا .

ومن ناحية أخرى فان الكشف العلمي عن قوانين الكون في جانب كبير منه مبني على الحدس والالهام المتلقى من الملهم الأعلى وهو الله تبارك وتعالى .

فمن الفروض العلمية ما يستمد من الحدس والالهام . ولا يخفى علينا ما يعبر عنه بالالهام المفاجيء في حل المعضلات الرياضية المعقدة . وقد حكي عن بعض علماء الاسلام كابن سينا أنه كان اذا صادفته معضلة علمية صعبت عليه أو غربت عن عقله . قام فتوضا

من مزاعم المستشرقين

فصلى ركعتين هناك — أحيانا — يفتح عليه • أو ينام بعد ذلك فيلهم حلها مناما •

ومصدر الالهام والحدس فى المسائل العلمية ليس ذات الانسان • ولا قوة صناوية له وانما مصدره قوة عليا لا تخضع لمعمل ولا تحكمها تجربة • ولا تستوعبها ملاحظة فهى قبس من مصدر النور الأعلى •

ولا أدل على ذلك من الاكتشافات العلمية المفاجئة المذهلة المبنية على الالهام الذى يحار غير المؤمن فى مصدره ولا يستطيع له تفسيرا معقولا عنده فيفزع الى القول بالصدفة ويحسب أنه قد استند الى ركن ركين وحصن أمين • لكن مذهب الصدفة فى النهاية أو هى من نسج العنكبوت لجأ اليه ملحدو الغرب حين أبعدوا غير المحسوس عن موضوع الايمان فضلوا الطريق الى الله الملهم المبدع •

ومن ناحية أخرى ثالثة أيضا فانه لا شك أننا اذا سرنا مع العلم خطوة خطوة الى أوله نجده يتصل بسبب الهى أو بسبب يتصل بسبب الهى « وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى » فالله فاعل مطلق فى أعماق الكون • ولسنا فى حاجة — لكى نحقق نسبة العلوم الى أصحابها أو من ظهرت على أيديهم • أن نرفض الميتافيزيقا أو نرفض عقيدة وجود الله أو نجنح الى ما جنح اليه أرسطو « وهو من أصحاب المثل الأعلى الاغريقى كما يقول هذا المستشرق » •

أقول لسنا بحاجة الى أن نقول بعزل الاله عن العالم والتأثير فيه ، وهيمنته تعالى على كل شئونه • حتى تتسنى لنا هذه النسبة على الوجه الصحيح سيما اذا كان الله سبحانه هو الذى أمر باعمال الفكر واجالة النظر فى الكون •

وذلك كله لا يعطى ما يدعيه جروينباوم من التضليل فى نسبة الجهود العلمية لأن العلم على الرغم من كل ذلك ينسب اسلاميا الى صاحبه كأى نشاط انسانى « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » •

وكما أن الايمان لا يطعن فى أحقية النسبة كذلك فان النسبة ليس فيها ما يمس قضية الايمان ولا قضية العلم • فالمعجزة عندنا نحن المسلمين تنسب الى النبى وهى فى نفس الوقت فعل لله •

كذلك لا يحد من الجهود العلمية عند المسلمين ولا يشكك فى نسبتها ذلك التقدير الأزلى لنتيجة البحث • كما يقول المؤلف • وقد سبق أن رددنا على ذلك فيما يتعلق بمشكلة القدر وعلاقتها بالاجداب الفكرى فى زعم بعض المستشرقين •

ولا يمكن لمسلم أن يعزل قدرة الله عن العمل فى الكون ولو قرأ جروينباوم المذاهب الفلسفية الاسلامية التى عالجت موضوع الحرية الانسانية•

لوجد أن أشدها غلوا فى تقرير حرية الانسان بل وخلقه لفعله الاختيارى لم تسقط الجانب الالهى فى هذا الفعل أو ذاك • حتى لقد قال المعتزلة ان العبد يخلق فعله بقدرة أودعها الله فيه •

ومن ناحية أخرى رابعة :

فان اعتقاد المسلمين بأن الكون مجموعـــة حقائق ثابتة يؤيده الواقع فعلا فحقائق الكون ثابتة .

والتغير المشاهد . والتعديل الملاحظ . انمـا يأتي من مرحلية كشفها كذلك يتعلق بدرجـــة استكمال الوسائل المتيحة لذلك .

فنحن قد نكتشف حقيقة ما على مـراحل . وقد تتأخر بنا امكانياتنا فلانكتشف أمرا مـا الا في وقت متأخـر . فليس معنى اكتشـافنا لجرثومة معينة في القرن العشرين ، أو فيروس مثلا ان كشفنا لها قد أوجدها . بل هي موجودة فعلا . وقد تكون بعض خواصـها لازالت في المجهول بالنسبة الينا نحن حتى يأتي غيرنا ممن تتاح له فرص كشفية أكثر ومن هنا فان هناك فرقا كبيرا بين الكشف لشيء ووجود هذا الشيء في الواقع ونفس الامر .

بل قد يعتور الكشف العلمي بعـد القصـور نتيجة لقصور الامكانيات حتى ولو دخـل في الكشف بعض العناصر الايجـابية في تركيب العناصر أو تحليلها . فيجيء بعد ذلك مكتشف آخر أو باحث آخر . فيحيط بما لم يحط بـه الاول مـن بعض الجوانب التي غابت عنـه . فتبدد لـه وجوه أخر فالباحث قـد يضع لبنة يختبر صلاحيتها باحث آخر فيعتمدها ويضيف اليها أو يبطلها ويستبدلها .

البحث العلمي اذن يقـوم على التكـامل . والتعاون .

والصدفة في اكتشاف ظـاهرة ما انمـا هي بالنسبة لحال المكتشف اما الظاهرة في حد ذاتها فهي ثابتة مستقرة وان لم يطرق بابها طارق . أو قل هي أمر أراد الله ابداءه في وقته المقدر بعد أن قصرت دونه همم الخلق . أو ضـلت الطريق اليه ، وعلاوة على ذلك كله .

فان العلم الحديث نفسه لا يخلو من بعض الفروض المسلمة دون قدرة على البرهنة عليها. رجاء أن يواصل العلم خطـواته ولا يتعثر في بحث هذه الفروض وقد سجل عالم الطبيعـة « ماكس بلانك » وصفا رائعا لخيال العـالم الذي يتحسـس بأصـبع حـدسه وشفافيته الوجدانية بعض الفـروض التي لا تلبث ان تصبح قوانين أو نظريات يقول في ذلك بعض علماء الغرب « عنـدما يرسل الرائد في العام أصابعه يتحسس أفكاره فلابد من أن يكون له خيال وجداني لأن الافكار الجديدة لا تتوالـد بلا استنباط قدر ماتتولد بالخيال النقي المبدع» « في الفلسفة الاسلامية ص ٨٨ » .

ويقول بول موى .

« فاذن بعض الصفات التي تعـد قـواما للروح العلمية خارجة عن المجال العقلي ».

« نفس المصدر »

ولا شك أن ذلك كله ليس من صـنع العالم ولا ارادته فالجانب الالهامي أو الابداعي أشبه ما يكون بالوحي ــ ان صح التشبيه .

واستناد المعارف كلها الى الله . في نظـر المؤمن لا يعني محو شخصيته في البحث . أو

عدم جدوى البحث . وقد تقدم لنا شيء من أمر الله في القرآن بالبحث العميق والنظر الدقيق في الأنفس والآفاق ، والأصل الالهي للعلم والفلسفة ليس بدعا من الأفكار العلمية أو الفلسفية أليست معرفة الله تعالى هي أصل المعارف ومنبعها عند ديكارت ؟

أليس الرجل قد ارتمى في أحضان الايمان بالله . الذي أصبح عنده يمثل شاطيء الامان وزورق النجاة من فتك امواج بحر الشكوك المظلم وعواصفه .

ان ديكارت يرى أنه بغير الله لا سبيل الى يقين عن قوانين العقل ولا ثقة بها ولا سبيل الى اليقين عن قوانين العالم وطبيعته ولا سبيل الى يقين عن واقعيته فالله هو مصدر اليقين كما هو مصدر الوجود وهو واهب الحق وضامنه كما أنه خالقه وبارؤه » « الله أساس المعرفة والأخلاق عن ديكارت ص ١٤٧ » .

هل يستطيع جرونباوم أن يشكك بناء على ذلك في علم ديكارت وفلسفته ؟ هل يستطيع أن يشكك في نسبة فلسفة ديكارت وعلمه بناء على ايمانه بالله على النحو المتقدم ؟

ان هؤلاء المستشرقين لا يرمون من وراء هذا التضليل الا الى الطعن على المسلم من حيث هو مسلم — وعلى عقيدته من حيث هو معتقد .

ان اينشتاين يربط بين البصيرة الدينية والبصيرة العلمية حين يقول . « ان بصيرتنا الدينية هي المنبع الوحيد وهي الموجهة لبصيرتنا العلمية » .

هذه هي حال العلم وحال الفلسفة معا . بازاء موقفهما من الله ومعرفته كذلك وكذلك الدين عند بعض أقطاب الفكر .

ولا أدرى لماذا هذا الاصرار من أمثال هؤلاء المستشرقين الذين لا يؤمنون بتعايش العلم والفلسفة الاسلامية مع عقيدتنا .

وهم يعلمون تمام العلم أننا نعتز بديننا ونسبتنا اليه فوق اعتزازنا بالعلم هل يريدون منا أن نبعد ما بقى لدينا من الدين عن حياتنا العلمية والفلسفية حتى نحظى بتقديرهم .

ان الاسلام كان نبعا صافيا للفلسفة الصادقة .

وقد علمنا الاسلام كيف نتفلسف . ودفع الى العلم دفعا . وتعايشت العقيدة الاسلامية الحقة والعلم الاسلامي الحق في وئام وسلام . وساهم الاسلام بدور هام في رقى الفلسفة والعلم الانساني والحضارة البشرية . وقد شهد بذلك المنصفون للحقيقة من علماء الشرق والغرب .

وانني اذ أشكر القارىء الكريم على متابعة هذه المقالات التى طالت نسبيا أرجو من الله أن يعيننا على الاسهام في الدفاع عن العقيدة والدين الله أعلم .

دكتور محمود عبد المعطي بركات

مشيخة علماء الجامع الأحمدي

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

الجزء الأخير :

تحدثنا فى المقال السابق على صفحات هذه المجلة المباركة عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس ١٩٨٤ م تحت عنوان :

« مشيخة علماء الجامع الاحمدى » تحدثنا عن هذا الجامع الميمون كمركز من مراكز العلم فى الاسلام ، فذكرنا نظام الدراسة به وهى الحلقات العلمية التى يلتف فيها الطلاب حول شيوخهم يتدارسون العلم ويفهمون منه ما استغلق عليهم فهمه ... من تفسير وحديث وقراءات وفقه على المذاهب الأربعة ، اضافة الى علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وأدب وغير ذلك من علوم الطب والفلك والرياضيات وما أشبه ذلك .

وذكرنا نماذج لدروس العلم فى كتب الفقه والشيوخ والطلاب وعددهم فى الحلقة وبلادهم ومراكزهم والمديرية التى يتبعونها ، وكيف انهم كانوا يعفون من القرعة العسكرية بسبب طلبهم للعلم باعتباره التمة فى الجهاد .

كما ذكرنا التبادل العلمى والثقافى بين الجامع الأزهر بالقاهرة وغيره من مراكز العلم بالعالم الاسلامى شرقا وغربا ، وبين الجامع الاحمدى بطنطا .

ثم عرجنا بالحديث الى عمداء هذا الجامع العظيم وكان اولهم الشيخ محمد ابو النجا وشهرته مجاهد ، وآخرهم الآن هو الشيخ محمد ابو الفتح شاهين مد الله فى عمره .. ثم تحدثنا عن بعض حلقات العلم ودروسه فى هذا الجامع ومنها درس الشيخ محمد القصبى شيخ الجامع الاحمدى ودرس الشيخ محمد

الجندى الشافعى ، ودرس الشيخ المنهراوى المالكى وغيرهم ..

ونضيف أن الدراسة بدأت فى هذا الجامع على وجه التقريب فى أوائل القرن الثامن الهجرى دراسة بسيطة للاتباع والمريدين ، ثم اتسعت شيئا فشيئا حتى كثر عدد الحلقات التى كانت تتراوح بين الأربعين والستين حلقة ، ما بين ثلاثمائة طالب وخمسين طالبا فى الدرس أو الحلقة الواحدة ، حتى لقد وصل عدد الطلاب فى بعض سنى الدراسة الى اربعة آلاف وخمسة آلاف وستة أحيانا فى الجامع الاحمدى وذلك من واقع السجلات والوثائق ..

اعاشة الطلاب :

هذا العدد الكبير من الطلاب كان يعيش اعاشة كاملة تريحه من عناء المأكل والمشرب والمسكن والملبس والكتب الدراسية وغيرها من وجوه الراحة والأمان والاطمئنان حتى يتفرغ الطالب والشيخ كلاهما لطلب العلم فقط ..

فكان الطالب لذلك يعتبر موظفا عمله اليومى وشغله الشاغل هو طلب العلم لا شيء غيره ، فاذا خرج الطالب عن هذا الوصف ، كأن انقطع عن طلب العلم أو اشتغل بغيره قطعت مرتباته ومحى اسمه من سجلات المشيخة ..

ونلحظ التشديد على مراقبة شئون الدراسة بهذا الجامع فى كل الوقفيات التى أوقفها الخيرون على الطلاب والشيوخ كوقفية على بك الكبير والحاج محمد على القطاطرى وابراهيم أرناؤوط واحمد باشا المنشاوى وغيرهم كثير ...

ولذلك نجد مشيخة الجامع الاحمدى تنفذ شروط الواقفين بكل دقة ، ونلحظ ذلك جيدا فى محاضر جلسات مجلس ادارة المشيخة التى تضع باستمرار ما يكفل حسن سير العمل بعد مراقبة الطلاب من الناحية العلمية والسلوكية .. فعينت لذلك ملاحظين يلاحظون مذاكرة الطلاب ليلا واضاءة الأنوار لهم ومنعهم من الاختلاط بقرناء السوء ، كما عينت لهم مراقبين ممن يمتازون بقوة العلم والخلق والشخصية يراقبون سلوك الطلاب خارج الجامع ، ويكتب تقارير ترفع الى المشيخة يوما بيوم لضمان حسن السلوك .

الجراية اليومية (الغذاء) :

الجراية هى مقدار من الخبز يصرف يوميا للطالب وللشيخ ، للأول نصف ما للثانى وكان يقوم بتوريدها للمشيخة متعهد من « الخبازين » من ذوى المخابز بطنطا بعد الاعلان عن ذلك فى مناقصة بشروط معينة بين الخباز والمشيخة .

والجراية عادة تكون من الخبز القرصة (اتكامل الاستدارة) الجيد العلامة (الدقيق الفاخر) وقد اشترط فى هذا الرغيف المخصوص أن يكون بالغا حده فى السيواء والا يكون ناقصا

عن المحدد فى العقد أو به « وساخة » او عيب فاذا حدث مخالفة كلف المتعهد باحضار غيره وهكذا والرغيف هو الاساس فى الغذاء وهو قاسم مشترك بين الجميع للطالب ثلاثة وللشيخ ستة يوميا .

وبالاضافة الى ذلك كان هناك اللحم وشربة الأرز فى الغذاء كما تنص على ذلك وثيقة على بك الكبير وغيرها وكذلك الحلوى والصابون شهريا ، وكذلك « الجامكية » وهى المرتب الشهرى من النقود ، وهو ما يطلق عليه فى عصرنا الحاضر « مصروف اليد » الذى يعتبر ترفيها للطالب ..

اسكان الطلاب بالجامع الاحمدى :

كانت توجد فى الجهة الشرقية والغربية من الجامع « خلاوى » يقيم فيها الطلاب مجهزة بالأسرة والفرش والغطاء لكل طالب سرير ، وكتبية حائطية أو « دولاب » يضع فيه الطالب أمتعته الشخصية وكتبه الدراسية .. وكانت الخلوة عبارة عن حجرة تتسع لعدد من الطلاب بحسب حجمها ، ويسكن فيها عادة طلاب من بلاد متجاورة حتى يألف بعضهم طباع بعض .. وهناك تقاليد وأعراف تطبق على الجميع فمن خرج عليها قطعت جرايته وخصم من درجات سلوكه ..

كسوة الطلاب والشيوخ :

كانت هناك كسوتان للطلاب والشيوخ احداهما صيفية وتكون عادة من الملابس القطنية (داخلية) ، والخارجية هى قفاطين وفرجيات خفيفة ومناديل وشدة للوسط « ومركوب » من الجلد وعمامة وطاقية ، وفى الشتاء كسوة كهذه لكنها من الصوف .. وكانت ملابس العالم تكفل له الرونق والوقار

مكتبة الجامع الاحمدى :

بالاضافة الى المأكل والمسكن والملبس من حاجات الغذاء والمأوى والراحة يبقى الغذاء الروحى والعقلى ، ويقوم الشيوخ ببعضه وتقوم المكتبة ببقية هذا الزاد العظيم ولم ينس الخيرون من الأمراء والعلماء أن يمدوا طلاب هذا الجامع بهذا الزاد الذى لا ينقطع أبدا وهو الكتب الدراسية .. التى نجد منها الآن عددا كبيرا ما بين مخطوط ومطبوع بالاضافة الى ان بها كتبا ثمينة نفذت طبعاتها وقل نظيرها .

تزويد المكتبة :

كان يتم تزويد مكتبة الجامع الأحمدى بعدة طرق منها النسخ والاهداء والشراء .

أولا : النسخ وهو مهنة شاقة ومرهقة يشترك فى ذلك الطلاب والشيوخ تطوعا

وحسبة لوجه الله تعالى ، والفقراء منهم كانوا ينسخون بالأجر نظرا لظروفهم المعيشية ..

وتوجد عادة حجرة ملحقة بالمكتبة بها أدوات النسخ من محابر وأقلام غيرها ..

ثانيا : الشراء حيث تشترى بعض الكتب اللازمة للدراسة ، من المطابع ودور النشر فى مصر أو خارجها ، وقد تبرع القيمون بشراء الكتب ووقفها على الطلاب ، بالاضافة الى المخصص فى ميزانية المشيخة تحت بند شراء الكتب .

ثالثا : الاهداء : حيث يهدى الوجهاء من الأمراء والشيوخ وغيرهم مكتباتهم الخاصة الى مكتبة الجامع الاحمدى فى حياتهم أو بعد مماتهم ، وكان بعضهم يشترط أن تبقى كتبهم المهداة فى دواليبها الخاصة بها ، ولذلك سميت بالمكتبات الخاصة ومنها على سبيل المثال لا الحصر مكتبة الشيخ عبد الوهاب بركات وهو احد الشيوخ الذين كان لهم درس كبير فى الجامع الاحمدى .

نظام الاستعارة من المكتبة الاحمدية :

كانت الاستعارة من هذه المكتبة اما داخلية ولا يسمح فيها بخروج الكتب خارج المكتبة وذلك كالمخطوطات والكتب النادرة ، واما خارجية وهى استعارة الكتب لقراءتها ودراستها خارج المكتبة ..

وكانت المكتبة الأحمدية تسير على نظام تنفرد به هى ومكتبة الأزهر ومكتبة مشيخة علماء الاسكندرية ، وهو نظام « التعميرة » وهو عبارة عن استعارة ملزمة من المخطوط أو الكتاب بفاذا انتهى من مذاكرته فى مدة محددة ، أعاده وأخذ غيره وهكذا حتى ينتهى من قراءة الكتاب كله ، وهذا النظام العظيم كان مفيدا من عدة وجوه منها عدم ضياع المخطوط كله أو الطمع فيه ، وسرعة انجاز قراءته ، والا حرم المستعير من الاستعارة مرة أخرى..

وهذا فى العصر الذهبى لدار الكتب الاحمدية ، حيث كانت المشيخة تشدد فى الكتب المستعارة وتحاسب أمين المكتبة ومعيريها على اعمالهم فى طلب التعامير حيث يقومون بدورهم بمراسلة الشيوخ ولو كانوا من ذوى النفوذ وطلب الكتب المعارة لهم أو لمن ضمنوهم من الطلاب .

الصلة بين مشيخة الأزهر ومشيخة الجامع الاحمدى :

لم تنقطع الصلة بين شيخ الأزهر بالقاهرة ومشيخة الجامع الاحمدى بطنطا فى يوم من الايام فشيخ الجامع الاحمدى عضو فى المجلس الأعلى للازهر هذا من ناحية ، ومن

ناحية أخرى كانت المكاتبات اليومية الى شيخ الجامع الاحمدى والعكس الى مشيخة الأزهر للتشاور فى الامور التى تهم سير الدراسة والامتحانات أو الأمور العامة أو الاصلاحات أو التعديلات المتعلقة بفقرات ومواد القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م ..

وحتى الخديوى لم يكن يبرم أمرا خاصا بمصلحة الأزهر الا بعد أخذ رأى شيخ الجامع الاحمدى .

مجلس ادارة الجامع الاحمدى :

وكان يتكون من شيخ هذا الجامع واربعة أعضاء يمثلون المذاهب الثلاثة والرابع من الخارج يكون عضوا بارزا له خبرة بمصالح التعليم فى الجامع الاحمدى ، وعادة كان واحدا من القضاة الشرعيين رؤساء المحاكم بمديرية الغربية بالاضافة الى كاتب أول المشيخة ويكون كاتبا للجلسة .

ويجتمع مجلس الادارة مرة كل أسبوع فى الظروف العادية ، ، الا اذا دعت الضرورة الى اجتماعه فى غير ذلك الوقت .. وينظر المجلس فى الامور الخاصة بنقل الطلاب الى معاهد أخرى والجرايات ونظام القبول بالمعهد وعقوبات الطلاب والالتماسات المقدمة وقبولها أو رفضها والميزانية (ايرادات ــ مصروفات) وغير ذلك من الأمور الكثيرة ، ولولا ضيق المساحة لنشرنا هنا بعض الجلسات التى لدينا منها الكثير .

كما ينظر المجلس فى الاضرابات التى يقوم بها بعض الطلاب لاصلاح حال المعهد ، وينصحهم بالتريث ويحثهم على طلب العلم وعدم التمادى فى تعطيل الدراسة ، و (رفت (١)) رءوس الفتن ومحو اسمهم من السجلات وغير ذلك من تشكيل لجان الامتحان واعلان النتائج وقبول المستجدين .

عقوبات الطلاب :

وحتى لا تنقلب الاضرابات الى فوضى رأت المشيخة أن تعاقب الطلاب المشاغبين الفوضويين وأن تضرب على يدهم بعصا من حديد .. وكان قطع الجراية وخصم درجات السلوك سيفا مسلطا على رقاب هؤلاء الذين لا يرعوون ولا يرتدعون بالاضافة الى محو اسمهم من سجلات الأزهر ، وكانت المشيخة عقب الاضرابات ترسل الى اولياء أمور الطلاب برفت أبنائهم اذا لم يعودوا لدراستهم فى يوم كذا ، ولا يعود الطلاب رغم التهديد الى الدراسة ، فيرفتون ، ومن ثم يتقدمون التماسات واعتذارات مشفوعة بالشهادات المرضية ، وينظر مجلس الادارة فى قبولها أو رفضها .. ولدينا وثيقة بها مجموعة من الطلاب الذين تزعموا القيام بالمظاهرات طلبا لحق وطنى خالص ، أو طلبا للعدالة فى أمر

(١) لم نعثر فى اللسان على (رفت) بمعنى فصل الشيء ، وهو جملة ، ويبدو فى اللفظ (توليد) .. مجلة الأزهر .

نال من الأزهر أو الأزهريين ، وقد فصلهم الادارة .

ومن هؤلاء الطلاب :

١ ــ سعد غراب .
٢ ــ أحمد عبد المنعم مراد .
٣ ــ محمد الطاهر ابراهيم .
٤ ــ ابراهيم فيشار .
٥ ــ محمد محمود دويدار .
٦ ــ عبد المجيد يوسف الغايش .
٧ ــ محمد عبد القادر عيد .

وقد قدم هؤلاء الطلاب التماسا بالعفو عنهم نظرا لنيتهم الخالصة وحبهم لمصلحة وطنهم ، وتاريخهم ناصع البياض وغير ذلك مما ذكروه في التماسهم ... وقد عفت عنهم المشيخة وخففت عنهم العقوبات ، وتقلد بعضهم مناصب كبيرة في الدولة (١) .

مرتبات العلماء :

كان العلماء الكبار بالجامع الاحمدى يحصلون على مرتبات ومخصصات سخية من الأوقاف والأزهر ، ولذلك كانوا يعيشون في بحبوحة من العيش مكنت بعضهم من الثراء والتفرغ للدعوة الاسلامية ، وبعضهم كان من خارج اقليم الغربية ففضل الاقامة في طنطا ...

المعهد الاحمدى كان يعطى طلابه درجة العالمية :

كان التعليم بالجامع الاحمدى ينقسم بعد صدور القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م الى ثلاثة أقسام أولى ، وثانوى ، وعالى ، وهذا القسم الأخير كان يعطى طلابه درجة العالمية التى يمنحها الجامع الأزهر ، وقد عثرنا على وثيقة تحوى أسماء (١٩٨) طالبا بينهم بعض النساء رقم ٤٨ ، رقم ٤٩ ، (٢) ، ومنهم الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر رقم ٦٢ (٣) .

خاتمة :

وبعد فالحديث ذو شجون ولدينا الكثير مما نريد أن نقوله عن هذا الصرح العظيم لكن ضيق المساحة اضطرنا ان نختصر ما نحب على حد قول الشاعر :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

ونعد المحبين من القراء الأفاضل اننا سننشر لهم كتابا جديدا باذن الله تعالى عن مشيخة علماء الجامع الاحمدى سيكون اول الموسوعة هذه والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

د. مجاهد الجندى

---

(١) المعلومات من جلسة لنا مع المستشار عبد المجيد الغايش بمنزله بالقاهرة ، وكان آخر وظائفه رئيس محكمة النقض . « الباحث » .

(٢) رقم ٤٨ فاطمة الحلفاوية ، المذهب شافعية من طنطا ، التحقت بالدراسة بالجامع الاحمدى عام ١٣٠٢ هجرية .
رقم ٧٩ فاطمة العوضية ، شافعية من طنبول الكبرى ــ لجا بقهلية التحقت بالدراسة عام ١٣٠٤ .

(٣) رقم مسلسل ٦٤ .

مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَّاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ۝

[illegible]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالصّٰٓفّٰتِ صَفًّا ۝ فَالزّٰجِرٰتِ زَجْرًا ۝
فَالتّٰلِيٰتِ ذِكْرًا ۝ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝
رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝ اِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا
بِزِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ
شَيْطٰنٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسَّمَّعُوْنَ اِلَى الْمَلَاِ
الْاَعْلٰى وَيُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝
دُحُوْرًا وَّلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ۝ اِلَّا مَنْ

خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاَتْبَعَهٗ شِهَابٌ
ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ اَهُمْ اَشَدُّ خَلْقًا
اَمْ مَّنْ خَلَقْنَا ؕ اِنَّا خَلَقْنٰهُمْ مِّنْ طِيْنٍ
لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُوْنَ ۝ وَاِذَا
ذُكِّرُوْا لَا يَذْكُرُوْنَ ۝ وَاِذَا رَاَوْا
اٰيَةً يَّسْتَسْخِرُوْنَ ۝ وَقَالُوْۤا اِنْ هٰذَاۤ
اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ ءَاِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ ۝
اَوَاٰبَآؤُنَا الْاَوَّلُوْنَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَاَنْتُمْ
دَاخِرُوْنَ ۝ فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ
فَاِذَا هُمْ يَنْظُرُوْنَ ۝ وَقَالُوْا يٰوَيْلَنَا

طرائف

قيل : أوحى الله الى العزير

ياعزير :

ان أصابتك مصيبة فلا تشكنى الى خلقى فقد أصابنى منك مصائب كثيرة ، ولم أشكك الى ملائكتى .

ياعزير : اعطنى بقدر طاقتك على عذابى وسلنى حوائجك على مقدار عملك ، ولا تأمن مكرى حتى تدخل جنتى .

فبكى عزير ، فأوحى الله اليه :
لا تبك ياعزير فان عصيتنى بجهلك غفرت لك بحلمى لأنى حليم لا أعجل بالعقوبة على عبادى .
وانا أرحم الراحمين

« مجاهدة النفس »

قال عون بن عبد الله : اذا عصتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك .

وقال الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » : يجب أن يكون (أى الانسان) فى التهمة لنفسه معتدلا ، وفى حسن الظن بها مقتصدا ، فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة ظلمها فأودعها ذلة المظلومين ، وان تجاوز بها الحق فى مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل . وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .

وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس .

وقال كشاجم :

لم أرض عن نفسى مخافة سخطها
ورضا الفتى عن نفسه اغضابها

ولو اننى عنها رضيت لقصرت
عما تريد بمثله آدابها

إعداد: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

وجبينت آثـــار ذاك فاكثـــرت
صلى عليــه فطــال فيه حثــايها

وقال حكيم : من قوى على نفســـه تناهى فى القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ فى المروءة .

اربعة تحتاج الى اربعــة

الحسب الى الادب ، والسرور الى الامن ، والقرابة الى المودة ، والعقل الى التجربة .

واربعة تؤدى الى اربعة :

العقل الى الرياسة ، والرأى الى السياسة ، والعلم الى التصدير، والحلم الى التوقير .

قالوا :

● لا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا
● لئن يفلق رأسى قسمين ، خيـر من ان يمسح وجهى وجهين .
● قصم ظهرى رجلان : جاهل متنســك ، وعالم متهتك ، هذا يضل الناس بتهتكه وذاك يغرهم بتنسكه .

● التواضع . ان تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه .
● خف الله كانك لم تطعــه ، وارج الله كانك لم تعصه .

الاصــابة بالظن

قيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟
قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال الشاعر :

وقلمـا يفجـا المكروه صــاحبه
حتى يـرى لـوجوه الشر اسبابا

وانما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ، ويفهم الكثير بالقليل .

« دعـــاء »

رب تقبل توبتى ، واغسـل حوبتى،واجب دعـوتى ، وثبت حجتى وســـدد لسـانى ، واهـد قلبى واجعلنى من الشاكرين .

من لطائف الفكاهات

والمداعبات والملح

لما كانت النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال بل ترتاح الى تنقل الأحوال كان من اللائق تعهدها فى بعض الأحيان بالنوادر وملاطفتها بما يسر الخواطر بشىء من الفكاهات او المداعبات او الملح لتؤوب الى ما تكلف به من اعمال وتثوب الى ما تعودته من نشاط وأفعال :

سفيان الثورى يفتى فى المزاح .

لما سئل سفيان الثورى : المزاح مُجْنَة ؟ قال بل سُنَّة لقوله عليه الصلاة والسلام (انى لأمزح ولا أقول الا الحق) (١)

وقد ثبت فى صحاح السنة أن رسول الله ﷺ كان يتبسم حتى تبدو نواجذه .

كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) (٢)

بعض من مداعبات رسول الله — صلى الله عليه وسلم

١ — من ذلك أنه قال لرجل طلب منه دابة لتحمله (انى حاملك على ولد الناقة) يريد البعير

---

(١) الحديث اخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى المزاح ج ٤ ص ٣٥٧ رقم ١٩٩١ طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى واولاده الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م بلفظ : عن ابى هريرة قال : قالوا : يارسول الله انك تداعبنا : قال : انى لا اقول الا حقا .

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ..

الباجورى

(٢) الحديث فى كشف الخفاء للعجلونى ج ١ ص ٥٢٤ رقم ١٤٠٠ بلفظ : « روحوا القلوب ساعة وساعة » وعزاه للديلمى وابى نعيم والقضاعى عن أنس رفعه ، وفى رواية : القلب بالافراد ، ويشهد له ما فى مسلم وغيره من قوله — صلى الله عليه وسلم — « يا حنظلة ساعة وساعة » .. الخ .. ١ / هـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر على السنة الناس للعجلونى نشر وتوزيع مكتبة التراث الاسلامى — حلب — اتبول امام جامع لسلمة — دار التراث ٢٢ ش الجمهورية القاهرة — الباجورى .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

فهو ولد للناقة (١) .

٢ ـ وقال ﷺ لامرأة من الأنصار جاءت تسأل عن زوجها (الحقى زوجك ففى عينه بياض) فسعت المرأة نحو زوجها مرعوبة فقال لها ماذهاك ؟ فقالت قال لى رسول الله ﷺ ان فى عينيك بياضا فقال:ان فى عينى بياضا لا لسوء (٢) .

٣ ـ وأتته عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع لى بالمغفرة فقال لها (أما علمت ان الجنة لا يدخلها العجز) فصرخت فتبسم ﷺ وقال (أما قرأت ـ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾) (٣) .

نعيمان البدرى كانت له شهرة بالمزاح فى عصر النبوة :

كان نعيمان أحد أصحاب رسول الله ﷺ البدريين له مزاحات كثيرة منها أنه . أهدى الى رسول الله ﷺ جرة عسل اشتراها من أعرابى ، وأتى بالأعرابى الى باب النبى ﷺ فقال:خذ الثمن من هاهنا .

فلما قسمها النبى ﷺ نادى الاعرابى : ألا أُعطَى ثمن عسلى ؟ فقال النبى ﷺ (احدى هَنَات نعيمان ، وسأله لم فعلت هذا ؟) فقال أردت برك يارسول الله ولم يكن معى شئ فتبسم النبى ﷺ وأعطى الاعرابى حقه (٤).

ابو هريرة الصحابى المحدث يحكى نوادر عن بعض الناس :

١ ـ يقول رضى الله عنه : دخل رجل الى المسجد بالمدينة والنبى ﷺ جالس فقام وصلى فلما فرغ قال (اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا) فقال النبى ﷺ (لقد حجرت واسعا يا أعرابى) (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى المزاح ج ٤ ص ٣٥٧ رقم ١٩٩١ ط الحلبى بلفظ : عن أنس بن مالك أن رجلا استحمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فقال : انى حاملك على ولد الناقة ، فقال : يارسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هل تلد الابل الا النوق .
قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب.
الباجورى

(٢) انظر المدخل لابن الحاج ج ٣ ص ٢٢٣ طبع دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٩ ط الشعب ذكر الحديث وقال : هكذا رواه الترمذى فى الشمائل عن عبد بن حميد .. والايات من سورة الواقعة آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ١٠ ص ١٨٠ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

(٥) الحديث أخرجه ابو داود فى سننه فى كتاب الطهارة باب الارض يصيبها البول ج ١ ص ٢٦٣ نشر محمد على السيد ـ حمص سوريا بلفظ : عن أبى هريرة أن أعرابيا دخل المسجد ... الخ ..
الباجورى

٢ ــ ويروى أنه قال (سمعت أعرابيا وهو يقول فى الطواف) اللهم اغفر لأمى فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال:أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة (١) .

أشعب بن جبير المدنى ونوادره :

كان أشعب بن جبير من سكان المدينة المنورة فى عصر التابعين قرأ القرآن وتنسك ويروى عن عكرمة وأبان ابن عثمان وسالم بن عبد الله بن عمر وله نوادر مشهورة نذكر منها الآتى : ــ

١ ــ لم يمت شريف بالمدينــــة فى عصره الا استعدى أشـــعب على وصيه أو وارثـــه وقال له : الحف انه لم يوص لى بشىء قبـــل موته .

٢ ــ وخفف الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد خففت الصلاة جدا فأجابه بقوله (انها صلاة يخالطها رياء) .

٣ ــ وقال له رجل كان أبوك عظيم اللحية وأنت كوسج (٢) لمن أشبهت ؟ فرد عليه أشعب بقوله : أشبهت أمى .

٤ ــ ويروى المدائنى عن أشعب أنه قال له (تعلقت بأســـتار الكعبـــة وقلت اللهم اذهب الحرص عنى فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئا فجئت الى أمى فحكيت لها ذلك فقالت واللـــه لا تدخل بيتى حتى تذهب فتستقيل الله تعالى . فرجعت فقلت (يارب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبى فاقلنى)(٣) ثم رجعت فلم أمر بمجلس من مجالس قريش وغيرهم الا سألتهم وأعطونى ووهبوا لى غلاما فجئت الى أمى بحمار موقور من كل شىء (١).

٥ ــ وجاءته جارية بدينار وقالت هذا وديعة عندك فجعلته بين ثنى الفراش فجاءت بعد أيام تطلب الدينار فقلت ارفعى الفراش وخذى ولده وكنت تركت الى جانبه درهما ، فتركت الدينار وأخذت الدرهم ، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته وعادت فى الثالثة كذلك فلما جاءت الرابعة تباكيت فقالت ما يبكيك ؟ فقلت مات الدينار فى النفاس فقـــالت وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت يامائقة (٢) تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس (٣) .

نوادر عن السواد فى مجلس الرشيد :

سأل الخليفة العباسى هـــارون الرشـــيد أبا يوسف القاضى فقال له بلغنى أنك لا ترى لبس السواد (وقد كان الســـواد هو شـــعار العباسيين) فقال أبو يوســـف يا أمير المؤمنين ولم وليس فى بدنى شىء أعز منه ؟ قـــال:وما هو ؟ قال السواد الذى فى عينى .

---

(١) العقد الفريد الجزء الثالث .
(٢) كوسج هو الذى ليس فى وجهه شعر .
(٣) قوله فاقلنى اى انه رجع فى دعائه .
(١) موقور اى حمل عليه حمل ثقيل .

(٢) مائقة تعنى الحمقاء .
(٣) كتاب فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر ابن احمد الكتبى .



ولما اجتمع به الامام الاوزاعى سأله عن لبس السواد فقال لا احرمه ولكنى اكرهه قال ولم ؟ قال لأنه لا تجلى فيه عروس ولا يلبى فيه محرم ، ولا يكفن فيه ميت . فالتفت الرشيد الى أبى يوسف وقال ما تقول أنت فى السواد ؟ قال يا أمير المؤمنين النور فى السواد فاستحسن الرشيد ذلك . ثم قال : وفضيلة أخرى يا امير المؤمنين قال وما هى ؟ قال لم يكتب كتاب الله الا به . فاهتز الرشيد لذلك(١)

نوادر عن الاعراب .

تزوج أعرابى على كبر سنه فقيل له فى ذلك فقال اذا أنجبت ولدا أبادره باليتم قبل أن يبادرنى بالعقوق .

ومر أعرابى وفى يده رغيف برجل فى يده سيف فقال بعنى هذا السيف بهذا الرغيف فقال أمجنون أنت ؟ فقال الاعرابى ما أنكرت منى ؟ انظر أيها أحسن أثرا فى البطن (٢) .

نوادر عن النحاة :

قدم رجل من النحاة خصما الى القاضى وقال: لى عليه مائتان وخمسون درهما فقال لخصمه ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضى ، الطلاق لازم له ان كان له الا ثلثمائة وانما ترك منها

---

(١) كتاب نهاية الأرب فى فنون الادب تأليف شهاب الدين احمد النويرى ــ السفر الرابع .

(٢) المرجع السابق .

خصين ليعلم القاضي أنه نحوي .

وجاء رجل الى الحسن البصري فقال ما تقول في رجل مات فترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن ترك أباه وأخاه فقال ما لأباه وأخاه فقال الحسن ما لأبيه وأخيه فقال الرجل انى أراك كلما طاوعتك تخالفني (١) .

شيء من نوادر الحمقى والمغفلين :

اشتهر ابن خلف الهمذاني بالغفلة والحمق ، وكان قد رآه بعضهم في احدى الصحاري وهو يطلب شيئا فقال له ما تبغي ها هنا ؟ فأجابه دفنت شيئا ولست أهتدي اليه فقال له فهلا علمت عليه بشيء ؟ قال جعلت علامتي قطعة من الغيم كانت فوقه وما أراها الساعة .

ونظر مرة في الزير « وهو وعاء الماء » فرأى وجهه فعدا الى أمه فقال يا أمي في الزير لص فجاءت أمه وتطلعت فيه فقالت أي والله ومعه امرأة .

ودخل الى رجل يعزيه فقال عظم الله مصيبتكم وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج فضحك الناس وهم في العزاء فقال تضحكون مما قلت وانما أردت هاروت وماروت .

ومن الحمقى من كان يدعى أبا زياد التميمي دخل على زياد بن عبد الله الحارثي لما كتب اليه الخليفة المنصور العباسي ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا فقال أبو زياد التميمي أصلحك الله اكتبني في القواعد فقال له عافاك الله القواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن فقال فاكتبني في العميان قال اكتبوه منهم فان الله تعالى يقول (﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾)

قال أبو زياد واكتب ابني في الأيتام قال نعم من كنت أباه فهو يتيم (٢) .

وبعد

فهذا لون من ألوان المداعبات والفكاهات والملح يتسم بالصدق والبعد عن المجون والفجور نختمها بنصيحة طيبة للامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه اذ يقول .

اجمعوا هذه القلوب والتمسوا لها طرق الحكمة فانها تمل كما تمل الأبدان والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوينى جانحة الى اللهو ، امارة بالسوء ، مستوطنة بالعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل ، فان اكرهتها انصبتها وان اهملتها اردتها) (٣) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

(١) المرجع السابق .
(٢) اجموا هذه القلوب بمعنى اريحوها من تعبها .
(٣) كتاب العقد الفريد لابى عمر بن عبد ربه الاندلسي .

في الدعوة

الاعلام والدعوة الاسلامية

كيف نفهم اليهود

الفيديو

الإعلام والدعوة الإسلامية

يجمع اساتذة الاعلام فى العالم على تعريف الاعلام بانه :

تزويد النـاس بالمعلومات الصـحيحة والحقائق الثابتة والاخبار الصادقة .

ولا شك أن الاعلام الاسلامى يتفق مع هذا التعريف فانه يبث المعلومات والحقـائق الصادقة كل الصدق فى اتجاه اسلامى ، يهدف الى التعريف بالمبادىء الاسلامية ونشرهـا او اذاعتها بشتى وسائل الاعلام المعروفة ، وهى وسـائل مطبـوعة او مذاعـة بالـراديو أو التليفزيون .

وبما أن الاعلام الاسلامى يتضمن بث كل ما هو اسلامى ، فان الدعوة الاسلامية ، وهى الاسلام نفسـه ، تكون هى الموضوع الاساسى فى ذلك الاعلام ، ولقد جاء الاسـلام الحنيف بشريعة الهدى ودين الحق ليظهره على الـدين كله ، ومن سمات الاسـلام انه « دعـوة » وانه « بلاغ » وانه « رسالة » وانـه « بيـان » ، وهذه السمات هى بعينهـا سمات الاعـلام الاسلامى ، والاعلام نفسه منذ عرف (علمـا قائما بذاته) يدرس فى الجامعات الاسـلامية وكليات الآداب وأصول الدين والدعوة ، وقد عرف الاسلام بأنه « دعوة » فى قوله تعـالى « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ » .

سورة الرعد ١٤ .

وفى قوله تعالى :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

النحل ١٢٥ .

وقوله تعالى :

« فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ »

الشـورى ١٥ .

والاسلام « بلاغ » ، « هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ » ، « إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ » (الانبياء ١٠٦) ، « وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » (العنكبوت ١٨) .

والاسلام « رسالة » ، « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (المائدة ٦٧) ، « الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا » (الاحزاب ٣٩) .

والاعلام ، والدعوة هو هذه المعانى أيضا ، مع فارق أنه من بشر الى بشر .

اما الاسلام فهو من الله عز وجل الى الناس كافة ، يحمله رسول صادق وأمين . وكلمة الاعلام تعنى : الإخبار أو الإبلاغ أو الإنباء ، وكلها مترادفات معناها انتقال المعلومات من الأفراد بواسطة فرد أو جماعة ، بحيث تنتشر بينهم ، وتبلغ عقولهم وأفهامهم .

وتنتقل هذه المعلومات بطرق أربعة ، يسميها علماء الاعلام « طرق الاتصال » ، باعتبار الاتصال علما أشمل وأعم من الاعلام ، وهى :

١ ــ طريق الاتصال الذاتى : ويكون بين المرء ونفسه ، ويتمثل فى الشعور والوجدان والضمير والفكر ، بمعنى أن يعد الانسان نفسه لتلقى العلوم والمعارف ، وان يثقف نفسه ذاتيا بحيث يستطيع التعلم ، والتعليم فى نفس الوقت ، فهو ينقل الى الناس ما تلقاه من معلومات ، تدل على قدرته وثقافته ، وبقدر صحة هذه المعلومات وصدقها بقدر ما يكون فيه من ثقة وكفاءة وقدرة على الفهم والافهام .

٢ ــ طريق الاتصال الشخصى : ويكون بين الفرد وفرد آخر أو مجموعة صغيرة من الافراد ، مثل أعضاء الأسرة ، وجماعة الاصدقاء ، وزملاء العمل ، وجيران الحى ، وهذا الاتصال ــ كسابقه ــ اتصال مباشر ، يحدث بمواجهة شخصية بين الفرد وغيره ، وهو اتصال فعال ومؤثر ومفيد ، وأسرع من غيره من أنواع الاتصال .

٣ ــ طريق الاتصال الجمعى : ويكون من مصدر واحد ، فرد أو جماعة ، الى عدد كبير من الافراد ، كأن يكونوا قراء جريدة أو مجلة أو كتاب ، أو مستمعى اذاعة أو مشاهدى (تليفزيون) ، وفى هذا يدخل الاعلام والدعوة على أوسع نطاق ، وأكبر وسيلة ، وعن طريقه تنتقل المعلومات والآراء من زعيم أو قائد أو مصلح أو حاكم الى جموع الشعب ، أو الجماعة المخاطبة ، التى تهتم بها ، وتتلقاها عن طريق الوسائل الجماهيرية الواسعة الانتشار .

٤ ــ طريق الاتصال الفكرى أو الحضارى : حيث تتفاعل البيئة الثقافية فى شكل عمليات اجتماعية تتنوع فيها المعلومات والمؤثرات والمنظمات وتلعب المعتقدات والموروثات الشعبية دورا كبيرا بما فيها من عادات وتقاليد وأساطير ، وتنتقل هذه المعلومات من بيئة الى أخرى فيحدث التبادل الفكرى أو الثقافى أو الحضارى بين مجتمع وآخر داخل الوطن الواحد أو بين الاوطان المختلفة .

ومن هذا التقسيم نستطيع أن نفهم أن عملية الاتصال فى مفهومها العام ، وعملية الاعلام والدعوة فى المفهوم الخاص ، تقوم

على عناصر وأركان كثيرة ، تساعد وتساهم فى نقل المعلومات ، وهى حلقات متصلة فى عملية واحدة ، وهذه العناصر ، على كثرتها وتعددها ، يمكن تلخيصها فيما يلى : —

أولا : المصدر أو المرسل وهو الشخص الذى يقوم بتوصيل الرسالة أو الخبر أو ابلاغ ، وهو صاحب الرسالة المبلغة سواء كان زعيما مصلحا أو قائدا موجها ، أو حاكما آمرا ، أو نبيا مرسلا من عند الله ، فهو مبلغ عن ربه ، مؤتمر بأوامره ونواهيه ، **« ما على الرسول الا البلاغ »** (المائدة : ٩٩) .

ثانيا : الرسالة المبلغة ، وهى مادة التبليغ ، وموضوع الدعوة ، ومحتوى الرسالة ، ولقد كانت رسالة كل مصلح ونبى فى قومه تهدف الى هداية الناس الى الحق ، والى طريق مستقيم ، والرسالة تنجح بقدر ما تحمله من صدق وحق ، وبقدر ما تصلح الفاسد من عاداتهم ، وتؤصل الحسن من خصالهم وتقاليدهم ، وتوجههم الى التى هى أقوم .

ثالثا : المرسل اليه ، أو الجمهور ، أو الجماعة التى تتلقى الرسالة ، ويشترط أن يكون المرسل اليه على مستوى التبليغ ، مهتما بالرسالة ، متجاوبا معها ، وأن يكون المصدر على لقاء فكرى واجتماعى وعقلى معه ، بحيث لا يحدث أى تضارب أو تعارض أو خلاف بينهما ، وبحيث يحدث الاقناع من المرسل والاقتناع من المرسل اليه، وعلى درجة متقاربة من الوعى والتفاهم ، فكرا وعملا ، مضمونا وهدفا (١) ..

رابعا : وسيلة التبليغ ، أو الطريقة التى يتبعها المرسل فى ابلاغ رسالته ، وقد نشأ هذا العنصر من تعدد وسائل الاتصال فى العصر الحديث من اذاعة وصحافة وسينما ومسرح وكتاب ومجلة مما لم يكن متوفرا فى القديم ، ولكنا كنا نجد وسائل محدودة ، ولكنها فعالة لأنها مباشرة ومواجهة ، مثل الخطابة والندوة والرسالة والبعوث وغيرها ، وكانت هذه الوسائل قديما تصاحبها أساليب الدعوة كما ذكرها القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

وفى مثل قوله تعالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

آل عمران ١٠٤ .

وفى قوله تعالى ، على لسان رسول كريم :

« أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ » .

الاعراف ٦٨ .

---

(١) ينبغى أن نستثنى من ذلك أن يكون المرسل اليه مكابرا بطبعه ليس ممن يذعن للحق بحال .

« مجلة الازهر »

ومعنى هذا أن رسالة الاسلام تستخدم وسائل كثيرة ، وأساليب متعددة لابد أن يتصف بها المرسل مثل : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال الحسن ، والدعوة للخير ، والنصح الأمين ، وغير ذلك من سبل وردت في الكتاب والسنة .

ومن المفيد أن الوسائل الحديثة — على كثرتها وتنوعها — تستطيع أن تقوم بدورها في تبليغ رسالة الاسلام ومبادئه ، في الداخل والخارج ، بهذه الأساليب نفسها ، فاذا أضفنا سعة الانتشار ، وسرعة التوصيل ، استطعنا القول بأن الوسائل الحديثة ، والقديمة المستمرة ، هي وسائل جيدة وعظيمة واسلامية اذا أحسن استخدامها ، وتوجيهها في العصر الحديث .

خامسا : « التأثير » أو قياس الأثر الذي تتركه الرسالة في نفس وعقل المرسل اليه ، ومعرفة النتائج التي تصل اليها الرسالات ، هل أتت أكلها ؟ هل أثمرت ثمرتها ؟ هل استجاب لها الناس ؟ والى أي مدى ؟ وبأي مقدار ؟ وبمعنى آخر : هل وصلت الرسالة الى هدفها ؟ أم تعثرت ؟ وما هي العوائق التي واجهتها ؟ وهل أمكن التغلب عليها ؟ وكيف ؟

ان قياس أثر الرسالة يجعل المرسل يعيد حساباته ليعدل مساره ، أو يكمل طريقه ، أو يبدأ من جديد، أو يخلي طريقه لغيره ، أو يحدد في اساليبه ليتخطى العقبات أو يتغلب عليها .. وهذا يتبع من دراسته للجمهور ومعرفة ميوله ورغباته واتجاهاته ، ومعرفة مستوياته المعيشية والفكرية والاقتصادية ، وذلك ليضع خطته في الاعلام والتبليغ وفقا لهذه المستويات والدراسات المسبقة ، وحتى يصل الى الجمهور بأسرع أسلوب وأنسب وسيلة ، ضامنا لأقصى ما يمكنه من عوامل النجاح والتوفيق .. وهناك عناصر أخرى نرجو أن نوفيها حقها في مقالنا هذا .

عناصر اخرى :

ثلثا : ان للاعلام عناصر خمسة هي : المرسل والرسالة والمرسل اليه ، والوسيلة ، والاثر ، ولكن علماء الاعلام والاتصال يضيفون الى هذه العناصر عناصر أخرى ، نذكرها فيما يلي :

سادسا : مجال خبرة مشتركة بين المرسل والمرسل اليه ، بمعنى أن تكون مجالات الفكر مشتركة ، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي متقاربا واللغة المستخدمة واحدة ، أو يمكن نقلها وترجمتها بسهولة ، وأن تكون مبادىء الرسالة في الفهم والادراك على كافة المستويات متكافئة .

ونضرب مثلا بذلك من حياة رسول الله محمد ﷺ ، لقد كان بشرا يعيش في حياة مجتمعه ، والفرق بينه وبين افراد بيئته انه لم يسجد لصنم قط ، ولم يؤمن بغير الله الخالق الواحد ، عرف بالامانة والخلق القويم والسلوك الحميد ، تكلم لغتهم ، واحترف حرفتهم : التجارة والرعي ، وآخى بينهم قبل الرسالة وبعدها ، وعرف بينهم بالصادق الامين ،

فلا غرو أن كسب ثقتهم ، ونال تأييدهم وحظى بحبهم وتقديرهم ، وبرغم مالقيه من عنت واضطهاد فى بعض مراحل الدعوة ، فقد نجح فى النهاية فى بناء الدولة الاسلامية الكبرى ..

ومن هنا نقول أن مجال الخبرة المشتركة بين الرسول ﷺ وأمته جعله فى مستوى التبليغ ، وفى لقاء مشترك ومتواصل مع جميع الافراد . وبالمثل فان داعية اليوم ، ورجل الاعلام الحديث ينبغى أن يكون على لقاء فكرى واجتماعى وسلوكى مناسب مع الجمهور حتى يضمن أكبر قدر من النجاح .

سابعا : صياغة الرسالة فى اطار متكامل ، وعناصر يؤدى بعضها الى البعض الآخر ، وبمعنى آخر أن تكون للرسالة دلالة موحدة ومفاهيم غير متعارضة ، واطار واحد يضمهابين دفتيه فى بناء متكامل ، بوضوح وبدون لبس ، وتشمل الصياغة لغة الرسالة أيضا ، بحيث يفهمها الجميع ، ولا يصعب وصولها الى الناس ، ولذلك كانت اللغة العربية بالنسبة للاسلام هى لغة التبليغ ولغة المجتمع العربى فى نفس الوقت ، ولم يجد العرب صعوبة فى فهم الرسالة أو فى تحديها لهم ، لأنها كانت لغة معجزة فى ترتيبها وتسلسلها وبنائها ، واشتقاقاتها ، وألفاظها . وهكذا جمعت العربية بين اعجازها ومفاهيمها والقدرة على استيعابها والاعجاب بها ، واستخدامها ، وفهمها ، ولم يستطع أى عربى — على بلاغته وفصاحته — أن يأتى بسورة من مثله ، ولا بعشر آيات من مثله ، ولا بآية واحدة من مثله .

ثامنا : تفسير المرسل اليه ، أى مدى فهمه للرسالة ، ومدى استجابته لها ، ورده عليها ، وشرحها ، ونقلها الى الغير ، لأن المرسل اليه يصبح مرسلا لها بمجرد فهمه واستيعابه وقدرته على التعبير عنها ، وفهمها ، ونقلها الى الجمهور ، فردا كان أو جماعة وقد يتيح له فهمه أن يزيد فى الشرح والتفسير ، وأن يجيد فى البيان والايضاح ، وأن يكون قادرا على الجدال والمناقشة حول المفاهيم ، وأن يحسن الدفاع عنها ، والهجوم المضاد على من أراد تشويهها ، وأن ينقل مضمونها دون اخلال بمبادئها « ورب مبلغ أوعى من سامع » ، وهذا المجال يعطى الجمهور فرصة أكثر للاقتناع بالرسالة ، وبالاقناع برأيه ان كان صوابا ، وهو بذلك يزداد ارتباطا بها وفهما لها وقدرة على التعبير عنها ، انه بذلك يصبح مرسلا يساعد على انتشارها وذيوعها ، وهكذا تسير الرسالة على لسان أكثر من داعية ، وتنتقل عبر أسلاك كثيرة .

تاسعا : مراعاة ظروف المكان والزمان ، فأسلوب الرسالة الذى يصلح توجيهه والدعوة به فى القرن العاشر غير الذى يصلح فى القرن العشرين ، فالمضمون واحد ، ولكن اسلوب العصر يختلف ، مكانا وزمانا ، والأسلوب الذى يصلح لمكان حضرى ، قد لا يصلح فى مكان بدوى أو ريفى وهكذا ، ان لكل مكان وزمان أسلوبه المميز فى التخاطب والنقل والحوار واللغة ، ولكل مجتمع — فى آسيا أو أفريقيا أو

أوربا أو امريكا ــ أسلوبه في المعاملة ، وكل هذا تحدده ظروف المكان والتقاليد والأعراف المرعية والعادات السائدة .

عاشرا : الظروف الاجتماعية ، والعلاقات الداخلية والخارجية بين الجماعة أو المجتمع والمجتمعات الأخرى ، تلك التي تنتمي اليها ببعض الصلات أو لا تنتمي .

ان مراعاة هذه العلاقات والظروف الاجتماعية بين فئات المجتمع الواحد ، وبين المجتمع والمجتمعات الاخرى ، مهم جدا لوضع الاسلوب المناسب لتبليغ الدعوة .

كذلك الحالة التي عليها المجتمع بين استقرار وثبات ، أو اضطراب وفوضى ، الى مستويات المعيشة ، والنظام الاقتصادى والفكرى الذى يعيش فيه المجتمع ، هو أيضا هام لصيغة أسلوب الرسالة ولغتها ، ومن المهم أيضا دراسة الحالة العقائدية والسياسية السائدة حتى لا يصطدم المرسل بعقبات لا يستطيع تخطيها أو التغلب عليها ، وحتى يتخذ أسلوب التدرج في التبليغ وصولا الى الهدف المرجو .

هذه هي عناصر الاعلام والدعوة وفق الدراسات العلمية التي وضعت لها وحولها ، فالاعلام يضع لكل عنصر مواصفات وشروطا ينبغي أن تتوفر لتحدث الرسالة أثرها المرجوء ونتيجتها المطلوبة .

فمثلا يضع للمرسل أو صاحب الرسالة ، أو الزعيم أو القائد أو المصلح ، شروطا منها : أن يكون صاحب سلطة وهيمنة على المكان الذى يعمل فيه ، وأن يكون مختارا من الجماعة أو أن يراعى تقاليدها ، وأن يرتفع عن مستوى الفردية والحزبية والطبقية ، وأن يكون متمرسا وخبيرا بفئات المجتمع وأحواله السائدة ، وأن تكون لديه القدرة على التضحية والمخاطرة والاستمرار في الدعوة رغم الصعوبات التي يلقاها أو تلحق به أحيانا ، وأن يكون جلدا صبورا ، ثابتا على مبادئه لا يحيد عنها ولا يميل ، متسامحا ، مخلصا ، مؤمنا بالرسالة ، قادرا على التكيف السريع بالموقف ، صريحا ، حازما ، منطقى التفكير ، عادلا ، لا يتعصب لرأى الا اذا كان هو الحق والصواب .

ويضع الاعلام والدعوة للرسالة أو الدعوة شروطا اذا توفرت بلغت مآربها ، واذا حادت عنها تنكبت الطريق ، وفشلت ، ومنها أن تقوم على مبادىء سليمة وواقعية ، لا تتبدل ولا تنحرف ، وأن تتفق مع الظروف التي تجيء فيها وأن تستهدف الاصلاح الحقيقى نحو الأفضل والأنفع والأقوم وأن تكون منطقية مع الواقع ، موضوعية من حيث التطبيق ، متفقة زمانا ومكانا ، فكرا وعملا ، واقعا وحسا مع الجماعة وميولها واتجاهاتها (١) ، ولا مانع من تكرار الرسالة ، والالحاح عليها حتى تصل

(١) هذا اذا لم تكن الرسالة دينا سماويا جاء ليصلح فساد المجتمع ويغير ما فيه من انحطاط عقولنا ــ مجلة الأزهر .

الى أبعد انتشار ممكن ، وأوسع ذيوع محتمل ، وأن يستطيع المرسل اليه أو الجمهور قبولها بأيسر السبل والوسائل ، وأقل الجهد والتفكير ، وعن اقتناع وايمان ، والا يستعصى عليه فك رموزها ، وحل معضلاتها .

أما بالنسبة للمرسل اليه ، أو المجتمع أو الجمهور ، فان الاعلام الحديث والدعوة يضعانه فى مكان هام ، ومنزلة كريمة ، لأنه هو الهدف من الرسالة ، والغاية التى يريد الوصول اليها ، وأساس التبليغ ، واليه تتوجه الجهود القائمة ، وبدونه فلا مرسل ولا رسالة ، ولذلك فانه من الأساس أن يكون هناك « متلق » أولا ، وأن يكون هذا المتلقى مهيئا للتلقى نفسيا وعقليا واجتماعيا ، وأن يتفق مضمون الرسالة مع اتجاهاته وميوله نحو الاصلاح ، وأن يكون متجاوبا مع مبادىء الرسالة ، قادرا على فهمها واستيعابها ، والايمان بها ، والعمل على نشرها والعمل بها ، وتطبيقها على نفسه سلوكا وتنفيذا ، وينبغى مراعاة ظروف الجماعة ومكوناتها ، أهى قبيلة فى بادية ، أم ريف فى قرية ، أم حضر فى مدينة ، أهم أغلبية عمالية أم زراعية أم موظفون ، أم طلبة ، أم نساء ربات بيوت أم مثقفون أم علماء .. طبقة متوسطة أم أغنياء .. أم فقراء .. الخ .

ومن هنا كانت وسائل الدعوة فى حاجة الى عناية واهتمام كبيرين ، لأنها فى القرية غيرها فى المدينة ، وفى البادية غيرها فى البيئات الاخرى ، وهى فى المدرسة تختلف عنها فى المزرعة أو المصنع أو المعمل ، ثم ان مجالها فى الاذاعة غيره فى الصحافة أو « التليفزيون » أو على « منبر المسجد » أو « الكتاب » أو فى « السينما » أو المسرح ، ومع كل هذه الاختلافات فمطلوب أن تكون المبادىء المرسلة واحدة ، والمحتوى واحد ، وان تعددت الوسائل وسبل النشر أو الاذاعة ، ولذلك فمن المهم أن يتفهم المرسل نفسية وعقلية المرسل اليه ، وأن يصل اليه بالوسيلة المناسبة التى يفهمها ، لكى يضمن التأثير المطلوب ومن ثم النتيجة المرجوة .

وهكذا اذا سرنا مع المبادىء الاخرى والعناصر المختلفة للاعلام الحديث ، والدعوة ، نجدها تتطلب فى النهاية وعيا دائرا ومستمرا من صاحب الرسالة ، وتفهما دائما منه للمرسل اليه ، ووقفة متأنية مع مبادئه لكى تتفق مع ظروف الجمهور وأوضاعه ومكوناته الاجتماعية والحضارية ، زمانا ومكانا ، تأثرا وتأثيرا ، ومع هذه الشروط النظرية سوف نجد ان الرسالة الحقة تنتشر بسرعة اذا توفرت لها هذه العناصر ، وغيرها مما لم تكن فى حسبان الداعية وتوقعاته ، .

محمد كمال الدين على يوسف

القيم

المسلمون وتكنولوجيا الاعلام

للاستاذ حسن على العنبيسى

يشهد القرن العشرون ثورة كبرى فى « تكنولوجيا الاتصال » وهى ثورة ذات آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية بالغة الخطورة ..

ان « تكنولوجيا الاتصال » الحديثة لم نصنعها — نحن المسلمين — ولم نشارك فى صنعها .. على الرغم من فضل المسلمين على العالم كلـه .. ، واقصى ما يستطيع العالم الاسلامى ان يفعلـه الآن — هو استخدام هذه «التكنولوجيا» والتعامل معها .. !!

ومن الامانة أن نقرر أن هذا فى ذاته ليس عيبا ، اذا كان الاستخـدام رشيدا ، منظما ، نستفيد فيه من تجارب السابقين بأعين مفتوحة وعقول واعية وبنظرة تصل بنا الى أبعد قليلا أو كثيرا عن مواطىء أقدامنا .

ونتساءل :
كيف نستفيد من تجارب السـابقين ؟
وكيف نخضع « التكنولوجيا » الحـديثة لنا ونحل بها مشكلات المسلمين ؟
وكيف يمكن لنا أن نتجنب آثارها السيئة ؟

« والفيديو كاسيت » أحد هذه الوسـائل « التكنولوجية » الحديثة التى يصدرها العالم الغربى الينـا ، والتى نتهافت على اقتنائها ، والغريب العجيب أن بلادا كثيرة مـن بـلاد المسلمين فاق عدد أجهزة « الفيـديو » التى بحيازتها أعداد الأجهزة نفسها الموجـودة فى الـدول التى تصـنعها وتصـدرها .. !!

ولكى ننبـه لهـذا الخطر .. ، وندعو كل بلاد العالم الاسلامى أن تتعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة بحذر وروية ، نقدم هـذه

الاطلالة السريعة مشتملة على نقاط البحث التالية : ــ

١ ــ المسلمون ومدى حاجتهم الى «الفيديو»
٢ ــ خصائص جهاز « الفيديو » الفنية التى يتميز بها عن غيره من وسائل الاعلام .
٣ ــ الآثار السلبية الناتجة عن الاستخدام الخاطىء « للفيديو » .

٤ ــ ماذا يريد الجمهور ؟ هل نقدم له ما يريده ؟ أو ماهو بحاجة اليه ؟

اولا : المجتمع الاسلامى ومدى حاجته الى « الفديو » : ــ

من الضرورى ، عندما نتحدث عن «الفيديو» كأحد وسائل الاعلام فى المجتمع الاسلامى .. ، أن ننظر الى واقع بلاد العالم الاسلامى نظرة موضوعية .

* ان واقع الحال يؤكد لنا أن جميع الدول الاسلامية ، أو معظمها ، يقع فى عداد الدول الفقيرة أو ما يسمى تأدبا ــ «بالدول النامية» واذا علمنا ان ثمن جهاز « الفيديو » يتراوح بين ١٣٥٠ (١) دولارا و ١٥٠٠ دولار لعلمنا الى أى مدى يستلب هذا الجهاز مشاعر المستهلك الفقير بحسرة فى بلاد يبحث أصحابها عن لقمة الخبز .. !!

* كذلك فان ثمن « شريط الفيديو » الواحد يتراوح ما بين ٥٠ الى ٣٥ جنيها مصريا(٢) بينما ايجار الشريط الواحد أو « الفيلم » الواحد يصل الى ثلاثة جنيهات .. فكم « فيلما » سوف يراها فى الاسبوع .. ؟ وكم شريطا سوف يقتنيه مع الجهاز ؟ وما هى تكاليف الصيانة .. ؟!

ونعجب :

اذا علمنا أن أقطاب السيادة الغربية منعوا امداد بعض الدول بأبسط آلات « التكنولوجيا الحديثة » فمنعوا تصدير الآلات الحاسبة اليهم ، وهى الآلات التى يكاد أطفالنا يلهون بها فى الشوارع ، بينما تركوا لنا جانبا كبيرا من هذه الآلات يغزو أسواقنا دون رقيب او حسيب .

لكن نظرة الى هذا المتروك ... الى جانب ما نعلم من سوء استخدامنا له .. الى جانب مطابقة سوء الاستخدام هذا لمخطط تلك الدول ...

... كل ذلك ... يزيل العجب . !!!

انها حرب جديدة ماكرة يشنها أعداء الاسلام ضد المسلمين ومعول الهدم الجديد لكيان الأسرة المسلمة .. !!

ان دخل الفرد فى البلاد الاسلامية أدنى الدخول اذا ما استبعدنا بعض الدول البترولية .. ، ناهيك عن الأمية التى أصبحت وصمة عار فى جبين المسلمين .. فقد وصلت فى بعض بلاد المسلمين الى أكثر من ٨٥٪ وفى أحسنها حالا الى ٥٢٫٧٪ (٣) ، وهذا ديننا أول ما نزل فيه من وحى يحث على العلم قال تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

❋ من هذا فان منطق القول يؤكد لنا أننا لسنا بحاجة الى هذه الأجهزة قدر حاجتنا الى نشر العلم والى رفع مستوى دخل الفرد والى السلاح الذى ندافع به عن ديارنا .. ثم فى النهاية ــ اذا فعلنا ذلك كله ــ الى الترفيه عن أنفسنا فى اطار من حشمة الدين وتعاليم الاسلام .

❋ فى بيتنا .. « فيديو » .. !!

يبلغ عدد أجهزة « الفيديو » فى نحو سبع دول عربية اسلامية نحو خمسة ملايين جهاز « فيديو » اى ما يوازى بالضبط العدد الموجود فى الولايات المتحدة الأمريكية ..!! وهو رقم يفوق عدد الأجهزة الموجودة فى كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا مجتمعة ولك أن تسأل :

لماذا نزيد عليهم فى « الفيديو » فقط .. ؟ لماذا لا نزيد مثلا عليهم فى اقتناء الطائرات ؟ لماذا لا نزيد فى عدد المصانع .. ؟ فى المدارس ؟. فى المستشفيات . ؟

واذا اصبح « الفيديو » واقعا فى المجتمع الاسلامى ....

فاولى بنا ثم اولى ان توجهه الى الاسهام فى انهاء مشاكل المسلمين فيتجه الى نشر التعليم للقضاء على الامية .

كذلك توجهه ــ مستخدمين طاقاته ــ فى تعليم النشء وغيره مبادىء الاسلام وممارسة تعاليمه .

نستخدمه فى الكليات العلمية ، ومعاهد البحوث .

لا نتركه ــ هكذا ــ يؤدى رسالة غريبة على مجتمعنا : تقاليده واخلاقه،روابطه الأسرية .. تاريخه .. عمقه وحضارته .

لا نترك ... كل ذلك يضيع هدرا امام هذا الطارىء المرسل بعينى « ابليس » ورسالة « الطاغوت » وهلاك « اغراء الجنس » .

فى مصر ...

منذ خمس سنوات كان هناك « ناد » واحد « للفيديو » فى شارع الهرم ، وشركة واحدة مسجلة ، واليوم فى القاهرة وحدها ثلاثمائة ناد ، وأكثر من ثلاث وعشرين شركة مسجلة فى غرفة صناعة « السينما » .

وغرقت السوق العربية الاسلامية بالاجهزة والأشرطة ، وبدأت المتاعب اثرا مباشرا لما ترتب على ذلك الشيوع والانتشار .

ثانيا : خصائص جهاز « الفيديو » !

يرى الباحث الاعلامى « مارشال ماكلوهان » أن وسائل الاعلام التى يستخدمها المجتمع أو يضطر الى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع ، وكيف يعالج مشاكله (٤).

وقد أظهرت التجارب المعملية والميدانية أن الاتصال الشخصي أكثر قدرة على الاقناع من « الراديو » وأن « الراديو » أكثر فاعلية

من الصحف ، وأنه كلما ازداد الطابع الشخصى للوسيلة ، ازدادت قدرتها على الاقنـاع ..

* « والفيديو كاسيت » من الوسـائل ذات الطابع الشخصى أى أنها أكثر قدرة على الاقناع والتأثير والتوجيه .

* و« الفيديو » من الأجهزة التى تخاطب العين والأذن معا وبالتالى فانه لا يحتـاج الى قراءة أو كتابة وبهذا فانه يكسر حـاجز الأمية ويخاطب كل الناس .. وهـذه ميـزة يمكن أن توجه لخدمة المجتمع الاسلامى .

* « وجهاز الفيديو » يتمتـع بامكـانية تثبيت الصـورة لأى مـدة زمنيـة يريدهـا المشاهد وامكانية اعـادة الصـورة الواحـدة عشرات المرات بل وتكرار ما يشـاء مـن مشاهد وهى امكانية مفيدة للطلاب فى المعاهد العلمية ومراكز البحوث حيث يمكننا أن نتحكم فى حركة الشريط للامام والخلف حسـبما نريد .

* سهولة الحمل والانتقال والحـركة .. بل ظهر نمـوذج جـديد الآن يسـمى « ميكروفيديو » فى حجم حافظـة النقـود أو أكبر قليلا .

* لهذا كله فان جهاز « الفيديو » يجمـع بين خاصـية « الراديـو » فى الصـوت واستخدام المؤثرات الصـوتية وخاصـية « التليفزيون » فى الصورة ويزيد الحـركة الذاتية والحركة الفعلية واستخدام الألوان .. كل هذه الخصائص تغرينا أن نوافق على دخوله بلادنا وأن نتعامل معه .. ولكن بحذر وفى حدود ما أشرنا اليه ..

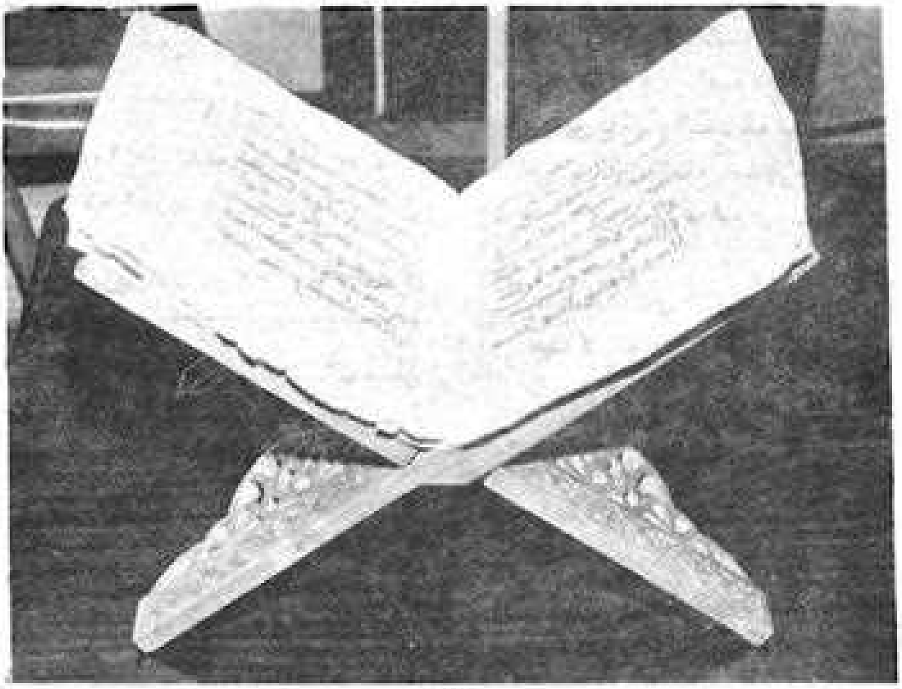
أما أن نستخدمه فى مشاهدة الأفـلام الرديئة وأفلام الجنس والشذوذ .. فاننـا نكون بهذا قد نفذنا لأعداء الاسلام مايريدونه وما يسعون اليه من أجل اغراق بلادنا بهـذا الجهـاز .

ثالثا : الآثار السلبية الناتجـة عن سـوء الاستخدام : ـ

ليس المطلوب من الاعلام وحده أن يحـل مشكلات المجتمع ، ولكن لابد أن يكـون لـه دور أساسى فى تشخيص هذه المشـكلات وتوضيح حقائقها واثارة الاستفهام حولها ، ومناقشـة الأسباب والنتائج .. ، واتاحـة الجو الملائم لاستنباط العلاج ، بل عليـه أن يدق ناقوس الخطر .. !

اما أن تسهم وسائل الاعـلام فى زيـادة المشاكل وتعقيدها .. فهذا هو العجيب الذى نراه فى بلاد المسلمين الآن وما يحدثه جهـاز « الفيديو » بشبابها من كوارث ..

* نشر فى مجلة الاذاعة والتليفزيون (٥) أن أحد الآباء عاد متأخرا مساء يوم فوجـد أولاده يشـاهدون فيلما من أفـلام الجنس الكامل فثار وحطم « الفيديو » .



* ونشر أيضا أن ناظر احدى المدارس ذهب الى صاحب مقهى بجواره الا يقدم « أفلام فيديو » فى الصباح لأن المدرسة خلت تماما من التلاميذ .. ولما لم يوفق طلب معاونة « البوليس » له .. !!

ومن هذين الخبرين ــ ويعلم الله ما استتر ــ تبدو خطورة جهاز « الفيديو » وما يريده بنا أعداء الاسلام فماذا أعددنا للسيطرة على هذا الجهاز خصوصا بعد أن يصل سعره الى ٣٠٠ دولار فقط فى العامين القادمين .. !

ترى الدكتورة كاميليا عبد الفتاح (٦) مدير مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس أن جهاز الفيديو يحول دون استمتاع الطفل بما حوله من البيئة من علاقات اجتماعية ولعب ونشاط .. الخ .

الى جانب أنه يساعد على العزلة ويقلل من فرص التفاهم بين الأزواج وقد يثير المشاكل فى توقيت استخدامه من عدمه .. ، كما أنه يشغل الطلاب عن مذاكرتهم ودروسهم .. !

ويقول أحد أصحاب نوادى الفيديو ان معظم زبائنه من الحرفيين وأصحاب المقاهى والجزارين .. ، وهذه الشريحة هى التى تحتاج الى التوعية والتوجيه .

ويؤكد المفتش جمال حسين عبد الفتاح أن « افلام » الفيديو « الجنسية » منتشرة بدرجة كبيرة فى النوادى « والفيلم » الواحد ينسخ منه عدة نسخ فاذا ما ضبط كان غيره

موجودا .. فكيف نحارب هذه الأفلام ؟

رابعا : ماذا يريد الجمهور ؟ .. وما حاجته ؟؟

كررت كثيرا — فى كتاباتى — القول بأن هناك فرقا بين أن أقدم للجمهور — وبخاصة فى الدول النامية — ما يريده ، وبين أن أقدم له ما يحتاج اليه .... ؟

ولا شك أن واجب وسائل الاعلام جميعا أن ترتفع بالمواطن المسلم لا أن تتركه يعيش فى مستنقع يهلكه سريعا ويهلك معه أعز القيم أن جمهور المواطنين يقبل على « الفيديو » لأسباب منها :

* أن « التليفزيون » فى معظم الدول الاسلامية ينقصه النضج الواعى الذى يمكنه من جذب المشاهد الى قيمه العليا فى أسلوب من الفن الرفيع ، وجمهورنا — والحمد لله — عندما يقدم له هذا اللون يندفع مستجيبا له بشكل يثير الفرحة والاعجاب .

فلماذا يكون هذا اللون قطرة ازاء بحر ميت لا نفع فيه يدفع المشاهد الى التحول عنه .

* كذلك ، فان التليفزيون لا يلبى حاجة المواطن العادى ، فضلا عن « المثقف » والى هنا يندفع المرء الى ما يهوى من حاجة ، ويقوده عقله ، أو هواه الى « الفيديو » وأمامه يشاهد ما يريد .

ففى جهاز « الفيديو » حرية المشاهدة لما يرغب ، وفى أى توقيت .

حسن العتيبى

المصادر والهوامش :

١ — جريدة الجمهورية العدد رقم ١٠٨٤٧ السنة ٣٠ بتاريخ ١٩٨٣/٩/١٠ .

٢ — نفس المصدر .

٣ — د. ماجى الحلوانى . البرامج الثقافية والتعليمية مذكرات غير منشورة ، لطلبة الدراسات العليا بكلية الاعلام .

٤ — جريدة الجمهورية — مصدر سابق .

٥ — Marshall Mcluhan, Quentin Foive, the Medium is the Mesaae p.p. 26 — 40.

وايضا انظر

Video Cassette Recorders, national Figures, p.p. 38.

٦ — راجع مجلة الاذاعة والتليفزيون العدد ٢٥٥١ — ٤ فبراير — ١٩٨٤ ، ص ٢٨ .

كيف نفهم اليهود؟

اليهود بين القيمة والثمن

للاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

في حديث لرئيس الولايات المتحدة الامريكية الأسبق « بينامين فرانكلين » تعرض فيه لليهود فقال فيهم :

« في اى ارض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقى منحطا وتجرى المعاملات التجارية بطرق غير شريفة » (١) .

والرئيس الامريكى يؤكد بهذه العبارة حقيقة عرفت عن اليهود واشتهروا بها على مر عصورهم واختلاف بيئاتهم واوطانهم هى انهم فى حياتهم وسلوكهم مع غيرهم نادرا ما يلتزمون بما تعارف الناس عليه من « قيم » او فضائل كالامانة والشرف والوطنية ... الخ

وكان ذلك دائما يحول بين اليهود وبين الاحساس بعاطفة الاخلاص وصدق التعامل والتوافق مع الغير كما يبدو فى تحريمهم التعامل بالربا فيما بينهم فى حين يسمحون به فى تعاملهم مع غيرهم وغالبا يؤدى ذلك الى سلب الآخرين اموالهم وممتلكاتهم .

وقد حاول البعض تفسير هذه الظاهرة فيهم فأرجعها الى « خسة » طبيعية يولدون بها بينما يرى الفيلسوف الفرنسى « سارتر » أنها ترجع الى تشابههم فى وحدة الموقف الذى اختارته المجتمعات الاوربية المسيحية لهم وهو موقف « الملعون » او « المنبوذ » لمنع اندماجهم فيها ومشاركتهم لها فى قيمها فكان اليهود بالتالى يكتسبون الصفات المادية والمعنوية التى تترتب على هذا الموقف (٢) .

---

(١) اليهود تاريخا وعقيدة ـ د. كامل سعفان (الهلال) ص ١١٤ .

(٢) اسرائيليات ـ احمد بهاء الدين (الهلال) ص ١٢٢ .

واذا كان لنا من تعليق على هذه الآراء فاننا نرفض القول بمبدأ الطبيعة وأن الانسان تتحدد أخلاقه ونزعاته بمجرد مولده ولا نختلف مع سارتر في فكرة الموقف التي يقول بها الا في محاولته القاء كل مسئولية « النبذ » على غير اليهود دون أن يكون اليهود أنفسهم مسئولين ولو الى حد ما عن هذا النبذ فمما لا شك فيه ان تعاملهم بالربا في مجتمعات تحرمه « كقيمة » ، دينية بحكم عقيدتها كالمسيحية والاسلام أو « كقيمة » اجتماعية بحكم تقاليدها وأعرافها يعتبر في ذاته مبررا كافيا لأسلوب « العزل » الذى اتخذ ضدهم . وكان يزيد من حدة الشعور المعادى لهم اعتبارهم انفسهم كتلة خارجة عن دائرة مجتمعاتهم منفصلة عنها : اجتماعيا بعدم الاندماج فيها أو التزاوج منها الا في أضيق نطاق ، وقوميا بعدم مشاركتها أهدافها وتطلعاتها الوطنية على نحو ما حدث من يهود « وارسو » عندما رفضوا الانضمام الى الثورة الوطنية البولندية التي قامت في القرن التاسع عشر ضد المغتصب الروسي ، وكانوا يهدفون من ذلك الى تحقيق مصلحتهم الذاتية بالتخفيف من حدة الاضطهاد الواقع على بني جنسهم اليهود الروسي وأملا في الحصول على وضع متميز في بولندا بموالاة المحتل مما يدل على انعدام « قيمة » الولاء للوطن لديهم وفي هذا المجال لا ينبغي ان يغيب عن بالنا محاولات الهجرة الى اسرائيل يقوم بها اليهود الروس رغم ما يبذله هؤلاء من جهود ويضعون من قيود ابقاء على اليهود في وطنهم الاصلى « روسيا » والغريب في الأمر أن معظم هؤلاء المهاجرين من الملحدين مما يشكل وضعا لا يقبل معه تفسير هذا التصرف منهم على أنه رغبة في العيش في وطن يرتبطون به « دينيا وانما هي الرغبة في عدم الانتماء والارتباط بالأرض التي ولدوا فيها ونشأوا عليها .

ومرجع ذلك في نظرنا أن « القيم » تحتاج في تكوينها الى عوامل لم تتوفر لليهود على امتداد تاريخهم فهى تحتاج الى :

١ ـ أصل ينتسب اليه :

وهم من هذه الناحية لا يعرف لهم اصل على وجه التحقيق وما جاء في أسفارهم بهذا الخصوص يتميز بالتناقض اذ يذكر مرة انه « كلدانى » وأخرى انه « أرامى » وربما « أمورى » في روايات ولا يمكن نسبتهم الى أصل واحد لتمايزهم عن بعضهم تبعا لاختلاف الاماكن من حيث لون البشرة والقوام والسحنة.

٢ ـ بيئة أو وطن يرتبط به :

وهم منذ تركوا موطنهم الأصلى في جنوب العراق أو في شرق الاردن تنقلوا بين كل وطن تراءهم في مصر وفارس واليونان وروما .. الخ ولما كان لكل من هذه الاوطان أفكاره وأسلوبه في الحياة كان لذلك تأثيره عليهم فقد انقسمت قبائلهم العبرية بسببه قديما الى « بنى اسرائيل » وآخرين ، ثم انقسم بنو اسرائيل

فى كنعان «الى اثنى عشر سبطا» كانوا يختلفون فيما بينهم فى طريق الحياة رغم اتفاقهم فى الأمة والأصل وقد استمر ذلك فيهم قراهم فى العصر الحديث ينقسمون الى يهود شرقيين وغربيين (٣) ٠

٣ ــ عقيدة يتم الايمان بها :

ويشترط فى العقيدة أن تتماشى مع القيمة وتسمح بها ، وعقيدتهم من هذه الناحية تفتقر الى ذلك اذ تغرس فيهم الشعور بالتمايز والاستعلاء على الغير وعدم التعاون معه بالاضافة الى أن كل خير فيها نجده مقيدا فى حدود معتنقيها ، ولا ينسحب أثره على غيرهم، فان أمرت العقيدة بقولها : « لا تقتل ، لا تسرق » فالمقصود ــ عندهم ــ الا يحدث ذلك بين اليهود فقط ويباح لهم ذلك مع غيرهم من المخالفين لهم فى العقيدة ٠

٤ ــ تراث روحى وحضارى ينتمى اليه :

وتراثهم المستمد من أسفارهم وتعاليم أحبارهم يشجع على ارتكاب كل رذيلة وتجنب أى فضيلة اذ يمتلىء بمختلف ألوان الكذب والغش والخداع والانحرافات الدينية والاجتماعية على نحو ما نرى فى تصويرهم لآبائهم الاولين ــ كذبا وافتراء ــ فسيدنا لوط يزنى بابنتيه وسيدنا يعقوب يتآمر على أخيه عيسو ويسلبه حقه فى البكورية وبركة أبيه وهكذا مع سائر الآخرين ٠ لذلك لم نجد لهم فى التاريخ أثرا يدل عليهم أو يكشف عن نواحى العظمة فيهم ٠

ولأن اليهود يدركون هذه الحقائق عن القيمة ويشعرون فى قرارة أنفسهم بعدم القدرة على امتلاكها أو المشاركة فيها عملوا على هدمها وأسلوبهم فى ذلك الترويج لكل قلم مادامت آثاره ــ عن قصد أو غير قصد ــ تساعد على افساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا فى الترويج لـ « نيتشه » الذى يقسم ، الاخلاق قسمين :

أخلاق سادة كالعنف والاستخفاف بالمبادىء، وأخلاق عبيد كالبر والرحمة ٠ لأن ذلك يساير الروح اليهودية ويتفق معها ٠ (٤)

كذلك يوجهون من النقد للقيم ما نورده فيما يلى : ــ

١ ــ ان « القيم » شىء نسبى فما لهقيمة فى مجتمع قد لا نجد لـه أى قيمة فى مجتمع آخر ٠

٢ ــ انها كالظواهر الاجتماعية تخضع لعدم الثبات والاستمرار مما يدعو الى عدم التمسك بهـــا ٠

٣ ــ انها تخضع لعوامل عنصرية كالجنس والدين وهى بذلك لا تسمح للغير بالمشاركة فيهـــا ٠

٤ ــ انها تعوق حركة المجتمعات فى اتجاهها نحو العالمية ٠

٥ ــ انه بظهور قوة المال صارت النقود هى المقياس الحالى للقيمة واصبح الثمن الشكل الحديث لقيمة المبادلة ٠

وما يريدون أن يحلوا اليه من كل ذلك هو

(٣) المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده د٠ فؤاد حسنين ص ٦ ٠

(٤) الخطر اليهودى ــ محمد خليفة التونسى ص ١٠١ ٠

الغاء فكرة « القيمة » واستبدالها بفكرة « الثمن » وظاهر حجتهم فى ذلك أن « الثمن » يرتبط بالنقود وهى لغة عالمية لا تتأثر بشخص من يمتلكها أو جنسه أو دينه ، الى جانب أن الثمن يحقق نقل الملكية وتداولها دون أى تعقيد .

أما الخفى فيها فهو رغبتهم استبدال مالا يملكونه بحكم تاريخهم وهو « القيمة » بما هو متوفر لديهم وهو (النقود) وأصدق خير ما يوضح مفهومهم هذا ويكشف عن رغبتهم التى بيناها هو محاولتهم شراء وطن أو المبادلة على وطن فقد ورد فى مذكرات زعيمهم (هرتزل) الخاصة بتاريخ ١٨٩٦/٧/١٥ ما نصه :

« نحن مستعدون لأن ندفع عشرين مليون جنيه للسلطان التركى ثمنا لفلسطين وبذلك نعمل على تحسين ميزانيته » .

وكان رد السلطان عبد الحميد على هذا التصرف الغريب منهم « أنا لا أستطيع أن أبيع ولو قدما واحدة من هذه الأرض لأنها ليست لى بل لشعبى ولن اقبل بتشريحنا لأى غرض كان وطلب من « هرتزل » أن يكف عن ذلك وأن يحتفظ اليهود ببلايينهم » (٥) .

ولكن « هرتزل » عندما وجد عبد الحميد يرفض مبدأ الثمن يكرر محاولته مرة أخرى مستخدما فيها المفهوم الاقتصادى القديم « للقيمة » من حيث هى النسبة بين مبادلة سلعة بأخرى فيعرض على السلطان « قبرص » مع مزيد من المال فى مقابل فلسطين .

والجدير بالتنويه هنا أن « هرتزل » لافتقاده « قيمه » الوطن يظنه سلعة أو شيئا ولما كان فى نظره كذلك فلابد أن يكون له ثمن بعكس السلطان عبد الحميد الذى نظر الى الوطن باعتباره « قيمة » فهو من هذه الناحية لا يقدر بثمن وعليه يكون التفريط فى جزء منه مساويا لاقتطاع جزء من النفس وتشريحها .

ولكى نفصل فى قضية « الثمن » التى يريدون اقناع العالم بها نقول :

ان الثمن ينقل ملكية كما يقولون ولكنه لا يمكن أن يخلق « قيمة » لان الثمن يرتبط بالنقود بينما القيمة لها معايير أخرى غيرها ودليلنا على ذلك من واقع تاريخهم وواقعهم نفسه فهم وقد حصلوا على الوطن نرى معظمهم يؤثرون عدم الانتقال اليه لعدم وجود قيمة الانتماء فيهم أصلا ولتغليبهم مصلحتهم « الثمن » فى التواجد خارجه مما دفع برئيس دولتهم السابق « بن جوريون » لان يحكم على كل يهودى بانه سيظل بلا « اله » ما لم يترك وطنه الاصلى وينتقل الى فلسطين .

« محمد عبد العزيز عبد اللطيف »
« مجمع البحوث الاسلامية .. الامانة العامة »

---

(٥) ممنوع من التداول ـ محمود عوض ص ١٩ ، ص ٢٠ .

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

دراسة الطب واللغة العربية

هل الحرية الشخصية معناها الإباحة

من الحقائق البدهية التى اعترفت بها الاديان السماوية وأخذت بها القوانين الوضعية ، ووافقت عليها الطباع السليمة ٠ أن الحرية على اختلاف انواعها معناها أن تكون حرا مختارا ولكن بشرط أن لا تؤذى نفسك ولا غيرك فمن الناحية الدينية تجد الحرية مقيدة بدائرة الشرع : اطاعة اوامر الله واجتناب نواهيه ، ومن ناحية تعاملك مع الغير تجد الحرية مشروطة بعدم الايذاء او الاضرار — لا ضرر ولا ضرار — ٠

اذا فليس هناك حرية مطلقة الا فى عالم البهائم لأنها محرومة من نعمة العقل ٠ ولكن ماتراه ونسمعه فى عالم اليوم من تطبيق لهذا المبدأ شىء يندى له الجبين وتشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع السليمة ، فقد فهم البعض الحرية على انها — الاباحة — يفعل الانسان ما يشاء فى أى وقت يشاء بلا رقيب او حسيب فهى عنده أشبه ما تكون بحرية البهائم لا حرية الآدميين

فالخروج على الآداب العامة والتطاول والتجريح ٠ حرية ، ، وايذاء الغير وأكل اموال الناس بالباطل والتعامل بالربا حرية ، والافساد والدعوة الى الفسوق والسفور والعرى وانشاء ما يشبه نوادى للعراة حرية ، والخروج على آداب الاسلام وتجاهل أوامره ونواهيه حرية٠

ما هذا الذى يحدث ياقوم ؟ وهل هذا مطلبكم من الحرية ؟ ٠

انها حرية البهائم التى لا تعقل ٠ وأسلوب الأعاجم الذين لا يعلمون ما فى ديننا من تقويم للمعوج وهداية لكل ضال ٠

وما أحسن ما قال الامام محمد عبده عند تحديده لمعنى الحرية « ليست سعادة الانسان فى حرية البهائم بل فى الحرية التى تكون فى دائرة الشرع ٠ ومحيطه فمن اتبع هداية الله فلا شك انه يتمتع تمتعا حسنا » قال الكاتب (١)

اذا ألقيت هذا السؤال على قادة أية فلسفة فى العالم حتى الفلسفة المادية الالحادية لم

(١) مجلة « نور الاسلام » مجلة الازهر » المجلد الرابع — الجزء الاول ٠

للاستاذ : عبد الفتاح حسين الزيات

يكن جوابهم الا بالنفى مجمعين • فاذا عاودت سؤالهم قائلا •

فهل الحرية الشخصية تتنافى والآداب النفسية ، والفضائل الاجتماعية ، وتسمح لكل انسان أن يخوض غمرة كل شهوة تسنح له دون أن يفكر فى نتائجها على نفسه وماله ومواطنيه وبنى نوعه ؟

صاحوا بك : لالا ، منكرين مستهجنين •

فاذا حصلت منهم على هذه الاعترافات ، وعرضت على نفسك الجماعات البشرية ، وخاصة المتمدنة منها ، رأيت العجب العجاب، رأيت الناس قد خلعوا عذرهم ، وركبوا رؤوسهم ، يجرون فى أعقاب كل غى ، يتدافعون بالمناكب ، محفوزين اليه شبابا وشيبا ، كأن وراءهم سائقا يلهب ظهورهم بسوط من نار ، باذلين صحتهم ومالهم ، مستهينين بكل تبعة أدبية ، ليصيبوا مما يتزاحمون عليه نصيبا وبيا، حتى اذا أدركهم الاعياء ، انتظروا ريثما يستجمون قواهم ، ثم عاودوا الكرة على نحو ما تقدم ، دائبين على ذلك ما واتاهم الاحتمال والامكان ، غير معطين أنفسهم مهلة ليوازنوا فيها بين ما يعطونه وما يحصلون عليه ، كأنهم قد فقدوا نعمة الادارة والاختيار ، دون أن يحاولوا استرجاعهما ، أو أن يأسفوا على ضياعهما ، يسمعون من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وشمائلهم صيحات التشجيع والتسويل ، بعد أن تكون قد طالعتهم جرائدهم كل صباح من أنباء الملهيات ، وصور الممثلين والممثلات ، ما يملؤهم غرورا بما هم فيه •

فان سمعوا نبأة من نصيح ، وضعوا أصابعهم فى آذانهم ، استثقالا لما يقول ، وأشاحوا بوجوههم عنه ، اعراضا وسوء تقدير • وكثيرا ما اعتبروه جاهلا بمقتضيات المدنية والروح الجديد •

هذه أحوال فى أطوائها كل ما يستنكره العلم وتأباه أصول الاجتماع ، وتنافيه مصلحة العمران ، وفيهما ويلة الأخلاق والآداب ، ومجزرة الأعراض والكرامات ، ومضيعة الثروة ، ومفسدة البلاد •

فهل مبدأ الحرية الشخصية التى جاهد الناس للحصول عليها يسمح لهم أن يرتكبوا باسمه كل هذه المخازى ، ويتسكعوا تحت عنوانه فى جميع هذه المنكرات ، الماحقة لكل خير نالته البشرية بعد جهود مضنية ، وتطورات كثيرة شاقة فى خلال العصور ؟

الحرية أصل كريم رفعت به عن كواهل الآحاد ما كانت تضعه عليها الطبقات المستبدة لهم من نيور ، فانطلقوا أحرارا يعملون ما ينفعهم وينفع أسرهم وأممهم فى حدود

القوانين العادلة ، لاهملا خالعي الشكائم الأدبية ، يأتون كل ما تدفعهم اليه أهواؤهم وشهواتهم .

هذا هو الاصل ف تقرير مبدأ الحرية الشخصية ، وهذا ما يقره كل عرف ، وتؤيده كل فلسفة ، ويندب اليه الدين الحق ، فكيف تسيغ هذه المدنية أن تشوه النفوس الجامحة جمالها ، وتسقط جلالها ، وتظهرها ف مظهر من من الاباحة يمجه الطبع ، ولا يوافقها عليه وضع ولا شرع ؟ .

فهل لهذه الحرية الشخصية مدى أبعد مما يتراءى لنا فغبينا عنه ، فهى تسمح أن تأتى كل نفس ما يعن لها ، غير حاسبة أقل حساب لمصلحتها ومصالح المرتبطين بها من أهل وعشيرة ومواطنين ، بل غير حاسبة حسابا لمصالح الانسانية بأسرها ؟ .

لم يشر قانون ف الدنيا الى هذا ، بل نصت جميع القوانين على أن الانسان حر ف أن يعمل بنفسه ما لا يضر بها ولا بغيرها ، فان هو تعدى هذا الحد أخذ على يده وأوخذ على فعله . أما ترى جميع القوانين العالمية تضرب على أيدى المبذرين وتنصب عليهم القامة ، فتحرمهم بذلك المتاع بثرواتهم ، وتقطع من ألسنة المتفحشين فتردعهم عن الخوض ف أعراض الناس ، وتردع المستخفين بالآداب العامة ، فتجبرهم على احترامها ومراعاتها ؟ بل هى تتجاوز هذا الحد الى ما يعتبر خصوصيا محضا ، فهى تعاقب على البصق والتنخم ف الطرق العامة ، وعلى لبس ما لم يصطلح عليه الناس من الأزياء . فاذا نجم ما يخشى منه على الصحة العامة امتد تدخل القوانين الى ما هو أخص من هذا ، فانها تسمح لممثليها بأن يغشوا الدور فيلاحظوا على ما يجدونه فيها من القذارة ، وأن يأمروا أهلها بتجميحها ومعاقبتهم على اهمال ذلك بالحبس والتغريم . فهذا كله لا يعتبر ف تلك القوانين تقييدا للحرية الشخصية، فيفهم أن هذا المبدأ لا يصح أن يؤخذ على اطلاقه بوجه من الوجوه .

فاذا كان هذا كله حاصلا ، فهل تسمح الحرية الشخصية أن يكتب كاتب كل ما يمليه عليه خياله من حوادث الغرام والتهتك ، ف ألوان من سحر البيان تغرى الشبان والشابات على ورود هذه الموارد المنكرة ، وتأذن لدور التمثيل والسينما أن تمثل مالا يصح أن يراه الجمهور ، ولا يجوز أن يعرض تحت نظر الأحداث من المناظر التى تثير ما كمن ف الطبيعة البشرية من ميول بهيمية . وتغرى ذوى الأمزجة الحادة بالخروج عن المألوف لتقليد أبطال الأقاصيص التى تمثل أمامهم ، وقد ثبت أنها تفعل ف النفوس الساذجة فعل السحر وأ كثر ؟

وهل يحتمل معنى الحرية الشخصية أن يفتتح من شاء دارا للرقص والفسوق يختلط فيها الجنسان ، ويؤمها من أراد ، غير متحرج من اثم ، ولا متستر من رقابة ؟

وهل تبيح أن تباع الراح ف أكبر شوارع المدن ، فيقصد حوانيتها القاصدون ، يحتسون أم الخبائث علنا ، ويخرجون منها ثملين يترنحون يمينا وشمالا ؟

هذه هي الفوارق بين القوانين الوضعية والشرع الالهي ، وهي فوارق كانت لا توجد اذا نظر المشترعون للصالح العام عند سنهم القوانين نظرا بريئا مقرونا بالاخلاص لمصلحة الجماهير ، وبالروية الحازمة ، اما ولم يفعلوا فقد ناقضوا أنفسهم ، وناقضوا العلم الذي يفتخرون به ، فتركوا بذلك الباب مفتوحا لكل الأدواء الاجتماعية التي تولدها تلك التسامحات القانونية .

ومادامت الحرية الشخصية مقيدة بشرط عدم الاضرار بالنفس وبالغير ، فان الشرع الالهي ينفذ هذا التقييد ، فلا يسمح لأي فرد بأن يأتي عملا يكون من ورائه ضرر بنفسه أو أهله أو بني وطنه أو أي أحد من أفراد نوعه على أية حال من الأحوال .

فهو يحرم الخمر لأنها تضر شاربها ، ويتعدى ضررها الى كل من يرتبط به . ويمنع المقامرة لأنها تضيع الثروات ، وتحل البيوتات ، ويردع عن تمثيل الخنا وما يناقض الآداب ، لأنها أمثلة سوء تفسد نفوس من تمثل أمامهم ، ويصد عن كتابة الفسوق والعصيان وتصويرها ، لأنها تبعث في نفوس قارئيها وناظريها الميل الى اتيانها ، وهي أمور لا تقف أضرارها عند حد .

فالشرع الالهي يجري من أوامره ونواهيه على منطق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقوانين الوضعية لا تحترم هذا المنطق فتجري على اعتبارات ليست من المصلحة الحقة في شيء ، فهي تبيح الخمر لأنها تجني من ورائها مكوسا ، وتقر تمثيل الدعارة والفجور عادّةً اياها من الملاهي الضرورية ، لأن وضعة قوانينها يرون ذلك ويعتقدونه ، لا لأنه يعود بشيء من الفائدة على المجموع . وتطيق أن تنتشر الكتابات المخلة بالآداب ، والتي تثير في نفوس مطالعيها الميول البهيمية ، لأن وَضَعَتَهَا يتخيلون أن ذلك يعتبر أدبا ، والأدب يجب له التشجيع والتأييد .

وقد دلت الدلائل المحسوسة على أن هذا الأدب قد طوح بالنفوس الى متاهات الاباحة ، وجنى على الناس جنايات شنيعة . وقد أبتني على كل هذه الاباحات أن أصبحت كلمة (مدنية) مرادفة لكلمة (اباحة) . فكيف لا تنشأ في هذا الجو المشحون بضروب المسولات والمغريات جميع صنوف الافراطات والتفريطات الخلقية ؟

ان العالم المتمدن ليغلي اليوم غليان المرجل على نار شديدة ، ويتمخض عن أغرب ما يتصور من شكول المذاهب والآراء والفلسفات المتطرفة ، وتعصف به أزمات اقتصادية واجتماعية لو درست من قرب لكانت أسبابها المباشرة ما أثمره بهرج الحرية الشخصية الزائفة ، من جو مشحون بالمرامي الباطلة ، والمزاعم التي تولدها نفوس تطلب المتاع المادي اغتصابا لا اكتسابا ، وافراطا لا اعتدالا .

انا لا يخالجني أقل شك في أن كل هذه الافراطات والتفريطات ستعمل على رد الناس الى طريق الحق المستقيم ، فهو وحده ملاذ اللائذين ، ومرد الغالين والمقصرين ، واذ ذاك يجد الناس أنفسهم في منطق الدين ، فتتخلص الانسانية من كل هذه الشرور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد فريد وجدي

من نوادر المخطوطات في مكتبة الأزهر

الكامل في القراءات

لما كان علم التجويد من العلوم الجليلة فى فهم وتدبر وتعمق لغة القرآن الكريم ، واخراج كل حرف من مخرجه مع اعطائه حقه من اظهار ، او ادغام ، او ترقيق ، او تفخيم ، او مد، او غير ذلك .

فهو علم يصون اللسان عن اللحن فى لفظ القرآن ، لقول الله سبحانه وتعالى :
(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) .

والترتيل معناه التؤدة والطمانينة بتعويد اللسان على القراءة بترقيق ما يجب ترقيقه ، وتفخيم ما يجب تفخيمه ، واظهار ما يجب اظهاره ، واخفاء ما يجب اخفاؤه ، ومد مايجب مده ، وقصر ما يجب قصره وادغام ما يجب ادغامه .. .. الخ .

ومن العلماء الذين برزوا وكان لهم السبق الأول فى تجلية هذا العلم من جميع جوانبه خدمة للقرآن وقرائه .

العالم الجليل الشيخ يوسف (٢) بن على ابن جبارة ابو القاسم الهذلى البسكرى : متكلم عالم بالقراءات المشهورة والشاذة . كان ضريرا . من أهل بسكرة ، باقليم الزاب الصغير . رحل الى أصبهان وبغداد . وقرره نظام الملك مقرئا فى مدرسته بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ فاستمر الى أن توفى .

من كتبه « الكامل » فى القراءات ، ذكر فيه أنه لقى من الشيوخ ٣٦٥ شيخا من آخر ديار الغرب الى باب فرغانه ، ولد سنة ٤٠٣ هـ سنة ١٠١٢ م وتوفى سنة ٤٦٥ هـ سنة ١٠٧٣م .

قال عنه كتاب غاية النهاية فى طبقات القراء الجزء الثانى ص ٣٩٧ إنه طاف البلاد

---

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر تحت رقم ٣٦٩ ــ المغاربة .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٩ ص ٣١٩ .

ليوسف بن جباره

الأستاذ محمد عميره على

فى طلب القراءات ، فلا أعلم أحدا فى هذه الأمة رحل فى القراءات رحلته ولا لقى من لقى من الشيوخ ، قال فى كتابه لو علمت أحدا تقدم على فى هذه الطبقة فى جميع بلاد الاسلام لقصدته ، قال وألفت هذا الكتاب (الكامل) فجعلته جامعا للطرق المتلوة ، والقراءات المعروفة ، ونسخت به مصنفاتى كالوجيز والهادى .

قلت :

كذا ترى همم السادات فى الطلب وكانت رحلته فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة وبعدها ، وكان مقدما فى النحو والصرف وعلل القراءات ، وكان يحضر مجلس أبى القاسم القشيرى ويأخذ منه الأصول وكان القشيرى يراجعه فى مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه وقد ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم القراءات فى كتابه . نذكر منهم على سبيل المثال ابراهيم ابن أحمد الاربلى ، وابراهيم بن الخطيب ببغداد وأحمد بن رجاء بصقلان واحمد ابن الصقر ببغداد واحمد بن محمد بن علان بواسط ، وروى عنه اسماعيل بن الأخشيد وسمع منه الكامل وكذلك عبد الواحد بن حمد ابن شيدة السكرى وأبو بكر بن محمد بن زكريا الأصبهانى النجار ... الخ .

وكتاب (الكامل) الذى نقدمه يقع فى اثنى عشر جزءا به نقص بالجزء الأول وكل جزء مقسم الى عدة فصول .

الجزء الأول : فصل فى فضل القارىء والمقرىء وحامل القرآن والعالم والمتعلم :

اعلم أن فضائل أهل القرآن لا تحصى كما أن فضائل القرآن لا تحصى ، وكما فضله على سائر الكلام فضل حملته على سائر الأمم ، ومنحهم ما نالوا به الفخر فى الدنيا والآخرة والذخر فى العقبى فمن ذلك ما قال رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » قال أبو عبد الرحمن السلمى هذا الذى أقعدنى هذا المقعد ، وكان يعلم القرآن بالكوفة ، وهو معلم الحسن والحسين .

وقال رسول الله ﷺ « ان لله أهلين » قيل ومن هم يارسول الله؟قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

وقال « أشراف أمتى حملة القرآن » .

وهذا الخبر يمنع أن يشارك غير حملة القرآن أهل القرآن ، لأنه قال : أشراف أمتى ولو كان المقصود به جميع الأمة لما كان لقوله اشراف أمتى معنى ، وكان يجب أن يقول أمتى أو المؤمنون أو المسلمون أو اهل العلم ، فلما خص اهل القرآن دل على المقصود به من حملة القرآن فقط . يدل عليه قوله عز وجل **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)** فجعل الظالم والسابق والمقتصد من أهل

الجنة ، حين قال (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) الآية

قالت عائشة رضى الله عنها : يدخلونها ورب الكعبة الظالم والمقتصد والسابق • ولو كان المقصود به جميع الأمه لما تحتمت عليهم بالدخول •

يدل عليه أنى ما وجدت مقربا الا ولم تساعده الدنيا ، لأن النبى ﷺ حكى عن الله تعالى • قال فى بعض الأخبار (لو كانت الدنيا تزن عند إله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء) الخ •

الجزء الثانى : فصل فى الأخبار الواردة : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ومعنى السبعة واختلاف الناس فيها على الاختصار • حدثنا أبو عمران موسى بن عيسى الزجاج قال حدثنا على بن يوسف الرفا قال حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى وأخبرنا أبو عمران هذا قال أخبرنا على بن خلف القابسى الى أن قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أَقْرَأَنِيهَا رسول الله ﷺ فلببته بردائه حتى أتيت به رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ان هذا قرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأ تنيها فقال « أرسله يا عمر » ثم قال لهشام « اقرأ » فقرأ كما سمعته يقرأ فقال « هكذا أنزلت ثم قال لى ياعمر « اقرأ » فقرأت فقال « هكذا أنزلت » وان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ، وحدثنا الحسين بن احمد باسناده أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ:« ان الله أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع » •• الخ •

الجزء الثالث : كتاب الأسانيد : بين الرجال فيه وطبقات القراء والحفاظ على عهد رسول الله ﷺ الى أن وصل الى السبعة ورواتهم ، فاعلم أن الحفاظ على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار منهم أبو زيد عمر بن أنس بن مالك ، وسالم مولى أبى حذيفة وهو مولى امرأته على الحقيقة وانما نسب الى أبى حذيفة لأنه كان زوجها • والثالث أبو المنذر أبى بن كعب • والرابع زيد ابن ثابت • هكذا قال ابن قتيبة ، وقال غيره أن عليا وعثمان وابن مسعود حفظوا وأكملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ واستدلوا بقول رسول الله ﷺ « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ومن لم يحفظ القرآن لا يوصف بباب مدينة العلم •• الخ •

الجزء الرابع : بين فيه المؤلف من تلقى عنهم القراءة فقال:

قرأت

على عيسى بن مينا قالون وعليه قرأ الحلوانى وقرأ عيسى على عيسى بن وردان وقرأ أيضا قالون على نافع ••• الى آخر أسماء من قرأ عليهم •

الجزء الخامس : ذكر فيه قراء أهل الكوفة وتذكر منهم عاصم بن بهدلة يعرف بابن أبى

النجود رواية أبي بكر بن عياش واسمه شعبة وقيل : دوبة ، وقيل نفطويه ، وقيل يحيى ، وقيل أشعث ، وقيل محمد ، وقيل سالم ومطرف وعنتر ... الى آخر ما ذكر من رجال أهل الكوفة .

الجزء السادس : تكلم فيه عن الامالة نذكر فصلا فى قتيبة وأصحابه كيحيى بن زياد وفرك ابن سيبويه وعدل بن زياد ورجالهم ، ونذكر امالتهم فى كل سورة ونجعلها قسمين . امالة محضة والطافا واعلم أن قتيبة حين دخل أبو على النهاوندي فاختاروا منها اختيارا فسموه امالة قتيبة وتركوا ما كان منها بشع فى اللفظ وهو صح فى العربية لكن لما قرأناها بأصفهان بعد قراءتنا اياها بمصر وجدنا زيادات فى الامالة لم يذكرها ابو على البغدادى .. الخ .

الجزء السابع : تكلم فيه عن الهمزة فقال الهمزة ضربان ساكن ومتحرك فالساكن ثلاثة أضرب فاء فعل ، وعين فعل ، ولام فعل .

ففاء الفعل نحو يؤمن ، ويأكل ، ويؤثر ، ويأمر ، ومؤمر ، ومأكول وشبه ذلك ، فورش

وأبو جعفر والأعشى يتركون همزها فى كل حال استثنى ورش تؤوى . وتؤيه والمأوى فابن

عيسى والأسدى يتركان الهمز ، الباقون عنه بالهمز ، وكذلك قالون فى المؤتفكة والمؤتفكات .

واما عين الفعل نحو . ذيب ، وبير وبيس وشبه ذلك فى الأفعال والاسماء ترك همزها أبو جعفر وشبيه وورش .. الخ . وأما لام الفعل نحو تسؤهم ولن نشأ فكلهم بالهمزة الا ما تبين ترك سالم عن قالون والأسدى وابن عيسى عن ورش ، وأبو زيد عن أبى عمرو ، والأعشى بكماله وأبو جعفر وشيبه همزة تسؤهم .. الخ .

الجزء الثامن : ذكر فصلا فى الهمزتين فقال : من كلمة واحدة الأولى مفتوحة والثانية مكسورة .

أولهما : فى الانعام .

« اينكم لتشهدون » .

والثانية فى الأعراف .

« اينكم لتأتون » .

والثالثة منها « اين لنا لأجرا » .

والرابعة فى التوبة « أيمه الكفر » .

والخامسة فى يوسف « اينك لأنت يوسف »

والسادسة فى مريم « ايذا مامت » .

والسابعة فى الشعراء « اين لنا لأجرا » .

والثامنة والتاسعة فى القصص « ايمة » فيهما .

والعاشرة فى السجدة « ايمه » .

الحادى عشر فى ياسين « اين ذكرتم» .

الثانى عشر فى الصافات « اينا لتاركوا ».

الخ ما ذكر .

الجزء التاسع : تحدث فيه عن ادغام الياء الأصلية وياء الاضافه والهاءات وميمات الجمع

وقال : هما ضربان . هاء كناية،وهاء اضمار ،وهما على الحقيقه نوع واحد ان شئت سميتهما هاء الاضمار ، الا أن العلماء بهذا

الشأن فرقوا بينهما لما فيهما من الاختلاف وسموا احداها وهى المتصلة بالفعل المجزوم ضميرا والأخرى كتابة . وهاء الاضمار . وسموا غيرها الكناية واستطرد فى شرحهما .

الجزء العاشر : تحدث فيه على تسمية الفاعل فى قوله تعالى : « **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ** » « كتب عليكم اذا حضر الى قوله تعالى الوصية » نصب هو الاختيار على أن الله كتب وسبقنى اليه من المتقدمين عبيد بن عمير ومحمد سميفع . الباقون على ما لم يسم فاعله الى آخر ما ذكر .

الجزء الحادى عشر : تحدث عن آيات فى سورة الأنعام فقال : ليقضى أجلا باللام على المستقبل ابن محيصن ، رواية تضرب على الباقون ثم قضى على الماضى وهو الاختيار لموافقة المصحف . ولبسنا بادغام اللام فى اللام ابن محيصن — وذكر فى الانفال قوله : (بآلاف من الملائكة) على الجمع المعلى عن ابى بكر واختيار الزعفرانى وهو الاختيار لقوله فى آل عمران (ثلاثة آلاف وخمسة آلاف) الباقون بألف على التوحيد .

الجزء الثانى عشر : قال فى سورة يوسف قوله (يا أبت) بفتح التاء قالها أبوجعفر وشيبة وابن عامر وابن مقسم وخير العمرى الباقون بكسر التاء ، ووقف عليها بالهاء أبو جعفر وشيبة ودمشقى وعن معاذ عن أبى عمرو ، واختتم كلامه بسورة الحج فى قوله **(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ)** قال ابن أبى عبلة ، والاختيار تذهل بضم التاء وكسر الهاء كل نصب كاليمانى يعنى الساعة تذهل ، الباقون بفتح التاء والهاء (وترى الناس) بضم التاء على ما لم يسم فاعله الناس رفع الزعفرانى واختار عباس وهو الاختيار لقوله (وما هم بسكارى) الباقون بفتح التاء — الناس نصيب سكرى فيهما بغير ألف كوفى غير عاصم وابن سعدان ومسعود وابن صالح . الباقون بألف وهو الاختيار لقوله (وأنتم سكارى) .

وكان الفراغ من تاليفه يوم الأحد وقت العصر أحد عشر من صفر سنه أربع وعشرين وخمسمائة وكتبه على بن محمد الفرغانى المرغانى .

أيها القارىء الكريم هذه نبذة من نوادر كتب القراءات المخطوطة بمكتبة الأزهر ، فريدة فى نوعها وفى مكتبات العالم .

ونحن اذ نقدمها للقراء لم يسعفنا الوقت لبسط كل ما فيها على قدر ما تسمح به المساحة فى مجلة الأزهر الشريف ، ونترك لأصحاب البحث فى علوم القراءات تجلية ما فيها واخراج ما بها من مكنونات علمية دقيقة قولا يستطيع القارىء العادى تذوقها وتفهمها .

والله الموفق ..

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره على

دراسة الطب

واللغة العربية

الدكتور محمد عبد المنعم العشيق

اتفقوا حين اختلفوا .. ولكن .. !

هؤلاء السادة الأفاضل الذين تناولوا الموضوع من الأطباء وأيضا من السادة غير المتخصصين ، يدفع البعض الحماس للغة العربية والاسلام والعروبة ويثور البعض الآخر غيرة على الطب واستفادة الأطباء .

وقد قرأت وحقا عجبت ! فملخص الخلاف أن فريقا يرى أن اللغة العربية قادرة بمشتقاتها ومعانيها أن تواكب كافة العلوم وتصلح للقديم والحديث .

وفريق آخر يقول : لغة الطب والأبحاث فى العالم الآن هى اللغة الأوربية . ! واستعمال اللغة العربية فى الطب سيجعل الأطباء غير قادرين على متابعة التقدم فى الطب ..!

ولست أرى أى خلاف بين كلا الرأيين فكلاهما صحيح تماما وان كان لايمت للآخر بأدنى صلة .. !

وقبل مناقشة الموضوع الأساسى وحتى نصل لنتيجة .. لن ترضى كافة الأطراف فحسب بل سترضى (باذن الله) الحقيقة المطلقة . هل لنا أن نوضح بعض أساسيات الموضوع .. حتى نستطيع — حين نبنى رأيا أو نقدم اقتراحا — أن يكون قائما على أساس واضح يعتمد على الحقائق المطلقة وليس على رأى شخص أو وجهة نظر معينة !

١ — تاريخ لغة الطب فى العالم :

بالقطع ليس المجال هو دراسة تاريخ الطب ولكن هناك علامات رئيسية على طريق الطب ينبغى على أقل تقدير الالمام بها :

مدارس الطب فى العالم منذ الخليقة وحتى ظهور الاسلام يمكن تقسيمها كما يأتى :

اولا : مدرسة آشور وبابل ومدرسة الطب فى الصين والهند : وهؤلاء ليس لهم دور كبير فى تقدم الطب فقد كان اعتمادهم على السحر والخرافات والتعاويذ هو السمة الغالبة لهم وكانت الامراض فى تقديرهم مرجعها للارواح الشريرة ومع ذلك لا ينكر دورهم كأساس استفاد بعضه مَنْ تلاهم .

ثانيا : مدرسة الطب فى مصر الفرعونية :

رغم قيام الكهنة بدور الأطباء فقد تقدم الطب فى ذلك العصر تقدما كبيرا ولا أدل على ذلك من التقدم المذهل فى التحنيط . وهنا يجدر أن نقول : انهم قاموا بتسجيل علومهم الطبية فى ستة كتب رسمية خاصة بعلوم الطب كما جاء فى أوراق البردى وعلى الهياكل والمعابد وكان ذلك باللغة الهيروغليفية لغتهم ولغة الطب فى ذلك العصر .

ثالثا : الطب عند الاغريق . كان مصدره الطب فى مصر القديمة ، وكذلك فى الهند والصين وكريت وبابل وفينيقيا . (وعلى ذلك فقد كان الفضل دائما هو فضل الشرق على الغرب) وقد تقدم الطب الأغريقى تقدما كبيرا ولا ينكر فضل (أبو قراط) فى القرن الخامس قبل الميلاد ولا فضل (جالنيوس) (١٣٠م) وكانت لغة الطب فى ذلك العصر هى بالقطع اللغة الاغريقية القديمة .

رابعا : الطب فى الاسلام :

كان لظهور الاسلام ودعوة القرآن للعلم وأحاديث الرسول ﷺ عن الطب فضل جذرى وجوهرى فى تقدم الطب فى العالم وفى الحقيقة اجدنى لا أستطيع التلخيص هنا .. ! فلو تركت العنان لقلمى لكتبت مجلدات فى هذا الموضوع فالاعجاز الطبى للقرآن الكريم ولأحاديث الرسول ﷺ لا أستطيع الآن أن أقول عنها أكثر ولا أقل من أنها . (طب الرحمن وطب من لا ينطق عن الهوى) ولهذا فلن أدخل فى هذا الموضوع الآن ونحن بصدد الحديث عن الطب واللغة العربية ولكن أقول استفاد المسلمون من ذلك وبدأ تطور الطب وتقدمه على أيديهم .

العصر الذهبى عند العرب .

وقد امتد من أواخر القرن الثالث الهجرى الى نهاية القرن الخامس وهى الفترة الموافقة للقرن العاشر الى القرن الثانى عشر الميلادى. وقد كان مصدر الطب فى ذلك العصر :

١ ــ القرآن والسنة .

٢ ــ الترجمة : ــ كانت أول ترجمة فى صدر الاسلام فى عهد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ــ ثم ازدهرت الترجمة فى عصر هارون الرشيد (٨٧٦ م) وكان عميد المترجمين فى ذلك العصر هو أبو زيد

حنين بن اسحق (١٩٤ ــ ٢٦٤ هـ) وقد ترجم لـ « ابيقراط » وجالينوس من الاغريقية الى العربية . وقد انشأ فى ذلك العهد ، ولذلك الشأن ، ما يسمى « بيت الحكمة » .

٣ ــ الابتكار والتجريب والتأليف :

ونبغ فى هذا العصر الرازى وابن سينا والطبرى ، وعلى بن عباس المجوسى .

ألف ابن سينا (٣٧٠ هـ) ٢١ مرجعا كبيرا و ٢٤ كتابا صغيرا فى الطب باللغة العربية وترجمت مؤلفاته الى اللاتينية وكتابه القانون فى الطب ترجم خمس عشرة مرة فى القرن الخامس عشر الميلادى وظل يدرس فى جامعتى « مونبلين ولوفان » حتى عام (١٥٦٠ م) .

ــ الرازى (٢٥١ هـ) أهم مؤلفان « الحادى فى الطب والتداوى » بالعربية ترجم الى اللاتينية وظل يدرس فى أوروبا كمرجع أساسى فى الطب حتى عام ١٥٤٢ م .

ــ على بن عباس المجوسى : (٣٨٤ هـ) أول من اكتشف الدورة الدموية الشعرية وأوضح ذلك فى كتابه « كامل الصناعة » .

ــ ابن الهيثم : (٣٥٤ هـ) ألف مائة كتاب بالعربية أشهرها « المناظر » أساس علم البصريات فى العالم .

واستمر تقدم الطب باللغة العربية فظهر ابن النفيس (٦٨٧) ووضع كتاب « شرح تشريح القانون » وكان أول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية قبل « ويليم هارفى » الذى ادعاها الأوربيون له .

وفى الأندلس ظهر الزهراوى (٤٠٤ هـ) أعظم جراحى زمانه ، واعظم من كتب فى الجراحة ، وظلت مؤلفاته تدرس فى أوروبا وكانت آخر طبعة لكتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » فى الجراحة بجامعة أكسفورد عام ١٧٧٨ م . وظهر من عظماء أطباء المسلمين الكثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

وحتى ذلك العصر وبعده بسنين ظلت اللغة العربية هى لغة الطب والعلوم وكان يترجم منها وليس لها فقد كان بها كل شىء ولم يكن لدى غيرها شىء .. !

خامسا : انتقال الريادة الى اوروبا :

وانتقلت الريادة بعد ذلك لأوروبا على أكتاف العرب والمسلمين ولا ينكر منصف دور المسلمين والعرب فى الحضارة الانسانية فى العالم فالفضل الأول فى التقدم والتطور يرجع الى علماء العرب والاسلام .. وعلى حين كان الغرب غارقا فى ظلمات العصور الوسطى كان نور العلم ينبعث فياضا من عيون المعرفة فى أرض العرب وفى عقول علماء الاسلام ..

فبحثوا وطوروا واكتشفوا وألفوا وأخذ الغرب عنهم فترجموا مراجع وكتب علماء المسلمين وظلت لسنوات طويلة تدرس فى جامعاتهم ثم بدأوا هم فى الدراسة والتطور والاكتشاف وصارت لغتهم هى لغة الطب .

٢ ـ قدرات اللغة العربية :

أن نقول عنها قادرة فهذا اهانة لها .. انما هي الام لهذا المورد ، فهي أكثر من قادرة وهي أكثر لغات العالم قدرة على مواكبة العلوم والطب .. فلغة القرآن هي الاعلى وما سواها الادنى .. وقد سبق أن ذكرنا كم من المؤلفات الطبية كتبت باللغة العربية .. من يقرأها يجد كثيرا من التعبيرات الطبية والعلمية المستخدمة الآن مصدرها اللغة العربية .. وهناك كثير من الكتب الطبية كتبت حديثا باللغة العربية ـ تحت يدى الكثير منها وعندى أسماء غالبها لمن يريد الاطلاع ولقد قمت شخصيا بترجمة فصول كاملة من المراجع الأجنبية الطبية الحديثة الى اللغة العربية ضمن رسالة الماجستير الخاصة بى والتى قدمتها باللغة العربيه رغم انها رسالة طبية ! كما ترجمت أيضا من العربية الى الانجيزية أجزاء وتعبيرات أخرى •

وأشهد • وأنا شاهد عيان هنا ـ أن اللغة العربية أكثر من قادرة والله على ما أقول شهيد •

كما أرجو أن أوضح أن جميع الرسائل الطبية التى تقدم للجامعات المصرية وهى بالانجليزية لابد أن يصحبها ملخص مترجم باللغة العربية •

٣ ـ فائدة تدريس الطب بالانجليزية :

احقاقا للحق .. وبرغم نبوغ كثير من علمائنا وأطبائنا الأفاضل .. وجميعهم على أرقى مستوى عالمى وبعضهم له الريادة فى مجاله وتخصصه فى العالم .. برغم ذلك .. فالريادة الآن للغرب فى الطب .. رضينا أم لم نرض .. ! وكل حديث فى الطب يذكر باللغة الانجليزية .. وكافة المؤتمرات والمجلات العلمية والأبحاث تستعمل لغة الغرب •

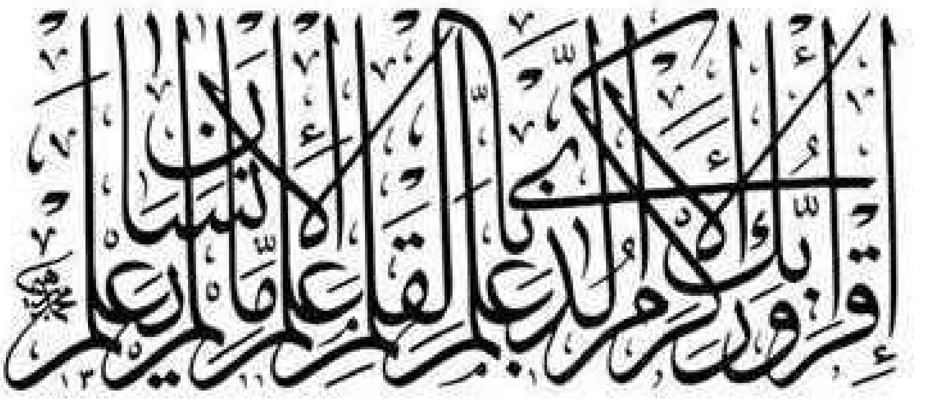
ولكى نتقدم فلا بد أن نبدأ من آخر ما توصل اليه الآخرون ، والآخرون ليسوا عربا .. بل يكتبون بلغتهم لغة أوروبا .. وعلينا أن تدرس وندرس بذات اللغة حتى يمكن الاطلاع على كل جديد وحتى يمكن أن نشترك فى المؤتمرات العالمية والأبحاث المشتركة .. الخ

وعلى ذلك :

فلغة الطب دائما هى لغة رواد الاطباء ونوابغهم ، وليس يتقدم أو ينبغ طبيب عربى لأنه يدرس الطب بالعربية ، بل يكتب الطب بالعربية حين يكون النبوغ وريادة التقدم فى الطب بيد الأطباء العرب !

والسؤال الآن :

هل يمكن تدريس الطب بالعربية دون أن يؤثر ذلك على اللحاق بالسبق والتقدم



الطبى ؟ .. وكيف ؟ وهل يمكن أن يفيد ذلك الطب بصورة أو أخرى .. ؟

وهل يمكن أن يفيد ذلك اللغة العربية والعروبة .. ؟

وللاجابة عن هذه الأسئلة لابد أن نقدم أسئلة أخرى ينبغى — بكل الصدق وتحمل المسئولية — التفكير فيها : ألا وهى :

١ — هل يمكن لمجمع اللغة العربية أو هيئة تنبثق منه تتكون من غالبية من الاطباء من مختلف التخصصات مع أقلية من علماء اللغة .. تقوم بترجمة لمعنى المصطلحات الطبية .. وأكرر (لمعنى) .. وأزيد فى التكرار (لمعنى المصطلح الطبى) أو على أقل تقدير لوصف مبسط مشابه وليس بالضرورة مطابق ومترجم حرفيا عن الأصل اللاتينى وبألفاظ مفهومة فلا يقال مثلا « العضلة الوحجية أو الوحشية الناطحة الباطحة ذات الثلاث رؤوس تعريفا لعضلة تسمى بالانجليزية TRICEPS فيمكن مثلا أن يقال « العضلة الثلاثية » وهكذا .

٢ — « هيئة الترجمة الطبية »

هل يمكن انشاء هيئة ضخمة « للترجمة الطبية » تتكون من أطباء ومترجمين بصفة أولية ويمكن بعد ذلك انشاء قسم خاص بالترجمة الطبية فى كليات اللغات وظيفته تخريج مترجمين للكتب والأبحاث الطبية .. وتكون وظيفة هذه الهيئة :

١ — ترجمة جميع الكتب والمراجع الطبية القديمة والحديثة من لغات الى اللغة العربية وترجمة كل كتاب حديث فور صدوره .

٢ — ترجمة كافة المجلات العلمية والنشرات الطبية الدورية التى تصدر فى العالم الى اللغة العربية ويحتاج ذلك بجانب الترجمة الى وضع وسيلة وخطة لحصول الهيئة على كافة مايصدر فور صدوره .

٣ — يحق لكافة كليات الطب ومعاهد الأبحاث

وما شابهها أن تطلب من « هيئة الترجمة الطبية » ترجمة أى نشرة أو بحث على أن يتم ذلك فى مدة لاتزيد عن أيام .

٤ ـ ترسل الهيئة مندوبين لحضور كافة المؤتمرات الطبية لترجمة كافة الأبحاث المقدمة والقيام بترجمة أى بحث يرغب أحد المشتركين فى القائه باللغة العربية .. والقيام بترجمة فورية للأبحاث الملقاة باللغات الأخرى الى العربية لمن يريد من الاساتذة العرب الحاضرين المؤتمر .

٥ ـ ترجمة الأبحاث الطبية المقدمة باللغة العربية الى اللغات الاجنبية عند الحاجة لذلك .

٦ ـ لا شك أن العلوم الأخرى كالكمياء والفيزياء والرياضيات وشتى العلوم الأخرى فى حاجة الى ترجمة وتعريب وذلك دون الاقلال من قيمة كثير من الكتب والمراجع الموضوعة فى هذه المجالات باللغة العربية والتى يمكن الاستفادة بنهجها ويمكن للهيئة أيضا الاشراف الكامل عليها ومتابعة كل نشاط وكل جديد فى هذا المجال .

٧ ـ ما يستجد من وظائف أخرى .. يحق للمجلس الأعلى للجامعات ونقابة الاطباء تكليفها بها . على الا يبدأ تعريب التدريس الطبى الا بعد خمس سنوات (على سبيل المثال) من قيام الهيئة بمهامها .

ومما لا شك فيه أن أى تقصير أو اهمال أو ضعف كفاءة أو تأخير فى أعمال هذه الهيئة سيكون وبالا شديدا على الطب والاطباء .

وبعد :

فانه اذا أمكن تحقيق النقطتين السابقتين فسيكون ذلك بداية عصر ذهبى آخر للطب عند العرب فكما بدأ المسلمون والعرب الأوائل بالترجمة نستطيع أن نبدأ ثم يلى ذلك الابتكار والتأليف والريادة وعلينا دائما ونحن ننظر الى المستقبل بعيون ملؤها الامل أن نلتفت الى الخلف لنستفيد بخبرات من سبقونا ونلتمس الثقة والفخر من أجدادنا علماء الاسلام العظماء .. حين نبع منهم العلم وورد اليهم من يرغب فى العلم .. وسيعطى ذلك دفعة نفسية قوية للأطباء للمنافسة والتحدى من أجل اعلاء راية الطب والعروبة وكلما تعددت الحوافز ازدادت القدرات وتعاظم المجهود وقربت النتيجة .

وأخيرا اتساءل :

متى نعود فنقدم ابحاثنا الطبية والعلمية باللغة العربية ؟ نقول هذا ونأمل أن يكون حديث العلم وبحثه باللغة العربية ضرورة علمية ، وليس اختيارا ، أو ضرورة جبرية .

الدكتور محمد عبد المنعم العتيق

اللغة والأدب والنقد

حذف ناصب المفعول به

في حاشية الأمير

شوقي بين مجد الماضي

مع رسالة جامعية

حذف ناصب المفعول به

٣

وقد يحذف ناصب المفعول به بشرط وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف لانه أحد ركني الاسناد فلا يستغنى الاسناد عنه حتى يصح حذفه بغير دليل بخلاف الفضلة ، وهذا الحذف قد يكون جائزا ، كقولك ؟

لن سدد سهما : « القرطاس » ، ولن تأهب لسفر: مكة ، ولمن قال : من أضرب ؟ ، « شر الناس » ، فالقرطاس منصوب بتقدير تصب ودل عليه المشاهدة ،ومكة منصوب بتقدير ، تريد أو تقصد ودل عليه قرينة الحال، وشر الناس منصوب بإضمار اضرب ودل عليه قرينة المقام ، ونحو قوله تعالى : (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) . أى انزل خيرا ، بدليل قوله : ماذا انزل ربكم فالقرينة هنا لفظية كما نرى .

وقد يكون الحذف واجبا كما فى باب الاشتغال نحو ، « الجهد بذلته » ، « محمدا ساعدته » ، « المعروف قدمته » لانه لا يجمع بين المفسر والمفسر .

وفى باب النداء نحو ، « يا عبد الله » ، لأن حرف النداء عوض عن الفعل ، ولا يجمع بين العوض والمعوض .

وكذلك يحذف الناصب فى الأمثال العربية ، وهى تركيب مشهور شبه مضربه بمورده نحو « الكلاب على البقر » فالكلاب منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره ، أرسل الكلاب ، ولا يجوز ذكره لأن ذكره يغير المثل والأمثال لا تغير لأنه لما شبه مضربها بموردها التزم فيها أصلها ، نحو قولهم : « الصيف ضيعت اللبن » ينطق بكسر التاء لكل مخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا ، والمراد بالبقر هنا بقر الوحش .

أو كان جاريا مجرى المثل نحو قوله تعالى: « انتهوا خيرا لكم » فخيرا مفعول لفعل محذوف وجوبا تقديره انتهوا عن التثليث ، وأتوا خيرا لكم ، ولا يجوز ذكره لما تقدم ، والفرق بين المثل وما أجرى مجرى المثل أن المثل تركيب استعمل فى غير ما وضع له

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض

المشابهة بين ما وضع له ، ويسمى مورد المثل، وبين موقف مماثل يقال فيه يسمى مضرب المثل على طريق الاستعارة التمثيلية ، وما أجرى مجراه تركيب استعمل فيما وضع له حقيقة لكنه أشبه المثل فى كثرة الاستعمال وحسن الاختصار فأعطى حكمه فى عدم التغيير فيه .

كما يجب حذف ناصب المفعول فى التحذير بإياك وأخواتها من ضمائر الخطاب المنفصلة ، « نحو إياك والكذب » .

« وإياكم وصحبة الأشرار » ، فإياك منصوب محلا بفعل محذوف وجوبا ، ويقدر متأخرا عن إياك ، أى إياك باعد والكذب منصوب بفعل محذوف وجوبا أيضا ، ويقدر متقدما على الكذب ، أى واحذر الكذب ، والفرق أن إياك ضمير منفصل فلو قدر الفعل الناصب قبله لزم اتصاله ، بخلاف الكذب فإنه اسم ظاهر .

وفى التحذير مع العطف نحو « رأسك والسيف » ، « والكذب والخيانة » ، «والغش والفجور » ، فرأسك والسيف منصوبان كلاهما بفعلين محذوفين وجوبا ، أى باعد رأسك واحذر السيف ، وكذلك ، الكذب والخيانة ، والغش والفجور أو مع التكرار ، نحو « الثعبان الثعبان » ، « الإهمال الإهمال » ، « الظلم الظلم » ، والتقدير احذر ، الثعبان والإهمال والظلم ويحذف الناصب وجوبا فى الإغراء مع العطف نحو : « المروءة والنجدة » « الشجاعة والكرم » ، « الجد والمثابرة » ، « الصراحة والاقدام » ، أو مع التكرار نحو : « الوفاء الوفاء » ، « الصدق الصدق » ، « الأمانة الأمانة » ، وقول الشاعر :

أخاك أخاك ، إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

بتقدير الزم فى كل تلك الأمثلة ، وإنما وجب حذف العامل فى العطف والتكرار ، لأن كلا من العطف والتكرار قائم مقام العامل .

لزوم الفعل المتعدى

الفعل المتعدى يصير لازما أو فى حكم اللازم بعدة أمور ، منها .

أولا : التضمين ، أى أن يضمن المتعدى معنى فعل لازم ، والتضمين : إلحاق مادة بأخرى فى التعدى أو اللزوم وإعطاؤها حكمها لتناسب أو اتحاد بينهما فى المعنى فيكون اللفظ مستعملا فى مجموع المعنيين مرتبطا أحدهما بالآخر ، نحو قوله تعالى (وَلَا تَعْدُ

عيناك عنهم ، تريد زينة الحياة الدنيا) فقد ضمن تعد معنى (تنب) ، وقوله سبحانه : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) ضمن يخالفون معنى يخرجون ، وقوله جل شأنه : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) ضمن أذاعوا به معنى تحدثوا به ، وقوله أيضا : (وأصلح لي في ذريتي) ضمن أصلح ، معنى بارك ، ونحو قول المصلي في الرفع من الركوع : « سمع الله لمن حمده » ، ضمن سمع معنى استجاب ، وقول أحد الشعراء : ضمنت برزق عيالنا أرواحنا أي تكفلت .

ثانيها : تحويل الفعل المتعدي الى وزن (فعل) بضم العين بقصد المبالغة والتعجب ، نحو ضرب الحارس ، أي ما أضربه ، وفهم حاتم ، أي ما أفهمه ، وحفظ الغلام ، أي ما أحفظه .

ثالثها : « مطاوعة المتعدي » الى واحد كما مر ، نحو « قاد الغلام » البعير فانقاد . « أدبت اليافع فتأدب » ، « فتحت النوافذ فانفتحت » .

رابعها : ضعف العامل عن العمل ، اما بتأخيره نحو : « من سجايا العرب أنهم للضعيف يكرمون » ، اشتهر اليابانيون أنهم لصناعاتهم يتقنون » ، عرف المصري بأنه للواجب يؤدي باخلاص وصدق » ، وقوله تعالى : (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون) وقوله سبحانه : (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) ، أو بكونه فرعا في العمل وهو الوصف المشبه للفعل ، نحو « ان هذا الجندي رافع لعلم وطنه » « وهذا التلميذ فاهم لدرسه » ، « الجار حافظ لحقوق جاره » وقوله تعالى : (مصدقا لما بين يديه) وقوله سبحانه : (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) ، وقوله أيضا : (فعال لما يريد) .

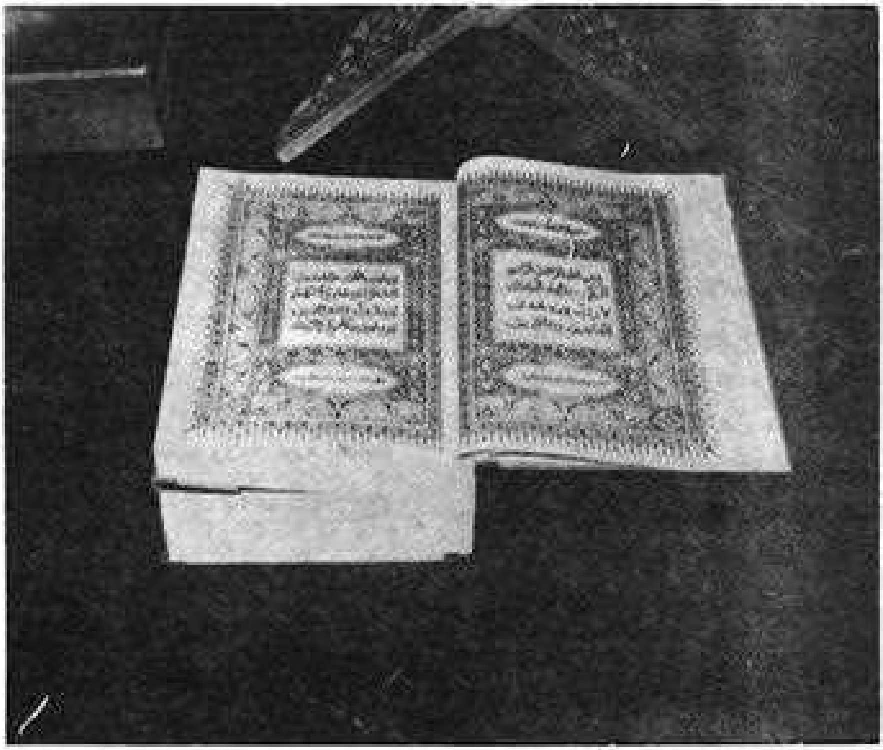
خامسها : الضرورة ، كقول الشاعر :

تبلت فؤادك في المنام خريدة
تسقي الضجيع ببارد بسام

فالفعل تسقي يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه ولكن الشاعر جعله قاصرا بالنسبة له للضرورة ، ويحتمل أنه ضمن تسقي معنى تشفي فعداه الى الثاني بالباء ، ويحتمل أيضا أن يكون المفعول الثاني محذوفا والباء للاستعانة ، وأن المعنى : تسقي الضجيع ريقها بفم بارد ريقه ، وهو معنى سائغ مقبول .

أفعال تعدى ثلاثيها ، ولزم الرباعي منها

قد ورد في اللغة مجموعة أفعال تعدى ثلاثيها ، في حين جاء رباعيها بالهمزة لازما عكس القاعدة المعروفة ، أن الثلاثي القاصر يتعدى بالهمزة الى واحد ان كان قاصرا ، والى اثنين ان كان متعديا بنفسه الى الواحد ، وهي كثيرة تتجاوز الخمسة عشر فعلا ،



منها « أجفل الطائر » ، « وجفلت الطـائر » « وأعرض الشيء ظهر » ، وعرضته أظهرته ، « وأظأرت الناقة » عطفت على بوها ، ظأرتها ظأراً عطفتها عليه ، « وأنسل ريش الطائر » ، أي سقط ، « ونسلته نزعتـه » ، « وأنقـع العطش سكن » ، « ونقـع المـاء » العطش سكنه وأخاض النهر « صار قابلا للخـوض وخضته » ، «وأحجم القائد عن الهجوم» وقف وامتنع عنه ، وحجمته عنه ، منعته « وأكب على وجهه » ، وكببتـه ، « وأصرم النخـل والزرع » ، حان قطعه ، وصرمته ، قطعتـه ، « وأمخض اللبن » « ومخضـت اللبن » ، استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه ، «وأثلث القوم» ، صاروا بأنفسهم ثلاثة وثلثت القوم ، صرت ثالثهم ، وهكذا ، أربع القوم ، وربعتهم الى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود سر به ، وبشرت الصديق بمولود جـديد ، « وأقشـع السـحاب » ، زال وانحسر ، وقشعت الريح السحاب ، أزالتـه ومن ذلك قول كثير :

كمـــا أبرقت قوما عطاشا غمـــامة
فلمـــا رأوهـــا أقشعـت وتجلت

ومن هذه الأفعال كذلك ، « ألوت النـــاقة بذنبها » ، ولوت ذنبها ، حركتـــه ، « وأضر الجواد بأذنه » ، وضر أذنه ومنها أيضا ، أشنق البعير ، رفع رأســـه ، وشـــنقته ، ، وأنزفت البئر ، جف وذهب ماؤها ، ونزفت البئر وأقلع العاصي عن المعصية ، « وقلعه الله عنها » ، وألأم الرجل صلح حاله ، ولأمه غيره أصلحه أو نسبه الى اللؤم ، ولأم الرامي الســـهم جعل عليه ريشـــا .

وهناك من هذا الصنف أفعال أخرى غيرها لا حاجة الى الاسترســـال فى ذكرهـــا ، ولا ضرورة لاستقصائها ، فلنرض بما تيسر منها ففيه — ان شاء الله طول وغنـــاء ، وجهـــد وعطاء ومتعة وحباء ، والمأمول أن يتم بمـــا يسر الله منه النفع العميم وتتحقق الفـــائدة الشاملة ، والله تعالى الموفق للسداد والهادى الى سبيل الرشاد .

الواسطة بين المتعدى واللازم

الجمهور متفقون على أن كـــان الناقصـــة وأخواتها واسطة بين المتعدى واللازم ، فهى تشبه المتعدى فى اتصال (ها) عائدة على غير المصدر بها نحو ، « الصـــديق كنتـــه » ، « والأستاذ كأنه اسماعيل ، وتشبه الـــلازم فى أن منصوبها خبر ، وليس مفعولا بـــه ، والمتعدى من خصائصه أن ينصب المفعول به ، كما يشير الى ذلك ابن مالك فى ألفيته :

فانصـــب به مفعـــوله ان لم ينب
عن فاعل نحـــو تدبرت الكتب

ولو كان نصبه الخبر يسوغ تعديته لقال : فانصب به مفعوله أو خبره ، أمـــا كان التامة وأخواتها التى ورد تمامها مثل كان فهى مـــن قسم المتعدى تارة . ومن قسم اللازم تارة أخرى .

وكذلك ما يتعدى من الأفعال تارة بنفسه ، وتارة بحرف الجر مع شيوع كل من اللغتين فى الاستعمال نحو ، شكرته « وشكرت له » « ونصحته ونصحت لـــه » ، « وســـمعته » « وسمعت منه » أوله ،هو واســـطة أيضـــا وهو الأصح من مذاهب ثلاثة فيه ، والمـــذهب الثانى ، أنه متعد وحرف الجر معه زائـــد . والمذهب الثالث أنه لازم وحذف الجار معـــه توسع .

ولا يرد علينا فى هذا المجـــال ما تتـــاوبه التعدى واللزوم مع اختلاف المعنى ، نحـــو ، « فغر محمد فاه » بمعنى فتحه « ومحمـــد فغرفوه » بمعنى انفتح ، ونحو ، « زاد انتاج المصانع أخيرا » ، « وزاد العمال الانتاج » ، «ونقص عدد الغائبين من التلاميذ» ، «ونقص القاضى فترة العقوبة على المذنب » ، « ووقف القتال بين المتحاربين » « ووقف القائد القتال مع أعدائه » لأنه لا يخرج عن حيز القســـمين (المتعدى واللازم) كما سلفت الاشـــارة الى ذلك فى موضعه أثناء الحـــديث عن الأفعـــال التى تستعمل لازمة وتتعدى بنفسها أحيـــانا فليرجع اليه ؟ .

احمد حسن عبد العواض هلالى

فى حاشية الأمير

مسامرات الخالدين

السيد حسن قرون

موقفى مع مولانا « محمد الأمير » موقف الشاعر العربى الذى قال :

تكاثرت الظبـاء على خـراش
فمـا يـدرى خراش ما يصيد

فكلما تنقلت فى ردهات « المغنى » وصالاته بدت لى « الحاشية » فى أبهى حلة وأبهج غرة ، ورأيت اصفياء الأمير يشرقون اشراق الشمس ، ويسطعون سطوع القمر ، يتحدثون احاديث تنقع غلة الصادى ، وتنير طريق السارى وترتفع بالشادى الى مناط ارباب الابتكار واصحاب الابداع ، ويتحاورون أو قل يتجاذبون أطراف الحديث ٠

وكان تجاذب أطراف الحديث خاص بهم ، ولا يدور الا عليهم ، ولا يؤخذ الا منهم ٠٠٠ وكانى بين النائم واليقظان أرى واسمع ، ويقع فى روعى أنى أعى عن أبى حيان اعتراضه على الزمخشرى فى جعل « انما » بفتح الهمزة تفيد الحصر ، « ولا يعرف القول بذلك الا فى انما بكسر الهمزة ٠

وصاحب المغنى يؤيد الزمخشرى ويأتى بمثال أو شاهد على الاصح من القرآن الكريم هو :

قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد»٠

ويدخل مولانا الأمير فى الحوار ويجعل همه فى نوع القصر ، وأنا لا أريد التوسع فى ذلك الأمر نحويا ولا بلاغيا فذلك متروك للنحاة وطلاب البلاغة ، ولكنى أنصت لحديث الأمير عن « أبى حيان » لأن المجلس يريده سكرتيرا للجلسة التى تعقد فى السحر ٠ قال الأمير :

أبو حيان كان ظاهريا ثم تشفع وهو « أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف ◄

الامام النحوى اللغوى الأديب القراء .

ولد « بغرناطه » من « الأندلس » فى سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤) هـ ولازم الشيخ « بهاء الدين بن النحاس » أول ما قدم القاهرة ، وصنف كثيرا وتخرج له ائمة ، وحفظ منهاج « النووى » الا ورقتين ، وكان يعقد « القاف » على لغة الأندلسين الا فى القرآن . أضر فى آخر عمره .

وتوفى بالقاهرة فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة (٧٤٥ هـ) وله النظم الرائق . سأله بعض الأمراء عن صرف اسمه فقال : « ان لم تكرمه انصرف وان أكرمته فلا » يريد الأخذ من الحين أو الحياة .

وهى عبارة دقيقة وشرحها يحتاج الى تمثيل .

فقوله : ان لم تكرمه انصرف يقول « ان أردت به المكروه وهو الحين يكون حيّان » غير ممنوع من الصرف فينون لوزنه فعال .

وقوله : ان اكرمته فلا يعنى يكون حيانُ من الحياة فهو فعلان فلا ينصرف بل يمنع من الصرف وهو التنوين ومثاله فى اللغة «حسان» « عفان » ، فان كان حسان من الحسن انصرف وان أخذته من الحِسّ يمنع من الصرف فيكون حسان المنصرف على وزن فعال مثل حماد ، ويكون حسان الممنوع من الصرف على وزن فعلان ، وهكذا القول فى عفان ، والمعنى بعد فهم النحو « يفيد اكرامه ببقائه بمجلس الأمير وان لم يكرم ذهب برحل » .

ولما كان أبو حيان من النحاة كانت حوزته أشياء اهتم بها الامير ، وعنى بها وأنا أميل الى تسجيلها هنا للدلالة على براعة الأمير وفقه ووعيه وأنه لا نظير له فى جمع المطلومات ووضعها فى آنية تشف عما فى داخلها قال :

لطيفتان

الأولى يقال « مَئِنّة » كذا أى حقيق به ، والمئنة خلاف المظنة ، فقيل « مفعلة » من إنّ فى حاشية السيوطى بمعنى«نعم»، وفى القاموس التى للتحقيق والتأكيد اى محل لأن يقال فيه إنه كذا كما قالوا : الاتية والبرهان الاتى .

ورده الفارسى وابن جنى بأنه لا يشتق من الحرف . واختارا أن الميم أصلية فهى فعلة بتضعيف اللام من المئنة وهى الاكتراث بالشىء والاعتناء به وأفاده القاموس فى موضع آخر ، وما ذهب اليه القاموس هو المفضل لدى فلا مانع أن تكون المئنة مأخوذة من «ان» التى للتحقيق والتأكيد ، وقد ورد عن بعض العرب الاشتقاق من الحرف . والمظنة موضع الشىء ومألفه الذى يظن كونه فيه .

اللطيفة الثانية : تدور حول معانى « ان » حسب ضبط همزتها وضبط نونها ونوعها . قال الشيخ : ألغز « مهذب الدين أبو المحاسن المهلبى النحوى » فى أن عشرا ـــ وكان شعرا

هو :

آن زيدٌ فإنّ عمرو الكريما
إنّ مستهزئا وإنّ حليما
إنّ قلبي لفي غرام كليما
أنّ وصلا فإنّ يشفي سقيما
اصدودا لانني ذبت انا ؟
قال : إن الخلاص ؟ صرت رميما

فالأولى بالفتح « أنّ زيدٌ» ماضٍ من الأنين ، والثانية بالكسر « فإنّ عمرو » أمَرَةٌ يعني تَوَجَّعْ . والكريما نعت عمرو على المحل لأن عمرا منادي . والثالثة أصلها إنّ أنا تَقَـنّ ، والمعنى ما أنا مستهزئا . والرابعة أمر بمعنى عد والخامسة مؤكدة . والسادسة بالفتح لغة في لعل . والسابعة بمعنى نعم . والثامنة مؤكدة ولكن مفتوحة والتاسعة مصدر أن من الأنين « ذبت أنّاً » والعاشرة أصلها أنى استفهامية بمعنى من اين أو كيف .

وهذا اللغز يحتاج الى أناة وكد للذهن ، وفيه تكلف مثل إن الخلاص ؟ بمعنى من أين الخلاص ؟ وإن بمعنى نعم ، وقد أنكره علماء اللغة . قالوا : وأما قول الأخفش « إنّهْ » بمعنى نعم فانما يريد تأويله ليس أنه موضوع في اللغة لذلك قال : وهذه الهاء للسكوت . وانشدوا لابن قيس الرقيات قوله :

ويقلن شيب قد علا
ك وقد كبرت فقلت:إنّهْ

أي انعقد كان كما تقلن ، قال أبو عبيدة وهذا اختصار من كلام العرب يكتفى منه بالضمير ، لأنه قد علم معناه ، وصحوت على صوت مجلجل ينادي « فتحت الجلسة » وفتحت عيني على مولانا الأمير يخطو نحو المنصة ، وجلس .

فقال أبو حيان : سنبدأ بما حوته الحاشية عن وصية الحطيئة ؟ . قال الأصمعي : وهل يعتد بوصية الحطيئة ؟ ويهتم أئمة الزمان بمثل ما تركه الحطيئة من هذيان ؟ قال قائل من أئمى القاعة .. نحن نعرف رأيك فيه منذ كنت تقوله في الحياة الدنيا وقد وصفته بكل صفات الذم والهجاء ، ولكنك اعترفت بقدرته البيانية ، ونحن نلتقي به على هذا الوجه . وتضاءل الحطيئة وهو تمىء كاسمه ، وترك غيره للدفاع عنه ونظر فوجد من يدافع عنه هو « كعب بن زهير » فرضى أن وجد زميله في الشعر يدافع عنه . فقد كانا يأخذان الشعر رواية عن زهير بن أبي سلمى فهما من مدرسة واحدة .

قال أبو حيان : أنا اقرأ عليكم الآن ماسجلته مضبطة الحاشية ، وعليكم بعد ذلك أن تقولوا ما تشاءون . وكانت الموافقة : والأساس في هذا الشأن أن « المغني » في «تنبيه» له نقل عن غيره أن « الفاء » تكون للاستئناف واستشهد بالقرآن وبالشعر ، ومن الشعر قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمهْ
زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمُهْ

برفع المضارع « يعجمه » أي فهو يعجمه ،

ولا يجوز نصبه بالعطف ، لأنه لا يريد أن يعجمه . والتحقيق أن الفاء في ذلك كله اشارة الى ما ذكره من الشواهد للعطف ، وأن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل والمعطوف عليه في هذا الشعر قوله « يريد » وانما يقدر النحويون كلمة هو ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف .

وهنا قال الأمير : « قوله الشعر صعب الخ » للحطيئة بضم المهملة مصغر .. قال في القاموس : الرجل الدميم أو القصير ولقب « جرول » الشاعر وهو القائل :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره

تجد خير نار عندها خير موقد

أخرج أبو الفرج في الأغاني وابن عساكر من طرق بعضها يزيد على بعض أن الحطيئة لما حضرته الوفاة اجتمع عليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة ، أوْصِ . قال : ويل للشعر من رواة السوء . قالوا : أوص يرحمك الله قال : من الذي يقول :

اذا نبض الرامون عنها ترنمت

ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز ؟

قالوا : الشماخ بإعجام أوله وآخره كشداد كذا في القاموس ، وفيه أيضا نبض في قوسه حرك وترها لترن . قال : أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب . قالوا : ويحك ما هذه وصية ، أوص . قال : أبلغوا أهل ضابيء أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير انني

رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا : أوص — ويحك — بما ينفعك . قال : ابلغوا أهل امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيالك من ليل كأن نجومه

بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فقالوا : اتق الله ودع عنك هذا . قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم (١) أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى لا تهر كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

فقالوا : ان هذا لا يغني عنك شيئا ، فقل غير ما أنت فيه . فقال : « الشعر صعب .. الخ » .

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلا .

فقالوا : ما تقول في عبيدك ؟ قال : هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار . قالوا : أوص للفقراء بشيء . قال : أوصيهم بالحاح في المسألة . قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للأنثى مثل حظ الذكر .

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

قالوا : ليس هكذا قضى الله • قال : لكنى هكذا قضيت وما أدرى أعواد أنتم أمخصماء ؟

قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال كلوا أموالهم ونكوا أمهاتهم • قالوا : فهل شيء تعهد فيه غير هذا ؟

قال : نعم ، تحملوننى على أتان وتتركوننى راكبها حتى أموت ، فان الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مركب لم يخبر يموت كريم عليه • فحملوه على أتان فأنشد :

لا أحد ألأم من حطيئه
هجا بنيه وهجا المريئه (١)
من لؤمه مات على الفريئه

والفريئة الأتان كأنها تصغير فروة ، وذكر القاموس من معانيها الحمار •• أو من قولهم « كل الصيد فى جوف الفرا (٢) » والفرا بالتخفيف حمار الوحش •

وقف الحطيئة وصاح بأعلى صوته ليسمعه الجمع الحاشد : أكل هذا كان منى ؟ لقد كان عوادى من الصابرين •

لقد رويتم وزعمتم أننى قلت : « ويل للشعر من رواة السوء » وأقول فى تلك الساعة ، ويل للاخبار من رواتها — أو كما تقولون « وما آفة الأخبار الا رواتها » واحتج الأصمعى على قول الحطيئة ، ورماه بالتنصل مما كان منه •

وقال الحطيئة : انك تقول : وصلت بالعلم ونلت بالملح ، ومثلك يتتبع الأخبار الطريفة لتمتع بها الخلفاء والأمراء ، وتنال شتى الجوائز •

ووقف المعرى وهو يرى الجمع ببصره وبصيرته ، وقال : ان ما رويتموه عن الحطيئة وهو فى النزع الأخير لا يؤخذ مأخذ الجد ، وأنا أعده من آثار المرض وهذيان النزع ، على أن له ذوقا يعتد به ، وحسبه حديثه عن الموت فوق « الحمارة » الذى لا يقع للشجعان أصحاب الخيول وانما يقع للجبناء واللئام ، كما أن حديثه عن الشعر وأنه الصعب الذى لا يبلغه الا الفحول ، ومهما قيل عن انحرافه وارتداده ثم رجوعه فانى فى «رسالة الغفران» قد جعلته من الناجين ، بيد أنى وضعته موضعه كما عرفت من حاله ، فقد حدد مكانه وأنه فى أقصى الجنة يسكن فى كوخ ، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك ، وقد نال الشفاعة لصدقه فى قوله :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما
بهجر (٣) ، فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقُبِّحَ من وجه وقبح حامله

فقد صدق فى وصف نفسه بالقبح ، وكلامه بالهجر أى الفساد ، والانسان يعجب بشكله وعقله وقد هجاهما ، فمن ثم كان صادقا والصدق صفة يحسن الثواب لصاحبها • وقد اعترف بأن قوله :

---

(١) المريئة تصغير المرأة
(٢) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قاله لابى سفيان
(٣) بقول فاسد

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وان كان من الجمال والكمال في مقام مرموق الا أنه لم يحسب له في حسناته • قال : سبقني الى معناه الصالحون ، ونظمته ولم أعمله ، فحرمت الأجر عليه ، وجلس أبو العلاء وهو يردد « من يفعل الخير •• البيت » •

وموقفه من فعل الخير والدعوة اليه ومجافاته للتطبيق عليه سمة من سماته • انظر اليه في هذا الموقف • كان يرعى غنما وفي يده عصا ، فمر به رجل فقال : ياراعي الغنم ، ما عندك ؟ قال : عجراء من سلم ـ يعني عصاه ـ قال : اني ضيف ، قال الحطيئة : للضيفان أعددتها ، انه هنا بخيل يدافع عن بخله بسلاحه الذي أعده للضيفان، ثم انظر اليه وهو يرسم لنا صورة الكرم والسخاء في قصة ذلك العربي الذي نزل به ضيف فماذا كان منه ؟ ويحسن أن نذكر ما قاله الحطيئة وهو شعر يروى ويحفظ ويقتدى بما يدعو اليه قال :

وطاوي ثلاث ، عاصب البطن ، مُرْمِلٍ (٢)
ببيداء لم يعرف بها ساكن رَسْمًا
أخي جفوة ، فيه من الانس وحشة
يرى البؤس فيها من شراسته نُعْمَى

وأفرد في شِعْبٍ عجوزا ازاءها
ثلاثة أشباح تخالهم بَهْمًا (٣)
حُفَاةٌ عُرَاةٌ ما اغتدوا خبزَ ملةٍ
ولا عرفوا لِلْبُرِّ مذ خلقوا طعما
رأى شبحا وسط الظلام فراعه
فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
فقال : هيا رباه ضيف ولا قرى
بحقك لا تحرمه تا الليلَة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرةٍ
أيا ابت اذبحني وَيَسِّرْ له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا (٤)
يظن لنا مالا ، فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم احجم بُرْهَةً
وان هو لم يذبح فتاة فقدهمّا
فبيناهما عنت على البعد عانةٌ
قد انتظمت خلف مسحلها نظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
على أنه منها الى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نَحُوصٌ ذات جحش سمينة
قد اكتنزت لحما وقد طبقت شَحْما
فيا بشره إذْ جرها نحو قومه
ويا بشرهم لما راوا كلمها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات ابوهم من بشاشته ابا
لضيفهم ، والام من بشرها أُمّا

(٢) فقير نفد زاده
(٣) صغار الضأن
(٤) طرا مخففة من طرأ بمعنى نزل

فهذه قصة كاملة بدأها بأبيات تصور حال تلك الأسرة البائسة ، فالأعرابي رجل فقير سيء الطبع ينفر من الناس وله زوجة عجوز وثلاثة أطفال أضناهم الجوع وبرح بهم الهزال ثم هذا الأعرابي نزل به ضيف فماذا فعل ؟ تحير واهتم ، لقد رحب بالضيف ولاطعام عنده ، ويتطوع أحد أبنائه ليكون الذبيح ... تأتي النجدة من قطيع الحمر الوحشية ثم يرسل سهمه لاحداها ، فخرت مكتنزة اللحم مطبقة الشحم .. ثم كان القرى . وأنا لا أريد أن أشرحها مقطعا مقطعا ولا بيتا بيتا فانك ستجدها يسيرة أثيرة ، صادقة المعاني جميلة الالفاظ ، فيها صدق الاداء وصدق الدعوة الى السخاء . ونحن اليوم نعتز بتلك القصة ونراها ردا على من ينكر على العرب نظمهم « الشعر القصصي » ومن جهة أخرى تضعها في ميزان الحطيئة ، فالذي يحمل العصا للضيفان يرسم لنا صورة للكرم لاتمحى على مدى الازمان . ولو وازنت بين المقطع الثاني والمقطع الأخير لوجدت منظرين متضادين الأول يلفه الأسى واليأس من جميع نواحيه حتى ليهم الأب بذبح الابن .. والأخير كله بشر وسعادة ، فالضيف في حال خصبة وراحة تامة والأب والام في مكانهما من الكرامة والبشر والرضا .

وأعود الى ما ذكره مولانا الأمير من وصية الحطيئة فقراه يقدم لنا عقل الحطيئة ومدى فهمه لنقد الشعر فهو نقد جزئي قائم على الاستحسان دون ابداء المسوغات ، فكل الذين ذكرهم أشعر العرب .. لماذا ؟ وقد تطور النقد الادبي من جيل الى جيل حتى كان الآمدي ونقده لشعر الطائيين أبي تمام والبحتري وهو ما يعرف « بالموازنة بين الطائيين » فقد كان يعرض لكل منهما قصيدة بأكملها تقابلها قصيدة الآخر ، ويجري الموازنة ناظرا الى المعنى واللفظ والثقافة العربية وفي القرن الرابع عشر الهجري الموافق القرن العشرين تغير مفهوم النقد وصار النظر للقصيدة ككل وتخلى عن بيت القصيد وصارت عندنا مذاهب لنقد الشعر تدرس في المدارس والجامعات .

ولا جدال في أن حاشية الأمير تذكر فتشكر ، لأنها جمعت فأوعت ، وأوجزت ومع ذلك أوفت فهي المفتاح لكل دارس ، الغذاء لكل منهوم ، والمجد لكل مفتخر .

والحطيئة : هو ابو مليكة جرول بن أوس العبسي ، اشتهر بالهجاء مع انه يلبغ في المدح وفي كل فنون الشعر وحسبه أنه قرض الشعر القصصي وأجاد فيه ، ويعللون أسباب احترافه الهجاء أنه نشأ مغمور النسب ، كانت أمه في بيت رجل من عبس فجاءت منه بالحطيئة ، ولكن نسبه لم يثبت صريحا منه .. ومن ثم اتجه الى الشعر وتعلمه على يد زهير بن ابي سلمى فأخذ منه الصناعة ولم يأخذ منه شرف الكلمة ، فكان يهجو ويوغل في الهجاء حتى هجا نفسه وأباه وأمه ... وأدخله أبو العلاء الجنة لصدقه في وصف نفسه . وقد تعرض للمحاكمة أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين هجا الزبرقان بن بدر ودخل السجن ثم استعطف عمر بشعر يحرك العاطفة ويستميل الشفقة فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين

بثلاثة آلاف درهم . وكان يفزع من ذكر عمر بعد موته ويترحم عليه .. توفى الحطيئة زمن معاوية بن أبى سفيان سنة ٥٩ هـ .

وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وتأثر بالاسلام بأفكاره ومبانيه ولم يسلك سبيل عظاته ومراميه .

قال أبو حيان : لقد شغلتنا وصية الحطيئة عن النزهة فى رياض الحاشية وغذلكتها (١) ، والنظر فى المأثور من قطوفها الدانية ، واستياف أريجها المنعش ، وطرائفها التى تتحدث عن نفسها . قال أبو نواس : هات لنا شيئا ينعشنا أو دلنا على جدول تظلله أشجارها لنقف مليا نتجاذب ما حلا وعلا منها . قال : اليكم هذه الطرفة وأنصت الجمع وقد انقشع ماران على المجلس من حديث الموت والوصية والهجاء والمخاكمة :

فى الجناح الثانى من المغنى وفى صفحة ١١٢ جاء عن الأمور التى يكتسبها الاسم بالاضافة منها تذكير المؤنث كقوله :

اِنارةُ العقـل مكسوفٌ بطوع هـوى
وعقل عـاصى الهـوى يزداد تنويرا

ومنها تأنيث المذكر كقول الشاعر : « أنشده سيبويه » .

وَتَشْرَقُ (٢) بالقول الذى قـد أذعته
كمـا شَرِقَتْ صدر القناة مـن الـدم

وفى هذا البيت يشير ابن حزم الظاهرى فى قوله :

تجنبْ صديقا مثل « ما » واحذر الذى
يكـون كعمـرو بين عُـرْب وأعْجُم
فان صديق السوء يزرى ، وشاهدى
« كما شرقت صدر القناة من الـدم »

قال صاحب المغنى موضحا : ومراده « بما » الكناية عن الرجل الناقص كنقص ما الموصولة (٣) ، ومعجزو الكناية عن الرجل المريد أخذ ما ليس له كأخذ عمرو الواو فى الخط . أقول ونسى أن يقول : ان التضمين وهو « كما شرقت صدر القناة من الدم » يفيد اكتساب الصديق أخلاق صديقه ، وكل قرين بالمقارن يقتدى .

قال : وشرط هذه المسألة والتى قبلها صلاحية المضاف للاستغناء عنه . انتهى كلام المغنى والتعليق عليه . وأمسك مولانا الأمير بذوائب القول فقال « قوله الكناية أراد اللغوية وهى ماكنى به عن المعنى فان الواقع هنا تشبيه . وما أحسن قول أبى نواس يهجو أشجع السلمى :

قل لمـن يـدعى « سليما » سـفاها
لسـت منها ولا قـلامة ظفـر
انمـا أنت فى سـليم كـواو
الحقت فى الهجـاء ظلمـا بعمرو

---

(١) الفذلكة كما يقول الامير هى الاجمال بعد التفصيل لان الغالب أن يقال فذلك كذا .

(٢) تشرق : تغص .
(٣) لاحتياجها لجملة الصلة

وواضح من هذا الهجاء أن أشجع السلمي دعي في قبيله سليم في نظر أبي نواس . قال مولانا الأمير : حكى أن بعضهم رأى في منامه أنه قد كانت على ظفره « واو » فقص على العابر رؤياه ، فأخبره بأنه « دعي » في نسبه ، واستشهد بهذين البيتين السابقين .

وقال أبو سعيد الرسيمي :

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم مادون الرضا شاعر مثلي ؟
كما سامحوا عمرًا بواو مزيدة
وضويق بسم الله في ألف الوصل !

وقال التهامي :

لَغْوٌ كحرفٍ زيد لا معنى له
أوْ واو عمرو فقدها كوجودها

وللسراج الوراق :

والمستجير بعمرو قد عرفت به
فما أزيدك تعريفا بما عرفا
وتلك « واو » ولا والله ما عطفت
ولو أنت واو عطف ما أتتْ طرفا
ولو غدت واو حال لم تسرّ ولو
اتى بها قسما مابرّ إذْ حلفا
أوْ واو رُبَّ لماجَرّت سوى أسف
وكثرته خلافًا للذى ألفا
وليت صدقا بها قد شبهوه غدا
يكوى بنار وهذا في السلوكفى

والسراج الوراق يشكو حبيبا لم يرمنه عطفا ولا صدقا في الوعد وجماله في سوالفه يستدعي الدعاء عليه ليذوق ما ذاقه المحب وهو الشاعر .. وقد استخدم معظم استعمالات الواو . ومولانا الأمير يحب تلك المسامرات التي توقظ الوجدان وترهف التفكير وتجمع الأشباه والنظائر ليمتع ويفيد .

قال أبو حيان : عود على بدء . قالوا : ماذا تريد ؟ قال حكاية سيبويه . قال ابن جنى ان الحكاية انتهت وعرفنا الصواب فيها ، والصواب يخالف سيبويه لا تقول العرب الا : « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي » بالرفع ولا تعرف ماذهب اليه الكسائي من النصب « فاذا هو اياها » فلا داعي لبعث المسألة من مرقدها في هذه الجلسة .

قال أبو حيان : هذا لم أقصده ، انما أقصدها وقع فيه سيبويه في مسألة الاستفهام . ولتوضيح الحالة أقول المعروف أن للهمزة ثلاث حالات في الاستفهام بها ، فتكون للسؤال عن مضمون الجملة مثل أقرأت الدرس؟ والجواب نعم في الاثبات ، ولا في النفي ، وقد يستفهم بها عن أحد الشيئين أو الاشياء مثل : أمقالا قرأت أم قصة ؟ والجواب يكون بالتعيين وقد يليها نفي مثل ألم تحضر الدرس ؟ والجواب بلى في الاثبات ، ونعم في النفي فماذا كان من سيبويه . حكى صاحب المغنى وقال سيبويه في باب النعت في مناظرة جرت بينه وبين بعض النحويين ، فيقال له ألست تقول كذا وكذا ؟ فانه لا يجد بدا من أن يقول « نعم » فيقال له : أفلست تفعل كذا فانه قائل نعم . فزعم ابن الطراوة أن ذلك لحن .

قال أبو حيان : ويهمني في هذا المقام ما دونه مولانا الأمير ، وأخذ يقرأ : « قوله لحن »شنع الدماميني على تلحين سيبويه امام العربية . قال : ولقد حضرت يوما مجلس

في حاشية الأمير

شيخنا قاضي القضاة « ولي الدين بن خلدون » رحمه الله ، وكان شديد التغالي في الثناء على مصنف هذا الكتاب « المغني » ذاهبا في تفضيله وتفضيل كتابه هذا كل مذهب . فقال للشيخ محب الدين ولد المصنف وقد كان حاضرا في ذلك المجلس : لو عاش سيبويه لم يكن يمكنه الا التلمذة لوالدك والقراءة عليه . فقال الشيخ محب الدين : ياسيدي ، اذا فهم الوالد كلام سيبويه كفاه هذا شرفا . رحم الله الجميع .

قالوا يا أباحيان لقد ذكرت بما دونه مولانا الأمير وأحقيته نعتز بها وهو موقف ابن المصنف واكباره سيبويه ولكن أأخطأ سيبويه أم لم يخطيء ؟ وكان الجواب ان ابن هشام تولى الرد ودافع عن سيبويه بقوله اذا أمن اللبس يجوز أن تجيب في حالة الايجاب بنعم بعد النفي . واستشهد بقول جحدر وهو :

أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علاني

قال : وعلى ذلك جرى كلام سيبويه والمخطيء مخطيء . والموضوع طويل وبحثه شاق .

وما من شك في أن ابن خلدون رفع من قدر ابن هشام صاحب المغني ومازلنا نحفظ قوله « مازلنا ونحن في المغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » .

ولا جدال في أن سيبويه امام في العربية وكتابه رائد كتب النحو ، ولكن ذلك لا يمنع أن يقع في الخطأ ، لأن السليقة العربية شيء وتحصيلها شيء آخر . وصاحب المغني نفسه في مقدمة كتابه عبر بالمرجوح وترك الأرجح مع أنه أنحى من سيبويه عند ابن خلدون ، فقد قال في وصف تأليفه : « وها أنا بائح بما أسررته مفيد لما قررته وحررته ... »

قال الأمير ، قوله وها أنا أدخل « ها » التنبيه على الضمير من غير أن يخبر عنه باسم اشارة ، وانما الشائع اذا أخبر عنه به نحو ها أنتم هؤلاء ، وذلك لأن أجعلها للاشارة والمبتدأ عين الخبر في المعنى .

وهكذا الأمر اليوم فمهما تعمقنا في دراسة اللغة نحوا وصرفا وحفظا لنصوصها شعرا ونثرا لا نسلم من الخطأ لأننا نتعلمها تعليما ولانعايشها معايشة ، ومدرسو اللغة العربية يدرسون النحو باللغة العامية « الفصحى » فكيف يستقيم اللسان والمنوال أعوج ؟

رحم الله الأسلاف بما قدموا واعطوا ، وجزى الله خيرا مولانا الأمير على جهده في حاشيته وابن هشام على المغني وابن خلدون على ثنائه لمن يستحق الثناء .

ذكروا أن ابن هشام توفي سنة ٧٦١ هـ ودفن في خارج باب النصر . وبلغني من أحد الأصدقاء الذين يتابعون ماتنشره مجلة الأزهر أن قبر ابن هشام عبثت به الايام وصار خرابة فنرجو ممن يهمهم رعاية السلف الصالح أن يصلحوا منه ما أفسده الزمان والله الموفق .

السيد حسن قرون

شوقى

بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة

الدكتور محمد سلامه صالح

وفى القصيدة الثالثة (توت عنخ آمون وحضارة مصر) يتحدث (شوقى) عن روعة تلك الآثار (١) التى لم تدع نفيسا لم تحزه ، وعن ميت تحف به حياة يتعجب منها الزمان وأهله ، فتلفتت (باريس) تحسبها من صنع أبنائها ، فاذا ذهب بجوف الثرى لم ينل منه الزمان ، وتوابيت وحاجة لو فطن اليها الموتى ــ تنازعوا اغتصابها ، وتحدث عن الاكفان الموشاة بالذهب وعن عبقرية فن التحنيط ، كما وصف الصور والدمى ، فأحال سكونها حركة وجعل من صمتها نطقا ، واكسبها رداء الحياة ، وتناول بالوصف نقشا غضا كأن أمس ، يخدع النظر ، ويتحدى اللمس .

وفى عرض اخاذ أطلعنا على رحلة صيد تتحرك أحداثها : من غلمان تتناول وتطارد ، وأبواق تهتف ، وسهام ترن . وصوت حنون يصدر عن قوس أثر انفلات السهم منها ، واذا الكلاب لهث ، والخيل جنت جنونا ، والوحش ما بين نافر ، أو واثب فى السهول ، وفى الحزون ، والطير ترسف وتئن فى أسر الجراح :

أنزلت حفرة هالك
أم حجرة الملك المكين ؟
لم يبق غار فى الحضا
رة لم يحزه ولا ثمين
بيت تحيط به الحيا
ة ، زمانه معه دفين

---

١ ــ راجع عن تلك الآثار ــ الجزء الخامس من كتابى ــ (مصر) القديمة للاستاذ (سليم حسن) : الصفحات ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ .

وذخــــائر من أعصر ولـــ
ت ومـن دنيـــا ودين

حملت على العجب الزمـــا
ن وأهلـــه المستكبرين

فتلفتت (بـــاريس) تحسـب
أنهـــــا صـــنع البنين

ذهـب بيطـن الأرض لم
تذهب بلمحته القـــرون

اســتحدثت لك جنـــدلا
وصـــفائحا منـــه القيون

ونواوســـــا وهـــاجة
لم يتخــــذها الهامدون

لـو يفطـن المـوتى لهـا
سرحـوا الأنـامل ينبشـون

وتنازعـــوا الـذهب الذى
كـــانوا لـــه يتفانتـــون

أكفـــان وشى فصـــلت
برقـــائق الـذهب الفتين

٧ ــ أما (أنس الوجـود) فمن البين أنها قصـور وهياكل في احـدى ، جـزر (النيل) عند (أسوان) ، ويرجع أقـدم بناء فيها الى عصر (أمازيس) من الأسرة السـادسة والعشرين .

وقد أضاف اليها فيهـا بعـد الرومـان ، والبطالسة بعض الهياكل .

ومنذ انشاء (خزان أسوان) أصبح المـاء يطغى عليها عدة أشهر من السنة .. وقـد بكاها الكاتب الفرنسى الشـهير (بيرلوتى) في روايته (موت أنس الوجود) .

وما كان (شوقى) أقل منه بكاء على مجد تتداعى عمده ، وقد غمرتها المياه فتماسـكت من ذعر خوف الانقضاض ، فهى اليوم مشرفة على الزوال ، وهى التى كـانت تطـاول الكواكب .

ثم تناول ببالغ الوصف ما يكتنفها من نقش تخاله وليد الأمس ، ودهان ما يزال وضـاء كأنه من صنع اليوم ، والخطـوط في دقتهـا هدب ظبى حسنا واستواء ، ورسـوم الضحايا توشك بنفخة من قدرة (الله) أن تمشى وترعى ، وعزمات المشيدين للمحاريب أمضى من عزمات الجن ، فهى صنعة تدهش ، وقـد كانوا يلتزمونه ، ويحرصون عليه . يقـول في قصيدته (أنس الوجود) :

قف بتلك (القصور) في اليم غـرقى
ممسكا بعضـها من الذعـر بعضـا

كعـذارى أخفين في المـاء بضـا
سابحات بـه وأبـدين بضـــا

مشرفـات على الـزوال وكـانت
مشرفات على الكـواكب نهضـا

شـاب من حـولها الزمـان وشابت
وشباب الفنـون مـازال غضـا

رب نقش كأنمـا نفض الصـا
نع منـه اليـدين بالأمس نفضـا

ودهـان كـلا مـع الزيت مـرت
أعصر بالسراج والـزيت وضـا

و (خطـوط) كأنهـا هـدب ريم
حسـنت صنعة وطـولا وعرضا

و (ضحايا) تكــاد تمشى وترعــى
لو أصـابت من قــدرة (الله) نبضا
و (محاريب) كالبــروج بنتهـــا
عزمـات من عــزمة الجــن أمضى
صـــنعة تدهش العقـــول وفــن
كان اتقـــانه على القــوم فرضــا

وقد أخذ على (شوقى) اضطراب شعوره الفنى ، وضعف تجربته الشـعرية لتناقضه فى البيتين الأولين . فـ « كل بيت بمفرده يعرض

صورة جميلة الرسم والايقاع ، ولكنهمـــا مجتمعين يكشفان عن اضطراب فى الشـعور ، أو تزوير فى هـذا الشـعور ذلك أننا حين نستعرض البيت الأول :

قف بتلك (القصـور) فى اليم غرقى
ممسكا بعضـها من الذعـر بعضــا

نجد أنفسنا أمام مشهد غرق ، والغـرقى مذعورون ، يمسك بعضهم من الذعر بعضــا . فالشــاعر اذن يرسم لنا مشهدا مثيرا لانفعال الحزن والأسى .

مشهدا يظلله الفناء المتوقـع بين لحظـــة وأخرى ، ويشعر أن هذا هو الانفعال الـذى خالج نفســه وهو يعـانى هـذه التجـربة الشعورية .

ولكنه ينتقل بنا فجأة ونحن أمام المشـهد نفســه لم نزايله ، فيقول :

كعـــذارى أخفين فى الماء بضـا
سابحات به وأبــدين بضـــا

فأى شعور بالانطلاق والخفة والمرح يوحيه مشهد العذارى ، ينزلن المـاء ســـابحات يخفين فى الماء بضا ، ويبدين بضا ؟

هنا ظل لا يتسق مع الظل الأول ، يصـور انفعالا شعوريا يغاير الانفعال الأول ، فـأى الانفعالين اذن هو الذى خالج نفس الشاعر ؟ أقرب تفسير أنه لا هذا الانفعـال ولا ذاك . انما هى صورة لفظية لا رصيد لها من الشعور. فالتجربة الشعورية هنا مزورة ، كما تبدو من خلال هذا التعبير » .

ولعل (شوقى) كان يتجاذبه شـعوران : شعور بالاشفاق على هذه الآثار التى توشك أن تندثر ، وشعور بالفخر والنشوة لروعتها ، ودقة صنعتها ، فوضع لقصيدته اطارا بهذين

البيتين يجمع بين هذين الاحساسين من الفزع والنشـوة .

ويلفته التاريخ فيبكى المجـد فى محـرابه متســـائلا :

يا قصـورا نظرتهـا . وهى تقضى
فسكبت الدموع والحـق يقضى (١)
أنت سطر ومجـد (مصر) كتـاب
كيف ســـام البلى كتـابك فضـا
حار (فيـك) المهندسون عقـــولا
وتــولت عـــزائم العلم مـرضى

وأخيرا ، لقد كانت (الأهرام) ، وآثـــار القدماء بعامة ـــمثارا للتنديد بأصحابها ورميهم

(١) تقضى : تفنى .

بالعنف والقسوة في تسخير العمال ، وبالظلم في حرمانهم من الأجور ، وقد ذهب الى ذلك من كتاب الغرب (غوستاف لوبون) مستدلا بما قرره (هيرودوت) و (ديودور) من الاشارة الى نفقات التغذية . يقول : « لما ابتدأ (فرعون) في بناء قبره عبأ له اقليما برمته ، فحشد سكانه ، وصناعه ، وعماله ، وزراعه ، وكل ذي حرفة فيه تحت أوامر المعماريين والمهندسين الملكيين ، وعمل الشيوخ والفتيان أيضا في أعمال قليلة التعب ، فلما أعيا هذا الجيش العمل تحت الشمس المحرقة سرحت المديرين سرح الى بلده ، وجمع غيره من اقليم آخر . وجميع ما أقيم (بمصر) من (أهرامات) ، و (معابد) ، و (جسور) .. انما أقيم بهذه الكيفية ، ثم استخدموا بعد ذلك أسارى الحرب والرقيق من العبرانيين ، وما كانت هجرة (موسى) وشعبه الا بسبب الاسراف في استخدامه ، وسوء معاملته .

ولم يكن في هذا التسخير من أجر يعطى ، وانما يكتفى باطعام العملة . حكى (هيرودوت) و (ديودور) أن نفقات تلك التغذية كتبت على احدى واجهات (الأهرام) الكبيرة » (١) .

وقد نفى الأستاذ (سليم حسن) هذا الزعم — مدفوعا بالحماس القومي — يقول : « اذا علمنا أن الأحجار التي استعملت لبناء (الهرم) قطعت من محاجر مجاورة له ، وأن (البكر) كان يستعمل لرفع هذه الأحجار سهل علينا فهم المجهود العظيم الذي قام به (خوفو) ، وبخاصة اذا علمنا أن جما غفيرا من المصريين كانوا يشتغلون في بنائه طول مدة الفيضان من كل سنة ، وذلك لخلوهم من أعمال الزراعة في فترة الفيضان ... ولا شك أن السر في انجاز هذا العمل العظيم بسرعة يرجع الى تنظيم العمل وادارته بالطرق الفنية » (٢) .

كما ذهب الى ذلك ايضا الأستاذ (محمد صابر) (٣) .

ومن قوله : « ودلتنا النقوش الأثرية ، ووثائق البردى على أن فرق العمال كانت تحظى بنصيب كبير من رعاية الملك ، وعمال الحكومة ، وأن العمال كانوا يقبلون على أعمالهم بنفوس راضية ، اذ مثلتهم النقوش التي على جدران المقابر ، وهم يعملون على نغم العزف على الناي مع تبادل الملح والنكات ، ولما كانت الطبقة الحاكمة تحب حياة البهجة ، والسرور (من صيد وقنص وموسيقى الرقص) من مسرات الحياة ، فكان لعمالهم نصيب منها ، ويتضح لنا من ذلك أن

---

(١) الحضارة المصرية — عربه من الفرنسية (م . صادق رستم) : ١٤٠ — الطبعة العصرية (بمصر) د . ت .

(٢) مصر القديمة — الجزء الاول : ٢٩٢ مطبعة كوثر سنة ١٩٤٠ م .

(٣) راجع كتابه (مصر) تحت ظلال الفراعنة : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ .

العمال لم يستثمروا استثمارا سيئا خاليا من الشفقة والرحمة » (١) •

وقد استدل بكثير من النقوش الدالة على ما اتسم به الفراعنة من عدل ورحمة (٢) •

ومن ذلك نص لـ «مهندس كبير ، ورئيس عمال يقول : « عاملت كل من اشتغل معي بلين ورفق ، وما ظلمتهم ، أو أهنتهم » (٣) •

وقد كان (شوقي) أسبق المتأثرين بالدافع القومي اشادة بآثار الفراعنة ، وتفنيدا لما أحيط بهم من تهم عزاها الى التأثر بطغام اليونانيين ففي سنة ١٨٩٤ يقول في قصيدة (كبار الحوادث) :

وبنينا فلم نخل لبان
وعلونا فلم يجزنا علاء
وملكنا فالمالكون عبيد
والبرايا بأسرهم أسراء
قل لبان بنى فشاد فغالى
لم يجز (مصر) في الزمان بناء

ليس في الممكنات أن تنقل الأجـ
ـيال شما وان تنال السماء
أجفل الجن عن عزائم (فرعو
ن) ودانت لبأسها الآناء (٤)
شاد ما لم يشد زمان ولا أنـ
ـشا عصر ولا بنى بناء

فاعذر الحاسدين فيها اذا لا
موا فصعب على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائم شيدت
بيد البغي ملؤها ظلماء
ودعر الناس والرعية في تشييد
ها والخلائق الاسراء
أين كان القضاء والعدل والحكـ
ـمة والرأي والنهى والذكاء
وبنو الشمس من أعزة (مصر)
والعلوم التي بها يستضاء
فادعوا ما ادعى أصاغر (آثيـ
ـنا) ودعواهم خنا وافتراء
ورأوا للذين سادوا وشادوا
سبة أن تسخر الأعداء
ان يكن غير ما أتوه فخار
فأنا منك يافخار براء (٥)

وكلام المؤرخين عن ماضي غاشم ليس حججا قوية يتقبلها العقل دون اجالة خاطر ، أو اعمال فكر ، على أن (شوقي) حين يفترض أن هذه الآثار قد شيدت بالظلم والارهاق ـ جعل هذا الظلم مستساغا والارهاق محمودا في سبيل بناء المجد والفخار ؛ فهو ارهاق يبني مجدا ، وظلم يخلد ذكرا • يقول في قصيدة (أيها النيل) :

---

(١) المرجع السابق : ٤٢٤ ـ ٤٢٥ •
(٢) انظر المرجع السابق الصفحات : من ٤٢٤ الى ٤٢٧ •
(٣) المرجع السابق : ٤٣٠ •
(٤) الآناء : ساعات الليل • مفردة أنى وأني تقول : هو يقوم آناء الليل •
(٥) الشوقيات القديمة: ١٥ ـ ١٦ ، والشوقيات ١ ط ٢/ ٣٠ و (ديوان شوقي) : ١/ ١٧٠ ـ ١٧١

هي من بنـــاء الظلم الا انـه
يبيض وجـه الظلم منـه ويشرق
لم يرهـق الأمم الملـوك بمثلهـا
فخرا لهم يبقى وذكرا يعبـق (١)

وما يسفر الكشف عن مقبرة (توت عنخ آمون) حتى تعاود الشاعر المعتز بقوميته غيرة الدفاع عن القدماء ، فيصب جام غضبه على الأوربيين لرميهم اياهم بظلم لم يسلم منه المعاصرون في أوربـا ، فمـا أحداث « البستيل » ببعيدة (٢) وكم نال فيها الأحرار من ألوان الاضطهاد ، ووسائل الابادة ، ولكم من أناس سخروا لاقامة دور للعبادة ، فكانت سجنا للأحرار ، وأداة للتعذيب والتنكيـل ، فكيف نطالب القدماء بكمال حاد عنه المحدثون .

عن تلك المعاني نقرأ قوله في قصـيدة (توت عنخ آمون) :

ولسـت بقائل ظلمـوا وجـاروا
على الاجراء او جلدوا القطينا(٣)

فانـا لم نـــوق النقص حتى
نطـالب بالكمـال الأولينـــا

ومـا (البسـتيل) الا بنت أمس
وكم أكـل الحـديد بها سـجينا
وربـة بيعـة عـزت وطـالت
بنـاها الناس أمس مسـخرينا
مشـيدة لشـانئ العمى (عيسى)
وكم سمل القوس بها عيـونا

و (لشوقي) لفتة الناصح الموجه ، فهـو حين يسلط الضوء على مجـد الماضي في فخار واعتزاز لا يفوته أن يلتفت الى المعـاصرين محذرا من التراخي ، والاعتمـاد على مجـد الآباء ، دون أن يضيفوا الى هذا المجد التليد ، مجدا طريفا ليصلوا الماضي بالحاضر . يقول :

مجـد الأصول عزيز ما سـهرت على
حفظ الأصول فـان ضيعتهم هـانا

---

(١) الشوقيات : ٢ ـ ٨٠ ، و (ديوان شوقي) ١ ـ ٢٣٦ .

(٢) البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد (شارل الخامس) ملك (فرنسا) سنة ١٦٤٩ وفي هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضـل في (فرنسا) اشد أنواع العذاب أيام الاسـتبداد ، فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ، وفني بين جـدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسي جنى عليـه ميله لخير بلاده ، فدخله حيا ، وفارقه ميتا ، وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (الباستيل) وعدوه مستقر الظلم ، ومعهد العسف والقسوة : فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) ، فهدموه ، واقتلعوا أصوله ، وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها في أمكنة اللآلي اشارة لغلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان أخذه في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وقد أقيم اليوم مكان هذا البنـاء (تمثال الحرية) ولايزال الفرنسـيون يحتفلون بذكره الى الآن الشوقيات : ١ ط ٢ هامش .

(٣) القطين : الخدم .

فلا تقولن يوم الفخر كان أبي
حتى يراك بنو الدنيا كما كانا (١)

وتلك لفتة طيبة تذكرني بصيحة تقريع (للأفغانى) حين زاره الأمير (شكيب أرسلان) (بالآستانة)، وكان قد أثير عنده ما تردد من عبور العرب للمحيط الأطلسى، واكتشافهم (لأمريكا) لمشابهة (أهرام المكسيك) (لأهرام مصر)، فاندفع (جمال الدين) بقوله: «ان المسلمين أصبحوا كلما قال لهم الانسان كونوا بنى آدم أجابوه ان آباءنا كانوا كذا وكذا، وعاشوا في خيال ما فعل آباؤهم، غير منكرين بأن ما كان عليه آباؤهم من الرفعة لا ينفى ما هم عليه من الخمول والضعة!

ان الشرقيين كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر قالوا: أفلا ترون كيف كان آباؤنا؟ نعم! قد كان آباؤكم رجالا، ولكنكم أنتم أولاد كما أنتم! فلا يليق بكم أن تتذكروا مفاخر آبائكم الا أن تفعلوا فعلهم، أن المسلمين قد سقطت هممهم، ونامت عزائمهم، وماتت خواطرهم، وقام شيء واحد فيهم هو شهواتهم» (٢).

ولصيحته تلك صداها لدى (شوقى)، ففى قصيدته التى ذكرناها من قبل يقول:

ان ركب الحضارة اخترق الأر
ض وشق السماء ريحا ومزنا

وصحبناه كالغبار فلا رحـ
ـلا شددنا ولا ركابا زممنا

دان آباؤنا الزمان مليا
وملينا لحادث الدهر دنا

كما تباهى بلحد ميت وكم نحـ
ـمل من هادم ـ ولم يبن ـ منا

قد انى أن نقول (نحن) ولا نسـ
ـمع ابناءنا يقولون كنا (٣)

والدكتور (محمد صبرى) الذى أعاد نشر هذه القصيدة يعقب على هذه الأبيات بقوله:

«وهذه الصيحة تذكرنا بصيحة أخرى للشاعر الفرنسى (لامرتين) عند زيارته (لايطاليا): لا أرى هنا الا تراب أموات)، فكانت لصيحته ضجة بين (الطليان) الذين كانوا يفاخرون بماضيهم، وكانت

---

(١) الشوقيات: ١/٣٤٤ ـ ٣٤٧، و (ديوان شوقى): ١/٥٦٥.

(٢) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث: ١٠٢.

(٣) (الاهرام) فى ٧ يولية سنة ١٩٢٧.

نهضتهم الحديثة لاتزال فى بدايتها ، وما أروع قول (شوقى) فى مبناه ومعناه (وكم نحمل

من هادم) فان حب الهدم تغلغل فى نفوسنا ، وأصبح من خصال عبقريتنا ، وعلة من أكبر

عللنا الاجتماعية . لذلك ما غنى « (شوقى) يكشف الداء ، ويصف الدواء ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان » (١) .

الا ما أعظم (شوقى) فى احتفائه بتاريخ

بلاده ، وغيرته على مجد قومه ألم يقل ؟!

وأنا المحتفى بتاريخ (مصر)

من يصن مجد قومه صان عرضا(٢)

لقد كان مأخوذا بمجد الأمة « أحب الماضى لذاته ، وأحبه أيضا وبالأخص لأنه يثير مفاخره » (٣) .

لقد قال أديب (فرنسا) الذائع الصيت « لا يحوز أرض منفتاح

القديمة ـ مع ذلك ـ اعتراف البشرية بجدارتها وجميلها ، فهى أم (اليونان)

الروحية ، وكهنتها هم أول من حسر القناع عن عالم مازال سرا مغلقا ، وقد أطار فنانوها

ـ بفنهم الخالص ، وفطرهم الصافية ـ الشرارة أوقدت شعلة المجال » .

وقد وقفت من دراسة هذا الموضوع على مدى اعتزاز الشاعر بمجد القدماء ،

واشادته بجهودهم نشدانا لحفزهم المعاصرين مما يثبت باوضح دلالة ان

شاعرنا كان مرآة مجتمعة فى الماضى ، والحاضر ، وأنه كان يستهدف بعثا يلحق حاضر الأمة بماضيها المجيد .

الدكتور محمد سلامه صالح

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٢/٢١٠ ـ ٢١١ .
(٢) الشوقيات : ٢/٦٩ ، و (ديوان شوقى) : ١/٣٩ .
(٣) كما يحدثنا الاستاذ « Galld (Edgard) » بما نصه :

«Il a aimé le passé pour lui — même, mais il a aimé aussi , et sourtout parce qu'il exalte sa fierté» Z

La mort du prince des poëtes arabes Ahmed Chawky Bey. in Nouvelles littéraires No. 560 du 8 Juellet P. 8, colonnes 1-2. Cité par monsieur (Bondot—Lamotte) (Ahmad Shawqi) l'homme et l' oeuvre tome 1 P. 220.
(Anatole France)

مع رسالة جامعية

إعداد الدعاة في الإسلام

للباحث : محمد يوسف حمودة
المدرس المساعد بقسم الدعوة الاسلامية بكلية اصول الدين
جامعة الازهر

تقديم عبد العزيز أحمد جيره

« اعداد الدعاة فى الاسلام » هو عنوان للرسالة التى تقدم بها الباحث / محمد يوسف حموده المدرس المساعد بقسم الدعوة الاسلامية بكلية اصول الدين ـ جامعة الازهر بالقاهرة لنيل درجة العالمية « الدكتوراه » .

تكونت لجنة المناقشة من : ـ
الأستاذ الدكتور عمارة نجيب محمد رئيس قسم الدعوة والثقافة الاسلامية مشرفا .
الاستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم

امين عام مجمع البحوث الاسلاميه عضوا
الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الحى استاذ مساعد بقسم الدعوة الاسلامية عضوا

استمرت مناقشة الباحث نحوا من ثلاث ساعات قررت اللجنة بعدها منح الباحث درجة « الدكتوراه » بتقدير : مرتبة الشرف الثانية

وتتكون الرسالة من : ـ
١ ـ المقدمة
٢ ـ فثلاثة ابواب
٣ ـ فالخاتمة

« المقدمة »

تحدث الباحث فى هذه المقدمة عن حاجة الدعوة الى الله تعالى فى تبليغها ـ لرجال ذوى بصائر وهدى حتى يدركوا النجاح لدعوتهم ولأنفسهم . فاما البصائر فتكشف لهم عن اهلها والوانهم ونوع الحاجة حسب اقدارهم لأن الناس منازع واهواء ومتعددو حاجات .
واما الهدى فهو لهم نور يكشف طريق اداثهم على تحمل اعبائها . فهم كالأطباء

يعطون بقدر ذوى الحاجة فى وقتها . فليس كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقال حضر أهله ، ولا كل ما حضر أهله جاء أوانه .

وهاك عرض لأبواب الرسالة :

الباب الأول « أساليب ووسائل اعداد الدعاة »

تحدث الباحث فى بداية هذا الباب عن مفهوم الاعداد :

وحدده بأنه تهيئة الانسان لأمر ، والاستعداد للأمر التهيؤ له ــ والعدة ــ بالضم ــ الاستعداد .

وسائل الاعداد تتمثل فى :

١ ــ **التربية** : باعتبارها ركنا هاما وقاعدة أساسية لاعداد الدعاة .

٢ ــ **التعليم** : باعتباره المضمون الفطرى الذى يجب أن يكون قد وصل الى العقول والأفهام فى فترة محددة وبصورة معينة .

٣ ــ **الثقافة والتوجيه** : باعتبارهما نتاج السلوك العام المؤثر فى حركة الداعية سلبا وايجابا . ثم جعل لكل وسيلة منها فصلا على حدة .

فالفصل الأول « التربية واهميتها فى اعداد الدعاة ».

وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن معنى التربية ، واختلاف العلماء فيها فمنهم من جعلها علمية ، ومنهم من جعلها فنية ، ومنهم من جعلها علمية تطبيقية . ولهذا الاختلاف اختلف معناها من مكان لآخر وتخلص من هذا الاختلاف الى أنها : تنمية الشخصية البشرية الاجتماعية الى أقصى درجة تسمح بها امكاناتها ، واستعداداتها بحيث تصبح شخصية مبدعة خلاقة ، متفتحة مطورة لذاتها ومجتمعها وبيئتها من حولها وعلى هذا فهى تصوغ محتواها من الماضى ، والحاضر ، والمستقبل . ثم انتقل الى معنى التربية عند بعض الأمم ففى **القبائل البدائية** : تتسم بذوبان الفرد فى قبيلته . وعند المصريين القدماء تتمثل فى أخلاقهم من العفو والتسامح والاعتقاد فى الثواب والعقاب ، والبعث فى الآخرة ــ وعند اليونان تتمثل فى خلق أفراد قادرين على تحمل الجوع والعطش وتوفير الوسائل التى تحقق ذلك ــ وعند البوذية تأخذ مرحلتين .

الاولى : مظهرية يقوم فيها المريد بحلق شعره ، وذقنه وارتداء الرداء الأصفر شعار البوذية ، ويعلن على الملا احتمائه بالبوذ أو تعاليمه وطريقته .

الثانية : وتتم بعد خلوه من الامراض حيث يبدأ فى تنفيذ شروط الطائفة وتعاليمها وهى الامتناع عن ممارسة الجنس ، والابتعاد عن الرق ، وعدم الانغماس فى الشهوات من أشربة وأطعمة ، وأن يعتزل الحياة بعيدا عن زحمتها وذلك فى الأديرة والصوامع أما التربية الاسلامية فلها خصائصها وهى :

١ ـ **الهية ربانية** : تخاطب الانسان بتكوينه وأطواره وتناديه بأن يقبل على الله حتى يوقفه الى أسمى الكمالات النفسية .

٢ ـ **تربية شاملة** لأن مدارها الانسان بكل ما تحمل الانسانية من معان سـامية من روح وعقل وجسم ونفس ، لأن الانسان جعله الله فى موطن الفخر بتلك الربوبية .

٣ ـ **التوازن** : وهو عدم طغيان الجسم على القلب والروح ، ولكل منهم حياته التى يسعد بها وبنالمتها الكمال الموصل لله تعالى .

٤ ـ **التربية الاسلامية واقعيـة علميـة** : يمارس الفرد القائم بها عمله الـذى حصـل عليه من العلم وليست خيالية .

٥ ـ **متكاملة** : من حيث الزمان والمكان فـلا يقف أحدهما حائلا دون التربية فى أطوارها .

٦ ـ **ايجابية** : فهي تحول المخلوق البشرى الى طاقة ايجابية عامله فى واقع الحياة .

اما صفاتها فتتمثل فى الآتى :

(أ) **التوبة** : وهى الاقـلاع عن البـاطل قولا وعملا ، واعتقادا ، والرجوع الى الحق .

(ب) **الورع** : وهو ترك الشبهات ، والتبرأ من مظالم الخلق .

(ج) **التوكل** : وهو اعتماد القلب على الله .

(د) **الرضا** : وهو سكون القلب الى سابق اختيار الله للعبـد .

وفى الفصل الثانى : **التعليم أساس لاعداد الداعية**

يرى الباحث ان العلم أولا هو : غـذاء النفس ، وراح الروح ، وهو من الخصـائص التى اختص بها الله الانسان ، لأنـه طهـر للجسم من المعاصى والآثام ، وزكاة للنفس فى البعـد عن التردى فى عالم الظلام ، وقـرب للروح من عالم النور والهداية .

ثم تحدث عن أهداف العلم :

فرأى :

١ ـ **الهدف الدينى** : وهو طلب الله تعالى من الانسان أن يعبده ، ولا تقوم العبـادة الا بالعلم فهما مقترنان ، فالعمل بغير علم باطل ، والعلم بغير عمل عاطل .

٢ ـ **الهدف الذاتى** : وذلك يكون لرفع الجهل الذى هو عين العيب فان (علما أوضح لبسـا خير من مال أغنى نفسـا) .

٣ ـ **الهدف الدنيوى** : وهو أن يتعلم الانسان بقصد الوجاهة فى الدنيا ، ورغبة فى السـيادة عند الناس ، وقصد النفع عندهم نفعا يعود عليه بالرزق .

٤ ـ **الهدف المذهبى** : وهو أن يتعلم العلم هادفا من ورائه نصرة مذهب ، ودحض آخر .

والخلاصة من هذا كله أن يكون هدف العلم عند الانسان ان يأخذه الى الدين سواء كان الداعى دينيا أو غير ذلك ثم تحدث الباحث فى هذا الفصل عن أجناس العلوم اللازمة لاعداد الداعية وأصنافها ومدارسها فقال .

انه بعد رحيل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى ترك من بعده صحابته رضوان الله

عليهم وعندما تقدم العصر ، وانفتحت الثقافات الاجنبية على المسلمين كانت المدارس تتمثل فى :

مدرسة الحديث : وهى التى جمعت الاحاديث الشريفة من رواتها ودونتها بالمصنفات ، وايداعها القراطيس للحفظ بعيدا عن الخلط والاختلاط .

الثانية : مدرسة الفقهاء : وهى التى كانت اجابتها عن طريق الفتيا فى الاحكام ، وبيان الفقه فى الدين والاحكام المطروحة أمام المسلمين .

الثالثة مدرسة علماء الكلام : وهم الذين انخرطوا فى تلك الثقافات ، واقبلوا على تلك المصنفات فلم تقنع نفوسهم بالقراءة بل عمدوا الى الرد عليها ، ودحض شبهاتها بالحق والدليل .

الرابعة مدرسة الصوفية : وهى التى آثرت العزلة عن الكلام والتكلم مكتفين بالأثر الصحيح الوارد فى القرآن الكريم ، عاكفين على نهجه ، متبعين أثر الرسول ﷺ فى أحواله (1) .

(1) وفى الحق ليس هذا المنهج خاصا بالصوفية، فقد كان اماما فيه أحمد بن حنبل ــ رضوان الله عليه ، وهو من هو محدثا وفقيها .. مجلة الأزهر .

ثم قسم أجناس العلوم الى ثلاثة كما قسمها اخوان الصفا وهى :

١ ــ **الرياضة** : وهى علم الآداب التى وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح الدنيا كالقراءة والكتابة ، والحساب والمعاملات .

٢ ــ **الشرعية الوضعية** وهى التى وضعت لطب النفوس وطلب الآخرة كعلوم التنزيل ــ التأويل ــ الروايات ــ الاخبار ــ التذكار والموعظة .

٣ ــ **الفلسفية الحقيقية** مثل علوم الكون ــ المعادن ــ النبات ــ الطب ــ الحيوان ــ البيطرة ... الخ .

طرق تحصيل العلم هى :

(أ) التعليم المكتسب .

(ب) والتعليم الربانى وهو اما بالوحى أو بالالهام .

وفى الفصل الثالث

الثقافة والتوجيه ولزومهما لتكوين الداعية

وفى هذا الفصل ذكر الباحث تعريفات عدة للثقافة منها أنها : تعبير عن الجانب العقلى يجعلها تتكون من السلوك المكتسب والفكر ــ ــ وفرق بين الثقافة والحضارة قائلا بأن الحضارة مظهر لحياة مجتمع من الناس . أما

الثقافة فهى ضمير تلك الحياة وعقلها وفكرها وهى قاصرة على أصحابها .

وتعرض بعد ذلك لخصائص الحضارة الاسلامية فرأى انها تعتمد على الدين ، وأنها

اهتمت بجميع النواحي من فكر وروح وعقل وجسم على عكس الحضارة الغربية فهي مختلفة في تلك الخصائص .

وأما عناصر الثقافة فهي : العقيدة ـ اللغة ـ التاريخ ـ الأمة ـ التراث ـ وأما أسسها فهي (التكوين ـ الفطرة ـ الأمانة) .

ثم طرق الحديث الى التوجيه ، فرأى ـ بعد تعريفه ـ أن طرقه هي :

النصائح ، والعظات وذلك في القرآن الكريم ، ثم توجيه الرسول ﷺ للمسلمين في العبادات والمعاملات وكل ما يخص الحياة من دين ودنيا .

وجعل الباب الثاني « الوسائل واساليب الاسلام لارساء اسس الدعاة »:

فذكر الباحث في هذا الباب الوسائل الاسلامية لارساء أسس الدعاة وهي عنده :

١ ـ القرآن الكريم في بناء عقيدته ؛ ومنهجه التربوي .

٢ ـ النبي ﷺ في اعداده وامداده .

٣ ـ القدوة في اعتدائه ﷺ .

٤ ـ النفس في ذكائها وصفائها .

٥ ـ البيئة الصالحة للاعداد التربوي .

وقد أفرد الباحث لكل وسيلة من هذه الوسائل فصلا تناوله فيه .

الفصل الأول (القرآن الكريم في بناء عقيدته ومنهجه التربوي) .

تحدث الباحث في هذا الفصل عن القرآن الكريم في بناء عقيدة الداعية ومنهجه التربوي ، وبين أن لوحدة القرآن الموضوعية وسائله في نقل النفس الانسانية من غياهب الجهل والظلمات الى نور الهدى والرشاد ، وقد جاءت فيه العقيدة منصفة للعقل ، داعية ايه أن يرسل فكره الى منشور الآيات في الكون الفسيح الذي اتسعت أرجاؤه ، وطالت اطرافه ، ليعلم الحكمة من الخلق ، ويعلم سر الامداد من الحق تعالى وفي هذا الفصل بين أن للقصص القرآني أثرا في اعداد الداعية ، وعامل من عوامل تزكية النفوس والقصة في القرآن تعد تربية وعلما وثقافة وتوجيها ولها خصائصها التي تتمثل في أنها شاملة للاعداد ، وأنها روح وحياة وفي تكرارها المادة وفي افرادها كفاية ، ثم ذكر الباحث بأن من أنواع القصة ما كان للتربية والتعليم وللتاريخ ـ وللتثقيف والتوجيه .

وفي الفصل الثاني : « النبي ﷺ والاعداد »

تطرق الباحث الى اعداد الله تعالى لرسله عليهم الصلاة السلام نذكر منها في القرآن الكريم (الاصطفاء) ومعناه : أن الله يختار رسوله عليه الصلاة والسلام الى قومه ليبلغهم رسالته وقوله تعالى في ذلك (**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**) الحج ٧٥ ـ وهم بذلك يكونون أتقى وأنقى وأصفى خلقه بواعلى نسب وحسب في قومه ، كما جعل (الرسل) في سلامة من الخلق والخلق فلا يوجد بهم صفة تنفر الناس من حولهم في دعوتهم الى الحق ، فهم على حسن خلق وخلق وجمال وجه ، وطلعة لا يدانيهم فيها أحد .

ـ ثم تحدث عن اعداد الله سبحانه وتعالى للرسول محمد ﷺ فقال : ان الله سبحانه وتعالى اختص نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام باعداد خاص دون الانبياء ـ شمل

هذا الاعداد الزمان والمكان ، فاعداده بالنسبة للزمان متمثل فى أنه ما بعث الله نبيا ولا رسولا الا أخذ عليه العهد والميثاق للرسول ﷺ كما قال عن ذلك عليه الصلاة والسلام : (أنا دعوة ابراهيم ، وبشارة عيسى الخ ـ ثم انتقل الى اعداده عليه الصلاة والسلام لأصحابه والذى سلك فيهم منهج الحكيم حتى غدوا بعد حين « حكماء علماء أبرارا أتقيـاء » وجعـل منهم الحكماء والامراء والخلفاء والقراء ، وكـان عليه الصلاة والسلام يعين على نوائب الدهر ويحمل الكل ، وكان للصحابة حظ من كل خصلة وصفه فيه عليه الصلاة والسلام وقصصه مع الصحابة وغيرهم كثيرة فى كل شئون الحياة والدين اعتبرها المسلمون بعد حياته بمثابة الدروس العملية لحياتهم الخاصة والعامة .

وفى الفصل الثالث « الأسوة والقدوة » قال :

ان المثل الأعلى كان للرسول عليه الصلاة والسلام الذى كان قرآنا يتحرك بالنور والضياء ، والهدى والرحمة ـ وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى كان لابد من قدوة محسوسة ومشهودة ومن هنا كان قوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » والاتباع يكون بقيد الكتاب والسنة ولا يخرج عنهما ، والاهتداء يكون ببلوغ الغاية فى الكمال الانسانى غاية عليا مستمدة من نوره عليه الصلاة والسلام .

وانتقل الباحث الى آداب المرشد وجعلها متمثلة فى :

١ ـ الحب فى الله ولله وفى الاخلاص ـ التواضع والخشية ـ العزة بالله .

وتضمن الباب الثالث « الخطة والتطبيق »

فى ثلاثة فصول :

الأول « المناهج العلمية » :

فى هذا الفصل تحدث الباحث عن المناهج العلمية ، والعلوم التى يحتاجها الداعية ، وأقسام هذه العلوم ، واختلاف العلماء فى ذلك ـ ثم تطرق الباحث بعد ذلك الى العلم المطلوب للاعداد وعرفه بأنه هو العلم المعتبر شرعا أى الذى مدح الله ورسوله أهله على الاطلاق ـ وهو أيضا العلم الباحث على العمل ، وهذه المواصفات لا تنطبق الا على العلوم الشرعية ، لأنها تورث النور فى القلب اذا رزق صاحبه الخشية من الله تعالى ـ ولهذا العلم النافع خواص هى :

١ ـ كونه الأصل والمعتمد ، وعليه مدار القلب ، واليه تنتهى مقاصد الراسخين وهو ما كان قطعيا أو راجعا الى أصل قطعى ، والشريعة الاسلامية على هذا الوجه .

٢ ـ المعدود فى ملح العلم لا فى صلبه وهو ما ليس قطعيا ولا راجعا الى أصل قطعى بل الى ظنى .

٣ ـ ما ليس من الملح ولا من الصلب ، وشأنه أن يرجع الى أصله بالابطال فهو غير ثابت ولا حاكم ولا مطرد أيضا .

الفصل الثانى « البرامج التعليمية »

قال الباحث فى بداية هذا الفصل إن تعديل المناهج العلمية لا يفيد بالقدر الذى يفيده تعديل البرامج التعليمية ، فنحن فى حاجة الى تعديل برامج لا تعديل مناهج .

ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الخطوات التى تحتاجها البرامج التعليمية فى الاعداد بأنها هى : ـ

١ ـ **المدة** : وتعنى الفترة الدراسية التى يقضيها الطالب فى الدراسة حتى ينال الاجازة بالامامة وعاب مدة الدراسة بالمدارس أو الجامعات قائلا : بأن اليوم الدراسى للطالب أصبح الآن لا يزيد عن أربع ساعات يوميا تقريبا ، وقد يستمع الطالب فى هذه الأربع الى أستاذ وشيخ لكل مادة ، وعاب على طبيعة البرامج التعليمية بأنها ، وهى بهذا القدر البسيط ، لا تستطيع أن تخرج رجلا يحمل لقبا علميا .

٢ ـ صحبة الاستاذ : وفى هذه النقطة يتساءل الباحث قائلا : هل تكفى المدة التى يقضيها الطالب فى الدراسة مصاحبا فيها لأستاذه وهى لا تكاد تزيد عن عشرين يوما بالتقريب لاعداده اعدادا كاملا من الناحية العلمية والسلوك مع أننا لو نظرنا الى الصحابة رضوان الله عليهم ومتابعتهم للرسول ﷺ فى تلقيهم العلم ، وأدبهم معه وحسن استماعهم اليه لوجدنا فارقا كبيرا .. الخ .

« الخاتمة »

فى الخاتمة تحدث الباحث عن أهم الوصايا والنقاط التى يود أن تكون محل اهتمام ورعاية من القائمين على الأمر وهذه الوصايا نذكر منها ما يلى : ـ

١ ـ النجاح فى الدعوة وتبليغها يحتاج الى داعية لأنه يعتبر لسانها وحالها ـ وتحتاج الى تنظيم وهو الهيئة التى تقوم على الاعداد .

٢ ـ ليس الاعداد تحصيل ما لم يحصل أو غرس بأرض خلاء بل هو ملكة ، حاصلة للنفس عن طريق قيادة يألفها الداعية وسبيل ينهجها حتى يتحول بها الى سيادة وقيادة .

٣ ـ الاعداد نوع من التنمية الشخصية ويسير بالانسان نحو الكمال الانسانى حتى يرتقى الى محل خلافته عن الله تعالى .

٤ ـ المنهج العلمى الذى رأيناه يسير مع العقل البشرى حتى مرحلة البلوغ الفكرى : بمعنى أننا لا نعطى المبتدىء السالك ألوان الاختلاف والخلاف ، وندخله فى صراع المدارس من غير أن نقف به على نور التراث .

٥ ـ التربية والتعليم والثقافة لا ينفك أحدها عن الآخر ففى الساعة الواحدة يكون الحلم والعلم واللحظة الواحدة القرب والوصل ، وفى الخطرة على القلب علم وتربية ... الخ . وبعد :

فالرسالة التى عرضناها مجهود علمى وجهد بارز وكم كنا نأمل ان يعرض الباحث بها منهجه عرضا يعطى القارىء خط مساره ويعينه على ترسم خطاه ، فجزاه الله عن الدعوة الاسلامية والعلم خير الجزاء .

أنباء وآراء

الموضوعات
المقترح تقديمها للمؤتمر الدولي الرابع
للسيرة والسنة النبوية الشريفة
عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

(أ) في السيرة النبوية :

١ ـ كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ وظاهرة الوحي وأنواعه ؟
٢ ـ حياة الرسول ﷺ قبل البعثة .
٣ ـ الرسول ﷺ ودعوته في مكة المكرمة .
٤ ـ الرسول ﷺ في المدينة المنورة .
٥ ـ الرسول ﷺ وزوجاته ، ورد شبهات المستشرقين .
٦ ـ هجرة الرسول ﷺ وأثرها في الدعوة الاسلامية .
٧ ـ منهج كتاب السيرة القدامى والمحدثين في عرض سيرة الرسول ﷺ .
٨ ـ كتب الرسول ﷺ الى الملوك والرؤساء .
٩ ـ شخصية محمد ﷺ البشر الرسول .
١٠ ـ حجة الوداع .
١١ ـ صفات الرسول ﷺ الخلقية والخلقية .
١٢ ـ أدب الحرب في الاسلام .
١٣ ـ العهود والمواثيق ، أو العلاقات الدولية في منهج الرسول ﷺ .
١٤ ـ دلائل النبوة الحسية .
١٥ ـ شق الصدر .
١٦ ـ المبشرات بالنبوة في الكتب القديمة .
١٧ ـ الرسالة المحمدية بين الرسالات .
١٨ ـ شمول الرسالة الاسلامية وكمالها .
١٩ ـ أثر الرسالة الاسلامية في سعادة البشرية .
٢٠ ـ ان الدين عند الله الاسلام .
٢١ ـ مفتريات وآيات .
٢٢ ـ الرسالة الاسلامية عامة وخاتمة .
٢٣ ـ الرسول ﷺ في بيته .
٢٤ ـ تربية الناشئة في ضوء السيرة .
٢٥ ـ الاسلام مستقبل الانسانية .
٢٦ ـ أثر الرسالة الاسلامية في الحضارة الانسانية .

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

٢٧ ــ الرسالة الاسلامية فى مواجهة الفساد العالمى قديما وحديثا .
٢٨ ــ المجتمع المدنى قبل الهجرة وبعدها .
٢٩ ــ الرسول وموقفه من التفرقة العنصرية
٣٠ ــ السيرة النبوية فى القرآن .
٣١ ــ السيرة النبوية فى الفكر المعاصر .
٣٢ ــ بنو هاشم شجرة النبوة الطاهرة .
٣٣ ــ دور شباب الصحابة فى نصرة الاسلام وفى الدعوة الى الله .
٣٤ ــ تقريب السيرة الى الناشئة والشباب .
٣٥ ــ مثل عليا للشباب من سيرة الرسول ﷺ .
٣٦ ــ القيم الأخلاقية فى نهج الرسول ﷺ .

(ب) فى السنة النبوية :

١ ــ الاسراء والمعراج كما روتها الصحاح، ورد شبه المشككين .
٢ ــ شرف الصحبة ، وعدالة الصحابة .
٣ ــ تدوين السنة وجهود المحدثين فى هذا المجال .
٤ ــ مكانة السنة ، وحكم الاسلام على المنكرين لها .
٥ ــ حجية أحاديث الآحاد ومقياس الأحاديث الصحيحة والحسنة .
٦ ــ الأحاديث المرسلة وحكمها .
٧ ــ جهود المحدثين فى علم الرجال والجرح والتعديل .
٨ ــ الامام البخارى والجامع الصحيح .
٩ ــ الامام مسلم والجامع الصحيح .
١٠ ــ الامام أحمد ومسنده .
١١ ــ الامام مالك والموطأ .
١٢ ــ الامام الترمذى وجامعه .
١٣ ــ الامام النسائى وسننه .
١٤ ــ الامام أبو داودوسننه .
١٥ ــ الامام ابن ماجه وسننه .
١٦ ــ هدى الرسول ﷺ فى الرعاية الصحية .
١٧ ــ حجية السنة .
١٨ ــ موقف المستشرقين من سنة رسول الله ﷺ .
١٩ ــ الرحلة فى طلب الحديث .
٢٠ ــ الصحابة الرواة والمكثرون منهم .
٢١ ــ الدفاع عن السنة قديما وحديثا .
٢٢ ــ أصحاب المسانيد والصحاح ومناهجهم
٢٣ ــ مقومات الحضارة ونظم الحكم فى ضوء السنة الشريفة .

أنباء وآراء

تلقى السيد الدكتور رئيس التحرير هذه الرسالة من صاحب التوقيع .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فاملى كبير أن تتناول « القضية » التى اطرحها عليكم بما تستحق من الاهتمام ، وان تجد فى « المجلة » « فسحة » تطل من خلالها بكل الابعاد على ذوى الشأن واصحاب القرار .

اخى : تعلم أن « الأزهر » كان ينفرد دون كل الجامعات ــ فى أواخر الأربعينيات والخمسينيات ــ بافتقاده الى « قسم للرسالات العليا » وكان ذلك فى قلوب جيلنا اسى كبيرا .

فلما انحلت العقدة رأت ادارة الازهر أن تعتبر مضى خمسة عشر عاما على التخرج خبرة تتكافأ مع « الماجستير » .. وكان ذلك وعيا رائعا ، وتعويضا كريما .. وسمح للاخوة بالانتساب لقسم « الدكتوراه » مباشرة .

غير أن الامر توقف .. والغى هذا الامتياز !

ثم تطور الامر فعادت الدارسة العليا مقصورة على حديثى التخرج .

وتلك هى القضية !!

الجامعات الأخرى لا تشترط حداثة التخرج ولهذا نسمع كثيرا عن دارسين حصلوا على « الدكتوراه » بعد « الاحالة للمعاش » .. وتلك الجامعات هى التى فتحت الباب قديما .

ثم يأتى الأزهر الذى حرم كثير من أبنائه .. فيفرض شرط حداثة التخرج ، حرمانا جديدا

ولأننا نؤمن بمذهب العصر ونعتبر « طلب العلم » اتجاها يجب أن يتخذ الشكل التنظيمى المعاصر .. ولأننا حرمنا من قبل .. ولا نريد أن نستمر فى الحرمان .

ولأننا نطمع أن يعاملنا « الأزهر » وهو السمح دائما .. بنفس الاسلوب الذى تعامل الجامعات الأخرى أبناءها به..لهذا كله نطلب الغاء شرط حداثة التخرج وليفتح باب الدارسات العليا للراغبين من المتخرجين أيا كانت سنة تخرجه بالشروط المعروفة .

وأذكر أن الأزهر سيجنى كثيرا من الخير لو انه فتح هذا الباب المغلق وليفرض ما يشاء من الرسوم التى تكفل جدية الطلب — وتغطى نفقات هذا التوسع ٠

بهذا لا تتكلف الميزانية شيئا وينفسح المجال أمام قرارات يمكن أن تقدم خيرا وأعتقد أن الأزهر أحق وأولى بفتح باب الدارسات العليا من كل الجامعات ٠٠ لأنه الرائد ٠٠ وهو الذى يذيع كلمة الحق ٠٠ وهو الذى ينطلق ٠٠ من « اطلبوا العلم ولو بالصين » وبهذا المنطق يمكن أن نفهم أيضا ٠٠ واطلبوه ولو على فراش الموت أخى : هل أطمع أن تنشر ندائى وأن تضم صوتك الى صوتى مؤزرا ومدعما !!
والله يحسن اليك ويهديك سواء السبيل ويجرى الخير بك ٠

عبد اللطيف محمد حشاد

ونقول للأستاذ حشاد :

هذه رسالتك تجد مكانها بمجلتكم ، و ما من شك فى ان الطلب الذى تحتويه طلب ينطلق من روح اسلامية صحيحة ٠

فقط الفت نظر سيادتكم الى ان اعتبار مضى خمسة عشر عاما على التخرج خبرة تتكافأ مع « الماجستير » لم تكن مطلقة كما تصورتم سيادتكم ٠

لقد اشترط بجوارها أن يتم تقديم نتاج علمى لطالب الدراسات العليا ، وانكر تماما انه حدث ذلك اثناء انتسابنا للدراسات العليا النظامية ٠

وتقدم كثير من اخواننا بمؤلفات قبلت منهم ثم انضووا فى سلك « الاساتذة الدكتوراه » وبعضهم الآن عميد لاحدى كليات جامعة الأزهر ٠

والذى أعلمه أن هذا الباب فيه أمل كبير هذا العام ولعلكم اذا اتصلتم بكلية التربية بالأزهر ستجدون — لهذا الموضوع — خيرا كثيرا ٠

منهج جديد لتحفيظ القرآن الكريم

افتتح فى مسجد الرحمن بجامعة الخرطوم السودانية مشروع لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم تلاوته بأسلوب جديد ٠

يقضى هذا الاسلوب بتقسيم القرآن الكريم الى مائتين وأربعين وحدة ٠ وقبل شروع الطالب فى حفظ الوحدة يعرف بالمقررات والمعانى وأسباب تنزيل الآيات ٠ واذا استوعب هذه الوحدة فى ثلاثة أيام تم له حفظ القرآن كله فى سنتين وشهرين أما اذا حفظ الوحدة فى أسبوع أمكنه حفظ القرآن كله فى أربع سنوات وأربعة أشهر وينطبق هذا على طلبة الجامعات والمدارس أثناء العطلة الصيفية ٠

المصاحف فى حجرات الفنادق

وافق مؤتمر رؤساء المدن الاسلامية المنعقد فى العاصمة التركية « أنقره » على اقتراح يقضى بتخصيص مكان فى كل حجرة من حجرات الفنادق الموجودة فى المدن الاسلامية توضع به

نسخة من القرآن الكريم .

كما نص قرار المؤتمر فى هذا الشان بوضع علامة فى كل حجرة من حجرات الفنادق فى المدن الاسلامية تحدد اتجاه القبلة .

وذكرت وكالة الأنباء « الاناضول » التركية ان القرار صدر بالاجماع مما يؤكد رغبة رؤساء المدن الاسلامية فى اضفاء الطابع الاسلامى على مدنهم وابراز هذا الطابع امام النزلاء الأجانب بالاضافة الى توفير الحياة الاسلامية فى فنادق المدن الاسلامية .

توحيد المناهج الاسلامية

قررت الحكومة الماليزية توحيد مناهج التعليم الاسلامى فى ماليزيا .

هذا القرار سيطبق على نحو مائتى الف من الدارسين فى المدارس الدينية والعربية .

واعلن المجلس الاستشارى لتنسيق التعليم الاسلامى ان الطلبة فى اربع أنواع من المدارس الدينية التى يتم فيها التدريس باللغة العربية بما فيها المدارس الخاصة سوف يتلقون مناهج تعليمية موحدة فى المستقبل .

قمر صناعى اسلامى

تعتزم الدول الاسلامية الدخول فى عصر الفضاء وذلك باقامة « معهد مشترك لأبحاث الفضاء » .. صرح بذلك السيد محمد سالم محمد رئيس لجنة الفضاء والمناخ الباكستانية، وقال :

ان هذا المشروع سيشترك فى تنفيذه الاعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى وانه يعد واحدا من ثلاثة وعشرين مشروعا علميا تعتزم الدول الاسلامية تنفيذها . وقال :

ان المشروعات التى سيتم تنفيذها من خلال الاقمار الصناعية الاسلامية هى : اعداد دراسات عن الصحراء فى الدول الاسلامية يمكن الاستفادة منها فى تحويل الصحراء الى أرض صالحة للزراعة .

معرض العمارة الاسلامية

أقيم مؤخرا معرض نظمته غرفة التجارة العربية البريطانية حول الاشكال المعمارية

العربية القديمة والحديثة وقواعدها التابعة من التراث الحضارى للدين الاسلامى، والموقع الجغرافى وفلسفة الانسان العربى من العالم الذى يحيطه .

وحول فكرة المعرض قال امين عام الغرفة التجارية العربية البريطانية .

انه تم اختيار الموضوع من منطق أن التراث المعمارى يمثل قمة من قمم العبقرية العربية بأصولها وقواعدها الجمالية والوظيفية النابعة من الاسلام والتراث العربى العريق .

والمعرض يهدف الى توضيح مساهمات المعماريين العرب فى هذا التراث الحضارى بحيث يشمل أعمال البناء البارزة فى المنطقة العربية .

مؤتمر اسلامي عالمي

قررت الحكومة السودانية عقد اول مؤتمر اسلامي عالمي في سبتمبر بمناسبة مرور عام على تطبيق احكام الشريعة الاسلامية بالسودان

يناقش المؤتمر الذى تحضره وفود من مختلف دول العالم نتائج التجربة السودانية والتحديات التى واجهها تطبيق الشريعة الاسلامية هناك .

ومن المنتظر ان يستمر المؤتمر اربعة ايام يرد فيه المفكرون والفقهاء على كافة الاسئلة التى يرددها بعض خصوم الاسلام فى الدول الاوربية .

كان السودان اعلن تطبيق احكام الشريعة الاسلامية فى سبتمبر من العام الماضى .

مركز لبحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة

عقد فى الدوحة الاجتماع التأسيسى الأول لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة الاسلامية . وقد حضر الاجتماع ممثلون من مصر والكويت والمغرب وسلطنة عمان وماليزيا والولايات المتحدة الامريكية ورابطة العالم الاسلامى .

يهدف المركز الى جمع واعداد مجموعة من المجلات باللغة الانجليزية لتعريف المسلمين والباحثين غير الناطقين بالعربية بأمهات الكتب فى الحضارة الاسلامية :

القرآن الكريم وعلومه ، والحديث الشريف والسيرة النبوية وعلوم الفقه وأصول الفقه وعلوم الكلام والفرق الاسلامية والفلسفة والعلوم بفروعها والتربية وعلوم المجتمع والمؤرخون وكتاب السير والجغرافيون والرحالة والشعراء والكتاب والفنانون والدولة ونظام الحكم .

وضع حجر الاساس لمسجد جديد

احتفلت الجالية الاسلامية فى لندن بوضع حجر الاساس لمسجد المركز الاسلامى الجديد بمنطقة « كرويدن » فى جنوب لندن . يقام المسجد على مساحة الف متر تبرع بها المسلمون المقيمون هناك وتبلغ تكاليف انشاء المسجد ستمائة واربعون الف جنيه استرلينى .

اقامة مسجد جديد فى غرناطة

تعتزم الطائفة الاسلامية فى مدينة غرناطة الاسبانية ــ الاندلس ــ انشاء مسجد جديد فى هذه المدينة تقدر تكاليف بنائه بحوالى مليون ونصف مليون دولار وسيبدأ العمل فى هذا المسجد فى نهاية العام الحالى .

سيتولى رئيس المحكمة العليا فى دولة الامارات العربية المتحدة تمويل المشروع بشكل شامل . وكان رئيس المحكمة العليا فى الامارات قد أرسل واعظين من أصل موريتانى الى هذه الطائفة لتعريف أبنائها بقواعد الاسلام وتعاليمه وبخاصة تعليم القرآن الكريم واللغة العربية .

أنباء وآراء

خبير امريكي يشهر اسلامه

استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر السيد ريتشارد بريان خبير مضخات البترول الأمريكي بولاية «أوكلاهوما» الذي شهر اسلامه وسمى نفسه أحمد بريان .

وقد اعرب الخبير الامريكي عن سعادته باعتناق الدين الاسلامي . وقال : انه لمس فيه كل المعاني الخالدة التي تتلاءم مع متطلبات العصر .

وزير الأوقاف بالدقهلية

* صرح فضيلة وزير الأوقاف بما يجب أن يكون عليه امام المسجد فقال ـ في كلمته التي القاها بالدقهلية :

«على الامام أن يكون محل ثقة الناس جميعا ، لأننا مكلفون أن نجعل الناس يتقون الله ونحن نريد أن نصل الناس بالله ، فيتواصلون على أساس من هذه الصلة الكريمة .

كذلك نريد للامام أن ينتفع به الناس فنحن مكلفون بتحبيب الناس في دينهم»

ودعا الوزير الى ضرورة أن يلقي الامام كلمة بعد الجمعة ، ولا بأس أن تطول ، فأما الخطبة فيكفيها خمس عشرة دقيقة .

جامعة الأزهر تمنح طالبة من اندونيسيا درجة الدكتوراه وموضوعها :

منهج الاسلام في تصرفات الصغير ورعايته .

ناقشت كلية الدراسات الاسلامية بجامعة الأزهر الطالبة « خزيمة توحيد ينجو » في الرسالة المقدمة منها للحصول على درجة الأستاذية = الدكتوراه » في الفقه الاسلامي المقارن-قُسِّم البحث الى ستة أبواب سبقتها مقدمة وانتهت بخاتمة .

تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة :

١ ـ أحمد سيد أحمد عثمان ـ كلية الدراسات الاسلامية (مشرفا) .

٢ ـ الأستاذ الدكتور محمد انيس عبادة ـ كلية الشريعة والقانون (عضوا) .

٣ ـ الأستاذ الدكتور محمد محمد جابر نصار (عضوا)

وقد منحت اللجنة الطالبة « الاستاذية ـ الدكتوراه » بدرجة جيد جدا . وأوصت بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات الأخرى .

السيد / عبد الفتاح مبروك يوسف ـ المنوفية ـ اشمون ـ رملة الأنجب

١ ـ الحديث المذكور في الطب النبوي المشار

اليه فى مقالكم حديث غير صحيح كذا فى تحقيق الشيخ الالبانى راجع حواشى صيد الخاطر تحقيق الاستاذ على الطنطاوى .

٢ ــ وما ذكر فى الحديث عن أسامة بن زيد هذا جزء من الحديث وليس الحديث كاملا ــ والحديث كاملا ــ عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال (شعبان بين رجب وشهر رمضان تغفل الناس عنه ترفع فيه أعمال العباد فاحب الا يرفع عملى الا وأنا صائم) رواه البيهقى فى شعب الامام عن أسامه بن زيد ــ ورمز الامام السيوطى لضعفه .

٣ ــ وما ذكر فى (فضل الشهور الحرم فى الاسلام) رواه أبو الفتح بن ابى الفوارس فى آماليه عن الحسن مرسلا ــ ورد فى الجامع الصغير للسيوطى ورمز لضعفه .

السيد / جمال عبد القادر عبد العزيز ــ الشرقية ــ ابو حماد .

السيد / احمد عبد اللطيف جمعه ــ الشرقية الأسدية .

للاشتراك فى المجلة عليك الاتصال بالعنوان التالى :

القاهرة ــ ادارة توزيع الأهرام ــ شارع الجلاء

السيد الأنور الفاروق محمود ــ القاهرة ــ شركات تركى ٨ ش الصحافة .

نأسف جدا لنفاد هذا العدد وهديته ، ولا نستطيع أن نعد سيادتكم بامدادكم به ، كذلك نلفت نظر سيادتكم الى وجوب تبليغ ادارة التوزيع بالاهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ باسم الموزع الذى باع لكم المجلة بدون الهدية، ثم ــ يا أخى هذا حقك فكيف تنازلت عنه ؟؟

طلب القارىء عبد الرحمن عمر عبد الجواد ان تتصدى المجلة لبرامج التليفزيون .

المجلة : نفيد سيادتكم أن المجلة تناولت هذا الموضوع علميا على أعداد عدة منها :

رمضان ١٤٠٢ ، ١٤٠٤ وفى هذا العدد تناولت بحثا عن « الفيديو » .

والله ولى التوفيق

فهرس العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس الأبجدي العام للمجلد السادس والخمسين

يشمل:

أ - أسماء المقالات مرتبة ترتيبا أبجديا يُعنى بلفظها دون (أل) المعرِّفة مع ذكر أرقام صفحاتها

ب - أسماء الكتاب مرتبة ترتيبا أبجديا حسب لفظها، وأرقام صفحات مقالاتهم

(١) عناوين المقالات :

حرف الألف (أ) — ص

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـرس اسماء الكتاب

THE SECOND YEAR AFTER HIJRAH.
PAGE - 1817: Dr ANAS M. EL NAGGAR.

ZU AL- KIDAH, 1404
THE GREAT BADRE (PARTI)
PAGE - 1976: Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

ZU AL - HIJJAH, 1404
THE GREAT BADRE (PART II)
PAGE Dr. ANAS M. EL NAGGAR.
RABIE AKHAR, 1404
FROM THE TEACHINGS OF ISLAM
PAGE - 691 SOLIMAN BARAKAT

GOMADA EL OULA, 1404
CONTEMPLATING A SHORT SURA
PAGE - 837 SOLIMAN BARAKAT

GOMADA EL-AKHIRA, 1404
TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILLSTA STAND
PAGE - 1030, SOLIMAN BARAKAT
RAJAB, 1404
THE OBJECTS OF THE HOLY QURN PAGE 1199
SHABAN, 1404
" " (CONTIN) PAGE 1390
" " RAMADAN, 1404
" " (CONT.) 1878
SHAWAL , 1404
" " (CONT:) 1812
ZU-AL KIDAH, 1404
" " (CONT) 1974
ZU- AL HIJJAH, 1404
" " (CONT)

MOHARRAM, 1404

THE HIJRAH OF THE PROPHET MOHAMMAD

PAGE - 171; Dr ANAS M. EL. NAGGAR

SAFAR, 1404

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

PAGE - 332; Dr ANAS M. EL NAGGAR.

RABIE AWAL, 1404

MOHAMMAD FROM BIRTH TO MARRIAGE

PAGE - 509; Dr. ANAS M. EL NAGGAR

RABIE AKHAR, 1404

MOHAMMAD FROM MARRIAGE TO THE REVELATION

PAGE - 694; Dr. ANAS M. EL NAGGAR

GOMADA-EL OULA, 1404

THE REVELATION.

PAGE- 838 Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

GOMADA EL-AKHIRA 1404

THE SUMMONS IN SECRET

PAGE - 1033; Dr . ANAS M. EL NAGGAR

RAGAB; 1404

THE SUMMONS IN PUBLIC

PAGE - 1203, Dr. ANAS M. El NAGGAR.

SHABAN, 1404

THE EGRESS AND THE PRHIBITION

PAGE - 1395; Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

SHAWAL, 1404

RAMADAN, 1404

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

PAGE - 1583 ; Dr. ANAS M. EL NAGGAR

Anyway. Al-Baqara states there virtually are hopeful believers among the People of the Book. They do follow the Book as it ought to be followed, seeing the truth it holds out and understanding the wisdom it embraces. They are quite unlike the other obstinate heads and their sap imitators who are all doomed to loss

So, before it proceeds to another topic, Al-Baqara again calls the Jews- and the Christians, by the name of "Children of Israel"- who not only was a prophet but also a son, brother and father of prophets - to get back and join the rising community on the only way Allah has appointed out for deliverance.

1.6.

In view of unforeseen pressing consideration, on one hand, and continual illiterate misprints and omissions, the reader is kindly requested to accept the writer's apology for the voluntary cessation after this issue of this vital subject. The writer hopes to reconsider it in new lights and with the help of many reliable reference books and authorities, old and modern, to reproduce it, in snatches or in one volume.

" It is to set things right that I desire, so far I am able. My succour is with one but Allah. In Him I repose my trust and to Him I turn in peniten

have been communed in prayer and men to have been taught His word

In aggravation of their ill-fate beyond any hope of forgiveness, they ascribe a son to Allah, extremely high exalted is He above such blasphemy. None would think so but the same sort of men who want Allah to appear to them and to talk to them.

The Sura tells them it does not befit Allah to have an offspring. To Him belong all east and west, and all that is in the heavens and on earth. Wherever a face turns He is present. Everything other than Him is but His submissive creation, but in no way an offshoot of Him. The Sura then draws attention to the fact that different as are the names and words they use, their argumentation has always been alike, along epochs of history and all over the world.

Next, the Sura addresses the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, in confirmation of his attitude, both as a bearer of good tiding and a warner against unbelief. It also decides for him the boundary of his responsibility, and in fact his aspiration, for the guidance of mankind. It also warns him, and of course his followers, against yielding to the desires of the People of the Book, or Allah would withdraw His protecting and helping him. For he would satisfy neither the Jews nor the Christians until he entirely followed their own ways.

However, the Sura holds Muslims high above abhorring the People of the Book and causing offence to them Muslims must forgive them, bear with them and overlook their misdeeds until Allah accomplishes His will.

Still they must not neglect the positive side of their faith, i.e. the practices for which they are counted believers.

Again Al-Baqara ridicules the claim by the People of the Book that Paradise is exclusively devoted to the Jews or Christians. It requires them to produce their proof if what they say were true. Indeed, happy requital rests on self-surrender to Allah and doing good works, regardless of race or community. So, those who comply with it shall have nothing to fear or grieve over

Nevertheless, the Surah proceeds, it is not Islam alone that the People of the Book shoot their suspicions and denials at. Even among themselves, each sect disapproves and stultifies the other, all assuming to be alone the right side. So, they are all in the bad habit of discriminating audaciously against Messengers of Allah, causing His word to be divided or even dispersed, and waging wars against others, including their own flesh and blood, with the result that sanctuaries are destroyed and congregations are forbidden where Allah ought to

The Objects Of The Glorious Qur'an

Al-Baqara

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Jews wickedly strove to impress on men false reasons to dissuade them from believing in Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. Some Christians too, tried to do the same. Citing a number of Moses' and Jesus' signs and miracles, those different People of the Book agreed together on the claim that Muhammad, blessed be he, did not bring a sign confirming his religious mission.

Al-Baqara speaks it out that such signs and miracles as those they mentioned, and others which they forgot or had no knowledge of, are from Allah. Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah, is empowered with signs and miracles superior and equal to the examples they gave or did not.

The Sura then ridicules the motive underlying their argument, i.e. their age-long reputed contention against Allah and His Apostles. It is but ill-judged barter on their part, of faith for unbelief. Surprisingly, it is not unknowingly that they make such a blind choice.

24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Al-Khodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th. Edition , 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnoot and Abdel-Quader
Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981

It is not fitting for an Apostle
That he should have prisoners of war
Until he hath thoroughly subdued the land.
Ye look for the temporal goods of this world;
But Allah looketh to the Hereafter :
And Allah is Exalted in might, Wise .

Surat Al-Anfal, VIII, 67.

Allah then further in the Revelation allows muslims to enjoy the ransom,since,whatever decision was followed, it was an honest sincere endevour on their part toward implementing justice and the right casue.

Here ends the historic incidents of the great battle of Badre, however, it is mandatory to realise that victory was above all considerations ordained and supported by Allah the All-Mighty to establish in concreteness the message of Islam on earth. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) fully comprehended this fact and directed all functions to satisfy and fullfil its requirements; so was the illustrious triumph.

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen

The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) arrived at Al-Madina and was received with triumphant applause by the muslim inhabitants. The Jews and the hypocrites resident at Al-Madina suffered hidden dismay and downcast sadness knowing that the Muslim overwhelming victory at Badre will strenghen the Muslim community at Al-Madina and establish the Islamic structure beyond any regression. At Al-Madina, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was faced with the problem of the prisoners taken from Koraysh at Badre. Omar Ibn Al-Khatab was of the opinion that they should be killed, reasoning that they were the leaders and heads of Koraysh and idol worshippers who presented a potential danger to Islam. Abu-Bakre Al-Siddiq was of the opinion that the prisoners be released in return of ransom , reasoning that these men from Koraysh were kinsmen and that such noble act may guide them to Islam by light from Allah. The Prophet(praers and peace from Allah upon him)conformed with the opinion of Abu-Bakre and declared that the ransom for every prisoner was four thousand dirhams. One who could not afford the ransom must teach ten Muslim children the elements of reading and writing, before his release.

Regarding the matter of ransom of Badre prisoners taken from Koraysh, the exchange was complete during the months of Shawal and Zu-Al-Qidah of the second year after Hijrah two month after the battle. When it was complete, Quranic revelation indicated non-believers should be thoroughly subdued in battle for they openly and arrogantly opposed the Words of Allah :

ers and peace from Allah upon him) and wife to Osman Ibn Affan who could not attend Badre being busy nursing his wife.

During the return to Al-Madina, differences started between muslims concerning the distribution of the spoils of battle. These differences were terminated by Quranic revelation that decisively dictated the code for such spoils. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) distributed the spoils with meticulous

> They ask thee concerning the spoils of war, Say "Such spoils are at the disposal of Allah and the Apostle; so fear Allah, and keep straight the relations Between yoursleves : Obey Allah and His Apostle if ye do believe
>
> Surat Al-Anfal , VIII, 1.

justice; even men who did not actually take part in the battle but were indirectly involved, or were engaged in special duties, shared in the spoils

The astounding victory of muslims at Badre over the colossal masses of Koraysh was decisive and conclusive.

The defeated masses withdrew to Mecca dragging behind them the tails of defeat and misery, lamenting their disaster in languid apathy and astonished apprehension. At Mecca, the whole populous of Koraysh mourned and grieved in pungent acrimony, distress and dishonour. The whole structure and prestige of Koraysh was severely shaken to the roots.

between truth and falsehood, between moral and immoral, and between belief and unbelief. The powers of right and truth, of morals and belief were manifestly affirmed.

The battle continued very intensely, and as time passed the position of muslims was rising in strength, confidence, stability and superiority. The masses of Koraysh were dispersing, weakening, demoralised, faltering and stammering confronted with the courage, indurance, intent and purpose of muslims crowned with heavenly support of Angels. Victims from Koraysh increased, and men of high rank and esteemed personalities fell in battle;Al Hakam Ibn Hisham, Umayah Ibn Khalaf Hanzalah Ibn Abi Sufyan, Ubaydah Ibn Al Aas and scores of others.The total number of deaths among Koraysh were seventy, and another seventy one men were captured as prisoners by the muslims. The casualties from the muslims were a total of fourteen; six from Muhagreen, and eight from Al-Ansars.

After the battle was over, and Koraysh withdrew from the field, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) ordered the burial of all bodies. Muslims were burried at the site of battle at Badre except Ubaydah Ibn Al-Harith Ibn Abd Al-Mutaleb who was wounded in the sword fight at the start of the battle died on the way back to Al-Madina and was burried at Al-Safra. The dead from Koraysh were burried in a depression at Badre called Al-Qaleeb.

The Prophet(prayers and peace from Allah upon him)sent couriers to Al-Madina with news of victory and triumph. Abdullah Ibn Abi Ruwaha and Zayd Ibn Haritha arrived at time of burrial of Ruqayah daughter of the Prophet(pray-

Give firmness to the believers;
I will instil terror into the hearts of
unbelievers : Smite ye above their necks
And smite all their finger-tips off them.

Surat Al-Anfal, VIII, 12.

It is not ye who slew them
It was Allah who slew them
when thou threwest, it was not thy act,
But it was the act of Allah;
In order that He might test the believers
In order that He might test the believers
By a gracious trial from himself:
For Allah hearth and knoweth (all things).

Surat Al-Anfal, VIII,17

The battle continued severe, fierce and with adamant resoluteness on both sides. The clans of Koraysh were fighting for prestige, reputation and self superiority aiming at total destruction of muslims and annihilation of the heavenly message of Islam. Their blind stubborn rejection of the Truth and Reality stiffened their hearts and minds, and made them callous and unreceptive to the delicate tenderness of belief and faith. They battled for a worldly mortal aim, inwardly unconvinced of its purpose driven to it by vehement animosity and hatred. The muslims with the new creed whose light they carried in their hearts battled with belief and conviction for acceptance and qualification to the garden of paradise in the life to come, or for the establishment of Truth and Reality in worldly existance. They struggled to mark the Words of Allah as supreme. The whole substance of the armed conflict was a matching of powers between right and wrong.

The Combat between both parties started when Al-Aswad Ibn Abdel-Assad Al-Makhzoomi vowed that he will drink from the water wells, or pull down the water trench the muslims had built, or die at it.

Hamza Ibn Abdel-Mutaleb confronted him and struck him dead. Three men from Koraysh Utbah Ibn Rabee-ah, his brother Shaybah, and his son Al-Waleed came out from the ranks and requested challenge in sword fight. Three men from the Al-Ansar muslims opposed them, but the Korayshians refused them and demanded their equals, men of their own clan from Muhagereen. Ali Ibn Abi-Taleb confronted Al-Waleed and killed him, Hamza Ibn Abd Al-Mutaleb faced Shaybah and also killed him; and Ubaydah Ibn Al-Harith Ibn Abd Al-Mutaleb opposed Utbah exchanged several sword strikes, both men were wounded, Utbah was killed by Ali and Hamza, and Ubaydah was carried wounded to the ranks of muslims. Following this sword fight, the two parties approached each other and soon intermingled in a deadly struggle; muslims were very patient, steadfast and with intent and purpose. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) took active part in the fighting, and was nearest to the enemy. Allah sent down Angels to support and establish superiority of believers over the idol worshipers of Koraysh. As revealed in the glorious Qur'an:-

> Remember ye implored the assistance of God
> And He answered "I will assist you with a
> thousand of the Angels, Ranks on ranks
>
> Surat Al-Anfal, VIII, 9.
>
> Remember, thy God inspired the Angels
> (with the message)- I am with you:

The Confrontation

The Great Badre Part - 2

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

On Friday 17th. Ramadan of the second year after the Hijrah was the great and decisive battle of Badre. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) arranged the lines of the members of the Muslim legion, instructed and encouraged them, commanded them to follow the strategy and tactics in vigilant obedience, advised patience and steadfastness; and honest confident convition that Allah is their champion and victor. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) returned to the shelter to ask triumph and ascendancy from Allah. There was Koraysh in arrogant vanity and pompous ostentatious display, superior in numbers and equipment, skilled in the art of battle, and convinced of an easy victory over the small number humble muslim group that confronted them. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) prayed with intensive fervor and passionate zeolous request, with devout supplication and deep reverence; that Allah should support and ordain sustenance and achievement of conquest for the small troop of devout muslims that gathered to establish that the Divine Words of Allah were supreme.